
الطبري، أبو جعفر

تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري ٣١٠ هـ

رقم الكتاب في المكتبة الشاملة: ٩٧٨٣
الطابع الزمني: ١٢-٤٤-٢٠-١٨-٠٨-٢٠٢١
[المكتبة الشاملة رابط الكتاب](#)

المحتويات

٥	الجزء الأول	١
٦	القول في الزمان ما هو	١٠١
٧	القول في كم قدر جميع الزمان من ابتدائه إلى انتهائه وأوله إلى آخره	١٠١.١
١١	القول في الدلالة على حدوث الأوقات والأزمان والليل والنهار	١٠١.٢
١٣	القول في الإبانة عن فناء الزمان والليل والنهار وان لا شيء يبقى غير الله تعالى ذكره	١٠١.٣
١٥	القول في ابتداء الخلق ما كان أوله	١٠٢
١٧	القول في الذى ثنى خلق القلم	١٠٢.١
	القول فيما خلق الله في كل يوم من الأيام الستة التي ذكر الله في كتابه انه خلق فيهن السموات والارض وما بينهما	١٠٢.٢
٢١	القول في الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه	١٠٢.٣
٢٧	ذكر الاخبار الواردة بان ابليس كان له ملك السماء الدنيا والارض وما بين ذلك	١٠٣
٣٤	ذكر الخبر عن غمط عدو الله نعمه ربه واستكباره عليه وادعائه الربوبية	١٠٣.١
٣٥	القول في الاحداث التي كانت في ايام ملك ابليس وسلطانه والسبب الذي به هلك وادعى الربوبية	١٠٣.٢
٣٦	ذكر السبب الذي به هلك عدو الله وسولت له نفسه من اجله الاستكبار على ربه عز وجل	١٠٣.٣
٣٧	القول في خلق آدم ع	١٠٤
٤٤	القول في ذكر امتحان الله تعالى أبانا آدم ع	١٠٤.١
٤٧	القول في قدر مكث آدم في الجنة ووقت خلق الله عز وجل اياه ووقت إهباطه اياه من السماء إلى الارض	١٠٤.٢
٤٩	ذكر الوقت الذي فيه خلق آدم ع من يوم الجمعة والوقت الذي اهبط إلى الارض	١٠٤.٣
٥٠	القول في الموضع الذي اهبط آدم وحواء اليه من الارض حين اهبطا إليها	١٠٤.٤
٥٧	ذكر الاحداث التي كانت في عهد آدم ع بعد ان اهبط إلى الارض	١٠٤.٥
٦٣	ذكر ولاده حواء شيئا	١٠٤.٦
٦٤	ذكر وفاه آدم ع	١٠٤.٧
٦٩	ذكر الاحداث التي كانت في ايام بنى آدم من لدن ملك شيث بن آدم إلى ايام يرد	١٠٤.٨
٧٥	ذكر الاحداث التي كانت في عهد نوح ع	١٠٥
٨٢	ذكر بيوراسب، وهو الازدهاق	١٠٥.١
٩٠	ذكر الاحداث التي كانت بين نوح وابراهيم خليل الرحمن ع	١٠٥.٢
٩٨	ذكر ابراهيم خليل الرحمن ع	١٠٦
٩٨	وذكر من كان في عصره من ملوك العجم	١٠٦.١
١٠٦	ذكر امر بناء البيت	١٠٦.٢
	ذكر الخبر عن صفه فعل ابراهيم وابنه الذى امر بذبحه فيما كان امر به من ذلك والسبب الذى من اجله امر ابراهيم بذبحه	١٠٦.٣
١١٥	ذكر ابتلاء الله ابراهيم بكلمات	١٠٦.٤
١١٨	امر غمرو بن كوش بن كنعان	١٠٦.٥
١٢٢	ذكر لوط بن هاران وقومه	١٠٦.٦
١٢٤	ذكر من قال انما لقيت الرسل أول ما لقيت حين دنت من سدوم ابنه لوط دون لوط:	١٠٦.٧

١٠٦٠٨	ذكر وفاه ساره بنت هاران، وهاجر أم اسماعيل وذكر ازواج ابراهيم ع وولده	١٣١
١٠٦٠٩	ذكر وفاه ابراهيم ع	١٣٢
١٠٦٠١٠	ذكر خبر ولد اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن ع	١٣٣
١٠٦٠١١	ذكر إسحاق بن ابراهيم ع وذكر نسائه واولاده	١٣٤
١٠٧	ذكر أيوب ع	١٣٦
١٠٨	ذكر خبر شعيب ص	١٣٧
١٠٩	ذكر يعقوب واولاده	١٣٩
١٠١٠	قصه الخضر وخبره وخبر موسى وفتاه يوشع ع	١٥٤
١٠١١	منوشهر وأسبابه والحوادث الكائنة في زمانه	١٦٠
١٠١٢	ذكر نسب موسى بن عمران واخباره	١٦٣
١٠١٢٠١	ذكر وفاه موسى وهارون ابني عمران ع	١٨٢
١٠١٢٠٢	ذكر يوشع بن نون ع	١٨٣
١٠١٢٠٣	ذكر امر قارون بن يصهر بن قاهث	١٨٧
١٠١٢٠٤	ذكر امر بني إسرائيل والقوام الذين كانوا بامرهم بعد يوشع ابن نون والاحداث التي كانت في عهد زو وكيقباز	١٩٢
١٠١٣	الياس واليسع عليهما السلام	١٩٤
١٠١٤	ذكر خبر شمويل بن بالي بن علقمه بن يرخام بن اليهو ابن تهو بن صوف، وطالوت وجالوت	١٩٦
١٠١٥	ذكر خبر داود بن ايشي بن عويد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمي نادب بن رام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم	٢٠٠
١٠١٦	ذكر خبر سليمان بن داود ع	٢٠٤
١٠١٦٠١	ذكر ما انتهى إلينا من مغازي سليمان ع	٢٠٥
١٠١٦٠٢	ذكر غزوته أبا زوجته جراحه وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه	٢٠٨
١٠١٧	ذكر من ملك إقليم بابل والمشرق من ملوك الفرس بعد كيقباز	٢١٢
١٠١٨	امر إسرائيل بعد سليمان بن داود ع	٢١٦
١٠١٩	ذكر خبر اسا بن أبيا وزرح الهندي	٢١٦
١٠٢٠	ذكر صاحب قصه شعيا من ملوك بني إسرائيل، وسنحاريب	٢٢٢
١٠٢١	ذكر خبر لهراسب وابنه بشتاسب وغزو بختنصر بني إسرائيل وتخريبه بيت المقدس	٢٢٥
١٠٢٢	ذكر خبر غزو بختنصر للعرب	٢٣٢
١٠٢٣	رجع الخبر إلى قصه بشتاسب وذكر ملكه والحوادث التي كانت في ايام ملكه التي جرت على يديه ويد غيره من عماله في البلاد خلا ما جرى من ذلك على يد بختنصر	٢٣٤
١٠٢٤	ذكر الخبر عن ملوك الين في ايام قابوس وبعده إلى عهد بهمن بن اسفنديار	٢٣٥
١٠٢٥	ذكر خبر أردشير بهمن وابنته نحمانى	٢٣٦
١٠٢٦	ذكر خبر بني إسرائيل ومقابله تاريخ مده ايامهم إلى حين تصرفها بتاريخ مده من كان في ايامهم من ملوك الفرس	٢٣٧
١٠٢٧	خبر دارا الاكبر وابنه دارا الاصغر ابن دارا الاكبر وكيف كان هلاكه مع خبر ذي القرنين	٢٣٨
١٠٢٨	ذكر اخبار ملوك الفرس بعد الاسكندر وهم ملوك الطوائف	٢٤١
١٠٢٩	ذكر الاحداث التي كانت في ايام ملوك الطوائف	٢٤٣
١٠٣٠	ذكر من ملك من الروم ارض الشام بعد رفع المسيح ع إلى عهد النبي ص في قول النصارى	٢٥٣

٢٥٥	نزول قبائل العرب الحيرة والأنبار أيام ملوك الطوائف	١٠٣١
٢٦٢	ذكر طسم وجديس	١٠٣١.١
٢٦٤	الجزء الثاني	٢
٢٦٤	ذكر الخبر عن اصحاب الكهف	٢٠١
٢٦٦	يونس بن متى	٢٠٢
٢٦٩	ارسال الله رسله الثلاثة	٢٠٣
٢٧٠	شمسون	٢٠٤
٢٧١	ذكر خبر جرجيس	٢٠٥
٢٧٧	ذكر الخبر عن ملوك الفرس وسنى ملكهم	٢٠٦
٢٧٧	ذكر ملك أردشير بن بابك	٢٠٦.١
٢٧٩	ذكر الخبر عن القائم كان بملك فارس بعد أردشير بن بابك	٢٠٦.٢
٢٨٢	ذكر ملك هرمز بن سابور	٢٠٦.٣
٢٨٣	ذكر ملك بهرام بن هرمز	٢٠٦.٤
٢٨٣	ذكر ملك بهرام بن بهرام بن هرمز	٢٠٦.٥
٢٨٣	ذكر ملك شاهنشاه بن بهرام	٢٠٦.٦
٢٨٣	ذكر ملك نرسی بن بهرام	٢٠٦.٧
٢٨٣	ذكر ملك هرمز بن نرسی	٢٠٦.٨
٢٨٤	ذكر ملك سابور ذي الاكتاف	٢٠٦.٩
٢٨٧	ذكر ملك أردشير بن هرمز	٢٠٦.١٠
٢٨٧	ذكر ملك سابور بن سابور	٢٠٦.١١
٢٨٧	ذكر ملك بهرام بن سابور	٢٠٦.١٢
٢٨٨	ذكر ملك يزدجرد الأئيم	٢٠٦.١٣
٢٩٠	ذكر ملك بهرام جور	٢٠٦.١٤
٢٩٥	ذكر ملك يزدجرد بن بهرام جور	٢٠٦.١٥
٢٩٦	ذكر ملك فيروز بن يزدجرد	٢٠٦.١٦
٢٩٨	ذكر ما كان من الاحداث في ايام يزدجرد بن بهرام وفيروز بين عاملهما على العرب واهل اليمن	٢٠٦.١٧
٢٩٩	ذكر ملك بلاش بن فيروز	٢٠٦.١٨
٢٩٩	ذكر ملك قباد بن فيروز	٢٠٦.١٩
٣٠٢	ذكر ملك كسرى انوشروان	٢٠٦.٢٠
٣٣٥	ذكر ملك هرمز بن كسرى انوشروان	٢٠٦.٢١
٣٣٦	ذكر ملك كسرى ابرويز بن هرمز	٢٠٦.٢٢
٣٤١	ذكر الخبر عن الأسباب التي حدثت عند اراده الله ازاله ملك فارس عن اهل فارس	٢٠٦.٢٣
٣٤٣	ذكر خبر يوم ذي قار	٢٠٦.٢٤
٣٥٠	ذكر من كان على ثغر العرب من قبل ملوك الفرس بالحيرة بعد عمرو بن هند	٢٠٦.٢٥
٣٥٢	ذكر ملك شيرويه بن ابرويز	٢٠٦.٢٦
٣٥٧	ذكر ملك أردشير بن شيرويه	٢٠٦.٢٧
٣٥٨	ذكر ملك شهربراز	٢٠٦.٢٨

٢٠٦٠٢٩	ذكر ملك بوران بنت كسرى ابرويز	٣٥٨
٢٠٦٠٣٠	ذكر ملك جشنسده	٣٥٨
٢٠٦٠٣١	ذكر ملك آرميدخت بنت كسرى ابرويز	٣٥٨
٢٠٦٠٣٢	كسرى بن مهراجشنس	٣٥٩
٢٠٦٠٣٣	ذكر ملك خرزا خسروا	٣٥٩
٢٠٦٠٣٤	ذكر ملك فيروز بن مهراجشنس	٣٥٩
٢٠٦٠٣٥	ذكر ملك فرخزاد خسروا	٣٥٩
٢٠٦٠٣٦	ذكر ملك يزديجرد بن شهریار	٣٥٩
٢٠٧	القول في السيرة النبوية	٣٦١
٢٠٧٠١	ذكر نسب رسول الله ص	٣٦١
٢٠٧٠٢	ذكر رسول الله ص وأسبابه	٣٧٩
٢٠٧٠٣	ذكر تزويج النبي ص خديجه رضي الله عنها	٣٨٠
٢٠٧٠٤	ذكر باقي الاخبار عن الكائن من امر رسول الله ص قبل ان ينبأ، وما كان بين مولده ووقت نبوته من الاحداث في بلده	٣٨١
٢٠٧٠٥	ذكر اليوم الذي نبى فيه رسول الله ص من الشهر الذي نبئ فيه وما جاء في ذلك	٣٨٥
٢٠٧٠٦	ذكر الخبر عما كان من امر نبى الله ص عند ابتداء الله تعالى ذكره اياه بإكرامه بإرسال جبريل ع اليه بوحيه	٣٨٧
٢٠٧٠٧	ذكر الوقت الذي عمل فيه التاريخ	٤٢٥
٢٠٧٠٨	ذكر ما كان من الأمور المذكورة في أول سنه من الهجره	٤٢٧
٢٠٧٠٩	السنه الثانيه من الهجره	٤٣٢
٢٠٧٠١٠	السنه الثالثه من الهجره	٤٦٥
٢٠٧٠١١	سنه اربع من الهجره	٤٨٧
٢٠٧٠١٢	السنه الخامسه من الهجره	٤٩٨
٢٠٧٠١٣	سنه ست من الهجره	٥١٢
٣	الجزء الثالث	٥٣٩
٣٠١	سنه سبع من الهجره	٥٣٩
٣٠١٠١	غزوه خيبر	٥٣٩
٣٠١٠٢	ذكر غزوه رسول الله ص وادي القرى	٥٤٢
٣٠١٠٣	امر الحجاج بن علاط السلبى	٥٤٣
٣٠١٠٤	ذكر مقاسم خيبر وأموالها	٥٤٤
٣٠١٠٥	عمره القضاء	٥٤٥
٣٠٢	سنه ثمان من الهجره	٥٤٧
٣٠٢٠١	خبر غزوه غالب بن عبد الله الليثى بنى الملوخ	٥٤٧
٣٠٢٠٢	ذكر ما في الخبر عن الكائن كان من الاحداث المذكوره في سنه ثمان من سنى الهجره	٥٤٩
٣٠٢٠٣	غزوه ذات السلاسل	٥٥٠
٣٠٢٠٤	غزوه الخبط	٥٥٠
٣٠٢٠٥	حوادث متفرقة	٥٥١
٣٠٢٠٦	ذكر الخبر عن غزوه مؤتة	٥٥٢

٥٥٥	ذكر الخبر عن فتح مكة	٣٠٢٠٧
٥٦٤	فيها قتل خراش بن اميه الكعبي جنيد بن الادلع	٣٠٢٠٨
٥٦٦	في هذه السنه تزوج رسول الله ص مليكه بنت داود الليثية،	٣٠٢٠٩
٥٦٦	وفيها هدم خالد بن الوليد العزى بيطن نخله،	٣٠٢٠١٠
٥٦٦	وفيها هدم سواع،	٣٠٢٠١١
٥٦٦	وفيها هدم مناه بالمشلل،	٣٠٢٠١٢
٥٦٦	مسير خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة بن مالك	٣٠٢٠١٣
٥٦٨	ذكر الخبر عن غزوه رسول الله ص هوازن بخنين	٣٠٢٠١٤
٥٧٤	غزوه الطائف	٣٠٢٠١٥
٥٧٦	امر اموال هوازن وعطايا المؤلفه قلوبهم منها	٣٠٢٠١٦
٥٧٩	عمرة رسول الله من الجعرانة	٣٠٢٠١٧
٥٨٠	سنه تسع	٣٠٣
٥٨٠	امر ثقيف وإسلامها	٣٠٣٠١
٥٨٢	ذكر الخبر عن غزوه تبوك	٣٠٣٠٢
٥٨٧	امر طيء وعدى بن حاتم	٣٠٣٠٣
٥٨٩	قدوم وفد بنى تميم ونزول سورة الحجرات	٣٠٣٠٤
٥٩٢	قدوم رسول ملوك حمير على رسول الله بكتّابهم	٣٠٣٠٥
٥٩٣	قدوم ضمام بن ثعلبه وافدا عن بنى سعد	٣٠٣٠٦
٥٩٤	سنه عشر	٣٠٤
٥٩٤	سريه خالد بن الوليد إلى بنى الحارث بن كعب واسلامهم	٣٠٤٠١
٥٩٦	قدوم وفد الأزد	٣٠٤٠٢
٥٩٧	سريه على بن ابى طالب إلى اليمن	٣٠٤٠٣
٥٩٧	قدوم وفد زبيد	٣٠٤٠٤
٥٩٨	قدوم فروه بن مسيك المرادى	٣٠٤٠٥
٥٩٩	قدوم الجارود في وفد عبد القيس	٣٠٤٠٦
٦٠٠	قدوم وفد بنى حنيفه ومعهم مسيلمه	٣٠٤٠٧
٦٠٠	قدوم الاشعث بن قيس في وفد كنده	٣٠٤٠٨
٦٠٠	حوادث متفرقة	٣٠٤٠٩
٦٠١	قدوم رفاعه بن زيد الجذامى	٣٠٤٠١٠
٦٠٣	وفد بنى عامر بن صعصعة	٣٠٤٠١١
٦٠٣	قدوم زيد الخليل في وفد طيء	٣٠٤٠١٢
٦٠٤	كتاب مسيلمه إلى رسول الله والجواب عنه	٣٠٤٠١٣
٦٠٤	خروج الأمراء والعمال على الصدقات	٣٠٤٠١٤
٦٠٥	جهه الوداع	٣٠٤٠١٥
٦٠٧	ذكر جملة الغزوات	٣٠٤٠١٦
٦٠٨	ذكر جملة السرايا والبعوث	٣٠٤٠١٧
٦١٠	ذكر الخبر عن حج رسول الله ص	٣٠٤٠١٨

٦١١	ذكر الخبر عن ازواج رسول الله ص	٣٠٤٠١٩
٦١٥	ذكر من خطب النبي ص من النساء ثم لم ينكحهن	٣٠٤٠٢٠
٦١٥	ذكر سرارى رسول الله ص	٣٠٤٠٢١
٦١٥	ذكر موالي رسول الله ص	٣٠٤٠٢٢
٦١٧	ذكر من كان يكتب لرسول الله ص	٣٠٤٠٢٣
٦١٧	أسماء خيل رسول الله ص	٣٠٤٠٢٤
٦١٨	ذكر أسماء بغال رسول الله ص	٣٠٤٠٢٥
٦١٨	ذكر أسماء ابله ص	٣٠٤٠٢٦
٦١٨	ذكر أسماء لقاح رسول الله ص	٣٠٤٠٢٧
٦١٩	ذكر أسماء منأخ رسول الله ص	٣٠٤٠٢٨
٦١٩	ذكر أسماء سيوف رسول الله ص	٣٠٤٠٢٩
٦١٩	ذكر أسماء قسيه ورماحه ص	٣٠٤٠٣٠
٦١٩	ذكر أسماء دروعه ص	٣٠٤٠٣١
٦٢٠	ذكر ترسه ص	٣٠٤٠٣٢
٦٢٠	ذكر أسماء رسول الله ص	٣٠٤٠٣٣
٦٢٠	ذكر صفه النبي ص	٣٠٤٠٣٤
٦٢١	ذكر خاتم النبوه التي كانت به ص	٣٠٤٠٣٥
٦٢١	ذكر شجاعته وجوده ص	٣٠٤٠٣٦
٦٢١	ذكر صفه شعره ص وهل كان يخضب أم لا	٣٠٤٠٣٧
٦٢٢	ذكر الخبر عن بدء مرض رسول الله الذى توفى فيه وما كان منه قبيل ذلك لما نعت اليه نفسه ص	٣٠٤٠٣٨
٦٢٣	سنه احدى عشره	٣٠٥
٦٢٣	ذكر الاحداث التي كانت فيها	٣٠٥٠١
٦٣٠	ذكر الاخبار الوارده باليوم الذى توفى فيه رسول الله ومبلغ سنه يوم وفاته	٣٠٥٠٢
٦٣٢	حوادث السنه الحادية العشرة بعد وفاة رسول الله	٣٠٥٠٣
٦٩٦	سنه اثنتى عشره من الهجره	٣٠٦
٦٩٦	مسير خالد إلى العراق وصلاح الحيرة	٣٠٦٠١
٧٠٠	ذكر وقعه المذار	٣٠٦٠٢
٧٠١	ذكر وقعه الوجلة	٣٠٦٠٣
٧٠٢	خبر اليس، وهي على صلب الفرات	٣٠٦٠٤
٧٠٣	حديث أمغيشيا	٣٠٦٠٥
٧٠٤	حديث يوم المقر وفم فرات بادقلى	٣٠٦٠٦
٧٠٧	خبر ما بعد الحيرة	٣٠٦٠٧
٧١١	حديث الأنبار - وهي ذات العيون - وذكر كلواذى	٣٠٦٠٨
٧١٢	خبر عين التمر	٣٠٦٠٩
٧١٣	خبر دومه الجندل	٣٠٦٠١٠
٧١٤	خبر حصيد	٣٠٦٠١١
٧١٤	الخنافس	٣٠٦٠١٢

٧١٤	مصيخ بنى البرشاء	٣٠٦٠١٣
٧١٥	الثني والزميل	٣٠٦٠١٤
٧١٥	حديث الفراض	٣٠٦٠١٥
٧١٦	حجه خالد	٣٠٦٠١٦
٧١٦	حوادث متفرقة	٣٠٦٠١٧
٧١٧	سنه ثلاث عشره	٣٠٧
٧١٧	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث	٣٠٧٠١
٧٢١	خبر اليرموك	٣٠٧٠٢
٧٣١	ذكر وقعة أجنادين	٣٠٧٠٣
٧٣٣	ذكر مرض ابى بكر ووفاته	٣٠٧٠٤
	ذكر الخبر عن غسله والكفن الذى كفن فيه ابو بكر ومن صلى عليه والوقت الذى صلى عليه فيه والوقت الذى توفى فيه	٣٠٧٠٥
٧٣٤		
٧٣٥	ذكر الخبر عن صفه جسم ابى بكر رحمه الله	٣٠٧٠٦
٧٣٥	ذكر نسب ابى بكر واسمه وما كان يعرف به	٣٠٧٠٧
٧٣٥	ذكر أسماء نساء ابى بكر الصديق رحمه الله	٣٠٧٠٨
٧٣٦	ذكر أسماء قضاياه وكتابه وعمله على الصدقات	٣٠٧٠٩
٧٣٧	ذكر استخلافه عمر بن الخطاب	٣٠٧٠١٠
٧٣٨	حال أبى بكر قبل الخلافة وبعدها	٣٠٧٠١١
٧٤٠	ذكر غزوه خيبر وفتح دمشق	٣٠٧٠١٢
٧٤٤	ذكر بيسان	٣٠٧٠١٣
٧٤٥	طبرية	٣٠٧٠١٤
٧٤٥	ذكر خبر المثنى بن حارثة وابى عبيد بن مسعود	٣٠٧٠١٥
٧٤٦	خبر النمارق	٣٠٧٠١٦
٧٤٨	السقاطيه بكسك	٣٠٧٠١٧
٧٥٠	وقعه القرقرس	٣٠٧٠١٨
٧٥٢	خبر اليس الصغرى	٣٠٧٠١٩
٧٥٣	البويب	٣٠٧٠٢٠
٧٥٩	خبر الخنافس	٣٠٧٠٢١
٧٦١	ذكر الخبر عما هيج امر القادسية	٣٠٧٠٢٢
٧٦٢	سنه اربع عشره	٣٠٨
٧٦٢	ذكر ابتداء امر القادسية	٣٠٨٠١
٧٨٦	يوم ارمات	٣٠٨٠٢
٧٩١	يوم اغواث	٣٠٨٠٣
٧٩٥	يوم عماس	٣٠٨٠٤
٨٠٠	ليله القادسية	٣٠٨٠٥
٨٠٨	ذكر احوال اهل السواد	٣٠٨٠٦
٨١٣	ذكر بناء البصره	٣٠٨٠٧
٨١٧	سنه خمس عشره	٣٠٩

٣٠٩٠١	ذكر الوقعه بمرج الروم	٨١٧
٣٠٩٠٢	ذكر فتح حمص	٨١٧
٣٠٩٠٣	حديث قنسرين	٨١٨
٣٠٩٠٤	ذكر خبر ارتحال هرقل إلى القسطنطينية	٨١٩
٣٠٩٠٥	ذكر فتح قيساريه وحصر غزه	٨١٩
٣٠٩٠٦	ذكر فتح ييسان ووقعه اجنادين	٨٢٠
٣٠٩٠٧	ذكر فتح بيت المقدس	٨٢١
٣٠٩٠٨	ذكر فرض العطاء وعمل الديوان	٨٢٤
٣٠٩٠٩	خبر يوم برس	٨٢٦
٣٠٩٠١٠	يوم بابل	٨٢٧
٣٠٩٠١١	حديث بهرسير في ذي الحجه سنه خمس عشره في قول سيف	٨٢٨
٤	الجزء الرابع	٨٢٩
٤٠١	سنه ست عشره	٨٢٩
٤٠١٠١	ذكر بقيه خبر دخول المسلمين مدينه بهرسير	٨٢٩
٤٠١٠٢	حديث المدائن القصوى التي كان فيها منزل كسرى	٨٣٠
٤٠١٠٣	ذكر ما جمع من فيء اهل المدائن	٨٣٤
٤٠١٠٤	ذكر صفه قسم الفياء الذى اصيب بالمدائن بين اهله وكانوا - فيما زعم سيف - ستين ألفا	٨٣٦
٤٠١٠٥	ذكر الخبر عن وقعه جلولاى الوقعه	٨٣٨
٤٠١٠٦	ذكر فتح تكريت	٨٤٣
٤٠١٠٧	ذكر فتح ماسبذان	٨٤٤
٤٠١٠٨	ذكر وقعه قرقيسياى	٨٤٤
٤٠٢	سنه سبع عشره	٨٤٥
٤٠٢٠١	ذكر سبب تحول من تحول من المسلمين من المدائن إلى الكوفه وسبب اختطاطهم الكوفه في روايه سيف	٨٤٥
٤٠٢٠٢	اعاده تعريف الناس	٨٤٩
٤٠٢٠٣	فتوح المدائن قبل الكوفه	٨٤٩
٤٠٢٠٤	ذكر خبر حمص حين قصد من فيها من المسلمين صاحب الروم	٨٥٠
٤٠٢٠٥	ذكر فتح الجزيرة	٨٥١
٤٠٢٠٦	خروج عمر بن الخطاب إلى الشام	٨٥٢
٤٠٢٠٧	ذكر الخبر عن سيف في ذلك، والخبر عما ذكره عن عمر في خرجته تلك انه احدث في مصالح المسلمين:	٨٥٦
٤٠٢٠٨	ذكر خبر عزل خالد بن الوليد	٨٥٧
٤٠٢٠٩	ذكر تجديد المسجد الحرام والتوسعه فيه	٨٥٨
٤٠٢٠١٠	ذكر خبر عزل المغيرة عن البصره وولايه ابى موسى	٨٥٩
٤٠٢٠١١	فتح سوق الاهواز ومناذر ونهر تيرى	٨٦٠
٤٠٢٠١٢	فتح تستر	٨٦٢
٤٠٢٠١٣	غزو المسلمين فارس من قبل البحرين	٨٦٣
٤٠٢٠١٤	ذكر فتح رامهرمز وتستر	٨٦٥
٤٠٢٠١٥	ذكر فتح السوس	٨٦٧

٨٦٩	ذكر مصالحة المسلمين اهل جندی سابور	٤٠٢٠١٦
٨٧٠	أخبار متفرقة	٤٠٢٠١٧
٨٧٠	سنة ثمان عشرة	٤٠٣
٨٧٠	ذكر الاحداث التي كانت في سنة ثمان عشرة	٤٠٣٠١
٨٧٣	سنة تسع عشرة	٤٠٤
٨٧٣	ذكر الاحداث التي كانت في سنة تسع عشرة	٤٠٤٠١
٨٧٤	سنة عشرين	٤٠٥
٨٧٤	ذكر الخبر عما كان فيها من مغازي المسلمين وغير ذلك من أمورهم	٤٠٥٠١
٨٧٨	سنة احدى وعشرين	٤٠٦
٨٧٨	ذكر الخبر عن وقعه المسلمين والفرس بنهاوند	٤٠٦٠١
٨٨٩	ذكر الخبر عن أصبهان	٤٠٦٠٢
٨٩٢	أخبار متفرقة	٤٠٦٠٣
٨٩٢	سنة اثنتين وعشرين	٤٠٧
٨٩٢	ذكر فتح همذان	٤٠٧٠١
٨٩٤	فتح الري	٤٠٧٠٢
٨٩٤	فتح قومس	٤٠٧٠٣
٨٩٥	فتح جرجان	٤٠٧٠٤
٨٩٥	فتح طبرستان	٤٠٧٠٥
٨٩٥	فتح اذربيجان	٤٠٧٠٦
٨٩٦	فتح الباب	٤٠٧٠٧
٨٩٩	أخبار متفرقة	٤٠٧٠٨
٨٩٩	ذكر تعديل الفتوح بين اهل الكوفة والبصرة	٤٠٧٠٩
٩٠٠	ذكر عزل عمار عن الكوفة	٤٠٧٠١٠
٩٠٢	ذكر مصير يزيد جرد إلى خراسان وما كان السبب في ذلك	٤٠٧٠١١
٩٠٦	سنة ثلاث وعشرين	٤٠٨
٩٠٦	ذكر الخبر عن فتح توج	٤٠٨٠١
٩٠٦	فتح اصطخر	٤٠٨٠٢
٩٠٧	ذكر فتح فسا ودارابجرد	٤٠٨٠٣
٩٠٩	ذكر فتح كرمان	٤٠٨٠٤
٩٠٩	ذكر فتح سجستان	٤٠٨٠٥
٩٠٩	فتح مكران	٤٠٨٠٦
٩١٠	خبر يبرود من الاهواز	٤٠٨٠٧
٩١١	ذكر خبر سلمه بن قيس الاشجعي والأكراد	٤٠٨٠٨
٩١٣	ذكر الخبر عن وفاة عمر	٤٠٨٠٩
٩١٦	ذكر نسب عمر رضى الله عنه	٤٠٨٠١٠
٩١٦	تسميته بالفاروق	٤٠٨٠١١
٩١٦	ذكر صفته	٤٠٨٠١٢
٩١٧	ذكر مولده ومبلغ عمره	٤٠٨٠١٣

٩١٧	ذكر أسماء ولده ونسائه	٤٠٨٠١٤
٩١٨	ذكر وقت اسلامه	٤٠٨٠١٥
٩١٨	ذكر بعض سيره	٤٠٨٠١٦
٩٢٢	تسميه عمر رضى الله عنه امير المؤمنين	٤٠٨٠١٧
٩٢٣	وضعه التاريخ	٤٠٨٠١٨
٩٢٣	حملة الدرة وتدوينه الدواوين	٤٠٨٠١٩
٩٢٦	ذكر بعض خطبه رضى الله تعالى عنه	٤٠٨٠٢٠
٩٢٨	من ندب عمر ورثاه رضى الله عنه	٤٠٨٠٢١
٩٢٨	شيء من سيره مما لم يمض ذكره	٤٠٨٠٢٢
٩٣٣	قصه الشورى	٤٠٨٠٢٣
٩٤٠	عمال عمر رضى الله عنه على الأمصار	٤٠٨٠٢٤
٩٤١	سنة اربع وعشرين	٤٠٩
٩٤١	ذكر ما كان فيها من الاحداث المشهورة	٤٠٩٠١
٩٤١	خطبه عثمان رضى الله عنه وقتل عبید الله بن عمر الهرمزان	٤٠٩٠٢
٩٤٢	ولايه سعد بن ابى وقاص الكوفه	٤٠٩٠٣
٩٤٢	كتب عثمان رضى الله عنه إلى عماله وولاته والعامه	٤٠٩٠٤
٩٤٣	غزوه اذربيجان وأرمينية	٤٠٩٠٥
٩٤٤	اجلاب الروم على المسلمين واستمداد المسلمين من بالكوفه	٤٠٩٠٦
٩٤٥	سنة خمس وعشرين	٤٠١٠
٩٤٥	ذكر الاحداث المشهورة التي كانت فيها	٤٠١٠٠١
٩٤٥	سنة ست وعشرين	٤٠١١
٩٤٥	ذكر ما كان فيها من الاحداث المشهورة	٤٠١١٠١
٩٤٥	ذكر سبب عزل عثمان عن الكوفه سعدا واستعماله عليها الوليد	٤٠١١٠٢
٩٤٦	سنة سبع وعشرين	٤٠١٢
٩٤٦	ذكر الاحداث المشهورة التي كانت فيها	٤٠١٢٠١
٩٤٩	سنة ثمان وعشرين	٤٠١٣
٩٤٩	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث المشهورة	٤٠١٣٠١
٩٥١	سنة تسع وعشرين	٤٠١٤
٩٥١	ذكر ما كان فيها من الاحداث المشهورة	٤٠١٤٠١
٩٥١	ذكر الخبر عن سبب عزل عثمان أبا موسى عن البصره	٤٠١٤٠٢
٩٥٣	أخبار متفرقة	٤٠١٤٠٣
٩٥٤	سنة ثلاثين	٤٠١٥
٩٥٤	ذكر ما كان فيها من الاحداث المشهورة	٤٠١٥٠١
٩٦٤	سنة احدى وثلاثين	٤٠١٦
٩٦٤	غزوه الصواري	٤٠١٦٠١
٩٦٦	ذكر الخبر عن مقتل يزيد جرد ملك فارس	٤٠١٦٠٢
٩٧٠	شخص عبد الله بن عامر إلى خراسان وما قام به من فتوح	٤٠١٦٠٣
٩٧١	سنة اثنتين وثلاثين	٤٠١٧

٩٧٣	ذكر الخبر عن وفاه ابي ذر	٤٠١٧٠١
٩٧٤	فتح مرو وروذ والطارقان والفارياب والجوزجان وطخارستان	٤٠١٧٠٢
٩٧٦	ذكر صلح الأخنف مع اهل بلخ	٤٠١٧٠٣
٩٧٧	سنة ثلاث وثلاثين	٤٠١٨
٩٧٧	ذكر تسيير من سير من اهل الكوفة إليها	٤٠١٨٠١
٩٨٢	ذكر الخبر عن تسيير عثمان من سير من اهل البصرة إلى الشام	٤٠١٨٠٢
٩٨٤	سنة اربع وثلاثين	٤٠١٩
٩٨٤	ذكر خبر اجتماع المنحرفين على عثمان	٤٠١٩٠١
٩٨٩	سنة خمس وثلاثين	٤٠٢٠
٩٨٩	ذكر مسير من سار إلى ذي خشب من اهل مصر وسبب مسير من سار إلى ذي المروة من اهل العراق	٤٠٢٠٠١
١٠٠٢	ذكر الخبر عن قتل عثمان رضى الله عنه	٤٠٢٠٠٢
١٠١٨	ذكر بعض سير عثمان بن عفان رضى الله عنه	٤٠٢٠٠٣
	ذكر الخبر عن السبب الذى من اجله امر عثمان رضى الله عنه عبد الله ابن عباس رضى الله عنه ان يحج بالناس في هذه السنة	٤٠٢٠٠٤
١٠٢٢	ذكر الخبر عن الموضع الذى دفن فيه عثمان رضى الله عنه ومن صلى عليه وولى امره بعد ما قتل إلى ان فرغ من امره ودفنه	٤٠٢٠٠٥
١٠٢٦	ذكر الخبر عن الوقت الذى قتل فيه عثمان رضى الله عنه	٤٠٢٠٠٦
١٠٢٧	ذكر الخبر عن قدر مده حياته	٤٠٢٠٠٧
١٠٢٨	ذكر الخبر عن صفه عثمان	٤٠٢٠٠٨
١٠٢٩	ذكر الخبر عن وقت اسلامه وهجرته	٤٠٢٠٠٩
١٠٣٠	ذكر الخبر عما كان يكنى به عثمان بن عفان رضى الله عنه	٤٠٢٠٠١٠
١٠٣٠	ذكر نسبه	٤٠٢٠٠١١
١٠٣٠	ذكر اولاده وازواجه	٤٠٢٠٠١٢
١٠٣١	ذكر أسماء عمال عثمان رضى الله عنه في هذه السنة على البلدان	٤٠٢٠٠١٣
١٠٣١	ذكر بعض خطب عثمان رضى الله عنه	٤٠٢٠٠١٤
١٠٣٢	ذكر الخبر عن كان يصلى بالناس في مسجد رسول الله ص حين حصر عثمان	٤٠٢٠٠١٥
١٠٣٢	ذكر ما رثى به من الاشعار	٤٠٢٠٠١٦
١٠٣٤	خلافه امير المؤمنين على بن ابي طالب	٤٠٢٠٠١٧
١٠٣٩	اتساق الأمر في البيعة لعل بن ابي طالب ع	٤٠٢٠٠١٨
١٠٤٢	مسير قسطنطين ملك الروم يريد المسلمين	٤٠٢٠٠١٩
١٠٤٢	سنة ست وثلاثين	٤٠٢١
١٠٤٢	تفريق على عماله على الأمصار	٤٠٢١٠١
١٠٤٣	استئذان طلحه والزبير عليا	٤٠٢١٠٢
١٠٤٩	خروج على إلى الربذة يريد البصرة	٤٠٢١٠٣
١٠٥٠	شراء الجمل لعائشة رضى الله عنها، وخبر كلاب الحوآب	٤٠٢١٠٤
١٠٥١	قول عائشة رضى الله عنها: والله لا طلبن بدم عثمان وخروجها وطلحه والزبير فيمن تبعهم إلى البصرة	٤٠٢١٠٥
١٠٥٣	دخولهم البصرة والحرب بينهم وبين عثمان بن حنيف	٤٠٢١٠٦

٤٠٢١٠٧	ذكر الخبر عن مسير على بن ابي طالب نحو البصرة ١٠٦١
٤٠٢١٠٨	نزول امير المؤمنين ذا قار ١٠٦٧
٤٠٢١٠٩	بعثه على بن ابي طالب من ذي قار ابنه الحسن وعمار بن ياسر ليستنفرا له اهل الكوفة ١٠٧٤
٤٠٢١١٠	نزول على الزاوية من البصرة ١٠٧٤
٤٠٢١١١	امر القتال ١٠٧٧
٤٠٢١١٢	خبر وقعه الجمل من روايه اخرى ١٠٧٨
٤٠٢١١٣	شده القتال يوم الجمل وخبر اعين بن ضبيعه واطلاعه في الهودج ١٠٩٠
٤٠٢١١٤	مقتل الزبير بن العوام رضى الله عنه ١٠٩١
٤٠٢١١٥	من انهزم يوم الجمل فاختفى ومضى في البلاد ١٠٩٢
٤٠٢١١٦	توجع على على قتلى الجمل ودفنهم وجمعه ما كان في العسكر والبعث به إلى البصرة ١٠٩٤
٤٠٢١١٧	عدد قتلى الجمل ١٠٩٤
٤٠٢١١٨	دخول على على عائشة وما امر به من العقوبة فيمن تناولها ١٠٩٤
٤٠٢١١٩	بيعه اهل البصرة عليا وقسمه ما في بيت المال عليهم ١٠٩٥
٤٠٢١٢٠	سيره على فيمن قاتل يوم الجمل ١٠٩٥
٤٠٢١٢١	بعثه الاشر إلى عائشة بجمل اشتراه لها وخروجها من البصرة إلى مكة ١٠٩٥
٤٠٢١٢٢	ما كتب به على بن ابي طالب من الفتح إلى عامله بالكوفة ١٠٩٦
٤٠٢١٢٣	أخذ على البيعه على الناس وخبر زياد بن ابي سفيان وعبد الرحمن بن ابي بكره ١٠٩٦
٤٠٢١٢٤	تأمر ابن عباس على البصرة وتوليّه زياد الخراج ١٠٩٦
٤٠٢١٢٥	تجهيز على ع عائشة رضى الله عنها من البصرة ١٠٩٧
٤٠٢١٢٦	ما روى من كثره القتلى يوم الجمل ١٠٩٧
٤٠٢١٢٧	ما قال عمار بن ياسر لعائشة حين فرغ من الجمل ١٠٩٧
٤٠٢١٢٨	آخر حديث الجمل بعثه على بن ابي طالب قيس بن سعد بن عباده أميرا على مصر ١٠٩٨
٤٠٢١٢٩	ولايه محمد بن ابي بكر مصر ١١٠٢
٤٠٢١٣٠	توجيه على خليف بن طريف إلى خراسان ١١٠٤
٤٠٢١٣١	ذكر خبر عمرو بن العاص ومبايعته معاويه ١١٠٤
٤٠٢١٣٢	توجيه على بن ابي طالب جرير بن عبد الله البجلي إلى معاويه يدعوه إلى الدخول في طاعته ١١٠٥
٤٠٢١٣٣	خروج على بن ابي طالب إلى صفين ١١٠٦
٤٠٢١٣٤	ما امر به على بن ابي طالب من عمل الجسر على الفرات ١١٠٧
٤٠٢١٣٥	القتال على الماء ١١٠٩
٤٠٢١٣٦	دعاء على معاويه إلى الطاعة والجماعه ١١١١
٤٠٢١٣٧	أخبار متفرقة ١١١٣
٥	الجزء الخامس ١١١٣
٥٠١	سنه سبع وثلاثين ١١١٣
٥٠١٠١	ذكر ما كان فيها من الاحداث وموادعه الحرب بين على ومعاويه ١١١٣
٥٠١٠٢	تكتيب الكائب وتبعه الناس للقتال ١١١٥
٥٠١٠٣	الجد في الحرب والقتال ١١١٩
٥٠١٠٤	مقتل عمار بن ياسر ١١٢٧

١١٢٩	خبر هاشم بن عتبة المرقال وذكر ليله الهرير	٥٠١٠٥
١١٣٢	ما روى من رفعهم المصاحف ودعائهم إلى الحكومة	٥٠١٠٦
١١٣٩	بعثه على جعدة بن هبيرة إلى خراسان	٥٠١٠٧
١١٣٩	اعتزال الخوارج عليا واصحابه ورجوعهم بعد ذلك	٥٠١٠٨
١١٤١	اجتماع الحكمين بدومه الجندل	٥٠١٠٩
١١٤٣	ذكر ما كان من خبر الخوارج عند توجيهه على الحكم للحكومة وخبر يوم النهر	٥٠١٠١٠
١١٥٣	سنة ثمان وثلاثين	٥٠٢
١١٥٣	ذكر ما كان فيها من الاحداث	٥٠٢٠١
١١٥٩	قتل محمد بن ابي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس	٥٠٢٠٢
١١٦١	ذكر الخبر عن امر ابن الحضرمي وزياد واعين وسبب قتل من قتل منهم	٥٠٢٠٣
١١٦٣	الخريت بن راشد واطهاره الخلاف على علي	٥٠٢٠٤
١١٧٢	سنة تسع وثلاثين	٥٠٣
١١٧٢	تفريق معاوية جيوشه في اطراف علي	٥٠٣٠١
١١٧٥	سنة اربعين	٥٠٤
١١٧٦	خروج ابن عباس من البصرة إلى مكة	٥٠٤٠١
١١٧٧	ذكر الخبر عن مقتل علي بن ابي طالب	٥٠٤٠٢
١١٨١	ذكر الخبر عن قدر مده خلافته	٥٠٤٠٣
١١٨٢	ذكر الخبر عن صفته	٥٠٤٠٤
١١٨٢	ذكر نسبه ع	٥٠٤٠٥
١١٨٢	ذكر الخبر عن ازواجه واولاده	٥٠٤٠٦
١١٨٣	ذكر ولايته	٥٠٤٠٧
١١٨٣	ذكر بعض سيره ع	٥٠٤٠٨
١١٨٤	ذكر بيعه الحسن بن علي	٥٠٤٠٩
١١٨٥	سنة احدى واربعين	٥٠٥
١١٨٦	ذكر خبر الصلح بين معاوية وقيس بن سعد	٥٠٥٠١
١١٨٧	دخول الحسن والحسين المدينة منصرفين من الكوفة	٥٠٥٠٢
١١٨٧	ذكر خروج الخوارج على معاوية	٥٠٥٠٣
١١٨٨	ذكر ولايه بسر بن ابي ارقطاه على البصرة	٥٠٥٠٤
١١٨٩	ولايه عبد الله بن عامر البصرة وحرب سجستان وخراسان	٥٠٥٠٥
١١٩٠	سنة اثنتين واربعين	٥٠٦
١١٩٠	ذكر الخبر عن تحرك الخوارج	٥٠٦٠١
١١٩٢	ذكر قدوم زياد على معاوية	٥٠٦٠٢
١١٩٥	سنة ثلاث واربعين	٥٠٧
١١٩٥	خبر قتل المستورد بن علفه الخارجي	٥٠٧٠١
١٢٠٧	ذكر ولايه عبد الله بن خازم خراسان	٥٠٧٠٢
١٢٠٨	سنة اربع واربعين	٥٠٨
١٢٠٨	عزل عبد الله بن عامر عن البصرة	٥٠٨٠١
١٢١٠	استلحاق معاوية نسب زياد ابن سميه بابيه	٥٠٨٠٢

١٢١٠	سنة خمس وأربعين	٥٠٩
١٢١٠	ذكر الخبر عن ولاية زياد البصره	٥٠٩.١
١٢١٥	سنة ست وأربعين	٥٠١٠
١٢١٥	خبر انصراف عبد الرحمن بن خالد إلى حمص وهلاكه	٥٠١٠.١
١٢١٦	ذكر خروج سهم والخطيم	٥٠١٠.٢
١٢١٦	سنة سبع وأربعين	٥٠١١
١٢١٦	ذكر عزل عبد الله بن عمرو عن مصر وولاية ابن حديج	٥٠١١.١
١٢١٦	ذكر غزو الغور	٥٠١١.٢
١٢١٧	سنة ثمان وأربعين	٥٠١٢
١٢١٧	سنة تسع وأربعين	٥٠١٣
١٢١٨	سنة خمسين	٥٠١٤
١٢١٨	ذكر وفاة المغيرة بن شعبه وولاية زياد الكوفة	٥٠١٤.١
١٢١٩	خروج قريب وزحاف	٥٠١٤.٢
١٢٢٠	ذكر اراده معاوية نقل المنبر من المدينة	٥٠١٤.٣
١٢٢١	ذكر هرب الفرزدق من زياد	٥٠١٤.٤
١٢٢٦	ذكر الخبر عن غزوه الحكم بن عمرو جبل الأشل وسبب هلاكه	٥٠١٤.٥
١٢٢٧	سنة احدى وخمسين	٥٠١٥
١٢٢٧	ذكر مقتل حجر بن عدى واصحابه	٥٠١٥.١
١٢٣٥	تسميه الذين بعث بهم إلى معاوية	٥٠١٥.٢
١٢٣٨	تسميه من قتل من اصحاب حجر رحمه الله	٥٠١٥.٣
١٢٣٨	تسميه من نجا منهم	٥٠١٥.٤
١٢٤٢	ذكر استعمال الربيع بن زياد على خراسان	٥٠١٥.٥
١٢٤٣	سنة اثنتين وخمسين	٥٠١٦
١٢٤٣	سنة ثلاث وخمسين	٥٠١٧
١٢٤٣	ذكر سبب مهلك زياد بن سميه	٥٠١٧.١
١٢٤٥	ذكر الخبر عن وفاة الربيع بن زياد الحارثي	٥٠١٧.٢
١٢٤٥	سنة اربع وخمسين	٥٠١٨
١٢٤٥	ذكر عزل سعيد بن العاص عن المدينة واستعمال مروان	٥٠١٨.١
١٢٤٦	ذكر توليه معاوية عبيد الله بن زياد على خراسان	٥٠١٨.٢
١٢٤٩	سنة خمس وخمسين	٥٠١٩
١٢٤٩	ذكر الخبر عن سبب عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن غيلان وتوليته عبيد الله البصره	٥٠١٩.١
١٢٤٩	سنة ست وخمسين	٥٠٢٠
١٢٤٩	ذكر خبر البيعه ليزيد بولاية العهد	٥٠٢٠.١
١٢٥١	ذكر عزل ابن زياد عن خراسان واستعمال سعيد بن عثمان	٥٠٢٠.٢
١٢٥٢	سنة سبع وخمسين	٥٠٢١
١٢٥٣	سنة ثمان وخمسين	٥٠٢٢
١٢٥٣	عزل الضحاك عن الكوفة واستعمال عبد الرحمن بن أم الحكم	٥٠٢٢.١
١٢٥٤	ذكر قتل عروه بن اديه وغيره من الخوارج	٥٠٢٢.٢

١٢٥٦	سنه تسع وخمسين	٥٠٢٣
١٢٥٦	ذكر ولاية عبد الرحمن بن زياد خراسان	٥٠٢٣.١
١٢٥٦	ذكر وفود عبيد الله بن زياد على معاوية	٥٠٢٣.٢
١٢٥٧	ذكر هجاء يزيد بن مفرغ الحميري بن زياد	٥٠٢٣.٣
١٢٥٩	سنه ستين	٥٠٢٤
١٢٥٩	ذكر عهد معاوية لابنه يزيد	٥٠٢٤.١
١٢٦٠	ذكر وفاه معاوية بن ابى سفيان	٥٠٢٤.٢
١٢٦٠	ذكر الخبر عن مده ملكه	٥٠٢٤.٣
١٢٦١	ذكر مده عمره	٥٠٢٤.٤
١٢٦١	ذكر العله التي كانت فيها وفاته	٥٠٢٤.٥
١٢٦٢	ذكر الخبر عن صلي على معاوية حين مات	٥٠٢٤.٦
١٢٦٢	ذكر الخبر عن نسبه وكنيته	٥٠٢٤.٧
١٢٦٣	ذكر نسائه وولده	٥٠٢٤.٨
١٢٦٣	ذكر بعض ما حضرنا من ذكر اخباره وسيره	٥٠٢٤.٩
١٢٦٧	خلافه يزيد بن معاوية	٥٠٢٤.١٠
١٢٧٠	ذكر عزل الوليد عن المدينة وولاية عمر بن سعيد	٥٠٢٤.١١
١٢٧٢	ذكر الخبر عن مراسله الكوفيين الحسين ع للمصير إلى ما قبلهم وامر مسلم بن عقيل رضى الله عنه	٥٠٢٤.١٢
١٢٨٩	ذكر مسير الحسين إلى الكوفة	٥٠٢٤.١٣
١٢٩٨	سنه احدى وستين	٥٠٢٥
١٢٩٨	مقتل الحسين رضوان الله عليه،	٥٠٢٥.١
١٣٣١	ذكر خبر مقتل مرداس بن عمرو بن حدير	٥٠٢٥.٢
١٣٣٢	ذكر خبر ولاية سلم بن زياد على خراسان وسجستان	٥٠٢٥.٣
١٣٣٣	ذكر سبب عزل يزيد عمرو بن سعيد عن المدينة وتوليته عليها الوليد بن عتبة	٥٠٢٥.٤
١٣٣٥	سنه اثنتين وستين	٥٠٢٦
١٣٣٧	سنه ثلاث وستين	٥٠٢٧
١٣٤٤	سنه اربع وستين	٥٠٢٨
١٣٤٤	ذكر موت مسلم بن عقبه ورمى الكعبة وإحراقها	٥٠٢٨.١
١٣٤٥	ذكر الخبر عن حرق الكعبة	٥٠٢٨.٢
١٣٤٦	ذكر خبر وفاه يزيد بن معاوية	٥٠٢٨.٣
١٣٤٦	خلافه معاوية بن يزيد	٥٠٢٨.٤
١٣٤٨	ذكر الخبر عما كان من امر عبيد الله بن زياد وامر اهل البصره معه بها بعد موت يزيد	٥٠٢٨.٥
١٣٥٧	ذكر الخبر عن عزلهم عمرو بن حريث وتأميرهم عامرا	٥٠٢٨.٦
١٣٦٠	ذكر الخبر عن ولاية عامر بن مسعود على الكوفة	٥٠٢٨.٧
١٣٦٠	خلافه مروان بن الحكم	٥٠٢٨.٨
	ذكر الخبر عن الوقعه بمرج راهط بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم وتماخى الخبر عن الكائن من جليل	٥٠٢٨.٩
١٣٦٣	الايخبار والاحداث في سنه اربع وستين	
١٣٦٧	ذكر الخبر عن فتنه عبد الله بن خازم وبيعه سلم بن زياد	٥٠٢٨.١٠
١٣٧٠	ذكر الخبر عن تحرك الشيعة للطلب بدم الحسين	٥٠٢٨.١١

٥٠٢٨٠١٢	ذكر الخبر عن فراق الخوارج عبد الله بن الزبير	١٣٧٦
٥٠٢٨٠١٣	ذكر الخبر عن مقدم المختار بن ابي عبيد الكوفة	١٣٧٩
٥٠٢٨٠١٤	ذكر الخبر عن هدم ابن الزبير الكعبة	١٣٨٥
٥٠٢٩	سنة خمس وستين	١٣٨٥
٥٠٢٩٠١	ذكر الخبر عن بيعه عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان	١٣٩٨
٥٠٢٩٠٢	ذكر الخبر عن موت مروان بن الحكم	١٣٩٨
٥٠٢٩٠٣	ذكر خبر مقتل حبيش بن دلجه	١٣٩٩
٥٠٢٩٠٤	ذكر خبر حدوث الطاعون الجارف	١٣٩٩
٥٠٢٩٠٥	مقتل نافع بن الأزرق واشتداد امر الخوارج	١٤٠٠
٥٠٢٩٠٦	ذكر خبر بناء عبد الله بن الزبير البيت الحرام	١٤٠٤
٥٠٢٩٠٧	خروج بني تميم بخراسان على عبد الله بن خازم	١٤٠٤
٦	الجزء السادس	١٤٠٦
٦٠١	سنة ست وستين	١٤٠٦
٦٠١٠١	ذكر الخبر عما كان من امرهما في ذلك وظهور المختار للدعوة إلى ما دعا اليه الشيعة بالكوفة:	١٤٠٦
٦٠١٠٢	ذكر الخبر عن امر المختار مع قتله الحسين بالكوفة	١٤٢٠
٦٠١٠٣	ذكر الخبر عن البيعة للمختار بالبصرة	١٤٣٣
٦٠١٠٤	ذكر الخبر عن بعث المختار جيشه للمكر بابن الزبير	١٤٣٥
٦٠١٠٥	ذكر الخبر عن قدوم الخشبيه مكة وموافاتهم الحج	١٤٣٧
٦٠١٠٦	ذكر الخبر عن حصار بني تميم بخراسان	١٤٣٨
٦٠١٠٧	شخص ابراهيم بن الاشر لحرب عبيد الله بن زياد	١٤٤٠
٦٠١٠٨	ذكر امر الكرسي الذي كان المختار يستنصر به!	١٤٤٠
٦٠١٠٩	ذكر الخبر عن سبب كرسي المختار الذي يستنصر به هو واصحابه:	١٤٤٠
٦٠٢	سنة سبع وستين	١٤٤٢
٦٠٢٠١	ذكر الخبر عن عزل القبايع عن البصرة	١٤٤٥
٦٠٢٠٢	ذكر خبر قتل مصعب المختار بن ابي عبيد	١٤٤٥
٦٠٢٠٣	خبر عزل عبد الله بن الزبير أخاه المصعب	١٤٥٦
٦٠٣	سنة ثمان وستين	١٤٥٧
٦٠٣٠١	ذكر الخبر عن رجوع الازارقه من فارس إلى العراق	١٤٥٧
٦٠٣٠٢	ذكر الخبر عن مقتل عبد الله بن الحر	١٤٦٠
٦٠٤	سنة تسع وستين	١٤٦٦
٦٠٤٠١	ذكر خبر قتل عبد الملك سعيد بن عمرو	١٤٦٦
٦٠٥	سنة سبعين	١٤٧٠
٦٠٦	سنة احدى وسبعين	١٤٧٠
٦٠٦٠١	مسير عبد الملك بن مروان فيها إلى العراق لحرب مصعب بن الزبير،	١٤٧٠
٦٠٦٠٢	ذكر الخبر عن دخول عبد الملك بن مروان الكوفة	١٤٧٥
٦٠٦٠٣	ذكر خبر ولايه خالد بن عبد الله على البصرة	١٤٧٦
٦٠٦٠٤	خطبه عبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب	١٤٧٧

٦٠٧	سنه اثنتين وسبعين	١٤٧٨
٦٠٧.١	خروج ابى فديك الخارجى وغلبيه على البحرين	١٤٨٠
٦٠٧.٢	خبر توجيه عبد الملك الحجاج لقتال ابن الزبير	١٤٨٠
٦٠٧.٣	امر عبد الله بن خازم السلمى مع عبد الملك	١٤٨١
٦٠٧.٤	فصل نذكر فيه الكتاب من بدء امر الاسلام	١٤٨٢
٦٠٧.٥	أسماء من كتب للنبي ص	١٤٨٣
٦٠٧.٦	أسماء من كان يكتب للخلفاء والولاه	١٤٨٣
٦٠٨	سنه ثلاث وسبعين	١٤٨٦
٦٠٨.١	مقتل عبد الله بن الزبير	١٤٨٦
٦٠٨.٢	أخبار متفرقة	١٤٨٩
٦٠٩	سنه اربع وسبعين	١٤٩٠
٦٠٩.١	ذكر الخبر عن حرب المهلب للازارقه	١٤٩٠
٦٠٩.٢	عزل بكير بن وشاح عن خراسان وولايه اميه بن عبد الله عليها	١٤٩١
٦٠٩.٣	أخبار متفرقة	١٤٩٢
٦٠١٠	سنه خمس وسبعين	١٤٩٣
٦٠١٠.١	ولايه الحجاج على الكوفه وخطبته في أهلها	١٤٩٣
٦٠١٠.٢	ذكر الخبر عن ثوره الناس بالحجاج بالبصرة	١٤٩٦
٦٠١٠.٣	نفى المهلب وابن مخنف الازارقه عن رامهرمز	١٤٩٦
٦٠١٠.٤	ذكر الخبر عن تحرك صالح للخروج وما كان منه في هذه السنه	١٤٩٨
٦٠١١	سنه ست وسبعين	١٤٩٩
٦٠١١.١	ذكر الخبر عن خروج صالح بن مسرح وعن سبب خروجه	١٤٩٩
٦٠١١.٢	خبر دخول شبيب الكوفه وما كان من امره مع الحجاج	١٥٠٢
٦٠١١.٣	نقش الدنانير والدراهم بأمر عبد الملك بن مروان	١٥١٦
٦٠١١.٤	أخبار متفرقة	١٥١٦
٦٠١٢	سنه سبع وسبعين	١٥١٦
٦٠١٢.١	محاربه شبيب عتاب بن ورقاء وزهره بن حويه وقتلهما	١٥١٦
٦٠١٢.٢	ذكر الخبر عن دخول شبيب الكوفه مره ثانيه	١٥٢١
٦٠١٢.٣	ذكر الخبر عن مهلك شبيب	١٥٢٦
٦٠١٢.٤	خروج مطرف بن المغيرة على الحجاج وعبد الملك	١٥٢٨
٦٠١٢.٥	ذكر الخبر عن وقوع الخلاف بين الازارقه	١٥٣٥
٦٠١٢.٦	ذكر الخبر عن هلاك قطري واصحابه	١٥٣٩
٦٠١٢.٧	ذكر الخبر عن مقتل اميه بن عبد الله بن خالد بن اسيد	١٥٤٠
٦٠١٢.٨	أخبار متفرقة	١٥٤٣
٦٠١٣	سنه ثمان وسبعين	١٥٤٤
٦٠١٣.١	ذكر الخبر عن العمال الذين ولاهم الحجاج خراسان وسجستان	١٥٤٤
٦٠١٤	سنه تسع وسبعين	١٥٤٥
٦٠١٤.١	ذكر الخبر عن غزو عبيد الله بن ابى بكره رتبيل	١٥٤٥

١٥٤٦	سنة ثمانين	٦٠١٥
١٥٤٦	ذكر خبر غزو المهلب ما وراء النهر	٦٠١٥.١
١٥٤٧	تسيير الجنود إلى مع ابن الاشعث لحرب رتييل	٦٠١٥.٢
١٥٤٨	أخبار متفرقة	٦٠١٥.٣
١٥٤٩	سنة احدى وثمانين	٦٠١٦
١٥٤٩	ذكر الخبر عن مقتل بحير بن ورقاء بخراسان	٦٠١٦.١
١٥٥٠	ذكر الخبر عن خلاف ابن الاشعث على الحجاج	٦٠١٦.٢
١٥٥٤	سنة اثنتين وثمانين	٦٠١٧
١٥٥٤	خبر الحرب بين الحجاج وابن الاشعث بالزاوية	٦٠١٧.١
١٥٥٦	وقعه دير الجماجم بين الحجاج وابن الاشعث	٦٠١٧.٢
١٥٥٧	ذكر الخبر عن وفاه المغيرة بن المهلب	٦٠١٧.٣
١٥٥٨	ذكر الخبر عن سبب انصراف المهلب عن كس	٦٠١٧.٤
١٥٥٩	خبر وفاه المهلب بن ابى صفره	٦٠١٧.٥
١٥٦٠	أخبار متفرقة	٦٠١٧.٦
١٥٦٠	سنة ثلاث وثمانين	٦٠١٨
١٥٦٠	خبر هزيمة ابن الاشعث بدير الجماجم	٦٠١٨.١
١٥٦٤	هزيمة ابن الاشعث واصحابه في وقعه مسكن	٦٠١٨.٢
١٥٧٢	ذكر خبر بناء مدينه واسط	٦٠١٨.٣
١٥٧٢	أخبار متفرقة	٦٠١٨.٤
١٥٧٣	سنة اربع وثمانين	٦٠١٩
١٥٧٣	خبر قتل الحجاج أيوب بن القرية	٦٠١٩.١
١٥٧٣	فتح يزيد بن المهلب قلعه نيزك بباذغيس	٦٠١٩.٢
١٥٧٤	أخبار متفرقة	٦٠١٩.٣
١٥٧٥	سنة خمس وثمانين	٦٠٢٠
١٥٧٥	خبر هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث	٦٠٢٠.١
١٥٧٦	عزل يزيد بن المهلب عن خراسان	٦٠٢٠.٢
١٥٧٨	غزو المفضل باذغيس واخرون	٦٠٢٠.٣
١٥٧٩	خبر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم بالترمد	٦٠٢٠.٤
١٥٨٥	عزم عبد الملك بن مروان على خلع أخيه عبد العزيز	٦٠٢٠.٥
١٥٨٥	خبر موت عبد العزيز بن مروان	٦٠٢٠.٦
١٥٨٧	بيعه عبد الملك لابنيه: الوليد ثم سليمان	٦٠٢٠.٧
١٥٨٧	أخبار متفرقة	٦٠٢٠.٨
١٥٨٧	سنة ست وثمانين	٦٠٢١
١٥٨٧	خبر وفاه عبد الملك بن مروان	٦٠٢١.١
١٥٨٨	ذكر الخبر عن مبلغ سنة يوم توفى	٦٠٢١.٢
١٥٨٨	ذكر نسبه وكنيته	٦٠٢١.٣
١٥٨٨	ذكر اولاده وازواجه	٦٠٢١.٤
١٥٨٩	خلافه الوليد بن عبد الملك	٦٠٢١.٥

١٥٩٠	ولاية قتيبة بن مسلم على خراسان من قبل الحجاج	٦٠٢١٠٦
١٥٩٠	ذكر ما كان من امر قتيبة بخراسان في هذه السنة	٦٠٢١٠٧
١٥٩١	أخبار متفرقة	٦٠٢١٠٨
١٥٩١	سنة سبع وثمانين	٦٠٢٢
١٥٩١	خبر اماره عمر بن عبد العزيز على المدينة	٦٠٢٢٠١
١٥٩٢	خبر صلح قتيبة ونيزك	٦٠٢٢٠٢
١٥٩٢	خبر غزو مسلمه بن عبد الملك ارض الروم	٦٠٢٢٠٣
١٥٩٢	خبر غزو قتيبة بيكند	٦٠٢٢٠٤
١٥٩٤	سنة ثمان وثمانين	٦٠٢٣
١٥٩٤	خبر فتح حصن طوانه من بلاد الروم	٦٠٢٣٠١
١٥٩٥	ذكر عماره مسجد النبي ص	٦٠٢٣٠٢
١٥٩٥	ذكر غزو قتيبة نومشكث وراميثنه	٦٠٢٣٠٣
١٥٩٦	ذكر ما عمل الوليد من المعروف	٦٠٢٣٠٤
١٥٩٧	سنة تسع وثمانين	٦٠٢٤
١٥٩٧	خبر غزو مسلمه ارض الروم	٦٠٢٤٠١
١٥٩٧	خبر غزو قتيبة بخارى	٦٠٢٤٠٢
١٥٩٧	خبر ولايه خالد القسرى على مكة	٦٠٢٤٠٣
١٥٩٨	سنة تسعين	٦٠٢٥
١٥٩٨	خبر فتح بخارى	٦٠٢٥٠١
١٥٩٩	خبر صلح قتيبة مع السغد	٦٠٢٥٠٢
١٥٩٩	غدر نيزك	٦٠٢٥٠٣
١٦٠٠	خبر فتح الطالقان	٦٠٢٥٠٤
١٦٠٠	هرب يزيد بن المهلب واخوته من سجن الحجاج	٦٠٢٥٠٥
١٦٠٣	سنة احدى وتسعين	٦٠٢٦
١٦٠٣	تمه خبر قتيبة مع نيزك	٦٠٢٦٠١
١٦٠٦	خبر غزو قتيبة شومان وكس ونسف	٦٠٢٦٠٢
١٦٠٧	ولايه خالد بن عبد الله القسرى على مكة	٦٠٢٦٠٣
١٦٠٩	سنة اثنتين وتسعين	٦٠٢٧
١٦٠٩	فتح الاندلس	٦٠٢٧٠١
١٦٠٩	سنة ثلاث وتسعين	٦٠٢٨
١٦٠٩	صلح قتيبة ملك خوارزم شاه وفتح خام جرد	٦٠٢٨٠١
١٦١٥	فتح طليطلة	٦٠٢٨٠٢
١٦١٥	خبر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز	٦٠٢٨٠٣
١٦١٦	سنة اربع وتسعين	٦٠٢٩
١٦١٦	غزو الشاش وفرغانه	٦٠٢٩٠١
١٦١٦	ولايه عثمان بن حيان المري على المدينة	٦٠٢٩٠٢
١٦١٧	ذكر الخبر عن مقتل سعيد بن جبير	٦٠٢٩٠٣
١٦١٩	سنة خمس وتسعين	٦٠٣٠

١٦١٩	بقية الخبر عن غزو الشاش	٦٠٣٠.١
١٦٢٠	سنة ست وتسعين	٦٠٣١
١٦٢٠	ذكر الخبر عن موت الوليد بن عبد الملك	٦٠٣١.١
١٦٢١	ذكر الخبر عن بعض سيره:	٦٠٣١.٢
١٦٢٣	فتح قتيبة كاشغر وغزو الصين	٦٠٣١.٣
١٦٢٥	خلافه سليمان بن عبد الملك	٦٠٣١.٤
١٦٢٥	خبر مقتل قتيبة بن مسلم	٦٠٣١.٥
١٦٣٣	سنة سبع وتسعين	٦٠٣٢
١٦٣٣	ولايه يزيد بن المهلب على خراسان	٦٠٣٢.١
١٦٣٦	سنة ثمان وتسعين	٦٠٣٣
١٦٣٦	خبر محاصره مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية	٦٠٣٣.١
١٦٣٦	مبايعه سليمان لابنه أيوب وليا للعهد	٦٠٣٣.٢
١٦٣٧	غزو جرجان وطبرستان	٦٠٣٣.٣
١٦٤١	فتح جرجان	٦٠٣٣.٤
١٦٤٣	سنة تسع وتسعين	٦٠٣٤
١٦٤٣	وفاه سليمان بن عبد الملك	٦٠٣٤.١
١٦٤٣	ذكر الخبر عن بعض سيره:	٦٠٣٤.٢
١٦٤٥	خلافه عمر بن عبد العزيز	٦٠٣٤.٣
١٦٤٧	سنة مائه	٦٠٣٥
١٦٤٧	فمن ذلك خروج الخارجه التي خرجت على عمر بن عبد العزيز بالعراق.	٦٠٣٥.١
١٦٤٧	خبر خروج شوذب الخارجي	٦٠٣٥.٢
١٦٤٧	خبر القبض على يزيد بن المهلب	٦٠٣٥.٣
١٦٤٨	عزل الجراح بن عبد الله عن خراسان	٦٠٣٥.٤
١٦٥٠	ذكر الخبر عن سبب توليه عمر بن عبد العزيز عبد الرحمن بن نعيم وعبد الرحمن بن عبد الله القشيري خراسان	٦٠٣٥.٥
١٦٥٠	أول الدعوة	٦٠٣٥.٦
١٦٥١	سنة احدى ومائه	٦٠٣٦
١٦٥١	خبر هرب يزيد بن المهلب من سجنه	٦٠٣٦.١
١٦٥١	خبر وفاه عمر بن عبد العزيز	٦٠٣٦.٢
١٦٥٢	ذكر بعض سيره	٦٠٣٦.٣
١٦٥٤	زياده في سيره عمر بن عبد العزيز ليست من كتاب ابى جعفر إلى أول خلافه يزيد بن عبد الملك بن مروان	٦٠٣٦.٤
١٦٥٥	خلافه يزيد بن عبد الملك بن مروان	٦٠٣٦.٥
١٦٥٦	مقتل شوذب الخارجي	٦٠٣٦.٦
١٦٥٧	خبر خلع يزيد بن المهلب يزيد بن عبد الملك	٦٠٣٦.٧
١٦٦٢	سنة اثنتين ومائه	٦٠٣٧
١٦٦٢	ذكر الخبر عن مقتل يزيد بن المهلب	٦٠٣٧.١
١٦٦٨	ولايه مسلمة بن عبد الملك على العراق وخراسان	٦٠٣٧.٢
١٦٦٩	ذكر استعمال مسلمة سعيد خذينه على خراسان	٦٠٣٧.٣
١٦٧٢	ذكر الخبر عن غزو سعيد خذينه السغد	٦٠٣٧.٤

١٦٧٣	عزل مسلمة عن العراق وخراسان	٦٠٣٧٠٥
١٦٧٤	بدء ظهور الدعوة	٦٠٣٧٠٦
١٦٧٤	ذكر خبر قتل يزيد بن ابي مسلم بإفريقية	٦٠٣٧٠٧
١٦٧٤	أخبار متفرقة	٦٠٣٧٠٨
١٦٧٥	سنة ثلاث ومائه	٦٠٣٨
١٦٧٥	عزل سعيد خذينه عن خراسان	٦٠٣٨٠١
١٦٧٥	استعمال ابن هبيرة سعيدا الحرشي على خراسان	٦٠٣٨٠٢
١٦٧٦	ارتحال اهل السغد عن بلادهم إلى فرغانه	٦٠٣٨٠٣
١٦٧٧	الجزء السابع	٧
١٦٧٧	سنة اربع ومائه	٧٠١
١٦٧٧	ذكر الوقعه بين الحرشي والسغد	٧٠١٠١
١٦٧٩	ذكر الخبر عن سبب عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن ابن الضحاك عن المدينة وما كان ولاه من الاعمال	٧٠١٠٢
١٦٨٠	ذكر الخبر عن سبب عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي عن خراسان	٧٠١٠٣
١٦٨٢	ولايه مسلم بن سعيد على خراسان	٧٠١٠٤
١٦٨٣	سنة خمس ومائه	٧٠٢
١٦٨٣	ذكر موت يزيد بن عبد الملك	٧٠٢٠١
١٦٨٣	ذكر بعض سيره وأموره	٧٠٢٠٢
١٦٨٥	خلافه هشام بن عبد الملك	٧٠٢٠٣
١٦٨٥	ذكر ولايه خالد القسرى على العراق	٧٠٢٠٤
١٦٨٦	سنة ست ومائه	٧٠٣
١٦٨٧	ذكر الخبر عن الحرب بين اليمانيه والمضرية وربيعه	٧٠٣٠١
١٦٨٨	خبر غزو مسلم بن سعيد الترك	٧٠٣٠٢
١٦٨٩	جج هشام بن عبد الملك	٧٠٣٠٣
١٦٩٠	ولايه اسد بن عبد الله القسرى على خراسان	٧٠٣٠٤
١٦٩١	سنة سبع ومائه	٧٠٤
١٦٩١	غزو الغور	٧٠٤٠١
١٦٩٢	أخبار متفرقة	٧٠٤٠٢
١٦٩٣	سنة ثمان ومائه	٧٠٥
١٦٩٣	غزو الختل	٧٠٥٠١
١٦٩٤	سنة تسع ومائه	٧٠٦
١٦٩٤	خبر مقتل عمر بن يزيد الأسدي	٧٠٦٠١
١٦٩٤	غزو غورين	٧٠٦٠٢
١٦٩٤	ذكر الخبر عن عزل هشام خالدا وأخاه عن خراسان	٧٠٦٠٣
١٦٩٥	ذكر الخبر عن دعاه بنى العباس	٧٠٦٠٤
١٦٩٦	ولايه اشرس بن عبد الله على خراسان	٧٠٦٠٥
١٦٩٧	أخبار متفرقة	٧٠٦٠٦
١٦٩٨	سنة عشر ومائه	٧٠٧

١٦٩٨	٧٠٧٠١	ذكر الخبر عما كان من امر اشرس وامر اهل سمرقند ومن وليهم في ذلك.
١٧٠٠	٧٠٧٠٢	ذكر وقعه كمرجه
١٧٠٣	٧٠٧٠٣	ذكر رده اهل كدر
١٧٠٣	٧٠٨	سنة احدى عشرة ومائه
١٧٠٣	٧٠٨٠١	ذكر السبب الذي من اجله عزل هشام اشرس عن خراسان واستعماله الجنيد
١٧٠٥	٧٠٩	سنة اثنتي عشرة ومائه
١٧٠٥	٧٠٩٠١	ذكر خبر قتل الجراح الحكمي
١٧٠٥	٧٠٩٠٢	ذكر وقعه الجنيد مع الترك
١٧٠٧	٧٠٩٠٣	ذكر الخبر عن مقتل سورة بن الحر
١٧١٣	٧٠٩٠٤	أخبار متفرقة
١٧١٣	٧٠١٠	سنة ثلاث عشرة ومائه
١٧١٣	٧٠١٠٠١	قتل عبد الوهاب بن بخت
١٧١٤	٧٠١١	سنة اربع عشرة ومائه
١٧١٤	٧٠١٢	سنة خمس عشرة ومائه
١٧١٥	٧٠١٣	سنة ست عشرة ومائه
١٧١٥	٧٠١٣٠١	وفاه الجنيد بن عبد الرحمن وولايه عاصم بن عبد الله خراسان
١٧١٥	٧٠١٣٠٢	ذكر خلع الحارث بن سريج
١٧١٨	٧٠١٤	سنة سبع عشرة ومائه
١٧١٨	٧٠١٤٠١	ذكر الخبر عن سبب عزل هشام عاصما وتوليته خالدا خراسان
١٧٢٢	٧٠١٤٠٢	امر اسد بن عبد الله مع دعاه بنى العباس
١٧٢٣	٧٠١٥	سنة ثمان عشرة ومائه
١٧٢٣	٧٠١٥٠١	ولايه عمار بن يزيد على شيعه بنى العباس بخراسان
١٧٢٣	٧٠١٥٠٢	ذكر ما كان من الحارث بن سريج مع اصحابه
١٧٢٤	٧٠١٥٠٣	أخبار متفرقة
١٧٢٤	٧٠١٦	سنة تسع عشرة ومائه
١٧٢٤	٧٠١٦٠١	ذكر غزو الترك ومقتل خاقان
١٧٣١	٧٠١٦٠٢	ذكر الخبر عن مقتل المغيرة بن سعيد ونفر معه
١٧٣٢	٧٠١٦٠٣	خبر مقتل بهلول بن بشر
١٧٣٥	٧٠١٦٠٤	ذكر الخبر عن غزوه اسد المختل هذه الغزوة وسبب قتله بدر طرخان
١٧٣٥	٧٠١٦٠٥	ظهور الصحاري بن شبيب الخارجي
١٧٣٦	٧٠١٧	سنة عشرين ومائه
١٧٣٦	٧٠١٧٠١	خبر وفاه اسد بن عبد الله القسري
١٧٣٧	٧٠١٧٠٢	امر شيعه بنى العباس بخراسان
١٧٣٨	٧٠١٧٠٣	ذكر سبب عزل هشام خالدا
١٧٤٠	٧٠١٧٠٤	ذكر الخبر عن عمل هشام عزل خالد حين صح عزمه على عزله
١٧٤٣	٧٠١٧٠٥	أخبار متفرقة
١٧٤٣	٧٠١٧٠٦	ذكر الخبر عن سبب ولايه نصر بن سيار خراسان
١٧٤٦	٧٠١٨	سنة احدى وعشرين ومائه

١٧٤٦	ذكر الخبر عن ظهور زيد بن علي	٧٠١٨٠١
١٧٥٢	ذكر الخبر عن غزوه نصر بن سيار ما وراء النهر	٧٠١٨٠٢
١٧٥٥	سنه اثنتين وعشرين ومائه	٧٠١٩
١٧٥٥	خبر مقتل زيد بن علي	٧٠١٩٠١
١٧٦١	سنه ثلاث وعشرين ومائه	٧٠٢٠
١٧٦١	ذكر خبر صلح نصر بن سيار مع السغد	٧٠٢٠٠١
١٧٦٣	سنه اربع وعشرين ومائه	٧٠٢١
١٧٦٣	ابتداء امر ابى مسلم الخراساني	٧٠٢١٠١
١٧٦٤	سنه خمس وعشرين ومائه	٧٠٢٢
١٧٦٤	خبر وفاه هشام بن عبد الملك	٧٠٢٢٠١
١٧٦٨	خلافه الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان	٧٠٢٢٠٢
١٧٧٥	توليه الوليد نصر بن سيار على خراسان وامره مع يوسف بن عمر	٧٠٢٢٠٣
١٧٧٦	توليه الوليد بن يزيد خاله يوسف الثقفي على المدينة ومكة	٧٠٢٢٠٤
١٧٧٦	غزو قبرس	٧٠٢٢٠٥
١٧٧٧	ذكر الخبر عن مقتل يحيى بن زيد بن علي	٧٠٢٢٠٦
١٧٧٨	سنه ست وعشرين ومائه	٧٠٢٣
١٧٧٨	ذكر بقية اخبار يزيد بن الوليد بن عبد الملك	٧٠٢٣٠١
١٧٩٢	ذكر بيعه يزيد بن الوليد الناقص	٧٠٢٣٠٢
١٨١١	خلافه ابى إسحاق ابراهيم بن الوليد	٧٠٢٣٠٣
١٨١١	سنه سبع وعشرين ومائه	٧٠٢٤
١٨١١	ذكر مسير مروان إلى الشام وخلع ابراهيم بن الوليد	٧٠٢٤٠١
١٨١٢	ذكر ظهور عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر	٧٠٢٤٠٢
١٨١٥	ذكر خبر رجوع الحارث بن سريج إلى مرو	٧٠٢٤٠٣
١٨١٦	خلافه مروان بن محمد	٧٠٢٤٠٤
١٨١٧	ذكر الخبر عن انتقاض اهل حمص على مروان	٧٠٢٤٠٥
١٨١٩	ذكر الاخبار عن خروج الضحاك محكما ودخوله الكوفة، ومن اين كان اقباله إليها	٧٠٢٤٠٦
١٨٢٢	خبر خروج سليمان بن هشام على مروان بن محمد	٧٠٢٤٠٧
١٨٢٥	سنه ثمان وعشرين ومائه	٧٠٢٥
١٨٣٢	ذكر الخبر عن مقتل الضحاك الخارجي	٧٠٢٥٠١
١٨٣٣	ذكر الخبر عن مقتل الخيبري وولايه شيبان	٧٠٢٥٠٢
١٨٣٤	خبر ابى حمزه الخارجي مع عبد الله بن يحيى	٧٠٢٥٠٣
١٨٣٤	سنه تسع وعشرين ومائه	٧٠٢٦
١٨٣٤	خبر هلاك شيبان بن عبد العزيز الحروري	٧٠٢٦٠١
١٨٣٦	ذكر اظهار الدعوة العباسية بخراسان	٧٠٢٦٠٢
١٨٤١	ذكر تعاقد اهل خراسان على قتال ابى مسلم	٧٠٢٦٠٣
١٨٤٣	ذكر خبر مقتل الكرمانى	٧٠٢٦٠٤
١٨٤٥	غلبه عبد الله بن معاوية على فارس	٧٠٢٦٠٥

١٨٤٦	مجيء ابى حمزه الخارجي الموسم	٧٠٢٦٠٦
١٨٤٧	سنة ثلاثين ومائه	٧٠٢٧
١٨٤٧	ذكر دخول ابى مسلم مرو والبيعه بها	٧٠٢٧٠١
١٨٥١	خبر مقتل شبيب بن سلمه الخارجي	٧٠٢٧٠٢
١٨٥٢	ذكر خبر قتل على وعثمان ابني جديع	٧٠٢٧٠٣
١٨٥٣	قدوم قطبه بن شبيب على ابى مسلم	٧٠٢٧٠٤
١٨٥٤	ذكر خبر قتل نباته بن حنظله	٧٠٢٧٠٥
١٨٥٥	ذكر وقعه ابى حمزه الخارجي بقديد	٧٠٢٧٠٦
١٨٥٥	ذكر خبر دخول ابى حمزه المدينة	٧٠٢٧٠٧
١٨٥٩	سنة احدى وثلاثين ومائه	٧٠٢٨
١٨٥٩	ذكر خبر موت نصر بن سيار	٧٠٢٨٠١
١٨٦٠	امر ابى مسلم مع قطبه عند نزوله الري	٧٠٢٨٠٢
١٨٦٠	ذكر خبر قتل عامر بن ضباره ودخول قطبه أصبهان	٧٠٢٨٠٣
١٨٦١	ذكر خبر محاربة قطبه اهل نهاوند ودخولها	٧٠٢٨٠٤
١٨٦٢	ذكر وقعه شهرزور وفتحها	٧٠٢٨٠٥
١٨٦٣	ذكر خبر مسير قطبه إلى ابن هبيرة بالعراق	٧٠٢٨٠٦
١٨٦٣	سنة اثنتين وثلاثين ومائه	٧٠٢٩
١٨٦٣	ذكر الخبر عن هلاك قطبه بن شبيب	٧٠٢٩٠١
١٨٦٥	ذكر خبر خروج محمد بن خالد بالكوفة مسودا	٧٠٢٩٠٢
١٨٦٧	خلافة ابى العباس عبد الله بن محمد بن على ابن عبد الله بن عباس	٧٠٢٩٠٣
١٨٧١	ذكر بقية الخبر عما كان من الاحداث في سنة اثنتين وثلاثين ومائه	٧٠٢٩٠٤
١٨٧٢	ذكر هزيمة مروان بن محمد بموقعة الزاب	٧٠٢٩٠٥
١٨٧٤	ذكر خبر قتل ابراهيم بن محمد بن على الامام	٧٠٢٩٠٦
١٨٧٥	ذكر الخبر عن قتل مروان بن محمد	٧٠٢٩٠٧
١٨٧٨	ذكر الخبر عن تبيض ابى الورد وما آل اليه امره وامر من بيض معه	٧٠٢٩٠٨
١٨٧٩	ذكر خبر خلع حبيب بن مره المري	٧٠٢٩٠٩
١٨٧٩	ذكر خبر تبيض اهل الجزيرة وخلعهم أبا العباس	٧٠٢٩٠١٠
١٨٨٠	ذكر خبر شخوص ابى جعفر إلى خراسان	٧٠٢٩٠١١
١٨٨١	ذكر الخبر عن حرب يزيد بن عمر بن هبيرة بواسط	٧٠٢٩٠١٢
١٨٨٥	سنة ثلاث وثلاثين ومائه	٧٠٣٠
١٨٨٦	سنة اربع وثلاثين ومائه	٧٠٣١
١٨٨٦	ذكر خبر خلع بسام بن ابراهيم	٧٠٣١٠١
١٨٨٧	امر الخوارج مع خازم بن خزيمة وقتل شيان بن عبد العزيز	٧٠٣١٠٢
١٨٨٧	ذكر غزوه كس	٧٠٣١٠٣
١٨٨٨	ذكر قتال منصور بن جمهور	٧٠٣١٠٤
١٨٨٩	سنة خمس وثلاثين ومائه	٧٠٣٢
١٨٨٩	ذكر خبر خروج زياد بن صالح	٧٠٣٢٠١
١٨٩٠	سنة ست وثلاثين ومائه	٧٠٣٣

١٨٩٠	ذكر قدوم ابي مسلم على ابي العباس	٧٠٣٣٠١
١٨٩٠	جج ابي جعفر المنصور و ابي مسلم	٧٠٣٣٠٢
١٨٩١	ذكر الخبر عن موت ابي العباس السفاح	٧٠٣٣٠٣
١٨٩١	خلافه ابي جعفر المنصور وهو عبد الله بن محمد	٧٠٣٣٠٤
١٨٩٢	سنة سبع وثلاثين ومائه	٧٠٣٤
١٨٩٢	ذكر خبر خروج عبد الله بن علي وهزيمته	٧٠٣٤٠١
١٨٩٥	ذكر خبر قتل ابي مسلم الخراساني	٧٠٣٤٠٢
١٩٠٢	ذكر خروج سنباذ للطلب بدم ابي مسلم ثم قتله	٧٠٣٤٠٣
١٩٠٢	خروج ملبد بن حرمله الشيباني	٧٠٣٤٠٤
١٩٠٣	سنة ثمان وثلاثين ومائه	٧٠٣٥
١٩٠٣	ذكر خلع جمهور بن مرار المنصور	٧٠٣٥٠١
١٩٠٤	ذكر خبر قتل ملبد الخارجي	٧٠٣٥٠٢
١٩٠٤	سنة تسع وثلاثين ومائه	٧٠٣٦
١٩٠٥	ذكر خبر حبس عبد الله بن علي	٧٠٣٦٠١
١٩٠٦	سنة اربعين ومائه	٧٠٣٧
١٩٠٦	ذكر هلاك ابي داود عامل خراسان وولايه عبد الجبار	٧٠٣٧٠١
١٩٠٦	سنة احدى واربعين ومائه	٧٠٣٨
١٩٠٦	ذكر الخبر عن خروج الراونديه	٧٠٣٨٠١
١٩٠٨	ذكر خلع عبد الجبار بخراسان ومسير المهدي اليه	٧٠٣٨٠٢
١٩١٠	سنة اثنتين واربعين ومائه	٧٠٣٩
١٩١٠	ذكر خلع عيينه بن موسى بن كعب بالسند	٧٠٣٩٠١
١٩١٠	ذكر خبر نكت اصهبند طبرستان العهد	٧٠٣٩٠٢
١٩١١	سنة ثلاث واربعين ومائه	٧٠٤٠
١٩١١	غزو الديلم	٧٠٤٠٠١
١٩١١	عزل الهيثم بن معاويه عن مكة والطائف	٧٠٤٠٠٢
١٩١١	عزل حميد بن ققطبه عن مصر	٧٠٤٠٠٣
١٩١١	سنة اربع واربعين ومائه	٧٠٤١
١٩١١	ولايه رياح بن عثمان على المدينة وامر ابي عبد الله بن حسن	٧٠٤١٠١
١٩٢١	ذكر حمل ولد حسن بن حسن إلى العراق	٧٠٤١٠٢
١٩٢٦	ذكر بقية الخبر عن الاحداث التي كانت في سنة اربع واربعين ومائه	٧٠٤١٠٣
١٩٢٦	ذكر الخبر عن سبب حمله إياهم إلى العراق:	٧٠٤١٠٤
١٩٢٧	سنة خمس واربعين ومائه	٧٠٤٢
١٩٢٧	ذكر الخبر عن مخرج محمد بن عبد الله ومقتله	٧٠٤٢٠١
١٩٥٤	ذكر الخبر عن وثوب السودان بالمدينة في هذه السنة والسبب الذي هيج ذلك	٧٠٤٢٠٢
١٩٥٦	ذكر الخبر عن بناء مدينة بغداد	٧٠٤٢٠٣
١٩٦٠	ذكر الخبر عن ظهور ابراهيم بن محمد ومقتله	٧٠٤٢٠٤
١٩٧٢	سنة ست واربعين ومائه	٧٠٤٣

٧٠٤٣٠١	خبر استتمام بناء بغداد وتحول أبي جعفر إليها	١٩٧٢
٧٠٤٣٠٢	ذكر الخبر عن عزل مسلم بن قتيبة عن البصرة	١٩٧٥
٨	الجزء الثامن	١٩٧٦
٨٠١	سنة سبع وأربعين ومائه	١٩٧٦
٨٠١٠١	ذكر الخبر عن مهلك عبد الله بن علي بن عباس	١٩٧٦
٨٠١٠٢	ذكر خبر البيعة للمهدي وخلع عيسى بن موسى	١٩٧٧
٨٠٢	سنة ثمان وأربعين ومائه	١٩٨٤
٨٠٣	سنة تسع وأربعين ومائه	١٩٨٤
٨٠٤	سنة خمسين ومائه	١٩٨٥
٨٠٤٠١	ذكر خروج استاذسيس	١٩٨٥
٨٠٥	سنة إحدى وخمسين ومائه	١٩٨٦
٨٠٥٠١	ذكر الخبر عن سبب عزل المنصور عمر بن حفص عن السند وتوليته إياه إفريقية واستعماله على السند هشام بن عمرو	١٩٨٦
٨٠٥٠٢	ذكر خبر بناء المنصور الرصافة	١٩٨٨
٨٠٥٠٣	امر عقبه بن سلم	١٩٨٩
٨٠٦	سنة اثنتين وخمسين ومائه	١٩٩٠
٨٠٧	سنة ثلاث وخمسين ومائه	١٩٩٠
٨٠٨	سنة أربع وخمسين ومائه	١٩٩١
٨٠٩	سنة خمس وخمسين ومائه	١٩٩٢
٨٠١٠	سنة ست وخمسين ومائه	١٩٩٣
٨٠١٠١	ذكر الخبر عن مقتل عمرو بن شداد	١٩٩٣
٨٠١١	سنة سبع وخمسين ومائه	١٩٩٤
٨٠١٢	سنة ثمان وخمسين ومائه	١٩٩٥
٨٠١٢٠١	ذكر الخبر عن توليه خالد بن برمك الموصل	١٩٩٥
٨٠١٢٠٢	أخبار متفرقة	١٩٩٦
٨٠١٢٠٣	ذكر الخبر عن حبس ابن جريج وعباد بن كثير والثوري	١٩٩٧
٨٠١٢٠٤	ذكر الخبر عن وفاة أبي جعفر المنصور	١٩٩٧
٨٠١٢٠٥	خلافه المهدي محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس	٢٠٢٠
٨٠١٣	سنة تسع وخمسين ومائه	٢٠٢٣
٨٠١٣٠١	ذكر الخبر عن سبب تحويل المهدي الحسن بن إبراهيم من المطبق إلى نصير	٢٠٢٣
٨٠١٤	سنة ستين ومائه	٢٠٢٦
٨٠١٤٠١	ذكر خروج يوسف البرم	٢٠٢٦
٨٠١٤٠٢	ذكر خبر خلع عيسى بن موسى وبيعه موسى الهادي	٢٠٢٦
٨٠١٤٠٣	ذكر خبر رد نسب آل بكره وآل زياد	٢٠٢٩
٨٠١٤٠٤	نسخه كتاب المهدي إلى والي البصرة في رد آل زياد إلى نسبهم	٢٠٢٩
٨٠١٥	سنة إحدى وستين ومائه	٢٠٣١
٨٠١٥٠١	ذكر السبب الذي من أجله تغيرت منزله أبي عبيد الله عند المهدي	٢٠٣٢

٢٠٣٤	سنه اثنتين وستين ومائه	٨٠١٦
٢٠٣٤	خبر مقتل عبد السلام الخارجي	٨٠١٦.١
٢٠٣٥	سنه ثلاث وستين ومائه	٨٠١٧
٢٠٣٥	ذكر خبر غزو الروم	٨٠١٧.١
٢٠٣٦	عزل عبد الصمد بن علي عن الجزيرة وتولية زفر بن الحارث	٨٠١٧.٢
٢٠٣٨	سنه اربع وستين ومائه	٨٠١٨
٢٠٣٨	سنه خمس وستين ومائه	٨٠١٩
٢٠٣٨	غزوه هارون بن المهدي الصائفة ببلاد الروم	٨٠١٩.١
٢٠٣٩	سنه ست وستين ومائه	٨٠٢٠
٢٠٣٩	ذكر الخبر عن غضب المهدي على يعقوب	٨٠٢٠.١
٢٠٤٣	أخبار متفرقة	٨٠٢٠.٢
٢٠٤٤	سنه سبع وستين ومائه	٨٠٢١
٢٠٤٥	سنه ثمان وستين ومائه	٨٠٢٢
٢٠٤٥	سنه تسع وستين ومائه	٨٠٢٣
٢٠٤٥	ذكر الخبر عن خروج المهدي إلى ماسبذان	٨٠٢٣.١
٢٠٤٥	ذكر الخبر عن موت المهدي	٨٠٢٣.٢
٢٠٤٧	ذكر الخبر عن الموضع الذي دفن فيه ومن صلى عليه	٨٠٢٣.٣
٢٠٤٧	ذكر بعض سير المهدي واخباره	٨٠٢٣.٤
٢٠٥٤	خلافه الهادي	٨٠٢٣.٥
٢٠٥٦	ذكر بقية الخبر عن الاحداث التي كانت سنه تسع وستين ومائه	٨٠٢٣.٦
٢٠٦٢	سنه سبعين ومائه	٨٠٢٤
٢٠٦٢	ذكر الخبر عن وفاه موسى الهادي	٨٠٢٤.١
٢٠٦٣	ذكر الخبر عما كان من خلع الهادي للرشد	٨٠٢٤.٢
٢٠٦٦	ذكر الخبر عن وقت وفاته ومبلغ سنه وقدر ولايته ومن صلى عليه	٨٠٢٤.٣
٢٠٦٦	ذكر اولاده	٨٠٢٤.٤
٢٠٦٦	ذكر بعض اخباره وسيره	٨٠٢٤.٥
٢٠٧٣	خلافه هارون الرشيد	٨٠٢٤.٦
٢٠٧٥	سنه احدى وسبعين ومائه	٨٠٢٥
٢٠٧٦	سنه اثنتين وسبعين ومائه	٨٠٢٦
٢٠٧٦	سنه ثلاث وسبعين ومائه	٨٠٢٧
٢٠٧٦	ذكر خبر وفاه محمد بن سليمان	٨٠٢٧.١
٢٠٧٧	ذكر وفاه الخيزران أم الهادي والرشد	٨٠٢٧.٢
٢٠٧٧	سنه اربع وسبعين ومائه	٨٠٢٨
٢٠٧٧	سنه خمس وسبعين ومائه	٨٠٢٩
٢٠٧٧	ذكر الخبر عن البيعه للامين	٨٠٢٩.١
٢٠٧٧	ذكر الخبر عن سبب بيعه الرشيد له:	٨٠٢٩.٢
٢٠٧٨	سنه ست وسبعين ومائه	٨٠٣٠
٢٠٧٨	ذكر الخبر عن مخرج يحيى بن عبد الله وما كان من امره	٨٠٣٠.١

٢٠٨٣	ذكر الفتنة بين اليمانية والنزارية	٨٠٣٠٠٢
٢٠٨٣	ذكر الخبر عن سبب توليه الرشيد جعفر مصر وتوليه جعفر عمر بن مهران إياها	٨٠٣٠٠٣
٢٠٨٤	سنة سبع وسبعين ومائه	٨٠٣١
٢٠٨٥	سنة ثمان وسبعين ومائه	٨٠٣٢
٢٠٨٥	ولاية الفضل بن يحيى على خراسان وسيرته بها	٨٠٣٢٠١
٢٠٨٧	سنة تسع وسبعين ومائه	٨٠٣٣
٢٠٨٨	سنة ثمانين ومائه	٨٠٣٤
٢٠٨٨	ذكر الخبر عن العصبية التي هاجت بالشام	٨٠٣٤٠١
٢٠٩٠	سنة احدى وثمانين ومائه	٨٠٣٥
٢٠٩٠	سنة اثنتين وثمانين ومائه	٨٠٣٦
٢٠٩١	سنة ثلاث وثمانين ومائه	٨٠٣٧
٢٠٩١	سنة اربع وثمانين ومائه	٨٠٣٨
٢٠٩٢	سنة خمس وثمانين ومائه	٨٠٣٩
٢٠٩٢	سنة ست وثمانين ومائه	٨٠٤٠
٢٠٩٢	ذكر حج الرشيد ثم كتابته العهد لابنائيه	٨٠٤٠٠١
٢٠٩٥	نسخه الشرط الذي كتب عبد الله ابن امير المؤمنين بخط يده في الكعبة	٨٠٤٠٠٢
٢٠٩٦	نسخه كتاب هارون بن محمد الرشيد إلى العمال	٨٠٤٠٠٣
٢٠٩٨	سنة سبع وثمانين ومائه	٨٠٤١
٢٠٩٨	ذكر الخبر عن إيقاع الرشيد بالبرامكة	٨٠٤١٠١
٢١٠١	ذكر الخبر عن مقتل جعفر	٨٠٤١٠٢
٢١٠٤	ما قيل في البرامكة من الشعر بعد زوال امرهم	٨٠٤١٠٣
٢١٠٥	ذكر الخبر عن غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح	٨٠٤١٠٤
٢١٠٧	ذكر الخبر عن دخول القاسم بن الرشيد ارض الروم	٨٠٤١٠٥
٢١٠٧	ذكر الخبر عن نقض الروم الصلح	٨٠٤١٠٦
٢١٠٩	خبر مقتل ابراهيم بن عثمان بن نهيك	٨٠٤١٠٧
٢١١٠	سنة ثمان وثمانين ومائه	٨٠٤٢
٢١١٠	ذكر خبر غزو ابراهيم بن جبريل الصائفة	٨٠٤٢٠١
٢١١٠	سنة تسع وثمانين ومائه	٨٠٤٣
٢١١٠	ذكر خبر شخوص الرشيد إلى الري	٨٠٤٣٠١
٢١١٢	سنة تسعين ومائه	٨٠٤٤
٢١١٢	ذكر خبر ظهور خلاف رافع بن ليث	٨٠٤٤٠١
٢١١٣	فتح الرشيد هرقله	٨٠٤٤٠٢
٢١١٤	سنة احدى وتسعين ومائه	٨٠٤٥
٢١١٤	ذكر الخبر عن سبب عزل الرشيد على بن عيسى وسخطه عليه	٨٠٤٥٠١
٢١١٦	خبر شخوص هرثة بن اعين إلى خراسان واليا عليها	٨٠٤٥٠٢
٢١١٨	كتاب هرثة إلى الرشيد في امر على بن عيسى	٨٠٤٥٠٣
٢١١٩	الجواب من الرشيد	٨٠٤٥٠٤
٢١٢٠	سنة اثنتين وتسعين ومائه	٨٠٤٦

٢١٢٠	ذكر الخبر عن مسير الرشيد إلى خراسان	٨٠٤٦٠١
٢١٢١	سنه ثلاث وتسعين ومائه	٨٠٤٧
٢١٢١	ذكر الخبر عن وفاه الفضل بن يحيى	٨٠٤٧٠١
٢١٢١	ذكر الخبر عن مقام الرشيد بطوس	٨٠٤٧٠٢
٢١٢٢	ذكر الخبر عن موت الرشيد	٨٠٤٧٠٣
٢١٢٤	ذكر ولاء الأمصار في أيام هارون الرشيد	٨٠٤٧٠٤
٢١٢٤	ذكر بعض سير الرشيد	٨٠٤٧٠٥
٢١٣٠	ذكر من كان عند الرشيد من النساء المهائز	٨٠٤٧٠٦
٢١٣٠	ذكر ولد الرشيد	٨٠٤٧٠٧
٢١٣١	بقية ذكر بعض سير الرشيد	٨٠٤٧٠٨
٢١٣٢	خلافه الامين	٨٠٤٧٠٩
٢١٣٢	ذكر الخبر عن بدء الخلاف بين الامين والمأمون	٨٠٤٧٠١٠
٢١٣٧	سنه اربع وتسعين ومائه	٨٠٤٨
٢١٣٧	ذكر تفاقم الخلاف بين الامين والمأمون	٨٠٤٨٠١
٢١٤٣	أخبار متفرقة	٨٠٤٨٠٢
٢١٤٣	سنه خمس وتسعين ومائه	٨٠٤٩
٢١٤٣	النهى عن الدعاء للمأمون على المنابر	٨٠٤٩٠١
٢١٤٣	عقد الإمرة لعلی بن عيسى	٨٠٤٩٠٢
٢١٤٤	شخص على بن عيسى إلى حرب المأمون	٨٠٤٩٠٣
٢١٥٤	توجيه الامين عبد الرحمن بن جبلة لحرب طاهر	٨٠٤٩٠٤
٢١٥٥	تسميه طاهر بن الحسين ذا اليمينين	٨٠٤٩٠٥
٢١٥٥	ظهور السفيناني بالشام	٨٠٤٩٠٦
٢١٥٥	طرد طاهر عمال الامين عن قزوين وكور الجبال	٨٠٤٩٠٧
٢١٥٦	ذكر قتل عبد الرحمن بن جبلة الانبأوى	٨٠٤٩٠٨
٢١٥٦	سنه ست وتسعين ومائه	٨٠٥٠
٢١٥٦	ذكر توجيه الامين الجيوش لحرب طاهر بن الحسين	٨٠٥٠٠١
٢١٥٩	ذكر رفع منزله الفضل بن سهل عند المأمون	٨٠٥٠٠٢
٢١٥٩	ذكر خبر ولايه عبد الملك بن صالح على الشام	٨٠٥٠٠٣
٢١٦١	ذكر خلع الامين والمبايعه للمأمون	٨٠٥٠٠٤
٢١٦٣	ذكر الخبر عن مقتل محمد بن يزيد المهلبى ودخول طاهر إلى الاهواز	٨٠٥٠٠٥
٢١٦٥	ذكر خبر استيلاء طاهر على المدائن ونزوله بصرصر	٨٠٥٠٠٦
٢١٦٦	ذكر خبر خلع داود بن عيسى الامين	٨٠٥٠٠٧
٢١٦٧	ذكر خبر شغب الجند على طاهر بن الحسين	٨٠٥٠٠٨
٢١٦٩	سنه سبع وتسعين ومائه	٨٠٥١
٢١٦٩	ذكر خبر حصار الامين ببغداد	٨٠٥١٠١
٢١٧٤	ذكر خبر وقعه قصر صالح	٨٠٥١٠٢
٢١٧٦	ذكر خبر منع طاهر الملاحين من ادخال شيء إلى بغداد	٨٠٥١٠٣
٢١٧٦	ذكر الخبر عما كان منه ومن اصحاب محمد المخلوع في ذلك	٨٠٥١٠٤

٢١٧٧	ذكر خبر وقعه الكاسية	٨٠٥١٠٥
٢١٧٨	ذكر خبر وقعه درب الحجاره	٨٠٥١٠٦
٢١٧٩	ذكر خبر وقعه باب الشماسيه	٨٠٥١٠٧
٢١٨٢	سنه ثمان وتسعين ومائه	٨٠٥٢
٢١٨٢	ذكر خبر استيلاء طاهر على بغداد	٨٠٥٢٠١
٢١٨٥	ذكر الخبر عن قتل الامين	٨٠٥٢٠٢
٢١٩٣	وثوب الجند بطاهر بن الحسين بعد مقتل الامين	٨٠٥٢٠٣
٢١٩٤	ذكر الخبر عن صفه محمد ابن هارون وكنيته وقدر ما ولى ومبلغ عمره	٨٠٥٢٠٤
٢١٩٥	ذكر ما قيل في محمد بن هارون ومرثيته	٨٠٥٢٠٥
٢١٩٩	ذكر الخبر عن بعض سير المخلوع محمد بن هارون	٨٠٥٢٠٦
٢٢٠٨	خلافه المأمون عبد الله بن هارون	٨٠٥٢٠٧
٢٢٠٨	سنه تسع وتسعين ومائه	٨٠٥٣
٢٢٠٨	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث المشهوره	٨٠٥٣٠١
٢٢٠٨	ذكر الخبر عن سبب خروج محمد بن ابراهيم بن طباطبا	٨٠٥٣٠٢
٢٢٠٩	ذكر الوقعه بين اهل الكوفه وزهير بن المسيب	٨٠٥٣٠٣
٢٢١١	سنه مائتين	٨٠٥٤
٢٢١١	ذكر الخبر عن هرب ابى السرايا وما آل اليه امره	٨٠٥٤٠١
٢٢١١	ذكر الخبر عن خروج ابراهيم بن موسى باليمن	٨٠٥٤٠٢
٢٢١٢	ذكر ما فعله الحسين بن الحسن الافطس بمكة	٨٠٥٤٠٣
٢٢١٤	ذكر الخبر عن امر ابراهيم والعقيلي الذى ذكرنا امره	٨٠٥٤٠٤
٢٢١٥	ذكر الخبر عن شخوص هرثة إلى المأمون وما آل اليه امره في مسيره ذلك	٨٠٥٤٠٥
٢٢١٥	ذكر الخبر عن وثوب الحرية ببغداد	٨٠٥٤٠٦
٢٢١٧	سنه احدى ومائتين	٨٠٥٥
٢٢١٧	ولايه منصور بن المهدي ببغداد	٨٠٥٥٠١
٢٢١٩	ذكر خبر خروج المطوعة للنكير على الفساد	٨٠٥٥٠٢
٢٢٢٠	ذكر خبر البيعه لعل بن موسى بولاية العهد	٨٠٥٥٠٣
٢٢٢١	ذكر الدعوة لمبايعه ابراهيم بن المهدي وخلع المأمون	٨٠٥٥٠٤
٢٢٢٢	سنه اثنتين ومائتين	٨٠٥٦
٢٢٢٢	ذكر الخبر بيعه ابراهيم بن المهدي	٨٠٥٦٠١
٢٢٢٢	خبر تحكيم مهدي بن علوان الحروري	٨٠٥٦٠٢
٢٢٢٢	ذكر الخبر عن تبييض أخى ابى السرايا وظهوره بالكوفه	٨٠٥٦٠٣
٢٢٢٤	ظفر ابراهيم بن المهدي بسهل بن سلامه المطوعى	٨٠٥٦٠٤
٢٢٢٥	ذكر خبر شخوص المأمون إلى العراق	٨٠٥٦٠٥
٢٢٢٦	وفي هذه السنه تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل	٨٠٥٦٠٦
٢٢٢٧	سنه ثلاث ومائتين	٨٠٥٧
٢٢٢٧	موت على بن موسى الرضى	٨٠٥٧٠١
٢٢٢٧	خبر حبس ابراهيم بن المهدي عيسى بن محمد بن ابى خالد	٨٠٥٧٠٢

٢٢٢٨	ذكر خبر خلع اهل بغداد ابراهيم بن المهدي	٨٠٥٧.٣
٢٢٢٨	ذكر خبر اختفاء ابراهيم بن المهدي	٨٠٥٧.٤
٢٢٢٩	سنة اربع ومائتين	٨٠٥٨
٢٢٢٩	خبر قدوم المأمون إلى بغداد	٨٠٥٨.١
٢٢٣١	سنة خمس ومائتين	٨٠٥٩
٢٢٣١	ولايه طاهر بن الحسين خراسان	٨٠٥٩.١
٢٢٣٢	سنة ست ومائتين	٨٠٦٠
٢٢٣٢	ولايه عبد الله بن طاهر على الرقة	٨٠٦٠.١
٢٢٣٣	وصيه طاهر إلى ابنه عبد الله	٨٠٦٠.٢
٢٢٣٧	سنة سبع ومائتين	٨٠٦١
٢٢٣٧	ذكر خروج عبد الرحمن بن احمد العلوي باليمن	٨٠٦١.١
٢٢٣٧	ذكر الخبر عن وفاه طاهر بن الحسين	٨٠٦١.٢
٢٢٣٩	سنة ثمان ومائتين	٨٠٦٢
٢٢٣٩	سنة تسع ومائتين	٨٠٦٣
٢٢٣٩	خبر الظفر بنصر بن شبث	٨٠٦٣.١
٢٢٤١	سنة عشر ومائتين	٨٠٦٤
٢٢٤١	ذكر الخبر عن ظفر المأمون وابن عائشة ورفقائه	٨٠٦٤.١
٢٢٤١	ذكر خبر الظفر بابراهيم بن المهدي	٨٠٦٤.٢
٢٢٤١	ذكر خبر قتل ابن عائشة	٨٠٦٤.٣
٢٢٤٢	العفو عن ابراهيم بن المهدي	٨٠٦٤.٤
٢٢٤٣	ذكر الخبر عن بناء المأمون ببوران	٨٠٦٤.٥
٢٢٤٥	ذكر الخبر عن سبب شخوص عبد الله بن طاهر من الرقة إلى مصر وسبب خروج ابن السري إليه في الامان	٨٠٦٤.٦
٢٢٤٦	ذكر الخبر عن فتح عبد الله بن طاهر الإسكندرية	٨٠٦٤.٧
٢٢٤٧	ذكر الخبر عن خروج اهل قم على السلطان	٨٠٦٤.٨
٢٢٤٧	سنة احدى عشره ومائتين	٨٠٦٥
٢٢٤٧	امر عبيد الله بن السري	٨٠٦٥.١
٢٢٤٩	سنة اثنتي عشره ومائتين	٨٠٦٦
٢٢٤٩	سنة ثلاث عشره ومائتين	٨٠٦٧
٢٢٤٩	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث	٨٠٦٧.١
٢٢٤٩	ذكر الخبر عن ولايه غسان بن عباد السند	٨٠٦٧.٢
٢٢٥٠	سنة اربع عشره ومائتين	٨٠٦٨
٢٢٥٠	سنة خمس عشره ومائتين	٨٠٦٩
٢٢٥٠	ذكر خبر شخوص المأمون لحرب الروم	٨٠٦٩.١
٢٢٥١	أخبار متفرقة	٨٠٦٩.٢
٢٢٥١	سنة ست عشره ومائتين	٨٠٧٠
٢٢٥١	عود إلى ذكر غزو المأمون ارض الروم	٨٠٧٠.١
٢٢٥٢	سنة سبع عشره ومائتين	٨٠٧١

٢٢٥٢	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث	٨٠٧١.١
٢٢٥٢	ذكر الخبر عن قتل على وحسين ابني هشام	٨٠٧١.٢
٢٢٥٣	كتاب توفيل إلى المأمون ورد المأمون عليه	٨٠٧١.٣
٢٢٥٤	أخبار متفرقة	٨٠٧١.٤
٢٢٥٤	سنة ثمان عشرة ومائتين	٨٠٧٢
٢٢٥٤	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث	٨٠٧٢.١
٢٢٥٤	ذكر خبر المحنة بالقرآن	٨٠٧٢.٢
٢٢٦٠	كتب المأمون إلى عماله ووصيته في كتبه	٨٠٧٢.٣
٢٢٦١	ذكر الخبر عن وفاه المأمون	٨٠٧٢.٤
٢٢٦٢	ذكر الخبر عن وقت وفاته والموضع الذي دفن فيه ومن صلى عليه ومبلغ سنة وقدر مدته خلافته	٨٠٧٢.٥
٢٢٦٣	ذكر بعض اخبار المأمون وسيره	٨٠٧٢.٦
٢٢٧٠	خلافه ابى إسحاق المعتصم محمد بن هارون الرشيد	٨٠٧٢.٧
٢٢٧٠	أخبار متفرقة	٨٠٧٢.٨
٢٢٧٠	الجزء التاسع	٩
٢٢٧٠	سنة تسع عشرة ومائتين	٩٠.١
٢٢٧٠	ذكر خلاف محمد بن القاسم العلوي	٩٠.١.١
٢٢٧١	ذكر الخبر عن محاربه الزط	٩٠.١.٢
٢٢٧١	سنة عشرين ومائتين	٩٠.٢
٢٢٧١	ذكر ظفر عجيف بالزط	٩٠.٢.١
٢٢٧٢	ذكر خبر مسير الافشين لحرب بابك	٩٠.٢.٢
٢٢٧٣	ذكر خبر وقعه الافشين مع بابك بارشق	٩٠.٢.٣
٢٢٧٥	ذكر الخبر عن خروج المعتصم إلى القاطول	٩٠.٢.٤
٢٢٧٥	ذكر الخبر عن غضب المعتصم على الفضل بن مروان	٩٠.٢.٥
٢٢٧٧	سنة احدى وعشرين ومائتين	٩٠.٣
٢٢٧٧	ذكر الخبر عن وقعه الافشين مع بابك في هذه السنة	٩٠.٣.١
٢٢٨٠	سنة اثنتين وعشرين ومائتين	٩٠.٤
٢٢٨٠	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث	٩٠.٤.١
٢٢٨٠	ذكر خبر الوقعه بين اصحاب الافشين وأذن قائد بابك	٩٠.٤.٢
٢٢٨٠	ذكر خبر فتح البذ مدينة بابك	٩٠.٤.٣
٢٢٨٩	سنة ثلاث وعشرين ومائتين	٩٠.٥
٢٢٨٩	ذكر خبر قدوم الافشين ببابك على المعتصم	٩٠.٥.١
٢٢٩١	ذكر خبر إيقاع الروم باهل زبطره	٩٠.٥.٢
٢٢٩٢	ذكر الخبر عن فتح عموريه	٩٠.٥.٣
٢٢٩٨	ذكر خبر المعتصم مع العباس بن المأمون	٩٠.٥.٤
٢٣٠١	سنة اربع وعشرين ومائتين	٩٠.٦
٢٣٠١	ذكر الخبر عن مخالفه مازيار بطبرستان	٩٠.٦.١
٢٣٠٥	ذكر خبر ابى شاس الشاعر	٩٠.٦.٢

أخبار متفرقة	٢٣١٠	٩٠٦٠٣
ذكر الخبر عن خلاف منكجور الاشروسنى	٢٣١١	٩٠٦٠٤
سنة خمس وعشرين ومائتين	٢٣١١	٩٠٧
ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث	٢٣١١	٩٠٧٠١
ذكر الخبر عن غضب المعتصم على الافشين وحبسه	٢٣١٢	٩٠٧٠٢
أخبار متفرقة	٢٣١٥	٩٠٧٠٣
سنة ست وعشرين ومائتين	٢٣١٥	٩٠٨
خبر وثوب على بن إسحاق برجاء بن ابى الضحاك	٢٣١٥	٩٠٨٠١
ذكر الخبر عن موت الافشين	٢٣١٥	٩٠٨٠٢
سنة سبع وعشرين ومائتين	٢٣١٧	٩٠٩
ذكر خبر خروج ابى حرب المبرقع	٢٣١٧	٩٠٩٠١
ذكر الخبر عن وفاه المعتصم والعله التي مات بها	٢٣١٨	٩٠٩٠٢
ذكر الخبر عن بعض اخلاق المعتصم وسيره	٢٣١٩	٩٠٩٠٣
خلافه هارون الواثق ابى جعفر	٢٣٢٠	٩٠٩٠٤
سنة ثمان وعشرين ومائتين	٢٣٢١	٩٠١٠
سنة تسع وعشرين ومائتين	٢٣٢١	٩٠١١
ذكر الخبر عن حبس الواثق الكتاب والزاهم الأموال	٢٣٢١	٩٠١١٠١
ذكر الخبر عن السبب الذى بعث الواثق على فعله ما ذكرت بالكتاب في هذه السنة:	٢٣٢١	٩٠١١٠٢
سنة ثلاثين ومائتين	٢٣٢٣	٩٠١٢
ذكر مسير بغا إلى الاعراب بالمدينة	٢٣٢٣	٩٠١٢٠١
ذكر الخبر عن وفاه عبد الله بن طاهر	٢٣٢٣	٩٠١٢٠٢
سنة احدى وثلاثين ومائتين	٢٣٢٤	٩٠١٣
ذكر الخبر عن امر بنى سليم وغيرهم من القبائل	٢٣٢٤	٩٠١٣٠١
ذكر مقتل احمد بن نصر الخزاعي على يد الواثق	٢٣٢٥	٩٠١٣٠٢
خبر الفداء بين المسلمين والروم	٢٣٢٧	٩٠١٣٠٣
سنة اثنتين وثلاثين ومائتين	٢٣٢٩	٩٠١٤
ذكر الخبر عن مسير بغا الكبير إلى حرب بنى نمير	٢٣٢٩	٩٠١٤٠١
ذكر خبر موت الواثق	٢٣٣١	٩٠١٤٠٢
ذكر الخبر عن صفه الواثق وسنه وقدر مده خلافته	٢٣٣٢	٩٠١٤٠٣
ذكر بعض اخباره	٢٣٣٢	٩٠١٤٠٤
خلافه جعفر المتوكل على الله	٢٣٣٣	٩٠١٤٠٥
ذكر الخبر عن سبب خلافته ووقتها	٢٣٣٣	٩٠١٤٠٦
سنة ثلاث وثلاثين ومائتين	٢٣٣٤	٩٠١٥
ذكر خبر حبس محمد بن عبد الملك الزيات ووفاته	٢٣٣٤	٩٠١٥٠١
ذكر غضب المتوكل على عمر بن فرج	٢٣٣٦	٩٠١٥٠٢
ذكر غضب المتوكل على ابى الوزير وغيره	٢٣٣٧	٩٠١٥٠٣
أخبار متفرقة	٢٣٣٧	٩٠١٥٠٤
سنة اربع وثلاثين ومائتين	٢٣٣٧	٩٠١٦

٢٣٣٧	ذكر الخبر عن هرب محمد بن البعيث	٩٠١٦٠١
٢٣٣٨	ذكر الخبر عن حج ايتاخ وسبيه	٩٠١٦٠٢
٢٣٣٩	سنة خمس وثلاثين ومائتين	٩٠١٧
٢٣٣٩	ذكر الخبر عن مقتل ايتاخ	٩٠١٧٠١
٢٣٤٠	ذكر خبر اسر ابن البعيث وموته	٩٠١٧٠٢
٢٣٤١	امر المتوكل مع النصارى	٩٠١٧٠٣
٢٣٤٣	ظهور محمود بن الفرغ النيسابورى	٩٠١٧٠٤
٢٣٤٣	ذكر عقد المتوكل البيعه لبيه الثلاثة	٩٠١٧٠٥
٢٣٤٦	سنة ست وثلاثين ومائتين	٩٠١٨
٢٣٤٦	خبر مقتل محمد بن ابراهيم بن مصعب	٩٠١٨٠١
٢٣٤٦	ذكر خبر وفاه الحسن بن سهل	٩٠١٨٠٢
٢٣٤٧	ذكر خبر هدم قبر الحسين بن على	٩٠١٨٠٣
٢٣٤٨	سنة سبع وثلاثين ومائتين	٩٠١٩
٢٣٤٨	ذكر وثوب اهل أرمينية بعاملهم يوسف بن محمد	٩٠١٩٠١
٢٣٤٨	ذكر غضب المتوكل على ابن ابى دواد	٩٠١٩٠٢
٢٣٤٩	خبر انزال جثته ابن نصر ودفعه إلى اوليائه	٩٠١٩٠٣
٢٣٥٠	سنة ثمان وثلاثين ومائتين	٩٠٢٠
٢٣٥٠	ذكر ظفر بغا بإسحاق بن اسماعيل وإحراقه مدينه تفليس	٩٠٢٠٠١
٢٣٥٠	ذكر مقدم الروم بمراكبهم إلى دمياط	٩٠٢٠٠٢
٢٣٥١	سنة تسع وثلاثين ومائتين	٩٠٢١
٢٣٥٢	سنة أربعين ومائتين	٩٠٢٢
٢٣٥٢	ذكر الخبر عن وثوب اهل حمص بعاملهم	٩٠٢٢٠١
٢٣٥٢	أخبار متفرقة	٩٠٢٢٠٢
٢٣٥٢	سنة احدى واربعين ومائتين	٩٠٢٣
٢٣٥٢	ذكر الخبر عن وثوب اهل حمص بعاملهم مره اخرى	٩٠٢٣٠١
٢٣٥٣	ذكر الخبر عن ضرب عيسى بن جعفر وما آل اليه امره	٩٠٢٣٠٢
٢٣٥٤	ذكر غاره البجه على حرس من ارض مصر	٩٠٢٣٠٣
٢٣٥٦	سنة اثنتين واربعين ومائتين	٩٠٢٤
٢٣٥٦	ذكر احداث الزلازل بالبلاد	٩٠٢٤٠١
٢٣٥٦	ذكر خروج الروم من ناحيه شمشاط	٩٠٢٤٠٢
٢٣٥٦	سنة ثلاث واربعين ومائتين	٩٠٢٥
٢٣٥٦	سنة اربع واربعين ومائتين	٩٠٢٦
٢٣٥٧	سنة خمس واربعين ومائتين	٩٠٢٧
٢٣٥٧	ذكر خبر بناء الماحوزه	٩٠٢٧٠١
٢٣٥٨	ذكر الخبر عن هلاك نجاج بن سلمه	٩٠٢٧٠٢
٢٣٦٠	غاره الروم على سيمساط	٩٠٢٧٠٣
٢٣٦٠	سنة ست واربعين ومائتين	٩٠٢٨
٢٣٦٠	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث	٩٠٢٨٠١

٢٣٦٠	ذكر خبر الفداء بين الروم والمسلمين في هذه السنه	٩٠٢٨٠٢
٢٣٦١	سنه سبع واربعين ومائتين	٩٠٢٩
٢٣٦١	ذكر الخبر عن مقتل المتوكل	٩٠٢٩٠١
٢٣٦٥	ذكر الخبر عن بعض امور المتوكل وسيرته:	٩٠٢٩٠٢
٢٣٦٧	خلافه المنتصر محمد بن جعفر	٩٠٢٩٠٣
٢٣٦٨	أخبار متفرقة	٩٠٢٩٠٤
٢٣٧٠	سنه ثمان واربعين ومائتين	٩٠٣٠
٢٣٧٠	ذكر غزاه وصيف التركي الروم	٩٠٣٠٠١
٢٣٧١	ذكر خبر خلع المعتز والمؤيد أنفسهما	٩٠٣٠٠٢
٢٣٧٤	ذكر الخبر عن وفاه المنتصر	٩٠٣٠٠٣
٢٣٧٦	ذكر بعض سيره	٩٠٣٠٠٤
٢٣٧٧	خلافه احمد بن محمد بن المعتصم وهو المستعين ويكنى أبا العباس	٩٠٣٠٠٥
٢٣٧٩	سنه تسع واربعين ومائتين	٩٠٣١
٢٣٧٩	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث	٩٠٣١٠١
٢٣٧٩	خبر قتل علي بن يحيى الأرمني	٩٠٣١٠٢
٢٣٧٩	شغب الجند والشاكرية ببغداد	٩٠٣١٠٣
٢٣٨٠	ذكر خبر قتل اوتامش وكاتبه	٩٠٣١٠٤
٢٣٨٠	مقتل علي بن الجهم	٩٠٣١٠٥
٢٣٨١	سنه خمسين ومائتين	٩٠٣٢
٢٣٨١	ظهور يحيى بن عمر الطالبي ثم مقتله	٩٠٣٢٠١
٢٣٨٣	ذكر خبر خروج الحسن بن زيد العلوي	٩٠٣٢٠٢
٢٣٨٥	أخبار متفرقة	٩٠٣٢٠٣
٢٣٨٦	سنه احدى وخمسين ومائتين	٩٠٣٣
٢٣٨٦	ذكر خبر قتل باغر التركي	٩٠٣٣٠١
٢٣٨٨	وقوع الفتنة ببغداد بين أهلها وبين جند السلطان	٩٠٣٣٠٢
٢٤٠٢	ذكر خبر المدائن في هذه الفتنة	٩٠٣٣٠٣
٢٤٠٧	خروج الحسين بن محمد الطالبي وما آل اليه امره	٩٠٣٣٠٤
٢٤٠٨	أخبار متفرقة	٩٠٣٣٠٥
٢٤٠٩	ذكر خبر قتل بالفردل	٩٠٣٣٠٦
٢٤١٠	ذكر خبر هزيمة الاتراك ببغداد	٩٠٣٣٠٧
٢٤١٠	خبر وقعه ابى السلاسل مع المغاربة	٩٠٣٣٠٨
٢٤١٠	ذكر خبر وقوع الصلح بين الموالي وابن طاهر	٩٠٣٣٠٩
٢٤١١	ذكر بدء عزم ابن طاهر على خلع المستعين والبيعه للمعتز	٩٠٣٣٠١٠
٢٤١١	خروج العامه ونصره المستعين على ابن طاهر	٩٠٣٣٠١١
٢٤١٣	ذكر خبر انتقال المستعين إلى دار رزق الخادم بالرصافة	٩٠٣٣٠١٢
٢٤١٣	ذكر بدء المفاوضه في امر خلع المستعين	٩٠٣٣٠١٣
٢٤١٥	ذكر خبر خروج اسماعيل بن يوسف بمكة	٩٠٣٣٠١٤
٢٤١٦	سنه اثنيتين وخمسين ومائتين	٩٠٣٤

٢٤١٦	ذكر خبر خلع المستعين وبيعه المعتز	٩٠٣٤٠١
٢٤١٩	ذكر خبر قتل شريح الحبشي	٩٠٣٤٠٢
٢٤١٩	ذكر حال بغا ووصيف	٩٠٣٤٠٣
٢٤٢٠	ذكر الفتنة بين جند بغداد واصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر	٩٠٣٤٠٤
٢٤٢٢	ذكر الخبر عن خلع المؤيد ثم موته	٩٠٣٤٠٥
٢٤٢٢	ذكر الخبر عن مقتل المستعين	٩٠٣٤٠٦
٢٤٢٤	امر المعتز مع اهل بغداد	٩٠٣٤٠٧
٢٤٢٦	وقوع الفتنة بين الاتراك والمغاربه	٩٠٣٤٠٨
٢٤٢٦	ذكر خبر حمل الطالبين من بغداد إلى سامرا	٩٠٣٤٠٩
٢٤٢٧	سنه ثلاث وخمسين ومائتين	٩٠٣٥
٢٤٢٧	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث	٩٠٣٥٠١
٢٤٢٧	ذكر خبر أخذ الكرج من ابن ابي دلف	٩٠٣٥٠٢
٢٤٢٨	ذكر الخبر عن قتل وصيف	٩٠٣٥٠٣
٢٤٢٨	ذكر الخبر عن قتل بندار الطبري	٩٠٣٥٠٤
٢٤٢٩	ذكر خبر موت محمد بن عبد الله بن طاهر	٩٠٣٥٠٥
٢٤٢٩	أخبار متفرقة	٩٠٣٥٠٦
٢٤٣٠	سنه اربع وخمسين ومائتين	٩٠٣٦
٢٤٣٠	ذكر خبر مقتل بغا الشراي	٩٠٣٦٠١
٢٤٣١	أخبار متفرقة	٩٠٣٦٠٢
٢٤٣١	سنه خمس وخمسين ومائتين	٩٠٣٧
٢٤٣١	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث	٩٠٣٧٠١
٢٤٣١	ذكر خبر استيلاء يعقوب بن الليث على كرمان	٩٠٣٧٠٢
٢٤٣٢	ذكر خبر دخول يعقوب بن الليث فارس	٩٠٣٧٠٣
٢٤٣٤	ذكر فعل صالح بن وصيف مع احمد بن إسرائيل ورفيقه	٩٠٣٧٠٤
٢٤٣٤	ذكر الخبر عن خلع المعتز ثم موته	٩٠٣٧٠٥
٢٤٣٥	خلافه ابن الواثق المهتدي بالله	٩٠٣٧٠٦
٢٤٣٦	قيام الشعب ببغداد ووثوب العامه بسليمان بن عبد الله	٩٠٣٧٠٧
٢٤٣٦	ذكر خبر ظهور قبيله أم المعتز	٩٠٣٧٠٨
٢٤٣٨	ذكر الخبر عن قتل احمد بن إسرائيل وابي نوح	٩٠٣٧٠٩
٢٤٣٩	شعب الجند والعامه ببغداد وولايه سليمان بن عبد الله بن طاهر عليها	٩٠٣٧٠١٠
٢٤٤٢	ذكر خبر استيلاء مفلح على طبرستان ثم انصرافه عنها	٩٠٣٧٠١١
٢٤٤٣	ذكر الخبر عن مفارقه كنجور على بن الحسين بن قريش	٩٠٣٧٠١٢
٢٤٤٤	خروج أول علوي بالبصرة	٩٠٣٧٠١٣
٢٤٥٢	ذكر الخبر عن مسير صاحب الزنج بزوجه وجيوشه فيها إلى البصره	٩٠٣٧٠١٤
٢٤٥٥	سنه ست وخمسين ومائتين	٩٠٣٨
٢٤٥٥	ذكر الخبر عن وصول موسى بن بغا إلى سامرا واختفاء صالح	٩٠٣٨٠١
٢٤٥٦	ذكر الخبر عن قتل صالح بن وصيف	٩٠٣٨٠٢

٢٤٥٨	ذكر الخبر عن خروج العامه على المهتدي	٩٠٣٨٠٣
٢٤٦٣	ذكر الخبر عن خلع المهتدي ثم موته	٩٠٣٨٠٤
٢٤٧٠	ذكر اخبار صاحب الزنج مع جعلان	٩٠٣٨٠٥
٢٤٧٠	ذكر الخبر عن دخول الزنج الأبله	٩٠٣٨٠٦
٢٤٧١	ذكر خبر استيلاء صاحب الزنج على عبادان	٩٠٣٨٠٧
٢٤٧١	ذكر خبر دخول اصحاب صاحب الزنج الاهواز	٩٠٣٨٠٨
٢٤٧١	خلافه المعتمد على الله	٩٠٣٨٠٩
٢٤٧٢	سنه سبع وخمسين ومائتين	٩٠٣٩
٢٤٧٢	ذكر خبر مسير يعقوب بن الليث إلى فارس وانصرافه عنها	٩٠٣٩٠١
٢٤٧٢	ذكر خبر انهزام الزنج امام سعيد بن الحاجب	٩٠٣٩٠٢
٢٤٧٣	خلاص ابن المدير من صاحب الزنج	٩٠٣٩٠٣
٢٤٧٣	ذكر خبر إيقاع صاحب الزنج بسعيد واصحابه	٩٠٣٩٠٤
٢٤٧٣	خبر الوقعه بين منصور بن جعفر وصاحب الزنج	٩٠٣٩٠٥
٢٤٧٤	خبر مقتل شاهين بن بسطام وهزيمة ابراهيم بن سيما	٩٠٣٩٠٦
٢٤٧٤	ذكر خبر دخول الزنج البصره هذا العام	٩٠٣٩٠٧
٢٤٧٨	ذكر الخبر عن الحرب بين محمد المولد والزنج	٩٠٣٩٠٨
٢٤٧٨	سنه ثمان وخمسين ومائتين	٩٠٤٠
٢٤٧٨	ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليله	٩٠٤٠٠١
٢٤٧٩	ذكر الخبر عن قتل منصور بن جعفر الخياط	٩٠٤٠٠٢
٢٤٧٩	ذكر الخبر عن قتل مفلح	٩٠٤٠٠٣
٢٤٨٠	ذكر خبر اسريحي بن محمد البحراني ثم قتله	٩٠٤٠٠٤
٢٤٨٢	ذكر خبر انحياز ابى احمد بن المتوكل إلى واسط	٩٠٤٠٠٥
٢٤٨٢	أخبار متفرقة	٩٠٤٠٠٦
٢٤٨٣	سنه تسع وخمسين ومائتين	٩٠٤١
٢٤٨٣	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث	٩٠٤١٠١
٢٤٨٣	ذكر الخبر عن مقتل كنجور	٩٠٤١٠٢
٢٤٨٤	ذكر خبر دخول المهلبى ويحيى بن خلف سوق الاهواز	٩٠٤١٠٣
٢٤٨٤	شخص موسى بن بغا لحرب صاحب الزنج	٩٠٤١٠٤
٢٤٨٥	ذكر الخبر عن دخول يعقوب بن الليث نيسابور	٩٠٤١٠٥
٢٤٨٥	أخبار متفرقة	٩٠٤١٠٦
٢٤٨٦	سنه ستين ومائتين	٩٠٤٢
٢٤٨٦	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث	٩٠٤٢٠١
٢٤٨٦	خبر الوقعه بين يعقوب بن الليث والحسن بن زيد الطائي	٩٠٤٢٠٢
٢٤٨٧	ذكر خبر مقتل العلاء بن احمد الأزدي	٩٠٤٢٠٣
٢٤٨٧	سنه احدى وستين ومائتين	٩٠٤٣
٢٤٨٧	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث	٩٠٤٣٠١
٢٤٨٧	ذكر خبر وقعه كانت برامهرمز في هذا العام	٩٠٤٣٠٢
٢٤٨٩	سنه اثنتين وستين ومائتين	٩٠٤٤

٢٤٨٩	ذكر خبر دخول يعقوب بن الليث رامهرمز	٩٠٤٤٠١
٢٤٩١	ذكر خبر توجه رجال الزنج إلى البطيحة ودست ميسان	٩٠٤٤٠٢
٢٤٩٤	ذكر خبر الوقعه بين الزنج واحمد بن ليثويه	٩٠٤٤٠٣
٢٤٩٥	سنة ثلاث وستين ومائتين	٩٠٤٥
٢٤٩٥	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث	٩٠٤٥٠١
٢٤٩٥	ذكر الوقعه بين ابن ليثويه مع أخي علي بن ابان	٩٠٤٥٠٢
٢٤٩٦	ذكر الخبر عما كان من امر الصفار هنالك في هذه السنة:	٩٠٤٥٠٣
٢٤٩٦	أخبار متفرقة	٩٠٤٥٠٤
٢٤٩٧	سنة اربع وستين ومائتين	٩٠٤٦
٢٤٩٧	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث	٩٠٤٦٠١
٢٤٩٧	خبر اسر الروم لعبد الله بن رشيد	٩٠٤٦٠٢
٢٤٩٧	ذكر خبر الوقعه بين محمد المولد وقائد الزنج	٩٠٤٦٠٣
	ذكر الخبر عن السبب الذي من اجله تهيأ للزنج دخول واسط، وذكر الخبر عن الاحداث الجليله في سنة	٩٠٤٦٠٤
٢٤٩٨	اربع وستين ومائتين:	
٢٥٠٠	ذكر خبر خروج سليمان بن وهب من بغداد إلى سامرا	٩٠٤٦٠٥
٢٥٠٠	أخبار متفرقة	٩٠٤٦٠٦
٢٥٠٠	سنة خمس وستين ومائتين	٩٠٤٧
٢٥٠٠	ذكر الوقعه بين احمد بن ليثويه وسليمان قائد الزنج	٩٠٤٧٠١
٢٥٠١	أخبار متفرقة	٩٠٤٧٠٢
٢٥٠٢	ذكر خبر شخوص تكين البخاري إلى الاهواز	٩٠٤٧٠٣
٢٥٠٣	أخبار متفرقة	٩٠٤٧٠٤
٢٥٠٣	سنة ست وستين ومائتين	٩٠٤٨
٢٥٠٣	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث	٩٠٤٨٠١
٢٥٠٥	ذكر الخبر عن الفتنة بين الجعفرية والعلوية	٩٠٤٨٠٢
٢٥٠٥	أخبار متفرقة	٩٠٤٨٠٣
٢٥٠٦	ذكر خبر دخول اصحاب قائد الزنج رامهرمز	٩٠٤٨٠٤
٢٥٠٦	ذكر الخبر عن وقعه اكراد داربان مع صاحب الزنج	٩٠٤٨٠٥
٢٥٠٧	سنة سبع وستين ومائتين	٩٠٤٩
٢٥٠٧	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث	٩٠٤٩٠١
٢٥٠٧	ذكر خبر غلبه ابي العباس بن الموفق على سليمان بن جامع	٩٠٤٩٠٢
٢٥١٣	ذكر الخبر عن سبب دخول ابي احمد واصحابه طهيتا ومقتل الجبائي	٩٠٤٩٠٣
٢٥٢٠	ذكر خبر مقتل صندل الزنجي	٩٠٤٩٠٤
٢٥٢٠	ذكر خبر استئمان الزنج إلى ابي احمد	٩٠٤٩٠٥
٢٥٢١	ذكر خبر الإيقاع بالزنج في هذا العام	٩٠٤٩٠٦
٢٥٢٢	ذكر خبر الوقعه مع الزنج بنهر ابن عمر	٩٠٤٩٠٧
٢٥٢٣	خبر عبور الموفق إلى مدينه صاحب الزنج لحربه	٩٠٤٩٠٨
٢٥٢٦	سنة ثمان وستين ومائتين	٩٠٥٠
٢٥٢٦	ذكر خبر استئمان جعفر بن ابراهيم إلى ابي احمد الموفق	٩٠٥٠٠١

٢٥٢٦	ذكر خبر عبور الموفق إلى مدينه الزنج	٩٠٥٠٢
٢٥٢٧	ذكر وقعه ابى العباس بمن كان يمد الزنج من الاعراب	٩٠٥٠٣
٢٥٢٨	أخبار متفرقة	٩٠٥٠٤
٢٥٢٩	ذكر خبر إيقاع رشيق بمن اعان الزنج من تميم	٩٠٥٠٥
٢٥٢٩	ذكر الخبر عن قتل بهبود بن عبد الوهاب	٩٠٥٠٦
٢٥٣٠	أخبار متفرقة	٩٠٥٠٧
٢٥٣١	سنة تسع وستين ومائتين	٩٠٥١
٢٥٣١	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث	٩٠٥١٠١
٢٥٣٢	ذكر خبر اصابه الموفق	٩٠٥١٠٢
٢٥٣٤	ذكر عزيم المعتمد على الخاق بمصر	٩٠٥١٠٣
٢٥٣٥	أخبار متفرقة	٩٠٥١٠٤
٢٥٣٥	ذكر الخبر عن احراق قصر صاحب الزنج	٩٠٥١٠٥
٢٥٣٧	ذكر الخبر عن غرق نصير المعروف بابى حمزه	٩٠٥١٠٦
٢٥٣٧	أخبار متفرقة	٩٠٥١٠٧
٢٥٣٨	ذكر الخبر عن الوقعه التي كانت بين الموفق وبين الزنج	٩٠٥١٠٨
٢٥٣٩	خبر انتقال صاحب الزنج إلى شرقى نهر ابى الخصيب	٩٠٥١٠٩
٢٥٣٩	ذكر الخبر عن حاله وحال اصحابه وما آل اليه امرهم عند انتقاله من الجانب الغربى	٩٠٥١٠١٠
٢٥٤١	ذكر خبر دخول الموفق مدينه صاحب الزنج	٩٠٥١٠١١
٢٥٤٤	ذكر طلب رؤساء صاحب الزنج الامان	٩٠٥١٠١٢
٢٥٤٥	خبر دخول الموفق مدينه صاحب الزنج وتخريب داره	٩٠٥١٠١٣
٢٥٤٨	أخبار متفرقة	٩٠٥١٠١٤
٢٥٤٩	سنة سبعين ومائتين	٩٠٥٢
٢٥٤٩	ذكر الخبر عن قتل صاحب الزنج واسر من معه	٩٠٥٢٠١
٢٥٥٢	ذكر خبر استئمان درمويه الزنجي إلى ابى احمد	٩٠٥٢٠٢
٢٥٥٥	الجزء العاشر	١٠
٢٥٥٥	سنة احدى وسبعين ومائتين	١٠٠١
٢٥٥٥	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث الجليله:	١٠٠١٠١
٢٥٥٦	سنة اثنتين وسبعين ومائتين	١٠٠٢
٢٥٥٧	سنة ثلاث وسبعين ومائتين	١٠٠٣
٢٥٥٨	سنة اربع وسبعين ومائتين	١٠٠٤
٢٥٥٨	سنة خمس وسبعين ومائتين	١٠٠٥
٢٥٥٩	سنة ست وسبعين ومائتين	١٠٠٦
٢٥٥٩	سنة سبع وسبعين ومائتين	١٠٠٧
٢٥٦٠	سنة ثمان وسبعين ومائتين	١٠٠٨
٢٥٦٠	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث	١٠٠٨٠١
٢٥٦٠	ذكر الخبر عن مرض ابى احمد الموفق ثم موته	١٠٠٨٠٢
٢٥٦١	ذكر خبر البيعه للمعتضد بولاية العهد	١٠٠٨٠٣

٢٥٦١	ذكر ابتداء امر القرامطة	١٠٠٨٠٤
٢٥٦٣	ذكر خبر غزو الروم ووفاه يازمان في هذه الغزوة	١٠٠٨٠٥
٢٥٦٤	سنة تسع وسبعين ومائتين	١٠٠٩
٢٥٦٤	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث	١٠٠٩٠١
٢٥٦٤	ذكر خبر الفتنة بطرسوس	١٠٠٩٠٢
٢٥٦٤	خبر وفاه المعتمد	١٠٠٩٠٣
٢٥٦٤	خلافه المعتضد	١٠٠٩٠٤
٢٥٦٤	أخبار متفرقة	١٠٠٩٠٥
٢٥٦٥	سنة ثمانين ومائتين	١٠٠١٠
٢٥٦٥	ذكر الخبر عن الاحداث التي كانت فيها	١٠٠١٠٠١
٢٥٦٥	ذكر خبر قصد المعتضد بنى شيبان وصلحه معهم	١٠٠١٠٠٢
٢٥٦٦	أخبار متفرقة	١٠٠١٠٠٣
٢٥٦٧	سنة احدى وثمانين ومائتين	١٠٠١١
٢٥٦٧	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث	١٠٠١١٠١
٢٥٦٧	ذكر خبر الوقعه بين الأكراد والاعراب	١٠٠١١٠٢
٢٥٦٨	سنة اثنتين وثمانين ومائتين	١٠٠١٢
٢٥٦٨	ذكر امر النيروز المعتضدي	١٠٠١٢٠١
٢٥٦٨	ذكر امر المعتضد مع حمدان بن حمدون	١٠٠١٢٠٢
٢٥٦٨	أخبار متفرقة	١٠٠١٢٠٣
٢٥٧٠	سنة ثلاث وثمانين ومائتين	١٠٠١٣
٢٥٧٠	خبر هارون الشاري والظفر به	١٠٠١٣٠١
٢٥٧١	خبر حصر الصقاله القسطنطينية	١٠٠١٣٠٢
٢٥٧١	خلاف جند جيش بن نحارويه عليه	١٠٠١٣٠٣
٢٥٧١	ذكر الفداء بين المسلمين والروم	١٠٠١٣٠٤
٢٥٧١	ذكر امر المعتضد مع عمر بن عبد العزيز بن ابى دلف وأخيه بكر	١٠٠١٣٠٥
٢٥٧٣	أخبار متفرقة	١٠٠١٣٠٦
٢٥٧٣	سنة اربع وثمانين ومائتين	١٠٠١٤
٢٥٧٣	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث الجليله	١٠٠١٤٠١
٢٥٧٤	أخبار متفرقة	١٠٠١٤٠٢
٢٥٧٥	ذكر كتاب المعتضد في شان بنى اميه	١٠٠١٤٠٣
٢٥٧٩	أخبار متفرقة	١٠٠١٤٠٤
٢٥٨٠	سنة خمس وثمانين ومائتين	١٠٠١٥
٢٥٨٠	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث	١٠٠١٥٠١
٢٥٨١	أخبار متفرقة	١٠٠١٥٠٢
٢٥٨٢	سنة ست وثمانين ومائتين	١٠٠١٦
٢٥٨٢	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث الجليله	١٠٠١٦٠١
٢٥٨٣	سنة سبع وثمانين ومائتين	١٠٠١٧
٢٥٨٣	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث	١٠٠١٧٠١

٢٥٨٤	خروج العباس بن عمرو الغنوي من البصرة	١٠٠١٧٠٢
٢٥٨٦	ذكر الخبر عن مقتل محمد بن زيد العلوي	١٠٠١٧٠٣
٢٥٨٧	سنة ثمان وثمانين ومائتين	١٠٠١٨
٢٥٨٨	سنة تسع وثمانين ومائتين	١٠٠١٩
٢٥٨٨	خلافه المكتفي بالله	١٠٠١٩٠١
٢٥٨٩	ذكر الخبر عن مقتل بدر غلام المعتضد	١٠٠١٩٠٢
٢٥٩١	ذكر باقي الكائن من الأمور الجليله في سنة تسع وثمانين ومائتين	١٠٠١٩٠٣
٢٥٩١	ذكر خبر هذا الرجل الذي ظهر بالشام وما كان من سبب ظهوره بها	١٠٠١٩٠٤
٢٥٩٢	سنة تسعين ومائتين	١٠٠٢٠
٢٥٩٧	سنة احدى وتسعين ومائتين	١٠٠٢١
٢٥٩٧	ذكر خبر الوقعه بين اصحاب السلطان وصاحب الشامه	١٠٠٢١٠١
٢٦٠٠	أخبار متفرقة	١٠٠٢١٠٢
٢٦٠١	سنة اثنتين وتسعين ومائتين	١٠٠٢٢
٢٦٠٢	سنة ثلاث وتسعين ومائتين	١٠٠٢٣
٢٦٠٢	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث	١٠٠٢٣٠١
٢٦٠٢	ذكر الخبر عن ظهور أخي الحسين بن زكويه	١٠٠٢٣٠٢
٢٦٠٣	عاد الخبر إلى ما كان من امر أخي ابن زكويه	١٠٠٢٣٠٣
٢٦٠٥	أخبار متفرقة	١٠٠٢٣٠٤
٢٦٠٦	سنة اربع وتسعين ومائتين	١٠٠٢٤
٢٦٠٦	ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث الجليله	١٠٠٢٤٠١
٢٦٠٦	خبر زكويه بن مهرويه القرمطي	١٠٠٢٤٠٢
٢٦٠٨	أخبار متفرقة	١٠٠٢٤٠٣
٢٦٠٩	سنة خمس وتسعين ومائتين	١٠٠٢٥
٢٦١٠	خلافه المقتدر بالله	١٠٠٢٥٠١
٢٦١٠	سنة ست وتسعين ومائتين	١٠٠٢٦
٢٦١١	سنة سبع وتسعين ومائتين	١٠٠٢٧
٢٦١١	سنة ثمان وتسعين ومائتين	١٠٠٢٨
٢٦١٢	سنة تسع وتسعين ومائتين	١٠٠٢٩
٢٦١٢	سنة ثلاثمائة	١٠٠٣٠
٢٦١٢	سنة احدى وثلاثمائة	١٠٠٣١
٢٦١٣	سنة اثنتين وثلاثمائة	١٠٠٣٢
٢٦١٤	صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي	١١
٢٦١٤	الجزء الحادي عشر	١٢
٢٦١٤	سنة احدى وتسعين ومائتين	١٢٠١
٢٦١٦	سنة اثنتين وتسعين ومائتين	١٢٠٢
٢٦١٧	سنة ثلاث وتسعين ومائتين	١٢٠٣
٢٦١٩	سنة اربع وتسعين ومائتين	١٢٠٤

٢٦٢٠	سنة خمس وتسعين ومائتين	١٢٠٥
٢٦٢٠	أخبار متفرقة	١٢٠٥.١
٢٦٢١	ذكر عليه المكتفي بالله وما كان من امره إلى وقت وفاته	١٢٠٥.٢
٢٦٢١	ذكر وفاه المكتفي	١٢٠٥.٣
٢٦٢٢	ذكر خلافة المقتدر	١٢٠٥.٤
٢٦٢٣	سنة ست وتسعين ومائتين	١٢٠٦
٢٦٢٣	أخبار متفرقة	١٢٠٦.١
٢٦٢٣	ذكر البيعه لابن المعتز	١٢٠٦.٢
٢٦٢٥	سنة سبع وتسعين ومائتين	١٢٠٧
٢٦٢٦	سنة ثمان وتسعين ومائتين	١٢٠٨
٢٦٢٧	سنة تسع وتسعين ومائتين	١٢٠٩
٢٦٢٧	أخبار متفرقة	١٢٠٩.١
٢٦٢٧	ذكر القبض على ابن الفرات	١٢٠٩.٢
٢٦٢٧	سنة ثلاثمائة	١٢٠.١٠
٢٦٢٨	سنة احدى وثلاثمائة	١٢٠.١١
٢٦٣٠	سنة اثنتين وثلاثمائة	١٢٠.١٢
٢٦٣٣	سنة ثلاث وثلاثمائة	١٢٠.١٣
٢٦٣٥	سنة اربع وثلاثمائة	١٢٠.١٤
٢٦٣٥	مخالفة خالد ابن محمد الشعراني المعروف بابي يزيد على السلطان	١٢٠.١٤.١
٢٦٣٥	ذكر التقبض على علي بن عيسى الوزير وولايه على بن الفرات ثانيه	١٢٠.١٤.٢
٢٦٣٦	أخبار متفرقة	١٢٠.١٤.٣
٢٦٣٦	سنة خمس وثلاثمائة	١٢٠.١٥
٢٦٣٩	سنة ست وثلاثمائة	١٢٠.١٦
٢٦٤١	سنة سبع وثلاثمائة	١٢٠.١٧
٢٦٤٢	سنة ثمان وثلاثمائة	١٢٠.١٨
٢٦٤٣	سنة تسع وثلاثمائة	١٢٠.١٩
٢٦٤٥	سنة عشر وثلاثمائة	١٢٠.٢٠
٢٦٤٥	سنة احدى عشره وثلاثمائة	١٢٠.٢١
٢٦٤٨	سنة اثنتى عشره وثلاثمائة	١٢٠.٢٢
٢٦٤٨	أخبار متفرقة	١٢٠.٢٢.١
٢٦٤٩	ذكر التقبض على ابن الفرات وابنه وقتلهما	١٢٠.٢٢.٢
٢٦٥٠	سنة ثلاث عشره وثلاثمائة	١٢٠.٢٣
٢٦٥٠	أخبار متفرقة	١٢٠.٢٣.١
٢٦٥١	ذكر التقبض على الوزير الخاقاني وولايه احمد الخصبي	١٢٠.٢٣.٢
٢٦٥٢	سنة اربع عشره وثلاثمائة	١٢٠.٢٤
٢٦٥٢	أخبار متفرقة	١٢٠.٢٤.١
٢٦٥٢	ذكر التقبض على الوزير الخصبي وولايه على بن عيسى الوزارة	١٢٠.٢٤.٢
٢٦٥٣	سنة خمس عشره وثلاثمائة	١٢٠.٢٥

٢٦٥٤	سنة ست عشرة وثلاثمائة	١٢٠٢٦
٢٦٥٤	أخبار متفرقة	١٢٠٢٦.١
٢٦٥٤	ذكر القبض على علي بن عيسى الوزير وولايه محمد بن علي بن مقله الوزارة	١٢٠٢٦.٢
٢٦٥٥	ذكر الحوادث التي أحدثها القرامطة بمكة وغيرها	١٢٠٢٦.٣
٢٦٥٦	سنة سبع عشرة وثلاثمائة	١٢٠٢٧
٢٦٥٦	فيها ثار بالمقتدر بعض قواده،	١٢٠٢٧.١
٢٦٥٧	ذكر صرف المقتدر إلى الخلافة	١٢٠٢٧.٢
٢٦٥٨	أخبار متفرقة	١٢٠٢٧.٣
٢٦٥٩	سنة ثمان عشرة وثلاثمائة	١٢٠٢٨
٢٦٥٩	أخبار متفرقة	١٢٠٢٨.١
٢٦٥٩	ذكر الإيقاع بجند الرجاله ببغداد	١٢٠٢٨.٢
٢٦٦٠	كتاب علي بن مقله إلى القواد والعمال	١٢٠٢٨.٣
٢٦٦٠	ذكر صرف ابن مقله عن الوزارة وولايه ابن مخلد	١٢٠٢٨.٤
٢٦٦١	أخبار متفرقة	١٢٠٢٨.٥
٢٦٦٣	سنة تسع عشرة وثلاثمائة	١٢٠٢٩
٢٦٦٣	أخبار متفرقة	١٢٠٢٩.١
٢٦٦٤	ذكر القبض على سليمان بن الحسن الوزير وتقليد الكلواذي الوزارة	١٢٠٢٩.٢
٢٦٦٥	ذكر صرف الكلواذي عن الوزارة وتقليدها الحسين بن القاسم	١٢٠٢٩.٣
٢٦٦٥	أخبار متفرقة	١٢٠٢٩.٤
٢٦٦٦	سنة عشرين وثلاثمائة	١٢٠٣٠
٢٦٦٦	مخالفة مؤنس المظفر على المقتدر	١٢٠٣٠.١
٢٦٦٨	ذكر عزل الوزير الحسن بن القاسم وتقديم الفضل بن جعفر مكانه والتمنيث الاحوال ببغداد	١٢٠٣٠.٢
٢٦٦٩	ذكر مسير مؤنس إلى بغداد وقتل المقتدر	١٢٠٣٠.٣
٢٦٧٢	ذكر البيعه لمحمد القاهر بالله	١٢٠٣٠.٤
٢٦٧٣	تكملة تاريخ الطبري لمحمد بن عبد الملك الهمداني	١٢٠٣١
٢٦٧٣	مقدمة	١٢٠٣١.١
٢٦٧٥	خلافه المقتدر بالله	١٢٠٣١.٢
٢٦٧٥	سنة ست وتسعين ومائتين	١٢٠٣١.٣
٢٦٧٧	سنة سبع وتسعين ومائتين	١٢٠٣١.٤
٢٦٧٧	سنة ثمان وتسعين ومائتين	١٢٠٣١.٥
٢٦٧٨	سنة تسع وتسعين ومائتين	١٢٠٣١.٦
٢٦٧٩	سنة ثلاثمائة	١٢٠٣١.٧
٢٦٧٩	سنة احدى وثلاثمائة	١٢٠٣١.٨
٢٦٨٠	سنة اثنتين وثلاثمائة	١٢٠٣١.٩
٢٦٨١	سنة ثلاث وثلاثمائة	١٢٠٣١.١٠
٢٦٨١	سنة اربع وثلاثمائة	١٢٠٣١.١١
٢٦٨٢	سنة خمس وثلاثمائة	١٢٠٣١.١٢
٢٦٨٢	سنة ست وثلاثمائة	١٢٠٣١.١٣

٢٦٨٤	١٢٠٣١٠١٤ سنة سبع وثلاثمائة
٢٦٨٤	١٢٠٣١٠١٥ سنة ثمان وثلاثمائة
٢٦٨٤	١٢٠٣١٠١٦ سنة تسع وثلاثمائة
٢٦٨٧	١٢٠٣١٠١٧ سنة عشر وثلاثمائة
٢٦٨٨	١٢٠٣١٠١٨ سنة احدى عشره وثلاثمائة
٢٦٩٤	١٢٠٣١٠١٩ سنة اثنتى عشره وثلاثمائة
٢٦٩٦	١٢٠٣١٠٢٠ سنة ثلاث عشره وثلاثمائة
٢٦٩٧	١٢٠٣١٠٢١ سنة اربع عشره وثلاثمائة
٢٦٩٧	١٢٠٣١٠٢٢ سنة خمس عشره وثلاثمائة وزارة على بن عيسى الثانيه
٢٧٠٠	١٢٠٣١٠٢٣ سنة ست عشره وثلاثمائة
٢٧٠٠	١٢٠٣١٠٢٤ سنة سبع عشره وثلاثمائة
٢٧٠٣	١٢٠٣١٠٢٥ سنة ثمانى عشره وثلاثمائة
٢٧٠٨	١٢٠٣١٠٢٦ سنة احدى وعشرين وثلاثمائة
٢٧١٤	١٢٠٣١٠٢٧ سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة
٢٧١٧	١٢٠٣١٠٢٨ سنة اربع وعشرين وثلاثمائة
٢٧٢٠	١٢٠٣١٠٢٩ سنة خمس وعشرين وثلاثمائة
٢٧٢٤	١٢٠٣١٠٣٠ سنة ست وعشرين وثلاثمائة
٢٧٢٥	١٢٠٣١٠٣١ سنة سبع وعشرين وثلاثمائة
٢٧٢٧	١٢٠٣١٠٣٢ سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة
٢٧٢٨	١٢٠٣١٠٣٣ سنة تسع وعشرين وثلاثمائة
٢٧٣٢	١٢٠٣١٠٣٤ سنة ثلاثين وثلاثمائة
٢٧٣٤	١٢٠٣١٠٣٥ سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة
٢٧٣٦	١٢٠٣١٠٣٦ سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة
٢٧٣٩	١٢٠٣١٠٣٧ سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة
٢٧٤١	١٢٠٣١٠٣٨ سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة
٢٧٤٤	١٢٠٣١٠٣٩ سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة
٢٧٤٧	١٢٠٣١٠٤٠ سنة ست وثلاثين وثلاثمائة
٢٧٤٨	١٢٠٣١٠٤١ سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة
٢٧٤٨	١٢٠٣١٠٤٢ سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة
٢٧٤٩	١٢٠٣١٠٤٣ سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة
٢٧٥٠	١٢٠٣١٠٤٤ سنة اربعين وثلاثمائة
٢٧٥٠	١٢٠٣١٠٤٥ سنة احدى واربعين وثلاثمائة
٢٧٥١	١٢٠٣١٠٤٦ سنة اثنتين واربعين وثلاثمائة
٢٧٥٢	١٢٠٣١٠٤٧ سنة ثلاث واربعين وثلاثمائة
٢٧٥٢	١٢٠٣١٠٤٨ سنة اربع واربعين وثلاثمائة
٢٧٥٣	١٢٠٣١٠٤٩ سنة خمس واربعين وثلاثمائة
٢٧٥٣	١٢٠٣١٠٥٠ سنة ست واربعين وثلاثمائة
٢٧٥٣	١٢٠٣١٠٥١ سنة سبع واربعين وثلاثمائة

٢٧٥٥	١٢٠٣١٠٥٢ سنة ثمان واربعين وثلاثمائة
٢٧٥٧	١٢٠٣١٠٥٣ سنة تسع واربعين وثلاثمائة
٢٧٥٧	١٢٠٣١٠٥٤ سنة خمسين وثلاثمائة
٢٧٥٨	١٢٠٣١٠٥٥ سنة احدى وخمسين وثلاثمائة
٢٧٥٩	١٢٠٣١٠٥٦ سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة
٢٧٦١	١٢٠٣١٠٥٧ سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة
٢٧٦٢	١٢٠٣١٠٥٨ سنة اربع وخمسين وثلاثمائة
٢٧٦٢	١٢٠٣١٠٥٩ سنة خمس وخمسين وثلاثمائة
٢٧٦٤	١٢٠٣١٠٦٠ سنة ست وخمسين وثلاثمائة
٢٧٦٧	١٢٠٣١٠٦١ سنة سبع وخمسين وثلاثمائة
٢٧٦٨	١٢٠٣١٠٦٢ سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة
٢٧٦٩	١٢٠٣١٠٦٣ سنة تسع وخمسين وثلاثمائة
٢٧٧١	١٢٠٣١٠٦٤ سنة ستين وثلاثمائة
٢٧٧٣	١٢٠٣١٠٦٥ سنة احدى وستين وثلاثمائة
٢٧٧٣	١٢٠٣١٠٦٦ سنة اثنتين وستين وثلاثمائة
٢٧٧٥	١٢٠٣١٠٦٧ سنة ثلاث وستين وثلاثمائة
٢٧٧٦	١٢٠٣١٠٦٨ سنة اربع وستين وثلاثمائة
٢٧٨١	١٢٠٣١٠٦٩ سنة خمس وستين وثلاثمائة
٢٧٨٣	١٢٠٣١٠٧٠ سنة ست وستين وثلاثمائة
٢٧٨٧	١٢٠٣١٠٧١ سنة سبع وستين وثلاثمائة
٢٧٨٧	١٢٠٣٢ المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين تصنيف محمد بن جرير الطبري
٢٧٨٧	١٢٠٣٢٠١ القول في تاريخ وفات الصحابة والتابعين
٢٨١٢	١٢٠٣٢٠٢ القول في من عاش بعد رسول الله ص وروى من الصحابة والتابعين
	١٢٠٣٢٠٣ القول في تاريخ التابعين واخالفين والسلف الماضين من العلماء ونقله الآثار ذكر من هلك من التابعين سنة
٢٨٥٢	١٢٠٣٢٠٤ ثنتين وثلاثين
٢٨٧٢	١٢٠٣٢٠٤ يتلوه الأسماء والكنى من التاريخ

عن الكتاب

الكتاب: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري
المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)
(صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)
الناشر: دار التراث - بيروت
الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ
عدد الأجزاء: ١١
[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]

عن المؤلف

الطبري، أبو جعفر (٢٢٤-٣١٠ هـ ، ٨٣٩ - ٩٢٣ م).
أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب. إمام المفسرين. ولد بطبرستان، وبدأ في طلب العلم في السادسة عشرة من عمره، ثم رحل إلى بغداد واستقر فيها، بعد أن زار عدة بلدان.
أثنى العلماء على الطبري كثيراً، فقالوا: إنه ثقة عالم، أحد أئمة أهل السنة الكبار، يؤخذ بأقواله، ويرجع إليه لسعة علمه، وسلامة منهجه. ترك عدة مؤلفات نافعة أبرزها تفسيره الكبير جامع البيان عن تأويل آي القرآن المشهور بين الجمهور بتفسير الطبري. وهو أول تفسير كامل وصل إلينا، أفاد منه كل من جاء بعده، ولهذا عدّ العلماء الطبري أبا التفسير، كما عدوه أبا التاريخ؛ لأن له كتاباً كبيراً في التاريخ لم يؤلف مثله، إلا أنه لم يلتزم فيه بالتوثيق. وسماه تاريخ الأمم والملوك، وله أيضاً: تهذيب الآثار وغير ذلك.
توفي الطبري في بغداد.

نقلاً عن
الموسوعة العربية العالمية <http://www.mawsoah.net>

١ الجزء الأول

الجزء الأول
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الأول قبل كل أول، والآخر بعد كل آخر، والدائم بلا زوال، والقائم على كل شيء بغير انتقال، والخالق خلقه من غير اصل ولا مثال، فهو الفرد الواحد من غير عدد، وهو الباقي بعد كل أحد، إلى غير نهاية ولا أمد له الكبرياء والعظمة، والبهاء والعزة، والسلطان والقدرة، تعالى عن أن يكون له شريك في سلطانه او في وحدانيته نديد، أو في تديره معين أو ظهير، أو أن يكون له ولد، أو صاحبه أو كفاء أحد، لا تحيط به الأوهام، ولا تحويه الأقطار، ولا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير. أحمده على آلائه، وأشكره على نعمائه، حمد من أفرد به الحمد، وشكر من رجا بالشكر منه المزيد، وأستهديه من القول والعمل لما يقربني منه ويرضيه، وأومن به إيمان مخلص له التوحيد، ومفرد له التمجيد.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ النَّجِيبُ، وَرَسُولُهُ الْأَمِينُ، اصطفاه لرسالته، وابتعثه بوحيه، داعيا خلقه إلى عبادته، فصدع بأمره، وجاهد في سبيله، ونصح لأئمة، وعبدته حتى أتاه اليقين من عنده، غير مقصر في بلاغ، ولا وان في جهاد، صلى الله عليه أفضل صلاة وأزكاها، وسلم

أما بعد، فإن الله جل جلاله، وتقدست أسماؤه، خلق خلقه من غير ضرورة كانت به إلى خلقهم، وأنشأهم من غير حاجة كانت به إلى إنشائهم، بل خلق من خصه منهم بأمره ونهيه، وامتنحه بعبادته، ليعبدوه فيجود عليهم بنعمه، وليحمدوه على نعمه فيزيدهم من فضله ومننه، ويسبغ عليهم فضله وطوله، كما قال عز وجل: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ» .

فلم يزد خلقه إياهم - إذ خلقهم - في سلطانه على ما لم يزل قبل خلقه إياهم مثقال ذرة، ولا هو إن أفناهم واعدمهم ينقصه افناؤه إياهم ميزان شعره، لأنه لا يغيره الأحوال، ولا يدخله الملal، ولا ينقص سلطانه الأيام والليال، لأنه خالق الدهور والأزمان، فعم جميعهم في العاجل فضله وجوده، وشملهم كرمه وطوله، فجعل لهم أسماعا وأبصارا وأفئدة، وخصهم بعقول يصلون بها الى التمييز بين الحق والباطل، ويعرفون بها المنافع والمضار، وجعل لهم الأرض بساطا ليسلكوا منها سبلا فجاجا، والسماء سقفا محفوظا، وبناء مسموكا، وأنزل لهم منها الغيث بالإدرار، والأرزاق بالمقدار، وأجرى لهم فيها قر الليل وشمس النهار يتعاقبان بمصالحهم دائبين، فجعل لهم الليل لباسا، والنهار معاشا، وخالف - منّا منه عليهم وتطولا - بين قر الليل وشمس النهار، فحأ آية الليل وجعل آية النهار مبصرة، كما قال جل جلاله وتقدست أسماؤه: «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانُهُ تَفْصِيلًا» .

وليصلوا بذلك إلى العلم بأوقات فروضهم التي فرضها عليهم في ساعات الليل والنهار والشهور والسنين، من الصلوات والزكوات والحج والصيام وغير ذلك من فروضهم، وحين حل ديونهم وحقوقهم، كما قال عز وجل: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ» ، وقال: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ» .

إنعاما منه بكل ذلك على خلقه، وتفضلا منه به عليهم وتطولا، فشكره على نعمه التي أنعمها عليهم من خلقه خلق عظيم، فزاد كثيرا منهم من آلائه وأياديه، على ما ابتدأهم به من فضله وطوله، كما وعدهم جل جلاله بقوله: «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» ، وجمع لهم الى الزيادة التي زادهم في عاجل دنياهم، الفوز بالنعيم المقيم، والخلود في جنات النعيم، في آجل

آخرتهم وأخر لكثير منهم الزيادة التي وعدهم فدهم الى حين مصيرهم اليه ووقت قدومهم عليه، توفيرا منه كرامته عليهم يوم تبلى السرائر وكفر نعمه خلق منهم عظيم، فجحدوا آلاءه وعبدوا سواه، فسلب كثيرا منهم ما ابتدأهم به من الفضل والإحسان، وأحل بهم النعمة المهلكة في العاجل، وذخر لهم العقوبة المخزية في الآجل، ومتع كثيرا منهم بنعمه ايام حياتهم استدراجا منه لهم، وتوفيرا منه عليهم أوزارهم، ليستحقوا من عقوبته في الآجل ما قد أعد لهم.

نعوذ بالله من عمل يقرب من سخطه، ونسأله التوفيق لما يدين من رضاه ومحبته.

قال أبو جعفر: وأنا ذاكر في كتابي هذا من ملوك كل زمان، من لدن ابتداء ربنا جل جلاله خلق خلقه إلى حال فنائهم، من انتهى إلينا خبره ممن ابتدأه الله تعالى بآلائه ونعمه فشكر نعمه، من رسول له مرسل، أو ملك مسلط، أو خليفة مستخلف، فزاده إلى ما ابتدأه به من نعمه في العاجل نعماء، وإلى ما تفضل به عليه فضلا، ومن آخر ذلك له منهم، وجعله له عنده ذخرا ومن كفر منهم نعمه فسلبه ما ابتدأه به من نعمه، وعجل له نقمه ومن كفر منهم نعمه ففتته بما أنعم به عليه إلى حين وفاته وهلاكه، مقرونا ذكر كل من أنا ذاكره منهم في كتابي هذا بذكر زمانه، وجمل ما كان من حوادث الأمور في عصره وأيامه، إذ كان الاستقصاء في ذلك يقصر عنه العمر، وتطول به الكتب، مع ذكرني مع ذلك مبلغ مدة أكله، وحين أجله، بعد تقديمي أمام ذلك ما تقديمه بنا أولى، والابتداء به قبله أحجى، من البيان عن الزمان: ما هو؟ وكَم قدر جميعه، وابتداء أوله، وانتهاء آخره؟ وهل كان قبل خلق الله تعالى إياه شيء غيره؟ وهل هو فان؟ وهل بعد فئائه شيء غير وجه المسيح الخلاق، تعالى ذكره؟

وما الذي كان قبل خلق الله إياه؟ وما هو كائن بعد فئائه وانقضائه؟ وكيف

كان ابتداء خلق الله تعالى إياه؟ وكيف يكون فناؤه؟ والدلالة على أن لا قديم إلا الله الواحد القهار، الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى بوجيز من الدلالة غير طويل، إذ لم نقصد بكتابنا هذا قصد الاحتجاج لذلك، بل لما ذكرنا من تاريخ الملوك الماضين وجمل من أخبارهم، وأزمان الرسل والأنبياء ومقادير أعمارهم، وأيام الخلفاء السالفين وبعض سيرهم، ومبالغ ولاياتهم، والكائن الذي كان من الأحداث في أعصارهم ثم أنا متبع آخر ذلك كله - إن شاء الله وأيد منه بعون وقوة - ذكر صحابه نبينا محمد ص وأسمائهم وكناهم ومبالغ أنسابهم ومبالغ أعمارهم، ووقت وفاة كل إنسان منهم، والموضع الذي كانت به وفاته ثم متبعهم ذكر من كان بعدهم من التابعين لهم بإحسان، على نحو ما شرطنا من ذكرهم ثم ملحق بهم ذكر من كان بعدهم من الخلف لهم كذلك، وزائد في أمورهم للإبانة عن حداثتهم روايته، وتقبلت أخباره، ومن رفضت منهم روايته ونبتت أخباره، ومن وهن منهم نقله، وضعف خبره وما السبب الذي من أجله نبذ من نبذ منهم خبره، والعلة التي من أجلها وهن من وهن منهم نقله.

وإلى الله عز وجل أنا راغب في العون على ما أقصده وأتو به، والتوفيق لما ألتسمه وأبغيه، فإنه ولي الحول والقوة، وصلى الله على محمد نبيه وآله وسلم تسليما.

وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه، إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى روايتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول، واستنبط بفكر النفوس، إلا اليسير القليل منه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحداثين، غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم، إلا بأخبار المخبرين، ونقل الناقلين، دون الاستخراج بالعقول، والاستنباط بفكر النفوس فإيكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشعنه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهها في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم انه لم يثبت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقله إلينا، وإنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا

١٠١ القول في الزمان ما هو

القول في الزمان ما هو

قال ابو جعفر: فالزمان هو ساعات الليل والنهار، وقد يقال ذلك للطويل من المدة والقصير منها، والعرب تقول: أيتك زمان الحجاج

أمير، وزمن الحجاج أمير- تعني به: إذ الحجاج أمير وتقول: أتيتك زمان الصرام وزمن الصرام- تعني به وقت الصرام ويقولون أيضا: أتيتك أزمان الحجاج أمير، فيجمعون الزمان، يريدون بذلك أن يجعلوا كل وقت من أوقات إمارته زمانا من الأزمنة، كما قال الراجز:
جاء الشتاء وقيصي أخلاق ... شراذم يضحك منه التواق
فجعل القميص أخلاقا، يريد بذلك وصف كل قطعة منه بالإخلاق، كما يقولون: أرض سبابس، ونحو ذلك.
ومن قولهم للزمان: زمن قول أعشى بني قيس بن ثعلبة:
وكنتم أمرا زمنا بالعراق ... عفيف المناخ طويل التغن
يريد بقوله: زمنا زمانا، فالزمان اسم لما ذكرت من ساعات الليل والنهار على ما قد بينت ووصفت

١٠١٠١ القول في كم قدر جميع الزمان من ابتدائه إلى انتهائه وأوله إلى آخره

القول في كم قدر جميع الزمان من ابتدائه إلى انتهائه وأوله إلى آخره
اختلف السلف قبلنا من أهل العلم في ذلك، فقال بعضهم: قدر جميع ذلك سبعة آلاف سنة.
ذكر من قال ذلك:
حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا يحيى بن يعقوب، عن حماد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: الدنيا جمعة من جمع الآخرة، سبعة آلاف سنة، فقد مضى ستة آلاف سنة ومائتا سنة، وليأتين عليا مئتان من سنين، ليس عليا موحداً.
وقال آخرون: قدر جميع ذلك ستة آلاف سنة.
ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو هشام، قال: حدثنا معاوية بن هشام، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي صالح، قال: قال كعب: الدنيا ستة آلاف سنة.
حدثنا محمد بن سهل بن عسكر، قال: حدثنا اسمعيل بن عبد الكريم، قال: حدثني عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهبا يقول: قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمائه سنة، واني لأعرف كل زمان منها، ما كان فيه من الملوك والأنبياء قلت لوهب بن منبه: كم الدنيا؟
قال: ستة آلاف سنة

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك ما دل على صحته الخبر الوارد عن رسول الله ص، وذلك ما حدثنا به محمد بن بشير وعلي بن سهل، قالا: حدثنا مؤمل، قال: حدثنا سفيان، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، قال: [سمعت رسول الله ص يقول: أجلكم في أجل من كان قبلكم، من صلاة العصر إلى مغرب الشمس].
حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر، قال: [سمعت النبي ص يقول: ألا إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم، كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس].

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: حدثني عمار بن محمد، ابن أخت سفيان الثوري، أبو اليقظان، عن ليث بن أبي سليم، عن مغيرة بن حكيم، عن عبد الله بن عمر، قال: [قال رسول الله ص: ما بقي لأمتي من الدنيا إلا كمقدار الشمس إذا صليت العصر].
حدثني محمد بن عوف، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا شريك، قال: سمعت سلمة بن كهيل، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: [كنا جلوساً عند النبي ص والشمس مرتفعة على قيعقاع بعد العصر، فقال:
ما أعماركم في أعمار من مضى إلا كما بقي من هذا النهار فيما مضى منه].

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى - قَالَ ابْنُ بَشَّارٍ: حَدَّثَنِي خَلْفُ ابْنِ مُوسَى، وَقَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: حَدَّثَنَا خَلْفُ بْنُ مُوسَى - قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص خَطَبَ أَصْحَابَهُ يَوْمًا - وَقَدْ كَادَتِ الشَّمْسُ أَنْ تَغِيبَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا شِقٌّ يَسِيرٌ - [فَقَالَ: وَالَّذِي

نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا بَقِيَ مِنْ دُنْيَاكُمْ فِيمَا مَضَى مِنْهَا إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ، وَمَا تَرَوْنَ مِنَ الشَّمْسِ إِلَّا الْيَسِيرَ] .
حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: [قَالَ النَّبِيُّ ص عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ: إِنَّمَا مَثَلُ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا كَبَقِيَّةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ] .

حَدَّثَنَا هَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ وَأَبُو هِشَامٍ الرَّفَاعِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عِيَّاشٍ، عَنْ أَبِي حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: بَعَثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ] .

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَبِي حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ بِخَوِّهِ .
حَدَّثَنَا هَنَادُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْوَالِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: بَعَثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ] .

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَثَامُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْوَالِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: [قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى إِبْصَعِي رَسُولِ اللَّهِ ص - وَأَشَارَ بِالْمُسْحَاةِ وَالَّتِي تَلِيهَا - وَهُوَ يَقُولُ:

بَعَثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ] .
حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ وَاصِلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا فطر، عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْوَالِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص:

بَعَثْتُ مِنَ السَّاعَةِ كَهَاتَيْنِ] - وَجَمَعَ بَيْنَ إِبْصَعِيهِ السَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى
حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ يُحَدِّثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: بَعَثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ] قَالَ شُعْبَةُ:

سَمِعْتُ قَتَادَةَ يَقُولُ فِي قَصَصِهِ: كَفَضِلَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، قَالَ: لَا أَدْرِي أَذَكَرَهُ عَنْ أَنَسٍ أَوْ قَالَ قَتَادَةَ.
حَدَّثَنَا خَلَادُ بْنُ أَسْلَمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ، قَالَ:

حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: بَعَثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ] .
حَدَّثَنَا مُجَاهِدُ بْنُ مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ص مِثْلَهُ، وَزَادَ فِي حَدِيثِهِ: وَأَشَارَ بِالْوَسْطَى وَالسَّبَابَةِ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ سُؤَيْدٍ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَدِمَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ: مَاذَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ص يَذْكُرُ بِهِ السَّاعَةَ؟ قَالَ: [سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: أَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ]، وَأَشَارَ بِإِبْصَعِيهِ.

حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَدِمَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ: مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص يَذْكُرُ بِهِ السَّاعَةَ؟ [قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: أَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ كَتَيْنِ] .

حَدَّثَنِي ابْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْبَرْقِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ أَبِي سَلَمَةَ،

عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَدِمَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَبَّدٌ، حَدَّثَ أَنَسُ، [عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص أَنَّهُ قَالَ: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ]، وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ: هَكَذَا.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ] السَّبَّابَةُ وَالْوُسْطَى قَالَ أَبُو مُوسَى: وَأَشَارَ وَهْبٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي زِيَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، قَالَ:

حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ وَقَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ]، وَقَرَنَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ. حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَزِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضِيلُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو حَازِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: [رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ بِإِصْبَعَيْهِ هَكَذَا، الْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ].

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْأَدْمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو ضَمْرَةَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ [سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ: بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ - وَضَمَّ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ الْوُسْطَى، وَالَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ - وَقَالَ: مَا مِثْلِي وَمِثْلُ السَّاعَةِ إِلَّا كَفَرَسِي رَهَانٍ، ثُمَّ قَالَ: مَا مِثْلِي وَمِثْلُ السَّاعَةِ إِلَّا كَمِثْلِ رَجُلٍ بَعَثَهُ قَوْمٌ طَلِيعَةً، فَلَمَّا خَشِيَ أَنْ يُسْبَقَ الْأَحَ بَثْوَيْهِ: أُتِيتُمْ، أُتِيتُمْ، أَنَا ذَاكَ أَنَا ذَاكَ].

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ]، وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا]، وَقَرَنَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ: الْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ.

حَدَّثَنِي ابْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْبَرْقِيُّ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ]، وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ.

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ، عَنْ إِشِيرِ بْنِ الْمُهَاجِرِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَرِيدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: [سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ جَمِيعًا، إِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقَنِي].

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ هِيَاجٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَيْدَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ، عَنْ مُجَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَادٍ الْفَهْرِيِّ، [عَنِ النَّبِيِّ ص أَنَّهُ قَالَ: بُعِثْتُ فِي نَفْسِ السَّاعَةِ، سَبَقْتُهَا كَمَا سَبَقْتُ هَذِهِ هَذِهِ]، لِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَوَصَفَ لَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَجَمَعَهُمَا.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَبِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ، قَالَ:

حَدَّثَنَا الْمُسْعُوْدِيُّ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، عَنْ أَبِي جَبْرِ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: بُعِثْتُ مَعَ السَّاعَةِ كَهَاتَيْنِ، - وَأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ الْوُسْطَى وَالسَّبَّابَةَ - كَفَضْلٍ هَذِهِ عَلَى هَذِهِ].

حَدَّثَنَا تَمِيمُ بْنُ الْمُنْتَصِرِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ شَيْبِلِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِي جَبْرِ، عَنْ أَشْيَاحٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالُوا: [سَمِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: جِئْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا] - قَالَ الطَّبْرِيُّ: وَأَرَانَا تَمِيمٌ، وَضَمَّ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى وَقَالَ لَنَا: أَشَارَ يَزِيدُ بِإِصْبَعَيْهِ

السَّابَّةِ وَالْوَسْطَى وَضَمَّهُمَا- [وَقَالَ: سَبَقَتْهَا كَمَا سَبَقَتْ هَذِهِ هَذِهِ فِي نَفْسٍ مِنَ السَّاعَةِ، أَوْ فِي نَفْسِ السَّاعَةِ] .

فمعلوم إذ كان اليوم أوله طلوع الفجر وآخره غروب الشمس، وكان صحيحا عن نبينا ص، ما رويناه عنه قبل، أنه قال بعد ما صلى العصر: ما بقي من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه.

وأنه قال لأصحابه: بعثت أنا والساعة كهاتين- وجمع بين السبابة والوسطى- سبقتها بقدر هذه من هذه، يعني الوسطى من السبابة وكان قدر ما بين اوسط اوقات صلاه العصر- وذلك إذا صار ظل كل شيء مثليه- على التحري إنما يكون قدر نصف سبع اليوم، يزيد قليلا أو ينقص قليلا، وكذلك فضل ما بين الوسطى والسبابة، إنما يكون نحوا من ذلك وقريبا منه.

وكان صحيحا مع ذلك عن رسول الله ص ما حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: حدثني عمي عبد الله بن وهب، قال: حدثني معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه جبير بن نفير، أنه سمع أبا ثعلبة الخشني صاحب النبي ص يقول: [ان رسول الله ص قال: لَنْ يُعْجِزَ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ مِنْ نِصْفِ يَوْمٍ،] وكان معنى قول النبي ذلك أن لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم الذي مقداره ألف سنة- كان بينا أن أولى القولين- اللذين ذكرت في مبلغ قدر مدة جميع الزمان، اللذين أحدهما عن ابن عباس، والآخر منهما عن كعب- بالصواب، وأشبههما بما دلت عليه الأخبار الواردة عن رسول الله ص قول ابن عباس، الذي رويناه عنه أنه قال: الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة

وإذ كان ذلك كذلك، وكان الخبر عن رسول الله ص صحيحا أنه أخبر عن الباقي من ذلك في حياته انه نصف يوم، وذلك خمسمائة عام، إذ كان ذلك نصف يوم من الأيام التي قدر اليوم الواحد منها ألف عام- كان معلوما أن الماضي من الدنيا الى وقت قول النبي ص ما رويناه عن أبي ثعلبة الخشني عنه، كان قدر ستة آلاف سنة وخمسمائة سنة، أو نحوا من ذلك وقريبا منه والله أعلم. فهذا الذي قلنا- في قدر مدة أزمان الدنيا، من مبدأ أولها إلى منتهى آخرها- من أثبت ما قيل في ذلك عندنا من القول، للشواهد الدالة التي بينها على صحة ذلك.

وقد روي عن رسول الله ص خبر يدل على صحة قول من قال: إن الدنيا كلها ستة آلاف سنة، لو كان صحيحا سند له لم نعد القول به إلى غيره، وذلك ما حدثني به محمد بن سنان القزاز، قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثنا زبانه، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، ان [رسول الله ص قال: الْحَقُّبُ ثَمَانُونَ عَامًا، الْيَوْمُ مِنْهَا سُدُسُ الدُّنْيَا] .

فبين في هذا الخبر أن الدنيا كلها ستة آلاف سنة، وذلك أن اليوم الذي هو من أيام الآخرة إذا كان مقداره ألف سنة من سني الدنيا، وكان اليوم الواحد من ذلك سدس الدنيا، كان معلوما بذلك أن جميعها ستة أيام من أيام الآخرة، وذلك ستة آلاف سنة.

وقد زعم اليهود أن جميع ما ثبت عندهم- على ما في التوراة مما هو فيها من لدن خلق الله آدم إلى وقت الهجرة، وذلك في التوراة التي هي في أيديهم اليوم- اربعة آلاف سنة وستمائه سنة واثنان وأربعون سنة، وقد ذكروا تفصيل ذلك بولادة رجل رجل، ونبي نبي، وموته من عهد آدم إلى هجرة نبينا محمد ص

وسأذكر تفصيلهم ذلك إن شاء الله، وتفصيل غيرهم ممن فصله من علماء أهل الكتب وغيرهم من أهل العلم بالسير وأخبار الناس إذا انتهيت إليه إن شاء الله.

وأما اليونانية من النصارى فإنها تزعم أن الذي ادعته اليهود من ذلك باطل، وأن الصحيح من القول في قدر مدة أيام الدنيا- من لدن خلق الله آدم إلى وقت هجره نبينا محمد ص على سياق ما عندهم في التوراة التي هي في أيديهم- خمسة آلاف سنة وتسعمائة سنة واثنان وتسعون سنة وأشهر وذكروا تفصيل ما ادعوه من ذلك بولادة نبي نبي، وملك ملك، ووفاته من عهد آدم إلى وقت هجره رسول الله ص، وزعموا أن اليهود إنما نقصوا ما نقصوا من عدد سني ما بين تاريخهم وتاريخ النصارى دفعا منهم لنبوه عيسى بن مريم ع إذ كانت صفته ووقت مبعثه مثبتة في التوراة وقالوا: لم يأت الوقت الذي وقت لنا في التوراة أن الذي صفته صفة عيسى يكون فيه، وهم ينتظرون- بزعمهم- خروجه ووقته.

واحسب أن الذي ينتظرونه ويدعون أن صفته في التوراة مثبتة، هو الدجال الذي وصفه رسول الله ص لأمته، وذكر لهم أن عامة أتباعه اليهود، فإن كان ذلك هو عبد الله بن صياد، فهو من نسل اليهود. وأما المجوس فإنهم يزعمون أن قدر مدة الزمان من لدن ملك جيومرت إلى وقت هجرة نبينا ص ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وتسع وثلاثون سنة، وهم لا يذكرون مع ذلك نسباً يعرف فوق جيومرت، ويزعمون أنه آدم أبو البشر، ص وعلى جميع أنبياء الله ورسوله. ثم أهل الأخبار بعد في أمره مختلفون، فمن قائل منهم فيه مثل قول المجوس، ومن قائل منهم إنه تسمى بآدم بعد أن ملك الأقاليم السبعة، وأنه إنما هو جامر بن يافث ابن نوح، كان بنوح ع برا وخدمته ملازماً، وعليه حدبا شقيقاً، فدعا الله له ولذريته نوح - لذلك من بره به وخدمته له - بطول العمر، والتمكين في البلاد، والنصر على من ناوأه وإياهم، واتصال الملك له ولذريته، ودوامه له ولهم، فاستجيب له فيه، فأعطى جيومرت ذلك وولده، فهو أبو الفراس، ولم يزل الملك فيه وفي ولده إلى أن زال عنهم بدخول المسلمين مدائن كسرى، وغلبة أهل الإسلام إياهم على ملكهم. ومن قائل غير ذلك، وسنذكر إن شاء الله ما انتهى إلينا من القول فيه إذا انتهينا إلى ذكرنا تاريخ الملوك ومبالغ أعمارهم، وأنسابهم وأسباب ملكهم

١٠١٢ القول في الدلالة على حدوث الأوقات والأزمان والليل والنهار

القول في الدلالة على حدوث الأوقات والأزمان والليل والنهار
قد قلنا قبل إن الزمان إنما هو اسم لساعات الليل والنهار، وساعات الليل والنهار إنما هي مقادير من جري الشمس والقمر في الفلك، كما قال الله عز وجل:

«وَايَةُ لَهُمُ اللَّيْلُ تُسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارُ فَإِذَا هُم مُّظْلَمُونَ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» .

فإذا كان الزمان ما ذكرنا من ساعات الليل والنهار، وكانت ساعات الليل والنهار إنما هي قطع الشمس والقمر درجات الفلك، كان يبين معلوماً أن الزمان محدث والليل والنهار محدثان، وإن محدث ذلك الله الذي تفرد بإحداث جميع خلقه، كما قال: «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» .

ومن جهل حدوث ذلك من خلق الله فإنه لن يجهل اختلاف أحوال الليل والنهار، بأن أحدهما يرد على الخلق - وهو الليل - بسواد وظلمة، وأن الآخر منهما يرد عليهم بنور وضياء، ونسخ لسواد الليل وظلمته، وهو النهار.

فإذا كان ذلك كذلك، وكان من المحال اجتماعهما مع اختلاف أحوالهما في وقت واحد في جزء واحد - كان معلوماً يقيناً أنه لا بد من أن يكون أحدهما كان قبل الآخر منهما، وأيهما كان منهما قبل صاحبه فإن الآخر منهما كان لا شك بعده، وذلك إبانة ودليل على حدوثهما، وأنهما خلقان لخالقهما.

ومن الدلالة أيضاً على حدوث الأيام والليالي أنه لا يوم إلا وهو بعد يوم كان قبله، وقبل يوم كائن بعده، فمعلوم أن ما لم يكن ثم كان، أنه محدث مخلوق، وأن له خالقه ومحدثاً.

وأخرى، أن الأيام والليالي معدودة، وما عد من الأشياء فغير خارج من أحد العددين: شفع أو وتر، فإن يكن شفعا فإن أولها اثنان، وذلك تصحيح القول بأن لها ابتداء وأولاً، وإن كان وترا فإن أولها واحد، وذلك دليل على أن لها ابتداء وأولاً، وما كان له ابتداء فإنه لا بد له من مبتدئ، هو خالقه

القول في هل كان الله عز وجل خلق قبل خلقه الزمان والليل والنهار شيئاً غير ذلك من الخلق قد قلنا قبل: إن الزمان إنما هو ساعات الليل والنهار، وإن الساعات إنما هي قطع الشمس والقمر درجات الفلك.

فإذا كان ذلك كذلك، وكان صحيحاً عن رسول الله ص ما حدثنا هناد بن السري، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي سعيد

البَقَالِ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - قَالَ هُنَاد: وَقرات سائر الحديث على ابى بكر- ان اليهود أتت النبي ص فَسَأَلَتْهُ عَنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَقَالَ: خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْأَحَدِ وَالْاِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْجِبَالَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَمَا فِيهِنَّ مِنْ مَنَافِعَ، وَخَلَقَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ الشَّجَرِ وَالْمَاءَ وَالْمَدَائِنَ وَالْعِمْرَانَ وَالْخُرَابَ، فَهَذِهِ أَرْبَعُهُ، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَرْضِ» ، لَمَنْ سَأَلَ قَالَ: وَخَلَقَ يَوْمَ الْخَمِيسِ السَّمَاءَ، وَخَلَقَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ النُّجُومَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْمَلَائِكَةَ، إِلَى ثَلَاثِ سَاعَاتٍ بَقِيَتْ مِنْهُ، فَخَلَقَ فِي أَوَّلِ سَاعَةٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ السَّاعَاتِ الْآجَالَ مَنْ يَحْيَا وَمَنْ يَمُوتُ، وَفِي الثَّانِيَةِ أَلْقَى الْآفَةَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ، وَفِي الثَّلَاثَةِ آدَمَ وَأَسْكَنَهُ الْجَنَّةَ، وَأَمَرَ إِبْلِيسَ بِالسُّجُودِ لَهُ

وَأَخْرَجَهُ مِنْهَا فِي آخِرِ سَاعَةٍ ثُمَّ قَالَتْ الْيَهُودُ: ثُمَّ مَاذَا يَا مُحَمَّدٌ؟ قَالَ: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، قَالُوا: قَدْ أَصَبْتَ لَوْ اتَّمَمْتَ: قَالُوا: ثُمَّ اسْتَراح، فغضب النبي ص غضبا شديدا، فنزل: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ» .

حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ بَشْرٍ بْنُ مَعْرُوفٍ وَالحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّدَائِي، قَالَا: حَدَّثَنَا حُجَّاجٌ، قَالَ: قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أُمِيَّةَ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعٍ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: [أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَدَيَّ فَقَالَ: خَلَقَ اللَّهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، آخِرَ خَلْقٍ خُلِقَ، فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ، فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَزِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضِيلُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، قَالَ:

أَخْبَرَنِي ابْنُ سَلَامٍ وَأَبُو هُرَيْرَةَ، فَذَكَرَا عَنِ النَّبِيِّ ص السَّاعَةَ الَّتِي فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَذَكَرَا أَنَّهُ قَالَهَا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: أَنَا أَعْلَمُ أَيَّ سَاعَةٍ هِيَ، بَدَأَ اللَّهُ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَفَرَّغَ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَهِيَ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ. حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُجَّاجُ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ عِكْرَمَةَ: [ان اليهود قالوا للنبي ص: ما يوم الأحد؟ فقال رسول

الله ص: خلق الله فيه الارض وبسطها، قالوا: فلاثنين؟ قال: خلق الله فيه آدم، قالوا: فالثلاثاء؟ قال: خلق فيه الجبال والماء وكذا وكذا وما شاء الله، قالوا: فيوم الأربعاء؟ قال: الأقوات، قالوا: فيوم الخميس؟ قال: خلق السموات، قالوا: فيوم الجمعة؟ قال: خلق الله في ساعتين الليل والنهار، ثم قالوا:

السَّبْتُ - وَذَكَرُوا الرَّاحَةَ - قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! فَانْزَلَ اللَّهُ: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ» .

فقد بين هذان الخبران اللذان رويناها عن رسول الله ص أن الشمس والقمر خلقا بعد خلق الله أشياء كثيرة من خلقه، وذلك أن حديث ابن عباس عن رسول الله ص ورد بأن الله خلق الشمس والقمر يوم الجمعة فإن كان ذلك كذلك، فقد كانت الأرض والسماء وما فيهما- سوى الملائكة وآدم- مخلوقة قبل خلق الله الشمس والقمر، وكان ذلك كله ولا ليل ولا نهار، إذ كان الليل والنهار إنما هو اسم لساعات معلومة من قطع الشمس والقمر درج الفلك.

وإذا كان صحيحا أن الأرض والسماء وما فيهما، سوى ما ذكرنا، قد كانت ولا شمس ولا قمر- كان معلوما أن ذلك كله كان ولا ليل ولا نهار.

وكذلك حديث ابى هريرة عن [رسول الله ص، لأنه أخبر عنه أنه قال: خلق الله النور يوم الأربعاء،] يعني بالنور الشمس إن شاء الله.

فإن قال لنا قائل: قد زعمت أن اليوم إنما هو اسم لميقات ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ثم زعمت الآن أن الله خلق الشمس والقمر بعد أيام من أول ابتدائه خلق الأشياء التي خلقها، فأثبت مواقيت، وسميتها بالأيام، ولا شمس ولا قمر، وهذا إن لم تأت ببرهان على صحته، فهو كلام ينقض بعضه بعضاً!

قيل: إن الله سمي ما ذكرته أياماً، فسميته بالاسم الذي سماه به، وكان وجه تسميته ذلك أياماً، ولا شمس ولا قمر، نظير قوله عز وجل: «وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا» ولا بكرة ولا عشي هنالك، إذ كان لا ليل في الآخرة ولا شمس ولا قمر، كما قال جل وعز: «وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ» .

فسمى تعالى ذكره يوم القيامة يوماً عقيماً، إذ كان يوماً لا ليل بعد مجيئه، وإنما أريد بتسمية ما سمي أياماً قبل خلق الشمس والقمر قدر مدة ألف عام من أعوام الدنيا، التي العام منها اثنا عشر شهراً من شهور أهل الدنيا، التي تعد ساعاتها وأيامها بقطع الشمس والقمر درج الفلك، كما سمي بكرة وعشيا لما يزرقه أهل الجنة في قدر المدة التي كانوا يعرفون ذلك من الزمان في الدنيا بالشمس ومجراها في الفلك، ولا شمس عندهم ولا ليل وبخو الذي قلنا في ذلك قال السلف من أهل العلم.

ذكر بعض من حضرنا ذكره ممن قال ذلك:

حدثني القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني الحجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد أنه قال: يقضي الله عز وجل أمر كل شيء ألف سنة إلى الملائكة، ثم كذلك حتى يمضي ألف سنة، ثم يقضي أمر كل شيء ألفاً، ثم كذلك أبداً، قال: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ» قال: اليوم أن يقول لما يقضي إلى الملائكة ألف سنة: كن فيكون، ولكن سماه يوماً، سماه كما شاء كل ذلك عن مجاهد، قال: وقوله تعالى: «وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ» قال: هو هو سواء.

وبخو الذي ورد عن رسول الله ص من الخبر، بأن الله جل جلاله خلق الشمس والقمر بعد خلقه السموات والأرض وأشياء غير ذلك، ورد الخبر عن جماعة من السلف أنهم قالوه.
ذكر الخبر عمن قال ذلك منهم:

حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا ابن يمان، حدثنا سُفْيَانُ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اثْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» .
قال: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْسَّمَوَاتِ: أَطْلِعِي شَمْسِي وَقُرَى، وَأَطْلِعِي نَجُومِي.
وَقَالَ لِلْأَرْضِ: شَقِّقِي أَنفَارَكَ، وَأَخْرِجِي ثِمَارَكَ، فَقَالَتَا: أَتَيْنَا طَائِعِينَ.
حدثنا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ: قَالَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ، قَالَ: حدثنا سعيد، عن قتادة: «وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا» ، خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وصلاحتها.
فقد بينت هذه الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله ص وعمن ذكرناها عنه أن الله عز وجل خلق السموات والأرض قبل خلقه الزمان والأيام والليالي، وقبل الشمس والقمر والله أعلم

١٠١٠٣ القول في الإبانة عن فناء الزمان والليل والنهار وإن لا شيء يبقى غير الله تعالى ذكره

القول في الإبانة عن فناء الزمان والليل والنهار وأن لا شيء يبقى غير الله تعالى ذكره
والدلالة على صحة ذلك قول الله تعالى ذكره: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» ، وقوله تعالى: «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» فإن كان كل شيء هالك غير وجهه - كما قال جل وعز - وكان الليل والنهار ظلمة أو نورا خلقهما لمصالح

خلقه، فلا شك انهما فانيان هالكان، كما اخبر، وكما قال: «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» يعني بذلك أنها عميت فذهب ضوءها، وذلك عند قيام الساعة، وهذا ما لا يحتاج إلى الإثثار فيه، إذ كان مما يدين بالإقرار به جميع أهل التوحيد من أهل الإسلام وأهل التوراة والإنجيل والمجوس، وإنما ينكره قوم من غير أهل التوحيد، لم نقصد بهذا الكتاب قصد الإبانة عن خطأ قولهم فكل الذين ذكرنا عنهم أنهم مقرون بفناء جميع العالم حتى لا يبقى غير القديم الواحد، مقرون بأن الله عز وجل محيهم بعد فنائهم، وباعثهم بعد هلاكهم، خلا قوم من عبدة الأوثان، فإنهم يقرون بالفناء، وينكرون البعث

القول في الدلالة على أن الله عز وجل القديم الأول قبل شيء وأنه هو المحدث كل شيء بقدرته تعالى ذكره فمن الدلالة على ذلك أنه لا شيء في العالم مشاهد إلا جسم أو قائم بجسم، وأنه لا جسم إلا مفترق أو مجتمع، وأنه لا مفترق منه إلا وهو موهوم فيه الائتلاف إلى غيره من أشكاله، ولا مجتمع منه إلا وهو موهوم فيه الاقتراق، وأنه متى عدم أحدهما عدم الآخر معه، وأنه إذا اجتمع الجزءان منه بعد الاقتراق، فمعلوم أن اجتماعهما حادث فيهما بعد أن لم يكن، وأن الاقتراق إذا حدث فيهما بعد الاجتماع، فمعلوم أن الاقتراق فيهما حادث بعد أن لم يكن.

وإذا كان الأمر فيما في العالم من شيء كذلك، وكان حكم ما لم يشاهد وما هو من جنس ما شاهدنا في معنى جسم أو قائم بجسم، وكان ما لم يخل من الحدث لا شك أنه محدث بتأليف مؤلف له إن كان مجتمعاً، وتفريق مفرق له إن كان مفترقاً وكان معلوماً بذلك أن جامع ذلك إن كان مجتمعاً، ومفرقه إن كان مفترقاً من لا يشبهه، ومن لا يجوز عليه الاجتماع والاقتراق، وهو الواحد القادر الجامع بين المختلفات، الذي لا يشبه شيء، وهو على كل شيء قدير- فبين بما وصفنا أن باري الأشياء ومحدثها كان قبل كل شيء، وأن الليل والنهار والزمان والساعات محدثات، وأن محدثها الذي يدبرها ويصرفها قبلها، إذ كان من المحال أن يكون شيء يحدث شيئاً إلا ومحدثه قبله، وأن في قوله تعالى ذكره:

«أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ» ، لا بلغ الحجج،

وأدل الدلائل- لمن فكر بعقل، واعتبر بفهم- على قدم بارتها، وحدوث كل ما جانسها، وأن لها خالقا لا يشبهها. وذلك أن كل ما ذكر ربنا تبارك وتعالى في هذه الآية من الجبال والأرض والإبل فإن ابن آدم يعالجه ويدبره بتحويل وتصريف وحفر ونحت وهدم، غير متمتع عليه شيء من ذلك ثم إن ابن آدم مع ذلك غير قادر على إيجاد شيء من ذلك من غير أصل، فمعلوم أن العاجز عن إيجاد ذلك لم يحدث نفسه، وأن الذي هو غير متمتع ممن أراد تصريفه وتقليبه لم يوجده من هو مثله، ولا هو أوجد نفسه، وأن الذي أنشأه وأوجد عينه هو الذي لا يعجزه شيء أراده، ولا يمتنع عليه إحداث شيء شاء إحداثه، وهو الله الواحد القهار. فإن قال قائل: فما تنكر أن تكون الأشياء التي ذكرت من فعل قديمين؟

قيل: أنكرنا ذلك لوجودنا اتصال التدبير وتام الخلق، فقلنا: لو كان المدير اثنين، لم يخلوا من اتفاق أو اختلاف، فإن كانا متفقين فعناهما واحد، وإنما جعل الواحد اثنين من قال بالاثنتين وإن كانا مختلفين كان محالا وجود الخلق على التمام والتدبير على الاتصال، لأن المختلفين، فعل كل واحد منهما خلاف فعل صاحبه، بأن أحدهما إذا أحيأ أمات الآخر، وإذا أوجد أحدهما أفنى الآخر، فكان محالا وجود شيء من الخلق على ما وجد عليه من التمام والاتصال.

وفي قول الله عز وجل ذكره: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ» ، وقوله عز وجل: «مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ»

أبلغ حجة، وأوجز بيان، وأدل دليل على بطول ما قاله المبطلون من أهل الشرك بالله، وذلك أن السموات والأرض لو كان فيهما إله غير الله، لم يخل أمرهما مما وصفت من اتفاق واختلاف وفي القول باتفاقهما فساد القول بالثنوية، وإقرار بالتوحيد، وإحالة في الكلام

بأن قائله سمي الواحد اثنين وفي القول باختلافهما، القول بفساد السموات والأرض، كما قال ربنا جل وعز: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا» لأن أحدهما كان إذا أحدث شيئاً وخلقه كان من شأن الآخر إعدامه وإبطاله، وذلك أن كل مختلفين فأفعالهما مختلفة، كالنار التي تسخن، والثلج الذي يبرد ما أسخنه النار وأخرى، أن ذلك لو كان كما قاله المشركون بالله لم يخل كل واحد من الاثنين اللذين أثبتوهما قديمين من أن يكونا قويين أو عاجزين، فإن كانا عاجزين فالعاجز مقهور وغير كائن إلهاً وإن كانا قويين فإن كل واحد منهما بعجزه عن صاحبه عاجز، والعاجز لا يكون إلهاً وإن كان كل واحد منهما قويا على صاحبه عاجز، والعاجز لا يكون إلهاً وإن كان كل واحد منهما قويا على صاحبه، فهو بقوة صاحبه عليه عاجز، تعالى ذكره عما يشرك المشركون! فتبين إذا أن القديم باري الأشياء وصانعها هو الواحد الذي كان قبل كل شيء، وهو الكائن بعد كل شيء، والأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، وأنه كان ولا وقت ولا زمان، ولا ليل ولا نهار، ولا ظلمة ولا نور إلا نور وجهه الكريم ولا سماء ولا أرض، ولا شمس ولا قمر ولا نجوم، وأن كل شيء سواه محدث مدبر مصنوع، انفراد بخلق جميعه بغير شريك ولا معين ولا ظهير، سبحانه من قادر قاهر! وقد حدثني علي بن سهل الرملي، قال: حدثنا زيد بن أبي الزرقاء، عن جعفر، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة، [ان النبي ص قال: إِنَّكُمْ تَسْأَلُونَ بَعْدِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى يَقُولُ الْقَائِلُ: هَذَا اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَمَنْ ذَا خَلَقَهُ!] .

حدثني علي، حدثنا زيد، عن جعفر، قال: قال يزيد بن الأصم: حدثني نجة بن صبيح، قال: كنت عند أبي هريرة فسأله عن هذا فكبر وقال: مَا حَدَّثَنِي خَلِيلِي بِشَيْءٍ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ - أَوْ أَنَا أَتَطَرُّهُ قَالَ جَعْفَرٌ: فَلَبِغَنِي أَنَّهُ قَالَ: إِذَا سَأَلَكُمُ النَّاسُ عَنْ هَذَا فَقُولُوا: اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَاللَّهُ كَانَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَاللَّهُ كَائِنٌ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ. فَإِذَا كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ خَالِقَ الْأَشْيَاءِ وَبَارِئَهَا كَانَ وَلَا شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَأَنَّهُ أَحْدَثَ الْأَشْيَاءَ فَدَبَّرَهَا، وَأَنَّهُ قَدْ خَلَقَ صُنُوفًا مِنْ خَلْقِهِ قَبْلَ خَلْقِ الْأَزْمَنَةِ وَالْأَوْقَاتِ، وَقَبْلَ خَلْقِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ اللَّذَيْنِ يُجْرِيهِمَا فِي أَفلاكِهِمَا، وَبِهِمَا عُرِفَتِ الْأَوْقَاتِ وَالسَّاعَاتِ، وَأُرِخَتِ التَّأْرِيخَاتِ، وَفُصِّلَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَلَنَقُلْ: فِيمَ ذَلِكَ الْخَلْقِ الَّذِي خَلَقَ قَبْلَ ذَلِكَ؟ وَمَا كَانَ أَوَّلُهُ؟

١٠٢ القول في ابتداء الخلق ما كان أوله

القول في ابتداء الخلق ما كان أوله
صح الخبر عن رسول الله ص بما حدثني به يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: حدثني معاوية بن صالح - وحدثني عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلاني، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح - عن أيوب بن زياد، قال: حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، قال: أخبرني أبي، قال: قال أبي عبادة بن الصامت: [يَا بَنِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ] .
حدثني أحمد بن محمد بن حبيب، قال: حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك، قال: أخبرنا رباح بن زيد، عن عمر بن حبيب، عن القاسم بن أبي بزة، عن سعيد بن جبيرة، عن [ابن عباس] أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ كُلَّ شَيْءٍ] .
حدثني موسى بن سهل الرملي، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا ابن المبارك، أخبرنا رباح بن زيد، عن عمر بن حبيب، عن القاسم بن أبي

بَرَّةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص بَخْوَهُ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْأَنْمَاطِيُّ، حَدَّثَنَا عَبَادُ بْنُ الْعَوَّامِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُلَيْمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَطَاءً، قَالَ: سَأَلْتُ الْوَلِيدَ بْنَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: كَيْفَ كَانَتْ وَصِيَّةُ أَبِيكَ حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ؟ قَالَ: دَعَانِي فَقَالَ:

أَيُّ بُنَيٍّ، أَتَى اللَّهَ وَاعْلَمَ أَنَّكَ لَنْ تَنْتَقِيَ اللَّهَ، وَلَنْ تَبْلُغَ الْعِلْمَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، [إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ، قَالَ: فَجَرَى الْقَلَمُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا كَانَ وَمِمَّا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ] .

وقد اختلف أهل السلف قبلنا في ذلك، فنذكر أقوالهم، ثم نتبع البيان عن ذلك إن شاء الله تعالى.

فقال بعضهم في ذلك بخو الذي روى عن رسول الله ص فيه.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي وَاصِلُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الْأَسَدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ الْقَلَمُ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: وَمَا أَكْتُبُ يَا رَبِّ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ، قَالَ: فَجَرَى الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، ثُمَّ رَفَعَ بِخَارَ الْمَاءِ فَفَتَقَ مِنْهُ السَّمَوَاتِ.

حَدَّثَنَا وَاصِلُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ نَحْوَهُ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ الْقَلَمَ، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ.

حَدَّثَنَا تَيْمٌ بْنُ الْمُتَنَصِّرِ، أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ، عَنْ شَرِيكِ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ - أَوْ مُجَاهِدٍ -، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بَخْوَهُ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَ الْقَلَمُ. حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي الضُّحَا مُسْلِمٌ بْنُ صُبَيْحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَكُتِبَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ النُّورَ وَالظُّلْمَةَ.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ، قَالَ: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

كَانَ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النُّورَ وَالظُّلْمَةَ، ثُمَّ مَيَّزَ بَيْنَهُمَا، فَجَعَلَ الظُّلْمَةَ لَيْلًا أَسْوَدَ مُظْلِمًا، وَجَعَلَ النُّورَ نَهَارًا مُضِيئًا مُبْصِرًا. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَوَّلَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، لِلْخَبَرِ الَّذِي ذَكَرْتُ عَنْ [رَسُولِ اللَّهِ ص قَبْلَ، أَنَّهُ قَالَ: أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ] .

فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: فَإِنَّكَ قُلْتَ: أَوَّلَى الْقَوْلَيْنِ - الَّذِينَ أَحَدُهُمَا أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ الْقَلَمَ، وَالْآخَرُ أَنَّهُ النُّورَ وَالظُّلْمَةَ - قَوْلٌ مَنْ قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ الْقَلَمَ، فَمَا وَجْهُ الرَّوَايَةِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ الَّتِي حَدَّثَكُمُوهَا ابْنُ بَشَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: قُلْتُ لَابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَاسًا يَكْذِبُونَ بِالْقَدَرِ، فَقَالَ: إِنَّهُمْ يَكْذِبُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ، لَا خُذْنَ بِشَعْرِ أَحَدِهِمْ فَلَا تَفْضَنَ بِهِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ كَانَ عَلَى عَرْشِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا، فَكَانَ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،

وَأَمَّا يَجْرِي النَّاسُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟

وعن ابن إسحاق، التي حدثكموها ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: يقول الله عز وجل: «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»، فكان كما وصف نفسه عز وجل، إذ ليس إلا الماء عليه العرش، وعلى العرش ذو الجلال والإكرام، فكان أول ما خلق الله النور والظلمة؟

قيل: أما قول ابن عباس: إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء قبل أن يخلق شيئا، فكان أول ما خلق الله القلم - إن كان صحيحا عنه أنه قاله - فهو خبر منه أن الله خلق القلم بعد خلقه عرشه، وقد روى عن أبي هاشم هذا الخبر شعبة، ولم يقل فيه ما قال سفيان، من أن الله عز وجل كان على عرشه، فكان أول ما خلق القلم، بل روى ذلك كالذي رواه سائر من ذكرنا من الرواة عن ابن عباس أنه قال: أول ما خلق الله عز وجل القلم.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هَاشِمٍ، سَمِعَ مُجَاهِدًا قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ - لَا يَدْرِي ابْنُ عُمَرَ أَوْ ابْنُ عَبَّاسٍ - قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اجْرِ، فَجَرَى الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، وَأَمَّا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ فِيمَا قَدْ فُرِغَ مِنْهُ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ إِسْحَاقَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنْهُ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ النُّورَ وَالظُّلْمَةَ بَعْدَ خَلْقِهِ عَرْشَهُ، وَالْمَاءَ الَّذِي عَلَيْهِ عَرْشُهُ وَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ عَرْجًا وَجَلَّ الْقَلَمُ» مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ مِنْهُ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ أَنَّهُ تَقَدَّمَ خَلَقَ اللَّهُ إِيَّاهُ خَلَقَ الْقَلَمَ، بَلْ عَمَّ [بقوله ص: ان أول شيء خلقه الله القلم،] كل

شَيْءٍ، وَأَنَّ الْقَلَمَ مَخْلُوقٌ قَبْلَهُ مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ مِنْ ذَلِكَ عَرْشًا وَلَا مَاءً وَلَا شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ.

فالرواية التي روينها عن أبي ظبيان وإبي الضحا، عن ابن عباس، أولى بالصحة عن ابن عباس من خبر مجاهد عنه الذي رواه عنه أبو هاشم، إذ كان أبو هاشم قد اختلف في رواية ذلك عنه شعبة وسفيان، على ما قد ذكرت من اختلافهما فيها.

وأما ابن إسحاق فإنه لم يسند قوله الذي قاله في ذلك إلى أحد، وذلك من الأمور التي لا يدرك علمها إلا بخبر من الله عز وجل، أو خبر من رسول الله ص، وقد ذكرت الرواية فيه عن رسول الله ص

١٠٢٠١ القول في الذي ثنى خلق القلم

القول في الذي ثنى خلق القلم

ثم إن الله جل جلاله خلق بعد القلم - وبعد أن أمره فكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة - سبحا رقيقا، وهو الغمام الذي ذكره جل وعز ذكره في محكم كتابه فقال: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ»، وذلك قبل أن يخلق عرشه، وبذلك ورد الخبر عن رسول الله ص.

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ الْقَطَّانُ، قَالَا: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ، [عَنْ وَكِيعِ بْنِ حُدُسٍ، عَنْ عَمِّهِ أَبِي رَزِينٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ؟ قَالَ:

كَانَ فِي عَمَاءٍ، مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ] حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادٌ، عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ وَكِيعِ بْنِ حُدُسٍ، عَنْ عَمِّهِ أَبِي رَزِينٍ الْعَقِيلِيِّ، قَالَ:

[قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ قَالَ: فِي عَمَاءٍ، فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَتَحْتَهُ هَوَاءٌ، ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ].

حَدَّثَنَا خَلَادُ بْنُ أَسْلَمٍ، حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُسْعُودِيُّ، أَخْبَرَنَا جَامِعُ بْنُ شَدَّادٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحَرَّرٍ، [عَنِ ابْنِ حَصِينٍ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص - قَالَ: أَتَى قَوْمَ رَسُولِ اللَّهِ ص فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَجَعَلَ يُبَشِّرُهُمْ وَيَقُولُونَ: أَعْطَيْنَا، حَتَّى سَاءَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ص، ثُمَّ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ وَجَاءَ قَوْمٌ آخَرُونَ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا: جِئْنَا نُسَلِّمُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، وَنَتَفَقَّهُ فِي الدِّينِ، وَنَسْأَلُهُ عَنْ بَدْءِ هَذَا الْأَمْرِ، قَالَ: فَاقْبَلُوا الْبُشْرَى إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا أَوْلَئِكَ الَّذِينَ خَرَجُوا، قَالُوا: قَبْلَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: كَانَ اللَّهُ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ] ثُمَّ أَتَانِي آتٍ فَقَالَ: تِلْكَ نَاقَتُكَ قَدْ ذَهَبَتْ، فَخَرَجْتُ يَنْقَطِعُ دُونَهَا السَّرَابُ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي تَرَكْتُهَا.

حَدَّثَنِي أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ جَامِعِ ابْنِ شَدَّادٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحَرَّرٍ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحَصِينِ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالُوا: قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا فَقَالَ:

اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ، فَقَالُوا: قَدْ قَبَلْنَا، فَأَخْبَرْنَا عَنْ هَذَا الْأَمْرِ كَيْفَ كَانَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْعَرْشِ، وَكَانَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَكَتَبَ فِي اللَّوْحِ كُلِّ شَيْءٍ يَكُونُ] قَالَ: فَأَتَانِي آتٍ فَقَالَ: يَا عِمْرَانُ، هَذِهِ نَاقَتُكَ قَدْ حَلَّتْ عَقْلَهَا، فَقُمْتُ، فَإِذَا السَّرَابُ يَنْقَطِعُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، فَلَا أَدْرِي مَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ ثُمَّ اخْتَلَفَ فِي الَّذِي خَلَقَ تَعَالَى ذِكْرُهُ بَعْدَ الْعَمَاءِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: خَلَقَ بَعْدَ ذَلِكَ عَرْشَهُ. ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَيَّانُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ مَرَّاحٍ، قَالَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْعَرْشَ أَوَّلَ مَا خَلَقَ، فَاسْتَوَى عَلَيْهِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَاءَ قَبْلَ الْعَرْشِ، ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ فَوَضَعَهُ عَلَى الْمَاءِ. ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ هَارُونَ الهمداني، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَّادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْبَاطُ بْنُ نَصْرِ، عَنِ السَّيِّدِ فِي خَبَرِ ذِكْرِهِ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - وَعَنْ مَرَّةِ الهمداني عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص - قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَلَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا غَيْرَ مَا خَلَقَ قَبْلَ الْمَاءِ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ بْنُ عَسْكَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مَعْقِلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ مَنْبِهٍ يَقُولُ: إِنَّ الْعَرْشَ كَانَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ عَلَى الْمَاءِ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَبَضَ مِنْ صَفَاةِ الْمَاءِ قَبْضَةً، ثُمَّ فَتَحَ الْقَبْضَةَ فَارْتَفَعَتْ دُخَانًا، ثُمَّ قَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ، وَدَحَا الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ، وَفَرَّغَ مِنَ الْخَلْقِ الْيَوْمَ السَّابِعَ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الَّذِي خَلَقَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ الْقَلَمِ الْكُرْسِيِّ، ثُمَّ خَلَقَ بَعْدَ الْكُرْسِيِّ الْعَرْشَ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ خَلَقَ الْهَوَاءَ وَالظُّلُمَاتِ، ثُمَّ خَلَقَ الْمَاءَ، فَوَضَعَ عَرْشَهُ عَلَيْهِ.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: إن الله تبارك وتعالى خلق الماء قبل العرش، لصحة الخبر الذي ذكرت قبل عن أبي رزين العقيلي عن [رسول الله ص أنه قال حين سئل:

أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق خلقه؟ قال: كان في عماء، ما تحته هواء، وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء،] فاخبر ص أن الله خلق عرشه على الماء ومحال إذ كان خلقه على الماء أن يكون خلقه عليه، والذي خلقه عليه غير موجود، إما قبله أو معه، فإذا

كان ذلك كذلك، فالعرش لا يخلو من أحد أمرين، إما أن يكون خلق بعد خلق الله الماء، وإما أن يكون خلق هو والماء معا فأما أن يكون خلقه قبل خلق الماء، فذلك غير جائز صحته على ما روى عن أبي رزين، عن النبي ص.

وقد قيل: إن الماء كان على متن الريح حين خلق عرشه عليه، فإن كان ذلك كذلك، فقد كان الماء والريح خلقا قبل العرش. ذكر من قال: كان الماء على متن الريح:

حَدَّثَنِي ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، قَالَ: سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

«وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ الْمَاءُ؟ قَالَ: عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، قَالَ: سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

«وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ الْمَاءُ؟ قَالَ: عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْحَسَنِ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ دَاوُدَ، حَدَّثَنِي جَجَّجٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِثْلَهُ.

قَالَ: وَالسَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَكُلُّ مَا فِيهِنَّ مِنْ شَيْءٍ يُحِيطُ بِهَا الْبَحَارُ، وَيُحِيطُ بِذَلِكَ كُلِّهِ الْهَيْكَلُ، وَيُحِيطُ بِالْهَيْكَلِ - فِيمَا قِيلَ - الْكُرْسِيُّ. ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ بن عسكرو، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ أَنَّهُ سَمِعَ وَهْبًا يَقُولُ - وَذَكَرَ مِنْ عَظَمَتِهِ - فَقَالَ: إِنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْبَحَارَ لَفِي الْهَيْكَلِ، وَإِنَّ الْهَيْكَلَ لَفِي الْكُرْسِيِّ، وَإِنْ قَدَمِيهِ عَزَّ وَجَلَّ لَعَلَى الْكُرْسِيِّ، وَهُوَ يَحْمِلُ الْكُرْسِيَّ، وَقَدْ عَادَ الْكُرْسِيُّ كَالنَّعْلِ فِي قَدَمِيهِ.

وسئل وهب: ما الهيكَلُ؟ قال: شيء من أطراف السموات محدد بالأرضين والبحار كأطناب الفسطاط.

وسئل وهب عن الأرضين: كيف هي؟ قال: هي سبع أرضين ممهدة جزائر، بين كل أرضين بحر، والبحر محيط بذلك كله، والهيكل من وراء البحر وقد قيل: إنه كان بين خلقه القلم وخلقته سائر خلقه ألف عام.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَبِشَرُ الْحَلِيِّ، عَنْ أَرْطَاةَ بْنِ الْمُنْذِرِ، قَالَ: سَمِعْتُ ضَمْرَةَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْقَلَمَ، فَكَتَبَ بِهِ مَا هُوَ خَالِقٌ وَمَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ الْكِتَابَ سَبَّحَ اللَّهُ وَمَجْدَهُ أَلْفَ عَامٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا مِنَ الْخَلْقِ، فَلَمَّا أَرَادَ جَلَّ جَلَالُهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَلْقًا - فِيمَا ذَكَرَ - أَيَّامًا سِتَّةَ، فَسَمَّى كُلَّ يَوْمٍ مِنْهُنَّ بِاسْمٍ غَيْرِ الَّذِي سَمَّى بِهِ الْآخِرَ وَقِيلَ: إِنَّ اسْمَ أَحَدِ تِلْكَ الْأَيَّامِ السِّتَةِ أَبْجَدُ، وَاسْمُ الْآخِرِ مِنْهُنَّ هُوزُ، وَاسْمُ الثَّلَاثِ مِنْهُنَّ حَطِي، وَاسْمُ الرَّابِعِ مِنْهُنَّ كَلَمَنُ، وَاسْمُ الْخَامِسِ مِنْهُنَّ سَعْفَصُ، وَاسْمُ السَّادِسِ مِنْهُنَّ قَرَشْتُ.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي الْحَضْرَمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُصْرَفُ بْنُ عَمْرِو الْيَامِي، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ الْمُسَيْبِ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ كُنْدِهِ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ ابْنَ مَزَاحِمٍ يَقُولُ: خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، لَيْسَ مِنْهَا يَوْمٌ إِلَّا لَهُ اسْمٌ: أَبْجَدُ، هُوزُ، حَطِي، كَلَمَنُ، سَعْفَصُ، قَرَشْتُ وَقَدْ حَدَّثَ بِهِ عَنْ حَفْصِ بْنِ مُصْرَفٍ وَقَالَ: عَنْهُ، عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ الْمُسَيْبِ، قَالَ: حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ كُنْدَةِ قَالَ: لَقِيتُ الضَّحَّاكَ ابْنَ مَزَاحِمٍ فَحَدَّثَنِي قَالَ: سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمٍ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، لِكُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا اسْمٌ: أَبْجَدُ، هُوزُ، حَطِي، كَلَمَنُ، سَعْفَصُ، قَرَشْتُ.

وقال آخرون: بل خلق الله واحدا فسماه الأحد، وخلق ثانيا فسماه الاثنين، وخلق ثالثا فسماه الثلاثاء، ورابعا فسماه الأربعاء، وخامسا فسماه الخميس.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا تَمِيمُ بْنُ الْمُنْتَصِرِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ، عَنْ شَرِيكَ، عَنْ غَالِبِ بْنِ غَالِبٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ يَوْمًا وَاحِدًا فَسَمَّاهُ الْأَحَدَ، ثُمَّ خَلَقَ ثَانِيًا فَسَمَّاهُ الْاِثْنَيْنِ، ثُمَّ خَلَقَ ثَالِثًا فَسَمَّاهُ الثَّلَاثَاءَ، ثُمَّ خَلَقَ رَابِعًا فَسَمَّاهُ الْأَرْبَعَاءَ، ثُمَّ خَلَقَ خَامِسًا فَسَمَّاهُ الْخَمِيسَ

وَهَذَانِ الْقَوْلَانِ غَيْرُ مُخْتَلِفَيْنِ، إِذْ كَانَ جَائِزًا أَنْ تَكُونَ أَسْمَاءُ ذَلِكَ بِلِسَانِ الْعَرَبِ عَلَى مَا قَالَهُ عَطَاءٌ، وَبِلِسَانِ آخَرِينَ، عَلَى مَا قَالَهُ الضَّحَّاكُ بْنُ مُرَاجِمٍ.

وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْأَيَّامَ سَبْعَةٌ لَا سِتَّةٌ ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ بن عسْكَرٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مَعْقِلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ مَنْبِهِ يَقُولُ: الْأَيَّامُ سَبْعَةٌ.

وَكُلَا الْقَوْلَيْنِ - الَّذِينَ رَوَيْنَا أَحَدَهُمَا عَنِ الضَّحَّاكِ وَعَطَاءٍ، مَنْ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَيَّامَ السَّتَّةَ، وَالْآخَرُ مِنْهُمَا عَنْ وَهْبِ بْنِ مَنْبِهِ مِنْ أَنَّ الْأَيَّامَ سَبْعَةٌ - صَحِيحٌ مُؤْتَلَفٌ غَيْرُ مُخْتَلَفٍ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِ عَطَاءٍ وَالضَّحَّاكِ فِي ذَلِكَ كَانَ أَنَّ الْأَيَّامَ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ فِيهِنَّ الْخَلْقَ مِنْ حِينَ ابْتِدَائِهِ فِي خَلْقِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ إِلَى أَنْ فَرَّغَ مِنْ جَمِيعِهِ سِتَّةَ أَيَّامٍ، كَمَا قَالَ جُلْ ثَنَاؤُهُ: «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ»، وَأَنَّ مَعْنَى قَوْلِ وَهْبِ بْنِ مَنْبِهِ فِي ذَلِكَ كَانَ أَنَّ عَدَدَ الْأَيَّامِ الَّتِي هِيَ أَيَّامُ الْجُمُعَةِ سَبْعَةٌ أَيَّامٌ لَا سِتَّةَ.

وَاخْتَلَفَ السَّلَفُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي ابْتَدَأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ابْتَدَأَ فِي ذَلِكَ يَوْمَ الْأَحَدِ. ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ شَاهِينَ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ أُخْيَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ابْتَدَأَ الْخَلْقَ، فَخَلَقَ الْأَرْضَ يَوْمَ الْأَحَدِ وَيَوْمَ الْاِثْنَيْنِ حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي أَبُو مَعْشَرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَدَأَ الْخَلْقَ يَوْمَ الْأَحَدِ، فَخَلَقَ الْأَرْضَ فِي الْاِثْنَيْنِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: بَدَأَ اللَّهُ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَوْمَ الْأَحَدِ وَالْاِثْنَيْنِ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مَنْصُورٍ الْأَمَلِيُّ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْهَيْثَمِ، عَنْ الْمُسَيْبِ بْنِ شَرِيكَ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ، عَنْ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» قَالَ: مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ، كُلُّ يَوْمٍ مَقْدَارُهُ الْفِ سَنَةٍ، ابْتَدَأَ الْخَلْقَ يَوْمَ الْأَحَدِ.

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا الْحُجَّاجُ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بَشْرٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: بَدَأَ الْخَلْقَ يَوْمَ الْأَحَدِ وَقَالَ آخَرُونَ: الْيَوْمِ الَّذِي ابْتَدَأَ اللَّهُ فِيهِ فِي ذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: يَقُولُ أَهْلُ التَّوْرَةِ: ابْتَدَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ يَوْمَ الْأَحَدِ وَقَالَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ: ابْتَدَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَنَقُولُ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ فِيمَا أَنْتَبَى إِلَيْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص: ابْتَدَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ يَوْمَ السَّبْتِ. وَقَدْ رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص الَّذِي قَالَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْ هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ الَّذِينَ قَالَ أَحَدُهُمَا: ابْتَدَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ، وَقَالَ الْآخَرُ مِنْهُمَا:

ابْتَدَأَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ، وَقَدْ مَضَى ذِكْرُنَا الْخَبْرَيْنِ، غَيْرَ أَنَّا نَعِيدُ مَنْ ذَلِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بَعْضَ مَا فِيهِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمَا.

فأما الخبر عنه بتحقيق ما قال القائلون: كان ابتداء الخلق يوم الأحد، فما حَدَّثَنَا بِهِ هَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عِيَّاشٍ، عَنْ أَبِي سَعْدِ الْبِقَالِ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - قَالَ هَنَادُ: وَقَرَأْتُ سَائِرَ الْحَدِيثِ - أَنَّ الْيَهُودَ أَتَتْ النَّبِيَّ ص فَسَأَلَتْهُ عَنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَقَالَ: خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْأَحَدِ وَالْاِثْنَيْنِ.

وأما الخبر عنه بتحقيق ما قاله القائلون من أن ابتداء الخلق كان يوم السبت، فما حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ بَشَرَ بْنِ مَعْرُوفٍ وَالْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّدَائِي، قَالَا:

حَدَّثَنَا حُجَّاجٌ، قَالَ ابْنُ جَرِيْجٍ: أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أُمِيَّةَ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعٍ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: [أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَدَيَّ، فَقَالَ: خَلَقَ اللَّهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ].

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: اليوم الذي ابتداء الله تعالى ذكره فيه خلق السموات والأرض يوم الأحد، لإجماع السلف من أهل العلم على ذلك.

فأما ما قال ابن إسحاق في ذلك، فإنه إنما استدل - بزعمه - على أن ذلك كذلك، لأن الله عز ذكره فرغ من خلق جميع خلقه يوم الجمعة، وذلك اليوم السابع، وفيه استوى على العرش، وجعل ذلك اليوم عيداً للمسلمين، ودليله على ما زعم أنه استدل به على صحة قوله فيما حكينا عنه من ذلك هو الدليل على خطئه فيه، وذلك أن الله تبارك وتعالى أخبر عباده في غير موضع من محكم تنزيله، أنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، فقال: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ» وقال تعالى ذكره: «قُلْ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيٍّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» .

ولا خلاف بين جميع أهل العلم أن اليومين اللذين ذكرهما الله تبارك وتعالى في قوله: «فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ» داخلان في الأيام الستة الالتي ذكرهن قبل ذلك، فمعلوم إذ كان الله عز وجل إنما خلق السموات والأرضين وما فيهن في ستة أيام، وكانت الأخبار مع ذلك متظاهرة عن رسول الله ص بأن آخر ما خلق الله من خلقه آدم، وأن خلقه إياه كان في يوم الجمعة - إن يوم الجمعة الذي فرغ فيه من خلق خلقه داخل في الأيام الستة التي أخبر الله تعالى ذكره أنه خلق خلقه فيهن، لأن ذلك لو لم يكن داخلًا في الأيام الستة كان إنما خلق خلقه في سبعة أيام، لا في ستة، وذلك خلاف ما جاء به التنزيل، فتبين إذا - إذ كان الأمر كالذي وصفنا في ذلك - أن أول الأيام التي ابتداء الله فيها خلق السموات والأرض وما فيهن من خلقه يوم الأحد، إذ كان الآخر يوم الجمعة، وذلك ستة أيام، كما قال ربنا جل جلاله.

فأما الأخبار الواردة عن رسول الله ص وعن أصحابه بأن الفراغ من الخلق كان يوم الجمعة، فسنذكرها في مواضعها إن شاء الله تعالى

١٠٢٠٢ القول فيما خلق الله في كل يوم من الأيام الستة التي ذكر الله في كتابه أنه خلق فيهن السموات والأرض وما بينهما

القول فيما خلق الله في كل يوم من الأيام الستة التي ذكر الله في كتابه أنه خلق فيهن السموات والأرض وما بينهما
اختلف السلف من أهل العلم في ذلك:

فقال بعضهم ما حَدَّثَنِي بِهِ الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي أَبُو مَعْشَرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ بَدَأَ الْخَلْقَ يَوْمَ الْأَحَدِ، نَخَلَقَ الْأَرْضَيْنِ فِي الْأَحَدِ وَالْاِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْأَقْوَاتَ وَالرَّوَاسِيَّ فِي الثَّلَاثَةِ وَالْأَرْبَعَاءِ،

وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ فِي الْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ، وَفَرَّغَ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَخَلَقَ فِيهَا آدَمَ عَلَى عَجَلٍ، فَتِلْكَ السَّاعَةُ الَّتِي تَقُومُ فِيهَا السَّاعَةُ. حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ، عَنْ السَّيِّدِ، فِي خَبَرِ ذِكْرِهِ عَنْ أَبِي مَالِكٍ وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - وَعَنْ مَرَّةِ الْهَمْدَانِيِّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ص قَالُوا: جَعَلَ - يَعْنُونَ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى - سَبْعَ أَرْضِينَ فِي يَوْمَيْنِ: الْأَحَدَ وَالْآثِنِينَ، وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ، وَخَلَقَ الْجِبَالَ فِيهَا وَأَقْوَاتَ أَهْلِهَا، وَشَجَرَهَا وَمَا يَنْبَغِي لَهَا فِي يَوْمَيْنِ: فِي الثَّلَاثَةِ وَالْأَرْبَعَاءِ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ جَعَلَهَا سَمَاءً وَاحِدَةً، ثُمَّ فَتَقَهَا جَعَلَهَا سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ: الْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ. حَدَّثَنَا تَمِيمُ بْنُ الْمُتَنَصِّرِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ، عَنْ شَرِيكَ، عَنْ غَالِبِ ابْنِ غَلَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاجٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ الْأَحَدِ وَالْآثِنِينَ.

ففي قول هؤلاء خلقت الأرض قبل السماء، لأنها خلقت عندهم في الأحد والآثينين وقال آخرون: خلق الله عز وجل الأرض قبل السماء بأقواتها من غير أن يدحوها، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ حَيْثُ ذَكَرَ خَلَقَ الْأَرْضَ قَبْلَ السَّمَاءِ، ثُمَّ ذَكَرَ السَّمَاءَ قَبْلَ الْأَرْضِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَرْضَ بِأَقْوَاتِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْحُوها قَبْلَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، ثُمَّ دحا الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا». حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ:

حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَنْخَرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرَسَاهَا»، يَعْنِي أَنَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ السَّمَاءِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ أَقْوَاتَ الْأَرْضِ بَثَّ أَقْوَاتَ الْأَرْضِ فِيهَا بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ، وَارْسَى الْجِبَالَ - يَعْنِي بِذَلِكَ دَحَاهَا - وَلَمْ تَكُنْ تَصْلُحُ أَقْوَاتُ الْأَرْضِ وَنَبَاتُهَا إِلَّا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا»، أَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّهُ قَالَ: «أَنْخَرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا»؟ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا مَا قَالَهُ الَّذِينَ قَالُوا:

إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَرْضَ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ السَّمَاءَ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ النُّجُومَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَصَحَّةِ الْخَبَرِ الَّذِي ذَكَرْنَا قَبْلَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص بِذَلِكَ وَغَيْرِ مُسْتَحِيلٍ مَا رَوَيْنَا فِي ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنَ الْقَوْلِ، وَهُوَ أَنَّ يَكُونُ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ خَلَقَ الْأَرْضَ وَلَمْ يَدْحُها، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ فَسَوَّاهُنَّ، ثُمَّ دحا الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا

ومرعاها، والجبال أرساها، بل ذلك عندي هو الصواب من القول في ذلك، وذلك أن معنى الدحو غير معنى الخلق، وقد قال الله عز وجل: «أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكُهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَنْخَرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرَسَاهَا».

فإن قال قائل: فإنك قد علمت أن جماعة من أهل التأويل قد وجهت قول الله: «وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا» إلى معنى مع ذلك دحاها، فما برهانك على صحة ما قلت، من أن ذلك بمعنى بعد التي هي خلاف قبل؟

قيل: المعروف من معنى بعد في كلام العرب هو الذي قلنا من أنها بخلاف معنى قبل لا بمعنى مع، وإنما توجه معاني الكلام إلى الأغلب عليه من معانيه المعروفة في أهله، لا إلى غير ذلك.

وقد قيل: إن الله خلق البيت العتيق على الماء على أربعة أركان، قبل أن يخلق الدنيا بألفي عام، ثم دحيت الأرض من تحته. ذكر من قال ذلك:

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ الْقُمَيْيُّ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: وَضَعَ الْبَيْتَ عَلَى الْمَاءِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ،

قبل أن يخلق الدنيا بألفي عام، ثم دحيت الأرض من تحت البيت. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن الأعمش، عن بكير بن الأخنس، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمر، قال: خلق الله البيت قبل الأرض بألفي سنة، ومنه دحيت الأرض.

وإذا كان الأمر كذلك كان خلق الأرض قبل خلق السموات، ودحو الأرض وهو بسطها بأقواتها ومراعيها ونباتها، بعد خلق السموات، كما ذكرنا عن ابن عباس.

وقد حدثنا ابن حميد، قال: حدثني مهران، عن ابن سنان، عن أبي بكر، [قال: جاء اليهود إلى النبي ص فقالوا: يا محمد، أخبرنا: ما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة؟ فقال: خلق الأرض يوم الأحد والثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق المدائن والأقوات والأنهار وعمرانها وخرابها يوم الأربعاء، وخلق السموات والملائكة يوم الخميس، إلى ثلاث ساعات بقيت من يوم الجمعة، وخلق في أول الثلاث ساعات الآجال، وفي الثانية الآفة، وفي الثالثة آدم قالوا: صدقت ان اتممت، فعرف النبي ص ما يريدون، فغضب، فأنزل الله تعالى: «وما مسنا من لغوبٍ فاصبر على ما يقولون» .

فإن قال قائل: فإن كان الأمر كما وصفت من أن الله تعالى خلق الأرض قبل السماء، فما معنى قول ابن عباس الذي حدثكموه واصل ابن عبد الأعلى الأسدي، قال: حدثنا محمد بن فضيل، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله تعالى من شيء القلم، فقال له: اكتب، فقال: وما أكتب يا رب؟ قال: اكتب القدر، قال:

جفري القلم بما هو كائن من ذلك إلى قيام الساعة، ثم رفع بخار الماء ففتق منه السموات، ثم خلق النون، فدحيت الأرض على ظهره، فاضطرب النون، فمادت الأرض فأثبتت بالجبال، فإنها لتفخر على الأرض حدثني واصل، قال: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس نحوه.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن سليمان، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس، قال: أول ما خلق الله تعالى القلم جفري بما هو كائن، ثم رفع بخار الماء، فخلقت منه السموات، ثم خلق النون، فبسطت الأرض على ظهر النون، فتحرك النون، فمادت الأرض فأثبتت بالجبال، فإن الجبال لتفخر على الأرض قال: وقرأ: «ن والقلم وما يسطرون» .

حدثني تميم بن المنتصر، قال: أخبرنا إسحاق، عن شريك، عن الأعمش، عن أبي ظبيان - أو مجاهد - عن ابن عباس نحوه، إلا أنه قال: ففتقت منه السموات.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا يحيى، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثني سليمان، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله تعالى القلم فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر، قال: جفري بما هو كائن من ذلك اليوم إلى قيام الساعة ثم خلق النون، ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء، وبسطت الأرض على ظهر النون، فاضطرب النون، فمادت الأرض فأثبتت بالجبال، قال: فإنها لتفخر على الأرض.

حدثنا ابن حميد، قال، حدثنا جرير، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح، عن ابن عباس قال: أول شيء خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، ثم خلق النون فوق الماء، ثم كبس الأرض عليه.

قيل: ذلك صحيح على ما روي عنه وعن غيره من معنى ذلك مشروحا مفسرا غير مخالف شيئا مما روينا عنه في ذلك. فإن قال: وما الذي روي عنه وعن غيره من شرح ذلك الدال على صحة كل ما رويت لنا في هذا المعنى عنه؟ قيل له: حدثني موسى بن هارون الهمداني وغيره، قالوا: حدثنا عمرو بن حماد، حدثنا أسباط بن نصر، عن السدي، عن أبي مالك،

وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - وَعَنْ مَرَّةِ الْهَمْدَانِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص «هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ» قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَلَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا غَيْرَ مَا خَلَقَ قَبْلَ الْمَاءِ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ أَخْرَجَ مِنَ الْمَاءِ دُخَانًا فَارْتَفَعَ فَوْقَ الْمَاءِ، فَسَمَّا عَلَيْهِ، فَسَمَاهُ سَمَاءً، ثُمَّ أَيْبَسَ الْمَاءَ، فَجَعَلَهُ أَرْضًا وَاحِدَةً، ثُمَّ فَتَقَهَا فَجَعَلَهَا سَبْعَ أَرْضِينَ فِي يَوْمَيْنِ، فِي الْأَحَدِ وَالْآثِنَيْنِ، فَخَلَقَ الْأَرْضَ عَلَى حُوتٍ - وَالْحُوتُ هُوَ النَّوْنُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ: «ن وَالْقَلَمِ» - وَالْحُوتُ فِي الْمَاءِ، وَالْمَاءُ عَلَى ظَهْرِ صَفَاةٍ، وَالصَّفَاةُ عَلَى ظَهْرِ مَلَكٍ، وَالْمَلَكُ عَلَى صَخْرَةٍ، وَالصَّخْرَةُ عَلَى الرَّيْحِ - وَهِيَ الصَّخْرَةُ الَّتِي ذَكَرَ لُقْمَانَ - لَيْسَتْ فِي السَّمَاءِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، فَتَحَرَّكَ الْحُوتُ فَاضْطَرَبَ، فَتَزَلَّزَتِ الْأَرْضُ، فَأَرَسَى عَلَيْهَا الْجِبَالُ فَقَرَّتْ، فَالْجِبَالُ

تَفَخَّرَ عَلَى الْأَرْضِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ» .

قال أبو جعفر: فقد أنبأ قول هؤلاء الذين ذكرت: إن الله تعالى أخرج من الماء دخاناً حين أراد أن يخلق السموات والأرض، فسمما عليه - يعنون بقولهم:

فسمما عليه علا على الماء، وكل شيء كان فوق شيء عالياً عليه فهو له سماء - ثم أيبس بعد ذلك الماء، فجعله أرضاً واحدة - إن الله خلق السماء غير مسواة قبل الأرض، ثم خلق الأرض.

وإن كان الأمر كما قال هؤلاء، فغير محال أن يكون الله تعالى أثار من الماء دخاناً فعلاه على الماء، فكان له سماء، ثم أيبس الماء فصار الدخان الذي سما عليه أرضاً، ولم يدحها، ولم يقدر فيها أقواتها، ولم يخرج منها ماءها ومرعاها، حتى استوى إلى السماء، التي هي الدخان النائر من الماء العالي عليه، فسواهن سبع سموات، ثم دحا الأرض التي كانت ماءً فيبسه ففتقه، فجعلها سبع أرضين، وقدر فيها أقواتها، و «أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا» ، كما قال عز وجل فيكون كل الذي روي عن ابن عباس في ذلك - على ما رويناه - صحيحاً معناه.

وأما يوم الاثنين فقد ذكرنا اختلاف العلماء فيما خلق فيه، وما روي في ذلك عن رسول الله ص قبل.

وأما ما خلق في يوم الثلاثاء والأربعاء، فقد ذكرنا أيضاً بعض ما روي فيه، ونذكر في هذا الموضع بعض ما لم نذكر منه قبل.

فالذي صح عندنا أنه خلق فيهما ما حدثني به موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، حدثنا أسباط، عن السدي، في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني، عن عبد الله بن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله ص: وخلق الجبال فيها - يعني في الأرض - وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين: في الثلاثاء والأربعاء، وذلك حين يقول الله عز وجل: «قُلْ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ» ، يقول: من سأل فهكذا الأمر، ثم استوى إلى السماء وهي دُخان، وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس، فجعلها سماء واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة.

حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثني أبو معشر، عن سعيد بن أبي سعيد، عن عبد الله بن سلام، قال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْأَقْوَاتَ وَالرَّوَاسِيَّ فِي الثَّلَاثَةِ وَالْأَرْبَعَاءِ.

حدثني تميم بن المنتصر، قال: أخبرنا إسحاق، عن شريك، عن غالب بن غلاب، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجِبَالَ يَوْمَ الثَّلَاثَةِ فَذَلِكَ قَوْلُ النَّاسِ: هُوَ يَوْمٌ ثَقِيلٌ.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا، ما رويناه [عن النبي ص، قال: إن الله تعالى خلق يوم الثلاثاء الجبال وما فيها من المنافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر، والماء، والمدائن، والعمران، والخراب] حَدَّثَنَا بِذَلِكَ هَذَا، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عِيَّاشٍ، عَنْ أَبِي سَعْدِ الْبَقَالِ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ النَّبِيِّ ص.

وقد روى عن النبي ص أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَالشَّجَرَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ، وَالتُّورَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، حَدَّثَنِي بِهِ الْقَاسِمُ بْنُ بَشَرَ بْنِ مَعْرُوفٍ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّدَائِيُّ، قَالَا:

حدثنا حجاج، قال ابن جريج: أخبرني إسماعيل بن أمية، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ص.

والخبر الأول أصح مخرجا، وأولى بالحق، لأنه قول أكثر السلف.

وأما يوم الخميس فإنه خلق فيه السموات، ففتقت بعد أن كانت رتقا، كما حَدَّثَنِي موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي ص: «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ»، وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس وجعلها سماء واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين، في الخميس والجمعة.

وإنما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض «وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا» قال: خلق في كل سماء خلقها من الملائكة، والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد وما لم يعلم، ثم زين السماء الدنيا بالكواكب، فجعلها زينة وحفظا، تحفظ من الشياطين، فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش فذلك حين يقول: «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ*»، ويقول:

«كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا» .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو مَعْشَرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ السَّمَوَاتِ فِي الْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ، وَفَرَّغَ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، خَلَقَ فِيهَا آدَمَ عَلَى عَجَلٍ، فَتِلْكَ السَّاعَةُ الَّتِي تَقُومُ فِيهَا السَّاعَةُ.

حدثني تميم بن المنتصر، قال: أخبرنا إسحاق، عن شريك، عن غَالِبِ بْنِ غَالِبٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ مَوَاضِعَ الْأَنْهَارِ وَالشَّجَرِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، وَخَلَقَ الطَّيْرَ وَالْوَحْشَ وَالْهَوَامَّ وَالسَّبَاعَ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَفَرَّغَ مِنْ خَلْقِ كُلِّ شَيْءٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ مِنْ ذِكْرِنَا قَوْلُهُ، مِنْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْمَلَائِكَةَ وَآدَمَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ، هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَنَا، لِلْخَبَرِ الَّذِي حَدَّثَنَا بِهِ هَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عِيَّاشٍ، عَنْ أَبِي سَعْدِ الْبَقَالِ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ص - قَالَ:

هَنَادٌ، وَقَرَأْتُ سَائِرَ الْحَدِيثِ - قَالَ: وَخَلَقَ يَوْمَ الْخَمِيسِ السَّمَاءَ، وَخَلَقَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ النُّجُومَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْمَلَائِكَةَ إِلَى ثَلَاثِ سَاعَاتٍ بَقِيَتْ مِنْهُ، نَخْلَقُ فِي أَوَّلِ سَاعَةٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ سَاعَاتِ الْأَجَالِ، مَنْ يَحْيَا وَمَنْ يَمُوتُ، وَفِي الثَّانِيَةِ أَلْقَى الْآفَةَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ، وَفِي الثَّلَاثَةِ آدَمَ وَأَسْكَنَهُ الْجَنَّةَ، وَأَمَرَ إِبْلِيسَ بِالسُّجُودِ، وَأَخْرَجَهُ مِنْهَا فِي آخِرِ سَاعَةٍ.

حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ بَشَرَ بْنِ مَعْرُوفٍ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّدَائِيُّ، قَالَا: حدثنا حجاج، قال ابن جريج: أخبرني إسماعيل بن أمية، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة، عن أبي هريرة، قَالَ: [أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِيَدِي فَقَالَ: وَبَتْ فِيهَا - يَعْنِي فِي الْأَرْضِ - الدَّوَابُّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ آخِرَ خَلْقٍ فِي آخِرِ سَاعَةٍ، مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ] .

فإذا كان الله تعالى ذكره خلق الخلق من لدن ابتداء خلق السموات والأرض إلى حين فراغه من خلق جميعهم في ستة أيام، وكان كل يوم من

الأيام الستة التي خلقهم فيها مقداره ألف سنة من أيام الدنيا، وكان بين ابتدائه في خلق ذلك وخلق القلم الذي أمره بكتابه كل ما هو كائن إلى قيام الساعة ألف عام، وذلك يوم من أيام الآخرة التي قدر اليوم الواحد منها ألف عام من أيام الدنيا - كان معلوما أن

قدر مدة ما بين أول ابتداء ربنا عز وجل في خلق ما خلق من خلقه إلى الفراغ من آخرهم سبعة آلاف عام يزيد إن شاء الله شيئا أو ينقص شيئا، على ما قد روينا من الآثار والأخبار التي ذكرناها، وتركنا ذكر كثير منها كراهة إطالة الكتاب بذكرها. وإذا كان ذلك كذلك، وكان صحيحا أن مدة ما بين فراغ ربنا تعالى ذكره - من خلق جميع خلقه إلى وقت فناء جميعهم بما قد دللنا قبل، واستشهدنا من الشواهد، وبما سنشرح فيما بعد - سبعة آلاف سنة، تزيد قليلا أو تنقص قليلا - كان معلوما بذلك أن مدة ما بين أول خلق خلقه الله تعالى إلى قيام الساعة وفناء جميع العالم، أربعة عشر ألف عام من أعوام الدنيا، وذلك أربعة عشر يوما من أيام الآخرة، سبعة أيام من ذلك - وهي سبعة آلاف عام من أعوام الدنيا - مدة ما بين أول ابتداء الله جل وتقدس في خلق أول خلقه إلى فراغه من خلق آخرهم - وهو آدم أبو البشر ص، وسبعة أيام أخر، وهي سبعة آلاف عام من أعوام الدنيا، من ذلك مدة ما بين فراغه جل ثنائه من خلق آخر خلقه - وهو آدم - إلى فناء آخرهم وقيام الساعة، وعود الأمر إلى ما كان عليه قبل أن يكون شيء غير القديم الباري الذي له الخلق والأمر الذي كان قبل كل شيء، فلا شيء كان قبله، والكائن بعد كل شيء فلا شيء يبقى غير وجهه الكريم. فإن قال قائل: وما دليلك على أن الأيام الستة التي خلق الله فيهن خلقه كان قدر كل يوم منهن قدر ألف عام من أعوام الدنيا دون أن يكون ذلك

كأيام أهل الدنيا التي يتعارفونها بينهم، وإنما قال الله عز وجل في كتابه:

«الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ*»، فلم يعلمنا أن ذلك كما ذكرت، بل أخبرنا أنه خلق ذلك في ستة أيام، والأيام المعروفة عند المخاطبين بهذه المخاطبة هي أيامهم التي أول اليوم منها طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ومن قولك: إن خطاب الله عباده بما خاطبهم به في تنزيله إنما هو موجه إلى الأشهر والأغلب عليه من معانيه، وقد وجهت خبر الله في كتابه عن خلقه السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام إلى غير المعروف من معاني الأيام، وأمر الله عز وجل إذا أراد شيئا أن يكونه أنفذ وأمضى من أن يوصف بأنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، مقدارهن ستة آلاف عام من أعوام الدنيا، وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له: كن فيكون، وذلك كما قال ربنا تبارك وتعالى: «وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ» ؟

قيل له: قد قلنا فيما تقدم من كتابنا هذا إنما نعتمد في معظم ما نرسمه في كتابنا هذا على الآثار والأخبار عن نبينا ص وعن السلف الصالحين قبلنا دون الاستخراج بالعقول والفكر، إذ أكثره خبر عما مضى من الأمور، وعما هو كائن من الأحداث، وذلك غير مدرك علمه بالاستنباط الاستخراج بالعقول:

فإن قال: فهل من حجة على صحة ذلك من جهة الخبر؟

قيل: ذلك ما لا نعلم قائلًا من أئمة الدين قال خلافه.

فإن قال: فهل من رواية عن أحد منهم بذلك؟

قيل: علم ذلك عند أهل العلم من السلف كان أشهر من أن يحتاج فيه إلى رواية منسوبة إلى شخص منهم بعينه، وقد روي ذلك عن جماعة منهم مسمين بأعيانهم
فإن قال: فاذكرهم لنا.

قيل: حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَكَمٌ: عَنْ عَنبَسَةَ، عَنْ سِمَاكِ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، فَكُلُّ يَوْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ أَنْتُمْ حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ سِمَاكِ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ» .

قَالَ: السِّتَّةُ الْأَيَّامُ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ فِيهَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.

حَدَّثَنَا عَبْدَةُ، حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَرَجِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرَنَا عُبَيْدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ»: يعني هذا اليوم من الأيام الستة التي خلق الله فيهن السموات والأرض وما بينهما.

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، عَنْ الْمُسَيْبِ بْنِ شَرِيكٍ، عَنْ أَبِي رَوْحٍ، عَنْ الضَّحَّاكِ: «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ»
 قال: من أيام الآخرة، كل يوم كان مقداره ألف سنة، ابتداءً في الخلق يوم الأحد، واجتمع الخلق يوم الجمعة.
 حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ: قَالَ: بَدَأَ اللَّهُ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَوْمَ الْأَحَدِ
 وَالْاِثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ وَالْأَرْبَعَاءِ وَالْخَمِيسِ، وَفَرَّغَ مِنْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، قَالَ: لِفَجَلِ مَكَانٍ كُلِّ يَوْمٍ أَلْفَ سَنَةٍ
 حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بَشْرٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: يَوْمٌ مِنَ السِّتَةِ الْأَيَّامِ، كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ.
 فهذا هذا وبعد، فلا وجه لقول قائل: وكيف يوصف الله تعالى ذكره بأنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام قدر مدتها
 من أيام الدنيا ستة آلاف سنة، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون، لأنه لا شيء يتوهمه متوهم في قول قائل ذلك إلا
 وهو موجود في قول قائل: خلق ذلك كله في ستة أيام مدتها مدة ستة أيام من أيام الدنيا، لأن أمره جل جلاله إذا أراد شيئاً أن
 يقول له كن فيكون

١٠٢٠٣ القول في الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه

القول في الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه
 وفي بدء خلق الشمس والقمر وصفتهما إذ كانت الأزمنة بهما تعرف قد قلنا في خلق الله عز ذكره ما خلق من الأشياء قبل خلقه
 الأوقات والأزمنة، وبيننا أن الأوقات والأزمنة إنما هي ساعات الليل والنهار، وأن ذلك إنما هو قطع الشمس والقمر درجات الفلك،
 فلنقل الآن: بأي ذلك كان الابتداء، بالليل أم بالنهار؟ إذ كان الاختلاف في ذلك موجوداً بين ذوي النظر فيه، بأن بعضهم يقول
 فيه: خلق الله الليل قبل النهار، ويستشهد على حقيقة قوله ذلك بأن الشمس إذا غابت وذهب ضوءها الذي هو نهار هجم الليل بظلامه،
 فكان معلوماً بذلك أن الضياء هو المتورد على الليل، وأن الليل إن لم يبطله النهار المتورد عليه هو الثابت، فكان بذلك من أمرهما دلالة
 على أن الليل هو الأول خلقاً، وأن الشمس هو الآخر منهما خلقاً، وهذا قول يروى عن ابن عباس.
 حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سُئِلَ: هَلِ اللَّيْلُ كَانَ قَبْلَ النَّهَارِ؟
 قَالَ: أَرَأَيْتُمْ حِينَ كَانَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ رَتْقًا، هَلْ كَانَ بَيْنَهُمَا إِلَّا ظُلْمَةٌ! ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّيْلَ كَانَ قَبْلَ النَّهَارِ.
 حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا الثَّوْرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: إِنَّ اللَّيْلَ قَبْلَ النَّهَارِ، ثُمَّ
 قَالَ: «كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا».

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ أَيُّوبَ يَحْدُثُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ مَرثَدِ
 ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْيَزَنِيِّ، قَالَ: لَمْ يَكُنْ عَقَبَةُ بْنُ عَامِرٍ إِذَا رَأَى الْهَلَالَ - هَلَالَ رَمَضَانَ - يَقُومُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى يَصُومَ يَوْمَهَا، ثُمَّ يَقُومُ بَعْدَ ذَلِكَ
 فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لابْنَ حَبِيرة فَقَالَ: اللَّيْلُ قَبْلَ النَّهَارِ أَمْ النَّهَارُ قَبْلَ اللَّيْلِ؟
 وقال آخرون: كان النهار قبل الليل، واستشهدوا لصحة قولهم هذا بأن الله عز ذكره كان ولا ليل ولا نهار ولا شيء غيره، وأن نوره
 كان يضيء به كل شيء خلقه بعد ما خلقه حتى خلق الليل.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ بِلَالٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ الزُّبَيْرِ أَبِي عَبْدِ السَّلَامِ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفَهْرِيِّ
 أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ عِنْدَهُ لَيْلٌ وَلَا نَهَارٌ، نُورُ السَّمَاوَاتِ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ، وَإِنَّ مِقْدَارَ كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكُمْ هَذِهِ عِنْدَهُ اثْنَتَا
 عَشْرَةَ سَاعَةً.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال:

كان الليل قبل النهار، لأن النهار هو ما ذكرت من ضوء الشمس، وإنما خلق الله الشمس وأجراها في الفلك بعد ما دحا الأرض فبسطها، كما قال عز وجل: «أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكُهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا»، فإذا كانت الشمس خلقت بعد ما سمكت السماء، وأغطش ليلها، فعلوم أنها كانت- قبل أن تخلق الشمس، وقبل أن يخرج الله من السماء ضحاها- مظلمة لا مضيئة.

وبعد، فإن في مشاهدتنا من أمر الليل والنهار ما نشاهده دليلاً بيناً على أن النهار هو الهاجم على الليل لأن الشمس متى غابت فذهب ضوءها ليلاً أو نهاراً أظلم الجو، فكان معلوماً بذلك أن النهار هو الهاجم على الليل بضوئه ونوره والله أعلم.

فأما القول في بدء خلقهما فإن الخبر عن رسول الله ص بوقت خلق الله الشمس والقمر مختلف. فأما ابن عباسٍ فروي عنه أنه قال: خلق الله يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه، حدثنا بذلك هناد بن السري، قال: حدثنا أبو بكر بن عيَّاش، عن أبي سعد البقال، عن عكرمه، عن ابن عباس، عن النبي ص. [وروى أبو هريرة عن النبي ص أنه قال: خلق الله النور يوم الأربعاء،] حدثني بذلك القاسم بن بشرٍ والحسين بن عليٍّ، قالوا: حدثنا

ججاج بن محمد، عن ابن جريج، عن إسماعيل بن أمية، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع، عن أبي هريرة، عن النبي ص. وأي ذلك كان، فقد خلق الله قبل خلقه إياهما خلقاً كثيراً غيرهما، ثم خلقهما عز وجل لما هو أعلم به من مصلحة خلقه، فجعلهما دائبي الجري، ثم فصل بينهما، فجعل إحداهما آية الليل، والأخرى آية النهار، فجاء آية الليل، وجعل آية النهار مبصره وقد روى عن رسول الله ص في سبب اختلاف حالتي آية الليل وآية النهار أخباراً أنا ذاكر منها بعض ما حضرني ذكره وعن جماعة من السلف أيضاً نحو ذلك.

فما روى عن رسول الله ص في ذلك، ما حدثني محمد بن أبي منصور الآملي، حدثنا خلف بن واصل، قال: حدثنا عمر بن صبيح أبو نعيم البلخي، عن مقاتل بن حيان، عن عبد الرحمن بن أربى، عن أبي ذر الغفاري، قال: كنت أخذ بيد رسول الله ص ونحن نتماشى جميعاً نحو المغرب، وقد طفلت الشمس، فما زلنا ننظر إليها حتى غابت، [قال: قلت: يا رسول الله، أين تغرب؟ قال: تغرب في السماء، ثم ترفع من سماء إلى سماء حتى ترفع إلى السماء السابعة العليا، حتى تكون تحت العرش، فتخر ساجدة، فتسجد معها الملائكة الموكلون بها، ثم تقول: يا رب، من أين تأمرني أن أطلع، أم من مغربي أم من مطلعي؟ قال: فذلك قوله عز وجل: «وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا» حيث تخبس تحت العرش، «ذلك تقدير العزيز العليم» قال: يعني ب ذلك صنع الرب العزيز في ملكه العليم بخلقته قال: فيأتيها جبرئيل بحلة ضوء من نور العرش، على مقادير ساعات النهار، في طوله في الصيف، أو قصره في الشتاء، أو ما بين ذلك في الخريف والربيع قال: فتلبس تلك الحلة كما يلبس أحدكم ثيابه، ثم تنطلق بها في جو السماء حتى تطلع من مطلعها، قال النبي ص: فكانها قد حبست مقدار ثلاث ليال ثم لا تكسى ضوءاً، وتؤمر أن تطلع من مغربها، فذلك قوله عز وجل: «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ». قال: والقمر كذلك في مطلعته ومجراه في أفق السماء ومغربيه وارتفاعه إلى السماء السابعة العليا، ومحبسه تحت العرش وسجوده واستئذانه، ولكن جبرائيل ع يأتيه بالحلة من نور الكرسي قال: فذلك قوله عز وجل: «جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا» قال أبو ذر: ثم عدلت مع رسول الله ص

فصلينا المغرب فهذا الخبر عن رسول الله يبيّن أن سبب اختلاف حالة الشمس والقمر إنما هو أن ضوء الشمس من كسوة كسيتها من ضوء العرش، وأن نور القمر من كسوة كسيتها من نور الكرسي فأما الخبر الآخر الذي يدل على غير هذا المعنى، فما حدثني محمد ابن أبي منصور، قال: حدثنا خلف بن واصل، قال: حدثنا أبو نعيم، عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة قال: بينا ابن عباس ذات

يَوْمَ جَالَسَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا بَنَ عَبَّاسٍ، سَمِعْتُ الْعَجَبَ مِنْ كَعْبِ الْخَبَرِ يَذْكُرُ فِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ قَالَ: وَكَانَ مُتَكِّفًا فَاحْتَفَزَ ثُمَّ قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّهُ يُجَاءُ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَانَهُمَا ثَوْرَانِ عَقِيرَانِ، فَيُقَذَّفَانِ فِي جَهَنَّمَ قَالَ عِكْرَمَةُ: فَطَارَتْ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ شِقَّةٌ وَوَقَعَتْ أُخْرَى غَضَبًا، ثُمَّ قَالَ: كَذَبَ كَعْبُ! كَذَبَ كَعْبُ! كَذَبَ كَعْبُ! ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بَلْ هَذِهِ يَهُودِيَّةٌ يُرِيدُ إِدْخَالَهَا فِي الْإِسْلَامِ، اللَّهُ أَجَلٌ وَأَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُعَذَّبَ عَلَى طَاعَتِهِ، أَلَمْ تَسْمَعْ لِقَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ»، إِنَّمَا يُعْنِي دَعْوَاهُمَا فِي الطَّاعَةِ، فَكَيْفَ يُعَذَّبُ عَبْدَيْنِ يُثْنِي عَلَيْهِمَا، أَنَهُمَا دَائِبَانِ فِي طَاعَتِهِ! قَاتَلَ اللَّهُ هَذَا الْخَبَرَ وَقَبَحَ حَبْرِيَّتَهُ! مَا أَجْرَاهُ عَلَى اللَّهِ وَأَعْظَمَ فِرْيَتَهُ عَلَى هَذَيْنِ الْعَبْدَيْنِ الْمُطِيعَيْنِ لِلَّهِ! قَالَ: ثُمَّ اسْتَرْجَعَ مَرَّارًا، وَأَخَذَ عَوِيدًا مِنَ الْأَرْضِ، فَجَعَلَ يَنْكُتُهُ فِي الْأَرْضِ، فَظَلَّ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَنَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ، وَرَمَى بِالْعَوِيدِ [فَقَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص، يَقُولُ فِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَبَدَأَ خَلْقَهُمَا وَمَصِيرُ أَمْرِهِمَا؟ فَقُلْنَا: بَلَى رَحِمَكَ اللَّهُ! فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا أَبْرَمَ خَلْقَهُ إِحْكَامًا فَلَمْ يَبْقَ مِنْ خَلْقِهِ غَيْرُ آدَمَ خَلَقَ شَمْسَيْنِ مِنْ نُورِ عَرْشِهِ، فَأَمَّا مَا كَانَ فِي سَابِقِ عَلَيْهِ أَنَّهُ يَدْعُهَا شَمْسًا، فَإِنَّهُ خَلَقَهَا مِثْلَ الدُّنْيَا مَا بَيْنَ مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا،

وَأَمَّا مَا كَانَ فِي سَابِقِ عَلَيْهِ أَنَّهُ يَطْمِسُهَا وَيُحَوِّلُهَا قَرَارًا، فَإِنَّهُ دُونَ الشَّمْسِ فِي الْعِظَمِ، وَلَكِنْ إِنَّمَا يُرَى صِغَرُهَا مِنْ شِدَّةِ ارْتِفَاعِ السَّمَاءِ وَبَعْدِهَا مِنَ الْأَرْضِ.

قَالَ: فَلَوْ تَرَكَ اللَّهُ الشَّمْسَيْنِ كَمَا كَانَ خَلَقَهُمَا فِي بَدْءِ الْأَمْرِ لَمْ يَكُنْ يُعْرِفُ اللَّيْلُ مِنَ النَّهَارِ، وَلَا النَّهَارُ مِنَ اللَّيْلِ، وَكَانَ لَا يَدْرِي الْأَجِيرُ إِلَى مَتَى يَعْمَلُ، وَمَتَى يَأْخُذُ أَجْرَهُ وَلَا يَدْرِي الصَّائِمُ إِلَى مَتَى يَصُومُ، وَلَا تَدْرِي الْمَرْأَةُ كَيْفَ تَعْتَدُ، وَلَا يَدْرِي الْمُسْلِمُونَ مَتَى وَقْتُ الْحَجِّ، وَلَا يَدْرِي الدِّيَّانُ مَتَى تَحِلُّ دِيُونُهُمْ، وَلَا يَدْرِي النَّاسُ مَتَى يَنْصَرِفُونَ لِمَعَايِشِهِمْ، وَمَتَى يَسْكُنُونَ لِرَاحَةِ أَجْسَادِهِمْ.

وَكَانَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ أَنْظَرَ لِعِبَادِهِ وَأَرْحَمَ بِهِمْ، فَأَرْسَلَ جَبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَمَرَ جَنَاحَهُ عَلَى وَجْهِ الْقَمَرِ - وَهُوَ يَوْمُئِذٍ شَمْسٌ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَطَمَسَ عَنْهُ الضَّوْءَ، وَبَقِيَ فِيهِ النُّورُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً» قَالَ: فَالسَّوَادُ الَّذِي تَرَوْنَهُ فِي الْقَمَرِ شَبْهُ الْخَطُوطِ فِيهِ فَهُوَ أَثَرُ الْحَوْثِ ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ لِلشَّمْسِ عَجَلَةً مِنْ ضَوْءِ نُورِ الْعَرْشِ لَهَا ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُونَ عُرْوَةً، وَوَكَّلَ بِالشَّمْسِ وَعَجَلَتِهَا ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتِينَ مُلْكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَدْ تَعَلَّقَ كُلُّ مُلْكٍ مِنْهُمْ بِعُرْوَةٍ مِنْ تِلْكَ الْعُرَا، وَوَكَّلَ بِالْقَمَرِ وَعَجَلَتُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتِينَ مُلْكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ، قَدْ تَعَلَّقَ بِكُلِّ عُرْوَةٍ مِنْ تِلْكَ الْعُرَا مُلْكٌ مِنْهُمْ.

ثُمَّ قَالَ: وَخَلَقَ اللَّهُ لِهَما مَشَارِقَ وَمَغَارِبَ فِي قَطْرِي الْأَرْضِ وَكَنَفِي السَّمَاءِ ثَمَانِينَ وَمِائَةً عَيْنَ فِي الْمَغْرِبِ، طِينَةٌ سُودَاءُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَجَدَّهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ» إِنَّمَا يَعْنِي حَمَاهُ سُودَاءُ مِنْ طِينٍ، وَثَمَانِينَ وَمِائَةً عَيْنَ فِي الْمَشْرِقِ مِثْلَ ذَلِكَ طِينَةٌ سُودَاءُ تَنْفُورُ غَلِيًّا كَغَلِي الْقَدَرِ إِذَا مَا اشْتَدَّ غَلِيًّا قَالَ:

فَكُلُّ يَوْمٍ وَكُلُّ لَيْلَةٍ لَهَا مَطْلَعٌ جَدِيدٌ وَمَغْرِبٌ جَدِيدٌ، مَا بَيْنَ أَوَّلِهَا وَمَطْلَعِهَا، وَآخِرِهَا وَمَغْرِبِهَا أَطْوَلُ مَا يَكُونُ النَّهَارُ فِي الصَّيْفِ إِلَى آخِرِهَا مَطْلَعًا، وَأَوَّلِهَا وَمَغْرِبًا أَقْصَرُ مَا يَكُونُ النَّهَارُ فِي الشِّتَاءِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ» يَعْنِي آخِرُهَا هَاهُنَا وَآخِرُهَا ثَمَ، وَتَرَكَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، ثُمَّ جَمَعَهُمَا فَقَالَ: «رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ»، فَذَكَرَ عِدَّةَ تِلْكَ الْعَيُونِ كُلِّهَا.

قَالَ: وَخَلَقَ اللَّهُ بَحْرًا، فَجَرَى دُونَ السَّمَاءِ مَقْدَارَ ثَلَاثِ فَرَاسِخٍ، وَهُوَ مَوْجٌ مَكْفُوفٌ قَائِمٌ فِي الْهَوَاءِ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْطُرُ مِنْهُ قَطْرَةٌ، وَالْبَحَارُ كُلُّهَا.

سَاكِنَةٌ، وَذَلِكَ الْبَحْرُ جَارٌ فِي سُرْعَةِ السَّهْمِ ثُمَّ انْطَلَقَ فِي الْهَوَاءِ مُسْتَوِيًا، كَأَنَّهُ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَتَجْرِي الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالْخَنَسُ فِي لُجَّةِ غَمْرِ ذَلِكَ الْبَحْرِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «كُلُّ فِي فَلَكَ يَسْبَحُونَ*»، وَالْفَلَكَ دَوْرَانِ الْعَجَلَةِ فِي لُجَّةِ غَمْرِ ذَلِكَ الْبَحْرِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ بَدَتْ الشَّمْسُ مِنْ ذَلِكَ الْبَحْرِ لَأَحْرَقَتْ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى الصَّخُورَ وَالْحِجَارَةَ، وَلَوْ بَدَا الْقَمَرُ مِنْ

ذلك لافتتن أهل الأرض حتى يعبدوه من دون الله، إلا من شاء الله أن يعصم من أوليائه.

قال ابن عباس: فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ذكرت مجرى الخنس مع الشمس والقمر، وقد أقسم الله بالخنس في القرآن إلى ما كان من ذكرك، فما الخنس؟ قال: يا علي، هن خمسة كواكب: البرجيس، وزحل، وعطارد، وبهرام، والزهرة،

فهذه الكواكب الخمسة الطالعات الجاريات، مثل الشمس والقمر، العاديات معهما، فأما سائر الكواكب فمعلقات من السماء كتعليق القناديل من المساجد، وهي تحوم مع السماء دورانا بالتسييح والتقديس والصلاة لله، ثم قال النبي ص: فإن أحببت أن تستبينوا ذلك، فانظروا إلى دوران الفلك مره هاهنا ومره هاهنا، فذلك دوران السماء، ودوران الكواكب معها كلها سوى هذه الخمسة، ودورانها اليوم كما ترون، وتلك صلاتها، ودورانها إلى يوم القيامة في سرعة دوران الرجا من أهوال يوم القيامة وزلازله، فذلك قوله عز وجل: «م تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا».

فويل يومئذ للمكذبين.

قال: فإذا طلعت الشمس فإنها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلاثمائة وستون ملكا ناشري أجنحتهم، يجرونها في الفلك بالتسييح والتقديس والصلاة لله على قدر ساعات الليل وساعات النهار ليلا كان أو نهارا، فإذا أحب الله أن يبتلي الشمس والقمر فيري العباد آية من الآيات فيستعجبهم رجوعا عن معصيته وإقبالا على طاعته، خرت الشمس من العجلة فتقع في غمر ذلك البحر وهو الفلك، فإذا أحب الله أن يعظم الآية ويشدد تخويف العباد وقعت الشمس كلها فلا يبقى منها على العجلة شيء، فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم، وهو المنتهى من كسوفها فإذا أراد أن يجعل آية دون آية وقع منها النصف أو الثلث أو الثلثان في الماء، ويبقى سائر ذلك على العجلة، فهو كسوف دون كسوف، وبلاء للشمس أو للقمر، وتخويف للعباد، واستعجاب من الرب عز وجل، فأبي ذلك كان صارت الملائكة الموكلون بعجلتها فرقتين: فرقة منها يقبلون على الشمس فيجرونها نحو العجلة، والفرقة الأخرى يقبلون على العجلة فيجرونها نحو الشمس، وهم في ذلك يقرونها في الفلك بالتسييح والتقديس والصلاة لله على قدر ساعات النهار أو ساعات الليل، ليلا كان أو نهارا، في الصيف كان ذلك أو في الشتاء، أو ما بين ذلك في الخريف والربيع، لكيلا يزيد في طولهما شيء، ولكن قد ألهمهم الله علم ذلك، وجعل لهم تلك القوة، والذي ترون من خروج الشمس أو القمر بعد الكسوف قليلا قليلا، من غمر ذلك البحر الذي يعلوهما، فإذا أخرجوها كلها اجتمعت الملائكة كلهم، فاحتملوها حتى يضعوها على العجلة، فيحمدون الله على ما قواهم لذلك، ويتعلقون بعرا العجلة، ويجرونها في الفلك بالتسييح والتقديس والصلاة لله حتى يبلغوا بها المغرب، فإذا بلغوا بها المغرب أدخلوها تلك العين، فتسقط من أفق السماء في العين.

ثم قال النبي ص، وعجب من خلق الله: وللعجب من القدرة فيما لم نر أعجب من ذلك، وذلك قول جبرئيل ع لساره:

«أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» وذلك أن الله عز وجل خلق مدينتين: إحداهما بالشرق والأخرى بالمغرب، أهل المدينة التي بالشرق من بقايا عاد من نسل مؤمنهم، وأهل التي بالمغرب من بقايا ثمود من نسل الذين آمنوا بصالح، اسم التي بالشرق بالسريانية مرقيسيا وبالعربية جابلق واسم التي بالمغرب بالسريانية برجيسيا وبالعربية جابرس ولكل مدينة منهما عشرة آلاف باب، ما بين

كل بابين فرسخ، ينوب كل يوم على كل باب من أبواب هاتين المدينتين عشرة آلاف رجل من الحراسة، عليهم السلاح، لا تنوبهم الحراسة بعد ذلك إلى يوم ينفخ في الصور، فوالذي نفس محمد بيده، لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج أصواتهم لسمع الناس من جميع أهل الدنيا هدة وقعة الشمس حين تطلع وحين تغرب، ومن ورائهم ثلاث أمم: منسك، وتافيل، وتاريس، ومن دونهم يأجوج ومأجوج. وان جبرئيل ع انطلق بي اليهم ليلة اسرى بي من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فدعوت يأجوج ومأجوج إلى عبادة الله عز وجل فأبوا أن يجيبوني، ثم انطلق بي إلى أهل المدينتين، فدعوتهم إلى دين الله عز وجل وإلى عبادته فأجابوا وأنابوا، فهم في الدين إخواننا، من أحسن منهم فهو مع محسنكم، ومن أساء منهم فأولئك مع المسيئين منكم ثم انطلق بي إلى الأمم الثلاث، فدعوتهم إلى دين

الله وإلى عبادته فأنكروا ما دعوتهم إليه، فكفروا بالله عز وجل وكذبوا رسله، فهم مع يأجوج ومأجوج وسائر من عصى الله في النار، فإذا ما غربت الشمس رفع بها من سماء إلى سماء في سرعة طيران الملائكة، حتى يبلغ بها إلى السماء السابعة العليا، حتى تكون تحت العرش فتخر ساجده، وتسجد معها الملائكة الموكلون بها، فيحدر بها من سماء إلى سماء، فإذا وصلت إلى هذه السماء فذلك حين ينفجر الفجر، فإذا انحدرت من بعض تلك العيون، فذاك حين يضيء الصبح، فإذا وصلت إلى هذا الوجه من السماء فذاك حين يضيء النهار. قال: وجعل الله عند المشرق حجابا من الظلمة على البحر السابع، مقدار

عدة الليالي منذ يوم خلق الله الدنيا إلى يوم تصرم، فإذا كان عند الغروب أقبل ملك قد وكل بالليل فيقبض قبضة من ظلمة ذلك الحجاب، ثم يستقبل المغرب، فلا يزال يرسل من الظلمة من خلل اصابته قليلا قليلا وهو يراعي الشفق، فإذا غاب الشفق أرسل الظلمة كلها ثم ينشر جناحيه، فيبلغان قطري الأرض وكنفي السماء، ويجاوزان ما شاء الله عز وجل خارجا في الهواء، فيسوق ظلمة الليل بجناحيه بالتسبيح والتقديس والصلاة لله حتى يبلغ المغرب، فإذا بلغ المغرب انفجر الصبح من المشرق، فضم جناحيه، ثم يضم الظلمة بعضها إلى بعض بكفيه، ثم يقبض عليها بكف واحدة نحو قبضته إذا تناولها من الحجاب بالمشرق، فيضعها عند المغرب على البحر السابع من هناك ظلمة الليل فإذا ما نقل ذلك الحجاب من المشرق إلى المغرب نفخ في الصور، وانقضت الدنيا، فضوء النهار من قبل المشرق، وظلمة الليل من قبل ذلك الحجاب، فلا تزال الشمس والقمر كذلك من مطالعهما إلى مغاربهما إلى ارتفاعهما، إلى السماء السابعة العليا، إلى محبسهما تحت العرش، حتى يأتي الوقت الذي ضرب الله لتوبة العباد، فتكثر المعاصي في الأرض ويذهب المعروف، فلا يأمر به أحد، ويفشو المنكر فلا ينهى عنه أحد.

فإذا كان ذلك حبست الشمس مقدار ليلة تحت العرش، فكلها سجدت واستأذنت: من أين تطلع؟ لم يحر إليها جواب، حتى يوافيها القمر ويسجد معها، ويستأذن: من أين يطلع؟ فلا يحار إليه جواب، حتى يحبسهما مقدار ثلاث ليال للشمس، وليلتين للقمر، فلا يعرف طول تلك الليلة إلا المتجددون في الأرض، وهم حينئذ عصابة قليلة في كل بلدة من بلاد المسلمين، في هو ان من الناس وذلة من أنفسهم، فينام أحدهم تلك الليلة قدر ما كان ينام قبلها من الليالي، ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاه فيصلي ورده، كما كان يصلي قبل ذلك، ثم يخرج فلا يرى الصبح، فينكر ذلك ويظن فيه الظنون من الشر ثم يقول: فلعلني خففت قراءتي، أو قصرت صلاتي، أو قت قبل حين! [قال: ثم يعود أيضا فيصلي ورده كمثل ورده، الليلة الثانية، ثم يخرج فلا يرى الصبح، فيزيده ذلك إنكارا، ويخالطه الخوف، ويظن في ذلك الظنون من الشر، ثم يقول: فلعلني خففت قراءتي، أو قصرت صلاتي، أو قت من أول الليل! ثم يعود أيضا الثالثة وهو وجل مشفق لما يتوقع من هول تلك الليلة، فيصلي أيضا مثل ورده، الليلة الثالثة، ثم يخرج فإذا هو بالليل مكانه والنجوم قد استدارت وصارت إلى مكانها من أول الليل فيشفق عند ذلك شفقة الخائف العارف بما كان يتوقع من هول تلك الليلة فيستلحمه الخوف، ويستخفه البكاء، ثم ينادي بعضهم بعضا، وقبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواصلون، فيجتمع المتجددون من أهل كل بلدة إلى مسجد من مساجدها، ويجأرون إلى الله عز وجل بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة، والغافلون في غفلتهم، حتى إذا ما تم لهما مقدار ثلاث ليال للشمس والقمر ليلتين، أتاهما جبرئيل فيقول:

ان الرب عز وجل يأمر كما أن ترجعا إلى مغاربكما فتطلعا منها، وأنه لا ضوء لكما عندنا ولا نور قال: فيبكيان عند ذلك بكاء يسمعه أهل سبع سموات من دونهما وأهل سرادقات العرش وحمة العرش من فوقهما، فيبكون لبكائهما مع ما يخالطهم من خوف الموت، وخوف يوم القيامة.

قال: فبينما الناس ينتظرون طلوعهما من المشرق إذا هما قد طلعا خلف أفقيتهما من المغرب أسودين مكورين كالغراطين، ولا ضوء للشمس ولا نور للقمر، مثلهما في كسوفهما قبل ذلك، فيتصايح أهل الدنيا وتذهل الأمهات عن أولادهما، والأحبة عن ثرة قلوبها، فتشتغل كل نفس بما أتاها قال:

فأما الصالحون والأبرار فإنه ينفعهم بكأؤهم يومئذ، ويكتب ذلك لهم عبادة. وأما الفاسقون والفجار فإنه لا ينفعهم بكأؤهم يومئذ، ويكتب ذلك عليهم خسارة قال: فيرتفعان مثل البعيرين القرينين، ينازع كل واحد منهما

صاحبه استبقا، حتى إذا بلغا سرّة السماء- وهو منصفها- أتاهما جبرئيل فأخذ بقرونها ثم ردهما إلى المغرب، فلا يغربهما في مغاربهما من تلك العيون، ولكن يغربهما في باب التوبة.

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنا وأهلي فداؤك يا رسول الله! فما باب التوبة؟ قال: يا عمر، خلق الله عز وجل بابا للتوبة خلف المغرب، مصراعين من ذهب، مكللا بالدر والجوهر، ما بين المصراع إلى المصراع الآخر مسيرة أربعين عاما للراكب المسرع، فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله خلقه إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربهما، ولم يتب عبد من عباد الله توبة نصوحا من لدن آدم إلى صبيحة تلك الليلة إلا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب، ثم ترفع إلى الله عز وجل قال معاذ بن جبل: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! وما التوبة النصوح؟

قال: أن يندم المذنب على الذنب الذي أصابه فيعتذر إلى الله ثم لا يعود إليه، كما لا يعود اللبن إلى الضرع قال: فيرد جبرئيل بالمصراعين فيلأم بينهما ويصيرهما كأنه لم يكن فيما بينهما صدع قط، فإذا اغلق باب التوبة لم يقبل بعد ذلك توبة، ولم ينفع بعد ذلك حسنة يعملها في الإسلام إلا من كان قبل ذلك محسنا، فإنه يجري لهم وعليهم بعد ذلك ما كان يجري قبل ذلك، قال فذلك قوله عز وجل: «يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا» .

فقال أبي بن كعب: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك! وكيف بالناس والدينا! فقال: يا أبي، إن الشمس والقمر

بعد ذلك يكسيان النور والضوء، ويطلعان على الناس ويغربان كما كانا قبل ذلك، وأما الناس فإنهم نظروا إلى ما نظروا إليه من فظاعة الآية، فيلحون على الدنيا حتى يجروا فيها الأنهار، ويغرسوا فيها الشجر، ويبنوا فيها البنيان وأما الدنيا فإنه لو أنتج رجل ميرا لم يركبه من لدن طلوع الشمس من مغربها إلى يوم ينفخ في الصور.

فقال حذيفة بن اليمان: أنا وأهلي فداؤك يا رسول الله! فكيف هم عند النفخ في الصور! فقال: يا حذيفة، والذي نفس محمد بيده، لتقومن الساعة ولينفخن في الصور والرجل قد لط حوضه فلا يسقي منه، ولتقومن الساعة والثوب بين الرجلين فلا يطويانه، ولا يتبايعانه ولتقومن الساعة والرجل قد رفع لقمته إلى فيه فلا يطعمها، ولتقومن الساعة والرجل قد انصرف بلبن لقمته من تحتها فلا يشربه، ثم تلا رسول الله ص هذه الآية: «وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» .

فإذا نفخ في الصور، وقامت الساعة، وميز الله بين أهل الجنة وأهل النار ولما يدخلوهما بعد، إذ يدعو الله عز وجل بالشمس والقمر، فيجاء بهما أسودين مكورين قد وقعا في زلزال وبلبال، ترعد فرائصهما من هول ذلك اليوم ومخافة الرحمن، حتى إذا كانا حيال العرش خرا لله ساجدين، فيقولان: إلهنا قد علمت طاعتنا ودءوبنا في عبادتك، وسرعتنا للمضي في أمرك أيام الدنيا، فلا تعذبنا بعبادة المشركين إيانا، فإننا لم ندع إلى عبادتنا، ولم نذهل عن عبادتك! قال: فيقول الرب تبارك وتعالى: صدقتما، وإني قضيت على نفسي أن أبدئ وأعيد، وإني معيدكما فيما بدأتكما منه، فارجعا إلى ما خلقتما منه،

قالا: إلهنا، ومم خلقتنا؟ قال: خلقتكما من نور عرشي، فارجعا إليه قال:

فيلتصع من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الأبصار نورا، فتختلط بنور العرش فذلك قوله عز وجل: «يُبْدِئُ وَيُعِيدُ» . قال عكرمة: فقامت مع النفر الذين حدثوا به، حتى أتينا كعبا فأخبرناه بما كان من وجد ابن عباس من حديثه، وبما حدث عن رسول الله ص، فقام كعب معنا حتى أتينا ابن عباس، فقال: قد بلغني ما كان من وجدك من حديثي، وأستغفر الله وأتوب إليه، وإني إنما حدثت عن كتاب دارس قد تداولته الأيدي، ولا أدري ما كان فيه من تبديل اليهود، وإنك حدثت عن كتاب جديد حديث العهد بالرحمن عز وجل وعن سيد الأنبياء وخير النبيين، فأنا أحب أن تحدثني الحديث فأحفظه عنك، فإذا حدثت به كان مكان حديثي الأول.

قال عكرمة: فأعاد عليه ابن عباس الحديث، وأنا أستقره في قلبي بابا بابا، فما زاد شيئا ولا نقص، ولا قدم شيئا ولا أخر، فزادني ذلك في ابن عباس رغبة، وللحديث حفظا.

ومما روي عن السلف في ذلك ما حَدَّثَهُ ابن حميد، قال:

حدثنا جرير، عن عبد العزيز بن ربيع، عن أبي الطفيل، قال: [قال ابن الكواء لعل ع: يا أمير المؤمنين، ما هذه اللَّطْخَةُ الَّتِي فِي الْقَمَرِ؟ فَقَالَ: وَيْحَكَ! أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ: «فَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ»! فهذه محو]

حدثنا أبو كريب، قال: حَدَّثَنَا طَلْقٌ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ رَبِيعَةَ، [قال: سال ابن الكواء عليا ع فقال:

مَا هَذَا السَّوَادُ فِي الْقَمَرِ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: «فَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً»، هُوَ الْمَحْوُ].

حدثنا ابن بشار، قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: [كنت عند علي ع، فسأله

ابن الكواء عن السَّوَادِ الَّذِي فِي الْقَمَرِ فَقَالَ: ذَلِكَ آيَةُ اللَّيْلِ مُحِيتٌ].

حدثنا ابن أبي الشَّوَارِبِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، قَالَ:

حدثنا عمران بن حدير، عن ربيع، ابى كثيره، قال: [قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سلوا عما شئتم، فقام ابن الكواء فقال: ما

السَّوَادُ الَّذِي فِي الْقَمَرِ؟ فَقَالَ: قَاتَلَكَ اللَّهُ! هَلَا سَأَلْتَ عَنْ أَمْرِ دِينِكَ وَأَخْرَجْتَ! ثُمَّ قَالَ:

ذَلِكَ مَحْوُ اللَّيْلِ].

حدثنا زكرياء بن يحيى بن أبان المصري، قال: حَدَّثَنَا ابْنُ عُفَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ لُهِيعَةَ، عَنْ حِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ،

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، [أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا السَّوَادُ الَّذِي فِي الْقَمَرِ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ

وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً»].

حدثني محمد بن سعد، قال: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: «وَجَعَلْنَا

اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ»، قَالَ: هُوَ السَّوَادُ بِاللَّيْلِ.

حدثنا القاسم، قال: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ الْقَمَرُ يُضِيءُ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ،

وَالْقَمَرُ آيَةُ اللَّيْلِ، وَالشَّمْسُ آيَةُ النَّهَارِ، «فَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ»، قَالَ: السَّوَادُ الَّذِي فِي الْقَمَرِ، كَذَلِكَ خَلَقَهُ اللَّهُ.

حدثنا القاسم، قال: حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ»، قَالَ: لَيْلًا وَنَهَارًا

كَذَلِكَ خَلَقَهُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

قال ابن جريج: وَأَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ، قَالَ: «فَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً»، قَالَ: ظُلْمَةُ اللَّيْلِ وَسَدْفُ النَّهَارِ.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَحَوْنَا آيَةَ

اللَّيْلِ»، كَمَا نَحْدُثُ أَنَّ مَحْوَ آيَةِ اللَّيْلِ سَوَادُ الْقَمَرِ الَّذِي فِيهِ، «وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً»، مِنْبَرَةٌ، وَخَلَقَ الشَّمْسُ أَنْوَارَ مِنَ الْقَمَرِ وَأَعْظَمَ.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ، جَمِيعًا عَنْ

ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ»، قَالَ: لَيْلًا وَنَهَارًا، كَذَلِكَ جَعَلَهُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره خلق شمس النهار وقر الليل آيتين، فجعل آية النهار التي

هي الشمس مبصرة يبصر بها، ومحا آية الليل التي هي القمر بالسواد الذي فيه.

وجائز أن يكون الله تعالى ذكره خلقهما شمس من نور عرشه، ثم محا نور القمر بالليل على نحو ما قاله من ذكرنا قوله، فكان ذلك سبب

اختلاف حالتيهما.

وجائز أن يكون إضاءة الشمس للكسوة التي تكساها من ضوء العرش، ونور القمر من الكسوة التي يكساها من نور الكرسي.

ولو صح سند أحد الخبرين اللذين ذكرتهما لقلنا به، ولكن في أسانيدهما نظرا، فلم نستجز قطع القول بتصحيح ما فيهما من الخبر عن سبب اختلاف حال الشمس والقمر، غير أننا يبقين نعلم أن الله عز وجل خالف بين صفتيهما في الإضاءة لما كان أعلم به من صلاح خلقه باختلاف أمريهما، فخالف بينهما، فجعل أحدهما مضيئا مبصرا به، والآخر ممحو الضوء.

وإنما ذكرنا قدر ما ذكرنا من أمر الشمس والقمر في كتابنا هذا، وإن كنا قد أعرضنا عن ذكر كثير من أمرهما وأخبارهما، مع إعراضنا عن ذكر بدء خلق الله السموات والأرض وصفة ذلك، وسائر ما تركنا ذكره من جميع خلق الله في هذا الكتاب، لأن قصدنا في كتابنا هذا ذكر ما قدمنا الخبر عنه أننا ذاكره فيه من ذكر الأزمنة وتاريخ الملوك والأنبياء والرسل، على ما قد شرطنا في أول هذا الكتاب، وكانت التأريخات والأزمنة إنما توقفت بالليالي والأيام التي إنما هي مقادير ساعات جري الشمس والقمر في أفلاكهما على ما قد ذكرنا في الأخبار التي رويناهما عن رسول الله ص، وكان ما كان قبل

خلق الله عز ذكره إياهما من خلقه في غير أوقات ولا ساعات ولا ليل ولا نهار.

وإذ كنا قد بينا مقدار مدة ما بين أول ابتداء الله عز وجل في إنشاء ما أراد إنشاء من خلقه إلى حين فراغه من إنشاء جميعهم من سني الدنيا ومدة أزمانها بالشواهد التي استشهدنا بها من الآثار والأخبار، وأتينا على القول في مدة ما بعد أن فرغ من خلق جميعه إلى فناء الجميع بالأدلة التي دللنا بها على صحة ذلك من الاخبار الواردة عن رسول الله ص وعن الصحابة وغيرهم من علماء الأمة، وكان الغرض في كتابنا هذا ذكر ما قد بينا أننا ذاكره من تاريخ الملوك الجبارة العاصية ربها عز وجل والمطيعه ربها منهم، وأزمان الرسل والأنبياء، وكنا قد أتينا على ذكر ما به تصحح التأريخات وتعرف به الأوقات والساعات، وذلك الشمس والقمر اللذان بأحدهما تدرك معرفه ساعات الليل وأوقاته، وبالأخر تدرك علم ساعات النهار وأوقاته فلنقل الآن في أول من أعطاه الله ملكا، وأنعم عليه فكفر نعمته، وخذ ربوبيته، وعتا على ربه واستكبر، فسلبه الله نعمته، وأخزاه وأذله ثم تبعه ذكر من استن في ذلك سنته، واقتفى فيه أثره، فأحل الله به نعمته وجعله من شيعة، وألحقه به في الخزي والذل ونذكر من كان بإزائه أو بعده من الملوك المطيعه ربها المحموده آثارها، أو من الرسل والأنبياء إن شاء الله عز وجل.

فأولهم وإمامهم في ذلك ورئيسهم وقائدهم فيه إبليس لعنه الله.

وكان الله عز وجل قد احسن خلقه وشرفه وكرمه وملكه على سماء الدنيا والأرض فيما ذكر، وجعله مع ذلك من خزان الجنة، فاستكبر على ربه

وادعى الربوبية، ودعا من كان تحت يده فيما ذكر إلى عبادته، ففسخه الله تعالى شيطانا رجيمًا، وشوه خلقه، وسلبه ما كان حوله، ولعنه وطرده عن سمواته في العاجل، ثم جعل مسكنه ومسكن اتباعه وشيعته في الآخرة نار جهنم، نعوذ بالله من غضبه، ومن عمل يقرب من غضبه، ومن الحور بعد الكور.

ونبدأ بذكر جمل من الأخبار الواردة عن السلف بما كان الله عز وجل أعطاه من الكرامة قبل استكباره عليه، وادعائه ما لم يكن له ادعائه، ثم نتبع ذلك ما كان من الأحداث في أيام سلطانه وملكه إلى حين زوال ذلك عنه، والسبب الذي به زال عنه ما كان فيه من نعمة الله عليه، وجميل آلائه، وغير ذلك من أموره، إن شاء الله مختصرا

١٠٣ ذكر الاخبار الواردة بان ابليس كان له ملك السماء الدنيا والارض وما بين ذلك

ذكر الأخبار الواردة بأن إبليس كان له ملك السماء الدنيا والأرض وما بين ذلك

حدثنا القاسم بن الحسن، قال: حدثنا الحسين بن داود، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: كان إبليس من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة، وكان خازنًا على الجنان، وكان له سلطان سماء الدنيا، وكان له سلطان الأرض.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن صالح مولى التوءمه وشريك بن أبي نمر - أحدهما أو كلاهما -

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: إِنَّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَبِيلَةً مِنَ الْجِنِّ وَكَانَ إِبْلِيسُ مِنْهَا، وَكَانَ يَسُوسُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ هَارُونَ الهمداني، قَالَ: حَدَّثَنَا عمرو بن حماد، قَالَ: حَدَّثَنَا أسباط، عن السدي، في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ص جعل إبليس على سماء الدنيا، وَكَانَ مِنْ قَبِيلَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُقَالُ لَهُمُ الْجِنُّ، وَإِنَّمَا سُمُّوا الْجِنَّ لِأَنَّهُمْ خَزَانُ الْجَنَّةِ، وَكَانَ إِبْلِيسُ مَعَ مُلْكِهِ خَازِنًا. حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ الْمُرُوزِيُّ، حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَرَجِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ الْفَضْلَ بْنَ خَالِدٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ ابْنَ مَرْحَمٍ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: «فَسَجُدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ»، قَالَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنْ أَشْرَفِ الْمَلَائِكَةِ وَأَكْرَمِهِمُ

قَبِيلَةً، وَكَانَ خَازِنًا عَلَى الْجَنَانِ، وَكَانَ لَهُ سُلْطَانُ سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَكَانَ لَهُ سُلْطَانُ الْأَرْضِ. حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سلمة، قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُبَارَكُ بْنُ مُجَاهِدٍ أَبُو الْأَزْهَرِ، عَنْ شَرِيكَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمْرٍ، عَنْ صَالِحِ مَوْلَى التَّوَمَةِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: إِنَّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا يُقَالُ لَهُمُ الْجِنُّ، فَكَانَ إِبْلِيسُ مِنْهُمْ، وَكَانَ يَسُوسُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَعَصَى، فَسَخَّهَ اللَّهُ شَيْطَانًا رَجِيمًا

١٠٣٠١ ذكر الخبر عن غمط عدو الله نعمه ربه واستكباره عليه وادعائه الربوبية

ذَكَرَ الْخَبْرَ عَنْ غَمَطِ عَدُوِّ اللَّهِ نِعْمَةَ رَبِّهِ وَاسْتِكْبَارَهُ عَلَيْهِ وَادْعَاءَهُ الرَّبُّوبِيَّةَ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ: «وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ» قَالَ: ابْنُ جَرِيحٍ: مَنْ يَقُلْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ، فَلَمْ يَقُلْهُ إِلَّا إِبْلِيسُ، دَعَا إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، فَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي إِبْلِيسَ. حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ: «وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ»، وَإِنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ خَاصَّةً لِعَدُوِّ اللَّهِ إِبْلِيسَ لَمَّا قَالَ مَا قَالَ، لَعَنَهُ اللَّهُ وَجَعَلَهُ رَجِيمًا، فَقَالَ: «فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ». حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ: «وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ»، قَالَ: هِيَ خَاصَّةٌ لِإِبْلِيسَ

١٠٣٠٢ القول في الاحداث التي كانت في أيام ملك إبليس وسلطانه والسبب الذي به هلك وادعى الربوبية

الْقَوْلُ فِي الْأَحْدَاثِ الَّتِي كَانَتْ فِي أَيَّامِ مَلِكِ إِبْلِيسَ وَاسْلُطَانِهِ وَالسَّبَبُ الَّذِي بِهِ هَلَكَ وَادْعَى الرَّبُّوبِيَّةَ فَمِنْ الْأَحْدَاثِ الَّتِي كَانَتْ فِي مَلِكِ عَدُوِّ اللَّهِ - إِذْ كَانَ اللَّهُ مُطِيعًا - مَا ذَكَرْنَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الْخَبَرِ الَّذِي حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ إِبْلِيسُ مِنْ حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْمَلَائِكَةِ يُقَالُ لَهُمُ: الْجِنُّ خُلِقُوا مِنْ نَارِ السَّمُومِ مِنْ بَيْنِ الْمَلَائِكَةِ، قَالَ: وَكَانَ اسْمُهُ الْحَارِثُ، قَالَ: وَكَانَ خَازِنًا مِنْ خَزَانِ الْجَنَّةِ، قَالَ: وَخُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ مِنْ نُورٍ غَيْرِ هَذَا الْحَيِّ، قَالَ: وَخُلِقَتْ الْجِنُّ الَّذِينَ ذُكِرُوا فِي الْقُرْآنِ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَهُوَ لِسَانُ النَّارِ الَّذِي يَكُونُ فِي طَرَفِهَا إِذَا أُلْهِتْ، قَالَ: وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ طِينٍ، فَأَوَّلُ مَنْ سَكَنَ الْأَرْضَ الْجِنُّ فَأَفْسَدُوا فِيهَا وَسَفَكُوا الدِّمَاءَ، وَقَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، قَالَ: فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ إِبْلِيسَ فِي جُنْدٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَهُمْ هَذَا الْحَيُّ الَّذِينَ يَقَالُ لَهُمُ الْجِنُّ، فَقَتَلَهُمْ إِبْلِيسُ وَمِنْ مَعَهُ حَيٌّ

أَلْحَقَهُمْ بِجَزَائِرِ الْبُحُورِ وَأَطْرَافِ الْجِبَالِ، فَلَمَّا فَعَلَ إِبْلِيسُ ذَلِكَ اغْتَرَّ فِي نَفْسِهِ، وَقَالَ: قَدْ صَنَعْتُ شَيْئًا لَمْ يَصْنَعْهُ أَحَدٌ، قَالَ: فَاطَّلَعَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ قَبْلِهِ، وَلَمْ تَطْلُعْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ.

حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق بن الحجاج، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، وَخَلَقَ الْجِنَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، قَالَ:

فَكَفَرَ قَوْمٌ مِنَ الْجِنِّ، فَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَهْبِطُ إِلَيْهِمْ فِي الْأَرْضِ فَتَقْتُلُهُمْ فَكَانَتِ الدِّمَاءُ وَكَانَ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ

١٠٣٣ ذكر السبب الذي به هلك عدو الله وسولت له نفسه من أجله الاستكبار على ربه عز وجل

ذكر السبب الذي به هلك عدو الله وسولت له نفسه من أجله الاستكبار على ربه عز وجل

اختلف السلف من الصحابة والتابعين في ذلك، وقد ذكرنا أحد الأقوال التي رويت في ذلك عن ابن عباس، وذلك ما ذكر الضحاك عنه، أنه لما قتل الجن الذين عصوا الله، وأفسدوا في الأرض وشردهم، أعجبت نفسه ورأى في نفسه أن له بذلك من الفضيلة ما ليس لغيره.

والقول الثاني من الأقوال المروية في ذلك عن ابن عباس، أنه كان ملك سماء الدنيا وسائسها، وسائس ما بينها وبين الأرض، وخازن الجنة، مع اجتهاده في العبادة، فأعجب بنفسه، ورأى أن له بذلك الفضل، فاستكبر على ربه عز وجل.

ذكر الرواية عنه بذلك:

حدثنا موسى بن هارون الهمداني، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي ص، قال: لَمَّا فَرَّغَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِ مَا أَحَبَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، فَجَعَلَ إِبْلِيسَ عَلَى مَلِكِ سَمَاءِ الدُّنْيَا وَكَانَ مِنْ قَبِيلَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُقَالُ لَهُمُ الْجِنُّ، وَإِنَّمَا سُمُوا الْجِنَّ لِأَنَّهُمْ خُزَانُ الْجَنَّةِ، وَكَانَ إِبْلِيسُ مَعَ مُلْكِهِ خَازِنًا، فَوَقَعَ فِي صَدْرِهِ كِبَرٌ، وَقَالَ: مَا أَعْطَانِي اللَّهُ هَذَا إِلَّا لِمِزْيَةٍ، هَكَذَا حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ وَحَدَّثَنِي بِهِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ حَمَادٍ، قَالَ:

لِمِزْيَةٍ لِي عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَلَمَّا وَقَعَ ذَلِكَ الْكِبَرُ فِي نَفْسِهِ اِطَّلَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُ، فَقَالَ اللَّهُ لِلْمَلَائِكَةِ: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً».

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، عن خلاد بن عطاء، عن طاوس، عن ابن عباس، قال: كَانَ إِبْلِيسُ قَبْلَ أَنْ يَرْكَبَ الْمَعْصِيَةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ اسْمُهُ عَزَازِيلُ، وَكَانَ مِنْ سُكَّانِ الْأَرْضِ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ الْمَلَائِكَةِ اجْتِهَادًا، وَأَكْثَرَهُمْ عِلْمًا، فَذَلِكَ الَّذِي دَعَاهُ إِلَى الْكِبَرِ، وَكَانَ مِنْ حَيِّ يَسْمُونُ جِنًّا.

وحدثنا به ابن حميد مرة أخرى، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن خلاد بن عطاء، عن طاوس - أو مجاهد أبي الحجاج - عن ابن عباس وغيره بخبره، إلا أنه قال: كَانَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ اسْمُهُ عَزَازِيلُ، وَكَانَ مِنْ سُكَّانِ الْأَرْضِ وَعَمَّارِهَا، وَكَانَ سُكَّانُ الْأَرْضِ فِيهِمْ يُسْمَوْنَ الْجِنَّ مِنْ بَيْنِ الْمَلَائِكَةِ.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا شيبان، قال: حدثنا سلام ابن مسكين، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، قال: كَانَ إِبْلِيسُ رَئِيسَ مَلَائِكَةِ سَمَاءِ الدُّنْيَا.

والقول الثالث من الأقوال المروية عنه أنه كان يقول: السبب في ذلك أنه كان من بقايا خلق خلقهم الله عز وجل، فأمرهم بأمر فأبوا طاعته.

ذكر الرواية عنه بذلك:

حدثني محمد بن سنان القزاز، قال: حدثنا أبو عاصم، عن شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: إن الله خلق خلقاً فقال: اسجدوا لآدم، فقالوا: لا نفعل، قال: فبعث الله عليهم ناراً فحرقهم، ثم خلق خلقاً آخر فقال: إني خالق بشر من طين فاسجدوا لآدم، فأبوا، فبعث الله عليهم ناراً فأحرقهم، قال: ثم خلق هؤلاء فقال: الا تسجدوا لآدم! قالوا: نعم، قال: وكان إبليس من أولئك الذين أبوا أن يسجدوا لآدم.

وقال آخرون: بل السبب في ذلك أنه كان من بقايا الجن الذين كانوا في الأرض، فسفكوا فيها الدماء، وأفسدوا فيها، وعصوا ربهم، فقاتلتهم الملائكة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا أبو سعيد اليمامي، عن إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدثني سوار بن الجعد اليمامي، عن شهر بن حوشب، قوله: «كان من الجن»، قال:

كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة، فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء.

حدثني علي بن الحسن، قال: حدثني أبو نصر أحمد بن محمد الخلال، قال: حدثني سنيد بن داود، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى، عن موسى بن نعيم وعثمان بن سعيد بن كامل، عن سعد ابن مسعود، قال: كانت الملائكة تقاتل الجن فسي إبليس، وكان صغيراً، وكان مع الملائكة يتعبد معهم، فلما أمروا أن يسجدوا لآدم سجدوا وأبى إبليس، فلذلك قال الله عز وجل: «إلا إبليس كان من الجن»

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال كما قال الله عز وجل: «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه»، وجائز أن يكون فسوقه عن أمر ربه كان من أجل أنه كان من الجن، وجائز أن يكون من أجل إعجابه بنفسه لشدة اجتهاده كان في عبادة ربه، وكثرة علمه، وما كان أوتي من ملك السماء الدنيا والأرض وخزن الجنان وجائز أن يكون كان لغير ذلك من الأمور، ولا يدرك علم ذلك إلا بخبر تقوم به الحجة، ولا خبر في ذلك عندنا كذلك، والاختلاف في أمره على ما حكينا ورويناه.

وقد قيل: إن سبب هلاكه كان من أجل أن الأرض كان فيها قبل آدم الجن، فبعث الله إبليس قاضياً يقضي بينهم، فلم يزل يقضي بينهم بالحق ألف سنة حتى سمي حكماً، وسماه الله به، وأوحى إليه اسمه، فعند ذلك دخله الكبر، فتعظم وتكبر، وألقى بين الذين كان الله بعثه إليهم حكماً البأس والعداوة والبغضاء، فاقتتلوا عند ذلك في الأرض ألفي سنة فيما زعموا، حتى إن خيولهم تخوض في دمائهم، قالوا: وذلك قول الله تبارك وتعالى: «أفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ»، وقول الملائكة: «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ»! فبعث الله تعالى عند ذلك ناراً فأحرقهم قالوا:

فلما رأى إبليس ما نزل بقومه من العذاب عرج إلى السماء، فأقام عند الملائكة يعبد الله في السماء مجتهداً لم يعبد شيء من خلقه مثل عبادته، فلم يزل مجتهداً في العبادة حتى خلق الله آدم، فكان من أمره ومعصيته ربه ما كان

١٠٤ القول في خلق آدم ع

القول في خلق آدم ع

وكان مما حدث في أيام سلطانه وملكه خلق الله تعالى ذكره أبانا آدم أبا البشر، وذلك لما أراد جل جلاله أن يطعم ملائكته على ما قد علم من انطواء إبليس على الكبر ولم يعلمه الملائكة، وأراد إظهار أمره لهم حين دنا أمره للبوار، وملكه وسلطانه للزوال، فقال عز ذكره

لما أراد ذلك للملائكة: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً»، فأجابوه بأن قالوا له: «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ»! فروي عن ابن عباس أن الملائكة قالت ذلك كذلك للذين قد كانوا عاهدوا من أمر الجن الذين كانوا سكان الأرض قبل ذلك، فقالوا لربهم جل ثناؤه لما قال لهم: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» أتعجل فيها من يكون فيها مثل الجن الذين كانوا فيها، فكانوا يسفكون فيها الدماء ويفسدون فيها ويعصونك، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، فقال الرب تعالى ذكره لهم: «إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»، يقول: اعلم ما لا تعلمون من انطواء إبليس على التكبر، وعزمه على خلافه أمري، وتسويل نفسه له الباطل واغتراره، وأنا مبداً ذلك لكم منه لتروا ذلك منه عياناً.

وقيل أقوال كثيرة في ذلك، قد حكيها منها جملاً في كتابنا المسمى:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، فكرهنا إطالة الكتاب بذكر ذلك في هذا الموضع.

فلما أراد الله عز وجل أن يخلق آدم ع أمر بترتبه أن تؤخذ من الأرض، كما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال:

حدثنا بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاک، عن ابن عباس، قال: قال: ثم أمر - يعني الرب تبارك وتعالى بتربة آدم فرفعت، فخلق الله آدم من طين لا رب - واللازب اللزج الطيب - من حمأ مسنون، منتن، قال:

وَأَمَّا كَانَ حَمًّا مَسْنُونًا بَعْدَ التُّرَابِ، قال: فخلق منه آدم بيده.

حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال:

حدثنا أسباط، عن السدي - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي ص، قال: قالت الملائكة: «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ» قال: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» يعني من شان إبليس، فبعث الله جبرئيل ع إلى الأرض ليأتيه بطين منها، فقالت الأرض: إِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ أَنْ تَقْصَ مِنْي شَيْئًا وَتَشِينِي، فَرَجَعَ وَلَمْ يَأْخُذْ، وَقَالَ: يَا رَبِّ إِنَّهَا عَادَتْ بِكَ فَأَعَذْتُهَا، فَبَعَثَ مِيكَائِيلَ فَعَاذَتْ مِنْهُ فَأَعَاذَهَا فَرَجَعَ، فَقَالَ كَمَا قَالَ جَبْرَائِيلَ، فَبَعَثَ مَلَكُ الْمَوْتِ فَعَاذَتْ مِنْهُ، فَقَالَ: وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَرْجِعَ، وَلَمْ أَنْفِذْ أَمْرَهُ، فَآخَذَ مِنْ وَجْهِ الْأَرْضِ، وَخَلَطَ فَلَمْ يَأْخُذْ مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَأَخَذَ مِنْ تُرْبَةٍ حُمْرَاءَ وَبَيْضَاءَ وَسَوْدَاءَ، فَلِذَلِكَ خَرَجَ بَنُو آدَمَ مُخْتَلِفِينَ، فَصَعِدَ بِهِ فَبَلَّ التُّرَابَ حَتَّى عَادَ طِينًا لَازِبًا - وَاللَّازِبُ هُوَ الَّذِي يَلْتَزِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ - ثُمَّ تَرَكَ حَتَّى تَغَيَّرَ وَاتَّنَنَ، وَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: «مِنْ حَمٍّ مَسْنُونٍ*»، قال: منتن.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، قال: بعث رب العزة عز وجل إبليس، فأخذ من أديم الأرض، من عذبتها وملحها، فخلق منه آدم، ومن ثم سمي آدم، لأنه خلق من أديم الأرض، ومن ثم قال إبليس: «أَسْجِدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا»، أي هذه الطينة أنا جئت بها.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا شعبة، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبيرة، قال: إنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي، قال: حدثنا أبو أحمد، قال:

حدثنا مسعر، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبيرة، قال: خلق آدم من أديم الأرض فسمي آدم.

حدثني أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا عمرو بن ثابت، عن أبيه، عن جده، [عن علي رضي الله عنه، قال:

إِنَّ آدَمَ خُلِقَ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ، فِيهِ الطَّيِّبُ وَالصَّالِحُ وَالرَّديُّ، فَكُلُّ ذَلِكَ أَنْتَ رَأَيْ فِي وَلَدِهِ الصَّالِحِ وَالرَّديِّ].

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عَوْفٍ - وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَعُمَرُ بْنُ شُبَّةَ، قَالَا: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَوْفٌ وَحَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَعَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ، قَالُوا: حَدَّثَنَا عَوْفٌ وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَارَةَ الْأَسَدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَنبَسَةُ، عَنْ عَوْفِ الْأَعْرَابِيِّ - عَنْ قَسَامَةَ بْنِ زُهَيْرٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةِ قَبْضَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، لَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدَرِ الْأَرْضِ، جَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ، وَالْأَسْوَدُ، وَالْأَبْيَضُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ وَالسَّهْلُ، وَالْحَزَنُ، وَالْخَبِيثُ، وَالطَّيِّبُ، ثُمَّ بَلَتْ طِينَتُهُ حَتَّى صَارَتْ طِينًا لَزِبًا، ثُمَّ تَرَكْتُ حَتَّى صَارَتْ حَمًّا مَسْنُونًا، ثُمَّ تَرَكْتُ حَتَّى صَارَتْ صَلْصَلًا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمٍ مَسْنُونٍ»].

وَحَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُسْلِمِ الْبُطَيْنِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: خَلَقَ آدَمُ مِنْ ثَلَاثَةِ: مِنْ صَلْصَالٍ، وَمِنْ حَمٍ، وَمِنْ طِينٍ لَزِبٍ فَأَمَّا اللَّازِبُ فَالْجِيدُ، وَأَمَّا الْحَمُّ فَالْحِمَّةُ، وَأَمَّا الصَّلْصَالُ فَالْتَرَابُ الْمُدَقَّقُ، وَيَعْنِي تَعَالَى ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ: «مِنْ صَلْصَالٍ*»، مِنْ طِينٍ يَابِسٍ لَهُ صَلْصَلَةٌ، وَالصَّلْصَلَةُ: الصَّوْتُ. وَذَكَرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ لَمَّا نَحَرَ طِينَةَ آدَمَ تَرَكَهَا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَقِيلَ أَرْبَعِينَ عَامًا جَسَدًا مُلَقًى. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِتُرْبَةِ آدَمَ فَرُفِعَتْ، نَخْلَقَ آدَمُ مِنْ طِينٍ لَزِبٍ مِنْ حَمٍ مَسْنُونٍ قَالَ: وَإِنَّمَا كَانَ حَمًّا مَسْنُونًا بَعْدَ التُّرَابِ، قَالَ: نَخْلَقَ مِنْهُ آدَمَ بِيَدِهِ، قَالَ: فَكَثَّ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً جَسَدًا مُلَقًى، فَكَانَ إِبْلِيسُ يَأْتِيهِ فَيَضْرِبُهُ بِرِجْلِهِ، فَيَصْلُصِلُ فَيُصَوِّتُ، قَالَ: فَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ»، يَقُولُ: كَالشَّيْءِ الْمُنْفَرَجِ الَّذِي لَيْسَ بِمُصْمِتٍ، قَالَ: ثُمَّ يَدْخُلُ فِيهِ وَيَخْرُجُ مِنْ دُبُرِهِ، وَيَدْخُلُ فِي دُبُرِهِ وَيَخْرُجُ مِنْ فِيهِ، ثُمَّ يَقُولُ:

لَسْتُ شَيْئًا لِلصَّلْصَلَةِ، وَلِشَيْءٍ مَا خُلِقْتُ، وَلَئِنْ سَلَطْتُ عَلَيْكَ لِأَهْلِكَ نَكَتَ، وَلَئِنْ سَلَطْتُ عَلَيَّ لَأَعْصِيَنَّكَ

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنِ السَّيِّدِ - فِي خَبَرِ ذَكَرَهُ - عَنْ أَبِي مَالِكٍ وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - وَعَنْ مَرَّةِ الْهَمْدَانِيِّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص، قَالَ اللَّهُ لِلْمَلَائِكَةِ: «إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ.

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ»، نَخْلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِيَدَيْهِ لِكَيْلَا يَتَكَبَّرَ إِبْلِيسُ عَنْهُ لِيَقُولَ حِينَ يَتَكَبَّرُ: نَتَكَبَّرُ عَمَّا عَمَلْتُ بِيَدِي وَلَمْ أَتَكَبَّرْ أَنَا عَنْهُ! نَخْلَقُهُ بَشَرًا، فَكَانَ جَسَدًا مِنْ طِينٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ مَقْدَارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَفَرَّتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ فَقَزَعُوا مِنْهُ لَمَّا رَأَوْهُ، وَكَانَ أَشَدَّهُمْ قَزَعًا إِبْلِيسُ، فَكَانَ يَمُرُّ بِهِ فَيَضْرِبُهُ فَيُصَوِّتُ الْجَسَدُ كَمَا يُصَوِّتُ الْفَخَّارُ تَكُونُ لَهُ صَلْصَلَةٌ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: «مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ»، وَيَقُولُ: لَأَمْرٍ مَا خُلِقْتُ وَدَخَلْتُ مِنْ فِيهِ وَخَرَجْتُ مِنْ دُبُرِهِ، فَقَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: لَا تَرْهَبُوا مِنْ هَذَا، فَإِنَّ رَبَّكُمْ صَدُّ وَهَذَا أَجَوْفٌ، لَئِنْ سَلَطْتُ عَلَيْهِ لِأَهْلِكَ نَكَتَهُ.

وَحَدَّثَنَا عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ بَلَالٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، قَالَ: نَحَرَ اللَّهُ تَعَالَى طِينَةَ آدَمَ عَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ جَمَعَهُ بِيَدَيْهِ، فَخَرَجَ طَبِيبُهُ بَيْنَيْهِ، وَخَبِيبَتُهُ بِشَمَالِهِ، ثُمَّ مَسَحَ يَدَيْهِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، فَخَلَطَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، فَمِنْ ثُمَّ يَخْرُجُ الطَّيِّبُ مِنَ الْخَبِيثِ، وَالْخَبِيثُ مِنَ الطَّيِّبِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: يُقَالُ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ: خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ، ثُمَّ وَضَعَهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا قَبْلَ أَنْ يَنْفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، حَتَّى عَادَ صَلَاحًا كَالْفَخَّارِ، وَلَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ، قَالَ: فَلَمَّا مَضَى لَهُ مِنَ الْمُدَّةِ مَا مَضَى وَهُوَ طِينٌ صَلَاحٌ كَالْفَخَّارِ، وَأَرَادَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَنْفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، تَقَدَّمَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ لَهُمْ: إِذَا نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَتَعَوُّوا لَهُ سَاجِدِينَ. فَلَمَّا نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ أَتَتْهُ الرُّوحُ مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ، فِيمَا ذُكِرَ عَنِ السَّلَفِ قَبْلَنَا أَنَّهُمْ قَالُوهُ. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنِ السَّيِّدِ - فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ - عَنْ أَبِي مَالِكٍ وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - وَعَنْ مَرَّةَ الْهَمْدَانِي، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ص: فَلَمَّا بَلَغَ الْحَيْنَ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَنْفَخَ فِيهِ الرُّوحَ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: إِذَا نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَاسْجُدُوا لَهُ، فَلَمَّا نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ فَدَخَلَ الرُّوحُ، فِي رَأْسِهِ عَطَسَ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: رَحِمَكَ رَبُّكَ فَلَمَّا دَخَلَ الرُّوحُ فِي عَيْنَيْهِ نَظَرَ إِلَى ثَمَارِ الْجَنَّةِ، فَلَمَّا دَخَلَ فِي جَوْفِهِ اشْتَبَى الطَّعَامَ، فَوَثَبَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ الرُّوحُ رِجْلَيْهِ عَجَلَانِ إِلَى ثَمَارِ الْجَنَّةِ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: «خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ»، «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ»، «أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ»، فَقَالَ اللَّهُ لَهُ: «مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ» لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدِي، قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ، قَالَ اللَّهُ لَهُ: «فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ» - يَعْنِي مَا يَنْبَغِي لَكَ - «أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ»، وَالصَّغَارُ الذَّلُّ.

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ عَمْرَةَ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: فَلَمَّا نَفَخَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ - يَعْنِي فِي آدَمَ - مِنْ رُوحِهِ أَتَتْ النَّفْخَةُ مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ، فَجَعَلَ لَا يَجْرِي شَيْءٌ مِنْهَا فِي جَسَدِهِ إِلَّا صَارَ لَحْمًا وَدَمًا، فَلَمَّا انْتَهَتْ النَّفْخَةُ إِلَى سُرَّتِهِ نَظَرَ إِلَى جَسَدِهِ فَأَعْجَبَهُ مَا رَأَى مِنْ حُسْنِهِ، فَذَهَبَ لِيَنْهَضَ فَلَمْ يَقْدِرْ، فَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ»، قَالَ: ضَجِرًا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَى سَرَاءٍ وَلَا ضَرَاءٍ، قَالَ: فَلَمَّا تَمَّتِ النَّفْخَةُ فِي جَسَدِهِ عَطَسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَا إلهَامَ اللَّهِ، فَقَالَ: يَرَحِمُكَ اللَّهُ يَا آدَمَ، ثُمَّ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ إِبْلِيسَ خَاصَّةً دُونَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ فِي السَّمَوَاتِ: اسْجُدُوا لِآدَمَ، فَسَجَدُوا كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ، لَمَّا كَانَ حَدَثَ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ كِبَرِهِ وَاعْتِرَارِهِ، فَقَالَ: لَا اسْجُدَ، وَأَنَا خَيْرٌ مِنْهُ وَأَكْبَرُ سِنًا، وَأَقْوَى خَلْقًا، «خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ*»، يَقُولُ: إِنَّ النَّارَ أَقْوَى مِنَ الطِّينِ، قَالَ: فَلَمَّا أَبَى إِبْلِيسُ أَنْ يَسْجُدَ أَبْلَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى، أَيَأْسَهُ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَجَعَلَهُ شَيْطَانًا رَجِيمًا عَقُوبَةً لِمَعْصِيَتِهِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ، حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: يُقَالُ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ -: إِنَّهُ لَمَّا انْتَهَى الرُّوحُ إِلَى رَأْسِهِ عَطَسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: يَرَحِمُكَ رَبُّكَ، وَوَقَعَتِ الْمَلَائِكَةُ حِينَ اسْتَوَى سُجُودًا لَهُ، حِفْظًا لِعَهْدِ اللَّهِ الَّذِي عَاهَدَ إِلَيْهِمْ، وَطَاعَةً لَأَمْرِهِ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِهِ، وَقَامَ عَدُوُّ اللَّهِ ابْلِيسَ مِنْ بَيْنِهِمْ، فَلَمْ يَسْجُدَ مُتَكَبِّرًا مُتَعَزِّمًا بَغْيًا وَحَسَدًا، فَقَالَ:

«يَا إِبْلِيسَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدِي» إِلَى قَوْلِهِ: «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ»، قَالَ: فَلَمَّا فَرَّغَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ إِبْلِيسَ وَمُعَاتِبَتِهِ وَأَبَى إِلَّا الْمَعْصِيَةَ أَوْقَعَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ اللَّعْنَةَ،

وَأَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ، قَالَ:

حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ سُلَيْمَانُ بْنُ حَيَّانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ، ع قَالَ أَبُو خَالِدٍ: وَحَدَّثَنِي الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ص قَالَ أَبُو خَالِدٍ:

وَحَدَّثَنِي دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ص قَالَ أَبُو خَالِدٍ: وَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي ذُبَابٍ الدَّوْسِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ الْمُقْبَرِيِّ، وَبَزِيدُ بْنُ هَرْمَزٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، [عَنِ النَّبِيِّ ص أَنَّهُ قَالَ: خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَهُ، فَجَلَسَ فَعَطَسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: يَرَحِمُكَ رَبُّكَ، آيَةُ أَوْلَئِكَ الْمَلَأَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَقُلْ لَهُمُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَاتَاهُمْ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا لَهُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ لَهُ: هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ بَيْنَهُمْ فَلَمَّا أَظْهَرَ إِبْلِيسُ مِنْ نَفْسِهِ مَا كَانَ لَهُ مُحْفِيًّا فِيهَا مِنَ الْكِبَرِ وَالْمَعْصِيَةِ لِرَبِّهِ، وَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ قَدْ قَالَتْ لِرَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ حِينَ قَالَ لَهُمُ: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ فَقَالَ لَهُمُ رَبُّهُمْ: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ، تَبَيَّنَ لَهُمْ مَا كَانَ عَنْهُمْ مُسْتَتَرًّا، وَعَلِمُوا أَنَّ فِيهِمْ مَنْ مِنْهُ الْمَعْصِيَةُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْخِلَافُ لِأَمْرِهِ].

ثُمَّ عَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا وَاخْتَلَفَ السَّلَفُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قَبْلَنَا فِي الْأَسْمَاءِ الَّتِي عَلَيْهَا آدَمُ: أَخَاصًا مِنَ الْأَسْمَاءِ عِلْمًا، أَمَا عَامًّا؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَلَّمَ اسْمَ كُلِّ شَيْءٍ

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «عَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا»، وَهِيَ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ الَّتِي يَتَعَارَفُ بِهَا النَّاسُ:

إِنْسَانٌ، وَدَابَّةٌ، وَأَرْضٌ، وَسَهْلٌ، وَبَحْرٌ، وَجَبَلٌ، وَحِمَارٌ، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ مِنَ الْأُمَمِ وَغَيْرِهَا.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْأَهْوَازِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا»، قَالَ: عَلَّمَهُ اسْمَ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى الْفَسُوءَ وَالْفُسْيَةَ.

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَنَا مُسْلِمُ الْجَرْمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُصْعَبٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ الرَّبِيعِ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَعْبُدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» قَالَ:

عَلَّمَهُ اسْمَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى الْهِنَةَ وَالْهَنِيَّةَ، وَالْفُسُوءَ وَالضَّرْطَةَ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ مِيمُونٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» قَالَ: مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى كَلِمَةً.

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ سَفْيَانَ، عَنْ خَصِيفٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» قَالَ: عَلَّمَهُ اسْمَ كُلِّ شَيْءٍ حَدَّثَنَا سَفْيَانٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ شَرِيكٍ، عَنْ سَالِمِ الْأَفْطَسِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: عَلَّمَهُ اسْمَ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى الْبَعِيرَ، وَالْبَقَرَةَ، وَالشَّاةَ.

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا»، قَالَ: عَلَّمَهُ اسْمَ كُلِّ شَيْءٍ: هَذَا جَبَلٌ، وَهَذَا بَحْرٌ، وَهَذَا كَذَا، وَهَذَا كَذَا، لِكُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، فَقَالَ: «أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» .

حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَ«عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» حَتَّى بَلَغَ «إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» ، قَالَ: يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ، فَأَنْبَأَ كُلَّ صِنْفٍ مِنَ الْخَلْقِ بِاسْمِهِ، وَأَلْجَأَهُ إِلَى جَنْسِهِ.

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ وَمُبَارَكٍ، عَنْ الْحَسَنِ وَأَبِي بَكْرٍ، عَنْ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ، قَالَا: عَلَيْهِ اسْمُ كُلِّ شَيْءٍ، هَذِهِ الْخَلِيلُ، وَهَذِهِ الْبَغَالُ، وَالْإِبِلُ، وَالْجَنُ، وَالْوَحْشُ، وَجَعَلَ يُسَمِّي كُلَّ شَيْءٍ بِرِسْمِهِ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ إِنَّمَا عَلَّمَ اسْمَا خَاصًا مِنَ الْأَسْمَاءِ، قَالُوا: وَالَّذِي عَلَيْهِ أَسْمَاءُ الْمَلَائِكَةِ.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي عَبْدَةُ الْمُرُوزِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمَّارُ بْنُ الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الرَّبِيعِ، قَوْلَهُ تَعَالَى: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» ، قَالَ: أَسْمَاءُ الْمَلَائِكَةِ.

وَقَالَ آخَرُونَ مِثْلَ قَوْلِ هَؤُلَاءِ فِي أَنَّ الَّذِي عَلَّمَ آدَمَ مِنَ الْأَسْمَاءِ اسْمًا خَاصًّا مِنَ الْأَشْيَاءِ، غَيْرَ أَنَّهُمْ قَالُوا: الَّذِي عَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ أَسْمَاءَ ذُرِّيَّتِهِ.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» ، قَالَ: أَسْمَاءَ ذُرِّيَّتِهِ، فَلَمَّا «عَلَّمَ اللَّهُ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» عَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَهْلَ الْأَسْمَاءِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، فَقَالَ لَهُمْ: «أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمَلَائِكَةِ- فِيمَا ذَكَرَ- لِقَوْلِهِمْ إِذْ قَالَ لَهُمْ: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» : «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ» فَعَرَضَ- بَعْدَ أَنْ خَلَقَ آدَمَ ع وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، وَعَلَّمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ- مِمَّا خَلَقَ مِنَ الْخَلْقِ- عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ:

«أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» أَنَّى إِنْ جَعَلْتُ مِنْكُمْ خَلِيفَتِي فِي الْأَرْضِ أَطَعْتُمُونِي وَسَبَّحْتُمُونِي وَقَدَّسْتُمُونِي وَلَمْ تَعْصُونِي، وَإِنْ جَعَلْتَهُ مِنْ غَيْرِكُمْ أَفْسَدَ فِيهَا وَسَفَكَ، فَإِنْ كُنْتُمْ لَمْ تَعْلَمُوا مَا أَسْمَاؤُهُمْ وَأَنْتُمْ مُشَاهِدُوهُمْ وَمَعَانِيوهُمْ، فَأَنْتُمْ بِأَلَا تَعْلَمُوا مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِكُمْ- إِنْ جَعَلْتُ خَلِيفَتِي فِي الْأَرْضِ مِنْكُمْ، أَوْ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ جَعَلْتَهُ مِنْ غَيْرِكُمْ، فَهَمَّ عَنْ أَبْصَارِكُمْ غُيْبٌ لَا تَرَوْنَهُمْ وَلَا تَعْلَمُونَهُمْ، وَلَمْ تَخْبَرُوا بِمَا هُوَ كَائِنْ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ- أُخْرَى

وهذا قول روي عن جماعة من السلف.

ذَكَرَ بَعْضُ مَنْ رَوَى ذَلِكَ عَنْهُ:

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، قَالَ:

حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنْ السَّيِّدِ- فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ- عَنْ أَبِي مَالِكٍ وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ- وَعَنْ مَرَّةِ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ- وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ص: «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» أَنَّ بَنِي آدَمَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَيَسْفِكُونَ الدِّمَاءَ.

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ عَمْرَةَ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ، عَنْ الضَّحَّاكِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لَمْ أَجْعَلْ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ قَالَ ذَلِكَ لِلْمَلَائِكَةِ لِأَنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ لَمَّا ابْتَدَأَ فِي خَلْقِ آدَمَ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: لِيَخْلُقُ رَبُّنَا مَا شَاءَ أَنْ يَخْلُقَ، فَلَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا إِلَّا كَمَا أَعْلَمَ مِنْهُ، وَأَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَلَمَّا خَلَقَ آدَمَ ع وَعَلَّمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ عَرَضَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي عَلَّمَ آدَمَ أَسْمَاءَهَا عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: «أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فِي قِيلِكُمْ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا إِلَّا كُنْتُمْ أَعْلَمَ مِنْهُ، وَأَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ.

ذكر من قال ذلك:

حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، قَالَ:

حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ: قَوْلُهُ: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً، فاستشار الملائكة في خلق آدم ع ف قالوا: «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ»، وقد علمت الملائكة من علم الله أنه لا شيء أكره إلى الله عز وجل من سفك الدماء والفساد في الأرض،

«وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»، فكان في علم الله عز وجل انه سيكون من تلك الخليفة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنت الجنة.

قال: وذكر لنا أن ابن عباس كان يقول: إن الله تعالى لما أخذ في خلق آدم قالت الملائكة: ما الله تعالى بخالق خلقا أكرم عليه منا، ولا أعلم منا، فابتلوا بخلق آدم ع- وكل خلق مبتلى، كما ابتليت السموات والأرض بالطاعة- فقال الله تعالى: «اثْبُتُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ، وَمُبَارَكٍ عَنِ الْحَسَنِ وَأَبِي بَكْرٍ عَنِ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ قَالَا: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمَلَائِكَةِ: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» قال لهم: إني فاعل، فعرضوا برأيهم، فعلهم علما وطوى منهم علما علمه لا يعلمونه، فقالوا بالعلم الذي علمهم: «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ» - وقد كانت الملائكة علمت من علم الله تعالى أنه لا ذنب عند الله تعالى أعظم من سفك الدماء- «وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»، فلما أخذ تعالى في خلق آدم ع همست الملائكة فيما بينهم، فقالوا: ليخلق ربنا عز وجل ما شاء أن يخلق، فلن يخلق خلقا إلا كما أعلم منه، وأكرم عليه منه، فلما خلقه ونفخ فيه من روحه أمرهم أن يسجدوا له لما قالوا، ففضله عليهم، فعلوا أنهم ليسوا بخير منه، فقالوا: إن لم نكن خيرا منه، فنحن أعلم منه، لأننا كما قبله، وخلقنا الأمم قبله،

فلما أعجبوا بعلمهم ابتلوا، «فَعَلِمَ آدَمُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ: أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» أي لم أخلق خلقا إلا كنتم أعلم منه، فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالا: ففزع القوم إلى التوبة، وإليها يفزع كل مؤمن، فقالوا: «سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» لقولهم: ليخلق ربنا ما شاء، فلن يخلق خلقا أكرم عليه منا، ولا أعلم منا، قال: علمه اسم كل شيء:

هذه الخليل، وهذه البغال، والإبل، والجن، والوحش، وجعل يسمي كل شيء باسمه، وعرضت عليه أمة أمة، قال: «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ»، قال:

أما ما أبدوا فقولهم: «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ»، وأما ما كتموا فقولهم بعضهم لبعض: نحن خير منه وأعلم. حَدَّثَنَا عَمَّارُ بْنُ الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ: «ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» إِلَى قَوْلِهِ: «إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ»

«، قَالَ: وَذَلِكَ حِينَ قَالُوا: «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ» إِلَى قَوْلِهِ «وَنُقَدِّسُ لَكَ» قَالَ: فَلَمَّا عَرَفُوا أَنَّهُ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا بَيْنَهُمْ: لَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ تَعَالَى خَلْقًا إِلَّا كَمَا نَحْنُ أَعْلَمُ مِنْهُ وَأَكْرَمُ عَلَيْهِ، فَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُخْبِرَهُمْ أَنَّهُ قَدْ فَضَّلَ عَلَيْهِمْ آدَمَ، وَعَلَيْهِ الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا، وَقَالَ

لِلْمَلَائِكَةِ: «أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» إِلَى «وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ»، فكان الذي أبدوا حين قالوا: «أَتَجْعَلُ

فِيهَا مَنْ يَفْسُدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ» ، وَكَانَ الَّذِي كَتَمُوا بَيْنَهُمْ قَوْلَهُمْ: لَنْ يَخْلُقَ رَبُّنَا خَلْقًا إِلَّا كَمَا نَحْنُ أَعْلَمُ مِنْهُ وَأَكْرَمُ، فَعَرَفُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَضَّلَ عَلَيْهِمْ آدَمَ فِي الْعِلْمِ وَالْكَرَمِ.

فَلَمَّا ظَهَرَ لِلْمَلَائِكَةِ مِنْ اسْتِجَارِ إِبْلِيسَ مَا ظَهَرَ، وَمِنْ خِلَافِهِ أَمْرُ رَبِّهِ مَا كَانَ مُسْتَتِرًا عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ، عَاتَبَهُ رَبُّهُ عَلَى مَا أَظْهَرَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ بِتَرْكِهِ السُّجُودَ لآدَمَ، فَأَصْرَعَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَأَقَامَ عَلَى غِيهِ وَطُغْيَانِهِ- لَعَنَهُ اللَّهُ- فَأَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَطَرَدَهُ مِنْهَا، وَسَلَبَهُ مَا كَانَ آتَاهُ مِنْ مُلْكِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالْأَرْضِ، وَعَزَلَهُ عَنْ خَزَنِ الْجَنَّةِ فَقَالَ لَهُ جَلَّ جَلَالُهُ: «فَاخْرُجْ مِنْهَا» ، يَعْنِي مِنَ الْجَنَّةِ «فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ» ، وَهُوَ بَعْدَ فِي السَّمَاءِ لَمْ يَهْبِطْ إِلَى الْأَرْضِ.

وَاسْكَنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حِينْدَ آدَمَ جَنَّتَهُ، كَمَا حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنْ السَّيِّدِ- فِي خَبَرِ ذِكْرِهِ- عَنْ أَبِي مَالِكٍ وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ- وَعَنْ مَرَّةِ الْهَمْدَانِيِّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ- وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص: فَأَخْرَجَ إِبْلِيسُ مِنَ الْجَنَّةِ حِينَ لَعِنَ وَأُسْكِنَ آدَمُ الْجَنَّةَ، فَكَانَ يَمْشِي فِيهَا وَحَشِيًّا لَيْسَ لَهُ زَوْجٌ يَسْكُنُ إِلَيْهَا، فَتَمَّ نَوْمَةً فَاسْتَيْقَظَ، فَإِذَا عِنْدَ رَأْسِهِ امْرَأَةٌ قَاعِدَةٌ خَلَقَهَا اللَّهُ مِنْ ضِلْعِهِ، فَسَأَلَهَا: مَا أَنْتِ؟ قَالَتْ: امْرَأَةٌ، قَالَ: وَلِمَ خُلِقْتِ؟ قَالَتْ:

لَتَسْكُنَ إِلَيَّ، قَالَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ يَنْظُرُونَ مَا بَلَغَ عَلَيْهِ: مَا اسْمُهَا يَا آدَمُ؟ قَالَ: حَوَاءٌ، قَالُوا: لِمَ سَمِيتَ حَوَاءً؟ قَالَ: لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِنْ شَيْءٍ حَيٍّ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا» .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: لَمَّا فَرَعَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مَعَاتِبِهِ إِبْلِيسَ أَقْبَلَ عَلَى آدَمَ عَ وَقَدْ عَلِمَهُ الْأَسْمَاءُ كُلَّهَا، فَقَالَ: «يَا آدَمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ» إِلَى «وَأَعْلَمْ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» ، قَالَ: ثُمَّ أَلْقَى السَّنَةَ عَلَى آدَمَ- فِيمَا بَلَّغْنَا عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ أَهْلِ التَّوْرَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ وَغَيْرِهِ، ثُمَّ أَخَذَ ضِلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ مِنْ شِقِّهِ الْأَيْسَرِ، وَلَأَمَ مَكَانَهَا لَحْمًا، وَآدَمَ عَ نَائِمٌ لَمْ يَهَبْ مِنْ نَوْمَتِهِ، حَتَّى خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ضِلْعِهِ تِلْكَ زَوْجَهُ حَوَاءَ، فَسَوَّاهَا أَمْرًا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا، فَلَمَّا كَشَفَ عَنْهُ السَّنَةَ وَهَبَ مِنْ نَوْمَتِهِ رَأَاهَا إِلَى جَنْبِهِ، فَقَالَ- فِيمَا يَزْعُمُونَ وَاللَّهِ أَعْلَمُ: لَحْمِي وَدَمِي وَزَوْجَتِي، فَسَكَنَ إِلَيْهَا، فَلَمَّا زَوَّجَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَجَعَلَ لَهُ سَكَنًا مِنْ نَفْسِهِ، قَالَ لَهُ قَبْلًا: «يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ» . حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِيسَى، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا» قَالَ: حَوَاءَ مِنْ قَصِيرَى آدَمَ، وَهُوَ نَاعِمٌ فَاسْتَيْقَظَ فَقَالَ:

أَنَا بِالْنبْطِيَّةِ، امْرَأَةٌ.

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَذِيفَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ثَبَلٌ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ. حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ: «وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا» ، يَعْنِي حَوَاءَ، خُلِقَتْ مِنْ آدَمَ مِنْ ضِلْعٍ مِنْ أَضْلَاعِهِ

١٠٤٠١ القول في ذكر امتحان الله تعالى أبانا آدَمَ ع

القول في ذكر امتحان الله تعالى أبانا آدَمَ ع

وَابْتِلَاؤُهُ إِيَّاهُ بِمَا امْتَحَنَهُ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ، وَذَكَرَ رُكُوبَ آدَمَ مَعْصِيَةَ رَبِّهِ بَعْدَ الَّذِي كَانَ أُعْطَاهُ مِنْ كَرَامَتِهِ وَشَرِيفِ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُ، وَمَكْنَهُ فِي جَنَّتِهِ مِنْ رَغْدِ الْعَيْشِ وَهَنِيئِهِ، وَمَا أَزَالَ ذَلِكَ عَنْهُ، فَصَارَ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ وَلَذِيذِ رَغْدِ الْعَيْشِ إِلَى نَكْدِ عَيْشِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَعِلَاجِ الْحَرَاةِ وَالْعَمَلِ بِالْمَسَاحِي وَالزَّرَاعَةِ فِيهَا.

فلما أسكن الله عز وجل آدم ع وزوجه اطلق لهما ان يأكلا كل ما شاء أكله من كل ما فيها من ثمارها، غير ثمر شجرة واحدة ابتلاء منه لهما بذلك، ولیمضي قضاء الله فيهما وفي ذريتهما، كما قال عز وجل:

«وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ» ، فوسوس لهما الشيطان حتى زين لهما أكل ما نهاهما ربهما عن أكله من ثمر تلك الشجرة، وحسن لهما معصية الله في ذلك، حتى أكلا منها، فبدت لهما من سواتهما ما كان موارى عنهما منها فكان وصول عدو الله إبليس إلى تزيين ذلك لهما ما ذكر في الخبر الذي حدَّثني موسى بن هارون الهمداني، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي- في خبر ذكره- عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس- وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود- وعن أناسٍ من أصحاب النبي ص، قال: لما قال الله عز وجل لآدم:

«اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ» ، أَرَادَ إبليسُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِمَا الْجَنَّةَ

فمنعه الخزنة، فَأَتَى الْحَيَّةَ، وَهِيَ دَابَّةٌ لَهَا أَرْبَعُ قَوَائِمَ، كَأَنَّهَا الْبَعِيرُ، وَهِيَ كَأَحْسَنِ الدَّوَابِّ فَكَلَّهَا أَنْ تَدْخُلَهُ فِي فَمِهَا حَتَّى تَدْخُلَ بِهِ إِلَى آدَمَ، فَادْخَلَتْهُ فِي فَمِهَا، فَفَرَّتِ الْحَيَّةُ عَلَى الْخَزْنَةِ فَدَخَلَتْ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْأَمْرِ، فَكَلَّمَهُ مِنْ فَمِهَا وَلَمْ يَبَالِ كَلَامَهُ، نَخَرَجَ إِلَيْهِ فَقَالَ: «يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبُلَى» ، يَقُولُ: هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ إِنْ أَكَلْتَ مِنْهَا كُنْتَ مَلَكًا مِثْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ فَلَا تَمُوتَانِ أَبَدًا وَحَلَفَ لُهُمَا بِاللَّهِ إِنِّي لَكُمَا لِمَنِ النَّاصِحِينَ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يُبَدِيَ لَهُمَا مَا تَوَارَى عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِهِمَا بَهْتِكٍ لِبَاسِهِمَا، وَكَانَ قَدْ عَلِمَ أَنَّ لَهُمَا سَوْءَةً لَمَّا كَانَ يَقْرَأُ مِنْ كُتُبِ الْمَلَائِكَةِ، وَلَمْ يَكُنْ آدَمُ يَعْلَمُ ذَلِكَ، وَكَانَ لِبَاسُهُمَا الظُّفُرُ، فَأَبَى آدَمُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، فَتَقَدَّمَتْ حَوَاءُ فَأَكَلَتْ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا آدَمُ كُلْ، فَإِنِّي قَدْ أَكَلْتُ، فَلَمْ يَضُرْنِي، فَلَمَّا أَكَلَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا، وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ .

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن ليث ابن أبي سليم، عن طاووسٍ التَّيْمَانِي، عن ابن عباسٍ، قال: إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إبليسَ عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى دَوَابِّ الْأَرْضِ: أَيَّهَا تَحْمِلُهُ حَتَّى تَدْخُلَ بِهِ الْجَنَّةَ حَتَّى يَكَلَّمَ آدَمَ وَزَوْجَهُ، فَكَلَّمَ الدَّوَابَّ أَيْ ذَلِكَ عَلَيْهِ، حَتَّى كَلَّمَ الْحَيَّةَ، فَقَالَ لَهَا: أَمْنَعُكَ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَأَنْتِ فِي ذِمَّتِي إِنْ أَنْتِ ادْخَلْتِنِي الْجَنَّةَ، فَجَعَلْتَهُ بَيْنَ نَابِيْنِ مِنْ أَنْبِيَائِهَا ثُمَّ دَخَلَتْ بِهِ، فَكَلَّمَهُمَا مِنْ فَمِهَا وَكَانَتْ كَاسِيَةً تَمُشِي عَلَى أَرْبَعِ قَوَائِمَ، فَأَعْرَاهَا اللَّهُ تَعَالَى وَجَعَلَهَا تَمُشِي عَلَى بَطْنِهَا، قَالَ: يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ: اقْتُلُوها حَيْثُ وَجَدْتُمُوها، وَاخْفِرُوا ذِمَّةَ عَدُوِّ اللَّهِ فِيهَا

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا عمر بن عبد الرحمن بن مهرب، قال: سمعت وهب بن منبه يقول: لما أسكن الله تعالى آدم وزوجته الجنة، ونهاه عن الشجرة، وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها في بعض، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم، وهي الثمرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته، فلما أراد إبليس أن يستزلهما دخل في جوف الحية، وكان للحية أربع قوائم، كأنها بختية من أحسن دابة خلقها الله تعالى، فلما دخلت الحية الجنة خرج من جوفها إبليس، فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته، فجاء بها إلى حواء، فقال:

انظري إلى هذه الشجرة، ما أطيب ريحها، وأطيب طعمها، وأحسن لونها! فأخذت حواء فأكلت منها، ثم ذهبت بها إلى آدم، فقالت: أنظر إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها، وأطيب طعمها، وأحسن لونها! فأكل منها آدم، فبدت لهما سواتهما، فدخل آدم في جوف الشجرة، فناداه ربه: يا آدم، أين أنت؟ قال: أنا هذا يا رب، قال: ألا تخرج؟ قال: أستحي منك يا رب، قال: ملعونة الأرض التي خلقت منها لعنة حتى يتحول ثمارها شوكا! قال: ولم يكن في الجنة ولا في الأرض شجرة كانت أفضل من الطلح والسدر.

ثم قال: يا حواء، أنت التي غررت عبدي، فإنك لا تحملين حملا إلا حملته كرها، فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مرارا وقال للحية: أنت التي دخل الملعون في بطنك حتى غر عبدي، ملعونة أنت لعنة حتى تتحول قوائمك في بطنك، ولا يكن لك رزق

إلا التراب، أنت عدوة بني آدم وهم أعداؤك، حيث لقيت أحدا منهم أخذت بعقبه، وحيث لقيك شذخ رأسك قيل لوهب: وما كانت الملائكة تأكل؟ قال: يفعل الله ما يشاء.

حدثنا القاسم بن الحسن، قال: حدثنا الحسين بن داود، قال: حدثني حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن قيس، قال: نهى الله تعالى آدم وحواء أن يأكلا من شجرة واحدة في الجنة، ويأكلا منها رغدا حيث شاءا، فجاء الشيطان فدخل في جوف الحية، فكلم حواء، ووسوس إلى آدم فقال: «مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ» قال: فقطعت حواء الشجرة فدميت الشجرة، وسقط عنهما ريشهما الذي كان عليهما، «وَوَطَفَقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ» لم أكلتها وقد نهيتك عنها؟ قال: يا رب أطعمتني حواء، قال لحواء: لم أطعمتها؟ قالت:

أمرتني الحية، قال للحية: لم أمرتها؟ قالت: أمرني إبليس، قال: ملعون مدحور! أما أنت يا حواء، فكما أدميت الشجرة تدمين في كل هلال، وأما أنت يا حية، فأقطع قوائمك فتمشين جريا على وجهك، وسيشذخ رأسك من لقيك بالحجر، اهبطوا بعضكم لبعض عدو. حدثت عن عمار بن الحسن، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: حدثني محدث أن الشيطان دخل الجنة في صورة دابة ذات قوائم، فكان يرى أنه البعير، قال: فلحن فسقطت قوائمه فصار حية.

حدثت عن عمار، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قال: وحدثني أبو العالية، قال: إن من الإبل ما كان أولها من الجن قال: فأبيحت له الجنة كلها- يعني آدم- إلا الشجرة، وقيل لهما: «لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ»، قال: فأقنى الشيطان حواء فبدأ بها، فقال: نهيتما عن شيء؟ قالت: نعم، عن هذه الشجرة، فقال:

«مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ» قال: فبدت حواء فأكلت منها، ثم أمرت آدم فأكل منها قال: وكانت شجرة، من أكل منها أحدث، قال: ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث، قال: «فَازَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ»، قال: فأخرج آدم من الجنة.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن بعض أهل العلم أن آدم ع حين دخل الجنة ورأى ما فيها من الكرامة، وما أعطاه الله منها، قال: لو أنا خلدنا! فاغتمز فيها منه الشيطان لما سمعها منه، فأثاه من قبل الخلد. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال:

حدثت أن أول ما ابتدأهما به من كيده إياهما أنه ناح عليهما نياحة أحرزتهما حين سمعاها، فقالا له: ما يبكيك؟ قال: أبكي عليكما، تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة فوق ذلك في أنفسهما، ثم أتاهما فوسوس إليهما، فقال: يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى؟ وقال: «مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ»، أي تكونان ملكين أو تخلصان، أي إن لم تكونا ملكين في نعمة الجنة فلا تموتان يقول الله عز وجل: «فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ».

حدثني يونس، قال أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله سبحانه وتعالى: «فَوَسَّوَسَ»: وسوس الشيطان إلى حواء في الشجرة حتى أتى بها إليها، ثم حسنتها في عين آدم، قال: فدعاها آدم لحاجته، قالت:

لا: إلا ان تأتي هاهنا، فلما أتت قالت: لا، إلا أن تأكل من هذه الشجرة، قال: فأكلا منها، فبدت لهما سوءاتهما قال: وذهب آدم هاربا في الجنة، فناده ربه: يا آدم، أمني تفر؟ قال: لا يا رب، ولكن حياء منك، قال: يا آدم، اني اتيت؟ قال: من قبل حواء يا رب، فقال الله عز وجل: فإن لها علي أن أدميها في كل شهر مرة، كما أدمت هذه الشجرة، وأن أجعلها سفينة، وقد كنت خلقتها حليلة، وأن أجعلها تحمل كرها وتضع كرها، وقد كنت جعلتها تحمل يسرا وتضع يسرا قال ابن زيد: ولولا البلية التي أصابت حواء لكان نساء أهل الدنيا لا يحضن، ولكن حليمات، ولكن يحملن يسرا.

ويضعن يسرا.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَسِيطٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَحْلِفُ بِاللَّهِ مَا يَسْتَتْنِي: مَا أَكَلَ آدَمُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَهُوَ يَعْقِلُ، وَلَكِنْ حَوَاءُ سَقَتْهُ

الْخَمْرُ حَتَّى إِذَا سَكَرَ قَادَتْهُ إِلَيْهَا، فَأَكَلَ مِنْهَا فَلَمَّا وَقَعَ آدَمُ وَحَوَاءُ الْخَطِيئَةَ، أَخْرَجَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْجَنَّةِ وَسَلَبَهُمَا مَا كَانَا فِيهِ مِنَ النِّعَةِ وَالْكَرَامَةِ، وَأَهْبَطَهُمَا وَعَدُوهُمَا إِبْلِيسَ وَالْحَيَّةَ إِلَى الْأَرْضِ، فَقَالَ لَهُمْ رَبُّهُمْ: اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ. وَكَالَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ السَّلَفُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ.

حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ السُّدِّيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: «اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ»، قَالَ: آدَمُ وَحَوَاءُ وَإِبْلِيسُ وَالْحَيَّةُ.

حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ، وَمُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَّادٍ، عَنْ أَصْبَاطٍ، عَنِ السُّدِّيِّ - فِي خَيْرِ ذِكْرِهِ - عَنْ أَبِي مَالِكٍ وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - وَعَنْ مَرَّةَ الْهَمْدَانِي، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص: «اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ»، فَلَعَنَ الْحَيَّةَ فَقَطَعَ قَوَائِمَهَا، وَتَرَكَهَا تَمْشِي عَلَى بَطْنِهَا، وَجَعَلَ رِزْقَهَا مِنَ التُّرَابِ، وَأَهْبَطَ إِلَى الْأَرْضِ آدَمَ وَحَوَاءَ وَإِبْلِيسَ وَالْحَيَّةَ. حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ مِيمُونٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ»، قَالَ: آدَمُ وَحَوَاءُ وَإِبْلِيسُ وَالْحَيَّةُ

١٠٤٠٢ القول في قدر مكث آدم في الجنة ووقت خلق الله عز وجل إياه ووقت إهباطه إياه من السماء إلى الأرض

القول في قدر مكث آدم في الجنة ووقت خلق الله عز وجل إياه ووقت إهباطه إياه من السماء إلى الأرض
قد تظاهرت الأخبار عن رسول الله ص بأن الله عز وجل خلق آدم ع يوم الجمعة، وأنه أخرجه فيه من الجنة، وأهبطه إلى الأرض فيه، وأنه فيه تاب عليه، وفيه قبضه.

ذكر الأخبار عن رسول الله ص بذلك:

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مَعْبُدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، عَنْ عَمْرٍو بْنِ شَرْحِبِيلٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ، [عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص، قَالَ: إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ خَمْسَ خِلَالٍ: فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ، وَفِيهِ تَوَقَّى اللَّهُ آدَمَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ الْعَبْدُ فِيهَا رَبَّهُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، مَا لَمْ يَسْأَلْ إِلَّا أَوْ قَطِيعَةً، وَفِيهِ: تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلَا سَمَاءٍ وَلَا جَبَلٍ وَلَا أَرْضٍ وَلَا رِيحٍ، إِلَّا مُشْفِقٌ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ].

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ، حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِي لُبَابَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ، [أَنَّ النَّبِيَّ ص قَالَ: سَيِّدُ الْأَيَّامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَأَعْظَمُهَا وَأَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ يَوْمِ الْفِطْرِ وَيَوْمِ النَّحْرِ، وَفِيهِ خَمْسَ خِلَالٍ: خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ آدَمَ، وَأَهْبَطَهُ فِيهِ إِلَى الْأَرْضِ، وَفِيهِ تَوَقَّى اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ اللَّهُ الْعَبْدُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ مَا لَمْ يَكُنْ حَرَامًا وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، مَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلَا سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ وَلَا جَبَلٍ وَلَا رِيحٍ وَلَا بَحْرٍ إِلَّا وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، أَنَّ تَقُومَ فِيهِ السَّاعَةُ].

وَاللَّفْظُ لِحَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، عَنْ عَمْرٍو بْنِ شَرْحِبِيلٍ بْنِ

سَعِيدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، [أَنَّ رَجُلًا اتَى النَّبِيَّ ص، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا عَنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، مَاذَا فِيهِ مِنْ الْخَيْرِ؟ فَقَالَ: فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ آدَمُ، وَفِيهِ تَوَفَّى آدَمُ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ الْعَبْدُ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، مَا لَمْ يَسْأَلْ مَأْتًا أَوْ قَطِيعَةً، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، مَا مِنْ مَلِكٍ مُقَرَّبٍ وَلَا سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ وَلَا جِبَالٍ وَلَا رِيحٍ إِلَّا هُنَّ يَشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ].

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتِ الشَّمْسُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَأُخْرِجَ مِنْهَا].

حَدَّثَنِي بَحْرُ بْنُ نَصْرِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: سَيِّدُ الْأَيَّامِ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ].

حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ اللَّيْثِ، قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمُزٍ، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ عَلَى يَوْمٍ مِثْلَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَفِيهِ أُعِيدَ فِيهَا].

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ وَمُغِيرَةَ، عَنْ زِيَادِ بْنِ كَلْبٍ أَبِي مَعْشَرٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْقُرْثِ عِصِيِّ - وَكَانَ الْقُرْثُ مِنَ الْقُرَاءِ الْأَوَّلِينَ - قَالَ: [قَالَ سَلْمَانَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ص: يَا سَلْمَانُ، أَتَدْرِي مَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، يَقُولُهَا ثَلَاثًا: يَا سَلْمَانُ، أَتَدْرِي مَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ؟ فِيهِ جُمِعَ أَبُوكَ، أَوْ أَبُوكُمُ].

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُمَارَةَ الْأَسَدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى قَالَ: أَخْبَرَنَا شَيْبَانُ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ كَعْبًا يَقُولُ: خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتِ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ع، وَفِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ.

حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَزِيدَ الْأَدِمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا رُوحُ بْنُ عُبَادَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عَمِيرٍ، قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ شَمْسُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ أَفْضَلُ الْأَيَّامِ: فِيهِ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ آدَمَ، خَلَقَهُ عَلَى مِثْلِ صُورَتِهِ، فَلَمَّا فَرَّغَ عَطَسَ آدَمُ فَأَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ الْحَمْدَ، فَقَالَ اللَّهُ: يَرْحَمُكَ رَبُّكَ.

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي كُدَيْنَةَ، عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ زِيَادٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنِ الْقُرْثِ، [عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: أَتَدْرِي مَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ؟

هُوَ يَوْمُ جُمُعَ فِيهِ أَبُوكَ، أَوْ أَبُوكُمُ آدَمُ ع].

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: [قَالَ سَلْمَانُ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ص: يَا سَلْمَانُ، أَتَدْرِي مَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ؟ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ: هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي جُمِعَ فِيهِ أَبُوكُمُ آدَمُ، أَوْ جُمِعَ فِيهِ أَبُوكُمُ].

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ عَطِيَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا قَيْسٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْقُرْثِ، [عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: أَتَدْرِي مَا الْجُمُعَةُ؟ أَوْ قَالَ: كَذَا، فِيهَا جُمِعَ أَبُوكُمُ آدَمُ].

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ:

أَخْبَرَنَا أَبُو حَمْزَةَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْقُرْثِيِّ، [عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ص: أَتَدْرِي مَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فِيهِ جُمُعَةُ أَبُوكَ]

١٠٤٣ ذكر الوقت الذي فيه خلق آدم ع من يوم الجمعة والوقت الذي اهبط إلى الارض

ذكر الوقت الذي فيه خلق آدم ع من يوم الجمعة والوقت الذي اهبط إلى الأرض
اختلف في ذلك، فروي عن عبد الله بن سلام وغيره في ذلك ما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: [قال رسول الله ص:

خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أسكن الجنة، وفيه اهبط، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعه- يقللها- لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيرا الا آتاه الله إياه، فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أي ساعة هي، هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة، قال الله عز وجل:

«خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُون» .

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا المحاربي وعبد بن سليمان وأسد بن عمرو، عن محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ص نحوه، وذكر فيه كلام عبد الله بن سلام بنحوه.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله عز وجل: «خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ»، قال: قول آدم حين خلق بعد كل شيء آخر النهار من يوم الجمعة، خلق الخلق، فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه ولم يبلغ أسفله، قال: يَا رَبِّ اسْتَعْجِلْ بِخَلْقِي قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ

حدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد: «خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ»، قال: آدم حين خلق بعد كل شيء، ثم ذكره نحوه، غير أنه قال في حديثه: استعجل بخلقي، قد غربت الشمس.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله:

«خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ»، قال: على عجل خلق آدم آخر ذلك اليوم من ذنك اليومين- يريد يوم الجمعة- وخلق على عجلة وجعله عجولا.
وقد زعم بعضهم أن الله عز وجل أسكن آدم وزوجته الفردوس لساعتين مضتا من نهار يوم الجمعة، وقيل لثلاث ساعات مضين منه، وأهبطه إلى الأرض لسبع ساعات مضين من ذلك اليوم، فكان مقدار مكثهما في الجنة خمس ساعات منه وقيل: كان ذلك ثلاث ساعات وقال بعضهم: اخرج آدم ع من الجنة الساعة التاسعة أو العاشرة ذكر من قال ذلك:

قال أبو جعفر: قرأت على عبدان بن محمد المروزي، قال: حدثنا عمار بن الحسن، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، عن أنس عن أبي العالية، قال: أخرج آدم من الجنة التاسعة أو العاشرة، فقال لي: نعم، لخمس أيام مضين من نيسان. فإن كان قائل هذا القول أراد الله أن تبارك وتعالى أسكن آدم وزوجته الفردوس لساعتين مضتا من نهار يوم الجمعة من أيام أهل الدنيا التي هي على

ما هي به اليوم، فلم يبعد قوله من الصواب في ذلك، لأن الأخبار إذا كانت واردة عن السلف من أهل العلم، بأن آدم خلق في آخر ساعة من اليوم السادس من الأيام التي مقدار اليوم الواحد منها ألف سنة من سنيننا فعلوم أن الساعة الواحدة من ساعات ذلك اليوم ثلاثة وثمانون عاما من أعوامنا، وقد ذكرنا أن آدم بعد أن خمر ربنا عز وجل طينته بقي قبل أن ينفخ فيه الروح أربعين عاما، وذلك لا

شك أنه عني به من أعوامنا وسنيننا، ثم من بعد أن نفخ فيه الروح إلى أن تنهى أمره، وأسكن الفردوس، وأهبط إلى الأرض - غير مستكر أن يكون كان مقداره من سنيننا قدر خمس وثلاثين سنة فإن كان أراد أنه أسكن الفردوس لساعتين مضتا من نهار يوم الجمعة من الأيام التي مقدار اليوم الواحد منها ألف سنة من سنيننا، فقد قال غير الحق، وذلك أن جميع من حفظ له قول في ذلك من أهل العلم، فإنه كان يقول إن آدم نفخ فيه الروح في آخر النهار من يوم الجمعة قبل غروب الشمس من ذلك اليوم ثم الاخبار عن رسول الله ص متظاهرة بأن الله تبارك وتعالى أسكنه الجنة فيه، وفيه أهبطه إلى الأرض فإن كان ذلك صحيحا، فنعلم أن آخر ساعة من نهار يوم من أيام الآخرة ومن الأيام التي اليوم الواحد منها مقداره ألف سنة من سنيننا، إنما هي ساعة بعد مضي إحدى عشرة ساعة، وذلك ساعة من اثنتي عشرة ساعة، وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر من سنيننا، فآدم صلوات الله عليه إذ كان الأمر كذلك، إنما خلق لمضي إحدى عشرة ساعة من نهار يوم الجمعة من الأيام التي اليوم الواحد منها ألف سنة من سنيننا، فكث جسدا ملقى لم ينفخ فيه الروح أربعين عاما من أعوامنا ثم نفخ فيه الروح فكان مكثه في السماء بعد ذلك ومقامه في الجنة، إلى أن أصاب الخطيئة وأهبط إلى الأرض ثلاثا وأربعين سنة من سنيننا وأربعة أشهر، وذلك ساعة من ساعات يوم من الأيام الستة التي خلق الله تعالى فيها الخلق وَقَدْ حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ:

حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: خَرَجَ آدَمُ مِنَ الْجَنَّةِ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ: صَلَاةِ الظُّهْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، فَأُنْزِلَ إِلَى الْأَرْضِ وَكَانَ مُكْتَبُهُ فِي الْجَنَّةِ نِصْفَ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ، مِنْ يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَاعَةً، وَالْيَوْمُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا يُعَدُّ أَهْلُ الدُّنْيَا، وَهَذَا أَيْضًا قَوْلٌ خِلَافُ مَا وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَعَنِ السَّلَفِ مِنْ عُلَمَائِهِ.

١٠٤٠٤ القول في الموضع الذي أهبط آدم وحواء إليه من الأرض حين أهبطا إليها

القول في الموضع الذي أهبط آدم وحواء إليه من الأرض حين أهبطا إليها
ثم إن الله عز وجل أهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذي خلقه فيه - وذلك يوم الجمعة - من السماء مع زوجته، وأنزل آدم - فيما قال علماء سلف أمة نبينا ص - بالهند.
ذكر من حضرنا ذكره ممن قال ذلك منهم:

٢٢٠ - حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ:

أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: أَهْبَطَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ، وَكَانَ مَهْبُطُهُ بِأَرْضِ الْهِنْدِ.
حَدَّثَنَا عُمَرُو بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ عَيْنَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا أَهْبَطَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ أَهْبَطَهُ بِدَهْنِ أَرْضِ الْهِنْدِ.

حدثت عن عمار، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، قَالَ: أَهْبَطَ آدَمَ إِلَى الْهِنْدِ.
حَدَّثَنِي ابْنُ سِنَانٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ:
[قال علي بن أبي طالب ع: أَطِيبُ أَرْضٍ فِي الْأَرْضِ رِيحًا أَرْضُ الْهِنْدِ، أَهْبَطَ بِهَا آدَمُ، فَعَلَقَ شَجَرَهَا مِنْ رِيحِ الْجَنَّةِ].

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَهْبَطَ آدَمَ بِالْهِنْدِ، وَحَوَاءُ بِجِدَّةٍ، بَجَاءٍ فِي طَلَبِهَا حَتَّى اجْتَمَعَا، فَازْدَلَفَتْ إِلَيْهِ حَوَاءُ، فَلِذَلِكَ

سُمِّيَتْ الْمَزْدَلِفَةُ، وَتَعَارَفَا بِعَرَفَاتٍ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ عَرَفَاتٍ، وَاجْتَمَعَا بِجَمْعٍ فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ جَمْعًا قَالَ: وَأَهْبَطَ آدَمَ عَلَى جَبَلٍ بِالْهِنْدِ يُقَالُ لَهُ بُؤْذُ.

حدثنا أبو همام، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا زياد بن خيثمة، عن أبي يحيى بائع القتب، قال: قال لي مجاهد: لقد حدثنا عبد الله بن عباس أن آدم نزل حين نزل بالهند.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: وأما أهل التوراة فإنهم قالوا: أهبط آدم بالهند على جبل يقال له واسم، عند واذ يقال له بهيل بين الدهنج والمندل: بلدين بأرض الهند قالوا:

وأهبطت حواء بجدة من أرض مكة.

وقال آخرون: بل أهبط آدم بسرنديب، على جبل يدعى بود، وحواء بجدة من أرض مكة، وإبليس بميسان، والحية بأصهبان وقد قيل: أهبطت الحية بالبرية، وإبليس بساحل بحر الأيلة.

وهذا مما لا يوصل إلى علم صحته إلا بخبر يحيى مجيء الحجة، ولا يعلم خبر في ذلك ورد كذلك، غير ما ورد من خبر هبوط آدم بأرض الهند، فإن ذلك مما لا يدفع صحته علماء الإسلام وأهل التوراة والإنجيل، والحجة قد ثبتت بأخبار بعض هؤلاء وذكر أن الجبل الذي أهبط عليه آدم ع ذروته من أقرب ذرا جبال الأرض إلى السماء، وأن آدم حين أهبط عليه كانت رجلاه عليه ورأسه في السماء يسمع دعاء الملائكة وتسبيحهم، فكان آدم يأنس بذلك، وكانت الملائكة تهابه، فنقص من طول آدم لذلك.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا هشام بن حسان، عن سوار ختن عطاء، عن عطاء بن أبي رباح، قال: لما أهبط الله عز وجل آدم من الجنة كان رجلاه في الأرض، ورأسه في السماء، يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم، يأنس إليهم، فهابته الملائكة حتى شكت إلى الله تعالى في دعائها وفي صلاتها، فخفضه إلى الأرض، فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكا ذلك إلى الله عز وجل في دعائه وفي صلاته، فوجهه إلى مكة فصار موضع قدمه قرية، وخطوته مفازة، حتى انتهى إلى مكة، وأنزل الله تعالى ياقوتة من ياقوت الجنة، فكانت على موضع البيت الآن، فلم يزل يطوف به حتى أنزل الله تعالى الطوفان، فرفعت تلك الياقوتة حتى بعث الله تعالى إبراهيم الخليل ع فبناه، فذلك قوله تعالى:

«وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ» .

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: وضع الله تعالى البيت مع آدم، فكان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض، فكانت الملائكة تهابه، فنقص إلى ستين ذراعا، فحزن آدم إذ فقد أصوات الملائكة وتسبيحهم، فشكا ذلك إلى الله، فقال الله: يا آدم، إني أهبط لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي، وتصلي عنده كما يصلي عند عرشي فانطلق إليه آدم ع، فخرج ومد له في خطوه، فكان بين كل خطوة مفازة، فلم تزل تلك المفاوز بعد ذلك، فأتى آدم ع البيت، فطاف به ومن بعده من الأنبياء

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: حدثنا هشام بن محمد، قال: أخبرني أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: لما حط من طول آدم ع إلى ستين ذراعا أنشأ يقول: رَبِّ، كُنْتُ جَارَكَ فِي دَارِكَ، لَيْسَ لِي رَبٌّ غَيْرُكَ، وَلَا رَقِيبٌ دُونَكَ، أَكُلْتُ فِيهَا رَغَدًا، وَأَسْكُنُ حَيْثُ أَحْبَبْتُ، فَأَهْبَطْتَنِي إِلَى هَذَا الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ، فَكُنْتُ أَسْمَعُ أَصْوَاتَ الْمَلَائِكَةِ، وَأَرَاهُمْ كَيْفَ يُحْفُونَ بِعَرْشِكَ، وَأَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ وَطِبَّهَا، ثُمَّ أَهْبَطْتَنِي إِلَى الْأَرْضِ، وَحَطَّطْتَنِي إِلَى سِتِّينَ ذِرَاعًا، فَقَدْ انْقَطَعَ عَنِّي الصَّوْتُ وَالنَّظَرُ، وَذَهَبَ عَنِّي رِيحُ الْجَنَّةِ فَأَجَابَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لِمَعْصِيَتِكَ يَا آدَمُ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ تَعَالَى عُرْيَ آدَمَ وَحَوَاءَ أَمْرَهُ أَنْ يَذْبَحَ كَبْشًا مِنَ الضَّأْنِ مِنَ الثَّمَانِيَةِ الْأَزْوَاجِ الَّتِي أَنْزَلَ مِنَ الْجَنَّةِ، فَأَخَذَ كَبْشًا فَذَبَحَهُ، ثُمَّ أَخَذَ صُوفَهُ فَغَزَلَتْهُ حَوَاءُ، وَنَسَجَهُ هُوَ وَحَوَاءُ، فَنَسَجَ آدَمُ جُبَّةً لِنَفْسِهِ، وَجَعَلَ لِحَوَاءَ دِرْعًا وَنَحَارًا، فَلَبَسَا ذَلِكَ، وَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى آدَمَ أَنْ لِي حَرَمًا بِحِيَالِ عَرْشِي، فَانْطَلِقْ فَأَبْنِ لِي فِيهِ بَيْتًا، ثُمَّ حَفَ بِهِ كَمَا رَأَيْتَ مَلَائِكِي

يُحْفَوْنَ بِعَرْشِي، فَهَئِلِكَ أَسْتَجِيبُ لَكَ وَلَوْلَاكَ، مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي طَاعَتِي، فَقَالَ آدَمُ: أَيُّ رَبِّ، فَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ، لَسْتُ أَقْوَى عَلَيْهِ وَلَا أَهْتَدِي لَهُ! فَقَبِضَ اللَّهُ لَهُ مَلَكًا، فَانْطَلَقَ بِهِ نَحْوَ مَكَّةَ، فَكَانَ آدَمُ إِذَا مَرَّ بِرَوْضَةٍ وَمَكَانٍ يُعْجِبُهُ قَالَ لِلْمَلَكِ: انْزِلْ بِنَا هَاهُنَا، فَيَقُولُ لَهُ الْمَلَكُ: مَكَانُكَ، حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَكَانَ كُلُّ مَكَانٍ نَزَلَ بِهِ صَارَ عُمْرَانًا، وَكُلُّ مَكَانٍ تَعَدَّاهُ صَارَ مَفَاوِزَ وَقَفَارًا، فَبَنَى الْبَيْتَ مِنْ خَمْسَةِ أَجْبُلٍ: مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ وَطُورِ زَيْتُونٍ وَلِبْنَانَ وَالْجُودِيِّ، وَبَنَى قَوَاعِدَهُ مِنْ حِرَاءَ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ بَنَائِهِ خَرَجَ بِهِ الْمَلَكُ إِلَى عَرَفَاتٍ، فَأَرَاهُ الْمَنَاسِكَ كُلَّهَا الَّتِي تَفْعَلُهَا النَّاسُ الْيَوْمَ، ثُمَّ قَدِمَ بِهِ مَكَّةَ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ أُسْبُوعًا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَرْضِ الْهِنْدِ، فَاتَّ عَلَى بُودَ

حدثنا أبو همام، قال: حدثني أبي، قال: حدثني زياد بن خيثمة، عن أبي يحيى بائع القَتِّ، قال: قَالَ لِي مُجَاهِدٌ: لَقَدْ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ آدَمَ عَزَلَ حِينَ نَزَلَ بِالْهِنْدِ، وَلَقَدْ حَجَّ مِنْهَا أَرْبَعِينَ حِجَّةً عَلَى رَجُلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا الْحَجَّاجِ، أَلَا كَانَ يَرْكَبُ؟ قَالَ: فَإِنَّ شَيْءَ كَانَ يَحْمِلُهُ! فَوَاللَّهِ إِنَّ خَطْوَهُ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَإِنْ كَانَ رَأْسُهُ لَيَبْلُغُ السَّمَاءَ، فَاشْتَكَّتِ الْمَلَائِكَةُ نَفْسَهُ، فَهَمَزَهُ الرَّحْمَنُ هَمَزَةً، فَتَطَاطَأَ مَقْدَارَ أَرْبَعِينَ سَنَةً.

حدثني صالح بن حرب أبو معمر مولى بني هاشم، قال: حَدَّثَنَا ثُمَامَةُ بْنُ عُبَيْدَةَ السُّلَمِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الزُّبَيْرِ، قَالَ: قَالَ نَافِعٌ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ، يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى آدَمَ ع وَهُوَ بِبِلَادِ الْهِنْدِ:

أَنْ حُجَّ هَذَا الْبَيْتَ لِحُجِّ آدَمَ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ، فَكَانَ كُلُّهَا وَضِعَ قَدَمِهِ صَارَ قَرْيَةً، وَمَا بَيْنَ خُطْوَتَيْهِ مَفَازَةً، حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْبَيْتِ فَطَافَ بِهِ، وَقَضَى الْمَنَاسِكَ كُلَّهَا، ثُمَّ أَرَادَ الرُّجُوعَ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ فَضَى، حَتَّى إِذَا كَانَ بِمَازِمِي عَرَفَاتٍ، تَلَقَّيْتُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَقَالُوا: بَرِّحْكَ يَا آدَمُ! فَدَخَلَهُ مِنْ ذَلِكَ عَجَبٌ، فَلَمَّا رَأَتْ الْمَلَائِكَةُ ذَلِكَ مِنْهُ قَالُوا: يَا آدَمُ، إِنَّا قَدْ حَجَّجْنَا هَذَا الْبَيْتَ قَبْلَ أَنْ تُخْلَقَ بِالْفِي سَنَةً، قَالَ: فَتَقَاصَرَتْ إِلَى آدَمَ نَفْسُهُ.

وذكر أن آدَمَ ع أَهْبَطَ إِلَى الْأَرْضِ، وَعَلَى رَأْسِهِ إِكْلِيلٌ مِنْ شَجَرِ الْجَنَّةِ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى الْأَرْضِ، وَيَسَّسَ الْإِكْلِيلُ، نَحَاتَتْ وَرْقُهُ فَنَبَتَ مِنْهُ أَنْوَاعُ الطَّيْبِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ كَانَ ذَلِكَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُمَا جَعَلَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ، فَلَمَّا يَسَّسَ ذَلِكَ الْوَرَقُ الَّذِي خَصَفَاهُ عَلَيْهِمَا نَحَاتَتْ فَنَبَتَ مِنْ ذَلِكَ الْوَرَقِ أَنْوَاعُ الطَّيْبِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ لَمَّا عَلِمَ آدَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُهْبِطُهُ إِلَى الْأَرْضِ، جَعَلَ لَا يَمُرُّ بِشَجَرَةٍ مِنْ شَجَرِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَخَذَ غُصْنًا مِنْ أَغْصَانِهَا، فَهَبَّطَ إِلَى الْأَرْضِ وَتَلَكَ الْأَغْصَانُ مَعَهُ، فَلَمَّا يَسَّسَ وَرَقُهَا نَحَاتَتْ، فَكَانَ ذَلِكَ أَصْلَ الطَّيْبِ.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

٢٣٢- حَدَّثَنَا أَبُو هَمَّامٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ خَيْثَمَةَ، عَنْ أَبِي يَحْيَى بَائِعِ الْقَتِّ قَالَ: قَالَ لِي مُجَاهِدٌ: لَقَدْ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عَبَّاسٍ، أَنَّ آدَمَ حِينَ خَرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ كَانَ لَا يَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا عَبَثَ بِهِ، فَقِيلَ لِلْمَلَائِكَةِ: دَعُوهُ فَلْيَتَزَوَّدْ مِنْهَا مَا شَاءَ، فَنَزَلَ حِينَ نَزَلَ بِالْهِنْدِ، وَإِنَّ هَذَا الطَّيْبَ الَّذِي يُجَاءُ بِهِ مِنَ الْهِنْدِ مِمَّا خَرَجَ بِهِ آدَمُ مِنَ الْجَنَّةِ ذَكَرَ مَنْ قَالَ: كَانَ عَلَى رَأْسِ آدَمَ عَ حِينَ أَهْبَطَ مِنَ الْجَنَّةِ إِكْلِيلٌ مِنْ شَجَرِ الْجَنَّةِ:

حدثت عن عمار بن الحسن، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، قال: خرج آدم من الجنة، فخرج منها ومعه عصا من شجر الجنة، وعلى رأسه تاج أو إكليل من شجر الجنة، قال: فأهبط إلى الهند، ومنه كل طيب بالهند. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال:

هبط آدم عليه- يعني على الجبل الذي هبط عليه- ومعه ورق من ورق الجنة، فبثه في ذلك الجبل، فنه كان أصل الطيب كله، وكل

فاكهة لا توجد إلا بأرض الهند

وقال آخرون: بل زوده الله من ثمار الجنة، فثمارنا هذه من تلك الثمار ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي وعبد الوهاب ومحمد بن جعفر، عن عوف، عن قسامة بن زهير، عن الأشعري، قال:

إن الله تبارك وتعالى لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة، وعلمه صنعة كل شيء، فثماركم هذه من ثمار الجنة، غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير.

وقال آخرون: إنما علق بأشجار الهند طيب ريح آدم ع.

ذكر من قال إنما صار الطيب بالهند لأن آدم حين أهبط إليها علق بأشجارها طيب ريحه:

حدثني الحارث بن محمد، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا هشام بن محمد، قال: أخبرني أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال:

نزل آدم ع معه ريح الجنة، فعلق بشجرها وأوديتها وأمتلاً ما هنالك طيباً، فن ثم يؤتى بالطيب من ريح الجنة.

وقالوا: أنزل معه من طيب الجنة.

وقال: أنزل معه الحجر الأسود، وكان أشد بياضاً من الثلج، وعصا موسى، وكانت من آس الجنة، طولها عشرة أذرع على طول موسى،

ومر ولبان، ثم أنزل عليه بعد ذلك العلاء والمطرقة والكلبتان، فنظر آدم

حين أهبط على الجبل إلى قضيب من حديد نابت على الجبل، فقال: هذا من هذا، فجعل يكسر أشجاراً قد عتقت ويبست بالمطرقة، ثم

أوقد على ذلك الغصن حتى ذاب، فكان أول شيء ضربه مديّة، فكان يعمل بها، ثم ضرب التنور، وهو الذي ورثه نوح، وهو الذي

فأر بالعذاب بالهند.

وكان آدم حين هبط يمسح رأسه السماء، فن ثم صليع، وأورث ولده الصلح ونفرت من طول دواب البر، فصارت وحشاً من يومئذ،

وكان آدم ع وهو على ذلك الجبل قائم يسمع أصوات الملائكة، ويجد ريح الجنة، فخط من طول ذلك إلى ستين ذراعاً، فكان ذلك طول

إلى أن مات ولم يجمع حسن آدم ع لأحد من ولده الا ليوسف ع.

وقيل: إن من الثمار التي زود الله عز وجل آدم ع حين أهبط إلى الأرض ثلاثين نوعاً، عشرة منها في القشور وعشرة لها نوى، وعشرة لا

قشور لها ولا نوى فأما التي في القشور منها فالجوز، واللوز، والفستق، والبندق، والخشخاش، والبلوط، والشاهلوط، والرائج، والرمان،

والموز وأما التي لها نوى منها فالتوخ، والمشمش، والإجاص، والرطب، والغيراء، والتبق، والزعرور، والعناب، والمقل، والشاهلوج

وأما التي لا قشور لها ولا نوى فالتفاح، والسفرجل، والكمثرى، والعنب، والتوت، والتين، والأترج، والخرنوب، والخيار، والبطيخ.

وقيل: كان مما أخرج آدم ع من الجنة صرة من حنطة، وقيل: إن الحنطة إنما جاء بها جبرئيل ع بعد أن جاع آدم، واستطعم ربه،

فبعث الله اليه مع جبرئيل ع بسبع حبات من حنطة، فوضعها في يد آدم ع، فقال آدم لجبرئيل: ما هذا؟ فقال له جبرئيل: هذا الذي

أخرجك من الجنة، وكان وزن الحبة منها مائة ألف درهم وثمانمائة درهم، فقال آدم:

ما أصنع بهذا؟ قال: انثره في الأرض ففعل، فأنبته الله عز وجل من ساعته، فجرت سنة في ولده البذر في الأرض، ثم أمره فحصد،

ثم أمره فجمع وفركه بيده، ثم أمره أن يذريه، ثم أتاه بجبرين فوضع أحدهما على الآخر

فطحنه، ثم أمره أن يعجنه، ثم أمره أن يخبزه مله، وجمع له جبرئيل ع الحجر والحديد فقدحه، فخرجت منه النار، فهو أول من خبز

الملة.

وهذا القول الذي حكيناه عن قائل هذا القول، خلاف ما جاءت به الروايات عن سلف أمة نبينا ص، وذلك أن المثنى بن إبراهيم

حدثني أن إسحاق حدثه، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا سفيان بن عيينة وابن المبارك، عن الحسن بن عمارة، عن المنهال بن

عَمَرُو، وعن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس، قال: كَانَتِ الشَّجَرَةُ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا آدَمَ وَزَوْجَتَهُ السُّنْبُلَةَ، فَلَمَّا أَكَلَا مِنْهَا بَدَتْ لَهُمَا سُوءَاتُهُمَا، وَكَانَ الَّذِي وَارَى عَنْهُمَا مِنْ سُوءَاتِهِمَا أَظْفَارُهُمَا، وَطَفِيفًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ، وَرَقِ التِّينِ يُلْصِقَانِ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ، فَانْطَلَقَ آدَمُ مُوَلِّيًا فِي الْجَنَّةِ، فَأَخَذَتْ بِرَأْسِهِ شَجَرَةٌ مِنَ الْجَنَّةِ فَنَادَاهُ: يَا آدَمُ، أُمْنِي تَفَرُّ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي اسْتَحَيْتُكَ يَا رَبِّ، قَالَ: أَمَا كَانَ لَكَ فِيمَا مَنَحْتُكَ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَبَحْتُكَ مِنْهَا مَنَدُوحَةٌ عَمَّا حَرَّمْتُ عَلَيْكَ! قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ وَعَرَّيْتُكَ مَا حَسِبْتُ أَنَّ أَحَدًا يَخْلِفُ بِكَ كَاذِبًا، قَالَ- وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ» - قَالَ: فَعِزَّتِي لِأَهْطِنَّاكَ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا تَنَالُ الْعَيْشَ إِلَّا كَدًّا.

قَالَ: فَأَهْبِطَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَكَانَا يَأْكُلَانِ فِيهَا رَغَدًا، فَأَهْبِطَ إِلَى غَيْرِ رَغَدٍ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ، فَعَلِمَ صَنْعَةَ الْحَدِيدِ، وَأَمَرَ بِالْحَرْثِ فَحَرَّثَ وَزَرَعَ ثُمَّ سَقَى، حَتَّى إِذَا بَلَغَ حَصَدُهُ، ثُمَّ دَاسَهُ، ثُمَّ ذَرَاهُ، ثُمَّ طَحَنَهُ، ثُمَّ عَجَنَهُ، ثُمَّ خَبَزَهُ، ثُمَّ أَكَلَهُ، فَلَمْ يَبْلُغْهُ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْلُغَ.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: أهبط إلى آدم ثور احمر، فكان يحدث عليه، ويمسح العرق عن جبينه، فهو الذي قال الله عز وجل: «فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى»، فكان ذلك شقاؤه.

فهذا الذي قاله هؤلاء هو أولى بالصواب، وأشبه بما دل عليه كتاب ربنا عز وجل، وذلك أن الله عز ذكره لما تقدم إلى آدم وزوجته حواء بالنهي عن طاعة عدوهما، قال لآدم: «يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوُّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى».

وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى»، فكان معلوما أن الشقاء الذي أعلمه أنه يكون إن أطاع عدوه إبليس، هو مشقة الوصول إلى ما يزيل الجوع والعري عنه، وذلك هي الأسباب التي بها يصل أولاده إلى الغذاء، من حراثة وبذر وعلاج وسقي، وغير ذلك من الأسباب الشاقة المؤلمة ولو كان جبرئيل أتاه بالغذاء الذي يصل إليه ببذره دون سائر المؤن غيره، لم يكن هناك من الشقاء الذي توعد به ربه على طاعة الشيطان ومعصية الرحمن كبير خطب، ولكن الأمر كان- والله أعلم- على ما روينا عن ابن عباس وغيره.

وقد قيل: إن آدم ع نزل معه السندان، والكلبتان، والميقعة، والمطرقة.

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاصِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، عَنْ عَلْبَاءِ بْنِ أَهْمَرَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ نَزَلَتْ مَعَ آدَمَ ع: السُّنْدَانِ، وَالْكَلْبَتَانِ، وَالْمِيقَعَةُ، وَالْمِطْرَقَةُ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ ذِكْرُهُ فِيمَا ذَكَرْ أَنْزَلَ آدَمَ مِنَ الْجَبَلِ الَّذِي أَهْبَطَهُ عَلَيْهِ إِلَى سَفْحِهِ، وَمَلَكَهُ الْأَرْضَ كُلَّهَا، وَجَمِيعَ مَا عَلَيْهَا مِنَ الْجِنِّ وَالْبَهَائِمِ وَالْدَّوَابِّ وَالْوَحْشِ وَالطَّيْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَإِنْ آدَمَ ع لَمَّا نَزَلَ مِنْ رَأْسِ ذَلِكَ الْجَبَلِ، وَفَقَدَ كَلَامَ أَهْلِ السَّمَاءِ، وَغَابَتْ عَنْهُ أَصْوَاتُ الْمَلَائِكَةِ، وَنَظَرَ إِلَى سِعَةِ الْأَرْضِ وَبَسْطَتِهَا، وَلَمْ يَرِ فِيهَا أَحَدًا غَيْرَهُ، اسْتَوْحَشَ فَقَالَ: يَا رَبِّ، أَمَا لِأَرْضِكَ هَذِهِ عَامِرٌ يُسَبِّحُكَ غَيْرِي! فَأَجِيبْ بَمَا حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الْحَجَّاجِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ ابْنُ مَعْقِلٍ، أَنَّهُ سَمِعَ وَهْبًا يَقُولُ: إِنَّ آدَمَ لَمَّا أَهْبَطَ إِلَى الْأَرْضِ فَرَأَى سَعَتَهَا وَلَمْ يَرِ فِيهَا أَحَدًا غَيْرَهُ قَالَ: يَا رَبِّ، أَمَا لِأَرْضِكَ هَذِهِ عَامِرٌ يُسَبِّحُكَ بِحَمْدِكَ وَيُقَدِّسُ لَكَ غَيْرِي! قَالَ اللَّهُ: إِنِّي سَأَجْعَلُ فِيهَا مِنْ وَلَدِكَ مَنْ يُسَبِّحُ بِحَمْدِي وَيُقَدِّسُنِي، وَسَأَجْعَلُ فِيهَا بَيْوتًا تَرْفَعُ لَذِكْرِي، وَيُسَبِّحُ فِيهَا خَلْقِي، وَيَذْكُرُ فِيهَا اسْمِي، وَسَأَجْعَلُ مِنْ تِلْكَ الْبَيْوتِ بَيْتًا أَخْصَهُ بِكَرَامَتِي، وَأَوْثَرَهُ بِاسْمِي، وَأُسَمِّيهِ بَيْتِي، أَنْطَقَهُ بِعَظَمَتِي، وَعَلَيْهِ وَضَعْتَ جَلَالِي ثُمَّ أَنَا مَعَ ذَلِكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَمَعَ كُلِّ شَيْءٍ، أَجْعَلُ ذَلِكَ الْبَيْتَ حَرَمًا آمِنًا يَحْرَمُ بِحَرَمَتِهِ مِنْ حَوْلِهِ وَمَنْ تَحْتَهُ وَمَنْ فَوْقَهُ، فَمَنْ حَرَمَهُ بِحَرَمَتِي اسْتَوْجِبَ بِذَلِكَ كَرَامَتِي، وَمَنْ أَخَافَ أَهْلَهُ فِيهِ فَقَدْ أَخْفَرَ ذِمَّتِي، وَأَبَاحَ حَرَمَتِي أَجْعَلُهُ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ بِبَطْنِ مَكَّةَ مَبَارَكًا، يَأْتُونَهُ شَعَثًا غَيْرًا عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ، مِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ، يَرْجُونَ بِالتَّلْبِيَةِ رَجِيحًا، وَيُثْجُونَ بِالبَّكَاءِ ثُجْبِيحًا، وَيَعْجُونَ بِالتَّكْبِيرِ عَجِيحًا، فَمَنْ

اعتمده ولا يريد غيره فقد وفد إليّ وزارني وضافني، وحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه، وأن يسعف كلا بحاجته تعممه يا آدم ما كنت حيا، ثم تعممه الأمم والقرون والأنبياء من ولدك أمة بعد أمة، وقرنا بعد قرن.

ثم أمر آدم ع- فيما ذكر- أن يأتي البيت الحرام الذي اهبط

له إلى الأرض، فيطوف به كما كان يرى الملائكة تطوف حول عرش الله، وكان ذلك ياقوتة واحدة أو درة واحدة، كما حدثني الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أبان، أن البيت أهبط ياقوتة واحدة أو درة واحدة، حتى إذا أغرق الله قوم نوح رفعه وبقي أساسه، فبواه الله عز وجل لإبراهيم فبناه، وقد ذكرت الأخبار الواردة بذلك فيما مضى قبل.

فذكر أن آدم ع بكى واشتد بكاءه على خطيئته، وندم عليها، وسأل الله عز وجل قبول توبته، وغفران خطيئته، فقال في مسأله إياه: ما سأل من ذلك، كما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن عطيّة، عن قيس، عن ابن أبي ليلى، عن المنهال، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس: «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه» قال: أي رب، ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: أي رب، ألم تنفخ في من رُوحك؟

قال: بلى، قال: أي رب، ألم تُسَكِّنِي جَنَّتِكَ؟ قال: بلى، قال: أي رب، ألم تَسِقْ رَحْمَتَكَ غَضَبَكَ؟ قال: بلى، قال: أَرَأَيْتَ إِنْ تَبْتُ وَأَصْلَحْتُ أَرَأَيْتَ أَنْتَ إِلَى الْجَنَّةِ؟ قال: بلى، قال: فَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ» .

حدثني بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة، قوله تعالى «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ» ذكر لنا أنه قال: يا رب: أَرَأَيْتَ إِنْ أَنَا تَبْتُ وَأَصْلَحْتُ! قال: إِذَا أَرَجَعْتُ إِلَى الْجَنَّةِ، قال:

وقال الحسن: إنهما قالوا: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» .

حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان وقيس، عن خصيف، عن مجاهد، في قوله عز وجل: «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ» قال: قوله: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» .

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا هشام بن محمد، قال: أخبرنا أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: أنزل آدم معه حين أهبط من الجنة الحجر الأسود، وكان أشد بياضا من الثلج، وبكى آدم وحواء على ما فاتهما- يعني من نعيم الجنة- مائتي سنة، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما، ثم أكلا وشربا، وهما يومئذ على بوذ، الجبل الذي أهبط عليه آدم ولم يقرب حواء مائة سنة.

حدثنا أبو همام، قال: حدثني أبي، قال: حدثني زياد بن خيثمة، عن أبي يحيى بائع القت، قال: قال لي مجاهد، ونحن جلوس في المسجد: هل ترى هذا؟ قلت: يا أبا الحجاج، الحجر؟ قال: كذلك تقول؟

قلت: او ليس حجرا! قال: فو الله لحدثني عبد الله بن عباس أنها ياقوتة بيضاء، خرج بها آدم من الجنة، كان يمسح بها دموعه، وأن آدم لم ترقأ دموعه منذ خرج من الجنة حتى رجع إليها ألفي سنة، وما قدر منه إبليس على شيء، فقلت له: يا أبا الحجاج، فمن أي شيء اسود؟ قال: كان الحيض يلبسه في الجاهلية فخرج آدم ع من الهند يؤم البيت الذي أمره الله عز وجل بالمصير إليه، حتى أتاه، فطاف به، ونسك المناسك، فذكر أنه التقى هو وحواء بعرفات، فتعارفا بها، ثم ازدلف إليها بالمزدلفة، ثم رجع إلى الهند مع حواء، فاتخذوا مغارة يأويان إليها في ليلهما ونهارهما، وأرسل الله إليهما ملكا يعلمهما ما يلبسانه ويستتران به، فزعموا أن ذلك كان من جلود الضأن والأنعام والسيباع وقال بعضهم: إنما كان ذلك لباس أولادهما، فأما آدم وحواء فإن لباسهما كان ما كانا خصفا على أنفسهما من ورق الجنة ثم إن الله عز ذكره مسح ظهر آدم ع بنعمان من عرفة، وأخرج ذريته، فثرهم بين يديه كالذر، فأخذ مواثيقهم، وأشهدهم على أنفسهم:

أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالوا: بلى، كما قال عز وجل: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا

بلى» .

وَقَدْ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الطُّوسِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَارِثٍ، عَنْ كُثُومِ بْنِ جَبْرِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، [عن النبي ص، قَالَ: أَخَذَ اللَّهُ المِثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنِعْمَانَ- يَعْنِي عَرَفَةَ- فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَاهَا، فَثَرَّهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كُلَّهُمْ قَبَلًا، وَقَالَ: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» إِلَى قَوْلِهِ: «بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ» .

حَدَّثَنِي عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى الْقَزَّازُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا كُثُومُ بْنُ جَبْرِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: «وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى» ، قَالَ: مَسَحَ رَبُّنَا ظَهْرَ آدَمَ، فَخَرَجَتْ كُلُّ نَسْمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِنِعْمَانَ هَذِهِ- وَأَشَارَ بِيَدِهِ- فَأَخَذَ مَوَاقِفَهُمْ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ وَيَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ عَلِيٍّ، عَنْ كُثُومِ بْنِ جَبْرِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى» ، قَالَ: مَسَحَ ظَهْرَ آدَمَ فَخَرَجَ كُلُّ نَسْمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِنِعْمَانَ، هَذَا الَّذِي وَرَاءَ عَرَفَةَ، وَأَخَذَ مِثَاقَهُمْ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى شَهِدْنَا، وَاللَّفْظُ لِحَدِيثِ يَعْقُوبَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ عَيْنَةَ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَهْبَطَ آدَمُ حِينَ أَهْبَطَ فَسَحَّ اللَّهُ ظَهْرَهُ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ كُلَّ نَسْمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ قَالَ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى، ثُمَّ تَلَى: «وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» ، جَفَّ الْقَلَمُ مِنْ يَوْمِئِذٍ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عِيسَى، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي «وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» ، قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ ع أَخَذَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْ ظَهْرِهِ مِثْلَ الذَّرِّ، فَقَبَضَ قَبْضَتَيْنِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ، وَقَالَ لِلْآخَرِينَ: ادْخُلُوا النَّارَ وَلَا أَبَالِي .

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ وَسَعْدُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي أَنَسٍ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ الْجُهَنِيِّ، [أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سِئَلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ:

«وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» ، فَقَالَ عُمَرُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ بِمِيزِنَةٍ وَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَعِمَّ الْعَمَلُ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ عَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهُ الْجَنَّةُ، وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهُ النَّارُ] .

وَقِيلَ: إِنَّهُ أَخَذَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ مِنْ ظَهْرِهِ بِدَحْنَا ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَكَّامٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِدَحْنَا فَخَرَجَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسْمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ:

أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَيَرُونِ يَوْمَئِذٍ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَخْرَجَ اللَّهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ مِنْ صُلْبِهِ فِي السَّمَاءِ قَبْلَ أَنْ يَهْبِطَهُ إِلَى الْأَرْضِ، وَبَعْدَ أَنْ أَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ. ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو بن حماد، عن أسباط، عن السدي: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا: بَلَى»، قال: أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه من السماء، ثم إنه مسح من آدم صفحة ظهره اليمنى، فأخرج منه ذرية كهيئة الذر بيضاء مثل اللؤلؤ، فقال لهم: ادخلوا الجنة برحمتي، ومسح صفحته ظهره اليسرى، فأخرج منه كهيئة الذر سودا، فقال: ادخلوا النار ولا أبالي فذلك حين يقول: أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ الميثاق فقال: ألسن بربكم؟ قالوا بلى، فأعطاه طائفة طائعين، وطائفة على وجه التقية

١٠٤٥ ذكر الأحداث التي كانت في عهد آدم ع بعد أن اهبط إلى الأرض

ذكر الأحداث التي كانت في عهد آدم ع بعد أن اهبط إلى الأرض
فكان أول ذلك قتل قابيل بن آدم أخاه هابيل، وأهل العلم يختلفون في اسم قابيل، فيقول بعضهم: هو قين بن آدم، ويقول بعضهم: هو قايين ابن آدم ويقول بعضهم: هو قايين ويقول بعضهم: هو قابيل. واختلّفوا أيضا في السبب الذي من أجله قتله: فقال بعضهم في ذلك ما حدّثني به موسى بن هارون الهمداني، قال:

حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي- في خبر ذكره- عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس- وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود- وعن ناس من أصحاب رسول الله ص، قال: كَانَ لَا يُؤَلِّدُ لآدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا وُلِدَ مَعَهُ جَارِيَةٌ، فَكَانَ يَزُوجُ غُلَامَ هَذَا الْبَطْنِ جَارِيَةَ هَذَا الْبَطْنِ الْآخَرِ وَيَزُوجُ جَارِيَةَ هَذَا الْبَطْنِ الْآخَرَ، حَتَّى وُلِدَ لَهُ أَبْنَانٌ، يُقَالُ لَهُمَا قَابِيلُ وَهَابِيلُ، وَكَانَ قَابِيلُ صَاحِبَ زَرْعٍ، وَكَانَ هَابِيلُ صَاحِبَ ضَرْعٍ، وَكَانَ قَابِيلُ أَكْبَرَهُمَا، وَكَانَتْ لَهُ أُخْتُ أَحْسَنَ مِنْ أُخْتِ هَابِيلَ، وَإِنَّ هَابِيلَ طَلَبَ أَنْ يَنْكِحَ أُخْتَهُ قَابِيلَ، فَأَبَى عَلَيْهِ وَقَالَ: هِيَ أُخْتِي وَلِدْتُ مَعِي، وَهِيَ أَحْسَنُ مِنْ أُخْتِكَ، وَأَنَا أَحَقُّ أَنْ أَتَزَوَّجَهَا، فَأَمَرَهُ أَبُوهُ أَنْ يَزُوجَهَا هَابِيلَ، فَأَبَى وَإِنَّمَا قَرَّبَا قُرْبَانًا إِلَى اللَّهِ إِلَهُمَا أَحَقُّ بِالْجَارِيَةِ، وَكَانَ

آدَمُ يَوْمَئِذٍ قَدْ غَابَ عَنْهُمَا وَأَتَى مَكَّةَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، قَالَ اللَّهُ لآدَمَ: يَا آدَمُ، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ لِي بَيْتًا فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: اللَّهُ لَا، قَالَ: فَإِنَّ لِي بَيْتًا بِمَكَّةَ فَأْتِهِ، فَقَالَ آدَمُ لِلسَّمَاءِ: احْفَظِي وَلَدِي بِالْأَمَانَةِ، فَأَبَتْ، وَقَالَ لِلْأَرْضِ فَأَبَتْ، وَقَالَ لِلْجِبَالِ فَأَبَتْ، فَقَالَ لِقَابِيلَ، فَقَالَ: نَعَمْ، تَذْهَبُ وَتَرْجِعُ وَتَجِدُ أَهْلَكَ كَمَا يَسُرُّكَ فَلَمَّا انْطَلَقَ آدَمُ قَرَّبَا قُرْبَانًا، وَكَانَ قَابِيلُ يَفْخَرُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ: أَنَا أَحَقُّ بِهَا مِنْكَ هِيَ أُخْتِي، وَأَنَا أَكْبَرُ مِنْكَ، وَأَنَا وَصِيُّ وَالِدِي، فَلَمَّا قَرَّبَا، قَرَّبَ هَابِيلُ جَذْعَةً سَمِينَةً، وَقَرَّبَ قَابِيلُ حِزْمَةً سُنْبُلٍ، فَوَجَدَ فِيهَا سُنْبُلَةً عَظِيمَةً فَفَرَّكَهَا فَأَكَلَهَا، فَزَلَّتِ النَّارُ فَأَكَلَتْ قُرْبَانَ هَابِيلَ، وَتَرَكْتَ قُرْبَانَ قَابِيلَ، فَغَضِبَ وَقَالَ: لَأَقْتُلَنَّكَ حَتَّى لَا تَنْكِحَ أُخْتِي، فَقَالَ هَابِيلُ:

«إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَنْ بَسَطْتُ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ»، إِلَى قَوْلِهِ: «فَطَوَّعْتُ لَهُ نَفْسَهُ قَتْلَ أَخِيهِ»، فَطَلَبَهُ لِيَقْتُلَهُ، فَرَاغَ الْغُلَامُ مِنْهُ فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ، فَأَتَاهُ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ وَهُوَ يَرَعَى غَنَمَهُ فِي جَبَلٍ وَهُوَ نَائِمٌ، فَرَفَعَ صَخْرَةً فَشَدَخَ بِهَا رَأْسَهُ، فَمَاتَ وَتَرَكَهُ بِالْعَرَاءِ، لَا يَعْلَمُ كَيْفَ يَدْفَنُ، فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابَيْنِ أَخَوَيْنِ فَاقْتَتَلَا، فَقَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، فَخَفَرَ لَهُ ثُمَّ حُثِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ: «يَا وَيْلَتَى أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوَاءَ أَخِي»، فَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي

الْأَرْضِ لِيُريَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوَاءَ أَخِيهِ» فَرَجَعَ آدَمُ فَوَجَدَ ابْنَهُ قَدْ قَتَلَ أَخَاهُ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ» - إِلَى آخِرِ الْآيَةِ- «إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا»
«يَعْنِي قَائِلُ حِينَ حَمَلَ أَمَانَةَ آدَمَ، ثُمَّ لَمْ يَحْفَظْ لَهُ أَهْلُهُ

وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ آدَمَ كَانَ يُولِدُ لَهُ مِنْ حَوَاءَ فِي كُلِّ بَطْنٍ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، فَإِذَا بَلَغَ الذَّكَرُ مِنْهُمَا زَوْجَ مِنْهُ وَلَدَهُ الْأُنْثَى الَّتِي وُلِدَتْ مَعَ أَخِيهِ الَّذِي وُلِدَ فِي الْبَطْنِ الْآخَرِ، قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ.
فَرَغَبَ قَائِلُ بَتْوَعْمَتِهِ عَنْ هَابِيلَ.

كَمَا حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ:

حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ حُثَيْمٍ، قَالَ: أَقْبَلْتُ مَعَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَرْمِي الْجَمْرَةَ، وَهُوَ مُتَقَنعٌ مَتَوَكِّفٌ عَلَى يَدَيْهِ، حَتَّى إِذَا وَارَيْنَا بِمَنْزِلِ سَمَرَةِ الصَّوَّافِ، وَقَفَ يُحَدِّثُنِي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: نَهَى أَنْ تَنْكِحَ الْمَرْأَةُ أَخَاهَا تَوَعْمَهَا، وَيَنْكِحَهَا غَيْرُهُ مِنْ إِخْوَتِهَا، وَكَانَ يُولِدُ فِي كُلِّ بَطْنٍ رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ، فَوُلِدَتْ امْرَأَةٌ وَسَيِّمَةٌ وَوُلِدَتْ امْرَأَةٌ قَبِيحَةٌ، فَقَالَ أَخُو الدِّمِيمَةِ: أَنْكِحْنِي أُخْتَكَ وَأَنْكِحَكَ أُخْتِي، قَالَ: لَا، أَنَا أَحَقُّ بِأُخْتِي، فَقَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنَ صَاحِبِ الْكَبْشِ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنَ صَاحِبِ الزَّرْعِ، فَقَتَلَهُ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الْكَبْشُ مَحْبُوسًا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى أَخْرَجَهُ فِي فِدَاءٍ إِسْحَاقَ، فَذَبَحَهُ عَلَى هَذَا الصِّفَاءِ، فِي ثَبِيرٍ، عِنْدَ مَنْزِلِ سَمَرَةِ الصَّوَّافِ، وَهُوَ عَلَى يَمِينِكَ حِينَ تَرْمِي الْجِمَارَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، أَنَّ آدَمَ كَانَ يَغْشَى حَوَاءَ فِي الْجَنَّةِ قَبْلَ أَنْ تَصِيبَ الْخَطِيئَةَ، فَحَمَلَتْ لَهُ بَقِينَ بْنِ آدَمَ وَتَوَعْمَتَهُ، فَلَمْ تَجِدْ عَلَيْهِمَا وَحْمًا وَلَا وَصْبًا، وَلَمْ تَجِدْ عَلَيْهِمَا طَلْقًا حِينَ وَلَدْتَهُمَا، وَلَمْ تَرِ مَعَهُمَا دَمًا لَطَهَرَ الْجَنَّةَ، فَلَهَا أَكَلَا مِنَ الشَّجَرَةِ وَأَصَابَا الْمَعْصِيَةَ، وَهَبَطَا إِلَى الْأَرْضِ وَاطْمَأَنَّا بِهَا تَغْشَاهَا، فَحَمَلَتْ بِهِابِيلَ وَتَوَعْمَتَهُ، فَوَجَدَتْ عَلَيْهِمَا الْوَحْمَ وَالْوَصْبَ، وَوَجَدَتْ حِينَ وَلَدْتَهُمَا الطَّلْقَ وَرَأَتْ مَعَهُمَا الدَّمَ، وَكَانَتْ حَوَاءَ-

فِي مَا يَذْكُرُونَ- لَا تَحْمِلُ إِلَّا تَوَعْمًا ذَكَرًا وَأُنْثَى، فَوُلِدَتْ حَوَاءَ لآدَمَ أَرْبَعِينَ وَلَدًا لَصْلَبِهِ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى فِي عَشْرِينَ بَطْنًا، وَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ أَيْ إِخْوَاتِهِ شَاءَ تَزَوَّجَ إِلَّا تَوَعْمَتَهُ الَّتِي تَوَلَّدَ مَعَهُ، فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نِسَاءً يَوْمَئِذٍ إِلَّا أَخَوَاتُهُمْ وَأُمَمُ حَوَاءَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ أَنَّ آدَمَ أَمَرَ ابْنَهُ قَيْنًا أَنْ يَنْكِحَ تَوَعْمَتَهُ هَابِيلَ، وَأَمَرَ هَابِيلَ أَنْ يَنْكِحَ أُخْتَهُ تَوَعْمَتَهُ قَيْنًا، فَسَلِمَ لِذَلِكَ هَابِيلُ وَرَضِيَ، وَأَبَى ذَلِكَ قَيْنٌ وَكَرِهَ تَكْرُمًا عَنْ أُخْتِ هَابِيلَ، وَرَغِبَ بِأُخْتِهِ عَنْ هَابِيلَ، وَقَالَ، نَحْنُ وَلَادَةُ الْجَنَّةِ، وَهَمَّا مِنْ وَلَادَةِ الْأَرْضِ، وَأَنَا أَحَقُّ بِأُخْتِي- وَيَقُولُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ: بَلْ كَانَتْ أُخْتُ قَيْنٍ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، فَضَنَ بِهَا عَنْ أَخِيهِ، وَأَرَادَهَا لِنَفْسِهِ- وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ- فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: يَا بَنِي إِنِّهَا لَا تَحِلُّ لَكَ، فَأَبَى قَيْنٌ أَنْ يَقْبَلَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ أَبِيهِ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: يَا بَنِي، فَقَرَّبَ قُرْبَانًا، وَيَقْرُبُ أَخُوكَ هَابِيلُ قُرْبَانًا، فَأَيُّكَا قَبِلَ اللَّهُ قُرْبَانَهُ فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا، وَكَانَ قَيْنٌ عَلَى بَذْرِ الْأَرْضِ، وَكَانَ هَابِيلُ عَلَى رِعَايَةِ الْمَاشِيَةِ، فَقَرَّبَ قَيْنٌ قَحَا، وَقَرَّبَ هَابِيلُ أَبْكَارًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ- وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ:

قَرَّبَ بَقْرَهُ- فَأَرْسَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ نَارًا بَيْضَاءَ، فَأَكَلَتْ قُرْبَانَ هَابِيلَ وَتَرَكْتَ قُرْبَانَ قَيْنٍ وَبِذَلِكَ كَانَ يَقْبَلُ الْقُرْبَانَ إِذَا قَبِلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَهَا قَبِلَ اللَّهُ قُرْبَانَ هَابِيلَ- وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْقَضَاءِ لَهُ بِأُخْتِ قَيْنٍ- غَضَبٌ قَيْنٌ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ الْكِبَرُ وَاسْتَحُوذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، فَاتَّبَعَ أَخَاهُ

هَابِيلَ، وَهُوَ فِي مَاشِيَتِهِ فَقَتَلَهُ، فَهَمَّا اللَّذَانِ قَصَّ اللَّهُ خَبْرَهُمَا فِي الْقُرْآنِ عَلَى مُحَمَّدٍ ص، فَقَالَ:

«وَاتْلُ عَلَيْهِمْ» يَعْنِي أَهْلَ الْكِتَابِ «بَبِّ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا»

فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ، قَالَ: فَلَمَّا قَتَلَهُ سَقَطَ فِي يَدَيْهِ، وَلَمْ يَدْرِ كَيْفَ يُوَارِيهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ- فِيمَا يَزْعُمُونَ- أَوَّلَ قَتِيلٍ مِنْ بَنِي آدَمَ:

«فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوَاءَ أَخِي» .

إلى قوله: «ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ» قال: ويزعم أهل التوراة أن قينا حين قتل أخاه هابيل، قال الله له: أين أخوك هابيل؟ قال: ما أدري، ما كنت عليه رقيباً، فقال الله له: إن صوت دم أخيك ليناديني من الأرض! الآن أنت ملعون من الأرض التي فتحت فاهاً، فتلفت دم أخيك من يدك، فإذا أنت عملت في الأرض، فإنها لا تعود تعطيك حرثاً حتى تكون فزعا تائها في الأرض، فقال قين: عظمت خطيئتي من أن تغفرها، قد أخرجتني اليوم عن وجه الأرض واتوارى من قدامك، وأكون فزعا تائها في الأرض، وكل من لقيني، قتلني فقال الله عز وجل: ليس ذلك كذلك، فلا يكون كل من قتل قتيلاً يجزى بواحد سبعة، ولكن من قتل قينا يجزى سبعة، وجعل الله في قين آية لئلا يقتله كل من وجده، وخرج قين من قدام الله عز وجل من شرقي عدن الجنة. وقال آخرون في ذلك: إنما كان قتل القاتل منهما أخاه أن الله عز وجل أمرهما بتقريب قربان، فتقبل قربان أحدهما، ولم يتقبل من الآخر، فبغاه الذي لم يتقبل قربانه فقتله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا

عوف، عن أبي المغيرة، عن عبد الله بن عمرو، قال: إن ابني آدم اللذين قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر كان أحدهما صاحب حرث، والآخر صاحب غنم، وأنهما أمرا أن يقربا قرباناً، وأن صاحب الغنم قرب أكرم غنمه وأسمنها وأحسنها، طيبة بها نفسه، وأن صاحب الحرث قرب، شر حرثه: الكوزر والزوان، غير طيبة بها نفسه، وأن الله عز وجل تقبل قربان صاحب الغنم، ولم يتقبل قربان صاحب الحرث، وكان من قصتهما ما قص الله في كتابه وقال: أيهم الله، إن كان المقتول لأشد الرجلين، ولكن منعه التخرج أن ينسبط إلى أخيه.

وقال آخرون بما حدثني به محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: كان من شأنهما أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه، وإنما كان القربان يقربه الرجل، فبينما ابنا آدم قاعدان إذ قالوا: لو قربنا قرباناً! وكان الرجل إذا قرب قرباناً فرضيه الله عز وجل أرسل إليه ناراً فأكلته، وإن لم يكن رضى الله خبت النار، فقربا قرباناً، وكان أحدهما راعياً والآخر حرثاً، وإن صاحب الغنم قرب خير غنمه وأسمنها، وقرب الآخر بعض زرعه، فجاءت النار فنزلت بينهما فأكلت الشاة وتركب الزرع، وإن ابن آدم قال لأخيه: أتمشي في الناس، وقد علموا أنك قربت قرباناً فتقبل منك ورد علي قرباني! فلا والله لا ينظر الناس إلي وإليك وأنت خير مني، فقال: لأقتلك، فقال له أخوه:

ما ذنبي! إنما يتقبل الله من المتقين.

وقال آخرون: لم تكن قصة هذين الرجلين في عهد آدم، ولا كان القربان

في عصره، وقالوا: إنما كان هذان رجلين من بني إسرائيل، وقالوا: إن أول ميت مات في الأرض آدم ع، لم يمت قبله أحد. ذكر من قال ذلك:

حدثنا سفيان بن وكيع، قال: حدثنا سهل بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن، قال: كان الرجلان اللذان في القرآن قال الله عز وجل فيهما: «وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ» من بني إسرائيل، ولم يكونا ابني آدم لصلبه، وإنما كان القربان في بني إسرائيل، وكان آدم أول من مات.

وقال بعضهم: إن آدم غشي حواء بعد مهبطهما إلى الأرض بمائة سنة، فولدت له قابيل وتوأمته قليما في بطن واحد، ثم هابيل وتوأمته

في بطن واحد، فلما شبوا أراد آدم ع أن يزوج أخت قابيل التي ولدت معه في بطن واحد من هابيل، فامتنع من ذلك قابيل، وقربا بهذا السبب قربانا فتقبل قربان هابيل، ولم يتقبل قربان قابيل، فحسده قابيل، فقتله عند عقبه حري ثم نزل قابيل من الجبل، آخذا بيد أخته قليما، فهرب بها إلى عدن من أرض اليمن.

حَدَّثَنِي بِذَلِكَ الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي هِشَامٌ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا قَتَلَ قَابِيلُ أَخَاهُ هَابِيلَ أَخَذَ بِيَدِ أُخْتِهِ ثُمَّ هَبَطَ بِهَا مِنْ جَبَلٍ يُودَى إِلَى الْخَضِيضِ، فَقَالَ آدَمُ لِقَابِيلَ: اذْهَبْ فَلَا تَزَالُ مَرْعُوبًا لَا تَأْمَنُ مَنْ تَرَاهُ، فَكَانَ لَا يَمُرُّ بِهِ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِهِ إِلَّا رَمَاهُ، فَأَقْبَلَ ابْنُ لِقَابِيلَ أَعْمَى، وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ، فَقَالَ لِلْأَعْمَى ابْنُهُ: هَذَا أَبُوكَ قَابِيلُ، فَرَمَى الْأَعْمَى أَبَاهُ قَابِيلَ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ ابْنُ الْأَعْمَى: قَتَلْتُ

يَا أَبَتَاهُ أَبَاكَ، فَرَفَعَ الْأَعْمَى يَدَهُ، فَلَطَمَ ابْنَهُ فَاتَّابَهُ، فَقَالَ الْأَعْمَى: وَيْلٌ لِي! قَتَلْتُ أَبِي بَرَمِيَّتِي، وَقَتَلْتُ ابْنِي بِلَطْمَتِي! وَذَكَرَ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ هَابِيلَ قُتِلَ وَلَهُ عَشْرُونَ سَنَةً، وَأَنَّ قَابِيلَ كَانَ لَهُ يَوْمَ قَتَلَهُ خَمْسٌ وَعَشْرُونَ سَنَةً.

وَالصَّحِيحُ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدَنَا أَنَّ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ قَتَلَ أَخَاهُ مِنْ ابْنِ آدَمَ هُوَ ابْنُ آدَمَ لِصُلْبِهِ، لِثَقُلِ الْحُجَّةِ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَأَنَّ هَنَادَ بْنَ السَّرِيِّ حَدَّثَنَا، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكَيْعٌ جَمِيعًا عَنِ الْأَعْمَشِ.

- وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ وَحَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْثَةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: [قَالَ النَّبِيُّ ص: مَا مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا]، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ - وَحَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي - جَمِيعًا عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْثَةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ النَّبِيِّ ص نَحْوَهُ.

فَقَدْ بَيَّنَّ هَذَا الْخَبْرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص صِحَّةَ قَوْلِ مَنْ قَالَ:

إِنَّ الَّذِي قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ قَصَّتَهُمَا مِنْ ابْنِ آدَمَ كَانَا ابْنَيْهِ لَصُلْبِهِ، لِأَنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّهُمَا لَوْ كَانَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ - كَمَا رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ - لَمْ يَكُنِ الَّذِي وَصَفَ مِنْهُمَا بِأَنَّهُ قَتَلَ أَخَاهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ، إِذْ كَانَ الْقَتْلُ فِي بَنِي آدَمَ قَدْ كَانَ قَبْلَ إِسْرَائِيلَ وَوَلَدِهِ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا بُرْهَانُكَ عَلَى أَنَّهُمَا وَلَدَا آدَمَ لِصُلْبِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُونَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟

قِيلَ: لَا خِلَافَ بَيْنَ سَلَفٍ عُلَمَاءٍ أُمْتَنَّا فِي ذَلِكَ، إِذَا فَسَدَ قَوْلُ مَنْ قَالَ:

كَانَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَذَكَرَ أَنَّ قَابِيلَ لَمَّا قَتَلَ أَخَاهُ هَابِيلَ بَكَاهُ آدَمُ ع فَقَالَ - فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ غِيَاثِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيِّ، قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: لَمَّا قَتَلَ ابْنُ آدَمَ أَخَاهُ بَكَاهُ آدَمُ، فَقَالَ:

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمِنْ عَلَيْهَا ... فَوَجَّهَ الْأَرْضَ مُغْبِرٌ قَبِيحٌ

تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي طَعْمٍ وَلَوْنٍ ... وَقَلَّ بِشَاشَةِ الْوَجْهِ الْمَلِيحِ

قَالَ: فَأَجِيبَ آدَمَ ع:

أَبَا هَابِيلَ قَدْ قُتِلَا جَمِيعًا ... وَصَارَ الْحَيُّ كَالْمَيِّتِ الَّذِيحِ

وَجَاءَ بَشَرَةٌ قَدْ كَانَ مِنْهَا ... عَلَى خَوْفٍ لِحَاءٍ بِهَا يَصِيحُ

وَذَكَرَ أَنَّ حَوَاءَ وَلَدَتْ لآدَمَ ع عِشْرِينَ وَمِائَةً بَطْنًا، وَأُولَهُمْ قَابِيلُ وَتَوَّعَّتْهُ قَلِيمًا، وَآخَرُهُمْ عَبْدُ الْمَغِيثِ وَتَوَّعَّتْهُ أَمَةُ الْمَغِيثِ.

وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ فَذَكَرَ عَنْهُ مَا قَدْ ذَكَرْتُ قَبْلُ، وَهُوَ أَنَّ جَمِيعَ مَا وَلَدَتْهُ حَوَاءُ لآدَمَ لِصُلْبِهِ أَرْبَعُونَ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى فِي عِشْرِينَ بَطْنًا، وَقَالَ:

قَدْ بَلَّغْنَا أَسْمَاءَ بَعْضِهِمْ وَلَمْ يَلْبِغْنَا بَعْضٌ.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال:

فكان من بلغنا اسمه خمسة عشر رجلا وأربع نسوة، منهم قين وتوئمة، وهابيل وليوذا وأشوث بنت آدم وتوئمة، وشيث وتوئمة، وحزورة وتوئمة، على

ثلاثين ومائه سنة من عمره ثم اباد بن آدم وتوئمة، ثم بالغ بن آدم وتوئمة، ثم أثاث بن آدم وتوئمة، ثم توبه بن آدم وتوئمة، ثم بنان بن آدم وتوئمة، ثم شبوبة بن آدم وتوئمة، ثم حيان بن آدم وتوئمة، ثم ضرايبس بن آدم وتوئمة، ثم هذر بن آدم وتوئمة، ثم يهود بن آدم وتوئمة، ثم سندل بن آدم وتوئمة، ثم بارق بن آدم وتوئمة، كل رجل منهم تولد معه امرأة في بطنه الذي يحمل به فيه. وقد زعم أكثر علماء الفرس أن جيومرت هو آدم، وزعم بعضهم أنه ابن آدم لصلبه من حواء.

وقال فيه غيرهم أقوالا كثيرة، يطول بذكر أقوالهم الكتاب، وتركنا ذكر ذلك إذ كان قصدنا في كتابنا هذا ذكر الملوك وأيامهم، وما قد شرطنا في كتابنا هذا أنا ذا كروه فيه، ولم يكن ذكر اختلاف المختلفين في نسب ملك من جنس ما أنشأنا له صنعة الكتاب، فإن ذكرنا من ذلك شيئا فلتعريف من ذكرنا، ليعرفه من لم يكن به عارفا، فأما ذكر الاختلاف في نسبه فإنه غير المقصود به في كتابنا هذا. وقد خالف علماء الفرس فيما قالوا من ذلك آخرون من غيرهم ممن زعم أنه آدم، ووافق علماء الفرس على اسمه وخالفه في عينه وصفته، فرغم أن

جيومرت الذي زعمت الفرس أنه آدم ع إنما هو جامر بن يافث ابن نوح، وأنه كان معمرا سيذا، نزل جبل دناوند من جبال طبرستان من أرض المشرق، وتملك بها وبفراس، ثم عظم أمره وأمر ولده، حتى ملكوا بابل، وملكوا في بعض الأوقات الأقاليم كلها، وأن جيومرت منع من البلاد ما صار إليه، وابتنى المدن والحصون وعمرها، وأعد السلاح، واتخذ الخيل، وأنه تجبر في آخر عمره، وتسمى بآدم، وقال: من سماني بغير هذا الاسم ضربت عنقه، وأنه تزوج ثلاثين امرأة، فكثر منهن نسله، وأن ماري ابنه وماريانة أخته، ممن كان ولد له في آخر عمره، فأعجب بهما وقدمهما، فصار الملوك بذلك السبب من نسلهما، وأن ملكه اتسع وعظم. وإنما ذكرت من أمر جيومرت في هذا الموضع ما ذكرت، لأنه لا تدافع بين علماء الأمم أن جيومرت هو أبو الفرس من العجم، وإنما اختلفوا فيه:

هل هو آدم أبو البشر على ما قاله الذين ذكرنا قولهم أم هو غيره؟ ثم مع ذلك فلا نملكه وملك أولاده لم يزل منتظما على سياق، متسقا بأرض المشرق وجبالها إلى أن قتل يزدجرد بن شهريار من ولد ولده بمرور - أبعد الله - أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه، فتأريخ ما مضى من سني العالم على أعمار ملوكهم أسهل بيانا، وأوضح منارا منه على أعمار ملوك غيرهم من الأمم، إذ لا تعلم أمة من الأمم الذين ينتسبون إلى آدم ع دامت لها المملكة، واتصل لهم الملك، وكانت لهم ملوك تجمعهم، ورءوس تحامي عنهم من ناوهم، وتغالب بهم من عازهم، وتدفع ظالمهم عن مظلومهم، وتحملهم من الأمور على ما فيه حظهم

على اتصال ودوام ونظام، يأخذ ذلك آخرهم عن أولهم، وغايرهم عن سالفهم - سواهم، فالتأريخ على أعمار ملوكهم أصح مخرجا، وأحسن وضوحا.

وأنا ذا كر ما انتهى إلينا من القول في عمر آدم ع وأعمار من كان بعده من ولده الذين خلفوه في النبوة والملك، على قول من خالف قول الفرس الذين زعموا أنه جيومرت، وعلى قول من قال: إنه هو جيومرت أبو الفرس، وذا كر ما اختلفوا فيه من أمرهم إلى الحال التي اجتمعوا عليها، فاتفقوا على من ملك منهم في زمان بعينه أنه كان هو الملك في ذلك الزمان إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم سائق ذلك كذلك إلى زماننا هذا.

ونرجع الآن إلى الزيادة في الإبانة عن خطأ قول من قال: إن أول ميت كان في أول الأرض آدم، وإنكاره الذين قص الله نبأهما في قوله:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ ، أن يكونا من صلب آدم من أجل ذلك.

فحدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، قال: حدثنا عمر بن إبراهيم، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة بن

جندب، [عن النبي ع قال: كَانَتْ حَوَاءٌ لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ، فَذَرَتْ لِابْنِ عَاشٍ لَهَا وَلَدٌ لِتُسَمِّيَهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَعَاشَ لَهَا وَلَدٌ فَسَمَّاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، وَأَمَّا كَانَ ذَلِكَ عَنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ] .

وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كَانَتْ حَوَاءٌ تَلِدُ لَأَدَمَ فَتَعْبِدُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَتُسَمِّيهِمْ: عَبْدَ اللَّهِ، وَعَبِيدَ اللَّهِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ،

فيصيبهم الموت، فأتاها إبليس وآدم ع، فقال: إِنَّكَ لَوْ تَسَمَّيْنَاهُ بِغَيْرِ الَّذِي تَسَمَّيْنَاهُ بِهِ لَعَاشَ، فَوَلَدَتْ لَهُ ذَكَرًا، فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَفِيهِ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ ذِكْرَهُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ»، إِلَى قَوْلِهِ: «جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا» إِلَى آخِرِ الْآيَةِ

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا ابن فضيل، عن سالم بن أبي حفصة، عن سعيد بن جبير: «فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا» إِلَى قَوْلِهِ: «فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» .

قال: ولما حملت حواء في أول ولد ولدته حين أثقلت أتاها إبليس قبل أن تلد فقال: يا حواء، ما هذا في بطنك؟ فقالت: ما أدري من؟ فقال: أين يخرج؟ من أنفك؟ أو من عينك؟ أو من أذنك؟ قالت: لا أدري، قال: أرايت إن خرج سليما أم طيعتي أنت فيما أمرك به؟ قالت: نعم، قال:

سميه عبد الحارث - وقد كان يسمى إبليس لعنه الله الحارث - فقالت: نعم، ثم قالت بعد ذلك لأدم: أتاني آت في النوم فقال لي: كذا وكذا، فقال: ان ذاك الشيطان فاحذريه، فإنه عدونا الذي أخرجنا من الجنة، ثم أتاها إبليس لعنه الله فأعاد عليها، فقالت: نعم، فلما وضعته أخرجه الله سليما فسمته عبد الحارث، فهو قوله: «جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا» إِلَى قَوْلِهِ: «فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» .

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا جرير وابن فضيل، عن عبد الملك، عن سعيد بن جبير، قال: قيل له: أشرك آدم؟ قال: اعوذ بالله ان ازعم ان آدم ع أشرك! ولكن حواء لما أثقلت أتاها إبليس

فقال لها: من أين يخرج هذا؟ من أنفك، أو من عينك، أو من فيك؟

فقططها، ثم قال: أرايت إن خرج سويا - قال ابن وكيع: زاد ابن فضيل:

لم يضرك ولم يقتلك - أطيعيني؟ قالت: نعم، قال: فسميه عبد الحارث، ففعلت - زاد جرير: فلما كان شركه في الاسم.

حدثنا موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال:

حدثنا أسباط، عن السدي: فولدت - يعني حواء - غلاما، فأتاها إبليس فقال: سموه عبدي، وإلا قتلته، قال له آدم: قد أطعته وأخرجتني من الجنة فأبى أن يطيعه، فسماه عبد الرحمن، فسلط عليه إبليس لعنه الله فقتله، فحملت بآخر فلما ولدته، قال: سمي عبدي وإلا قتلته، قال له آدم ع: قد أطعته فأخرجتني من الجنة فأبى فسماه صالحا، فقتله، فلما كان الثالث قال لهما: فإذا غلبتموني فسموه عبد الحارث، وكان اسم إبليس الحارث، - وإنما سمي إبليس حين ابلس تحير - فذلك حين يقول الله عز وجل: «جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا» - يعني في الأسماء.

فهؤلاء الذين ذكرت الرواية عنهم بما ذكرت، من أنه مات لأدم وحواء أولاد قبلهما، ومن لم نذكر أقوالهم ممن عددهم أكثر من عدد من ذكرت قوله والرواية عنه، قالوا خلاف قول الحسن الذي روي عنه أنه قال: أول من مات آدم ع.

وكان آدم مع ما كان الله عز وجل قد أعطاه من ملك الأرض والسلطان فيها قد نبأه، وجعله رسولا إلى ولده، وأنزل عليه إحدى وعشرين صحيفة كتبها آدم ع بخطه، علمه إياها جبرئيل ع.

وقد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: حدثنا عمي، قال: حدثني الماضي بن محمد، عن أبي سليمان، عن القاسم بن محمد، عن أبي إدريس الخولاني، [عن أبي ذر الغفاري، قال: دخلت المسجد فإذا رسول الله ص جالس وحده، فجلست إليه فقال لي: يَا أَبَا

ذَرَّ، إِنَّ لِلْمَسْجِدِ تَحِيَّةً وَإِنْ تَحِيَّتُهُ رَكَعَتَانِ، فَقُمْ فَارْكَعْهُمَا، فَلَمَّا رَكَعْتُهُمَا جَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ أَمَرْتَنِي بِالصَّلَاةِ فَمَا الصَّلَاةُ؟ قَالَ: خَيْرُ مَوْضُوعٍ، اسْتَكَثِرْ أَوْ اسْتَقِلَّ، ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّةً طَوِيلَةً قَالَ فِيهَا: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ الْأَنْبِيَاءُ؟ قَالَ: مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ الْمُرْسَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةٌ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا، يَعْنِي كَثِيرًا طَيِّبًا، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ كَانَ أَوَّلَهُمْ؟ قَالَ: آدَمُ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَآدَمُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؟ قَالَ: نَعَمْ خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، ثُمَّ سَوَاهُ قَبْلًا .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، [عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَنْبِيَاءُ كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَانَ نَبِيًّا، كَلَّمَهُ اللَّهُ قَبْلًا] .
وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى آدَمَ تَحْرِيمُ الْمَيْتَةِ وَالْدَّمِ وَلَحْمِ الْخَنَازِيرِ وَحُرُوفُ الْمُعْجَمِ فِي إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَرَقَةً

١٠٤٦ ذكر ولاده حواء شيثا

ذكر ولادة حواء شيثا
ولما مضى لآدم ص من عمره مائة وثلاثون سنة، وذلك بعد قتل قابيل هابيل بخمس سنين، ولدت له حواء ابنة شيثا، فذكر أهل التوراة أن شيثا ولد فردا بغير توءم، وتفسير شيث عندهم هبة الله، ومعناه أنه خلف من هابيل.
حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: وَلَدَتْ حَوَاءُ لآدَمَ شَيْثًا وَأَخْتَهُ عَزْرًا، فَسَمِيَ هَبَةُ اللَّهِ، اشْتَقَّ لَهُ مِنْ هَابِيلَ، قَالَ لَهَا جَبْرِئِيلُ حِينَ وَلَدَتْهُ: هَذَا هَبَةُ اللَّهِ بَدَلُ هَابِيلَ، وَهُوَ بِالْعَرَبِيَّةِ شَيْثٌ، وَبِالسَّرْيَانِيَةِ شَاثٌ، وَبِالْعِبْرَانِيَةِ شَيْثٌ، وَإِلَيْهِ أَوْصَى آدَمُ، وَكَانَ آدَمُ يَوْمَ وَلَدَ لَهُ شَيْثٌ ابْنُ ثَلَاثِينَ وَمِائَةِ سَنَةٍ.
حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ آدَمَ الْوَفَاةُ - فِيمَا يَذْكُرُونَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ - دَعَا ابْنَهُ شَيْثًا فَعَهَّدَ إِلَيْهِ عَهْدَهُ، وَعَلَّمَهُ سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَعَلَّمَهُ عِبَادَةَ الْخَلْقِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنْهُمْ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ لِكُلِّ سَاعَةٍ صِنْفًا مِنَ الْخَلْقِ فِيهَا عِبَادَتُهُ وَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ إِنَّ الطُّوفَانَ سَيَكُونُ فِي الْأَرْضِ يَلْبَثُ فِيهَا سَبْعَ سِنِينَ وَكُتِبَ وَصِيَّتُهُ، فَكَانَ شَيْثٌ - فِيمَا ذَكَرَ - وَصَى ابْنَهُ آدَمَ ع، وَصَارَتْ الرِّيَاسَةُ مِنْ بَعْدِ وَفَاةِ آدَمَ لِشَيْثٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِيمَا رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص خَمْسِينَ صَحِيفَةً.
حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنَا الْمَاضِي بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، [عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغَفَارِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: مِائَةُ كِتَابٍ وَارْبَعَةَ كُتُبٍ، أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى شَيْثٍ خَمْسِينَ صَحِيفَةً] .
وَالْيَ شَيْثُ أَنْسَابُ بَنِي آدَمَ كُلِّهِمُ الْيَوْمَ، وَذَلِكَ أَنَّ نَسْلَ سَائِرِ وَلَدِ آدَمَ غَيْرِ نَسْلِ شَيْثٍ، انْقَرَضُوا وَبَادُوا فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَأَنْسَابُ النَّاسِ كُلِّهِمُ الْيَوْمَ إِلَى شَيْثٍ ع.

وَأَمَّا الْفُرْسُ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ جِيَوْمَرْتَ هُوَ آدَمُ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: وَلَدَ لَجِيَوْمَرْتَ ابْنَهُ مِيشَى، وَتَزَوَّجَ مِيشَى اخْتَهُ مِيشَانَهُ فَوَلَدَتْ لَهُ سِيَامَكَ بْنَ مِيشَى، وَسِيَامَى ابْنَهُ مِيشَى، فَوَلَدَ لِسِيَامَكَ بْنَ مِيشَى بَنَ جِيَوْمَرْتَ أَفْرَاكَ، وَدِيسَ، وَبِرَاسَبَ، وَاجُوبَ، وَأَوْرَاشَ بَنُو سِيَامَكَ، وَأَفْرَى، وَدُذَى، وَبِرَى وَأَوْرَاشَى بَنَاتِ سِيَامَكَ، أَهَمُّ جَمِيعَا سِيَامَى بَنَاتِ مِيشَى، وَهِيَ أُخْتُ أَبَيْهِمْ.
وَذَكَرُوا أَنَّ الْأَرْضَ كُلَّهَا سَبْعَةُ أَقْلِيمٍ، فَأَرْضُ بَابِلَ وَمَا يُوصلُ إِلَيْهِ مِمَّا يَأْتِيهِ النَّاسُ بَرًّا أَوْ بَحْرًا فَهُوَ أَقْلِيمٌ وَاحِدٌ، وَسَكَانُهُ نَسْلُ وَلَدِ أَفْرَاكَ بْنِ سِيَامَكَ وَأَعْقَابِهِمْ، وَأَمَّا الْأَقْلِيمُ السَّيِّئُ الْبَاقِيَةُ الَّتِي لَا يُوصلُ إِلَيْهَا الْيَوْمَ بَرًّا أَوْ بَحْرًا فَنَسْلُ سَائِرِ وَلَدِ سِيَامَكَ، مِنْ بَنِيهِ وَبَنَاتِهِ.

فَوُلِدَ لِأَفْرَوَاكَ بْنِ سِيَامِكَ مِنْ أَفْرَى بِنْتِ سِيَامِكَ هُوشَنُكَ بِيَشْدَاذَ الْمَلِكِ، وَهُوَ الَّذِي خَلَفَ جَدَّهُ جِيَوْمَرْتَ فِي الْمُلْكِ، وَأَوَّلُ مَنْ جُمِعَ لَهُ مَلِكُ الْأَقَالِمِ السَّبْعَةِ، وَسَنَدُكَ أَخْبَارَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِذَا أَنْتَهَيْنَا إِلَيْهِ وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَزْعُمُ أَنَّ أَوْشَهْنَجَ هَذَا، هُوَ ابْنُ آدَمَ لِصُلْبِهِ مِنْ حَوَاءَ. وَأَمَّا هِشَامُ الْكَلْبِيُّ فَإِنَّهُ فِيمَا حَدَّثْتُ عَنْهُ قَالَ: بَلَّغْنَا وَاللَّهِ أَعْلَمُ - أَوَّلَ مَلِكٍ مَلِكِ الْأَرْضِ أَوْشَهْنُقُ بْنُ عَابِرِ بْنِ شَاخِ بْنِ أَرْخَشْدَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ قَالَ:

وَالْفَرَسُ تَدْعِيهِ وَتَزْعُمُ أَنَّهُ كَانَ بَعْدَ وَفَاةِ آدَمَ بِمِائَتِي سَنَةٍ، قَالَ: وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا الْمَلِكُ فِيمَا بَلَّغْنَا بَعْدَ نُوحٍ بِمِائَتِي سَنَةٍ، فَصِيرَهُ أَهْلُ فَارِسَ بَعْدَ آدَمَ بِمِائَتِي سَنَةٍ، وَلَمْ يَعْرِفُوا مَا كَانَ قَبْلَ نُوحٍ.

وَهَذَا الَّذِي قَالَ هِشَامُ قَوْلُ لَا وَجْهَ لَهُ، لِأَنَّ هُوشَنُكَ الْمَلِكَ فِي أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِأَنْسَابِ الْفَرَسِ أَشْهُرُ مِنَ الْحَاجِّ بْنِ يُوسُفَ فِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَكُلُّ قَوْمٍ فَهُمْ بِأَبَائِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ وَمَا تَرَاهُمْ أَعْلَمُ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَإِنَّمَا يَرْجِعُ فِي كُلِّ أَمْرِ التَّبَسُّ إِلَى أَهْلِهِ. وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ نَسَابَةِ الْفَرَسِ أَنَّ أَوْشَهْنَجَ بِيَشْدَاذَ الْمَلِكِ هَذَا هُوَ مَهْلَائِيلُ، وَأَنَّ أَبَاهُ فَرَوَاكُ هُوَ قَيْنَانُ أَبُو مَهْلَائِيلَ، وَأَنَّ سِيَامِكَ هُوَ أَنْوَشُ أَبُو قَيْنَانَ، وَإِنْ مِيشِي هُوَ شَيْثُ أَبُو أَنْوَشَ، وَأَنَّ جِيَوْمَرْتَ هُوَ آدَمُ ص.

فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ، فَلَا شَكَّ أَنَّ أَوْشَهْنَجَ كَانَ فِي زَمَانِ آدَمَ رَجُلًا، وَذَلِكَ أَنَّ مَهْلَائِيلَ فِيمَا ذَكَرَ فِي الْكُتُبِ الْأَوَّلِ كَانَتْ وَلَادَةُ أُمِّهِ دِينَةَ ابْنَةِ بَرَاكِيلَ ابْنِ مَحْوِيلَ بْنِ خَنُوحَ بْنِ قَيْنَ بْنِ آدَمَ إِيَّاهُ بَعْدَ مَا مَضَى مِنْ عُمُرِ آدَمَ ص ثَلَاثُمِائَةِ سَنَةٍ وَخَمْسُ وَتِسْعُونَ سَنَةً، فَقَدْ كَانَ لَهُ حِينَ وَفَاةِ آدَمَ سِتْمِائَةِ سَنَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، عَلَى حِسَابِ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي عُمُرِ آدَمَ أَنَّهُ كَانَ عُمُرُهُ أَلْفَ سَنَةٍ. وَقَدْ زَعَمَتْ عُلَمَاءُ الْفَرَسِ أَنَّ مَلِكَ أَوْشَهْنَجَ هَذَا كَانَ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ فِي هَذَا الْمَلِكِ كَالَّذِي قَالَهُ النَّسَابَةُ الَّذِي ذَكَرْتُ عَنْهُ مَا ذَكَرْتُ فَلَمْ يَبْعُدْ مَنْ قَالَ: إِنَّ مُلْكَهُ كَانَ بَعْدَ وَفَاةِ آدَمَ ص بِمِائَتِي سَنَةٍ

١٠٤٠٧ ذكر وفاه آدم ع

ذكر وفاه آدم ع

اختلف في مدة عمره، وابن كم كان يوم قبضه الله عز وجل إليه. فأما الاخبار عن رسول الله ص فإنها واردة بما حدثني مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ الْعَسْقَلَانِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ سُلَيْمَانُ بْنُ حَيَّانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ص - قَالَ أَبُو خَالِدٍ: وَحَدَّثَنِي الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ص قَالَ أَبُو خَالِدٍ: وَحَدَّثَنِي أَبُو خَالِدٍ: وَحَدَّثَنِي دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ص قَالَ أَبُو خَالِدٍ: وَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي ذُبَابٍ الدَّوْسِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ الْمُقْبَرِيُّ وَيَزِيدُ بْنُ هَرْمَزٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، [عَنِ النَّبِيِّ ص - أَنَّهُ قَالَ: خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَهُ، فَجَلَسَ فَعَطَسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: يَرْحَمُكَ رَبُّكَ، آتِ أَوْلِيكَ الْمَلَأَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَقُلْ لَهُمُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَأَتَاهُمْ فَقَالَ لَهُمُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ قَالُوا لَهُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ لَهُ: هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ قَبِضَ لَهُ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: خُذْ وَاخْتَرْ، قَالَ:

اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي وَكَلَّمْتُ يَدَيْهِ يَمِينَ، فَفَتَحَهَا لَهُ، فَإِذَا فِيهَا صُورَةُ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ كُلِّهِمْ، فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ أَجَلُهُ، وَإِذَا آدَمُ قَدْ كُتِبَ لَهُ عُمُرُ أَلْفِ سَنَةٍ، وَإِذَا قَوْمٌ عَلَيْهِمُ النُّورُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَلَيْهِمُ النُّورُ، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَى عِبَادِي، وَإِذَا فِيهِمْ رَجُلٌ هُوَ أَضْوَأُهُمْ نُورًا، وَلَمْ يُكْتَبْ لَهُ مِنَ الْعُمُرِ إِلَّا أَرْبَعُونَ سَنَةً، فَقَالَ: يَا رَبِّ، مَا بَالُ هَذَا، مَنْ أَضْوَأُهُمْ نُورًا وَلَمْ يُكْتَبْ لَهُ مِنَ الْعُمُرِ إِلَّا أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ فَقَالَ:

ذَٰكَ مَا كُتِبَ لَهُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، انْقُصْ لَهُ مِنْ عُمْرِي سِتِينَ سَنَةً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: فَلَمَّا أَسْكَنَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَهْبَطَ إِلَى الْأَرْضِ كَانَ يَعُدُّ

أَيَّامَهُ، فَلَمَّا أَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ لِيَقْبِضَهُ قَالَ لَهُ آدَمُ: عَجَلْتَ عَلَيَّ يَا مَلَكُ الْمَوْتِ! فَقَالَ: مَا فَعَلْتُ، فَقَالَ: قَدْ بَقِيَ مِنْ عُمْرِي سِتُونَ سَنَةً، فَقَالَ لَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ:

مَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِكَ شَيْءٌ، قَدْ سَأَلْتُ رَبَّكَ أَنْ يَكْتُبَهُ لَابْنِكَ دَاوُدَ، فَقَالَ:

مَا فَعَلْتُ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ص: فَنَسِيتُ ذُرِّيَّتَهُ، وَحَدَّ آدَمُ فَحَدَّثَتْ ذُرِّيَّتُهُ، فَيَوْمَئِذٍ وَضَعَ اللَّهُ الْكِتَابَ، وَأَمَرَ بِالشُّهُودِ .
حَدَّثَنِي ابْنُ سَنَانٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ:

حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: [لَمَّا نَزَلَتْ «آيَةُ الدِّينِ» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: انْأَوَّلُ مَنْ جَدَّ آدَمَ ع ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَهُ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَأَخْرَجَ مِنْهُ مَا هُوَ ذَارٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَجَعَلَ يَعْزُضُهُمْ عَلَى آدَمَ، فَرَأَى فِيهِمْ رَجُلًا يَزْهَرُ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، أَيُّ نَبِيِّ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا ابْنُكَ دَاوُدُ، قَالَ: أَيُّ رَبِّ، كَمْ عُمُرُهُ؟ قَالَ: سِتُونَ سَنَةً، قَالَ: أَيُّ رَبِّ، زِدْهُ فِي عُمُرِهِ، قَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ تَزِيدَهُ أَنْتَ مِنْ عُمْرِكَ، وَكَانَ عُمُرُ آدَمَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَوَهَبَ لَهُ مِنْ عُمُرِهِ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَكَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ كِتَابًا وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ، فَلَمَّا احْتَضَرَ آدَمُ أَتَتْهُ الْمَلَائِكَةُ لَتَقْبِضَ رُوحَهُ، قَالَ: إِنَّهُ قَدْ بَقِيَ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً، قَالُوا: إِنَّكَ قَدْ وَهَبْتَهَا لَابْنِكَ دَاوُدَ، قَالَ: مَا فَعَلْتُ وَلَا وَهَبْتُ لَهُ شَيْئًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ شُهُودًا، فَأَكَلَ لَادَمَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَأَكَلَ لِدَاوُدَ مِائَةَ سَنَةٍ] .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ:

حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» إِلَى قَوْلِهِ: «قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، وَأَخْرَجَ ذُرِّيَّتَهُ

كُلَّهُمْ كَهَيْئَةِ الذَّرِّ، فَانْطَقَهُمْ فَتَكَلَّمُوا، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَجَعَلَ مَعَ بَعْضِهِمُ النُّورَ وَآنَهُ قَالَ لَادَمَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقُ: أَنِّي أَنَا رَبُّهُمْ لَثَلَا يُشْرِكُوا بِي شَيْئًا، وَعَلَى رِزْقِهِمْ قَالَ آدَمُ: فَمَنْ هَذَا الَّذِي مَعَهُ النُّورُ؟ قَالَ: هُوَ دَاوُدُ، قَالَ: يَا رَبِّ، كَمْ كَتَبْتَ لَهُ مِنْ الْأَجَلِ؟

قَالَ: سِتِينَ سَنَةً، قَالَ: كَمْ كَتَبْتَ لِي؟ قَالَ: أَلْفَ سَنَةٍ، وَقَدْ كَتَبْتُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ: كَمْ يَعْمُرُ، وَكَمْ يَلْبَثُ، قَالَ: يَا رَبِّ زِدْهُ، قَالَ: هَذَا الْكِتَابُ مَوْضُوعٌ فَأَعْطِهِ إِنْ شِئْتَ مِنْ عُمْرِكَ، قَالَ: نَعَمْ، وَقَدْ جَفَّ الْقَلَمُ عَنْ سَائِرِ بَنِي آدَمَ، فَكُتِبَ لَهُ مِنْ أَجْلِ آدَمَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَصَارَ أَجَلُهُ مِائَةَ سَنَةٍ، فَلَمَّا عَمِرَ تِسْعَمِائَةَ سَنَةٍ وَسِتِينَ سَنَةً جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَلَمَّا انْ رَأَاهُ آدَمَ قَالَ:

مَا لَكَ؟ قَالَ لَهُ: قَدْ اسْتَوْفَيْتَ أَجَلَكَ، قَالَ لَهُ آدَمُ: إِنَّمَا عَمِرْتُ تِسْعَمِائَةَ سَنَةٍ وَسِتِينَ سَنَةً، وَبَقِيَ لِي أَرْبَعُونَ سَنَةً، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ لِلْمَلِكِ، قَالَ الْمَلِكُ:

قَدْ أَخْبَرَنِي بِهَا رَبِّي، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلْهُ، فَارْجَعَ الْمَلِكُ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ:

مَالِكُ؟ قَالَ: يَا رَبِّ رَجَعْتُ إِلَيْكَ لِمَا كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْ تَكْرِمَتِكَ إِيَّاهُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ارْجِعْ فَأَخْبِرْهُ، أَنَّهُ قَدْ أَعْطَى ابْنَهُ دَاوُدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً.

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي بَشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: «وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ»، قَالَ: أَخْرَجَهُمْ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ، وَجَعَلَ لَادَمَ عُمُرَ أَلْفِ سَنَةٍ، قَالَ:

فعرضوا على آدم، فرأى رجلا من ذريته له نور، فأعجبه فسأله عنه فقال: هو داود، وقد جعل عمره ستين سنة، فجعل له من عمره أربعين سنة، فلما احتضر آدم ع جعل يخاصمهم في الأربعين السنة، فقبل له: إنك قد أعطيتها داود، قال: فجعل يخاصمهم حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، في قوله عز وجل: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» قال: أخرج ذريته من ظهره في صورة كهية الذر، فعرضهم على آدم بأسمائهم وأسماء آبائهم وآجالهم، قال: فعرض عليه روح داود في نور ساطع، فقال: من هذا؟ قال: هذا من ذريتك، نبي خلقته، قال: كم عمره؟

قال: ستون سنة، قال: زيدوه من عمري أربعين سنة، قال: والأقلام رطبه تجرى، واثبتت لداود ع الأربعون، وكان عمر آدم ألف سنة، فلما استكملها إلا الأربعين سنة بعث إليه ملك الموت قال: يا آدم أمرت أن أقبضك، قال: ألم يبق من عمري أربعين سنة؟ قال: فرجع ملك الموت إلى ربه عز وجل فقال: إن آدم يدعي من عمره أربعين سنة، قال: أخبر آدم أنه جعلها لابنه داود والأقلام رطبه، واثبتت لداود الأربعون.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو داود، عن يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، بنحوه وذكر أن آدم ع مرض قبل موته أحد عشر يوما، وأوصى إلى ابنه شيث ع وكتب وصيته، ثم دفع كتاب وصيته إلى شيث، وأمره أن يخفيه من قابيل وولده، لأن قابيل قد كان قتل هابيل حسدا منه حين خصه آدم بالعلم، فاستخفى شيث وولده بما عندهم من العلم، ولم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به ويزعم أهل التوراة أن عمر آدم ع كله كان تسعمائة سنة.

وثلاثين سنة. حدثنا الحارث قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرني هشام ابن محمد، قال: أخبرني أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: كَانَ عُمَرُ آدَمَ تِسْعَمِائَةِ سَنَةٍ وَسِتِّ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَاللَّهُ أَعْلَمُ

والاخبار الواردة عن رسول الله ص والعلباء من سلفنا ما قد ذكرت، ورسول الله ص كان أعلم الخلق بذلك. وقد ذكرت الأخبار الواردة عنه أنه قال: كان عمره ألف سنة، وأنه بعد ما جعل لابنه داود من ذلك ما جعل له، أكمل الله له عدة ما كان أعطاه من العمر قبل أن يهب لداود ما وهب له من ذلك، ولعل ما كان جعل من ذلك آدم ع لداود ع لم يحسب في عمر آدم في التوراة، فقيل: كان عمره تسعمائة وثلاثين سنة.

فإن قال قائل: فإن الأمر وإن كان كذلك، فإن آدم إنما كان جعل لابنه داود من عمره أربعين سنة، فكان ينبغي أن يكون في التوراة تسعمائة سنة وستون، ليوافق ذلك ما جاءت به الاخبار عن رسول الله ص.

قيل: قد روينا عن رسول الله ص في ذلك أن الذي كان جعل آدم لابنه داود من عمره ستون سنة، وذلك في رواية لأبي هريرة عنه، وقد ذكرناها قبل فإن يكن ذلك كذلك، فالذي زعموا أنه في التوراة من الخبر عن مدة حياة آدم ع موافق لما روينا عن رسول الله ص في ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، أنه قال: لما كتب آدم الوصية مات صلوات الله عليه، واجتمعت عليه الملائكة من أجل أنه كان صفي الرحمن، فقبرته الملائكة، وشيث وإخوته في مشارق الفردوس، عند قرية هي أول قرية كانت في الأرض، وكسفت عليه الشمس والقمر سبعة أيام وليالين، فلما اجتمعت عليه الملائكة وجمع الوصية، جعلها في معراج، ومعها القرن الذي أخرج أبونا آدم من الفردوس، لكيلا يغفل عن ذكر الله عز وجل.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يحيى بن عباد، عن أبيه، قال: سمعته يقول: بلغني أن آدم ع حين مات بعث الله إليه بكفنه وحنوطه من الجنة، ثم وليت الملائكة قبره ودفنه حتى غيبوه. حدثنا علي بن حرب، قال: حدثنا روح بن أسلم، قال:

حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن الحسن، [عن النبي ص قال: لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وترا، وألحدوا له، وقالت: هذه سنة آدم في ولده].

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْبَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: إِنَّ أَبَاكَ أَدَمَ كَانَ طَوَالًا كَالنَّخْلَةِ السَّحُوقِ، سِتِّينَ ذِرَاعًا، كَثِيرَ الشَّعْرِ، مُوَارَى الْعُورَةِ، وَأَنَّهُ لَمَّا أَصَابَ الْخَطِيئَةَ بَدَتْ لَهُ سَوَءُهُ فَخَرَجَ هَارِبًا فِي الْجَنَّةِ قَتَلَاهُ شَجَرَةً، فَأَخَذَتْ بِنَاصِيَّتِهِ، وَنَادَاهُ رَبُّهُ: أَفَرَارًا مِنِّي يَا أَدَمُ! قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ وَلَكِنْ حَيَاءٌ مِنْكَ مِمَّا قَدْ جَنَيْتُ، فَأَهْبَطَهُ اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ بِخُنُوطِهِ وَكَفَنَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، فَلَمَّا رَأَتْ حَوَاءُ الْمَلَائِكَةَ ذَهَبَتْ لِتَدْخُلَ دُونَهُمْ إِلَيْهِ، فَقَالَ: خَلِي عَنِّي وَعَنْ رَسُولِ رَبِّي، فَإِنِّي مَا لَقَيْتُ مَا لَقَيْتُ إِلَّا مِنْكَ، وَلَا أَصَابِنِي مَا أَصَابَنِي إِلَّا فِيكَ فَلَمَّا قُبِضَ غَسَلُوهُ بِالسِّدْرِ وَالْمَاءِ وَتَرَأَوْا، وَكَفَنُوهُ فِي وَتَرٍ مِنَ الثِّيَابِ، ثُمَّ لَحَدُوا لَهُ فَدَفَنُوهُ،] ثُمَّ قَالُوا: هَذِهِ سُنَّةٌ وَلَدِ أَدَمَ مِنْ بَعْدِهِ. حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْمُقْدَامِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ:

قَالَ أَبِي: - وَزَعَمَ قَتَادَةُ عَنْ صَاحِبٍ لَهُ حَدَّثَ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: كَانَ أَدَمُ رَجُلًا طَوَالًا كَأَنَّهُ نَخْلَةٌ سَحُوقٌ] حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا مَاتَ أَدَمُ قَالَ شَيْثُ الْجَبْرِئِيلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا: صَلِّ عَلَى أَدَمَ، قَالَ: تَقَدَّمَ أَنْتَ فَصَلِّ عَلَى أَبِيكَ، وَكَبِّرْ عَلَيْهِ ثَلَاثِينَ تَكْبِيرَةً، فَأَمَّا خَمْسٌ فِيهِ الصَّلَاةُ، وَأَمَّا خَمْسٌ وَعِشْرُونَ فَتَفْضِيلًا لِأَدَمَ ص.

وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي مَوْضِعِ قَبْرِ أَدَمَ ع، فَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ مَا قَدْ مَضَى ذِكْرُهُ، وَأَمَّا غَيْرُهُ فَإِنَّهُ قَالَ: دُفِنَ بِمَكَّةَ فِي غَارِ أَبِي قُبَيْسٍ، وَهُوَ غَارُ يُقَالُ لَهُ غَارُ الْكَنْزِ.

وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي ذَلِكَ، مَا حَدَّثَنِي بِهِ الْحَارِثُ، قَالَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبِي، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا خَرَجَ نُوحٌ مِنَ السَّفِينَةِ دَفَنَ أَدَمَ ع بَيْتِ الْمُقَدَّسِ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَقَدْ مَضَى ذِكْرُنَا الرِّوَايَةَ بِذَلِكَ، فَكَرِهْنَا إِعَادَتَهُ.

وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَاتَ أَدَمَ ع عَلَى بُودَ - قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ يَعْنِي الْجَبَلَ الَّذِي أَهْبَطَ عَلَيْهِ - وَذَكَرَ أَنَّ حَوَاءَ عَاشَتْ بَعْدَهُ سَنَةً ثُمَّ مَاتَتْ رَحِمَهُمَا اللَّهُ، فَدَفِنَتْ مَعَ زَوْجِهَا فِي الْغَارِ الَّذِي ذَكَرْتُ، وَأَنْهَمَا لَمْ يَزَالَا مَدْفُونَيْنِ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، حَتَّى كَانَ الطُّوفَانُ، فَاسْتَخَرَجَهُمَا نُوحٌ، وَجَعَلَهُمَا فِي تَابُوتٍ، ثُمَّ حَمَلَهُمَا مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ، فَلَمَّا غَاصَتِ الْأَرْضُ الْمَاءَ رَدَّهُمَا إِلَى مَكَانِهِمَا الَّذِي كَانَا فِيهِ قَبْلَ الطُّوفَانِ، وَكَانَتْ حَوَاءُ قَدْ غَزَلَتْ - فِيمَا ذَكَرَ -

وَلَسَجَتْ وَعَجَنْتْ وَخَبَزَتْ، وَعَمِلَتْ أَعْمَالَ النِّسَاءِ كُلِّهَا.

وَنَرْجِعُ الْآنَ إِلَى قِصَّةِ قَابِيلَ وَخَبْرِهِ وَأَخْبَارِ وَلَدِهِ وَأَخْبَارِ شَيْثَ وَخَبْرِ وَلَدِهِ - إِذْ كُنَا قَدْ أَتَيْنَا مِنْ ذِكْرِ أَدَمَ وَعَدُوهِ إِبْلِيسَ وَذَكَرَ أَخْبَارَهُمَا، وَمَا صَنَعَ اللَّهُ بِإِبْلِيسَ إِذْ تَجَبَّرَ وَتَعَظَّمَ وَطَغَى عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأُشْرَ وَبَطَرَ نِعْمَتَهُ الَّتِي أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ، وَتَمَادَى فِي جَهْلِهِ وَغِيهِ، وَسَأَلَ رَبَّهُ النَّظْرَةَ، فَأَنْظَرَهُ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، وَمَا صَنَعَ اللَّهُ بِأَدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِذْ خَطِئَ وَنَسِيَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ تَعْجِيلِ عِقَابِهِ لَهُ عَلَى خَطِيئَتِهِ، ثُمَّ تَغَمَّدَهُ بِإِيَّاهُ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، إِذْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْ زَلَّتِهِ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَاهُ، وَأَنْقَذَهُ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالرَّدَى - حَتَّى نَأْتِيَ عَلَى ذِكْرِ مَنْ سَلَكَ سَبِيلَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، مِنْ تَبَاعِ أَدَمَ ع عَلَى مَنَاجِهِ وَشَيْعَةِ إِبْلِيسَ وَالْمُقْتَدِينَ بِهِ فِي ضَلَالَتِهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَمَا كَانَ مِنْ صَنَعِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ.

فَمَا شَيْثُ ع فَقَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَ أَمْرِهِ، وَأَنَّهُ كَانَ وَصِيَّ ابْنِهِ أَدَمَ ع فِي مَخْلَقَتِهِ بَعْدَ مَضِيِّهِ لِسَبِيلِهِ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الصَّحْفِ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُقِيمًا بِمَكَّةَ يَحْجُجُ وَيَعْتَمِرُ إِلَى أَنْ مَاتَ، وَإِنَّهُ كَانَ جَمَعَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ مِنَ الصَّحْفِ إِلَى صَحْفِ ابْنِهِ أَدَمَ ع،

وعمل بما فيها، وإنه بنى الكعبة بالحجارة والطين.

وأما السلف من علمائنا فإنهم قالوا: لم تزل القبة التي جعل الله لآدم في مكان البيت إلى أيام الطوفان، وإنما رفعها الله عز وجل حين أرسل الطوفان.

وقيل: إن شيثا لما مرض أوصى ابنه أنوش ومات، فدفن مع أبويه في غار أبي قبيس، وكان مولده لمضي مائتي سنة وخمس وثلاثين سنة، من عمر آدم

ع وكانت وفاته وقد أتت له تسعمائة سنة واثنى عشرة سنة.

وولد لشيث أنوش، بعد أن مضى من عمره ستمائة سنة وخمس سنين، فيما يزعم أهل التوراة.

وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ، فَإِنَّهُ قَالَ فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ، عَنْهُ: نَكَحَ شِيثُ بْنُ آدَمَ أُخْتَهُ حَزُورَةَ ابْنَةَ آدَمَ، فَوَلَدَتْ لَهُ يَانِشُ بْنُ شِيثٍ، وَنِعْمَةُ ابْنَةُ شِيثٍ، وَشِيثُ يَوْمُئِذٍ ابْنُ مِائَةِ سَنَةٍ وَخَمْسِ سِنِينَ، فَعَاشَ بَعْدَ مَا وَلَدَ لَهُ يَانِشُ ثَمَانِمِائَةَ سَنَةٍ وَسَبْعَ سِنِينَ. وَقَامَ أَنْوَشُ بَعْدَ مَضِيِّ أَبِيهِ شِيثَ لِسَبِيلِهِ بِسِيَاسَةِ الْمَلِكِ، وَتَدْبِيرِ مَنْ تَحْتَ يَدَيْهِ مِنْ رَعِيَّتِهِ مَقَامَ أَبِيهِ شِيثَ، وَلَمْ يَزَلْ - فِيمَا ذَكَرَ - عَلَى مَنَاجِ أَيْهِ، لَا يُوَقِفُ مِنْهُ عَلَى تَغْيِيرٍ وَلَا تَبْدِيلٍ وَكَانَ جَمِيعُ عُمْرِ أَنْوَشَ - فِيمَا ذَكَرَ أَهْلُ التَّوْرَةِ - تِسْعِمِائَةَ سَنَةٍ وَخَمْسَ سِنِينَ. حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي هِشَامٌ، قَالَ:

أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: وَلَدَ شِيثُ بْنُ أَنْوَشَ وَنَفَرًا كَثِيرًا، وَإِلَيْهِ أَوْصَى شِيثُ، ثُمَّ وَلَدَ لِأَنْوَشَ بْنُ شِيثَ بْنِ آدَمَ ابْنُهُ قَيْنَانُ مِنْ أُخْتِهِ نِعْمَةَ ابْنَةِ شِيثَ بَعْدَ مَضِيِّ تِسْعِينَ سَنَةً مِنْ عُمْرِ أَنْوَشَ، وَمِنْ عُمْرِ آدَمَ ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ وَخَمْسَ وَعِشْرِينَ سَنَةً.

وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ فَإِنَّهُ قَالَ فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ: نَكَحَ يَانِشُ بْنُ شِيثَ أُخْتَهُ نِعْمَةَ ابْنَةَ شِيثَ، فَوَلَدَتْ لَهُ قَيْنَانُ، وَيَانِشُ يَوْمُئِذٍ ابْنُ تِسْعِينَ سَنَةٍ، فَعَاشَ يَانِشُ بَعْدَ مَا وَلَدَ لَهُ قَيْنَانُ ثَمَانِمِائَةَ سَنَةٍ وَخَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَوَلَدَ لَهُ بَنُونَ وَبَنَاتٌ، فَكَانَ كُلُّ مَا عَاشَ يَانِشُ تِسْعِمِائَةَ سَنَةٍ وَخَمْسَ سِنِينَ ثُمَّ نَكَحَ قَيْنَانُ بْنُ يَانِشَ - وَهُوَ ابْنُ سَبْعِينَ سَنَةً - دِينَةَ ابْنَةِ بَرَائِيلَ بْنِ مَحْوِيلَ بْنِ خَنُوحَ بْنِ قَيْنَ بْنِ آدَمَ.

فَوَلَدَتْ لَهُ مَهْلَائِيلُ بْنُ قَيْنَانٍ، فَعَاشَ قَيْنَانُ بَعْدَ مَا وَلَدَ لَهُ مَهْلَائِيلُ ثَمَانِمِائَةَ سَنَةٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَكَانَ كُلُّ مَا عَاشَ قَيْنَانُ تِسْعِمِائَةَ سَنَةٍ وَعِشْرَ سِنِينَ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي هِشَامٌ، قَالَ:

أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: وَلَدَ أَنْوَشُ قَيْنَانُ، وَنَفَرًا كَثِيرًا، وَإِلَيْهِ الْوَصِيَّةُ، فَوَلَدَ قَيْنَانُ مَهْلَائِيلَ وَنَفَرًا مَعَهُ، وَإِلَيْهِ الْوَصِيَّةُ، فَوَلَدَ مَهْلَائِيلُ يَرْدَ - وَهُوَ الْيَارْدُ - وَنَفَرًا مَعَهُ، وَإِلَيْهِ الْوَصِيَّةُ، فَوَلَدَ يَرْدُ أَخْنُوحَ وَهُوَ أَدْرِيسُ النَّبِيُّ ص وَنَفَرًا مَعَهُ، فَوَلَدَ أَخْنُوحَ مَتُوشَلَخَ وَنَفَرًا مَعَهُ وَإِلَيْهِ الْوَصِيَّةُ، فَوَلَدَ مَتُوشَلَخُ لِمَكْ وَنَفَرًا مَعَهُ وَإِلَيْهِ الْوَصِيَّةُ.

وَأَمَّا التَّوْرَةُ فَمَا ذَكَرَهُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّهُ فِيهَا أَنَّ مَوْلِدَ مَهْلَائِيلَ بَعْدَ أَنْ مَضَتْ مِنْ عُمْرِ آدَمَ ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ وَخَمْسَ وَتِسْعُونَ سَنَةً، وَمِنْ عُمْرِ قَيْنَانَ سَبْعُونَ سَنَةً.

ونكح مهلائيل بن قينان - وهو ابن خمس وستين سنة، فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق - خالته سمعن ابنة براكيل ابن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم، فولدت له يرد بن مهلائيل، فعاش مهلائيل بعد ما ولد له يرد ثمانمائة سنة وثلاثين سنة، فولد له بنون وبنيات، فكان كل ما عاش مهلائيل ثمانمائة سنة وخمسا وتسعين سنة، ثم مات.

وأما في التوراة فإنه ذكر أن فيها أن يرد ولد لمهلائيل بعد ما مضى من عمر آدم أربعمائة سنة وستون سنة، وأنه كان على مناهج أبيه قينان، غير أن الأحداث بدت في زمانه

١٠٤٠٨ ذكر الأحداث التي كانت في أيام بني آدم من لدن ملك شيث بن آدم إلى أيام يرد

ذكر الأحداث التي كانت في أيام بني آدم من لدن ملك شيث بن آدم إلى أيام يرد
ذكر أن قابيل لما قتل هابيل، وهرب من أبيه آدم إلى اليمن، أتاه إبليس، فقال له: إن هابيل إنما قبل قربانه وأكلته النار، لأنه كان يخدم النار ويعبدها، فانصب أنت أيضا نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت نار، فهو أول من نصب النار وعبدها.
حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: إن قينا نكح أخته أشوث بنت آدم، فولدت له رجلا وامرأة: خنوخ بن قين، وعذب بنت قين، فنكح خنوخ بن قين أخته عذب بنت قين، فولدت له ثلاثة نفر وامرأة: عيرد بن خنوخ ومحويل بن خنوخ وأنوشيل بن خنوخ، وموليث بنت خنوخ، فنكح أنوشيل بن خنوخ موليث ابنة خنوخ، فولدت لأنوشيل رجلا اسمه لامك، فنكح لامك امرأتين: اسم إحداهما عدى واسم الأخرى صلي، فولدت له عدى وتولين بن لامك، فكان أول من سكن القباب، واقتنى المال، وتويعش، وكان أول من ضرب بالونج والصنح، وولدت رجلا اسمه توبلقين، فكان أول من عمل النحاس والحديد، وكان أولادهم جبارة وفراعنة، وكانوا قد أعطوا بسطة في الخلق، كان الرجل فيما يزعمون يكون ثلاثين ذراعا قال: ثم انقرض ولد قين، ولم يتركوا عقبا إلا قليلا، وذرية آدم كلهم جهلت أنسابهم وانقطع نسلهم، إلا ما كان من شيث بن آدم، فنه كان النسل، وأنساب الناس اليوم كلهم إليه دون أبيه آدم، فهو أبو البشر، إلا ما كان من أبيه وإخوته ممن لم يترك عقبا
قال: ويقول أهل التوراة: بل نكح قين أشوث، فولدت له خنوخ، فولد لخنوخ عيرد، فولد لمحويل، فولد لمحويل أنوشيل، فولد لأنوشيل، لامك، فنكح لامك عدى وصلي، فولدتا له من سميت والله أعلم.
فلم يذكر ابن إسحاق من أمر قابيل وعقبه إلا ما حكيت.

وأما غيره من أهل العلم بالتوراة فإنه ذكر أن الذي اتخذ الملاهي من ولد قايين رجل يقال له توبال، اتخذ في زمان مهلائيل بن قينان آلات اللهو من المزامير والطبول والعيان والطناير والمعارف، فانهمك ولد قايين في اللهو، وتناهى خبرهم إلى من بالجبل من نسل شيث، فهم منهم مائة رجل بالنزول إليهم، وبخالفه ما أوصاهم به آبائهم، وبلغ ذلك يارد، فوعظهم ونهاهم، فأبوا إلا تماديا، ونزلوا إلى ولد قايين، فأعجبوا بما رأوا منهم، فلما أرادوا الرجوع حيل بينهم وبين ذلك لدعوة سبقت من آبائهم، فلما أبطئوا بمواضعهم، ظن من كان في نفسه زيغ ممن كان بالجبل أنهم أقاموا اعتباطا، فتسألوا ينزلون عن الجبل، ورأوا اللهو فأعجبهم، ووافقوا نساء من ولد قايين متسرعات إليهم، وصرن معهم، وانهمكوا في الطغيان، وفشت الفاحشة وشرب الخمر.
قال أبو جعفر: وهذا القول غير بعيد من الحق، وذلك أنه قول قد روي عن جماعة من سلف علماء أمة نبينا ص نحو منه، وإن لم يكونوا يبنوا زمان من حدث ذلك في ملكه، سوى ذكرهم أن ذلك كان فيما بين آدم ونوح ص.

ذكر من روي ذلك عنه:
حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا داود - يعني ابن أبي الثورات - قال: حدثنا علباء بن أحر، عن عكرمة، عن ابن عباس، أنه تلا هذه الآية: «وَلَا تَبْرَحْ تَبْرِجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى» .
قال: كانت فيما بين نوح وإدريس، وكانت ألف سنة، وإن بطنين من ولد آدم، كان أحدهما يسكن السهل، والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجبل صباحا وفي النساء دمامة، وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة، وإن إبليس أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام فأجر نفسه منه، وكان يخدمه، واتخذ إبليس لعه الله شيئا مثل الذي يزمر فيه الرعاء، فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله، فبلغ ذلك من حولهم، فأتوا بهم يسمعون إليه، واتخذوا عيدا يجتمعون إليه في السنة، فتتبرج النساء للرجال، قال: وينزل الرجال لمن وإن رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم ذلك، فرأى النساء وصباحتهن، فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك، فتحولوا اليهن، فنزلوا عليهن، فظهرت الفاحشة فيهن، فهو قول الله عز وجل:

«وَلَا تَبْرَجَنَّ تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى» .

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا ابن أبي غنية، عن أبيه، عن الحكم:

«وَلَا تَبْرَجَنَّ تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى» ، قال: كان بين آدم ونوح ثمانمائة سنة، وكان نساؤهم أقبح ما يكون من النساء، ورجالهم حسان، فكانت المرأة تريد الرجل على نفسها، فأنزلت هذه الآية: «وَلَا تَبْرَجَنَّ تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى» .

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرني هشام، قال:

أخبرني أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: لَمْ يَمُتْ آدَمُ حَتَّى بَلَغَ وَلَدُهُ وَلَدَهُ وَأَرْبَعِينَ أَلْفًا بَوذَ وَرَأَى آدَمُ فِيهِمُ الزَّنا وَشَرِبَ الْخَمْرَ وَالْفَسَادَ، فَأَوْصَى الْأَيُّوحَ بَنُو شِيثَ بَنِي قَايِلَ، لِيَجْعَلَ بَنُو شِيثَ آدَمَ فِي مَغَارَةٍ، وَجَعَلُوا عَلَيْهِ حَافِظًا، لَا يَقْرَبُهُ أَحَدٌ مِنْ بَنِي قَايِلَ، وَكَانَ الَّذِينَ يَأْتُونَهُ وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ مِنْ بَنِي شِيثَ، فَقَالَ مِائَةٌ مِنْ بَنِي شِيثَ صَبَاحَ: لَوْ نَظَرْنَا إِلَى مَا فَعَلَ بَنُو عَمْنَا! يَعْزُونَ بَنِي قَايِلَ.

فَهَبَطَتِ الْمِائَةُ إِلَى نِسَاءِ صَبَاحَ مِنْ بَنِي قَايِلَ، فَاحْتَبَسَ النِّسَاءُ الرِّجَالَ، ثُمَّ مَكَثُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ مِائَةُ آخَرُونَ: لَوْ نَظَرْنَا مَا فَعَلَ إِخْوَتُنَا! فَهَبَطُوا مِنَ الْجَبَلِ إِلَيْهِمْ، فَاحْتَبَسَهُمُ النِّسَاءُ ثُمَّ هَبَطَ بَنُو شِيثَ كُلُّهُمْ، فَجَاءَتِ الْمُعْصِيَةُ، وَتَنَاحُوا وَاخْتَلَطُوا، وَكَثُرَ بَنُو قَايِلَ حَتَّى مَلَأُوا الْأَرْضَ، وَهُمْ الَّذِينَ غَرَفُوا أَيَّامَ نُوحٍ.

وَأَمَّا نَسَابُ الْفُرسِ فَقَدْ ذَكَرْتُ مَا قَالُوا فِي مَهْلَاثِيلِ بْنِ قَيْنَانَ، وَأنَّهُ هُوَ أَوْشَهْنَجُ الَّذِي مَلَكَ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ، وَبَيَّنْتُ قَوْلَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ نَسَابِي الْعَرَبِ.

فَإِنَّ كَانَ الْأَمْرُ فِيهِ كَالَّذِي قَالَهُ نَسَابُ الْفُرسِ، فَإِنِّي حَدَّثْتُ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ السَّائِبِ، أَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ مَنْ قَطَعَ الشَّجَرَ، وَبَنَى الْبِنَاءَ، وَأَوَّلُ مَنْ اسْتَخْرَجَ الْمَعَادِنَ وَفَطَنَ النَّاسَ لَهَا، وَأَمَرَ أَهْلَ زَمَانِهِ بِاتِّخَاذِ الْمَسَاجِدِ، وَبَنَى مَدِينَتَيْنِ كَانَتَا أَوَّلَ مَا بُنِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنَ الْمَدَائِنِ، وَهُمَا مَدِينَةُ بَابِلَ الَّتِي بِسَوَادِ الْكُوفَةِ، وَمَدِينَةُ السُّوسِ وَكَانَ مُلْكُهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً.

وَأَمَّا غَيْرُهُ فَإِنَّهُ قَالَ: هُوَ أَوَّلُ مَنْ اسْتَبْطَعَ الْحَدِيدَ فِي مُلْكِهِ، فَاتَّخَذَ مِنْهُ الْأَدَوَاتَ لِلصَّنَاعَاتِ، وَقَدَّرَ الْمِيَاهَ فِي مَوَاضِعِ الْمَنَاقِعِ، وَحَصَّ النَّاسَ عَلَى الْحِرَاثَةِ وَالزَّرَاعَةِ وَالْحَصَادِ وَاعْتِمَالِ الْأَعْمَالِ، وَأَمَرَ بِقَتْلِ السَّبَاعِ الضَّارِيَةِ، وَاتَّخَذَ الْمَلَابِيسَ مِنْ جُلُودِهَا وَالْمَفَارِشَ، وَبَذَحَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْوَحْشَ وَالْأَكْلَ مِنْ لَحُومِهَا، وَأَنَّ مُلْكُهُ كَانَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَأنَّهُ بَنَى مَدِينَةَ الرِّيِّ قَالُوا: وَهِيَ أَوَّلُ مَدِينَةٍ بُنِيَتْ بَعْدَ مَدِينَةِ جِيُومَرْتِ الَّتِي كَانَ يَسْكُنُهَا بِدَنْبَاوَنْدَ مِنْ طَبْرِسْتَانَ.

وَقَالَتِ الْفُرسُ: إِنَّ أَوْشَهْنَجَ هَذَا وَلَدَ مُلْكًا، وَكَانَ فَاضِلًا مَحْمُودًا فِي سِيرَتِهِ وَسِيَاسَةِ رِعْيَتِهِ، وَذَكَرُوا أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الْأَحْكَامَ وَالْحُدُودَ، وَكَانَ مُلقَبًا بِذَلِكَ، يُدْعَى فَيْشْدَاذَ وَمَعْنَاهُ بِالْفَارْسِيَّةِ أَوَّلُ مَنْ حَكَمَ بِالْعَدْلِ، وَذَلِكَ أَنَّ فَاشَ مَعْنَاهُ أَوَّلُ، وَأَنَّ دَاذَ عَدْلٌ وَقَضَاءٌ، وَذَكَرُوا أَنَّهُ نَزَلَ الْهُنْدَ، وَتَنَقَّلَ فِي الْبِلَادِ، فَلَمَّا اسْتَقَامَ أَمْرُهُ وَاسْتَوْتَقَ لَهُ الْمَلِكُ عَقَدَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجًا، وَخَطَبَ خُطْبَةً، فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: إِنَّهُ وَرِثَ الْمُلْكَ عَنْ جَدِّهِ جِيُومَرْتِ، وَأنَّهُ عَذَابٌ وَنَقْمَةٌ عَلَى مَرَدَةِ الْإِنْسِ وَالشَّيَاطِينِ وَذَكَرُوا أَنَّهُ قَهَرَ إِبْلِيسَ وَجُنُودَهُ، وَمَنَعَهُمُ الْاِخْتِلَاطَ بِالنَّاسِ، وَكَتَبَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا فِي طَرَسٍ أَيْضَ أَخَذَ عَلَيْهِمْ فِيهِ الْمَوَاقِيقَ الِا يَعْرِضُونَ لِأَحَدٍ مِنَ الْإِنْسِ، وَتَوَعَّدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَقَتَلَ مَرَدَتَهُمْ وَجَمَاعَةً مِنَ الْغِيلَانِ، فَهَرَبُوا مِنْ خَوْفِهِ إِلَى الْمَفَاوِزِ وَالْجِبَالِ وَالْأَدْوِيَةِ، وَأنَّهُ مَلَكَ الْأَقَالِيمَ كُلَّهَا، وَأنَّهُ كَانَ بَيْنَ مَوْتِ جِيُومَرْتِ إِلَى مَوْلِدِ أَوْشَهْنَجَ وَمُلْكِهِ مِائَتًا سَنَةً.

وَتَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً.

وَذَكَرُوا أَنَّ إِبْلِيسَ وَجُنُودَهُ فَرَحُوا بِمَوْتِ أَوْشَهْنَجَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ دَخَلُوا بِمَوْتِهِ مَسَاكِينَ بَنِي آدَمَ، وَزَلُّوا إِلَيْهِمْ مِنَ الْجِبَالِ وَالْأَوْدِيَةِ.

وَنَرْجِعُ الْآنَ إِلَى ذِكْرِ يَرْدَ - وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ هُوَ يَارْدَ - فَوُلِدَ يَرْدٌ لِمَهْلَائِيلَ مِنْ خَالَتِهِ سَمْعَن ابْنَةِ بَرَائِيلَ بْنِ مَحْوِيلَ بْنِ خَنُوحَ بْنِ قَيْنَ، بَعْدَ مَا مَضَى مِنْ عَمْرِ آدَمَ أَرْبَعُمِائَةٍ وَسِتُّونَ سَنَةً، فَكَانَ وَصِيَّ أَبِيهِ وَخَلِيفَتِهِ فِيمَا كَانَ وَالِدُ مَهْلَائِيلَ أَوْصَى إِلَى مَهْلَائِيلَ، وَاسْتَخْلَفَهُ عَلَيْهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَكَانَتْ وَلَادَةُ أُمِّهِ إِيَّاهُ بَعْدَ مَا مَضَى مِنْ عَمْرِ أَبِيهِ مَهْلَائِيلَ - فِيمَا ذَكَرُوا - خَمْسَ وَسِتُّونَ سَنَةً، فَقَامَ مِنْ بَعْدِ مَهْلَكِ أَبِيهِ مِنْ وَصِيَّةِ أَجْدَادِهِ وَأَبَائِهِ بِمَا كَانُوا يَقُومُونَ بِهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِمْ.

ثُمَّ نَكْحَ يَرْدَ - فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، عَنْ ابْنِ

إِسْحَاقَ، وَهُوَ ابْنُ مِائَةِ سَنَةٍ وَاثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً - بِرُكَا ابْنَةِ الدَّرْمَسِيلَ بْنِ مَحْوِيلَ بْنِ خَنُوحَ بْنِ قَيْنَ بْنِ آدَمَ فَوُلِدَتْ لَهُ أَخْنُوحُ بْنُ يَرْدَ - وَأَخْنُوحُ إِدْرِيسَ النَّبِيِّ، وَكَانَ أَوَّلُ بَنِي آدَمَ أُعْطِيَ النَّبُوءَةَ - فِيمَا زَعَمَ ابْنُ إِسْحَاقَ - وَخَطَّ بِالْقَلَمِ، عَاشَ يَرْدَ بَعْدَ مَا وَلِدَ لَهُ أَخْنُوحَ ثَمَانِمِائَةَ سَنَةٍ، وَوُلِدَ لَهُ بَنُونَ وَبَنَاتٌ، فَكَانَ كُلُّ مَا عَاشَ يَرْدَ تِسْعِمِائَةَ سَنَةٍ وَاثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً ثُمَّ مَاتَ.

وَقَالَ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ التَّوْرَةِ: وَلِدَ لِيَرْدَ أَخْنُوحَ - وَهُوَ إِدْرِيسَ - فَبَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ مَضَى مِنْ عَمْرِ آدَمَ سِتْمِائَةَ سَنَةٍ وَاثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ سَنَةً، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثُونَ صَحِيفَةً وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بَعْدَ آدَمَ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَطَعَ الثِّيَابَ وَخَاطَهَا، وَأَوَّلُ مَنْ سَبَى مِنْ وَلَدِ قَابِيلَ، فَاسْتَرَقَ مِنْهُمْ، وَكَانَ وَصِيَّ وَالِدِهِ يَرْدَ فِيمَا كَانَ أَبَاؤُهُ أَوْصَاؤُهُ بِهِ إِلَيْهِ، وَفِيمَا أَوْصَى بِهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ فَعْلِهِ فِي حَيَاةِ آدَمَ. قَالَ: وَتَوَفَّى آدَمَ عَ بَعْدَ أَنْ مَضَى مِنْ عَمْرِ أَخْنُوحَ ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ وَثَمَانِي سِنِينَ، تَمَّتْ تِسْعِمِائَةُ وَثَلَاثِينَ سَنَةً الَّتِي ذَكَرْنَا أَنَّهَا عَمْرُ آدَمَ قَالَ:

وَدَعَا أَخْنُوحَ قَوْمَهُ وَوَعِظَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَعْصِيَةِ الشَّيْطَانِ، وَأَلَّا يَلْبَسُوا وَلَدَ قَابِيلَ، فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَكَانَتْ الْعَصَابَةُ بَعْدَ الْعَصَابَةِ مِنْ وَلَدِ شِيثَ تَنْزِلَ إِلَى وَلَدِ قَابِيلَ.

قَالَ: وَفِي التَّوْرَةِ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَفَعَ إِدْرِيسَ بَعْدَ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ وَخَمْسَ وَسِتِّينَ سَنَةٍ مَضَتْ مِنْ عَمْرِهِ، وَبَعْدَ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ وَسَبْعَ وَعِشْرِينَ سَنَةٍ مَضَتْ مِنْ عَمْرِ أَبِيهِ، فَعَاشَ أَبُوهُ بَعْدَ ارْتِفَاعِهِ أَرْبَعِمِائَةَ وَخَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً تَمَامَ تِسْعِمِائَةِ وَاثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَمْرُ يَارْدَ تِسْعِمِائَةَ وَاثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً، وَوُلِدَ أَخْنُوحَ وَقَدْ مَضَتْ مِنْ عَمْرِ يَارْدَ مِائَةٌ وَاثْنَتَانِ وَسِتُّونَ سَنَةً.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي هِشَامٌ، قَالَ:

أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: فِي زَمَانِ يَرْدَ عُمِلَتِ الْأَصْنَامُ، وَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ عَنِ الْإِسْلَامِ.

وَقَدْ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ:

حَدَّثَنِي الْمَاضِي بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، [عَنْ أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ص: يَا أَبَا ذَرٍّ أَرْبَعَةٌ - يَعْنِي مِنَ الرُّسُلِ - سَرَيَانِيُونَ: آدَمَ، وَشِيثَ، وَنُوحَ، وَأَخْنُوحَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَمِ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَخْنُوحَ ثَلَاثِينَ صَحِيفَةً].

وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ إِدْرِيسَ إِلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي زَمَانِهِ، وَجَمَعَ لَهُ عِلْمَ الْمَاضِينَ، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ زَادَهُ مَعَ ذَلِكَ ثَلَاثِينَ صَحِيفَةً، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى» وَقَالَ: يَعْنِي بِالصُّحُفِ الْأُولَى الصُّحُفَ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَى ابْنِ آدَمَ هَبَهُ اللَّهُ وَإِدْرِيسَ ع.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَلِكٌ بِيُورَاسَبَ فِي عَهْدِ إِدْرِيسَ، وَقَدْ كَانَ وَقَعَ إِلَيْهِ كَلَامٌ مِنْ كَلَامِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَاتَّخَذَهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ سَحْرًا، وَكَانَ بِيُورَاسَبَ يَعْمَلُ بِهِ، وَكَانَ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا مِنْ جَمِيعِ مَمْلَكَتِهِ أَوْ أَعْجَبَتْهُ دَابَّةٌ أَوْ امْرَأَةٌ نَفَخَ بِقَصْبَةٍ كَانَتْ لَهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَكَانَ يَجِيءُ إِلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ يَرِيدُهُ، فَنَ ثَمَّ تَنْفَخُ الْيَهُودُ فِي الشُّبُورَاتِ.

وَأَمَّا الْفَرَسُ فَإِنَّهُمْ قَالُوا: مَلِكٌ بَعْدَ مَوْتِ أَوْشَهَنجَ طَهْمُورْثَ بْنِ وَيُونَجَهَانَ بْنِ خَبَانْدَازَ بْنِ خَيَايْذَارَ بْنِ أَوْشَهَنجَ.

وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي نَسَبِ طَهْمُورْثَ إِلَى أَوْشَهَنجَ، فَنَسَبَهُ بَعْضُهُمُ النَّسَبَ الَّتِي ذَكَرْتُ وَقَالَ بَعْضُ نَسَابَةِ الْفَرَسِ: هُوَ طَهْمُورْثَ بْنُ أَيُونَكَهَانَ بْنِ أَنْكَهَدَ بْنِ اسْكَهَدَ بْنِ أَوْشَهَنجَ.

وقال هشام بن محمد الكلبي- فيما حدثت عنه: ذكر أهل العلم أن أول ملوك بابل طهمورث، قال: وبلغنا- والله أعلم- أن الله أعطاه من القوة ما خضع له إبليس وشياطينه، وأنه كان مطيعا لله، وكان ملكه أربعين سنة واما الفرس فإنها تزعم ان طهمورث ملك الأقاليم كلها، وعقد على رأسه تاجا، وقال يوم ملك: نحن دافعون بعون الله عن خليقته المردة الفسدة.

وكان محمودا في ملكه، حدبا على رعيته، وأنه ابتنى سابور من فارس ونزلها، وتنقل في البلدان، وأنه وثب بإبليس حتى ركب، فطاف عليه في أداني الأرض وأقاصيها، وأفرعه ومردة أصحابه حتى تطايروا وتفرقوا، وأنه أول من اتخذ الصوف والشعر للباس والفرش، وأول من اتخذ زينة الملوك من الخيل والبغال والحمير، وأمر باتخاذ الكلاب لحفظ المواشي وحراستها من السباع والجوارح للصيد، وكتب بالفارسيه، وان بيوراسب ظهر في أول سنة من ملكه، ودعا إلى ملة الصابئين.

ثم رجعنا إلى ذكر اخنوخ، وهو ادريس ع.

ثم نكح- فيما حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: أخنوخ بن يرد هدانة- ويقال: أدانة- ابنة باويل ابن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم، وهو ابن خمس وستين سنة، فولدت له متوشلخ بن أخنوخ، فعاش بعد ما ولد له متوشلخ ثلاثمائة سنة، وولد له بنون وبنات، فكان كل ما عاش اخنوخ ثلاثمائة سنة وخمسا وستين سنة ثم مات.

وأما غيره من أهل التوراة فإنه قال فيما ذكر عن التوراة: ولد لآخنوخ بعد ستمائة سنة وسبع وثمانين سنة خلت من عمر آدم متوشلخ، فاستخلفه

أخنوخ على أمر الله، وأوصاه وأهل بيته قبل أن يرفع، وأعلمهم أن الله عز وجل سيعذب ولد قايين ومن خالطهم ومال إليهم، ونهاهم عن مخالطتهم، وذكر أنه كان أول من ركب الخيل، لأنه اقتفى رسم أبيه في الجهاد، وسلك في أيامه في العمل بطاعة الله طريق آبائه وكان عمر اخنوخ الى ان رفع ثلاثمائة سنة وخمسا وستين سنة وولد له متوشلخ بعد ما مضى من عمره خمس وستون سنة.

ثم نكح- فيما حدثني ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق- متوشلخ بن أخنوخ عربا ابنة عزرائيل بن أنوشيل بن خنوخ بن قين بن آدم، وهو ابن مائة سنة وسبع وثلاثين سنة فولدت له ملك بن متوشلخ، فعاش بعد ما ولد له ملك سبعمائة سنة، فولد له بنون وبنات، وكان كل ما عاش متوشلخ تسعمائة سنة وتسع عشرة سنة ثم مات ونكح ملك بن متوشلخ بن اخنوخ بتنوس ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم ع، وهو ابن مائة سنة وسبع وثمانين سنة فولدت له نوحا النبي ص، فعاش ملك بعد ما ولد له نوح خمسمائة سنة وخمسا وتسعين سنة، وولد له بنون وبنات، فكان كل ما عاش سبعمائة سنة وثمانين سنة، ثم مات ونكح نوح ابن ملك عمذرة ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم، وهو ابن خمسمائة سنة، فولدت له بينه: سام، وحام، ويافث، بني نوح وقال أهل التوراة: ولد لمتوشلخ بعد ثمانمائة سنة وأربع وسبعين سنة من عمر آدم الملك، فأقام على ما كان عليه آباؤه: من طاعة الله وحفظ عهوده.

قالوا: فلما حضرت متوشلخ الوفاة استخلف لملك على أمره، وأوصاه بمثل ما كان آباؤه يوصون به قالوا: وكان ملك يعظ قومه، وينهاهم عن النزول إلى ولد قايين فلا يتعطلون، حتى نزل جميع من كان في الجبل إلى ولد قايين وقيل: إنه كان لمتوشلخ ابن آخر غير ملك، يقال له صابئ- وقيل:

إن الصابئين به سموا صابئين- وكان عمر متوشلخ تسعمائة وستين سنة، وكان مولد ملك بعد أن مضى من عمر متوشلخ مائة وسبع وثمانون سنة.

ثم ولد ملك نوحا بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة، وذلك لألف سنة وست وخمسين سنة مضت من يوم أهبط الله عز وجل آدم إلى مولد نوح ع، فلما أدرك نوح قال له ملك: قد علمت أنه لم يبق في هذا الموضع غيرنا، فلا تستوحش ولا تتبع الأمة الخاطئة، فكان نوح يدعو إلى ربه، ويعظ قومه فيستخفون به، فأوحى الله عز وجل إليه أنه قد أمهلهم، فأنظرهم ليراجعوا ويتوبوا مدة، فانقضت المدة قبل أن يتوبوا وينبوا.

وقال آخرون غير من ذكرت قوله: كان نوح في عهد بيوراسب، وكان قومه يعبدون الأصنام، فدعاهم الى الله جل وعز تسعمائة وستة وخمسين سنة، كلها مضى قرن تبعهم قرن، على ملة واحدة من الكفر، حتى أنزل الله عليهم العذاب فأفناهم.

حدثنا الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: حدثني هشام، قال:

أخبرني أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: ولد متوشلخ ملك ونفراً معه، وإليه الوصية، فولد ملك نوحاً، وكان للملك يوم ولد نوح اثنتان وثمانون سنة، ولم يكن أحد في ذلك الزمان ينهى عن منكر، فبعث الله إليهم نوحاً، وهو ابن أربعمئة سنة وثمانين سنة، ثم دعاهم في نبوته مائة وعشرين سنة، ثم امره بصنعه السفينة فصنعها وركبها وهو ابن ستمائة سنة، وغرق من غرق، ثم مكث بعد السفينة ثلاثمائة سنة وخمسين سنة.

وأما علماء الفرس فإنهم قالوا: ملك بعد طهمورث جم الشيد - والشيد معناه عندهم الشعاع، لقبوه بذلك فيما زعموا بجماله - وهو جم بن ويونجهان، وهو أخو طهمورث وقيل إنه ملك الأقاليم السبعة كلها، وسخر له ما فيها من الجن والإنس، وعقد على رأسه التاج وقال حين قعد في ملكه: إن الله تبارك وتعالى قد أكمل بهاءنا وأحسن تأييدنا، وسنوسع رعتنا خيراً وإنه ابتدع صنعة السيوف والسلاح، ودل على صنعة الإبريسم والقز وغيره مما يغزل، وامر بنسج الثياب وصنعها، ونحت السروج والأكف وتذليل الدواب بها.

وذكر بعضهم إنه توارى بعد ما مضى من ملكه ستمائة سنة وست عشرة سنة وستة أشهر، نخلت البلاد منه سنة، وأنه أمر لمضي سنة من ملكه إلى سنة خمس منه بصنعة السيوف والدروع والبيض وسائر صنوف الأسلحة وآلة الصناعات من الحديد ومن سنة خمسين من ملكه إلى سنة مائة يغزل الإبريسم والقز والقطن والكتان وكل ما يستطاع غزله وحياته ذلك وصبغته ألواناً وتقطيعه أنواعاً ولبسه ومن سنة مائة إلى سنة خمسين ومائة صنف الناس أربع طبقات:

طبقة مقاتلة، وطبقة فقهاء، وطبقة كتابا وصناعاً وحراثين، واتخذ طبقة منهم خدماً، وأمر كل طبقة من تلك الطبقات بلزوم العمل الذي أزمها إياه ومن سنة مائة وخمسين إلى سنة خمسين ومائتين حارب الشياطين والجن وأثنهم وأذلهم وسخروا له وانقادوا لأمره ومن سنة خمسين ومائتين إلى سنة ست عشرة وثلاثمائة وكل الشياطين بقطع الحجارة والصخور من الجبال، وعمل الرخام والجص والكلس، والبناء بذلك، وبالطين البنيان والأعمدة، وصنعة النورة، والنقل من البحار والجبال والمعادن والفلوات كل ما ينتفع به الناس، والذهب والفضة وسائر ما يذاب من الجواهر، وأنواع الطيب والأدوية ففقدوا في كل ذلك لأمره ثم أمر فصنعت له عجلة من زجاج، فصعد فيها الشياطين وركبها، وأقبل عليها في الهواء من بلده، من دنباوند إلى بابل في يوم واحد، وذلك يوم هرمز از فروردين ماه، فاتخذ الناس للأعجوبة التي رأوا من اجرائه ما جرى على تلك الحال نوروز، وأمرهم باتخاذ ذلك اليوم وخمسة أيام بعده عيداً، والتنعيم والتلذذ فيها، وكتب إلى الناس اليوم السادس، وهو خرداد روز يخبرهم أنه قد سار فيهم بسيرة ارتضاها الله، فكان من جزائه إياه عليها أن جنبهم الحر والبرد والأسقام والهرم والحسد، فكث الناس ثلاثمائة سنة بعد الثلاثمائة والست عشرة سنة التي خلت من ملكه، لا يصيبهم شيء مما ذكر أن الله جل وعز جنبهم إياه.

ثم إن جما بطر بعد ذلك نعمه الله عنده، وجمع الانس والجن، فأخبرهم أنه وليهم ومالكهم والدافع بقوته عنهم الأسقام والهرم والموت، وحدد إحسان الله عز وجل إليه، وتمادى في غيه فلم يجر أحد ممن حضره له جواباً، وفقد مكانه بهاء وعزه، وتخلت عنه الملائكة الذين كان الله أمرهم بسياسة امره، فأحس بذلك بيوراسب الذي يسمى الضحاك فابتدر إلى جم لينتسه فهرب منه، ثم ظفر به بيوراسب بعد ذلك، فامتلع امعاءه واسترطها، ونشره بمنشار.

وقال بعض علماء الفرس: إن جما لم يزل محمود السيرة إلى أن بقي من ملكه مائة سنة نخلط حينئذ، وادعى الربوبية، فلما فعل ذلك اضطرب عليه أمره، ووثب عليه أخوه اسفتور وطلبه ليقتله، فتوارى عنه، وكان في تواريه ملكاً ينتقل من موضع إلى موضع، ثم

خَرَجَ عَلَيْهِ بِيوراسبَ فَعَلَبَهُ عَلَى مُلْكِهِ، وَنَشَرَهُ بِالْمِنْشَارِ.

وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ مَلِكًا جَمَّ كَانَ سَبْعِمِائَةَ سَنَةٍ وَسِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا.

وَقَدْ ذَكَرْتُ عَنْ وَهْبِ بْنِ مَنْبِهِ، عَنْ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الْمَاضِينَ قِصَّةَ شَبِيهَةٍ بِقِصَّةِ جَمِّ شَاذِ الْمَلِكِ، وَلَوْلَا أَنَّ تَارِيخَهُ خِلَافَ تَارِيخِ جَمِّ لَقُلْتُ إِنَّهَا قِصَّةُ جَمِّ.

وَذَلِكَ مَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ بْنُ عَسْكَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدِ الصَّمَدِ بْنُ مَعْقِلٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مَنْبِهِ، أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رَجُلًا مَلِكًا وَهُوَ فَتَى شَابٌّ، فَقَالَ: إِنِّي لِأَجِدُ لِلْمَلِكِ لَذَّةَ وَطْعَمًا، فَلَا أُدْرِي: أَكُذِّبُ كُلَّ النَّاسِ أَمْ أَنَا وَجَدْتُهُ مِنْ بَيْنِهِمْ؟ فَقِيلَ لَهُ:

بَلِ الْمَلِكُ كَذَلِكَ، فَقَالَ: مَا الَّذِي يَقِيمُهُ لِي؟ فَقِيلَ لَهُ: يَقِيمُهُ لَكَ أَنْ تَطِيعَ اللَّهَ فَلَا تَعْصِيهِ فِدَاعًا نَاسًا مِنْ خِيَارِ مَنْ كَانَ فِي مَلِكِهِ فَقَالَ لَهُمْ:

كُونُوا بِحَضْرَتِي فِي مَجْلِسِي، فَمَا رَأَيْتُمْ أَنَّهُ طَاعَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَمْرُونِي أَنْ أَعْمَلَ بِهِ، وَمَا رَأَيْتُمْ أَنَّهُ مَعْصِيَةُ اللَّهِ فَازْجُرُونِي عَنْهُ أَنْزَجِرْ، فَفَعَلَ ذَلِكَ هُوَ وَهُمْ، وَاسْتَقَامَ لَهُ مَلِكُهُ بِذَلِكَ أَرْبَعِمِائَةَ سَنَةٍ مَطِيعًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ إِنَّ إِبْلِيسَ انْتَبَهَ لِذَلِكَ فَقَالَ:

تَرَكْتُ رَجُلًا يَعْبُدُ اللَّهَ مَلِكًا أَرْبَعِمِائَةَ سَنَةٍ! فُجَاءَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَتَمَثَّلَ لَهُ بِرَجُلٍ، فَفَزِعَ مِنْهُ الْمَلِكُ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ إِبْلِيسُ: لَا تَرَعْ، وَلَكِنْ أَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ الْمَلِكُ: أَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: لَوْ كُنْتُ مِنْ بَنِي آدَمَ لَقَدْ مِتَّ كَمَا يَمُوتُ بَنُو آدَمَ، أَلَمْ تَرَ كَمْ قَدْ مَاتَ مِنَ النَّاسِ وَذَهَبَ مِنَ الْقُرُونِ! لَوْ كُنْتُ مِنْهُمْ لَقَدْ مِتَّ كَمَا مَاتُوا، وَلَكِنَّكَ إِلَهٌ، فَادْعِ النَّاسَ إِلَى عِبَادَتِكَ فَدَخَلَ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ ثُمَّ صَعِدَ الْمَنْبَرَ، فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَخْفَيْتُ عَنْكُمْ أَمْرًا بَانَ لِي إِظْهَارُهُ، لَكُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي مَلَكَتُكُمْ مِنْذُ أَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ، وَلَوْ كُنْتُ مِنْ بَنِي آدَمَ لَقَدْ مِتَّ كَمَا مَاتُوا، وَلَكِنِّي إِلَهٌ فَاعْبُدُونِي فَأَرْعَشُ مَكَانَهُ، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى بَعْضِ مَنْ كَانَ مَعَهُ فَقَالَ:

أَخْبِرْهُ أَنِّي قَدْ اسْتَقَمْتُ لَهُ مَا اسْتَقَامَ لِي، فَإِذَا تَحَوَّلَ عَنْ طَاعَتِي إِلَى مَعْصِيَتِي فَلَمْ يَسْتَقِمْ لِي، فَبِعِزَّتِي حَلَفْتُ لِأَسْلُطَنَّ عَلَيْهِ بِخَتِ نَاصِرٍ، فَلْيَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ، وَلْيَأْخُذَنَّ مَا فِي خَزَائِنِهِ وَكَانَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ لَا يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا سَلَطَ عَلَيْهِ بِخَتِ نَاصِرٍ، فَلَمْ يَتَحَوَّلْ الْمَلِكُ عَنْ قَوْلِهِ، حَتَّى سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِخَتِ نَاصِرٍ، فَضْرَبَ عُنُقَهُ، وَأَوْقَرَ مِنْ خَزَائِنِهِ سَبْعِينَ سَفِينَةً ذَهَبًا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَلَكِنْ بَيْنَ نَاصِرٍ وَجَمِّ دَهْرٌ طَوِيلٌ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الضُّحَاكُ كَانَ يَدْعَى فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ بِخَتِ نَاصِرٍ وَأَمَّا هِشَامُ بْنُ الْكَلْبِيِّ فَإِنِّي حَدَّثْتُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: مَلِكٌ بَعْدَ طَهْمُورِثَ جَمِّ، وَكَانَ أَصْبَحَ أَهْلَ زَمَانِهِ وَجْهًا، وَأَعْظَمَهُمْ جِسْمًا، قَالَ: فَذَكَرُوا أَنَّهُ غَبَرَ سِتْمِائَةَ سَنَةٍ وَتِسْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ مَطِيعًا لِلَّهِ مُسْتَعْلِيًا أَمْرَهُ مُسْتَوْثِقَةً لَهُ الْبِلَادُ ثُمَّ إِنَّهُ طَغَى وَبَغَى، فَسَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ الضُّحَاكُ، فَسَارَ إِلَيْهِ فِي مَائَتِي أَلْفٍ، فَهَرَبَ جَمِّ مِنْهُ مِائَةَ سَنَةٍ، ثُمَّ إِنَّ الضُّحَاكُ ظَفَرَ بِهِ فَنَشَرَهُ بِمِنْشَارٍ قَالَ: فَكَانَ جَمِيعُ مَلِكِ جَمِّ، مِنْذُ مَلِكٍ إِلَى أَنْ قُتِلَ سَبْعِمِائَةَ وَتِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً.

وَقَدْ رَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ عَشْرَةُ قُرُونٍ، كُلُّهُمْ عَلَى مِلَّةِ الْحَقِّ، وَأَنَّ الْكُفْرَ بِاللَّهِ إِذَا مَا حَدَّثَ فِي الْقُرُونِ الَّذِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ نُوحٌ ع، وَقَالُوا: إِنَّ أَوَّلَ نَبِيٍّ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى قَوْمٍ بِالْإِنذَارِ وَالِدَعَاءِ إِلَى تَوْحِيدِهِ نُوحٌ ع. ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ بَيْنَ نُوحٍ وَآدَمَ عَشْرَةُ قُرُونٍ، كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ، فَاخْتَلَفُوا، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، قَالَ: وَكَذَلِكَ هِيَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا» حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ: قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً»، قَالَ: كَانُوا عَلَى الْهُدَى جَمِيعًا فَاخْتَلَفُوا، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، فَكَانَ أَوَّلَ نَبِيٍّ بَعَثَ نُوحٌ ع

١٠٥ ذكر الاحداث التي كانت في عهد نوح ع

ذكر الأحداث التي كانت في عهد نوح ع

قد ذكرنا اختلاف المختلفين في ديانة القوم الذين ارسل اليهم نوح ع، وأن منهم من يقول: كانوا قد أجمعوا على العمل بما يكرهه الله، من ركوب الفواحش وشرب الخمر والاشتغال بالملاهي عن طاعة الله عز وجل، وأن منهم من يقول: كانوا أهل طاعة بيوراسب، وكان بيوراسب أول من أظهر القول بقول الصابئين، وتبعه على ذلك الذين ارسل اليهم نوح ع، وسأذكر إن شاء الله خبر بيوراسب فيما بعد فأما كتاب الله فإنه ينبئ عنهم أنهم كانوا أهل أوثان، وذلك أن الله عز وجل يقول مخبراً عن نوح: «قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا، وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا» فبعث الله اليهم نوحاً مخوفهم بأسه، ومخدرهم سطوته، وداعياً لهم إلى التوبة والمراجعة إلى الحق، والعمل بما أمر الله به رسله وأنزله في صحف آدم وشيث وأخنوخ ونوح يوم ابتعثه الله نبياً إليهم- فيما ذكر- ابن خمسين سنة.

وقيل أيضاً ما حدثنا به نصر بن علي الجهضمي، قال: حدثنا نوح بن قيس، قال: حدثنا عون بن أبي شداد، قال: إن الله تبارك وتعالى أرسل نوحاً إلى قومه وهو ابن خمسين وثلاثمائة سنة، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاثمائة سنة. حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: حدثنا هشام، قال:

أخبرني أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: بعث الله نوحاً اليهم وهو ابن أربعمائة سنة وثمانين سنة، ثم دعاهم في نبوته مائة وعشرين سنة،

وركب السفينة وهو ابن ستمائة سنة، ثم مكث بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين سنة.

قال أبو جعفر: فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً كما قال الله عز وجل يدعهم إلى الله سراً وجهراً، يمضي قرن بعد قرن، فلا يستجيئون له، حتى مضى قرون ثلاثة على ذلك من حاله وحالهم، فلما أراد الله عز وجل اهلاكهم دعا عليهم نوح ع فقال: «رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا»، فأمره الله تعالى ذكره أن يغرس شجرةً فغرسها، فعظمت وذهبت كل مذهب، ثم أمره بقطعها من بعد ما غرسها بأربعين سنة، فيتخذ منها سفينة، كما قال الله له: «وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا»، فقطعها وجعل يعملها.

وحدثنا صالح بن مسمار المروزي والمثنى بن إبراهيم، قالوا: حدثنا ابن أبي مرزيم، قال: حدثنا موسى بن يعقوب، قال: حدثني فائد مولى عبيد الله ابن علي بن أبي رافع، أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة، أخبره أن عائشة زوج النبي ص أخبرته [ان رسول الله ص قال: لو رحم الله أحداً من قوم نوح لرحم أم الصبي، قال رسول الله ص: كان نوح مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعهم إلى الله عز وجل، حتى كان آخر زمانه غرس شجرةً فعظمت وذهبت كل مذهب ثم قطعها، ثم جعل يعمل سفينةً فيمرون فيسألونه فيقول: أعملها سفينة، فيسخرُونَ منه، ويقولون: تعمل سفينة في البر فكيف تجري! فيقول: سوف تعلمون فلما فرغ منها وفار التور وكثر الماء في السكك خشيت أم الصبي عليه- وكانت تحبه حباً شديداً- فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه، فلما بلغها الماء خرجت حتى بلغت ثلثي الجبل، فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل، فلما بلغ الماء رقبتها رفعته يدها، حتى ذهب به الماء، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي].

حدثني ابن أبي منصور، قال: حدثنا علي بن الهيثم، عن المسيب بن

شَرِيكِ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، قَالَ: قَالَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ: عَمِلَ نُوحٌ السَّفِينَةَ أَرْبَعَمِائَةَ سَنَةً، وَأَنْبَتَ السَّاجُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، حَتَّى كَانَ طَوْلُهُ ثَلَاثَمِائَةَ ذِرَاعٍ، وَالذِّرَاعُ إِلَى الْمَنْكِبِ.

فَعَمِلَ نُوحٌ بِوَحْيِ اللَّهِ إِلَيْهِ، وَتَعَلَّمَ إِيَّاهُ، عَمَلَهَا فَكَانَتْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ كَمَا حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: ذَكَرْنَا أَنَّ طُولَ السَّفِينَةِ ثَلَاثُمِائَةِ ذِرَاعٍ، وَعَرْضُهَا خَمْسُونَ ذِرَاعًا، وَطُولُهَا فِي السَّمَاءِ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا، وَبَابُهَا فِي عَرْضِهَا حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَبَارَكٌ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: كَانَ طُولُ سَفِينَةِ نُوحٍ أَلْفَ ذِرَاعٍ وَمِائَتِي ذِرَاعٍ، وَعَرْضُهَا سِتْمِائَةِ ذِرَاعٍ.

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ، عَنْ مُفَضَّلِ بْنِ فَضَالَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ، عَنْ يُونُسَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ الْخَوَارِيُّونَ لِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ: لَوْ بَعَثْتَ لَنَا رَجُلًا شَهِدَ السَّفِينَةَ فَخَدَّثَنَا عَنْهَا! فَانْطَلَقَ بِهِمْ حَتَّى انْتَهَى إِلَى كَثِيبٍ مِنْ تُرَابٍ، فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ ذَلِكَ التُّرَابِ بِكَفِّهِ، فَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: هَذَا قَبْرُ حَامِ بْنِ نُوحٍ، قَالَ: فَضَرَبَ الْكَثِيبَ بِعَصَاهُ وَقَالَ: قُمْ يَا ذَنْ اللَّهِ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْ رَأْسِهِ، وَقَدْ شَابَ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى ع: هَكَذَا هَلَكْتَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي مِتُّ وَأَنَا شَابٌّ، وَلَكِنِّي ظَنَنْتُ أَنَّهَا السَّاعَةُ، فَمِنْ ثَمَّ شَبْتُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَنْ سَفِينَةِ نُوحٍ، قَالَ:

كَانَ طُولُهَا أَلْفَ ذِرَاعٍ وَمِائَتِي ذِرَاعٍ وَعَرَضُهَا سِتَمِائَةُ ذِرَاعٍ، وَكَانَتْ ثَلَاثَ طَبَقَاتٍ: فَطَبَقَةٌ فِيهَا الدَّوَابُّ وَالْوَحْشُ، وَطَبَقَةٌ فِيهَا الْإِنْسُ، وَطَبَقَةٌ فِيهَا الطَّيْرُ، فَلَمَّا كَثُرَ أَرْوَاثُ الدَّوَابِّ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نُوحٍ أَنْ اغْمِزْ ذَنْبَ الْفِيلِ، فَعَمَزَ فَوَقَعَ مِنْهُ خِزِيرٌ وَخِزِيرَةٌ، فَأَقْبَلَا عَلَى الرِّوْثِ، فَلَمَّا وَقَعَ الْفَأْرُ بِخِزْرِ السَّفِينَةِ يَقْرُضُهُ، أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نُوحٍ أَنْ اضْرِبْ بَيْنَ عَيْنَيْ الْأَسَدِ، فَخَرَجَ مِنْ مَنْخَرِهِ سَنُورٌ وَسَنُورَةٌ، فَأَقْبَلَا عَلَى الْفَأْرِ فَقَالَ لَهُ عِيسَى: كَيْفَ عَلِمَ نُوحٌ أَنَّ الْبِلَادَ قَدْ غَرِقَتْ؟ قَالَ: بَعَثَ الْغُرَابَ يَأْتِيهِ بِالْخَبَرِ، فَوَجَدَ جِيفَةً فَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَدَعَا عَلَيْهِ بِالْخَوْفِ، فَلِذَلِكَ لَا يَأْلَفُ الْبُيُوتَ قَالَ: ثُمَّ بَعَثَ الْحَمَامَةَ، فَجَاءَتْ

بِوَرَقٍ زَيْتُونٍ بِمِقَارِهَا وَطِينٍ بِرِجْلَيْهَا، فَعَلِمَ أَنَّ الْبِلَادَ قَدْ غَرِقَتْ قَالَ: فَطَوَّقَهَا الْخُضْرَةُ الَّتِي فِي عُنُقِهَا، دَعَا لَهَا أَنْ تَكُونَ فِي أُنْسٍ وَأَمَانٍ، فَمَنْ تَأَلَّفَ الْبُيُوتَ قَالَ: فَقَالَتِ الْحَوَارِيُّونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى أَهْلِنَا، فَيَجْلِسَ مَعَنَا وَيُحَدِّثَنَا؟ قَالَ: كَيْفَ يَتَّبِعُكُمْ مَنْ لَا رِزْقَ لَهُ؟ قَالَ:

فَقَالَ لَهُ: عُدْ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَعَادَ تَرَابًا.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي هِشَامٌ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: نَجَرَ نُوحٌ السَّفِينَةَ بِجَبَلٍ بُوذٍ، مِنْ ثَم تَبَدَّى الطَّوْفَانُ قَالَ: وَكَانَ طُولُ السَّفِينَةِ ثَلَاثُمِائَةِ ذِرَاعٍ بِذِرَاعٍ جَدَّ أَبِي نُوحٍ، وَعَرَضُهَا خَمْسِينَ ذِرَاعًا، وَطَوَّلَهَا فِي السَّمَاءِ ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا، وَخَرَجَ مِنْهَا مِنَ الْمَاءِ سِتَّةٌ أَذْرُعَ، وَكَانَتْ مُطَبَّقَةً، وَجُعِلَ لَهَا ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ، بَعْضُهَا أَسْفَلُ مِنْ بَعْضٍ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ لَيْثٍ، أَنَّهُ كَانَ يَحْدُثُ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَبْطِشُونَ بِهِ - يَعْنِي قَوْمَ نُوحَ بْنِوح - فَيَحْنُقُونَهُ حَتَّى يَغْشَى عَلَيْهِ، فَإِذَا أَفَاقَ قَالَ:

اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

قال ابن إسحاق: حتى إذا تmadوا في المعصية، وعظمت في الأرض منهم الخطيئة، وتناول عليه وعليهم الشأن، واشتد عليه منهم البلاء، وانتظر النجل بعد النجل، فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من الذي قبله، حتى إن كان الآخر منهم ليقول: قد كان هذا مع آبائنا ومع أجدادنا، هكذا مجنوننا! لا يقبلون منه شيئاً، حتى شكا ذلك من أمرهم نوح إلى الله عز وجل، فقال كما قص الله عز وجل علينا في كتابه: «رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا» إلى آخر القصة، حتى قال: «رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مَنْ

الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَدْرُوا إِلَّا فَاغْرًا كَفَّارًا» ، إلى آخر القصة فلما شكوا ذلك منهم نوح إلى الله عز وجل واستنصره عليهم أوحى الله إليه ان «اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ» فاقبل نوح على عمل الفلك، ولما عن قومه، وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد،، ويهيئ عدة الفلك من القار وغيره مما لا يصلحه إلا هو، وجعل قومه يميرون به، وهو في ذلك من عمله، فيسخررون منه، ويستهزئون به فيقول: «إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ» قال: ويقولون- فيما بلغني-: يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة! قال: وأعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم.

قال: ويزعم أهل التوراة أن الله عز وجل أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج، وأن يصنعه أزور، وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه، وأن يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا، وطوله في السماء ثلاثين ذراعا، وأن يجعله ثلاثة أطباق: سفلا ووسطا وعلا، وأن يجعل فيه كوا فعل نوح كما أمره الله عز وجل، حتى إذا فرغ منه وقد عهد الله إليه: «إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ» وقد جعل التنور آية فيما بينه وبينه، فقال: إذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واركب فلما فار التنور حمل نوح في الفلك من أمره الله تعالى به- وكانوا قليلا كما قال- وحمل فيها من كل زوجين اثنين مما فيه الروح والشجر، ذكرا وأنثى فحمل فيه بنوه الثلاثة: سام وحام ويافث ونساءهم، وستة أناس ممن كان آمن به فكانوا عشرة نفر: نوح وبنوه وأزواجهم، ثم أدخل ما أمره الله به من الدواب، وتخلف عنه ابنه يام، وكان كافرا

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ:

سَمِعْتُهُ يَقُولُ: كَانَ أَوَّلَ مَا حَمَلَ نُوحٌ فِي الْفُلْكِ مِنَ الدَّوَابِّ الذَّرَّةَ، وَآخِرَ مَا حَمَلَ الْخِمَارُ فَلَمَّا أَدْخَلَ الْخِمَارَ وَدَخَلَ صَدْرُهُ تَعَلَّقَ إِبْلِيسُ لَعْنَهُ اللَّهُ بِذَنْبِهِ فَلَمْ تَسْتَقِلْ رِجْلَاهُ، فَجَعَلَ نُوحٌ يَقُولُ: وَيْحَكَ! ادْخُلْ، فَيَنْهَضُ فَلَا يَسْتَطِيعُ، حَتَّى قَالَ نُوحٌ، وَيْحَكَ! ادْخُلْ وَإِنْ كَانَ الشَّيْطَانُ مَعَكَ، قَالَ كَلِمَةً زَلَّتْ عَنْ لِسَانِهِ، فَلَمَّا قَالَهَا نُوحٌ خَلَّى الشَّيْطَانُ سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ وَدَخَلَ الشَّيْطَانُ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُ نُوحٌ: مَا أَدْخَلَكَ عَلَيَّ يَا عَدُوَّ اللَّهِ! قَالَ: أَلَمْ تَقُلْ: ادْخُلْ وَإِنْ كَانَ الشَّيْطَانُ مَعَكَ! قَالَ: أَخْرَجَ عَنِّي يَا عَدُوَّ اللَّهِ، فَقَالَ: مَالِكُ بَدُّ مِنْ أَنْ تَحْلِيَنِي، فَكَانَ-

فِيمَا يَزْعُمُونَ- فِي ظَهْرِ الْفُلْكِ، فَلَمَّا أَطْمَأَنَّ نُوحٌ فِي الْفُلْكِ وَأَدْخَلَ فِيهِ كُلَّ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي الشَّهْرِ مِنَ السَّنَةِ الَّتِي دَخَلَ فِيهَا نُوحٌ بَعْدَ سِتِّمِائَةِ سَنَةٍ مِنْ عُمْرِهِ لِسَبْعِ عَشْرَةِ لَيْلَةً مَضَتْ مِنَ الشَّهْرِ، فَلَمَّا دَخَلَ وَحَمَلَ مَعَهُ مَنْ حَمَلَ، تَحَرَّكَ يَنَابِيعُ الْغُوطِ الْأَكْبَرِ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ لَنَبِيِّهِ ص: «فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ» فَدَخَلَ نُوحٌ وَمَنْ مَعَهُ الْفُلْكَ وَغَطَاهُ عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ مَعَهُ بِطَبَقَةٍ، فَكَانَ بَيْنَ أَنْ أَرْسَلَ اللَّهُ الْمَاءَ وَبَيْنَ أَنْ احْتَمَلَ الْمَاءُ الْفُلْكَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً ثُمَّ احْتَمَلَ الْمَاءُ كَمَا يَزْعُمُ أَهْلُ التَّوْرَةِ، وَكَثُرَ وَاشْتَدَّ وَارْتَفَعَ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ص.

«وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا» .

وَالدُّسُرُ: الْمَسَامِيرُ، مَسَامِيرُ الْحَدِيدِ فَجَعَلَتْ الْفُلْكَ تُجْرِي بِهِ وَبَيْنَ مَعَهُ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ، وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ الَّذِي هَلَكَ فِيمَنْ هَلَكَ، وَكَانَ فِي مَعْرِزٍ حِينَ رَأَى نُوحٌ مِنْ صِدْقٍ مَوْعِدٍ رَبِّهِ مَا رَأَى، فَقَالَ: «يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ» ، وَكَانَ شَقِيًّا قَدْ أَضْمَرَ كُفْرًا، «قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ» ، وَكَانَ عَهْدَ الْجِبَالِ وَهِيَ حُرْزُ

مِنَ الْأَمْطَارِ إِذَا كَانَتْ، فَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ كَمَا كَانَ يَكُونُ، قَالَ نُوحٌ: «لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ» .

وَكثُرَ الْمَاءُ وَطَغَى، وَارْتَفَعَ فَوْقَ الْجِبَالِ- كَمَا يَزَعُمُ أَهْلُ التَّوْرَةِ- خَمْسَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا، فَبَادَ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنَ الْخَلْقِ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ الرُّوحُ أَوْ شَجَرٌ، فَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ الْخَلَائِقِ إِلَّا نُوحٌ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ، وَالْأَوْجُ بْنُ عَنُقٍ- فِيمَا يَزَعُمُ أَهْلُ الْكِتَابِ- فَكَانَ بَيْنَ أَنْ أَرْسَلَ اللَّهُ الطُّوفَانَ وَبَيْنَ أَنْ غَاضَ الْمَاءُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرَ لَيَالٍ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي هِشَامٌ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَرْسَلَ اللَّهُ الْمَطَرَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَأَقْبَلَتِ الْوُحُوشُ حِينَ أَصَابَهَا الْمَطَرُ وَالْدَّوَابُّ وَالطَّيْرُ كُلُّهَا إِلَى نُوحٍ، وَخَرَّتْ لَهُ، فَحَمَلَ مِنْهَا كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ»، وَحَمَلَ مَعَهُ جَسَدَ آدَمَ، فَجَعَلَهُ حَاجِرًا بَيْنَ النَّسَاءِ وَالرِّجَالِ، فَرَكِبُوا فِيهَا لِعَشْرِ لَيَالٍ مُضَيْنَ مِنْ رَجَبٍ، وَخَرَجُوا مِنْهَا يَوْمَ عَاشُورَاءَ مِنَ الْمُحَرَّمِ، فَلِذَلِكَ صَامَ مَنْ صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَخْرَجَ الْمَاءَ نِصْفَيْنِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ «فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنَمَّرٍ»، يَقُولُ: مَنْصَبٍ، «وَوَجَّهْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا» ، يَقُولُ: شَقَقْنَا الْأَرْضَ، «فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرِ قَدْ قَدِرَ» فَصَارَ الْمَاءُ نِصْفَيْنِ: نِصْفٌ مِنَ السَّمَاءِ وَنِصْفٌ مِنَ الْأَرْضِ، وَارْتَفَعَ الْمَاءُ عَلَى أَطُولِ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ خَمْسَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا، فَسَارَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ، فَطَافَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ كُلُّهَا فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى شَيْءٍ، حَتَّى أَتَتْ الْحَرَمَ فَلَمْ تَدْخُلْهُ، وَدَارَتْ بِالْحَرَمِ أُسْبُوعًا، وَرَفَعَ الْبَيْتَ الَّذِي بَنَاهُ آدَمُ عَ، رَفَعَ مِنَ الْغَرَقِ، - وَهُوَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ وَالْحَجَرُ الْأَسْوَدُ- عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ، فَلَمَّا دَارَتْ بِالْحَرَمِ ذَهَبَتْ فِي الْأَرْضِ تَسِيرُ بِهِمْ، حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى الْجُودِيِّ- وَهُوَ جَبَلٌ بِالْحَضِيضِ مِنْ أَرْضِ الْمُوصِلِ- فَاسْتَقَرَّتْ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ لِتَمَامِ السَّبْعِ، فَقِيلَ بَعْدَ السَّبْعَةِ الْأَشْهُرِ:

«بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»، فَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ عَلَى الْجُودِيِّ قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكُمْ، يَقُولُ: أَنْشَفِي مَاءَكُمْ الَّذِي خَرَجَ مِنْكُمْ، «وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي» ، يَقُولُ:

احْبِسِي مَاءَكُمْ، «وَوَغِضَ الْمَاءُ» لَشَفَتُهُ الْأَرْضُ، فَصَارَ مَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ هَذِهِ الْبُحُورَ الَّتِي تَرَوْنَ فِي الْأَرْضِ، فَأَخِرُ مَا بَقِيَ مِنَ الطُّوفَانِ فِي الْأَرْضِ مَاءٌ بِحَسْمَى بَقِيَ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً بَعْدَ الطُّوفَانِ ثُمَّ ذَهَبَ.

وَكَانَ التَّنُورُ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ آيَةً مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ فَوَرَانَ الْمَاءُ مِنْهُ تَنُورًا كَانَ لِحَوَاءٍ مِنْ حِجَارَةٍ، وَصَارَ إِلَى نُوحٍ. حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هَشِيمٌ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ، عَنْ الْحَسَنِ، قَالَ: كَانَ تَنُورًا مِنْ حِجَارَةٍ، كَانَ لِحَوَاءٍ حَتَّى صَارَ إِلَى نُوحٍ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: إِذَا رَأَيْتَ الْمَاءَ يَفُورُ مِنَ التَّنُورِ، فَارْكَبْ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ.

وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ بِهِ التَّنُورُ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ فَوْرَانِ مَائِهِ آيَةً، مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ بِالْهِنْدِ. ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ الْحِمَازِيُّ، عَنْ النَّضْرِ أَبِي عُمَرَ الْخَزَّازِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: فِي: «وَفَارَ التَّنُورُ» قَالَ: فَارَ بِالْهِنْدِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ ذَلِكَ بِنَاحِيَةِ الْكُوفَةِ.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا خَلْفُ بْنُ خَلِيفَةَ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: نَبَعَ الْمَاءُ فِي التَّنُورِ، فَعَلِمَتْ بِهِ امْرَأَتُهُ فَأَخْبَرَتْهُ، قَالَ: وَكَانَ ذَلِكَ فِي نَاحِيَةِ الْكُوفَةِ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ ثَابِتٍ، عَنْ السَّرِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، أَنَّهُ كَانَ يَحْلِفُ بِاللَّهِ: مَا فَارَ التَّنُورُ إِلَّا مِنْ نَاحِيَةِ الْكُوفَةِ.

وَاخْتَلَفَ فِي عَدَدِ مَنْ رَكِبَ الْفُلَكَ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ:
كَانُوا ثَمَانِينَ نَفْسًا.
ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَسْرُوقِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ وَاقِدٍ الْخُرَّاسَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نَهْيَكٍ، قَالَ:
سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: كَانَ فِي سَفِينَةِ نُوحٍ ثَمَانُونَ رَجُلًا، أَحَدُهُمْ جُرْهُمٌ.
حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ، قَالَ:
قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: حَمَلَ نُوحٌ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ ثَمَانِينَ إِنْسَانًا.
حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، قَالَ: قَالَ سُفْيَانُ: كَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: كَانُوا ثَمَانِينَ - يَعْنِي الْقَلِيلَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:
«وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ» .

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي هِشَامٌ، قَالَ:
أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَمَلَ نُوحٌ فِي السَّفِينَةِ بَنِيهِ: سَامَ، وَحَامَ، وَيَافَثَ وَكَأَنَّهُ، نِسَاءَ بَنِيهِ هَؤُلَاءِ، وَثَلَاثَةَ وَسَبْعِينَ مِنْ بَنِي شِيثٍ، مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَكَانُوا ثَمَانِينَ فِي السَّفِينَةِ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ كَانُوا ثَمَانِيَةَ أَنْفُسٍ ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:
حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: ذَكَرْنَا أَنَّهُ لَمْ يَتِمَّ فِي السَّفِينَةِ إِلَّا نُوحٌ وَأَمْرَأَتُهُ وَثَلَاثَةُ بَنِيهِ، وَنِسَاؤُهُمْ، جَمِيعُهُمْ ثَمَانِيَةٌ.
حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ وَالْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ، قَالَا: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنُ أَبِي غَنِيَّةٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الْحَكَمِ: «وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ» ، قَالَ: نُوحٌ، وَثَلَاثَةُ بَنِيهِ، وَأَرْبَعُ كَنَائِهِ.
حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ، قَالَ:
قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: حَدَّثْتُ أَنَّ نُوحًا حَمَلَ مَعَهُ بَنِيهِ الثَّلَاثَةَ وَثَلَاثَ نِسْوَةٍ لِبَنِيهِ، وَأَمْرَأَةً نُوحَ، فَهُمْ ثَمَانِيَةٌ بِأَزْوَاجِهِمْ، وَأَسْمَاءُ بَنِيهِ: يَافَثُ، وَحَامُ، وَسَامُ.
فَأَصَابَ حَامُ أَمْرَأَتَهُ فِي السَّفِينَةِ، فَدَعَا نُوحٌ أَنْ تُغَيَّرَ نَظْفَتُهُ، فَجَاءَ بِالسُّودَانِ.
وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ كَانُوا سَبْعَةَ أَنْفُسٍ.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:
حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ الْأَعْمَشِ: «وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ» ، قَالَ: كَانُوا سَبْعَةً: نُوحٌ، وَثَلَاثُ كَنَائِنَ، وَثَلَاثَةُ بَنِينَ لَهُ.
وَقَالَ آخَرُونَ: كَانُوا عَشْرَةَ سِوَى نِسَائِهِمْ.
ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:
حَمَلَ بَنِيهِ الثَّلَاثَةَ: سَامَ، وَحَامَ، وَيَافَثَ وَنِسَاءَهُمْ، وَسِتَّةَ أَنْثَى مِنْ كَانَ آمَنَ بِهِ، فَكَانُوا عَشْرَةَ نَفَرٍ نُوحَ وَبَنِيهِ وَأَزْوَاجَهُمْ وَأَرْسَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الطُّوفَانَ لَمْضِي سَمَائِهِ سَنَةً مِنْ عَمْرِ نُوحٍ - فِيمَا ذَكَرَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ - وَلْتَتِمَّ أَلْفِي سَنَةً وَمِائَتِي سَنَةً

وست وخمسين سنة من لدن اهبط آدم إلى الأرض.

وقيل: إن الله عز وجل أرسل الطوفان لثلاث عشرة خلت من آب، وإن نوحا أقام في الفلك إلى أن غاض الماء، واستوت الفلك على جبل الجودي بقردى، في اليوم السابع عشر من الشهر السادس فلما خرج نوح منها اتخذ بناحية قردى من أرض الجزيرة موضعا، وابتنى هناك قرية سماها ثمانين، لأنه كان بنى فيها بيتا لكل إنسان ممن آمن معه وهم ثمانون، فهي إلى اليوم تسمى سوق ثمانين. حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: هَبَطَ نُوْحٌ إِلَى قَرْيَةٍ، فَبَنَى كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بَيْتًا، فَسَمِيَتْ سُوْقُ ثَمَانِينَ، فَغَرِقَ بَنُو قَائِلَ كُلِّهُمْ، وَمَا بَيْنَ نُوْحٍ إِلَى آدَمَ مِنَ الْآبَاءِ كَانُوا عَلَى الْإِسْلَامِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَصَارَ هُوَ وَاهْلُهُ فِيهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا يُعِيدُ الطُّوفَانَ إِلَى الْأَرْضِ أَبَدًا.

وَقَدْ حَدَّثَنِي عَبَّادُ بْنُ يَعْقُوبَ الْأَسَدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَارِثِيُّ، عَنْ عِثْمَانَ ابْنِ مَطَرٍ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الْغُفُورِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: [قال رسول الله ص: فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ رَكِبَ نُوحٌ السَّفِينَةَ، فَصَامَ هُوَ وَجَمِيعٌ مِنْ مَعَهُ، وَجَرَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فَانْتَهَى ذَلِكَ إِلَى الْمُحَرَّمِ، فَأَرْسَتِ السَّفِينَةُ عَلَى الْجُودِيِّ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَصَامَ نُوحٌ، وَأَمَرَ جَمِيعٌ مِنْ مَعَهُ مِنَ الْوَحْشِ وَالْدَّوَابِّ فَصَامُوا شُكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ].

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: كَانَتِ السَّفِينَةُ أَعْلَاهَا الطَّيْرُ، وَوَسْطُهَا النَّاسُ، وَأَسْفَلُهَا السَّبَاعُ.

وَكَانَ طَوْلُهَا فِي السَّمَاءِ ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا، وَدُفِعَتْ مِنْ عَيْنٍ وَرْدَةً يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِعَشْرِ لَيَالٍ مَضِينَ مِنْ رَجَبٍ، وَأَرْسَتِ عَلَى الْجُودِيِّ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَمَرَّتْ بِالْبَيْتِ، فَطَافَتْ بِهِ سَبْعًا، وَقَدْ رَفَعَهُ اللَّهُ مِنَ الْغَرَقِ، ثُمَّ جَاءَتِ الْيَمْنُ، ثُمَّ رَجَعَتْ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُجَّاجٌ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: هَبَطَ نُوحٌ مِنَ السَّفِينَةِ يَوْمَ الْعَاشِرِ مِنَ الْمُحَرَّمِ، فَقَالَ لِمَنْ مَعَهُ: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ صَائِمًا فَلْيَتِمَّ صَوْمَهُ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُفْطِرًا فَلْيَصُمْ.

حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: ذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ - يَعْنِي الْفُلَكَ - اسْتَقَلَّتْ بِهِمْ فِي عَشْرِ خَلَوْنَ مِنْ رَجَبٍ، فَكَانَتْ فِي الْمَاءِ خَمْسِينَ وَمِائَةً يَوْمٍ، وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى الْجُودِيِّ شَهْرًا، وَأَهْبَطَ بِهِمْ فِي عَشْرِ خَلَوْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ.

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ، عَنْ أَبِي مَعِشَرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: مَا كَانَ زَمَانَ نُوحٍ شَبْرًا مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا إِنْسَانٌ يَدْعِيهِ

ثُمَّ عَاشَ نُوحٌ بَعْدَ الطُّوفَانِ فِيمَا حَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، قَالَ:

أَخْبَرَنَا نُوحُ بْنُ قَيْسٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَوْنُ بْنُ أَبِي شَدَادٍ، قَالَ: عَاشَ - يَعْنِي نُوحًا - بَعْدَ ذَلِكَ - يَعْنِي بَعْدَ الْأَلْفِ سَنَةً إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا الَّتِي لَبِثَ فِي قَوْمِهِ - ثَلَاثُمِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً.

وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ، فَإِنَّ ابْنَ حَمِيدٍ حَدَّثَنَا، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْهُ، قَالَ: وَعُمَرُ نُوحٍ - فِيمَا يَزْعُمُ أَهْلُ التَّوْرَةِ - بَعْدَ أَنْ أَهْبَطَ مِنَ الْفُلَكَ ثَلَاثُمِائَةَ سَنَةٍ وَثَمَانِيَا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، قَالَ: فَكَانَ جَمِيعُ عُمَرِ نُوحٍ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، ثُمَّ قَبَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ.

وقيل: إن ساما ولد لنوح قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة وقال بعض أهل التوراة: لم يكن التناسل، ولا ولد لنوح ولد إلا بعد الطوفان، وبعد خروج نوح من الفلك.

قالوا: إنما الذين كانوا معه في الفلك قوم كانوا آمنوا به واتبعوه، غير أنهم بادوا وهلكوا، فلم يبق لهم عقب، وإنما الذين هم اليوم في الدنيا من بني آدم ولد نوح وذريته دون سائر ولد آدم، كما قال الله عز وجل:

«وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ» .

وقيل: إنه كان لنوح قبل الطوفان ابنان هلكا جميعا، كان أحدهما يقال له كنعان، قالوا: وهو الذي غرق في الطوفان، والآخر منهما يقال له عابر، مات قبل الطوفان.

حَدَّثَنَا الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي هِشَامٌ، قَالَ:

أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: وَلِدَ لِنُوحٍ سَامٌ، وَفِي وَلَدِهِ بَيَاضٌ وَأُدْمَةٌ، وَحَامٌ وَفِي وَلَدِهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ قَلِيلٌ، وَيَافُثٌ وَفِيهِمُ الشَّقَرَةُ وَالْحَمْرَةُ، وَكَنْعَانٌ وَهُوَ الَّذِي غَرِقَ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّيهِ يَامَ، وَذَلِكَ قَوْلُ الْعَرَبِ: إِنَّمَا هَامُ عَمْنَا يَامَ، وَأُمُّ هَوْلَاءُ وَاحِدَةٌ

فَأَمَّا الْمَجُوسُ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ الطُّوفَانَ، وَيَقُولُونَ: لَمْ يَزَلِ الْمَلِكُ فِينَا مِنْ عَهْدِ جِيَوْمَرَتَ، وَقَالُوا: جِيَوْمَرَتَ هُوَ آدَمُ يَتَوَارَثُهُ آخَرُ عَنْ أَوَّلٍ إِلَى عَهْدِ فَيْرُوزَ بْنِ يَزْدَجَرَدَ بْنِ شَهْرِيَارَ، قَالُوا: وَلَوْ كَانَ لِذَلِكَ صِحَّةٌ كَانَ نَسَبُ الْقَوْمِ قَدْ انْقَطَعَ، وَمَلِكُ الْقَوْمِ قَدْ اضْمَحَلَّ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يُقَرُّ بِالطُّوفَانِ وَيَزْعَمُ أَنَّهُ كَانَ فِي إِقْلِيمِ بَابِلَ وَمَا قَرُبَ مِنْهُ، وَأَنَّ مَسَاكِينَ وَلِدَ جِيَوْمَرَتَ كَانَتْ بِالْمَشْرِقِ، فَلَمْ يَصِلْ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ مِنَ الْخَبَرِ عَنِ الطُّوفَانِ بِخِلَافِ مَا قَالُوا، فَقَالَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ: «وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ. وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ. وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ» ، فَأَخْبَرَ عَرَّ ذِكْرَهُ أَنَّ ذُرِّيَّةَ نُوحٍ هُمُ الْبَاقُونَ دُونَ غَيْرِهِمْ.

وَقَدْ ذَكَرْتُ اخْتِلَافَ النَّاسِ فِي جِيَوْمَرَتَ وَمَنْ يُخَالِفُ الْفَرَسَ فِي عَيْنِهِ، وَمَنْ هُوَ، وَمَنْ نَسَبَهُ إِلَى نُوحٍ ع.

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَثْمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ بِشِيرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، [عَنِ النَّبِيِّ ص فِي قَوْلِهِ: «وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ» قَالَ: سَامٌ وَحَامٌ وَيَافُثٌ] .

حَدَّثَنَا بِشَرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ: «وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ» ، قَالَ: فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ. حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ» يَقُولُ: لَمْ يَبْقَ إِلَّا ذُرِّيَّةُ نُوحٍ.

وروي عن علي بن مجاهد، عن ابن إسحاق، عن الزهري. وعن محمد بن

صالح، عن الشعبي قالوا: لما هبط آدم من الجنة، وانتشر ولده أرخ بنوه من هبوط آدم، فكان ذلك التاريخ حتى بعث الله نوحا فارخوا ببعث نوح، حتى كان الغرق، فهلك من هلك ممن كان على وجه الأرض. فلما هبط نوح وذريته وكل من كان في السفينة إلى الأرض قسم الأرض بين ولده أثلاثا: فجعل لسام وسطا من الأرض، ففيها بيت المقدس، والنيل، والفرات، ودجلة، وسيحان، وجيحان، وفيشون، وذلك ما بين فيشون إلى شرقي النيل، وما بين منخر ريج الجنوب إلى منخر الشمال. وجعل لجام قسمه غربي النيل، فما وراءه إلى منخر ريج الدبور. وجعل قسم يافث في فيشون فما وراءه إلى منخر ريج الصبا، فكان التاريخ من الطوفان إلى نار إبراهيم، ومن نار إبراهيم إلى مبعث يوسف، ومن مبعث يوسف إلى مبعث موسى، ومن مبعث موسى إلى ملك سليمان، ومن ملك سليمان إلى مبعث عيسى بن مريم، ومن مبعث عيسى بن مريم إلى ان بعث رسول ص.

وهذا الذي ذكر عن الشعبي من التاريخ ينبغي أن يكون على تاريخ اليهود، فأما أهل الإسلام فإنهم لم يؤرخوا إلا من الهجرة، ولم يكونوا يؤرخون بشيء من قبل ذلك، غير أن قريشا كانوا- فيما ذكر- يؤرخون قبل الإسلام بعام الفيل، وكان سائر العرب يؤرخون بأيامهم المذكورة، كتاريخهم بيوم جبلة، وبالكلاب الأول، والكلاب الثاني.

وكانت النصارى تؤرخ بعهد الإسكندر ذي القرنين، وأحسبهم على ذلك من التاريخ إلى اليوم.

وأما الفرس فإنهم كانوا يؤرخون بملوكهم، وهم اليوم فيما أعلم يؤرخون بعهد يزدجرد بن شهريار، لأنه كان آخر من كان من ملوكهم له ملك بابل والمشرق

١٠٥٠١ ذكر بيوراسب، وهو الازدهاق

ذكر بيوراسب، وهو الازدهاق
والعرب تسميه الضحاك، فتجعل الحرف الذي بين السين والزاي في الفارسية ضادا، والهاء هاء، والقاف كافا، وإياه عنى حبيب بن
أوس بقوله:

ما نال ما قد نال فرعون ولا ... هامان في الدنيا ولا قارون
بل كان كالضحاك في سطواته ... بالعالمين، وأنت أفريدون
وهو الذي افتخر بادعائه أنه منهم الحسن بن هانئ في قوله:
وكان منا الضحاك يعبد ... الخابل والجن في مسارها
قال: واليمن تدعيه.

حَدَّثَ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ السَّائِبِ - فيما ذكر من أمر الضحاك هذا - قال: والعجم تدعي الضحاك وتزعم أن جما كان زوج أخته
من بعض أشرف أهل بيته، وملكه على اليمن، فولدت له الضحاك.

قال: واليمن تدعيه، وتزعم أنه من أنفسهم، وأنه الضحاك بن علوان بن عبيد بن عويج، وأنه ملك على مصر أخاه سنان بن علوان بن عبيد
بن عويج، وهو أول الفراعنة، وأنه كان ملك مصر حين قدمها إبراهيم خليل الرحمن ع.

وأما الفرس فإنها تنسب الازدهاق هذا غير النسبة التي ذكر هشام عن أهل اليمن، وتذكر أنه بيوراسب بن اروناسب بن زينكاو بن
ويروشك

ابن تاز بن فرواك بن سيامك بن مشا بن جيومرت.

ومنهم من ينسبه هذه النسبة، غير أنه يخالف النطق بأسماء آبائه فيقول:

هو الضحاك بن اندرماسب بن زنجدار بن وندريسج بن تاج بن فرياك بن ساهمك بن تاذي بن جيومرت.

والمجوس تزعم ان تاج هذا هو أبو العرب، ويزعمون أن أم الضحاك كانت ودك بنت ويونجهان، وأنه قتل أباه تقربا بقتله إلى الشياطين،
وأنه كان كثير المقام ببابل، وكان له ابنان يقال لأحدهما: سرهوار، وللآخر نفوار.

وقد ذكر عن الشعبي أنه كان يقول: هو قرشت مسخه الله ازدهاق.

ذكر الرواية عنه بذلك:

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْعَلَاءِ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ سَلْمَانَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: أَبْجَد، وَهُوز، وَحَطِي،
وَكَلْن، وَسَعْفَص، وَقرشت، كانوا ملوكا جبابة، فتفكر قرشت يوما، فقال:

تبارك الله أحسن الخالقين! فمسخه الله فجعله أجدهاق، وله سبعة

أرؤس، فهو الذي بدنباوند، وجميع أهل الأخبار من العرب والعجم تزعم أنه ملك الأقاليم كلها، وأنه كان ساحرا فاجرا.

وحدثت عن هشام بن محمد، قال: ملك الضحاك بعد جم - فيما يزعمون، والله أعلم - ألف سنة، ونزل السواد في قرية يقال لها نرس في
ناحية طريق الكوفة، وملك الأرض كلها، وسار بالجر والعسف، وبسط يده في القتل، وكان أول من سن الصلب والقطع، وأول
من وضع العشور، وضرب الدراهم، وأول من تغنى وغنى له، قال: ويقال إنه خرج في منكبه سلعتان فكانتا تضربان عليه، فيشتد عليه
الوجع حتى يطليهما بدماع إنسان، فكان يقتل لذلك في كل يوم رجلين ويغطي سلعتيه بدماعيهما، فإذا فعل ذلك سكن ما يجذ، نفرج

عليه رجل من أهل بابل فاعتقد لواء، واجتمع إليه بشر كثير، فلما بلغ الضحاك خبره راعه، فبعث إليه: ما أمرك؟

وما تريد؟ قال: أأست تزعم أنك ملك الدنيا، وأن الدنيا لك! قال: بلى، قال: فليكن كلبك على الدنيا، ولا يكون علينا خاصة، فإنك

إنما تقتلنا دون الناس فأجاب الضحاك إلى ذلك، وأمر بالرجلين اللذين كان يقتلهما في كل يوم أن يقسما على الناس جميعا، ولا يخص
بهما مكان دون مكان قال: فبلغنا أن أهل أصبهان من ولد ذلك الرجل الذي رفع اللواء، وأن ذلك اللواء لم يزل محفوظا عند ملوك

فارس في خزائهم، وكان فيما بلغنا جلد أسد، فألبسه ملوك فارس الذهب والدياج تيمنا به.

قال: وبلغنا أن الضحاك هو ثمرود، وإن إبراهيم خليل الرحمن ص

ولد في زمانه، وأنه صاحبه الذي أراد إحراقه.

قال: وبلغنا أن أفريدون- هو من نسل جم الملك الذي كان من قبل الضحاك، ويزعمون أنه التاسع من ولده، وكان مولده بدنباوند، خرج حتى ورد منزل الضحاك وهو عنه غائب بالهند، فحوى على منزله وما فيه، فبلغ الضحاك ذلك، فأقبل وقد سلبه الله قوته، وذهبت دولته، فوثب به أفريدون فأوثقه وصيره بجبال دنباوند، فالعجم تزعم أنه إلى اليوم موثق في الحديد يعذب هناك.

وذكر غير هشام أن الضحاك لم يكن غائبا عن مسكنه، ولكن أفريدون ابن أثفيان جاء إلى مسكن له في حصن يدعى زرنج ماه. مهورز مهر، فنكح امرأتين له: تسمى إحداهما: أروناز والأخرى سنوار. فوهل بيوراسب لما عاين ذلك، وخر مدله لا يعقل، فضرب أفريدون هامته بجزله ملتوي الرأس، فزاده ذلك وهلا وعزوب عقل، ثم توجه به أفريدون إلى جبل دنباوند، وشده هنالك وثاقا، وأمر الناس بالتخاذ. مهر ماه مهر روز. - وهو المهرجان اليوم الذي أوثق فيه بيوراسب- عيدا، وعلا أفريدون سرير الملك.

وذكر عن الضحاك أنه قال يوم ملك وعقد عليه التاج: نحن ملوك الدنيا، المالكون لما فيها.

والفرس تزعم أن الملك لم يكن إلا للبطن الذي منه اوشننج وجم وطهمورث، وان الضحاك كان غاصبا وأنه غصب أهل الأرض بسحره وخبثه، وهول عليهم بالحيثين اللتين كانتا على منكبيه، وأنه بنى بأرض بابل مدينة سماها حوب، وجعل النبط أصحابه وبطانته، فلقى الناس منه كل جهد، وذبح الصبيان.

ويقول كثير من أهل الكتب: إن الذي كان على منكبيه كان لختين طويلتين ناتئتين على منكبيه، كل واحدة منهما كرأس الثعبان، وأنه كان يخبثه ومكره يسترهما بالثياب ويذكر على طريق التحويل أنهما حيتان يقتضيان الطعام، وكانتا تتحركان تحت ثوبه إذا جاع كما يتحرك العضو من الإنسان عند التهايه بالجوع والغضب ومن الناس من يقول: كان ذلك حيتين، وقد ذكرت ما روي عن الشعبي في ذلك، والله أعلم بحقيقته وصحته.

وذكر بعض أهل العلم بأنساب الفرس وأمورهم أن الناس لم يزالوا من بيوراسب هذا في جهد شديد، حتى إذا أراد الله إهلاكه وثب به رجل من العامة من أهل أصبهان يقال له كابي، بسبب ابنين كانا له أخذهما رسل بيوراسب بسبب الحيتين اللتين كانتا على منكبيه. وقيل: إنه لما بلغ الجزع من كابي هذا على ولده أخذ عصا كانت بيده، فعلق بأطرافها جرابا كان معه، ثم نصب ذلك العلم، ودعا الناس إلى مجاهدة بيوراسب ومحاربتة، فأسرع إلى إجابته خلق كثير، لما كانوا فيه معه من البلاء وفنون الجور، فلما غلب كابي تفاعل الناس بذلك العلم، فعظموا أمره، وزادوا فيه حتى صار عند ملوك العجم عليهم الأكبر الذي يتبركون به، وسموه درفش كايان، فكانوا لا يسرونه إلا في الأمور العظام، ولا يرفع إلا لأولاد الملوك إذا وجهوا في الأمور العظام.

وكان من خبر كابي أنه شخص عن أصبهان بمن تبعه والتف إليه في طريقه، فلما قرب من الضحاك وأشرف عليه، قذف في قلب الضحاك منه الرعب، فهرب عن منزله، وخلي مكانه، وانفتح للأعاجم فيه ما أرادوا، فاجتمعوا إلى كابي وتناظروا، فأعلمهم كابي أنه لا يتعرض للملك، لأنه ليس من أهله، وأمرهم أن يملكوا بعض ولد جم، لأنه ابن الملك الأكبر أو شهنق بن فرواك الذي رسم الملك، وسبق إلى القيام به، وكان أفريدون بن أثفيان مستخفيا في بعض النواحي من الضحاك، فوافى كابي ومن كان معه، فاستبشر القوم بموافاته، وذلك أنه كان مرشحا للملك برواية كانت لهم في ذلك، فلكوه، وصار كابي والوجه لأفريدون أعوانا على أمره، فلما ملك وأحكم ما احتاج إليه من أمر الملك، واحتوى على منازل الضحاك، أتبعه فأسره بدنباوند في جبالها.

وبعض المجوس تزعم أنه جعله أسيرا حبيسا في تلك الجبال، موكلا به قوم من الجن.

ومنهم من يقول: إنه قتله، وزعموا أنه لم يسمع من أمور الضحاك شيء يستحسن غير شيء واحد، وهو أن بليته لما اشتدت ودام جورهِ وطالت أيامه، عظم على الناس ما لقوا منه، فتراسل الوجوه في أمره، فأجمعوا على المصير إلى بابه، فوافى بابه الوجوه والعظماء من الكور والنواحي، فتناظروا في الدخول عليه والتظلم اليه، والتأني لاستعطافه، فاتفقوا على أن يقدموا للخطاب عنهم كابي الأصهباني، فلما صاروا إلى بابه أعلم بمكانهم، فأذن لهم، فدخلوا وكابي متقدم لهم، فثل بين يديه، وأمسك عن السلام، ثم قال: أيها الملك، أي السلام

أسلم عليك؟ أسلام من يملك هذه الأقاليم كلها، أم أسلام من يملك هذا الإقليم الواحد؟ يعني بابل، فقال له الضحاك: بل أسلام من يملك هذه الأقاليم كلها، لأنني ملك الأرض. فقال له الأصهباني: فإذا كنت تملك الأقاليم كلها، وكانت يدك تنالها أجمع، فما بالناس قد خصصنا بمؤنتك

وتحاملك وإساءتك من بين أهل الأقاليم! وكيف لم تقسم أمر كذا وكذا بيننا وبين الأقاليم؟ وعدد عليه أشياء كان يمكنه تخفيفها عنهم، وجرده له الصدق والقول في ذلك، فقدح في قلب الضحاك قوله، وعمل فيه حتى انخزل وأقر بالإساءة، وتألف القوم ووعدهم ما يحبون، وأمرهم بالانصراف لينزلوا ويتدعوا، ثم يعودوا ليقضي حوائجهم، ثم ينصرفوا إلى بلادهم.

وزعموا أن أمه ودك كانت شرا منه وأردى، وأنها كانت في وقت معاتبة القوم إياه بالقرب منه نتعرف ما يقولونه، فتغتاظ وتتكبر، فلما خرج القوم دخلت مستشيطة منكرة على الضحاك احتمال القوم، وقالت له: قد بلغني كل ما كان وجرأة هؤلاء القوم عليك حتى قرعوك بكذا، وأسمعوك كذا، أفلا دمرت عليهم ودمدمتهم، أو قطعت أيديهم! فلما أكثرت على الضحاك قال لها مع عتوه: يا هذه، إنك لم تفكري في شيء إلا وقد سبقت إليه، إلا أن القوم بدهوني بالحق، وقرعوني به، فلما هممت بالسطوة بهم والوثوب عليهم تخيل الحق فثقل بيني وبينهم بمنزلة الجبل، فما أمكنني فيهم شيء ثم سكتها وأخرجها، ثم جلس لأهل النواحي بعد أيام، فوفى لهم بما وعدهم، وردهم وقد لان لهم، وقضى أكثر حوائجهم، ولا يعرف للضحاك- فيما ذكر- فعلة استحسنت منه غير هذه.

وقد ذكر أن عمر الأجدهاق هذا كان ألف سنة، وإن ملكه منها كان ستمائة سنة، وأنه كان في باقي عمره شبيها بالملك لقدرته ونفوذ أمره وقال

بعضهم: إنه ملك ألف سنة وكان عمره ألف سنة ومائة سنة، إلى أن خرج عليه أفريدون فقهروه وقتله.

وقال بعض علماء الفرس: لا نعلم أحدا كان أطول عمرا- ممن لم يذكر عمره في التوراة- من الضحاك هذا، ومن جامر بن يافث بن نوح أبي الفرس، فإنه ذكر أن عمره كان ألف سنة.

وإنما ذكرنا خبر بيوراسب في هذا الموضع، لأن بعضهم زعم أن نوحا كان في زمانه، وأنه إنما كان أرسل إليه وإلى من كان في مملكته، ممن دان بطاعته واتباعه على ما كان عليه من العتو والتمرد على الله، فذكرنا إحسان الله وأياديه عند نوح ع بطاعته ربه وصبره على ما لقي منه من الأذى والمكره في عاجل الدنيا، بأن نجاه ومن آمن معه واتباعه من قومه، وجعل ذريته هم الباقين في الدنيا، وأبقى له ذكره بالثناء الجميل، مع ما ذخره عنده في الآجل من النعيم المقيم والعيش الهنيء، وإهلاكه الآخرين بمعصيتهم إياه وتمردهم عليه، وخلافهم أمره، فسلمهم ما كانوا فيه من النعيم، وجعلهم عبرة وعظة للغابرين، مع ما ذخره لهم عنده في الآجل من العذاب الأليم.

ونرجع الآن إلى ذكر نوح ع والخبر عنه وعن ذريته، إذ كانوا هم الباقين اليوم كما أخبر الله عنهم، وكان الآخرون الذين بعث نوح إليهم خلا ولده ونسله قد بادوا وذريتهم، فلم يبق منهم ولا من أعقابهم أحد.

[قد ذكرنا قبل عن رسول الله ص أنه قال في قول الله عز وجل: «وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ»: إنهم سام، وحام، ويافث].

حدثني محمد بن سهل بن عسكر، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: حدثنا عبد الصمد بن معقل، قال: سمعت وهب بن منبه، يقول: إن سام بن نوح أبو العرب وفارس والروم، وإن حام أبو السودان، وأن يافث أبو الترك وأبو أجوج ومأجوج، وهو بنو عم الترك وقيل: كانت زوجة يافث أربسية بنت مرازيل بن الدرمسيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم ع، فولدت له سبعة نفر وامرأة.

فمن ولدت له من الذكور جومر بن يافث وهو- فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق- أبو أجوج ومأجوج، ومارح بن يافث ووائل بن يافث، وحوان بن يافث، وتوبيل بن يافث، وهوشل بن يافث، وترس بن يافث، وشبكة بنت يافث قال: فن بن يافث كانت ياجوج ومأجوج والصقالب والترك فيما يزعمون وكانت امرأة حام بن نوح نخلت بنت مارب بن الدرمسيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم فولدت له ثلاثة نفر: كوش بن حام بن نوح، وقوط بن حام بن نوح، وكنعان بن حام فنكح كوش بن حام بن نوح قرنييل ابنة بتاويل بن ترس بن يافث، فولدت له الحبشة والسند والهند فيما يزعمون ونكح قوط بن حام بن نوح بنت يافث بتاويل ابن ترس بن يافث بن نوح، فولدت له القبط- قبط مصر- فيما يزعمون ونكح كنعان بن حام بن نوح ارتيل ابنة بتاويل بن ترس بن

يافث بن نوح، فولدت له الأساود: نوبة، وفزان، والزنج، والزغاوة، وأجناس السودان كلها.
 حَدَّثَنَا ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا سلمة، عن ابن إسحاق، في الحديث قال: ويزعم أهل التوراة أن ذلك لم يكن الا عن دعوة دعاها نوح
 على ابنه حام، وذلك أن نوحا نام فانكشف عن عورته، فرآها حام فلم يغطها، ورآها سام ويافث فألقيا عليها ثوبا فواريا عورته، فلما
 هب من نومته علم ما صنع حام وسام ويافث، فقال: ملعون كنعان بن حام، عبيدا يكونون لأخوته، وقال: يبارك الله ربي في سام،
 ويكون حام عبد أخويه، ويقرض الله يافث، ويحل في مساكن حام، ويكون كنعان عبدا لهم قال: وكانت امراه سام
 ابن نوح صليب ابنه بتاويل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم، فولدت له نفرا: أرغشيد بن سام، وأشوذ بن سام، ولاوذ بن سام،
 وعويل بن سام، وكان لسام إرم بن سام، قال: ولا أدري إرم لأم أرغشيد وإخوته أم لا؟

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا
 ضَاغَتْ بَوْلَدُ نُوحٍ سُوقَ ثَمَانِينَ تَحَوَّلُوا إِلَى بَابِلَ فَبَنَوْهَا، وَهِيَ بَيْنَ الْفَرَاتِ وَالصَّرَاةِ، وَكَانَتْ اثْنِي عَشَرَ فَرَسَخًا فِي اثْنِي عَشَرَ فَرَسَخًا، وَكَانَ بَابُهَا
 مَوْضِعَ دَوْرَانِ الْيَوْمِ، فَوْقَ جِسْرِ الْكُوفَةِ يَسْرَةً إِذَا عَبَرْتَ، فَكَثُرُوا بِهَا حَتَّى بَلَغُوا مِائَةَ أَلْفٍ، وَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ.
 وَرَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ فَتَنَكَّحَ لَأَوْذَ بْنَ سَامَ بْنَ نُوحٍ شَبَكَةَ ابْنَةِ يَافِثَ بْنِ نُوحٍ، فَوُلِدَتْ لَهُ فَارِسٌ وَجُرْجَانٌ وَأَجْنَسُ
 فَارِسَ، وَوُلِدَ لِلأَوْذِ مَعَ الْفَرَسِ طِسْمٌ وَعَمَلِيقُ، وَلَا أَدْرِي أَهْوَاؤُ الْفَرَسِ أَمْ لَا؟ فَعَمَلِيقُ أَبُو الْعَمَالِيقِ كُلِّهِمْ أُمِّهِ تَفَرَّقَتْ فِي الْبِلَادِ،
 وَكَانَ أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَأَهْلُ عُمَانَ وَأَهْلُ الْحِجَازِ وَأَهْلُ الشَّامِ وَأَهْلُ مِصْرَ مِنْهُمْ، وَمِنْهُمْ كَانَتْ الْجَبَابِرَةُ بِالشَّامِ الَّذِينَ يُقَالُ لَهُمُ الْكَنْعَانِيُّونَ،
 وَمِنْهُمْ كَانَتْ الْفَرَاعْنَةُ بِمِصْرَ، وَكَانَ أَهْلُ الْبَحْرَيْنِ وَأَهْلُ عُمَانَ مِنْهُمْ أُمُّهُ يَسْمُونُ جَاسِمَ، وَكَانَ سَاكِنِي الْمَدِينَةِ مِنْهُمْ، بَنُو هَفٍّ وَسَعْدِ بْنِ
 هَزَانَ، وَبَنُو مَطَرٍ، وَبَنُو الْأَزْرَقِ وَأَهْلُ نَجْدٍ مِنْهُمْ بَدِيلٌ وَرَاحِلٌ وَغِفَارٌ، وَأَهْلُ تَيْمَاءَ مِنْهُمْ وَكَانَ مَلِكُ الْحِجَازِ مِنْهُمْ يَتِمَاءُ اسْمُهُ الْأَرْقَمُ، وَكَانُوا
 سَاكِنِي نَجْدٍ مَعَ ذَلِكَ وَكَانَ سَاكِنِي الطَّائِفِ بَنُو عَبْدِ بْنِ ضَخْمٍ، حَيٌّ مِنْ عَبَسِ الْأَوَّلِ.

قَالَ: وَكَانَ بَنُو أُمِّمِ بْنِ لَأَوْذَ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ أَهْلَ وَبَارٍ بِأَرْضِ الرَّمْلِ،
 رَمْلٍ عَالِجٍ، وَكَانُوا قَدْ كَثُرُوا بِهَا وَرَبَّلُوا، فَأَصَابَتْهُمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَقْمَةٌ مِنْ مَعْصِيَةِ أَصَابُوهَا، فَهَلَكُوا وَبَقِيََتْ مِنْهُمْ بَقِيَّةٌ، وَهُمْ الَّذِينَ
 يُقَالُ لَهُمُ النَّسَّاسُ.

قَالَ: وَكَانَ طِسْمُ بْنُ لَأَوْذَ سَاكِنَ الْيَمَامَةِ وَمَا حَوْلَهَا، قَدْ كَثُرُوا بِهَا وَرَبَّلُوا إِلَى الْبَحْرَيْنِ، فَكَانَتْ طِسْمُ وَالْعَمَالِيقُ وَأُمِّمِ وَجَاسِمُ قَوْمًا عَرَبًا،
 لِسَانَهُمُ الَّذِي جُبِلُوا عَلَيْهِ لِسَانُ عَرَبِيٍّ وَكَانَتْ فَارِسُ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ بِلَادِ فَارِسَ، يَتَكَلَّمُونَ بِهَذَا اللَّسَانِ الْفَارِسِيِّ.

قَالَ: وَوُلِدَ إِرَمُ بْنُ سَامَ بْنِ نُوحٍ عَوْصُ بْنُ إِرَمَ، وَغَاثِرُ بْنُ إِرَمَ، وَحَوِيلُ بْنُ إِرَمَ فَوُلِدَ عَوْصُ بْنُ إِرَمَ غَاثِرُ بْنُ عَوْصٍ، وَعَادُ بْنُ عَوْصٍ،
 وَعَبِيلُ ابْنِ عَوْصٍ وَوُلِدَ غَاثِرُ بْنُ إِرَمَ ثُمُودُ بْنُ غَاثِرٍ، وَجَدِيسُ بْنُ غَاثِرٍ وَكَانُوا قَوْمًا عَرَبًا يَتَكَلَّمُونَ بِهَذَا اللَّسَانِ الْمُضَرِّيِّ، فَكَانَتْ الْعَرَبُ
 تَقُولُ لِهَذِهِ الْأُمَمِ: الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ، لِأَنَّهُ لِسَانُهُمُ الَّذِي جُبِلُوا عَلَيْهِ، وَيَقُولُونَ لِبَنِي إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ:

الْعَرَبُ الْمُتَعَرِبَةُ، لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا تَكَلَّمُوا بِلِسَانِ هَذِهِ الْأُمَمِ حِينَ سَكَنُوا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ.
 فَعَادُ وَثُمُودُ وَالْعَمَالِيقُ وَأُمِّمِ وَجَاسِمُ وَطِسْمُ هُمُ الْعَرَبُ، فَكَانَتْ عَادُ بِهَذِهِ الرَّمْلِ إِلَى حَضَرِ مَوْتِ الْيَمَنِ كُلِّهِ، وَكَانَتْ ثُمُودُ بِالْحِجْرِ
 بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ إِلَى وَادِي الْقَرْيِ وَمَا حَوْلَهُ، وَلَحِقَتْ جَدِيسُ بِطِسْمٍ، فَكَانُوا مَعَهُمْ بِالْيَمَامَةِ وَمَا حَوْلَهَا إِلَى الْبَحْرَيْنِ، وَأَسْمُ الْيَمَامَةِ إِذْ ذَاكَ
 جَوْ، وَسَكَنَتْ جَاسِمُ عُمَانَ فَكَانُوا بِهَا.

وَقَالَ غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ: إِنَّ نُوحًا دَعَا لِسَامَ بِأَن يَكُونَ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ مِنْ وَلَدِهِ، وَدَعَا لِيَافِثَ بِأَن يَكُونَ الْمُلُوكُ مِنْ وَلَدِهِ، وَبَدَأَ بِالدُّعَاءِ

يَافِثَ وَقَدَّمَهُ فِي ذَلِكَ عَلَى سَامَ، وَدَعَا عَلَى حَامَ بِأَنْ يَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَيَكُونَ وَلَدُهُ عَبِيدًا لَوْلَدِ سَامَ وَيَافِثَ.
قَالَ: وَذَكَرَ فِي الْكُتُبِ أَنَّهُ رَقَّ عَلَى حَامَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَدَعَا لَهُ بِأَنْ يُرْزَقَ الرَّافَةُ مِنْ إِخْوَتِهِ، وَدَعَا مِنْ وَلَدِهِ لِكُوشَ بْنِ حَامَ وَلِجَامِرِ بْنِ
يَافِثَ بْنِ نُوحَ،

وَذَلِكَ أَنَّ عِدَّةً مِنْ وَلَدِ الْوَلَدِ لِحَقْوَا نُوحًا نَحَدَمُوهُ، كَمَا خَدَمَهُ وَلَدُهُ لَصْلِبِهِ، فَدَعَا لِعِدَّةٍ مِنْهُمْ.
قَالَ: فَوُلِدَ لِسَامَ عَابِرٌ وَعَلِيمٌ وَأَشُوذٌ وَأَرْخَشَدٌ وَلَاوِذٌ وَإِرْمٌ، وَكَانَ مَقَامُهُ بِمَكَّةَ.

قَالَ: فَمِنْ وَلَدِ أَرْخَشَدَ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ وَخِيَارُ النَّاسِ، وَالْعَرَبُ كُلُّهَا، وَالْفَرَاعِنَةُ بِمِصْرَ وَمِنْ وَلَدِ يَافِثَ بْنِ نُوحَ مُلُوكُ الْأَعَاجِمِ كُلُّهَا مِنَ
التُّرْكِ وَالْخَزَرِ وَغَيْرِهِمْ، وَالْفُرسُ الَّذِينَ آخَرُ مِنْ مَلِكٍ مِنْهُمْ يَزْدَجِدُ بْنُ شَهْرِيَارَ ابْنِ أَبْرُويزَ، وَنَسَبُهُ يَنْتَهِي إِلَى جِيُومَرْتِ بْنِ يَافِثَ بْنِ نُوحَ.
قَالَ: وَيُقَالُ إِنَّ قَوْمًا مِنْ وَلَدِ لَاوِذَ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحَ وَغَيْرِهِ مِنْ إِخْوَتِهِ نَزَعُوا إِلَى جَامِرِ هَذَا، فَأَدْخَلَهُمْ جَامِرٌ فِي نِعْمَتِهِ وَمُلْكِهِ، وَأَنَّ مِنْهُمْ
مَادِيَّ بْنَ يَافِثَ، وَهُوَ الَّذِي تُنَسَبُ السُّيُوفُ الْمَادِيَّةُ إِلَيْهِ قَالَ: وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ إِنَّ كِيرِشَ الْمَادَوِيِّ قَاتَلَ بَلْشَصَرَ بْنَ أُولْمُودَخَ بْنِ بَخْتَنْصَرَ
مِنْ وَلَدِهِ.

قَالَ: وَمِنْ وَلَدِ حَامَ بْنِ نُوحَ، الثُّبَةُ، وَالْحَبْشَةُ، وَفَزَّانُ، وَالْهِنْدُ، وَالسِّنْدُ، وَأَهْلُ السَّوَاكِحِلِ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.
قَالَ: وَمِنْهُمْ ثَمْرُودٌ، وَهُوَ ثَمْرُودُ بْنُ كُوشَ بْنِ حَامَ.

قَالَ: وَوُلِدَ لَأَرْخَشَدَ بْنِ سَامَ ابْنُهُ قَيْنَانُ، وَلَا ذَكَرَ لَهُ فِي التَّوْرَةِ، وَهُوَ الَّذِي قِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَسْتَحِقَّ أَنْ يُذَكَرَ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ، لِأَنَّهُ كَانَ
سَاحِرًا، وَسَمَّى نَفْسَهُ إِلْهًا، فَسَيِّقَتِ الْمَوَالِدُ فِي التَّوْرَةِ عَلَى أَرْخَشَدَ بْنِ سَامَ ثُمَّ عَلَى شَالِحِ بْنِ قَيْنَانَ بْنِ أَرْخَشَدَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُذَكَرَ قَيْنَانُ فِي
النَّسَبِ، لِمَا ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ.

قَالَ: وَقِيلَ فِي شَالِحٍ: إِنَّهُ شَالِحُ بْنُ أَرْخَشَدَ مِنْ وَلَدِ لَقَيْنَانَ وَوُلِدَ لِشَالِحٍ عَابِرٌ وَوُلِدَ لِعَابِرِ ابْنَانِ: أَحَدُهُمَا فَالِغٌ، وَمَعْنَاهُ بِالْعَرَبِيَّةِ قَاسِمٌ - وَإِنَّمَا
سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْأَرْضَ قَسِمَتْ وَالْأَلْسُنَ تَبَلَّلَتْ فِي أَيَّامِهِ - وَسَمِيَ الْآخَرُ خَطَّانُ.

فَوُلِدَ لَخَطَّانَ يَعْزُبُ وَيَقْطَانُ ابْنَا خَطَّانَ بْنِ عَابِرِ بْنِ شَالِحٍ، فَتَزَلَا أَرْضَ الْيَمَنِ، وَكَانَ خَطَّانُ أَوَّلَ مَنْ مَلَكَ الْيَمَنَ، وَأَوَّلَ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ
بِأَيِّتِ اللَّعْنِ، كَمَا كَانَ يُقَالُ لِلْمُلُوكِ وَوُلِدَ لِفَالِغِ بْنِ عَابِرِ أَرْغَوَا - وَوُلِدَ لَأَرْغَوَا سَارُوعُ، وَوُلِدَ لِسَارُوعَ نَاحُورَا، وَوُلِدَ لِنَاحُورَا تَارِخُ -
وَأَسَمُهُ بِالْعَرَبِيَّةِ آزَرَ - وَوُلِدَ لَتَارِخَ

إِبْرَاهِيمَ صَ وَوُلِدَ لَأَرْخَشَدَ أَيْضًا ثَمْرُودُ بْنُ أَرْخَشَدَ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ بِنَاحِيَةِ الْحَجَرِ وَوُلِدَ لِلاوِذَ بْنِ سَامَ طِسْمٌ وَجَدِيسٌ، وَكَانَ مَنْزِلُهُمَا الْيَمَامَةَ.
وَوُلِدَ لِلاوِذَ أَيْضًا عَمَلِيقُ بْنُ لاوِذَ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ الْحَرَمَ وَأَكْثَافَ مَكَّةَ، وَلَحِقَ بَعْضُ وَلَدِهِ بِالشَّامِ، فَهُمْ كَانَتْ الْعَمَالِيقُ، وَمِنْ الْعَمَالِيقِ
الْفَرَاعِنَةُ بِمِصْرَ.

وَوُلِدَ لِلاوِذَ أَيْضًا أُمَيْمٌ بْنُ لاوِذَ بْنِ سَامَ، وَكَانَ كَثِيرَ الْوَلَدِ، فَتَزَعَّ بَعْضُهُمْ إِلَى جَامِرِ بْنِ يَافِثَ بِالْمَشْرِقِ وَوُلِدَ لِإِرْمَ بْنِ سَامَ عَوْصُ بْنُ
إِرْمَ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ الْأَحْقَافَ وَوُلِدَ لِعَوْصِ عَادُ بْنُ عَوْصِ.

وَأَمَّا حَامُ بْنُ نُوحَ، فَوُلِدَ لَهُ كُوشٌ وَمَصْرَايِمُ وَقُوطٌ وَكَنْعَانُ، فَمِنْ وَلَدِ كُوشَ ثَمْرُودُ الْمُتَجَبِّرُ الَّذِي كَانَ بِبَابِلَ، وَهُوَ ثَمْرُودُ بْنُ كُوشَ بْنِ
حَامَ، وَصَارَتْ بَقِيَّةُ وَلَدِ حَامَ بِالسَّوَاكِحِلِ مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَالثُّبَةُ وَالْحَبْشَةُ وَفَزَّانُ.

قَالَ: وَيُقَالُ: إِنَّ مَصْرَايِمَ وَلَدَ الْقَبِطَ وَالْبَرْبَرِ، وَإِنَّ قُوطًا صَارَ إِلَى أَرْضِ السِّنْدِ وَالْهِنْدِ فَتَزَلَهَا، وَإِنَّ أَهْلَهَا مِنْ وَلَدِهِ.

وَأَمَّا يَافِثُ بْنُ نُوحَ فَوُلِدَ لَهُ جَامِرٌ وَمَوْجٌ وَمَوَادِي وَبَوَانُ وَثُوبَالُ وَمَاشِجٌ وَتِيرِشُ وَمِنْ وَلَدِ جَامِرِ مُلُوكُ فَارِسَ وَمِنْ وَلَدِ تِيرِشَ التُّرْكُ
وَالْخَزَرُ وَمِنْ وَلَدِ مَاشِجِ الْأَشْبَانُ وَمِنْ وَلَدِ مَوْجِ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَهُمْ فِي شَرْقِ أَرْضِ التُّرْكِ وَالْخَزَرِ وَمِنْ وَلَدِ بَوَانِ الصَّقَالِبَةُ وَبَرْجَانُ

وَالْأَشْبَانُ، كَانُوا فِي الْقَدِيمِ بِأَرْضِ الرُّومِ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ بِهَا مِنْ وَقَعَ مِنْ وَلَدِ الْعِيصِ وَغَيْرِهِمْ، وَقَصَدَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ: سَامٌ وَحَامٌ وَيَافِثٌ أَرْضًا، فَسَكَنُوهَا وَدَفَعُوا غَيْرَهُمْ عَنْهَا.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ:

أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَالَ:

أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى ع: إِنَّكَ يَا مُوسَى وَقَوْمُكَ وَأَهْلُ الْجَزِيرَةِ وَأَهْلُ الْعَالِ مِنْ وَلَدِ سَامِ بْنِ نُوحٍ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَالْعَرَبُ وَالْفُرسُ وَالنَّبَطُ وَالْهِنْدُ وَالسِّنْدُ مِنْ وَلَدِ سَامِ بْنِ نُوحٍ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ

مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ: قَالَ: الْهِنْدُ وَالسِّنْدُ بَنُو تَوْقِيرَ بْنِ يَقْطَنَ بْنِ عَابِرَ بْنِ شَالِحِ ابْنِ أَرْخَشُدَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ وَمَكْرَانَ بْنِ الْبَنْدِ، وَجَرَهُمْ، اسْمُهُ هَذَرَمُ بْنُ عَابِرَ بْنِ سَبَأَ بْنِ يَقْطَنَ بْنِ عَابِرَ بْنِ شَالِحِ ابْنِ أَرْخَشُدَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ.

وَحَضْرَمَوْتَ بْنِ يَقْطَنَ بْنِ عَابِرَ بْنِ شَالِحٍ وَيَقْطَنُ هُوَ قُحْطَانُ بْنُ عَابِرَ بْنِ شَالِحِ ابْنِ أَرْخَشُدَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ، فِي قَوْلٍ مِنْ نَسْبِهِ إِلَى غَيْرِ إِسْمَاعِيلَ وَالْفُرسِ بَنُو فَارِسَ بْنِ تِيرِشَ بْنِ نَاسُورَ بْنِ نُوحٍ وَالنَّبَطُ بَنُو نَبِيطَ بْنِ مَاشَ ابْنِ أَرَمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ وَأَهْلُ الْجَزِيرَةِ وَالْعَالِ مِنْ وَلَدِ مَاشَ بْنِ إِرَمَ بْنِ سَامِ ابْنِ نُوحٍ وَعَمَلِيقُ - وَهُوَ عَرِيبٌ - وَطَسَمٌ وَأَمِيمٌ بَنُو لُؤْزَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ.

وَعَمَلِيقُ هُوَ أَبُو الْعَمَالِقَةِ، وَمِنْهُمْ الْبَرِيرُ وَهُمْ بَنُو ثُمَيْلَةَ بْنِ مَارِبَ بْنِ فَارَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَمَلِيقَ بْنِ لُؤْزَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ، مَا خَلَا صَنْهَاجَةَ وَكُتَامَةَ، فَإِنَّهُمَا بَنُو فَرِيقِشَ بْنِ قَيْسَ بْنِ صَيْفِي بْنِ سَبَأَ.

وَيُقَالُ: إِنْ عَمَلِيقُ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ حِينَ ظَعَنُوا مِنْ بَابِلَ، فَكَانَ يُقَالُ لَهُمْ وَلِجَرَهُمْ: الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ وَثُمُودٌ وَجَدِيسُ ابْنَا عَابِرَ بْنِ أَرَمَ بْنِ سَامِ ابْنِ نُوحٍ، وَعَادُ وَعَبِيلُ ابْنَا عَوْصَ بْنِ إِرَمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ، وَالرُّومُ بَنُو لَنْطَى ابْنِ يُونَانَ بْنِ يَافِثَ بْنِ نُوحٍ وَغَمْرُودُ بْنُ كَوْشَ بْنِ كَنْعَانَ بْنِ حَامَ بْنِ نُوحٍ.

وَهُوَ صَاحِبُ بَابِلَ، وَهُوَ صَاحِبُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ ص.

قَالَ: وَكَانَ يُقَالُ لِعَادَ فِي دَهْرِهِمْ عَادَ إِرَمَ، فَلَهَا هَلَكَتْ عَادٌ قِيلَ لثُمُودَ إِرَمَ، فَلَهَا هَلَكَتْ ثُمُودُ قِيلَ لِسَائِرِ بَنِي إِرَمَ: إِرْمَانُ، فَهَمُ النَّبَطُ، فَكُلُّ هَؤُلَاءِ كَانَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَهُمْ بِبَابِلَ، حَتَّى مَلَكَهُمْ غَمْرُودُ بْنُ كَوْشَ بْنِ كَنْعَانَ بْنِ حَامَ ابْنِ نُوحٍ، فَدَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فَفَعَلُوا، فَأَمْسُوا وَكَلَامُهُمُ السَّرْيَانِيَّةُ، ثُمَّ أَصْبَحُوا وَقَدْ بَلَبَلَ اللَّهُ أَلْسِنَتَهُمْ، فَجَعَلَ لَا يَعْرِفُ بَعْضُهُمْ كَلَامَ بَعْضٍ، فَصَارَ لِبَنِي سَامِ ثَمَانِيَّةُ عَشَرَ لِسَانًا، وَلِبَنِي حَامِ ثَمَانِيَّةُ عَشَرَ لِسَانًا، وَلِبَنِي يَافِثَ

سِتَّةُ وَثَلَاثُونَ لِسَانًا، فَفَهِمَ اللَّهُ الْعَرَبِيَّةَ عَادًا وَعَبِيلًا وَثُمُودَ وَجَدِيسَ وَعَمَلِيقَ وَطَسَمَ وَأَمِيمَ وَبَنِي يَقْطَنَ بْنِ عَابِرَ بْنِ شَالِحِ ابْنِ أَرْخَشُدَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ.

وَكَانَ الَّذِي عَقَدَ لَهُمُ الْأُلُويَّةَ بِبَابِلَ بُونَاظَرَ بْنِ نُوحٍ، وَكَانَ نُوحٌ فِيْمَا حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي هِشَامُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي قَائِيلَ، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلَامًا، فَسَمَّاهُ بُونَاظَرَ، فَوَلَدَهُ بِمَدِينَةِ الْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا مَعْلُونُ شَمْسًا، فَزَلَّ بَنُو سَامِ الْمُجَدَّلُ سِرَةَ الْأَرْضِ، وَهُوَ مَا بَيْنَ سَاتِيدَمَا إِلَى الْبَحْرِ، وَمَا بَيْنَ الْيَمَنِ إِلَى الشَّامِ، وَجَعَلَ اللَّهُ النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَالْجَمَالَ وَالْأَدَمَةَ وَالْبَيَاضَ فِيهِمْ.

وَزَلَّ بَنُو حَامَ بِمَجَرَى الْجَنْبِ وَالْدَّبُورِ، وَيُقَالُ لَتِلْكَ النَّاحِيَةِ الدَّارُومُ، وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِمْ أَدَمَةً وَبَيَاضًا قَلِيلًا، وَأَعْمَرَ بِلَادَهُمْ وَسَمَاءَهُمْ، وَرَفَعَ عَنْهُمْ الطَّاعُونَ، وَجَعَلَ فِي أَرْضِهِمُ الْأَثْلَ وَالْأَرَاكَ وَالْعَشَرَ وَالْغَارَ وَالنَّخْلَ، وَجَرَّتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فِي سَمَائِهِمْ وَزَلَّ بَنُو يَافِثَ الصَّفُونُ بِمَجَرَى الشَّمَالِ وَالصَّبَا، وَفِيهِمُ الْحُمْرَةُ وَالشُّقْرَةُ، وَأَخْلَى اللَّهُ أَرْضَهُمْ فَاشْتَدَّ بَرْدُهَا، وَأَخْلَى سَمَاءَهُمْ، فَلَيْسَ يَجْرِي فَوْقَهُمْ شَيْءٌ مِنَ النُّجُومِ السَّبْعَةِ الْجَارِيَةِ، لِأَنَّهُمْ صَارُوا تَحْتَ بَنَاتِ نَعَشٍ وَالْجَدِيِّ وَالْفَرْقَدِيِّ، فَابْتَلُوا بِالطَّاعُونَ ثُمَّ لَحِقَتْ عَادٌ بِالشَّحْرِ فَعَلِيهِ هَلَكُوا بِوَادٍ يُقَالُ

لَهُ مُغِيثٌ، فَلَحِقَتْهُمْ بَعْدَ مَهْرَةٍ بِالشَّحْرِ وَلَحِقَتْ عِبِيلٌ بِمَوْضِعٍ يَثْرِبُ وَلَحِقَتْ الْعَمَالِيقُ بِصَنْعَاءَ قَبْلَ أَنْ تُسَمَّى صَنْعَاءَ، ثُمَّ انْخَدَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى يَثْرِبَ، فَانْخَرَجُوا مِنْهَا عِبِيلَ، فَتَزَلُّوا مَوْضِعَ الْجُفَّةِ، فَأَقْبَلَ السَّيْلُ فَاجْتَحَفَهُمْ فَذَهَبَ بِهِمْ فَسَمِيَتْ الْجُفَّةُ وَلَحِقَتْ ثُمُودٌ بِالْحَجَرِ وَمَا يَلِيهِ فَهَلَكُوا ثُمَّ، وَلَحِقَتْ طِسْمٌ وَجَدِيسٌ بِالْيَمَامَةِ فَهَلَكُوا وَلَحِقَتْ أُمَيْمٌ بِأَرْضِ أَبَارٍ فَهَلَكُوا بِهَا، وَهِيَ بَيْنَ الْيَمَامَةِ وَالشَّحْرِ، وَلَا يَصِلُ إِلَيْهَا الْيَوْمَ أَحَدٌ، غَلَبَتْ عَلَيْهَا الْجِنُّ وَإِنَّمَا سَمِيَتْ أَبَارٌ بِأَبَارِ بْنِ أُمَيْمٍ

وَلَحِقَتْ بَنُو يَقْطَنَ بْنِ عَابِرٍ بِالْيَمَنِ، فَسَمِيَتْ الْيَمَنُ حَيْثُ تَيَامَنُوا إِلَيْهَا، وَلَحِقَ قَوْمٌ مِنْ بَنِي كَنْعَانَ بِالشَّامِ فَسَمِيَتْ الشَّامُ حَيْثُ تَشَاءُمُوا إِلَيْهَا، وَكَانَتْ الشَّامُ يُقَالُ لَهَا أَرْضُ بَنِي كَنْعَانَ، ثُمَّ جَاءَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَقَتَلُوهُمْ بِهَا، وَنَفَوْهُمْ عَنْهَا، فَكَانَتْ الشَّامُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ثُمَّ وَثَبَتْ الرُّومُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَتَلُوهُمْ، وَأَجْلَوْهُمْ إِلَى الْعِرَاقِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ، ثُمَّ جَاءَتْ الْعَرَبُ فَغَلَبُوا عَلَى الشَّامِ، وَكَانَ فَالِغٌ - وَهُوَ فَالِغُ بْنُ عَابِرٍ بْنِ أَرْخَشَدَ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ - هُوَ الَّذِي قَسَمَ الْأَرْضَ بَيْنَ بَنِي نُوحٍ كَمَا سَمِينَا وَأَمَّا الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص وَعَنْ عُلَمَاءِ سَلَفِنَا فِي أَنْسَابِ الْأُمَمِ الَّتِي هِيَ فِي الْأَرْضِ الْيَوْمَ، فَعَلَى مَا حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ بَشِيرٍ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْوَرَّاقُ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ سَمُرَةَ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: سَامُ أَبُو الْعَرَبِ، وَيَافِثُ أَبُو الرُّومِ، وَحَامُ أَبُو الْحَبَشِ].

حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ بِشْرِ بْنِ مَعْرُوفٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَوْحٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جَنْدَبٍ، عَنِ [النَّبِيِّ ص، قَالَ: وَلَدَ نُوحٌ ثَلَاثَةً: سَامٌ وَحَامٌ وَيَافِثُ، فَسَامُ أَبُو الْعَرَبِ، وَحَامُ أَبُو الزَّنْجِ، وَيَافِثُ أَبُو الرُّومِ].

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبَادُ بْنُ الْعَوَّامِ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ سَمُرَةَ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: سَامُ أَبُو الْعَرَبِ، وَيَافِثُ أَبُو الرُّومِ، وَحَامُ أَبُو الْحَبَشِ].

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي زِيَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَوْحٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ سَمُرَةَ، [عَنِ النَّبِيِّ ص، قَالَ:

وَلَدَ نُوحٌ سَامٌ وَحَامٌ وَيَافِثُ] قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: قَالَ رَوْحٌ: أَحْفَظُ يَافِثُ، وَسَمِعْتُ مَرَّةً يَافِثُ. وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ سَمُرَةَ وَعِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ ص

حَدَّثَنِي عِمْرَانُ بْنُ بَكَّارٍ الْكَلَاعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيَّاشٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ: وَلَدَ نُوحٌ ثَلَاثَةً، وَوَلَدَ كُلُّ وَاحِدٍ ثَلَاثَةً: سَامٌ، وَحَامٌ، وَيَافِثُ.

فَوَلَدَ سَامَ الْعَرَبُ وَفَارِسُ وَالرُّومُ، وَفِي كُلِّ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ وَوَلَدَ يَافِثَ التُّرْكُ وَالصَّقَالِبَةُ وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَلَيْسَ فِي وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ، وَوَلَدَ حَامَ الْقَبِطُ وَالسُّودَانُ وَالْبَرْبَرُ.

وروي عن ضمرة بن ربيعة، عن ابن عطاء، عن أبيه، قال: ولد حام كل أسود جعد الشعر، وولد يافث كل عظيم الوجه صغير العينين، وولد سام كل حسن الوجه حسن الشعر قال: ودعا نوح على حام ألا يعدو شعر ولده آذانهم، وحيثما لقي ولده ولد سام استعبدوهم. وزعم أهل التوراة أن سام ولد لنوح بعد أن مضى من عمره خمسمائة سنة، ثم ولد لسام أرنخش بعد أن مضى من عمر سام مائة سنة وستان، فكان جميع عمر سام - فيما زعموا - ستمائة سنة ثم ولد لأرنخش قينان، وكان عمر أرنخش أربع مائة سنة وثمانيا وثلاثين سنة وولد قينان لأرنخش بعد أن مضى من عمره خمس وثلاثون سنة، ثم ولد لقينان شالخ بعد أن مضى من عمره تسع وثلاثون سنة، ولم يذكر مدة عمر قينان في الكتب فيما ذكر لما ذكرنا من أمره قبل.

ثم ولد لشالخ عابر بعد أن مضى من عمره ثلاثون سنة، وكان عمر شالخ كله أربع مائة سنة وثلاثا وثلاثين سنة. ثم ولد لعابر فالغ وأخوه قحطان، وكان مولد فالغ بعد الطوفان بمائة وأربعين سنة، فلما كثر الناس بعد ذلك مع قرب عهدهم بالطوفان

هموا ببناء مدينة تجمعهم فلا يتفرقون، أو صرح عال يحرزهم من الطوفان إن كان مرة أخرى فلا يغرقون، فأراد الله عز وجل أن يوهن أمرهم، ويخلف ظنهم ويعلمهم أن الحول والقوة له، فبدد شملهم، وشتت جمعهم، وفرق ألسنتهم وكان عمر عابر أربعمئة سنة وأربعا وسبعين سنة.

ثم ولد لفالغ أرغوا، وكان عمر فالغ مائتين وتسعا وثلاثين سنة، وولد أرغوا لفالغ وقد مضى من عمره ثلاثون سنة، ثم ولد لأرغوا ساروغ، وكان عمر أرغوا مائتين وتسعا وثلاثين سنة، وولد له ساروغ بعد ما مضى من عمره اثنتان وثلاثون سنة ثم ولد لساروغ ناحور، وكان عمر ساروغ مائتين وثلاثين سنة وولد له ناحور، وقد مضى من عمره ثلاثون سنة.

ثم ولد لناحور تارخ أبو إبراهيم، صلوات الله عليه، وكان هذا الاسم اسمه الذي سماه أبوه، فلما صار مع نمرود قيما على خزانة آلهته سماه آزر.

وقد قيل: إن آزر ليس باسم أبيه، وإنما هو اسم صنم، فهذا قول يروى عن مجاهد وقد قيل إنه عيب عابه به بمعنى معوج، بعد ما مضى من عمر ناحور سبع وعشرون سنة، وكان عمر ناحور كله مائتين وثمانيا وأربعين سنة.

وولد لتارخ إبراهيم، وكان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة وتسع وسبعون سنة، وكان بعض أهل الكتاب يقول: كان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة ومائتا سنة وثلاث وستون سنة، وذلك بعد خلق آدم بثلاثة آلاف وثلاثمئة سنة وسبع وثلاثين سنة.

وولد لقحطان بن عابر يعرب، فولد يعرب يشجب بن يعرب، فولد يشجب سبأ بن يشجب، فولد سبأ حمير بن سبأ وكهلان بن سبأ وعمرو بن سبأ، والأشعر بن سبأ وأنمار بن سبأ ومر بن سبأ وعاملة بن سبأ فولد عمرو ابن سبأ عدي بن عمرو، فولد عدي نخم بن عدي وجذام بن عدي.

وقد زعم بعض نسائي الفرس أن نوحا هو أفريدون الذي قهر الازدهاق، وسلبه ملكه وزعم بعضهم أن أفريدون هو ذو القرنين صاحب إبراهيم الذي قضى له بيئر السبع، الذي ذكر الله في كتابه وقال بعضهم: هو سليمان بن داود.

وإنما ذكرته في هذا الموضع لما ذكرت فيه من قول من قال: انه نوح، وإن قصته شبيهة بقصة نوح في أولاد له ثلاثة، وعدله وحسن سيرته، وهلاك الضحاك على يده وأنه قيل إن هلاك الضحاك كان على يد نوح وأن نوحا إنما كان أرسل- في قول من ذكرت عنه أنه قال: كان هلاك الضحاك على يدي نوح- حين أرسل إلى قومه، وهم كانوا قوم الضحاك.

فأما الفرس فإنهم ينسبونه النسبة التي أنا ذاكرها، وذلك أنهم يزعمون أن أفريدون من ولد جم شاذ الملك الذي قتله الازدهاق، على ما قد بينا من أمره قبل، وأن بينه وبين جم عشرة آباء.

وقد حدثت عن هشام بن محمد بن السائب، قال: بلغنا أن أفريدون- وهو من نسل جم الملك الذي كان من قبل الضحاك، قال: ويزعمون أنه التاسع من ولده، وكان مولده بدنباوند- خرج حتى ورد منزل الضحاك، فأخذه وأوثقه، وملك مائتي سنة، ورد المظالم، وأمر الناس بعبادة الله والإنصاف والإحسان، ونظر إلى ما كان الضحاك غصب الناس من الأرضين وغيرها، فرد ذلك كله على أهله، إلا ما لم يجد له أهلا، فإنه وقفه على المساكين والعامّة قال: ويقال إنه أول من سمى الصوافي، وأول من نظر في الطب والنجوم، وإنه كان له ثلاثة بنين: اسم الأكبر سلم، والثاني طوج، والثالث إيرج، وأن أفريدون تخوف ألا يتفق بنوه، وأن ينبغي بعضهم على بعض، فقسم ملكه بينهم ثلاثا، وجعل ذلك في سهام كتب أسماءهم عليها، وأمر كل واحد منهم فأخذ سهما، فصارت الروم وناحية المغرب سلم، وصارت الترك والصين لطوج، وصارت للثالث- وهو إيرج- العراق والهند، فدفع التاج والسرير إليه، ومات أفريدون، فوثب بإيرج أخواه فقتلاه، وملك الأرض بينهما ثلاثمئة سنة.

قال: والفرس تزعم أن لأفريدون عشرة آباء، كلهم يسمى أثفيان باسم واحد قالوا: وإنما فعلوا ذلك خوفا من الضحاك على أولادهم، لرواية كانت عندهم، بأن بعضهم يغلب الضحاك على ملكه، ويدرك منه ثار جم،

وكانوا يعرفون ويميزون بألقاب لقبوها، فكان يقال للواحد منهم: أثفيان صاحب البقر الحمر، وأثفيان صاحب البقر البلق، وأثفيان صاحب البقر الكدر وهو أفريدون بن أثفيان بوكاو- وتفسيره صاحب البقر الكثير- بن أثفيان نيككاو- وتفسيره صاحب البقر الجياد، بن أثفيان

سيركاو- وتفسيره صاحب البقر السمان العظام- بن أثفيان بوركاو- وتفسيره صاحب البقر التي بلون حمير الوحش- بن أثفيان أخشين كاو- وتفسيره صاحب البقر الصفرة- بن أثفيان سياه كاو- وتفسيره صاحب البقر السود- بن أثفيان اسبيدكاو- وتفسيره صاحب البقر البيض- بن أثفيان كيركاو- وتفسيره صاحب البقر الرمادية- بن أثفيان رمين- وتفسيره كل ضرب من الألوان والقطعان- بن أثفيان بنفروسن، بن جم الشاذ.

وقيل: إن أفريدون أول من سمي بالكيفية فليل له: كي أفريدون، وتفسير الكيفية أنها بمعنى التنزيه، كما يقال: روحاني، يعنون به أن أمره أمر مخلص منزله يتصل بالروحانية وقيل إن معنى كي أي طالب الدخل، ويزعم بعضهم أن كي من البهاء، وأن البهاء تغشى أفريدون حين قتل الضحاك، وتذكر العجم من الفرس أنه كان رجلا جسيما وسيما بهيا مجربا، وأن أكثر قتاله كان بالجزر، وأن جرزه كان رأسه كرأس الثور، وأن ملك ابنه إيرج العراق ونواحيها كان في حياته، وأن أيام إيرج داخله في ملك أفريدون، وأنه ملك الأقاليم كلها، وتنقل في البلدان، وأنه لما جلس على سرير يوم الملك قال:

نحن القاهرون بعون الله وتأيدته للضحاك، القامعون للشيطان وأحزابه، ثم وعظ الناس، فأمرهم بالتناصف وتعاطي الحق وبذل الخير بينهم، وحثهم على الشكر والتمسك به، ورتب سبعة من القوهيارين- وتفسير ذلك محولو الجبال سبع مراتب- وصير إلى كل واحد منهم ناحية من دنباوند وغيرها على شبيه بالتمليك قالوا: فلما ظفر بالضحاك قال له الضحاك: لا تقتلني بجذك

جم، فقال له أفريدون منكرا لقوله: لقد سميت بك همتك، وعظمت في نفسك حين قدرتها لهذا، وطمعت لها فيه! وأعلمه أن جده كان أعظم قدرا من أن يكون مثله كفتا له في القود، وأعلمه أنه يقتله بثور كان في دار جده.

وقيل إن أفريدون أول من ذلل الفيلة وامتطأها، وتبع البغال، واتخذ الإوز والحمام، وعالج الدرياق، وقاتل الأعداء فقتلهم ونفاهم، وأنه قسم الأرض بين أولاده الثلاثة: طوج وسلم وإيرج، فملك طوجا ناحية الترك والخزر والصين، فكانوا يسمونها صين بغا، وجمع إليها النواحي التي اتصلت بها، وملك سلما ابنه الثاني الروم والصقالبة والبرجان وما في حدود ذلك، وجعل وسط الأرض وعامرها- وهو إقليم بابل، وكانوا يسمونها خنارث بعد أن جمع إلى ذلك ما اتصل به من السند والهند والحجاز وغيرها- لايرج وهو الأصغر من بينه الثلاثة، وكان أحبهم إليه وبهذا السبب سمي إقليم بابل إيرانشهر، وبه أيضا نشبت العداوة بين ولد أفريدون وأولادهم بعد، وصار ملوك خنارث والترك والروم إلى المحاربة ومطالبة بعضهم بعضا بالدماء والتراث.

وقيل: إن طوجا وسلما لما علما أن أباهما قد خص إيرج وقدمه عليهما أظهرها له البغضاء، ولم يزل التحاسد يني بينهم إلى أن وثب طوج وسلم على أخيهما إيرج، فقتلاه متعاونين عليه، وأن طوجا رماه بوهق فخنقه، فن أجل ذلك استعملت الترك الوهق، وكان لإيرج ابنان، يقال لهما وندان وأسطوبة، وابنة يقال لها خوزك، ويقال خوشك، فقتل سلم وطوج الابنين مع أبيهما، وبقيت الابنة.

وقيل: إن اليوم الذي غلب فيه أفريدون الضحاك كان روز مهر من مهر ماه، فاتخذ الناس ذلك اليوم عيدا لارتفاع بلية الضحاك عن الناس، وسماه المهرجان،

فقيل: إن أفريدون كان جبارا عادلا في ملكه، وكان طوله تسعة أرماع، كل رمح ثلاثة أبواع، وعرض حجرته ثلاثة أرماع، وعرض صدره أربعة أرماع، وأنه كان يتبع من كان بقي بالسودان من آل نمروذ والنبط، وقصدهم حتى أتى على وجوههم، ومحا أعلامهم وآثارهم، وكان ملكه خمسمائة سنة

١٠٥٢ ذكر الأحداث التي كانت بين نوح وإبراهيم خليل الرحمن ع

ذكر الأحداث التي كانت بين نوح وإبراهيم خليل الرحمن ع

قد ذكرنا قبل ما كان من أمر نوح ع وأمر ولده واقتسامهم الأرض بعده، ومساكن كل فريق منهم، وأي ناحية سكن من البلاد وكان ممن طغا وعتا على الله عز وجل بعد نوح، فأرسل الله إليهم رسولا فكذبوه وتمادوا في غيهم، فأهلكهم الله هذان الحيان من إرم بن سام بن نوح: أحدهما عاد ابن عوص بن إرم ابن سام بن نوح، وهي عاد الأولى، والثاني ثمود بن جاثر بن إرم بن سام بن نوح، وهم كانوا العرب العاربة.

فأما عاد فإن الله عز وجل أرسل إليهم هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود ابن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ومن أهل الأنساب من يزعم أن هودا هو عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وكانوا أهل أوثان ثلاثة يعبدونها، يقال لإحداها: صداء، وللآخر صمود، وللثالث الهباء فدعاهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة دون غيره، وترك ظلم الناس، فكذبوه وقالوا: من أشد منا قوة! فلم يؤمن بهود منهم إلا قليل، فوعظهم هود إذ تمادوا في طغيانهم، فقال لهم: «أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» فكان جوابهم له أن قالوا:

«سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ» وقالوا له: «يَا هُودُ مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ. إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ»، فحبس الله عنهم - فيما ذكر - القطر سنين ثلاثا، حتى جهدوا، فأوفدوا وفدا ليستسقوا لهم. فكان من قصتهم ما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، قال: حدثنا عاصم، عن أبي وائل، عن الحارث بن حسان البكري، قال: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص: فَرَرْتُ بِامْرَأَةٍ بِالرَّبَذَةِ، فَقَالَتْ: هَلْ أَنْتَ حَامِلِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَحَمَلْتَهَا حَتَّى قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ص عَلَى الْمَنْبَرِ، وَإِذَا بِلَالٌ مُتَقَلِّدُ السَّيْفِ، وَإِذَا رَايَاتُ سُودٍّ، قَالَ: قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ قَدِمَ مِنْ غَزْوَتِهِ، فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَنْ مَنْبَرِهِ أَتَيْتُهُ فَاسْتَأْذَنَتْهُ، فَأَذِنَ لِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ بِالْبَابِ امْرَأَةً مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، قَدْ سَأَلَتْنِي أَنْ أَحْمِلَهَا إِلَيْكَ، قَالَ:

يَا بِلَالُ، ائْذَنْ لَهَا، قَالَ: فَدَخَلْتُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ص: هَلْ كَانَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ تَمِيمٍ شَيْءٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، وَكَانَتْ الدِّبْرَةُ عَلَيْهِمْ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَجْعَلَ الدَّهْنَاءَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَعَلْتُ، قَالَ: تَقُولُ الْمَرْأَةُ فَإِنَّ تَضَطُّرُّ مَضْرُكٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: قُلْتُ: مثلي مثل معزى حملت حتفا، قال: قُلْتُ: او حملتك تَكُونِينَ عَلَيَّ خَصْمًا! أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ كَوْفَدَ عَادٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: وَمَا وَفَدُ عَادٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطَتْ، إِنَّ عَادًا حَطَّتْ، فَبَعَثْتُ مَنْ يَسْتَسْقِي لَهَا، فَرَوْا عَلَى بَكْرِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بِمَكَّةَ يَسْقِيهِمْ انْخَمَرُوا، وَتَغْنِيهِمُ الْجَرَادَاتَانِ شَهْرًا، ثُمَّ بَعَثُوا رَجُلًا مِنْ عِنْدِهِ، حَتَّى أَتَى جِبَالَ مَهْرَةَ، فَدَعَا، فَجَاءَتْ سَحَابَاتٌ، قَالَ: وَكُلَّمَا جَاءَتْ قَالَ: اذْهَبِي إِلَى كَذَا، حَتَّى جَاءَتْ سَحَابَةٌ، فَنُودِي مِنْهَا: خُذْهَا رَمَادًا رَمْدًا، لَا تَدْعُ مِنْ عَادٍ أَحَدًا قَالَ: فَسَمِعَهُ وَكَتَمَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْعَذَابُ قَالَ أَبُو كَرَيْبٍ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ فِي حَدِيثٍ عَادٍ، قَالَ: فَأَقْبَلَ الَّذِي أَتَاهُمْ، فَأَتَى جِبَالَ مَهْرَةَ فَصَعِدَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ أَجِئْكَ لِأَسِيرَ فَأُقَادِيهِ، وَلَا لِمَرِيضٍ أَشْفِيهِ، فَاسْقِ عَادًا مَا كُنْتُ مَسْقِيَهُ! قَالَ: فَرَفَعَتْ لَهُ سَحَابَاتٌ.

قَالَ: فَنُودِي مِنْهَا: اخْتَرِي، فَعَلَّ يَقُولُ: اذْهَبِي إِلَى بَنِي فُلَانٍ اذْهَبِي إِلَى بَنِي فُلَانٍ قَالَ: فَرَرْتُ آخِرَهَا سَحَابَةٌ سُودَاءُ، فَقَالَ: اذْهَبِي إِلَى عَادٍ. قَالَ: فَنُودِي مِنْهَا: خُذْهَا رَمَادًا رَمْدًا، لَا تَدْعُ مِنْ عَادٍ أَحَدًا قَالَ: وَكَتَمَهُمْ وَالْقَوْمُ عِنْدَ بَكْرِ بْنِ مُعَاوِيَةَ يَشْرَبُونَ قَالَ: وَكَرِهَ بَكْرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ عِنْدَهُ، وَأَنَّهُمْ فِي طَعَامِهِ قَالَ: فَأَخَذَ فِي الْغِنَاءِ وَذَكَرَهُمْ.

حَدَّثَنَا أَبُو كَرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ حُبَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَامٌ أَبُو الْمُنْذِرِ النَّحْوِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ يَزِيدَ الْبَكْرِيِّ، قَالَ: خَرَجْتُ لِأَشْكُو الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضَرَمِيِّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَرَرْتُ بِالرَّبَذَةِ، فَإِذَا عَجُوزٌ مُنْقَطِعٌ بِهَا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَتْ:

يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنَّ لِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ حَاجَةً، فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغِي إِلَيْهِ؟ قَالَ:

حَمَلَتْهَا، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ - قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: أَظْنُهُ أَنَا قَالَ: فَإِذَا رَأَيْتَ سُودَ - قَالَ: قُلْتُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ؟ قَالُوا: يُرِيدُ أَنْ يَبْعَثَ بِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَجْهًا قَالَ: فَجَلَسْتُ حَتَّى فَرَغَ، قَالَ: فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ - أَوْ قَالَ رَحْلَهُ - فَاسْتَأْذِنْتُ عَلَيْهِ، فَأَذَنَ لِي قَالَ: فَدَخَلْتُ فَقَعَدْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ص: هَلْ كَانَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ تَمِيمٍ شَيْءٌ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَكَانَتِ الدَّيْرَةُ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ مَرَرْتُ بِالرَّبَذَةِ، فَإِذَا عَجُوزٌ مِنْهُمْ مُنْقَطِعٌ بِهَا، فَسَأَلْتَنِي أَنْ أَحْمِلَهَا إِلَيْكَ، وَهِيَ بِالْبَابِ، فَاذْنِ لَهَا رَسُولَ اللَّهِ ص فَدَخَلْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ تَمِيمٍ الدَّهْنَاءَ حَاجِزًا، فَحَمَيْتِ الْعَجُوزَ وَاسْتَوْفَزَتْ، وَقَالَتْ: فَإِنَّ تَضَطُّرُّ مَضْرَكِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنَا كَمَا قَالُوا: مَعَزَى حَمَلْتُ حَتْفًا، حَمَلْتُ هَذِهِ وَلَا أَشْعُرُ أَنَّهَا كَائِنَةٌ لِي خَصْمًا، أَعُوذُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْ أَكُونَ كَوَافِدٍ عَادٍ! قَالَ: وَمَا وَافِدٌ عَادٍ؟ قُلْتُ:

عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطْتُ، قَالَ: وَهُوَ يَسْتَطْعِمُنِي الْحَدِيثُ قُلْتُ: إِنْ عَادَا قَطُوا فَبَعَثُوا قَيْلًا وَافِدًا، فَزَلَّ عَلَى بَكْرِ، فَسَقَاهُ الْخَمْرَ شَهْرًا، وَتَغْنِيهِ جَارِيَتَانِ يُقَالُ لَهُمَا الْجَرَادَتَانِ، نَخْرَجُ إِلَى جِبَالٍ مَهْرَةً، فَنادَى: إِنِّي لَمْ أَجِءْ لِمَرِيضٍ فَأَدَاوِيهِ، وَلَا لِأَسِيرٍ فَأُقَادِيهِ، اللَّهُمَّ اسْقِ عَادًا مَا كُنْتُ تَسْقِيهِ! فَمَرَّتْ بِهِ سَحَابَاتٌ سُودٌ، فَتَوَدَّيَ مِنْهَا: خُذْهَا رَمَادًا رَمَدًا، لَا تَبْقِي مِنْ عَادٍ أَحَدًا. قَالَ: فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَقُولُ: لَا تَكُنْ كَوَافِدٍ عَادٍ، فَمَا بَلَغَنِي أَنَّهُ أُرْسِلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الرَّيْحِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا قَدَرَ مَا يَجْرِي فِي خَاتَمِي قَالَ أَبُو وَائِلٍ: وَكَذَلِكَ بَلَغَنِي.

وَأَمَّا ابْنُ اسْحَقٍ فَإِنَّهُ قَالَ كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ عَنْهُ:

أَنْ عَادَا لَمَّا أَصَابَهُمْ مِنَ الْقَحْطِ مَا أَصَابَهُمْ قَالُوا: جَهَّزُوا مِنْكُمْ وَفَدَا إِلَى مَكَّةَ فَيَسْتَسْقُوا لَكُمْ، فَبَعَثُوا قَيْلَ بْنَ عَتْرِ وَلَقِيمَ بْنَ هَزَالِ بْنِ هَزِيلِ بْنِ عَتِيلِ بْنِ صَدِّ بْنِ عَادِ الْأَكْبَرِ، وَمُرْتَدَّ بْنَ سَعْدِ بْنِ عَفِيرٍ - وَكَانَ مُسْلِمًا يَكْتُمُ إِسْلَامَهُ - وَجَلْهَمَةَ بْنَ الْخَبِيرِيِّ، خَالَ مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ أَخَا أُمِّهِ، ثُمَّ بَعَثُوا لَقِيمَانَ بْنَ عَادِ بْنِ فُلَانِ بْنِ فُلَانِ بْنِ صَدِّ بْنِ عَادِ الْأَكْبَرِ، فَانْطَلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مَعَهُ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِهِ، حَتَّى بَلَغَ عِدَّةَ وَفَدَهُمْ سَبْعِينَ رَجُلًا، فَلَمَّا قَدَمُوا مَكَّةَ نَزَلُوا عَلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ وَهُوَ بَظَاهِرِ مَكَّةَ خَارِجًا مِنَ الْحَرَمِ، فَأَنْزَلَهُمْ وَأَكْرَمَهُمْ، وَكَانُوا أَخْوَالَهُ وَصَهْرَهُ وَكَانَتْ هَزِيلَةُ ابْنَةُ بَكْرِ أُخْتُ مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ لِأَبِيهِ وَأُمُّهُ كَلْهَدَةُ ابْنَةُ الْخَبِيرِيِّ عِنْدَ لَقِيمِ بْنِ هَزَالِ بْنِ عَتِيلِ بْنِ صَدِّ بْنِ عَادِ الْأَكْبَرِ، فَوُلِدَتْ لَهُ عُبَيْدُ بْنُ لَقِيمِ بْنِ هَزَالِ وَعَمْرُو بْنُ لَقِيمِ بْنِ هَزَالِ وَعَمِيرُ بْنُ لَقِيمِ بْنِ هَزَالِ، فَكَانُوا فِي أَخْوَالِهِمْ بِمَكَّةَ عِنْدَ آلِ مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ، وَهُمْ عَادُ الْأَخِيرَةِ الَّتِي بَقِيَتْ مِنْ عَادِ الْأَوَّلَى فَلَمَّا نَزَلَ

وَفَدَّ عَادَ عَلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ أَقَامُوا عِنْدَهُ شَهْرًا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، وَتَغْنِيهِمُ الْجَرَادَتَانِ - قَيْنَتَانِ لِمَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ - وَكَانَ مَسِيرُهُمْ شَهْرًا، وَمَقَامُهُمْ شَهْرًا، فَلَمَّا رَأَى مَعَاوِيَةَ بْنُ بَكَرَ طُولَ مَقَامِهِمْ، وَقَدْ بَعْثَهُمْ قَوْمُهُمْ يَتَغَوَّثُونَ بِهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ الَّذِي أَصَابَهُمْ، شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَقَالَ: هَلْكَ أَخْوَالِي وَأَصْحَارِي وَهَؤُلَاءِ مَقِيمُونَ عِنْدِي، وَهُمْ ضَيْفِي نَازِلُونَ عَلَيَّ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي: كَيْفَ أَصْنَعُ بِهِمْ! أَسْتَحْيِي أَنْ أَمْرَهُمْ بِالْخُرُوجِ إِلَى مَا بَعَثُوا إِلَيْهِ، فَيُظَنُّوا أَنَّهُ ضَيْقٌ مِنِّي بِمَقَامِهِمْ عِنْدِي، وَقَدْ هَلَكَ مِنْ وَرَاءِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ جَهْدًا وَعَطْشًا، أَوْ كَمَا قَالَ.

فَشَكَا ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ إِلَى قَيْنَتَيْهِ الْجَرَادَتَيْنِ، فَقَالَتَا: قُلْ شَعْرًا نَغْنِيَهُمْ بِهِ لَا يَدْرُونَ مِنْ قَالِهِ، لَعَلَّ ذَلِكَ أَنْ يَحْرَكَهُمْ! فَقَالَ مَعَاوِيَةُ بْنُ بَكَرَ حِينَ أَشَارَتَا عَلَيْهِ بِذَلِكَ:

أَلَا يَا قَيْلَ، وَيَحْكُ قَمِ فَهَيْنَمُ ... لَعَلَّ اللَّهَ يَسْقِينَا غَمَامًا

فَيَسْقِي أَرْضَ عَادٍ، إِنْ عَادَا ... قَدْ أَمْسُوا لَا يَبِينُونَ الْكَلَامَا

مِنَ الْعَطْشِ الشَّدِيدِ، فَلَيْسَ نَرْجُو ... بِهِ الشَّيْخَ الْكَبِيرَ وَلَا الْغَلَامَا

وَقَدْ كَانَتْ نِسَاؤُهُمْ بِخَيْرٍ ... فَقَدْ أَمْسَتْ نِسَاؤُهُمْ عِيَامِي

وَإِنْ الْوَحْشُ تَأْتِيهِمْ جَهَارًا ... وَلَا تَخْشَى لِعَادِي سَهَامَا

وأنتم هاهنا فيما اشتبهتم ... نهاركم وليلكم التماما
فقبج وفدكم من وفد قوم ... ولا لقوا التحية والسلاما!
فلما قال معاوية ذلك الشعر، غنتهم به الجرادتان. فلما سمع القوم ما غنتا به، قال بعضهم لبعض: يا قوم إنما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم، وقد أبطأتم عليهم، فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم، فقال مرثد بن سعد بن عفير: إنكم والله لا تسقون بدعائكم، ولكن إن أطعتم نبيكم، وأنتم إليه سقيتم فأظهر إسلامه عند ذلك، فقال لهم لجلهمة بن الخيبري، خال معاوية بن بكر حين سمع قوله، وعرف أنه قد تبع دين هود وآمن به:

أبا سعد فإنك من قبيل ... ذوي كرم وأملك من ثمود
فإننا لن نطيعك ما بقينا ... ولسنا فاعلين لما تريد
أتأمرنا لنترك آل رقد ... وزمل وآل صد والعبود
ونترك دين آباء كرام ... ذوي رأي وتبع دين هود

ورقد وزمل وصد قبائل من عاد، والعبود منهم ثم قال لمعاوية بن بكر وابيه بكر: احبسنا عنا مرثد بن سعد فلا يقدم معنا مكة، فإنه قد اتبع دين هود، وترك ديننا ثم خرجوا إلى مكة يستسقون بها لعاد، فلما ولو إلى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية، حتى أدركهم بها قبل أن يدعو الله بشيء مما خرجوا له فلما انتهى إليهم قام يدعو الله، وبها وفد عاد قد اجتمعوا يدعون.

فقال: اللهم أعطني سؤلي وحدي، ولا تدخلني في شيء مما يدعوك به وفد عاد وكان قيل بن عتر رأس وفد عاد وقال وفد عاد: اللهم أعط قبيلا ما سألك، واجعل سؤلنا مع سؤله وقد كان تخلف عن وفد عاد لقمان ابن عاد، وكان سيد عاد، حتى إذا فرغوا من دعوتهم قال: اللهم إني جئتكم وحدي في حاجتي فأعطني سؤلي وقال قيل بن عتر حين دعا: يا إلهنا، إن كان هود صادقا فاسقنا فإننا قد هلكنا فأنشأ الله سخائب ثلاثا: بيضاء وحمراء، وسوداء، ثم ناداه مناد من السحاب: يا قيل، اختر لنفسك وقومك من هذا السحاب فقال: قد اخترت السحابة السوداء، فإنها أكثر السحاب ماء، فناداه مناد: اخترت رمادا رمدا، لا تبقي من عاد أحدا، لا والدا تترك ولا ولدا، إلا جعلته همدا، إلا بني اللوذية المهدي - وبني اللوذية

بنو لقيم بن هزال بن هزيل بن هزيمة ابنة بكر، كانوا سكانا بمكة مع أخوالهم، لم يكونوا مع عاد بأرضهم، فهم عاد الآخرة، ومن كان من نسلهم الذين بقوا من عاد - وساق الله السحابة السوداء فيما يذكرون التي اختار قيل بن عتر بما فيها من النعمة إلى عاد، حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث ولما رأوها استبشروا بها، وقالوا: «هذا عارضٌ مُمطرٌنا»، يقول الله عز وجل: «بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا»، أي كل شيء أمرت به فكان أول من أبصر ما فيها أنها ريح - فيما يذكرون - امرأة من عاد يقال لها مهدد، لما تبينت ما فيها صاحت ثم صعلقت، فلما أفأقت قالوا: ماذا رأيت يا مهدد؟ قالت: رأيت ريحا فيها كسهب النار، أمامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم «سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا»، كما قال الله: والحسوم: الدائمة، فلم تدع من عاد أحدا إلا هلك.

فاعتزل هود - فيما ذكر - ومن معه من المؤمنين في حظيرة، ما يصيبه ومن معه منها إلا ما تلين عليه الجلود، وتلتذ الأنفس، وإنها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء والأرض، وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر وابيه، فنزلوا عليه، فبيناهم عنده، إذ أقبل رجل على ناقه له في ليله مقمره مسي ثلاثة من مصاب عاد، فأخبرهم الخبر، فقالوا: فأين فارقت هودا وأصحابه؟ قال: فارقتهم بساحل البحر، فكأنهم شكوا فيما حدثهم، فقالت هزيمة ابنة بكر: صدق ورب مكة ومثوب بن يعفر بن أخي معاوية بن بكر معهم وقد كان قيل - فيما يزعمون والله أعلم - لمرثد بن سعد ولقمان بن عاد، وقيل بن عتر حين دعوا بمكة: قد أعطيتم مناكم فاخترأوا لأنفسكم، إلا أنه لا سبيل إلى الخلد، فإنه لا بد من الموت، فقال مرثد بن سعد: يا رب، أعطني برا وصدقا، فأعطني ذلك، وقال لقمان بن عاد: أعطني عمرا، فقيل له: اختر لنفسك، إلا إنه لا سبيل إلى الخلد: بقاء ايعار ضأن عفر، في جبل وعمر، لا يليق به إلا

القطر، أم سبعة أنسر إذا مضى نسر حلوت إلى نسر؟ فاختار لقمان لنفسه النسر، فعمر - فيما يزعمون - عمر سبعة أنسر، يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته، فيأخذ الذكر منها لقوته، حتى إذا مات أخذ غيره، فلم يزل يفعل ذلك، حتى أتى على السابع وكان كل نسر فيما زعموا يعيش ثمانين سنة، فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ للقمان: أي عم، ما بقي من عمرك إلا عمر هذا النسر، فقال له لقمان: أي ابن أخي: هذا لبد - ولبد بلسانهم الدهر - فلما أدرك نسر لقمان، وانقضى عمره، طارت النسر غداة من رأس الجبل، ولم ينهض فيها لبد، وكانت نسر لقمان تلك لا تغيب عنه، إنما هي بعينه فلما لم ير لقمان لبدًا نهض مع النسر، نهض إلى الجبل لينظر ما فعل لبد، فوجد لقمان في نفسه وهنا لم يكن يجده قبل ذلك، فلما انتهى إلى الجبل رأى نسر لبدًا واقعا من بين النسر، فناداه: انهض لبد، فذهب لبد لينهض فلم يستطع، عريت قوادمه وقد سقطت، فماتا جميعا.

وقيل لقيط بن عتر حين سمع ما قيل له في السحاب: اختر لنفسك كما اختار صاحبك، فقال: أختار أن يصيبني ما أصاب قومي، فقيل: إنه الهلاك، قال: لا أبالي، لا حاجة لي في البقاء بعدهم فأصابه ما أصاب عادًا من العذاب فهلك، فقال مرثد بن سعد بن عفير حين سمع من قول الراكب الذي أخبر عن عاد بما أخبر من الهلاك:

عصت عاد رسولهم فأمسوا ... عطاشا ما تبلهم السماء

وسير وفداهم شهرا ليستقوا ... فأردفهم مع العطش العماء

بكفرهم برهم جهارا ... على آثار عادهم العفاء

ألا نزع الإله حلوم عاد ... فإن قلوبهم قفر هواء

من الخبر المبين أن يعوه ... وما تغني النصيحة والشفاء

فنفسي وابنتاي وأم ولدي ... لنفس نبينا هود فداء

أتانا والقلوب مصمدات ... على ظلم، وقد ذهب الضياء

لنا صنم يقال له صمود ... يقابله صداء والهباء

فأبصره الذين له أنابوا ... وأدرك من يكذبه الشقاء

فإني سوف ألحق آل هود ... وإخوته إذا جن المساء

وقيل: إن رئيسهم وكبيرهم في ذلك الزمان الخليلان.

حدثني العباس بن الوليد، قال: حدثنا أبي، عن إسماعيل بن عياش، عن محمد بن إسحاق، قال: لما خرجت الريح على عاد من الوادي، قال سبعة رهط منهم، أحدهم الخليلان: تعالوا حتى نقوم على شفير الوادي فنردها، فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله، ثم ترمي به فتندق عنقه، فتتركهم كما قال الله عز وجل: «صَرَعَى كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ» حتى لم يبق منهم إلا الخليلان، فمال إلى الجبل، فأخذ بجانب منه، فهزه فاهتز في يده، ثم أنشأ يقول:

لم يبق الا الخليلان نفسه ... نالك من يوم دهاني أمسه

بثابت الوطء شديد وطسه ... لو لم يجثني جثته أجسه

فقال له هود: ويحك يا خليلان! أسلم تسلم، فقال له: وما لي عند ربك إن أسلمت؟ قال: الجنة، قال: فما هؤلاء الذين أراهم في هذا السحاب كأنهم البخت، قال هود: تلك ملائكة ربي، قال: فإن أسلمت أيعيدني ربك منهم؟ قال: ويلك! هل رأيت ملكا يعيد من جنده! قال: لو فعل ما رضيت، قال: ثم جاءت الريح فألحقته بأصحابه، أو كلاما هذا معناه قال أبو جعفر: فأهلك الله الخليلان، وأبقى عادًا خلا من بقي

منهم، ثم بادوا بعد، ونجى الله هودًا ومن آمن به وقيل: كان عمر هود مائة سنة وخمسين سنة.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن الفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، قال: «وإلى عاد أخاهم هودًا. قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره»، إن عادًا اتاهم هود، فوعظهم وذكرهم بما قص الله في القرآن، فكذبوه وكفروا، وسألوه أن يأتيهم

العذاب فقال لهم:

«إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ»، وإن عادا أصابهم حين كفروا حقت من المطر، حتى جهدوا لذلك جهدا شديدا، وذلك أن هودا دعا عليهم، فبعث الله عليهم الريح العقيم، وهي الريح التي لا تلحق الشجر، فلما نظروا إليها قالوا: هذا عارض ممطرنا، فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال، تطير بهم الريح بين السماء والأرض، فلما راوها تبادروا إلى البيوت، حتى دخلوا البيوت دخلت عليهم فأهلكتهم فيها، ثم أخرجتهم من البيوت، فأصابتهم «فِي يَوْمٍ نَحْسٍ»، والنحس هو الشؤم «مُسْتَمِرٍّ» استمر عليهم بالعذاب «سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا»، حسمت كل شيء مرت به، حتى أخرجتهم من البيوت، قال الله تبارك وتعالى: «تَنْزِعُ النَّاسَ» عن البيوت، «كَأَنَّهُمْ أَجْزَارُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ»، انقعر من أصوله «خَاوِيَةً» خوت فسقطت، فلما أهلكهم الله أرسل عليهم طيرا سودا، فنقلتهم إلى البحر، فألقتهن فيه، فذلك قوله عز وجل: «فَأَصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ».

ولم تخرج الريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ، فإنها عنت على الخزنة فغلبتهم، فلم يعلموا كم كان مكيالها؟ فذلك قوله: «فَأَهْلِكُوا بَرِيحَ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ».

والصرصر: ذات الصوت الشديد.

حدثني محمد بن سهل بن عسكر، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: حدثني عبد الصمد، أنه سمع وهبا يقول: إن عادا لما عذبهم الله بالريح التي عذبوا بها، كانت تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم عليهم بيوتهم، فمن لم يكن في بيت هبت به الريح حتى تقطعه بالجبال، فهلكوا بذلك كلهم وأما ثمود فإنهم عتوا على ربهم، وكفروا به، وأفسدوا في الأرض، فبعث الله إليهم صالح بن عبيد بن ماسخ بن عبيد بن خادر بن ثمود ابن جاثر بن إرم بن سام بن نوح، رسولا يدعوهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة.

وقيل: صالح، هو صالح بن أسف بن كاشع بن إرم بن ثمود بن جاثر ابن إرم بن سام بن نوح. فكان من جوابهم له أن قالوا له: «يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنَاهَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ» وكان الله عز وجل قد مد لهم في الأعمار، وكانوا يسكنون الحجر

إلى وادي القرى، بين الحجاز والشام، ولم يزل صالح يدعوهم إلى الله على تمردهم وطغيانهم، فلا يزيدهم دعاؤه إياهم إلى الله إلا مباعدة من الإجابة، فلما طال ذلك من أمرهم وأمر صالح قالوا له: إن كنت صادقا فأتنا بآية. فكان من أمرهم وأمره ما حدثنا الحسن بن يحيى، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ، قَالَ:

قَالَتْ ثُمُودُ لِصَالِحٍ: اثْنَا بَايَةَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ: اخْرُجُوا إِلَى هَضْبَةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَإِذَا هِيَ تَتَخَضُّضُ كَمَا تَتَخَضُّضُ الْحَامِلُ، ثُمَّ تَفَرَّجَتْ نَخَرَجَتْ مِنْ وَسْطِهَا النَّاَقَةُ، فَقَالَ صَالِحٌ ع: «هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» «لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ» فلما ملوها عقروها، فقال لهم: «تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ» قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: وَحَدَّثَنِي رَجُلٌ آخَرُ أَنَّ صَالِحًا قَالَ لَهُمْ: إِنَّ آيَةَ الْعَذَابِ أَنْ تُصْبِحُوا غَدًا حُمْرًا، وَالْيَوْمَ الثَّانِي صُفْرًا، وَالْيَوْمَ الثَّلَاثُ سُودًا، فَصَبَّحَهُمُ الْعَذَابُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ تَحَنَّنُوا وَاسْتَعْدُّوا. حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ خَارِجَةَ، قَالَ: قُلْنَا لَهُ:

حَدَّثَنَا حَدِيثُ ثُمُودَ، قَالَ: أَحَدَثَكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص عَنْ ثُمُودَ. كَانَتْ ثُمُودُ قَوْمَ صَالِحٍ عَمَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الدُّنْيَا، فَأَطَالَ أَعْمَارَهُمْ حَتَّى جَعَلَ أَحَدُهُمْ بَيْنِي الْمَسْكَنِ مِنَ الْمَدَرِ فَيَهْدِمُ وَالرَّجُلُ مِنْهُمْ

حَيٍّ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ اتَّخَذُوا مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ، فَحَتُّوْهَا وَجَابُوهَا وَجَوْفُوهَا،

وَكَانُوا فِي سَعَةٍ مِنْ مَعَائِشِهِمْ، فَقَالُوا: يَا صَالِحُ، ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا آيَةً نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ فَدَعَا صَالِحٌ رَبَّهُ، فَأَخْرَجَ لَهُمُ النَّاقَةَ فَكَانَ شَرِبُهَا يَوْمًا وَشَرِبَهُمْ يَوْمًا مَعْلُومًا، فَإِذَا كَانَ يَوْمٌ شَرِبَهَا خَلَّوْا عَنْهَا وَعَنِ الْمَاءِ، وَحَلَبُوهَا لَبْنًا، مَلَّوْا كُلَّ إِنَاءٍ وَوَعَاءٍ وَسِقَاءٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمٌ شَرِبَهُمْ صَرَفُوهَا عَنِ الْمَاءِ وَلَمْ تَشْرَبْ مِنْهُ شَيْئًا، فَلَمَّوْا كُلَّ إِنَاءٍ وَوَعَاءٍ وَسِقَاءٍ، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى صَالِحٍ إِنَّ قَوْمَكَ سَيَعْقِرُونَ نَاقَتَكَ، فَقَالَ لَهُمْ، فَقَالُوا: مَا كُنَّا لِنَفْعَلَ، قَالَ: إِلَّا تَعْقِرُوهَا أَنْتُمْ أَوْشَكُ أَنْ يُولَدَ فِيكُمْ مَوْلُودٌ يَعْقِرُهَا، قَالُوا: مَا عَلَامَةُ ذَلِكَ الْمَوْلُودِ؟ فَوَاللَّهِ لَا نَجِدُهُ إِلَّا قَتْلَانَهُ، قَالَ: فَإِنَّهُ غُلَامٌ أَشْقَرُ أَرْقُ أَصْهَبُ أَحْمَرُ، قَالَ: فَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ شَيْخَانِ عَزِيزَانِ مَنِيعَانِ، لِأَحَدِهِمَا ابْنٌ يَرْغَبُ لَهُ عَنِ الْمَنَاجِجِ، وَالْآخَرُ ابْنَةٌ لَا يَجِدُ لَهَا كَفْتًا، فَجَمَعَ بَيْنَهُمَا مَجْلِسٌ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُزَوِّجَ ابْنَكَ؟ قَالَ: لَا أَجِدُ لَهُ كُفْتًا، قَالَ: فَإِنَّ ابْنَتِي كُفْتُ لَهُ، وَإِنَا أَرْوَجُكَ، فَزَوَّجَهُ فَوَلَدَ مِنْهُمَا ذَلِكَ الْمَوْلُودُ.

وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ ثَمَانِيَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ، فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ صَالِحٌ: إِنَّمَا يَعْقِرُهَا مَوْلُودٌ فِيكُمْ، اخْتَارُوا ثَمَانِيَةَ نِسْوَةٍ قَوَائِلَ مِنَ الْقَرْيَةِ، وَجَعَلُوا مَعَهُنَّ شُرَطًا كَانُوا يَطُفُونُ فِي الْقَرْيَةِ، فَإِذَا وَجَدُوا الْمَرْأَةَ تَمْخِضُ نَظَرُوا مَا وَلَدَتْ؟ فَإِنْ كَانَ غُلَامًا قَتَلَتْهُ، وَإِنْ كَانَتْ جَارِيَةً اعْرَضْنَ عَنْهَا، فَلَمَّا وَجَدُوا ذَلِكَ الْمَوْلُودَ صَرَخَتِ النِّسْوَةُ، وَقُلْنَ: هَذَا الَّذِي يُرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ صَالِحُ، فَارَادَ الشَّرَطُ أَنْ يَأْخُذُوهَا، فَخَالَ جَدَّاهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ وَقَالُوا: إِنْ أَرَادَ صَالِحٌ هَذَا قَتْلَانَهُ، وَكَانَ شَرُّ مَوْلُودٍ، وَكَانَ يَشُبُّ فِي الْيَوْمِ شَبَابَ غَيْرِهِ فِي الْجُمُعَةِ، وَيَشُبُّ

فِي الْجُمُعَةِ شَبَابَ غَيْرِهِ فِي الشَّهْرِ، وَيَشُبُّ فِي الشَّهْرِ شَبَابَ غَيْرِهِ فِي السَّنَةِ، فَاجْتَمَعَ الثَّمَانِيَةُ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ، وَفِيهِمُ الشَّيْخَانِ، فَقَالُوا:

اسْتَعْمِلْ عَلَيْنَا هَذَا الْغُلَامَ لِمَنْزِلَتِهِ وَشَرَفِ جَدِّهِ، فَصَارُوا تِسْعَةً، وَكَانَ صَالِحٌ لَا يَنَامُ مَعَهُمْ فِي الْقَرْيَةِ، بَلْ كَانَ فِي مَسْجِدٍ يُقَالُ لَهُ مَسْجِدُ صَالِحٍ، فِيهِ بَيْتٌ بِاللَّيْلِ، فَإِذَا أَصْبَحَ أَتَاهُمْ فَوَعظَهُمْ وَذَكَرَهُمْ، فَإِذَا أَمْسَى خَرَجَ إِلَى مَسْجِدِهِ فَبَاتَ فِيهِ. قَالَ حُجَّاجٌ: قَالَ ابْنُ جَرِيٍّ: لَمَّا قَالَ لَهُمْ صَالِحٌ: إِنَّهُ سَيُولَدُ غُلَامٌ يَكُونُ هَلَاكُهُمْ عَلَى يَدَيْهِ، قَالُوا: فَكَيْفَ تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: أَمُرُكُمْ بِقَتْلِهِمْ، فَقَتَلُوهُمْ إِلَّا وَاحِدًا، قَالَ: فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمَوْلُودُ قَالُوا: لَوْ كُنَّا لَمْ نَقْتُلْ أَوْلَادَنَا لَكَانَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِثْلُ هَذَا، هَذَا عَمَلُ صَالِحٍ! فَاتُّمَرُوا بَيْنَهُمْ بِقَتْلِهِ، وَقَالُوا: نَخْرُجُ مُسَافِرِينَ وَالنَّاسُ يَرَوْنَا عَلَانِيَةً، ثُمَّ نَرْجِعُ مِنْ لَيْلَةٍ كَذَا وَكَذَا فَنَرُصِدُهُ عِنْدَ مَصْلَاهُ فَنَقْتُلُهُ، فَلَا يَحْسِبُ النَّاسُ إِلَّا أَنَا مُسَافِرُونَ كَمَا نَحْنُ.

فَاقْبَلُوا حَتَّى دَخَلُوا تَحْتَ صَخْرَةٍ يَرُصِدُونَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمُ الصَّخْرَةَ فَرَضَّخَتْهُمْ فَأَصْبَحُوا رَضَخًا، فَانْطَلَقَ رِجَالٌ مِنْ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَإِذَا هُمْ رَضَخٌ، فَارْجَعُوا يَصِيحُونَ فِي الْقَرْيَةِ: أَيُّ عِبَادِ اللَّهِ، أَمَّا رَضِي صَالِحٌ أَنْ أَمَرَهُمْ أَنْ يَقْتُلُوا أَوْلَادَهُمْ حَتَّى قَتَلَهُمْ! فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ عَلَى عَقْرِ النَّاقَةِ أَجْمَعُونَ، فَأَجْمَعُوا عَنْهَا إِلَّا ذَلِكَ ابْنُ الْعَاشِرِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: ثُمَّ رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ص، قَالَ: فَأَرَادُوا أَنْ يَمْكُرُوا بِصَالِحٍ، فَشَوْا حَتَّى أَتَوْا عَلَى سَرَبٍ عَلَى طَرِيقِ صَالِحٍ، فَاخْتَبَأَ فِيهِ ثَمَانِيَةٌ وَقَالُوا: إِذَا خَرَجَ عَلَيْنَا قَتْلَانَهُ وَآتَيْنَا أَهْلَهُ فَبَيْتَنَاهُمْ، فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَرْضَ فَاسْتَوَتْ عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَاجْتَمَعُوا وَمَشَوْا إِلَى النَّاقَةِ، وَهِيَ عَلَى حَوْضٍ قَائِمَةٌ، فَقَالَ الشَّقِيُّ لِأَحَدِهِمْ: ابْتِهَا فَأَعْقِرْهَا، فَأَتَاهَا، فَتَعَاظَمَهُ ذَلِكَ، فَأَضْرَبَ عَنْ ذَلِكَ، فَبَعَثَ آخَرَ فَأَعَاظَمَ ذَلِكَ، فَجَعَلَ لَا يَبْعَثُ أَحَدًا إِلَّا تَعَاظَمَهُ أَمْرُهَا، حَتَّى مَشَى إِلَيْهَا وَتَطَاوَلَ

فَضْرَبَ عُرْقُوبِيهَا، فَوَقَعَتْ تَرْكُضُ فَاتَى رَجُلٌ مِنْهُمْ صَالِحًا فَقَالَ: أَدْرِكِ النَّاقَةَ فَقَدْ عَقَرْتَ فَأَقْبِلْ، نَخْرُجُوا يَتَلَقُونَهُ وَيَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّمَا عَقَرَهَا فَلَانٌ، إِنَّهُ لَا ذَنْبَ لَنَا، قَالَ: انظُرُوا هَلْ تَدْرِكُونَ فَصِيلَهَا! فَإِنْ أَدْرَكْتُمُوهُ فَغَسِيَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَ عَنْكُمْ الْعَذَابَ!

خَرَجُوا يَطْلُبُونَهُ فَلَمَّا رَأَى الْفَصِيلُ أُمَّهُ تَضْطَرِبُ أَتَى جَبَلًا - يُقَالُ لَهُ: الْقَارَةُ - فَصِيرًا فَصَعِدَهُ وَذَهَبُوا لِيَأْخُذُوهُ، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْجَبَلِ، فَطَالَ فِي السَّمَاءِ حَتَّى مَا تَنَالَهُ الطَّيْرُ، قَالَ: وَدَخَلَ صَالِحُ الْقَرْيَةِ، فَلَمَّا رَأَى الْفَصِيلَ بَكَى حَتَّى سَالَتْ دُمُوعُهُ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ صَالِحًا، فَرَاغًا رَغْوَةً، ثُمَّ رَاغًا أُخْرَى، ثُمَّ رَاغًا أُخْرَى فَقَالَ صَالِحٌ: لِكُلِّ رَغْوَةٍ أَجَلٌ يَوْمٌ، تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ، إِلَّا أَنَّ آيَةَ الْعَذَابِ أَنَّ الْيَوْمَ الْأَوَّلَ تَصْبِحُ وُجُوهُكُمْ مُصْفَرَّةً، وَالْيَوْمَ الثَّانِي مُحْمَرَّةً، وَالْيَوْمَ الثَّلَاثَ مُسَوَّدَةً، فَلَمَّا أَصْبَحُوا إِذَا وَجُوهُهُمْ كَأَنَّهَا طُلِيَتْ بِالْخُلُقِ، صَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ، ذَكَرُهُمْ وَأُنْثَاهُمْ، فَلَمَّا أَمْسَوْا صَا حُوا بِأَجْمَعِهِمْ: أَلَا قَدْ مَضَى يَوْمٌ مِنَ الْأَجَلِ وَحَضَرَ كُرُّ الْعَذَابِ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا الْيَوْمَ الثَّانِي إِذَا وَجُوهُهُمْ مُحْمَرَّةً، كَأَنَّهَا خُضِبَتْ بِالْدَّمَاءِ، فَصَا حُوا وَضَجُوا وَبَكَوْا وَعَرَفُوا أَنَّهُ الْعَذَابُ فَلَمَّا أَمْسَوْا صَا حُوا بِأَجْمَعِهِمْ: أَلَا قَدْ مَضَى يَوْمَانِ مِنَ الْأَجَلِ، وَحَضَرَ كُرُّ الْعَذَابِ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا الْيَوْمَ الثَّلَاثَ إِذَا وَجُوهُهُمْ مُسَوَّدَةٌ كَأَنَّهَا طُلِيَتْ بِالْقَارِ، فَصَا حُوا جَمِيعًا: أَلَا قَدْ حَضَرَ كُرُّ الْعَذَابِ، فَتَكَفَّفُوا وَتَحَنَّنُوا، وَكَانَ حُوطُهُمُ الصَّبْرَ وَالْمَقْرَ، وَكَانَتْ أَكْفَانُهُمُ الْأَنْطَاعَ، ثُمَّ أَلْقَوْا أَنْفُسَهُمْ إِلَى الْأَرْضِ، فَجَعَلُوا يَقْلِبُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ مَرَّةً، وَإِلَى الْأَرْضِ مَرَّةً، لَا يَدْرُونَ مِنْ حَيْثُ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ، مِنْ فَوْقِهِمْ مِنَ السَّمَاءِ، أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنَ الْأَرْضِ خُشْعًا وَفَرَقًا، فَلَمَّا أَصْبَحُوا الْيَوْمَ الرَّابِعَ أَتَتْهُمْ صَيْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ فِيهَا صَوْتُ كُلِّ صَاعِقَةٍ وَصَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ صَوْتُ فِي الْأَرْضِ، فَتَقَطَّعَتْ قُلُوبُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: حَدَّثْتُ أَنَّهُ لَمَّا أَخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ أَهْلَكَ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ مِنْهُمْ، إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا كَانَ فِي حَرَمِ اللَّهِ، مَنَعَهُ حَرَمُ اللَّهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ قِيلَ: وَمَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَبُو رِغَالٍ، [وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَ حِينَ أَتَى عَلَى قَرْيَةٍ تُثَوِّدُ لِأَصْحَابِهِ: لَا يَدْخُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْقَرْيَةَ، وَلَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهِمْ،] وَأَرَاهُمْ مُرْتَقَى الْفَصِيلِ، حِينَ ارْتَقَى فِي الْقَارَةِ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: وَأَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عِمْرَانَ، [إِنَّ النَّبِيَّ صَ حِينَ أَتَى عَلَى قَرْيَةٍ تُثَوِّدُ قَالَ: لَا تَدْخُلَنَّ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُعَذِّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ]. قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: [إِنَّ النَّبِيَّ صَ لَمَّا أَتَى عَلَى الْحَجْرِ، حَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَلَا تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ الْآيَاتِ، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ صَالِحٌ سَأَلُوا رَسُولَهُمُ الْآيَةَ، فَبَعَثَ اللَّهُ لَهُمُ النَّاقَةَ، فَكَانَتْ تَرُدُّ مِنْ هَذَا الْفَجِّ وَتَصْدُرُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، فَتَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْمَ وَرْدِهَا].

حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ الْأَشْجَعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَقْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ خَثِيمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الطَّيْلِ قَالَ: [لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَ غَزَاةَ تَبُوكَ، نَزَلَ الْحَجْرَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْأَلُوا نَبِيَّكُمْ الْآيَاتِ، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ صَالِحٌ سَأَلُوا نَبِيَّهُمْ أَنْ يَبْعَثَ لَهُمْ آيَةً، فَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ لَهُمُ النَّاقَةَ آيَةً، فَكَانَتْ تَلْجُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ وَرْدِهَا مِنْ هَذَا الْفَجِّ فَتَشْرَبُ مَاءَهُمْ، وَيَوْمَ وَرْدِهِمْ كَانُوا يَتَزَوَّدُونَ مِنْهُ، ثُمَّ يَحْلُبُونَهَا مِثْلَ مَا كَانُوا يَتَزَوَّدُونَ مِنْ مَائِهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ لَبْنًا، ثُمَّ تَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ الْفَجِّ فَتَعْتُو عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَعَقَرُوهَا، فَوَعَدَهُمُ اللَّهُ الْعَذَابَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ،

وَكَانَ وَعْدًا مِنَ اللَّهِ غَيْرَ مَكْذُوبٍ، فَأَهْلَكَ اللَّهُ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا كَانَ فِي حَرَمِ اللَّهِ، فَمَنَعَهُ حَرَمُ اللَّهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، قَالُوا: وَمَنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَبُو رِغَالٍ].

فَأَمَّا أَهْلُ التَّوْرَةِ فَإِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ لَا ذِكْرَ لِعَادٍ وَلَا ثَمُودَ وَلَا لِهُودٍ وَصَالِحٍ فِي التَّوْرَةِ، وَأَمْرُهُمْ عِنْدَ الْعَرَبِ فِي الشُّهْرَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ كَشُهْرَةِ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِهِ.

قَالَ: وَلَوْلَا كَرَاهَةُ إِطَالَةِ الْكِتَابِ بِمَا لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ، لَذَكَرْتُ مِنْ شِعْرِ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ الَّذِي قِيلَ فِي عَادٍ وَثَمُودَ وَأُمُورِهِمْ بَعْضَ مَا قِيلَ

مَا يَعْلَمُ بِهِ مَنْ ظَنَّ خِلَافَ مَا قُلْنَا فِي شُهْرَةِ أَمْرِهِمْ فِي الْعَرَبِ صِحَّةَ ذَلِكَ وَمِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ صَالِحًا تَوَفَّى بِمَكَّةَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانَ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَأَنَّهُ أَقَامَ فِي قَوْمِهِ عِشْرِينَ سَنَةً.
قال أبو جعفر: نرجع الآن إلى:

١٠٦ ذكر إبراهيم خليل الرحمن ع

١٠٦٠١ وذكر من كان في عصره من ملوك العجم

ذكر إبراهيم خليل الرحمن ع

وذكر من كان في عصره من ملوك العجم

إذ كما قد ذكرنا من بينه وبين نوح من الآباء وتأريخ السنين التي مضت قبل ذلك وهو إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن ارغشيد بن سام بن نوح.

واختلفوا في الموضع الذي كان منه، والموضع الذي ولد فيه، فقال بعضهم:

كان مولده بالسوس من أرض الأهواز، وقال بعضهم: كان مولده ببابل من أرض السواد وقال بعضهم: كان بالسواد بناحية كوثي وقال بعضهم:

كان مولده بالوركاء بناحية الزوابي وحدود كسكر، ثم نقله أبوه إلى الموضع الذي كان به نمرود من ناحية كوثي وقال بعضهم: كان مولده ببحران، ولكن أباه تارخ نقله إلى أرض بابل وقال عامة السلف من أهل العلم: كان مولد إبراهيم ع في عهد نمرود بن كوش ويقول عامة أهل الأخبار:

كان نمرود عاملا للإزدهاق الذي زعم بعض من زعم أن نوحا ع كان مبعوثا إليه على أرض بابل وما حولها وأما جماعة من سلف العلماء فإنهم يقولون: كان ملكا برأسه، واسمه الذي هو اسمه فيما قيل: زرهى بن طهماسلفان.

وقد حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق - فيما ذكر لنا والله أعلم - أن آزر كان رجلا من أهل كوثي، من قرية بالسواد سواد الكوفة، وكان إذ ذاك ملك المشرق لنمرود الخاطيء، وكان يقال له الهاصر، وكان ملكه - فيما يزعمون - قد أحاط بمشارك الأرض ومغارها، وكان ببابل، قال: وكان ملكه وملك قومه بالمشرق قبل ملك فارس.

قال: ويقال لم يجتمع ملك الأرض ولم يجتمع الناس على ملك واحد إلا

على ثلاثة ملوك: نمرود بن أرغوا، وذي القرنين، وسليمان بن داود.

وقال بعضهم: نمرود هو الضحاك نفسه.

حدثت عن هشام بن محمد، قال: بلغنا والله أعلم أن الضحاك هو نمرود، وأن إبراهيم خليل الرحمن ولد في زمانه، وأنه صاحبه الذي أراد إحراقه.

حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره عن أبي صالح وعن أبي مالك، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي ص إن أول ملك ملك في الأرض شرقها وغربها نمرود بن كنعان ابن كوش بن سام بن نوح، وكانت الملوك الذين ملكوا الأرض كلها أربعة:

نمرود، وسليمان بن داود، وذي القرنين، وبختنصر: مؤمنان وكافران.

وقال ابن إسحاق فيما حدثني ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: فلما أراد الله عز وجل أن يبعث إبراهيم ع خليل الرحمن حجة على قومه ورسولا إلى عباده، ولم يكن فيما بين نوح وإبراهيم ع من نبي قبله إلا هود وصالح، فلما تقارب زمان إبراهيم الذي أراد الله تعالى ذكره ما أراد، أتى أصحاب النجوم نمرود، فقالوا له: تعلم أنا نجد في علمنا أن غلاما يولد في قريتكم هذه يقال له إبراهيم، يفارق

دينكم، ويكسر أوثانكم، في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا فلما دخلت السنة التي وصف أصحاب النجوم لثمود، بعث ثمود إلى كل امرأة حبلى بقريته، فحبسها عنده، إلا ما كان من أم إبراهيم امرأة آزر فإنه لم يعلم بحبلها، وذلك أنها كانت جارية- حدثه فيما يذكر- لم يعرف الحبل في بطنها، فجعل لا تلد امرأة غلاما في ذلك الشهر من تلك السنة إلا أمر به فذبح، فلما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت ليلا إلى مغارة كانت قريبا منها، فولدت فيها إبراهيم ع، وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود، ثم سدت عليه المغارة، ثم رجعت إلى بيتها، ثم كانت تطالعه في المغارة لتنظر ما فعل، فتجده حيا

يمص إبهامه يزعمون- والله أعلم- أن الله جعل رزق إبراهيم ع فيها ما يحييه من مصه، وكان آزر فيما يزعمون قد سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل، فقالت: ولدت غلاما فمات فصدقها فسكت عنها، وكان اليوم- فيما يذكرون- على إبراهيم في الشباب كالشهر، والشهر كالسنة، ولم يمكث إبراهيم ع في المغارة إلا خمسة عشر شهرا، حتى قال لأمه: أخرجيني أنظر، فأخرجته عشاء، فنظر وتفكر في خلق السموات والأرض، وقال: إن الذي خلقي ورزقني وأطعمني وسقاني لربي، ما لي إله غيره ثم نظر في السماء ورأى كوكبا، فقال: «هذا ربي»، ثم اتبعه ينظر إليه ببصره حتى غاب «فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ»، ثم اطلع للقمر فرآه بازغا فقال: «هذا ربي» ثم اتبعه ببصره حتى غاب «فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ» فلما دخل عليه النهار وطلعت الشمس رأى عظم الشمس ورأى شيئا هو أعظم نورا من كل شيء رآه قبل ذلك، فقال: «هذا ربي هذا أكبر»، فلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» .

ثم رجع إبراهيم إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته، وعرف ربه وبريء من دين قومه إلا أنه لم يبادهم بذلك، فأخبره أنه ابنه، فأخبرته أم إبراهيم ع أنه ابنه، فأخبرته بما كانت صنعت في شأنه، فسر بذلك آزر وفرح فرحا شديدا، وكان آزر يصنع أصنام قومه التي يعبدون، ثم يعطيها إبراهيم يبيعها، فيذهب بها إبراهيم ع فيما يذكرون فيقول: من يشتري ما يضره ولا ينفعه! فلا يشتريها منه أحد، فإذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر فصوب فيه رءوسها، وقال: اشتريني- استهزاء بقومه، وبما هم عليه من الضلالة- حتى فشا عييه إياها، واستهزأوه بها في قومه وأهل قريته،

من غير أن يكون ذلك بلغ ثمود الملك ثم إنه لما بدا لإبراهيم أن يبادي قومه بخلاف ما هم عليه وبأمر الله والدعاء إليه «نَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ»، يقول الله عز وجل: «فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ»، وقوله:

«إِنِّي سَقِيمٌ» أي طعين، أو لسقم كانوا يهربون منه إذا سمعوا به، وإنما يريد إبراهيم أن يخرجوا عنه ليبغ من أصنامهم الذي يريد فلما خرجوا عنه خالف إلى أصنامهم التي كانوا يعبدون من دون الله، ففرب لها طعاما، ثم قال: ألا تأكلون! ما لكم لا تتفقون! تعبيراً في شأنها واستهزاء بها.

وقال في ذلك غير ابن إسحاق، مَا حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ:

حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، في خبر ذكره عن أَبِي صَالِحٍ، وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ- وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود- وعن أناس من أصحاب النبي ص: كان من شأن إبراهيم ع أَنَّهُ طَلَعَ كَوْكَبٌ عَلَى ثَمُودَ، فَذَهَبَ بِضَوْءِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، فَفَزِعَ مِنْ ذَلِكَ فَرَعًا شَدِيدًا، فَدَعَا السَّحَرَةَ وَالْكَهَنَةَ وَالْقَافَّةَ وَالْحَاذِرَةَ، فَسَأَلَهُمْ عَنْهُ، فَقَالُوا: يَخْرُجُ مِنْ مُلْكِكَ رَجُلٌ يَكُونُ عَلَى وَجْهِهِ هَلَاكُكَ وَهَلَاكُ مُلْكِكَ- وَكَانَ مَسْكَنُهُ بَيْابِلَ الْكُوفَةِ- نَخَرَجَ مِنْ قَرِيَّتِهِ إِلَى قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَاخْرَجَ الرِّجَالَ وَتَرَكَ النِّسَاءَ، وَامْرَأَتُهُ يُولَدُ مَوْلُودٌ ذَكَرٌ إِلَّا ذَبَحَهُ، فَذَبَحَ أَوْلَادَهُمْ ثُمَّ إِنَّهُ بَدَتْ لَهُ حَاجَةٌ فِي الْمَدِينَةِ لَمْ يَأْمَنْ عَلَيْهَا إِلَّا آزَرَ أَبَا إِبْرَاهِيمَ، فَدَعَاهُ فَأَرْسَلَهُ. فَقَالَ لَهُ انْظُرْ لَا تَوَاقِعْ أَهْلَكَ، فَقَالَ لَهُ آزَرَ: أَنَا أَضِنُ بِدِينِي مِنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا دَخَلَ الْقَرْيَةَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِهِ فَلَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ أَنْ وَقَعَ عَلَيْهَا، فَقَرَّبَهَا إِلَى قَرْيَةٍ بَيْنَ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ، يُقَالُ لَهَا أَوْرُ، فَجَعَلَهَا فِي سَرَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُهَا بِالطَّعَامِ

وَالشَّرَابِ وَمَا يُصْلِحُهَا وَإِنَّ الْمَلِكَ لَمَّا طَالَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ قَالَ: قَوْلُ سَحْرَةٍ كَذَّابِينَ.

ارْجِعُوا إِلَى بَلَدِكُمْ، فَرجِعُوا وولِدَ إِبْرَاهِيمُ فَكَانَ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَمُرُّ كَانَهُ جُمُعَةً، وَالْجُمُعَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالسَّنَةِ مِنْ سُرْعَةِ شَبَابِهِ، وَلَيْسَ الْمَلِكُ ذَلِكَ، وَكَبِيرُ إِبْرَاهِيمَ وَلَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ غَيْرَهُ وَغَيْرَ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَقَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ لِأَصْحَابِهِ: إِنَّ لِي ابْنًا قَدْ خَبَأْتَهُ، أَفَتَخَافُونَ عَلَيْهِ الْمَلِكَ إِنْ أَنَا جِئْتُ بِهِ؟ قَالُوا:

لَا، فَأَتَتْ بِهِ فَانْطَلَقَ فَأَخْرَجَهُ، فَلَمَّا خَرَجَ الْغُلَامُ مِنَ السَّرْبِ نَظَرَ إِلَى الدَّوَابِّ وَالْبَهَائِمِ وَالْخَلْقِ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ أَبَاهُ: مَا هَذَا؟ فَيُخْبِرُهُ عَنِ الْبَعِيرِ أَنَّهُ بَعِيرٌ، وَعَنِ الْبَقْرَةِ أَنَّهَا بَقْرَةٌ، وَعَنِ الْفَرَسِ أَنَّهُ فَرَسٌ، وَعَنِ الشَّاةِ أَنَّهَا شَاةٌ، فَقَالَ:

مَا لِهَؤُلَاءِ الْخَلْقِ بَدٌّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ رَبٌّ، وَكَانَ خُرُوجُهُ حِينَ خَرَجَ مِنَ السَّرْبِ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ بِالْكَوْكَبِ وَهُوَ الْمُشْتَرَى، فَقَالَ: «هَذَا رَبِّي»، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ غَابَ، فَقَالَ «لَا أَحِبُّ الْآفَلِينَ»، أَيُّ لَا أَحِبُّ رَبًّا يَغِيبُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَخَرَجَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ، فَلِذَلِكَ لَمْ يَرَ الْقَمَرَ قَبْلَ الْكَوَاكِبِ، فَلَمَّا كَانَ آخِرُ اللَّيْلِ رَأَى الْقَمَرَ بَارِغًا قَدْ طَلَعَ، فَقَالَ:

«هَذَا رَبِّي، فَلَمَّا أَقْبَلَ» يَقُولُ: غَابَ، «قَالَ لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لِأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ»، فَلَمَّا أَصْبَحَ وَرَأَى الشَّمْسَ بَارِغَةً، قَالَ: «هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ»، فَلَمَّا غَابَتْ قَالَ اللَّهُ لَهُ: أَسْلِمَ، قَالَ: قَدْ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ثُمَّ اتَى قَوْمَهُ فَدَعَاهُمْ فَقَالَ: «يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا» يَقُولُ مُخْلِصًا: فَجَعَلَ يَدْعُو قَوْمَهُ وَيُنذِرُهُمْ. وَكَانَ أَبُوهُ يَصْنَعُ الْأَصْنَامَ فَيُعْطِيهَا وَلَدَهُ فَيَبْعُونَهَا، وَكَانَ يُعْطِيهِ فَيُنَادِي:

مَنْ يَشْتَرِي مَا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ؟ فَيَرْجِعُ إِخْوَتَهُ وَقَدْ بَاعُوا أَصْنَامَهُمْ، وَيَرْجِعُ إِبْرَاهِيمُ بِأَصْنَامِهِ كَمَا هِيَ، ثُمَّ دَعَا أَبَاهُ فَقَالَ: «يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا»

«قَالَ: «أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَهِ لِأَرْجِنِكَ وَاهْجُرْنِي مِلًّا» قَالَ: ابدا ثُمَّ قَالَ لَهُ أَبُوهُ:

يَا إِبْرَاهِيمُ، إِنْ لَنَا عِيدًا لَوْ قَدْ خَرَجْتَ مَعَنَا لِأَعْجَبَكَ دِينُنَا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْعِيدِ، خَرَجُوا إِلَيْهِ خَرَجَ مَعَهُمْ إِبْرَاهِيمُ، فَلَمَّا كَانَ بَعْضُ الطَّرِيقِ أَلْقَى نَفْسَهُ وَقَالَ:

«إِنِّي سَقِيمٌ»، يَقُولُ: أَشْتَكِي رَجُلِي، فَتَوَطَّأُوا رِجْلَيْهِ، وَهُوَ صَرِيحٌ، فَلَمَّا مَضَوْا نَادَى فِي آخِرِهِمْ وَقَدْ بَقِيَ ضَعْفَى النَّاسِ: «تَاللَّهِ لَا أَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ» فَسَمِعُوهَا مِنْهُ، ثُمَّ رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى بَيْتِ الْإِلَهِةِ، فَإِذَا هُوَ فِي بَهْوٍ عَظِيمٍ، مُسْتَقْبِلُ بَابِ الْبَهْوِ صَنْمٌ عَظِيمٌ إِلَى جَنْبِهِ أَصْغَرُ مِنْهُ، بَعْضُهَا إِلَى جَنْبِ بَعْضٍ، كُلُّ صَنْمٍ يَلِيهِ أَصْغَرُ مِنْهُ، حَتَّى بَلَغُوا بَابَ الْبَهْوِ وَإِذَا هُمْ قَدْ صَنَعُوا طَعَامًا، فَوَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيِ الْإِلَهِةِ، قَالُوا: إِذَا كَانَ حِينَ نَرْجِعُ رَجَعْنَا، وَقَدْ بَارَكْتَ الْإِلَهِةُ فِي طَعَامِنَا فَأَكَلْنَا فَلَهَا نَظَرَ إِلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمُ عَ، وَإِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الطَّعَامِ قَالَ: أَلَا تَأْكُلُونَ؟ فَلَمَّا لَمْ يُجِبْهُ قَالَ:

مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ! فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ، فَأَخَذَ حَدِيدَةً فَبَقَّرَ كُلَّ صَنْمٍ فِي حَافَتَيْهِ، ثُمَّ عَلَقَ الْفَأْسَ فِي عُنُقِ الصَّغِيرِ الْأَكْبَرِ، ثُمَّ خَرَجَ فَلَمَّا جَاءَ الْقَوْمُ إِلَى طَعَامِهِمْ، وَنَظَرُوا إِلَى إِلَهَتِهِمْ، قَالُوا: «مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ يَقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ». قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «ضَرْبًا بِالْيَمِينِ» ثُمَّ جَعَلَ يَكْسِرُهُنَّ بِفَأْسٍ فِي يَدِهِ، حَتَّى إِذَا بَقِيَ أَعْظَمُ صَنْمٍ مِنْهَا رَبَطَ الْفَأْسَ بِيَدِهِ، ثُمَّ تَرَكَهُنَّ، فَلَمَّا رَجَعَ قَوْمُهُ رَأَوْا مَا صَنَعَ بِأَصْنَامِهِمْ، فَرَاغَهُمْ ذَلِكَ، فَأَعْظَمُوهُ وَقَالُوا: مَنْ فَعَلَ بِإِلَهِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ثُمَّ ذَكَرُوا فَقَالُوا: «قَدْ سَمِعْنَا فَتَى

يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ» - يَعْنُونَ فَتَى يَسْبَهَا وَيَعْبِيهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا، لَمْ نَسْمَعْ أَحَدًا يَقُولُ ذَلِكَ غَيْرُهُ، وَهُوَ الَّذِي نَظُنُّ صَنَعَ هَذَا بِهَا وَبَلَغَ ذَلِكَ ثَمْرُودَ وَأَشْرَافَ قَوْمِهِ، فَقَالُوا: «فَاتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ»، أَيْ مَا يَصْنَعُ بِهِ. فَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ، مِنْهُمْ قَتَادَةُ وَالسَّيِّدِيُّ يَقُولُونَ فِي ذَلِكَ:

لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ عَلَيْهِ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ، وَقَالُوا: كَرِهُوا أَنْ يَأْخُذُوهُ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ: قَالَ: فَلَمَّا أُتِيَ بِهِ فَاجْتَمَعَ لَهُ قَوْمُهُ عِنْدَ مَلِكِهِمْ ثَمْرُودَ، قَالُوا: «أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِأَهْلَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْتَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ»، غَضِبَ مِنْ أَنْ يَعْبُدُوا مَعَهُ هَذِهِ الصِّغَارَ وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا، فَكَسَرَهُنَّ، فَارْعَوْا وَارْجِعُوا عَنْهُ فِيمَا ادَّعَا عَلَيْهِ مِنْ كَسْرِهِنَّ إِلَى أَنْفُسِهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَقَالُوا: لَقَدْ ظَلَمْنَاهُ وَمَا نَرَاهُ إِلَّا كَمَا قَالَ ثُمَّ قَالُوا وَعَرَفُوا أَنَّهَا لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَبْطُشُ: «لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ»، أَيْ لَا يَتَكَلَّمُونَ فَيُخْبِرُونَا:

مَنْ صَنَعَ هَذَا بِهَا، وَمَا تَبْطُشُ بِالْأَيْدِي فَصَدَقَكَ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ»، أَيْ نَكِسُوا عَلَى رُؤُسِهِمْ فِي الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ لِإِبْرَاهِيمَ حِينَ جَادَلَهُمْ، فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ حِينَ ظَهَرَتْ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ يَقُولُهُمْ: «لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ».

قَالَ: وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ عِنْدَ ذَلِكَ فِي اللَّهِ جَلَّ ثَنَاهُ يَسْتَوْصِفُونَهُ إِيَّاهُ وَيُخْبِرُونَهُ أَنَّ أَهْلَهُمْ خَيْرٌ مِمَّا يَعْبُدُ، فَقَالَ: «أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ»، إِلَى قَوْلِهِ: «فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ»، يَضْرِبُ لَهُمُ الْأَمْثَالَ، وَيُصَرِّفُ لَهُمُ الْعِبَرَ، لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ أَحَقُّ أَنْ يُخَافَ وَيُعْبَدَ مِمَّا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: ثُمَّ إِنْ ثَمْرُودَ - فِيمَا يَذْكُرُونَ - قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ: أَرَأَيْتَ إِلَهَكَ هَذَا الَّذِي تَعْبُدُ وَتَدْعُو إِلَى عِبَادَتِهِ، وَتَذْكُرُهُ مِنْ قُدْرَتِهِ الَّتِي تُعْظِمُهُ بِهَا عَلَى غَيْرِهِ مَا هُوَ؟ «قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ»، فَقَالَ ثَمْرُودُ: فَأَنَا «أُحْيِي وَأُمِيتُ»، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: كَيْفَ تُحْيِي وَتُمِيتُ؟ قَالَ: أَخَذَ الرَّجُلَيْنِ قَدْ اسْتَوْجَبَا الْقَتْلَ فِي حُكْمِي، فَأَقْتُلُ أَحَدَهُمَا فَأَكُونُ قَدْ أَمَتُهُ، وَأَعْفُو عَنِ الْآخَرِ فَأَتْرُكُهُ فَأَكُونُ قَدْ أَحْيَيْتُهُ، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ عِنْدَ ذَلِكَ: «فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ»، فَعَرَفَ أَنَّهُ كَمَا يَقُولُ، فَهَبَتْ عِنْدَ ذَلِكَ ثَمْرُودَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ شَيْئًا، وَعَرَفَ أَنَّهُ لَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ»، يَعْنِي وَقَعَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ. قَالَ: ثُمَّ إِنْ ثَمْرُودَ وَقَوْمُهُ أَجْمَعُوا فِي إِبْرَاهِيمَ فَقَالُوا: «حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ».

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: تَلَوْتُ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَقَالَ: أَتَدْرِي يَا مُجَاهِدُ، مِنَ الَّذِي أَشَارَ بِتَحْرِيقِ إِبْرَاهِيمَ عَ النَّارِ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَعْرَابِ فَارِسَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَهَلْ لِلْفُرسِ أَعْرَابٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، الْكُرْدُ هُمْ أَعْرَابُ فَارِسَ، فَجُلُّ مِنْهُمْ هُوَ الَّذِي أَشَارَ بِتَحْرِيقِ إِبْرَاهِيمَ بِالنَّارِ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَلِيٍّ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: «حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ» قَالَ: قَالُوا رَجُلٌ مِنْ أَعْرَابِ فَارِسَ - يَعْنِي الْأَكْرَادَ.

وَحَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي وَهْبُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ شُعَيْبِ الْجَبَائِي، قَالَ: إِنَّ اسْمَ الَّذِي قَالَ حَرَقُوهُ هِينُونَ، نَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ. قَالَ: فَامر ثَمْرُودَ، بِجَمْعِ الحَطَبِ، فَجَمَعُوا لَهُ صِلاَبَ الحَطَبِ مِنْ أَصْنَافِ الخَشَبِ، حَتَّى إِنْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ قَرْيَةِ إِبْرَاهِيمَ - فِيمَا يَذْكُرُ -

لتنذر في بعض ما تطلب مما تحب ان تدرك: لئن أصابته لتحطبن في نار إبراهيم التي يحرق بها احتسابا في دينها، حتى إذا أرادوا أن يلقوه فيها قدموه وأشعلوا في كل ناحية من الحطب الذي جمعوا له، حتى إذا اشتعلت النار، واجتمعوا لقتله فيها، صاحت السماء والأرض وما فيها من الخلق إلا الثقلين- فيما يذكرون- إلى الله عز وجل صيحة واحدة: أي ربنا! إبراهيم ليس في أرضك أحد يعبدك غيره، يحرق بالنار فيك! فأذن لنا في نصرته، فيذكرون- والله أعلم- أن الله عز وجل حين قالوا ذلك قال: إن استغاث بشيء منكم أو دعاه فلينصره، فقد أذنت له في ذلك، فإن لم يدع غيري فأنا وليه، نخلوا بيني وبينه، فأنا أمنعه، فلما ألقوه فيها قال: «يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ»، فكانت كما قال الله عز وجل.

وحدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي قال «قالوا ابنوا له بُنيانًا فَأَلْقَوْهُ فِي الْحَمِيمِ»، قَالَ: خَبَسُوهُ فِي بَيْتٍ، وَجَمَعُوا لَهُ حَطَبًا حَتَّىٰ أَنْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَمْرُضُ فَتَقُولُ:

لَئِنْ عَافَانِي اللَّهُ لَا جَمْعَنَ حَطَبًا لِإِبْرَاهِيمَ، فَلَمَّا جَمَعُوا لَهُ وَأَكْثَرُوا مِنَ الْحَطَبِ حَتَّىٰ إِنْ كَانَ الطَّيْرُ لَيَمُرُّ بِهَا فَيَحْتَرِقُ مِنْ شِدَّةِ وَهْجِهَا وَحَرِّهَا، فَعَمِدُوا إِلَيْهِ فَرَفَعُوهُ عَلَىٰ رَأْسِ الْبُنْيَانِ، فَرَفَعَ إِبْرَاهِيمُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَتِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَالْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا! إِبْرَاهِيمُ يُحْرَقُ فِيكَ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ بِهِ، فَإِنْ دَعَاكُمْ فَأَغِيثُوهُ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ حِينَ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ الْوَاحِدُ فِي السَّمَاءِ وَأَنَا الْوَاحِدُ فِي الْأَرْضِ، لَيْسَ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ يَعْبُدُكَ غَيْرِي، حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ! فَقَذَفُوهُ فِي النَّارِ، فَنَادَاهَا فَقَالَ: «يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ» وكان جبرئيل هو الذي ناداهَا وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْ لَمْ يَتَّبِعْ بَرْدَهَا سَلَامًا لَمَاتَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ بَرْدِهَا، فَلَمْ تَبْقَ يَوْمَئِذٍ نَارٌ فِي الْأَرْضِ إِلَّا طِفْئَتْ وَظَنَّتْ أَنَّهَا تُعْنَىٰ فَلَمَّا طِفَّتِ النَّارُ نَظَرُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَإِذَا هُوَ وَرَجُلٌ آخَرُ مَعَهُ، وَإِذَا رَأْسُ إِبْرَاهِيمَ فِي حِجْرِهِ يَمْسَحُ عَنْ وَجْهِهِ الْعَرَقَ، وَذَكَرَ أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ مَلَكُ الظِّلِّ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ نَارًا وَاتَّفَعَ بِهَا بَنُو آدَمَ، فَأَخْرَجُوا إِبْرَاهِيمَ، فَأَدْخَلُوهُ عَلَى الْمَلِكِ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

قال: وَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَلَكَ الظِّلِّ فِي صُورَةِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَعَدَ فِيهَا إِلَى جَنْبِهِ يُؤْنِسُهُ، فَكَثَّ تَمْرُودٌ أَيَّامًا لَا يَشْكُ إِلَّا أَنَّ النَّارَ قَدْ أَكَلَتْ إِبْرَاهِيمَ وَفَرَّغَتْ مِنْهُ، ثُمَّ رَكِبَ فَمَرَّ بِهَا وَهِيَ تَحْرَقُ مَا جَمَعُوا لَهَا مِنَ الْحَطَبِ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَرَأَى إِبْرَاهِيمَ جَالِسًا فِيهَا إِلَى جَنْبِهِ رَجُلٌ مِثْلُهُ، فَرَجَعَ مِنْ مَرْكَبِهِ ذَلِكَ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَقَدْ رَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ حَيًّا فِي النَّارِ، وَلَقَدْ شَبَّهَ عَلِيٌّ، ابْنُوا لِي صَرَحًا يَشْرَفُ بِي عَلَى النَّارِ حَتَّى اسْتَيْتَبْتُ، فَبَنَوُا لَهُ صَرَحًا، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ فَاطَّلَعَ مِنْهُ إِلَى النَّارِ، فَرَأَى إِبْرَاهِيمَ جَالِسًا فِيهَا، وَرَأَى الْمَلِكَ قَاعِدًا إِلَى جَنْبِهِ فِي مِثْلِ صُورَتِهِ، فَنَادَاهُ تَمْرُودُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، كَبِيرُ الْمَلِكِ الَّذِي بَلَغَتْ قُدْرَتُهُ وَعِزَّتُهُ أَنْ حَالَ بَيْنَ مَا أَرَى وَبَيْنَكَ، حَتَّى لَمْ تَضُرَّكَ يَا إِبْرَاهِيمُ، هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ تَخْشَىٰ إِنْ أَقْبَتَ فِيهَا أَنْ تَضُرَّكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ:

فَقُمْ وَأَخْرُجْ مِنْهَا، فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ يَمْشِي فِيهَا حَتَّى خَرَجَ مِنْهَا، فَلَمَّا خَرَجَ إِلَيْهِ قَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي رَأَيْتُ مَعَكَ فِي مِثْلِ صُورَتِكَ قَاعِدًا إِلَى جَنْبِكَ؟ قَالَ: ذَلِكَ مَلَكُ الظِّلِّ، أَرْسَلَهُ إِلَيَّ رَبِّي لِيَكُونَ مَعِيَ فِيهَا لِيُؤْنِسَنِي، وَجَعَلَهَا عَلَيَّ بَرْدًا وَسَلَامًا فَقَالَ تَمْرُودُ- فِيمَا حَدَّثْتُ-: يَا إِبْرَاهِيمُ، إِنِّي مُقَرَّبٌ إِلَى إِلْهِكَ قُرْبَانًا لِمَا رَأَيْتُ مِنْ عِزَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَلَمَّا صَنَعَ بِكَ حِينَ آيَّتِ إِلَّا عِبَادَتَهُ وَتَوْحِيدَهُ، إِنِّي ذَابِحٌ لَهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ بَقْرَةً فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ:

إِذَا لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْكَ مَا كُنْتُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ دِينِكَ هَذَا حَتَّى تَفَارِقَهُ إِلَى دِينِي! فَقَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، لَا أَسْتَطِيعُ تَرْكَ مُلْكِي، وَلَكِنِّي سَوْفَ أَذْبَحُهَا لَهُ، فَذَبَحَهَا تَمْرُودُ، ثُمَّ كَفَّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، وَمَنَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن الحارث، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، قال: إِنَّ أَحْسَنَ شَيْءٍ قَالَهُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ لَمَّا رَفَعَ عَنْهُ الطَّبَقُ وَهُوَ فِي النَّارِ وَحْدَهُ يَرْشَحُ جِوْنَهُ، فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ: نِعْمَ الرَّبُّ رَبُّكَ يَا إِبْرَاهِيمُ.

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ التِّيمِيُّ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ قَالَ: جَاءَ جَبْرِئِيلُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ع وَهُوَ يُوْتِقُ وَيَقْمُطُ لَيْلَتِي فِي النَّارِ، قَالَ: يَا إِبْرَاهِيمَ، أَلَيْكَ حَاجَةٌ؟ قَالَ: أَمَا إِلَيْكَ فَلَا.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْمِقْدَامِ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْمَعْتَمِرُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ، قَالَ: مَا أَحْرَقَتِ النَّارُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا وَثَاقَهُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَاسْتَجَابَ لِإِبْرَاهِيمَ ع رَجَالٌ مِنْ قَوْمِهِ حِينَ رَأَوْا مَا صَنَعَ اللَّهُ بِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ غَمْرُودٍ

وَمُلْتَهُمْ، فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ - وَكَانَ ابْنُ أَخِيهِ - وَهُوَ لُوطُ بْنُ هَارَانَ بْنِ تَارَخٍ، وَهَارَانَ هُوَ أَخُو إِبْرَاهِيمَ، وَكَانَ لُهُمَا أَخٌ ثَالِثٌ يُقَالُ لَهُ نَاحُورُ بْنُ تَارَخٍ، فَهَارَانَ أَبُو لُوطٍ، وَنَاحُورُ أَبُو بَتْوِيلَ، وَبَتْوِيلُ أَبُو لَابَانَ، وَرَبْقَا ابْنَةُ بَتْوِيلَ امْرَأَةُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ أُمُّ يَعْقُوبَ، وَلِيَا وَرَاحِيلُ زَوْجَتَا يَعْقُوبَ ابْنَتَا لَابَانَ وَأَمَّنَتْ بِهِ سَارَةُ وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّهِ، وَهِيَ سَارَةُ بِنْتُ هَارَانَ الْأَكْبَرِ عَمِّ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانَتْ لَهَا أُخْتُ يُقَالُ لَهَا مَلِكَا امْرَأَةِ نَاحُورِ.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ سَارَةَ كَانَتْ ابْنَةَ مَلِكِ حِرَانَ. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ، عَنْ السَّدِيِّ، قَالَ: انْطَلَقَ إِبْرَاهِيمَ وَلُوطُ قَبْلَ الشَّامِ، فَلَقِي إِبْرَاهِيمَ سَارَةَ، وَهِيَ ابْنَةُ مَلِكِ حِرَانَ، وَقَدْ طَعَنْتَ عَلَى قَوْمِهَا فِي دِينِهِمْ، فَتَزَوَّجَهَا عَلَى أَلَا يَغْيِرُهَا، وَدَعَا إِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ أَزَرَ إِلَى دِينِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَتُ لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يَغْنِي عَنْكَ شَيْئًا! فَأَبَى أَبُوهُ الْإِجَابَةَ إِلَى مَا دَعَاهُ إِلَيْهِ.

ثُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا أَمْرَهُ أَجْمَعُوا لِفِرَاقِ قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: «إِنَّا بَرَأُوْنَا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ»، أَيُّهَا الْمَعْبُودُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ «وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا» أَيُّهَا الْعَابِدُونَ «حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ» ثُمَّ خَرَجَ إِبْرَاهِيمَ مَاجِرًا إِلَى رَبِّهِ وَخَرَجَ مَعَهُ لُوطُ مَاجِرًا، وَتَزَوَّجَ سَارَةَ ابْنَةَ عَمِّهِ، فَفَرَّجَ بِهَا مَعَهُ يَلْتَمِسُ الْفِرَارَ بِدِينِهِ، وَالْأَمَانَ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ حَتَّى نَزَلَ حِرَانَ، فَكُتِبَ بِهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُتَبَ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا مَاجِرًا حَتَّى قَدِمَ مِصْرَ، وَبِهَا فِرْعَوْنُ مِنَ الْفِرْعَانَةِ الْأُولَى وَكَانَتْ سَارَةُ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ فِيمَا يُقَالُ، وَكَانَتْ لَا تَعْصِي إِبْرَاهِيمَ

شَيْئًا، وَبِذَلِكَ أَكْرَمَهَا اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ، فَلَهَا وَصِفَتْ لِفِرْعَوْنَ وَوَصَفَ لَهُ حَسَنَهَا وَجَمَالَهَا أُرْسِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ الْمَرْأَةُ الَّتِي مَعَكَ؟ قَالَ: هِيَ أُخْتِي، وَتَخَوَّفُ إِبْرَاهِيمَ إِنْ قَالَ هِيَ امْرَأَتِي أَنْ يَقْتُلَهُ عَنْهَا فَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ: زَيْنِهَا، ثُمَّ أُرْسِلَهَا إِلَيَّ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهَا، فَجَرَعَ إِبْرَاهِيمَ إِلَى سَارَةَ وَأَمْرَهَا فَتَيَّأَتْ، ثُمَّ أُرْسِلَهَا إِلَيْهِ، فَأَقْبَلَتْ حَتَّى دَخَلَتْ عَلَيْهِ، فَلَهَا قَعْدَتٌ إِلَيْهِ تَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ، فَيَبْسُتُ إِلَى صَدْرِهِ، فَلَهَا رَأْيُ ذَلِكَ فِرْعَوْنَ أَعْظَمُ أَمْرَهَا، وَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ عَنِّي، فَوَاللَّهِ لَا أَرِيكَ وَلَا حَسَنَ إِلَيْكَ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ صَادِقًا فَأُطْلِقْ يَدَهُ، فَأُطْلِقَ اللَّهُ يَدَهُ، فَفَرَدَهَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، وَوَهَبَ لَهَا هَاجِرَ، جَارِيَةً كَانَتْ لَهُ قَبْطِيَّةً.

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي هِشَامٌ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، [أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص: قَالَ: لَمْ يَكُذِبْ إِبْرَاهِيمَ عَ غَيْرَ ثَلَاثٍ: ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللَّهِ، قَوْلُهُ: «إِنِّي سَقِيمٌ»، وَقَوْلُهُ: «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا» وَبَيْنَا هُوَ يَسِيرُ فِي أَرْضِ جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَّارَةِ، إِذْ نَزَلَ مَنْزِلًا، فَأَتَى الْجَبَّارَ رَجُلٌ فَقَالَ: أَنْ فِي أَرْضِكَ - أَوْ قَالَ:

هَاهُنَا - رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، فَأَرْسَلْ إِلَيْهِ، لَجَاءَ فَقَالَ: مَا هَذِهِ الْمَرْأَةُ مِنْكَ؟ قَالَ: هِيَ أُخْتِي، [قَالَ: أَذْهَبَ فَأَرْسَلْ بِهَا إِلَيَّ، فَانْطَلَقَ إِلَى سَارَةَ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ قَدْ سَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكَ أُخْتِي فَلَا تَكْذِيبَنِي عَنْده، فَإِنَّكَ أُخْتِي فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمٌ غَيْرِي وَغَيْرِكَ، قَالَ: فَانْطَلَقَ بِهَا وَقَامَ إِبْرَاهِيمَ عَ يُصَلِّي قَالَ: فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَرَأَاهَا أَهْوَى إِلَيْهَا وَذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا، فَأَخَذَ أَخْذًا شَدِيدًا، فَقَالَ:

ادْعِي اللَّهَ وَلَا أَضْرُكَ، فَدَعَتْ لَهُ فَأَرْسَلَ فَأَهْوَى إِلَيْهَا فَذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا، فَاخْذَ أَخْذَ شَدِيدًا، فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ وَلَا أَضْرُكَ، فَدَعَتْ لَهُ فَأَرْسَلَ، ثُمَّ

فَعَلَ ذَلِكَ الثَّلَاثَةَ، فَأُخِذَ، فَذَكَرَ مِثْلَ الْمَرَّتَيْنِ فَأَرْسَلَ قَالَ: فَدَعَا أَدْنَى حُجَابِهِ فَقَالَ: إِنَّكَ لَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ، وَلَكِنَّكَ أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ، أَخْرِجْهَا وَأَعْطِهَا هَاجِرًا، فَأُخْرِجَتْ وَأُعْطِيَتْ هَاجِرًا، فَأَقْبَلَتْ بِهَا، فَلَمَّا أَحَسَّ إِبْرَاهِيمُ بِمَجِيئِهَا انْفَتَلَ مِنْ صَلَاتِهِ، فَقَالَ: مَهْمٌ! فَقَالَتْ: كَفَى اللَّهَ كَيْدَ الْفَاجِرِ الْكَافِرِ! وَأَخْذَمَ هَاجِرًا.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ: فَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ إِذَا حَدَّثَ هَذَا الْحَدِيثَ يَقُولُ:

فَتَلَّكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: [سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: لَمْ يَقُلْ إِبْرَاهِيمُ شَيْئًا قَطُّ لَمْ يَكُنْ إِلَّا ثَلَاثًا: قَوْلُهُ «إِنِّي سَقِيمٌ» لَمْ يَكُنْ بِهِ سَقَمٌ، وَقَوْلُهُ:

«بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ»، وَقَوْلُهُ لِفِرْعَوْنَ حِينَ سَأَلَهُ عَنْ سَارَةَ فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ مَعَكَ؟ قَالَ: أُخْتِي، قَالَ: فَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَ شَيْئًا قَطُّ لَمْ يَكُنْ إِلَّا ذَلِكَ].

حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأُمَوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ.

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي هِشَامٌ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، [أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ: لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ غَيْرَ ثَلَاثٍ: ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللَّهِ قَوْلُهُ: «إِنِّي سَقِيمٌ»، وَقَوْلُهُ: «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا»، وَقَوْلُهُ فِي سَارَةَ: هِيَ أُخْتِي]

حَدَّثَنِي ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مُغِيرَةَ، عَنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَا كَذَبَ إِبْرَاهِيمُ عَ غَيْرَ ثَلَاثٍ كَذَبَاتٍ: قَوْلُهُ: «إِنِّي سَقِيمٌ»، وَقَوْلُهُ: «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا»، وَإِنَّمَا قَالَهُ مَوْعِظَةً، وَقَوْلُهُ حِينَ سَأَلَهُ الْمَلِكُ فَقَالَ: أُخْتِي - لِسَارِهِ - وَكَانَتْ أَمْرَاتِهِ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَلِيٍّ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكْذِبْ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ: ثِنْتَانِ فِي اللَّهِ، وَوَاحِدَةً فِي ذَاتِ نَفْسِهِ، وَأَمَّا الثَّنَاتَانِ فَقَوْلُهُ: «إِنِّي سَقِيمٌ»، وَقَوْلُهُ: «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا» وَقِصَّتُهُ فِي سَارَةَ وَذَكَرَ قِصَّتَهَا وَقِصَّةَ الْمَلِكِ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

قَالَ: وَكَانَتْ هَاجِرٌ جَارِيَةً ذَاتَ هَيْئَةٍ، فَوَهَبَتْهَا سَارَةُ لِإِبْرَاهِيمَ، وَقَالَتْ:

إِنِّي أَرَاهَا أَمْرَاءً وَضِيئَةً نَخْذَهَا، لَعَلَّ اللَّهَ يَرْزُقُكَ مِنْهَا وَلَدًا، وَكَانَتْ سَارَةُ قَدْ مُنِعَتِ الْوَلَدَ فَلَا تَلِدُ لِإِبْرَاهِيمَ حَتَّى أُسَنَّتْ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ دَعَا اللَّهَ أَنْ يَهَبَ لَهُ مِنْ الصَّالِحِينَ، وَأَخْرَجَتِ الدَّعْوَةَ حَتَّى كَبُرَ إِبْرَاهِيمُ وَعَقِمَتْ سَارَةُ، ثُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَقَعَ عَلَى هَاجِرَ، فَوَلَدَتْ لَهُ إِسْمَاعِيلَ ع.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: إِذَا فَتَحْتُمْ مِصْرَ فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحْمًا].

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ:

سَأَلْتُ الزُّهْرِيَّ: مَا الرَّحْمُ الَّتِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَهَا؟ قَالَ:

كَانَتْ هَاجِرُ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ مِنْهُمْ فَيَزْعُمُونَ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - أَنَّ سَارَةَ حَزَنَتْ عِنْدَ ذَلِكَ عَلَى مَا فَاتَهَا مِنَ الْوَلَدِ حَزَنًا شَدِيدًا، وَقَدْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ خَرَجَ

من مصر إلى الشام، وهاب ذلك الملك الذي كان بها، وأشفق من شره حتى قدمها، فنزل السبع من أرض فلسطين، وهي بيرة الشام، ونزل لوط بالمؤتفكة، وهي من

السبع على مسيرة يوم وليلة وأقرب من ذلك، فبعثه الله عز وجل نبيا، وأقام إبراهيم فيما ذكر لي بالسبع، فاحتفر به بئرا واتخذ به مسجدا، فكان ماء تلك البئر معينا طاهرا، فكانت غنمه تردها ثم إن أهلها آذوه فيها ببعض الأذى، فخرج منها حتى نزل بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وإيليا، ببلد يقال له قَط - أو قِط - فلما خرج من بين أظهرهم نضب الماء فذهب.

واتبعه أهل السبع، حتى أدركوه وندموا على ما صنعوا، وقالوا: أخرجنا من بين أظهرنا رجلا صالحا، فسألوه أن يرجع إليهم، فقال: ما أنا براجع إلى بلد أخرجت منه، قالوا له: فإن الماء الذي كنت تشرب منه ونشرب معك منه قد نضب فذهب، فأعطاهم سبع أعنز من غنمه، فقال: اذهبوا بها معكم، فإنكم لو قد أوردتموها البئر، قد ظهر الماء، حتى يكون معينا طاهرا كما كان، فاشربوا منها، فلا تغتفرن منها امرأة حائض، فخرجوا بالأعنز، فلما وقفت على البئر ظهر إليها الماء، فكانوا يشربون منها وهي على ذلك، حتى أتت امرأة طامث، فاغترفت منها، فنكص ماؤها إلى الذي هو عليه اليوم، ثم ثبت.

قال: وكان إبراهيم يضيف من نزل به، وكان الله عز وجل قد أوسع عليه، وبسط له في الرزق والمال والخدم، فلما أراد الله عز وجل هلاك قوم لوط، بعث إليه رسله يأمرونه بالخروج من بين أظهرهم، وكانوا قد عملوا من الفاحشة ما لم يسبقهم به أحد من العالمين، مع تكذيبهم نبيهم، وردهم عليه ما جاءهم به من النصيحة من ربهم، وأمرت الرسل أن ينزلوا على إبراهيم، وأن يبشروه وسارة بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فلما نزلوا على إبراهيم وكان الضيف قد حبس عنه خمس عشرة ليلة حتى شق ذلك عليه - فيما يذكرون - لا يضيفه أحد، ولا يأتيه، فلما رآهم سر بهم رأى ضيفا لم يضيفه مثلهم حسنا وجمالا، فقال: لا يخدم هؤلاء القوم أحد إلا أنا بيدي، فخرج إلى أهله، فجاء كما قال الله عز وجل: «بِعِجْلٍ سَمِينٍ» قد حذره - والحناذ: الإنضاج يقول الله جل ثناؤه: «جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٌ» فقربه إليهم، فأمسكوا أيديهم

عنه، «فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً» حين لم يأكلوا من طعامه، «قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ وَامْرَأَتُهُ» ساره «قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ» لما عرفت من أمر الله عز وجل، ولما تعلم من قوم لوط، فبشروها «بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ» بابتن، وبابن ابن، فقالت - وصكت وجهها، يقال: ضربت على جبينها: «يَا وَيْلَتَى أَلَدُ وَأَنَا عَجُوزٌ» إلى قوله: «إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ» وكانت سارة يومئذ - فيما ذكر لي بعض أهل العلم - ابنة تسعين سنة، وإبراهيم ابن عشرين ومائة سنة، فلما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءته البشري بإسحاق ويعقوب ولد من صلب إسحاق وأمن ما كان يخاف، قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ» .

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني وهب بن سليمان، عن شعيب الجبائي، قال: ألقى إبراهيم في النار وهو ابن ست عشرة سنة، وذبح إسحاق وهو ابن سبع سنين، وولدت سارة وهي ابنة تسعين سنة، وكان مذبحه من بيت إيليا على ميلين، فلما علمت سارة بما أراد بإسحاق مرضت يومين، وماتت اليوم الثالث، وقيل: ماتت سارة وهي ابنة مائة وسبع وعشرين سنة.

حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، قال: بعث الله الملائكة لتهلك قوم لوط، فأقبلت تمشي في صورة رجال شباب، حتى نزلوا على إبراهيم، فتضيفوه، فلما رآهم إبراهيم أجلمهم، فراغ إلى أهله، فجاء بعجل سمين فذبحه، ثم شواه في الرضف وهو الحنيد حين شواه، وأتاهم فقعد معهم، وقامت سارة تخدعهم، فذلك حين يقول جل ثناؤه: «وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ وَهُوَ جَالِسٌ» في قراءة ابن مسعود، فلما قربه إليهم قال: ألا تأكلون! قالوا: يا إبراهيم، إنا لا نأكل طعاما إلا بئس، قال: فإن لهذا ثمنا، قالوا: وما ثمنه؟ قال: تذكرون اسم الله على أوله وتحدونه على آخره، فنظر جبرئيل إلى ميكائيل، فقال: حق لهذا أن يتخذ ربه خليلا، «فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ» يقول: لا يأكلون، «نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ

مِنْهُمْ خِيفَةً»، فلما نظرت إليه سارة أنه قد أكرمهم وقامت هي تخدمهم ضحكت وقالت: عجباً لأضيافنا! هؤلاء إنا نخدمهم بأنفسنا تكمرة لهم، وهم لا يأكلون طعامنا!

١٠٦٠٢ ذكر امر بناء البيت

ذكر أمر بناء البيت

. قال: ثم إن الله عز وجل أمر إبراهيم بعد ما ولد له إسماعيل وإسحاق - فيما ذكر - ببناء بيت له يعبد فيه، ويذكر فلم يدر إبراهيم في أي موضع يبني، إذ لم يكن بين له ذلك، فضاق بذلك ذرعاً، فقال بعض أهل العلم: بعث الله إليه السكينة لتدله على موضع البيت، فوضعت به السكينة، ومع إبراهيم هاجر زوجته وابنه إسماعيل، وهو طفل صغير.

وقال بعضهم: بل بعث الله إليه جبرئيل ع، حتى دله على موضعه، وبين له ما ينبغي أن يعمل.

ذكر من قال: الذي بعثه الله إليه لذلك السكينة:

حَدَّثَنَا هَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ عَزْرَةَ: [أَنَّ رَجُلًا قَامَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: أَلَا تُخْبِرُنِي عَنِ الْبَيْتِ، أَهْوَأُ أَوَّلُ بَيْتٍ وَضِعَ فِي الْأَرْضِ؟ فَقَالَ: لَا، وَلَكِنَّهُ أَوَّلُ بَيْتٍ وَضِعَ فِي الْبَرَكَةِ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ، وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا، وَإِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ كَيْفَ بُنِيَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ أَنَّ ابْنَ لِي بَيْتًا فِي الْأَرْضِ، فَضَاقَ إِبْرَاهِيمُ بِذَلِكَ ذَرْعًا، فَأَرْسَلَ عَزَّ وَجَلَّ السَّكِينَةَ، وَهِيَ رِيحٌ نَجْوَجُ وَلَهَا رَأْسَانِ، فَاتَّبَعَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى مَكَّةَ فَتَطَوَّتْ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ كَتَطَوَّى الْحَيَّةُ، وَأَمَرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَبْنِيَ حَيْثُ تَسْتَقِرُّ السَّكِينَةُ، فَبَنَى إِبْرَاهِيمُ وَبَقِيَ جَرٌّ، فَذَهَبَ الْغُلَامُ يَبْنِي شَيْئًا، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: أَبْغِنِي جَرًّا كَمَا أَمَرْتُكَ، فَانْطَلَقَ الْغُلَامُ يَلْتَمِسُ لَهُ جَرًّا، فَأَتَاهُ بِهِ، فَوَجَدَهُ قَدْ رَكِبَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فِي مَكَانِهِ، فَقَالَ: يَا أَبَتِ، مَنْ أَتَاكَ بِهَذَا الْحَجَرِ؟ فَقَالَ: أَتَانِي بِهِ مَنْ لَمْ يَتَّكِلْ عَلَى بَنَاتِكَ، أَتَانِي بِهِ جَبْرَائِيلُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَتَمَّهُ]

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ وَابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَا: حَدَّثَنَا مَوْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفِيَانُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرَّبٍ، [عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: لَمَّا أَمَرَ إِبْرَاهِيمُ بِنَاءَ الْبَيْتِ خَرَجَ مَعَهُ إِسْمَاعِيلُ وَهَاجِرُ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ رَأَى عَلَى رَأْسِهِ فِي مَوْضِعِ الْبَيْتِ مِثْلَ الْغَمَامَةِ فِيهِ مِثْلُ الرَّأْسِ، فَكَلَّمَهُ، وَقَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، ابْنِ عَلَى ظِلِّي - أَوْ عَلَى قَدْرِي - وَلَا تَزِدْ وَلَا تَقْصُصْ، فَلَمَّا بَنَى خَرَجَ وَخَلَفَ إِسْمَاعِيلُ وَهَاجِرُ، فَقَالَتْ هَاجِرُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، إِلَى مَنْ تَكَلَّمْنَا؟ قَالَ:

إِلَى اللَّهِ، قَالَتْ: انْطَلِقْ فَإِنَّهُ لَا يُضَيِّعُنَا، قَالَ: فَعَطَشَ إِسْمَاعِيلُ عَطَشًا شَدِيدًا، فَصَعِدَتْ هَاجِرُ الصَّفَا، فَظَرَّتْ فَلَمْ تَرَ شَيْئًا، ثُمَّ أَتَتْ الْمَرْوَةَ فَظَرَّتْ فَلَمْ تَرَ شَيْئًا، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى الصَّفَا، فَظَرَّتْ فَلَمْ تَرَ شَيْئًا، حَتَّى فَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَقَالَتْ: يَا إِسْمَاعِيلُ، مَتَى حَيْثُ لَا أَرَاكَ فَأَتْتُهُ وَهُوَ يَفْحَصُ بَرَجْلِهِ مِنَ الْعَطَشِ، فَنَادَاهَا جَبْرَائِيلُ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتِ؟ قَالَتْ: أَنَا هَاجِرُ، أُمُّ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: إِلَى مَنْ وَكَلَكُمَا؟ قَالَتْ: وَكَلَّنَا إِلَى اللَّهِ، قَالَ: وَكَلَّكُمَا إِلَى كَافٍ، قَالَ: فَفَحَصَ الْغُلَامُ الْأَرْضَ بِأَصْبَعِهِ، فَنبَعَتْ زَمْزَمُ، فَجَعَلَتْ تُحْسِسُ الْمَاءَ، فَقَالَ: دَعِيهِ، فَإِنَّهَا رِوَاءٌ].

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنِ السَّيِّدِيِّ، قَالَ: لَمَّا عَاهَدَ اللَّهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ: أَنْ طَهَرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ، انْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ، فَقَامَ هُوَ وَإِسْمَاعِيلُ، وَأَخَذَ الْمَعَاوِلَ لَا يَدْرِيانَ أَيْنَ الْبَيْتُ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رِيحًا يَقَالُ لَهَا رِيحُ الْخُجُوجِ لَهَا جَنَاحَانِ وَرَأْسٌ فِي صُورَةِ حَيَّةٍ، فَكُنَسَتْ لَهَا مَا حَوْلَ الْكَعْبَةِ عَنْ أَسَاسِ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ، وَاتَّبَعَهَا بِالْمَعَاوِلِ يَحْفِرَانِ حَتَّى وَضَعَا الْأَسَاسَ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ»

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُمَارَةَ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ عَزْرَةَ،

[عن علي ابن ابي طالب ع أنه كَانَ يَقُولُ: لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ بِعِمَارَةِ الْبَيْتِ وَالْأَذَانِ بِالْحَجِّ فِي النَّاسِ خَرَجَ مِنَ الشَّامِ وَمَعَهُ ابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ، وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ هَاجِرٌ، وَبَعَثَ اللَّهُ مَعَهُ السَّكِينَةَ، وَهِيَ رِيحٌ لَهَا لِسَانٌ تَكَلَّمُ بِهِ، يَغْدُو مَعَهَا إِبْرَاهِيمُ إِذَا غَدَتْ، وَيُرُوحُ مَعَهَا إِذَا رَاحَتْ، حَتَّى انْتَهَتْ بِهِ إِلَى مَكَّةَ، فَلَمَّا أَتَتْ مَوْضِعَ الْبَيْتِ اسْتَدَارَتْ بِهِ، ثُمَّ قَالَتْ لِإِبْرَاهِيمَ: ابْنِ عَلِيٍّ، ابْنِ عَلِيٍّ، ابْنِ عَلِيٍّ، فَوَضَعَ إِبْرَاهِيمُ الْأَسَاسَ وَرَفَعَ الْبَيْتَ هُوَ وَإِسْمَاعِيلُ، حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى مَوْضِعِ الرُّكْنِ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِإِسْمَاعِيلَ: يَا بُنَيَّ، انْبِغِ لِي حَجْرًا أَجْعَلُهُ عَلَمًا لِلنَّاسِ، لِحَفَاءِهِ بِحَجَرٍ، فَلَمْ يَرْضَهُ وَقَالَ: ابْغِنِي غَيْرَ هَذَا، فَذَهَبَ إِسْمَاعِيلُ لِيَلْتَمِسَ لَهُ حَجْرًا، فَبَاءَهُ وَقَدْ أُتِيَ بِالرُّكْنِ، فَوَضَعَهُ فِي مَوْضِعِهِ، فَقَالَ: يَا أَبَتِ، مَنْ جَاءَكَ بِهَذَا الْحَجَرِ؟ قَالَ: مَنْ لَمْ يَكُنْ لِي إِلَيْكَ يَا بُنَيَّ].

وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّ الَّذِي خَرَجَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ مِنَ الشَّامِ لِدَلَالَتِهِ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ جَبْرِئِيلُ ع، وَقَالُوا: كَانَ إِخْرَاجُهُ هَاجِرَ وَإِسْمَاعِيلَ إِلَى مَكَّةَ لَمَّا كَانَ مِنْ غَيْرَةِ سَارَةَ بِسَبَبِ وِلَادَةِ هَاجِرٍ مِنْهُ إِسْمَاعِيلَ. ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي بالإسناد الذي قد ذكرناه أن سارة قالت لإبراهيم: تسر هاجر، فقد أذنت لك فوطئها، فحملت بإسماعيل، ثم إنه وقع على سارة فحملت بإسحاق، فلما ولدته وكبر اقتتل هو وإسماعيل، فغضبت سارة على أم إسماعيل، وغارت عليها، فأخرجتها، ثم إنها دعته فأدخلتها ثم غضبت أيضا فأخرجتها ثم أدخلتها، وحلفت لتقطعن منها بضعة، فقالت: أقطع أنفها، أقطع أذنها، فيشينها ذلك، ثم قالت: لا بل أخفضها، فقطعت ذلك منها، فاتخذت هاجر عند ذلك ذبلا تعفي به عن الدم، فلذلك خفضت النساء، واتخذت ذبولا، ثم قالت: لا تساكني في بلد وأوحى الله إلى إبراهيم أن يأتي مكة، وليس يومئذ بمكة بيت، فذهب بها إلى مكة وابنها فوضعهما، وقالت له هاجر: إلى من تركتنا هاهنا؟ ثم ذكر خبرها، وخبر ابنها. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال:

حدثنا عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد وغيره من أهل العلم أن الله عز وجل لما بوأ لإبراهيم مكان البيت ومعالم الحرم، نفرج وخرج معه جبرئيل، يقال: كان لا يمر بقرية إلا قال: بهذه امرت يا جبرئيل: فيقول: جبرئيل: امضه، حتى قدم به مكة، وهي إذ ذاك عصاه سلم وسمر، وبها أناس يقال لهم العماليق، خارج مكة وما حولها، والبيت يومئذ ربوة حمراء مدره، فقال إبراهيم لجبرئيل: اها هنا أمرت أن أضعهما؟ قال: نعم، فعمد بهما إلى موضع الحجر، فأنزلهما فيه، وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ فيه عريشا فقال: «رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ» إلى - «لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ» ثم انصرف إلى أهله بالشام وتركهما عند البيت، قال: فظمئ إسماعيل ظمأ شديدا، فالتمس له أمه ماء فلم تجده، فاستسمعت: هل تسمع صوتا؟ لتلمس له شرابا، فسمعت كالصوت عند الصفا، فأقبلت حتى قامت عليه فلم تر شيئا، ثم سمعت صوتا نحو المروة، فأقبلت حتى قامت عليه فلم تر شيئا، ويقال: بل قامت على الصفا تدعو الله وتستغيثه لإسماعيل، ثم عمدت إلى المروة ففعلت ذلك ثم إنها سمعت أصوات سباع الوادي نحو إسماعيل حيث تركته، فأقبلت إليه تشتد، فوجدته يفحص الماء بيده من عين قد انفجرت من تحت يده، فشرب منها، وجاءتها أم إسماعيل فجعلتها حسيا، ثم استقت منها في قربتها تذخره لإسماعيل، فلولا الذي فعلت ما زالت زمزم معينا طاهرا ماؤها أبدا قال مجاهد: ولم نزل نسمع أن زمزم هزمه جبرئيل بعقبه لإسماعيل حين ظمئ حدثني يعقوب بن إبراهيم والحسن بن محمد، قالا: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، قال: بُنِيتُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ حَدَّثَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ سَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ لَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ، وَأَنَّ أَوَّلَ مَنْ أَحْدَثَ مِنْ نِسَاءِ الْعَرَبِ جَرَّ الذُّيُولِ لَأُمِّ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: لَمَّا فَرَّتْ مِنْ سَارَةَ أَرَحَتْ ذَيْلَهَا لِتُعْفِيَ أَثَرَهَا، فَبَاءَهُ إِبْرَاهِيمُ وَمَعَهَا إِسْمَاعِيلُ حَتَّى انْتَهَى بِهِمَا إِلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ، فَوَضَعَهُمَا ثُمَّ رَجَعَ، فَاتَّبَعَتْهُ فَقَالَتْ: إِلَى أَيِّ شَيْءٍ

تَكَلُّنَا؟ إِلَى طَعَامٍ تَكَلُّنَا؟ إِلَى شَرَابٍ تَكَلُّنَا؟ لَا يَرُدُّ عَلَيْهَا شَيْئًا، فَقَالَتْ:

اللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَا لَا يُضِيعُنَا، قَالَ: فَرَجَعْتُ وَمَضَى حَتَّى إِذَا اسْتَوَى عَلَى ثَنِيَّةٍ كُدَاءً، أَقْبَلَ عَلَى الْوَادِي فَقَالَ: «رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ» الْآيَةَ قَالَ: وَمَعَ الْإِنْسَانَةِ شَنَّةً فِيهَا مَاءٌ، فَفَنَذَ الْمَاءَ، فَعَطِشَتْ فَانْقَطَعَ لَبْنُهَا، فَعَطِشَ الصَّبِيُّ فَنَظَرَتْ: أَيُّ الْجِبَالِ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ، فَصَعِدَتْ الصَّفَا فَتَسَمَّعَتْ:

هَلْ تَسْمَعُ صَوْتًا، أَوْ تَرَى أَنْيَسًا؟ فَلَمْ تَسْمَعْ شَيْئًا فَانْحَدَرَتْ، فَلَهَا

أَتَتْ عَلَى الْوَادِي سَعَتَ - وَمَا تُرِيدُ السَّعَى - كَالْإِنْسَانِ الْمُجْهُودِ الَّذِي يَسْعَى وَمَا يُرِيدُ السَّعَى، فَنَظَرَتْ أَيُّ الْجِبَالِ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ، فَصَعِدَتْ الْمُرْوَةَ، فَتَسَمَّعَتْ: هَلْ تَسْمَعُ صَوْتًا أَوْ تَرَى أَنْيَسًا؟ فَسَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ كَالْإِنْسَانِ الَّذِي يُكْذِبُ سَمْعَهُ: صَه! حَتَّى اسْتَيْقَنْتَ، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَنِي صَوْتَكَ فَأَغْنِنِي، فَقَدْ هَلَكْتُ وَهَلَكَ مَنْ مَعِيَ، لَجَاءَ الْمَلِكُ بِهَا حَتَّى انْتَهَى بِهَا إِلَى مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَضْرَبَ بِقَدَمِهِ فَفَارَتْ عَيْنًا، فَعَجَلَتْ الْإِنْسَانَةُ تُفْرِغُ فِي شَتَبِهَا، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: رَحِمَ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْلَا أَنَّهَا عَجَلَتْ لَكَانَتْ زَمْزَمَ عَيْنًا مَعِينًا]. وَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ: لَا تَخَافِي الظَّمَا عَلَى أَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ، فَإِنَّهَا عَيْنٌ يَشْرَبُ ضَيْفَانُ اللَّهِ مِنْهَا، وَقَالَ: إِنَّ أَبَا هَذَا الْغُلَامِ سَيَجِيءُ فَيَبْنِيَانِ لِلَّهِ بَيْتًا هَذَا مَوْضِعُهُ.

قَالَ: وَمَرَّتْ رُقُفَةٌ مِنْ جُرْهُمٍ تُرِيدُ الشَّامَ، فَرَأَوُا الطَّيْرَ عَلَى الْجَبَلِ، فَقَالُوا:

إِنَّ هَذَا الطَّيْرَ لَعَائِفٌ عَلَى مَاءٍ، فَهَلْ عَلِمْتُمْ بِهَذَا الْوَادِي مِنْ مَاءٍ؟ فَقَالُوا: لَا، فَأَشْرَفُوا فَإِذَا هُمْ بِالْإِنْسَانَةِ، فَاتَوَّهَا فَطَلَبُوا إِلَيْهَا أَنْ يَنْزِلُوا مَعَهَا، فَأَذِنَتْ لَهُمْ، قَالَ: وَأَتَى عَلَيْهَا مَا يَأْتِي عَلَى هَوْلَاءِ النَّاسِ مِنَ الْمَوْتِ، فَاتَتْ وَتَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ امْرَأَةً مِنْهُمْ، لَجَاءَ إِبْرَاهِيمَ فَسَأَلَ عَنْ مَنْزِلِ إِسْمَاعِيلَ حَتَّى دَلَّ عَلَيْهِ فَلَمْ يَجِدْهُ، وَوَجَدَ امْرَأَةً لَهُ فَظَةً غَلِيظَةً، فَقَالَ لَهَا: إِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَقُولِي لَهُ: جَاءَ هَاهُنَا شَيْخٌ مِنْ صِفَتِهِ كَذَا وَكَذَا، وَأَنَّهُ يَقُولُ لَكَ: إِنِّي لَا أَرْضَى لَكَ عَتَبَةً بِأَبِكَ فُحُولَهَا، وَانْطَلِقْ فَلَهَا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ أَخْبَرَتْهُ فَقَالَ: ذَلِكَ أَيُّي، وَأَنْتِ عَتَبَةُ بَابِي

فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ امْرَأَةً أُخْرَى مِنْهُمْ، وَجَاءَ إِبْرَاهِيمَ حَتَّى

انْتَهَى إِلَى مَنْزِلِ إِسْمَاعِيلَ فَلَمْ يَجِدْهُ وَوَجَدَ امْرَأَةً لَهُ سَهْلَةً طَلِيقَةً فَقَالَ لَهَا:

أَيْنَ انْطَلَقَ زَوْجُكَ؟ فَقَالَتْ: انْطَلَقَ إِلَى الصَّيْدِ، قَالَ: فَمَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتْ:

اللَّحْمُ وَالْمَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي لَحْمِهِمْ وَمَائِهِمْ، ثَلَاثًا وَقَالَ لَهَا: إِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَاخْبِرِيهِ، قُولِي لَهُ جَاءَ هَاهُنَا شَيْخٌ مِنْ صِفَتِهِ كَذَا وَكَذَا، وَأَنَّهُ يَقُولُ لَكَ: قَدْ رَضِيتُ لَكَ عَتَبَةً بِأَبِكَ، فَأَثْبَتَهَا، فَلَهَا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ أَخْبَرَتْهُ، قَالَ: ثُمَّ جَاءَ الثَّلَاثَةُ، فَرَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ.

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ

عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ إِبْرَاهِيمَ نَبِيُّ اللَّهِ بِإِسْمَاعِيلَ وَهَاجَرَ فَوَضَعَهُمَا بِمَكَّةَ فِي مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَلَهَا مَضَى نَادَتْهُ هَاجِرَ: يَا إِبْرَاهِيمَ، إِنَّمَا أَسْأَلُكَ

ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: مَنْ أَمَرَكَ أَنْ تَضَعَنِي بِأَرْضٍ لَيْسَ فِيهَا زَرْعٌ وَلَا ضَرْعٌ وَلَا أَنْيَسٌ وَلَا مَاءٌ وَلَا زَادٌ؟ قَالَ: رَبِّي أَمَرَنِي، قَالَتْ: فَإِنَّهُ لَنْ

يُضِيعُنَا، قَالَ: فَلَهَا فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ قَالَ: «رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ» يَعْنِي مِنَ الْحَزَنِ «وَمَا يُخْفِي عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي

السَّمَاءِ» فَلَهَا ظَمِئَ إِسْمَاعِيلُ جَعَلَ يَدْحُصُ الْأَرْضَ بِعَقْبِهِ فَدَهَبَتْ هَاجِرُ حَتَّى عَلَتْ الصَّفَا، وَالْوَادِي يَوْمَئِذٍ لِأَخٍ - يَعْنِي عَمْبِقَ - فَصَعِدَتْ

الصَّفَا، فَأَشْرَفَتْ لَتَنْظُرَ: هَلْ تَرَى شَيْئًا؟ فَلَمْ تَرَ شَيْئًا، فَانْحَدَرَتْ فَلَبِغَتْ الْوَادِي، فَسَعَتْ فِيهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْهُ، فَاتَتْ الْمُرْوَةَ فَصَعِدَتْ

فَاسْتَشْرَفَتْ: هَلْ تَرَى شَيْئًا؟ فَلَمْ تَرَ شَيْئًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ جَاءَتْ مِنَ الْمُرْوَةِ إِلَى إِسْمَاعِيلَ، وَهُوَ يَدْحُصُ الْأَرْضَ بِعَقْبِهِ،

وَقَدْ نَبَعَتِ الْعَيْنُ

وَهِيَ زَمْزَمَ، فَجَعَلَتْ تَفْحَصُ الْأَرْضَ بِيَدِهَا عَنِ الْمَاءِ، وَكُلَّمَا اجْتَمَعَ مَاءٌ أَخَذَتْهُ بِقَدَحِهَا، فَأَفْرَغَتْهُ فِي سَقَائِهَا، قَالَ: [فَقَالَ النَّبِيُّ ص:

يَرْحُمَهَا اللَّهُ! لَوْ تَرَكَتَهَا لَكَانَتْ عَيْنًا سَاحِجَةً تَجْرِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ] .

قَالَ: وَكَانَتْ جُرْهُمُ يَوْمَئِذٍ بِوَادٍ قَرِيبٍ مِنْ مَكَّةَ، قَالَ: وَلَزِمَتِ الطَّيْرُ الْوَادِي حِينَ رَأَتْ الْمَاءَ، فَلَمَّا رَأَتْ جُرْهُمُ الطَّيْرَ لَزِمَتْ الْوَادِي، قَالُوا مَا لَزِمَتْهُ إِلَّا وَفِيهِ مَاءٌ، فَجَاءُوا إِلَى هَاجِرَ، فَقَالُوا: لَوْ شِئْتَ كَمَا مَعَكَ وَأَسْنَاكَ وَالْمَاءَ مَأْوُكَ، قَالَتْ: نَعَمْ! فَكَانُوا مَعَهَا حَتَّى شَبَّ إِسْمَاعِيلُ وَمَاتَ هَاجِرُ، فَتَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ امْرَأَةً مِنْ جُرْهُمَ، قَالَ: فَاسْتَأْذَنَ إِبْرَاهِيمُ سَارَةَ أَنْ يَأْتِيَ هَاجِرَ، فَأَذْنَتْ لَهُ، وَشَرِطَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَنْزِلَ، وَقَدِمَ إِبْرَاهِيمُ - وَقَدْ مَاتَ هَاجِرُ - إِلَى بَيْتِ إِسْمَاعِيلَ، فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: أَيْنَ صَاحِبُكِ؟ قَالَتْ: لَيْسَ هَاهُنَا، ذَهَبَ يَتَصِيدُ، وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ يُخْرِجُ مِنَ الْحَرَمِ فَيَتَصِيدُ ثُمَّ يَرْجِعُ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ:

هَلْ عِنْدَكَ ضِيافَةٌ؟ هَلْ عِنْدَكَ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ؟ قَالَتْ: لَيْسَ عِنْدِي وَمَا عِنْدِي أَحَدٌ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ: إِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَأَقْرِئِهِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ: فَلْيَغْرِ عَتَبَةَ بَابِهِ، وَذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ وَجَاءَ إِسْمَاعِيلُ، فَوَجَدَ رِيحَ أَبِيهِ فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: هَلْ جَاءَكَ أَحَدٌ؟ قَالَتْ: جَاءَنِي شَيْخٌ صِفَتُهُ كَذَا - وَكَذَا كَأَلَمْ تُسَخِّفْهُ بِشَأْنِهِ - قَالَ: فَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَتْ: قَالَ لِي: أَقْرِئِي زَوْجَكَ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ: فَلْيَغْرِ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَطَلَّقَهَا وَتَزَوَّجَ أُخْرَى، فَلَبِثَ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَلْبَثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ سَارَةَ أَنْ يَزُورَ إِسْمَاعِيلَ، فَأَذْنَتْ لَهُ وَاشْتَرِطَتْ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَنْزِلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَابِ إِسْمَاعِيلَ، فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: أَيْنَ صَاحِبُكِ؟ قَالَتْ:

ذَهَبَ يَتَصِيدُ وَهُوَ يَجِيءُ الْآنَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَانْزِلْ يَرْحِمُكَ اللَّهُ! قَالَ لَهَا: هَلْ عِنْدَكَ ضِيافَةٌ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ عِنْدَكَ خَبْزٌ أَوْ بُرٌّ أَوْ شَعِيرٌ أَوْ تَمْرٌ؟

قَالَ: فَجَاءَتْ بِاللَّبَنِ وَاللَّحْمِ، فَدَعَا لَهَا بِالْبُرِّ كَةً، فَلَوْ جَاءَتْ يَوْمَئِذٍ بِخُبْزٍ

أَوْ بُرٍّ أَوْ شَعِيرٍ أَوْ تَمْرٍ لَكَانَتْ أَكْثَرُ أَرْضِ اللَّهِ بَرًّا وَشَعِيرًا وَتَمْرًا، فَقَالَتْ:

انْزِلْ حَتَّى أَغْسِلَ رَأْسَكَ، فَلَمْ يَنْزِلْ، فَجَاءَتْهُ بِالْمَقَامِ فَوَضَعَتْهُ عَنْ شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، فَوَضَعَ قَدَمَهُ عَلَيْهِ فَبَقِيَ أَثَرُ قَدَمِهِ عَلَيْهِ، فَغَسَلَتْ شِقَّ رَأْسِهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ حَوَّلَتْ الْمَقَامَ إِلَى شِقِّهِ الْأَيْسَرِ، فَغَسَلَتْ شِقِّهِ الْأَيْسَرِ، فَقَالَ لَهَا: إِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَأَقْرِئِهِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ: قَدْ اسْتَقَامَتِ عَتَبَةُ بَابِكَ فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ وَجَدَ رِيحَ أَبِيهِ، فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: هَلْ جَاءَكَ أَحَدٌ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، شَيْخٌ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهًا وَأَطْيَبُهُمْ رِيحًا، فَقَالَ لِي: كَذَا وَكَذَا، وَقُلْتُ لَهُ: كَذَا وَكَذَا، وَغَسَلْتُ رَأْسَهُ، وَهَذَا مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ عَلَى الْمَقَامِ، قَالَ: وَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَتْ: قَالَ لِي: إِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَأَقْرِئِهِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ: قَدْ اسْتَقَامَتِ عَتَبَةُ بَابِكَ، قَالَ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ، فَلَبِثَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَلْبَثَ وَأَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِبَنَاءِ الْبَيْتِ، فَبَنَاهُ هُوَ وَإِسْمَاعِيلُ، فَلَمَّا بَنَاهُ قِيلَ: «أَذِنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ»، فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِقَوْمٍ إِلَّا قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ قَدْ بُنِيَ لَكُمْ بَيْتٌ فَحُجُّوهُ، فَجَعَلَ لَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ، لَا صَخْرَةً وَلَا شَجَرَةً وَلَا شَيْءًا إِلَّا قَالَ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ قَالَ: وَكَانَ بَيْنَ قَوْلِهِ: «رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ»، وَبَيْنَ قَوْلِهِ:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ» كَذَا وَكَذَا عَامًّا، لَمْ يَحْفَظْ عَطَاءً.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُجِيدِ أَبُو عَلِيٍّ الْحَنْفِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَافِعٍ، قَالَ: سَمِعْتُ كَثِيرَ بْنَ كَثِيرٍ يُحَدِّثُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ - يَعْنِي إِبْرَاهِيمَ - فَوَجَدَ إِسْمَاعِيلَ يُصَلِّحُ نَبْلًا لَهُ مِنْ وَرَاءِ زَمْرَمَ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ رَبَّكَ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَتِيَ لَكَ بَيْتًا، فَقَالَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ: فَأَطِعْ رَبَّكَ فِيمَا أَمَرَكَ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ:

قَدْ أَمَرَكَ أَنْ تُعِينَنِي عَلَيْهِ قَالَ: إِذَا أَفْعَلُ، قَالَ: فَقَامَ مَعَهُ، فَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ يَبْنِيهِ وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ وَيَقُولَانِ: «رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»، فَلَمَّا ارْتَفَعَ الْبُنْيَانُ وَضَعَفَ الشَّيْخُ عَنْ رَفْعِ الْحِجَارَةِ قَامَ عَلَى حَجَرٍ، وَهُوَ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ، فَجَعَلَ يُنَاوِلُهُ وَيَقُولَانِ: «تَقَبَّلْ مِنَّا

إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» .

فَلَمَّا فَرَغَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِنَائِهِ، أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُؤْذِنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ، فَقَالَ لَهُ: «وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ - فِيمَا ذَكَرْنَا - مَا حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ حُمَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ قَابُوسَ بْنِ أَبِي ظَبْيَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا فَرَغَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ، قِيلَ لَهُ: أُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ، قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَا يَبْلُغُ صَوْتِي؟ قَالَ: أذن وعلى البلاغ، فنادى إبراهيم: يا أيها الناس كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، قَالَ: فَسَمِعَهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ: أَفَلَا تَرَى النَّاسَ يَجِئُونَ مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ يَلْبُونَ! حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ بْنُ غَرْوَانَ الضُّبِّيُّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا بَنَى إِبْرَاهِيمُ الْبَيْتَ أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: أَنْ أُذِّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ، قَالَ: فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ قَدْ اتَّخَذَ بَيْتًا، وَأَمَرَكُمْ أَنْ تَحْجُوهُ، فَاسْتَجَابَ لَهُ مَا سَمِعَهُ مِنْ شَيْءٍ، مِنْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ أَكْمَةٍ أَوْ تَرَابٍ أَوْ شَيْءٍ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ! حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ وَاقِدٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: «وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ»، قَالَ: قَامَ إِبْرَاهِيمُ ع خَلِيلُ اللَّهِ عَلَى الْحَجَرِ فَنَادَى:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ، فَاسْمَعْ مَنْ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، فَأَجَابَهُ مَنْ آمَنَ مِنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يَحْجَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ! حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفِيَانُ، عَنْ سَلَمَةَ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: قِيلَ لِإِبْرَاهِيمَ: أُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ، فَقَالَ:

يا رب، كيف أقول؟ قال: قل: لبيك اللهم لبيك، قال: فكانت أول التلبية.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عُمَرَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ قَالَ لِعَبِيدِ بْنِ عَمِيرٍ اللَّيْثِيِّ: كَيْفَ بَلَغَكَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ دَعَا إِلَى الْحَجِّ؟ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّهُ لَمَّا رَفَعَ هُوَ وَإِسْمَاعِيلُ قَوَاعِدَ الْبَيْتِ، وَانْتَهَى إِلَى مَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، وَحَضَرَ الْحَجَّ اسْتَقْبَلَ الْيَمَنَ، فَدَعَا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى حُجِّ بَيْتِهِ فَأَجِيبَ: أَنْ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ! ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْمَشْرِقَ فَدَعَا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى حُجِّ بَيْتِهِ فَأَجِيبَ: أَنْ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ! ثُمَّ إِلَى الْمَغْرِبِ فَدَعَا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى حُجِّ بَيْتِهِ، فَأَجِيبَ: أَنْ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ! ثُمَّ إِلَى الشَّامِ فَدَعَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى حُجِّ بَيْتِهِ فَأَجِيبَ أَنْ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، ثُمَّ خَرَجَ بِإِسْمَاعِيلَ وَهُوَ مَعَهُ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ، فَزَلَ بِهِ مَنَى وَمِنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَصَلَّى بِهِمُ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، ثُمَّ بَاتَ بِهِمْ حَتَّى أَصْبَحَ، فَصَلَّى بِهِمْ صَلَاةَ الْفَجْرِ، ثُمَّ غَدَا بِهِمْ إِلَى عَرَفَةَ، فَقَالَ بِهِمْ هُنَاكَ، حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ جَمَعَ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ: الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ، ثُمَّ رَاحَ بِهِمْ إِلَى الْمَوْقِفِ مِنْ عَرَفَةَ، فَوَقَفَ بِهِمْ عَلَى الْأَرَاكِ، وَهُوَ الْمَوْقِفُ مِنْ عَرَفَةَ الَّذِي يَقِفُ عَلَيْهِ الْإِمَامُ يَرِيهِ وَيَعْلَمُهُ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ دَفَعَ بِهِ وَبَمِنْ مَعَهُ حَتَّى أَتَى الْمَزْدَلِفَةَ، فَجَمَعَ فِيهَا بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ: الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، ثُمَّ بَاتَ بِهَا وَبَمِنْ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى بِهِمْ صَلَاةَ الْغَدَاةِ، ثُمَّ وَقَفَ بِهِ عَلَى قَرْحٍ مِنَ الْمَزْدَلِفَةِ فِيمِنْ مَعَهُ، وَهُوَ الْمَوْقِفُ

الَّذِي يَقِفُ بِهِ الْإِمَامُ حَتَّى إِذَا أُسْفِرَ دَفَعَ بِهِ وَبَمِنْ مَعَهُ يَرِيهِ وَيَعْلَمُهُ كَيْفَ يَصْنَعُ، حَتَّى رَمَى الْجَمْرَةَ الْكُبْرَى، وَأَرَاهُ الْمُنْحَرُ مِنْ مَنَى، ثُمَّ نَحَرَ وَحَلَقَ، ثُمَّ أَفَاضَ بِهِ مِنْ مَنَى لِيَرِيهِ كَيْفَ يَطُوفُ، ثُمَّ عَادَ بِهِ إِلَى مَنَى لِيَرِيهِ كَيْفَ يَرْمِي الْجِمَارَ، حَتَّى فَرَغَ لَهُ مِنَ الْحَجِّ وَأُذِنَ بِهِ فِي النَّاسِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَدْ رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص وَعَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ أَنَّ جَبْرِئِيلَ هُوَ الَّذِي كَانَ يَرِي إِبْرَاهِيمَ الْمَنَاسِكَ إِذَا جَازَ ذَكَرَ الرِّوَايَةَ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ:

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى - وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَحْمَسِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى - قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي لَيْلَى، عَنْ ابْنِ أَبِي مَلِيكَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، [عَنِ النَّبِيِّ ص قَالَ:

أتى جبرئيل إبراهيم يوم التروية فراح به إلى منى، فصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر بمنى، ثم غدا به إلى عرفات، فأنزله الأراك- أو حيث ينزل الناس- فصلى به الصلاتين جميعاً: الظهر والعصر، ثم وقف به حتى إذا كان كأعجل ما يصلي أحد من الناس المغرب، أفاض حتى أتى به جمعاً، فصلى به الصلاتين جميعاً: المغرب والعشاء، ثم أقام حتى إذا كان كأعجل ما يصلي أحد من الناس الفجر صلى به، ثم وقف حتى إذا كان كأبطأ ما يصلي أحد من المسلمين الفجر أفاض به إلى منى، فرمى الجمره، ثم ذبح وحلق، ثم أفاض إلى البيت، ثم أوحى الله عز وجل إلى محمد ص: «أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» .

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عمران بن محمد بن أبي ليلى، قال:

حدثني أبي، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ص نحوه

ثم إن الله تعالى ذكره ابتلى خليله إبراهيم ع بذبح ابنه.

واختلف السلف من علماء أمة نبينا ص في الذي أمر إبراهيم بذبحه من ابنه، فقال بعضهم: هو إسحاق بن إبراهيم، وقال بعضهم: هو إسماعيل بن إبراهيم، وقد روي عن رسول الله ص كلا القولين، لو كان فيهما صحيح لم نعهده إلى غيره، غير أن الدليل من القرآن على صحة الرواية التي رويت عنه ص أنه قال: هو إسحاق أوضح وأبين منه على صحة الأخرى.

والرواية التي رويت عنه أنه قال: هو إسحاق حدثنا بها أبو كريب، قال: حدثنا زيد بن الحباب، عن الحسن بن دينار، عن علي بن زيد بن جلعان، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب، عن [النبي ص في حديث ذكر فيه: «وفديناه بذبح عظيم» قال: هو إسحاق] .

وقد روي هذا الخبر عن غيره من وجه أصح من هذا الوجه، غير أنه موقوف على العباس غير مرفوع إلى رسول الله ص. ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب قال: حدثنا ابن يمان، عن مبارك، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب: «وفديناه بذبح عظيم» قال: هو إسحاق وأما الرواية التي رويت عنه أنه هو إسماعيل، فها حدثنا محمد بن عمار الرازي، قال: حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة، قال: حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي، عن عبد الله بن محمد العتيبي من ولد عتبة بن أبي سفيان، عن أبيه، قال: حدثني عبد الله بن سعيد، عن الصنابحي، قال: كنا عند معاوية

ابن أبي سفيان، فذكروا الذبيح: إسماعيل أو إسحاق؟ فقال: على الخبر سقطتم، كنا عند رسول الله ص، فجاءه رجل فقال: يا رسول الله، عد على مما أفاء الله عليك يا بن الذبيح، فضحك رسول الله ص، فقيل له: [وما الذبيحان يا رسول الله؟ فقال: إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر الله: لئن سهل الله له أمرها ليدبحن أحد ولده، قال: فخرج السهم على عبد الله، ففنع أخواله وقالوا: افد ابنك بمائة من الإبل، ففداه بمائة من الإبل وإسماعيل الثاني] .

ونذكر الآن من قال من السلف إنه إسحاق، ومن قال إنه إسماعيل.

ذكر من قال هو إسحاق:

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن يمان، عن مبارك، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب: «وفديناه بذبح عظيم» قال: هو إسحاق.

حدثنا الحسين بن يزيد الطحان، قال: حدثنا ابن إدريس، عن داود ابن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: الذي أمر بذبحه

إِبْرَاهِيمُ هُوَ إِسْحَاقُ.

حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عليّ، عن داود، عن عكرمة، قال:

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الذَّبِيحُ هُوَ إِسْحَاقُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ» قَالَ: هُوَ إِسْحَاقُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، قَالَ: افْتَخَرَ رَجُلٌ عِنْدَ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَنَا فُلَانُ ابْنِ فُلَانِ ابْنِ الْأَشْيَاحِ الْكَرَامِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ذَاكَ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ، ذَبَحَ اللَّهُ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللَّهِ

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُخْتَارِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ جَارِيَةَ الثَّقَفِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ كَعْبٍ، فِي قَوْلِهِ: «وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ» قَالَ:

مَنْ ابْنُهُ إِسْحَاقُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْعَلَاءِ بْنِ جَارِيَةَ الثَّقَفِيِّ، حَلِيفِ بَنِي زُهْرَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ كَعْبِ الْأَخْبَارِ، أَنَّ الَّذِي أُمِرَ بِذَبْحِهِ إِبْرَاهِيمُ مِنْ ابْنَيْهِ إِسْحَاقُ.

حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ عَمْرَو بْنَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ أُسَيْدِ بْنِ جَارِيَةَ الثَّقَفِيِّ، أَخْبَرَهُ أَنَّ كَعْبًا قَالَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: أَلَا أَخْبِرُكَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ النَّبِيِّ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ:

بَلَى، قَالَ كَعْبٌ: لَمَّا أَرَى إِبْرَاهِيمُ ذَبَحَ إِسْحَاقَ، قَالَ الشَّيْطَانُ: وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ أَفْتِنَ عِنْدَ هَذَا آلَ إِبْرَاهِيمَ لَا أَفْتِنَ أَحَدًا مِنْهُمْ أَبَدًا، فَتَمَثَّلَ الشَّيْطَانُ لَهُمْ رَجُلًا يَعْرِفُونَهُ، فَأَقْبَلَ حَتَّى إِذَا خَرَجَ إِبْرَاهِيمُ بِإِسْحَاقَ لِيَذْبَحَهُ دَخَلَ عَلَى سَارَةَ امْرَأَةِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ أَصْبَحَ إِبْرَاهِيمُ غَادِيًا بِإِسْحَاقَ؟ قَالَتْ: غَدَا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا وَاللَّهِ مَا لَذَلِكَ غَدَا بِهِ، قَالَتْ سَارَةُ: فَلِمَ غَدَا بِهِ؟

قَالَ: غَدَا بِهِ لِيَذْبَحَهُ، قَالَتْ سَارَةُ: لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، لَمْ يَكُنْ لِيَذْبَحْ ابْنَهُ، قَالَ الشَّيْطَانُ: بَلَى وَاللَّهِ، قَالَتْ سَارَةُ: فَلِمَ يَذْبَحُهُ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّ رَبَّهُ أَمَرَهُ بِذَلِكَ، قَالَتْ سَارَةُ: فَهَذَا حَسَنٌ بَأَنَّ يُطِيعَ رَبَّهُ إِنْ كَانَ أَمَرُهُ بِذَلِكَ.

فَخَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ عِنْدِ سَارَةَ حَتَّى أَدْرَكَ إِسْحَاقَ وَهُوَ يَمْشِي عَلَى أَثَرِ أَبِيهِ، فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ أَصْبَحَ أَبُوكَ غَادِيًا بِكَ؟ قَالَ: غَدَا بِي لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا وَاللَّهِ، مَا غَدَا بِكَ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، وَلَكِنَّهُ غَدَا بِكَ لِيَذْبَحَكَ

قَالَ إِسْحَاقُ: مَا كَانَ أَبِي لِيَذْبَحَنِي، قَالَ: بَلَى، قَالَ: لَمْ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّ رَبَّهُ أَمَرَهُ بِذَلِكَ، قَالَ إِسْحَاقُ: فَوَاللَّهِ لَئِنْ أَمَرَهُ بِذَلِكَ لِيُطِيعَنَّهُ، فَتَرَكَهُ الشَّيْطَانُ وَاسْرَعَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: أَيْنَ أَصْبَحْتَ غَادِيًا بِابْنِكَ؟ قَالَ: غَدَوْتُ بِهِ لِبَعْضِ حَاجَتِي، قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ مَا غَدَوْتُ بِهِ إِلَّا لِيَذْبَحَهُ، قَالَ: لَمْ أَذْبَحْهُ؟

قَالَ: زَعَمْتَ أَنَّ رَبَّكَ أَمَرَكَ بِذَلِكَ، قَالَ: فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ أَمَرَنِي رَبِّي لِأَفْعَلَنَّ، قَالَ: فَلَمَّا أَخَذَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ لِيَذْبَحَهُ وَسَلَّمْ إِسْحَاقُ أَغْفَاهُ اللَّهُ، وَفَدَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِإِسْحَاقَ: قُمْ أَيُّ بُنَيَّ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَغْفَاكَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى إِسْحَاقَ: إِنِّي أُعْطِيكَ دَعْوَةَ اسْتَجِيبْ لَكَ فِيهَا، قَالَ إِسْحَاقُ: اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَدْعُوكَ أَنْ تَسْتَجِيبَ لِي: أَيُّمَا عَبْدٍ لَقِيكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَا يَشْرِكُ بِكَ شَيْئًا فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ.

حَدَّثَنِي عمرو بن علي، قال، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عَمِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: [قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، يَقُولُونَ يَا إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، فِيمَ قَالُوا ذَلِكَ؟ قَالَ:

إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَعْدِلْ بِي شَيْئًا قَطُّ إِلَّا اخْتَارَنِي عَلَيْهِ، وَإِنْ إِسْحَاقَ جَادَ لِي بِالذَّبْحِ وَهُوَ بَغِيرُ ذَلِكَ أَجُودُ، وَإِنْ يَعْقُوبَ كَلَّمَا زَدْتَهُ بَلَاءَ زَادَنِي

حسن ظن] .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُؤَمِّلٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفِيَانٌ، عَنْ زَيْدِ ابْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ عَمِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: [قَالَ مُوسَى: أَيُّ رَبِّ بِمِ اعْطَيْتَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا أَعْطَيْتَهُمْ؟ فَذَكَرَ نَحْوَهُ] .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ يَمَانَ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ ابْنِ سَابِطٍ، قَالَ: هُوَ إِسْحَاقُ.

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ يَمَانَ عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي سِنَانٍ الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ ابْنِ أَبِي الْهَذِيلِ، قَالَ: الذَّبِيحُ هُوَ إِسْحَاقُ.

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفِيَانُ بْنُ عَقْبَةَ، عَنْ حَمْزَةَ الزِّيَّاتِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ، قَالَ: قَالَ يَوْسُفُ لِلْمَلِكِ فِي وَجْهِهِ تَرْغَبُ

أَنْ تَأْكُلَ مَعِيَ، وَأَنَا وَاللَّهُ يَوْسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ نَبِيَّ اللَّهِ بْنِ إِسْحَاقَ ذَبِيحَ اللَّهِ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللَّهِ! حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سَفِيَانَ، عَنْ أَبِي سِنَانَ، عَنْ ابْنِ أَبِي الْهَذِيلِ، قَالَ: قَالَ يَوْسُفُ لِلْمَلِكِ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ.

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ، عَنْ السَّيِّدِ، فِي خَبَرِ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - وَعَنْ مَرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ص، أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَ أُرِيَ فِي الْمَنَامِ فَقِيلَ لَهُ: أَوْفِ نَذْرَكَ الَّذِي نَذَرْتَ: إِنَّ رِزْقَكَ اللَّهُ غُلَامًا مِنْ سَارَةٍ أَنْ تَذْبَحَهُ.

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا زَكْرِيَّا وَشُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ مَسْرُوقٍ فِي قَوْلِهِ: «وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ» قَالَ: هُوَ إِسْحَاقُ.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ هُوَ إِسْمَاعِيلُ:

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ حَبِيبٍ بْنُ الشَّهِيدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَمَانَ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ ثَوْرٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ:

الذَّبِيحُ إِسْمَاعِيلُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ:

حَدَّثَنَا بَيَّانٌ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ»، قَالَ: إِسْمَاعِيلُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاصِلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَمْزَةَ مُحَمَّدُ بْنُ مَيْمُونٍ الشُّكْرِيُّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ

قَالَ: إِنَّ الَّذِي أَمَرَ بِذَبْحِهِ إِبْرَاهِيمُ إِسْمَاعِيلُ.

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ عَمَّارِ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ، وَعَنْ يَوْسُفَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: هُوَ إِسْمَاعِيلُ، يَعْنِي:

«وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ» .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُليَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ إِسْمَاعِيلُ.

وَحَدَّثَنِي بِهِ يَعْقُوبُ مَرَّةً أُخْرَى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُليَّةَ، قَالَ: سَأَلَ دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ: أَيُّ ابْنَيْ إِبْرَاهِيمَ أَمَرَ بِذَبْحِهِ؟ فَرَعِمَ أَنَّ الشَّعْبِيَّ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ إِسْمَاعِيلُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ بَيَّانٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ فِي الَّذِي، فَدَاهُ اللَّهُ

بِذْنِ عَظِيمٍ، قَالَ: هُوَ إِسْمَاعِيلُ.

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُليَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: «وَفَدَيْنَاهُ بِذَنْجٍ عَظِيمٍ»، قَالَ: هُوَ إِسْمَاعِيلُ. وَحَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ قَيْسٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: الْمَفْدَى إِسْمَاعِيلُ، وَزَعَمَتِ الْيَهُودُ أَنَّهُ إِسْحَاقُ، وَكَذَبَتِ الْيَهُودُ. وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ الْقَزَّازُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، عَنْ مُبَارَكٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: الَّذِي فَدَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: هُوَ إِسْمَاعِيلُ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ أَبِي عَاصِمٍ الْغَنَوِيِّ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِثْلَهُ. حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ شَاهِينَ، قَالَ: حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: الَّذِي أَرَادَ إِبْرَاهِيمُ ذَبْحَهُ إِسْمَاعِيلُ. حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ، عَنْ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ «وَفَدَيْنَاهُ بِذَنْجٍ عَظِيمٍ»، قَالَ: هُوَ إِسْمَاعِيلُ، قَالَ:

وَكَانَ قَرْنَا الْكَبِشِ مُنَوِّطِينَ بِالْكَعْبَةِ.

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ يَمَانَ، عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ جَابِرٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: الذَّبِيحُ إِسْمَاعِيلُ. حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ يَمَانَ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ قَرْنِي الْكَبِشِ فِي الْكَعْبَةِ. حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ يَمَانَ، عَنْ مُبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ، عَنْ يُونُسَ بْنِ مِهْرَانَ، قَالَ: هُوَ إِسْمَاعِيلُ. حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ يَمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفِيانٌ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: هُوَ إِسْمَاعِيلُ. حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَمٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَوْفٌ، عَنِ الْحَسَنِ: «وَفَدَيْنَاهُ بِذَنْجٍ عَظِيمٍ»، قَالَ: هُوَ إِسْمَاعِيلُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِبْرَاهِيمَ بِذَبْحِهِ مِنْ ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ، وَإِنَّا لَنَجِدُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي قِصَّةِ الْخَبَرِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ ذَبْحِ ابْنِهِ، أَنَّهُ إِسْمَاعِيلُ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ حِينَ فَرَّغَ مِنْ قِصَّةِ الْمَذْبُوحِ مِنْ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: «وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ» وَيَقُولُ: «فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ

يَعْقُوبَ»، يَقُولُ: بَابُنْ وَابْنُ ابْنٍ، فَلَمْ يَكُنْ يَأْمُرُهُ بِذَبْحِ إِسْحَاقَ، وَلَهُ فِيهِ مِنَ اللَّهِ مِنَ الْمَوْعُودِ مَا وَعَدَهُ، وَمَا الَّذِي أَمَرَ بِذَبْحِهِ إِلَّا إِسْمَاعِيلَ. حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ سَفْيَانَ بْنِ فَرُوقَةَ الْأَسْلَمِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّهُ ذَكَرَ ذَلِكَ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَهُوَ خَلِيفَةُ إِذْ كَانَ مَعَهُ بِالشَّامِ، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ: إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مَا كُنْتُ أَنْظُرُ فِيهِ، وَإِنِّي لَأَرَاهُ كَمَا قُلْتَ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى رَجُلٍ كَانَ عِنْدَهُ بِالشَّامِ كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ، فَحَسَنَ إِسْلَامَهُ، وَكَانَ يَرَى أَنَّهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ فَسَأَلَهُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ ذَلِكَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ: وَأَنَا عِنْدَ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ: أَيُّ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ أَمَرَ بِذَبْحِهِ؟

فَقَالَ: إِسْمَاعِيلُ، وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ يَهُودَ لَتَعْلَمَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمْ يَحْسُدُونَكُمْ مَعَشَرَ الْعَرَبِ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَبَاكُمْ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ، وَالْفَضْلُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ مِنْهُ لَصَبْرِهِ عَلَى مَا أَمَرَ بِهِ، فَهُمْ يَجْحَدُونَ ذَلِكَ، وَيُزَعِّمُونَ أَنَّهُ إِسْحَاقُ، لِأَنَّ إِسْحَاقَ أَبُوهُمْ. حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ دِينَارٍ وَعَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، أَنَّهُ كَانَ لَا يَشْكُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الَّذِي أَمَرَ بِذَبْحِهِ مِنْ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ يَقُولُ ذَلِكَ كَثِيرًا. وَأَمَّا الدَّلَالَةُ مِنَ الْقُرْآنِ الَّتِي قُلْنَا إِنَّهَا عَلَى أَنَّ ذَلِكَ إِسْحَاقُ أَحْصَى، فَقَوْلُهُ تَعَالَى مَخْبَرًا عَنْ دَعَاءِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ فَارَقَ قَوْمَهُ مَهَاجِرًا إِلَى رَبِّهِ إِلَى الشَّامِ مَعَ زَوْجَتِهِ

١٠٦٣ ذكر الخبر عن صفه فعل إبراهيم وابنه الذي أمر بذبحه فيما كان أمر به من ذلك والسبب الذي من أجله أمر إبراهيم بذبحه ساره، فقال: «إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدَيْنِ. رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ»، وذلك قبل أن يعرف هاجر، وقبل أن تصير له أم إسماعيل، ثم أتبع ذلك ربنا عز وجل الخبر عن إجابته دعاءه، وتبشيره إياه بغلام حليم، ثم عن رؤيا إبراهيم أنه يذبح ذلك الغلام حين بلغ معه السعي، ولا يعلم في كتاب ذكر لتبشير إبراهيم بولد ذكر إلا بإسحاق، وذلك قوله: «وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ» وقوله: «فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ. فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَّةٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ» ثم ذلك كذلك في كل موضع ذكر فيه تبشير إبراهيم بغلام، فإنما ذكر تبشير الله إياه به من زوجته سارة، فالواجب أن يكون ذلك في قوله: «فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ» نظير ما في سائر سور القرآن من تبشيره إياه به من زوجته سارة.

وأما اعتلال من اعتل بأن الله لم يكن يأمر إبراهيم بذبح إسحاق، وقد أئنه البشارة من الله قبل ولادته بولادته وولادة يعقوب منه من بعده، فإنها علة غير موجبة صحة ما قال، وذلك أن الله إنما أمر إبراهيم بذبح إسحاق بعد إدراك إسحاق السعي وجائز أن يكون يعقوب ولد له قبل أن يؤمر أبوه بذبحه، وكذلك لا وجه لاعتلال من اعتل في ذلك بقرن الكبش أنه رآه معلقا في الكعبة، وذلك أنه غير مستحيل أن يكون حمل من الشام إلى الكعبة فعلق هنالك

ذكر الخبر عن صفه فعل إبراهيم وابنه الذي أمر بذبحه فيما كان أمر به من ذلك والسبب الذي من أجله أمر إبراهيم بذبحه والسبب في أمر الله عز وجل إبراهيم بذبح ابنه الذي أمره بذبحه فيما ذكر أنه إذ فارق قومه هاربا بدينه مهاجرا إلى ربّه متوجها إلى الشام من أرض العراق دعا الله أن يهب له ولدا ذكرا صالحا من سارة فقال:

«رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ» يعني بذلك ولدا صالحا من الصالحين كما أخبر الله تعالى عنه فقال: «وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدَيْنِ. رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ» فلما نزل به أضيافه من الملائكة الذين كانوا أرسلوا إلى المؤتفكة قوم لوط بشروه بغلام حليم عن أمر الله تعالى إياهم بتبشيره، فقال إبراهيم إذ بشر به: هو إذا لله ذبيح فلما ولد الغلام وبلغ السعي قيل له: أوف بنذكرك الذي نذرت لله.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ حَمَّادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ، عَنِ السَّيِّدِ فِي خَبَرِ ذِكْرِهِ عَنْ أَبِي مَالِكٍ وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - وَعَنْ مَرَّةِ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ - وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ جَبْرِئِيلُ عَ لِسَارَةَ: أَبْشِرِي بِوَلَدٍ اسْمُهُ إِسْحَاقُ، وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ، فَضَرَبَتْ جَبِينَهَا عَجَبًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: «فَصَكَتْ وَجْهَهَا» وَقَالَتْ: «أَلَدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ. قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» قَالَتْ سَارَةُ لَجَبْرِائِيلَ: مَا آيَةُ ذَلِكَ؟

فَأَخَذَ بِيَدِهِ عَوْدًا يَابِسًا فَلَوَاهُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ فَاهْتَزَّ أَخْضَرَ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: هُوَ إِذَا لِلَّهِ ذَبِيحٌ، فَلَمَّا كَبَّرَ إِسْحَاقُ أَتَى إِبْرَاهِيمَ فِي النَّوْمِ فَقِيلَ لَهُ: أَوْف بنذكرك الذي نذرت، إن رزقك الله غلاما من سارة أن تذبحه فقال لإسحاق: انطلق فقرب قربانا إلى الله وأخذ سكينًا وحبالًا، ثم انطلق معه حتى إذا ذهب به بين الجبال قال له الغلام: يَا أَبَتِ، أَيْنَ قُرْبَانُكَ؟ قَالَ: يَا بَنِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا

تَرَى قَالَ: يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تَأْمُرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ، قَالَ لَهُ إِسْحَاقُ: أَشَدُّ رِبَاطِي حَتَّى لَا أَضْطَرِبَ وَكَفِّفْ عَنْ ثِيَابِكَ حَتَّى لَا يَنْتَضِحَ عَلَيْهَا مِنْ دَمِي شَيْءٌ قَتَرَاهُ سَارَةً فَتَحْزَنَ، وَأَسْرِعْ مَرَّ السَّكِينِ عَلَى حَلْقِي لِيَكُونَ أَهْوَنَ لِلْمَوْتِ عَلَيَّ، وَإِذَا أَتَيْتَ سَارَةً فَأَقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ فَاقْبَلْ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ ع يَقْبَلُهُ وَقَدْ رَبَطَهُ وَهُوَ يَبْكِي، وَإِسْحَاقُ يَبْكِي، حَتَّى اسْتَنْقَعَ الدَّمُوعَ تَحْتَ خَدِّ إِسْحَاقَ، ثُمَّ إِنَّهُ جَرَّ السَّكِينِ عَلَى حَلْقِهِ فَلَمْ يَحُكَّ السَّكِينُ، وَضَرَبَ اللَّهُ عَرَّ وَجَلَ صَفِيحَةً مِنْ نَحَاسٍ عَلَى حَلْقِ إِسْحَاقَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ضَرَبَ بِهِ عَلَى جَبِينِهِ، وَحَزَّ فِي قَفَاهُ قَوْلُهُ عَرَّ وَجَلَ:

«فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ» يَقُولُ: سَلَّمَ لِلَّهِ الْأَمْرَ، فَنُودِيَ: يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا بِالْحَقِّ التَّتَتْ، فَإِذَا بِكَ بَشٍ، فَأَخَذَهُ وَخَلَّى عَنْ ابْنِهِ، فَأَكْبَّ عَلَى ابْنِهِ يَقْبَلُهُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا بَنِي الْيَوْمِ وَهَبْتُ لِي، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَرَّ وَجَلَ: «وَفَدَيْنَاهُ بِذَنْبٍ عَظِيمٍ» فَرَجَعَ إِلَى سَارَةٍ فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، فَجَزَعَتْ سَارَةً وَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَرَدْتَ أَنْ تَذَحَّجَ ابْنِي وَلَا تُعَلِّبَنِي! حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

كَانَ إِبْرَاهِيمَ فِيمَا يَقَالُ إِذَا زَارَهَا- يَعْنِي هَاجِر- حَمَلَ عَلَى الْبَرَقِ يَغْدُو مِنَ الشَّامِ، فَيَقْبَلُ بِمَكَّةَ، وَيُرَوِّحُ مِنْ مَكَّةَ، فَيَبِيتُ عِنْدَ أَهْلِهِ بِالشَّامِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيُ، وَأَخَذَ بِنَفْسِهِ وَرَجَاهُ لَمَّا كَانَ يَأْمَلُ فِيهِ مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ وَتَعْظِيمِ حُرْمَاتِهِ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنْ يَذْبَحَهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أَمَرَ بِذَبْحِ ابْنِهِ قَالَ لَهُ: يَا بَنِي خُذِ الْحَبْلَ وَالْمَدْيَةَ، ثُمَّ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى هَذَا الشَّعْبِ لِيَحْطُبَ أَهْلُكَ مِنْهُ، قَبْلَ أَنْ يَذْكُرَ لَهُ شَيْئًا مِمَّا أَمَرَ بِهِ.

فَلَمَّا وَجَّهَ إِلَى الشَّعْبِ اعْتَرَضَهُ عَدُوُّ اللَّهِ إِبْلِيسُ لِيَصْدهُ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ فِي صُورَةِ رَجُلٍ، فَقَالَ: أَيْنَ تَرِيدُ أَيُّهَا الشَّيْخُ؟ قَالَ: أُرِيدُ هَذَا الشَّعْبَ لِحَاجَةٍ لِي فِيهِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى الشَّيْطَانَ قَدْ جَاءَكَ فِي مَنَامِكَ، فَأَمْرُكَ بِذَبْحِ بَنِيكَ هَذَا، فَأَنْتَ تَرِيدُ ذَبْحَهُ، فَعَرَفَهُ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي، أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ، فَوَاللَّهِ لَأَمْضِينَ لِأَمْرِ رَبِّي فِيهِ، فَلَمَّا يَثُسَّ عَدُوُّ اللَّهِ إِبْلِيسُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ اعْتَرَضَ إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ وَرَاءَ إِبْرَاهِيمَ يَحْمِلُ الْحَبْلَ وَالشَّفْرَةَ، فَقَالَ لَهُ: يَا غُلَامُ هَلْ تَدْرِي أَيْنَ يَذْهَبُ بَكَ أَبُوكَ؟ قَالَ: يَحْطُبُ أَهْلُنَا مِنْ هَذَا الشَّعْبِ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا يَرِيدُ إِلَّا أَنْ يَذْبَحَكَ، قَالَ: لَمْ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّ رَبَّهُ أَمَرَهُ بِذَلِكَ، قَالَ:

فَلْيَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ، فَسَمِعَا وَطَاعَا فَلَمَّا امْتَنَعَ مِنْهُ الْغُلَامُ ذَهَبَ إِلَى هَاجِرَ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ فِي مَنْزِلِهَا، فَقَالَ لَهَا: يَا أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، هَلْ تَدْرِينَ أَيْنَ ذَهَبَ إِبْرَاهِيمَ بِإِسْمَاعِيلَ؟ قَالَتْ: ذَهَبَ بِهِ يَحْطُبُنَا مِنْ هَذَا الشَّعْبِ، قَالَ: مَا ذَهَبَ بِهِ إِلَّا لِيَذْبَحَهُ، قَالَتْ: كَلَّا هُوَ أَرْحَمُ بِهِ وَأَشَدُّ حُبًّا لَهُ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ:

إِنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِذَلِكَ، قَالَتْ: إِنْ كَانَ رَبُّهُ أَمَرَهُ بِذَلِكَ فَتَسْلِمَا لِأَمْرِ اللَّهِ فَرَجَعَ عَدُوُّ اللَّهِ بَغِيظُهُ لَمْ يَصْبِ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ شَيْئًا مِمَّا أَرَادَ، وَقَدْ امْتَنَعَ مِنْهُ إِبْرَاهِيمَ وَآلُ إِبْرَاهِيمَ بِعَوْنِ اللَّهِ، وَأَجْمَعُوا لِأَمْرِ اللَّهِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ،

فَلَمَّا خَلَا إِبْرَاهِيمَ بِابْنِهِ فِي- الشَّعْبِ وَهُوَ فِيمَا يَزْعُمُونَ شَعْبَ شَيْبَرَ- قَالَ لَهُ: «يَا بَنِيَّ، إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ قَالَ: يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تَأْمُرُ، سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ» .

قَالَ ابْنُ حَمِيدٍ: قَالَ سَلَمَةُ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ إِسْمَاعِيلَ قَالَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ: يَا أَبَتِ إِنْ أَرَدْتَ ذَبْحِي فَاشْدُدْ رِبَاطِي لَا يَصْبُكَ مِنْ شَيْءٍ فَيَنْقُصَ أَجْرِي، فَإِنَّ الْمَوْتَ شَدِيدٌ، وَإِنِّي لَا أَمْنُ أَنْ أَضْطَرِبَ عِنْدَهُ إِذَا وَجَدْتَ مَسَّهُ، وَاشْتَذْ شَفَرَتَكَ حَتَّى تَجْهَزَ عَلَيَّ قَتْرِيحِي، وَإِذَا أَنْتَ أَضْجَعْتَنِي لِتَذْبَحَنِي فَكَبِّنِي لَوْجَهِي عَلَى جَبِينِي وَلَا تَضْجَعْنِي لَشَقِي، فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ أَنْتَ نَظَرْتَ فِي وَجْهِي أَنْ تَدْرِكَ رَقَةً تَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَمْرِ اللَّهِ فِي، وَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرُدَّ قِصْيِي عَلَى أُمِّي فَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَكُونَ هَذَا أَسْلَى لَهَا عَنِّي، فَافْعَلْ قَالَ: يَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: نَعَمْ الْعَوْنُ أَنْتَ يَا بَنِي عَلَى أَمْرِ اللَّهِ قَالَ: فَرَبَطَهُ كَمَا أَمَرَهُ إِسْمَاعِيلُ فَأَوْثَقَهُ، ثُمَّ شَخَّذَ شَفَرَتَهُ ثُمَّ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَاتَّقَى النَّظَرَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ أَدْخَلَ الشَّفْرَةَ لِحَلْقِهِ فَقَلَبَهَا اللَّهُ لِقْفَاهَا فِي يَدِهِ، ثُمَّ اجْتَذَبَهَا إِلَيْهِ لِيَفْرَغَ مِنْهُ، فَنُودِيَ: أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا، هَذِهِ ذَبْحُكَ فِدَاءً

لابنك فاذبحها دونه، يقول الله عز وجل، «فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ»، وإنما تمل الذبائح على خدودها، فكان مما صدق عندنا هذا الحديث عن إسماعيل في إشارته على أبيه بما أشار إذ قال: كني على وجهي قوله: «وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ». ونادياه أن يا إبراهيم. قَدْ صَدَقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ. وَفَدَيْنَاهُ بِذَنْجٍ عَظِيمٍ.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الحسن بن دينار، عن قتادة بن دعامه، عن جعفر بن إياس، عن عبد الله بن عباس، قال: خرج عليه كبش من الجنة قد رعاها قبل ذلك أربعين خريفاً، فأرسل إبراهيم ابنه فاتبع الكبش، فأخرجه إلى الجمره الأولى فرماه بسبع حصيات،

فأفلته عنده، فجاء الجمره الوسطى، فأخرجه عندها، فرماه بسبع حصيات، ثم أفلته فأدركه عند الجمره الكبرى، فرماه بسبع حصيات، فأخرجه عندها، ثم أخذه فأتى به المنحر من منى فذبحه، فوالذي نفس ابن عباس بيده، لقد كان أول الإسلام، وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة، وقد وخش - يعني قد يبس.

حدثني محمد بن سنان القزاز، قال: حدثني ججاج، عن حماد، عن أبي عاصم الغنوي، عن أبي الطفيل، قال: قال ابن عباس: إن إبراهيم لما أمر بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعى فسأقه، فسبقه إبراهيم، ثم ذهب به جبرئيل ع إلى جمره العقبة، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات، حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمره الوسطى، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم تله للجبين، وعلى إسماعيل قميص أبيض، فقال له: يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفيني فيه غير هذا فأخلعه عني، فاكفني فيه، فالتفت إبراهيم ع فإذا هو بكبش أعين أبيض أقرن فذبحه، فقال ابن عباس: لقد رأيتنا تبع هذا الضرب من الكبش.

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثني أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال، حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: «وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ»، قال: وضع وجهه للأرض قال: لا تدبني وأنت تنظر إلى وجهي عسى أن ترحمني، فلا تجهز علي، اربط يدي إلى رقبتي، ثم ضع وجهي للأرض.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن يمان، عن سفيان، عن جابر، عن أبي الطفيل، [عن علي ع: «وَفَدَيْنَاهُ بِذَنْجٍ عَظِيمٍ»]، قال:

كَبَشٌ أبيضُ أَقرنُ أعينُ مَرْبُوطٌ بِسَمَرٍ فِي ثَبرٍ

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس: «وَفَدَيْنَاهُ بِذَنْجٍ عَظِيمٍ»، قال: كَبَشٌ.

قَالَ عبيد بن عمير: ذُبِحَ بِالْمَقَامِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ذُبِحَ بِمَنَى فِي الْمَنَحِرِ.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن ابن خثيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: الكبش الذي ذبحه إبراهيم ع هو الكبش الذي قرب به ابن آدم فتقبل منه.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جبير:

«وَفَدَيْنَاهُ بِذَنْجٍ عَظِيمٍ»، قال: كان الكبش الذي ذبحه إبراهيم ع في الجنة أربعين سنة، وكان كبشاً أملح، صوفه مثل العهن الأحمر.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا معاوية بن هشام، عن سفيان، عن رجل، عن أبي صالح، عن ابن عباس: «وَفَدَيْنَاهُ بِذَنْجٍ عَظِيمٍ»، قال: كَانَ وَعَلا.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ الْحَسَنِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: مَا فَدِيَ إِسْمَاعِيلَ إِلَّا بِتَيْسٍ كَانَ مِنَ الْأُرُوى، أَهْبَطَ عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ، وَمَا يَقُولُ اللَّهُ: «وَفَدَيْنَاهُ بِذَنْجٍ عَظِيمٍ» لَذِيحَتُهُ فَقَطْ، وَلَكِنَّهُ الذَّبْحُ عَلَى دِينِهِ، فَتِلْكَ السَّنَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَاعْمَلُوا أَنْ الذَّبْحَةَ تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ، فَضَحُوا عِبَادَ اللَّهِ.

وقد قال أمية بن أبي الصلت في السبب الذي من أجله أمر إبراهيم بذبح ابنه شعرا، ويحقق بقيله ما قال في ذلك الرواية التي روينها عن السدي، وأن ذلك كان من إبراهيم عن نذر كان منه، فأمره الله بالوفاء به، فقال: ولا إبراهيم الموفى بالنذر ... احتسابا وحامل الاجزال

١٠٦٠٤ ذكر ابتلاء الله إبراهيم بكلمات

بكره لم يكن ليصبر عنه ... أو يراه في معشر اقيال
أي بني إني نذرتك ... لله شحيطا فاصبر فدى لك خالي
واشدد الصفد لا أحيد عن السكين ... حيد الأسير ذي الأغلال
وله مدية تخاليل في اللحم ... جذام حنية كاهلال
بينما يخلع السراويل عنه ... فكه ربه بكبش جلال
نفذن ذا فأرسل ابنك إني ... للذي قد فعلتما غير قال
والد يتقي وآخر مولود ... فطارا منه بسمع فعال
ربما تجزع النفوس من الأمر ... له فرجة كحل العقل
حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنِ - يَعْنِي ابْنَ وَاقِدٍ - عَنْ زَيْدٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ: قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «فَلَهَا أَسْلَمَا»: قَالَ: أَسْلَمَا جَمِيعًا لِأَمْرِ اللَّهِ، رَضِيَ الْغُلَامُ بِالذَّبْحِ وَرَضِيَ الْأَبُ بِأَنْ يَذْبَحَهُ.
قال: يا أبت أقدفني للوجه كيلا تنظر إلي فترحمي، وأنظر أنا إلى الشفرة فأجزع، ولكن أدخل الشفرة من تحتي، وامض لأمر الله، فذلك قوله تعالى:

«فَلَهَا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ»، فلما فعل ذلك نادينا «أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ»
ذكر ابتلاء الله إبراهيم بكلمات

وكان ممن امتحن الله به إبراهيم ع وابتلاه به- بعد ابتلائه إياه بما كان من أمره وأمر نمروذ بن كوش، ومحاولته إحراقه بالنار وابتلائه بما كان من أمره إياه بذبح ابنه، بعد أن بلغ معه السعي ورجا نفعه ومعوته على ما يقربه من ربه عز وجل ورفع القواعد من البيت، ونسكه المناسك- ابتلاؤه جل جلاله بالكلمات التي أخبر الله عنه أنه ابتلاه بهن فقال: «وَإِذِ ابْتَلَى

إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ» وقد اختلف السلف من علماء الأمة في هذه الكلمات التي ابتلاه الله بهن فأتَمَّهُنَّ، فقال بعضهم: ذلك ثلاثون سهما، وهي شرائع الإسلام ذكُرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ، عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ»، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمْ يُبْتَلْ أَحَدٌ بِهَذَا الدِّينِ فَأَقَامَهُ إِلَّا إِبْرَاهِيمُ ع، ابْتَلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ، قَالَ: فَكَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ الْبَرَاءَةَ فَقَالَ: «وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى»: عَشْرُ مِنْهَا فِي الْأَحْزَابِ، وَعَشْرُ مِنْهَا فِي بَرَاءَةِ، وَعَشْرُ مِنْهَا فِي الْمُؤْمِنِينَ، وَسَأَلَ سَائِلٌ، وَقَالَ: إِنَّ هَذَا الْإِسْلَامَ ثَلَاثُونَ سَهْمًا.

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ شَاهِينَ الْوَاسِطِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدُ الطَّحَّانُ، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَا ابْتُلِيَ أَحَدٌ بِهَذَا الدِّينِ

فقام به كله غير إبراهيم ع، ابْتَلَى بِالْإِسْلَامِ فَأَتَمَّهُ، فَكَتَبَ اللَّهُ لَهُ الْبَرَاءَةَ فَقَالَ: «وَأِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى»، فَذَكَرَ عَشْرًا فِي بَرَاءَةِ «التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ» وعشرا في الأحزاب: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ» وعشرا في سورة المؤمنين إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ»، وَعَشْرًا فِي سَأَلِ سَائِلٍ: «وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ» وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الْمُرُوزِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ:

حَدَّثَنَا خَارِجَةُ بْنُ مُصْعَبٍ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: الْإِسْلَامُ ثَلَاثُونَ سَهْمًا، وَمَا ابْتَلَى أَحَدٌ بِهَذَا الدِّينِ فَأَقَامَهُ إِلَّا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَأِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى»، فَكَتَبَ اللَّهُ لَهُ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ. وَقَالَ آخَرُونَ: ذَلِكَ عَشْرُ خِصَالٍ مِنْ سُنَنِ الْإِسْلَامِ، نَحْمُسُ مِنْهُنَّ فِي الرَّأْسِ، وَنَحْمُسُ فِي الْجَسَدِ.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يُحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «وَإِذَا ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ»، قَالَ: ابْتَلَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالطَّهَارَةِ: نَحْمُسُ فِي الرَّأْسِ وَنَحْمُسُ فِي الْجَسَدِ، فِي الرَّأْسِ قَصُّ الشَّارِبِ، وَالْمَضْمَضَةُ، وَالْإِسْتِنْشَاقُ، وَالسَّوَاكُ، وَفَرَقُ الرَّأْسِ وَفِي الْجَسَدِ تَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَالتَّخْتَانُ، وَتَتْفُ الْإِبْطِ، وَغَسْلُ أَثَرِ الْغَائِطِ وَالْبَوْلِ بِالْمَاءِ. حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَرَّةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِمِثْلِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ أَثَرِ الْبَوْلِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هَالَلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَإِذَا ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ» ، قَالَ: ابْتَلَاهُ بِالْخَتَانِ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ، وَغَسْلِ الْقَبْلِ وَالدِّبْرِ، وَالسَّوَاكِ، وَقَصِّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ، وَتَتْفِ الْإِبْطِ قَالَ أَبُو هَالَلٍ: وَنَسِيتُ خِصْلَةً.

حَدَّثَنِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُرُوزِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِمَارُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مَطَرٍ، عَنْ أَبِي الْجَلْدِ، قَالَ: ابْتَلَى

إِبْرَاهِيمَ ع بِعَشْرَةِ أَشْيَاءَ هُنَّ فِي الْإِنْسَانِ سَنَةً: الْمَضْمَضَةُ، وَالْإِسْتِنْشَاقُ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَالسَّوَاكُ، وَتَتْفُ الْإِبْطِ، وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاكِ، وَالتَّخْتَانِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَغَسْلُ الدِّبْرِ وَالفَرْجِ.

وَقَالَ آخَرُونَ نَحْوُ قَوْلِ هَؤُلَاءِ، غَيْرَ أَنَّهُمْ قَالُوا: سِتُّ مِنَ الْعَشْرِ فِي جَسَدِ الْإِنْسَانِ، وَأَرْبَعُ مِنْهُنَّ فِي الْمَشَاعِرِ ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ لُحْيَةَ، عَنْ ابْنِ هُبَيْرَةَ، عَنْ حَنْشٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَإِذَا ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ»، قَالَ: سِتُّ فِي الْإِنْسَانِ وَأَرْبَعٌ فِي الْمَشَاعِرِ، فَالَّتِي فِي الْإِنْسَانِ: حَلْقُ الْعَانَةِ، وَالتَّخْتَانِ، وَتَتْفُ الْإِبْطِ، وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَالْغُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَأَرْبَعٌ فِي الْمَشَاعِرِ: الطَّوَّافُ، وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَاءِ وَالْمَرْوَةِ، وَرُمَى الْجِمَارِ، وَالْإِفَاضَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا»، وَمَنَاسِكَ الْحَجِّ. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، قَالَ: سَمِعْتُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، قَوْلُهُ: «وَإِذَا ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ»، مِنْهُنَّ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا وَأَيَّاتُ النَّسَبِ حَدَّثَنِي أَبُو السَّائِبِ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ قَالَ: سَمِعْتُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، مَوْلَى أُمِّ هَانِئٍ فِي قَوْلِهِ: «وَإِذَا ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ»، قَالَ: مِنْهُنَّ «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا»، وَمِنْهُنَّ آيَاتُ النَّسَبِ

«وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ» .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عِيسَى بْنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: «وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ» قَالَ: قَالَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ: إِنِّي مَبْتَلِيكَ بِأَمْرٍ فَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْعَلُنِي لِلنَّاسِ إِمَامًا، قَالَ: نَعَمْ، «قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» ، قَالَ:

تَجْعَلُ الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَتَجْعَلُ هَذَا الْبَلَدَ أَمْنًا، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَتَجْعَلُنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ، قَالَ:

نَعَمْ، قَالَ: وَتَرِينَا مَنَاسِكًَا وَتُتُوبُ عَلَيْنَا، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَتَرْزُقُ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ.

حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ بَنِيهِ قَالَ ابْنُ جَرِيحٍ: فَاجْتَمَعَ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ مُجَاهِدٌ وَعُكْرَمَةُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: «وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ» ، قَالَ: ابْتَلَى بِالْآيَاتِ الَّتِي بَعْدَهَا: «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَذِيفَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُبُلٌ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي بِهِ عُكْرَمَةُ، قَالَ: فَعَرَضْتُهُ عَلَى مُجَاهِدٍ فَلَمْ يَنْكَرْهُ.

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنِ السُّدِّيِّ: الْكَلِمَاتُ الَّتِي ابْتَلَى بِهَا إِبْرَاهِيمَ: «رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكًَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ» .

حدثت عن عمار بن الحسن، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، في قوله: «وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ» قال: الكلمات: «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» ، وقوله: «وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا» ، وقوله: «وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى» وقوله: «وَعَهَدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ» الآية، وقوله: «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ» الآية قَالَ فَذَلِكَ كُلُّهُ مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي ابْتَلَى بِهَا إِبْرَاهِيمَ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ» ، قَالَ: مِنْهُنَّ «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» ، وَمِنْهُنَّ: «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ» ، وَمِنْهُنَّ الْآيَاتُ فِي شَأْنِ الْمَنَسَكِ وَالْمَقَامِ الَّذِي جُعِلَ لِإِبْرَاهِيمَ، وَالرِّزْقِ الَّذِي رَزَقَ سَاكِنَ الْبَيْتِ، وَمُحَمَّدٌ صُ بَعَثَ فِي ذُرِّيَّتِهِمَا.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ مَنَاسِكُ الْحَجِّ خَاصَّةً. ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمُ بْنُ قُتَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ نَبَّانَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: «وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ» قَالَ: مَنَاسِكُ الْحَجِّ

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمُ بْنُ قُتَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ نَبَّانَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: «وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ» قَالَ: مَنَاسِكُ الْحَجِّ

حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: «وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ» قَالَ: هِيَ الْمَنَاسِكُ.

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارِ بْنِ الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: بَلَّغْنَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْكَلِمَاتِ الَّتِي ابْتَلَىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ هِيَ الْمَنَاسِكُ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْأَهْوَازِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ التَّمِيمِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: «وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ»، قَالَ: مَنَاسِكُ الْحَجِّ.

حَدَّثَنِي ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنِي الْجَمَّانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ التَّمِيمِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِثْلَهُ.

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ابْتِلَاهُ بِالْمَنَاسِكِ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ ابْتِلَاهُ بِأُمُورٍ مِنْهُنَّ اخْتَانُ.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمُ بْنُ قُتَيْبَةَ، عَنْ يُونُسَ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ: «وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ»، قَالَ: مِنْهُنَّ اخْتَانُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاصِلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يَقُولُ فَذَكَرَ مِثْلَهُ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ - وَسَأَلَهُ أَبُو إِسْحَاقَ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ» - قَالَ: مِنْهُنَّ اخْتَانُ يَا أَبَا إِسْحَاقَ.

وَقَالَ آخَرُونَ: ذَلِكَ اخْتِلَالُ السَّتِّ: الْكُوكَبُ، وَالْقَمَرُ، وَالشَّمْسُ، وَالنَّارُ، وَالْهَجْرَةُ، وَالْخِتَانُ، الَّتِي ابْتَلَىٰ بِهَا أَجْمَعُ فَصَبَرَ عَلَيْهَا. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ، قَالَ:

قُلْتُ لِلْحَسَنِ: «وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ»، قَالَ: ابْتِلَاهُ بِالْكُوكَبِ فَرَضِي عَنْهُ، وَابْتِلَاهُ بِالْقَمَرِ فَرَضِي عَنْهُ، وَابْتِلَاهُ بِالشَّمْسِ فَرَضِي عَنْهُ، وَابْتِلَاهُ بِالنَّارِ فَرَضِي عَنْهُ، وَابْتِلَاهُ بِالْهَجْرَةِ، وَابْتِلَاهُ بِالْخِتَانِ.

حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ ابْتَلَاهُ بِأَمْرِ فَصَبَرَ عَلَيْهِ، ابْتِلَاهُ بِالْكُوكَبِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، فَأَحْسَنَ فِي ذَلِكَ، وَعَرَفَ أَنَّ رَبَّهُ دَائِمٌ لَا يَزُولُ، فَوَجَّهَ وَجْهَهُ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَابْتِلَاهُ بِالْهَجْرَةِ فَخَرَجَ مِنْ بِلَادِهِ وَقَوْمَهُ حَتَّى لَحِقَ بِالشَّامِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ ابْتِلَاهُ بِالنَّارِ قَبْلَ الْهَجْرَةِ فَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ، وَابْتِلَاهُ بِذِيحِ ابْنِهِ وَبِاخْتَانِ، فَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ.

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَمَّنْ سَمِعَ الْحَسَنَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: «وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ»، قَالَ: ابْتِلَاهُ بِذِيحِ وَلَدِهِ، وَبِالنَّارِ وَبِالْكُوكَبِ، وَبِالشَّمْسِ، وَبِالْقَمَرِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمُ بْنُ قُتَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هِلَالٍ عَنِ الْحَسَنِ: «وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ»، قَالَ: ابْتِلَاهُ بِالْكُوكَبِ، وَبِالشَّمْسِ وَبِالْقَمَرِ، فَوَجَدَهُ صَابِرًا

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ الْمُخْتَارِ، قَالَ: حَدَّثَنِي غَسَّانُ بْنُ الرَّبِيعِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ - وَهُوَ ابْنُ ثَوْبَانَ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَضْلِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اخْتَنَنَّ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَ ثَمَانِينَ سَنَةً بِالْقُدُومِ].

وقد روى عن النبي ص في الكلمات التي ابتلي بهن إبراهيم خبران:
أحدهما: ما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا الحسن بن عطية، قال:

حدثنا إسرائيل، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي امامه، قال:

[قال رسول الله ص: «إبراهيم الذي وقى» قال: أتدرون ما وقى؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: وقى عمل يومه أربع ركعات في النهار].
والآخر منهما ما حدثنا به أبو كريب، قال: حدثنا رشدين بن سعد، قال: حدثنا زبائن بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، قال:

[كان النبي ص يقول: ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله «الذي وقى»؟ لأنه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى: «فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ» حَتَّى خَتَمَ الْآيَةَ].

فلما عرف الله تعالى من إبراهيم الصبر على كل ما ابتلاه به، والقيام بكل ما ألزمه من فرائضه، وإثاره طاعته على كل شيء سواها، اتخذته خليلاً، وجعله لمن بعده من خلقه إماماً، وأصطفاه إلى خلقه رسولاً، وجعل في ذريته النبوة والكتاب والرسالة، وخصهم بالكتب المنزل، والحكم البالغة، وجعل منهم الأعلام والقادة والرؤساء والسادة، كلها مضي منهم نجب خلقه سيد رفيع، وأبقى لهم ذكراً في الآخرين، فالأمام كلها تتولاها ونثني عليه، وتقول بفضلِهِ إكراماً من الله له بذلك في الدنيا، وما ادخر له في الآخرة من الكرامة

١٠٦٥ امر نمروذ بن كوش بن كنعان

أجل وأعظم من أن يحيط به وصف واصف
امر نمروذ بن كوش بن كنعان

ونرجع الآن إلى الخبر عن عدو الله وعدو إبراهيم الذي كذب بما جاء به من عند الله، ورد عليه النصيحة التي نصحتها له جهلا منه، واعتارا بحلم الله تعالى عنه، نمروذ بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح، وما آل إليه أمره في عاجل دنياه حين تمرد على ربه، مع إملاء الله إياه، وتركه تعجيل العذاب له على كفره به، ومحاولته إحراق خليله بالنار حين دعاه إلى توحيد الله والبراءة من الآلهة والأوثان، وأن نمروذ لما تناول عتوه وتمرده على ربه مع إملاء الله تعالى له - فيما ذكر - أربعمئة عام، لا تزيده حجج الله التي يحتج بها عليه، وعبره التي يريها إياه إلا تماديا في غيه، عذبه الله - فيما ذكر - في عاجل دنياه قدر إملائه إياه من المدة بأضعف خلقه، وذلك بعوضة سلطها عليه توغلت في خياشيمه فكث أربعمئة سنه يعذب بها في حياته الدنيا.

ذكر الأخبار الواردة عنه بما ذكرت من جهله وما أحل الله به من نعمته:

حدثني الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن زيد بن أسلم، أن أول جبار كان في الأرض نمروذ، وكان الناس يخرجون فيمتارون من عنده الطعام، فخرج إبراهيم يمتار مع من يمتار، فإذا مر به ناس قال: من ربكم؟ قالوا: أنت، حتى مر به إبراهيم، قال:

من ربك؟ قال: «رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ

فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ» قال: فرده بغير طعام، قال: فرجع إبراهيم إلى أهله فر على كئيب أعفر، فقال: هلا أخذ من هذا فأتي به أهلي فطيب أنفسهم حين أدخل عليهم! فأخذ منه، فأتى أهله قال: فوضع متاعه ثم نام، فقامت امرأته إلى متاعه ففتحتة فإذا هي بأجود طعام رآه أحد، فصنعت له منه، فقربتة إليه - وكان عهد أهله ليس عندهم طعام - فقال: من أين هذا؟ قالت: من الطعام الذي جئت به، فعلم أن الله قد رزقه، فحمد الله.

ثم بعث الله إلى الجبار ملكا: أن آمن بي وأتركك على ملكك، قال:

فهل رب غيري؟ فجاءه الثانية فقال له ذلك، فأبى عليه، ثم أتاه الثالثة فأبى عليه، فقال له الملك: اجمع جموعك إلى ثلاثة أيام، فجمع الجبار جموعه.

فأمر الله الملك، ففتح عليهم بابا من البعوض، فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها، فبعثها الله عليهم، فأكلت لحومهم وشربت دماءهم، فلم يبق إلا العظام، والملك كما هو لم يصبه من ذلك شيء، فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره، فكثت أربعمئة سنة يضرب رأسه بالمطارق، وأرحم الناس به من جمع يديه ثم ضرب بهما رأسه وكان جبارا أربعمئة عام، فعذبه الله أربعمئة سنة بكله وأماته الله، وهو الذي بنى صرحا إلى السماء، فأتى الله بنيانه من القواعد، وهو الذي قال الله: «فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ» حدثنا موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس- وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: أَمَرَ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ بِإِبْرَاهِيمَ، فَأُخْرِجَ- يَعْنِي مِنْ مَدِينَتِهِ- قَالَ: فَأُخْرِجَ فَلَقِيَ لُوطًا عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ- وَهُوَ ابْنُ أَخِيهِ- فَدَعَاهُ فَأَمَنَ بِهِ، وَقَالَ: «إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي»، وَحَلَفَ ثَمْرُودُ أَنْ يَطْلُبَ إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ، فَأَخَذَ أَرْبَعَةَ أَفْرُخٍ مِنْ فَرَخِ النَّسُورِ، فَرَبَّاهُنَّ بِاللَّحْمِ وَالخَمْرِ، حَتَّى إِذَا كَبُرْنَ وَغُلْظُنَّ وَاسْتَعْلَجْنَ، قَرَنَهُنَّ بِتَابُوتٍ، وَقَعَدَ فِي ذَلِكَ التَّابُوتِ، ثُمَّ رَفَعَ رَجُلًا مِنْ لَحْمٍ لَّهُنَّ، فَطَرَنَ بِهِ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ فِي السَّمَاءِ أَشْرَفَ يَنْظُرُ إِلَى الْأَرْضِ، فَرَأَى الْجِبَالَ تَدْبُ كَدَيْبِ التَّمْلِ، ثُمَّ رَفَعَ لَحْمًا لَّهُنَّ، ثُمَّ نَظَرَ فَرَأَى الْأَرْضَ مُحِيطًا بِهَا بَحْرٌ كَأَنَّهَا فَلَكَةٌ فِي مَاءٍ، ثُمَّ رَفَعَ طَوِيلًا فَوَقَعَ فِي ظُلْمَةٍ، فَلَمْ يَرِ مَا فَوْقَهُ وَلَمْ يَرِ مَا تَحْتَهُ، فَفَزِعَ فَأَلْقَى اللَّحْمَ فَاتَّبَعَتْهُ مُنْقَضَاتٌ، فَلَمَّا نَظَرَتْ الْجِبَالَ إِلَيْهِنَّ وَقَدْ أَقْبَلْنَ مُنْقَضَاتٌ وَسَمِعْنَ حَفِيفَهُنَّ فَرَعَتِ الْجِبَالَ، وَكَادَتْ أَنْ تَزُولَ مِنْ أَمَكَّتِهَا وَلَمْ يَفْعَلَنَّ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالَ»، وَهِيَ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ:

«وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ» فَكَانَ طَيْرَانَهُنَّ بِهِ مِنْ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَوُقُوعُهُنَّ فِي جَبَلِ الدُّخَانِ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يُطِيقُ شَيْئًا أَخَذَ فِي بِنَاءِ الصَّرْحِ، فَبَنَى حَتَّى إِذَا أَسْنَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ ارْتَقَى فَوْقَهُ يَنْظُرُ- بِزَعْمِهِ- إِلَى إِلَهِ إِبْرَاهِيمَ، فَأَحْدَثَ وَلَمْ يَكُنْ يُحْدِثُ، وَأَخَذَ اللَّهُ بُنْيَانَهُ مِنَ الْقَوَاعِدِ: «نَحَرَ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ»، يَقُولُ: مِنْ مَأْمَنِهِمْ، وَأَخَذَهُمْ مِنْ أَسَاسِ الصَّرْحِ، فَتَنَقَّضَ بِهِمْ ثُمَّ سَقَطَ فَتَبَلَّتْ أَلْسُنُ النَّاسِ مِنْ يَوْمِئِذٍ مِنَ الْفَرَعِ، فَتَكَلَّمُوا بِثَلَاثَةِ وَسَبْعِينَ لِسَانًا، فَلِذَلِكَ سَمِيَتْ بَابِلَ، وَإِنَّمَا كَانَ لِسَانُ النَّاسِ قَبْلَ ذَلِكَ السَّرْيَانِيَّةَ

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الْحَفَرِيُّ، عَنْ يَعْقُوبَ، عَنْ حَفْصِ بْنِ حَمِيدٍ- أَوْ جَعْفَرٍ- عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ: «وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالَ»، قَالَ: ثَمْرُودُ صَاحِبُ النَّسُورِ، أَمَرَ بِتَابُوتٍ فَجَعَلَ وَجَعَلَ مَعَهُ رَجُلًا ثُمَّ أَمَرَ بِالنَّسُورِ فَاحْتَمَلَتْهُ، فَلَمَّا صَعِدَ قَالَ لِصَاحِبِهِ: أَيُّ شَيْءٍ تَرَى؟ قَالَ: أَرَى الْمَاءَ وَالْجَزِيرَةَ- يَعْنِي الدُّنْيَا- ثُمَّ صَعِدَ وَقَالَ لِصَاحِبِهِ: أَيُّ شَيْءٍ تَرَى؟ قَالَ: مَا نَزْدَادُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَّا بَعْدًا، قَالَ: أَهْبِطْ، وَقَالَ غَيْرُهُ:

نُودِي: أَيُّهَا الطَّاغِيَّةُ، أَيْنَ تَرِيدُ؟ فَسَمِعَتْ الْجِبَالَ حَفِيفَ النَّسُورِ، وَكَانَتْ تَرَى أَنَّهُ أَمَرَ مِنَ السَّمَاءِ فَكَادَتْ تَزُولُ، فَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالَ» .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ دَانِيَلٍ، [إِنْ عَلِيَا ع قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: «وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالَ»، قَالَ: أَخَذَ ذَلِكَ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ نِسْرَيْنِ صَغِيرَيْنِ، فَرَبَّاهُمَا حَتَّى اسْتَغْلَظَا وَاسْتَعْلَجَا فُسْبًا، قَالَ: فَأَوْتَقَ رَجُلٌ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِوَتَرٍ إِلَى تَابُوتٍ، وَجُوعَهُمَا وَقَعَدَ هُوَ وَرَجُلٌ آخَرُ فِي التَّابُوتِ، قَالَ: وَرَفَعَ فِي التَّابُوتِ عَصَا عَلَى رَأْسِهِ اللَّحْمُ، فَطَارَا، وَجَعَلَ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: انْظُرْ مَاذَا تَرَى؟ قَالَ: أَرَى كَذَا وَكَذَا، حَتَّى قَالَ: أَرَى الدُّنْيَا كَأَنَّهَا ذُبَابٌ، فَقَالَ: صَوِّبْ، فَصَوَّبَهَا، فَهَبِطَا قَالَ:

فَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ» قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ:
وَلِذَلِكَ هِيَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: «وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ» .

فَهَذَا مَا ذُكِرَ مِنْ خَبَرِ نَمْرُودَ بْنِ كُوشِ بْنِ كَنْعَانَ وَقَدْ قَالَ جَمَاعَةٌ: إِنَّ نَمْرُودَ بْنَ كُوشِ بْنِ كَنْعَانَ هَذَا مَلِكٌ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا،
وَهَذَا قَوْلٌ يَدْفَعُهُ أَهْلُ الْعِلْمِ بِسِيرِ الْمُلُوكِ وَأَخْبَارِ الْمَاضِينَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ

لَا يَدْفَعُونَ وَلَا يُنْكِرُونَ أَنَّ مَوْلِدَ إِبْرَاهِيمَ كَانَ فِي عَهْدِ الضَّحَّاكِ بْنِ أَنْدَرْمَاسِبِ الَّذِي قَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَ أَخْبَارِهِ فِيمَا مَضَى، وَأَنَّ مَلِكَ شَرْقِ
الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا يَوْمَئِذٍ كَانَ الضَّحَّاكُ وَقَدْ قَالَ بَعْضُ مَنْ أَشْكَلَ عَلَيْهِ أَمْرُ نَمْرُودَ مَنْ عَرَفَ زَمَانَ الضَّحَّاكِ وَأَسْبَابَهُ فَلَمْ يَدْرِ كَيْفَ الْأَمْرُ
فِي ذَلِكَ مَعَ سَمَاعِهِ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنْ رُوي عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: مَلِكُ الْأَرْضِ كَافِرَانِ وَمُؤْمِنَانِ، فَأَمَّا الْكَافِرَانِ فَنَمْرُودُ وَبَخْتَنْصَرُ،
وَأَمَّا الْمُؤْمِنَانِ فَسَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ وَذُو الْقَرْنَيْنِ وَقَوْلُ الْقَائِلِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَخْبَارِ إِنَّ الضَّحَّاكَ كَانَ هُوَ مَلِكُ شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا فِي عَهْدِ
إِبْرَاهِيمَ نَمْرُودَ: هُوَ الضَّحَّاكُ وَلَيْسَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِأَخْبَارِ الْأَوَائِلِ، وَالْمَعْرِفَةِ بِالْأُمُورِ السَّوَالِفِ، كَالَّذِي ظَنُّ، لِأَنَّ نَسَبَ
نَمْرُودَ فِي النَّبْطِ مَعْرُوفٌ، وَنَسَبُ الضَّحَّاكِ فِي عَجْمِ الْفَرَسِ مَشْهُورٌ، وَلَكِنْ ذَوِي الْعِلْمِ بِأَخْبَارِ الْمَاضِينَ وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِأُمُورِ السَّافِلِينَ مِنْ
الْأُمَمِ ذَكَرُوا أَنَّ الضَّحَّاكَ كَانَ ضَمًّا إِلَى نَمْرُودِ السَّوَادِ وَمَا اتَّصَلَ بِهِ يَمْنَةً وَيَسْرَةً، وَجَعَلَهُ وَوَلَدَهُ عَمَالَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَكَانَ هُوَ يَنْتَقِلُ فِي الْبِلَادِ،
وَكَانَ وَطَنُهُ الَّذِي هُوَ وَطَنُهُ وَوُطُنُ أَجْدَادِهِ دَنْبَاوَنْدَ، مِنْ جِبَالِ طَبْرِسْتَانَ، وَهَنَّاكَ رَمَى بِهِ أَفْرِيدُونُ حِينَ ظَفَرَهُ وَقَهَرَهُ مَوْتَقًا بِالْحَدِيدِ
وَكَذَلِكَ يَخْتَصِرُ كَانَ أَصْبَهَيْدَ مَا بَيْنَ الْأَهْوَازِ إِلَى أَرْضِ الرُّومِ مِنْ غَرْبِي دَجْلَةٍ مِنْ قَبْلِ لَهْرَاسَبِ، وَذَلِكَ أَنَّ لَهْرَاسَبَ كَانَ مُشْتَغَلًا بِقِتَالِ
الْتُرْكِ، مَقِيمًا بِإِزَائِهِمْ بَبْلَخَ، وَهُوَ بَنَاهَا- فِيمَا قِيلَ- لَمَّا تَطَاوَلَ مَكْتَهُ هَنَّاكَ لِحَرْبِ التُّرْكِ، فَظَنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِأُمُورِ الْقَوْمِ بِتَطَاوُلِ مَدَّةِ
وَلَايَتِهِمْ أَمْرَ النَّاحِيَةِ لَمْ يُولَوْا لَهُ أَنَّهُمْ كَانُوا هُمُ الْمُلُوكُ وَلَمْ يَدْعُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِأُمُورِ الْأَوَائِلِ وَأَخْبَارِ الْمُلُوكِ الْمَاضِيَةِ وَأَيَّامِ النَّاسِ فِيمَا
نَعْلَمُهُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّبْطِ كَانَ مَلِكًا بِرَأْسِهِ عَلَى شَبَرٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَكَيْفَ يَمْلِكُ شَرْقَ الْأَرْضِ وَغَرْبَهَا! وَلَكِنْ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَهْلِ الْكُتُبِ
وَأَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِأَخْبَارِ الْمَاضِينَ وَمَنْ قَدْ عَانَى النَّظَرَ فِي كُتُبِ التَّأْرِيخَاتِ، يَزْعُمُونَ أَنَّ وَلَايَةَ نَمْرُودَ إِقْلِيمَ بَابِلَ مِنْ قَبْلِ الْإَزْدَهَاقِ بِيُورَاسَبِ
دَامَتْ أَرْبَعْمِائَةَ سَنَةً، ثُمَّ لَرَجُلٍ مِنْ نَسْلِهِ مِنْ بَعْدِ هَلَاكِ نَمْرُودَ، يُقَالُ

١٠٦٠٦ ذَكَرَ لُوطُ بْنُ هَارَانَ وَقَوْمَهُ

لَهُ نَبْطُ بْنُ قَعُودَ مِائَةَ سَنَةٍ، ثُمَّ لِدَاوُصَ بْنِ نَبْطَ مِنْ بَعْدِ نَبْطَ ثَمَانِينَ سَنَةً، ثُمَّ مِنْ بَعْدِ دَاوُصَ بْنِ نَبْطَ لِبَالِشَ بْنِ دَاوُصَ مِائَةَ وَعِشْرِينَ
سَنَةً، ثُمَّ لِنَمْرُودَ بْنِ بَالِشَ مِنْ بَعْدِ بَالِشَ سَنَةً وَأَشْهَرًا فَذَلِكَ سَبْعُمِائَةَ سَنَةٍ وَسَنَةً وَأَشْهَرًا، وَذَلِكَ كُلُّهُ فِي أَيَّامِ الضَّحَّاكِ، فَلَمَّا مَلَكَ أَفْرِيدُونُ
وَقَهَرَ الْإَزْدَهَاقَ قَتَلَ نَمْرُودَ بْنَ بَالِشَ وَشَرَّدَ النَّبْطَ وَطَرَدَهُمْ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، لَمَّا كَانَ مِنْهُمْ مَنْ مَعَاوَتَهُمْ بِيُورَاسَبِ عَلَى أُمُورِهِ،
وَعَمِلَ نَمْرُودُ وَوَلَدَهُ لَهُ.

وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ بِيُورَاسَبَ قَدْ كَانَ قَبْلَ هَلَاكِهِ تَنْكَرَ لَهُمْ.

وَتَغْيِيرَ عَمَّا كَانَ لَهُمْ عَلَيْهِ

. ذَكَرَ لُوطُ بْنُ هَارَانَ وَقَوْمَهُ

وَنَعُودَ الْآنَ إِلَى ذِكْرِ الْخَبَرِ عَنْ بَقِيَّةِ الْأَحْدَاثِ الَّتِي كَانَتْ فِي أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ ص.

وَكَانَ مِنَ الْكَائِنِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ لُوطَ بْنِ هَارَانَ ابْنِ تَارَخَ، ابْنِ أَخِي إِبْرَاهِيمَ عَ وَأَمْرَ قَوْمِهِ مِنْ سُدُومَ وَكَانَ مِنْ
أَمْرِهِ فِيمَا ذُكِرَ أَنَّهُ شَخْصٌ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ مَعَ عَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، مُؤْمِنًا بِهِ، مُتَّبِعًا لَهُ عَلَى دِينِهِ، مَهَاجِرًا إِلَى الشَّامِ، وَمَعَهُمَا سَارَةُ
بِنْتُ نَاحُورَ.

وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: هِيَ سَارَةُ بِنْتُ هَيْبَالِ بْنِ نَاحُورَ وَشَخْصٌ مَعَهُمْ- فِيمَا قِيلَ- تَارَخُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ مُخَالَفًا لِإِبْرَاهِيمَ فِي دِينِهِ، مَقِيمًا عَلَى كُفْرِهِ
حَتَّى صَارُوا إِلَى حِرَانَ، فَتَاتَ تَارَخُ وَهُوَ آزَرُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ بِحِرَانَ عَلَى كُفْرِهِ وَشَخْصٌ إِبْرَاهِيمَ وَلُوطُ وَسَارَةُ إِلَى الشَّامِ، ثُمَّ مَضُوا إِلَى مِصْرَ،
فَوَجَدُوا بِهَا فِرْعَوْنَ مِنْ فِرَاعَتِهَا، ذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ سَنَانُ بْنُ عَلَوَانَ بْنِ عُبَيْدَ بْنِ عُوَيْجَ بْنِ عَمَلَاقَ بْنِ لَاوُذَ ابْنِ سَامَ بْنِ نُوحَ وَقَدْ قِيلَ إِنَّ فِرْعَوْنَ

مصر يومئذ كان أخا للضحاك، كان الضحاك وجهه إليها عاملا عليها من قبله- وقد ذكرت بعض قصته مع إبراهيم فيما مضى قبل- ثم رجعوا عودا على بدئهم إلى الشام وذكر أن إبراهيم نزل فلسطين، وأنزل ابن أخيه لوطا الأردن، وأن الله تعالى أرسل لوطا إلى أهل سدوم، وكانوا أهل كفر بالله وركوب فاحشة، كما أخبر الله عن قوم لوط: «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ» .

وكان قطعهم السبيل- فيما ذكر- إتيانهم الفاحشة إلى من ورد بلدهم.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَتَقَطَّعُوا السَّبِيلَ»، قَالَ: السَّبِيلُ طَرِيقُ الْمَسَافِرِ إِذَا مَرَّ بِهِمْ، وَهُوَ ابْنُ السَّبِيلِ قَطَعُوا بِهِ وَعَمَلُوا بِهِ ذَلِكَ الْعَمَلَ الْخَبِيثَ.

وأما إتيانهم ما كانوا يأتونه من المنكر في ناديتهم، فإن أهل العلم اختلفوا فيه، فقال بعضهم: كانوا يحذفون من مر بهم.

وقال بعضهم: كانوا يتضارطون في مجالسهم.

وقال بعضهم: كان بعضهم ينكح بعضا فيها.

ذكر من قال كانوا يحذفون من مر بهم:

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاسِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عِكْرِمَةَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: «وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ

الْمُنْكَرَ»، قَالَ: كَانُوا يُؤْذُونَ أَهْلَ الطَّرِيقِ، يَحْذِفُونَ مِنْ مَرَّ بِهِمْ

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي زَائِدَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عِكْرِمَةَ، قَالَ: الْحَذَفُ.

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنْ السَّيِّدِ فِي خَبَرِ ذِكْرِهِ عَنْ أَبِي مَالِكٍ وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ،

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ- وَعَنْ مَرَّةَ الْهَمْدَانِي عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ- وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص: «وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ»، قَالَ: كَانُوا

كُلٌّ مِنْ مَرَّ بِهِمْ حَذَفُهُ، وَهُوَ الْمُنْكَرُ.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ: كَانُوا يَتَضَارَطُونَ فِي مَجَالِسِهِمْ:

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْأَسْوَدِ الطُّفَاوِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَيْعَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ غُطَيْفٍ الثَّقَفِيُّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَصْعَبٍ، عَنْ

عُروهِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ»، قَالَتْ:

الضُّرَاطُ ذَكَرَ مَنْ قَالَ كَانَ يَأْتِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي مَجَالِسِهِمْ:

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ وَابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: «وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ»، قَالَ: كَانَ بَعْضُهُمْ يَأْتِي

بَعْضًا فِي مَجَالِسِهِمْ.

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ، قَالَ: حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ مُحَمَّدٍ اللَّيْثِيُّ، قَالَ:

حَدَّثَنَا فَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ:

«وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ»، قَالَ: كَانَ يُجَامِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الْمَجَالِسِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَكَّامٌ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: كَانُوا يُجَامِعُونَ الرِّجَالَ فِي مَجَالِسِهِمْ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى.

وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ»، قال: الْمَجَالِسُ، وَالْمُنْكَرُ إِيْتَانُهُمُ الرِّجَالَ.

حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ:

«وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ»، قَالَ: كَانُوا يَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ فِي نَادِيهِمْ.

حَدَّثَنِي يُونُسٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ:

«وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ» قَالَ: نَادِيهِمُ الْمَجَالِسُ، وَالْمُنْكَرُ عَمَلُهُمُ الْخَبِيثُ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَهُ، كَانُوا يَعْتَرِضُونَ الرَّكَّابَ فَيَأْخُذُونَهُ فَيَرْكَبُونَهُ، وَقَرَأُ: «أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ» وَقَرَأُ: «مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ».

وَقَدْ حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، قَوْلُهُ: «مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ»، مَا نَزَا ذَكَرَ عَلَى ذَكَرٍ حَتَّى كَانَ قَوْمُ لُوطَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي قَوْلُ مَنْ قَالَ: عَنِ الْمُنْكَرِ الَّذِي كَانُوا يَأْتُونَهُ فِي نَادِيهِمْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ حَذْفُهُمْ مِنْ مَرْبِهِمْ وَسُخْرِيَّتِهِمْ مِنْهُ، لِلْخَبَرِ الْوَارِدِ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص، الَّذِي حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَابْنُ وَكَيْعٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ حَاتِمِ بْنِ أَبِي صَغِيرَةَ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ مَوْلَى أُمِّ هَانِيٍّ، عَنْ أُمِّ هَانِيٍّ

[عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ»، قَالَ: كَانُوا يَحْذِفُونَ أَهْلَ الطَّرِيقِ وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ، وَهُوَ الْمُنْكَرُ الَّذِي كَانُوا يَأْتُونَهُ] حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الصَّيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَيَّانَ، قَالَ:

أَخْبَرَنَا أَبُو يُونُسَ الْقُشَيْرِيُّ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، [عَنْ أُمِّ هَانِيٍّ، قَالَتْ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ص عَنْ قَوْلِهِ: «وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ»، قَالَ: كَانُوا يَحْذِفُونَ أَهْلَ الطَّرِيقِ وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ] حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ أَبِي صَغِيرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سِمَاكِ بْنُ حَرْبٍ، عَنْ بَازِمِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، مَوْلَى أُمِّ هَانِيٍّ، عَنْ أُمِّ هَانِيٍّ، قَالَتْ:

سَأَلْتُ النَّبِيَّ ص عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: «وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ»، فَقَالَ: كَانُوا يَجْلِسُونَ بِالطَّرِيقِ فَيَحْذِفُونَ أَبْنَاءَ السَّبِيلِ وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ، فَكَانَ لُوطٌ عَ يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَيَنْهَاهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ إِيَّاهُ عَنِ الْأُمُورِ الَّتِي كَرِهَهَا اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ مِنْ قَطْعِ السَّبِيلِ وَرُكُوبِ الْفَوَاحِشِ وَإِيْتَانِ الذُّكُورِ فِي الْأَدْبَارِ، وَيَتَوَعَّدُهُمْ - عَلَى إِضْرَارِهِمْ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مُقِيمِينَ مِنْ ذَلِكَ وَتَرْكِهِمْ التَّوْبَةَ مِنْهُ - الْعَذَابَ الْأَلِيمَ فَلَا يَزْجُرُهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَعِيدُهُ وَلَا يَزِيدُهُمْ وَعْظُهُ إِلَّا تَمَادِيًا وَعْتَا وَاسْتَعْجَالًا لِعَذَابِ اللَّهِ، إِنْكَارًا مِنْهُمْ وَعِيدُهُ، وَيَقُولُونَ لَهُ: «إِنَّا نَعْبُدُ اللَّهَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ»، حَتَّى سَأَلَ لُوطٌ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّصْرَةَ عَلَيْهِمْ لَمَّا تَطَاوَلَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَأَمْرُهُمْ وَتَمَادِيَهُمْ فِي غِييِهِمْ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا أَرَادَ خَزْيَهُمْ وَهَلَاكَهُمْ وَنَصْرَةَ رَسُولِهِ لُوطٍ عَلَيْهِمْ جَبْرِئِيلَ ع وَمَلَائِكَةَ آخَرِينَ مَعَهُ.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ الْآخَرِينَ كَانُوا أَحَدُهُمَا مِيكَائِيلَ وَالْآخَرُ إِسْرَافِيلَ فَاقْبَلُوا - فِيمَا ذَكَرَ - مَشَاةً فِي صُورَةِ رِجَالٍ شَبَابٍ.

ذَكَرَ بَعْضُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ، عَنِ السَّيِّدِ فِي خَبَرِ ذِكْرِهِ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - وَعَنْ مَرَّةِ الْهَمْدَانِيِّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ص: بَعَثَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ لِهَلَاكِ قَوْمِ لُوطَ، فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي فِي صُورَةِ رِجَالِ شَبَابٍ، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَتَضَيَّفُوهُ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَأَمْرِ إِبْرَاهِيمَ مَا قَدْ مَضَى ذِكْرُنَا إِيَّاهُ فِي خَبَرِ إِبْرَاهِيمَ وَسَارَّةَ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرُّوحُ جَاءَتْهُ الْبَشْرَى، وَاطْلَعَتْهُ الرُّسُلُ عَلَى مَا جَاءُوا لَهُ، وَأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُمْ لِهَلَاكِ قَوْمِ لُوطَ نَظَرَهُمْ إِبْرَاهِيمَ وَحَاجَّهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ:

ذَكَرَ بَعْضُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ، عَنِ السَّيِّدِ فِي خَبَرِ ذِكْرِهِ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - وَعَنْ مَرَّةِ الْهَمْدَانِيِّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ص: بَعَثَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ لِهَلَاكِ قَوْمِ لُوطَ، فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي فِي صُورَةِ رِجَالِ شَبَابٍ، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَتَضَيَّفُوهُ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَأَمْرِ إِبْرَاهِيمَ مَا قَدْ مَضَى ذِكْرُنَا إِيَّاهُ فِي خَبَرِ إِبْرَاهِيمَ وَسَارَّةَ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرُّوحُ جَاءَتْهُ الْبَشْرَى، وَاطْلَعَتْهُ الرُّسُلُ عَلَى مَا جَاءُوا لَهُ، وَأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُمْ لِهَلَاكِ قَوْمِ لُوطَ نَظَرَهُمْ إِبْرَاهِيمَ وَحَاجَّهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ:

ذَكَرَ بَعْضُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ، عَنِ السَّيِّدِ فِي خَبَرِ ذِكْرِهِ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - وَعَنْ مَرَّةِ الْهَمْدَانِيِّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ص: بَعَثَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ لِهَلَاكِ قَوْمِ لُوطَ، فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي فِي صُورَةِ رِجَالِ شَبَابٍ، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَتَضَيَّفُوهُ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَأَمْرِ إِبْرَاهِيمَ مَا قَدْ مَضَى ذِكْرُنَا إِيَّاهُ فِي خَبَرِ إِبْرَاهِيمَ وَسَارَّةَ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرُّوحُ جَاءَتْهُ الْبَشْرَى، وَاطْلَعَتْهُ الرُّسُلُ عَلَى مَا جَاءُوا لَهُ، وَأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُمْ لِهَلَاكِ قَوْمِ لُوطَ نَظَرَهُمْ إِبْرَاهِيمَ وَحَاجَّهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ:

ذَكَرَ بَعْضُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ، عَنِ السَّيِّدِ فِي خَبَرِ ذِكْرِهِ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - وَعَنْ مَرَّةِ الْهَمْدَانِيِّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ص: بَعَثَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ لِهَلَاكِ قَوْمِ لُوطَ، فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي فِي صُورَةِ رِجَالِ شَبَابٍ، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَتَضَيَّفُوهُ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَأَمْرِ إِبْرَاهِيمَ مَا قَدْ مَضَى ذِكْرُنَا إِيَّاهُ فِي خَبَرِ إِبْرَاهِيمَ وَسَارَّةَ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرُّوحُ جَاءَتْهُ الْبَشْرَى، وَاطْلَعَتْهُ الرُّسُلُ عَلَى مَا جَاءُوا لَهُ، وَأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُمْ لِهَلَاكِ قَوْمِ لُوطَ نَظَرَهُمْ إِبْرَاهِيمَ وَحَاجَّهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ:

«فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ» .
وَكَانَ جِدَالُهُ إِيَّاهُمْ فِي ذَلِكَ - فِيمَا بَلَّغْنَا - مَا حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ:

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ الْقُمِي، قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ، عَنْ سَعِيدٍ «يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ» قَالَ: لَمَّا جَاءَهُ جَبْرِئِيلُ وَمِنْ مَعَهُ، قَالُوا لِإِبْرَاهِيمَ: «إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ» قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: أَتَهْلِكُونَ قَرْيَةَ فِيهَا أَرْبَعُمِائَةِ مُؤْمِنٍ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَتَهْلِكُونَ قَرْيَةَ فِيهَا ثَلَاثُمِائَةِ مُؤْمِنٍ؟ قَالُوا:

لَا، قَالَ: أَتَهْلِكُونَ قَرْيَةَ فِيهَا مِائَتَا مُؤْمِنٍ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَتَهْلِكُونَ قَرْيَةَ فِيهَا أَرْبَعُونَ مُؤْمِنًا؟

قَالُوا: لَا، قَالَ: أَتَهْلِكُونَ قَرْيَةَ فِيهَا أَرْبَعَةُ عَشَرَ مُؤْمِنًا؟ قَالُوا: لَا، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَعْذَرُهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ بَامْرَأَةِ لُوطٍ، فَسَكَتَ عَنْهُمْ، وَاطْمَأَنَّ

نَفْسُهُ حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَمَّانِيُّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الْمُنْهَالِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ الْمَلِكُ لِإِبْرَاهِيمَ: إِنْ كَانَ فِيهَا خَمْسَةُ يَصِلُونَ رُفَعَ عَنْهُمْ الْعَذَابُ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ: «يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ» قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ فِيهِمْ خَمْسُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؟ قَالُوا: إِنْ كَانَ فِيهِمْ خَمْسُونَ لَنُعَذِّبَهُمْ، قَالَ: وَأَرْبَعُونَ؟ قَالُوا: وَأَرْبَعُونَ؟ قَالُوا: وَثَلَاثُونَ؟ قَالُوا: وَثَلَاثُونَ، حَتَّى بَلَغَ عَشْرَةَ، قَالُوا: وَإِنْ كَانُوا عَشْرَةً؟ قَالَ: مَا مِنْ قَوْمٍ لَا يَكُونُ فِيهِمْ عَشْرَةٌ فِيهِمْ خَيْرٌ، فَلَمَّا عَلِمَ إِبْرَاهِيمُ حَالَ قَوْمِ لُوطٍ بَخْبَرِ الرِّسْلِ قَالَ لِلرِّسْلِ:

«إِنَّ فِيهَا لُوطًا» إِشْفَاقًا مِنْهُ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ الرِّسْلُ: «لَنْ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنْ نَجِيْنَهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ» .

ثُمَّ مَضَتْ رَسَلَ اللَّهُ نَحْوَ أَهْلِ سَدُومَ، قَرْيَةَ قَوْمِ لُوطٍ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيْهَا ذَكَرُوا أَنَّهُمْ لَقُوا لُوطًا فِي أَرْضٍ لَهُ يَعْمَلُ فِيهَا، وَقِيلَ لَهُمْ لَقُوا عِنْدَ نَهْرِهَا ابْنَةَ لُوطٍ تَسْتَقِي الْمَاءَ.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ لَقُوا لُوطًا:

حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَتِ الرُّسْلُ لُوطًا أَتَوْهُ وَهُوَ فِي أَرْضٍ لَهُ يَعْمَلُ فِيهَا، وَقَدْ قِيلَ لَهُمْ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ: لَا تَهْلِكُوهُمْ حَتَّى يَشْهَدَ عَلَيْهِمْ لُوطٌ، قَالَ: فَاتَوْهُ فَقَالُوا: أَنَا مُضِيفُكَ اللَّيْلَةَ فَانْطَلِقْ بِهِمْ فَلَمَّا مَشَى سَاعَةً التَّفَّتَ فَقَالَ: أَمَا تَعْلَمُونَ مَا يَعْمَلُ أَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ؟ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ عَلَى ظَهْرِ

١٠٦٠٧ ذَكَرَ مِنْ قَالَ إِنَّمَا لَقِيَتِ الرِّسْلُ أَوَّلَ مَا لَقِيَتْ حِينَ دَنَتْ مِنْ سَدُومَ ابْنَةَ لُوطٍ دُونَ لُوطٍ:

الْأَرْضِ أَنَا نَسًا أَخْبَتْ مِنْهُمْ قَالَ: فَضَى مَعَهُمْ ثُمَّ قَالَ الثَّانِيَةَ مِثْلَ مَا قَالَ، فَانْطَلَقَ بِهِمْ، فَلَمَّا بَصُرَتْ بِهِمْ عَجَزَ السُّوءُ امْرَأَتَهُ انْطَلَقَتْ فَأَنْذَرَتْهُمْ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ بَشِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ الْمَلَائِي، عَنْ سَعِيدِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: أَتَتْ الْمَلَائِكَةُ لُوطًا وَهُوَ فِي مَرْعَةٍ لَهُ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ: إِنْ شَهِدَ لُوطٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ، فَقَدْ أَذْنَتْ لَكُمْ فِي هَلِكَتِهِمْ، فَقَالُوا: يَا لُوطُ، إِنَّا نَزِيدُ أَنْ نَضِيفَكَ اللَّيْلَةَ، قَالَ: وَمَا بَلَّغَكُمْ أَمْرَهُمْ؟ قَالُوا: وَمَا أَمْرُهُمْ؟ فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ إِنَّهَا لَشَرُّ قَرْيَةٍ فِي الْأَرْضِ عَمَلًا، يَقُولُ ذَلِكَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَشَهِدَ عَلَيْهِمْ لُوطٌ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ، فَدَخَلُوا مَعَهُ مَنْزِلَهُ

. ذَكَرَ مِنْ قَالَ إِنَّمَا لَقِيَتِ الرِّسْلُ أَوَّلَ مَا لَقِيَتْ حِينَ دَنَتْ مِنْ سَدُومَ ابْنَةَ لُوطٍ دُونَ لُوطٍ:

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ، عَنِ السَّيِّدِيِّ فِي خَبَرِ ذِكْرِهِ عَنْ أَبِي مَالِكٍ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - وَعَنْ مَرَّةٍ الْهَمْدَانِيِّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ص، قَالَ: لَمَّا خَرَجَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ عِنْدِ إِبْرَاهِيمَ نَحْوَ

قَرِيَةَ لُوطٍ، فَاتَوَّاهَا نِصْفَ النَّهَارِ، فَلَمَّا بَلَغُوا نَهْرَ سَدُومَ لَقُوا ابْنَةَ لُوطٍ تَسْتَقِي مِنَ الْمَاءِ لِأَهْلِهَا- وَكَانَتْ لَهُ ابْنَتَانِ: اسْمُ الْكُبْرَى رِيثًا وَاسْمُ الصُّغْرَى رَعِزِيَا- فَقَالُوا

لَهَا: يَا جَارِيَّةُ، هَلْ مِنْ مَنْزِلٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَكَانَكُمْ لَا تَدْخُلُوا حَتَّى آتِيَكُمْ، فَرَقَّتْ عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْمِهَا، فَأَتَتْ أَبَاهَا، فَقَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَرَادَكَ فِتْيَانٌ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ، مَا رَأَيْتُ وَجُوهَ قَوْمٍ هِيَ أَحْسَنُ مِنْهُمْ، لَا يَأْخُذُهُمْ قَوْمُكَ فَيَفْضَحُوهُمْ- وَقَدْ كَانَ قَوْمُهُ نَهْوَهُ أَنْ يُضَيِّفَ رَجُلًا- فَقَالُوا لَهُ: خَلِّ عَنَّا فَلْنُضِفِ الرِّجَالَ، فَجَاءَ بِهِمْ فَلَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِ لُوطٍ، فَخَرَجَتْ امْرَأَتُهُ فَأَخْبَرَتْ قَوْمَهَا فَقَالَتْ: إِنْ فِي بَيْتِ لُوطٍ رَجُلًا مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُمْ وَمِثْلَ وَجُوهِهِمْ حُسْنًا قَطُّ، فَجَاءَهُ قَوْمُهُ يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ.

قال ابو جعفر: فَلَمَّا أَتَوْهُ قَالَ لَهُمْ لُوطٌ: يَا قَوْمُ اتَّقُوا اللَّهَ «وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ»، هُوَ لَا بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ مِمَّا تُرِيدُونَ.

فَقَالُوا لَهُ: أَوَلَمْ نَهَكَ أَنْ تُضَيِّفِ الرِّجَالَ! لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ! فَلَمَّا لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ شَيْئًا مِمَّا عَرَضَهُ عَلَيْهِمْ قَالَ:

«لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ» يقول ع:

لَوْ أَنَّ لِي أَنْصَارًا يَنْصُرُونِي عَلَيْكُمْ أَوْ عَشِيرَةٌ تَمْنَعُنِي مِنْكُمْ، لَحَلْتُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مَا جِئْتُمْ تُرِيدُونَهُ مِنْ أَضْيَافِي! حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الْحَجَّاجِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مَعْقِلٍ، أَنَّهُ سَمِعَ وَهْبًا يَقُولُ:

قال لوط لهم: «لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ»، فوجد عليه الرسل وقالوا: إِنْ رُكْنِكَ لَشَدِيدٌ فَلَمَّا يَثُسُ لُوطُ مِنْ إِبَاجَتِهِمْ إِيَّاهُ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا، قَالَتِ الرُّسُلُ لَهُ حِينَئِذٍ: «يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ

إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ»، فَذَكَرَ أَنَّ لُوطًا لَمَّا عَلِمَ أَنَّ أَضْيَافَهُ رُسُلُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ أُرْسِلَتْ بِهِلاكُ قَوْمِهِ قَالَ لَهُمْ: أَهْلِكُوهُمْ السَّاعَةَ. ذَكَرَ مِنْ رَوَى ذَلِكَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ:

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ سَعِيدٍ، قَالَ:

مَضَتْ الرُّسُلُ مِنْ عِنْدِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى لُوطٍ، فَلَمَّا أَتَوْا لُوطًا وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا ذَكَرَ اللَّهُ قَالَ جَبْرِئِيلُ لِلُّوطِ: يَا لُوطُ، إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، إِنْ أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ فَقَالَ لَهُمْ لُوطُ: أَهْلِكُوهُمْ السَّاعَةَ، فَقَالَ جَبْرِئِيلُ ع:

«إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ» فَانْزَلَتْ عَلَى لُوطٍ: «أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ» .

قال: وَأَمْرُهُ أَنْ يَسْرِيَ بِأَهْلِهِ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَهُ، قَالَ: فَسَارَ فَلَمَّا كَانَتِ السَّاعَةُ الَّتِي أَهْلَكُوا فِيهَا ادْخَلَ جَبْرِئِيلُ جَنَاحَهُ فِي أَرْضِهِمْ فَقَلَعَهَا وَرَفَعَهَا حَتَّى سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ صِيْحَ الدِّيَكَةِ، وَنَبَاحَ الْكَلَابِ، فَجَعَلَ عَالِيَهَا سَافِلَهَا، وَأَمْطَرَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ، قَالَ: وَسَمِعْتُ أَمْرَاهُ لُوطَ الْمُدَّةِ فَقَالَتْ: وَاقُومَاهُ! فَأَدْرَكَهَا جَرَّ فَقَتَلَهَا.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، عَنْ حَفْصِ بْنِ حَمِيدٍ، عَنْ شَمْرِ بْنِ عَطِيَّةٍ، قَالَ: كَانَ لُوطٌ أَخَذَ عَلَى امْرَأَتِهِ أَلَا تَذِيْعُ شَيْئًا مِنْ سَرِّ أَضْيَافِهِ، قَالَ: فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ جَبْرِئِيلُ وَمِنْ مَعِهِ وَرَأَتْهُمْ فِي صُورَةٍ لَمْ تَرِ مِثْلَهَا قَطُّ انْطَلَقَتْ تَسْعَى إِلَى قَوْمِهَا، فَأَتَتْ النَّادِيَّ فَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا، فَأَقْبَلُوا يَهْرَعُونَ مَشْيًا بَيْنَ الْهَرُولَةِ وَالْجَمْزِ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى لُوطٍ قَالَ لَهُمْ لُوطٌ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ قَالَ جَبْرِئِيلُ: يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ

رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ، قَالَ: فَقَالَ بِيَدِهِ، فَطَمَسَ أَعْيُنَهُمْ، قَالَ: فَجَعَلُوا يَطْلُبُونَهُمْ، يَلْتَمِسُونَ الْحَيِّطَانَ وَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ

حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ حَذِيفَةَ، قَالَ: لَمَّا بَصُرَتْ بِهِمْ- يَعْنِي بِالرُّسُلِ- عَجُوزُ السُّوءِ،

امراته، انطلقت فأنذرتهم فقالت: قد تضيف لوطاً قوم ما رأيت قوماً أحسن منهم وجوهاً. قال: ولا أعلمه إلا قالت: وأشد بياضاً وأطيب ريحاً منهم. قال: فأتوه «يهرعون إليه»، كما قال الله عز وجل، فأصفق لوط الباب.

قال: فجعلوا يعالجونه، قال: فاستأذن جبرئيل ربه عز وجل في عقوبتهم، فأذن له، فصفقهم بجناحه، فتركهم عرياناً يترددون في أحبب ليلة أتت عليهم قط، فأخبروه إننا رسل ربك، فأسر بأهلك بقطع من الليل، قال:

ولقد ذكر لنا أنه كانت مع لوط حين خرج من القرية امرأته، ثم سمعت الصوت فالتفتت، فأرسل الله تعالى عليها حجراً فأهلكها.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا الحكم بن بشير، قال: حدثنا عمرو بن قيس الملائي، عن سعيد بن بشير، عن قتادة، قال: انطلقت امرأته - يعني امرأة لوط - حين رأتهم - يعني حين رأت الرسل - إلى قوما فقالت:

إنه قد ضافه الليلة قوم ما رأيت مثلهم قط أحسن وجوهاً، ولا أطيّب ريحاً.

فجاءوا يهرعون إليه فبادرهم لوط إلى أن يزحمهم على الباب فقال: «هؤلاء بناقي إن كنتم فاعلين»، فقالوا: «أولم ننهك عن العالمين»، فدخلوا على الملائكة فتناولتهم الملائكة، فطمست أعينهم فقالوا: يا لوط جئنا بقوم سخرة، سحرونا كما أنت حتى نصبح قال: فاحتمل جبرئيل قريات لوط الأربع، في كل قرية مائة ألف، فرفعهم على جناحه بين السماء والأرض حتى سمع أهل السماء الدنيا أصوات

ديكتهم ثم قلبهم، فجعل الله عاليها سافلها

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور وحدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، جميعاً عن معمر، عن قتادة، قال: قال حذيفة: لما دخلوا عليه ذهب عجزه، عجز السوء، فأتت قوماً فقالت: قد تضيف لوطاً الليلة قوم ما رأيت قوماً قط أحسن وجوهاً منهم، قال: فجاءوا يهرعون إليه، فقام ملك فلز الباب - يقول:

فسده - فاستأذن جبرئيل في عقوبتهم، فأذن له، فضرهم جبرئيل بجناحه، فتركهم عرياناً، فباتوا بشر ليلة، ثم قالوا: إننا رسل ربك لن يصلوا إليك، فأسر بأهلك بقطع من الليل، ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك، قال: فبلغنا أنها سمعت صوتاً، فالتفتت فأصابها حجر وهي شاذة من القوم معلوم مكانها.

حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره، عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي ص: لما قال لوط: «لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد»، بسط حينئذ جناحه ففقق أعينهم، وخرجوا يدوس بعضهم في آثار بعض عرياناً، يقولون: النجاء النجاء! فإن في بيت لوط أشر قوم في الأرض، فذلك قوله تعالى: «ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم» وقالوا للوط: «إننا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد»، يقول: سر بهم فامضوا حيث تؤمرون، فأخرجهم الله تعالى إلى الشام وقال لوط: أهلكوهم الساعة، فقالوا: إننا لم نؤمر إلا بالصبح، أليس الصبح قريب! فلما أن كان السحر خرج لوط وأهله معه إلا امرأته، وذلك قوله تعالى: «إلا آل لوط نجيناهم بسحر»

حدثنا المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: حدثني عبد الصمد أنه سمع وهب بن منبه يقول: كان أهل سدوم الذين فيهم لوط قوم سوء قد استغنوا عن النساء بالرجال، فلما رأى الله ذلك منهم بعث الملائكة ليعذبوهم، فأتوا إبراهيم، فكان من أمره وأمرهم ما ذكره الله تعالى في كتابه، فلما بشروا سارة بالولد قاموا، وقام معهم إبراهيم يمشي، فقال: أخبروني لم بعثتم؟ وما خطبكم؟ قالوا: إننا أرسلنا إلى قوم سدوم لندمرها فإنهم قوم سوء، قد استغنوا بالرجال عن النساء قال إبراهيم: أرايتم إن كان فيهم نحسون رجلاً صالحاً؟ قالوا: إذا لا نعذبهم، فلم يزل ينقص حتى قال أهل البيت، قالوا: فإن كان فيهم بيت صالح، قال: فلو ط وأهل

بَيْتِهِ، قَالُوا: إِنَّ امْرَأَتَهُ هَوَاهَا مَعَهُمْ، فَلَمَّا يَتَسَّ إِبْرَاهِيمُ انصَرَفَ وَمَضَى إِلَى أَهْلِ سُدُومَ فَدَخَلُوا عَلَى لُوطٍ، فَلَمَّا رَأَتْهُمُ امْرَأَتُهُ عَجِبَهَا حَسَنُهُمْ وَجَمَالُهُمْ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى أَهْلِ الْقَرْيَةِ أَنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِنَا قَوْمٌ لَمْ نَرَقُومًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُمْ وَلَا أَجْمَلَ، فَتَسَامَعُوا بِذَلِكَ، فَغَشَوْا دَارَ لُوطٍ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَتَسَوَّرُوا عَلَيْهِمُ الْجُدْرَانُ، فَلَقِيَهُمْ لُوطٌ فَقَالَ: يَا قَوْمَ لَا تَفْضَحُونَ فِي ضَيْفِي وَأَنَا أَرْوِجُكُمْ بَنَاتِي فَهِنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ، فَقَالُوا: لَوْ كُنَّا نُرِيدُ بَنَاتَكَ لَقَدْ عَرَفْنَا مَكَانَهُنَّ، فَقَالَ:

لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ فُوجِدَ عَلَيْهِ الرُّسُلُ فَقَالُوا: إِنَّ رُكْنَكَ لَشَدِيدٌ، وَإِنَّهُمْ آتِيَهُمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ، فَسَحَّ أَحَدُهُمْ أَعْيُنَهُمْ بِجَنَاحِهِ، فَطَمَسَ أَبْصَارَهُمْ، فَقَالُوا: سَحَرْنَا، انصَرَفُوا بِنَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا قَدْ قَصَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ، فَأَدْخَلَ مِيكَائِيلُ وَهُوَ صَاحِبُ الْعَذَابِ جَنَاحِيهِ حَتَّى بَلَغَ أَسْفَلَ الْأَرْضَيْنِ، فَقَلَبَهَا فَنَزَلَتْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَتَبِعَتْ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ فِي الْقَرْيَةِ حَيْثُ كَانُوا فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ، وَنَجَّى لُوطًا وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ.

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَابِرُ بْنُ نُوحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: أَخَذَ جَبْرِئِيلُ قَوْمَ لُوطٍ مِنْ سَرَحِهِمْ وَدَوْرِهِمْ، حَمَلَهُمْ بِمَوَاشِيهِمْ وَأَمْتَعْتَهُمْ، حَتَّى سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ نَبَاحَ كَلَابِهِمْ ثُمَّ كَفَاهَا وَحَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ مَرَّةً أُخْرَى، عَنْ مُجَاهِدٍ، فَقَالَ: ادْخَلَ جَبْرِئِيلُ جَنَاحِيهِ تَحْتَ الْأَرْضِ السُّفْلَى مِنْ قَوْمِ لُوطٍ، ثُمَّ أَخَذَهُمْ بِالْجَنَاحِ الْأَيْمَنِ، وَأَخَذَهُمْ مِنْ سَرَحِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ ثُمَّ رَفَعَهَا.

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَازِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: كَانَ يَقُولُ: «فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا»، قَالَ: لَمَّا أَصْبَحُوا غَدَا جَبْرِئِيلُ عَلَى قَرْيَتِهِمْ فَفَتَقَهَا مِنْ أَرْكَانِهَا ثُمَّ ادْخَلَ جَنَاحِيهِ، ثُمَّ حَمَلَهَا عَلَى خَوَافِي جَنَاحِيهِ. حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَازِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، قَالَ:

وَحَدَّثَنِي هَذَا ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: وَلَمْ يَسْمَعْهُ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ مِنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: فَحَمَلَهَا عَلَى خَوَافِي جَنَاحِيهِ بِمَا فِيهَا، ثُمَّ صَعِدَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ نَبَاحَ كَلَابِهِمْ، ثُمَّ قَلَبَهَا، فَكَانَ أَوَّلُ مَا سَقَطَ مِنْهَا شَرَفُهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ» حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّ جَبْرِئِيلَ أَخَذَ بِعُرْوَةِ الْقَرْيَةِ الْوُسْطَى ثُمَّ أَلْوَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ ضَوَاغِي كَلَابِهِمْ، ثُمَّ دَمَرَ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، فَجَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا، ثُمَّ أَتَبَعْتَهُمْ الْحِجَارَةُ قَالَ قَتَادَةُ: وَبَلَّغْنَا أَنَّهُمْ كَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ أَلْفٍ. حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ

قَتَادَةَ، قَالَ: وَذَكَرْنَا أَنَّ جَبْرِئِيلَ أَخَذَ بِعُرْوَتِهَا الْوُسْطَى، ثُمَّ أَلْوَى بِهَا إِلَى جِوِ السَّمَاءِ حَتَّى سَمِعَتْ الْمَلَائِكَةُ ضَوَاغِي كَلَابِهِمْ ثُمَّ دَمَرَ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ أَتَبَعَ شَذَانَ الْقَوْمِ صَخْرًا، قَالَ: وَهِيَ ثَلَاثُ قُرَى يُقَالُ لَهَا سُدُومٌ، وَهِيَ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ، قَالَ: وَذَكَرْنَا أَنَّهُ كَانَ فِيهَا أَرْبَعَةُ آلَافٍ أَلْفٍ، قَالَ:

وَذَكَرْنَا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ يَشْرَفُ ثُمَّ يَقُولُ: سُدُومُ يَوْمًا هَالِكٌ حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنْ السَّدِيِّ بِالإِسْنَادِ الَّذِي قَدْ ذَكَرْنَاهُ: لَمَّا أَصْبَحُوا- يَعْنِي قَوْمَ لُوطٍ- نَزَلَ جَبْرِئِيلُ عَاقِلَتِ الْأَرْضِ مِنْ سَبْعِ أَرْضَيْنِ، فَحَمَلَهَا حَتَّى بَلَغَ بِهَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، حَتَّى سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ نَبَاحَ كَلَابِهِمْ وَأَصْوَاتَ دِيُوكِهِمْ، ثُمَّ قَلَبَهَا فَفَتَقَهُمْ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: «وَالْمُؤْتَفِكَةُ أَهْوَى»، الْمُنْقَلَبَةُ حِينَ أَهْوَى بِهَا جَبْرِئِيلُ عَاقِلَتِ الْأَرْضِ فَاقْتَلَعَهَا بِجَنَاحِيهِ، فَمَنْ لَمْ يَمُتْ حِينَ اسْقَطَ الْأَرْضَ أَمْطَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَهُوَ تَحْتَ الْأَرْضِ الْحِجَارَةَ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ شَاذًا فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: «فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ»، ثُمَّ تَبِعَهُمْ فِي الْقَرْيَةِ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَتَحَدَّثُ فَيَأْتِيهِ الْحَجَرُ فَيَقْتُلُهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ».

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ جَبْرِئِيلَ إِلَى الْمُؤْتَفِكَةِ قَرْيَةً قَوْمَ لُوطٍ الَّتِي كَانَ لُوطٌ فِيهِمْ، فَاحْتَمَلَهَا بِجَنَاحِيهِ ثُمَّ اصْعَدَ بِهَا حَتَّى إِنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا لَيَسْمَعُونَ نَابِجَةَ

كلابها وأصوات دجاجها، ثم كفأها على وجهها ثم أتبعها الله عز وجل بالحجارة، يقول الله تعالى: «جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ»، فأهلكها الله تعالى وما حولها من المؤتفكات، وكن خمس قريات: صبعة، وصعرة، وعمرة، ودوما، وسدوم هي القرية العظمى، ونجى الله تعالى لوطا ومن معه من أهله، إلا امرأته كانت فيمن هلك

١٠٦٠٨ ذكر وفاه ساره بنت هاران، وهاجر أم اسماعيل وذكر ازواج ابراهيم ع وولده

ذكر وفاة سارة بنت هاران، وهاجر أم اسماعيل وذكر ازواج ابراهيم ع وولده
قد ذكرنا فيما مضى قبل ما قيل في مقدار عمر سارة أم إسحاق، فأما موضع وفاتها فإنه لا يدفع أهل العلم من العرب والعجم أنها كانت بالشام.

وقيل: إنها ماتت بقرية الجبابة من أرض كنعان في حبرون، فدفنت في مزرعة اشتراها إبراهيم وقيل إن هاجر عاشت بعد سارة مدة فأما الخبر فبغير ذلك ورد حَدَّثَنِي موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حَدَّثَنَا أسباط، عن السدي، بالإسناد الذي قد ذكرناه قبل.

ثم إن إبراهيم اشتاق إلى إسماعيل، فقال لسارة: ائذني لي أنطلق إلى ابني فأنظر إليه، فأخذت عليه عهدا ألا ينزل حتى يأتيها، فركب البراق، ثم أقبل وقد ماتت أم إسماعيل، وتزوج اسماعيل امراه من جرهم.

وان إبراهيم ع كثر ماله ومواشيه وكان سبب ذلك فيما حَدَّثَنَا به موسى بن هارون، قال: حَدَّثَنَا عمرو بن حماد، قال: حَدَّثَنَا أسباط، عن السدي بالإسناد الذي قد ذكرناه قبل، أن إبراهيم ع احتاج - وقد كان له صديق يعطيه ويأتيه - فقالت له سارة: لو اتيت خلتي فأصبت لنا منه طعاما! فركب حمارا له، ثم أتاه، فلما أتاه تغيب منه، واستحيا إبراهيم أن يرجع إلى أهله خائبا، فمر على بطحاء، فلأ منها خرج، ثم أرسل الحمار إلى أهله، فأقبل الحمار وعليه حنطة جيدة، ونام إبراهيم ع فاستيقظ، وجاء إلى أهله، فوجد سارة قد جعلت له طعاما، فقالت: ألا تأكل؟ فقال: وهل من شيء؟ فقالت: نعم من الحنطة التي جئت بها من عند خليلك، فقال: صدقت

من عند خليلي جئت بها، فزرعها فنبت له، وزكا زرعه وهلكت زروع الناس، فكان أصل ماله منها، فكان الناس يأتونه فيسألونه فيقول: من قال: لا إله إلا الله فليدخل فليأخذ، فمنهم من قال فاخذ، ومنهم من أبى فرجع، وذلك قوله تعالى: «فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا» فلما كثر مال إبراهيم ومواشيه احتاج إلى السعة في المسكن والمرعى، وكان مسكنه ما بين قرية مدين - فيما قيل - والحجاز إلى أرض الشام، وكان ابن أخيه لوط نازلا معه، فقاسم ماله لوطا، فأعطى لوطا شطره فيما قيل، وخيره مسكنا يسكنه ومنزلا ينزله غير المنزل الذي هو به نازل، فاختر لوط ناحية الأردن فصار إليها، وأقام إبراهيم ع بمكانه، فصار ذلك فيما قيل سببا لآثاره بمكة وإسكانه إياها إسماعيل، وكان ربما دخل أمصار الشام.

ولما ماتت سارة بنت هاران زوجة إبراهيم تزوج إبراهيم بعدها - فيما حَدَّثَنَا ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا سلمة، عن ابن إسحاق - قطورا بنت يقطن، امرأة من الكنعانيين، فولدت له ستة نفر: يقسان بن إبراهيم، وزمران بن إبراهيم، ومديان بن إبراهيم، ويسبق بن إبراهيم، وسوح بن إبراهيم، ويسر بن إبراهيم، فكان جميع بني إبراهيم ثمانية بإسماعيل وإسحاق، وكان اسماعيل يكره أكبر ولده قال: فنكح يقسان بن إبراهيم رعوة بنت زمر بن يقطن بن لوزان بن جرهم بن يقطن بن عابر، فولدت له البربر ولفها وولد زمران بن إبراهيم المزامير الذين لا يعقلون وولد لمديان أهل مدين قوم شعيب بن ميكائيل النبي، فهو وقومه من ولده بعثه الله عز وجل اليهم نبيا.

حدثني الحارث بن محمد، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا

هشام بن محمد بن السائب، عن أبيه، قال: كان أبو إبراهيم من أهل حران، فأصابته سنة من السنين، فأقى هرمز جرد بالاهواز، ومعه امرأته أم إبراهيم، واسمها توتا بنت كرينا بن كوئي، من بني أرنخشيد بن سام بن نوح.

وحدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر الأسلمي عن غير واحد من أهل العلم قال: اسمها أئمتا من ولد أفرهم بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرغشد بن سام بن نوح وكان بعضهم يقول: اسمها ائمتلي بنت يكفور. حدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا هشام بن محمد، عن أبيه، قال: نهر كوئي كراه كرينا جد إبراهيم من قبل أمه، وكان أبوه على أصنام الملك نمrod فولد إبراهيم بهرمزجرد، ثم انتقل إلى كوئي من أرض بابل، فلما بلغ إبراهيم وخالف قومه، دعاهم إلى عبادة الله، وبلغ ذلك الملك نمrod فحبسه في السجن سبع سنين، ثم بنى له الحير بجص، وأوقد له الحطب الجزل، وألقى إبراهيم فيه، فقال: حسبي الله ونعم الوكيل! نفرج منها سليما لم يكلم.

حدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا هشام بن محمد، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: لما هرب إبراهيم من كوئي، وخرج من النار ولسانه يومئذ سرياني، فلما عبر الفرات من حران غير الله لسانه فقيل: عبراني، أي حيث عبر الفرات وبعث نمrod في أثره، وقال: لا تدعوا أحدا يتكلم بالسريانية إلا جثتموني به، فلقوا إبراهيم ع فتكلم بالعبرانية، فتركوه ولم يعرفوا لغته. حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا هشام، عن أبيه قال: فهاجر إبراهيم من بابل إلى الشام فجاءته سارة، فوهبت له نفسها

فتزوجها، وخرجت معه وهو يومئذ ابن سبع وثلاثين سنة، فأقام بها زمانا، ثم أتى الأردن فأقام بها زمانا، ثم خرج إلى مصر فأقام بها زمانا، ثم رجع إلى الشام فنزل السبع أرض بين إيليا وفلسطين واحتفر بئرا، وبني مسجدا ثم إن بعض أهل البلد آذاه فتحول من عندهم، فنزل منزلا بين الرملة وإيليا، فاحتفر به بئرا أقام به، وكان قد وسع عليه في المال والخدم، وهو أول من أضاف الضيف، وأول من ثرد الثريد، وأول من رأى الشيب.

قال: وولد لإبراهيم ع إسماعيل وهو أكبر ولده - وأمه هاجر وهي قبطية، وإسحاق، وكان ضرير البصر، وأمه سارة ابنة بتويل بن ناخور بن ساروع بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرغشد بن سام بن نوح - ومدن، ومدين، ويقسان، وزمران، واسبق، وسوح، وأهم قنطورا بنت مقطور من العرب العاربة فأما يقسان فلقق بنوه بمكة، وأقام مدن ومدين بأرض مدین، فسميت به، ومضى سائرهم في البلاد وقالوا لإبراهيم: يا أبانا أنزلت إسماعيل وإسحاق معك، وأمرتنا أن ننزل أرض الغربة والوحشة! فقال: بذلك أمرت، قال:

فعلهم اسما من أسماء الله تبارك وتعالى، فكانوا يستسقون به ويستنصرون، فمنهم من نزل خراسان، فجاءتهم الخزر فقالوا: ينبغي للذي علمكم هذا أن يكون خير أهل الأرض، أو ملك الأرض، قال: فسموا ملوكهم خاقان.

قال أبو جعفر: ويقال في يسبق: يسباق، وفي سوح: ساح.

وقال بعضهم: تزوج إبراهيم بعد سارة امرأتين من العرب، إحداهما قنطورا بنت يقطان، فولدت له ستة بنين، وهم الذين ذكرنا، والأخرى منهما حجور بنت أرهير، فولدت له خمسة بنين: كيسان، وشورخ، واميم، ولوطان، ونافس

١٠٦٠٩ ذكر وفاه إبراهيم ع

ذكر وفاه إبراهيم ع

فلما أراد الله تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم ص، أرسل إليه ملك الموت في صورة شيخ هرم.

فحدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي بالإسناد الذي ذكرته قبل: كان إبراهيم كثير الطعام يطعم الناس، ويضيفهم، فيينا هو يطعم الناس إذا هو بشيخ كبير يمشي في الحرة، فبعث إليه بجمار، فركبه حتى إذا أتاه أطعمه، فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها فاه، فيدخلها عينه وأذنه ثم يدخلها فاه، فإذا دخلت جوفه خرجت من دبره وكان إبراهيم قد سأل ربه عز وجل ألا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت، فقال للشيخ حين رأى من حاله ما رأى:

ما بالك يا شيخ تصنع هذا؟ قال: يا إبراهيم، الكبر، قال: ابن كم أنت؟

فزاد على عمر إبراهيم سنتين، فقال إبراهيم: إنما بيني وبينك سنتان، فإذا بلغت ذلك صرت مثلك! قال: نعم، قال إبراهيم: اللهم اقبضني إليك قبل ذلك، فقام الشيخ فقبض روحه، وكان ملك الموت.

ولما مات إبراهيم ع- وكان موته وهو ابن مائتي سنة، وقيل ابن مائة وخمس وسبعين سنة- دفن عند قبر ساره في مزرعه حبرون. وكان مما أنزل الله تعالى على إبراهيم ع من الصحف فيما قيل عشر صحائف، كذلك حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: أخبرني عمي عبد الله بن وهب، قال: حدثني الماضي بن محمد، عن أبي سليمان، عن القاسم بن محمد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر الغفاري، قال: قلت: [يا رسول الله، كم كتاب أنزله الله؟ قال: مائة كتاب وأربع كتب: أنزل الله عز وجل على آدم ع عشر صحائف، وعلى شيث خمسين صحيفة، وأنزل على أخنوخ ثلاثين صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل جل وعز التوراة والإنجيل والزبور والفرقان قلت: يا رسول الله، فما كانت صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالا كلها].

أيها الملك المسلط المتبلى المغرور، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردّها وإن كانت من كافر.

وكانت فيها أمثال: وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات، ساعة ينجي فيها ربه، وساعة يفكر فيها في صنع الله عز وجل، وساعة يحاسب فيها نفسه فيما قدم وأخر، وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال في المطعم والمشرب وعلى العاقل ألا يكون ظاعناً إلا في ثلاث: تزود لمعاده، ومرومة لمعاشه، ولذة في غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانته ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه.

وكان لإبراهيم - فيما ذكر - أخوان يقال لأحدهما هاران- وهو أبو لوط، وقيل إن هاران هو الذي بنى مدينة حران، وإليه نسبت- والآخر منهما ناحورا وهو أبو بتويل وبتويل هو أبو لابان ورفقا ابنة بتويل، ورفقا امرأة إسحاق بن إبراهيم أم يعقوب ابنة بتويل، وليا وراحيل امرأتا يعقوب ابنتا لابان

١٠٦٠١ ذكر خبر ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ع

ذكر خبر ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ع

قد مضى ذكرنا سبب مصير إبراهيم بابنه إسماعيل، وأمه هاجر إلى مكة وإسكانه إياهما بها ولما كبر إسماعيل تزوج امرأة من جرهم، فكان من أمرها ما قد تقدم ذكره، ثم طلقها بأمر أبيه إبراهيم بذلك، ثم تزوج أخرى يقال لها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي، وهي التي قال لها إبراهيم إذ قدم مكة، وهي زوجة إسماعيل: قولي لزوجك إذا جاء: قد رضيت لك عتبة بابك.

فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ولد لإسماعيل ابن إبراهيم اثنا عشر رجلاً، وأهم السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي:

نابت بن إسماعيل، وقيدر بن إسماعيل، وأديبيل بن إسماعيل، ومبشا بن إسماعيل، ومسمع بن إسماعيل، ودما بن إسماعيل، وماس بن إسماعيل، وأدد بن إسماعيل، ووطور بن إسماعيل، ونفيس بن إسماعيل، وطما بن إسماعيل، وقيدمان بن إسماعيل.

قال: وكان عمر إسماعيل فيما يزعمون ثلاثين ومائة سنة، ومن نابت وقيدر نشر الله العرب، ونبا الله عز وجل إسماعيل، فبعثه إلى العماليق- فيما قيل- وقبائل اليمن.

وقد ينطق أسماء أولاد إسماعيل بغير الألفاظ التي ذكرت عن ابن إسحاق، فيقول بعضهم في قيدر: قيدار، وفي أديبيل: ادبال، وفي مبشا: مبشام، وفي دما: ذوما ومسا، وحداد، وتيم، ويطور، ونافس، وقادمن وقيل: إن إسماعيل لما حضرته الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق

وزوج ابنته من العيص بن إسحاق، وعاش إسماعيل فيما ذكر مائة وسبعا وثلاثين سنة، ودفن في الحجر عند قبر أمه هاجر حَدَّثَنِي عبدة بن عبد الله الصفاري، قال: حَدَّثَنَا خالد بن عبد الرحمن المخزومي، عن مبارك بن حسان صاحب الأثماط، عن عمر بن عبد العزيز، قال: شكوا إسماعيل إلى ربه تبارك وتعالى حر مكة فأوحى الله تعالى إليه: إني فاتح لك بابا من الجنة يجري عليك روحها إلى يوم القيامة، وفي ذلك المكان تدفن. ونرجع الآن إلى:

١٠٦٠١١ ذكر إسحاق بن إبراهيم ع وذكر نسائه وأولاده

ذكر إسحاق بن إبراهيم ع وذكر نسائه وأولاده

إذ كان التاريخ غير متصل على سياق معروف لأمة بعد الفرس غيرهم، وذلك أن الفرس كان ملكهم متصلا دائما من عهد جيومرت الذي قد وصفت شأنه وخبره، إلى أن زال عنهم بخير أمه اخرجت للناس، أمه نبينا محمد ص وكانت النبوة والملك متصلين بالشام ونواحيها لولد إسرائيل بن إسحاق إلى أن زال ذلك عنهم بالفرس والروم بعد يحيى بن زكرياء وبعد عيسى بن مريم ع وسنذكر إذا نحن انتهينا إلى الخبر عن يحيى وعيسى ع سبب زوال ذلك عنهم إن شاء الله.

فأما سائر الأمم غير الفرس، فإنه غير ممكن الوصول إلى علم التاريخ بهم، إذ لم يكن لهم ملك متصل في قديم الأيام وحديثه إلا ما لا يمكن معه سياق التاريخ عليه وعلى أعمار ملوكهم، إلا ما ذكرنا من ولد يعقوب إلى الوقت الذي ذكرت، فإن ذلك وإن كانت مدته انقطعت بزواله عنهم، فإن قدر مدة زواله عنهم إلى غايته هذه معلوم مبلغه وقد كان لليمن ملوك لهم ملك، غير أنه كان غير متصل، وإنما كان يكون منهم الواحد بعد الواحد، وبين الأول والآخرة فترات طويلة، لا يقف على مبلغها العلماء، لقلّة عنايتهم كانت بها، ومبلغ عمر الأول منهم والآخر، إذا لم يكن من الأمر الدائم، فإن دام منه شيء فإنما يدوم لمن دام له منهم بأنه عامل لغيره في الموضع الذي هو به لا يملكه بنفسه، وذلك كدوامه لآل نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك ابن عمرو بن ثمارة بن نخم، فإنهم كانوا على فرج ثغر العرب للفرس من الحيرة إلى حد اليمن طولا وإلى حدود الشام وما اتصل بذلك عرضا، فلم يزل ذلك دائما لهم من عهد أردشير بابكان إلى أن قتل كسرى ابرويز بن هرمز بن انوشروان النعمان بن المنذر، فنقل عنهم ما كان إليهم من العمل على ثغر العرب إلى إياس بن قبيصة الطائي

فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: نكح إسحاق بن إبراهيم رفقا بنت بتويل بن إلياس، فولدت له عيص بن إسحاق، ويعقوب ابن إسحاق، يزعمون أنهما كانا توءمين وأن عيصا كان أكبرهما ثم نكح عيص بن إسحاق ابنه عمه بسمة ابنه إسماعيل بن إبراهيم، فولدت له الروم بن عيص، فكل بني الأصفر من ولده قال: وبعض الناس يزعم أن الأشبان من ولده، ولا أدري أمن ابنة إسماعيل أم لا.

ونكح يعقوب بن إسحاق - وهو إسرائيل - ابنة خاله ليا ابنة لبان بن بتويل بن إلياس، فولدت له روييل بن يعقوب، وكان أكبر ولده، وشمعون ابن يعقوب، ولاوى بن يعقوب، ويهوذا بن يعقوب، وزبالون بن يعقوب، ويسحر بن يعقوب، ودينه ابنه يعقوب وقد قيل في يسحر إن اسمه يشحر ثم توفيت ليا بنت لبان فخلف يعقوب على أختها راحيل بنت لبان بن بتويل بن إلياس، فولدت له يوسف بن يعقوب، وبنيامين بن يعقوب - وهو بالعربية شداد - وولد له من سريتين، اسم إحداهما زلفة، واسم الأخرى بلهة، أربعة نفر: دان بن يعقوب، ونفثالي بن يعقوب، وجاد بن يعقوب، وأشر بن يعقوب، فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلا.

وقد قال بعض أهل التوراة إن رفقا زوجة إسحاق هي ابنة ناهر بن آزر عم إسحاق، وإنها ولدت له ابنه عيصا ويعقوب في بطن واحد، وإن إسحاق أمر ابنه يعقوب ألا ينكح امرأة من الكنعانيين، وأمره أن ينكح امرأة من بنات خاله لبان بن ناهر، وأن يعقوب لما أراد النكاح مضى إلى خاله لبان ابن ناهر خاطبا، فأدركه الليل في بعض الطريق، فبات متوسدا حجرا، فرأى فيما يرى النائم أن سلما منصوبا إلى باب من أبواب السماء عند رأسه، والملائكة تنزل وتخرج فيه، وأن يعقوب صار إلى خاله فخبط إليه ابنته راحيل، وكانت له

ابنتان: ليا وهي الكبرى، وراحيل وهي الصغرى، فقال له: هل من مال أزوجك عليه؟ فقال يعقوب: لا، إلا أني أخدمك أجيرا حتى تستوفي صداق

ابنتك، قال: فإن صداقها أن تخدمني سبع حجج قال يعقوب: فزوجني راحيل وهي شرطي، ولها أخدمك، فقال له خاله: ذلك بيني وبينك، فرعى له يعقوب سبع سنين، فلما وفي له شرطه دفع إليه ابنته الكبرى ليا، وأدخلها عليه ليلا، فلما أصبح وجد غير ما شرط، فجاء يعقوب وهو في نادي قومه فقال له: غررتني وخدعتني واستحللت عملي سبع سنين، ودلست علي غير امرأتي، فقال له خاله: يا بن أختي، أردت أن تدخل على خالك العار والسبة، وهو خالك ووالدك، ومتى رأيت الناس يزوجون الصغرى قبل الكبرى! فهلم فاعلمني سبع حجج أخرى، فأزوجك أختها- وكان الناس يومئذ يجمعون بين الأختين إلى أن بعث موسى ع وأنزل عليه التوراة- فرعى له سبعا، فدفع إليه راحيل، فولدت له ليا أربعة أسباط: روبيل، ويهوذا، وشمعان، ولاوي وولدت له راحيل يوسف وأخاه بنيامين وأخوات لهما، وكان لابان دفع إلى ابنتيه حين جهزهما إلى يعقوب أمتين فوهبتا الأمتين ليعقوب، فولدت كل واحدة منهما له ثلاثة رهط من الأسباط، وفارق يعقوب خاله، وعاد حتى نازل أخاه عيصا وقال بعضهم: ولد ليعقوب دان ونفثالي من زلفة جارية راحيل، وذلك أنها وهبتا له وسألته أن يطلب منها الولد حين تأخر الولد عنها وان ليا وهبت جاريتهما بله ليعقوب منافسة لراحيل في جاريتهما، وسألته أن يطلب منها الولد، فولدت له جاد، وأشير، ثم ولد له من راحيل بعد اليأس يوسف وبنيامين، فانصرف يعقوب بولده هؤلاء وامراتيه المذكورتين إلى منزل أبيه من فلسطين على خوف شديد من أخيه العيص، فلم ير منه إلا خيرا، وكان العيص فيما ذكر لحق بعمه إسماعيل، فتزوج إليه ابنته بسمة وحملها إلى الشام، فولدت له عدة أولاد فكثروا حتى غلبوا الكنعانيين بالشام، وصاروا إلى البحر وناحية الإسكندرية ثم إلى الروم وكان العيص فيما ذكر يسمى آدم لأدمته قال: ولذلك سمي ولده

ولد الأصفر، وكانت ولادة رفقا بنت بتويل لإسحاق بن إبراهيم ابنه العيص ويعقوب- بعد أن خلا من عمر إسحاق ستون سنة- توءمين في بطن واحد، والعيص المتقدم منهما خروجا من بطن أمه، فكان إسحاق فيما ذكر يختص العيص، وكانت رفقا أمهما تميل إلى يعقوب، فرعما أن يعقوب ختل العيص في قربان قرباه بأمر أبيهما إسحاق بعد ما كبرت سن إسحاق، وضعف بصره، فصار أكثر دعاء إسحاق ليعقوب، وتوجهت البركة نحوه بدعاء أبيه إسحاق له، فغاض ذلك العيص وتوعده بالقتل، فخرج يعقوب هاربا منه إلى خاله لابان ببابل، فوصله لابان وزوجه ابنتيه ليا وراحيل، وانصرف بهما وبجاريتهما وأولاده الأسباط الاثني عشر وأختهم دينا إلى الشام إلى منزل آبائه، وتألف أخاه العيص حتى نزل له البلاد وتنقل في الشام، حتى صار إلى السواحل ثم عبر إلى الروم فأوطنها، وصار الملوك من ولده وهم اليونانية- فيما زعم هذا القائل.

حدثنا الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي، قال: حدثنا أبي، قال: أخبرنا أسباط، عن السدي، قال: تزوج إسحاق امرأة فحملت بغلامين في بطن، فلما أرادت أن تضعهما اقتتل الغلامان في بطنها، فأراد يعقوب أن يخرج قبل عيص، فقال عيص: والله لئن خرجت قبلي لأعترضن في بطن أمي ولأقتلنها، فتأخر يعقوب، وخرج عيص قبله، وأخذ يعقوب بعقب عيص، فخرج فسمي عيصا لأنه عصى، فخرج قبل يعقوب، وسمي يعقوب لأنه خرج أخذا بعقب عيص، وكان يعقوب أكبرهما في البطن، ولكن عيصا خرج قبله، وكبر الغلامان، فكان عيص أحبهما إلى أبيه، وكان يعقوب أحبهما إلى أمه، وكان عيص صاحب صيد، فلما كبر إسحاق وعمي، قال لعيص: يا بني أطعمني لحم صيد واقترب مني أدع لك بدعاء دعا لي به أبي، وكان عيص رجلا أشعر، وكان يعقوب رجلا أجرد، فخرج عيص يطلب الصيد، وسمعت أمه الكلام فقالت ليعقوب: يا بني، اذهب إلى الغنم فاذبح منها شاة ثم اشوه، والبس جلده وقدمه إلى أبيك، وقل له: أنا ابنك عيص، ففعل ذلك يعقوب، فلما جاء قال: يا أبتاه كل، قال:

من أنت؟ قال: أنا ابنك عيص، قال: فمسه، فقال: المس مس عيص، والريح ريح يعقوب، قالت أمه: هو ابنك عيص فادع له، قال: قدم طعامك، فقدمه فأكل منه، ثم قال: ادن مني، فدنا منه، فدعا له أن يجعل في ذريته الأنبياء والملوك، وقام يعقوب، وجاء عيص فقال: قد جئتكم بالصيد الذي أمرتني به، فقال: يا بني قد سبقك أخوك يعقوب، فغضب عيص وقال:

والله لأقتلنه، قال: يا بني قد بقيت لك دعوة، فهلم أدع لك بها، فدعا له فقال: تكون ذريتك عددا كثيرا كالتراب ولا يملكهم أحد

غيرهم، وقالت أم يعقوب ليعقوب: الحق بخالك فكن عنده خشية أن يقتلك عيص، فانطلق إلى خاله، فكان يسري بالليل ويمكن بالنهار، ولذلك سمي إسرائيل، وهو سري الله، فأتى خاله وقال عيص: أما إذ غلبتني على الدعوى فلا تغلبني على القبر، أن أدفن عند آبائي: إبراهيم وإسحاق، فقال: لئن فعلت لتدفن معه.

ثم ان يعقوب ع هوى ابنة خاله- وكانت له ابنتان- فخطب إلى أبيهما الصغرى منهما، فأنكحها إياه على أن يرعى غنمه إلى أجل مسمى، فلما انقضى الأجل زف إليه أختها ليا، قال يعقوب: إنما أردت راحيل، فقال له خاله: إنا لا ينكح فينا الصغير قبل الكبير، ولكن اربع لنا أيضا وأنكحها، ففعل فلما انقضى الأجل زوجه راحيل أيضا، فجمع يعقوب بينهما، فذلك قول الله: «وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ».

يقول: جمع يعقوب بين ليا وراحيل، فحملت ليا فولدت يهوذا، وروبييل، وشمعون وولدت راحيل يوسف، وبنامين، وماتت راحيل في نفاسها بينامين، يقول: من وجع النفاس الذي ماتت فيه. وقطع خال يعقوب ليعقوب قطيعا من الغنم، فأراد الرجوع إلى بيت المقدس، فلما ارتحلوا لم يكن له نفقة، فقالت امرأة يعقوب ليوسف: خذ من أصنام أبي لعلنا نستنفق منه فأخذ، وكان الغلامان في حجر يعقوب، فأحبهما وعطف عليهما ليطمئنا من أهمما، وكان أحب الخلق إليه يوسف ع، فلما قدموا أرض الشام، قال يعقوب لراع من الرعاة: إن أتاكم أحد يسألكم: من أنتم؟ فقولوا: نحن ليعقوب عبد عيص، فلقهيم عيص فقال: من أنتم؟

قالوا: نحن ليعقوب عبد عيص، فكف عيص عن يعقوب، ونزل يعقوب بالشام، فكان همه يوسف وأخوه، ففسده إخوته لما رأوا من حب أبيه له، ورأى يوسف في المنام كأن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأهم ساجدين له، فحدث أباه بها فقال: «يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ»

١٠٧ ذكر أيوب ع

ذكر أيوب ع

ومن ولده- فيما قيل- أيوب نبي الله، وهو فيما حدَّثنا ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ لا يَتَّهِمُ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مَنْبِهِ، أَنَّ أَيُوبَ كَانَ رَجُلًا مِنَ الرُّومِ، وَهُوَ أَيُوبُ بْنُ مَوْصَ بْنِ رَازِحِ بْنِ عَيْصَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ.

وأما غير ابن إسحاق فإنه يقول: هو أيوب بن موص بن رغويل بن العيص ابن إسحاق بن إبراهيم. وكان بعضهم يقول: هو أيوب بن موص بن رغويل ويقول: كان أبوه ممن آمن بآبراهيم ع يوم احرقه نمرود، وكانت زوجته التي أمر بضرها بالضغث ابنة ليعقوب بن إسحاق، يقال: لها ليا، كان يعقوب زوجها منه. وحدثني الحسين بن عمرو بن محمد، قال: حدثنا أبي، قال: أخبرنا غياث بن إبراهيم، قال: ذكر- والله أعلم- أن عدو الله إبليس لقي امرأة أيوب- وذكر أنها كانت ليا بنت يعقوب- فقال: يا ليا ابنة الصديق وأخت الصديق. وكانت أم أيوب ابنة للوط بن هاران.

وقيل: إن زوجته التي أمر بضرها بالضغث هي رحمة بنت افرايم بن يوسف بن يعقوب، وكانت لها البثنية من الشام كلها بما فيها، وكان- فيما ذكر- عن وهب بن منبه في الخبر الذي حدثني محمد بن سهل بن عسكر البخاري، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم أبو هشام، قال: حدثني عبد الصمد ابن معقل، قال: سمعت وهب بن منبه يقول: إن إبليس لعنه الله سمع تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب، وذلك حين ذكره الله تعالى وأثنى عليه، فأدركه

البغي والحسد، فسأل الله أن يسلطه عليه ليفتنه عن دينه، فسلطه الله على ماله دون جسده وعقله، وجمع إبليس عفاريت الشياطين وعظماءهم، وكان لأيوب البثنية من الشام كلها بما فيها بين شرقها وغربها، وكان بها الف شاه برعاتها، وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة

عبد، لكل عبد امرأة وولد ومال، ويحمل آلة كل فدان أتان، لكل أتان ولد، بين اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك فلها جمعهم إبليس، قال: ماذا عندكم من القوة والمعرفة؟ فإني قد سلطت على مال أيوب، فهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال فقال كل من عنده قوة على اهلاك شيء ما عنده فأرسلهم فأهلكوا ماله كله، وأيوب في كل ذلك يحمد الله ولا يثنيه شيء أصيب به من ماله عن الجد في عبادة الله تعالى والشكر له على ما أعطاه، والصبر على ما ابتلاه به فلها رأى ذلك من أمره إبليس لعنه الله سال الله تعالى ان يسلطه على ولده، فسلطه عليهم، ولم يجعل له سلطانا على جسده وقلبه وعقله، فأهلك ولده كلهم، ثم جاء إليه متمثلا بمعلمهم الذي كان يعلمهم الحكمة جريحا مشدوخا يرققه حتى رق أيوب فبكى، فقبض قبضة من تراب فوضعها على رأسه، فسر بذلك إبليس، واغتتمه من أيوب ع.

ثم إن أيوب تاب واستغفر، فصعدت قرناؤه من الملائكة بتوبته فبدروا إبليس إلى الله عز وجل فلما لم يثن أيوب ع ما حل به من المصيبة في ماله وولده عن عبادة ربه، والجد في طاعته، والصبر على ما ناله، سأل الله عز وجل إبليس أن يسلطه على جسده، فسلطه على جسده خلا لسانه وقلبه وعقله، فإنه لم يجعل له على ذلك منه سلطانا، فجاء وهو ساجد، فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده، فصار من جملة أمره إلى أن أتت

جسده، فأخرجه أهل القرية من القرية إلى كناسة خارج القرية لا يقربه أحد إلا زوجته وقد ذكرت اختلاف الناس في اسمها ونسبها قبل ثم رجع الحديث إلى حديث وهب بن منبه:

وكانت زوجته تختلف إليه بما يصلحه وتلزمه، وكان قد اتبعه ثلاثة نفر على دينه، فلما رأوا ما نزل به من البلاء رفضوه واتهموه من غير أن يتركوا دينه، يقال لأحدهم بلدد، وللآخر اليفز وللثالث صافر فانطلقوا إليه وهو في بلائه فبكتوه، فلما سمع أيوب ع كلامهم أقبل على ربه يستغيثه ويتضرع إليه، فرحمه ربه ورفع عنه البلاء، ورد عليه أهله وماله ومثلهم معهم، وقال له: «ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ»، فاغتسل به فعاد كهيئته قبل البلاء في الحسن والجمال.

فحدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: حَدَّثَنَا فضيل بن عياض، عن هشام، عن الحسن، قال: لقد مكث أيوب ع مطروحا على كناسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرًا، ما يسأل الله عز وجل أن يكشف ما به، قال: فما على وجه الأرض أكرم على الله من أيوب، فيزعمون أن بعض الناس قال: لو كان لرب هذا فيه حاجة ما صنع به هذا! فعند ذلك دعا.

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَلِيَّةَ، عن يونس، عن الحسن، قال: بقي أيوب ع على كناسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرًا اختلف فيها الرواة.

فهذه جملة من خبر أيوب ص، وإنما قدمنا ذكر خبره وقصته قبل خبر يوسف وقصته لما ذكر من أمره، وأنه كان نبيا في عهد يعقوب أبي يوسف ع.

وذكر أن عمر أيوب كان ثلاثا وتسعين سنة، وأنه أوصى عند موته إلى

١٠٨ ذكر خبر شعيب ص

ابنه حومل، وأن الله عز وجل بعث بعده ابنه بشر بن أيوب نبيا، وسماه ذا الكفل وأمره بالدعاء إلى توحيده، وأنه كان مقيما بالشام عمره حتى مات، وكان عمره خمسا وسبعين سنة، وأن بشرا أوصى إلى ابنه عبدان، وأن الله عز وجل بعث بعده شعيب بن صيفون بن عيفا بن نابت بن مدين ابن إبراهيم إلى أهل مدين.

وقد اختلف في نسب شعيب فنسبه أهل التوراة النسب الذي ذكرت.

وكان ابن إسحاق يقول: هو شعيب بن ميكائيل من ولد مدين، حَدَّثَنِي بذلك ابن حميد، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق.

وقال بعضهم: لم يكن شعيب من ولد إبراهيم، وإنما هو من ولد بعض من كان آمن بإبراهيم واتبعه على دينه، وهاجر معه إلى الشام، ولكنه ابن بنت لوط فجدة شعيب ابنه لوط

. ذكر خبر شعيب ص

وقيل ان اسم شعيب يزون، وقد ذكرت نسبه واختلاف أهل الأنساب في نسبه، وكان- فيما ذكر- ضرير البصر. حَدَّثَنِي عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ وَاصِلِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أُسَيْدُ بْنُ زَيْدِ الْجَصَّاصِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شَرِيكٌ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ فِي قَوْلِهِ:

«وَأَنَا لَتَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا»، قَالَ: كَانَ أَعْمَى

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْوَلِيدِ الرَّمْلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ زِيَادٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ الْمُنْذِرِ وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ يَزِيدٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ سَعِيدٍ، مِثْلَهُ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْوَلِيدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، قَالَا: سَمِعْنَا شَرِيكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: «وَأَنَا لَتَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا»، قَالَ: أَعْمَى.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْوَلِيدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعْدُويه، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبَادٌ، عَنْ شَرِيكٍ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، مِثْلَهُ. حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَمَّانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبَادٌ، عَنْ شَرِيكٍ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ سَعِيدٍ: «وَأَنَا لَتَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا»، قَالَ: كَانَ ضَرِيرَ الْبَصَرِ.

حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَهْدِي الْمَصِصِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا خَلْفُ بْنُ خَلِيفَةَ، عَنْ سَفْيَانَ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ:

«وَأَنَا لَتَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا»، قَالَ: كَانَ ضَعِيفَ الْبَصَرِ حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفْيَانَ، قَوْلُهُ تَعَالَى:

«وَأَنَا لَتَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا»، قَالَ: كَانَ ضَعِيفَ الْبَصَرِ قَالَ سَفْيَانَ: وَكَانَ يُقَالُ لَهُ خَطِيبُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعَثَهُ نَبِيًّا إِلَى أَهْلِ مَدِينٍ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ- وَالْأَيْكَةِ الشَّجَرِ الْمَلْتَفِ- وَكَانُوا أَهْلَ كُفْرٍ بِاللَّهِ وَبِخَسِّ النَّاسِ فِي الْمَكَايِلِ وَالْمَوَازِينِ وَإِفْسَادِ لَأَمْوَالِهِمْ، وَكَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَسَّعَ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ، وَبَسَطَ لَهُمْ فِي الْعَيْشِ اسْتِدْرَاجًا مِنْهُمْ، مَعَ كُفْرِهِمْ بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ع: «يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَتَّقُوا الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ».

فَكَانَ مِنْ قَوْلِ شُعَيْبٍ لِقَوْمِهِ وَجَوَابَ قَوْمِهِ لَهُ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص- فِيمَا ذَكَرَ لِي يَعْقُوبُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ- إِذَا ذَكَرَهُ قَالَ: ذَاكَ خَطِيبُ الْأَنْبِيَاءِ، لِحُسْنِ مُرَاجَعَتِهِ قَوْمَهُ فِيمَا يَرَادُهُمْ بِهِ.

فَلَمَّا طَالَ تَمَادِيهِمْ فِي غِيهِمْ وَضَلَالِهِمْ، وَلَمْ يَرُدَّهُمْ تَذَكِيرُ شُعَيْبٍ إِيَّاهُمْ، وَتَحْذِيرُهُمْ عَذَابَ اللَّهِ لَهُمْ وَأَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَلَاكَهُمْ، سَلَّطَ عَلَيْهِمْ- فِيمَا حَدَّثَنِي الْحَارِثُ- قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى الْأَشَّيبُ قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ أَخُو حَمَادِ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ أَبِي صَغِيرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ الْبَاهِلِيُّ، قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: «فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ»، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: بَعَثَ اللَّهُ وَبَدَأَ وَحَرًّا شَدِيدًا، فَأَخَذَ بِأَنْفُسِهِمْ فَدَخَلُوا أَجْوَفَ الْبُيُوتِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ أَجْوَفَ الْبُيُوتِ فَأَخَذَ بِأَنْفُسِهِمْ، فَخَرَجُوا مِنَ الْبُيُوتِ هَرَابًا إِلَى الْبَرِّيَّةِ فَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَحَابَةً، فَأَظْلَمَتْهُمِ مِنَ الشَّمْسِ، فَوَجَدُوا لَهَا بَرْدًا وَلَذَّةً، فَتَدَاى بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعُوا تَحْتَهَا أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَارًا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: فَذَاكَ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ، «إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ».

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ قَتَادَةَ يَقُولُ: بَعَثَ شُعَيْبٌ إِلَى أَمْتَيْنِ: إِلَى قَوْمِهِ أَهْلِ مَدِينٍ، وَإِلَى أَصْحَابِ الْأَيْكَةِ، وَكَانَتِ الْأَيْكَةُ مِنْ شَجَرٍ مَلْتَفٍ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَعَذِّبَهُمْ بَعَثَ عَلَيْهِمْ حَرًّا شَدِيدًا، وَرَفَعَ لَهُمُ الْعَذَابَ كَأَنَّهُ سَحَابَةٌ، فَلَمَّا دَنَتْ مِنْهُمْ خَرَجُوا إِلَيْهَا رَجَاءَ بَرْدِهَا، فَلَمَّا كَانُوا تَحْتَهَا امْطَرَتْ عَلَيْهِمْ نَارًا، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ».

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني أبو سفيان، عن معمر بن راشد، قال: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ، قَالَ:

كَانُوا- يَعْنِي قَوْمَ شَعِيبَ- عَطَلُوا حِداً، فَوَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ، ثُمَّ عَطَلُوا حِداً فَوَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ، فَجَعَلُوا كُلُّهَا عَطَلُوا حِداً وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ، حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ هَلَاكَهُمْ سَلَطَ عَلَيْهِمْ حِراً لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَتَقَارَوْا، وَلَا يَنْفَعَهُمْ ظِلٌّ وَلَا مَاءٌ، حَتَّى ذَهَبَ ذَاهِبَ مِنْهُمْ فَاسْتَظَلَّ تَحْتَ ظِلِّهِ فَوَجَدَ رَوْحاً، فَنادى أَصْحَابَهُ: هَلُمُّوا إِلَى الرُّوحِ، فَذَهَبُوا إِلَيْهِ سِرَاعاً، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعُوا أَهْلَبَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَاراً، فَذَلِكَ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفْيَانُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ»، قَالَ: أَصَابَهُمْ حَرٌّ قَلَقْلَهُمْ فِي بُيُوتِهِمْ، فَنشأت سحابة كهيئة الظلة فابتدروها، فلما ناموا تحتها أخذتهم الرجفة حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِيسَى.

وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ، جَمِيعاً عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: «عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ»، قَالَ: ظِلَالُ الْعَذَابِ.

حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: «فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ»، قَالَ: أَظْلَ الْعَذَابِ قَوْمَ شَعِيبَ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَوَّلَ الْعَذَابِ أَخَذَهُمْ مِنْهُ حَرٌّ شَدِيدٌ، فَرَفَعَ اللَّهُ لَهُمْ غَمَامَةً، فَخَرَجَ إِلَيْهَا طَائِفَةٌ مِنْهُمْ لِيَسْتَظِلُّوا بِهَا، فَأَصَابَهُمْ مِنْهَا بَرْدٌ وَرُوحٌ وَرِيحٌ طَيِّبَةٌ، فَصَبَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ مِنْ تِلْكَ الْغَمَامَةِ عَذَاباً، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: «عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ»

حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: «فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ»، قَالَ: بَعَثَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَ إِلَيْهِمْ ظِلَّةً مِنْ سَحَابٍ، وَبَعَثَ اللَّهُ إِلَى الشَّمْسِ فَأَحْرَقَتْ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَخَرَجُوا كُلُّهُمْ إِلَى تِلْكَ الظِّلَّةِ، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ الظِّلَّةَ، وَأَحْمَى عَلَيْهِمُ الشَّمْسُ، فَاحْتَرَقُوا كَمَا يَحْتَرِقُ الْجِرَادُ فِي الْمَقْلَى.

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو ثَمِيلَةَ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مِنْ حَدِيثِكَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، مَا عَذَابُ يَوْمِ الظِّلَّةِ، فَكَذَبَهُ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَدَّاشٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ خَالِدٍ الْخَلِيطُ، قَالَ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ قَيْسٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فِي قَوْلِهِ عِزَّ وَجَلَ: «أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ»، قَالَ: كَانَ مِمَّا يَنْهَاهُمْ عَنْهُ حَذْفُ الدَّرَاهِمِ- أَوْ قَالَ: قَطْعُ الدَّرَاهِمِ، الشُّكُّ مِنْ حَمَادٍ.

حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ مُوسَى الرَّازِي، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي فَدْيِكٍ، عَنْ أَبِي مُودُودٍ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ يَقُولُ: بَلَغَنِي أَنَّ قَوْمَ شَعِيبَ عَذَّبُوا فِي قَطْعِ الدَّرَاهِمِ، ثُمَّ وَجَدْتُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ: «أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ». حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ حَبَابٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ، قَالَ: عَذَّبَ قَوْمَ شَعِيبَ فِي قَطْعِهِمُ الدَّرَاهِمَ، فَقَالُوا:

«يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ». وَنَرْجِعُ الْآنَ إِلَى:

١٠٩ ذكر يعقوب وأولاده

ذكر يعقوب وأولاده

ذكروا والله أعلم أن إسحاق بن إبراهيم عاش بعد ما ولد له العيص ويعقوب مائة سنة، ثم توفي وله مائة وستون سنة فقبه ابنه: العيص ويعقوب عند قبر أبيه إبراهيم في مزرعه حبرون، وكان عمر يعقوب بن إسحاق كله مائة وسبعا وأربعين سنة، وكان ابنه يوسف قد قسم له ولأمه من الحسن ما لم يقسم لكثير من أحد من الناس.

وَقَدْ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ وَأَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ الرَّازِيَّانِ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ثَابِتُ الْبَنَانِيِّ عَنْ أَنَسٍ [عَنِ النَّبِيِّ ص]، قَالَ: أُعْطِيَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ شَطْرَ الْحَسَنِ .

وَأَنَّ أُمَّهُ رَاحِيلَ لَمَّا وَلَدَتْهُ دَفَعَهُ زَوْجُهَا يَعْقُوبُ إِلَى أُخْتِهِ تَحْضُنُهُ، فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِ وَشَأْنِ عَمَّتِهِ الَّتِي كَانَتْ تَحْضُنُهُ مَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: كَانَ أَوَّلُ مَا دَخَلَ عَلَى يُوسُفَ مِنَ الْبَلَاءِ فِيمَا بَلَغَنِي أَنَّ عَمَّتَهُ ابْنَةَ إِسْحَاقَ، وَكَانَتْ أَكْبَرَ وَلَدِ إِسْحَاقَ، وَكَانَتْ إِلَيْهَا صَارَتْ مِنْطَقَةُ إِسْحَاقَ، وَكَانُوا يَتَوَارَثُونَهَا بِالْكِبَرِ، فَكَانَ مِنْ اخْتَانِهَا مِنْ وَلِيِّهَا كَانَ لَهُ سَلْمَا لَا يَنَازَعُ فِيهِ، يَصْنَعُ فِيهِ مَا شَاءَ، وَكَانَ يَعْقُوبُ حِينَ وَلَدَ لَهُ يُوسُفَ قَدْ كَانَ حَضْنَتُهُ عَمَّتَهُ، فَكَانَ مَعَهَا وَإِلَيْهَا، فَلَمْ يَحِبْ أَحَدٌ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ حُبَّهَا إِيَّاهُ، حَتَّى إِذَا تَرَعَرَعَ

وَبَلَغَ سِنُوتَ، وَوَقَعَتْ نَفْسُ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ، أَتَاهَا فَقَالَ: يَا أَخِيهِ سَلِمَى إِلَى يُوسُفَ، فَوَاللَّهِ مَا أَقْدَرُ عَلَى أَنْ يَغِيبَ عَنِّي سَاعَةً، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَنَا بِتَارِكْتُهُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أَنَا بِتَارِكِهِ قَالَتْ: فَدَعَهُ عِنْدِي أَيَّامًا أَنْظُرَ إِلَيْهِ وَأَسْكُنَ عَنْهُ، لَعَلَّ ذَلِكَ يَسْلِينِي عَنْهُ - أَوْ كَمَا قَالَتْ - فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا يَعْقُوبُ عَمَدَتْ إِلَى مِنْطَقَةِ إِسْحَاقَ فَحَزَمَتْهَا عَلَى يُوسُفَ مِنْ تَحْتِ ثِيَابِهِ، ثُمَّ قَالَتْ:

لَقَدْ فَقَدْتُ مِنْطَقَةَ إِسْحَاقَ، فَاظْهَرُوا مِنْ أَخْذِهَا وَمِنْ أَصَابِهَا، فَاتَمَسَّتْ ثُمَّ قَالَتْ: كَشَفُوا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَكَشَفُوهُمْ فَوَجَدُوها مَعَ يُوسُفَ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لِي لَسَلَمٌ أَصْنَعُ فِيهِ مَا شِئْتُ قَالَ: وَأَتَاهَا يَعْقُوبُ فَأَخْبَرْتَهُ الْخَبْرَ، فَقَالَ لَهَا:

أَنْتِ وَذَاكَ، إِنْ كَانَ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ سَلَمٌ لَكَ، مَا أَسْتَطِيعُ غَيْرَ ذَلِكَ فَأَمْسَكْتُهُ، فَمَا قَدَرَ عَلَيْهِ يَعْقُوبُ حَتَّى مَاتَ قَالَ: فَهُوَ الَّذِي يَقُولُ إِخْوَةُ يُوسُفَ حِينَ صَنَعَ بِأَخِيهِ مَا صَنَعَ حِينَ أَخْذَهُ: «إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لهُ مِنْ قَبْلُ» .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَلَمَّا رَأَتْ إِخْوَةُ يُوسُفَ شِدَّةَ حُبِّهِ وَالدَّهْمَ يَعْقُوبَ إِيَّاهُ فِي صَبَاهُ وَطُفُولَتِهِ وَقَلَّةَ صَبْرِهِ عَنْهُ حَسَدُوهُ عَلَى مَكَانِهِ مِنْهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ، يَعْنُونَ بِالْعَصْبَةِ الْجَمَاعَةِ، وَكَانُوا عَشْرَةَ: إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» .

ثُمَّ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرُ يَعْقُوبَ مَا قَدْ قَصَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُ إِرْسَالَهُ إِلَى الصَّحْرَاءِ مَعَهُمْ، لِيَسْعَى وَيَنْشُطَ وَيَلْعَبَ، وَضَمَانَهُمْ لَهُ حِفْظُهُ، وَإِعْلَامَ يَعْقُوبَ إِيَّاهُمْ حَزَنَهُ بِمُغِيبِهِ عَنْهُ، وَخَوْفَهُ عَلَيْهِ مِنَ الذُّبِّ، وَخَدَاعِهِمْ وَالدَّهْمَ بِالْكَذِبِ مِنَ الْقَوْلِ وَالزُّورِ عَنْ يُوسُفَ، ثُمَّ إِرْسَالَهُ مَعَهُمْ

وَخُرُوجَهُمْ بِهِ وَعَزْمَهُمْ حِينَ بَرَزُوا بِهِ إِلَى الصَّحْرَاءِ عَلَى الْإِقْلَاءِ فِي غِيَابَةِ الْجَبِّ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ حِينَئِذٍ - فِيمَا ذَكَرَ - مَا حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَنْقَرِيُّ، عَنْ اسْبَاطٍ، عَنْ السَّدِيِّ قَالَ: أَرْسَلَهُ - يَعْنِي يَعْقُوبَ يُوسُفَ - مَعَهُمْ، فَأَخْرَجُوهُ بِهِ عَلَيْهِمْ كَرَامَةً، فَلَمَّا بَرَزُوا إِلَى الْبَرِيَّةِ أَظْهَرُوا لَهُ الْعِدَاوَةَ، وَجَعَلَ أَخُوهُ يَضْرِبُهُ فَيَسْتَغِيثُ بِالْآخِرِ فَيَضْرِبُهُ، فَجَعَلَ لَا يَرَى مِنْهُمْ رَحِيمًا، فَضْرِبُوهُ حَتَّى كَادُوا يَقْتُلُونَهُ، فَجَعَلَ يَصِيحُ وَيَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ يَا يَعْقُوبُ! لَوْ تَعَلَّمُ مَا يَصْنَعُ بَابْنِكَ بَنُو الْإِمَاءِ! فَلَمَّا كَادُوا يَقْتُلُونَهُ، قَالَ يَهُوذَا: أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتُمُونِي مَوْثِقًا أَلَّا تَقْتُلُوهُ! فَاَنْطَلَقُوا بِهِ إِلَى الْجَبِّ لِيَطْرَحُوهُ، فَجَعَلُوا يَدْلُونَهُ فِي الْبُئْرِ فَيَتَعَلَّقُ بِشَفِيرِهَا، فَرَبَطُوا يَدَيْهِ، وَنَزَعُوا قَبِيصَهُ، فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ، رَدُّوا عَلَيَّ قَبِيصِي أَتَوَارَى بِهِ فِي الْجَبِّ! فَقَالُوا: ادْعِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا تَوَسَّلْكَ، قَالَ: إِنِّي لَمْ أَرِ شَيْئًا، فَدَلُّوهُ فِي الْبُئْرِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ نِصْفَهَا أَلْقَوْهُ إِرَادَةً أَنْ يَمُوتَ فَكَانَ فِي الْبُئْرِ مَاءً، فَسَقَطَ فِيهِ، ثُمَّ أَوَى إِلَى صَخْرَةٍ فِيهَا، فَقَامَ عَلَيْهَا فَلَمَّا أَلْقَوْهُ فِي الْجَبِّ جَعَلَ يَبْكِي، فَنادوه، فَظَنُّوا أَنَّهَا رَحْمَةُ أَدْرَكَتَهُمْ، فَأَجَابَهُمْ، فَأَرَادُوا أَنْ يَرْضَخُوهُ بِصَخْرَةٍ فَيَقْتُلُوهُ، فَقَامَ يَهُوذَا فَنَعَمَهُمْ وَقَالَ: قَدْ أُعْطِيتُمُونِي مَوْثِقًا أَلَّا تَقْتُلُوهُ، وَكَانَ يَهُوذَا يَأْتِيهِ بِالطَّعَامِ.

ثُمَّ خَبَرَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ وَحْيِهِ إِلَى يُوسُفَ ع وَهُوَ فِي الْجَبِّ لِيَنْبُتَ إِخْوَتُهُ الَّذِينَ فَعَلُوا بِهِ مَا فَعَلُوا بِفَعْلِهِمْ ذَلِكَ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِالْوَحْيِ الَّذِي أَوْحَى إِلَى يُوسُفَ كَذَلِكَ رَوَى ذَلِكَ عَنْ قَتَادَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّنَعَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ

قتادة: «وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهُمْ هَذَا، قَالَ: أَوْحَى إِلَى يَوْسُفَ وَهُوَ فِي الْجَبِّ أَنْ يَنْبِئَهُمْ بِمَا صَنَعُوا بِهِ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» بذلك الوحي حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا سُؤَيْدٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ بِخَوْفِهِ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: أَنْ سَيَنْبِئُهُمْ. وقيل معنى ذلك: وهم لا يشعرون أنه يوسف، وذلك قول يروى عن ابْنِ عَبَّاسٍ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، قَالَ: حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ عَبَادَةَ الْأَسَدِيُّ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ ذَلِكَ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ جُرَيْجٍ. ثُمَّ خَبَرَهُ تَعَالَى عَنْ إِخْوَةِ يَوْسُفَ وَمَجِيئِهِمْ إِلَى أَبِيهِ عَشَاءً يَكُونُ، يَذْكُرُونَ لَهُ أَنَّ يَوْسُفَ أَكَلَ الذَّيْبَ، وَقَوْلُ وَالِدِهِمْ: «يَلَّ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرُوا جَمِيلٌ». ثُمَّ خَبَرَهُ جَلَّ جَلَالُهُ عَنْ مَجِيءِ السَّيَّارَةِ، وَإِرْسَالِهِمْ وَارِدَهُمْ وَإِخْرَاجِ الْوَارِدِ يَوْسُفَ وَأَعْلَامِهِ أَصْحَابَهُ بِهِ بِقَوْلِهِ: «يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ» يبشرهم. حَدَّثَنَا بُشَيْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: «يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ»، تَبَاشَرُوا بِهِ حِينَ أَخْرَجُوهُ - وَهِيَ بئر بَارِضٍ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مَعْلُومٌ مَكَانُهَا. وقد قيل: إِنَّمَا نَادَى الَّذِي أَخْرَجَ يَوْسُفَ مِنَ الْبَيْتِ صَاحِبًا لَهُ يُسَمَّى بُشْرَى، فَنَادَاهُ بِاسْمِهِ الَّذِي هُوَ اسْمُهُ كَذَلِكَ ذَكَرَ عَنِ السَّيِّدِ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا خَلْفُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ الرَّبِيعِ، عَنِ السَّيِّدِ فِي قَوْلِهِ: «يَا بُشْرَى»، قَالَ: كَانَ اسْمُ صَاحِبِهِ بُشْرَى حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَمَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ ظَهِيرٍ، عَنِ السَّيِّدِ فِي قَوْلِهِ: «يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ»، قَالَ: اسْمُ الْغُلَامِ بُشْرَى، كَمَا تَقُولُ: يَا زَيْدُ. ثُمَّ خَبَرَهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ السَّيَّارَةِ وَوَارِدِهِمُ الَّذِي اسْتَخْرَجَ يَوْسُفَ مِنَ الْجَبِّ إِذْ اشْتَرَوْهُ مِنْ إِخْوَتِهِ «بِثْنِ بَحْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ»، عَلَى زَهْدٍ فِيهِ وَإِسْرَارِهِمْ إِيَّاهُ بِضَاعَةً، خِيفَةَ مَنْ مَعَهُمْ مِنَ التَّجَارِ مَسْأَلَتِهِمُ الشَّرْكَةَ فِيهِ، إِنْ هُمْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ اشْتَرَوْهُ. كَذَلِكَ قَالَ فِي ذَلِكَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: «وَأَسْرَوْهُ بِضَاعَةً»، قَالَ: صَاحِبُ الدُّلُو وَمَنْ مَعَهُ قَالُوا لِأَصْحَابِهِمْ: إِنَّا اسْتَبْضَعْنَاهُ خِيفَةَ أَنْ يَسْتَشْرِكُوهُمْ فِيهِ إِنْ عَلِمُوا بِثَنَّهُ، وَتَبِعَهُمْ إِخْوَتَهُ يَقُولُونَ لِلْهَدْلِيِّ وَأَصْحَابِهِ: اسْتَوْثَقُوا مِنْهُ لَا يَأْبِقُ، حَتَّى وَقَفُوهُ بِمَصْرَ فَقَالَ: مَنْ يَبْتَاعُنِي وَيَبْشُرُ! فَاشْتَرَاهُ الْمَلِكُ، وَالْمَلِكُ مُسْلِمٌ. حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ بِخَوْفِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: خِيفَةَ أَنْ يَسْتَشْرِكُوهُمْ إِنْ عَلِمُوا بِهِ، وَاتَّبَعَهُمْ إِخْوَتَهُ، يَقُولُونَ لِلْهَدْلِيِّ وَأَصْحَابِهِ: اسْتَوْثَقُوا مِنْهُ لَا يَأْبِقُ حَتَّى وَقَفُوهُ بِمَصْرَ. حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، عَنْ أَصْبَاطٍ، عَنِ السَّيِّدِ: «وَأَسْرَوْهُ بِضَاعَةً»، قَالَ: لَمَّا اشْتَرَاهُ الرِّجْلَانِ فَرَقُوا مِنَ الرِّفْقَةِ أَنْ يَقُولُوا: اشْتَرَيْنَاهُ فَيَسْأَلُونَهُمُ الشَّرْكَةَ فِيهِ فَقَالُوا: إِنْ سَأَلُونَا: مَا هَذَا؟ قُلْنَا: بِضَاعَةً، اسْتَبْضَعْنَاهُ أَهْلُ الْمَاءِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: «وَأَسْرَوْهُ بِضَاعَةً» فَكَانَ يَبِيعُهُمْ إِيَّاهُ مِنْ بَاعُوهُ مِنْهُ بِثْنٍ بِحَسٍّ، وَذَلِكَ النَّاَقِصُ الْقَلِيلُ مِنَ الثَّمَنِ الْحَرَامِ. وَقِيلَ إِنَّهُمْ بَاعُوهُ بِعِشْرِينَ دِرْهَمًا، ثُمَّ اقْتَسَمُوهَا - وَهِيَ عَشْرَةٌ - دِرْهَمَيْنِ دِرْهَمَيْنِ، وَأَخَذُوا الْعِشْرِينَ مَعْدُودَةً بِغَيْرِ وَزْنٍ، لِأَنَّ الدَّرَاهِمَ حِينَئِذٍ - فِيمَا قِيلَ - إِذَا كَانَتْ أَقَلَّ مِنْ أَوْقِيَّةٍ وَزَنَها أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا لَمْ تَكُنْ تَوْزَنُ، لِأَنَّ أَقْلَ أَوْزَانِهِمْ يَوْمَئِذٍ كَانَتْ أَوْقِيَّةً. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُمْ بَاعُوهُ بِأَرْبَعِينَ دِرْهَمًا وَقِيلَ: بَاعُوهُ بِاَثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا. وَذَكَرَ أَنَّ بَائِعَهُ الَّذِي بَاعَهُ بِمَصْرَ كَانَ مَالِكُ بْنُ دَعْرَ بْنِ يُوْبَبَ بْنِ عَفْقَانَ بْنِ مَدْيَانَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ع حَدَّثَنَا بِذَلِكَ ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ:

حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن السائب، عن أبي صالح، عن ابن عباس،
وأما الذي اشتراه بها وقال: «لأمرأته أكرمي مثواه»، فإن اسمه - فيما ذكر عن ابن عباس - قطيفر حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني
أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال:
كان اسم الذي اشتراه قطيفر.

وقيل إن اسمه أطفير، بن رُوحيب، وهو العزيز، وكان على خزائن مصر، والمَلِكُ يومئذ الرِّيان بن الوليد، رجل من العماليق، كذلك
حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق.

فأما غيره فإنه قال: كان يومئذ الملك بمصر وفرعونها الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن
سام بن نوح

وقد قال بعضهم: إن هذا الملك لم يمت حتى آمن واتبع يوسف على دينه، ثم مات ويوسف بعد حي، ثم ملك بعده قابوس بن مصعب
بن معاوية بن نمير بن السلواس بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، وكان كافراً، فدعاه يوسف إلى
الإسلام فأبى أن يقبل.

وذكر بعض أهل التوراة أن في التوراة: إن الذي كان من أمر يوسف وأخوته والمصير به إلى مصر، وهو ابن سبع عشرة سنة يومئذ،
وأنه أقام في منزل العزيز الذي اشتراه ثلاث عشرة سنة، وأنه لما تمت له ثلاثون سنة استورزه فرعون مصر، الوليد بن الريان، وأنه مات
يوم مات وهو ابن مائة سنة وعشر سنين وأوصى إلى أخيه يهوذا، وأنه كان بين فراقه يعقوب واجتماعه معه بمصر اثنتان وعشرون
سنة، وإن مقام يعقوب معه بمصر بعد موافاته بأهله سبع عشرة سنة، وإن يعقوب ص اوصى إلى يوسف ع.

وكان دخول يعقوب مصر في سبعين إنساناً من أهله، فلما اشترى أطفير يوسف، وأتى به منزله، قال لأهله واسمها - فيما حدثنا ابن
حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق - راعيل: «أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا» فيكفينا إذا هو بلغ وفهم الأمور بعض ما نحن بسبيله
من أمورنا:

«أو نتخذ ولدًا»، وذلك أنه كان - فيما حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق - رجلاً لا يأتي النساء، وكانت امرأته
راعيلاً حسناً ناعمة في ملك ودينها، فلما خلا من عمر يوسف ع ثلاث وثلاثون سنة أعطاه الله عز وجل الحكم والعلم.

حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «آتيناه حُكماً وَعِلْماً»: قال: العقل والعلم قبل
النسبة

«ورأودته حين بلغ من السن أشده التي هو في بيتها عن نفسه - وهي راعيل امرأة العزيز أطفير - وغلقت الأبواب» عليه وعليها للذي
أرادت منه، وجعلت - فيما ذكر - تذكر ليوسف محاسنه تشوقه بذلك إلى نفسها.
ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو بن محمد، عن أسباط، عن السدي: «ولقد هممت به وهم بها»، قال: قالت له يا يوسف:
ما أحسن شعرك! قال: هو أول ما ينتثر من جسدي، قالت: يا يوسف ما أحسن عينيك! قال: هي أول ما يسيل إلى الأرض من
جسدي، قالت:

يا يوسف ما أحسن وجهك! قال: هو للتراب يأكله، فلم تزل حتى أطمعته فهمت به وهم بها، فدخل البيت وغلقت الأبواب، وذهب
ليحل سراويله فإذا هو بصورة يعقوب قائماً في البيت قد عض على إصبعه يقول: يا يوسف لا توقعها، وإنما مثلك ما لم توقعها مثل
الطير في جو السماء لا يطاق، ومثلك إن واقعها مثله إذا مات وقع في الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه.

ومثلك ما لم توقعها مثل الثور الصعب الذي لا يعمل عليه، ومثلك إن واقعها مثل الثور حين يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه لا

يستطيع أن يدفع عن نفسه فربط سراويله، وذهب ليخرج يشتد، فأدركته فأخذت بمؤخر قميصه من خلفه نفرقتة حتى أخرجته منه، وسقط وطرحه يوسف، واشتد نحو الباب.

وقد حدثنا أبو كريب وابن وكيع وسهل بن موسى، قالوا: حدثنا ابن عيينة عن عثمان بن أبي سليمان، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس: سئل عن هم يوسف ما بلغ؟ قال: حل الهميان، وجلس منها مجلس الحائر.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: حدثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج، قال: أخبرنا عبد الله بن أبي مليكة، قال: قلت لابن عباس: ما بلغ من هم يوسف؟ قال: استلقت له وجلست بين رجلين ينزع ثيابه، فصرف الله تعالى عنه ما كان هم به من سوء بما رأى من البرهان الذي أراه الله، فذلك - فيما قال بعضهم - صورة يعقوب عاضاً على إصبعه.

وقال بعضهم: بل نودي من جانب البيت: أتزني فتكون كالطير وقع ريشه، فذهب يطير ولا ريش له! وقال بعضهم: رأى في الحائط مكتوباً: «ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً» فقام حين رأى برهان ربه هارباً يريد باب البيت، فراراً مما ارادته، واتبعته راعيل فأدركته قبل خروجه من الباب، فجذبت به بقميصه من قبل ظهره، فكدت قميصه وألقى يوسف وراعيلاً سيدها - وهو زوجها أظفیر - جالساً عند الباب، مع ابن عم لراعيلاً.

كذلك حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو بن محمد، عن أسباط، عن السدي: «وَأَلْفَا سَيْدَهَا لَدَى الْبَابِ» قال: كان جالسا عند الباب وابن عمها معه، فلما رآته قالت: «مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابُ أَلِيمٍ»، إنه راودني عن نفسي، فدفعته عن نفسي فأبيت فشقت قميصه قال يوسف: بل هي راودتني عن نفسي، فأبيت وفرت منها، فأدركتني فشقت قميصي فقال ابن عمها: تبیان هذا في القميص، فإن كان القميص «قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ»، وإن كان القميص قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين، فأتي بالقميص، فوجده قد من دبر، قال: «إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ يَوْسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ».

حدثني محمد بن عمار، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا شيبان، عن أبي إسحاق، عن نوف الشامي، قال: ما كان يوسف يريد أن يذكره حتى قالت: «مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابُ أَلِيمٍ»، قال: فغضب وقال: هي راودتني عن نفسي» وقد اختلف في الشاهد الذي شهد من أهلها «إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ»، فقال بعضهم: ما ذكرت عن السدي.

وقال بعضهم: كان صبياً في المهد، وقد روي في ذلك عن رسول الله ما حدثنا الحسن بن محمد، قال: حدثنا عفان بن مسلم، قال: حدثنا حماد، قال: أخبرنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن [النبي ص]، قال: تكلم أربعة وهم صغار، فذكر فيهم شاهد يوسف [حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا العلاء بن عبد الجبار، عن حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال:]

تكلم أربعة وهم صغار: ابن ماشطة ابنة فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى بن مريم. وقد قيل إن الشاهد كان هو القميص وقده من دبره.

ذكر بعض من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عز وجل: «وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا»

قال: قميصه مشقوق من دبره فتلك الشهادة، فلما رأى زوج المرأة قميص يوسف قد من دبر قال لراعيلاً زوجته: «إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ»

إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ» ، ثُمَّ قَالَ لِيُوسُفَ: أَعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ مَا كَانَ مِنْهَا مِنْ مَرَاوِدَتِهَا إِيَّاكَ عَنْ نَفْسِهَا فَلَا تَذْكُرْهُ لِأَحَدٍ، ثُمَّ قَالَ لَزَوْجَتِهِ: «أَسْتَغْفِرِي لِدُنْبِكَ إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ» .

وتحدث النساء بأمر يوسف وأمر امرأة العزيز بمصر ومراودتها إياه على نفسها فلم ينعن، وقلن: «أَمَرَاتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا» ، قد وصل حب يوسف إلى شغاف قلبها فدخل تحته حتى غلب على قلبها وشغاف القلب: غلافه وحجابه. حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَصْبَاطٍ، عَنِ السَّيِّدِيِّ: «قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا» قَالَ: وَالشَّغَافُ جِلْدَةٌ عَلَى الْقَلْبِ يُقَالُ لَهَا لِسَانُ الْقَلْبِ، يَقُولُ: دَخَلَ الْحُبُّ الْجِلْدَ حَتَّى أَصَابَ الْقَلْبَ، فَلَهَا سَمِعَتْ أَمْرَ أَمْرَأَةِ الْعَزِيزِ بِمَكْرِهِمْ وَتَحَدَّثِينَ بَيْنَهُنَّ بِشَأْنِهَا وَشَأْنِ يُوسُفَ، وَبَلَّغَهَا ذَلِكَ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مَتَكًا يَتَكُنَّ عَلَيْهِ إِذَا حَضَرْنَهَا مِنْ وَسَائِدٍ وَحَضَرْنَهَا فَقَدِمَتْ إِلَيْهِنَّ طَعَامًا وَشَرَابًا وَأَتْرَجًا، وَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سَكِينًا تَقْطَعُ بِهِ الْأَتْرَجَ.

حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّلْتِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو كُدَيْنَةَ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مَتَكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سَكِينًا» ، قَالَ: أَعْطَتْهُنَّ أَتْرَجًا، وَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سَكِينًا.

فَلَمَّا فَعَلَتْ أَمْرَأَةُ الْعَزِيزِ ذَلِكَ بِهِنَّ، وَقَدْ أَجْلَسَتْ يُوسُفَ فِي بَيْتٍ وَمَجْلِسٍ غَيْرِ الْمَجْلِسِ الَّذِي هُنَّ فِيهِ جُلُوسٌ، قَالَتْ لِيُوسُفَ: «أَخْرِجْ عَلَيْنَ» ،

فَخَرَجَ يُوسُفُ عَلَيْهِنَّ، فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَجْلَلْنَهُ وَأَكْبَرْنَهُ وَأَعْظَمْنَهُ، وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بِالسَّكَاكِينِ الَّتِي فِي أَيْدِيَهُنَّ، وَهُنَّ يَحْسِبْنَ أَنَّهُنَّ يَقْطَعْنَ بِهَا الْأَتْرَجَ، وَقُلْنَ:

مَعَاذَ اللَّهِ مَا هَذَا إِنْسُ، «إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ» فَلَمَّا حَلَّ بِهِنَّ مَا حَلَّ مِنْ قَطْعِ أَيْدِيَهُنَّ مِنْ أَجْلِ نَظَرَةِ نَظَرْنَاهَا إِلَى يُوسُفَ وَذَهَابَ عَقُولُهُنَّ، وَعَرَفْتَهُنَّ خَطَا قِيلَهُنَّ: «أَمَرَاتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ» ، وَإِنْكَارُهُنَّ مَا أَنْكَرْنَ مِنْ أَمْرِهَا أَقَرَّتْ عِنْدَ ذَلِكَ لَهَا بِمَا كَانَ مِنْ مَرَاوِدَتِهَا إِيَّاهُ عَلَى نَفْسِهَا، فَقَالَتْ: «فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ» ، بَعْدَ مَا حَلَّ سَرَاوِيلَهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَصْبَاطٍ، عَنِ السَّيِّدِيِّ:

«قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ» ، تَقُولُ: بَعْدَ مَا حَلَّ السَّرَاوِيلَ اسْتَعْصَمَ، لَا أُدْرِي مَا بَدَأَ لَهُ! ثُمَّ قَالَتْ لَهَا:

«وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمُرُهُ» مِنْ إِيْتَانِهَا «لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ» ، فَاخْتَارَ السَّجْنَ عَلَى الزَّانَا وَمَعْصِيَةِ رَبِّهِ، فَقَالَ: «رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ» .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَصْبَاطٍ، عَنِ السَّيِّدِيِّ: «قَالَ رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ» مِنَ الزَّانَا، وَاسْتَغَاثَ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: «وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ» فَأَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ اسْتَجَابَ لَهُ دَعَاؤُهُ، فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ وَنَجَاهُ مِنْ رُكُوبِ الْفَاحِشَةِ، ثُمَّ بَدَأَ لِلْعَزِيزِ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَى مِنَ الْآيَاتِ مَا رَأَى مِنْ قَدِّ الْقَمِيصِ مِنَ الدَّيْرِ، وَخَمَشَ فِي الْوَجْهِ، وَقَطَعَ النِّسَاءَ أَيْدِيَهُنَّ وَعَلِمَهُ

بِبَرَاءَةِ يُوسُفَ مِمَّا قَرَفَ بِهِ فِي تَرْكِ يُوسُفَ مُطْلَقًا وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ بَدَأَ لَهُ فِي ذَلِكَ، مَا حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَصْبَاطٍ، عَنِ السَّيِّدِيِّ: «ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيُسْجَنَنَّ حَتَّى حِينٍ» ، قَالَ: قَالَتِ الْمَرْأَةُ لَزَوْجِهَا:

إِنَّ هَذَا الْعَبْدَ الْعِبْرَانِيَّ قَدْ فَضَحَنِي فِي النَّاسِ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِمْ وَيُخْبِرُهُمْ أَنِّي رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَسْتُ أَطِيقُ أَنْ أَعْتَذَرَ بِعُذْرِي، فَإِنَّمَا أَنْ تَأْذَنَ لِي فَأَخْرِجَ فَأَعْتَذَرَ، وَإِنَّمَا أَنْ تَحْبِسَهُ كَمَا حَبَسْتَنِي، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيُسْجَنَنَّ حَتَّى حِينٍ» ،

فذكر أنهم حبسوه سبع سنين.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا المحاربي، عن داود، عن عكرمة: «لَيَسْجُنَّهُ حَتَّى حِينٍ»، قَالَ: سبع سنين، فلما حبس يوسف في السجن صاحبه العزيز، أدخل معه السجن الذي حبس فيه فتیان من فتیان الملك صاحب مصر الأكبر، وهو الوليد بن الريان، أحدهما كان صاحب طعامه، والآخر كان صاحب شرابه.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السدي، قال:

حبسه الملك، وغضب على خبازه، بلغه أنه يريد أن يسمه فبسه، وحبس صاحب شرابه، ظن أنه ماله على ذلك، فحبسهما جميعاً، فذلك قول الله عز وجل: «وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ».

فلما دخل يوسف قَالَ فيما حَدَّثَنِي به ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السدي، قال: لما دخل يوسف السجن، قال: إني أعبّر الأحلام، فقال أحد الفتيين لصاحبه: هلم فلنجرب هذا العبد العبراني، فقرأيا له، فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئا، فقال الخباز: «إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ

فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ، وَقَالَ الْآخَرُ: إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ نَحْمًا، نَبْتًا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» فقل: كان إحسانه ما حَدَّثَنَا به إسحاق بن أبي إسرائيل، قال: حَدَّثَنَا خلف بن خليفة، عن سلمة بن نبيط، عن الضحاك قال: سأل رجل الضحاك عن قوله: «إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ»: ما كان إحسانه؟ قال: كان إذا مرض إنسان في السجن قام عليه، وإذا احتاج جمع له، وإذا ضاق عليه المكان وسع له، فقال لهما يوسف: «لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ فِي يَوْمٍ هَذَا إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ» في اليقظة فكره صلى الله عليه أن يعبر لهما ما سألاه عنه، وأخذ في غير الذي سألاه عنه لما في عبارة ما سألاه عنه من المكروه على أحدهما فقال: «يَا صَاحِبِي السَّجْنَ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ».

وكان اسم أحد الفتيين اللذين أدخلوا السجن محلب - وهو الذي ذكر أنه رأى فوق رأسه خبرا - واسم الآخر نبو، وهو الذي ذكر أنه رأى كأنه يعصر نحما، فلم يدعاه والعدول عن الجواب عما سألاه عنه حتى أخبرهما بتأويل ما سألاه عنه فقال: «أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ نَحْمًا» - وهو الذي ذكر أنه رأى كأنه يعصر نحما، وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ».

فلما عبر لهما ما سألاه تعبيره، قالوا: ما رأينا شيئا.

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ، عَنْ عِمَارَةَ - يَعْنِي ابْنَ الْقَعْقَاعِ - عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عِلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، فِي الْفَتَيْنِ اللَّذَيْنِ أَتَى

يوسف

فِي الرُّؤْيَا إِنَّمَا كَانَا تَحَالُمًا لِيُخْبِرَاهُ، فَلَمَّا أَوَّلَ رُؤْيَاهُمَا قَالَا: إِنَّمَا كُنَّا نَلْعَبُ، فَقَالَ: «قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ» ثُمَّ قَالَ لِنَبُو - وَهُوَ الَّذِي ظَنَ يَوْسُفَ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا: «أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ يَعْنِي عِنْدَ الْمَلِكِ، وَاخْبِرْهُ أَنِّي مُحْبَسٌ ظُلْمًا، فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ»، غَفْلَةً عَرَضَتْ لِيُوسُفَ مِنْ قَبْلِ الشَّيْطَانِ.

فَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ الضَّبْعِيُّ، عَنْ بَسْطَامِ بْنِ مُسْلَمٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: قَالَ يَوْسُفُ لِلْسَّاقِي: أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ، قَالَ: قِيلَ: يَا يَوْسُفَ، اتَّخَذْتَ مِنْ دُونِي وَكَيْلًا! لِأَطِيلَنَّ حَبْسُكَ قَالَ: فَبَكَى يَوْسُفُ وَقَالَ: يَا رَبِّ أَنْسَى قَلْبِي كَثْرَةَ الْبُلُوِّ فَقُلْتُ كَلِمَةً، فَوَيْلٌ لِإِخْوَتِي! حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَمْرُو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: [قَالَ النَّبِيُّ ص: لَوْ لَمْ يَقُلْ يَوْسُفَ - يَعْنِي الْكَلِمَةَ الَّتِي قَالَ - مَا لَبِثَ فِي السَّجَنِ طَوْلًا مَا لَبِثَ حَيْثُ يَبْتَغِي الْفَرَجَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ].

فَلَبِثَ فِي السَّجَنِ، فِيمَا حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عِمْرَانُ أَبُو الْهَذِيلِ الصَّنَعَانِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ وَهْبًا

يقول: أصاب أيوب البلاء سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين، وعذب بختنصر فحول في السباع سبع سنين. ثم إن ملك مصر رأى رؤيا هالته

فحدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو بن محمد، عن أسباط، عن السدي، قال: إن الله عز وجل أرى الملك في منامه رؤيا هالته، فرأى: «سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات»، فجمع السحرة، والكهنة والحازة والقافة، فقصها عليهم، فقالوا:

«أضغات أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما من الفتيين وهو نبو، وأدرك حاجة يوسف بعد أمة، يعني بعد

نسيان: أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون»، يقول: فأطلقون فأرسلوه فأتى يوسف فقال: «أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات»، فإن الملك رأى ذلك في نومه.

فحدثنا ابن وكيع، قال، حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السدي، قال: قال ابن عباس: لم يكن السجن في المدينة، فانطلق الساقى إلى يوسف، فقال: «أفتنا في سبع بقرات سمان» الآيات.

فحدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، «أفتنا في سبع بقرات سمان» فالسمان المخاصيب، والبقرات العجاف هن السنون المحول الجدوب قوله: وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات» أما الخضر فهن السنون المخاصيب، وأما اليابسات فهن الجدوب المحول.

فلما أخبر يوسف نبو بتأويل ذلك، أتى نبو الملك، فأخبره بما قال له يوسف، فعلم الملك أن الذي قال يوسف من ذلك حق، قال: ائتموني به.

فحدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السدي، قال: لما أتى الملك رسوله فأخبره، قال: ائتموني به، فلما أتاه الرسول ودعاه إلى

الملك أبى يوسف الخروج معه، وقال: «ارجع إلى ربك فسله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي يكيدهن عليهن». قال السدي: قال ابن عباس: لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك بشأنه ما زالت في نفس العزيز منه حاجة، يقول: هذا الذي

راود امرأتي فلما رجع الرسول إلى الملك من عند يوسف جمع الملك أولئك النسوة، فقال لهن: ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه! قلن - فيما حدثنا ابن وكيع، قال:

حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السدي قال: لما قال الملك لهن: «ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء»، ولكن امراه العزيز أخبرتنا أنها راودته عن نفسه، ودخل معها البيت، ف قالت امرأة العزيز حينئذ: «الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين» فقال يوسف: ذلك هذا الفعل الذي فعلت من ترديدي رسول الملك بالرسالات التي

أرسلت في شأن النسوة، ليعلم اطفير سيدي «أنني لم أخنه بالغيب في زوجته راعيل، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين». فلما قال ذلك يوسف قال له جبرئيل: ما حدثنا أبو كريب، قال:

حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سمالك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما جمع الملك النسوة، فسلهن: هل راودتن يوسف عن نفسه؟ «قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين قال يوسف: ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين» قال: فقال له جبرئيل:

حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سمالك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما جمع الملك النسوة، فسلهن: هل راودتن يوسف عن نفسه؟ «قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين قال يوسف: ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين» قال: فقال له جبرئيل:

وَلَا يَوْمَ هَمَمْتَ بِهَا؟ فَقَالَ: وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةً بِالسُّوءِ .
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لِلْمَلِكِ عُذْرُ يَوْسُفَ وَأَمَانَتُهُ قَالَ: «اثْبُتْنِي بِهِ أَسْتَخْلِصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا اتَى بِهِ كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ» فَقَالَ يَوْسُفُ
لِلْمَلِكِ:

«اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ» .

فَحَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ:

«اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ» قَالَ: كَانَ لِفِرْعَوْنَ خَزَائِنُ كَثِيرَةٍ غَيْرِ الطَّعَامِ، فَسَلَّمَ سُلْطَانَهُ كُلَّهُ إِلَيْهِ، وَجَعَلَ الْقَضَاءُ إِلَيْهِ أَمْرَهُ، وَقَضَاؤُهُ
نَافِذٌ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُخْتَارِ، عَنْ شَيْبَةَ الضَّبِّيِّ فِي قَوْلِهِ:
«اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ» ، قَالَ: عَلَى حِفْظِ الطَّعَامِ «إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ» يَقُولُ: إِنِّي حَفِيزٌ لَمَّا اسْتَوْدَعْتَنِي، عَلِيمٌ بِسِنِّي الْمَجَاعَةِ، فَوَلَاهُ
الْمَلِكُ ذَلِكَ.

وَقَدْ حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

لَمَّا قَالَ يَوْسُفُ لِلْمَلِكِ: «اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ» قَالَ الْمَلِكُ: قَدْ فَعَلْتُ، فَوَلَاهُ - فِيمَا يَذْكُرُونَ - عَمَلَ إِطْفِيرٍ، وَعَزَلَ
إِطْفِيرٌ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نَصِيبٌ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا
نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» قَالَ: فَذَكَرَ لِي - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ إِطْفِيرَ هَلَكَ فِي تِلْكَ اللَّيَالِي، وَأَنَّ الْمَلِكَ الرِّيَّانَ بْنَ الْوَلِيدِ زَوْجَ يَوْسُفَ امْرَأَةً إِطْفِيرَ
رَاعِيلَ، وَأَنَّهَا حِينَ دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَالَ: أَلَيْسَ هَذَا خَيْرًا مِمَّا كُنْتَ تَرِيدِينَ! قَالَ: فَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا قَالَتْ:

أَيُّهَا الصَّدِيقُ لَا تَلْمَنِي، فَإِنِّي كُنْتُ امْرَأَةً - كَمَا تَرَى - حَسَنَاءَ جَمِيلَةٍ نَاعِمَةٍ، فِي مَلِكٍ وَدُنْيَا، وَكَانَ صَاحِبِي لَا يَأْتِي النِّسَاءَ، وَكُنْتُ كَمَا جَعَلَكَ
اللَّهُ فِي حَسَنِكَ وَهَيْئَتِكَ، فَغَلَبَتْنِي نَفْسِي عَلَى مَا رَأَيْتُ فَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ وَجَدَهَا عِذْرَاءً، وَأَصَابَهَا فَوَلَدَتْ لَهُ رَجُلَيْنِ: أَفْرَاطِمْ بْنَ يَوْسُفَ وَمَنْشَا
بْنَ يَوْسُفَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو، عَنْ أَسْبَاطٍ، عَنْ السُّدِّيِّ:

«وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ» قَالَ:

اسْتَعْمَلَهُ الْمَلِكُ عَلَى مِصْرَ، وَكَانَ صَاحِبَ أَمْرِهَا، وَكَانَ يَلِي الْبَيْعَ وَالتَّجَارَةَ وَأَمْرَهَا كُلَّهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ
يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ» .

فَلَمَّا وَلِيَ يَوْسُفَ لِلْمَلِكِ خَزَائِنَ أَرْضِهِ وَاسْتَقَرَّ بِهِ الْقَرَارُ فِي عَمَلِهِ، وَمَضَتْ السَّنُونَ السَّبْعُ الْمُخَصَّصَةُ الَّتِي كَانَ يَوْسُفُ أَمَرَ بِتَرْكِ مَا فِي سَبِيلِ
مَا حَصَدُوا مِنَ الزَّرْعِ فِيهَا فِيهِ، وَدَخَلَتْ السَّنُونَ الْمَجْدِبَةُ وَحَقَطَ النَّاسُ، أَجْدَبَتْ بِلَادَ فِلَسْطِينَ فِيمَا أَجْدَبَ مِنَ الْبِلَادِ، وَلَحِقَ مَكْرُوهُ ذَلِكَ
أَلَّ يَعْقُوبُ فِي مَوْضِعِهِمُ الَّذِي كَانُوا فِيهِ، فَوَجَّهَ يَعْقُوبُ بَنِيهِ.

فَحَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو، عَنْ أَسْبَاطٍ، عَنْ السُّدِّيِّ، قَالَ:

أَصَابَ النَّاسَ الْجُوعُ حَتَّى أَصَابَ بِلَادَ يَعْقُوبَ الَّتِي هُوَ بِهَا، فَبَعَثَ بَنِيهِ إِلَى مِصْرَ، وَأَمْسَكَ أَخَا يَوْسُفَ بَنِيَامِينَ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يَوْسُفَ
عَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِمْ قَالَ: أَخْبِرُونِي: مَا أَمْرُكُمْ؟ فَإِنِّي أَنْكَرُ شَأْنَكُمْ! قَالُوا: نَحْنُ قَوْمٌ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكُمْ؟
قَالُوا: جِئْنَا نَمْتَارُ طَعَامًا، قَالَ: كَذَبْتُمْ، أَنْتُمْ عَيُونَ! كَمْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: عَشْرَةٌ، قَالَ: أَنْتُمْ عَشْرَةُ آلَافٍ، كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ أَمِيرُ آلَافٍ فَأَخْبِرُونِي
خَبْرَكُمْ، قَالُوا: إِنَّا إِخْوَةٌ، بَنُو رَجُلٍ صَدِيقٍ، وَإِنَّا كَمَا اثْنِي عَشَرَ، وَكَانَ أَبُونَا يُحِبُّ أَخَا لَنَا، وَإِنَّهُ ذَهَبَ مَعَنَا إِلَى الْبَرِيَّةِ فَهَلَكَ فِيهَا، وَكَانَ أَحْبَبْنَا
إِلَى أَبِينَا قَالَ: فَإِلَى مَنْ سَكَنَ أَبُوكُمْ بَعْدَهُ؟ قَالُوا: إِلَى أَخٍ لَنَا أَصْغَرَ مِنْهُ قَالَ: فَكَيْفَ تَخْبِرُونَنِي أَنَّ أَبَاكُمْ صَدِيقٌ وَهُوَ يُحِبُّ الصَّغِيرَ مِنْكُمْ
دُونَ الْكَبِيرِ! اثْبُتْنِي بِأَخِيكُمْ هَذَا حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ: «فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا يَكِلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ»

قَالَ: فَضَعُوا بَعْضُكُمْ رَهِينَةً حَتَّى تَرْجِعُوا، فَوَضَعُوا شَمْعُونَ وَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: كَانَ يُوسُفُ حِينَ رَأَى مَا أَصَابَ النَّاسَ مِنَ الْجَهْدِ قَدْ آسَى بَيْنَهُمْ، فَكَانَ لَا يَحْمِلُ لِلرَّجُلِ إِلَّا بَعِيرًا وَاحِدًا، وَلَا يَحْمِلُ الْوَاحِدَ بَعِيرَيْنِ تَقْسِيطًا بَيْنَ النَّاسِ، وَتَوْسِيعًا عَلَيْهِمْ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ إِخْوَتُهُ فِيمَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ يَلْتَمِسُونَ الْمِيرَةَ مِنْ مِصْرَ، فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ لِمَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَبْلُغَ يُوْسُفَ فِيمَا أَرَادَ ثُمَّ أَمَرَ يُوسُفَ بَانَ يُوقِرُ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَتِهِ بَعِيرَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: ائْتُونِي بِأَخِيكُمْ مِنْ أَيْكُمْ، لِأَحْمِلَ لَكُمْ بَعِيرًا آخَرَ، فَتَزْدَادُوا بِهِ حَمْلَ بَعِيرٍ: «أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ» فَلَا ابْجُسُهُ أَحَدًا، «وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ» وَأَنَا خَيْرٌ مِنْ أَنْزَلَ ضَيْفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنَ النَّاسِ بِهَذِهِ الْبَلَدَةِ، فَأَنَا أَضْيَفُكُمْ «فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي» بِأَخِيكُمْ مِنْ أَيْكُمْ فَلَا طَعَامَ لَكُمْ عِنْدِي أَكْلَهُ، وَلَا تَقْرَبُوا بِلَادِي.

وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ الَّذِينَ يَكُونُ الطَّعَامَ لَهُمْ: «اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ» وَهِيَ ثَمَنُ الطَّعَامِ الَّذِي اشْتَرَوْهُ بِهِ- فِي رِحَالِهِمْ. حَدَّثَنَا بَشْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ: «اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ»، أَيِ وَرَقِهِمْ، فَجَعَلُوا ذَلِكَ فِي رِحَالِهِمْ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

فَلَمَّا رَجَعَ بَنُو يَعْقُوبَ إِلَى آبِيهِمْ، قَالُوا: مَا حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ وَكَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو، عَنْ أَصْبَاطٍ، عَنْ السَّيِّدِيِّ: فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى آبِيهِمْ قَالُوا: يَا أَبَانَا، إِنْ مَلَكَ مِصْرَ أَكْرَمَنَا كِرَامَةً، لَوْ كَانَ رَجُلًا مِنْ وَلَدِ يَعْقُوبَ مَا أَكْرَمَنَا كِرَامَتَهُ، وَإِنَّهُ ارْتَهَنَ شَمْعُونَ وَقَالَ: ائْتُونِي بِأَخِيكُمْ هَذَا الَّذِي عَطَفَ عَلَيْهِ أَبُوكُمْ بَعْدَ أَخِيكُمْ الَّذِي هَلَكَ، فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا يَكِلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُوا بِلَادِي أَبَدًا. قَالَ يَعْقُوبُ: «هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْنُتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ يَعْقُوبُ: إِذَا أَتَيْتُمْ مَلِكَ مِصْرَ فَأَقْرَءُوهُ مِنِّي السَّلَامَ وَقُولُوا لَهُ: إِنْ أَبَانَا يَصِلِي عَلَيْكَ، وَيَدْعُو لَكَ بِمَا أَوْلَيْتَنَا.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: خَرَجُوا حَتَّى إِذَا قَدَمُوا عَلَى آبِيهِمْ، وَكَانَ مَنْزِلُهُمْ- فِيمَا ذَكَرَ لِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ- بِالْعَرَبَاتِ مِنْ أَرْضِ فِلَسْطِينَ بِغُورِ الشَّامِ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: بِالْأَوْلَاجِ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّعْبِ أَسْفَلَ مِنْ حُسْمِيِّ فِلَسْطِينَ، وَكَانَ صَاحِبُ بَادِيَةٍ، لَهُ إِبِلٌ وَشَاءَ فَلَمَّا رَجَعَ إِخْوَةُ يُوسُفَ إِلَى وَالِدِهِمْ يَعْقُوبَ قَالُوا لَهُ: يَا أَبَانَا مَنَعَ مِنَّا الْكَيْلَ فَوْقَ حَمْلِ أَبَا عَرْنَا، وَلَمْ يَكِلْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَّا كَيْلَ بَعِيرٍ، فَأَرْسَلَ مَعَنَا أَخَانَا بَنِيَامِينَ يَكِلُ لِنَفْسِهِ، وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ، فَقَالَ لَهُمْ يَعْقُوبُ: «هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْنُتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».

وَلَمَّا فَتَحَ وَلَدُ يَعْقُوبَ الَّذِينَ كَانُوا خَرَجُوا إِلَى مِصْرَ لِلْمِيرَةِ مَتَاعَهُمْ الَّذِي قَدَمُوا بِهِ مِنْ مِصْرَ، وَجَدُوا ثَمَنَ طَعَامِهِمْ الَّذِي اشْتَرَوْهُ بِهِ رَدَّ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَوَالِدِهِمْ:

«يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتَنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ» آخِرَ عَلَى أَحْمَالِ إِبِلِنَا.

وَقَدْ حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُجَّاجٌ، عَنْ

ابْنِ جَرِيْجٍ، «وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ»، قَالَ: كَانَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ حَمْلُ بَعِيرٍ، فَقَالُوا: أَرْسَلَ مَعَنَا أَخَانَا نَزْدَادُ حَمْلَ بَعِيرٍ قَالَ ابْنُ جَرِيْجٍ: قَالَ مُجَاهِدٌ: كَيْلَ بَعِيرٍ حَمْلُ حِمَارٍ قَالَ: وَهِيَ لُغَةٌ، قَالَ الْحَارِثُ: قَالَ الْقَاسِمُ: يَعْنِي مُجَاهِدٌ أَنَّ الْحِمَارَ يُقَالُ لَهُ فِي بَعْضِ اللُّغَاتِ بَعِيرٌ.

فَقَالَ يَعْقُوبُ: «لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ» يَقُولُ: إِلَّا أَنْ تَهْلِكُوا جَمِيعًا، فَيَكُونُ حِينَئِذٍ ذَلِكَ لَكُمْ عَذْرَا عِنْدِي، فَلَمَّا وَثَقُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ قَالَ يَعْقُوبُ: «اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ».

ثُمَّ أَوْصَاهُمْ بَعْدَ مَا إِذْنٌ لِأَخِيهِمْ مِنْ آبِيهِمْ بِالرَّحِيلِ مَعَهُمْ، أَلَّا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ خَوْفًا عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَيْنِ، وَكَانُوا ذَوِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ، وَجَمَالٍ وَهَيْئَةٍ، وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ، كَمَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ:

«وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ»، قَالَ: كَانُوا قَدْ أَوْتُوا صُورَةً وَجَمَالًا، نَفْثِي عَلَيْهِمْ أَنْفُسَ النَّاسِ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ

حَيْثُ أَمَرَهُمْ آبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ، وكانت الحاجة التي في نفس يعقوب فقضاها ما تخوف على أولاده أعين الناس لهيئتهم وجمالهم.

ولما دخل إخوة يوسف على يوسف ضم إليه أخاه لأبيه وأمه، حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو، عَنْ أُسْبَاطٍ، عَنِ السُّدِّيِّ: «وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ» ، قَالَ: عرف أخاه، وأنزلهم منزلاً، وأجرى عليهم الطعام والشراب، فلما كان الليل جاءهم بمثل فقال: لينم كل أخوين

منكم على مثال، فلما بقي الغلام وحده قَالَ يوسف: هذا ينام معي على فراشي، فبات معه، فجعل يوسف يشم ريحه، ويضمه إليه حتى أصبح، وجعل روبيل يقول: ما رأينا مثل هذا إن نجونا منه.

وأما ابن إسحاق فإنه قَالَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: لما دخلوا- يعني ولد يعقوب- على يوسف قالوا: هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به، قد جئناك به فذكر لي أنه قَالَ لهم: قد أحسنتم وأصبتم، وستجدون جزاء ذلك عندي، أو كما قَالَ. ثم قَالَ: إني أراكم رجالاً، وقد أردت أن أكرمكم، فدعا صاحب ضيافته فقال: أنزل كل رجلين على حدة، ثم أكرمهما وأحسن ضيافتهما.

ثم قَالَ: إني أرى هذا الرجل الذي جئتم به ليس معه ثان، فسأضمه إلي فيكون منزله معي، فأنزلهم رجلين رجلين في منازل شتى، وأنزل أخاه معه فأواه إليه، فلما خلا به قَالَ: إني أنا أخوك أنا يوسف فلا تبتئس بشيء فعلوه بنا فيما مضى، فإن الله قد أحسن إلينا فلا تعلمهم مما أعلمتكم، يقول الله عز وجل:

«وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئَسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» ، يقول له: «فَلَا تَبْتَئَسْ» ، فلا تحزن. فلما حمل يوسف إبل إخوته ما حملها من الميرة وقضى حاجتهم ووفاهم كيلهم، جعل الإناء الذي كان يكيل به الطعام- وهو الصواع- في رحل أخيه بنيامين.

- حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَفَّانٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ الْحَسَنِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: الصَّوَاعُ وَالسَّقَايَةُ سَوَاءٌ، هُمَا الْإِنَاءُ الَّذِي يَشْرَبُ فِيهِ، وَجَعَلَ ذَلِكَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ، وَالْأَخُ لَا يَشْعُرُ فِيهِمَا ذَكَرَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو، عَنْ أُسْبَاطٍ، عَنِ السُّدِّيِّ:

«فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ» ، والأخ لا يشعر، فلما ارتحلوا أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ قَبْلَ أَنْ تَرْتَحِلَ الْعِيرُ: «إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ» حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حمل لهم بعيراً بعيراً، وحمل لأخيه بنيامين بعيراً باسمه كما حمل لهم، ثم أمر بسقاية الملك- وهو الصواع- وزعموا أنها كانت من فضة، فجعلت في رحل أخيه بنيامين، ثم أهلهم حتى إذا انطلقوا فأمنعوا من القرية، أمر بهم فأدركوا واحتبسوا، ثم نادى مناد: «أَيُّهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ» ، قفوا وانتهى إليهم رسوله فقال لهم- فيما يذكرون-: ألم نكرم ضيافتكم، ونوفكم كيلكم، ونحسن منزلكم، ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم، وأدخلناكم علينا في بيوتنا، وصار لنا عليكم حرمة! أو كما قَالَ لهم قَالُوا: بلى، وما ذاك؟ قَالَ: سقاية الملك فقدناها، ولا يتهموا عليها غيركم قَالُوا: «تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمْ لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ» وكان مجاهد يقول كانت العير حميراً.

حَدَّثَنِي بِذَلِكَ الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفِيَانٌ، قَالَ: أخبرني رجل، عن مجاهد: وكان فيما نادى به منادي يوسف: من جاء بصواع الملك فله حملٌ بغيرٍ من الطعام، وَأَنَا بِإِيْفَائِهِ ذَلِكَ رَعِيمٌ- يعني كفيل- وَإِنَّمَا قَالَ الْقَوْمُ: «لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمْ لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ» ، لأنهم ردوا ثمن الطعام الذي كان يكيل لهم المرة الأولى في رحالهم فردوه إلى يوسف، فقالوا: لو كنا سارقين لم نردد ذلك إليك- وقيل إنهم كانوا معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم، فلذلك قَالُوا ذلك- فقيل لهم: فما جزاء من كان سرق ذلك؟ فقالوا: جزاؤه في حكمنا بأن يسلم لفعله ذلك إلى من سرقه حتى يسترقه.

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو، عَنْ أُسْبَاطٍ، عَنِ السُّدِّيِّ، قَالَ: «قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ» تَأْخُذُونَهُ، فَهُوَ لَكُمْ فَبَدَأَ يُوسُفُ بِأَوْعِيَةِ الْقَوْمِ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ بَنِيَامِينَ، فَفَتَشَهَا ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ لِأَنَّهُ آخِرُ تَفْتِيشِهِ. حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْجٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: ذَكَرْنَا أَنَّهُ كَانَ لَا يَنْظُرُ فِي وَعَاءٍ إِلَّا اسْتَغْفَرَ اللَّهَ تَأْتِمًا مِمَّا قَرَفَهُمْ بِهِ، حَتَّى بَقِيَ أَخُوهُ- وَكَانَ أَصْغَرَ الْقَوْمِ- قَالَ: مَا أَرَى هَذَا أَخْذَ شَيْئًا قَالُوا: بَلَى فَاسْتَبْرِئْهُ، أَلَا وَقَدْ عَلِمُوا حَيْثُ وَضَعُوا سِقَايَتَهُمْ.

«ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ»، يَعْنِي فِي حَكْمِ الْمَلِكِ، مَلِكِ مِصْرَ، وَقَضَائِهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ حَكْمِ ذَلِكَ الْمَلِكِ وَقَضَائِهِ أَنْ يَسْتَرْقِ السَّارِقَ بِمَا سَرَقَ، وَلَكِنَّهُ أَخْذَهُ بِكَيْدِ اللَّهِ لَهُ حَتَّى أَسْلَمَهُ رَفَقَاؤُهُ وَإِخْوَتَهُ بِحَكْمِهِمْ عَلَيْهِ وَطِيبَ أَنْفُسَهُمْ بِالتَّسْلِيمِ.

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: قَوْلُهُ «مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ» إِلَّا بِلَعْلَةٍ كَادَهَا اللَّهُ لَهُ، فَاعْتَلَّ بِهَا يُوسُفُ، فَقَالَ أَخُوهُ يُوسُفُ حِينَئِذٍ:

«إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لِي مِنْ قَبْلُ» - يَعْنُونَ بِذَلِكَ يُوسُفَ وَقَدْ قِيلَ إِنَّ يُوسُفَ كَانَ سَرَقَ صِنْمًا لَجَدَهُ أَبِي أُمِّهِ، فَكَسَرَهُ، فَعَيَّرُوهُ بِذَلِكَ. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو الْبَصْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَيْضُ بْنُ الْفَضْلِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَسْعَرٌ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ: «إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لِي مِنْ قَبْلُ»، قَالَ: سَرَقَ يُوسُفَ صِنْمًا لَجَدَهُ أَبِي أُمِّهِ فَكَسَرَهُ وَأَلْقَاهُ فِي الطَّرِيقِ، فَكَانَ إِخْوَتُهُ يَعْيُونَهُ بِذَلِكَ وَقَدْ حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي قَالَ: كَانَ بَنُو يَعْقُوبَ عَلَى طَعَامٍ، إِذْ نَظَرَ يُوسُفُ إِلَى عَرَقِ نَجْبَاءٍ فَعَيَّرُوهُ بِذَلِكَ «إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لِي مِنْ قَبْلُ»، فَأَسْرَفَ فِي نَفْسِهِ يُوسُفَ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ» بِهِ أَخَا بَنِيَامِينَ مِنَ الْكَذِبِ، وَلَمْ يَبْدِ ذَلِكَ لَهُمْ قَوْلًا.

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو، عَنْ أُسْبَاطٍ، عَنِ السُّدِّيِّ، قَالَ: لَمَّا اسْتَخْرَجْتَ السَّرْقَةَ مِنْ رَحْلِ الْغَلَامِ انْقَطَعَتْ ظُهُورُهُمْ، وَقَالُوا: يَا بَنِي رَاحِيلَ، مَا يَزَالُ لَنَا مِنْكُمْ بَلَاءٌ! مَتَى أَخَذْتَ هَذَا الصَّوَاعَ؟ فَقَالَ بَنِيَامِينَ: بَلْ بَنُو رَاحِيلَ الَّذِينَ لَا يَزَالُ لَهُمْ مِنْكُمْ بَلَاءٌ، ذَهَبْتُمْ بِأَخِي فَأَهْلَكْتُمُوهُ فِي الْبَرِيَّةِ، وَضَعَ هَذَا الصَّوَاعَ فِي رَحْلِي الَّذِي وَضَعَ الدَّرَاهِمَ فِي رِحَالِكُمْ فَقَالُوا: لَا تَذْكُرِ الدَّرَاهِمَ فَتَوْخِذَ بِهَا فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ دَعَا بِالصَّوَاعِ، فَفَقَّرَ فِيهِ ثُمَّ أَدْنَاهُ مِنْ أُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ صَوَاعِي هَذَا لِيُخْبِرُنِي أَنْكُمْ كُنْتُمْ اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا، وَأَنْكُمْ انْطَلَقْتُمْ بِأَخٍ لَكُمْ فَبِعْتُمُوهُ فَلَمَّا سَمِعَهَا بَنِيَامِينَ قَامَ فَسَجَدَ لِيُوسُفَ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، سَلْ صَوَاعِكَ هَذَا عَنْ أَخِي أَيْنَ هُوَ؟ فَفَقَّرَهُ، ثُمَّ قَالَ: هُوَ حَيٌّ، وَسَوْفَ تَرَاهُ قَالَ: فَاصْنَعْ بِي مَا شِئْتَ، فَإِنَّهُ إِنْ عَلِمَ بِي فَسَوْفَ يَسْتَنْقِذَنِي قَالَ:

فَدَخَلَ يُوسُفَ فَبَكَى ثُمَّ تَوَضَّأَ، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ بَنِيَامِينَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَضْرِبَ صَوَاعِكَ هَذَا فَيُخْبِرَكَ بِالْحَقِّ مِنَ الَّذِي سَرَقَهُ فَبَعْلَهُ فِي رَحْلِي فَفَقَّرَهُ، فَقَالَ: إِنَّ صَوَاعِي هَذَا غَضْبَانٌ، وَهُوَ يَقُولُ: كَيْفَ تَسْأَلُنِي: مَنْ صَاحِبِي؟

فَقَدْ رَأَيْتَ مَعَ مَنْ كُنْتَ! قَالُوا: وَكَانَ بَنُو يَعْقُوبَ إِذَا غَضِبُوا لَمْ يَطَاقُوا، فَغَضِبَ رُوَيْلٌ وَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، وَاللَّهِ لَتَتَرَكَا أَوْ لِأَصِيحْنَ صِيحَةً لَا تَبْقَى بِمِصْرَ حَامِلٌ إِلَّا أَلْقَيْتَ مَا فِي بَطْنِهَا، وَقَامَتْ كُلُّ شَعْرَةٍ فِي جَسَدِ رُوَيْلٍ، فَخَرَجَتْ مِنْ ثِيَابِهِ فَقَالَ يُوسُفُ لِابْنَتِهِ: قُمْ إِلَى جَنْبِ رُوَيْلٍ فَهِيَ- وَكَانَ بَنُو يَعْقُوبَ إِذَا غَضِبَ أَحَدُهُمْ فَهِيَ الْآخِرُ ذَهَبَ غَضَبُهُ- فَقَالَ رُوَيْلٌ: مَنْ

هَذَا؟ إِنْ فِي هَذَا الْبَلَدِ لَبَزْرًا مِنْ بَزْرِ يَعْقُوبَ، فَقَالَ يُوسُفُ: مَنْ يَعْقُوبُ؟

فَغَضِبَ رُوَيْلٌ وَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، لَا تَذْكُرْ يَعْقُوبَ فَإِنَّهُ إِسْرَائِيلُ اللَّهِ بْنِ ذَيْبِ اللَّهِ بْنِ خَلِيلِ اللَّهِ قَالَ يُوسُفُ: أَنْتَ أَذِنَ كُنْتَ صَادِقًا. قَالَ: وَلَمَّا احْتَبَسَ يُوسُفَ أَخَاهُ بَنِيَامِينَ، فَصَارَ بِحَكْمِ إِخْوَتِهِ أَوْلَى بِهِ مِنْهُمْ، وَرَأَوْا أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى تَخْلِيصِهِ صَارُوا إِلَى مَسْأَلَتِهِ تَخْلِيَتَهُ بِبَذْلِ مَنْهُمْ يَعْطُونَهُ إِيَّاهُ، فَقَالُوا: «يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا نَحْنُ أَحَدُنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» فِي أَفْعَالِكَ فَقَالَ لَهُمْ يُوسُفُ:

«مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ» أن تأخذ بريثا بسقيم! فلما يئس إخوة يوسف من إجابة يوسف إياهم إلى ما سألوا من إطلاق أخيه بنيامين وأخذ بعضهم مكانه، خلصوا نجيا لا يفترق منهم أحد، ولا يختلط بهم غيرهم فقال كبيرهم: - وهو روبيل، وقد قيل إنه شمعون:-

ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله أن نأتيه بأخي بنا بنيامين إلا أن يحاط بنا أجمعين! ومن قبل هذه المرة ما فرطتم في يوسف «فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ» التي أنا بها «حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي» في الخروج منها وترك أخي بنيامين بها «أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ» - وقد قيل معنى ذلك: أو يحكم الله لي بحرب من منعي من الانصراف بأخي- «ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ» ، فأسلمناه بجريرته، «وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا» ، لأن صواع الملك لم يوجد إلا في رحله، «وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ» ، يعنون بذلك أنا إنما ضمنا لك أن نحفظه مما لنا إلى حفظه

سبيل، ولم نكن نعلم أنه يسرق فيسترق بسرقة واسأل أهل القرية التي كنا فيها فسرق ابنك فيها، والقافلة التي كنا فيها مقبلة من مصر معنا عن خبر ابنك، فإنك تخبر بحقيقة ذلك. فلما رجعوا إلى أبيهم فأخبروه خبر بنيامين، وتخلف روبيل قَالَ لَهُم:

بل سولت لكم انفسكم امرا أردتموه، فصبر جميل لا جزع فيه على ما نالني من فقد ولدي، عسى الله أن يأتيني بهم جميعا بيوسف وأخيه وروبييل.

ثم أعرض عنهم يعقوب وقال: «يَا أَسْفَى عَلَى يَوْسُفَ» يقول الله عز وجل: «وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ» ، مملوء من الحزن والغىظ.

فقال له بنوه الذين انصرفوا إليه من مصر حين سمعوا قوله ذلك: تالله لا تزال تذكر يوسف فلا تفتر من حبه وذكره حتى تكون دنف الجسم، محبول العقل من حبه وذكره، هرما باليا او تموت! فأجابهم يعقوب فقال: «مَا أَشْكُوا بَنِيَّ وَحَزَنِي إِلَى اللَّهِ لَا إِلَيْكُمْ» ، أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

من صدق رؤيا يوسف، أن تأويلها كائن، وأني وأنتم سنسجد له.

وَقَدْ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَكَّامٌ، عَنْ عِيسَى بْنِ يَزِيدَ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: قِيلَ: مَا بَلَغَ وَجْدُ يَعْقُوبَ عَلَى ابْنِهِ؟ قَالَ: وَجْدُ سَبْعِينَ ثَكْلَى، قَالَ: فَمَا كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ؟ قَالَ: أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ، قَالَ:

وَمَا سَاءَ ظَنُّهُ بِاللَّهِ سَاعَةً قَطُّ مِنْ لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ.

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ مَرَّةً أُخْرَى، قَالَ: حَدَّثَنَا حَكَّامٌ، عَنْ أَبِي مُعَاذٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنِ النَّبِيِّ ص مِثْلَهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنِ الْمُبَارَكِ بْنِ مُجَاهِدٍ، عَنِ رَجُلٍ مِنَ الْأَزْدِ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مَصْرَفٍ الْيَامِي، قَالَ: انبَثَّ ابْنُ يَعْقُوبَ ابْنُ إِسْحَاقَ دَخَلَ عَلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ: يَا يَعْقُوبَ، مَا لِي أَرَاكَ قَدْ انْهَشَمْتَ

وفيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك؟ قَالَ: هَشَمَنِي وَأَفْنَانِي مَا ابْتَلَانِي اللَّهُ بِهِ مِنْ هَمِّ يَوْسُفَ وَذَكَرِهِ فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: يَا يَعْقُوبَ أَتَشْكُونِي إِلَى خَلْقِي! قَالَ: يَا رَبِّ خَطِيئَةٌ أَخْطَأْتُهَا فَاعْفُ رَحْمَةً لِي قَالَ: فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَكَ، فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا سَثَلَ قَالَ: «مَا أَشْكُوا بَنِيَّ وَحَزَنِي إِلَى اللَّهِ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

« حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْأَمَلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: كَانَ مِنْذُ خَرَجَ يَوْسُفَ مِنْ عِنْدِ يَعْقُوبَ إِلَى أَنْ رَجَعَ ثَمَانُونَ سَنَةً لَمْ يَفَارِقِ الْحُزْنَ قَلْبَهُ، وَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهُ قَالَ الْحَسَنُ: وَاللَّهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ خَلِيقَةٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ يَعْقُوبَ.

ثم أمر يعقوب بنيه الذين قدموا عليه من مصر بالرجوع إليها وتحسس الخبر عن يوسف وأخيه، فقال لهم: اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تئسوا من روح الله يفرج به عنا وعنكم الغم الذي نحن فيه فرجعوا إلى مصر فدخلوا على يوسف فقالوا له حين دخلوا عليه:

«أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلُنَا الضُّرَّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُرْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ

« وكانت بضاعتهم المزجاة التي جاءوا بها معهم - فيما ذكر - دراهم ردية زيوفا لا تؤخذ إلا بوضيعة وكان بعضهم يقول: كانت حلق الغرارة والحبل ونحو ذلك وقال بعضهم: كانت سمنًا وصوفًا وقال بعضهم: كانت صنوبرًا وحب الخضر وقال بعضهم: كانت قليلة دون ما كانوا يشترون به قبل، فسألوا يوسف أن يتجاوز لهم ويوفهم بذلك من كيل الطعام مثل الذي كان يعطيهم في المرتين قبل ذلك، ولا ينقصهم فقالوا له: «فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ»

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو، عن اسباط، عن السدي: «وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا»، قال: بفضل ما بين الجياد والردية وقد قيل: إن معنى ذلك: وتصدق علينا برد أخينا إلينا «إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ» حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال:

ذكر أنهم لما كلموه بهذا الكلام، غلبته نفسه فافرض دمه باكيًا، ثم باح لهم بالذي كان يكتُم منهم، فقال: «هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ» ولم يعن بذكر أخيه ما صنعته هو فيه حين أخذه، ولكن التفريق بينه وبين أخيه إذ صنعوا بيوسف ما صنعوا فلما قال لهم يوسف ذلك قالوا له: ها أنت يوسف! قال: «أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بَأَنْ جَمَعَ بَيْنَنَا بَعْدَ تَفْرِيقِكُمْ بَيْنَنَا، إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» .

حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السدي، قال: لما قال لهم يوسف: «أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي اعْتَذِرُوا وَقَالُوا: تَاللَّهِ لَقَدْ أَثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ» قال لهم يوسف: «لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» فلما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن أبيه.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو، عن اسباط، عن السدي، قال: قال يوسف: ما فعل أبي بعدي؟ قالوا: لما فاته بنيامين عمي من الحزن فقال: «أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْتَقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بِصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ» غير بني يعقوب، قال يعقوب: «إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ» .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: حدثني ابن شريح، عن أبي أيوب الهوزني، حدثه، قال: استأذنت الريح بأن تأتي يعقوب بريح يوسف حين بعث بالقميص إلى أبيه قبل أن يأتيه البشير، ففعلت، فقال يعقوب: «إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفْنِدُونِ» .

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن ابن سنان، عن ابن أبي الهذيل، عن ابن عباس في «وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ قَالَ: هَاجَتْ رِيحٌ جَاءَتْ بِرِيحِ يُوسُفَ مِنْ مَسِيرَةِ ثَمَانِ لَيَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفْنِدُونِ» حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال، حدثنا سعيد عن قتادة، عن الحسن، قال: ذكر لنا أنه كان بينهما يومئذ ثمانون فرسخًا، يوسف بأرض مصر ويعقوب بأرض كنعان، وقد أتى لذلك زمان طويل.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريج قوله: «إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ» قال: بلغنا أنه كان بينهم يومئذ ثمانون فرسخًا، وقال: «إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ» وقد كان فارقه قبل ذلك سبعا وسبعين سنة ويعني بقوله: «لَوْلَا أَنْ تُفْنِدُونِ» لولا أن تسفهوني فتنسبوني إلى الهرم وذهاب العقل فقال له من حضره من ولده حينئذ: تَاللَّهِ إِنَّكَ مِنْ ذِكْرِ يُوسُفَ وَحَبِّهِ «لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ» - يعنون في خطئك القديم.

«فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ» - يعني البريد الذي أبرده يوسف إلى يعقوب - يبشر بحياة يوسف وخبره، وذكر أن البشير كان يهوذا بن يعقوب.

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو، عَنْ أَصْبَاطٍ، عَنْ السَّيِّدِ، قَالَ:

قَالَ يَوْسُفُ: «أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بِصَبْرٍ وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ» قَالَ يَهُوذَا: أَنَا ذَهَبْتُ بِالْقَمِيصِ مَلْطَخًا بِالْدمِ إِلَى يَعْقُوبَ فَأَخْبَرْتَهُ أَنَّ يَوْسُفَ أَكَلَهُ الذَّئْبَ، وَأَنَا أَذْهَبُ الْيَوْمَ بِالْقَمِيصِ فَأُخْبِرُهُ بِأَنَّهُ حَيٌّ، فَأَقْرَعَ عَيْنَهُ كَمَا أَحْزَنَتْهُ، فَهُوَ كَانَ الْبَشِيرَ. فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ يَعْقُوبَ بِقَمِيصِ يَوْسُفَ الْقَاهِ عَلَى وَجْهِهِ، فَعَادَ بِصَبْرٍ بَعْدَ الْعَمَى، فَقَالَ لِأَوْلَادِهِ: «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ».

وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ عَلِمَ - مِنْ صَدَقِ تَأْوِيلِ رُؤْيَا يَوْسُفَ الَّتِي رَأَاهَا أَنَّ الْأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالْقَمَرَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ سَاجِدُونَ - مَا لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ فَقَالُوا لِيَعْقُوبَ:

«يَا أَبَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ» فَقَالَ لَهُمْ يَعْقُوبُ: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي» قِيلَ: إِنَّهُ أَخَّرَ الدَّعَاءَ لَهُمْ إِلَى السَّحَرِ وَقِيلَ إِنَّهُ أَخَّرَ ذَلِكَ إِلَى لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ.

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ التِّرْمِذِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدِّمَشْقِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ وَعِكْرَمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: قَالَ يَعْقُوبُ: «سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي»]، يَقُولُ: حَتَّى تَأْتِيَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ].

فَلَمَّا دَخَلَ يَعْقُوبُ وَوَلَدُهُ وَأَهْلِيهِمْ عَلَى يَوْسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ، وَكَانَ دُخُولُهُمْ عَلَيْهِ قَبْلَ دُخُولِهِمْ مِصْرَ - فِيمَا قِيلَ - لِأَنَّ يَوْسُفَ تَلَقَّاهُمْ حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو، عَنْ أَصْبَاطٍ، عَنْ السَّيِّدِ، قَالَ: حَمَلُوا إِلَيْهِ أَهْلِيهِمْ وَعِيَالَهُمْ، فَلَمَّا بَلَغُوا مِصْرَ كَلَّمَ يَوْسُفَ الْمَلِكَ الَّذِي فَوْقَهُ نَفْرَجٌ هُوَ وَالْمَلِكُ يَتَلَقَوْنَهُمْ، فَلَمَّا بَلَغُوا مِصْرَ قَالَ: «ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ».

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يَوْسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ فَرْقَدِ السَّبَخِيِّ، قَالَ: لَمَّا أَلْقَى الْقَمِيصَ عَلَى وَجْهِهِ ارْتَدَّ بِصَبْرٍ، وَقَالَ: ائْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ، فَحَمَلَ يَعْقُوبَ وَإِخْوَةَ يَوْسُفَ، فَلَمَّا دَنَا يَعْقُوبَ أَخْبَرَ يَوْسُفَ أَنَّهُ قَدْ دَنَا مِنْهُ، فَفَرَجَ يَتَلَقَاهُ قَالَ: وَرَكِبَ مَعَهُ أَهْلُ مِصْرَ - وَكَانُوا يَعْظُمُونَهُ - فَلَمَّا دَنَا أَحَدَهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ - وَكَانَ يَعْقُوبَ يَمْشِي وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ وَلَدِهِ، يَقَالُ لَهُ يَهُوذَا - قَالَ: فَظَنَرَ يَعْقُوبَ إِلَى الْخَلِيلِ وَالنَّاسِ، فَقَالَ: يَا يَهُوذَا، هَذَا فِرْعَوْنُ مِصْرَ، فَقَالَ: لَا، هَذَا ابْنُكَ يَوْسُفَ، قَالَ: فَلَمَّا دَنَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ ذَهَبَ يَوْسُفَ يَدُوهُ بِالسَّلَامِ، فَفَنَعَ ذَلِكَ، وَكَانَ يَعْقُوبَ أَحَقَّ بِذَلِكَ مِنْهُ وَأَفْضَلُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَذْهَبَ الْأَحْزَانِ، فَلَمَّا أَنْ دَخَلُوا مِصْرَ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى السَّرِيرِ وَأَجْلَسَهُمَا عَلَيْهِ.

وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي الَّذِينَ رَفَعَهُمَا يَوْسُفَ عَلَى الْعَرْشِ، وَأَجْلَسَهُمَا عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ أَحَدُهُمَا أَبُوهُ يَعْقُوبَ، وَالْآخَرُ أُمُّهُ رَاحِيلُ وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ كَانَ الْآخَرُ خَالَتُهُ لِيَا وَكَانَتْ أُمُّهُ رَاحِيلُ قَدْ كَانَتْ مَاتَتْ قَبْلَ ذَلِكَ وَخَرَلَ يَعْقُوبَ وَأُمُّهُ وَوُلِدَ يَعْقُوبَ سَجْدًا. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ:

«وَحَرَّوْا لَهُ سَجْدًا» قَالَ: كَانَتْ تَحِيَّةُ النَّاسِ أَنْ يَسْجُدَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَقَالَ يَوْسُفَ لِأَبِيهِ: «يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا»، يَعْنِي بِذَلِكَ: هَذَا السُّجُودَ مِنْكُمْ، يَدُلُّ عَلَى تَأْوِيلِ رُؤْيَايَ الَّتِي رَأَيْتُهَا مِنْ قَبْلُ، صَنَعَ اخْوَتِي بِي مَا صَنَعُوا، وَتِلْكَ الْكَوَاكِبُ الْأَحَدَ عَشَرَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ «قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا» يَقُولُ: قَدْ حَقَّقَ الرُّؤْيَا بِمَجِيءِ تَأْوِيلِهَا. وَقِيلَ كَانَ بَيْنَ أَنْ أَرَى يَوْسُفَ رُؤْيَاهُ هَذِهِ وَمَجِيءِ تَأْوِيلِهَا أَرْبَعُونَ سَنَةً.

ذَكَرَ بَعْضُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

حَدَّثَنَا أَبُو عُثْمَانَ، عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، قَالَ: كَانَ بَيْنَ رُؤْيَا يَوْسُفَ إِلَى أَنْ رَأَى تَأْوِيلَهَا أَرْبَعُونَ سَنَةً.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ ثَمَانُونَ سَنَةً.

ذَكَرَ بَعْضُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: كَانَ مِنْذُ فَارَقَ يُوسُفُ يَعْقُوبَ إِلَى أَنْ التَّقِيَا ثَمَانُونَ سَنَةً، لَمْ يُفَارِقِ الْحُزْنَ قَلْبُهُ وَدُمُوعُهُ تَجْرِي عَلَى خَدَيْهِ، وَمَا عَلَى الْأَرْضِ يَوْمٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ يَعْقُوبَ.

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ مِهْرَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: أَلْقَى يُوسُفُ فِي الْجُبِّ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَائِهِ يَعْقُوبَ ثَمَانُونَ سَنَةً، وَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ عِشْرِينَ وَمِائَةِ سَنَةٍ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: أَلْقَى يُوسُفُ فِي الْجُبِّ، وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ عَشْرَةَ سَنَةً، فَغَابَ عَنْ أَبِيهِ ثَمَانِينَ سَنَةً، ثُمَّ عَاشَ بَعْدَ مَا جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ، وَرَأَى تَأْوِيلَ رُؤْيَاهُ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، فَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ عِشْرِينَ وَمِائَةِ سَنَةٍ.

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْكِتَابِ: دَخَلَ يُوسُفُ مِصْرَ وَلَهُ سَبْعُ عَشْرَةَ سَنَةً، فَأَقَامَ فِي مَنْزِلِ الْعَزِيزِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَلَمَّا تَمَّتْ لَهُ ثَلَاثُونَ سَنَةً اسْتَوْرَزَهُ فِرْعَوْنُ مَلِكُ مِصْرَ، وَاسْمُهُ الرِّيَّانُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنُ ثُرْوَانَ بْنِ أَرَاثَةَ بْنِ قَارَانَ بْنِ عَمْرُو بْنِ عَمَلَقِ بْنِ لَازُودِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحَ، وَأَنَّ هَذَا الْمَلِكُ آمَنَ، ثُمَّ مَاتَ، ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ قَابُوسُ بْنُ مَصْعَبِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ نَمِيرِ بْنِ السَّلَاسِ بْنِ قَارَانَ بْنِ عَمْرُو بْنِ عَمَلَقِ بْنِ لَازُودِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحَ وَكَانَ كَافِرًا، فَدَعَا يُوسُفَ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ فَلَمْ يَسْتَجِبْ إِلَيْهِ، وَأَنَّ يُوسُفَ أَوْصَى إِلَى أَخِيهِ يَهُوذَا، وَمَاتَ وَقَدْ أَتَتْ لَهُ مِائَةُ وَعِشْرُونَ سَنَةً، وَأَنَّ فِرْعَانَ يَعْقُوبَ إِيَّاهُ كَانَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَأَنَّ

مَقَامَ يَعْقُوبَ مَعَهُ بِمِصْرَ كَانَ بَعْدَ مَوَافَاتِهِ بِأَهْلِهِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَأَنَّ يَعْقُوبَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أَوْصَى إِلَى يُوسُفَ - وَكَانَ دَخُولَ يَعْقُوبَ مِصْرَ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَهْلِهِ وَتَقَدَّمَ إِلَى يُوسُفَ عِنْدَ وَفَاتِهِ أَنْ يَحْمِلَ جَسَدَهُ حَتَّى يَدْفِنَهُ بِجَنْبِ أَبِيهِ إِسْحَاقَ، فَفَعَلَ يُوسُفُ ذَلِكَ بِهِ وَمَضَى بِهِ حَتَّى دَفَنَهُ بِالشَّامِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ، وَأَوْصَى يُوسُفَ أَنْ يَحْمِلَ جَسَدَهُ حَتَّى يَدْفِنَ إِلَى جَنْبِ آبَائِهِ، فَحَمَلَ مُوسَى تَابُوتَ جَسَدِهِ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ مِصْرَ مَعَهُ.

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

ذَكَرَ لِي - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ غَيْبَةَ يُوسُفَ عَنْ يَعْقُوبَ كَانَتْ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً.

قَالَ: وَأَهْلُ الْكِتَابِ يَزْعُمُونَ أَنَّهَا كَانَتْ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَوْ نَحْوَهَا، وَأَنَّ يَعْقُوبَ بَقِيَ مَعَ يُوسُفَ بَعْدَ أَنْ قَدَّمَ عَلَيْهِ مِصْرَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، ثُمَّ قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ قَالَ:

وَقَبْرُ يُوسُفَ - كَمَا ذَكَرَ لِي فِي - صَنْدُوقٍ مِنْ مَرْمَرٍ فِي نَاحِيَةِ مِنَ النِّيلِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَاشَ يُوسُفَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً قَالَ: وَفِي التَّوْرَةِ أَنَّهُ عَاشَ مِائَةَ سَنَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً.

وَوُلِدَ لِيُوسُفَ أَفْرَايِمُ بْنُ يُوسُفَ وَمِنْشَا بْنُ يُوسُفَ، فَوُلِدَ لِأَفْرَايِمَ نُونٌ، فَوُلِدَ لِنُونِ بْنِ إِفْرَايِمَ يُوْشَعَ بْنِ نُونٍ وَهُوَ فَتَى مُوسَى، وَوُلِدَ لِمِنْشَا مُوسَى بْنُ مِنْشَا.

وَقِيلَ: إِنَّ مُوسَى بْنَ مِنْشَا نَبِيٌّ قَبْلَ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ.

وَيَزْعُمُ أَهْلُ التَّوْرَةِ أَنَّهُ الَّذِي طَلَبَ الْخَضِرَ

١٠١٠ قصه الخضر وخبره وخبر موسى وفتاه يوشع ع

قصه الخضر وخبره وخبر موسى وفتاه يوشع ع

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: كَانَ الْخَضِرُ مِمَّنْ كَانَ فِي أَيَّامِ أَفْرِيدُونَ الْمَلِكِ بْنِ أَثْفِيَانَ فِي قَوْلِ عَامَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، وَقَبْلَ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ عَلَى مَقْدَمَةِ ذِي الْقَرْنَيْنِ الْأَكْبَرِ، الَّذِي كَانَ أَيَّامَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ ص، وَهُوَ الَّذِي قَضَى لَهُ بَيْتُ السَّبْعِ -

وهي بئر كان إبراهيم احتفرها لماشيته في صحراء الأردن- وإن قوما من أهل الأردن ادعوا الأرض التي كان احتفر بها إبراهيم بئرهم، فحاكمهم إبراهيم إلى ذي القرنين الذي ذكر أن الخضر كان على مقدمته أيام سيره في البلاد، وأنه بلغ مع ذي القرنين نهر الحياة، فشرب من مائه وهو لا يعلم، ولا يعلم به ذو القرنين ومن معه، فخلد، فهو حي عندهم إلى الآن.

وزعم بعضهم أنه من ولد من كان آمن بإبراهيم خليل الرحمن، واتبعه على دينه، وهاجر معه من أرض بابل حين هاجر إبراهيم منها وقال: اسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، قال: وكان أبوه ملكا عظيما.

وقال آخرون: ذو القرنين الذي كان على عهد إبراهيم ص هو أفريدون بن أثفيان، قال: وعلى مقدمته كان الخضر. وقال عبد الله بن شاذب فيه، ما حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصري قال: حدثنا محمد بن المتوكل، قال: حدثنا ضمرة بن ربيعة، عن عبد الله بن شاذب، قال: الخضر من ولد فارس، وإلياس من بني إسرائيل، يلتقيان في كل عام بالموسم. وقال ابن إسحاق فيه ما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال:

حدثني ابن إسحاق، قال: بلغني أنه استخلف الله عز وجل في بني إسرائيل رجلا منهم، يقال له ناشية بن أموص، فبعث الله عز وجل لهم الخضر نبيا. قال: واسم الخضر- فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بني إسرائيل- أورميا بن خلقيا، وكان من سبط هارون بن عمران وبين هذا الملك الذي ذكره ابن إسحاق وبين أفريدون أكثر من ألف عام.

وقول الذي قال: إن الخضر كان في أيام أفريدون وذي القرنين الأكبر وقبل موسى بن عمران أشبه بالحق إلا أن يكون الأمر كما قاله من قال إنه كان على مقدمة ذي القرنين صاحب إبراهيم، فشرب ماء الحياة، فلم يبعث في أيام إبراهيم ص نبيا، وبعث أيام ناشية بن أموص، وذلك أن ناشية بن أموص الذي ذكر ابن إسحاق أنه كان ملكا على بني إسرائيل، كان في عهد بشتاسب بن لهراسب، وبين بشتاسب وبين أفريدون من الدهور والأزمان ما لا يحمله ذو علم بأيام الناس وأخبارهم، وسأذكر مبلغ ذلك إذا انتهينا إلى خبر بشتاسب إن شاء الله تعالى.

وإنما قلنا: قول من قال: كان الخضر قبل موسى بن عمران ص أشبه بالحق من القول الذي قاله ابن إسحاق وحكاه عن وهب بن منبه، للخبر الذي روى عن رسول الله ص أبي بن كعب، أن صاحب موسى بن عمران- وهو العالم الذي أمره الله تبارك تعالى بطلبه إذ ظن أنه لا أحد في الأرض أعلم منه- هو الخضر، ورسول الله ص كان أعلم خلق الله بالكائن من الأمور الماضية، والكائن منها الذي لم يكن بعد.

والذي روى أبي بن كعب في ذلك عنه ص ما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن سعيد، قال: قلت لأبي عباس: إن نوحا يزعم أن الخضر ليس

بصاحب موسى، فقال: كذب عدو الله، حدثنا أبي بن كعب عن [رسول الله ص قال: ان موسى قام في بني إسرائيل خطيبا فقل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إليه، فقال: بل عبد لي عند مجمع البحرين، فقال: يا رب، كيف به؟ قال: تأخذ حوتا فتجعله في مكمل فحيث تفقده فهو هناك قال: فأخذ حوتا فجعله في مكمل، ثم قال لفتاه: إذا فقدت هذا الحوت فأخبرني فانطلقا يمشيان على ساحل البحر حتى أتيا صخرة، فرقد موسى فاضطرب الحوت في المكمل، فخرج فوق في البحر، فأمسك الله عنه جرية الماء فصار مثل الطاق، فصار للحوت سربا، وكان لهما عجا ثم انطلقا، فلما كان حين الغداء قال موسى لفتاه: «آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا» قال: ولم يجد موسى النصب حتى جاوز حيث أمره الله، قال: فقال: «أرأيت إذ أوتينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجا» قال: فقال: «ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا»

قَالَ: يَقْصَانِ آثَارَهُمَا قَالَ: فَأَتَيَا الصَّخْرَةَ، فَإِذَا رَجُلٌ نَائِمٌ مُسَجًى بِثَوْبِهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى فَقَالَ: وَأَنْتَ بِأَرْضِنَا السَّلَامُ! قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بْنُ إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: يَا مُوسَى، إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ، عَلَيْهِ اللَّهُ لَا تَعْلَمُهُ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ، قَالَ: فَإِنِّي أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تَعْلِمَنِي مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا.

«قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا» .

فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ، فَإِذَا بِمَلَايَاحٍ فِي سَفِينَةٍ، فَعَرَفَ الْخَضِرَ، فَحَمَلَهُ

بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِهَا فَنَقَرَ- او فنقد- فِي الْمَاءِ، فَقَالَ الْخَضِرُ لِمُوسَى: مَا يَنْقُصُ عَلَيَّ وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِقْدَارَ مَا نَقَرَ- أَوْ نَقَدَ- هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ] .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: أَنَا أَشْكُ، وَهُوَ فِي كِتَابِي هَذَا نَقَرَ قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمَا فِي السَّفِينَةِ لَمْ يَفْجَأْ مُوسَى إِلَّا وَهُوَ يَتَدَبَّرُ وَتَدَا أَوْ يَنْزِعُ تَحْتَ مِنْهَا، فَقَالَ لَهُ مُوسَى:

«حُمِلْنَا بِغَيْرِ نَوْلٍ وَنَحْرُفُهَا لَتُغْرِقَ أَهْلَهَا! «لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ» - قَالَ: فَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نَسْيَانًا- قَالَ: ثُمَّ خَرَجَا فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ، فَأَبْصَرَا غُلَامًا يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَبَانِ، فَأَخَذَ بِرَأْسِهِ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: «أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا نَكْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا» .

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا، فَلَمْ يَجِدَا أَحَدًا يُطْعِمُهُمْ وَلَا يَسْقِيهِمْ، «فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ» يَدَهُ- قَالَ: مَسَحَهُ بِيدِهِ- فَقَالَ لَهُ مُوسَى: لَمْ يَضِيفُونَا وَلَمْ يُزِلُّوْنَا، «لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا» .

«قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ» قَالَ: [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ صَبْرًا حَتَّى يَقْصَ عَلَيْنَا قَصَصَهُمْ] .

حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ،

قَالَ: حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالْحَرُ بْنُ قَيْسٍ بْنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ فِي صَاحِبِ مُوسَى، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ الْخَضِرُ، فَرَّ بِهِمَا أَبِي بْنُ كَعْبٍ، فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: إِنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لِقَائِهِ، فَهَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ قَالَ: [نَعَمْ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: بَيْنَا مُوسَى ع فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: تَعَلَّمُ مَكَانَ أَحَدٍ أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ مُوسَى:

لَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى: بَلَى عَبْدُنَا الْخَضِرُ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لِقَائِهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ الْخُوتَ آيَةً، وَقَالَ لَهُ: إِذَا افْتَقَدْتَ الْخُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ، فَكَانَ مُوسَى يَتَّبِعُ أَثَرَ الْخُوتِ، فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ فَتَى مُوسَى لِمُوسَى: «أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ»، قَالَ مُوسَى: «ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا»، فَوَجَدَا الْخَضِرَ، فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا مَا قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ] .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ قَالَ، حَدَّثَنَا جَجَّاجُ بْنُ الْمُنْهَالِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ النَّخَعِيُّ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ يُحَدِّثُ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ:

أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالْحَرُ بْنُ قَيْسٍ بْنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ فِي صَاحِبِ مُوسَى، فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ الْعَبَّاسِ عَنْ أَبِيهِ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ:

حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلَهُ: «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ

لَا أَرْحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ» الْآيَةَ، قَالَ: لَمَّا ظَهَرَ مُوسَى وَقَوْمُهُ عَلَى مِصْرَ زَلَّ قَوْمُهُ مِصْرَ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ بِهِمُ الدَّارُ، أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ

وَجَلَّ عَلَيْهِ: أَنْ ذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ نَخَطَبَ قَوْمَهُ، فَذَكَرَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالنِّعْمَةِ، وَذَكَرَهُمْ إِذْ أَنْجَاهُمُ اللَّهُ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، وَذَكَرَهُمْ هَلَاكَ عَدُوِّهِمْ، وَمَا اسْتَخْلَفَهُمُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ، فَقَالَ: وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى نَبِيَّكُمْ تَكْلِيمًا، وَاصْطَفَانِي لِنَفْسِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ حُبَّةَ مِنْهُ، وَآتَاكُمْ اللَّهُ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ، فَنِيَّكُمْ أَفْضَلُ أَهْلِ الْأَرْضِ وَأَنْتُمْ تَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ فَلَمْ يَتْرِكْ نِعْمَةً أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِلَّا ذَكَرَهَا وَعَرَّفَهَا إِيَّاهُمْ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: هُوَ كَذَلِكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَقَدْ عَرَفْنَا الَّذِي تَقُولُ، فَهَلْ عَلَى الْأَرْضِ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، فَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَبْرِئِيلَ عَلى مُوسَى ع فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: وَمَا يُدْرِيكَ أَيْنَ أَضْعُ عَلَيَّ؟ بَلَى إِنَّ عَلَى شَطِّ الْبَحْرِ رَجُلًا أَعْلَمُ مِنْكَ- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ الْخَضِرُ- فَسَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ إِيَّاهُ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ اثْبُتِ الْبَحْرَ، فَإِنَّكَ تَجِدُ عَلَى شَطِّ الْبَحْرِ حُوتًا نَحْفُهُ فَادْفَعْهُ إِلَى فِتَاكَ ثُمَّ الزَّمْ شَطَّ الْبَحْرِ، فَإِذَا نَسِيتَ الْحُوتَ وَهَلَكَ مِنْكَ، فَتَمَّ تَجِدُ الْعَبْدَ الصَّالِحَ الَّذِي تَطْلُبُ.

فَلَمَّا طَالَ سَفَرُ مُوسَى نَبِيَّ اللَّهِ ص وَنَصَبَ فِيهِ، سَأَلَ فَتَاهُ عَنِ الْحُوتِ، فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ وَهُوَ غُلَامُهُ: «أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ» لَكَ قَالَ الْفَتَى: لَقَدْ رَأَيْتُ الْحُوتَ حِينَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا فَأَعْجَبَ ذَلِكَ مُوسَى فَرَجَعَ حَتَّى أَتَى الصَّخْرَةَ فَوَجَدَ الْحُوتَ، فَجَعَلَ الْحُوتَ يَضْرِبُ فِي الْبَحْرِ وَيَتَّبِعُهُ مُوسَى، وَجَعَلَ مُوسَى يَقْدِمُ عَصَاهُ يَفْرُجُ بِهَا عَنْهُ الْمَاءَ، يَتَّبِعُ الْحُوتَ، وَجَعَلَ الْحُوتَ لَا يَمْسُ شَيْئًا مِنَ الْمَاءِ إِلَّا يَبْسُ حَتَّى يَكُونَ صَخْرَةً، فَجَعَلَ نَبِيَّ اللَّهِ ص يَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى انْتَهَى بِهِ الْحُوتَ إِلَى جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ، فَلَقِيَ الْخَضِرَ بِهَا، فَسَلَّمَ

عَلَيْهِ، فَقَالَ الْخَضِرُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، وَأَتَى يَكُونُ هَذَا السَّلَامُ بِهَذِهِ الْأَرْضِ! وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى، فَقَالَ لَهُ: الْخَضِرُ صَاحِبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟

قَالَ: نَعَمْ، فَرحَّبَ بِهِ وَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: جِئْتُ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا، قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا»، يَقُولُ: لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، قَالَ مُوسَى: «سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا» .

قَالَ: فَانْطَلَقَ بِهِ، وَقَالَ لَهُ: لَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ أَصْنَعُهُ حَتَّى أُبَيِّنَ لَكَ شَأْنَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: «حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا» فَرَكِبَا فِي السَّفِينَةِ يُرِيدَانِ أَنْ يَتَعَدَّيَا إِلَى الْبَرِّ، فَقَامَ الْخَضِرُ، فَخَرَّقَ السَّفِينَةَ فَقَالَ لَهُ مُوسَى: «أَخْرَقْتُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا إِمْرًا» ثُمَّ ذَكَرَ بَقِيَّةَ الْقِصَّةِ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ الْقُمِيُّ، عَنْ هَارُونَ بْنِ عَنَتَةَ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: [سَأَلَ مُوسَى ع رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، أَيُّ عِبَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الَّذِي يَذْكُرُنِي وَلَا يَنْسَانِي، قَالَ:

فَأَيُّ عِبَادِكَ أَقْضَى؟ قَالَ: الَّذِي يَقْضِي بِالْحَقِّ وَلَا يَتَّبِعُ الْهَوَى، قَالَ أَيُّ رَبِّ، أَيُّ عِبَادِكَ أَعْلَمُ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَّبِعِي عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عَلَيْهِ، عَسَى أَنْ يُصِيبَ كَلِمَةً تَهْدِيهِ إِلَى هُدًى، أَوْ تَرُدَّهُ عَنْ رَدًى، قَالَ: رَبِّ فَهَلْ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ- قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ أَظْنَهُ قَالَ: أَعْلَمُ مِنِّي؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: رَبِّ، فَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: الْخَضِرُ، قَالَ: وَإِنْ أَطْلُبُهُ؟ قَالَ: عَلَى السَّاحِلِ، عِنْدَ الصَّخْرَةِ الَّتِي يَنْفَلِتُ عَنْهَا الْحُوتُ، [قَالَ: فَخَرَجَ مُوسَى يَطْلُبُهُ حَتَّى كَانَ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَانْتَهَى مُوسَى إِلَيْهِ عِنْدَ الصَّخْرَةِ، فَسَلَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَسْتَصْحِبَنِي، قَالَ: لَنْ تَطِيقَ

صُحْبَتِي، قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَإِنْ صَحِبْتَنِي «فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْتُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا. فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيََا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا نُكَرًا»، إِلَى قَوْلِهِ: «لَا تَأْخُذْ عَلَيْهِ أَجْرًا» .

قَالَ: فَكَانَ قَوْلُ مُوسَى فِي الْجِدَارِ لِنَفْسِهِ وَلِطَلَبِ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَكَانَ قَوْلُهُ فِي السَّفِينَةِ وَفِي الْغُلَامِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ «قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي

وَيَبْنِيكَ سَائِبُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ، فَاخْبِرْهُ بِمَا قَالَ اللَّهُ:

«أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ الْآيَةِ، وَأَمَّا الْعُلَامُ» الْآيَةِ، «وَأَمَّا الْجِدَارُ» الْآيَةِ قَالَ: فَسَارَ بِهِ فِي الْبَحْرِ حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى جَمْعِ الْبَحْرَيْنِ، وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ مَكَانٌ أَكْثَرُ مَاءً مِنْهُ، قَالَ:

وَبَعَثَ رَبُّكَ الْخُطَّافَ، فَجَعَلَ يَسْتَقِي مِنْهُ بِمَنْقَارِهِ، فَقَالَ لِمُوسَى: كَمْ تَرَى هَذَا الْخُطَّافَ رَزَأً مِنْ هَذَا الْمَاءِ؟ قَالَ: مَا أَقَلَّ مَا رَزَأَ! قَالَ: يَا مُوسَى فَإِنَّ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ فِي عِلْمِ اللَّهِ كَقَدَرِ مَا اسْتَقَى هَذَا الْخُطَّافُ مِنْ هَذَا الْمَاءِ وَكَانَ مُوسَى عَ قَدْ حَدَّثَ نَفْسَهُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْهُ، أَوْ تَكَلَّمَ بِهِ، فَبَيْنَ مَا أَمَرَ أَنْ يَأْتِيَ الْخَضِرَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُمَارَةَ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: جَلَسْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعِنْدَهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَا أَبَا الْعَبَّاسِ إِنَّ نَوْفًا ابْنَ أَمْرَأَةٍ كَعْبٍ، ذَكَرَ عَنْ كَعْبٍ ابْنِ مُوسَى النَّبِيِّ ع

الَّذِي طَلَبَ الْعَالِمَ إِنَّمَا هُوَ مُوسَى بْنُ مَنْشَا قَالَ سَعِيدٌ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

أَنُوفٌ يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ سَعِيدٌ: فَقُلْتُ لَهُ: نَعَمْ، أَنَا سَمِعْتُ نَوْفًا يَقُولُ ذَلِكَ، قَالَ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ يَا سَعِيدُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَذَبَ نَوْفٌ ثُمَّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: حَدَّثَنِي أَبِي بْنُ كَعْبٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَ انْ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَقَالَ: أَيُّ رَبٍّ، إِنْ كَانَ فِي عِبَادِكَ أَحَدٌ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي فَادُلَّنِي عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ فِي عِبَادِي مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، ثُمَّ نَعَتْ لَهُ مَكَانَهُ، وَأَذِنَ لَهُ فِي لِقَائِهِ، فَخَرَجَ مُوسَى عَ وَمَعَهُ فَتَاهُ، وَمَعَهُ حَوْتُ مَلِيحٍ قَدْ قِيلَ لَهُ: إِذَا حَيَّ هَذَا الْحَوْتُ فِي مَكَانٍ فَصَاحِبُكَ هُنَالِكَ، وَقَدْ أَدْرَكْتَ حَاجَتَكَ فَخَرَجَ مُوسَى وَمَعَهُ فَتَاهُ، وَمَعَهُ ذَلِكَ الْحَوْتُ يَجْلَلَانِهِ، فَسَارَ حَتَّى جَهَدَهُ السَّيْرُ، وَانْتَهَى إِلَى الصَّخْرَةِ وَإِلَى ذَلِكَ الْمَاءِ وَذَلِكَ الْمَاءُ، مَاءُ الْحَيَاةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ خُلِدَ، وَلَا يَقَارِبُهُ شَيْءٌ مَيِّتٌ إِلَّا أَدْرَكَتْهُ الْحَيَاةُ وَحَيٍّ فَلَهَا نَزْلًا مَنَزِلًا وَمَسَّ الْحَوْتُ الْمَاءَ حَيٍّ، فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، فَانْطَلَقَ فَلَهَا جَاوِزًا بِمَنْقَلَةٍ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: «أَتَمْنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا» قَالَ الْفَتَى وَذَكَرَ: «أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنَّنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

وَوَضَعَهُ مُوسَى عَلَى الصَّخْرَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ، فَإِذَا رَجُلٌ مُتَلَفِفٌ فِي كِسَاءٍ لَهُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَدَعَّ عَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى ابْنُ عِمْرَانَ، قَالَ: صَاحِبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ أَنَا ذَلِكَ، قَالَ: وَمَا جَاءَ بِكَ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ، انْ لَكَ فِي قَوْمِكَ لَشْغَلٌ! قَالَ لَهُ مُوسَى: جِئْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا، قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، وَكَانَ رَجُلًا يَعْمَلُ عَلَى الْغَيْبِ قَدْ عَلِمَ ذَلِكَ، فَقَالَ مُوسَى: بَلَى، قَالَ: «وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ

خَبْرًا» ، أَيُّ إِنَّمَا تَعْرِفُ ظَاهِرَ مَا تَرَى مِنَ الْعَدْلِ وَلَمْ تُحِطْ مِنَ عِلْمِ الْغَيْبِ بِمَا أَعْلَمُ «قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا» وَإِنْ رَأَيْتَ مَا يُخَالِفُنِي.

قَالَ: «فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا» ، أَيُّ فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ وَإِنْ أَنْكَرْتَهُ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا، أَيُّ خَبْرًا.

فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ يَتَعَرَّضَانِ النَّاسَ، يَلْتَمِسَانِ مَنْ يَجْمَعُهُمَا حَتَّى مَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ جَدِيدَةٌ وَثِيقَةٌ، لَمْ يَمَرَّ بِهِمَا شَيْءٌ مِنَ السَّفَنِ احْسَنَ وَلَا أَجْمَلَ وَلَا أَثْقَلَ مِنْهَا، فَسَأَلَا أَهْلَهَا أَنْ يَجْلُوهُمَا، فَجَمَلُوهُمَا، فَلَمَّا اطْمَأَنَّنَا فِيهَا، وَنَجَّتْ بِهِمَا مَعَ أَهْلِهَا، أَخْرَجَ مِنْقَارًا لَهُ وَمِطْرَفَةً، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْهَا فَضْرَبَ فِيهَا بِالْمِنْقَارِ حَتَّى خَرَقَهَا، ثُمَّ أَخَذَ لَوْحًا فَطَبَقَهُ عَلَيْهَا، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهَا يَرْفَعُهَا، قَالَ لَهُ مُوسَى: فَأَيُّ

أَمْرٍ أَفْطَعُ مِنْ هَذَا! «أَخْرَقَهَا لِتَغْرُقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا» ! حَمَلُونَا وَأَوَوْنَا إِلَى سَفِينَتِهِمْ، وَلَيْسَ فِي الْبَحْرِ سَفِينَةٌ مِثْلُهَا، فَلَمْ خَرَقَتْهَا! قَالَ: «أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» قَالَ لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ، أَيُّ بِمَا تَرَكْتُ مِنْ عَهْدِكَ «وَلَا تَرْهَقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا» ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ، فَانْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ، فَإِذَا غُلَبَانُ يَلْعَبُونَ، فِيهِمْ غُلَامٌ لَيْسَ فِي الْغُلَبَانِ غُلَامٌ أَظْرَفُ وَلَا أَتْرَفُ وَلَا أَوْضَأُ مِنْهُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ، وَأَخَذَ حَجْرًا فَضْرَبَ بِهِ رَأْسَهُ حَتَّى دَمَغَهُ فَقَتَلَهُ قَالَ: فَرَأَى مُوسَى أَمْرًا فَظَلَمًا لَا صَبْرَ عَلَيْهِ، صَبِي صَغِيرٌ قَتَلَهُ بِغَيْرِ جَنَاحَةٍ وَلَا ذَنْبٍ لَهُ! فَقَالَ: «أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ» ، أَيُّ صَغِيرَةٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ، «لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نَكْرًا. قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا».

قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ، أَيُّ قَدْ أَعْذَرْتَ فِي شَأْنِي «فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلُهَا فَابُوا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ» ، فَهَدَمَهُ ثُمَّ قَعَدَ بَيْنَهُ، فَضَجَرَ مُوسَى مِمَّا رَأَاهُ يُضَيِّعُ مِنَ التَّكْلِيفِ لِمَا لَيْسَ عَلَيْهِ صَبْرٌ، فَقَالَ: «لَوْ شِئْتُ لَاتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا» أَيُّ قَدْ اسْتَطَعْنَا هُمْ فَلَمْ يُطْعَمُونَا، وَاسْتَضَفَّنَاهُمْ فَلَمْ يُضَيَّفُونَا، ثُمَّ قَعَدْتَ تَعْمَلُ فِي غَيْرِ صَنِيعِهِ، وَلَوْ شِئْتُ لَأَعْطَيْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا فِي عَمَلِهِ «قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا. أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ - وَفِي قِرَاءَةِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ:

كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ - غَضَبًا» ، وَإِنَّمَا عِيبُهَا لِأَرَدَهُ عَنْهَا، فَسَلِمَتْ مِنْهُ حِينَ رَأَى الْعَيْبَ الَّذِي صَنَعْتُ بِهَا «وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا. فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا» - إِلَى - «مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا» .

فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: مَا كَانَ الْكَنْزُ إِلَّا عَلَمًا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عِكْرَمَةَ، قَالَ: قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: لَمْ نَسْمَعْ لَفْظَ مُوسَى يَذْكُرُ مِنْ حَدِيثٍ وَقَدْ كَانَ مَعَهُ! فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِيمَا يَذْكُرُ مِنْ حَدِيثِ الْفَتَى، قَالَ: شَرِبَ الْفَتَى مِنْ مَاءِ الْخُلْدِ نَحْلًا، فَأَخَذَهُ الْعَالَمُ فَطَابَقَ بِهِ سَفِينَةً، ثُمَّ أَرْسَلَهُ فِي الْبَحْرِ، فَإِنَّهَا تَتَوَجَّعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهُ فَشَرِبَ.

حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ:

«فَلَمَّا بَلَغَا جَمَعَ بَيْنَهُمَا نِسَاءَ حُوتِهِمَا» ، ذَكَرْنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى لَمَّا قَطَعَ الْبَحْرَ وَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، جَمَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَظَّمَهُمْ فَقَالَ: أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ وَأَعْلَمُهُمْ قَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ عِدْوَكُمْ، وَأَقَطَعَكُمْ الْبَحْرَ وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ التَّوْرَةَ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: إِنْ هَاهُنَا رَجُلًا هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ قَالَ: فَانْطَلِقْ هُوَ وَفَتَاهُ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ يَطْلُبَانِهِ، فَتَزودَا مَمْلُوحَةً فِي مَكَلٍّ لهُمَا، وَقِيلَ لَهُمَا: إِذَا نَسِيتُمَا مَا مَعَكُمَا لَقِيتُمَا رَجُلًا عَالِمًا يَقَالُ لَهُ الْخَضِرُ، فَلَمَّا أَتَيَا ذَلِكَ الْمَكَانَ، رَدَّ اللَّهُ إِلَى الْحَوْتِ رُوحَهُ فَسَرَبَ لَهُ مِنَ الْجِدِّ حَتَّى أَفْضَى إِلَى الْبَحْرِ، ثُمَّ سَلَكَ فَجَعَلَ لَا يَسْلُكُ فِيهِ طَرِيقًا إِلَّا صَارَ مَاءً جَامِدًا، قَالَ: وَمَضَى مُوسَى وَفَتَاهُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا» إِلَى قَوْلِهِ: - وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ، فَلَقِيَا رَجُلًا عَالِمًا يَقَالُ لَهُ الْخَضِرُ، فَذَكَرْنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ: إِنَّمَا سَمِيَ الْخَضِرُ خَضِرًا لِأَنَّهُ قَعَدَ عَلَى فُرُوعٍ بَيْضَاءَ فَاهْتَزَّتْ بِهِ خَضِرَاءُ .

فهذه الاخبار التي ذكرناها عن رسول الله ص وعن السلف من أهل العلم تنبئ عن أن الخضر كان قبل موسى وفي أيامه، ويدل على خطأ قول من قال: إنه أورميا بن خلقيا، لأن أورميا كان في أيام بختنصر، وبين عهدي موسى وبختنصر من المدة ما لا يشكل قدرها على أهل العلم بأيام الناس وأخبارهم، وإنما قدمنا ذكره وذكر خبره لأنه كان في عهد أفريدون فيما قيل، وإن كان قد أدرك على هذه

الأخبار التي ذكرت من أمره وأمر موسى وفتاه أيام منوشهر وملكه، وذلك ان موسى انما نبئ في عهد منوشهر، وكان ملك منوشهر بعد ما ملك جده أفريدون، فكل ما ذكرنا من أخبار من ذكرنا أخباره من عهد ابراهيم الى الخبر عن الخضرع، فإن ذلك كله - فيما ذكر- كان في ملك بيوراسب وأفريدون، وقد ذكرنا فيما مضى قبل أخبار أعمارهما ومبلغهما ومدة كل واحد منهما. ونرجع الآن إلى الخبر عن:

١٠١١ منوشهر وأسبابه والحوادث الكائنة في زمانه

منوشهر وأسبابه والحوادث الكائنة في زمانه
ثم ملك بعد أفريدون بن أثفيان بركاو منوشهر، وهو من ولد إيرج بن أفريدون.
وقد زعم بعضهم أن فارس سميت فارس بمنوشهر هذا، وهو منوشهر كيازيه - فيما يقول نسابة الفرس - بن منشخور بن منشخوار بن ويرك بن سروشنك بن ابوك بن بتك بن فرزشك بن زشك ابن فركوزك بن كوزك بن إيرج بن أفريدون بن أثفيان بركاو.
وقد ينطق بهذه الأسماء بخلاف هذه الألفاظ.
وقد يزعم بعض المجوس أن أفريدون وطىء ابنة لابنه إيرج، يقال لها كوشك، فولدت له جارية يقال لها فركوشك، ثم وطىء فركوشك هذه فولدت له جارية يقال لها زوشك، ثم وطىء زوشك هذه، فولدت له جارية يقال لها فرزوشك، ثم وطىء فرزوشك هذه فولدت له جارية يقال لها بيتك، ثم وطىء بيتك هذه فولدت له جارية يقال لها ايرك، ثم وطىء ايرك فولدت له ايزك، ثم وطىء ايزك فولدت له ويرك، ثم وطىء ويرك فولدت له منشخرفاغ.
ويقول بعضهم: منشخوار بن وجاريه يقال لها: منشجرك، وان منشخرفاغ وطىء منشجرك فولدت له منشخرنر، وجاريه يقال لها منشراوك، وان منشخرنر وطىء منشراوك فولدت له منوشهر.
فيقول بعضهم كان مولده بدنباوند.
ويقول بعض: كان مولده بالري، وإن منشخرنر ومنشراوك لما ولد لهما منوشهر أسرا أمره خوفا من طوج وسلم عليه، وإن منوشهر لما كبر صار إلى جده أفريدون، فلما دخل عليه توسم فيه الخير، وجعل له ما كان جعل لجده إيرج من المملكة، وتوجه بتاجه.
وقد زعم بعض أهل الأخبار أن منوشهر هذا هو منوشهر بن منشخرنر ابن أفريقيس بن إسحاق بن إبراهيم، وأنه انتقل إليه الملك بعد أفريدون وبعد أن مضى الف سنه وتسعمائة سنة واثنان وعشرون سنة، من عهد جيومرت، واستشهد لحقيقة ذلك بأبيات لجرير بن عطية، وهو قوله.
وأبناء إسحاق الليوث إذا ارتدوا ... حمائل موت لابسين السنورا
إذا انتسبوا عدوا الصبيذ منهم ... وكسرى وعدوا الهرمان وقيصرا
وكان كُتاب فيهم ونبوة ... وكانوا بإصطخر الملوك وتسترا
فيجمعنا والغر أبناء فارس ... أب لا نبالي بعده من تأخرا
أبونا خليل الله، والله ربنا ... رضينا بما أعطى الإله وقدرنا
وأما الفرس فإنها تنكر هذا النسب، ولا تعرف لها ملكا إلا في أولاد أفريدون، ولا تقر بالملك لغيرهم، وترى أن داخلا إن كان دخل عليهم في ذلك من غيرهم في قديم الأيام قبل الإسلام، فإنه دخل فيه بغير حق.
وحدثت عن هشام ابن محمد، قال: ملك طوج وسلم الأرض بينهما بعد قتلها أخاهما إيرج ثلاثمائة سنة، ثم ملك منوشهر بن إيرج بن أفريدون مائة وعشرين سنة، ثم إنه وثب به ابن لابن طوج التركي على راس ثمانين سنه فنفاه عن بلاد العراق ثنتي عشرة سنة، ثم أديل منه منوشهر، فنفاه عن بلاده، وعاد إلى ملكه، وملك بعد ذلك ثمانيا وعشرين سنة.
قال: وكان منوشهر يوصف بالعدل والإحسان، وهو أول من خندق الخنادق، وجمع آلة الحرب، وأول من وضع الدهقنة فجعل لكل قرية دهقانا، وجعل أهلها له خولا وعبيدا، وألبسهم لباس المدلة، وأمرهم بطاعته.

قَالَ: ويقال ان موسى النبي ص ظهر في سنة ستين من ملكه.
 وذكر غير هشام أن منوشهر لما ملك توج بتاج الملك وقال يوم ملك:
 نحن مقوون مقاتلين، ومعدوهم للانتقام لأسلافنا، ودفع العدو عن بلادنا.
 وأنه سار نحو بلاد الترك طالبا بدم جده إيرج بن أفريدون، فقتل طوج بن أفريدون وأخاه سلها، وأدرك ثأره وانصرف، وأن فراسياب
 بن فشنج ابن رستم بن ترك- الذي تنسب إليه الأتراك، بن شهراسب ويقال: ابن
 إرشسب بن طوج بن أفريدون الملك وقد يقال لفشك فشنج بن زاشمين- حارب منوشهر، بعد أن مضى لقتله طوجا وسلها ستون سنة،
 وحاصره بطبرستان.
 ثم ان منوشهر وفراسياب اصطلحا على أن يجعل أحدهما من مملكتيهما منتهى رمية سهم رجل من أصحاب منوشهر يدعى ارشباطير-
 وربما خفف اسمه بعضهم فيقول: إيرش- فحيث ما وقع سهمه من موضع رميته تلك مما يلي بلاد الترك فهو الحد بينهما لا يجاوز ذلك
 واحد منهما إلى الناحية الأخرى وان ارشباطير نزع بسهم في قوسه، ثم أرسله- وكان قد أعطي قوة وشدة- فبلغت رميته من طبرستان
 إلى نهر بلخ ووقع السهم هنالك، فصار نهر بلخ حد ما بين الترك وولد طوج وولد إيرج وعمل الفرس، فانقطع بذلك من رميه ارشباطير
 حروب ما بين فراسياب ومنوشهر.
 وذكروا أن منوشهر اشتق من الصراة ودجلة ونهر بلخ أنهارا عظاما.
 وقيل إنه هو الذي كرا الفرات الأكبر، وأمر الناس بحراثة الأرض وعمارتها، وزاد في مهنة المقاتلة الرمي، وجعل الرياسة في ذلك
 لارشباطير لرميته التي رماها وقالوا: إن منوشهر لما مضى من ملكه خمس وثلاثون سنة تناولت الترك من أطراف رعيته، فوبخ قومه
 وقال لهم: أيها الناس، إنكم لم تلدوا الناس كلهم، وإنما الناس ناس ما عقلوا من أنفسهم ودفعوا العدو عنهم، وقد نالت الترك من
 أطرافكم، وليس ذلك إلا من ترككم جهاد عدوكم، وقلة المبالاة، وإن الله تبارك وتعالى أعطانا هذا الملك ليلبونا أنشكر فيزيدينا، أم نكفر
 فيعاقبنا! ونحن اهل بيت عز ومعدن الملك لله، فإذا كان غدا فاحضروا، قالوا: نعم واعتذروا، فقال: انصرفوا، فلما كان من الغد
 أرسل إلى أهل المملكة وأشراف
 الأساورة، فدعاهم وأدخل الرؤساء من الناس، ودعا موبذ موبذان، فأقعد على كرسي مقابل سريره، ثم قام على سريره، وقام أشراف
 أهل بيت المملكة وأشراف الأساورة على أرجلهم، فقال: اجلسوا فإني إنما قمت لأسمعكم كلامي فجلسوا فقال: أيها الناس، إنما الخلق
 للخالق، والشكر للنعيم، والتسليم للقادر، ولا بد مما هو كائن، وإنه لا أضعف من مخلوق طالبا كان أو مطلوباً، ولا أقوى من خالق،
 ولا أقدر ممن طلبته في يده، ولا أعجز ممن هو في يد طالبه، وإن التفكير نور، والغفلة ظلمة، والجهالة ضلالة، وقد ورد الأول ولا بد
 للآخر من الخلق بالأول، وقد مضت قبلنا أصول نحن فروعها، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله! وإن الله عز وجل أعطانا هذا الملك فله
 الحمد، ونسأله إلهام الرشد والصدق واليقين، وإن للملك على أهل مملكته حقاً، ولأهل مملكته عليه حقاً، فحق الملك على أهل المملكة
 أن يطيعوه ويناصحوه ويقاتلوا عدوه، وحقهم على الملك أن يعطيهم أرزاقهم في أوقاتها، إذ لا معتمد لهم على غيرها، وإنها تجارتهم وحق
 الرعية على الملك أن ينظر لهم، ويرفق بهم، ولا يحملهم على ما لا يطيقون، وإن أصابهم مصيبة تنقص من ثمارهم من آفة من السماء
 أو الأرض أن يسقط عنهم خراج ما نقص، وإن اجتاحتهم مصيبة أن يعرضهم ما يقوهم على عماراتهم، ثم يأخذ منهم بعد ذلك على
 قدر ما لا يحجف بهم في سنة أو سنتين، وأمر الجند للملك بمنزلة جناحي الطائر، فهم أجنحة الملك متى قص من الجناح ريشة كان
 ذلك نقصاناً منه، فكذلك الملك إنما هو بجناحه وريشه ألا وإن الملك ينبغي أن يكون فيه ثلاث خصال: أولها أن يكون صدوقاً لا
 يكذب، وأن يكون سخياً لا يبخل، وأن يملك نفسه عند الغضب، فإنه مسلط ويده مبسوط، وانخراج يأتيه، فينبغي ألا يستأثر عن جنده
 ورعيته بما هم أهل له، وأن يكثر العفو، فإنه لا ملك أبقي من ملك فيه العفو، ولا أهلك من ملك فيه العقوبة ألا
 وإن المرء إن يخطئ في العفو فيعفو، خير من أن يخطئ في العقوبة فينبغي للملك أن يتثبت في الأمر الذي فيه قتل النفس وبنائها وإذا
 رفع إليه من عامل من عماله ما يستوجب به العقوبة فلا ينبغي له أن يحاييه، وليجمع بينه وبين المتظلم، فإن صح عليه للمظلوم حق خرج
 إليه منه، وإن عجز عنه أدى عنه الملك ورده إلى موضعه، وأخذ به بإصلاح ما أفسد، فهذا لكم علينا.

ألا ومن سفك دما بغير حق، أو قطع يدا بغير حق، فإني لا أعفو عن ذلك إلا أن يعفو عنه صاحبه نخذوا هذا عني وإن الترك قد طمعت فيكم فاكفونا، فإنما تكفون أنفسكم، وقد أمرت لكم بالسلاح والعدة وأنا شريككم في الرأي، وإنما لي من هذا الملك اسمه مع الطاعة منكم ألا وإن الملك ملك إذا أطيع، فإذا خولف فذلك مملوك ليس بملك ومهما بلغنا من الخلاف فإننا لا نقبله من المبلغ له حتى نتيقنه، فإذا صحت معرفة ذلك وإلا أنزلناه منزلة المخالف ألا وإن أكل الأداة عند المصيبات الأخذ بالصبر والراحة إلى اليقين، فمن قتل في مجاهدة العدو رجوت له الفوز برضوان الله وأفضل الأمور التسليم لأمر الله والراحة إلى اليقين والرضا بقضائه، وأين المهرب مما هو كائن! وإنما يتقلب في كف الطالب، وإنما هذه الدنيا سفر لأهلها لا يحلون عقد الرجال إلا في غيرها، وإنما بلغتهم فيها بالعواري، فما أحسن الشكر للنعيم والتسليم لمن القضاء له! ومن أحق بالتسليم لمن فوّه ممن لا يجد مهربا إلا إليه، ولا معولا إلا عليه! فتقوا بالغلبة إذا كانت نياتكم أن النصر من الله، وكونوا على ثقة من درك الطلبة إذا صحت نياتكم واعلموا أن هذا الملك لا يقوم إلا بالاستقامة وحسن الطاعة وقمع العدو وسد الثغور والعدل للرعية وإنصاف المظلوم، فشفائكم عندهم، والدواء الذي لا داء فيه الاستقامة، والأمر بالخير والنهي عن الشر، ولا قوه إلا بالله انظروا للرعية فإنها مطعمكم ومشربكم، ومتى عدلتم فيها رغبوا في العمارة، فزاد ذلك في خراجكم، وتبين في زيادة أرزاقكم، وإذا خفتم على الرعية زهدوا في العمارة، وعطلوا أكثر الأرض فنقص ذلك

من خراجكم، وتبين في نقص أرزاقكم، فتعاهدوا الرعية بالإنصاف، وما كان من الأنهار والبثوق مما نفقة ذلك من السلطان فأسرعوا فيه قبل أن يكثر، وما كان من ذلك على الرعية فعجزوا عنه فأقرضوهم من بيت مال الخراج، فإذا حان أوقات خراجهم، نخذوا من خراج غلاتهم على قدر ما لا يحجف ذلك بهم، ربع في كل سنة أو ثلث أو نصف، لكيلا يشق ذلك عليهم هذا قولي وأمرى يا موبذ موبذان، الزم هذا القول، وخذ في هذا الذي سمعت في يومك، أسمعتم أيها الناس! فقالوا: نعم، قد قلت فأحسن، ونحن فاعلون إن شاء الله: ثم أمر بالطعام فوضع فأكلوا وشربوا، ثم خرجوا وهم له شاكرون.

وكان ملكه مائة وعشرين سنة.

وقد زعم هشام بن الكلبي فيما حدثت عنه أن الراش بن قيس بن صيفي ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان كان من ملوك اليمن بعد يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ وإخوته، وأن الراش كان ملكه باليمن أيام ملك منوشهر، وأنه إنما سمي الراش - واسمه الحارث بن أبي شدد - لغنيمة غنمها من قوم غزاهم فأدخلها اليمن، فسمي لذلك الراش، وأنه غزا الهند فقتل بها وسبي وغنم الأموال، ورجع إلى اليمن ثم سار منها، فخرج على جبلي طيئ ثم على الأنبار، ثم على الموصل، وأنه وجه منها خيله وعليها رجل من أصحابه، يقال له: شمر بن العطف، فدخل على الترك أرض أذربيجان وهي في أيديهم يومئذ، فقتل المقاتلة وسبي الذرية، وزير ما كان من مسيره في حجرين، فهما معروفان ببلاد أذربيجان قال: وفي ذلك يقول امرؤ القيس:

ألم يخبرك أن الدهر غول ... ختور العهد يلتقم الرجالا

أزال عن المصانع ذا رياش ... وقد ملك السهولة والجبالا

وأنشب في الخالب ذا منار ... وللزاد قد نصب الجبالا

قال: وذو منار الذي ذكره الشاعر هو ذو منار بن رائش، الملك بعد أبيه، واسمه أبرهة بن الراش، قال: وإنما سمي ذا منار لأنه غزا بلاد المغرب فوغل فيها برا وبحرا، وخاف على جيشه الضلال عند قفوله، فبنى المنار ليهتدوا بها.

قال: ويزعم أهل اليمن أنه كان وجه ابنه العبد بن أبرهة في غزوته هذه إلى ناحية من أقاصي بلاد المغرب، فغنم وأصاب مالا وقدم عليه بنسنان لهم خلق وحشيه منكرة، فذعر الناس منهم، فسموه ذا الأذعار.

قال: فأبرهة أحد ملوكهم الذين توغلوا في الأرض، وإنما ذكرت من ذكرت من ملوك اليمن في هذا الموضع لما ذكرت من قول من زعم أن الراش كان ملكا باليمن أيام منوشهر، وأن ملوك اليمن كانوا عمالا لملوك فارس بها، ومن قبلهم كانت ولايتهم بها

١٠١٢ ذكر نسب موسى بن عمران وأخباره

ذكر نسب موسى بن عمران وأخباره

وما كان في عهده وعهد منوشهر بن منشخورنر الملك من الأحداث قد ذكرنا أولاد يعقوب إسرائيل الله وعددهم وموالدهم فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، قال: ثم إن لاوي بن يعقوب نكح نابتة ابنة ماري بن يشخر، فولدت له عرشون بن لاوي ومرزى بن لاوي ومردى بن لاوي وقاهث ابن لاوي فنكح قاهث بن لاوي فاهى ابنة مسين بن بتويل بن إلياس. فولدت له يصهر بن قاهث فتزوج يصهر شميث ابنه بناديت بن بريكا ابن يقسان بن إبراهيم فولدت له عمران بن يصهر، وقارون بن يصهر، فنكح عمران يحيى ابنة شمويل بن بريكا بن يقسان بن إبراهيم فولدت له هارون بن عمران وموسى بن عمران.

وقال غير ابن إسحاق: كان عمر يعقوب بن إسحاق مائة وسبعا وأربعين سنة، وولد لاوي له، وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة، وولد للاوي قاهث بعد أن مضى من عمر لاوي ست وأربعون سنة، ثم ولد لقاهث يصهر، ثم ولد ليصهر عمرم - وهو عمران - وكان عمر يصهر مائة وسبعا وأربعين سنة، وولد له عمران بعد أن مضى من عمره ستون سنة، ثم ولد لعمران موسى، وكانت أمه يوخابد - وقيل: كان اسمها باخثة - وامرأته صفورا ابنة يثرون، وهو

شعيب النبي ص وولد موسى جرشون وإيليعازر، وخرج إلى مدين خائفا وله إحدى وأربعون سنة، وكان يدعو إلى دين إبراهيم، وتراءى الله بطور سيناء، وله ثمانون سنة.

وكان فرعون مصر في أيامه قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثاني، وكانت امرأته آسية ابنة مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد، فرعون يوسف الأول فلما نودي موسى أعلم أن قابوس بن مصعب قد مات، وقام أخوه الوليد بن مصعب مكانه، وكان أعتى من قابوس وأكفر وأجبر، وأمر بأن يأتيه هو وأخوه هارون بالرسالة.

قال: ويقال إن الوليد تزوج آسية ابنة مزاحم بعد أخيه وكان عمر عمران مائة سنة وسبعا وثلاثين سنة، وولد موسى وقد مضى من عمر عمران سبعون سنة، ثم صار موسى إلى فرعون رسولا مع هارون، وكان من مولد موسى إلى أن خرج ببني إسرائيل عن مصر ثمانون سنة، ثم صار إلى التيه بعد أن عبر البحر، فكان مقامهم هنالك إلى أن خرجوا مع يوشع بن نون أربعين سنة، فكان ما بين مولد موسى إلى وفاته في التيه مائة وعشرين سنة.

وأما ابن إسحاق فإنه قال فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: قبض الله يوسف، وهلك الملك الذي كان معه الريان بن الوليد، وتوارثت الفراعنة من العماليق ملك مصر، فنشر الله بها بني إسرائيل، وقبر يوسف حين قبض - كما ذكر لي - في صندوق من مرمر في ناحية من النيل في جوف الماء، فلم يزل بنو إسرائيل تحت أيدي الفراعنة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم شرعوا فيهم

من الإسلام، متمسكين، به حتى كان فرعون موسى الذي بعثه الله إليه، ولم يكن منهم فرعون أعتى منه على الله ولا أعظم قولاً ولا أطول عمراً في ملكه منه.

وكان اسمه - فيما ذكروا لي - الوليد بن مصعب، ولم يكن من الفراعنة فرعون أشد غلظة، ولا أقسى قلباً، ولا أسوأ ملكة لبني إسرائيل منه، يعذبهم فيجعلهم خدماً وخولاً، وصنفهم في أعماله، فصنف يبنون، وصنف يحوثون، وصنف يزرعون له، فهم في أعماله، ومن لم يكن منهم في صنعة له من عمله فعليه الجزية، فسأهم كما قال الله: «سوء العذاب» ، وفيهم مع ذلك بقايا من أمر دينهم لا يريدون فراقه، وقد استنكح منهم امرأة يقال لها آسية ابنه مزاحم، من خيار النساء المحدثات، فعمر فيهم وهم تحت يديه عمراً طويلاً يسومهم سوء العذاب، فلما أراد الله أن يفرج عنهم وبلغ موسى الأشد أعطي الرسالة.

قال: وذكر لي أنه لما تقارب زمان موسى أتى منجمو فرعون وحزاته إليه، فقالوا: تعلم أنا نجد في علمنا أن مولوداً من بني إسرائيل قد أظلك زمانه الذي يولد فيه، يسلبك ملكك، ويغلبك على سلطانك، ويخرجك من أرضك، ويبدل دينك فلما قالوا له ذلك أمر بقتل كل مولود يولد من بني إسرائيل من الغلمان وأمر بالنساء يستحيين، فجمع القوابل من نساء أهل مملكته فقال لهن: لا يسقطن على أيديكن

غلام من بني إسرائيل إلا قتلتموه، فكن يفعلن ذلك، وكان يذبح من فوق ذلك من الغلمان، ويأمر بالحبلى فيعذب حتى يطرحن ما في بطونهن.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: لقد ذكر لي أنه كان يأمر بالقصب فيشق حتى يجعل أمثال الشفار، ثم يصف بعضه إلى بعض، ثم يأتي بالحبلى من بني إسرائيل فيوقفهن عليه فيحز أقدامهن، حتى إن المرأة منهن لتمصع بولدها فيقع بين رجلها، فتظل تطؤه نثقي به حز القصب عن رجلها، لما بلغ من جهدها، حتى أسرف في ذلك، وكاد يفنيهم، فقيل له: أفنيت

الناس، وقطعت النسل، وإنهم خولك وعمالك فأمر أن يقتل الغلمان عاما ويستحيوا عاما، فولد هارون في السنة التي يستحيا فيها الغلمان، وولد موسى في السنة التي فيها يقتلون، فكان هارون أكبر منه بسنة وأما السدي فإنه قال ما حدثنا موسى بن هارون، قال: حدثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله ص أنه كان من شأن فرعون أنه رأى رؤيا في منامه أن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر، فأحرق القبط وترك بني إسرائيل، وأخربت بيوت مصر، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة، فسألهم عن رؤياه فقالوا له: يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه - يعنون بيت المقدس - رجل يكون على وجهه هلاك مصر فأمر بني إسرائيل ألا يولد لهم غلام إلا ذبحوه، ولا يولد لهم جارية إلا تركت وقال للقبط:

انظروا مملوكيكم الذين يعملون خارجا فأدخلوهم واجعلوا بني إسرائيل يلون تلك الأعمال القادرة فجعل بني إسرائيل في أعمال غلمانهم وأدخلوا غلمانهم.

فذلك حين يقول الله: «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ» يقول: تجبر في الأرض، «وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا» - يعني بني إسرائيل حين جعلهم في الأعمال القدره - «يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ»، فجعل لا يولد لبني إسرائيل مولود إلا ذبح، فلا يكبر الصغير، وقذف الله في مشيخة بني إسرائيل الموت، فأسرع فيهم، فدخل رؤوس القبط على فرعون فكلموه، فقالوا: إن هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت، فيوشك أن يقع العمل على غلماننا نذبح أبناءهم فلا يبلغ الصغار، ويفنى الكبار، فلو أنك تبقي من أولادهم! فأمر أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة، فلما كان في السنة التي لا يذبحون فيها ولد هارون قيرك، فلما كان في السنة التي يذبحون فيها حملت أم موسى بموسى فلما ارادت وضعه

حزنت من شأنه، فأوحى الله إليها: «أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتُ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَهُوَ تِلْءٌ، وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ» فلما وضعته أرضعته، ثم دعت له نجارا فجعل له تابوتا، وجعل مفتاح التابوت من داخل، وجعلته فيه وألقته في اليم، «وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ» تعني قصي أثره «فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جَنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ»، أنها أخته فأقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة، ويخفضه أخرى، حتى أدخله بين أشجار عند بيت فرعون، فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يغتسلن، فوجدن التابوت فدخلنه إلى آسية، وظنن أن فيه مالا، فلما نظرت إليه آسية وقعت عليه رحمته وأحبته فلما أخبرت به فرعون أراد أن يذبحه، فلم تزل آسية تكلمه حتى تركه لها، قال: إني أخاف أن يكون هذا من بني إسرائيل، وأن يكون هذا الذي على يديه هلاكنا، فذلك قول الله تعالى: «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا» فأرادوا له المرضعات، فلم يأخذ من أحد من النساء، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع، فأبى أن يأخذ، فذلك قول الله: «وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرْضَاعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ» أخته «هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ»، فأخذوها، وقالوا: إنك قد عرفت هذا الغلام فدليننا على أهله فقالت: ما أعرفه، ولكني إنما قلت: هم للهالك ناصحون.

وَلَمَّا جَاءَتْ أُمُّهُ أَخَذَتْ مِنْهَا تَدْيِيهَا فَكَادَتْ أَنْ تُقُولَ: هُوَ ابْنِي! فَعَصَمَهَا
اللَّهُ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: «إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»، وَإِنَّمَا سَمِيَ مُوسَى لِأَنَّهُمْ وَجَدُوهُ فِي مَاءٍ وَشَجَرٍ،
وَالْمَاءُ بِالْقَبْطِيَّةِ مُو وَالشَّجَرُ شَا فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

«فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ» فَاتَّخَذَهُ فِرْعَوْنُ وَلَدًا فَدَعِيَ ابْنَ فِرْعَوْنَ فَلَمَّا تَحَرَّكَ الْغُلَامُ أَرَتْهُ أُمُّهُ أَسِيَّةً صَبِيًّا، فَبَيْنَمَا هِيَ
تَرْقُبُهُ وَتَلْعَبُ بِهِ إِذْ نَاولَتْهُ فِرْعَوْنُ، وَقَالَتْ: خُذْهُ قُرَّةَ عَيْنٍ لِي وَلَكَ، قَالَ فِرْعَوْنُ:

هُوَ قُرَّةُ عَيْنٍ لَكَ وَلَا لِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: لَوْ أَنَّهُ قَالَ: وَهُوَ لِي قُرَّةُ عَيْنٍ إِذَا لَأَمَنْ بِهِ، وَلَكِنَّهُ ابْنِي، فَلَمَّا أَخَذَهُ إِلَيْهِ أَخَذَ مُوسَى
بِلَحْيَتِهِ فَتَنَفَّهَهَا، فَقَالَ فِرْعَوْنُ: عَلَيَّ بِالذَّبَّاحِينَ، هَذَا هُوَ! قَالَتْ أَسِيَّةُ: «لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا»، أَمَّا هُوَ صَبِيٌّ لَا يَعْقِلُ،
وَإِنَّمَا صَنَعَ هَذَا مِنْ صِبَاهُ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي أَهْلِ مِصْرَ امْرَأَةٌ أَحْلَى مِنِّي، أَنَا أَضْعُ لَهُ حَلِيًّا مِنَ الْيَاقُوتِ، وَأَضْعُ لَهُ جَمْرًا، فَإِنْ أَخَذَ
الْيَاقُوتَ فَهُوَ يَعْقِلُ فَادْبَحْهُ، وَإِنْ أَخَذَ الْجَمْرَ فَإِنَّمَا هُوَ صَبِيٌّ، فَأَخْرَجَتْ لَهُ يَاقُوتَهَا فَوَضَعَتْ لَهُ طِستًا مِنْ جَمْرٍ، فجاء جبرئيل فطرح في يده
جمرة فطرحها موسى في فيه فأحرق لسانه، فهو الذي يقول الله عز وجل: «وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي» فَزَالَتْ عَنْ مُوسَى
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَكَبُرَ مُوسَى فَكَانَ يَرْكَبُ مَرَكَبَ فِرْعَوْنَ، وَيَلْبَسُ مِثْلَ مَا يَلْبَسُ، وَكَانَ إِنَّمَا يَدْعِي مُوسَى بْنَ فِرْعَوْنَ ثُمَّ إِنَّ فِرْعَوْنَ رَكِبَ
مَرْجًا وَلَيْسَ عِنْدَهُ مُوسَى، فَلَمَّا جَاءَ مُوسَى قِيلَ لَهُ: إِنَّ فِرْعَوْنَ قَدْ رَكِبَ، فَكَرِبَ فِي أَثَرِهِ فَأَدْرَكَهُ الْمَقِيلُ بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا مَنَفٌ، فَدَخَلَهَا
نِصْفَ النَّهَارِ،

وَقَدْ تَعَلَّقَتْ أَسْوَاقُهَا وَلَيْسَ فِي طَرَفِهَا أَحَدٌ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ
هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ يَقُولُ: هَذَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ يَقُولُ: مِنَ الْقَبْطِ فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ
مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ
قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْجَنِّينَ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ» خَائِفًا أَنْ يُؤْخَذَ، «فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ
يَسْتَصْرِخُهُ» يَقُولُ: يَسْتَعِثُّهُ «قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِي مُبِينٌ» ثُمَّ أَقْبَلَ مُوسَى لِيَنْصَرَهُ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى مُوسَى قَدْ أَقْبَلَ نَحْوَهُ لِيَبْطِشَ بِالرَّجُلِ
الَّذِي يُقَاتِلُ الْإِسْرَائِيلِيَّ، قَالَ الْإِسْرَائِيلِيُّ - وَفَرَّقَ مِنْ مُوسَى أَنْ يَبْطِشَ بِهِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَغْلَظَ الْكَلَامَ - يَا مُوسَى «أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا
قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ» .

فَرَكَّهُ وَذَهَبَ الْقَبْطِيُّ، فَأَفْشَى عَلَيْهِ أَنَّ مُوسَى هُوَ الَّذِي قَتَلَ الرَّجُلَ، فَطَلَبَهُ فِرْعَوْنُ وَقَالَ: خُذْهُ فَإِنَّهُ صَاحِبُنَا، وَقَالَ لِلَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ:
اطْلُبُوهُ فِي بَنِيَاتِ الطَّرِيقِ، فَإِنَّ مُوسَى غُلَامٌ لَا يَهْتَدِي إِلَى الطَّرِيقِ، وَأَخَذَ مُوسَى فِي بَنِيَاتِ الطَّرِيقِ وَجَاءَهُ الرَّجُلُ وَأَخْبَرَهُ «إِنَّ الْمَلَأَ
يَأْتِمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» فَلَمَّا أَخَذَ مُوسَى فِي بَنِيَاتِ
الطَّرِيقِ جَاءَهُ مَلَكٌ عَلَى فَرَسٍ بِيَدِهِ عِزَّةٌ، فَلَمَّا رَأَاهُ مُوسَى سَجَدَ لَهُ مِنَ الْفَرَقِ، فَقَالَ: لَا تَسْجُدْ لِي، وَلَكِنْ اتَّبِعْنِي، فَاتَّبَعَهُ فَهَدَاهُ نَحْوَ مَدْيَنَ،
وَقَالَ مُوسَى وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ نَحْوَ مَدْيَنَ:

«عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ»، فَانْطَلَقَ بِهِ الْمَلَكُ حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى مَدْيَنَ
حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ:

حَدَّثَنَا أَصْبَغُ بْنُ زَيْدٍ الْجُهَنِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ مُوسَى:
«وَقَتْنَاكَ فِتْنًا»، فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْفُتُونِ مَا هِيَ؟ فَقَالَ لِي: اسْتَأْنَفَ النَّهَارَ يَا بْنَ جُبَيْرٍ، فَإِنَّ لَهَا حَدِيثًا طَوِيلًا، قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَتْ غَدَوْتُ عَلَى
ابْنِ عَبَّاسٍ لَا تَخْجِزُ مِنْهُ مَا وَعَدَنِي قَالَ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَذَاكُرَ فِرْعَوْنَ وَجُلَسَاؤُهُ مَا وَعَدَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ أَنْبِيَاءَ وَمُلُوكًا،

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيَنْتَظِرُونَ ذَلِكَ مَا يَشْكُونَ، وَلَقَدْ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّهُ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ، فَلَمَّا هَلَكَ قَالُوا: لَيْسَ هَكَذَا كَانَ اللَّهُ وَعَدَ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ فِرْعَوْنُ: فَكَيْفَ تَرَوْنَ؟

قَالَ: فَاتَّمَرُوا بَيْنَهُمْ، وَاجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ رَجُلًا مَعَهُمُ الشَّفَارُ، يَطُوفُونَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَا يَجِدُونَ مَوْلُودًا ذَكَرًا إِلَّا ذَبَحُوهُ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّ الْكِبَارَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَمُوتُونَ بِأَجَالِهِمْ، وَأَنَّ الصِّغَارَ يَذْبَحُونَ قَالُوا: تَوْشِكُونَ أَنْ تَفْنُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَتَصِيرُوا إِلَى أَنْ تَبَاشِرُوا مِنْ الْأَعْمَالِ وَالْخِدْمَةِ الَّتِي كَانُوا يَكْفُونَكُمْ، فَاقْتُلُوا عَامًا كُلَّ مَوْلُودٍ ذَكَرٍ، فَيَقِلَّ أُنْبَاؤُهُمْ، وَدَعُوا عَامًا لَا تَقْتُلُوا مِنْهُمْ أَحَدًا، فَيَشَبَّ الصِّغَارُ مَكَانَ مَنْ يَمُوتُ مِنَ الْكِبَارِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَكْثُرُوا بِمَنْ تَسْتَحْيُونَ مِنْهُمْ فَتَخَافُوا مُكَاثَرَتَهُمْ إِيَّاكُمْ، وَلَنْ يَقْلُوا بِمَنْ تَقْتُلُونَ فَاجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَحَمَلَتْ أُمُّ مُوسَى بِهَارُونَ فِي الْعَامِ الَّذِي لَا يَذْبَحُ فِيهِ الْغُلَامُ فَوَلَدَتْهُ عِلَانِيَةً أَمْنَةً حَتَّى إِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَمَلَتْ بِمُوسَى فَوَقَعَ فِي قَلْبِهَا الْحُزْنُ- وَذَلِكَ مِنَ الْفِتْنِ يَا بَن جُبَيْر- مِمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ مِمَّا يَرَادُ بِهِ، فَوَحَى اللَّهُ إِلَيْهَا:

«الَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ» وَأَمَرَهَا إِذَا وَلَدَتْهُ أَنْ تَجْعَلَهُ فِي تَابُوتٍ، ثُمَّ تَلْقِيَهُ فِي الْيَمِّ فَلَمَّا وَلَدَتْهُ فَعَلَتْ مَا أَمَرْتُ بِهِ، حَتَّى إِذَا تَوَارَى عَنْهَا ابْنُهَا أَتَاهَا إِبْلِيسُ، فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا: مَا صَنَعْتُ بِابْنِي؟

لَوْ ذُبِحَ عِنْدِي فَوَارِيْتُهُ وَكَفَّنْتُهُ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُلْقِيَهُ بِيَدِي إِلَى حِيتَانِ الْبَحْرِ وَدَوَابِّهِ فَيَنْطَلِقَ بِهِ الْمَاءُ حَتَّى أَوْفِيَ بِهِ عِنْدَ فُرْضَةِ مُسْتَقَى جَوَارِي آلِ فِرْعَوْنَ، فَرَأَيْتُهُ فَأَخَذَنِي، فَهَمَمْتُ أَنْ يَفْتَحَنَ التَّابُوتَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّ فِي هَذَا مَالًا، وَإِنَّا إِنْ فَتَحْنَاهُ لَمْ تَصْدِقْنَا امْرَأَةً فِرْعَوْنَ بِمَا وَجَدْنَا فِيهِ، فَحَمَلْنَاهُ كَهَيْئَتِهِ لَمْ يُحَرِّكَنَّ مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى دَفَعْنَاهُ إِلَيْهَا، فَلَمَّا فَتَحَتْهُ رَأَتْ فِيهِ الْغُلَامَ، فَأَلْقَى عَلَيْهِ مِنْهَا مَحَبَّةً لَمْ يَلْقَ مِثْلَهَا مِنْهَا عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، «وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِعَاً» مِنْ ذِكْرِ كُلِّ شَيْءٍ، إِلَّا مِنْ ذِكْرِ مُوسَى.

فَلَمَّا سَمِعَ الذَّبَّاحُونَ بِأَمْرِهِ أَقْبَلُوا إِلَى امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ بِشَفَارِهِمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَذْبَحُوهُ- وَذَلِكَ مِنَ الْفِتْنِ يَا بَن جُبَيْر- فَقَالَتْ: لِلذَّبَّاحِينَ: أَنْصَرِفُوا، فَإِنَّ هَذَا الْوَاحِدَ لَا يَزِيدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَاتَى فِرْعَوْنَ فَاسْتَوْهَبَهُ إِيَّاهُ، فَإِنْ وَهَبَهُ لِي كُنْتُ قَدْ أَحْسَنْتُمْ وَأَجَلْتُمْ، وَإِنْ أَمَرَ بِذَبْحِهِ لَمْ أَلْكُمْ فَلَمَّا أَتَتْ بِهِ فِرْعَوْنَ قَالَتْ: «قَرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ»، قَالَ فِرْعَوْنُ: يَكُونُ لَكَ، فَأَمَّا أَنَا فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: وَالَّذِي يَخْلِفُ بِهِ، لَوْ أَقَرَّ فِرْعَوْنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ قُرَّةُ عَيْنٍ كَمَا أَقَرَّتْ بِهِ لَهْدَاهُ اللَّهُ بِهِ، كَمَا هَدَى بِهِ امْرَأَتَهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُ ذَلِكَ]. فَارْسَلَتْ إِلَى مَنْ حَوْلَهَا مِنْ كُلِّ أُنْثَى لَهَا لَبَنٌ لِتَخْتَارَ لَهُ ظِئْرًا، فَجَعَلَ كُلُّهَا أَخَذَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ لِتَرْضِعَهُ لَمْ يَقْبَلْ ثَدْيَهَا، حَتَّى أَشْفَقَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ أَنْ يَمْتَنَعَ مِنَ اللَّبَنِ فَيَمُوتَ، فَخَزَنَهَا ذَلِكَ، فَأَمَرَتْ بِهِ فَأُخْرِجَ إِلَى السُّوقِ،

يَجْمَعُ النَّاسُ تَرْجُو أَنْ تُصِيبَ لَهُ ظِئْرًا يَأْخُذُ مِنْهَا، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ، وَأَصْبَحَتْ أُمُّ مُوسَى فَقَالَتْ لِأُخْتِهِ: قُصِّبِهِ وَاطْلُبِيهِ هَلْ تَسْمَعِينَ لَهُ ذِكْرًا! أَحْيِ ابْنِي أَمْ قَدْ أَكَلَتْهُ دَوَابُّ الْبَحْرِ وَحَيَاتُهُ؟ وَلَسِيَّتِ الَّذِي كَانَ اللَّهُ وَعَدَهَا، فَبَصُرَتْ بِهِ أُخْتُهُ عَنْ جَنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، فَقَالَتْ مِنَ الْفَرَجِ حِينَ أَعْيَاهُمُ الظُّطُورَاتُ:

«هَلْ أَدْلُكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ» فَأَخَذُوهَا فَقَالُوا: وَمَا يَدْرِيكَ مَا نَصَحَهُمْ لَهُ! هَلْ تَعْرِفِينَهُ؟ حَتَّى شَكُوا فِي ذَلِكَ- وَذَلِكَ مِنَ الْفِتْنِ يَا بَن جُبَيْر- فَقَالَتْ: نَصَحَهُمْ لَهُ، وَشَفَقْتُهُمْ عَلَيْهِ، وَرَغِبْتُهُمْ فِي ظُورَةِ الْمَلِكِ، وَرَجَاءُ مَنْفَعَتِهِ فَتَرْكُوها، فَانْطَلَقَتْ إِلَى أُمِّهَا فَأَخْبَرَتْهَا الْخَبَرَ، فَجَاءَتْ فَلَمَّا وَضَعَتْهُ فِي جُحْرٍ نَزَا إِلَى ثَدْيِهَا حَتَّى امْتَلَأَ جَنْبَاهُ، فَانْطَلَقَ الْبُشْرَاءُ إِلَى امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ يُبَشِّرُونَهَا أَنَّ قَدْ وَجَدْنَا لَابْنِكَ ظِئْرًا، فَارْسَلَتْ إِلَيْهَا فَأُتِيَتْ بِهَا وَبِهِ، فَلَمَّا رَأَتْ مَا يَصْنَعُ بِهَا قَالَتْ: امْكُثِي عِنْدِي تَرْضِعِينَ ابْنِي هَذَا فَإِنِّي لَمْ أَحِبَّ حُبَّهُ شَيْئًا قَطُّ قَالَ: فَقَالَتْ: لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدَعَ بَيْتِي وَوَلَدِي فَيَضِيعَ، فَإِنْ طَابَتْ نَفْسُكَ أَنْ تُعْطِيَنِيهِ فَأَذْهَبَ بِهِ إِلَى بَيْتِي، فَيَكُونُ مَعِيَ لَا أَلُوهُ

خَيْرًا فَعَلْتُ، وَإِلَّا فَإِنِّي غَيْرُ تَارِكَةٍ بَيْتِي وَوَلَدِي وَذَكَرْتُ أُمَّ مُوسَى مَا كَانَ اللَّهُ وَعَدَهَا، فَتَعَاَسَرْتُ عَلَى امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَابْتَيْتُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُنْجِزُ وَعْدِهِ، فَرَجَعْتُ بِابْنِهَا إِلَى بَيْتِهَا مِنْ يَوْمِهَا، فَأَنْبَتَهُ اللَّهُ نَبَاتًا حَسَنًا، وَحَفَظَهُ لِمَا قَضَى فِيهِ، فَلَمْ تَزَلْ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ فِي نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ يَمْتَنِعُونَ بِهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالسُّخْرِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِمْ، فَلَمَّا تَرَعَرَعَ قَالَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ لَأُمِّ مُوسَى: أُرِيدُ أَنْ تُرِيَنِي مُوسَى، فَوَعَدَتْهَا يَوْمًا تُرِيَهَا إِيَّاهُ فِيهِ، فَقَالَتْ لِحَوَاضِهَا وَطُورِهَا وَفَهَارِمَتِهَا: لَا يَبْقَيْنَ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا اسْتَقْبَلَ ابْنِي بِهَدِيَّةٍ وَكَرَامَةٍ، لِيرَى ذَلِكَ، وَأَنَا بِأَعْتَةِ أَمِينَةٍ تُحْصِي مَا يَصْنَعُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ فَلَمْ تَزَلِ الْهَدِيَّةُ وَالْكَرَامَةُ وَالتَّحْفُ تَسْتَقْبِلُهُ

مِنْ حِينَ خَرَجَ مِنْ بَيْتِ أُمِّهِ إِلَى أَنْ دَخَلَ عَلَى امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا بِجِلَّتِهِ وَأَكْرَمَتِهِ وَفَرِحَتْ بِهِ وَاعْجَبَهَا مَا رَأَتْ مِنْ حُسْنِ أَثَرِهَا عَلَيْهِ، وَقَالَتْ:

انْطَلِقْ بِهِ إِلَى فِرْعَوْنَ فَلْيَجْلِهِ وَلْيَكْرِمْهُ فَلَمَّا دَخَلَ بِهِ عَلَى فِرْعَوْنَ وَضَعْنَهُ فِي جَحْرِهِ، فَتَنَاولَ مُوسَى لَحْيَةَ فِرْعَوْنَ حَتَّى مَدَّهَا، فَقَالَ: عَدُوٌّ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ! أَلَا تَرَى مَا وَعَدَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ سَيَصْرَعُكَ وَيَعْلُوكُ! فَأَرْسَلَ إِلَى الذَّبَاحِينَ لِيَذْبَحُوهُ - وَذَلِكَ مِنَ الْفِتُونِ يَا بَنَ جَبْرِ - بَعْدَ كُلِّ بَلَاءٍ ابْتَلَى بِهِ وَأُرِيدَ بِهِ لُجْأَتِ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ تَسْعَى إِلَى فِرْعَوْنَ فَقَالَتْ: مَا بَدَأَ لَكَ فِي هَذَا الصَّبِيِّ الَّذِي وَهَبْتُهُ لِي؟ قَالَ:

أَلَا تَرِينِي يَزْعُمُ أَنَّهُ سَيَصْرَعُنِي وَيَعْلُونِي! فَقَالَتْ: اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ امْرَأَةً يَعْرِفُ فِيهِ الْحَقَّ، اثْنِ بَجَرَتَيْنِ وَلَوْلُوتَيْنِ فَقَرَّبْنِي إِلَيْهِ، فَإِنْ بَطَشَ بِاللُّوْلُوتَيْنِ وَاجْتَنَبَ الْجَمْرَتَيْنِ عَلِمْتُ أَنَّهُ يَعْقِلُ، وَإِنْ تَنَاولَ الْجَمْرَتَيْنِ وَلَمْ يَرِدِ اللَّوْلُوتَيْنِ فَاعْلَمْ أَنَّ أَحَدًا لَا يُوْثِرُ الْجَمْرَتَيْنِ عَلَى اللَّوْلُوتَيْنِ وَهُوَ يَعْقِلُ، فَقَرَّبَ ذَلِكَ إِلَيْهِ فَتَنَاولَ الْجَمْرَتَيْنِ فَزَعُوهُمَا مِنْهُ خَافَةً أَنْ تُحْرِقَا يَدَهُ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: أَلَا تَرَى! فَصَرَفَهُ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ مَا كَانَ قَدْ هَمَّ بِهِ، وَكَانَ اللَّهُ بَالِغًا فِيهِ أَمْرَهُ، فَلَمَّا بَلَغَ أَشَدَّهُ وَكَانَ مِنَ الرِّجَالِ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَخْلُصُ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِظُلْمٍ وَلَا سُخْرٍ، حَتَّى امْتَنَعُوا كُلُّ امْتِنَاعٍ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي ذَاتَ يَوْمٍ فِي نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ إِذَا هُوَ بِرَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ، أَحَدُهُمَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْآخَرُ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، فَاسْتَعَاثَهُ الْإِسْرَائِيلِيُّ عَلَى الْفِرْعَوْنِيِّ، فَغَضِبَ مُوسَى وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ لِأَنَّهُ تَنَاولَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ مَنْزِلَةَ مُوسَى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَحَفَظَهُ لَهُمْ، وَلَا يَعْلَمُ النَّاسُ إِلَّا أَنَّمَا ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ الرِّضَاةِ غَيْرُ أُمِّ مُوسَى، إِلَّا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَطْلَعَ مُوسَى مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا لَمْ يُطْلَعْ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، فَوَكَرَ مُوسَى الْفِرْعَوْنِيَّ فَقَتَلَهُ، وَلَيْسَ يَرَاهُمَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالْإِسْرَائِيلِيُّ، فَقَالَ مُوسَى حِينَ قَتَلَ الرَّجُلَ: «هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ»، ثُمَّ قَالَ: «رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» فَاصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ الْأَخْبَارَ، فَإِنِّي فِرْعَوْنَ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ نَحْنُ لَنَا بِحَقِّنَا، وَلَا تُرَخِّصْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: ابْغُونِي قَاتِلَهُ، وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ أَنْ نَقْضِيَ بَغِيرَ بَيِّنَةٍ وَلَا نَبْتَاطُ فَطْلُبُوا لَهُ ذَلِكَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَطُوفُونَ لَا يَجِدُونَ بَيِّنَةً، إِذْ مَرَّ مُوسَى مِنَ الْغَدِ، فَرَأَى ذَلِكَ الْإِسْرَائِيلِيَّ يُقَاتِلُ فِرْعَوْنِيًّا، فَاسْتَعَاثَهُ الْإِسْرَائِيلِيُّ عَلَى الْفِرْعَوْنِيِّ، فَصَادَفَ مُوسَى وَقَدْ نَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ بِالْأَمْسِ، وَكَرِهَ الَّذِي رَأَى، فَغَضِبَ مُوسَى فَمَدَّ يَدَهُ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْطِشَ بِالْفِرْعَوْنِيِّ، فَقَالَ لِلْإِسْرَائِيلِيِّ لِمَا فَعَلَ بِالْأَمْسِ وَالْيَوْمِ: «إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ».

فَنَظَرَ الْإِسْرَائِيلِيُّ إِلَى مُوسَى بَعْدَ مَا قَالَ مَا قَالَ، فَإِذَا هُوَ غَضْبَانٌ كَغَضَبِهِ بِالْأَمْسِ الَّذِي قَتَلَ فِيهِ الْفِرْعَوْنِيَّ، خَافَ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ مَا قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ»، أَنْ يَكُونَ إِيَّاهُ أَرَادَ - وَلَمْ يَكُنْ أَرَادَهُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الْفِرْعَوْنِيَّ - خَافَ الْإِسْرَائِيلِيُّ لِحَاجَزِ الْفِرْعَوْنِيِّ، وَقَالَ: يَا مُوسَى «أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ»! وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ خَافَةً أَنْ يَكُونَ إِيَّاهُ أَرَادَ مُوسَى لِيَقْتُلَهُ، فَانْطَلَقَ الْفِرْعَوْنِيُّ إِلَى قَوْمِهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا سَمِعَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيِّ مِنَ الْخَبَرِ، حِينَ يَقُولُ: «أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ»! فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ الذَّبَاحِينَ، وَسَلَكَ مُوسَى الطَّرِيقَ الْأَعْظَمَ وَطَلَبُوهُ وَهُمْ لَا يَخَافُونَ أَنْ يَقُوتَهُمْ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ شِيعَةِ مُوسَى مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ، فَاخْتَصَرَ طَرِيقًا قَرِيبًا حَتَّى

سَبَقَهُمْ إِلَى مُوسَى، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، وَذَلِكَ مِنَ الْفَتُونِ يَا بْنَ جُبَيْرٍ.
ثُمَّ رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ السُّدِّيِّ قَالَ: «فَلَهَا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ
عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ» يَقُولُ: كَثَرَةُ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ.

وقد حَدَّثَنَا أَبُو عَمَارٍ الْمُرُوزِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: خَرَجَ
مُوسَى مِنْ مِصْرَ إِلَى مَدْيَنَ، وَبَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ ثَمَانِ لَيَالٍ - قَالَ: وَكَانَ يُقَالُ نَحْوُ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ - وَلَمْ يَكُنْ لَهُ طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ،
نَفْرَجَ حَافِيَا، فَمَا وَصَلَ إِلَيْهَا حَتَّى وَقَعَ خَفَ قَدَمِهِ حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِثَامٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ الْمُنْهَالِ، عَنْ سَعِيدِ
بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بَخُوهُ.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ السُّدِّيِّ «وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ» يَقُولُ: تَحْبَسَانِ غَنَمَهُمَا، فَسَأَلَهُمَا: «مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي
حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ» ، فَرَحَمَهُمَا مُوسَى فَأَتَى الْبُئْرَ فَاقْتَلَعَ صَخْرَةً عَلَى الْبُئْرِ، كَانَ الْفَرَسُ مِنْ أَهْلِ مَدْيَنَ يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهَا حَتَّى
يَرْفَعُوهَا، فَسَقَى لَهَا مُوسَى دَلْوًا فَأَرَوَاتَا غَنَمَهُمَا، فَرَجَعَتَا سَرِيعًا، وَكَانَتَا إِذَا تَسْقِيَانِ مِنَ فَضُولِ الْحَيَاضِ، ثُمَّ تَوَلَّى مُوسَى إِلَى ظِلِّ شَجَرَةٍ
مِنَ السَّمَرِ فَقَالَ:

«رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

لَقَدْ قَالَ مُوسَى، وَلَوْ شَاءَ إِنْسَانٌ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى خَضِرَةِ أَمْعَائِهِ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ مَا يَسْأَلُ اللَّهَ إِلَّا أَكْلَةً.
حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَكَّامُ بْنُ سَلَمٍ، عَنْ عَنَسَةَ، عَنْ أَبِي حُصَيْنٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:
«وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ» ، قَالَ: وَرَدَ الْمَاءُ وَإِنَّهُ لَيَتَرَاءَى خَضِرَةَ الْبَقْلِ فِي بَطْنِهِ مِنْ

الْهَزَالِ فَقَالَ: «رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» قَالَ: شُبُعَةُ.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ السُّدِّيِّ فَلَمَّا رَجَعَتِ الْجَارِيتَانِ إِلَى أَبِيهِمَا سَرِيعًا، سَأَلَهُمَا فَأَخْبَرَتَاهُ خَبَرَ مُوسَى، فَأَرْسَلَ إِحْدَاهُمَا فَأَتَتْهُ «تَمَّشِي
عَلَى اسْتِحْيَاءٍ وَهِيَ تَسْتَحْيِي مِنْهُ» ، قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرٌ مَا سَقَيْتَ لَنَا» فَقَامَ مَعَهَا، وَقَالَ لَهَا: امْضِي، فَمَشَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ،
فَضْرَبَتْهَا الرِّيحُ فَفَظَرَ إِلَى عَجِيزَتِهَا، فَقَالَ لَهَا مُوسَى: امْشِي خَلْفِي وَدُلِّيْنِي عَلَى الطَّرِيقِ إِنْ أَخْطَأْتُ، فَلَمَّا أَتَى الشَّيْخَ «وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ
قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ» .

وَهِيَ الْجَارِيَةُ الَّتِي دَعَتْهُ قَالَ الشَّيْخُ: هَذِهِ الْقُوَّةُ قَدْ رَأَيْتَ حِينَ اقْتَلَعَ الصَّخْرَةَ، أَرَأَيْتَ أَمَانَتَهُ مَا يُدْرِيكَ مَا هِيَ؟ قَالَتْ: إِنِّي مَشَيْتُ قُدَّامَهُ
فَلَمْ يُحِبَّ أَنْ يُخَوِّنَنِي فِي نَفْسِي، وَأَمَرَنِي أَنْ أَمْشِيَ خَلْفَهُ، قَالَ لَهُ الشَّيْخُ: «إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي» -
إِلَى - «إِنَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضِيَّتُ» ، إِمَّا ثَمَانِيًا وَإِمَّا عَشْرًا، «وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ» .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْجَارِيَةُ الَّتِي دَعَتْهُ هِيَ الَّتِي تَزَوَّجَ بِهَا فَأَمَرَ إِحْدَى ابْنَتَيْهِ أَنْ تَأْتِيَهُ بِعَصَا فَاتَتْهُ بِعَصَا، وَكَانَتْ تِلْكَ الْعَصَا عَصَا اسْتَوْدَعَهَا
إِيَّاهُ مَلِكٌ فِي صُورَةِ رَجُلٍ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ فَدَخَلَتِ الْجَارِيَةُ فَأَخَذَتِ الْعَصَا فَاتَتْهُ بِهَا، فَلَمَّا رَأَاهَا الشَّيْخُ قَالَ لَهَا: لَا، آيْتِي بِغَيْرِهَا، فَأَلْقَتْهَا،
فَأَخَذَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْخُذَ غَيْرَهَا فَلَا يَقَعُ فِي يَدِهَا إِلَّا هِيَ، وَجَعَلَ يَرُدُّدَهَا، فَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَخْرُجُ فِي يَدِهَا غَيْرَهَا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَمَدَ إِلَيْهَا
فَأَخْرَجَهَا مَعَهُ، فَرَعَى بِهَا ثُمَّ إِنَّ الشَّيْخَ قَدَّمَ وَقَالَ:

كَانَتْ وَدِيعَةً فَخَرَجَ يَتَلَقَّى مُوسَى فَلَمَّا لَقِيَهُ قَالَ: أَعْطِنِي الْعَصَا، فَقَالَ مُوسَى:

هِيَ عَصَايَ، فَأَبَى أَنْ يُعْطِيَهُ، فَاخْتَصَمَا بَيْنَهُمَا ثُمَّ تَرَاضِيَا أَنْ يَجْعَلَا بَيْنَهُمَا أَوَّلَ رَجُلٍ يَلْقَاهُمَا، فَاتَاهُمَا مَلِكٌ يَمْشِي فَقَضَى بَيْنَهُمَا فَقَالَ:

ضَعَاهَا فِي الْأَرْضِ فَمَنْ حَمَلَهَا فِيهِ لَهٗ، فَعَالَجَهَا الشَّيْخُ فَلَمْ يُطَقِّهَا، وَأَخَذَهَا مُوسَى بِيَدِهِ فَرَفَعَهَا، فَتَرَكَهَا لَهُ الشَّيْخُ، فَرَعَى لَهُ عَشْرَ سِنِينَ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ مُوسَى أَحَقَّ بِالْوَفَاءِ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الطُّوسِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَمِيدِيُّ عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ الزُّبَيْرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ، عَنْ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، [أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ: سَأَلْتُ جَبْرِئِيلَ: أَيُّ الْأَجْلَيْنِ قَضَى مُوسَى؟ قَالَ: أَتَمَّهُمَا وَآكَلَهُمَا].

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قَالَ لِي يَهُودِيُّ بِالْكُوفَةِ- وَأَنَا أَتَجَهَّزُ لِلْحَجِّ: إِنِّي أَرَاكَ رَجُلًا يَتَّبِعُ الْعِلْمَ، أَخْبِرْنِي أَيُّ الْأَجْلَيْنِ قَضَى مُوسَى؟ قُلْتُ: لَا أَعْلَمُ وَأَنَا الْآنَ قَادِمٌ عَلَى حَبْرِ الْعَرَبِ- يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ- فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا قَدِمْتُ مَكَّةَ سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ ذَلِكَ وَأَخْبَرْتُهُ بِقَوْلِ الْيَهُودِيِّ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَضَى أَكْثَرَهُمَا وَأَطْيَبَهُمَا، إِنَّ النَّبِيَّ إِذَا وَعَدَ لَمْ يُخْلَفْ قَالَ سَعِيدٌ: فَقَدِمْتُ الْعِرَاقَ فَلَقِيتُ الْيَهُودِيَّ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: صَدَقَ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى هَذَا وَاللَّهُ الْعَالِمُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الْأَصْبَغُ بْنُ زَيْدٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: سَأَلَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ: أَيُّ الْأَجْلَيْنِ قَضَى مُوسَى؟ قُلْتُ: لَا أَعْلَمُ- وَأَنَا يَوْمَئِذٍ لَا أَعْلَمُ- فَلَقِيتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَذَكَرْتُ لَهُ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ النَّصْرَانِيُّ، فَقَالَ: أَمَا كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ ثَمَانِيًا وَاجِبَةً عَلَيْهِ، لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ لِيَنْقُصْ مِنْهَا شَيْئًا، وَتَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ كَانَ قَاضِيًا عَنْ مُوسَى عِدَّتَهُ الَّتِي وَعَدَهُ، فَإِنَّهُ قَضَى عَشْرَ سِنِينَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي وَهْبُ بْنُ سُلَيْمَانَ الذَّمَارِيُّ، عَنْ شُعَيْبِ الْجُبَايِّ قَالَ: اسْمُ الْجَارِيَتَيْنِ لِيَا وَصَفُورَةَ، وَامْرَأَةُ مُوسَى صَفُورَةُ ابْنَةِ يَتْرُونَ، كَاهِنُ مَدِينٍ، وَالْكَاهِنُ حَبْرٌ. حَدَّثَنِي أَبُو السَّائِبِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَعَاوِيَةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرَّةٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَ: كَانَ الَّذِي اسْتَأْجَرَ مُوسَى يَتْرُونَ، ابْنُ أَخِي شُعَيْبِ النَّبِيِّ.

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: الَّذِي اسْتَأْجَرَ مُوسَى اسْمُهُ يَثْرَى صَاحِبُ مَدِينٍ.

حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْهَيْثَمِ أَبُو الْعَالِيَةِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو قَتَيْبَةَ، عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: اسْمُ أَبِي امْرَأَةِ مُوسَى يَثْرَى.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ السُّدِّيِّ «فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ» فَضَلَّ الطَّرِيقَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ فِي الشِّتَاءِ، وَرُفِعَتْ لَهُ نَارٌ، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّهَا نَارٌ- وَكَانَتْ مِنْ نُورِ اللَّهِ- «قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ»، فَإِنْ لَمْ أَجِدْ خَبْرًا أَتَيْتُكُمْ مِنْهَا بِشَهَابٍ قَبَسَ، «لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ»- قَالَ: مِنَ الْبَرْدِ- «فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ» «أَنَّ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا» فَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى النِّدَاءَ فَرَعَ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَنُودِيَ: «يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» «وَمَا تَلَكَ بِمَيْنِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي»، يَقُولُ اضْرِبْ بِهَا الْوَرْقَ، فَيَقَعُ لِلْغَنَمِ مِنَ الشَّجَرِ «وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى»، يَقُولُ:

حَوَائِجُ أُخْرَى أَحْمِلُ عَلَيْهَا الْمَزُودَ وَالسَّقَاءَ، فَقَالَ لَهُ: «أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى» «فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ»، يَقُولُ: لَمْ يَنْتَظِرْ فَنُودِيَ: «يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ» «أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ»، «وَأَضْمَمُ

إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ» الْعَصَا وَالْيَدِ آيَتَانِ، فَذَلِكَ حِينَ يَدْعُو مُوسَى رَبَّهُ، فَقَالَ: «رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي»، يَقُولُ: كَيْمَا يُصَدِّقُنِي «إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكْذِبُونِ» قَالَ: «وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ» - يَعْنِي بِالْقَتِيلِ - «قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا» - وَالسُّلْطَانُ الْحُجَّةُ - «فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمَا وَنِ اتَّبِعُكُمَا الْغَالِبُونَ»، «تَبَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ: «فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ»، خَرَجَ - فِيمَا ذَكَرَ لِي ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مَنْبِهِ الْيَمَانِيِّ - فِيمَا ذَكَرَ لَهُ - عَنْهُ، وَمَعَهُ غَنَمٌ لَهُ، وَمَعَهُ زَنْدٌ لَهُ وَعَصَاهُ فِي يَدِهِ يَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِهِ نَهَارَهُ، فَإِذَا أَمْسَى اقْتَدَحَ بَزَنْدَهُ نَارًا، فَبَاتَ عَلَيْهَا هُوَ وَأَهْلُهُ وَغَنَمُهُ، فَإِذَا أَصْبَحَ غَدَا بِأَهْلِهِ وَبِغَنَمِهِ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَاهُ، وَكَانَتْ - كَمَا وَصَفَ لِي عَنْ وَهْبِ بْنِ مَنْبِهِ - ذَاتَ شَعْبَتَيْنِ فِي رَأْسِهَا، وَمَحْجَنٌ فِي طَرَفِهَا. حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَمَّنْ لَا يَتَهَمُ مِنْ أَصْحَابِهِ، أَنَّ كَعْبَ الْأَحْبَارِ قَدِمَ مَكَّةَ وَبِهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ،

فَقَالَ كَعْبٌ: سَلُوهُ عَنْ ثَلَاثٍ، فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ فَإِنَّهُ عَالِمٌ، سَلُوهُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْجَنَّةِ وَضَعَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ فِي الْأَرْضِ، وَسَلُوهُ مَا أَوَّلُ مَا وَضَعَ فِي الْأَرْضِ؟ وَمَا أَوَّلُ شَجَرَةٍ غَرَسَتْ فِي الْأَرْضِ؟ فَسُئِلَ عَبْدُ اللَّهِ عَنْهَا فَقَالَ: أَمَّا الشَّيْءُ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْجَنَّةِ فَهُوَ هَذَا الرُّكْنُ الْأَسْوَدُ، وَأَمَّا أَوَّلُ مَا وَضَعَ فِي الْأَرْضِ فَبُرْهَوْتُ بِالْيَمِينِ يَرُدُّهُ هَامُ الْكَفَّارِ، وَأَمَّا أَوَّلُ شَجَرَةٍ غَرَسَهَا اللَّهُ فِي الْأَرْضِ فَالْعَوْسَجَةُ الَّتِي اقْتَطَعَ مِنْهَا مُوسَى عَصَاهُ فَلَهَا بَلَغَ ذَلِكَ كَعْبًا قَالَ:

صَدَقَ الرَّجُلُ، عَالِمٌ وَاللَّهُ! قَالَ: فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَرَادَ اللَّهُ بِمُوسَى كَرَامَتَهُ، وَابْتَدَأَ فِيهَا بَنبُوته وَكَلَامَهُ، أَخْطَأَ فِيهَا الطَّرِيقَ حَتَّى لَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهُ، فَأَخْرَجَ زَنْدَهُ لِيَقْدَحَ نَارًا لِأَهْلِهِ لِيَبْتَئُوا عَلَيْهَا حَتَّى يَصْبَحَ، وَيَعْلَمَ وَجْهَ سَبِيلِهِ، فَأَصْلَدَ عَلَيْهِ زَنْدَهُ فَلَا يُوْرِي لَهُ نَارًا، فَقَدَحَ حَتَّى إِذَا أَعْيَاهَ لَاحَتِ النَّارُ فَرَأَاهَا، «فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى»، بِقَبَسٍ تَصْطَلُونَ، وَهُدًى: عَنْ عِلْمِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَضَلَلْنَا بَنَعْتَ مِنْ خَبِيرٍ نَفَرَجَ نَحْوَهَا، فَإِذَا هِيَ فِي شَجَرَةٍ مِنَ الْعَلِيقِ وَبَعْضُ أَهْلِ الْكُتَابِ يَقُولُ: فِي عَوْسَجَةٍ، فَلَمَّا دَنَا اسْتَأْخَرَتْ عَنْهُ، فَلَمَّا رَأَى اسْتَخَارَهَا رَجَعَ عَنْهَا، وَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ مِنْهَا خِيفَةً، فَلَمَّا أَرَادَ الرُّجْعَةَ دَنَتْ مِنْهُ، ثُمَّ كَلَّمَ مِنَ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا سَمِعَ الصَّوْتَ اسْتَأْنَسَ، وَقَالَ اللَّهُ: يَا مُوسَى «اخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى» فَالْقَاهُمَا ثُمَّ قَالَ: «مَا تِلْكَ بِمِيزَانِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَارَبٌ أُخْرَى»، أَيُّ مَنَافِعِ أُخْرَى، «قَالَ أَلْقَاهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى» قَدْ صَارَ شَعْبَتَاهَا فَمَهَا وَصَارَ مَحْجَنُهَا عِرْفًا لَهَا، فِي ظَهْرِ تَهْتَزُّ، لَهَا أُنْيَابٌ، فَهِيَ كَمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ فَرَأَى

أَمْرًا فَظَلَمًا فَوَلَّى مَدْبَرًا وَلَمْ يَعْقِبْ، فَدَادَهُ رَبُّهُ: أَنْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ، «سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى»، أَيُّ سِيرَتِهَا عَصَا كَمَا كَانَتْ قَالَ: فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ: «خُذْهَا وَلَا تَخَفْ»، أَدْخَلَ يَدَكَ فِي فَمِهَا، وَعَلَى مُوسَى جَبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، فَلَفَّ يَدَهُ بِكُمِهِ وَهُوَ لَهَا هَائِبٌ، فَتَوَدَّى أَنْ أَلْقَى كَمَكًا عَنْ يَدِكَ، فَأَلْقَاهُ عَنْهَا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ بَيْنَ لَحْيَيْهَا، فَلَمَّا أَدْخَلَهَا قَبَضَ عَلَيْهَا فَإِذَا هِيَ عَصَاهُ فِي يَدِهِ، وَيَدُهُ بَيْنَ شَعْبَتَيْهَا حَيْثُ كَانَ يَضَعُهَا، وَمَحْجَنُهَا بِمَوْضِعِهِ الَّذِي كَانَ لَا يَنْكُرُ مِنْهَا شَيْئًا ثُمَّ قِيلَ: «أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» أَيْ مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ - وَكَانَ مُوسَى عَ رَجُلًا آدَمَ أَقْنَى جَعْدًا طَوَالًا - فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا بَيْضَاءَ مِثْلَ الثَّلَاجِ، ثُمَّ رَدَّهَا فِي جَيْبِهِ، نَفَرَجَتْ كَمَا كَانَتْ عَلَى لَوْنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي»، أَيُّ بَيِّنٍ لَهُمْ عَنِّي مَا أَكَلَمَهُمْ بِهِ، فَإِنَّهُ يَفْهَمُ عَنِّي مَا لَا يَفْهَمُونَ «قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمَا وَنِ اتَّبِعُكُمَا الْغَالِبُونَ».

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ السَّيِّدِ فَأَقْبَلَ مُوسَى إِلَى أَهْلِهِ فَسَارَ بِهِمْ نَحْوَ مِصْرَ حَتَّى أَتَاهَا لَيْلًا، فَضَيَّفَ عَلَى أُمِّهِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُمْ، فَأَتَاهُمُ فِي لَيْلَةٍ كَانُوا يَأْكُلُونَ فِيهَا الطَّفِيشْلَ، فَتَزَلَّ فِي جَانِبِ الدَّارِ، فَجَاءَ هَارُونُ فَلَمَّا أَبْصَرَ ضَيْفَهُ سَأَلَ عَنْهُ أُمُّهُ فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ ضَيْفٌ، فَدَعَاهُ فَأَكَلَ مَعَهُ، فَلَمَّا أَنْ قَعَدَا تَحَدَّثَا، فَسَأَلَهُ هَارُونُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى، فَقَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ فَاعْتَنَقَهُ، فَلَمَّا أَنْ تَعَارَفَا قَالَ لَهُ

موسى: يا هارون

انطلق معي إلى فرعون، إن الله قد أرسلنا إليه، فقال هارون:

سمع وطاعة، فقامت أهما فصاحت وقالت: أشدكما الله ألا تذهبا إلى فرعون فيقتلكا فأبيا فانطلقا إليه ليلا، فأتيا الباب فضرباه ففزع فرعون، وفزع البواب، وقال فرعون: من هذا الذي يضرب بابي في هذه الساعة؟ فأشرف عليهما البواب، فكلمهما، فقال له موسى: «إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ» ففزع البواب فأتى فرعون فأخبره فقال: إن هاهنا إنسانا مجنوناً يزعم أنه رسول رب العالمين، قال: أدخله، فدخل فقال: إني رسول رب العالمين، أن أرسل معي بني إسرائيل، فعرفه فرعون فقال: «أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ» .

معنا على ديننا هذا الذي تعيب! «قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً» - والحكم النبوة- «وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ» وربيتني قبل وليدا! «قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ» «فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى» يقول: أعطى كل دابة زوجها ثم هدى للنكاح، ثم قال له: «إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» ، وذلك بعد ما قال له من الكلام ما ذكر الله تعالى قال موسى: «أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» .

فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ» - وَالثُّعْبَانُ الذِّكْرُ مِنَ الْحَيَّاتِ - فَاتَّحَتْ فَاهَا، وَأَضَعَتْ لَحْيَهَا الْأَسْفَلَ فِي الْأَرْضِ وَالْأَعْلَى عَلَى سُورِ الْقَصْرِ، ثُمَّ تَوَجَّهَتْ نَحْوَ فِرْعَوْنَ لِتَأْخُذَهُ، فَلَمَّا رَأَاهَا ذُعِرَ مِنْهَا وَوَثَبَ، فَأُحْدِثَ - ولم يكن يحدث قبل ذلك - وصاح: يَا مُوسَى خُذْهَا وَانَا أَوْمَنُ بِكَ وَأَرْسِلْ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَخَذَهَا مُوسَى فَعَادَتْ عَصَا ثُمَّ نَزَعَ يَدَهُ وَأَخْرَجَهَا مِنْ جِيبِهِ، فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءٌ لِلنَّظَرِ نَفْجَ مُوسَى مِنْ عِنْدِهِ عَلَى ذَلِكَ، وَأَبَى فِرْعَوْنَ أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ، أَوْ يَرْسِلَ مَعَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ لِقَوْمِهِ: «يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى» فلما بنى له الصرح ارتقى فوقه، فأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت إليه، وهي ملطخة دماً، فقال: قد قتلت إله موسى. حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ: «فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ» ، قَالَ: كَانَ أَوَّلُ مَنْ طَبَخَ الْآجَرَ يَبْنِي بِهِ الصَّرْحَ.

وأما ابن إسحاق، فإنه قال ما حدثنا ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا سَلْبَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: خرج موسى لما بعثه الله عز وجل حتى قدم مصر على فرعون هو وأخوه هارون، حتى وقفا على باب فرعون يلتمسان الإذن عليه، وهما يقولان: إنا رسولا رب العالمين، فأذنوا بنا هذا الرجل فمكثا - فيما بلغنا - سنتين يغدوان على بابه، ويروحان لا يعلم بهما، ولا يجترئ أحد على أن يخبره بشأنهما، حتى دخل عليه بطلان له يلعبه ويضحكه، فقال له: أيها الملك، إن على الباب رجلا يقول قولاً عجيباً، يزعم أن له إلهاً غيرك، قال:

أَدْخُلُوهُ، فَدَخَلَ وَمَعَهُ هَارُونُ أَخُوهُ، وَبِيَدِهِ عَصَاهُ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى فِرْعَوْنَ قَالَ لَهُ: إني رسول رب العالمين، فعرفه فرعون فقال: «أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ» قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ» أي خطأ لا أريد ذلك ثم أقبل عليه موسى ينكر عليه ما ذكر من يده عنده، فقال: «وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ» ! أي اتخذتهم عبيدا تنزع أبناءهم من أيديهم، فتسترق من شئت، وتقتل من شئت إني إنما صيرني إلى بيتك وإليك ذلك «قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ» ، أي يستوصفه إلهه الذي أرسله إليه، أي ما الهك هذا! «قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ» من ملئه «أَلَا تَسْمَعُونَ» أي إنكاراً لما قال: ليس له إله غيري «قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ» الذي خلق آباءكم الأولين وخلفكم من آبائكم قال فرعون: «إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ» ، أي

ما هذا بكلام صحيح إذ يزعم أن لكم إلها غيري، «قال ربُّ المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون» أي خالق المشرق والمغرب وما بينهما من الخلق إن كنتم تعقلون «قال لئن اتخذت إلهاً غيري» لتعبد غيري وتترك عبادتي «لأجعلنك من المسجونين قال أولو جنتك بشيء مبین» ، أي بما تعرف بها صدقي وكذبك وحقي وباطلك! «ل فأت به إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين

« ، فلأت ما بين سماطي فرعون، فاتحة فاهها، قد صار محجتها عرفاً على ظهرها فارفض عنها الناس، وحال فرعون عن سريره ينشده بربه.

ثم أدخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء مثل الثلج، ثم ردها كهيتها، وأدخل موسى يده في جيبه فصارت عصا في يده، يده بين شعبتها، ومحجتها في أسفلها كما كانت، وأخذ فرعون بطنه، وكان فيما يزعمون يمكث الخمس والست ما يلتمس المذهب- يريد الخلاء- كما يلتمسه الناس، وكان ذلك مما زين له أن

يقول ما يقول: إنه ليس من الناس بشبه فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال:

حدثت عن وهب بن منبه اليماني، قال: فبشي بضعا وعشرين ليلة، حتى كادت نفسه أن تخرج، ثم استمسك فقال للملئ: «إن هذا لساحر عليم» أي ما ساحر اسحر منه، «يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فإذا تأمروا» أقتله؟ فقال مؤمن من آل فرعون- العبد الصالح وكان اسمه فيما يزعمون حبرك: «اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم» بعصاه ويده! ثم خوفهم عقاب الله وحذرهم ما أصاب الأمم قبلهم، وقال: «يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد» وقال الملا من قومه- وقد وهنهم من سلطان الله ما وهنهم:

«أرجه وأخاه وأبعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سخار عليم» ، أي كثره بالسحرة لعلك أن تجد في السحرة من جاء بمثل ما جاء به وقد كان موسى وهارون خرجا من عنده حين أراهم من سلطان الله ما أراهم، وبعث فرعون مكانه في مملكته، فلم يترك في سلطانه ساحرا إلا أتى به، فذكر لي- والله أعلم- أنه جمع له خمسة عشر ألف ساحر، فلما اجتمعوا إليه أمرهم أمره، فقال لهم: قد جاءنا ساحر ما رأينا مثله قط، وإنكم إن غلبتموه أكرمتكم وفضلتكم وقربتكم على أهل مملكتي، قالوا: إن لنا ذلك عليك إن

غلبناه! قال: نعم، قالوا: فعد لنا موعدا نجتمع نحن وهو، فكان رءوس السحرة الذين جمع فرعون لموسى: ساتور، وعادور، وحطحط، ومصفى، أربعة، وهم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من سلطان الله، فأمنت السحرة جميعا وقالوا لفرعون حين توعدهم القتل والصلب: «لن نؤثرَكَ على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض» فبعث فرعون الى موسى: ان اجعل «بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى قال موعدكم يوم الزينة» ، يوم عيد كان فرعون يخرج إليه، «وأن يحشر الناس ضحى» ، حتى يحضروا أمري وأمرك، فجمع فرعون الناس لذلك الجمع، ثم أمر السحرة فقال: «اثبوا صفاً وقد أفلح اليوم من استعلى» ، أي قد أفلح من استعلى اليوم على صاحبه فصاف خمسة عشر ألف ساحر، مع كل ساحر حباله وعصيه، وخرج موسى ومعه أخوه يتكئ على عصاه، حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه ومعه أشراف أهل مملكته، وقد استكف له الناس، فقال موسى للسحرة حين جاءهم: «ويلكم لا تفترؤا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افتري» ، فتراد السحرة بينهم، وقال بعضهم لبعض: ما هذا بقول ساحر، ثم قالوا وأشار بعضهم الى بعض بتناج: «إن هذان لسايران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقكم المثلى» ثم قالوا: «يا موسى إما أن تلقى

وإما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فإذا جبالهم وعصيم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى» فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون، ثم أبصار الناس بعد، ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من العصي والجبال، فإذا هي حيات كأمثال الجبال، قد

ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً «فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى» ، وقال: والله إن كانت لعصيا في أيديهم، ولقد عادت حيات، وما تعدو عصاي هذه- أو كما حدث نفسه- فأوحى الله إليه: «وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى» وفرج عن موسى فألقى عصاه من يده، فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيمهم- وهي حيات في عين فرعون وأعين الناس تسعى- فجعلت تلقفها، تبتلعها حية حية، حتى ما يرى في الوادي قليل ولا كثير مما ألقوا، ثم أخذها موسى فإذا هي عصاه في يده كما كانت، ووقع السحرة سجداً «قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى» ، لو كان هذا سحرا ما غلبنا قال لهم فرعون- وأسف ورأى الغلبة البينة: «آمَنَ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ» ، أي لعظيم السحار الذي علمكم «فَلَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ» - إلى قوله- «فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ» ، أي لن نؤثرك على الله وعلى ما جاءنا من الحجج مع نبيه فاقض ما أنت قاض، أي فاصنع ما بدا لك، «إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» التي ليس لك سلطان إلا فيها، ثم لا سلطان لك بعدها، «إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى» ، أي خير منك ثوابا، وأبقى عقابا فرجع عدو الله مغلوبا ملعونا ثم أبى إلا الإقامة على الكفر، والتمادي في الشر، فتابع الله عليه بالآيات، وأخذه بالسنين، فأرسل عليه الطوفان.

رجع الحديث إلى حديث السدي وأما السدي فإنه قال في خبره: ذكر أن الآيات التي ابتلى الله بها قوم فرعون كانت قبل اجتماع موسى والسحرة، وقال:

لما رجع إليه السهم ملطخا بالدم قال: قد قتلنا إله موسى ثم إن الله أرسل عليهم الطوفان- وهو المطر- فغرق كل شيء لهم، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا، ونحن نؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فكشفه الله عنهم، ونبتت زروعهم، فقالوا: ما يسرنا أنا لم نمطر فبعث الله عليهم الجراد فأكل حروثهم، فسألوا موسى أن يدعو ربه فيكشفه ويؤمنوا به، فدعا فكشفه، وقد بقي من زروعهم بقية، فقالوا: لن نؤمن وقد بقي لنا من زروعنا بقية، فبعث الله عليهم الدباب- وهو القمل-، فلحس الأرض كلها، وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه، وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلئ دبا حتى إن أحدهم ليبيئ الأسطوانة بالحصص والآجر، فيزلقها حتى لا يرتقي فوقها شيء من الذباب، ثم يرفع فوقها الطعام، فإذا صعد إليه ليأكله وجده ملآن دبا، فلم يصبهم بلاء كان أشد عليهم من الدباب، وهو الرجز الذي ذكره الله في القرآن أنه وقع عليهم فسألوا موسى أن يدعو ربه فيكشفه عنهم ويؤمنوا به، فلما كشف عنهم أبوا أن يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الدم، فكان الاسرائيلي

يأتي هو والقبطي فيستقيان من ماء واحد، فيخرج ماء هذا القبطي دما، ويخرج للاسرائيلي ماء فلما اشتد ذلك عليهم سألوا موسى أن يكشفه ويؤمنوا به فكشف ذلك عنهم، فأبوا أن يؤمنوا، فذلك حين يقول الله: «فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ» ما أعطوا من العهود، وهو حين يقول:

«وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ» - وهو الجوع- «وَنَقَصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ» .

ثم إن الله عز وجل أوحى إلى موسى وهارون أن: «قُولَا لَهُ قَوْلًا لِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى» ، فأتياه فقال له موسى: هل لك يا فرعون في أن أعطيك شبابك ولا تهرم، وملكتك لا ينزع منك، ويرد إليك لذة المناخ والمشارب والركوب، فإذا مت دخلت الجنة؟ تؤمن بي! فوقعت في نفسه هذه الكلمات، وهي اللينة، فقال: كما أنت حتى يأتي هامان فلما جاء هامان قال له: اشعرت إن ذلك الرجل أتاني؟ قال: من هو؟ - وكان قبل ذلك إنما يسميه الساحر، فلما كان ذلك اليوم لم يسمه الساحر- قال فرعون: موسى، قال: وما قال لك؟ قال: قال لي: كذا وكذا، قال هامان: وما رددت عليه؟ قال: قلت: حتى يأتي هامان فاستشيره، فعجزه هامان وقال: قد كان ظني بك خيرا من هذا، تصير عبدا يعبد بعد أن كنت ربا يعبد! فذلك حين خرج عليهم فقال لقومه وجمعهم فقال: «أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى» وكان بين كلمته «مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي» وبين قوله:

«أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى» أربعون سنة وقال لقومه: «إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُواكَ بِكُلِّ سِحَارٍ عَلِيمٍ» قَالَ فرعون: «أَجِئْتَنَا لَتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى فَلْنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى» - يقول: عدلا، قَالَ موسى: «مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى» - وذلك يوم عيد لهم- «فَتَوَلَّى فرعونُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى» وأرسل فرعون في المدائن حاشرين، فحشروا عليه السحرة، وحشروا الناس ينظرون، يقول: «هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ لَعَلَّنا تَتَّبِعُ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ» - الى قوله: «إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ» - يقول: عطية تعطينا- «قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» فقال لهم موسى: «وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ» ، يقول: يهلككم بعذاب «فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى» من دون موسى وهارون، وقالوا في نجواهم: «إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى» ، يقول: يذهبا بأشراف قومكم.

فالتقى موسى وأمير السحرة، فقال له موسى: أرأيتك إن غلبتك أثؤمن بي وتشهد أن ما جئت به حق؟ قَالَ: نعم، قَالَ الساحر: لا تين غدا بسحر لا يغلبه سحر، فو الله لئن غلبتني لأؤمنن بك، ولأشهدن أنك على حق- وفرعون ينظر إليهما- وهو قول فرعون: «إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُ فِي الْمَدِينَةِ» ،

إذ التقيتما لتظاهرا «لَتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا» فقالوا: «يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ» ، قال لهم موسى: القوا فألقوا حباهم وعصيمهم- وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل، ليس منهم رجل إلا ومعه حبل وعصا- «فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ» يقول: فرقوهم.

«فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى» ، فأوحى الله إليه: أَلَا تَخَفُ، «وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا» فألقى موسى عصاه فأكلت كل حية لهم، فلما رأوا ذلك سجدوا، وقالوا: «أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ*» .

قَالَ فرعون: «فَلَا تُقِطْعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا تُصَلِّبُنَا فِي جُذُوعِ النَّخْلِ» فقتلهم وقطعهم- كما قَالَ عبد الله بن عباس- حين قَالُوا:

«رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ» قَالَ: كانوا في أول النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء.

ثم أقبل على بني إسرائيل فقال له قومه: «اتَّذَرُوا مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ» ، وآلهته- فيما زعم ابن عباس- كانت البقر، كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها، فلذلك أخرج لهم عجلا بقرة.

ثم إن الله تعالى ذكره أمر موسى أن يخرج بني إسرائيل فقال: «أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي» ليلا «إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ» فأمر موسى بني إسرائيل أن يخرجوا، وأمرهم

أن يستعيروا الحلي من القبط، وأمر ألا ينادي إنسان صاحبه، وأن يسرجوا في بيوتهم حتى الصبح، وأن من خرج إذا قَالَ: موسى، قَالَ: عمرو وأمر من خرج يُلطخ بابه بكف من دم حتى يعلم أنه قد خرج وإن الله أخرج كل ولد زنا في القبط من بني إسرائيل إلى بني إسرائيل، وأخرج كل ولد زنا في بني إسرائيل إلى القبط، حتى أتوا آباءهم.

ثم خرج موسى ببني إسرائيل ليلا والقبط لا يعلمون، وقد دعاوا قبل ذلك على القبط، فقال موسى: «رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فرعونَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» الى قوله: «حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ» ، فقال الله تعالى: «قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكَ» فزعم السدي أن موسى هو الذي دعا وامن هارون، فذلك حين يقول الله: «قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكَ» .

وقوله: «رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ» فذكر أن طمس الأموال أنه جعل دراهمهم ودنانيرهم حجارة، ثم قَالَ لهما استقيما، فخرجا في قومهما، وألقي على القبط الموت، فمات كل بكر رجل، فأصبحوا يدفنونهم، فشغلوا عن طلبهم حتى طلعت الشمس، فذلك حين يقول الله:

«فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ» .

وكان موسى على ساقية بني إسرائيل، وكان هارون أمامهم يقدمهم، فقال المؤمن لموسى: يا نبي الله، أين أمرت؟ قَالَ: البحر، فأراد أن يقتحم ففعله موسى وخرج موسى في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل، لا يعدون ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره، وإنما عدوا ما بين ذلك سوى الذرية، وتبعهم فرعون، وعلى مقدمته هامان، في ألف الف وسبعمائة ألف حصان، ليس فيها ماذيانة، وذلك حين يقول الله: «فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ» - يعنى بنى إسرائيل - «وَأَنَا جَمِيعٌ حَازِرُونَ» ، يقول: قد حذرنا فاجمعنا امرنا،

«فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ» ، فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد ردفهم، قالوا:

«إِنَّا لَمُدْرِكُونَ» قَالُوا: يا موسى، أوذينا من قبل أن تأتينا، كانوا يذبجون أبناءنا، ويستحيون نساءنا، ومن بعد ما جئتنا اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا! إنا لمدركون، البحر من بين أيدينا وفرعون من خلفنا، قَالَ موسى: «كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ» ، يقول: سيكفيني، «قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» فتقدم هارون فضرب البحر فأبى البحر أن يفتح، وقال:

من هذا الجبار الذي يضربني! حتى أتاه موسى فكاه أبا خالد، وضربه، «فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ» ، يقول: كالجلجل العظيم، فدخلت بنو إسرائيل، وكان في البحر اثنا عشر طريقا، في كل طريق سبط، وكأن الطرق إذا انفلقت بجدران فقال كل سبط: قد قتل أصحابنا، فلما رأى ذلك موسى دعا الله فجعلها لهم قناطر كهيئة الطيقان، فنظر آخرهم إلى أولهم، حتى خرجوا جميعا، ثم دنا فرعون وأصحابه، فلما نظر فرعون إلى البحر منفلقا قَالَ: ألا ترون البحر فرق مني، وقد تفتح لي حتى أدرك أعدائي فأقتلهم! فذلك قول الله: «وَأَرْزَلْنَاهُمْ ثَمَمَ الْآخِرِينَ» ، يقول: قربنا ثم الآخرين، هم آل فرعون.

فلما قام فرعون على أفواه الطرق أبت خيله أن تقتحم، فنزل جبرئيل على ماذيانه، فشمت الحصن ربح الماذيانة فاقتحمت في أثرها حتى إذا هم أولهم أن يخرج ودخل آخرهم، أمر البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم،

وتفرد جبرئيل بفرعون بمقلة من مقل البحر، فجعل يدسها في فيه، فقال حين أدركه الغرق: «أَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ» ، فبعث الله إليه ميكائيل يعيره، قال: «الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» فقال جبرئيل: يا مُحَمَّد، ما أبغضت أحدا من الخلق ما أبغضت رجلين: أما أحدهما فن الجن وهو إبليس حين أبى أن يسجد لآدم، وأما الآخر فهو فرعون حين قَالَ: «أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى» ، ولو رأيته يا مُحَمَّد، وأنا آخذ مقل البحر فأدخله في فم فرعون مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها! وقالت بنو إسرائيل: لم يغرق فرعون، الآن يدركنا فيقتلنا، فدعا الله موسى: فاخرج فرعون في ستمائة ألف وعشرين ألفا، عليهم الحديد فأخذته بنو إسرائيل يمثلون به، وذلك قول الله لفرعون: «فَالْيَوْمَ نَخِيكَ بِيَدِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً» ، يقول: لبنى إسرائيل آية فلما أرادوا أن يسيروا ضرب عليهم تيه، فلم يدروا أين يذهبون، فدعا موسى مشيخة بنى إسرائيل فسألهم: ما بالناس؟ فقالوا له: إن يوسف لما مات بمصر أخذ على إخوته عهدا ألا تخرجوا من مصر حتى تخرجوني معكم، فذلك هذا الأمر، فسألهم: أين موضع قبره؟ فلم يعلموا، فقام موسى ينادي: أنشد الله كل من كان يعلم أين موضع قبر يوسف إلا أخبرني به، ومن لم يعلم فصمت أذناه عن قولي! وكان يمر بين الرجلين ينادي فلا يسمعان صوته، حتى سمعته عجوز لهم فقالت:

أرايتك إن دلتك على قبره أتعطيني كل ما سألتك؟ فأبى عليها وقال: حتى أسأل ربي، فأمره الله عز وجل أن يعطيها، فأتاها فأعطاهما، فقالت: إني أريد ألا تنزل غرفة من الجنة إلا نزلتها معك، قَالَ: نعم، قالت:

إني عجوز كبيرة لا أستطيع أن أمشي فاحملني، فحملها، فلما دنا من النيل، قالت: إنه في جوف الماء، فادع الله أن يحسر عنه الماء، فدعا الله فحسر الماء عن القبر، فقالت: احفره، ففعل فحمل عظامه، ففتح

لهم الطريق، فساروا، «فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلَاءِ

مُتَبَرِّ مَا هُمْ فِيهِ» - يقول: مهلك ما هم فيه - «وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» فأما ابنُ إِسْحَاقَ، فَإِنَّهُ قَالَ - فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ عَنْهُ - فتابع الله عليه بالآيات - يعني على فرعون - وأخذه بالسنين إذ أبى أن يؤمن بعد ما كان من أمره وأمر السحرة ما كان، فأرسل عليه الطوفان، ثم الجراد، ثم القمل، ثم الضفادع، ثم الدم آيات مفصلات، أي آية بعد آية، يتبع بعضها بعضاً، فأرسل الطوفان وهو الماء، ففاض على وجه الأرض ثم ركد، لا يقدرّون على أن يجرثوا، ولا يعملوا شيئاً، حتى جهدوا جوعاً فلما بلغهم ذلك قالوا: يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ، «لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ» فدعا موسى ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر - فيما بلغني حتى إنه كان لياً كل مسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم، فقالوا مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم القمل فذكر لي أن موسى أمر أن يمشي إلى كتيب فيضربه بعصاه فشئ إلى كتيب أهيل عظيم فضربه بها فانتال عليهم قلاً حتى غلب على البيوت والأطعمة، ومنعهم النوم والقرار، فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم الضفادع، فلأت البيوت والأطعمة والآنية فلا يكشف أحد منهم ثوباً ولا طعاماً ولا إناء إلا وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه، فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله

عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دماً، لا يستقون من بئر ولا نهر ولا يعترفون من إناء إلا عادت دماً عبيطاً. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ الْمَرْأَةَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ كَانَتْ تَأْتِي الْمَرْأَةَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ يَجْهَدُهُمُ الْعَطَشُ، فَتَقُولُ: اسْقِينِي مِنْ مَائِكَ، فَتُغْرِفُ لَهَا مِنْ جَرَّتِهَا أَوْ تَصُبُّ لَهَا مِنْ قَرْبَتِهَا، فَيَعُودُ فِي الْإِنَاءِ دَمًا، حَتَّى إِنْ كَانَتْ لَتَقُولَ لَهَا: اجْعَلِيهِ فِي فَيْكِ ثُمَّ مَجِيهِ فِي فِي، فَتَأْخُذُ فِي فَيْهِ مَاءً، فَإِذَا مَجْتَهَتْ فِي فَيْهِ صَارَ دَمًا، فَكُتُوا فِي ذَلِكَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، فَقَالُوا: «ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ» فلما كشف عنهم الرجز نكثوا ولم يفوا بشيء مما قالوا، فأمر الله موسى أن يسير، وأخبره أنه منجيه ومن معه، ومهلك فرعون وجنوده، وقد دعا موسى عليهم بالطمسة، فقال: «رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ» - إلى - «وَلَا تَتَّبِعَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» ففسخ الله أموالهم حجارة: النخل والرقيق والأطعمة، فكانت إحدى الآيات التي أراهن الله فرعون.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ بَرِيدِ بْنِ سَفْيَانَ بْنِ فُرُوهٍ الْأَسْلَمِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ، قَالَ: سَأَلَنِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنِ التَّسْعِ الْآيَاتِ الَّتِي أَرَاهَنَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ، فَقُلْتُ: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وعصاه، ويده، والطمسة، والبحر.

فقال عمر: فأني عرفت أن الطمسة إحداهن؟ قلت: دعا عليهم موسى وأمن هارون، ففسخ الله أموالهم حجارة، فقال: كيف يكون الفقه إلا هكذا! ثم

دعا بخريطة فيها أشياء مما كان أصيب لعبد العزيز بن مروان بمصر، إذ كان عليها من بقايا أموال آل فرعون، فأخرج البيضة مقشورة نصفين، وإنها لحجر، والجوزة مقشورة وإنها لحجر، والحمصة، والعدسة.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ كَانَ بِمِصْرَ، قَالَ: قَدْ رَأَيْتُ النُّخْلَةَ مِصْرُوعَةً، وَإِنِّهَا لِحَجْرٌ، وَقَدْ رَأَيْتُ إِنْسَانًا مَا شَكَّكَتْ أَنَّهُ إِنْسَانٌ وَإِنَّهُ لِحَجْرٌ، مِنْ رَقِيقِهِمْ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

«وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ» إلى قوله «مَثُورًا» يقول: شقياً.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَرُوةَ بْنِ الزَّيْبَرِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ اللَّهَ حِينَ أَمَرَ مُوسَى بِالْمَسِيرِ بَيْنِي إِسْرَائِيلَ أَمْرَهُ أَنْ يَحْتَمِلَ يُوسُفَ مَعَهُ حَتَّى يَضَعَهُ بِالْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَسَأَلَ مُوسَى عَمَّنْ يَعْرِفُ مَوْضِعَ قَبْرِهِ، فَمَا وَجَدَ إِلَّا عَجُوزًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَنَا أَعْرِفُ مَكَانَهُ إِنْ أَنْتَ أَخْرَجْتَنِي مَعَكَ، وَلَمْ تَخْلُفْنِي بِأَرْضِ مِصْرَ دَلَّلْتُكَ عَلَيْهِ قَالَ: أَفْعَلْ، وَقَدْ كَانَ مُوسَى وَعَدَ

بني إسرائيل أن يسير بهم إذا طلع الفجر، فدعا ربه أن يؤخر طلوعه حتى يفرغ من أمر يوسف، ففعل، فخرجت به العجوز حتى أرتته إياه في ناحية من النيل في الماء، فاستخرجه موسى صندوقاً من مرمر، فاحتمله معه قَالَ عروة: فمن ذلك تحمل اليهود موتاهم من كل أرض إلى الأرض المقدسة.

حَدَّثَنَا ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كان- فيما ذكر لي- أن موسى قَالَ لبني إسرائيل فيما أمره الله به: استعبروا منهم الأمتعة والحلي والثياب فإني منفلكم أموالهم مع هلاكهم، فلما أذن فرعون في الناس كان مما يحرض به على بني إسرائيل أن قَالَ حين ساروا: لم يرضوا أن يخرجوا بأنفسهم حتى ذهبوا بأموالكم معهم

حَدَّثَنَا ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد ابن كعب القرظي، عن عبد الله بن شداد بن الهاد، قَالَ: لقد ذكر لي أنه خرج فرعون في طلب موسى على سبعين ألفاً من دهم الخيل سوى ما في جنده من شيات الخيل، وخرج موسى حتى إذا قابله البحر ولم يكن عنه منصرف طلع فرعون في جنده من خلفهم، «فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ»، أي للنجاة، وقد وعدني ذلك ولا خلف لموعوده.

حَدَّثَنَا ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا سلمة، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فيما ذكر لي- إلى البحر: إذا ضربك موسى بعصاه فانقلب له، فبات البحر يضرب بعضه بعضاً فرقا من الله وانتظارا لأمره، فَأَوْحَى اللَّهُ عز وجل إلى موسى: ان اضرب بعصاك البحر، فضربه بها وفيها سلطان الله الذي أعطاه، «فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ»، أي كالجبل على نشز من الأرض يقول الله لموسى ع: «فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى» فلما استقر له البحر على طريق قائمة يبس سلك فيه موسى ببني إسرائيل، واتبعه فرعون بجنوده.

حَدَّثَنَا ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا سلمة، قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَادٍ بْنِ الْهَادِ اللَّيْثِيِّ، قَالَ:

حدثت أنه لما دخلت بنو إسرائيل فلم يبق منهم أحد أقبل فرعون وهو على حصان له من الخيل، حتى وقف على شفير البحر وهو قائم على حاله، فهاب الحصان ان يتقدم، فعرض له جبرئيل على فرس أنثى وديق، فقربها منه

فشمها الفحل، ولما شمها قدمها، فتقدم معه الحصان عليه فرعون، فلما رأى جند فرعون ان فرعون قد دخل دخلوا معه، وجبرئيل أمامه، فهم يتبعون فرعون، وميكائيل على فرس خلف القوم يشحذهم يقول: الحقوا بصاحبكم، حتى إذا فصل جبرئيل من البحر ليس أمامه أحد ووقف ميكائيل على الناحية الأخرى ليس خلفه أحد، طبق عليهم البحر، ونادى فرعون حين رأى من سلطان الله وقدرته ما رأى، وعرف ذله وخذلته نفسه، نادى: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

حَدَّثَنَا ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الْبَصْرِيُّ، عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ مِهْرَانَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: جاء جبرئيل إلى النبي ع فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَأَنَا أَدُسُّ مِنْ حَمَا الْبَحْرِ فِي فَمِ فِرْعَوْنَ مَخَافَةَ ان تدركه الرحمة! يقول الله: «الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُجِيبُكَ بِدَنِكَ»، أي سواء لم يذهب منك شيء، «لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً» أي عبرة وبينة فَكَانَ يُقَالُ:

لَوْ لَمْ يُخْرِجْهُ اللَّهُ بِدَنِهِ حَتَّى عَرَفُوهُ لَشَكَّ فِيهِ بَعْضُ النَّاسِ.

ولما جاوز ببني إسرائيل البحر أتوا على قوم يعكفون على أصنامهم، «قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم بِبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ» ووعد الله موسى حين أهلك فرعون وقومه ونجاه وقومه ثلاثين ليلة.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ السَّدِيِّ ثُمَّ ان جبرئيل أتى موسى يذهب به إِلَى

اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَقْبَلَ عَلَى فَرَسٍ فَرَاهُ السَّامِرِيُّ فَأَنكَرَهُ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ فَرَسُ الْحَيَاةِ، فَقَالَ حِينَ رَأَاهُ: إِنَّ لِهَذَا لَشَأْنًا، فَأَخَذَ مِنْ تَرْبَةِ الْحَافِرِ حَافِرِ الْفَرَسِ، فَاذْطَلَقَ مُوسَى وَاسْتَخْلَفَ هَارُونَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَوَاعَدَهُمْ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً، وَأَتَمَّهَا اللَّهُ بِعَشْرِ، فَقَالَ لَهُمْ هَارُونَ: يَا قَوْمُ، إِنَّ الْغَنِيمَةَ لَا تَحِلُّ لَكُمْ، وَإِنَّ حِلِّي الْقَبْطِ إِنَّمَا هُوَ غَنِيمَةٌ، فَاجْمَعُوهَا جَمِيعًا فَاحْفَرُوا لَهَا حُفْرَةً فَادْفِنُوهَا فِيهَا، فَإِنْ جَاءَ مُوسَى فَاحْلَهَا أَخَذْتُمُوهَا، وَإِلَّا كَانَ شَيْئًا لَمْ تَأْكُلُوهُ، فَجَمَعُوا ذَلِكَ الْحِلِّيَّ فِي تِلْكَ الْحُفْرَةِ، وَجَاءَ السَّامِرِيُّ بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ فَقَذَفَهَا، فَخَرَجَ اللَّهُ مِنَ الْحِلِّيِّ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ، وَعَدَّتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ مَوْعِدَ مُوسَى، فَعَدُّوا اللَّيْلَةَ يَوْمًا وَالْيَوْمَ يَوْمًا، فَلَمَّا كَانَ الْعَشْرُ خَرَجَ لَهُمُ الْعَجَلُ فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالَ لَهُمُ السَّامِرِيُّ: «هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِي» يَقُولُ: تَرَكَ مُوسَى إِلَهُهُ هَاهُنَا، وَذَهَبَ يَطْلُبُهُ فَعَكَفُوا عَلَيْهِ يَبْعُدُونَهُ، وَكَانَ يَخُورُ وَيَمِشِي، فَقَالَ لَهُمْ هَارُونَ: «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ» يَقُولُ: إِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ بِهِ، يَقُولُ: بِالْعَجَلِ، «وَأَنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي»، فَأَقَامَ هَارُونَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يُقَاتِلُونَهُمْ، وَأَنْطَلَقَ مُوسَى إِلَى إِلَهِهِ يُكَلِّمُهُ، فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ لَهُ: «وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَثَرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ» فَلَمَّا أَخْبَرَهُ خَبَرَهُمْ قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ هَذَا السَّامِرِيُّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَّخِذُوا الْعَجَلَ، أَرَأَيْتَ الرُّوحَ مَنْ نَفَخَهَا فِيهِ؟ قَالَ الرَّبُّ: أَنَا قَالَ: رَبِّ أَنْتَ إِذَا أَضَلَلْتَهُمْ.

ثُمَّ إِنَّ مُوسَى لَمَّا كَلَّمَهُ رَبُّهُ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، «قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي»، فَخَفَّ حَوْلَ الْجَبَلِ الْمَلَائِكَةُ، وَخَفَّ حَوْلَ الْمَلَائِكَةِ بَنَارٌ، وَخَفَّ حَوْلَ النَّارِ بِمَلَائِكَةٍ، وَحَوْلَ الْمَلَائِكَةِ بَنَارٌ، ثُمَّ تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ فَحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، قَالَ: حَدَّثَنِي السُّدِّيُّ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ:

تَجَلَّى مِنْهُ مِثْلُ طَرَفِ الْخِنْصَرِ، فَجَعَلَ الْجَبَلَ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَبَقًا، فَلَمْ يَزَلْ صَبَقًا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَنَّهُ أَفَاقَ فَقَالَ: «سُبْحَانَكَ تَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ»، يَعْنِي أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالَ: «يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي نَفَذَ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَكُتِبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ» مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ «نَفَذَهَا بِقُوَّةٍ»، يَعْنِي بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ «وَأَمَرَ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا» أَيُّ بِأَحْسَنِ مَا يَجِدُونَ فِيهَا فَكَانَ مُوسَى بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدًا أَنْ يَنْظُرَ فِي وَجْهِهِ، وَكَانَ يَلْبِسُ وَجْهَهُ بِحَرِيرَةٍ، فَأَخَذَ الْأَلْوَابَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ «غَضِبَانِ أَسْفًا» يَقُولُ: حَزِينًا «قَالَ يَا قَوْمُ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا» - إِلَى - «قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا» يَقُولُونَ: بِطَاقَتِنَا، «وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ» يَقُولُ: مِنْ حِلِّي الْقَبْطِ «فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ»، ذَلِكَ حِينَ قَالَ لَهُمْ هَارُونَ: احْفَرُوا لِهَذَا الْحِلِّيِّ حُفْرَةً، وَاطْرَحُوهُ فِيهَا، فَطَرَحُوهُ فَقَذَفَ السَّامِرِيُّ تَرْبَتَهُ، فَأَلْقَى مُوسَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجْرُهُ إِلَيْهِ، «لَا يَأْنِي أَنْ لَا تَأْخُذَ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي

«فَتَرَكَ مُوسَى هَارُونَ، وَمَالَ إِلَى السَّامِرِيِّ، فَقَالَ:

«فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ»، قَالَ السَّامِرِيُّ: «بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ» إِلَى: «فِي الْيَمِّ نَسْفًا» ثُمَّ أَخَذَهُ فَذَبَحَهُ، ثُمَّ حَرَفَهُ بِالْمِزْدِ ثُمَّ ذَرَاهُ فِي الْبَحْرِ، فَلَمْ يَبْقَ بَحْرٌ يَجْرِي إِلَّا وَقَعَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ مُوسَى:

اشْرَبُوا مِنْهُ فَشَرَبُوا، فَمَنْ كَانَ يُحِبُّهُ خَرَجَ عَلَى شَارِبِهِ الذَّهَبُ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: «وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ» فَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِي بَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ جَاءَ مُوسَى «وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ» فَأَبَى اللَّهُ أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا بِالْحَالِ الَّتِي كَرِهُوا أَنْ يُقَاتِلُوهُمْ حِينَ عَبْدُوا الْعِجْلَ، فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى:

«يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» ، فَاجْتَلَدَ الَّذِينَ عِבَدُوهُ وَالَّذِينَ لَمْ يَعْبُدُوهُ بِالسَّيُوفِ ، فَكَانَ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ شَهِيدًا ، حَتَّى كَثُرَ الْقَتْلُ حَتَّى كَادُوا أَنْ يَهْلِكُوا ، حَتَّى قُتِلَ بَيْنَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا ، حَتَّى دَعَا مُوسَى وَهَارُونَ: رَبَّنَا هَلَكْتَ بَنُو إِسْرَائِيلَ! رَبَّنَا الْبَقِيَّةُ الْبَقِيَّةُ! فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَضَعُوا السِّلَاحَ ، وَتَابَ عَلَيْهِمْ ، فَكَانَ مَنْ قُتِلَ كَانَ شَهِيدًا ، وَمَنْ بَقِيَ كَانَ مُكْفَرًا عَنْهُ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: «فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» .

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كَانَ السَّامِرِيُّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَاجِرْمَا، وَكَانَ مِنْ قَوْمٍ يَعْبُدُونَ الْبَقْرَ، فَكَانَ حُبَّ عِبَادَةِ الْبَقْرِ فِي نَفْسِهِ، وَكَانَ قَدْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمَّا فَصَلَ هَارُونُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَفَصَلَ مُوسَى مَعَهُمْ إِلَى رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ لَهُمْ هَارُونُ:

انكم قد تحملتم أوزارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ آلِ فِرْعَوْنَ، وَأَمْتَعَةً وَحُلِيًّا، فَطَهَرُوا مِنْهَا فَإِنَّهَا نَجَسٌ، وَأَوْقَدَ لَهُمْ نَارًا، وَقَالَ: اقْدِفُوا مَا كَانَ مَعَكُمْ مِنْ ذَلِكَ فِيهَا، قَالُوا: نَعَمْ، فَجَعَلُوا يَأْتُونَ بِمَا كَانَ فِيهِمْ مِنْ تِلْكَ الْحُلِيِّ وَتِلْكَ الْأَمْتَعَةِ فَيَقْدِفُونَ بِهِ فِيهَا، حَتَّى إِذَا انْكَسَرَتِ الْحُلِيُّ فِيهَا، رَأَى السَّامِرِيُّ أَثَرَ فَرَسٍ جَبْرِئِيلَ، فَأَخَذَ تَرَابًا مِنْ أَثَرِ حَافِرِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى الْخُفْرَةِ فَقَالَ لِهَارُونَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلْتَمَى مَا فِي يَدَيَّ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَا يَظُنُّ هَارُونُ إِلَّا أَنَّهُ كَبَعَضِ مَا جَاءَ بِهِ غَيْرُهُ مِنْ تِلْكَ الْأَمْتَعَةِ وَالْحُلِيِّ، فَقَذَفَهُ فِيهَا، وَقَالَ: كُنْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ، فَكَانَ لِلْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ، فَقَالَ: هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى، فَعَكَفُوا عَلَيْهِ وَأَحْبَوْهُ حُبًّا لَمْ يُحِبُّوا مِثْلَهُ شَيْئًا قَطُّ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «فَنَسِي» ، أَي تَرَكَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ، - يَعْنِي السَّامِرِيُّ - «أَفَلَا يَرَوْنَ أَنِّي يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا» .

قَالَ: وَكَانَ اسْمُ السَّامِرِيِّ مُوسَى بْنُ ظُفْرِ، وَقَعَ فِي أَرْضِ مِصْرَ، فَدَخَلَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمَّا رَأَى هَارُونُ مَا وَقَعُوا فِيهِ قَالَ: «يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ» - إِلَى قَوْلِهِ - «حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى» فَأَقَامَ هَارُونُ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ لَمْ يُفْتَنُوا، وَأَقَامَ مَنْ يَعْبُدُ الْعِجْلَ عَلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ، وَتَخَوَّفَ هَارُونُ إِنْ سَارَ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَقُولَ لَهُ مُوسَى: «قَتَّ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي» ، وَكَانَ لَهُ هَائِبًا مُطِيعًا، وَمَضَى مُوسَى بِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الطُّورِ، وَكَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ أَتَاهُمْ وَأَهْلَكَ عَدُوَّهُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ، وَكَانَ مُوسَى حِينَ سَارَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ

مِنَ الْبَحْرِ قَدْ احْتَأَجُوا إِلَى الْمَاءِ، فَاسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ، فَأَمَرَ أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ الْحَجَرَ، فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا، لِكُلِّ سِبْطٍ عَيْنٌ يَشْرَبُونَ مِنْهَا قَدْ عَرَفُوهَا، فَلَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى طَمَعَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَسَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ» إِلَى قَوْلِهِ: «وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ» ثُمَّ قَالَ اللَّهُ لِمُوسَى: «إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي خُذْ مَا آتَيْتُكَ» إِلَى قَوْلِهِ: «سَارِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ» وَقَالَ لَهُ:

«وَمَا أَجْعَلُكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى» إِلَى قَوْلِهِ: «فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا» ، وَمَعَهُ عَهْدُ اللَّهِ فِي الْوَاحِ . وَلَمَّا انْتَهَى مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ فَرَأَى مَا هُمْ فِيهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ أَلْقَى الْأَلْوَاحَ مِنْ يَدِهِ، وَكَانَتْ - فِيمَا يَذْكُرُونَ - مِنْ زَبْرَجَدٍ أَخْضَرَ، ثُمَّ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ وَلَحِيَّتِهِ وَيَقُولُ: «مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَن» إِلَى قَوْلِهِ: «لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي»

«فَقَالَ: «يَا ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تَشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» ، فَأَرَعَوَى مُوسَى وَقَالَ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» . وَأَقْبَلَ عَلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: «يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا» إِلَى قَوْلِهِ:

«عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ» واقبل على السامريِّ فقال: «فما خطبك يا سامريُّ قال بصرت بما لم يبصروا به» إلى قوله: «وسع كل شيء علمًا» ثم

أخذ الألواح، يقول الله: «أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون» .

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن صدقة ابن يسار، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان الله تعالى قد كتب لموسى فيها موعظة وتفصيلًا لكل شيء وهدى ورحمة، فلما ألقاها رفع الله ستة أسباعها وأبقى سبعة، يقول الله عز وجل: «وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون» ، ثم أمر موسى بالعجل فأحرق، حتى رجع رمادًا، ثم أمر به فدفن في البحر. قال ابن إسحاق: فسمعت بعض أهل العلم يقول: إنما كان أحرقه ثم سحله ثم ذراه في البحر والله أعلم.

ثم اختار موسى منهم سبعين رجلًا: الخبير فالخير، وقال: انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم، صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم، نخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربهم، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم، فقال له السبعون- فيما ذكر لي- حين صنعوا ما أمرهم به، وخرجوا معه للقاء ربه: اطلب لنا نسمع كلام ربنا، فقال: أفعل، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغطى الجبل كله، ودنا موسى فدخل فيه، وقال للقوم: ادنوا، وكان موسى إذا كلمه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه ف ضرب دونه بالحجاب، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودًا، فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه: افعل ولا تفعل، فلما فرغ إليه من أمره انكشف عن موسى الغمام، فأقبل إليهم فقالوا لموسى: «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة» ، «فأخذتهم الرجفة» ، وهي الصاعقة، فانفلتت أرواحهم فأتوا جميعا، وقام موسى يناشد ربه ويدعوه، ويرغب إليه ويقول: «رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي» قد سفهوا، افتهلك من ورأي من بني إسرائيل بما فعل السفهاء منا! ان هذا هلاك لهم اخترت منهم سبعين رجلًا فالخير فالخير، أرجع إليهم وليس معي رجل واحد، فما الذي يصدفوني به! فلم يزل موسى يناشد ربه، ويسأله ويطلب إليه حتى رد إليهم أرواحهم، وطلب إليه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل، فقال: لا، إلا أن يقتلوا أنفسهم وقال: فبلغني أنهم قالوا لموسى: نصبر لأمر الله، فأمر موسى من لم يكن عبد العجل أن يقتل من عبده، جلسوا بالأفنية، وأصلت عليهم القوم السيوف، فجعلوا يقتلونهم، وبكى موسى وبهش إليه الصبيان والنساء يطلبون العفو عنهم، فتاب عليهم وعفا عنهم، وأمر موسى أن يرفع عنهم السيف.

وأما السدي فإنه ذكر في خبره الذي ذكرت إسناده قبل أن مصير موسى إلى ربه بالسبعين الذين اختارهم من قومه بعد ما تاب الله على عبدة العجل من قومه، وذلك أنه ذكر بعد القصة التي قد ذكرت عنها بعد قوله: «إنه هو التواب الرحيم» قال: ثم إن الله أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، ووعدهم موعدًا، فاختر موسى قومه سبعين رجلًا على عينه، ثم ذهب بهم ليعتذروا، فلما أتوا ذلك المكان قالوا: «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة» ، فإنك قد كلمته فأرنا، فأخذتهم الصاعقة فأتوا، فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم! رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا! فأوحى الله عز وجل إلى موسى: أن هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل، فذلك حين يقول موسى: «إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء» إلى قوله: «إنا هدنا إليك» ، يقول:

تَبْنَا إِلَيْكَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكَ الصَّاعِقَةُ» ، وَالصَّاعِقَةُ نَارٌ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَحْيَاهُمْ، فَقَامُوا وَعَاشُوا رَجُلًا رَجُلًا، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ: كَيْفَ يَحْيُونَ؟ فَقَالُوا:

«إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ» إلى قوله: «إنا هدنا إليك» ، يقول:

تَبْنَا إِلَيْكَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكَ الصَّاعِقَةُ» ، وَالصَّاعِقَةُ نَارٌ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَحْيَاهُمْ، فَقَامُوا وَعَاشُوا رَجُلًا رَجُلًا، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ: كَيْفَ يَحْيُونَ؟ فَقَالُوا:

يَا مُوسَى، أَنْتَ تَدْعُو اللَّهَ فَلَا تَسْأَلُهُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاكَ، فَادْعُهُ يَجْعَلْنَا أَنْبِيَاءَ، فَدَعَا اللَّهُ لَجْعَلَهُمْ أَنْبِيَاءَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: «ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ»، وَلَكِنَّهُ قَدَّمَ حَرْفًا وَآخَرَ حَرْفًا.

ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِالسَّيْرِ إِلَى أَرِيحَا، وَهِيَ أَرْضُ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، فَسَارُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا قَرِيبًا مِنْهَا بَعَثَ مُوسَى اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسَارُوا يَرِيدُونَ أَنْ يَأْتَوْهُ بِخَبَرِ الْجَبَّارِينَ، فَلَقِيَهُمْ رَجُلٌ مِنَ الْجَبَّارِينَ يُقَالُ لَهُ عَاجُ، فَأَخَذَ الْإِثْنَيْ عَشَرَ لَجْعَلَهُمْ فِي حُجْرَتِهِ وَعَلَى رَأْسِهِ حِمْلَةٌ حَطَبٍ، فَانْطَلَقَ بِهِمْ إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ: انْظُرِي إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يُقَاتِلُونَا، فَطَرَحَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهَا، فَقَالَ: أَلَا أَطْحَنُهُمْ بِرَجْلِي! فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ:

لَا، بَلْ خَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى يُخْبِرُوا قَوْمَهُمْ بِمَا رَأَوْا، فَفَعَلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا خَرَجَ الْقَوْمُ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: يَا قَوْمُ، إِنَّكُمْ إِنْ أَخْبَرْتُمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِخَبَرِ الْقَوْمِ ارْتَدُّوا عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ، وَلَكِنْ اكْتُمُوهُمْ وَأَخْبِرُوا نَبِيَّ اللَّهِ، فَيَكُونَانِ هُمَا يَرِيَانِ رَأَيْهِمَا، فَأَخَذَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ الْمِيثَاقَ بِذَلِكَ لِيَكْتُمُوهُ، ثُمَّ رَجَعُوا فَانْطَلَقَ عَشْرَةٌ فَكَتَبُوا الْعَهْدَ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يُخْبِرُ أَخَاهُ وَأَبَاهُ بِمَا رَأَوْا مِنْ أَمْرِ عَاجُ، وَكَتَمَ رَجُلَانِ مِنْهُمْ، فَاتَّوَا مُوسَى وَهَارُونَ فَأَخْبَرُوهُمَا الْخَبَرَ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ: «وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا» فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «يَا قَوْمُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا»، يَمْلِكُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ نَفْسَهُ وَاهْلَهُ وَمَالَهُ «يَا قَوْمُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ»، يَقُولُ: الَّتِي أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهَا

«وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا» مِمَّا سَمِعُوا مِنَ الْعَشْرَةِ: «إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا»، وَهُمَا اللَّذَانِ كَتَمَا، وَهُمَا يُوْشَعُ بْنُ نُونٍ فَتَى مُوسَى وَكَالُوبُ بْنُ يُوْفَنَةَ - وَقِيلَ: كَلَابُ بْنُ يُوْفَنَةَ خَتَنُ مُوسَى - فَقَالَا:

يَا قَوْمُ «ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ» «قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ» فَغَضِبَ مُوسَى، فَدَعَا عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ» وَكَانَتْ عَجَلَةً مِنْ مُوسَى عَجَلَهَا، فَقَالَ اللَّهُ:

«فَإِنَّهَا حَرَمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ» فَلَمَّا ضُرِبَ عَلَيْهِمُ التَّيَهُ، نَدِمَ مُوسَى وَأَتَاهُ قَوْمُهُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ يُطِيعُونَهُ، فَقَالُوا لَهُ: مَا صَنَعْتَ بِنَا يَا مُوسَى؟ فَلَمَّا نَدِمَ أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: أَلَا تَأْسُ، أَيْ لَا تَحْزَنُ عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ سَمَّيْتَهُمْ فَاسِقِينَ فَلَمْ يَحْزَنْ، فَقَالُوا: يَا مُوسَى، فَكَيْفَ لَنَا بِمَاءِ هَاهُنَا؟ أَيْنَ الطَّعَامُ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى، فَكَانَ يَسْقُطُ عَلَى الشَّجَرِ التَّرْتِجِينِ وَالسَّلْوَى - وَهُوَ طَيْرٌ يُشَبِّهُ السَّمَانِي - فَكَانَ يَأْتِي أَحَدُهُمْ فَيَنْظُرُ إِلَى الطَّيْرِ، فَإِنْ كَانَ سَمِينًا ذَبَحَهُ وَإِلَّا أَرْسَلَهُ، فَإِذَا سَمِنَ أَتَاهُ، فَقَالُوا: هَذَا الطَّعَامُ فَإِنَّ الشَّرَابَ؟ فَأَمَرَ مُوسَى فَضْرَبَ بِعَصَاهُ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا، يَشْرَبُ كُلُّ سِبْطٍ مِنْ عَيْنٍ فَقَالُوا: هَذَا الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ، فَإِنَّ الظِّلَّ؟ فَظَلَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ، فَقَالُوا: هَذَا الظِّلُّ، فَإِنَّ:

اللباس؟ فَكَانَتْ ثِيَابُهُمْ تَطُولُ مَعَهُمْ كَمَا تَطُولُ الصَّبِيَّانِ، وَلَا يَخْرَقُ لَهُمْ ثَوْبٌ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: «وَوَضَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى».

وقوله: «وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ»، فَأَجْمَعُوا ذَلِكَ، فَقَالُوا:

«يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا» - وَهِيَ الْحِنْطَةُ - «وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا».

قال: «أَتَسْبِدُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا» من الأمصار، «فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ» فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ التَّيَّةِ رَفَعَ الْمَنْ وَالسَّلْوَى، وَأَكَلُوا الْبُقُولَ، وَالتَّقَى مُوسَى وَعَاجَ فَرَزًا مُوسَى فِي السَّمَاءِ عَشْرَةَ أَذْرُعَ، وَكَانَتْ عَصَاهُ عَشْرَةَ أَذْرُعَ، وَكَانَ طُولُهُ عَشْرَةَ أَذْرُعَ، فَأَصَابَ كَعْبَ عَاجٍ فَقَتَلَهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَوْمِلٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفْيَانٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ نَوْفٍ، قَالَ: كَانَ طُولُ عَوْجِ ثَمَانِيَةِ ذِرَاعٍ، وَكَانَ طُولُ مُوسَى عَشْرَةَ أَذْرُعَ، وَعَصَاهُ عَشْرَةَ أَذْرُعَ، ثُمَّ وَثَبَ فِي السَّمَاءِ عَشْرَةَ أَذْرُعَ، فَضَرَبَ عَوْجًا فَأَصَابَ كَعْبَهُ فَسَقَطَ مَيِّتًا، فَكَانَ جَسْرًا لِلنَّاسِ يَمْرُونَ عَلَيْهِ.

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عَطِيَّةٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا قَيْسٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَتْ عَصَا مُوسَى عَشْرَةَ أَذْرُعَ، وَوُثِبَتْ عَشْرَةَ أَذْرُعَ، وَطُولُهُ عَشْرَةَ أَذْرُعَ، فَأَصَابَ كَعْبَ عَوْجٍ فَقَتَلَهُ، فَكَانَ جَسْرًا لِأَهْلِ النَّيْلِ وَقِيلَ إِنَّ عَوْجَ عَاشَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ سَنَةً.

١٠١٢٠١ ذكر وفاه موسى وهارون ابني عمران ع

ذكر وفاه موسى وهارون ابني عمران ع

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ هَارُونَ الهمداني، قَالَ: حَدَّثَنَا عمرو بن حماد، قَالَ:

حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنْ السَّيِّدِ فِي خَبَرِ ذِكْرِهِ عَنْ أَبِي مَالِكٍ وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - وَعَنْ مَرَّةٍ الهمداني عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ص: ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْحَى إِلَى مُوسَى، أَنِّي مُتَوِّفٌ هَارُونَ، فَأَتَتْ بِهِ جَبَلٌ كَذَا وَكَذَا فَانْطَلَقَ مُوسَى وَهَارُونَ نَحْوَ ذَلِكَ الْجَبَلِ، فَإِذَا هُمَا بِشَجَرَةٍ لَمْ يَرِ مِثْلُهَا، وَإِذَا هُمَا بِبَيْتٍ مَبْنِيٍّ، وَإِذَا هُمَا فِيهِ بِسَرِيرٍ عَلَيْهِ فَرْشٌ، وَإِذَا فِيهِ رِيحٌ طَيِّبَةٌ، فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونَ إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ وَالْبَيْتِ وَمَا فِيهِ أَعْجَبَهُ، فَقَالَ: يَا مُوسَى إِنِّي لِأُحِبُّ أَنْ أُنَامَ عَلَى هَذَا السَّرِيرِ، قَالَ لَهُ مُوسَى: فَنِمَّ عَلَيْهِ، قَالَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَأْتِيَ رَبُّ هَذَا الْبَيْتِ فَيَغْضَبَ عَلَيَّ، قَالَ لَهُ مُوسَى: لَا تَرَهَّبْ أَنَا أَكْفِيكَ رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ فَنِمَّ، قَالَ:

يَا مُوسَى بَلْ نِمْ مَعِيَ، فَإِنْ جَاءَ رَبُّ الْبَيْتِ غَضِبَ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ جَمِيعًا، فَلَمَّا نَامَا أَخَذَ هَارُونَ الْمَوْتَ، فَلَمَّا وَجَدَ جَسَدَهُ قَالَ: يَا مُوسَى خَدَعْتَنِي، فَلَمَّا قُبِضَ رُفِعَ ذَلِكَ الْبَيْتُ وَذَهَبَتْ تِلْكَ الشَّجَرَةُ وَرُفِعَ السَّرِيرُ إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَيْسَ مَعَهُ هَارُونَ قَالُوا: فَإِنْ مُوسَى قَتَلَ هَارُونَ وَحَسَدَهُ لِحَبِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَهُ، وَكَانَ هَارُونَ أَكْفَىٰ عَنْهُمْ وَالَّذِينَ لَهُمْ مِنْ مُوسَى، وَكَانَ فِي مُوسَى بَعْضُ الْغُلَظِ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ قَالَ لَهُمْ: وَيَحْكُمُ! كَانَ أَخِي، أَقْتَرُونِي أَقْتُلُهُ! فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ دَعَا اللَّهَ فَنَزَلَ بِالسَّرِيرِ حَتَّى نَظَرُوا إِلَيْهِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَصَدَّقُوهُ ثُمَّ إِنَّ مُوسَى بَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي وَيُوشِعُ فَتَاهُ إِذَا أَقْبَلَتْ رِيحٌ سَوْدَاءُ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا يُوشِعُ ظَنَّ أَنَّهَا السَّاعَةُ وَالتَّزَمَ مُوسَى، وَقَالَ: تَقُومُ السَّاعَةُ وَأَنَا مُلْتَزِمٌ مُوسَى نَبِيِّ اللَّهِ، فَاسْتَلَّ مُوسَى مِنْ تَحْتِ الْقَمِيصِ وَتَرَكَ الْقَمِيصَ فِي يَدِ يُوْشَعَ، فَلَمَّا جَاءَ يُوْشَعُ بِالْقَمِيصِ أَخَذَتْهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَقَالُوا: قَتَلْتَ نَبِيَّ اللَّهِ! قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا قَتَلْتُهُ، وَلَكِنَّهُ اسْتَلَّ مِنِّي، فَلَمْ يَصْدَقُوهُ وَأَرَادُوا قَتْلَهُ قَالَ: فَإِذَا لَمْ تُصَدِّقُونِي فَأَخْرُونِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَدَعَا اللَّهَ فَأُتِيَ كُلُّ

رَجُلٍ مِّنْ مَنْ كَانَ يَحْرُسُهُ فِي الْمَنَامِ، فَأُخْبِرَ أَنَّ يُوْشَعَ لَمْ يَقْتُلْ مُوسَى، وَأَنَا قَدْ رَفَعْنَاهُ إِلَيْنَا، فَتَرَكُوهُ وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِّنْ أَبِي أَنْ يَدْخُلَ قَرْيَةَ الْجَبَّارِينَ مَعَ مُوسَى إِلَّا مَاتَ، وَلَمْ يَشْهَدْ الْفَتْحَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: كَانَ صَفِي اللَّهِ قَدْ كَرِهَ الْمَوْتَ وَأَعْظَمَهُ، فَلَمَّا كَرِهَهُ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَجِبَ إِلَيْهِ الْمَوْتُ وَيَكْرِهَ إِلَيْهِ الْحَيَاةَ، فَخَوَّلَتْ النُّبُوَّةَ إِلَى يُوْشَعَ بْنِ نُونٍ، فَكَانَ يَغْدُو عَلَيْهِ وَيُروحُ، فيقول له موسى: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا أَحْدَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ؟ فيقول له يُوْشَعُ بْنُ نُونٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَمْ أَصْحَبْكَ كَذَا وَكَذَا سَنَةً، فَهَلْ كُنْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ مَّا أَحْدَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ حَتَّى تَكُونَ

أنت الذي تبتدئ به وتذكره؟ فلا يذكر له شيئا، فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت.
 قَالَ ابْنُ حُمَيْدٍ: قَالَ سَلَمَةُ: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ صَفِي اللَّهِ - فِيمَا ذَكَرَ لِي وَهَبُ بْنُ مِنْه - انَّمَا يَسْتَظِلُّ فِي عَرِيشٍ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ فِي نَقِيرٍ مِنْ جَرٍّ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَشْرَبَ بَعْدَ أَنْ أَكَلَ كَرَعَ كَمَا تَكَرَّعُ الدَّابَّةُ فِي ذَلِكَ النَقِيرِ، تَوَاضَعَا لِلَّهِ حِينَ أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِمَا أَكْرَمَهُ بِهِ مِنْ كَلَامِهِ.
 قَالَ وَهَبُ: فَذَكَرَ لِي أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَمْرِ وَفَاتِهِ أَنَّ صَفِي اللَّهِ خَرَجَ يَوْمًا مِنْ عَرِيشِهِ ذَلِكَ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ لَا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، فَرَهَطَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَرُونَ قَبْرًا فَعَرَفَهُمْ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِمْ، حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا هُمْ يَحْفَرُونَ قَبْرًا لَمْ يَرِ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَلَمْ يَرِ مِثْلَ مَا فِيهِ مِنَ الْخُضْرَةِ وَالنَّضْرَةِ وَالْبَهْجَةِ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا مَلَائِكَةُ اللَّهِ لِمَنْ تَحْفَرُونَ هَذَا الْقَبْرَ؟ قَالُوا: نَحْفَرُهُ لِعَبْدٍ كَرِيمٍ عَلَى رَبِّهِ، قَالَ: إِنْ هَذَا الْعَبْدُ مِنَ اللَّهِ لَيَنْزِلُ! مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ مُضْجَعًا وَلَا مَدْخَلًا! وَذَلِكَ حِينَ حَضَرَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا حَضَرَ مِنْ قَبْضِهِ، فَقَالَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: يَا صَفِي اللَّهِ، أَتَحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَكَ؟ قَالَ: وَدِدْتُ قَالُوا:

فَانْزِلْ فَاضْطَجِعْ فِيهِ، وَتَوَجَّهْ إِلَى رَبِّكَ، ثُمَّ تَنَفَّسَ أَسْهَلَ تَنَفَّسَ تَنَفَّسْتَهُ قَطُّ

فَنَزَلَ فَاضْطَجِعَ فِيهِ، وَتَوَجَّهَ إِلَى رَبِّهِ، ثُمَّ تَنَفَّسَ فَتَقَبَّضَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحَهُ، ثُمَّ سَوَتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ، وَكَانَ صَفِي اللَّهِ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا رَاغِبًا فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ.

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ الْمَقْدَامِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ، مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: إِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ كَانَ يَأْتِي النَّاسَ عِيَانًا حَتَّى آتَى مُوسَى فَلَطَمَهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ، قَالَ: فَرَجَعَ فَقَالَ: يَا رَبِّ، إِنَّ عَبْدَكَ مُوسَى فَقَأَ عَيْنِي، وَلَوْلَا كَرَامَتُهُ عَلَيْكَ لَشَقَقْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَتَيْتَ عَبْدِي مُوسَى، فَقُلْ لَهُ: فَلْيَضَعْ كَفَّهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ وَارَتْ يَدَهُ سَنَةً، وَخَيْرُهُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ أَنْ يَمُوتَ الْآنَ، قَالَ: فَأَتَاهُ نَخِيرُهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: الْمَوْتُ، قَالَ: فَلَا أَنْ إِذَا، قَالَ: فَشَمَّهُ شَمَّةً قَبْضَ رُوحِهِ.

قَالَ: لَجَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى النَّاسِ خَفِيهِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ أَبِي سَنَانَ الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: مَاتَ مُوسَى وَهَارُونَ جَمِيعًا فِي التَّيِّهِ، مَاتَ هَارُونَ قَبْلَ مُوسَى، وَكَانَا خَرَجَا جَمِيعًا فِي التَّيِّهِ إِلَى بَعْضِ الْكَهُوفِ، فَمَاتَ هَارُونَ، فَدَفَنَهُ مُوسَى، وَانْصَرَفَ مُوسَى إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالُوا: مَا فَعَلَ هَارُونَ؟ قَالَ: مَاتَ، قَالُوا: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَتَلْتَهُ لِحُبِّنا إِيَّاهُ، وَكَانَ مُحِبًّا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَتَضَرَّعَ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ، وَشَكَا مَا لَقِيَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ انْطَلِقْ بِهِمْ إِلَى مَوْضِعِ قَبْرِهِ، فَإِنِّي بَاعْتُهُ حَتَّى يَخْبِرَهُمْ أَنَّهُ مَاتَ مَوْتًا وَلَمْ تَقْتُلْهُ قَالَ: فَانْطَلِقْ بِهِمْ إِلَى قَبْرِ هَارُونَ، فَنَادَى: يَا هَارُونَ، نَفَرَ مِنْ قَبْرِهِ يَنْفِضُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: أَنَا قَتَلْتُكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، وَلَكِنِّي مِتُّ، قَالَ: فَعَدَّ إِلَى مُضْجَعِكَ، وَانْصَرَفُوا.

فَكَانَ جَمِيعَ مَدَّةِ عَمْرِ مُوسَى عَ كُلِّهَا مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً، عِشْرُونَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَلِكٍ أَفْرِيدُونَ، وَمِائَةٌ مِنْهَا فِي مَلِكٍ مَنُوشَرٍ، وَكَانَ ابْتِدَاءُ أَمْرِهِ مِنْ لَدُنْ بَعَثَهُ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَى أَنْ قَبْضَهُ إِلَيْهِ فِي مَلِكٍ مَنُوشَرٍ

١٠١٢٠٢ ذكر يوشع بن نون ع

ذكر يوشع بن نون ع

ثُمَّ ابْتَعَثَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَ بَعْدَ مُوسَى عَ يَوْشَعَ بْنَ نُونٍ بْنَ إِفْرَائِيمَ ابْنَ يَوْسَافَ بْنَ يَعْقُوبَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ نَبِيًّا، وَأَمْرُهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى أَرِيحَا لِحَرْبٍ مِنْ فِيهَا مِنَ الْجَبَّارِينَ فَاخْتَلَفَ السَّلَفُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي ذَلِكَ، وَعَلَى يَدٍ مِنْ كَانَ ذَلِكَ؟ وَمَتَى سَارَ يَوْشَعَ إِلَيْهَا؟ فِي حَيَاةِ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ كَانَ مَسِيرُهُ إِلَيْهَا أَمْ بَعْدَ وَفَاتِهِ؟

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمْ يَسِرْ يَوْشَعَ إِلَى أَرِيحَا، وَلَا أَمْرًا بِالْمَسِيرِ إِلَيْهَا إِلَّا بَعْدَ مَوْتِ مُوسَى، وَبَعْدَ هَلَاكِ جَمِيعٍ مِنْ كَانَ أَبِي الْمَسِيرِ إِلَيْهَا مَعَ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ، حِينَ أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقِتَالِ مَنْ فِيهَا مِنَ الْجَبَّارِينَ، وَقَالُوا: مَاتَ مُوسَى وَهَارُونَ جَمِيعًا فِي التَّيِّهِ قَبْلَ خُرُوجِهِمَا مِنْهُ.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ الْهَيْثَمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: قَالَ أَبُو سَعِيدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

لَمَّا دَعَا مُوسَى - يَعْنِي بِدَعَائِهِ قَوْلَهُ: «رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ» قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ» قَالَ: فَدَخَلُوا التَّيَّةَ، فَكُلُّ مَنْ دَخَلَ التَّيَّةَ مِمَّنْ جَاوَزَ الْعِشْرِينَ سَنَةً مَاتَ فِي التَّيَّةِ، قَالَ: فَكَاتَ مُوسَى فِي التَّيَّةِ، وَمَاتَ هَارُونُ قَبْلَهُ قَالَ:

فَلَبِثُوا فِي تِيهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَنَاهَضَ يُوْشَعُ بِنَ بَقِي مَعَهُ مَدِينَةَ الْجَبَّارِينَ فَافْتَتَحَ يُوْشَعُ الْمَدِينَةَ

حَدَّثَنَا بَشَرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً» الْآيَةَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الْقُرَى، فَكَانُوا لَا يَهْبِطُونَ قَرْيَةً، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً.

وَذَكَرَ لَنَا أَنَّ مُوسَى مَاتَ فِي الْأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَمْ يَدْخُلْ بَيْتَ الْمَقْدَسِ مِنْهُمْ إِلَّا أَبْنَاؤُهُمْ، وَالرِّجَالُ اللَّذَانِ قَالَا مَا قَالَا.

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ الْهَمْدَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو، قَالَ: حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ، عَنْ السَّيِّدِيِّ فِي الْخَبَرِ الَّذِي ذَكَرْتُ إِسْنَادَهُ فِيمَا مَضَى: لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ أَبِي أَنْ يَدْخُلَ مَدِينَةَ الْجَبَّارِينَ مَعَ مُوسَى إِلَّا مَاتَ، وَلَمْ يَشْهَدْ الْفَتْحَ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا انْقَضَتْ الْأَرْبَعُونَ سَنَةً بَعَثَ يُوْشَعُ بْنُ نُونٍ نَبِيًّا فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَهُ أَنْ يُقَاتِلَ الْجَبَّارِينَ، فَبَايَعُوهُ وَصَدَّقُوهُ، فَهَزَمَ الْجَبَّارِينَ، وَاقْتَحَمُوا عَلَيْهِمْ، فَقَتَلُوهُمْ، فَكَانَتِ الْعَصَابَةُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَجْتَمِعُونَ عَلَى عُنُقِ الرَّجُلِ يَضْرِبُونَهَا لَا يَقْطَعُونَهَا. حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، عَنْ هَلَالٍ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ»، قَالَ: أَبَدًا.

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى قَالَ: حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هَارُونَ النَّحْوِيِّ، عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْخُرَيْتِ، عَنْ عِكْرِمَةَ فِي قَوْلِهِ: «فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ»، قَالَ: التَّحْرِيمُ التَّيَّةَ.

وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا فَتَحَ أَرِيحَا مُوسَى، وَلَكِنْ يُوْشَعُ كَانَ عَلَى مَقْدَمَةِ مُوسَى حِينَ سَارَ إِلَيْهِمْ.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: لَمَّا نَشَأَتِ النَّوَاشِي مِنْ ذُرَارِيهِمْ - يَعْنِي مِنْ ذُرَارِي الَّذِينَ أَبَوْا قِتَالَ الْجَبَّارِينَ مَعَ مُوسَى - وَهَلَكَ آبَاؤُهُمْ، وَانْقَضَتْ الْأَرْبَعُونَ سَنَةً الَّتِي تَبَيَّهَ فِيهَا، سَارَ بِهِمْ مُوسَى وَمَعَهُ يُوْشَعُ بْنُ نُونٍ، وَكَلَابُ بْنُ يَوْفَةَ، وَكَانَ فِيمَا يَزْعَمُونَ عَلَى مَرِيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ أُخْتِ مُوسَى وَهَارُونَ، فَكَانَ لَهُمْ صَهْرًا، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ، وَبِهَا بَلْعَمُ بْنُ بَاعُورِ الْعُرُوفِ، وَكَانَ رَجُلًا قَدْ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا، وَكَانَ فِيمَا أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمَ - فِيمَا يَذْكُرُونَ - الَّذِي إِذَا دَعَى اللَّهُ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ سَالِمِ أَبِي النَّضْرِ، أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ مُوسَى لَمَّا نَزَلَ أَرْضَ بَنِي كَنْعَانَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وَكَانَ بَلْعَمُ بِبَالَعَةَ - قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْبَلْقَاءِ - فَلَمَّا نَزَلَ مُوسَى بِبَنِي إِسْرَائِيلَ ذَلِكَ الْمَنْزِلَ، أَتَى قَوْمَ بَلْعَمَ إِلَى بَلْعَمَ، فَقَالُوا لَهُ: يَا بَلْعَمُ، هَذَا مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ جَاءَ يُخْرِجُنَا مِنْ بِلَادِنَا، وَيَقْتُلُنَا وَيَحْلِلُهَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَيَسْكُنُهَا، وَإِنَّا قَوْمُكَ وَلَيْسَ لَنَا مَنْزِلٌ، وَأَنْتَ رَجُلٌ مَجَابٌ الدَّعْوَةَ، فَاخْرُجْ فَادْعِ اللَّهَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: وَيْلَكُمْ! نَبِيُّ اللَّهِ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ! كَيْفَ أَذْهَبُ أَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَأَنَا أَعْلَمُ

مِنْ اللَّهِ مَا أَعْلَمُ! قَالُوا: مَا لَنَا مِنْ مَنْزِلٍ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ يَرْقُقُونَهُ، وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ حَتَّى فَتَنُوهُ، فَافْتَتَنَ فَرَكِبَ حِمَارًا لَهُ مَتَوَّجَهَا إِلَى الْجَبَلِ الَّذِي يُطْلَعُ عَلَى عَسْكَرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُوَ جَبَلُ حَسْبَانَ، فَمَا سَارَ عَلَيْهَا غَيْرَ قَلِيلٍ، حَتَّى رِبَضَتْ بِهِ، فَنَزَلَ عَنْهَا فَضْرَبَهَا حَتَّى أَذْلَقَهَا فَقَامَتْ فَرَكِبَهَا، فَلَمْ تَسْرَ بِهِ كَثِيرًا حَتَّى رِبَضَتْ بِهِ، فَفَعَلَ بِهَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَامَتْ فَرَكِبَهَا، فَلَمْ تَسْرَ بِهِ كَثِيرًا حَتَّى رِبَضَتْ بِهِ، فَضْرَبَهَا حَتَّى إِذَا أَذْلَقَهَا أَذْنُ اللَّهِ لَهَا فَكَلَمَتْهُ حِجَّةٌ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: وَيْحَكَ يَا بَلْعَمُ! أَيْنَ تَذْهَبُ! أَلَا تَرَى الْمَلَائِكَةَ أَمَامِي تَرُدُّنِي عَنْ وَجْهِ هَذَا! أَتَذْهَبُ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ تَدْعُو

عليهم! فلم ينزع عنها يضربها، نفلى الله سبيلها حين فعل بها ذلك، فانطلقت حتى إذا أشرفت به على جبل حسان، على عسكر موسى وبني إسرائيل، جعل يدعو عليهم، فلا يدعو عليهم بشيء إلا صرف الله لسانه إلى قومه، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف لسانه إلى بني إسرائيل، فقال له قومه:

أتدري يا بلعم ما تصنع؟ إنما تدعو لهم، وتدعو علينا، قال: فهذا ما لا أملك، هذا شيء قد غلب الله عليه، واندلع لسانه فوقع على صدره، فقال لهم: قد ذهبت الآن مني الدنيا والآخرة، فلم يبق إلا المكر والحيلة، فسأمر لكم وأحتال، جملوا النساء وأعطوهن السلع، ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعن فيها، ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها، فإنه إن زنى رجل واحد منهم كفيتموهم، ففعلوا، فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كستي ابنة صور- رأس أمتة وبني أبيه من كان منهم في مدين، هو كان كبيرهم- برجل من عظماء بني إسرائيل، وهو زمرى بن شلوم، رأس سبط شمعون بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها، ثم أقبل حتى وقف بها على موسى، فقال: إني أظنك ستقول:

هذه حرام عليك! قال: أجل هي حرام عليك لا تقربها، قال: فوالله لا نطيعك في هذا، ثم دخل بها قبته فوقع عليها، فأرسل الله الطاعون في بني إسرائيل وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى، وكان رجلاً قد أعطي بسطة في الخلق، وقوة في البطش، وكان غائباً حين صنع زمرى بن شلوم ما صنع، فجاء والطاعون يحوس في بني إسرائيل، فأخبر الخبر، فأخذ حربته- وكانت من حديد كلها- ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء، والحربة قد أخذها بذراعه، واعتمد بمرفقه على خاصرته، وأسند الحربة إلى لحيته- وكان بكر العيزار- فجعل يقول: اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك! ورفع الطاعون فحسب من يهلك من بني إسرائيل في الطاعون- فيما بين أن أصاب زمرى المرأة إلى أن قتله

فنحاص- فوجدوا قد هلك منهم سبعون ألفاً، والمقلل لهم يقول: عشرون ألفاً، في ساعة من النهار، فمن هنالك تعطي بنو إسرائيل ولد فنحاص بن العيزار بن هارون من كل ذبيحة ذبحوها القبة والذراع والحي، لاعتماده بالحربة على خاصرته، وأخذها إياها بذراعه، وإسناده إياها إلى لحيته، والبكر من كل أموالهم وأنفسهم، لأنه كان بكر العيزار، ففي بلعم بن باعور، أنزل الله تعالى على محمد ص: «وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا» - يعنى بلعم بن باعور، «فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ» الى قوله: «لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» يعنى بني إسرائيل، إني قد جئتكم بخبر ما كان فيهم مما يخفون عليك لعلهم يتفكرون فيعرفون أنه لم يأت بهذا الخبر عما مضى فيهم إلا نبي يأتيه خبر من السماء.

ثم إن موسى قدم يوشع بن نون إلى أريحا في بني إسرائيل فدخلها بهم، وقتل بها الجبابرة الذين كانوا فيها، وأصاب من أصاب منهم، وبقيت منهم بقية في اليوم الذي أصابهم فيه، وجنح عليهم الليل، وخشي إن لبسهم الليل أن يعجزوه، فاستوقف الشمس، ودعا الله أن يجسبها، ففعل عز وجل حتى استأصلهم، ثم دخلها موسى ببني إسرائيل، فأقام فيها ما شاء الله أن يقيم، ثم قبضه الله إليه، لا يعلم بقبوره أحد من الخلائق.

فأما السدي في الخبر الذي ذكرت عنه إسناده فيما مضى، فإنه ذكر في خبره ذلك أن الذي قاتل الجبارين يوشع بن نون بعد موت موسى وهارون، وقص من أمره وأمرهم ما أنا ذاكره، وهو أنه ذكر فيه أن الله بعث يوشع نبياً بعد أن انقضت الأربعون سنة، فدعا بني إسرائيل فأخبرهم أنه نبي، وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين، فبايعوه وصدقوه، وانطلق رجل من بني إسرائيل يقال له: بلعم- وكان عالماً، يعلم الاسم الأعظم المكتوم- فكفر

وأتى الجبارين، فقال: لا ترهبوا بني إسرائيل، فإني إذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم دعوة فيهلكون، فكان عندهم فيما شاء من الدنيا، غير أنه كان لا يستطيع أن يأتي النساء من عظمهن، فكان ينكح أتاناً له، وهو الذي يقول الله عز وجل:

«وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا» أي فبصر «فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ» الى قوله: «وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَلَّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ»، فكان بلعم يلهث كما يلهث الكلب، فخرج يوشع يقاتل الجبارين في الناس، وخرج بلعم مع الجبارين على أتانته، وهو يريد أن يلعن بني إسرائيل، فكلمها أراد أن يدعو على بني إسرائيل جاء على الجبارين،

فقال الجبارون: إنك إنما تدعو علينا، فيقول: إنما أردت بني إسرائيل، فلما بلغ باب المدينة أخذ ملك بذب الأتان فأمسكها، وجعل يحركها فلا تتحرك، فلما أكثر ضربها تكلمت، فقالت: أنت تنكحني بالليل وتركيني بالنهار! ويلي منك! ولو أني أطق الخروج لخرجت بك، ولكن هذا الملك يجبسنني، فقاتلهم يوشع يوم الجمعة قتالا شديدا حتى أمسوا وغربت الشمس، ودخل السبت فدعا الله فقال للشمس: إنك في طاعة الله وأنا في طاعة الله، اللهم اردد علي الشمس، فردت عليه الشمس، فزید له في النهار يومئذ ساعة، فهزم الجبارين واقتحموا عليهم يقتلونهم، فكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها وجمعوا غنائمهم، وأمرهم يوشع أن يقربوا الغنيمه فقربوها، فلم تزل النار تأكلها، فقال يوشع: يا بني إسرائيل ان الله عز وجل عندكم طلبة، هلموا فبايعوني، فبايعوه فلصقت يد رجل منهم بيده، فقال: هلم ما عندك! فأثاه برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت والجوهر، كان قد غله، فجعله في القربان، وجعل الرجل معه، فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان

وأما أهل التوراة، فإنهم يقولون: هلك هارون وموسى في التيه، وإن الله أوحى إلى يوشع بعد موسى، وأمره أن يعبر الأردن إلى الأرض التي أعطاها بني إسرائيل، ووعدا إياهم، وأن يوشع جد في ذلك ووجه إلى أريحا من تعرف خبرها، ثم سار ومعه تابوت الميثاق، حتى عبر الأردن، وصار له ولأصحابه فيه طريق، فأحاط بمدينة أريحا ستة أشهر، فلما كان السابع نفخوا في القرون، وضج الشعب ضجة واحدة، فسقط سور المدينة فأباحوها وأحرقوها، وما كان فيها ما خلا الذهب والفضة وآنية النحاس والحديد، فإنهم أدخلوه بيت المال ثم إن رجلا من بني إسرائيل غل شيئا، فغضب الله عليهم وانهمزوا، فخرج يوشع جزعا شديدا، فأوحى الله إلى يوشع أن يقرع بين الأسباط، ففعل حتى انتهت القرعة إلى الرجل الذي غل، فاستخرج غلوله من بيته، فرجه يوشع وأحرق كل ما كان له بالنار، وسموا الموضع باسم صاحب الغلول، وهو عاجر فالموضع إلى هذا اليوم غور عاجر ثم نهض بهم يوشع إلى ملك عاي وشعبه، فأرشدهم الله إلى حربه، وأمر يوشع أن يكمن لهم كميناً ففعل، وغلب على عاي وصلب ملكها على خشبة، وأحرق المدينة وقتل من أهلها اثني عشر ألفا من الرجال والنساء، واحتال أهل عمّاق وجيعون ليوشع حتى جعل لهم أمانا، فلما ظهر على خديعتهم دعا الله عليهم أن يكونوا حطابين وسقائين، فكانوا كذلك، وأن يكون بازق ملك أورشليم يتصدق، ثم أرسل ملوك الأرمانيين، وكانوا خمسة بعضهم إلى بعض، وجمعوا كلمتهم على جيعون، فاستنجد أهل جيعون يوشع، فأنجدهم وهزموا أولئك الملوك حتى حذروهم إلى هبطة حوران، ورماهم الله بأجار البرد، فكان من قتله البرد أكثر ممن قتله بنو إسرائيل بالسيف، وسأل يوشع الشمس أن تقف والقمر أن يقوم حتى ينتقم من أعدائه قبل دخول السبت، ففعلا ذلك وهرب الخمسة ملوك فاختلفوا في غار، فأمر يوشع فسد باب الغار حتى فرغ من الانتقام

من أعدائه، ثم أمر بهم فأخرجوا، فقتلهم وصلبهم ثم أنزلهم من الخشب، وطرحهم في الغار الذي كانوا فيه، وتبع سائر الملوك بالشام، فاستباح منهم أحدا وثلاثين ملكا، وفرق الأرض التي غلب عليها ثم مات يوشع، فلما مات دفن في جبل أفرايم، وقام بعده سبط يهوذا وسبط شمعون بحرب الكنعانيين، فاستباحوا حريمهم، وقتلوا منهم عشرة آلاف ببازق، وأخذوا ملك بازق فقطعوا إبهامي يديه ورجليه، فقال عند ذلك ملك بازق: قد كان يلقط الخبز من تحت مائدتي سبعون ملكا مقطعي الأباهيم، فقد جزاني الله بصنيعي، وأدخلوا ملك بازق أورشليم، فمات بها وحارب بنو يهوذا سائر الكنعانيين واستولوا على أرضهم، وكان عمر يوشع مائة سنة وستا وعشرين سنة وتديره أمر بني إسرائيل منذ توفي موسى إلى أن توفي يوشع بن نون سبعا وعشرين سنة.

وقد قيل إن أول من ملك من ملوك الين، ملك كان لهم في عهد موسى بن عمران من حمير، يقال له: شمير بن الأملول، وهو الذي بنى مدينة ظفار باليمن، وأخرج من كان بها من العماليق، وإن شمير بن الأملول الحميري هذا كان من عمال ملك الفرس يومئذ على الين ونواحيها.

وزعم هشام بن محمد الكلبي أن بقية بقيت من الكنعانيين بعد ما قتل يوشع من قتل منهم، وأن إفريقيش بن قيس بن صيفي بن سبا بن كعب ابن زيد بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان مر بهم متوجها إلى إفريقية، فاحتملهم من سواحل الشام، حتى أتى بهم إفريقية، فافتتحها وقتل ملكها جرجيرا، وأسكنها البقية التي كانت بقيت من الكنعانيين الذين كان احتملهم معه من سواحل

الشام قَالَ: فهم البرابرة، قَالَ: وإنما سموا بريرا، لأن إفريقيس قَالَ لهم: ما أكثر بريرتكم! فسموا لذلك بريرا، وذكر أن إفريقيس قَالَ في ذلك من أمرهم شعرا، وهو قوله:
بريرت كنعان لما سقتها ... من أراضي الملك للعيش العجب
قَالَ: وأقام من حمير في البربر صنهاجة وكمامة، فهم فيهم إلى اليوم

١٠١٢٠٣ ذكر امر قارون بن يصهر بن قاهث

ذكر أمر قارون بن يصهر بن قاهث

وكان قارون ابن عم موسى ع حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: «إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى»، قال: ابن عمه، أخي أبيه فان: قارون ابن يصفر- هكذا قَالَ القاسم، وإنما هو يصهر- بن قاهث، وموسى بن عرمر بن قاهث، وعرمر بالعربية عمران، هكذا قَالَ القاسم، وإنما هو عرمر.

وأما ابن إسحاق فَإِنَّهُ قَالَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْهُ: تزوج يصهر بن قاهث شमित ابنه تباويت بن بركا ابن يقسان بن إبراهيم فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر، فقارون- على ما قَالَ ابن إسحاق- عم موسى أخو أبيه لأبيه وأمه. وأما أهل العلم من سلف أمتنا ومن أهل الكلابين فعلى ما قَالَ ابن جريج.

ذكر من حضرنا ذكره من ذلك من علمائنا الماضين:

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَابِرُ بْنُ نُوحٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْلِهِ: «إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى» قَالَ: كان ابن عم موسى.

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَنْ سَفْيَانَ، عَنْ سَمَّاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: «إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى»، كان قارون ابن عم موسى

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ سَفْيَانَ، عَنْ سَمَّاكِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ: «إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى»، قَالَ: كان ابن عمه فبغى عليه.

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ، عَنْ سَمَّاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: كان قارون ابن عم موسى.

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ ابْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: «إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى»، قَالَ: كان ابن عمه. حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلَهُ:

«إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى»، كما نحدث أنه كان ابن عمه أخي أبيه، وكان يسمى المنور من حسن صورته في التوراة، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري، فأهلكه البغي.

حَدَّثَنِي بَشْرُ بْنُ هَلَالٍ الصَّوَّافُ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ الضَّبْعِيُّ، عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: بلغني أن موسى بن عمران كان ابن عم قارون، وكان الله قد آتاه مالا كثيرا، كما وصفه الله عز وجل، فقال: «وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ»، يعني بقوله: «تنوء» ثقل.

وذكر أن مفاتيح خزائنه كانت كالذي حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ خَيْثَمَةَ فِي قَوْلِهِ: «مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ» قَالَ: نجد مكتوبا في الإنجيل: مفاتيح قارون وقرستين بغلا غرا محجلة، ما يزيد مفتاح منها على إصبع، لكل مفتاح منها كنز.

حَدَّثَنِي أَبُو كَرِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا هَشِيمٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ

سالم، عَنْ أَبِي صَالِحٍ: «مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ»، قَالَ: كَانَتْ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِهِ تَحْمِلُ عَلَى أَرْبَعِينَ بَغْلًا. حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَابِرُ بْنُ نُوحٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ خَيْثَمَةَ، قَالَ: كَانَتْ مَفَاتِيحُ قَارُونَ تَحْمِلُ عَلَى سِتِينَ بَغْلًا، كُلُّ مِفْتَاحٍ مِنْهَا لِبَابٍ كَنْزٌ مَعْلُومٌ، مِثْلُ الْإِصْبَعِ، مِنْ جُلُودٍ. حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ خَيْثَمَةَ، قَالَ: كَانَتْ مَفَاتِيحُ قَارُونَ مِنْ جُلُودٍ، كُلُّ مِفْتَاحٍ مِثْلُ الْإِصْبَعِ، كُلُّ مِفْتَاحٍ عَلَى خِزَانَةٍ عَلَى حِدَةٍ، فَإِذَا رَكِبَ حَمَلَتْ الْمَفَاتِيحُ عَلَى سِتِينَ بَغْلًا أَغْرَ مَحْجَلٍ.

فَبَغَى عَدُوَّ اللَّهِ لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الشَّقَاءِ وَالْبَلَاءِ عَلَى قَوْمِهِ بِكَثْرَةِ مَالِهِ. وَقِيلَ إِنْ بَغَى عَلَيْهِمْ كَانَ بَأْسُ زَادَ عَلَيْهِمْ فِي الثِّيَابِ شَبْرًا كَذَلِكَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ الْكَنْدِيُّ وَأَبُو السَّائِبِ وَابْنُ وَكِيعٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ. فَوَعظَهُ قَوْمُهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ بَغْيِهِ وَنَهْوِهِ عَنْهُ، وَأَمَرُوهُ بِإِنْفَاقِ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ فِي سَبِيلِهِ وَالْعَمَلِ فِيهِ بِطَاعَتِهِ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ فَقَالَ: «إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» وَعَنِ بَقُولِهِ: «وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا»: لَا تَنْسَ فِي دُنْيَاكَ أَنْ تَأْخُذَ نَصِيبَكَ فِيهَا لِآخِرَتِكَ، فَكَانَ جَوَابَهُ إِيَّاهُمْ جَهْلًا مِنْهُ، وَاجْتِرَارًا بِحِلْمِ اللَّهِ عَنْهُ، مَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ أَنْ قَالَ لَهُمْ: إِنَّمَا أُوتِيتَ مَا أُوتِيتَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي فَقِيلَ: مَعْنَى ذَلِكَ: عَلَى خَيْرٍ عِنْدِي، كَذَلِكَ رَوَى ذَلِكَ عَنْ قَتَادَةَ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: عَنِ بَذَلِكَ: لَوْلَا رِضَاءُ اللَّهِ عَنِّي وَمَعْرِفَتُهُ بِفَضْلِي مَا أَعْطَانِي هَذَا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَكْدُبًا قِيلَهُ: «أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا» لِلْأَمْوَالِ وَلَوْ كَانَ اللَّهُ إِنَّمَا يُعْطِي الْأَمْوَالَ وَالْدُّنْيَا مِنْ يُعْطِيهِ إِيَّاهَا لِرِضَا عَنْهُ، وَفَضْلُهُ عَنْهُ، لَمْ يَهْلِكْ مِنْ أَهْلِكَ مَنْ أَرَبَابِ الْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ قَبْلَهُ، مَعَ كَثْرَةِ مَا كَانَ أَعْطَاهُمْ مِنْهَا، فَلَمْ يَرُدَّ عَنْ جَهْلِهِ، وَبَغْيِهِ عَلَى قَوْمِهِ بِكَثْرَةِ مَالِهِ عِظَةً مِنْ وَعْظِهِ، وَتَذَكِيرٍ مِنْ ذِكْرِهِ بِاللَّهِ وَنَصِيحَتِهِ إِيَّاهُ، وَلَكِنَّهُ تَمَادَى فِي غِيهِ وَخُسَارَتِهِ، حَتَّى خَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ رَاكِبًا بَرْدُونًا أَيْضًا مَسْرُجًا بِسَرَجِ الْأَرْجَوَانِ، قَدْ لَبَسَ ثِيَابًا مَعْصُفَرَةً، قَدْ حَمَلَ مَعَهُ مِنَ الْجَوَارِي بِمِثْلِ هَيْئَتِهِ وَزِينَتِهِ عَلَى مِثْلِ بَرْدُونِهِ ثَلَاثُمِائَةٍ جَارِيَةٍ وَأَرْبَعَةَ آلَافٍ مِنْ أَصْحَابِهِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ الَّذِينَ حَمَلَهُمْ عَلَى مِثْلِ هَيْئَتِهِ وَزِينَتِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ.

سَبْعِينَ أَلْفًا. حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ مُجَاهِدٍ: «نَفَّرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ»، قَالَ: عَلَى بَرَاذِينَ بَيْضَ، عَلَيْهَا سُرُوجُ الْأَرْجَوَانِ، عَلَيْهِمُ الْمَعْصُفَرَةُ فَتَمَنَّى أَهْلُ الْخُسَارِ مِنَ الَّذِينَ خَرَجَ عَلَيْهِمْ فِي زِينَتِهِ مِثْلَ الَّذِي أُوتِيَهُ، فَقَالُوا: «يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ»، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِمُ أَهْلُ الْعِلْمِ بِاللَّهِ فَقَالُوا لَهُمْ: وَيَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُتَمَنُّونَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ! اتَّقُوا اللَّهَ، وَاعْمَلُوا بِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَاكَ عَنْهُ، فَإِنْ ثَوَابَ اللَّهِ وَجَزَاءَهُ أَهْلُ طَاعَتِهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَبَرَسَلَهُ، وَعَمِلَ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ، يَقُولُ اللَّهُ: «وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ»، يَقُولُ: لَا يُلْقَى مِثْلُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا عَنْ طَلَبِ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَآثَرُوا جَزِيلَ ثَوَابِ اللَّهِ عَلَى صَالِحِ الْأَعْمَالِ عَلَى لَذَاتِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا، فَعَمَلُوا لَهُ بِمَا يُوجِبُ لَهُمْ ذَلِكَ فَلَهَا عَتَا الْخَبِيثُ وَتَمَادَى فِي غِيهِ، وَبَطَرَ نِعْمَةَ رَبِّهِ ابْتِلَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْفَرِيضَةِ فِي مَالِهِ وَالْحَقُّ الَّذِي أَلْزَمَهُ فِيهِ مَا سَاقَ إِلَيْهِ شَحَهُ بِهِ أَلِيمَ عِقَابِهِ، وَصَارَ بِهِ عِبْرَةٌ لِلْغَابِرِينَ وَعِظَةٌ لِلْبَاقِينَ.

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَابِرُ بْنُ نُوحٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ الزَّكَاةُ أَتَى قَارُونَ مُوسَى فَصَالَحَهُ عَنْ كُلِّ أَلْفٍ دِينَارٍ دِينَارًا، وَعَلَى كُلِّ أَلْفٍ دِرْهَمٍ دِرْهَمًا، وَعَلَى كُلِّ أَلْفٍ شَيْءٍ شَيْئًا،

أَوْ قَالَ: وَكُلِّ أَلْفِ شَاةٍ شَاهٍ- قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ: أَنَا أَشَدُّ- قَالَ: ثُمَّ أَتَى بَيْتَهُ فَحَسَبَهُ فَوَجَدَهُ كَثِيرًا جَمَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالَ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِنَّ مُوسَى قَدْ أَمَرَكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ فَأَطَعْتُمُوهُ، وَهُوَ الْآنَ يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ أَمْوَالَكُمْ فَقَالُوا لَهُ: أَنْتَ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا، فَرْنَا بِمَا شِئْتَ، فَقَالَ: أَمَرَكُمْ أَنْ تَجِئُوا بِفَلَانَةِ الْبَغِيِّ فَتَجْعَلُوا لَهَا جُعْلًا فَتَقْذِفَهُ بِنَفْسِهَا فَدَعَوْهَا فَجَعَلُوا لَهَا جُعْلًا عَلَى أَنْ تَقْذِفَهُ بِنَفْسِهَا، ثُمَّ أَتَى مُوسَى فَقَالَ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ اجْتَمَعُوا لِتَأْمِرِهِمْ وَتَنْهَاهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي بَرَّاجٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَقَالَ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، مَنْ سَرَقَ قَطْعْنَا يَدَهُ، وَمَنْ اقْتَرَى جُلْدَانَهُ ثَمَانِينَ، وَمَنْ زَنَا وَلَيْسَ لَهُ امْرَأَةٌ جُلْدَانَهُ مِائَةً، وَمَنْ زَنَا وَلَهُ امْرَأَةٌ جُلْدَانَهُ حَتَّى يَمُوتَ- أَوْ قَالَ: رَجْمَانَهُ حَتَّى يَمُوتَ- قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ أَنَا أَشْكُ- فَقَالَ لَهُ قَارُونُ: وَإِنْ كُنْتُ أَنْتَ؟ قَالَ: وَإِنْ كُنْتُ أَنَا قَالَ:

وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ جَرْتَ بِفَلَانَةٍ، فَقَالَ: ادْعُوهَا، فَإِنْ قَالَتْ فَهُوَ كَمَا قَالَتْ، فَلَهَا أَنْ جَاءَتْ قَالَ لَهَا مُوسَى: يَا فُلَانَةُ، قَالَتْ: لَبَيْكَ! قَالَ:

أَنَا فَعَلْتُ بِكَ مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ؟ قَالَتْ: لَا، وَكَذَبُوا، وَلَكِنْ جَعَلُوا إِلَيَّ جُعْلًا عَلَى أَنْ أَقْذِفَكَ بِنَفْسِي، فَوَثَبَ فَسَجَدَ وَهُوَ بَيْنَهُمْ، فَأُوحِيَ إِلَيْهِ: مَرِ الْأَرْضَ بِمَا شِئْتَ، قَالَ: يَا أَرْضُ خُذِيهِمْ، فَأَخَذَتْهُمْ إِلَى أَقْدَامِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَرْضُ خُذِيهِمْ فَأَخَذَتْهُمْ إِلَى رُكْبِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَرْضُ خُذِيهِمْ، فَأَخَذَتْهُمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ،

قَالَ: فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: يَا مُوسَى، وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ، قَالَ: يَا أَرْضُ خُذِيهِمْ، فَاطْبَقْتَ عَلَيْهِمْ، فَأُوحِيَ اللَّهُ إِلَيْهِ: يَا مُوسَى يَقُولُ لَكَ عِبَادِي: يَا مُوسَى يَا مُوسَى، فَلَا تَرْحَمَهُمْ، أَمَا لَوْ إِيَّاي دَعَا لَوَجَدُونِي قَرِيبًا مُجِيبًا، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ:

«نَخْرَجُ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ»، وَكَانَتْ زِينَتُهُ أَنَّهُ خَرَجَ عَلَى دَوَابٍّ شَقِيرٍ عَلَيْهَا سُجُجٌ أَرْجَوَانٍ، عَلَيْهَا ثِيَابٌ مُصْبَغَةٌ بِالْبَهْرَمَانِ، «قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ» إِلَى قَوْلِهِ: «لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ» يَا مُحَمَّدٌ «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عِيسَى، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الْمُنْهَالِ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِخَوِّهِ، وَزَادَنِي فِيهِ: قَالَ: فَأَصَابَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ ذَلِكَ شِدَّةٌ وَجُوعٌ شَدِيدٌ، فَأَتَوْا مُوسَى فَقَالُوا: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ، قَالَ: فَدَعَا لَهُمْ فَأُوحِيَ اللَّهُ إِلَيْهِ: يَا مُوسَى، أَتُكَلِّمُنِي فِي قَوْمٍ قَدْ أَظْلَمَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مِنْ خَطَايَاهُمْ، وَقَدْ دَعَوْكَ فَلَمْ تُجِبْهُمْ أَمَا لَوْ إِيَّاي دَعَا لَأَجَبْتُهُمْ.

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ هَاشِمٍ ابْنُ الْبُرَيْدِ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الْمُنْهَالِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: «إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى»، قَالَ: كَانَ ابْنُ عَمِّهِ، وَكَانَ مُوسَى يَقْضِي فِي نَاحِيَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَارُونُ فِي نَاحِيَةٍ، قَالَ: فَدَعَا بَغِيَّةً كَانَتْ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَجَعَلَ لَهَا جُعْلًا عَلَى أَنْ تَرْمِي مُوسَى بِنَفْسِهَا، فَتَرَكَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ يَجْتَمِعُ فِيهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى مُوسَى أَتَاهُ قَارُونُ فَقَالَ: يَا مُوسَى، مَا حَدُّ مَنْ سَرَقَ؟ قَالَ: أَنْ تَقْطَعَ يَدُهُ، قَالَ: فَإِنْ كُنْتُ أَنْتَ؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَ: فَمَا حَدُّ مَنْ زَنَا؟ قَالَ: أَنْ يُرْجَمَ، قَالَ: وَإِنْ كُنْتُ أَنْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ،

قَالَ: فَإِنَّكَ قَدْ فَعَلْتَ، قَالَ: وَيَلَاكُ! يَمَنْ؟ قَالَ: بِفُلَانَةٍ، فَدَعَاها مُوسَى فَقَالَ: أَتَشْذُكُ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ، أَصَدَقَ قَارُونُ؟ قَالَتْ: اللَّهُمَّ إِذْ نَشَدْتَنِي، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ بَرِيءٌ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ قَارُونُ جَعَلَ لِي جُعْلًا عَلَى أَنْ أَرْمِيكَ بِنَفْسِي، قَالَ: فَوَثَبَ مُوسَى نَحْرًا سَاجِدًا، فَأُوحِيَ اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ أَرْفَعَ رَأْسَكَ فَقَدْ أَمَرْتُ الْأَرْضَ أَنْ تُطِيعَكَ، فَقَالَ مُوسَى: خُذِيهِمْ، فَأَخَذَتْهُمْ حَتَّى بَلَغُوا الْحِقْوَ، قَالَ: يَا مُوسَى، قَالَ: خُذِيهِمْ فَأَخَذَتْهُمْ حَتَّى بَلَغُوا الصُّدُورَ، قَالَ: يَا مُوسَى، قَالَ: خُذِيهِمْ، قَالَ: فَذَهَبُوا، قَالَ:

فَأُوحِيَ اللَّهُ إِلَيْهِ: يَا مُوسَى، اسْتَغَاثَ بِكَ فَلَمْ تُغِثْهُ، أَمَا لَوْ اسْتَغَاثَ بِي، لَأَجَبْتَهُ وَلَاغُثْتَهُ.

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ هَلَالٍ الصَّوَّافُ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ الضَّبْعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدِ بْنِ جَدْعَانَ، قَالَ: خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ مِنَ الدَّارِ، وَدَخَلَ الْمَقْصُورَةَ فَلَمَّا خَرَجَ مِنْهَا جَلَسَ وَتَسَانَدَ عَلَيْهَا وَجَلَسْنَا إِلَيْهِ، فَذَكَرَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ وَ«قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ» إِلَى قَوْلِهِ: «فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ» قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ عَنْ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ، فَقَالَ: «إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ»، وَكَانَ قَدْ أُوتِيَ مِنَ الْكُنُوزِ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: «مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ» فَقَالَ: إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي قَالَ: وَعَادَ مُوسَى وَكَانَ مُؤْذِيًا لَهُ، فَكَانَ مُوسَى يَصْفَحُ عَنْهُ، وَيَعْفُو لِلْقَرَابَةِ حَتَّى بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ بَابَ دَارِهِ مِنْ ذَهَبٍ، وَضَرَبَ عَلَى جِدْرِ دَارِهِ صَفَاحَ الذَّهَبِ، وَكَانَ الْمَلَأُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَغْدُونَ عَلَيْهِ وَيُرْوَحُونَ، فَيَطْعَمُهُمُ الطَّعَامَ وَيُحَدِّثُونَهُ وَيُضْحِكُونَهُ، فَلَمْ تَدَعِهِ شَقْوَتُهُ وَالبَلَاءُ حَتَّى أَرْسَلَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَشْهُورَةٍ بَاخِنًا مَشْهُورَةٌ بِالسَّبِّ، فَجَاءَتْ قَالَتْ لَهَا: هَلْ لَكَ أَنْ أُمَوِّلكَ وَأُعْطِيكَ وَأَخْلُطَكَ

بَنَسَائِي، عَلَى أَنْ تَأْتِينِي وَالْمَلَأُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدِي فَتَقُولِي: يَا قَارُونَ أَلَا تَنْهَى عَنِّي مُوسَى! قَالَتْ: بَلَى، فَلَمَّا جَلَسَ قَارُونَ، وَجَاءَهُ الْمَلَأُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَرْسَلَ إِلَيْهَا فَجَاءَتْ، فَقَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَلَبَ اللَّهُ قَلْبَهَا، وَأَحْدَثَ لَهَا تَوْبَةً، فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا: لَا أَجِدُ الْيَوْمَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَلَا أُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ وَأُعْذِبُ عَدُوَّ اللَّهِ، فَقَالَتْ: إِنَّ قَارُونَ قَالَ لِي: هَلْ لَكَ أَنْ أُمَوِّلكَ وَأُعْطِيكَ وَأَخْلُطَكَ بَنَسَائِي عَلَى أَنْ تَأْتِينِي وَالْمَلَأُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدِي، فَتَقُولِي: يَا قَارُونَ أَلَا تَنْهَى عَنِّي مُوسَى! فَلَمْ أَجِدْ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَلَا أُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ، وَأُعْذِبُ عَدُوَّ اللَّهِ فَلَمَّا تَكَلَّمْتُ بِهَذَا الْكَلَامِ سَقَطَ فِي يَدَيَّ قَارُونَ، وَنَكَسَ رَأْسَهُ، وَسَكَتَ عَنِ الْمَلَأِ، وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي هَلَكَةٍ، فَشَاعَ كَلَامُهَا فِي النَّاسِ، حَتَّى بَلَغَ مُوسَى، فَلَمَّا بَلَغَ مُوسَى اشْتَدَّ غَضَبُهُ فَتَوَضَّأَ مِنَ الْمَاءِ وَصَلَّى وَبَكَى، وَقَالَ:

يَا رَبِّ عَدُوِّكَ لِي مُؤْذٍ، أَرَادَ فَضِيحَتِي وَشِينِي، يَا رَبِّ سُلْطَنِي عَلَيْهِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ مَرَّ الْأَرْضَ بِمَا شَتَّتَ تَطْعُكَ، فَجَاءَ مُوسَى إِلَى قَارُونَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ عَرَفَ الشَّرَّ فِي وَجْهِ مُوسَى لَهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا مُوسَى ارْحَمْنِي، قَالَ: يَا أَرْضَ خَذِيرِهِمْ، قَالَ: فَاضْطَرَبَتْ دَارُهُ، وَسَاخَتْ بِقَارُونَ وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَجَعَلَ يَقُولُ: يَا مُوسَى ارْحَمْنِي، قَالَ: يَا أَرْضَ خَذِيرِهِمْ، فَاضْطَرَبَتْ دَارُهُ وَسَاخَتْ، وَخَسَفَ بِقَارُونَ وَأَصْحَابِهِ إِلَى رُكْبِهِمْ وَهُوَ يَتَضَرَّعُ إِلَى مُوسَى:

يَا مُوسَى، ارْحَمْنِي! قَالَ: يَا أَرْضَ خَذِيرِهِمْ، فَاضْطَرَبَتْ دَارُهُ، وَسَاخَتْ وَخَسَفَ بِقَارُونَ وَأَصْحَابِهِ إِلَى سَرَرِهِمْ، وَهُوَ يَتَضَرَّعُ إِلَى مُوسَى: يَا مُوسَى، ارْحَمْنِي! قَالَ: يَا أَرْضَ خَذِيرِهِمْ، نَخَسَفَ بِهِ وَبَدَارَهُ وَأَصْحَابَهُ، قَالَ:

وَقِيلَ لِمُوسَى: يَا مُوسَى، مَا أَفْظَكَ، أَمَا وَعِزَّتِي لَوْ إِيَّاي نَادَى لِأَجْبَتِهِ! حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ هَلَالٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّهُ قِيلَ لِمُوسَى: لَا أَعْبُدُ الْأَرْضَ لِأَحَدٍ بَعْدَكَ أَبَدًا.

حَدَّثَنَا بَشْرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ، «نَحْسَفُنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ»، ذَكَرْنَا أَنَّهُ يَخْسَفُ بِهِ كُلُّ يَوْمٍ قَامَةً، وَأَنَّهُ يَتَجَلَّجَلُ فِيهَا لَا يَبْلُغُ قَعْرَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَلَمَّا نَزَلَتْ نَقْمَةُ اللَّهِ بِقَارُونَ حَمَدَ اللَّهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ وَعْظُوهُ وَأَنْذَرُوهُ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَنَصَحُوا لَهُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِحَقِّهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَنَدِمَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَمَنُّونَ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ كَثْرَةِ الْمَالِ، وَالسَّعَةِ فِي الْعَيْشِ عَلَى أَمْنِيَّتِهِمْ، وَعَرَفُوا خَطَأَ أَنْفُسِهِمْ فِي أَمْنِيَّتِهَا، فَقَالُوا مَا أَخْبَرَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ عَنْهُمْ فِي كِتَابِهِ:

«وَيَكُنَّ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا»، فَصَرَفَ عَنَّا مَا ابْتَلَى بِهِ قَارُونَ وَأَصْحَابَهُ مِمَّا كُنَّا نَتَمَنَّاهُ بِالْأَمْسِ لَخَسَفَ بِنَا كَمَا خَسَفَ بِهِ وَبِهِمْ فَجَنَّى اللَّهُ تَعَالَى مِنْ كُلِّ هَوْلٍ وَبَلَاءٍ نَبِيَهُ مُوسَى وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِعَهْدِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَفَتَاهُ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ الْمُتَّبِعِينَ لَهُ بِطَاعَتِهِمْ رَبَّهُمْ، وَاهْلَكَ أَعْدَائِهِمْ وَاعْدَائِهِمْ: فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ وَالْكَنَعَانِيِّينَ بِكُفْرِهِمْ وَتَمَرُّدِهِمْ عَلَيْهِ وَعَتُوهُمْ، بِالْغَرَقِ بَعْضًا، وَبِالنَّخْسِ بَعْضًا، وَبِالسَّيْفِ بَعْضًا، وَجَعَلَهُمْ عِبْرًا لِمَنْ اعْتَبَرَ بِهِمْ، وَعِظَةً لِمَنْ اتَّعَظَ بِهِمْ، مَعَ كَثْرَةِ أَمْوَالِهِمْ وَكَثْرَةِ عَدَدِ جُنُودِهِمْ، وَشِدَّةِ بَطْشِهِمْ، وَعَظَمِ خَلْقِهِمْ وَأَجْسَامِهِمْ، فَلَمْ تَغْنِ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَجْسَامُهُمْ وَلَا قَوَاهِمُ وَلَا جُنُودُهُمْ وَأَنْصَارُهُمْ عَنْهُمْ

من الله شيئاً، إذ كانوا يمجّدون بآيات الله، ويسعون في الأرض فساداً، ويتخذون عباد الله لأنفسهم خولاً، وحقاً بهم ما كانوا منه آمنين، نعوذ بالله من عمل يقرب من سخطه، ونرغب إليه في التوفيق لما يديني من محبته، ويزلف إلى رحمته! وروى عن النبي ص مَا حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهَبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي الْمَاضِي بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: [قال رسول الله ص: أَوَّلُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُوسَى وَآخِرُهُمْ عِيسَى قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَانَ فِي صُحُفِ مُوسَى؟ قَالَ: كَانَتْ عِبْرًا كُلَّهَا، عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالنَّارِ ثُمَّ يَضْحَكُ، عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ ثُمَّ يَفْرَحُ، عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْحِسَابِ غَدًا ثُمَّ لَمْ يَعْمَلْ!] وَكَانَ تَدْبِيرُ يُوْشَعَ أَمْرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ لَدُنْ مَاتَ مُوسَى، إِلَى أَنْ تُوْفِيَ يُوْشَعَ كُلُّهُ فِي زَمَانٍ مُنْوْشَرَ عِشْرِينَ سَنَةً، وَفِي زَمَانٍ فَرَاثِيَابَ سَبْعَ سِنِينَ.

ونرجع الآن إلى:

ذكر القائم بالملك ببابل من الفرس بعد منوشهر إذ كان التاريخ إنما تدرك صحته على سياق مدة أعمار ملوكهم.

ولما هلك منوشهر الملك بن منشخورنر، قهر فراسياب بن فشنج ابن رستم بن ترك على خنيارث ومملكة أهل فارس، وصار - فيما قيل - إلى أرض بابل، فكان يكثر المقام ببابل وبمهرجان قذق، فأكثر الفساد في مملكة أهل فارس.

وقيل: إنه قال حين غلب على مملكتهم: نحن مسرعون في إهلاك البرية، وإنه عظم جوره وظلمه، وخرب ما كان عامراً من بلاد خنيارث، ودفن الأنهار والقني، وحطت الناس في سنة خمس من ملكه، إلى أن خرج عن مملكة أهل فارس، ورد إلى بلاد الترك، فغارت المياه في تلك السنين، وحالت الأشجار المثمرة.

ولم يزل الناس منه في أعظم البلية، إلى أن ظهر زو بن طهماسب وقد يلفظ باسم زو بغير ذلك فيقول بعضهم: زاب بن طهماسبان، ويقول بعضهم: زاغ، ويقول بعضهم: راسب بن طهماسب بن كلنجو بن زاب بن أرفس بن هراسف بن ونديج بن اريج بن نودوجوش ابن منسوا - بن نودر بن منوشهر.

وأم زو ما دول ابنة وامن بن واذرجا بن قود بن سلم بن أفريدون.

وقيل: إن منوشهر كان وجد في أيام ملكه على طهماسب بسبب جناية جناها، وهو مقيم في حدود الترك لحرب فراسياب، فأراد منوشهر قتله بسبب ذلك، فكلّمه في الصفح عنه عظماء أهل مملكته وكان من عدل منوشهر - فيما ذكر - أنه قد كان يسوي بين الشريف والوضيع، والقريب والبعيد في العقوبة، إذا استوجبها بعض رعيته على ذنب أتاها - فأبى إجابتهم إلى ما سألوه من ذلك، وقال لهم: هذا في الدين وهن، ولكنكم إذ أبيتم علي، فإنه لا يسكن في شيء من مملكتي، ولا يقيم به، فنفاه عن مملكته فشخص إلى بلاد الترك، فوقع إلى ناحية وامن، فاحتال لابنته وهي محبوسة في قصر من أجل أن المنجمين كانوا ذكروا لواامن أبيها أنها تلد ولدا يقتله، حتى أخرجها من القصر الذي كانت محبوسة فيه، بعد أن حملت منه بزو.

ثم إن منوشهر اذن طهماسب بعد أن انقضت أيام عقوبته في العود إلى خنيارث مملكة فارس، فأخرج مادول ابنة وامن بالحيلة منها ومنه في إخراجها من قصرها من بلاد الترك إلى مملكة أهل فارس، فولدت له زوا بعد العود إلى بلاد إيرانكرد، ثم إن زوا - فيما ذكر - قتل جده، وامن في بعض مغازيه الترك، وطرد فراسياب عن مملكة أهل فارس، حتى رده إلى الترك بعد حروب جرت بينه وبينه وقتال، فكانت غلبه فراسياب أهل فارس على إقليم بابل اثنى عشر سنة، من لدن توفي منوشهر إلى أن طرده عنه، وأخرجه زو بن طهماسب إلى تركستان.

وذكر أن طرد زو فراسياب عما كان عليه من مملكة أهل فارس في روز ابان من شهر آبانماه، فاتخذ العجم هذا اليوم عيداً لما رفع عنهم فيه من شر فراسياب وعسفه وجعلوه الثالث من أعيادهم النوروز والمهرجان.

وكان زو محموداً في ملكه، محسناً إلى رعيته، فأمر بإصلاح ما كان فراسياب أفسد من بلاد خنيارث، ومملكة بابل وبناء ما كان هدم من حصون ذلك، ونثّل ما كان طم وغور من الأنهار والقني، وكري ما كان اندفن من المياه حتى أعاد كل ذلك - فيما ذكر - إلى أحسن ما كان عليه، ووضع

عن الناس الخراج سبع سنين، ودفعه عنهم، فعمرت بلاد فارس في ملكه، وكثرت المياه فيها، ودرت معايش أهلها، واستخرج بالسواد نهرا وسماه الزاب، وأمر فبنيت على حافته مدينة وهي التي تسمى المدينة العتيقة، وكورها كورة، وسماها الزوابي، وجعل لها ثلاثة طساسيج: منها طسوج الزاب الأعلى، ومنها طسوج الزاب الأوسط، ومنها طسوج الزاب الأسفل، وأمر بحمل بزور الرياحين من الجبال إليها وأصول الأشجار، وبذر ما يبذر من ذلك، وغرس ما يغرس منه، وكان أول من اتخذ له ألوان الطيخ وأمر بها وبأصناف الأطعمة، وأعطى جنوده مما غنم من الخيل والركاب، مما أوجف عليه من أموال الترك وغيرهم وقال يوم ملك وعقد التاج على رأسه: نحن متقدمون في عماره ما اخر به الساحر فراسياب.

وكان له كرشاسب بن أثرط بن سهم بن نريمان بن طورك بن شيراسب بن أروشاسب بن طوج بن أفريدون الملك. وقد نسبته بعض نسابي الفرس غير هذا النسب فيقول: هو كرشاسب بن أشناس بن طهموس بن اشك بن ترس بن رحر بن دودسرو بن منوشهر الملك - مؤازرا له على ملكه. ويقول بعضهم: كان زو وكرشاسب مشتركين في الملك، والمعروف من أمرهما أن الملك كان لزو بن طهماسب وأن كرشاسب كان له مؤازرا وله معينا.

وكان كرشاسب عظيم الشأن في أهل فارس، غير أنه لم يملك، فكان جميع ملك زو إلى أن انقضى ومات - فيما قيل - ثلاث سنين. ثم ملك بعد زو كيقباز، وهو كيقباز بن زاغ بن نوحياه بن منشو بن نودر بن منوشهر وكان متزوجا بفرتك ابنة تدرسا التركي، وكان تدرسا من رؤوس الأتراك وعظمائهم، فولدت له كي إفنه، وكي كاوس، وكي أرش، وكيه أرش، وكيفاشين وكيبية، وهؤلاء هم الملوك الجبارة وآباء الملوك الجبارة.

وقيل إن كيقباز قال يوم ملك وعقد التاج على رأسه: نحن مدوخون بلاد الترك ومجتهدون في إصلاح بلادنا، حدبون عليها، وأنه قدر مياه الأنهار والعيون لشرب الأرضين، وسمى البلاد بأسمائها، وحدها بحدودها، وكور الكور، وبين حير كل كورة منها وحریمها، وأمر الناس باتخاذ الأرض، وأخذ العشر من غلاتها لأرزاق الجند، وكان - فيما ذكر - كيقباز يشبه في حرصه على العمارة، ومنعه البلاد من العدو، وتكبره في نفسه بفرعون.

وقيل إن الملوك الكيه وأولادهم من نسله، وجرت بينه وبين الترك وغيرهم حروب كثيرة، وكان مقيما في حد ما بين مملكة الفرس والترك بالقرب من نهر بلخ، لمنع الترك من تطرق شيء من حدود فارس، وكان ملكه مائة سنة، والله أعلم. ونرجع الآن إلى:

١٠١٢٠٤ ذكر امر بني إسرائيل والقوام الذين كانوا بأمرهم بعد يوشع ابن نون والاحداث التي كانت في عهد زو وكيقباز

ذكر أمر بني إسرائيل والقوام الذين كانوا بأمرهم بعد يوشع ابن نون والاحداث التي كانت في عهد زو وكيقباز ولا خلاف بين أهل العلم بأخبار الماضين وأمور الأمم السالفين من أمتنا وغيرهم أن القيم بأمر بني إسرائيل بعد يوشع كان كالب بن يوفنا، ثم حزقيل بن بوذي من بعده، وهو الذي يقال له ابن العجوز.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: إنما سمي حزقيل بن بوزي ابن العجوز، أنها سألت الله الولد، وقد كبرت وعقمت، فوهبه الله لها، فبذلك قيل له: ابن العجوز، وهو الذي دعا للقوم الذين ذكر الله في الكتاب عليه السلام كما بلغنا: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ» .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم قال: حدثني عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهب بن منبه يقول: أصاب ناسا من بني إسرائيل بلاء وشدة من الزمان، فشكوا ما أصابهم فقالوا: يا ليتنا قدمتنا فاسترحنا مما نحن فيه! فأوحى الله إلى حزقيل: إن قومك صاحوا من البلاء، وزعموا أنهم ودوا لو ماتوا فاستراحوا، وأي راحة لهم في الموت! أيطنون أني لا أقدر على أن أبعثهم بعد الموت! فانطلق إلى جبانة كذا كذا فإن فيها أربعة آلاف - قال وهب: وهم الذين قال الله تعالى:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ» - فقم فيهم فنادهم، وكانت عظامهم قد تفرقت، فرقتها الطير والسباع، فنادها حزقييل، فقال: يا أيها العظام النخرة، إن الله عز وجل

يأمرك أن تجتمعي فاجتمع عظام كل إنسان منهم معاً، ثم نادى ثانية حزقييل فقال: أيها العظام، إن الله يأمرك أن تكتسي اللحم، فاكتست اللحم، وبعد اللحم جلداً، فكانت أجساداً، ثم نادى حزقييل الثالثة فقال: أيها الأرواح، إن الله يأمرك أن تعود في أجسادك فقاموا بإذن الله، وكبروا تكبيرة واحدة.

حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي ص «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ» كَانَتْ قَرْيَةً يُقَالُ لَهَا دَاوْرَدَانُ قَبْلَ وَاسِطٍ، فَوَقَعَ بِهَا الطَّاعُونَ، فَهَرَبَ عَامَّةُ أَهْلِهَا فَزَلُّوا نَاحِيَةً مِنْهَا، فَهَلَكَ أَكْثَرُ مَنْ بَقِيَ فِي الْقَرْيَةِ وَسَلِمَ الْآخَرُونَ، فَلَمْ يَمُتْ مِنْهُمْ كَثِيرٌ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ الطَّاعُونَ رَجَعُوا سَالِمِينَ، فَقَالَ الَّذِينَ بَقُوا: أَصْحَابُنَا هَؤُلَاءِ كَانُوا أَحْزَمَ مِنَّا، لَوْ صَنَعْنَا كَمَا صَنَعُوا بَقِينَا! وَلَئِنْ وَقَعَ الطَّاعُونَ ثَانِيَةً لَنُخْرِجَنَّ مَعَهُمْ فَوْقَ فِي قَابِلٍ فَهَرَبُوا وَهُمْ بِضْعَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا، حَتَّى نَزَلُوا ذَلِكَ الْمَكَانَ، وَهُوَ وَادٍ أَفِيحٌ، فَنَادَاهُمْ مَلَكٌ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي، وَآخَرُ مِنْ أَعْلَاهُ: أَنْ مَوْتُوا، فَاتُوا حَتَّى هَلَكُوا، وَبَلَيْتُ أَجْسَادَهُمْ، فَمَرَّ بِهِمْ نَبِيٌّ يَقَالُ لَهُ هَزْقِيلُ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ وَقَفَ عَلَيْهِمْ فَجَعَلَ يَتَفَكَّرُ فِيهِمْ، يَلُوي شِدْقَهُ وَأَصَابِعَهُ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: يَا هَزْقِيلُ، أَتُرِيدُ أَنْ أُرِيكَ كَيْفَ أُحْيِيهِمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَإِنَّمَا كَانَ تَفَكُّرُهُ أَنَّهُ تَعَجَّبَ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: نَعَمْ، فَتَقِيلَ لَهُ: نَادِ، فَنادى يا أيها العظام، إن الله يأمرُك أن تجتمعي، فجعلت العظام يطير بعضها إلى بعض، حَتَّى كَانَتْ أَجْسَادًا مِنْ عِظَامٍ، ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ أَنْ نَادِ: يَا أَيُّهَا الْعِظَامُ، إِنَّ اللَّهَ يُأْمُرُكَ أَنْ تَكْتَسِيَ لَحْمًا فَانْكُتَسَتْ لَحْمًا وَدَمًا وَثِيَابَهَا الَّتِي مَاتَتْ فِيهَا، وَهِيَ عَلَيْهَا، ثُمَّ قِيلَ لَهُ: نَادِ،

فنادى: يا أيها الأجساد، إن الله يأمرُك أن تقومي، فقاموا حدثني موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، قال: فزعم منصور بن المعتمر عن مجاهد أنهم قالوا حين أحيوا: سبحانك ربنا وبمجدك لا إله إلا أنت، فرجعوا إلى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى، سخنة الموت على وجوههم، لا يلبسون ثوباً إلا عاد دسماً مثل الكفن، حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عنبسة، عن أشعث، عن سالم النصري، قال: بينما عمر بن الخطاب يصلي ويهوديان خلفه، وكان عمر إذا أراد أن يركع خوى، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال:

فلما انفتل عمر قال: أرايت قول أحدكما لصاحبه: أهو هو؟ فقالا: إنا نجد في كتابنا قرناً من حديد يعطى ما أعطى حزقييل الذي أحيى الموتى بإذن الله، فقال عمر: ما نجد في كتابنا حزقييل، ولا أحيى الموتى بإذن الله إلا عيسى ابن مريم، فقالا: أما تجد في كتاب الله «وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ»، فقال عمر: بلى، قالوا وأما أحياء الموتى فسنحدثك إن بني إسرائيل وقع فيهم الوباء، فخرج منهم قوم حتى إذا كانوا على رأس ميل أماتهم الله، فبنوا عليهم حائطاً، حتى إذا بليت عظامهم بعث الله حزقييل فقام عليهم، فقال: ما شاء الله! فبعثهم الله له، فأنزل الله في ذلك: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ»، الآية.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن وهب بن منبه: أن كالب بن يوفنا لما قبضه الله بعد يوشع، خلف فيهم - يعني في بني إسرائيل - حزقييل بن بوذى، وهو ابن العجوز، وهو الذي دعا للقوم الذين ذكر الله في الكتاب لمحمد ص كما بلغنا:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ» الآية.

قَالَ ابْنُ حُمَيْدٍ: قَالَ سَلَمَةُ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَبِغْنِي أَنَّهُ كَانَ مِنْ حَدِيثِهِمْ أَنَّهُمْ خَرَجُوا فَرَارًا مِنْ بَعْضِ الْأَوْبَاءِ مِنَ الطَّاعُونَ، أَوْ مِنْ سَقَمٍ كَانَ يَصِيبُ النَّاسَ حَذَرًا مِنَ الْمَوْتِ وَهُمْ أُلُوفٌ، حَتَّى إِذَا نَزَلُوا بِصُعِيدٍ مِنَ الْبِلَادِ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ: مَوْتُوا، فَاتُوا جَمِيعًا، فَعَمِدَ أَهْلُ تِلْكَ

البلاد فخطروا عليهم حظيرة دون السباع، ثم تركوهم فيها، وذلك أنهم كثروا عن أن يغيبوا، ففرت بهم الأزمان والدهور، حتى صاروا عظاما نخرة، فمر بهم حزقيل بن بوذي، فوقف عليهم، فتعجب لأمرهم، ودخلته رحمة لهم، فقليل له: أتحب أن يحييهم الله؟ فقال: نعم، فقليل له: فقل: أيتها العظام الرميم، التي قد رمت وبليت، ليرجع كل عظم إلى صاحبه فناداهم بذلك، فنظر إلى العظام نتواثب يأخذ بعضها بعضا، ثم قيل له: قل أيها اللحم والعصب والجلد، اكس العظام بإذن ربك، قَالَ فنظر إليها والعصب يأخذ العظام، ثم اللحم والجلد والأشعار، حتى استوتوا خلقا ليست فيهم الأرواح، ثم دعا لهم بالحياة، ففتغشاه من السماء شيء كربه، حتى غشي عليه منه، ثم أفاق والقوم جلوس يقولون: سبحان الله فقد أحياهم الله! فلم يذكر لنا مدة مكث حزقيل في بني إسرائيل

١٠١٣ الياس واليسع عليهما السلام

الياس واليسع عليهما السلام

ولما قبض الله حزقيل كثرت الأحداث- فيما ذكر- في بني إسرائيل، وتركوا عهد الله الذي عهد إليهم في التوراة، وعبدوا الأوثان، فبعث الله إليهم فيما قيل: إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران. فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق:

ثم إن الله عز وجل قبض حزقيل، وعظمت في بني إسرائيل الأحداث، ونسوا ما كان من عهد الله إليهم، حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله، فبعث الله إليهم إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران نبيا، وإنما كانت الأنبياء من بني إسرائيل بعد موسى يبعثون إليهم بتجديد ما نسوا من التوراة فكان إلياس مع ملك من ملوك بني إسرائيل يقال له أحاب، وكان اسم امرأته أزيل، وكان يسمع منه ويصدق، وكان إلياس يقيم له أمره، وكان سائر بني إسرائيل قد اتخذوا صنما يعبدونه من دون الله، يقال له: بعل قَالَ ابن إسحاق: وقد سمعت بعض أهل العلم يقول: ما كان بعل إلا امرأة يعبدونها من دون الله يقول الله لمحمد «وَأَنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ» - الى قوله:

«اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ» - فجعل الياس يدعوهم الى الله، وجعلوا لا يسمعون منه شيئا إلا ما كان من ذلك الملك، والملوك متفرقة بالشام، كل ملك له ناحية منها يأكلها، فقال ذلك الملك، الذي كان إلياس معه، يقوم له بأمره، ويراه على هدى من بين أصحابه يوما يا إلياس، والله

ما أرى ما تدعو إليه إلا باطلا، والله ما أرى فلانا وفلانا فعد ملوكا من ملوك بني إسرائيل قد عبدوا الأوثان من دون الله إلا على مثل ما نحن عليه، يأكلون ويشربون ويتنعمون، مملكين، ما ينقص دنياهم أمرهم الذي تزعم أنه باطل، وما نرى لنا عليهم من فضل. فيزعمون- والله أعلم- أن إلياس استرجع وقام شعر رأسه وجلده، ثم رفضه وخرج عنه ففعل ذلك الملك فعل أصحابه، عبد الأوثان، وصنع ما يصنعون فقال إلياس: اللهم إن بني إسرائيل قد أبوا إلا الكفر بك، والعبادة لغيرك، فغير ما بهم من نعمتك أو كما قال.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قَالَ: ذكر لي أنه أوحى إليه: إنا قد جعلنا أمر أرزاقهم بيدك وإليك، حتى تكون أنت الذي تأمر في ذلك فقال إلياس: اللهم فأمسك عنهم المطر فخبس عنهم ثلاث سنين حتى هلكت الماشية والدواب والهوام والشجر، وجهد الناس جهدا شديدا.

وكان إلياس- فيما يذكرون- حين دعا بذلك على بني إسرائيل قد استخفى شفقاً على نفسه منهم، وكان حيث ما كان وضع له رزق، فكانوا إذا وجدوا ريح الخبز في دار أو بيت قَالُوا: لقد دخل إلياس هذا المكان، فطلبوه، ولقي أهل ذلك المنزل منهم شرا ثم إنه أوى ليلة إلى امرأة من بني إسرائيل، لها ابن يقال له اليسع بن أخطوب، به ضر، فأوته وأخفت أمره، فدعا إلياس لابنها فعوفي من الضر الذي كان به، واتبع اليسع فأمن به وصدقه ولزمه، فكان يذهب معه حيثما ذهب، وكان إلياس قد أسن وكبر، وكان اليسع غلاما شابا فيزعمون- والله أعلم- أن الله أوحى إلى إلياس أنك قد أهلك كثيرا من الخلق ممن لم يعص، سوى بني إسرائيل ممن لم أكن

أريد هلاكه بخطايا

بني إسرائيل من البهائم والدواب والطيور والهوم والشجر، بحبس المطر عن بني إسرائيل فيزعمون- والله أعلم- أن إلياس قال: أي رب، دعني أكن أنا الذي أدعو لهم به، وأكن أنا الذي آتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذي أصابهم، لعلهم أن يرجعوا وينزعوا عما هم عليه من عبادة غيرك قيل له نعم، فجاء إلياس إلى بني إسرائيل، فقال لهم: إنكم قد هلكتم جهداً، وهلكت البهائم والدواب والطيور والهوم والشجر بخطاياكم، وإنكم على باطل وغرور- أو كما قال لهم- فإن كنتم تحبون أن تعلموا ذلك وتعلموا أن الله عليكم ساخط فيما أنتم عليه، وأن الذي أدعوكم إليه الحق، فأخرجوا بأصنامكم هذه التي تعبدون وتزعمون أنها خير مما أدعوكم إليه، فإن استجابت لكم فذلك كما تقولون، وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل فتزعم، ودعوت الله ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء قالوا: أنصفت، فخرجوا بأوثانهم وما يتقربون به إلى الله من أحداثهم التي لا يرضى، فدعوا فلم تستجب لهم، ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء، حتى عرفوا ما هم فيه من الضلالة والباطل، - ثم قالوا لإلياس: يا إلياس، إنا قد هلكنا، فادع الله لنا، فدعا لهم إلياس بالفرج مما هم فيه، وأن يسقوا، فخرجت سحابة مثل الترس بإذن الله على ظهر البحر، وهم ينظرون، ثم ترامى إليه السحاب، ثم أدجنت، ثم أرسل الله المطر فأغاثهم، فحييت بلادهم، وفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء، فلم ينزعوا ولم يرجعوا وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى ذلك إلياس من كفرهم دعا ربه أن يقبضه إليه فيريحه منهم، فقيل له- فيما يزعمون: انظريوم كذا وكذا فأخرج فيه إلى بلد كذا وكذا، فما جاءك من شيء فأركبه ولا تهبه، فخرج إلياس، وخرج معه اليسع بن أخطوب حتى إذا كان بالبلد الذي ذكر له في المكان الذي أمر به أقبل فرس من نار، حتى وقف بين يديه فوثب عليه، فانطلق به فناداه اليسع: يا إلياس، يا إلياس، ما تأمرني؟

فكان آخر عهدهم به، فكساه الله الريش وألبسه النور، وقطع عنه لذة

المطعم، والمشرب، وطار في الملائكة، فكان إنسيا ملكاً أرضياً سمائياً.

ثم قام بعد إلياس بأمر بني إسرائيل- فيما حدثنا ابن حميد، قال:

حدثنا سلمة عن ابن إسحاق، قال: كما ذكر لي عن وهب بن منبه قال:

ثم نبئ فيهم- يعني في بني إسرائيل- بعده يعني بعد إلياس- اليسع، فكان فيهم ما شاء الله أن يكون، ثم قبضه الله إليه، وخلفت فيهم الخلوف، وعظمت فيهم الخطايا، وعندهم التابوت يتوارثونه كابراً عن كابر، فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون، فكانوا لا يلقاهم عدو فيقدمون التابوت ويزحفون به معهم إلا هزم الله ذلك العدو.

والسكينة فيما ذكر ابن إسحاق عن وهب بن منبه عن بعض أهل العلم من بني إسرائيل رأس هرة ميتة، فإذا صرخت في التابوت بصراخ هرايقنوا بالنصر، وجاءهم الفتح.

ثم خلف فيهم ملك يقال له إيلاف، وكان الله قد بارك لهم في جبلهم من إيليا، لا يدخله عليهم عدو، ولا يحتاجون معه إلى غيره، فكان أحدهم- فيما يذكرون- يجمع التراب على الصخرة، ثم ينبذ فيه الحب، فيخرج الله له ما يأكل منه سنه وهو وعياله، ويكون لأحدهم الزيتون فيعتصر منها ما يأكل، هو وعياله سنة، فلما عظمت أحداثهم، وتركوا عهد الله إليهم، نزل بهم عدو فخرجوا إليه وأخرجوا التابوت كما كانوا يخرجونه، ثم زحفوا به فقتلوا حتى استلب من أيديهم، فأتى ملكهم إيلاف، فأخبر أن التابوت قد أخذ واستلب، فالت عنه فمات كمداً عليه، فرج أمرهم بينهم واختلف ووطئهم عدوهم حتى أصيب من أبناءهم ونسائهم، فكثوا على اضطراب من أمرهم، واختلف من أحوالهم يتجادون أحياناً في غيهم وضلالهم، فسلط الله عليهم من ينتقم به منهم، ويراجعون التوبة أحياناً فيكفيهم الله عند

ذلك شر من بغاهم سوءاً، حتى بعث الله فيهم طالوت ملكاً، ورد عليهم تابوت الميثاق.

وكانت مدة ما بين وفاة يوشع بن نون- التي كان أمر بني إسرائيل في بعضها إلى القضاة منهم والساسة، وفي بعضها إلى غيرهم ممن يقهرهم فيتملك عليهم من غيرهم إلى أن ثبت الملك فيهم، ورجعت النبوة إليهم بشمويل بن بالي- أربعمئة سنة وستين سنة فكان

أول من سلط عليهم فيما قيل رجل من نسل لوط، يقال له: كوشان، فقهرهم وأذلهم ثماني سنين، ثم تنقذهم من يده أخ لكالب الأصغر يقال له عتيل بن قيس - فقام بأمرهم فيما قيل - أربعين سنة، سلط عليهم ملك يقال له جعلون فملكهم ثماني عشرة سنة، ثم تنقذهم منه - فيما قيل - رجل من سبط بنيامين يقال له أهود بن جيرا الأشل اليمنى، فقام بأمرهم ثمانين سنة، ثم سلط عليهم ملك من الكنعانيين يقال له يافين، فملكهم عشرين سنة، ثم تنقذهم - فيما قيل - امرأة نبية من أنبيائهم يقال لها دبوراً فدبر أمرهم - فيما قيل - رجل من قبلها يقال له باراق أربعين سنة، ثم سلط عليهم قوم من نسل لوط كانت منازلهم في تخوم الحجاز فلكوهم سبع سنين، ثم تنقذهم منهم رجل من ولد نفتالي بن يعقوب يقال له جدعون بن يواش، فدبر أمرهم أربعين سنة، ثم دبر أمرهم من بعد جدعون ابنه أيلك بن جدعون ثلاث سنين، ثم دبرهم من بعد أيلك تولع بن فوا بن خال أيلك وقيل إنه ابن عمه - ثلاثا وعشرين سنة، ثم دبر أمرهم بعد تولع رجل من بني إسرائيل يقال له: يائير اثنتي عشرة سنة، ثم ملكهم بنو عمون، وهم قوم من أهل فلسطين ثماني عشرة سنة، ثم قام بأمرهم رجل منهم يقال له يفتح ست سنين، ثم دبرهم من بعده يمشون، وهو رجل من بني إسرائيل سبع سنين، ثم دبرهم بعده الون عشر سنين، ثم من بعده كيرون - ويسميه بعضهم عكرون - ثماني سنين، ثم قهرهم أهل فلسطين وملوكهم أربعين سنة، ثم وليهم شمسون وهو من بني إسرائيل عشرين سنة، ثم بقوا بغير رئيس ولا مدبر لأمرهم بعد شمسون - فيما قيل - عشر سنين، ثم دبر أمرهم بعد ذلك عالي الكاهن، وفي أيامه غلب أهل غزة وعسقلان على تابوت الميثاق، فلما مضى من وقت قيامه بأمرهم أربعين سنة، بعث سمويل نبيا فدبر سمويل أمرهم - فيما ذكر - عشر سنين ثم سألوا سمويل حين نالهم بالذل والهوان بمعصيتهم ربهم أعداؤهم، أن يبعث لهم ملكا يجاهدون معه في سبيل الله، فقال لهم سمويل ما قد قص الله في كتابه العزيز

١٠١٤ ذكر خبر سمويل بن بالي بن علقمة بن يرخام بن اليهو ابن تهو بن صوف، وطالوت وجالوت

ذكر خبر سمويل بن بالي بن علقمة بن يرخام بن اليهو ابن تهو بن صوف، وطالوت وجالوت
كان من خبر سمويل بن بالي أن بني إسرائيل لما طال عليهم البلاء، وأذلهم الملوك من غيرهم، ووطئت بلادهم، وقتلوا رجالهم، وسبوا ذراريهم، وغلبوهم على التابوت الذي فيه السكينة والبقية مما ترك آل موسى وآل هارون، وبه كانوا ينصرون إذا لقوا العدو، ورغبوا إلى الله عز وجل في أن يبعث لهم نبيا يقيم أمرهم.

فحدثني موسى بن هارون الهمداني، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط عن السدي، في خبر ذكره عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس - وعن مرة عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله ص: كانت بنو إسرائيل يقاتلون العمالة، وكان ملك العمالة جالوت، وأنهم ظهروا على بني إسرائيل فضربوا عليهم الجزية، وأخذوا توراتهم، فكانت بنو إسرائيل يسألون الله أن يبعث لهم نبيا يقاتلون معه، وكان سبط النوبة قد هلكوا، فلم يبق منهم إلا امرأة حبلى فأخذوها فحبسوها في بيت، رهبة أن تلد جارية فتبدله بغلام، لما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها، فجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاما، فولدت غلاما فسمته سمعون، تقول: الله سيع دعائي فكبر الغلام، فأسلمته يتعلم التوراة في بيت المقدس، وكفله شيخ من علمائهم، وتبناه، فلما بلغ الغلام أن يبعثه الله نبيا، أتاه جبريل والغلام نائم إلى جنب الشيخ، وكان لا يامن عليه أحدا غيره فدعاه بلحن الشيخ: يا سمويل، فقام الغلام فرعا إلى الشيخ، فقال: يا أبتاه،

دعوني! فكره الشيخ أن يقول: لا فيفزع الغلام، فقال: يا بني، أرجع فم، فرجع الغلام فنام ثم دعاه الثانية فلباه الغلام أيضا، فقال: دعوني! فقال أرجع فم، فإن دعوتك الثالثة فلا تجبني، فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل ع فقال: اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك، فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما أتاهم كذبوه وقالوا: استعجلت بالنبوة ولم يالك وقالوا: إن كنت صادقا فابعث لنا ملكا يقاتل في سبيل الله، آية من نبيك، قال لهم سمعون: عسى إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا.

قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ ديارنا وَأَبْنَانًا بِأَدَاءِ الْجَزِيَّةِ، فَدَعَا اللَّهُ فَأَتَى بَعْصًا، تَكُونُ مَقْدَارًا عَلَى طُولِ الرَّجُلِ الَّذِي يُبْعَثُ فِيهِمْ مَلَكًا، فَقَالَ: إِنَّ صَاحِبَكُمْ يَكُونُ طَوْلُهُ طَوْلُ هَذِهِ الْعَصَا، فَقَاسُوا أَنْفُسَهُمْ بِهَا، فَلَمْ يَكُونُوا مِثْلَهَا، وَكَانَ طَالُوتُ رَجُلًا سَقَاءً يَسْتَقِي عَلَى حِمَارٍ لَهُ، فَضَلَّ حِمَارَهُ، فَانْطَلَقَ يَطْلُبُهُ فِي الطَّرِيقِ، فَلَمَّا رَأَوْهُ دَعَوْهُ فَقَاسُوهُ بِهَا فَكَانَ مِثْلَهَا، وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا» قَالَ الْقَوْمُ: مَا كُنْتَ قَطُّ أَكْذَبَ مِنْكَ السَّاعَةَ، وَنَحْنُ مِنْ سِبْطِ الْمَمْلَكَةِ، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ سِبْطِ الْمَمْلَكَةِ، وَلَمْ يُوْتِ أَيْضًا سَعَةً مِنَ الْمَالِ فَتَبِعَهُ لَذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ»، فَقَالُوا: فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَاتِّبَا بِآيَةِ أَنْ هَذَا مَلَكٌ، قَالَ: «إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ». وَالسَّكِينَةُ طُسْتُ مَنْ ذَهَبَ يَغْسِلُ فِيهَا قُلُوبُ الْأَنْبِيَاءِ، أَعْطَاهَا اللَّهُ مُوسَى، وَفِيهَا وَضَعَ الْأَلْوَاحَ، وَكَانَتِ الْأَلْوَاحُ - فِيمَا بَلَّغْنَا - مِنْ دُرٍّ وَيَاقُوتٍ وَزَبَرَجَدٍ، وَأَمَّا الْبَقِيَّةُ فَإِنَّهَا عَصَا مُوسَى وَرُضَاضَةُ الْأَلْوَاحِ، فَأَصْبَحَ التَّابُوتُ وَمَا فِيهِ فِي دَارِ طَالُوتَ، فَأَمَنُوا بِنُبُوَّةِ سَمْعُونَ، وَسَلَّمُوا الْمَلِكَ لَطَالُوتَ.

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: جَاءَتِ الْمَلَائِكَةُ بِالتَّابُوتِ تَحْمِلُهُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ حَتَّى وَضَعَتْهُ عِنْدَ طَالُوتَ. حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: نَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ بِالتَّابُوتِ نَهَارًا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ عَيَانًا، حَتَّى وَضَعُوهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، قَالَ:

فَأَقْرَأُوا غَيْرَ رَاضِينَ، وَخَرَجُوا سَاخِطِينَ. رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ السَّيِّدِ نَخْرَجُوا مَعَهُ وَهُمْ ثَمَانُونَ أَلْفًا، وَكَانَ جَالُوتُ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ وَاشْدَهُمْ بَأْسًا، يُخْرِجُ يَسِيرَ بَيْنَ يَدَيْ الْجُنْدِ، وَلَا يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ حَتَّى يَهْزِمَ هُوَ مِنْ لَقِيٍّ، فَلَمَّا خَرَجُوا قَالَ لَهُمْ طَالُوتُ: «إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي» وَهُوَ نَهْرُ فِلَسْطِينَ، فَشَرَبُوا مِنْهُ هَيْبَةً مِنْ جَالُوتَ، فَغَبَرَ مَعَهُ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ وَرَجَعَ سِتَّةٌ وَسَبْعُونَ أَلْفًا، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ عَطَشَ، وَمَنْ لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ إِلَّا غُرْفَةً رَوَى، فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، فَنظَرُوا إِلَى جَالُوتَ رَجَعُوا أَيْضًا وَقَالُوا: «لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ»، الَّذِينَ يَسْتَيْقِنُونَ «كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» فَرَجَعَ عَنْهُ أَيْضًا ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَسِتَّمِائَةٍ وَبَضْعُهُ وَثَمَانُونَ، وَخَلَصَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ وَتِسْعَةِ عَشَرَ أَهْلًا بِدَرِّ حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الْحُجَّاجِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مَعْقِلٍ: أَنَّهُ سَمِعَ وَهْبَ بْنَ مَنْبِهِ يَقُولُ: كَانَ لَعِيلِي الَّذِي رَبَّى شَمُوِيلَ ابْنَانِ شَابَانِ، أَحَدُهُمَا فِي الْقُرْبَانِ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ فِيهِ كَانَ مَسُوطَ الْقُرْبَانِ الَّذِي كَانُوا يَسُوطُونَهُ بِهِ كَلَالَيْنِ، فَمَا أَخْرَجَا كَانَ لِلْكَاهِنِ الَّذِي يَسُوطُهُ، فَجَعَلَهُ ابْنَاهُ كَلَالِيْبَ، وَكَانَا إِذَا جَاءَتِ النِّسَاءُ يَصِلِينَ فِي الْقُدُسِ يَتَشَبَّهَانِ بِهِنِ فَبَيْنَمَا أَشْمُوِيلُ نَائِمٌ قَبْلَ الْبَيْتِ الَّذِي كَانَ يَنَامُ فِيهِ عَيْلِي إِذْ سَمِعَ صَوْتًا يَقُولُ: أَشْمُوِيلُ! فَوَثَبَ إِلَى عَيْلِي فَقَالَ: لَبِيكَ، فَقَالَ: مَا لَكَ دَعَوْتَنِي؟ قَالَ: لَا! ارْجِعْ، فَمِنْ فَنَامَ، ثُمَّ سَمِعَ صَوْتًا آخَرَ يَقُولُ: أَشْمُوِيلُ! فَوَثَبَ إِلَى عَيْلِي أَيْضًا، فَقَالَ: لَبِيكَ، مَا لَكَ دَعَوْتَنِي؟ فَقَالَ:

لَمْ أَفْعَلْ، ارْجِعْ فَمِنْ، فَإِنْ سَمِعْتَ شَيْئًا فَقُلْ: لَبِيكَ مَكَانَكَ، مَرْنِي فَافْعَلْ، فَارْجِعْ فَنَامَ فَسَمِعَ صَوْتًا أَيْضًا يَقُولُ: أَشْمُوِيلُ، فَقَالَ: لَبِيكَ، أَنَا هَذَا فَمَرْنِي أَفْعَلْ، قَالَ: انْطَلِقْ إِلَى عَيْلِي، فَقُلْ لَهُ: مَنَعَهُ حُبُّ الْوَلَدِ مِنْ أَنْ يَزْجُرَ ابْنِيهِ أَنْ يَحْدِثَا فِي قُدْسِي وَقُرْبَانِي، وَأَنْ يَعْصِيَانِي، فَلَا تَزْعَنْ مِنْهُ الْكِبَانَةَ وَمَنْ وَلَدَهُ، وَلَا أَهْلِكَنَّهْ وَإِيَاهُمَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ سَأَلَهُ عَيْلِي فَأَخْبَرَهُ، فَفَزِعَ لَذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا، فَسَارَ إِلَيْهِمْ عَدُوٌّ مِنْ حَوْلِهِ فَأَمَرَ ابْنِيهِ أَنْ يَخْرُجَا بِالنَّاسِ وَيَقَاتِلَا ذَلِكَ الْعَدُوَّ، فَخَرَجَا وَأَخْرَجَا مَعَهُمُ التَّابُوتَ الَّذِي فِيهِ الْأَلْوَاحُ وَعَصَا مُوسَى لِيَنْتَصِرُوا بِهِ فَلَمَّا تَهَيَّأُوا لِلْقِتَالِ هَمُّ وَعَدُوَّهُمْ جَعَلَ عَيْلِي يَتَوَقَّعُ الْخَبَرَ: مَاذَا صَنَعُوا؟ جَاءَهُ رَجُلٌ يَخْبِرُهُ وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيهِ: أَنَّ ابْنَيْكَ قَدْ قَتَلَا، وَأَنَّ النَّاسَ قَدْ انْهَزَمُوا، قَالَ: فَمَا فَعَلَ التَّابُوتُ؟ قَالَ: ذَهَبَ بِهِ الْعَدُوُّ قَالَ فَشَقُّهُ وَوَقَعَ عَلَى قَفَاهُ مِنْ كُرْسِيهِ فَتَاتَ، وَذَهَبَ الَّذِينَ سَبَوْا التَّابُوتَ حَتَّى

وضعه في بيت آلهتهم، ولهم صنم يعبدونه، فوضعه تحت الصنم والصنم من فوقه، فأصبح من الغد الصنم تحته، وهو فوق الصنم، ثم أخذوه فوضعه فوقه، وسمروا قدميه في التابوت.

فأصبح من الغد قد قطعت يد الصنم ورجلاه، وأصبح ملقى تحت التابوت.

فقال بعضهم لبعض: أليس قد علمتم أن إله بني إسرائيل لا يقوم له شيء! فأخرجوه من بيت آلهتهم فأخرجوا التابوت فوضعه في ناحية من قريتهم، فأخذ أهل تلك الناحية التي وضعوا فيها التابوت وجع في أعناقهم، فقالوا: ما هذا؟ فقالت لهم جارية كانت عندهم من سني بني إسرائيل: لا تزالون ترون ما تكرهون! ما كان هذا التابوت فيكم، فأخرجوه من قريتهم قالوا:

كذبت، قالت: إن آية ذلك أن تأتوا ببقرتين، لهما أولاد لم يوضع عليهما نير قط، ثم تضعوا وراءهما العجل، ثم تضعوا التابوت على العجل وتسيروهما وتحبسوا أولادهما، فإنهما تنطلقان به مذعنتين، حتى إذا خرجتا من أرضكم ووقعتا في أدنى أرض بني إسرائيل كسرتا نيرهما، وأقبلتا إلى أولادهما، ففعلوا ذلك، فلما خرجتا من أرضهم، ووقعتا في أدنى أرض بني إسرائيل، كسرتا نيرهما وأقبلتا إلى أولادهما، ووضعته في خربة فيها حصاد من بني إسرائيل، ففزع إليه بنو إسرائيل، وأقبلوا إليه فجعل لا يدنو منه أحد إلا مات، فقال لهم نبيهم أشمويل اعترضوا، فن أنس من نفسه قوة فليدن منه، فعرضوا عليه الناس، فلم يقدر أحد على أن يدنو منه، إلا رجلا من بني إسرائيل، أذن لهما بأن يحمله إلى بيت أمهما، وهي أرملة، فكان في بيت أمهما، حتى ملك طالوت، فصلح أمر بني إسرائيل مع أشمويل فقالت بنو إسرائيل: لأشمويل: ابعث لنا ملكا يقاتل في سبيل الله، قال: قد كفاكم الله القتال، قالوا إنا نتخوف من حولنا، فيكون لنا ملك نفزع إليه، فأوحى الله إلى أشمويل: أن ابعث لهم طالوت ملكا وادهنه بدهن القدس، فضلت حمر لأبي طالوت، فأرسله وغلاما له يطلبانها فجاء إلى أشمويل يسألانه عنها، فقال إن الله قد بعثك ملكا على بني إسرائيل، قال: انا! قال: نعم، قال اوما علمت أن سبطي أدنى أسباط بني إسرائيل! قال: بلى، قال أما علمت أن قبيلتي أدنى قبائل سبطي! قال: بلى، قال: أما علمت أن بيتي أدنى بيوت قبيلتي؟ قال: بلى، قال: فبآية آية؟

قال: بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حمرة، وإذا كنت في مكان كذا وكذا نزل عليك الوحي فدهنه بدهن القدس، وقال لبني إسرائيل: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ

بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ» رجع الحديث إلى حديث السدي «وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا» فعبر يومئذ أبو داود فيمن عبر في ثلاثة عشر ابنا له، وكان داود أصغر بنيه وإنه أتاه ذات يوم فقال: يا أبتاه، ما أرمي بقذافتي شيئا إلا صرعته، قال: أبشريا بني، إن الله قد جعل رزقك في قذافتك، ثم أتاه مرة أخرى فقال: يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسدا رابضا فركبت عليه وأخذت بأذنيه فلم يهجنني، فقال: أبشريا بني، فإن هذا خير يعطيكه الله، ثم أتاه يوما آخر، فقال: يا أبتاه إني لأمشي بين الجبال فأسبح فلا يبقى جبل إلا سبح معي، فقال: أبشريا بني، فإن هذا خير أعطاكه الله- وكان داود راعيا، وكان أبوه خلفه يأتي إلى أبيه وإلى اخوته بالطعام- فأتى النبي ع بقرن فيه دهن وتنور من حديد، فبعث به إلى طالوت، قال: إن صاحبكم الذي يقتل جالوت يوضع هذا القرن على رأسه، فيغلي حتى يدهن منه ولا يسيل على وجهه، ويكون على رأسه كهيئة الإكليل، ويدخل في هذا التنور فيملاؤه فدعا طالوت بني إسرائيل، فجربهم به فلم يوافقهم منهم أحد، فلما فرغوا قال طالوت لأبي داود: هل بقي لك ولد لم يشهدنا؟ قال: نعم، بقي ابني داود، وهو يأتينا بطعام، فلما أتاه داود مر في الطريق بثلاثة أحجار فكلمنه وقلن له: خذنا يا داود تقتل بنا جالوت، قال: فأخذهن وجعلهن في مخلاته، وكان طالوت قد قال: من قتل جالوت زوجته ابنتي، وأجريت خاتمه في ملكي، فلما جاء داود وضعوا القرن على رأسه، فغلي حتى ادهن منه ولبس التنور فلأه، وكان رجلا مسقاما مصفارا، ولم يلبسه أحد إلا تقفل فيه، فلما لبسه داود تضايق التنور عليه حتى تنقض، ثم مشى إلى جالوت، وكان جالوت من أجسم الناس وأشدهم،

فلما نظر إلى داود قذف في قلبه الرعب منه، فقال له: يا فتى، ارجع فإني أرحمك أن أقتلك، فقال داود: لا بل أنا أقتلك فأخرج الحجارة فوضعها في القذافة، كلها رفع منها حجرا سماه، فقال: هذا باسم أبي إبراهيم، والثاني باسم أبي إسحاق، والثالث باسم أبي إسرائيل، ثم أدار القذافة فعادت الأجار حجرا واحدا، ثم أرسله فصك به بين عيني جالوت فنقبت رأسه، ثم قتله، فلم تزل تقتل كل إنسان تصيبه تنفذ فيه، حتى لم يكن بحياها أحد، فهزمهم عند ذلك، وقتل داود جالوت، ورجع طالوت فأنكح داود ابنته، وأجرى خاتمه في ملكه، فقال الناس إلى داود وأحبوه.

فلما رأى ذلك طالوت وجد في نفسه وجسده، وأراد قتله، فعلم داود أنه يريد به ذلك، فسجى له زق خمر في مضجعه فدخل طالوت إلى منام داود وقد هرب داود، فضرب الزق ضربة نخرقه، فسالت النمر منه، فوقعت قطره من خمر في فيه، فقال: يرحم الله داود، ما كان أكثر شربه للخمر! ثم إن داود أتاه من القابلة في بيته وهو نائم، فوضع سهمين عند رأسه، وعند رجله وعن يمينه وعن شماله سهمين سهمين، ثم نزل فلما استيقظ طالوت بصر بالسهم فعرّفها فقال: يرحم الله داود، هو خير، مني، ظفرت به فقتلته وظفر بي فكف عني! ثم إنه ركب يوما فوجده يمشي في البرية، وطالوت على فرس، فقال طالوت: اليوم أقتل داود- وكان داود إذا فرغ لم يدرك- فركض على أثره طالوت، ففزع داود، فاشتد فدخل غارا، فأوحى الله إلى العنكبوت فضربت عليه بيتا، فلما انتهى طالوت إلى الغار نظر إلى بناء العنكبوت، فقال: لو كان دخل هاهنا لخرق بيت العنكبوت، نفيل إليه فتركه.

وطعن العلماء على طالوت في شأن داود، فجعل طالوت لا ينهأ أحد عن داود إلا قتله، وأغراه الله بالعلماء يقتلهم، فلم يكن يقدر في بني إسرائيل على عالم يطيق قتله إلا قتله، حتى أتى بامرأة تعلم اسم الله الأعظم، فامر الخباز أن يقتلها،

فرحمها الخباز، وقال: لعلنا نحتاج إلى عالم فتركها، فوقع في قلب طالوت التوبة وندم، وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس، وكان كل ليلة يخرج إلى القبور فيبكي، وينادي: أشهد الله عبدا علم أن لي توبة إلا أخبرني بها! فلما أكثر عليهم ليالي ناداه مناد من القبور: أن يا طالوت، أما ترضى أن قتلنا أحياء حتى تؤذينا أمواتا! فازداد بكاء وحزنا، فرحمه الخباز فكله فقال: مالك؟ فقال: هل تعلم لي في الأرض عالما أسأله: هل لي من توبة؟

فقال له الخباز: هل تدري ما مثلك؟ إنما مثلك مثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك، فتطير منه فقال: لا تتركوا في القرية ديكا إلا ذبحتموه، فلما أراد أن ينام قال: إذا صاح الديك فأيقظونا حتى ندلج، فقالوا له: وهل تركت ديكا يسمع صوته! ولكن هل تركت عالما في الأرض! فازداد حزنا وبكاء، فلما رأى الخباز منه الجدة، قال: رأيك إن دلتك على عالم لعلك أن تقتله! قال: لا، فتوثق عليه الخباز، فاخبره ان المرأة العالمه عنده، قال:

انطلق بي إليها أسأله هل لي من توبة؟ وكان إنما يعلم ذلك الاسم أهل بيت، إذا فنيت رجالهم علمت النساء، فقال: إنها إن رأتك غشي عليها، وفرعت منك، فلما بلغ الباب خلفه خلفه، ثم دخل عليها الخباز، فقال لها: أأنت أعظم الناس منة عليك؟ أنجيتك من القتل، وأوتيتك عندي قالت: بلى، قال: فإن لي إليك حاجة، هذا طالوت يسألك: هل له من توبة؟ فغشي عليها من الفرق، فقال لها: إنه لا يريد قتلك، ولكن يسألك: هل له من توبة؟

قالت: لا، والله ما أعلم لطالوت توبة، ولكن هل تعلمون مكان قبر نبي؟ قالوا: نعم، هذا قبر يوشع بن نون، فانطلقت وهما معها إليه، فدعت، فخرج يوشع بن نون ينفذ رأسه من التراب، فلما نظر إليهم ثلاثهم قال: ما لكم؟

أقامت القيامة؟ قالت: لا، ولكن طالوت يسألك: هل له من توبة؟ قال يوشع: ما أعلم لطالوت من توبة إلا أن يتخلى من ملكه، ويخرج هو وولده فيقاتلون بين يديه في سبيل الله، حتى إذا قتلوا شد هو فقتل، فعسى أن يكون ذلك له توبة، ثم سقط ميتا في القبر.

ورجع طالوت أحرز ما كان، رهبة ألا يتابعه ولده، فبكي حتى سقطت أشفار عينيه، ونخل جسمه، فدخل عليه بنوه وهم ثلاثة عشر رجلا فكلوه وسألوه عن حاله، فأخبرهم خبره، وما قيل له في توبته، فسألهم أن يغزوا معه، فجهزهم فخرجوا معه، فشدوا بين يديه

حتى قتلوا، ثم شد بعدهم هو فقتل، وملك داود بعد ذلك، وجعله الله نبيا، فذلك قوله عز وجل: «وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ»، قيل: هي النبوة، آتاه نبوة شمعون وملك طالوت.

واسم طالوت بالسريانية شاول بن قيس بن أبيال بن ضرار بن بخت بن أفيح بن أيش بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. وقال ابن إسحاق: كان النبي الذي بعث لطالوت من قبره حتى أخبره بتوبته اليسع بن أخطوب، حَدَّثَنَا بذلك ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا سلمة، عن ابنِ إِسْحَاقَ. وزعم أهل التوراة أن مدة ملك طالوت من أولها إلى أن قتل في الحرب مع ولده كانت أربعين سنة

١٠١٥ ذكر خبر داود بن إيشي بن عويد بن باعر بن سلمون بن نحشون بن عمي نادب بن رام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

ذكر خبر داود بن إيشي بن عويد بن باعر بن سلمون بن نحشون بن عمي نادب بن رام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

وكان داود ع- فيما حَدَّثَنَا ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا سلمة عن ابنِ إِسْحَاقَ، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه- قصيرا أزرق قليل الشعر، طاهر القلب نقيه.

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابن وهب، قال: حَدَّثَنِي ابن زيد في قول الله: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ» إلى قوله: «وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ» قَالَ: أوحى الله إلى نبيهم أن في ولد فلان رجلا يقتل الله به جالوت، ومن علامته هذا القرن يضعه على رأسه فيفيض ماء، فأتاه فقال: إن الله عز وجل أوحى إلي أن في ولدك رجلا يقتل الله به جالوت فقال: نعم يا نبي الله، قَالَ: فَأَخْرَجَ لَهُ اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا امْثَالِ السَّوَارِي، وفيهم رجل بارع عليهم، فجعل يعرضهم على القرن فلا يرى شيئا، فيقول لذلك الجسم: ارجع، فيرده عليه، فأوحى الله إليه:

إنا لا نأخذ الرجال على صورهم، ولكنا نأخذهم على صلاح قلوبهم، قَالَ: يا رب، قد زعم أنه ليس له ولد غيره، فقال: كذب، فقال: إن ربي قد كذبك، وقال: إن لك ولدا غيرهم قَالَ: قد صدق يا نبي الله، إن لي ولدا قصيرا استحيت أن يراه الناس فجعلته في الغنم، قَالَ: فأين هو؟ قَالَ: في شعب كذا وكذا، من جبل كذا وكذا، نفرج إليه فوجد الوادي قد سال بينه وبين البقعة التي كان يريح إليها قَالَ: ووجده يحمل شاتين شاتين، يجيز بهما السيل ولا يخوض بهما السيل فلما رآه قَالَ: هذا هو، لا شك فيه، هذا يرحم البهائم، فهو بالناس أرحم! قَالَ: فوضع القرن على رأسه ففاض.

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، قَالَ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، قال: حَدَّثَنِي عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه قَالَ: لما سلمت بنو إسرائيل الملك لطالوت، أوحى الله إلى نبي بني إسرائيل: أن قل لطالوت: فليغز أهل مدين، فلا يترك فيها حيا إلا قتله، فأني سأظهره عليهم، نفرج بالناس حتى أتى مدين، فقتل من كان فيها، إلا ملكهم فإنه أسره، وساق مواشيهم، فأوحى الله إلى أشمويل: ألا تعجب من طالوت إذ أمرته بأمرى فاختل فيه، فجاء بملكهم أسيرا، وساق مواشيهم! فلقه فقل له: لأنزعن الملك من بيته، ثم لا يعود فيه إلى يوم القيامة، فأني إنما أكرم من أطاعني، وأهين من هان عليه أمري.

فلقيه فقال له: ما صنعت! لم جئت بملكهم أسيرا، ولم سقت مواشيهم؟

قَالَ: إنما سقت المواشي لأقربها، قَالَ له أشمويل: إن الله قد نزع من بيتك الملك ثم لا يعود فيه إلى يوم القيامة، فأوحى الله إلى أشمويل: انطلق إلى إيشي فيعرض عليك بنيه، فادهن الذي آمرك بدهن القدس، يكن ملكا على بني إسرائيل فانطلق حتى أتى إيشي، فقال: اعرض علي بنيك، فدعا إيشي أكبر ولده، فأقبل رجل جسيم حسن المنظر، فلما نظر إليه أشمويل أعجبه، فقال: الحمد لله، إن الله بصير بالعباد! فأوحى الله إليه: إن عينيك تبصران ما ظهر، وإني أطلع على ما في القلوب، ليس بهذا! فقال: ليس بهذا، اعرض علي غيره

فعرض عليه ستة، في كل ذلك يقول: ليس بهذا، اعرض علي غيره، فقال: هل لك من ولد غيرهم؟ فقال: بلى، لي غلام أمغر وهو راع في الغنم قال: أرسل إليه، فلما أن جاء داود، جاء غلام أمغر، فدهنه بدهن القدس، وقال لأبيه: اكنم هذا، فإن طالوت لو يطلع عليه قتله فسار جالوت في قومه إلى بني إسرائيل فعسكر، وسار طالوت ببني إسرائيل وعسكر، وتجهزوا للقتال، فأرسل جالوت إلى طالوت: لم يقتل قومي وقومك؟ ابرز لي، أو ابرز لي من شئت، فإن قتلتك كان الملك لي، وإن قتلني كان الملك لك فأرسل طالوت في عسكره صائحاً:

من يبرز جالوت! ثم ذكر قصة طالوت وجالوت وقتل داود إياه، وما كان من طالوت إلى داود. قال أبو جعفر: وفي هذا الخبر بيان أن داود قد كان الله حول الملك له قبل قتله جالوت، وقبل أن يكون من طالوت إليه ما كان من محاولته قتله، وأما سائر من روينا عنه قولاً في ذلك، فإنهم قالوا: إنما ملك داود بعد ما قتل طالوت وولده. وقد حدثنا ابن حُمَيْدٍ، قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق - فيما ذكر لي بعض أهل العلم - عن وهب بن منبه قال: لما قتل داود جالوت، وانهمز جنده قال الناس: قتل داود جالوت وخلع طالوت، وأقبل الناس على داود مكانه حتى لم يسمع لطالوت بذكره.

قال: ولما اجتمعت بنو إسرائيل على داود أنزل الله عليه الزبور، وعلمه صنعة الحديد، وألانه له، وأمر الجبال والطير أن يسبحن معه إذا سبح، ولم يعط الله - فيما يذكرون - أحداً من خلقه مثل صوته، كان إذا قرأ الزبور - فيما يذكرون - ترنوا له الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها، وإنها لمصيخة تسمع لصوته، وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج إلا على أصناف صوته، وكان شديد الاجتهاد، دائب العبادة، كثير البكاء، وكان كما وصفه الله عز وجل لنبيه محمد ع فقال: «وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ»، يعني بذلك ذا القوة.

وقد حدثنا بشر بن معاذ، قال، حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: «وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ»، قال: أعطي قوة في العبادة، وفقها في الإسلام وقد ذكر لنا أن داود ع كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر وكان يحرسه - فيما ذكر - في كل يوم وليلة أربعة آلاف.

حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، في قوله: «وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ»، قال: كان يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف. وذكر أنه تمنى يوماً من الأيام على ربه منزلة آباءه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وسأله أن يمتحنه بنحو الذي كان امتحنهم، ويعطيه من الفضل نحو الذي كان أعطاهم.

حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، قال: قال السدي: كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام:

يوماً يقضي فيه بين الناس، ويوماً يخلو فيه لعبادة ربه، ويوماً يخلو فيه لنسائه، وكان له تسع وتسعون امرأة، وكان فيما يقرأ من الكتب أنه كان يجد فيه فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فلما وجد ذلك فيما يقرأ من الكتب، قال: يا رب أرى الخير كله قد ذهب به آباي الذين كانوا قبلي، فأعطني مثل ما أعطيتهم، وأفعل بي مثل ما فعلت بهم قال: فأوحى الله إليه أن آباءك ابتلوا ببلايا لم تتبل بها، ابتلي إبراهيم بذبح ابنه، وابتلي إسحاق بذهاب بصره، وابتلي يعقوب بحزنه على ابنه يوسف، وإنك لم تتبل من ذلك بشيء قال: يا رب ابتلي بمثل ما ابتليتهم به، وأعطني مثل ما أعطيتهم قال:

فأوحى إليه إنك مبتلي فاحترس قال: فكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث إذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب، حتى وقع عند رجله وهو قائم يصلي، قال: فمد يده ليأخذه فتنحى فتبعه، فتباعد حتى وقع في كوة، فذهب ليأخذه، فطار من الكوة،

فنظر: أين يقع فيبعث في أثره، قَالَ: فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها، فرأى امرأة من أجمل النساء خلقا، فحانت منها التفاتة فأبصرته، فألقت شعرها فاستترت به، قَالَ: فزاده ذلك فيها رغبة، قَالَ: فسأل عنها فأخبر أن لها زوجا، وأن زوجها غائب بمسلة كذا وكذا، قَالَ: فبعث إلى صاحب المسلة يأمره أن يبعث أهريا إلى عدو كذا وكذا قَالَ: فبعثه ففتح له، قَالَ: وكتب إليه بذلك، فكتب إليه أيضا: أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا، أشد منهم بأسا.

قَالَ: فبعثه ففتح له أيضا، قَالَ: فكتب إلى داود بذلك، قَالَ: فكتب إليه أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا قَالَ: فبعثه، قَالَ: فقتل المرة الثالثة، قَالَ: وتزوج داود امرأته، فلما دخلت عليه لم تلبث عنده إلا يسيرا حتى بعث الله ملكين في صورة إنسيين فطلبا أن يدخلها عليه، فوجداه في يوم عبادته، فمنعهما الحرس أن يدخلها عليه، فتسورا عليه المحراب، قَالَ:

فما شعر وهو يصلي إذا هو بهما بين يديه جالسين، قَالَ: ففزع منهما، فقالا: لا تخف، إنما نحن «خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ» يقول: لا تخف، «وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ» إلى عدل القضاء قَالَ: قصا علي قصتكما، قَالَ: فقال أحدهما: «إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ» .

فهو يريد أن يأخذ نعجتي، فيكل بها نعاجه مائة، قَالَ: فقال للآخر:

ما تقول؟ فقال: إن لي تسعا وتسعين نعجة، ولأخي هذا نعجة واحدة، فأنا أريد أن أخذها منه، فأكل بها نعاجي مائة، قَالَ: وهو كاره! قَالَ:

وهو كاره، قَالَ: إذا لا ندعك وذاك، قَالَ: ما أنت على ذلك بقادر! قَالَ: فإن ذهبت تروم ذلك أو تريد ذلك، ضربنا منك هذا وهذا- وفسر أسباط طرف الأنف والجبهة- فقال: يا داود، أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا، حيث لك تسع وتسعون امرأة، ولم يكن لأهريا إلا امرأة واحدة فلم تزل به تعرضه للقتل حتى قتل، وتزوجت امرأته قَالَ: فنظر فلم ير شيئا، قَالَ: فعرف ما قد وقع فيه، وما ابتلي به، قَالَ: نخر ساجدا فبكي، قَالَ: فكث يبكي ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه إلا الحاجة لا بد منها، ثم يقع ساجدا يبكي، ثم يدعو حتى نبت العشب من دموع عينيه، قَالَ: فأوحى الله عز وجل إليه بعد أربعين يوما: يا داود، ارفع رأسك فقد غفرت لك، فقال: يا رب، كيف أعلم أنك قد غفرت لي وأنت حكم عدل لا تحيف في القضاء، إذا جاء أهريا يوم القيامة آخذا رأسه بيمنه أو بشماله تشخب أوداجه دما في قبل عرشك: يقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني! قَالَ: فأوحى الله إليه: إذا كان ذلك دعوت أهريا فاستوهبك منه، فيهبك لي فأثيبه بذلك الجنة قَالَ: رب الآن علمت أنك قد غفرت لي، فما استطاع أن يملأ عينيه من السماء حياء من ربه حتى قبض حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مَسْلَمٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَطَاءُ الْخِرَاسَانِيُّ، قَالَ: نَقَشَ دَاوُدُ خَطِيئَتَهُ فِي كَفِّهِ لِكَيْ لَا يَنْسَاهَا، فَكَانَ إِذَا رَأَاهَا خَفَقَتْ يَدُهُ وَاضْطَرَبَتْ.

وقد قيل: إن سبب المحنة بما امتحن به، أن نفسه حدثته أنه يطيق قطع يوم من الأيام بغير مقارفة سوء، فكان اليوم الذي عرض له فيه ما عرض، اليوم الذي ظن أنه يقطعه بغير اقتراف سوء

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا بَشَرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ مَطَرٍ، عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّ دَاوُدَ جَزَأَ الدَّهْرَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءَ: يَوْمًا لِنِسَائِهِ، وَيَوْمًا لِعِبَادَتِهِ، وَيَوْمًا لِقَضَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَيَوْمًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذَا كَرِهَ وَيَذَاكُرُهُمْ، وَيَبْكِيهِمْ وَيَبْكُونَهُ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ذَكَرُوا فَقَالُوا: هَلْ يَأْتِي عَلَى الْإِنْسَانِ يَوْمٌ لَا يَصِيبُ فِيهِ ذَنْبًا! فَأَضْمَرَ دَاوُدُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ سَيَطِيقُ ذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ عِبَادَتِهِ غَلَقَ أَبْوَابَهُ، وَأَمَرَ أَلَّا يَدْخُلَ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَأَكْبَ عَلَى التَّوَرَةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُهَا إِذَا حَمَامَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنٍ حَسَنٌ، قَدْ وَقَعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَهْوَى إِلَيْهَا لِأَخْذِهَا، قَالَ: فَطَارَتْ فَوْقَ قَعَتِ غَيْرَ بَعِيدٍ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَوْسِيَهُ مِنْ نَفْسِهَا، قَالَ: فَمَا زَالَ يَتْبَعُهَا حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى امْرَأَةٍ تَغْتَسِلُ، فَأَعْجَبَهُ خَلْقُهَا وَحُسْنُهَا، فَلَمَّا رَأَتْ ظِلَّهُ فِي الْأَرْضِ جَلَّتْ نَفْسُهَا بِشَعْرِهَا، فَزَادَهُ ذَلِكَ أَيْضًا إِعْجَابًا بِهَا، وَكَانَ قَدْ بَعَثَ زَوْجَهَا عَلَى بَعْضِ جِيُوشِهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَسِيرَ إِلَى مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا مَكَانٍ إِذَا سَارَ إِلَيْهِ لَمْ يَرْجِعْ قَالَ: ففعل فأصيب، فخطبها فتزوجها- قَالَ: وقال قتادة بلغنا أنها أم سليمان- قَالَ: فبينما هو في المحراب إذ تسور الملكان عليه، وكان الخصمان إذا أتوه يأتونه من باب المحراب، ففزع منهم حين تسوروا المحراب، فقالوا:

«لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ» حتى بلغ «وَلَا تُشْطِطْ» أي ولا تمل «وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ» أي أعدله وخيره، «إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً» - وكان لداود تسع وتسعون امرأة- «وَلِيَّ نَعْجَةٍ وَاحِدَةٍ» قَالَ: وإنما كان للرجل امرأة واحدة «فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَرَّنِي فِي الْخِطَابِ» ، أي ظلمني وقهرني «قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ» - الى «وَوَظَنَ دَاوُدُ» ، فعلم أنما أضمر له، أي عني بذلك، «فَ خَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ»

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، قَالَ: سَمِعْتُ لَيْثًا يَذْكُرُ عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: لَمَّا أَصَابَ دَاوُدَ الْخَطِيئَةَ، خَرَّ لِلَّهِ سَاجِدًا أَرْبَعِينَ يَوْمًا، حَتَّى نَبَتَ مِنْ دُمُوعِ عَيْنَيْهِ مِنَ الْبَقْلِ مَا غَطَى رَأْسَهُ، ثُمَّ نَادَى: يَا رَبِّ قَرَحِ الْجَبِينَ، وَجَمَدْتَ الْعَيْنَ! وَدَاوُدُ لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ فِي خَطِيئَتِهِ شَيْءٍ فَنُودِيَ:

أَجَاعَ فَتَطْعَمُ؟ أَمْ مَرِيضٌ فَتَشْفَى؟ أَمْ مَظْلُومٌ فَيَنْتَصِرُ لَكَ! قَالَ: فَحَبَّ نَحْبَةً هَاجَ كُلُّ شَيْءٍ كَانَ نَبَتَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ غُفِرَ لَهُ وَكَانَتْ خَطِيئَتُهُ مَكْتُوبَةً بِكُفِّهِ يَقْرُؤُهَا، وَكَانَ يُوْتَى بِالْإِنَاءِ لِيَشْرَبَ فَلَا يَشْرَبُ إِلَّا ثَلَاثَةً أَوْ نِصْفَهُ، وَكَانَ يَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ فَيَنْتَحِبُ النَّحْبَةَ تَكَادُ مَفَاصِلُهُ يَزُولُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، ثُمَّ مَا يَتِمُّ شَرْبُهُ حَتَّى يَمْلَأَ الْإِنَاءَ مِنْ دُمُوعِهِ وَكَانَ يَقَالُ: إِنَّ دُمْعَةَ دَاوُدَ تَعْدِلُ دُمْعَةُ الْخَلَائِقِ، وَدُمْعَةُ آدَمَ تَعْدِلُ دُمْعَةُ دَاوُدَ وَدُمْعَةُ الْخَلَائِقِ قَالَ: وَهُوَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَطِيئَتُهُ مَكْتُوبَةٌ بِكُفِّهِ فَيَقُولُ: رَبِّ ذَنْبِي قَدِمَنِي! قَالَ:

فَيَقْدِمُ فَلَا يَأْمَنُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أُخْرِنِي، قَالَ: فَيُؤَخَّرُ فَلَا يَأْمَنُ. حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ لَهِيْعَةَ، عَنْ أَبِي صَخْرٍ، عَنْ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ يَقُولُ:

[سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: إِنَّ دَاوُدَ النَّبِيَّ عَ حِينَ نَظَرَ إِلَى الْمَرْأَةِ فَأُهِمَّ، قَطَعَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْثًا، فَأَوْصَى صَاحِبَ الْبَعْثِ، فَقَالَ: إِذَا حَضَرَ الْعَدُوُّ فَقَرِّبْ فَلَنَا بَيْنَ يَدَيْ التَّابُوتِ، وَكَانَ التَّابُوتُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ يُسْتَنْصَرُ بِهِ مَنْ قَدِمَ بَيْنَ يَدَيْ التَّابُوتِ لَمْ يَرْجِعْ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يَنْزِمَ عَنْهُ الْجَيْشُ، فَقُتِلَ زَوْجُ الْمَرْأَةِ، وَنَزَلَ الْمَلَكُ عَلَى دَاوُدَ يَقْصَانِ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ، فَفَطِنَ دَاوُدُ فَسَجَدَ، فَكَثَّ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً سَاجِدًا، حَتَّى نَبَتَ الزَّرْعُ مِنْ دُمُوعِهِ عَلَى رَأْسِهِ، وَأَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ جَبِينِهِ، وَهُوَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ-

فَلَمْ أَحْصِ مِنَ الرَّقَاشِيِّ إِلَّا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: رَبِّ زَلْ دَاوُدَ زَلَّةً أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ! رَبِّ إِنْ لَمْ تَرْحَمْ ضَعْفَ دَاوُدَ، وَتَغْفِرْ ذَنْبَهُ جَعَلْتُ ذَنْبَهُ حَدِيثًا فِي الْخُلُوفِ مِنْ بَعْدِهِ فُجَاءَهُ جَبْرِئِيلُ مِنْ بَعْدِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَقَالَ:

يَا دَاوُدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ الْهَمَّ الَّذِي هَمَمْتَ بِهِ، فَقَالَ دَاوُدُ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَغْفِرَ لِي الْهَمَّ الَّذِي هَمَمْتُ بِهِ، وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ اللَّهَ عَدْلٌ لَا يَمِيلُ، فَكَيْفَ بِفُلَانٍ إِذَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ دَمِيَ الَّذِي عِنْدَ دَاوُدَ! فَقَالَ جَبْرِئِيلُ: مَا سَأَلْتُ رَبَّكَ عَنْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ شِئْتَ لِأَفْعَلَنَ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَعَرِجْ جَبْرِئِيلُ وَبَسَّجِدْ دَاوُدَ، فَكَثَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَزَلَ، فَقَالَ: قَدْ سَأَلْتُ اللَّهَ يَا دَاوُدُ عَنْ الَّذِي أُرْسَلْتَنِي فِيهِ فَقَالَ: قُلْ لَهُ: يَا دَاوُدُ، إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: هَبْ لِي دَمَكَ الَّذِي عِنْدَ دَاوُدَ، فَيَقُولُ: هُوَ لَكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: فَإِنَّ لَكَ فِي الْجَنَّةِ مَا شِئْتَ وَمَا اسْتَهَيْتَ عَوَضًا] .

وَيَزَعُمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّ دَاوُدَ لَمْ يَزَلْ قَائِمًا بِالْمَلِكِ بَعْدَ طَالُوتَ إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرٍ امْرَأَةً أَوْرِيَا مَا كَانَ، فَلَمَّا وَقَعَ مَا وَقَعَ مِنْ الْخَطِيئَةِ اشْتَغَلَ بِالتَّوْبَةِ مِنْهَا- فِيمَا زَعَمُوا- وَاسْتَخَفَّ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَوَثَبَ عَلَيْهِ ابْنٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ آيُشَى، فَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلُ الزَّرِيعِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالُوا: فَلَمَّا تَابَ اللَّهُ عَلَى دَاوُدَ ثَابَتَ إِلَيْهِ ثَابِتَةٌ مِنَ النَّاسِ، فَحَارَبَ ابْنَهُ حَتَّى هَزَمَهُ، وَوَجَّهَ فِي طَلَبِهِ قَائِدًا مِنْ قَوَادِهِ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ أَنْ يَتَوَقَّى حَتْفَهُ، وَيَتَلَطَّفَ لِأَسْرِهِ، فَطَلَبَهُ الْقَائِدُ وَهُوَ مِنْهَزِمٌ، فَاضْطَرَّهُ إِلَى شَجَرَةٍ فَرَكَّضَ فِيهَا- وَكَانَ ذَا جُمُعَةٍ- فَتَعَلَّقَ بَعْضُ أَغْصَانِ الشَّجَرَةِ بِشَعْرِهِ فَحَبَسَهُ، وَلَحِقَهُ الْقَائِدُ فَقَتَلَهُ مَخْلَفًا لِأَمْرِ دَاوُدَ، فَحَزَنَ دَاوُدَ عَلَيْهِ حُزْنًا شَدِيدًا، وَتَنَكَّرَ لِلْقَائِدِ، وَأَصَابَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي زَمَانِهِ طَاعُونٌ جَارِفٌ، فَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى مَوْضِعٍ يَبْتَاطُ الْمُقَدَّسِ يَدْعُونَ اللَّهَ وَيَسْأَلُونَهُ كَشَفَ ذَلِكَ الْبَلَاءُ عَنْهُمْ، فَاسْتَجِيبَ لَهُمْ،

فَاتَّخَذُوا ذَلِكَ الْمَوْضِعَ مَسْجِدًا، وَكَانَ ذَلِكَ - فِيمَا قِيلَ - لِأَحَدَى عَشْرَةَ سَنَةً مَضَتْ مِنْ مُلْكِهِ وَتَوَفَّى قَبْلَ أَنْ يَسْتَمَّ بِنَاءَهُ، فَأَوْصَى إِلَى سُلَيْمَانَ بِاسْتِمَامِهِ، وَقَتْلِ الْقَائِدِ الَّذِي قَتَلَ أَخَاهُ، فَلَمَّا دَفَنَهُ سُلَيْمَانُ نَفَذَ لَأَمْرِهِ فِي الْقَائِدِ وَقَتْلَهُ، وَاسْتَمَّ بِنَاءَ الْمَسْجِدِ. وَقِيلَ فِي بِنَاءِ دَاوُدَ ذَلِكَ الْمَسْجِدِ مَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ بْنُ عَسْكَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ مَعْقِلٍ:

أَنَّهُ سَمِعَ وَهْبَ بْنَ مَنْبِهِ يَقُولُ: إِنْ دَاوُدَ أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ عَدَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ هُمْ؟

فَبَعَثَ لَذَلِكَ عُرْفَاءَ وَنُقَبَاءَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَرْفَعُوا إِلَيْهِ مَا بَلَغَ عَدْدَهُمْ، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ أَنِّي وَعَدْتُ إِبْرَاهِيمَ أَنْ أَبَارِكَ فِيهِ وَفِي ذُرِّيَّتِهِ حَتَّى أَجْعَلَهُمْ كَعَدَدِ نَجْمِ السَّمَاءِ، وَأَجْعَلَهُمْ لَا يَحْصَى عَدْدَهُمْ، فَأَرَدْتُ أَنْ تَعْلَمَ عَدَدَ مَا قُلْتُ: إِنَّهُ لَا يَحْصَى عَدْدَهُمْ، فَاسْتَخَارُوا بَيْنَ أَنْ أَبْتَلِيَكُمْ بِالْجُوعِ ثَلَاثَ سِنِينَ، أَوْ أَسْلُطَ عَلَيْكُمْ الْعَدُوُّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، أَوْ الْمَوْتُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ! فَاسْتَشَارَ دَاوُدَ فِي ذَلِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا لَنَا بِالْجُوعِ ثَلَاثَ سِنِينَ صَبْرًا، وَلَا بِالْعَدُوِّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، فَلَيْسَ لَهُمْ بَقِيَّةٌ، فَإِنْ كَانَ لَا بَدَ فَاَلْمَوْتُ بِيَدِهِ لَا بَدَ غَيْرُهُ فَذَكَرَ وَهْبُ بْنُ مَنْبِهِ أَنَّهُ مَاتَ مِنْهُمْ فِي سَاعَةٍ مِنْ نَهَارِ أَلْفٍ كَبِيرَةٍ، لَا يَدْرِي مَا عَدْدَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ دَاوُدَ، شَقَّ عَلَيْهِ مَا بَلَغَهُ مِنْ كَثْرَةِ الْمَوْتِ، فَتَبَتَّلَ إِلَى اللَّهِ وَدَعَاهُ فَقَالَ: يَا رَبِّ، أَنَا أَكَلْتُ الْحِمَاضَ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ يَضْرُسُونَ! أَنَا طَلَبْتُ ذَلِكَ فَأَمَرْتَ بِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ فِي وَاعِفٍ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ وَرَفَعَ عَنْهُمْ الْمَوْتَ، فَرَأَى دَاوُدَ الْمَلَائِكَةَ سَالِينَ سَيُوفُهُمْ يَغْمِدُونَهَا، يَرْتَقُونَ فِي سَلَمٍ مِنْ ذَهَبٍ مِنَ الصَّخْرَةِ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ دَاوُدَ: هَذَا مَكَانٌ يَنْبَغِي أَنْ يَبْنَى فِيهِ مَسْجِدٌ، فَأَرَادَ دَاوُدَ أَنْ يَأْخُذَ فِي بِنَائِهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ هَذَا بَيْتٌ مُقَدَّسٌ، وَإِنَّكَ قَدْ صَبَغْتَ يَدَيْكَ فِي الدِّمَاءِ، فَلَسْتَ بِبَانِيهِ، وَلَكِنْ ابْنُ لَكَ أَمْلَكَ بِعَدَدِ أَسْمِيهِ سُلَيْمَانَ، أَسْلَمَهُ مِنَ الدِّمَاءِ. فَلَمَّا مَلَكَ سُلَيْمَانُ بِنَاءَهُ وَشَرَفَهُ، وَكَانَ عُمُرُ دَاوُدَ - فِيمَا وَرَدَتْ بِهِ الْإِخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص - مِائَةَ سَنَةٍ. وَأَمَّا بَعْضُ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ عُمُرَهُ كَانَ سَبْعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَأَنَّ مَدَّةَ مُلْكِهِ كَانَتْ أَرْبَعِينَ سَنَةً.

١٠١٦ ذكر خبر سليمان بن داود ع

ذكر خبر سليمان بن داود ع

ثُمَّ مَلَكَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ بَعْدَ أَبِيهِ دَاوُدَ أَمْرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَنَحَرَ اللَّهُ لَهُ الْجَنِّ وَالْإِنْسَ وَالطَّيْرَ وَالرِّيحَ، وَآتَاهُ مَعَ ذَلِكَ النَّبُوءَةُ، وَسَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ فَاعْطَاهُ ذَلِكَ.

كَانَ فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْبَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مَنْبِهِ: إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى مَجْلِسِهِ عَكَفَتْ عَلَيْهِ الطَّيْرُ، وَقَامَ لَهُ الْإِنْسُ وَالْجَنُّ، حَتَّى يَجْلِسَ عَلَى سَرِيرِهِ، وَكَانَ - فِيمَا يَزْعُمُونَ - أَيْضًا جَسِيمًا وَضِيئًا، كَثِيرَ الشَّعْرِ يَلْبَسُ مِنَ الثِّيَابِ الْبَيَاضَ، وَكَانَ أَبُوهُ فِي أَيَّامِ مُلْكِهِ بَعْدَ أَنْ بَلَغَ سُلَيْمَانُ مَبْلَغَ الرِّجَالِ يَشَاوِرُهُ - فِيمَا ذَكَرَ - فِي أُمُورِهِ.

وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِ وَشَأْنِ أَبِيهِ دَاوُدَ الْحُكْمُ فِي الْغَنَمِ الَّتِي نَفَسَتْ فِي حَرْثِ الْقَوْمِ، الَّذِينَ قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ خَبْرَهُمْ وَخَبَرَهُمَا فَقَالَ: «وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذَا يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكَأَنَّ الْحُكْمَ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَأَنَّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعَلَمًا».

فَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَهَارُونُ بْنُ إِدْرِيسَ الْأَصَمُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ، عَنْ أَشْعَثَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ مَرْثَةَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ: «وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذَا يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ»، قَالَ: كَرَّمَ قَدْ أَتَبَتْ عَنَاقِيدُهُ فَأَفْسَدَتْهُ، قَالَ: فَقَضَى دَاوُدُ بِالْغَنَمِ لِصَاحِبِ الْكَرْمِ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ: غَيْرَ هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: تَدْفَعُ الْكَرْمَ إِلَى صَاحِبِ الْغَنَمِ فَيَقُومُ عَلَيْهِ حَتَّى يَعُودَ كَمَا كَانَ، وَتَدْفَعُ الْغَنَمَ إِلَى صَاحِبِ الْكَرْمِ فَيُصِيبُ مِنْهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ الْكَرْمُ كَمَا كَانَ، دَفَعْتَ الْكَرْمَ إِلَى صَاحِبِهِ، وَدَفَعْتَ الْغَنَمَ إِلَى صَاحِبِهَا فَذَلِكَ قَوْلُهُ: «فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ» وَكَانَ رَجُلًا غَزَاءً لَا يَكَادُ يَقْعُدُ عَنِ الْغَزْوِ، وَكَانَ لَا يَسْمَعُ بِمَلِكٍ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا أَتَاهُ حَتَّى يُذِلَّهُ وَكَانَ فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْبَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ - فِيمَا يَزْعُمُونَ - إِذَا أَرَادَ الْغَزَا وَامر

بعسكره فضرب له بخشب، ثم نصب له على الخشب، ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها، حتى إذا حمل معه ما يريد، أمر العاصف من الريج فدخلت تحت ذلك الخشب، فاحتملته حتى إذا استقلت به أمر الرخاء فمر به شهرا في روحته، وشهرا في غدوته إلى حيث أراد يقول الله عز وجل: «فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ»، أي حيث أراد، وقال: «وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ».

قال: وذكر لي أن منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه: كتاب كتبه بعض أصحاب سليمان، إما من الجن، وإما من الإنس: نحن نزلناه وما بيناه، ومبنا وجدناه، غدونا من إصطخر فقلناه، ونحن راثون منه إن شاء الله، فبائعون بالشام. قال: وكان- فيما بلغني- لتمر بعسكره الريج، والرخاء تهوي به إلى ما أراد، وإنها لتمر بالمرزعة فما تحركها. وقد حدثنا القاسم بن الحسن، قال: حدثني الحسين، قال: حدثني حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب القرظي، قال: بلغنا أن سليمان كان عسكره مائة فرسخ، خمسة وعشرون منها للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب، فيها ثلاثمائة صريحه، وسبعمائة سريه، فامر الريج العاصف فرفعته وامر الرخاء فسيرته، فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض: إني قد زدت في ملكك، أنه لا يتكلم أحد من الخلائق إلا جاءت به الريج وأخبرتكم.

حدثني أبو السائب، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، قال: كان سليمان ابن داود يوضع له ستمائة كرسي، ثم يجيئ أشراف الإنس فيجلسون مما يليه، ثم يجيئ أشراف الجن فيجلسون مما يلي الإنس، قال: ثم يدعو الطير فتظلمهم، ثم يدعو الريج فتحملهم، قال: فتسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر.

١٠١٦٠١ ذكر ما انتهى إلينا من مغازي سليمان ع

ذكر ما انتهى إلينا من مغازي سليمان ع

فن ذلك غزوته التي راسل فيها بلقيس- وهي فيما يقول أهل الأنساب- يلمقة ابنة الیشرح- ويقول بعضهم: ابنة إيلي شرح، ويقول بعضهم: ابنة ذي شرح- بن ذي جدن بن أيلي شرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبا ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ثم صارت إليه سلما بغير حرب ولا قتال.

وكان سبب مراسلته إياها- فيما ذكر- أنه فقد الهدهد يوما في مسير كان يسيره، واحتاج إلى الماء فلم يعلم من حضره بعده، وقيل له علم ذلك عند الهدهد، فسأل عن الهدهد فلم يجده وقال بعضهم: بل إنما سأل سليمان عن الهدهد لإخلاله بالنبوة.

فكان من حديثه وحديث مسيره ذلك وحديث بلقيس، ما حدثني العباس ابن الوليد الأملي، قال: حدثنا علي بن عاصم، قال: حدثنا عطاء بن السائب، قال: حدثني مجاهد، عن ابن عباس، قال: كان سليمان بن داود إذا سافر أو أراد سفرا قعد على سريه، ووضعت الكراسي يمينا وشمالا، فيأذن للإنس، ثم يأذن للجن عليه بعد الإنس، فيكونون خلف الإنس، ثم يأذن للشياطين بعد الجن فيكونون خلف الجن، ثم يرسل إلى الطير فتظلمهم من فوقهم، ثم يرسل إلى الريج فتحملهم وهو على سريه، والناس على الكراسي فتسير بهم، غدوها شهر ورواحها شهر، رخاء حيث أصاب، ليس بالعاصف ولا اللين، وسطا بين ذلك فينما سليمان يسير- وكان سليمان اختار من كل طير طيرا، فجعله رأس تلك الطير، فإذا أراد أن يسأل شيئا من تلك الطير عن شيء سأل رأسها- فينما سليمان يسير إذ نزل مفارقة فسأل عن الماء هاهنا، فقال الإنس: لا ندري، فسأل الجن فقالوا: لا ندري، فسأل الشياطين، فقالوا: لا ندري فغضب سليمان فقال: لا أبرح حتى أعلم كم بعد مسافة الماء هاهنا! قال: فقالت له الشياطين: يا رسول الله لا تغضب، فإن يك شيئا يعلم فالهدهد يعلمه، فقال سليمان: علي بالهدهد، فلم يوجد، فغضب.

سُلَيْمَانُ فَقَالَ: «مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ» ، يَقُولُ: بَعْدُ مُبِينٍ لَمْ غَابَ عَنْ مَسِيرِي هَذَا؟ وَكَانَ عِقَابُهُ لِلطَّيْرِ أَنْ يَنْتَفِ رِيشُهُ وَيُسَمِّسَهُ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَطِيرَ، وَيَكُونُ مِنْ هَوَامِ الْأَرْضِ إِنْ أَرَادَ ذَلِكَ، أَوْ يَذْبَحَهُ، فَكَانَ ذَلِكَ عَذَابَهُ.

قَالَ: وَمَرَّ الْهُدْهُدُ عَلَى قَصْرِ بَلْقَيْسَ، فَرَأَى بُسْتَانًا لَهَا خَلْفَ قَصْرِهَا، فَمَالَ إِلَى الْخَضِرَةِ فَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَإِذَا هُوَ يَهْدُهُدُ لَهَا فِي الْبُسْتَانِ، فَقَالَ هُدْهُدُ سُلَيْمَانَ:

إِن أَنْتَ عَنْ سُلَيْمَانَ؟ وَمَا تَصْنَعُ هَاهُنَا؟ قَالَ لَهُ هُدْهُدُ بَلْقَيْسَ: وَمَنْ سُلَيْمَانُ؟

فَقَالَ: بَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا يَقَالُ لَهُ سُلَيْمَانُ رَسُولًا، وَنَحَرَ لَهُ الرِّيحَ وَالْجَنِّ وَالْإِنْسَ وَالطَّيْرَ قَالَ: فَقَالَ لَهُ هُدْهُدُ بَلْقَيْسَ: أَيُّ شَيْءٍ تَقُولُ! قَالَ: أَقُولُ لَكَ مَا تَسْمَعُ، قَالَ: إِنَّ هَذَا لَعَجَبٌ، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ كَثْرَةَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ تَمْلِكُهُمْ امْرَأَةٌ، «أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ» ، جَعَلُوا الشُّكْرَ لِلَّهِ أَنْ يَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ: وَذَكَرَ الْهُدْهُدُ سُلَيْمَانَ فَهَضَّ عَنْهُ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْعَسْكَرِ تَلَقَّاهُ الطَّيْرُ وَقَالُوا: تَوَعَّدَكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَأَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ قَالَ: وَكَانَ عَذَابُ سُلَيْمَانَ لِلطَّيْرِ أَنْ يَنْتَفِ رِيشُهُ وَيُسَمِّسَهُ فَلَا يَطِيرُ أَبَدًا، فَيَصِيرُ مِنْ هَوَامِ الْأَرْضِ، أَوْ يَذْبَحَهُ فَلَا يَكُونُ لَهُ نَسْلٌ أَبَدًا قَالَ: فَقَالَ الْهُدْهُدُ:

أَوْ مَا اسْتَنْتَى رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالُوا: بَلْ قَالَ: أَوْ لَيَأْتِيَنِي بَعْدُ مُبِينٍ، قَالَ:

فَلَمَّا أَتَى سُلَيْمَانَ، قَالَ: مَا غَيْبَكَ عَنْ مَسِيرِي؟ قَالَ: «أَحْطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ بَنِيَّ يَقِينٍ» حَتَّى بَلَغَ «فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ» قَالَ: فَاعْتَلَّ لَهُ بِشَيْءٌ، وَأَخْبَرَهُ عَنْ بَلْقَيْسَ وَقَوْمِهَا مَا أَخْبَرَهُ الْهُدْهُدُ، فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانَ: قَدْ اعْتَلَّتْ، «سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ أَذْهَبَ بِكَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ» ، قَالَ: فَوَافَقَهَا وَهِيَ فِي قَصْرِهَا، فَأَلْقَى إِلَيْهَا

الْكِتَابَ فَسَقَطَ فِي جِرِّهَا أَنَّهُ كِتَابُ كَرِيمٍ، وَاشْفَقَتْ مِنْهُ، فَأَخَذَتْهُ وَأَلْقَتْ عَلَيْهِ ثِيَابَهَا، وَأَمَرَتْ بِسَرِيرِهَا فَأُخْرِجَ، نَخَّرَجَتْ فَفَعَدَتْ عَلَيْهِ، وَنَادَتْ فِي قَوْمِهَا، فَقَالَتْ لَهُمْ: «يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابُ كَرِيمٍ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ» وَلَمْ أَكُنْ لَأَقْطَعْ أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونَ، «قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ» - ألى - «وَإِنِّي مِنْ رَسُولِ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ» ، فَإِنْ قَبِلَهَا فَهَذَا مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا وَأَنَا أَعَزُّ مِنْهُ وَأَقْوَى، وَإِنْ لَمْ يَقْبَلْهَا فَهَذَا شَيْءٌ مِنْ اللَّهِ.

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ الْهَدِيَّةُ قَالَ لَهُمْ سُلَيْمَانَ: «اتَّمِدُّونَ بِمَا لِي فَأَتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ» - إِلَى قَوْلِهِ: «وَهُمْ صَاغِرُونَ» ، يَقُولُ: وَهُمْ غَيْرُ مَحْمُودِينَ قَالَ: بَعَثْتُ إِلَيْهِ بِخَزَرَةٍ غَيْرِ مَثْقُوبَةٍ، فَقَالَتْ: انْتَقِبْ هَذِهِ، قَالَ:

فَسَأَلَ سُلَيْمَانَ الْإِنْسَ فَلَمْ يَكُنْ عَنْدهُمْ عِلْمُ ذَلِكَ، ثُمَّ سَأَلَ الْجِنَّ فَلَمْ يَكُنْ عَنْدهُمْ عِلْمُ ذَلِكَ، قَالَ: فَسَأَلَ الشَّيَاطِينَ، فَقَالُوا: تُرْسِلُ إِلَى الْأَرْضِ، فَجَاءَتِ الْأَرْضُ فَأَخَذَتْ شَعْرَةً فِي فِيهَا فَدَخَلَتْ فِيهَا فَتَقَبَّضَتْ بَعْدَ حِينٍ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهَا رَسُولُهَا خَرَجَتْ فِرْعَةً فِي أَوَّلِ النَّهَارِ مِنْ قَوْمِهَا وَتَبِعَهَا قَوْمًا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَكَانَ مَعَهَا أَلْفٌ قِيلَ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَهْلُ الْيَمَنِ يُسَمُّونَ الْقَائِدَ قَيْلًا، مَعَ كُلِّ قَيْلٍ عَشْرَةُ آلَافٍ قَالَ الْعَبَّاسُ: قَالَ عَلِيٌّ: عَشْرَةُ آلَافٍ أَلْفٍ.

قَالَ الْعَبَّاسُ: قَالَ عَلِيٌّ: فَأَخْبَرَنَا حُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ، قَالَ: فَاقْبَلَتْ بَلْقَيْسُ إِلَى سُلَيْمَانَ وَمَعَهَا ثَلَاثُمِائَةِ قَيْلٍ وَاثْنَا عَشَرَ قَيْلًا، مَعَ كُلِّ قَيْلٍ عَشْرَةُ آلَافٍ.

قَالَ عَطَاءٌ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: وَكَانَ سُلَيْمَانُ رَجُلًا مَهِيئًا لَا يَبْتَدَأُ بِشَيْءٍ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَسْأَلُ عَنْهُ، نَخْرَجَ يَوْمَئِذٍ لِحُلَسَ عَلَى سَرِيرِهِ،

فَرَأَى رَجُلًا قَرِيبًا مِنْهُ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: بَلْقَيْسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: وَقَدْ نَزَلَتْ مِنَّا بِهَذَا الْمَكَانِ! قَالَ مُجَاهِدٌ: فَوَصَفَ لَنَا ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَحَزَرْتَهُ مَا بَيْنَ الْكُوفَةِ وَالْحِيرَةِ قَدْرَ فَرْسِيخٍ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَى جُنُودِهِ فَقَالَ:

«أَيْكُمْ يَأْتِينِي بَعْرُشُهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ» الَّذِي أَنْتَ فِيهِ إِلَى الْحَيْنِ الَّذِي تَقُومُ إِلَى غَدَائِكَ قَالَ: قَالَ سُلَيْمَانُ: مَنْ يَأْتِينِي بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ؟

«قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ»، فَنَظَرَ إِلَيْهِ سُلَيْمَانُ، فَلَمَّا قَطَعَ كَلَامَهُ رَدَّ سُلَيْمَانُ بَصَرَهُ عَلَى الْعَرْشِ، فَرَأَى سَرِيرَهَا قَدْ خَرَجَ وَنَعَجَ مِنْ تَحْتِ كُرْسِيِّهِ، «فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ» إِذْ أَتَانِي بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيَّ طَرْفِي «أَمْ أَكْفُرُ» إِذْ جَعَلَ مِنْ تَحْتِ يَدَيَّ أَقْدَرَ عَلَى الْمَجِيءِ بِهِ مِنِّي قَالَ:

فَوَضَعُوا لَهَا عَرْشَهَا، قَالَ: فَلَمَّا جَاءَتْ قَعَدَتْ إِلَى سُلَيْمَانَ، قِيلَ لَهَا: «أَهْكَذَا عَرْشُكَ؟» فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: «كَأَنَّهُ هُوَ»! ثُمَّ قَالَتْ:

لَقَدْ تَرَكْتُهُ فِي حُصُونِي، وَتَرَكْتُ الْجُنُودَ مُحِيطَةً بِهِ، فَكَيْفَ جِيءَ بِهَذَا يَا سُلَيْمَانُ! إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ فَأَخْبِرَنِيهِ، قَالَ: سَلِي، قَالَتْ: أَخْبِرْنِي عَنْ مَاءٍ رَوَاءٍ، لَا مِنْ سَمَاءٍ وَلَا مِنْ أَرْضٍ- قَالَ: وَكَانَ إِذَا جَاءَ سُلَيْمَانُ شَيْءٌ لَا يَعْلَمُهُ بَدَأَ فَسَأَلَ الْإِنْسَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ عِنْدَ الْإِنْسِ فِيهِ عِلْمٌ وَإِلَّا سَأَلَ الْجِنَّ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْجِنِّ عِلْمٌ بِهِ سَأَلَ الشَّيَاطِينَ- قَالَ: فَقَالَتْ لَهُ الشَّيَاطِينُ: مَا أَهْوَنَ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَرِ الْخَيْلَ فَلْتَجَرَّ ثُمَّ تَمَلَّأِ الْإِنْيَةَ مِنْ عَرَقِهَا، فَقَالَ لَهَا سُلَيْمَانُ: عَرَقُ الْخَيْلِ، قَالَتْ: صَدَقْتَ قَالَتْ: أَخْبِرْنِي عَنْ لَوْنِ الرَّبِّ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَوَثَبَ سُلَيْمَانُ عَنْ سَرِيرِهِ نَحَرَ سَاجِدًا قَالَ الْعَبَّاسُ: قَالَ عَلِيٌّ: فَأَخْبِرْنِي عَمْرُ بْنُ عَبِيدٍ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: صَبَقَ فُغْشِي عَلَيْهِ، نَحَرَ عَنْ سَرِيرِهِ.

ثُمَّ رَجَعَ، إِلَى حَدِيثِهِ قَالَ: فَقَامَتْ عَنْهُ، وَتَفَرَّقَتْ عَنْهُ جُنُودُهُ، وَجَاءَهُ

الرَّسُولُ فَقَالَ: يَا سُلَيْمَانُ، يَقُولُ لَكَ رَبُّكَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: سَأَلْتَنِي عَنْ أَمْرِ يُكَابِرُنِي- أَوْ يُكَابِدُنِي- أَنْ أُعِيدَهُ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعُودَ إِلَى سَرِيرِكَ فَتَقْعُدَ عَلَيْهِ، وَتُرْسِلَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَنْ حَضَرَهَا مِنْ جُنُودِهَا، وَتُرْسِلَ إِلَى جَمِيعِ جُنُودِكَ الَّذِينَ حَضَرُوا فَيَدْخُلُوا عَلَيْكَ فَتَسْأَلُهَا وَتَسْأَلَهُمْ عَمَّا سَأَلْتُكَ عَنْهُ قَالَ:

فَفَعَلَ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ جَمِيعًا، قَالَ لَهَا: عَمَّ سَأَلْتَنِي؟ قَالَتْ: سَأَلْتُكَ عَنْ مَاءٍ رَوَاءٍ، لَا مِنْ سَمَاءٍ وَلَا مِنْ أَرْضٍ، قَالَ: قُلْتُ لَكَ: عَرَقُ الْخَيْلِ، قَالَتْ: صَدَقْتَ، قَالَ: وَعَنْ أَيِّ شَيْءٍ سَأَلْتَنِي؟ قَالَتْ: مَا سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ غَيْرِ هَذَا قَالَ: قَالَ لَهَا سُلَيْمَانُ، فَلَايَ شَيْءٍ خَرَرْتُ عَنْ سَرِيرِي؟

قَالَتْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ لَشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ- قَالَ الْعَبَّاسُ: قَالَ عَلِيٌّ: نُسِيَّتُهُ- قَالَ: فَسَأَلَ جُنُودَهَا فَقَالُوا مِثْلَ مَا قَالَتْ، قَالَ: فَسَأَلَ جُنُودَهُ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالطَّيْرِ وَكُلِّ شَيْءٍ كَانَ حَاضِرَهُ مِنْ جُنُودِهِ، فَقَالُوا: مَا سَأَلْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا عَنْ مَاءٍ رَوَاءٍ، قَالَ- وَقَدْ كَانَ قَالَ لَهُ الرَّسُولُ: يَقُولُ اللَّهُ لَكَ: عُدْ إِلَى مَكَانِكَ فَإِنِّي قَدْ كَفَيْتُكُمْ- قَالَ: وَقَالَ سُلَيْمَانُ: لِلشَّيَاطِينِ: ابْنُوا لِي صَرْحًا تَدْخُلُ عَلَيَّ فِيهِ بَلْقَيْسُ، قَالَ: فَارْجَعَ الشَّيَاطِينُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَقَالُوا:

سُلَيْمَانُ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ سَخَّرَ اللَّهُ لَهُ مَا سَخَّرَ، وَبَلْقَيْسُ مَلَكَةٌ سَبَّأٌ يَنْكُحُهَا فَتَلِدُ لَهُ غُلَامًا، فَلَا تَنْفَكُ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ أَبَدًا. قَالَ: وَكَانَتْ امْرَأَةً شَعْرَاءَ السَّاقَيْنِ، فَقَالَتِ الشَّيَاطِينُ: ابْنُوا لَهُ بَنِيَانًا لِيَرَى ذَلِكَ مِنْهَا، فَلَا يَتَزَوَّجُهَا، فَبَنَوْا لَهُ صَرْحًا مِنْ قَوَارِيرٍ أَخْضَرَ، وَجَعَلُوا لَهُ طَوَائِقَ مِنْ قَوَارِيرَ كَأَنَّهُ الْمَاءُ، وَجَعَلُوا فِي بَاطِنِ الطَّوَائِقِ كُلِّ شَيْءٍ يَكُونُ مِنَ الدَّوَابِّ فِي الْبَحْرِ مِنَ السَّمَكِ وَغَيْرِهِ، ثُمَّ أَطْبَقُوهُ، ثُمَّ قَالُوا لِسُلَيْمَانَ: ادْخُلِ الصَّرْحَ، قَالَ: فَأَلْقَى لِسُلَيْمَانَ كُرْسِيَّ فِي أَقْصَى الصَّرْحِ، فَلَمَّا دَخَلَهُ وَرَأَى مَا رَأَى أَتَى الْكُرْسِيَّ، فَتَقَعَدَ

عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: ادْخُلُوا عَلَيَّ بَلْقَيْسَ، فَقِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الصَّرْحَ، فَلَمَّا ذَهَبَتْ تَدْخُلُهُ رَأَتْ صُورَةَ السَّمَكِ وَمَا يَكُونُ فِي الْمَاءِ مِنَ الدَّوَابِّ، فَحَسِبَتْهُ لُجَّةً حَسْبَتْهُ مَاءً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا لِتَدْخُلَ، وَكَانَ شَعْرُ سَاقِيهَا مُلْتَوِيًّا عَلَى سَاقِيهَا، فَلَمَّا رَأَاهَا سُلَيْمَانُ، نَادَاهَا- وَصَرَفَ بَصَرَهُ عَنْهَا: أَنَّهُ صَرَحَ مُرْمَدٌ مِنْ

قَوَارِيرَ، فَالْقَتْ ثَوْبَهَا فَقَالَتْ: «إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
« قَالَ: فَدَعَا سُلَيْمَانُ الْإِنْسَ فَقَالَ: مَا أَقْبَحَ هَذَا! مَا يَذْهَبُ هَذَا؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْمُوسَى قَالَ: الْمَوَاسِي تَقَطُّعُ سَاقِي الْمَرْأَةِ قَالَ: ثُمَّ دَعَا الْجِنَّ فَسَأَلَهُمْ فَقَالُوا: لَا نَدْرِي، ثُمَّ دَعَا الشَّيَاطِينَ فَقَالَ:

مَا يَذْهَبُ هَذَا؟ قَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ: الْمَوْسَى، فَقَالَ: الْمَوَاسِي تَقَطُّعُ سَاقِي الْمَرْأَةِ قَالَ: فَتَلَكَّكُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ جَعَلُوا لَهُ النُّورَةَ- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَإِنَّهُ لَأَوَّلُ يَوْمٍ رُئِيَ فِيهِ النُّورَةُ- فَاسْتَنَكَحَهَا سُلَيْمَانُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ: قَالَ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، عَنْ وَهْبِ ابْنِ مَنْبِهِ، قَالَ: لَمَّا رَجَعْتَ الرِّسْلَ إِلَى بَلْقَيْسَ بِمَا قَالَ سُلَيْمَانُ، قَالَتْ: قَدْ وَاللَّهِ عَرَفْتُ مَا هَذَا بَمَلِكٍ، وَمَا لَنَا بِهِ مِنْ طَاقَةٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِمَكَاتِرَتِهِ شَيْئًا، وَبَعَثْتُ إِلَيْهِ أَنِّي قَادِمَةٌ عَلَيْكَ بِمَلُوكٍ قَوْمِي حَتَّى أَنْظُرَ مَا أَمْرُكَ، وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ دِينِكَ ثُمَّ أَمَرْتُ بِسَرِيرٍ مَلَكُهَا الَّذِي كَانَتْ تَجْلِسُ عَلَيْهِ- وَكَانَ مِنْ ذَهَبٍ مَفْصَصٍ بِالْيَاقُوتِ وَالزَّبَرَجَدِ وَاللُّؤْلُؤِ- فَفَعَلَ فِي سَبْعَةِ أَيَّامٍ بَعْضَهَا فِي بَعْضٍ، ثُمَّ أَقْفَلْتُ عَلَى الْأَبْوَابِ، وَكَانَتْ إِذَا تَخْدَمُهَا النِّسَاءُ، مَعَهَا سِتْمَائَةُ امْرَأَتُهَا تَخْدُمُهَا ثُمَّ قَالَتْ لِمَنْ خَلَفْتُ عَلَى سُلْطَانِهَا: احْتَفِظْ بِمَا قَبْلَكَ، وَسَرِيرَ مَلِكِي فَلَا يَخْلُصُ إِلَيْهِ أَحَدٌ وَلَا يَرِينَهُ حَتَّى آتِيكَ ثُمَّ شَخَّصْتُ إِلَى سُلَيْمَانَ فِي اثْنِي عَشَرَ أَلْفَ قِيلٍ مَعَهَا مِنْ مَلُوكِ الْيَمَنِ، تَحْتَ يَدِ كُلِّ قِيلٍ مِنْهُمْ أَلُوفٌ كَثِيرَةٌ، فَفَعَلَ سُلَيْمَانُ يَبْعَثُ الْجِنَّ فَيَأْتُونَهُ بِمَسِيرِهَا وَمَنْتَاهَا كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، حَتَّى إِذَا دَنَتْ جَمْعٌ مِنْ عِنْدِهِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مِمَّنْ تَحْتَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا أَيْكُمُ يَا تُبْنِي بَعْرَشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوَنِي مُسْلِمِينَ» قَالَ: وَأَسْلَمْتُ فَحَسَنَ إِسْلَامُهَا قَالَ: فَزَعَمَ أَنَّ سُلَيْمَانَ قَالَ لَهَا حِينَ أُسْلِمَتْ وَفَرَّغَ مِنْ أَمْرِهَا: اخْتَارِي رَجُلًا مِنْ قَوْمِكَ أَزْوَاجَكَ، قَالَتْ: وَمِثْلِي يَا نَبِيَّ اللَّهِ يَنْكَحُ الرِّجَالَ، وَقَدْ كَانَ لِي فِي قَوْمِي مِنَ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ مَا كَانَ لِي! قَالَ: نَعَمْ، إِنَّهُ

لَا يَكُونُ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا ذَلِكَ، وَلَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَحْرِمِي مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ، فَقَالَتْ: زَوْجَنِي إِنْ كَانَ لَا بَدَا تَبِعَ مَلِكَ هَمْدَانَ، فَزَوْجَهُ إِيَّاهَا، ثُمَّ رَدَّهَا إِلَى الْيَمَنِ، وَسَلَطَ زَوْجَهَا ذَا تَبَعَ عَلَى الْيَمَنِ، وَدَعَا زَوْبَةَ أَمِيرَ جَنْ الْيَمَنِ فَقَالَ: اْعْمَلِي لَذِي تَبَعَ مَا اسْتَعْمَلَكَ لِقَوْمِهِ قَالَ: فَصَنَعَ لَذِي تَبَعَ الصَّنَائِعَ بِالْيَمَنِ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ بِهَا مَلِكًا يَعْمَلُ لَهُ فِيهَا مَا أَرَادَ، حَتَّى مَاتَ سُلَيْمَانُ ابْنُ دَاوُدَ.

فَلَمَّا حَالَ الْحَوْلُ وَتَبَيَّنَتْ الْجِنُّ مَوْتَ سُلَيْمَانَ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَسَلَكَ تِهَامَةً حَتَّى إِذَا كَانَ فِي جَوْفِ الْيَمَنِ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ، إِنَّ الْمَلِكَ سُلَيْمَانَ قَدْ مَاتَ فَارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ قَالَ: فَعَمَدَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى حَجَرَيْنِ عَظِيمَيْنِ، فَكَتَبُوا فِيهِمَا كِتَابًا بِالْمَسْنَدِ: نَحْنُ بَنِينَا سُلَحِينِ، سَبْعَةٌ وَسَبْعِينَ خَرِيفًا دَائِبِينَ، وَبَيْنَنَا صُرُوحٌ وَمِرَاحٌ وَبَيْنُونٌ بِرَحَاضِهِ أَيْدِينَ، وَهَنْدَةٌ وَهَنْدَةٌ، وَسَبْعَةٌ أَجْمَلَةٌ بِقَاعَةٍ، وَتَلْثُومٌ بِرِيدَةٍ، وَلَوْلَا صَارِخٌ بِتِهَامَةٍ، لَتَرَكْنَا بِالْبُونِ إِمَارَةً قَالَ: وَسُلَحِينٌ وَصُرُوحٌ وَمِرَاحٌ وَبَيْنُونٌ وَهَنْدَةٌ وَهَنْدَةٌ وَتَلْثُومٌ حَصُونٌ كَانَتْ بِالْيَمَنِ، عَمَلَتْهَا الشَّيَاطِينُ لَذِي تَبَعَ، ثُمَّ رَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ، ثُمَّ انْطَلَقُوا، وَانْقَضَى مَلِكٌ ذِي تَبَعَ وَمَلِكٌ بَلْقَيْسَ مَعَ مَلِكِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ

١٠١٦٠٢ ذكر غزوته أبا زوجته جراحه وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه

ذكر غزوته أبا زوجته جراحه وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ، قَالَ: قَالَ وَهْبُ بْنُ مَنْبِهِ: سَمِعْتُ سُلَيْمَانَ بِمَدِينَةِ فِي جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ، يُقَالُ لَهَا صِيدُونُ، بِهَا مَلِكٌ عَظِيمُ السُّلْطَانِ لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ إِلَيْهِ سَبِيلٌ، لِمَكَانِهِ فِي الْبَحْرِ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ آتَى سُلَيْمَانَ فِي مَلِكِهِ سُلْطَانًا لَا يَمْتَنِعُ مِنْهُ شَيْءٌ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ، إِذَا رَكِبَ إِلَيْهِ إِذَا رَكِبَ عَلَى الرِّيحِ، فَفَرَجَ إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ تَحْمِلُهُ الرِّيحُ عَلَى ظَهْرِ الْمَاءِ، حَتَّى نَزَلَ بِهَا بِجُنُودِهِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، فَقَتَلَ مَلِكَهَا وَاسْتَفَاءَ مَا فِيهَا، وَأَصَابَ فِيهَا ابْنَةَ ذَلِكَ الْمَلِكِ لَمْ يَرِ مِثْلَهَا حَسَنًا وَجَمَالًا، فَاصْطَفَاهَا

لنفسه، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة ثقة، وأحبها حبا لم يحبه شيئا من نساءه، ووقعت نفسه عليها، فكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها، ولا يرقأ دمعها، فقال لها، لما رأى ما بها وهوى شق عليه من ذلك ما يرى: ويحك، ما هذا الحزن الذي لا يذهب، والدمع الذي لا يرقأ! قالت: إن أبي أذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه، فيحزني ذلك، قال: فقد ابد لك الله به ملكا هو أعظم من ملكه، وسلطانا هو أعظم من سلطانه، وهذاك للإسلام وهو خير من ذلك كله، قالت: إن ذلك لكذلك، ولكنني إذا ذكرت أصابني ما قد ترى من الحزن، فلو أنك أمرت الشياطين، فصوروا صورة أبي في داري التي أنا فيها، أراها بكرة وعشيا لرجوت أن يذهب ذلك حزني، وأن يسلي عني بعض ما أجد في نفسي، فأمر سليمان الشياطين، فقال: مثلوا لها صوره أبيها في دارها حتى ما تنكر منه شيئا، فثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها في نفسه،

إلا أنه لا روح فيه، فعمدت إليه حين صنعوه لها فأزرتة وقصته وعممته وردته بمثل ثيابه التي كان يلبس، مثل ما كان يكون فيه من هيئة، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه في ولائها حتى تسجد له ويسجدن له، كما كانت تصنع به في ملكه، وتروح كل عشية بمثل ذلك، لا يعلم سليمان بشيء من ذلك أربعين صباحا، وبلغ ذلك آصف بن برخيا- وكان صديقا، وكان لا يرد عن أبواب سليمان أي ساعة أراد دخول شيء من بيوته دخل، حاضرا كان سليمان أو غائبا- فأتاه فقال: يا نبي الله، كبرت سني، ودق عظمي، ونفد عمري، وقد حان مني ذهاب! وقد أحببت أن أقوم مقاما قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله، وأثني عليهم بعلمي فيهم، وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم، فقال:

افعل، فجمع له سليمان الناس، فقام فيهم خطيبا، فذكر من مضى من أنبياء الله، فأثنى على كل نبي بما فيه، وذكر ما فضله الله به، حتى انتهى إلى سليمان وذكره، فقال: ما كان احملك في صغرك، وأورعك في صغرك، وأفضلك في صغرك، وأحكم أمرك في صغرك، وأبعدك من كل ما يكره في صغرك! ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه حتى ملأه غضبا، فلما دخل سليمان داره أرسل إليه، فقال: يا آصف، ذكرت من مضى من أنبياء الله فأثنت عليهم خيرا في كل زمانهم، وعلى كل حال من أمرهم، فلما ذكرتني جعلت ثني علي بخير في صغري، وسكت عما سوى ذلك من أمري في كبري، فما الذي أحدثت في آخر أمري؟ قال: إن غير الله ليعبد في دارك منذ أربعين صباحا في هوى امرأة، فقال: في داري! فقال: في دارك، قال:

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! لقد عرفت أنك ما قلت إلا عن شيء بلغك، ثم رجع سليمان إلى داره فكسر ذلك الصنم، وعاقب تلك المرأة وولائدها، ثم أمر بثياب الطهرة فأتي بها، وهي ثياب لا يغزلها إلا الأبكار، ولا ينسجها إلا الأبكار، ولا يغسلها إلا الأبكار، ولا تمسها امرأة قد رأت الدم، فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده، فأمر برماد ففرش له، ثم أقبل تائبا إلى الله حتى جلس على ذلك الرماد، فتمتع فيه بثيابه تذلا لله جل وعز وتضرعا إليه، يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره، ويقول فيما يقول- فيما ذكر لي والله أعلم: رب ماذا ببلائك عند آل داود أن يعبدوا غيرك، وأن يقروا في دورهم وأهاليهم عبادة غيرك! فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى، يبكي إلى الله ويتضرع إليه ويستغفره، ثم رجع إلى داره- وكانت أم ولد له يقال لها: الأمانة، كان إذا دخل مذهبها، أو أراد إصابة امرأة من نساءه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر، وكان لا يمس خاتمه إلا وهو طاهر، وكان ملكه في خاتمه، فوضعه يوما من تلك الأيام عندها كما كان يضعه ثم دخل مذهبها، وأتاها الشيطان صاحب البحر- وكان اسمه صخرا- في صورة سليمان لا تنكر منه شيئا، فقال: خاتمي يا أمانة! فناولته إياه، فجعله في يده، ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان، وعكفت عليه الطير والجن والإنس، وخرج سليمان فألقى الأمانة، وقد غيرت حالته وهيئته عند كل من رآه، فقال: يا أمانة، خاتمي! فقالت: ومن أنت؟ قال: أنا سليمان بن داود، فقالت: كذبت، لست بسليمان بن داود، وقد جاء سليمان فأخذ خاتمه، وهو ذاك جالس على سرير في ملكه فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته، نخرج فجعل يقف على الدار من دور بني إسرائيل، فيقول:

أنا سليمان بن داود، فيحثون عليه التراب ويسبونونه، ويقولون: انظروا إلى هذا المجنون، أي شيء يقول! يزعم أنه سليمان بن داود، فلما رأى سليمان ذلك عمد إلى البحر، فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر إلى السوق، فيعطونه كل يوم سمكتين، فإذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة وشوى الأخرى، فأكلها، فكث بذلك أربعين صباحا، عدة ما عبد ذلك الوثن في داره،

فأنكر آصف بن برخيا وعظماء بني إسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك الأربعين صباحا، فقال آصف: يا معشر بني إسرائيل، هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم! قالوا: نعم، قال: أمهلوني حتى أدخل على نسائه فأسألهن: هل أنكرن منه في خاصة أمره ما أنكرنا في عامة أمر الناس وعلايته؟ فدخل على نسائه فقال: ويحك! هل أنكرتن من أمر ابن داود ما أنكرنا؟ فقلن: اشد ما يدع امرأة منا في دمها، ولا يغتسل من جنابة، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! ان هذا هو البلاء المبين، ثم خرج إلى بني إسرائيل، فقال ما في الخاصة أعظم مما في العامة، فلما مضى أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه، ثم مر بالبحر، فقفذ الخاتم فيه، فبلعته سمكة، وبصر بعض الصيادين فأخذها وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك، حتى إذا كان العشي أعطاه سمكته، فأعطى السمكة التي أخذت الخاتم، ثم خرج سليمان بسمكته فيبيع التي ليس في بطنها الخاتم بالأرغفة، ثم عمد إلى السمكة الأخرى فبقرها ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها، فأخذه فجعله في يده ووقع ساجدا لله، وعكف عليه الطير والجن، وأقبل عليه الناس وعرف أن الذي دخل عليه لما كان أحدث في داره، فرجع إلى ملكه، وأظهر التوبة من ذنبه، وأمر الشياطين فقال: اثبوني به، فطلبته له الشياطين حتى أخذه، فأتى به، فجاب له صخرة، فأدخله فيها، ثم سد عليه بأخرى، ثم أوثقها بالحديد والرصاص، ثم أمر به فقفذ في البحر.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنِ السُّدِّيِّ فِي قَوْلِهِ: «وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا»، قَالَ: الشيطان حين جلس على كرسيه أربعين يوما، قال:

كان لسليمان مائة امرأة، وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة، وهي أثر نسائه عنده، وآمنهن عنده، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمته، ولا يأتمن عليه أحدا من الناس غيرها، فجاءته يوما من الأيام فقالت له: إن أخي بينه وبين فلان خصومة، وأنا أحب أن تقضي له إذا جاءك، فقال: نعم، ولم يفعل، فابتلي فأعطاه خاتمته، ودخل المخرج ففرج الشيطان في صورته، فقال: هاقي الخاتم، فأعطته، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان، وخرج سليمان بعد فسألها أن تعطيه خاتمته، فقالت: ألم تأخذه قبل؟ قال: لا، وخرج من مكانه تائها، قال: ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما.

قال: فأنكر الناس أحكامه، فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلمائهم، وجاءوا حتى دخلوا على نسائه فقالوا: إنا قد أنكرنا هذا، فإن كان سليمان، فقد ذهب عقله، وأنكرنا أحكامه! قال: فبكى النساء عند ذلك، قال: فأقبلوا يمشون حتى أتوه، فأحدقوا به ثم نشروا فقرءوا التوراة، قال: فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه، ثم طار حتى ذهب إلى البحر، فوقع الخاتم منه في البحر، فابتلعه حوت من حيتان البحر، قال: وأقبل سليمان في حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع، وقد اشتد جوعه، فاستطعمه من صيدهم، وقال: اني انا سليمان، فقام إليه بعضهم فضربه بعضا فشجه، قال: فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر، فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه وقالوا: بئس ما صنعت حيث ضربته! قال: انه زعم انه سليمان، قال: فأعطوه سمكتين مما قد ضرب عندهم، فلم يشغله ما كان به من الضرب، حتى قام على شط البحر، فشق بطونهما، وجعل يغسلهما، فوجد خاتمته في بطن إحداهما، فأخذه فلبسه، فرد الله عليه بهاء وملكه، وجاءت الطير حتى حامت عليه، فعرف القوم أنه سليمان، فقام القوم يعتدرون مما صنعوا، فقال: ما أحمدكم على

عذرکم، ولا ألومکم على ما کان منکم، کان هذا الأمر لا بد منه.

قال: فجاء حتى أتى ملكه، فأرسل إلى الشيطان فجاء به، وسخرت له الريح والشياطين يومئذ، ولم تكن سخرت له قبل ذلك، وهو قوله: «وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ» .

وبعث إلى الشيطان فأتى به، فأمر به فجعل في صندوق من حديد، ثم أطبق عليه، وأقفل عليه بقفل، وختم عليه بخاتمته، ثم أمر به فألقى في البحر، فهو فيه حتى تقوم الساعة، وكان اسمه حقيق.

قال ابو جعفر: ثم لبث سليمان بن داود في ملكه بعد أن رده الله إليه، تعمل له الجن ما يشاء من محاريب وتمثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات، وغير ذلك من أعماله، ويعذب من الشياطين من شاء، ويطلق من أحب منهم إطلاقه، حتى إذا دنا أجله، وأراد

الله قبضه إليه، كان من أمره- فيما بلغني- ما حدثني به أحمد بن منصور، قال حدثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة، قال: حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، [عن النبي ص قال: كَانَ سُلَيْمَانُ نَبِيَّ اللَّهِ إِذَا صَلَّى رَأَى شَجَرَةً نَابِتَةً بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَقُولُ لَهَا: مَا اسْمُكَ؟ فَيَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: لَايِّ شَيْءٍ أَنْتِ؟ فَإِنْ كَانَتْ لُغْرَسٌ غَرَسَتْ، إِنْ كَانَتْ لِدَوَاءٍ كُتِبَتْ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُصَلِّي ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ رَأَى شَجَرَةً بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهَا: مَا اسْمُكَ؟ قَالَتْ:

الْخُرُوبُ، قَالَ: لَايِّ شَيْءٍ أَنْتِ؟ قَالَتْ: لِحَرَابٍ هَذَا الْبَيْتِ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ: اللَّهُمَّ عِمَّ عَلَى الْجِنِّ مَوْتِي حَتَّى يَعْلَمَ الْإِنْسُ أَنَّ الْجِنَّ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ، فَفَتَحَهَا عَصَا، فَتَوَكَّأَ عَلَيْهَا حَوْلًا مَيِّتًا، وَالْجِنُّ تَعْمَلُ، فَأَكَلَتْهَا الْأَرْضُ فَسَقَطَ، فَ تَبَيَّنَتْ الْإِنْسُ أَنَّ الْجِنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ] .

قَالَ: وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقْرَأُهَا حَوْلًا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ قَالَ: فَشَكَرَتِ الْجِنُّ الْأَرْضَ، فَكَانَتْ تَأْتِيهَا بِالْمَاءِ

حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، عن أسباط، عن السدي في حديث ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس- وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود- وعن ناس من أصحاب النبي ص قال: كَانَ سُلَيْمَانُ يَتَجَرَّدُ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ السَّنَةَ وَالسَّنَتَيْنِ، وَالشَّهْرَ وَالشَّهْرَيْنِ، وَأَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ وَأَكْثَرَ، يُدْخِلُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ، فَأَدْخَلَهُ فِي الْمِرَّةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا، فَكَانَ بَدْءُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَوْمَ يُصْبِحُ فِيهِ إِلَّا نَبَتَتْ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ شَجَرَةٌ، فَيَأْتِيهَا، فَيَسْأَلُهَا: مَا اسْمُكَ؟ فَتَقُولُ الشَّجَرَةُ:

اِسْمِي كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ لَهَا: لَايِّ شَيْءٍ نَبَتِ؟ فَتَقُولُ: نَبْتُ لِكَذَا وَكَذَا فَيَأْمُرُ بِهَا فَتُقَطَّعُ، فَإِنْ كَانَتْ نَبَتَتْ لُغْرَسٍ غَرَسَهَا، وَإِنْ كَانَتْ نَبَتَتْ دَوَاءً قَالَتْ:

نَبْتُ دَوَاءً لِكَذَا وَكَذَا، فَيَجْعَلُهَا لِذَلِكَ، حَتَّى نَبَتَتْ شَجَرَةٌ يُقَالُ لَهَا الْخُرُوبَةُ فَسَأَلَهَا: مَا اسْمُكَ؟ قَالَتْ: أَنَا الْخُرُوبَةُ، قَالَ: وَلَايِّ شَيْءٍ نَبَتِ؟ قَالَتْ:

نَبْتُ لِحَرَابٍ هَذَا الْمَسْجِدِ قَالَ سُلَيْمَانُ: مَا كَانَ اللَّهُ لِيُخْرِبَهُ وَأَنَا حَيٌّ، أَنْتِ الَّتِي عَلَى وَجْهِكَ هَلَاكِي وَخَرَابُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَزَعَرَهَا وَغَرَسَهَا فِي حَائِطٍ لَهُ، ثُمَّ دَخَلَ الْحَرَابَ فَقَامَ يُصَلِّي مُتَّكِّئًا عَلَى عَصَاهُ فَمَاتَ، وَلَا تَعْلَمُ بِهِ الشَّيَاطِينُ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَعْمَلُونَ لَهُ يُخَافُونَ أَنْ يُخْرِجَ فَيَعَاقِبَهُمْ، وَكَانَتِ الشَّيَاطِينُ تَجْتَمِعُ حَوْلَ الْحَرَابِ، وَكَانَ الْحَرَابُ لَهُ كَوَى بَيْنَ يَدَيْهِ وَخَلْفَهُ، فَكَانَ الشَّيْطَانُ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَخْلَعَ يَقُولُ: أَلَسْتُ جَلِيدًا إِنْ دَخَلْتُ نَخَرَجْتُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ؟

فَيَدْخُلُ حَتَّى يُخْرِجَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَدَخَلَ شَيْطَانٌ مِنْ أَوْلَئِكَ، فَمَرَّ- وَلَمْ يَكُنْ شَيْطَانٌ يَنْظُرُ إِلَى سُلَيْمَانَ فِي الْحَرَابِ إِلَّا احْتَرَقَ- وَلَمْ يَسْمَعْ صَوْتَ سُلَيْمَانَ، ثُمَّ رَجَعَ فَلَمْ يَسْمَعْ، ثُمَّ رَجَعَ فَلَمْ يَسْمَعْ ثُمَّ رَجَعَ فَوَقَفَ فِي الْبَيْتِ فَلَمْ يَحْتَرِقْ، وَنَظَرَ إِلَى سُلَيْمَانَ قَدْ سَقَطَ مَيِّتًا، فَخَرَجَ فَأَخْبَرَ النَّاسَ أَنَّ سُلَيْمَانَ قَدْ مَاتَ، فَفَتَحُوا عَنْهُ فَأَخْرَجُوهُ، وَوَجَدُوا مَنْسَأَتَهُ- وَهِيَ الْعَصَا بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ- قَدْ أَكَلَتْهَا الْأَرْضُ، وَلَمْ يَعْلَمُوا مِنْذُ كَمْ مَاتَ، فَوَضَعُوا الْأَرْضَ عَلَى الْعَصَا، فَأَكَلَتْ مِنْهَا يَوْمًا وَلَيْلَةً، ثُمَّ حَسَبُوا عَلَى ذَلِكَ النَّحْوِ فَوَجَدُوهُ قَدْ مَاتَ مِنْذُ سَنَةٍ، وَهِيَ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: فَكُتِبُوا يَدِينُونَ لَهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ حَوْلًا كَامِلًا، فَأَيَّقَنَ النَّاسُ عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّ الْجِنَّ كَانُوا يَكْذِبُونَهُمْ، وَلَوْ أَنَّهُمْ عَلِمُوا الْغَيْبَ لَعَلُّوا مَوْتَ

سُلَيْمَانَ، وَلَمْ يَلْبِثُوا فِي الْعَذَابِ سَنَةً يَعْمَلُونَ لَهُ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ» - إِلَى قَوْلِهِ- «فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ» يَقُولُ: بَيْنَ أَمْرِهِمْ لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْذِبُونَهُمْ ثُمَّ إِنَّ الشَّيَاطِينَ قَالُوا لِلْأَرْضِ:

لَوْ كُنْتَ تَأْكُلِينَ الطَّعَامَ أَتَيْنَاكَ بِأَطْيَبِ الطَّعَامِ، وَلَوْ كُنْتَ تَشْرَبِينَ الشَّرَابَ سَقَيْنَاكَ أَطْيَبَ الشَّرَابِ، وَلَكِنَّا سَنَقْلُ إِلَيْكَ الْمَاءَ وَالطِّينَ قَالَ: فَهُمْ يَقُولُونَ إِلَيْهَا ذَلِكَ حَيْثُ كَانَتْ قَالَ: أَلَمْ تَرَى إِلَى الطِّينِ الَّذِي يَكُونُ فِي جَوْفِ الْخَشَبِ فَهُوَ مَا يَأْتِيهَا بِهِ الشَّيَاطِينُ شُكْرًا لَهَا! وَكَانَ جَمِيعُ عُمَرِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ فِيمَا ذَكَرْنَا نِيفًا وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ مِنْ مُلْكِهِ ابْتَدَأَ بِنَاءَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ فِيمَا ذَكَرَ

١٠١٧ ذكر من ملك إقليم بابل والمشرق من ملوك الفرس بعد كيقباز

ذكر من ملك إقليم بابل والمشرق من ملوك الفرس بعد كيقباز
قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَرَجَعَ الْآنَ إِلَى الْخَبَرِ عَنْ مَلِكِ إِقْلِيمِ بَابِلَ وَالْمَشْرِقِ مِنْ مَلُوكِ الْفَرَسِ بَعْدَ كَيْقَبَازَ.
وَمَلِكٌ بَعْدَ كَيْقَبَازَ بْنِ زَاغَ بْنِ يَوْجِيَاهُ كَيْقَاوَسُ بْنُ كَيْبِيَّةَ بْنِ كَيْقَبَازَ الْمَلِكِ.
فَذَكَرَ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ مَلِكٍ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا خَوَّلَنَا الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا لِنَسْعَى فِيهَا بِطَاعَتِهِ، وَأَنَّهُ قَتَلَ جَمَاعَةً مِنْ عِظَمَاءِ الْبِلَادِ الَّتِي حَوْلَهُ، وَحَمَى بِلَادَهُ وَرَعِيَّتَهُ مِنْ حَوَالِيهِمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ أَنْ يَتَنَاوَلُوا مِنْهَا شَيْئًا، وَأَنَّهُ كَانَ يَسْكُنُ بَلَخَ، وَأَنَّهُ وَلَدَ لَهُ ابْنٌ لَمْ يَرِ مِثْلُهُ فِي عَصَرِهِ فِي جَمَالِهِ وَكَمَالِهِ وَتَمَامِ خَلْقِهِ، فَسَمَاهُ سِيَاوُخْشَ، وَضَمَّهُ إِلَى رِسْتَمِ الشَّدِيدِ بْنِ دِسْتَانَ بْنِ نَرْيَمَانَ بْنِ جُودَنْكَ ابْنِ كَرْشَاسَبِ بْنِ أَثْرُطَ بْنِ سَهْمِ بْنِ نَرْيَمَانَ.
وَكَانَ اصْبَهَنْدُ سَجِسْتَانَ وَمَا يَلِيهِ مِنْ قَبْلِهِ يَرْبِيهِ وَيَكْفِلُهُ، وَأَوْصَاهُ بِهِ فَأَخَذَهُ مِنْهُ رِسْتَمَ، فَضَى بِهِ مَعَهُ إِلَى مَوْضِعِ عَمَلِهِ سَجِسْتَانَ، فَرَبَاهُ رِسْتَمَ وَلَمْ يَزَلْ فِي جَرِّهِ يَجْمَعُ لَهُ وَهُوَ طِفْلٌ الْحَوَاضِ وَالْمَرْضَعَاتِ، وَيَتَخَيَّرُهُنَ لَهُ،
حَتَّى إِذَا تَرَعَرَ جَمْعُ لَهُ الْمُعَلِّمِينَ، فَتَخَيَّرَ لَهُ مِنْهُمْ مَنْ اخْتَارَهُ لِتَعْلِيمِهِ، حَتَّى إِذَا قَدَّرَ عَلَى الرُّكُوبِ عِلْمَهُ الْفُرُوسِيَّةَ حَتَّى إِذَا تَكَامَلَتْ فِيهِ فَنُونَ الْآدَابِ، وَفَاقَ فِي الْفُرُوسِيَّةِ قَدَمَ بِهِ عَلَى وَالِدِهِ رَجُلًا كَامِلًا، فَامْتَحَنَهُ وَالِدُهُ كَيْقَاوَسُ، فَوَجَدَهُ نَافِذًا فِي كُلِّ مَا أَرَادَ بَارِعًا، فَسَرَّ بِهِ، وَكَانَ كَيْقَاوَسُ تَزَوَّجَ - فِيمَا ذَكَرَ - ابْنَهُ فَرَاثِيَابَ مَلِكَ التُّرْكِ، وَقِيلَ: بَلْ إِنَّهَا بِنْتُ مَلِكِ الْإِيْنِ، وَكَانَ يَقَالُ لَهَا سُودَابَةُ، وَكَانَتْ سَاحِرَةً، فَهَوِيَتْ سِيَاوُخْشَ، وَدَعَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا، وَأَنَّهُ امْتَنَعَ عَلَيْهَا، وَذَكَرَتْ لَهَا وَلِسِيَاوُخْشَ قِصَّةَ يَطُولُ بِذِكْرِهَا الْكَتَابُ، غَيْرَ أَنَّ آخِرَ أَمْرِهِمَا صَارَ فِي ذَلِكَ - فِيمَا ذَكَرَ لِي - أَنَّ سُودَابَةَ لَمْ تَزَلْ مَا رَأَتْ مِنْ امْتِنَاعِ سِيَاوُخْشَ عَلَيْهَا فِيمَا أَرَادَتْ مِنْهُ مِنَ الْفَاحِشَةِ بِأَيِّهِ كَيْقَاوَسُ حَتَّى أَفْسَدَتْهُ عَلَيْهِ، وَتَغَيَّرَ لَابْنُهُ سِيَاوُخْشَ، فَسَأَلَ سِيَاوُخْشَ رِسْتَمَ أَنْ يَسْأَلَ أَبَاهُ كَيْقَاوَسَ تَوْجِيَهُ لِحَرْبِ فَرَاثِيَابَ لِسَبَبِ مَنَعِهِ بَعْضَ مَا كَانَ ضَمِنَ لَهُ عِنْدَ إِنْكَاحِهِ ابْنَتَهُ إِيَّاهُ، وَصَلَحَ جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، مَرِيدًا بِذَلِكَ سِيَاوُخْشَ الْبَعْدَ عَنْ وَالِدِهِ كَيْقَاوَسَ، وَالتَّحَى عَمَّا تَكِيدُ بِهِ عِنْدَهُ زَوْجَتَهُ سُودَابَةَ، فَفَعَلَ ذَلِكَ رِسْتَمَ، وَاسْتَأْذَنَ لَهُ أَبَاهُ فِيمَا سَأَلَهُ، وَضَمَّ إِلَيْهِ جُنْدًا كَثِيفًا، فَشَخَّصَ إِلَى بِلَادِ التُّرْكِ لِلْقَاءِ فَرَاثِيَابَ، فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهِ سِيَاوُخْشَ، جَرَى بَيْنَهُمَا صَلَاحٌ، وَكُتِبَ بِذَلِكَ سِيَاوُخْشَ إِلَى أَبِيهِ يَعْلَمُهُ مَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ فَرَاثِيَابَ مِنَ الصِّلَحِ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ وَالِدُهُ بِأَمْرِهِ بِمَنَاضِيهِ فَرَاثِيَابَ وَمَنَاجَزَتِهِ الْحَرْبِ، إِنَّهُ لَمْ يَذْعَنْ لَهُ بِالْوَفَاءِ بِمَا كَانَ فَارَقَهُ عَلَيْهِ فَرَأَى سِيَاوُخْشَ أَنَّ فِي فَعْلِهِ مَا كُتِبَ بِهِ إِلَيْهِ أَبُوهُ مِنْ مُحَارَبَةِ فَرَاثِيَابَ بَعْدَ الَّذِي جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مِنَ الصِّلَحِ وَالْهَدَنَةِ مِنْ غَيْرِ نَقْضِ فَرَاثِيَابَ شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِ ذَلِكَ عَلَيْهِ عَارًا وَمَنْقِصَةً وَمَأْثَمًا، فَامْتَنَعَ مِنْ إِنْفَازِ أَمْرِ أَبِيهِ فِي ذَلِكَ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ يُوْتَى فِي كُلِّ ذَلِكَ مِنْ زَوْجَةِ أَبِيهِ الَّتِي دَعَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا فَامْتَنَعَ عَلَيْهَا، وَمَالَ إِلَى الْهَرَبِ

مِنْ أَبِيهِ، فَارْسَلَ فَرَاثِيَابَ فِي أَخْذِ الْأَمَانِ لِنَفْسِهِ مِنْهُ، وَالْخَاقَ بِهِ، وَتَرَكَ وَالِدَهُ، فَأَجَابَهُ فَرَاثِيَابَ إِلَى ذَلِكَ - وَكَانَ السَّفِيرُ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ - فِيمَا قِيلَ - رَجُلًا مِنَ التُّرْكِ مِنْ عِظَمَائِهِمْ يَقَالُ لَهُ: فَيَرَانُ بْنُ وَيْسَغَانَ - فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ سِيَاوُخْشَ انْصَرَفَ عَنْهُ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ جُنْدِ أَبِيهِ كَيْقَاوَسَ.

فَلَمَّا صَارَ سِيَاوُخْشَ إِلَى فَرَاثِيَابَ بِوَأِهِ وَأَكْرَمَهُ وَزَوْجَهُ ابْنَةً لَهُ يَقَالُ لَهَا:
وَسَفَافِرِيدَ، وَهِيَ أُمُّ كَيْخَسْرُونَةَ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ لَهُ مَكْرَمًا حَتَّى ظَهَرَ لَهُ أَدَبُ سِيَاوُخْشَ وَعَقْلُهُ وَكَمَالُهُ وَفُرُوسِيَّتُهُ وَنَجْدَتُهُ مَا أَشْفَقَ عَلَى مُلْكِهِ مِنْهُ، فَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ عِنْدَهُ، وَزَادَهُ فَسَادًا عَلَيْهِ سَعْيُ ابْنَيْنِ لَهُ وَأَخٍ يَقَالُ لَهُ: كَنْدَرُ بْنُ فَشَنْجَانَ عَلَيْهِ بِإِفْسَادِ أَمْرِ سِيَاوُخْشَ عِنْدَهُ، حَسَدًا مِنْهُمْ لَهُ، وَحَذَرًا عَلَى مُلْكِهِمْ مِنْهُ، حَتَّى مَكَّنَهُمْ مِنْ قَتْلِهِ، فَذَكَرَ فِي سَبَبِ وَصُولِهِمْ إِلَى قَتْلِهِ أَمْرَ يَطُولُ بِشَرْحِهِ الْخَطْبُ، إِلَّا أَنَّهُمْ قَتَلُوهُ وَمَثَلُوا بِهِ وَأَمَرَاتُهُ ابْنَةَ فَرَاثِيَابَ حَامِلًا مِنْهُ بِابْنِهِ كَيْخَسْرُونَةَ، فَطَلَبُوا الْحِيلَةَ لِإِسْقَاطِهَا مَا فِي بَطْنِهَا فَلَمْ يَسْقُطْ، وَأَنَّ فَيَرَانَ الَّذِي سَعَى فِي عَقْدِ الصِّلَحِ بَيْنَ فَرَاثِيَابَ وَسِيَاوُخْشَ لَمَّا صَحَّ عِنْدَهُ مَا فَعَلَ فَرَاثِيَابَ مِنْ قَتْلِ سِيَاوُخْشَ، أَنْكَرَ ذَلِكَ مِنْ فَعْلِهِ، وَخَوْفَهُ عَاقِبَةُ الْعَدْرِ،

وحذره الطلب بالثأر من والده كيقاوس ومن رستم، وسأله دفع ابنته وسفافر يد إليه لتكون عنده إلى أن تضع ما في بطنها ثم يقتله. ففعل ذلك فراسياب، فلما وضعت رق فيران لها وللمولود، فترك قتله وستر أمره، حتى بلغ المولود، فوجهه - فيما ذكر - كيقاوس إلى بلاد الترك بي بن جودرز، وأمره بالبحث عن المولود الذي ولدته زوجة ابنه سياوخش، والتأقي لإخراجه إليه، إذا وقف على خبره مع أمه، وأن بيا شخص لذلك، فلم يزل يفحص عن أمر ذلك المولود، متنكرا حيناً من الزمان فلا يعرف له خبر، ولا يدلّه عليه أحد. ثم وقف بعد ذلك على خبره، فاحتال فيه وفي أمه حتى أخرجهما من أرض الترك إلى كيقاوس، وقد كان كيقاوس - فيما ذكر - حين اتصل به

قتل ابنه أخص جماعة من رؤساء قواده، منهم رستم بن دستان الشديد، وطوس بن نوزدان، وكانا ذوي بأس ونجدة، فأثخننا الترك قتلاً واسراً، وحارباً فراسياب حرباً شديدة وأن رستم قتل بيده شهر وشهره ابني فراسياب وان طوساً قتل بيده كندر أخا فراسياب. وذكر أن الشياطين كانت مسخرة لكيقاوس، فزعم بعض أهل العلم بأخبار المتقدمين أن الشياطين الذين كانوا سخروا له إنما كانوا يطيعونه عن أمر سليمان بن داود إياهم بطاعته، وأن كيقاوس أمر الشياطين فبنوا له مدينة سماها كنكدر، ويقال: قيقذون، وكان طولها - فيما زعموا - ثمانمائة فرسخ، وأمرهم فضربوا عليها سورا من صفر، وسورا من شبه، وسورا من نحاس، وسورا من نحاس، وسورا من فضة، وسورا من ذهب وكانت الشياطين تنقلها ما بين السماء والأرض وما فيها من الدواب والحزائن والأموال والناس وذكروا أن كيقاوس كان لا يحدث وهو يأكل ويشرب.

ثم إن الله تعالى بعث إلى المدينة التي بناها كذلك من يخربها فأمر كيقاوس شياطينه بمنع من قصد لتخريبها، فلم يقدروا على ذلك، فلما رأى كيقاوس الشياطين لا تطيق الدفع عنها، عطف عليها، فقتل رؤساءها وكان كيقاوس - فيما ذكر - مظفراً لا يناوئه أحد من الملوك إلا ظفر عليه وقهره، ولم يزل ذلك أمره حتى حدثه نفسه - لما كان أتي من العز والملك، وأنه لا يتناول شيئاً إلا وصل إليه - بالصعود إلى السماء.

فحدث عن هشام بن محمد أنه شخص من خراسان حتى نزل بابل، وقال: ما بقي شيء من الأرض إلا وقد ملكته، ولا بد من أن أعرف أمر السماء والكواكب وما فوقها، وأن الله أعطاه قوة ارتفع بها ومن معه في الهواء حتى انتهوا إلى السحاب، ثم إن الله سلّهم تلك القوة فسقطوا فهلكوا، وأفلت بنفسه وأحدث يومئذ، وفسد عليه ملكه، وتمزقت الأرض، وكثرت الملوك في النواحي، فصار يغزوهم ويغزونه، فيظفر مرة وينكب أخرى

قال: فغزا بلاد اليمن - والملك بها يومئذ ذو الأذعار بن أبرهة ذي المنار ابن الرائي - فلما ورد بلاد اليمن خرج عليه ذو الأذعار بن أبرهة وكان قد أصابه الفالج، فلم يكن يغزو قبل ذلك بنفسه قال: فلما اظله كيقاوس ووطيء بلاده في جموعه خرج بنفسه في جموع حمير وولد قحطان، فظفر بكيقاوس، فأسره، واستباح عسكره، وحبسه في بئر، وأطبق عليه طبقاً قال: وخرج من سجستان رجل يقال له رستم، كان جباراً قوياً فيمن أطاعه من الناس قال: فرعمت الفرس انه دخل بلاد اليمن، واستخرج قبوس من محبسه وهو كيقاوس قال: وزعم أهل اليمن أنه لما بلغ ذا الأذعار إقبال رستم خرج إليه في جنوده وعدده، وخندق كل واحد منهما على عسكره، وأنهما أشفقا على جنديهما من البوار، وتخوفاً أن تزاحفاً ألا تكون لهما بقية، فاصطلحا على دفع كيقاوس إلى رستم، ووضع الحرب، فانصرف رستم بكيقوس إلى بابل، وكتب كيقاوس لرستم عتقا من عبودية الملك، وأقطعته سجستان وزابلستان، وأعطاه قلنسوة منسوجة بالذهب وتوجه، وأمره أن يجلس على سرير من فضة، قوائمه من ذهب، فلم تزل تلك البلاد بيد رستم حتى هلك كيقاوس وبعده دهر طويلاً. قال: وكان ملكه مائة وخمسين سنة.

وزعم علماء الفرس أن أول من سود لباسه على وجه الحداد شادوس بن جودرز على سياوخش، وأنه فعل ذلك يوم ورد على كيقاوس نعي ابنه سياوخش وقتل فراسياب إياه، وغدره به، وأنه دخل على كيقاوس، وقد لبس السواد، فاعلمه أنه فعل ذلك لأن يومه يوم إظلام وسواد.

وقد حقق ما ذكر ابن الكلبي من أسر صاحب اليمن قابوس الحسن بن هاني في شعر له فقال: وقاظ قابوس في سلاسلنا ... سنين سبعا وفت لحاسبها

ثم ملك من بعد كيقاوس ابن ابنه كيخسرو بن سیاوخش بن كيقاوس ابن كيبية بن كيقباز. وكان كيقاوس حين صار به وبامه وسفافرید ابنه فراسياب- وربما قيل وسففره- بي بن جودرز إليه من بلاد الترك ملكه، فلما قام بالملك بعد جده كيقاوس، وعقد التاج على رأسه خطب رعيته خطبة بليغة، أعلمهم فيها أنه على الطلب بدم أبيه سیاوخش قبل فراسياب التركي، ثم كتب إلى جودرز الأصهبذ- كان- بأصبهان ونواحي خراسان- يأمره بالمصير إليه، فلما صار إليه أعلمه ما عزم عليه من الطلب بئاره من قتل والده، وأمره بعرض جنده، وانتخاب ثلاثين الف جل منهم، وضمهم إلى طوس بن نودران، ليتوجه بهم إلى بلاد الترك، ففعل ذلك جودرز، وضمهم إلى طوس، وكان فيمن أشخاص معه برزافره بن كيقاوس، عم كيخسرو وبي بن جودرز، وجماعه كثيرة من اخوته، وتقدم كيخسرو إلى طوس، ان يكون قصده لفراسياب وطراخته، وألا يمر بناحية من بلاد الترك، وكان فيها أخ له يقال له فروز بن سیاوخش، من امرأة يقال لها برزا فريد، كان سیاوخش تزوجها في بعض مدائن الترك أيام سار إلى فراسياب، ثم شخص عنها وهي حبلى، فولدت فروز فأقام بموضعه، إلى أن شب فغلط طوس في أمر فروز- فيما قيل- وذلك أنه لما صار بحذاء المدينة التي كان فيها فروز هاج بينه وبينه حرب ببعض الأسباب، فهلك فروز فيها، فلما اتصل خبره بكيخسرو كتب إلى برزافره عمه كتابا غليظا، يعلمه فيه ما ورد عليه من خبر طوس ابن نودران ومحاربه فروز أخاه، وأمره بتوجيه طوس إليه مقيدا مغلولاً، وتقدم إليه في القيام بأمر العسكر والنفوذ به لوجهه، فلما وصل الكتاب إلى برزافره، جمع رؤساء الأجناد والمقاتلة فقرأ عليهم، وأمر بغل طوس وتقييده، ووجهه مع ثقات من رسله إلى كيخسرو، وتولى امر العسكر، وعبر النهر المعروف بكاسبرود، وانتهى الخبر إلى فراسياب، فوجه إلى برزافره جماعة من إخوته وطراخته محاربه، فالتقوا بموضع من بلاد الترك يقال له واشن، وفيهم فيران بن ويسغان واخوته طراسيف بن جودرز صهر فراسياب، وهما سف ابن فشنجان، وقتلوا قتالا شديدا، وظهر من برزافره في ذلك اليوم فشل لما رأى من شدة الأمر وكثرة القتلى، حتى انحاز بالعلم إلى رءوس الجبال واضطرب على ولد جودرز أمرهم، فقتل منهم في تلك الملمحة في وقعة واحدة سبعون رجلا، وقتل من الفريقين بشر كثير، وانصرف برزافره ومن كان معه إلى كيخسرو، وبهم من الغم والمصيبة ما تمنوا معه الموت، فكان خوفهم من سطوة كيخسرو أشد، فلما دخلوا على كيخسرو أقبل على برزافره بلائمة شديدة، وقال: أتيتم في وجهكم لترككم وصيتي ومخالفة وصية الملوك، توردد مورد السوء، وتورث الندامة، وبلغ ما أصيبوا به من كيخسرو حتى رثيت الكتابة في وجهه، ولم يلتذ طعاما ولا نوما فلما مضت لموافاتهم أيام أرسل إلى جودرز فلما دخل عليه أظهر التوجع له، فشكا إليه جودرز برزافره، وأعلمه أنه كان

السبب للهزيمة بالعلم وخذلانه ولده، فقال له كيخسرو: إن حقت بخدمتك لأبائنا لازم لنا، وهذه جنودنا وخزائننا مبدولة لك في مطالبة ترتك، وأمره بالتهيؤ والاستعداد والتوجه إلى فراسياب، والعمل في قتله وتخريب بلاده، فلما سمع جودرز مقالة كيخسرو نهض مبادرا فقبل يده، وقال: أيها الملك المظفر، نحن رعيته وعبيدك، فإن كانت آفة أو نازلة، فلتكن بالعبيد دون ملوكها، وأولادي المقتولون فداؤك، ونحن من وراء الانتقام من فراسياب والاشتفاء من مملكة الترك، فلا يغمن الملك ما كان، ولا يدعن لهوه، فإن الحرب دول، وأعلمه أنه على النفوذ لأمره وخرج من عنده مسرورا.

فلما كان من الغد أمر كيخسرو أن يدخل عليه رؤساء أجناده والوجوه من أهل مملكته، فلما دخلوا عليه أعلمهم ما عزم عليه من محاربة الأتراك، وكتب إلى عماله في الآفاق يعلمهم ذلك، ويأمر بموافاتهم في صحراء تعرف بشاه أسطون، من كورة بلخ، في وقت وقته لهم فتواف رؤساء الأجناد في ذلك الموضع، وشخص إليه كيخسرو بإصهبذته وأصحابهم، وفيهم برزافره عمه وأهل بيته، وجودرز وبقية ولده فلما تكاملت الملمحة، واجتمعت المرازبة، تولى كيخسرو بنفسه عرض الجند حتى عرف مبلغهم، وفهم أحوالهم، ثم دعا بجودرز بن جشوداغان، وميلاذ بن جرجين وأغص بن بهذان- وأغص ابن وصيفة كانت لسياوخش، يقال لها: شوماهان- فأعلمهم أنه قد أراد إدخال العساكر على الترك من أربعة أوجه، حتى يحيطوا بهم برا وبحرا، وأنه قد قود على تلك العساكر، وجعل أعظمها إلى جودرز، وصير مدخله من ناحية خراسان، وجعل فيمن ضم إليه برزافره عمه وبي بن جودرز وجماعة من الأصهبذيين كثيرة، ودفع إليه يومئذ العلم الأكبر الذي كانوا يسمونه درفش كلبان، وزعموا أن ذلك العلم لم يكن دفعه أحد من الملوك إلى أحد من القواد قبل ذلك، وإنما كانوا يسيرونه مع أولاد الملوك إذا وجهوهم في

الأمر العظام وأمر ميلاد بالدخول مما يلي الصين، وضم إليه جماعة كثيرة دون من ضم إلى جودرز، وأمر أغص بالدخول من ناحية الخزر في مثل من ضم إلى ميلاد، وضم إلى شومان إختوها وبني عمها وتماثل ثلاثين ألف رجل من الجند، وأمرها بالدخول من طريق بين طريق جودرز وميلاد.

ويقال: إن كيخسرو إنما غزا شومان لخاصتها بسياوخش، وكانت نذرت أن تطالب بدمه فضى جميع هؤلاء لوجههم، ودخل جودرز بلاد الترك من ناحية خراسان، وبدأ بفيران بن ويسغان، فالتحمت بينهما حرب شديدة مذكورة، وهي الحرب التي قتل فيها بيزن بن بي نمان بن ويسغان مبارزة، وقتل جودرز فيران أيضا، ثم قصد جودرز فراسياب، وألحت عليه العساكر الثلاثة، كل عسكر من الوجه الذي دخل منه، واتبع القوم بعد ذلك كيخسرو بنفسه، وجعل قصده للوجه الذي كان فيه جودرز، وصير مدخله منه، فوافى عسكر جودرز، وقد أثنى في الترك، وقتل فيران رئيس أصبهندي فراسياب، والمرشح للملك من بعده، وجماعة كثيرة من أخوته، مثل نمان، واوستهن، وجلباد، وسيامق، وبهرام، وفرشخاد، وفرخلاد.

ومن ولده، مثل روين بن فيران، وكان مقدما عند فراسياب، وجماعه من اخوه فراسياب، مثل: رتدرای، وأندرمان، وأسفخرم، وأخست.

وأسر يروا بن فشجان قاتل سياوخش، ووجد جودرز قد أحصى القتلى والأسرى، وما غنم من الكراع والأموال، فوجد مبلغ ما في يده من الأسرى ثلاثين ألفا، ومن القتلى خمسمائة ألف ونييفا وستين ألف رجل، ومن الكراع والورق والأموال ما لا يحصى كثرة، وأمر كل واحد من الوجوه الذين كانوا معه أن يجعل أسيره أو قتيله من الأتراك عند علمه لينظر كيخسرو إلى ذلك عند موافاته. فلما وافى كيخسرو العسكر وموضع الملحمة اصطفت له الرجال، وتلقاه جودرز وسائر الإصبيديين، فلما دخل العسكر جعل يمر بعلم علم، فكان أول قتيل رآه جثة فيران عند علم جودرز، فلما نظر إليها وقف ثم قال:

أيها الجبل الصعب الذرا المنيع الأركان! ألم أنك عن هذه المحاربة، وعن نصب نفسك لنا دون فراسياب في هذه المطالبة! ألم أبذل لك نفسي، وأعرض عليك ملكي فلم تحسن الاختيار! ألت الصدوق اللسان، الحافظ للإخوان، الكاتم للأسرار! ألم اعلمك مكر فراسياب وقلة وفائه فلم تفعل ما أمرتك بل مضيت في نومك حتى احتوشتك الليوث من مقاتلتنا وأبناء مملكتنا! ما اغنى عنك فراسياب، وقد فارقت الدنيا وأقنيت آل ويسغان! فويل لهلك وفهمك! وويل لسخائك وصدقك! إنا بك اليوم لموجعون! ولم يزل كيخسرو يرثي فيران حتى صار إلى علم بي بن جودرز، فلما وقف عليه وجد يروا بن فشجان حيا أسيرا في يدي بي، فسأل عنه فأخبر أنه يروا قاتل سياوخش المائل به عند قتله إياه فغضب منه كيخسرو، ثم طأ رأسه بالسجود شكرا لربه، ثم قال: الحمد لله الذي أمكنني منك يا يروا! أنت الذي قتلت سياوخش، ومثلت به! وأنت الذي سلبته زينته وتكلفت من بين الأتراك إبارته، فغرت لنا بفعلك هذه الشجرة من العداوة، وهيجت بيننا هذه المحاربة، وأشعلت في كلا الفريقين نارا موقدة! أنت الذي جرى على يدك تبديل صورته، وتوهين قوته! أما تهيبت أيها التركي جماله! ألا أبقيت عليه للنور الساطع على وجهه! أين نجدتك وقوتك اليوم! وأين أخوك الساحر عن نصرتك! لست أقتلك لقتلك إياه، بل لكلفتك وتوليك ما كان صلاحا لك ألا تتولاه، وسأقتل من قتله ببيغيه وجرمه.

ثم أمر أن تقطع أعضاؤه حيا ثم يذبح ففعل ذلك به بي، ولم يزل كيخسرو يمر بعلم علم، وأصبهذ أصبهذ، فإذا صار إلى الواحد منهم قال له نحو ما ذكرنا، ثم صار إلى مضاربه، فلما استقر فيها دعا ببرزافره عمه، فلما دخل عليه أجلسه عن يمينه، وأظهر له السرور بقتله جلباد بن ويسغان مبارزة، ثم أجزل جائزته وملكه على كرمان ومكران ونواحيها، ثم دعا بجودرز، فلما

دخل عليه قال له: أيها الأصبهذ الرشيد، والكهل الشفيق، إنه مهما كان من هذا الفتح العظيم فن ربنا عز وجل، وعن غير حيلة منا ولا قوة، ثم برعايتك حقنا، وبذلك نفسك وأولادك لنا، وذلك مذخور لك عندنا، وقد حبوناك بالمرتبة التي يقال لها بزرجمردار، وهي الوزارة، وجعلنا لك أصبهان وجرجان وجبالهما، فأحسن رعاية أهلها فشكر جودرز ذلك، وخرج من عنده بهجا مسرورا، ثم أمر بالوجوه من أصبهذته الذين كانوا مع جودرز من حسن بلاؤه، وتولى قتل طراخنة الأتراك، ولد فشجان ويسغان، مثل جرجين بن ميلادان، وبني، وشادوس ونحام، وجد مير بن جودرز، وبيزن بن بي، وبراز بن بيفغان، وفروذه بن فامدان وزنده بن شابرغان، وبسطام بن كردهمان، وفرت بن تفارغان فدخلوا عليه رجلا رجلا، ففهم من ملكه على البلدان الشريفة، ومنهم من خصه بأعمال من

أعمال حضرته، ثم لم يلبث أن وردت عليه الكتب من ميلاد وأغص وشومهان بإيثارهم في بلاد الترك، وأنهم قد هزموا فراسياب عسكرا بعد عسكر، فكتب إليهم أن يجدوا في محاربة القوم، وأن يوافوه بموضع سماه لهم من بلاد الترك. فزعوا أن العساكر الأربعة لما أحاطت بفراسياب، وأتاه من قتل من قتل، وأسر من أسر، وخراب ما خرب ما أتاه، ضاقت عليه المذاهب، ولم يبق معه من ولده إلا شيدته- وكان ساحرا- فوجهه نحو كيخسرو بالعدة والعناد، فلما وافى كيخسرو أعلم أن أباه إنما وجهه للاحتيال عليه، فجمع أصهبذته وتقدم إليهم في الاحتراس من غيلته.

وقيل: ان كيخسرو واشفق يومئذ من شيدته وهابه، وظن ألا طاقة له به، وأن القتال اتصل بينهما أربعة أيام، وإن رجلا من خاصة كيخسرو يقال له جرد بن جرهان عبي يومئذ أصحاب كيخسرو، فأحسن تعبيتهم، فكثرت القتلى بينهم واستماتت رجال خنيارث وجدت، وايقن شيدته الا طاقة له بهم فانهزم، واتبعه كيخسرو بمن معه، ولحقه جرد فضربه على هامته بالعمود ضربة خر منها ميتا، ووقف كيخسرو على جيفته، فعين منها سماجة شنة، وغنم كيخسرو ما كان من عسكرهم، وبلغ الخبر فراسياب، فأقبل بجميع

طراخته، فلما التقى وكيخسرو، ونشبت بينهما حرب شديدة لا يقال إن مثلها كان على وجه الأرض قبلها، فاختلط رجال خنيارث برجال الترك، وامتد الأمر بينهم حتى لم تقع العين يومئذ إلا على الدماء، والاسر من جوذرز ولده وجرجين وجرود وبسطام، ونظر فراسياب وهم يحمون كيخسرو كأنهم اسود ضاربه، فانهزم موليا على وجهه هاربا، فأحصيت القتلى فيما ذكر يومئذ، فبلغت عدتهم مائة ألف، وجد كيخسرو واصحابه في طلب فراسياب، وقد تجرد للهرب فلم يزل يهرب من بلد إلى بلد حتى أتى أذربيجان، فاستتر في غدير هناك يعرف ببئر خاسف، ثم ظفر به، فلما أتى كيخسرو استوثق منه بالحديد، ثم أقام للاستراحة بموضعه ثلاثة أيام، ثم دعاه، فسأله عن عذره في أمر سياوخش، فلم يكن له عذر ولا حجة، فأمر بقتله، فقام إليه بي بن جوذرز، فذبحه كما ذبح سياوخش، ثم أتى كيخسرو بدمه، فغمس فيه يده، وقال هذا برة سياوخش، وظلمكم اياه واعتدائكم عليه ثم انصرف من أذربيجان ظافرا غائما بهجا.

وذكر أن عدة من أولاد كيبييه جد كيخسرو الأكبر وأولادهم كانوا مع كيخسرو في حرب الترك، وأن ممن كان معه كي أرش بن كيبييه، وكان مملكا على خوزستان وما يليها من بابل وكي به أرش، وكان مملكا على كرمان ونواحيها، وكي أوجي بن كيمنوش بن كيافاشين بن كيبييه، وكان مملكا على فارس، وكي أوجي هذا هو ابو كي لهراسف الملك، ويقال ان أخا لفراسياب كان يقال له: كي شراسف، صار إلى بلاد الترك بعد قتل كيخسرو أخاه، فاستولى على ملكها، وكان له ابن يقال له خرزاسف، فملك البلاد بعد أبيه، وكان جبارا عاتيا، وهو ابن أخي فراسياب ملك الترك الذي كان حارب منوشهر، وجوذرز هو ابن جشواغان بن يسحره بن قرحين بن حبر بن رسود بن أورب بن تاج بن رشيك بن أرس بن وندح بن رعر بن نودراحاه بن مسواغ بن نوذر بن منوشهر.

فلما فرغ كيخسرو من المطالبة بوتره، واستقر في مملكته زهد في الملك، وتنسك، وأعلم الوجوه من أهله وأهل مملكته أنه على التخلي من الأمر، فاشتد

لذلك جزعهم، وعظمت له وحشتهم، واستغاثوا إليه، وطلبوا وتضرعوا، وراودوه على المقام بتدبير ملكهم، فلم يجدوا عنده في ذلك شيئا، فلما يئسوا قالوا بأجمعهم: فإذا قت على ما أنت عليه فسم للملك رجلا نقلده إياه، وكان لهراسف حاضرا، فأشار بيده إليه، وأعلمهم أنه خاصته ووصيه، فأقبل الناس إلى لهراسف، وذلك بعد قبوله الوصية وفقد كيخسرو، فبعض يقول: إنه غاب للنسك فلا يدري أين مات، ولا كيف كانت ميتته، وبعض يقول غير ذلك.

وتقلد لهراسف الملك بعده على الرسم الذي رسم له، وولد كيخسرو:

جاماس، وأسبهر، ورمي، ورمين.
وكان ملك كيخسرو ستين سنة

١٠١٨ امر إسرائيل بعد سليمان بن داود ع

١٠١٩ ذكر خبر اسا بن أيا وزرح الهندي

امر إسرائيل بعد سليمان بن داود ع

رجع الحديث الى الخبر عن امر بني إسرائيل بعد سليمان بن داود ع.

ثم ملك بعد سليمان بن داود على جميع بني إسرائيل ابنه رحبعم بن سليمان، وكان ملكه - فيما قيل - سبع عشرة سنة ثم افترقت ممالك بني إسرائيل فيما ذكر بعد رحبعم، فكان أيا بن رحبعم ملك سبط يهوذا وبنيامين، دون سائر الأسباط، وذلك أن سائر الأسباط ملكوا عليهم يوربعم بن نابط، عبد سليمان، لسبب القربان الذي كانت زوجة سليمان قربته في داره، وكانت قربت فيها جرادة لصنم، فتوعده الله بإزالة بعض الملك عن ولده، فكان ملك رحبعم إلى أن توفي - فيما ذكر - ثلاث سنين.

ثم ملك أسا بن أيا أمر السبطين اللذين كان أبوه يملك أمرهما - وهما سبط يهوذا وسبط بنيامين - إلى أن توفي، إحدى وأربعين سنة . ذكر خبر أسا بن أيا وزرح الهندي

حدثني محمد بن سهل بن عسكر، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: حدثني عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهب بن منبه يقول: إن ملكا من ملوك بني إسرائيل يقال له أسا بن أيا، كان رجلا صالحا، وكان أعرج، وكان ملك من ملوك الهند يقال له زرح، وكان ملكا جبارا فاسقا يدعو الناس

إلى عبادته، وكان أيا عابد أصنام، له صنمان يعبدهما من دون الله، ويدعو الناس إلى عبادتهما، حتى أضل عامة بني إسرائيل، وكان يعبد الأصنام حتى توفي ثم ملك ابنه أسا من بعده، فلما ملكهم بعث فيهم مناديا ينادي:

ألا إن الكفر قد مات وأهله، وعاش الإيمان وأهله، وانتكست الأصنام وعبادتها، وظهرت طاعة الله وأعمالها، فليس كافر من بني إسرائيل يطلع رأسه بعد اليوم بكفر في ولايتي ودهري، إلا أني قاتله فإن الطوفان لم يغرق الدنيا وأهلها، ولم يخسف بالقرى، ولم تمطر الحجارة والنار من السماء إلا بترك طاعة الله، وإظهار معصيته، فمن أجل ذلك ينبغي لنا ألا نقر لله معصية يعمل بها، ولا نترك طاعة لله إلا أظهرناها جهدنا، حتى نظهر الأرض من نجسها، وتنقيها من دنسها، ونجاهد من خالفنا في ذلك بالحرب والنفي من بلادنا.

فلما سمع ذلك قومه ضجوا وكرهوا، فأتوا أم أسا الملك فشكوا إليها فعل ابنها بهم وبآلهم، ودعاء إياهم إلى مفارقة دينهم، والدخول في عبادة ربهم، فتحملت لهم أمه أن تكلمه وتصرفه إلى عبادة أصنام والده، فبينما الملك قاعد وعنده أشراف قومه ورءوسهم وذوو طاعتهم، إذ أقبلت أم الملك فقام لها الملك من مجلسه، وأمرها أن تجلس فيه، معرفة بحقتها، وتوقيرا لها فأبت عليه وقالت:

لست ابني إن لم تجبني إلى ما أدعوك إليه، وتضع طاعتك في يدي حتى تفعل ما أمرك به، وتجبني إلى أمر، إن أعطيتني فيه رشدت وأخذت بحظك، وإن عصيتني فحظك بخست، ونفسك ظلمت إنه بلغني يا بني أنك بدأت قومك بالعظيم، دعوتهم إلى مخالفة دينهم، والكفر بآلهم، والتحول عما كان عليه آبائهم، وأحدثت فيهم سنة، وأظهرت فيهم بدعة، أردت بذلك - فيما زعمت - تعظيما لوقارك، ومعرفة بمكانك، وتشديدا لسلطانك، وفي التقصير يا بني دخلت، وبالشين أخذت ودعوت جميع الناس إلى حربك، وانتدبت لقتالهم وحدك، أردت بذلك أن تعيد الأحرار لك عبيدا، والضعيف

لك شديدا، سفهت بذلك رأي العلماء، وخالفت الحكماء، واتبعت رأي السفهاء ولعمري ما حملك على ذلك يا بني إلا كثرة طيشك، وحادثة سنك، وقلة علمك، فإن أنت رددت علي كلامي، ولم تعرف حقي، فلست من نسل والدك، ولا ينبغي الملك لمثلك يا بني بأي شيء تدل على قومك؟

لعلك أوتيت من الحروف مثل ما أتى موسى إلى فرعون، أن غرقه وأنجى قومه من الظلمة أو لعلك أوتيت من القوة ما أوتي داود، أن قتل الأسد لقومه، ولحق الذئب فشق شدة، وقتل جالوت الجبار وحده أو لعلك أوتيت من الملك والحكمة أفضل مما أوتي سليمان بن داود رأس الحكماء، إذ صارت حكمته مثالا للباقيين بعده! يا بني إنه ما يأتك من حسنة فأنا أحظى الناس بها، وإن تكن الأخرى فأنا أشقاهم بشقوتك.

فلما سمعها الملك اشتد غضبه، وضاق صدره، فقال لها: يا أمه! إنه لا ينبغي أن آكل على مائدة واحدة مع جيبتي وعدوي، كذلك لا ينبغي أن أعبد غير ربي هلمي إلى أمر إن أعطيتني فيه رشدت، وإن تركته غويت، أن تعبدني الله وتكفري بكل آلهة دونه، فإنه ليس أحد يرد هذا علي إلا هو الله عدو، وأنا ناصره لأنني عبده.

قالت له: ما كنت لأفارق أصنامي، ولا دين آبائي وقومي ولا أترك ذلك لقولك، ولا أعبد الرب الذي تدعوني إليه. فقال لها الملك: حينئذ يا أمه، إن قولك هذا قد قطع فيما بيني وبينك رحمي.

وأمر بها الملك عند ذلك فأخرجوها وغربوها، ثم أوصى إلى صاحب شرطته وبابه أن يقتلها إن هي أملت بمكانه. فلما سمع ذلك منه الأسباط الذين كانوا حوله وقعت في قلوبهم المهابة،

فأذعنوا له بالطاعة، وانقطعت فيما بينهم وبينه كل حيلة، وقالوا: قد فعل هذا بأمه، فأين نقع نحن منه إذا خالفنا في أمره، ولم نجبه إلى دينه! فاحتالوا له كل حيلة، فحفظه الله وأباد مكرهم فلما لم يكن لهم عن ذلك صبر، ولا على فراق دينهم قوام، ائتمروا بأن يهربوا من بلاده، ويسكنوا بلادا غيرها، فخرجوا متوجهين إلى زرح ملك الهند يطلبون أن يستحملوه على أسا ومن اتبعه، فلما دخلوا على زرح سجدوا له، فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن عبيدك، قال: وأي عبيدي أنتم؟ قالوا: نحن من أرضك أرض الشام، وأنا كنا نعتز بملك، حتى ظهر فينا ملك صبي حديث السن سفيه، فغير ديننا، وسفه رأينا، وكفر آباءنا، وهان عليه سخطنا، فأيتيناك لنعلمك ذلك، فتكون أنت أولى بملكنا، ونحن رءوسهم، وهي أرض كثير مالها، ضعيف أهلها، طيبة معيشتها، كثيرة أنصارها، وفيهم الكنوز وملك ثلاثين ملكا، وهم الذين كان يوشع بن نون خليفة موسى سار بهم في البحر هو وقومه، فنحن وأرضنا لك، وبلادنا بلادك، وليس أحد فيها يناصرك، هم دافعون أيديهم إليك بغير قتال، بأموالهم وانفسهم مسالمه.

قال: لهم زرح: لعمرى، ما كنت لأجيبكم إلى ما دعوتوني إليه، ولا أستجيب إلى مقاتلة قوم لعلهم أطوع لي منكم، حتى أبعث إليهم من قومي أمنا، فإن وقع الأمر على ما تكلمتم به قدامي نفعمكم ذلك عندي، وجعلتكم عليها ملوكا، وإن كان كلامكم كذبا فإني منزل بكم العقوبة التي تنبغي لمن كذبني.

قال القوم: تكلمت بالعدل، وحكمت بالقسط، ونحن به راضون.

فأمر عند ذلك بالأرزاق فأجريت عليهم، واختار من قومه أمنا ليعيهم جواسيس، فأوصاهم بوصيته، وخوفهم وحذرهم بطشه إن هم كذبوه،

ووعدهم المعروف أن هم صدقوه وقال زرح: إني مرسلكم لأمانتكم، وشحكم على دينكم، وحسن رأيكم في قومكم، لتطالعوا لي أرضا من أرضي، وتبحثوا لي عن شأنها، وتعلموني علم أهلها وملكها وجنودها وعددها وعدد مياهاها، وفجاجها وطرقها، ومداخلها ومخارجها، وسهولتها وصعوبتها، حتى كأني شاهد ذلك وعالمه، وحاضر ذلك وخابره وخذوا معكم من الخزائن من الياقوت والمرجان والكسوة ما يفرغون إليه إذا رأوه، ويشترون منكم إذا نظروا إليه.

فأمكنهم من خزائنه حتى أخذوا منها، فجهزهم لبرهم وبحرهم، ووصف لهم القوم الذين أتوهم الطرق، ودلوهم على مقاصدها، فساروا كالتجار، حتى نزلوا ساحل البحر، ثم ركبوا منه حتى ارسوا على ساحل إيلياء، ثم ساروا حتى دخلوها، فخلفوا أثقالهم فيها، وأظهروا أمتعتهم وبضاعتهم، ودعوا الناس إلى أن يشتروا منهم، فلم يفرغوا لبضاعتهم، وكسدت تجارتهم، فجعلوا يعطون بالشيء القليل الشيء الكثير، لكيلا يخرجوهم من قريتهم، حتى يعلموا أخبارهم، ويحرقوا شأنهم ويستخرجوا ما أمرهم به ملكهم من أخبارهم.

وكان أسا الملك قد تقدم إلى نساء بني إسرائيل ألا يقدر على امرأة لا زوج لها بهيئة امرأة لها زوج إلا قتلها أو نفاها من بلاده إلى جزائر البحار، فإن إبليس لم يدخل على أهل الدين في دينهم بمكيدة هي أشد من النساء، فكانت المرأة التي لا زوج لها لا تخرج إلا منتقبة في رثة الثياب لئلا تعرف، فلما بذل هؤلاء الأمنا بضاعتهم ما ثمنه مائة درهم بدرهم، جعل نساء بني إسرائيل يشتري خفية بالليل سرا، لا يعلم بهن أحد من أهل دينهن، حتى أنفقوا بضاعتهم واشتروا بها حاجتهم، واستوعبوا خبر مدينتهم وحصونهم، وعدد مياهم، وكانوا قد كتموا رءوس بضاعتهم ومحاسنها من اللؤلؤ والمرجان والياقوت هدية للملك، وجعل الأمنا يسألون من رأوا من أهل القرية عن خبر الملك

وشأنه إذ لم يشتري منهم شيئا، وقالوا: ما شأن الملك لا يشتري منا شيئا! ان كان غنيا فان عندنا من طرائف البضاعات فنعطيه ما شاء مما لم يدخل مثله في خزائنه، وإن كان محتاجا فما يمنعه أن يشهدنا فنعطيه ما شاء بغير ثمن! قال لهم من حضرهم من أهل القرية: ان

له من الغنى والخزائن وفنون المتاع ما لم يقدر على مثله، إنه استفرغ الخزائن التي كان موسى سار بها من مصر، والحلي الذي كان بنو إسرائيل أخذوا، وما جمع يوشع بن نون خليفة موسى، وما جمع سليمان رأس الحكماء والملوك، من الغنى الكثير والآنية التي لا يقدر على مثلها قَالَ الأَمْناء: فما قتاله؟ وبأي شيء عظمت؟ وما جنوده؟ أرايتم لو أن ملكا انحرف عليه ففتق ملكه ما كان إذا قتاله إياه؟ وما عدته وعدد جنوده؟ أم بأي الخيل والفرسان غلبته؟ أم من أجل كثرة جمعه وخزائنه وقعت في قلوب الرجال هيئته! فأجابهم القوم وقالوا: إن أسا الملك قليلة عدته، ضعيفة قوته، غير أن له صديقا لو دعاه واستعان به على أن يزيل الجبال أزالها، فإذا كان معه صديقه فليس شيء من الخلق يطيقه.

قَالَ لهم الأَمْناء: ومن صديق أسا؟ وكَم عدد جنوده؟ وكيف مواجهته وقاتله؟ وكَم عدد عساكره ومراكبه؟ وأين قراره ومسكنه؟ فأجابهم القوم: أما مسكنه ففوق السموات العلا، مستو على عرشه، لا يحصى عدد جنوده، وكل شيء من الخلق له عبد، لو أمر البحر لطم على البر، ولو أمر الأنهار لغارت في عنصرها، لا يرى ولا يعرف قراره، وهو صديق أسا وناصره فجعل الأَمْناء يكتبون كل شيء أخبروا به من أمر أسا وقضية أمره، فدخل بعض هؤلاء الأَمْناء عليه فقالوا: يا أيها الملك، إن معنا هدية نريد أن نهدبها لك من طرائف بلادنا، أو تشتري منا فرخصه عليك. قَالَ لهم: اثبوني بذلك حتى أنظر إليه، فلما أتوه به قَالَ لهم: هل يبقى هذا لأهله ويبقون له؟ قالوا: بل يفنى هذا ويفنى أهله قَالَ لهم أسا:

لا حاجة لي فيه، إنما طلبتي ما تبقى بهجته لأهله، لا تزول ولا يزولون عنه. فخرجوا من عنده، ورد عليهم هديتهم، فساروا من بيت المقدس متوجهين إلى زرح الهندي ملكهم فلما أتوه نشروا له كتاب خبرهم وأنبأوه بما انتهى إليهم من أمر ملكهم، وأخبروه بصديق أسا فلما سمع زرح كلامهم استحلفهم بعزته، وبالشمس والقمر اللذين يعبدونهما ولهما يصلون ألا يكتموه من خبر ما رأوا في بني إسرائيل شيئا فصدقه.

فلما فرغوا من خبرهم وخبر أسا ملكهم وصديقه، قال لهم زرح: إن بني إسرائيل لما علموا أنكم جواسيس، وأنكم قد اطلعتم على عوراتهم ذكروا لكم صديق أسا وهم كاذبون، أرادوا بذلك ترهيبكم إن صديق أسا لا يطيق أن يأتي بأكثر من جندي، ولا بأكل من عدي، ولا بأقسي قلوبا ولا أجرا على القتال من قومي، إن لقيني بألف لقيته بأكثر من ذلك.

ثم عمد زرح عند ذلك فكتب إلى كل من في طاعته أن يجهزوا من كل مخلاف جندا بعدتهم حتى استمد يأجوج ومأجوج والترك وفارس مع

من سواهم من الأمم ممن جرت عليه لزرح طاعه، كتب:

من زرح الجبار الهندي ملك الأرضين، إلى من بلغته كتي: أما بعد فإن لي أرضا قد دنا حصادها وأينع ثمرها، وأردت أن تبعثوا إلي بعمال أغنهم ما حصدوا منها، وهم قوم قصوا عني، وغلبوا على أطراف من أرضي وقهروا من تحت أيديهم من رقيقي، وقد منحتم من نهض إليهم معي، فإن قصرت بكم قوة فعندي قوتكم، فإنه لا تنعطل خزائني.

فاجتمعوا إليه من كل ناحية، وأمدوه بالخيول والفرسان والرجالة والعدة، فلما اجتمعوا عنده أمكنهم من السلاح والجهاز من خزائنه، ثم أمر بإحصاء عددهم وتعبيتهم، فبلغ عددهم ألف ألف ومائة ألف سوى أهل بلادهم.

وأمر بمائة مركب، فقرن له البغال، كل أربعة أبغل جميعا عليها سرير وقبة، وفي كل قبة منها جارية، ومع كل مركب عشرة من الخدم، وخمسة أفيال من فيلته، فبلغ في كل عسكر من عساكره مائة ألف، وجعل خاصته الذين يركبون معه مائة من رءوسهم، وجعل في كل عسكر عرفاء، وخطبهم وحرصهم على القتال، فلما نظر إليهم وسار فيهم تعزز وتعظم شأنه في قلوب من حضره، ثم قال زرح: أين صديق أسا؟ هل يستطيع أن يعصمه مني؟ أو من يطيق غلبتي؟ فلو أن أسا وصديقه ينظران إلي وإلى جندي ما اجترأ على قتالي، لأن عندي بكل واحد من جنده ألفا من جنودي، ليدخلن أسا أرضي أسيرا، ولأقدمن بقومه سبيا في جنودي.

فجعل زرح ينتقص أسا ويقول فيه ما لا ينبغي، فبلغ أسا صنيع زرح وجمعه عليه، فدعا ربه فقال: اللهم أنت الذي بقوتك خلقت

السموات والأرض ومن فيهن حتى صار جميع ذلك في قبضتك، أنت ذو الاناه

الرفيقة والغضب الشديد، أسألك ألا تذكرنا بخطايانا فيما بيننا وبينك، ولا تعمدنا ولا تجزينا على معصيتك، ولكن تذكرنا برحمتك التي جعلتها للخلائق، فانظر إلى ضعفنا وقوة عدونا، وانظر إلى قلتنا وكثرة عدونا، وانظر إلى ما نحن فيه من الضيق والغم، وانظر إلى ما فيه عدونا من الفرح والراحة، ففرق زرحا وجنوده في اليم بالقدرة التي غرقت بها فرعون وجنوده، وأنجيت موسى وقومه وأسألك أن تحل على زرح وقومه عذابك بغتة! فأري أسا في المنام- والله أعلم- أنني قد سمعت كلامك، ووصل إلى جوارك، واني على عرشى، واني ان غرقت زرحا الهندي وقومه، لم يعلم بنو إسرائيل ولا من كان بحضرتهم كيف صنعت بهم، ولكن ساطهر في زرح وقومه لك ولمن اتبعك قدرة من قدرتي، حتى اكفيك مؤنتهم، وأهب لك غنيمتهم، وأضع في أيديكم عساكرهم، حتى يعلم أعداؤك أن صديق أسا لا يطاق وليه، ولا يهزم جنده، ولا يخيب مطيعه، فأنا أتمهل له حتى يفرغ من حاجته، ثم أسوقه إليك عبدا، وعساكره لك ولقومك خولا.

فسار زرح ومن معه حتى حلوا على ساحل ترشيش، فلم يكن إلا محلة يوم حتى دفنوا أنهارها، ومحو مروجها، حتى كان الطير ينقصف عليهم، والوحش لا تستطيع الهرب منهم، فساروا حتى كانوا على مرحلتين من إيلياء، ففرق زرح عساكره منها إلى إيلياء، وامتألت منهم تلك الأرض: جبالها وسهولها، وامتألت قلوب أهل الشام منهم رعبا، وعانوا هلكتهم.

فسمع بهم أسا الملك، فبعث إليهم طليعة من قومه، وأمرهم أن يخبروه بعددهم وهيئتهم فسار القوم الذين بعثهم أسا حتى نظروا إليهم من رأس تل، ثم رجعوا إلى اسفاخبروه انه لم ترعيون بني آدم، ولا سمعت آذانهم مثلهم ومثل أفيالهم وخيولهم وفرسانهم، وما ظننا أن في الناس مثلهم كثرة وعدة، فلت من إحصائهم عقولنا، وفلت من قتالهم حيلتنا، وانقطع فيما بيننا وبينهم رجاؤنا

فسمع بذلك أهل القرية فشقوا ثيابهم، وذرروا التراب على رؤوسهم، وعجوا بالعويل في أزقتهم وأسواقهم، وجعل بعضهم يودع بعضا ثم ساروا حتى أتوا الملك فقالوا: نحن خارجون بأجمعنا إلى هؤلاء القوم فدافعون إليهم أيدينا، لعلهم أن يرحمونا فيقرونا في بلادنا قال لهم أسا الملك: معاذ الله أن نلقي بأيدينا في أيدي الكفرة، وأن نخلي بيت الله ونكابه للفجرة! قالوا: فاحتل لنا حيلة، واطلب إلى صديقك وربك الذي كنت تعدنا بنصره، وتدعونا إلى الإيمان به، فإن هو كشف عنا هذا البلاء، وإلا وضعنا أيدينا في أيدي عدونا لعلنا نتخلص بذلك من القتل.

قال لهم أسا: إن ربي لا يطاق إلا بالتضرع والتبتل والاستكانة قالوا: فأبرز له لعله أن يجيبك فيرحم ضعفنا، فإن الصديق لا يسلم صديقه على مثل هذا فدخل اسالمصلى، ووضع تاجه من راسه، وخلي ثيابه، ولبس المسوح واقترب الرماد، ثم مد يده يدعو ربه بقلب خزين، وتضرع كثير، ودموع سجال، وهو يقول: اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم، إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، أنت المستخفي من خلقك حيث شئت، لا يدرك قرارك، ولا يطاق كنه عظمتك، أنت اليقظان الذي لا تنام، والجديد الذي لا تبليك الليالي والأيام، أسألك بالمسألة التي سألك بها إبراهيم خليلك فأطفأت بها عنه النار، وألحقته بها بالأبرار، وبالبداء الذي دعاك به نجيح موسى فأنجيت بني إسرائيل من الظلمة، وأعتقتهم به من العبودية، وسيرتهم في البر والبحر، وغرقت فرعون ومن اتبعه وبالتضرع الذي تضرع لك عبدك داود فرفعته، ووهبت له من بعد الضعف القوة، ونصرته على جالوت الجبار، وهزمت به والمسألة التي سألك بها سليمان نبيك ففنته الحكمة، ووهبت له الرفعة، وملكته على كل دابة أنت محيي الموتى، ومفني الدنيا، وتبقى

وحدك خالدا لا تغنى، وجديدا لا تبلى أسألك يا إلهي أن ترحمني بإجابة دعوتي، فأني أعرج مسكين من أضعف عبادك، وأقلهم حيلة، وقد حل بنا كرب عظيم، وحزب شديد، لا يطيق كشفه غيرك، ولا حول ولا قوة لنا إلا بك، فارحم ضعفنا بما شئت، فإنك ترحم من تشاء بما تشاء.

وجعل علماء بني إسرائيل يدعون الله خارجا وهم يقولون: اللهم أجب اليوم عبدك، فإنه قد اعتصم بك وحدك، ولا تخل بينه وبين عدوك، واذكر حبه إليك، وفراقه أمه وجميع الخلائق إلا من أطاعك.

فألقي الله على أسا النوم وهو في مصلاه ساجدا، ثم أتاه من الله آت- والله أعلم- فقال: يا أسا، إن الحبيب لا يسلم حبيبه، وإن الله عز وجل يقول:

إني قد ألقيت عليك محبتي، ووجب لك نصري، فأنا الذي أكفيك عدوك، فإنه لا يهون من توكل علي، ولا يضعف من تقوى بي كنت تذكرني في الرخاء، وأسلمك عند الشدائد، وكنت تدعوني آمناً، وأنا أسلمك خائفاً، إن الله القوي يقول: أنا أقسم أن لو كايدتك السموات والأرض بمن فيهن لجعلت لك من جميع ذلك مخرجاً، فأنا الذي أبعث طرفاً من زبائني يقتلون أعدائي، فإني معك، ولن يخلص إليك ولا إلى من معك أحد.

نفرج أساً من مصلاه وهو يمدح الله، مسفراً وجهه، فأخبرهم بما قيل له، فأما المؤمنون فصدقوه، وأما المنافقون فكذبوه، وقال بعضهم لبعض:

إن أساً دخل أعرج وخرج أعرج، ولو كان صادقا أن الله قد أجابه إذا لأصلح رجله، ولكن يغرنا ويمينا، حتى تقع الحرب فينا فيهلكا! فبينما الملك يخبرهم عن صنع الله بهم إذ قدم رسل من زرح فدخلوا إيلياء ومعهم كتب من زرح إلى أساً، فيها شتم له ولقومه، وتكذيب بالله،

وكتب فيها: أن ادع صديقك الذي أضللت به قومك فليبارزني بجنوده، وليظهر لي مع ما أني أعلم أنه لن يطيقني هو ولا غيره، لاني أنا زرح الهندي الملك.

فلما قرأ أساً الكتب التي قدم بها عليه هملت عيناه بالبكاء، ثم دخل مصلاه، ونشر تلك الكتب بين يدي الله، ثم قال: اللهم ليس لي شيء من الأشياء أحب إلي من لقائك، غير أنني أتخوف أن يطفأ هذا النور الذي أظهرته في أيامي هذه، وقد حضرت هذه الصحائف وعلمت ما فيها، ولو كنت المراد بها كان ذلك يسيراً، غير أن عبدك زرحا بكايديك ويتناولك، نخر بغير نخر، وتكلم بغير صدق، وأنت حاضر ذلك وشاهده.

فأوحى الله إلى أساً- والله أعلم- أنه لا تبديل لكلماتي، ولا خلف لموعدي، ولا تحويل لأمرتي، فأخرج من مصلاك، ثم مر خيلك أن تجتمع، ثم اخرج بهم وبمن اتبعك حتى تقفوا على نشز من الأرض.

نفرج أساً فأخبرهم بما قيل له، نفرج اثنا عشر رجلاً من رؤسائهم، مع كل رجل منهم رهط من قومه، فلما أن خرجوا، ودعوا أهاليهم بالآل يرجعوا إلى الدنيا فوقفوا لزرح على رايه من الأرض فابصروا منها زرحاً وقومه، فلما ابصرهم زرح نفص رأسه ليسخر منهم، وقال: إنما نهضت من بلادتي، وأنفقت أموالاً لمثل هؤلاء! ودعا عند ذلك بالنفر الذين كانوا نعتوا عنده أساً وقومه، فقال: كذبتوني وزعتم أن قومكم كثير عددهم! فأمر بهم وبالأمناء الذين كان بعثهم ليخبروه خبرهم، فقتلوا جميعاً، وأساً في ذلك كثير تضرعه، معتم بربه، فقال زرح: ما أدري ما أفعل

بهؤلاء القوم؟ وما أدري ما قدر قلتهم في كثرتنا؟ إني لأستقلهم عن المحاربة، وأرى ألا اقاتلهم.

فأرسل زرح إلى أساً فقال له: أين صديقك الذي كنت تعدنا به، وترعم أنه يخلصك مما يحل بكم من سطواتي! أفتضعون أيديكم في يدي فأمضي فيكم حكماً، أو تلتمسون قتالي! فأجابه أساً فقال: يا شقي، إنك لست تعلم ما تقول، ولست تدري! أتريد أن تغالب ربك بضعفك، أم تريد أن تكاثره بقلتك؟ هو أعز شيء وأعظمه، وأغلب شيء وأقهره، وعباده أذل وأضعف عنده من أن ينظروا إليه معانية هو معي في موقعي هذا، ولن يغلب أحد كان الله معه.

فاجتهد يا شقي بجهدك حتى تعلم ماذا يحل بك.

فلما اصطف قوم زرح وأخذوا مراتبهم، أمر زرح الرماة من قومه أن يرموهم بنشابهم فبعث الله ملائكة من كل سماء- والله أعلم- عوناً لأساً وقومه، ومادة له، فوقفهم أساً في مواقعهم، فلما رموا نشابهم، حال المشركون بين ضوء الشمس وبين الأرض، كأنها سحابة طلعت ففتحها الملائكة عن أساً وقومه، ثم رمت بها الملائكة قوم زرح فأصابت كل رجل منهم نشابته التي رمى بها، فقتل رمايتهم بها كلها وأساً وقومه في كل ذلك يمدحون الله كثيراً، ويعجون إليه بالتسبيح، وتراءت الملائكة لهم- والله أعلم- فلما رآهم الشقي زرح وقع الرعب في قلبه، وسقط في يده، وقال: إن أساً لعظيم كيده، ماض سحره، وكذلك بنو إسرائيل، حيث كانوا لا يغلب سحرهم ساحر، ولا يطيق مكرهم عالم، وإنما تعلموه من مصر، وبه ساروا في البحر، ثم نادى الهندي في قومه: أن سلوا سيوفكم، ثم احملوا عليهم حملة

واحدة.
فدقوهم.

فسلوا سيوفهم ثم حملوا على الملائكة فقتلتهم الملائكة، فلم يبق منهم غير زرح ونسائه ورقيقه فلما رأى ذلك زرح ولى مدبرا فارا هو ومن معه، وهو يقول: إن أسا ظهر علانية، وأهلكني صديقه سرا، وإني كنت أنظر إلى أسا ومن معه واقفين لا يقاتلون والحرب واقعة في قومي فلما رأى أسا أن زرحا قد ولى مدبرا قال: اللهم ان زرحا قد ولى مدبرا، وإنك ان لم تحل بيني وبينه استنفر علينا قومه ثانية فأوحى الله إلى أسا: إنك لم تقتل من قتل منهم ولكني قتلته، فقف مكانك، فإني لو خليت بينك وبينهم أهلكوكم جميعا، إنما يتقلب زرح في قبضتي، ولن ينصره أحد مني، وأنا لزرح بالمكان الذي لا يستطيع صدودا عنه ولا تحويلا، وإني قد وهبت لك ولقومك عساكره وما فيها من فضة ومتاع ودابة، فهذا اجرك إذ اعتصمت بي، ولا ألتبس منك أجرا على نصرتك! فسار زرح حتى أتى البحر يريد بذلك الهرب، ومعه مائة ألف، فتهيئوا سفنهم ثم ركبوا فيها، فلما ساروا في البحر بعث الله الرياح من أطراف الأرضين والبحار إلى ذلك البحر واضطربت من كل ناحية أمواجه، وضربت السفن بعضها بعضا حتى تكسرت، فغرق زرح ومن كان معه، واضطربت بهم الأمواج حتى فزع لذلك أهل القرى حولهم، ورجفت الأرض، فبعث أسا من يعلمه علم ذلك، فأوحى الله إليه - والله أعلم - أن اهبط أنت وقومك أهل قراكم، نخذوا ما غنمكم الله بقوة، وكونوا فيه من الشاكرين، فإني قد سوغت كل من أخذ من هذه العساكر شيئا ما أخذه فهبطوا يحمدون الله ويقدسونه، فنقلوا تلك العساكر إلى قراهم ثلاثة أشهر والله أعلم.

ثم ملك بعده يهوشافاز بن أسا إلى أن هلك خمسا وعشرين سنة
ثم ملكت عتليا وتسمى غزليا ابنة عمرم أم أخزيا، وكانت قتلت أولاد ملوك بني إسرائيل، فلم يبق منهم إلا يواش بن أخزيا، فإنه ستر عنها، ثم قتلها يواش وأصحابه، وكان ملكها سبع سنين.
ثم ملك يواش بن أخزيا إلى أن قتله أصحابه، وهو الذي قتل جدته، فكان ملكه أربعين سنة.
ثم ملك أموصيا بن يواش إلى أن قتله أصحابه تسعا وعشرين سنة، ثم ملك عوزيا بن أموصيا - وقد يقال لعوزيا: غوزيا - إلى أن توفي، اثنتين وخمسين سنة.
ثم ملك يوتام بن عوزيا إلى أن توفي، ست عشرة سنة.
ثم ملك أحاز بن يوتام إلى أن توفي، ست عشرة سنة.
ثم ملك حزقيا بن أحاز إلى أن توفي وقيل إنه صاحب شعيا الذي أعلمه شعيا انقضاء عمره، فتضرع إلى ربه فزاده وأمهله، وأمر شعيا بإعلامه ذلك.
وأما محمد بن إسحاق فإنه قال: صاحب شعيا الذي هذه القصة قصته اسمه صديقة

١٠٢٠ ذكر صاحب قصه شعيا من ملوك بني إسرائيل، وسنحاريب

ذكر صاحب قصة شعيا من ملوك بني إسرائيل، وسنحاريب
حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: كَانَ فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى فِي خَبْرِهِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَحْدَاثِهِمْ وَمَا هُمْ فَاعِلُونَ بَعْدَهُ، قَالَ: «وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتْفُسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلَنَ عُلُوفُ كَبِيرًا» - إِلَى - «وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا»، فَكَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَفِيهِمُ الْأَحْدَاثُ وَالذُّنُوبُ، وَكَانَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مُتَجَاوِزًا عَنْهُمْ، مُتَعَطِّفًا عَلَيْهِمْ، مُحْسِنًا إِلَيْهِمْ، وَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ فِي ذُنُوبِهِمْ مَا كَانَ قَدَمَ إِلَيْهِمْ فِي الْخَبَرِ عَنْهُمْ عَلَى لِسَانِ مُوسَى.
فَكَانَ أَوَّلُ مَا أَنْزَلَ بِهِمْ مِنْ تِلْكَ الْوَقَائِعِ، أَنَّ مَلَكًا مِنْهُمْ كَانَ يَدْعَى صَدِيقَةً، وَكَانَ اللَّهُ إِذَا مَلَكَ الْمَلِكُ عَلَيْهِمْ، بَعَثَ نَبِيًّا يَسُدُّهُ وَيُرْشِدُهُ، فَيَكُونُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، يَحْدِثُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِهِمْ لَا يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْكِتَابُ، إِنَّمَا يُؤْمَرُونَ بِاتِّبَاعِ التَّوْرَةِ وَالْأَحْكَامِ الَّتِي فِيهَا، وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَيَدْعَوْنَهُمْ إِلَى مَا تَرَكُوا مِنَ الطَّاعَةِ.

فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه شعيا بن أمصيا، وذلك قبل مبعث عيسى وزكرياء ويحيى وشعيا الذي بشر بعيسى ومحمد، فملك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زمانا، فلما انتقضى ملكه، وعظمت فيهم الأحداث، وشعيا معه، بعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل معه ستمائة ألف راية، فأقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض، في ساقه قرحة، فجاءه النبي شعيا، فقال له: يا ملك بني إسرائيل، إن سنحاريب ملك بابل، قد نزل بك هو وجنوده في ستمائة ألف راية، وقد هابهم الناس وفرقوا منهم.

فكبر ذلك على الملك، فقال: يا نبي الله، هل أتاك وحي من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبسنحاريب وجنوده؟ فقال له النبي ع:

لم يأتي وحي حدث إلي في شأنك.

فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعيا النبي: أن ائت ملك بني إسرائيل فأمره أن يوصي بوصيته، ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته فأتى النبي شعيا ملك بني إسرائيل صديقه، فقال له: إن ربك قد أوحى إلي أن أمرك توصي وصيتك، وتستخلف من شئت على الملك من أهل بيتك، فإنك ميت.

فلما قال ذلك شعيا لصديقه: أقبل على القبلة، فصلي وسبح، ودعا وبكى، وقال وهو يبكي ويتضرع إلى الله بقلب مخلص، وتوكل وصبر، وظن صادق: اللهم رب الأرباب، وإله الآلهة، القدوس المتقدس، يا رحمن يا رحيم، المترحم، الرؤوف الذي لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرني بعلمي وفعلي وحسن قضائي على بني إسرائيل، وذلك كله كان منك، فأنت أعلم به من نفسي وسري وعلايتي لك وإن الرحمن استجاب له وكان عبدا صالحا.

فأوحى الله إلى شعيا، فأمره أن يخبر صديقه الملك أن ربه قد استجاب له وقبل منه ورحمه، وقد رأى بكاءه، وقد أخرج أجله خمس عشرة سنة، وانجاه من عدوه سنحاريب ملك بابل وجنوده فلما قال له ذلك، ذهب عنه الوجد، وانقطع عنه الشر والحزن، وخر ساجدا، وقال: يا إلهي وإله آبائي، لك سجدة وسبحت، وكرمت وعظمت أنت الذي تعطي الملك من تشاء، وتنزع من تشاء، وتُعزِّ مَنْ تَشَاءُ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ، عالم الغيب والشهادة، أنت الأول والآخر، والظاهر والباطن، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين، أنت الذي أجبت دعوتي، ورحمت تضرعي.

فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعيا: أن قل للملك صديقه، فأمر عبدا من عبيده، فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ويصبح وقد برئ ففعل ذلك فشفي وقال الملك لشعيا النبي: سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا فقال الله لشعيا النبي: قل له إني قد كفيتك عدوك، وأنجيتك منهم، وإنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب وخمسة من كتّابه

فلما أصبحوا جاءه صارخ فصرخ على باب المدينة: يا ملك بني إسرائيل، إن الله قد كفأك عدوك فأخرج، فإن سنحاريب ومن معه قد هلكوا فلما خرج الملك التمس سنحاريب فلم يوجد في الموتى، فبعث الملك في طلبه، فأدركه الطلب في مغارة وخمسة من كتّابه أحدهم بختنصر، فجعلوهم في الجوامع، ثم أتوا بهم ملك بني إسرائيل، فلما رآهم خر ساجدا من حين طلعت الشمس حتى كانت العصر، ثم قال لسنحاريب: كيف ترى فعل ربنا بكم؟ ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون! فقال سنحاريب له:

قد أتاني خبر ربكم ونصره إياكم، ورحمته التي رحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي، فلم أطع مرشدا ولم يلقيني في الشقوة إلا قلة عقلي، ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم، ولكن الشقوة غلبت علي وعلى من معي فقال ملك بني إسرائيل: الحمد لله رب العزة الذي كفاناكم بما شاء، إن ربنا لم يبقك ومن معك لكرامة لك عليه، ولكنه إنما أبقاك ومن معك إلى ما هو شر لك ولمن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا، وعذابا في الآخرة، ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا، ولتندروا من بعدكم، ولولا ذلك ما أبقاكم ولدكم ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتله!

ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أمير حرسه فقذف في رقابهم الجوامع، وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس، وكان يرزقهم كل يوم خبزتين من شعير، لكل رجل منهم، فقال سنحاريب للملك بني إسرائيل: القتل خير مما تفعل بنا، فافعل ما أمرت فأمر بهم الملك إلى

سجن القتل، فأوحى الله إلى شعيا النبي: أن قل للملك بني إسرائيل يرسل سنحاريب ومن معه ليندروا من وراءهم، وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ النبي شعيا الملك ذلك، ففعل، ففرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل، فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته: يا ملك

بابل، قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحى الله إلى نبيهم، فلم تطعنا، وهي أمة لا يستطيعها أحد من ربهم، فكان أمر سنحاريب مما خوفوا به، ثم كفاهم الله إياه تذكرا وعبرة، ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات.

وقد زعم بعض أهل الكتاب أن هذا الملك من بني إسرائيل الذي سار إليه سنحاريب كان أعرج، وكان عرجه من عرق النساء، وأن سنحاريب إنما طمع في مملكته لزمانته وضعفه، وأنه قد كان سار إليه قبل سنحاريب ملك من ملوك بابل، يقال له ليفر، وكان بختنصر ابن عمه كاتبه، وأن الله أرسل عليه ريحا أهلكت جيشه، وأفلت هو وكاتبه، وأن هذا البابي قتله ابن له، وأن بختنصر غضب لصاحبه، فقتل ابنه الذي قتل أباه، وأن سنحاريب سار بعد ذلك إليه، وكان مسكنه بنيوى مع ملك أذربيجان يومئذ، وكان يدعى سلمان الأعسر، وأن سنحاريب وسلمان اختلفا، فتحاربا حتى تفانى جنداها، وصار ما كان معهما غنيمة لبني إسرائيل.

وقال بعضهم: بل الذي غزا حزقيا صاحب شعيا سنحاريب ملك الموصل، وزعم انه لما احاط ببيت المقدس بجنوده بعث الله ملكا، فقتل من أصحابه في ليلة واحدة مائة ألف وخمسة وثمانين ألف رجل وكان ملكه إلى أن توفي تسعا وعشرين سنة.

ثم ملك بعده - فيما قيل - أمرهم منشأ بن حزقيا إلى أن توفي، خمسا وخمسين سنة.

ثم ملك بعده أمون بن منشأ إلى أن قتله أصحابه، اثنتي عشرة سنة.

ثم ملك بعده يوشيا بن أمون إلى أن قتله فرعون الأجدع المقعد ملك مصر، إحدى وثلاثين سنة.

ثم ياهواحاز بن يوشيا، وكان فرعون الأجدع قد غزاه وأسرته وأشخصه إلى مصر، وملك فرعون الأجدع يواقيم بن ياهواحاز على ما كان عليه أبوه، ووظف عليه خراجا يؤديه إليه، فكان يواقيم يجبي ذلك - فيما زعموا - من بني إسرائيل، ويحمله - فيما زعموا - اثنتي عشرة سنة.

ثم ملك أمرهم من بعده يواحين بن يواقيم، فغزاه بختنصر، فأسره وأشخصه إلى بابل بعد ثلاثة أشهر من ملكه وملك مكانه متنيا عمه وسماه صديقا نخالفه، فغزاه فظفر به، فأوثقه وحمله إلى بابل بعد أن ذبح ولده بين يديه، وسمل عينيه وخرب المدينة والهيكل، وسبي بني إسرائيل، وحملهم إلى بابل، فكنثوا بها إلى أن ردهم إلى بيت المقدس كيرش بن جاماسب ابن أسب، من أجل القرابة التي كانت بينه وبينهم، وذلك أن أمه أشتراينة جاويل - وقيل: حاويل - الإسرائيلي، فكان جميع ما ملك صديقا مع الثلاثة الأشهر التي ملك فيها يواحين - فيما قيل - إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر.

ثم صار ملك بيت المقدس والشام لأشتاسب بن لهراسب، وعامله على ذلك كله بختنصر.

وذكر محمد بن إسحاق، فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عنه: أن صديقة ملك بني إسرائيل الذي قد ذكرنا خبره، لما قبضه الله مرج

أمر بني إسرائيل، وتنافسوا الملك، حتى قتل بعضهم بعضا عليه، ونبيهم شعيا معهم، لا يرجعون إليه ولا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك قال الله - فيما بلغنا - لشعيا: قم في قومك أوح على لسانك، فلما قام أنطق الله لسانه بالوحي، فوعظهم وذكرهم وخوفهم الغير، بعد أن عدد عليهم نعم الله عليهم، وتعرضهم للغير.

قال: فلما فرغ شعيا إليهم من مقاتله عدوا عليه - فيما بلغني - ليقتلوه، فهرب منهم، فلقيته شجرة، فانفلقت له، فدخل فيها وأدركه الشيطان، فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إياها، فوضعوا المنشار في وسطها، فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها.

وقد حدثني بقصة شعيا وقومه من بني إسرائيل وقتلهم إياه، محمد بن سهل البخاري، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: حدثني عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه

١٠٢١ ذكر خبر لهراسب وابنه بشتاسب وغزو بختنصر بنى إسرائيل وتخريبه بيت المقدس

ذكر خبر لهراسب وابنه بشتاسب وغزو بختنصر بنى إسرائيل وتخريبه بيت المقدس

ثم ملك بعد كيخسرو من الفرس لهراسب بن كيوجي بن كيمنوش بن كيفاشين، باختيار كيخسرو إياه، فلما عقد التاج على رأسه قال: نحن مؤثرون البر على غيره واتخذ سريرا من ذهب مكللا بأنواع الجواهر للجلوس عليه، وأمر فبنيت له بأرض خراسان مدينة بلخ، وسماها الحسناء، ودون الدواوين، وقوى ملكه بانتخابه لنفسه الجنود، وعمر الأرض واجتبي الخراج لأرزاق الجنود، ووجه بختنصر، وكان اسمه بالفارسية- فيما قيل- بخترشه.

فحدث عن هشام بن محمد قال: ملك لهراسب- وهو ابن أخي قبوس- فبنى مدينة بلخ، فاشتدت شوكة الترك في زمانه، وكان منزله ببلخ يقاتل الترك قال: وكان بختنصر في زمانه، وكان أصهبذ ما بين الأهواز إلى أرض الروم من غربي دجلة، فشخص حتى أتى دمشق، فصالحه أهلها ووجه قائدا له، فأتى بيت المقدس فصالح ملك بني إسرائيل، وهو رجل من ولد داود، وأخذ منه رهائن وانصرف فلما بلغ طبرية وثبت بنو إسرائيل على ملكهم فقتلوه، وقالوا: راهنت أهل بابل وخذلنا! واستعدوا للقتال، فكتب قائد بختنصر إليه بما كان، فكتب إليه يأمره أن يقيم بموضعه حتى يوافيه، وأن يضرب أعناق الرهائن الذين معه، فسار بختنصر حتى أتى بيت المقدس، فأخذ المدينة عنوة، فقتل المقاتلة، وسبى الذرية.

قال: وبلغنا أنه وجد في سجن بني إسرائيل إرميا النبي، وكان الله تعالى بعثه نبيا- فيما بلغنا- إلى بني إسرائيل يحذرهم ما حل بهم من بختنصر،

ويعلمهم أن الله مسلط عليهم من يقتل مقاتلتهم، ويسبي ذراريهم، إن لم يتوبوا وينزعوا عن سيئ أعمالهم فقال له بختنصر: ما خطبك؟ فأخبره أن الله بعثه إلى قومه ليحذرهم الذي حل بهم، فكذبوه وحبسوه فقال بختنصر:

بئس القوم قوم عصوا رسول ربهم! وخلى سبيله، وأحسن إليه فاجتمع إليه من بقي من ضعفاء بني إسرائيل، فقالوا: إنا قد أسأنا وظلمنا، ونحن نتوب إلى الله مما صنعنا، فادع الله أن يقبل توبتنا فدعا ربه فأوحى إليه أنهم غير فاعلين، فإن كانوا صادقين فليقيموا معك بهذه البلدة، فأخبرهم بما أمرهم الله به، فقالوا: كيف نقيم ببلدة قد خربت وغضب الله على أهلها! فأبوا أن يقيموا، فكتب بختنصر إلى ملك مصر: إن عبيدا لي هربوا مني إليك، فسرهم إلي، وإلا غزوتك وأوطأت بلادك انخيل فكتب إليه ملك مصر: ما هم بعبيدك، ولكنهم الأحرار أبناء الأحرار، فغزاه بختنصر فقتله، وسبى أهل مصر، ثم سار في أرض المغرب، حتى بلغ أقصى تلك الناحية، ثم انطلق بسبي كثير من أهل فلسطين والأردن، فيهم دانيال وغيره من الأنبياء.

قال: وفي ذلك الزمان تفرقت بنو إسرائيل، ونزل بعضهم أرض الحجاز ييثرب ووادي القرى، وغيرها.

قال: ثم أوحى الله إلى إرميا- فيما بلغنا: إني عامر بيت المقدس فأخرج إليها، فانزلها فخرج إليها حتى قدمها وهي خراب، فقال في نفسه: سبحان الله! أمرني الله أن أنزل هذه البلدة، وأخبرني أنه عامرها، فمتى يعمر هذه، ومتى يحييها الله بعد موتها! ثم وضع رأسه فنام ومعه حمارة وسلعة فيها طعام، فمكث في نومه سبعين سنة، حتى هلك بختنصر والملك الذي فوقه،

وهو لهراسب الملك الأعظم وكان ملك لهراسب مائة وعشرين سنة وملك بعده بشتاسب ابنه، فبلغه عن بلاد الشام أنها خراب، وأن السباع قد كثرت في أرض فلسطين، فلم يبق بها من الإنس أحد، فنادى في أرض بابل في بني إسرائيل: إن من شاء أن يرجع إلى الشام فليرجع وملك عليهم رجلا من آل داود، وأمره أن يعمر بيت المقدس ويبني مسجدها، فرجعوا فعمروها، وفتح الله لإرميا عينيه، فنظر إلى المدينة كيف تعمر وتبنى، ومكث في نومه ذلك، حتى تمت له مائة سنة، ثم بعثه الله وهو لا يظن أنه نام أكثر من ساعة، وقد عهد المدينة خرابا يبابا، فلما نظر إليها قال: أعلم أن الله على كل شيء قدير قال: وأقام بنو إسرائيل ببيت المقدس ورد إليهم أمرهم، وكثروا بها حتى غلبت عليهم الروم في زمان ملوك الطوائف، فلم يكن لهم بعد ذلك جماعة.

قال هشام: وفي زمان بشتاسب ظهر زرادشت، الذي تزعم المجوس انه نبيهم، وكان زرادشت- فيما زعم قوم من علماء أهل الكتاب- من أهل فلسطين، خادما لبعض تلامذة إرميا النبي خاصا به، أثيرا عنده، فخانه فكذب عليه، فدعا الله عليه، فبرص فلحق ببلاد

أذريجان، فشرع بها دين المجوسية، ثم خرج منها متوجها نحو بشتاسب، وهو ببلخ، فلما قدم عليه وشرح له دينه أعجبه ففسر الناس على الدخول فيه، وقتل في ذلك من رعيته مقتلة عظيمة، ودانوا به، فكان ملك بشتاسب مائة سنة واثنى عشرة سنة. وأما غيره من أهل الأخبار والعلم بأمور الأوائل فإنه ذكر أن كي لهراسب

كان محمودا في أهل مملكته، شديد القمع للملوك المحيطة بآيران شهر، شديد التفقد لأصحابه، بعيد المهمة كثير الفكر في تشييد البنيان، وشق الأنهار، وعمارة البلاد، فكانت ملوك الروم والمغرب والهند وغيرهم يحملون إليه في كل سنة وظيفة معروفة وإتاوة معلومة، ويكاتبونه بالتعظيم ويقرون له أنه ملك الملوك هبة له وحذرا.

قال: ويقال: إن بختنصر حمل اليه من اورشليم خزائن وأموالا، فلما أحس بالضعف من قوته ملك ابنه بشتاسب، واعتزل الملك وفوضه إليه، وكان ملك لهراسب - فيما ذكر - مائة سنة وعشرين سنة.

وزعم أن بختنصر هذا الذي غزا بني إسرائيل اسمه بخترشه، وأنه رجل من العجم، من ولد جودرز، وأنه عاش دهرا طويلا جاوزت مدته ثلاثمائة سنة، وأنه كان في خدمة لهراسب الملك، أبي بشتاسب، وأن لهراسب وجهه إلى الشام وبيت المقدس ليجلي عنها اليهود فسار إليها ثم انصرف، وأنه لم يزل من بعد لهراسب في خدمة ابنه بشتاسب، ثم في خدمة بهمن من بعده، وأن بهمن كان مقيما بمدينة بلخ - وهي التي كانت تسمى الحساء - وأنه أمر بخترشه بالتوجه إلى بيت المقدس ليجلي اليهود عنها، وأن السبب في ذلك وثوب صاحب بيت المقدس على رسل كان بهمن وجههم إليه، وقتله بعضهم فلما ورد الخبر على بهمن دعا بخترشه فملكه على بابل، وأمره بالمسير إليها، والنفوذ منها إلى الشام وبيت المقدس، والقصد إلى اليهود حتى يقتل مقاتلتهم، ويسبي ذراريهم، وبسط يده فيمن يختار من الأشراف والقواد، فاختر من أهل بيت المملكة داريوش بن مهي، من ولد ماذي بن يافث بن نوح، وكان ابن أخت بخترشه واختار كيرش كيكوان من ولد غيلم بن سام،

وكان خازنا على بيت مال بهمن، وأخشورش بن كيرش بن جاماسب الملقب بالعالم، وبهرام بن كيرش بن بشتاسب فضم بهمن إليه من أهله وخاصته هؤلاء الأربعة، وضم إليه من وجوه الأساورة ورؤسائهم ثلاثمائة رجل، ومن الجند خمسين ألف رجل، وأذن له في أن يفرض ما احتاج إليه، وفي إثباتهم ثم أقبل بهم حتى صار إلى بابل، فأقام بها للتجهز والاستعداد سنة، والتفت إليه جماعة عظيمة، وكان فيمن سار إليه رجل من ولد سنحاريب، الملك الذي كان غزا حزقيا بن أحاز الملك، الذي كان بالشام وبيت المقدس من ولد سليمان بن داود صاحب شعيا، يقال له بختنصر بن نبوزرذان بن سنحاريب، صاحب الموصل وناحيتها، بن داريوش بن عبيري بن تيري بن روبان رابا بن سلامون بن داود بن طامي بن هامل بن هرمان بن فودي بن همول بن درمي بن قائل بن صاما بن رغما بن ثمود بن كوش بن حام بن نوح ع.

وكان مسيره إليه بسبب ما كان أتى حزقيا وبنو إسرائيل إلى جده سنحاريب عند غزوه إياهم، وتوسل إليه بذلك، فقدمه في جماعة كثيرة، ثم اتبعه، فلما توافت العساكر ببيت المقدس، نصر بخترشه على بني إسرائيل لما أراد الله بهم من العقوبة، فسباهم، وهدم البيت وانصرف إلى بابل، ومعه يوياحن بن يويقيم ملك بني إسرائيل في ذلك الوقت، من ولد سليمان بعد أن ملك متنيا عم يوحنا، وسماه صدقيا

فلما صار بختنصر ببابل خالفه صدقيا، فغزاه بختنصر ثانية فظفر به، وأخرب المدينة والهيكل، وأوثق صدقيا، وحمله إلى بابل بعد أن ذبح ولده، وسمل عينيه فكث بنو إسرائيل ببابل إلى أن رجعوا إلى بيت المقدس، فكان غلبة بختنصر - المسمى بخترشه - على بيت المقدس إلى أن مات - في قول هذا الذي حكينا قوله - أربعين سنة.

ثم قام من بعده ابن يقال له او لمودخ فملك الناحية ثلاثا وعشرين سنة، ثم هلك وملك مكانه ابن يقال له بلتشصر بن او لمودخ سنة، فلما ملك بلتشصر خلط في أمره، فعزله بهمن وملك مكانه على بابل وما يتصل بها من الشام وغيرها داريوش المازوي، المنسوب إلى ماذي بن يافث بن نوح ع حين صار إلى المشرق، فقتل بلتشصر، وملك بابل وناحية الشام ثلاث سنين ثم عزله بهمن وولى مكانه كيرش الغيلي، من ولد غيلم بن سام ابن نوح، الذي كان نزع إلى جامر مع ماذي عند ما مضى جامر إلى المشرق.

فلما صار الأمر إلى كيرش كتب بهمن أن يرفق ببني إسرائيل، ويطلق لهم النزول حيث أحبوا، والرجوع إلى أرضهم، وأن يولى عليهم من يختارونه، فاختراروا دانيال النبي ع، فولي أمرهم، وكان ملك كيرش على بابل وما يتصل بها ثلاث سنين، فصارت هذه السنون -

من وقت غلبة بختنصر إلى انقضاء أمره وأمر ولده وملك كيرش الغيلي- معدودة من خراب بيت المقدس، منسوبة إلى بختنصر، ومبلغها سبعون سنة.

ثم ملك بابل وناحياتها من قبل بهمن رجل من قرابته، يقال له أخشوارش ابن كيرش بن جاماسب، الملقب بالعالم، من الأربعة الوجوه الذين اختارهم بختنصره عند توجهه إلى الشام من قبل بهمن، وذلك أن أخشوارش انصرف إلى بهمن من عند بختنصر محموداً، فولاه ذلك الوقت بابل وناحياتها، وكان السبب في ولايته- فيما زعم- أن رجلاً كان يتولى لبهمن ناحية السند والهند

يقال له كرادشير بن دشكل خالفه، ومعه من الاتباع ستمائة ألف، فولى بهمن أخشويرش الناحية، وأمره بالمسير إلى كرادشير، ففعل ذلك وحاربه، فقتله وقتل أكثر أصحابه، فتابع له بهمن الزيادة في العمل، وجمع له طوائف من البلاد، فلزم السوس، وجمع الأشراف، وأطعم الناس اللحم، وسقاهم الخمر، وملك بابل إلى ناحية الهند والحبشة وما يلي البحر، وعقد لمائة وعشرين قائداً في يوم واحد الألوية، وصير تحت يد كل قائد ألف رجل من أبطال الجند الذين يعدل الواحد منهم في الحرب بمائة رجل، وأوطن بابل، وأكثر المقام بالسوس، وتزوج من سبي بني إسرائيل امرأة يقال لها أشرت ابنة أبي جاويل، كان رباها ابن عم لها يقال له مردخى، وكان أخاها من الرضاعة، لأن أم مردخى أرضعت أشرت، وكان السبب في تزوجه إياها قتله امرأة كانت له جلييلة جميلة خطيرة، يقال لها وشتا، فأمرها بالبروز ليراها الناس، ليعرفوا جلالها وجمالها، فامتنعت من ذلك فقتلها، فلما قتلها جزع لقتلها جزعاً شديداً، فأشير عليه باعتراض نساء العالم، ففعل ذلك، وحبت إليه أشرت صنعاً لبني إسرائيل، فترجم النصارى أنها ولدت له عند مسيره إلى بابل ابناً فسماه كيرش، وأن ملك أخشويرش كان أربع عشرة سنة، وقد علمه مردخى، التوراة، ودخل في دين بني إسرائيل، وفهم عن دانيال النبي ع ومن كان معه حينئذ، مثل حننيا وميشايل وعازريا، فسألوه بأن يأذن لهم في الخروج إلى بيت المقدس فأبى وقال: لو كان معي منكم ألف نبي ما فارقتي منكم واحد ما دمت حياً وولى دانيال القضاء، وجعل إليه جميع أمره، وأمره أن يخرج كل شيء في الخزان مما كان بختنصر أخذه من بيت المقدس ويرده، وتقدم في بناء بيت المقدس، فبني وعمر في أيام كيرش بن أخشويرش وكان ملك كيرش، مما دخل في ملك بهمن ونحاني اثنتين وعشرين سنة.

ومات بهمن لثلاث عشرة سنة مضت من ملك كيرش، وكان موت كيرش لأربع سنين مضين من ملك نحاني، فكان جميع ملك كيرش بن أخشويرش اثنتين وعشرين سنة.

فهذا ما ذكر أهل السير والأخبار في أمر بختنصر وما كان من أمره وأمر بني إسرائيل.

وأما السلف من أهل العلم فإنهم قالوا في أمرهم أقوالاً مختلفة، فمن ذلك ما حدثني القاسم بن الحسن، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج عن ابن جريج، قال: حدثني يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، أنه سمعه يقول:

كان رجل من بني إسرائيل يقرأ، حتى إذا بلغ: بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ بكى، وفاضت عيناه، ثم أطبق المصحف، فقال: ذلك ما شاء الله من الزمان! ثم قال: أي رب، أرني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني إسرائيل على يديه فأري في المنام مسكينا ببابل يقال له بختنصر، فانطلق بمال وأعبد له- وكان رجلاً موسراً- فقيل له: أين تريد؟ فقال:

أريد التجارة، حتى نزل داراً ببابل فاستكراها، ليس فيها أحد غيره، فجعل يدعو المساكين ويلطف بهم حتى لا يأتيه أحد إلا أعطاه، فقال:

هل بقي مسكين غيركم؟ فقالوا: نعم مسكين بفتح آل فلان مريض، يقال له بختنصر، فقال لغلمته: انطلقوا بنا، فانطلق حتى أتاه فقال:

ما اسمك؟

قال: بختنصر، فقال لغلمته: احتملوه فنقله إليه فرضه حتى برئ، وكساه وأعطاه نفقة، ثم أذن الإسرائيلي بالرحيل، فبكى بختنصر، فقال الإسرائيلي:

ما يبكيك؟ قال: أبكي أنك فعلت بي ما فعلت، ولا أجد شيئاً أجزيك!

قال: بلى شيئاً يسيراً، إن ملكت أطعني فجعل الآخر يتبعه ويقول:

تستهزئ بي! ولا يمنعه أن يعطيه ما سأل إلا أنه يرى أنه يستهزئ به فبكى الإسرائيلي وقال: لقد علمت ما يمنحك أن تعطيني ما سألتك،

إلا أن الله عز وجل يريد أن ينفذ ما قضى وكتب في كتابه. وضرب الدهر من ضربه، فقال صيحون، وهو ملك فارس بابل: لو أنا بعثنا طليعة إلى الشام! قالوا: وما ضرك لو فعلت! قال: فمن ترون؟

قالوا: فلان، فبعث رجلا، واعطاه مائه الف، وخرج بختنصر في مطبخه لا يخرج إلا ليأكل في مطبخه، فلما قدم الشام رأى صاحب الطليعة أكثر أرض الله فرسا ورجلا جلدا، فكسره ذلك في ذرعه، فلم يسأل، فجعل بختنصر يجلس مجالس أهل الشام فيقول: ما يمنعكم أن تغزوا بابل؟ فلو غزوتموها، فما دون بيت مالها شيء قالوا: لا نحسن القتال ولا نقاتل حتى تنفذ مجالس أهل الشام، ثم رجعوا فأخبر متقدم الطليعة ملكهم بما رأى، وجعل بختنصر يقول لفوارس الملك: لو دعاني الملك لأخبرته غير ما أخبره فلان فرفع ذلك إليه، فدعاه فأخبره الخبر، وقال: إن فلانا لما رأى أكثر أرض الله كراعا ورجلا جلدا، كسر ذلك في ذرعه، ولم يسألهم عن شيء، وإني لم أدع مجلسا بالشام إلا جالست أهله، فقلت لهم كذا وكذا، فقالوا لي كذا وكذا- للذي ذكر سعيد بن جبير أنه قال لهم- فقال متقدم الطليعة لبختنصر:

فضحتني! لك مائة ألف وتنزع عما قلت قال: لو أعطيتني بيت مال بابل ما نزعنا وضرب الدهر من ضربه، فقال الملك: لو بعثنا جريدة خيل إلى الشام، فإن وجدوا مساغا ساغوا، وإلا امتشوا ما قدروا عليه قالوا: ما ضرك

لو فعلت! قال: فمن ترون؟ قالوا: فلان، قال: بل الرجل الذي أخبرني بما أخبرني، فدعا بختنصر، فأرسله وانتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم، فانطلقوا نجاسوا خلال الديار، فسبوا ما شاء الله ولم يخربوا ولم يقتلوا، ورمي في جنازة صيحون، قالوا: استخلفوا رجلا، قالوا: على رسلهم حتى يأتي أصحابكم، فإنهم فرسانكم، أن ينغصوا عليكم شيئا! فأملوا حتى جاء بختنصر بالسي وما معه، فقسمه في الناس فقالوا: ما رأينا أحدا أحق بالملك من هذا! فلكوه.

وقال آخرون منهم: إنما كان خروج بختنصر إلى بني إسرائيل لحرهم حين قتلت بنو إسرائيل يحيى بن زكرياء. ذكر بعض من قال ذلك منهم:

حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، في الحديث الذي ذكرنا إسناده قبل: أن بختنصر بعثه صيحاتين لحرب بني إسرائيل حين قتل ملكهم يحيى بن زكرياء ع، وبلغ صيحاتين قتله.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال- فيما بلغني: استخلف الله عز وجل على بني إسرائيل بعد شعيا رجلا منهم يقال له ياشيه بن اموص، فبعث الله لهم الخضر نبيا، واسم الخضر- فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بني إسرائيل- إرميا بن حلقيا، وكان من سبط هارون.

وأما وهب بن منبه فإنه قال فيه ما حدثني محمد بن سهل بن عسكر البخاري، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: حدثني عبد الصمد بن معقل، قال: سمعت وهب بن منبه يقول:

وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه اليماني أنه كان يقول: قال الله عز وجل لإرميا حين بعثه نبيا إلى بني إسرائيل: يا إرميا، من قبل أن أخلقك اخترتك، ومن قبل أن أصورك في بطن أمك قدستك، ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك، ومن قبل أن تبلغ السعي نبيتك، ومن قبل أن تبلغ الأشد اخترتك، ولأمر عظيم اجتبيتك فبعث الله عز وجل إرميا إلى ذلك الملك من بني إسرائيل يسدده ويرشده، ويأتيه بالخبر من قبل الله فيما بينه وبين الله عز وجل قال: ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل، وركبوا المعاصي، واستحلوا المحارم، ونسوا ما كان الله صنع بهم، وما نجاهم من عدوهم سنحاريب وجنوده، فأوحى الله عز وجل إلى إرميا: أن ات قومك من بني إسرائيل، فاقصص عليهم ما أمرك به، وذكرهم نعمي عليهم، وعرفهم أحداثهم فقال إرميا: إني ضعيف إن لم تقوني، عاجز إن لم تبلغني، مخطئ إن لم تسددني، مخذول إن لم تنصرتني، ذليل إن لم تعزني قال الله عز وجل: ألم تعلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئتي، وأن القلوب كلها والألسن بيدي، أقلبها كيف شئت فتطيعني! وأني أنا الله

الذي لا شيء مثلي، قامت السموات والأرض وما فيهن بكلمتي، وأنا كلمت البحار ففهمت قولي، وأمرتها ففعلت أمري، وحددت عليها بالبطحاء فلا تعدى حدي، تأتي بأمواج كالجبال، حتى إذا بلغت حدي ألبستها مذلة طاعتي خوفا واعترافا لأمرى، إني معك ولن يصل إليك شيء معي، وإني بعثتك إلى خلق عظيم من خلقي لتبلغهم رسالاتي، ونستحق بذلك مثل أجر من اتبعك منهم، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، وإن تقصر به عنها تستحق بذلك مثل وزر من تركت في عماء، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا انطلق إلى قومك فقل: إن الله ذكر

بكم صلاح آبائكم، فحمله ذلك على أن يستيتبكم يا معشر الأبناء.

وسلهم كيف وجد آباءهم مغبة طاعتي وكيف وجدوا هم مغبة معصيتي! وهل علموا أن أحدا قبلهم أطاعني فشقي بطاعتي، أو عصاني فسعد بمعصيتي! وأن الدواب مما تذكر أوطانها الصالحة تنتابها، وأن هؤلاء القوم رتعا في مروج الهلكة أما أحبارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادي خولا يتعبدونهم دوني، ويحكمون فيهم بغير كتابي، حتى أجهلهم أمري، وأنسوهم ذكري، وغروهم مني.

وأما أمراؤهم وقادتهم فبطروا نعمتي، وأمنوا مكري، ونبدوا كتابي، ونسوا عهدي، وغيروا سنتي، وادان لهم عبادي بالطاعة التي لا تنبغي إلا لي، فهم يطيعونهم في معصيتي، ويتابعونهم على البدع التي يتدعون في ديني، جرأة علي وغرة، وفرية علي وعلى رسلي فسبحان جلالي وعلو مكاني وعظمة شأني! وهل ينبغي لبشر أن يطاع في معصيتي! وهل ينبغي أن أخلق عبادا أجعلهم أربابا من دوني! وأما قراؤهم وفقهاؤهم فيتعبدون في المساجد، ويتزينون بعمارتها لغيري لطلب الدنيا بالدين، ويتفقهون فيها لغير العلم، ويتعلمون فيها لغير العمل وأما أولاد الأنبياء فكثيرون مقهورون مغترون، يخوضون مع الخائضين، فيتمنون علي مثل نصرة آبائهم، والكرامة التي أكرمهم بها، ويزعمون أن لا أحد أولى بذلك منهم مني بغير صدق ولا تفكر ولا تدبر ولا يذكرون كيف نصر آبائهم لي، وكيف كان جدهم في أمري، حين غير المغيرون، وكيف بذلوا أنفسهم ودماءهم، فصبروا وصدقوا حتى عز أمري، وظهر ديني، فتأيت بهؤلاء القوم لعلمهم يستجيون، فأطولت لهم، وصفحت عنهم لعلمهم يرجعون، واكثرتم ومددت لهم في العمر لعلمهم يتفكرون، فأعذرت وفي كل ذلك أمطر عليهم السماء، وأنبت لهم الأرض، وألبسهم

العافية، وأظهرهم على العدو، فلا يزدادون إلا طغيانا وبعدا مني حتى متى هذا! أبي يترسون! أم إياي يخادعون! فإني أحلف بعزتي لأقيض لهم فتنة يتخير فيها الحليم، ويضل فيها رأي ذي الرأي وحكمة الحكيم ثم لأسلطن عليهم جبارا قاسيا عاتيا، ألبسه الهيبة، وأنزع من صدره الرأفة والرحمة والليان، يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم، له عساكر مثل قطع السحاب، ومراكب أمثال العجاج، كأن خفيق راياته طيران النسور، وكأن حملة فرسانه كير العقبان.

ثم أوحى الله عز وجل إلى إرميا أني مهلك بني إسرائيل بياث- ويافث أهل بابل، فهم من ولد يافث بن نوح ع- فلما سمع إرميا وحي ربه صاح وبكى وشق ثيابه، ونبد الرماد على رأسه، فقال: ملعون يوم ولدت فيه، ويوم لقنت فيه التوراة، ومن شر أيامي يوم ولدت فيه، فما أبقيت آخر الأنبياء إلا لما هو شر علي، لو أراد بي خيرا ما جعلني آخر الأنبياء من بني إسرائيل، فن أجلي تصيبهم الشقوة والهلاك! فلما سمع الله عز وجل تضرع الخضر وبكائه، وكيف يقول، ناداه:

يا إرميا، أشق عليك ما أوحيت لك! قال: نعم يا رب، أهلكني قبل أن أرى في بني إسرائيل ما لا أسر به، فقال الله تعالى: وعزتي وجلالي لا أهلك بيت المقدس وبني إسرائيل حتى يكون الأمر من قبلك في ذلك ففرح عند ذلك إرميا لما قال له ربه، وطابت نفسه وقال: لا، والذي بعث موسى وأنبياءه بالحق، لا آمر ربي بهلاك بني إسرائيل أبدا.

ثم أتى ملك بني إسرائيل فأخبره بما أوحى الله إليه فاستبشر وفرح، وقال:

إن يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة قدمناها لأنفسنا، وإن عفا عنا فبقدرته.

ثم إنهم لبثوا بعد هذا الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية وتماديا في الشر، وذلك حين اقترب هلاكهم، فقل الوحي حين لم يكونوا يتذكرون الآخرة، وأمسك عنهم حين ألهتهم الدنيا وشأنها، فقال لهم ملكهم:

يا بني إسرائيل، انتهوا عما أنتم عليه قبل أن يمسكم بأس الله، وقبل أن يبعث الله عليكم قوما لا رحمة لهم بكم، فإن ربكم قريب التوبة

مبسوط اليدين بالخير، رحيم بمن تاب إليه فأبوا عليه أن ينزعوا عن شيء مما هم عليه وإن الله ألقى في قلب بختنصر بن نبوزراذان بن سنحاريب بن دارياس بن ثمرود بن فالغ ابن عابر- وثمرود صاحب إبراهيم ع، الذي حاجه في ربه- أن يسير إلى بيت المقدس، ثم يفعل فيه ما كان جده سنحاريب أراد أن يفعل نفرج في ستمائه ألف راية يريد أهل بيت المقدس، فلما فصل سائرا أتى ملك بني إسرائيل الخبر أن بختنصر قد أقبل هو وجنوده يريدكم، فأرسل الملك إلى إرميا، فجاءه فقال: يا إرميا، أين ما زعمت لنا أن ربك أوحى إليك ألا يهلك أهل بيت المقدس حتى يكون منك الأمر في ذلك! فقال إرميا للملك: إن ربي لا يخلف الميعاد، وأنا به واثق.

فلما اقترب الأجل ودنا انقطاع ملكهم، وعزم الله تعالى على هلاكهم، بعث الله عز وجل ملكا من عنده، فقال له: اذهب إلى إرميا واستفتته. وأمره بالذي يستفتيه فيه فأقبل الملك إلى إرميا، وقد تمثل له رجلا من بني إسرائيل فقال له إرميا: من أنت؟ قال: أنا رجل من بني إسرائيل أستفتيك في بعض أمري، فأذن له، فقال له الملك: يا نبي الله، أتيتك أستفتيك في أهل رحمي، وصلت أرحامهم بما أمرني الله به، لم آت إليهم إلا حسنا، ولم آلمهم كرامة، فلا تزيدهم كرامتي إياهم إلا إسقاطا لي، فأفتني فيهم يا نبي الله! فقال له: أحسن فيما بينك وبين الله، وصل ما أمرك الله أن تصل، وأبشر بخير قال: فانصرف عنه الملك، فكث أياما ثم أقبل إليه في صورة ذلك الرجل الذي كان جاءه، فقعد بين يديه، فقال له إرميا: من أنت؟ قال أنا الرجل الذي أتيتك أستفتيك في شأن أهلي، فقال له نبي الله: اوما طهرت لك أخلاقهم بعد، ولم تر منهم الذي تحب! قال: يا نبي الله، والذي بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس إلى أهل رحمه

إلا وقد أتيتها إليهم وأفضل من ذلك فقال النبي: ارجع إلى أهلِكَ فأحسن إليهم، واسأل الله الذي يصلح عباده الصالحين أن يصلح ذات بينكم، وأن يجمعكم على مرضاته، ويجنبكم سخطه فقام الملك من عنده فلبث أياما وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس بأكثر من الجراد، ففرغ منهم بنو إسرائيل فرعا شديدا، وشق ذلك على ملك بني إسرائيل فدعا إرميا فقال:

يا نبي الله، أين ما وعدك الله؟ فقال: إني بريي واثق ثم إن الملك أقبل إلى إرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده، فقعد بين يديه، فقال له إرميا: من أنت؟ قال: أنا الذي كنت أتيتك في شأن أهلي مرتين، فقال له النبي: أولم يأن لهم أن يفيقوا من الذي هم فيه! فقال الملك: يا نبي الله، كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه، وأعلم أن مآلهم في ذلك سخطي، فلما أتيتهم اليوم رأيتهم في عمل لا يرضاه الله ولا يحبه، قال له النبي: على أي عمل رأيتهم؟

قال: يا نبي الله، رأيتهم على عمل عظيم من سخط الله، فلو كانوا على مثل ما كانوا عليه قبل اليوم، لم يشتد غضبي عليهم، وصبرت لهم ورجوتهم، ولكنني غضبت اليوم لله ولك، فأتيتك لأخبرك خبرهم، وإني أسألك بالله الذي هو بعثك بالحق إلا ما دعوت عليهم أن يهلكهم الله قال إرميا: يا ملك السموات والأرض، إن كانوا على حق وصواب فأبتهم، وإن كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلكهم.

فلما خرجت الكلمة من في إرميا أرسل الله عز وجل صاعقة من السماء في بيت المقدس فالتهب مكان القربان، وخسف بسبعة أبواب من أبوابها.

فلما رأى ذلك إرميا صاح وشق ثيابه، ونبد التراب على رأسه، وقال: يا ملك السماء ويا أرحم الراحمين، أين ميعادك الذي وعدتني! فنودي: يا إرميا، إنه لم يصبهم الذي أصابهم إلا بفتياك التي أفيتت بها رسولنا فاستيقن النبي أنها فتياه التي أفتي بها ثلاث مرات، وأنه رسول ربه.

وطار إرميا حتى خالط الوحوش، ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس، فوطئ الشام، وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم، وخرب بيت المقدس، ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسا ثم يقدفه في بيت المقدس، فقدفوا فيه التراب حتى ملئوه ثم انصرف راجعا إلى أرض بابل، واحتمل معه سبايا بني إسرائيل، وأمرهم أن يجمعوا من كان في بيت المقدس كلهم، فاجتمع عنده كل صغير وكبير

من بني إسرائيل، فاختار منهم مائه الف صبي، فلما خرجت غنائم جنده، وأراد أن يقسمها فيهم، قالت له الملوك الذين كانوا معه: أيها الملك، لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني إسرائيل ففعل فأصاب كل رجل منهم أربعة غلبة- وكان من أولئك الغلمان: دانيال، وحنانيا، وعزارياء، وميشايل- وسبعة آلاف من أهل بيت داود، وأحد عشر ألفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين، وثمانية آلاف من سبط أشير بن يعقوب وأربعة عشر ألفا من سبط زبالون ابن يعقوب، ونفثالي بن يعقوب، وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى ابني يعقوب، وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب ومن بقي من بني إسرائيل.

وجعلهم يختصر ثلاث فرق، فثلثا أقر بالشام، وثلثا سبي، وثلثا قتل وذهب بآنية بيت المقدس حتى أقدمها بابل، وذهب بالصبيان السبعين الألف حتى أقدمهم بابل، وكانت هذه الواقعة الأولى التي أنزلها الله ببني إسرائيل بإحداثهم وظلمهم.

فلما ولى يختصر عنهم راجعا إلى بابل بمن معه من سبائا بني إسرائيل أقبل إرميا على حمار له معه عصير من عنب في ركوه وسله تين، حتى غشي إيلياء فلما وقف عليها ورأى ما بها من الخراب دخله شك، فقال: أَيْ يَحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا! فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ، وحماره وعصيره وسله تينه عنده حيث أماته

الله وأمات حماره معه، وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد ثم بعثه الله فقال له:

«كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ» - يقول لم يتغير- «وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنَشِّزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا» .

فنظر إلى حماره يتصل بعض إلى بعض- وقد كان مات معه- بالعروق والعصب، ثم كيف كسى ذلك منه اللحم حتى استوى، ثم جرى فيه الروح، فقام ينهق ثم نظر إلى عصيره وتينه، فإذا هو على هيئته حين وضعه لم يتغير فلما عين من قدرة الله ما عين، قَالَ: «أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ثم عمر الله إرميا بعد ذلك، فهو الذي يرى بقلوات الأرض والبلدان.

ثم إن يختصر أقام في سلطانه ما شاء الله أن يقيم، ثم رأى رؤيا، فبينما هو قد أعجبه ما رأى إذ رأى شيئا أصابه فأنساه الذي كان رأى، فدعا دانيال، وحنانيا وعزارياء، وميشايل من ذراري الأنبياء، فقال: أخبروني عن رؤيا رأيتموها، ثم أصابني شيء فأنسانيا، وقد كانت أعجبتني ما هي؟ قَالُوا له: أخبرنا بها نخبرك بتأويلها، قَالَ: ما أذكرها، وإن لم تخبروني بتأويلها لأنزعن أكثافكم نفرجوا من عنده، فدعوا الله واستغاثوا وتضرعوا إليه، وسألوه أن يعلمهم إياها، فأعلمهم الذي سألهم عنه، فجاءوه فقالوا له: رأيت تمثالاً؟ قَالَ: صدقتم، قَالُوا: قدماه وساقاه من نحاس، وركبته ونفذه من نحاس، وبطنه من فضة، وصدره من ذهب، ورأسه وعنقه من حديد.

قَالَ: صدقتم قَالُوا: فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك، فأرسل الله عليه صخرة من السماء فدقته، فهي التي أنستكها قَالَ: صدقتم، فما تأويلها؟ قَالُوا:

تأويلها أنك أريت ملك الملوك، فكان بعضهم ألين ملكا من بعض، وبعضهم كان أحسن ملكا من بعض، وبعضهم كان أشد ملكا من بعض،

فكان أول الملك الفخار وهو أضعفه وألينه ثم كان فوقه النحاس وهو أفضل منه وأشد، ثم كان فوق النحاس الفضة وهي أفضل من ذلك وأحسن، ثم كان فوق الفضة الذهب، فهو أحسن من الفضة وأفضل، ثم كان الحديد ملكك، فهو كان أشد الملوك وأعز مما كان قبله، وكانت الصخرة التي رأيت أرسل الله عليه من السماء فدقته، نبيا يبعثه الله من السماء فيدق ذلك أجمع، ويصير الأمر إليه. ثم إن أهل بابل قَالُوا لِيختصر: أَرَأَيْتَ هؤلاء الغلمان من بني إسرائيل الذين كُنَّا سألناك أن تعطيناهم ففعلت! فَإِنَّا وَاللَّهِ لَقَدْ أَنْكَرْنَا نِسَاءَنَا مِنْذُ كَانُوا مَعَنَا، لَقَدْ رَأَيْنَا نِسَاءَنَا عُلِقْنَ بِهِمْ وَصُرِفْنَ وَجُوهَهُنَّ إِلَيْهِمْ، فَأَخْرَجَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا أَوْ أَقْتَلَهُمْ، قَالَ: شَأْنُكُمْ بِهِمْ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَقْتُلَ مَنْ كَانَ فِي يَدِهِ فليفعل، فَأَخْرَجُوهُمْ فَلَمَّا قَرَّبُوهُمْ لِلْقَتْلِ تَضَرَّعُوا إِلَى اللَّهِ فَقَالُوا:

يا ربنا، أصابنا البلاء بذنوب غيرنا، فتحزن الله عليهم برحمته، فوعدهم أن يحييهم بعد قتلهم، فقتلوا إلا من استبقى يختصر منهم، وكان من استبقى منهم: دانيال، وحنانيا، وعزارياء، وميشايل.

ثم إن الله تبارك وتعالى حين أراد هلاك بختنصر، انبعث فقال لمن كان في يديه من بني إسرائيل: أرايتم هذا البيت الذي أحرقت، وهؤلاء الناس الذين قتلتم، من هم؟ وما هذا البيت؟ قالوا: هذا بيت الله ومسجد من مساجده، وهؤلاء أهله كانوا من ذراري الأنبياء، فظلموا وتعبدوا وعصوا فسلط عليهم بذنوبهم، وكان ربهم رب السموات والأرض، ورب الخلق كلهم يكرمهم ويمنعهم ويعزهم، فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم الله وسلط عليهم غيرهم.

قَالَ: فأخبروني ما الذي يطلع بي إلى السماء العليا، لعلني أطلع إليها فأقتل من فيها وأتخذها ملكاً، فإنني قد فرغت من الأرض ومن فيها، قالوا له:

ما تقدر على ذلك وما يقدر على ذلك أحد من الخلائق، قَالَ: لتفعلن أو لأقتلنكم عن آخركم، فبكوا إلى الله وتضرعوا إليه، فبعث الله بقدرته - ليريه

ضعفه وهو انه عليه - بعوضة فدخلت في منخره ثم ساخت في دماغه حتى عضت بأم دماغه، فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أم دماغه، فلما عرف الموت قَالَ لخاصته من أهله: إذا مت فشقوا رأسي، فانظروا ما هذا الذي قتلني؟ فلما مات شقوا رأسه، فوجدوا البعوضة عاضة بأم دماغه ليري الله العباد قدرته وسلطانه، ونجى الله من كان بقي في يديه من بني إسرائيل وترحم عليهم وردهم إلى الشام وإلى إيلياء المسجد المقدس، فبنوا فيه وربوا وكثروا، حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه.

فيزعمون - والله أعلم - أن الله أحيا أولئك الموتى الذين قتلوا فلاحقوا بهم.

ثم إنهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله، كانت التوراة قد استبيت منهم فخرقت وهلكت وكان عزيز من السبایا الذين كانوا ببابل فرجع إلى الشام يبكي عليها ليله ونهاره، قد خرج من الناس فتوحدهم منهم، وإنما هو ببطن الأودية وبالفلوات يبكي، فينما هو كذلك في حزنه على التوراة وبكائه عليها، إذ أقبل إليه رجل وهو جالس، فقال: يا عزيز ما يبكيك؟

قَالَ: أبكي على كتاب الله وعهده، كان بين أظهرنا فبلغت بنا خطايانا، وغضب ربنا علينا أن سلط علينا عدونا، فقتل رجالنا، وأحرب بلادنا، وأحرق كتاب الله الذي بين أظهرنا، الذي لا يصلح ديناً وآخرتنا غيره - أو كما قَالَ - فعلام أبكي إذا لم أبك على هذا! قَالَ: أفتحب أن يرد ذلك عليك؟

قَالَ: وهل إلى ذلك من سبيل؟ قَالَ: نعم ارجع فصم وتطهر وطيّب ثيابك، ثم موعذك هذا المكان غدا فرجع عزيز فصام وتطهر وطيّب ثيابه، ثم عمد إلى المكان الذي وعده، فجلس فيه، فأثاه ذلك الرجل بإناء فيه ماء - وكان ملكا بعثه الله إليه - فسقاه من ذلك الإناء، فنلت التوراة في صدره، فرجع إلى بني إسرائيل، فوضع لهم التوراة يعرفونها بحلالها وحرامها وسننها وفرائضها

وحُدودها، فأحبوه حبا لم يحبوه شيئا قط، وقامت التوراة بين أظهرهم، وصلح بها أمرهم، وأقام بين أظهرهم عزيز مؤديا لحق الله، ثم قبضه الله على ذلك، ثم حدثت فيهم الأحداث حتى قالوا العزيز: هو ابن الله، وعاد الله عليهم فبعث فيهم نبيا كما كان يصنع بهم، يسدد أمرهم، ويعلمهم ويأمرهم بإقامة التوراة وما فيها.

وقال جماعة آخر عن وهب بن منبه في أمر بختنصر وبني إسرائيل وغزوه إياهم أقوالا غير ذلك، تركنا ذكرها كراهة إطالة الكتاب بذكرها

١٠٢٢ ذكر خبر غزو بختنصر للعرب

ذكر خبر غزو بختنصر للعرب

حدثت عن هشام بن محمد، قَالَ: كان بدء نزول العرب أرض العراق وثبوتهم فيها، واتخاذهم الحيرة والأنبار منزلا - فيما ذكر لنا والله أعلم - أن الله عز وجل أوحى إلى برخيا بن احنيا بن زر بابل بن شلتيل من ولد يهوذا - قَالَ هشام: قَالَ الشرقي: وشلتيل أول من اتخذ الطفيل - أن انت بختنصر وأمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب، ويطأ بلادهم بالجنود، فيقتل مقاتلتهم ويستبيح أموالهم، وأعلمه كفرهم بي، واتخاذهم الآلهة دوني، وتكذيبهم أنبيائي ورسلي.

قال: فاقبل برخيا من نجران حتى قدم على بختنصر ببابل - وهو نبوخذ نصر، فعربته العرب - وأخبره بما أوحى الله إليه وقص عليه ما

أمره به، وذلك في زمان معد بن عدنان قَالَ: فوثب بختنصر على من كان في بلاده من تجار العرب، وكانوا يقدمون عليهم بالتجارات والبياعات. ويمتارون من عندهم الحب والتمر والثياب وغيرها.

فجمع من ظفر به منهم، فبنى لهم حيرا على النجف وحصنه، ثم ضمهم فيه ووكل بهم حرسا وحفظه، ثم نادى في الناس بالغزو، فتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت إليه طوائف منهم مسلمين مستأمنين، فاستشار بختنصر فيهم برخيا، فقال: إن خروجهم إليك من بلادهم قبل نهوضك إليهم رجوع منهم عما كانوا عليه فاقبل منهم، فأحسن إليهم قَالَ: فأنزلهم بختنصر السواد على شاطئ الفرات، فابتنوا موضع عسكرهم بعد فسموه الأنبار قال: وحلى عن أهل الحير، فاتخذوها منزلا حياة بختنصر، فلما مات انضموا إلى أهل الأنبار، وبقي ذلك الحير خرابا.

وأما غير هشام من أهل العلم بأخبار الماضين فإنه ذكر أن معد بن عدنان لما ولد، ابتدأت بنو إسرائيل بأنبيائهم فقتلوه، فكان آخر من قتلوا يحيى بن زكرياء، وعدا أهل الرس على نبيهم فقتلوه، وعدا أهل حضور على نبيهم فقتلوه، فلما اجترأوا على أنبياء الله أذن الله في فناء ذلك القرن الذين معد بن عدنان من أنبيائهم، فبعث الله بختنصر على بني إسرائيل، فلما فرغ من إخراج المسجد الأقصى والمدائن وانتسف بني إسرائيل نسفا، فأوردتهم أرض بابل أرى فيما يرى النائم- أو أمر بعض الأنبياء أن يأمره- أن يدخل بلاد العرب فلا يستجى فيها إنسيا ولا بهيمة، وأن ينتسف ذلك نسفا، حتى لا يبقى لهم أثرا فنظم بختنصر ما بين إيلة والأبلة خيلا ورجلا، ثم دخلوا على العرب فاستعرضوا كل ذي روح أتوا عليه وقدروا عليه وأن الله تعالى أوحى إلى إرميا وبرخيا أن الله قد أندر قومكما، فلم ينتهوا، فعادوا بعد الملك عبيدا، وبعد نعيم العيش عالة يسألون الناس، وقد تقدمت إلى أهل عربية بمثل ذلك فأبوا إلا الحاجة، وقد سلطت بختنصر عليهم لأنتقم منهم فعليكما بمعد بن عدنان، الذي من ولده محمد الذي أخرجه في آخر الزمان، أختم به النبوة، وأرفع به من الضعة. فخرجا تطوى لهما الأرض حتى سبقا بختنصر، فلحقا عدنان قد تلقاهما، فطويها إلى معد، ولمعد يومئذ اثنتا عشرة سنة، فحمله برخيا على البراق، وردف خلفه، فانتهيا إلى حران من ساعتها، وطويت الأرض لإرميا فأصبح بجران، فالتقى عدنان وبختنصر بذات عرق، فهزم بختنصر عدنان، وسار في بلاد العرب، حتى قدم إلى حضور واتبع عدنان، فاتته بختنصر إليها،

وقد اجتمع أكثر العرب من أقطار من عربية إلى حضور، فخذق الفريقان، وضرب بختنصر كمينًا- وذلك أول كمين كان فيما زعم- ثم نادى مناد من جو السماء: يا لثارات الأنبياء! فأخذتهم السيوف من خلفهم ومن بين أيديهم، فندموا على ذنوبهم، فنادوا بالويل، ونهي عدنان عن بختنصر ونهي بختنصر عن عدنان، وافترق من لم يشهد حضور، ومن أفلت قبل الهزيمة فرقتين: فرقة أخذت إلى ريسوب وعليهم عك، وفرقة قصدت لوبار وفرقة حضر العرب، قَالَ: وإياهم عنى الله بقوله: «وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً»، كافرة الأهل، فإن العذاب لما نزل بالقرى وأحاط بهم في آخر وقعة ذهبوا ليهربوا فلم يطيقوا الهرب، «فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأُسْرَانَا» انتقامنا منهم «إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ» يهربون، قد أخذتهم السيوف من بين أيديهم ومن خلفهم «لَا تَرْكُضُوا» لا تهربوا «وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ» إلى العيشه على النعم المكفورة «وَمَسَاكِكُمْ» مصيركم «لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ» .

فلما عرفوا أنه واقع بهم أقروا بالذنوب، فقالوا: «يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ» ، موقى وقتلى بالسيف فرجع بختنصر إلى بابل بما جمع من سبايا عربية فألقاهم بالأنبار، فقبل أنبار العرب، وبذلك سميت الأنبار، وخالطهم بعد ذلك النبط فلما رجع بختنصر مات عدنان وبقيت بلاد العرب خرابا حياة بختنصر، فلما مات بختنصر خرج معد بن عدنان معه الأنبياء، أنبياء بني إسرائيل صلوات الله عليهم حتى أتى مكة فأقام أعلامها، فحج حج الأنبياء معه، ثم خرج معد حتى أتى ريسوب فاستخرج أهلها، وسأل عمن بقي من ولد الحارث بن مضاض الجرهمي، وهو الذي قاتل دوس العتق، فأفنى أكثرهم جرهم على يديه، فقبل له: بقي جوشم بن جلهمة، فتزوج معد ابنته معانة، فولدت له نزار بن معد

١٠٢٣ رجع الخبر إلى قصه بشتاسب وذكر ملكه والحوادث التي كانت في أيام ملكه التي جرت على يديه ويد غيره من عماله في البلاد خلا ما جرى من ذلك على يد بختنصر

رجع الخبر إلى قصة بشتاسب وذكر ملكه والحوادث التي كانت في أيام ملكه التي جرت على يديه ويد غيره من عماله في البلاد خلا ما جرى من ذلك على يد بختنصر

ذكر العلماء بأخبار الأمم السالفة من العجم والعرب، أن بشتاسب بن كي لهراسب لما عقد له التاج، قال يوم ملك: نحن صارفون فكرنا وعملنا وعلما إلى كل ما ينال به البر وقيل: إنه ابتنى بفارس مدينة فسا، وبلاد الهند وغيرها بيوتا للنيران، ووكل بها الهرازمة، وإنه رتب سبعة نفر من عظماء أهل مملكته مراتب، وملك كل واحد منهم ناحية جعلها له، وان زرادشت ابن أسفيمن ظهر بعد ثلاثين سنة من ملكه فادعى النبوة، وأراد على قبول دينه، فامتنع من ذلك ثم صدقه، وقبل ما دعاه إليه وأتاه به من كتاب ادعاه وحيا، فكتب في جلد اثني عشرة ألف بقرة حفرا في الجلود، ونقشا بالذهب، وصير بشتاسب ذلك في موضع من إصطخر، يقال له دزبشت، ووكل به الهرازمة، ومنع تعليمه العامة وكان بشتاسب في أيامه تلك مهادنا لخرزاسف بن كي سواسف، أخي فراسياب ملك الترك على ضرب من الصلح، وكان من شرط ذلك الصلح أن يكون لبشتاسب بباب خرزاسف دابة موقوفة بمنزلة الدواب التي تتوب على أبواب الملوك، فأشار زرادشت على بشتاسب بمفاسدة ملك الترك، فقبل ذلك منه، وبعث إلى الدابة والموكل بها، فصرفهما إليه، وأظهر الخبر لخرزاسف، فغضب من ذلك- وكان ساحرا عاتيا- فأجمع على محاربة بشتاسب، وكتب إليه كتابا غليظا عنيفا، أعلمه فيه أنه أحدث حدثا عظيما، وأنكر قبوله ما قبل من زرادشت، وأمره بتوجيهه إليه، وأقسم إن امتنع أن يغزوه حتى يسفك دمه، ودماء أهل بيته

فلما ورد الرسول بالكتاب على بشتاسب، جمع إليه أهل بيته وعظماء أهل مملكته، وفيهم جاماسف عالمهم وحاسبهم، وزرين بن لهراسب فكتب بشتاسب إلى ملك الترك كتابا غليظا جواب كتابه، آذنه فيه بالحرب، وأعلمه أنه غير ممسك عنه إن أمسك فسار بعضهما إلى بعض، مع كل واحد منهما من المقاتلة ما لا يحصى كثرة، ومع بشتاسب يومئذ زرين أخوه ونسطور ابن زرين وإسفنديار وبشوتن ابنا بشتاسب، وآل لهراسب جميعا، ومع خرزاسف وجوهرمز وأندرمان أخواه وأهل بيته، وبيدرفش الساحر، فقتل في تلك الحروب زرين، واشتد ذلك على بشتاسب، فأحسن الغناء عنه ابنه إسفنديار، وقتل بيدرفش مبارزة، فصارت الدبرة على الترك، فقتلوا قتلا ذريعا، ومضى خرزاسف هاربا، ورجع بشتاسب إلى بلخ، فلما مضت لتلك الحروب سنون سعى على إسفنديار رجل يقال له قرزم، فأفسد قلب بشتاسب عليه، فندبه لحرب بعد حرب، ثم أمر بتقييده وصيره في الحصن الذي فيه حبس النساء، وشخص بشتاسب إلى ناحية كرمان وسجستان، وصار منها إلى جبل يقال له طميزر لدراسة دينه والنسك هناك، وخلف لهراسب أباه مدينة بلخ شيخا قد أبطله الكبر، وترك خزائنه وأمواله ونساءه مع خطوس امرأته، فحملت الجواسيس الخبر إلى خرزاسف، فلما عرف جمع جنودا لا يحصون كثرة، وشخص من بلاده نحو بلخ، وقد أمل أن يجد فرصة من بشتاسب ومملكته فلما انتهى إلى تخوم ملك فارس قدم أمامه جوهرمز أخاه- وكان مرشحا للملك بعده في جماعة من المقاتلة كثيرة- وأمره أن يغذ السير حتى يتوسط المملكة ويوقع بأهلها، ويغير على القرى والمدن، ففعل ذلك جوهرمز، وسفك الدماء واستباح من الحرم ما لا يحصى، واتبعه خرزاسف فأحرق الدواوين، وقتل لهراسب والهرازمة، وهدم بيوت النيران، واستولى على الأموال والكنوز، وسبي ابنتين لبشتاسب، يقال لإحدهما:

نخاني، وللأخرى باذافره، وأخذ- فيما أخذ- العلم الأكبر الذي كانوا يسمونه

درفش كايان، وشخص متبعا لبشتاسب، وهرب منه بشتاسب حتى تحصن في تلك الناحية مما يلي فارس في الجبل الذي يعرف بطميزر، ونزل ببشتاسب ما ضاق به ذرعا، فيقال إنه لما اشتد به الأمر وجهه إلى إسفنديار جاماسب حتى استخرجه من محبسه، ثم صار به إليه، فلما أدخل عليه اعتذر إليه، ووعدته عقد التاج على رأسه، وأن يفعل به مثل الذي فعل لهراسب به، وقلده القيام بأمر عسكره، ومحاربة خرزاسف.

فلما سمع إسفنديار كلامه كفر له خاشعا، ثم نهض من عنده، فتولى عرض الجند وتمييزهم، وتقدم فيما احتاج إلى التقدم فيه، وبات ليلته مشغولا بتعبئته، فلما أصبح أمر بنفخ القرون، وجمع الجنود، ثم سار بهم نحو عسكر الترك، فلما رأت الترك عسكره خرجوا في وجوههم يتسابقون، وفي القوم جوهرمز وأندرمان، فالتحمت الحرب بينهم، وانقض إسفنديار وفي يده الرمح كالبرق الخاطف،

حتى خالط القوم، وأكب عليهم بالطعن، فلم يكن إلا هنيئة حتى ثلم في العسكر ثلثة عظيمة، وفشا في الترك أن إسفنديار قد أطلق من الحبس، فانهزموا لا يلبون على شيء، وانصرف إسفنديار، وقد ارتجع العلم الأعظم، وحمله معه منشورا، فلما دخل على بشتاسب استبشر بظفره، وأمره باتباع القوم، وكان مما أوصاه به أن يقتل خرزاسف إن قدر عليه بلهراسف، ويقتل جوهرمز وأندرمان بمن قتل من ولده، ويهدم حصون الترك ويحرق مدنها، ويقتل أهلها بمن قتلوا من حملة الدين، ويستنقذ السبايا ووجهه معه ما احتاج إليه من القواد والعظماء.

فذكروا أن إسفنديار دخل بلاد الترك من طريق لم يرمه أحد قبله، وأنه قام- من حراسة جنده، وقتل ما قتل من السباع، ورمي العنقاء المذكورة- بما لم يرقم به أحد قبله، ودخل مدينة الترك التي يسمونها دزروئين- وتفسيرها بالعريّة الصفريّة- عنوة حتى قتل الملك وإخوته ومقاتلته، واستباح أمواله وسبي نساءه، واستنقذ أخته، وكتب بالفتح إلى أبيه، وكان أعظم الغناء في تلك المحاربة بعد إسفنديار لفشوتن أخيه وأدرنوش ومهرين ابن ابنته.

ويقال إنهم لم يصلوا إلى المدينة حتى قطعوا أنهارا عظيمة مثل كاس رود، ومهر رود، ونهرا آخر لهم عظيما، وإن إسفنديار دخل أيضا مدينة كانت لفراسياب، يقال لها وهشكند، ودوخ البلاد وصار إلى آخر حدودها، وإلى التبت وباب صول، ثم قطع البلاد وصير كل ناحية منها إلى رجل من وجوه الترك بعد أن آمنهم، ووظف على كل واحد منهم خراجا يحمله إلى بشتاسب في كل سنة، ثم انصرف إلى بلخ.

ثم إن بشتاسب حسد ابنه إسفنديار لما ظهر منه، فوجهه إلى رستم بسجستان، فحدث عن هشام بن محمد الكلبي أنه قال: قد كان بشتاسب جعل الملك من بعده لابنه إسفنديار، وأغراه الترك، فظفر بهم، وانصرف إلى أبيه، فقال له: هذا رستم متوسطا بلادنا، وليس يعطينا الطاعة لادعائه ما جعل له قابوس من العتق من رق الملك، فسر إليه فأتني به، فسار إسفنديار إلى رستم فقاتله، فقتله رستم ومات بشتاسب، وكان ملكه مائة سنة واثنى عشرة سنة.

وذكر بعضهم أن رجلا من بني إسرائيل، يقال له سمي كان نبيا، وأنه بعث إلى بشتاسب فصار إليه إلى بلخ، ودخل مدينتها، فاجتمع هو وزرادشت صاحب المجوس، وجاماسب العالم بن نخذ، وكان سمي يتكلم بالعبرانية ويعرف زرادشت ذلك بتلقين، ويكتب بالفارسية ما يقول سمي بالعبرانية، ويدخل جاماسب معهما في ذلك، وبهذا السبب سمي جاماسب العالم.

وزعم بعض العجم أن جاماسب هو ابن نخذ بن هو بن حكاو بن نذكاو بن فرس بن رج بن خوراسرو بن منوشهر الملك، وإن زرادشت بن يوسيسف ابن فردواسف بن أرنجد بن منجدسف بن بخشنش بن فيافيل بن الحدى ابن هردان بن سفمان بن ويدس بن أدرا بن رج بن خوراسرو بن منوشهر.

وقيل إن بشتاسب وأباه لهراسب كانا على دين الصابئين، حتى أتاه سمي وزرادشت بما أتياه به، وأنهما أتياه بذلك لثلاثين سنة مضت من ملكه. وقال هذا القائل: كان ملك بشتاسب مائة وخمسين سنة، فكان ممن رتب بشتاسب من نفر السبعة المراتب الشريفه، وسماهم عظماء بهكا بهند ومسكنه دهستان من ارض جرجان، وقارن الفهلوى ومسكنه ماه نهاوند، وسورين الفهلوي ومسكنه سجستان، وإسفنديار الفهلوي ومسكنه الري.

وقال آخرون: كان ملك بشتاسب مائة وعشرين سنة

١٠٢٤ ذكر الخبر عن ملوك اليمن في أيام قابوس وبعده إلى عهد بهمن بن اسفنديار

ذكر الخبر عن ملوك اليمن في أيام قابوس وبعده إلى عهد بهمن بن إسفنديار قال أبو جعفر: قد مضى ذكرنا الخبر عن زعم أن قابوس كان في عهد سليمان بن داود ع، ومضى ذكرنا من كان في عهد سليمان من ملوك اليمن والخبر عن بلقيس بنت إيليشرح.

فحدثت عن هشام بن محمد الكلبي أن الملك باليمن صار بعد بلقيس إلى ياسر بن عمرو بن يعفر الذي كان يقال له ياسر انعم قال: وإنما سموه ياسر انعم لإنعامه عليهم بما قوى من ملكهم، وجمع من أمرهم.

قَالَ: فزعم أهل اليمن أنه سار غازيا نحو المغرب حتى بلغ واديا يقال له وادي الرمل، ولم يبلغه أحد قبله، فلما انتهى إليه لم يجد وراءه مجازا لكثرة الرمل، فبينما هو مقيم عليه إذا انكشف الرمل، فأمر رجلا من أهل بيته- يقال له عمرو- أن يعبر هو وأصحابه، فعبروا فلم يرجعوا فلما رأى ذلك أمر بصنم نحاس فصنع، ثم نصب على صخرة على شفير الوادي، وكتب في صدره بالمسند: هذا الصنم لياسر انعم الحميري، وليس وراءه مذهب، فلا يتكلفن ذلك أحد فيعطب.

قَالَ: ثم ملك من بعده تبع، وهو تبان أسعد، وهو أبو كرب بن ملكي كرب تبع بن زيد بن عمرو بن تبع، وهو ذو الأذعار بن أبرهة تبع ذي المنار ابن الرأش بن قيس بن صيفي بن سبأ قَالَ: وكان يقال له الرائد.

قَالَ: فكان تبع هذا في أيام بشتاسب وأردشير بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب، وأنه شخص متوجها من اليمن في الطريق الذي سلكه الرأش، حتى خرج على جبلي طيئ، ثم سار يريد الأنبار، فلما انتهى إلى الحيرة- وذلك ليلا- تحير، فأقام مكانه وسمي ذلك الموضع الحيرة، ثم سار وخلف به قوما من الأزد ونحلم وجذام وعاملة وقضاة، فبنوا وأقاموا به، ثم انتقل إليهم بعد

ذلك ناس من طيئ وكلب والسكون وبلحارث بن كعب وإياد ثم توجه إلى الأنبار ثم إلى الموصل، ثم إلى أذربيجان، فلقي الترك بها فهزمهم، فقتل المقاتلة، وسبى الذرية، ثم انكفأ راجعا إلى اليمن فأقام بها دهرا، وهابته الملوك وعظمت وأهدت إليه فقدم عليه رسول ملك الهند بالهدايا والتحف، من الحرير والمسك والعود وسائر طرف بلاد الهند، فرأى ما لم ير مثله، فقال:

ويحك! أكل ما أرى في بلادكم! فقال: آيت اللعن! أقل ما ترى في بلادنا، وأكثره في بلاد الصين، ووصف له بلاد الصين وسعتها وخصبها وكثرة طرفها، فالى يمين ليغزونها فسار بحمير مساحلا، حتى أتى الركائك وأصحاب القلائس السود، ووجه رجلا من أصحابه، يقال له ثابت نحو الصين، في جمع عظيم فأصيب، فسار تبع حتى دخل الصين، فقتل مقاتلتها، واكتسح ما وجد فيها قَالَ: ويزعمون أن مسيره كان إليها ومقامه بها ورجعته منها في سبع سنين، وأنه خلف بالثبت اثني عشر ألف فارس من حمير، فهم أهل التبت، وهم اليوم يزعمون أنهم عرب، وخلقههم وألوانهم خلق العرب وألوانها.

حَدَّثَنِي عبد الله بن أحمد المروزي، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ: أَنَّ تَبْعًا خَرَجَ فِي الْعَرَبِ يَسِيرُ، حَتَّى تَحِيرُوا بِظَاهِرِ الْكُوفَةِ، وَكَانَ مَنْزِلًا مِنْ مَنْزِلِهِ، فَبَقِيَ فِيهَا مِنْ ضَعْفَةِ النَّاسِ، فَسُمِّيَتْ الْحِيرَةُ لِتَحِيرِهِمْ، وَخَرَجَ تَبْعٌ سَائِرًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ وَقَدْ بَنَوْا وَأَقَامُوا، وَأَقْبَلَ تَبْعٌ إِلَى الْيَمَنِ وَأَقَامُوا هُمْ، فَفِيهِمْ مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ كُلِّهَا مِنْ بَنِي لَحْيَانَ، وَهَذِيلٍ وَتَيْمٍ، وَجَعْفِيٍّ وَطَيْئٍ، وَكَلْبٍ

١٠٢٥ ذكر خبر أردشير بهمن وابنته نحمانى

ذكر خبر أردشير بهمن وابنته نحمانى

ثم ملك بعد بشتاسب ابن ابنه أردشير بهمن، فذكر أنه قَالَ يوم ملك وعقد التاج على رأسه: نحن محافظون على الوفاء، ودائنون رعيتنا بالخير، فكان يدعى أردشير الطويل الباع، وإنما لقب بذلك- فيما قيل- لتناوله كل ما مد إليه يده من الممالك التي حوله، حتى ملك الأقاليم كلها وقيل إنه ابتنى بالسواد مدينة، وسمها أباد أردشير هي القرية المعروفة بهميننا من الزاب الأعلى، وابتنى بكور دجلة مدينة وسمها بهمن أردشير، وهي الأبله، وسار إلى سجستان طالبا بثأر أبيه، فقتل رستم وأباه دستان وأخاه إزواره وابنه فرمرز، واجتبي الناس لأرزاق الجند ونفقات الهراذة وبيوت النيران وغير ذلك أموالا عظيمة، وهو أبو دارا الأكبر، وأبو ساسان أبي ملوك الفرس الآخر أردشير بن بابك وولده، وأم دارا نحمانى بنت بهمن.

فحدثت عن هشام بن مُحَمَّد قَالَ: ملك بعد بشتاسب أردشير بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب، وكان- فيما ذكروا- متواضعا مرضيا فيهم، وكانت كتبه تخرج من أردشير: عبد الله وخادم الله، السائس لأمرهم قَالَ: ويقال إنه غزا الرومية الداخلة في ألف ألف مقاتل.

وقال غير هشام: هلك بهمن ودارا في بطن أمه، فملكوا نحاني شكرا لأبيها بهمن، ولم تزل ملوك الأرض تحمل إلى بهمن الإتاوة والصلح، وكان من أعظم ملوك الفرس- فيما قالوا- شأنا، وأفضلهم تدييرا، وله كتب ورسائل تفوق كتب أردشير وعهده، وكانت أم بهمن أستوريا، وهي

أستار بنت ياثير بن شمعى بن قيس بن ميشا بن طالوت الملك بن قيس ابن أبل بن صارور بن بحرث بن أفيح بن إيشى بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن ع وكانت أم ولده راحب بنت فتحس من ولد رجبم بن سليمان بن داود ع وكان بهمن ملك أخاها زر بابل بن شلتايل على بني إسرائيل، وصير له رياسة الجالوت، وردة إلى الشام بمسألة راحب أخته إياه ذلك، فتوفي بهمن يوم توفي وله من الولد: ابنه دارا الأكبر وساسان، وبناته: نحاني التي ملكت بعده، وفرنك وبهمن دخت، وتفسير بهمن بالعربية الحسن النية، وكان ملكه مائة واثنى عشرة سنة.

فأما ابن الكلبي هشام فإنه قال: كان ملكه ثمانين سنة.

ثم ملكت نحاني بنت بهمن، وكانوا ملكوها حبا لأبيها بهمن، وشكرا لإحسانه ولكمال عقلها وبهاؤها وفروسياتها ونجدها- فيما ذكره بعض أهل الأخبار- فكانت تلقب بشهرازاد وقال بعضهم: إنما ملكت نحاني بعد أبيها بهمن أنها حين حملت منه دارا الأكبر سأله أن يعقد التاج له في بطنها ويؤثره بالملك، ففعل ذلك بهمن بدارا، وعقد عليه التاج حملا في بطنها، وساسان ابن بهمن في ذلك الوقت رجل يتصنع للملك لا يشك فيه، فلما رأى ساسان ما فعل أبوه من ذلك لحق بإصطخر، فتزهد وخرج من الحلية الأولى وتعبد فلحق براءوس الجبال يتعبد فيها، واتخذ غنيمة، فكان يتولى ماشيته بنفسه، واستشجعت العامة ذلك من فعله، وفطعت به، وقالوا: صار ساسان راعيا، فكان ذلك سبب نسبة الناس إياه إلى الرعي، وأم ساسان ابنه شالتايل ابن يوحنا بن أوشيا بن أمون بن منشى بن حازقيا بن أحاذ بن يوثام بن عوزيا ابن يورام بن يوشافط بن أيا بن رجبم بن سليمان بن داود.

وقيل: إن بهمن هلك وابنه دارا في بطن نحاني، وأنها ولدته بعد أشهر من ملكها وأنفت من إظهار ذلك، فجعلته في تابوت، وصيرت معه جوهر نفيسا، وأجرته في نهر الكر من إصطخر وقال بعضهم: بل نهر بلخ، وإن التابوت صار إلى رجل طحان من أهل إصطخر، كان له ولد صغير فهلك، فلما وجدته الرجل أتى به امرأته، فسرت به لجماله ونفاسة ما وجد معه، فحضره، ثم أظهر أمره حين شب، وأقرت نحاني بإساءتها إليه وتعريضها إياه للتلف، فلما تكامل امتحن فوجد على غاية ما يكون عليه أبناء الملوك، فحوت التاج عن رأسها إليه، وتقلد أمر المملكة، وتنقلت نحاني وصارت إلى فارس وبنت مدينة إصطخر، وأغزت الروم جيشا بعد جيش، وكانت قد أوتيت ظفرا، فقلعت الأعداء، وشغلهم عن تطرف شيء من بلادها، ونال رعيتهما في ملكها رفاهة وخفضا وكانت نحاني حين أغزت أرض الروم سبي لها منها بشر كثير، وحملوا إلى بلادها، فأمرت من فيهم من بنائي الروم، فبنوا لها في كل موضع من حيز مدينة إصطخر بنيانا على بناء الروم منيفا معجبا، أحد ذلك البنيان في مدينة إصطخر، والثاني على المدرجة التي تسلك فيها إلى دارابجرد، على فرسخ من هذه المدينة، والثالث على أربعة فراسخ منها في المدرجة التي تسلك فيها إلى خراسان وأنها أجهدت نفسها في طلب مرضاة الله عز وجل، فأوتيت الظفر والنصر، وخففت عن رعيتهما في الخراج. وكان ملكها ثلاثين سنة. ثم نرجع الآن إلى:

١٠٢٦ ذكر خبر بني إسرائيل ومقابله تاريخ مده أيامهم إلى حين تصرمها بتاريخ مده من كان في أيامهم من ملوك الفرس

ذكر خبر بني إسرائيل ومقابلة تأريخ مده أيامهم إلى حين تصرمها بتاريخ مده من كان في أيامهم من ملوك الفرس قد ذكرنا فيما مضى قبل سبب انصراف من انصرف إلى بيت المقدس من سبايا بني إسرائيل الذين كان يختصر سباهم وحملهم معه إلى أرض بابل، وأن ذلك كان في أيام كيرش بن أخشويرش وملكه ببابل من قبل بهمن بن إسفنديار في حياته وأربع سنين بعد وفاته في ملك ابنته نحاني، وأن نحاني عاشت بعد هلاك كيرش بن أخشويرش ستا وعشرين سنة في ملكها، تمام ثلاثين سنة وكانت مدة

خرب بيت المقدس من لدن خربه بختنصر إلى أن عمر- فيما ذكره أهل الكتب القديمة والعلماء بالأخبار- سبعين سنة، كل ذلك في أيام بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب بن لهراسب بعضه، وبعضه في أيام نخماني، على ما قد بين في هذا الكتاب. وقد زعم بعضهم أن كيرش هو بشتاسب، وأنكر ذلك من قبله بعضهم، وقال: كي أرش إنما هو عم جلد بشتاسب، وقال: هو كي إرش أخو كيقاوس ابن كيبييه بن كيقباز الأكبر، وبشتاسب الملك هو ابن كيلهراسب بن كيوجي ابن كيمنوش بن كيقاوس بن كيبييه بن كيقباز الأكبر قال: ولم يملك كي أرش قط، وإنما كان مملكا على خوزستان وما يتصل بها من أرض بابل من قبل كيقاوس، ومن قبل كيخسرو بن سیاوخش بن كيقاوس، ومن قبل لهراسب من بعده وكان طويل العمر، عظيم الشأن، ولما عمر بيت المقدس ورجع إليه أهله من بني إسرائيل كان فيهم عزيز- وقد وصفت ما كان من أمره وأمر بني إسرائيل- وكان الملك عليهم بعد ذلك من قبل الفرس، إما رجل منهم وإما رجل من بني إسرائيل، إلى أن صار الملك بناحيتهم لليونانية والروم بسبب غلبة الإسكندر على تلك الناحية حين قتل دارا بن دارا وكانت جملة مدة ذلك- فيما قيل- ثمانيا وثمانين سنة. ونذكر الآن:

١٠٢٧ خبر دارا الأكبر وابنه دارا الأصغر ابن دارا الأكبر وكيف كان هلاكه مع خبر ذي القرنين

خبر دارا الأكبر وابنه دارا الأصغر ابن دارا الأكبر وكيف كان هلاكه مع خبر ذي القرنين
وملك دارا بن بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب، وكان ينه بجهرازاد- يعني به كريم الطبع- فذكروا أنه نزل بابل، وكان ضابطا للملكه، قاهرا لمن حوله من الملوك، يؤدون إليه الخراج، وأنه ابنتي بفارس مدينة سماها دارابجرد، وحذف دواب البرد ورتبها، وكان معجبا بابنه دارا، وأنه من حبه إياه سماه باسم نفسه، وصير له الملك من بعده، وأنه كان له وزير يسمى رستين محمودا في عقله، وأنه شجر بينه وبين غلام تربي مع دارا الأصغر، يقال له برى شر وعداوة، فسعى رستين عليه عند الملك، فقتل: إن الملك سقى برى شر به مات منها، واضطغن دارا على رستين الوزير وجماعة من القواد، كانوا عاونوه على برى ما كان منهم، وكان ملك دارا اثنتي عشرة سنة. ثم ملك من بعده ابنه دارا بن دارا بن بهمن، وكانت أمه ماهيا هند بنت هزار مرد بن بهرامده، فلما عقد التاج على رأسه قال: لن ندفع أحدا في مهوى الهلكة، ومن تردى فيها لم نكففه عنها وقيل إنه بنى بأرض الجزيرة مدينة دارا، واستكتب أخا برى واستوزره لأنسه كان به وبأخيه، فأفسد قلبه على أصحابه، وحمله على قتل بعضهم، فاستوحشت لذلك منه الخاصة والعامة، ونفروا عنه، وكان شابا غرا حيا حقودا جبارا. وحدثت عن هشام بن محمد قال: ملك من بعد دارا بن أردشير دارا ابن دارا أربع عشرة سنة، فأساء السيرة في رعيته، وقتل رؤساءهم، وغزاه الإسكندر على ثغفة ذلك، وقد مله أهل مملكته وسموه، وأحبوا الراحة منه، فلحق كثير من وجوههم وأعلامهم بالإسكندر، فأطلعوه على عورة دارا، وقووه عليه،

فالتقيا ببلاد الجزيرة، فاقتتلا سنة ثم إن رجالا من أصحاب دارا وثبوا به فقتلوه، وتقربوا برأسه إلى الإسكندر، فأمر بقتلهم، وقال: هذا جزء من اجترأ على ملكه وتزوج ابنته روشنك بنت دارا، وغزا الهند ومشارك الأرض، ثم انصرف وهو يريد الإسكندرية، فهلك بناحية السواد، فحمل إلى الإسكندرية في تابوت من ذهب، وكان ملكه أربع عشرة سنة، واجتمع ملك الروم، وكان قبل الإسكندر متفرقا، وتفرق ملك فارس وكان قبل الإسكندر مجتمعاً.

قال: وذكر غير هشام أن دارا بن دارا لما ملك أمر فبنيت له بأرض الجزيرة مدينة واسعة وسماها دارنوا، وهي التي تسمى اليوم دارا، وأنه عمرها وشحنها من كل ما يحتاج إليه فيها، وأن فيلغوس أبا الإسكندر اليوناني من أهل بلدة من بلاد اليونانيين تدعى مقدونية، كان ملكا عليها وعلى بلاد أخرى احتازها إليها، كان صالح دارا على خراج يحمله إليه في كل سنة، وأن فيلغوس هلك، فملك بعده ابنه الإسكندر، فلم يحمل إلى دارا ما كان يحمله إليه أبوه من الخراج، فأستخط ذلك عليه دارا، وكتب إليه يؤنبه بسوء صنيعه في تركه حمل ما كان أبوه يحمل إليه من الخراج وغيره، وأنه إنما دعاه إلى حبس ما كان أبوه يحمل إليه من الخراج الصبا والجهل، وبعث إليه بصولجان وكرة وقفيز من سمس، وأعلمه فيما كتب إليه أنه صبي، وأنه إنما ينبغي له أن يلعب بالصولجان والكرة اللذين بعث بهما إليه، ولا يتقلد

الملك، ولا يتلبس به، وأنه إن لم يقتصر على ما أمره به من ذلك، وتعاطى الملك واستعصى عليه، بعث إليه من يأتيه به في وثاق، وأن عدة جنوده كعدة حب السمس الذي بعث به إليه.

فكتب إليه الإسكندر في جواب كتابه ذلك، أن قد فهم ما كتب، وأن قد نظر إلى ما ذكر في كتابه إليه من إرساله الصولجان والكرة، وتبين به الإلقاء

الملقي الكرة إلى الصولجان، واحترازه إياها، وشبه الأرض بالكرة، وأنه محتاز ملك دارا إلى ملكه، وبلاده إلى حيزه من الأرض، وأن نظره إلى السمس الذي بعث به إليه كنظره إلى الصولجان والكرة لدسمه وبعده من المارة والحرافة وبعث إلى دارا مع كتابه بصره من خردل، وأعلمه في ذلك الجواب أن ما بعث به إليه قليل، غير أن ذلك مثل الذي بعث به في الحرافة والمرارة والقوة، وأن جنوده في كل ما وصف به منه.

فلما وصل إلى دارا جواب كتاب الإسكندر، جمع إليه جنده، وتأهب لمحاربة الإسكندر، وتأهب الإسكندر وسار نحو بلاد دارا. وبلغ ذلك دارا، فزحف إليه فالتقى الفئتان، واقتتلا أشد القتال، وصارت الديرة على جند دارا، فلما رأى ذلك رجالان من حرس دارا، يقال إنهما كانا من أهل همدان، طعنا دارا من خلفه فأردياه من مركبه، وأرادا بطعنهما إياه الحظوة عند الإسكندر، والوسيلة إليه، ونادى الإسكندر أن يؤسر دارا أسرا ولا يقتل، فأخبر بشأن دارا، فسار الإسكندر حتى وقف عنده، فرآه يجود بنفسه، فنزل الاسكندر عن دابته حتى حبس عند رأسه، وأخبره أنه لم يهيم قط بقتله، وأن الذي أصابه لم يكن عن رايه، وقال له: سلني ما بدا لك فأسعفك فيه، فقال له دارا: لي إليك حاجتان: إحداهما أن تنتقم لي من الرجلين اللذين فتكا بي- وسماهما وبلادهما- والأخرى أن تتزوج ابنتي روشنك فأجابه إلى الحاجتين، وأمر بصلب الرجلين اللذين انتهكا من دارا ما انتهكا، وتزوج روشنك وتوسط بلاد دارا، وكان ملكه له.

وزعم بعض أهل العلم بأخبار الأولين أن الإسكندر هذا الذي حارب دارا الأصغر، هو أخو دارا الأصغر الذي حاربه، وأن أباه دارا الأكبر كان تزوج أم الإسكندر، وأنها ابنة ملك الروم واسمها هلاي، وأنها حملت

إلى زوجها دارا الأكبر، فلما وجد تن ريجها وعرقها وسهكها، أمر أن يحتال لذلك منها، فاجتمع رأي أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها بالفارسية سندر، فطبخت لها فغسلت بها وبمائها، فأذهب ذلك كثيرا من ذلك التن، ولم يذهب كله، وانتهت نفسه عنها لبقية ما بها، وعافها وردّها إلى أهلها، وقد علقت منه فولدت غلاما في أهلها، فسمته باسمها واسم الشجرة التي غسلت بها، حتى أذهبت عنها نتنها: هلاي سندروس، فهذا أصل الإسكندروس.

قال: وهلك دارا الأكبر، وصار الملك إلى ابنه دارا الأصغر، وكانت ملوك الروم تؤدي الخراج إلى دارا الأكبر في كل سنة، فهلك أبو هلاي ملك الروم جد الإسكندر لأمه، فلما صار الملك لابن ابنته بعث دارا الأصغر إليه للعادة: إنك أبطأت علينا بالخراج الذي كنت تؤديه ويؤديه من كان قبلك، فابعث إلينا بخراج بلادك وإلا نابذناك المحاربة فرجع إليه جوابه: أني قد ذبحت الدجاجة، وأكلت لحمها، ولم يبق لها بقية، وقد بقيت الأطراف، فإن أحببت وادعناك، وإن أحببت نأجزناك فعند ذلك نافر دارا ونأجزه القتال، وجعل الإسكندر لحاجي دارا حكمها على الفتك به، فاحتكا شيئا، ولم يشترطا أنفسهما، فلما التقوا للحرب، طعن حاجبا دارا دارا في الوقعة، فلحقه الإسكندر صريعا، فنزل إليه وهو بآخر رمق، فمسح التراب عن وجهه ووضع رأسه في حجره، ثم قال له: إنما قتلك حاجباك، ولقد كنت أرغب بك يا شريف الأشراف وحر الأحرار وملك الملوك، عن هذا المصراع، فأوصني بما أحببت فأوصاه دارا أن يتزوج ابنته روشنك، ويتخذها لنفسه ويستبقي أحرار فارس، ولا يولى عليهم غيرهم فقبل وصيته وعمل بأمره، وجاء اللذان قتل دارا إلى الإسكندر فدفع إليهما حكمهما، ووفى لهما ثم قال لهما: قد وفيت لكما كما اشترطتما ولم تكونا اشترطتما أنفسكما، فأنا قاتلكما، فإنه ليس ينبغي لقتلة الملوك أن يستبقوا إلا بذمة لا تخفر فقتلتهما

وذكر بعضهم أن ملك الروم في أيام دارا الأكبر كان يؤدي إلى دارا الإتاوة فهلك، وملك الروم الإسكندر، وكان رجلا ذا حزم وقوة ومكر، فيقال إنه غزا بعض ملوك المغرب فظفر به، وأنس لذلك من نفسه القوة فنشز على دارا الأصغر، وامتنع من حمل ما كان أبوه يحمله من الخراج، فحمي دارا لذلك، وكتب إليه كتباً عنيفة، ففسد ما بينهما وسار كل واحد منهما إلى صاحبه وقد احتشدا والتقيا في

الحد واختلفت بينهما الكتب والرسائل، ووجل الإسكندر من محاربة دارا، ودعاه إلى المودعة، فاستشار دارا أصحابه في أمره، فزينا له الحرب لفساد قلوبهم عليه وقد اختلفوا في الحد وموضع التقائهما، فذكر بعضهم ان التقائهما كان بناحية خراسان مما يلي الخزر، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى خلع إليهما السلاح، وكان تحت الإسكندر يومئذ فرس له عجيب يقال له بوكفراسب، ويقال إن رجلا من أهل فارس حمل ذلك اليوم حتى تحرق الصفوف، وضرب الإسكندر ضربة بالسييف خيف عليه منها، وأنه تعجب من فعله وقال: هذا من فرسان فارس الذين كانت توصف شدتهم، وتحركت على دارا ضغائن أصحابه، وكان في حرسه رجالان من أهل همدان، فراسلا الإسكندر واتمسا الحيلة لدارا حتى طعناه، فكانت منيته من طعنهما إياه، ثم هربا.

فقيل إنه لما وقعت الصيحة، وانتهى الخبر إلى الإسكندر ركب في أصحابه، فلما انتهى إلى دارا وجده يوجد بنفسه، فكله ووضع رأسه في حجره، وبكى عليه، وقال له: أتيت من مأمنك، وغدر بك ثقاتك، وصرت بين أعدائك وحيدا، فسلي حوائجك فإني على المحافظة على القرابة بيننا- يعني القرابة بين سلم وهيرج ابني أفريزون- فيما زعم هذا القائل- وأظهر الجزع لما أصابه، وحمد ربه حين لم يبتله بأمره، فسأله دارا أن يتزوج ابنته روشنك، ويرعى لها حقها، ويعظم قدرها، وأن يطلب بثأره، فأجابه الإسكندر إلى ذلك ثم أتاه الرجلان اللذان وثبا على دارا يطلبان الجزاء، فأمر بضرب رقابهما وصلبهما، وأن ينادى عليهما: هذا جزاء من اجترأ على ملكه، وغش أهل بلده.

ويقال: إن الإسكندر حمل كتباً وعلومه كانت لأهل فارس من علوم ونجوم وحكمة، بعد أن نقل ذلك إلى السريانية ثم إلى الرومية. وزعم بعضهم أن دارا قتل وله من الولد المذكور: أشك بن دارا وبنو دارا وأردشير وله من البنات روشنك، وكان ملك دارا أربع عشرة سنة.

وذكر بعضهم أن الإتاوة التي كان أبو الإسكندر يؤديها إلى ملوك الفرس كانت بيضا من ذهب، فلما ملك الإسكندر بعث إليه دارا يطلب ذلك الخراج، فبعث إليه: إني قد ذبحت تلك الدجاجة التي كانت تبيض ذلك البيض، وأكلت لحمها فأذن بالحرب ثم ملك الإسكندر بعد دارا بن دارا.

وقد ذكرت قول من يقول: هو أخو دارا بن دارا من أبيه دارا الأكبر. وأما الروم وكثير من أهل الأنساب فإنهم يقولون: هو الاسكندر بن فيلفوس، وبعضهم يقول: هو ابن بيلبوس بن مطريوس، ويقال: ابن مصرم ابن هرمس بن هردس بن ميطن بن رومي بن ليطي بن يونان بن يافث بن ثوبه بن سرحون بن رومية بن زنط بن توقيل بن رومي بن الأصفر بن اليفز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن ع لجمع بعد مهلك دارا ملك دارا إلى ملكه، فلك العراق والروم والشام ومصر، وعرض جنده بعد هلاك دارا فوجدتهم- فيما قيل- الف الف وأربعمائة رجل، منهم من جنده ثمانمائة ألف، ومن جند دارا ستمائة ألف.

وذكر أنه قال يوم جلس على سريرته: قد أدانا الله من دارا، ورزقنا خلاف ما كان يتوعدنا به، وأنه هدم ما كان في بلاد الفرس من المدن والحصون وبيوت النيران، وقتل الهراذة، وأحرق كتبهم ودواوين دارا، واستعمل على مملكة دارا رجلا من أصحابه، وسار قدما إلى أرض الهند، فقتل ملكها وفتح مدينتها، ثم سار منها إلى الصين، فصنع بها كصنيعه بأرض الهند، ودانت له عامة الأرضين، وملك التبت والصين، ودخل الظلمات مما يلي القطب الشمالي والشمس جنوبية في أربعمائة رجل يطلب عين الخلد، فسار فيها ثمانية عشر يوما، ثم خرج ورجع إلى العراق، وملك ملوك الطوائف، ومات في طريقه بشهرزور. وكان عمره ستا وثلاثين سنة في قول بعضهم، وحمل إلى أمه بالإسكندرية.

وأما الفرس فإنها تزعم أن ملك الإسكندر كان أربع عشرة سنة، والنصارى تزعم أن ذلك كان ثلاث عشرة سنة وأشهر، ويزعمون أن قتل دارا كان في أول السنة الثالثة من ملكه.

وقيل إنه أمر ببناء مدن فبنيت اثنتا عشرة مدينة، وسماها كلها إسكندرية، منها مدينه بأصبهان يقال جى، بنيت على مثال الحية، وثلاث مدائن بخراسان، منهن مدينة هراة ومدينة مرو ومدينة سمرقند، وبأرض بابل مدينة لروشك بنت دارا، وبأرض اليونانية في بلاد هيلاقوس مدينة للفرس، ومدنا أخر غيرهما.

ولما مات الإسكندر عرض الملك من بعده على ابنه الإسكندروس، فأبى واختار النسك والعبادة، فلكت اليونانية عليهم- فيما قيل-

بطلميوس بن لوغوس، وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة، فكانت المملكة أيام اليونانية بعد الإسكندر وحياة الإسكندر إلى أن تحول الملك إلى الروم المصاص لليونانية، ولبنى إسرائيل بيت المقدس ونواحيها الديانة والرياسة على غير وجه الملك إلى أن خربت بلادهم الفرس والروم، وطردهم عنها بعد قتل يحيى بن زكرياء ع.

ثم كان الملك ببلاد الشام ومصر ونواحي المغرب بعد بطليموس بن لوغوس لبطلميوس ديناوس أربعين سنة.

ثم من بعده لبطلميوس أورغاطس أربعاً وعشرين سنة.

ثم من بعده لبطلميوس فيلاطر إحدى وعشرين سنة.

ثم من بعده لبطلميوس أفيانس اثنتين وعشرين سنة.

ثم من بعده لبطلميوس أورغاطس تسعاً وعشرين سنة.

ثم من بعده لبطلميوس ساطر سبع عشرة سنة.

ثم من بعده لبطلميوس الأحسندر إحدى عشرة سنة.

ثم من بعده لبطلميوس الذي اختفى عن ملكه ثماني سنين.

ثم من بعده لبطلميوس دونسيوس ست عشرة سنة.

ثم من بعده لبطلميوس قالوبطري سبع عشرة سنة.

فكل هؤلاء كانوا يونانيين، فكل ملك منهم بعد الإسكندر كان يدعى بطليموس، كما كانت ملوك الفرس يدعون أكاسرة، وهم الذين يقال لهم المفقانيون.

ثم ملك الشام بعد قالوبطري- فيما ذكر الروم- المصاص، فكان أول من ملك منهم جايوس يوليوس خمس سنين ثم ملك الشام بعده اغوستوس ستاً وخمسين سنة فلما مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة ولد عيسى بن مريم ع، وبين مولده وقيام الاسكندر ثلاثمائة سنة وثلاث سنين

١٠٢٨ ذكر اخبار ملوك الفرس بعد الاسكندر وهم ملوك الطوائف

ذكر اخبار ملوك الفرس بعد الاسكندر وهم ملوك الطوائف

ونرجع الآن إلى ذكر خبر الفرس بعد مهلك الإسكندر لسياق التاريخ على ملكهم.

فاختلف أهل العلم بأخبار الماضين في الملك الذي كان بسواد العراق بعد الإسكندر، وفي عدد ملوك الطوائف الذين كانوا ملوكاً إقليم بابل بعده إلى أن قام بالملك أردشير بابكان.

فأما هشام بن محمد فإنه قال- فيما حدثت عنه: ملك بعد الإسكندر يلاقس سلقيس، ثم أنطيوخس قال: وهو الذي بنى مدينة أنطاكية قال:

وكان في أيدي هؤلاء الملوك سواد الكوفة، قال: وكانوا يتطرقون الجبال وناحية الأهواز وفارس، حتى خرج رجل يقال له أشك، وهو ابن دارا الأكبر، وكان مولده ومنشؤه بالري، فجمع جمعا كثيرا وسار يريد أنطيوخس، فزحف إليه أنطيوخس، فالتقى ببلاد الموصل فقتل أنطيوخس، وغلب أشك على السواد، فصار في يده من الموصل إلى الري وأصبهان، وعظمه سائر ملوك الطوائف لنسبه، وشرفه فيهم ما كان من فعله، وعرفوا له فضله، وبدءوا به في كتبهم، وكتب إليهم فبدأ بنفسه، وسموه ملكا، وأهدوا إليه من غير أن يعزل أحدا منهم أو يستعمله.

ثم ملك بعده جودرز بن أشكان قال: وهو الذي غزا بني إسرائيل المرة الثانية، وكان سبب تسليط الله إياه عليهم- فيما ذكر أهل العلم- قتلهم يحيى بن زكرياء، فأكثر القتل فيهم، فلم تعد لهم جماعة كجماعتهم الأولى، ورفع الله عنهم النبوة وأنزل بهم الذل قال: وقد كانت الروم غزت بلاد فارس، يقودها ملكها الأعظم يلتمس أن يدرك بثأرها في فارس لقتل أشك ملك بابل أنطيوخس، وملك بابل يومئذ بلاش ابو اردوان، الذي قتله أردشير

ابن بابك، فكتب بلاش إلى ملوك الطوائف يعلمهم ما اجتمعت عليه الروم من غزو بلادهم، وإنه قد بلغه من حشدهم وجمعهم ما لا كفاء له عنده، وإنه إن ضعف عنهم ظفروا بهم جميعاً فوجه كل ملك من ملوك الطوائف إلى بلاش من الرجال والسلاح والمال بقدر قوته، حتى اجتمع عنده أربعمئة ألف رجل، فولى عليهم صاحب الحضر- وكان ملكاً من ملوك الطوائف يلي ما بين انقطاع السواد إلى الجزيرة- فسار بهم حتى لقي ملك الروم فقتله واستباح عسكره، وذلك هيج الروم على بناء القسطنطينية ونقل الملك من رومية إليها فكان الذي ولى إنشاءها الملك قسطنطين، وهو أول ملوك الروم تنصر، وهو أجل من بقي من بني إسرائيل عن فلسطين والأردن لقتلهم- بزعمه- عيسى بن مريم، فأخذ الخشبة التي وجددهم يزعمون أنهم صلبوا المسيح عليها، فعظمها الروم، فأدخلوها خزائنهم، فهي عندهم إلى اليوم.

قال: ولم يزل ملك فارس متفرقاً حتى ملك أردشير فذكر هشام ما ذكرت عنه، ولم يبين مدة ملك القوم. وقال غيره من أهل العلم بأخبار فارس: ملك بعد الإسكندر ملك دارا أناس من غير ملوك الفرس، غير أنهم كانوا يخضعون لكل من يملك بلاد الجبل ويمنحونه الطاعة.

قال: وهم الملوك الأشغانون الذين يدعون ملوك الطوائف قال: فكان ملكهم مائتي سنة وستا وستين سنة. فملك من هذه السنين أشك بن أشجان عشر سنين ثم ملك بعده سابور بن أشغان ستين سنة، وفي سنة إحدى وأربعين من ملكه ظهر عيسى بن مريم بأرض فلسطين وإن ططوس بن أسفسيانوس ملك رومية غزا بيت المقدس بعد ارتفاع عيسى بن مريم بنحو من أربعين سنة، فقتل من في مدينة بيت المقدس، وسبى ذراريهم، وأمرهم فنسفت مدينة بيت المقدس، حتى لم يترك بها حجراً على حجر

ثم ملك جودرز بن أشغان الأكبر، عشر سنين.

ثم ملك بيزن الأشغاني، إحدى وعشرين سنة.

ثم ملك جودرز الأشغاني، تسع عشرة سنة.

ثم ملك نرسي الأشغاني، أربعين سنة.

ثم ملك هرمز الأشغاني، سبع عشرة سنة.

ثم ملك أردوان الأشغاني، اثنتي عشرة سنة.

ثم ملك كسرى الأشغاني، أربعين سنة.

ثم ملك بلاش الأشغاني، أربعاً وعشرين سنة.

ثم ملك أردوان الأصغر الأشغاني، ثلاث عشرة سنة.

ثم ملك أردشير بن بابك.

وقال بعضهم: ملك بلاد الفرس بعد الإسكندر ملوك الطوائف الذين فرق الإسكندر المملكة بينهم، وتفرّد بكل ناحية من ملك عليها من حين ملكه، ما خلا السواد، فإنها كانت أربعاً وخمسين سنة بعد هلاك الإسكندر في يد الروم وكان في ملوك الطوائف رجل من نسل الملوك مملوكاً على الجبال وأصبهان، ثم غلب ولده بعد ذلك على السواد، فكانوا ملوكاً عليها وعلى الماهات والجبال وأصبهان، كالرئيس على سائر ملوك الطوائف، لأن السنة جرت بتقديمه وتقديمه ولده، ولذلك قصد لذكرهم في كتب سير الملوك، فاقصر على تسميتهم دون غيرهم.

قال: ويقال إن عيسى بن مريم ولد باورشليم بعد إحدى وخمسين سنة من ملوك الطوائف، فكانت سنو ملكهم من لدن الإسكندر إلى وثوب أردشير بن بابك وقتله أردوان واستواء الأمر له، مائتين وستا وستين سنة.

قال: فمن الملوك الذين ملكوا الجبال ثم تهيأت لأولادهم بعد ذلك الغلبة

على السواد أشك بن حره بن رسيان بن أرشاش بن هرمز بن ساهم بن رزان بن إسفنديار بن بشتاسب قال: والفرس تزعم أنه أشك بن دارا وقال بعضهم:

أشك بن أشكان الكبير، وكان من ولد كيبييه بن كيقباز، وكان ملكه عشر سنين.

ثم ملك من بعده أشك بن أشك بن أشكان، إحدى وعشرين سنة.

ثم ملك سابور بن أشك بن أشكان، إحدى وعشرين سنة.
ثم ملك سابور بن أشك بن أشكان، ثلاثين سنة.
ثم ملك جودرز الأكبر بن سابور بن أشكان، عشر سنين.
ثم ملك بيرن بن جودرز، إحدى وعشرين سنة.
ثم جودرز الأصغر بن بيرن، تسع عشرة سنة.
ثم نرسه بن جودرز الأصغر، أربعين سنة.
ثم هرمز بن بلاش بن أشكان، سبع عشرة سنة.
ثم أردوان الأكبر وهو أردوان بن أشكان، اثنتي عشرة سنة.
ثم كسرى بن أشكان، أربعين سنة.
ثم بها فريد الأشكاني، تسع سنين.
ثم بلاش الأشكاني، أربعاً وعشرين سنة.
ثم أردوان الأصغر وهو أردوان بن بلاش بن فيروز بن هرمز بن بلاش بن سابور بن أشك بن أشكان الأكبر، وكان جده كيبه بن كيقباز ويقال:
إنه كان أعظم الأشكانية ملكاً، وأظهرهم عزاً، واسنهم ذكراً، واشدهم قهراً الملوك الطوائف، وأنه كان قد غلب على كورة إصطخر لاتصالها بأصبهان، ثم تخطى إلى جور وغيرها من فارس، حتى غلب عليها، ودانت له ملوكها لهيبة ملوك الطوائف كانت له، وكان ملكه ثلاث عشرة سنة.
ثم ملك أردشير.
وقال بعضهم: ملك العراق وما بين الشام ومصر بعد الإسكندر تسعون ملكاً على تسعين طائفة كلهم يعظم من يملك المدائن، وهم الاشكانيون قال:
فملك من الاشكانيين أفقور شاه بن بلاش بن سابور بن أشكان بن أرش الجبار بن سياوش بن كيقاوس الملك، اثنتين وستين سنة.
ثم سابور بن أفقور- وعلى عهده كان المسيح ويحيى ع- ثلاثاً وخمسين سنة.
ثم جودرز بن سابور بن أفقور الذي غزا بني إسرائيل طالبا بثاريحي ابن زكرياء، ملك تسعا وخمسين سنة.
ثم ابن أخيه أيزان بن بلاش بن سابور، سبعا وأربعين سنة.
ثم جودرز بن أيزان بن بلاش، إحدى وثلاثين سنة.
ثم أخوه نرسى بن أيزان، أربعاً وثلاثين سنة.
ثم عمه الهرمزان بن بلاش، ثمانياً وأربعين سنة.
ثم ابنه الفيروزان بن الهرمزان بن بلاش، تسعا وثلاثين سنة.
ثم ابنه كسرى بن الفيروزان، سبعا وأربعين سنة.
ثم ابنه اردوان بن بلاش، وهو آخرهم، قتله أردشير بن بابك، خمسا وخمسين سنة.
قال: وكان ملك الإسكندر وملك سائر ملوك الطوائف في النواحي خمسمائة وثلاثاً وعشرين سنة

١٠٢٩ ذكر الاحداث التي كانت في ايام ملوك الطوائف

ذكر الأحداث التي كانت في أيام ملوك الطوائف
فكان من ذلك- فيما زعمته الفرس- لمضي خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على أرض بابل، وإحدى وخمسين سنة من ملك الأشكانيين- ولادة مريم بنت عمران عيسى بن مريم ع.

فأما النصارى فإنها تزعم أن ولادتها إياه كانت لمضى ثلاثمائة سنة وثلاث سنين من وقت غلبة الإسكندر على أرض بابل وزعموا أن مولد يحيى بن زكرياء كان قبل مولد عيسى ع بستة أشهر وذكروا أن مريم حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة، وأن عيسى عاش إلى أن رفع اثنتين وثلاثين سنة وأياما، وأن مريم بقيت بعد رفعه ست سنين، وكان جميع عمرها نيفا وخمسين سنة.

قال: وزعموا أن يحيى اجتمع هو وعيسى بنهر الأردن وله ثلاثون سنة، وأن يحيى قتل قبل أن يرفع عيسى وكان زكرياء بن برخيا أبو يحيى بن زكرياء وعمران بن ماثان أبو مريم متزوجين بأختين، إحداهما عند زكرياء وهي أم يحيى، والأخرى منهما عند عمران بن ماثان، وهي أم مريم، فأت عمران بن ماثان وأم مريم حامل بمريم، فلما ولدت مريم كفلها زكرياء بعد موت أمها، لأن خالتها أخت أمها كانت عنده واسم أم مريم حنة بنت فاقود ابن قبيل، واسم أختها أم يحيى الأشباع ابنة فاقود وكفلها زكرياء، وكانت مسماة بيوسف بن يعقوب بن ماثان بن اليعازار بن اليوذ بن أحين بن صادوق بن عازور بن الياقيم بن أبيوذ بن زربابل بن شلتيل بن يوحنا بن يوشيا بن أمون بن منشأ بن حزقيا بن أهاز بن يوثام بن عوزيا بن يورام بن يهوشافاط بن أسا بن أيا بن رحبعم بن سليمان بن داود، ابن عم مريم.

وأما ابن حميد، فإنه حدثنا عن سلمة، عن ابن إسحاق، أنه قال:

مريم- فيما بلغني عن نسبها- ابنة عمران بن ياشهم بن أمون بن منشأ بن حزقيا ابن احزيق بن يوثام بن عزريا بن أمصيا بن يابوش بن احزيهو بن يارم بن يهشافاط بن أسا بن أيا بن رحبعم بن سليمان فولد لزكرياء يحيى ابن خالة عيسى بن مريم، فنبئ صغيرا، فساح، ثم دخل الشام يدعو الناس، ثم اجتمع يحيى وعيسى، ثم افترقا بعد أن عمد يحيى عيسى.

وقيل: إن عيسى بعث يحيى بن زكرياء في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس: قال: وكان فيما نهوهم عنه نكاح بنات الأخ، فحدثني أبو السائب، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، قال: بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكرياء، في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس، قال: فكان فيما نهوهم عنه نكاح ابنة الأخ قال: وكان لملكهم ابنة أخت تعجبه، يريد أن يتزوجها، وكانت لها كل يوم حاجة يقضيها، فلما بلغ ذلك أمها قالت لها: إذا دخلت على الملك، فسألك حاجتك فقولي: حاجتي أن تدفع لي يحيى بن زكرياء فلما دخلت عليه سألتها حاجتها، قالت: حاجتي أن تدفع لي يحيى بن زكرياء، فقال: فقال:

سليبي غير هذا، قالت: ما أسألك إلا هذا، قال: فلما أتت عليه دعا يحيى، ودعا بطست فذبحه، فندرت قطرة من دمه على الأرض فلم تزل تغلي حتى بعث الله بختنصر عليهم، فجاءته عجوز من بني إسرائيل، فدلته على ذلك الدم، قال: فالتقى الله في قلبه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن، فقتل سبعين ألفا منهم من سن واحدة، فسكن.

حدثنا موسى بن هارون الهمداني، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال:

حدثنا أسباط، عن السدي، في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس- وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود- وعن ناس من أصحاب النبي ص، إن رجلا من بني إسرائيل، رأى في النوم أن خراب بيت المقدس وهلاك بني إسرائيل على يدي غلام يتيم، ابن أرملة من أهل بابل، يدعى بختنصر، وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم، فأقبل يسأل عنه، حتى نزل على أمه وهو محتطب، فلما جاء وعلى راسه حزمه

حطب ألقاها، ثم قعد في جانب البيت، فكله، ثم أعطاه ثلاثة دراهم، فقال: اشتر بهذه طعاما وشرابا، فاشترى بديرهم لحما، وبديرهم خبزا، وبديرهم خمرًا، فأكلوا وشربوا، حتى إذا كان اليوم الثاني فعل به ذلك، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل ذلك، ثم قال: إني أحب أن تكتب لي أمانا إن أنت ملكت يوما من الدهر، قال: تسخرني! قال: إني لا أسخر بك، ولكن ما عليك أن تتخذ بها عندي يدا! فكلته أمه، فقالت: وما عليك إن كان، وإلا لم ينقصك شيئا! فكتب له أمانا، فقال: أرايت إن جئت والناس حولك، قد حالوا

بَنِي وَبَيْنَكَ! فَاجْعَلْ لِي آيَةً تَعْرِفَنِي بِهَا، قَالَ:

تَرَفَعُ صَحِيفَتَكَ عَلَى قَصَبَةٍ فَأَعْرِفُكَ بِهَا فَكَسَاهُ وَأَعْطَاهُ ثُمَّ إِنَّ مَلِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ يُكْرِمُ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا، وَيُدْنِي مَجْلِسَهُ، وَيَسْتَشِيرُهُ فِي أَمْرِهِ، وَلَا يَقْطَعُ أَمْرًا دُونَهُ، وَإِنَّهُ هُوَ أَنْ يَتَزَوَّجَ ابْنَةُ أَمْرَأَةٍ لَهُ، فَسَأَلَ يَحْيَى عَنْ ذَلِكَ، فَنَهَا عَنْ نِكَاحِهَا، وَقَالَ: لَسْتُ أَرْضَاهَا لَكَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أُمُّهَا فَحَدَّثَتْ عَلَى يَحْيَى حِينَ نَهَا أَنْ يَتَزَوَّجَ ابْنَتَهَا، فَعَمِدَتْ إِلَى الْجَارِيَةِ حِينَ جَلَسَ الْمَلِكُ عَلَى شَرَابِهِ، فَأَلْبَسَتْهَا ثِيَابًا رَقَاقًا حُمْرًا، وَطَيَّبَتْهَا، وَأَلْبَسَتْهَا مِنَ الْخَلِيِّ، وَأَلْبَسَتْهَا فَوْقَ ذَلِكَ كِسَاءً أَسْوَدَ، فَأَرْسَلَتْهَا إِلَى الْمَلِكِ، وَأَمَرَتْهَا أَنْ تَسْقِيَهُ، وَأَنْ تَعْرِضَ لَهُ، فَإِنْ أَرَادَهَا عَلَى نَفْسِهَا أَبَتْ عَلَيْهِ، حَتَّى يُعْطِيَهَا مَا سَأَلَتْهُ، فَإِذَا أَعْطَاهَا ذَلِكَ سَأَلَتْهُ أَنْ تُؤْتِيَ بِرَأْسِ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا فِي طَسْتٍ، فَفَعَلَتْ فَجَعَلَتْ تَسْقِيَهُ وَتَعْرِضُ لَهُ، فَلَمَّا أَخَذَ فِيهِ الشَّرَابُ أَرَادَهَا عَلَى نَفْسِهَا، فَقَالَتْ: لَا أَفْعَلُ حَتَّى تُعْطِيَنِي مَا أَسْأَلُكَ، قَالَ: مَا تَسْأَلِينِي؟

قَالَتْ: أَسْأَلُكَ أَنْ تَبْعَثَ إِلَيَّ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا، فَأُؤْتِيَ بِرَأْسِهِ فِي هَذَا الطَّسْتِ، فَقَالَ: وَيْحَكَ! سَلِينِي غَيْرَ هَذَا! قَالَتْ: مَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ إِلَّا هَذَا.

قَالَ: فَلَمَّا أَبَتْ عَلَيْهِ، بَعَثَ إِلَيْهِ فَأُتِيَ بِرَأْسِهِ، وَالرَّأْسُ يَتَكَلَّمُ، حَتَّى وَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: لَا تَحِلُّ لَكَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ إِذَا دُمُهُ يَغِي، فَأَمَرَ بِتُرَابٍ فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ، فَفَرَّقَ الدَّمَ فَوْقَ التُّرَابِ يَغِي، فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ التُّرَابَ أَيْضًا، فَارْتَفَعَ الدَّمُ فَوْقَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُلْقَى عَلَيْهِ التُّرَابُ حَتَّى بَلَغَ سُورَ الْمَدِينَةِ،

وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَغِي، وَبَلَغَ صِيحَاتِي فَنَادَى فِي النَّاسِ، وَأَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا، وَيُؤَمِّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا، فَأَتَاهُ بِمُخْتَصِرٍ، فَكَلَّمَهُ، وَقَالَ: إِنَّ الَّذِي كُنْتُ أَرْسَلْتُ تِلْكَ الْمَرَّةَ ضَعِيفٌ، فَإِنِّي قَدْ دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ، وَسَمِعْتُ كَلَامَ أَهْلِهَا، فَأَبْعَثْنِي، فَبَعَثَهُ فَسَارَ بِمُخْتَصِرٍ، حَتَّى إِذَا بَلَّغُوا ذَلِكَ الْمَكَانَ تَحَصَّنُوا مِنْهُ فِي مَدَائِنِهِمْ، فَلَمْ يُطَقْهُمْ، فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْمَقَامُ، وَجَاعَ أَصْحَابُهُ أَرَادَ الرُّجُوعَ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالَتْ:

أَيْنَ أَمِيرُ الْجُنْدِ؟ فَأُتِيَ بِهِ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ بِجُنْدِكَ قَبْلَ أَنْ تَفْتَحَ هَذِهِ الْمَدِينَةَ قَالَ: نَعَمْ، قَدْ طَالَ مَقَامِي، وَجَاعَ أَصْحَابِي، فَلَسْتُ أَسْتَطِيعُ الْمَقَامَ فَوْقَ الَّذِي كَانَ مِنِّي، فَقَالَتْ: أَرَأَيْتَكَ إِنْ فَتَحْتَ لَكَ الْمَدِينَةَ، أَتُعْطِيَنِي مَا أَسْأَلُكَ، فَتَقْتُلَ مَنْ أَمَرْتُكَ بِقَتْلِهِ، وَتَكُفُّ إِذَا أَمَرْتُكَ أَنْ تَكُفَّ؟ قَالَ لَهَا: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَا أَصْبَحْتَ فَاقْسِمْ جُنْدَكَ أَرْبَعَةَ أَرْبَاعٍ، ثُمَّ أَقِمْ عَلَى كُلِّ زَاوِيَةٍ رُبْعًا، ثُمَّ أَرْفَعُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَنَادُوا: إِنَّا نَسْتَفْتِحُكَ يَا اللَّهُ بِدَمِ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا، فَإِنَّهَا سَوْفَ تَنْسَاقُطُ فَفَعَلُوا، فَتَسَاقَطَتِ الْمَدِينَةُ، وَدَخَلُوا مِنْ جَوَانِبِهَا، فَقَالَتْ لَهُ: كُفَّ يَدُكَ، أَقْتُلْ عَلَى هَذَا الدَّمِ حَتَّى يَسْكُنَ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ إِلَى دَمِ يَحْيَى وَهُوَ عَلَى تُرَابٍ كَثِيرٍ، فَقَتَلَ عَلَيْهِ حَتَّى سَكَنَ، فَقَتَلَ سَبْعِينَ أَلْفَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ، فَلَمَّا سَكَنَ الدَّمُ، قَالَتْ لَهُ: كُفَّ يَدُكَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا قُتِلَ نَبِيٌّ لَمْ يَرْضَ حَتَّى يَقْتُلَ مَنْ قَتَلَهُ وَمَنْ رَضِيَ قَتْلَهُ فَأَتَاهُ صَاحِبُ الصَّحِيفَةِ بِصَحِيفَتِهِ، فَكَفَّ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَخَرَبَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ، وَأَمَرَ بِهِ أَنْ تُطْرَحَ فِيهِ الْجِيفُ، وَقَالَ: مَنْ طَرَحَ فِيهِ جِيفَةً فَلَهُ جِزْيَتُهُ تِلْكَ السَّنَةِ، وَأَعَانَهُ عَلَى خَرَابِهِ الرُّومُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَتَلُوا يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا، فَلَمَّا خَرَبَهُ بِمُخْتَصِرٍ ذَهَبَ مَعَهُ بُوْجُوهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَسَرَاتِهِمْ، وَذَهَبَ بِدَانِيَالٍ وَعَلِيَا وَعِزْرِيَا وَمِيشَائِيلَ، هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مِنْ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ، وَذَهَبَ مَعَهُ بِرَأْسِ الْجَالُوتِ، فَلَمَّا قَدِمَ أَرْضَ بَابِلَ

وَجَدَ صِيحَاتِي قَدْ مَاتَ، فَلَمَّا كَانَ مَكَانَهُ، وَكَانَ أَكْرَمُ النَّاسِ عَلَيْهِ دَانِيَالُ وَأَصْحَابُهُ، فَخَسَدَهُمُ الْمَجُوسُ، فَوَشَوْا بِهِمْ إِلَهًا، فَقَالُوا: إِنَّ دَانِيَالَ وَأَصْحَابَهُ لَا يَعْبُدُونَ إِلَهًا، وَلَا يَأْكُلُونَ مِنْ ذَبْحَتِكَ، فَدَعَاهُمْ فَسَأَلَهُمْ فَقَالُوا: أَجَلُ إِنَّ لَنَا رَبًّا نَعْبُدُهُ، وَلَسْنَا نَأْكُلُ مِنْ ذَبْحَتِكَ، وَأَمَرَ بِحَدِّ نَحْدٍ، فَأُلْقُوا فِيهِ وَهُمْ سِتَّةٌ، وَأُلْقِيَ مَعَهُمْ سَبْعُ ضَارٍ لِيَا كُلَّهُمْ، فَقَالُوا: انْطَلِقُوا فَلَنَا كُلُّ وَلَنْشَرِبَ، فَذَهَبُوا، فَأَكَلُوا وَشَرَبُوا، ثُمَّ رَاحُوا

فوجدوهم جلوساً، والسبع مفترش ذراعيه بينهم لم يخذش منهم أحداً، ولم ينكأه شيئاً، فوجدوا معهم رجلاً، فعدوهم فوجدوهم سبعة، فقال: ما بال هذا السابح؟ إنما كانوا ستة! فخرج إليه السابح - وكان ملكاً من الملائكة - فطمه لطمه فصار في الوحش، فكان فيهم سبع سنين.

قال أبو جعفر: وهذا القول - الذي روي عن ذكر في هذه الأخبار التي رويت وعن لم يذكر في هذا الكتاب، من أن يختصر، هو الذي غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكرياء - عند أهل السير والأخبار والعلم بأمر الماضين في الجاهلية، وعند غيرهم من أهل الملل غلط، وذلك أنهم باجمعهم مجمعون على أن يختصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم نبيهم شعيًا في عهد إرميا بن حلقيا، وبين عهد إرميا وتخريب يختصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكرياء أربعمئة سنة وإحدى وستون سنة في قول اليهود والنصارى ويذكرون أن ذلك عندهم في كتبهم وأسفارهم مبين، وذلك أنهم يعدون من لدن تخريب يختصر بيت المقدس إلى حين عمرائها في عهد كيرش بن أخشورش أصهبذ بابل من قبل أردشير بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب، ثم من قبل ابنته خماني سبعين سنة، ثم من بعد عمرائها إلى ظهور الإسكندر عليها وحيازة مملكتها إلى مملكته ثمانيا وثمانين سنة، ثم من بعد مملكة الإسكندر لها إلى مولد يحيى بن زكرياء ثلاثمئة سنه وثلاث سنين، فذلك على قولهم أربعمئة سنة وإحدى وستون سنة.

وأما المجوس فإنها توافق النصارى واليهود في مدة خراب بيت المقدس، وأمر يختصر، وما كان من أمره وأمر بني إسرائيل إلى غلبة الإسكندر على بيت المقدس والشام وهلاك دارا، وتخالفهم في مدة ما بين ملك الإسكندر ومولد يحيى، فتزعم أن مدة ذلك إحدى وخمسون سنة فبين المجوس والنصارى من الاختلاف في مدة ما بين ملك الإسكندر ومولد يحيى وعيسى ما ذكرت.

والنصارى تزعم أن يحيى ولد قبل عيسى بستة أشهر، وأن الذي قتله ملك لبني إسرائيل يقال له هيردوس، بسبب امرأة يقال لها هيروديا، كانت امرأة أجنبي، يقال له فيلفوس، عشقها فوافقت على الفجور، وكان لها ابنة يقال لها دمنى فأراد هيردوس أن يطأ امرأة أخيه المسماة هيروديا، فنهاه يحيى وأعلمه أنه لا تحل له، فكان هيردوس معجبا بالابنة، فاهته يوما، ثم سأله حاجة فأجابها إليها، وأمر صاحبها له بالنفوذ لما تأمره به، فأمرته أن يأتيها برأس يحيى، ففعل، فلما عرف هيردوس الخبر أسقط في يده، وجزع جزعا شديداً.

وأما ما قال في ذلك أهل العلم بالأخبار وأمر أهل الجاهلية فقد حكيت منه ما قاله هشام بن محمد الكلبي.

وأما ما قال ابن إسحاق فيه، فهو ما حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: عمرت بنو إسرائيل بعد ذلك -

يعني بعد مرجعهم من أرض بابل إلى بيت المقدس - يحدثون الأحداث، ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل، ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون، حتى كان آخر من بعث فيهم من أنبيائهم زكرياء ويحيى بن زكرياء وعيسى بن مريم، وكانوا من بيت آل داود وهو يحيى بن زكرياء بن ادى ابن مسلم بن صدوق بن نحشان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخية بن شفاطية بن فاحور بن شلوم بن يهفاساط بن اسا بن أيا بن رجبم

ابن سليمان بن داود.

قال: فلما رفع الله عيسى ع من بين أظهرهم، وقتلوا يحيى بن زكرياء ع - وبعض الناس يقول: وقتلوا زكرياء - ابتعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوس، فسار إليهم بأهل بابل، حتى دخل عليهم الشام، فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رؤوس جنوده يدعى نبوزراذان، صاحب القتل، فقال له: اني كنت حلفت بالله:

لئن أنا ظهرت على أهل بيت المقدس لأقتلهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري، إلى ألا أجد أحدا أقتله، فأمره أن يقتلهم، حتى يبلغ ذلك منهم وإن نبوزراذان دخل بيت المقدس، فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم، فوجد فيها دما يغلي، وسألهم، فقال: يا بني إسرائيل، ما شأن هذا الدم يغلي؟ أخبروني خبره ولا تكتُموني شيئا من أمره، فقالوا: هذا دم قربان كان لنا كذا قربناه

فلم يقبل منا، فلذلك هو يغلي كما تراه، ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان، فيقبل منا إلا هذا القربان قال: ما صدقتموني الخبر، قالوا له: لو كان كأول زماننا لقبل منا، ولكنه قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي، فلذلك لم يقبل منا فذبح منهم نبوزراذان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين روحاً من رؤوسهم فلم يهدأ، فأمر فاتى بسبعمائة غلام من غلمانهم، فذبحوا على الدم فلم يهدأ، فأمر بسبعة آلاف من بنيهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد، فلما رأى نبوزراذان الدم لا يهدأ قال لهم: يا بني إسرائيل، ويلكم! اصدقوني واصبروا على أمر ربكم، فقد طالما ملكتم في الأرض تفعلون فيها ما شئتم، قبل ألا أترك منكم نافع نار، أنثى ولا ذكراً إلا قتلته! فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر فقالوا: إن هذا دم نبي منا كان يهانا عن أمور كثيرة من سخط الله، فلو أطعناه فيها لكان أرشد لنا، وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقهم فقتلناه، فهذا دمه فقال لهم نبوزراذان:

ما كان اسمه؟ قالوا: يحيى بن زكرياء، قال: الآن صدقتموني، لمثل هذا ينتقم ربكم منكم فلما رأى نبوزراذان أنهم قد صدقوه خر ساجداً، وقال لمن حوله: أغلقوا أبواب المدينة، وأخرجوا من كان هاهنا من جيش خردوس وخلا في بني إسرائيل ثم قال: يا يحيى بن زكرياء، قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك، وما قتل منهم من أجلك، فاهدأ بإذن الله قبل ألا أبقى من قومك أحداً، فهدأ دم يحيى بإذن الله، ورفع نبوزراذان عنهم القتل، وقال: آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل، وصدقت به وأيقنت أنه لا رب غيره، ولو كان معه آخر لم يصلح، لو كان معه شريك لم تستمسك السموات والأرض، ولو كان له ولد لم يصلح، فتبارك وتقدس وتسبح وتكبر وتعظم! ملك الملوك الذي يملك السموات السبع بعلم وحكم وجبروت وعزة، الذي بسط الأرض وألقى فيها رواسب لا تزول، فكذلك ينبغي لربي أن يكون ويكون ملكه فأوحى إلى رأس من رؤوس بقية الأنبياء أن نبوزراذان حبور صدوق - والحبور بالعبرانية حديث الإيمان - وأن نبوزراذان قال لبني إسرائيل: إن عدو الله خردوس أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره وإني فاعل، لست أستطيع أن أعصيه قالوا له: افعل ما أمرت به، فأمرهم فحفروا خندقاً، وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والإبل فذبحها، حتى سال الدم في العسكر، وأمر بالقتلى الذين كانوا قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم، حتى كانوا فوقهم، فلم يظن خردوس إلا أن ما كان في الخندق من بني إسرائيل.

فلما بلغ الدم عسكره أرسل إلى نبوزراذان: ارفع عنهم، فقد بلغني دماؤهم، وقد انتقمت منهم بما فعلوا ثم انصرف عنهم إلى أرض بابل، وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد، وهي الوقعة الأخيرة التي أنزل الله ببني إسرائيل، يقول الله تعالى لنبيه محمد ص: «وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ» إلى قوله: «وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا» .

وعسى من الله حق، فكانت الوقعة الأولى بختنصر وجنوده، ثم رد الله لهم الكرة عليهم، ثم كانت الوقعة الأخيرة خردوس وجنوده، وهي كانت أعظم الوقعتين، فيها كان خراب بلادهم وقتل رجالهم وسي ذرائعهم ونسائهم، يقول الله عز وجل: «وَلْيَتَبَرَّوا مَا عَلَوْا تَبَرًّا» .

رجع الحديث إلى حديث عيسى بن مريم وأمه عليهما السلام. قال: وكانت مريم ويوسف بن يعقوب ابن عمها يريان خدمة الكنيسة، فكانت مريم إذا نفذ ماؤها - فيما ذكر - وماء يوسف أخذ كل واحد منهما قلته، فانطلق إلى المغارة التي فيها الماء الذي يستعذبان، فيملاً قلته، ثم يرجعان إلى الكنيسة فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبرئيل - وكان أطول يوم في السنة وأشدّه حراً - نفذ ماؤها، فقالت: يا يوسف، ألا تذهب بنا نستقي! قال: إن عندي لفضلاً من ماء أكتفي به يومي هذا إلى غد، قالت:

لكني والله ما عندي ماء، فأخذت قلته، ثم انطلقت وحدها، حتى دخلت المغارة، فتجد عندها جبرئيل، قد مثله الله لها بشراً سوياً: فقال لها:

يا مريم، إن الله قد بعثني إليك لأهب لك غلاماً زكياً، قالت: «إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا»

« وهي تحسبه رجلا من بني آدم فقال: انما انا رسول ربك، قالت: «أَنْتَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا» ، أي أن الله قد قضى أن ذلك كائن فلما قَالَ ذلك استسلمت لقضاء الله، فنفخ في جيبها، ثم انصرف عنها، وملأت قلبها.

قال: فحدثني محمد بن سهل بن عسكر البخاري، قال حدثنا اسماعيل ابن عبد الكريم، قال: حدثني عبد الصمد بن معقل، ابن أخي وهب،

قَالَ: سمعت وهبا قال: لما أرسل الله عز وجل جبرئيل إلى مريم، تمثل لها بشرا سويا فقالت: «إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا» ، ثم نفخ في جيب درعها حتى وصلت النفخة إلى الرحم، واشتملت على عيسى قَالَ: وكان معها ذو قرابة لها يقال له يوسف النجار، وكانا منطلقين إلى المسجد الذي عند جبل صهيون، وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم، وكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك المسجد في ذلك الزمان، وكان لخدمته فضل عظيم، فرغبا في ذلك، فكانا يلبان معالجته بأنفسهما وتجييره وكاسته وطهوره، وكل عمل يعمل فيه، فكان لا يعلم من أهل زمانهما أحد أشد اجتهادا وعبادة منهما، وكان أول من أنكر حمل مريم صاحبها يوسف، فلما رأى الذي بها استعظمه، وعظم عليه، وفضع به، ولم يدر على ماذا يضع أمرها! فإذا أراد يوسف أن يتهما ذكر صلاحها وبرائها، وأنها لم تغب عنه ساعة قط، وإذا أراد أن يبرئها رأى الذي ظهر بها فلما اشتد عليه ذلك كله، فكان أول كلامه إياها أن قَالَ لها: إنه قد وقع في نفسي من أمرك أمر قد حرصت على أن أميته، وأكتمه في نفسي، فغلبني ذلك، فرأيت أن الكلام فيه أشقى لصدري، قالت: فقل قولاً جميلاً، قَالَ: ما كنت لأقول إلا ذلك، فحدثيني: هل ينبت زرع بغير بذر؟

قالت: نعم، قَالَ: فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها؟ قالت: نعم، قَالَ: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم، ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر، والبذر إنما كان من الزرع الذي أنبته الله من غير بذر! أولم تعلم أن الله أنبت الشجر من غير غيث، وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كل واحد منهما وحده! أو تقول لم يقدر الله على أن ينبت الشجر، حتى استعان عليه بالماء، ولولا ذلك لم يقدر على إنباته! قَالَ لها يوسف: لا أقول ذلك، ولكني أعلم أن الله بقدرته على ما يشاء يقول لذلك: كن فيكون قالت له مريم: أولم تعلم أن الله عز وجل

خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى؟ قَالَ: بلى، فلما قالت له ذلك وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله عز وجل، وأنه لا يسعه أن يسألها عنه، وذلك لما رأى من كتمانها لذلك ثم تولى يوسف خدمة المسجد، وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه، وذلك لما رأى من رقة جسمها واصفرار لونها، وكلف وجهها، وتواء بطنها، وضعف قوتها، ودأب نظرها، ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك، فلما دنا نفاسها أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك، فإنهم إن ظفروا بك عيروك وقتلوا ولدك فأفضت عند ذلك إلى أختها- وأختها حينئذ حبل، وقد بشرت يحمي- فلما التقي وجدت أم يحيى ما في بطنها خراً لوجهه ساجدا معترفا بعيسى، فاحتملها يوسف إلى أرض مصر على حمار له، ليس بينها حين ركبت الحمار وبين الإكاف شيء، فانطلق يوسف بها، حتى إذا كان متانحاً لأرض مصر في منقطع بلاد قومها أدرك مريم النفاس، وألجأها إلى أري حمار- يعني مزود الحمار- في أصل نخلة، وذلك في زمان الشتاء، فاشتد على مريم المخاض، فلما وجدت منه شدة التجأت إلى النخلة، فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة، قاموا صفوفاً محدقين بها.

فلما وضعت وهي محزونة، قيل لها: «الَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا» إلى «إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا» ، فكان الرطب يتساقط عليها، وذلك في الشتاء.

فأصبحت الأصنام التي كانت تعبد من دون الله حين ولدت بكل أرض مقلوبة منكوسة على رؤوسها، ففرغت الشياطين وراعها، فلم يدروا ما سبب ذلك، فساروا عند ذلك مسرعين، حتى جاءوا إبليس، وهو على عرش له، في لجة خضراء، يتمثل بالعرش يوم كان على الماء ويحتجب، يتمثل بحجب النور التي من دون الرحمن، فاتوه وقد خلاست ساعات من النهار، فلما رأى إبليس جماعتهم، فرغ من ذلك، ولم يرههم جميعاً منذ فرقهم قبل تلك الساعة، إنما كان يراهم أشتاتاً، فسألهم فأخبروه أنه قد

حدث في الأرض حدث أصبحت الأصنام منكوسة على رؤوسها، ولم يكن شيء أعون على هلاك بني آدم منها، كما ندخل في أجوافها فنكلهم، وندير أمرهم فيظنون أنها التي تكلمهم، فلما أصابها هذا الحدث صغرها في أعين بني آدم، وأذلها وأدناها، ذلك وقد خشنا ألا يعبدوها بعد هذا أبداً واعلم أنا لم نأتك حتى أحصينا الأرض، وقلبنا البحار وكل شيء قوينا عليه، فلم نزد بما أردنا إلا جهلاً قال لهم إبليس: إن هذا لأمر عظيم، لقد علمت بأني كتمته، وكونوا على مكانكم هذا فطار إبليس عند ذلك، فلبث عنهم ثلاث ساعات، فرعين بالمكان الذي ولد فيه عيسى، فلما رأى الملائكة محدقين بذلك المكان، علم أن ذلك الحدث فيه، فأراد إبليس أن يأتيه من فوقه، فإذا فوقه رؤوس الملائكة ومناكبهم عند السماء ثم أراد أن يأتيه من تحت الأرض، فإذا أقدام الملائكة راسية أسفل مما أراد إبليس ثم أراد أن يدخل من بينهم فنحوه عن ذلك.

ثم رجع إبليس إلى أصحابه فقال لهم: ما جئتم حتى أحصيت الأرض كلها مشرقها ومغربها، وبرها وبحرها، والخافقين، والجو الأعلى، وكل هذا بلغت في ثلاث ساعات، وأخبرهم بمولد المسيح، وقال لهم: لقد كتمت شأنه، وما اشتملت قبله رحم أنثى على ولد إلا بعلي، ولا وضعته قط، إلا وأنا حاضرها، وأني لأرجو أن أضل به أكثر مما يهتدي به، وما كان نبي قبله أشد علي وعليكم منه. وخرج في تلك الليلة قوم يؤمنونه من أجل نجم طلع أنكره، وكان قبل ذلك يتحدثون أن مطلع ذلك النجم من علامات مولود في كتاب دانيال.

فخرجوا يريدونه، ومعهم الذهب والمر واللبان، ففروا بملك من ملوك الشام، فسألهم: أين يريدون؟ فأخبروه بذلك، قال: فما بال الذهب والمر واللبان اهديتوه له من بين الأشياء كلها؟ قالوا: تلك أمثاله: لأن الذهب هو سيد المتاع كله، وكذلك هذا النبي هو سيد أهل زمانه، ولأن المر يجبر به

الجرح والكسر، وكذلك هذا النبي يشفي به الله كل سقيم ومريض، ولأن اللبان ينال دخانه السماء ولا ينالها دخان غيره، كذلك هذا النبي يرفعه الله إلى السماء لا يرفع في زمانه أحد غيره.

فلما قالوا ذلك لذلك الملك حدث نفسه بقتله، فقال: اذهبوا، فإذا علمتم مكانه فأعلموني ذلك، فإني أرغب في مثل ما رغبتم فيه من أمره فانطلقوا حتى دفعوا ما كان معهم من تلك الهدية إلى مريم، وأرادوا أن يرجعوا إلى هذا الملك ليعلموه مكان عيسى، فلقبهم ملك فقال لهم: لا ترجعوا إليه، ولا تعلموه بمكانه، فإنه إنما أراد بذلك ليقته، فانصرفوا في طريق آخر، واحتملته مريم على ذلك الحمار ومعها يوسف، حتى وردا أرض مصر، فهي الربوة التي قال الله:

«وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ» .

فكثت مريم اثنتي عشرة سنة تكتمه من الناس، لا يطلع عليه أحد، وكانت مريم لا تأمن عليه ولا على معيشته أحداً، كانت تلتقط السنبل من حيث ما سمعت بالحصاد، والمهد في منكبها والوعاء الذي تجعل فيه السنبل في منكبها الآخر، حتى تم لعيسى ع اثنتا عشرة سنة، فكان أول آية رآها الناس منه أن أمه كانت نازلة في دار دهقان من أهل مصر، فكان ذلك الدهقان قد سرقت له خزانة، وكان لا يسكن في داره إلا المساكين، فلم يهتمهم، فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان، فلما أن رأى عيسى حزن أمه بمصيبة صاحب ضيافته، قال لها: يا أمه، أتحبين أن أدله على ماله؟

قالت: نعم يا بني، قال: قل لي يجمع لي مساكين داره، فقالت مريم للدهقان ذلك، فجمع له مساكين داره، فلما اجتمعوا عمد إلى رجلين منهم:

أحدهما أعمى والآخر مقعد، فحمل المقعد على عاتق الأعمى، ثم قال له:

قم به، قال الأعمى: أنا أضعف من ذلك، قال عيسى ع:

فكيف قويت على ذلك البارحة؟ فلما سمعوه يقول ذلك، بعثوا الأعمى، حتى قام به، فلما استقل قائماً حاملاً هوي المقعد إلى كوة الخزانة قال عيسى:

هكذا احتالا للملك البارحة، لأنه استعان الأعمى بقوته، والمقعد بعينه، فقال

المقعد والأعمى: صدق، فردا على الدهقان ماله ذلك، فوضعه الدهقان في خزانته، وقال: يا مريم خذي نصفه، قالت: إني لم أخلق لذلك، قَالَ الدهقان: فأعطيه ابنك، قالت: هو أعظم مني شأنًا، ثم لم يلبث الدهقان أن أعرس ابن له فصنع له عيدًا فجمع عليه أهل مصر كلهم، فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام لم يحذرهم الدهقان، حتى نزلوا به، وليس عنده يومئذ شراب، فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتًا من بيوت الدهقان، فيه صفان من جرار، فأمر عيسى يده على أفواهها، وهو يمشي، فكلما أمر يده على جرة امتلأت شرابًا، حتى أتى عيسى على آخرها، وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة، فلما فعل ذلك عيسى فرح الناس لشأنه وما أعطاه الله من ذلك، فأوحى الله عز وجل إلى أمه مريم، أن اطلعي به إلى الشام، ففعلت الذي أمرت به، فلم تزل بالشام حتى كان ابن ثلاثين سنة، فجاء الوحي على ثلاثين سنة، وكانت نبوته ثلاث سنين ثم رفعه الله إليه، فلما رآه إبليس يوم لقيه على العقبة لم يطلق منه شيئًا، فتمثل له برجل ذي سن وهيئة، وخرج معه شيطانان ماردان متمثلين كما تمثل إبليس، حتى خالطوا جماعة الناس.

وزعم وهب أنه ربما اجتمع على عيسى من المرضى في الجماعة الواحدة خمسون ألفًا، فن أطاق منهم أن يبلغه بلغه، ومن لم يطق ذلك منهم أتاه عيسى ع يمشي إليه، وإنما كان يداويهم بالدعاء إلى الله عز وجل، فجاءه إبليس في هيئة يهر الناس حسنًا وجمالًا، فلما رآه الناس فرغوا له، ومالوا نحوه، فجعل يخبرهم بالأعاجيب، فكان في قوله: إن شأن هذا الرجل لعجب، تكلم في المهد، وأحيا الموتى، وأنبا عن الغيب، وشفى المريض، فهذا الله قَالَ أحد صاحبيه: جهلت أيها الشيخ، وبئس ما قلت! لا ينبغي لله أن يتجلى للعباد، ولا يسكن الأرحام، ولا تسعه أجواف النساء، ولكنه ابن الله وقال الثالث: بئس ما قلتما، كلا كما قد أخطأ وجهل، ليس ينبغي لله أن يتخذ ولدا، ولكنه إله معه، ثم غابوا حين فرغوا من قولهم، فكان ذلك آخر العهد منهم.

حدثنا موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي ص، قال: خَرَجَتْ مَرْيَمُ إِلَى جَانِبِ الْحَرَابِ لِحَيْضٍ أَصَابَهَا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا مِنَ الْجُدْرَانِ، وهو قوله: «فَإْتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا» فِي شَرْقِ الْحَرَابِ، فَلَمَّا طَهَّرَتْ إِذَا هِيَ بِرَجُلٍ مَعَهَا، وهو قوله: «فَارْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا» فهو جبرئيل «فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا» فَلَمَّا رَأَتْهُ فَرَعَتْ مِنْهُ وَقَالَتْ:

«إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا

« - تَقُولُ زَانِيَةً - قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا» فَخَرَجَتْ، عَلَيْهَا جِلْبَابُهَا، فَأَخَذَ بِكُمِّيَّهَا، فَفَنَخَّ فِي جَيْبِ دَرْعِهَا - وَكَانَ مَشْقُوقًا مِنْ قُدَامِهَا - فَدَخَلَتْ النَّفْخَةَ فِي صَدْرِهَا، فَحَمَلَتْ، فَأَتَتْهَا أُمْرَأَةٌ زَكِيَاءٌ لَيْلَةً تَزُورُهَا، فَلَمَّا فَتَحَتْ لَهَا الْبَابَ التَزَمَتْهَا، فَقَالَتْ أُمْرَأَةٌ زَكِيَاءٌ: يَا مَرْيَمُ أَشْعَرْتِ أُنِّي حُبْلَى.

قَالَتْ مَرْيَمُ: أَشْعَرْتِ أُنِّي أَيْضًا حُبْلَى قَالَتْ أُمْرَأَةٌ زَكِيَاءٌ: فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا فِي بَطْنِي يَسْجُدُ لِمَا فِي بَطْنِكَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: «مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ».

فَوَلَدَتْ أُمْرَأَةً زَكِيَاءً يَحْيَى، وَلَمَّا بَلَغَ أَنْ تَضَعَ مَرْيَمُ، خَرَجَتْ إِلَى جَانِبِ الْحَرَابِ الشَّرْقِيِّ مِنْهُ، فَأَتَتْ أَقْصَاهُ: «فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ» يَقُولُ: أَلْجَأَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ، «قَالَتْ»: وَهِيَ تَطْلُقُ مِنَ الْحَبْلِ اسْتِحْيَاءً مِنَ النَّاسِ: «يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا»

تَقُولُ: نَسِيًّا: نُسِيَ دِكْرِي، وَمَنْسِيًّا، تَقُولُ: نُسِيَ أَثْرِي، فَلَا يَرَى لِي أَثَرٌ وَلَا عَيْنٌ «فَنَادَاهَا»، جبرئيل: «مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ

تَحْتَك سَرِيًّا» ، وَالسَّرِيُّ هُوَ النَّهْرُ «وَهَزَي إِلَيْكَ بِجَذْعِ النَّخْلَةِ» ، وَكَانَ جِذْعًا مِنْهَا مَقْطُوعًا فَهَزَّتْهُ، فَإِذَا هُوَ نَخْلَةٌ، وَأَجْرَى لَهَا فِي الْخَرَابِ نَهْرًا فَتَسَاقَطَتِ النَخْلَةُ رَطْبًا جَنِيًا، فَقَالَ لَهَا: كُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا، «فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا» ، فَكَانَ مَنْ صَامَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ لَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى يُمِيسِيَ، فَقِيلَ لَهَا:

لَا تَزِيدِي عَلَى هَذَا، فَلَمَّا وَلَدَتْهُ ذَهَبَ الشَّيْطَانُ فَأَخْبَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ مَرْيَمَ قَدْ وَلَدَتْ، فَأَقْبَلُوا يَشْتَدُونَ، فَدَعَوْهَا «فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا» - يَقُولُ عَظِيمًا- «يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا» ، فَمَا بِالْكَ أَنْتِ يَا أُخْتَ هَارُونَ! وَكَانَتْ مِنْ بَنِي هَارُونَ أَخِي مُوسَى، وَهُوَ كَمَا تَقُولُ: يَا أَخَا بَنِي فُلَانٍ، إِنَّمَا تَعْنِي قَرَابَتُهُ فَقَالَتْ لَهُمْ مَا أَمَرَهَا اللَّهُ، فَلَمَّا أَرَادُوهَا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْكَلَامِ، أَشَارَتْ إِلَيْهِ- إِلَى عِيسَى- فَغَضِبُوا وَقَالُوا: لَسُخْرِيَّتَهَا بِنَا حِينَ تَأْمُرُنَا أَنْ نَكْلِمَ هَذَا الصَّبِيَّ أَشَدُّ عَلَيْنَا مِنْ زَنَاهَا! «قَالُوا كَيْفَ نَكْلِمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا» فَتَكَلَّمَ عِيسَى فَقَالَ: «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ» فَقَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: مَا أَحْبَلَهَا أَحَدٌ غَيْرَ زَكْرِيَّا، هُوَ كَانَ يَدْخُلُ إِلَيْهَا، فَطَلَبُوهُ فَفَرَّ مِنْهُمْ فَتَشَبَّهَ لَهُ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةٍ رَاجٍ، فَقَالَ: يَا زَكْرِيَّا، قَدْ أَدْرَكُوكَ، فَادْعُ اللَّهَ حَتَّى تَتَفَتَّحَ لَكَ هَذِهِ الشَّجَرَةُ فَتَدْخُلَ فِيهَا، فَدَعَا اللَّهَ فَانْفَتَحَتْ لَهُ الشَّجَرَةُ، فَدَخَلَ فِيهَا وَبَقِيَ مِنْ رِدَائِهِ هَذَبٌ، فَفَرَّتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِالشَّيْطَانِ، فَقَالُوا:

يَا رَاعِي، هَلْ رَأَيْتَ رَجُلًا مِنْ هَاهُنَا قَالَ: نَعَمْ سَحَرَ هَذِهِ الشَّجَرَةَ، فَانْفَتَحَتْ لَهُ، فَدَخَلَ فِيهَا، وَهَذَا هَذَبُ رِدَائِهِ، فَعَمَدُوا وَقَطَعُوا الشَّجَرَةَ، وَهُوَ فِيهَا بِالْمَنَاشِيرِ، وَلَيْسَ نَجِدُ يَهُودِيًّا إِلَّا تِلْكَ الْهُدْبَةَ فِي رِدَائِهِ، فَلَمَّا وَلَدَ عِيسَى لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ صَنَمٌ يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَّا أَصْبَحَ سَاقِطًا لَوَجْهِهِ حَدَثْنِي الْمَثْنَى، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الْحَجَّاجِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مَعْقِلٍ، أَنَّهُ سَمِعَ وَهْبًا يَقُولُ:

إِنْ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ لَمَّا أَعْلَمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ خَارِجٌ مِنَ الدُّنْيَا جَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ، وَشَقَّ عَلَيْهِ، فَدَعَا الْخَوَارِيزِينَ، فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، فَقَالَ: احْضَرُونِي اللَّيْلَةَ، فَإِنْ لِي إِلَيْكُمْ حَاجَةٌ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ مِنَ اللَّيْلِ، عَشَاهُمْ وَقَامَ يَخْدُمُهُمْ، فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنَ الطَّعَامِ أَخَذَ يَغْسِلُ أَيْدِيَهُمْ وَيُوضِئُهُمْ بِيَدِهِ، وَيَمْسَحُ أَيْدِيَهُمْ بِثِيَابِهِ، فَتَعَازَمُوا ذَلِكَ وَتَكَارَهَوْهُ، فَقَالَ: أَلَا مِنْ رَدِّ عَلَيَّ شَيْئًا اللَّيْلَةَ مِمَّا أَصْنَعُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَا أَنَا مِنْهُ! فَأَقْرُوهُ حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: أَمَّا مَا صَنَعْتُ بِكُمْ اللَّيْلَةَ مِمَّا خَدَمْتُكُمْ عَلَى الطَّعَامِ، وَغَسَلْتُ أَيْدِيَكُمْ بِيَدِي، فَلَيْسَ لَكُمْ بِي أَسْوَةٌ، فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَ أَنِّي خَيْرُكُمْ، وَلَا يَتَعَظَّمُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلِيَبْذُلَ بَعْضُكُمْ نَفْسَهُ لِبَعْضٍ، كَمَا بَذَلْتُ نَفْسِي لَكُمْ وَأَمَّا حَاجَتِي الَّتِي أَسْتَعِينُكُمْ عَلَيْهَا، فَتَدْعُونَ اللَّهَ لِي، وَتَجْتَهِدُونَ فِي الدُّعَاءِ أَنْ يُوَخَّرَ أَجَلِي، فَلَمَّا نَصَبُوا أَنْفُسَهُمْ لِلدُّعَاءِ، وَأَرَادُوا أَنْ يَجْتَهِدُوا، أَخَذَهُمُ النَّوْمُ، حَتَّى لَمْ يَسْتَطِيعُوا دُعَاءَ، فَجَعَلَ يَوْقُظُهُمْ، وَيَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا تَصْبِرُونَ لِي لَيْلَةً وَاحِدَةً تَعِينُونِي فِيهَا! قَالُوا: وَاللَّهِ مَا نَدْرِي مَا لَنَا! لَقَدْ كُنَّا نَسْمُرُ فَتَكَثَّرَ السَّمَرُ، وَمَا نَطِيقُ اللَّيْلَةَ سَمَرًا، وَمَا نَزِيدُ دُعَاءَ إِلَّا حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ! فَقَالَ: يَذْهَبُ بِالرَّاعِي وَتُفَرِّقُ الْغَنَمَ وَجَعَلَ يَأْتِي بِكَلَامٍ نَحْوِ هَذَا، يَنْعَى بِهِ نَفْسَهُ، ثُمَّ قَالَ:

الْحَقُّ لِيَكْفِرَنَّ بِي أَحَدُكُمْ، قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلِيَبْعَثَنِي أَحَدُكُمْ بِدِرَاهِمٍ يَسِيرَةً، وَلِيَأْكُلَنَّ ثَمْنِي نَخْرُجُوا فَتُفَرِّقُوا، وَكَانَتِ الْيَهُودُ تَطْلُبُهُ، فَأَخَذُوا شَمْعُونَ، أَحَدُ الْخَوَارِيزِينَ، فَقَالُوا: هَذَا مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَحَدَ وَقَالَ:

مَا أَنَا بِصَاحِبِهِ، فَتَرَكُوهُ، ثُمَّ أَخَذَهُ آخَرُ فَجَحَدَ كَذَلِكَ، ثُمَّ سَمِعَ صَوْتَ دِيكٍ،

فَبَكَى، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى أَحَدُ الْخَوَارِيزِينَ إِلَى الْيَهُودِ، فَقَالَ: مَا تَجْعَلُونَ لِي إِنْ دَلَلْتُكُمْ عَلَى الْمَسِيحِ؟ فَجَعَلُوا لَهُ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا، فَأَخَذَهَا وَدَلَّهُمْ عَلَيْهِ- وَكَانَ شَبَّهَ عَلَيْهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ- فَأَخَذُوهُ، فَاسْتَوْثَقُوا مِنْهُ، وَرَبَطُوهُ بِالْحَبْلِ، فَجَعَلُوا يَقْدُونَهُ، وَيَقُولُونَ: أَنْتَ كُنْتَ تَحْيِي الْمَوْتَى، وَتَنْتَهَرُ الشَّيْطَانَ، وَتَبْرِئُ الْجُنُونَ، أَفَلَا تَفْتَحُ نَفْسَكَ مِنْ هَذَا الْحَبْلِ! وَيَبْصُقُونَ عَلَيْهِ، وَيَلْقُونَ عَلَيْهِ الشُّوكَ، حَتَّى أَتَوْا بِهِ الْخَشْبَةَ الَّتِي أَرَادُوا أَنْ يَصْلُبُوهُ عَلَيْهَا، فَرَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَصَلَبُوا مَا شَبَّهَ لَهُمْ، فَكَثَّ سَبْعًا ثُمَّ إِنَّ أُمَّهُ وَالْمَرْأَةَ- الَّتِي كَانَ عِيسَى يَدَاوِيهَا فَأَبْرَأَهَا اللَّهُ مِنَ الْجُنُونِ- جَاءَتَا

تبيكان عند المصلوب، فجاءهما عيسى ع، فقال: على من تبكيان؟ فقالتا: عليك، فقال: إني قد رفعني الله إليه، ولم يصبني إلا خير، وإن هذا شيء شبه لهم، فأمر الحواريين أن يلقوني إلى مكان كذا وكذا، فلقوه إلى ذلك المكان أحد عشر، وفقد الذي كان باعه، ودل عليه اليهود، فسأل عنه أصحابه، فقالوا: إنه ندم على ما صنع، فاختنق وقتل نفسه، فقال: لو تاب تاب الله عليه! ثم سأله عن غلام يتبعهم يقال له يحيى، فقال: هو معكم، فانطلقوا فإنه سيصبح كل إنسان منكم يحدث بلغة قوم فلينذرهم وليدعهم.

حَدَّثَنَا ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا سلمة، عن ابن إسحاق، عن ابن لا يتهم، عن وهب بن منبه اليماني، قال: توفي الله عيسى بن مريم ثلاث ساعات من النهار، حتى رفعه الله إليه.

حَدَّثَنَا ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا سلمة، عن ابن إسحاق: والنصارى يزعمون أنه توفاه الله سبع ساعات من النهار، ثم أحياه الله، فقال له: اهبط، فانزل على مريم المجدلانية في جبلها، فإنه لم يبك عليك أحد بكاءها، ولم يحزن عليك أحد حزنها، ثم لتجمع لك الحواريين، فبثهم في الأرض دعاة إلى الله، فإنك لم تكن فعلت ذلك فأهبطه الله عليها، فاشتعل الجبل حين

هبط نورا، فجمعت له الحواريين، فبثهم وأمرهم، أن يبلغوا الناس عنه ما أمره الله به، ثم رفعه الله إليه، فكساه الريش، وألبسه النور، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، فطار في الملائكة وهو معهم حول العرش، فكان إنسيا ملكيا سماءيا أرضيا، وتفرق الحواريون حيث أمرهم، فتلك الليلة التي أهبط فيها الليلة التي تدخن فيها النصارى وكان ممن وجه من الحواريين والأتباع الذين كانوا في الأرض بعدهم، فطرس الحواري ومعه بولس - وكان من الأتباع، ولم يكن من الحواريين - إلى رومية، واندراييس ومثي إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس - وهي فيما نرى للأسود - وتوماس إلى أرض بابل من أرض المشرق، وفيلبس إلى القيروان وقرطاجنة، وهي إفريقية، ويحس إلى دفسوس، قرية الفتية أصحاب الكهف، ويعقوب إلى أورشليم، وهي إيليا بيت المقدس، وابن تلم إلى العرابية، وهي أرض الحجاز، وسمن إلى أرض البربر دون إفريقية، ويهوذا - ولم يكن من الحواريين - إلى اريوبس، جعل مكان يوذس زكرياء يوطا، حين أحدث ما أحدث.

حَدَّثَنَا ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عمر ابن عبد الله بن عروة بن الزبير، عن ابن سليم الأنصاري، ثم الزرقى، قال: كان على امرأة منا نذر، لتظهرن على رأس الجلاء - جبل بالعقيق من ناحية المدينة - قال: فظهرت معها، حتى إذا استوتينا على رأس الجبل، إذا قبر عظيم، عليه جحران عظيمان، حجر عند رأسه، وحجر عند رجله، فيهما كتاب بالمسند، لا أدري ما هو! فاحتملت الحجريين معي، حتى إذا كنت ببعض الجبل منهبطا ثقلا علي، فألقيت أحدهما وهبطت

بالآخر، فعرضته على أهل السريانية: هل يعرفون كتابه؟ فلم يعرفوه، وعرضته على من يكتب بالزبور من أهل اليمن، ومن يكتب بالمسند فلم يعرفوه قال: فلما لم أجد أحدا ممن يعرفه ألقيته تحت تابوت لنا، فكث سنين، ثم دخل علينا ناس من أهل ماه من الفرس يتبعون الخرز، فقلت لهم: هل لكم من كتاب؟ فقالوا: نعم، فأخرجت إليهم الحجر، فإذا هم يقرءونه، فإذا هو بكتابهم: هذا قبر رسول الله عيسى بن مريم ع إلى أهل هذه البلاد، فإذا هم كانوا أهلها في ذلك الزمان، مات عندهم فدفنوه على رأس الجبل.

حَدَّثَنَا ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثم عدوا على بقية الحواريين يشمسونهم ويعذبونهم، وطافوا بهم، فسمع بذلك ملك الروم - وكانوا تحت يديه، وكان صاحب وثن - فقيل له: إن رجلا كان في هؤلاء الناس الذين تحت يديك من بني إسرائيل عدوا عليه فقتلوه، وكان يخبرهم أنه رسول الله، قد أراهم العجائب، وأحيا لهم الموتى، وأبرأ لهم الأسقام، وخلق لهم من الطين كهيئة الطير، ونفخ فيه فكان طائرا بإذن الله، وأخبرهم بالغيوب قال: ويحكم! فما منعكم أن تذكروا هذا لي من امره وامرهم! فوالله لو علمت ما خليت بينهم وبينه ثم بعث إلى الحواريين، فانتزعهم من أيديهم، وسألهم عن دين عيسى وأمره، فأخبروه خبره، فتابعهم على دينهم، واستنزل سرجس فغيبه، وأخذ خشبته التي صلب عليها، فأكرمها وصانها لما مسها منه، وعدا على بني إسرائيل، فقتل منهم قتلى كثيرة، فن هنالك كان أصل النصرانية في الروم.

وذكر بعض أهل الأخبار أن مولد عيسى ع كان لمضي اثنتين وأربعين سنة من ملك اغوستوس، وإن اغوستوس عاش بعد ذلك بقية ملكه،

وكان جميع ملكه ستا وخمسين سنة- قَالَ بعضهم: وأياما قَالَ: ووثبت اليهود بالمسيح، والرياسة بيت المقدس في ذلك الوقت لقيصر، والملك على بيت المقدس من قبل قيصر هيردوس الكبير الذي دخلت عليه رسل ملك فارس الذين وجههم الملك الى المسيح، فصار إلى هيردوس غلطا، وأخبروه أن ملك فارس بعث بهم ليقرّبوا إلى المسيح ألطافا معهم من ذهب، ومروا بلبان، وأنهم نظروا إلى نجمة قد طلع، فعرفوا ذلك بالحساب، وقرّبوا الألفاف إليه ببيت لحم من فلسطين فلما عرف هيردوس خبرهم كاد المسيح، فطلبه ليقتله، فأمر الله الملك أن يقول ليوسف الذي كان مع مريم في الكنيسة ما أراد هيردوس من قتله، وأمره أن يهرب بالغلام وأمه إلى مصر، فلما مات هيردوس قَالَ الملك ليوسف وهو بمصر: إن هيردوس قد مات، وملك مكانه أركلاوس ابنه، وذهب من كان يطلب نفس الغلام، فانصرف به إلى ناصرة من فلسطين ليتم قول شعيا النبي: من مصر دعوتك ومات أركلاوس، وملك مكانه هيردوس الصغير، الذي صلب شبه المسيح في ولايته، وكانت الرياسة في ذلك الوقت للملوك اليونانية والروم، وكان هيردوس وولده من قبلهم، إلا أنهم كانوا يلقبون باسم الملك، وكان الملوك الكبار يلقبون بقيصر، وكان ملك بيت المقدس في وقت الصلب لهيردوس الصغير من قبل طيباريوس بن أغوستوس دون القضاء، وكان القضاء لرجل رومي يقال له: فيلاطوس من قبل قيصر، وكانت رياسة الجالوت ليون بن بهوثن. قَالَ: وذكروا أن الذي شبه بعيسى وصلب مكانه رجل إسرائيلي، يقال له: أيشوع بن فديرا وكان ملك طيباريوس ثلاثا وعشرين سنة وأياما منها إلى وقت ارتفاع المسيح ثماني عشرة سنة وأيام، ومنها بعد ذلك خمس سنين

١٠٣٠ ذكر من ملك من الروم ارض الشام بعد رفع المسيح ع إلى عهد النبي ص في قول النصارى

ذكر من ملك من الروم أرض الشام بعد رفع المسيح ع إلى عهد النبي ص في قول النصارى
 قَالَ أبو جعفر: زعموا أن ملك الشام من فلسطين وغيرها صار بعد طيباريوس إلى جايوس بن طيباريوس، وأن ملكه كان أربع سنين. ثم ملك بعده ابن له آخر، يقال له: قلوديوس أربع عشرة سنة.
 ثم ملك بعده نيرون، الذي قتل فطرس وبولس، وصلبه منكسا، أربع عشرة سنة.
 ثم ملك بعده بوطلايوس، أربعة أشهر.
 ثم ملك بعده أسفسيانوس أبو ططوس الذي وجهه إلى بيت المقدس عشر سنين ولمضي ثلاث سنين من ملكه وتما أربعين سنة من وقت رفع عيسى ع وجه أسفسيانوس ابنه ططوس إلى بيت المقدس، حتى هدمه وقتل من قتل من بني إسرائيل غضبا للمسيح ثم ملك بعده ططوس بن أسفسيانوس، سنتين.
 ثم من بعده دومطيانوس، ست عشرة سنة ثم من بعده نارواس، ست سنين.
 ثم من بعده طرايانوس، تسع عشرة سنة.
 ثم من بعده هديانوس، إحدى وعشرين سنة.
 ثم ملك من بعده ططورس بن بطيانوس، اثنتين وعشرين سنة.
 ثم من بعده مرقوس وأولاده، تسع عشرة سنة.
 ثم من بعده قوذوموس، ثلاث عشرة سنة.
 ثم من بعده فرطناجوس، ستة أشهر.
 ثم من بعده سبروس أربع عشرة سنة.
 ثم من بعده انطيانوس، سبع سنين.
 ثم بعده مرقيانوس، ست سنين.
 ثم بعده أنطيانوس، أربع سنين.
 ثم الحسنديوس، ثلاث عشرة سنة.
 ثم غسميانوس، ثلاث سنين.

ثم جورديانوس، ست سنين.
 ثم بعده فليفس، سبع سنين.
 ثم داقبوس، ست سنين.
 ثم قالوس، ست سنين.
 ثم بعده والرييانوس وقالينوس، خمس عشرة سنة.
 ثم قلوديوس، سنة.
 ثم من بعده قريطاليوس، شهرين.
 ثم اورليانوس، خمس سنين.
 ثم طيقطوس، ستة أشهر.
 ثم فولوريوس، خمسة وعشرين يوما ثم فرايوس، ست سنين.
 ثم قوروس وابناه، سنتين.
 ثم دوقلطيانوس، ست سنين.
 ثم محسميانوس، عشرين سنة.
 ثم قسطنطينوس، ثلاثين سنة.
 ثم قسطنطين، ثلاثين سنة.
 ثم قسطنطين عشرين سنة.
 ثم اليانوس المنافق، سنتين.
 ثم يويانوس، سنة.
 ثم والمطيانوس وخرطيانوس، عشر سنين.
 ثم خرطانوس ووالنطيانوس الصغير، سنة.
 ثم تباداسيس الأكبر، سبع عشرة سنة.
 ثم أرقديوس وأنوريوس، عشرين سنة.
 ثم تباداسيس الأصغر والنطيانوس ست عشرة سنة.
 ثم مرقيانوس، سبع سنين.
 ثم لاون، ست عشرة سنة.
 ثم زانون، ثماني عشرة سنة ثم أنسطاس، سبعا وعشرين سنة.
 ثم يوسطيانوس، سبع سنين.
 ثم يوسطيانوس الشيخ، عشرين سنة.
 ثم يوسطينس اثنتي عشرة سنة.
 ثم طيباريوس، ست سنين.
 ثم مريقيس وتاداسيس ابنه، عشرين سنة ثم فوقا الذي قتل، سبع سنين وستة أشهر.
 ثم هرقل الذي كتب إليه رسول الله ص، ثلاثين سنة.
 فمن لدن عمر بيت المقدس بعد تخريبه بختنصر إلى الهجرة- على قولهم- ألف سنة ونيف، ومن ملك الإسكندر إليها تسعمائة سنة ونيف وعشرون سنة، من ذلك من وقت ظهوره إلى مولد عيسى ثلاثمائة سنة وثلاث سنين ومن مولده إلى ارتفاعه اثنتان وثلاثون سنة، ومن وقت ارتفاعه إلى الهجره نحسمائة وخمس وثمانون سنة وأشهر.
 وزعم بعض أصحاب الأخبار أن قتل بني إسرائيل يحيى بن زكرياء كان في عهد أردشير بن بابك لثماني سنين خلت من ملكه، وأن بختنصر إنما صار إلى الشام لقتال اليهود من قبل سابور الجنود ابن أردشير بن بابك

١٠٣١ نزول قبائل العرب الحيرة والأنبار أيام ملوك الطوائف

نزول قبائل العرب الحيرة والأنبار أيام ملوك الطوائف

وكان من الأحداث أيام ملوك الطوائف إلى قيام أردشير بن بابك بالملك- فيما ذكر هشام بن محمد- دنو من دنا من قبائل العرب من ريف العراق ونزول من نزل منهم الحيرة والأنبار وما حوالي ذلك.

حدثت عن هشام بن محمد، قال: لما مات بختنصر انضم الذين كان أسكنهم الحيرة من العرب حين أمر بقتلهم إلى أهل الأنبار وبقي الحير خراباً، فغبروا بذلك زماناً طويلاً، لا تطلع عليهم طالعة من بلاد العرب، ولا يقدم عليهم قادم، وبالأنبار أهلها ومن انضم إليهم من أهل الحيرة من قبائل العرب من بني إسماعيل وبني معد بن عدنان، فلما كثر أولاد معد بن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب، وملثوا بلادهم من تهامة وما يليهم، فرقتهم حروب وقعت بينهم، وأحداث حدثت فيهم، فخرجوا يطلبون المتسع والريف فيما يليهم من بلاد اليمن ومشارف الشام، وأقبلت منهم قبائل حتى نزلوا البحرين، وبها جماعة من الأزد كانوا نزلوها في دهر عمران بن عمرو، من بقايا بني عامر، وهو ماء السماء بن حارثة، وهو الغطريف بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد.

وكان الذين أقبلوا من تهامة من العرب مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم الله ابن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، ومالك بن زهير بن عمرو بن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة، في جماعة من قومهم، والحيقار بن الحيق بن عمير بن قص بن معد بن عدنان، في قص كلها ولحق بهم غطفان بن عمرو بن الطمثنان بن عوذ مناه بن يقدم ابن أفصى بن دعمي بن إباد بن نزار بن معد بن عدنان، وزهر بن الحارث بن الشلل بن زهر بن إباد وصبح، بن صبيح بن الحارث بن أفصى بن دعمي بن إباد.

فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب، فتحالفوا على التنوخ- وهو المقام- وتعاهدوا على التوازر والتناصر، فصاروا يدا على الناس، وضمهم اسم تنوخ، فكانوا بذلك الاسم، كأنهم عمارة من العمائر.

قال: وتنخ عليهم بطون من ثمارة بن نخم قال: ودعا مالك بن زهير جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الأزدي إلى التنوخ معه، وزوجه أخته لميس ابنة زهير، فتنخ جذيمة بن مالك وجماعة ممن كان بها من قومهم من الأزد، فصار مالك وعمرو ابنا فهم والأزد حلفاء دون سائر تنوخ، وكلمة تنوخ كلها واحدة.

وكان اجتماع من اجتمع من قبائل العرب بالبحرين وتحالفهم وتعاهدهم أزمان ملوك الطوائف الذين ملكهم الإسكندر، وفرق البلدان بينهم عند قتله دارا بن دارا ملك فارس، إلى أن ظهر أردشير بن بابك ملك فارس على ملوك الطوائف، وقهرهم ودان له الناس، وضيبت له الملك.

قال: وإنما سمو ملوك الطوائف، لأن كل ملك منهم كان ملكه قليلاً من الأرض، إنما هي قصور وأبيات، وحولها خندق وعدوه قريب منه، له من الأرض مثل ذلك ونحوه، يغير أحدهما على صاحبه ثم يرجع كالخطفة.

قال: فتطلعت أنفس من كان بالبحرين من العرب إلى ريف العراق،

وطمعوا في غلبة الأعاجم على ما يلي بلاد العرب منه أو مشاركتهم فيه، واهتبلوا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف، فأجمع رؤسائهم بالمسير إلى العراق، ووطن جماعة ممن كان معهم على ذلك، فكان أول من طلع منهم الحيقار بن الحيق في جماعة قومه وأخلائه من الناس، فوجدوا الأرمانيين- وهم الذين بأرض بابل وما يليها إلى ناحية الموصل- يقاتلون الأردوانيين، وهم ملوك الطوائف، وهم فيما بين نفر- وهي قرية من سواد العراق إلى الأبله وأطراف البادية- فلم تدن لهم، فدفعوهم عن بلادهم.

قال: وكان يقال لعاد إرم، فلما هلكت قيل لثود إرم، ثم سمو الأرمانيين، وهم بقايا إرم، وهم نبط السواد ويقال لدمشق: إرم. قال: فارتفعوا عن سواد العراق وصاروا أشلاء بعد في عرب الأنبار وعرب الحيرة، فهم أشلاء قص بن معد، وإليهم ينسب عمرو بن عدى بن نصر ابن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن عجم بن ثمارة بن نخم.

وهذا قول مضر وحامد الراوية، وهو باطل، ولم يأت في قص ابن معد شيء أثبت من قول جبير بن مطعم: إن النعمان كان من ولده قال: وإنما سميت الأنبار أنبار لأنها كانت تكون فيها أنابيب الطعام، وكانت تسمى الأهراء، لأن كسرى يرزق أصحابه رزقهم منها. قال: ثم طلع مالك وعمرو، ابنا فهم بن تيم الله، ومالك بن زهير بن فهم بن تيم الله، وغطفان بن عمرو بن الطمثنان، وزهر بن الحارث وصبح ابن صبيح، فيمن تنخ عليهم من عشائهم وحلفائهم على الأنبار، على ملك الأرمانيين، فطلع ثماره بن قيس بن ثماره، والنجدة- وهم قبيلة من العماليق يدعون الى كنده- وملكان بن كنده، ومالك وعمرو ابنا فهم ومن حالفهم، وتنخ معهم على نفر على ملك الأردوانيين، فأنزلهم الحير الذي كان بناه

بختنصر لتجار العرب الذين وجدوا بحضرته حين أمر بغزو العرب في بلادهم، وإدخال الجيوش عليهم، فلم تزل طالعة الأنبار وطالعة نفر على ذلك، لا يدينون للأعاجم، ولا تدين لهم الأعاجم، حتى قدمها تبع- وهو أسعد أبو كرب بن ملكيكرب- في جيوشه، خلف بها من لم تكن به قوة من الناس، ومن لم يقو على المضي معه، ولا الرجوع إلى بلاده، وانضموا إلى هذا الحير، واختلطوا بهم، وفي ذلك يقول كعب بن جعيل بن عجرة بن قير بن ثعلبة بن عوف بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل:

وغزا تبع في حمير حتى ... نزل الحيرة من أهل عدن

وخرج تبع سائرا ثم رجع إليهم، وأقاموا فأقرهم على حالهم، وانصرف راجعا إلى اليمن، وفيهم من كل القبائل من بني لحيان، وهم بقايا جرهم، وفيهم جعفي، وطئي، وكتب، وتميم، وليسوا إلا بالحيرة- يعني بقايا جرهم.

قال ابن الكلبي: لحيان بقايا جرهم.

ونزل كثير من تنوخ الأنبار والحيرة وما بين الحيرة إلى طف الفرات وغريبه، إلى ناحية الأنبار وما والاها في المظال والأخبية، لا يسكنون بيوت المدر، ولا يجامعون أهلها فيها، واتصلت جماعتهم فيما بين الأنبار والحيرة، وكانوا يسمون عرب الضاحية، فكان أول من ملك منهم في زمان ملوك الطوائف مالك بن فهم، وكان منزله مما يلي الأنبار ثم مات مالك، فملك من بعده أخوه عمرو بن فهم ثم هلك عمرو بن فهم، فملك من بعده جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس الأزدي.

قال ابن الكلبي: دوس بن عدثان بن عبد الله بن نصر بن زهران ابن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزدي بن

الغوثن بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.

قال ابن الكلبي: ويقال إن جذيمة الأبرش من العاربة الأولى، من بني وبار بن أميم بن لوذ بن سام بن نوح قال: وكان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأيا، وأبعدهم مغارا، وأشدهم نكاية، وأظهرهم حزما، وأول من استجمع له الملك بأرض العراق، وضم إليه العرب، وغزا بالجيوش، وكان به برص، فكنت العرب عنه، وهابت العرب أن تسميه به وتنسبه إليه إعظاما له، فقيل: جذيمة الوضاح، وجذيمة الأبرش، وكانت منازلها فيما بين الحيرة والأنبار وبقة وهيئ وناحيتها، وعين التمر، وأطراف البر إلى الغوير والقطقطانة وخفية وما والاها، وتجي إلى الأموال، وتقد إليه الوفود، وكان غزا طسما وجديسا في منازلهم من جو وما حولهم، وكانت طسم وجديس يتكلمون بالعربية، فأصاب حسان بن تبع أسعد أبي كرب، قد أغار على طسم وجديس باليمامة، فانكفأ جذيمة راجعا بمن معه، وتأقي خيول تبع على سرية لجذيمة فاجتاحتها، وبلغ جذيمة خبرهم، فقال جذيمة:

ربما أوفيت في علم ... ترفعن بردي شمالات

في فتو أنا كألهم ... في بلايا غزوة باتوا

ثم أبنا غانمي نعم ... وأناس بعدنا ماتوا

نحن كذا في ممرهم ... إذ مر القوم خوات

ليت شعري ما أماتهم ... نحن أدلجنا وهم باتوا

ولنا كانوا ونحن إذا ... قال منا قائل صاتوا

ولنا البید البعاد التي ... أهلها السودان اشتات
ثبه الاخيار شاهده ... ذاكم قومی واهلاقی
قد شربت الخمر وسطهم ... ناعما فی غیر أصوات
فعلى ما كان من کرم ... فستبکینی بنیاتی
انا رب الناس کلهم ... غیر ربی الکافت الفات

یعنی بالكافت الذي یکفت ارواحهم، والفات الذی یفیتهم أنفسهم، یعنی الله عز وجل.
قال ابن الکلبی: ثلاثة آیات منها حق، والبقية باطل.

قال: وفي مغازیه وغاراته على الأمم الخالية من العاربة الأولى يقول الشاعر فی الجاهلیة:
أضحی جذیمة فی یرین منزله ... قد حاز ما جمعت فی دهرها عاد

فكان جذیمة قد تنبأ وتكهن، واتخذ صمنین، یقال لهما: الضیزنان- قال: ومكان الضیزنین بالحیرة معروف- وكان یستسقی بهما ویستنصر
بهما على العدو، وكانت آیاد بعین أباغ، وأباغ رجل من العمالیق، نزل بتلك العین، فكان یغازیهم، فذكر لجذیمة غلام من لحم فی أخواله
من آیاد یقال له عدي بن نصر بن ربیعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن عجم بن ثمارة بن لحم، له جمال وظرف، فغزاهم
جذیمة، فبعث آیاد قوما فسقوا سدنة الصمنین الخمر، وسرقوا الصمنین، فأصبحا فی آیاد، فبعث إلى جذیمة: أن صمنیک أصبحا فینا، زهدا
فیک ورغبة فینا، فإن اوثقت لنا الا تغزونا رددناهما إلیک.

قال: وعدي بن نصر تدفعونه إلی فدفعوه إلیه مع الصمنین، فانصرف

عنهم، وضم عديا إلى نفسه، وولاه شرابه، فأبصرته رقاش ابنة مالك أخت جذیمة، فعشقتة وراسلته، وقالت: یا عدي، أخطبني إلى
الملك، فإن لك حسبا وموضعا، فقال: لا أجتري على كلامه فی ذلك، ولا اطمع أن یزوجنیک، قالت: إذا جلس على شرابه، وحضره
ندماؤه، فاسقه صرفا، واسق القوم مزاجا، فإذا أخذت الخمرة فیہ، فأخطبني إلیه، فإنه لن یردک، ولن یمتنع منك، فإذا زوجک فاشهد
القوم، ففعل الفتی ما أمرته به، فلما أخذت الخمرة مأخذها خطبها إلیه، فأملكه إياها، فانصرف إلیها، فأعرس بها من ليلته، واصبح
مضرجا بالخلق، فقال له جذیمة- وأتکر ما رأى به: ما هذه الآثار یا عدي؟ قال: آثار العرس، قال أي عرس! قال: عرس رقاش!
قال: من زوجکها ویحك! قال:

زوجنها الملك، فضرب جذیمة یده على جبهته، وأكب على الأرض ندامة وتلهفا، وخرج عدي على وجهه هاربا، فلم یر له أثر، ولم
یسمع له بذكر، وأرسل إلیها جذیمة، فقال:

حدثني وأنت لا تكذبني ... ابجر زنیت أم بهجین!

أم بعبد فأنت أهل لعبد ... أم بدون فأنت أهل لدون

فقلت: لا بل أنت زوجتني امرا عربيا، معروفا حسیبا، ولم تستأمرني فی نفسي، ولم أكن مالكة لأمری، فكف عنها، وعرف عذرها.
ورجع عدي بن نصر إلى آیاد، فكان فیهم، ففرج ذات يوم مع فتية متصيدین، فرمى به فتی منهم من لهب فیما بین جبلین، فتنكس
فیات، واشتملت رقاش على جبل، فولدت غلاما، فسمته عمرا ورشخته، حتى إذا ترعرع عطرتة وألبسته وحلته، وأزارته خاله جذیمة،
فلما رآه أعجب به، وألقت عليه منه مقّة ومحبة، فكان یختلف مع ولده، ویكون معهم.

ففرج جذیمة متبديا بأهله وولده فی سنة خصبة مكثّة، فضربت له أبنة فی روضة ذات زهرة وغدر، وخرج ولده وعمرو معهم یجتنون
الکماء،

فكانوا إذا أصابوا کماء جيدة أكلوها، وإذا أصابها عمرو خبأها فی جزته فانصرفوا إلى جذیمة یتعادون، وعمرو یقول:

هذا جنای وخیاره فیہ ... إذ کل جان یده إلى فیہ

فضمه إلیه جذیمة والتزمه، وسر بقوله وفعله، وأمر فجعل له حلی من فضة وطوق، فكان أول عربي ألبس طوقا، فكان یسمى عمرا ذا
الطوق، فبینما هو على أحسن حاله، إذ استطارت الجن فاستهوته، فضرب له جذیمة فی البلدان والآفاق زمانا لا یقدر علیه قال: وأقبل

رجلان أخوان من بلقين- يقال لهما: مالك وعقيل، ابنا فارح بن مالك بن كعب بن القين بن جسر ابن شيع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عَمْران بن الحاف بن قضاعة- من الشام يريدان جذيمة، قد اهديا له طرفا ومتاعا، فلما كانا ببعض الطريق نزلا منزلا، ومعهما قينة لهما يقال لها: أم عمرو، فقدمت إليهما طعاما، فبينما هما يأكلان إذ أقبل فتى عريان شاحب، قد تلبد شعره، وطالت أظفاره، وساءت حاله، فجاء حتى جلس حجره منهما، فد يده يريد الطعام، فناولته القينة كراعا، فأكلها ثم مد يده إليها، فقالت: تعطي العبد كراعا فيطمع في الذراع، فذهبت مثلا، ثم ناولت الرجلين من شراب كان معها، وأوكت زقها، فقال عمرو بن عدي:

صددت الكاس عنا أم عمرو ... وكان الكاس مجراها اليمين
وما شر الثلاثة أم عمرو ... بصاحبك الذي لا تصحينا!

فقال مالك وعقيل: من أنت يا فتى؟ فقال: إن تنكراني أو تنكرا نسي، فاني انا عمرو بن عدي، ابن تنوخية، اللخمي، وغدا ما ترياني في ثمارة غير معصي

فنهضا إليه فضماه وغسلا رأسه، وقلها أظفاره، وأخذها من شعره وألبسها مما كان معها من الثياب وقالوا: ما كنا لنهدي لجذيمة هدية أنفس عنده، ولا أحب إليه من ابن أخته، قد رده الله عليه بنا نفرجا به، حتى دفعا إلي باب جذيمة بالحيرة، فبشراه، فسر بذلك سرورا شديدا، وأنكره لحال ما كان فيه، فقالا: أبيت اللعن! إن من كان في مثل حاله يتغير.

فأرسل به إلى أمه، فكث عندها أياما ثم أعادته إليه، فقال: لقد رأيته يوم ذهب وعليه طوق، فما ذهب عن عيني ولا قلبي إلى الساعة، فأعادوا عليه الطوق، فلما نظر إليه قال: شب عمرو عن الطوق، فأرسلها مثلا، وقال للمالك وعقيل: حكمكما، قالوا: حكمنا منادمتك ما بقينا وبقيت! فهما ندمانا جذيمة اللذان ضربا مثلا في أشعار العرب، وفي ذلك يقول أبو خراش الهذلي:

لعمرك ما ملت كبيشة طلعتي ... وإن ثوائي عندها لقليل
ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا ... نديما صفاء مالك وعقيل

وقال متمم بن نويرة:

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وكان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف بلاد الشام عمرو بن ظرب ابن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوير العمليقي- ويقال العمليقي، من

عاملة العماليق، فجمع جذيمة جموعا من العرب، فسار إليه يريد غزاته، وأقبل عمرو بن ظرب بجموعه من الشام، فالتقوا، فاقتتلوا قتالا شديدا، فقتل عمرو بن ظرب، وانفضت جموعه، وانصرف جذيمة بمن معه سالمين غانمين، فقال في ذلك الأعور بن عمرو بن هناة بن مالك بن فهم الأزدي:

كأن عمرو بن ثربي لم يعيش ملكا ... ولم تكن حوله الرايات تختلف
لاقى جذيمة في جأواء مشعلة ... فيها حراشف بالنيران ترتشق

فلكت من بعد عمرو ابنته الزباء واسمها نائلة، وقال في ذلك القعقاع بن الدرماء الكلبي:

أتعرف منزلا بين المنقي ... وبين حجر نائلة القديم

وكان جنود الزباء بقايا من العماليق والعاربة الأولى، وتزيد وسليح ابني حلوان ابن عمران بن الحاف بن قضاعة، ومن كان معهم من قبائل قضاعة، وكانت للزباء أخت يقال لها زبيبة، فبنت لها قصرا حصينا على شاطئ الفرات الغربي، وكانت تشتو عند أختها، وترجع ببطن النجار، وتصير إلى تدمر فلما أن استجمع لها أمرها، واستحكم لها ملكها، اجمعت لغزو جذيمة الأبرش تطلب بثأر أبيها، فقالت لها أختها زبيبة- وكانت ذات رأي ودهاء وأرب:

يا زباء، إنك إن غزوت جذيمة فإنما هو يوم له ما بعده، إن ظفرت أصبت ثارك، وإن قتلت ذهب ملكك، والحرب سجال، وعثراتها لا تستقال، وإن كعبك لم يزل ساميا على من ناواك وساماك، ولم تري يؤسا ولا غيرا، ولا تدرين لمن تكون العاقبة، وعلى من تكون

الدائرة! فقالت لها الزباء: قد أدت النصيحة، وأحسن الروية، وإن الرأي ما رأيت، والقول ما قلت.

فانصرفت عما كانت أجمعت عليه من غزو جذيمة، ورفضت ذلك، وأتت

أمرها من وجوه الختل والخلدع والمكر فكتبت إلى جذيمة تدعوه إلى نفسها وملكها، وأن يصل بلاده ببلادها وكان فيما كتبت به: إنها لم تجد ملك النساء إلا إلي قبيح في السماع، وضعف في السلطان، وقلة ضبط المملكة، وإنها لم تجد لملكها موزعا، ولا لنفسها كفتا غيرك، فأقبل إلى، فاجمع ملكي إلى ملكك، وصل بلادي ببلاكك، وتقلد أمري مع أمرك.

فلما انتهى كتاب الزباء إلى جذيمة، وقدم عليه رسلها استخفه ما دعت إليه، ورغب فيما أطمعته فيه، وجمع إليه أهل الحجي والنهي، من ثقات أصحابه، وهو بالبقعة من شاطئ الفرات، فعرض عليهم ما دعت إليه الزباء، وعرضته عليه، واستشارهم في أمره، فأجمع رأيهم على أن يسير إليها، ويستولي على ملكها وكان فيهم رجل يقال له قصير بن سعد بن عمر بن جذيمة بن قيس بن ربي بن نمارة بن لخم وكان سعد تزوج أمة لجذيمة، فولدت له قصيرا، وكان أريبا حازما، أثيرا عند جذيمة، ناصحا، نخالفهم فيما أشاروا به عليه، وقال: رأي فاتر، وغدر حاضر، فذهبت مثلا فرادوه الكلام ونازعوه الرأي، فقال: إني لأرى أمرا ليس بالخصا ولا الزكا، فذهبت مثلا وقال لجذيمة: أكتب إليها، فإن كانت صادقة فلتقبل إليك، وإلا لم تمكنها من نفسك، ولم تقع في حبالها، وقد وترتها، وقتلت أباه فلم يوافق جذيمة ما أشار به عليه قصير، فقال قصير:

إني امرؤ لا يميل العجز ترويتي ... إذا أتت دون شيء مرة الودم

فقال جذيمة: لا ولكنك امرؤ رأيك في الكن لا في الضح، فذهبت مثلا فدعا جذيمة ابن أخته عمرو بن عدي فاستشاره، فشجعه على المسير،

وقال: إن نمارة قومي مع الزباء، ولو قدروا لصاروا معك، فأطاعه وعصي قصيرا، فقال قصير: لا يطاع لقصير أمر، وفي ذلك يقول نهشل بن حري ابن ضمرة بن جابر التميمي:

ومولى عصاني واستبد برأيه ... كما لم يطع بالقتين قصير

فلما رأى ما غب أمره وأمره ... وولت بأعجاز الأمور صدور

تمنى نئيشا أن يكون أطاعني ... وقد حدثت بعد الأمور أمور

وقالت العرب: ببقعة أبرم الأمر، فذهبت مثلا، واستخلف جذيمة عمرو بن عدي على ملكه وسلطانه، وجعل عمرو بن عبد الجن الجرمي معه على خيوله، وسار في وجوه أصحابه، فأخذ على الفرات من الجانب الغربي.

فلما نزل الفرضة دعا قصيرا، فقال: ما الرأي؟ قال: ببقعة تركت الرأي، فذهبت مثلا، واستقبلته رسل الزباء بالهدايا والألطف، فقال: يا قصير، كيف ترى؟ قال: خطر يسير في خطبك كبير، فذهبت مثلا، وستلقل الخيول، فإن سارت أمامك فإن المرأة صادقة، وإن أخذت جنبك وأحاطت بك من خلفك، فإن القوم غادرون، فاركب العصا- وكانت فرسا لجذيمة لا تجارى- فإني راكبها ومسارك عليها فلقيته الخيول والكئاب، فالت بينه وبين العصا، فركبها قصير، ونظر إليه جذيمة موليا على متنها، فقال: ويل أمه حزما على ظهر العصا! فذهبت مثلا، فقال: يا ضل ما تجري به العصا! وجرت به إلى غروب الشمس ثم نفقت، وقد قطعت أرضا بعيدة، فبنى عليها برجا يقال له برج العصا وقالت العرب:

خير ما جاءت به العصا، مثل تضربه وسار جذيمة، وقد أحاطت به الخيول، حتى دخل على الزباء، فلما

/ رآته تكشفته فإذا هي مضفورة الأسب، فقالت: يا جذيمة أدأب عروس ترى!، فذهبت مثلا، فقال: بلغ المدى، وجف الثرى، وأمر غدر أرى، فقالت: أما وإلهي ما بنا من عدم مواس، ولا قلة أواس، ولكنه شيمة ما أناس فذهبت مثلا، وقالت: إني أنبت أن دماء الملوك شفاء من الكلب، ثم أجلسته على نطع، وأمرت بطست من ذهب، فأعدته له وسقته من الخمر حتى أخذت مأخذها منه، وأمرت براهشيه فقطعا، وقدمت إليه الطست، وقد قيل لها: إن قطر من دمه شيء في غير الطست طلب بدمه- وكانت الملوك لا تقتل بضرب الأعناق إلا في قتال، تكرمه للملك- فلما ضعفت يده سقطتا، فقطر من دمه في غير الطست، فقالت: لا تضيعوا دم الملك، فقال جذيمة: دعوا دما ضيعه اهله، فذهبت مثلا، فهلك جذيمة واستبقت الزباء دمه، فجعلته في برس قطن في ربعة لها، وخرج قصير من الحجي الذي هلك العصا بين أظهرهم، حتى قدم على عمرو بن عدي وهو بالحيرة، فقال له قصير: أداثر أم ناثر، قال: لا، بل ناثر

سائر، فذهبت مثلاً، ووافق قصير الناس وقد اختلفوا، فصارت طائفة منهم مع عمرو بن عبد الجن الجرمي، وجماعة منهم مع عمرو بن عدي، فاختلف بينهما قصير حتى اصطالحا، وانتقاد عمرو بن عبد الجن لعمرو بن عدي، ومال إليه الناس، فقال عمرو بن عدي في ذلك: دعوت ابن عبد الجن للسلم بعد ما ... نتابع في غرب السفاه وكسما فلها ارعوى عن صدنا باعتراهم ... مريت هواه مرى آم روائما فقال عمرو بن عبد الجن مجيباً له:

أما ودماء مائرات تحالها ... على قلة العزى او النسر عند ما

وما قدس الرهبان في كل هيكل ... أبيل الابلين المسيح بن مريما

- قَالَ: هكذا وجد الشعر ليس بتمام، وكان ينبغي أن يكون البيت الثالث:

لقد كان كذا وكذا-- فقال قصير لعمرو بن عدي: تهباً واستعد، ولا تطل دم خالك.

قَالَ: وكيف لي بها وهي أمتع من عقاب الجوى؟ فذهبت مثلاً، وكانت الزباء سألت كاهنة لها عن أمرها وملكها، فقالت: أرى هلاكك بسبب غلام مهين، غير أمين، وهو عمرو بن عدي، ولن تموت بيده، ولكن حتفك بيدك، ومن قبله ما يكون ذلك فخذرت عمرا، واتخذت نفقا من مجلسها الذي كانت تجلس فيه إلى حصن لها داخل مدينتها، وقالت: ان لجأني أمر دخلت النفق إلى حصني ودعت رجلا مصورا أجود أهل بلادها تصويرا، وأحسنهم عملا لذلك، فجهرته وأحسننت إليه، وقالت له: سر حتى تقدم على عمرو بن عدي متكررا، فتخلو بحشمه، وتنضم إليهم، وتخالطهم وتعلمهم ما عندك من العلم بالصور والثقافة له، ثم أثبت عمرو بن عدي معرفة، وصوره جالسا وقائما، وراكبا ومتفضلا، ومتسلحا بهيئته ولبسته وثيابه ولونه، فإذا أحكمت ذلك، فأقبل إلي.

فانطلق المصور حتى قدم على عمرو، وصنع الذي أمرته به الزباء، وبلغ ما أوصته به، ثم رجع إليها بعلم ما وجهته له من الصور على ما وصفت له، وأرادت أن تعرف عمرو بن عدي، فلا تراه على حال إلا عرفته وحذرت،

وعلمت علمه فقال قصير لعمرو بن عدي: اجدع أنفي واضرب ظهري، ودعني وإياها فقال عمرو: ما أنا بفاعل وما أنت لذلك بمستحق مني! فقال قصير: خل عني إذا وخلاك ذم، فذهبت مثلاً.

قَالَ ابن الكلبي: كان أبو الزباء اتخذ النفق لها ولأختها، وكان الحصن لأختها في داخل مدينتها، قَالَ: فقال له عمرو، فأنت أبصر، فجدع قصير أنفه، وأثر بظهره، فقالت العرب: لمكر ما جدع أنفه قصير، وفي ذلك يقول المتلمس:

ومن حذر الأوتار ما حزن أنفه ... قصير وخاض الموت بالسيف يهس ويروى: ورام الموت وقال عدي بن زيد:

كَقَصِيرٍ إِذْ لَمْ يَجِدْ غَيْرَ أَنْ ... جَدَعَ أَشْرَافَهُ لِشُكْرِ قَصِيرٍ

فلما أن جدع قصير أنفه وأثر تلك الآثار بظهره، خرج كأنه هارب، وأظهر أن عمرا فعل به ذلك، وأنه يزعم أنه مكر بخاله جديمة، وغره من الزباء، فسار قصير حتى قدم على الزباء، فقبل لها: إن قصيرا بالباب، فأمرت به فأدخل عليها، فإذا أنفه قد جدع، وظهره قد ضرب، فقالت:

ما الذي أرى بك يا قصير؟ فقال: زعم عمرو بن عدي أنني غررت خاله، وزينت له السير إليك، وغششته ومالأتك عليه، ففعل بي ما ترين! فأقبلت إليك، وعرفت أنني لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك فألطفته وأكرمت، وأصابته عنده بعض ما أرادت من الحزم والرأي والتجربة والمعرفة بأمور الملوك،

فلما عرفت أنها قد استرسلت إليه، ووثقت به، قَالَ لها: إن لي بالعراق أموالا كثيرة، وبها طرائف وثياب وعطر، فابعثيني إلى العراق لأحمل مالي وأحمل إليك من بزوزها وطرائف ثيابها، وصنوف ما يكون بها من الأمتعة والطيب والتجارات، فتصيبين في ذلك أرباحا عظاما، وبعض ما لا غنى بالملوك عنه، فإنه لا طرائف كطرائف العراق! فلم يزل يزين لها ذلك حتى سرحته، ودفعت معه عيرا، فقالت: انطلق إلى العراق، فبع بها ما جهزناك به، وابع لنا من طرائف ما يكون بها من الثياب وغيرها فسار قصير بما دفعت إليه حتى قدم العراق، وأتى الحيرة متكررا، فدخل على عمرو بن عدي، فأخبره بالخبر، وقال: جهزني بالبز والطرف والأمتعة، لعل الله يمكن من الزباء فتصيب ثارك، تقتل عدوك فأعطاه حاجته، وجهزه بصنوف الثياب وغيرها، فرجع بذلك كله إلى الزباء، فعرضه عليها، فأعجبها

ما رأته، وسرها ما أتاها به، وازدادت به ثقة، وإليه طمأنينة، ثم جهزته بعد ذلك بأكثر مما جهزته في المرة الأولى، فسار حتى قدم العراق، ولقي عمرو بن عدي، وحمل من عنده ما ظن أنه موافق للزباء، ولم يترك جهداً، ولم يدع طرفة ولا متاعاً قدر عليه إلا حمله إليها ثم عاد الثالثة إلى العراق فأخبر عمرا الخبر، وقال: اجمع لي ثقات أصحابك وجندك، وهيئ لهم الغرائر والمسوح - قال ابن الكلبي: وقصير أول من عمل الغرائر - واحمل كل رجلين على بعير في غرارتين، واجعل معقد رءوس الغرائر من باطنها، فإذا دخلوا مدينة الزباء أقمتك على باب نفقها، وخرجت الرجال من الغرائر، فصاحوا بأهل المدينة فمن قاتلهم قتلوه، وإن أقبلت الزباء تريد النفق جلتها بالسيف. ففعل عمرو بن عدي، وحمل الرجال في الغرائر على ما وصف له قصير، ثم وجه الإبل إلى الزباء عليها الرجال وأسلحتهم، فلما كانوا قريباً من مدينتها، تقدم قصير إليها، فبشرها وأعلمها كثرة ما حمل إليها من الثياب والطرائف، وسألها أن تخرج فتنظر إلى قطرات تلك الإبل، وما عليها من الأحمال، فإني

جئت بما صاء وصمت فذهبت مثلاً وقال ابن الكلبي: وكان قصير يكمّن النهار ويسير الليل وهو أول من كمن النهار وسار الليل: فخرجت الزباء فأبصرت الإبل تكاد قوائمها تسوخ في الأرض من ثقل أحمالها، فقالت: يا قصير:

ما للجمال مشيها وثيداً! ... أجنّداً يحملن أم حديداً!
أم صرفانا بارداً شديداً!

فدخلت الإبل المدينة، حتى كان آخرها بعيراً مر على بواب المدينة وهو نبطى بيده منخسة، فنخس بها الغرائر التي تليه، فتصيب خاصرة الرجل الذي فيها، ففرض فقال البواب بالنبطية بشتابسقا يعني بقوله:

بشتابسقا: في الجوالق شر وأرعب قلباً، فذهبت مثلاً، فلما توسطت الإبل المدينة أنيخت، ودل قصير عمرا على باب النفق قبل ذلك، وأراه إياه، وخرجت الرجال من الغرائر، وصاحوا: بأهل المدينة! ووضعوا فيهم السلاح، وقام عمرو بن عدي على باب النفق، وأقبلت الزباء مولية مبادرة تريد النفق لتدخله، وأبصرت عمرا قائماً، فعرفته بالصورة التي كان صورها لها المصور فصمت خاتمها، وكان فيها سم - وقالت: بيدي لا بيدك يا عمرو، فذهبت مثلاً، وتلقاها عمرو بن عدي، فخللها بالسيف فقتلها، وأصاب ما أصاب من أهل المدينة، وانكفأ راجعاً إلى العراق، فقال عدي بن زيد في أمر جذيمة وقصير والزباء وقتل عمرو بن عدي إياها قصيدته:

أبدلت المنازل أم عفينا ... تقادم عهدا أم قد بلينا
إلى آخرها.

وقال الخليل، وهو ربيعة بن عوف السعدي:

يا عمرو إني قد هويت جماعكم ... ولكل من يهوى الجماع فراق
بل كم رأيت الدهر زایل بينه ... من لا يزایل بينه الأخلاق
طابت به الزباء وقد جعلت لها ... دوراً ومشربة لها أنفاق
حملت لها عمراً ولا بخشونة ... من آل دومة رسالة معناق
حتى تفرعها بأبيض صارم ... غضب يلوح كأنه مخراق
وأبو حذيفة يوم ضاق بجمعه ... شعب الغبيط فحومة فأفاق
وله معد والعباد وطئ ... ومن الجنود كئيب ورفاق
يهب النجائب والنزاع حوله ... جرّدا كأن متونها الإطلاق
فأتت عليه ساعة ما إن له ... مما أفاء ولا أفاد عتاق
فكان ذلك يوم حم قضاؤه ... رقد أميل إنأؤه مهراق
وقال بعض شعراء العرب:

نحن قتلنا فقحلاً وابن راعن ... ونحن ختنا نبت زبا بمنجل
فلما أتبها العير قالت أبارد ... من التمر هذا أم حديد وجندل

وقال عبد باجر- واسمه بهرا من العرب العاربة، وهم عشرة أحياء: عاد، وثمود، والعماليق، وطسم، وجديس، واميم، والمود، وجرهم، ويقطن، والسلف قال: والسلف دخل في حمير:-
لا ركبت رجلك من بين الدلي ... لقد ركبت مركبا غير الوطي
على العراقي بصفا من الطوي ... إن كنت غضبي فاغضبي على الركي
وعاتبي القيم عمرو بن عدي.

فصار الملك بعد جذيمة لابن أخته عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك بن عمرو بن نمارة بن نخم، وهو أول من اتخذ الحيرة منزلا من ملوك العرب، وأول من مجده أهل الحيرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق، وإليه ينسبون، وهم ملوك آل نصر، فلم يزل عمرو بن عدي ملكا حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة، منفردا بملكه، مستبدا بأمره، يغزو المغازي ويصيب الغنائم، وتنفذ عليه الوفود دهره الأطول، لا يدين للملوك الطوائف بالعراق، ولا يدينون له، حتى قدم أردشير بن بابك في أهل فارس.
وإنما ذكرنا في هذا الموضع ما ذكرنا من أمر جذيمة وابن أخته عمرو بن عدي لما كنا قدمنا من ذكر ملوك اليمن، إنه لم يكن لملكهم نظام، وأن الرئيس منهم إنما كان ملكا على مخالفه ومحجره، لا يجاوز ذلك، فإن نزع منهم نازع، أو نبغ منهم نابغ فتجاوز ذلك- وإن بعدت مسافة سيره من مخالفه- فإنما ذلك منه عن غير ملك له موطن، ولا لأبائه، ولا لأبنائه، ولكن كالذي يكون من بعض من يشرد من المتلصصة، فيغير على الناحية باستغفاله أهلها، فإذا قصده الطلب لم يكن له ثبات، فكذلك كان أمر ملوك اليمن، كان الواحد منهم بعد الواحد يخرج عن مخالفه ومحجره أحيانا فيصيب مما يمر به ثم يتشمر عند خوف الطلب، راجعا إلى موضعه ومخلافه، من غير أن يدين له أحد من غير أهل مخالفه بالطاعة، أو يؤدي إليه خرجا، حتى كان عمرو

ابن عدي الذي ذكرنا أمره، وهو ابن أخت جذيمة الذي اقتصصنا خبره، فإنه اتصل له ولعقبه ولأسبابه الملك على ما كان بنواحي العراق وبادية الحجاز من العرب باستعمال ملوك فارس إياهم على ذلك، واستكفائهم أمر من وليهم من العرب، إلى أن قتل أبرويز بن هرمز النعمان بن المنذر، ونقل ما كانت ملوك فارس يجعلونه إليهم إلى غيرهم، فذكرنا ما ذكرنا من أمر جذيمة وعمرو بن عدي من أجل ذلك، إذ كنا نريد أن نسوق تمام التاريخ على ملك ملوك فارس، ونستشهد على صحة ما روي من أمرهم بما وجدنا إلى الاستشهاد به عليها سبيلا وكان أمر آل نصر بن ربيعة ومن كان من ولادة ملوك الفرس وعمالهم على ثغر العرب الذين هم ببادية العراق عند أهل الحيرة متعلما مثبتا عندهم في كائنهم وأسفارهم.

وقد حدثت عن هشام بن محمد الكلبي إنه قال: إني كنت استخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة، ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة، وفيها ملكهم وأمورهم كلها.

فأما ابن حميد، فإنه حدثنا في أمر ولد نصر بن ربيعة ومصيرهم إلى أرض العراق غير الذي ذكره هشام، والذي حدثنا به من ذلك عن سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم: أن ربيعة بن نصر اللخمي رأى رؤيا نذكرها بعد- عند ذكر أمر الحبشة، وغلبتهم على اليمن وتعبير سطحيح وشق وجوابهما عن رؤياه- ثم ذكر في خبره ذلك أن ربيعة بن نصر لما فرغ من مسألة سطحيح وشق وجوابهما إياه، وقع في نفسه أن الذي قال له كائن من أمر الحبشة، فجهز بنيته وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاد، فأسكنهم الحيرة قال: فن بقية ربيعة ابن نصر كان النعمان ملك حيرة، وهو النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر ابن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر ذلك الملك في نسب أهل اليمن وعلمهم

١٠٣١٠١ ذكر طسم وجديس

ذكر طسم وجديس

قال أبو جعفر: ونذكر الآن أمر طسم وجديس إذ كان أمرهم أيضا كان في أيام ملوك الطوائف، وإن فناء جديس كان على يد حسان بن تبع، إذ كنا قدمنا فيما مضى ذكر تباعه حمير، الذين كانوا على عهد ملوك فارس.

وحدثت عن هشام بن محمد وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق وغيرهما من علماء العرب، أن طسما وجديسا كانوا من ساكني اليمامة، وهي إذ ذاك من أخصب البلاد وأعمرها وأكثرها خيرا، لهم فيها صنوف الثمار ومعجبات الحداثق والقصور الشاخنة، وكان عليهم ملك من طسم ظلوم غشوم، لا ينهائهم شيء عن هواه، يقال له عملاق، مضرا بجديس، مستذلا لهم..

وكان مما لقوا من ظلمه واستذلاله، انه امر بالا تهدي بكر من جديس إلى زوجها حتى تدخل عليه فيفتريها، فقال رجل من جديس، يقال له الأسود بن غفار لرؤساء قومه: قد ترون ما نحن فيه من العار والذل الذي ينبغي للكلاب أن تعافه وتمتعض منه، فأطيعوني فأني أدعوكم إلى عز الدهر، ونفي الذل قالوا: وما ذاك؟ قال: إني صانع للملك ولقومه طعاما، فإذا جاءوا نهضنا إليهم بأسيا فانا وانفردت به فقتلته، وأجهز كل رجل منكم على جلسه، فأجابه إلى ذلك، وأجمع رأيهم عليه فأعد طعاما، وأمر قومه فانتضوا سيوفهم ودفنوها في الرمل، وقال: إذا أتاكم القوم يرفلون في حللهم، فخذوا سيوفهم، ثم شدوا عليهم قبل أن يأخذوا مجالسهم، ثم اقتلوا الرؤساء، فإنكم إذا قتلتموهم لم تكن السفلة شيئا، وحضر الملك فقتل وقتل الرؤساء، فشدوا على العامة منهم، فأفنوهم، فهرب رجل من طسم يقال له رياح بن مرة، حتى أتى حسان بن تبع، فاستغاث به، فخرج حسان في حمير،

فلما كان من اليمامة على ثلاث، قال له رياح: أبيت اللعن! إن لي أختا متزوجة في جديس، يقال لها: اليمامة، ليس على وجه الأرض أبصر منها، إنها لتبصر الراكب من مسيرة ثلاث، وإني أخاف أن تنذر القوم بك، فرأى أصحابك، فليقطع كل رجل منهم شجرة فليجعلها أمامه ويسير وهي في يده، فأمرهم حسان بذلك، ففعلوا، ثم سار فنظرت اليمامة، فأبصرتهم، فقالت لجديس: لقد سارت حمير فقالوا: وما الذي ترين؟ قالت: أرى رجلا في شجرة، معه كتف يتعرقها، أو نعل يخصفها فكذبوها، وكان ذلك كما قالت، وصباحهم حسان فأبادهم وأخرب بلادهم وهدم قصورهم وحصونهم.

وكانت اليمامة تسمى إذ ذاك جوا والقرية، وأتى حسان باليمامة ابنة مرة، فأمر بها ففقت عيناها، فإذا فيها عروق سود، فقال لها: ما هذا السواد في عروق عينيك؟ قالت: حجير أسود يقال له الإثم، كنت أكتحل به. وكانت فيما ذكروا أول من اكتحل بالإثم، فأمر حسان بأن تسمى جوا اليمامة. وقد قالت الشعراء من العرب في حسان ومسيرة هذا، فمن ذلك قول الأعشى:

كوني كمثل الذي إذ غاب وافدها ... أهدت له من بعيد نظرة جزعا

ما نظرت ذات أشفار كنتظرتها ... حقا كما صدق الذئبي إذ سجعاً

إذ قلبت مقلة ليست بمقرفة ... إذ يرفع الآل رأس الكلب فارتفعاً

قالت أرى رجلا في كفه كتف ... أو يخصف النعل، لهفي أية صنعا!

فكذبوها بما قالت فصباحهم ... ذو آل حسان يزجي الموت والشرعا

فاستنزوا أهل جو من مساكنهم ... وهدموا شاخص البنيان فاتضعاً

ومن ذلك قول النمر بن تولب العكلي:

هلا سألت بعاديا وبيته ... وانخل وانخر التي لم تمنع

وفتاتهم عنز عشية آتست ... من بعد مرأى في الفضاء ومسمع

قالت أرى رجلا يقلب كفه ... أصلا وجو آمن لم يفزع

ورأت مقدمة الخميس وقبله ... رقص الركاب إلى الصياح بتبع

فكان صالح أهل جو غدوة ... صبحوا بذيفان السمام المنقع

كانوا كأنهم من رأيت فأصبحوا ... يلوون زاد الركاب المتمتع

قالت يمامة احمولني قائما ... إن تبعثوه باركا بي أصرع

وحسان بن تبع، الذي أوقع بجديس، هو ذو معاهر، وهو تبع بن تبع تبان أسعد أبي كرب بن ملكيكرب بن تبع بن أقرن، وهو أبو

تبع بن حسان الذي يزعم أهل اليمن أنه قدم مكة، وكسا الكعبة، وأن الشعب من المطابخ إنما سمي هذا الاسم لنصبه المطابخ في ذلك

الموضع وإطعامه الناس، وإن أجيادا إنما سمي أجيادا، لأن خيله كانت هنالك، وإنه قدم يثرب فنزل منزلا يقال له منزل الملك اليوم، وقتل من اليهود مقتلة عظيمة بسبب شكايه من شكاهم إليه من الأوس والخزرج بسوء الجوار، وإنه وجه ابنه حسان إلى السند وسمرًا ذا الجناح إلى خراسان، وأمرهما أن يستبقا إلى الصين، فرسمر بسمرقند فأقام عليها حتى افتتحها، وقتل مقاتلتها، وسبي وحوى ما فيها ونفذ إلى الصين، فوافي حسان بها، فن أهل اليمن من يزعم أنهما ماتا هنالك، ومنهم من يزعم أنهما انصرفا إلى تبع بالأموال والغنائم.

ومما كان في أيام ملوك الطوائف ما ذكره الله عز وجل في كتابه من أمر الفتية الذين أووا إلى الكهف فضرب على آذانهم

٢ الجزء الثاني

٢٠١ ذكر الخبر عن أصحاب الكهف

الجزء الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر الخبر عن أصحاب الكهف

وكان أصحاب الكهف فتية آمنوا بربهم، كما وصفهم الله عز وجل به من صفتهم في القرآن المجيد، فقال لنبيه محمد ص: «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا» .

والرقيم هو الكتاب الذي كان القوم الذين منهم كان الفتية، كتبوه في لوح بذكر خبرهم وقصصهم، ثم جعلوه على باب الكهف الذي أووا إليه، أو نقروه في الجبل الذي أووا إليه، أو كتبوه في لوح وجعلوه في صندوق خلفوه عندهم، إذ أوى الفتاه إلى الكهف. وكان عدد الفتية - فيما ذكر ابن عباس - سبعة، وثامنهم كلبهم.

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ سَمَّاكٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ»، قَالَ: أَنَا مِنَ الْقَلِيلِ، كَانُوا سَبْعَةً.

حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَقُولُ: أَنَا مِنْ أَوْلِيكَ الْقَلِيلِ الَّذِينَ اسْتَتَنَى اللَّهُ تَعَالَى، كَانُوا سَبْعَةً وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ.

قَالَ: وَكَانَ اسْمُ أَحَدِهِمْ - وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَلِي شَرَا الطَّعَامِ لَهُمْ، الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ قَالُوا اذْهَبُوا مِنْ رَقَدَتِهِمْ: «فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ» .

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّهْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفْيَانٌ، عَنْ مِقَاتٍ:

«فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ» - اسْمُهُ يَمْنِيخُ.

وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ فَإِنَّهُ قَالَ - فِيمَا حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ حَمِيدٍ - قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، عَنْهُ: اسْمُهُ يَمْلِيخَا.

وكان ابن إسحاق يقول: كان عدد الفتية ثمانية، فعلى قوله كان كلبهم تاسعهم وكان - فيما حدثنا ابن حميد، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ - يسميهم فيقول: كان أحدهم - وهو أكبرهم والذي كلم الملك عن سائرهم - مكسميلينا، والآخر محسميلينا، والثالث يملِيخَا، والرابع مرطوس، والخامس كسوطونس، والسادس بيرونس، والسابع رسمونس، والثامن بطونس، والتاسع قالوس وكانوا أحداثا.

وقد حدثنا ابن حميد، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: لَقَدْ حَدَّثْتُ أَنَّهُ كَانَ عَلَى بَعْضِهِمْ مِنْ حَدَاثَةِ أَسْنَانِهِمْ وَضَحُ الْوَرَقِ وَكَانُوا مِنْ قَوْمٍ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ مِنَ الرُّومِ، فَهَدَاهُمُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، وَكَانَتْ شَرِيعَتُهُمْ شَرِيعَةُ عِيسَى فِي قَوْلِ جَمَاعَةٍ مِنْ سَلَفِ عَلَيْنَا

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ بَشِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو- يَعْنِي ابْنَ قَيْسٍ الْمَلَائِيَّ- فِي قَوْلِهِ: «أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ»، كَانَتْ الْفَتِيهَ عَلَى دِينَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ص عَلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَ مَلِكُهُمْ كَافِرًا وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَزْعُمُ أَنَّ أَمْرَهُمْ وَمَصِيرَهُمْ إِلَى الْكَهْفِ كَانَ قَبْلَ الْمَسِيحِ، وَإِنَّ الْمَسِيحَ أَخْبَرَ قَوْمَهُ خَبَرَهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ابْتَعَثَهُمْ مِنْ رَقْدَتِهِمْ بَعْدَ مَا رَفَعَ الْمَسِيحَ، فِي الْفَتْرَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ص، وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيَّ ذَلِكَ كَانَ.

فَأَمَّا الَّذِي عَلَيْهِ عُلْمُهُ أَهْلُ الْإِسْلَامِ فَعَلَى أَنَّ أَمْرَهُمْ كَانَ بَعْدَ الْمَسِيحِ.

فَأَمَّا أَنَّهُ كَانَ فِي أَيَّامِ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَدْفَعُهُ دَافِعٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِأَخْبَارِ النَّاسِ الْقَدِيمَةِ.

وَكَانَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ مَلِكٌ يُقَالُ لَهُ: دَقِينُوسُ، يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ- فِيمَا ذُكِرَ عَنْهُ- فَبَلَغَهُ عَنِ الْفَتِيَّةِ خِلَافَهُمْ إِيَّاهُ فِي دِينِهِ، فَطَلَبَهُمْ فَهَرَبُوا مِنْهُ بِدِينِهِمْ، حَتَّى صَارُوا إِلَى جَبَلٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ- فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْبَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ- يَحْلُوسُ.

وَكَانَ سَبَبُ إِيمَانِهِمْ وَخِلَافَتِهِمْ بِهِ قَوْمَهُمْ- فِيمَا حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدِ الرَّزَّاقِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، قَالَ: أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ سُدُوسٍ، - إِنَّهُ سَمِعَ وَهْبَ بْنَ مَنِيعٍ يَقُولُ: جَاءَ حَوَارِيُّ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ إِلَى مَدِينَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، فَأَرَادَ أَنْ يَدْخُلَهَا، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ عَلَى بَابِهَا صَنَمَا لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ إِلَّا سَجَدَ لَهُ، فَكَرِهَ أَنْ يَدْخُلَهَا، فَأَتَى حَمَامًا، وَكَانَ فِيهِ قَرِيبًا مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَعْمَلُ فِيهِ، يُؤَاجِرُ نَفْسَهُ مِنْ صَاحِبِ الْحَمَامِ.

وَرَأَى صَاحِبُ الْحَمَامِ فِي حَمَامِهِ الْبَرْكَةَ، وَدَرَّ عَلَيْهِ الرِّزْقَ، فَجَعَلَ يَعْزُضُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ وَجَعَلَ يَسْتَرْسِلُ إِلَيْهِ وَعَلَقَهُ فِتْنَةً مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَجَعَلَ يُخْبِرُهُمْ

خَبَرَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَخَبَرَ الْآخِرَةِ، حَتَّى آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَكَانُوا عَلَى مِثْلِ حَالِهِ فِي حُسْنِ الْهَيْئَةِ، وَكَانَ يَشْرُطُ عَلَى صَاحِبِ الْحَمَامِ أَنَّ اللَّيْلَ لِي، لَا تَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ الصَّلَاةِ إِذَا حَضَرْتُ فَكَانَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جَاءَ ابْنُ الْمَلِكِ بِامْرَأَةٍ، فَدَخَلَ بِهَا الْحَمَامَ، فَعِيرَهُ الْحَوَارِيُّ، فَقَالَ: أَنْتَ ابْنُ الْمَلِكِ وَتَدْخُلُ وَمَعَكَ هَذِهِ الْكَذَّاءُ! فَاسْتَحْيَا، فَذَهَبَ فَرَجَعَ مَرَّةً أُخْرَى، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَسَبَّهُ وَانْتَهَرَهُ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ حَتَّى دَخَلَ، وَدَخَلَتْ مَعَهُ الْمَرْأَةُ فَمَاتَا فِي الْحَمَامِ جَمِيعًا، فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: قَتَلَ صَاحِبُ الْحَمَامِ ابْنَكَ.

فَاتَّيَسَّرَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ فَهَرَبَ قَالَ مَنْ كَانَ يَصْحَبُهُ: فَسَمُوا الْفَتِيَّةَ، فَاتَّيَسَّوْا نَخَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَمَرُّوا بِصَاحِبٍ لَهُمْ فِي زَرْعٍ لَهُ، وَهُوَ عَلَى مِثْلِ أَمْرِهِمْ فَذَكَرُوا أَنَّهُمْ اتَّيَسَّوْا، وَانْطَلَقَ مَعَهُمُ الْكَلْبُ، حَتَّى آوَاهُمْ اللَّيْلُ إِلَى الْكَهْفِ، فَدَخَلُوهُ فَقَالُوا: نَبِيتَ هَاهُنَا اللَّيْلَةَ ثُمَّ نَصْبَحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَتَرَوْنَ رَأْيَكُمْ فَضْرَبَ عَلَى آذَانِهِمْ، فَخَرَجَ الْمَلِكُ فِي أَصْحَابِهِ يَتَّبِعُونَهُمْ، حَتَّى وَجَدُوهُمْ قَدْ دَخَلُوا الْكَهْفَ، فَكَلَّمَا أَرَادَ رَجُلٌ أَنْ يَدْخُلَ أُرْعِبَ، فَلَمْ يُطِقْ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ، فَقَالَ قَائِلٌ: أَلَيْسَ لَوْ كُنْتُ قَدَرْتُ عَلَيْهِمْ قَتَلْتَهُمْ؟ قَالَ:

بَلَى، قَالَ: فَأَبْنِ عَلَيْهِمْ بَابَ الْكَهْفِ، فَدَعَهُمْ فِيهِ يَمُوتُوا عَطَشًا وَجُوعًا.

فَفَعَلَ فَعَبَرُوا- بَعْدَ مَا بُنِيَ عَلَيْهِمْ بَابُ الْكَهْفِ- زَمَانًا بَعْدَ زَمَانٍ.

ثُمَّ إِنَّ رَاعِيًا أَدْرَكَهُ الْمَطَرُ عِنْدَ الْكَهْفِ، فَقَالَ: لَوْ فَتَحْتُ هَذَا الْكَهْفَ فَأَدْخَلْتُهُ غَنَمِي مِنَ الْمَطَرِ! فَلَمْ يَزَلْ يَعْالِجُهُ حَتَّى فَتَحَ مَا أَدْخَلَ فِيهِ، وَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِمْ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ مِنَ الْغَدِ حِينَ أَصْبَحُوا، فَبَعَثُوا أَحَدَهُمْ بِوَرَقٍ يَشْتَرِي لَهُمْ طَعَامًا، فَكَلَّمَا أَتَى بَابَ مَدِينَتِهِمْ رَأَى شَيْئًا يَنْكَرُهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ، فَقَالَ: بِعْنِي هَذِهِ الدَّرَاهِمَ طَعَامًا، قَالَ: وَمِنْ أَيْنَ لَكَ هَذِهِ الدَّرَاهِمُ! قَالَ:

خَرَجْتُ وَأَصْحَابُ لِي أَمْسَ، فَأَوَانَا اللَّيْلُ حَتَّى أَصْبَحُوا، فَأَرْسَلُونِي، فَقَالَ:

هَذِهِ الدَّرَاهِمُ كَانَتْ عَلَى عَهْدِ الْمَلِكِ فُلَانٍ فَأَتَى لَكَ بِهَا! فَرَفَعَهُ إِلَى الْمَلِكِ - وَكَانَ مَلِكًا صَالِحًا - فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذِهِ الْوَرَقُ؟ قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَأَصْحَابِي لِيَأْمَسَ حَتَّى أَدْرِكَكَ اللَّيْلُ فِي كَهْفٍ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ أَمْرُونِي أَنْ أَشْتَرِيَ لَهُمْ طَعَامًا قَالَ: وَأَيْنَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: فِي الْكَهْفِ، قَالَ:

فَانْطَلَقُوا مَعَهُ حَتَّى أَتَوْا بَابَ الْكَهْفِ، فَقَالَ: دَعُونِي أَدْخُلُ إِلَى أَصْحَابِي قَبْلَكُمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُ وَدَنَا مِنْهُمْ ضَرْبَ عَلَى أُذُنِهِ وَأَذَانِهِمْ، فَجَعَلُوا كُلُّهُمْ دَخَلَ رَجُلٌ أَرْعَبَ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَدْخُلُوا إِلَيْهِمْ، فَبَنَوْا عَنْدهُمْ كَنِيْسَةً، وَاتَّخَذُوهَا مَسْجِدًا يُصَلُّونَ فِيهِ.

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ الْكَهْفِ أَبْنَاءُ مُلُوكِ الرُّومِ، رَزَقَهُمُ اللَّهُ الْإِسْلَامَ، فَتَفَرَّدُوا بِدِينِهِمْ، وَاعْتَزَلُوا قَوْمَهُمْ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْكَهْفِ، فَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى سَمْعَانِهِمْ فَلَبِثُوا دَهْرًا طَوِيلًا، حَتَّى هَلَكَتْ أُمَّتُهُمْ، وَجَاءَتْ أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ، وَكَانَ مُلْكُهُمْ مُسْلِمًا، وَاخْتَلَفُوا فِي الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، فَقَالَ قَاتِلٌ: تَبِعْتُ الرُّوحَ وَالْجَسَدَ جَمِيعًا، وَقَالَ قَاتِلٌ: تَبِعْتُ الرُّوحَ، وَأَمَّا الْجَسَدُ فَتَأْكُلُهُ الْأَرْضُ، فَلَا يَكُونُ شَيْئًا فَشَقَّ عَلَى مُلْكِهِمْ اخْتِلَافُهُمْ، فَانْطَلَقَ فَلَبَسَ الْمَسُوحَ، وَجَلَسَ عَلَى الرَّمَادِ، ثُمَّ دَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، قَدْ تَرَى اخْتِلَافَ هَؤُلَاءِ، فَابْعَثْ لَهُمْ مَا يَبِينُ لَهُمْ، فَبَعَثَ اللَّهُ أَصْحَابَ الْكَهْفِ، فَبَعَثُوا أَحَدَهُمْ يَشْتَرِي لَهُمْ طَعَامًا، فَدَخَلَ السُّوقَ، فَجَعَلَ يَنْكُرُ الْوُجُوهَ وَيَعْرِفُ الطَّرِيقَ، وَيَرَى الْإِيمَانَ بِالْمَدِينَةِ ظَاهِرًا، فَانْطَلَقَ وَهُوَ مُسْتَخْفٍ، حَتَّى أَتَى رَجُلًا يَشْتَرِي مِنْهُ طَعَامًا، فَلَمَّا نَظَرَ الرَّجُلَ إِلَى الْوَرَقِ أَنْكَرَهَا - قَالَ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: كَأَنَّهَا أَخْفَافُ الرَّبْعِ - يَعْنِي الْإِبِلَ الصَّغِيرَ - قَالَ لَهُ الْفَتَى: أَلَيْسَ مُلْكُكُمْ فُلَانٌ؟ قَالَ: بَلْ مُلْكُ فُلَانٍ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ بَيْنَهُمَا حَتَّى رَفَعَهُ إِلَى الْمَلِكِ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ الْفَتَى خَبَرَ أَصْحَابِهِ، فَبَعَثَ الْمَلِكُ فِي النَّاسِ، فَجَمَعَهُمْ فَقَالَ: إِنَّكُمْ قَدْ اخْتَلَفْتُمْ فِي الرُّوحِ وَالْجَسَدِ،

وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ آيَةً، فَهَذَا رَجُلٌ مِنْ قَوْمِ فُلَانٍ - يَعْنِي مُلْكَهُمْ الَّذِي مَضَى - فَقَالَ الْفَتَى: انْطَلِقُوا بِي إِلَى أَصْحَابِي، فَارْكَبِ الْمَلِكُ، وَارْكَبْ مَعَهُ النَّاسُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْكَهْفِ، فَقَالَ الْفَتَى: دَعُونِي أَدْخُلُ إِلَى أَصْحَابِي، فَلَمَّا أَبْصَرَهُمْ ضَرَبَ اللَّهُ عَلَى أُذُنِهِ وَعَلَى أَذَانِهِمْ، فَلَمَّا اسْتَبْطِئُوهُ دَخَلَ الْمَلِكُ وَدَخَلَ النَّاسُ مَعَهُ، فَإِذَا أَجْسَادُ لَا يَنْكُرُونَ مِنْهَا شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهَا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا. فَقَالَ الْمَلِكُ: هَذِهِ آيَةٌ بَعَثَهَا اللَّهُ لَكُمْ.

قَالَ قَتَادَةُ: وَغَزَا ابْنُ عَبَّاسٍ مَعَ حَبِيبِ بْنِ مُسْلِمَةَ، فَمَرُّوا بِالْكَهْفِ، فَإِذَا فِيهِ عِظَامٌ، فَقَالَ رَجُلٌ: هَذِهِ عِظَامُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

لَقَدْ ذَهَبَتْ عِظَامُهُمْ مِنْذُ أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَكَانَ مِنْهُمْ:

٢٠٢ يونس بن متى

يونس بن متى

- فَكَانَ فِيهَا ذَكَرٌ - مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْ قَرْيَةِ الْمُوصِلِ يُقَالُ لَهَا: نَيْنَوَى، وَكَانَ قَوْمُهُ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يُونُسَ بِالنَّهْيِ عَنْ عِبَادَتِهَا، وَالْأَمْرِ بِالتَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ مِنْ كُفْرِهِمْ، وَالْأَمْرِ بِالتَّوْحِيدِ فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرَ الَّذِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ مَا قَصَبَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِلْيَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ» وَقَالَ: «وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّجُ الْمُؤْمِنِينَ» .

وقد اختلف السلف من علماء أمة نبينا محمد ص في ذهابه لربه مغاضبا وظنه أن لن يقدر عليه، وفي حين ذلك. فقال بعضهم: كان ذلك منه قبل دعائه القوم الذين أرسل إليهم، وقبل إبلاغه إياهم رسالة ربه، وذلك أن القوم الذين أرسل إليهم لما

حضرهم عذاب الله أمر بالمصير إليهم، ليعلمهم ما قد أظلمهم من ذلك، لينبؤوا مما هم عليه مقيمون مما يسخطه الله، فاستنظر ربه المصير إليهم، فلم ينظره، فغضب لاستعجال الله إياه للنفوذ لأمره وترك إنظاره ذكر من قال ذلك:

حدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن الأشيب، قال: سمعت أبا هلال محمد بن سليم، قال: حدثنا شهر بن حوشب، قال: أتاه جبريل ع- يعني يونس- وقال: انطلق إلى أهل نينوى، فأندرهم أن العذاب قد حضرهم قال: ألتبس دابة، قال: الأمر أعجل من ذلك، قال: ألتبس حذاء، قال: الأمر أعجل من ذلك، قال: فغضب، فانطلق إلى السفينة فركب، فلما ركب احتبست السفينة لا تقدم ولا تأخر قال:

فساهموا قال: فسهم، فجاء الحوت يصبص بذنبه، فنودي الحوت: أيا حوت، إنا لم نجعل يونس لك رزقا، إنما جعلناك له حرزا ومسجدا، فالتقمه الحوت، فانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على الأيلة، ثم انطلق حتى مر به على دجلة، ثم انطلق به حتى ألقاه في نينوى.

حدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا أبو هلال، قال: حدثنا شهر بن حوشب، عن ابن عباس، قال: إنما كانت رسالة يونس بعد ما نبذ الحوت.

وقال آخرون: كان ذلك منه بعد دعائه من أرسل إليهم إلى ما أمره الله بدعائهم إليه، وتبليغه إياهم رسالة ربه، ولكنه وعدهم نزول ما كان حذرهم من بأس الله في وقت وقته لهم، ففارقهم إذ لم يتوبوا ولم يرجعوا طاعة الله والإيمان، فلما أظلم القوم عذاب الله، فغشيهم- كما وصف الله في تنزيله- تابوا إلى الله، ورفع الله عنهم العذاب، وبلغ يونس سلامتهم وارتفع العذاب الذي كان وعدهم، فغضب من ذلك، وقال: وعدتهم وعدا، فكذب وعدي! فذهب مغاضبا ربه، وكره الرجوع إليهم وقد جربوا عليه الكذب ذكر بعض من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن زياد، عن عبد الله بن أبي سلمة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: بعثه الله تعالى- يعني يونس- إلى أهل قريته، فردوا عليه ما جاءهم به، وامتنعوا منه، فلما فعلوا ذلك أوحى الله إليه: أتي مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا، فأخرج من بين أظهرهم فأعلم قومه الذي وعدهم الله من عذابه إياهم، فقالوا: أرمقوه، فإن هو خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم فلما كانت الليلة التي وعدوا العذاب في صبيحتها ادلج وراءه القوم، فحذروا فخرجوا من القرية إلى براز من أرضهم، وفرقوا بين كل دابة وولدها، ثم عجوا إلى الله واستقلوه فأقالهم وتنظر يونس الخبر عن القرية وأهلها حتى مر به مارا، فقال: ما فعل أهل القرية؟ فقال: فعلوا أن نبئهم لما خرج من بين أظهرهم عرفوا أنه صدقهم ما وعدهم من العذاب، فخرجوا من قريتهم إلى براز من الأرض، وفرقوا بين كل ذات ولد وولدها، ثم عجوا إلى الله وتابوا إليه، فقبل منهم، وأخر عنهم العذاب قال: فقال يونس عند ذلك وغضب: والله لا أرجع إليهم كذابا أبدا، وعدتهم العذاب في يوم، ثم رد عنهم! ومضى على وجهه مغاضبا لربه فاستزله الشيطان.

حدثني المثنى بن إبراهيم، قال: حدثنا إسحاق بن الحجاج، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن انس، قال:

حدثنا رجل قد قرأ القرآن في صدره في إمارة عمر بن الخطاب، فحدث عن قوم يونس حيث أندر قومه فكذبوه، فأخبرهم أنه مصيبيهم العذاب وفارقهم، فلما رأوا ذلك وغشيهم العذاب، لكنهم خرجوا من مساكنهم، وصعدوا في مكان رفيع، وإنهم جأروا إلى ربهم، ودعوه مخلصين له الدين أن يكشف عنهم العذاب، وأن يرجع إليهم رسولهم، قال: ففني ذلك

أنزل الله تعالى:

«فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَفَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ» .
فلم يكن قرية غشيتها العذاب ثم أمسك عنها إلا قوم يونس خاصة، فلما رأى ذلك يونس، لكنه ذهب عاتبا على ربه، وانطلق مغاضبا، وظن أن لن يقدر عليه، حتى ركب سفينة، فأصاب أهلها عاصف من الريح فقالوا:
هذه بخطيئة أحدكم وقال يونس- وقد عرف أنه هو صاحب الذنب: هذه بخطيئتي، فألقوني في البحر وإنهم أبوا عليه حتى أفاضوا بسهامهم، «فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ

« ، فقال لهم: قد أخبرتكم أن هذا الأمر بذنبي وإنهم أبوا عليه أن يلقوه في البحر، حتى أفاضوا بسهامهم الثانية، «فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ
« فقال لهم: قد أخبرتكم أن هذا الأمر بذنبي، وإنهم أبوا عليه أن يلقوه في البحر حتى أفاضوا بسهامهم الثالثة، «فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ
« فلما رأى ذلك ألقى نفسه في البحر، وذلك تحت الليل، فابتلعه الحوت «فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ» - وعرف الخطيئة- «أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» وكان قد سبق له من العمل الصالح، فأنزل الله فيه فقال: «فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسِيحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» ، وذلك أن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر، «فَبَدَّلْنَا بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ» وألقي على ساحل البحر، وأثبت الله عليه شجرة من يقطين- وهي فيما ذكر- شجرة القرع يتقطر عليه

من اللبن، حتى رجعت إليه قوته ثم رجع ذات يوم إلى الشجرة فوجدها قد يبست، فحزن وبكى عليها، فعوتب فقليل له: أحرزنت على شجرة، وبكيت عليها ولم تحزن على مائة ألف أو زيادة أردت هلاكهم جميعا! ثم إن الله اجتباه من الضلالة، فجعله من الصالحين، ثم أمر أن يأتي قومه ويخبرهم أن الله قد تاب عليهم فعمد إليهم، حتى لقي راعيا، فسأله عن قوم يونس وعن حالهم، وكيف هم؟ فأخبره أنهم بخير، وأنهم على رجاء أن يرجع إليهم رسولهم، فقال له: فأخبرهم أني قد لقيت يونس.
فقال: لا أستطيع إلا بشاهد، فسمى له عنزا من غنمه، فقال: هذه تشهد لك أنك قد لقيت يونس، قال: وماذا؟ قال: وهذه البقعة التي أنت فيها تشهد لك أنك قد لقيت يونس قال: وماذا؟ قال: وهذه الشجرة تشهد لك أنك قد لقيت يونس وإنه رجع الراعي إلى قومه فأخبرهم انه لقي يونس فكذبوه وهموا به شرا، فقال: لا تعجلوا علي حتى أصبح، فلما أصبح غدا بهم إلى البقعة التي لقي فيها يونس فاستنطقها، فأخبرته أنه لقي يونس، وسأل العنز، فأخبرتهم أنه لقي يونس، واستنطقوا الشجرة، فأخبرتهم أنه قد لقي يونس ثم إن يونس أتاهم بعد ذلك قال:

«وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَاْمَنُوا فَتَعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ» .

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي، قال: حدثنا أبي، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون الأودي، قال: حدثنا ابن مسعود في بيت المال، قال: إن يونس كان وعد قومه العذاب، وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام، ففرقوا بين كل والدة وولدها، ثم خرجوا فجأروا إلى الله، واستغفروه، فكف الله عنهم العذاب، وغدا يونس ينتظر العذاب، فلم ير شيئا، وكان من كذب ولم يكن له بينه قتل

فانطلق مغاضبا «فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ» ، قال: ظلمة بطن الحوت، وظلمة الليل، وظلمة البحر.
حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن حماد بن عمار، عن عبد الله بن رافع، مولى أم سلمة زوج النبي ص، قال: سمعت أبا هريرة يقول: [قال رسول الله ص: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ حَبْسَ يُونُسَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْحُوتِ أَنْ خُذْهُ وَلَا تَخْذِشْ لَهُ لُحْمًا، وَلَا تَكْسِرْ عَظْمًا، فَأَخَذَهُ، ثُمَّ هَوَى بِهِ إِلَى مَسْكَنِهِ مِنَ الْبَحْرِ.

فَلَمَّا انْتَهَى بِهِ إِلَى أَسْفَلِ الْبَحْرِ، سَمِعَ يُونُسُ حِسًا، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَا هَذَا؟
فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: أَنَّ هَذَا تَسْيِيحُ دَوَابِّ الْبَحْرِ قَالَ:

فَسَبَّحَ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْخُوتِ، قَالَ: فَسَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ تَسْبِيحَهُ، فَقَالُوا: يَا رَبَّنَا، إِنَّا لَنَسْمَعُ صَوْتًا ضَعِيفًا بِأَرْضِ غَرِيبةٍ قَالَ: ذَلِكَ عَبْدِي يُونُسَ، عَصَانِي لِحَبْسَتِهِ فِي بَطْنِ الْخُوتِ فِي الْبَحْرِ، قَالُوا: الْعَبْدُ الصَّالِحُ الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ إِلَيْكَ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَمَلٌ صَالِحٌ! قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَشَفَعُوا لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَأَمَرَ الْخُوتَ، فَقَذَفَهُ فِي السَّاحِلِ كَمَا قَالَ اللَّهُ: «وَهُوَ سَقِيمٌ»، وَكَانَ سُقْمُهُ الَّذِي وَصَفَهُ اللَّهُ بِهِ، أَنَّهُ أَتَقَاهُ الْخُوتُ عَلَى السَّاحِلِ كَالصَّبِيِّ الْمُنْفُوسِ، قَدْ بَشَّرَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: خَرَجَ بِهِ - يَعْنِي الْخُوتَ - حَتَّى لَفَظَهُ فِي سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَطَرَحَهُ مِثْلَ الصَّبِيِّ الْمُنْفُوسِ، لَمْ يَنْقُصْ مِنْ خَلْقِهِ شَيْءٌ. حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو صَخْرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ قُسَيْطٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: طُرِحَ بِالْعَرَاءِ، فَأَنْبَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَقْطِينَةً، فَقُلْنَا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَمَا يَقْطِينَةُ؟ قَالَ: شَجَرَةُ الدُّبَاءِ، هِيَ اللَّهُ لَهُ أُرْوِيَّةٌ وَحَشِيه، تَأْكُلُ مِنْ حَشَاشِ الْأَرْضِ - أَوْ هَشَاشِ الْأَرْضِ - فَتَفْشَحُ عَلَيْهِ، فَتَرْوِيهِ مِنْ لَبَنٍ كُلِّ عَشِيَّةٍ وَبُكْرَةٍ، حَتَّى نَبْتَ. وَمَا كَانَ أَيْضًا فِي أَيَّامِ مُلُوكِ الطَّوَانِفِ:

٢٠٣ ارسال الله رسله الثلاثة

إرسال الله رسله الثلاثة

الذين ذكرهم في تنزيهه، فقال: «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ»، الْآيَاتِ الَّتِي ذَكَرَ تَعَالَى ذَكَرَهُ فِي خَبَرِهِمْ.

واختلف السلف في أمرهم، فقال بعضهم: كان هؤلاء الثلاثة - الذين ذكرهم الله في هذه الآيات، وقص فيها خبرهم - أنبياء ورسلا أرسلهم إلى بعض ملوك الروم، وهو انطيوخس، والقرية التي كان فيها هذا الملك الذي أرسل الله إليه فيها هؤلاء الرسل إنطاكية. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: كَانَ مِنْ حَدِيثِ صَاحِبِ يَسَ - فِيمَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ - قَالَ: مِمَّا بَلَغَهُ عَنْ كَعْبِ الْأَجْبَارِ، وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مَنْبَةَ الْبَمَانِيِّ، أَنَّهُ كَانَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ إِنِطَاكِيَّةَ، وَكَانَ اسْمُهُ حَبِيبًا وَكَانَ يَعْمَلُ الْحَرِيرَ، وَكَانَ رَجُلًا سَقِيمًا قَدْ أَسْرَعَ فِيهِ الْجَذَامُ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ عِنْدَ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ قَاصِيَا، وَكَانَ مُؤْمِنًا ذَا صَدَقَةٍ، يَجْمَعُ كَسْبَهُ إِذَا أَمْسَى - فِيمَا يَذْكُرُونَ - فَيَقْسِمُهُ نِصْفَيْنِ، فَيُطْعِمُ نِصْفًا عِيَالَهُ، وَيَتَصَدَّقُ بِنِصْفِ، فَلَمْ يَهْمِهِ سَقْمُهُ وَلَا عَمَلُهُ وَلَا ضَعْفُهُ حِينَ طَهَرَ قَلْبَهُ، وَاسْتَقَامَتْ فِطْرَتُهُ، وَكَانَ بِالْمَدِينَةِ الَّتِي هُوَ بِهَا، مَدِينَةَ إِنِطَاكِيَّةَ، فَرَعُونَ مِنَ الْفَرَاغَةِ يُقَالُ لَهُ انْطِيخَسُ بْنُ انْطِيخَسِ، يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، صَاحِبُ شُرْكَ فَبَعَثَ اللَّهُ الْمُرْسَلِينَ، وَهُمْ ثَلَاثَةٌ: صَادِقٌ وَصَدُوقٌ وَشَلُومٌ، فَقَدِمَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَإِلَى أَهْلِ مَدِينَتِهِ مِنْهُمْ اثْنَيْنِ، فَكَذَّبُوهُمَا، ثُمَّ عَزَزَ اللَّهُ بِثَالِثٍ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ كَانُوا مِنْ حَوَارِيِّ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، وَلَمْ يَكُونُوا رُسُلًا لِلَّهِ، وَإِنَّمَا كَانُوا رُسُلَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، وَلَكِنْ أَرْسَلَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ إِلَيْهِمْ، لَمَّا كَانَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ إِيَّاهُ بِذَلِكَ، أَضْيَفَ إِرسَالَهُ إِيَّاهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَقِيلَ: «إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ» .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا يَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ» قَالَ: ذَكَرْنَا أَنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ بَعَثَ رَجُلَيْنِ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ

إلى إنطاكية، مدينة بالروم، فكذبوهما، فأعترهما بثالِث، «فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ»، الآية.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق، فلما دعت الرسل، ونادته بأمر الله، وصدعت بالذي أمرت به، وعابت دينهم وما هم عليه، قال أصحاب القرية لهم: «إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ» قالت لهم الرسل: «طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ»، أي أعمالكم، «إِنَّ دَرَكَكُمْ بَلَاءٌ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ» فلما أجمع هو وقومه على قتل الرسل بلغ ذلك حبيبا، وهو على باب المدينة الأقصى، فجاء يسعى إليهم يذكرهم الله، ويدعوهم إلى اتباع المرسلين، فقال: «يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ.

اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ» أي لا يسألونكم أموالكم على ما جاءوكم به من الهدى، وهم لكم ناصرون فاتبعوهم تهتدوا بهداهم.

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ: قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: لَمَّا انْتَهَى - يَعْنِي حَبِيبًا - إِلَى الرِّسْلِ، قَالَ: هَلْ تَسْأَلُونَ عَلَى هَذَا مِنْ أَجْرٍ؟ قَالُوا: لَا، فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ: «يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ. اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ».

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق: ثم ناداهم بخلاف ما هم عليه من عبادة الأصنام، وأظهر لهم دينه وعبادة ربه، وأخبرهم أنه لا يملك نفعه ولا ضره غيره، فقال: «وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً» إلى قوله: «إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ».

أي آمنت بربكم، الذي كفرتم به، فاسمعوا قولي فلما قال لهم ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه، واستضعفوه لضعفه وسقمه، ولم يكن أحد يدفع عنه.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَقُولُ: وَطَّوَّهُ بِأَرْجُلِهِمْ، حَتَّى خَرَجَ قَصْبُهُ مِنْ دَبْرِهِ.

وقال الله له: ادخل الجنة، فدخلها حيا يرزق فيها، قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها، فلما أفضى إلى رحمة الله وجنته وكرامته، قال: «يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ» وَغَضِبَ اللَّهُ لَهُ لَأَسْتَضْعَفِيَهُمْ إِيَّاهُ غَضَبَةً لَمْ يَبْقَ مَعَهَا مِنَ الْقَوْمِ شَيْئًا فَعَجَلَ لَهُمُ النِّقْمَةَ بِمَا اسْتَحَلُّوا مِنْهُ وَقَالَ: «وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ»، يَقُولُ: مَا كَاذِبَانَهُمْ بِالْجُمُوعِ،

أي الأمر أيسر علينا من ذلك «إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ» فَأَهْلَكَ اللَّهُ ذَلِكَ الْمَلِكَ وَأَهْلَ أَنْطَاكِيَّةَ، فَبَادُوا عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَاقِيَةٌ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُمَرَ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ، عَنْ مِقْسَمِ أَبِي الْقَاسِمِ، مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: كَانَ اسْمُ صَاحِبِ يَسَ حَبِيبًا، وَكَانَ الْجَذَامُ قَدْ أَسْرَعَ فِيهِ. حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُؤَمِّلٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفِيَانٌ، عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ، عَنْ أَبِي مَخْلَدٍ، قَالَ: كَانَ اسْمُ صَاحِبِ يَسَ حَبِيبَ بْنَ مَرِي. وَكَانَ فِيهِمْ:

٢٠٤ شمسون

شمسون

وكان من أهل قرية من قرى الروم، قد هداه الله لرشده، وكان قومه أهل أوثان يعبدونها فكان من خبره وخبرهم - فيما ذكر - ما حدثنا

ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ أَبِي لَبِيدٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مَنْبَةَ الْيَمَانِيِّ: أَنَّ شَمْسُونَ كَانَ فِيهِمْ رَجُلًا مُسْلِمًا، وَكَانَتْ أُمُّهُ قَدْ جَعَلَتْهُ نَذِيرَةً، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْ قَرَاهِمَ، كَانُوا كُفَرَارًا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ مِنْهَا عَلَى أُمِّيَالٍ غَيْرِ كَثِيرَةٍ، وَكَانَ يَغْزُوهُمْ وَحْدَهُ وَيَجَاهِدُهُمْ فِي اللَّهِ، فَيَصِيبُ مِنْهُمْ وَفِيهِمْ حَاجَتُهُ، فَيَقْتُلُ وَيَسْبِي، وَيَصِيبُ الْمَالَ، وَكَانَ إِذَا لَقِيَهُمْ لَقِيَهُمْ بِلُحْيٍ يَعْبُرُ لَا يَلْقَاهُمْ بَغِيرِهِ، فَإِذَا قَاتَلُوهُ وَقَاتَلَهُمْ، وَتَعَبَ وَعَطَشَ انْفَجَرَ لَهُ مِنَ الْحَجَرِ الَّذِي مَعَ اللَّحْيِ مَاءٌ عَذْبٌ فَيَشْرَبُ مِنْهُ حَتَّى يَرَوْى، وَكَانَ قَدْ أُعْطِيَ قُوَّةً فِي الْبَطْشِ، وَكَانَ لَا يُوَثِّقُهُ حَدِيدٌ وَلَا غَيْرُهُ، وَكَانَ عَلَى ذَلِكَ يَجَاهِدُهُمْ فِي اللَّهِ وَيَغْزُوهُمْ، وَيَصِيبُ مِنْهُمْ حَاجَتَهُ، لَا يَقْدِرُونَ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ، حَتَّى قَالُوا: لَنْ تَأْتُوهُ إِلَّا مِنْ قَبْلِ امْرَأَتِهِ، فَدَخَلُوا عَلَى امْرَأَتِهِ، فَجَعَلُوا لَهَا جَعْلًا، فَقَالَتْ: نَعَمْ أَنَا أُوَثِّقُهُ لَكُمْ، فَأَعْطَوْهَا حَبْلًا وَثِيْقًا، وَقَالُوا: إِذَا نَامَ فَأُوَثِّقِي يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ حَتَّى نَأْتِيَهُ فَنَأْخُذَهُ فَلَمَّا نَامَ أُوَثِّقَتْ يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ بِذَلِكَ الْحَبْلِ، فَلَمَّا هَبَّ جَذَبَهُ بِيَدِهِ، فَوَقَعَ مِنْ عُنُقِهِ، فَقَالَ لَهَا: لَمْ فَعَلْتَ؟ فَقَالَتْ: أَجْرَبُ بِهِ قُوَّتَكَ، مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطُّ! فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِمْ أَنِّي قَدْ رَبَطْتُهُ بِالْحَبْلِ فَلَمْ أَغْنِ عَنْهُ شَيْئًا، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهَا بِجَامِعَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالُوا: إِذَا نَامَ فَاجْعَلِيهَا فِي عُنُقِهِ، فَلَمَّا نَامَ جَعَلَتْهَا فِي عُنُقِهِ، ثُمَّ أَحْكَمْتَهَا، فَلَمَّا هَبَّ جَذَبَهَا، فَوَقَعَتْ مِنْ يَدِهِ وَمِنْ عُنُقِهِ، فَقَالَ لَهَا: لَمْ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَتْ: أَجْرَبُ بِهِ قُوَّتَكَ، مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ فِي الدُّنْيَا يَا شَمْسُونَ!

أَمَّا فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ يَغْلِبُكَ! قَالَ: لَا، إِلَّا شَيْءٌ وَاحِدٌ، قَالَتْ: وَمَا هُوَ؟

قَالَ: مَا أَنَا بِمُخْبِرِكَ بِهِ، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ تَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ- وَكَانَ ذَا شَعْرٍ كَثِيرٍ- فَقَالَ لَهَا: وَيْحَكَ! إِنْ أُمِّي جَعَلْتَنِي نَذِيرَةً، فَلَا يَغْلِبُنِي شَيْءٌ أَبَدًا، وَلَا يَضْبُطُنِي إِلَّا شَعْرِي فَلَمَّا نَامَ أُوَثِّقَتْ يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ بِشَعْرِ رَأْسِهِ، فَأُوَثِّقَهُ ذَلِكَ، وَبَعَثَتْ إِلَى الْقَوْمِ، فَجَاءُوا فَأَخَذُوهُ، فَجَدَعُوا أَنْفَهُ وَأُذُنَيْهِ، وَفَقَّوْا عَيْنَيْهِ، وَوَقَفُوهُ لِلنَّاسِ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمِثْدَنَةِ- وَكَانَتْ مِثْدَنَةُ ذَاتِ أُسَاطِينَ، وَكَانَ مَلِكُهُمْ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهَا بِالنَّاسِ لِيَنْظُرُوا إِلَى شَمْسُونَ، وَمَا يَصْنَعُ بِهِ- فَدَعَا اللَّهُ شَمْسُونَ حِينَ مَثَلُوا بِهِ وَوَقَفُوهُ أَنْ يَسْلُطَهُ عَلَيْهِمْ، فَأَمَرَ أَنْ يَأْخُذَ بِعُمُودَيْنِ مِنْ عِمْدِ الْمِثْدَنَةِ الَّتِي عَلَيْهَا الْمَلِكُ وَالنَّاسُ الَّذِينَ مَعَهُ فَيَجْذِبُهُمَا، فَجَذَبَهُمَا فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَصْرَهُ وَمَا أَصَابُوا مِنْ جَسَدِهِ، وَوَقَعَتْ الْمِثْدَنَةُ بِالْمَلِكِ وَمِنْ عَلَيْهَا مِنَ النَّاسِ، فَهَلَكُوا فِيهَا هَدْمًا

٢٠٥ ذكر خبر جرجيس

ذكر خبر جرجيس

وَكَانَ جَرْجِيسٌ- فِيمَا ذَكَرَ- عَبْدًا لِلَّهِ صَالِحًا مِنْ أَهْلِ فَلَسْطِينَ، مِمَّنْ ادْرَكَ بَقَايَا مِنْ حَوَارِيِّ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، وَكَانَ تَاجِرًا يَكْسِبُ بِتِجَارَتِهِ مَا يَسْتَغْنِي بِهِ عَنِ النَّاسِ، وَيَعُودُ بِالْفَضْلِ عَلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَإِنَّهُ تَجَهَّزَ مَرَّةً إِلَى مَلِكٍ بِالْمَوْصِلِ، كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مَنْبَةَ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّهُ كَانَ بِالْمَوْصِلِ دَاذَانَهُ، وَكَانَ قَدْ مَلَكَ الشَّامَ كُلَّهُ، وَكَانَ جَبَارًا عَاتِيًا لَا يَطِيقُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَكَانَ جَرْجِيسٌ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَهْلِ فَلَسْطِينَ، وَكَانَ مُؤْمِنًا يَكْتُمُ إِيمَانَهُ فِي عَصَبَةٍ مَعَهُ صَالِحِينَ، يَسْتَخْفُونَ بِإِيمَانِهِمْ، وَكَانُوا قَدْ أَدْرَكُوا بَقَايَا مِنَ الْحَوَارِيِّينَ فَسَمِعُوا مِنْهُمْ، وَأَخَذُوا عَنْهُمْ وَكَانَ جَرْجِيسٌ كَثِيرَ الْمَالِ، عَظِيمَ التِّجَارَةِ، عَظِيمَ الصَّدَقَةِ، فَكَانَ يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ يَتَلَفُ مَالَهُ فِي الصَّدَقَةِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَصِيرَ فَقِيرًا، ثُمَّ يَضْرِبُ الضَّرْبَةَ فَيَصِيبُ مِثْلَ مَالِهِ أَضْعَافًا مَضَاعِفَةً، فَكَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ فِي الْمَالِ وَكَانَ إِنَّمَا يَرِغِبُ فِي الْمَالِ، وَيَعْمُرُهُ وَيَكْسِبُهُ مِنْ أَجْلِ الصَّدَقَةِ، لَوْلَا ذَلِكَ كَانَ الْفَقْرُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَى.

وَكَانَ لَا يَأْمَنُ وَلَا يَتَوَكَّلُ عَلَى الْمَشْرِكِينَ عَلَيْهِ مَخَافَةً أَنْ يُؤْذَوْهُ فِي دِينِهِ، أَوْ يَفْتَنُوهُ عَنْهُ، فَخَرَجَ يَوْمَ مَلِكِ الْمَوْصِلِ، وَمَعَهُ مَالٌ يَرِيدُ أَنْ يَهْدِيَهُ لَهُ، لِئَلَّا يَجْعَلَ لِأَحَدٍ مِنْ تِلْكَ الْمُلُوكِ عَلَيْهِ سُلْطَانًا دُونَهُ، فَجَاءَهُ حِينَ جَاءَهُ، وَقَدْ بَرَزَ فِي مَجْلِسٍ لَهُ، وَعِنْدَهُ عِظَمَاءُ قَوْمِهِ وَمُلُوكُهُمْ، وَقَدْ أَوْقَدَ نَارًا، وَقَرَّبَ أَصْنَافًا مِنْ أَصْنَافِ الْعَذَابِ الَّذِي كَانَ يَعَذِّبُ بِهِ مَنْ خَالَفَهُ، وَقَدْ أَمَرَ بِصَنْمٍ يُقَالُ لَهُ:

أَفْلُونَ فَنَصَبَ، فَالنَّاسُ يَعْرِضُونَ عَلَيْهِ، فَمَنْ لَمْ يَسْجُدْ لَهُ أَلْقَى فِي تِلْكَ النَّارِ، وَعَذِّبَ بِأَصْنَافِ ذَلِكَ الْعَذَابِ فَلَمَّا رَأَى جَرْجِيسٌ مَا يَصْنَعُ فَظَعُ بِهِ

وَأَعْظَمَهُ، وَحَدَّثَ نَفْسَهُ بِجِهَادِهِ، وَأَلْقَى اللَّهُ فِي نَفْسِهِ بَغْضَهُ وَمَحَارِبَتَهُ، فَعَمِدَ إِلَى الْمَالِ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَهْدِيَهُ لَهُ فَقَسَمَهُ فِي أَهْلِ مِلَّتِهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ، وَكَرِهَ أَنْ يَجَاهِدَهُ بِالْمَالِ، وَأَحَبَّ أَنْ يَلِي ذَلِكَ بِنَفْسِهِ، فَاقْبَلَ عَلَيْهِ عِنْدَ مَا كَانَ أَشَدَّ غَضَبًا وَأَسْفًا، فَقَالَ لَهُ: اعْلَمْ أَنَّكَ عَبْدُ

مملوك لا تملك لنفسك شيئاً ولا لغيرك، وأن فوقك ربا هو الذي يملكك وغيرك، وهو الذي خلقك ورزقك، وهو الذي يحبك ويميتك، ويضرك وينفعك، وأنت قد عمدت إلى خلق من خلقه - قَالَ لَهُ: كن فكان - أصم أبكم، لا ينطق ولا يبصر ولا يسمع، ولا يضر ولا ينفع، ولا يغني عنك من الله شيئاً، فزينته بالذهب والفضة لتجعله فتنة للناس، ثم عبدته دون الله، وأجبرت عليه عباد الله، ودعوته ربا.

فكلم الملك جرجيس بنحو هذا، من تعظيم الله وتحيده، وتعريفه أمر الصنم، وأنه لا تصلح عبادته فكان من جواب الملك إياه مسأله إياه عنه، ومن هو؟ ومن أين هو؟ فأجابه جرجيس أن قَالَ: أنا عبد الله وابن عبده وابن أمته، أذل عباده وأفقرهم إليه، من التراب خلقت، وفيه أصير وأخبره ما الذي جاء به وحاله وأنه دعا ذلك الملك جرجيس إلى عبادة الله ورفض عبادة الأوثان وإن الملك دعا جرجيس إلى عبادة الصنم الذي يعبد، وقال:

لو كان ربك الذي تزعم أنه ملك المملوك كما تقول، لرئى عليك أثره كما ترى أثري على من حولي من مملوك قومي.

فأجابه جرجيس بتمجيد الله وتعظيم أمره وقال له - فيما قَالَ - أين تجعل طرقلينا، وما نال بولايتك، فإنه عظيم قومك، من إلياس، وما نال إلياس بولاية الله! فإن إلياس كان بدؤه آدمياً يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، فلم تنه به كرامة الله حتى أُنبت له الریش، وألبسه النور،

فصار إنسياً ملكياً، سماءياً أرضياً، يطير مع الملائكة وحدثني: أين تجعل مجليطيس، وما نال بولايتك: فإنه عظيم قومك، من المسيح بن مريم وما نال بولاية الله! فإن الله فضله على رجال العالمين، وجعله وأمه آية للمعتبرين.

ثم ذكر من أمر المسيح ما كان الله خصه به من الكرامة وقال أيضاً: وحدثني:

أين تجعل أم هذا الروح الطيب التي اختارها الله لكلمته، وطهر جوفها لروحه، وسودها على إمامته؟ فأين تجعلها وما نالت بولاية الله، من أزييل وما نالت بولايتك؟ فإنها إذ كانت من شيعتك وملتك أسلمها الله عند عظيم ملكها إلى نفسها، حتى اقتحمت عليها الكلاب في بيتها، فانتهشت لحمها وولغت دماها، وجرت الثعالب والضباع أوصالها! فأين تجعلها وما نالت بولايتك من مريم ابنة عمران وما نالت بولاية الله! فقال له الملك: إنك لتحدثنا عن أشياء ليس لنا بها علم، فأتني بالرجلين اللذين ذكرت أمرهما، حتى أنظر إليهما، وأعتبر بهما، فأني أنكر أن يكون هذا في البشر.

فقال له جرجيس: إنما جاءك الإنكار من قبل الغرة بالله، وأما الرجلان فلن تراهما ولن يرياك، إلا أن تعمل بعملهما، فتنزل منازلهما. فقال له الملك: أما نحن فقد أعذرنا إليك، وقد تبين لنا كذبك، لأنك نفرت بأمر عجرت عنها، ولم تأت بتصديقها ثم خير الملك جرجيس بين العذاب وبين السجود لأفلون، فيثيبه! فقال له جرجيس: إن كان أفلون هو الذي رفع السماء - وعدد عليه أشياء من قدرة الله - فقد أصبت ونصحت لي، وإلا فاحسأ أيها النجس الملعون! فلما سمعه الملك يسبه ويسب آلهته غضب من قوله غضباً شديداً، وأمر بخشبة فنصبت له للعذاب، وجعلت عليه أمشاط الحديد، نفخش بها جسده حتى تقطع لحمه وجلده وعروقه، ينضح خلال ذلك بالخل والخردل.

فلما رأى ذلك لم يقتله، أمر بستة مسامير من حديد فأحيت حتى إذا جعلت نارا، أمر بها فسمر بها رأسه حتى سال منه دماغه فلما رأى ذلك لم يقتله، أمر بحوض من نحاس، فأوقد عليه حتى إذا جعله نارا أمر به فأدخل في جوفه، وأطبق عليه، فلم يزل فيه حتى برد حره.

فلما رأى ذلك لم يقتله، دعا به فقال: ألم تجد ألم هذا العذاب الذي تعذب به! فقال له جرجيس: أما أخبرتك أن لك ربا هو أولى بك من نفسك! قَالَ: بلى قد أخبرتني، قَالَ: فهو الذي حمل عني عذابك، وصبرني ليحتج عليك فلما قَالَ له ذلك أيقن بالشر، وخافه على نفسه وملكه، وأجمع رأيه على أن يخلده في السجن، فقال الملاء من قومه: إنك إن تركته طليقاً يكلم الناس أو شك أن يميل بهم عليك، ولكن مر له بعذاب في السجن يشغله عن كلام الناس فأمر فبطح في السجن على وجهه، ثم أوتد في يديه ورجليه أربعة أوتاد من حديد، في كل ركن منها وتد، ثم أمر بأسطوان من رخام، فوضع على ظهره حمل ذلك الأسطوان سبعة رجال فلم يقلوه، ثم أربعة

عشر رجلا فلم يقلوه، ثم ثمانية عشر رجلا فأقلوه، فظل يومه ذلك موتدا تحت الحجر.

فلما أدركه الليل أرسل الله إليه ملكا- وذلك أول ما أيد بالملائكة، وأول ما جاءه الوحي- فقلع عنه الحجر، ونزع الأوتاد من يديه ورجليه، وأطعمه وسقاه، وبشره وعزاه، فلما أصبح أخرجه من السجن، وقال له:

الحق بعدوك فجأهده في الله حق جهاده، فإن الله يقول لك: أبشر واصبر، فإني أبتليك بعدوي هذا سبع سنين، يعذبك ويقتلك فيهن أربع مرار، في كل ذلك أرد إليك روحك، فإذا كانت القتلة الرابعة تقبلت روحك وأوفيتك أجرك فلم يشعر الآخرون إلا وقد وقف جرجيس على رؤوسهم يدعوهم إلى الله.

فقال له الملك: أخرجيس! قال: نعم، قال: من أخرجك من السجن؟

قال: أخرجني الذي سلطانه فوق سلطانك فلما قال له ذلك مليء غيظا، فدعا بأصناف العذاب حتى لم يخلف منها شيئا، فلما رآها جرجيس تصنف له، أوجس في نفسه خيفة وجزعا، ثم أقبل على نفسه يعاتبها بأعلى صوته، وهم يسمعون فلما فرغ من عتابه نفسه مدوه بين خشبتين، ووضعوا عليه سيفا على مفرق راسه، فوشروه حتى سقط بين رجله، وصار جزلتين، ثم عمدوا إلى جزلتيه، فقطعوهما قطعاً وله سبعة أسد ضارية في جب، وكانت صنفا من أصناف عذابه، ثم رموا بجسده إليها، فلما هوى نحوها أمر الله الأسد فخفضت برءوسها وأعناقها، وقامت على براثنها، لا تألو أن تقيه الأذى، فظل يومه ذلك ميتا، فكانت أول ميتة ذاقها فلما أدركه الليل جمع الله له جسده الذي قطعوه بعضه على بعض، حتى سواه ثم رد فيه روحه وأرسل ملكا فأخرجه من قعر الجب، وأطعمه وسقاه، وبشره وعزاه. فلما أصبحوا قال له الملك: يا جرجيس، قال: لبيك! قال: اعلم أن القدرة التي خلق آدم بها من تراب هي التي أخرجتك من قعر الجب، فالحق بعدوك ثم جأهده في الله حق جهاده، ومت موت الصابرين.

فلم يشعر الآخرون إلا وقد أقبل جرجيس، وهم عكوف على عيد لهم قد صنعوه فرحا- زعموا بموت جرجيس- فلما نظروا إلى جرجيس مقبلا، قالوا:

ما أشبه هذا بجرجيس! قالوا: كأنه هو؟ قال الملك: ما بجرجيس من خفاء، إنه لهو! ألا ترون إلى سكون ريحه، وقلة هيئته قال جرجيس: بلى، أنا هو حقا! بئس القوم أنتم! قتلتم ومثلتم، فكان الله- وحق له- خيرا وأرحم منكم. أحياني ورد علي روعي هلم إلى هذا الرب العظيم الذي أراكم ما أراكم.

فلما قال لهم ذلك، أقبل بعضهم على بعض، فقالوا: ساحر سحر أيديكم وأعينكم عنه فجمعوا له من كان ببلادهم من السحرة، فلما جاء السحرة، قال الملك لكبيرهم: اعرض علي من كبير سحر ما تسرى به عني، قال له:

ادع لي بثور من البقر، فلما أتى به نفث في إحدى أذنيه فأنشقت باثنتين، ثم نفث في الأخرى، فإذا هو ثوران، ثم أمر ببذر فحرث وبذر، ونبت

الزرع، وأينع وحصد، ثم داس وذري، وطحن وعجن، وخبز وأكل ذلك في ساعة واحدة كما ترون! قال له الملك: هل تقدر على أن تمسخه لي دابة؟ قال الساحر: أي دابة أمسخه لك؟ قال: كلبا، قال: ادع لي بقدح من ماء، فلما أتى بالقدح نفث فيه الساحر، ثم قال للملك: اعزم عليه أن يشربه، فشربه جرجيس حتى أتى على آخره، فلما فرغ منه قال له الساحر: ماذا تجد؟ قال: ما أجد إلا خيرا، قد كنت عطشت فلفظ الله لي بهذا الشراب، فقواني به عليكم فلما قال له ذلك أقبل الساحر على الملك فقال: اعلم أيها الملك، أنك لو كنت تقاسي رجلا مثلك إذا كنت غلبته، ولكنك تقاسي جبار السموات، وهو الملك الذي لا يرام! وقد كانت امرأة مسكينة، سمعت بجرجيس وما يصنع من الأعاجيب، فأنته وهو في أشد ما هو فيه من البلاء، فقالت له: يا جرجيس، إني امرأة مسكينة، لم يكن لي مال ولا عيش إلا ثور كنت أحرث عليه فمات، وجئتك لترحمي وتدعو الله أن يحيي لي ثوري فذرفت عيناه ثم دعا الله أن يحيي لها ثورها، وأعطاه عصا، فقال: اذهبي إلى ثورك، فاقرعيه بهذه العصا وقولي له: احي ياذن الله فقالت: يا جرجيس مات ثوري منذ أيام، وتفرقت السباع، وبينك أيام، فقال: لو لم تجدي منه إلا سنا واحدة ثم قرعتها بالعصا لقام ياذن الله فانطلقت حتى أتت مصرع ثورها، فكان أول شيء بدا لها من ثورها أحد روقيه وشعر ذنبه، فجمعت أحدهما إلى الآخر، ثم قرعتها بالعصا التي أعطاهما،

وقالت كما أمرها، فعاش ثورها، وعملت عليه حتى جاءهم الخبر بذلك.

فلما قَالَ السَّاحِرُ لِلْمَلِكِ مَا قَالَ، قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الْمَلِكِ - وَكَانَ أَعْظَمُهُمْ بَعْدَ الْمَلِكِ: اسْمَعُوا مِنِّي أَيُّهَا الْقَوْمُ أَحَدُكُمْ، قَالُوا: نَعَمْ، فَتَكَلَّمَ، قَالَ: إِنَّكُمْ قَدْ وَضَعْتُمْ أَمْرَ هَذَا الرَّجُلِ عَلَى السَّحَرِ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّهُ سَحَرُ أَيْدِيكُمْ عَنْهُ وَأَعَيْنَكُمْ فَأَرَاكُمْ أَنْكُمْ تَعَذِّبُونَهُ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ عَذَابُكُمْ وَأَرَاكُمْ أَنْكُمْ

قَدْ قَتَلْتُمُوهُ فَلَمْ يَمُتْ، فَهَلْ رَأَيْتُمْ سَاحِرًا قَطُّ قَدَرَأْنُ يَدْرَأُ عَنْ نَفْسِهِ الْمَوْتَ، أَوْ أَحْيَا مَيِّتًا قَطُّ! ثُمَّ قَصَّ عَلَيْهِمْ فِعْلَ جَرَجِيسَ، وَفَعَلَهُمْ بِهِ، وَفَعَلَهُ بِالْثُورِ وَصَاحِبَتِهِ، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ كُلِّهِ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ كَلَامَكَ لِكَلَامِ رَجُلٍ قَدْ أَصْغَى إِلَيْهِ، قَالَ: مَا زَالَ أَمْرُهُ لِي مُعْجِبًا مِنْذُ رَأَيْتُ مِنْهُ مَا رَأَيْتُ، قَالُوا لَهُ: فَعَلَهُ اسْتِهْوَاكُ! قَالَ: بَلْ آمَنْتُ وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ فَقَامَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ وَصَاحِبَتُهُ بِالْخَنَاجِرِ، فَقَطَّعُوا لِسَانَهُ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ، وَقَالُوا:

أَصَابَهُ الطَّاعُونَ، فَأَعْجَلَهُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فَلَمَّا سَمِعَ النَّاسُ بِمَوْتِهِ أَفْزَعَهُمْ، وَكْتَمُوا شَأْنَهُ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ جَرَجِيسُ يَكْتُمُونَهُ بَرَزَ لِلنَّاسِ، فَكَشَفَ لَهُمْ أَمْرَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِمْ كَلَامَهُ، فَاتَّبَعَهُ عَلَى كَلَامِهِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ وَهُوَ مَيِّتٌ، فَقَالُوا: صَدَقَ، وَنَعَمْ مَا قَالَ! يَرْحَمُهُ اللَّهُ! فَعَمِدَ إِلَيْهِمُ الْمَلِكُ فَأَوْثَقَهُمْ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يُلُونَهُمْ الْعَذَابَ وَيَقْتُلُهُمْ بِالْمِثْلَاتِ. حَتَّى أَفْنَاهُمْ.

فلما فرغ منهم أقبل على جرجيس، فقال له: هلا دعوت ربك.

فأحيا لك أصحابك، هؤلاء الذين قتلوا بجريرتك! فقال له جرجيس ما خلى بينك وبينهم حتى خار لهم فقال رجل من عظمائهم يقال له مجليطيس:

إِنَّكَ زَعَمْتَ يَا جَرَجِيسُ أَنَّ الْهَكَ هُوَ الَّذِي يَدَّوُّ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَإِنِّي سَأَلْتُكَ أَمْرًا إِنْ فَعَلَهُ إِلْهَكَ آمَنْتُ بِكَ وَصَدَقْتُكَ، وَكَفَيْتُكَ قَوْمِي هَؤُلَاءِ، هَذِهِ تَحْتًا أَرْبَعَةَ عَشَرَ مَنَبْرًا حَيْثُ تَرَى، وَمَائِدَةٌ بَيْنَنَا عَلَيْهَا أَقْدَاحٌ وَصَحَافٌ، وَكُلُّ صَنْعٍ مِنَ الْخَشَبِ الْيَابِسِ، ثُمَّ هُوَ مِنْ أَشْجَارِ شَتَّى، فَادَّعَ رَبُّكَ يَنْشِئُ هَذِهِ الْآتِيَّةَ وَهَذِهِ الْمَنَابِرَ، وَهَذِهِ الْمَائِدَةَ، كَمَا بَدَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، * حَتَّى تَعُودَ خَضِرًا نَعْرِفُ كُلَّ عُودٍ مِنْهَا بِلَوْنِهِ وَوَرَقِهِ وَزَهْرِهِ وَثَمَرِهِ.

فقال له جرجيس: قد سألت أمرا عزيزا علي وعليك، وإنه على الله لهين فدعا ربه، فما برحوا مكانهم حتى اخضرت تلك المنابر، وتلك الآتية كلها، فساخت عروقها، وألبست اللحاء، وتشعبت، ونبت ورقها وزهرها وثمرها، حتى عرفوا كل عود منها باسمه ولونه وزهره وثمره.

فلما نظروا إلى ذلك انتدب له مجليطيس، الذي تمنى عليه ما تمنى،

فقال: أنا أعذب لكم هذا الساحر عذابا يضل عنه كيده فعمد إلى نحاس فصنع منه صورة ثور جوفاء واسعة، ثم حشاها نفطا ورصاها وكبريتا وزرنيخا، ثم أدخل جرجيس مع الحشو في جوفها، ثم أوقد تحت الصورة، فلم يزل يوقد حتى التهب الصورة، وذاب كل شيء فيها واختلط، ومات جرجيس في جوفها فلما مات أرسل الله ريحا عاصفا، فلأت السماء سحابا أسود مظلمًا، فيه رعد لا يفتقر، وبرق وصواعق متداركات، وأرسل الله إصغارا فلأت بلادهم عجاجا وقتاما، حتى اسود ما بين السماء والأرض وأظلم، ومكثوا أياما متحيرين في تلك الظلمة، لا يفصلون بين الليل والنهار.

وأرسل الله ميكائيل فاحتمل الصورة التي فيها جرجيس، حتى إذا أقلها ضرب بها الأرض ضربا، فزع من روعته أهل الشام أجمعون، وكلهم يسمعه في ساعة واحدة، نفروا لوجوههم صعبين من شدة الهول، وانكسرت الصورة، ونفج منها جرجيس حيا، فلما وقف يكلمهم انكشفت الظلمة، وأسفر ما بين السماء والأرض، ورجعت إليهم أنفسهم فقال له رجل منهم يقال له طرقلينا: لا ندري يا جرجيس أنت تصنع هذه العجائب أم ربك؟

فإن كان هو الذي يصنعها، فادعه يحيي لنا موتانا، فإن في هذه القبور التي ترى أمواتا من أمواتنا، منهم من نعرف ومنهم من مات قبل زماننا، فادعه يحييهم حتى يعودوا كما كانوا ونكلمهم، ونعرف من عرفنا منهم، ومن لا نعرف أخبرنا خبره فقال له جرجيس: لقد

علمت ما يصفح الله عنكم هذا الصفح، ويرىكم هذه العجائب إلا ليم عليكم حججه، فتستوجبوا بذلك غضبه ثم أمر بالقبور فنبشت وهي عظام ورفات ورميم ثم أقبل على الدعاء فما يرحوا مكانهم، حتى نظروا إلى سبعة عشر إنسانا: تسعة رهط وخمس نسوة وثلاثة صبية، فإذا شيخ منهم كبير، فقال له جرجيس:

أيها الشيخ، ما اسمك؟ فقال: اسمي يوبيل، فقال: متى مت؟ قال:

في زمان كذا وكذا، فحسبوا فإذا هو قد مات منذ أربعمئة عام

فلما نظر إلى ذلك الملك وصحابته، قالوا: لم يبق من أصناف عذابكم شيء إلا قد عذبتموه، إلا الجوع والعطش، فعذبوه بهما فعمدوا إلى بيت عجوز كبيرة فقيرة، كان حريزا، وكان لها ابن أعشى أبكم مقعد، فحضره في بيتها فلا يصل إليه من عند أحد طعام ولا شراب فلما بلغه الجوع، قال للعجوز: هل عندك طعام أو شراب؟ قالت: لا والذي يحلف به، ما عهدنا بالطعام منذ كذا وكذا، وسأخرج وأتمس لك شيئا قال لها جرجيس: هل تعرفين الله؟ قالت له: نعم، قال: فإياه تعبدين؟ قالت:

لا، قال: فدعاها إلى الله فصدقته، وانطلقت تطلب له شيئا، وفي بيتها دعامة من خشبة يابسة تحمل خشب البيت، فأقبل على الدعاء، فما كان كشيء حتى اخضرت تلك الدعامة، فأنبئت كل فاكهة تؤكل أو تعرف، أو تسمى حتى كان فيما أنبت اللبأ واللوبياء.

قال ابو جعفر: اللبأ نبت بالشام له حب يؤكل وظهر للدعامة فرع من فوق البيت أظله وما حوله وأقبلت العجوز، وهو فيما شاء يأكل رغدا، فلما رأت الذي حدث في بيتها من بعدها، قالت: آمنت بالذي أطعمك في بيت الجوع، فادع هذا الرب العظيم ليشفي ابني، قال: أدنيه مني، فأدنته منه، فبصق في عينيه فأبصر، فنفت في أذنيه فسمع، قالت له: أطلق لسانه ورجليه، رحمك الله! قال: أخريه، فإن له يوما عظيما وخرج الملك يسير في مدينته، فلما نظر إلى الشجرة، قال لأصحابه: إني أرى شجرة بمكان ما كنت أعرفها به، قالوا له: تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذي أردت أن تعذبه بالجوع، فهو فيما شاء قد شبع منها، وشبعت الفقيرة وشفى لها ابنها فأمر بالبيت فهدم، وبالشجرة لتقطع، فلما هموا بقطعها أيبسها الله تعالى كما كانت أول مرة، وأمر بجرجيس فبطح على وجهه وأوتد له أربعة أوتاد، وأمر بعجل فأوقر أسطوانا ما حمل، وجعل في أسفل العجل خناجر وشفار، ثم دعا بأربعين ثورا، فنهضت بالعجل نهضة واحدة، وجرجيس تحتها، فتقطع ثلاث قطع، ثم أمر بقطعة فأحرق بالنار، حتى إذا عادت رمادا بعث بذلك الرماد رجالا فذروه في البحر، فلم يبرحوا مكانهم حتى سمعوا صوتا من السماء يقول: يا بحر، إن الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب، فإني أريد أن أعيده كما كان ثم أرسل الله الرياح فأخرجته من البحر، ثم جمعته حتى عاد الرماد صبرة كهيئته قبل أن يذروه، والذين ذروه قيام لم يبرحوا ثم نظروا إلى الرماد يثور كما كان، حتى خرج منه جرجيس مغبرا ينفض رأسه، فرجعوا، ورجع جرجيس معهم، فلما انتهوا إلى الملك أخبروه خبر الصوت الذي أحياه، والريح التي جمعته فقال له الملك: هل لك يا جرجيس فيما هو خير لي ولك! فلو أن يقول الناس إنك قهرتني وغلبتني لا تتبعك وآمنت بك، ولكن اسجد لأفلون سجدة واحدة، أو اذبح له شاة واحدة، ثم أنا أفعل ما يسرك.

فلما سمع جرجيس هذا من قوله طمع أن يهلك الصنم حين يدخله عليه، رجاء أن يؤمن له الملك حين يهلك صنمه، ويئس منه، فخذه جرجيس، فقال: نعم، إذا شئت فأدخلني على صنمك أسجد له، وأذبح له، ففرح الملك بقوله، فقام إليه فقبل يديه ورجليه ورأسه، وقال: إني أعزم عليك ألا تظل هذا اليوم، ولا تبني هذه الليلة إلا في بيتي وعلى فراشي، ومع أهلي حتى تستريح ويذهب عنك وصب العذاب، فيرى الناس كرامتك علي.

فأخلى له بيته، وأخرج منه من كان فيه فظل فيه جرجيس، حتى إذا أدركه الليل، قام يصلي، ويقرأ الزبور. وكان أحسن الناس صوتا. فلما سمعته امرأة الملك استجابت له، ولم يشعر إلا وهي خلفه تبكي معه، فدعاها جرجيس إلى الإيمان فأمنت، وأمرها فكتمت إيمانها فلما أصبح غدا به إلى بيت الأصنام ليسجد لها، وقيل للعجوز التي كان سجن في بيتها: هل علمت أن جرجيس قد فتن بعدك، وأصغى إلى الدنيا، وأطعمه الملك في ملكه، وقد خرج به إلى بيت أصنامهم ليسجد

فأخلى له بيته، وأخرج منه من كان فيه فظل فيه جرجيس، حتى إذا أدركه الليل، قام يصلي، ويقرأ الزبور. وكان أحسن الناس صوتا. فلما سمعته امرأة الملك استجابت له، ولم يشعر إلا وهي خلفه تبكي معه، فدعاها

جرجيس إلى الإيمان فأمنت، وأمرها فكتمت إيمانها فلما أصبح غدا به إلى بيت الأصنام ليسجد لها، وقيل للعجوز التي كان سجن في بيتها: هل علمت أن جرجيس قد فتن بعدك، وأصغى إلى الدنيا، وأطعمه الملك في ملكه، وقد خرج به إلى بيت أصنامهم ليسجد

لها! نفرجت العجوز في أعراضهم، تحمل ابنها على عاتقها، وتوبخ جرجيس، والناس مشتغلون عنها فلما دخل جرجيس بيت الأصنام، ودخل الناس معه، نظر فإذا العجوز وابنها على عاتقها أقرب الناس منه مقاماً، فدعا ابن العجوز باسمه، فطلق بإجابته، وما تكلم قبل ذلك قط، ثم اقتحم عن عاتق أمه يمشي على رجله سويتين، وما وطىء الأرض قبل ذلك قط بقدميه، فلما وقف بين يدي جرجيس قال: اذهب، فادع لي هذه الأصنام، وهي حينئذ على منابر من ذهب، واحد وسبعون صنماً، وهم يعبدون الشمس والقمر معها، فقال له الغلام: كيف أقول للأصنام؟ قال: تقول لها: إن جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذي خلقتك إلا ما جئته فلما قال لها الغلام ذلك، أقبلت تدرج إلى جرجيس، فلما انتهت إليه ركض الأرض برجله، نحسف بها وبمنابرها، وخرج إبليس من جوف صنم منها هارباً فرقا من الخسف، فلما مر بجرجيس، أخذ بناصيته، نحضه له برأسه وعنقه، وكله جرجيس فقال له: أخبرني أيتها الروح النجسة، والخلق الملعون، ما الذي يملكك على أن تهلك نفسك، وتهلك الناس معك، وأنت تعلم أنك وجندك تصيرون إلى جهنم! فقال له إبليس: لو خيرت بين ما أشرقت عليه الشمس، وأظلم عليه الليل، وبين هلكة بني آدم وضلاتهم أو واحد منهم طرفة عين، لاخترت طرفة العين على ذلك كله، وإنه ليقع لي من الشهوة في ذلك واللذة مثل جميع ما يتلذذ به جميع الخلق ألم تعلم يا جرجيس أن الله أسجد لأبيك آدم جميع الملائكة، فسجد له: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وجميع الملائكة

المقربين، وأهل السموات كلهم، وامتنعت من السجود، فقلت: لا أسجد لهذا الخلق وأنا خير منه! * فلما قال هذا خلاه جرجيس، فما دخل إبليس منذ يومئذ جوف صنم، مخافة الخسف، ولا يدخله بعدها- فيما يذكرون- أبداً.

وقال الملك: يا جرجيس خدعتني وغررتني، وأهلك آلهتي، فقال له جرجيس: إنما فعلت ذلك عمداً لتعتبر وتتعلم أنها لو كانت آلهة كما تقول إذا لامتنعت مني، فكيف ثقتك وملكك بآلهة لم تمنع أنفسها مني! وإنما أنا مخلوق ضعيف لا أملك إلا ما ملكني ربي قال: فلما قال هذا جرجيس، كلمتهم امرأة الملك، وذلك حين كشفت لهم إيمانها، وبايئتهم دينها، وعددت عليهم أفعال جرجيس، والعبر التي أراهم وقالت لهم: ما تنتظرون من هذا الرجل إلا دعوه فتحسف بكم الأرض فتهلكوا، كما هلكت أصنامكم الله الله أيها القوم في أنفسكم! فقال لها الملك: ويحك لك إسكندرة! ما أسرع ما أضلك هذا الساحر في ليلة واحدة! وأنا أقاسيه منذ سبع سنين، فلم يطق مني شيئاً.

قالت له: أفما رأيت الله كيف يظفره بك، ويسلطه عليك، فيكون له الفلج والحجة عليك في كل موطن! فأمر بها عند ذلك فحملت على خشبة جرجيس التي كان علق عليها، فعلق بها، وجعلت عليها الأمشاط التي جعلت على جرجيس فلما ألت من وجع العذاب قالت: ادع ربك يا جرجيس يخفف عني، فإني قد ألت من العذاب فقال: انظري فوقك فلما نظرت ضحكت، فقال لها: ما الذي يضحكك؟ قالت: أرى ملكين فوقي، معهما تاج من حلي الجنة ينتظران به روعي أن تخرج، فإذا خرجت زيناها بذلك التاج، ثم صعدا بها إلى الجنة، فلما قبض الله روحها أقبل جرجيس على الدعاء، فقال: اللهم أنت الذي أكرمتني بهذا البلاء، لتعطيني به فضائل الشهداء! اللهم فهذا آخر أيامي الذي وعدتني فيه الراحة من بلاء الدنيا، اللهم فاني أسألك ألا تقبض روعي، ولا أزول من مكاني هذا حتى تنزل بهذا القوم المتكبرين من سطواتك ونقمتك ما لا قبل لهم به، وما تشفي به صدري، وتقر به عيني، فإنهم ظلموني وعذبوني اللهم وأسألك ألا يدعوا

بعدي داع في بلاء ولا كرب فيذكرني، ويسألك باسمي إلا فرجت عنه ورحمته وأجبتة، وشفعتني فيه.

فلما فرغ من هذا الدعاء، أمطر الله عليهم النار، فلما احترقوا عمدوا إليه فضربوه بالسيوف غيظاً من شدة الحريق، ليعطيه الله تعالى بالقتلة الرابعة ما وعده فلما احترقت المدينة بجميع ما فيها، وصارت رماداً، حملها الله من وجه الأرض حتى ألقاها، ثم جعل عاليها سافلها، فلبثت زماناً من الدهر يخرج من تحتها دخان منتن، لا يشمه أحد إلا سقم سقماً شديداً، إلا أنها أسقام مختلفة، لا يشبه بعضها بعضاً، فكان جميع من آمن بجرجيس، وقتل معه أربعة وثلاثين ألفاً، وامرأة الملك رحمها الله! ورجع الآن إلى:

٢٠٦ ذكر الخبر عن ملوك الفرس وسني ملكهم

٢٠٦٠١ ذكر ملك أردشير بن بابك

ذكر الخبر عن ملوك الفرس وسني ملكهم

لسياق تمام التأريخ، إذ كما قد ذكرنا الجلائل من الأمور التي كانت في أيام ملوك الطوائف في الفرس، وبني إسرائيل، والروم، والعرب، إلى عهد أردشير.

ذكر ملك أردشير بن بابك

ولما مضى من لدن ملك الإسكندر أرض بابل في قول النصارى وأهل الكتب الأول خمسمائة سنة وثلاث وعشرون سنة، وفي قول المجوس مائتان وست وستون سنة، وثب أردشير بن بابك شاه ملك خير بن ساسان الاصغر بن بابك، بن ساسان بن بابك بن مهرمس بن ساسان بن بهمن الملك بن إسفنديار بن بشتاسب بن لهراسب بن كيوجي بن كيمنش - وقيل في نسبه: أردشير بن بابك بن ساسان بن بابك بن زرار بن بهافرید بن ساسان الأكبر، بن بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب بن لهراسب - بفارس طالبا - بزعمه - بدم ابن عمه دارا بن دارا بن بهمن بن إسفنديار، الذي حارب الإسكندر، فقتله حاجباه، مریدا - فيما يقول - رد الملك إلى أهله، وإلى ما لم يزل عليه أيام سلفه وآبائه الذين مضوا قبل ملوك الطوائف، وجمعه لرئيس واحد وملك واحد.

وذكر أن مولده كان بقرية من قرى إصطخر يقال لها طيروده، من رستاق خير من كورة أصطخر وكان جده ساسان شجاعا شديدا البطش، وإنه بلغ من شجاعته وشدة بطشه، أنه حارب وحده ثمانين رجلا من أهل اصطخر، ذوي بأس ونجدة، فهزمهم وكانت امرأته من نسل قوم من الملوك، كانوا بفارس، يعرفون بالبارزنجين، يقال لها: رامبهشت، ذات جمال وكمال، وكان ساسان قيما على بيت نار أصطخر، يقال له بيت

نار أنا هيذ، وكان مغرما بالصيد والفروسية، فولدت رامبهشت لساسان بابك، وطول شعره حين ولده أطول من شبر فلما احتنك قام بأمر الناس بعد أبيه، ثم ولد له ابنه أردشير.

وكان ملك إصطخر يومئذ رجل من البارزنجين، يقال له - فيما حدث عن هشام بن محمد - جوزهر وقال غيره: كان يسمى جزهر، وكان له خصي يقال له تيرى، قد صيره ارجذا بداراجرد فلما أتى لأردشير سبع سنين، سار به أبوه إلى جزهر، وهو بالبيضاء، فوقفه بين يديه، وسأله أن يضمه إلى تيرى، ليكون ربيبا له، وأرجذا من بعده في موضعه فأجابه إلى ذلك، وكتب بما سأله من ذلك سجلا، وصار به إلى تيرى، فقبله أحسن قبول، وتبناه فلما هلك تيرى تقلد أردشير الأمر، وحسن قيامه به وأعلمه قوم من المنجمين والعرافين صلاح مولده، وأنه يملك البلاد فذكر أن أردشير تواضع واستكان لذلك، ولم يزل يزداد في الخير كل يوم، وأنه رأى في نومه ملكا جلس إلى رأسه، فقال له: إن الله يملكه البلاد، فليأخذ لذلك أهبة، فلما استيقظ سر بذلك، وأحس من نفسه قوة وشدة بطش، لم يكن يعهد مثله.

وكان أول ما فعل أنه سار إلى موضع من داراجرد، يقال له جوبانان، فقتل ملكا كان بها يقال له فاسين ثم سار إلى موضع يقال له كونس، فقتل ملكا كان بها يقال له منوشهر، ثم إلى موضع يقال له لروير، فقتل ملكا كان بها يقال له دارا، وملك هذه المواضع قوما من قبله، ثم كتب إلى أبيه بما كان منه، وأمره بالوثوب بجزهر وهو بالبيضاء، ففعل ذلك، وقتل جزهر وأخذ تاجه، وكتب إلى أردوان البهلوي ملك الجبال وما يتصل بها، يتضرع له ويسأله الإذن في توثيق سابور ابنه بتاج جزهر فكتب إليه أردوان كتابا عنيفا، وأعلمه أنه وابنه أردشير على الخلاف بما كان من

قتلهما من قتلا - فلم يحفل بابك بذلك، وهلك في تلك الأيام، فتتوج سابور ابن بابك بالتاج، وملك مكان أبيه، وكتب إلى أردشير أن يشخص إليه.

فامتنع أردشير من ذلك، فغضب سابور من امتناعه، وجمع جموعا، وسار بهم نحوه ليحاربه، وخرج من إصطخر، فألقى بها عدة من إخوته، كان بعضهم أكبر سنا منه، فاجتمعوا وأحضروا التاج وسرير الملك، فسلم الجميع لأردشير، فتتوج بالتاج، وجلس على السرير، وافتتح أمره بقوة وجد، ورتب قوما مراتب، وصير رجلا يقال له أبرسام بن رحفر وزيرا، وأطلق يده وفوض إليه، وصير رجلا يقال

له فاهر موبدان موبذ، وأحس من إخوته وقوم كانوا معه بالفتك به، فقتل جماعة منهم كثيرة ثم أتاه ان اهل دارابجرد قد فسدوا عليه، فعاد إليها حتى افتتحها بعد أن قتل جماعة من أهلها ثم سار إلى كرمان، وبها ملك يقال له: بلاش، فاقتتل وهو قتالا شديداً، وقتل أردشير بنفسه حتى أسر بلاش، واستولى على المدينة، فملك أردشير على كرمان ابناً له يقال له أردشير أيضاً. وكان في سواحل بحر فارس ملك يقال له أبتنود، كان يعظم ويعبد، فسار إليه أردشير فقتله وقطعه بسيفه نصفين، وقتل من كان حوله، واستخرج من مطامير كانت لهم كنوزاً مجموعة فيها، وكتب إلى مهر، وكان ملك إيراهسان من أردشير خرة، وإلى جماعة من أمثاله في طاعته، فلم يفعلوا، فسار إليهم، فقتل مهر، ثم سار إلى جور، فأسسها، وأخذ في بناء الجوسق المعروف بالطربال، وبیت نار هناك.

فبينما هو كذلك إذ ورد عليه رسول الأردوان بكتاب منه، فجمع أردشير الناس لذلك، وقرأ الكتاب بحضرتهم، فإذا فيه: إنك قد عدوت طورك، واجتلبت حتفك، أيها الكردي المربي في خيام الأكراد! من أذن لك في التاج الذي لبسته، والبلاد التي احتوت عليها وغلبت ملوكها وأهلها! ومن أمرك ببناء المدينة التي أسستها في صحراء- يريد جور- مع أنا إن خليكناك وبناءها فابتن في صحراء طولها عشرة فراسخ مدينة، وسمها رام أردشير وأعلمه أنه قد وجه إليه ملك الأهواز ليأتيه به في وثاق.

فكتب إليه أردشير: إن الله حباني بالتاج الذي لبسته، وملكني البلاد التي افتتحها، وأعاني على من قتلت من الجبابرة والملوك، وأما المدينة التي ابنها واسمها رام أردشير، فأنا أرجو أن أمكن منك، فأبعث برأسك وكنوزك إلى بيت النار الذي أسسته في أردشير خرة. ثم شخص أردشير نحو إصطخر، وخلف أبرسام بأردشير خرة، فلم يلبث أردشير إلا قليلاً حتى ورد عليه كتاب أبرسام بموافاة ملك الأهواز، وانصرافه منكوبا ثم سار إلى أصبهان فأسر شاذ سابور ملكها، وقتله، ثم عاد إلى فارس، وتوجه لمحاربة نيروفر صاحب الأهواز، وسار إلى الرجان وإلى بنیان وطاشان من رامهرمز، ثم إلى سرق فلما سار إلى ما هنالك، ركب في رهط من أصحابه، حتى وقف على شاطئ دجيل، فظفر بالمدينة، وابتنى مدينة سوق الأهواز، وانصرف إلى فارس بالغنائم، ثم ارتحل من فارس راجعاً إلى الأهواز على طريق جره وكازرون، ثم صار من الأهواز إلى ميسان، فقتل ملكاً كان بها يقال له بندو، وبني هنالك كرخ ميسان، ثم انصرف إلى فارس، وأرسل إلى أردوان يرتاد موضعاً يقتتلان فيه، فأرسل إليه أردوان: إني أوافيك في صحراء تدعى هرمزجان، لانسلاخ مهر ماه فوافاه أردشير قبل الوقت، وتبوأ من الصحراء موضعاً، وخذق على نفسه وجنده، واحتوى على عين كانت هناك، ووافاه أردوان فاصطف القوم للقتال، وقد تقدم سابور بن أردشير دافعا عنه، ونشب القتال بينهم، فقتل سابور دارا بنداذ، كاتب أردوان بيده، فانقض أردشير من موضعه إلى أردوان حتى قتله، وكثر القتل في أصحابه، وهرب من بقي على وجهه ويقال: إن أردشير نزل حتى توطأ رأس أردوان بقدمه وفي ذلك اليوم سمي أردشير شاهنشاه.

ثم سار من موضعه إلى همدان فافتتحها، وإلى الجبل وأذربيجان وإرمينية والموصل عنوة، ثم سار من الموصل إلى سورستان، وهي السواد فاحتازها، وبني على شاطئ دجلة قبالة مدينة طهسبون- وهي المدينة التي في شرقي المدائن- مدينة غربية سماها به أردشير، وكورها وضم إليها بهرسير، والرومقان، ونهر درقيط، وكوثي ونهر جوير، واستعمل عليها عمالاً، ثم توجه من السواد إلى إصطخر، وسار منها إلى سيجستان، ثم جرجان، ثم إلى أبرشهر، ومرو، وبلخ، وخوارزم، إلى تخوم بلاد خراسان ثم رجع إلى مرو، وقتل جماعة وبعث رءوسهم إلى بيت نار أناهيد، ثم انصرف من مرو إلى فارس ونزل جور، فأنته رسل ملك كوشان، وملك طوران، وملك مكران بالطاعة ثم توجه أردشير من جور إلى البحرين، فحاصر سنطرق ملكها، واضطره الجهد إلى أن رمى بنفسه من سور الحصن، فهلك ثم انصرف إلى المدائن، فأقام بها وتوج سابور ابنه بتاجه في حياته.

ويقال: انه كانت بقرية يقال لها الأار، من رستاق كوجران من رساتيق سيف أردشير خرة ملكة تعظم وتعبد، فاجتمعت لها أموال وكنوز ومقاتلة فخارب أردشير سدنّها وقتلها، وغنم أموالاً وكنوزاً عظيماً كانت لها: وإنه كان بنى ثمانى مدن، منها بفارس مدينة أردشير خرة، وهي جور، ومدينة رام أردشير، ومدينة ريو أردشير، وبالأهواز هرمز أردشير، وهي سوق الأهواز، وبالسواد به أردشير، وهي غربي المدائن، وإستاباذ أردشير، وهي كرخ ميسان، وبالبحرين فنياذ أردشير، وهي مدينة الخط، وبالموصل بوذ أردشير، وهي حزه وذكر أن أردشير عند ظهوره كتب إلى ملوك الطوائف كتباً بليغة، احتج عليهم فيها، ودعاهم إلى طاعته، فلما كان في آخر أمره رسم

لمن بعده عهده، ولم يزل محمودا مظفرا منصورا، لا يفيل له جمع، ولا ترد له راية، وقهر الملوك حول مملكته واذلهم، وأثخن في الأرض، وكور الكور، ومدن المدن، ورتب المراتب، واستكثر من العمارة وكان ملكه من وقت قتله أردوان إلى أن هلك أربع عشرة سنة وقال بعضهم: كان ملكه أربع عشرة سنة وعشرة أشهر.

وحدثت عن هشام بن محمد، قال: قدم أردشير في أهل فارس يريد الغلبة على الملك بالعراق، فوافق بابا ملكا كان على الأرمنيين، ووافق أردوان ملكا على الأردوانيين.

قال هشام: الأرمنيون أنباط السواد، والأردوانيون أنباط الشام.

قال: وكل واحد منهما يقاتل صاحبه على الملك، فاجتمعا على قتال أردشير فقاتلاه متساندين، يقاتله هذا يوما، وهذا يوما، فإذا كان يوم بابا لم يقيم له أردشير، وإذا كان يوم أردوان لم يقيم لأردشير، فلما رأى ذلك أردشير صالح بابا على أن يكف عنه ويدعه وأردوان، ويخلي أردشير بين بابا وبين بلاده وما فيها، وتفرغ أردشير لحرب أردوان، فلم يلبث أن قتله واستولى على ما كان له، وسمع له، وأطاع بابا، فضبط أردشير ملك العراق ودانت له ملوكها، وقهر من كان يناوئه من أهلها، حتى حملهم على ما أراد مما خالفهم ووافقهم. ولما استولى أردشير على الملك بالعراق كره كثير من تنوخ أن يقيموا في مملكته، وأن يدينوا له، فخرج من كان منهم من قبائل قضاة الذين كانوا أقبلوا مع مالك وعمرو ابني فهم، ومالك بن زهير وغيرهم، فلحقوا بالشام إلى من هنالك من قضاة.

وكان ناس من العرب يحدثون في قومهم الأحداث، أو تضيق بهم

المعيشة، فيخرجون إلى ريف العراق وينزلون الحيرة على ثلاثة أثلاث:

ثلث تنوخ، وهو من كان يسكن المظال وبيوت الشعر والوبر في غربي الفرات، فيما بين الحيرة والأنبار وما فوقها والثلث الثاني العبادي، وهم الذين كانوا سكنوا الحيرة وابتنوا بها والثلث الثالث الأحلاف، وهم الذين لحقوا بأهل الحيرة، ونزلوا فيهم، ممن لم يكن من تنوخ الوبر، ولا من العباد الذين دانوا لأردشير.

وكانت الحيرة والأنبار بنيتا جميعا في زمن بختنصر فخرت الحيرة لتحول أهلها عنها عند هلاك بختنصر إلى الأنبار، وعمرت الأنبار خمسمائة سنة وخمسين سنة، إلى أن عمرت الحيرة في زمن عمرو بن عدي، باتخاذها إياها منزلا، فعمرت الحيرة خمسمائة سنة وبضعا وثلاثين سنة إلى أن وضعت الكوفة، ونزلها الإسلام، فكان جميع ملك عمرو بن عدي مائة سنة وثمانين سنة، من ذلك في زمن أردوان وملوك الطوائف خمس وتسعون سنة، وفي زمن ملوك فارس ثلاث وعشرون سنة، من ذلك في زمن أردشير بن بابك أربع عشرة سنة وعشرة أشهر، وفي زمن سابور بن أردشير ثمانين سنين وشهران

٢٠٦٠٢ ذكر الخبر عن القائم كان بملك فارس بعد أردشير بن بابك

ذكر الخبر عن القائم كان بملك فارس بعد أردشير بن بابك

ولما هلك أردشير بن بابك، قام بملك فارس من بعده ابنه سابور.

وكان أردشير بن بابك لما أفضى إليه الملك أسرف في قتل الأشكانية، الذين منهم كان ملوك الطوائف، حتى أفناهم بسبب ألية كان ساسان بن أردشير بن بهمن بن إسفنديار الأكبر، جد أردشير بن بابك، كان آلاها، أنه إن ملك يوما من الدهر لم يستبق من نسل أشك بن خرة أحدا، وأوجب ذلك على عقبه، وأوصاهم ألا يبقوا منهم أحدا إن هم ملكوا، أو ملك منهم أحد يوما فكان أول من ملك من ولد ولده ونسله أردشير بن بابك، فقتلهم جميعا، نساءهم ورجالهم، فلم يستبق منهم أحدا لعزمة جده ساسان.

فذكر أنه لم يبق منهم أحد، غير أن جارية كان وجدها أردشير في دار المملكة، فأعجبه جمالها وحسنها، فسألها- وكانت ابنة الملك المقتول- عن نسبها فذكرت أنها كانت خادما لبعض نساء الملك، فسألها: أبكر أنت أم ثيب؟ فأخبرته أنها بكر، فواقعها واتخذها لنفسه، فعلمت منه، فلما أمنتته على نفسها لاستمكانها منه بالحل، أخبرته أنها من نسل أشك، فنفر منها ودعا هرجبذا أبرسام- وكان شيخا مسنا- فأخبره أنها أقرت أنها من نسل أشك، وقال: نحن أولى باستتمام الوفاء بنذر أيينا ساسان، وإن كان موقعها من قلبي على ما قد علمت، فانطلق بها

فاقتلها فضى الشيخ ليقتلها، فأخبرته أنها حبل، فأتى بها القوابل، فشهدن بحبلها، فأودعها سربا في الأرض، ثم قطع مذاكيره فوضعها في حق، ثم ختم عليه، ورجع إلى الملك، فقال له الملك: ما فعلت؟ قال: قد استودعتها بطن الأرض، ودفع الحق إليه، وسأله أن يختم عليه بخاتمه، ويودعه بعض خزائنه ففعل، فأقامت الجارية عند الشيخ، حتى وضعت غلاما، فكره الشيخ أن يسمي ابن الملك دونه، وكره أن يعلم به صبيا حتى يدرك، ويستكمل الأدب وقد كان الشيخ أخذ قياس الصبي ساعة ولد، وأقام له الطالع، فعلم عند ذلك أن سيملك، فسماه اسما جامعاً يكون صفة واسما ويكون فيه بالخيار إذا علم به، فسماه شاه بور، وترجمتها بالعربية: ابن الملك، وهو أول من سمي هذا الاسم، وهو سابور الجنود بالعربية، بن أردشير وقال بعضهم: بل سماه اشه بور، ترجمتها بالعربية: ولد أشك، الذي كانت أم الغلام من نسله.

فغبر أردشير دهرًا لا يولد له، فدخل عليه الشيخ الأمين، الذي عنده الصبي، فوجده محزونًا، فقال: ما يحزنك أيها الملك؟ فقال له أردشير:

وكيف لا أحزن، وقد ضربت بسيفي ما بين المشرق والمغرب حتى ظفرت بحاجتي، وصفا لي الملك ملك آبائي، ثم أهلك لا يعقبني فيه عقب، ولا يكون لي فيه بقية! فقال له الشيخ: سر ك الله أيها الملك وعمرك! لك عندي ولد طيب نفيس، فادع بالحق الذي استودعتك، وختمته بخاتمك أرك برهان ذلك.

فدعا أردشير بالحق، فنظر إلى نقش خاتمه، ثم فضه، وفتح الحق، فوجد فيه مذاكير الشيخ، وكُتب فيه: إنا لما اخترنا ابنة أشك التي علقت من ملك الملوك أردشير حين أمرنا بقتلها حين حملها، لم نستحل إتياء زرع الملك الطيب، فأودعناها بطن الأرض كما أمرنا ملكنا، وتبرأنا إليه من أنفسنا لئلا يجد عاضه إلى عضه سبيلا، وقنا بتقوية الحق المنزوع حتى لحق بأهله، وذلك في ساعة كذا من عام كذا فأمره أردشير عند ذلك أن يهيه في مائة غلام وقال بعضهم: في ألف غلام من أترابه وأشباهه في الهيئة والقامة، ثم يدخلهم عليه جميعا لا يفرق بينهم في زي ولا قامة ولا أدب، ففعل ذلك الشيخ، فلما نظر إليهم أردشير قبلت نفسه ابنه من بينهم، واستحلاه من غير أن يكون أشير له إليه أو لحن به ثم أمر بهم جميعا

فأخرجوا إلى حجرة الإيوان، فأعطوا صولجاة، فلبعوا بالكرة وهو في الإيوان على سريرته، فدخلت الكرة في الإيوان الذي هو فيه، فكاع الغلمان جميعا أن يدخلوا الإيوان، وأقدم سابور من بينهم فدخل فاستدل أردشير بدخوله عليه، وإقدامه وجرأته مع ما كان من قبول نفسه له أول مرة حين رآه، ورقته عليه دون أصحابه أنه ابنه فقال له أردشير بالفارسية:

ما اسمك؟ فقال الغلام: شاه بور، فقال: أردشير: شاه بور! فلما ثبت عنده أنه ابنه شهر أمره، وعقد له التاج من بعده.

وكان سابور قد ابتلى منه أهل فارس - قبل أن يفضي إليه الملك في حياة أبيه - عقلا وفضلا وعلمًا، مع شدة بطش، وبلاغة منطق، ورأفة بالرية ورقة فلما عقد التاج على رأسه، اجتمع إليه العظماء، فدعوا له بطول البقاء، وأطنبوا في ذكر والده وذكر فضائله، فأعلمهم أنهم لم يكونوا يستدعون إحسانه بشيء يعدل عنده ذكرهم والده، ووعدهم خيرا.

ثم أمر بما كان في الخزان من الأموال، فوسع بها على الناس، وقسمها فيمن رآه لها موضعا، من الوجوه والجنود وأهل الحاجة، وكتب إلى عماله بالكور والنواحي أن يفعلوا مثل ذلك في الأموال التي في أيديهم، فوصل من فضله وإحسانه إلى القريب والبعيد، والشريف والوضع، والخاص والعام ما عمهم ورفعت معاشهم ثم تخير لهم العمال، وأشرف عليهم وعلى الرعية إشرافا شديدا، فبان فضل سيرته، وبعد صوته، وفاق جميع الملوك.

وقيل: إنه سار إلى مدينة نصيبين، لإحدى عشرة سنة مضت من ملكه، وفيها جنود من جنود الروم، فحاصروهم حينًا، ثم أتاه عن ناحية من خراسان ما احتاج إلى مشاهدته، فشخص إليها حتى أحكم أمرها، ثم رجع إلى نصيبين وزعموا أن سور المدينة تصدع وانفجرت له فرجة دخل منها،

فقتل المقاتلة وسبي وأخذ أموالا عظيمة كانت لقيصر هنالك، ثم تجاوزها إلى الشام وبلاد الروم، فافتتح من مدائننا مدنا كثيرة. وقيل: إن فيما افتتح قالوقية وقذوقية، وإنه حاصر ملكا كان بالروم، يقال له الريانوس بمدينة أنطاكية، فأسره وحمله وجماعة كثيرة معه، وأسكنهم جندي سابور.

وذكر أنه أخذ الريانوس ببناء شاذروان تستر، على أن يجعل عرضه ألف ذراع، فبناه الرومي بقوم أشخصهم إليه من الروم، وحكم سابور في فكاكه بعد فراغه من الشاذروان، فقليل إنه أخذ منه أموالاً عظيمة، وأطلقه بعد أن جدد أنفه وقيل إنه قتله. وكان بحيال تكريت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحضرة، وكان بها رجل من الجرامقة يقال له الساطرون، وهو الذي يقول فيه ابو دواد الإيادي:

وأرى الموت قد تدلى من الحضرة ... على رب أهله الساطرون

والعرب تسميه الضيزن وقيل: إن الضيزن من أهل باجرم.

وزعم هشام بن الكلبي أنه من العرب من قضاعة وأنه الضيزن بن معاوية ابن العبيد بن الأجرم بن عمرو بن النخع بن سليح بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة، وأن أمه من يزيد بن حلوان اسمها جيهلة، وأنه إنما كان يعرف بأمه وزعم أنه كان ملك أرض الجزيرة، وكان معه من بني عبيد بن الأجرم وقبائل قضاعة ما لا يحصى، وأن ملكه كان قد بلغ الشام، وأنه تطرف من بعض السواد في غيبة كان غابها إلى ناحية خراسان سابور بن أردشير، فلما قدم من غيبته أخبر بما كان منه، فقال في ذلك من فعل الضيزن، عمرو بن إله بن الجدي بن الدهاء بن جشم بن حلوان

ابن عمران بن الحاف بن قضاعة:

لقيناهم بجمع من علاف ... وبالحليل الصلادمة الذكور

فلاقت فارس منا نكالا ... وقتلنا هرازد شهر زور

دلنا للأعاجم من بعيد ... بجمع كالجزيرة في السعير

فلما أخبر سابور بما كان منه شخص إليه حتى أتاخ على حصنه، وتحصن الضيزن في الحصن، فزعم ابن الكلبي أنه أقام سابور على حصنه أربع سنين، لا يقدر على هدمه ولا على الوصول إلى الضيزن.

وأما الأعشى ميمون بن قيس فإنه ذكر في شعره أنه أقام عليه حولين، فقال:

ألم تر للحضر إذ أهله ... بنعمى وهل خالد من نعم!

أقام به شاهبور الجنود ... حولين تضرب فيه القدم

فما زاده ربه قوة ... ومثل مجاوره لم يقيم

فلما رأى ربه فعله ... أتاها طروقا فلم ينتقم

وكان دعا قومه دعوة ... هلموا إلى أمركم قد صرم

فوتوا كراما بأسيا فكم ... أرى الموت يحشمه من جشم

ثم إن ابنة للضيزن يقال لها النصيرة عركت فأخرجت إلى ربض

المدينة، وكانت من أجمل نساء زمانها - وكذلك كان يفعل بالنساء إذا هن عركن - وكان سابور من أجمل أهل زمانه - فيما قيل - فرأى كل واحد منهما صاحبه، فمشقته وعشقها، فأرسلت إليه: ما تجعل لي إن دلتك على ما تهدم به سور هذه المدينة وتقتل أبي؟ قال: حكمك وأرفعك على نسائي، وأخصك بنفسي دونهن قالت: عليك بحمامة ورقاء مطوقة، فاكتب في رجلها بحيض جارية بكر زرقاء، ثم أرسلها، فإنها تقع على حائط المدينة، فتداعى المدينة وكان ذلك طلسم المدينة لا يهدمها إلا هذا، ففعل وتأهب لهم، وقالت: أنا أسقي الحرس الخمر، فإذا صرعوا فاقتلهم، وادخل المدينة ففعل وتداعت المدينة، ففتحها عنوة، وقتل الضيزن يومئذ، وأبيدت أفناء قضاعة الذين كانوا مع الضيزن، فلم يبق منهم باق يعرف إلى اليوم، وأصبحت قبائل من بني حلوان، فانقضوا ودرجوا، فقال عمرو بن إله - وكان مع الضيزن:

ألم يحزنك والأنباء تني ... بما لاقت سراة بني عبيد!

ومصرع ضيزن وبني أبيه ... وأحلاس الكائب من تزيد!

أتاهم بالفيل مجلات ... وبالأبطال سابور الجنود

فهدم من أواسي الحصن صخرا ... كأن ثقاله زبر الحديد

وأحرب سابور المدينة، واحتمل النضيرة ابنة الضيزن، فأعرس بها بعين التمر، فذكر أنها لم تزل ليلتها تضور من خشونة فرشها، وهي من حرير محشوة بالقز فالتمس ما كان يؤذيها، فإذا ورقة آس ملتزقة بعكته من عكها قد أثرت فيها قال: وكان ينظر إلى مخها من لين بشرتها- فقال لها سابور: ويحك بأي شيء كان يغذوك أبوك؟ قالت: بالزبد والمخ وشهد الأبقار من النحل وصفوا الخمر قال: وأبيك لأننا أحدث عهدا بك، وآثر لك من أبيك الذي غذاك بما تذكرين فأمر رجلا فركب فرسا جموحا، ثم عصب غدائرهما بذنبه، ثم استركضها فقطعها قطعا، فذلك قول الشاعر:

أقفر الحصن من نضيره فالمر ... باع منها فجانب الثرثار

وقد أكثر الشعراء ذكر ضيزن هذا في أشعارهم، وإياه عنى عدي بن زيد بقوله:

وأخو الحضرة إذ بناه وإذ دجلة ... تحي إليه والخابور.

شاده مرمرًا وجلله كلسا ... فلطير في ذراه وكور

لم يهبه ريب المتون فباد ... الملك عنه فبابه مهجور

ويقال إن سابور بن بيميسان شاذ سابور، التي تسمى بالنبطية ريمًا.

وفي أيام سابور ظهر ماني الزنديق، ويقال: إن سابور لما سار إلى موضع جندي سابور ليؤسسها صادف عندها شيخا يقال له بيل، فسأله: هل يجوز أن يتخذ في ذلك الموضع مدينة؟ فقال له بيل: إن ألهمت الكتابة مع ما قد بلغت من السن جاز أن يبني في هذا الموضع مدينة فقال له سابور:

بل ليكن الأمران اللذان أنكرت كونهما فرسم المدينة وأسلم بيل إلى معلم، وفرض عليه تعليمه الكتاب والحساب في سنة، فخلا به المعلم وبدأ بحلق راسه

٢٠٦٣ ذكر ملك هرمز بن سابور

ولحيته لثلا يتشاغل بهما، وجاده التعليم ثم أتى به سابور وقد نفذ ومهر، فقلده إحصاء النفقة على المدينة وإثبات حسابها، وكور الناحية وسماها بهأزديو سابور، وتأويل ذلك: خير من أنطاكية، ومدينة سابور- وهي التي تسمى جندي سابور، وأهل الأهواز يسمونها بيل باسم القيم كان على بنائها ولما حضر سابور الموت ملك ابنه هرمز وعهد إليه عهدا أمره بالعمل به.

واختلف في سني ملكه، فقال: بعضهم كان ذلك ثلاثين سنة وخمسة عشر يوما وقال آخرون: كان ملكه إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر وتسعة عشر يوما

ذكر ملك هرمز بن سابور

ثم قام بالملك بعد سابور بن أردشير بن بابك ابنه هرمز وكان يلقب بالجريء، وكان يشبه في جسمه وخلقه وصورته بأردشير، غير لاحق به في رأيه وتدييره، إلا أنه كان من البطش والجرأة وعظم الخلق على أمر عظيم.

وكانت أمه- فيما قيل- من بنات مهر، الملك الذي قتله أردشير بأردشير خرة وذلك أن المنجمين كانوا أخبروا أردشير أنه يكون من نسله من يملك فتتبع أردشير نسله فقتلهم، وأفلتت أم هرمز وكانت ذات عقل وجمال وكمال وشدة خلق، فوقعت إلى البادية، وأوت إلى بعض الرعاء.

وإن سابور خرج يوما متصيذا، فامعن في طلب الصيد، واشتد به العطش، فارتفعت له الاخبية التي كانت أم هرمز أوت إليها، فقصدها فوجد الرعاء غيبا، فطلب الماء، فناولته المرأة، فعين منها جمالا فائقا، وقواما عجيبا، ووجها عتيقا ثم لم يلبث أن حضر الرعاء، فسألهم سابور عنها، فنسبها بعضهم إليه، فسأله أن يزوجه منه، فساعفه، فصار بها إلى منزله، وأمر بها فنظفت وكسيت وحليت، وأرادها على نفسها، فكان إذا خلا بها والتمس منها ما يلتمس الرجل من المرأة امتنعت وقهرته عند المجاذبة قهرا ينكره.

وتعجب من قوتها، فلما تطاول ذلك من أمرها أنكره، ففحص عن امرها

فأخبرته أنها ابنة مهر، وأنها إنما فعلت ما فعلت إبقاء عليه من أردشير، فعاهدها على ستر أمرها، ووطئها فولدت هرمز، فستر أمره حتى أتت له سنون.

وإن أردشير ركب يوماً، ثم انكفأ إلى منزل سابور لشيء أراد ذكره له، فدخل منزله مفاجأة، فلما استقر به القرار خرج هرمز، وقد ترعرع ويده صولجان يلعب به وهو يصيح في اثر الكرة، فلما وقعت عين أردشير عليه أنكره، ووقف على المشابه التي فيه منهم، لأن الكية التي في آل أردشير كانت لا تخفى، ولا يذهب أمرهم على أحد، لعلامات كانت فيهم، من حسن الوجوه، وعبالة الخلق، وأمور كانوا بها مخصصين في أجسامهم فاستدناه أردشير، وسأل سابور عنه، نخر مكفراً على سبيل الإقرار بالخطأ مما كان منه، وأخبر أباه حقيقة الخبر، فسر به، وأعلمه أنه قد تحقق الذي ذكر المنجمون في ولد مهربك، ومن يملك منهم، وأنهم إنما ذهبوا فيه إلى هرمز، إذ كان من نسل مهربك، وأن ذلك قد سلى ما كان في نفسه وأذبه.

فلما هلك أردشير وأفضى الأمر إلى سابور ولي هرمز خراسان، وسيره إليها، فاستقل بالعمل، وقع من كان يليه من ملوك الأمم، وأظهر تجبراً شديداً، فوشى به الوشاة إلى سابور، ووهموه أنه إن دعاه لم يجب، وأنه على أن يبتزه الملك، ونمت الأخبار بذلك إلى هرمز، فقيل: إنه خلا بنفسه، ففقط يده وحسمها، وألقى عليها ما يحفظها، وأدرجها في نفيس من الثياب، وصيرها في سبط، وبعث بها إلى سابور، وكتب إليه بما بلغه، وأنه إنما فعل ما فعل، إزالة للتهمة عنه، ولأن في رسمهم ألا يملكوا ذا عاهة فلما وصل الكتاب بما معه إلى سابور، تقطع أسفاً، وكتب إليه بما ناله من الغم بما فعل، واعتذر، وأعلمه أنه لو قطع بدنه عضوا عضواً، لم يؤثر عليه أحداً بالملك.

٢٠٦٠٤ ذكر ملك بهرام بن هرمز

وقيل: إنه لما وضع التاج على رأسه، دخل عليه العظماء، فدعوا له فأحسن لهم الجواب، وعرفوا منه صدق الحديث، وأحسن فيهم السيرة، وعدل في رعيته، وسلك سبيل آبائه، وكور كورة رام هرمز وكان ملكه سنة وعشرة أيام.

. ذكر ملك بهرام بن هرمز

ثم قام بالملك بعده ابنه بهرام وهو بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ابن بابك.

وكان من عمال سابور بن أردشير، وهرمز بن سابور، وبهرام بن هرمز بن سابور- بعد مهلك عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة على فرج العرب من ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذ- ابن لعمر بن عدي، يقال له امرؤ القيس البدء، وهو أول من تنصر من ملوك آل نصر بن ربيعة وعمال ملوك الفرس، وعاش- فيما ذكر هشام بن محمد- مملكا في عمله مائة سنة وأربع عشرة سنة، من ذلك في زمن سابور بن أردشير ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً، وفي زمن هرمز بن سابور سنة وعشرة أيام، وفي زمن بهرام بن هرمز ابن سابور ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام، وفي زمن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ثمانين سنة.

وكان بهرام بن هرمز- فيما ذكر- رجلاً ذا حلم وتؤدة، فاستبشر الناس بولايته، وأحسن السيرة فيهم، واتبع في ملكه في سياسة الناس آثار آبائه، وكان ماني الزنديق- فيما ذكر- يدعو إلى دينه، فاستبرى ما عنده، فوجده داعية للشيطان، فأمر بقتله وسلخ جلده وحشوه تبناً وتعليقه على باب من أبواب مدينة جندي سابور، يدعى باب الماني، وقتل أصحابه ومن دخل في ملته.

وكان ملكه- فيما قبل- ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام

٢٠٦٠٥ ذكر ملك بهرام بن بهرام بن هرمز

٢٠٦٠٦ ذكر ملك شاهنشاه بن بهرام

٢٠٦٠٧ ذكر ملك نرسی بن بهرام

٢٠٦٠٨ ذكر ملك هرمز بن نرسی

ذكر ملك بهرام بن بهرام بن هرمز

ثم قام بالملك بعده ابنه بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير.

وكان ذا علم - فيما قيل - بالأمر، فلما عقد التاج على رأسه دعا له العظماء بمثل ما كانوا يدعون لآبائه، فرد عليهم مردا حسنا، وأحسن فيهم السيرة، وقال: إن ساعدنا الدهر نقبل ذلك بالشكر، وإن يكن غير ذلك نرض بالقسم. واختلف في سني ملكه، فقال بعضهم: كان ملكه ثماني عشرة سنة. وقال بعضهم: كان سبع عشرة سنة.

. ذكر ملك شاهنشاه بن بهرام

ثم ملك بهرام الملقب بشاهنشاه بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير، فلما عقد التاج على رأسه اجتمع إليه العظماء، فدعوا له ببركة الولاية وطول العمر، فرد عليهم أحسن الرد، وكان قبل أن يفضي إليه الملك مملكا على سجستان. وكان ملكه أربع سنين.

. ذكر ملك نرسی بن بهرام

ثم قام بالملك بعده نرسی بن بهرام، وهو أخو بهرام الثالث، فلما عقد التاج على رأسه دخلت عليه الأشراف والعظماء، فدعوا له فوعدهم خيرا، وأمرهم بمكانفته على أمره، وسار فيهم بأعدل السيرة، وقال يوم ملك: إنا لن نضيع شكر الله على ما أنعم به علينا.

وكان ملكه تسع سنين

. ذكر ملك هرمز بن نرسی

ثم ملك هرمز بن نرسی بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير. وكان الناس قد وحلوا منه، وأحسوا بالفظاظة والشدّة، فأعلمهم أنه قد

٢٠٦٠٩ ذكر ملك سابور ذي الأكتاف

علم ما كانوا يخافونه من شدة ولايته، وأعلمهم أنه قد أبدل ما كان في خلقه من الغلظة والفظاظة رقة ورأفة، وساسهم بأرفق السياسة، وسار فيهم بأعدل السيرة، وكان حريصا على انتعاش الضعفاء وعمارة البلاد والعدل على الرعية.

ثم هلك ولا ولد له، فشق ذلك على الناس، فسألوا بميلهم إليه عن نسائه، فذكر لهم أن بعضهن حبلى وقد قال بعضهم: إن هرمز كان أوصى بالملك لذلك الحمل في بطن أمه، وأن تلك المرأة ولدت سابور ذا الأكتاف.

وكان ملك هرمز في قول بعضهم ست سنين وخمسة أشهر، وفي قول آخرين سبع سنين وخمسة أشهر

. ذكر ملك سابور ذي الأكتاف

ثم ولد سابور ذو الأكتاف بن هرمز بن نرسی بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير، مملكا بوصية أبيه هرمز له بالملك، فاستبشر الناس بولادته، وبثوا خبره في الآفاق، وكتبوا الكتب، ووجهوا به البرد إلى الآفاق والأطراف، وتقلد الوزراء والكتاب الأعمال التي كانوا يعملونها في ملك أبيه، ولم يزالوا على ذلك، حتى فشا خبرهم، وشاع في أطراف مملكة الفرس أنه كان لا ملك لهم، وأن أهلها إنما يتلومون صبيا في المهد، لا يدرون ما هو كائن من أمره، فطمعت في مملكتهم الترك والروم.

وكانت بلاد العرب أدنى البلاد إلى فارس، وكانوا من أحوج الأمم إلى تناول شيء من معاشهم وبلادهم، لسوء حالهم وشظف عيشهم، فسار جمع عظيم منهم في البحر من ناحية بلاد عبد القيس والبحرين وكاظمه، حتى أناخوا على ابرشهر وسواحل أردشير خرة وأسياف فارس، وغلبوا أهلها على مواشيهم وحروثهم ومعاشهم، وأكثروا الفساد في تلك البلاد، فكثروا على ذلك من أمرهم حيناً، لا يغزوهم أحد من الفرس، لعقدتهم تاج الملك على طفل من الأطفال، وقلة هيبة الناس له، حتى تحرك سابور وترعرع، فلما ترعرع ذكر

أن أول ما عرف من تدييره وحسن فهمه، أنه استيقظ ذات

ليلة وهو في قصر المملكة بطيسبون، من ضوضاء الناس بسحر، فسأل عن ذلك، فأخبر أن ذلك ضجة الناس عند ازدحامهم على جسر دجلة مقبلين ومديرين، فأمر بانخاذ جسر آخر، حتى يكون أحدهما معبرا للمقبلين، والآخر معبرا للمديرين، فلا يزدحم الناس في المرور

عليهما.

فاستبشر الناس بما رأوا من فطنته لما فطن من ذلك على صغر سنه وتقدم فيما أمر به من ذلك، فذكر أن الشمس لم تغرب من يومهم ذلك حتى عقد جسر بالقرب من الجسر الذي كان فاستراح الناس من المخاطرة بأنفسهم في الجواز على الجسر، وجعل الغلام يتزايد في اليوم ما يتزايد غيره في الحين الطويل.

وجعل الكتاب والوزراء يعرضون عليه الأمر بعد الأمر، فكان فيما عرض عليه أمر الجنود التي في الثغور، ومن كان منهم بإزاء الأعداء وإن الأخبار وردت بأن أكثرهم قد اخل، وعظموا عليه الأمر في ذلك، فقال لهم سابور:

لا يكبرن هذا عندكم، فإن الحيلة فيه يسيرة، وأمر بالكتاب إلى أولئك الجنود جميعاً، بأنه انتهى إليه طول مكثهم في النواحي التي هم بها، وعظم غنائهم عن أوليائهم وإخوانهم، فمن أحب أن ينصرف إلى أهله فلينصرف مأذوناً له في ذلك، ومن أحب أن يستكمل الفضل بالصبر في موضعه عرف ذلك له وتقدم إلى من اختار الانصراف في لزوم أهله وبلاده إلى وقت الحاجة إليه.

فلما سمع الوزراء ذلك من قوله استحسونه، وقالوا: لو كان هذا قد أطال تجربة الأمور، وسياسة الجنود ما زاد رأيهم وصحة منطقهم على ما سمعنا به ثم تابعت أخباره إلى البلدان والثغور، بما قوم أصحابه، وقمع أعداءه.

حتى إذا تمت له ست عشرة سنة وأطاق حمل السلاح وركوب الخيل، واشتد عظمه، جمع إليه رؤساء أصحابه وأجناده، ثم قام فيهم خطيباً، ثم ذكر ما أنعم الله به عليه وعليهم بآبائه، وما أقاموا من أدهم ونفوا من أعدائهم، وما اختل من أمورهم، في الأيام التي مضت من أيام صباه، وأعلمهم أنه

يبتدئ العمل في الذب عن البيضة، وأنه يقدر الشخص إلى بعض الأعداء لمحاربتهم، وأن عدة من يشخص معه من المقاتلة ألف رجل فنهض إليه القوم داعين متشكرين، وسألوه أن يقيم بموضعه، ويوجه القواد والجنود ليكفوه ما قدر من الشخص فيه، فأبى أن يجيبهم إلى المقام، فسألوه الازدياد على العدة التي ذكرها فأبى ثم انتخب ألف فارس من صناديد جنده وأبطالهم، وتقدم إليهم في المضي لأمره، ونهاهم عن الإبقاء على من لقوا من العرب، والعرجة على إصابة مال ثم سار بهم فأوقع بمن انتجع بلاد فارس من العرب وهم غارون، وقتل منهم أبحر القتل، وأسر أعنف الأسر، وهرب بقيتهم ثم قطع البحر في أصحابه، فورد الخط، واستقرى بلاد البحرين، يقتل أهلها ولا يقبل فداء، ولا يعرج على غنيمة ثم مضى على وجهه، فورد هجر، وبها ناس من اعراب تميم وبكر بن وائل وعبد القيس، فأفشي فيهم القتل، وسفك فيهم من الدماء سفكا سالت كسيل المطر، حتى كان الهارب منهم يرى أنه لن يخيه منه غار في جبل، ولا جزيرة في بحر، ثم عطف إلى بلاد عبد القيس، فأباد أهلها إلا من هرب منهم، فلحق بالرمال، ثم أتى اليمامة، فقتل بها مثل تلك المقتلة، ولم يمر بماء من مياه العرب إلا عوره، ولا جب من جبابهم إلا طمه ثم أتى قرب المدينة، فقتل من وجد هنالك من العرب وأسر، ثم عطف نحو بلاد بكر وتغلب فيما بين مملكة فارس ومناظر الروم بأرض الشام، فقتل من وجد بها من العرب، وسبي وطم مياههم وإنه أسكن من من بني تغلب من البحرين دارين- واسمهما هيج- والخط، ومن كان من عبد القيس وطوائف من بني تميم هجر، ومن كان من بكر بن وائل كرمات، وهم الذين يدعون بكر أبان، ومن كان منهم من بني حنظلة بالرميلية من بلاد الأهواز وإنه أمر فبنيت بأرض السواد مدينة وسماها، بزرع سابور- وهي الأنبار- وبأرض الأهواز مدينتان: إحداها إيران خره سابور، وتأويلها سابور وبلاده، وتسمى بالسريانية الكرخ، والأخرى السوس، وهي مدينة بناها إلى جانب الحصن الذي في جوفه تابوت فيه جثة دانيال النبي ع وإنه غزا أرض الروم فسبي منها سبياً كثيراً،

فأسكن مدينته إيران خره سابور، وسمتها العرب السوس بعد تخفيفها في التسمية وأمر فبنيت بباجرمى مدينته سماها خني سابور وكور كوره، وبأرض خراسان مدينته، وسماها نيسابور وكور كوره.

وإن سابور كان هادن قسطنطين ملك الروم، وهو الذي بني مدينة قسطنطينية، وكان أول من تنصر من ملوك الروم، وهلك قسطنطين، وفرق ملكه بين ثلاثة بنين، كانوا له، فهلك بنوه الثلاثة، فملك الروم عليهم رجلاً من أهل بيت قسطنطين يقال له لليانوس، وكان يدين بملة الروم التي كانت قبل النصرانية، ويسر ذلك ويظهر النصرانية قبل أن يملك، حتى إذا ملك أظهر ملة الروم، وأعادها كهيتها،

وأمرهم بإحيائها، وأمر بهدم البيع وقتل الأساقفة وأحبار النصارى وإنه جمع جموعاً من الروم والخرز، ومن كان في مملكته من العرب، ليقاتل بهم سابور وجنود فارس.

وانتهزت العرب بذلك السبب الفرصة من الانتقام من سابور، وما كان من قتله العرب، واجتمع في عسكر ليلانوس من العرب مائة ألف وسبعون ألف مقاتل، فوجههم مع رجل من بطارقة الروم، بعثه على مقدمته يسمى يوسانوس وإن ليلانوس سار حتى وقع ببلاد فارس، وانتهى إلى سابور كثرة من معه من جنود الروم والعرب والخرز، فهاله ذلك، ووجه عيوناً تأتيه بخبرهم ومبلغ عددهم وحالهم في شجاعتهم وعيشهم فاختلفت أقاويل أولئك العيون فيما أتوه به من الأخبار عن ليلانوس وجنده، فتكر سابور، وسار في أناس من ثقافته ليعين عسكرهم، فلما اقترب من عسكر يوسانوس صاحب مقدمة ليلانوس، وجه رهطاً ممن كان معه إلى عسكر يوسانوس ليتحسسوا الأخبار، ويأتوه بها على حقائقها، فنذرت الروم بهم، فأخذوهم ودفعوهم إلى يوسانوس، فلم يقر أحد منهم بالأمر الذي توجهوا له إلى عسكره، ما خلا رجلاً منهم أخبره بالقصة على وجهها، وبمكان سابور حيث كان، وسأله أن يوجهه معه جنداً، فيدفع إليهم سابور فأرسل يوسانوس حيث سمع هذه المقالة إلى سابور رجلاً من بطاقته، يعلمه ما لقي من أمره، وينذره، فارتحل

سابور من الموضع الذي كان فيه إلى عسكره وإن من كان في عسكر ليلانوس من العرب سأله أن يأذن لهم في محاربة سابور، فأجابهم إلى ما سأله، فزحفوا إلى سابور، فقاتلوه ففوضوا جمعه، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وهرب سابور فيمن بقي من جنده، واحتوى ليلانوس على مدينة طيسون محلة سابور، وظفر ببيوت أموال سابور وخزائنه فيها، فكتب سابور إلى من في الآفاق من جنوده يعلمهم الذي لقي من ليلانوس ومن معه من العرب، ويأمر من كان فيهم من القواد أن يقدموا عليه فيمن قبلهم من جنوده، فلم يلبث أن اجتمعت إليه الجيوش من كل أفق، فانصرف فحارب ليلانوس واستنقذ منه مدينة طيسون، ونزل ليلانوس مدينة بهاردشير وما والاها بعسكره، وكانت الرسل تختلف فيما بينه وبين سابور وإن ليلانوس كان جالساً ذات يوم في حجرته، فأصابه سهم غرب في فؤاده فقتله، فأسقط في روع جنده، وهالهم الذي نزل به، ويئسوا من التفصي من بلاد فارس، وصاروا شورى لا ملك عليهم ولا سائس لهم، فطلبوا إلى يوسانوس أن يتولى الملك لهم فيملكوه عليهم، فأبى ذلك، وألحوا عليه فيه، فأعلمهم أنه على ملة النصرانية، وأنه لا يلي ناساً له مخالفين في الملة فأخبرته الروم إنهم على ملته، وإنهم إنما كانوا يكتُمونها مخافة ليلانوس، فأجابهم إلى ما طلبوا، وملكوه عليهم، وأظهروا النصرانية. وأن سابور علم بهلاك ليلانوس، فأرسل إلى قواد جنود الروم، يقول: إن الله قد أمكننا منكم، وأدالنا عليكم، بظلمكم إيانا، وتخطيكم إلى بلادنا، وإنا نرجو أن تهلكوا بها جوعاً من غير أن نهني لقتالكم سيفاً، ونشرع له رحماً، فسرخوا إلينا رئيساً إن كنتم رَأْسْتُمُوهُ عليكم فعزم يوسانوس على إتيان سابور، فلم يتابعه على رأيه أحد من قواد جنده، فاستبد برأيه، وجاء إلى سابور في ثمانين رجلاً من أشرف من كان في عسكره وجنده، وعليه تاجه، فبلغ سابور مجيئه إليه، فتلقاه وتساجداً، فعانقه سابور شكراً لما كان منه في أمره، وطعم عنده يومئذ ونعم.

وإن سابور أرسل إلى قواد جند الروم وذوى الرياسة منهم يعلمهم أنهم

لو ملكوا غير يوسانوس لجرى هلاكهم في بلاد فارس، وإن تملكهم إياه ينجيهم من سطوته وقوي أمر يوسانوس بجنده، ثم قال: إن الروم قد شنوا الغارة على بلادنا، وقتلوا بشراً كثيراً، وقطعوا ما كان بأرض السواد من نخل وشجر، وخرّبوا عمارتها، فإما أن يدفعوا إلينا قيمة ما أفسدوا وخرّبوا، وإما أن يعوضونا من ذلك نصيبين وحيزها، عوضاً منه، وكانت من بلاد فارس، فغلبت عليها الروم.

فأجاب يوسانوس وأشراف جنده سابور إلى ما سأل من العوض، ودفعوا إليه نصيبين، فبلغ ذلك أهلها، فخلوا منها إلى مدن في مملكة الروم، مخافة على أنفسهم من ملك الملك المخالف ملتهم، فبلغ ذلك سابور، فقتل اثني عشر ألف أهل بيت من أهل إصطخر وإصهبان وكور آخر من بلاده وحيزه إلى نصيبين، وأسكنهم إياها، وانصرف يوسانوس ومن معه من الجنود إلى الروم، وملكها زمناً يسيراً ثم هلك.

وإن سابور ضري بقتل العرب، ونزع أكتاف رؤسائهم إلى أن هلك.

وكان ذلك سبب تسميتهم إياه ذا الأكتاف وذكر بعض أهل الأخبار أن سابور بعد أن أثنى في العرب وأجلاهم عن النواحي التي كانوا

صاروا إليها مما قرب من نواحي فارس والبحرين واليمامة، ثم هبط الى الشام، وسار إلى حد الروم، أعلم أصحابه إنه على دخول الروم حتى يبحث عن أسرارهم، ويعرف أخبار مدنها وعدد جنودهم، فدخل الى الروم، فجال فيها حيناً، وبلغه أن قيصر أولم، وأمر بجمع الناس ليحضروا طعامه، فانطلق سابور بهيئة السؤال حتى شهد ذلك الجمع، لينظر إلى قيصر، ويعرف هيئته وحاله في طعامه، ففطن له فأخذ، وأمر به قيصر فأدرج في جلد ثور، ثم سار بجنوده الى أرض فارس، ومعه سابور على تلك

الحالة، فأكثر من القتل وخراب المدائن والقرى وقطع النخل والأشجار، حتى انتهى إلى مدينة جندي سابور، وقد تحصن أهلها، فنصب المجانيق، وهدم بعضها فبينما هم كذلك ذات ليلة إذ غفل الروم الموكلون بحراسة سابور، وكان بقربه قوم من سبي الأهواز، فأمرهم أن يلقوا على القدر الذي كان عليه زيتا من زقاق كانت بقربهم، ففعلوا ذلك، ولان الجلد وانسل منه، فلم يزل يدب حتى دنا من باب المدينة، وأخبر حراسهم باسمه فلما دخل على أهلها، اشتد سرورهم به، وارتفعت أصواتهم بالحمد والتسبيح، فانتبه أصحاب قيصر بأصواتهم، وجمع سابور من كان في المدينة وعباهم، وخرج إلى الروم في تلك الليلة سحراً، فقتل الروم وأخذ قيصر أسيراً، وغنم أمواله ونساءه، ثم أثقل قيصر بالحديد وأخذ به عمارة ما أخرب، ويقال: إنه أخذ قيصر بنقل التراب من أرض الروم إلى المدائن وجندي سابور، حتى يرم به ما هدم منها، وبأن يغرس الزيتون مكان النخل والشجر الذي عقره، ثم قطع عقبه ورتقه، وبعث به إلى الروم على حمار، وقال: هذا جزاؤك ببغيك علينا، فلذلك تركت الروم اتخاذ الأعقاب، ورتق الذؤاب.

ثم أقام سابور في مملكته حيناً ثم غزا الروم فقتل من أهلها، وسبي سبياً كثيراً، وأسكن من سبي مدينة بناها بناحية السوس، وسماها إيرانشهر سابور، ثم استصلح العرب، وأسكن بعض قبائل تغلب وعبد القيس وبكر بن وائل كرمان وتوج والأهواز، وبني مدينة نيسابور ومدائن أخر بالسند وبجستان، ونقل طيبيا من الهند فأسكنه الكرخ من السوس، فلما مات ورث طبه أهل السوس، ولذلك صار أهل تلك الناحية أطب العجم وأوصى بالملك لأخيه أردشير وكان ملك سابور اثنتين وسبعين سنة.

وهلك في عهد سابور عامله على ضاحية مضر وربيعه، امرؤ القيس البدء بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر، فاستعمل سابور على عمله

٢٠٦٠١٠ ذكر ملك أردشير بن هرمز

٢٠٦٠١١ ذكر ملك سابور بن سابور

٢٠٦٠١٢ ذكر ملك بهرام بن سابور

ابنه عمرو بن امرئ القيس- فيما ذكر- فبقي في عمله بقية ملك سابور، وجميع أيام أخيه أردشير بن هرمز بن نرسی، وبعض أيام سابور بن سابور.

وكان جميع عمله- على ما ذكرت- من العرب، وولايته عليهم- فيما ذكر ابن الكلبي- ثلاثين سنة

. ذكر ملك أردشير بن هرمز

ثم قام بالملك بعد سابور ذي الأكتاف اخوه أردشير بن هرمز بن نرسی ابن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك فلما عقد التاج على رأسه جلس للعظماء، فلما دخلوا عليه دعوا له بالنصر، وشكروا عنده أخاه سابور، فأحسن جوابهم، وأعلمهم موقع ما كان من شكرهم لأخيه عنده، فلما استقر به الملك قراره عطف على العظماء وذوى الرياسة، فقتل منهم خلقاً كثيراً، فخلعه الناس بعد أربع سنين من ملكه

ذكر ملك سابور بن سابور

ثم ملك سابور بن سابور ذي الأكتاف بن هرمز بن نرسی فاستبشرت الرعية بذلك ورجوع ملك أبيه إليه، فلقيهم أحسن اللقاء، وكتب الكتب إلى العمال في حسن السيرة والرفق بالرعية، وأمر بمثل ذلك وزراءه وكتابه وحاشيته، وخطبهم خطبة بليغة، ولم يزل عادلاً على رعيته، متحنناً عليهم لما كان تبين من مودتهم ومحبتهم وطاعتهم، وخضع له عمه أردشير المخلوع، ومنحه الطاعة.

وإن العظماء وأهل البيوتات قطعوا أطناب فسطاط كان ضرب عليه في جرة من حجره، فسقط عليه الفسطاط.

وكان ملكه خمس سنين

. ذكر ملك بهرام بن سابور

ثم ملك بعده اخوه بهرام بن سابور ذي الأكتاف وكان يلقب كرمان شاه، وذلك أن أباه سابور كان ولاه في حياته كرمان، فكتب إلى قواده كتابا يحثهم فيه على الطاعة، ويأمرهم بتقوى الله والنصيحة للملك، وبني بكرمان مدينة، وكان حسن السياسة لرعيته، محمودا في أمره

٢٠٦٠١٣ ذكر ملك يزدرج الأثيم

وكان ملكه إحدى عشرة سنة وإن ناسا من الفتاك ثاروا إليه فقتله رجل منهم برمييه رماها اياه بنشابه

. ذكر ملك يزدرج الأثيم

ثم قام بالملك بعده يزدرج الملقب بالأثيم، بن بهرام الملقب بكرمان شاه بن سابور ذي الأكتاف.

ومن أهل العلم بأنساب الفرس من يقول: ان يزدرج الأثيم هذا، هو أخو بهرام الملقب بكرمان شاه وليس بابنه، ويقول: هو يزدرج بن سابور ذي الأكتاف ومن نسبه هذا النسب وقال هذا القول، هشام بن محمد.

وكان- فيما ذكر- فظا غليظا ذا عيوب كثيرة، وكان من أشد عيوبه وأعظمها- فيما قيل- وضعه ذكاء ذهن وحسن أدب كان له وصنوبا من العلم قد مهرها وعلّمها، غير موضعه، وكثرة رؤيته في الضار من الأمور، واستعمال كل ما عنده من ذلك، في المواربة والدهاء والمكايدة والمخاتلة، مع فطنة كانت بجهاث الشر، وشدة عجبه بما عنده من ذلك، واستخفافه بكل ما كان في أيدي الناس من علم وأدب، واحتقاره له، وقلة اعتداده به، واستطالته على الناس بما عنده منه وكان مع ذلك غلقا سيئ الخلق، رديء الطعمة حتى بلغ من شدة غلقه وحدته أن الصغير من الزلات كان عنده كبيرا، واليسير من السقطات عظيما ثم لم يقدر أحد- وإن كان لطيف المنزلته منه- أن يكون لمن ابتلى عنده بشيء من ذلك شفيعا، وكان دهره كله للناس متهما، ولم يكن يأتمن أحدا على شيء من الأشياء، ولم يكن يكافي على حسن البلاء وإن هو أولى الخسيس من العرف استجزل ذلك، وإن جسر على كلامه في أمر كله فيه رجل لغيره قال له: ما قدر جعلت في هذا الأمر الذي كلمتنا فيه؟ وما أخذت عليه؟ فلم يكن يكلمه في ذلك وما أشبهه إلا الوفود القادمون عليه من قبل ملوك الأمم وإن رعيته إنما سلموا من سطوته ووليته، وما كان جمع من الخلال السيئة يتمسكهم

بمن كان قبل مملكته بالسنة الصالحة وبأدبهم وكانوا لسوء أدبه، ومخافة سطوته، متواصلين متعاونين، وكان من رأيه أن يعاقب كل من زل عنده وأذنب إليه من شدة العقوبة بما لا يستطيع أن يبلغ منه مثله في مده ثلاثمائة.

وكان لذلك لا يقرعه بسوط انتظارا منه للعاقبة له بما ليس وراءه أفضح منه.

وكان إذا بلغه أن أحدا من بطائنه صافى رجلا من أهل صناعته أو طبقته نحاه عن خدمته.

وكان استوزر عند ولايته نرسي حكيم دهره وكان نرسي كاملا في أدبه، فاضلا في جميع مذاهبه، متقدما لأهل زمانه وكانوا يسمونه مهر نرسي ومهر نرسه، ويلقب بالهزار بنده، فأملت الرعية بما كان منه أن ينزع عن أخلاقه، وأن يصلح نرسي منه، فلما استوى له الملك، اشتدت إهانته الأشراف والعظماء، وحمل على الضعفاء، وأكثر من سفك الدماء، وتسلب تسلطا لم يبتل الرعية بمثله في أيامه فلما رأى الوجوه والأشراف انه لا يزداد الا ثايغا في الجور، اجتمعوا فشكوا ما ينزل بهم من ظلمه، وتضرعوا إلى ربهم، وابتهلوا إليه بتعجيل إنقاذهم منه فزعوا أنه كان بجرجان، فرأى ذات يوم في قصره فرسا عاثرا- لم ير مثله في الخيل، في حسن صورة، وتمام خلق- أقبل حتى وقف على باب، فتعجب الناس منه، لأنه كان متجاوز الحال، فأخبر يزدرج خبره، فأمر به أن يسرج ويلجم، ويدخل عليه، فحاول ساسته وصاحب مراكبه إجمامه وإسراجه، فلم يمكن أحدا منهم من ذلك، فأنهي إليه امتناع الفرس عليهم، ففرج ببدنه إلى الموضع الذي كان فيه ذلك الفرس فألجمه بيده، وألقى لبدا على ظهره، ووضع فوقه سرجا، وشد حزامه ولببه فلم يتحرك الفرس بشيء من ذلك، حتى إذا رفع ذنبه ليثفره استدبره الفرس فرمحه على فؤاده رحمة هلك منها مكانه، ثم لم يعاين ذلك الفرس ويقال: إن الفرس ملأ فروجه جريا فلم يدرك ولم

وهما اللتان يقال لهما: القبيلتان، فكان يغزو بهما بلاد الشام ومن لم يدن له من العرب.
 قَالَ: فذكر لنا- والله أعلم- أنه جلس يوما في مجلسه من الخورتق، فأشرف منه على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والأنهار مما يلي المغرب، وعلى الفرات مما يلي المشرق، وهو على متن النجف، في يوم من أيام الربيع، فأعجبه ما رأى من الخضرة والنور والأنهار، فقال لوزيره وصاحبه: هل رأيت مثل هذا المنظر قط! فقال: لا، لو كان يدوم! قَالَ: فما الذي يدوم؟ قَالَ: ما عند الله في الآخرة، قَالَ: فبم ينال ذاك؟ قال: بتركك الدنيا وعبادة الله والتماس ما عنده، فترك ملكه من ليلته ولبس المسوح، وخرج مستخفيا هاربا لا يعلم به، وأصبح الناس لا يعلمون بحاله، فحضروا بابه، فلم يؤذن لهم عليه كما كان يفعل، فلما أبطأ الإذن عليهم، سألوا عنه فلم يجده، وفي ذلك يقول عدي بن زيد العبادي:

٢٠٦٠١٤ ذكر ملك بهرام جور

وتفكر رب الخورتق إذ أشرف ... يوما وللهدي تبصير
 سره حاله وكثرة ما يملك ... والبحر معرض والسدير
 فارعوى قلبه فقال وما غبطة ... حي إلى الممات يصير
 ثم بعد الفلاح والملك والأمة ... وارتهم هناك القبور
 ثم أضخوا كأَنهم ورق جف، ... فألوت به الصبا والدبور
 فكان ملك النعمان إلى أن ترك ملكه وساح في الأرض تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر.
 قَالَ ابن الكلبي: من ذلك في زمن يزدجرد خمس عشرة سنة، وفي زمن بهرام جور بن يزدجرد أربع عشرة سنة.
 وأما العلماء من الفرس بأخبارهم وأمورهم فإنهم يقولون في ذلك ما انا ذاكره
 ذكر ملك بهرام جور

ثم ملك بعد يزدجرد الأثيم ابنه بهرام جور بن يزدجرد الخشن ابن بهرام كرمان شاه بن سابور ذي الأكتاف وذكر أن مولده كان هرمز دروز فروردين ماه، لسبع ساعات مضين من النهار فان أباه يزدجرد دعا ساعه ولد بهرام ممن كان ببابه من المنجمين، فأمرهم بإقامة كتاب مولده وتبينه بيانا يدل على الذي يؤول إليه كل أمره، ففاسوا الشمس ونظروا في مطالع النجوم، ثم أخبروا يزدجرد أن الله مورث بهرام ملك أبيه، وأن رضاعه بغير أرض يسكنها الفرس، وأن من الرأي أن يربى بغير بلاده، فأجال يزدجرد الرأي في دفعه في الرضاع والتربية إلى بعض من ببابه من الروم أو العرب أو غيرهم ممن لم يكن من الفرس، فبدا له في اختيار العرب لتربيته وحضنته، فدعا بالمنذر

ابن النعمان، واستحضنه بهرام، وشرفه وأكرمه، وملكه على العرب، وحباه بمرتبتين سنيتين، تدعى إحداهما: رام ابزود يزدجرد، وتأويله زاد سرور يزدجرد، والأخرى تدعى بمهشت، وتأويلها أعظم الخول، وأمر له بصلة وكسوة بقدر استحقاقه لذلك في منزلته، وأمره أن يسير بهرام إلى بلاد العرب.

فسار به المنذر إلى محلته منها، واختار لرضاعه ثلاث نسوة ذوات أجسام صحيحة، وأذهان ذكية، وآداب رضية، من بنات الأشراف، منهن امرأتان من بنات العرب، وامرأة من بنات العجم، وأمر لهن بما أصلحهن من الكسوة والفرش والمطعم والمشرب وسائر ما احتجن إليه، فتداولن رضاعه ثلاث سنين، وفطم في السنة الرابعة، حتى إذا أتت له خمس سنين، قَالَ للمنذر:

أحضرني مؤدبين ذوي علم، مدربين بالتعليم، ليعلموني الكتابة والرمي والفقه.
 فقال له المنذر: إنك بعد صغير السن، ولم يأن لك أن تأخذ في التعليم، فالزم ما يلزم الصبيان الأحداث، حتى تبلغ من السن ما يطيق التعلم والتأدب، واحضر من يعلمك كل ما سألت تعلمه فقال بهرام للمنذر: أنا لعمرى صغير، ولكن عقلي عقل محتك، وأنت كبير السن وعقلك عقل ضرع.

أما تعلم أيها الرجل، أن كل ما يتقدم في طلبه ينال في وقته، وما يطلب في وقته ينال في غير وقته، وما يفرط في طلبه يفوت فلا ينال! وإن من ولد ملوك، والملك صائر إلي بإذن الله، وأولى ما كلف به الملوك وطلبوه صالح العلم، لأنه لهم زين، ولملكهم ركن به يقوون فعجل علي بمن سألتك من المؤدبين.

فوجه المنذر ساعة سمع مقالة بهرام هذه إلى باب الملك من أتاه برهط من فقهاء الفرس، ومعلبي الرمي والفروسية ومعلبي الكّابة وخاصة ذوى الأدب، وجمع له حكماء من حكماء فارس والروم، ومحدثين من العرب، فألزمهم بهرام، ووقت لأصحاب كل مذهب من تلك المهن وقتا يأتونه فيه، وقدر

لهم قدرا يفيدونه ما عندهم، فتفرغ بهرام لتعلم كل ما سأل أن يتعلم، وللإستماع من أهل الحكمة وأصحاب الحديث، ووعى كل ما استمع، وثقف كل ما علم بأيسر تعليم وألقى بعد أن بلغ اثنتي عشرة سنة، وقد استفاد كل ما أفيد وحفظه، وفاق معلميه ومن حضره من أهل الأدب، حتى اعترفوا له بفضلهم عليهم.

وأثاب بهرام المنذر ومعلميه، وأمرهم بالانصراف عنه، وأمر معلبي الرمي والفروسية بالإقامة عنده، ليأخذ عنهم كل ما ينبغي له التدرب به، والإحكام له، ثم دعا بهرام بالنعمان بن المنذر، وأمره أن يؤذن العرب بإحضار خيلهم من الذكور والإناث على أنسابها، فأذن النعمان للعرب بذلك، وبلغ المنذر الذي كان من رأي بهرام في اختيار الخيل لمركبه، فقال لبهرام: لا تجشمن العرب إجراء خيلهم، ولكن مر من يعرض الخيل عليك، واختر منها رضاك، وارتبطه لنفسك فقال له بهرام: قد أحسنت القول، ولكني أفضل الرجال سؤددا وشرفا، وليس ينبغي أن يكون مركبي إلا أفضل الخيل، وإنما يعرف فضل بعضها على بعض بالتجربة، ولا تجربة بلا إجراء.

فرضي المنذر مقالته، وأمر النعمان العرب فأحضروا خيولهم، وركب بهرام والمنذر لحضور الحلبة، وسرحت الخيل من فرسخين، فبدر فرس أشقر للمنذر تلك الخيل جميعا سابقا، ثم أقبل بعده بقيتها بداد بداد من بين فرسين تالينين، أو ثلاثة موزعة، أو سكيئا فقرب المنذر بيده ذلك الأشقر إلى بهرام، وقال: يبارك الله لك فيه، فأمر بهرام بقبضه وعظم سروره به، وتشكر للمنذر.

وإن بهرام ركب ذات يوم الفرس الأشقر الذي حمله عليه المنذر إلى الصيد، فبصر بعانة، فرمى عليها وقصد نحوها، فإذا هو بأسد قد شد على

عير كان فيها، فتناول ظهره بفيه ليقصمه ويفترسه، فرماه بهرام رمية في ظهره، فنفذت النشابة من بطنه وظهر العير وسرته حتى أفضت إلى الأرض.

فساخت فيها إلى قريب من ثلثيها، فتحرك طويلا، وكان ذلك بمشهد ناس من العرب وحرس بهرام وغيرهم فأمر بهرام فصور ما كان منه في أمر الأسد والعير في بعض مجالسه.

ثم إن بهرام أعلم المنذر أنه على الإلمام بأبيه، فشخص إلى أبيه، وكان أبوه يزدرج لسوء خلقه لا يحفل بولد له، فاتخذ بهرام للخدمة، فلقني بهرام من ذلك عناء.

ثم أن يزدرج وفد عليه أخ لقيصر، يقال له: ثيادوس، في طلب الصلح والهدنة لقيصر والروم، فسأله بهرام أن يكلم يزدرج في الإذن له في الانصراف إلى المنذر، فانصرف إلى بلاد العرب، فاقبل على التمتع والتلذذ.

وهلك أبوه يزدرج وبهرام غائب، فتعاقد ناس من العظماء وأهل البيوتات الا يملكوا أحدا من ذرية يزدرج لسوء سيرته، وقالوا: إن يزدرج لم يخلف ولدا يحتمل الملك غير بهرام، ولم يل بهرام ولاية قط يبلى بها خبره، ويعرف بها حاله، ولم يتأدب بأدب العجم، وإنما أدبه أدب العرب، وخلقته نكلقهم، لنشئه بين أظهرهم واجتمعت كلمتهم وكلمة العامة على صرف الملك عن بهرام إلى رجل من عترة أردشير بن بابك، يقال له كسرى، ولم يقيموا أن ملكوه فاتته هلاك يزدرج والذي كان من تملكهم كسرى إلى بهرام وهو ببادية العرب، فدعا بالمنذر والنعمان ابنه، وناس من علية العرب، وقال لهم: إني لا أحسبكم تجحدون خصيصي والدي، كان أتاكم معشر العرب بإحسانه وإنعامه كان عليكم، مع فظاظته وشدته كانت على الفرس، وأخبرهم بالذي أتاه من نعي أبيه، وتمليك الفرس من ملكوا عن مشاور منهم في ذلك.

فقال المنذر: لا يهولنك ذلك حتى الطف الحيلة فيه وإن المنذر

جهز عشرة آلاف رجل من فرسان العرب، ووجههم مع ابنه إلى طيسبون وبهاردشير مدينتي الملك، وأمره أن يعسكر قريبا منهما، ويدمن إرسال طلائعه إليهما، فإن تحرك أحد لقتاله قاتله وأغار على ما والاها، وأسر وسبي، ونهاه عن سفك الدماء فصار النعمان حتى نزل قريبا من المدينتين، ووجه طلائعه إليهما، واستعظم قتال الفرس وإن من الباب من العظماء وأهل البيوتات أوفدوا جواني صاحب رسائل يزدجرد إلى المنذر، وكتبوا إليه يعلمونه أمر النعمان، فلما ورد جواني على المنذر وقرأ الكتاب الذي كتب إليه، قال له: التى الملك بهرام، ووجه معه من يوصله إليه فدخل جواني على بهرام فراه ما رأى من وسامته وبهائه، وأغفل السجود دهشا، فعرف بهرام أنه إنما ترك السجود لما رآه من روائه، فكلمه بهرام، ووعدته من نفسه أحسن الوعد، وردته إلى المنذر، وأرسل إليه أن يجيب في الذي كتب، فقال المنذر لجواني:

قد تدبرت الكتاب الذي أتيتني به، وإنما وجه النعمان إلى ناحيتكم الملك بهرام حيث ملكه الله بعد أبيه، وخوله إياكم. فلما سمع جواني مقالة المنذر، وتذكر ما عين من رواء بهرام وهيبته عند نفسه، وإن جميع من شاور في صرف الملك عن بهرام مخصوم محجوج، قال للمنذر: إني لست محيرا جوابا، ولكن سر إن رأيت إلى محلة الملوك فيجتمع إليك من بها من العظماء وأهل البيوتات، وتشاوروا في ذلك.

وأت فيه ما يجمل، فإنهم لن يخالفوك في شيء مما تشير به.

فرد المنذر جواني إلى من أرسله إليه، واستعد وسار بعد فصول جواني من عنده يوم بهرام في ثلاثين ألف رجل من فرسان العرب وذوي البأس والنجدة منهم إلى مدينتي الملك، حتى إذا وردهما، أمر فجمع الناس، وجلس بهرام على منبر من ذهب مكلل بجوهر، وجلس المنذر عن يمينه،

وتكلم عظماء الفرس وأهل البيوتات، وفرشوا للمنذر بكلامهم فظاظة يزدجرد أبي بهرام كانت، وسوء سيرته، وإنه أخرب بسوء رأيه الأرض، وأكثر القتل ظلما، حتى قد قتل الناس في البلاد التي كان يملكها، وأمورا غير ذلك فظيعة وذكروا أنهم إنما تعاقدوا وتوثقوا على صرف الملك عن ولد يزدجرد لذلك، وسألوا المنذر ألا يجبرهم في أمر الملك على ما يكرهونه.

فوعى المنذر ما بثوا من ذلك، وقال لبهرام: أنت أولى بإجابة القوم مني فقال بهرام: إني لست أكذبكم معشر المتكلمين في شيء مما نسبتم إليه يزدجرد لما استقر عندي من ذلك، ولقد كنت زاريا عليه لسوء هديه، ومنتكبا لطريقه ودينه، ولم أزل أسأل الله أن يمن علي بالملك، فأصلح كل ما أفسد، وأرأب ما صدع، فإن أتت للملكي سنة ولم أف لكم بهذه الأمور التي عدت لكم تبرأت من الملك طائعا، وقد أشهدت بذلك علي الله وملائكته وموبدان موبذ وليكن هو فيها حكما بيني وبينكم وأنا مع الذي بينت على ما أعلمكم من رضاي بتليكم من تناول التاج والزينة، من بين أسدين ضارين مشبلين، فهو الملك.

فلما سمع القوم مقالة بهرام هذه، وما وعد من نفسه، استبشروا بذلك، وانبسطت آمالهم، وقالوا فيما بينهم: إنا لسنا نقدر على رد قول بهرام، مع أننا إن تمنا على صرف الملك عنه نخوف أن يكون في ذلك هلاكنا لكثرة من استمد واستجاش من العرب، ولكنا نمتحنه بما عرض علينا مما لم يدعه إليه إلا ثقة بقوته وبطشه وجراته، فإن يكن على ما وصف به نفسه، فليس لنا رأي إلا تسليم الملك إليه، والسمع والطاعة له، وإن يهلك ضعفا ومعجزة، فنحن من هلكته برآء، ولشره وغائلته آمنون.

وتفرقوا على هذا الرأي، فعاد بهرام بعد أن تكلم بهذا الكلام، وجلس كمجلسه الذي كان فيه بالأمس، وحضره من كان يحاده فقال لهم: إما

أن تجيبوني فيما تكلمت أمس، وإما أن تسكتوا باخعين لي بالطاعة.

فقال القوم: أما نحن، فقد اخترنا لتدبير الملك كسرى، ولم نرمه إلا ما نحب، ولكنا قد رضينا مع ذلك أن يوضع التاج والزينة كما ذكرت بين أسدين، وتنازعانها أنت وكسرى، فأيكما تناولها من بينهما، سلمنا له الملك.

فرضي بهرام بمقاتلتهم، فأتى بالتاج والزينة موبدان موبذ، الموكل كان بعقد التاج على رأس كل ملك يملك، فوضعهما في ناحية، وجاء بسطام إصبيذ، بأسدين ضارين مجموعين مشبلين، فوقف أحدهما عن جانب الموضع الذي وضع فيه التاج والزينة، والآخر بجذائه،

وأرخی وثاقهما، ثم قال بهرام لكسرى: دونك التاج والزينة فقال كسرى: أنت أولى بالبدء وبتناولهما مني، لأنك تطلب الملك بوراثه، وأنا فيه مغتصب فلم يكره بهرام قوله، لثقتة كانت ببطشه وقوته، وحمل جزاء، وتوجه نحو التاج والزينة، فقال له موبدان موبذ: استماتك في هذا الأمر الذي أقدمت عليه، إنما هو تطوع منك، لا عن رأي أحد من الفرس، ونحن برآء إلى الله من إتلافك نفسك.

فقال بهرام: أنتم من ذلك برآء، ولا وزر عليكم فيه ثم أسرع نحو الأسدین، فلما رأى موبدان موبذ جده في لقاءهما، هتف به وقال: بيج بذنوبك، وتب منها، ثم أقدم إن كنت لا محالة مقدما، فباح بهرام بما سلف من ذنوبه، ثم مشى نحو الأسدین، فبدر إليه أحدهما، فلما دنا من بهرام وثب وثبة، فعلا ظهره، وعصر جنبي الأسد بفخذه عصرا اثخنه، وجعل يضرب على رأسه بالجرز الذي كان حمل، ثم شد الأسد الآخر عليه، فقبض على أذنيه، وعركهما بكلتا يديه، فلم يزل يضرب رأسه برأس الأسد الذي كان راكمه حتى دمغهما ثم قتلهما كليهما على رأسهما بالجرز الذي كان حمله: وكان ذلك من صنيعه بمراى من كسرى ومن حضر ذلك الحفل

فتناول بهرام بعد ذلك التاج والزينة، فكان كسرى أول من هتف به، وقال: عمرك الله بهرام! الذى من حوله سامعون، وله مطيعون، ورزقه ملك أقاليم الأرض السبعة ثم هتف به جميع الحضر، وقالوا: قد أذعنا للملك بهرام، وخضعنا له ورضينا به ملكا وأكثروا الدعاء له وإن العظماء وأهل البيوتات وأصحاب الولايات والوزراء لقوا المنذر بعد ذلك اليوم، وسألوه أن يكلم بهرام في التغمد لإساءتهم في أمره، والصفح والتجاوز عنهم، فكلم المنذر بهرام فيما سأله من ذلك، واستوهبه ما كان احتمال عليهم في نفسه، فأسعفه بهرام فيما سأل، وبسط آمالهم.

وإن بهرام ملك وهو ابن عشرين سنة، وأمر من يومه ذلك أن يلزم رعيته راحة ودعة، وجلس للناس بعد ذلك سبعة أيام متوالية، يعدهم الخير من نفسه، ويأمرهم بتقوى الله وطاعته.

ثم لم يزل بهرام حيث ملك مؤثرا للهو على ما سواه، حتى كثرت ملامة رعيته إياه على ذلك، وطمع من حوله من الملوك في استباحة بلاده، والغلبة على ملكه، وكان أول من سبق إلى المكاثرة له عليه خاقان ملك الترك، فإنه غزاه في مائتين وخمسين ألف رجل من الترك، فبلغ الفرس اقبال خاقان في جمع عظيم إلى بلادهم، فتعاضمهم ذلك وهالهم، ودخل عليه من عظمائهم أناس لهم رأي أصيل، وعندهم نظر للعامة، فقالوا له: إنه قد ازمك أيها الملك من بائنة هذا العدو ما قد شغلك عما أنت عليه من اللهو والتلذذ، فتأهب له كيلا يلحقنا منه أمر يلزمك فيه مسبة وعار فقال لهم بهرام: إن الله ربنا قوي ونحن أولياؤه ولم يزد إلا مثابة على اللهو والتلذذ والصيد.

وانه تجهز فسار إلى أذربيجان لينسك في بيت نارها، ويتوجه منها إلى أرمينية، ويطلب الصيد في آجامها، ويلهو في مسيره في سبعة رهط من العظماء وأهل البيوتات، وثلاثمائة رجل من رابطة ذوي بأس ونجدة، واستخلف أخاه يسمى نرسي على ما كان يدبر من ملكه فلم يشك الناس حين بلغهم مسير بهرام فيمن سار واستخلفه أخاه على ما استخلف في أن ذلك هرب من عدوه، وإسلام للملك، وتآمروا في إنفاذ وفد إلى خاقان، والإقرار له بالخراج، مخافة منه لاستباحة بلادهم، واصطلامه مقاتلتهم إن هم لم يدعوا له بذلك.

فبلغ خاقان الذي أجمع عليه الفرس من الانقياد والخضوع له، فآمن ناحيتهم، وأمر جنده بالتورع، فأتى بهرام عين كان وجهه ليأتيه بخبر خاقان، فأخبره بأمر خاقان وعزمه، فسار إليه بهرام في العدة الذين كانوا معه فبيته، وقتل خاقان بيده، وأفشى القتل في جنده، وانهمز من سلم من القتل منهم، ومنحوه أكثافهم، وخلفوا عسكرهم وذرايرهم وأثقالهم، وأمعن بهرام في طلبهم يقتلهم ويحوي ما غنم منهم، ويسبي ذرايرهم وانصرف وجنده سالمين، وظفر بهرام بتاج خاقان وإكليله، وغلب على بلاده من بلاد الترك، واستعمل على ما غلب عليه منها مرزبانا حباه سريرا من فضة، وأتاه أناس من أهل البلاد المتاخمة لما غلب عليه من بلاد الترك خاضعين باخعين له بالطاعة، وسألوه أن يعلمهم حد ما بينه وبينهم فلا يتعدوه، فحد لهم حدا، وأمر فبنيت منارة، وهي المنارة التي أمر بها فيروز الملك ابن يزدجرد، فقدمت إلى بلاد الترك، ووجه بهرام قائدا من قواده إلى ما وراء النهر منهم، وأمره بقتالهم فقاتلهم وأنهم، حتى أقروا لبهرام بالعبودية وأداء الجزية.

وإن بهرام انصرف إلى أذربيجان، راجعا إلى محلته من السواد، وأمر بما كان في إكليل خاقان من ياقوت أحمر وسائر الجواهر، فعلق

على بيت نار أذربيجان، ثم سار وورد مدينة طيسبون، فنزل دار المملكة بها، ثم كتب إلى جنده وعماله بقتله خاقان، وما كان من أمره وأمر جنده ثم ولى أخاه نرسي خراسان، وأمره أن يسير إليها وينزل بلخ، وتقدم إليه بما أراد.

ثم إن بهرام سار في آخر ملكه إلى ماه للصيد بها، فركب ذات يوم للصيد، فشد على عير، وأمعن في طلبه، فارتطم في جب، فغرق، فبلغ والدته فسارت إلى ذلك الجب بأموال عظيمة، وأقامت قريبة منه، وأمرت بإنفاق تلك الأموال على من يخرج منه، فنقلوا من الجب طينا كثيرا وحماه، حتى جمعوا من ذلك أكاما عظاما، ولم يقدرُوا على جثة بهرام.

وذكر أن بهرام لما انصرف إلى مملكته من غزوه الترك، خطب أهل مملكته أياما متوالية، حثهم في خطبته على لزوم الطاعة، وأعلمهم أن نيته التوسعة عليهم، وإيصال الخير إليهم، وإنهم إن زالوا عن الاستقامة نالهم من غلظته أكثر مما كان نالهم من أبيه، وإن أباه كان افتتح أمرهم باللين والمعدلة، فجدوا ذلك أو من جنده منهم، ولم يخضعوا له خضوع الخول والعبيد للملوك فأصاره ذلك إلى الغلظة وضرب الأبطال وسفك الدماء وإن انصراف بهرام من غزوه ذلك كان على طريق أذربيجان، وإنه نحل بيت نار الشيز ما كان في إكليل خاقان من اللواقيت والجوهر وسيفا كان لخاقان مفصصا بدر وجوهر وحلية كثيرة، وأخدمه خاتون امرأة خاقان، ورفع عن الناس الخراج لثلاث سنين شكرا على ما لقي من النصر في وجهه، وقسم في الفقراء والمساكين مالا عظيما، وفي البيوتات وذوي الأحساب عشرين ألف ألف درهم، وكتب بخبر خاقان إلى الآفاق كتبا، يذكر فيها أن الخبر ورد عليه بورود خاقان بلاده وإنه مجد الله وعظمه وتوكل عليه، وسار نحوه في سبعة رهط من أهل البيوتات، وثلاثمائة فارس من نخبة رابطته على طريق أذربيجان وجبل القبق، حتى نفذ على براري خوارزم ومفاوزها، فابلاه.

الله أحسن بلاء، وذكر لهم ما وضع عنهم من الخراج، وكان كتابه في ذلك كتابا بليغا. وقد كان بهرام حين أفضى إليه الملك أمر أن يرفع عن أهل الخراج البقايا التي بقيت عليهم من الخراج، فأعلم أن ذلك سبعون ألف ألف درهم، فأمر بتركها وبترك ثلث خراج السنة التي ولي فيها.

وقيل إن بهرام جور لما انصرف إلى طيسبون من مغزاه خاقان التركي، ولى نرسي أخاه خراسان، وأنزله بلخ، واستوزر مهر نرسي بن برازه، وخصه وجعله بزرجمردار، وأعلمه أنه ماض إلى بلاد الهند، ليعرف أخبارها، والتلطف لحيازة بعض مملكة أهلها إلى مملكته، لينخف بذلك بعض مئونة عن أهل مملكته، وتقدم إليه بما أراد التقدم إليه فيما خلفه عليه إلى أوان انصرافه، وإنه شخص من مملكته حتى دخل أرض الهند متكررا، فكث بها حين لا يسأله أحد من أهلها عن شيء من أمره غير ما يرون من فروسيته وقتله السباع، وجماله وكمال خلقه ما يعجبون منه فلم يزل كذلك حتى بلغه أن في ناحية من أرضهم فيلا قد قطع السبل، وقتل ناسا كثيرا، فسأل بعضهم أن يدلّه عليه ليقتله، وانتهى أمره إلى الملك فدعا به، وأرسل معه رسولا ينصرف إليه بخبره فلما انتهى بهرام والرسول إلى الأجمة التي فيها الفيل، رقى الرسول إلى شجرة لينظر إلى صنع بهرام ومضى بهرام ليستخرج الفيل، فصاح به، فخرج إليه مزبدا وله صوت شديد، ومنظر هائل، فلما قرب من بهرام رماه رمية وقعت بين عينيه حتى كادت تغيب، ووقده بالنشاب، حتى بلغ منه، ووثب عليه فأخذه بمشفره، فاجتذبه جذبة جثا لها الفيل على ركبتيه، فلم يزل يطعنه حتى أمكن من نفسه، فاحتز رأسه وحمله على ظهره حتى أخرجه إلى الطريق، ورسول الملك ينظر إليه فلما انصرف الرسول اقتص خبره على الملك، فعجب من شدته وجراته، وحباه حباء عظيما، واستفهمه أمره فقال له بهرام: أنا رجل من عظماء الفرس، وكان

ملك فارس سخط علي في شيء فهربت منه إلى جوارك، وكان لذلك الملك عدو قد نازعه ملكه، وسار إليه بجنود عظيمة، فاشتد وجل الملك صاحب بهرام منه لما كان يعرف من قوته، وأراد على الخضوع له وحمل الخراج إليه، وهم صاحب بهرام بإجابته إلى ذلك، فنهاه بهرام عن ذلك، وضمن له كفاية أمره، فسكن إلى قوله، وخرج بهرام مستعدا له، فلما التقوا قال لاساوره الهند: احرسوا ظهري ثم حمل عليهم فجعل يضرب الرجل على رأسه فتنتهي ضربته إلى فمه، ويضرب وسط الرجل فيقطعه باثنين، ويأتي الفيل فيقد مشفره بالسيف، ويحتمل الفارس عن سرجه - والهند قوم لا يحسنون الرمي، وأكثرهم رجالة لا دواب لهم - وكان بهرام إذا رمى أحدهم أنفذ

السهم فيه، فلما عاينوا منه ما عاينوا، ولوا منهزمين لا يلوون على شيء، وغنم صاحب بهرام ما كان في عسكر عدوه، وانصرف محبورا مسرورا، ومعه بهرام، فكان في مكافاته إياه إن أنكحه ابنته، ونحله الديبل ومكران وما يليها من أرض السند، وكتب له بذلك كتابا، وأشهد له على نفسه شهودا، وأمر بتلك البلاد حتى ضمت إلى أرض العجم، وحمل خراجها إلى بهرام، وانصرف بهرام مسرورا. ثم انه اغزى مهر نرسی بن برازة بلاد الروم في أربعين ألف مقاتل، وأمره أن يقصد عظيمها، وينظره في أمر الإتاوة وغيرها، مما لم يكن يقوم بمثله إلا مثل مهر نرسی، فتوجه في تلك العدة، ودخل القسطنطينية، وقام مقاما مشهورا، وهادنه عظيم الروم، وانصرف بكل الذي أراد بهرام، ولم يزل لمهر نرسی مكرما، وربما خفف اسمه فليل مهر نرسی وربما قيل مهر نرسه، وهو مهر نرسی بن برازة بن فرخزاد بن خورهباز بن سيسفاذ ابن سيسنابروه بن كي أشك بن دارا بن دارا بن بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب. وكان مهر نرسی معظما عند جميع ملوك فارس بحسن أدبه، وجودة آرائه، وسكون العامة إليه، وكان له أولاد مع ذلك قد قاربوه في القدر، وعملوا للملوك من الأعمال ما كادوا يلحقون بمرتبتهم، وإن منهم ثلاثة قد كانوا برزوا:

أحدهم زروانداز، كان مهر نرسی قصد به للدين والفقه، فأدرك من ذلك أمرا عظيما، حتى صيره بهرام جور هربزان هربذ، مرتبة شبيهة بمرتبة موبدان موبذ وكان يقال للآخر: ما جشنس، ولم يزل متوليا ديوان الخراج أيام بهرام جور وكان اسم مرتبته بالفارسية راستراي وشانسلان وكان الثالث اسمه كارد صاحب الجيش الأعظم، واسم مرتبته بالفارسية اسطران سلار، وهذه مرتبة فوق مرتبة الإصبهذ تقارب مرتبة الأرجبذ، وكان اسم مهر نرسی بمرتبته بالفارسية بزرجماندار، وتفسيره بالعربية وزير الوزراء أو رئيس الرؤساء وقيل إنه كان من قرية يقال لها ابروان من رستاق دشتبارين من كورة أردشير خرة، فابتنى فيه وفي جره من كورة سابور لاتصال ذلك ودشتبارين أبنية رفيعة، واتخذ فيها بيت نار- هو باق فيما ذكر إلى اليوم وناره توقد إلى هذه الغاية- يقال لها مهر نرسیان، واتخذ بالقرب من ابروان أربع قرى، وجعل في كل واحدة منها بيت نار، فجعل واحدا منها لنفسه، وسماه فراز مرا آور خذايان، وتفسير ذلك: اقبلي إلي سيدتي، على وجه التعظيم للنار، وجعل الآخر لزراونداز، وسماه زراوندادان، والآخر لكارد وسماه كاردادان، والآخر لما جشنس، وسماه ماجشنسغان، واتخذ في هذه الناحية ثلاث باغات، جعل في كل باغ منها اثنتي عشرة ألف نخلة، وفي باغ اثني عشر ألف اصل زيتون، وفي باغ اثنتي عشرة ألف سروة، ولم تزل هذه القرى والباغات وبيوت النيران في يد قوم من ولده معروفين إلى اليوم، وإن ذلك- فيما ذكر- إلى اليوم باق على أحسن حالته.

وذكر أن بهرام بعد فراغه من أمر خاقان وأمر ملك الروم، مضى إلى بلاد السودان من ناحية اليمن، فأوقع بهم، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وسبى منهم خلقا، ثم انصرف إلى مملكته ثم كان من أمر هلاكه ما قد وصفنا. واختلفوا في مدة ملكه، فقال بعضهم: كان ملكه ثمانين سنة وعشرة

٢٠٦٠١٥ ذكر ملك يزدرج بن بهرام جور

أشهر وعشرين يوما وقال آخرون كان ملكه ثلاثا وعشرين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما
ذكر ملك يزدرج بن بهرام جور

ثم قام بالملك من بعده يزدرج بن بهرام جور فلما عقد التاج على رأسه دخل عليه العظماء والأشراف، فدعوا له وهنثوه بالملك، فرد عليهم ردا حسنا، وذكر أباه ومناقبه، وما كان منه إلى الرعية، وطول جلوسه كان لها، وأعلمهم أنهم إن فقدوا منه مثل الذي كانوا يعهدونه من أبيه، فلا ينبغي لهم أن يستنكروه، فإن خلواته انما تكون في مصلحه للمملكة وكيد للأعداء، وأنه قد استوزر مهر نرسی بن برازة صاحب أبيه، وإنه سائر فيهم بأحسن السيرة، ومستن لهم أفضل السنن، ولم يزل قامعا لعدوه، رءوفا برعيته وجنوده، محسنا إليهم. وكان له ابنان: يقال لأحدهما هرمز، وكان ملكا على سجستان، والآخر يقال له فيروز، فغلب هرمز على الملك من بعد هلاك أبيه يزدرج، فهرب فيروز منه ولحق ببلاد الهياطلة، وأخبر ملكها بقصته وقصة هرمز أخيه، وإنه أولى بالملك منه، وسأله أن يمدده بجيش يقاتل بهم هرمز، ويحتوي على ملك أبيه، فأبى ملك الهياطلة أن يجيبه إلى ما سأل من ذلك، حتى أخبر أن هرمز ملك ظلوم جائر فقال ملك

الهياطلة: إن الجور لا يرضاه الله، ولا يصلح عمل أهله، ولا يستطيع أن ينتصف ويحترف في ملك الملك الجائر إلا بالجور والظلم فأمد فيروز بعد أن دفع إليه الطالقان بجيش، فأقبل بهم وقاتل هرمز أخاه فقتله، وشتت جمعه، وغلب على الملك. وكان الروم التاثوا على يزدجرد بن بهرام في الخراج الذي كانوا يحملونه إلى أبيه، فوجه إليهم مهر نرسي بن برازة، في مثل العدة التي كان بهرام وجهه إليهم عليها، فبلغ له إرادته

٢٠٦٠١٦ ذكر ملك فيروز بن يزدجرد

وكان ملك يزدجرد ثمانى عشرة سنة وأربعة أشهر في قول بعضهم.

وفي قول آخرين سبع عشرة سنة

. ذكر ملك فيروز بن يزدجرد

ثم ملك فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور، بعد أن قتل أخاه وثلاثة نفر من أهل بيته.

وحدثت عن هشام بن محمد، قال: استعد فيروز من خراسان، واستنجد بأهل طخارستان وما يليها، وسار إلى أخيه هرمز بن يزدجرد، وهو بالري- وكانت أمهما واحدة، واسمها دينك، وكانت بالمداين تدبر ما يليها من الملك- فظفر فيروز بأخيه فخبسه، وأظهر العدل وحسن السيرة، وكان يتدين، وقط الناس في زمانه سبع سنين، فأحسن تدبير ذلك الأمر حتى قسم ما في بيوت الأموال، وكف عن الجباية، وساسهم أحسن السياسة، فلم يهلك في تلك السنين أحد ضياعا إلا رجل واحد.

وسار إلى قوم كانوا قد غلبوا على طخارستان يقال لهم الهياطلة، وقد كان قوادهم في أول ملكة لمعونتهم إياه على أخيه، وكانوا- فيما زعموا- يعملون عمل قوم لوط، فلم يستحل ترك البلاد في أيديهم، فقاتلهم فقتلوه في المعركة، وأربعة بنين له، وأربعة أخوة، كلهم كان يتسمى بالملك، وغلبوا على عامة خراسان حتى سار إليهم رجل من أهل فارس يقال له سوخرا من أهل شيراز، وكان فيهم عظيما، فخرج فيمن تبعه شبه المحتسب المتطوع حتى لقي صاحب الهياطلة، فأخرجه من بلاد خراسان، فافترقا على الصلح، ورد ما لم يضع مما في عسكر فيروز من الإسرائ والسبي وملك سبعا وعشرين سنة.

وقال غير هشام من أهل الأخبار: كان فيروز ملكا محدودا محارفا مشثوما على رعيته، وكان جل قوله وفعله فيما هو ضرر وآفة عليه وعلى أهل مملكته وأن البلاد قحطت في ملكه سبع سنين متوالية، فغارت الأنهار والقنى والعيون، وحلت الأشجار والغياض، وهاجت عامة الزروع

والأجام في السهل والجبل من بلاده، وموت فيها الطير والوحوش، وجاعت الأنعام والدواب، حتى كانت لا تقدر أن تحمل حمولة، وقل ماء دجلة، وعم أهل بلاده اللزبات والمجاعة والجهد والشدائد.

فكتب إلى جميع رعيته يعلمهم انه لا خراج عليهم ولا جزية، ولا نائبة ولا سخرة، وأن قد ملكهم أنفسهم، ويأمرهم بالسعي فيما يقوتهم ويقيمهم، ثم أعاد الكتاب إليهم في اخراج كل من كان له منهم مطموره أو هري أو طعام أو غيره، مما يقوت الناس، والتأسي فيه، وترك الاستئثار فيه، وأن يكون حال أهل الغنى والفقر وأهل الشرف والضعفة في التأسي واحدا.

وأخبرهم أنه إن بلغه أن إنسيا مات جوعا عاقب أهل المدينة، أو أهل القرية، أو الموضع الذي يموت فيه ذلك الإنسي جوعا، ونكل بهم أشد النكال.

فساس فيروز رعيته في تلك اللزبة والمجاعة سياسة لم يعط أحد منهم جوعا، ما خلا رجلا واحدا من رستاق كورة اردشير خرة، يدعى بديه فتعظم ذلك عظماء الفرس، وجميع أهل اردشير خرة وفيروز، وإنه ابتل إلى ربه في نشر رحمته له ولرعيته، وإنزال غيثة عليهم، فأغاثه الله، وعادت بلاده في كثرة المياه على ما كانت تكون عليه، وصلحت الأشجار.

وإن فيروز أمر فبنيت بالري مدينة، وسماها رام فيروز، وفيما بين جرجان وباب صول مدينة، وسماها روشن فيروز، وبناحيه اذريجان مدينة وسماها شهرام فيروز

ولما حيت بلاد فيروز، واستوثق له الملك، وأثنى في أعدائه وقهرهم، وفرغ من بناء هذه المدن الثلاث، سار بجنوده نحو خراسان مریدا حرب اخشنوار ملك الهياطلة، فلما بلغ اخشنوار خبره اشتد منه رعبه فذكر أن رجلا من أصحاب اخشنوار بذل له نفسه، وقال له: اقطع يدي ورجلي، وألقني على طريق فيروز، وأحسن إلى ولدي وعيالي- يريد بذلك فيما ذكر الاحتيا لفيروز- ففعل ذلك اخشنوار بذلك الرجل، وألقاه على طريق فيروز، فلما مر به أنكر حاله وسأله عن أمره، فأخبره أن اخشنوار فعل ذلك به لأنه قال له: لا قوام لك بفيزوز وجنود الفرس فرق له فيروز ورحمه، وأمر بحمله معه، فأعلمه على وجه النصيح منه له- فيما زعم- أنه يدلّه وأصحابه على طريق مختصر لم يدخل إلى ملك الهياطلة منه أحد، فاغتر فيروز بذلك منه، وأخذ بالقوم في الطريق الذي ذكره له الأقطع، فلم يزل يقطع بهم مفازة بعد مفازة، فكلما شكوا عطشا أعلهم أنهم قد قربوا من الماء ومن قطع المفازة، حتى إذا بلغ بهم موضعا علم أنهم لا يقدرّون فيه على تقدم ولا تأخر، بين لهم أمره، فقال أصحاب فيروز لفيروز: قد كنا حذرناك هذا أيها الملك فلم تحذر، فأما الآن فلا بد من المضي قدما حتى نوافي القوم على الحالات كلها فمضوا لوجههم، وقتل العطش أكثرهم، وصار فيروز بمن نجا معه إلى عدوهم، فلما أشرفوا عليهم على الحال التي هم فيها دعوا اخشنوار إلى الصلح، على أن يخلي سبيلهم، حتى ينصرفوا إلى بلادهم، على أن يجعل فيروز له عهد الله وميثاقه الا يغزوهم ولا يروم أرضهم، ولا يبعث إليهم جندا يقاتلونهم، ويجعل بين مملكتهما حدا لا يجوزّه فرضي اخشنوار بذلك، وكتب له به فيروز كتابا محتوما، وأشهد له على نفسه شهودا، ثم خلى سبيله وانصرف.

فلما صار إلى مملكته حمله الأنف والحمة على معاودة اخشنوار، فغزاه بعد أن نهاء وزراؤه وخاصته عن ذلك، لما فيه من نقض العهد، فلم يقبل منهم

وأبى إلا ركوب رأيه، وكان فيمن نهاء عن ذلك رجل كان يخصه ويحتج رأيه، يقال له مزدبوذ، فلما رأى مزدبوذ لجأته، كتب ما دار بينهما في صحيفة، وسأله الختم عليها، ومضى فيروز لوجهه نحو بلاد اخشنوار، وقد كان اخشنوار حفر خندقا بينه وبين بلاد فيروز عظيما، فلما انتهى إليه فيروز عقد عليه القناطر، ونصب عليها رايات جعلها أعلاما له ولأصحابه في انصرافهم، وجاز الى القوم، فلما التقى بعسكرهم احتج عليه اخشنوار بالكتاب الذي كتبه له، ووعظه بعهد وميثاقه، فأبى فيروز إلا للجأ ومحا وتواقفا، فكلّم كل واحد منهما صاحبه كلاما طويلا، ونشبت بينهما بعد ذلك الحرب، وأصحاب فيروز على فتور من أمرهم، للعهد الذي كان بينهم وبين الهياطلة، وأخرج اخشنوار الصحيفة التي كتبها له فيروز، فرفعها على رمح وقال: اللهم خذ بما في هذا الكتاب فانهم فيروز وسها عن موضع الرايات، وسقط في الخندق، فهلك، وأخذ اخشنوار أثقال فيروز ونساء وأمواله ودواوينه، وأصاب جند فارس شيء لم يصيبهم مثله قط وكان بسجستان رجل من أهل كورة اردشير خرة من الأعاجم، ذو علم وبأس وبطش، يقال له: سوخرا، ومعه جماعة من الاساورة، فلما بلغه خبر فيروز ركب من ليلته، فأغذ السير حتى انتهى إلى اخشنوار، فأرسل إليه وآذنه بالحرب، وتوعده بالجائحة والبور، فبعث إليه اخشنوار جيشا عظيما فلما التقوا ركب إليهم سوخرا فوجدهم مدلين، فيقال: إنه رمى بعض من ورد عليه منهم رمية فوقعت بين عيني فرسه حتى كادت النشابة تغيب في رأسه، فسقط الفرس وتمكن سوخرا من راحبه، فاستبقاه وقال له:

انصرف إلى صاحبك فأخبره بما رايت، فانصرفوا الى اخشنوار، وحملوا الفرس معهم، فلما رأى أثر الرمية بهت وأرسل إلى سوخرا: أن سل حاجتك، فقال له: حاجتي أن ترد علي الديوان، وتطلق الأسرى ففعل ذلك، فلما صار الديوان في يده، واستنفذ الأسرى، استخرج من الديوان بيوت الأموال التي كانت

مع فيروز، فكتب إلى اخشنوار إنه غير منصرف إلا بها فلما تبين الجدد، افتدى نفسه وانصرف سوخرا بعد استنقاذ الأسارى وأخذ الديوان وارتجاع الأموال، وجميع ما كان مع فيروز من خزائنه إلى أرض فارس، فلما صار إلى الأعاجم شرفوه وعظموا أمره، وبلغوا به من المنزلة ما لم يكن بعده إلا الملك.

وهو سوخرا بن ويسابور بن زهان بن نرسي بن ويسابور بن قارن ابن كروان بن أيبد بن أويبد بن تيروييه بن كردنك بن ناور بن طوس ابن نودكا بن منشو بن نودر بن منشهر. وذكر بعض أهل العلم بأخبار الفرس من خبر فيروز وخبر اخشنوار نحو ما ذكرت، غير أنه ذكر أن فيروز لما خرج متوجها إلى اخشنوار،

استخلف على مدينة طيسبون ومدينة بهرسير- وكانتا محلة الملوك- سوخرا هذا، قَالَ: وكان يقال لمرتبته قارن، وكان يلي معهما سجستان وأن فيروز لما بلغ منارة كان بهرام جور ابتناها فيما بين تخوم بلاد خراسان وبلاد الترك، لئلا يجوزها الترك إلى خراسان لميثاق كان بين الترك والفرس على ترك الفريقين التعدي لها، وكان فيروز عاهد اخشنوار الا يجاوزها الى بلاد الهياطلة، امر فيروز فصفد فيها خمسون فيلا وثلاثمائة رجل، فجرت أمامه جرا، واتبعها، أراد بذلك زعم الوفاء لاختنوار بما عاهده عليه، فبلغ اخشنوار ما كان من فيروز في أمر تلك المنارة، فأرسل إليه يقول: انت يا فيروز عما انتهى عنه أسلافك، ولا تقدم على ما لم يقدموا عليه فلم يحفل فيروز بقوله، ولم تكثره رسالته، وجعل يستطعم محاربة اخشنوار، ويدعوه إليها، وجعل اخشنوار يمتنع من محاربته

ويستكرهها، لأن جل محاربة الترك إنما هو بالخداع والمكر والمكايدة، وإن اخشنوار أمر فخر خلف عسكره خندق عرضه عشرة أذرع، وعمقه عشرون ذراعا، وغشى بخشب ضعاف، وألقى عليه ترابا، ثم ارتحل في جنده، ففضى غير بعيد، فبلغ فيروز رحلة اخشنوار بجنده من عسكره، فلم يشك في أن ذلك منهم انكشاف وهرب، فأمر بضرب الطبول، وركب في جنده في طلب اخشنوار وأصحابه، فأغذوا السير، وكان مسلحهم على ذلك الخندق فلها بلغوه اقموا على عماية، فتردى فيه فيروز وعامة جنده، وهلكوا من عند آخرهم.

وإن اخشنوار عطف على عسكر فيروز، فاحتوى على كل شيء فيه، وأسر موبدان موبذ، وصارت فيروز دخت ابنة فيروز فيمن صار في يده من نساء فيروز، وامر اخشنوار فاستخرجت جثة فيروز وجثة كل من سقط معه في ذلك الخندق، فوضعت في النواويس، ودعا اخشنوار فيروز دخت إلى أن يياشرها، فأبت عليه.

وأن خبر هلاك فيروز سقط إلى بلاد فارس، فارتجوا له وفزعوا، حتى إذا استقرت حقيقة خبره عند سوخرا تأهب وسار في عظم من كان قبله من الجند إلى بلاد الهياطلة فلها بلغ جرجان بلغ اخشنوار خبر مسيره لمحاربته، فاستعد وأقبل متلقيا له، وأرسل إليه يستخبره عن خبره، ويسأله عن اسمه ومرتبته، فأرسل أنه رجل يقال له سوخرا، ولمرتبه قارن، وأنه إنما سار إليه لينتقم منه لفيروز، فأرسل إليه اخشنوار يقول: إن سبيلك في الأمر الذي قدمت له كسبيل فيروز إذ لم يعقبه في كثرة جنوده من محاربته إياي إلا الهلكة والبوار. فلم يهنه سوخرا قول اخشنوار، ولم يعبأ به، وأمر جنوده فاستعدوا وتسلحوا، وزحف إلى اخشنوار لشدة إقدامه وحدة قلبه، فطلب موادعته وصلحه،

فلم يقبل منه سوخرا صلحا دون أن يصير في يده كل شيء صار عنده من عسكر فيروز فسلم اخشنوار إليه ما أصاب من أموال فيروز وخزائنه ومرابطه ونسائه، وفيه فيروز دخت، ودفع إليه موبدان موبذ وكل أحد كان عنده من عظماء الفرس، فانصرف سوخرا بذلك كله إلى بلاد الفرس. واختلف في مدة ملك فيروز، فقال بعضهم: كانت ستا وعشرين سنة. وقال آخرون: كانت إحدى وعشرين سنة.

٢٠٦٠١٧ ذكر ما كان من الاحداث في ايام يزدجرد بن بهرام وفيروز بين عمالهما على العرب واهل اليمن

ذكر ما كان من الأحداث في أيام يزدجرد بن بهرام وفيروز بين عمالهما على العرب واهل اليمن حدثت عن هشام بن محمد، قَالَ: كان يخدم الملوك من حمير في زمان ملكهم أبناء الأشراف من حمير وغيرهم من القبائل، فكان ممن يخدم حسان بن تبع عمرو بن حجر الكندي، وكان سيد كندة في زمانه فلها سار حسان بن تبع إلى جديس خلفه على بعض أموره، فلها قتل عمرو بن تبع أخاه حسان بن تبع، وملك مكانه، اصطنع عمرو بن حجر الكندي.

وكان ذا رأي ونبل، وكان مما أراد عمرو إكرامه به وتصغير بني أخيه حسان أن زوجه ابنة حسان بن تبع، فتكلمت في ذلك حمير وكان عندهم من الأحداث التي ابتلوا بها، لأنه لم يكن يطمع في التزويج إلى أهل ذلك البيت أحد من العرب وولدت ابنة حسان بن تبع لعمرو بن حجر الحارث بن عمرو، وملك بعد عمرو بن تبع عبد كلال بن مثوب، وذلك أن ولد حسان كانوا صغارا، إلا ما كان من تبع بن حسان، فإن الجن استهامت، فأخذ الملك عبد كلال بن مثوب مخافة أن يطمع في الملك غير اهل بيت المملكة، فوليه بسن وتجربة وسياسة حسنة وكان- فيما ذكروا- على دين النصرانية الأولى، وكان يسر ذلك من قومه، وكان الذي دعاه إليه رجل من غسان، قدم

عليه من الشام، فوثبت حمير بالغساني فقتلته، فرجع تبع بن حسان من استهامة الجن إياه صحيحا، وهو أعلم الناس بنجم، وأعقل من تعلم في زمانه، وأكثره حديثا عما كان قبله وما يكون في الزمان بعده فملك تبع ابن حسان بن تبع بن ملكيكرب بن تبع الأقرن، فهابته حمير والعرب هيبة شديدة، فبعث بآبن أخته الحارث بن عمرو بن حجر الكندي في جيش عظيم إلى بلاد معد والحيرة وما والاها فسار إلى النعمان بن امرئ القيس ابن الشقيقة فقاتله، فقتل النعمان وعدة من أهل بيته، وهزم أصحابه وأفلته المنذر بن النعمان الأكبر وأمه ماء السماء، امرأة من النمر، فذهب ملك

٢٠٦٠١٨ ذكر ملك بلاش بن فيروز

٢٠٦٠١٩ ذكر ملك قباذ بن فيروز

آل النعمان، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كانوا يملكون.

وقال هشام: ملك بعد النعمان ابنه المنذر بن النعمان وأمه هند ابنة زيد مناة بن زيد الله بن عمرو الغساني أربعاً وأربعين سنة، من ذلك في زمن بهرام جور بن يزدجرد ثمانين سنين وتسعة أشهر، وفي زمن يزدجرد بن بهرام ثمانين سنة وفي زمن فيروز بن يزدجرد سبع عشرة سنة ثم ملك بعده ابنه الأسود بن المنذر، وأمه هر ابنة النعمان من بني الهيجمانة، ابنة عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، وهو الذي أسرته فارس عشرين سنة، من ذلك في زمن فيروز بن يزدجرد عشر سنين، وفي زمن بلاش بن يزدجرد أربع سنين، وفي زمن قباذ بن فيروز، ست سنين . ذكر ملك بلاش بن فيروز

ثم قام بالملك بعد فيروز بن يزدجرد ابنه بلاش بن فيروز بن يزدجرد ابن بهرام جور، وكان قباذ أخوه قد نازعه الملك، فغلب بلاش، وهرب قباذ إلى خاقان ملك الترك يسأله المعونة والمدد، فلما عقد التاج لبلاش على رأسه اجتمع إليه العظماء والأشراف فهنئوه ودعوا له، وسألوه أن يكافئ سوخرا بما كان منه، فخصه وأكرمه وحباه، ولم يزل بلاش حسن السيرة، حريصا على العمارة وكان بلغ من حسن نظره إنه كان لا يبلغه أن بيتا خرب وجلا أهله عنه إلا عاقب صاحب القرية التي فيها ذلك البيت على تركه انتعاشهم وسد فاقهم حتى لا يضطروا إلى الجلاء عن أوطانهم، وبني بالسواد مدينه سماها بلا شاواذ، وهي مدينة ساباط التي بقرب المدائن . وكان ملكه أربع سنين

. ذكر ملك قباذ بن فيروز

ثم ملك قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور، وكان قباذ قبل أن يصير الملك إليه قد سار إلى خاقان مستنصرا به على أخيه بلاش، فمر في طريقه بحدود

نيسابور، ومعه جماعة يسيرة ممن شايعه على الشخوص متكرين، وفيهم زمر بن سوخرا، فتاقت نفس قباذ إلى الجماع، فشكا ذلك إلى زمر، وسأله أن يلتبس له امرأة ذات حسب، ففعل ذلك، وصار إلى امرأة صاحب منزله، وكان رجلا من الأساورة، وكانت له ابنة بكر فائقة في الجمال، فتنصح لها في ابنتها، وأشار عليها أن تبعث بها إلى قباذ، فأعلمت ذلك زوجها، ولم يزل زمر يرغب المرأة وزوجها، ويشير عليهما بما يرغبهما فيه حتى فعلا، وصارت الابنة إلى قباذ، واسمها نيوندخت، فغشيها قباذ في تلك الليلة، فحملت بانوشروان، فأمر لها بجائزة حسنة، وحباه حياء جزيلا.

وقيل إن أم تلك الجارية سألتها عن هيئة قباذ وحاله فأعلمتها أنها لا تعرف من ذلك غير أنها رأت سراويله منسوجا بالذهب، فعلبت أمها أنه من أبناء الملوك وسرها ذلك ومضى قباذ إلى خاقان، فلما وصل إليه أعلمه أنه ابن ملك فارس، وأن أخاه ضاده في الملك وغلبه، وأنه أتاه يستنصره فوعده أحسن العدة، ومكث قباذ عند خاقان أربع سنين يدافعه بما وعده فلما طال الأمر على قباذ أرسل إلى امرأة خاقان يسألها أن تتخذه ولدا، وأن تكلم فيه زوجها، وتسأله إنجاز عدته ففعلت، ولم تزل تحمل على خاقان حتى وجه مع قباذ جيشا، فلما انصرف قباذ بذلك الجيش، وصار في ناحية نيسابور سأل الرجل الذي كان أتاه بالجارية عن أمرها فاستخبر ذلك من أمها، فأخبرته أنها قد ولدت غلاما، فأمر قباذ أن يؤتى بها، فأنته ومعه انوشروان تقوده بيدها فلما دخلت عليه سألها عن قصة الغلام، فأخبرته أنه ابنه، وإذا هو قد نزع إليه في صورته وجماله.

ويقال: إن الخبر ورد عليه في ذلك الموضع بهلاك بلاش فتيمن بالمولود، وأمر بحمله وحمل أمه على مراكب نساء الملوك، فلما صار إلى المدائن،

واستوثق له أمر الملك خص سوخرا، وفوض إليه أمره، وشكر له ما كان من خدمة ابنه إياه، ووجه الجنود إلى الأطراف، ففتكوا في الأعداء، وسبوا سبايا كثيرة، وبني بين الأهواز وفارس مدينة الرجان، وبني أيضا مدينة حلوان، وبني بكورة اردشير خرة في ناحيه كارزين مدينة يقال لها قباذ خرة، وذلك سوى مدائن وقرى أنشأها، وسوى أنهار احتفرها، وجسور عقدها.

فلما مضت أكثر أيامه، وتولى سوخرا تدير ملكه وسياسة أموره مال الناس عليه، وعاملوه واستخفوا بقباذ، وتهاونوا بأمره، فلما احتنك لم يحتمل ذلك، ولم يرض به، وكتب إلى سابور الرازي- الذي يقال للبيت الذي هو منه مهران، وكان إصبيذ البلاد- في القدوم عليه فيمن قبله من الجند، فقدم سابور بهم عليه، فواصفه قباذ حالة سوخرا، وأمره بأمره فيه، فغدا سابور على قباذ فوجد عنده سوخرا جالسا، فشى نحو قباذ متجاوزا له متغافلا لسوخرا، فلم يأبه سوخرا لذلك من أرب سابور، حتى ألقى وهقا كان معه في عنقه، ثم اجتذبه فأخرجه فأوثقه واستودعه السجن، فحينئذ قيل: نقصت ربح سوخرا وهبت لمهران ربح، وذهب ذلك مثلا وأن قباذ أمر بعد ذلك بقتل سوخرا فقتل، وأنه لما مضى لملك قباذ عشر سنين اجتمعت كلمة موبدان موبذ والعظماء على إزالته عن ملكه، فأزالوه عنه وحبسوه، لمتابعته لرجل يقال له مزدك مع أصحاب له قالوا: إن الله إنما جعل الأرزاق في الأرض ليقسمها العباد بينهم بالتآسي، ولكن الناس تظالموا فيها، وزعموا أنهم يأخذون للفقراء من الأغنياء، ويردون من المكثرين على المقلين، وانه من كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة فليس هو بأولى به من غيره، فافترس السفلة ذلك واغتمموه، وكانفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم، فابتلى الناس بهم، وقوي أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره فيغلبونه على منزله

ونسائه وأمواله لا يستطيع الامتناع منهم، وحملوا قباذ على تزيين ذلك وتوعده بخلع، فلم يلبثوا إلا قليلا حتى صاروا لا يعرف الرجل منهم ولده، ولا المولود أباه، ولا يملك الرجل شيئا مما يتسع به وصيروا قباذ في مكان لا يصل إليه أحد سواهم، وجعلوا أخا له يقال له جاماسب مكانه، وقالوا لقباذ: إنك قد أثمت فيما عملت به فيما مضى، وليس يطهرك من ذلك إلا إباحة نسائك، وأرادوه على أن يدفع إليهم نفسه فيذبحوه ويجعلوه قربانا للنار، فلما رأى ذلك زمر بن سوخرا خرج بمن شايعه من الأشراف باذلا نفسه، فقتل من المزدكية ناسا كثيرا، وأعاد قباذ إلى ملكه، وطرح أخاه جاماسب ثم لم يزل المزدكية بعد ذلك إنما يحرشون قباذ على زمر حتى قتله، ولم يزل قباذ من خيار ملوكهم حتى حمله مزدك على ما حمله عليه، فانتشرت الأطراف وفسدت الثغور.

وذكر بعض أهل العلم بأخبار الفرس أن العظماء من الفرس هم حبسوا قباذ حين اتبع مزدك وشايعه على ما دعاه إليه من أمره، وملكوا مكانه أخاه جاماسب بن فيروز وأن أختا لقباذ أتت الحبس الذي كان فيه قباذ محبوسا، فحاولت الدخول عليه، فنعه إياه الرجل الموكل كان بالحبس ومن فيه، وطمع الرجل أن يفضحها بذلك السبب، وألقى إليها طمعه فيها، واخبرته أنها غير مخالفتة في شيء مما يهوى منها، فأذن لها فدخلت السجن فأقامت عند قباذ يوما وأمرت فلف قباذ في بساط من البسط التي كانت معه في الحبس، وحمل على غلام من غلمانه قوي ضابط، وأخرج من الحبس فلما مر الغلام بوالي الحبس سأله عما كان حامله فأخفم، واتبعت أخت قباذ فأخبرته أنه فراش كانت افترشته في عراكها، وأنها إنما خرجت لتتطهر وتنصرف، فصدقها الرجل ولم يمس البساط، ولم يدن منه استقذارا له، وخلي عن الغلام الحامل لقباذ، ففضى بقباذ ومضت على أثره.

وهرب قباذ فلاحق بأرض الهياطلة ليستمد ملكها ويستجيشه فيحارب من خالفه وخلعه وأنه نزل في مبدئه إليها بابر شهر رجل من عظماء أهلها، له ابنة معصر، وأن نكاحه أم كسرى أنوشروان كان في سفره هذا، وأن قباذ رجع من سفره ذلك معه ابنه أنوشروان وأمه، فغلب أخاه جاماسب على ملكه بعد أن ملك أخوه جاماسب ست سنين، وأن- قباذ غزا بعد ذلك بلاد الروم، وافتتح منها مدينة من مدن الجزيرة تدعى آمد، وسبى أهلها، وأمر فبنيت في حد ما بين فارس وأرض الأهواز مدينه، وسماها رامقباذ، وهي التي تسمى يومقباذ، وتدعى أيضا أرجان وكور كورة، وجعل لها رساتيق من كوره سرق، كوره رام هرمز، وملك قباذ ابنه كسرى، وكتب له بذلك كتابا وختمه بخاتمه.

فلما هلك قباذ- وكان ملكه بسني ملك أخيه جاماسب:

ثلاثا وأربعين سنة- فنفذ كسرى ما أمر به قباذ من ذلك

ذكر ما كان من الحوادث التي كانت بين العرب في أيام قباذ في مملكته وبين عماله

ذكر ما كان من الحوادث التي كانت بين العرب في أيام قباذ في مملكته وبين عماله

وحدثت عن هشام بن محمد، قَالَ: لما لقي الحارث بن عمرو بن حجر ابن عدي الكندي النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن الشقيقه قتله، وأفلته المنذر بن النعمان الأكبر، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كان يملك، بعث قباذ بن فيروز ملك فارس إلى الحارث بن عمرو الكندي: أنه قد كان بيننا وبين الملك الذي قد كان قبلك عهد، وإني أحب أن ألقاك.

وكان قباذ زنديقا يظهر الخير ويكره الدماء، ويداري أعداءه فيما يكره من سفك الدماء، وكثرت الأهواء في زمانه، واستضعفه الناس، فخرج إليه الحارث بن عمرو الكندي في عدد وعدة حتى التقوا بقنطرة الفيوم، فأمر قباذ بطبق من تمر فتزع نواه، وأمر بطبق فجعل فيه تمر فيه نواه، ثم وضع بين أيديهما، فجعل الذي فيه النوى يلي الحارث بن عمرو، والذي لا نوى فيه يلي قباذ فجعل الحارث يأكل التمر ويلقي النوى، وجعل قباذ يأكل ما يليه، وقال للحارث: ما لك لا تأكل مثل ما أكل! فقال:

له الحارث إنما يأكل النوى إبلنا وغنمنا وعلم أن قباذ يهزأ به، ثم اصطالحا على أن يورد الحارث بن عمرو ومن أحب من أصحابه خيولهم الفرات إلى ألبابها، ولا يجاوزوا أكثر من ذلك فلما رأى الحارث ما عليه قباذ من الضعف طمع في السواد، فأمر أصحاب مسالحه أن يقطعوا الفرات فيغيروا في السواد، فأتى قباذ الصريح وهو بالمداين فقال: هذا من تحت كنف ملكهم ثم أرسل إلى الحارث بن عمرو أن لصوصا من لصوص

العرب قد أغاروا، وأنه يحب لقاءه فلقيه، فقال له قباذ: لقد صنعت صنيعا ما صنعه أحد قبلك، فقال له الحارث: ما فعلت ولا شعرت، ولكنها لصوص من لصوص العرب، ولا أستطيع ضبط العرب إلا بالمال والجنود، قال له قباذ:

فما الذي تريد؟ قَالَ: أريد أن تطعمني من السواد ما اتخذ به سلاحا، فأمر له بما يلي جانب العرب من أسفل الفرات، وهي ستة طساسيج، فأرسل الحارث بن عمرو الكندي إلى تبع وهو باليمن: اني قد طمعت في ملك الأعاجم، وقد أخذت منه ستة طساسيج، فاجمع الجنود وأقبل فإنه ليس دون ملكهم شيء لان الملك عليهم لا يأكل اللحم، ولا يستحل هراقة الدماء لأنه زنديق فجمع تبع الجنود، وسار حتى نزل الحيرة وقرب من الفرات، فأذاه البق، فأمر الحارث بن عمرو أن يشق له نهرا إلى النجف ففعل، وهو نهر الحيرة فنزل عليه ووجه ابن أخيه شمرا ذا الجناح إلى قباذ، فقاتله فهزمه شمرا حتى لحق بالري، ثم أدركه بها فقتله، وأمضى تبع شمرا ذا الجناح إلى خراسان، ووجه تبع ابنه حسان إلى الصغد، وقال:

أيكما سبق إلى الصين فهو عليها وكان كل واحد منهما في جيش عظيم، يقال: كانا في ستمائة الف واربعين ألفا وبعث ابن أخيه يعفر إلى الروم، وهو الذي يقول:

أيا صاحب عجبك للداهية ... لمحير إذ نزلوا الجابية!

ثمانون ألفا رواياهمو ... لكل ثمانية راويه

فسار يعفر حتى أتى القسطنطينية، فأعطوه الطاعة والإتاوة، ثم مضى إلى رومية وبينهما مسيرة أربعة أشهر، فحاصرها وأصاب من معه جوع، ووقع فيهم طاعون فرقوا، فأبصرهم الروم وما لقوا، فوثبوا عليهم فقتلوه، فلم يفلت منهم أحد وسار شمرا ذو الجناح حتى أتى سمرقند، فحاصرها

فلم يظفر بشيء منها فلما رأى ذلك أطاف بالحرس، حتى أخذ رجلا من أهلها، فسأله عن المدينة وملكها، فقال له: أما ملكها فأحق الناس، ليس له هم إلا الشراب والاكل، وله ابنه وهي التي تقضي أمر الناس.

فبعث معه بهدية إليها، فقال له: أخبرها أنني إنما جئت من أرض العرب للذي بلغني من عقلها لتكحني نفسها، فأصيب منها غلاما يملك العجم والعرب، وإني لم أجيء أتمس المال، وإن معي أربعة آلاف تابوت من ذهب وفضة هاهنا، فأنا أدفعها إليها، وأمضى إلى الصين، فإن كانت الارض لي كانت امرأتي، وإن هلكت كان ذلك المال لها فلما أنهيت إليها رسالته قالت: قد أجبته فليبعث بما ذكر،

فأرسل إليها أربعة آلاف تابوت، في كل تابوت رجلان، فكان لسمرقند أربعة أبواب على كل باب منها أربعة آلاف رجل، وجعل العلامة بينه وبينهم أن يضرب لهم بالجلجل.

وتقدم في ذلك إلى رسله الذين وجه معهم، فلما صاروا في المدينة ضرب لهم بالجلجل فخرجوا، فأخذوا بالأبواب، ونهد شمر في الناس، فدخل المدينة فقتل أهلها وحوى ما فيها ثم سار إلى الصين، فلقى زحوف الترك فهزمهم، ومضى إلى الصين فوجد حسان بن تبع قد كان سبقه إليها بثلاث سنين، فأقاما بها- فيما ذكر بعض الناس- حتى ماتا وكان مقامهما إحدى وعشرين سنة. قَالَ: وقال من زعم أنهما أقاما بالصين حتى هلكا: أن تبعا جعل النار فيما بينه وبينهم، فكان إذا حَدَّثَ حَدَّثُ أوقدوا النار بالليل، فأتى الخبر في ليلة، وجعل آية ما بينه وبينهم أن إذا أوقدت نارين من عندي فهو هلاك يعفر، وإن أوقدت ثلاثا فهو هلاك تبع، وإن كانت من عندهم نار فهو هلاك حسان، وإن كانت نارين فهو هلاكهما فكشوا بذلك ثم إنه أوقد نارين فكان هلاك يعفر، ثم أوقد ثلاثا فكان هلاك تبع قَالَ: وأما الحديث المجتمع عليه فإن شمرا وحسان انصرفا في الطريق الذي كانا أخذنا فيه حيث بدءا، حتى قدما على تبع بما حازا من الأموال بالصين، وصنوف

٢٠٦٠٢ ذكر ملك كسرى انوشروان

الجوهر والطيب والسبي، ثم انصرفوا جميعا إلى بلادهم، وسار تبع حتى قدم مكة، فنزل بالشعب من المطابخ، وكانت وفاة تبع باليمن، فلم يخرج أحد من ملوك اليمن بعده عنها غازيا إلى شيء من البلاد، وكان ملكه مائة وإحدى وعشرين سنة. قَالَ: ويقال إنه كان دخل في دين اليهود للأخبار الذين كانوا خرجوا من يثرب مع تبع إلى مكة عدة كثيرة. قَالَ: ويقولون: إن علم كعب الأخبار كان من بقية ما أورثت تلك الأخبار، وكان كعب الأخبار رجلا من حمير. وأما ابن إسحاق فإنه ذكر أن الذي سار إلى المشرق من التبابعة تبع الآخر، وأنه تبع تبار أسعد أبو كرب بن ملكيكرب بن زيد بن عمرو ذي الأذعار، وهو أبو حسان، حدثنا بذلك ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عنه . ذكر ملك كسرى انوشروان

ثم ملك كسرى انوشروان بن قباد بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور فلما كتب إلى أربعة فاذوسبانيين- كان كل واحد منهم على ناحية من نواحي بلاد فارس ومن قبلهم- كتبوا نسخة كتابه منها إلى فاذوسبان أذربيجان: بسم الله الرحمن الرحيم من الملك كسرى بن قباد إلى واري ابن النخیرجان فاذوسبان أذربيجان وأرمينية وحيزها، ودنباوند وطبرستان وحيزها، ومن قبله: سلام، فإن أخرى ما استوحش له الناس فقد من تخوفوا في فقدهم إياه زوال النعم ووقوع الفتن، وحلول المكار بالفضل فالأفضل منهم، في نفسه أو حشمة أو ماله أو كريمه، وإنا لا نعلم

وحشة ولا فقد شيء أجل رزية عند العامة، ولا أخرى أن تعم به البلية من فقد ملك صالح.

وإن كسرى لما استحكم له الملك أبطل ملة رجل منافق من أهل فسا يقال له: زراذشت بن خرکان ابتدعها في المجوسية، فتابعه الناس على بدعته تلك، وفاق أمره فيها، وكان ممن دعا العامة إليها رجل من أهل مذرية يقال له: مزندق بن بامداد، وكان مما أمر به الناس وزينه لهم وحشهم عليه، التآسي في أموالهم وأهلهم، وذكر أن ذلك من البر الذي يرضاه الله ويثيب عليه أحسن الثواب، وإنه لو لم يكن الذي أمرهم به، وحشهم عليه من الدين كان مكرومة في الفعال، ورضا في التفاوض ففض بذلك السفلة على العلية، واختلط له أجناس اللؤماء بعناصر الكرماء، وسهل السبيل للغلبة إلى الغصب، وللظلمة إلى الظلم، وللعهار إلى قضاء نهمتهم، والوصول إلى الكرائم اللائي لم يكونوا يطمعون فيهن، وشمل الناس بلاء عظيم لم يكن لهم عهد بمثله فهى الناس كسرى عن السيرة بشيء مما ابتدع زراذشت خرکان، ومزندق بن بامداد، وأبطل بدعتهما، وقتل بشرا كثيرا ثبتوا عليها، ولم ينتهوا عما نهاهم عنه منها، وقوما من المنانية، وثبت للمجوس ملتهم التي لم يزالوا عليها.

وكان يلي الاصبهذه- وهي الرياسة على الجنود- قبل ملكه رجل، وكان إليه إصبهذه البلاد، ففرق كسرى هذه الولاية والمرتبة بين اربعة اصبهذين، منهم اصبهذ المشرق وهو خراسان وما والاها، واصبهذ المغرب، واصبهذ نيمروز، وهي بلاد اليمن، واصبهذ اذربيجان وما

والاها، وهي

بلاد الخزر، وما والاها، لما رأى في ذلك من النظام للملك، وقوى المقاتلة بالأسلحة والكراع، وارتجع بلادا كانت من مملكة فارس، خرج بعضها من يد الملك قباذ إلى ملوك الأمم لعل شتى واسباب، منها السند، وبست، والرنج، وزابلستان، وطخارستان، ودرستان، وكابلستان، وأعظم القتل في أمة يقال لها البارز، وأجلى بقيتهم عن بلادهم، وأسكنهم مواضع من بلاد مملكته، وأذعنوا له بالعبودية، واستعان بهم في حروبه، وأمر فأسرت أمة أخرى، يقال لها صول، وقدم بهم عليه، وأمر بهم فقتلوا، ما خلا ثمانين رجلا من كراتهم استحياءهم، وأمر بإنزالهم شهم فيروز، يستعين بهم في حروبه.

وأن أمة يقال لها أبجز، وأمة يقال لها بنجر، وأمة يقال لها ألان، تمالوا على غزو بلادهم، وأقبلوا إلى أرمينية ليغيروا على أهلها، وكان مسلحهم إليها يومئذ سهلا ممكنا، فأغضى كسرى على ما كان منهم، حتى إذا تمكنوا في بلادهم وجه إليهم جنودا، فقاتلوهما واصطلموهم ما خلا عشرة آلاف رجل منهم أسروا، فأسكنوا أذربيجان وما والاها، وكان الملك فيروز بنى في ناحية صول وألان بناء بصخر إرادة أن يحصن بلاده عن تناول تلك الأمم إياها، وأحدث الملك قباذ بن فيروز من بعد أبيه في تلك المواطن بناء كثيرا، حتى إذا ملك كسرى أمر فبنيت في ناحية صول بصخر منحوت في ناحية جرجان مدن وحصون وآكام وبنيان كثير، ليكون حرزا لأهل بلاده يلجئون إليها من عدو إن دهمهم.

وإن سنجبوا خاقان كان أمنع الترك وأشجعهم، وأعزهم وأكثرهم جنودا، وهو الذي قاتل وزير ملك الهياطلة غير خائف كثرة الهياطلة ومنعتهم، فقتل وزير ملكها وعامة جنوده، وغنم أموالهم، واحتوى على

بلادهم إلا ما كان كسرى غلب عليه منها، وإنه استمال أبجز، وبنجر، وبلنجر، فنحوه طاعتهم وأعلموه أن ملوك فارس لم يزالوا يتقونهم بفداء يكفونهم به عن غزو بلادهم، وأنه أقبل في مائة ألف وعشرة آلاف مقاتل حتى شارف ما والى بلاد صول، وأرسل إلى كسرى في توعده منه إياه واستطالة عليه، أن يبعث إليه بأموال، وإلى أبجز وبنجر وبلنجر بالفداء الذي كانوا يعطونه إياه قبل ملك كسرى، وأنه إن لم يعجل بالبعثة إليه بما سأل وطىء بلاده وناجزه فلم يحفل كسرى بوعيده، ولم يجبه إلى شيء مما سألته لتحصيله كان ناحية باب صول، ومناعة السبل والفجاج التي كان سنجبوا خاقان سالكها إياه، ولمعرفته كانت بمقدرته على ضبط ثغر أرمينية بخمسة آلاف مقاتل من الفرسان والرجال.

فبلغ سنجبوا خاقان تحصين كسرى ثغر صول، فانصرف بمن كان معه إلى بلاده خائبا، ولم يقدر من كان بإزاء جرجان من العدو- للحصون التي كان أمر كسرى فبنيت حوالها- أن يشنوها بغارة، ويغلبوا عليها، وكان كسرى أنوشروان قد عرف الناس منه فضلا في رأيه وعلمه وعقله، وبأسه وحزمه، مع رأفته ورحمته بهم، فلما عقد التاج على رأسه دخل إليه العظماء والأشراف فاجتهدوا في الدعاء له، فلما قضوا مقالته، قام خطيبا، فبدأ بذكر نعم الله على خلقه عند خلقه إياهم، وتوكله بتدبير أمورهم، وتقدير الأقوات والمعاش لهم، ولم يدع شيئا إلا ذكره في خطبته، ثم أعلم الناس ما ابتلوا به من ضياع أمورهم، وإحياء دينهم، وفساد حالهم في أولادهم ومعاشهم، وأعلمهم أنه ناظر فيما يصلح ذلك ويحسمه، وحث الناس على معاونته.

ثم أمر برءوس المزدكية فضربت أعناقهم، وقسمت أموالهم في أهل الحاجة، وقتل جماعة كثيرة ممن كان دخل على الناس في أموالهم، ورد الأموال إلى أهلها، وأمر بكل مولود اختلف فيه عنده أن يلحق بمن هو منهم، إذا لم

يعرف أبوه، وأن يعطي نصيبا من مال الرجل الذي يسند إليه إذا قبله الرجل، وبكل امرأة غلبت على نفسها أن يؤخذ الغالب لها حتى يغرم لها مهرها، ويرضى أهلها ثم تحير المرأة بين الإقامة عنده، وبين تزويج من غيره، إلا أن يكون كان لها زوج أول، فترد إليه وأمر بكل من كان أضرب رجل في ماله أو ركب أحدا بمظلمة أن يؤخذ منه الحق ثم يعاقب الظالم بعد ذلك بقدر جرمه وأمر بعيال ذوي الأحساب الذين مات قيمهم فكتبوا له، فأنكح بناتهم الأكفاء، وجعل جهازهم من بيت المال وأنكح شبانهم من بيوتات الأشراف وساق عنهم واغناهم، وأمرهم بملازمة بابه ليستعان بهم في أعماله وخير نساء والده بين أن يقمن مع نسائه فيواسين ويصرن في الأجر إلى أمثالهن، أو يبتغي لهن أكفاءهن من البعولة وأمر بكري الأنهار، وحضر القني وأسلاف أصحاب العمارات وتقويتهم، وأمر بإعادة

كل جسر قطع أو قنطرة كسرت، أو قرية خربت أن يرد ذلك إلى أحسن ما كان عليه من الصلاح، وتفقد الأساورة، فن لم يكن له منهم يسار قواه بالدواب والعدة، وأجرى لهم ما يقويهم ووكل ببيوت النيران، وسهل سبل الناس، وبني في الطرق القصور والحصون، وتخير الحكام والعمال والولاة، وتقدم إلى من ولى منهم ابغ التقدم، وعمد إلى سير أردشير وكتبه وقضياه، فاقتدى بها وحمل الناس عليها، فلما استوثق له الملك، ودانت له البلاد سار نحو أنطاكية بعد سنين من ملكه، وكان فيها عظماء جنود قيصر، فافتتحها. ثم أمر أن تصور له مدينة أنطاكية على ذرعها وعدد منازلها وطرقها، وجميع ما فيها، وأن يبتنى له على صورتها مدينة إلى جنب المدائن، فبنيت المدينة المعروفة بالرومية على صورة أنطاكية، ثم حمل أهل أنطاكية حتى أسكنهم إياها.

فلما دخلوا باب المدينة مضى أهل كل بيت منهم إلى ما يشبه منازلهم التي كانوا فيها بأنطاكية، كأنهم لم يخرجوا عنها. ثم قصد لمدينة هرقل فافتتحها، ثم الإسكندرية وما دونها، وخلف طائفة من جنوده بأرض الروم، بعد أن أذن له قيصر وحمل إليه الفدية، ثم انصرف من الروم، فأخذ نحو الخزر فأدرك فيهم تبه، وما كانوا وترو به في رعيته ثم انصرف نحو عدن، فسكن ناحية من البحر هناك بين جبلين مما يلي أرض الحبشة بالسفن العظام والصخور وعمد الحديد والسلاسل وقتل عظماء تلك البلاد.

ثم انصرف إلى المدائن، وقد استقام له ما دون هرقل من بلاد الروم وأرمينية، وما بينه وبين البحرين من ناحية عدن. وملك المنذر بن النعمان على العرب وأكرمه، ثم أقام في ملكه بالمدائن، وتعاهد ما كان يحتاج إلى تعاهده ثم سار بعد ذلك إلى الهياطلة مطالباً بوتر فيروز جده. وقد كان أنوشروان صاهر خاقان قبل ذلك. فكتب إليه قبل شخوصه يعلمه ما عزم عليه، ويأمره بالمسير إلى الهياطلة فأتاهم، فقتل ملكهم، واستأصل أهل بيته وتجاوز بلخ وما وراءها، وأزل جنوده فرغانة.

ثم انصرف من خراسان، فلما صار بالمدائن وافاه قوم يستنصرونه على الحبشة، فبعث معهم قائداً من قواده في جند من أهل الديلم وما يليها، فقتلوا مسروقا الحبشي باليمن، وأقاموا بها.

ولم يزل مظفراً منصوراً تهابه جميع الأمم، ويحضر بابه من وفودهم عدد كثير من الترك والصين والخزر ونظرائهم، وكان مكرماً للعلماء. وملك ثمانيا وأربعين سنة، وكان مولد النبي ص في آخر ملك أنوشروان.

قال هشام: وكان ملك أنوشروان سبعا وأربعين سنة قال: وفي زمانه ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله ص، في سنة اثنتين وأربعين من سلطانه.

قال هشام: لما قوي شأن أنوشروان بعث إلى المنذر بن النعمان الأكبر. وأمه ماء السماء امرأة من النمر. فملكه الحيرة وما كان يلي آل الحارث بن عمرو، آكل المرار فلم يزل على ذلك حتى هلك.

قال: وأنوشروان غزا بيزجان، ثم رجع فبنى الباب والأبواب وقال هشام: ملك العرب من قبل ملوك الفرس بعد الأسود بن المنذر أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان. وأمه هرابة النعمان. سبع سنين.

ثم ملك بعده النعمان بن الأسود بن المنذر. وأمه أم الملك ابنة عمرو بن حجارخت الحارث بن عمرو الكندي. أربع سنين. ثم استخلف أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدي بن الذميل بن ثور ابن أسس بن ربي بن ثمار بن نخم، ثلاث سنين.

ثم ملك المنذر بن امرئ القيس البدء. وهو ذو القرنين، قال: وإنما سمي بذلك لضفيرتين كانتا له من شعره، وأمه ماء السماء، وهي مارية ابنة عوف ابن جشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناه بن عامر الضيحان ابن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط، فكان جميع ملكه تسعا وأربعين سنة.

ثم ملك ابنه عمرو بن المنذر. وأمه هند ابنة الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار. ست عشرة سنة. قال: ولثماني سنين وثمانية أشهر من ملك عمرو بن هند ولد رسول الله ص، وذلك في زمن أنوشروان وعام الفيل الذي غزا فيه الأشرم أبو يكسوم البيت

ذكر بقية خبر تبع أيام قباذ وزمن أنوشروان وتوجيه الفرس الجيش إلى اليمن لقتال الحبشة وسبب توجيهه إليهم إليها

ذكر بقية خبر تبع أيام قباذ وزمن أنوشروان وتوجيه الفرس الجيش إلى اليمن لقتال الحبشة وسبب توجيهه إليهم إليها
حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: كان تبع الآخر وهو تبان أسعد أبو كرب حين أقبل من المشرق، جعل طريقه على المدينة، وقد كان حين مر بها في بدءته لم يهيج أهلها، وخلف بين أظهرهم ابنا له، فقتل غيلة، فقدمها وهو مجمع لإخراها، واستئصال أهلها وقطع نخلها، فجمع له هذا الحي من الأنصار حين سمعوا بذلك من أمره ليمتنعوا منه، ورئيسهم يومئذ عمرو بن الطلة، أحد بني النجار، ثم أحد بني عمرو بن مبدول، فخرجوا لقتاله وكان تبع حين نزل بهم، قد قتل رجل منهم - من بني عدي بن النجار يقال له أحمر - رجلا من أصحاب تبع، وجده في عذق له يجده، فضر به بمنجله فقتله، وقال: إنما الثمر لمن أبره، ثم ألقاه حين قتله في بئر من آبارهم معروفة يقال لها: ذات تومان فزاد ذلك تبعا عليهم حنقا.

فبينما تبع على ذلك من حربه وحرهم يقاتلهم ويقاتلون - قال: فتزعم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونهم بالنهار، ويقرونه بالليل فيعجبه ذلك منهم، ويقول: والله إن قومنا هؤلاء لكرام - إذ جاءه حبران من أحبار يهود من بني قريظة، عالمان راسخان حين سمعا منه ما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له: أيها الملك لا تفعل، فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة، فقال لهما: ولم ذاك؟ فقالا: هي مهاجر نبي يخرج من هذا الحي من قريش في آخر الزمان، تكون داره وقراره.

فتناهى عند ذلك من قولهما عما كان يريد بالمدينة، ورأى أن لهما علما، وأعجبه ما سمع منهما فانصرف عن المدينة، وخرج بهما معه إلى اليمن واتبعهما على دينهما وكان اسم الحبرين كعبا وأسدا، وكانا من بني قريظة، وكانا

ابني عم، وكانا أعلم أهل زمانهما كما ذكر لي ابن حميد، عن سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن عمرو، عن أبان بن أبي عياش، عن أنس بن مالك، عن أشياخ من قومه ممن أدرك الجاهلية، فقال شاعر من الأنصار وهو خال ابن عبد العزى بن غزية بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار، في حربهم وحرب تبع، يفتخر بعمر بن طلة ويذكر فضله وامتناعه:

أصحا أم انتهى ذكره ... أم قضى من لذة وطره

أم تذكرت الشباب وما ... ذكرك الشباب أو عصره!

إنها حرب رباعية ... مثلها أتى الفتى عبرة

فسلا عمران أو فسلا ... أسدا إذ يغدو مع الزهره

فيلق فيها أبو كرب ... سابغا أبدانها ذفره

ثم قالوا من يؤم بها ... أبني عوف أم النجره

يا بني النجار إن لنا ... فيهم قبل الأوان تره

فتلقتهم عشقة ... مدها كالغبية النثره

سيد سامي الملوك ومن ... يغز عمرا لا يجد قدره

وقال رجل من الأنصار، يذكر امتناعهم من تبع:

تكلفني من تكاليفها ... نخيل الأساوييف والمنصعة

نخيلا حمتها بنو مالك ... خيول أبي كرب المفضعة

قال: وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها، فوجه إلى مكة - وهي طريقه إلى اليمن - حتى إذا كان بالدلف من جمدان بين عسفان وأج، في طريقه بين مكة والمدينة، أتاها نفر من هذيل، فقالوا له: أيها الملك، ألا ندلك على بيت مال دائر، قد أغفلته الملوك قبلك، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة؟ قال: بلى قالوا: بيت بمكة يعبد به أهله، ويصلون عنده وإنما يريد الهذليون بذلك هلاكه لما قد عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغى عنده.

فلما اجمع لما قالوا، أرسل إلى الحبرين، فسألهما عن ذلك، فقالا له:

ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك، ولئن فعلت ما دعوك إليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعا، قَالَ: فإذا تأمراني أن أصنع إذا قدمت عليه؟

قالا: تصنع عنده ما يصنع أهله، تطوف به وتعظمه وتكرمه، وتحلق عنده رأسك وتندل له حتى تخرج من عنده قَالَ: فما يمنعكما أنتما من ذلك؟

قالا: أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم، وإنه لكما أخبرناك، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوا حوله، وبالدماء التي يهريقون عنده، وهم نجس أهل شرك أو كما قالوا له.

فعرّف نصحبهما وصدق حديثهما، فقرب النفر من هذيل، فقطع أيديهم وأرجلهم ثم مضى حتى قدم مكة، وأري في المنام أن يكسو البيت،

فكساه الخصف ثم أري أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه المعافر، ثم أري أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه الملاء والوصائل، فكان تبع - فيما يزعمون - أول من كساه وأوصى به ولاته من جرهم، وأمرهم بتطهيره، والا يقربوه دما ولا ميتة ولا مثالا وهي الحائض، وجعل له بابا ومفتاحا، ثم خرج متوجها إلى اليمن بمن معه من جنوده، وبالحبرين، حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه، فأبوا عليه حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن.

حَدَّثَنَا ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا سلمة، عن ابن إسحاق، عن أبي مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي، قَالَ: سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة ابن عبيد الله يحدث أن تبعا لما دنا من اليمن ليدخلها، حالت حمير بينه وبين ذلك، وقالوا: لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا، فدعاهم إلى دينه، وقال: إنه دين خير من دينكم، قالوا: فحآكنا إلى النار، قَالَ: نعم - قَالَ:

وكانت باليمن فيما يزعم أهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه، تأكل الظالم ولا تضر المظلوم - فلما قالوا ذلك لتبع قَالَ: أنصفتم، نخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلديها حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج النار منه، فخرجت النار إليهم، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها، فذمرهم من حضرهم من الناس، وأمروهم بالصبر فصبروا، حتى غشيتهم وأكلت الأوثان وما قربوا معها، ومن حمل ذلك من رجال حمير، وخرج الحبران بمصاحفهما في

أعناقهما تعرق جباههما، لم تضرهما، فأصفت حمير عند ذلك على دينه، فمن هناك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن حَدَّثَنَا ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أصحابه أن الحبرين ومن خرج معهما من حمير، إنما اتبعوا النار ليردوها، وقالوا: من ردها فهو أولى بالحق، فدنا منها رجال من حمير بأوثانهم ليردوها، فدنت منهم لتأكلهم، فحادوا عنها فلم يستطيعوا ردها، ودنا منها الحبران بعد ذلك، وجعلتا يتلوان التوراة وتنكص، حتى رداها إلى مخرجها الذي خرجت منه، فأصفت عند ذلك حمير على دينهما، وكان رثام بيتا لهم يعظمونه ويخرون عنده ويكلمون منه إذ كانوا على شركهم، فقال الحبران لتبع: إنما هو شيطان يفتنهم ويلعب بهم، فخل بيننا وبينه، قَالَ: فشأنكما به، فاستخرجنا منه - فيما يزعم أهل اليمن - كلبا أسود، فذبحاه وهدما ذلك البيت، فبقاياها اليوم باليمن - كما ذكر لي - وهو رثام به آثار الدماء التي كانت تهراق عليه.

فقال تبع في مسيره ذلك وما كان هم به من أمر المدينة وشأن البيت وما صنع برجال هذيل الذين قالوا له ما قالوا، وما صنع بالبيت حين قدم مكة من كسوته تطهيره وما ذكر له الحبران من أمر رسول الله ص:

ما بال نومك مثل نوم الأرمد ... أرقا كأنك لا تزال تسهد

حقا على سبطين حلا يثربا ... أولى لهم بعقاب يوم مفسد!

ولقد نزلت من المدينة منزلا ... طاب المبيت به وطاب المرقد

وجعلت عرصة منزل برباوة ... بين العقيق إلى بقيع الغرقد

ولقد تركنا لأبها وقرارها ... وسباخها فرشت بقاع أجرد

ولقد هبطنا يثربا وصدورنا ... تغلي بلابلها بقتل محصد

ولقد حلفت يمين صبر مؤليا ... قسما لعمرك ليس بالمتردد
 إن جئت يثرب لا أغادر وسطها ... عذقا ولا بسرا يثرب يخلد
 حتى أتايني من قريظة عالم ... حبر لعمرك في اليهود مسود
 قَالَ ازدجر عن قرية محفوظة ... لنبي مكة من قریش مهتد
 فغفوت عنهم عفو غير مثرب ... وتركتم لعقاب يوم سرمد
 وتركتم لله أرجو عفوهم ... يوم الحساب من الحميم الموقد
 ولقد تركت بها له من قومنا ... نفرا أولي حسب وبأس يحمّد
 نفرا يكون النصر في أعقابهم ... أرجو بذاك ثواب رب مُحَمَّد
 ما كنت أحسب أن بيتا طاهرا ... لله في بطحاء مكة يعبد
 حتى أتايني من هذيل أعبد ... بالدف من جمدان فوق المسند
 قَالُوا بمكة بيت مال داثر ... وكنوزه من لؤلؤ وزبرجد
 فأردت أمرا حال ربي دونه ... والله يدفع عن خراب المسجد
 فرددت ما أملت فيه وفيهم ... وتركتم مثلا لأهل المشهد
 قد كان ذو القرنين قبلي مسلما ... ملكا تدين له الملوك وتحشد
 ملك المشارق والمغارب يبتغي ... أسباب علم من حكيم مرشد
 فرأى مغيب الشمس عند غروبها ... في عين ذي خلب وثأط حرمّد
 من قبله بلقيس كانت عمتي ... ملكتهم حتى أتاها الهدهد
 حَدَّثَنَا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق، قَالَ: هذا الحي من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنق تبع على هذا الحي من يهود الذين كانوا بين أظهرهم، وأنه أراد هلاكهم حين قدم عليهم المدينة، فنعوه منهم، حتى انصرف عنهم ولذلك قَالَ في شعره:
 حنقا على سبطين حلا يثربا ... أولى لهم بعقاب يوم مفسد
 حَدَّثَنَا ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا سلمة، عن ابن إسحاق، قَالَ: وقد كان قدم على تبع قبل ذلك شافع بن كليب الصديقي، وكان كاهنا، فأقام عنده، فلما أراد توديعه قَالَ تبع: ما بقي من علمك؟ قَالَ: بقي خبر ناطق، وعلم صادق، قَالَ: فهل تجد لقوم ملكا يوازي ملكي؟ قَالَ:
 لا إلا الملك غسان نجل، قَالَ: فهل تجد ملكا يزيد عليه؟ قَالَ: نعم، قَالَ: ولمن؟ قَالَ أجد له لبار مبرور، أيد بالقهور، ووصف في الزبور، وفضلت أمته في السفور، يفرج الظلم بالنور، أحمد النبي، طوبى لأمته حين يجيء، ثم أحد بني لؤي، ثم أحد بني قصي فبعث تبع إلى الزبور فنظر فيها، فإذا هو يجد صفه النبي ص.
 حَدَّثَنَا ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا سلمة، عن ابن إسحاق، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِمَّنْ يَرْوِي الْأَحَادِيثَ، لَخَدَّثَ بَعْضُهُمْ بَعْضَ الْحَدِيثِ، وَكُلُّ ذَلِكَ قَدْ اجْتَمَعَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ مَلِكًا مِنْ نَحْمٍ، كَانَ بِالْيَمَنِ فِيمَا بَيْنَ التَّبَاعَةِ مِنْ حَمِيرٍ، يُقَالُ لَهُ: رَبِيعَةُ بْنُ نَصْرٍ، وَقَدْ كَانَ قَبْلَ مُلْكِهِ بِالْيَمَنِ مَلِكٌ تَبَعَ الْأَوَّلَ، وَهُوَ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو ذِي الْأَذْعَارِ بْنِ أَبْرَهَةَ ذِي الْمَنَارِ بْنِ الرَّائِشِ بْنِ قَيْسِ بْنِ صَيْفِي بْنِ سَبَا الْأَصْغَرِ بْنِ كَهْفِ الظُّلَمِ بْنِ زَيْدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ قَيْسِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ جُشَمِ بْنِ وَائِلِ بْنِ الْغَوْثِ بْنِ قَطَنِ بْنِ عَرِيْبِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ أَيْمَنَ بْنِ هُمَيْسَ بْنِ الْعَرَنَجِ حَمِيرِ بْنِ سَبَا الْأَكْبَرِ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ يَشْجَبَ بْنِ حُطَّانَ:
 وَكَانَ اسْمُ سَبَا عَبْدَ شَمْسٍ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ سَبَاً - فِيمَا يَزْعُمُونَ - لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَبَى فِي الْعَرَبِ.

فَهَذَا بَيْتُ مَمْلَكَةِ حَمِيرَ الَّذِي فِيهِ كَانَتِ التَّبَاعَةُ، ثُمَّ كَانَ بَعْدَ تَبِيعِ الْأَوَّلِ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو، وَشَمْرُ بْنُ يَعْنَى بْنِ يَاسِرٍ يَنْعَمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْأَذْعَارِ، ابْنُ عَمِّهِ.

وَشَمْرُ بْنُ يَعْنَى الَّذِي غَزَا الصِّينَ وَبَنَى سَمَرْقَنْدَ وَحَيْرَ الْحِيرَةِ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ:

أَنَا شَمْرُ أَبُو كَرْبِ الْيَمَانِيِّ ... جَلَبْتُ الْخَيْلَ مِنْ يَمَنٍ وَشَامٍ
لَأَتِيَّ أَعْبَادًا مَرَدُوا عَلَيْنَا ... وَرَاءَ الصِّينِ فِي عَثَمٍ وَيَامٍ
فَنَحْكُمُ فِي بِلَادِهِمْ بِحُكْمٍ ... سَوَاءٌ لَا يُجَاوِزُهُ غَلَامُ
الْقَصِيدَةِ كُلِّهَا.

قَالَ: ثُمَّ كَانَ بَعْدَ شَمْرِ بْنِ يَعْنَى يَاسِرُ بْنُ يَنْعَمٍ تَبِيعَ الْأَصْغَرُ، وَهُوَ تَبَانُ أَسْعَدُ أَبُو كَرْبِ بْنِ مَلِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ تَبِيعِ الْأَوَّلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَذْعَارِ، وَهُوَ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ، وَسَاقَ الْحَبَرِينَ مِنْ يَهُودَ إِلَى الْيَمَنِ، وَعَمَّرَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ وَكَسَاهُ، وَقَالَ مَا قَالَ مِنَ الشَّعْرِ فَكُلُّ هَؤُلَاءِ مَمْلَكَةٌ قَبْلَ مَلِكِ رِبِيعَةَ بْنِ نَصْرِ بْنِ الْحَمِي، فَلَمَّا هَلَكَ رِبِيعَةُ بْنُ نَصْرِ، رَجَعَ مُلْكُ الْيَمَنِ كُلُّهُ إِلَى حَسَّانَ بْنِ تَبَانَ أَسْعَدَ أَبِي كَرْبِ بْنِ مَلِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَذْعَارِ حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رِبِيعَةَ بْنَ نَصْرِ رَأَى رُؤْيَا هَالَتَهُ، وَفُطِعَ بِهَا، فَلَمَّا رَأَاهَا بَعَثَ فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ، فَلَمْ يَدْعُ كَاهِنًا وَلَا سَاحِرًا وَلَا عَاطِفًا وَلَا مَنْجُمًا إِلَّا جَمَعَهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا هَالَتَنِي وَفُطِعَتْ بِهَا، فَأَخْبِرُونِي بِتَأْوِيلِهَا، قَالُوا لَهُ: اقْصِصْهَا عَلَيْنَا لِنُخْبِرَكَ بِتَأْوِيلِهَا، قَالَ: إِنِّي إِنْ أَخْبَرْتُمْ بِهَا لَمْ أَطْمَآنِ إِلَى خَبَرِكُمْ عَنْ تَأْوِيلِهَا، إِنَّهُ لَا يَعْرِفُ تَأْوِيلَهَا إِلَّا مَنْ يَعْرِفُهَا قَبْلَ أَنْ أَخْبِرَهُ بِهَا فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ جَمَعُوا لَذَلِكَ: فَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ يَرِيدُ هَذَا فَلْيَبْعِثْ إِلَى سَطِيحٍ وَشَقٍّ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْهُمَا، فَهَمَّا يَخْبِرَانِكَ بِمَا سَأَلْتَ - واسم سَطِيحٍ رِبِيعَةُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ مَازَنَ بْنِ ذَيْبِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ مَازَنَ بْنِ غَسَّانَ، وَكَانَ يُقَالُ لِسَطِيحٍ: الذَّبِّي، لِنَسَبَتِهِ إِلَى ذَيْبِ بْنِ عَدِيِّ وَشَقٍّ بْنُ صَعْبِ بْنِ يَشْكُرَ بْنِ رَهْمِ بْنِ أَفْرَكِ بْنِ نَذِيرِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَبْقَرِ بْنِ أَمَّارٍ فَلَمَّا قَالُوا لَهُ ذَلِكَ بَعَثَ إِلَيْهِمَا، فَقَدِمَ عَلَيْهِ قَبْلَ شَقٍّ سَطِيحٍ، وَلَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِهِمَا مِثْلُهُمَا مِنَ الْكُهَّانِ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ سَطِيحٌ دَعَاهُ

فَقَالَ لَهُ: يَا سَطِيحُ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا هَالَتَنِي وَفُطِعَتْ بِهَا، فَأَخْبِرْنِي بِهَا فَإِنَّكَ إِنْ أَصَبْتَهَا أَصَبْتَ تَأْوِيلَهَا، قَالَ - أَفْعَلُ، رَأَيْتُ جَمِجَمَةً - قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ:

وَقَدْ وَجَدْتَهُ فِي مَوَاضِعٍ أُخْرَى، رَأَيْتُ حَمَمَةً - خَرَجْتَ مِنْ ظِلِّهِ، فَوَقَعْتَ بِأَرْضِ شَهْمَةٍ، فَأَكَلْتَ مِنْهَا كُلَّ ذَاتٍ جَمِجَمَةٍ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا أَخْطَأْتُ مِنْهَا شَيْئًا يَا سَطِيحُ، فَمَا عِنْدَكَ فِي تَأْوِيلِهَا؟ فَقَالَ: أَحْلَفُ بِمَا بَيْنَ الْحَرَتَيْنِ مِنْ حَنْشٍ، لِيَهْبِطَنَّ أَرْضُكُمْ الْحَبَشُ، فَلْيَمْلِكَنَّ مَا بَيْنَ ابْنِ إِلَى جَرَشٍ.

قَالَ لَهُ الْمَلِكُ: وَأَيْبُكَ يَا سَطِيحُ، إِنْ هَذَا لَغَائِظٌ مُوجِعٌ، فَتَى هُوَ كَأَنَّ يَا سَطِيحُ؟

أَفِي زَمَانِي أَمْ بَعْدَهُ؟ قَالَ: لَا بَلْ بَعْدَهُ بِحِينَ، أَكْثَرُ مِنْ سِتِينَ أَوْ سَبْعِينَ، يَمْضِينَ مِنَ السَّنِينَ قَالَ: فَهَلْ يَدُومُ ذَلِكَ مِنْ مَمْلَكِهِمْ أَوْ يَنْقَطِعُ؟ قَالَ: بَلْ يَنْقَطِعُ لِبُضْعٍ وَسَبْعِينَ، يَمْضِينَ مِنَ السَّنِينَ، ثُمَّ يَقْتُلُونَ بِهَا أَجْمَعُونَ، وَيُخْرِجُونَ مِنْهَا هَارِبِينَ قَالَ الْمَلِكُ: وَمَنْ ذَا الَّذِي يَلِي ذَلِكَ مِنْ قَتْلِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ؟ قَالَ: يَلِيهِ إِرمُ ذِي يَزَنَ، يُخْرِجُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدَنَ، فَلَا يَتْرَكُ مِنْهُمْ أَحَدًا بِالْيَمَنِ قَالَ أَفَيَدُومُ ذَلِكَ مِنْ سُلْطَانِهِ أَوْ يَنْقَطِعُ؟ قَالَ: بَلْ يَنْقَطِعُ قَالَ: وَمَنْ يَقْطَعُهُ؟

قَالَ: نَبِي زَكِي، يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ الْعَلِيِّ قَالَ: وَمَنْ هَذَا النَّبِيُّ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ غَالِبِ بْنِ فَهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ، يَكُونُ الْمَلِكُ فِي قَوْمِهِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، قَالَ: وَهَلْ لِلدَّهْرِ يَا سَطِيحُ مِنْ آخَرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، يَوْمَ يَجْمَعُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، وَيَسْعُدُ فِيهِ الْمُحْسِنُونَ، وَيَشْقَى فِيهِ الْمُسِيئُونَ قَالَ: أَحَقُّ مَا تُخْبِرُنَا يَا سَطِيحُ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَالشَّفَقُ وَالْغَسَقُ، وَالْفَلَقُ إِذَا اتَّسَقَ، إِنْ مَا أَنْبَأْتُكَ بِهِ لَحَقُ.

فَلَمَّا فَرَغَ قَدِمَ عَلَيْهِ شَقٍّ، فَدَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا شَقٍّ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا هَالَتَنِي وَفُطِعَتْ بِهَا، فَأَخْبِرْنِي عَنْهَا، فَإِنَّكَ إِنْ أَصَبْتَهَا أَصَبْتَ تَأْوِيلَهَا -

كما قَالَ لسطيح، وقد كتبه ما قَالَ سطيح لينظر أيتفان أم يختلفان- قَالَ:

نعم، رأيت جمجمه، خرجت من ظلمة، فوقعت بين روضة وأكمه، فأكلت منها كل ذات نسمة فلها رأى ذلك الملك من قولهما شيئاً واحداً، قَالَ له: ما أخطأت يا شق منها شيئاً، فما عندك في تأويلها؟ قَالَ: احلف بما بين الحرتين من انسان، لينزلن أرضكم السودان، فليغلبن على كل طفله

البنان، وليلكن ما بين أبين إلى نجران فقال له الملك: وأبيك يا شق إن هذا لنا لغائظ موجه، فتى هو كائن؟ أفي زماني أم بعده؟ قَالَ: بل بعدك بزمان، ثم يستنقذك منه عظيم ذو شأن، ويذيقهم أشد الهوان قَالَ: ومن هذا العظيم الشأن؟ قَالَ: غلام ليس بدني ولا مدن، يخرج من بيت ذي وزن، قَالَ: فهل يدوم سلطانه أو ينقطع؟ قَالَ: بل ينقطع برسول مرسل، يأتي بالحق والعدل، بين أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل، قَالَ: وما يوم الفصل؟ قَالَ: يوم يجزى فيه الولاة، يدعى من السماء بدعوات، يسمع منها الأحياء والأموات، ويجمع فيه الناس للبيقات، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات قَالَ: أحق ما تقول يا شق؟ قَالَ: إي ورب السماء والأرض، وما بينهما من رفع وخفض، إن ما نبأتك لحق ما فيه أمض فلها فرغ من مسألتها، وقع في نفسه أن الذي قاله كائن من أمر الحبشة، فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ، فأسكنهم الحيرة، فمن بقية ربيعة بن نصر كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة، وهو النعمان بن المنذر ابن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر ذلك الملك في نسب أهل اليمن وعلمهم.

حدثنا ابن حميد، قَالَ: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قَالَ: ولما قَالَ سطيح وشق لربيعة بن نصر ذلك، وصنع ربيعة بولده وأهل بيته ما صنع، ذهب ذكر ذلك في العرب، وتحذثوا حتى فشا ذكره وعلمه فيهم، فلها نزلت الحبشة اليمن، ووقع الأمر الذي كانوا يتحدثون به من أمر الكاهنين، قَالَ الأعشى، أعشى بني قيس بن ثعلبة البكري، في بعض ما يقول، وهو يذكر ما وقع من أمر دينك الكاهنين: سطيح وشق:

ما نظرت ذات أشفار كنظرتها ... حقاً كما نطق الذئبي إذ سجعاً

وكان سطيح إنما يدعوه العرب الذئبي، لأنه من ولد ذئب بن عدي فلها هلك ربيعة بن نصر، واجتمع ملك اليمن إلى حسان بن تبارق أسعد ابني كرب بن ملكي كرب بن زيد بن عمرو ذي الأذعار، كان مما هاج أمر الحبشة وتحول الملك عن حمير وانقطاع مدة سلطانهم- ولكل أمر سبب- ان حسان ابن تبارق أسعد أبي كرب، سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض العجم، كما كانت التبابعة قبله تفعل، حتى إذا كان ببعض أرض العراق، كرهت حمير وقبائل اليمن السير معه، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم، فكلهموا أخاه له كان معه في جيشه، يقال له عمرو، فقالوا له: اقتل أخاك حسان نملكك علينا مكانه، وترجع بنا إلى بلادنا فتابعهم على ذلك، فأجمع أخوه ومن معه من حمير وقبائل اليمن على قتل حسان، إلا ما كان من ذي رعين الحميري، فإنه نهاه عن ذلك، وقال له: إنكم أهل بيت مملكتنا، لا تقتل أخاك ولا تشنت أمر أهل بيتك- أو كما قال له- فلها لم يقبل منه قوله- وكان ذو رعين شريفاً من حمير- عمد إلى صحيفة فكتب فيها:

ألا من يشتري سهراً بنوم ... سعيد من يبيت قرير عين

فإما حمير غدرت وخانت ... فمعدرة الإله لذي رعين

ثم ختم عليها ثم أتى بها عمراً، فقال له: ضع لي عندك هذا الكتاب، فإن لي فيه بغية وحاجة، ففعل فلها بلغ حسان ما أجمع عليه أخوه عمرو وحمير وقبائل اليمن من قتله، قَالَ لعمرو:

يا عمرو لا تعجل علي منيتي ... فالملك تأخذه بغير حشود

فأبى إلا قتله، فقتله ثم رجع بمن معه من جنده إلى اليمن فقال قائل من حمير:

إن لله من رأى مثل حسان ... قتيلاً في سالف الأحقاب

قتلته الأقيال من خشية الجيش ... وقالوا له لباب لباب

ميتكم خيرنا وحيكم ... رب علينا وكلكم أربابى

فلما نزل عمرو بن تبان أسعد أبي كرب اليمن منع منه النوم، وسلط عليه السهر- فيما يزعمون- فجعل لا ينام، فلما جهده ذلك جعل يسأل الأطباء والحزاة من الكهان والعرافين عما به، ويقول: منع مني النوم فلا أقدر عليه، وقد جهدني السهر، فقال له قاتل منهم: والله ما قتل رجل أخاه قط أو ذا رحم بغيا على مثل ما قتلت عليه أخاك إلا ذهب نومه، وسلط عليه السهر، فلما قيل له ذلك، جعل يقتل كل من كان أمره بقتل أخيه حسان من أشراف حمير وقبائل اليمن، حتى خلس إلى ذي رعين، فلما أراد قتله قال: إن لي عندك براءة مما تريد أن تصنع بي، قال له: وما براءتك عندي؟

قال: اخرج الكتاب الذي كنت استودعته ووضعته عندك، فأخرج له الكتاب، فإذا فيه ذانك البيتان من الشعر:

ألا من يشتري سهرا بنوم ... سعيد من يبيت قرير عين

فإما حمير غدرت وخانت ... فمعدرة الإله لذي رعين

فلما قرأهما عمرو قال له ذو رعين: قد كنت نهيتك عن قتل أخيك فعصيتني، فلما أبيت علي وضعت هذا الكتاب عندك حجة لي عليك، وعذرا لي عندك، وتخوف أن يصيبك إن أنت قتلت الذي أصابك، فإن أردت بي ما أراك تصنع بمن كان أمرك بقتل أخيك، كان هذا الكتاب نجاة لي عندك، فتركه عمرو بن تبان أسعد فلم يقتله من بين أشراف حمير، ورأى أن قد نصحه لو قبل منه نصيحته وقال عمرو بن تبان أسعد حين قتل من قتل من حمير وأهل اليمن ممن كان أمره بقتل أخيه حسان، فقال:

شرينا النوم إذ عصبت غالب ... بتسفيد وعقد غير مين

تنادوا عند غدرهم: لباب ... وقد برزت معاذر ذي رعين

قتلنا من تولى المكر منهم ... بواء بآبن رهم غير دين

قتلناهم بحسان بن رهم ... وحسان قتيل الثائرين

قتلناهم فلا بقيا عليهم ... وقرت عند ذاكم كل عين

عيون نوادب يبكين شجوا ... حرائر من نساء الفيلقين

أوانس بالعشاء وهن حور ... إذا طلعت فروع الشعيرين

فعرّف بالوفاء إذا اتّمتنا ... ومن يغدر نباينه بين

فضلنا الناس كلهم جميعا ... كفضل الإبرزي على اللجين

ملكنا الناس كلهم جميعا ... لنا الأسباب بعد التبعين

ملكنا بعد داود زمانا ... وعبدنا ملوك المشرقين

زبرنا في ظفار زبور مجد ... ليقرأه قروم القريرين

فنحن الطالبون لكل وتر ... إذا قال المفاول أين أين!

سأشفي من ولاة المكر نفسي ... وكان المكر حينهم وحيني

أطعهم فلم أرشد وكانوا ... غواة أهلكوا حسبي وزيني

قال: ثم لم يلبث عمرو بن تبان أسعد أن هلك.

قال هشام بن محمد: عمرو بن تبع هذا يدعى موثبان، لأنه وثب على أخيه حسان بفرضة نعم فقتله- قال: وفرضة نعم رحبة طوق بن مالك، وكانت نعم سرية تبع حسان بن أسعد.

رجع الحديث الى حديث ابن اسحق قال: فرج أمر حمير عند ذلك، وتفرقوا، فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة منهم، يقال له لخنيسة ينوف ذو شناتر، فلكهم فقتل خيارهم، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم، فقال قاتل من حمير، يذكر ما ضيعت حمير من أمرها، وفرقت جماعتها، ونفت من خيارها:

تقتل أبنائها وتنفي سراتها ... وتبني بأيديهم لها الذل حمير

تدمر دنياها بطيش حلومها ... وما ضيعت من دينها فهو أكثر

كذلك القرون قبل ذاك بظلمها ... وإسرافها تأتي الشرور فتخسر

وكان لخنيعة ينوف ذو شناتريصنع ذلك بهم- وكان امرأ فاسقا يزعمون أنه كان يعمل عمل قوم لوط، ثم كان- مع الذي بلغ منهم من القتل والبغي- إذا سمع بالغلام من أبناء الملوك قد بلغ أرسل إليه فوقع عليه في مشربة له قد صنعها لذلك، لئلا يملك بعد ذلك أبدا، ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه ومن حضر من جنده، وهم أسفل منه، قد أخذ سواكا، فجعله في فيه- أي ليعلمهم أنه قد فرغ منه ثم يخلي سبيله، فيخرج على حرسه وعلى الناس وقد فضحه، حتى إذا كان آخر أبناء تلك الملوك زرعة ذو نواس بن تبان أسعد أبي كرب بن ملكيكرب بن زيد بن عمرو ذي الازعار أخو حسان- وزرعة كان صبيا صغيرا حين أصيب أخوه، فشب غلاما جميلا وسيما ذا هيئة وعقل- فبعث إليه لخنيعة ينوف ذو شناتر، ليفعل به كما كان يفعل بأبناء الملوك قبله، فلما أتاه رسوله عرف الذي يريد به، فأخذ سكيننا حديدا لطيفا، فجعله بين نعله وقدمه، ثم انطلق إليه مع رسوله، فلما خلا به في مشربته تلك أغلقها عليه وعليه، ثم وثب عليه وواشه ذو نواس بالسكين فطعنه به حتى قتله، ثم احتز رأسه، فجعله في كوة مشربته تلك التي يطلع منها إلى حرسه وجنده، ثم أخذ سواكه ذلك، فجعله في فيه ثم خرج على الناس، فقالوا له: ذو نواس، أرطب أم يباس؟ فقال: سل نخماس استرطبان ذو نواس، استرطبان ذو نواس، لا باس فذهبوا ينظرون حين قال لهم ما قال، فإذا رأس لخنيعة ينوف ذي شناتر في الكوة مقطوع في فيه سواكه، قد وضعه ذو نواس فيها فخرجت حمير والأحراس في أثر ذي نواس حتى أدركوه، فقالوا له: ما ينبغي لنا أن يملكنا إلا أنت، إذ أرحتنا من هذا الخبيث.

فملكوه واستجمعت عليه حمير وقبائل اليمن، فكان آخر ملوك حمير وتهود وتهودت معه حمير، وتسمى يوسف، فأقام في ملكه زمنا وبخجران بقايا من أهل دين عيسى على الإنجيل، أهل فضل واستقامة، لهم من أهل دينهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر، وكان موقع أصل ذلك الدين بخجران، وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها ثم إن رجلا من بقايا أهل ذلك الدين وقع بين أظهرهم يقال له فيميون، فحملهم عليه فدانوا به قال هشام: زرعة ذو نواس، فلما تهود سمي يوسف، وهو الذي خد الأخدود بخجران وقتل النصارى.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن المغيرة بن أبي ليبيد مولى الأخنس، عن وهب بن منبه اليماني، أنه حدثهم إن موقع ذلك الدين بخجران كان أن رجلا من بقايا أهل دين عيسى بن مريم يقال له فيميون، وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا، مجاب الدعوة، وكان سائحا ينزل القرى، لا يعرف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يعرف فيها وكان لا يأكل إلا من كسب يده، وكان بناء يعمل الطين، وكان يعظم الأحد، فإذا كان الأحد لم يعمل فيه شيئا، وخرج إلى فلاة من الأرض فصلى بها حتى يمسي، وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا، إذ فطن لشأنه رجل من أهلها، يقال له صالح، فأحبه صالح حبا لم يحبه شيئا كان قبله، فكان يتبعه حيث ذهب، ولا يفطن له فيميون حتى خرج مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض كما كان يصنع، وقد اتبعه صالح، وفيميون لا يدري، فجلس صالح منه منظر العين، مستخفيا منه لا يحب أن يعلم مكانه، وقام فيميون يصلي، فبينما هو يصلي إذ أقبل نحوه التنين- الحية ذات الرؤوس السبعة- فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت، ورآها صالح، ولم يدر ما أصابها، فخافها عليه فعيل عوله، فصرخ: يا فيميون، التنين قد أقبل نحوك! فلم يلتفت إليه، وأقبل على صلاته حتى فرغ وأمسى، وانصرف وعرف أنه قد عرف، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه، فكلمه، فقال: يا فيميون، يعلم الله ما أحببت شيئا حبك قط، وقد أردت صحبتك والكينونة معك حيثما كنت قال: ما شئت، أمري كما ترى، فإن ظننت أنك تقوى عليه فنعم فلزمه صالح، وقد كاد أهل القرية أن يفتنوا لشأنه، وكان إذا فاجأه العبد به ضر دعا له فشفي، وإذا دعى إلى أحد به الضر لم يأت.

وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير، فسأل عن شأن فيميون، فقيل له: إنه لا يأتي أحدا إذا دعاه، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر، فعمد الرجل إلى ابنه ذلك فوضعه في حجرته، وألقى عليه ثوبا، ثم جاءه فقال له:

يا فيميون، إني قد أردت أن أعمل في بيتي عملا، فانطلق معي حتى تنظر إليه فأشارتك عليه، فانطلق معه حتى دخل حجرته، ثم قال: ما تريد أن تعمل في بيتك؟ قال: كذا وكذا ثم انتشط الرجل الثوب عن الصبي، ثم قال: يا فيميون، عبد من عباد الله أصابه ما ترى،

فادع الله له، فقال فيميون حين رأى الصبي: اللهم عبد من عبادك دخل عليه عدوك في نعمتك ليفسدها عليه فاشفه وعافه، وامنعه منه، فقام الصبي ليس به بأس.

وعرف فيميون أنه قد عرف، فخرج من القرية، واتبعه صالح، فبينما هو يمشي في بعض الشام مر بشجرة عظيمة، فناداه منها رجل، فقال:

أفيميون! قَالَ: نعم، قَالَ: ما زلت أنتظر وأقول: متى هو جاء، حتى سمعت صوتك، فعرفت أنك هو، لا تبرح حتى تقوم علي، فإني ميت الآن قَالَ: فمات، وقام عليه حتى وراه ثم انصرف ومعه صالح، حتى وطئا بعض أرض العرب، فعدى عليهما فاختطفتهما سيارة من بعض العرب، فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران- وأهل نجران يومئذ على دين العرب، تعبد نخلة طويلة بين أظهرهم، لهم عيد كل سنة، إذا كان ذلك العيد علقوا عليها

كل ثوب حسن وجدوه، وحلي النساء ثم خرجوا، فعكفوا عليها يوما- فابتاع رجل من أشرافهم فيميون، وابتاع رجل آخر صالحا، فكان فيميون إذا قام من الليل- في بيت له أسكنه إياه سيده الذي ابتاعه- يصلي، استسرج له البيت نورا، حتى يصبح من غير مصباح، فرأى ذلك سيده فأعجبه ما رأى، فسأله عن دينه فأخبره به، فقال له فيميون: إنما أنتم في باطل، وإن هذه النخلة لا تضر ولا تنفع، لو دعوت عليها الذي أعبد أهلها، وهو الله وحده لا شريك له قَالَ: فقال له سيده: فافعل، فإنك إن فعلت دخلنا في دينك، وتركنا ما كنا عليه، قَالَ: فقام فيميون، فتطهر ثم صلى ركعتين، ثم دعا الله عليهما، فأرسل الله ريحا فجعلتهما من أصلها فألقتهما، فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه، فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم ثم دخل عليهم بعد ذلك الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض.

فمن هنالك كانت النصرانية بنجران في أرض العرب.

فهذا حديث وهب بن منبه في خبر أهل نجران حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ زِيَادٍ، مَوْلَى ابْنِي هَاشِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ قَالَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ أَيْضًا عَنْ بَعْضِ أَهْلِ نَجْرَانَ أَنَّ أَهْلَ نَجْرَانَ كَانُوا أَهْلَ شِرْكٍ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، وَكَانَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ قَرَاهَا قَرِيبًا مِنْ نَجْرَانَ- وَنَجْرَانَ الْقَرْيَةُ الْعَظْمَى الَّتِي إِلَيْهَا جَمَاعَةُ أَهْلِ تِلْكَ الْبِلَادِ- سَاحِرٌ يَعْلَمُ غُلْمَانَ أَهْلِ نَجْرَانَ السَّحَرِ، فَلَمَّا أَنَّ نَزَلَهَا فِيمْيُونَ- قَالَ: وَلَمْ يَسْمُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَاهُ بِهِ وَهَبُ بْنُ مَنْبَهٍ، قَالُوا: رَجُلٌ نَزَلَهَا- ابْتَنَى خِيْمَةً بَيْنَ نَجْرَانَ وَبَيْنَ تِلْكَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بِهَا السَّاحِرُ، فَجَعَلَ أَهْلُ نَجْرَانَ يَرْسِلُونَ غُلْمَانَهُمْ إِلَى ذَلِكَ السَّاحِرِ لِيُعَلِّمَهُمُ السَّحَرَ، فَبَعَثَ الثَّامِرُ ابْنَهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الثَّامِرِ، مَعَ غُلْمَانِ أَهْلِ نَجْرَانَ، فَكَانَ إِذَا مَرَّ بِصَاحِبِ الْخِيْمَةِ أَعْجَبَهُ مَا يَرَى مِنْ صَلَاتِهِ وَعِبَادَتِهِ، فَجَعَلَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ وَيَسْمَعُ مِنْهُ حَتَّى

أَسْلَمَ، فَوَحَّدَ اللَّهُ وَعَبَدَهُ وَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنِ الْأَسْمِ الْأَعْظَمِ- وَكَانَ يَعْلَمُهُ- فَكَتَمَهُ إِيَّاهُ وَقَالَ: يَا بَنَ أَخِي، إِنَّكَ لَنْ تَحْتَمِلَهُ، أَخَشَى ضَعْفَكَ عَنْهُ فَلَمَّا ابْنَى عَلَيْهِ- وَالثَّامِرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لَا يَظُنُّ إِلَّا أَنَّ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَخْتَلِفُ إِلَى السَّاحِرِ كَمَا يَخْتَلِفُ الْغُلْمَانُ- فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ أَنَّ صَاحِبَهُ قَدْ ضَنَّ بِهِ عَنْهُ، وَتَخَوَّفَ ضَعْفَهُ فِيهِ عَمِدَ إِلَى قَدَاحٍ فَجَمَعَهَا، ثُمَّ لَمْ يَبْقَ لِلَّهِ اسْمًا يَعْلَمُهُ إِلَّا كَتَبَهُ فِي قَدَحٍ، لِكُلِّ اسْمٍ قَدَحٍ، حَتَّى إِذَا أَحْصَاهَا أَوْقَدَ لَهَا نَارًا، ثُمَّ جَعَلَ يَقْذِفُهَا فِيهَا قَدَحًا قَدَحًا، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِالْأَسْمِ الْأَعْظَمِ قَذَفَ فِيهَا بِقَدَحِهِ، فَوَثَبَ الْقَدَحُ حَتَّى خَرَجَ مِنْهَا، لَمْ يَضُرْهُ شَيْءٌ، فَقَامَ إِلَيْهِ فَأَخَذَهُ، ثُمَّ أَتَى صَاحِبَهُ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ الْأَسْمَ الَّذِي كَتَمَهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا هُوَ؟ قَالَ، كَذَا وَكَذَا، قَالَ: وَكَيْفَ عَلِمْتَهُ؟ فَأَخْبَرَهُ كَيْفَ صَنَعَ، قَالَ: فَقَالَ: يَا بَنَ أَخِي، قَدْ أَصَبْتَهُ فَاْمْسِكْ عَلَى نَفْسِكَ، وَمَا أَظُنُّ أَنَّ تَفْعَلَ فَجَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الثَّامِرِ إِذَا أَتَى نَجْرَانَ لَمْ يَلِقْ أَحَدًا بِهِ ضَرًّا إِلَّا قَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَتَوَحَّدُ اللَّهَ وَتَدْخُلُ فِي دِينِي فَأَدْعُو اللَّهَ فَيُعَافِيكَ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُوَحِّدُ اللَّهَ وَيَسْلِمُ، وَيَدْعُو لَهُ فَيَشْفِي، حَتَّى لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ بِنَجْرَانَ بِهِ ضَرٌّ إِلَّا أَتَاهُ فَاتَّبَعَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَدَعَا لَهُ فَعُوفِي، حَتَّى رَفَعَ شَأْنَهُ إِلَى مَلِكِ نَجْرَانَ، فَدَعَا فَقَالَ لَهُ: أَفْسَدْتَ عَلَيَّ أَهْلَ قَرْيَتِي، وَخَالَفْتَ دِينِي وَدِينَ آبَائِي، لِأَمْثَلَنِي بِكَ! قَالَ: لَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَجَعَلَ يَرْسِلُ بِهِ إِلَى الْجَبَلِ الطَّوِيلِ فَيَطْرَحُ عَنْ رَأْسِهِ فَيَقَعُ عَلَى الْأَرْضِ، لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، وَجَعَلَ يَبْعَثُ بِهِ إِلَى مِيَاهِ نَجْرَانَ، بِحُورٍ لَا يَقَعُ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا هَلَكَ، فَيَلْقَى فِيهَا فَيَخْرُجُ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، فَلَمَّا غَلِبَهُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الثَّامِرِ:

إنك والله لا تقدر على قتلي حتى توحده الله فتؤمن بما آمنت به، فإنك إن فعلت ذلك سلطت علي فقتلتني، فوحد الله ذلك الملك، وشهد بشهادته عبد الله ابن الثامر، ثم ضربه بعضا في يده فشججه شجرة غير كبيرة فقتله، فهلك الملك مكانه، واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر، وكان على ما جاء به عيسى بن مريم من الإنجيل وحكمه، ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث، فن هنالك كان أصل النصرانية بنجران

فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن ذلك والله اعلم.

قال: فسار اليهم ذو نواس بجنوده من حمير وقبائل اليمن، فجمعهم ثم دعاهم إلى دين اليهودية، فخيرهم بين القتل والدخول فيها، فاختراروا القتل، نغد لهم الأخدود، فخرق بالنار، وقتل بالسيف، ومثل بهم كل مثله، حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا، وأفلت منهم رجل يقال له دوس ذو ثعلبان، على فرس له، فسلك الرمل فأعجزهم.

قال: وقد سمعت بعض أهل اليمن يقول: إن الذي أفلت منهم رجل من أهل نجران يقال له جبار بن فيض.

قال: وأثبت الحديثين عندي الذي حدَّثني أنه دوس ذو ثعلبان.

ثم رجع ذو نواس بمن معه من جنوده إلى صنعاء من أرض اليمن ففي ذي نواس وجنوده تلك حدَّثنا ابن حميد، قال: حدَّثنا سلمة بن الفضل، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: أنزل الله على رسوله: «قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ» إلى قوله: «بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ».

يقال: كان فيمن قتل ذو نواس عبد الله بن الثامر رئيسهم وإمامهم.

ويقال: عبد الله بن الثامر قتل قبل ذلك، قتله ملك كان قبله، هو كان أصل ذلك الدين، وإنما قتل ذو نواس من كان بعده من أهل دينه.

وأما هشام بن محمد فإنه قال: لم يزل ملك اليمن متصلا لا يطمع فيه طامع، حتى ظهرت الحبشة على بلادهم في زمن أنوشروان قال: وكان سبب ظهورهم أن ذا نواس الحميري ملك اليمن في ذلك الزمان، وكان يهوديا، فقدم عليه يهودي، يقال له دوس من أهل نجران، فأخبره أن أهل نجران قتلوا ابنين له ظلما، واستنصره عليهم - وأهل نجران نصارى - فحمى ذو نواس لليهودية، فغزا أهل نجران، فأكثر فيهم القتل، فخرج رجل

من أهل نجران، حتى قدم على ملك الحبشة، فاعلمه ما ركبوا به، وأتاه الإنجيل قد أحرقت النار بعضه، فقال له: الرجال عندي كثير، وليست عندي سفن، وأنا كاتب إلى قيصر في البعثة إلى بسفن أحمل فيها الرجال.

فكتب إلى قيصر في ذلك، وبعث إليه بالإنجيل المحرق، فبعث إليه قيصر بسفن كثيرة.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق حدَّثنا ابن حميد، قال: حدَّثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، إنه حدث أن رجلا من أهل نجران في زمن عمر بن الخطاب حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجاته، فوجد عبد الله بن الثامر تحت دفن منها قاعدا واضعا يده على ضربة في رأسه ممسكا عليها بيده، فإذا أخرت يده عنها انتعبت دما، وإذا أرسلت يده ردها عليها، فامسك دما، وفي يده خاتم مكتوب فيه: ربي الله فكتب فيه إلى عمر يخبره بأمره، فكتب إليهم عمر: أن أقروه على حاله، وردوا عليه الدفن الذي كان عليه ففعلوا.

وخرج دوس ذو ثعلبان، حين أعجز القوم على وجهه ذلك، حتى قدم على قيصر صاحب الروم، فاستنصره على ذي نواس وجنوده، وأخبره بما بلغ منهم، فقال له قيصر: بعدت بلادك من بلادنا، ونأت عنا، فلا نقدر على أن نتناولها بالجنود، ولكني سأكتب لك إلى ملك الحبشة، فإنه على هذا الدين، وهو أقرب إلى بلادك منا فينصرك ويمنعك ويطلب لك بثأرك من ظلمك، واستحل منك ومن أهل دينك ما استحل فكتب معه قيصر إلى ملك الحبشة يذكر له حقه وما بلغ منه ومن أهل دينه، ويأمره بنصره، وطلب

ثأره ممن بغى عليه وعلى أهل دينه فلما قدم دوس ذو ثعلبان بكتاب قيصر على النجاشي صاحب الحبشة بعث معه سبعين ألفا من الحبشة وأمر عليهم رجلا منهم من أهل الحبشة، يقال له ارياط، وعهد إليه: إن أنت ظهرت عليهم فاقتل ثلث رجالهم، واخرب ثلث بلادهم،

واسب ثلث نسائهم وأبنائهم.

نفرج ارباط ومعه جنوده، وفي جنوده أبرهة الأشرم، فركب البحر ومعه دوس ذو ثعلبان، حتى نزلوا بساحل اليمن، وسمع بهم ذو نواس فجمع إليه حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن، فاجتمعوا إليه على اختلاف وتفرق، لانقطاع المدة وحلول البلاء والنقمة، فلم يكن له حرب غير أنه ناوش ذو نواس شيئاً من قتال، ثم انهزموا، ودخلها ارباط بجموعه، فلها رأى ذو نواس ما رأى مما نزل به وبقومه وجه فرسه إلى البحر، ثم ضربه فدخل فيه نفاض به ضحضاح البحر، حتى أفضى به إلى غمره، فألقمه فيه، فكان آخر العهد به. ووطيء ارباط اليمن بالحبشة، فقتل ثلث رجالها، وأخرب ثلث بلادها، وبعث إلى النجاشي بثلث سباياها ثم أقام بها، قد ضبطها وأذلها، فقال قائل من أهل اليمن، وهو يذكر ما ساق إليهم دوس ذو ثعلبان من أمر الحبشة، فقال: لا كدوس ولا كإعلاق رحله يعني ما ساق إليهم من الحبشة، فهي مثل باليمن إلى اليوم. وقال ذو جدن الحميري وهو يذكر حمير، وما دخل عليها من الذل بعد العز الذي كانوا فيه، وما هدم من حصون اليمن، وكان ارباط قد اخرب مع ما أخرب من أرض اليمن سلحين وبينون وغمدان، حصونا لم يكن في الناس مثلهما، فقال:

هونك ليس يرد الدمع ما فاتا ... لا تهلكي أسفا في ذكر من ماتا
أبعد بينون لا عين ولا أثر ... وبعد سلحين يبني الناس أبيتا!
وقال ذو جدن الحميري في ذلك:

دعيني لا ابالك لن تطيقي ... لحاك الله قد أنزفت ريتي
لدى عزف القيان إذ انتشيننا ... وإذ نسقى من الخمر الرحيق
وشرب الخمر ليس على عارا ... إذا لم يشكني فيها رفيقي
فإن الموت لا ينهيه ناه ... ولو شرب الشفاء مع النشوق
ولا مترهب في أسطوان ... يناطح جدره بيض الأنوق
وغمدان الذي حدث عنه ... بنوه ممسكا في رأس نيق
بمنهمة وأسفله جروب ... وحر الموحل اللثق الزليق
مصاييح السليط تلوح فيه ... إذا يمسي كتوماض البروق
ونخلته التي غرست إليه ... يكاد البسر بهصر بالعدوق
فأصبح بعد جدته رمادا ... وغير حسنه لهب الحريق
وأسلم ذو نواس مستميتا ... وحذر قومه ضنك المضيق

وقال ابن الذبابة الثقفي، وهو يذكر حمير حين نزل بها السودان وما أصابوا منهم:

لعمرك ما للفتى من مفر ... مع الموت يلحقه والكبر
لعمرك ما للفتى صحرة ... لعمرك ما إن له من وزر
أبعد قبائل من حمير ... أتوا ذا صباح بذات العبر
بالب الوب وحراة ... كمثل السماء قبيل المطر
يصم صياحهم المقربات ... وينفون من قاتلوا بالزمر
سعالى كمثل عديد التراب ... يبيس منهم رطاب الشجر

وأما هشام بن محمد، فإنه زعم أن السفن لما قدمت على النجاشي من عند قيصر حمل جيشه فيها، نفرجوا في ساحل المندب قال: فلما سمع بهم ذو نواس كتب إلى المقاول يدعوهم إلى مظاهرتهم، وأن يكون أمرهم في محاربة الحبشة ودفعهم عن بلادهم واحدا، فأبوا وقالوا: يقاتل كل رجل عن مقولته وناحيته فلما رأى ذلك صنع مفاتيح كثيرة، ثم حملها على عدة من الإبل، وخرج حتى لقي جمعهم، فقال: هذه مفاتيح خزائن اليمن قد جئتكم بها، فلکم المال والأرض، واستبقوا الرجال والذرية فقال عظيمهم:

اكتب بذلك إلى الملك، فكتب إلى النجاشي، فكتب إليه يأمره بقبول ذلك منهم، فسار بهم ذو نواس حتى إذا دخل بهم صنعاء، قال لعظيمهم: وجه ثقات أصحابك في قبض هذه الخزائن ففرق أصحابه في قبضها ودفع إليهم المفاتيح، وسبقت كتب ذي نواس إلى كل ناحية: أن اذبحوا كل ثور أسود في بلدكم، فقتلت الحبشة، فلم يبق منهم إلا الشريد وبلغ النجاشي ما كان من ذي نواس، فجهز إليه سبعين ألفاً، عليهم قائدان: أحدهما أبرهة الأشرم، فلما صاروا إلى صنعاء ورأى ذو نواس الا طاقة له بهم ركب فرسه، واعترض البحر فاقتحمه، فكان آخر العهد به.

وأقام أبرهة ملكاً على صنعاء ومخاليفها، ولم يبعث إلى النجاشي بشيء،

فقيل للنجاشي: إنه قد خلع طاعتك، ورأى أنه قد استغنى بنفسه، فوجه إليه جيشاً عليه رجل من أصحابه، يقال له أرياط، فلما حل بساحته، بعث إليه أبرهة أنه يجعني وإياك البلاد والدين، والواجب عليّ وعليك أن ننظر لأهل بلادنا وديننا ممن معي ومعك، فإن شئت فبارزني، فأبى ظفر بصاحبه كان الملك له، ولم يقتل الحبشة فيما بيننا فرضي بذلك أرياط، وأجمع أبرهة على المكر به، فاتعدا موضعاً يلتقيان فيه، وأكمن أبرهة لأرياط عبداً له يقال له أرنجده، في وهدة قريب من الموضع الذي التقيا فيه، فلما التقيا سبق أرياط فزرق أبرهة بحرته، فزالت الحربة عن رأسه وشرمت أنفه فسمي الأشرم، ونهض أرنجده من الحفرة، فزرق أرياط فأنفذه، فقتله، فقال أبرهة لأرنجده: احتكم فقال: لا تدخل امرأه اليمن على زوجها حتى يبدأ بي، قال: لك ذاك، فغبر بذلك زماناً ثم إن أهل اليمن عدوا عليه فقتلوه، فقال أبرهة: قد اني لكم أن تكونوا أحراراً، وبلغ النجاشي قتل أرياط، فإلى الا يكون له ناهية دون أن يهريق دم أبرهة، ويطأ بلاده، وبلغ أبرهة أليته، فكتب إليه: أيها الملك، إنما كان أرياط عبدك، وأنا عبدك، قدم عليّ يريد توهين ملكك، وقتل جندك، فسألته أن يكف عن قتالي إلى أن أوجه إليك رسولا، فإن أمرته بالكف عني، وإلا سلمت إليه جميع ما أنا فيه، فأبى إلا محاربتني، فخاربه فظهرت عليه، وإنما سلطاني لك، وقد بلغني أنك حلفت الا تنتهي حتى تهريق دمي، وتطأ بلادتي وقد بعثت إليك بقارورة من دمي، وجراب من تراب أرضي، وفي ذلك خروجك من يمينك، فاستم إليها الملك يدك عندي، وإنما أنا عبدك وعزري عزك. فرضي عنه النجاشي وأقره على عمله.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق قال: فأقام أرياط باليمن سنين في سلطانه ذلك، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي، وكان في جنده حتى تفرقت الحبشة عليهما، فأنحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم، ثم سار أحدهما إلى الآخر، فلما تقارب الناس، ودنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة إلى أرياط: إنك لن تصنع بأن تلقي الحبشة بعضها ببعض حتى تغنيها شيئاً، فابرز لي وأبرز لك، فأبى ما أصاب صاحبه انصرف إليه جنده.

فأرسل إليه أرياط: أن قد أنصفتني فانخرج نخرج إليه أبرهة، وكان رجلاً قصيراً لحيماً حادراً، وكان ذا دين في النصرانية، وخرج إليه أرياط وكان رجلاً عظيماً طويلاً وسيماً وفي يده حربة وخلف أبرهة ربوة تمنع ظهره وفيها غلام له يقال له عتودة، فلما دنا أحدهما من صاحبه رفع أرياط الحربة فضرب بها على رأس أبرهة - يريد يافوخه - فوقعت الحربة على جبهة أبرهة، فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفته، فبذلك سمي أبرهة الأشرم وحمل غلام أبرهة عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن، فقال عتودة في قتله أرياط: أنا عتودة، من فرقة أردة، لا أب ولا أم نجده، أي يقول: قتلك عبده، قال: فقال الأشرم عند ذلك لعتودة: حكمك يا عتودة وإن كنت قتلت، ولا ينبغي لنا ذلك إلا ديت، فقال عتودة: حكمتي ألا تدخل عروس من أهل اليمن على زوجها منهم حتى أصيبها قبله فقال: ذلك لك، ثم أخرج دية أرياط، وكان كل ما صنع أبرهة بغير علم النجاشي ملك الحبشة، فلما بلغ ذلك أبرهة حلق رأسه، ثم ملأ جراباً من تراب اليمن، ثم بعث به إلى النجاشي، وكتب إليه: أيها الملك،

إنما كان أرياط عبدك، وأنا عبدك، فاختلفنا في أمرك، وكل طاعته لك، إلا أنني كنت أقوى منه على أمر الحبشة، وأضبط لها وأسوس لها، وقد حلقت رأسي كله حين بلغني قسم الملك، وبعثت إليه بجراب من تراب أرض اليمن، ليضعه تحت قدميه فيبر قسمه. فلما انتهى ذلك إلى النجاشي رضي عنه، وكتب إليه: أن اثبت على عملك بأرض اليمن، حتى يأتيك أمري فلما رأى أبرهة أن النجاشي

قد رضي عنه، وملكه على الحبشة وأرض اليمن بعث إلى أبي مرة بن ذي يزن، فنزع منه امرأته ربحانة ابنة علقمة بن مالك بن زيد بن كهلان- وأبو ربحانة ذو جدن، وقد كانت ولدت لأبي مرة معد يكرب بن أبي مرة، وولدت لأبرهة بعد أبي مرة مسروق بن أبرهة، وبسباسة ابنة أبرهة، وهرب منه أبو مرة فأقام أبرهة باليمن وغلامه عتودة يصنع باليمن ما كان أعطاه من حكمه حيناً، ثم عدا على عتودة رجل من حمير- أو من خثعم- فقتله، فلما بلغ أبرهة قتله- وكان رجلاً حليماً سيداً شريفاً ورعاً في دينه من النصرانية- قال: قد انى لكم يا أهل اليمن أن يكون فيكم رجل حازم، يأنف مما يأنف منه الرجال، إني والله لو علمت حين حكمته أنه يسأل الذي سأل ما حكمته، ولا أنعمته عيناً، وإيم الله لا يؤخذ منكم فيه عقل، ولا يتبعكم مني في قتله شيء تكرهونه.

قال: ثم إن أبرهة بنى القليس بصنعاء، فبنى كنيسة لم ير مثلها في زمانها بشيء من الأرض، ثم كتب إلى النجاشي ملك الحبشة: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لك كان قبلك، ولست بمنته حتى أصرف إليها حاج العرب. فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي غضب رجل من النساء أحد بني فقيم، ثم أحد بني مالك، فخرج حتى أتى القليس فقتل فيها، ثم خرج فلحق بأرضه، فأخبر بذلك أبرهة، فقال: من صنع هذا؟

فقال: صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي تحج العرب إليه بمكة، لما سمع من قولك: أصرف إليه حاج العرب، فغضب فجاء فقتل فيها، أي أنها ليست لذلك بأهل فغضب عند ذلك أبرهة، وحلف ليسيرن إلى البيت فيهدمه، وعند أبرهة رجال من العرب، قد قدموا عليه يلتمسون فضله، منهم محمد بن خزاعي بن حزابة الذكواني، ثم السلمي، في نفر من قومه، معه أخ له، يقال له قيس بن خزاعي، فيناهم عنده غشيم عيد لأبرهة، فبعث إليهم فيه بغدائه، وكان يأكل الخصى، فلما أتى القوم بغدائه قالوا: والله لئن أكلنا هذا لا تزال تعيننا به العرب ما بقينا، فقام محمد بن خزاعي، فجاء أبرهة فقال: أيها الملك، هذا يوم عيد لنا، لا نأكل فيه إلا الجنوب والأيدي، فقال له أبرهة: فسنبعث إليكم ما أحببتم، فإنما أكرمتكم بغدائي لمنزلتكم مني.

ثم إن أبرهة توج محمد بن خزاعي، وأمره على مضر، وأمره أن يسير في الناس يدعوهم إلى حج القليس، كنيسة التي بناها فسار محمد بن خزاعي، حتى إذا نزل ببعض أرض بني كنانة- وقد بلغ أهل تهامة أمره، وما جاء له- بعثوا إليه رجلاً من هذيل، يقال له عروة بن حياض الملاصي، فرماه بسهم فقتله وكان مع محمد بن خزاعي أخوه قيس، فهرب حين قتل أخوه، فلحق بأبرهة، فأخبره بقتله، فزاد ذلك أبرهة غضباً وحنقاً، وحلف ليغزون بني كنانة وليهدم البيت.

وأما هشام بن محمد، فإنه قال: بنى أبرهة بعد أن رضي عنه النجاشي وأقره على عمله كنيسة صنعاء، فبناها بناء معجبا لم ير مثله، بالذهب والأصباغ المعجبة، وكتب إلى قيصر يعلمه أنه يريد بناء كنيسة بصنعاء، يبق أثراً وذكرها، وسأله المعونة له على ذلك فأعانه بالصناع والفسيفساء والرخام، وكتب أبرهة إلى النجاشي حين استتم بناؤها: إني أريد أن أصرف إليها حاج العرب فلما سمعت بذلك العرب أعظمته، وكبر عليها، فخرج رجل من بني مالك بن كنانة حتى قدم اليمن، فدخل الهيكل، فأحدث فيه، فغضب أبرهة، وأجمع على غزو مكة وهدم البيت، فخرج سائراً بالحبشة ومعه الفيل، فلقه ذو نفر الحميري، فقاتله فأسره، فقال: أيها الملك، إنما أنا عبدك فاستبقني، فإن حياتي خير لك من قتلي، فاستبقاه، ثم سار فلقه نفيل

ابن حبيب الخثعمي، فقاتله فهزم أصحابه، وأسره، فسأله أن يستبقه، ففعل وجعله دليلاً في أرض العرب. رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق قال: ثم إن أبرهة حين أجمع السير إلى البيت أمر الحبشان فتهيأت وتجهزت، وخرج معه بالقيط- قال:

وسمعت العرب بذلك فأعظموه، وفضعوا به، ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام- فخرج له رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم، يقال له: ذو نفر، فدعا قومه ومن أجابه منهم من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله، وما يريد من هدمه وإخراجه، فأجابه من أجابه إلى ذلك، وعرض له فقاتله، فهزم ذو نفر وأصحابه، وأخذ له ذو نفر أسيراً، فأتي به، فلما أراد قتله قال له ذو نفر: أيها الملك، لا تقتلني، فإنه عسى أن يكون كوني معك خيراً لك من قتلي فتركه من القتل وحبسه

عنده في وثاق- وكان أبرهة رجلا حليما- ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك، يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم، عرض له نفيل ابن حبيب الخثعمي في قبيلي خثعم: شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأخذ له نفيل أسيرا، فأتي به، فلما هم بقتله قال له نفيل: أيها الملك، لا تقتلني فأني دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي لك على قبيلي خثعم، شهران وناهس بالسمع والطاعة، فأعفاه وخلي سبيله، وخرج به معه يده على الطريق، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف، فقال له: أيها الملك، إنما نحن عبيدك، سامعون لك مطيعون ليس لك عندنا خلاف، وليس يبتنا هذا بالبيت الذي تريد- يعنون اللات- إنما تريد البيت الذي بمكة- يعنون الكعبة- ونحن نبعث معك من يدلك. فتجاوز عنهم، وبعثوا معه أبا رغال، نفرج أبرهة ومعه أبو رغال، حتى أنزله المغمس، فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك، فرجعت العرب قبره، فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمس.

ولما نزل أبرهة المغمس بعث رجلا من الحبشة، يقال له الأسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال أهل مكة من قريش وغيرهم، وأصاب منها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها، فهتت قريش وكثانة وهذيل ومن كان بالحرم من سائر الناس بقتاله، ثم عرفوا أنه لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك، وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة، وقال له: سل عن سيد هذا البلد وشريفهم، ثم قل له: إن الملك يقول لكم: إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم البيت، فإن لم تعرضوا دونه بحرب، فلا حاجة لي بدمائكم، فإن لم يرد حربي فأتني به.

فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل له: عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم- أو كما قال- فإن يمنعه فهو بيته وحرمة، وإن يخل بينه وبينه، فوالله ما عندنا من دفع عنه- أو كما قال له- فقال له حناطة: فانطلق إلى الملك، فإنه قد أمرني أن آتيه بك- فانطلق معه عبد المطلب، ومعه بعض بنيه، حتى أتى العسكر فسأل عن ذي نفر- وكان له صديقا- حتى دل عليه، وهو في محبسه، فقال له: يا ذا نفر، هل عندك غناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر: وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدوا أو عشيا! ما عندي غناء في شيء مما نزل بك إلا أن أنيسا سائس الفيل لي صديق، فسأرسل إليه فأوصيه بك، وأعظم عليه حقك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما تريد، ويشفع لك عنده بخير، إن قدر على ذلك قال: حسبي.

فبعث ذو نفر إلى أنيس، فجاء به، فقال: يا أنيس، إن عبد المطلب سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس بالسهل، والوحوش في رءوس الجبال، وقد أصاب له الملك مائتي بعير فاستأذن له عليه، وانفعه عنده بما استطعت.

قال: أفعل، فكلم أنيس أبرهة فقال: أيها الملك، هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب عير مكة يطعم الناس بالسهل، والوحوش في رءوس الجبال، فأذن له عليك، فيكلمك بحاجته وأحسن إليه قال: فأذن له

أبرهة- وكان عبد المطلب رجلا عظيما وسيما جسيما- فلما رآه أبرهة أجلسه وأكرمه أن يجلس تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قل له حاجتك إلى الملك، فقال له ذلك الترجمان، فقال عبد المطلب: حاجتي إلى الملك أن يرد علي مائتي بعير أصابها لي فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له قد كنت أعجبني حين رأيته، ثم زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مائتي بعير قد أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لخدمه لا تكلمني فيه! قال له عبد المطلب:

إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربا سيمعه، قال: ما كان لينع مني، قال: أنت وذاك، اردد إلي إيلي.

وكان- فيما زعم بعض أهل العلم- قد ذهب عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حناطة بعمر بن نفثة بن عدي بن الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة- وهو يومئذ سيد بني كنانة- وخويلد بن وائل الهذلي- وهو يومئذ سيد هذيل- فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة

على أن يرجع عنهم، ولا يهدم البيت، فأبى عليهم والله أعلم وكان أبرهة قد رد على عبد المطلب الإبل التي أصاب له، فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعف الجبال والشعاب تخوفاً عليهم معرفة الجيش، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة الباب باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب، وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

يا رب لا أرجو لهم سواك ... يا رب فامنع منهم حماك
إن عدو البيت من عاداك ... امنعهم أن يخربوا قراكا
ثم قال أيضاً:

لا هم إن العبد يمنع ... رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليهم ... ومحالم غدوا محالك
فلئن فعلت فربما ... أولى فأمر ما بدا لك
ولئن فعلت فانه ... امر تتم به فعالك
جروا جموع بلادهم ... والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم ... جهلا وما رقبوا جلالك

وقال أيضاً:

وكنت إذا أتى باغ بسلم ... نرجي أن تكون لنا كذلك
فولوا لم ينالوا غير خزي ... وكان الحين يهلكهم هنالك
ولم أسمع بأرجس من رجال ... أرادوا العز فاتهكوا حرامك

ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب، باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال، فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهياً فيله، وعبي جيشه- وكان اسم الفيل محمودا- وأبرهة مجمع لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن، فلما وجهوا الفيل أقبل نفيل بن حبيب الخثعمي حتى قام إلى جنبه، ثم أخذ بأذنه، فقال: ابرك محمود، وارجع راشدا من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل وخرج نفيل بن حبيب يشدد حتى صعد

في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، وضربوا في رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى، فأدخلوا محاجن لهم في مراقه فبزغوه ليقوم فأبى، فوجهوه راجعا إلى اليمن، فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك، وأرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف، مع كل طير منها ثلاثة أحجار يحملها، حجر في منقاره، وحجران في رجليه مثل الحمص والعدس لا تصيب منهم أحدا إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا، ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن، فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نعمته:

أين المفر والإله الطالب ... والأشرم المغلوب غير الغالب!

وقال نفيل أيضاً:

ألا حييت عنا يا ردينا ... نعمناكم مع الإصباح عينا
أتانا قابس منكم عشاء ... فلم يقدر لقابسكم لدينا
ردينة لو رأيت ولم تريه ... لدى جنب المحصب ما رأينا
إذا لعذرتني وحمدت رأيي ... ولم تأسى على ما فات بينا
حمدت الله إذ عاينت طيرا ... وخفت حجارة تلقى علينا
فكل القوم يسأل عن نفيل ... كأن علي للحبشان دينا!

فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون على كل منهل، وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم تسقط أنامله أنملة أنملة، كلما سقطت منه أنملة اتبعها منه مدة تمت قيحا ودما حتى قدموا به صنعاء، وهو مثل فرخ الطير، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه- فيما يزعمون. حدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر، قال: حدثنا عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان، عن أبيه قال: وحدثنا محمد بن عبد الرحمن بن السلمي، عن أبيه قال: وحدثنا عبد الله بن عمرو بن زهير الكعبي، عن أبي مالك الحنظلي عن عطاء بن يسار.

قال: وحدثنا محمد بن أبي سعيد الثقفي عن يعلى بن عطاء، عن وكيع بن عدي، عن عمه أبي رزين العقيلي قال: وحدثنا سعيد بن مسلم، عن عبد الله ابن كثير، عن مجاهد، عن ابن عباس، دخل حديث بعضهم في حديث بعض، قالوا: كان النجاشي قد وجه أرياط أبا صحم في أربعة آلاف إلى اليمن، فأدأخها وغلب عليها، فأعطى الملوك، واستذل الفقراء، فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الأشرم أبو يكسوم، فدعا إلى طاعته، فأجابوه، فقتل أرياط، وغلب على اليمن، ورأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج إلى البيت الحرام، فسأل: أين يذهب الناس؟ فقالوا: يحجون إلى بيت الله بمكة، قال: مِمَّ هو؟ قالوا: من حجارة، قال: فما كسوته؟ قالوا: ما يأتي هاهنا من الوصائل، قال: والمسيح لأبين لكم خيرا منه! فبنى لهم بيتا، عمله برخام الأبيض والأحمر والأصفر والأسود، وحلاه بالذهب والفضة، وحفه بالجواهر، وجعل له أبوابا عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب، وفصل بينها بالجواهر، وجعل فيها ياقوتة حمراء عظيمة، وجعل لها حجابا، وكان يوقد بالمندل، ويلطخ جدره بالمسك، فيسوده حتى يغيب الجوهر وأمر الناس فحجوه، فحججه كثير من قبائل العرب سنين، ومكث فيه رجال يتعبدون ويتألهون، ونسكوا له، وكان نفيل الخثعمي يؤرض له ما يكره، فلما كان ليلة من الليالي لم ير أحدا يتحرك، فقام فجاء بعذرة فطخ بها قبلته، وجمع جيفا فالتقاها فيه فأخبر أبرهة بذلك، فغضب غضبا شديدا، وقال: إنما فعلت هذا العرب غضبا لبيتهم، لأنقضه حجرا حجرا وكتب إلى النجاشي يخبره بذلك، ويسأله أن يبعث إليه بنفيله محمود- وكان فيلا لم ير مثله في الأرض عظما وجسما وقوة- فبعث به إليه، فلما قدم عليه الفيل سار أبرهة بالناس ومعه ملك حمير، ونفيل بن حبيب الخثعمي، فلما دنا من الحرم أمر أصحابه بالغارة على نعيم الناس فأصابوا إبلا لعبد المطلب، وكان نفيل صديقا لعبد المطلب، فكله في إبله، فكله نفيل أبرهة، فقال: أيها الملك، قد أتاك سيد العرب وأفضلهم قدرا، وأقدمهم شرفا، يحمل على الجياد، ويعطي الأموال، ويطعم ما هبت الريح فأدخله على أبرهة، فقال: حاجتك! قال: ترد علي إبلي، فقال: ما أرى ما بلغني عنك إلا الغرور، وقد ظننت أنك تكلمني في بيتكم الذي هو شرفكم، فقال عبد المطلب: اردد علي إبلي، ودونك البيت، فإن له ربا سيمنعه فأمر برد إبله عليه، فلما قبضها قلدها النعال، وأشعرها، وجعلها هديا، وبثا في الحرم لكي يصاب منها شيء فيغضب رب الحرم، وأوفى عبد المطلب على حراء ومعه عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ومطعم بن عدي وأبو مسعود الثقفي، فقال عبد المطلب:

لا هم إن المرء يمنع ... رحله فامنع حالك

لا يغلبن صليبهم ... ومحالم غدوا محالك

ان كنت تاركهم و ... قبلتنا فأمر ما بدا لك

قال: فأقبلت الطير من البحر أبابيل، مع كل طير منها ثلاثة أجار:

جحران في رجله وجر في منقاره، فقدفت الحجارة عليهم، لا تصيب شيئا إلا هشمته، وإلا نطت ذلك الموضع، فكان ذلك أول ما كان الجدري والحصبة والأشجار المرة، فأهدتهم الحجارة، وبعث الله سيلا أتيا، فذهب بهم فالتقاهم في البحر

قَالَ: وَوَلَّى أَبْرَهَةَ وَمَنْ بَقِيَ مَعَهُ هَرَابًا، فَجَعَلَ أَبْرَهَةُ يَسْقُطُ عَضْوًا عَضْوًا وَأَمَّا مُحَمَّدٌ فَبَلَ النَّجَاشِيَّ فَرَبَضَ وَلَمْ يَشْجَعْ عَلَى الْحَرَمِ فَجَاءَ، وَأَمَّا الْفِيلُ الْآخَرُ فَشَجَّعَ فَحَصِبَ وَيُقَالُ: كَانَتْ ثَلَاثَةَ عَشْرَ فِيلًا، وَنَزَلَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ مِنْ حَرَاءَ، فَأَقْبَلَ رَجُلَانِ مِنَ الْحَبْشَةِ فَقَبَّلَا رَأْسَهُ وَقَالَا: أَنْتَ كُنْتَ أَعْلَمَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَعْقُوبَ ابْنِ عَتَبَةَ ابْنِ الْمُغِيرَةَ ابْنِ الْأَخْنَسِ، أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ أَوَّلَ مَا رَأَيْتُ الْحَصْبَةَ وَالْجُدْرِي بِأَرْضِ الْعَرَبِ ذَلِكَ الْعَامَ، وَأَنَّهُ أَوَّلَ مَا رَأَيْتُ بِهَا مَرَارَ الشَّجَرِ: الْحَرْمَلُ وَالْحَنْظَلُ وَالْعَشْرُ، ذَلِكَ الْعَامَ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَلَمَّا هَلَكَ أَبْرَهَةُ مَلِكُ الْيَمَنِ ابْنُهُ فِي الْحَبْشَةِ يَكْسُومُ ابْنُ أَبْرَهَةَ- وَبِهِ كَانَ يَكْنَى- فَذَلَّتْ حَمِيرٌ وَقِبَائِلُ الْيَمَنِ وَوُطِئَتْهُمْ الْحَبْشَةُ، فَكَحُوا نِسَاءَهُمْ، وَقَتَلُوا رَجَالَهُمْ، وَاتَّخَذُوا أَبْنَاءَهُمْ تَرَاجِمَةً بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَرَبِ.

قَالَ: وَلَمَّا رَدَّ اللَّهُ الْحَبْشَةَ عَنْ مَكَّةَ، فَأَصَابَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ النِّقْمَةِ، عَظُمَتِ الْعَرَبُ قَرِيشًا، وَقَالُوا: أَهْلُ اللَّهِ، قَاتِلِ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَكَفَاهُمْ مَثْوًى عَدُوَّهُمْ.

قَالَ: وَلَمَّا هَلَكَ يَكْسُومُ ابْنُ أَبْرَهَةَ مَلِكُ الْيَمَنِ فِي الْحَبْشَةِ أَخُوهُ مَسْرُوقُ ابْنِ أَبْرَهَةَ، فَلَمَّا طَالَ الْبَلَاءُ عَلَى أَهْلِ الْيَمَنِ- وَكَانَ مَلِكُ الْحَبْشَةِ بِالْيَمَنِ فِيمَا بَيْنَ أَنْ دَخَلَهَا أَرِيَاطُ إِلَى أَنْ قَتَلَتِ الْفَرَسَ مَسْرُوقًا، وَخَرَجُوا الْحَبْشَةَ مِنَ الْيَمَنِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً، تَوَارَثَ ذَلِكَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ مَلُوكٍ: أَرِيَاطُ، ثُمَّ أَبْرَهَةُ، ثُمَّ يَكْسُومُ ابْنُ أَبْرَهَةَ، ثُمَّ مَسْرُوقُ ابْنِ أَبْرَهَةَ- خَرَجَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ الْحَمِيرِيِّ، وَكَانَ يَكْنَى بِأَبِي مَرَّةَ، حَتَّى قَدَّمَ عَلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ، فَشَكَا مَا هُم فِيهِ، وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يُخْرِجَهُمْ عَنْهُ، وَيَلِيَهُمْ هُوَ، وَيَبْعَثَ إِلَيْهِمْ مَنْ شَاءَ مِنَ الرُّومِ، فَيَكُونُ لَهُ مَلِكُ الْيَمَنِ، فَلَمْ يَشْكِهِ وَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ شَيْئًا مِمَّا يَرِيدُ، فَخَرَجَ حَتَّى قَدَّمَ الْحَيْرَةَ عَلَى النِّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ- وَهُوَ عَامِلُ كَسْرَى عَلَى الْحَيْرَةِ وَمَا يَلِيهَا مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ مِنَ الْعِرَاقِ- فَشَكَا إِلَيْهِ مَا هُم فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالذَّلِّ، فَقَالَ لَهُ النِّعْمَانُ:

إِنْ لِي عَلَى كَسْرَى وَفَادَهُ فِي كُلِّ عَامٍ، فَأَقِمَّ عِنْدِي حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ، فَأُخْرِجَ بِكَ مَعِيَ قَالَ: فَأَقَامَ عِنْدَهُ حَتَّى خَرَجَ النِّعْمَانُ إِلَى كَسْرَى، فَخَرَجَ مَعَهُ إِلَى

كَسْرَى، فَلَمَّا قَدَّمَ النِّعْمَانُ عَلَى كَسْرَى وَفَرَغَ مِنْ حَاجَتِهِ، ذَكَرَ لَهُ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ وَمَا قَدَّمَ لَهُ، وَسَأَلَ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ عَلَيْهِ، فَفَعَلَ وَكَانَ كَسْرَى إِنَّمَا يَجْلِسُ فِي إِيْوَانِ مَجْلِسِهِ الَّذِي فِيهِ تَاجَهُ، وَكَانَ تَاجَهُ مِثْلَ الْقَنْقَلِ الْعَظِيمِ، مَضْرُوبًا فِيهِ الْيَاقُوتُ وَالزَّبَرْجَدُ وَاللُّؤْلُؤُ وَالذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، مَعْلَقًا بِسِلْسِلَةٍ مِنْ ذَهَبٍ فِي رَأْسِ طَاقِ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ، كَانَتْ عُنُقُهُ لَا تَحْمِلُ تَاجَهُ، إِنَّمَا يَسْتَرُ بِالثِّيَابِ حَتَّى يَجْلِسَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ، ثُمَّ يَدْخُلُ رَأْسَهُ فِي تَاجِهِ، فَإِذَا اسْتَوَى فِي مَجْلِسِهِ كَشَفَ الثِّيَابَ عَنْهُ فَلَا يَرَاهُ رَجُلٌ لَمْ يَرِهِ قَبْلَ ذَلِكَ إِلَّا بَرَكَ هَيْبَةً لَهُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ بَرَكَ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ غَلَبْتَنَا عَلَى بِلَادِنَا الْأَغْرِبَةَ، فَقَالَ كَسْرَى:

أَيُّ الْأَغْرِبَةِ؟ الْحَبْشَةُ أَمْ السَّنْدُ؟ قَالَ: بَلِ الْحَبْشَةُ، فَجِئْتُكَ لَتَنْصُرَنِي عَلَيْهِمْ، وَتُخْرِجَهُمْ عَنِّي، وَيَكُونُ مَلِكُ بِلَادِي لَكَ، فَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْهُمْ قَالَ:

بَعْدَتْ أَرْضُكَ مِنْ أَرْضِنَا، وَهِيَ أَرْضٌ قَلِيلَةٌ الْخَيْرِ، إِنَّمَا بِهَا الشَّاءُ وَالْبَعِيرُ، وَذَلِكَ مِمَّا لَا حَاجَةَ لَنَا بِهِ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَوْرَطِ جَيْشًا مِنْ فَارَسٍ بِأَرْضِ الْعَرَبِ لَا حَاجَةَ لِي بِذَلِكَ! ثُمَّ أَمَرَ فَأُجِيزَ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَافٍ، وَكَسَاهُ كِسْوَةً حَسَنَةً.

فَلَمَّا قَبِضَ ذَلِكَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ، خَرَجَ فَجَعَلَ يَنْثُرُ الْوَرَقَ لِلنَّاسِ يَنْهَبُهَا الصَّبِيَّانَ وَالْعَبِيدَ وَالْإِمَاءَ، فَلَمْ يَلْبَثْ ذَلِكَ أَنْ دَخَلَ عَلَى كَسْرَى، فَقِيلَ لَهُ:

الْعَرَبِيُّ الَّذِي أَعْطَيْتَهُ مَا أَعْطَيْتَهُ يَنْثُرُ دِرَاهِمَهُ لِلنَّاسِ يَنْهَبُهَا الْعَبِيدَ وَالصَّبِيَّانَ وَالْإِمَاءَ.

فَقَالَ كَسْرَى: إِنْ لِهَذَا الرَّجُلِ لَشَأْنًا، ائْتُونِي بِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: عَمِدْتُ إِلَى حَبَاءِ الْمَلِكِ الَّذِي حَبَاكَ بِهِ تَنْثُرُهُ لِلنَّاسِ! قَالَ: وَمَا أَصْنَعُ بِالَّذِي أَعْطَانِي الْمَلِكُ! مَا جَبَالَ أَرْضِي الَّتِي جِئْتُ مِنْهَا إِلَّا ذَهَبٌ وَفِضَّةٌ- يَرْغَبُ فِيهَا لَمَّا رَأَى مِنْ زَهَادَتِهِ فِيهَا- إِنَّمَا جِئْتُ الْمَلِكَ لِيُنْعِنِي مِنَ الظُّلْمِ، وَيُدْفَعَ عَنِّي الذَّلُّ، فَقَالَ لَهُ كَسْرَى: أَقِمَّ عِنْدِي حَتَّى أَنْظُرَ فِي أَمْرِكَ فَأَقَامَ عِنْدَهُ.

وَجَمَعَ كَسْرَى مَرَازِبَتَهُ وَأَهْلَ الرَّأْيِ مِمَّنْ كَانَ يَسْتَشِيرُهُ فِي أَمْرِهِ، فَقَالَ:

مَا تَرُونَ فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ، وَمَا جَاءَ لَهُ؟ فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنْ فِي سِجُونِكَ رَجُلًا قَدْ حَبَسْتَهُمْ لِلْقَتْلِ، فَلَوْ أَنَّكَ بَعَثْتَهُمْ مَعَهُ،

فإن هلكوا كان الذي أردت بهم، وإن ظهوروا على بلاده كان ملكا ازددته إلى ملكك.

فقال: إن هذا الرأي! أحصوا لي كم في سجون من الرجال، فحسبوا له،

فوجدوا في سجنه ثمانمائة رجل، فقال: انظروا إلى أفضل رجل منهم حسبا وبيتا، اجعلوه عليهم فوجدوا أفضلهم حسبا وبيتا وهرز- وكان ذا سن- فبعثه مع سيف، وأمره على أصحابه، ثم حملهم في ثماني سفائن، في كل سفينة مائة رجل، وما يصلحهم في البحر فخرجوا حتى إذا لججوا في البحر، غرقت من السفن سفينتان بما فيهما، نفلص إلى ساحل اليمن من ارض عدن ست سفائن، فبين ستمائة رجل، فيهم وهرز، وسيف بن ذي يزن، فلما اطمأن بأرض اليمن، قال وهرز لسيف: ما عندك؟ قال: ما شئت من رجل عربي، وفرس عربي، ثم اجعل رجلي مع رجلك، حتى نموت جميعا أو نظهر جميعا قال وهرز: أنصفت وأحسن! فجمع إليه سيف من استطاع من قومه، وسمع بهم مسروق بن أبرهة فجمع إليه جنده من الحبشة، ثم سار إليهم حتى إذا تقارب العسكران، ونزل الناس بعضهم إلى بعض بعث وهرز ابنا له كان معه- يقال له نوزاذ- على جريدة خيل، فقال له: ناوشهم القتال، حتى ننظر كيف قتالهم نخرج إليهم فناوشهم شيئا من قتال، ثم تورط في مكان لم يستطع الخروج منه فقتلوه، فزاد ذلك وهرز حنقا عليهم، وجدا على قتالهم.

فلما تواقف الناس على مصافهم قال وهرز: أروني ملكهم، فقالوا:

ترى رجلا على الفيل عاقدا تاجه على رأسه، بين عينيه ياقوتة حمراء، قال:

نعم، قالوا: ذاك ملكهم، قال: اتركوه فوقفوا طويلا، ثم قال: علام هو؟

قالوا: قد تحول على الفرس، فقال: اتركوه، فوقفوا طويلا، ثم قال: علام هو؟ قالوا: قد تحول على البغلة، قال: ابنة الحمار! ذل وذل ملكه، هل تسمعون إني سأرميه، فإن رأيتم أصحابه وقوفا لم يتحركوا فائتوا حتى أودنكم، فإني قد أخطأت الرجل، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولاثوا به، فقد أصبت الرجل، فاحملوا عليهم.

ثم أوتر قوسه- وكانت فيما زعموا لا يوترها غيره من شدتها- ثم أمر بحاجبيه

فعصبا له، ثم وضع في قوسه نشابة فغط فيها حتى إذا ملأها أرسلها فصك بها الياقوتة التي بين عينيه، فتغلغل النشابة في رأسه، حتى خرجت من قفاه، وتنكس عن دابته، واستدارت الحبشة، ولاثت به، وحملت عليهم الفرس، وانهمزت الحبشة، فقتلوا وهرب شريدهم في كل وجه، فأقبل وهرز يريد صنعاء يدخلها، حتى إذا أتى بابها قال: لا تدخل رايتي منكسة أبدا، اهدموا الباب. فهدم باب صنعاء، ثم دخلها ناصبا رايته يسار بها بين يديه.

فلما ملك اليمن ونفى عنها الحبشة كتب إلى كسرى: إني قد ضبطت لك اليمن، وأخرجت من كان بها من الحبشة، وبعث إليه بالأموال فكتب إليه كسرى يأمره أن يملك سيف بن ذي يزن على اليمن وأرضها، وفرض كسرى على سيف بن ذي يزن جزية وخرجا يؤديه إليه في كل عام معلوم، يبعث إليه في كل عام وكتب إلى وهرز أن ينصرف إليه فانصرف إليه وهرز، وملك سيف بن ذي يزن على اليمن، وكان أبوه ذويزن من ملوك اليمن.

فهذا ما حدثنا به ابن حميد، عن سلمة عن ابن إسحاق، من أمر حمير والحبشة، وملكهم وتوجيه كسرى من وجه لحرب الحبشة باليمن. وأما هشام بن محمد، فإنه قال: ملك بعد أبرهة يكسوم، ثم مسروق.

قال: وهو الذي قتله وهرز في ملك كسرى بن قباد، ونفى الحبشة عن اليمن.

قال: وكان من حديثه أن أبا مرة الفياض ذا يزن، كان من أشراف اليمن، وكانت تحته ريحانة ابنة ذي جدن، فولدت له غلاما سماه معد يكره.

وكانت ذات جمال، فانتزعها الأشرم من أبي مرة، فاستنكحها، فخرج أبو مرة من اليمن، فلحق ببعض ملوك بني المنذر- أظنه عمرو بن هند- فسأله أن يكتب له إلى كسرى كتابا، يعلمه فيه قدره وشرفه ونزوعه إليه فيما نزع إليه فيه فقال: لا تعجل، فإن لي عليه في كل سنة وفادة، وهذا وقتها، فأقام قبله حتى وفد عليه معه، فدخل عمرو بن هند على كسرى،

فذكر له شرف ذي يزن وحاله، واستأذن له، فدخل فأوسع له عمرو، فلما رأى ذلك كسرى علم أن عمرا لم يصنع به ذلك بين يديه إلا لشرفه، فأقبل عليه، فألطفه وأحسن مسأله، وقال له: ما الأمر الذي نزع بك؟ قال: أيها الملك، إن السودان قد غلبونا على بلادنا،

وركبوا منا أمورا شنيعة، أجل الملك عن ذكرها، فلو أن الملك تناولنا بنصره من غير أن نستنصره، لكان حقيقا بذلك لفضله وكرمه وتقدمه لسائر الملوك فكيف وقد نزعنا إليه، مؤملين له، راجين أن يقصم الله عدونا وينصرنا عليهم، وينتقم لنا به منهم! فإن رأى الملك أن يصدق ظننا، ويحقق رجاءنا، ويوجه معي جيشا ينفون هذا العدو عن بلادنا فيزدادها إلى ملكه- فإنها من أخصب البلدان وأكثرها خيرا، وليست كما يلي الملك من بلاد العرب- فعل.

قَالَ: قد علمت أن بلادكم كما وصفت، فأبي السودان غلبوا عليها؟

الحبشة أم السند؟ قَالَ: بل الحبشة، قَالَ أنوشروان: إني لأحب أن أصدق ظنك، وأن تنصرف بحاجتك، ولكن المسلك للجيش إلى بلادك صعب، وأكره أن أغرره بجندي، ولي فيما سألت نظر، وأنت على ما تحب.

وامر بإنزاله وإكرامه، فلم يزل مقيما عنده حتى هلك وقد كان أبو مرة قَالَ قصيدة بالحميرية يمتدح فيها كسرى، فلما ترجمت له، أعجب بها.

وولدت ريحانة ابنة ذي جدن لأبرهة الأشرم غلاما، فسماه مسروقا، ونشأ معديكرب بن ذي يزن مع أمه ريحانة في حجر أبرهة فسهب ابن لأبرهة، فقال له: لعنك الله، ولعن أباك! وكان معديكرب لا يحسب إلا أن الأشرم أبوه، فأقى أمه فقال لها: من أبي؟ قالت: الأشرم، قَالَ: لا والله، ما هو أبي، ولو كان أبي ما سبني فلان، فأخبرته أن أباه أبو مرة الفياض، واقتصت عليه خبره، فوقع ذلك في نفس الغلام، ولبث بعد ذلك لبثا

ثم إن الأشرم مات، ومات ابنه يكسوم، فخرج ابن ذي يزن قاصدا إلى ملك الروم، وتجنب كسرى لإبطائه عن نصر أبيه، فلم يجد عند ملك الروم ما يحب، ووجده يحامي عن الحبشة لموافقته إياه على الدين، فانكفأ راجعا إلى كسرى، فاعترضه يوما وقد ركب، فصاح به: أيها الملك، إن لي عندك ميراثا فدعا به كسرى لما نزل، وقال: من أنت؟ وما ميراثك؟

قَالَ: أنا ابن الشيخ اليماني ذي يزن، الذي وعدته أن تنصره، فمات ببابك وحضرتك، فتلك العدة حق لي وميراث يجب عليك الخروج لي منه فرق له كسرى، وأمر له بمال نخرج الغلام، فجعل ينثر الدراهم، فانتبهها الناس فأرسل إليه كسرى: ما الذي حملك على ما صنعت؟ قَالَ: إني لم أتك للمال، إنما جئت للرجال، ولتمنعني من الذل فأعجب ذلك كسرى، فبعث إليه: أن أقم حتى أنظر في أمرك ثم إن كسرى استشار وزراءه في توجيه الجند معه، فقال له الموبذان: إن لهذا الغلام حقا بنزوعه وموت أبيه بباب الملك وحضرته، وما تقدم من عدته إياه، وفي سجون الملك رجال ذوو نجدة وبأس، فلو أن الملك وجههم معه، فإن أصابوا ظفرا كان له، وإن هلكوا كان قد استراح وأراح أهل مملكته منهم، ولم يكن ذلك ببعيد من الصواب.

قَالَ كسرى: هذا الرأي، وأمر بمن كان في السجون من هذا الضرب فأحصوا فبلغوا ثمانمائة نفر، ففقد عليهم قائدا من أساورته، يقال له وهرز، كان كسرى يعدله بألف أسوار، وقواهم وجهزهم وامر بحملهم في ثمانية سفائن، في كل سفينة مائة رجل، فركبوا البحر، ففرقت من الثماني السفن سفينتان، وسلمت ست، فخرجوا بساحل حضرموت، وسار إليهم مسروق في مائة ألف من الحبشة وحمير والأعراب، ولحق بابن ذي يزن بشر كثير، ونزل وهرز على سيف البحر، وجعل البحر وراء ظهره، فلما نظر مسروق إلى قتلهم طمع فيهم، فأرسل إلى وهرز: ما جاء بك، وليس معك إلا من

أرى، ومعني من ترى! لقد غررت بنفسك وأصحابك، فإن أحببت أذنت لك، فرجعت إلى بلادك ولم أهجك، ولم ينلك ولا أحدا من أصحابك مني ولا من أحد من أصحابي مكروه، وإن أحببت ناجزت الساعة، وإن أحببت أجلتك حتى تنظر في أمرك، وتشاور أصحابك. فأعظم وهرز أمرهم، ورأى أنه لا طاقة له بهم، فأرسل إلى مسروق: بل تضرب بيني وبينك أجلا، وتعطيني موثقا وعهدا، وتأخذ مثله مني، ألا يقاتل بعضنا بعضا حتى ينقضي الأجل، ونرى رأينا.

ففعل ذلك مسروق، ثم أقام كل واحد منهما في عسكره، حتى إذا مضى من الأجل عشرة أيام، خرج ابن وهرز يسير على فرس له، حتى دنا من عسكرهم، وحمله فرسه، فتوسط به عسكرهم، فقتلوه- ووهرز لا يشعر به- فلما بلغه قتل ابنه أرسل إلى مسروق: قد كان بيني وبينكم ما قد علمتم، فلم تقتلتم ابني؟ فأرسل إليه مسروق: إن ابنك حمل علينا، وتوسط عسكرنا، فثار إليه سفهاء من سفهائنا، فقتلوه،

وقد كنت لقتله كارها قال وهرز للرسول: قل له: إنه لم يكن ابني، إنما كان ابن زانية، ولو كان ابني لصبر ولم يغدر حتى ينقضي الأجل الذي بيننا ثم أمر فرمي به في الصعيد حيث ينظر إلى جثمانه، وحلف ألا يشرب نحرًا، ولا يدهن رأسه حتى ينقضي الأجل بينه وبينهم.

فلما انقضى الأجل إلا يوما واحدا، أمر بالسفن التي كانوا فيها فأحرق بالنار، وأمر بما كان معهم من فضل كسوة فأحرق، ولم يدع منه إلا ما كان على أجسادهم، ثم دعا بكل زاد معهم فقال لأصحابه: كلوا هذا الزاد، فأكلوه، فلما انتهوا أمر بفضله فألقي في البحر، ثم قام فيهم خطيبا، فقال:

أما ما حرقت من سفنكم، فإني أردت أن تعلموا أنه لا سبيل إلى بلادكم أبدا، وأما ما حرقت من ثيابكم، فإنه كان يغيظني إن ظفرت بكم الحبش أن يصير

ذلك إليهم، وأما ما ألقيت من زادكم في البحر، فإني كرهت أن يطعم أحد منكم أن يكون معه زاد يعيش به يوما واحدا، فإن كنتم قوما تقاتلون معي وتصبرون أعلمتموني ذلك، وإن كنتم لا تفعلون اعتمدت على سيفي هذا حتى يخرج من ظهري، فإني لم أكن لأمكنهم من نفسي أبدا فانظروا ما تكون حالكم، إذا كنت رئيسكم وفعلت هذا بنفسي! فقالوا: لا بل نقاتل معك حتى نموت عن آخرنا، أو نظفر.

فلما كان صبح اليوم الذي انقضى فيه الأجل عي أصحابه، وجعل البحر خلفه، وأقبل عليهم يحضهم على الصبر، ويعلمهم أنهم منه بين خلتين، إما ظفروا بعدوهم، وإما ماتوا كراما، وأمرهم أن تكون قسيهم موترة، وقال:

إذا أمرتكم أن ترموا فارموهم رشقا بالبنجكان- ولم يكن أهل اليمن رأوا النشاب قبل ذلك- وأقبل مسروق في جمع لا يرى طرفاه على فيل على رأسه تاج، بين عينيه ياقوتة حمراء مثل البيضة، لا يرى أن دون الظفر شيئا.

وكان وهرز قد كل بصره فقال: أروني عظيمهم، فقالوا: هو صاحب الفيل، ثم لم يلبث مسروق أن نزل فركب فرسا، فقالوا: قد ركب فرسا، فقال: ارفعوا لي حاجي، وقد كانا سقطا على عينيه من الكبر، فرفعوهما بعصا، ثم أخرج نشابة، فوضعها في كبد قوسه، وقال: أشيروا لي إلى مسروق، فأشاروا له إليه حتى أثبتته، ثم قال لهم: ارموا، فرموا، ونزع في قوسه حتى إذا ملأها سرح النشابة، فأقبلت كأنها رشاء، حتى صكت جبهة مسروق، فسقط عن دابته، وقتل في ذلك الرشق منهم جماعة كثيرة، وانفض صفهم لما رأوا صاحبهم صريعا، فلم يكن دون الهزيمة شيء، وأمر وهرز بجثة ابنه من ساعته فووريت، وأمر بجثة مسروق، فألقيت مكانها، وغنم من عسكرهم ما لا يحصى ولا يعد كثرة، وجعل الأسوار يأخذ من الحبشة ومن حمير والأعراب الخمسين والستين فيسوقهم مكتفين، لا يمتنعون منه فقال وهرز: أما حمير والأعراب فكفوا عنهم، واقصدوا قصد السودان فلا تبقوا منهم أحدا فقتلت الحبشة يومئذ حتى لم يبق منهم كثير أحد، وهرب رجل من الأعراب على جمل له، فركضه يوما وليلة، ثم التفت، فإذا في الحقيبة نشابة، فقال: لأمك الويل! أبعد أم طول مسير- حسب أن النشابة لحقته وأقبل وهرز حتى دخل صنعاء، وغلب على بلاد اليمن، وفرق عماله في المخاليف.

وفي ابن ذي يزن وما كان منه ومن وهرز والفرس، يقول أبو الصلت أبو أمية بن أبي الصلت الثقفي:

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن ... ريم في البحر للأعداء أحوالا

أتى هرقل وقد شالت نعامتهم ... فلم يجد عنده بعض الذي قالا

ثم انتحى نحو كسرى بعد سابعة ... من السنين لقد أبعدت إيغالا

حتى أتى ببني الأحرار يحملهم ... إنك لعمرى لقد أطولت قلقالا

من مثل كسرى شهنشاه الملوك له ... أو مثل وهرز يوم الجيش إذ صالا!

لله درهم من عصبة خرجوا ... ما إن ترى لهم في الناس أمثالا

غر بحاجحة، بيض مرازية، ... أسد تربب في الغيصات أشبالا

يرمون عن شدف كأنها غبط ... في زحريعجل المرمي إعجالا

أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد ... أضخى شريدهم في الأرض فلالا

فاشرب هنيئا عليك التاج متكئا ... في رأس غمدان دارا منك محلا
وأطل بالمسك إذ شالت نعماتهم ... وأسبل اليوم في برديك إسبلا
تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق قال: فلما انصرف وهرز إلى كسرى، وملك سيفاً على اليمن، عدا على الحبشة فجعل يقتلها ويقتل النساء عما في بطونها، حتى إذا أفناها إلا بقايا ذليلة قليلة، فاتخذهم خولا، واتخذ منهم جهازين يسعون بين يديه بحرابهم، فكث بذلك حيناً غير كثير ثم إنه خرج يوماً والحبشة تسعى بين يديه بحرابهم، حتى إذا كان في وسط منهم وجؤه بالحراب حتى قتلوه، ووثب بهم رجل من الحبشة، فقتل باليمن وأوعث، فأفسد، فلما بلغ ذلك كسرى بعث إليهم وهرز في أربعة آلاف من الفرس، وأمره ألا يترك باليمن أسود ولا ولد عريية من أسود إلا قتله، صغيراً أو كبيراً، ولا يدع رجلاً جعداً قططا قد شرك فيه السودان إلا قتله. فأقبل وهرز، حتى دخل اليمن، ففعل ذلك، ولم يترك بها حبشياً إلا قتله، ثم كتب إلى كسرى بذلك، فأمره كسرى عليها فكان عليها، وكان يجيبها إلى كسرى حتى هلك، وأمر كسرى بعده ابنه المرزبان بن وهرز، فكان عليها حتى هلك، فأمر كسرى بعده البينجان بن المرزبان بن وهرز حتى هلك، ثم أمر كسرى بعده خر خسره بن البينجان بن المرزبان بن وهرز، فكان عليها. ثم إن كسرى غضب عليه، خلف لياًتينه به أهل اليمن يحملونه على أعناقهم ففعلوا، فلما قدم على كسرى تلقاه رجل من عظماء فارس، فألقى عليه سيفاً لأبي كسرى، فأجاره كسرى بذلك من القتل ونزعه، وبعث باذان إلى اليمن، فلم يزل عليها حتى بعث الله رسوله محمداً ص.

وكان- فيما ذكر- بين كسرى أنوشروان وبين يخطيانوس ملك الروم، مودة وهدة، فوقع بين رجل من العرب كان ملكه يخطيانوس على عرب الشام، يقال له خالد بن جبلة، وبين رجل من نخم، كان ملكه كسرى على ما بين عمان والبحرين واليمامة إلى الطائف وسائر الحجاز ومن فيها من العرب، يقال له المنذر بن النعمان- نائرة، فأغار خالد بن جبلة على حيز المنذر، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة، وغنم أموالاً من أمواله.

فشكا ذلك المنذر إلى كسرى، وسأله الكتاب إلى ملك الروم في إنصافه من خالد فكتب كسرى إلى يخطيانوس، يذكر ما بينهما من العهد على الهدنة والصلح، ويعلمه ما لقي المنذر عامله على العرب من خالد بن جبلة الذي ملكه على من في بلاده من العرب، ويسأله أن يأمر خالد أن يرد على المنذر ما غنم من حيزه وبلاده، ويدفع إليه دية من قتل من عربها وينصف المنذر من خالد، وألا يستخف بما كتب به من ذلك، فيكون انتقاض ما بينهما من العهد والهدنة بسببه.

وواتر الكتب إلى يخطيانوس في إنصاف المنذر، فلم يحفل بها، فاستعد كسرى، فغزا بلاد يخطيانوس في بضعة وتسعين ألف مقاتل، فأخذ مدينة دارا، ومدينة الرهاء، ومدينة منبج، ومدينة قنسرين، ومدينة حلب، ومدينة أنطاكية- وكانت أفضل مدينة بالشام- ومدينة فامية، ومدينة حمص، ومدناً كثيرة متاخمة لهذه المدائن، عنوة، واحتوى على ما كان فيها من الأموال والعروض، وسبي أهل مدينة أنطاكية، ونقلهم إلى أرض السواد، وأمر فبنيت لهم مدينة إلى جنب مدينة طيسبون على بناء مدينة أنطاكية- على ما قد ذكرت قبل- وأسكنهم إياها، وهي التي تسمى الرومية، وكور لها كورة، وجعل لها خمسة طساسيج: طسوج نهروان الأعلى، وطسوج نهروان الأوسط، وطسوج نهروان الأسفل، وطسوج بادرايا، وطسوج باكسايا، وأجرى على السبي الذين نقلهم من أنطاكية إلى الرومية الأرزاق وولى القيام بأمرهم رجلاً من نصارى أهل الأهواز، كان ولاة الرياسة على أصحاب

صناعاته، يقال له: براز، رقة منه لذلك السبي، إرادة أن يستأنسوا ببراز لحال ملته، ويسكنوا إليه وأما سائر مدن الشام ومصر فإن يخطيانوس ابتاعها من كسرى بأموال عظيمة حملها إليه، وضمن له فدية يحملها إليه في كل سنة على ألا يغزو بلاده، وكتب لكسرى بذلك كتاباً، وختم هو وعظماء الروم عليه، فكانوا يحملونها إليه في كل عام.

وكان ملوك فارس يأخذون من كور من كورهم قبل ملك كسرى أنوشروان في خراجها الثلث، ومن كور الربع، ومن كور الخمس، ومن كور السدس، على قدر شربها وعمارتها، ومن جزية الجماجم شيئاً معلوماً، فأمر الملك قباذ بن فيروز في آخر ملكه بمسح الأرض، سهلها وجبلها ليصح الخراج عليها، فسحت، غير أن قباذ هلك قبل أن يستحكم له أمر تلك المساحة، حتى إذا ملك ابنه كسرى أمر

باستتمامها وإحصاء النخل والزيتون والجماجم، ثم أمر كتابه فاستخرجوا جمل ذلك، وأذن للناس إذنا عاما، وأمر كاتب خراجهم أن يقرأ عليهم الجمل التي استخرجت من أصناف غلات الأرض، وعدد النخل والزيتون والجماجم، فقرأ ذلك عليهم، ثم قال لهم كسرى: إنا قد رأينا أن نضع على ما أحصي من جربان هذه المساحة من النخل والزيتون والجماجم وضائع، ونأمر بانجامها في السنة في ثلاثة انجم، ونجمع في بيوت أموالنا من الأموال ما لو أتاها عن ثغر من ثغورنا، أو طرف من أطرافنا فتق أو شيء نكرهه، واحتجنا إلى تداركه أو حسمه ببذلنا فيه مالا، كانت الأموال عندنا معدة موجودة، ولم نرد استئناف اجتباؤها على تلك الحال.

فما ترون فيما رأينا من ذلك وأجمعنا عليه؟

فلم يشر عليه أحد منهم فيه بمشورة، ولم ينبس بكلمة، فكرر كسرى هذا القول عليهم ثلاث مرات فقام رجل من عرضهم وقال لكسرى: أتضع أيها الملك - عمرك الله - الخالد من هذا الخراج على الفاني من كرم يموت، وزرع يهيج، ونهر يغور، وعين أو قناة ينقطع ماؤها! فقال له كسرى: يا ذا الكلفه

المشؤم، من أي طبقات الناس أنت؟ قال: أنا رجل من الكّاب، فقال كسرى: اضربوه بالدوي حتى يموت، فضربه بها الكّاب خاصة تبرءوا منهم إلى كسرى من رأيه وما جاء منه، حتى قتلوه وقال الناس: نحن راضون أيها الملك بما أنت ملزمننا من خراج. وإن كسرى اختار رجالا من أهل الرأي والنصيحة، فأمرهم بالنظر في أصناف ما ارتفع إليه من المساحة وعدة النخل والزيتون ورووس أهل الجزية ووضع الضرائب على ذلك بقدر ما يرون أن فيه صلاح رعيته، ورفاعة معاشهم، ورفعته إليه فتكلم كل امرئ منهم بمبلغ رأيه في ذلك من تلك الضرائب، وأداروا الأمر بينهم، فاجتمعت كلمتهم على وضع الخراج على ما يعصم الناس والبهائم، وهو الحنطة والشعير والأرز والكرم والرطاب والنخل والزيتون، وكان الذي وضعوا على كل جريب أرض من مزارع الحنطة والشعير درهما، وعلى كل جريب أرض كرم ثمانية دراهم، وعلى كل جريب أرض رطاب سبعة دراهم، وعلى كل أربع نخلات فارسية درهما، وعلى كل ست نخلات دقل مثل ذلك، وعلى كل ستة أصول زيتون مثل ذلك، ولم يضعوا إلا على كل نخل في حديقة، أو مجتمع غير شاذ، وتركوا ما سوى ذلك من الغلات السبع فقوي الناس في معاشهم، وألزموا الناس الجزية ما خلا أهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والهرباذة والكّاب، ومن كان في خدمة الملك، وصيروها على طبقات: اثني عشر درهما وثمانية وستة وأربعة، كقدر إكثار الرجل وإقلاله، ولم يلزموا الجزية من كان أتى له من السن دون العشرين أو فوق الخمسين، ورفعوا ضرائبهم إلى كسرى فرضيا وأمر بإمضاءها والاجتباء عليها في السنة في ثلاثة انجم، كل نجم أربعة أشهر وسماها أبراسيار، وتأويله الأمر المتراضى، وهي الضرائب التي اقتدى بها عمر بن الخطاب حين افتتح بلاد الفرس، وأمر باجتباء أهل الذمة عليها، إلا أنه وضع على كل جريب أرض غامر على قدر احتماله، مثل الذي وضع على الأرض المزروعة، وزاد على كل

جريب أرض مزارع حنطة أو شعير قفيزا من حنطة إلى القفيزين، ورزق منه الجند ولم يخالف عمر بالعراق خاصة وضائع كسرى على جربان الأرض وعلى النخل والزيتون والجماجم، وألغى ما كان كسرى ألغاه من معاش الناس.

وأمر كسرى فدونت وضائعه نسخا، فالتخذت نسخة منها في ديوانه قبله، ودفعت نسخة إلى عمال الخراج، ليجتباوا خراجهم عليها، ونسخة إلى قضاة الكور، وأمر القضاة أن يحولوا بين عمال الكور والزيادة على أهل الخراج فوق ما في الديوان الذي دفعت إليه نسخته، وأن يرفعوا الخراج عن كل من أصاب زرعه أو شيئا من غلاته آفة بقدر مبلغ تلك الآفة، وعمن هلك من أهل الجزية أو جاوز خمسين سنة، ويكتبوا إليه بما يرفعون من ذلك، ليأمر بحسبه للعمال، والا يخلوا بين العمال وبين اجتباء من أتى له دون عشرين سنة. وكان كسرى ولى رجلا من الكّاب - ناهيا بالنبل والمروءة والغناء والكفاية، يقال له بابك بن البيروان - ديوان المقاتلة، فقال لكسرى: إن أمري لا يتم إلا بإزاحة عتي في كل ما بي إليه الحاجة من صلاح أمر الملك في جنده.

فأعطاه ذلك، فأمر بابك فبنيت له في الموضع الذي كان يعرض فيه الجند مصطبة وفرش له عليها بساط سوسنجر وغط صوف فوقه، ووضعت له وسائل لتكأته، ثم جلس على ما فرش له، ثم نادى مناديه في شاهد عسكر كسرى من الجند أن يحضره الفرسان على كراعهم وأسلحتهم والرجالة على ما يلزمهم من السلاح، فاجتمع إليه الجند على ما أمرهم أن يحضروه عليه، ولم يعاين كسرى فيهم،

فأمرهم بالانصراف، ونادى مناديه في اليوم الثاني بمثل ذلك، فاجتمع إليه الجند فلما لم ير كسرى فيهم أمرهم أن ينصرفوا، ويغدوا إليه، وأمر مناديه أن ينادي في اليوم الثالث: ألا يتخلف عنه من شاهد العسكر أحد، ولا من أكرم بتاج وسرير، فإنه عزم لا رخصة فيه ولا محابة فبلغ ذلك كسرى، فوضع تاجه على رأسه وتسليحاً بسلاح المقاتلة، ثم اتى بابك ليعترض عليه، وكان الذي يؤخذ به الفارس من الجند تجافيف ودرعا، وجوشنا، وساقين، وسيفا، ورمحا، وترسا، وجرزا تلزمه منطقة، وطبرزينا أو عمودا، وجعبة فيها قوسان بوتريهما، وثلاثين نشابة ووترين مضمفوريين يعلقهما الفارس في مغفر له ظهرها. فاعترض كسرى على بابك بسلاح تام ما خلا الوترين اللذين كان يستظهر بهما فلم يجز بابك عن اسمه، وقال له: إنك أيها الملك واقف في موضع المعدلة التي لا محابة تكون مني معها ولا هوادة، فهلم كل ما يلزمك من صنوف الأسلحة فذكر كسرى قصة الوترين فتعلقهما، ثم غرد داعي بابك بصوته، وقال: للكمي سيد الكماة أربعة آلاف درهم، وأجاز بابك عن اسمه، ثم الصرف وكان يفضل الملك في العطاء على أكثر المقاتلة عطاء بدرهم.

فلما قام بابك من مجلسه ذلك أتى كسرى، فقال: إن غلظتي في الأمر الذي أغلظت فيه عليك اليوم أيها الملك، إنما هي لأن ينفذ لي عليه الأمر الذي وضعتني بسبيله، وسبب من أوثق الأسباب لما يريد الملك إحكامه لمكاني. فقال كسرى: ما غلظ علينا أمر أريد به صلاح رعيتنا، وأقيم عليه أود ذي الأود منهم. ثم إن كسرى وجه مع رجل من أهل اليمن يقال له سيفان بن معديكرب- ومن الناس من يقول إنه كان يسمى سيف بن ذي يزن- جيشا إلى اليمن، فقتلوا من بها من السودان، واستولوا عليها فلما دانت لكسرى بلاد اليمن وجه إلى سرنديب من بلاد الهند- وهي أرض الجوهري- قائدا من قواده في جند كثيف، فقاتل ملكها فقتله، واستولى عليها، وحمل إلى كسرى منها أموالا عظيمة، وجوهرا كثيرا. ولم يكن ببلاد الفرس نبات آوى، فتساقطت إليها من بلاد الترك في ملك كسرى أنوشروان، فبلغ ذلك كسرى، فبلغ ذلك منه مشقة، فدعا بموبدان موبذ، فقال: إنه بلغنا تساقط هذه السباع إلى بلادنا، وقد تعاظم الناس ذلك، فتعجبنا من استعظامهم أمرها لهوانها، فأخبرنا برأيك في ذلك.

فقال له موبدان موبذ: فإني سمعت أيها الملك- عمرك الله- فقهاءنا يقولون: متى لا يغمر في بلدة العدل الجور، ويحق، يلي أهلها بغزو أعدائهم لهم، وتساقط إليهم ما يكرهون، وقد تخوفت أن يكون تساقط هذه السباع إلى بلادك لما أعلمتك من هذا الخطب فلم يلبث كسرى أن تنهى إليه أن فتينا من الترك قد غزوا أقصى بلاده، فأمر وزراءه وأصحاب أعماله ألا يتعدوا فيما هم بسبيله العدل، ولا يعملوا في شيء منه إلا به، فصرف الله لما جرى من العدل ذلك العدو عن بلاده من غير أن يكون حاربهم، أو كلف مئونة في أمرهم. وكان لكسرى أولاد متأدبون، فجعل الملك من بعده لهرمز ابنه الذي كانت أمه ابنة خاتون وخاقان لمعرفة كسرى إياه بالاقتصاد والأخذ بالوثيقة وما رجا بذلك من ضبط هرمز الملك وقدرته على تدبير الملك ورعيته ومعاملتهم. وكان مولد رسول الله ص في عهد كسرى أنوشروان، عام قدم أبرهة الأشرم أبو يكسوم مع الحبشة إلى مكة، وساق فيه إليها الفيل، يريد هدم بيت الله الحرام، وذلك لمضي اثنتين وأربعين سنة من ملك كسرى أنوشروان وفي هذا العام كان يوم جيلة، وهو يوم أيام العرب مذكور

ذكر مولد رسول الله ص

ذكر مولد رسول الله ص
 حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ يُحَدِّثُ عَنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: وَلِدْتُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ ص عَامَ الْفِيلِ.
 قَالَ: وَسَأَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ قَبَاتَ بْنَ أَشِيمَ، أَخَا بَنِي عَمْرِو بْنِ لَيْثٍ: أَنْتَ أَكْبَرُ أَمْ رَسُولُ اللَّهِ ص؟ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ص أَكْبَرُ مِنِّي،

وَأَنَا أَقْدَمُ مِنْهُ فِي الْمِيلَادِ، وَرَأَيْتُ خَذَقَ الْفِيلِ أَخْضَرَ مُحِيلاً بَعْدَهُ بِعَامٍ، وَرَأَيْتُ أُمِّيَةَ بِنَ عَبْدِ شَمْسٍ شَيْخًا كَبِيرًا يَقُودُهُ عَبْدُهُ فَقَالَ ابْنُهُ: يَا قَبَاثُ، أَنْتَ أَعْلَمُ وَمَا تَقُولُ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الْمُطَّلِبِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ، قَالَ:

وُلِدْتُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ صَ عَامَ الْفِيلِ، فَفَنَحْنُ لِذَا. وَحَدَّثْتُ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: وَلِدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَ لَارْبِعَ وَعَشْرِينَ مَضَتْ مِنْ سُلْطَانِ كَسْرَى انوشروان، وَوُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ مِنْ سُلْطَانِهِ.

وَحَدَّثْتُ عَنْ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: وَلِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَ عَامَ الْفِيلِ. وَحَدَّثْتُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُنْذِرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ،

قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ مُوسَى، عَنْ أَبِي الْحَوِيثِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الْمَلِكِ ابْنَ مَرْوَانَ يَقُولُ لِقَبَاثِ بْنِ أَشِيمِ الْكَافِي اللَّيْثِي: يَا قَبَاثُ، أَنْتَ أَكْبَرُ أَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَ؟ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَ أَكْبَرُ مِنِّي وَأَنَا أَسَنُ مِنْهُ، وَلِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَ عَامَ الْفِيلِ، وَوَقَفْتُ بِي أُمِّي عَلَى رَوْثِ الْفِيلِ مُحِيلاً أَعْقَلُهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَلِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ عَامَ الْفِيلِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ، وَقِيلَ إِنَّهُ وَلِدَ صَ فِي الدَّارِ الَّتِي تُعْرَفُ بِدَارِ ابْنِ يُونُسَ، وَقِيلَ: إِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَ كَانَ وَهَبًا لِعَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَلَمْ تَزَلْ فِي يَدِ عَقِيلٍ حَتَّى تُوْفِيَ، فَبَاعَهَا وَلَدَهُ مِنْ مُحَمَّدٍ بْنِ يُونُسَ، أَخِي الْحَجَّاجِ بْنِ يُونُسَ، فَبَنَى دَارَهُ الَّتِي يُقَالُ لَهَا دَارُ ابْنِ يُونُسَ، وَأَدْخَلَ ذَلِكَ الْبَيْتَ فِي الدَّارِ، حَتَّى أَخْرَجَتْهُ الْخِيزَرَانُ فَجَعَلَتْهُ مَسْجِدًا يُصَلِّي فِيهِ. وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

يَزْعُمُونَ فِيمَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ آمَنَةَ بِنْتَ وَهَبِ أُمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَ، كَانَتْ تَحَدَّثُ أَنَّهَا أَتَيْتُ لَمَّا حَمَلَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّكَ قَدْ حَمَلْتَ بِسَيِّدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَإِذَا وَقَعَ بِالْأَرْضِ فَقُولِي: أَعِيْذُهُ بِالوَاحِدِ، مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ، ثُمَّ سَمِيَهُ مُحَمَّدًا وَرَأَتْ حِينَ حَمَلَتْ بِهِ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ رَأَتْ مِنْهُ قُصُورَ بَصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، فَلَمَّا وَضَعَتْهُ أُرْسِلَتْ إِلَى جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ قَدْ وَلَدَ لَكَ غُلَامٌ فَأَتَهُ فَانْظُرْ إِلَيْهِ فَأَتَاهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ، وَحَدَّثَتْهُ بِمَا رَأَتْ حِينَ حَمَلَتْ بِهِ، وَمَا قِيلَ لَهَا فِيهِ. وَمَا أَمَرْتُ أَنْ تَسْمِيَهُ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانَ الْقَزَازِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّهْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عِمْرَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ أَبِي سُوَيْدٍ الثَّقَفِيِّ، عَنْ عَثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أُمِّي أَنَّهَا شَهِدَتْ وَلَادَةَ آمَنَةَ بِنْتَ وَهَبِ أُمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَ - وَكَانَ ذَلِكَ لَيْلَ وَلَدَتِهِ - قَالَتْ: فَمَا شَيْءٌ أَنْظَرَ إِلَيْهِ مِنَ الْبَيْتِ إِلَّا نُورٌ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى النُّجُومِ تَدْنُو، حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ: لَتَقْعَنَّ عَلَيَّ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: فَيَزْعُمُونَ أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ أَخَذَهُ فَدَخَلَ بِهِ عَلَى هَبْلٍ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ، فَقَامَ عِنْدَهُ يَدْعُو اللَّهَ وَيُشْكِرُ مَا أَعْطَاهُ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهَا، وَاتَّمَسَ لَهُ الرُّضْعَاءُ، فَاسْتَرْضَعَ لَهُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ، يُقَالُ لَهَا حَلِيمَةُ ابْنَةُ أَبِي ذُوَيْبٍ، وَأَبُو ذَيْبٍ عَبْدُ اللَّهِ، بْنُ الْحَارِثِ، بْنُ شَجْنَةَ، بْنُ جَابِرٍ، بْنُ رِزَامٍ، بْنُ نَاصِرَةَ، بْنُ فَصِيهِ، بْنُ سَعْدٍ، بْنُ بَكْرِ، بْنُ هَوَازِنَ، بْنُ مَنْصُورٍ، بْنُ عِكْرَمَةَ، بْنُ خَصْفَةَ، بْنُ قَيْسٍ، بْنُ

عيلان، بن مضر.

واسم الذي أرضعه: الحارث بن عبد العزى، بن رفاعه، بن ملان، بن ناصره، بن فصيحه، بن سعد، بن بكر، بن هوازن، بن منصور، بن عكرمة، بن خصفة، بن قيس، بن عيلان، بن مضر واسم إخوته من الرضاعة: عبد الله بن الحارث، وأنيسه ابنة الحارث، وخذامه ابنة الحارث وهي الشيماء، غلب ذلك على اسمها فلا تعرف في قومها إلا به.

وهي حليلة ابنة عبد الله بن الحارث، أم رسول الله ص، ويزعمون أن الشيماء كانت تحضنه مع أمها إذ كان عندهم ص.

وأما غير ابن إسحاق، فإنه قال في ذلك ما حدثني به الحارث، قال:

حدثنا ابن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر، قال: حدثني موسى بن شيبه، عن عميرة ابنة عبيد الله بن كعب بن مالك، عن بره ابنة ابى تجزاه، قالت: أول من أرضع رسول الله ص ثوية، بلبن ابن لها- يقال له مسروح- أياما قبل أن تقدم حليلة، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق- وحدثنا هناد بن السري، قال: حدثنا يونس بن بكير، قال: حدثنا ابن إسحاق وحدثني هارون بن إدريس الأصم، قال: حدثنا المحاربي، عن ابن إسحاق وحدثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: حدثني عمي محمد ابن سعيد، قال: حدثنا محمد بن إسحاق- عن الجهم بن أبي الجهم مولى عبد الله بن جعفر، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، قال: كانت حليلة ابنة ابى ذؤيب السعدي أم رسول الله ص التي أرضعته تحدث أنها خرجت من بلدها معها زوجها وابن لها ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر، تلتمس الرضعاء، قالت: وذلك في سنة شهباء لم تبق شيئا، فخرجت على أتان لي قراء، معنا شارف لنا، والله ما تبض بقطرة، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معي من بكائه من الجوع، وما في ثديي ما يغنيه، وما في شاربنا ما يغذوه، ولكنا نرجو الغيث والفرج، فخرجت على أتاني تلك، فلقد أذمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا، حتى قدمنا مكة تلتمس الرضعاء فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ص فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم، وذلك أنا إنما نرجو المعروف من أبي الصبي، فكذا نقول: يتيم.

ما عسى أن تصنع أمه وجدته! فكذا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعا، غيري فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي:

إني لأكره أن أرجع من بين صواحباتي ولم آخذ رضيعا، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلاخذنه، قال: لا عليك أن تفعلي، فعسى الله أن يجعل لنا فيه بركة! قالت: فذهبت إليه فأخذته وما حملني على ذلك إلا أنني لم أجد غيره قالت: فلما أخذته رجعت به إلى رجلي، فلما وضعته في ججري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما- وما كان ينم قبل ذلك- وقام زوجي إلى شاربنا تلك، فنظر إليها فإذا إنها لحافل، فلب منها حتى شرب وشربت، حتى انتهينا ريا وشبعا، فبتنا بخير ليلة قالت: يقول لي صاحبي حين أصبحت: أتعلمين والله يا حليلة، لقد أخذت نسمة مباركة، قلت: والله إني لأرجو ذلك قالت: ثم خرجنا وركبت أتاني تلك، وحملت عليها معي، فو الله لقطعت بنا الركب ما يقدم عليها شيء من حمرهم، حتى إن صواحي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب، أربعي علينا.

أليس هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله، إنها لي هي، فيقلن: والله إن لها لسانا قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضا من أرض الله أجذب منها، فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به معنا شبعا لبنا، فحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة ولا يجدها في ضرع، حتى إن كان الحاضر من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم، اسرحوا حيث يسرح راعي ابنة

أَيُّ ذُوَيْبٍ! فَتَرَوُحُ أَغْنَاهُمْ جِيعًا مَا تَبْضُ بِقَطْرَةٍ لَبَنٍ، وَتَرَوُحُ غَنَمِي شِبَاعًا لَبَنًا فَلَمْ تَزَلْ تَتَعَرَّفُ مِنَ اللَّهِ زِيَادَةَ الْخَيْرِ بِهِ، حَتَّى مَضَتْ سَنَتَانِ وَفَصَلَّتُهُ وَكَانَ يَشِبُّ شَبَابًا لَا يَشْبُهُ الْغُلَامُ، فَلَمْ يَلْغُ سَنَتِيهِ حَتَّى كَانَ غُلَامًا جَفْرًا، فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ وَنَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى مُكْنَاهُ فِينَا، لَمَّا نَزَى مِنْ بَرَكَتِهِ، فَكَلَّمْنَا أُمَّهُ وَقُلْنَا لَهَا: يَا ظِرُّ، لَوْ تَرَكْتَ بَنِيَّ عِنْدِي حَتَّى يَغْلُظَ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ وَبَاءَ مَكَّةَ! قَالَتْ: فَلَمْ تَزَلْ بِهَا حَتَّى رَدَدْنَاهُ مَعَنَا قَالَتْ: فَرَجَعْنَا بِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ بَعْدَ مَقْدَمِنَا بِهِ بِأَشْهَرٍ مَعَ أَخِيهِ فِي بَهْمٍ لَنَا خَلْفَ بَيْوتِنَا، إِذْ أَتَانَا أَخُوهُ يَشْتَدُّ، فَقَالَ لِي وَلَآئِيهِ: ذَاكَ أَخِي الْقُرْشِيُّ قَدْ جَاءَهُ رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيَاضٌ، فَأَضْجَعَاهُ وَشَقَّ بَطْنَهُ وَهُمَا يَسُوطَانِهِ قَالَتْ: نَخْرَجُ أَنَا وَأَبُوهُ لَشْتَدُّ، فَوَجَدْنَاهُ قَائِمًا مُنْتَقِعًا وَجْهَهُ، قَالَتْ: فَالْتَزِمَهُ وَالتَزِمَهُ أَبُوهُ، وَقُلْنَا لَهُ: مَا لَكَ يَا بَنِيَّ؟ قَالَ: جَاءَنِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيَاضٌ، فَأَضْجَعَانِي فَشَقَّ بَطْنِي فَالْتَمَسَا فِيهِ شَيْئًا لَا أَدْرِي مَا هُوَ! قَالَتْ: فَرَجَعْنَا إِلَى خِبَائِنَا قَالَتْ: وَقَالَ لِي أَبُوهُ:

وَاللَّهِ يَا حَلِيمَةَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْغُلَامُ قَدْ أَصِيبَ، فَأَلْحَقِيهِ بِأَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ بِهِ ذَلِكَ، قَالَتْ: فَاحْتَمَلْنَاهُ، فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ، فَقَالَتْ:

مَا أَقْدَمَكَ بِهِ يَا ظِرُّ، وَقَدْ كُنْتَ حَرِيصَةً عَلَيْهِ وَعَلَى مُكْنَاهُ عِنْدَكَ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: قَدْ بَلَغَ اللَّهُ بِابْنِي وَقَضَيْتُ الَّذِي عَلَيَّ وَتَخَوَّفْتُ الْأَحْدَاثَ عَلَيْهِ، فَأَدَيْتُهُ إِلَيْكَ كَمَا تُحِبُّ قَالَتْ: مَا هَذَا بِشَأْنِكَ، فَاصْدُقْنِي خَبْرَكَ، قَالَتْ:

فَلَمْ تَدْعِنِي حَتَّى أَخْبَرْتَهَا الْخَبْرَ، قَالَتْ: فَتَخَوَّفْتُ عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ، وَإِنَّ لِبَنِيَّ لَشَأْنًا، أَفَلَا أَخْبَرْتُكَ خَبْرَهُ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: رَأَيْتُ حِينَ حَمَلْتُ بِهِ أَنَّهُ خَرَجَ مِنِّي نُورٌ أَضَاءَ لِي قُصُورَ بَصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، ثُمَّ حَمَلْتُ بِهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِنْ حَمَلٍ قَطُّ كَانَ أَخَفَّ مِنْهُ وَلَا أَيْسَرَ مِنْهُ، ثُمَّ وَقَعَ حِينَ وَلَدْتُهُ وَإِنَّهُ لَوَاضِعٌ يَدَيْهِ بِالْأَرْضِ، رَافِعٌ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، دَعِيهِ عَنْكَ وَانْطَلِقِي رَاشِدَةً.

حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَزْدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَعْلَى، عَنْ عُمَرَ بْنِ صَبِيحٍ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ يَزِيدَ الشَّامِيِّ، عَنْ مَكْحُولِ الشَّامِيِّ، عَنْ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص، إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، وَهُوَ مَدْرَّةٌ قَوْمِهِ وَسَيِّدُهُمْ، مِنْ شَيْخٍ كَبِيرٍ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَا، فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ص قَائِمًا، وَنَسَبَهُ

إِلَى جَدِّهِ، فَقَالَ: يَا بَنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنِّي أَنْبِئُكَ أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ، أَرْسَلَكَ بِمَا أَرْسَلَ بِهِ إِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، أَلَا وَإِنَّكَ فَوْهَةٌ بَعْظِيمٌ، وَإِنَّمَا كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ وَالْخُلَفَاءُ فِي بَيْتَيْنِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنْتَ مِمَّنْ يَعْبُدُ هَذِهِ الْحِجَارَةَ وَالْأَوْثَانَ، فَمَا لَكَ وَلِلنُّبُوءَةِ! وَلَكِنْ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةٌ، فَأَنْبِئْنِي بِحَقِيقَةِ قَوْلِكَ، وَبَدَأَ شَانُكَ، قَالَ:

فَأَعْجَبَ النَّبِيُّ ص بِمَسْأَلَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَخَا بَنِي عَامِرٍ، إِنَّ لِهَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي تَسْأَلُنِي عَنْهُ نَبَأً وَجَلَسًا، فَاجْلِسْ، فَتَنَى رَجُلِيهِ ثُمَّ بَرَكَ كَمَا يَبْرُكُ الْبَعِيرُ، فَاسْتَقْبَلَهُ النَّبِيُّ ص بِالْحَدِيثِ فَقَالَ: يَا أَخَا بَنِي عَامِرٍ، إِنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِي وَبَدَأَ شَأْنِي، أَيْ دَعَاةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبَشَرَى أَخِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَإِنِّي كُنْتُ بِكَرْأَمِي، وَإِنَّمَا حَمَلْتُ بِي كَأَثْقَلٍ مَا تَحْمِلُ، وَجَعَلْتُ تَشْتَكِي إِلَى صَوَاحِبِهَا ثَقُلَ مَا تَحْدُ.

ثُمَّ إِنَّ أُمِّي رَأَتْ فِي الْمَنَامِ أَنَّ الَّذِي فِي بَطْنِهَا نُورٌ، قَالَتْ: لَجَعَلْتُ أَتْبَعُ بَصْرِي النُّورَ، وَالنُّورُ يَسْبِقُ بَصْرِي، حَتَّى أَضَاءَتْ لِي مَشَارِقُ الْأَرْضِ وَمَغَارِبُهَا.

ثُمَّ إِنَّهَا وَلَدَتْنِي فَنَشَأْتُ، فَلَمَّا أَنَّ نَشَأْتُ بَعْضْتُ إِلَيَّ أَوْثَانُ قُرَيْشٍ، وَبَعْضَ إِلَى الشَّعْرِ، وَكُنْتُ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي لَيْثِ بْنِ بَكْرٍ، فَبَيْنَا أَنَا

ذَاتَ يَوْمٍ مُتَبَدِّلٍ مِنْ أَهْلِ فِي بطن وادٍ مع أَتْرَابٍ لِي مِنَ الصِّبْيَانِ تَتَقَاذَفُ بَيْنَنَا بِالْجَلَّةِ، إِذْ أَتَانَا رَهْطٌ ثَلَاثَةٌ مَعَهُمْ طَسْتُ مِنْ ذَهَبٍ مِلْيَةً ثَلَجًا، فَأَخَذُونِي مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي، نَفَرَجَ أَصْحَابِي هَرَابًا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى شَفِيرِ الْوَادِي، ثُمَّ أَقْبَلُوا عَلَى الرَّهْطِ فَقَالُوا: مَا أَرْبُكُمْ إِلَى هَذَا الْغَلَامِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَّا، هَذَا ابْنُ سَيِّدِ قُرَيْشٍ، وَهُوَ مُسْتَرْضِعٌ فِينَا، مِنْ غَلَامٍ يَتِيمٍ لَيْسَ لَهُ أَبٌ، فَمَازَا يَرِدُ عَلَيْكُمْ قَتْلُهُ، وَمَازَا تُصِيبُونَ مِنْ ذَلِكَ! وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ لَا بَدَّ قَاتِلِيهِ، فَاخْتَارُوا مِنَّا أَيْنَا شِئْتُمْ، فَلْيَأْتِكُمْ مَكَانُهُ فَاقْتُلُوهُ، وَدَعُوا هَذَا الْغَلَامَ فَإِنَّهُ يَتِيمٌ فَلَهَا رَأَى الصِّبْيَانُ الْقَوْمَ لَا يُحِيرُونَ إِلَيْهِمْ جَوَابًا، انْطَلَقُوا هَرَابًا مُسْرِعِينَ إِلَى الْحَيِّ، يُوذَنُونَهُمْ وَيَسْتَصْرَحُونَهُمْ عَلَى الْقَوْمِ، فَعَمَدَ أَحَدُهُمْ فَأَضْجَعَنِي عَلَى الْأَرْضِ إِضْجَاعًا لَطِيفًا، ثُمَّ شَقَّ مَا بَيْنَ مَفْرَقِ صَدْرِي إِلَى مُتَهَيِّ عَانِي، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَلَمْ أَجِدْ لَذَلِكَ مَسًّا ثُمَّ أَخْرَجَ أَحْشَاءَ بَطْنِي ثُمَّ غَسَلَهَا بِذَلِكَ الثَّلَجِ فَأَنْعَمَ غَسْلَهَا، ثُمَّ أَعَادَهَا مَكَانَهَا، ثُمَّ قَامَ الثَّانِي مِنْهُمْ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ: تَنَحَّ، فَتَحَّاهُ عَنِّي، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَوْفِي فَأَخْرَجَ قَلْبِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَصَدَعَهُ، ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهُ مُضْغَةً سَوْدَاءَ، فَرَمَى بِهَا ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ يَمْنَةً مِنْهُ، كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَإِذَا أَنَا بِخَاتَمٍ فِي يَدِهِ مِنْ نُورٍ يَحَارُ النَّاطِرُونَ دُونَهُ، نَفَخْتُ بِهِ قَلْبِي فَامْتَلَأَ نُورًا، وَذَلِكَ نُورُ النُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ، ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ فَوَجَدْتُ بَرْدَ ذَلِكَ الْخَاتَمِ فِي قَلْبِي دَهْرًا، ثُمَّ قَالَ الثَّلَاثُ لِصَاحِبِهِ: تَنَحَّ عَنِّي، فَأَمَرَ يَدَهُ مَا بَيْنَ مَفْرَقِ صَدْرِي إِلَى مُتَهَيِّ عَانِي، فَالْتَأَمَ ذَلِكَ الشَّقُّ بِإِذْنِ اللَّهِ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَنْهَضَنِي مِنْ مَكَانِي إِنْهَاضًا لَطِيفًا، ثُمَّ قَالَ لِلأَوَّلِ الَّذِي شَقَّ بَطْنِي: زِنَهُ بِعَشْرَةِ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنَهُ بِمِائَةِ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنَهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتَهُمْ.

فَقَالَ: دَعُوهُ، فَلَوْ وَزَنْتُمُوهُ بِأُمَّتِهِ كُلِّهَا لَرَجَحَهُمْ قَالَ: ثُمَّ ضَمُّونِي إِلَى صُدُورِهِمْ وَقَبَلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنِي، ثُمَّ قَالُوا: يَا حَبِيبُ، لَمْ تَرَعْ، إِنَّكَ لَوْ تَدْرِي مَا يُرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ لَقَرَّتْ عَيْنَاكَ قَالَ: فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ، إِذْ أَنَا بِالْحَيِّ قَدْ جَاءُوا بِحَذَائِرِهِمْ، وَإِذَا أُمِّي - وَهِيَ ظِئْرِي - أَمَامَ الْحَيِّ تَهْتِفُ بِأَعْلَى صَوْتِهَا وَتَقُولُ: يَا ضَعِيفَاهُ! قَالَ: فَانْكَبُوا عَلَيَّ فَقَبَلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنِي، فَقَالُوا: حَبِّدَا أَنْتَ مِنْ ضَعِيفٍ! ثُمَّ قَالَتْ ظِئْرِي: يَا وَحِيدَاهُ! فَانْكَبُوا عَلَيَّ فَضَمُّونِي إِلَى صُدُورِهِمْ وَقَبَلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنِي، ثُمَّ قَالُوا: حَبِّدَا أَنْتَ مِنْ وَحِيدٍ وَمَا أَنْتَ بِوَحِيدٍ! إِنَّ اللَّهَ مَعَكَ وَمَلَائِكَتُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَتْ ظِئْرِي: يَا يَتِيمَاهُ، اسْتَضْعَفْتَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِكَ فَقُتِلْتَ لِضَعْفِكَ، فَانْكَبُوا عَلَيَّ فَضَمُّونِي إِلَى صُدُورِهِمْ وَقَبَلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنِي، وَقَالُوا: حَبِّدَا أَنْتَ مِنْ يَتِيمٍ، مَا أَكْرَمَكَ عَلَى اللَّهِ! لَوْ تَعْلَمُ مَاذَا يُرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ! قَالَ: فَوَصَلُوا بِي إِلَى شَفِيرِ الْوَادِي، فَلَهَا بَصُرْتُ بِي

أُمِّي - وَهِيَ ظِئْرِي - قَالَتْ: يَا بُنَيَّ أَلَا أَرَاكَ حَيًّا بَعْدًا! لَجَاءَتْ حَتَّى انْكَبْتُ عَلَيَّ وَضَمْتَنِي إِلَى صَدْرِهَا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَفِي جِرْهَا وَقَدْ ضَمْتَنِي إِلَيْهَا، وَإِنَّ يَدِي فِي يَدِ بَعْضِهِمْ، فَجَعَلْتُ أَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ يُبْصِرُونَهُمْ، فَإِذَا هُمْ لَا يُبْصِرُونَهُمْ، يَقُولُ بَعْضُ الْقَوْمِ: إِنَّ هَذَا الْغَلَامَ قَدْ أَصَابَهُ لَمٌّ أَوْ طَائِفٌ مِنَ الْجِنِّ، فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى كَاهِنًا حَتَّى يَنْظُرَ إِلَيْهِ وَيَدَاوِيهِ فَقُلْتُ: يَا هَذَا، مَا بِي شَيْءٌ مِمَّا تَذْكُرُ، إِنَّ آرَائِي سَلِيمَةٌ وَفُؤَادِي صَحِيحٌ، لَيْسَ بِي قَلْبَةٌ فَقَالَ أَبِي - وَهُوَ زَوْجُ ظِئْرِي - أَلَا تَرَوْنَ كَلَامَهُ كَلَامَ صَحِيحٍ! إِنِّي لَا رَجُوَ إِلَّا يَكُونَ بَابُنِي بَاسٌ، فَاتَّقُوا عَلَى أَنْ يَذْهَبُوا بِي إِلَى الْكَاهِنِ، فَاحْتَمِلُونِي حَتَّى ذَهَبُوا بِي إِلَيْهِ، فَلَهَا قَصُّوا عَلَيَّ قِصَّتِي قَالَ:

اسْكُتُوا حَتَّى أَسْمَعَ مِنَ الْغَلَامِ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِأَمْرِهِ مِنْكُمْ، فَسَأَلَنِي، فَافْتَضَّصْتُ عَلَيْهِ أَمْرِي مَا بَيْنَ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، فَلَهَا سَمِعَ قَوْلِي وَشَبَّ إِلَيَّ فَضَمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا لِلْعَرَبِ، يَا لِلْعَرَبِ! اقْتُلُوا هَذَا الْغَلَامَ وَاقْتُلُونِي مَعَهُ، فَوَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ تَرَكَتُمُوهُ وَأَدْرَكَ، لَيُذِلَّنَّ دِينَكُمْ وَلَيُسْفِهَنَّ عُقُولَكُمْ وَعُقُولَ آبَائِكُمْ، وَلَيُخَالِفَنَّ أَمْرَكُمْ، وَلَيَأْتِيَنَّكُمْ بِدِينٍ لَمْ تَسْمَعُوا بِمِثْلِهِ قَطُّ! فَعَمَدْتُ ظِئْرِي فَانْتَزَعْتَنِي مِنْ جِرِّهِ وَقَالَتْ: لَأَنْتَ أَعْتَهُ وَاجْنُ مِنْ ابْنِي هَذَا! فَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا يَكُونُ مِنْ قَوْلِكَ مَا أَتَيْتُكَ بِهِ، فَاطْلُبْ لِنَفْسِكَ مَنْ يَقْتُلُكَ، فَإِنَّا غَيْرُ

قَاتِلِي هَذَا الْغُلَامَ ثُمَّ اخْتَمَلُونِي فَأَدُونِي إِلَى أَهْلِي فَأَصْبَحْتُ مُفْرَعًا مِمَّا فَعِلَ بِي، وَأَصْبَحَ أَثَرُ الشَّقِّ مَا بَيْنَ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي كَأَنَّهُ الشَّرَاكُ، فَذَلِكَ حَقِيقَةُ قَوْلِي وَبَدَأُ شَأْنِي يَا أَخَا بَنِي عَامِرٍ.

فَقَالَ الْعَامِرِيُّ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ أَنَّ أَمْرَكَ حَقٌّ، فَأَنْبِئْنِي

بِأَشْيَاءَ أَسْأَلُكَ عَنْهَا! قَالَ: سَلْ عَنْكَ- وَكَانَ النَّبِيُّ ص قَبْلَ ذَلِكَ يَقُولُ لِلسَّائِلِ: سَلْ عَمَّا شِئْتَ، وَعَمَّا بَدَأَ لَكَ، فَقَالَ لِلْعَامِرِيِّ يَوْمَئِذٍ: سَلْ عَنْكَ، لَأَنْهَا لُغَةُ بَنِي عَامِرٍ، فَكَلَّمَهُ بِمَا عِلْم- فَقَالَ لَهُ الْعَامِرِيُّ: [أَخْبِرْنِي يَا بَنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَا يَزِيدُ فِي الْعِلْمِ؟ قَالَ: التَّعَلُّمُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي مَا يَدُلُّ عَلَى الْعِلْمِ؟ قَالَ النَّبِيُّ ص: السُّؤَالُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي مَاذَا يَزِيدُ فِي الشَّرِّ؟ قَالَ: التَّمَادِي، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي هَلْ يَنْفَعُ الْبَرُّ بَعْدَ الْفُجُورِ؟ قَالَ: نَعَمْ،] [التَّوْبَةُ تَغْسِلُ الْحَوْبَةَ، وَالْحَسَنَاتُ يَذْهَبُنَ السَّيِّئَاتِ،] و [إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ عِنْدَ الرَّخَاءِ، أَغَاثَهُ عِنْدَ الْبَلَاءِ] [، قَالَ الْعَامِرِيُّ: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا بَنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ قَالَ: ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: لَا وَعِرَّتِي وَجَلَالِي، لَا أَجْمَعُ لِعَبْدِي أَمْنَيْنِ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَبَدًا خَوْفَيْنِ، إِنَّهُ هُوَ خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمْنَيْنِ يَوْمَ أَجْمَعُ فِيهِ عِبَادِي عِنْدِي فِي حَظِيرَةِ الْفِرْدَوْسِ، فَيَدُومُ لَهُ أَمْنُهُ، وَلَا أَحْمَقُهُ فِيمَنْ أَحَقُّ، وَإِنَّهُ هُوَ أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا خَافَنِي يَوْمَ أَجْمَعُ فِيهِ عِبَادِي لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ، فَيَدُومُ لَهُ خَوْفُهُ، قَالَ: يَا بَنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَخْبِرْنِي إِلَّا مَا تَدْعُو؟ قَالَ: أَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ تَخْلَعَ الْأَنْدَادَ، وَتَكْفُرَ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، وَتَقَرَّبَ بِمَا جَاءَ مِنَ اللَّهِ مِنْ كِتَابٍ أَوْ رَسُولٍ، وَتُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ بِحَقَائِقِهِنَّ، وَتَصُومَ شَهْرًا مِنَ السَّنَةِ، وَتُؤَدِّيَ زَكَاةَ مَالِكَ، يُطَهِّرُكَ اللَّهُ بِهَا وَيَطِيبُ لَكَ مَالَكَ، وَتُحْجَّ الْبَيْتَ إِذَا وَجَدْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَتَغْتَسِلَ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَتُؤْمِنَ بِالْمَوْتِ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَبِالْجَنَّةِ، وَالنَّارِ قَالَ: يَا بَنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَمَا لِي؟ قَالَ النَّبِيُّ ص: «جَنَاتٌ عَدَنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ» قَالَ: يَا بَنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، هَلْ مَعَ هَذَا مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ؟ فَإِنَّهُ يُعْجِبُنِي الْوَطَاءَةُ مِنَ الْعَيْشِ! قَالَ النَّبِيُّ

ص: نَعَمْ، النَّصْرُ وَالْتِمَكُّنُ فِي الْبِلَادِ قَالَ: فَأَجَابَ وَأَنَابَ [.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ الْكَلْبَاعِيِّ، أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَوَّلُوا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ، [قَالَ: نَعَمْ، أَنَا دَعَوْتُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبَشَّرْتُ عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلْتُ لِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهَا قُصُورَ بَصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وَاسْتَرْضَعْتُ فِي بَيْتِ سَعْدِ بْنِ بَكْرِ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَ أَخِي لِي خَلْفٌ يُبَوِّتَانِ نَزَعَا بَهُمَا لَنَا، أَتَانِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضٌ بَطُسَتْ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ ثَلْجًا، فَأَخَذَانِي، فَشَقَّا بَطْنِي، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا مِنْهُ قَلْبِي، فَشَقَّاهُ فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عِلْقَةً سَوْدَاءَ، ثُمَّ غَسَلَا بَطْنِي وَقَلْبِي بِذَلِكَ الثَّلْجِ حَتَّى انْقَيَاهُ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: زِنْهُ بِعَشْرَةِ مِائَةِ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنَتْهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِمِائَةِ مِائَةِ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنَتْهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنَتْهُمْ، ثُمَّ قَالَ: دَعُهُ عَنْكَ، فَلَوْ وَزَنَتْهُ بِأُمَّتِهِ لَوَزَنَهَا].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: هَلَكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَبُو رَسُولِ اللَّهِ ص، وَأُمُّ رَسُولِ اللَّهِ آمَنَةُ بِنْتُ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ حَامِلَةٍ بِهِ. وَأَمَّا هِشَامٌ فَإِنَّهُ قَالَ: تَوَفَّى عَبْدُ اللَّهِ أَبُو رَسُولِ اللَّهِ، بَعْدَ مَا أَتَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص ثَمَانِيَةَ وَعِشْرُونَ شَهْرًا.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الْوَاقِدِيِّ: الثَّبْتُ عِنْدَنَا مِمَّا لَيْسَ بَيْنَ أَصْحَابِنَا فِيهِ اخْتِلَافٌ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَقْبَلَ مِنَ الشَّامِ فِي عَيْرٍ لِقْرِيشَ، فَنَزَلَ بِالْمَدِينَةِ - وَهُوَ مَرِيضٌ - فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى تَوَفَّى، وَدُفِنَ فِي دَارِ النَّابِغَةِ، فِي الدَّارِ الصَّغْرَى إِذَا دَخَلْتَ الدَّارَ عَلَى يَسَارِكَ فِي الْبَيْتِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَزْمِ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ صَ آمَنَهُ، تُوِفِّيَتْ - وَرَسُولُ اللَّهِ ص ابْنُ سِتِّ سِنِينَ - بِالْأَبْوَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، كَانَتْ قَدِمَتْ بِهِ الْمَدِينَةَ عَلَى أَخْوَالِهِ مِنْ

رجع الحديث إلى تمام امر كسرى بن قباذ انوشروان

بني عدي بن النجار تزيه إياهم، فأتت وهي راجعة به إلى مكة.

وقد حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ عَثْمَانَ بْنِ صَفْوَانَ، أَنَّ قَبْرَ أَمْنَةَ بِنْتِ وَهَبٍ فِي شَعْبِ أَبِي ذَرٍّ بِمَكَّةَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْبُدٍ بْنِ الْعَبَّاسِ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِهِ، أَنَّ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تَوَفَّى وَرَسُولُ اللَّهِ ص ابْنُ ثَمَانِي سَنِينَ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: تَوَفَّى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَرَسُولُ اللَّهِ ابْنُ عَشْرِ سَنِينَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا طَلْحَةُ بْنُ عَمْرٍو الْخَضْرَمِيُّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ص فِي جَرِّ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَيُصْبِحُ وَلَدَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ غُمَصًا رُمَصًا، وَيَصْبِحُ ص صَقِيلًا دَهِينًا

رجع الحديث إلى تمام أمر كسرى بن قباذ انوشروان

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ الْمُوصِلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ يَعْلَى بْنُ عِمْرَانَ الْبَجَلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ هَانِئٍ الْمَخْزُومِيُّ عَنْ أَبِيهِ - وَأَتَتْ لَهُ خَمْسُونَ وَمِائَةُ سَنَةٍ - قَالَ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَهُ وَلَدَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ص، ارْتَجَسَ إِيوَانُ كِسْرَى وَسَقَطَتْ مِنْهُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ شُرْفَةً، وَنَحَدَتْ نَارُ فَارِسَ، وَلَمْ تَخْذُقْ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَلْفِ عَامٍ، وَغَاضَتْ بِحِيرَةُ سَاوَةَ، وَرَأَى الْمُؤَبِّدَانُ إِبِلًا صِعَابًا، تَقُودُ خَيْلًا عَرَابًا، وَقَدْ قَطَعَتْ دِجْلَةَ وَانْتَشَرَتْ فِي بِلَادِهَا.

فَلَمَّا أَصْبَحَ كِسْرَى أَفْزَعَهُ مَا رَأَى، فَصَبَرَ تَشْجَعًا، ثُمَّ رَأَى أَنَّهُ لَا يَكْتُمُ ذَلِكَ عَنْ وَزَرَاتِهِ وَمَرَازِبَتِهِ، فَلَبَسَ تَاجَهُ وَقَعَدَ عَلَى سَرِيرِهِ وَجَمَعَهُمْ إِلَيْهِ

فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ أَخْبَرَهُمْ بِالَّذِي بَعَثَ إِلَيْهِمْ فِيهِ وَدَعَاهُمْ فَبَيْنَاهُمْ كَذَلِكَ إِذْ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُ بِحْمُودِ النَّارِ فَازْدَادَ غَمًّا إِلَى غَمِّهِ، فَقَالَ الْمُؤَبِّدَانُ:

وَأَنَا أَصْلَحُ اللَّهُ الْمَلِكُ! قَدْ رَأَيْتُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَقَصَّ عَلَيْهِ الرُّؤْيَا فِي الْإِبِلِ.

فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ هَذَا يَا مُؤَبِّدَانُ؟ - وَكَانَ أَعْلَهُمْ عِنْدَ نَفْسِهِ بِذَلِكَ - فَقَالَ: حَدِثْ يَكُونُ مِنْ عِنْدِ الْعَرَبِ، فَكَتَبَ عِنْدَ ذَلِكَ:

مِنْ كِسْرَى مَلِكِ الْمُلُوكِ إِلَى النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ، أَمَّا بَعْدُ، فَوَجَّهَ إِلَيَّ رَجُلًا عَالِمًا بِمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهُ.

فَوَجَّهَ إِلَيْهِ عَبْدَ الْمَسِيحِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حِيَانَ بْنِ بَقِيلَةَ الْغَسَّانِيَّ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ، قَالَ لَهُ: أَعِنْدَكَ عِلْمٌ بِمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ؟ قَالَ: لِيُخْبِرَنِي

الْمَلِكُ، فَإِنْ كَانَ عِنْدِي مِنْهُ عِلْمٌ، وَإِلَّا أَخْبَرْتُهُ بِمَنْ يَعْلَمُهُ لَهُ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا رَأَى، فَقَالَ: عِلْمُ ذَلِكَ عِنْدَ خَالٍ لِي يَسْكُنُ مَشَارِفَ الشَّامِ،

يُقَالُ لَهُ سَطِيطُ، قَالَ: فَاتَهُ فَاسْأَلَهُ عَمَّا سَأَلْتُكَ، وَأَتَنِي بِجَوَابِهِ فَرَكِبَ عَبْدَ الْمَسِيحِ رَاحِلَتَهُ حَتَّى قَدِمَ عَلَى سَطِيطٍ - وَقَدْ أَشْفَى عَلَى الْمَوْتِ -

فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَحَيَّاهُ، فَلَمْ يُجِبْ سَطِيطُ جَوَابًا، فَأَنْشَأَ عَبْدَ الْمَسِيحِ يَقُولُ:

أَصُمُّ أَمْ يَسْمَعُ غَطْرِيفُ الْيَمَنِ! ... يَا فَاصِلَ الْخَطَةِ أَعَيْتَ مَنْ وَمَنْ

أَمْ فَازَ فَازَ لَمْ يَهْ شَاوُ الْعَنَنِ ... أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنِ

وَأُمُّهُ مِنْ آلِ ذَنْبِ بْنِ جَحْنٍ ... أَزْرَقُ مُمَيِّ النَّابِ صَرَارُ الْأُذُنِ

أَبْيَضُ فَضْفَاضِ الرِّدَاءِ وَالْبَدَنِ ... رَسُولُ قَبْلِ الْعُجْمِ يَسْرَى لِلْوَسَنِ

يَجُوبُ بِي الْأَرْضَ عُلْدَاهُ شَرَنَ ... تَرْفَعُنِي وَجَنَ وَتَهْوِي بِي وَجَنَ

لَا يَرْهَبُ الرَّعْدَ وَلَا رَيْبَ الزَّمَنِ ... حَتَّى أَتَى عَارِي الْجَاغِي وَالْقَطْنَ

تَلَفَهُ فِي الرَّيْحِ بَوَغَاءِ الدِّمَنِ ... كَأَنَّمَا حُثِّثَ مِنْ حِضْنِي ثَكْنٌ
فَلَمَّا سَمِعَ سَطِيحَ شِعْرِهِ، رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ: عَبْدُ الْمَسِيحِ، عَلَى جَمَلٍ يَسِيحُ، إِلَى سَطِيحِ، وَقَدْ أَوْفَى عَلَى الصَّرِيحِ، بَعَثْتُكَ مَلِكُ بَنِي سَاسَانَ،
لَا رَتَجَاسَ الْإِيوَانَ، وَخُودَ النَّيْرَانِ، وَرُؤْيَا الْمُوبَذَانِ رَأَى إِبِلًا صَعَابًا، تَقُودُ خَيْلًا عَرَابًا، قَدْ قَطَعَتْ دِجْلَةَ وَانْتَشَرَتْ فِي بِلَادِهَا، يَا عَبْدَ
الْمَسِيحِ:

إِذَا كَثُرَتِ التَّلَاوَةُ، وَبَعَثَ صَاحِبُ الْهَرَاوَةِ، وَفَاضَ وَادِي السَّمَاءِ، وَغَاضَتْ بِحِيرَةُ سَاوَةَ، وَخِدَتْ نَارُ فَارِسَ، فَلَيْسَتْ الشَّامُ لِسَطِيحِ
شَامًا، يَمْلِكُ مِنْهُمْ مُلُوكٌ وَمَمْلَكَاتٌ، عَلَى عَدَدِ الشُّرَفَاتِ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ.

ثُمَّ قَضَى سَطِيحٌ مَكَانَهُ، فَقَامَ عَبْدُ الْمَسِيحِ إِلَى رَحْلِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

شِمْرُ فَإِنَّكَ مَاضِي الْهَمِّ شَمِيرٌ ... لَا يُفْزِعَنَّكَ تَفْرِيقٌ وَتَغْيِيرٌ
إِنَّ يَكُ مَلِكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ ... فَإِنَّ ذَا الدَّهْرِ أَطْوَارُ دَهَارِيرُ

فَرُبَّمَا رُبَّمَا أَصْحَوَا بِمَنْزِلَةٍ ... تَهَابُ صَوْلَهُمُ الْأَسَدُ الْمَهَاصِيرُ

مِنْهُمْ أَخُو الصَّرْحِ مِهْرَانُ وَإِخْوَتُهُ ... وَالْهَرْمَزَانُ وَسَابُورُ وَسَابُورُ

وَالنَّاسُ أَوْلَادُ عِلَاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا ... أَنَّ قَدْ أَقْلَ، فَهَجُورٌ وَمَحْقُورُ

وَهُمْ بَنُو الْأُمِّ لَمَّا أَنْ رَأَوْا نَشْبًا ... فَذَاكَ بِالْغَيْبِ مُحْفُوظٌ وَمَنْصُورُ

وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ ... فَالْخَيْرُ مُتَبِعُ وَالشَّرُّ مُحْذُورُ

فَلَمَّا قَدِمَ عَبْدُ الْمَسِيحِ عَلَى كِسْرَى، أَخْبَرَهُ بِقَوْلِ سَطِيحِ، فَقَالَ: إِلَى أَنْ يَمْلِكَ مِنَّا أَرْبَعَةُ عَشَرَ مَلِكًا قَدْ كَانَتْ أُمُورُ.

فَمَلَكَ مِنْهُمْ عَشْرَةَ أَرْبَعِ سِنِينَ، وَمَلَكَ الْبَاقُونَ إِلَى مَلِكِ عُثْمَانَ بْنِ عَقَّانَ

وَحَدَّثَتْ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: بَعَثَ وَهْرَزُ بِأَمْوَالٍ وَطَرَفٍ مِنْ طَرَفِ الْيَمَنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا صَارَتْ بِلَادُ بَنِي تَمِيمٍ، دَعَا صَعْبَةَ

ابْنَ نَاجِيَةَ بْنِ عَقَّالٍ الْمُجَاشِعِيِّ بَنِي تَمِيمٍ إِلَى الْوُثُوبِ عَلَيْهِ، فَأَبَوْا ذَلِكَ، فَلَمَّا صَارَتْ فِي بِلَادِ بَنِي يَرْبُوعٍ دَعَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ، فَهَابُوهُ، فَقَالَ:

يَا بَنِي يَرْبُوعِ، كَأَنِّي بِهَذِهِ الْعِيرِ قَدْ مَرَّتْ بِلَادُ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ، فَوَثُّوا عَلَيْهَا فَاسْتَعَانُوا بِهَا عَلَى حَرْبِكُمْ! فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ انْتَبَهُوا، وَأَخَذَ رَجُلٌ

مِنْ بَنِي سَلِيطٍ يَقَالُ لَهُ النَّطْفُ خَرَجًا فِيهِ جَوْهَرٌ، فَكَانَ يَقَالُ: أَصَابَ كَنْزُ النَّطْفِ، فَصَارَ مَثَلًا، وَأَخَذَ صَعْبَةَ خَصْفَةً فِيهَا سَبَائِكُ

فَضَّةٍ، وَصَارَ أَصْحَابُ الْعِيرِ إِلَى هُوَذَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنْفِيِّ بِالْيَمَامَةِ، فَكَسَاهُمْ، وَزَوَّدَهُمْ وَحَمَلَهُمْ، وَسَارَ مَعَهُمْ حَتَّى دَخَلَ عَلَى كِسْرَى وَكَانَ

لَهُوَذَةُ جَمَالٌ وَبَيَانٌ، فَأَعْجَبَ بِهِ كِسْرَى وَحَفِظَ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ، وَدَعَا بِعَقْدٍ مِنْ دُرٍّ فَعَقَدَ عَلَى رَأْسِهِ، وَكَسَاهُ قَبَاءَ دِيْبَاجٍ، مَعَ كِسْوَةِ

كَثِيرَةٍ، فَمِنْ ثَمَّ سَمِيَ هُوَذَةُ ذَا التَّاجِ، وَقَالَ كِسْرَى لَهْوَذَةَ: أَرَأَيْتَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا مِنْ قَوْمِكَ هُمْ؟

قَالَ: لَا، قَالَ: أَصْلَحَ هُمْ لَكَ؟ قَالَ: بَيْنَنَا الْمَوْتُ، قَالَ: قَدْ أَدْرَكْتَ بَعْضَ حَاجَتِكَ وَنَلْتَ ثَارَكَ وَعَزَمَ عَلَى تَوْجِيهِ الْخَلِيلِ إِلَى بَنِي تَمِيمٍ،

فَقِيلَ لَهُ:

إِنَّ بِلَادَهُمْ بِلَادُ سَوْءٍ، إِنَّمَا هِيَ مَفَاوِزُ وَصَحَارَى لَا يُهْتَدَى لِمَسَالِكِهَا، وَمَاؤُهُمْ مِنَ الْآبَارِ، وَلَا يُؤْمِنُ أَنْ يَعُورُوهَا فَيَهْلِكُ جُنْدُكَ وَأَشِيرُ

إِلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى عَامِلِهِ بِالْبَحْرَيْنِ وَهُوَ آزَادْفَرُوزُ بْنُ جَشْنَسَ الَّذِي سَمَّاهُ الْعَرَبُ الْمَكْعَبَرُ - وَإِنَّمَا سَمِيَ الْمَكْعَبَرُ، لِأَنَّهُ كَانَ يَقْطَعُ الْأَيْدِي

وَالْأَرْجُلَ وَالْيَ لَا يَدْعُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَيْنًا تُطْرَفُ - فَفَعَلَ، وَوَجَّهَ لَهُ رَسُولًا وَدَعَا بِهِوَذَةَ فَجَدَّدَ لَهُ كَرَامَةً وَصِلَةً وَقَالَ: سِرْ مَعَ رَسُولِي هَذَا

فَاشْفَنِي وَاشْتَفَّ، فَأَقْبَلَ هُوَذَةُ وَالرَّسُولُ مَعَهُ حَتَّى صَارَ إِلَى الْمُكْعَبَرِ، وَذَلِكَ قَرِيبٌ مِنْ أَيَّامِ اللَّقَاطِ، وَكَانَ بَنُو تَمِيمٍ يَصِيرُونَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِلَى هَجْرٍ، لِلْبَيْرَةِ وَاللَّقَاطِ، فَنَادَى مَنَادَى الْمُكْعَبَرِ: مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَلْيَحْضُرْ

فَإِنَّ الْمَلِكَ قَدْ أَمَرَ لَهُمْ بِمِيرَةٍ وَطَعَامٍ يُقَسِّمُ فِيهِمْ، فَحَضَرُوا، فَأَدْخَلَهُمُ الْمُشَقَّرَ - وَهُوَ حِصْنٌ حِيَالَهُ حِصْنٌ يُقَالُ لَهُ الصَّفَا، وَبَيْنَهُمَا نَهْرٌ يُقَالُ لَهُ مُحَلَمٌ - وَكَانَ الَّذِي بَنَى الْمُشَقَّرَ رَجُلًا مِنْ أَسَاوِرَةِ كَسْرَى يُقَالُ لَهُ: بَسْكُ بْنُ مَاهُبُودَ، كَانَ كَسْرَى وَجْهَهُ لِبَنَاتِهِ، فَلَمَّا ابْتَدَأَهُ قِيلَ لَهُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْفَعْلَةَ لَا يُقِيمُونَ هَذَا الْمَوْضِعَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَعَهُمْ نِسَاءً، فَإِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِهِمْ تَمَّ بِنَاؤُكَ، وَأَقَامُوا عَلَيْهِ حَتَّى يَفْرُغُوا مِنْهُ، فَنَقَلَ إِلَيْهِمُ الْفَوَاجِرَ مِنْ نَاحِيَةِ السَّوَادِ وَالْأَهْوَازِ، وَحَمَلَتْ إِلَيْهِمْ رَوَايَا أَنْتَمِ مِنْ أَرْضِ فَارَسٍ فِي الْبَحْرِ، فَتَنَاحُوا وَتَوَالَدُوا، فَكَانُوا جُلَّ أَهْلِ مَدِينَةِ هَجْرٍ، وَتَكَلَّمَ الْقَوْمُ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَكَانَتْ دَعْوَتُهُمْ إِلَى عَبْدِ الْقَيْسِ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ قَالُوا لِعَبْدِ الْقَيْسِ:

قَدْ عَلِمْتُمْ عِدَدَنَا وَعَدَّتَنَا وَعَظِيمَ غَنَائِنَا، فَأَدْخِلُونَا فِيكُمْ وَزَوْجُونَا، قَالُوا: لَا، وَلَكِنْ أَقِيمُوا عَلَى حَالِكُمْ، فَأَنْتُمْ إِخْوَانُنَا وَمَوَالِينَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ: يَا مَعَاشِرَ عَبْدِ الْقَيْسِ، أَطِيعُونِي وَأَلْحِقُوهُمْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَنْ مِثْلِ هَؤُلَاءِ مَرْغَبٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَمَا تَسْتَحْيِي! أَتَأْمُرُنَا أَنْ نَدْخُلَ فِينَا مَنْ قَدْ عَرَفَتْ أَوَّلُهُ وَأَصْلُهُ! قَالَ: إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا أَلْحَقَهُمْ غَيْرُكُمْ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ: إِذَا لَا نَسْتَوْحِشُ لَهُمْ، فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ فِي الْعَرَبِ، وَبَقِيَتْ فِي عَبْدِ الْقَيْسِ مِنْهُمْ بَقِيَّةٌ فَاتَمَتُوا إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَرُدُّوهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَلَمَّا أَدْخَلَ الْمُكْعَبَرُ بَنِي تَمِيمٍ الْمُشَقَّرَ قَتَلَ رِجَالَهُمْ وَاسْتَبَقَى الْغُلَبَانَ، وَقَتَلَ يَوْمَئِذٍ قَنْعَبَ الرِّيَاحِيِّ - وَكَانَ فَارَسٌ بَنِي يَرْبُوعَ - قَتَلَهُ رَجُلَانِ مِنْ شَنْ كَانَا يُنَوِّبَانِ الْمُلُوكَ، وَجَعَلَ الْغُلَبَانُ فِي السُّفْنِ، فَعَبَّرَ بِهِمْ إِلَى فَارَسٍ، فَخَصُّوا مِنْهُمْ بَشَرًا قَالَ هَبِيرَةُ بْنُ حُدَيْرٍ الْعَدَوِيُّ: رَجَعَ إِلَيْنَا بَعْدَ مَا فُتِحَتْ إِصْطَخَرُ عِدَّةٌ مِنْهُمْ، أَحَدُهُمْ خَصِي وَالْآخَرُ خِيَاطٌ وَشَدَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، يُقَالُ لَهُ عُبَيْدُ بْنُ وَهَبٍ عَلَى سِلْسِلَةِ الْبَابِ فَقَطَعَهَا وَخَرَجَ، فَقَالَ:

تَذَكَّرْتُ هُنْدًا لَا تَحِينَ تَذَكَّرُ ... تَذَكَّرْتُهَا وَدُونَهَا سِيرَ أَشْهَرِ
حِجَازِيَّةٍ عَلَوِيَّةٍ حَلَّ أَهْلِهَا ... مُصَابَ الْخَرِيفِ بَيْنَ زَوْرٍ وَمَنْوَرِ
أَلَا هَلْ أَتَى قَوْمِي عَلَى النَّأْيِ أَتَنِي ... حَمِيَتْ ذِمَارِي يَوْمَ بَابِ الْمُشَقَّرِ
ضَرَبْتُ رِتَاجَ الْبَابِ بِالسَّيْفِ ضَرْبَةً ... تَفَرَّجَ مِنْهَا كُلُّ بَابٍ مُضَبَّرِ
وَكَلَّمَ هُوَذَةُ بْنُ عَلِيٍّ الْمُكْعَبَرُ يَوْمَئِذٍ فِي مَائَةِ مَنْ أَسْرَى بَنِي تَمِيمٍ، فَوَهَبَهُمْ لَهُ يَوْمَ الْفِصْحِ، فَأَعْتَقَهُمْ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْأَعْشَى:

سَأَلْتُ تَمِيمًا بِهِ أَيَّامٌ صَفَقْتَهُمْ ... لَمَّا أَتَوْهُ أَسَارَى كُلَّهُمْ ضَرَعًا
وَسَطَ الْمُشَقَّرِ فِي غَبَاءٍ مُظْلِمَةٍ ... لَا يَسْتَطِيعُونَ بَعْدَ الضَّرِّ مُنْتَفِعًا
فَقَالَ لِلْمَلِكِ أَطْلِقْ مِنْهُمْ مَائَةً ... رُسُلًا مِنَ الْقَوْلِ مَخْفُوضًا وَمَا رَفَعًا
فَفَكَ عَنْ مَائَةٍ مِنْهُمْ إِسَارَهُمْ ... وَأَصْبَحُوا كُلُّهُمْ مِنْ غُلَّةٍ خَلَعًا
بِهِمْ تَقَرَّبَ يَوْمَ الْفِصْحِ ضَاحِيَةً ... يَرْجُو الْإِلَهَ بِمَا اسْدَى وَمَا صَنَعَا
فَلَا يَرُونَ بِذَا كَمْ نِعْمَةً سَبَقَتْ ... إِنْ قَالَ قَاتِلُهَا حَقًّا بِهَا وَسَعَا
يَصِفُ بَنِي تَمِيمٍ بِالْكَفْرِ لِنِعْمَتِهِ.

قَالَ: فَلَمَّا حَضَرَتْ وَهْرَزُ الْوَفَاةِ - وَذَلِكَ فِي آخِرِ مَلِكِ أَنْوَشِرَوَانَ - دَعَا بِقَوْسِهِ وَنَشَابَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَجْلِسُونِي، فَأَجْلَسُوهُ، فَرَمَى وَقَالَ: انْظُرُوا حَيْثُ وَقَعَتْ نَشَابَتِي فَاجْعَلُوا نَائِوَسِي هُنَاكَ، فَوَقَعَتْ نَشَابَتُهُ مِنْ وَرَاءِ الدَّيْرِ، وَهِيَ الْكَنِيسَةُ الَّتِي عِنْدَ نَعْمٍ، وَهِيَ تَسْمَى الْيَوْمَ مَقْبَرَةَ وَهْرَزٍ، فَلَمَّا بَلَغَ كَسْرَى مَوْتَ وَهْرَزٍ، بَعَثَ إِلَى الْيَمَنِ اسْوَارًا يُقَالُ لَهُ وَين، وَكَانَ جَبَارًا مَسْرَفًا، فَعَزَلَهُ هَرَمَزُ بْنُ كَسْرَى، وَاسْتَعْمَلَ مَكَانَهُ الْمَرْوَزَانَ، فَأَقَامَ

٢٠٦٠٢١ ذكر ملك هرمز بن كسرى انوشروان

بالين حتى ولد له بها، وبلغ ولده ثم هلك كسرى انوشروان، وكان ملكه ثمانيا واربعين سنة . ذكر ملك هرمز بن كسرى انوشروان

ثم ملك هرمز بن كسرى أنوشروان، وكانت أمه ابنة خاقان الأكبر، فحدثت عن هشام بن محمد، قال: كان هرمز بن كسرى هذا كثير الأدب، ذا نية في الإحسان إلى الضعفاء والمساكين، والحمل على الأشراف، فعادوه وأبغضوه، وكان في نفسه عليهم مثل ذلك، ولما عقد التاج على رأسه، اجتمع إليه أشراف أهل مملكته، واجتهدوا في الدعاء له والشكر لوالده، فوعدهم خيرا وكان متحريرا للسيرة في رعيته بالعدل، شديدا على العظماء لاستطاعتهم كانت على الوضعاء، وبلغ من عدله أنه كان يسير إلى ماه ليصيف، فأمر فنودي في مسيره ذلك في جنده وسائر من كان في عسكره أن يتحاموا مواضع الحروث ولا يضرروا بأحد من الدهاقين فيها، ويضبطوا دوابهم عن الفساد فيها، ووكل بتعاهد ما يكون في عسكره من ذلك ومعاينة من تعدى أمره.

وكان ابنه كسرى في عسكره، فعار مركب من مراكبه ووقع في محرثة من المحارث التي كانت على طريقه فرتع فيها وأفسد منها، فأخذ ذلك المركب، ودفع إلى الرجل الذي وكل هرمز بمعاينة من أفسد أو دابته شيئا من المحارث وتغريمه فلم يقدر الرجل على انفاذ أمر هرمز في كسرى، ولا في أحد ممن كان معه في حشمه، فرفع ما رأى من إفساد ذلك المركب إلى هرمز، فأمر أن يجده أذنيه، ويتر ذنبه، ويغرم كسرى، ونخرج الرجل من عند هرمز لينفذ أمره في كسرى ومركبه ذلك، فدرس له كسرى رهطا من العظماء ليسأله التغيب في أمره، فلقوه وكلوه في ذلك فلم يجب إليه، فسأله أن يؤخر ما أمر به هرمز في المركب حتى يكلموه فيأمر بالكف عنه، ففعل فلقي أولئك الرهط هرمز

وأعلموه أن بالمركب الذي أفسد ما أفسد زعارة، وأنه عار فوقع في محرثة، فأخذ من ساعة وقع فيها، وسأله أن يأمر بالكف عن جدعه وتبتيه لما فيها من سوء الطيرة على كسرى فلم يجيبهم إلى ما سألوا من ذلك، وأمر بالمركب فجده أذناه، وبتر ذنبه، وغرم كسرى مثل ما كان يغرم غيره في هذا الحد، ثم ارتحل من معسكره وكان هرمز ركب ذات يوم في أوان إيناع الكرم إلى سباط المداين، وكان ممره على بساتين وكروم، وإن رجلا ممن ركب معه من أساورته اطلع في كرم فرأى فيه حصرا، فأصاب منه عناقيد ودفعا إلى غلام كان معه، وقال له: اذهب بها إلى المنزل واطبخها بلحم واتخذ منها مرقة فإنها نافعة في هذا الإبان فأتاه حافظ ذلك الكرم فلزمه وصرخ، فبلغ من إشفاق الرجل من عقوبة هرمز على تناوله من ذلك الكرم أن دفع إلى حافظ الكرم منطقة محلاة بذهب كانت عليه، عوضا له من الحصرم الذي رزأ من كرمه، وافتدى نفسه بها، ورأى أن قبض الحافظ إياها منه وتخليته عنه، منة من بها عليه، ومعروف أسداه إليه وقيل إن هرمز كان مظفرا منصورا لا يمد يده إلى شيء إلا ناله، وكان مع ذلك أديبا أريبا داهيا رديء النية، قد نزعه أخواله الأتراك، وكان مقصيا للأشراف، وإنه قتل من العلماء وأهل البيوتات والشرف ثلاثة عشر ألف رجل وستمائة رجل، وإنه لم يكن له رأي إلا في تألف السفلة واستصلاحهم، وإنه حبس ناسا كثيرا من العظماء وأسقطهم وحط مراتبهم ودرجاتهم، وجهاز الجنود وقصر بالأساورة ففسد عليه كثير ممن كان حوله لما أراد الله من تغيير أمرهم وتحويل ملكهم، ولكل شيء سبب وإن الهرازمة رفعوا إليه قصة يبغون فيها على النصارى، فوقع فيها: إنه كما لا قوام لسرير ملكا بقائمته المقدمتين دون قائمته

المؤخرتين، فكذلك لأقوام الملكا ولا ثبات له، مع استفسادنا من في بلادنا من النصارى وأهل سائر الملل المخالفة لنا، فأقصروا عن البغي على النصارى، وواظبوا على أعمال البر ليرى ذلك النصارى وغيرهم من أهل الملل والأديان، فيحمدوكم عليه، وثنوا أنفسهم إلى ملتكم وحدثت عن هشام بن محمد، قال: خرج على هرمز الترك- وقال غيره:

أقبل عليه شابة ملك الترك الأعظم- في ثلاثمائة ألف مقاتل، في سنة إحدى عشرة من ملكه، حتى صار إلى بادغيس وهرة وإن ملك الروم صار إلى الضواحي في ثمانين ألف مقاتل قاصدا له، وإن ملك الخزر صار في جمع عظيم إلى الباب والأبواب، فعاث وأخرب، وإن رجلين من العرب يقال لأحدهما: عباس الأحول، والآخر: عمرو الأزرق، نزلا في جمع عظيم من العرب بشاطئ الفرات، وشنوا الغارة على أهل السواد، واجترأ أعداؤه عليه وغزوا بلاده، وبلغ من اكتنافهم إياها أنها سميت منخلا كثير السموم وقيل: قد اكتنف

بلاد الفرس الأعزاء من كل وجه كاستئناف الوتر سبتي القوس وأرسل شابة ملك الترك إلى هرمز وعظماء الفرس يؤذنه بإقباله في جنوده، ويقول: رموا قناطر أنهار وأودية اجتاز عليها إلى بلادكم، واعقدوا القناطر على كل نهر من تلك الأنهار لا قنطرة له، وافعلوا ذلك في الأنهار والأودية التي عليها مسلحي من بلادكم إلى بلاد الروم، لإجماعي بالمسير إليها من بلادكم فاستفزع هرمز ما ورد عليه من ذلك، وشاور فيه، فأجمع له على القصد لملك الترك، فوجه إليه رجلا من أهل الري يقال له بهرام بن بهرام جشنس - ويعرف بجويين - في اثني عشر ألف رجل، اختاره بهرام على عينيه من الكهول دون الشباب ويقال: إن هرمز عرض ذلك الوقت من كان بحضرته من الديوانية، فكانت عدتهم سبعين ألف مقاتل، فضى بهرام بمن ضم إليه مغذا حتى جاز هراة وباذغيس، ولم يشعر شابة بهرام حتى نزل بالقرب منه معسكرا، فجرت

بينهما رسائل وحروب، وقتل بهرام شابة برمية رماه إياها وقيل: إن الرمي في ملك العجم كان لثلاثة نفر، منها رمية أرششياطين بين منوشهر، وأفراسياب، ومنها رمية سونرا في الترك، ومنها رمية بهرام هذه واستباح عسكره وأقام بموضعه، فوفاه برمودة بن شابة، وكان يعدل بأبيه، فخاربه فهزمه، وحصره في بعض الحصون، ثم ألح عليه حتى استسلم له، فوجهه إلى هرمز أسيرا، وغنم مما كان في الحصن وكانت كنوزا عظيمة.

ويقال إنه حمل إلى هرمز من الأموال والجواهر والآنية والسلاح وسائر الأمتعة مما غنمه وقر مائتي ألف وخمسين ألف بعير، فشكر هرمز لبهرام ما كان منه بسبب الغنائم التي صارت إليه، وخاف بهرام سطوة هرمز، وخاف مثل ذلك من كان معه من الجنود، فخلعوا هرمز وأقبلوا نحو المدائن، وأظهروا الامتعاض مما كان من هرمز، وإن ابنه أبرويز أصلح للملك منه وساعدهم على ذلك بعض من كان بحضرة هرمز، فهرب أبرويز بهذا السبب إلى أذربيجان خوفا من هرمز، فاجتمع إليه هناك عدة من المرازبة والإصبيذين، فأعطوه بيعتهم، ووثب العظماء والأشراف بالمدائن، وفيهم بندي وبسطام خالا أبرويز، فخلعوا هرمز وسملوا عينيه وتركوه ترحلا من قتله. وبلغ الخبر أبرويز، فأقبل بمن شايعه من أذربيجان إلى دار الملك مسبقا لبهرام، فلما صار إليها استولى على الملك وتحرز من بهرام، والتقى هو وهو على شاطئ النهران، فجرت بينهما مناظره ومواقفه، ودعا أبرويز بهرام إلى أن يؤمنه ويرفع مرتبته ويسني ولايته، فلم يقبل ذلك، وجرت بينهما حروب اضطرت أبرويز إلى الهرب إلى الروم مستغيثا بملكها بعد حرب

٢٠٦٠٢٢ ذكر ملك كسرى أبرويز بن هرمز

شديدة وبيات كان من بعضهم لبعض وقيل إنه كان مع بهرام جماعة من الأشداء، وكان فيهم ثلاثة نفر من وجوه الأتراك لا يعدل بهم في فروسياتهم وشدتهم من الأتراك أحد، قد جعلوا لبهرام قتل أبرويز فلما كان الغد من ليلة البيات وقف أبرويز ودعا الناس إلى حرب بهرام فتناقلوا عليه، قصده نفر الثلاثة من الأتراك، فخرج إليهم أبرويز فقتلهم بيده واحدا واحدا، ثم انصرف من المعركة وقد أحس من أصحابه بالفتور والتغير، فصار إلى أبيه بطيسون حتى دخل عليه، وأعلمه ما قد تبينه من أصحابه وشاوره، فأشار عليه بالمصير إلى موريق ملك الروم ليستنجد، فأحرز حرمه في موضع أمن عليهم بهرام، ومضى في عدة يسيرة، منهم بندي وبسطام وكردى أخو بهرام جويين حتى صار إلى أنطاكية، وكتب موريق فقبله، وزوجه ابنة له كانت عزيزة عليه، يقال لها: مريم وكان جميع مدة ملك هرمز بن كسرى في قول بعضهم، إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرة أيام وأما هشام بن محمد فإنه قال: كان ملكه اثنتي عشرة سنة . ذكر ملك كسرى أبرويز بن هرمز

ثم ملك كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى انوشروان، وكان من أشد ملوكهم بطشا، وأنفذهم رأيا، وأبعدهم غورا، وبلغ - فيما ذكر - من البأس والنجدة والنصر والظفر وجمع الأموال والكنوز ومساعدة القدر ومساعدة الدهر إياه ما لم يتهيا لملك أكثر منه، ولذلك سمي أبرويز، وتفسيره بالعربية: المظفر وذكر أنه لما استوحش من أبيه هرمز - لما كان من احتيال بهرام جويين في ذلك، حتى أوهم هرمز أنه على أن يقوم بالملك لنفسه دونه - سار إلى أذربيجان مكتتما، ثم أظهر أمره بعد ذلك، فلما صار في الناحية اجتمعت إليه جماعة ممن كان هناك من الإصبيذين وغيرهم، فأعطوه بيعتهم على نصرته، فلم يحدث في الأمر شيئا وقيل أنه لما قتل آذين جشنس الموجه لمحاربة بهرام جويين، انفض

الجمع الذي كان معه حتى وافوا المدائن، واتبعهم جوبين، فاضطرب امر هرمز، وكتبت اخت آذين جشنس الى ابرويز- وكانت تربه- نخبره بضعف هرمز للحادث في آذين جشنس، وأن العظماء قد أجمعوا على خلعه، وأعلمته أن جوبين إن سبقه إلى المدائن قبل موافاته احتوى عليها.

فلما ورد الكتاب على أبرويز، جمع من أمكنه من أرمينية وأذربيجان، وصار بهم إلى المدائن، واجتمع إليه الوجوه والأشراف مسرورين بموافاته، ففتوح بتاج الملك، وجلس على سريرته، وقال: إن من ملتنا إيثار البر، ومن رأينا العمل بالخير، وإن جدنا كسرى بن قباد كان لكم بمنزلة الوالد، وإن هرمز أبانا كان لكم قاضيا عادلا، فعليكم بلزوم السمع والطاعة.

فلما كان في اليوم الثالث، أتى أباه فسجد له، وقال: عمرك الله أيها الملك! إنك تعلم أنني بريء مما أتى إليك المنافقون، وإني إنما تواريت ولحقت بأذربيجان خوفا من إقدامك على القتل فصدقه هرمز وقال له: إن لي إليك يا بني حاجتين، فأسعفني بهما، إحداهما: أن تنتقم لي ممن عاون على خلعي والسمل لعيني، ولا تأخذك فيهم رافة، والأخرى: أن تؤنسني كل يوم بثلاثة نفر لهم أصالة رأي، وتأذن لهم في الدخول علي فتواضع له أبرويز وقال: عمرك الله أيها الملك، إن المارق بهرام قد أظننا ومعه الشجاعة والنجدة، ولسنا نقدر أن نمد يدا إلى من أتى إليك ما أتى، فإن أدالني الله على المنافق، فأنا خليفتك وطوع يدك.

وبلغ بهرام قدوم كسرى وتمليك الناس إياه، فأقبل بجنده حثيثا نحو المدائن، وأذكى أبرويز العيون عليه، فلما قرب منه رأى أبرويز أن الترفق به أصلح، فتسلح وأمر بندويه وبسطام وناسا كان يثق بهم من العظماء وألف رجل من جنده، فترينوا وتسلحوا، وخرج بهم أبرويز من قصره نحو بهرام، والناس يدعون له، وقد احتوشه بندويه وبسطام

وغيرهما من الوجوه حتى وقف على شاطئ النهران، فلما عرف بهرام مكانه، ركب برذونا له أبقى كان معجبا به، وأقبل حاسرا ومعه إيزدجشنس وثلاثة نفر من قرابة ملك الترك كانوا جعلوا لبهرام على أنفسهم أن يأتوه بأبرويز أسيرا، وأعطاهم بهرام على ذلك أموالا عظيمة ولما رأى بهرام بزة كسرى وزينته والتاج، يسيره معه درفش كايان عليهم الأعظم منشورا، وأبصر بندويه وبسطام وسائر العظماء وحسن تسليحهم وفراة دوابهم، اكتأب لذلك، وقال لمن معه: ألا ترون ابن الفاعلة قد ألحم وأشحم، وتحول من الحداثة إلى الحنكة، واستوت لحيته وكل شبابه، وعظم بدنه! فبينما هو يتكلم بهذا وقد وقف غلى شاطئ النهران.

إذ قال كسرى لبعض من كان واقفا: أي هؤلاء بهرام؟ فقال أخ لبهرام يسمى كردي لم يزل مطيعا لأبرويز مؤثرا له: عمرك الله! صاحب البرذون الأبقى فبدأ كسرى فقال: إنك يا بهرام ركن لمملكتنا وسناد لرعيتنا، وقد حسن بلاؤك عندنا، وقد رأينا أن نختار لك يوما صالحا لنوليك فيه إصبيذة بلاد الفرس جميعا، فقال له بهرام- وازداد من كسرى قربا-: لكنني أختار لك يوما أصليك فيه فامتلا كسرى حزنا من غير أن يبدو في وجهه من ذلك شيء، وامتد بينهما الكلام، فقال بهرام لأبرويز: يا بن الزانية المربى في خيام الأكراد! هذا ومثله، ولم يقبل شيئا مما عرضه عليه، وجرى ذكر إيرش جد بهرام، فقرعه أبرويز بطاعة إيرش كانت لمنوشهر جده وتفرقا وكل واحد منهما على غاية الوحشة لصاحبه.

وكانت لبهرام أخت يقال لها كردية، من أتم النساء وأكلمهن، وكان تزوجها، فعابت بهرام على سوء ملافظته كانت لكسرى، وأرادته على الدخول في طاعته، فلم يقبل ذلك، وكانت بين كسرى وبهرام مباينة، فيقال إنه لما كان من غد الليلة التي كان البيات فيها، أبرز كسرى نفسه، فلما رآه الأتراك الثلاثة قصدوه، فقتلهم بيده أبرويز، وحرص الناس

على القتال فتبين فشلا، فأجمع أبرويز على إتيان بعض الملوك للاستحاشة به، فصار إلى أبيه وشاوره، فرأى له المصير إلى ملك الروم، فأحرز نساءه وشخص في عدة يسيرة، فيهم بندويه وبسطام وكردي أخو بهرام، فلما خرجوا من المدائن خاف القوم من بهرام أن يرد هرمز إلى الملك ويكتب إلى ملك الروم عنه في ردهم فيتلفوا، فأعلموا أبرويز ذلك، واستأذنه في إتلاف هرمز فلم يجر جوابا، فانصرف بندويه وبسطام وبعض من كان معهم إلى هرمز حتى أتلفوه خنقا، ثم رجعوا إلى كسرى وقالوا: سر على خير طائر، فحثوا دوابهم وصاروا إلى الفرات فقطعوه، وأخذوا طريق المفازة بدلالة رجل يقال له خرشيدان، وصاروا إلى بعض الديارات التي في أطراف العمارة، فلما أوطنوا إلى الراحة غشيتهم خيل بهرام، يرأسها رجل يقال له بهرام بن سياوش، فلما نذروا بهم أنه بندويه أبرويز من نومه

وقال له: احتل لنفسك، فإن القوم قد أطلوك، قَالَ كسرى: ما عندي حيلة، فأعلمه بندويه أنه يبذل نفسه دونه، وسأله أن يدفع إليه بزته ويخرج ومن معه من الدير، ففعلوا ذلك، وبادروا القوم حتى تواروا بالجبل، فلما وافى بهرام بن سیاوش، اطلع عليه من فوق الدير بندويه وعليه بزة أبرويز، فوهمه بذلك أنه أبرويز، وسأله أن ينظره إلى غده ليصير في يده سلماً، فأمسك عنه، ثم ظهر بعد ذلك على حيلته، فانصرف به إلى جوبين، فخبسه في يدي بهرام بن سیاوش.

ويقال إن بهرام دخل دور الملك بالمدائن، وقعد على سريره، واجتمع إليه الوجوه والعظماء فخطبهم ووقع في أبرويز، وذمه، ودار بينه وبين الوجوه مناظرات وكلام كان كلهم منصرفاً عنه، إلا أن بهرام جلس على سرير الملك وتزوج وانقاد له الناس خوفاً. ويقال إن بهرام بن سیاوش واطاً بندويه على الفتك بجوبين، وإن جوبين ظهر على ذلك فقتله، وأفلت بندويه فلحق بأذربيجان، وسار أبرويز حتى أتى أنطاكية، وكاتب موريق ملك الروم

منها، وأرسل إليه بجماعة ممن كان معه وسأله نصرته، فأجابه إلى ذلك، وقادته الأمور إلى أن زوجه مريم ابنته وحملها إليه، وبعث إليه بثيادوس أخيه ومعه ستون ألف مقاتل، عليهم رجل يقال له سرجس، يتولى تدبير أمرهم، ورجل آخر كانت قوته تعدل بقوة ألف رجل، واشترط عليه حياته، وألا يسأله الإتاوة التي كان آباؤه يسألونها ملوك الروم فلما ورد القوم على أبرويز اغتبط، وأراحهم بعد موافاتهم خمسة أيام، ثم عرضهم وعرف عليهم العرفاء، وفي القوم ثيادوس وسرجس والكمي الذي يعدل بألف رجل، وسار بهم حتى صار إلى أذربيجان، ونزل صحراء تدعى الدنق، فوافاه هناك بندويه ورجل من أصبهندي الناحية يقال له موسيل في أربعين ألف مقاتل، وانقض الناس من فارس وأصبهان وخراسان إلى أبرويز، وانتهى إلى بهرام مكانه بصحراء الدنق، فشخص نحوه من المدائن، فجرت بينهما حرب شديدة قتل فيها الكمي الرومي ويقال إن أبرويز حارب بهرام منفرداً من العسكر بأربعة عشر رجلاً - منهم كردي أخو بهرام، وبندويه وبسطام، وسابور بن افريان بن فرخزاد، وفرخهرمز - حرباً شديداً وصل فيها بعضهم إلى بعض والمجوس تزعم أن أبرويز صار إلى مضيق واتبعه بهرام، فلما ظن أنه قد تمكن منه، رفعه إلى الجبل شيء لا يوقف عليه وذكر أن المنجمين أجمعت أن أبرويز يملك ثمانيا وأربعين سنة وقد كان أبرويز بارز بهرام فاخطف راحته من يده وضرب به رأسه حتى تقصف، فاضطرب على بهرام أمره ووجل، وعلم أنه لا حيلة له في أبرويز فأنحاز نحو خراسان، ثم صار إلى الترك، وصار أبرويز إلى المدائن بعد أن فرق في جنود الروم عشرين ألفاً وصرفهم إلى موريق ويقال إن أبرويز كتب للنصارى كتاباً أطلق لهم فيه عمارة بيعهم وأن يدخل في ملتهم من أحب الدخول فيها من غير المجوس، واحتج في ذلك أن أنوشروان كان

هادن قيصر في الإتاوة التي أخذها منه على استصلاح من في بلده من أهل بلده، واتخاذ بيوت النيران هنالك وإن قيصر اشترط مثل ذلك في النصارى، ولبت بهرام في الترك مكراً عند الملك، حتى احتال له أبرويز بتوجيه رجل يقال له هرمز، وجهه إلى الترك بجوهر نفيس وغيره حتى احتال لخاتون أمراه الملك ولاطفها بذلك الجوهر وغيره، حتى دست لبهرام من قتله.

فيقال إن خاقان اغتم لقتله وأرسل إلى كردية أخته وامراته يعلمها بلوغ الحادث ببهرام منه، ويسألها أن تزوج نفسها نظراً أخاه، وطلق خاتون بهذا السبب، فيقال إن كردية أجابت خاقان جواباً لينا وصرفت نظراً، وإنها ضمت إليها من كان مع أخيها من المقاتلة وخرجت بهم من بلاد الترك إلى حدود مملكة فارس، وإن نظراً التركي اتبعها في اثني عشر ألف مقاتل، وإن كردية قتلت نظراً بيدها ومضت لوجهها، وكتبت إلى أخيها كردي فأخذ لها أماناً من أبرويز فلما قدمت عليه تزوجها أبرويز واغتبط بها وشكر لها ما كان من عتابها لبهرام، وأقبل أبرويز على بر موريق والطافه.

وإن الروم خلعوا - بعد أن ملك كسرى أربع عشرة سنة - موريق وقتلوه وأبادوا ورثته - خلا ابن له هرب إلى كسرى - وملكوا عليهم رجلاً يقال له قوفا.

فلما بلغ كسرى نكت الروم عهد موريق وقتلهم إياه، امتعض من ذلك وأنف منه، وأخذته الحفيظة، فأوى ابن موريق اللاجئ إليه، وتوجه وملكه على الروم، ووجه معه ثلاثة نفر من قواده في جنود كثيفة.

أما أحدهم فكان يقال له رميوزان، وجهه إلى بلاد الشام فدوخها حتى انتهى إلى أرض فلسطين، وورد مدينة بيت المقدس فأخذ أسقفها ومن كان فيها من القسيسين وسائر النصارى بخشبة الصليب، وكانت وضعت في تابوت من ذهب، وطمر في بستان وزرع

فوقه مبقلة، وألح عليهم حتى دلوه على موضعها، فاحتفر عنها بيده واستخرجها، وبعث بها إلى كسرى في أربع وعشرين من ملكه وأما القائد الآخر- وكان يقال له شاهين، وكان فاذوسبان المغرب- فإنه سار حتى احتوى على مصر والإسكندرية وبلاد نوبة، وبعث إلى كسرى بمفاتيح مدينة إسكندرية في سنة ثمان وعشرين من ملكه وأما القائد الثالث فكان يقال له فرهان، وتدعى مرتبته شهربراز وأنه قصد القسطنطينية حتى أناخ على ضفة الخليج القريب منها، وخيم هنالك، فأمره كسرى نخرب بلاد الروم غضبا مما انتهكوا من موريق، وانتقاما له منهم، ولم يخضع لابن موريق من الروم أحد ولم يمنحه الطاعة، غير أنهم قتلوا قوفا الملك الذي كانوا ملكوه عليهم لما ظهر لهم من فجوره وجرأته على الله وسوء تدييره، وملكوا عليهم رجلا يقال له هرقل.

فلما رأى هرقل عظيم ما فيه بلاد الروم من تخريب جنود فارس إياها وقتلها مقاتلتهم وسبيهم ذراريهم واستباحتهم أموالهم وانتهاكهم ما بحضرتهم، بكى إلى الله وتضرع إليه وسأله أن ينقذه وأهل مملكته من جنود فارس، فرأى في منامه رجلا ضخما الجثة رفيع المجلس، عليه بزة، قائما في ناحية عنه، فدخل عليهما داخل، فألقى ذلك الرجل عن مجلسه، وقال لهرقل: إني قد أسلمته في يدك فلم يقصص رؤياه تلك في يقظته على أحد، ورأى الليلة الثانية في منامه أن الرجل الذي رآه في حلمه جالس في مجلس رفيع، وأن الرجل الداخل عليهما أتاه ويده سلسلة طويلة، فألقاها في عنق صاحب المجلس وأمكنه منه، وقال له: هاأنذا قد دفعت إليك كسرى برمته، فاغزه فإن الظفر لك، وإنك مدال عليه ونائل أمنيته في غزائك فلما ثابعت عليه هذه الأحلام، قصها على عظماء الروم وذوي الرأي منهم. فأخبروه أنه مدال عليه، وأشاروا عليه أن يغزوه، فاستعد هرقل واستخلف ابنا له على مدينة قسطنطينية، وأخذ غير الطريق الذي فيه شهربراز، وسار حتى أوغل في بلاد أرمينية، ونزل نصيبين بعد سنة، وكان

شاهين- فاذوسبان المغرب- بباب كسرى حين ورد هرقل نصيبين لموجدة كانت من كسرى عليه، وعزله إياه عن ذلك الثغر، وكان شهربراز مرابطا للموضع الذي كان فيه لتقدم كسرى كان إليه في الجثوم فيه، وترك البراح منه، فبلغ كسرى خبر تساقط هرقل في جنوده إلى نصيبين، فوجه لمحاربة هرقل رجلا من قواده يقال له: راهزار، في اثني عشر ألف مقاتل، وأمره أن يقيم بنيوى من مدينة الموصل على شاطئ دجلة، ويمنع الروم أن يجزوها- وكان كسرى حين بلغه خبر هرقل مقيما بدسكرة الملك- فنفذ راهزار لأمر كسرى، وعسكر حيث أمره، فقطع هرقل دجلة في موضع آخر إلى الناحية التي كان فيها جند فارس، فأذكى راهزار العيون عليه، فانصرفوا إليه وأخبروه أنه في سبعين ألف مقاتل، وأيقن راهزار أنه ومن معه من الجنود عاجزون عن مناهضة سبعين ألف مقاتل، فكتب إلى كسرى غير مرة دهم هرقل إياه بمن لا طاقة له ولمن معه بهم، لكثرتهم وحسن عدتهم، كل ذلك يجيئه كسرى في كتابه، أنه إن عجز عن أولئك الروم فلن يعجز عن استقتالهم وبذل دمائهم في طاعته فلما ثابعت على راهزار جوابات كتبه إلى كسرى بذلك، عجب جنده وناهض الروم، فقتلت الروم راهزار وستة آلاف رجل، وانهزم بقيتهم وهربوا على وجوههم، وبلغ كسرى قتل الروم راهزار وما نال هرقل من الظفر، فهدد ذلك وانحاز من دسكرة الملك إلى المدائن، وتحصن فيها لعجزه كان عن محاربة هرقل.

وسار هرقل حتى كان قريبا من المدائن، فلما تساقط إلى كسرى خبره واستعد لقتاله، انصرف إلى أرض الروم وكتب كسرى إلى قواد الجند الذين انهزموا يأمرهم أن يدلوه على كل رجل منهم ومن أصحابهم، ممن فشل في تلك الحرب ولم يربط مركزه فيها، فيأمر أن يعاقب بقدر ما استوجب، فأخرجهم بهذا الكتاب إلى الخلاف عليه، وطلب الحيل لنجاة أنفسهم منه، وكتب إلى شهربراز يأمره بالقدوم عليه ويستعجله في ذلك، ويصف ما كان من أمر الروم في عمله

وقد قيل: إن قول الله: «الْمُغْلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ»

وعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»، إنما نزل في أمر أبرويز ملك فارس وملك الروم هرقل، وما كان بينهما مما قد ذكرت من هذه الأخبار.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عِكْرَمَةَ: أَنَّ الرُّومَ وَفَارِسَ اقْتَتَلُوا فِي

أدنى الأرض قَالَ: وأدنى الأرض يومئذ أذرعات، بها التقوا فهزمت الروم، فبلغ ذلك النبي ص وأصحابه وهم بمكة، فشق ذلك عليهم- وكان النبي ص يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم- وفرح الكفار بمكة وشمثوا، فلقوا اصحاب النبي ص، فقالوا: إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم، فأنزل الله: «الم غَلَبَتِ الرُّومُ» - إلى - «وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ» ، فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار فقال: أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا! فلا تفرحوا ولا يقرن الله اعينكم، فوالله ليظهرن الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبينا فقام إليه أبي بن خلف الجمحي، فقال: كذبت يا أبا فصيل! فقال له أبو بكر: أنت أكذب يا عدو الله! فقال: أناحبك! عشر قلائص مني، وعشر قلائص منك،

فإن ظهرت الروم على فارس غرمت، وإن ظهرت فارس غرمت إلى ثلاث سنين، ثم جاء أبو بكر إلى النبي ص، فأخبره، [فقال: ما هكذا ذكرت، إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فزايدة في الخطر وماده في الأجل] فخرج أبو بكر فلقى أبا فقال: لعلك ندمت، قَالَ:

لا، تعال أزايدك في الخطر وأمادك في الأجل، فاجعلها مائة قلوصل إلى تسع سنين، قَالَ: قد فعلت.

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُجَّاجٌ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، قَالَ: كَانَتْ فِي فَارِسٍ امْرَأَةٌ لَا تَلِدُ إِلَّا الْمُلُوكَ الْأَبْطَالَ، فَدَعَاها كَسْرَى، فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُبْعَثَ إِلَى الرُّومِ جَيْشًا وَأُسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ بَنِيكَ، فَأَشِيرِي عَلَى أَيِّهِمْ أَسْتَعْمَلُ، قَالَتْ: هَذَا فَلَانٌ وَهُوَ أَرْوَعٌ مِنْ ثَعْلَبٍ، وَأَحْذَرُ مِنْ صَقَرٍ، وَهَذَا فَرْخَانٌ وَهُوَ أَنْفَذُ مِنْ سَنَانٍ، وَهَذَا شَهْرَبَرَزٌ وَهُوَ أَحْلَمُ مِنْ كَذَا، فَاسْتَعْمَلَ أَيَّهِمْ شَتَّى، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ اسْتَعْمَلْتُ الْحَلِيمَ، فَاسْتَعْمَلَ شَهْرَبَرَزٌ، فَسَارَ إِلَى الرُّومِ بِأَهْلِ فَارِسٍ وَظَهَرَ عَلَيْهِمْ، فَقَتَلَهُمْ وَخَرَبَ مَدَائِنَهُمْ، وَقَطَعَ زَيْتُونَهُمْ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: حَدَّثْتُ هَذَا الْحَدِيثَ عَطَاءُ الْخُرَاسَانِيِّ فَقَالَ: أَمَا رَأَيْتَ بِلَادَ الشَّامِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَهَا لَرَأَيْتَ الْمَدَائِنَ الَّتِي خَرِبَتْ وَالزَّيْتُونَ الَّذِي قَطَعَ، فَأَتَيْتَ الشَّامَ بَعْدَ ذَلِكَ فَرَأَيْتَهُ.

قَالَ عَطَاءُ الْخُرَاسَانِيِّ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ، أَنَّ قَيْصَرَ بَعَثَ رَجُلًا يَدْعَى قَطْمَةَ بِجَيْشٍ مِنَ الرُّومِ، وَبَعَثَ كَسْرَى بِشَهْرَبَرَزٍ، فَالتَقِيَا بِأَذْرَعَاتٍ وَبَصْرَى- وَهِيَ أَدْنَى الشَّامِ إِلَيْكُم- فَلَقِيَتْ فَارِسَ الرُّومِ فَغَلَبَتْهُمْ فَارِسٌ، فَفَرَحَ بِذَلِكَ كِفَارُ قَرِيشٍ وَكَرِهَهُ الْمُسْلِمُونَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: «الم غَلَبَتِ الرُّومُ» الْآيَاتِ ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَ حَدِيثِ عِكْرَمَةَ، وَزَادَ: فَلَمْ يَرِحْ شَهْرَبَرَزٌ يَطْوُهُمْ وَيَخْرِبُ مَدَائِنَهُمْ حَتَّى بَلَغَ الْخَلِيجَ، ثُمَّ مَاتَ كَسْرَى فَبَلَغَهُمْ مَوْتُهُ، فَانْهَزَمَ

شَهْرَبَرَزٌ وَأَصْحَابُهُ، وَأَدِيلَتْ عَلَيْهِمُ الرُّومُ عِنْدَ ذَلِكَ فَاتَّبَعُوهُمْ يَقْتُلُونَهُمْ.

قَالَ: وَقَالَ عِكْرَمَةُ فِي حَدِيثِهِ: لَمَّا ظَهَرَتْ فَارِسٌ عَلَى الرُّومِ، جَلَسَ فَرْخَانُ يَشْرِبُ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: لَقَدْ رَأَيْتُ كَأَنِّي جَالِسٌ عَلَى سَرِيرٍ كَسْرَى، فَبَلَغَتْ كَسْرَى، فَكُتِبَ إِلَى شَهْرَبَرَزٍ: إِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَابْعَثْ إِلَيَّ بِرَأْسِ فَرْخَانَ فَكُتِبَ إِلَيْهِ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ مِثْلَ فَرْخَانَ، إِنَّ لَهُ نَكَايَةً وَصَوْتًا فِي الْعَدُوِّ فَلَا تَفْعَلْ فَكُتِبَ إِلَيْهِ: إِنَّ فِي رِجَالِ فَارِسٍ خَلْفًا مِنْهُ، فَعَجَلَ عَلَى بَرَأْسِهِ فَارْجَعَهُ، فَغَضِبَ كَسْرَى فَلَمْ يَجِبْهُ، وَبَعَثَ بَرِيدًا إِلَى أَهْلِ فَارِسٍ: إِنِّي قَدْ نَزَعْتُ عَنْكُمْ شَهْرَبَرَزًا، وَاسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ فَرْخَانَ.

ثُمَّ دَفَعَ إِلَى الْبَرِيدِ صَحِيفَةً صَغِيرَةً، وَقَالَ: إِذَا وَلِيَ فَرْخَانُ الْمَلِكَ وَانْقَادَ لَهُ أَخُوهُ، فَأَعْطَهُ هَذِهِ الصَّحِيفَةَ فَلَهَا قَرَأَ شَهْرَبَرَزُ الْكِتَابَ، قَالَ: سَمِعَا وَطَاعَةً، وَنَزَلَ عَنْ سَرِيرِهِ وَجَلَسَ فَرْخَانُ، وَدَفَعَ الصَّحِيفَةَ إِلَيْهِ فَقَالَ: ائْتُونِي بِشَهْرَبَرَزٍ، فَقَدِمَهُ لِيَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: لَا تَعْجَلْ حَتَّى أَكْتُبَ وَصِيَّتِي، قَالَ: نَعَمْ، فَدَعَا بِالسَّفْطِ فَأَعْطَاهُ ثَلَاثَ صَحَائِفَ، وَقَالَ: كُلْ هَذَا رَاجِعَتْ فِيكَ كَسْرَى، وَأَنْتَ أَرَدْتَ أَنْ تَقْتُلَنِي بِكِتَابٍ وَاحِدٍ! فَدَفَعَ الْمَلِكُ إِلَى أَخِيهِ، وَكُتِبَ شَهْرَبَرَزًا إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً لَا تَحْمِلُهَا الْبَرْدُ وَلَا تَبْلُغُهَا الصَّحْفُ، فَالْقِنِي، وَلَا تَلْقِنِي إِلَّا فِي خَمْسِينَ رُومِيًا، فَإِنِّي أَلْقَاكَ فِي خَمْسِينَ فَارِسِيًا، فَأَقْبَلَ قَيْصَرٌ فِي خَمْسِمِائَةِ أَلْفِ رُومِيٍّ، وَجَعَلَ يَضَعُ الْعْيُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الطَّرِيقِ، وَخَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَكَرَ بِهِ، حَتَّى أَتَاهُ عِيُونُهُ، إِنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلَّا خَمْسُونَ رَجُلًا، ثُمَّ بَسَطَ لَهُمَا وَالتَقِيَا فِي قُبَّةٍ دِيْبَاجٍ ضَرَبَتْ لَهُمَا، مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا سَكِينٌ، فَدَعَا تَرْجَمَانَا بَيْنَهُمَا، فَقَالَ شَهْرَبَرَزٌ: إِنَّ الَّذِينَ خَرَبُوا مَدَائِنَكُمْ أَنَا وَأَخِي بِكَيْدِنَا وَشَجَاعَتِنَا، وَإِنْ كَسْرَى

حسدنا فأراد أن أقتل أخي، فأبيت، ثم أمر أخي أن يقتلني، فقد خلعناه جميعا فنحن نقاتله معك قَالَ: قد أصبتما، ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السريين اثنين، فإذا جاوز اثنين فشا، قال: اجل، فقتلا الترجمان جميعا بسكينهما، فأهلك الله كسرى، وجاء الخبر الى رسول الله ص يوم الحديبية، ففرح ومن معه.

وحدثت عن هشام بن محمد، أنه قَالَ: في سنة عشرين من ملك كسرى أبرويز، بعث الله محمدا ص، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وهاجر في سنة ثلاث وثلاثين من ملكه الى المدينة

٢٠٦٠٢٣ ذكر الخبر عن الأسباب التي حدثت عند اراده الله ازاله ملك فارس عن اهل فارس

ذكر الخبر عن الأسباب التي حدثت عند إرادة الله إزالة ملك فارس عن أهل فارس ووطأتها العرب بما أكرمهم به بنبيه محمد ص من النبوة والخلافة والملك والسلطان في أيام كسرى أبرويز.

فمن ذلك ما روي عن وهب بن منبه، وهو ما حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: كَانَ مِنْ حَدِيثِ كَسْرَى كَمَا حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِي، عَنْ وَهَبِ بْنِ مَنْبَهٍ، أَنَّهُ كَانَ سَكْرَ دَجَلَةَ الْعَوْرَاءِ، وَأَنْفَقَ عَلَيْهَا مِنَ الْأَمْوَالِ مَا لَا يَدْرِي مَا هُوَ، وَكَانَ طَاقَ مَجْلِسِهِ قَدْ بَنِيَ بَنِيَانًا لَمْ يَرِ مِثْلُهُ، وَكَانَ يعلق تاجه، فيجلس فيه إذا جلس للناس، وكان عنده ستون وثلاثمائة رجل من الخزاة- والخزاة العلماء- من بين كاهن وساحر ومنجم، قَالَ: وَكَانَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقَالُ لَهُ السَّائِبُ، يَعْتَاِفُ الْعَرَبَ قَلْبًا يَخْطِئُ- بعث به إليه بأذان من اليمن- فكان كسرى إذا حزبه أمر جمع كهانه وسخاره ومنجميه، فقال: انظروا في هذا الأمر ما هو! فلما أن بعث الله نبيه محمدا ص، أصبح كسرى ذات غداة وقد انقصمت طاق ملكه من وسطها من غير ثقل، وانخرقت عليه دجلة العوراء، فلما رأى ذلك حزنه، وقال: انقصمت طاق ملكي من وسطها من غير ثقل، وانخرقت علي دجلة العوراء، شاه بشكست: يقول: الملك انكسر ثم دعا كهانه وسخاره ومنجميه، ودعا السائب معهم، فقال لهم: انقصمت طاق ملكي من غير ثقل، وانخرقت علي دجلة العوراء، شاه بشكست انظروا في هذا الأمر ما هو؟ فخرجوا من عنده فنظروا في أمره، فأخذ عليهم بأقطار السماء، وأظلمت عليهم الأرض، وتسكعوا في علمهم، فلا يمضي لساحر سحره، ولا لكاهن كهاتته، ولا يستقيم لمنجم علم نجومه.

وبات السائب في ليلة ظلماء على ربوة من الأرض يرمق برقاً نشأ من قبل الحجاز، ثم استطار حتى بلغ المشرق، فلما أصبح ذهب ينظر إلى ما تحت قدميه، فإذا روضة خضراء، فقال فيما يعتاف: لئن صدق ما أرى، ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ المشرق، تخصب عنه الأرض كأفضل ما أخصبت عن ملك كان قبله.

فلما خلص الكهان والمنجمون بعضهم إلى بعض، ورأوا ما قد أصابهم، ورأى السائب ما رأى، قَالَ بعضهم لبعض: تعلمون والله ما حيل بينكم وبين علمكم إلا لأمر جاء من السماء، وإنه لنبي قد بعث- أو هو مبعوث- يسلب هذا الملك ويكسره ولئن نعيت لكسرى ملكه ليقتلنكم، فأقيموا بينكم أمراً تقولونه له تؤخرونه عنكم إلى أمر ما ساعة.

فجاءوا كسرى، فقالوا له: إنا قد نظرنا في هذا الأمر فوجدنا حسابك الذين وضعت على حسابهم طاق ملكك، وسكرت دجلة العوراء وضعوه على النحوس، فلما اختلف عليهما الليل والنهار وقعت النحوس على مواقعها، فزال كل ما وضع عليهما، وإنا سنحسب لك حساباً تضع عليه بنيانك فلا يزول قَالَ: فاحسبوا، فحسبوا له، ثم قالوا له: ابنه، فبني فعمل في دجلة ثمانية أشهر وأنفق فيها من الأموال ما لا يدري ما هو، حتى إذا فرغ منها قَالَ لهم: أجلس على سورها؟ قالوا: نعم، فأمر بالبسط والفرش والرياحين فوضعت عليها، وأمر بالمرازبة فجمعوا له، واجتمع إليه العابون، ثم خرج حتى جلس عليها، فبينما هو هنالك انتسفت دجلة البنيان من تحته، فلم يستخرج إلا بآخر رمق

فلما أخرجه، جمع كهانه وسخاره ومنجميه، فقتل منهم قريبا من مائة، وقال سمنتم وأدنتكم دون الناس، وأجريت عليكم أرزاق، ثم تلعبون بي! فقالوا: أيها الملك، أخطأنا كما أخطأ من كان قبلنا، ولكننا سنحسب لك حساباً فتثبت حتى تضعها على الوثاق من السعود

قَالَ: انظروا ما تقولون! قَالُوا: فإننا نفعل، قَالَ: فاحسبوا، فحسبوا له، ثم قَالُوا له:

ابنه، فبني وأنفق من الأموال ما لا يدرى ما هو، ثمانية أشهر من ذي قبل ثم قَالُوا: قد فرغنا، قَالَ: أفأخرج فأقعد عليها؟ قَالُوا: نعم، فهاب الجلوس عليها، وركب برذونا له، وخرج يسير عليها، فبينما هو يسير فوقها إذ انتسفته دجلة بالبنيان، فلم يدرك إلا بآخر رمق، فدعاهم فقال: والله لأمرن على آخركم ولأنزعن أثناكم، ولأطرحنكم تحت أيدي الفيلة أو لتصدقني ما هذا الأمر الذي تلفقون علي! قَالُوا: لا نكذبك أيها الملك، أمرتنا حين انخرقت عليك دجلة، وانقصمت عليك طاق مجلسك من غير ثقل أن ننظر في علمنا لم ذلك! فنظرنا، فأظلمت علينا الأرض وأخذ علينا بأقطار السماء، فتردد علينا علمنا في أيدينا، فلا يستقيم لساحر سحره، ولا لكاهن كهنته، ولا لمنجم علم نجومه، فعرفنا أن هذا الأمر حدث من السماء، وأنه قد بعث نبي أو هو مبعوث، فلذلك حيل بيننا وبين علمنا، نخشينا إن نعينا لك ملكك أن تقتلنا، وكرهنا من الموت ما يكره الناس، فعلنناك عن أنفسنا بما رأيت قَالَ: ويحكم! فهلا تكونون بينتم لي هذا فأرى فيه رأيي! قَالُوا: منعنا من ذلك ما تخوفنا منك فتركهم ولها عن دجلة حين غلبته.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ عِيسَى الرَّقَاشِيِّ، عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، [أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ص قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى كِسْرَى فِيكَ! قَالَ: بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ سُورِ جِدَارِ بَيْتِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ يَتَأَلَّأُ نُورًا، فَلَمَّا رَأَاهَا فَرَعَ، فَقَالَ: لَمْ تَرَعْ يَا كِسْرَى، إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ رَسُولًا وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا فَاتَّبِعْهُ تَسْلَمَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ، قَالَ: سَأَنْظُرُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ:

بعث الله إلى كسرى ملكا وهو في بيت إيوانه الذي لا يدخل عليه فيه، فلم يرعه إلا به قائما على رأسه في يده عصا، بالهاجرة في ساعته التي كان يقيل فيها، فقال: يا كسرى أأسلم أو أكسر هذه العصا! فقال: بهل بهل، فانصرف عنه ثم دعا أحراسه وحجابه فتغيظ عليهم، وقال: من أدخل هذا الرجل علي؟ فقالوا: ما دخل عليك أحد ولا رأيناه، حتى إذا كان العام القابل أتاه في الساعة التي أتاه فيها، فقال له كما قال له، ثم قال له:

أأسلم أو أكسر هذه العصا؟ فقال: بهل بهل بهل، ثلاثا، فخرج عنه فدعا كسرى حجابه وحراسه وبوابيه فتغيظ عليهم وقال لهم كما قال أول مرة، فقالوا: ما رأينا أحدا دخل عليك حتى إذا كان في العام الثالث أتاه في الساعة التي جاءه فيها، فقال له كما قال: أأسلم أو أكسر هذه العصا؟

فقال: بهل بهل، قَالَ: فكسر العصا، ثم خرج فلم يكن إلا تهور ملكه، وانبعث ابنه والفرس حتى قتلوه.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ: فَقَالَ الزُّهْرِيُّ: حَدَّثَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ: ذَكَرَ لِي أَنَّ الْمَلِكَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ بَقَارُورَتَيْنِ فِي يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَسْلَمَ، فَلَمْ يَفْعَلْ، فَضْرَبَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَرَضَضَهُمَا، ثُمَّ خَرَجَ فَكَانَ مِنْ أَمْرِ هَلَاكِهِ مَا كَانَ

حدثني يحيى بن جعفر، قال: أخبرنا علي بن عاصم، قال: أخبرنا خالد الحذاء، قال: سمعت عبد الرحمن بن أبي بكرة، يقول: بينما كسرى ابن هرمز نائم ليلة في هذا الإيوان، إيوان المدائن، والأساورة محدقون بقصره، إذ أقبل رجل يمشي معه عصا، حتى قام على رأسه، فقال: يا كسرى ابن هرمز، إني رسول الله إليك أن تسلم، قالها ثلاث مرات - وكسرى مستلق ينظر إليه لا يجيبه، ثم انصرف عنه - قال: فأرسل كسرى إلى صاحب حرسه، فقال: أنت أدخلت علي هذا الرجل؟ قال: لم أفعل ولم يدخل من قبلنا أحد قال: فلما كان العام المقبل خاف كسرى تلك الليلة، فأرسل إليه أن أحقق بقصري، ولا يدخل علي أحد، قال: ففعل، فلما كان تلك الساعة إذا هو قائم على رأسه، ومعه عصا، وهو يقول له: يا كسرى بن هرمز، إني رسول الله إليك أن تسلم، فأسلم خير لك - قال: وكسرى ينظر إليه لا يجيبه - فانصرف عنه، قال: فأرسل كسرى إلى صاحب الحرس: ألم آمرك ألا يدخل علي أحد! قال: أيها الملك، إنه والله

ما دخل عليك من قبلنا أحد، فانظر من أين دخل عليك؟ قال: فلما كان العام المقبل، فكأنه خاف تلك الليلة، فأرسل إلى صاحب الحرس والحرس: أن أحدقوا بي الليلة، ولا تدخل امرأة ولا رجل، ففعلوا فلما كان تلك الساعة، إذا هو قائم على رأسه، وهو يقول: يا كسرى بن هرمز، إني رسول الله إليك أن تسلم، فأسلم خير لك، قالها ثلاث مرات وكسرى ينظر إليه لا يجيبه قال: يا كسرى إنك قد أبيت علي، والله ليكسرنك الله كما أكسر عصاي هذه، ثم كسرها وخرج، فأرسل كسرى إلى الحرس، فقال: ألم آمركم ألا يدخل علي الليلة أحد، أهل ولا ولدا! قالوا: ما دخل عليك من قبلنا احدا!

٢٠٦٠٢٤ ذكر خبر يوم ذي قار

قال: فلم يلبث أن وثب عليه ابنه فقتله

. ذكر خبر يوم ذي قار

ومن ذلك ما كان من أمر ربيعة والجيش الذي كان أنفذه إليهم كسرى أبرويز لحربهم، فالتقوا بذى قار.

[وذكر عن النبي ص أنه لما بلغه ما كان من هزيمة ربيعة جيش كسرى، قال: هذا أول يوم انتصف العرب من العجم، وبني نصرورا] وهو يوم قراقرز ويوم الحنو حنو ذي قار، ويوم حنو قراقرز، ويوم الجبابات، ويوم ذي العجرم، ويوم الغدوان، ويوم البطحاء، بطحاء ذي قار، وكلهن حول ذي قار.

فحدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، قال: حدثني أبو المختار فراس بن خندق - أو خندقه - وعدة من علماء العرب قد سماهم، أن الذي جرى يوم ذي قار، قتل النعمان بن المنذر اللخمي عدي بن زيد العبادي، وكان عدي من تراجمة أبرويز كسرى بن هرمز.

وكان سبب قتل النعمان بن المنذر عدي بن زيد، ما ذكر لي عن هشام ابن محمد، قال: سمعت إسحاق بن الجصاص - وأخذته من كتاب حماد وقد ذكر أبي بعضه - قال: ولد زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن محروف بن عامر بن عصىة بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ثلاثة: عديا الشاعر، وكان جميلا شاعرا خطيبا، وقد قرأ كتب العرب والفرس، وعمارا - وهو أبي - وعمرأ - وهو سمي - ولهم أخ من أمهم، يقال له عدي بن حنظله من طيء وكان عمار يكون عند كسرى، فكان أحدهما يشتهي هلاك عدي بن زيد، وكان الآخر يتدين في نصرانيته، وكانوا أهل بيت يكونون مع الأكاسرة لهم معهم أكل وناحية، يقطعونهم القطائع، ويجزلون صلاتهم

وكان المنذر بن المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان في حجر عدي، فهم الذين ارضعوه وربوه، وكان للمنذر ابن آخر يقال له الأسود، أمه مارية بنت الحارث بن جلهم من تيمم الرباب، فارضعه، ورباه قوم من أهل الحيرة يقال لهم: بنو مرينا، ينسبون إلى نخم، وكانوا أشرفا وكان للمنذر بن المنذر سوى هذين من الولد عشرة، وكان يقال لولده كلهم الأشاهب، من جمالهم، فذلك قول الأعشى:

وبنو المنذر الأشاهب بالحيرة ... يمشون غدوة بالسيوف

وكان النعمان أحمر أبرش قصيرا، وكانت أمه يقال لها سلمى بنت وائل بن عطية الصائغ من أهل فذك، وكانت أمه للحارث ابن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب من كلب، وكان قابوس بن المنذر الأكبر عم النعمان وإخوته، بعث إلى كسرى بن هرمز بعدي بن زيد وإخوته، فكانوا في كتابه يترجمون له، فلما مات المنذر بن المنذر وترك ولده هؤلاء الثلاثة عشر، جعل على أمره كله إياس بن قبيصة الطائي وملكه على الحيرة إلى أن يرى كسرى رأيته فكان عليه أشهرا، وكسرى في طلب رجل يملكه على العرب ثم إن كسرى بن هرمز دعا عدي بن زيد، فقال له: من بقي من بني المنذر؟ وما هم؟ وهل فيهم خير؟ فقال: بقيتهم في ولد هذا الميت

المنذر بن المنذر، وهم رجال، فقال: ابعث إليهم، فكتب فيهم فقدموا عليه، فأنزلهم على عدي بن زيد فكان عدي يفضل إخوة النعمان عليه في النزل، وهو يريهم أنه لا يرجوه ويخلو بهم رجلا رجلا، ويقول لهم: ان سألكم الملك: اتكفوني العرب؟ فقولوا: نكفيكمهم إلا النعمان، وقال للنعمان:

إن سألك الملك: عن إختوك فقل له: إن عجزت عنهم، فأنا عن غيرهم أعجز.

وكان من بني مرينا رجل يقال له عدي بن أوس بن مرينا، وكان ماردا شاعرا، وكان يقول للأسود بن المنذر: إنك قد عرفت أنني لك راج، وأن طلبتي ورغبتي إليك أن تخالف عدي بن زيد، فإنه والله لا ينصح لك أبدا فلم يلتفت إلى قوله.

فلما أمر كسرى عدي بن زيد أن يدخلهم عليه، جعل يدخلهم عليه رجلا رجلا، فيكلهم، فكان يرى رجلا فلما رأى مثلهم، فإذا سألهم:

هل تكفوني ما كنتم تلون؟ قالوا: نكفيك العرب إلا النعمان فلما دخل عليه النعمان رأى رجلا دميما فكله، وقال له: أتستطيع أن تكفيني العرب؟

قال: نعم: قال، فكيف تصنع بإخوتك؟ قال: إن عجزت عنهم فأنا عن غيرهم أعجز فلكه وكساه، وألبسه تاجا قيمته ستون ألف درهم، فيه اللؤلؤ والذهب مفلما خرج - وقد ملك - قال عدي بن أوس بن مرينا للأسود:

دونك فإنك قد خالفت الرأي ثم إن عدي بن زيد صنع طعاما في بيعة، ثم أرسل إلى ابن مرينا أن اثني بمن أحببت، فإن لي حاجة، فأتاه في ناس فتغدوا في البيعة، وشربوا، فقال: عدي بن زيد لعدي بن مرينا: يا عدي، إن أحق من عرف الحق ثم لم يلم عليه، من كان مثلك، إني قد عرفت أن صاحبك الأسود بن المنذر كان أحب إليك أن يملك من صاحبي النعمان، فلا تلني على شيء كنت على مثله، وأنا أحب ألا تحقد علي شيئا لو قدرت

عليه ركبته، وأنا أحب أن تعطيني من نفسك ما أعطيتك من نفسي، فإن نصيبي من هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك فقام عدي بن زيد إلى البيعة فحلف ألا يهجوهم ولا يبيغهم غائلة أبدا، ولا يزوي عنه خبرا أبدا فلما فرغ عدي بن زيد قام عدي بن مرينا، فحلف على مثل يمينه ألا يزال يهجوهم أبدا، ويبغيه الغوائل ما بقي وخرج النعمان حتى نزل منزله بالحيرة، فقال عدي بن مرينا لعدي بن زيد:

ألا أبلغ عديا عن عدي ... فلا تجزع وإن رثت قواكا

هياكلنا تبرز لغير فقر ... لتحمد أو يتم به غناكا

فإن تظفر فلم تظفر حميدا ... وإن تعطب فلا يبعد سواكا

ندمت ندامة الكسعي لما ... رأيت عيناك ما صنعت يداكا

وقال عدي بن مرينا للأسود: أما إذ لم تظفر فلا تعجز أن تطلب بئارك من هذا المعدي، الذي عمل بك ما عمل فقد كنت أخبرك أن معدا لا ينام مكرها امرتك أن تعصيه فخالفني قال: فما تريد؟ قال: أريد ألا يأتيك فائدة من مالك وأرضك إلا عرضتها علي ففعل. وكان ابن مرينا كثير المال والضيعة، فلم يك في الدهر يوم إلا على باب النعمان هدية من ابن مرينا، فصار من أكرم الناس عليه، وكان لا يقضي في ملكه شيئا إلا بأمر عدي بن مرينا، وكان إذا ذكر عدي بن زيد عنده أحسن عليه الثناء، وذكر فضله، وقال: إنه لا يصلح المعدي إلا أن

يكون فيه مكر وخديعه فلما رأى من يطيف بالنعمان منزلة ابن مرينا عنده لزمه وتبعوه، فجعل يقول لمن يثق به من أصحابه: إذا رأيتوني أذكر عدي بن زيد عند الملك بخير فقولوا: إنه لكما تقول، ولكنه لا يسلم عليه أحد، وإنه ليقول: إن الملك - يعني النعمان - عامله، وإنه ولاه ما ولاه، فلم يزالوا بذلك حتى أضغنوه عليه وكتبوا كتابا على لسان عدي إلى قهرمان لعدي ثم دسوا له، حتى أخذوا الكتاب، ثم أتى به النعمان فقرأه، فأغضبه، فأرسل إلى عدي بن زيد: عزمت عليك إلا زرتني، فإني قد اشتقت إلى رؤيتك! وهو عند كسرى فاستأذن كسرى، فأذن له، فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبس في محبس لا يدخل عليه فيه أحد، فجعل عدي بن زيد يقول الشعر وهو في السجن، فكان أول ما قال في السجن من الشعر:

ليت شعري عن الهمام ويأتيك ... بخبر الأنباء عطف السؤال

فقال أشعارا، وكان كلما قال عدي من الشعر، بلغ النعمان وسمعه ندم على حبسه إياه، فجعل يرسل إليه ويعدده ويمنيه ويفرق أن يرسله فيبيغيه الغوائل، فقال عدي:

أرقت لمكفهر بات فيه ... بوارق يرتقين رءوس شيب

وقال أيضا:

طال ذا الليل علينا واعتكر.

وقال أيضا:

ألا طال الليالي والنهار.

وقال حين أعياه ما يتضرع إلى النعمان أشعاراً، يذكره فيها الموت، ويخبره من هلك من الملوك قبله، فقال:
أرواح مودع أم بكور.

وأشعاراً كثيرة.

قال: وخرج النعمان يريد البحرين، فأقبل رجل من غسان، فأصاب في الحيرة ما أحب ويقال: الذي أغار على الحيرة فخرق فيها،
جفنة بن النعمان الجفني، فقال عدي:

سما صقر فأشعل جانبها ... وألهاك المروح والعزيب

فلها طال سجن عدي كتب إلى أخيه أبي، وهو مع كسرى بشعر فقال:

ابلق أبا على نايه ... وهل ينفع المرء ما قد علم!

بأن أخاك شقيق الفؤاد، ... كنت به والها ما سلم

لدى ملك موثق بالحديد ... إما بحق وإما ظلم

فلا أعرفنك كدأب الغلام ... ما لم يجد عارماً يعترم

فأرضك أرضك إن تأتتا ... تتم نومة ليس فيها حلم

فكتب إليه أخوه:

ان يكن خانك الزمان فلا عاجز ... باع ولا ألف ضعيف

ويمين الإله لو أن جأواء ... طحونا تضيء فيها السيوف

ذات رز مجتابه غمرة الموت ... صحيح سربالها مكفوف

كنت في حميها، لجئتك أسعى ... فاعلمن لو سمعت إذ تستضيف

أو بمال سئلت دونك لم يمنع ... تلاد لحاجة أو طريف

أو بأرض أسطيع آتيك فيها ... لم يهيني بعيدها أو مخوف

في الأعادي وأنت مني بعيد ... عز هذا الزمان والتعريف

إن تفتني والله إلفاً فجوعاً ... لا يعقبك ما يصوب الخريف

فلعمري لئن جزعت عليه ... لجزوع على الصديق أسوف

ولعمري لئن ملكت عزائي ... لقليل شرواك فيما أطوف

فرعموا أن أبا لما قرأ كتاب عدي قام إلى كسرى فكلمه، فكتب وبعث

معه رجلاً، وكتب خليفة النعمان إليه: إنه قد كتب إليك في أمره فأتاه أعداء عدي من بني ببيعة من غسان، فقالوا: اقتله الساعة،

فأبى عليهم وجاء الرجل، وقد تقدم أخو عدي إليه ورشاه، وأمره أن يبدأ بعدي، فدخل عليه وهو محبوس بالصنين، فقال: ادخل

عليه فانظر ما يأمر بك به، فدخل الرسول على عدي، فقال: إني قد جئت بإرسالك، فما عندك؟ قال: عندي الذي تحب، ووعدته عدة،

وقال: لا تخرجن من عندي، وأعطني الكتاب حتى أرسل بك به، فإنك والله إن خرجت من عندي لأقتلن، فقال: لا أستطيع إلا أن آتي

الملك بالكتاب، فأدخله عليه، فانطلق مخبر حتى أتى النعمان، فقال: إن رسول كسرى قد دخل على عدي وهو ذاهب به، وإن فعل

والله لم يستبق منا أحداً، أنت ولا غيرك فبعث إليه النعمان أعداءه فغموه حتى مات، ثم دفنوه.

ودخل الرسول على النعمان بالكتاب، فقال: نعم وكرامة! وبعث إليه بأربعة آلاف مئقال وجارية، وقال له: إذا أصبحت فادخل عليه،

فأخرجه أنت بنفسك فلما أصبح ركب، فدخل السجن، فقال له الحرس: إنه قد مات منذ أيام، فلم نجترئ على أن نخبر الملك للفرق

منه، وقد علمنا كراهته لموته فرجع إلى النعمان فقال: إني قد دخلت عليه وهو حي، وجئت اليوم فجددني السجن وبهتني وذكر له أنه

قد مات منذ أيام فقال له النعمان:

يبعثك الملك إلى فتدخل إليه قبلي! كذبت، ولكنك أردت الرشوة والخبث.

فهدده ثم زاده جائزة وأكرمه، واستوثق منه ألا يخبر كسرى، إلا أنه قد مات قبل أن يقدم عليه. فرجع الرسول إلى كسرى، فقال: إنه قد مات قبل أن ادخل عليه،

وندّم النعمان على موت عدي، واجترأ أعداء عدي على النعمان، وهابهم النعمان هيبة شديدة، ففرج النعمان في بعض صيده ذات يوم، فلقي ابنا لعدي، يقال له زيد، فلما رآه عرف شبهه، فقال: من أنت؟ قال: أنا زيد بن عدي بن زيد، فكله فإذا غلام ظريف، ففرح به فرحا شديدا، وقربه وأعطاه، واعتذر إليه من أمر أبيه، وجهزه، ثم كتب إلى كسرى إن عديا كان ممن أعين به الملك في نصحه ولبه، فأصابه ما لا بد منه، وانقضت مدته، وانقطع أكله، ولم يصب به أحد أشد من مصيبي، وأما الملك فلم يكن ليفقد رجلا إلا جعل الله له منه خلفا، لما عظم الله له من ملكه وشأنه، وقد أدرك له ابن ليس دونه، وقد سرحته إلى الملك، فإن رأى الملك أن يجعله مكان أبيه، فليفعل.

فلما قدم الغلام على كسرى جعله مكان أبيه، وصرف عمه إلى عمل آخر، فكان هو الذي يلي ما كتب به إلى أرض العرب، وخاصة الملك وكانت له من العرب وظيفة موظفة في كل سنة: مهران أشقران والكجأة الرطبة في حينها واليابسة، والأقط والأدم وسائر تجارات العرب، فكان زيد بن عدي بن زيد يلي ذلك، وكان هذا عمل عدي.

فلما وقع عند الملك بهذا الموقع، سأله كسرى عن النعمان، فأحسن عليه الثناء، فمكث سنوات بمنزلة أبيه، وأعجب به كسرى، وكان يكثر الدخول عليه، وكانت الملوك الأعاجم صفة من النساء مكتوبة عندهم، فكانوا يبعثون في تلك الأرضين بتلك الصفة، فإذا وجدت حملت إلى الملك غير أنهم لم يكونوا يتناولون أرض العرب بشيء من ذلك، ولا يريدونه فبدأ الملك في طلب النساء فكتب بتلك الصفة ثم دخل على كسرى فكله فيما دخل فيه،

ثم قال: إني رأيت الملك كتب في نسوة يطلبن له، فقرأت الصفة، وقد كنت بآل المنذر علما، وعند عبدك النعمان من بناته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة قال: فكتب فيهن قال: أيها الملك، إن شر شيء في العرب وفي النعمان خاصة أنهم يتكرمون- زعموا في أنفسهم- عن العجم، فأنا أكره أن يغيبهن، عمن تبعث إليهن، أو يعرض عليه غيرهن، وإن قدمت أنا عليه لم يقدر أن يغيبهن، فابعثني وابعث معي رجلا من حرسك يفقه العربية، حتى أبلغ ما تحبه فبعث معه رجلا جليدا، ففرج به زيد، فجعل يكرم ذلك الرجل ويلطفه حتى بلغ الحيرة.

فلما دخل عليه اعظم الملك، وقال: إنه قد احتاج إلى نساء لأهله وولده، وأراد كرامتك بصهره، فبعث إليك فقال: وما هؤلاء النسوة؟ فقال: هذه صفتهن قد جئت بها وكانت الصفة أن المنذر الأكبر أهدى إلى انوشروان جارية، كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر الغساني بن أبي شمر، فكتب إلى انوشروان يصفها له، وقال: إني قد وجهت إلى الملك جارية معتدلة الخلق، نقية اللون والثغر، بيضاء، قراء، ووظفاء، كحلاء، دجاء، حوراء، عيناء، قواء، شماء، زجاء، برجاء، أسيلة الخلد، شبيهة القد، جثلة الشعر، عظيمة الهامة، بعيدة مهوى القرط، عيطاء، عريضة الصدر، كاعب الثدي، ضخمة مشاشة المنكب والعضد، حسنة المعصم، لطيفة الكف، سبطة البنان، لطيفة طي البطن، خميصية الخصر، غرثى الوشاح، رداح القبل، رابية الكفل، لقاء الفخذين، ريا الروادف، ضخمة المأكتين، عظيمة الركبة مفعمة الساق، مشبعة الخللخال، لطيفة الكعب والقدم، قطوف المشى، مكسال الضحى، بضه المتجرد، سموعا للسيد، ليست بخنساء، ولا سعفاء، ذليلة الأنف، عزيزة النفس، لم تغذ في بؤس، حبيبة رزينة، حليمة ركيمة، كريمه الخال، تقتصر بنسب أبيها دون فصيلتها، وبفصيلتها دون جماع قبيلتها، قد أحكمتها الأمور في الأدب، فرأيها رأي أهل الشرف، وعملها عمل أهل الحاجة،

صناع الكفين، قطيعة اللسان، رهوة الصوت، تزين البيت، وتشين العدو، إن أردتها اشتيت، وإن تركتها انتهت، تحلق عيناها، وتحجر وجنتاها، وتذبذب شفتاها، وتبادرك الوثبة، ولا تجلس إلا بأمرك إذا جلست/.

فقبلها كسرى، وأمر بإثبات هذه الصفة في دواوينه، فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كسرى بن هرمز، فقرأ عليه زيد هذه الصفة، فشق عليه، فقال لزيد- والرسول يسمع: أما في عين السواد وفارس ما تبلغون حاجتكم! فقال الرسول لزيد: ما العين؟ قال:

البقر، فقال زيد للنعمان: إنما أراد كرامتك، ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به.

فأنزلهما يومين، ثم كتب إلى كسرى: إن الذي طلب الملك ليس عندي، وقال لزيد: اعذرني عنده، فلما رجع إلى كسرى، قال زيد للرسول الذي جاء معه: اصدق الملك الذي سمعت منه، فإني سأحدثه بحديثك ولا أخالفك فيه فلما دخلا على كسرى، قال زيد: هذا كتابه، فقراءه عليه، فقال له كسرى: فأين الذي كنت خبرتني به؟ قال: قد كنت أخبرتك بضعهم بنسائهم على غيرهم، وأن ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعري على الشعب والرياش، واختيارهم السموم والرياح على طيب أرضك هذه، حتى إنهم ليسمونهم السجن، فسل هذا الرسول الذي كان معي عن الذي قال، فإني أكرم الملك عن الذي قال ورد عليه أن أقوله، فقال للرسول: وما قال؟ قال:

أيها الملك، أما في بقر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا!

فعرف الغضب في وجهه، ووقع في قلبه منه ما وقع، ولكنه قد قال: رب عبد قد أراد ما هو أشد من هذا، فيصير أمره إلى التباب وشاع هذا الكلام، فبلغ النعمان، وسكت كسرى على ذلك أشهرا، وجعل النعمان يستعد ويتوقع، حتى أتاه كتابه: أن أقبل فإن للملك إليك حاجة، فانطلق حين أتاه كتابه فحمل سلاحه، وما قوى عليه، ثم لحق بجبلي طيئ وكانت فرعة ابنة سعد بن حارثة بن لأم عنده، وقد ولدت له رجلا وامرأة، وكانت أيضا عنده زينب ابنة أوس بن حارثة، فأراد النعمان طيئا على أن يدخلوه بين الجبلين ويمنعوه، فأبوا ذلك عليه، وقالوا: لولا صهرك لقاتلناك، فإنه لا حاجة لنا في معاداة كسرى، ولا طاقه لنا به فاقبل يطوف على قبائل العرب ليس أحد من الناس يقبله، غير أن بني رواحة بن سعد من بني عيس قالوا: إن شئت قاتلنا معك - لمئة كانت له عندهم في أمر مروان القرظ - فقال: لا أحب أن أهلككم، فإنه لا طاقة لكم بكسرى.

فأقبل حتى نزل بذي قار في بني شيبان سرا، فلقى هاني بن مسعود ابن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، وكان سيدا منيعا، والبيت يومئذ من ربيعة في آل ذي الجدين، لقيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين وكان كسرى قد أطعم قيس بن مسعود الأبله، فكره النعمان أن يدفع إليه أهله لذلك، وعلم أن هانئا مانعه مما يمنع منه نفسه. وتوجه النعمان إلى كسرى، فلقى زيد بن عدي على قنطرة ساباط، فقال:

انج نعيم، إن استطعت النجاء، فقال: أنت يا زيد فعلت هذا! اما

والله لئن انفلت لأفعلن بك ما فعلت بأبيك! فقال له زيد: امض نعيم، فقد والله وضعت لك عنده آخية لا يقطعها المهر الأرن فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه، فقيده وبعث به إلى خانقين، فلم يزل في السجن حتى وقع الطاعون فمات فيه، والناس يظنون أنه مات بساباط لبيت قاله الأعشى:

فذاك وما أنجي من الموت ربه ... بساباط حتى مات، وهو محرزق

وإنما هلك بخانقين، وهذا قبيل الإسلام، فلم يلبث إلا يسيرا حتى بعث الله نبيه ص، وكان سبب وقعة ذي قار بسبب النعمان.

وحدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، قال: حدثنا أبو المختار فراس بن خندق، وعدة من علماء العرب قد سماهم، أن النعمان لما قتل عديا كاد أخو عدي وابنه النعمان عند كسرى، وحرفا كتاب اعتذاره إليه بشيء غضب منه كسرى، فأمر بقتله، وكان النعمان لما خاف كسرى استودع هاني بن مسعود بن عامر الخصيب بن عمرو المزدلف بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة، حلقتة ونعمه وسلاحا غير ذلك، وذاك أن النعمان كان بناه ابنتين له.

- قال أبو عبيدة: وقال بعضهم: لم يدرك هاني بن مسعود هذا الأمر، إنما هو هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود وهو الثبت عندي - فلما قتل كسرى النعمان، استعمل إياس بن قبيصة الطائي على الحيرة وما كان عليه النعمان قال أبو عبيدة: كان كسرى لما هرب من بهرام مر بإياس بن قبيصة فأهدى له فرسا وجزورا، فشكر ذلك له كسرى،

فبعث كسرى إلى إياس: أين تركت النعمان؟ قال: قد أحرزها في بكر بن وائل، فأمر كسرى إياسا أن يضم ما كان للنعمان ويبعث به إليه، فبعث إياس إلى هاني: أن أرسل إلي ما استودعك النعمان من الدروع وغيرها - والمقلل يقول: كانت أربعمائة درع، والمكثر يقول: كانت ثمانمائة درع - فأبى هاني أن يسلم خفارته قال: فلما منعها هاني، غضب كسرى وأظهر أنه يستأصل بكر بن وائل - وعنده

يومئذ النعمان بن زرعة التغلبي، وهو يحب هلاك بكر بن وائل - فقال لكسرى: يا خير الملوك، أدلك على غرة بكر؟ قال نعم، قال أمهلها حتى تقيظ، فإنهم لو قد قاطوا تساقطوا على ماء لهم يقال له ذو قار، تساقط الفراش في النار، فأخذتهم كيف شئت، وأنا أكفيكمهم فترجموا له قوله: تساقطوا تساقط الفراش في النار، فأقرهم حتى إذا قاطوا، جاءت بكر بن وائل فنزلت الحنو، حنو ذي قار، وهي من ذي قار على مسيرة ليلة، فأرسل إليهم كسرى النعمان بن زرعة: أن اختاروا واحدة من ثلاث خصال، فنزل النعمان على هانيء ثم قال له: أنا رسول الملك إليكم أخيركم ثلاث خصال: إما أن تعطوا بأيديكم فيحكم فيكم الملك بما شاء، وإما أن تعروا الديار، وإما أن تأذنوا بحرب.

فتوامروا فولوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي، وكانوا يتيمنون به فقال لهم: لا أرى إلا القتال، لأنكم إن أعطيتكم بأيديكم قتلتم وسييت ذرايركم، وإن هربتم قتلتم العطش، وتلقاكم تميم فتهلككم فأذنوا الملك بحرب فبعث الملك إلى إياس وإلى الهامرز التستري- وكان مسلحه بالقطقطانة- وإلى جلابزين- وكان مسلحه ببارق- وكتب كسرى إلى قيس بن مسعود ابن قيس بن خالد بن ذي الجدين- وكان كسرى استعمله على طف سفوان- أن يوافوا إياسا، فإذا اجتمعوا في إياس على الناس وجاءت الفرس معها الجنود والفيول عليها الأساورة، وقد بعث النبي ص ورق امر فارس، [وقال النبي ص: الْيَوْمَ انْتَصَفَتِ الْعَرَبُ مِنَ الْعَجَمِ،]

فحفظ ذلك اليوم، فإذا هو يوم الوقعة فلما دنت جيوش الفرس بمن معهم أنسل قيس بن مسعود ليلا فأتى هانئا، فقال له: أعط قومك سلاح النعمان فيقووا، فإن هلكوا كان تبعا لأنفسهم، وكنت قد أخذت بالحزم، وإن ظفروا ردوه عليك ففعل وقسم الدروع والسلاح في ذوي القوى والجلد من قومه فلما دنا الجمع من بكر، قال لهم هانيء: يا معشر بكر، إنه لا طاقة لكم بجنود كسرى ومن معهم من العرب، فاركبوا الفلاة فتسارع الناس إلى ذلك، فوثب حنظلة بن ثعلبة بن سيار فقال له: إنما أردت نجاتنا فلم تزد على أن ألقينا في الهلكة، فرد الناس وقطع وضم الهودج لثلا تستطيع بكر أن تسوق نساءهم إن هربوا- فسمي مقطع الوضن، وهي حزم الرحال ويقال: مقطع البطن، والبطن حزم الأفتاب- وضرب حنظلة على نفسه قبة ببطحاء ذي قار، وآلى ألا يفر حتى تفر القبة ففضى من مضى من الناس، ورجع أكثرهم، واستقوا ماء لنصف شهر، فأتتهم العجم، فقاتلتهم بالحنو، فجزعت العجم من العطش، فهربت ولم تقم لمحاصرتهم، فهربت إلى الجبابات، فتبعهم بكر، وعجل أوائل بكر، فتقدمت عجل، وأبلى يومئذ بلاء حسنا، واضطمت عليهم جنود العجم، فقال الناس: هلكت عجل، ثم حملت بكر فوجدوا عجلا ثابتة تقاتل، وامرأة منهم تقول:

إن يظفروا يحرزوا فينا الغرل ... إياها فداء لكم بني عجل!

وتقول أيضا تحضض الناس:

إن تهزموا نعانق ... ونفرش النمارق

أو تهربوا نفارق ... فراق غير وامتق

فقاتلوهم بالجبابات يوما ثم عطش الأعاجم فالوا إلى بطحاء ذي قار، فأرسلت إياد إلى بكر سرا- وكانوا أعوانا على بكر مع إياس بن قبيصة: أي الأمرين أعجب إليكم؟ أن نظير تحت ليلتنا فنذهب، أو نقيم ونفر حين تلاقوا

القوم؟ قالوا: بل تقيمون، فإذا التقى القوم انهزمتم بهم قال: فصيحتم بكر بن وائل، والظعن واقفة يذمرن الرجال على القتال وقال يزيد بن حمار السكوني- وكان حليفا لبني شيبان-: يا بني شيبان، أطيعوني وأكمنوني لهم كمينا ففعلوا، وجعلوا يزيد بن حمار رأسهم فكنوا في مكان من ذي قار، يسمى إلى اليوم الجب، فاجتلدوا، وعلى ميمنة إياس بن قبيصة الهامرز، وعلى ميسرته الجلابزين، وعلى ميمنة هانيء بن قبيصة رئيس بكر يزيد بن مسهر الشيباني، وعلى ميسرته حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي، وجعل الناس يتحاضون ويرجزون، فقال حنظلة بن ثعلبة:

قد شاع أشياعكم فجدوا ... ما علتي وأنا مؤد جلد!

والقوس فيها وتر عرد ... مثل ذراع البكر أو أشد

قد جعلت أخبار قومي تبدو ... إن المنايا ليس منها بد

هذا عمير تحته ألد ... يقدمه ليس له مرد

حتى يعود كالكميت الورد ... خلوا بني شيبان واستبدوا

نفسى فداكم وأبي والجد.

وقال حنظلة أيضا:

يا قوم طيبوا بالقتال نفسا ... أجدر يوم أن تفلوا الفرسا

وقال يزيد بن المكسر بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار:

من فر منكم فر عن حريمه ... وجاره، وفر عن نديمه

أنا ابن سيار على شكيمه ... إن الشراك قد من أديمه

وكلهم يجري على قديمه ... من قارح الهجنة أو صميمه

قال فراس: ثم صيروا الأمر بعد هاتئ إلى حنظلة، فقال إلى مارية ابنته- وهي أم عشرة نفر، أحدهم جابر بن أبجر- فقطع وضيئها

فوقعت إلى الأرض وقطع وضم النساء، فوقعن إلى الأرض، ونادت ابنة القرين الشيبانية حين وقعت النساء إلى الأرض:

ويها بني شيبان صفا بعد صف ... إن تهزموا يصبغوا فينا القلف

فقطع سبعمئة من بني شيبان أيدي أقييتهم من قبل مناكبهم، لأن تخف أيديهم بضرب السيوف، فجالدوهم.

قال: ونادى الهامرز: مرد ومرد، فقال برد بن حارثة اليشكري:

ما يقول؟ قالوا: يدعو إلى البراز رجل ورجل، قال: وأبيكم لقد انصف.

فبرز له فقتله برد، فقال سويد بن أبي كاهل:

ومنا يريد إذ تحدى جموعكم ... فلم تقربوه المرزبان المسورا

أي لم تجعلوه ونادى حنظلة بن ثعلبة بن سيار: يا قوم لا تقفوا لهم فيستغرقكم النشاب، فحملت ميسرة بكر وعليها حنظلة على ميمنة

الجيش، وقد قتل برد منهم رئيسهم الهامرز، وحملت ميمنة بكر وعليها يزيد بن مسهر على ميسرة الجيش، وعليهم جلابزين، وخرج الكمين

من جب ذي قار من ورائهم، وعليهم يزيد بن حمار، فشدوا على قلب الجيش، وفيهم إياس ابن قبيصة، وولت إباد منهزمة كما وعدتهم،

وانهزمت الفرس.

قال سليط: فحدثنا أسراؤنا الذين كانوا فيهم يومئذ، قالوا: فلما التقى الناس، ولت بكر منهزمة، فقلنا: يريدون الماء، فلما قطعوا الوادي

فصاروا من ورائه، وجاوزوا الماء، قلنا: هي الهزيمة، وذاك في حر الظهيرة وفي يوم قانظ، فأقبلت كتيبة عجل كأنهم طن قصب، لا

يفوت بعضهم بعضا، لا يمعنون هربا، ولا يخالطون القوم ثم تذا مروا فزحفوا فرموهم بجباههم، فلم تكن إلا إياها، فأمالوا بأيديهم، فولوا،

فقتلوا الفرس ومن معهم، ما بين بطحاء ذي قار، حتى بلغوا الراحضة.

قال فراس: فخبرت أنه تبعه تسعون فارسا، لم ينظروا إلى سلب ولا

إلى شيء حتى تعارفوا بأدم موضع قريب من ذي قار، فوجد ثلاثون فارسا من بني عجل، ومن سائر بكر ستون فارسا، وقتلوا جلابزين،

قتله حنظلة بن ثعلبة وقال ميمون بن قيس يمدح بني شيبان خاصة في قوله:

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي ... وراكبها يوم اللقاء، وقلت

هم ضربوا بالخنو، خنو قراقير ... مقدمة الهامرز حتى تولت

وأفلتنا قيس وقلت لعله ... هنالك لو كانت به النعل زلت

فهذا يدل على أن قيسا قد شهد ذا قار.

وقال بكير، أصم بني الحارث بن عباد، يمدح بني شيبان:

إن كنت ساقية المدامة أهلها ... فاسقي على كرم بني همام

وأبا ربيعة كلها ومحلها ... سبقا بغاية أجد الأيام

ضربوا بني الأحرار يوم لقوهم ... بالمشرفي على مقبل الهام

عربا ثلاثة ألف وكتيبة ... ألفين أعجم من بني الفدام

شد ابن قيس شدة ذهبت لها ... ذكرى له في معرق وشام

عمرو وما عمرو بقحم داله ... فيها، ولا غمر ولا بغلام
 فلها مدح الأعشى والأصم بني شيبان خاصة غضبت للهازم، فقال أبو كلبة، أحد بني قيس يؤنبها بذلك:
 جدعما شاعري قوم أولي حسب ... حزت أنوفهما حزا بمنشار
 أعني الأصم وأعشانا إذا اجتمعا ... فلا استعانا على سمع بإبصار
 لولا فوارس لا ميل ولا عزل ... من اللهازم ما قاطوا بذي قار
 نحن أتيناهم من عند أشملهم ... كما تلبس وراذ بصدار؟
 قال أبو عمرو بن العلاء: فلها بلغ الأعشى قول أبي كلبة، قال: صدق.
 وقال معتذرا مما قال:
 متى يقرن أصم بحبل أعشى ... يتيها في الضلال وفي الخسار
 فلست بمبصر ما قد يراه ... وليس بسامع أبدا حوارى
 وقال الأعشى في ذلك اليوم:
 أتانا عن بني الأحرار ... قول لم يكن أمما
 أرادوا نحت انلتنا ... وكنا نمنع الخطما
 وقال أيضا لقيس بن مسعود:
 أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد ... وأنت امرؤ ترجو شبابك وائل
 أتجمع في عام غزاة ورحلة ... ألا ليت قيسا غرقته القوابل!
 وقال أعشى بني ربيعة:
 ونحن غداة ذي قار أقننا ... وقد شهد القبائل محلبينا
 وقد جاءوا بها جأواء فلقا ... ملهبة ككائبها طحونا
 ليوم كرية حتى تجلت ... ظلال دجاء عنا مصلتينا
 فولونا الدوابر واتقونا ... بنعمان بن زرعة أكتعينا
 وزدنا عارض الأحرار وردا ... كما ورد القطا الثمد المعينا

٢٠٦٠٢٥ ذكر من كان على ثغر العرب من قبل ملوك الفرس بالحيرة بعد عمرو بن هند

ذكر من كان على ثغر العرب من قبل ملوك الفرس بالحيرة بعد عمرو بن هند
 قد مضى ذكرنا من كان يلي ذلك من قبل ملوك الفرس من آل نصر ابن ربيعة إلى حين هلاك عمرو بن هند، وقدر مدة ولاية كل من
 ولي منهم ذلك، ونذكر الآن من ولي ذلك لهم بعد عمرو بن هند، إلى أن ولي ذلك لهم النعمان بن المنذر، والذي ولي لهم ذلك بعد
 عمرو بن هند أخوه قابوس بن المنذر، وأمه هند ابنة الحارث بن عمرو، فولي ذلك أربع سنين، من ذلك في زمن أنوشروان ثمانية أشهر،
 وفي زمن هرمز بن أنوشروان ثلاث سنين وأربعة أشهر.
 ثم ولي بعد قابوس بن المنذر السهر.
 ثم ولي بعده المنذر أبو النعمان أربع سنين.
 ثم ولي بعده النعمان بن المنذر أبو قابوس اثنتين وعشرين سنة، من ذلك زمن هرمز بن أنوشروان سبع سنين وثمانية أشهر، وفي زمن
 كسرى ابرويز ٧٦٤ / ٢ ابن هرمز أربع عشرة سنة وأربعة أشهر.
 ثم ولي إلياس بن قبيصة الطائي ومعه النخیرجان، تسع سنين في زمن كسرى ابن هرمز ولسنة وثمانية أشهر من ولاية إلياس بن قبيصة
 بعث النبي ص فيما زعم هشام بن محمد.

ثم استخلف آزاذبه بن ماهان بن مهربنداذ الهمداني سبع عشرة سنة، من ذلك في زمن كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر، وفي زمن شيرويه بن كسرى ثمانية أشهر، وفي زمن أردشير بن شيرويه سنة وسبعة أشهر، وفي زمن بوران دخت بنت كسرى شهرا. ثم ولي المنذر بن النعمان بن المنذر- وهو الذي تسميه العرب الغرور، الذي قتل بالبحرين يوم جوثا، إلى أن قدم خالد بن الوليد الحيرة- ثمانية أشهر

فكان آخر من بقي من آل نصر بن ربيعة، فانقرض أمرهم مع زوال ملك فارس.

فجميع ملوك آل نصر- فيما زعم هشام- ومن استخلف من العباد والفرس عشرون ملكا قال: وعده ما ملكوا خمسمائة سنة واثنان وعشرون سنة وثمانية أشهر رجع الحديث الى ذكر المروزان وولايته اليمن، من قبل هرمز وابنه أبرويز، ومن وليها بعده:

حدثت عن هشام بن محمد، قال: عزل هرمز بن كسرى وبن عن اليمن، واستعمل مكانه المروزان، فأقام باليمن، حتى ولد له بها، وبلغ ولده ثم إن أهل جبل من جبال اليمن يقال له المصانع خالفوه، وامتنعوا من حمل الخراج إليه- والمصانع جبل طويل ممتنع، إلى جانبه جبل آخر قريب منه، بينهما فضاء ليس بالبعيد، إلا أنه لا يرام ولا يطمع فيه- فسار المروزان إلى المصانع، فلما انتهى إليه نظر إلى جبل لا يطمع في دخوله إلا من باب واحد، يمنع ذلك الباب رجل واحد، فلما رأى أن لا سبيل له إليه، صعد الجبل الذي يحاذي حصنهم، فنظر إلى أضيق مكان منه وتحتة هواء ذاهب، فلم ير شيئا أقرب إلى افتتاح الحصن من ذلك الموضع، فأمر أصحابه أن يصطفوا له صفين، ثم يصيحوا به صيحه واحدة، وضرب فرسه فاستجمع حضرا، ثم رمى به فوثب المضيق، فإذا هو على رأس الحصن فلما نظرت إليه حمير وإلى صنيعه قالوا: هذا أيم- والأيم بالخميرية شيطان- فاتهرهم وزيرهم بالفارسية، وأمرهم أن يكتف بعضهم بعضا، فاستنزلهم من حصنهم، وقتل طائفة منهم وسبي بعضهم، وكتب بالذي كان من امره الى كسرى

ابن هرمز فتعجب من صنيعه، وكتب إليه: أن استخلف من شئت، وأقبل إلي.

قال: وكان للمروزان ابنان: أحدهما تعجبه العربية، ويروي الشعر، يقال له خرخره، والآخر أسوار يتكلم بالفارسية، ويتدهقن، فاستخلف المروزان ابنه خرخره- وكان أحب ولده إليه- على اليمن، وسار حتى إذا كان في بعض بلاد العرب هلك، فوضع في تابوت، وحمل حتى قدم به على كسرى، فأمر بذلك التابوت فوضع في خزانته، وكتب عليه في هذا التابوت: فلان الذي صنع كذا وكذا، قصته في الجبلين ثم بلغ كسرى تعرب خرخره وروايته الشعر، وتأدبه بأدب العرب، فعزله، وولى باذان، وهو آخر من قدم اليمن من ولادة العجم.

وكان كسرى قد طغى لكثرة ما قد جمع من الأموال وأنواع الجوهر والأمتعة والكرام وافتتح من بلاد العدو، وساعده من الأمور، ورزق من مؤناته، وبطر، وشره شرها فاسدا، وحسد الناس على ما في أيديهم من الأموال، فولى جباية البقايا علجا من أهل قرية تدعى خندق من طسوج بهر سير، يقال له: فرخزاد بن سمي، فسام الناس سوء العذاب، وظلمهم واعتدى عليهم، وغضبهم أموالهم في غير حله، بسبب بقايا الخراج، واستفسدهم بذلك، وضيق عليهم المعاش، وبغض إليهم كسرى ومملكه.

وحدثت عن هشام بن محمد، أنه قال: كان أبرويز كسرى هذا قد جمع من الأموال ما لم يجمع أحد من الملوك، وبلغت خيله القسطنطينية وإفريقية، وكان يشتو بالمدائن، ويتصيف ما بينها وبين همدان، وكان يقال: إنه كانت له اثنتا عشرة ألف امرأة وجارية، وألف فيل إلا واحدا، وخمسون ألف دابة بين فرس وبرذون وبغل، وكان أرغب الناس في الجوهر والأواني وغير ذلك.

وأما غير هشام فإنه قال: كان له في قصره ثلاثة آلاف امرأة يطوئن،

وألف جوار اتخذهن للخدمة والغناء وغير ذلك، وثلاثة آلاف رجل يقومون بخدمته، وكانت له ثمانية آلاف وخمسمائة دابة لمركبه، وسبعمائة وستون فيلا، واثنا عشر ألف بغل لثقله، وأمر فبنيت بيوت النيران، وأقام فيها اثني عشر ألف هرزد للزمزمة وأنه أمر أن يحصى ما اجتبي من خراج بلاده وتوابعه وسائر أبواب المال، سنة ثمان عشرة من ملكه، فرفع إليه أن الذي اجتبي في تلك السنة من الخراج وسائر أبوابه من الورق أربعمائة ألف ألف مثقال وعشرون ألف ألف مثقال، يكون ذلك وزن سبعة، ستمائة ألف ألف درهم، وأمر فحول إلى بيت مال بنى بمدينة طيسبون، وسماه بهار حفرد خسرو، وأموال له أخرى من ضرب فيروز بن يزدجرد وقباز بن فيروز، اثنا عشر ألف بدره، في كل بدره منها من الورق أربعة آلاف مثقال، يكون جميع ذلك ثمانية وأربعين ألف ألف مثقال،

وهو وزن سبعة، ثمانية وستون ألف الف وخمسمائة ألف واحد وسبعون ألفاً وأربعمائة وعشرون درهما ونصف وثلث ثمن درهم، في أنواع لا يحصي مبلغها إلا الله، من الجواهر والكسي وغير ذلك.

وإن كسرى احتقر الناس، واستخف بما لا يستخف به الملك الرشيد الحازم، وبلغ من عتوه وجراته على الله أنه أمر رجلا كان على حرس بابه الخاص - يقال له: زاذان فروخ - أن يقتل كل مقيد في سجن من سجنه، فأحصوا، فبلغوا ستة وثلاثين ألفاً، فلم يقدم زاذان فروخ على قتلهم، وتقدم لتأخير ما أمر به كسرى فيهم، لعل أعدها له، فكسب كسرى عداوة أهل مملكته من غير وجه، أحد ذلك احتقاره إياهم، وتصغيره عظماءهم.

والثاني تسليط العليج فرخان زاد بن سمي عليهم، والثالث أمره بقتل من كان في السجن، والرابع إجماعه على قتل الفل الذين انصرفوا إليه من قبل هرقل والروم، فضى ناس من العظماء إلى عقر بابل، وفيه شيري بن أبرويز مع إخوته بها، قد وكل بهم مؤدبون يؤدبونهم، وأساورة يحولون

بينهم وبين براح ذلك الموضع، فأقبلوا به، ودخل مدينة بهرسير ليلاً، نفلى عمن كان في سجنونها، وخرج من كان فيها، واجتمع إليه الفل الذين كان كسرى أجمع على قتلهم، فنادوا قباز شاهنشاه، وصاروا حين أصبحوا إلى رحبة كسرى، فهرب من كان في قصره من حرسه، وانحاز كسرى بنفسه إلى باغ له قريب من قصره، ويدعى باغ الهندوان فارا مرعوبا، وطلب فاخذ ما آذر وروز آذر، وحبس في دار المملكة، ودخل شيرويه دار الملك، واجتمع إليه الوجوه، فلكوه وأرسل إلى أبيه يقرعه بما كان منه.

وحدث عن هشام بن محمد، قال: ولد لكسرى أبرويز ثمانية عشر ولدا ذكراً، أكبرهم شهریار، وكانت شیرین تبنته، فقال المنجمون لكسرى: إنه سيولد لبعض ولدك غلام، ويكون خراب هذا المجلس وذهاب هذا الملك على يديه، وعلامته نقص في بعض بدنه، فحصر ولده لذلك عن النساء، فكثوا حيناً لا يصلون إلى امرأة، حتى شكا ذلك شهریار إلى شیرین، وبعث إليها يشكو الشبق، ويسألها أن تدخل عليه امرأة وإلا قتل نفسه، فأرسلت إليه: إني لا أصل إلى إدخال النساء عليك إلا أن تكون امرأة لا يؤبه لها، ولا يجمل بك أن تمسها، فقال لها: لست أبالي ما كانت، بعد أن تكون امرأة فأرسلت إليه بجارية كانت تحجمها، وكانت - فيما يزعمون - من بنات أشرفهم، إلا أن شیرین كانت غضبت عليها في بعض الأمور، فأسلمتها في المحامين، فلما أدخلتها على شهریار وثب عليها، فحملت بيزدجرد، فأمرت بها شیرین فقصرت حتى ولدت، وكتمت أمر الولد خمس سنين ثم إنها رأت من كسرى رقة للصبيان حين كبر، فقالت له: هل يسرك أيها الملك أن ترى ولدا لبعض بنيك على ما كان في ذلك من المكروه؟ فقال: لا أبالي فأمرت بيزدجرد فطيب وحلي، وأدخلته عليه، وقالت: هذا يزدجرد بن شهریار، فدعا به فأجلسه في

٢٠٦٠٢٦ ذكر ملك شيرويه بن أبرويز

حجره، وقبله وعطف عليه، وأحبه حبا شديداً، وجعل يبيته معه، فبينما هو يلعب ذات يوم بين يديه، إذ ذكر ما قيل فيه، فدعا به فعراه من ثيابه، واستقبله واستدبره، فاستبان النقص في أحد وركيه، فاستشاط غضبا وأسفاً، واحتمله ليجلد به الأرض، فتعلقت به شیرین، وناشدته الله ألا يقتله، وقالت له: انه ان يكن امر قد حضر في هذا الملك فليس له مرد.

قال: إن هذا المشؤم، الذي أخبرت عنه، فأخرجيه فلا أنظر إليه فأمرت به فحمل إلى سجستان وقال آخرون: بل كان بالسواد عند ظئورته في قرية يقال لها نحانية.

ووثبت فارس على كسرى فقتلته، وساعدهم على ذلك ابنه شيرويه بن مريم الرومية.

وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة ولمضي اثنيتين وثلاثين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوماً من ملكه هاجر النبي ص من مكة الى المدينة ذكر ملك شيرويه بن أبرويز

ثم ملك من بعده ابنه شيرويه، واسمه قباز بن أبرويز بن هرمز بن كسرى انوشروان فذكر أن شيرويه لما دخل عظماء الفرس عليه بعد حبسه أباه، فقالوا له: إنه لا يستقيم أن يكون لنا ملكان اثنان، فإذا أن تقتل كسرى ونحن خولك الباعون لك بالطاعة، وإما أن نخلعك ونعطيه الطاعة على ما لم نزل نعطيه قبل أن تملك فهدت هذه المقالة شيرويه وكسرتة، وأمر بتحويل كسرى من دار المملكة إلى دار رجل يقال له مارسفند فحمل كسرى على

برزون، وقنع رأسه، وسير به إلى تلك الدار، ومعه ناس من الجند، فمروا به في مسيرهم على إسكاف جالس في حانوت شارع على الطريق، فلما بصر بفرسان من الجند معهم فارس مقنع، عرف أن المقنع كسرى، فخذفه بقالب، فعطف إليه رجل ممن كان مع كسرى من الجند، فاخترط سيفه فضرب عنق الإسكاف، ثم لحق بأصحابه.

فلما صار كسرى في دار مارسفند جمع شيوخه من كان بالباب من العظماء وأهل البيوتات، فقال: إنا قد رأينا أن نبدأ بالإرسال إلى الملك أبينا بما كان من إساءته في تديره ونوقفه على أشياء منها، ثم دعا برجل من أهل أردشير خرة يقال له اسفاذ جشنس، ولمرتبته رئيس الكتبية، كان يلي تدير المملكة، فقال له: انطلق إلى الملك أبينا، فقل له عن رسالتنا: إنا لم نكن للبلية التي أصبحت فيها ولا أحد من رعيتنا سببا، ولكن الله قضاها عليك جزاء منه لك بسئ أعمالك، منها اجترامك إلى هرمز أبيك وفتكك به، وإزالتك الملك عنه، وسملك عينيه، وقتلك إياه شر قتلة، وما قارفت في أمره من الإثم العظيم ومنها سوء صنيعك إلينا معشر أبنائك في حظرك علينا مثافئة الأخيار ومجالستهم، وكل أمر يكون لنا فيه دعة وسرور وغبطة.

ومنها إساءتك كانت بمن خلدت السجون منذ دهر، حتى شقوا بشدة الفقر وضيق المعاش والغربة عن بلادهم وأهاليهم وأولادهم ومنها سوء نظرك في استخلاصك كان لنفسك من النساء وتركك العطف عليهن بمودة منك والصراف لهن إلى معاشر من كن يرزقن منه الولد والنسل، وحبسك إياهن قبلك مكراهات ومنها ما أتيت إلى رعيته عامة في اجتباك إياهم الخراج، وما انتهكت منهم في غلظتك وفضاظتك عليهم ومنها جمعك الأموال التي اجتبيتها من الناس في عنف شديد، واستفساد منك إياهم، وإدخالك البلاء والمضار عليهم فيه ومنها تجميرك من جمهرت في ثغور الروم وغيرهم

من الجنود، وتفريقك بينهم وبين أهاليهم ومنها غدرك بموريق، ملك الروم، وكفرك إنعامه عليك فيما كان من إيوائه إياك، وحسن بلائه عندك، ودفعه عنك شر عدوك، وتوحيه باسمك في تزويجه إياك أكرم النساء من بناته عليه، وآثرهن عنده، واستخفافك بحقه، وتركك إطلابه ما طلب إليك من رد خشبة الصليب، التي لم يكن بك ولا بأهل بلادك إليها حاجة، علمته. فإن كانت لك حجج تدلي بها عندنا وعند الرعية فأدل بها، وإن لم تكن لك حجة، فتب إلى الله من قريب، وأنب إليه حتى تأمر فيك بأمرنا.

فوعي أسفاذ جشنس رسالة كسرى شيرويه هذه، وتوجه من عنده إلى كسرى ليلبغه إياها، فلما توجه إلى الموضع الذي كان حبس فيه كسرى ألقى رجلا يقال له جيلنوس كان قائد الجند قد وكل بحراسة كسرى جالسا، فتحاورا ساعة، ثم سأل أسفاذ جشنس جيلنوس أن يستأذن له على كسرى ليلقاها برسالة من شيرويه، فرجع جيلنوس فرفع الست الذي كان دون كسرى، فدخل عليه، وقال له: عمرك الله! ان اسفاذ جشنس بالباب، وذكر أن الملك شيرويه أرسله إليك في رسالة، وهو يستأذن عليك، فأريك في الأمر فيه برأيك! فتبسم كسرى وقال مازحا: يا جيلنوس اسفاذ ان، كلامك مخالف كلام أهل العقل، وذلك أنه إن كانت الرسالة التي ذكرت من شيرويه الملك فليس لنا مع ملكه إذن، وإن كان لنا إذن وجب فليس شيرويه بملك، ولكن المثل في ذلك كما قيل: يشاء الله الشيء فيكون، ويأمر الملك بأمر فينفذ فاذن لاسفاذ جشنس يبلغ الرسالة التي حملها فلما سمع جيلنوس هذه المقالة خرج من عند كسرى، وأخذ بيد اسفاذ جشنس، وقال له: قم فادخل إلى كسرى راشدا.

فنهض اسفاذ جشنس، ودعا بعض من كان معه من خدمه، ودفع اليه كساء كان لابسه، وأخرج من كاه ششتقة بيضاء نقية، فمسح بها وجهه، ثم دخل على كسرى، فلما عين كسرى، خر له ساجدا، فأمره كسرى بالانبعاث، فانبعث وكفر بين يديه- وكان كسرى جالسا على ثلاثة أنماط من ديباج خسرواني منسوج بذهب، قد فرشت على بساط من إبريسم، متكئا على ثلاث وسائد منسوجة بذهب، وكان بيده سفرجلة صفراء شديدة الاستدارة فلما عين اسفاذ جشنس، تربع جالسا ووضع السفرجلة التي كانت بيده على تكأته، فتدحرجت من أعلى الوسائد الثلاث لشدة استدارتها وملساسة الوسادة التي كانت عليها، بامتلاء حشوها إلى أعلى تلك الأنماط الثلاثة، ومن النمط إلى البساط، ولم تلبث على البساط أن تدحرجت إلى الأرض، ووقعت بعيدا متلطحه بتراب، فتناولها اسفاذ جشنس فمسحها بكفه، وذهب ليضعها بين يدي كسرى، فأشار إليه أن يخيها عنه، وقال له: اعزبها عني، فوضعها اسفاذ جشنس عند طرف البساط إلى الأرض، ثم عاد فقام مقامه، وكفر بيده، فنكس

كسرى، ثم قال متمثلاً: الأمر إذا أدبر فانت الحيلة في الإقبال به، وإذا أقبل أعيت الحيلة في الإدبار به، وهذان الأمران متداولان على ذهاب الحيل فيهما، ثم قال لاسفاد جشنس: إنه قد كان من تدرج هذه السفرجلة وسقوطها حيث سقطت، وتلطخها بالتراب وهو عندنا كالإخبار لنا بما حملت من الرسالة، وما أنتم عاملون به وعاقبته، فإن السفرجلة التي تأويلها الخير، سقطت من علو إلى سفلى، ثم لم تلبث على مفرشنا أن سقطت إلى الأرض، ووقعت بعيداً متلطخة بتراب، وذلك منها دليل في حال الطيرة: أن مجد الملوك قد صار عند السوق، وأنا قد سلينا الملك، وأنه لا يلبث في أيدي عقبتنا أن يصير إلى من ليس من أهل المملكة، فدونك فتكلم بما حملت من رسالة، وزودت من الكلام.

فاندفع اسفاد جشنس في تبليغ الرسالة التي حمله إياها شيرويه، ولم يغادر منها كلمة، ولم يزلها عن نسقها فقال كسرى في مرجوع تلك الرسالة: بلغ

عني شيرويه القصير العمر، أنه لا ينبغي لذي عقل أن يبت من أحد الصغير من الذنب، ولا اليسير من السيئة إلا بعد تحقق ذلك عنده، وتيقنه إياه منه، فضلاً عن عظيم ما بثت ونشرت وادعيت منا، ونسبتنا إليه من الذنوب والجرائم، مع أن أولى الناس بالرد عن ذي ذنب، وتوبيخ ذي جرمة، من قد ضبط نفسه عن الذنوب والجرائم، ولو كما على ما أضفتنا إليه لم يكن ينبغي أن تنشره وتؤنبنا به أيها القصير العمر القليل العلم، فإن كنت جاهلاً بما يلزمك من العيوب ببثك منا ما بثت، ونسبتك إيانا إلى ما نسبت، فاستثبت عيوبك واقتصر في الزري علينا، والعيب لنا على ما لا يزيدك بسوء مقالته فيه إلا اشتهاً بالجهل، ونقص الرأي أيها العازب العقل، العديم العلم، فإنه إن كان لإجهاذك نفسك في شرك إيانا من الذنوب بما يوجب علينا القتل حقيقة، وكان لك على ذلك برهان، ففضة أهل ملتك ينفون ولد المستوجب للقتل من أبيه، ويخونه عن مضامة الأخيار ومجالستهم، ومخالطتهم إلا في أقل المواطن فضلاً عن أن يملك، مع أنه قد بلغ بحمد الله ونعمته من إصلاحنا أنفسنا ونيتنا فيما بيننا وبين الله وبيننا وبين أهل ملتنا وديننا، وبيننا وبينك وبين معشر أبنائنا ما ليس لنا في شيء من ذلك تقصير، ولا علينا فيه من أحد حجة ولا توبيخ، ونحن نشرح الحال فيما ألزمتنا من الذنوب، وألحقت بنا من الجرائم، عن غير التماس منا لذلك نقصا فيما أدلينا به من حجة، أو أثبتنا عليه من برهان، لتزداد علماً بجهالتك وعزوب عقلك، وسوء صنيعك أما ما ذكرت من أمر أيينا هرمرز، فمن جوابنا فيه أن الأشرار والبغاة كانوا أغروا هرمرز بنا حتى اتهمنا واحتمل غمراً ووغراً ورأينا من ازوراره عنا، وسوء رأيه فينا، ما نخوفنا ناحيته، فاعتزلنا بابه لإشفاقنا منه، ولحقنا بأذريجان، وقد استفاض، فانتك من الملك ما انتك فلما انتهى إلينا خبر ما بلغ منه شخصنا من أذريجان إلى بابه، فهجم علينا المناقق بهرام في جنود عظيمة من العصاة

المستوجبة القتل، مارقا من الطاعة، فأجلانا عن موضع المملكة فلحقنا ببلاد الروم، فأقبلنا منها بالجنود والعدة، وحاربناه فهرب منا، وصار من أمره في بلاد الترك من الهلكة والبوار إلى ما قد اشتهر في الناس، حتى إذا صفا لنا الملك، واستحكم لنا أمره، ودفعنا بعون الله عن رعيتنا البلاء والآفات التي كانوا أشفوا عليها، قلنا: إن من خير ما نحن بادئون به في سياستنا، ومفتتحون به ملكاً الانتقام لأيننا، والثأر به والقتل لكل من شرك في دمه، فإذا أحكمنا ما نوبنا من ذلك، وبلغنا منه ما نريد تفرغنا لغيره من تدبير الملك، فقتلنا كل من شرك في دمه، وسعى فيه ومالاً عليه.

وأما ما ذكرت من أمر أبنائنا، فمن جوابنا أنه ليس من ولد ولدناه- ما خلا من استأثر الله به منهم- إلا صحيحة أعضاء جسده، غير أننا وكلنا بالحراسة لكم، وكفكم عن الانتشار فيما لا يعينكم إرادة كف ما نخوف من ضرركم على البلاد والرعية ثم كما أقمنا من النفقات الواسعة في كسوتكم ومراكبكم وجميع ما تحتاجون إليه ما قد علمت، وأما أنت خاصة، فمن قصتك أن المنجمين كانوا قضوا في كتاب مولدك أنك مثرّب علينا، أو يكون ذلك بسببك، فلم نأمر بقتلك، ولكن ختمنا على كتاب قضية مولدك، ودفعناه إلى شيرين صاحبتنا ومع ثقتنا بتلك القضية وجدنا فرميشا ملك الهند كتب إلينا في سنة ست وثلاثين من ملكنا، وقد أوفدهم إلينا، فكتب في أمور شتى، وأهدى لنا ولكم- معشر أبنائنا- هدايا، وكتب إلى كل واحد منكم كتاباً، وكانت هديته لك- فاذكرها- فيلا، وسيفاً، وبازيا أبيض، وديباجة منسوجة بذهب، فلما نظرنا فيما أهدى لكم، وكتب إليكم وجدته قد وقع على كتابه إليك بالهندية: اكنم ما فيه، فأمرنا أن يصرف إلى كل واحد منكم ما بعث إليه من هديه أو كتاب، واحتبسنا كتابه إليك لحال التوقيع الذي كان عليه، ودعونا بكتاب هندي،

وأمرنا بفض خاتم الكتاب وقراءته، فكان فيه: أبشر وقر عينا، وانعم بالا، فإنك متوج ماه آذر روز ديبادر سنة ثمان وثلاثين من ملك كسرى، ومملك على ملكه وبلاده، فوثقنا أنك لم تكن لتلك إلا بهلكا وبوارنا، فلم ننتقصك- بما استقر عندنا من ذلك مما كنا أمرنا بإجرائه عليك من الأرزاق والمعاون والصلات وغير ذلك- شيئا، فضلا عن أمرنا بقتلك.

وأما كتاب فرميشا فقد ختمنا عليه بخاتمتنا، واستودعناه شيرين صاحبتنا، وهي في الأحياء صحيحة العقل والبدن، فإن أحببت أن تأخذ منها قضية مولدك، وكتاب فرميشا إليك وتقرأهما لتكسبك قراءة إياهما ندامة وثبورا فافعل وأما ما ذكرت من حال من خلد السجن فمن جوابنا فيه أن الملوك الماضين من لدن جيومرت إلى أن ملك بشتاسب، كانوا يدبرون ملكهم بالمعدلة، ولم يزالوا من لدن بشتاسب إلى أن ملكا يدبرونه بمعدلة، معها ورع الدين، فسل إن كنت عديم عقل وعلم وأدب حملة الدين- وهم أوتاد هذه الملة- عن حال من عصى الملوك وخالفهم، ونكث عهدهم، والمستوجبين بذنوبهم القتل فيخبروك أنهم لا يستحقون أن يرحموا ويعفى عنهم واعلم مع ذلك أنا لم نأمر بالحبس في سجوننا، ولا من قد وجب عليه في القضاء العدل أن يقتل أو تسمل عينه، وتقطع يده ورجله وسائر أعضائه وكثيرا ما كان الموكلون بهم وغيرهم من وزرائنا يذكرون استيجاب من استوجب منهم القتل، ويقولون: عاجلهم بالقتل قبل أن يحتالوا لأنفسهم حيلة يقتلونك بها، فكنا لحبنا استبقاء النفوس وكراهتنا سفك الدماء نتأني بهم، ونكلهم إلى الله، ولا نقدم على عقوبتهم بعد الحبس الذي اقتصرنا عليه، إلا على منعهم أكل اللحم وشرب الشراب، وشم الرياحين، ولم نعد في ذلك ما في سنن الملة من الحول بين المستوجبين للقتل، وبين التلذذ والتنعيم بشيء مما منعناهم إياه، وكنا أمرنا لهم من المطعم والمشرب وسائر ما يقيمهم بالذي يصلحهم في اقتصاد، ولم نأمر بالحول بينهم وبين نسائهم والتوالد والتناسل في حال حبسهم وقد بلغنا أنك أجمعت على التولية

عن أولئك الدعار المنافقين المستوجبين للقتل، والأمر بهدم محبسهم، ومتى تخل عنهم تأثم بالله ربك، وتسيء إلى نفسك، وتخل بدينك وما فيه من الوصايا والسنن التي فيها صرف الرحمة والعفو عن المستوجبين للقتل، مع أن أعداء الملوك لا يحبون الملك أبدا، والعاصين لهم لا يمنحونهم الطاعة وقد وعظ الحكماء وقالوا: لا تؤخرن معاقبة المستوجبي العقوبة، فإن في تأخيرها مدفعة للعدل، ومضرة على المملكة في حال التدبير، ولئن نالك بعض السرور إن أنت خليت عن أولئك الدعار المنافقين العصاة المستوجبين للقتل لتجدن غب ذلك في تدبيرك، ودخول أعظم المضرة والبلية على أهل الملة.

وأما قولك: إنا إنما كسبنا وجمعنا وادخرنا الأموال والأمتعة والبزور وغيرها من بلاد مملكتنا بأعنف اجتباء، وأشد إلحاح على رعيئنا، وأشد ظلم، لا من بلاد العدو بالمجاهدة لهم والقهر، عن غلبة منا إياهم على ما في أيديهم، فمن جوابنا فيه إن من إصابة الجواب في كل كلام يتكلم بجهل وعنجهية ترك الجواب فيه، ولكن لم ندع- إذ صار ترك الجواب كالاقرار، وطافت حجتنا فيما غشنا أن نحتج به، قوية، وعذرنا واضحا- شرح ما سألتنا عنه من ذلك.

اعلم أيها الجاهل، أنه إنما يقيم ملك الملوك بعد الله الأموال والجنود وبخاصة ملك فارس، الذي قد اكتتفت بلاده أعداء فاعرة أفواههم لا لتقام ما في يديه، وليس يقدر على كفهم عنها، وردعهم عما يريدون من اختلاس ما يرومون اختلاسه منه، إلا بالجنود الكثيفة، والأسلحة والعدد الكثيرة، ولا سبيل له إلى الكثيف من الجنود والكثير مما يحتاج إليه إلا بكثرة الأموال ووفورها، ولا يستكثر من الأموال ولا يقدر على جمعها لحاجة إن عرضت له إليها إلا بالجد والتشمير في اجتباء هذا الخراج وما نحن ابتدعنا جمع الأموال، بل اقتدينا في ذلك بآبائنا والماضين من أسلافنا، فإنهم جمعوها كجمعنا إياها،

وكثروها ووفروها لتكون ظهرا لهم على تقوية جنودهم وإقامة أمورهم، وغير ذلك مما لم يستغنوا عن جمعها له فأغار على تلك الأموال وعلى جوهر كان في خزائننا، المناقق بهرام في عصابة مثله وفتاك مستوجبين القتل، فشذبوها وبذروها وذهبوا بما ذهبوا به منها، ولم يتركوا في بيوت أموالنا وخزائننا إلا أسلحة من أسلحتنا لم يقدرروا على تشذيبها والذهاب بها، ولم يرغبوا فيها فلما ارتجعنا بحمد الله ملكا، واستحكمت أمورنا وأدعن لنا الرعية بالطاعة، ودفعنا عنهم البوائق التي كانت حلت بهم، ووجهنا إلى نواحي بلادنا أصهبذين، وولينا دونهم على تلك النواحي فاذوسبانين، واستعملنا على ثغورنا مرازية وولاة ذوي صرامة ومضاء وجلد، وقويننا من ولينا من هؤلاء بالكثيف من الجنود، أثخن هؤلاء الولاة من كان بإزائهم من الملوك المخالفين لنا والعدو وبلغ من غاراتهم عليهم، وقتلهم من قتلوا،

وأسرهم من أسروا منهم، من سنة ثلاث عشرة من ملكنا، ما لم يقدر الرجل من أولئك على إطلاق رأسه في حرم بلاده إلا بخفير، أو خائف، أو بأمان منا، فضلا عن الإغارة على شيء من بلادنا، والتعاطي لشيء مما كرهنا، ووصل في مدة هذه السنين إلى بيوت أموالنا وخزائننا مما غنمنا من بلاد العدو من الذهب والفضة وأنواع الجوهر، ومن النحاس والفرند والحريز والإستبرق والديباج والكراع والأسلحة والسبي والأسراء ما لم يخف عظم خطر ذلك وقدره على العامة، فلما أمرنا في آخر سنة ثلاث عشرة من ملكنا بنقش سكك حديثة، لأنمر فيستأنف ضرب الورق بها، وجد في بيوت أموالنا- على ما رفع إلينا المحصون لما كان فيها من الورق سوى ما أمرنا بعزله من الأموال لأرزاق جنودنا من الورق- مائتا ألف بدره، فيها ثمانمائة ألف ألف مثقال فلما رأينا أننا قد حصنا ثغورنا، ورددنا العدو عنها وعن رعيتنا، وجمعنا مشيت أمرنا، وكعمنأ أفواهم الفاغرة كانت للتلقام ما في أيديهم، وبسطنا فيهم الأمن، وأمنا على نواحي بلادنا الأربع ما كان أهلها فيه من البوائق والمغار، أمرنا باجتماع بقايا السنين، وما انتهب من بيوت أموالنا من ذهب وفضة، ومن خزائننا من جوهر أو نحاس، ورد ذلك كله إلى موضعه، حتى إذا كان في آخر سنه ثلاثين من ملكنا أمرنا بنقش سكك حديثة، يضرب عليها الورق، فوجد في بيوت أموالنا سوى ما أمرنا بعزله من الأموال لأرزاق جنودنا، والأموال التي أحصيت لنا قبل ذلك من الورق أربعمائة ألف بدره، يكون ما فيها ألف ألف مثقال وستمائة ألف ألف مثقال، وذلك سوى ما زادنا الله إلى تلك الأموال، مما أفاء الله بمنه وطوله علينا من أموال ملوك الروم، في سفن أقبلت بها إلينا الريح، فسميناها فيء الرياح، ولم تزل أموالنا من سنة ثلاثين من ملكنا إلى سنة ثمان وثلاثين من ملكنا، التي هي هذه السنة تزدد كثرة ووفورا، وبلادنا عمارة، ورعيتنا أمانا وطمأنينة، وثغورنا وأطرافنا مناعة وحصانة، وقد بلغنا أنك هممت- لرذولة مروءتك- أن تبذر هذه الأموال وثنيها، عن رأي الأشرار العتاة المستوجبين للقتل.

ونحن نعلمك أن هذه الكنوز والأموال لم تجمع إلا بعد المخاطرة بالنفوس، وبعد كد وعناء شديد، لندفع بها العدو المكتنفين لبلاد هذه المملكة، المتقلبين إلى غلبتهم على ما في أيديهم وإنما يقدر على كف أولئك العدو في الأزمان والدهور كلها، بعد عون الله بالأموال والجنود، ولن تقوى الجنود إلا بالأموال، ولا ينتفع بالأموال إلا على كثرتها ووفورها، فلا تهمن بتفرقة هذه الأموال، ولا تجسرن عليها، فإنها كهف للملك وبلادك، وقوة لك على عدوك.

ثم انصرف اسفاذ جشنس إلى شيرويه فقص عليه ما قال له كسرى، ولم يسقط منه حرفا، وإن عظماء الفرس عادوا فقالوا لشيرويه: إنه لا يستقيم أن يكون لنا ملكان، فإما أن تأمر بقتل كسرى، ونحن خولك، المانحوك الطاعة، وإما أن نخلعك ونعطيه الطاعة فهدت شيرويه هذه المقالة وكسرتة، وأمر بقتل كسرى، فانتدب لقتله رجال كان وترهم كسرى، فكلما أتاه

الرجل منهم شتمه كسرى وزبره فلم يقدم على قتله أحد، حتى أتاه شاب يقال له مهر هرمز بن مردان شاه ليقتله، وكان مردان شاه فاذوسبانا لكسرى على ناحية نيرود، وكان من أطوع الناس لكسرى وأنصحهم له، وإن كسرى سأل قبل أن يخلع بنحو من سنتين منجميه وعافته عن عاقبة أمره، وأخبروه أن منيته آتية من قبل نيرود فاتهم مردان شاه، وتحوف ناحيته لعظم قدره، وأنه لم يكن في تلك الناحية من يعدله في القوة والقدرة.

فكتب إليه أن يعجل القدوم عليه، حتى إذا قدم عليه أجال الرأي في طلب علة يقتله بها، فلم يجد عليه عثرة، وتذمم من قتله لما علم من طاعته إياه، ونصيحته له، وتحريه مرضاته فرأى أن يستبقيه، ويأمر بقطع يمينه، ويعوضه منها أموالا عظيمة يجود له بها، فبغى عليه من العلل ما قطع يمينه، وإنما كانت تقطع الأيدي والأرجل وتقطع الأعناق في رحبة الملك.

وإن كسرى أرسل يوم أمر بقطع يده عينا ليأتيه بخبر ما يسمع من مردان شاه وممن بحضرته من النظارة، وإن مردان شاه لما قطعت يمينه قبض عليها بشماله، فقبلها ووضعها في حجره، وجعل يندبها بدمع له دار ويقول:

وا سمحتاه! وا راميتاه! وا كاتبته! وا ضاربتاه! وا لاعتباه! وا كريمته! فانصرف إلى كسرى الرجل الذي كان وجهه عينا عليه، فأخبره بما رأى وسمع منه، فرق له كسرى، وندم على إتيانه في أمره ما أتى، فأرسل إليه مع رجل من العظماء يعلمه ندامته على ما كان منه، وأنه لن يسأله شيئا يجد السبيل إلى بذله له إلا أجابه إليه، وأسعفه به.

فأرسل إلى كسرى مع ذلك الرسول يدعو له، ويقول: إني لم أزل أعرف تفضلك علي أيها الملك، وأشكره لك، وقد تيقنت أن الذي أتيت إلي مع كراحتك إياه، إنما كان سببه القضاء، ولكني سائلك أمرا فأعطني من الأيمان على إسعافك إياي به ما اطمأن إليه،

وليأتني ييقين حلفك على ذلك رجل من النساك، فأفرشك إياه وأبثه لك فانصرف رسول كسرى إلى كسرى بهذه الرسالة، فسارع الى ما سألته مردان شاه، وحلف بالأيمان المغلظة ليجيبه إلى ما هو سألته، ما لم تكن مسألته أمرا يوهن ملكه وأرسل إليه بهذه الرسالة مع رئيس المزمزمين، فأرسل اليه مردان شاه يسأله أن يأمر بضرب عنقه ليمتحي بذلك العار الذي لزمه، فأمر كسرى فضربت عنقه كراهة منه للخنث، زعم. وان كسرى سال مهر هرمز بن مردان شاه، حين دخل عليه عن اسمه، وعن اسم أبيه ومرتبته فأخبره انه مهر هرمز بن مردان شاه، فاذوسبان نيمروذ، فقال كسرى: أنت ابن رجل شريف كثير الغناء، قد كافأناه على طاعته إيانا، ونصيحتته لنا، وغنائه عنا بغير ما كان يستحقه، فشأنك وما أمرت به فضرب مهر هرمز على حبل عاتقه بطبرزين كان بيده ضربات فلم يحك فيه، ففتش كسرى فوجد قد شد في عضده خزره لا يحيك السيف في كل من تعلقها فتزعت من عضده، ثم ضربه بعد ذلك مهر هرمز ضربة فهلك منها. وبلغ شيرويه نخرق جيبه وبكى منتحبا، وأمر بحمل جثته الى الناوروس فحملت، وشيعها العظماء وأفناء الناس. وأمر فقتل قاتل كسرى، وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة، وكان قتله ماه آذر روز ماه وقتل شيرويه سبعة عشر أخا له ذوي أدب وشجاعة ومروءة، بمشورة وزيره فيروز، وتحريض ابن ليزدين - والى عشور الآفاق كان لكسرى، يقال له شمطا - إياه على قتلهم، فابتلي بالأسقام ولم يلتذ بشيء من لذات الدنيا، وكان هلاكه بدسكرة الملك، وكان مشؤما على آل ساسان، فلما قتل إخوته جزع جزعا شديدا ويقال: إنه لما كان اليوم الثاني من اليوم الذي قتلهم فيه، دخلت عليه بوران وآزرميدخت أخته فأسمعتاه وأغلظتا له، وقالتا: حملك الحرص على ملك لا يتم، على قتل أهلك وجميع إخوانك، وارتكبت المحارم! فلما سمع ذلك منهما بكى بكاء شديدا، ورمى بالتاج عن رأسه، ولم يزل أيامه كلها مهموما مدنفا ويقال: إنه أباد من قدر عليه من أهل بيته، وإن الطاعون فشا في أيامه حتى هلك الفرس إلا قليلا منهم وكان ملكه ثمانية أشهر

٢٠٦٠٢٧ ذكر ملك أردشير بن شيرويه

ذكر ملك أردشير بن شيرويه
ثم ملك أردشير بن شيرويه بن ابرويز بن هرمز بن انوشروان، وكان طفلا صغيرا - قيل: إنه كان ابن سبع سنين لأنه لم يكن في أهل بيت المملكة محتك - فملكته عظماء فارس، وحضنه رجل يقال له مهاذرجشنس، وكانت مرتبته رئاسة أصحاب المائدة، فأحسن سياسة الملك، فبلغ من إحكامه ذلك ما لم يحس معه بحدائث سن أردشير وكان شهربراز بثغر الروم في جند ضمهم إليه كسرى وسماهم السعداء، وكان كسرى وشيرويه لا يزالان يكتبان إليه في الأمر يهيمهما، فيستشيرانه فيه، فلما لم يشاوره عظماء فارس في تمليك أردشير. اتخذ ذلك ذريعة إلى التعب والتبغى عليهم، وبسط يده في القتل، وجعله سببا للطمع في الملك، والاعتلاء عند ذلك من ضعة العبودية إلى رفعة الملك، واحتقر أردشير لحدائث سنه واستطال عليهم، وأجمع على دعاء الناس إلى التشاور في الملك ثم أقبل بجنده وقد عمد مهاذرجشنس، فخصن سور مدينة طيسبون وأبوابها، وحول أردشير، ومن بقي من نسل الملك ونسائهم، وما كان في بيت مال أردشير من ماله وخزائنه وكراعه إلى مدينة طيسبون وكان الذين اقبل فيهم من الجند شهربراز ستة آلاف رجل من جند فارس بثغر الروم، فأناخ إلى جانب مدينة طيسبون، وحاصر من فيها وقاتلهم عنها، ونصب المجانيق عليها فلم يصل إليها فلما رأى عجزه عن افتتاحها أتاها من قبل المكيدة، فلم يزل يخذع رجلا يقال له نيوخسروا، وكان رئيس حرس أردشير ونامدار جشنس بن آذر جشنس، أصهبذ نيمروذ، حتى فتح له باب المدينة فدخلها، فأخذ جماعة من الرؤساء فقتلهم، واستصفى أموالهم، وفضح نساءهم وقتل ناس بأمر شهربراز أردشير بن شيرويه، سنة اثنتين ماه بهمن، ليلة روز آبان في ايوان خسرو شاه قباد. وكان ملكه سنه وستة أشهر

٢٠٦٠٢٨ ذكر ملك شهربراز

٢٠٦٠٢٩ ذكر ملك بوران بنت كسرى ابرويز

ذكر ملك شهربراز

ثم ملك شهربراز، وهو فرخان ماه اسفنديار، ولم يكن من أهل بيت المملكة، ودعا نفسه ملكا وإنه حين جلس على سرير الملك ضرب عليه بطنه، وبلغ من شدة ذلك عليه أنه لم يقدر على إتيان الخلاء، فدعا بطست فوضع أمام ذلك السرير فتبرز فيه وإن رجلا من أهل إصطخر، يقال له فسفروخ بن ما خرشيدان وأخوين له، امتعضوا من قتل شهربراز أردشير وغلبته على الملك، وأنفوا من ذلك، وتحالفوا وتعاهدوا على قتله، وكانوا جميعا في حرس الملوك، وكان من السنة إذا ركب الملك أن يقف له حرسه سمطين، عليهم الدروع والبيض والترسة والسيوف، وبأيديهم الرماح، فإذا حاذى بهم الملك وضع كل رجل منهم نرسه على قريوس سرجه، ثم وضع جبهته عليه كهيئة السجود وان شهربراز ركب بعد أن ملك بأيام فوقف فسفروخ وأخواه، قريبا بعضهم من بعض، فلما حاذى بهم شهربراز طعنه فسفروخ، ثم طعنه أخواه، وكان ذلك اسفندارمذ ماه، وروز دي بدین، فسقط عن دابته ميتا، فشدوا في رجله حبلا وجروه إقبالا وإدبارا، وساعدتهم على قتله رجل من العظماء يقال له زاذان فروخ بن شهرداران، ورجل يقال له ماهيائي، كان مؤدب الأساورة، وكثير من العظماء وأهل البيوتات، وعاونوهم على قتل رجال فتكوا بأردشير بن شيرويه، وقتلوا رجلا من العظماء وإنهم ملكوا بوران بنت كسرى.

وكان جميع ما ملك شهربراز اربعين يوما

. ذكر ملك بوران بنت كسرى ابرويز

ثم ملكت بوران بنت كسرى ابرويز بن هرمز بن كسرى انوشروان، فذكر أنها قالت يوم ملكت: البر أنوي وبالعدل آمر، وصيرت مرتبه شهربراز لفسفروخ، وقلدته وزارتها، وأحسننت السيرة في رعيتهما، وبسطت العدل فيهم، وأمرت بضرب الورق ورم القناطر والجسور، ووضعت بقايا بقيت من الخراج على الناس عنهم، وكتبت إلى الناس عامة كتباً أعلمتهم ما هي عليه من الإحسان

٢٠٦٠٣٠ ذكر ملك جشنسده

٢٠٦٠٣١ ذكر ملك آرميدخت بنت كسرى ابرويز

إليهم، وذكرت حال من هلك من أهل بيت المملكة، وأنها ترجو أن يريهم الله من الرفاهة والاستقامة بمكانها ما يعرفون به أنه ليس ببطش الرجال تدوخ البلاد، ولا ببأسهم تستباح العساكر، ولا بمكايدهم ينال الظفر وتطفأ النواثر، ولكن كل ذلك يكون بالله عز وجل، وأمرتهم بالطاعة وحضتهم على المناصحة، وكانت كتبها جماعة لكل ما يحتاج إليه، وإنها ردت خشبة الصليب على ملك الروم مع جاثليق يقال له إيشوعهيب.

وكان ملكها سنه واربعه اشهر

ذكر ملك جشنسده

ثم ملك بعدها رجل يقال له: جشنسده، من بني عم ابرويز الأبعدين.

وكان ملكه اقل من شهر

. ذكر ملك آرميدخت بنت كسرى ابرويز

ثم ملكت آرميدخت بنت كسرى ابرويز بن هرمز بن كسرى انوشروان، ويقال إنها كانت من أجمل نساءهم، وإنها قالت حين ملكت:

منهاجنا منهاج أيينا كسرى المنصور، فإن خالفنا أحد هرقنا دمه ويقال: إنه كان عظيم فارس يومئذ فرخهرمز إصبيذ خراسان، فأرسل إليها يسألها أن تزوجه نفسها، فأرسلت إليه: إن التزوج للملكة غير جائز، وقد علمت أن دهرك فيما ذهبت إليه قضاء حاجتك وشهوتك مني، فصر إلي ليلة كذا وكذا ففعل فرخهرمز وركب إليها في تلك الليلة، وتقدمت آرميدخت إلى صاحب حرسها أن يترصده في الليلة التي تواعدا الالتقاء فيها حتى يقتله فنفذ صاحب حرسها لأمرها، وأمرت به فجر برجله، وطرح في رحبة دار المملكة، فلما أصبحوا

وجدوا فرخهرمز قتيلا، فأمرت بجثته فغيبت، وعلم أنه لم يقتل إلا لعظيمة وكان رستم بن فرخهرمز صاحب يزدجرد الذي وجه بعد لقتال العرب خليفة أبيه بخراسان، فلما بلغه الخبر أقبل في جند عظيم حتى نزل المدائن، وسمل

٢٠٦٠٣٢ كسرى بن مهرانجشنس

٢٠٦٠٣٣ ذكر ملك خرزا خسروا

٢٠٦٠٣٤ ذكر ملك فيروز بن مهرانجشنس

عيني آرميدخت، وقتلها وقال بعضهم: بل سمت.

وكان ملكها سته أشهر

. كسرى بن مهرانجشنس

ثم أتى برجل من عقب أردشير بن بابك كان ينزل الأهواز يقال له:

كسرى بن مهرانجشنس، فلكه العظماء، ولبس التاج، وجلس على سرير الملك، وقتل بعد أن ملك بايام

. ذكر ملك خرزا خسروا

وقيل إن الذي ملك بعد آرميدخت خرزاذ خسروا من ولد أبرويز.

وقيل: إنه وجد بحصن يعرف بالحجارة بالقرب من نصيبين، فلما صار إلى المدائن مكث أياما يسيرة، ثم استعصوا عليه وخالفوه

. ذكر ملك فيروز بن مهرانجشنس

وقال الذين قالوا: ملك بعد آرميدخت كسرى بن مهرانجشنس: لما قتل كسرى بن مهرانجشنس، طلب عظماء فارس من يملكونه

من أهل بيت المملكة، فطلبوا من له عنصر من أهل ذلك البيت ولو من قبل النساء، فأتوا برجل كان يسكن ميسان، يقال له فيروز

بن مهرانجشنس، ويسمى أيضا جشندة قد ولدته صهاربخت بنت يزداندار بن كسرى انوشروان، فلكوه كرها.

وكان رجلا ضخم الرأس، فلما توج قال: ما أضيق هذا التاج! فتطير العظماء من افتتاحه كلامه بالضيق، وقتلوه بعد أن ملك أياما.

ومن الناس من يقول: قتل ساعه تكلم بما تكلم به

٢٠٦٠٣٥ ذكر ملك فرخزاذ خسروا

٢٠٦٠٣٦ ذكر ملك يزدجرد بن شهريار

ذكر ملك فرخزاذ خسروا

وقال قائل هذا القول: ثم شخص رجل من العظماء يقال له زاذي ولمرتبه رئيس الخول إلى موضع في ناحية المغرب قريب من نصيبين،

يقال له: حصن الحجارة، فأقبل بابن لكسرى كان نجا إلى ذلك القصر حين قتل شيرويه بني كسرى يقال له: فرخزاذ خسروا إلى

مدينة طيسبون، فانقاد له الناس زمنا يسيرا، ثم استعصوا عليه وخالفوه، فقال بعضهم: قتلوه وكان ملكه ستة أشهر

. ذكر ملك يزدجرد بن شهريار

وقال بعضهم كان أهل إصطخر ظفروا بيزدجرد بن شهريار بن كسرى بإصطخر، قد هرب به إليها حيث قتل شيرويه إخوته، فلما بلغ

عظماء أهل إصطخر أن من بالمدائن خالفوا فرخزاذ خسروا، أتوا بيزدجرد بيت نار يدعى بيت نار أردشير، فتوجه هنالك، وملكوه-

وكان حدثا- ثم أقبلوا به إلى المدائن، وقتلوا فرخزاذ خسروا بحيل احتالوها لقتله بعد أن ملك سنة.

وساغ الملك ليزدجرد، غير أن ملكه كان عند ملك آبائه كاخيل والحلم، وكانت العظماء والوزراء يدبرون ملكه لحداثة سنه، وكان

أشداهم نباهة في وزرائه وأذكاهم رئيس الخول وضعف أمر مملكة فارس، واجترأ عليه أعداؤه من كل وجه، وتطرفوا بلاده وأخربوا

منها، وغزت العرب بلاده بعد أن مضت سنتان من ملكه وقيل بعد أن مضى أربع سنين من ملكه.

وكان عمره كله إلى أن قتل ثمانيا وعشرين سنة.

وقد بقي من أخبار يزدجرد هذا وولده أخبار سآذكرها إن شاء الله بعد في مواضعها من فتوح المسلمين وما فتحوا من بلاد العجم، وما آل إليه أمره وأمر ولده.

فجميع ما مضى من السنين من لدن أهبط آدم إلى الأرض، إلى وقت هجرة النبي ص وسلّم - على ما يقوله أهل الكتاب من اليهود، وتزعم أنه في التوراة الصورة مثبت من أعمار الأنبياء والملوك - أربعة آلاف سنة وستمائة

سنة واثنان وأربعون سنة وأشهر وأما على ما تقوله النصارى مما تزعم أنه في توراة اليونانية، فإن ذلك خمسة آلاف سنة وتسعمائة سنة واثنان وتسعون سنة وأشهر.

وأما جميع ذلك على قول المجوس من الفرس، فإنه أربعة آلاف سنة ومائة سنة واثنان وثمانون سنة وعشرة أشهر وتسعة عشر يوماً، على أنه داخل في ذلك مدة ما بين وقت الهجرة ومقتل يزدجرد، وذلك ثلاثون سنة وشهران وخمسة عشر يوماً، وعلى أن حسابهم ذلك وابتداء تأريخهم من عهد جيومرت، وجيومرت هو آدم أبو البشر، الذي إليه نسبة كل منتسب من الإنس، على ما قد بينت في كتابي هذا.

وأما علماء الإسلام فقد ذكرت قبل ما قال فيه بعضهم، وأذكر بعض من لم يمحض ذكره منهم الآن، فإنهم قالوا: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، والقرن مائة سنة، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون، والقرن مائة سنة، وبين إبراهيم وموسى بن عمران عشرة قرون، والقرن مائة سنة. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا همام، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق.

حدثني الحارث بن محمد، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، عن غير واحد من أهل العلم، قالوا: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، والقرن مائة سنة، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون، والقرن مائة سنة، وبين إبراهيم وموسى بن عمران عشرة قرون، والقرن مائة سنة.

وروي عن عبد الرحمن بن مهدي، عن أبي عوانة، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان، عن سلمان، قال: الفتره بين محمد وعيسى ع ستمائة سنة.

وروي عن فضيل بن عبد الوهاب، عن جعفر بن سليمان، عن عوف، قال: كان بين عيسى وموسى ستمائة سنة.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن علية، عن سعيد بن أبي صدقة، عن محمد بن سيرين، قال: بُنْتُ أَنْ كَعْبًا قَالَ: إِنَّ قَوْلَهُ: «يَا أُخْتَ هَارُونَ» لَيْسَ بِهَارُونَ أَخِي مُوسَى، قَالَ: فَقَالَتْ لَهُ عَالِشَةُ:

كَذَبْتَ، قَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ص قَالَ فَهُوَ أَعْلَمُ وَأَخْبَرُ، وَإِلَّا فَإِنِّي أَجِدُ بَيْنَهُمَا سِتْمَائَةَ سَنَةٍ قَالَ: فَسَكَتَتْ.

حدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا هشام، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: كان بين موسى بن عمران وعيسى بن مريم الف سنة وتسعمائة سنة، ولم يكن بينهما فترة، وإنه أرسل بينهما ألف نبي من بني إسرائيل، سوى من أرسل من غيرهم، وكان بين ميلاد عيسى والنبي خمس مائة وتسع وستون سنة، بعث في أولها ثلاثة أنبياء، وهو قوله: «إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ»، والذي عزز به شمعون، وكان من الخواريين، وكانت الفترة التي لم يبعث الله فيها رسولا أربع مائة وأربعاً وثلاثين سنة، وإن عيسى حين رفع كان ابن اثنتين وثلاثين سنة وستة أشهر، وكانت نبوته ثلاثين شهراً، وإن الله رفعه بجسده، وإنه حي الآن.

حدثني محمد بن سهل بن عسكر، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: حدثني عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهبا يقول: قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستائه سنة.
 حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ صَالِحٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ أَيُّوبَ الْحَضْرَمِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَسْرٍ، قَالَ: [قال لي رسول الله ص: لَتُدْرِكَنَّ قَرْنًا، فَعَاشَ مِائَةَ سَنَةٍ]

فهذا ما روي عن علماء الإسلام في ذلك، وفي ذلك من قولهم تفاوت شديد، وذلك أن الواقدي، حكى عن جماعة من أهل العلم أنهم قالوا ما ذكرت عنه أنه رواه عنهم وعلى ذلك من قوله، ينبغي أن يكون جميع سني الدنيا إلى مولد نبينا ص اربعة آلاف سنة وستائه سنة، وعلى قول ابن عباس الذي رواه هشام بن محمد، عن أبيه، عن أبي صالح، عنه، ينبغي أن يكون إلى مولد النبي ص خمسة آلاف سنة وخمسائة سنة.

وأما وهب بن منبه فقد ذكر جملة من قوله من غير تفصيل، وأن ذلك إلى زمنه خمسة آلاف سنة وستائه سنة، وجميع مدة الدنيا عند وهب ستة آلاف سنة، وقد كان مضى عنده من ذلك إلى زمانه خمسة آلاف سنة وستائه سنة وكانت وفاة وهب بن منبه سنة أربع عشرة ومائة من الهجرة، فكان الباقي من الدنيا على قول وهب من وقتنا الذي نحن فيه، مائتا سنة وخمس عشرة سنة.
 وهذا القول الذي قاله وهب بن منبه موافق لما رواه أبو صالح، عن ابن عباس.

وقال بعضهم: من وقت هبوط آدم ع إلى ان بعث نبينا ص ستة آلاف سنة ومائة وثلاث عشرة سنة، وذلك أن عنده من مهبط آدم إلى الأرض إلى الطوفان ألفي سنة ومائتي سنة وستا وخمسين سنة ومن الطوفان إلى مولد إبراهيم خليل الرحمن ألف سنة وتسعا وسبعين سنة، ومن مولد إبراهيم إلى خروج موسى ببني إسرائيل من مصر خمسمائة سنة وخمسا وستين سنة، ومن خروج موسى ببني إسرائيل من مصر إلى بناء بيت المقدس - وذلك لأربع سنين من ملك سليمان بن داود - ستائه سنة وستا وثلاثين سنة، ومن بناء بيت المقدس إلى ملك الاسكندر سبعمائة سنة وسبع عشرة سنة، ومن ملك الاسكندر إلى مولد عيسى بن مريم ع ثلاثمائة سنة وتسعا وستين سنة، ومن مولد عيسى إلى مبعث محمد ص خمسمائة سنة وإحدى وخمسين سنة، ومن مبعثه إلى هجرته من مكة إلى المدينة ثلاث عشرة سنة.

وَقَدْ حَدَّثَ بَعْضُهُمْ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: كَانَ مِنْ آدَمَ إِلَى نُوحٍ أَلْفَا سَنَةً وَمِائَتَا سَنَةٍ، وَمِنْ نُوحٍ إِلَى إِبْرَاهِيمَ أَلْفُ سَنَةٍ وَمِائَةِ سَنَةٍ وَثَلَاثٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً، وَمِنْ إِبْرَاهِيمَ إِلَى مُوسَى خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ وَخَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، وَمِنْ مُوسَى إِلَى دَاوُدَ مِائَةُ سَنَةٍ وَتِسْعٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، وَمِنْ دَاوُدَ إِلَى عِيسَى أَلْفُ سَنَةٍ وَثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً، وَمِنْ عِيسَى إِلَى مُحَمَّدٍ سِتْمِائَةِ سَنَةٍ.

وَحَدَّثَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ أَنَّهُ قَالَ: مِنْ آدَمَ إِلَى الطُّوفَانِ أَلْفَا سَنَةً وَمِائَتَا سَنَةٍ وَسِتٌّ وَخَمْسُونَ سَنَةً، وَمِنْ الطُّوفَانِ إِلَى وَفَاةِ إِبْرَاهِيمَ أَلْفُ سَنَةٍ وَعِشْرُونَ سَنَةً، وَمِنْ وَفَاةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى دُخُولِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِصْرَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، وَمِنْ دُخُولِ يَعْقُوبَ مِصْرَ إِلَى خُرُوجِ مُوسَى مِنْ مِصْرَ إِلَى بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ وَخَمْسُونَ سَنَةً، وَمِنْ بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى مَلِكِ بَخْتَنْصَرٍ وَخَرَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَرْبَعَمِائَةِ سَنَةٍ وَسِتٌّ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَمِنْ مَلِكِ بَخْتَنْصَرٍ إِلَى مَلِكِ الْإِسْكَانْدَرِ أَرْبَعَمِائَةِ سَنَةٍ وَسِتٌّ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، وَمِنْ مَلِكِ الْإِسْكَانْدَرِ إِلَى سَنَةِ سِتٍّ وَمِائَتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ أَلْفُ سَنَةٍ وَمِائَتَانِ وَخَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً

٢٠٧ القول في السيرة النبوية

٢٠٧٠١ ذكر نسب رسول الله ص

[القول في السيرة النبوية]

ذكر نسب رسول الله ص

وذكر بعض أخبار آبائه وأجداده اسم رسول الله ص، وهو ابن عبد الله بن عبد المطلب، وكان عبد الله أبو رسول الله أصغر ولد أبيه، وكان عبد الله والزبير وعبد مناف- وهو أبو طالب- بنو عبد المطلب لأم واحدة، وأمهم جميعا فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، حدثنا بذلك ابن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق.

وحدثت عن هشام بن محمد، عن أبيه، أنه قال: عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله، وأبو طالب- واسمه عبد مناف- والزبير، وعبد الكعبة، وعاتكة، وبرة، وأميمة، ولد عبد المطلب إخوة، أم جميعهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة.

وكان عبد المطلب- فيما حدثني يونس بن عبد الأعلى- قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن قبيصة بن ذؤيب، أنه أخبره أن امرأة نذرت أن تخر ابنها عند الكعبة في أمر إن فعلته، ففعلت ذلك الأمر، فقدمت المدينة لتستفتي عن نذرها، فجاءت عبد الله بن عمر، فقال لها عبد الله بن عمر: لا أعلم الله أمر في النذر إلا الوفاء به، فقالت المرأة: أفأنخر ابني؟ قال ابن عمر: قد نهاكم الله أن تقتلوا أنفسكم، فلم يزدها عبد الله بن عمر على ذلك، فجاءت عبد الله بن عباس فاستفتته، فقال: أمر الله بوفاء النذر والنذر دين، ونهاكم أن تقتلوا أنفسكم- وقد كان عبد المطلب بن هاشم نذر إن توفى له عشرة رهط، أن ينخر أحدهم، فلما توفى له عشرة، أقرع بينهم أيهم ينخر؟ فطارت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب، وكان أحب الناس إلى عبد المطلب، فقال عبد المطلب: اللهم هو أو مائة من الإبل، ثم أقرع بينه وبين الإبل، فطارت

القرعة- على المائة من الإبل- فقال ابن عباس للمرأة: فأرى أن تخري مائة من الإبل مكان ابنك فبلغ الحديث مروان، وهو أمير المدينة، فقال: ما أرى ابن عمر ولا ابن عباس أصابا الفتيا، إنه لا نذر في معصية الله، استغفري الله وتوبي إلى الله، وتصدي واعلمي ما استطعت من الخير، فأما أن تخري ابنك فقد نهاك الله عن ذلك فسر الناس بذلك، وأعجبهم قول مروان، ورأوا أنه قد أصاب الفتيا، فلم يزالوا يفتون بآلا نذر في معصية الله.

وأما ابن إسحاق، فإنه قص من أمر نذر عبد المطلب هذا قصة، هي أشيع مما في هذا الخبر الذي ذكرناه عن ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب، وذلك ما حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، قال: كان عبد المطلب بن هاشم- فيما يذكرون والله أعلم- قد نذر حين لقي من قريش في حفر زمزم ما لقي: لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه، لينحرن أحدهم لله عند الكعبة، فلما توفى له بنوه عشرة، وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم ثم أخبرهم بنذره الذي نذر، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه، وقالوا: كيف نصنع؟ قال: يأخذ كل رجل منكم قدحا، ثم يكتب فيه اسمه، ثم ائتوني به ففعلوا، ثم أتوه، فدخل على هبل في جوف الكعبة، وكانت هبل أعظم أصنام قريش بمكة، وكانت على بئر في جوف الكعبة، وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة، وكان عند هبل سبعة أقدح، كل قدح منها فيه كتاب: قدح فيه العقل، وإذا اختلفوا في العقل من يحمله منهم ضربوا بالقدح السبعة، فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله، وقدح فيه: نعم للأمر إذا ارادوه

يضرب به، فإن خرج قدح: نعم عملوا به، وقدح فيه لا، فإذا أرادوا أمرا ضربوا به في القدح، فإذا خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر، وقدح فيه منكم، وقدح فيه ملصق، وقدح فيه من غيركم، وقدح فيه المياه إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقدح، وفيها ذلك القدح، فحيثما خرج عملوا به وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاما، أو ينكحوا منكحها، أو يدفنوا ميتا، أو شكوا في نسب أحد منهم ذهبوا به إلى هبل وبمائة درهم وجزور، فأعطوها صاحب القدح الذي يضربها، ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون، ثم قالوا: يا إلهنا، هذا ابن فلان، قد أردنا به كذا وكذا، فأخرج الحق فيه، ثم يقولون لصاحب القدح: اضرب، فيضرب فإن خرج عليه منكم كان وسيطا وإن خرج عليه من غيركم كان حليفا، وإن خرج عليه ملصق كان على منزلته منهم، لا نسب له ولا حلف، وإن خرج في شيء سوى هذا مما يعملون به نعم عملوا به، وإن خرج لا أخروه عامهم ذلك حتى يأتوا به مرة أخرى، ينتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القدح- فقال عبد المطلب لصاحب القدح: اضرب على بني هؤلاء بقداحهم هذه، وأخبره بنذره الذي نذر، فأعطى كل رجل منهم قدحه الذي فيه اسمه- وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغر بني أبيه، وكان فيما يزعمون أحب ولد عبد المطلب إليه،

وكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى، وهو أبو رسول الله ص- فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها، قام عبد المطلب عند هبل في جوف الكعبة يدعو الله، ثم ضرب صاحب القداح، فخرج القدح على عبد الله، فأخذ عبد المطلب بيده، وأخذ الشفرة، ثم أقبل إلى إساف ونائلة- وهما وثنا قريش اللذان تخر عندهما ذبائحهما- ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديتها، فقالوا: ماذا تريد يا عبد المطلب؟ قال: أذبحه

فقال له قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه، لئن فعلت هذا، لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه، فما بقاء الناس على هذا! فقال له المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم- وكان عبد الله ابن أخت القوم:-

والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه وقالت له قريش وبنوه: لا تفعل وانطلق به إلى الحجاز، فإن به عرافة لها تابع، فسلها، ثم أنت على رأس أمرك، إن أمرتك أن تذبحه ذبحته، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته.

فانطلقوا حتى قدموا المدينة، فوجدوها- فيما يزعمون- بخير، فركبوا إليها حتى جاءوها، فسألوها، وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه، وما أراد به، ونذره فيه فقالت لهم: ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله.

فرجعوا عنها، فلما خرجوا من عندها، قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها، فقالت: نعم، قد جاءني الخبر، كم الدية فيكم؟ قالوا: عشر من الإبل- وكانت كذلك- قالت: فارجعوا إلى بلادكم، ثم قربوا صاحبكم.

وقربوا عشرا من الإبل، ثم ضربوا عليها وعليه بالقداح، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا في الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها، فقد رضي ربكم، ونجا صاحبكم.

فخرجوا حتى قدموا مكة، فلما أجمعوا لذلك من الأمر قام عبد المطلب يدعو الله، ثم قربوا عبد الله وعشرا من الإبل- وعبد المطلب في جوف الكعبة عند هبل يدعو الله- فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرا، فكانت الإبل عشرين، وقام عبد المطلب في مكانه ذلك يدعو الله، ثم ضربوا نفرج السهم على عبد الله، فزادوا عشرا من الإبل، فكانت ثلاثين، ثم لم يزالوا يضربون بالقداح ويخرج القدح على عبد الله، فكلما خرج عليه زادوا من الإبل عشرا، حتى ضربوا عشر مرات، وبلغت الإبل مائة، وعبد المطلب قائم يدعو، ثم ضربوا نفرج القدح على الإبل، فقالت قريش ومن حضر:

قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب فزعموا أن عبد المطلب قال: لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات، ف ضربوا على الإبل وعلى عبد الله، وقام عبد المطلب يدعو نفرج القدح على الإبل، ثم عادوا الثانية وعبد المطلب قائم يدعو، ثم عادوا الثالثة ف ضربوا، فخرج القدح على الإبل فنحرت، ثم تركت لا يصد عنها إنسان ولا سبع.

ثم انصرف عبد المطلب آخذا بيد ابنه عبد الله، فر- فيما يزعمون- على امرأه من بني أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، يقال لها: أم قتال بنت نوفل بن أسد بن عبد العزى، وهي أخت ورقة بن نوفل بن أسد، وهي عند الكعبة، فقالت له حين نظرت إلى وجهه: أين تذهب يا عبد الله؟ قال: مع أبي، قالت:

لك عندي مثل الإبل التي نحرت عنك، وقع علي الآن، قال: إن معي أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة- وهب يومئذ سيد بني زهرة سنا وشرفا- فزوجه آمنة بنت وهب، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا، وهي لبرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي، وبرة لأم حبيب بنت اسد ابن عبد العزى بن قصي، وأم حبيب بنت أسد لبرة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي فرعموا أنه دخل عليها حين ملكها مكانه فوقع عليها، فحملت بحمد ص ثم خرج من عندها، حتى أتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت، فقال لها: مالك لا تعرضين علي اليوم ما كنت عرضت علي بالأمس؟ فقالت له: فارقك النور الذي كان معك بالأمس، فليس لي بك اليوم حاجة وقد كنت تسمع من أخيها ورقة ابن نوفل، وكان قد تنصر واتبع الكتب، حتى أدرك، فكان فيما طلب من ذلك أنه كائن لهذه الأمة نبي من بني إسماعيل.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن أبيه إسحاق بن يسار، أنه حدث أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، وقد عمل في طين له، وبه آثار من الطين، فدعاها إلى نفسه، فأبطأت عليه لما

رأت به من آثار الطين، فخرج من عندها، فتوضأ وغسل عنه ما كان به من ذلك، وعمد إلى آمنة فدخل عليها فأصابها، فحملت بمحمد ص، ثم مر بامرأته تلك، فقال: هل لك؟ فقالت: لا، مررت بي وبين عينيك غرة، فدعوتني فأبيت، ودخلت على آمنة فذهبت بها فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدث أنه مر بها وبين عينيه مثل غرة الفرس، قالت: فدعوته رجاء أن يكون بي، فأبى علي، ودخل على آمنة بنت وهب فأصابها، فحملت برسول الله ص.

حدثني علي بن حرب الموصلي، قال: حدثنا محمد بن عمار القريشي، قال: حدثنا الزنجي بن خالد، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: لما خرج عبد المطلب بعبد الله ليزوجه، مر به على كاهنة من خثعم، يقال لها فاطمة بنت مر، متهودة من أهل تبالة، قد قرأت الكتب، فرأت في وجهه نورا، فقالت له: يا فتى، هل لك أن تقع علي الآن وأعطيك مائة من الإبل؟ فقال:

أما الحرام فآلممت دونه ... والحل لا حل فأسستينه فكيف بالأمر الذي تبغينه

ثم قال: أنا مع أبي ولا أقدر أن أفارقه، ففضى به، فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فأقام عندها ثلاثا ثم انصرف فر بالخنعية فدعته نفسه إلى ما دعت إليه، فقال لها: هل لك فيما كنت أردت؟ فقالت: يا فتى، إني والله ما أنا بصاحبة ربية، ولكني رأيت في وجهك نورا فأردت أن يكون في، وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد، ففأصنعت بعدي؟ قال:

زوجني أبي آمنة بنت وهب، فأقت عندها ثلاثا، فأنشأت فاطمة بنت مر تقول:
إني رأيت مخيله لمعت ... فتلاأت بخنائم القطر
فلبأتها نورا يضيء له ... ما حوله كإضاءة البدر
فزوجتها نفرا أبوه به ... ما كل قاذج زنده يوري
لله ما زهرية سلبت ... ثوبك ما استلبت وما تدري!

وقالت أيضا:

بني هاشم قد غادرت من أخيك ... امينه إذ للباه تعتركان
كما غادر المصباح عند نحموده ... فتائل قد ميئت له بدهان
وما كل ما يحوي الفتى من تلاده ... لعزم ولا ما فاته لتوان
فأجمل إذا طالبت أمرا فإنه ... سيكفيكه جدان يعتلجان

ابن عبد المطلب

سيكفيكه إما يد مقفلة ... وإما يد مبسوطة بينان

ولما حوت منه أمينة ما حوت ... حوت منه نفرا ما لذلك ثان
حدثني الحارث بن محمد، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر قال: حدثنا معمر وغيره، عن الزهري، أن عبد الله بن عبد المطلب كان أجمل رجال قريش، فذكر لآمنة بنت وهب جماله وهيئته، وقيل لها:

هل لك أن تزوجه! فتزوجته آمنة بنت وهب، فدخل بها، وعلقت برسول الله ص، وبعثه أبوه إلى المدينة في ميرة يحمل لهم تمرا، فمات بالمدينة، فبعث عبد المطلب ابنه الحارث في طلبه حين أبطأ، فوجده قد مات.

قال الواقدي: هذا غلط، واجتمع عليه عندنا في نكاح عبد الله بن عبد المطلب ما حدثنا به عبد الله بن جعفر الزهري، عن أم بكر بنت المسور، أن عبد المطلب جاء بابنه عبد الله، فخطب على نفسه وعلى ابنه، فتزوجا في مجلس واحد، فتزوج عبد المطلب هالة بنت أهيب

بن عبد مناف بن زهرة، وتزوج عبد الله ابن عبد المطلب آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة. قَالَ الْحَارِثُ: قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَالثَّبْتُ عِنْدَنَا، لَيْسَ بَيْنَ أَصْحَابِنَا فِيهِ اخْتِلَافٌ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلُبِ أَقْبَلَ مِنَ الشَّامِ فِي عِيرٍ لِقْرِيشٍ، فَزَلَّ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى تَوَفَّى، وَدُفِنَ فِي دَارِ النَّابِغَةِ- وَقِيلَ التَّابِعَةُ- فِي الدَّارِ الصَّغْرَى إِذَا دَخَلْتَ الدَّارَ عَنْ يَسَارِكَ، لَيْسَ بَيْنَ أَصْحَابِنَا فِي هَذَا اخْتِلَافٌ. ابن عبد المطلب

وعبد المطلب اسمه شيبية، سمي بذلك، لأنه فيما حدثت عن هشام بن محمد، عن أبيه: كان في رأسه شيبية. وقيل له عبد المطلب، وذلك أن أباه هاشما كان شخص في تجارة له

إلى الشام، فسلك طريق المدينة إليها، فلما قدم المدينة نزل- فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق وفيما حدثت عن هشام ابن محمد عن أبيه وفيما حدثني الحارث، عن محمد بن سعد، عن محمد بن عمر، ودخل حديث بعضهم في بعض، وبعضهم يزيد على بعض- على عمرو بن زيد بن لبيد الخزرجي، فرأى ابنته سلمى بنت عمرو- وأما ابن حميد فقال في حديثه عن سلمة، عن ابن إسحاق: سلمى بنت زيد بن عمرو- ابن لبيد بن حرام بن خدّاش بن جندب بن عدي بن النجار فأعجبته، فخطبها إلى أبيها عمرو، فأنكحه إياها، وشرط عليه ألا تلد ولدا إلا في أهلها، ثم مضى هاشم لوجهته قبل أن يبني بها، ثم انصرف راجعا من الشام، فبنى بها في أهلها بيثرب، فحملت منه ثم ارتحل إلى مكة وحملها معه، فلما أثقلت ردها إلى أهلها، ومضى إلى الشام فمات بها بغزة، فولدت له سلمى عبد المطلب، فمكث بيثرب سبع سنين أو ثماني سنين ثم إن رجلا من بني الحارث بن عبد مناة مر بيثرب، فإذا غلمان ينتضلون، فجعل شيبية إذا خسق قال: أنا ابن هاشم، أنا ابن سيد البطحاء، فقال له الحارثي: من أنت؟ قال: أنا شيبية بن هاشم بن عبد مناف فلما أتى الحارثي مكة، قال للمطلب وهو جالس في الحجر:

يا أبا الحارث، تعلم أنني وجدت غلمانا ينتضلون بيثرب، وفيهم غلام إذا خسق قال: أنا ابن هاشم، أنا ابن سيد البطحاء فقال المطلب: والله لا أرجع إلى أهلي حتى آتي به، فقال له الحارثي: هذه ناقتي بالفناء فاركبها، فجلس المطلب عليها، فورد يثرب عشاء، حتى أتى بني عدي بن النجار، فإذا غلمان يضربون كرة بين ظهري مجلس، فعرف ابن أخيه فقال للقوم: أهذا ابن هاشم؟ قالوا: نعم، هذا ابن أخيك، فإن كنت تريد أخذه فالساعة قبل أن تعلم به أمه، فإنها إن علمت لم تدعه، وحلنا بينك وبينه فدعاه، فقال: يا بن أخي، أنا عمك، وقد أردت الذهاب بك إلى قومك- واناخ

راحلته- فما كذب أن جلس على عجز الناقة، فانطلق به، ولم تعلم به أمه حتى كان الليل، فقامت تدعو بحريها على ابنها، فأخبرت أن عمه ذهب به، وقدم به المطلب ضحوة، والناس في مجالسهم، فجعلوا يقولون: من هذا وراءك؟

فيقول: عبد لي، حتى أدخله منزله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم، فقالت: من هذا؟ قال: عبد لي، ثم خرج المطلب حتى أتى الحزورة، فاشتري حلة فألبسها شيبية، ثم خرج به حين كان العشي إلى مجلس بني عبد مناف، فجعل بعد ذلك يطوف في سكك مكة في تلك الحلة، فيقال:

هذا عبد المطلب، لقوله: هذا عبيدي حين سأله قومه، فقال المطلب:

عرفت شيبية والنجار قد جعلت ... ابناؤها حوله بالنبل تنتضل

وقد حدثني هذا الحديث علي بن حرب الموصلي، قال: حدثني أبو معن عيسى- من ولد كعب بن مالك- عن محمد بن أبي بكر الأنصاري، عن مشايخ الأنصار، قالوا: تزوج هاشم بن عبد مناف امرأة من بني عدي بن النجار، ذات شرف، تشرط على من خطبها المقام بدار قومها، فتزوجت بهاشم، فولدت له شيبية الحمد، فربى في أخواله مكروما، فبينما هو يناضل فتيان الأنصار إذ أصاب خصلة، فقال: أنا ابن هاشم وسمعه رجل مجتاز فلما قدم مكة، قال لعمه المطلب بن عبد مناف: قد مررت بدار بني قيلة فرأيت فتى من صفته ومن صفته يناضل فتيانهم، فاعتزى إلى أخيك، وما ينبغي ترك مثله في الغربة فرحل المطلب حتى ورد المدينة، فأراد على الرحلة، فقال: ذاك إلى الوالدة، فلم يزل بها حتى أذنت له، وأقبل به قد أردفه، فإذا لقيه اللاقي وقال: من هذا يا مطلب؟ قال: عبد لي، فسمي عبد المطلب

فلما قدم مكة وقفه على ملك أبيه، وسلمه إليه، فعرض له نوفل بن عبد مناف في ربح له، فاغتصبه إياه، فمضى عبد المطلب إلى رجالات قومه، فسألهم النصرة على عمه، فقالوا: لسنا بداخلين بينك وبين عمك، فلما رأى ذلك كتب إلى أخواله يصف لهم حال نوفل، وكتب في كتابه:

أبلغ بني النجار إن جئتهم ... إني منهم وابنهم والخميس
رأيهم قوما إذا جئتهم ... هووا لقائي وأحبوا حسييس
فإن عمي نوفلا قد أبى ... إلا التي يغضي عليها الخسيس

قال: نخرج أبو أسعد بن عدس النجاري في ثمانين رابجا، حتى أتى الأبطح، وبلغ عبد المطلب، نخرج يتلقاه، فقال: المنزل يا خال! فقال: أما حتى ألقى نوفلا فلا قال: تركته جالسا في الحجر في مشايخ قريش، فأقبل حتى وقف على رأسه، ثم استل سيفه، ثم قال: ورب هذه البنية، لتردن على ابن أختنا ركه أو لأملأن منك السيف، قال: فإني ورب هذه البنية أرد ركه فأشهد عليه من حضر، ثم قال: المنزل يا بن أختي، فأقام عنده ثلاثا واعتمر، وأنشأ عبد المطلب يقول:

تأبى مازن وبنو عدي ... ودينار بن تيم اللات ضيمي
وساده مالك حتى تناهى ... ونكب بعد نوفل عن حريمي
بهم رد الإله علي ركي ... وكانوا في التنسب دون قومي

وقال في ذلك سمرة بن عمير، أبو عمرو الكثاني:

لعمري لأخوال لشبية قصرة ... من أعمامه دنيا أبر وأوصل
أجابوا على بعد دعاء ابن أختهم ... ولم ينهم إذ جاوز الحق نوفل
جزى الله خيرا عصبة خزرجية ... تواصلوا على بر، وذو البر أفضل
قال: فلما رأى ذلك نوفل، حالف بني عبد شمس كلها على بني هاشم.
قال محمد بن أبي بكر: فحدث بهذا الحديث موسى بن عيسى، فقال:

يا بن أبي بكر، هذا شيء ترويه الأنصار تقربا إلينا، إذ صير الله الدولة فينا! عبد المطلب كان أعز في قومه من أن يحتاج إلى أن تترك بنو النجار من

المدينة إليه قلت: أصلح الله الأمير! قد احتاج إلى نصرهم من كان خيرا من عبد المطلب قال: وكان متكئا فجلس مغضبا، وقال: من خير من عبد المطلب! قلت: محمد رسول الله ص، قال: صدقت، وعاد إلى مكانه، وقال لبنيه: اكتبوا هذا الحديث من ابن أبي بكر. وقد حدث هذا الحديث في أمر عبد المطلب وعمه نوفل بن عبد مناف، عن هشام بن محمد، عن أبيه، قال: حدثنا زياد بن علاقة التغلبي - وكان قد أدرك الجاهلية - قال: كان سبب بدء الحلف الذي كان بين بني هاشم وخزاعة الذي افتتح رسول الله ص بسببه مكة، وقال: لتنصب هذه السحابة بنصر بني كعب، أن نوفل بن عبد مناف - وكان آخر من بقي من بني عبد مناف - ظلم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف على أركاح له - وهي الساحات - وكانت أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو النجارية من الخزرج، قال: فتنصف عبد المطلب عمه، فلم ينصفه، فكتب إلى أخواله:

يا طول ليلي لأحزاني وأشغلي ... هل من رسول إلى النجار أخوالى!
بنى عديا ودينارا ومازنها ... ومالكا عصمة الجيران عن حالي
قد كنت فيكم ولا أخشى ظلامه ذي ... ظلم عزيزا منيعا ناعم البال
حتى ارتحلت إلى قومي وأزعجني ... عن ذاك مطلب عمي بترحال
وكنت ما كان حيا ناعما جذلا ... امشى لعرضه سحبا لأذيالي
فغاب مطلب في قعر مظلمة ... وقام نوفل كي يعدو على مالي
إإن رأى رجلا غابت عمومته ... وغاب أخواله عنه بلا وال

أنحى عليه ولم يحفظ له رحما ... ما أمنع المرء بين العم والخال!
فاستنفروا وامنعوا ضيم ابن أختكم ... لا تحذلوه وما أنتم بخذال
ما مثلكم في بني قحطان قاطبة ... حي لجار وإنعام وإفضال

ابن هاشم

أنتم ليان لمن لانت عريكته ... سلم لكم وسام الأبلخ الغالي
قال: فقدم عليه منهم ثمانون راجيا، فأناخوا بفناء الكعبة، فلما رآهم نوفل بن عبد مناف، قال لهم: أنعموا صباحا! فقالوا له: لا نعم صباحك أيها الرجل! أنصف ابن أختنا من ظلامته قال: أفعل بالحب لكم والكرامة، فرد عليه الأركاح وأنصفه.
قال: فانصرفوا عنه إلى بلادهم قال: فدعا ذلك عبد المطلب إلى الحلف، فدعا عبد المطلب بسر بن عمرو وورقاء بن فلان ورجالا من رجالات خزاعة، فدخلوا الكعبة وكتبوا كتابا.
وكان إلى عبد المطلب بعد مهلك عمه المطلب بن عبد مناف ما كان إلى من قبله من بني عبد مناف من أمر السقاية والرفادة، وشرف في قومه، وعظم فيهم خطره، فلم يكن يعدل به منهم أحد، وهو الذي كشف عن زمزم، بئر إسماعيل بن إبراهيم، واستخرج ما كان فيها مدفونا، وذلك غزالان من ذهب، كانت جرهم دفنتهما- فيما ذكر- حين أخرجت من مكة، وأسياف قلعية، وأدراع، فجعل الأسياف بابا للكعبة، وضرب في الباب الغزالين صفائح من ذهب، فكان أول ذهب حليته- فيما قيل- الكعبة.
وكانت كنية عبد المطلب أبا الحارث، كني بذلك لأن الأكبر من ولده الذكور كان اسمه الحارث، وهو شيبه
ابن هاشم

واسم هاشم عمرو، وإنما قيل له هاشم، لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمه، وله يقول مطرود بن كعب الخزاعي- وقال ابن الكلبي: إنما قاله ابن الزبيري:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف

ذكر أن قومه من قريش، كانت أصابتهم لزمة وقحط، فرحل إلى فلسطين، فاشترى منها الدقيق، فقدم به مكة، فأمر به نخبز له ونحر جزورا، ثم اتخذ لقومه مرققة ثريد بذلك الخبز.

وذكر أن هاشما هو أول من سن الرحلتين لقريش: رحلة الشتاء والصيف.

وحدثت عن هشام بن محمد، عن أبيه، قال: كان هاشم، وعبد شمس- وهو أكبر ولد عبد مناف، والمطلب- وكان أصغرهم- أمهم عاتكة بنت مرة السلمية، ونوفل- وأمه واقدة- بني عبد مناف، فسادوا بعد أبيهم جميعا، وكان يقال لهم المجبرون، قال: ولهم يقال: يا أيها الرجل المحول رحله ... ألا نزلت بآل عبد مناف!

فكانوا أول من أخذ لقريش العصم، فانتشروا من الحرم، أخذ لهم هاشم جبلا من ملوك الشام والروم وغسان، وأخذ لهم عبد شمس جبلا من النجاشي الأكبر، فاختلفوا بذلك السبب إلى أرض الحبشة، وأخذ لهم نوفل جبلا من الأكاسرة، فاختلفوا بذلك السبب إلى العراق وأرض فارس، وأخذ لهم المطلب جبلا من ملوك حمير، فاختلفوا بذلك السبب إلى اليمن، فخير الله بهم قريشا، فسموا المجبرين. وقيل: إن عبد شمس وهاشما توأمان، وإن أحدهما ولد قبل صاحبه، وإصبع له ملتصقة بجهة صاحبه، فنحيت عنها فسال من ذلك دم، فتطير من ذلك، فقيل: تكون بينهما دماء ولى هاشم بعد أبيه عبد مناف السقاية والرفادة.

حدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا هشام بن

محمد، قال: حدثني معروف بن الخربوذ المكي، قال: حدثني رجل من آل عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف عن أبيه، قال: وقال وهب بن عبد قصي في ذلك- يعني في إطعام هاشم قومه الثريد:

تحمل هاشم ما ضاق عنه ... وأعيأ أن يقوم به ابن بيض

أتاهم بالغرائر متأقات ... من أرض الشام بالبر النفيض
فأوسع أهل مكة من هشيم ... وشاب الخبز باللحم الغريض
فظل القوم بين مكالات ... من الشيزى وحائرهما يفيض

قال: فحسده أمية بن عبد شمس بن عبد مناف- وكان ذا مال- فتكلف أن يصنع صنيع هاشم، فعجز عنه، فشمت به ناس من قريش فغضب، ونال من هاشم، ودعاه إلى المنفرة، فكره هاشم ذلك لسنه وقدره، ولم تدعه قريش وأحفظوه، قال: فإني أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق، تنحرها ببطن مكة، والجلاء عن مكة عشر سنين فرضي بذلك أمية، وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي، فنفر هاشم عليه، فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها من حضره، وخرج أمية إلى الشام، فأقام بها عشر سنين فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمие.

حدثني الحارث قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا هشام ابن محمد، قال: أخبرني رجل من بني كنانة، يقال له ابن أبي صالح، ورجل من أهل الرقة مولى لبني أسد، وكان عالما، قال: تنافر عبد المطلب ابن هاشم وحرب بن أمية إلى النجاشي الحبشي، فأبى أن ينفر بينهما، فجعل بينهما نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى ابن كعب، فقال لحرب: يا أبا عمرو، أتنافر رجلا هو أطول منك قامة، وأعظم منك هامة، وأوسم منك وسامة، وأقل منك لامة، وأكثر منك ولدا، وأجل منك صفدا، وأطول منك مذودا! فنفره عليه فقال حرب: إن

ابن عبد مناف

ابن قصي

من انتكاث الزمان أن جعلناك حكا! فكان أول من مات من ولد عبد مناف ابنه هاشم، مات بغزة من أرض الشام، ثم مات عبد شمس بمكة فقبر بأجياد، ثم مات نوفل بسلمان من طريق العراق، ثم مات المطلب بردمان من أرض اليمن، وكانت الرفادة والسقاية بعد هاشم إلى أخيه المطلب . ابن عبد مناف

واسمه المغيرة، وكان يقال له القمر من جماله وحصنه وكان قصي يقول- فيما زعموا:- ولد لي أربعة، فسميت اثنين بصنمي، وواحدا بداري، وواحدا بنفسي، وهم عبد مناف وعبد العزى ابنا قصي- وعبد العزى والد أسد- وعبد الدار بن قصي، وعبد قصي بن قصي- درج ولده- وبرة بنت قصي، أمهم جميعا حي بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن خزاعة. وحدث عن هشام بن محمد، عن أبيه، قال: وكان يقال لعبد مناف القمر، واسمه المغيرة، وكانت أمه حي دفعتة إلى مناف- وكان أعظم أصنام مكة- تدينا بذلك، فغلب عليه عبد مناف، وهو كما قيل له:

كانت قريش بيضه فتفلقت ... فالبح خالصة لعبد مناف
ابن قصي

وقصي اسمه زيد، وإنما قيل له قصي، لأن أباه كلاب بن مرة كان تزوج أم قصي فاطمة بنت سعد بن سيل- واسم سيل، خير- بن حمالة بن عوف بن غنم بن عامر الجادر، بن عمرو بن جعثمة بن يشكر، من أزدشنوءة حلفاء في بني الدليل، فولدت لكتلاب زهرة وزيدا، فهلك كلاب وزيد صغير، وقد شب زهرة وكبر، فقدم ربيعة بن حرام بن ضنه بن عبد بن كبير ابن عذرة بن سعد بن زيد، أحد قضاعة، فتزوج- فيما حدثنا ابن حميد،

قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق وحدث عن هشام بن محمد عن أبيه- فاطمة أم زهرة وقصي- وزهرة رجل قد بلغ، وقصي فطيم أو قريب من ذلك- فاحتملها إلى بلاده من أرض بني عذرة، من أشراف الشام، فاحتملت معها قصيا لصغره، وتخلف زهرة في قومه، فولدت فاطمة بنت سعد بن سيل لربيعة بن حرام رزاح بن ربيعة، فكان أخاه لأمه، وكان لربيعة بن حرام ثلاثة نفر من امرأة أخرى،

وهم حن بن ربيعة، ومحمود بن ربيعة، وجلهمة بن ربيعة وشب زيد في حجر ربيعة، فسمي زيد قصيا لبعده داره عن دار قومه، ولم يبرح زهرة مكة، فبينا قصي بن كلاب بأرض قضاة لا ينتمي - فيما يزعمون - إلا إلى ربيعة بن حرام، إذ كان بينه وبين رجل من قضاة شيء - وقد بلغ قصي، وكان رجلا شابا - فأنبه القضاة بالغربة وقال له: ألا تلحق بقومك ونسبك فإنك لست منا! فرجع قصي إلى أمه، وقد وجد في نفسه مما قال له القضاة، فسألها عما قال له ذلك الرجل، فقالت له: أنت والله يا بني أكرم منه نفسا ووالدا، أنت ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي، وقومك بمكة عند البيت الحرام، وفيما حوله فأجمع قصي الخروج إلى قومه والحق بهم، وكره الغربة بأرض قضاة، فقالت له أمه: يا بني لا تعجل بالخروج حتى يدخل عليك الشهر الحرام، فتخرج في حاج العرب، فإني أخشى عليك أن يصيبك بعض البأس، فأقام قصي حتى إذا دخل الشهر الحرام، خرج حاج قضاة، فخرج فيهم حتى قدم مكة، فلما فرغ من الحج أقام بها، وكان رجلا جليدا نسيبا، فخطب إلى حليل بن حبشية الخزاعي ابنته حبي بنت حليل، فعرف حليل النسب ورغب فيه، فزوجه - وحليل يومئذ فيما يزعمون - يلي الكعبة وأمر مكة.

فأما ابن إسحاق، فإنه قال في خبره: فأقام قصي معه - يعني مع حليل - وولدت له ولده عبد الدار، وعبد مناف، وعبد العزى، وعبد بني قصي فلما انتشر ولده، وكثر ماله، وعظم شرفه هلك حليل بن حبشية، فرأى قصي أنه أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة وبني بكر، وأن قریشا

فرعة إسماعيل بن إبراهيم، وصريح ولده، فكلهم رجالا من قریش وبني كنانة، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة، فلما قبلوا منه ما دعاهم إليه وبايعوه عليه، كتب إلى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة بن حرام - وهو ببلاد قومه - يدعوهم إلى نصرته، والقيام معه، فقام رزاح بن ربيعة في قضاة، فدعاهم إلى نصر أخيه والخروج معه إليه، فأجابوه إلى ما دعاهم من ذلك.

وقال هشام في خبره: قدم قصي على أخيه زهرة وقومه، فلم يلبث أن ساد، وكانت خزاعة بمكة أكثر من بني النضر، فاستنجد قصي أخاه رزاحا، وله ثلاثة أخوة من أبيه، من امرأة أخرى، فأقبل بهم وبمن أجابه من أحياء قضاة، ومع قصي قومه بنو النضر، فنفوا خزاعة، فتزوج قصي حبي بنت حليل بن حبشية من خزاعة، فولدت له أولاده الأربعة، وكان حليل آخر من ولي البيت، فلما ثقل جعل ولاية البيت إلى ابنته حبي، فقالت:

قد علمت أني لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه، قال: فإني أجعل الفتح والإغلاق إلى رجل يقوم لك به، فجعله إلى أبي غبشان - وهو سليم بن عمرو بن بوى بن ملكان بن أفصى - فاشترى قصي ولاية البيت منه بزرق خمر وبعود.

فلما رأت ذلك خزاعة كثروا على قصي، فاستنصر أخاه، فقاتل خزاعة.

فبلغنا - والله أعلم - أن خزاعة أخذتها العدسة، حتى كادت تفنيهم، فلما رأت ذلك جلت عن مكة، ففهم من وهب مسكنه، ومنهم من باع، ومنهم من أسكن، فولي قصي البيت وأمر مكة والحكم بها، وجمع قبائل قریش، فأنزلهم أبطح مكة وكان بعضهم في الشعاب ورءوس جبال مكة، فقسم منازلهم بينهم، فسمي مجمعا، وله يقول مطرود - وقيل: إن قائله حذافة ابن غانم:

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر وملكه قومه عليهم.

وأما ابن إسحاق، فإنه ذكر أن رزاحا أجاب قصيا إلى ما دعاه إليه من نصرته، وخرج إلى مكة مع إخوته الثلاثة، ومن تبعه لذلك من قضاة في حاج العرب، وهم مجمعون لنصر قصي، والقيام معه، قال: وخزاعة تزعم أن حليل بن حبشية أوصى بذلك قصيا، وأمره به حين انتشر له من ابنته من الأولاد ما انتشر، وقال: أنت أولى بالكعبة والقيام عليها، وبأمر مكة من خزاعة، فعند ذلك طلب قصي ما طلب.

فلما اجتمع الناس بمكة وخرجوا إلى الموقف، وفرغوا من الحج ونزلوا منى، وقصي مجمع لما أجمع له، ومن تبعه من قومه من قریش وبني كنانة ومن معه من قضاة، ولم يبق إلا أن ينفروا للصدر، وكانت صوفة تدفع بالناس من عرفة، وتجزئهم إذا نفروا من منى، إذا كان يوم النفر أتوا لرمي الجمار - ورجل من صوفة يرمي للناس، لا يرمون حتى يرمي - فكان ذوو الحاجات المعجلون يأتونه، فيقولون له:

قم فارم حتى نرمي معك، فيقول: لا والله حتى تميل الشمس، فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجيل، يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك، ويقولون: ويملك قم فارم! فيأبى عليهم، حتى إذا مالت الشمس قام فرمى ورعى الناس معه.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، هذا الحديث، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد. فإذا فرغوا من رمي الجمار، وأرادوا النفر من منى، أخذت صوفة بناحيي العقبة، فحبسوا الناس، وقالوا: أجزبي صوفة، فلم يجز أحد من الناس حتى ينفذوا، فإذا نفرت صوفة ومضت خلى سبيل الناس، فانطلقوا بعدهم، فلما كان ذلك العام، فعلت ذلك صوفة كما كانت تفعل، قد عرفت ذلك لها العرب، وهو دين في أنفسهم في عهد جرهم وخزاعة وولايتهم، أتاهم قصي بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكثانة وقضاعة عند العقبة، فقالوا: نحن أولى بهذا منكم، فناكروه فناكرهم، فقاتلوه فاقتل الناس قتالا شديدا، ثم انهزمت صوفة، وغلبهم قصي على ما كان بأيديهم من ذلك، وحال بينهم وبينه.

قال: وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصي بن كلاب، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة، وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة، فلما انحازوا عنه باداهم وأجمع لحربهم، وثبت معه أخوه رزاح بن ربيعة بمن معه من قومه من قضاعة، وخرجت لهم خزاعة وبنو بكر وتبثوا لحربهم، والتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا، حتى كثرت القتلى من الفريقين جميعا، وفشت فيهم الجراحة ثم إنهم تداعوا إلى الصلح، إلى أن يحكموا بينهم رجلا من العرب فيما اختلفوا فيه، ليقتضي بينهم، فحكموا يعمر بن عوف ابن كعب بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، ففرض بينهم بأن قصيا أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة، وأن كل دم أصابه قصي من خزاعة وبني بكر موضوع يشدخه تحت قدميه، وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وبني كنانة وقضاعة ففيه الدية مؤداة، وأن يخلى بين قصي ابن كلاب وبين الكعبة ومكة، فسمي يعمر بن عوف يومئذ الشداخ، لما شدخ من الدماء ووضع منها فولي قصي البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم إلى مكة، وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه، فكان قصي أول ولد كعب ابن لؤي أصاب ملكا أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، فحاز شرف مكة كله، وقطع مكة أرباعا بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال:

ويزعم الناس أن قريشا هابت قطع شجر الحرم في منازلهم، فقطعها قصي بيده، وأعانوه، فسمته العرب مجمعا لما جمع من أمرها، وتيمنت بأمره، فما تتكح امرأة ولا رجل من قريش إلا في دار قصي بن كلاب، وما يتشاورون

في أمر ينزل بهم إلا في داره، ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم إلا في داره، يعقدها لهم بعض ولده، وما تدرع جارية إذا بلغت أن تدرع من قريش إلا في داره، يشق عليها فيها درعها ثم تدرعه، ثم ينطلق بها إلى أهلها، فكان أمره في قومه من قريش في حياته وبعد موته كالدين المتبع، لا يعمل بغيره تيمنا بأمره ومعرفة بفضله وشرفه، واتخذ قصي لنفسه دار الندوة، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضي أمورها حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الملك بن راشد، عن أبيه، قال: سمعت السائب بن خباب صاحب المقصورة يحدث أنه سمع رجلا يحدث عمر بن الخطاب - وهو خليفة - حديث قصي بن كلاب هذا وما جمع من أمر قومه، وإخراجه خزاعة وبني بكر من مكة، وولايتهم البيت وأمر مكة، فلم يردد ذلك عليه ولم ينكره.

قال: فأقام قصي بمكة على شرفه ومنزلته في قومه لا ينازع في شيء من أمر مكة، إلا أنه قد أقر للعرب في شأن جهم ما كانوا عليه، وذلك لأنه كان يراه دينا في نفسه، لا ينبغي له تغييره، وكانت صوفة على ما كانت عليه، حتى انقرضت صوفة، فصار ذلك من أمرهم إلى آل صفوان بن الحارث ابن شجنة وراثته، وكانت عدوان على ما كانت عليه، وكانت النساء من بني مالك بن كنانة على ما كانوا عليه، ومرة بن عوف على ما كانوا عليه، فلم يزالوا على ذلك حتى قام الإسلام، فهدم الله به ذلك كله وابتنى قصي دارا بمكة، وهي دار الندوة، وفيها كانت قريش تقضي أمورها، فلما كبر قصي ورق عظمه - وكان عبد الدار بكره هو، كان أكبر ولده، وكان - فيما يزعمون - ضعيفا، وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه، وذهب كل مذهب وعبد العزى بن قصي وعبد بن قصي، فقال قصي لعبد الدار

فيما يزعمون: أما والله لألحقنك بالقوم، وإن كانوا قد شرفوا عليك، لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحتها، ولا يعقد لقريش لواء لحربهم إلا أنت بيدك، ولا يشرب رجل بمكة ماء إلا من سقايتك، ولا يأكل أحد من

ابن كلاب

أهل الموسم طعاما إلا من طعامك، ولا تقطع قریش أمورها إلا في دارك.

فأعطاه داره، دار الندوة التي لا تقضي قریش أمرا إلا فيها، وأعطاه المحابة واللواء والندوة والسقاية والرفادة- وكانت الرفادة خرجا تخرجه قریش في كل موسم من أموالها إلى قصي بن كلاب، فيصنع به طعاما للحاج يأكله من لم تكن له سعة ولا زاد ممن يحضر الموسم، وذلك أن قصيا فرضه على قریش، فقال لهم حين أمرهم به: يا معشر قریش، إنكم جيران الله وأهل بيته الحرام، وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته، وهم أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم شرابا وطعاما أيام هذا الحج، حتى يصدروا عنكم ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم فيدفعونه إليه، فيصنع طعاما للناس أيام منى فجرى ذلك من أمره على قومه في الجاهلية، حتى قام الإسلام، ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا، فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى حتى ينقضي الحج.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني من امر قصي ابن كلاب وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه ابن إسحاق بن يسار، عن أبيه، عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب، قال: سمعته يقول ذلك لرجل من بني عبد الدار، يقال له نبيه بن وهب بن عامر بن عكرمة بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار قال الحسن بن محمد: فجعل إليه قصي ما كان بيده من أمر قومه كله، وكان قصي لا يخالف ولا يرد عليه شيء صنعه.

ثم إن قصيا هلك، فأقام أمره في قومه من بعده بنوه

. ابن كلاب

وأم كلاب- فيما ذكر- هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وله أخوان من أبيه من غير أمه، وهما تيم ويقتة، أمهما- فيما قال هشام بن الكلبي- أسماء بنت عدي بن حارثة ابن عمرو بن عامر بن بارق.

وأما ابن إسحاق فإنه قال: أمهما هند بنت حارثة البارقية قال: ويقال: بل يقتة لهند بنت سرير، أم كلاب

ابن مره

ابن كعب

ابن مرة

وأم مرة وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وأخواه لأبيه وأمه عدي وهصيص وقيل إن أم هؤلاء الثلاثة مخشية وقيل: إن أم مرة وهصيص مخشية بنت شيبان بن محارب بن فهر، وأم عدي رقاش بنت ركة بن نائلة بن كعب بن حرب بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان

. ابن كعب

وأم كعب ماوية- فيما قال ابن إسحاق وابن الكلبي- وماوية بنت كعب ابن القين بن جسر بن شيع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عِمران بن الحاف بن قضاة، وله أخوان من أبيه وأمه: أحدهما يقال له عامر، والآخر سامة، وهم بنو ناجية، ولهم من أبيهم أخ قد انتهى ولده إلى غطفان ولحقوا بهم، كان يقال له: عوف، أمه الباردة بنت عوف بن غنم بن عبد الله بن غطفان.

ذكر أن الباردة لما مات لؤي بن غالب خرجت بابنها عوف إلى قومها، فتزوجها سعد بن ذبيان بن بغيض، فبني عوفا، وفيه يقول- فيما ذكر- فزاره بن ذبيان:

عرج علي ابن لؤي جملك ... يتركك القوم ولا منزل لك

ولكعب أخوان آخرا أيضا من أبيه من غير أمه، أحدهما خزيمه، وهو عائذه قريش، وعائذه أمه، وهي عائذه بنت الخمس بن قحافة، من خثعم، والآخر سعد ويقال لهم بنانة، وبنانة أمهم، فأهل البادية منهم اليوم- فيما ذكر- في بني أسعد بن همام في بني شيبان بن ثعلبة، وأهل الحاضرة ينتمون إلى قريش

ابن لؤي

ابن غالب

ابن فهر

ابن لؤي

وأم لؤي- فيما قال هشام- عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة، وهي أولى العواتك اللائي ولدن رسول الله ص من قريش، وله أخوان من أبيه وأمهم، يقال لأحدهما: تيم، وهو الذي كان يقال له تيم الأدرم- والدرم نقصان في الذقن، قيل إنه كان ناقص اللحي- وقيس، قيل: لم يبق من قيس أخي لؤي أحد، وإن آخر من كان بقي منهم رجل هلك في زمان خالد بن عبد الله القسري، فبقي ميراثه، لا يدري من يستحقه.

وقد قيل: إن أم لؤي وإخوته سلمى بنت عمرو بن ربيعة، وهو لحي بن حارثة ابن عمرو مزقياء بن عامر ماء السماء، من خزاعة . ابن غالب

وأم غالب ليلي بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة وإخوته من أبيه وأمهم: الحارث، ومحارب، وأسد، وعوف، وجون، وذئب، وكانت محارب والحارث من قريش الظواهر، فدخلت الحارث الأبطح ابن فهر

وفهر- فيما حدثت عن هشام بن محمد أنه قال: هو جماع قريش، قال: وأمهم جندلة بنت عامر بن الحارث بن مضاخ الجرهمي. وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ- فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ- قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ: أُمُّ جَنْدَلَةَ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ مِضَاخِ بْنِ عَمْرِو الْجَرَّهَمِيِّ.

وكان أبو عبيدة معمر بن المثنى يقول- فيما ذكر عنه- أمهم سلمى بنت أد بن طابخة بن إلياس بن مضر. وقيل: إن أمهم جميلة بنت عدوان من بارق، من الأزد.

وكان فهر في زمانه رئيس الناس بمكة- فيما حدثنا ابن حميد، قال:

حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ- فِي حَرْبِهِمْ حَسَانَ بْنَ عَبْدِ كَلَالٍ بْنِ مَثُوبٍ

ابن مالك

ذي حرث الحميري وكان حسان- فيما قيل- أقبل من اليمن مع حمير وقبائل من اليمن عظيمة، يريد أن ينقل أحجار الكعبة من مكة إلى اليمن، ليجعل حج الناس عنده ببلاده، فأقبل حتى نزل بنخلة، فأغار على سرح الناس، ومنع الطريق، وهاب أن يدخل مكة، فلما رأت ذلك قريش وقبائل كنانة وخزيمة وأسد وجذام ومن كان معهم من أفناء مضر، خرجوا إليه، ورئيس الناس يومئذ فهر بن مالك، فاقتتلوا قتالا شديدا، فهزمت حمير، وأسر حسان بن عبد كلال ملك حمير، أسره الحارث بن فهر، وقتل في المعركة- فيمن قتل من الناس- ابن ابنه قيس بن غالب بن فهر وكان حسان عندهم بمكة أسيرا ثلاث سنين، حتى افتدى منهم نفسه، فخرج به، فمات بين مكة واليمن.

ابن مالك

وأمهم عكرشة بنت عدوان، وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن عيلان، في قول هشام.

وأما ابن إسحاق فإنه قال: أمهم عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس ابن عيلان.

وقيل: إن عكرشة لقب عاتكة بنت عدوان، واسمها عاتكة.

وقيل إن أمه هند بنت فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان وكان لملك أخوان، يقال لأحدهما: يخلد، فدخلت يخلد في بني عمرو بن الحارث ابن مالك بن كنانة، فخرجوا من جماع قريش والآخر منهما يقال له: الصلت، لم يبق من ذريته أحد.

وقيل: سميت قريش قريشا بقريش بن بدر بن يخلد بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة، وبه سميت قريش قريشا، لأن عير بني النضر كانت إذا قدمت قالت العرب: قد جاءت عير قريش، قالوا: وكان قريش هذا دليل بني النضر في أسفارهم، وصاحب ميرتهم، وكان له ابن يسمى بدرا، احتفر بدرا، قالوا: فيه سميت البئر التي تدعى بدرا، بدرا.

وقال ابن الكلبي: إنما قريش جماع نسب، ليس بأب ولا أم ولا حاضن ولا حاضنة.

وقال آخرون: إنما سمي بنو النضر بن كنانة قريشا، لأن النضر بن كنانة خرج يوما على نادي قومه، فقال بعضهم لبعض: انظروا إلى النضر، كأنه جمل قريش.

وقيل: إنما سميت قريش قريشا بدابة تكون في البحر تأكل دواب البحر، تدعى القرش، فشبه بنو النضر بن كنانة بها، لأنها أعظم دواب البحر قوة.

وقيل: إن النضر بن كنانة كان يقرش عن حاجة الناس فيسدها بماله، والتقرش - فيما زعموا - التفتيش وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيسدونها بما يبلغهم - واستشهدوا لقولهم: إن التقرش هو التفتيش، بقول الشاعر:

أيها الناطق المقرش عنا ... عند عمرو فهل لهن انتهاء!

وقيل: إن النضر بن كنانة كان اسمه قريشا وقيل: بل لم تزل بنو النضر ابن كنانة يدعون بني النضر حتى جمعهم قصي بن كلاب، فقيل لهم: قريش، من أجل أن التجمع هو التقرش، فقالت العرب تقرش بنو النضر، أي قد تجمعوا.

وقيل: إنما قيل قريش، من أجل أنها تقرشت عن الغارات.

حدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر، قال: حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن سعيد بن محمد ابن جبير بن مطعم، أن عبد الملك بن مروان سأل محمد بن جبير: متى

ابن النضر

سميت قريش قريشا؟ قال: حين اجتمعت إلى الحرم من تفرقها، فذلك التجمع التقرش فقال عبد الملك: ما سمعت هذا، ولكن سمعت أن قصيا كان يقال له القرشي، ولم تسم قريش قبله.

حدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن عبد المجيد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، قال:

لما نزل قصي الحرم وغلب عليه، فعل أفعالا جميلة، فقيل له: القرشي، فهو أول من سمي به.

حدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني أبو بكر بن أبي سبرة، عن أبي بكر بن عبيد الله بن أبي جهم، قال: النضر بن كنانة كان يسمى القرشي.

حدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: قال محمد بن عمر:

وقصي أحدث وقود النار بالمزدلفة، حيث وقف بها حتى يراها من دفع من عرفة، فلم تزل توقد تلك النار تلك الليلة في الجاهلية.

حدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: فأخبرني كثير بن عبد الله المزني، عن نافع، عن ابن عمر، قال:

كانت تلك النار توقد على عهد رسول الله ص وأبي بكر وعمر وعثمان، قال: محمد بن عمر: وهي توقد إلى اليوم.

ابن النضر

النضر قيس، وأمه برة بنت مر بن أد بن طابخه وأخوته لأبيه وأمه نضير ومالك وملكان وعامر والحارث وعمر وسعد وعوف وغنم ومخرمة وجرول وغزوان وحدال وأخوهم من أبيهم عبد مناة، وأمه فكية- وقيل

ابن كنانة

ابن خزيمه

ابن مدركه

فكية- وهي الذفراء بنت هني بن يلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة.

وأخو عبد مناة لأمه علي بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن عمرو بن مازن الغساني، وكان عبد مناة بن كنانة تزوج هنداً بنت بكر بن وائل، فولدت له ولده، ثم خلف عليها أخوه لأمه علي بن مسعود، فولدت له، فحضر علي بن أخيه، فنسبوا إليه، فقيل لبني عبد مناة: بنو علي، وإياهم عن الشاعر بقوله:

لله در بني علي ... أيم منهم ونالح

وكعب بن زهير بقوله:

صدموا علياً يوم بدر صدمة ... دانت علي بعدها لنزار

ثم وثب مالك بن كنانة على علي بن مسعود، فقتله، فوداه أسد بن خزيمه

. ابن كنانة

وأُم كنانة عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان وقد قيل: إن أمه هند بنت عمرو بن قيس، وأخوته من أبيه أسد وأسدة، يقال إنه أبو جذام والمهون، وأُمهم برة بنت مر بن أد بن طابخه، وهي أم النضر بن كنانة، خلف عليها بعد أبيه.

ابن خزيمه

وأمه سلمى بنت سليم بن الحاف بن قضاة، وأخوه لأبيه وأمه هذيل، وأخوهما لأُمهما تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة. وقد قيل: إن أم خزيمه وهذيل سلمى بنت أسد بن ربيعة

ابن مدركة

واسمه عمرو، وأمه خندف، وهي ليلي بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة، وأُمها ضرية بنت ربيعة بن نزار قيل: بها سمي حمى ضرية،

وأخوة مدركة لأبيه وأمه عامر- وهو طابخه- وعمير- وهو قعة- ويقال:

إنه أبو خزاعة.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق أنه قال: أم بني إلياس خندف، وهي امرأة من أهل اليمن، فغلبت على نسب بنينا، فقيل: بنو خندف.

قال: وكان اسم مدركة عامراً، واسم طابخه عمراً قال: وزعموا أنهما كانا في إبل لهما يريعيانها، فاقتنصا صيدا، فقعدا عليه يطبخانه، وعدت عادية على إبلهما، فقال عامر لعمرو: أتدرك الإبل أو تطبخ هذا الصيد؟

فقال عمرو: بل أطبخ الصيد، فلحق عامر الإبل، فجاء بها، فلما راحا على أبيهما، فحدثاه بشأنهما، قال لعامر: أنت مدركة، وقال لعمرو: أنت طابخه.

وحدثت عن هشام بن محمد، قالوا: خرج إلياس في نجعة له، فنفرت إبله من أرنب، فخرج إليها عمرو فأدركها، فسمي مدركة، وأخذها عامر فطبخها فسمي طابخه، وانقمع عمير في الخباء فلم يخرج فسمي قعة، وخرجت أمهم تمشي فقال لها: إلياس أين تخندين؟ فسميت خندف- والخنلفة ضرب من المشي- قال: وقال قصي بن كلاب:

أُمّي خندف وإلياس أبي.

قال: وقال إلياس لعمرو ابنه:

إنك قد أدركت ما طلبتاه.
ولعامر:
وأنت قد أنضجت ما طبختاه.
ولعمير:
وأنت قد اسات وانقمعتا

ابن الياس

ابن مضر

ابن إلياس

وأمه الرباب بنت حيدة بن معد، وأخوه لأبيه وأمه الناس، وهو عيلان، وسمي عيلان- فيما ذكر- لأنه كان يعاتب على جوده، فيقال له: لتغلبن عليك العيلة يا عيلان، فلزمه هذا الاسم.
وقيل: بل سمي عيلان بفرس كانت له تدعى عيلان.
وقيل: سمي بذلك، لأنه ولد في جبل يسمى عيلان.
وقيل: سمي بذلك لأنه حضنه عبد لمضر يدعى عيلان.

ابن مضر

وأمه سودة بنت عك، وأخوه لأبيه وأمه إياد، ولهما أخوان من أبيهما من غير أمهما، وهما ربيعة وأثمار، أمهما جدالة بنت وعلان بن جوشم ابن جلهمة بن عمرو، من جرهم.

وذكر بعضهم أن نزار بن معد لما حضرته الوفاة أوصى بنيه، وقسم ماله بينهم، فقال: يا بني، هذه القبة- وهي قبة من آدم حمراء- وما أشبهها من مالي لمضر، فسمي مضر الحمراء وهذا الخباء الأسود وما أشبهه من مالي لربيعة، فخلف خيلا دهما، فسمي الفرس وهذه الخادم وما أشبهها من مالي لإياد- وكانت شمطاء- فأخذ البلق والنقد من غنمه وهذه البدره والمجلس لأثمار يجلس فيه، فأخذ أثمار ما أصابه فإن أشكل عليكم في ذلك شيء واختلقت في القسمة فعليكم بالأفعى الجرهمي فاختلفوا في القسمة، فتوجهوا إلى الأفعى، فبينما هم يسرون في مسيرهم إذ رأى مضر كلاً قد رعى، فقال: إن البعير الذي رعى هذا الكلاً لأعور، وقال ربيعة: هو أزور، قال إياد: هو أبت، وقال أثمار: هو شرود، فلم يسروا إلا قليلاً حتى لقيهم رجل توضع به راحلته، فسألهم عن البعير، فقال مضر: هو أعور؟ قال: نعم، قال ربيعة: هو أزور؟ قال: نعم، قال إياد: هو أبت؟

قال: نعم، قال أثمار: هو شرود؟ قال: نعم، قال: هذه صفة بعيري، دلوني عليه، فخلفوا له: ما رأوه، فلزمهم وقال: كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته! فساروا جميعاً حتى قدموا نجران، فترلوا بالأفعى الجرهمي، فنادى صاحب البعير: هؤلاء أصحاب بعيري، وصفوا لي صفته ثم قالوا: لم نره فقال الجرهمي: كيف وصفتموه ولم تروه؟ فقال مضر: رأيته يرعى جانباً ويدع جانباً فعرفت أنه أعور وقال ربيعة: رأيته إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر، فعرفت أنه أفسدها بشدة وطئه لازوراره.
وقال إياد: عرفت أنه أبت باجتماع بعره، ولو كان ذياً لمصع به وقال:

أثمار: عرفت أنه شرود، لأنه يرعى المكان الملتف نبتة، ثم يجوز به إلى مكان آخر أرق منه نبتاً وأخبث فقال الجرهمي: ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ثم سألهم: من هم؟ فأخبروه، فرحب بهم فقال: أحتاجون إلي وأنتم كما أرى! فدعا لهم بطعام فأكلوا وأكل، وشربوا وشرب، فقال مضر:

لم أر كالسيوم خمرأ أجود، لولا أنها نبتت على قبر، وقال ربيعة: لم أر كالسيوم لحماً أطيب لولا أنه ربي بلبن كلب، وقال إياد: لم أر كالسيوم رجلاً أسرى لولا أنه لغير أبيه الذي يدعى له وقال أثمار: لم أر كالسيوم قط كلاماً أنفع في حاجتنا من كلامنا.
وسمع الجرهمي الكلام فتعجب لقولهم، وأتى أمه فسألها فأخبرته أنها كانت تحت ملك لا يولد له، فكرهت أن يذهب الملك فأمكن

رجلا من نفسها كان نزل بها، فوطئها فحملت به، وسأل القهرمان عن الخمر، فقال: من حيلة غرستها على قبر أبيك، وسأل الراعي عن اللحم، فقال: شاة أرضعتها لبن كلبة، ولم يكن ولد في الغنم شاة غيرها فقيل لمضر: من أين عرفت الخمر ونباتها على قبر؟ قال: لأنه أصابني عليها عطش شديد وقيل لربيعة: بم عرفت؟ فذكر كلاما. فأتاهم الجرهمي، فقال: صفوا لي صفتكم، فقصوا عليه ما أوصاهم

ابن نزار

ابن معد

به أبوه، فقضي بالقبة الحمراء والدنانير والإبل - وهي حمر - لمضر، وقضي بالخباء الأسود وبانخيل الذهب لربيعة، وقضي بالخداحم - وكانت شمطاء - وبانخيل البلق لإياد، وقضي بالأرض والدراهم لأثمار.

ابن نزار

وقيل إن نزارا كان يكنى أبا إياد وقيل: بل كان يكنى أبا ربيعة، أمه معانة بنت جوشم بن جلهمة بن عمرو، وإخوته لأبيه وأمه قنص، وقناصة، وسنام، وحيدان، وحيدة، وحيادة، وجنيد، وجنادة، والقحم، وعبيد الرماح، والعرف، وعوف، وشك، وقضاة، وبه كان معد يكنى، وعدة درجوا.

ابن معد

وأم معد - فيما زعم هشام - مهدد بنت اللهم - ويقال: اللهم - ابن جلحب بن جديس وقيل: ابن طسم وقيل: ابن الطوسم، من ولد يقشان بن إبراهيم خليل الرحمن.

حدثنا الحارث بن محمد، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَجَلَانِيُّ: وَإِخْوَتُهُ مِنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ الدِّيث - وقيل: إن الديث هو عك وقيل: ان عكا هو ابن الديث ابن عدنان - وعدن بن عدنان، فزعم بعض أهل الأنساب أنه صاحب عدن، وإليه تنسب، وأن أهلها كانوا ولده فدرجوا، وأبين - وزعم بعضهم أنه صاحب أبين وأنها إليه تنسب، وأن أهلها كانوا ولده فدرجوا - وأد بن عدنان درج، والضحاك، والعي، وأم جميعهم أم معد

ابن عدنان

وقال بعض النسابة: كان عك انطلق إلى سمران من أرض اليمن، وترك أخاه معدا، وذلك أن أهل حضور لما قتلوا شعيب بن ذي مهدم الحضوري، بعث الله عليهم بختنصر عذابا، فخرج أرميا وبرخيا، فحملا معدا، فلما سكنت الحرب رداه إلى مكة، فوجد معد إخوته وعمومته من بني عدنان قد لحقوا بطوائف اليمن، وتزوجوا فيهم، وتعطفت عليهم اليمن بولادة جرهم إياهم، واستشهدوا في ذلك قول الشاعر:

تركا الديث أخوتنا وعكا ... إلى سمران فانطلقوا سراعا
وكانوا من بني عدنان حتى ... أضاعوا الأمر بينهم، فضاعا
ابن عدنان

ولعدنان أخوان لأبيه، يدعى أحدهما نبثا والآخر منهما عمرا فنسب نبينا محمد ص لا يختلف النسابون فيه إلى معد بن عدنان، وأنه على ما بينت من نسبه.

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ لُحَيْعَةَ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ وَغَيْرِهِ، عَنْ نَسْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص: مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ بْنِ فِهْرٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ النُّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نَزَارٍ بْنِ مَعَدٍّ بْنِ عَدْنَانَ بْنِ أَدَدَ. ثُمَّ يَخْتَلِفُونَ فِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ.

وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ الْمِقْدَادِ الزَّمْعِيُّ، عَنْ عَمِّهِ مُوسَى ابْنِ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ بْنِ زَمْعَةَ، عَنْ عَمَّتِهِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ص، قَالَتْ: [سمعت رسول الله ص يقول: معد بن عدنان بن أدد بن زئد بن يري بن أعراق الثري،] قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَزَيْدٌ هُوَ الْهَمَيْسِيُّ، وَيَرَى وَهُوَ نَبْتُ، وَأَعْرَاقُ الثَّرَى هُوَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَجَلَانِيُّ، عَنْ مُوسَى بْنِ يَعْقُوبَ الزَّمْعِيِّ عَنْ عَمَّتِهِ، عَنْ جَدَّتِهَا ابْنَةِ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ الْبَهْرَانِيِّ، قَالَتْ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: مَعْدُ بْنُ عَدْنَانَ بْنِ أَدَدَ بْنِ يَرَى بْنِ أَعْرَاقِ الثَّرَى] .

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ - فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْفَضْلِ عَنْهُ عَدْنَانَ - فِيمَا يَزَعُمُ بَعْضُ النَّسَابِ - بَنُ أَدَدَ بْنِ مَقُومَ بْنِ نَاحُورَ بْنِ تِيرَحَ ابْنِ يَعْزَبَ بْنِ يَشْجَبَ بْنِ نَابِتَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ .

وبعض يقول: بل عدنان بن أدد بن أيتب بن أيوب بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم .
قال: وقد انتهى قصي بن كلاب إلى قيذر في شعر .

قال: ويقول بعض النساب: بل عدنان بن مبدع بن منيع بن أدد بن كعب بن يشجب بن يعرب بن الهميسع بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم، قال: وذلك أنه علم قديم أخذ من أهل الكتاب الأول .

وأما الكلبي محمد بن السائب فإنه - فيما حدثني الحارث، عن محمد بن سعد، عن هشام - قال: أخبرني مخبر عن أبي ولم أسمعه منه، أنه كان ينسب معد بن عدنان بن أدد بن الهميسع بن سلامان بن عوص بن بوز بن قوال ابن أبي بن العوام بن ناشد بن حزا بن بلداس بن يدلاف بن طابخ بن جاحم ابن تاحش بن ماخي بن عبي بن عبقر بن عبيد بن الدعاء بن حمدان بن سنبر ابن يثرب بن يحزن بن يلحن بن أرعوى بن عيفي بن ديشان بن عيصر بن اقتاد ابن إيهام بن مقصر بن ناحث بن زارح بن شمي بن مزي بن عوص بن عرام ابن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم، صلوات الله عليهما .

حدثني الحارث، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ

مُحَمَّدٍ، قَالَ: وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ تَدْمَرَ، يَكْنَى أَبَا يَعْقُوبَ، مِنْ مُسْلِمَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَدْ قَرَأَ مِنْ كُتُبِهِمْ، وَعَلِمَ عِلْمًا، فَذَكَرَ أَنَّ بَرُوحَ بْنَ نَارِيَا كَاتِبَ أَرْمِيَا، أَثْبَتَ نَسَبَ مَعْدَ بْنِ عَدْنَانَ عَنْدهُ، وَوَضَعَهُ فِي كُتُبِهِ، وَأَنَّهُ مَعْرُوفٌ عِنْدَ أَهْلِ الْكُتُبِ، مَثْبُوتٌ فِي أَسْفَارِهِمْ، وَهُوَ مُقَارِبٌ لِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ، وَلَعَلَّ خِلَافَ مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قَبْلِ اللُّغَةِ، لِأَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ تَرَجَمَتْ مِنَ الْعِبْرَانِيَّةِ .

قال الحارث: قال محمد بن سعد: وأنشدني هشام، عن أبيه شعر قصي:

فلست لحاضن إن لم تأثل ... بها أولاد قيذر والنبيت

قال: أراد نبت بن إسماعيل .

وقال الزبير بن بكار: حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي، عن زكرياء ابن عيسى، عن ابن شهاب، قال: معد بن عدنان بن أدد بن الهميسع بن أَسْحَبَ بْنِ نَبْتِ بْنِ قَيْذَارَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ .

وقال بعضهم: هو معد بن عدنان بن أدد بن أمين بن شاجب بن ثعلبة بن عتر بن تريج بن محلم بن العوام بن المحتمل بن رائمة بن العيقان بن علة بن الشحدود بن الظريب بن عبقر بن إبراهيم بن إسماعيل ابن يزن بن أعوج بن المطعم بن الطمح بن القصور بن عتود بن ددع بن محمود بن الزائد بن ندوان بن أقامة بن دوس بن حصن بن النزال بن القمير ابن المجشر بن معد مر بن صيفي بن نبت بن قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن

وقال آخرون: هو معد بن عدنان بن أدد بن زيد بن يقدر بن يقدم بن هميسع بن نبت بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم .

وقال آخرون: هو معد بن عدنان بن أدد بن الهميسع بن نبت بن سلمان - وهو سلامان - ابن حمل بن نبت بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم .

وقال آخرون: هو معد بن عدنان بن أدد بن المقوم بن ناحور بن مشرح ابن يشجب بن مالك بن أيمن بن النبيث بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم.

وقال آخرون: هو معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن اسحب ابن سعد بن تريج بن نصير بن حميل بن منحم بن لافث بن الصابوح بن كئنه ابن العوام بن نبت بن قيذر بن إسماعيل.

وأخبرني بعض النسابة أنه وجد طائفة من علماء العرب قد حفظت لمعد أربعين أبا بالعربية إلى إسماعيل، واحتجت لقولهم ذلك بأشعار العرب، وأنه قابل بما قالوا من ذلك ما يقول أهل الكتاب، فوجد العدد متفقاً، واللفظ مختلفاً، وأملى ذلك علي فكتبته عنه، فقال: هو معد بن عدنان بن أدد بن هميسع - وهميسع هو سلمان وهو أمين - ابن هميتع - وهو هميدع وهو الشاجب ابن سلامان - وهو منجر، وهو نبيت سمي بذلك - فيما زعم - لأنه كان منجر العرب، لأن الناس عاشوا في زمانه، واستشهد لقوله ذلك بقول قعنب بن عتاب الرياحي: تناشدني طي وطى بعيدة ... وتذكرني بالود ازمان ينبت

قال: نبيت بن عوص - وهو ثعلبة قال: وإليه تنسب الثعلبية - ابن بورا - وهو بوز وهو عتر العتائر، وأول من سن العتيرة للعرب - ابن شوحا وهو سعد رجب، وهو أول من سن الرجبية للعرب - ابن يعمانا - وهو قوال.

وهو بريخ الناصب، وكان في عصر سليمان بن داود النبي ص - ابن كسدانا - وهو محلم ذو العين - ابن حرانا - وهو العوام - ابن بلداسا - وهو المحتمل - ابن بدلانا - وهو يدلاف، وهو رائمه - ابن طهبا - وهو طالب، وهو العيقان - ابن جهمي - وهو جاحم، وهو علة - ابن محشي - وهو تاحش، وهو الشحدود - ابن معجالي - وهو ماخي، وهو الظريب خاطم النار - ابن عقارا - وهو عافي، وهو عبقر أبو الجن، قال: وإليه تنسب جنة عبقر - ابن عاقاري - وهو عاقر، وهو إبراهيم جامع الشمل قال: وإنما سمي جامع الشمل لأنه آمن في ملكه كل خائف، ورد كل طريد، واستصلح الناس - ابن بيداعي - وهو الدعاء، وهو إسماعيل ذو المطايخ، سمي بذلك لأنه حين ملك أقام بكل بلدة من بلدان العرب دار ضيافة - ابن ابداعي - وهو عبيد وهو يزن الطعان، وهو أول من قاتل بالرماح، فنسبت إليه - ابن همادي وهو حمدان، وهو إسماعيل ذو الأعوج وكان فرسالة، وإليه تنسب الأعوجية من الخيل - ابن بشماني - وهو بشين وهو المطعم في المحل - ابن بثراني - وهو بثرم، وهو الطمح - ابن بحراني - وهو يحزن، وهو القصور - ابن نلحاني، وهو يلحن، وهو العنود - ابن رعواني - وهو رعوي، وهو الدعدع - ابن عاقاري - وهو عاقر - ابن داسان، وهو الزائد - ابن عاصار - وهو عاصر، وهو النيدوان ذو الأنديّة، وفي ملكه تفرق بنو القادور وهو القادور وخرج الملك من ولد النبيث بن القادور إلى بني جاوان - ابن القادور ثم رجع إليهم ثانية - ابن قنادي - وهو قنار، وهو إيامة بن ثامار، وهو بهامي، وهو دوس العتق، وهو دوس أجمل الخلق، زعم في زمانه، فلذلك تقول العرب: أعتق من دوس لأمرين: أما أحدهما فلحسنه وعتقه، والآخر لقدمه، وفي ملكه أهلك جرحم بن فالج وقطورا، وذلك أنهم بغوا في الحرم، فقتلهم دوس، وأتبع الذر آثار من بقي منهم، فوُلج في أسماهم فأفناهم - ابن مقصر - وهو مقاصري، وهو حصن، ويقال له: ناحث، وهو النزال بن زارح، وهو قير - ابن سمي - وهو سما، وهو المجشر، وكان - فيما زعم - أعدل ملك ولي وأحسنه سياسة، وفيه يقول أمية بن أبي الصلت لهرقل ملك الروم:

كن كالمجشر إذ قالت رعيته ... كان المجشر أوفانا بما حملا

ابن مزرأ - ويقال مرهر - ابن صنفاء، وهو السمر، وهو الصفي، هو أجود ملك رُئى على وجه الأرض، وله يقول أمية بن أبي الصلت:

إن الصفي بن النبيث مملكا ... أعلى وأجود من هرقل وقيصرا

ابن جعثم - وهو عرام، وهو النبيث، وهو قيذر، قال: وتأويل قيذر صاحب ملك، كان أول من ملك من ولد إسماعيل - ابن إسماعيل صادق الوعد، ابن إبراهيم خليل الرحمن بن تارخ - وهو آزر - ابن ناحور بن ساروع بن ارغوا ابن بالغ - وتفسير بالغ القاسم بالسريانية، لأنه الذي قسم الأرضين بين ولد آدم، وبالغ، فهو فالج بن عابر بن شالح بن ارتخشند بن سام بن نوح ابن ملك بن متوشلخ بن أخنوخ، وهو إدريس النبي ص - ابن يرد - وهو يارد الذي عملت الأصنام في زمانه - ابن مهلائيل بن قينان بن انوش ابن شيث - وهو هبه الله ابن آدم ع وكان وصي أبيه بعد مقتل هابيل، فقال: هبة الله من هابيل، فاشتق اسمه من اسمه.

وقد مضى من ذكرنا الأخبار عن إسماعيل بن إبراهيم وآبائه وأمهاته فيما بينه وبين آدم، ومما كان من الأخبار والأحداث في كل زمان

من ذلك بعض ما انتهى إلينا، بوجيز من القول مختصر، في كتابنا هذا، فكرهنا إعادته.
وحدثت عن هشام بن محمد قال: كانت العرب تقول: إنما خدش الخدوش منذ ولد أبونا أنوش، وإنما حرم الحنث، منذ ولد أبونا شث، وهو بالسرانية شيث.
ونعود الآن إلى:

٢٠٧٠٢ ذكر رسول الله ص وأسبابه

ذكر رسول الله ص وأسبابه

فتوفي عبد المطلب بعد الفيل بثمانى سنين، كَذَلِكَ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ: وَكَانَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ يَوْصَى بِرَسُولِ اللَّهِ ص عَمَهُ أَبَا طَالِبٍ، وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ أَبَا رَسُولِ اللَّهِ ص كَانَا لَأَمٍّ، فَكَانَ أَبُو طَالِبٍ هُوَ الَّذِي يَلِي أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ص بَعْدَ جَدِّهِ، وَكَانَ يَكُونُ مَعَهُ ثُمَّ إِنَّ أَبَا طَالِبٍ خَرَجَ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ تَاجِرًا، فَلَمَّا تَبَهَّأَ لِلرَّحِيلِ وَأَجْمَعَ السَّيْرَ ضَبَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ص - فِيمَا يَزْعُمُونَ - فَرَقَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَخْرَجَنِي بِهِ مَعِيَ، وَلَا يَفَارِقُنِي وَلَا أَفَارِقُهُ أَبَدًا، أَوْ كَمَا قَالَ نَخْرَجُ بِهِ مَعَهُ، فَلَمَّا نَزَلَ الرُّكْبَ بِصُرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وَبِهَا رَاهِبٌ يَقَالُ لَهُ بِحِيرَى فِي صَوْمَعَةٍ لَهُ، وَكَانَ ذَا عِلْمٍ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَلَمْ يَزَلْ فِي تِلْكَ الصَّوْمَعَةِ مَذْقُطَ رَاهِبٍ، إِلَيْهِ يَصِيرُ عَلَيْهِمْ عَنْ كِتَابٍ - فِيمَا يَزْعُمُونَ - يَتَوَارَثُونَهُ كَبَرًا عَنْ كَبَرٍ فَلَمَّا نَزَلُوا ذَلِكَ الْعَامَ بِبَحِيرَى، صَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا كَثِيرًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ص وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ، عَلَيْهِ غِمَامَةٌ تَظِلُّهُ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ، ثُمَّ أَقْبَلُوا حَتَّى نَزَلُوا فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ قَرِيبًا مِنْهُ، فَنَظَرَ إِلَى الْغِمَامَةِ حِينَ أَظَلَّتِ الشَّجَرَةَ، وَتَهَصَّرَتْ أَغْصَانُ الشَّجَرَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، حَتَّى اسْتَظَلَ تَحْتَهَا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ بِحِيرَى، نَزَلَ مِنْ صَوْمَعَتِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَدَعَاهُمْ جَمِيعًا، فَلَمَّا رَأَى بِحِيرَى رَسُولَ اللَّهِ ص جَعَلَ يَلْحَظُهُ لَحَظًا شَدِيدًا، وَيَنْظُرُ إِلَى أَشْيَاءَ مِنْ جَسَدِهِ قَدْ كَانَ يَجِدُهَا عِنْدَهُ مِنْ صِفَتِهِ.

فَلَمَّا فَرَغَ الْقَوْمُ مِنَ الطَّعَامِ وَتَفَرَّقُوا، سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَنْ أَشْيَاءَ فِي حَالِهِ، فِي يَقْظَتِهِ وَفِي نَوْمِهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَخْبِرُهُ فَيَجِدُهَا بِحِيرَى مُوَافِقَةً لِمَا عِنْدَهُ مِنْ صِفَتِهِ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ظَهْرِهِ فَرَأَى خَاتَمَ النَّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، ثُمَّ قَالَ بِحِيرَى لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ: مَا هَذَا الْغَلَامُ مِنْكَ؟ قَالَ: ابْنِي، فَقَالَ لَهُ بِحِيرَى: مَا هُوَ بَابُكَ، وَمَا يَنْبَغِي لِهَذَا الْغَلَامِ أَنْ يَكُونَ أَبُوهُ حَيًّا قَالَ: فَإِنَّ ابْنَ أَخِي، قَالَ: فَمَا فَعَلَ أَبُوهُ؟ قَالَ:

مَاتَ وَأُمُّهُ حَبَلَى بِهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، أَرْجِعْ بِهِ إِلَى بَلَدِكَ، وَاحْذَرِ عَلَيْهِ يَهُودَ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ رَأَوْهُ وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا عَرَفْتُ، لَيَبْغَنَّهُ شَرًّا، فَإِنَّهُ كَائِنٌ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ، فَاسْرِعْ بِهِ إِلَى بَلَدِهِ نَخْرَجُ بِهِ عَمَهُ سَرِيعًا حَتَّى أَقْدِمَهُ مَكَّةَ.

وَقَالَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ: خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ بِرَسُولِ اللَّهِ ص إِلَى بَصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ.

حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نُوحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ، وَخَرَجَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي أَشْيَافٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الرَّاهِبِ هَبَطُوا حُلُّوا رِحَالَهُمْ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ - وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمْشُونَ بِهِ فَلَا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُ.

قَالَ: فَهُمْ يَحُلُّونَ رِحَالَهُمْ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمْ حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَقَالَ: هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هَذَا يَبْعَثُهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ فَقَالَ لَهُ أَشْيَافُ قُرَيْشٍ: مَا عَلَيْكَ؟ قَالَ:

إِنْكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ الْعَقْبَةِ لَمْ تَبْقَ شَجَرَةٌ وَلَا جَرٌّ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا، وَلَا يَسْجُدُونَ إِلَّا لِنَبِيِّ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النَّبُوَّةِ، أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفٍ كَتَفَهُ مِثْلَ التَّفَاحَةِ.

ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ كَانَ هُوَ فِي رِعْيَةِ الْإِبِلِ.

قَالَ: أَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ غِمَامَةً، فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَيْهِ، عَلَيْهِ غِمَامَةٌ تَظِلُّهُ! فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْقَوْمِ وَجَدَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَى فِيءِ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا

جَلَسَ مَالٌ فِي الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى فِيءِ الشَّجَرَةِ مَالٌ عَلَيْهِ، قَالَ:

فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ يَنَاشِدُهُمْ أَلَا يَذْهَبُوا بِهِ إِلَى الرُّومِ، فَإِنَّ الرُّومَ إِنْ رَأَوْهُ عَرَفُوهُ بِالصِّفَةِ فَتَتَلَوْهُ، فَالْتَفَتَ فَإِذَا هُوَ بِسَبْعَةِ نَفَرٍ قَدْ أَقْبَلُوا مِنَ الرُّومِ،

فَاسْتَقْبَلَهُمْ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ قَالُوا: جِئْنَا أَنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ، فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلَّا بُعِثَ إِلَيْهَا نَاسٌ، وَإِنَّا اخْتَرْنَا خَيْرَهُ، بَعَثْنَا إِلَى طَرِيقِكَ هَذَا، قَالَ لَهُمْ: هَلْ خَلَفْتُمْ خَلْفَكُمْ أَحَدًا هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ؟

قَالُوا: لَا، إِنَّمَا اخْتَرْنَا خَيْرَ طَرِيقِكَ هَذَا، قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَهُ، هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدُّهُ! قَالُوا: لَا، فَتَابَعُوهُ وَأَقَامُوا مَعَهُ، قَالَ: فَاتَاهُمْ، فَقَالَ: أَتَشُدُّكُمْ اللَّهُ، أَيْكُمْ وَلِيَّهُ؟ قَالُوا: أَبُو طَالِبٍ، فَلَمْ يَزَلْ يَنَاشِدُهُ حَتَّى رَدَّهُ، وَبَعَثَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِلَالًا، وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ الْكَعْكِ وَالزَّيْتِ.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن محمد بن عبد الله بن قيس بن مخزومة، عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب، عن أبيه محمد بن علي، [عن جدّه علي بن أبي طالب، قال:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص، يَقُولُ: مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْمَلُونَ بِهِ غَيْرَ مَرَّتَيْنِ، كُلُّ ذَلِكَ يَحُولُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُرِيدُ مِنْ ذَلِكَ.

ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بِسُوءٍ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِرِسَالَتِهِ، فَإِنِّي قَدْ قُلْتُ لَيْلَةً لِغُلَامٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَ يَرْعَى مَعِيَ بِأَعْلَى مَكَّةَ: لَوْ أَبْصَرْتَ لِي غَنَمِي حَتَّى أَدْخُلَ مَكَّةَ، فَاسْتَمَرَّ بِهَا كَمَا يَسْمُرُ الشَّبَابُ! فَقَالَ: أَفْعَلُ، فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ذَلِكَ، حَتَّى إِذَا جِئْتُ أَوَّلَ دَارٍ مِنْ دُورِ مَكَّةَ، سَمِعْتُ عَرَفًا بِالْدُّفُوفِ وَالْمَرَامِيرِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: فَلَانُ ابْنُ فَلَانٍ تَزَوَّجَ بِفُلَانَةٍ بِنْتِ فَلَانٍ.

فَجَلَسْتُ أَنْظُرَ إِلَيْهِمْ، فَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى أُذُنِي فَنِمْتُ فَمَا أَقْطِنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ، قَالَ: لَجِئْتُ صَاحِبِي، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ قُلْتُ: مَا صَنَعْتُ شَيْئًا، ثُمَّ أَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ لَهُ لَيْلَةً أُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ:

أَفْعَلُ، فَخَرَجْتُ فَسَمِعْتُ حِينَ جِئْتُ مَكَّةَ مِثْلَ مَا سَمِعْتُ حِينَ دَخَلْتُ مَكَّةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَجَلَسْتُ أَنْظُرَ، فَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى أُذُنِي، فَوَاللَّهِ مَا أَقْطِنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ، فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ، ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهَا بِسُوءٍ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِرِسَالَتِهِ]

٢٠٧٠٣ ذكر تزويج النبي ص خديجه رضي الله عنها

ذكر تزويج النبي ص خديجة رضي الله عنها

قال هشام بن محمد: نكح رسول الله ص خديجة، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وخديجة يومئذ ابنة أربعين سنة. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ بِنِ اسْدٍ بِنِ عَبْدِ الْعَزَى بِنِ قُصَيٍّ امْرَأَةً تَاجِرَةً، ذَاتَ شَرَفٍ وَمَالٍ، تَسْتَجِرُ الرِّجَالَ فِي مَالِهَا، وَتَضَارِبُهُمْ إِيَّاهُ بِشَيْءٍ تَجْعَلُهُ لَهُمْ مِنْهُ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَوْمًا تَجَارًا، فَلَمَّا بَلَغَهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص مَا بَلَغَهَا مِنْ صِدْقِ حَدِيثِهِ، وَعِظَمِ أَمَانَتِهِ، وَكَرَمِ أَخْلَاقِهِ، بَعَثَتْ إِلَيْهِ، فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُخْرِجَ فِي مَالِهَا إِلَى الشَّامِ تَاجِرًا، وَتُعْطِيَهُ أَفْضَلَ مَا كَانَتْ تُعْطِي غَيْرَهُ مِنَ التُّجَارِ، مَعَ غُلَامٍ لَهَا يُقَالُ لَهُ مَيْسِرَةُ فَقَبِلَهُ مِنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ص، وَخَرَجَ مَعَهُ غُلَامًا مَيْسِرَةً، حَتَّى قَدِمَا الشَّامَ، فَزَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ قَرِيبًا مِنْ صَوْمَعَةِ رَاهِبٍ مِنَ الرُّهْبَانِ، فَأَطْلَعَ الرَّاهِبُ رَأْسَهُ إِلَى مَيْسِرَةَ فَقَالَ: مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ؟ فَقَالَ لَهُ مَيْسِرَةُ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: مَا

نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ قَطُّ الْإِنْبِيَّاءِ، ثُمَّ بَاعَ رَسُولُ اللَّهِ ص سِلْعَتَهُ الَّتِي خَرَجَ بِهَا، وَاشْتَرَى مَا أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَ، ثُمَّ أَقْبَلَ قَافِلًا إِلَى مَكَّةَ، وَمَعَهُ مَيْسِرَةٌ.

فَكَانَ مَيْسِرَةً - فِيمَا يَزْعُمُونَ - إِذَا كَانَتْ الْهَاجِرَةُ وَاشْتَدَّ الْحَرُّ يَرَى مَلَكَ يَظْلُلَانِهِ مِنَ الشَّمْسِ، وَهُوَ يَسِيرُ عَلَى بَعِيرِهِ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ عَلَى خَدِيجَةَ بِمَالِهَا، بَاعَتْ مَا جَاءَ بِهِ فَأَضْعَفَتْ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ وَحَدَّثَهَا مَيْسِرَةً عَنْ قَوْلِ الرَّاهِبِ، وَعَمَّا كَانَ يَرَى مِنْ إِضْلَالِ الْمَلَائِكَةِ إِيَّاهُ - وَكَانَتْ خَدِيجَةُ امْرَأَةً حَازِمَةً لَبِيَّةَ شَرِيفَةٍ، مَعَ مَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَا مِنْ كَرَامَتِهِ - فَلَمَّا أَخْبَرَهَا مَيْسِرَةَ بِمَا أَخْبَرَهَا، بَعَثَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَقَالَتْ لَهُ - فِيمَا يَزْعُمُونَ -: يَا بَنَ عَمِّ، إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِيكَ لِقَرَابَتِكَ وَسُطُوكَ فِي قَوْمِكَ، وَأَمَانَتِكَ وَحُسْنِ خُلُقِكَ وَصِدْقِ حَدِيثِكَ ثُمَّ عَرَضَتْ عَلَيْهِ نَفْسَهَا، وَكَانَتْ خَدِيجَةُ يَوْمَئِذٍ أَوْسَطَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ نِسَاءً، وَأَعْظَمَهُنَّ شَرَفًا، وَأَكْثَرَهُنَّ مَالًا، كُلُّ قَوْمٍ كَانَ حَرِيصًا عَلَى ذَلِكَ مِنْهَا لَوْ يَقْدَرُ عَلَيْهَا.

فَلَمَّا قَالَتْ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص ذَكَرَ ذَلِكَ لِأَعْمَامِهِ، فَخَرَجَ مَعَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عُمُهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ، فَنَظَّطَبَهَا إِلَيْهِ فَتَزَوَّجَهَا، فَوُلِدَتْ لَهُ وَلَدُهُ كُلُّهُمْ إِلَّا إِبْرَاهِيمَ: زَيْنَبُ، وَرَقِيَّةُ، وَأُمُّ كُلْثُومٍ، وَفَاطِمَةُ، وَالْقَاسِمُ - وَبِهِ كَانَ يَكْنَى ص - وَالطَّاهِرُ وَالطَّيِّبُ فَأَمَّا الْقَاسِمُ وَالطَّاهِرُ وَالطَّيِّبُ، فَهَلَكُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَمَّا بَنَاتُهُ فَكُلُّهُنَّ أَدْرَكْنَ الْإِسْلَامَ فَاسْلَمْنَ، وَهَاجَرْنَ مَعَهُ ص.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو، قَالَ: حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ وَغَيْرُهُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ الزَّهْرِيِّ - وَقَدْ قَالَ ذَلِكَ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ: إِنَّ خَدِيجَةَ إِذَا كَانَتْ اسْتَأْجَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ ص وَرَجَلًا آخَرَ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى سَوَاقِ حَبَاشَةَ بَهَامَةٍ، وَكَانَ الَّذِي زَوَّجَهَا إِيَّاهُ خُوَيْلِدٌ، وَكَانَ الَّتِي مَشَتْ فِي ذَلِكَ مَوْلَاةٌ مَوْلِدَةٌ مِنْ مَوْلِدَاتِ مَكَّةَ. قَالَ الْحَارِثُ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ: قَالَ الْوَاقِدِيُّ: فَكُلُّ هَذَا غُلْطٌ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَيَقُولُونَ أَيْضًا إِنَّ خَدِيجَةَ أُرْسِلَتْ إِلَى النَّبِيِّ ص تَدْعُوهُ إِلَى نَفْسِهَا - تَعْنِي التَّزْوِيجَ - وَكَانَتْ امْرَأَةً ذَاتَ شَرَفٍ، وَكَانَ كُلُّ قُرَيْشٍ حَرِيصًا عَلَى نِكَاحِهَا - قَدْ بَذَلُوا الْأَمْوَالَ لَوْ طَمَعُوا بِذَلِكَ، فَدَعَتْ أَبَاهَا فَسَقَتْهُ نَحْرًا حَتَّى ثَمَلَتْ، وَنَحَرَتْ بِقَرَّةٍ وَخَلَقَتْهُ بِخُلُقٍ، وَأَلْبَسَتْهُ حِلَّةَ حَبْرَةٍ، ثُمَّ أُرْسِلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فِي عَمُومَتِهِ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَزَوَّجَهُ، فَلَمَّا صَحَّ قَالَ: مَا هَذَا الْعَقِيرُ؟ وَمَا هَذَا الْعَبِيرُ؟ وَمَا هَذَا الْحَبِيرُ؟ قَالَتْ: زَوْجَتِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: مَا فَعَلْتَ أَنْتِ أَفْعَلُ هَذَا وَقَدْ خَطَبْتُكَ أَكْبَرُ قُرَيْشٍ، فَلَمْ أَفْعَلْ! قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَهَذَا غُلْطٌ، وَالثَّبِتُ عِنْدَنَا الْمَحْفُوظُ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ بْنِ مُطْعِمٍ وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي حَبِيْبَةَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عَمَّهُا عَمْرُو بْنُ أَسَدٍ زَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ص، وَأَنَّ أَبَاهَا مَاتَ قَبْلَ الْفَجَارِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَكَانَ مَنْزِلُ خَدِيجَةَ يَوْمَئِذٍ الْمَنْزِلَ الَّذِي يَعْرِفُ بِهَا الْيَوْمَ، فَيُقَالُ: مَنْزِلُ خَدِيجَةَ، فَاشْتَرَاهُ مَعَاوِيَةُ - فِيمَا ذَكَرَ - فَجَعَلَهُ مَسْجِدًا يَصَلِّي فِيهِ النَّاسُ، وَبَنَاهُ عَلَى الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ لَمْ يَغْيُرْ وَأَمَّا الْحَجَرُ الَّذِي عَلَى بَابِ الْبَيْتِ عَنْ يَسَارٍ مِنْ يَدِ الْبَيْتِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص كَانَ يَجْلِسُ تَحْتَهُ يَسْتَرُّ بِهِ مِنَ الرِّيحِ إِذَا جَاءَهُ مِنْ دَارِ أَبِي لَهَبٍ، وَدَارِ عَدَى ابْنِ حَمْرَاءِ الثَّقَفِيِّ خَلْفَ دَارِ ابْنِ عُلْقَمَةَ، وَالْحَجَرُ ذِرَاعٌ وَشِبْرٌ فِي ذِرَاعٍ

٢٠٧٠٤ ذكر باقي الأخبار عن الكائن من أمر رسول الله ص قبل أن ينبأ، وما كان بين مولده ووقت نبوته من الأحداث في بلده

ذكر باقي الأخبار عن الكائن من أمر رسول الله ص قبل أن ينبأ، وما كان بين مولده ووقت نبوته من الأحداث في بلده قال أبو جعفر: قد ذكرنا قبل سبب تزويج النبي ص خديجة واختلاف المختلفين في ذلك، ووقت نكاحه ص إياها. وبعد السنة التي نكحها فيها رسول الله ص هدمت قريش الكعبة بعشر سنين ثم بنتها - وذلك في قول ابن إسحاق - في سنة خمس وثلاثين من مولد رسول الله ص.

وكان سبب هدمهم إياها فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، أن الكعبة كانت رضة فوق القامة، فأرادوا رفعها وتسقيفها، وذلك أن نفرا من قريش وغيرهم سرقوا كنز الكعبة، وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة.

وكان أمر غزالي الكعبة- فيما حدثت عن هشام بن محمد، عن أبيه- أن الكعبة كانت رفعت حين غرق قوم نوح، فأمر الله إبراهيم خليله ع وابنه إسماعيل أن يعيدا بناء الكعبة على أسسها الأول، فأعادا بناءها، كما أنزل في القرآن: «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»، فلم يكن له ولادة منذ زمن نوح ع، وهو مرفوع ثم أمر الله عز وجل إبراهيم أن ينزل ابنه إسماعيل البيت، لما أراد الله من كرامة من أكرمه بنبيه محمد ص، فكان إبراهيم خليل الرحمن وابنه إسماعيل يليان البيت بعد عهد نوح، ومكة يومئذ بلاقع، ومن حول مكة يومئذ جرهم والعماليق فنكح إسماعيل ع امرأه من جرهم، فقال في ذلك عمرو بن الحارث بن مضاض:

وصاهرنا من أكرم الناس والدا ... فأبناءؤه منا ونحن الأصاهر

فولي البيت بعد إبراهيم إسماعيل، وبعد إسماعيل نبت، وأمه الجرهمية، ثم مات نبت، ولم يكثر ولد إسماعيل، فغلبت جرهم على ولاية البيت، فقال عمرو بن الحارث بن مضاض:

وكنا ولادة البيت من بعد نابت ... نطوف بذاك البيت، والخير ظاهر

فكان أول من ولي من جرهم البيت مضاض، ثم وليته بعده بنوه كبرا بعد كبر، حتى بغت جرهم بمكة، واستحلوا حرمتها، وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها، وظلموا من دخل مكة، ثم لم يتناهوا حتى جعل الرجل منهم إذا لم يجد مكانا يزني فيه يدخل الكعبة فزنى فزعموا أن إسافا بغى بنائلة في جوف الكعبة، فمسخا حجرا، وكانت مكة في الجاهلية لا ظلم ولا بغى فيها، ولا يستحل حرمتها ملك إلا هلك مكانه فكانت تسمى الناسة، وتسمى بكة، تبك أعناق البغايا إذا بغوا فيها، والجبارة.

قال: ولما لم تنه جرهم عن بغيا، وتفرق أولاد عمرو بن عامر من اليمن، فأنزع بنو حارثة بن عمرو، فأوطنوا تهامة- فسميت خزاعة، وهم بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة- وأسلم ومالك وملكان بنو أفضى بن حارثة، فبعث الله على جرهم الرعاف والنمل، فأفناهم فاجتمعت خزاعة ليجلوا من بقي، ورئيسهم عمرو بن ربيعة بن حارثة، وأمه فهيرة بنت عامر بن الحارث ابن مضاض، فاقتتلوا فلها أحسن عامر بن الحارث بالهزيمة، خرج بغزالي الكعبة وحجر الركن يلتمس التوبة، وهو يقول:

لا هم ان جرهما عبادك ... الناس طرف وهم تلادك

بهم قديما عمرت بلادك.

فلم تقبل توبته، فألقى غزالي الكعبة وحجر الركن في زمزم، ثم دفنها وخرج من بقي من جرهم إلى أرض من أرض جهينة، فجاءهم سيل أتى فذهب بهم، فذلك قول أمية بن أبي الصلت:

وجرهم دمنوا تهامة في الدهر ... فسالت بجمعهم إضم

وولي البيت عمرو بن ربيعة وقال بنو قصي: بل وليه عمرو بن الحارث الغبشاني، وهو يقول:

ونحن ولينا البيت من بعد جرهم ... لنعمره من كل باغ وملحد

وقال:

واد حرام طيره ووحشه ... نحن ولاته فلا نغشه

وقال عامر بن الحارث:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلي نحن كما أهلها فأبادنا ... صروف الليالي والحدود العواثر

وقال:

يا أيها الناس سيروا إن قصركم ... أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا

كما أناسا كما كنتم فغيرنا ... دهر، فأنتم كما كنا تكونونا

حشا المطي وأرخوا من أزمته ... قبل الممات وقضوا ما تقضونا

يقول: اعملوا لآخرتكم، وافرغوا من حوائجكم في الدنيا، فوليت خزاعة البيت، غير أنه كان في قبائل مضر ثلاث خلال: الإجازة بالحج للناس من

عرفة، وكان ذلك إلى الغوث بن مر- وهو صوفة- فكانت إذا كانت الإجازة قالت العرب: أجيزي صوفة والثانية الإفاضة من جمع غداة النحر إلى منى، فكان ذلك إلى بني زيد بن عدوان، فكان آخر من ولي ذلك منهم أبو سيارة عميلة بن الأعرل بن خالد بن سعد بن الحارث بن وابلش ابن زيد، والثالثة النسيء للشهور الحرم، فكان ذلك إلى القلمس، وهو حذيفة بن ققيم بن عدي من بني مالك بن كنانة، ثم بنيه حتى صار ذلك إلى آخرهم أبي ثمامة، وهو جنادة بن عوف بن أمية بن قلع بن حذيفة.

وقام عليه الإسلام، وقد عادت الحرم إلى أصلها، فأحكها الله وأبطل النسيء، فلما كثرت معد تفرقت، فذلك قول مهلهل: غنيت دارنا تهامة في الدهر... وفيها بنو معد حلولا.

وأما قريش، فلم يفارقوا مكة، فلما حفر عبد المطلب زمزم، وجد الغزالين، غزالي الكعبة اللذين كانت جرهم دفنتهما فيه، فاستخرجهما، وكان من أمره وأمرهما ما قد ذكرت في موضع ذلك فيما مضى من هذا الكتاب قبل.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق قال: وكان الذي وجد عنده الكنز دويكا مولى لبني مليح بن عمرو، من خزاعة فقطعت قريش يده من بينهم، وكان ممن اتهم في ذلك الحارث بن عامر بن نوفل، وابو إهاب ابن عزيز بن قيس بن سويد التيمي- وكان أخا الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف لأمه- وأبو لهب بن عبد المطلب، وهم الذين تزعم قريش أنهم وضعوا كنز الكعبة حين أخذه عند دويك مولى بني مليح، فلما اتهمتهم قريش، دلوا على دويك، فقطع، ويقال: هم وضعوه عنده.

وذكروا أن قريشا حين استيقنوا بأن ذلك كان عند الحارث بن عامر ابن نوفل بن عبد مناف، خرجوا به إلى كاهنة من كهان العرب، فسجعت عليه من كهانتها ألا يدخل مكة عشر سنين، بما استحل من حرمة الكعبة، فزعموا أنهم أخرجه من مكة، فكان فيما حولها عشر سنين، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار الروم، فتحطمت، فأخذوا خشبها فأعدوه لسقفها، وكان بمكة رجل قبضي نجار، فتهياً لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم، فتشرف على جدار الكعبة، فكانوا يهابونها، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احزالت وكشت وفتحت فاهها، فبينما هي يوما تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع، بعث الله عليها طائراً، فاخطفها فذهب بها، فقالت قريش: إنا لنرجو أن يكون الله عز وجل قد رضي ما أردنا عندنا عامل رقيق، وعندنا خشب، وقد كفانا الله أمر الحية وذلك بعد الفجار بخمس عشرة سنة، ورسول الله ص عامئذ ابن خمس وثلاثين سنة.

فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم، فتناول من الكعبة حجراً، فوثب من يده، حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيباً، ولا تدخلوا فيها مهربغى، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس.

قال: والناس يخلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة، حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن عبد الله ابن أبي نجيح المكي، أنه حدث عن عبد الله بن صفوان بن أمية بن

خلف، أنه رأى ابنا لجعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم يطوف بالبيت، فسأل عنه فقيل له: هذا ابن لجعدة ابن هبيرة، فقال عند ذلك عبد الله بن صفوان جد هذا- يعني أبا وهب الذي أخذ من الكعبة حجراً حين اجتمعت قريش لهدمها، فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه، فقال عند ذلك: يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيباً، لا تدخلوا فيها مهربغى، ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد.

وأبو وهب خال أبي رسول الله ص، وكان شريفاً.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: ثم إن قريشا تجزأت الكعبة، فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وتيم وقبائل من قريش، ضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبني جمح وبني سهم، وكان شق الحجر- وهو الحطيم- لبني عبد الدار بن قصي ولبني أسد بن عبد العزى بن قصي، وبني عدي بن كعب.

ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدوكم في هدمها، فأخذ المعول ثم قام عليها، وهو يقول: اللهم لم ترع، اللهم لا نريد إلا الخير ثم هدم من ناحية الركنين، فترى الناس به تلك الليلة، وقالوا: ننظر، فإن أصيب لم نهدم منها شيئا، ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله ما صنعنا هدمنا. فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله، فهدم والناس معه، حتى انتهى الهدم إلى الأساس، فأفضوا إلى حجارة خضر كأنها أسنة أخذ بعضها ببعض.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن بعض من يروي الحديث، أن رجلا من قريش ممن كان يهدمها، أدخل عتلة بين حجرين منها، ليقلع بها أحدهما، فلما تحرك الحجر انتقضت مكة بأسرها، فانتهاوا عند ذلك إلى الأساس. قال: ثم إن القبائل جمعت الحجارة لبنائها، جعلت كل قبيلة تجمع على حديثها، ثم بنوا حتى إذا بلغ البنيان موضع الركن اختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاوروا وتحالفوا وتواعدوا للقتال، ففرت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما، ثم تعافدوا هم

وبنو عدي بن كعب على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في الجفنة، فسموا لعقة الدم بذلك، فكثت قريش أربع ليالٍ أو خمس ليالٍ على ذلك.

ثم إنهم اجتمعوا في المسجد، فتشاوروا وتناصفوا، فزعم بعض الرواة أن أبا أمية ابن المغيرة كان عامداً أسن قريش كلها، قال: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تحتلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد، يقضي بينكم فيه، فكان أول من دخل عليهم رسول الله ص، فلما رآه قالوا: هذا الأمين، قد رضي بنا به، هذا محمد فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال: هلم لي ثوبا، فأتي به فأخذ الركن، فوضعه فيه بيده ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم أرفعوه جميعا، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه بيده، ثم بنى عليه، وكانت قريش تسمى رسول الله ص قبل أن ينزل عليه الوحي الأمين.

قال أبو جعفر: وكان بناء قريش الكعبة بعد الفجار بخمس عشرة سنة، وكان بين عام الفيل وعام الفجار عشرون سنة. واختلف السلف في سن رسول الله ص حين نبى كم كانت؟ فقال بعضهم: نبى رسول الله ص بعد ما بنت قريش الكعبة بخمس سنين، وبعد ما تمت له من مولده أربعون سنة. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن خلف العسقلاني، قال: حدثنا آدم، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: حدثنا أبو جمرة الضبي، عن ابن عباس، قال: بعث رسول الله ص لأربعين سنة

حدثنا عمرو بن علي وابن المثني، قالوا: حدثنا يحيى بن محمد بن قيس قال: سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن يذكر عن أنس بن مالك، أن رسول الله ص بعث على رأس أربعين.

حدثنا العباس بن الوليد، قال: أخبرني أبي، قال: حدثنا الأوزاعي، قال: حدثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن، قال: حدثني أنس بن مالك أن رسول الله ص بعث على رأس أربعين.

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي، قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة، عن الأوزاعي، قال: حدثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن، قال: حدثني أنس بن مالك، أن رسول الله ص بعث على رأس أربعين.

حدثني أبو شريحيل الحمصي، قال: حدثني أبو اليمان، قال:

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيَّاشٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ ص وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ بْنُ الْمُهَالِبِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ، عَنْ حَمَّادٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَمْرُو، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ، [أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ لِفَاطِمَةَ: إِنَّهُ كَانَ يُعْرَضُ عَلَيَّ الْقُرْآنُ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ قَدْ عُرِضَ عَلَيَّ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنَّهُ قَدْ خِيلَ إِلَيَّ أَنْ أَجْلِيَ قَدْ حَضَرَ، وَأَنَّ أَوَّلَ أَهْلِي لِحَاقًا بِي أَنْتِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيٌّ إِلَّا بُعِثَ الَّذِي بَعْدَهُ بِنِصْفٍ مِنْ عُمُرِهِ، وَبُعِثَ عِيسَى لِأَرْبَعِينَ، وَبُعِثْتُ لِعِشْرِينَ]

حَدَّثَنِي عُبَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقُ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، قَالَ:

حَدَّثَنَا هِشَامٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً. حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَيْمُونٍ الزَّعْفَرَانِيُّ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَأُنْزِلَ عَلَيْهِ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ نَبِيٌّ حِينَ نَبِيٍّ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ الرَّازِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ ص وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص الْوَحْيُ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى ابْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدًا - يَعْنِي ابْنَ الْمُسَيَّبِ - يَقُولُ: انْزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص الْوَحْيُ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.

٢٠٧٥ ذكر اليوم الذي نبي فيه رسول الله ص من الشهر الذي نبي فيه وما جاء في ذلك

ذكر اليوم الذي نبي فيه رسول الله ص من الشهر الذي نبي فيه وما جاء في ذلك قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: صَحَّ اخْبَرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص بِمَا حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ غِيلَانَ بْنِ جَرِيرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَعْبُدٍ الزَّمَانِيَّ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ، [أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص سُئِلَ عَنْ صَوْمِ الْأَثْنَيْنِ، فَقَالَ: ذَلِكَ يَوْمٌ وَلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ - أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ] .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى الْأَشْجَبِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هِلَالٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا غِيلَانُ بْنُ جَرِيرٍ الْمُعَوَّلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْبُدٍ الزَّمَانِيُّ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ [قَالَ لِلنَّبِيِّ ص: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، صَوْمُ يَوْمِ الْأَثْنَيْنِ؟ قَالَ: ذَاكَ يَوْمٌ وَلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ فِيهِ النَّبُوءَةُ] .

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ، عَنْ ابْنِ لُحَيْعَةَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ، عَنْ حَنْشِ الصَّنَعَانِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ،

قَالَ:

وُلِدَ النَّبِيُّ ص يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَاسْتُنِيَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَهَذَا مِمَّا لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ.

وَاخْتَلَفُوا فِي أَيِّ الْاِثْنَيْنِ كَانَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص لِثَمَانِي عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن الحسن بن دينار، عن أيوب، عن أَبِي قِلَابَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ

الجرمي، أنه كان يقول- فيما بلغه وانتهى إليه من العلم: أنزل الفرقان على رسول الله ص لثماني عشرة ليلة خلت من رمضان.

وقال آخرون: بل أنزل لأربع وعشرين ليلة خلت منه.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق،: حدثني من لا يهتم، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة بن دعامة

السدوسي، عن أبي الجلد، قال: نزل الفرقان لأربع وعشرين ليلة خلت من رمضان.

وقال آخرون: بل نزل لسبع عشرة خلت من شهر رمضان، واستشهدوا لتحقيق ذلك بقول الله عز وجل: «وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ

الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ أَتَىٰ الْجَمْعَانِ»، وذلك ملتقى رسول الله ص والمشركون ببدر، وإن التقاء رسول الله ص والمشركون ببدر كان صبيحة

سبع عشرة من رمضان.

قال أبو جعفر: وكان رسول الله ص من قبل أن يظهر له جبريل ع برسالة الله عز وجل إليه- فيما ذكر عنه- يرى ويعاين آثارا وأسبابا

من آثار من يريد الله إكرامه واختصاصه بفضله، فكان من ذلك ما قد ذكرت فيما مضى من خبره عن الملكين اللذين أتياه فشقا بطنه،

واستخرجا ما فيه من الغل والدنس، وهو عند أمه من

الرضاعة حليلة، ومن ذلك أنه كان إذا مر في طريق لا يمر- فيما ذكر- عنه بشجر ولا حجر فيه إلا سلم عليه.

حدثني الحارث بن محمد، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا علي بن محمد بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب،

عن منصور بن عبد الرحمن، عن أمه، عن برة بنت أبي تجرة، قالت:

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص حِينَ أَرَادَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ وَابْتِدَاءَهُ بِالنَّبُوءَةِ، كَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَبْعَدَ حَتَّى لَا يَرَى بَيْتًا، وَيُقْضَىٰ إِلَى الشَّعَابِ وَبُطُونِ

الْأَوْدِيَةِ، فَلَا يَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرَةٍ إِلَّا قَالَتْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَانَ يَلْتَفِتُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَخَلْفَهُ فَلَا يَرَى أَحَدًا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَكَانَتْ الْأُمَمُ تَحْدُثُ بِمَبْعَثِهِ وَتُخْبِرُ عُلَمَاءُ كُلِّ أُمَّةٍ مِنْهَا قَوْمًا بِذَلِكَ، وَقَدْ حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ،

قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الْحَكَمِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ نَفِيلٍ يَقُولُ:

أَنَا أَنْتَظِرُ نَبِيًّا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَلَا أَرَانِي أَدْرَكَهُ، وَأَنَا أَوْمِنُ بِهِ وَأُصَدِّقُهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَإِنْ طَالَ بِكَ مَدَّةٌ

فَرَأَيْتَهُ، فَأَقْرِئْتُهُ مِنِّي السَّلَامَ، وَسَأُخْبِرُكَ مَا نَعْتُهُ حَتَّى لَا يَخْفَى عَلَيْكَ! قُلْتُ: هَلُمَّ، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ لَيْسَ بِالْقَصِيرِ وَلَا بِالطَّوِيلِ، وَلَا بِكَثِيرِ

الشَّعْرِ وَلَا بِقَلِيلِهِ، وَلَيْسَتْ تُفَارِقُ عَيْنَهُ حُمْرَةٌ، وَخَاتَمُ النَّبُوءَةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَاسْمُهُ أَحْمَدُ، وَهَذَا الْبَلَدُ مَوْلَدُهُ وَمَبْعَثُهُ، ثُمَّ يُخْرِجُهُ قَوْمُهُ مِنْهَا،

وَيَكْرَهُونَ مَا جَاءَ بِهِ، حَتَّى يَهَاجِرَ إِلَى يَثْرَبَ فَيُظْهِرُ أَمْرَهُ، فَإِيَّاكَ أَنْ تُخَدَعَ عَنْهُ، فَإِنِّي طُفْتُ الْبِلَادَ كُلَّهَا أَطْلُبُ دِينَ إِبْرَاهِيمَ، فَكُلُّ مَنْ

أَسْأَلَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ يَقُولُونَ: هَذَا الدِّينُ وَرَاءَكَ، وَيَنْعَتُونَهُ مِثْلَ مَا نَعْتُهُ لَكَ، وَيَقُولُونَ: لَمْ يَبْقَ نَبِيٌّ غَيْرُهُ

قَالَ عَامِرٌ: فَلَمَّا أَسْلَمْتُ أَخْبَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص قول زيد ابن عمرو وأقارنته منه السلام، [فَرَدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ص، وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ، وَقَالَ:

قَدْ رَأَيْتُهُ فِي الْجَنَّةِ يَسْحَبُ ذِيْلًا].

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ عَمَّنْ لَا يَتَّبِعُهُم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ مَوْلَى عُثْمَانَ، أَنَّهُ حَدَّثَنَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بَيْنَا هُوَ جَالِسٌ فِي النَّاسِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ص، إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ دَاخِلَ الْمَسْجِدِ، يُرِيدُ عُمَرَ - يَعْنِي ابْنَ الْخَطَّابِ - فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَعَلَى شَرِّهِ بَعْدَ، مَا فَارَقَهُ - أَوْ لَقَدْ كَانَ كَاهِنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ - فَسَلَّمَ عَلَيْهِ الرَّجُلُ، ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: هَلْ أَسْلَمْتَ؟

فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: هَلْ كُنْتَ كَاهِنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! لَقَدْ اسْتَقْبَلْتَنِي بِأَمْرِ مَا أَرَاكَ قُلْتَهُ لِأَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ مُنْذُ وَلِيتَ! فَقَالَ عُمَرُ:

اللَّهُمَّ غُفْرًا، قَدْ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى شَرٍّ مِنْ ذَلِكَ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَعْتَقُ الْأَوْثَانَ حَتَّى أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَقَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقَدْ كُنْتُ كَاهِنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَالَ: فَأَخْبَرْنَا مَا أَعْجَبَ مَا جَاءَكَ بِهِ صَاحِبُكَ قَالَ: جَاءَنِي قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِشَهْرٍ - أَوْ سَنَةٍ - فَقَالَ لِي: أَلَمْ تَرَ إِلَى الْجَنِّ وَابِلَاسِهَا، وَإِيَّاسِهَا مِنْ دِينِهَا، وَلَحُوقِهَا بِالْقِلَاصِ وَأَحْلَاسِهَا.

قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ يُحَدِّثُ النَّاسُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَعِنْدَ وَثْنٍ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ ذَبَحَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ عَجَلًا فَحَنَ نَظَرَ قِسْمَهُ لِيَقْسِمَ لَنَا مِنْهُ، إِذْ سَمِعْتُ مِنْ جَوْفِ الْعِجْلِ صَوْتًا مَا سَمِعْتُ صَوْتًا قَطُّ أَنْفَذَ مِنْهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِشَهْرٍ أَوْ شَيْعِهِ، يَقُولُ: يَا آلَ ذَرِيحٍ،

أَمْرٌ نَجِيحٌ، وَرَجُلٌ يَصِيحُ، يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ، مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، مِثْلَهُ. حَدَّثَنَا الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ صَنْمٍ بَبَوَانَةَ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِشَهْرٍ، نَحْرُنَا جُرُورًا، فَإِذَا صَاحٌ يَصِيحُ مِنْ جَوْفٍ وَاحِدَةٍ:

اسْمَعُوا إِلَى الْعَجَبِ! ذَهَبَ اسْتِرَاقُ الْوَحْيِ، وَزَمِيَ بِالشُّهْبِ لِنَبِيِّ بِمَكَّةَ اسْمُهُ أَحْمَدُ، مَهَاجَرُهُ إِلَى يَثْرِبَ قَالَ: فَأَمْسَكْنَا، وَعَجَبْنَا، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سِنَانَ الْقَطَّانُ الْوَاسِطِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ النَّبِيِّ ص، فَقَالَ: أُرِنِي الْخَاتِمَ الَّذِي بَيْنَ كَتِفَيْكَ، فَإِنْ يَكُ بِكَ طَبٌّ دَاوَيْتُكَ، فَإِنِّي أَطْبُ الْعَرَبَ، [قَالَ: أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيكَ آيَةً؟]

قَالَ: نَعَمْ، ادْعُ ذَاكَ الْعِذْقَ، قَالَ: فَنَظَرَ إِلَى عِذْقٍ فِي نَخْلَةٍ، فِدَعَاهُ فَجَعَلَ يَنْقِزُ، حَتَّى قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ: قُلْ لَهُ فَلْيَرْجَعْ، فَجَعَلَ، فَقَالَ الْعَامِرِيُّ: يَا بَنِي عَامِرٍ، مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ أَشْعَرًا! قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَالْأَخْبَارُ عَنِ الدَّلَالَةِ عَلَى نُبُوته ص أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَحْصَى، وَلِذَلِكَ كُتِبَ يَفْرَدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَنَرْجِعُ الْآنَ إِلَى:

٢٠٧٠٦ ذكر الخبر عما كان من أمر نبي الله ص عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإكرامه بإرسال جبريل ع إليه بوحيه

ذكر الخبر عما كان من أمر نبي الله ص عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإكرامه بإرسال جبريل ع إليه بوحيه
قال أبو جعفر: قد ذكرنا قبل بعض الأخبار الواردة عن أول وقت مجيء جبريل نبينا محمدا ص بالوحي من الله، وكم كان سن النبي ص يومئذ، ونذكر الآن صفة ابتداء جبريل إياه بالمصير إليه، وظهوره له بتنزيل ربه.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُمَانَ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي الْجَوَّاءِ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ التَّعْمَانَ بْنَ رَاشِدٍ، يُحَدِّثُ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ أَوَّلُ مَا ابْتَدَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةَ، كَانَتْ نَجِيءٌ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حَبَبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ بَغَارُ بَحْرَاءَ يَتَخَنُّ فِيهِ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ، [فَأَتَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: جُثُوثُ لِرُكْبَتِي وَأَنَا قَائِمٌ، ثُمَّ زَحَفْتُ تَرْجِفُ بَوَادِرِي، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: زَمِلُونِي، زَمِلُونِي! حَتَّى ذَهَبَ عَنِّي الرَّوْعُ، ثُمَّ أَتَانِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَطْرَحَ نَفْسِي مِنْ حَالِقٍ مِنْ جَبَلٍ، فَتَبَدَّى لِي حِينَ هَمَمْتُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنَا جَبْرِيلُ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَتَّنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ قَالَ: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ»، فَقَرَأْتُ فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: لَقَدْ أَشْفَقْتُ عَلَى نَفْسِي، فَأَخْبَرْتَهَا خَبْرِي، فَقَالَتْ: ابْشِرْ، فَوَاللَّهِ لَا يَخْزِيكَ اللَّهُ ابْدَاءً، وَوَاللَّهُ أَنْكَ لَتَصِلَ

الرَّحِيمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَوَدِّي الْأَمَانَةَ، وَتَحْمِلُ الْكُلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتَعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ثُمَّ انْطَلَقْتُ بِي إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدٍ، قَالَتْ: اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَسَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي، فَقَالَ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ! قُلْتُ: أَخْرِجِيَّ هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَنَّهُ لَمْ يَجِيءَ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَلَئِنْ أَدْرَكَنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا.

ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ بَعْدَ اقْرَأْ: «ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ.

مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مُمْنٍ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ فَسَتَبْصُرُ وَيَبْصُرُونَ»، و «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ» وَ «وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى» .

[حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ ثُمَّ ذَكَرَتْ نَحْوَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ مَا أَنْزَلَ عَلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ.

إِلَى آخِرِهِ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَّارِبِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ الشَّيْبَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ، قَالَ: [اتَى جَبْرِيلُ مُحَمَّدًا ص، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اقْرَأْ؟ فَقَالَ: مَا أَقْرَأُ؟

قَالَ: فَضَمَّهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَضَمَّهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اقْرَأْ، قَالَ: وَمَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ.

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ» حَتَّى بَلَغَ «عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»، قَالَ:

جَاءَ إِلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: يَا خَدِيجَةُ، مَا أَرَانِي إِلَّا قَدْ عَرِضَ لِي، قَالَتْ:

كَلَّا وَاللَّهِ مَا كَانَ رَبُّكَ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِكَ، [مَا أَتَيْتُ فَاحِشَةً قَطُّ قَالَ: فَأَتَتْ

خَدِيجَةُ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ فَأَخْبَرَتْهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتُ صَادِقَةً، إِنَّ زَوْجَكَ لَنَبِيٍّ، وَلَيَلْقَيْنَ مِنْ أُمَّتِهِ شِدَّةً، وَلَئِنْ أَدْرَكْتَهُ لَاؤْمِنَنَّ بِهِ.

قَالَ: ثُمَّ أَبْطَأَ عَلَيْهِ جَبْرِيلُ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا قَدْ قَلَاكَ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى» .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

حَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَهُوَ يَقُولُ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ قَتَادَةَ اللَّيْثِيِّ: حَدَّثَنَا يَا عُبَيْدُ كَيْفَ كَانَ بَدْءُ مَا ابْتَدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ النُّبُوهِ حِينَ جَاءَ جَبْرِيلُ ع؟ فَقَالَ عُبَيْدٌ - وَأَنَا حَاضِرٌ يُحَدِّثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَمَنْ عِنْدَهُ مِنَ النَّاسِ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَجَاوِرُ فِي حِرَاءٍ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ شَهْرًا، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا تَحَنَّنَ بِهِ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - وَالتَّحَنُّنُ: التَّبَرُّرُ - وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ:

وَرَأَى لِيَرَقَ فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٌ.

فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَجَاوِرُ ذَلِكَ الشَّهْرَ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ، يُطْعِمُ مَنْ جَاءَهُ مِنَ الْمَسَاكِينِ، فَإِذَا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ص جَوَارَهُ مِنْ شَهْرِهِ ذَلِكَ، كَانَ أَوَّلُ مَا يَبْدَأُ بِهِ - إِذَا انْصَرَفَ مِنْ جَوَارِهِ - الْكَعْبَةَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ، فَيَطُوفُ بِهَا سَبْعًا، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى بَيْتِهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ الشَّهْرُ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ مَا أَرَادَ مِنْ كَرَامَتِهِ، مِنَ السَّنَةِ الَّتِي بَعَثَهُ فِيهَا، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى حِرَاءٍ - كَمَا كَانَ يَخْرُجُ لَجَوَارِهِ - مَعَهُ أَهْلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ فِيهَا بِرِسَالَتِهِ وَرَحِمَ الْعِبَادُ بِهَا، جَاءَهُ جَبْرِيلُ بِأَمْرِ اللَّهِ [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص

، لَجَأَنِي وَأَنَا نَائِمٌ بِمَنْطٍ مِنْ دِيَّاجٍ، فِيهِ كِتَابٌ، فَقَالَ:

اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ فَعَنَّنِي، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:

اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟ وَمَا أَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا افْتِدَاءً مِنْهُ أَنْ يَعُودَ إِلَيَّ بِمِثْلِ مَا صَنَعَ بِي، قَالَ: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» إِلَى قَوْلِهِ: «عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»، قَالَ: فَقَرَأْتُهُ، قَالَ: ثُمَّ انْتَهَى، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنِّي وَهَبْتُ مِنْ نَوْمِي، وَكَأَنَّمَا كُتِبَ فِي قَلْبِي كِتَابًا .

[قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَحَدٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ شَاعِرٍ أَوْ مَجْنُونٍ، كُنْتُ لَا أُطِيقُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهِمَا، قَالَ: قُلْتُ إِنَّ الْأَبْعَدَ - يَعْنِي نَفْسَهُ - لَشَاعِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ، لَا تُحَدِّثُ بِهَا عَنِّي قُرَيْشٌ أَبَدًا! لِأَعْمَدَنَّ إِلَى حَالِقٍ مِنَ الْجَبَلِ فَلَا تُطْرَحَنَّ نَفْسِي مِنْهُ فَلَا تُقْتَلْهَا فَلَا تُسْتَرِيحَنَّ قَالَ، فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي وَسْطٍ مِنَ الْجَبَلِ، سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَا جَبْرِيلُ، قَالَ:

فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا جَبْرِيلُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ صَافٍ قَدَمَيْهِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا جَبْرِيلُ قَالَ: فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَشَغَلَنِي ذَلِكَ عَمَّا أَرَدْتُ، فَمَا أَتَقَدَّمُ وَمَا أَتَأَخَّرُ، وَجَعَلْتُ أَصْرِفُ وَجْهِي عَنْهُ فِي آفَاقِ السَّمَاءِ فَلَا أَنْظُرُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا إِلَّا رَأَيْتُهُ كَذَلِكَ، فَمَا زِلْتُ وَاقِفًا مَا أَتَقَدَّمُ أَمَامِي، وَلَا أَرْجِعُ وَرَائِي، حَتَّى بَعَثْتُ خَدِيجَةَ رُسُلَهَا فِي طَلْبِي، حَتَّى بَلَغُوا مَكَّةَ وَرَجَعُوا إِلَيْهَا وَأَنَا وَاقِفٌ فِي مَكَانِي ثُمَّ انْصَرَفَ عَنِّي وَانْصَرَفْتُ رَاجِعًا إِلَى أَهْلِي، حَتَّى أَتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَجَلَسْتُ إِلَى نَحْوِهَا مُضِيًّا فَقَالَتْ:

يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَيْنَ كُنْتَ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ بَعَثْتُ رُسُلِي فِي طَلْبِكَ، حَتَّى بَلَغُوا مَكَّةَ وَرَجَعُوا إِلَيَّ قَالَ: قُلْتُ لَهَا: إِنَّ الْأَبْعَدَ لَشَاعِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ، فَقَالَتْ:

أَعَيْدُكَ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! مَا كَانَ اللَّهُ لِيَصْنَعَ ذَلِكَ بِكَ مَعَ مَا أَعْلَمُ مِنْكَ مِنْ صِدْقِ حَدِيثِكَ، وَعِظَمِ أَمَانَتِكَ، وَحُسْنِ خُلُقِكَ، وَصِلَةِ رَحِمِكَ! وَمَا ذَلِكَ يَا بَنَ عَمِّ! لَعَلَّكَ رَأَيْتَ شَيْئًا؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: نَعَمْ ثُمَّ حَدَّثَهَا بِالَّذِي رَأَيْتُ، فَقَالَتْ: أَبْشِرْ يَا بَنَ عَمِّ وَاثْبِتْ،

فَوَالَّذِي نَفْسُ خَدِيجَةَ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ نَبِيٌّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، ثُمَّ قَامَتْ فَجَمَعَتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا، ثُمَّ انْطَلَقَتْ إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدٍ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّهَا، وَكَانَ وَرَقَةُ قَدْ تَتَصَرَّفُ وَقَرَأَ الْكُتُبَ، وَسَمِعَ مِنْ أَهْلِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ - فَأَخْبَرَتْهُ بِمَا أَخْبَرَهَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ص أَنَّهُ رَأَى وَسَمِعَ، فَقَالَ وَرَقَةُ: قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ! وَالَّذِي نَفْسُ وَرَقَةَ بِيَدِهِ، لَئِنْ كُنْتُ صَدَقْتَنِي يَا خَدِيجَةُ، لَقَدْ جَاءَهُ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ - يَعْنِي بِالنَّامُوسِ جَبْرِيلُ ع الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى - وَإِنَّهُ لَنَبِيٌّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَقُولِي لَهُ فَلْيُثَبِّتْ فَرَجَعَتْ خَدِيجَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَأَخْبَرَتْهُ بِقَوْلِ

ورقة، فسئل ذلك عليه بعض ما هو فيه من الهم، فلما قضى رسول الله ص جواره، وانصرف صنع كما كان يصنع، وبدأ بالكعبة فطاف بها فلقية ورقة بن نوفل، وهو يطوف بالبيت، فقال: يا بن أخي، أخبرني بما رأيت أو سمعت، فأخبره رسول الله ص، فقال له ورقة: والذي نفسي بيده، إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء إلى موسى، ولتكذبه وتؤذيه، وتخرجنه، ولتقاتله، ولئن أنا أدركت ذلك لأنصرن الله نصرًا يعلمه ثم أدنى رأسه فقبل يافوخه، ثم انصرف رسول الله ص، إلى منزله. وقد زاده ذلك من قول ورقة ثباتًا، وخفف عنه بعض ما كان فيه من الهم.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير، أنه حدث عن خديجه أنها قالت لرسول الله ص فيما يئبته فيما أكرمه الله به من نبوته: يا بن عم، أأستطيع أن أخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟

قال: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرني به، فجاءه جبرئيل ع كما كان يأتيه، [فقال رسول الله ص لخديجة: يا خديجه هذا جبرئيل قد جاءني، فقالت: نعم، فقم يا بن عم، فاجلس على نخدي اليسرى، فقام رسول الله ص فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحول فاقعد على نخدي اليمنى، فتحول رسول الله ص فجلس عليها، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحول فاجلس في حجري، فتحول فجلس في حجرها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، فتحسرت، فالتفت نحارها ورسول الله ص جالس في حجرها، ثم قالت: هل تراه؟ قال: لا، فقالت:

يا بن عم، اثبت وابشر، فوالله إنه ملك وما هو بشيطان .

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: وحدثت بهذا الحديث عبد الله بن الحسن، فقال: قد سمعت أُمِّي فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة، إلا أنني قد سمعتها تقول: أدخلت رسول الله ص بينها وبين درعها، فذهب عند ذلك جبرئيل، فقالت لرسول الله ص: إن هذا ملك، وما هو بشيطان.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا عثمان بن عمر بن فارس، قال: حدثنا علي بن المبارك، عن يحيى - يعني ابن أبي كثير - قال: سألت أبا سلمة:

أي القرآن أنزل أول؟ فقال: «يا أيها المدثر»، فقلت: يقولون:

«اقرأ باسم ربك» ! فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: «يا أيها المدثر»، فقلت: «اقرأ باسم ربك الذي خلق»، فقال: لا أخبرك إلا ما حدثنا النبي ص، [قال: جاورت في حراء، فلما قضيت جوارى، هبطت فاستبطن الوادي، فنوديت، فنظرت عن يميني وعن شمالي، وخلفي وقدامي، فلم أر شيئًا، فنظرت فوق رأسي، فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض، فخشيت منه - قال ابن المثنى: هكذا قال عثمان بن عمر، وإنما هو فحش منه فلقيت خديجة، فقلت: دثروني، فدثروني، وصبوا على ماء، وانزل على:

«يا أيها المدثر قم فأنذر» .

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا وكيع، عن علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير، قال: سألت أبا سلمة عن أول ما نزل من القرآن، قال: نزلت: «يا أيها المدثر» أول، قال: قلت: إنهم يقولون: «اقرأ باسم ربك الذي خلق»، فقال: سألت جابر بن عبد الله، فقال: لا أحدثك إلا ما [حدثنا رسول الله ص، قال: جاورت بحراء، فلما قضيت جوارى، هبطت فسمعت صوتًا، فنظرت عن يميني فلم أر شيئًا وعن شمالي فلم أر شيئًا، ونظرت خلفي فلم أر شيئًا، فرفعت رأسي، فرأيت شيئًا، فأتيت خديجة،

فَقُلْتُ: دَثَرُونِي، وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً، قَالَ: فَدَثَرُونِي وَصَبُّوا عَلَى مَاءٍ بَارِدًا، فَنَزَلَتْ: «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ» .

وَحَدَّثْتُ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَتَى جَبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ صَ أَوَّلَ مَا أَتَاهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ، وَلَيْلَةَ الْأَحَدِ، ثُمَّ ظَهَرَ لَهُ بِرِسَالَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، فَعَلِمَهُ الْوُضُوءَ، وَعَلِمَهُ الصَّلَاةَ، وَعَلِمَهُ: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ»، وَكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، يَوْمَ أُوحِيَ إِلَيْهِ، أَرْبَعُونَ سَنَةً. حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَبِيبِ الطُّوسِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ الْقُرَشِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ

عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: سَمِعْتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ [قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ عَلِمْتَ أَنَّكَ نَبِيٌّ أَوَّلَ مَا عَلِمْتَ، حَتَّى عَلِمْتَ ذَلِكَ وَاسْتَيْقَنْتَ؟ قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَانِي مَلَكَانِ وَأَنَا بَعْضُ بَطْحَاءِ مَكَّةَ، فَوَقَعَ أَحَدُهُمَا فِي الْأَرْضِ وَالْآخَرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَهْوْ هُوَ؟ قَالَ: هُوَ هُوَ، قَالَ: فَرَنَّهُ بِرَجُلٍ، فَوَزَنَتْ بِرَجُلٍ فَرَجَحَتْهُ، ثُمَّ قَالَ: زَنَهُ بِعَشْرَةٍ، فَوَزَنَنِي بِعَشْرَةٍ فَرَجَحْتَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زَنَهُ بِمِائَةٍ، فَوَزَنَنِي بِمِائَةٍ فَرَجَحْتَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زَنَهُ بِأَلْفٍ، فَوَزَنَنِي بِأَلْفٍ فَرَجَحْتَهُمْ، فَجَعَلُوا يَنْتَثِرُونَ عَلَيَّ مِنْ كِفَّةِ الْمِيزَانِ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ:

لَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ رَجَحَهَا ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: شُقَّ بَطْنُهُ، فَشُقَّ بَطْنِي، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا: أَخْرِجْ قَلْبَهُ- أَوْ قَالَ: شُقَّ قَلْبُهُ- فَشُقَّ قَلْبِي، فَأَخْرَجَ مِنْهُ مَغْمَزَ الشَّيْطَانِ وَعَلَقَ الدَّمَ، فَطَرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: اغْسِلْ بَطْنَهُ غَسْلَ الْإِنَاءِ، وَاغْسِلْ قَلْبَهُ غَسْلَ الْإِنَاءِ- أَوْ اغْسِلْ قَلْبَهُ غَسْلَ الْمُلَاءَةِ- ثُمَّ دَعَا بِالسَّكِينَةِ، كَانَهَا وَجْهُهُ هَرَّةً بَيْضَاءَ فَأَدْخَلَتْ قَلْبِي، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: خُطَّ بَطْنُهُ، نَخَاطًا بِطْنِي، وَجَعَلَا اخْتَلَمَ بَيْنَ كَتِفَيْي، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَلِيَا عَنِّي فَكَأَنَّمَا أُعَانِ الْأَمْرَ مُعَايَنَةً] .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: قَرَأَ الْوَحْيُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَ قِطْرَةً، فَخَزَنَ خَزَنًا شَدِيدًا، جَعَلَ يَغْدُو إِلَى رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ لِيَتَرَدَّى مِنْهَا، فَكَلَّمَا أَوْفَى بِذُرُوهِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جَبْرِيلُ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ نَبِيُّ اللَّهِ، فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ، وَتَرْجِعُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ، فَكَانَ النَّبِيُّ صَ يُحَدِّثُ عَنْ ذَلِكَ، [قَالَ: فَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي يَوْمًا، إِذْ رَأَيْتُ الْمَلَكَ الَّذِي كَانَ يَأْتِينِي بِحِرَاءٍ، عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجِئْتُ مِنْهُ رُجْبًا، فَجَعَلْتُ إِلَى خَدِيجَةٍ، فَقُلْتُ: زَمَلُونِي، فَزَمَلَنَاهُ- أَيْ دَثَرَنَاهُ- فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

«يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ»، قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ أَنْزَلَ عَلَيْهِ: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» حَتَّى بَلَغَ «مَا لَمْ يَعْلَمْ» .

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ قِطْرَةِ الْوَحْيِ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَفَعَلْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَ: فَجِئْتُ مِنْهُ فَرَقًا، وَجِئْتُ فَقُلْتُ: زَمَلُونِي، فَدَثَرُونِي! فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ» إِلَى قَوْلِهِ: «وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ»، قَالَ: ثُمَّ تَابَعَ الْوَحْيُ] .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَلَمَّا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّ مُحَمَّدًا صَ أَنْ يَقُومَ بِإِنْذَارِ قَوْمِهِ عِقَابَ اللَّهِ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مُقِيمِينَ مِنْ كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ بِالْأَلْهَةِ وَالْأَصْنَامِ دُونَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَرَزَقَهُمْ، وَأَنْ يُحَدِّثَ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»، وَذَلِكَ- فِيمَا

زَعَمَ ابْنُ إِسْحَاقَ - النَّبُوَّةُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ:

«وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»، أَيُّ مَا جَاءَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ نِعْمَتِهِ وَكَرَامَتِهِ مِنَ النَّبُوَّةِ حَدِّثْ، أَذْكُرُهَا وَادْعُ إِلَيْهَا قَالَ: ففعل رسول الله ص يَذْكُرُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْعِبَادِ بِهِ مِنَ النَّبُوَّةِ سِرًّا إِلَى مَنْ يَطْمَنُّ إِلَيْهِ مِنْ

أَهْلِهِ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ وَأَمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ - فِيمَا ذَكَرَ - زَوْجَتُهُ خَدِيجَةُ رَحِمَهَا اللَّهُ. حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ الْوَاقِدِيُّ: أَصْحَابُنَا يَجْمَعُونَ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ اسْتَجَابَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَحِمَهَا اللَّهُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِ بَعْدَ الْإِقْرَارِ بِالتَّوْحِيدِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ وَخَلْعِ الْأَنْدَادِ الصَّلَاةِ - فِيمَا ذَكَرَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الصَّلَاةَ حِينَ اقْتَرَضَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، أَتَاهُ جَبْرِئِيلُ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَهَمَزَ لَهُ بِعَقْبِهِ فِي نَاحِيَةِ الْوَادِي، فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ عَيْنٌ، فَتَوَضَّأَ جَبْرِئِيلُ ع، وَرَسُولُ اللَّهِ ص يَنْظُرُ إِلَيْهِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ الطُّهُورُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ص كَمَا رَأَى جَبْرِئِيلُ ع تَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ جَبْرِئِيلُ ع، فَصَلَّى بِهِ وَصَلَّى النَّبِيُّ ص بِصَلَاتِهِ ثُمَّ انصَرَفَ جَبْرِئِيلُ ع، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ص خَدِيجَةَ، فَتَوَضَّأَ لَهَا يُرِيهَا كَيْفَ الطُّهُورُ لِلصَّلَاةِ، كَمَا أَرَاهُ جَبْرِئِيلُ ع، فَتَوَضَّأَتْ كَمَا تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ص، ثُمَّ صَلَّى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ص كَمَا صَلَّى بِهِ جَبْرِئِيلُ ع، فَصَلَّتْ بِصَلَاتِهِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ الْمُغِيرَةِ وَحَكَّامُ بْنُ سَلَمٍ، عَنْ عَبَسَةَ، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْوَاسِطِيِّ، عَنْ مَيْمُونِ بْنِ سِيَاهٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ حِينَ نَبِيِّ النَّبِيِّ ص، وَكَانَ يَنَامُ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَنَامُ حَوْلَهَا، فَاتَاهُ مَلَكُنَا: جَبْرِئِيلُ وَمِيكَائِيلُ، فَقَالَا:

يَا أَيُّهَا أُمَرَانَا؟ فَقَالَا: أُمَرْنَا بِسَيِّدِهِمْ، ثُمَّ ذَهَبَا ثُمَّ جَاءَا مِنَ الْقِبْلَةِ، وَهُمَا ثَلَاثَةٌ، فَأَلْفَوْهُ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَلَّبُوهُ لِيُظْهِرَهُ، وَشَقُّوا بَطْنَهُ، ثُمَّ جَاءُوا بِمَاءٍ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، فَغَسَلُوا مَا كَانَ فِي بَطْنِهِ مِنْ شَيْءٍ أَوْ شَرِكٍ أَوْ جَاهِلِيَّةٍ أَوْ ضَلَالَةٍ، ثُمَّ جَاءُوا بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، مَلَأَ إِيْمَانًا وَحِكْمَةً، فَمَلَأَ بَطْنَهُ وَجَوْفَهُ إِيْمَانًا وَحِكْمَةً، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِئِيلُ، فَقَالُوا:

مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جَبْرِئِيلُ، فَقَالُوا: مَنْ مَعَكَ؟ فَقَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالُوا: وَقَدْ بُعِثَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: مَرْحَبًا، فَدَعَا لَهُ فِي دُعَائِهِمْ، فَلَمَّا دَخَلَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ جَسِيمٍ وَسِيمٍ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا يَا جَبْرِئِيلُ؟ فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ، ثُمَّ أَتَوْا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِئِيلُ، فَقِيلَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ، وَقَالُوا فِي السَّمَوَاتِ كُلِّهَا كَمَا قَالَ وَقِيلَ لَهُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَلَمَّا دَخَلَ، إِذَا بِرَجُلَيْنِ، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِئِيلُ؟ فَقَالَ: يُحْيَى وَعِيسَى ابْنَا الْخَلَالَةِ، ثُمَّ أَتَى بِهِ السَّمَاءَ الثَّلَاثَةَ، فَلَمَّا دَخَلَ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا يَا جَبْرِئِيلُ؟ قَالَ: هَذَا أَخُوكَ يُونُسُ، فَضَلَّ بِالْحُسْنِ عَلَى النَّاسِ، كَمَا فَضَّلَ الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى الْكَوَاكِبِ، ثُمَّ أَتَى بِهِ السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا يَا جَبْرِئِيلُ؟ فَقَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ، ثُمَّ قرأ: «وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا»، ثُمَّ أَتَى بِهِ السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا يَا جَبْرِئِيلُ؟ قَالَ: هَذَا هَارُونُ، ثُمَّ أَتَى بِهِ السَّمَاءَ السَّادِسَةَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا يَا جَبْرِئِيلُ؟ فَقَالَ: هَذَا مُوسَى، ثُمَّ أَتَى بِهِ السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا يَا جَبْرِئِيلُ؟ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الْجَنَّةِ، فَإِذَا هُوَ بِنَهْرٍ أَشَدَّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، بِجَنْبَيْهِ قَبَابُ الدَّرِّ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا جَبْرِئِيلُ؟ فَقَالَ: هَذَا الْكُوْثُرُ الَّذِي

أعطاك ربك، وهذه مساكنك، قال: وأخذ جبرئيل بيده من تربته، فإذا هو مسك أذفر، ثم خرج إلى سدرة المنتهى وهي سدرة نبي أعظمها أمثال الجرار، وأصغرها أمثال البيض، فدنا ربك عز وجل: «فكان قاب قوسين أو أدنى»، فجعل يتغشى السدرة من دنو ربها تبارك وتعالى، أمثال الدر والياقوت والزبرجد واللؤلؤ ألوان فأوحى إلى عبده، وفهمه وعلمه وفرض عليه خمسين صلاة، فمر على موسى، فقال: ما فرض على أمتك؟ فقال: خمسين صلاة، قال: أرجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، فإن أمتك أضعف الأمم قوة، وأقلها عمراً، وذكر ما لقي من بني إسرائيل، فرجع فوضع عنه عشرًا، ثم مر على موسى، فقال: أرجع إلى ربك فسله التخفيف، كذلك حتى جعلها خمسًا، قال: أرجع إلى ربك فسله التخفيف، فقال: لست براجع، غير عاصيك، وقذف في قلبه ألا يرجع، [فقال الله عز وجل: لا يبدل كلامي، ولا يرد قضائي وفرضي]، وخفف عن أمي الصلاة لعشر قال أنس: وما وجدت ريحاً قط ولا ريح عروس قط، أطيّب ريحاً من جلد رسول الله ص، ألزقت جلدي بجلده وشممته.

قال أبو جعفر: ثم اختلف السلف فيمن اتبع رسول الله ص وأمن به وصدقه على ما جاء به من عند الله من الحق بعد زوجته خديجة بنت خويلد، وصلى معه.

فقال بعضهم: كان أول ذكر آمن برسول الله ص وصلى معه وصدقه بما جاءه من عند الله على بن أبي طالب ع

ذكر بعض من قال ذلك ممن حضرنا ذكره:

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا إبراهيم بن المختار، عن شعبة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس، قال: أول من صلى علي.

حدثنا زكرياء بن يحيى الضرير، قال: حدثنا عبد الحميد بن بحر، قال: أخبرنا شريك، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر، قال:

بعث النبي ص يوم الاثنين، وصلى علي يوم الثلاثاء.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي حمزة، عن زيد بن أرقم، قال: أول من أسلم مع رسول الله ص علي بن أبي طالب قال: فذكرته للنخعي، فأنكره، وقال: أبو بكر أول من أسلم حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا وكيع، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي حمزة مولى الأنصار، عن زيد بن أرقم، قال: أول من أسلم مع رسول الله ص على بن أبي طالب ع.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عبيد بن سعيد، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، قال: سمعت أبا حمزة جلا من الأنصار، يقول: سمعت زيد بن أرقم، يقول: أول رجل صلى مع رسول الله ص على ع.

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا العلاء، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله، قال:

[سمعت علياً يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر، صليت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين]

حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: حدثنا سعيد بن خثيم، عن أسد بن عتبة البجلي، عن يحيى بن عفيف، عن عفيف، قال: جئت في الجاهلية إلى مكة، فنزلت على العباس بن عبد المطلب قال: فلما طلعت الشمس وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة، أقبل شاب، فرمى ببصره إلى السماء، ثم استقبل الكعبة، فقام مستقبلها، فلم يلبث حتى جاء غلام، فقام عن يمينه قال: فلم يلبث حتى جاءت امرأة، فقامت خلفهما، فركع الشاب، فركع الغلام والمرأة، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة، نحر الشاب ساجداً فسجداً

مَعَهُ، فَقُلْتُ: يَا عَبَّاسُ، أَمْرٌ عَظِيمٌ! فَقَالَ: أَمْرٌ عَظِيمٌ! أَتَدْرِي مَنْ هَذَا؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، ابْنُ أَخِي أَتَدْرِي مَنْ هَذَا مَعَهُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، ابْنُ أَخِي أَتَدْرِي مَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ الَّتِي خَلْفَهُمَا؟ قُلْتُ:

لَا، قَالَ: هَذِهِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، زَوْجَةُ ابْنِ أَخِي، وَهَذَا حَدَّثَنِي أَنَّ رَبَّكَ رَبَّ السَّمَاءِ، أَمَرَهُمْ بِهَذَا الَّذِي تَرَاهُمْ عَلَيْهِ، وَإِيمَ اللَّهِ مَا أَعْلَمُ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ كُلِّهَا أَحَدًا عَلَى هَذَا الدِّينِ غَيْرَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي الْأَشْعَثِ الْكِنْدِيُّ، مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِيَّاسٍ بْنُ عَفِيفٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ:

كُنْتُ امْرَأًا تَاجِرًا، فَقَدِمْتُ أَيَّامَ الْحِجِّ، فَأَتَيْتُ الْعَبَّاسَ، فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ إِذْ خَرَجَ رَجُلٌ يُصَلِّي، فَقَامَ تَجَاهَ الْكَعْبَةِ، ثُمَّ خَرَجَتْ امْرَأَةٌ فَقَامَتْ مَعَهُ تُصَلِّي، وَخَرَجَ غُلَامٌ فَقَامَ يُصَلِّي مَعَهُ، فَقُلْتُ: يَا عَبَّاسُ، مَا هَذَا الدِّينُ؟ إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَا أَدْرِي مَا هُوَ؟ قَالَ: هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ بِهِ، وَأَنَّ كُنُوزَ كِسْرَى وَقِيصَرَ سَتَفَتْحَ عَلَيْهِ، وَهَذِهِ امْرَأَتُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ آمَنْتَ بِهِ، وَهَذَا الْغُلَامُ ابْنُ عَمِّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، آمَنَ بِهِ.

قَالَ عَفِيفٌ: فَلْيَتَنِي كُنْتُ آمَنْتَ يَوْمَئِذٍ فَكُنْتُ أَكُونُ رَابِعًا!

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ وَعَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ، قَالَ سَلَمَةُ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي الْأَشْعَثِ - قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَهُوَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ كِتَابِي عَنْ يَحْيَى بْنِ الْأَشْعَثِ - عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِيَّاسٍ بْنِ عَفِيفٍ الْكِنْدِيِّ - وَكَانَ عَفِيفٌ، أَخَا الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسِ الْكِنْدِيِّ لِأُمِّهِ، وَكَانَ ابْنُ عَمِّهِ - عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَفِيفٍ، قَالَ: كَانَ الْعَبَّاسُ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لِي صَدِيقًا، وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى الْبَيْتِ، يَشْتَرِي الْعُطْرَ فَيَبِيعُهُ أَيَّامَ الْمَوْسِمِ، فَبَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْعَبَّاسِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بَيْتًا، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مُجْتَمِعٌ، فَتَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، فَخَرَجَتْ امْرَأَةٌ فَتَوَضَّأَتْ وَقَامَتْ تُصَلِّي ثُمَّ خَرَجَ غُلَامٌ قَدْ رَاهَقَ، فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى جَنْبِهِ يُصَلِّي، فَقُلْتُ: وَيْحَكَ يَا عَبَّاسُ! مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا ابْنُ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَهُ رَسُولًا، وَهَذَا ابْنُ أَخِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَدْ تَابَعَهُ عَلَى دِينِهِ، وَهَذِهِ امْرَأَتُهُ خَدِيجَةُ ابْنَةُ خُوَيْلِدٍ، قَدْ تَابَعَتْهُ عَلَى دِينِهِ قَالَ عَفِيفٌ بَعْدَ مَا أَسْلَمَ وَرَبَّخَ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِهِ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ رَابِعًا! حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ سَوَادَةَ بْنِ الْجَعْدِ، قَالَ:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدَرِ وَرَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَأَبُو حَارِثٍ الْمَدَنِيُّ، وَالْكَلْبِيُّ، قَالُوا: عَلِيُّ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ قَالَ الْكَلْبِيُّ: أَسْلَمَ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

كَانَ أَوَّلُ ذَكَرَ آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ ص، وَصَلَّى مَعَهُ وَصَدَّقَهُ بِمَا جَاءَهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، وَكَانَ مِمَّا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ع، أَنَّهُ كَانَ فِي حَجَرِ رَسُولِ اللَّهِ ص قَبْلَ الْإِسْلَامِ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدِ بْنِ جَبْرِ أَبِي الْحَجَّاجِ، قَالَ: كَانَ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَمَا صَنَعَ اللَّهُ لَهُ وَأَرَادَهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ، أَنَّ قَرِيشًا أَصَابَتْهُمْ أَزْمَةٌ شَدِيدَةٌ، وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ ذَا عِيَالٍ كَثِيرٍ، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ - وَكَانَ مِنْ أَيْسَرِ بَنِي هَاشِمٍ: يَا عَبَّاسُ، إِنَّ أَخَاكَ أَبَا طَالِبٍ كَثِيرُ الْعِيَالِ، وَقَدْ أَصَابَ النَّاسَ مَا تَرَى مِنْ هَذِهِ الْأَزْمَةِ، فَانْطَلِقْ بِنَا فَلْنُخَفِّفْ عَنْهُ مِنْ عِيَالِهِ، آخِذٌ مِنْ بَنِيهِ رَجُلًا، وَتَأْخُذُ مِنْ بَنِيهِ رَجُلًا، فَتُكْفِيهِمَا عَنْهُ قَالَ

العبّاس: نعم، فأنطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله ص عليا فضمه إليه، وأخذ العبّاس جعفرًا فضمه إليه، فلم يزل علي بن أبي طالب مع رسول الله ص حتى بعثه الله نبيًا، فاتبعه علي فآمن به وصدقته، ولم يزل جعفر عند العبّاس حتى أسلم واستغنى عنه.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: وذكر بعض أهل العلم أنّ رسول الله ص كان إذا حضرت الصلاة، خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من عمه أبي طالب وجميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا، فكمنا كذلك ما شاء الله أن يمكنا ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان، فقال لرسول الله ص: يا بن أخي، ما هذا الدين الذي أراك تدبّر به؟ [قال: أي عم، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله، ودين أينا إبراهيم - أو كما قال - بعثني الله به رسولا إلى العباد، وأنت يا عم أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه، وأعاني عليه - أو كما قال] فقال أبو طالب:

يا بن أخي، إني لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما حييت حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: وزعموا أنه قال لعلي بن أبي طالب: أي بني، ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ [قال: يا أبة، آمنت بالله وبرسوله وصدقته بما جاء به، وصليت معه لله] فزعموا أنه قال له: أما إنه لا يدعوك إلا إلى خير، فالزمه.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا إبراهيم بن نافع، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: أسلم علي وهو ابن عشر سنين.

قال الحارث: قال ابن سعد: قال الواقدي: واجتمع أصحابنا على أن عليا أسلم بعد ما تنبأ رسول الله ص بسنة، فأقام بمكة اثنتي عشرة سنة. وقال آخرون: أول من أسلم من الرجال أبو بكر رضي الله عنه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا سهل بن موسى الرازي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مغراء، عن مجالد، عن الشعبي، قال: قلت لابن عباس: من أول الناس إسلاماً؟

فقال: أما سمعت قول حسان بن ثابت:

إذا تذكّرت شجواً من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلا
خير البرية اتقاه وأعدّها ... بعد النبي وأوفاه بما حملا

الثاني التالي المحمود مشهده ... وأول الناس منهم صدق الرُسل

وحدثني سعيد بن عنبسة الرازي، قال: حدثنا الهيثم بن عدي، عن مجالد، عن الشعبي، عن ابن عباس نحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا الهيثم بن عدي، عن مجالد، عن الشعبي، عن ابن عباس نحوه.

حدثنا بحر بن نصر الخولاني، قال: حدثنا عبد الله بن وهب، قال: أخبرني معاوية بن صالح، قال: حدثني أبو يحيى وضرة بن حبيب وأبو طلحة، عن أبي أمامة الباهلي، قال: حدثني عمرو بن عبسة قال:

أتيت رسول الله ص وهو نازلٌ بعكاظ، قلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ تَبِعَكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ؟ [قَالَ: اتَّبَعَنِي عَلَيْهِ رَجُلَانِ، حُرٌّ وَعَبْدٌ: أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ]، قَالَ: فَأَسَلْتُ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي إِذْ ذَاكَ رُبْعَ الْإِسْلَامِ.

حَدَّثَنِي ابْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْبَرْقِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا صَدَقَةُ، عَنْ نَصْرِ بْنِ عَلْقَمَةَ، عَنْ أَخِيهِ، عَنْ ابْنِ عَائِدٍ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ وَابْنُ عَبَّسَةَ كِلَاهُمَا يَقُولُ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي رُبْعَ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُسَلِّمْ قَبْلِي إِلَّا النَّبِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ، كِلَاهُمَا لَا يَدْرِي مَتَى أَسْلَمَ الْآخَرُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ.

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرُو بْنِ مُرَّةٍ، قَالَ: قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: أَبُو بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ

وَقَالَ آخَرُونَ: أَسْلَمَ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ جَمَاعَةٌ ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا كَثَّانَةُ بْنُ جَبَلَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ طَهْمَانَ، عَنِ الْحَجَّاجِ بْنِ الْحَجَّاجِ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: أَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَوَّلَكُمْ إِسْلَامًا؟

فَقَالَ: لَا، وَلَقَدْ أَسْلَمَ قَبْلَهُ أَكْثَرُ مِنْ خَمْسِينَ، وَلَكِنْ كَانَ أَفْضَلَنَا إِسْلَامًا.

وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ وَاتَّبَعَ النَّبِيَّ ص مِنَ الرِّجَالِ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مَوْلَاهُ ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ الْوَاقِدِيُّ:

حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ، قَالَ: سَأَلْتُ الزَّهْرِيَّ: مَنْ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ؟

قَالَ: مِنَ النِّسَاءِ خَدِيجَةُ، وَمِنَ الرِّجَالِ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو، قَالَ: حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ - يَعْنِي ابْنَ عَمْرِو - قَالَ: حَدَّثَنَا رِبْعَةُ بْنُ عَثْمَانَ، عَنْ عَمْرَانَ بْنِ أَبِي أَنَسٍ مَثَلُهُ.

وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَسْلَمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ لُحَيْعَةَ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ، عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ:

أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ.

وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ، فَإِنَّهُ قَالَ فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ عَنْهُ: ثُمَّ أَسْلَمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فَكَانَ أَوَّلَ ذَكَرٍ أَسْلَمَ، وَصَلَّى بَعْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي حُقَافَةَ الصِّدِّيقُ، فَلَمَّا أَسْلَمَ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى رَسُولِهِ قَالَ: وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مَأْلَفًا لِقَوْمِهِ، مُحِبًّا سَهْلًا، وَكَانَ أَنْسَبَ قُرَيْشٍ لِقُرَيْشٍ، وَأَعْلَمَ قُرَيْشٍ بِهَا، وَبِمَا كَانَ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَكَانَ رَجُلًا تَاجِرًا ذَا خُلُقٍ وَمَعْرُوفٍ، وَكَانَ رَجُلًا قَوْمِهِ يَأْتُونَهُ وَيَأْلِفُونَهُ لَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ، لِعِلَّةِ وَتِجَارَتِهِ وَحُسْنِ مَجَالَسَتِهِ، فَجَعَلَ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ مَنْ وَثِقَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ مَن يَغْشَاهُ وَيَجْلِسُ إِلَيْهِ، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ - فِيمَا بَلَغَنِي - عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَجَاءَ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص حِينَ اسْتَجَابُوا لَهُ، فَأَسْلَمُوا وَصَلُّوا، فَكَانَ هَؤُلَاءِ الثَّمَانِيَّةُ، النَّفَرُ الَّذِينَ سَبَقُوا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَصَلُّوا وَصَدَّقُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ص وَآمَنُوا بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، ثُمَّ تَبَعَ النَّاسُ فِي الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، الرِّجَالُ مِنْهُمْ وَالنِّسَاءُ، حَتَّى فَشَا ذِكْرُ الْإِسْلَامِ بِمَكَّةَ وَتَحَدَّثَ بِهِ النَّاسُ.

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، عَنْهُ: اجْتَمَعَ أَصْحَابُنَا عَلَى أَنَّ أَوَّلَ أَهْلِ الْقَبْلَةِ اسْتَجَابَ لِرَسُولِ اللَّهِ

ص حَدِيحَةُ بِنْتُ حُوَيْلِدٍ، ثُمَّ اخْتَلَفَ عِنْدَنَا فِي ثَلَاثَةِ نَفَرٍ: فِي أَبِي بَكْرٍ وَعَلِيٍّ، وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، أَيُّهُمْ أَسْلَمَ أَوَّلَ.
قَالَ: وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: أَسْلَمَ مَعَهُمْ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ خَامِسًا، وَأَسْلَمَ أَبُو ذَرٍّ، قَالُوا: رَابِعًا أَوْ خَامِسًا، وَأَسْلَمَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ
السُّلَمِيُّ، فَيُقَالُ: رَابِعًا أَوْ خَامِسًا قَالَ: فَإِنَّمَا اخْتَلَفَ عِنْدَنَا فِي هَؤُلَاءِ النَّفَرِ أَيُّهُمْ أَسْلَمَ أَوَّلَ، وَفِي ذَلِكَ رَوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ قَالَ: فَيُخْتَلَفُ فِي
الثَّلَاثَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَفِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَتَبْنَا بَعْدَهُمْ

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنِي مُصْعَبُ بْنُ ثَابِتٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَسْوَدِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ نَوْفَلٍ، قَالَ: كَانَ إِسْلَامُ الزُّبَيْرِ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ، كَانَ رَابِعًا أَوْ خَامِسًا.

وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ خَالِدَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَامْرَأَتَهُ امِينَةَ بِنْتُ خَلْفِ بْنِ أَسْعَدَ بْنِ عَامِرِ بْنِ بَيَاضَةَ، مِنْ خُرَاعَةَ، أَسْلَمَا بَعْدَ
جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ غَيْرِ الَّذِينَ ذَكَرْتُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ نَبِيَهُ مُحَمَّدًا ص بَعْدَ مَبْعَثِهِ بِثَلَاثِ سِنِينَ أَنْ يَصْدَعَ بِمَا جَاءَهُ مِنْهُ، وَأَنْ يُبَادِيَ النَّاسَ بِأَمْرِهِ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ:
«فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ»، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ- فِي السَّنِينَ الثَّلَاثِ مِنْ مَبْعَثِهِ، إِلَى أَنْ أُمِرَ بِإِظْهَارِ الدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ-
مُسْتَسْرًا مَخْفِيًا أَمْرَهُ ص، وَأُنْزِلَ عَلَيْهِ: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ
مِمَّا تَعْمَلُونَ»، قَالَ: وَكَانَ اصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ص إِذَا صَلَّوْا ذَهَبُوا إِلَى الشَّعَابِ، فَاسْتَخَفُّوا مِنْ قَوْمِهِمْ، فَبَيْنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي نَفَرٍ
مِنْ اصْحَابِ النَّبِيِّ ص فِي شُعْبٍ مِنْ شُعَابِ مَكَّةَ إِذْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ نَفَرٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ يُصَلُّونَ، فَنَاكَرَهُمْ وَعَابُوا عَلَيْهِمْ مَا يَصْنَعُونَ،
حَتَّى قَاتَلُوهُمْ، فَاقْتُلُوا، فَضْرَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ يَوْمَئِذٍ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِلُحْيٍ جَمَلٍ فَشَجَّهُ، فَكَانَ أَوَّلَ دَمٍ أَهْرِيْقَ فِي الْإِسْلَامِ.
فَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَأَبُو السَّائِبِ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَمْرُو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ:
[صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ص ذَاتَ يَوْمٍ الصَّفَا، فَقَالَ: يَا صَبَاحَاهُ! فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، فَقَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: ارَأَيْتَ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ
مُصْبِحَكُمْ أَوْ مُمَسِّكُمْ، أَمَا كُنْتُمْ تَصَدِّقُونَنِي! قَالُوا: بَلَى، قَالَ:

فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ] فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّ لَكَ! أَلِهَذَا دَعَوْتَنَا- أَوْ جَمَعْتَنَا! فَاتَّزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ»
إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

فَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَمْرُو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، [قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ
الْآيَةُ: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: يَا صَبَاحَاهُ! فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتِفُ؟
قَالُوا: مُحَمَّدٌ، فَقَالَ: يَا بَنِي فَلَانِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ
بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ] فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّ لَكَ! مَا
جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا! ثُمَّ قَامَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ» إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

فَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ الْعَفَّارِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنِ الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ
الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، [عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى رَسُولِ

اللَّهِ ص: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»، دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ص فَقَالَ لِي: يَا عَلِيُّ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَنْذِرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ،
فَصِغْتُ بِذَلِكَ ذُرْعًا، وَعَرَفْتُ أَنِّي مَتَى أَبَادِيهِمْ بِهَذَا الْأَمْرِ أَرَى مِنْهُمْ مَا أَكْرَهُ، فَصَمْتُ عَلَيْهِ حَتَّى جَاءَنِي جَبْرِئِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ
إِلَّا تَفْعَلَ مَا تُؤْمَرُ بِهِ يُعَذِّبُكَ رَبُّكَ، فَاصْنَعْ لَنَا صَاعًا مِنْ طَعَامٍ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِ رَحْلَ شَاةٍ، وَأَمْلَأْ لَنَا عَسًا مِنْ لَبَنٍ، ثُمَّ اجْمَعْ لِي بَنِي عَبْدِ

الْمُطَلِّبِ حَتَّى أَكَلَهُمْ، وَأَبْلَغَهُمْ مَا أَمَرْتُ بِهِ، فَفَعَلْتُ مَا أَمَرَنِي بِهِ ثُمَّ دَعَوْتُهُمْ لَهُ، وَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، يَزِيدُونَ رَجُلًا أَوْ يَنْقُصُونَهُ، فِيهِمْ أَعْمَامُهُ: أَبُو طَالِبٍ وَحَمَزَةُ وَالْعَبَّاسُ وَأَبُو لَهَبٍ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ دَعَانِي بِالطَّعَامِ الَّذِي صَنَعْتُ لَهُمْ، فَجِئْتُ بِهِ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُ تَنَاولَ رَسُولُ اللَّهِ ص حَذِيَّةً مِنَ اللَّحْمِ، فَشَقَّهَا بِأَسْنَانِهِ، ثُمَّ أَلْقَاهَا فِي نَوَاحِي الصَّحْفَةِ ثُمَّ قَالَ: خُذُوا بِسْمِ اللَّهِ، فَأَكَلَ الْقَوْمُ حَتَّى مَا لَهُمْ بِشَيْءٍ حَاجَةٌ وَمَا أَرَى إِلَّا مَوْضِعَ أَيْدِيهِمْ، وَائِمُّ اللَّهِ الَّذِي نَفْسُ عَلِيٍّ بِيَدِهِ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ لَيَأْكُلُ مَا قَدَّمْتُ لِجَمِيعِهِمْ ثُمَّ قَالَ: اسْقِ الْقَوْمَ، فَجِئْتُهُمْ بِذَلِكَ الْعُسِّ، فَشَرِبُوا مِنْهُ حَتَّى رَوَوْا مِنْهُ جَمِيعًا، وَائِمُّ اللَّهِ إِنْ كَانَ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ لَيَشْرَبُ مِثْلَهُ، فَلَمَّا ارَادَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَنْ يَكَلِّمَهُمْ بَدَرَهُ أَبُو لَهَبٍ إِلَى الْكَلَامِ، فَقَالَ: لَهْدَمَا سَحَرَكُمُ صَاحِبُكُمْ! فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ وَلَمْ يَكَلِّمَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَقَالَ: الْغَدَا يَا عَلِيُّ، إِنْ هَذَا الرَّجُلُ سَبَقَنِي إِلَى مَا قَدْ سَمِعْتَ مِنَ الْقَوْلِ، فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ قَبْلَ أَنْ أَكَلَهُمْ، فَعَدَّ لَنَا مِنَ الطَّعَامِ بِمِثْلِ مَا صَنَعْتُ، ثُمَّ اجْمَعَهُمْ إِلَيَّ.

قَالَ: فَفَعَلْتُ، ثُمَّ جَمَعْتُهُمْ ثُمَّ دَعَانِي بِالطَّعَامِ فَقَرَّبْتُهُ لَهُمْ، فَفَعَلَ كَمَا فَعَلَ بِالْأَمْسِ، فَأَكَلُوا حَتَّى مَا لَهُمْ بِشَيْءٍ حَاجَةٌ ثُمَّ قَالَ: اسْقِهِمْ، فَجِئْتُهُمْ بِذَلِكَ الْعُسِّ، فَشَرِبُوا حَتَّى رَوَوْا مِنْهُ جَمِيعًا، ثُمَّ تَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَقَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ شَأْبًا فِي الْعَرَبِ جَاءَ قَوْمُهُ

بِأَفْضَلٍ مِمَّا قَدْ جِئْتُكُمْ بِهِ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ تَعَالَى أَنْ أَدْعُوَكُمْ إِلَيْهِ، فَأَيْتُكُمْ يُؤَاوِرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ؟ قَالَ: فَأَجْمَعَ الْقَوْمُ عَنْهَا جَمِيعًا، وَقُلْتُ: وَإِنِّي لِأَحْدَثُهُمْ سِنًا، وَأَرْمَضُهُمْ عَيْنًا، وَأَعْظَمُهُمْ بَطْنًا، وَأَحْمَشُهُمْ سَاقًا، أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَكُونُ وَزِيرَكَ عَلَيْهِ فَأَخَذَ بِرِقَّتِي، ثُمَّ قَالَ: إِنْ هَذَا أَخِي وَوَصِيَّي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا قَالَ: فَقَامَ الْقَوْمُ يَضْحَكُونَ، وَيَقُولُونَ لِأَبِي طَالِبٍ: قَدْ أَمَرَكَ أَنْ تَسْمَعَ لَابْنِكَ وَتُطِيعَ.

حَدَّثَنِي زَكَرِيَاءُ بْنُ يَحْيَى الضَّرِيرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ أَبِي صَادِقٍ، عَنْ رِبْعَةَ بْنِ نَاجِدٍ، [إِنْ رَجُلًا قَالَ لَعَلِي ع: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بِمَ وَرِثْتَ ابْنَ عَمِّكَ دُونَ عَمِّكَ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: هَؤُلَاءِ! ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، حَتَّى اشْرَابَ النَّاسُ، وَنَشَرُوا آذَانَهُمْ ثُمَّ قَالَ: جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص - أَوْ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ - بَنِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ مِنْهُمْ رَهْطُهُ، كُلَّهُمْ يَأْكُلُ الْجَذْعَةَ وَيَشْرَبُ الْفَرْقَ، قَالَ: فَصَنَعَ لَهُمْ مِدًّا مِنْ طَعَامٍ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ الطَّعَامُ كَمَا هُوَ، كَأَنَّهُ لَمْ يَمَسَّ قَالَ: ثُمَّ دَعَا بَغَمِرَ فَشَرِبُوا حَتَّى رَوَوْا وَبَقِيَ الشَّرَابُ كَأَنَّهُ لَمْ يَمَسَّ وَلَمْ يَشْرَبُوا قَالَ: ثُمَّ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ، إِنِّي بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ بِخَاصَّةٍ وَإِلَى النَّاسِ بِعَامَّةٍ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ، فَأَيْتُكُمْ يُبَايِعُنِي عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَصَاحِبِي وَوَارِثِي؟ فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ - وَكُنْتُ أَصْغَرَ الْقَوْمِ - قَالَ: فَقَالَ: اجْلِسْ، قَالَ:

ثُمَّ قَالَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، كُلُّ ذَلِكَ أَقُومُ إِلَيْهِ، فَيَقُولُ لِي: اجْلِسْ، حَتَّى كَانَ فِي الثَّلَاثَةِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى يَدِي، قَالَ: فَبِذَلِكَ وَرِثْتُ ابْنَ عَمِّي دُونَ عَمِّي .
فَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»، قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِالْأَبْطَحِ، [ثُمَّ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ، يَا بَنِي قُصَيٍّ - قَالَ: ثُمَّ نَحَدَّ قَرِيشًا قَبِيلَةً قَبِيلَةً، حَتَّى مَرَّ عَلَى آخِرِهِمْ - إِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ وَانْذَرَكُمْ عَذَابَهُ] .

فَحَدَّثَنَا الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا جَارِيَةُ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَنْ يَصْدَعَ بِمَا جَاءَهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنْ يُبَادِيَ النَّاسَ بِأَمْرِهِ، وَأَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَكَانَ يَدْعُو مِنْ أَوَّلِ

مَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ النُّبُوَّةُ ثَلَاثَ سِنِينَ، مُسْتَحْفِيًّا، إِلَى أَنْ أُمِرَ بِالظُّهْرِ لِلدُّعَاءِ.
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ - فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْهُ:

فَصَدَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِأَمْرِ اللَّهِ، وَبَادَى قَوْمَهُ بِالْإِسْلَامِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ قَوْمُهُ، وَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ بَعْضَ الرَّدِّ - فِيمَا بَلَغَنِي -
حَتَّى ذَكَرَ آلِهِمْ وَعَابَهَا، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ نَاكَرُوهُ وَاجْتَمَعُوا عَلَى خِلَافِهِ وَعَدَاوَتِهِ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ مِنْهُمْ بِالْإِسْلَامِ، وَهُمْ قَلِيلٌ مُسْتَخْفُونَ،
وَحَدَّبَ عَلَيْهِ أَبُو طَالِبٍ عَمَّهُ وَمَنْعَهُ، وَقَامَ دُونَهُ، وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ص

عَلَى أَمْرِ اللَّهِ مُظْهِرًا لَأَمْرِهِ، لَا يَرُدُّهُ عَنْهُ شَيْءٌ فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص لَا يَعْتَبِرُهُمْ مِنْ شَيْءٍ يَكْرَهُونَهُ مِمَّا أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ مِنْ فِرَاقِهِمْ
وَعَيْبِ آلِهِمْ، وَرَأَوْا أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَدْ حَدَّبَ عَلَيْهِ، وَقَامَ دُونَهُ فَلَمْ يَسْلُبْهُ لَهْمٌ، مَشَى رَجَالٌ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ إِلَى أَبِي طَالِبٍ: عَتَبَةُ ابْنُ
رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ،
وَنَبِيهِ وَمِنْهُ ابْنُ الْحَجَّاجِ - أَوْ مِنْ مَشَى إِلَيْهِ مِنْهُمْ - فَقَالُوا: يَا أَبَا طَالِبٍ، إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ قَدْ سَبَّ آلَهُنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَسَفَّهَ أَحْلَامَنَا، وَضَلَّلَ
أَبَاءَنَا، فِيمَا أَنْ تَكْفَهُ عَنَّا، وَإِنَّمَا أَنْ تُخْلِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَإِنَّكَ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ، فَكَفِّهِكَ فَقَالَ لَهُمْ أَبُو طَالِبٍ قَوْلًا رَفِيقًا،
وَرَدَّهُمْ رَدًّا جَمِيلًا، فَانصَرَفُوا عَنْهُ، وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ص عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، يُظْهِرُ دِينَ اللَّهِ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ قَالَ: ثُمَّ شَرِي الْأَمْرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ
حَتَّى تَبَاعَدَ الرِّجَالُ، وَتَضَاعَفُوا، وَكَثُرَتْ قُرَيْشُ ذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ ص بَيْنَهُمْ، وَتَذَامَرُوا فِيهِ، وَحَصَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهِ ثُمَّ إِنَّهُمْ مَشَوْا إِلَى
أَبِي طَالِبٍ مَرَّةً أُخْرَى، فَقَالُوا: يَا أَبَا طَالِبٍ، إِنَّ لَكَ سِنًا وَشَرَفًا وَمَنْزِلَةً فِينَا، وَإِنَّا قَدْ اسْتَنْهَيْنَاكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَلَمْ تَنْهَ عَنَّا، وَإِنَّا وَاللَّهِ
لَا نَصْبِرُ عَلَى هَذَا مِنْ شَتْمِ آبَائِنَا، وَتَسْفِيهِ أَحْلَامِنَا، وَعَيْبِ آلِهِنَا حَتَّى تَكْفَهُ عَنَّا أَوْ تَنَازِلَهُ وَإِيَّاكَ فِي ذَلِكَ، حَتَّى يَهْلِكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ - أَوْ
كَمَا قَالُوا ثُمَّ انصَرَفُوا عَنْهُ، فَعَظُمَ عَلَى أَبِي طَالِبٍ فِرَاقُ قَوْمِهِ وَعَدَاوَتُهُمْ لَهُ، وَلَمْ يَطِبْ نَفْسًا بِإِسْلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ص لَهُمْ وَلَا خِلَافَتِهِ.
حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، قَالَ:

حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنِ السُّدِّيِّ: أَنَّ نَاسًا مِنْ قُرَيْشٍ اجْتَمَعُوا، فِيهِمْ أَبُو جَهْلٍ

ابْنُ هِشَامٍ وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَعُوثَ، فِي نَفَرٍ مِنْ مَشِيخَةِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْطَلِقُوا
بِنَا إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَكَلِّمُوهُ فِيهِ، فَلْيَنْصِفْنَا مِنْهُ، فَيَأْمُرُهُ فليَكْفَ عَنْ شَتْمِ آلِهِنَا، وَندعه وإلهه الذي يعبد، فَإِنَّا نَخَافُ أَنْ يَمُوتَ هَذَا الشَّيْخُ
فَيَكُونُ مِنْ شَيْءٍ فَنَعِيرِنَا الْعَرَبُ، يَقُولُونَ: تَرَكَوهُ، حَتَّى إِذَا مَاتَ عَمَّهُ تَنَاوَلُوهُ.

قَالَ: فَبَعَثُوا رَجُلًا مِنْهُمْ يَدْعِي الْمُطَّلِبَ، فَاسْتَأْذَنَ لَهُمْ عَلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ مَشِيخَةُ قَوْمِكَ وَسُرَوَاتُهُمْ، يَسْتَأْذِنُونَ عَلَيْكَ، قَالَ:
أَدْخِلْهُمْ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَالُوا: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَنْتَ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا، فَانصِفْنَا مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَرَهُ فليَكْفَ عَنْ شَتْمِ آلِهِنَا، وَندعه وإلهه.
قَالَ: فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو طَالِبٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ص قَالَ: يَا بَنَ أَخِي، هَؤُلَاءِ مَشِيخَةُ قَوْمِكَ وَسُرَوَاتُهُمْ، وَقَدْ سَأَلُوكَ النَّصْفَ،
أَنْ تَكْفَ عَنْ شَتْمِ آلِهِمْ وَيَدْعُوكَ وَإِلَهُكَ [قَالَ: أَيْ عَمِّ، أَوْ لَا أَدْعُوهُمْ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ مِنْهَا؟ قَالَ: وَالْأَمَّ تَدْعُوهُمْ؟ قَالَ: أَدْعُوهُمْ
إِلَى أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِكَلِمَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَيَمْلِكُونَ بِهَا الْعَجَمَ قَالَ: فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ: مَا هِيَ وَأَبِيكَ؟ لَنُعْطِيَنَّكَهَا وَعَشْرًا
أَمْثَالَهَا قَالَ: تَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: فَفَرُّوا وَتَفَرَّقُوا وَقَالُوا: سَلْنَا غَيْرَ هَذِهِ، [فَقَالَ: لَوْ جِئْتُمُونِي بِالشَّمْسِ حَتَّى تَضَعُوهَا فِي يَدِي مَا
سَأَلْتُكُمْ غَيْرَهَا] قَالَ: فَغَضِبُوا وَقَامُوا مِنْ عِنْدِهِ غَضَابِي، وَقَالُوا: وَاللَّهِ لَنَشْتُمَنَّكَ وَإِلَهُكَ الَّذِي يَأْمُرُكَ بِهَذَا، «وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا
وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهِتُمْ إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ»، إِلَى قَوْلِهِ: «إِلَّا اخْتِلَاقٌ»

[وَأَقْبَلَ عَلَى عَمِّهِ فَقَالَ لَهُ عَمُّهُ: يَا بَنَ أَخِي، مَا شَطَطَتْ عَلَيْكَ، فَأَقْبَلَ عَلَى عَمِّهِ فِدَعَاهُ، فَقَالَ: قُلْ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، تَقُولُ:

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّكُم بِهَا الْعَرَبُ، يَقُولُونَ: جَزَعُ مِنَ الْمَوْتِ لَأَعْطَيْتُكُمَهَا، وَلَكِنْ عَلَى مِلَّةِ الْأَشْيَاحِ، قَالَ: فَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ:

«إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَابْنُ وَكِيعٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، قَالَ:

حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبَّادُ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا مَرَضَ أَبُو طَالِبٍ، دَخَلَ عَلَيْهِ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فِيهِمْ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يَشْتُمُ الْهِنْتَنَا، وَيَفْعَلُ وَيَفْعَلُ، وَيَقُولُ وَيَقُولُ، فَلَوْ بَعَثْتَ إِلَيْهِ فَهَيْتَهُ! فَبَعَثَ إِلَيْهِ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ص، فَدَخَلَ الْبَيْتَ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَبِي طَالِبٍ قَدْرُ مَجْلِسِ رَجُلٍ، قَالَ:

نَحْشِي أَبُو جَهْلٍ إِنْ جَلَسَ إِلَى جَنْبِ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يَكُونَ أَرْقَ لَهُ عَلَيْهِ، فَوَثَبَ فَجَلَسَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ وَلَمْ يَجِدْ رَسُولَ اللَّهِ ص مَجْلِسًا قُرْبَ عَمِّهِ، فَجَلَسَ عِنْدَ الْبَابِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ: أَيُّ ابْنِ أَخِي! مَا بَالُ قَوْمِكَ يَشْكُونَكَ، يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تَشْتُمُ الْهِنْتَهُمْ وَتَقُولُ وَتَقُولُ! قَالَ: وَأَكْثَرُوا عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ، [وَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَقَالَ: يَا عَمَّ، إِنِّي أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يَقُولُونَهَا، تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمْ بِهَا الْعَجَمُ الْجَزِيَّةَ فَفَزَعُوا لِكَلِمَتِهِ وَلِقَوْلِهِ، فَقَالَ الْقَوْمُ كَلِمَةً وَاحِدَةً: نَعَمْ وَأَيْكَ عَشْرًا فَمَا هِيَ؟ فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: وَأَيُّ كَلِمَةٍ هِيَ يَا بَنَ أَخِي؟ قَالَ:

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: فَقَامُوا فَرِيعِينَ يَنْفُضُونَ ثِيَابَهُمْ، وَهُمْ يَقُولُونَ: «أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ» قَالَ: وَزَلَّتْ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ

إِلَى قَوْلِهِ: «لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ» لَفْظُ الْحَدِيثِ لِأَبِي كُرَيْبٍ.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ فَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ:

حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: لَخَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عَتَبَةَ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ، أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ قُرَيْشًا حِينَ قَالَتْ لِأَبِي طَالِبٍ هَذِهِ الْمَقَالَةُ، بَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَقَالَ لَهُ: يَا بَنَ أَخِي، إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَاءُونِي فَقَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا، فَأَبَتْ عَلَيَّ وَعَلَى نَفْسِكَ وَلَا تُحْلِلْنِي مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا أُطِيقُ! فَظَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ص أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ لِعَمِّهِ فِيهِ بَدَأً، وَأَنَّهُ خَاذِلُهُ وَمُسْلِمُهُ، وَأَنَّهُ قَدْ ضَعُفَ عَنْ نَصْرَتِهِ وَالْقِيَامِ مَعَهُ، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: يَا عَمَاهُ، لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرَكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ] ثُمَّ اسْتَعْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَبَكَى ثُمَّ قَامَ، فَلَمَّا وَلَّى نَادَاهُ أَبُو طَالِبٍ، فَقَالَ: اقْبَلْ يَا بَنَ أَخِي، فَاقْبَلْ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ص فَقَالَ: اذْهَبْ يَا بَنَ أَخِي، فَقُلْ مَا أَحْبَبْتُ فَوَاللَّهِ لَا أَسْأَلُكَ لَشَيْءٍ أَبَدًا.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّ قُرَيْشًا لَمَّا عَرَفَتْ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ أَبَى خِذْلَانَ رَسُولَ اللَّهِ ص وَإِسْلَامَهُ وَإِجْمَاعَهُ لِفِرَاقِهِمْ فِي ذَلِكَ، وَعَدَاوَتَهُمْ، مَشَوْا إِلَيْهِ بِعُمَارَةِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ، فَقَالُوا لَهُ- فِيمَا بَلَغَنِي: يَا أَبَا طَالِبٍ، هَذَا عِمَارَةُ

ابْنِ الْوَلِيدِ أَنَّهُدُ فِتَى فِي قُرَيْشٍ وَأَشْعَرُهُ وَأَجْمَلُهُ، نَحْنُ فَلَكَ عَقْلُهُ وَنَصْرَتُهُ، وَاتَّخَذَهُ وَلَدًا، فَهُوَ لَكَ، وَأَسْلَمَ لَنَا ابْنُ أَخِيكَ- هَذَا الَّذِي قَدْ خَالَفَ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ، وَفَرَّقَ جَمَاعَةَ قَوْمِكَ، وَسَفَهُ أَحْلَامَهُمْ- فَتَقْتُلُهُ، فَإِنَّمَا رَجُلٌ كَرَجُلٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لِبُئْسَ مَا تَسُومُونَنِي! اتَّعْطُونَنِي ابْنَكُمْ أَغْذَوْهُ لَكُمْ، وَأَعْطِيكُمْ ابْنِي تَقْتُلُونَهُ! هَذَا وَاللَّهِ مَا لَا يَكُونُ أَبَدًا فَقَالَ الْمُطْعَمُ ابْنُ عَدِيٍّ بْنُ نَوْفَلٍ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ: وَاللَّهِ يَا أَبَا طَالِبٍ، لَقَدْ أَنْصَفَكَ قَوْمُكَ، وَجَهَدُوا عَلَى التَّخْلِصِ مِمَّا تَكْرَهُهُ، فَمَا أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ لِلْمُطْعَمِ: وَاللَّهِ مَا أَنْصَفُونِي، وَلَكِنَّكَ قَدْ أَجْمَعْتَ خِذْلَانِي وَمُظَاهَرَةَ الْقَوْمِ عَلَيَّ، فَاصْنَعْ مَا بَدَأَ لَكَ! أَوْ كَمَا قَالَ أَبُو طَالِبٍ. قَالَ: فَحَقَّبَ الْأَمْرَ عِنْدَ ذَلِكَ، وَحَمَيْتِ الْحَرْبَ، وَتَنَابَذَ الْقَوْمُ، وَبَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّ قُرَيْشًا تَدَامَرُوا عَلَى مَنْ فِي الْقَبَائِلِ مِنْهُمْ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مَعَهُ فَوَثَبَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ عَلَى مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَعْدِبُونَهُمْ وَيَقْتُلُونَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَمَنَعَ اللَّهُ رَسُولَهُ مِنْهُمْ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَقَدْ قَامَ أَبُو طَالِبٍ حِينَ رَأَى قُرَيْشًا تَصْنَعُ مَا تَصْنَعُ فِي بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ مَنَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَالْقِيَامِ دُونَهُ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، وَقَامُوا مَعَهُ، وَأَجَابُوا إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الدَّفْعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَبِي لَهَبٍ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو طَالِبٍ مِنْ قَوْمِهِ مَا سَرَّهُ مِنْ جَدِّهِمْ مَعَهُ، وَحَدِيثِهِمْ عَلَيْهِ، جَعَلَ يَمْدَحُهُمْ، وَيَذْكُرُ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ ص فِيهِمْ، وَمَكَانَهُ مِنْهُمْ لِيَشُدَّ لَهُمْ رَايَهُمْ.

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ بْنِ عَلِيٍّ الْجَهْضِيُّ، وَعَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ ابْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ - قَالَ عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، وَقَالَ عَبْدُ الْوَارِثِ: حَدَّثَنِي أَبِي - قَالَ: حَدَّثَنَا أَبَانُ الْعَطَّارُ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ عُرْوَةَ، أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ: أَمَّا بَعْدُ، فَانْه - يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ ص - لَمَّا دَعَا قَوْمَهُ لَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالنُّورِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، لَمْ يَعُدُّوا مِنْهُ أَوَّلَ مَا دَعَاهُمْ، وَكَادُوا يَسْمَعُونَ لَهُ، حَتَّى ذَكَرَ طَوَاغِيَتَهُمْ وَقَدِمَ نَاسٌ مِنَ الطَّائِفِ مِنْ قُرَيْشٍ لَهُمْ أَمْوَالٌ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَاشْتَدُّوا عَلَيْهِ، وَكَرِهُوا مَا قَالَ لَهُمْ، وَأَغْرَوْا بِهِ مَنْ أَطَاعَهُمْ، فَانْصَفَقَ عَنْهُ عَامَةُ النَّاسِ، فَتَرَكُوهُ إِلَّا مَنْ حَفِظَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ، وَهُمْ قَلِيلٌ، فَكَثَّ بِذَلِكَ مَا قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ ثُمَّ أَتَمَرَتْ رُءُوسُهُمْ بِأَنْ يَفْتِنُوا مَنْ تَبِعَهُ عَنْ دِينِ اللَّهِ مِنْ أَبْنَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، فَكَانَتْ فِتْنَةً شَدِيدَةً الزَّلْزَالِ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ رَسُولَ اللَّهِ ص مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَافْتَنَ مِنْ أَفْتِنٍ، وَعَصَمَ اللَّهُ مِنْهُمْ مَنْ شَاءَ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ بِالْمُسْلِمِينَ، أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص أَنْ يَخْرُجُوا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ - وَكَانَ بِالْحَبَشَةِ مَلِكٌ صَالِحٌ يُقَالُ لَهُ النَّجَاشِيُّ، لَا يُظَلُّ أَحَدٌ بَارِضُهُ، وَكَانَ يَنْتِ عَلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ صِلَاحٌ، وَكَانَتْ أَرْضُ الْحَبَشَةِ مَتَجَرًّا لِقُرَيْشٍ يَخْرُجُونَ فِيهَا، يَجِدُونَ فِيهَا رِفَاعًا مِنَ الرِّزْقِ، وَأَمْنًا وَمَتَجَرًّا حَسَنًا - فَأَمَرَهُمْ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ص، فَذَهَبَ إِلَيْهَا عَامَتُهُمْ لَمَّا قَهَرُوا بِمَكَّةَ، وَخَافَ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَةَ، وَمَكُثَ هُوَ فَلَمْ يَبْرَحْ، فَكَثَّ بِذَلِكَ سَنَوَاتٍ، يَشْتَدُّونَ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ.

ثُمَّ إِنَّهُ فَشَا الْإِسْلَامَ فِيهَا، وَدَخَلَ فِيهِ رِجَالٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَاخْتَلَفَ فِي عِدَدٍ مَنْ خَرَجَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَهَاجَرَ إِلَيْهَا هَذِهِ الْهَجْرَةَ، وَهِيَ الْهَجْرَةُ الْأُولَى. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانُوا أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا وَأَرْبَعَ نِسْوَةٍ.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الظُّفَرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ. قَالَ: وَأَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ الْهَذَلِيُّ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ الْفَضِيلِ، قَالَا: خَرَجَ الَّذِينَ هَاجَرُوا الْهَجْرَةَ الْأُولَى مُتَسَلِّينَ سِرًّا، وَكَانُوا أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا وَأَرْبَعَ نِسْوَةٍ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الشَّعْبَةِ، مِنْهُمْ الرَّاكِبُ وَالْمَاشِي، وَوَفَّقَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ سَاعَةً جَاءُوا سَفِينَتَيْنِ لِلتَّجَارِ حَمَلُوهُنَّ فِيهِمَا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ بَنَصَفِ دِينَارٍ، وَكَانَ مَخْرَجُهُمْ فِي رَجَبٍ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ، مِنْ حِينَ نَبِئَ رَسُولُ اللَّهِ ص، وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى جَاءُوا الْبَحْرَ، حَيْثُ رَكِبُوا فَلَمْ يَدْرِكُوا مِنْهُمْ أَحَدًا.

قَالُوا: وَقَدِمْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ، فَجَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ، أَمْنَا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللَّهَ، لَا نُوْذِي وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَانَ، قَالَا: تَسْمِيَةُ الْقَوْمِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ مَعَ امْرَأَتِهِ رُقِيَّةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَأَبُو حَذِيفَةَ بْنُ عَتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ مَعَ امْرَأَتِهِ سَهْلَةَ بِنْتِ سَهِيلِ بْنِ عَمْرٍو، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَامِ بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ، وَمُصْعَبُ بْنُ عَمِيرِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ

عَبْدُ مَنَافٍ بْنُ عَبْدِ الدَّارِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفِ بْنِ عَوْفِ ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ زَهْرَةَ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ بْنِ هَلَالِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ مَخْزُومٍ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغَيَّرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ مَخْزُومٍ، وَعِثْمَانُ بْنُ مَطْعُونِ الْجُمَحِيِّ، وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ الْعَنْزِيُّ، مِنْ عَزْرِ بْنِ وَائِلٍ - لَيْسَ مِنْ عَزْرَةَ - حَلِيفُ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ لَيْلَى بِنْتُ أَبِي حَثْمَةَ، وَأَبُو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رَهْمٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى الْعَامِرِيِّ، وَحَاطِبُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وَسَهِيلُ بْنُ بَيْضَاءٍ، مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فَهْرٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ حَلِيفُ بَنِي زَهْرَةَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ الَّذِينَ لَحِقُوا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَهَاجَرُوا إِلَيْهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ - سِوَى أَوْلَادِهِمُ الَّذِينَ خَرَجُوا بِهِمْ صَغَارًا وَوَلَدُوا بِهَا - اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ رَجُلًا، إِنْ كَانَ عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ فِيهِمْ، وَهُوَ يَشْكُ فِيهِ! ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: لَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ص مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ، وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعَاقِبَةِ بِمَكَانِهِ مِنَ اللَّهِ وَعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ، [قَالَ لَهُمْ: لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ! فَإِنَّ بِهَا مَلَكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ!] فَخَرَجَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ مُحَافَةَ الْفِتْنَةِ، وَفِرَارًا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِدِينِهِمْ، فَكَانَتْ أَوَّلَ هِجْرَةٍ كَانَتْ فِي الْإِسْلَامِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ، وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ رُقِيَّةُ ابْنَةُ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَمِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَبُو حَذِيفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ، وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ سَهْلَةُ بِنْتُ سَهِيلِ بْنِ عَمْرٍو، أَحَدِ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَمِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ قُصَيِّ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ.

فَعَدَّ النَّفَرَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ الْوَاقِدِيُّ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ابْنُ غَالِبٍ بْنُ فَهْرٍ أَبُو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رَهْمٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ أَبِي قَيْسٍ بْنُ عَبْدِ وَدٍّ بْنِ نَضْرٍ بْنُ مَالِكِ بْنِ حَسَلٍ بْنُ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَيُقَالُ: بَلَّ أَبُو حَاطِبٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنُ عَبْدِ وَدٍّ بْنِ نَضْرٍ بْنُ مَالِكِ بْنِ حَسَلٍ ابْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ قَالَ: وَيُقَالُ: هُوَ أَوَّلُ مَنْ قَدِمَهَا، فَجَعَلَهُمُ ابْنُ إِسْحَاقَ عَشْرَةً، وَقَالَ: كَانَ هَؤُلَاءِ الْعَشْرَةُ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ - فِيمَا بَلَغَنِي.

قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَتَتَابَعَ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى اجْتَمَعُوا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَكَانُوا بِهَا، مِنْهُمْ مَنْ خَرَجَ بِأَهْلِهِ مَعَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَرَجَ بِنَفْسِهِ لَا أَهْلَ مَعَهُ، ثُمَّ عَدَّ ذَلِكَ تَمَامَ اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ رَجُلًا، بِالْعَشْرَةِ الَّذِينَ ذَكَرْتُ بِأَسْمَائِهِمْ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مَعَهُ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ، وَمَنْ وَلَدَ لَهُ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ لَا أَهْلَ مَعَهُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَلَمَّا خَرَجَ مِنْ خَرَجَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ مَهَاجِرًا إِلَيْهَا، وَرَسُولُ اللَّهِ ص مُقِيمٌ بِمَكَّةَ، يَدْعُو إِلَى اللَّهِ سِرًّا وَجَهْرًا، قَدْ مَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَبِمَنْ اسْتَجَابَ لِنُصْرَتِهِ مِنْ عَشِيرَتِهِ، وَرَأَتْ قُرَيْشُ أَنَّهُمْ لَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَيْهِ، رَمَوْهُ بِالسَّحَرِ وَالْكِهَانَةِ وَالْجُنُونِ، وَأَنَّهُ شَاعِرٌ، وَجَعَلُوا يَصُدُّونَ عَنْهُ مَنْ خَافُوا مِنْهُ أَنْ يَسْمَعَ قَوْلَهُ فَيَتَّبِعَهُ، فَكَانَ أَشَدَّ مَا بَلَغُوا مِنْهُ حِينَئِذٍ - فِيمَا ذُكِرَ - مَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ عُرْوَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتُ قُرَيْشًا أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص فِيمَا كَانَتْ تُظْهِرُ مِنْ عِدَاوَتِهِ! قَالَ: قَدْ حَضَرْتَهُمْ وَقَدْ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ يَوْمًا فِي الْحَجْرِ، فَذَكَرُوا رَسُولَ اللَّهِ ص فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ! سَفَهُ أَحْلَامَنَا، وَشَتَمَ آبَاءَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَسَبَّ اهْتِنَا! لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ - أَوْ كَمَا قَالُوا.

فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص فَأَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ، ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفًا بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ بِبَعْضِ الْقَوْلِ. قَالَ: فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ص، ثُمَّ مَضَى، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمُ الثَّانِيَةَ غَمَزُوهُ مِثْلَهَا، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ مَضَى، ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ

الثالثة، فَعَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَوَقَفَ [فَقَالَ: أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! أَمَّا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذِّحِّ!] قَالَ: فَأَخَذَتِ الْقَوْمُ كَلِمَتَهُ، حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا كَأَنَّمَا عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ وَقَعَ، وَحَتَّى إِنْ أَشْدَهُمْ فِيهِ وَصَاهُ قَبْلَ ذَلِكَ لِيرَفُوهُ بِأَحْسَنِ مَا يَجِدُ مِنَ الْقَوْلِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ:

انصرف يا أبا القاسم راشدا، فوالله ما كُنْتُ جَهُولاً!

قال: فانصرف رسول الله ص، حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ، اجْتَمَعُوا فِي الْحَجْرِ، وَأَنَا مَعَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ذَكَّرْتُمْ مَا بَلَغَ مِنْكُمْ، وَمَا بَلَغَكُمْ عَنْهُ، حَتَّى إِذَا بَادَاكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ تَرَكْتُمُوهُ! فَبَيْنَاهُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَوَثُّوا إِلَيْهِ وَثْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ وَأَحَاطُوا بِهِ يَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا! لِمَا يَبْلُغُهُمْ مِنْ عَيْبِ آلِهِمْ وَدِينِهِمْ، فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ص: نَعَمْ أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ أَخَذًا يَجْمَعُ رِدَائِهِ قَالَ: وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ دُونَهُ، يَقُولُ وَهُوَ يَبْكِي: وَيَلْكُمُ! اتَّقَتُلُونِ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ! ثُمَّ انصَرَفُوا عَنْهُ.

فَإِنَّ ذَلِكَ أَشَدُّ مَا رَأَيْتُ قُرَيْشًا بَلَغَتْ مِنْهُ قَطُّ.

حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ بَكْرٍ، قَالَ:

حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: حَدَّثَنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ رَأَيْتَ الْمُشْرِكِينَ صَنَعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ص قَالَ: أَقْبَلَ عَقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ص عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَلَوَّى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، وَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ مِنْ خَلْفِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى مَنْكِبِهِ، فَدَفَعَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص، ثُمَّ قَالَ أَبُو بَكْرٍ:

يَا قَوْمُ: «اتَّقَتُلُونِ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ» إِلَى قَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ» قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَسْلَمَ كَانَ وَاعِيَهُ، أَنَّ أَبَا جَهْلَ بْنَ هِشَامٍ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ص، وَهُوَ جَالِسٌ عِنْدَ الصِّفَا، فَأَذَاهُ وَشْتَمَهُ، وَنَالَ مِنْهُ بَعْضُ مَا يَكْرَهُ مِنَ الْعَيْبِ لَدِينِهِ وَالتَّضْعِيفِ لَهُ، فَلَمْ يَكَلِّهِ رَسُولُ اللَّهِ ص، وَمَوْلَاةُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ التَّيْمِيِّ فِي مَسْكَنِ لَهَا فَوْقَ الصِّفَا تَسْمَعُ ذَلِكَ ثُمَّ انصَرَفَ عَنْهُ، فَعَمِدَ إِلَى نَادِي

قُرَيْشٍ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ فَلَمْ يَلْبِثْ حِمَزةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَنْ أَقْبَلَ مَتَوَشِّحًا قَوْسَهُ، رَاجِعًا مِنْ قَتْلِ لَه- وَكَانَ صَاحِبَ قَنْصٍ يَرْمِيهِ وَيُخْرِجُ لَهُ، وَكَانَ إِذَا رَجَعَ مِنْ قَنْصِهِ لَمْ يَصِلْ إِلَى أَهْلِهِ حَتَّى يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، وَكَانَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَمْرُ عَلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا وَقَفَ وَسَلَّمَ وَتَحَدَّثَ مَعَهُمْ، وَكَانَ أَغْزَى قُرَيْشٍ وَأَشَدَّهَا شَكِيمَةً- فَلَمَّا مَرَّ بِالمَوْلَاةِ وَقَدْ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ، قَالَتْ: يَا أَبَا عَمْرَةَ، لَوْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ ابْنُ أَخِيكَ مُحَمَّدٌ أَنْفًا قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ مِنْ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ! وَجَدَهُ هَاهُنَا جَالِسًا فَسَبَّهُ وَأَذَاهُ، وَبَلَغَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ، ثُمَّ انصَرَفَ عَنْهُ وَلَمْ يَكَلِّهِ مُحَمَّدٌ.

قال: فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج سريعا- لا يقف على أحد كما كان يصنع- يريد الطواف بالكعبة، معدا لأبي جهل إذا لقيه أن يقع به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا في القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه، رفع القوس فضربه بها ضربة فشجه بها شجة منكورة، وقال: أنشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول! فرد ذلك علي إن استطعت! وقامت رجال بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه، فقال أبو جهل: دعوا أبا جهل، فإني والله لقد سببت ابن أخيه سبا قبيحا وتم حمزة على إسلامه، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ص قد عز، وأن حمزة سيمنعه، فكفوا عن رسول الله ص بعض ما كانوا ينالون منه.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص بِمَكَّةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، قَالَ: اجْتَمَعَ يَوْمًا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا سَعَتِ قُرَيْشٌ بِهَذَا الْقُرْآنِ يُجْهَرُ لَهَا بِهِ قَطُّ، فَمَنْ رَجُلٌ يَسْمَعُهُمْ؟

فقال عبد الله

ابن مسعود: أَنَا، قَالُوا: إِنَّا نَحْشَاهُمْ عَلَيْكَ، إِنَّمَا نُرِيدُ رَجُلًا لَهُ عَشِيرَةٌ يَمْنَعُونَهُ مِنَ الْقَوْمِ إِنْ أَرَادُوهُ، فَقَالَ: دَعُونِي، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَمْنَعُنِي، قَالَ: فَعَدَا ابْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَتَى الْمَقَامَ فِي الضُّحَى، وَقَرِيشٌ فِي أُنْدِيَّتِهَا، حَتَّى قَامَ عِنْدَ الْمَقَامِ ثُمَّ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» - رافعا بها صوته - «الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ»، قَالَ: ثُمَّ اسْتَقْبَلَهَا يَقْرَأُ فِيهَا، قَالَ:

وَتَأَمَّلُوا وَجَعَلُوا يَقُولُونَ: مَا يَقُولُ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ! ثُمَّ قَالُوا: أَنَّهُ لِيَتْلُو بَعْضَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ فِي وَجْهِهِ، وَجَعَلَ يَقْرَأُ حَتَّى بَلَغَ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْلُغَ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى أَصْحَابِهِ، وَقَدْ أَثَرُوا بِوَجْهِهِ، فَقَالُوا:

هَذَا الَّذِي خَشِينَا عَلَيْكَ! قَالَ: مَا كَانَ أَعْدَاءُ اللَّهِ أَهْوَنَ عَلَى مِنْهُمْ إِلَّا! لَنْ شَتَمَ لِأَعْدَائِهِمْ غَدًا بِمِثْلِهَا، قَالُوا: لَا، حَسْبُكَ، فَقَدْ أَسْمَعْتَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى أَرْضِ الْحَبْشَةِ الْقَرَارَ بِأَرْضِ النَجَاشِيِّ وَاطْمَأَنَّنَا، تَأَمَّرَتْ قَرِيشٌ فِيمَا بَيْنَهَا فِي الْكِيدِ بَيْنَ ضَوْى إِلَيْهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَوَجَّهُوا عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمَغِيرَةِ الْخَزَوِجِيَّ إِلَى النَجَاشِيِّ، مَعَ هَدَايَا كَثِيرَةٍ أَهْدَوْهَا إِلَيْهِ وَإِلَى بَطَارِقَتِهِ، وَأَمَرُوهُمَا أَنْ يَسْأَلَا النَجَاشِيَّ تَسْلِيمَ مَنْ قَبْلَهُ وَأَبَارِضَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ فَشَخَّصَ عَمْرُو وَعَبْدَ اللَّهِ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ، فَفَعَلَا لَمَّا أُرْسِلَهُمَا إِلَيْهِ قَوْمَهُمَا، فَلَمْ يَصِلَا إِلَى مَا أَمَلَ قَوْمَهُمَا مِنَ النَجَاشِيِّ، فَرَجَعَا مُقْبُوحِينَ، وَأَسْلَمَ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَلَمَّا أَسْلَمَ - وَكَانَ رَجُلًا جَلْدًا جَلِيدًا مَنِيعًا، وَكَانَ قَدْ أَسْلَمَ قَبْلَ ذَلِكَ حَمْزَةُ ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، وَوَجَدَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَنْفُسِهِمْ قُوَّةً، وَجَعَلَ الْإِسْلَامَ يَفْشُو فِي الْقَبَائِلِ، وَحَمَى النَجَاشِيُّ مِنْ ضَوْى إِلَى بَلَدِهِ مِنْهُمْ - اجْتَمَعَتْ قَرِيشٌ، فَاتَّخَذَتْ بَيْنَهَا: أَنْ يَكْتُبُوا بَيْنَهُمْ كِتَابًا

يَتَعَاقدُونَ فِيهِ، عَلَى الْإِنْكَاحِ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمَطْلَبِ، وَلَا يَنْكِحُوهُمْ وَلَا يَبِيعُوهُمْ شَيْئًا، وَلَا يَبْتَاعُوا مِنْهُمْ، فَكُتِبُوا بِذَلِكَ صَحِيفَةً، وَتَعَاهَدُوا وَتَوَاتَقُوا عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ عُلِقُوا الصَّحِيفَةُ فِي جُوفِ الْكَعْبَةِ، تَوْكِيدًا بِذَلِكَ الْأَمْرِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَلَمَّا فَعَلَتْ ذَلِكَ قَرِيشٌ، انْخَازَتْ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمَطْلَبِ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَدَخَلُوا مَعَهُ فِي شُعْبَةٍ، وَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، وَخَرَجَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ أَبُو لَهَبٍ عَبْدُ الْعَزَى بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ إِلَى قَرِيشٍ، وَظَاهَرَهُمْ عَلَيْهِ، فَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ سِتْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّى جَهِدُوا أَلَّا يَصِلَ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ شَيْءٌ إِلَّا سِرًّا، مُسْتَخْفِيًا بِهِ مَنْ أَرَادَ صَلَاتَهُمْ مِنْ قَرِيشٍ وَذَكَرَ أَنَّ أَبَا جَهْلَ لَقِيَ حَكِيمَ بْنَ حَزَامَ بْنَ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ، مَعَهُ غُلَامٌ يَحْمِلُ قِحًا يَرِيدُ بِهِ عَمَتَهُ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ، وَهِيَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَمَعَهُ فِي الشَّعْبِ، فَتَعَلَّقَ بِهِ، وَقَالَ: أَتَذْهَبُ بِالطَّعَامِ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ! وَاللَّهِ لَا تَبْرَحُ أَنْتَ وَطَعَامُكَ حَتَّى أَفْضَحَكَ بِمَكَّةَ! فَجَاءَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ، فَقَالَ: مَالِكٌ وَلَهُ! قَالَ: يَحْمِلُ الطَّعَامَ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ: طَعَامَ لَعْمَتِهِ عِنْدَهُ بَعَثَ إِلَيْهِ فِيهِ، أَفَتَمْنَعُهُ أَنْ يَأْتِيَهَا بِطَعَامٍ! خَلَّ سَبِيلَ الرَّجُلِ فَأَبَى أَبُو جَهْلٌ حَتَّى نَالَ أَحَدَهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ، فَأَخَذَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ لِحْيَ بَعِيرٍ، فَضْرَبَهُ فَشَجَّهُ، وَوُطِئَهُ وَطْئًا شَدِيدًا، وَحَمْزَةُ ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ قَرِيبٌ يَرَى ذَلِكَ، وَهُمْ يَكْرَهُونَ أَنْ يَبْلُغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَاصْحَابُهُ، فَيَشْتُمُوا بِهِمْ، وَرَسُولُ اللَّهِ ص فِي كُلِّ ذَلِكَ، يَدْعُو قَوْمَهُ سِرًّا وَجَهْرًا، آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَالْوَحْيُ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ مُتَتَابِعٌ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَوَعِيدٌ مِنْ نَاصِبِهِ الْعَدَاوَةِ، وَالْحُجْجُ لِرَسُولِ اللَّهِ ص عَلَى مَنْ خَالَفَهُ

فَذَكَرَ أَنَّ أَشْرَافَ قَوْمِهِ اجْتَمَعُوا لَهُ يَوْمًا - فِيمَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْحَرَّشِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو خَلْفٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِيسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ قَرِيشًا وَعَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ص أَنْ يُعْطُوهُ مَا لَا يَكُونُ أَغْنَى رَجُلًا بِمَكَّةَ، وَيُزَوِّجُوهُ مَا أَرَادَ مِنَ النِّسَاءِ، وَيَطَّوُّوا عَقْبَهُ، فَقَالُوا: هَذَا لَكَ عِنْدَنَا يَا مُحَمَّدُ، وَكُفَّ عَنْ شَتَمِ آلِهِتِنَا فَلَا تَذْكُرْهَا بِسُوءٍ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَإِنَّا نَعْرِضُ عَلَيْكَ خَصْلَةً وَاحِدَةً فِيهِ لَكَ وَلَنَا فِيهَا صَلَاحٌ قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالُوا: تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً، اللَّاتَ وَالْعَزَى، وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً، قَالَ: حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَأْتِي مِنْ عِنْدِ رَبِّي! فَجَاءَ الْوَحْيُ مِنَ اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ: «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ» السُّورَةُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «قُلْ أَغْفِرُ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ» إِلَى قَوْلِهِ: «بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ» .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَلِيَّةٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ، مَوْلَى أَبِي الْبَخْتَرِيِّ، قَالَ: لَقِيَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ وَالْعَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمَطْلَبِ وَامِيَهُ بَنَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، هَلُمْ فَلْنَعْبُدَ مَا تَعْبُدُ، وَتَعْبُدُ مَا نَعْبُدُ، وَنَشْرُكَكَ فِي أَمْرِنَا كُلِّهِ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي جِئْتَ بِهِ خَيْرًا مِمَّا فِي أَيْدِينَا، كَمَا قَدْ شَرَكْنَاكَ فِيهِ، وَأَخَذْنَا بِحُظُنَّا مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي بَأَيْدِينَا خَيْرًا مِمَّا فِي يَدِكَ، كُنْتَ قَدْ شَرَكْتَنَا فِي أَمْرِنَا، وَأَخَذْتَ بِحُظِّكَ مِنْهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ»، حَتَّى انْقَضَتْ السُّورَةُ. فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص حَرِيصًا عَلَى صَلَاحِ قَوْمِهِ، مُحِبًّا مَقَارِبَتِهِمْ بِمَا وَجَدَ إِلَيْهِ السَّبِيلَ، قَدْ ذَكَرَ أَنَّهُ تَمَنَّى السَّبِيلَ إِلَى مَقَارِبَتِهِمْ، لَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ زِيَادٍ الْمَدَنِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ، قَالَ: لَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ص تَوَلَّى قَوْمَهُ عَنْهُ، وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا يَرَى مِنْ مَبَاعَدَتِهِمْ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ اللَّهِ، تَمَنَّى فِي نَفْسِهِ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنَ اللَّهِ مَا يَقَارِبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ، وَكَانَ يَسْرُهُ مَعَ حَبِيبِهِ قَوْمَهُ، وَحَرِيصُهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَلِينَ لَهُ بَعْضُ مَا قَدْ غَلِظَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِمْ، حَتَّى حَدَّثَ بِذَلِكَ نَفْسَهُ، وَتَمَنَّاهُ وَأَحْبَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ»، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ: «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ»، أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ، لَمَّا كَانَ يُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَهُ، وَيَتَمَنَّى أَنْ يَأْتِيَهُ بِهِ قَوْمُهُ: تِلْكَ الْغَرَائِقُ الْعُلَا، وَإِنْ شَفَاعَتُهُنَّ لَتَرْجِي، فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ قُرَيْشٌ فَرِحُوا، وَسَرَّهْمُ وَأَعْجَبَهُمْ مَا ذَكَرَ بِهِ آلِهَتُهُمْ، فَاصْأَخُوا لَهُ - وَالْمُؤْمِنُونَ مُصَدِّقُونَ نَبِيِّهِمْ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ عَنْ رَبِّهِمْ، وَلَا يَتَهَمُونَهُ عَلَى خَطِئٍ وَلَا وَهْمٍ وَلَا زَلَلٍ - فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا وَخَتَمَ السُّورَةَ سَجَدَ فِيهَا، فَسَجَدَ الْمُسْلِمُونَ بِسُجُودِ نَبِيِّهِمْ، تَصَدِّيقًا لِمَا جَاءَ بِهِ، وَاتِّبَاعًا لِأَمْرِهِ، وَسَجَدَ مَنْ فِي الْمَسْجِدِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ، لَمَّا سَمِعُوا مِنْ ذِكْرِ آلِهَتِهِمْ، فَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَسْجِدِ مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ إِلَّا سَجَدَ، إِلَّا الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ، فَإِنَّهُ كَانَ شَيْخًا كَبِيرًا، فَلَمْ يَسْتَطِعِ السُّجُودَ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ حَفْنَةً مِنَ الْبَطْحَاءِ فَسَجَدَ عَلَيْهَا، ثُمَّ تَفَرَّقَ النَّاسُ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ، وَقَدْ سَرَّهْمُ مَا سَمِعُوا مِنْ ذِكْرِ آلِهَتِهِمْ، يَقُولُونَ: قَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدٌ هَهُنَا بِأَحْسَنِ الذِّكْرِ، قَدْ زَعَمَ فِيمَا يَتْلُو: أَنَّهَا الْغَرَائِقُ الْعُلَا، وَأَنَّ شَفَاعَتَهُنَّ تَرْضَى وَبَلَغَتْ السَّجْدَةَ مِنْ بَارِضِ الْحَبْشَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقِيلَ: أَسَلِمْتَ قُرَيْشٌ، فَهَضَّ مِنْهُمْ رِجَالٌ، وَتَخَفَّ آخَرُونَ، وَأَتَى جَبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ ص، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَاذَا صَنَعْتَ! لَقَدْ تَلَوْتَ عَلَى النَّاسِ مَا لَمْ آتِكَ بِهِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقُلْتَ مَا لَمْ يَقُلْ لَكَ! فَحَزَنَ رَسُولُ اللَّهِ ص عِنْدَ ذَلِكَ حُزْنًا شَدِيدًا، وَخَافَ مِنَ اللَّهِ خَوْفًا كَثِيرًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - وَكَانَ بِهِ رَحِيمًا - يُعْزِيهِ وَيُخَفِّضُ عَلَيْهِ الْأَمْرَ، وَيُخْبِرُهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُ قَبْلَهُ نَبِيٌّ وَلَا رَسُولٌ تَمَنَّى كَمَا تَمَنَّى، وَلَا أَحَبَّ كَمَا أَحَبَّ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ قَدْ أَلْقَى فِي أُمْنِيَّتِهِ، كَمَا أَلْقَى عَلَى لِسَانِهِ ص، فَنَسَخَ اللَّهُ مَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ وَأَحْكَمَ آيَاتِهِ، أَيْ فَإِنَّمَا أَنْتَ كَبَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»، فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ نَبِيِّهِ الْحُزْنَ، وَأَمَنَهُ مِنَ الَّذِي كَانَ يَخَافُ، وَنَسَخَ مَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ مِنْ ذِكْرِ آلِهَتِهِمْ: أَنَّهَا الْغَرَائِقُ الْعُلَا وَأَنَّ شَفَاعَتَهُنَّ تَرْضَى، بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ ذَكَرَ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ:

«الْكُفْرُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ» أَيِ عَوْجَاءَ، «إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ» - إِلَى قَوْلِهِ - «لَمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ»، أَيِ فَكَيْفَ تَفْعُلُ شَفَاعَةُ آلِهَتِكُمْ عِنْدَهُ! فَلَمَّا جَاءَ مِنَ اللَّهِ مَا نَسَخَ مَا كَانَ الشَّيْطَانُ أَلْقَى عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ، قَالَتْ قُرَيْشٌ: نَدِمَ مُحَمَّدٌ عَلَى مَا ذَكَرَ مِنْ مَنْزِلَةِ آلِهَتِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ، فَغَيَّرَ ذَلِكَ وَجَاءَ بِغَيْرِهِ، وَكَانَ ذَانِكَ الْحَرْفَانِ اللَّذَانِ أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ص قَدْ وَقَعَا فِيهِمْ كُلِّ مُشْرِكٍ، فَازْدَادُوا شَرًّا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَشَدَّةً عَلَى مَنْ اسْلَمَ وَاتَّبَعَ رَسُولَ اللَّهِ ص مِنْهُمْ،

وَأَقْبَلَ أُولَئِكَ النَّفَرُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ لَمَّا بَلَغَهُمْ مِنْ إِسْلَامِ أَهْلِ مَكَّةَ حِينَ سَجَدُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْ مَكَّةَ، بَلَغَهُمْ أَنَّ الَّذِي كَانُوا تَحَدَّثُوا بِهِ مِنْ إِسْلَامِ أَهْلِ مَكَّةَ كَانَ بَاطِلًا، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا بِجَوَارٍ، أَوْ مُسْتَحْفِيًّا، فَكَانَ مِمَّنْ قَدِمَ مَكَّةَ مِنْهُمْ فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَشَهِدَ مَعَهُ بَدْرًا مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ بَنُ عَبْدِ مَنَافٍ بَنُ قُصَيٍّ، عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ ابْنُ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ، مَعَ امْرَأَتِهِ رُقِيَّةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَأَبُو حَذِيفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ مَعَ امْرَأَتِهِ سَهْلَةَ بِنْتُ سَهْلٍ، وَجَمَاعَةٌ أُخَرُ مَعَهُمْ، عَدَدُهُمْ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا.

حدثني القاسم بن الحسن، قال: حدثنا الحسين بن داود، قال: حدثني حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس، قالوا: جلس رسول الله ص في نادٍ من أندية قريش، كثير أهلُه، فتمنى يومئذٍ ألا يأتيه من الله شيءٌ فينفروا عنه، فأنزل الله عز وجل:

«وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى»، فقرأها رسول الله ص حَتَّى إِذَا بَلَغَ: «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى» أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ كَلِمَتَيْنِ: تِلْكَ الْغَرَائِقُ الْعُلَا وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْجَى، فَتَكَلَّمَ بِهِمَا، ثُمَّ مَضَى فَقَرَأَ السُّورَةَ كُلَّهَا، فَسَجَدَ فِي آخِرِ السُّورَةِ، وَسَجَدَ الْقَوْمُ مَعَهُ جَمِيعًا، وَرَفَعَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ تَرَابًا إِلَى جَبْهَتِهِ، فَسَجَدَ عَلَيْهِ - وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَقْدِرُ عَلَى السُّجُودِ - فَرَضُوا بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ، وَقَالُوا: قَدْ عَرَفْنَا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ الَّذِي يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ، وَلَكِنَّ آهَتَنَا هَذِهِ تَشْفَعُ لَنَا عِنْدَهُ، فَإِذَا جَعَلَتْ لَهَا نَصِيبًا فَنَحْنُ مَعَكَ قَالَا: فَلَمَّا امْسَى

أتاه جبرئيل ع، فعرض عليه السورة، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه، قال: مَا جِئْتُكَ بِهِاتَيْنِ! [فقال رسول الله ص: افتريت على الله، وقلت على الله ما لم يقل، فأوحى الله إليه: «وَأَنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ» إِلَى قَوْلِهِ: «ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا»]، فَمَا زَالَ مَغْمُومًا مَهْمُومًا، حَتَّى نَزَلَتْ: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ» - إلى قوله:

«وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» قال: فَسَمِعَ مَنْ كَانَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ قَدْ أَسْلَمُوا كُلَّهُمْ، فَرَجَعُوا إِلَى عَشَائِرِهِمْ، وَقَالُوا: هُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا، فَوَجَدُوا الْقَوْمَ قَدْ ارْتَكَسُوا حِينَ نَسَخَ اللَّهُ مَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ، ثُمَّ قَامَ - فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي كَانَتْ قَرِيشٌ كَتَبَتْ بَيْنَهَا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ - نَفَرٌ مِنْ قَرِيشٍ وَكَانَ أَحْسَنُهُمْ بِلَاءً فِيهِ هِشَامُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ الْعَامِرِيِّ، مِنْ عَامِرِ بْنِ لُؤْيٍ - وَكَانَ ابْنُ أَخِي نَضْلَةَ بْنِ هَاشِمٍ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ لِأُمِّهِ - وَأَنَّهُ مَشَى إِلَى زَهِيرِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَخْزُومٍ - وَكَانَتْ أُمُّهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - فَقَالَ: يَا زَهِيرُ، أَرْضَيْتَ أَنْ تَأْكُلَ الطَّعَامَ، وَتَلْبَسَ الثِّيَابَ، وَتَنْكِحَ النِّسَاءَ، وَأَخْوَالكَ حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ، لَا يَبَايَعُونَ وَلَا يَبْتَاعُ مِنْهُمْ، وَلَا يَنْكَحُونَ وَلَا يَنْكَحُ إِلَيْهِمْ! أَمَا إِنِّي أَحْلَفُ بِاللَّهِ لَوْ كَانُوا أَحْوَالُ أَبِي الْحَكَمِ ابْنِ هِشَامٍ ثُمَّ دَعَاكَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ مَا أَجَابَكَ إِلَيْهِ أَبَدًا قَالَ:

ويحك يا هشام! فإذا أصنع! إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقيت في نقضها حتى أنقضها قال: قد وجدت رجلا، قال: من هو؟ قال: أنا، قال له زهير: ابغنا ثالثا، فذهب إلى المطعم بن عدي ابن نوفل بن عبد مناف، فقال له: يا مطعم، أقدر رضىت أن يهلك بطنان

من بني عبد مناف، وأنت شاهد على ذلك، موافق لقريش فيه! أما والله لئن امكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعا قال: ويحك! فإذا أصنع! إنما أنا رجل واحد، قال: قد وجدت ثانيا، قال: من هو؟ قال: أنا، قال: ابغنا ثالثا، قال: قد فعلت، قال من هو؟ قال: زهير بن أبي أُمَيَّةَ، قال: ابغنا رابعا، فذهب إلى أبي البخترى بن هشام، فقال له نحوا مما قال للمطعم بن عدي، فقال: وهل من أحد يعين على هذا؟ قال:

نعم، قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وأنا معك.

قال: ابغنا خامسا، فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فكلمه، وذكر له قرابتهم وحقهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟ قال: نعم، ثم سمي له القوم فاتعدوا له خطم الحجون الذي بأعلى مكة، فاجتمعوا هنالك، وأجمعوا أمرهم، وتعاهدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها، وقال زهير: أنا أبدؤكم فأكون أولكم يتكلم، فلما أصبحوا غدوا إلى أنديةهم، وغدا زهير بن أبي أمية، عليه حلة له، فطاف بالبيت سبعا، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة، أنا أكل الطعام، ونشرب الشراب، ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكت لا يبايعون ولا يبتاع منهم! والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة، قال أبو جهل - وكان في ناحية المسجد: كذبت، والله لا تشق! قال زمعة ابن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابها حين كتبت، قال أبو البختری: صدق زمعة، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به! قال المطعم بن عدي:

صدقتمنا وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها، ومما كتب فيها، وقال هشام بن عمرو نحو من ذلك، قال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل، وتشوور فيه بغير هذا المكان - وأبو طالب جالس في ناحية المسجد وقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشقها، فوجد الأرضة قد أكلتها،

إلا ما كان من باسمك اللهم، وهي فاتحة ما كانت تكتب قريش، تفتتح بها كتابها إذا كتبت.

قال: وكان كاتب صحيفة قريش - فيما بلغني - التي كتبوا على رسول الله ص ورهطه من بني هاشم وبني المطلب، منصور بن عكرمة ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، فشلت يده.

وأقام بقيتهم بأرض الحبشة، حتى بعث فيهم رسول الله ص إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري، فحملهم في سفينتين، فقدم بهم على رسول الله ص، وهو بخير بعد الحديبية وكان جميع من قدم في السفينتين ستة عشر رجلا.

ولم يزل رسول الله ص مقيما مع قريش بمكة يدعوهم إلى الله سرا وجهرا، صابرا على أذاهم وتكذيبهم إياه واستهزائهم به، حتى إن كان بعضهم - فيما ذكر - يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي، وي طرحها في برمته إذا نصبت له، حتى اتخذ رسول الله ص منهم - فيما بلغني - حجرا يستتر به منهم إذا صلى.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق، قال: حدثني عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير، عن عروة بن الزبير، قال: كان رسول الله ص يخرج بذلك إذا رُمي به في داره على العود فيقف على بابيه، [ثم يقول: يا بني عبد مناف، أي جوار هذا! ثم يلقيه بالطريق].

ثم إن أبا طالب وخديجة هلكا في عام واحد - وذلك فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق - قبل هجرته إلى المدينة ثلاث سنين، فعظمت المصيبة على رسول الله ص بهلاكهما، وذلك أن قريشا

وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته منه، حتى نثر بعضهم على رأسه التراب. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال:

حدثني هشام بن عروة، عن أبيه قال: لما نثر ذلك السفيه التراب على راس رسول الله ص، دخل رسول الله ص بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب، وهي تبكي، [ورسول الله ص يقول لها: يا بنية لا تبكي، فإن الله مانع أبالك! قال: ويقول رسول الله ص: ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب] ولما هلك أبو طالب خرج رسول الله ص إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه، وذكر أنه خرج إليهم وحده، حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا ابن إسحاق قال: حدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، قال: لما انتهى رسول الله ص إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف - هم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل بن عمرو بن عُمير، ومسعود بن عمرو بن عُمير، وحبيب بن عمرو بن عُمير، وعندهم

امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي جَمَحٍ، جَلَسَ إِلَيْهِمْ - فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَكَلَّمَهُمْ بِمَا جَاءَهُمْ مِنْ نُصْرَتِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَالْقِيَامَ مَعَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنْ قَوْمِهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ:

هُوَ يَمُرُّ بِثِيَابِ الْكُفَّةِ إِنْ كَانَ اللَّهُ أَرْسَلَكَ! وَقَالَ الْآخَرُ: مَا وَجَدَ اللَّهُ

أَحَدًا يُرْسِلُهُ غَيْرَكَ! وَقَالَ الثَّالِثُ: وَاللَّهِ لَا أَكَلِمَكَ كَلِمَةً أَبَدًا، لَئِنْ كُنْتُ رَسُولًا مِنَ اللَّهِ كَمَا تَقُولُ، لَأَنْتَ أَعْظَمُ خَطَرًا مِنْ أَنْ أُرَدَّ عَلَيْكَ الْكَلَامَ، وَلَئِنْ كُنْتُ تَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَكَلِمَكَ! فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ عِنْدِهِمْ، وَقَدْ يَأْسُ مِنْ خَيْرِ ثَقِيفٍ، وَقَدْ [قَالَ لَهُمْ - فِيمَا ذَكَرَ لِي -: إِذْ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَانْكُمُوا عَلَيَّ] وَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَنْ يَبْلُغَ قَوْمَهُ عَنْهُ، فَيَذَرَهُمْ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَفْعَلُوا وَأَغْرَوْا بِهِ سَفَهَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ، يَسْبُونَهُ وَيَصِيحُونَ بِهِ، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَالْجُنُودُ إِلَى حَائِطٍ لِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَهُمَا فِيهِ، وَرَجَعَ عَنْهُ مِنْ سَفَهَاءِ ثَقِيفٍ مَنْ كَانَ يَتَّبِعُهُ، فَعَمِدَ إِلَى ظِلِّ حَبَلَةٍ مِنْ عِنَبٍ، فَجَلَسَ فِيهِ، وَأَبْنَا رَبِيعَةَ يَنْظُرَانِ إِلَيْهِ، وَيُرِيَانِ مَا لَقِيَ مِنْ سَفَهَاءِ ثَقِيفٍ وَقَدْ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ص - فِيمَا ذَكَرَ لِي - تِلْكَ الْمَرْأَةَ مِنْ بَنِي جَمَحٍ، فَقَالَ لَهَا: مَاذَا لَقِينَا مِنْ إِحْمَائِكَ! فَلَهَا اطمأن رسول الله ص، قَالَ - فِيمَا ذَكَرَ لِي: اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعِفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكَلَّنِي! إِلَى بَعِيدٍ يَجْهَمُنِي، أَوْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَكَتْهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أَبْلِي! وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، مِنْ أَنْ يَنْزِلَ بِي غَضَبُكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ.

فَلَهَا رَأَى ابْنَا رَبِيعَةَ: عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ مَا لَقِيَ، تَحَرَّكَتَ لَهُ رَحِمُهُمَا،

فَدَعَا لَهُ غُلَامًا لِمَا نَصْرَانِيًّا، يَقَالُ لَهُ عَدَّاسُ، فَقَالَا لَهُ: خُذْ قِطْفًا مِنْ هَذَا الْعِنَبِ وَضَعُهُ فِي ذَلِكَ الطَّبَقِ، ثُمَّ أَذْهَبَ بِهِ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ، فَقُلْ لَهُ يَا كُلُّ مَنْهُ، فَفَعَلَ عَدَّاسُ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِ حَتَّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَلَهَا وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَدَهُ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، ثُمَّ أَكَلَ، فَنَظَرَ عَدَّاسُ إِلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ إِنْ هَذَا الْكَلَامَ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذِهِ الْبَلَدَةِ، [قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص: وَمِنْ أَهْلِ أَيْ الْبِلَادِ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ؟ وَمَا دِينُكَ؟ قَالَ: أَنَا نَصْرَانِيٌّ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَيْنَوَى فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص: أَمِنْ قَرِيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُوسُفَ بْنِ مَتَّى؟ قَالَ لَهُ: وَمَا يُدْرِيكَ مَا يُوسُفُ بْنُ مَتَّى؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: ذَلِكَ أَخِي، كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ،] فَأَكَبَّ عَدَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص يَقْبَلُ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، قَالَ: يَقُولُ ابْنَا رَبِيعَةَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَمَّا غُلَامُكَ فَقَدْ أَفْسَدَهُ عَلَيْكَ فَلَهَا جَاءَهُمَا عَدَّاسُ قَالَا لَهُ: وَيْلَكَ يَا عَدَّاسُ! مَا لَكَ تَقْبَلُ رَأْسَ هَذَا الرَّجُلِ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ! قَالَ: يَا سَيِّدِي مَا فِي هَذِهِ الْأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ! لَقَدْ خَبَرَنِي بِأَمْرِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ، فَقَالَا: وَيْحَكَ يَا عَدَّاسُ! لَا يُصِرُّكَ عَنْ دِينِكَ، فَإِنَّ دِينَكَ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ.

ثُمَّ ان رَسُولُ اللَّهِ ص انصَرَفَ مِنَ الطَّائِفِ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ حِينَ يَأْسُ مِنْ خَيْرِ ثَقِيفٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِخَلَّةٍ، قَامَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ يُصَلِّي، فَمَرَّ بِهِ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: وَهُمْ - فِيمَا ذَكَرَ لِي - سَبْعَةٌ نَفَرٌ مِنْ جِنِّ أَهْلِ

نَصِيبِينَ الْيَمَنِ، فَاسْتَمَعُوا لَهُ، فَلَهَا فَرَّغَ مِنْ صَلَاتِهِ وَلَوَّا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ، قَدْ آمَنُوا وَأَجَابُوا إِلَى مَا سَمِعُوا، فَقَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَبَرَهُمْ عَلَيْهِ:

«وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ» - إِلَى قَوْلِهِ:

«وَيُجْرِكُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ» وَقَالَ: «قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ» إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ مِنْ خَبَرِهِمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ.

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَتَسْمِيَةُ النَّفَرِ مِنَ الْجَنِّ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا الْوَحْيَ - فِيمَا بَلَغَنِي - حَسَاءَ، وَمَسَاءَ، وَشَاصِرٌ، وَنَاصِرٌ، وَابْنُ الْآلَارِدِ، وَابْنِينَ، وَالْأَحْقَمَ.
 قَالَ: ثُمَّ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَ مَكَّةَ، وَقَوْمُهُ أَشَدُّ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ وَفِرَاقِ دِينِهِ، إِلَّا قَلِيلًا مُسْتَضَعَفِينَ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ.
 وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ لَمَّا انْصَرَفَ مِنَ الطَّائِفِ مُرِيدًا مَكَّةَ مَرَّ بِهِ بَعْضُ أَهْلِ مَكَّةَ، [فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَ:
 هَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي رِسَالَةَ أُرْسِلُكَ بِهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَنْتَ الْأَخْنَسُ ابْنُ شَرِيقٍ، فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ مُحَمَّدٌ: هَلْ أَنْتَ مُجِيرِي حَتَّى
 أَبْلِغَ رِسَالَةَ رَبِّي؟ قَالَ: فَاتَاهُ، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ الْأَخْنَسُ: إِنَّ الْخَلِيفَ لَا يُجِيرُ عَلَى الصَّرِيحِ قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ صَ، فَأَخْبَرَهُ، قَالَ:
 تَعُودُ؟ قَالَ:

نَعَمْ، قَالَ: أَنْتَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَقُلْ لَهُ: إِنَّ مُحَمَّدًا يَقُولُ لَكَ: هَلْ أَنْتَ مُجِيرِي حَتَّى أَبْلِغَ رِسَالَتِ رَبِّي؟ فَاتَاهُ فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ، قَالَ:
 فَقَالَ:

إِنَّ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، لَا تُجِيرُ عَلَى بَنِي كَعْبٍ قَالَ: فَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَ فَأَخْبَرَهُ، قَالَ: تَعُودُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَنْتَ الْمُطْعَمُ بْنُ عَدِيٍّ،
 فَقُلْ لَهُ: إِنَّ مُحَمَّدًا يَقُولُ لَكَ: هَلْ أَنْتَ مُجِيرِي حَتَّى أَبْلِغَ رِسَالَتِ رَبِّي؟

قَالَ: نَعَمْ، فَلِيَدْخُلْ، قَالَ: فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ، فَأَخْبَرَهُ، وَاصْبَحَ الْمُطْعَمُ
 ابْنُ عَدِيٍّ قَدْ لَبَسَ سِلَاحَهُ هُوَ وَبَنُوهُ وَبَنُو أَخِيهِ، فَدَخَلُوا الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو جَهْلٍ، قَالَ: أَجِيرُ أَمْ مُتَابِعٌ؟ قَالَ: بَلْ مُجِيرٌ، قَالَ: فَقَالَ:
 قَدْ أَجَرْنَا مِنْ أَجَرْتِ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَ مَكَّةَ، وَأَقَامَ بِهَا، فَدَخَلَ يَوْمًا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَالْمُشْرِكُونَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو جَهْلٍ، قَالَ:
 هَذَا نَبِيُّكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، قَالَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ: وَمَا تُبْكِرُ أَنْ يَكُونَ مِنَّا نَبِيٌّ أَوْ مَلَكٌ! فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ النَّبِيَّ صَ - أَوْ سَمِعَهُ - فَاتَاهُمْ،
 فَقَالَ:

أَمَّا أَنْتَ يَا عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ فَوَاللَّهِ مَا حَمَيْتَ لِلَّهِ وَلَا لِرَسُولِهِ، وَلَكِنْ حَمَيْتَ لَأَنْفِكَ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، فَوَاللَّهِ لَا يَأْتِي عَلَيْكَ
 غَيْرُ كَبِيرٍ مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى تَضْحَكَ قَلِيلًا وَتَبْكِي كَثِيرًا وَأَمَّا أَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْمَلَا مِنْ قُرَيْشٍ، فَوَاللَّهِ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ غَيْرُ كَبِيرٍ مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى
 تَدْخُلُوا فِيمَا تُتَكْرَهُونَ، وَأَنْتُمْ كَارِهُونَ [وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَ يَعْزِضُ نَفْسَهُ فِي الْمَوَاسِمِ - إِذَا كَانَتْ - عَلَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ، يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ
 وَإِلَى نَصْرَتِهِ وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ مَرْسَلٌ، وَيَسْأَلُهُمْ أَنْ يَصْدِقُوهُ وَيَمْنَعُوهُ حَتَّى يَبِينَ عَنِ اللَّهِ مَا بَعَثَهُ بِهِ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ،
 قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَبِيعَةَ بْنَ عَبَّادٍ يُحَدِّثُ أَبِي، قَالَ:
 إِنِّي لَعَلَّامٌ شَابُّ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَ يَقِفُ عَلَى مَنَازِلِ الْقِبَائِلِ مِنَ الْعَرَبِ، [فَيَقُولُ: يَا بَنِي فَلَانٍ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ،
 يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَخْلَعُوا مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَنْدَادِ، وَأَنْ تَوَدَّعُوا بَيْنِي
 وَتَصَدِّقُونِي وَتَمْنَعُونِي، حَتَّى أَبِينَ عَنِ اللَّهِ مَا بَعَثَنِي بِهِ].

قَالَ: وَخَلْفَهُ رَجُلٌ أَحُولٌ وَضِيءٌ، لَهُ غَدِيرَتَانِ، عَلَيْهِ حُلَّةٌ عَدَنِيَّةٌ، فَإِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَ مِنْ قَوْلِهِ، وَمَا دَعَا إِلَيْهِ، قَالَ الرَّجُلُ:
 يَا بَنِي فَلَانٍ، إِنَّ هَذَا إِذَا يَدْعُوكُمْ إِلَى أَنْ تَسْلَخُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى مِنْ أَعْنَاقِكُمْ، وَخُلَفَاءُكُمْ مِنَ الْجَنِّ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ أُقَيْشٍ، إِلَى مَا
 جَاءَ بِهِ مِنَ الْبِدْعَةِ وَالضَّلَالَةِ، فَلَا تُطِيعُوهُ وَلَا تَسْمَعُوا لَهُ.

قَالَ: فَقُلْتُ لِأَبِي: يَا أَبَتِ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي يَتَّبِعُهُ، يَرُدُّ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ؟ قَالَ: هَذَا عَمُّهُ عَبْدِ الْعُزَّى أَبُو هَبٍّ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.
 حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ شَهَابٍ الزُّهْرِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ
 أَتَى كِنْدَةَ فِي مَنَازِلِهِمْ، وَفِيهِمْ سَيِّدُهُمْ، يُقَالُ لَهُ مَلِيحٌ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ.
 حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّهُ أَتَى

كَلْبًا فِي مَنَازِلِهِمْ إِلَى بَطْنٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَبْدِ اللَّهِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ لَهُمْ: يَا بَنِي عَبْدِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ أَسْمَ أَيْكُمُ فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ. حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ:

حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ أَتَى بَنِي حَنِيفَةَ فِي مَنَازِلِهِمْ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ أَقْبَحَ رَدًّا عَلَيْهِ مِنْهُمْ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ، أَنَّهُ أَتَى بَنِي عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، يُقَالُ لَهُ يُحِجُّهُ بْنُ فِرَاسٍ: وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي أَخَذْتُ هَذَا الْفَتَى مِنْ قُرَيْشٍ لَأَكَلْتُ بِهِ الْعَرَبَ ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَرَأَيْتَ إِنْ نَحْنُ تَابَعْنَاكَ عَلَى أَمْرِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ، أَيْكُونُ لَنَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِكَ؟ [قَالَ: الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ] قَالَ: فَقَالَ لَهُ: أَقْتَدِفْ نُحُورَنَا لِلْعَرَبِ دُونَكَ، فَإِذَا ظَهَرَتْ كَانَ الْأَمْرُ لغيرِنَا! لَا حَاجَةَ لَنَا بِأَمْرِكَ فَأَبَوْا عَلَيْهِ، فَلَمَّا صَدَرَ النَّاسُ، رَجَعَتْ بَنُو عَامِرٍ إِلَى شَيْخٍ لَهُمْ، قَدْ كَانَتْ أَدْرَكَتُهُ السِّنُّ، حَتَّى لَا يَقْدِرَ عَلَى أَنْ يُوَافِيَ مَعَهُمُ الْمَوْسِمَ، فَكَانُوا إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِ، حَدَّثُوهُ بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْمَوْسِمِ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ الْعَامَ، سَأَلَهُمْ عَمَّا كَانَ فِي مَوْسِمِهِمْ، فَقَالُوا: جَاءَنَا فَتَى مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَيَدْعُو إِلَى أَنْ نَمْنَعَهُ وَنَقُومَ مَعَهُ، وَنُخْرِجَ بِهِ مَعَنَا إِلَى بِلَادِنَا قَالَ:

فَوَضَعَ الشَّيْخُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا بَنِي عَامِرٍ، هَلْ لَهَا مِنْ تَلَافٍ! هَلْ لِدَنَابَاهَا مِنْ مُطْلَبٍ! وَالَّذِي نَفْسُ فُلَانٍ بِيَدِهِ مَا تَقُولُهَا إِسْمَاعِيلِيُّ قَطُّ! وَإِنَّا لَحَقُّ، فَأَيْنَ كَانَ رَأْيُكُمْ عَنْهُ!

فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ، كُلَّمَا اجْتَمَعَ لَهُ النَّاسُ بِالْمَوْسِمِ أَتَاهُمْ يَدْعُو الْقَبَائِلَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ، وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللَّهِ مِنَ الْهُدَى وَالرَّحْمَةِ، لَا يَسْمَعُ بِقَادِمٍ يَقْدُمُ مِنَ الْعَرَبِ، لَهُ أَسْمٌ وَشَرَفٌ إِلَّا تَصَدَّى لَهُ دَعَاؤُهُ إِلَى اللَّهِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ مَا عِنْدَهُ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ الظَّفَرِيُّ، عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْ قَوْمِهِ، قَالُوا: قَدِمَ سُوَيْدُ بْنُ صَامِتٍ - أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ - مَكَّةَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، قَالَ: وَكَانَ سُوَيْدٌ إِذَا يَسْمِيهِ قَوْمُهُ فِيهِمُ الْكَامِلُ، لَجُلْدَهُ وَشَعْرَهُ، وَنَسَبَهُ وَشَرَفَهُ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ:

أَلَا رَبِّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقًا وَلَوْ تَرَى ... مَقَالَتَهُ بِالْغَيْبِ سَاءَكَ مَا يَفِرِي
مَقَالَتَهُ كَالشَّحْمِ مَا كَانَ شَاهِدًا ... وَبِالْغَيْبِ مَأْثُورٌ عَلَى ثَغْرَةِ النُّحْرِ

يَسْرُكُ بَادِيَهُ وَتَحْتَ أَدِيمِهِ ... نَمِيمَةً غَشَّ تَبْتَرِي عَقَبَ الظَّهْرِ
تَبِينْ لَكَ الْعَيْنَانِ مَا هُوَ كَاتِمٌ ... وَلَا جَنِّ بِالْبَغْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّرِّ
فَرَشَنِي بِخَيْرِ طَالَمَا قَدْ بَرَيْتَنِي ... وَخَيْرِ الْمَوَالِي مِنْ يَرِيشَ وَلَا يَبْرِ
مَعَ أَشْعَارِهِ كَثِيرُهُ يَقُولُهَا

قَالَ: فَتَصَدَّى لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَ حِينَ سَمِعَ بِهِ، فَدَعَاهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ قَالَ: فَقَالَ لَهُ سُوَيْدٌ: فَعَلَلِ الَّذِي مَعَكَ مِثْلَ الَّذِي مَعِيَ! [فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَ: وَمَا الَّذِي مَعَكَ؟ قَالَ: مَجْلَةٌ لِقَمَانٍ - يَعْنِي حَكْمَهُ لِقَمَانٍ - فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَ:

عَرَضُهَا عَلَيَّ، فَعَرَضَهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: إِنْ هَذَا لَكَلَامٍ حَسَنٍ، مَعِيَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، قَرَأَنُ أَزَلَّهُ اللَّهُ عَلَيَّ، هُدَى وَنُورٌ قَالَ: فَتَلَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَ الْقُرْآنَ، وَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ، وَقَالَ: إِنْ هَذَا لَقَوْلٍ حَسَنٍ].

ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَتَلْتَهُ الْخُرَجُ، فَإِنْ كَانَ قَوْمُهُ لَيَقُولُونَ: قَدْ قَتَلَ وَهُوَ مُسْلِمٌ، وَكَانَ قَتْلُهُ قَبْلَ بَعَاثِ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

حَدَّثَنِي الْحَصِينُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ، أَخِي بَنِي الْأَشْهَلِ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ أَبُو الْحَيْسِرِ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ مَكَّةَ، وَمَعَهُ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، فِيهِمْ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ، يَلْتَمِسُونَ الْخِلْفَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى قَوْمِهِمْ مِنَ الْخَزَرَجِ، سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَأَتَاهُمْ فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ، [فَقَالَ لَهُمْ: هَلْ لَكُمْ إِلَى خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ؟ قَالُوا: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، بَعَثَنِي إِلَى الْعِبَادِ، أَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْكِتَابَ. ثُمَّ ذَكَرَ لَهُمُ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ] فَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ- وَكَانَ

غُلَامًا حَدَثًا: أَيُّ قَوْمٍ، هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ قَالَ: فَيَأْخُذُ أَبُو الْحَيْسِرِ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ حَفْنَةً مِنَ الْبَطْحَاءِ، فَضَرَبَ بِهَا وَجْهَ إِيَّاسِ ابْنِ مُعَاذٍ، وَقَالَ: دَعْنَا مِنْكَ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ جِئْنَا لِغَيْرِ هَذَا قَالَ: فَصَمَتَ إِيَّاسُ، وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَنْهُمْ وَانْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ فَكَانَتْ وَقْعَةُ بُعَاثَ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ.

قَالَ: ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ أَنْ هَلَكَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ لَبِيدٍ: فَأَخْبَرَنِي مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا يَسْمَعُونَهُ يَهْلِلُ اللَّهُ وَيُكَبِّرُهُ، وَيُحَمِّدُهُ وَيُسَبِّحُهُ، حَتَّى مَاتَ، فَمَا كَانُوا يَشْكُونَ أَنْ قَدْ مَاتَ مُسْلِمًا، لَقَدْ كَانَ اسْتَشْعَرَ الْإِسْلَامَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ حِينَ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص مَا سَمِعَ. قَالَ: فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِيْظَاهَارَ دِينِهِ وَأَعْرَازَ نَبِيِّهِ، وَأَنْجَازَ مَوْعِدِهِ لَهُ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي الْمَوْسِمِ الَّذِي لَقِيَ فِيهِ النَّفَرَ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ، كَمَا كَانَ يَصْنَعُ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ، فَبَيْنَا هُوَ عِنْدَ الْعَقَبَةِ إِذْ لَقِيَ رَهْطًا مِنَ الْخَزَرَجِ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا.

قال ابن حميد: قال سلمة: قال محمد بن إسحاق: فحدثني عاصم ابن عمر بن قتادة، عن أشياخ من قومه، قالوا: لما لقيهم رسول الله ص، [قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج، قال: أمن موالي يهود: قالوا: نعم، قال: أفلا تجلسون حتى أكلهم؟ قالوا: بلى، قال: فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن] .

قال: وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام، أن يهود كانوا معهم ببلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا أهل شرك، أصحاب أوثان، وكانوا قد عزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبيا الآن مبعوث قد أظلم زمانه، تتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم فلما كلم رسول الله ص أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: تعلمن والله أنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه.

فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا له: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى الله أن يجمعهم بك، وسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبتك إليه من هذا الدين، فان يجمعهم الله عليه، فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله ص راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا.

وهم- فيما ذكر لي- ستة نفر من الخزرج: منهم من بني النجار- وهم تيم الله- ثم من بني مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد ابن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، وهو ابو امامه، وعوف بن الحارث ابن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار، وهو ابن عفراء ومن بني زريق بن عامر بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم ابن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، رافع بن مالك بن العجلان ابن عمرو بن عامر بن زريق.

ومن بني سلمه بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني سواد، قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمه.

ومن بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمه، عقبه ابن عامر بن نايي بن زيد بن حرام.

ومن بنى عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة، جابر بن عبد الله بن رثاب بن النعمان بن سنان بن عبيد.
قال: فلما قدموا المدينة على قومهم، ذكروا لهم رسول الله ص، ودعواهم إلى الإسلام، حتى فشا فيهم فلم تبقى دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ص، حتى إذا كان العام المقبل، وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوه بالعقبة، وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله ص على بيعة النساء، وذلك قبل أن يفترض عليهم الحرب، منهم من بنى النجار أسعد بن زرار بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، وهو أبو أمانة، وعوف ومعاذ ابنا الحارث بن رفاع بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك ابن النجار، وهما ابنا عفراء.

ومن بنى زريق بن عامر، رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر ابن زريق، وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق.

ومن بنى عوف بن الخزرج، ثم من بني غنم بن عوف - وهم القواقل - عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف ابن الخزرج، وأبو عبد الرحمن، وهو يزيد بن ثعلبة بن خزيمه بن أصرم ابن عمرو بن عمار، من بني غصينة من بني، حليف لهم ومن بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج عباس بن عبادة ابن نضله بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف.

ومن بني سلمة، ثم من بني حرام، عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة.

ومن بني سواد، قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة.

وشهدها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني الأشهل: أبو الهيثم بن التيهان، اسمه مالك، حليف لهم.

ومن بني عمرو بن عوف، عويم بن ساعدة بن صلحجة، حليف لهم.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ مَرْثَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَزْزِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُسَيْلَةَ الصَّنَائِحِيِّ، عَنْ عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ:

كُنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ الْعَقْبَةَ الْأُولَى، وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَبَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ص عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْتَرَضَ الْحَرْبُ، عَلَى الْأَنْصَارِ بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ وَلَا نَزْنِي، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِيَ بَيْهَتَانِ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيهِ فِي مَعْرُوفٍ، فَإِنْ وَفَّقْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةُ، وَإِنْ غَشَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَأُخِذْتُمْ بِحَدِّهِ فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَإِنْ سَتَرْتُمْ عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبُكُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَكُمْ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، أَنَّ ابْنَ شِهَابٍ ذَكَرَ عَنْ عَائِدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، عَنْ عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ ص مثله.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

فَلَمَّا انصرفت عنه القوم بعث معهم رسول الله ص مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمى مصعب بالمدينة: المقرئ، وكان منزله على أسعد بن زرار بن عدس أبي أمانة.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

وَحَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَغِيرَةِ بْنُ مَعْقِيْبٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زَرَّارَةَ خَرَجَ بِمُصْعَبِ بْنِ عَمِيرٍ، يَرِيدُ بِهِ دَارَ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَدَارَ بَنِي ظَفَرٍ، وَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذِ بْنِ النُّعْمَانِ ابْنِ أُمِّ الْقَيْسِ، ابْنُ خَالَةِ أَسْعَدِ بْنِ زَرَّارَةَ، فَدَخَلَ بِهِ حَائِطًا مِنْ حَوَائِطِ بَنِي ظَفَرٍ، عَلَى بَرٍّ يُقَالُ لَهَا بَرٌّ مَرَقٌ، فَجَلَسَا فِي الْحَائِطِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمَا رَجَالٌ مِنْ أَسْلَمَ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حَضِيرٍ يَوْمَئِذٍ سَيِّدَا قَوْمِهِمَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَكِلَاهُمَا مُشْرِكٌ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، فَلَمَّا سَمِعَا بِهِ، قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ لِأُسَيْدِ بْنِ حَضِيرٍ: لَا أَبَا لَكَ! انْطَلِقْ إِلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ قَدْ أَتَيَا دَارَنَا، لَيْسَفَهَا ضَعْفَاءَنَا، فَارْجِعْهُمَا وَانْهَمَا أَنْ يَأْتِيَا دَارَنَا، فَإِنَّهُ لَوْ لَا أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زَرَّارَةَ

مني حيث قد علمت، كفيتك ذلك، هو ابن خالتي، ولا أجد عليه مقدما فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه قال مصعب: إن يجلس أكله، قال: فوقف عليهما متشمتا، فقال: ما جاء بكما إلينا، تسفهان ضعفاءنا! اعتزلانا إن كانت لكما في أنفسكما حاجة فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرا قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره؟ قال: أنصفت، ثم ركز حربته، وجلس إليهما، فكله مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالا فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، في إشراقه وتسهله.

ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالوا له: تغتسل، فتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين قال: فقام فاغتسل، وطهر ثوبيه، وشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورأي رجلا، إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ ثم أخذ حربته، وانصرف إلى سعد وقومه، وهم جلوس في ناديهما، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا، قال: أحلف بالله، لقد جاءكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادي، قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأسا، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حدث أن بني حارثة، قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك، قال: فقام سعد مغضبا مبادرا تخوفا للذي ذكر له من بني حارثة فأخذ الحربة من يده، ثم قال:

والله ما أراك أغيت شيئا، ثم خرج إليهما، فلما رآهما سعد مطمئنين، عرف أن أسيدا إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشمتا، ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة، لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا

مني تغشانا في دارنا بما نكره! وقد قال أسعد لمصعب: أي مصعب! جاءك والله سيد من وراءه من قومه، إن يتبعك لم يخالف عليك منهم اثنان، فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة، فجلس فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن قالوا: فعرنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم به، في إشراقه وتسهله. ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالوا: تغتسل فتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين.

قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وشهد شهادة الحق، وركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عامدا إلى نادي قومه، ومعه أسيد بن حضير، فلما رآه قومه مقبلا، قالوا: نحلف بالله لقد رجع سعد إليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم، قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيا، وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال: فوالله ما أسمى في دار عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما أو مسلمة.

ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف، وتلك أوس الله، وهم من أوس بن حارثة، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت، وهو صيفي، وكان شاعرا لهم، وقائدا يسمعون منه، ويطيعونه، فوقف بهم عن الإسلام، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله ص إلى المدينة، ومضى بدر وأحد وانخدق قال: ثم إن مصعب بن عمير، رجع إلى مكة وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك، حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله ص العقبه من أوسط أيام التشريق حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته، والنصر لنبيه ص وإعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

حَدَّثَنِي مَعْبُدُ بْنُ كَعْبٍ بْنُ مَالِكِ بْنِ أَبِي كَعْبٍ بْنِ الْقَيْنِ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ، أَنَّ أَخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبٍ - وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ الْأَنْصَارِ - حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَاهُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُ - وَكَانَ كَعْبٌ مِمَّنْ شَهِدَ الْعُقْبَةَ، وَبَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ص بِهَا، قَالَ: خَرَجْنَا فِي حُجَّاجِ قَوْمِنَا، وَقَدْ صَلِينَا وَفَقَهْنَا،

ومعنا البراء ابن معرور، سيدنا وكبيرنا فلما وجهنا لسفرتنا، وخرجنا من المدينة، قال البراء لنا: والله يا هؤلاء، إني قد رأيت رأيا، والله ما أدري أتوافقوني عليه أم لا! قال: فقلنا: وما ذاك؟ قال: قد رايت الا أدع هذه البنية مني بظهر- يعني الكعبة- وأن أصلي إليها قال: فقلنا: والله ما بلغنا عن نبينا أنه يصلي إلا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه قال: فقال: إني لمصل إليها، قال: فقلنا له: لكنا لا نفعل، قال: فكم إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام، وصلي إلى الكعبة، حتى قدمنا مكة.

قال: وقد عينا عليه ما صنع، وأبى إلا الإقامة على ذلك، فلما قد منا مكة قال لي: يا بن أخي، انطلق بنا الى رسول الله ص، حتى أسأله عما صنعت في سفري هذا، فإني والله لقد وقع في نفسي منه شيء، لما رأيت من خلافكم إياي فيه.

قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله ص- وكنا لا نعرفه،

ولم نره قبل ذلك- فلقينا رجلا من اهل مكة، فسألناه عن رسول الله ص، فقال: هل تعرفانه؟ قلنا: لا، قال: فهل تعرفان العباس ابن عبد المطلب عمه؟ قلنا: نعم- قال: وقد كنا نعرف العباس، كان لا يزال يقدم علينا تاجرا- قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس ابن عبد المطلب، قال: فدخلنا المسجد، فإذا العباس جالس ورسول الله ص جالس مع العباس، فسلمنا، ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله ص للعباس: هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟

قال: نعم، هذا البراء بن معرور سيد قومهم، وهذا كعب بن مالك- قال:

فو الله ما انسى قول رسول الله ص: الشاعر؟ قال: نعم- قال:

فقال له البراء بن معرور: يا نبي الله، إني خرجت في سفري هذا، وقد هداني الله للإسلام، فرايت الا أجعل هذه البنية مني بظهر، فصليت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فإذا ترى يا رسول الله؟ قال: قد كنت على قبلة لو صبرت عليها! فرجع البراء إلى قبله رسول الله ص، وصلى معنا إلى الشام قال: وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا، نحن أعلم به منهم.

قال: ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ص العقبه من أوسط أيام التشريق.

قال: فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ص لها، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام، أبو جابر، أخبرنا، وكنا نكتم من معنا من المشركين من قومنا أمرنا، فكلمناه، وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وأنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ثم دعونا إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد رسول الله ص إيانا العقبه.

قال: فأسلم، وشهد معنا العقبه- وكان نقيبا- فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل، خرجنا من رحالنا لميعاد رسول

الله ص، تتسلل مستخفين تسلل القطا، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبه، ونحن سبعون رجلا، ومعهم امرأتان من نسائهم: نسبية بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي، إحدى نساء بني سلمة، وهي أم منيع، فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله ص، حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومهم، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له، فلما جلس كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج- وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار: الخزرج، خزرجها وأوسها- إن محمدا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا، وهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم والحق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحلمتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من

قَوْمَهُ وَبَلَدَهُ.

قَالَ: فَقُلْنَا لَهُ: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَخُذْ لِنَفْسِكَ وَرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ.

قَالَ: [فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَتَلَا الْقُرْآنَ، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ، وَرَغَبَ فِي الْإِسْلَامِ، ثُمَّ قَالَ: أَبَايُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ].

قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ يَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَتَمْنَعَنَّكَ مِمَّا تُمْنَعُ مِنْهُ أَرْزَنَا، فَبَايَعَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَحَنُّ وَاللَّهُ أَهْلُ الْحَرْبِ وَأَهْلُ الْحَلَقَةِ، وَرِثَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ.

قَالَ: فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ - وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ص - أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ، حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ حِبَالًا وَإِنَّا قَاتِعُوهَا - يَعْنِي الْيَهُودَ - فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ، أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ، وَتَدْعَنَا! قَالَ: فَتَبَسَّمُ رَسُولُ اللَّهِ ص، [ثُمَّ قَالَ: بَلِ الدَّمُ الدَّمُ، الْهَدْمُ الْهَدْمُ! أَنْتُمْ مِنِّي وَإِنَّا مِنْكُمْ، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ وَأَسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ] [وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنِي عَشَرَ نَقِيبًا،] يَكُونُونَ عَلَى قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ فَأَخْرِجُوا اثْنِي عَشَرَ نَقِيبًا، تِسْعَةٌ مِنَ الْخَزَرَجِ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوْسِ. حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ:

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، [إِنْ رَسُولُ اللَّهِ ص قَالَ لِلنَّقَبَاءِ: أَنْتُمْ عَلَى قَوْمِكُمْ بِمَا فِيهِمْ كِفَالَةً، كَكِفَالَةِ الْخَوَارِيزِيِّينَ لِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، وَإِنَّا كَفِيلٌ عَلَى قَوْمِي،] قَالُوا: نَعَمْ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، أَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا اجْتَمَعُوا لِبَيْعِهِ رَسُولَ اللَّهِ ص، قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَضْلَةَ الْأَنْصَارِيِّ، ثُمَّ أَخُو بَنِي سَالِمٍ بْنِ عَوْفٍ: يَا مَعْشَرَ الْخَزَرَجِ، هَلْ تَدْرُونَ عَلَامَ تَبَايَعُونَ هَذَا الرَّجُلَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّكُمْ تَبَايَعُونَهُ عَلَى حَرْبِ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ مِنَ النَّاسِ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ إِذَا نَهَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ مُصِيبَةً، وَأَشْرَافَكُمْ قَتَلًا أَسْلَمْتُمُوهُ، فَمِنْ الْآنَ فَهُوَ وَاللَّهُ خِزْيُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنْ فَعَلْتُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَأَفُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ، عَلَى نَهْكِ الْأَمْوَالِ، وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ نَحْدُوهُ، فَهُوَ وَاللَّهُ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَالُوا: فَإِنَّا نَأْخُذُهُ عَلَى مُصِيبَةِ الْأَمْوَالِ، وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ، فَمَا لَنَا بِذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ نَحْنُ وَفِينَا؟ قَالَ: الْجَنَّةُ، قَالُوا:

ابْسُطْ يَدَكَ، فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعُوهُ.

وَأَمَّا عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا قَالَ الْعَبَّاسُ ذَلِكَ إِلَّا لِيُشَدَّ الْعَقْدَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا قَالَ الْعَبَّاسُ ذَلِكَ إِلَّا لِيُخْرِجَ الْقَوْمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ رَجَاءً أَنْ يَحْضُرَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سُلُوفٍ، فَيَكُونُ أَقْوَى لِأَمْرِ الْقَوْمِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ، فَبَنُو النَّجَارِيزِ عُمُونَ أَنَّ أَبَا أُمَامَةَ أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدَيْهِ، وَبَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَقُولُونَ: بَلِ ابْنُ الْهَيْثَمِ ابْنُ التَّيْهَانِ.

قَالَ ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: سَلَمَةُ، قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَمَّا مَعْبُدُ بْنُ كَعْبٍ بْنُ مَالِكٍ حَدَّثَنِي - قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ - قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ مَعْبُدِ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ:

حَدَّثَنِي فِي حَدِيثِهِ عَنْ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ عَنْ أَبِيهِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ أَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ص الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ، ثُمَّ تَبَاعَعَ الْقَوْمُ، فَلَمَّا بَايَعَنَا رَسُولَ اللَّهِ ص صَرَخَ الشَّيْطَانُ مِنْ رَأْسِ الْعَقَبَةِ بِأَنْفَذِ صَوْتِ سَمْعَتِهِ قَطُّ: يَا أَهْلَ الْجَبَابِجِ هَلْ لَكُمْ فِي مُدَمِّمِ وَالصَّبَاةِ مَعَهُ، قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: مَا يَقُولُ عَدُوُّ اللَّهِ؟ هَذَا أَزْبُ الْعَقَبَةِ، هَذَا ابْنُ أَرْيَبٍ، اسْمِعْ عَدُوَّ

اللَّهُ، أَمَا وَاللَّهِ لَا فَرَعْنَ
لَكَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: ارفضوا إلى رحالكُم فقال له العباس ابن عبادَةَ بِنِ نَضْلَةَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَئِنْ شِئْتَ لَتَمِلَنَّ غَدًا عَلَى أَهْلِ مَنَى بِأَسْيَافِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لَمْ تُؤْمَرْ بِذَلِكَ، وَلَكِنْ ارْجِعُوا إِلَى رِحَالِكُمُ، قَالَ: فَرَجَعْنَا إِلَى مَضَاجِعِنَا، فَمَنَّا عَلَيْهَا، حَتَّى أَصْبَحْنَا، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا غَدَتْ عَلَيْنَا جَلَّةٌ قُرَيْشٍ حَتَّى جَاءُونَا فِي مَنَارِلِنَا، فَقَالُوا:
يَا مَعْشَرَ الْخَزَرَجِ، إِنَّا قَدْ بَلَّغْنَا أَنْكُرَ قَدْ جِئْتُمْ إِلَى صَاحِبِنَا هَذَا تَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، وَتُبَايَعُونَهُ عَلَى حَرْبِنَا، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا مِنْ حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ أَبْغَضَ إِلَيْنَا أَنْ تَنْشَبَ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مِنْكُمْ، قَالَ: فَانْبَعَثَ مِنْ هُنَاكَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِنَا يَحْلِفُونَ لَهُمْ بِاللَّهِ: مَا كَانَ مِنْ هَذَا شَيْءٌ وَمَا عَلَيْنَاهُ.

قَالَ: وَصَدَقُوا لَمْ يَعْلَمُوا قَالَ: وَبَعْضُنَا يَنْظُرُ إِلَى بَعْضٍ، وَقَامَ الْقَوْمُ وَفِيهِمُ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ بِنِ الْمُغِيرَةِ الْمُخْزُومِي، وَعَلَيْهِ نَعْلَانِ جَدِيدَانِ. قَالَ: فَقُلْتُ كَلِمَةً كَأَنِّي أُرِيدُ أَنْ أَشْرِكَ الْقَوْمَ بِهَا فِيمَا قَالُوا: يَا أَبَا جَابِرٍ، أَمَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَّخِذَ وَأَنْتَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِنَا مِثْلَ نَعْلِي هَذَا الْفَتَى مِنْ قُرَيْشٍ؟

قَالَ: فَسَمِعَهَا الْحَارِثُ، فَخَفَّعَهُمَا مِنْ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ رَمَى بِهِمَا إِلَى، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَتَنْتَعِلَنِي قَال: يَقُولُ أَبُو جَابِرٍ: مَهْ أَحْفَظْتَ وَاللَّهِ الْفَتَى! فَارْدُدْ عَلَيْهِ نَعْلَيْهِ، قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أُرْدُهُمَا، فَأُلِّ وَاللَّهُ صَالِحٌ، وَاللَّهُ لَئِنْ صَدَقَ الْقَالُ لَأَسْلِبَنَّهُ.

فَهَذَا حَدِيثُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ الْعُقْبَةِ وَمَا حَضَرَ مِنْهَا قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَالَ غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ: كَانَ مُقَدِّمٌ مِنْ قَدَمٍ عَلَى النَّبِيِّ ص لِلْبَيْعَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص بَعْدَهُمْ بِمَكَّةَ بَقِيَّةَ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ، وَالْحَرَمَ وَصَفَرَ، وَخَرَجَ مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ، وَقَدَمَهَا يَوْمَ الْأَشْنَيْنِ لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْهُ. وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ بْنِ عَلِيٍّ، وَعَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ- قَالَ عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، وَقَالَ عَبْدُ الْوَارِثِ:

حَدَّثَنِي أَبِي- قَالَ: حَدَّثَنَا أَبَانُ الْعَطَّارُ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ عُرْوَةَ، أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا رَجَعَ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ مِنْ رَجْعٍ مِنْهَا مِمَّنْ كَانَ هَاجِرًا إِلَيْهَا قَبْلَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ص إِلَى الْمَدِينَةِ، جَعَلَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ يَزْدَادُونَ وَيَكْثُرُونَ، وَإِنَّهُ أَسْلَمَ مِنَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ نَاسٌ كَثِيرٌ، وَفَشَا بِالْمَدِينَةِ الْإِسْلَامُ، فَطَفِقَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَأْتُونَ رَسُولَ اللَّهِ ص بِمَكَّةَ، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ قُرَيْشٌ تَدَامَرَتْ عَلَى أَنْ يَفْتِنُوهُمْ، وَيَشْتَدُوا عَلَيْهِمْ، فَأَخَذُوهُمْ وَحَرَصُوا عَلَى أَنْ يَفْتِنُوهُمْ، فَأَصَابَهُمْ جَهْدٌ شَدِيدٌ، وَكَانَتِ الْفِتْنَةُ الْآخِرَةُ، وَكَانَتِ فِتْنَتَيْنِ: فِتْنَةً أَخْرَجَتْ مِنْ خُرُوجِ مَنْهُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، حِينَ أَمَرَهُمْ بِهَا، وَأَذِنَ لَهُمْ فِي الْخُرُوجِ إِلَيْهَا، وَفِتْنَةً لَمَّا رَجَعُوا وَرَأَوْا مِنْ يَأْتِيهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ.

ثُمَّ أَنَّهُ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنَ الْمَدِينَةِ سَبْعُونَ نَقِيبًا، رُءُوسُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا، فَوَافُوهُ بِالْحِجِّ فَبَايَعُوهُ بِالْعُقْبَةِ، وَأَعْطَوْهُ عَهْدَهُمْ، عَلَى أَنَا مِنْكَ وَأَنْتَ مِنَّا، وَعَلَى أَنَّهُ مَنْ جَاءَ مِنْ أَصْحَابِكَ أَوْ جِئْتَنَا فَإِنَّا نَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْفُسَنَا فَاشْتَدَّتْ عَلَيْهِمْ قُرَيْشٌ عِنْدَ ذَلِكَ، فَامْرُ رَسُولُ اللَّهِ ص أَصْحَابَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَهِيَ الْفِتْنَةُ الْآخِرَةُ الَّتِي أَخْرَجَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ص أَصْحَابَهُ وَخَرَجَ، وَهِيَ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا: «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ»

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، أَنَّهُمْ أَتَوْا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَنٍ سَلُونَ- يَعْنِي قُرَيْشًا- فَقَالُوا مِثْلَ مَا ذَكَرَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ مِنَ الْقَوْلِ لَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ جَسِيمٌ، مَا كَانَ قَوْمِي لِيَتَفَتَحُوا عَلَيَّ بِمِثْلِ هَذَا وَمَا عَلِمْتُهُ كَانَ فَانصَرَفُوا عَنْهُ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ مِنْ مَنَى، فَتَنَطَّسَ الْقَوْمُ الْخَبَرَ فَوَجَدُوهُ قَدْ كَانَ، وَخَرَجُوا فِي طَلَبِ الْقَوْمِ، فَأَدْرَكُوا سَعْدَ بْنَ عِبَادَةَ بِالْحَاجِرِ، وَالْمَنْدَرِ بْنَ عَمْرِو أَخَا بَنِي سَاعِدَةَ ابْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزَرَجِ، وَكِلَاهُمَا كَانَ نَقِيبًا، فَأَمَّا الْمَنْدَرُ

فأعجز القوم، وأما سعد فأخذوه، وربطوا يديه إلى عنقه بنسج رحله، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة، يضربونه ويجذونه بجملته - وكان ذا شعر كثير - فقال سعد:

فو الله إني لفي أيديهم، إذ طلع علي نفر من قريش، فيهم رجل أبيض وضيء شعشاع حلو من الرجال قال: قلت: إن يكن عند أحد من القوم خير فعند هذا، فلما دنا مني رفع يديه فطمني لطمة شديدة.

قال: قلت في نفسي: والله ما عندهم بعد هذا خير قال: فو الله إني لفي أيديهم يسحبوني، إذ أوى إلي رجل منهم ممن معهم، فقال: ويحك! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد! قال: قلت: بلى والله، لقد كنت أجير لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف «تجاره».

وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي، وللحارث بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف قال: ويحك! فاهتف باسم الرجلين، واذكر ما بينك وبينهما.

قال: ففعلت، وخرج ذلك الرجل إليهما، فوجدهما في المسجد عند الكعبة، فقال لهما: إن رجلا من الخزرج الآن يضرب بالأبطح، وإنه ليهتف بكما، ويذكر أن بينه وبينكما جوارا، قالوا: ومن هو؟ قال: سعد بن عباد، قالوا: صدق والله إن كان ليجير تجارنا، ويمنعهم أن يظلموا ببلده.

قال: فجاء نخلصا سعدا من أيديهم وانطلق وكان الذي لكم سعدا سهيل ابن عمرو، أخو بني عامر بن لؤي.

قال أبو جعفر: فلما قدموا المدينة، أظهروا الإسلام بها، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من أهل الشرك، منهم عمرو بن الجموح ابن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة، وكان ابنه معاذ بن عمرو قد شهد العقبة، وبايع رسول الله ص في فتيان منهم، وبايع رسول الله ص من بايع من الأوس والخزرج في العقبة الآخرة، وهي بيعة الحرب حين أذن الله عز وجل في القتال بشروط غير الشروط في العقبة الأولى، وأما الأولى فإنما كانت على بيعة النساء، على ما ذكرت الخبر به عن عباد بن الصامت قبل، وكانت بيعة العقبة الثانية على حرب الأحمر والأسود على ما قد ذكرت قبل، عن عروة بن الزبير وقد حدثنا ابن حميد - قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثني عباد بن الوليد بن عباد بن الصامت، عن أبيه الوليد، عن عباد بن الصامت - وكان أحد الثقباء - قال: بايعنا رسول الله ص على بيعة الحرب، وكان عباد من الأثني عشر الذين بايعوا في العقبة الأولى.

قال أبو جعفر: فلما أذن الله عز وجل لرسوله ص في

القتال، ونزل قوله: «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ»، وبايعه الأنصار على ما وصفت من بيعتهم، أمر رسول الله ص أصحابه ممن هو معه بمكة من المسلمين بالهجرة والخروج إلى المدينة، والحق بإخوانهم من الأنصار، [وقال: إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون فيها] فخرجوا إرسالا، وأقام رسول الله ص بمكة ينتظر أن يأذن له ربه بالخروج من مكة، فكان أول من هاجر من المدينة والهجرة إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش، ثم من بني مخزوم، أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة رسول الله ص بسنه، وكان قدم على رسول الله ص بمكة من أرض الحبشة، فلما آذته قريش، وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار، خرج إلى المدينة مهاجرا.

ثم كان أول من قدم المدينة من المهاجرين بعد أبي سلمة، عامر بن ربيعة، حليف بني عدي بن كعب، معه امرأته ليلى بنت أبي حشمة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب ثم عبد الله ابن جحش بن رثاب، وأبو أحمد بن جحش - وكان رجلا ضريرا البصر، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد - ثم تابع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة إرسالا.

وأقام رسول الله ص بمكة بعد أصحابه من المهاجرين، ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ولم يتخلف معه بمكة أحد المهاجرين إلا أخذ خيس أو فتن إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي حنيفة وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله ص في الهجرة، [فيقول له رسول الله

ص: لا تعجل، لعل الله أن يجعل لك صاحباً، فطمع أبو بكر أن يكونه، فلما رأت قريش أن رسول الله ص قد صارت له شبيعة وأصحاب من غيرهم، بغير بلدهم، وراوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً، وأصابوا منهم منعه، فخذروا خروج رسول الله ص إليهم، وعرفوا أنه قد أجمع أن يلحق بهم لحربهم، فاجتمعوا له في دار الندوة، وهي دار قصي بن كلاب، التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها، يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ص حين خافوه! فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثني عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج، عن ابن عباس، قال: وحدثني الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس والحسن بن عمار، عن الحكم بن عتيبة، عن ميسم، عن ابن عباس قال: لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا دار الندوة، ويتشاوروا فيها في أمر رسول الله ص غدوا في اليوم الذي اتعدوا له، وكان ذلك اليوم يسمى الزحمة، فاعتزهم إبليس في هيئة شيخ جليل، عليه بت له، فوقف على باب الدار، فلما رآوه واقفاً على بابها، قالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد، سمع بالذي اتعدتم له، فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى ألا يعدمكم منه رأي ونصح، قالوا: أجل، فدخل، فدخل معهم، وقد اجتمع فيها أشرف قريش كلهم، من كل قبيلة، من بني عبد شمس شيبه وعتبة ابنا ربيعة وأبو سفيان بن حرب، ومن بني نوفل ابن عبد مناف طعيمة بن عدي وجبير بن مطعم والحارث بن عامر ابن نوفل ومن بني عبد الدار بن قصي النضر بن الحارث بن كلفة ومن بني أسد بن عبد العزى أبو البخترى بن هشام وزمعة بن الأسود بن المطلب، وحكيم بن حزام ومن بني مخزوم أبو جهل بن هشام، ومن بني سهم نبيه

ومنيه ابنا الحجاج ومن بني جمح أمية بن خلف، ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش. فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان أمره ما قد كان وما قد رايتم، وإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا، فاجمعوا فيه راياء، قال: فتشاوروا ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه باباً، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين قبله:

زهيّاً، والنايعة ومن مضى منهم، من هذا الموت حتى يصيبه منه ما أصابهم.

قال: فقال الشيخ النجدي: لا والله، ما هذا لكم برأي، والله لو حبستموه - كما تقولون - لخرج أمره من وراء الباب الذي أغلقتموه دونه إلى أصحابه، فلاوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على أمركم هذا، ما هذا لكم برأي فانظروا في غيره.

ثم تشاوروا، فقال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلدنا، فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع، إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا، وألفتنا كما كانت.

قال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به! والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم، فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد أديروا فيه رايًا غير هذا! قال: فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه رايًا ما أراكم وقعتم عليه بعد! قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن تأخذوا من كل قبيلة

فتي شاباً جلدًا، نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتي منهم سيفاً صارماً ثم يعمدون إليه، ثم يضربونه بها ضربة رجل واحد فيقتلونه

فَنَسْتَرِيحُ، فَإِنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ كُلِّهَا، فَلَمْ يَقْدِرْ بُو عَبْدِ مَنَافٍ عَلَى حَرْبِ قَوْمِهِمْ جَمِيعًا، وَرَضُوا مِنَّا بِالْعَقْلِ فَعَقَلْنَاهُ لَهُمْ.

قَالَ: فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: الْقَوْلُ مَا قَالَ الرَّجُلُ، هَذَا الرَّأْيُ لَا رَأْيَ لَكُمْ غَيْرُهُ.

فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ عَلَى ذَلِكَ وَهُمْ مُجْمَعُونَ لَهُ، فَأَتَى جَبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ ص، فَقَالَ: لَا تَبْتَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ عَلَى فِرَاشِكَ الَّذِي كُنْتَ تَبْتَ عَلَيْهِ! قَالَ: فَلَمَّا كَانَ الْعَتَمَةُ مِنَ اللَّيْلِ، اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِهِ فَنَصَدُّوهُ مَتَى يَنَامُ، فَيَثْبُونَ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ص مَكَانَهُمْ، [قَالَ لِعَلِيٍّ بَنِ أَبِي طَالِبٍ: نَمْ عَلَى فِرَاشِي، وَأَسْتَحْ بِرِدِّي الْحَضْرَمِيِّ الْأَخْضَرِ، فَمَنْ فَإِنَّهُ لَا يَخْلُصُ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ] وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَنَامُ فِي بُردِهِ ذَلِكَ إِذَا نَامَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: زَادَ بَعْضُهُمْ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: وَقَالَ لَهُ:

إِنْ أَتَاكَ ابْنُ أَبِي خُفَافَةَ، فَأَخْبِرْهُ أَنِّي تَوَجَّهْتُ إِلَى ثَوْرٍ، فَرُّهُ فَلْيَلْحَقْ بِي، وَأَرْسِلْ إِلَيَّ بِطَعَامٍ، وَاسْتَأْجِرْ لِي دَلِيلًا يَدُلُّنِي عَلَى طَرِيقِ الْمَدِينَةِ، وَاشْتَرِ لِي رَاحِلَةً ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ص، وَأَعْمَى اللَّهُ أَبْصَارَ الَّذِينَ كَانُوا يَرِصُدُونَهُ عَنْهُ، وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ص.

فَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، قَالَ:

اجْتَمَعُوا لَهُ، وَفِيهِمْ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، فَقَالَ وَهُمْ عَلَى بَابِهِ: إِنَّ مُحَمَّدًا

يَزْعُمُ أَنَّكُمْ إِنْ تَابَعْتُمُوهُ عَلَى أَمْرِهِ كُنْتُمْ مُلُوكَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، ثُمَّ بَعِثْتُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ لَكُمْ جَنَّاتُ الْجَنَانِ الْأُردَنِ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ لَكُمْ مِنْهُ ذُبْحٌ، ثُمَّ بَعِثْتُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ، فَجَعَلَتْ لَكُمْ نَارٌ تُحْرَقُونَ فِيهَا.

قَالَ: وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَأَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ، أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ، أَنْتَ أَحَدُهُمْ وَأَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَبْصَارِهِمْ عَنْهُ فَلَا يَرُونَهُ،

فَجَعَلَ يَنْثُرُ ذَلِكَ التُّرَابَ عَلَى رُءُوسِهِمْ، وَهُوَ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ يَس: «يَس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» إِلَى

قَوْلِهِ: «وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ»، حَتَّى فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ،

فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ.

فَاتَّاهُمْ آتٍ مِّنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ، فَقَالَ: مَا تَنْتَظِرُونَ هَاهُنَا؟ قَالُوا:

مُحَمَّدًا، قَالَ: خَيْبَكُمْ اللَّهُ! قَدْ وَاللَّهِ خَرَجَ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ مَا تَرَكَ مِنْكُمْ رَجُلًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا، وَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، أَفَمَا تَرَوْنَ

مَا بِكُمْ؟

قَالَ: فَوَضَعَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ، فَإِذَا عَلَيْهِ تُرَابٌ، ثُمَّ جَعَلُوا يَطْلَعُونَ، فَيَرَوْنَ عَلِيًّا عَلَى الْفِرَاشِ مُتَسَحِّجًا بِرِدِّ رَسُولِ اللَّهِ ص،

فَيَقُولُونَ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لِمُحَمَّدٍ نَائِمٌ، عَلَيْهِ بُردُهُ، فَلَمْ يَبْرَحُوا كَذَلِكَ حَتَّى أَصْبَحُوا، فَقَامَ عَلِيُّ بْنُ الْفِرَاشِ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَقَدْ صَدَقْنَا الَّذِي

كَانَ حَدَّثَنَا، فَكَانَ مِمَّا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَمَا كَانُوا أَجْمَعُوا لَهُ:

«وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ»، وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

«أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَّبِصُّ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ» وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَتَى عَلِيًّا فَسَأَلَهُ عَنْ نَبِيِّ

اللَّهِ ص فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَحِقَ بِالْغَارِ مِنْ ثَوْرٍ، وَقَالَ: إِنْ كَانَ لَكَ فِيهِ حَاجَةٌ فَالْحَقَّهُ، فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُسْرِعًا، فَلَحِقَ نَبِيَّ اللَّهِ ص فِي الطَّرِيقِ،

فَسَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ص جَرَسَ أَبِي بَكْرٍ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، فَحَسِبَهُ مِنَ الْمَشْرُكِينَ، فَاسْرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْمَشْيَ، فَانْقَطَعَ قِبَالُ نَعْلِهِ فَقَلَقَ

إِبْهَامَهُ جَرَّ فَكَثُرَ دَمُهَا، وَأَسْرَعَ السَّعْيَ، فَخَافَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَشُقَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَرَفَعَ صَوْتَهُ، وَتَكَلَّمَ، فَعَرَفَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص فَقَامَ حَتَّى

أَتَاهُ، فَانْطَلَقَا وَرَجُلٌ رَسُولُ اللَّهِ ص تَسْتَنُّ دَمًا، حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْغَارِ مَعَ الصُّبْحِ، فَدَخَلَاهُ وَأَصْبَحَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرِصُدُونَ رَسُولَ اللَّهِ ص، فَدَخَلُوا الدَّارَ، وَقَامَ عَلَى عَنِّ فَرَّاشَهُ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ عَرَفُوهُ، فَقَالُوا لَهُ: إِنْ صَاحَبَكَ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، أَوْ رَقِيبًا كُنْتُ عَلَيْهِ! أَمَرْتُمُوهُ بِالْخُرُوجِ نَخْرَجُ، فَانْتَهَرُوهُ وَضَرَبُوهُ وَأَخْرَجُوهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَحَبَسُوهُ سَاعَةً ثُمَّ تَرَكَوهُ، وَنَجَّى اللَّهُ رَسُولَهُ مِنْ مَكْرِهِمْ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ: «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ»

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَذِنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ص عِنْدَ ذَلِكَ بِالْمُهْجَرَةِ، فَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ الْجَهْضَمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبَانُ الْعَطَّارُ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: لَمَّا خَرَجَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ص إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ - يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ ص - وَقَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي أُمِرُوا فِيهَا بِالْقِتَالِ، اسْتَأْذَنَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَكُنْ أَمْرُهُ بِالْخُرُوجِ مَعَ مَنْ خَرَجَ مِنْ أَصْحَابِهِ، حَبَسَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص، وَقَالَ لَهُ: انْظُرْنِي، فَإِنِّي لَا أَدْرِي، لَعَلِّي يُؤْذَنُ لِي بِالْخُرُوجِ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ اشْتَرَى رَاِحِلَتَيْنِ يَعِدُهُمَا لِلْخُرُوجِ مَعَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا اسْتَنْظَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص، وَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي يَرْجُو مِنْ رَبِّهِ أَنْ يَأْذِنَ لَهُ بِالْخُرُوجِ، حَبَسَهُمَا وَعَلَفَهُمَا، أَنْتَظَرِ صُحْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ص، حَتَّى أَتَيْنَهُمَا، فَلَمَّا حَبَسَ عَلَيْهِ خُرُوجَ النَّبِيِّ ص، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَطْمَعُ أَنْ يُؤْذَنَ لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَانْتَظَرَهُ فَكَثُرَ بِذَلِكَ فَأَخْبَرْتَنِي عَائِشَةُ، أَنَّهُمْ بَيْنَا هُمْ ظُهُراً فِي بَيْتِهِمْ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا ابْنَتَاهُ: عَائِشَةُ وَأَسْمَاءُ، إِذَا هُم بِرَسُولِ اللَّهِ ص، حِينَ قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ - وَكَانَ لَا يُخْطِئُهُ يَوْمًا أَنْ يَأْتِيَ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ - فَلَمَّا رَأَى أَبُو بَكْرٍ النَّبِيَّ ص جَاءَ ظُهُراً، قَالَ لَهُ: مَا جَاءَ بِكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِلَّا أَمْرٌ حَدَثَ؟ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ص الْبَيْتَ، قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ، قَالَ: لَيْسَ عَلَيْنَا عَيْنٌ، إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِي بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، الصَّحَابَةُ، الصَّحَابَةُ! قَالَ: الصَّحَابَةُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: خُذْ إِحْدَى الرَّاحِلَتَيْنِ - وَهُمَا الرَّاحِلَتَانِ اللَّتَانِ كَانَا يَعْلِفُهُمَا أَبُو بَكْرٍ، يَعِدُهُمَا لِلْخُرُوجِ، إِذَا

أَذِنَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص - فَأَعْطَاهُ إِحْدَى الرَّاحِلَتَيْنِ، فَقَالَ:

خُذْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَارْتَحِلْهَا، [فَقَالَ النَّبِيُّ ص قَدْ أَخَذْتُهَا بِالنَّحْيِ،] وَكَانَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَا مِنْ مَوْلَدِي الْأَزْدِ، كَانَ لِلطِّفْلِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَخْبَرَةَ، وَهُوَ أَبُو الْحَارِثِ بْنُ الطُّفَيْلِ، وَكَانَ أَخَا عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ لِأُمِّهِمَا، فَأَسْلَمَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَهُوَ مَمْلُوكٌ لَهُمْ، فَاشْتَرَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْتَقَهُ، وَكَانَ حَسَنَ الْإِسْلَامِ، فَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ص وَأَبُو بَكْرٍ، كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ مَنِيعَةٌ مِنْ غَنَمٍ تَرُوحُ عَلَى أَهْلِهِ، فَأَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ عَامِرًا فِي الْغَنَمِ إِلَى ثَوْرٍ، فَكَانَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ يَرُوحُ بِتِلْكَ الْغَنَمِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص بِالْغَارِ فِي ثَوْرٍ، وَهُوَ الْغَارُ الَّذِي سَمَّاهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ، فَأَرْسَلَ بِظَهْرِهِمَا رَجُلًا مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ، حَلِيفًا لِقُرَيْشٍ مِنْ بَنِي سَهْمٍ، ثُمَّ آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، وَذَلِكَ الْعَدَوِيُّ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ، وَلَكِنَّهُمَا اسْتَأْجَرَاهُ، وَهُوَ هَادٍ بِالطَّرِيقِ وَفِي اللَّيَالِي الَّتِي مَكَثَا بِالْغَارِ كَانَ يَأْتِيهِمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ حِينَ يُمْسِي بِكُلِّ خَيْرٍ بِمَكَّةَ، ثُمَّ يَصْبِحُ بِمَكَّةَ وَيَرْجِعُ عَامِرُ الْغَنَمَ كُلَّ لَيْلَةٍ، فَيَحْلِبَانِ، ثُمَّ يَسْرَحُ بَكْرَةً فَيَصْبِحُ فِي رُعْيَانِ النَّاسِ، وَلَا يَفْطَنُ لَهُ، حَتَّى إِذَا هَدَأَتْ عَنْهُمَا الْأَصْوَاتُ، وَأَتَاهُمَا أَنْ قَدْ سَكَتَ عَنْهُمَا، جَاءَهُمَا صَاحِبُهُمَا بِبَعِيرِيهِمَا، فَانْطَلَقَا وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا بِعَامِرِ بْنِ فُهَيْرَةَ يَخْدُمُهُمَا وَيَعِينُهُمَا، يَرْدِفُهُ أَبُو بَكْرٍ وَيَعْقِبُهُ عَلَى رَحْلِهِ، لَيْسَ مَعَهُمَا أَحَدٌ إِلَّا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ،

وَأَخُو بَنِي عَدِيٍّ يَهْدِيهِمَا الطَّرِيقَ، فَأَجَازَ بِهِمَا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ، ثُمَّ مَضَى بِهِمَا حَتَّى حَاذَى بِهِمَا السَّاحِلَ، أَسْفَلَ مِنْ عُسْفَانَ، ثُمَّ اسْتَجَازَ

بِهِمَا حَتَّى عَارَضَ الطَّرِيقَ بَعْدَ مَا جَاوَزَ قَدِيدًا، ثُمَّ سَلَكَ الْخُرَّارَ، ثُمَّ أَجَازَ عَلَى ثَنِيَّةِ الْمَرَّةِ، ثُمَّ أَخَذَ عَلَى طَرِيقٍ يُقَالُ لَهَا الْمُدْلَجَةُ بَيْنَ طَرِيقِ عَمَقٍ وَطَرِيقِ الرُّوحَاءِ، حَتَّى تَوَافَوْا طَرِيقَ الْعَرَجِ، وَسَلَكَ مَاءً يُقَالُ لَهُ الْغَابِرُ عَنْ يَمِينِ رُكُوبَةٍ، حَتَّى يَطْلُعَ عَلَى بَطْنٍ رِثْمٍ، ثُمَّ جَاءَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ عَلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ قَبْلَ الْقَائِلَةِ فَحَدَّثَتْ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِيهِمْ إِلَّا يَوْمَيْنِ - وَتَزَعُمُ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ أَنَّ قَدْ أَقَامَ فِيهِمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ - فَاقْتَادَ رَاحِلَتَهُ فَاتَّبَعَتْهُ حَتَّى دَخَلَ فِي دُورِ بَنِي النُّجَارِ، فَأَرَاهُمْ رَسُولَ اللَّهِ ص مَرِيدًا كَانَ بَيْنَ ظَهْرِي دُورِهِمْ.

وَقَدْ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَصَنِ التَّمِيمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ص، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَا يُخْطِئُهُ أَحَدٌ طَرَفِي النَّهَارِ أَنْ يَأْتِيَ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا بِكُرَّةٍ، وَإِمَامَةٍ عَشِيَّةً، حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي أَذِنَ اللَّهُ فِيهِ لِرَسُولِهِ بِالْهَجْرَةِ، وَبِالْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَانِي قَوْمِهِ، أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ص بِالْهَاجِرَةِ، فِي سَاعَةٍ كَانَ لَا يَأْتِي فِيهَا.

قَالَتْ: فَلَمَّا رَأَى أَبُو بَكْرٍ قَالَ: مَا جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ص هَذِهِ السَّاعَةَ إِلَّا لَأَمْرٍ حَدَثَ قَالَتْ: فَلَمَّا دَخَلَ تَأَخَّرَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ سَرِيرِهِ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ص، وَلَيْسَ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا أَنَا وَأُخْتِي

أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: أَخْرِجْ عَنِّي مَنْ عِنْدَكَ، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ، وَمَا ذَاكَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي! قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذِنَ لِي بِالْخُرُوجِ وَالْهَجْرَةِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصُّحْبَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الصُّحْبَةَ.

قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا شَعَرْتُ قَطُّ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَحَدًا يَبْكِي مِنَ الْفَرَجِ، حَتَّى رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ يَبْكِي مِنَ الْفَرَجِ ثُمَّ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ هَاتَيْنِ رَاحِلَتَايَ، كُنْتُ أَعْدَدْتُهُمَا لِهَذَا فَاسْتَأْجَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَرْقَدٍ - رَجُلًا مِنْ بَنِي الدَّيْلِ بْنِ بَكْرٍ، وَكَانَتْ أُمُّهُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي سَهْمٍ بْنِ عَمْرِو، وَكَانَ مُشْرِكًا - يَدُلُّهُمَا عَلَى الطَّرِيقِ، وَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، فَكَانَتَا عِنْدَهُ يَرَعَاهُمَا لِمِعَادِهِمَا، وَلَمْ يَعْلَمْ - فِيمَا بَلَّغْنِي - بِخُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ص أَحَدٌ حِينَ خَرَجَ إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَالْأَبِي بَكْرٍ، فَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص - فِيمَا بَلَّغْنِي - أَخْبَرَهُ بِخُرُوجِهِ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَتَخَلَّفَ بَعْدَهُ بِمَكَّةَ حَتَّى يُوَدِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص الْوَدَائِعَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَلَيْسَ بِمَكَّةَ أَحَدٌ عِنْدَهُ شَيْءٌ يَخْشَى عَلَيْهِ إِلَّا وَضَعَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص، لِمَا يَعْرِفُ مِنْ صِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ فَلَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِلْخُرُوجِ أَتَى أَبَا بَكْرٍ بْنُ أَبِي خُفَافَةَ، فَخَرَجَا مِنْ خَوْخَةٍ لِأَبِي بَكْرٍ فِي ظَهْرِ بَيْتِهِ، ثُمَّ عَمَدَا إِلَى غَارِ ثَوْرٍ جَبَلٍ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ، فَدَخَلَاهُ، وَأَمَرَ أَبُو بَكْرٍ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَسْمَعَ لَهُمَا مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِمَا نَهَارَهُ، ثُمَّ يَأْتِيهِمَا إِذَا أَمْسَى بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْخَبَرِ، وَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ مَوْلَاهُ أَنْ يَرْعَى غَنَمَهُ نَهَارَهُ، ثُمَّ يَرِيحُهَا عَلَيْهِمَا إِذَا أَمْسَى بِالْغَارِ وَكَانَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ تَأْتِيهِمَا مِنَ الطَّعَامِ إِذَا أَمْسَتْ بَمَا يَصْلِحُ لَهُمَا، فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ

ص فِي الْغَارِ ثَلَاثًا، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ حِينَ فَقَدُوهُ مِائَةَ نَاقَةٍ لِمَنْ يَرُدُّهُ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ يَكُونُ فِي قُرَيْشٍ وَمَعَهُمْ، وَيَسْتَمِعُ مَا يَأْتِمُرُونَ بِهِ، وَمَا يَقُولُونَ فِي شَأْنِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَأَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ يَأْتِيهِمَا إِذَا أَمْسَى فَيُخْبِرُهُمَا الْخَبَرَ، وَكَانَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ يَرْعَى فِي رُغْيَانِ أَهْلِ مَكَّةَ، فَإِذَا أَمْسَى أَرَاخَ عَلَيْهِمَا غَنَمَ أَبِي بَكْرٍ، فَاحْتَلَبَا وَذَبَحَا، فَإِذَا غَدَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ مِنْ عِنْدَهُمَا إِلَى مَكَّةَ اتَّبَعَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ أَثَرَهُ بِالْغَنَمِ، حَتَّى يَعْصِي عَلَيْهِ، حَتَّى إِذَا مَضَتْ الثَّلَاثُ، وَسَكَنَ عَنْهُمَا النَّاسُ، أَتَاهُمَا صَاحِبُهُمَا الَّذِي اسْتَأْجَرَا بِبَعِيرَيْهِمَا، وَأَتَتْهُمَا أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ بِسُفَرَتَيْهِمَا، وَلَنِيتُ أَنْ تَجْعَلَ لَهَا عِصَامًا فَلَمَّا ارْتَحَلَا ذَهَبَتْ لِتَعْلَقَ السُّفْرَةَ، فَإِذَا لَيْسَ فِيهَا عِصَامٌ فَخَلَّتْ نِطَاقَهَا، فَجَعَلَتْهُ لَهَا عِصَامًا، ثُمَّ عَلَّقَتْهَا بِهِ - فَكَانَ يُقَالُ لِأَسْمَاءَ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ: ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ، لِذَلِكَ - فَلَمَّا قَرَّبَ أَبُو بَكْرٍ الرَّاحِلَتَيْنِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، قَرَّبَ لَهُ أَفْضَلَهُمَا، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَرْكَبْ فِدَاكَ ابْنِي وَأُمِّي! [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: إِنِّي لَا أَرْكَبُ بَعِيرًا لَيْسَ لِي،] قَالَ:

فَهُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَيِّ أَنتَ وَأُمِّي! قَالَ: لَا وَلَكِنْ مَا التَّمَنُّ الَّذِي ابْتَعَتْهَا بِهِ؟ قَالَ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهَا بِذَلِكَ، قَالَ: هِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَرَجَا فَانْطَلَقَا، وَأَرْدَفَ أَبُو بَكْرٍ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ مَوْلَاهُ خَلْفَهُ يَخْدُمُهُمَا بِالطَّرِيقِ. حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَحَدَّثْتُ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَأَبُو بَكْرٍ أَتَانَا نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فِيهِمْ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، فَوَقَفُوا عَلَى بَابِ أَبِي بَكْرٍ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: أَيْنَ أَبُوكَ يَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي وَاللَّهِ أَيْنَ أَبِي! قَالَتْ: فَرَفَعَ أَبُو جَهْلٍ يَدَهُ-

وَكَانَ فَاحِشًا خَبِيثًا- فَلَطَمَ خَدِّي لَطْمَةً طَرَحَ مِنْهَا قُرْطِي قَالَتْ: ثُمَّ انْصَرَفُوا وَمَكُنَّا ثَلَاثَ لَيَالٍ، لَا نَدْرِي أَيْنَ تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ص، حَتَّى أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْجَنِّ، مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ يُغْنِي بِأَيَّاتٍ مِنَ الشَّعْرِ غِنَاءَ الْعَرَبِ وَالنَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ، يَسْمَعُونَ صَوْتَهُ وَمَا يَرَوْنَهُ، حَتَّى خَرَجَ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ:

جَزَى اللَّهُ رَبَّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ ... رَفِيقِينَ حَلَا خَيْمَتِي أُمَّ مَعْبَدٍ
هُمَا نَزَلَاهَا بِالْهَدَى وَاعْتَدَا بِه ... فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ
لَيْلَيْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فِتْنَتِهِمْ ... وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدٍ
قَالَتْ: فَلَمَّا سَمِعْنَا قَوْلَهُ عَرَفْنَا حَيْثُ وَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ص، وَأَنَّ وَجْهَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانُوا أَرْبَعَةَ: رَسُولُ اللَّهِ ص، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَرْقَدَ دَلِيلَهُمَا.

قال أبو جعفر: حدثني أحمد بن المقدم العجلي، قال: حدثنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي، قال: حدثنا عبد الحميد بن أبي عباس بن محمد بن أبي عباس بن جبر، عن أبيه، قال: سمعت قريش قائلين يقول في الليل على أبي قبيس:

فَإِنْ يَسْلُمُ السَّعْدَانُ يَصْبَحُ مُحَمَّدٌ ... بِمَكَّةَ لَا يَخْشَى خِلَافَ الْمُخَالِفِ
فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَالَ أَبُو سَفْيَانَ: مِنَ السَّعْدَانِ؟ سَعْدُ بَكْرٍ، سَعْدُ تَمِيمٍ، سَعْدُ هَذِيمٍ! فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ، سَمِعُوهُ يَقُولُ:
أَيَا سَعْدُ سَعْدِ الْأَوْسِ كُنْ أَنْتَ نَاصِرًا ... وَيَا سَعْدُ سَعْدِ الْخَزْرَجِينَ الْغَطَارِفِ
أَجْبِيَا إِلَى دَاعِيِ الْهَدَى وَتَمْنِيَا ... عَلَى اللَّهِ فِي الْفَرْدُوسِ مَنِيَّةَ عَارِفِ
فَإِنْ ثَوَابَ اللَّهِ لِلطَّالِبِ الْهَدَى ... جَنَّانٍ مِنَ الْفَرْدُوسِ ذَاتِ رِفَارِفِ
فَلَمَّا أَصْبَحُوا، قَالَ أَبُو سَفْيَانَ: هُوَ وَاللَّهُ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ وَسَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ.
قال أبو جعفر: وقدم دليلهما بهما قباء، على بني عمرو بن عوف، لِثِنْتِي عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ، يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ حِينَ اشْتَدَّ الضَّحَى، وَكَادَتْ الشَّمْسُ أَنْ تَعْتَدَلَ.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْيمٍ بْنِ سَاعِدَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ قَوْمِيٍّ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص، قَالُوا: لَمَّا سَمِعْنَا بِخُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ص مِنْ مَكَّةَ، وَتَوَكَّفْنَا قُدُومَهُ، كُنَّا نَخْرُجُ إِذَا صَلَّيْنَا الصُّبْحَ إِلَى ظَاهِرِ حَرَّتِنَا، نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ ص، فَوَاللَّهِ مَا نَبْرُحُ حَتَّى تَغْلِبَنَا الشَّمْسُ عَلَى الظَّلَالِ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ ظِلًّا دَخَلْنَا بُيُوتَنَا، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ حَارَةٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ص جَلَسْنَا كَمَا كُنَّا نَجْلِسُ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ ظِلٌّ دَخَلْنَا بُيُوتَنَا، وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ص حِينَ دَخَلْنَا الْبُيُوتَ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ رَأَاهُ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَقَدْ رَأَى مَا كُنَّا نَصْنَعُ، وَإِنَّا كُنَّا نَنْتَظِرُ قُدُومَ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَصَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا بَنِي قَيْلَةَ هَذَا جَدُّكُمْ قَدْ جَاءَ.

قَالَ: نَخْرُجُنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، وَهُوَ فِي ظِلِّ نَخْلَةٍ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ فِي مِثْلِ سِنِّهِ وَأَكْثَرُنَا مَنْ لَمْ يَكُنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ص قَبْلَ ذَلِكَ، قَالَ: وَرَكِبَهُ النَّاسُ، وَمَا نَعْرِفُهُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، حَتَّى زَالَ

الظل عن رسول الله ص، فقام أبو بكر، فأظله بردائه، فعرفناه عند ذلك، فنزل رسول الله ص- فيما يذكرون- على كلثوم بن هدم، أخي بني عمرو بن عوف، ثم أحد بني عبيد، ويقال: بل نزل على سعد بن خيثمة.

ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن هدم: إنما كان رسول الله ص إذا خرج من منزل كلثوم بن هدم، جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة، وذلك أنه كان عزباً لا أهل له، وكان منازل العزب من أصحاب رسول الله ص من المهاجرين عنده، فمن هنالك يقال: نزل على سعد بن خيثمة، وكان يقال لبيت سعد بن خيثمة: بيت العزب، فالله أعلم أي ذلك كان، كلا قد سمعنا. ونزل أبو بكر بن أبي خفافة على خبيب بن اساف، أخي بني الحارث ابن الخزرج بالسنج، ويقول قائل: كان منزله على خارجة بن زيد بن أبي زهير، أخي بني الحارث بن الخزرج.

وأقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة ثلاث ليال وأيامها، حتى أدى عن رسول الله ص الودائع التي كانت عنده إلى الناس، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله ص، فنزل معه على كلثوم ابن هدم، فكان علي يقول: وإنما كانت إقامته بقباء على امرأة لا زوج لها مسلمة، ليلة أو ليلتين، وكان يقول: كنت نزلت بقباء على امرأة لا زوج لها مسلمة، فرأيت إنساناً يأتيها في جوف الليل، فيضرب عليها بابها، فتخرج إليه فيعطيه شيئاً معه، قال: فاستربت لشأنه، فقلت لها: يا أمة الله، من هذا الرجل الذي يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه، فيعطيك شيئاً، ما أدري ما هو؟ وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك! قالت: هذا سهل بن حنيف بن واهب، قد عرفني أمي امرأة لا أحد لي، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها، ثم جاءني بها، وقال: احتطي بهذا فكان علي بن

أبي طالب يأنثر ذلك من أمر سهل بن حنيف حين هلك عنده بالعراق حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثني هذا الحديث علي بن هند بن سعد بن سهل بن حنيف، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فأقام رسول الله ص بقباء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، ويوم الخميس، وأسس مسجدهم، ثم أخرجه الله عز وجل من بين أظهرهم يوم الجمعة، وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك والله أعلم. ويقول بعضهم: إن مقامه بقباء كان بضعة عشر يوماً.

قال أبو جعفر: واختلف السلف من أهل العلم في مدة مقام رسول الله ص بمكة بعد ما استنبت، فقال بعضهم: كانت مدة مقامه بها إلى أن هاجر إلى المدينة عشر سنين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا يحيى بن محمد بن قيس المدني- يقال له أبو زكير- قال: سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن يذكر عن أنس ابن مالك، أن رسول الله ص بعث على رأس أربعين، فأقام بمكة عشراً.

حدثني الحسين بن نصر الأملي، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، عن شيبان، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: أخبرني عائشة وابن عباس أن رسول الله ص

لبث بمكة عشر سنين، ينزل عليه القرآن.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا عبد الوهاب، قال: حدثنا يحيى ابن سعيد، قال: سمعت سعيد بن المسيب، يقول: أنزل على رسول الله ص القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين، فأقام بمكة عشراً.

حدثني أحمد بن ثابت الرازي، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن هشام، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: أنزل على

النبي ص وهو ابن ثلاث وأربعين سنة، فكث بمكة عشرة. حدثني محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا عمرو بن عثمان الخمي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا محمد بن مسلم الطائفي، عن عمرو بن دينار، قال: هاجر رسول الله ص على رأس عشر من مخرجه قال أبو جعفر: وقال آخرون: بل أقام بعد ما استنبت بمكة ثلاث عشرة سنة. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا حجاج بن المنهال، قال: حدثنا حماد - يعني ابن سلمة -، عن أبي جمرة، عن ابن عباس، قال: أقام رسول الله ص بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه.

حدثني محمد بن خلف، قال: حدثنا آدم، قال: حدثنا حماد ابن سلمة، قال: حدثنا أبو جمرة الضبي، عن ابن عباس، قال:

بعث رسول الله ص لأربعين سنة، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة

حدثني محمد بن معمر، قال: حدثنا روح، قال: حدثنا زكرياء ابن إسحاق، قال: حدثنا عمرو بن دينار، عن ابن عباس، قال: مكث رسول الله ص بمكة ثلاث عشرة سنة.

حدثني عبيد بن محمد الوراق، قال: حدثنا روح، قال: حدثنا هشام، قال: حدثنا عكرمة، عن ابن عباس، قال: بعث النبي ص لأربعين سنة، فكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة.

قال أبو جعفر: وقد وافق قول من قال: بعث رسول الله ص لأربعين سنة، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة قول أبي قيس صرمة بن أبي أنس، أخي بني عدي بن النجار، في قصيدته التي يقول فيها، وهو يصف كرامة الله إياهم بما أكرمهم به من الإسلام، ونزول نبي الله ص، عليهم:

ثوى في قريش بضع عشرة حجة ... يذكر لويلقى صديقا مواتيا!

ويعرض في اهل المواسم نفسه ... فلم ير من يؤوى، ولم ير داعيا

فلما أتانا أظهر الله دينه ... فأصبح مسرورا بطيبة راضيا

وألقى صديقا واطمأنت به النوى ... وكان له عوناً من الله باديا

يقص لنا ما قال نوح لقومه ... وما قال موسى إذ أجاب المناديا

وأصبح لا يخشى من الناس واحدا ... قريبا، ولا يخشى من الناس ناثيا

بذلنا له الأموال من جل مالنا ... وأنفسنا عند الوغى والتأسيا

ونعلم أن الله لا شيء غيره ... ونعلم أن الله افضل هاديا

فاخبر أبو القيس في قصيدته هذه أن مقام رسول الله ص في قومه قريش كان بعد ما استنبت وصدع بالوحي من الله بضع عشرة حجة. وقال بعضهم كان مقامه بمكة خمس عشرة سنة:

ذكر من قال ذلك:

حدثني بذلك الحارث، عن ابن سعد، عن محمد بن عمر، عن إبراهيم بن إسماعيل، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، واستشهد بهذا البيت من قول أبي قيس صرمة بن أبي أنس، غير أنه أنشد ذلك:

ثوى في قريش خمس عشرة حجة ... يذكر لويلقى صديقا مواتيا!

قال أبو جعفر: وقد روي عن الشعبي إن إسرافيل قرن برسول الله ص قبل أن يوحى إليه ثلاث سنين.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر الواقدي، قال: حدثنا الثوري، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي - قال: وحدثنا إملاء من لفظه منصور عن الأشعث، عن الشعبي - قال:

قُرْنُ إِسْرَافِيلَ بِنُبوَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ص ثَلَاثَ سِنِينَ، يَسْمَعُ حِسَّهُ، وَلَا يَرَى شَخْصَهُ ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ جَبْرِيلُ ع قَالَ الْوَاقِدِيُّ:
فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِمُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ بْنِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا بْنَ أَخِي لَقَدْ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ بِنَ حَزْمٍ، وَعَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ يَحْدِثَانِ
فِي
الْمَسْجِدِ وَرَجُلٍ عِرَاقِي يَقُولُ لَهُمَا هَذَا، فَأَنْكَرَاهُ جَمِيعًا وَقَالَا: مَا سَمِعْنَا وَلَا عَلِمْنَا إِلَّا أَنَّ جَبْرِيلَ هُوَ الَّذِي قَرَنَ بِهِ، وَكَانَ يَأْتِيهِ بِالْوَحْيِ مِنْ
يَوْمِ نَبِيٍّ إِلَى أَنْ تَوَفَّى ص.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ النُّبُوءَةُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَقُرْنَتْ بِنُبوَّةِ إِسْرَافِيلَ
ثَلَاثَ سِنِينَ، فَكَانَ يَعْلَمُهُ الْكَلِمَةُ وَالشَّيْءُ، وَلَمْ يَنْزِلِ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثَ سِنِينَ قَرَنَ بِنُبوَّةِ جَبْرِيلَ ع، فَزَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى
لِسَانِهِ عَشْرَ سِنِينَ بِمَكَّةَ وَعَشْرَ سِنِينَ بِالْمَدِينَةِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَلَعَلَّ الَّذِينَ قَالُوا: كَانَ مَقَامُهُ بِمَكَّةَ بَعْدَ الْوَحْيِ عَشْرًا عَدُوا مَقَامَهُ بِهَا مِنْ حِينَ أَتَاهُ جَبْرِيلُ بِالْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
وَأَظْهَرَ الدِّعَاءَ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَعَدَّ الَّذِينَ قَالُوا: كَانَ مَقَامُهُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ أَوَّلِ الْوَقْتِ الَّذِي اسْتَنْبَيْ فِيهِ، وَكَانَ إِسْرَافِيلُ الْمُقَرَّنُ
بِهِ وَهِيَ السَّنُونَ الثَّلَاثُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ أَمْرٌ فِيهَا بِإِظْهَارِ الدَّعْوَةِ.

وَقَدْ رَوَى عَنْ قَتَادَةَ غَيْرَ الْقَوْلَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْتُ، وَذَلِكَ مَا حَدَّثْتُ عَنْ رُوحِ بْنِ عَبَادَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: نَزَلَ الْقُرْآنُ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص ثَمَانِي سِنِينَ بِمَكَّةَ وَعَشْرًا بَعْدَ مَا هَاجَرَ، وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: عَشْرًا بِمَكَّةَ وَعَشْرًا بِالْمَدِينَةِ

٢٠٧٠٧ ذكر الوقت الذي عمل فيه التاريخ

ذكر الوقت الذي عمل فيه التاريخ

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَلَمَّا قَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْمَدِينَةَ، أَمَرَ بِالتَّأْرِيخِ فِيمَا قِيلَ حَدَّثَنِي زَكْرِيَاءُ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي زَائِدَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ،
عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ص لَمَّا قَدَّمَ الْمَدِينَةَ - وَقَدَّمَهَا فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ - أَمَرَ بِالتَّأْرِيخِ.
قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَذَكَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُورِخُونَ بِالشَّهْرِ وَالشَّهْرَيْنِ مِنْ مَقْدَمِهِ إِلَى أَنْ تَمَّتِ السَّنَةُ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ أَمَرَ بِالتَّأْرِيخِ فِي الْإِسْلَامِ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

ذكر الأخبار الواردة بذلك:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَبَانُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَنْزِيُّ، عَنْ مُجَالِدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: كَتَبَ أَبُو مُوسَى
الْأَشْعَرِيُّ إِلَى عُمَرَ: إِنَّهُ تَأْتِينَا مِنْكَ كُتُبٌ لَيْسَ لَهَا تَأْرِيخٌ قَالَ: فَجَمَعَ عُمَرُ النَّاسَ لِلْمَشُورَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَرِّخْ لِمَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ص
وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِمُهَاجِرِ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَقَالَ عُمَرُ: لَا بَلْ نَوْرِخْ لِمُهَاجِرِ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَإِنَّ مَهَاجِرَهُ فَرَقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.
حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ حَيَّانَ أَبُو يَزِيدَ الْخَرَّازِيُّ، عَنْ فُرَاتِ بْنِ سَلْمَانَ، عَنْ مِمْوْنِ
بْنِ مِهْرَانَ، قَالَ: رُفِعَ إِلَى عُمَرَ صَكُّ مَحَلَّةٍ فِي شَعْبَانَ، فَقَالَ عُمَرُ: أَيُّ شَعْبَانَ؟
الَّذِي هُوَ آتٍ، أَوِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ؟ قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ضَعُوا لِلنَّاسِ شَيْئًا يَعْرِفُونَهُ، فَقَالَ: بَعْضُهُمْ: اكْتُبُوا عَلَى تَأْرِيخِ الرُّومِ، فَقِيلَ: إِنَّهُمْ يَكْتُبُونَ مِنْ عَهْدِ ذِي الْقَرْنَيْنِ، فَهَذَا يَطُولُ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ: اكْتُبُوا عَلَى تَأْرِيخِ الْفَرَسِ، فَقِيلَ: إِنَّ الْفَرَسَ كَلَّمَا قَامَ مَلِكٌ طَرَحَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنَّ يَنْظُرُوا: كَمْ أَقَامَ
رَسُولُ اللَّهِ ص بِالْمَدِينَةِ؟ فَوَجَدُوهُ عَشْرَ سِنِينَ، فَكُتِبَ التَّأْرِيخُ مِنْ هَجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص حَدَّثْتُ عَنْ أُمِّيَّةَ بِنْتِ خَالِدٍ وَابْنِ دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ،
عَنْ قُرَّةَ بِنْتِ خَالِدِ السَّدُوسِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: قَامَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ: أَرِّخُوا، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرِّخُوا؟ قَالَ: شَيْءٌ

تَفْعَلُهُ الْأَعَاجِمُ، يَكْتُبُونَ فِي شَهْرِ كَذَا مِنْ سَنَةِ كَذَا، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: حَسَنٌ، فَأَرخُوا فَقَالُوا: مِنْ أَيِّ السِّنِّ نَبْدَأُ؟ قَالُوا: مِنْ مَبْعَثِهِ، وَقَالُوا: مِنْ وَفَاتِهِ، ثُمَّ أَجْمَعُوا عَلَى الْهَجْرَةِ، ثُمَّ قَالُوا: فَأَيُّ الشُّهُورِ نَبْدَأُ؟ فَقَالُوا: رَمَضَانَ، ثُمَّ قَالُوا: الْمُحَرَّمُ، فَهُوَ مُنْصَرَفُ النَّاسِ مِنْ حَجِّهِمْ، وَهُوَ شَهْرٌ حَرَامٌ، فَأَجْمَعُوا عَلَى الْمُحَرَّمِ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمٍ وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَا جَمِيعًا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: مَا أَصَابَ النَّاسَ الْعَدَدُ، مَا عَدُوا مِنْ مَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَلَا مِنْ وَفَاتِهِ، وَلَا عَدُوا إِلَّا مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ التَّأْرِيخُ فِي السَّنَةِ الَّتِي قَدِمَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ص الْمَدِينَةَ، وَفِيهَا وَلِدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ.

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي عَبَّادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ الطَّائِفِيُّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ التَّأْرِيخُ فِي السَّنَةِ الَّتِي قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ص فِيهَا، فَذَكَرَ مِثْلَهُ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا نُوحُ بْنُ قَيْسٍ الطَّاحِي، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ مُحْصِنٍ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَقُولُ فِي: «وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ»، قَالَ: الْفَجْرُ هُوَ الْمُحَرَّمُ، فَجَرُ السَّنَةِ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ بْنِ عَمِيرٍ، قَالَ: إِنَّ الْمُحَرَّمُ شَهْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ رَأْسُ السَّنَةِ، فِيهِ يُكْسَى الْبَيْتُ، وَيُؤْرَخُ التَّأْرِيخُ، وَيُضْرَبُ فِيهِ الْوَرَقُ، وَفِيهِ يَوْمٌ كَانَ تَابَ فِيهِ قَوْمٌ، فَتَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ الرَّازِي، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا رُوحُ بْنُ عَبَّادَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا زَكْرِيَاءُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، أَنَّ أَوَّلَ مَنْ أَرخَ الْكُتُبَ يَعْلَى بْنُ أَمِيهِ، وَهُوَ بِالْيَمَنِ، وَإِنَّ النَّبِيَّ ص قَدِمَ الْمَدِينَةَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَأَنَّ النَّاسَ أَرخُوا لِأَوَّلِ السَّنَةِ، وَإِنَّمَا أَرخَ النَّاسَ لِمَقْدَمِ النَّبِيِّ ص.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ الزَّهْرِيِّ وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَا: أَرخَ بَنُو إِسْمَاعِيلَ مِنْ نَارِ إِبْرَاهِيمَ ع إِلَى بَنِيانِ الْبَيْتِ، حِينَ بَنَاهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلُ، ثُمَّ أَرخَ بَنُو إِسْمَاعِيلَ مِنْ بَنِيانِ الْبَيْتِ، حَتَّى تَفَرَّقَتْ، فَكَانَ كُلُّمَا خَرَجَ قَوْمٌ مِنْ تَهَامِهِ أَرخُوا بِخُرُوجِهِمْ، وَمَنْ بَقِيَ بِتَهَامَةٍ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ يُؤْرَخُونَ مِنْ خُرُوجِ سَعْدٍ وَنَهْدٍ وَجَهِينَةَ، بَنِي زَيْدٍ، مِنْ تَهَامَةٍ، حَتَّى مَاتَ كَعْبُ بْنُ لُؤْيٍ، فَأَرخُوا مِنْ مَوْتِ كَعْبِ بْنِ لُؤْيٍ إِلَى الْفِيلِ، فَكَانَ التَّأْرِيخُ مِنَ الْفِيلِ، حَتَّى أَرخَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَذَلِكَ سَنَةٌ سَبْعُ عَشْرَةَ أَوْ ثَمَانِي عَشْرَةَ.

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا نَعِيمُ بْنُ حَمَّادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الدَّرَاوَرْدِيُّ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ:

سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، يَقُولُ: جَمَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ النَّاسَ، فَسَأَلَهُمْ، فَقَالَ: مِنْ أَيِّ يَوْمٍ نَكْتُبُ؟ [فَقَالَ عَلَى ع: مِنْ يَوْمِ هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص، وَتَرَكَ أَرْضَ الشَّرْكِ]، فَفَعَلَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَهَذَا الَّذِي رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ، عَمَّنْ رَوَاهُ عَنْهُ فِي تَأْرِيخِ بَنِي إِسْمَاعِيلَ غَيْرَ بَعِيدٍ مِنَ الْحَقِّ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يُؤْرَخُونَ عَلَى أَمْرٍ مَعْرُوفٍ يَعْمَلُ بِهِ عَامَتُهُمْ، وَإِنَّمَا كَانَ الْمُؤْرَخُ مِنْهُمْ يُؤْرَخُ بِزَمَانِ حَقْمَةٍ كَانَتْ فِي نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي بِلَادِهِمْ، وَلِزُبَّةِ أَصَابَتِهِمْ، أَوْ بِالْعَامِلِ كَانَ يَكُونُ عَلَيْهِمْ، أَوْ الْأَمْرُ الْحَادِثُ فِيهِمْ يَنْتَشِرُ خَبَرُهُ عَنْدهُمْ،

يدل على ذلك اختلاف شعرائهم في تأريخاتهم، ولو كان لهم تأريخ على أمر معروف، وأصل معمول عليه، لم يختلف ذلك منهم. ومن ذلك قول الربيع بن ضبع الفزاري:

هأنذا آمل الخلود وقد ... أدرك عقلي ومولدي جبرا
أبا امرئ القيس هل سمعت به ... هيات هيات طال ذا عمرا!
فارخ عمره بحجر بن عمرو أبي امرئ القيس.
وقال نابغة بني جعدة:

فمن يك سائلا عني فإني ... من الشبان أزمان الخنان
فجعل النابغة تأريخه ما أرخ بزمان علة كانت فيهم عامة.

وقال آخر:

وما هي إلا في إزار وعلقة ... مغار ابن همام على حي خثعما

فكل واحد من هؤلاء الذين ذكرت تأريخهم في هذه الأبيات، أرخ على قرب زمان بعضهم من بعض، وقرب وقت ما أرخ به من وقت الآخر، بغير المعنى الذي أرخ به الآخر، ولو كان لهم تأريخ معروف كما للمسلمين اليوم وللسائر الأمم غيرها، كانوا إن شاء الله لا يتعدونه، ولكن الأمر في ذلك كان عندهم إن شاء الله على ما ذكرت، فأما قريش من بين العرب، فإن آخر ما حصلت من تأريخها قبل هجرة النبي ص من مكة إلى المدينة على التأريخ بعام الفيل، وذلك عام ولد رسول الله ص، وكان بين عام الفيل والفجار عشرون سنة، وبين الفجار وبناء الكعبة خمس عشرة سنة، وبين بناء الكعبة ومبعث النبي ص خمس سنين.

قال أبو جعفر: وبعث رسول الله ص وهو ابن أربعين سنة، وقرن بنبوته - كما قال الشعبي - ثلاث سنين: لإسرافيل، وذلك قبل أن يؤمر بالدعاء وإظهاره على ما قدمنا الرواية والإخبار به، ثم قرن بنبوته جبريل ع بعد السنين الثلاث، وأمره بإظهار الدعوة إلى الله، فأظهرها، ودعا إلى الله مقيما بمكة عشر سنين، ثم هاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول من سنة أربع عشرة من حين استنبي، وكان خروجه من مكة إليها يوم الاثنين، وقدمه المدينة يوم الاثنين، لمضي اثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الأول

حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ، عَنْ ابْنِ لُحَيْعَةَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ، عَنْ حَنْشِ الصَّنَعَانِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: وَلَدَ النَّبِيُّ ص يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَأَسْتُنِيَّ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَرَفَعَ الْحَجَرَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَخَرَجَ مُهَاجِرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَقَبِضَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ.

قال أبو جعفر: فإذا كان الأمر في تأريخ المسلمين كالذي وصفت، فإنه وإن كان من الهجرة، فإن ابتداءهم إياه قبل مقدم النبي ص المدينة بشهرين وأيام، هي اثنا عشر، وذلك أن أول السنة المحرم، وكان قدوم النبي ص المدينة، بعد مضي ما ذكرت من السنة، ولم يؤرخ التاريخ من وقت قدومه، بل من أول تلك السنة

٢٠٧٠٨ ذكر ما كان من الأمور المذكورة في أول سنه من الهجرة

خطبه رسول الله ص في أول جمعه جمعها بالمدينة

ذكر ما كان من الأمور المذكورة في أول سنة من الهجرة

قال أبو جعفر: قد مضى ذكرنا وقت مقدم النبي ص المدينة، وموضعه الذي نزل فيه حين قدمها، وعلى من كان نزوله، وقدر مكثه في الموضع الذي نزل، وخبر ارتحاله عنه، ونذكر الآن ما لم نذكر قبل مما كان من الأمور المذكورة في بقية سنة قدومه، وهي السنة الأولى

من المهجره.

فمن ذلك تجميعه ص بأصحابه الجمعة، في اليوم الذي ارتحل فيه من قباء، وذلك أن ارتحاله عنها كان يوم الجمعة عامدا المدينة، فأدركته الصلاة، صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف، بطن واد لهم- قد اتخذ اليوم في ذلك الموضع مسجدا- فيما بلغني- وكانت هذه الجمعة، أول جمعة جمعها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الإسلام، فخطب في هذه الجمعة، وهي أول خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل خطبه رسول الله ص في أول جمعة جمعها بالمدينة

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُمَحِيُّ، أَنَّهُ بَلَّغَهُ عَنْ خُطْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي أَوَّلِ جُمُعَةٍ صَلَّاهَا بِالْمَدِينَةِ فِي بَنِي سَالِمٍ بْنِ عَوْفٍ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ، وَأَسْتَغْفِرُهُ وَأَسْتَهْدِيهِ، وَأُؤْمِنُ بِهِ وَلَا أَكْفُرُهُ، وَأُعَادِي مَنْ يَكْفُرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَالنُّورِ وَالْمَوْعِظَةِ، عَلَى قِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَقِلَّةٍ مِنَ

الْعِلْمِ، وَضَلَالَةٍ مِنَ النَّاسِ، وَأَنْقِطَاعٍ مِنَ الزَّمَانِ، وَدُنُوٍّ مِنَ السَّاعَةِ، وَقُرْبٍ مِنَ الْأَجَلِ، مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى وَفَرَطَ، وَضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا [وَأَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ مِمَّا أَوْصَى بِهِ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ]، أَنْ يُحْضَهُ عَلَى الْآخِرَةِ، وَأَنْ يَأْمُرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَاحْذَرُوا مَا حَذَرَكُمُ اللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَلَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ نَصِيحَةً، وَلَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ذِكْرًا، وَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ لِمَنْ عَمِلَ بِهِ عَلَى وَجَلٍ وَمَخَافَةٍ مِنْ رَبِّهِ، عَوْنٌ صِدْقٍ عَلَى مَا تَبْغُونَ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ [وَمَنْ يُصْلِحْ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ مِنْ أَمْرِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، لَا يَنْوِي بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ يَكُنْ لَهُ ذِكْرًا فِي عَاجِلِ أَمْرِهِ، وَذُخْرًا فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ]، حِينَ يَفْتَقَرُ الْمَرْءُ إِلَى مَا قَدَّمَ، وَمَا كَانَ مِنْ سِوَى ذَلِكَ يُوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا، وَيَحْذَرُ كُرَّ اللَّهِ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ.

وَالَّذِي صَدَقَ قَوْلُهُ، وَأَنْجَزَ وَعْدَهُ، لَا خُلْفَ لَذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ:

«مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي عَاجِلِ أَمْرِكُمْ وَأَجَلِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ، وَيَعْظُمَ لَهُ أَجْرًا، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا وَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ يُوَفِّي مَقْتَهُ، وَيُوَفِّي عَقُوبَتَهُ، وَيُوَفِّي سَخَطَهُ، وَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ يَبِيضُ الْوُجُوهَ، وَيَرْضِي الرَّبَّ، وَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ.

خُذُوا بِحَظِّكُمْ، وَلَا تَفَرِّطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ، قَدْ عَلَّمَكُمُ اللَّهُ كِتَابَهُ، وَنَهَجَ لَكُمْ سَبِيلَهُ، لِيَعْلَمَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَيَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ فَأَحْسِنُوا كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ، وَعَادُوا أَعْدَاءَهُ، وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَسَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ [فَاكْثُرُوا ذِكْرَ اللَّهِ، وَاعْمَلُوا لِمَا بَعْدَ الْيَوْمِ]، [فَإِنَّهُ مَنْ يُصْلِحْ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ يَكْفِهِ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ]، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يَقْضِي عَلَى النَّاسِ وَلَا يَقْضُونَ عَلَيْهِ، وَمِلْكُ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ!

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص رَكِبَ نَاقَتَهُ، وَأَرْخَى لَهَا الزِّمَامَ، فَجَعَلَتْ لَا تَمُرُّ بِدَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا دَعَاهُ أَهْلُهَا إِلَى النُّزُولِ عِنْدَهُمْ، وَقَالُوا لَهُ: هَلُمَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِلَى الْعِدَدِ وَالْعُدَّةِ وَالْمَنْعَةِ، [فيقول لهم ص: خَلُّوا زِمَامَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ]، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَوْضِعِ مَسْجِدِهِ الْيَوْمَ، فَبَرَكْتَ عَلَى بَابِ مَسْجِدِهِ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ مَرْبِدٌ لِلْعُلَامِينَ يَتِيمِينَ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ فِي حِجْرِ مُعَاذِ بْنِ عَفْرَاءَ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا سَهْلٌ وَلِلْآخَرِ سَهْلِيلٌ، أَبَا عَمْرٍو بْنِ عَبَادِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ غَنَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ فَلَمَّا بَرَكْتَ لَمْ يَنْزِلْ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ص، ثُمَّ وَثَبَتْ فَسَارَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ص وَاضِعٌ لَهَا زِمَامَهَا لَا يُثْنِيهَا بِهِ، ثُمَّ التَفَتَتْ خَلْفَهَا، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَبْرَكِهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَبَرَكْتَ فِيهِ وَوَضَعْتَ جِرَانَهَا، وَنَزَلَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ص، فَاحْتَمَلَ أَبُو أَيُّوبَ رَحْلَهُ، فَوَضَعَهُ فِي بَيْتِهِ، فَدَعَتْهُ الْأَنْصَارُ إِلَى

التَّزْوِيلِ عَلَيْهِمْ، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: الْمَرْءُ مَعَ رَحْلِهِ] فَزَلَّ عَلَى أَبِي أَيُّوبَ خَالِدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَلْبٍ، فِي بَنِي غَنَمِ بْنِ النَّجَّارِ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَنِ الْمَرْبِدِ لِمَنْ هُوَ؟ فَأَخْبَرَهُ مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ، وَقَالَ: هُوَ لِبَنِي غَنَمِ بْنِ النَّجَّارِ، سَأَرَضِيهِمَا فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ص أَنْ يُبْنَى مَسْجِدًا، وَزَلَّ عَلَى أَبِي أَيُّوبَ، حَتَّى بَنِيَ مَسْجِدَهُ وَمَسَاكِنَهُ وَقِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص اشْتَرَى مَوْضِعَ مَسْجِدِهِ، ثُمَّ بَنَاهُ. وَالصَّحِيحُ عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ، مَا حَدَّثَنَا مُجَاهِدُ بْنُ مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا

يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ مَوْضِعَ مَسْجِدِ النَّبِيِّ ص لِبَنِي النَّجَّارِ، وَكَانَ فِيهِ نَخْلٌ وَحَرْتُ وَقُبُورٌ مِنْ قُبُورِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص: ثَامِنُونِي بِهِ، فَقَالُوا: لَا نَبْتَغِي بِهِ ثَمَنًا إِلَّا مَا عِنْدَ اللَّهِ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِالنَّخْلِ قُطِّعَ، وَبِالْحَرْتِ فُافْسِدَ، وَبِالْقُبُورِ فُنْبِشَتْ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَبْلَ ذَلِكَ يُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ، وَحَيْثُ أَدْرَكَتَهُ الصَّلَاةُ.

قال أبو جعفر: وتولى بناء مسجد ص هو بنفسه وأصحابه من المهاجرين والأنصار. وفي هذه السنة بني مسجد قباء.

وكان أول من توفي بعد مقدمه المدينة من المسلمين - فيما ذكر - صاحب منزله كلثوم بن الهدم، لم يلبث بعد مقدمه إلا يسيرا حتى مات. ثم توفي بعده أسعد بن زرارة في سنة مقدمه، أبو أمانة وكانت وفاته قبل أن يفرغ رسول الله ص من بناء مسجده، بالذبحة والشبهة فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن، [أن رسول الله ص قال: بسئس الميت أبو أمانة اليهود ومنافقي العرب! يقولون: لو كان محمد نبيا لم يمت صاحبه، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئا]

وقد حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا يزيد بن زريع، عن معمر، عن الزهري، عن أنس، أن النبي ص كوى أسعد ابن زرارة من الشوكة.

قال ابن حميد، قال سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري أنه لما مات أبو أمانة أسعد بن زرارة، اجتمعت بنو النجار إلى رسول الله ص - وكان أبو أمانة نقيبهم - فقالوا: يا رسول الله، إن هذا الرجل قد كان منا حيث قد علمت، فأجعل منا رجلا مكانه، يقيم من أمرنا ما كان يقيمه، [فقال لهم رسول الله ص: أنتم أخوالي وأنا منكم، وأنا نقيبكم].

قال: وكره رسول الله ص أن يخص بها بعضهم دون بعض، فكان من فضل بني النجار الذي تعد على قومهم، أن رسول الله ص كان نقيبهم.

وفي هذه السنة مات أبو أحيحة بماله بالطائف ومات الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي فيها بمكة. وفيها بنى رسول الله ص بعائشة بعد مقدمه المدينة ثمانية أشهر، في ذي القعدة في قول بعضهم، وفي قول بعض: بعد مقدمه المدينة بسبعة أشهر، في شوال، وكان تزوجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة خديجة وهي ابنة ست سنين، وقد قيل: تزوجها وهي ابنة سبع.

حدثنا عبد الحميد بن بيان السكري، قال: أخبرنا محمد بن يزيد، عن إسماعيل - يعني ابن أبي خالد - عن عبد الرحمن بن أبي الضحак، عن رجل من قريش، عن عبد الرحمن بن محمد، أن عبد الله بن صفوان وآخر معه أتيا عائشة، فقالت عائشة: يا فلان، أسمع حديث حفصة؟ قال لها: نعم يا أم المؤمنين، قال لها عبد الله بن صفوان: وما ذاك؟ قالت:

خَلَالَ فِي تِسْعٍ لَمْ تَكُنْ فِي أَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا آتَى اللَّهُ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ، وَاللَّهُ مَا أَقُولُ هَذَا نَفَرًا عَلَى أَحَدٍ مِنْ صَوَاحِي، قَالَ لَهَا: وَمَا هُنَّ؟

قَالَتْ: نَزَلَ الْمَلَكُ بِصُورَتِي، وَتَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ص لِسَبْعِ سِنِينَ، وَأُهِدِيْتُ إِلَيْهِ لِتِسْعِ سِنِينَ، وَتَزَوَّجَنِي بِكَرًا لَمْ يُشْرِكْهُ فِي أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ وَأَنَا وَهُوَ فِي لِحَافٍ وَاحِدٍ، وَكُنْتُ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَنَزَلَ فِي آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ كَادَتْ الْأُمَّةُ أَنْ تَهْلِكَ، وَرَأَيْتُ جَبْرِيلَ وَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنْ نِسَائِهِ غَيْرِي، وَقُبِضَ فِي بَيْتِي لَمْ يَلِهِ أَحَدٌ غَيْرُ الْمَلِكِ وَأَنَا قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ص - فِيمَا قِيلَ - فِي شَوَالٍ، وَبَنَى بِهَا حِينَ بَنَى بِهَا فِي شَوَالٍ.
ذَكَرَ الرِّوَايَةَ بِذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ص فِي شَوَالٍ، وَبَنَى بِي فِي شَوَالٍ.

وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَسْتَحِبُّ أَنْ يَبْنَى بِالنِّسَاءِ فِي شَوَالٍ
حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ص فِي شَوَالٍ، وَبَنَى بِي فِي شَوَالٍ، فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ كَانَتْ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي! وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَسْتَحِبُّ أَنْ يَدْخُلَ بِالنِّسَاءِ فِي شَوَالٍ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقِيلَ: إِنْ رَسُولُ اللَّهِ ص بَنَى بِهَا فِي شَوَالٍ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، فِي مَنْزِلِ أَبِي بَكْرٍ بِالسَّنَحِ.
وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بَعَثَ النَّبِيُّ ص إِلَى بَنَاتِهِ وَزَوْجَتِهِ سُودَةَ بِنْتُ زَمْعَةَ، زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَأَبَا رَافِعٍ، فَخَمَلَاهُنَّ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ.
وَلَمَّا رَجَعَ - فِيمَا ذَكَرَ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَرِيْقَطٍ إِلَى مَكَّةَ أَخْبَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بِمَكَانِ أَبِيهِ أَبِي بَكْرٍ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بَعِيَالُ أَبِيهِ إِلَيْهِ، وَصَحْبُهُمْ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، مَعَهُمْ أُمُّ رُومَانَ، وَهِيَ أُمُّ عَائِشَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى قَدَمُوا الْمَدِينَةَ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ زَيْدٌ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ - فِيمَا قِيلَ - رَكَعَتَانِ، وَكَانَتْ صَلَاةُ الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ رَكَعَتَيْنِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ص الْمَدِينَةَ بِشَهْرِ، فِي رَبِيعِ الْآخِرِ، لَمْضِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً مِنْهُ، زَعَمَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْحِجَازِ فِيهِ.
وَفِيهَا - فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ - وَلَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ وَفِي قَوْلِ الْوَاقِدِيِّ:

وَلَدَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ص الْمَدِينَةَ فِي شَوَالٍ
حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الْوَاقِدِيُّ: وَلَدَ ابْنُ الزَّيْبِرِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ بِعِشْرِينَ شَهْرًا بِالْمَدِينَةِ.
قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَكَانَ أَوَّلُ مَوْلُودٍ وَلَدَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فِي دَارِ الْهِجْرَةِ، فَكَبِرَ - فِيمَا ذَكَرَ - أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ص حِينَ وَلَدَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا قَدْ تَحَدَّثُوا أَنَّ الْيَهُودَ يَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ قَدْ سَحَرُوهُمْ فَلَا يُولِدُ لَهُمْ، فَكَانَ تَكْبِيرُهُمْ ذَلِكَ سُرُورًا مِنْهُمْ بِتَكْذِيبِ اللَّهِ الْيَهُودَ فِيمَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ.

وَقِيلَ: إِنْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، هَاجَرَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهِيَ حَامِلٌ بِهِ.
وَقِيلَ أَيْضًا: إِنْ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ وَلَدَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَإِنَّهُ أَوَّلُ مَوْلُودٍ وَلَدَ لِلْأَنْصَارِ بَعْدَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ص إِلَيْهِمْ، وَأَنْكَرَ ذَلِكَ الْوَاقِدِيُّ أَيْضًا.
حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الْوَاقِدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَهْلٍ بْنُ أَبِي حَتْمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: كَانَ أَوَّلُ مَوْلُودٍ مِنَ الْأَنْصَارِ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ، وَلَدَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ شَهْرًا، فَتَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ص وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِي سِنِينَ، أَوْ أَكْثَرَ قَلِيلًا.

قَالَ: وَوُلِدَ النُّعْمَانُ قَبْلَ بَدْرِ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ.
حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو، قَالَ: حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ، قَالَ: ذَكَرَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ عِنْدَ ابْنِ الزَّيْبِرِ، فَقَالَ: هُوَ أَسْنُ مِنْ بَسْتَةِ أَشْهُرٍ.

قال أبو الأسود: ولد ابن الزبير على رأس عشرين شهرا من مهاجر رسول الله ص، وولد النعمان على رأس أربعة عشر شهرا في ربيع الآخر. قال أبو جعفر: وقيل: إن المختار بن أبي عبيد الثقفي وزياد ابن سمية فيها ولدا.

قال: وزعم الواقدي ان رسول الله ص عقد في هذه السنة في شهر رمضان، على رأس سبعة أشهر من مهاجره، لحمة بن عبد المطلب لواء أبيض في ثلاثين رجلا من المهاجرين، ليعترض لعيات قريش، وأن حمزة لقي أبا جهل بن هشام في ثلاثائه رجل، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني فافترقوا، ولم يكن بينهم قتال وكان الذي يحمل لواء حمزة أبو مرثد.

وأن رسول الله ص عقد أيضا في هذه السنة، على رأس ثمانية أشهر من مهاجره في شوال، لعبدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف لواء أبيض، وأمره بالمسير إلى بطن رابع، وأن لواءه كان مع مسطح بن أثاثه، فبلغ ثنية المرة - وهي بناحية الحففة - في ستين من المهاجرين، ليس فيهم أنصاري، وأنهم التقوا هم والمشركون على ماء يقال له أحياء، فكان بينهم الرمي دون المسايقة. قال: وقد اختلفوا في أمير السرية، فقال بعضهم: كان أبو سفيان بن حرب، وقال بعضهم: كان مكرز بن حفص.

قال الواقدي: ورأيت التثبت على أبي سفيان بن حرب، وكان في مائتين من المشركين

قال: وفيها عقد رسول الله ص لسعد بن أبي وقاص إلى الخرار لواء أبيض يحمله المقداد بن عمرو في ذي القعدة وقال: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَرَجْتُ فِي عَشْرِينَ رَجُلًا عَلَى أَقْدَامِنَا - أَوْ قَالَ: وَاحِدٍ وَعَشْرِينَ رَجُلًا - فَكُنَّا نَكْمُنُ النَّهَارَ، وَنَسِيرُ اللَّيْلَ حَتَّى صَبَحْنَا الْخَرَارَ صَبِيحَ خَامِسِهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص، قَدْ عَهْدَ إِلَيَّ أَلَّا أَجَاوِزَ الْخَرَارَ، وَكَانَتْ الْعِيرُ قَدْ سَبَقَتْنِي قَبْلَ ذَلِكَ يَوْمٍ، وَكَانُوا سِتِينَ، وَكَانَ مِنْ مَعِ سَعْدٍ كُلُّهُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ.

قال أبو جعفر: وقال ابن إسحاق في أمر كل هذه السرايا التي ذكرت عن الواقدي قوله فيها غير ما قاله الواقدي، وأن ذلك كله كان في السنة الثانية من وقت التاريخ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْمَدِينَةَ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْهُ، فَأَقَامَ بِهَا مَا بَقِيَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ وَشَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ وَجُمَادَيْنِ وَرَجَبَ وَشَعْبَانَ وَرَمَضَانَ وَشَوَّالًا وَذَا الْقَعْدَةِ وَذَا الْحِجَّةِ - وَوَلَّى تِلْكَ الْحِجَّةَ الْمُشْرِكُونَ - وَالْحَرَمَ.

وَخَرَجَ فِي صَفَرٍ غَازِيًا عَلَى رَأْسِ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ، لِثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ، حَتَّى بَلَغَ وَدَّانَ، يُرِيدُ قُرَيْشًا وَبَنِي ضَمْرَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كَثَّانَةَ، وَهِيَ غَرْوَةُ الْأَبْوَاءِ، فَوَادَعَتْهُ فِيهَا بَنُو ضَمْرَةَ، وَكَانَ الَّذِي وَاْدَعَهُ مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ سَيِّدُهُمْ كَانَ فِي زَمَانِهِ ذَلِكَ، مُحَشَّيُّ بْنُ عَمْرٍو، رَجُلٌ مِنْهُمْ

قال: ثم رجع رسول الله ص إلى المدينة، ولم يلق كيدا، فأقام بها بقية صفر وصدرًا من شهر ربيع الأول.

وَبَعَثَ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ عُبَيْدَةَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ فِي ثَمَانِينَ أَوْ سِتِينَ رَاكِبًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، لَيْسَ فِيهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ أَحَدٌ، حَتَّى بَلَغَ أَحْيَاءَ مَاءٍ بِالْحِجَازِ بِأَسْفَلِ ثَنِيَّةِ الْمَرَّةِ، فَلَقِيَ بِهَا جَمْعًا عَظِيمًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ، إِلَّا أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ قَدْ رَمَى يَوْمَئِذٍ بِسَهْمٍ، فَكَانَ أَوَّلَ سَهْمٍ رُمِيَ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ.

ثُمَّ أَنْصَرَفَ الْقَوْمُ عَنِ الْقَوْمِ وَلِلْمُسْلِمِينَ حَامِيَةٌ، وَفَرَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ الْمُقْدَادُ بْنُ عَمْرِو الْبَهْرَانِيُّ حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ، وَعَتَبَةُ بْنُ غَرْوَانَ بْنِ جَابِرٍ حَلِيفُ بَنِي نَوْفَلٍ بْنِ عَبْدِ مَنَاةٍ - وَكَانَا مُسْلِمِينَ، وَلَكِنَّهُمَا خَرَجَا يَتَوَصَّلَانِ بِالْكَفَّارِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ - وَكَانَ عَلَى ذَلِكَ الْجَمْعِ عَكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ.

قال محمد: فَكَانَتْ رَايَةُ عُبَيْدَةَ - فِيمَا بَلَغَنِي - أَوَّلَ رَايَةٍ عَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ص فِي الْإِسْلَامِ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ يُزَعَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص كَانَ بَعَثَهُ حِينَ أَقْبَلَ مِنْ غَرْوَةِ الْأَبْوَاءِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ:

وَبَعَثَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ مِنْ نَاحِيَةِ الْعِصِ فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَهِيَ مِنْ أَرْضِ جُهَيْنَةَ لَيْسَ فِيهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ أَحَدٌ، فَلَقِيَ أَبَا جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ بِذَلِكَ السَّاحِلِ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ رَاكِبٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَحَجَزَ بَيْنَهُمْ مَجْدِي بْنُ عَمْرِو الْجُهَيْنِيُّ، وَكَانَ مُوَادِعًا لِلْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا، فَانْصَرَفَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ.

قَالَ: وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَقُولُ: كَانَتْ رَايَةُ حَمْزَةَ أَوَّلَ رَايَةٍ عَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ص لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ أَنَّ بَعَثَهُ وَبَعَثَ عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ كَانَا مَعًا، فَشَبَّهَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ.

قَالَ: وَالَّذِي سَمِعْنَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عِنْدَنَا أَنَّ رَايَةَ عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ كَانَتْ أَوَّلَ رَايَةٍ عُقِدَتْ فِي الْإِسْلَامِ.

قَالَ: ثُمَّ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ص فِي شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ، يُرِيدُ قُرَيْشًا، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَوَاطٍ مِنْ نَاحِيَةِ رَضَوَى رَجَعَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا، فَلَبِثَ بَقِيَّةَ شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ وَبَعْضَ جُمَادَى الْأُولَى.

ثُمَّ غَزَا يُرِيدُ قُرَيْشًا، فَسَلَكَ عَلَى نَقَبِ بَنِي دِينَارِ بْنِ النَّجَّارِ، ثُمَّ عَلَى فَيْفَاءِ الْخُبَّارِ، فَزَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ بِبَطْحَاءِ ابْنِ أَزْهَرَ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ السَّاقِ، فَصَلَّى عِنْدَهَا، فَثَمَّ مَسَجَدُهُ وَصُنِعَ لَهُ عِنْدَهَا طَعَامٌ فَأَكَلَ مِنْهُ وَأَكَلَ النَّاسُ مَعَهُ، فَمَوْضِعُ أَثَانِي الْبَرْمَةِ مَعْلُومٌ هُنَاكَ وَاسْتَقَى لَهُ مِنْ مَاءٍ بِهِ يُقَالُ لَهُ الْمُسْتِزْبُ ثُمَّ ارْتَحَلَ فَتَرَكَ الْخَلَائِقَ بَيْسَارَ، وَسَلَكَ شُعْبَةً يُقَالُ لَهَا شُعْبَةُ عَبْدِ اللَّهِ - وَذَلِكَ اسْمُهَا الْيَوْمَ - ثُمَّ صَبَّ لَيْسَارَ، حَتَّى هَبَطَ لَيْلًا، فَزَلَّ بِمُجْتَمَعِهِ وَمُجْتَمَعَ الضُّبُوعَةِ، وَاسْتَقَى لَهُ مِنْ بَثْرِ بِالضُّبُوعَةِ ثُمَّ سَلَكَ الْفَرَشَ، فَرَشَ مَلًا، حَتَّى لَقِيَ الطَّرِيقَ بِصَخِيرَاتِ الْيَمَامِ ثُمَّ اعْتَدَلَ بِهِ الطَّرِيقُ حَتَّى

زَلَّ الْعَشِيرَةَ مِنْ بَطْنِ يَنْبَعٍ، فَأَقَامَ بِهَا بَقِيَّةَ جُمَادَى الْأُولَى وَلَيَالِي مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَوَادَعَ فِيهَا بَنِي مُدَلَجٍ وَحُلَفَاءَهُمْ مِنْ بَنِي ضَمْرَةَ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا. وَفِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مَا قَالَ.

قَالَ: فَلَمْ يَقُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص حِينَ قَدِمَ مِنْ غَزْوَةِ الْعَشِيرَةِ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا لَيْلِي قَلَائِلَ لَا تَبْلُغُ الْعُشْرَ، حَتَّى أَغَارَ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ الْفَهْرِيُّ عَلَى سَرْجِ الْمَدِينَةِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي طَلَبِهِ، حَتَّى بَلَغَ وَادِيًا يُقَالُ لَهُ سَفَوَانُ مِنْ نَاحِيَةِ بَدْرٍ، وَفَاتَهُ كُرْزٌ فَلَمْ يَدْرِكْهُ، وَهِيَ غَزْوُ بَدْرِ الْأُولَى، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَقَامَ بِهَا بَقِيَّةَ جُمَادَى الْآخِرَةِ وَرَجَبَ وَشَعْبَانَ وَقَدْ كَانَ بَعَثَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ فِي ثَمَانِيَةِ رَهْطٍ.

وَزَعَمَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنِي السَّنَةَ الْأُولَى مِنَ الْهِجْرَةِ - جَاءَ أَبُو قَيْسٍ بْنُ الْأَسَلْتِ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ص الْإِسْلَامَ، فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ! أَنْظِرْ فِي أَمْرِي، ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْكَ فَلَقِيَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي، فَقَالَ لَهُ: كَرِهْتُ وَاللَّهِ حَرْبَ الْخَزَرَجِ! فَقَالَ أَبُو قَيْسٍ: لَا أَسْلِمُ سَنَةً، فَاتَتْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ

٢٠٧٠٩ السنة الثانية من الهجرة

ثم كانت

السنة الثانية من الهجرة

فغزا رسول الله ص - في قول جميع أهل السير - فيها، في ربيع الأول بنفسه غزوة الأبواء - ويقال ودان - وبينهما ستة أميال هي بجذائها، واستخلف رسول الله ص على المدينة حين خرج إليها سعد بن عباد بن دليم وكان صاحب لوائه في هذه الغزاة حمزة بن عبد المطلب،

وكان لواءه- فيما ذكر- أبيض. وقال الواقدي: كان مقامه بها خمس عشرة ليلة، ثم قدم المدينة. قال الواقدي: ثم غزا رسول الله ص في مائتين من أصحابه، حتى بلغ بواط في شهر ربيع الأول، يعترض لعيرات قريش، وفيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش، والفان وخمسمائة بعير ثم رجع ولم يلق كيذا. وكان يحمل لواءه سعد بن أبي وقاص، واستخلف على المدينة سعد ابن معاذ في غزوته هذه. قال: ثم غزا في ربيع الاول في طلب كرز بن جابر الفهري في المهاجرين، وكان قد أغار على سرح المدينة، وكان يرعى بالجماء فاستاقه، فطلبه رسول الله ص حتى بلغ بدرًا فلم يلحقه، وكان يحمل لواءه علي بن أبي طالب ع واستخلف على المدينة زيد بن حارثة

غزوه ذات العشيره

غزوه ذات العشيره

قال: وفيها خرج رسول الله ص يعترض لعيرات قريش حين أبدأت إلى الشام في المهاجرين- وهي غزوة ذات العشيرة- حتى بلغ ينبع، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، وكان يحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ عُمَرَ بْنِ خَالِدِ الرَّقِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ خُثَيْمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُوكَ يَزِيدُ بْنُ خُثَيْمٍ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ كُنْتُ أَنَا وَعَلِي رَفِيقَيْنِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي غَزْوَةِ الْعَشِيرَةِ، فَتَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَرَأَيْنَا رَجُلًا مِنْ بَنِي مُدَلْجٍ يَعْمَلُونَ فِي نَخْلٍ لَهُمْ، فَقُلْتُ: لَوْ انْطَلَقْنَا! فَظَنَرْنَا إِلَيْهِمْ كَيْفَ يَعْمَلُونَ، فَانْطَلَقْنَا فَظَنَرْنَا إِلَيْهِمْ سَاعَةً، ثُمَّ غَشَيْنَا النَّعَاسَ، فَعَمَدْنَا إِلَى صُورٍ مِنَ النَّخْلِ، فَمِنَّمَا تَحْتَهُ فِي دَقْعَاءٍ مِنَ التُّرَابِ، فَمَا أَتَقَطْنَا إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ص، أَتَانَا وَقَدْ تَرَبَّنَا فِي ذَلِكَ التُّرَابِ، [فَحَرَّكَ عَلَيْنَا بِرِجْلِهِ، فَقَالَ: قُمْ يَا أَبَا تُرَابٍ، أَلَا أَخْبَرُكَ بِأَشَقَى النَّاسِ؟

أَحْمَرُ ثُمُودَ عَاقِرِ النَّاقَةِ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذَا - يَعْنِي قَرْنَهُ- فَيَخْضِبُ هَذِهِ مِنْهَا، وَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ] .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ خُثَيْمٍ الْمُحَارِبِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خُثَيْمٍ - وَهُوَ أَبُو يَزِيدَ - عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَعَلِي رَفِيقَيْنِ، فَذَكَرْ نَحْوَهُ.

وقد قيل في ذلك غير هذا القول، وذلك ما حَدَّثَنِي بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْمُحَارِبِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قِيلَ لِسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: إِنَّ بَعْضَ أَمْرَاءِ الْمَدِينَةِ يُرِيدُ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْكَ نَسْبٌ عَلِيًّا عِنْدَ الْمَنِيرِ، قَالَ: أَقُولُ مَاذَا؟ قَالَ: تَقُولُ: أَبَا تُرَابٍ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا سَمَاهُ بِذَلِكَ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ص، قَالَ: قُلْتُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ؟ قَالَ: دَخَلَ عَلِيٌّ عَلَى فَاطِمَةَ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا، فَاضْطَجَعَ فِي فِيءِ الْمَسْجِدِ قَالَ: ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَلَى فَاطِمَةَ، فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ ابْنُ عَمِّكَ؟ فَقَالَتْ: هُوَ ذَاكَ مُضْطَجِعٌ فِي الْمَسْجِدِ، قَالَ: لَجَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَوَجَدَهُ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ ظَهْرِهِ، وَخَلَصَ التُّرَابُ إِلَى ظَهْرِهِ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ التُّرَابَ عَنْ ظَهْرِهِ، وَيَقُولُ: اجْلِسْ أَبَا تُرَابٍ فَوَاللَّهِ مَا سَمَاهُ بِهِ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ص، وَوَاللَّهِ مَا كَانَ لَهُ اسْمٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُ!

سريه عبد الله بن جحش

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة في صفر، لليال بقين منه، تزوج علي بن أبي طالب ع فاطمة رضي الله عنها، حدثت بذلك، عن محمد بن عمر، قال: حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن أبي جعفر

. سريه عبد الله بن جحش

قال أبو جعفر الطبري: ولما رجع رسول الله ص من طلب كرز بن جابر الفهري إلى المدينة، وذلك في جمادى الآخرة، بعث في رجب عبد الله بن جحش معه ثمانية رهط من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثني الزهري وي زيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، بذلك.

وأما الواقدي فإنه زعم أن رسول الله ص بعث عبد الله بن جحش سريه في اثني عشر رجلاً من المهاجرين رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق، عن الزهري وي زيد بن رومان، عن عروة، قال: وكتب رسول الله ص له كتاباً - يعني

لعبد الله بن جحش - وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه فيمضي له أمره به، ولا يستكره أحدًا من أصحابه، فلما سار عبد الله بن جحش يومين، فتح الكتاب، ونظر فيه، فإذا فيه: وإذا نظرت في كتابي هذا، فسر حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً، وتعلم لنا من أخبارهم فلما نظر عبد الله في الكتاب، قال: سمع وطاعة، ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ص أن أمضي إلى نخلة، فأرصد بها قريشاً حتى آتية منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحدًا منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة، ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فإض لأمر رسول الله ص.

فمضى ومضى معه أصحابه، فلم يخلف عنه منهم أحد، وسلك على الحجاز، حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بجران، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقانه، فتخلفا عليه في طلبه ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل نخلة، فمرت به عير لقريش تحمل زبيبا وأدماً وتجارة من تجارة قريش فيها، منهم عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميان، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة.

فلما راهم القوم هابوهم، وقد نزلوا قريباً منهم، فاشرف لهم عكاشة بن محصن - وقد كان حلق رأسه - فلما راوه أمنوا، وقالوا: عمار لا بأس عليكم منهم وتشاور القوم فيهم، وذلك في آخر يوم من رجب،

فقال القوم: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم، فليمتنعن به منكم، ولئن قتلتموهن لتقتلنهم في الشهر الحرام فتردد القوم، وهابوا الإقدام عليهم، ثم تشجعوا عليهم، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ ما معهم، فرمى وأقذ بن عبد الله التيمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، وأفلت نوفل بن عبد الله فأعجزهم، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعبير والأسيرين، حتى قدموا على رسول الله ص بالمدينة.

قال: وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش، أن عبد الله بن جحش، قال لأصحابه: إن لرسول الله ص مما غنمتم الخمس - وذلك قبل أن يفرض الله من الغنائم الخمس - فعزل لرسول الله ص خمس الغنيمة، وقسم سائرهما بين أصحابه، فلما قدموا على رسول الله ص، [قال: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام] فوقف العبير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً.

فلما قال ذلك رسول الله ص سقط في أيدي القوم، وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنفهم المسلمون فيما صنعوا وقالوا لهم: صنعتم ما لم تؤمروا به، وقتلتم في الشهر الحرام ولم تؤمروا بقتال! وقالت قريش:

قَدْ اسْتَحْلَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ الشَّهْرَ الْحَرَامَ، فَسَفَكُوا فِيهِ الدَّمَ وَأَخَذُوا فِيهِ الْأَمْوَالَ، وَأَسْرَوْا فِيهِ الرِّجَالَ فَقَالَ مَنْ يَرِدُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ كَانَ بِمَكَّةَ: إِنَّمَا أَصَابُوا مَا أَصَابُوا فِي شَعْبَانَ وَقَالَتْ يَهُودُ، تَفَاعَلْ بِذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص: عَمْرُو بْنُ الْحَضَرَمِيِّ قَتَلَهُ وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: عَمْرُو عَمَرَتِ الْحَرْبُ، وَالْحَضَرَمِيُّ حَضَرَتِ الْحَرْبُ، وَوَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَقَدَّتِ الْحَرْبُ، لَجَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ. فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولِهِ ص

: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ» الْآيَةَ.

فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ بِهَذَا مِنَ الْأَمْرِ وَفَرَّجَ اللَّهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الشَّفَقِ، قَبَضَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْعِيرَ وَالْأَسِيرِينَ. وَبَعَثَ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ فِي فِدَاءِ عَثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَالْحَكَمِ بْنِ كَيْسَانَ، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لَا نُفْدِيكُمُوهُمَا، حَتَّى يَقْدَمَ صَاحِبَانَا- يَعْنِي سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ- فَإِنَّا نَخْشَاكُمْ عَلَيْهِمَا، فَإِنْ تَقَتَّلُوهُمَا نَقْتُلُ صَاحِبَيْكُمْ] فَقَدِمَ سَعْدٌ وَعُتْبَةُ، فَفَادَاهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْهُمْ، فَأَمَّا الْحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ فَأَسْلَمَ فَحَسَنَ إِسْلَامَهُ، وَأَقَامَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ بَرْ مَعُونَةَ شَهِيدًا قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَخَالَفَ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْقِصَّةِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَالْوَاقِدِيُّ جَمِيعًا السُّدِّيُّ، حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا اسْبَاطُ، عَنِ السُّدِّيِّ: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ»، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص بَعَثَ سَرِيَّةً وَكَانُوا سَبْعَةَ نَفَرٍ، عَلَيْهِمُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ الْأَسَدِيُّ وَفِيهِمْ عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ، وَأَبُو حَذِيفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ السُّلَمِيُّ حَلِيفُ لَبْنِي نَوْفَلٍ، وَسَهِيلُ بْنُ بَيْضَاءٍ، وَعَامِرُ بْنُ فَهَيْرَةَ، وَوَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْيَرْبُوعِيُّ، حَلِيفُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَكَتَبَ مَعَ ابْنِ جَحْشٍ كِتَابًا وَامَرَهُ أَنْ يَقْرَأَهُ حَتَّى يَنْزِلَ بَطْنُ مَلَلٍ، فَلَمَّا نَزَلَ بَطْنُ مَلَلٍ فَتَحَ الْكِتَابَ، فَإِذَا فِيهِ: أَنْ سِرَ حَتَّى تَنْزِلَ بَطْنُ نَخْلَةٍ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: مَنْ كَانَ يُرِيدُ

الْمَوْتَ فَلْيَمُضِ وَلْيُوصِ، فَإِنِّي مُوصٍ وَمَاضٍ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَسَارَ وَتَخَلَّفَ عَنْهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، أَضَلَا رَاحِلَةً لَهُمَا، فَأَتَيَا بِحَرَّانَ يُطْلَبَانَهَا، وَسَارَ ابْنُ جَحْشٍ إِلَى بَطْنِ نَخْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِالْحَكَمِ بْنِ كَيْسَانَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ عَثْمَانَ، وَعَمْرُو بْنُ الْحَضَرَمِيِّ، فَاقْتَتَلُوا، فَأَسْرَوْا الْحَكَمَ بْنَ كَيْسَانَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُغِيرَةِ، وَأَنْقَلَتِ الْمُغِيرَةُ، وَقَتَلَ عَمْرُو بْنُ الْحَضَرَمِيِّ، قَتَلَهُ وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ.

فَكَانَتْ أَوَّلُ غَنِيمَةٍ غَنِمَهَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ص.

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ بِالْأَسِيرِينَ وَمَا أَصَابُوا مِنَ الْأَمْوَالَ، أَرَادَ أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يُفَادُوا الْأَسِيرِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ص: حَتَّى نَنْظُرَ مَا فَعَلَ صَاحِبَانَا: فَلَمَّا رَجَعَ سَعْدٌ وَصَاحِبُهُ فَادَى بِالْأَسِيرِينَ، فَفَجَرَ عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ، وَقَالُوا: مُحَمَّدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَتَّبِعُ طَاعَةَ اللَّهِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اسْتَحْلَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ، وَقَتَلَ صَاحِبَانَا فِي رَجَبٍ! فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: إِنَّمَا قَتَلْنَاهُ فِي جُمَادَى- وَقِيلَ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَجَبٍ وَآخِرِ لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى- وَغَدَمَ الْمُسْلِمُونَ سِيوفَهُمْ حِينَ دَخَلَ رَجَبٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَعِيرُ أَهْلَ مَكَّةَ: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ» الْآيَةَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَدْ قِيلَ إِنَّ النَّبِيَّ ص كَانَ

ذَكَرَ بَقِيَّةَ مَا كَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ سَنَى الْهَجْرَةِ

اتَّعَدَّ لِهَذَا الْمَسِيرِ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ فِيهِ، فَدَبَّ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ.

ذَكَرَ الْخَبْرَ بِذَلِكَ:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ رَجُلٌ عَنْ أَبِي السَّوَارِ، يُحَدِّثُهُ عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ

رسول الله ص أنه بعث رهطاً، فبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح، فلما أخذ لينطلق بكى صباة إلى رسول الله ص، فبعث رجلاً مكانه يقال له عبد الله بن جحش، وكتب له كتاباً وأمره ألا يقرأ الكتاب حتى يبلغ كذا وكذا: ولا تكرهن أحداً من أصحابك على السير معك فلما قرأ الكتاب استرجع، ثم قال: سمعاً وطاعة لأمر الله ورسوله! فحبرهم بالخبر، وقرأ عليهم الكتاب، فرجع رجلان ومضى بقيتهم، فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه، ولم يدروا ذلك اليوم من رجب أو من جمادى! فقال المشركون للمسلمين: فاعلموا كذا وكذا في الشهر الحرام! فاتوا النبي ص، فحدثوه الحديث، فانزل الله عز وجل: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ» إلى قوله: «وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ»، الْفِتْنَةُ هِيَ الشِّرْكُ.

وَقَالَ بَعْضُ الَّذِينَ أَظْنَهُ قَالَ: - كَانُوا فِي السَّرِيَّةِ: وَاللَّهِ مَا قَتَلَهُ إِلَّا وَاحِدٌ، فَقَالَ: إِنْ يَكُنْ خَيْرًا فَقَدْ وَلَيْتُ، وَإِنْ يَكُنْ ذَنْبًا فَقَدْ عَمِلْتُ ذِكْرَ بَقِيَةِ مَا كَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ سَنِي الْمُهْجَرَةِ

ومن ذلك ما كان من صرف الله عز وجل قبلة المسلمين من الشام إلى الكعبة، وذلك في السنة الثانية من مقدم النبي ص المدينة في شعبان. واختلف السلف من العلماء في الوقت الذي صرفت فيه من هذه السنة، فقال بعضهم - وهم الجمهور الأعظم: صرفت في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله ص المدينة. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثنا موسى بن هارون الهمداني، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي - في خبر ذكره - عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي ص: كَانَ النَّاسُ يُصَلُّونَ قَبْلَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ص الْمَدِينَةَ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ مُهَاجَرِهِ، كَانَ إِذَا صَلَّى رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ يَنْظُرُ مَا يُؤْمَرُ، وَكَانَ يُصَلِّي قَبْلَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، فَنَسَخَهَا الْكُعْبَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ص يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ قَبْلَ الْكُعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ»، الْآيَةَ.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق قال صرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله ص المدينة. وحدثت عن ابن سعد، عن الواقدي مثل ذلك وقال: صرفت القبلة في الظهر يوم الثلاثاء للنصف من شعبان قال أبو جعفر: وقال آخرون: إنما صرفت القبلة إلى الكعبة لستة عشر شهراً مضت من سني الهجرة. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثنا المثنى بن إبراهيم الأملي، قال: حدثنا الحجاج، قال: حدثنا همام بن يحيى، قال: سمعت قتادة، قال: كَانُوا يُصَلُّونَ نَحْوَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ص بِمَكَّةَ قَبْلَ هِجْرِهِ، وَبَعْدَ مَا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ وَجَّهَ بَعْدَ ذَلِكَ نَحْوَ الْكُعْبَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ زَيْدٍ يَقُولُ: اسْتَقْبَلَ النَّبِيُّ ص بَيْتَ الْمُقَدَّسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، فَلَبَّغَهُ أَنَّ يَهُودَ تَقُولُ: وَاللَّهِ مَا دَرَى مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ أَيْنَ قِبْلَتِهِمْ حَتَّى هَدَيْنَاهُمْ! فَكَرِهَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ص، وَرَفَعَ وَجْهَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ» الْآيَةَ.

قال أبو جعفر: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ فُرِضَ - فِيمَا ذَكَرَ - صَوْمُ رَمَضَانَ وَقِيلَ: إِنَّهُ فُرِضَ فِي شَعْبَانَ مِنْهَا وَكَانَ النَّبِيُّ ص حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، رَأَى يَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَسَأَلَهُمْ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ الْيَوْمَ الَّذِي غَرَّقَ اللَّهُ فِيهِ آلَ فِرْعَوْنَ، وَنَجَّى مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ مِنْهُمْ، فَقَالَ: لَنْ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْهُمْ فَصَامَ وَأَمَرَ النَّاسَ بِصَوْمِهِ، فَلَمَّا فُرِضَ صَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ، لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِصَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَلَمْ يَنْهَ عَنْهُ

وَفِيهَا أَمَرَ النَّاسَ بِإِخْرَاجِ زَكَاةِ الْفِطْرِ وَقِيلَ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ قَبْلَ يَوْمِ الْفِطْرِ يَوْمَ أَوْ يَوْمَيْنِ، وَأَمَرَهُمْ بِذَلِكَ.
وَفِيهَا خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى فَصَلَّى بِهِمْ صَلَاةَ الْعِيدِ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ خُرُوجِهِ خَرَجَهَا بِالنَّاسِ إِلَى الْمُصَلَّى لَصَلَاةِ الْعِيدِ وَفِيهَا- فِيمَا ذَكَرَ- حُمِلَتِ
الْعِزَّةُ لَهُ إِلَى الْمُصَلَّى فَصَلَّى إِلَيْهَا، وَكَانَتْ لِلزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ- كَانَ النَّجَاشِيُّ وَهَبَهَا لَهُ- فَكَانَتْ تُحْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الْأَعْيَادِ، وَهِيَ الْيَوْمَ فِيمَا
بَلَّغَنِي عِنْدَ الْمُؤَذِّنِينَ بِالْمَدِينَةِ.

وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةُ بَدْرِ الْكَبَرَى بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْكَفَّارِ مِنْ قُرَيْشٍ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْهَا.
ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ كَانَتْ الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ:

كَانَتْ وَقْعَةُ بَدْرِ يَوْمَ تِسْعَةِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ عَنَبَسَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ،
قَالَ:

اتَّسَمُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي تِسْعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَإِنَّهَا لَيْلَةُ بَدْرِ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرَةَ الْأَسَدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ حُجَيْرِ الثَّعْلِيِّ، عَنْ ابْنِ الْأَسْوَدِ
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: اتَّسَمُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي تِسْعِ عَشْرَةِ مِنْ رَمَضَانَ، فَإِنَّ صَبِيحَتَهَا كَانَتْ صَبِيحَةَ بَدْرِ.

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَحَارِبِيُّ، قَالَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ زَيْدٍ، أَنَّهُ كَانَ لَا يُحِبِّي لَيْلَةً مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ كَمَا يُحِبِّي لَيْلَةَ تِسْعِ عَشْرَةٍ وَثَلَاثَ
وَعَشْرِينَ، وَيُصْبِحُ وَجْهَهُ مُضْفَرًا مِنْ أَثَرِ السَّهْرِ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَّقَ فِي صَبِيحَتِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.
وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَتْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ صَبِيحَةَ سَبْعِ عَشْرَةِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ يُحَدِّثُ عَنْ حُجَيْرٍ، عَنْ ابْنِ الْأَسْوَدِ وَعَلَقَمَةَ، أَنَّ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، قَالَ: اتَّسَمُوهَا فِي سَبْعِ عَشْرَةٍ وَتِلَا هَذِهِ الْآيَةِ:

«يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ»، يَوْمَ بَدْرِ، ثُمَّ قَالَ: أَوْ تِسْعِ عَشْرَةٍ، أَوْ إِحْدَى وَعِشْرِينَ.

حَدَّثَنَا الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو، قَالَ: حَدَّثَنَا الثَّوْرِيُّ، عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ ابْنِ الْأَسْوَدِ،
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَتْ بَدْرُ صَبِيحَةِ تِسْعِ عَشْرَةٍ مِنْ رَمَضَانَ.

حَدَّثَنَا الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو، قَالَ: حَدَّثَنَا الثَّوْرِيُّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ ابْنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مِثْلَهُ.
قَالَ الْحَارِثُ: قَالَ ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ الْوَاقِدِيُّ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِمُحَمَّدِ بْنِ

صَالِحٍ، فَقَالَ: هَذَا أَعْجَبُ الْأَشْيَاءِ، مَا ظَنَنْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا شَكَّ فِي هَذَا، إِنَّهَا صَبِيحَةُ سَبْعِ عَشْرَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ.
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ: وَسَمِعْتُ عَاصِمَ بْنَ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ وَيَزِيدَ بْنَ رُوْمَانَ يَقُولَانِ ذَلِكَ قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ: يَا بَنَ أَخِي، وَمَا تَحْتَاجُ إِلَى
تَسْمِيَةِ الرِّجَالِ فِي هَذَا! هَذَا أَبِينُ مِنْ ذَلِكَ، مَا يَجْهَلُ هَذَا التَّسَاءُّ فِي بَيُوتِهِنَّ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: فَذَكَرْتُهُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزِّنَادِ، فَقَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، أَنَّهُ كَانَ يُحِبِّي لَيْلَةَ سَبْعِ
عَشْرَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَإِنْ كَانَ لِيُصْبِحُ وَعَلَى وَجْهِهِ أَثَرُ السَّهْرِ، وَيَقُولُ: فَرَّقَ اللَّهُ فِي صَبِيحَتِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَأَعَزَّ فِي صَبْحِهَا

الإسلام، وَأَنْزَلَ فِيهَا الْقُرْآنَ، وَأَذَلَ فِيهَا أُمَّةَ الْكُفْرِ.
وَكَانَتْ وَقْعَةُ بَدْرٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ ابْنِ وَاصِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ يَعْقُوبَ أَبُو طَالِبٍ، عَنْ أَبِي عَوْنٍ مُحَمَّدٍ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّقْفِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَبِيبٍ، قَالَ: قَالَ [قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: كَانَتْ لَيْلَةُ الْفُرْقَانِ
يَوْمَ التَّقِي، الْجَمْعَانِ، لِسَبْعِ عَشْرَةَ مِنْ رَمَضَانَ].
وَكَانَ الَّذِي هَاجَ وَقْعَةُ بَدْرٍ وَسَائِرَ الْحُرُوبِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَبَيْنَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ - فِيمَا قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ - مَا كَانَ مِنْ
قَتْلِ وَقْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيِّ عَمْرُو بْنُ الْحَضَرَمِيِّ

ذكر وقعه بدر الكبرى

ذكر وقعه بدر الكبرى
حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ بْنِ عَلِيٍّ، وَعَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ - قَالَ عَلِيٌّ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، وَقَالَ عَبْدُ
الْوَارِثِ: حَدَّثَنِي أَبِي - قَالَ: حَدَّثَنَا أَبَانُ الْعَطَّارُ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ عُرْوَةَ، أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ: أَمَّا بَعْدُ،
فَإِنَّكَ كَتَبْتَ إِلَيَّ فِي أَبِي سُفْيَانَ وَمَخْرَجِهِ، تَسْأَلُنِي كَيْفَ كَانَ شَأْنُهُ؟ كَانَ مِنْ شَأْنِهِ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَقْبَلَ مِنَ الشَّامِ فِي قَرِيبٍ
مِنْ سَبْعِينَ رَاكِبًا مِنْ قَبَائِلِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا، كَانُوا تِجَارًا بِالشَّامِ، فَأَقْبَلُوا جَمِيعًا مَعَهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَتِجَارَتُهُمْ، فَذَكُّوا لِرَسُولِ اللَّهِ ص وَأَصْحَابِهِ،
وَقَدْ كَانَتْ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَقَتَلْتُ قَتْلًا، وَقَتَلَ ابْنُ الْحَضَرَمِيِّ فِي نَاسٍ بَخْلَةً، وَأُسِرَتْ أُسَارَى مِنْ قُرَيْشٍ، فِيهِمْ بَعْضُ بَنِي
الْمُغِيرَةِ، وَفِيهِمْ ابْنُ كَيْسَانَ مَوْلَاهُمْ، أَصَابَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ وَوَأَقْدَ حَلِيفُ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ، فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ
ص بَعَثَهُمْ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْوَقْعَةُ هَاجَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَبَيْنَ قُرَيْشٍ، وَأَوَّلَ مَا أَصَابَ بِهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
مِنَ الْحَرْبِ، وَذَلِكَ قَبْلَ مَخْرَجِ أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ إِلَى الشَّامِ.

ثُمَّ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَقْبَلَ بَعْدَ ذَلِكَ وَمِنْ مَعَهُ مِنْ رُكَّانِ قُرَيْشٍ مُقْبِلِينَ مِنَ الشَّامِ، فَسَلَكَوا طَرِيقَ السَّاحِلِ، فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ص
نَدَبَ أَصْحَابَهُ وَحَدَّثَهُمْ بِمَا مَعَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَبِقِلَّةِ عَدَدِهِمْ، فَخَرَجُوا لَا يُرِيدُونَ إِلَّا أَبَا سُفْيَانَ وَالرَّكْبَ مَعَهُ، لَا يَرَوْنَهَا إِلَّا غَنِيمَةً لَهُمْ،
لَا يَظُنُّونَ أَنَّ يَكُونُ كَبِيرَ قِتَالٍ إِذَا لَقَوْهُمْ، وَهِيَ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا:

«وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ» .

فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ص معترضون له،
بَعَثَ إِلَى قُرَيْشٍ: إِنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ مُعْتَرِضُونَ لَكُمْ، فَأَجِيرُوا تِجَارَتَكُمْ فَلَمَّا أَتَى قُرَيْشًا الْخَبَرَ - وَفِي عِيرِ أَبِي سُفْيَانَ، مِنْ بَطُونِ كَعْبِ ابْنِ
لُؤَيٍّ كُلِّهَا - نَفَرُوا لَهَا أَهْلُ مَكَّةَ، وَهِيَ نَفَرَةٌ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، لَيْسَ فِيهَا مِنْ بَنِي عَامِرٍ أَحَدٌ إِلَّا مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ حِجْلٍ، وَلَمْ
يَسْمَعْ بِنَفَرِهِ رَسُولُ اللَّهِ ص وَلَا أَصْحَابَهُ، حَتَّى قَدِمَ النَّبِيُّ ص بَدْرًا - وَكَانَ طَرِيقُ رُكَّانِ قُرَيْشٍ، مَنْ أَخَذَ مِنْهُمْ طَرِيقَ السَّاحِلِ إِلَى
الشَّامِ - خَفِضَ أَبُو سُفْيَانَ عَنْ بَدْرٍ، وَلَزِمَ طَرِيقَ السَّاحِلِ، وَخَافَ الرِّصْدَ عَلَى بَدْرٍ، وَسَارَ النَّبِيُّ ص، حَتَّى عَرَسَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرٍ، وَبَعَثَ
النَّبِيُّ ص الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ فِي عِصَابَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى مَاءِ بَدْرٍ، وَلَيْسُوا بِحَسْبُونَ أَنَّ قُرَيْشًا خَرَجَتْ لَهُمْ، فَبَيْنَا النَّبِيُّ ص قَائِمٌ يُصَلِّي، إِذْ وَرَدَ
بَعْضُ رَوَايَا قُرَيْشٍ مَاءَ بَدْرٍ، وَفِيهِمْ وَرَدَ مِنَ الرُّوَايَا غُلَامٌ لِبَنِي الْحَجَّاجِ أَسْوَدُ، فَأَخَذَهُ النَّفَرُ الَّذِينَ بَعَثَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص مَعَ الزُّبَيْرِ إِلَى
المَاءِ، وَأَفَلَتْ بَعْضُ أَصْحَابِ الْعَبْدِ نَحْوَ قُرَيْشٍ، فَأَقْبَلُوا بِهِ حَتَّى أَتَوْا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ص وَهُوَ فِي مَعْرَسِهِ، فَسَأَلُوهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ،

لَا يَحْسِبُونَ إِلَّا أَنَّهُ مَعَهُمْ، فَطَفِقَ الْعَبْدُ يُحَدِّثُهُمْ عَنْ قُرَيْشٍ وَمَنْ خَرَجَ مِنْهَا، وَعَنْ رُءُوسِهِمْ، وَيَصَدِّقُهُمُ الْخَبَرَ، وَهُمْ أَكْرَهَ شَيْءٍ إِلَيْهِمُ الْخَبَرَ الَّذِي يُخْبِرُهُمْ، وَإِنَّمَا يَطْلُبُونَ حِينَئِذٍ بِالرَّكْبِ أَبَا سُفْيَانَ وَاصْحَابَهُ، وَالنَّبِيَّ صَ يَصِلِي، يَرْكَعُ وَيَسْجُدُ يَرَى وَيَسْمَعُ مَا يَصْنَعُ بِالْعَبْدِ، فَطَفِقُوا إِذَا ذَكَرُوا لَهُمْ أَنَّهَا قُرَيْشٌ جَاءَتْهُمْ، ضَرْبُهُ وَكَذْبُهُ، وَقَالُوا: إِنَّمَا تَكْتُمُنَا أَبَا سُفْيَانَ وَاصْحَابَهُ، فَجَعَلَ الْعَبْدُ إِذَا أَذْلَقُوهُ بِالضَّرْبِ وَسَأَلُوهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ وَاصْحَابِهِ- وَلَيْسَ لَهُ بِهِمْ عِلْمٌ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ رَوَايَا قُرَيْشٍ- قَالَ: نَعَمْ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ، وَالرَّكْبُ حِينَئِذٍ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوَّةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوَّةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ» - حَتَّى بَلَغَ- «أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا»، فَطَفِقُوا إِذَا قَالَ لَهُمُ الْعَبْدُ: هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَتَيْتُكُمْ ضَرْبُهُ، وَإِذَا قَالَ لَهُمْ: هَذَا أَبُو سُفْيَانَ تَرَكُوهُ.

فَلَمَّا رَأَى صَنِيعَهُمُ النَّبِيَّ صَ أَنْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ وَقَدْ سَمِعَ الَّذِي أَخْبَرَهُمْ، [فَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّمَا لَتَضْرِبُونَهُ إِذَا صَدَقَ، وَتَتْرَكُونَهُ إِذَا كَذَبَ!] قَالُوا: فَإِنَّهُ يُحَدِّثُنَا أَنَّ قُرَيْشًا قَدْ جَاءَتْ، قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ صَدَقَ، قَدْ خَرَجَتْ قُرَيْشٌ تُجِيرُ رُكَّابَهَا، فَدَعَا الْغُلَامَ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ بِقُرَيْشٍ، وَقَالَ: لَا عِلْمَ لِي بِأَبِي سُفْيَانَ، فَسَأَلَهُ: كَمْ الْقَوْمُ؟ فَقَالَ: لَا أَدْرِي، وَاللَّهِ هُمْ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ فَزَعَمُوا أَنَّ النَّبِيَّ صَ، قَالَ: مَنْ أَطْعَمَهُمْ أَوَّلَ مَنْ أَمْسَى؟

فَسَمَى رَجُلًا أَطْعَمَهُمْ، فَقَالَ: كَمْ جَزَائِرُ نَحْرَهُمْ؟ قَالَ: تِسْعَ جَزَائِرَ، قَالَ: فَمَنْ أَطْعَمَهُمْ أَمْسَى؟ فَسَمَى رَجُلًا، فَقَالَ: كَمْ نَحْرَهُمْ؟ قَالَ: عَشْرَ جَزَائِرَ، فَزَعَمُوا أَنَّ النَّبِيَّ صَ قَالَ: الْقَوْمُ مَا بَيْنَ التَّسْعِمَائَةِ إِلَى الْأَلْفِ فَكَانَ نَفْرَةً قُرَيْشٍ يَوْمَئِذٍ خَمْسِينَ وَتِسْعِمَائَةَ فَانْطَلَقَ النَّبِيُّ صَ فَتَزَلَ الْمَاءَ وَمَلَأَ الْحِيَاضَ، وَصَفَّ عَلَيْهَا أَصْحَابَهُ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ فَلَمَّا وَرَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَ بَدَا قَالَ: هَذِهِ مِصَارِعُهُمْ، فَوَجَدُوا النَّبِيَّ صَ قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَيْهِ وَنَزَلَ عَلَيْهِ فَلَمَّا طَلَعُوا عَلَيْهِ [زَعَمُوا أَنَّ النَّبِيَّ صَ قَالَ: هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ جَاءَتْ بِجَلْبَتِهَا وَخَفَرِهَا، تُحَادُّكَ وَتَكْذِبُ رَسُولَكَ! اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مَا وَعَدْتَنِي].

فَلَمَّا أَقْبَلُوا اسْتَقْبَلَهُمْ، حُثَا فِي وَجْهِهِمُ التُّرَابَ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ وَكَانُوا قَبْلَ أَنْ يَلْقَاهُمُ النَّبِيُّ صَ قَدْ جَاءَهُمْ رَاكِبٌ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ وَالرَّكْبِ الَّذِينَ مَعَهُ: أَنْ ارْجِعُوا- وَالرَّكْبُ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ قُرَيْشًا بِالرَّجْعَةِ بِالْخَفَةِ- فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّى تَنْزِلَ بَدْرًا، فَتَقِيمَ بِهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، وَبِرَانَا مِنْ غَشِينَا مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَرَانَا أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ وَمَا جَمَعْنَا فَيَقَاتِلُنَا وَهُمْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ»، فَالْتَقُوا هُمُ وَالنَّبِيُّ صَ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَأَخْرَجَ أُمَّةَ الْكُفْرِ وَشَفَى صُدُورَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ. حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ الْمِقْدَامِ، قَالَ:

حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ حَارِثَةَ، عَنْ عَلِيٍّ عَ، قَالَ: لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَصَبْنَا مِنْ ثَمَارِهَا، فَاجْتَوَيْنَاهَا، وَأَصَابَنَا بِهَا وَعَكٌ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَ يَخْبِرُ عَنْ بَدْرٍ، فَلَمَّا بَلَغْنَا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَقْبَلُوا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَ إِلَى بَدْرٍ- وَبَدْرٌ بُرٌّ- فَسَبَقْنَا الْمُشْرِكِينَ إِلَيْهَا، فَوَجَدْنَا فِيهَا رَجُلَيْنِ، مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَمَوْلَى لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَأَمَّا الْقُرَشِيُّ فَأَنْفَلَتْ، وَأَمَّا مَوْلَى عُقْبَةَ فَأَخَذَنَاهُ، فَجَعَلْنَا نَقُولُ: كَمْ الْقَوْمُ؟ فَيَقُولُ: هُمْ وَاللَّهِ كَثِيرٌ، شَدِيدٌ بِأَسْهُمٍ، فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ إِذَا قَالَ ذَلِكَ ضَرْبُهُ، حَتَّى اتَّهَمُوا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَ، فَقَالَ لَهُ: كَمْ الْقَوْمُ؟ فَقَالَ: هُمْ وَاللَّهِ كَثِيرٌ، شَدِيدٌ بِأَسْهُمٍ، فَجَهَدَ النَّبِيُّ صَ أَنْ يُخْبِرَهُ كَمْ هُمْ، فَأَبَى ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ سَأَلَهُ: كَمْ يَخْرُونَ مِنَ الْجَزْرِ؟ فَقَالَ:

عَشْرًا كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَ: الْقَوْمُ أَلْفٌ. ثُمَّ إِنَّهُ أَصَابَنَا مِنَ اللَّيْلِ طَشٌّ مِنَ الْمَطَرِ، فَانْطَلَقْنَا تَحْتَ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ نَسْتِظِلُّ تَحْتَهَا مِنَ الْمَطَرِ، وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَ يَدْعُو رَبَّهُ: اللَّهُمَّ إِن تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ فَلَمَّا أَنْ طَلَعَ الْفَجْرُ نَادَى: الصَّلَاةَ عِبَادَ اللَّهِ! فَجَاءَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ، فَصَلَّى بِنَا

رَسُولُ اللَّهِ ص، وَحَرَضَ عَلَى الْقِتَالِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ جَمَعَ قُرَيْشٍ عِنْدَ هَذِهِ الصَّلَاةِ مِنَ الْجَبَلِ فَلَمَّا أَنْ دَنَا الْقَوْمُ مِنَّا وَصَافَتْنَاهُمْ، إِذَا رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ يَسِيرُ فِي الْقَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: يَا عَلِيُّ، نَادِ لِي حَمْزَةً- وَكَانَ أَقْرَبُهُمْ إِلَى الْمُشْرِكِينَ-: مَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ؟ وَمَاذَا يَقُولُ لَهُمْ؟ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: إِنْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ مَنْ يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ، فَجَاءَ حَمْزَةً، فَقَالَ: هُوَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَهُوَ يَنْهَى عَنِ الْقِتَالِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنِّي أَرَى قَوْمًا مُسْتَمِيتِينَ لَا تَصِلُونَ إِلَيْهِمْ وَفِيكُمْ خَيْرٌ، يَا قَوْمُ اعْصِبُوا الْيَوْمَ بِرَأْسِي، وَقُولُوا: جَبُنَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي لَسْتُ بِأَجْنِكُمْ

قَالَ: فَسَمِعَ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: أَنْتَ تَقُولُ هَذَا! وَاللَّهِ لَوْ غَيْرَكَ يَقُولُ هَذَا لَعَضَضْتُ! لَقَدْ مَلِيتُ رِثْكَ وَجَوْفُكَ رُبْعًا، فَقَالَ عُتْبَةُ: إِيَّايَ تُعِيرُ يَا مُصَفِّرَ اسْتِهِ! سَتَعْلَمُ الْيَوْمَ أَنَا أَجَبُ! قَالَ: فَبَرَزَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَأَخُوهُ شَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَابْنُ الْوَلِيدِ، حَمِيَّةٌ، فَقَالُوا: مَنْ يُبَارِزُ؟ فَخَرَجَ فِتْيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ سِتَّةً، فَقَالَ عُتْبَةُ: لَا نَزِيدُ هَوْلًا، وَلَكِنْ يُبَارِزُنَا مِنْ بَنِي عَمَّنَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: يَا عَلِيُّ قُمْ، يَا حَمْزَةُ قُمْ، يَا عُبَيْدَةَ بْنُ الْحَارِثِ قُمْ، فَقَتَلَ اللَّهُ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، وَجَرَحَ عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ، فَقَتَلْنَا مِنْهُمْ سَبْعِينَ، وَأَسْرَنَا مِنْهُمْ سَبْعِينَ] قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَصِيرٌ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أُسِيرًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا هَذَا أُسْرِنِي، وَلَكِنْ أُسْرِنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقٍ، مَا أَرَاهُ فِي الْقَوْمِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ:

أَنَا أُسْرَتُهُ، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لَقَدْ آزَرَكَ اللَّهُ بِمَلِكٍ كَرِيمٍ] [قَالَ عَلِيُّ: فَأُسِرَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْعَبَّاسُ وَعَقِيلٌ وَتَوْفَلُ بْنُ الْحَارِثِ] حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبُزْؤَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ حَارِثَةَ، [عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: لَمَّا أَنْ كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، وَحَضَرَ الْبَاسَ اتَّقِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ، فَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَأْسًا، وَمَا كَانَ مِنْ أَحَدٍ أَقْرَبُ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ] . حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرِّبٍ، [عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: سَمِعْتَهُ يَقُولُ: مَا كَانَ فِينَا فَارِسٌ يَوْمَ بَدْرٍ غَيْرَ مَقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ، وَلَقَدْ رَأَيْنَا وَمَا فِينَا إِلَّا نَائِمٌ، إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ ص قَائِمًا إِلَى شَجَرَةٍ يُصَلِّي، وَيَدْعُو حَتَّى الصُّبْحِ] .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: إِنْ رَسُولُ اللَّهِ ص سَمِعَ بِأَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ مُقْبِلًا مِنَ الشَّامِ فِي عِيرٍ لِقُرَيْشٍ عَظِيمَةً، فِيهَا أَمْوَالٌ لِقُرَيْشٍ وَتِجَارَةٌ مِنْ تِجَارَاتِهِمْ، وَفِيهَا ثَلَاثُونَ رَاكِبًا مِنْ قُرَيْشٍ- أَوْ أَرْبَعُونَ- مِنْهُمْ مَخْرَمَةٌ مِنْ نَوْفَلِ بْنِ أَهْيَبَ بْنِ عَبْدِ مَنْفَعِ بْنِ زُهْرَةَ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بْنِ وَائِلَ بْنِ هِشَامِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَهْمٍ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيُّ وَعَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَزَيْدُ بْنُ رُوْمَانَ، عَنْ عُرْوَةَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ عُلَمَائِنَا، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، كُلُّ قَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ هَذَا الْحَدِيثِ، فَاجْتَمَعَ حَدِيثُهُمْ فِيمَا سَقَتْ مِنْ حَدِيثِ بَدْرٍ، قَالُوا: لَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِأَبِي سَفْيَانَ مُقْبِلًا مِنَ الشَّامِ، نَدَبَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ: هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ، فَاخْرَجُوا إِلَيْهَا، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَلَكَمُوهَا، فَاتَدَبَّ النَّاسُ نَحْفَ بَعْضُهُمْ وَثَقُلَ بَعْضُهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَظْنُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص يَلْقَى حَرْبًا، وَكَانَ أَبُو سَفْيَانَ حِينَ دَنَا مِنَ الْحِجَازِ يَتَحَسَّسُ الْأَخْبَارَ، وَيَسْأَلُ مَنْ لَقِيَ مِنَ الرُّكَّانِ تَخَوُّفًا عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ، حَتَّى أَصَابَ خَبْرًا مِنْ بَعْضِ الرُّكَّانِ، أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ اسْتَنْفَرَ أَصْحَابَهُ لَكَ وَلِعِيرِكَ فَخَذَرَ عِنْدَ ذَلِكَ، فَاسْتَأْجَرَ ضَمْضَمَ بْنَ عَمْرِو الْغِفَارِيِّ، فَبَعَثَهُ إِلَى مَكَّةَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ قُرَيْشًا يَسْتَنْفِرُهُمْ إِلَى أَمْوَالِهِمْ، وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ عَرَضَ لَهَا فِي أَصْحَابِهِ، فَخَرَجَ ضَمْضَمُ بْنُ عَمْرِو سَرِيعًا إِلَى مَكَّةَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

وحدثني مَنْ لَا أَتَمُّ، عَنْ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبِزِيدِ ابْنِ رُومَانَ، عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: وَقَدْ رَأَتْ عَاتِكَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَبْلَ قُدُومِ ضَمْضَمٍ مَكَّةَ ثَلَاثَ لَيَالٍ رُؤْيَا أَفْزَعَتْهَا، فَبَعَثَتْ إِلَى أَخِيهَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَخِي، وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا لَقَدْ أَفْظَعْتَنِي، وَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى قَوْمِكَ مِنْهَا شَرٌّ وَمَصِيبُهُ، فَاتَكُمُ عَلَى مَا أَحْدَثْتُكَ بِهِ قَالَ لَهَا: وَمَا رَأَيْتِ؟ قَالَتْ: رَأَيْتُ رَاكِبًا أَقْبَلَ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ حَتَّى وَقَفَ بِالْأَبْطَحِ ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَنْ أَنْفِرُوا يَا آلَ غَدَرٍ لِمَصَارِعِكُمْ فِي ثَلَاثِ! فَأَرَى النَّاسَ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَالنَّاسُ يَتَّبِعُونَهُ، فَبَيْنَاهُمْ حَوْلَهُ مِثْلُ بِهِ بَعِيرُهُ عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ، ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ بِمِثْلِهَا: أَنْ أَنْفِرُوا يَا آلَ غَدَرٍ لِمَصَارِعِكُمْ فِي ثَلَاثِ! ثُمَّ مِثْلُ بِهِ بَعِيرُهُ عَلَى رَأْسِ أَبِي قُبَيْسٍ، فَصَرَخَ بِمِثْلِهَا، ثُمَّ أَخَذَ صَخْرَةً فَأَرْسَلَهَا، فَأَقْبَلَتْ تَهْوِي حَتَّى إِذَا كَانَتْ بِأَسْفَلِ الْجَبَلِ أَرْفَضَتْ فَمَا بَقِيَ بَيْتٌ مِنْ بُيُوتِ مَكَّةَ، وَلَا دَارٌ مِنْ دُورِهَا إِلَّا دَخَلَتْ مِنْهَا فَلَقَتْهُ.

قَالَ الْعَبَّاسُ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَرُؤْيَا رَأَيْتُ فَاتَكُمُيَا وَلَا تَذْكُرِيهَا لِأَحَدٍ

ثُمَّ خَرَجَ الْعَبَّاسُ فَلَقِيَ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ - وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا - فَذَكَرَهَا لَهُ وَاسْتَكْتَمَهُ إِيَّاهَا، فَذَكَرَهَا الْوَلِيدُ لِأَبِيهِ عُتْبَةَ، فَفَشَا الْحَدِيثُ، حَتَّى تَحَدَّثَتْ بِهِ قُرَيْشٌ فِي أُنْدِيَّتِهَا.

قَالَ الْعَبَّاسُ: فَغَدَوْتُ أَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ فِي رَهْطٍ مِنْ قُرَيْشٍ قُعُودٌ يَتَحَدَّثُونَ بِرُؤْيَا عَاتِكَةَ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو جَهْلٍ، قَالَ: يَا أَبَا الْفَضْلِ، إِذَا فَرَعْتَ مِنْ طَوَافِكَ فَأَقْبِلْ إِلَيْنَا قَالَ: فَلَمَّا فَرَعْتُ أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ حَتَّى جَلَسْتُ مَعَهُمْ، فَقَالَ لِي أَبُو جَهْلٍ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، مَتَى حَدَّثْتَ فِيكُمْ هَذِهِ النَّبِيَّةُ! قَالَ: قُلْتُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: الرُّؤْيَا الَّتِي رَأَتْ عَاتِكَةَ، قَالَ:

قُلْتُ: وَمَا رَأَتْ؟ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَمَا رَضِيتُمْ أَنْ تَنْبَأَ رِجَالُكُمْ، حَتَّى تَنْبَأَ نِسَاؤُكُمْ! قَدْ زَعَمَتْ عَاتِكَةُ فِي رُؤْيَاهَا أَنَّهُ قَالَ: أَنْفِرُوا فِي ثَلَاثِ، فَسَتَرَبِّصْ بِكُمْ هَذِهِ الثَّلَاثِ، فَإِنْ يَكُنْ مَا قَالَتْ حَقًّا فَسَيَكُونُ، وَإِنْ تَمَضِ الثَّلَاثُ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، نَكْتُبْ عَلَيْكُمْ كِتَابًا أَنْكُمْ أَكْذَبُ أَهْلِ بَيْتٍ فِي الْعَرَبِ.

قَالَ الْعَبَّاسُ: فَوَاللَّهِ مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْهِ كَبِيرٌ إِلَّا أَنِّي جَحَدْتُ ذَلِكَ وَأَنْكَرْتُ أَنْ تَكُونَ رَأَتْ شَيْئًا قَالَ: ثُمَّ تَفَرَّقْنَا، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ لَمْ تَبَقِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِلَّا أَتَتْنِي، فَقَالَتْ: أَقَرَرْتُمْ لِهَذَا الْفَاسِقِ الْخَبِيثِ أَنْ يَقَعَ فِي رِجَالِكُمْ، ثُمَّ قَدْ تَتَوَلَّى النِّسَاءُ وَأَنْتَ تَسْمَعُ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ غَيْرُهُ لَشَيْءٍ مِمَّا سَمِعْتَ! قَالَ: قُلْتُ: قَدْ وَاللَّهِ فَعَلْتُ، مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْهِ مِنْ كَبِيرٍ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَا تُعَرِّضُ لَهُ، فَإِنْ عَادَ لَا كُفِينَاكُمْ.

قَالَ: فَغَدَوْتُ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ مِنْ رُؤْيَا عَاتِكَةَ، وَأَنَا حَدِيدٌ مُغْضَبٌ، أَرَى أَنْ قَدْ فَاتَنِي مِنْهُ أَمْرٌ أَحَبُّ أَنْ أَدْرِكَهُ مِنْهُ.

قَالَ: فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَرَأَيْتُهُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَا مِثْلِي نَحْوَهُ أَعْرَضَهُ لِيُعَوِّدَ لِبَعْضِ مَا قَالَ فَأَقَعَ بِهِ - وَكَانَ رَجُلًا خَفِيفًا حَدِيدَ الْوَجْهِ، حَدِيدَ اللِّسَانِ،

حَدِيدَ النَّظَرِ - إِذْ خَرَجَ نَحْوَ بَابِ الْمَسْجِدِ يَشْتَدُّ قَالَ: قُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا لَهُ لَعَنَهُ اللَّهُ! أَكُلُّ هَذَا فِرْقًا مِنْ أَنْ أَشَاتِمَهُ! قَالَ: وَإِذَا هُوَ قَدْ سَمِعَ مَا لَمْ أَسْمَعْ، صَوْتُ ضَمْضَمِ بْنِ عَمْرِو الْغِفَارِيِّ، وَهُوَ يَصْرُخُ بِبَطْنِ الْوَادِي وَاقِفًا عَلَى بَعِيرِهِ، قَدْ جَدَعَ بَعِيرَهُ، وَحَوْلَ رَحْلِهِ، وَشَقَّ قَبِيصَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اللَّطِيمَةُ اللَّطِيمَةُ! أَمْوَالُكُمْ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ قَدْ عَرَضَ لَهَا مُحَمَّدٌ فِي أَصْحَابِهِ، لَا أَرَى أَنْ تَذَرُوكُوهَا، الْعَوْتُ الْعَوْتُ! قَالَ: فَشَغَلَنِي عَنْهُ وَشَغَلَهُ عَنِّي مَا جَاءَ مِنَ الْأَمْرِ فَتَجَهَّزَ النَّاسُ سِرَاعًا، وَقَالُوا: أَيُّظُنُّ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ أَنْ تَكُونَ كَعَبْرِ ابْنِ الْحَضَرَمِيِّ! كَلَّا وَاللَّهِ لَيَعْلَمَنَّ غَيْرَ ذَلِكَ فَكَانُوا بَيْنَ رَجُلَيْنِ: إِمَّا خَارِجٌ، وَإِمَّا بَاعَثَ مَكَانَهُ رَجُلًا، وَأَوْعَبَتْ قُرَيْشٌ فَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْ أَشْرَافِهَا أَحَدٌ، إِلَّا أَنَّ أَبَا هَبَّ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تَخَلَّفَ، فَبَعَثَ مَكَانَهُ الْعَاصِ بْنَ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَكَانَ لَا طَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ كَانَتْ لَهُ عَلَيْهِ، أَفْلَسَ بِهَا، فَاسْتَأْجَرَهُ بِهَا عَلَى أَنْ يُجْزِيَ عَنْهُ بَعْثَهُ، فَخَرَجَ عَنْهُ وَتَخَلَّفَ أَبُو هَبٍّ.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق.

حدثني عبد الله بن أبي نجيح، أن أمية بن خلف كان قد أجمع القعود، وكان شيخا جليلا ثقيلا، فأتاه عقبة بن أبي معيط، وهو جالس في المسجد بين ظهري قومه بجمرة يحملها، فيها نار وبجمر، حتى وضعها بين يديه، ثم قال: يا أبا علي، استجمر، فإنما أنت من النساء، قال: قَبَحَكَ اللَّهُ وَقَبَحَ مَا جِئْتُ بِهِ! قَالَ: ثُمَّ تَجَهَّزْ، فخرج مع الناس، فلما فرغوا من جهازهم، وأجمعوا السير، ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب، فقالوا: إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق، وحدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، قال: لما أجمعت قریش المسير، ذكرت الذي بينها وبين بني بكر، فكاد ذلك أن يثنيهم، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه بن جعشم المدلجي - وكان من أشرف كنانة - فقال: أنا جار لكم من أن تأتكم كنانة بشيء تكرهونه فخرجوا سراعا.

قال أبو جعفر: وخرج رسول الله ص - فيما بلغني عن غير ابن إسحاق - ثلاث ليل خلون من شهر رمضان في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا من أصحابه، فاختلف في مبلغ الزيادة على العشرة. فقال بعضهم، كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر بن عيَّاش، قال: حدثنا أبو إسحاق، عن البراء، قال: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ أَصْحَابَ بَدْرٍ يَوْمَ كَعْدَةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ، ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، الَّذِينَ جَاوَزُوا النَّهْرَ، فَسَكَتَ.

حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: حدثنا أبو مالك الجني، عن الحجاج، عن الحكم، عن ميسم، عن ابن عباس، قال: كَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَوْمَ بَدْرٍ سَبْعَةً وَسَعِينَ رَجُلًا، وَكَانَ الْأَنْصَارُ مِائَتَيْنِ وَسِتَّةً وَثَلَاثِينَ رَجُلًا، وَكَانَ صَاحِبَ رَأْيِهِ رَسُولُ اللَّهِ ص عَلَى ابْنِ طَالِبٍ ع، وَصَاحِبُ رَأْيِ الْأَنْصَارِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ

وقال آخرون: كانوا ثلاثمائة رجلٍ وأربعة عشر، مَنْ شَهِدَ مِنْهُمْ، وَمَنْ ضُرِبَ بِسَهْمِهِ وَأَجْرُهُ، حَدَّثَنَا بِذَلِكَ ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ.

وقال بعضهم: كانوا ثلاثمائة وثمانية عشر.

وقال آخرون: كانوا ثلاثمائة وسبعة.

وَأَمَّا عَامَّةُ السَّلَفِ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: كَانُوا ثَلَاثُمِائَةَ رَجُلٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثنا هارون بن إسحاق، قال: حدثنا مصعب بن المقدام، وحدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي، قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري، قال: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ - وَلَمْ يَجْزِ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ - ثَلَاثُمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو عامر، قال: حدثنا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ص كَانُوا يَوْمَ بَدْرٍ ثَلَاثُمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ، مَنْ جَازَ مَعَهُ النَّهْرَ، وَمَا جَازَ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ، بِحُجُوه.

حدثنا إسماعيل بن إسرائيل الرَّمْلِيُّ، قال: حدثنا عبد الله بن محمد ابن الْمُغِيرَةِ، عَنْ مِسْعَرٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: عِدَّةُ أَهْلِ بَدْرٍ عِدَّةُ أَصْحَابِ طَالُوتَ

حدثني أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا مِسْعَرٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ، مِثْلَهُ.

حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، [عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: ذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ص قَالَ لِأَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ: أَنْتُمْ بَعْدَهُ أَصْحَابُ طَالُوتَ يَوْمَ لَقِيَ جَالُوتَ، وَكَانَ أَصْحَابُ نَبِيِّ اللَّهِ ص يَوْمَ بَدْرٍ ثَلَاثُمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا].

حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، قال: خلع طالوت في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا، عدة أصحاب بدر.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: كان مع النبي ص يوم بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق قال: وخرج رسول الله ص في أصحابه، وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجار، في ليال مضت من شهر رمضان، فسار حتى إذا كان قريبا من الصفراء، بعث بسبس بن عمرو الجهني، حليف بني ساعدة وعدي بن أبي الزغباء الجهني حليف بني النجار إلى بدر، يتحسسان له الأخبار عن ابني سفيان بن حرب وعيره، ثم ارتحل رسول الله ص، وقد قدمهما، فلما استقبل الصفراء - وهي قرية بين جبلين - سأل عن جبلهما: ما أسمائهما؟ فقالوا لأحدهما: هذا مسلح، وقالوا للآخر:

هذا مخزئ، وسأل عن أهلهما، فقالوا: بنو النار وبنو حراق بطنان من بني غفار، فكرههما رسول الله ص والمرور بينهما، وتفاءل بأسمائهما وأسماء أهاليهما، فتركهما والصفراء بيسار، وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذفران، فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل.

وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم لينعوا عيرهم، فاستشار النبي ص الناس، وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر رضي الله عنه، فقال فأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو، فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله، فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «اذهب أنت وربك فقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ»، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون.

فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد - يعني مدينة الحبشة - لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله ص خيرا، ودعا له بخبر.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمُحَارِبِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَبُو يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُخَارِقُ، عَنْ طَارِقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ:

لَقَدْ شَهِدْتُ مِنَ الْمُقَدَّادِ مَشْهَدًا لَأَنْ أَكُونَ أَنَا صَاحِبُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، كَانَ رَجُلًا فَارِسًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِذَا غَضِبَ أَحْمَارَتْ وَجَنَّتَاهُ، فَأَتَاهُ الْمُقَدَّادُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَوَاللَّهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: «اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ»، وَلَكِنْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَكُونَنَّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ، وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ، أَوْ يَفْتَحُ اللَّهُ لَكَ

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق [ثم قال رسول الله ص: أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ] - وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْأَنْصَارَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَدَدَ النَّاسِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ حِينَ بَايَعُوهُ بِالْعَقَبَةِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا بَرَاءٌ مِنْ ذِمَامِكَ حَتَّى تَصِلَ إِلَى دَارِنَا، فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَيْنَا فَانْتَ فِي ذِمَامِنَا، نَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَتَخَوَّفُ أَنْ تَكُونَ الْأَنْصَارُ تَرَى عَلَيْهَا نُصْرَتَهُ، إِلَّا مَنْ دَهَمَهُ بِالْمَدِينَةِ مِنْ عَدُوِّهِ، وَأَنْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ إِلَى عَدُوٍّ مِنْ بِلَادِهِمْ - فلما قال ذلك رسول الله ص، قَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: وَاللَّهِ لَكَائِكَ تَرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: أَجَلْ، فَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عَهْدَنَا وَمَوَاقِفَنَا، عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَاْمْضُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا ارْتَدْتَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ اسْتَعْرَضَتْ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ نَخْضَتُهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكَّرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوْنَا غَدًا! إِنَّا لَصَبْرٌ عِنْدَ الْحَرْبِ، صَدَقَ عِنْدَ اللَّقَاءِ، لَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ.

فسر رسول الله ص بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال:

سيروا على بركة الله، وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم.
ثم ارتحل رسول الله ص من ذفران، فسلك على ثنياً يقال لها الأصافر، ثم انحط منها على بلد يقال لها الدبة، وترك الحنان يمين، - وهو كتيب عظيم كالجلبل - ثم نزل قريباً من بدر، فركب هو ورجل من أصحابه - كما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن محمد بن يحيى بن حبان - حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركم حتى تخبراني ممن أنتم! فقال له رسول الله ص: إذا أخبرتنا أخبرناك، فقال: وذاك بذاك! قال: نعم، قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدقي الذي أخبرني فهو اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به رسول الله ص - وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي حدثني صدقي فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به قريش - فلما فرغ من خبره، قال: ممن أنتم؟ فقال رسول الله ص:

نحن من ماء، ثم أنصرف عنه قال: يقول الشيخ: ما من ماء، امن ماء العراق! ثم رجع رسول الله ص إلى أصحابه، فلما امسى بعث على ابن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون له الخبر عليه - كما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، كما حدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير - فأصابوا رواية لقريش فيها أسلم، غلام بني الحجاج، وعريض أبو يسار، غلام بني العاص بن سعيد، فاتوا بهما رسول الله ص، ورسول الله ص قائم يصلي، فسألوهما، فقالا: نحن سقاء قريش، بعثونا لنسقيهم من الماء، فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان، فضربوهما، فلما أذلقوهما قالوا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما، وركع رسول الله ص، وسجد سجدة، ثم سلم، فقال: إذا صدقكم ضربتوهما، وإذا كذبكم تركتوهما! صدقاً والله! إنهما لقريش، أخبراني: أين قريش؟ قالوا: هم وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى - والكتيب: العقنقل - فقال رسول الله ص لهما: كم القوم؟ قالوا: كثير، قال: ما عدتهم؟ قالوا: لا ندري، قال: كم يخرجون كل يوم؟ قالوا: يوماً تسعاً ويوماً عشرة، قال رسول

الله ص: القوم ما بين التسعمائة والالف ثم قال لهما رسول الله ص: فمن فيهم من اشراف قريش؟ قال: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث بن كلفة، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل ابن هشام، وأمية بن خلف ونبية، ومنبه ابن الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ود [فاقبل رسول الله ص على الناس، فقال:

هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها] .

قالوا: وقد كان بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء مضياً حتى نزلاً بدرًا، فأناخا إلى تل قريب من الماء، ثم أخذنا شئنا يستقيان فيه - ومجدي بن عمرو الجهني على الماء - فسمع عدي وبسبس جاريتين من جوازي الحاضر، وهما تلتازمان على الماء، والملزومة تقول لصاحبتها:

إنما تأتي العير غداً أو بعد غد، فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك قال:

مجدي: صدقت، ثم خلص بينهما، وسمع ذلك عدي وبسبس، فجلسا على بعيريهما، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ص، فأخبراه بما سمعا.

وأقبل أبو سفيان قد تقدم العير حذراً حتى ورد الماء، فقال لمجدي بن عمرو: هل أحسست أحداً؟ قال: ما رأيت أحداً أنكره، إلا أنني

رَأَيْتُ رَاكِبِينَ أَنَا إِلَى هَذَا التَّلِّ، ثُمَّ اسْتَقْيَا فِي شَنْ لَهْمَا، ثُمَّ انْطَلَقَا فَأَتَى أَبُو سُفْيَانَ مَنَاخَهُمَا، فَأَخَذَ مِنْ أَبْعَارِ بَعِيرِيهِمَا فَفَتَّهُ، فَإِذَا فِيهِ نَوَى فَقَالَ: هَذِهِ وَاللَّهِ عَلَانُفٌ يَثْرِبُ! فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ سَرِيعًا، فَضَرَبَ وَجْهَ عِيرِهِ عَنِ الطَّرِيقِ، فَسَاحَلَ بِهَا، وَتَرَكَ بَدْرًا يَسَارًا، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى أَسْرَعَ.

وَأَقْبَلْتُ قُرَيْشَ، فَلَمَّا نَزَلُوا بِالْمُحَفَّةِ رَأَى جَهْمُ بْنُ الصَّلْتِ بْنِ مَخْرَمَةَ ابْنَ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةٍ رُؤْيَا، فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ، وَإِنِّي لَبِينَ النَّاسِ وَالْيَقْظَانِ، إِذْ نَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ أَقْبَلَ عَلَى فَرَسٍ حَتَّى وَقَفَ وَمَعَهُ بَعِيرٌ لَهُ، ثُمَّ قَالَ: قَتَلَ عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو الْحَكَمِ بْنُ هِشَامٍ، وَأُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَعَدَّدَ رَجَالًا مِمَّنْ قُتِلَ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، وَرَأَيْتُهُ ضَرَبَ فِي لَبَّةٍ بِعِيرِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ فِي الْعُسْكَرِ، فَمَا بَقِيَ خِبَاءٌ مِنْ أَخِيَّةِ الْعُسْكَرِ إِلَّا أَصَابَهُ نَضْحٌ مِنْ دَمِهِ قَالَ: فَلَبَغْتَ أَبَا جَهْلٍ، فَقَالَ: وَهَذَا أَيْضًا نَبِيٌّ آخَرُ مِنْ بَنِي الْمُطَّلِبِ، سَيَعْلَمُ غَدًا مِنَ الْمَقْتُولِ إِنْ نَحْنُ التَّقِينَا! وَلَمَّا رَأَى أَبُو سُفْيَانَ أَنَّهُ قَدْ أَحْرَزَ عِيرَهُ، أَرْسَلَ إِلَى قُرَيْشٍ: إِنَّا خَرَجْنَا لَتَمْنَعُوا عِيرَكُمْ وَرِجَالَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، فَقَدْ نَجَّاهَا اللَّهُ، فَارْجِعُوا فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ ابْنُ هِشَامٍ: وَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّى نَرِدَّ بَدْرًا - وَكَانَ بَدْرٌ مَوْسِمًا مِنْ مَوَاسِمِ الْعَرَبِ، تَجْتَمِعُ لَهُمْ بِهَا سُوقُ كُلِّ عَامٍ - فَتَقِيمُ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، وَنَخْرُ الْجُزْرَ، وَنَطْعِمُ الطَّعَامَ، وَنُسْقِي الْخَمْرَ، وَتَعْرِفُ عَلَيْنَا الْقِيَانُ، وَتَسْمَعُ بَنَاءَ الْعَرَبِ، فَلَا يَزَالُونَ يَهَابُونَنَا أَبَدًا، فَاْمْضُوا فَقَالَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيْقٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ وَهْبٍ الثَّقَفِيُّ - وَكَانَ حَلِيفًا لِبَنِي زُهْرَةَ وَهُمْ بِالْمُحَفَّةِ: يَا بَنِي زُهْرَةَ، قَدْ نَجَّى اللَّهُ لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ، وَخَلَّصَ لَكُمْ صَاحِبَكُمْ مَخْرَمَةَ بْنَ نَوْفَلٍ، وَإِنَّمَا نَفَرْتُمْ لَتَمْنَعُوهُ وَمَالَهُ، فَاجْعَلُوا بِي جَنبَهَا وَارْجِعُوا، فَإِنَّهُ لَا حَاجَةَ بِكُمْ فِي أَنْ تَخْرُجُوا فِي غَيْرِ ضِيْعَةٍ، لَا مَا يَقُولُ هَذَا - يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ - فَارْجِعُوا، فَلَمْ يَشْهَدْهَا زُهْرِيُّ وَاحِدٌ، وَكَانَ فِيهِمْ مُطَاعًا وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنْ قُرَيْشٍ بَطْنٌ إِلَّا نَفَرَ مِنْهُمْ نَاسٌ، إِلَّا بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ، لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَارْجَعَتْ بَنُو زُهْرَةَ مَعَ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقٍ، فَلَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا مِنْ هَاتَيْنِ الْقَبِيلَتَيْنِ أَحَدٌ وَمَضَى الْقَوْمُ قَالَ: وَقَدْ كَانَ بَيْنَ طَالِبٍ وَابْنِ أَبِي طَالِبٍ - وَكَانَ فِي الْقَوْمِ - وَبَيْنَ بَعْضِ قُرَيْشٍ مُحَاوَرَةً، فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْنَا يَا بَنِي هَاشِمٍ - وَإِنْ خَرَجْتُمْ مَعَنَا - أَنْ هُوَاكُمْ مَعَ مُحَمَّدٍ فَرَجَعَ طَالِبٌ إِلَى مَكَّةَ فِيمَنْ رَجَعَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَمَّا ابْنُ الْكَلْبِيِّ، فَإِنَّهُ قَالَ فِيمَا حَدَّثْتُ عَنْهُ: شَخْصَ طَالِبُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى بَدْرِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، أَخْرَجَ كَرَاهًا فَلَمْ يُوْجَدْ فِي الْأَسْرَى وَلَا فِي الْقَتْلِ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى أَهْلِهِ، وَكَانَ شَاعِرًا، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ:

يَا رَبِّ إِمَّا يَغْزُونَ طَالِبَ ... فِي مَقْنَبٍ مِنْ هَذِهِ الْمَقَانِبِ
فَلْيَكُنِ الْمُسْلُوبُ غَيْرَ السَّالِبِ ... وَلْيَكُنِ الْمَغْلُوبُ غَيْرَ الْغَالِبِ

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: وَمَضَتْ قُرَيْشٌ حَتَّى نَزَلُوا بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى مِنَ الْوَادِي، خَلْفَ الْعَقَنْقَلِ، وَبَطْنِ الْوَادِي وَهُوَ يَلِيلٌ، بَيْنَ بَدْرِ وَبَيْنَ الْعَقَنْقَلِ، الْكَثِيبِ الَّذِي خَلْفَهُ قُرَيْشٌ، وَالْقَلْبُ يَبْدُرُ فِي الْعُدْوَةِ الدُّنْيَا مِنْ بَطْنِ يَلِيلٍ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَبَعَثَ اللَّهُ السَّمَاءَ، وَكَانَ الْوَادِي دَهْسًا، فَأَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَأَصْحَابُهُ مِنْهَا مَا لَبَدَ لَهُمُ الْأَرْضَ، وَلَمْ يَمْنَعَهُمُ الْمَسِيرُ، وَأَصَابَ قُرَيْشًا مِنْهَا مَا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَرْتَحِلُوا مَعَهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَبَادِرُهُمْ إِلَى الْمَاءِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ أَدْنَى مَاءٍ مِنْ بَدْرِ نَزَلَ بِهِ

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثْتُ عَنْ رَجَالٍ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، أَنَّهُمْ ذَكَرُوا أَنَّ الْحَبَابَ ابْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجُمُوحِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ، أَمَنْزِلُ أَنْزَلَكَ اللَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَ وَلَا نَتَأَخَّرَ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟

قَالَ: بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ لَكَ بِمَنْزِلٍ، فَانْهَضْ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ

فَنَزَلَهُ، ثُمَّ نَعُورَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْقَلْبِ، ثُمَّ بَنَى عَلَيْهِ حَوْضًا فَتَمَلَّوْهُ مَاءً، ثُمَّ نَقَاتِلُ الْقَوْمَ فَنَشْرِبُ وَلَا يَشْرَبُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لَقَدْ اشْرَبْتُ بِالرَّأْيِ فَهَضَّ رَسُولُ اللَّهِ ص وَمَنْ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ، فَسَارَ حَتَّى أَتَى أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْقَلْبِ فَعُورَتْ، وَبَنَى حَوْضًا عَلَى الْقَلْبِ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ فُلَيْءٌ مَاءً، ثُمَّ قَذَفُوا فِيهِ الْآيَةَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ:

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَنَيْ لَكَ عَرِيشًا مِنْ جَرِيدٍ فَتَكُونُ فِيهِ، وَنَعُدُّ عِنْدَكَ رَكَائِكَ، ثُمَّ نَلْقَى عَدُوَّنَا، فَإِنْ أَعَزَّنَا اللَّهُ وَأَظْهَرَنَا عَلَى عَدُوِّنَا كَانَ ذَلِكَ مِمَّا أَحْبَبْنَا، وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى جَلَسْتَ عَلَى رَكَائِكَ، فَلَحِقْتَ بِمَنْ وَرَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ حُبًّا لَكَ مِنْهُمْ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْبًا مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ يَمْنَعُكَ اللَّهُ بِهِمْ، يَنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَكَ فَاتْنِ رَسُولَ اللَّهِ ص عَلَيْهِ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ

ثُمَّ بَنَى لِرَسُولِ اللَّهِ ص عَرِيشًا، فَكَانَ فِيهِ، وَقَدْ ارْتَحَلَتْ قُرَيْشٌ حِينَ أَصْبَحَتْ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ص تَصَوَّبُ مِنَ الْعَقَنْقَلِ - وَهُوَ الْكَتِيبُ الَّذِي مِنْهُ جَاءُوا إِلَى الْوَادِي - قَالَ:

اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخَيْلَائِهَا وَنَفَرَتْ بِحَدَادِكِ وَتَكْذَبُ رَسُولَكَ، اللَّهُمَّ فَصْرَكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ فَأَحْنِهِمُ الْغَدَاةَ! وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص - وَرَأَى عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ فِي الْقَوْمِ، عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرٌ: إِنْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ خَيْرٌ، فَعِنْدَ صَاحِبِ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ، إِنْ يُطِيعُوهُ يَرْشِدُوا وَقَدْ كَانَ خُفَافٌ بِنِ إِيمَاءِ بْنِ رَحْضَةَ الْغِفَارِيِّ - أَوْ أَبُوهُ إِيمَاءُ بْنُ رَحْضَةَ - بَعَثَ إِلَى قُرَيْشٍ حِينَ مَرُّوا بِهِ أَبْنَاءُ لَهُ بِجَزَائِرٍ أَهْدَاهَا لَهُمْ، وَقَالَ: إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَمُدَّكُمْ بِسِلَاحٍ وَرِجَالٍ فَعَلْنَا، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ مَعَ ابْنِهِ: أَنْ وَصَلْتِكَ الرَّحِمَ! فَقَدْ قَضَيْتَ الَّذِي عَلَيْكَ، فَلَعَمْرِي لَنْ كُنَّا إِنَّمَا نَقَاتِلُ النَّاسَ، مَا بِنَا ضَعْفُ عَنْهُمْ، وَلَنْ كُنَّا نَقَاتِلُ اللَّهَ - كَمَا يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ - فَمَا لِأَحَدٍ بِاللَّهِ مِنْ طَاقَةٍ.

فَلَمَّا نَزَلَ النَّاسُ، أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، حَتَّى وَرَدُوا حَوْضَ رَسُولِ اللَّهِ ص، فِيهِمْ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: دَعُوهُمْ، فَمَا شَرِبَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا قَتَلَ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، فَإِنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ، نَجَا عَلَى فَرَسٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ الْوَجِيهُ، وَأَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَحَسَنَ إِسْلَامُهُ، فَكَانَ إِذَا اجْتَهَدَ فِي يَمِينِهِ قَالَ: لَا وَالَّذِي نَجَّانِي يَوْمَ بَدْرٍ! حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ:

وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، عَنْ أَشْيَاحٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالُوا: لَمَّا أَطْمَأَنَّ الْقَوْمُ، بَعَثُوا عَمِيرَ بْنَ وَهَبٍ الْجُمَحِيَّ، فَقَالُوا: احْزُرْ لَنَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، قَالَ: فَاسْتَجَالَ بِفَرَسِهِ حَوْلَ الْعُسْكَرِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ، يَزِيدُونَ قَلِيلًا أَوْ يَنْقُصُونَ، وَلَكِنْ أَهْلُونِي حَتَّى أَنْظُرَ، أَلِلْقَوْمُ كَمِينَ أَمْ مَدَدٌ؟ قَالَ: فَضَرَبَ فِي الْوَادِي، حَتَّى أَبْعَدَ فَلَمْ يَرِ شَيْئًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا، وَلَكِنِّي قَدْ رَأَيْتُ - يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - الْوَلَايَا تَحْمِلُ الْمَنَايَا، نَوَاضِحٌ يَثْرِبُ تَحْمِلُ الْمَوْتَ النَاقِعَ، قَوْمٌ لَيْسَ لَهُمْ مَنَعَةٌ وَلَا مَلْجَأٌ إِلَّا سَيُوفُهُمْ، وَاللَّهُ مَا أَرَى أَنْ يَقْتُلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى يَقْتُلَ رَجُلًا مِنْكُمْ، فَإِذَا أَصَابُوا مِنْكُمْ أَعْدَادَهُمْ فَمَا خَيْرَ الْعَيْشِ بَعْدَ ذَلِكَ! فَرَوْا رَأْيَكُمْ.

فَلَمَّا سَمِعَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ذَلِكَ، مَشَى فِي النَّاسِ، فَأَتَى عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْوَلِيدِ، إِنَّكَ كَبِيرُ قُرَيْشِ اللَّيْلَةِ وَسَيِّدُهَا، وَالْمَطَاعُ فِيهَا، هَلْ لَكَ إِلَّا تَزَالُ تَذَكَّرُ مِنْهَا بِخَيْرٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ! قَالَ: وَمَا ذَاكَ يَا حَكِيمُ؟ قَالَ: تَرْجِعُ بِالنَّاسِ، وَتَحْمِلُ دَمَ حَلِيفِكَ عَمْرُو بْنِ الْحَضْرَمِيِّ! قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، أَنْتَ عَلَيَّ بِذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ حَلِيفِي فَعَلِي عَقْلُهُ، وَمَا أَصِيبُ مِنْ مَالِهِ، فَأَتَى ابْنَ الْحَنْظَلِيَّةِ، فَإِنِّي لَا أَخْشَى أَنْ يَشْجُرَ أَمْرُ النَّاسِ غَيْرُهُ -

يَعْنِي أَبَا جَهْلَ بْنَ هِشَامٍ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِثَامَةُ بْنُ عَمْرِو السَّهْمِيِّ، قَالَ:

حَدَّثَنِي مَسُورُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْيَرْبُوعِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، إِذْ دَخَلَ حَاجِبُهُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُو خَالِدٍ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، قَالَ: أَتَذُنُّ لَهُ، فَلَمَّا دَخَلَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، قَالَ: مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا خَالِدٍ! ادْنُ، فَحَالَ لَهُ مَرْوَانُ عَنْ صَدْرِ الْمَجْلِسِ، حَتَّى كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَسَادَةِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُ مَرْوَانُ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا حَدِيثَ بَدْرٍ، قَالَ: خَرَجْنَا حَتَّى إِذَا نَزَلْنَا الْجُحْفَةَ رَجَعَتْ

قبيلة من قبائل قريش بأسرها، فلم يشهد أحد من مشركهم بدرا ثم خرجنا حتى نزلنا العدو التي ذكرها الله عز وجل، فجئت عتبة بن ربيعة، فقلت: يا أبا الوليد، هل لك أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت؟ قال: أفعل ماذا؟ قلت: إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم ابن الحضرمي، وهو حليفك، فتحمل ديتيه وترجع بالناس فقال: أنت وذاك، وأنا أتحمّل بديتيه، واذهب إلى ابن الحنظلية- يعني أبا جهل- فقل له: هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك؟

فجئته فإذا هو في جماعة من بين يديه ومن ورائه، وإذا ابن الحضرمي واقف على رأسه، وهو يقول: قد فسخت عقدي من عبد شمس، وعقدي إلى بني مخزوم فقلت له: يقول لك عتبة بن ربيعة: هل لك أن ترجع اليوم عن ابن عمك بمن معك؟ قال: أما وجد رسولا غيرك! قلت: لا، ولم أكن لأكون رسولا لغيره قال حكيم: فخرجت مبادرا إلى عتبة، لئلا يفوتني من الخبر شيء، وعتبة متكئ على إيماء بن رخصة الغفاري، وقد أهدى إلى المشركين عشر جزائر، فطلع أبو جهل والشر في وجهه، فقال لعتبة: انتفخ سحرك! فقال له عتبة: ستعلم! فسل أبو جهل سيفه، فضرب به متن فرسه، فقال إيماء بن رخصة: بئس الفأل هذا! فعند ذلك قامت الحرب

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ثم قام عتبة بن ربيعة خطيبا، فقال: يا معشر قريش، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا، والله لئن أصبتموه لا يزال رجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوه فذاك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون قال حكيم: فانطلقت أؤم أبا جهل، فوجدته قد نثل درعا له من جراحها، فهو يهيبها فقلت:

يا أبا الحكم، إن عتبة قد أرسلني إليك بكذا وكذا- للذي قال- فقال: انتفخ والله سحره حين رأى محمدا وأصحابه، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وأصحابه، وما بعتبة ما قال، ولكنه قد رأى محمدا وأصحابه أكلة جزور، وفيهم ابنه فقد تخوفكم عليه ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي، فقال له: هذا حليفك، يريد أن يرجع بالناس، وقد رأيت ثأرك بعينك، فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ: وا عمراه! وا عمراه! فحميت الحرب، وحقب امر الناس، واستوسقوا على ما هم عليه من الشر، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة بن ربيعة.

فلما بلغ عتبة بن ربيعة قول أبي جهل: انتفخ سحره، قال: سيعلم المصفر استه من انتفخ سحره، أنا أم هو! ثم التمس بيضة يدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسعه من عظم هامته، فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه يبرد له

وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي- وكان رجلا شرسا سيئ الخلق- فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم ولأهدمنه أو لأموتن دونه فلما خرج خرج له حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة، فأطن قدمه بنصف ساقه، وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دما نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد- زعم- أن ييرمينه، واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض. ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبه بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة نفر منهم: عوف ومعوذ ابنا الحارث- وأمهما عفراء- ورجل آخر يقال له عبد الله بن رواحه، فقال: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار.

فقالوا: ما لنا بكم حاجة! ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفأنا من قومنا، فقال رسول الله ص: قم يا حمزة بن عبد المطلب، قم يا عبيدة بن الحارث، قم يا علي بن أبي طالب، فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا: من أنتم؟ قال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي:

علي، قالوا: نعم أكفأ كرام! فبارز عبيدة بن الحارث- وكان أسن القوم- عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبه بن ربيعة، وبارز علي الوليد بن عتبة، فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيده وعتبة بينهما بضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكر حمزة وعلي بأسيفهما على عتبة، فذفعا عليه فقتلاه، واحتملا صاحبهما عبيدة فجاءا به إلى أصحابه، وقد قطعت رجله، ففخها يسيل، فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله ص قال: ألسنت شهيدا يا رسول الله! قال:

بلى، فقال عبيدة: لو كان أبو طالب حيا لعلم أني أحق بما قال منه حيث يقول:
وَنُسَلِّهُ حَتَّى نَصْرَعَ حَوْلَهُ ... وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَالِ
حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ:

وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، أَنَّ عُبَيْدَةَ بْنَ رَيْعَةَ قَالَ لِلْفَتِيَّةِ مِنَ الْأَنْصَارِ حِينَ انْتَسَبُوا: أَكْفَاءُ كِرَامٍ، إِنَّمَا نُرِيدُ قَوْمَنَا، ثُمَّ تَزَاحَفَ النَّاسُ، وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَقَدْ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَصْحَابَهُ أَلَّا يَحْمِلُوا حَتَّى يَأْمُرَهُمْ، وَقَالَ: إِنْ اكْتَنَفَكُمُ الْقَوْمُ فَانْضَحُوهُمْ عَنْكُمْ بِالنَّبْلِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ص فِي الْعَرِيشِ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَكَانَتْ وَقْعَةٌ بِدْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ صَبِيحَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، كَمَا حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي حِبَّانُ بْنُ وَاسِعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَاسِعٍ، عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْ قَوْمِهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص عَدَلَ صُفُوفَ أَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَفِي يَدِهِ قَدَحٌ يَعْدِلُ بِهِ الْقَوْمَ، فَمَرَّ بِسُودَ بْنِ غَزِيَّةَ، حَلِيفِ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ النَّجَّارِ، وَهُوَ مُسْتَنْتَلٍ مِنَ الصَّفِّ، فَطَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي بَطْنِهِ بِالْقَدَحِ، وَقَالَ: اسْتَوِ يَا سُودَ بْنَ غَزِيَّةَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَجَعْتَنِي وَقَدْ بَعَثَكَ اللَّهُ بِالْحَقِّ، فَأَقْدَنِي قَالَ: فَكَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَنْ بَطْنِهِ [ثُمَّ قَالَ: اسْتَقْدُ، قَالَ: فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَ بَطْنَهُ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ

عَلَى هَذَا يَا سُودَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَضَرَ مَا تَرَى فَلَمْ أَمْنِ الْقَتْلَ.

فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخِرَ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ يَمْسَ جِلْدِي جِلْدَكَ فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص بِخَيْرٍ، وَقَالَ لَهُ خَيْرًا .

ثُمَّ عَدَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص الصُّفُوفَ، وَرَجَعَ إِلَى الْعَرِيشِ، وَدَخَلَهُ، وَمَعَهُ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ لَيْسَ مَعَهُ فِيهِ غَيْرُهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ص يُنَاشِدُ رَبَّهُ مَا وَعَدَهُ مِنَ النَّصْرِ، وَيَقُولُ فِيمَا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَهَلَكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ الْيَوْمَ - يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ - لَا تُعْبِدُ بَعْدَ الْيَوْمِ، وَأَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بَعْضُ مُنَاشِدَتِكَ رَبِّكَ!، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُنْجِزُكَ مَا وَعَدَكَ.

فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمُحَارِبِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سِمَاكُ الْخَنْفِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَعِدَّتِهِمْ، وَنَظَرَ إِلَى أَصْحَابِهِ نِيْفًا عَلَى ثَلَاثِمِائَةٍ، اسْتَقْبَلَ الْقَبْلَةَ، فَجَعَلَ يَدْعُو، يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهَلَكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبِدُ فِي الْأَرْضِ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ فَوَضَعَ رِدَاؤَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: كَفَاكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بَابِي وَأَنْتَ وَأُمِّي، مُنَاشِدَتِكَ رَبِّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُكَ مَا وَعَدَكَ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ» .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الثَّقَفِيُّ - يَعْنِي عَبْدَ الْوَهَّابِ - عَنْ خَالِدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ص، قَالَ وَهُوَ فِي قُبَّتِهِ يَوْمَ بَدْرٍ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبِدْ بَعْدَ الْيَوْمِ!

قَالَ: فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَقَدْ أَلْحَقْتَ عَلَى رَبِّكَ - وَهُوَ فِي الدَّرَجِ - نَخْرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: «سَيُزِمُ الْجَمْعَ وَيُولُونَ الدِّبْرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدهَى وَأَمْرٌ» .

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: وَقَدْ خَفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ص خَفَقَةً وَهُوَ فِي الْعَرِيشِ، ثُمَّ انْتَبَهَ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَتَاكَ نَصْرُ اللَّهِ، هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِعَنَانٍ فَرَسِهِ يَقُودُهُ، عَلَى ثَنَائِيهِ النِّعَ.

قَالَ: وَقَدْ رَمَى مِهْجَعُ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِسَهْمٍ فَقَتِلَ، فَكَانَ أَوَّلُ قَتِيلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ رَمَى حَارِثَةُ بْنُ سُرَاقَةَ، أَحَدُ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ

النَّجَارِ وَهُوَ يَشْرَبُ مِنَ الْخَوْصِ فَقُتِلَ ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى النَّاسِ لِحَرْضِهِمْ، وَنَفَلَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَصَابَ، وَقَالَ: [وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يُقَاتِلُهُمُ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيُقْتَلُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ] فَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحَمَامِ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ وَفِي يَدِهِ تَمْرَاتٌ يَأْكُلُهُنَّ: يَخُجْ، فَمَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَنْ أَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْ يَقْتُلَنِي هَؤُلَاءِ! ثُمَّ قَذَفَ التَّمْرَاتِ مِنْ يَدِهِ، وَأَخَذَ سَيْفَهُ، فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ وَهُوَ يَقُولُ:

رَكُضًا إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ زَادٍ إِلَّا التَّقَى وَعَمَلَ الْمَعَادِ وَالصَّبْرَ فِي اللَّهِ عَلَى الْجِهَادِ وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ غَيْرَ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ. حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، أَنَّ عَوْفَ بْنَ الْحَارِثِ - وَهُوَ ابْنُ عَفْرَاءَ - قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، [مَا يُضْحِكُ الرَّبَّ مِنْ عَبْدِهِ؟] قَالَ: غَمَسَ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا فَنَزَعَ دِرْعًا كَانَتْ عَلَيْهِ، فَقَذَفَهَا، ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ. حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ.

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ صُعَيْرِ الْعُذْرِيِّ، حَلِيفِ بَنِي زُهْرَةَ، قَالَ: لَمَّا التَقَى النَّاسُ، وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، قَالَ أَبُو جَهْلٍ: اللَّهُمَّ أَقْطَعْنَا لِلرَّحِمِ، وَأَتَانَا بِمَا لَا يَعْرِفُ، فَأَحْنَهُ الْغَدَاةَ، فَكَانَ هُوَ الْمُسْتَفْتَحُ عَلَى نَفْسِهِ ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص أَخَذَ حَفَنَةً مِنَ الْخَصْبَاءِ، فَاسْتَقْبَلَ بِهَا قُرَيْشًا، [ثُمَّ قَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ! ثُمَّ نَفَحَهُمْ بِهَا، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: شُدُّوا]، فَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ، فَقَتَلَ اللَّهُ مِنْ قَتَلَ مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، وَأَسَرَ مِنْ أَسَرَ مِنْهُمْ فَلَمَّا وَضَعَ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ يَأْسِرُونَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ص فِي الْعَرِيشِ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ قَائِمٌ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ الَّذِي فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ص، مُتَوَشِّحًا بِالسَّيْفِ، فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَحْرُسُونَ رَسُولَ اللَّهِ ص، يَخَافُونَ عَلَيْهِ كَرَّةَ الْعَدُوِّ، وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ص - فِيمَا ذَكَرَ لِي - فِي وَجْهِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ الْكَرَاهِيَةَ لِمَا يَصْنَعُ النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لَكَاثَنُكَ يَا سَعْدُ تَكْرَهُ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ! قَالَ: أَجَلُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَانَتْ أَوَّلَ وَقْعَةٍ أَوْفَعَهَا اللَّهُ بِالْمُشْرِكِينَ، فَكَانَ الْإِثْخَانُ فِي الْقَتْلِ أُعْجِبَ إِلَيَّ مِنْ أَسْبِقَاءِ الرِّجَالِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

وَحَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْبُدٍ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ،

[إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ لِأَصْحَابِهِ يَوْمَئِذٍ: إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ قَدْ أُخْرِجُوا كَرْهًا، لَا حَاجَةَ لَهُمْ بِقِتَالِنَا، فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ أَبَا الْبَخْتَرِيِّ بْنَ هِشَامٍ بْنَ الْحَارِثِ بْنَ أَسَدٍ فَلَا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَمَ رَسُولٍ فَلَا يَقْتُلْهُ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا أُخْرِجَ مُسْتَكْرَهًا] قَالَ: فَقَالَ أَبُو حُدَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ: أَنْقَتُلْ أَبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا وَأَخَوَانَنَا وَعَشِيرَتَنَا، وَنَتْرُكُ الْعَبَّاسَ! وَاللَّهِ لَئِنْ لَقِيتُهُ لِأَلْحَمْنَهُ السَّيْفَ فَبَلَّغْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص، فَجَعَلَ يَقُولُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: يَا أَبَا حَفْصٍ، أَمَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ أَبِي حُدَيْفَةَ، يَقُولُ: اضْرِبْ وَجْهَ عَمِ رَسُولِ اللَّهِ ص بِالسَّيْفِ! فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي فَلَا ضَرْبَ عُنُقِهِ بِالسَّيْفِ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ نَافَقَ. - قَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لَا أَوَّلَ يَوْمٍ كُنَّا فِيهِ رَسُولَ اللَّهِ ص بِأَبِي حَفْصٍ - قَالَ: فَكَانَ أَبُو حُدَيْفَةَ يَقُولُ: مَا أَنَا بِأَمِنْ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي قُلْتُ يَوْمَئِذٍ، وَلَا أَزَالُ مِنْهَا خَائِفًا إِلَّا أَنْ تُكْفِّرَهَا عَنِّي الشَّهَادَةُ فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَّامَةِ شَهِيدًا قَالَ: وَإِنَّمَا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ص عَنْ قَتْلِ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ، لِأَنَّهُ كَانَ أَكْفَ الْقَوْمِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص وَهُوَ بِمَكَّةَ، كَانَ لَا يُؤْذِيهِ وَلَا يَبْلُغُهُ عَنْهُ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ، وَكَانَ مِمَّنْ قَامَ فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي كَتَبَتْ قُرَيْشٌ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمَطْلَبِ، فَلَقِيَهُ الْمَجْدَرُ بْنُ ذِيادِ الْبَلَوِيِّ، حَلِيفُ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ، فَقَالَ الْمَجْدَرُ بْنُ ذِيادٍ لِأَبِي الْبَخْتَرِيِّ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَدْ نَهَى عَنْ قَتْلِكَ - وَمَعَ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ زَمِيلٌ لَهُ خَرَجَ مَعَهُ مِنْ مَكَّةَ، وَهُوَ جُنَادَةُ بْنُ مَلِيحَةَ بِنْتُ

زُهَيْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ، وَجَنَادَةُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثٍ وَاسِمُ ابْنِ الْبَخْتَرِيِّ الْعَاصِ بْنِ هِشَامِ
ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ - قَالَ: وَزَمِيلِي؟ فَقَالَ: الْمَجْدَرُ: لَا وَاللَّهِ مَا نَحْنُ بِتَارِكِي زَمِيلِكَ، مَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَّا بِكَ وَحَدَّكَ، قَالَ: لَا
وَاللَّهِ إِذَا، لَا مُوتَنَّا أَنَا وَهُوَ جَمِيعًا، لَا تُحَدِّثْ عَنِّي نِسَاءَ قُرَيْشٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَتَى تَرَكْتُ زَمِيلِي حَرَصًا عَلَى الْحَيَاةِ فَقَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ حِينَ
نَازَلَهُ الْمَجْدَرُ، وَأَبَى إِلَّا الْقِتَالَ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ:
لَنْ يَسْلُمَ ابْنُ حَرَّةٍ أَكِلَهُ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَبِيلَهُ فَاقْتَتَلَا، فَقَتَلَهُ الْمَجْدَرُ بْنُ ذِيَادٍ.

قال: ثم أتى المجذر بن ذِيَادٍ رسول الله ص، فَقَالَ:
وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَقَدْ جَهَدْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَأْسِرَ فَاتِيكَ بِهِ، فَأَبَى إِلَّا الْقِتَالَ، فَقَاتَلْتُهُ فَقَتَلْتُهُ.
حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ:

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عُبَادٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ وَحَدَّثَنِي أَيْضًا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَغَيْرُهُمَا، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ،
قَالَ: كَانَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ لِي صَدِيقًا بِمَكَّةَ - وَكَانَ اسْمِي عَبْدَ عَمْرٍو، فَسُمِّيتُ حِينَ أَسَلَمْتُ: عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَنَحْنُ بِمَكَّةَ - قَالَ: فَكَانَ يَلْقَانِي
وَنَحْنُ بِمَكَّةَ، فَيَقُولُ: يَا عَبْدَ عَمْرٍو، أَرَغِبْتَ عَنْ اسْمِ سَمَّاكَ أَبُوكَ؟ فَأَقُولُ نَعَمْ، فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ، فَاجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
شَيْئًا أَدْعُوكَ بِهِ، أَمَا أَنْتَ فَلَا تُجِيبُنِي بِاسْمِكَ الْأَوَّلِ، وَأَمَا أَنَا فَلَا أَدْعُوكَ بِمَا لَا أَعْرِفُ قَالَ: فَكَانَ إِذَا دَعَانِي: يَا عَبْدَ عَمْرٍو، لَمْ أُجِبْهُ،
فَقُلْتُ: اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَا أَبَا عَلِيٍّ مَا شِئْتَ، قَالَ: فَأَنْتَ عَبْدُ الْإِلَهِ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَكُنْتُ إِذَا مَرَرْتُ بِهِ قَالَ: يَا عَبْدَ الْإِلَهِ، فَأُجِيبُهُ،
فَأَتَحَدَّثُ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ، مَرَرْتُ بِهِ وَهُوَ وَقَفَ مَعَ ابْنِهِ عَلِيِّ بْنِ أُمَيَّةَ، أَخِذَا بِيَدِهِ، وَمَعِيَ أَدْرَاعٌ قَدْ اسْتَلَبْتُهَا، فَأَنَا أَخْلُهَا
فَلَمَّا رَأَيْتُ قَالَ: يَا عَبْدَ عَمْرٍو! فَلَمْ أُجِبْهُ،

فَقَالَ: يَا عَبْدَ الْإِلَهِ، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ لَكَ فِيَّ، فَأَنَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ هَذِهِ الْأَدْرَاعِ الَّتِي مَعَكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، هَلُمَّ إِذَا قَالَ: فَطَرَحْتُ
الْأَدْرَاعَ مِنْ يَدَيَّ وَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَيَدَ ابْنِهِ عَلِيٍّ، وَهُوَ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ! أَمَا لَكُمْ حَاجَةٌ فِي اللَّبَنِ! قَالَ: ثُمَّ خَرَجْتُ أَمْشِي بِهِمَا.
حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَبِي عَوْنٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ
عَوْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: قَالَ لِي أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ وَأَنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِهِ، أَخَذَ بِأَيْدِيهِمَا: يَا عَبْدَ الْإِلَهِ، مَنْ الرَّجُلُ
مِنْكُمْ، الْمُعَلَّمُ بِرِيشَةِ نَعَامَةٍ فِي صَدْرِهِ؟ قَالَ: قُلْتُ: ذَاكَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: ذَاكَ الَّذِي فَعَلَ بِنَا الْأَفَاعِيلُ! قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ:
فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَقُودُهُمَا إِذَا رَأَاهُ بِلَالٌ مَعِي - وَكَانَ هُوَ الَّذِي يُعَذِّبُ بِلَالًا بِمَكَّةَ عَلَى أَنْ يَتْرَكَ الْإِسْلَامَ فَيُخْرِجُهُ إِلَى رَمَضَاءَ مَكَّةَ إِذَا حَمِيتُ،
فَيُضْجِعُهُ عَلَى ظَهْرِهِ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَتُضَعُ عَلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّى تَفَارِقَ دِينَ مُحَمَّدٍ، فَيَقُولُ بِلَالُ: أَحَدٌ
أَحَدٌ - فَقَالَ بِلَالُ حِينَ رَأَاهُ: رَأَسَ الْكُفْرَ امِيهِ ابْنِ خَلْفٍ، لَا نَجُوتُ إِنْ نَجُوتَ، قَالَ: قُلْتُ: أَيْ بِلَالُ، اسِيرِي! قَالَ: لَا نَجُوتُ إِنْ نَجُوتَ
قَالَ: قُلْتُ: تَسْمَعُ يَا بَنَ السُّودَاءِ! قَالَ:

لَا نَجُوتُ إِنْ نَجُوتَ، ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا أَنْصَارَ اللَّهِ، رَأَسَ الْكُفْرَ امِيهِ ابْنِ خَلْفٍ، لَا نَجُوتُ إِنْ نَجَا! قَالَ: فَأَحَاطُوا بِنَا، ثُمَّ جَعَلُونَا
فِي مِثْلِ الْمَسْكَةِ

وَأَنَا أَذُبُ عَنْهُ، قَالَ: فَضْرَبَ رَجُلٌ ابْنَهُ فَوَقَعَ قَالَ: وَصَاحَ أُمَيَّةُ صَيْحَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ قَالَ: قُلْتُ: انْجُ بِنَفْسِكَ، وَلَا نَجَاءَ، فَوَاللَّهِ
مَا أُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا قَالَ: فَهَبَرُوهُمَا بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى فَرَّغُوا مِنْهُمَا.
قَالَ: فَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَقُولُ: رَحِمَ اللَّهُ بِلَالًا! ذَهَبَتْ أَدْرَاعِي وَجَعَنِي بِأَسِيرِي.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّهُ حَدَّثَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ، قَالَ: أَقْبَلْتُ أَنَا وَابْنُ عَمِّ لِي حَتَّى أَصْعَدَنَا فِي جَبَلٍ يُشْرِفُ بِنَا عَلَى بَدْرٍ، وَنَحْنُ مُشْرِكَانِ، نَنْتَظِرُ الْوَقْعَةَ عَلَى مَنْ تَكُونُ الدَّبْرَةُ، فَتَنْتَهَبُ مَعَّ مَنْ يَنْتَهَبُ قَالَ: فَبَيْنَا نَحْنُ فِي الْجَبَلِ، إِذْ دَنَتْ مِنَّا سَحَابَةٌ، فَسَمِعْنَا فِيهَا حَمِيمَةَ الْخَيْلِ، فَسَمِعْتُ قَائِلًا:

يَقُولُ: أَقْدِمُ حِزْوُمُ قَالَ: فَأَمَّا ابْنُ عَمِّي فَأَنْكَشَفَ فَنَاقُ قَلْبِهِ فَمَاتَ مَكَانَهُ، وَأَمَّا أَنَا فَكِدْتُ أَهْلَكَ، ثُمَّ تَمَاسَكْتُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ:

وَحَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقَ بْنُ يَسَارٍ، عَنْ رَجَالٍ مِنْ بَنِي مَارِزٍ بْنِ النَّجَّارِ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ الْمَازِنِيِّ - وَكَانَ شَهِيدَ بَدْرًا - قَالَ: إِنِّي لَأَتَّبِعُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ لَا ضَرْبَهُ، إِذْ وَقَعَ رَأْسُهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ سَيْفِي، فَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ قَتَلَهُ غَيْرِي.

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ الْمَصْرِي، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْإِسْكَنْدَرَانِيُّ عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ

كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ابْنِ سَهْلٍ بْنِ حَنِيفٍ، قَالَ: قَالَ لِي أَبِي: يَا بُنَيَّ، لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ، وَإِنَّ أَحَدَنَا لَيُشِيرُ بِسَيْفِهِ إِلَى الْمُشْرِكِ فَيَقَعُ رَأْسُهُ عَنْ جَسَدِهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ السَّيْفُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

وَحَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عُمَارَةَ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ، عَنْ مِقْسِمِ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَتْ سِيَمَاءُ الْمَلَائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ عَمَائِمَ بَيْضًا قَدْ أَرْسَلُوها فِي ظُهُورِهِمْ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ عَمَائِمَ حُمْرًا، وَلَمْ تَقَاتِلِ الْمَلَائِكَةُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ سِوَى يَوْمِ بَدْرٍ وَكَانُوا يَكُونُونَ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْأَيَّامِ عِدَدًا وَمَدَدًا لَا يَضْرِبُونَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدٌ: وَحَدَّثَنِي ثَوْرُ بْنُ زَيْدٍ مَوْلَى بَنِي الدَّيْلِ، عَنْ عِكْرَمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَا: كَانَ مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَوْجِ أَخُو بَنِي سَلَمَةَ يَقُولُ: لَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ عَدُوِّهِ، أَمَرَ بِأَبِي جَهْلٍ أَنْ يَلْتَمِسَ فِي الْقَتْلِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا يَعْجِزَنَّكَ، قَالَ:

فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَ أَبَا جَهْلٍ مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَوْجِ، قَالَ: سَمِعْتُ الْقَوْمَ وَأَبُو جَهْلٍ فِي مِثْلِ الْحَرَجَةِ وَهُمْ يَقُولُونَ: أَبُو الْحَكَمِ لَا يَخْلُصُ إِلَيْهِ فَلَمَّا سَمِعَتْهَا جَعَلَتْهُ مِنْ شَأْنِي، فَصَمَدَتْ نَحْوَهُ، فَلَمَّا أَمَكَّنِي حَمَلْتُ عَلَيْهِ فَضْرِبَتُهُ ضَرْبَةً أَطْنَتْ قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ، فَوَاللَّهِ مَا شَبَّهْتُهَا حِينَ طَاحَتْ إِلَّا النَّوَاةَ تَطِيحُ مِنْ تَحْتِ مَرْصُخَةِ النَّوَى حِينَ يَضْرَبُ بِهَا

قَالَ: وَضَرَبَنِي ابْنُهُ عِكْرَمَةُ عَلَى عَاتِقِي، فَطَرَحَ يَدِي، فَتَعَلَّقْتُ بِجِلْدَةٍ مِنْ جَنْبِي، وَأَجْهَضَنِي الْقِتَالُ عَنْهُ، فَلَقَدْ قَاتَلْتُ عَامَّةَ يَوْمِي، وَإِنِّي لَأَسْجِبُهَا خَلْفِي، فَلَمَّا أَذْنِي جَعَلْتُ عَلَيْهَا رِجْلِي، ثُمَّ تَمَطَّيْتُ بِهَا، حَتَّى طَرَحْتُهَا.

قَالَ: ثُمَّ عَاشَ مُعَاذٌ بَعْدَ ذَلِكَ، حَتَّى كَانَ فِي زَمَنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ:

ثُمَّ مَرَّ بِأَبِي جَهْلٍ - وَهُوَ عَقِيرٌ - مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ، فَضْرِبَهُ حَتَّى أَثْبَتَهُ، فَتَرَكَهُ وَبِهِ رَمَقٌ، وَقَاتَلَ مُعَاذٌ حَتَّى قُتِلَ، فَمَرَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ بِأَبِي جَهْلٍ حِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَنْ يَلْتَمِسَ فِي الْقَتْلِ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص - فِيمَا بَلَغَنِي: انْظُرُوا إِنْ خَفِيَ عَلَيْكُمْ فِي الْقَتْلِ إِلَى أَثَرٍ جُرْحٍ بِرُكْبَتِهِ، فَإِنِّي أَرَدَحَمْتُ أَنَا وَهُوَ يَوْمًا عَلَى مَادِبَةِ لَعْبِدِ اللَّهِ ابْنِ جَدْعَانَ، وَنَحْنُ غُلَامَانِ، وَكُنْتُ أَشْفَ مِنْهُ بَيْسِيرٍ، فَدَفَعْتُهُ، فَوَقَعَ عَلَى رُكْبَتِهِ، فَجَحَشَ فِي إِحْدَاهُمَا جَحْشًا لَمْ يَزَلْ أَثَرُهُ فِيهِ بَعْدَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: فَوَجَدْتُهُ بِأَخْرِ رَمَقٍ، فَعَرَفْتُهُ، فَوَضَعْتُ رِجْلِي عَلَى عُنُقِهِ.

قَالَ: وَقَدْ كَانَ ضَبْتُ بِي مَرَّةً بِمَكَّةَ، فَأَذَانِي وَلَكِنِّي ثُمَّ قُلْتُ: هَلْ أَخْرَكَ اللَّهُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ! قَالَ: وَبِمَاذَا أَخْرَانِي! أَعْمَدُ مِنْ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ! أَخْبِرْنِي لِمَنِ الدِّبْرَةُ؟ الْيَوْمَ قَالَ: قُلْتُ: لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ:

وَزَعَمَ رَجَالٌ مِنْ بَنِي خَزْزُومٍ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ، كَانَ يَقُولُ: قَالَ لِي أَبُو جَهْلٍ:

لَقَدْ ارْتَقَيْتُ يَا رُوَيْعِي الْغَنَمَ مُرْتَقًى صَعْبًا! ثُمَّ احْتَزَزْتُ رَأْسَهُ، ثُمَّ جِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ص، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَأْسُ عَدُوِّ اللَّهِ ابْنِ جَهْلٍ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ! - وَكَأَنْتَ يَمِينُ رَسُولِ اللَّهِ ص - قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، ثُمَّ أَلْقَيْتُ رَأْسَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ص. قَالَ: حَمَدَ اللَّهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُوْمَانَ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِالْقَتْلِ أَنْ يُطْرَحُوا فِي الْقَلْبِ طُرْحُوا فِيهِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أُمِّيَّةَ بْنِ خَلْفٍ، فَإِنَّهُ انْتَفَخَ فِي دِرْعِهِ حَتَّى مَلَأَهَا، فَذَهَبُوا لِيَحْرِكُوهُ، فَتَزَايَلُ فَأَقْرُوهُ، وَالْقَوَا عَلَيْهِ مَا غِيَبَهُ مِنَ التُّرَابِ وَالْحِجَارَةِ، فَلَمَّا أَلْقَاهُمْ فِي الْقَلْبِ، وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَلَيْهِمْ، [فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْقَلْبِ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا! فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَكْلِمُ قَوْمًا مَوْتَى! قَالَ: لَقَدْ عَلِمُوا أَنْ مَا وَعَدْتُهُمْ حَقًّا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَالنَّاسُ يَقُولُونَ: لَقَدْ سَمِعُوا مَا قُلْتَ لَهُمْ، وَأَنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لَقَدْ عَلِمُوا].

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ:

قَالَ: وَحَدَّثَنِي حُمَيْدُ الطَّوِيلُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سَمِعَ اصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ص رَسُولَ اللَّهِ ص، [وَهُوَ يَقُولُ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ: يَا أَهْلَ الْقَلْبِ، يَا عُتْبَةَ بْنَ رِبْعَةَ، يَا شَيْبَةَ بْنَ رِبْعَةَ، يَا أُمِّيَّةَ بْنَ خَلْفٍ، يَا أَبَا جَهْلٍ بْنَ هِشَامٍ - فَعَدَدَ مَنْ كَانَ مَعَهُمْ فِي الْقَلْبِ: هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا، فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا! قَالَ: الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُنَادِي قَوْمًا قَدْ جَيَّفُوا! فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ بِأَسَمِعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُونِي].

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ:

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ، [أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص يَوْمَ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ: قَالَ: يَا أَهْلَ الْقَلْبِ، بِئْسَ عَشِيرَةُ النَّبِيِّ كُنْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ! كَذَبْتُمُونِي وَصَدَقْتُمُونِي، وَأَخْرَجْتُمُونِي وَأَوَانِي النَّاسُ، وَقَاتَلْتُمُونِي وَنَصَرْتُمُونِي النَّاسُ.

ثُمَّ قَالَ: هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ لِلْمَقَالَةِ الَّتِي قَالَ] قَالَ: وَلَمَّا أَمَرَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ص أَنْ يُلْقُوا فِي الْقَلْبِ، أَخَذَ عُتْبَةُ بْنُ رِبْعَةَ فَسَجَبَ إِلَى الْقَلْبِ، فَظَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ص - فِيمَا بَلَغَنِي - فِي وَجْهِ أَبِي حُدَيْفَةَ بْنِ عُتْبَةَ، فَإِذَا هُوَ كَثِيبٌ قَدْ تَغَيَّرَ، فَقَالَ: يَا أَبَا حُدَيْفَةَ، لَعَلَّكَ دَخَلَكَ مِنْ شَأْنِ ابْنِكَ شَيْءٌ! - أَوْ كَمَا قَالَ ص - فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا شَكَكْتُ فِي أَبِي وَلَا فِي مَصْرَعِهِ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ مِنْ أَبِي رَأْيًا وَحِلْمًا وَفَضْلًا، فَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَهْدِيَهُ ذَلِكَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ مَا أَصَابَهُ، وَذَكَرْتُ مَا مَاتَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بَعْدَ الَّذِي كُنْتُ أَرْجُو لَهُ، حَزَنَنِي ذَلِكَ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ص لَهُ بِخَيْرٍ، وَقَالَ لَهُ خَيْرًا.

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص أَمَرَ بِمَا فِي الْعُسْكَرِ مِمَّا جَمَعَ النَّاسُ جَمِيعًا، فَاخْتَلَفَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ، فَقَالَ مَنْ جَمَعَهُ: هُوَ لَنَا، قَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ

ص نَفَلَ كُلَّ امْرِئٍ مَا أَصَابَ، فَقَالَ الَّذِينَ كَانُوا يُقَاتِلُونَ الْعَدُوَّ وَيَطْلُبُونَهُمْ: لَوْلَا نَحْنُ مَا أَصْبَتُمُوهُ، لَنَحْنُ شَغَلْنَا الْقَوْمَ عَنْكُمْ حَتَّى أَصْبَتُمْ مَا أَصْبَتُمْ فَقَالَ الَّذِينَ يَحْرُسُونَ رَسُولَ اللَّهِ ص مَخَافَةً أَنْ يُخَالِفَ إِلَيْهِ الْعَدُوُّ: وَاللَّهِ مَا أَنْتُمْ بِأَحَقَّ بِهِ مِنَّا، لَقَدْ رَأَيْنَا أَنْ نَقْتُلَ الْعَدُوَّ إِذْ وَلَّانَا اللَّهُ، وَمَنْحَنَا أَكْثَفَهُمْ، وَلَقَدْ رَأَيْنَا أَنْ نَأْخُذَ الْمَتَاعَ

حِينَ لَمْ يَكُنْ دُونَهُ مَنْ يَمْنَعُهُ، وَلَكِنْ خَفْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص كَرَّةَ الْعَدُوِّ، فَقُمْنَا دُونَهُ، فَمَا أَنْتُمْ بِأَحَقَّ بِهِ مِنَّا. حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى الْأَشْدَقِ، عَنْ مَكْحُولٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ عَنِ الْأَنْفَالِ، فَقَالَ: فِينَا مَعْشَرُ أَصْحَابٍ بَدَّرَ نَزَلَتْ، حِينَ اخْتَلَفْنَا فِي النَّفْلِ، وَسَاءَتْ فِيهِ أَخْلَاقُنَا، فَزَعَهُ اللَّهُ مِنْ أَيْدِينَا، فَجَعَلَهُ إِلَى رَسُولِهِ، فَقَسَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ بَوَاءٍ- يَقُولُ عَلَى السَّوَاءِ- فَكَانَ فِي ذَلِكَ تَقْوَى اللَّهِ، وَطَاعَةُ رَسُولِهِ، وَصَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ.

قَالَ: ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص عِنْدَ الْفَتْحِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ بَشِيرًا إِلَى أَهْلِ الْعَالِيَةِ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ص وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَبَعَثَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ إِلَى أَهْلِ السَّافِلَةِ.

قَالَ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ: فَاتَانَا الْخَبْرُ حِينَ سَوَيْنَا التُّرَابَ عَلَى رُقِيَّةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ص الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص خَلَفَنِي عَلَيْهَا مَعَ عُثْمَانَ.

قَالَ: ثُمَّ قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ جُنَّتُهُ وَهُوَ وَقِفٌ بِالْمُصَلَّى قَدْ غَشِيَهُ النَّاسُ وَهُوَ يَقُولُ: قُتِلَ عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسُودِ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ، وَأُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ وَنَبِيهِ وَمَنْبِهِ ابْنُ الْحَجَّاجِ قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَهَ أَحَقُّ هَذَا! قَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ يَا بَنِي.

ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَافِلًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَاحْتَمَلَ مَعَهُ النَّفْلَ الَّذِي أُصِيبَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَجَعَلَ عَلَى النَّفْلِ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ كَعْبٍ بْنُ زَيْدِ ابْنِ عَوْفٍ بْنُ مَبْدُولٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ مَازِنِ بْنِ النُّجَارِ ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص حَتَّى إِذَا خَرَجَ مِنْ مَضِيقِ الصَّفَرَاءِ، نَزَلَ عَلَى كَثِيبٍ بَيْنَ الْمَضِيقِ وَبَيْنَ النَّازِيَةِ- يُقَالُ لَهُ سِيرٌ- إِلَى سِرْحَةِ بِهِ، فَقَسَمَ هُنَاكَ النَّفْلَ

الَّذِي أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى السَّوَاءِ، وَاسْتَقَى لَهُ مِنْ مَاءٍ بِهِ يُقَالُ لَهُ الْأَرْوَاقُ.

ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص حَتَّى إِذَا كَانَ بِالرُّوحَاءِ، لَقِيَهِ الْمُسْلِمُونَ يَهْتَنُونَ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ سَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ وَقَشٍ- كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ:

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، كَمَا حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ، وَيَزِيدُ بْنُ رُومَانَ: وَمَا الَّذِي تَهْنَتُونَ بِهِ! فَوَ اللَّهِ إِنْ لَقِينَا إِلَّا عَجَازَ صُلْعًا كَالْبُدَنِ الْمُعْقَلَةِ، فَنَحْرُنَا هَا فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ص، وَقَالَ: يَا بَنِي أَخِي، أُولَئِكَ الْمَلَأُ قَالَ: وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص الْأُسَارَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَكَانُوا أَرْبَعَةً وَأَرْبَعِينَ أَسِيرًا، وَكَانَ مِنَ الْقَتْلَى مِثْلَ ذَلِكَ- وَفِي الْأُسَارَى عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كِلْدَةَ- حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِالصَّفَرَاءِ، قُتِلَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ:

كَمَا حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص، حَتَّى إِذَا كَانَ بِعَرِيقِ الظُّبَيْةِ، قُتِلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَقَالَ حِينَ أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ص أَنْ يُقْتَلَ: فَنَ لِلصَّبِيَةِ يَا مُحَمَّدُ! قَالَ: النَّارُ، قَالَ: فَقَتَلَهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَقْلَحِ الْأَنْصَارِيِّ، ثُمَّ أَحْدُ

بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ.

قَالَ: كَمَا حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: وَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى عِرْقِ الظُّبَيْةِ حِينَ قُتِلَ عَقَبَةُ لَقِيَهُ أَبُو هِنْدٍ مَوْلَى فِرْوَةَ بْنِ عَمْرِو الْبَيَاضِيِّ بِحِمَّتٍ مَمْلُوءَةٍ حَيْسًا، وَكَانَ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرٍ، ثُمَّ شَهِدَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَكَانَ حِجَامَ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: إِنَّمَا أَبُو هِنْدٍ امْرُؤٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَنْكِحُوهُ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِ، فَفَعَلُوا.

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ص حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ قَبْلَ الْأُسَارَى بِيَوْمٍ حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زُرَّارَةَ، قَالَ: قَدِمَ بِالْأُسَارَى حِينَ قَدِمَ بِهِمْ وَسُودَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ص عِنْدَ آلِ عَفْرَاءٍ فِي مَنَاحِيهِمْ عَلَى عَوْفٍ وَمُعَوِذِ ابْنَيْ عَفْرَاءَ- قَالَ: وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهِنَ الْحِجَابُ- قَالَ: تَقُولُ سَوْدَةُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَعِنْدَهُمْ إِذْ أَتَيْنَا، فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى قَدْ أَتَى بِهِمْ، قَالَتْ: فَرَحْتُ إِلَى بَيْتِي وَرَسُولُ اللَّهِ ص فِيهِ، وَإِذَا أَبُو يَزِيدَ سَهْلٌ بْنُ عَمْرِو فِي نَاحِيَةِ الْحَجَرَةِ، مَجْمُوعُهُ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِحَبْلِ، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا مَلَكَتُ نَفْسِي حِينَ رَأَيْتُ أَبَا يَزِيدَ كَذَلِكَ أَنْ قُلْتُ: يَا أَبَا يَزِيدَ، أُعْطِيتُمْ بَايِدِكُمْ، أَلَا مَتَمَّ كَرَامًا! فَوَاللَّهِ مَا انْبَنَى إِلَّا قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ص مِنَ الْبَيْتِ: يَا سَوْدَةُ، أَعْلَى اللَّهُ وَعَلَى رَسُولِهِ! قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا مَلَكَتُ نَفْسِي حِينَ رَأَيْتُ أَبَا يَزِيدَ مَجْمُوعَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِحَبْلِ أَنْ قُلْتُ مَا قُلْتُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي نَبِيَّهُ بْنُ وَهَبٍ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، [أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص حِينَ أَقْبَلَ بِالْأُسَارَى فَرَّقَهُمْ فِي أَصْحَابِهِ، وَقَالَ:

اسْتَوْصُوا بِالْأُسَارَى خَيْرًا]- قَالَ: وَكَانَ أَبُو عَزِيزٍ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمٍ، أَخُو مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ فِي الْأُسَارَى- قَالَ: فَقَالَ أَبُو عَزِيزٍ: مَرَّ بِي أَخِي مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَأْسِرُنِي، فَقَالَ: شُدَّ يَدُكَ بِهِ، فَإِنَّ أُمَّهُ ذَاتَ مَتَاعٍ، لَعَلَّهَا أَنْ تَفْتَدِيَهُ مِنْكَ قَالَ: وَكُنْتُ فِي رَهْطٍ مِنَ الْأَنْصَارِ حِينَ أَقْبَلُوا بِي مِنْ بَدْرٍ، فَكَانُوا إِذَا قَدَّمُوا غَدَاءَهُمْ وَعَشَاءَهُمْ خَصُونِي بِالْخُبْزِ، وَأَكَلُوا التَّمْرَ لَوْصِيهِ رَسُولِ اللَّهِ ص إِيَّاهُمْ بِنَا، مَا تَقَعُ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْهُمْ كِسْرَةً مِنَ الْخُبْزِ إِلَّا نَفَحَنِي بِهَا قَالَ: فَاسْتَحْيَا، فَأَرَدَهَا عَلَى أَحَدِهِمْ فِيرُدُّهَا عَلَيَّ مَا يَمْسُهَا.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ:

وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ مَكَّةَ بِمَصَابِ قُرَيْشِ الْحَيْسَمَانِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِيَّاسِ بْنِ ضَبِيعَةَ بْنِ مَازَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَمْرِو الْخَزَاعِيِّ- قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: الْحَيْسَمَانُ بْنُ حَابِسِ الْخَزَاعِيِّ- قَالُوا: مَا وَرَاءُكَ؟ قَالَ: قَتَلَ عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو الْحَكَمِ بْنُ هِشَامٍ، وَأُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسُودِ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ وَنَبِيَّهُ وَنَبِيَّهُ ابْنَا الْحِجَابِ قَالَ: فَلَمَّا جَعَلَ يَعْدُدُ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ، قَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمِيَّةٍ وَهُوَ قَاعِدُ فِي الْحَجَرِ: وَاللَّهِ إِنْ يَعْقِلَ هَذَا فَسَلُوهُ عَنِّي، قَالُوا: مَا فَعَلَ صَفْوَانُ بْنُ أُمِيَّةٍ؟

قَالَ: هُوَ ذَاكَ جَالِسًا فِي الْحَجَرِ، وَقَدْ وَاللَّهِ رَأَيْتُ أَبَاهُ وَأَخَاهُ حِينَ قَتَلَا.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ:

حَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ص: كُنْتُ غُلَامًا لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ دَخَلَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، وَأَسْلَمْتُ أُمُّ الْفَضْلِ وَأَسْلَمْتُ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ يَهَابُ قَوْمَهُ، وَيَكْرَهُ أَنْ يُخَالَفَهُمْ، وَكَانَ يَكْتُمُ إِسْلَامَهُ، وَكَانَ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ مُتَفَرِّقٍ فِي قَوْمِهِ، وَكَانَ أَبُو لَهَبٍ عَدُوَّ اللَّهِ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرٍ، وَبَعَثَ مَكَانَهُ الْعَاصَ بْنَ هِشَامٍ مِنَ الْمُغِيرَةِ وَكَذَلِكَ صَنَعُوا، لَمْ يَخْلَفْ رَجُلٌ إِلَّا بَعَثَ مَكَانَهُ رَجُلًا، فَلَمَّا جَاءَ الْخَبْرُ عَنْ مُصَابِ أَصْحَابِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، كَبَتْهُ

اللَّهُ وَأَخْزَاهُ، وَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا قُوَّةً وَعِزًّا

قَالَ: وَكُنْتُ رَجُلًا ضَعِيفًا، وَكُنْتُ أَعْمَلُ الْقِدَاحَ، أَنْحَتَا فِي حَجَرِهِ زَمَزَمَ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَجَالِسٌ فِيهَا أَنْحَتُ الْقِدَاحَ، وَعِنْدِي أُمُّ الْفَضْلِ جَالِسَةٌ، وَقَدْ سَرَّنَا مَا جَاءَنَا مِنَ الْخَبَرِ، إِذْ أَقْبَلَ الْفَاسِقُ أَبُو لَهَبٍ يُجِرُ رَجُلَيْهِ بِشَرٍّ، حَتَّى جَلَسَ عَلَى طُنْبِ الْحَجَرَةِ، فَكَانَ ظَهْرُهُ إِلَى ظَهْرِي، فَبَيْنَا هُوَ جَالِسٌ إِذْ قَالَ النَّاسُ: هَذَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ قَدِمَ قَالَ:

فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: هَلُمَّ إِلَى يَا بَنَ أَخِي، فَعِنْدَكَ الْخَبَرُ قَالَ: لَجَلَسَ إِلَيْهِ، وَالنَّاسُ قِيَامٌ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا بَنَ أَخِي، أَخْبِرْنِي، كَيْفَ كَانَ أَمْرُ النَّاسِ؟

قَالَ: لَا شَيْءَ، وَاللَّهِ إِنْ كَانَ إِلَّا أَنْ لَقَيْنَاهُمْ، فَمَنْحَاهُمْ أَكْفَانًا، يَقْتُلُونَنَا وَيَأْسِرُونَ كَيْفَ شَاءُوا، وَإِمْ اللَّهُ مَعَ ذَلِكَ مَا لُمْتُ النَّاسَ، لَقِينَا رَجُلًا بَيْضًا عَلَى خَيْلٍ بُلْقَى بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، مَا تَلِيقُ شَيْئًا وَلَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ قَالَ أَبُو رَافِعٍ: فَرَفَعْتُ طُنْبَ الْحَجَرَةِ بِيَدِي، ثُمَّ قُلْتُ: تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ قَالَ: فَرَفَعَ أَبُو لَهَبٍ يَدَهُ فَضَرَبَ وَجْهِي ضَرْبَةً شَدِيدَةً، قَالَ:

فَنَازَرْتُهُ، فَاحْتَمَلَنِي، فَضَرَبَ بِي الْأَرْضَ ثُمَّ بَرَكَ عَلَيَّ يَضْرِبُنِي - وَكُنْتُ رَجُلًا ضَعِيفًا - فَقَامَتْ أُمُّ الْفَضْلِ إِلَى عُمُوْدٍ مِنْ عُمُدِ الْحَجَرَةِ، فَاخْذَتْهُ فَضَرَبَتْهُ بِهِ ضَرْبَةً فَشَجَّتْ فِي رَأْسِهِ شَجَّةً مُنْكَرَةً، وَقَالَتْ: تَسْتَضَعُفُهُ أَنْ غَابَ عَنْهُ سَيِّدُهُ! فَقَامَ مَوْلَا ذَلِيلًا، فَوَاللَّهِ مَا عَاشَ إِلَّا سَبْعَ لَيَالٍ حَتَّى رَمَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْعَدَسَةِ فَقَتَلَتْهُ، فَلَقَدْ تَرَكَهُ ابْنَاهُ لَيْتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا مَا يَدْفَنَانِهِ حَتَّى أَتَنَّتْ فِي بَيْتِهِ - وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَتَّقِي الْعَدَسَةَ وَعَدُوَّتَهَا كَمَا يَتَّقِي النَّاسُ الطَّاعُونَ - حَتَّى قَالَ لُهُمَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ: وَيَحْكُمَا! أَلَا تَسْتَحْيَانِ أَنَّ أَبَاكُمَا قَدْ أَتَنَّتْ فِي بَيْتِهِ لَا تُغَيِّبَانِهِ! فَقَالَا: إِنَّا نَخْشَى هَذِهِ الْقُرْحَةَ، قَالَ: فَانْطَلِقَا فَاِنَّا مَعَكُمْ، فَمَا غَسَلُوهُ إِلَّا قَذْفًا بِالْمَاءِ عَلَيْهِ مِنْ بَعِيدٍ، مَا يَمْسُونَهُ، ثُمَّ احْتَمَلُوهُ فَدَفَنُوهُ بِأَعْلَى مَكَّةَ إِلَى حِدَارٍ، وَقَذَفُوا عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ حَتَّى وَارَوْهُ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْبُدٍ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا أَمْسَى الْقَوْمُ مِنْ يَوْمٍ بَدَرٍ، وَالْأَسَارَى مَحْبُوسُونَ فِي الْوُثَاقِ، بَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَ سَاهِرًا أَوَّلَ لَيْلَةٍ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ لَا تَنَامُ! فَقَالَ: سَمِعْتُ تَضَوُّرَ الْعَبَّاسِ فِي وَثَاقِهِ، قَالَ: فَقَامُوا إِلَى الْعَبَّاسِ فَاطْلَقُوهُ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص. حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: لَحَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عِمْرَانَ، عَنْ الْحَكَمِ بْنِ عَتِيبَةَ بْنِ مِقْسَمٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ الَّذِي أَسَرَ الْعَبَّاسَ أَبُو الْيُسْرِ كَعْبُ بْنُ عَمْرِو أَخُو بَنِي سَلَمَةَ، وَكَانَ أَبُو الْيُسْرِ رَجُلًا مَجْجُوعًا، وَكَانَ الْعَبَّاسُ رَجُلًا جَسِيمًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِأَبِي الْيُسْرِ: كَيْفَ أَسَرْتَ الْعَبَّاسَ يَا أَبَا الْيُسْرِ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ أَعَانَنِي عَلَيْهِ رَجُلٌ مَا رَأَيْتُهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَا بَعْدَهُ، هَيْئَتُهُ كَذَا وَكَذَا، [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لَقَدْ أَعَانَكَ عَلَيْهِ مَلَكٌ كَرِيمٌ].

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ عَبْدًا، قَالَ: نَاحَتْ قُرَيْشٌ عَلَى قَتْلَاهُمْ، ثُمَّ قَالُوا: لَا تَفْعَلُوا فَيَبْلُغُ ذَلِكَ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، فَيَشْمَتُ بِكُمْ، وَلَا تَبْعَثُوا فِي فِدَاءِ أَسْرَاكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنُوا بِهِمْ، لَا يَتَأَرَّبُ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ فِي الْفِدَاءِ

قَالَ: وَكَانَ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ أُصِيبَ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنْ وَلَدِهِ: زَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَعَقِيلُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَالْحَارِثُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَبْكِيَ عَلَى بَنِيهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ سَمِعَ نَائِحَةً مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ لِغُلَامٍ لَهُ وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ: انْظُرْ هَلْ أَحَلَّ النَّحْبُ؟ هَلْ بَكَتْ قُرَيْشٌ عَلَى قَتْلَاهَا؟ لَعَلِّي أَبْكِي عَلَى أَبِي حَكِيمَةَ - يَعْنِي زَمْعَةَ - فَإِنَّ جَوْفِي قَدْ احْتَرَقَ! قَالَ:

فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهِ الْغُلَامُ، قَالَ: إِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ تَبْكِي عَلَى بَعِيرٍ لَهَا أَضَلَّتْهُ قَالَ: فذلِكَ حِينَ يَقُولُ:

أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ ... وَيَمْنَعَهَا مِنَ النَّوْمِ السُّهُودُ
فَلَا تَبْكِي عَلَى بَكْرٍ وَلَكِنْ ... عَلَى بَدْرٍ تَقَاصَرَتْ الْجُدُودُ
عَلَى بَدْرٍ سَرَاةِ بَنِي هُصَيْصٍ ... وَمَخْزُومٍ وَرَهْطِ أَبِي الْوَلِيدِ
وَبِكِّي إِنْ بَكَيْتِ عَلَى عَقِيلٍ ... وَبِكِّي حَارِثًا أَسَدَ الْأُسُودِ
وَبِكِّيهِمْ وَلَا تَسْمِي جَمِيعًا ... فَمَا لِأَبِي حُكِيمَةٍ مِنْ نَدِيدٍ
أَلَا قَدْ سَادَ بَعْدَهُمْ رِجَالٌ ... وَلَوْلَا يَوْمَ بَدْرٍ لَمْ يَسُودُوا

قَالَ: وَكَانَ فِي الْأَسَارَى أَبُو وَدَاعَةَ بْنُ ضُبَيْرَةَ السَّهْمِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: إِنَّ لَهُ ابْنًا تَاجِرًا كَيْسًا ذَا مَالٍ، وَكَأَنَّكُمْ بِهِ قَدْ جَاءَكُمْ فِي فِدَاءِ أَبِيهِ! قَالَ: فَلَمَّا قَالَتْ قُرَيْشٌ: لَا تَعْجَلُوا فِي فِدَاءِ أُسْرَائِكُمْ لَا يَتَّارِبُ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ، قَالَ الْمُطَّلِبُ بْنُ أَبِي وَدَاعَةَ- وَهُوَ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَنَى:- صَدَقْتُمْ، لَا تَعْجَلُوا بِفِدَاءِ أُسْرَائِكُمْ

ثُمَّ أُنْسِلَ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَأَخَذَ أَبَاهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ، ثُمَّ بَعَثَتْ قُرَيْشٌ فِي فِدَاءِ الْأَسَارَى، فَقَدِمَ مَكْرَزَ بَنِ حَفْصِ بْنِ الْأَخِيفِ فِي فِدَاءِ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَكَانَ الَّذِي أَسْرَهُ مَالِكُ بْنُ الدُّخَشِمِ، أَخُو بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ، وَكَانَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو أَعْلَمَ مِنْ شَفْتِهِ السُّفْلَى.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ:

لَحْدَثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَطَاءٍ بْنُ عِيَّاشِ بْنِ عَلْقَمَةَ، أَخُو بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَزِعْ ثَنِيَّتِي سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو السُّفْلَيْنِ يَدْلَعُ لِسَانَهُ، فَلَا يَقُومُ عَلَيْكَ خَطِيبًا فِي مَوْطِنٍ أَبَدًا، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لَا أُمِثْلُ بِهِ فِيمِثْلُ اللَّهِ بِي، وَإِنْ كُنْتُ نَبِيًّا].

قَالَ: وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ لِعُمَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: إِنَّهُ عَسَى أَنْ يَقُومَ مَقَامًا لَا تَدُمُهُ، فَلَمَّا قَاوَلَهُمْ فِيهِ مَكْرَزُ، وَانْتَهَى إِلَى رِضَاهُمْ، قَالُوا: هَاتِ الَّذِي لَنَا قَالَ: اجْعَلُوا رِجْلِي مَكَانَ رِجْلِهِ، وَخَلُّوا سَبِيلَهُ حَتَّى يَبْعَثَ إِلَيْكُمْ بِفِدَائِهِ قَالَ: نَخْلُؤُا سَبِيلَ سُهَيْلٍ، وَحَبَسُوا مَكْرَزًا مَكَانَهُ عِنْدَهُمْ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ الْكَلْبِيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حِينَ انْتَهَى بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ: يَا عَبَّاسُ، أَفَدِ نَفْسَكَ وَابْنِي أَخِيكَ عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ، وَحَلِيفَكَ عُبَيْةَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ جَحْدَمٍ، أَخَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ، فَإِنَّكَ ذُو مَالٍ

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ مُسْلِمًا، وَلَكِنَّ الْقَوْمَ اسْتَكْرَهُونِي، فَقَالَ:

اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِسْلَامِكَ، إِنْ يَكُنْ مَا تَذْكُرُ حَقًّا فَاللَّهُ يُجْزِيكَ بِهِ، فَأَمَّا ظَاهِرُ أَمْرِكَ فَقَدْ كَانَ عَلَيْنَا، فَأَفَدِ نَفْسَكَ- وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَدْ أَخَذَ مِنْهُ عِشْرِينَ أُوقِيَةً مِنْ ذَهَبٍ- فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحْسِبْهَا لِي فِي فِدَائِي، قَالَ: لَا، ذَاكَ شَيْءٌ أَعْطَانَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْكَ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَيْسَ لِي مَالٌ قَالَ: فَأَيْنَ الْمَالُ الَّذِي وَضَعْتَهُ بِمَكَّةَ حَيْثُ خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِ أُمِّ الْفَضْلِ بِنْتِ الْحَارِثِ، لَيْسَ مَعَكُمْ أَحَدٌ ثُمَّ

قُلْتُ لَهَا: إِنَّ أُصِيبْتُ فِي سَفَرِي هَذَا فَلِلْفَضْلِ كَذَا وَكَذَا، وَلِعَبْدِ اللَّهِ كَذَا وَكَذَا، وَلِقَمِّ كَذَا وَكَذَا، وَلِعَبْدِ اللَّهِ كَذَا وَكَذَا! قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عَلِمَ هَذَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرَهَا، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَدَى الْعَبَّاسُ نَفْسَهُ وَابْنِي أَخِيهِ وَحَلِيفَهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ، عَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، قَالَ: كَانَ عَمْرُو بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ - وَكَانَ لَابَنَةَ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مَعْبُطٍ - أُسِيرًا فِي يَدِي رَسُولِ اللَّهِ ص مِنْ أَسَارَى بَدْرٍ، فَقِيلَ لِأَبِي سُفْيَانَ: أَفِدْ عَمْرًا، قَالَ: أَتَجْمَعُ عَلَيَّ دَمِي وَمَالِي! قَتَلُوا حَنْظَلَةَ وَأَفْدَى عَمْرًا! دَعَوْهُ فِي أَيْدِيهِمْ يَمْسِكُوهُ مَا بَدَأَ لَهُمْ قَالَ: فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ مَحْبُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص، خَرَجَ سَعْدُ بْنُ النُّعْمَانِ بْنُ أَكَّالٍ، أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي مُعَاوِيَةَ مُعْتَمِرًا، وَمَعَهُ مَرِيَّةٌ لَهُ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا مُسْلِمًا فِي غَمٍّ لَهُ بِالنَّقِيعِ، فَخَرَجَ مِنْ هُنَالِكَ مُعْتَمِرًا، وَلَا يَخْشَى الَّذِي صَنَعَ بِهِ، لَمْ يَظُنْ أَنَّهُ يُحْبَسُ بِمَكَّةَ، إِنَّمَا جَاءَ مُعْتَمِرًا، وَقَدْ عَهْدَ قُرَيْشًا لَا تَعْتَرِضُ لِأَحَدٍ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا إِلَّا بِخَبَرٍ، فَعَدَا عَلَيْهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، فَحَبَسَهُ بِمَكَّةَ بِابْنِهِ عَمْرُو بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ:

أَرْهَطُ ابْنَ أَكَّالٍ أَجِيبُوا دُعَاءَهُ ... تَعَاقَدْتُمْ لَا تَسْلُبُوا السَّيِّدَ الْكَهْلَا

فَإِنَّ بَنِي عَمْرِو لَكُمْ أَذَلَّةٌ ... لِئِنْ لَمْ يَفْكُوا عَنْ أُسْرِهِمُ الْكِبَلَا

قَالَ: فَخَشَى بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَأَخْبَرُوهُ خَبْرَهُ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يُعْطِيَهُمْ عَمْرُو بْنُ أَبِي سُفْيَانَ فَيَفْكُوا شَيْخَهُمْ، فَفَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَبَعَثُوا بِهِ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ، فَخَلَّى سَبِيلَ سَعْدٍ.

قَالَ: وَكَانَ فِي الْأَسَارَى أَبُو الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ خَتَنَ رَسُولِ اللَّهِ ص، زَوْجُ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ، وَكَانَ أَبُو الْعَاصِ مِنْ رِجَالِ مَكَّةَ الْمَعْدُودِينَ مَالًا وَأَمَانَةً وَتِجَارَةً، وَكَانَ لَهُ لَهْلَاءُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَكَانَتْ خَدِيجَةً خَالَتَهُ، فَسَأَلَتْ خَدِيجَةَ رَسُولَ اللَّهِ ص أَنْ يَزُوجَهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَا يُخَالِفُهَا، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِ، فَزَوَّجَهَا، فَكَانَتْ تُعَدُّ بِمَنْزِلَةِ وَلَدِهَا، فَلَهَا أَكْرَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ بِنُبُوَّتِهِ أَمَنَتْ بِهِ خَدِيجَةُ وَبَنَاتُهُ، فَصَدَّقَتْهُ وَشَهِدَتْ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَدَنَّ بِدِينِهِ، وَثَبَّتَ أَبُو الْعَاصِ عَلَى شِرْكَه.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَدْ زَوَّجَ عُتْبَةَ بْنَ أَبِي لَهَبٍ إِحْدَى ابْنَتَيْهِ رُقِيَّةً أَوْ أُمَّ كَلْثُومَ، فَلَمَّا بَادَى قُرَيْشًا بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَاعَدُوهُ، قَالُوا: إِنَّكُمْ قَدْ فَرَّغْتُمْ مُحَمَّدًا مِنْ هِمِّهِ، فَزَوَّجُوا عَلَيْهِ بَنَاتِهِ، فَاشْغَلُوهُ بِهِنَّ، فَخَشُوا إِلَى أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالُوا لَهُ: فَارِقْ صَاحِبَتَكَ، وَنَحْنُ نَزَوِّجُكَ أَيَّ امْرَأَةٍ شِئْتَ مِنْ قُرَيْشٍ، قَالَ: لَا هَا اللَّهُ إِذَا، لَا أَفَارِقُ صَاحِبَتِي وَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِأَمْرَاتِي امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يُبْنِي عَلَيْهِ فِي صَهْرِهِ خَيْرًا - فِيمَا بَلَغَنِي.

قَالَ: ثُمَّ مَشَوْا إِلَى الْفَاسِقِ ابْنِ الْفَاسِقِ، عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ، فَقَالُوا لَهُ:

طَلَّقِ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ وَنَحْنُ نَزَوِّجُكَ أَيَّ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ شِئْتَ، فَقَالَ: إِنَّ زَوْجَتُمُونِي ابْنَةَ أَبَانَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، أَوْ ابْنَةَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَارْقَتَهَا فَزَوَّجُوهُ ابْنَةَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَفَارَقَهَا، وَلَمْ يَكُنْ عَدُوَّ اللَّهِ دَخَلَ بِهَا، فَأَخْرَجَهَا اللَّهُ مِنْ يَدِهِ كَرَامَةً لَهَا، وَهُوَ نَافِلٌ عَلَيْهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ بَعْدَهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَا يَحِلُّ بِمَكَّةَ وَلَا يُحْرِمُ مُغْلِبًا عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ فَرَّقَ بَيْنَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ص حِينَ أَسْلَمَتْ وَبَيْنَ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ، إِلَّا أَنْ رَسُولُ اللَّهِ ص كَانَ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَفْرِقَ بَيْنَهُمَا، فَاقَامَتْ مَعَهُ عَلَى إِسْلَامِهِمْ وَهُوَ عَلَى شِرْكِهِ، حَتَّى هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَلَمَّا سَارَتْ قُرَيْشٌ إِلَى بَدْرٍ سَارَ فِيهِمْ أَبُو الْعَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ، فَأُصِيبَ فِي الْأَسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ، عَنْ أَبِيهِ عِبَادٍ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ص، قَالَتْ: لَمَّا بَعَثَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ إِسْرَائِيهِمْ، بَعَثَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي فِدَاءِ أَبِي الْعَاصِ ابْنِ الرَّبِيعِ بِمَالٍ، وَبَعَثَتْ فِيهِ بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ خَدِيجَةُ أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى أَبِي الْعَاصِ حِينَ بَنَى عَلَيْهَا.

قَالَتْ: فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ص رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا فَافْعَلُوا! فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَطْلَقُوهُ وَرَدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَدْ أَخَذَ عَلَيْهِ - أَوْ وَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ ص - أَنْ يُخْلِيَ سَبِيلَ زَيْنَبَ إِلَيْهِ، أَوْ كَانَ فِيمَا شَرَطَ عَلَيْهِ فِي إِطْلَاقِهِ، وَلَمْ يَظْهَرْ ذَلِكَ مِنْهُ وَلَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَيَعْلَمُ مَا هُوَ! إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ أَبُو الْعَاصِ إِلَى مَكَّةَ وَخَلِيَ سَبِيلَهُ، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَرَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ مَكَانَهُ، فَقَالَ:

كُونَا بِبَطْنِ يَأْجُجَ، حَتَّى تَمُرَّ بِكُمَا زَيْنَبُ فَتَصْحَبَاها، حَتَّى تَأْتِيَانِي بِهَا، نَخْرُجَا مَكَانَهُمَا، وَذَلِكَ بَعْدَ بَدْرِ بِشَهْرٍ أَوْ شَعْبَةٍ فَلَمَّا قَدِمَ أَبُو الْعَاصِ مَكَّةَ أَمَرَهَا بِالْحُقُوقِ بِأَيِّهَا، فَخَرَجَتْ تَجْهَزُّ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، قَالَ: حَدَّثْتُ عَنْ زَيْنَبَ أَنَّهَا قَالَتْ: بَيْنَا أَنَا أَتَجْهَزُّ بِمَكَّةَ لِلْحُقُوقِ بِأَبِي، لَقِيتُنِي هُنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ، فَقَالَتْ: أَيُّ ابْنَةِ مُحَمَّدٍ، أَلَمْ يَلْغِيَنَّ أَنَّكَ تُرِيدِينَ الْحُقُوقَ بِأَبِيكَ! قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَا أَرَدْتُ ذَلِكَ، قَالَتْ: أَيُّ ابْنَةِ عَمِّي، لَا تَفْعَلِي، إِنْ كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ مِمَّا يَرْفُقُ بِكَ فِي سَفَرِكَ، أَوْ بِمَالٍ تَبْلُغِينَ بِهِ إِلَى أَبِيكَ، فَإِنَّ عِنْدِي حَاجَتَكَ فَلَا تَضْطِئِي مِنِّي، فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ بَيْنَ النِّسَاءِ مَا يَدْخُلُ بَيْنَ الرِّجَالِ قَالَتْ: وَوَاللَّهِ مَا أَرَاهَا قَالَتْ ذَلِكَ إِلَّا لِتَفْعَلَ.

قَالَتْ: وَلَكِنِّي خِفْتُهَا، فَانْكَرْتُ أَنْ أَكُونَ أُرِيدُ ذَلِكَ، وَتَجْهَزْتُ.

فَلَمَّا فَرَغَتْ ابْنَةُ رَسُولِ اللَّهِ ص مِنْ جَهَازِهَا قَدِمَ لَهَا حَمُوها كَثَانَةُ بْنُ الرَّبِيعِ أَخُو زَوْجِهَا بَعِيرًا فَرَكَبَتْهُ، وَأَخَذَ قَوْسَهُ وَكَلْبَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ بِهَا نَهَارًا يَقُودُ بِهَا، وَهِيَ فِي هَوْدَجٍ لَهَا وَتَحْدُثُ بِذَلِكَ رِجَالُ قُرَيْشٍ،

فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهَا حَتَّى أَدْرَكُوها بِذِي طُوًى، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ سَبَقَ إِلَيْهَا هَبَارُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى وَنَافِعُ بْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ، وَالْفَهْرِيُّ فَرَّوْعَهَا هَبَارُ بِالرُّجِّ وَهِيَ فِي هَوْدَجِهَا - وَكَانَتْ الْمَرْأَةُ حَامِلًا، فِيمَا يَزْعُمُونَ - فَلَمَّا رَجَعَتْ طَرَحَتْ ذَا بَطْنِهَا، وَبَرَكَ حَمُوها، وَنَثَرَ كَلْبَتَهُ ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَدْنُو مِنِّي رَجُلٌ إِلَّا وَضَعْتُ فِيهِ سَهْمًا، فَتَكَرَّرَ النَّاسُ عَنْهُ، وَأَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ فِي جُلَّةٍ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، كُفَّ عَنَّا نَبْلَكَ حَتَّى نَكْلِكَ، فَكَفَّ فَأَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَمْ تُصِبْ، خَرَجْتَ بِالْمَرْأَةِ عَلَى رُءُوسِ الرِّجَالِ عِلَانِيَةً، وَقَدْ عَرَفْتَ مُصِيبَتَنَا وَنَكْبَتَنَا وَمَا دَخَلَ عَلَيْنَا مِنْ مُحَمَّدٍ، فَيُظَنُّ النَّاسُ إِذَا خَرَجَ بِابْنَتِهِ عِلَانِيَةً مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا أَنْ ذَلِكَ عَنْ ذُلِّ أَصْلَابِنَا عَنْ مُصِيبَتِنَا وَنَكْبَتِنَا الَّتِي كَانَتْ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنَّا ضَعْفٌ وَوَهْنٌ، لَعَمْرِي مَا لَنَا حَاجَةٌ فِي حَبْسِهَا عَنْ أَبِيهَا، وَمَا لَنَا فِي ذَلِكَ مِنْ ثَوْرَةٍ، وَلَكِنْ أَرْجِعِ الْمَرْأَةَ، فَإِذَا هَذَا الصَّوْتُ، وَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّا قَدْ رَدَدْنَاهَا، فَسَلَّهَا سِرًّا فَالْحَقَّ بِأَيِّهَا فَفَعَلَ حَتَّى إِذَا هَذَا الصَّوْتُ خَرَجَ بِهَا لَيْلًا، حَتَّى أَسْلَمَهَا إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَصَاحِبِهِ، فَقَدِمَا بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص.

قَالَ: فَأَقَامَ أَبُو الْعَاصِ بِمَكَّةَ، وَأَقَامَتْ زَيْنَبُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص بِالْمَدِينَةِ، قَدْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا الْإِسْلَامُ، حَتَّى إِذَا كَانَ قَبِيلُ الْفَتْحِ خَرَجَ تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ - وَكَانَ رَجُلًا مَأْمُونًا بِمَالٍ لَهُ، وَأَمْوَالُ رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ ابْضَعُوهَا مَعَهُ - فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ تِجَارَتِهِ - وَأَقْبَلَ قَافِلًا، لَقِيَتْهُ سَرِيهَ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَأَصَابُوا مَا مَعَهُ، وَأَعْجَزَهُمْ هَرَبًا، فَلَمَّا قَدِمَتِ السَّرِيَّةُ بِمَا أَصَابُوا مِنْ مَالِهِ، أَقْبَلَ أَبُو الْعَاصِ تَحْتَ اللَّيْلِ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ

ص، فَاسْتَجَارَ بِهَا، فَأَجَارَتْهُ فِي طَلَبِ مَالِهِ، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى الصُّبْحِ - حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: كَمَا حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُوْمَانَ - فَكَبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ مَعَهُ، صَرَخَتْ زَيْنَبُ مِنْ صُفَّةِ النَّسَاءِ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ فَلَمَّا سَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنَ الصَّلَاةِ، أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، [فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، هَلْ سَمِعْتُمْ مَا سَمِعْتُ! قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَّا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا عَلِمْتُ بِشَيْءٍ كَانَ حَتَّى سَمِعْتُ مِنْهُ مَا سَمِعْتُ، إِنَّهُ يُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ ثُمَّ انصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ، فَقَالَ: أَيُّ بَنِيَّةٍ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ وَلَا يَخْلُصُ إِلَيْكَ، فَإِنَّكَ لَا تَحْلِينَ لَهُ] حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، [أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص بَعَثَ إِلَى السَّرِيَّةِ الَّذِينَ أَصَابُوا مَالَ أَبِي الْعَاصِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ مَنَا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ أَصَبْتُمْ لَهُ مَالًا، فَإِنْ تَحَسَّنُوا تَرُدُّوهُ عَلَيْهِ الَّذِي لَهُ، فَإِنَّا نَحِبُ ذَلِكَ، وَإِنْ أَيْتَمَ فَهُوَ فِيءُ اللَّهِ الَّذِي أَفَاءَهُ عَلَيْكُمْ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَلْ نَرُدُّهُ عَلَيْهِ! قَالَ: فَارُدُّوهُ عَلَيْهِ مَالَهُ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِي بِالْحَبْلِ، وَيَأْتِي الرَّجُلَ بِالشَّنَةِ وَالْإِدَاوَةِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَأْتِي بِالشُّطَاظِ، حَتَّى رَدُّوهُ عَلَيْهِ مَالَهُ بِأَسْرِهِ، لَا يَفْقِدُ مِنْهُ شَيْئًا ثُمَّ احْتَمَلَ إِلَى مَكَّةَ، فَأَدَّى إِلَى كُلِّ ذِي مَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ مَالَهُ مِمَّنْ كَانَ أَبْضَعَ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هَلْ بَقِيَ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ عِنْدِي مَالٌ لَمْ يَأْخُذْهُ؟ قَالُوا: لَا جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، فَقَدْ وَجَدْنَاكَ وَفِيًّا كَرِيمًا، قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَاللَّهِ مَا مَنَعَنِي مِنَ الْإِسْلَامِ عِنْدَهُ إِلَّا تَخَوُّفُ أَنْ تَظُنُّوا أَنِّي إِنَّمَا أَرَدْتُ أَكُلَ أَمْوَالِكُمْ، فَلَمَّا آدَاها اللَّهُ إِلَيْكُمْ، وَفَرَّغْتُ مِنْهَا أَسَلْتُ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص. حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي دَاوُدُ بْنُ الْحَصِينِ، عَنْ عِكْرَمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: رَدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ص زَيْنَبَ بِالنِّكَاحِ الْأَوَّلِ، وَلَمْ يُحْدِثْ شَيْئًا بَعْدَ سِتِّ سِنِينَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: جَلَسَ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ الْجُمَحِيُّ مَعَ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بَعْدَ مُصَابِ أَهْلِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَسِيرُ فِي الْحَجْرِ - وَكَانَ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ شَيْطَانًا مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ مِمَّنْ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ص وَأَصْحَابَهُ، وَيَلْقُونَ مِنْهُ عَنَاءً وَهُمْ بِمَكَّةَ، وَكَانَ ابْنُهُ وَهَبُ بْنُ عُمَيْرٍ فِي أُسَارَى بَدْرٍ - فَذَكَرَ أَصْحَابُ الْقَلْبِ وَمُصَابِهِمْ، فَقَالَ صَفْوَانُ: وَاللَّهِ إِنَّ فِي الْعَيْشِ خَيْرَ بَعْدَهُمْ، فَقَالَ عُمَيْرُ: صَدَقْتَ وَاللَّهِ! أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا دِينٌ عَلَيَّ لَيْسَ لَهُ عِنْدِي قَضَاءٌ وَعِيَالٌ أَخْتِى عَلَيْهِمُ الضَّيْعَةُ بَعْدِي، لَرَكِبْتُ إِلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى أَقْتُلَهُ، فَإِنِّي لِي قَبْلَهُمْ عَلَةً، ابْنِي أَسِيرٌ فِي أَيْدِيهِمْ.

فَاغْتَمَمَهَا صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، فَقَالَ: عَلَيَّ دِينُكَ أَنَا أَقْضِيهِ عَنْكَ، وَعِيَالُكَ مَعَ عِيَالِي أَوْاسِيهِمْ مَا بَقُوا، لَا يَسْعِي شَيْءٌ وَيَعْجُزُ عَنْهُمْ، قَالَ عُمَيْرُ:

فَاكْتُمُ عَلَيَّ شَأْنِي وَشَأْنُكَ: قَالَ: افْعَلْ

قَالَ: ثُمَّ إِنَّ عُمَيْرًا أَمَرَ بِسَيْفِهِ فَشَحَذَ لَهُ وَسَمَّ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَبَيْنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَسْجِدِ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ يَوْمِ بَدْرٍ، وَيَذْكُرُونَ مَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ، وَمَا أَرَاهُمْ فِي عَدُوِّهِمْ، إِذْ نَظَرَ عُمَرُ إِلَى عُمَيْرِ بْنِ وَهَبٍ حِينَ أَنَاخَ بَعِيرَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، مُتَوَسِّحًا السَّيْفَ، فَقَالَ: هَذَا الْكَلْبُ عَدُوُّ اللَّهِ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ، مَا جَاءَ إِلَّا لِشَرٍّ! وَهُوَ الَّذِي حَرَّشَ بَيْنَنَا، وَحَزَرَنَا لِلْقَوْمِ يَوْمَ بَدْرٍ ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَذَا عَدُوُّ اللَّهِ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ قَدْ جَاءَ مُتَوَسِّحًا سَيْفَهُ، قَالَ: فَأَدْخِلْهُ عَلَيَّ.

قَالَ: فَأَقْبَلَ عُمَرُ حَتَّى أَخَذَ بِحِمَالَةِ سَيْفِهِ فِي عُنُقِهِ، فَلَبِىَهُ بِهَا، وَقَالَ لِرَجَالٍ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْأَنْصَارِ: ادْخُلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فَاجْلِسُوا عِنْدَهُ، وَاحْذَرُوا هَذَا الْخَلِيطَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ ثُمَّ دَخَلَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص.

فلما رآه رسول الله ص وعمر أخذ بحمالة سيفه، قال: أرسله يا عمر، أدن يا عمير، فدنا ثم قال: أنعموا صباحاً - وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله ص: قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة، قال: أما والله يا محمد إن كنت لحديث عهد بها قال: ما جاء بك يا عمير؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم، فأحسنوا فيه قال: فما بال السيف في عنقك! قال: قبحها الله من سيوف! وهل أغنت شيئاً! قال: اصدفني بالذي جئت له، قال: ما جئت إلا لذلك، فقال: بلى، فعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القلب من قريش، ثم قلت: لولا دين علي وعيالي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان يدنيك وعيالك، على أن تقتلني له والله عز وجل حائل بيني وبينك.

فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالخذ الله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق ثم تشهد شهادة الحق، [فقال رسول الله ص، فقهاوا أخاكم في دينه، وأقرئوه وعليه القرآن، وأطلقوا له أسيره] .

قال: ففعلوا، ثم قال: يا رسول الله: إني كنت جاهداً في إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله، وإني أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام، لعل الله أن يهديهم! وإلا أذيتهم في دينهم كما كنت أؤدي أصحابك في دينهم. قال: فأذن له رسول الله ص، فليحق بمكة، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول لقريش: أبشروا بوقعة تأتاكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الركبان، حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه، خلف ألا يكلمه أبداً ولا ينفعه بفتح أبداً فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويؤدي من خالفه أذى شديداً فأسلم على يديه أناس كثير.

فلما انقضى أمر بدر، أنزل الله عز وجل فيه من القرآن الأنفال بأسرها حدثنا أحمد بن منصور، قال: حدثنا عاصم بن علي، قال: حدثنا عكرمة بن عمار، قال: حدثنا أبو زميل، قال: حدثني عبد الله بن عباس، حدثني عمر بن الخطاب، قال: لما كان يوم بدر التقوا، فهزم الله المشركين، فقتل منهم سبعون رجلاً، وأسر سبعون رجلاً، فلما كان يومئذ شاور رسول الله ص أبا بكر وعلياً وعمر، فقال أبو بكر: يا نبي الله، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذنا منهم قوة، وعسى الله أن يهديهم.

فيكونوا لنا عضداً فقال رسول الله ص: ما ترى يا بن الخطاب؟ قال: قلت: لا والله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكيني من فلان فأضرب عنقه، وتمكن حمزة من أخ له فيضرب عنقه، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هودة للكفار، هؤلاء صناديدهم وقادتهم وأئمتهم.

قال: فهوي رسول الله ص ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت أنا، فأخذ منهم الفداء، فلما كان الغد قال عمر: غدوت إلى النبي ص وهو قاعد وأبو بكر، وإذا هما يبيكان، قال:

قلت: يا رسول الله أخبرني ماذا يبيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد تباً كيت لبيكاً فقال رسول الله ص: للذي عرض علي أصحابك من الفداء لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قريبة - وأنزل الله عز وجل: «ما كان لني أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض» إلى قوله: «فيما أخذتم عذاب عظيم»، ثم أحل لهم الغنائم.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْقَابِلِ فِي أَحَدِ عَوَقِبُوا بِمَا صَنَعُوا، قَتَلَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص سَبْعُونَ، وَأَسْرَ سَبْعُونَ، وَكُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ وَهَشِمَتْ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ، وَسَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ، وَفَرَّ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ص، وَصَعَدُوا الْجَبَلَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ: «أَوَلَمْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا» إِلَى قَوْلِهِ:

«إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْأُخْرَى:

«إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ» إِلَى قَوْلِهِ: «مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً»

حَدَّثَنِي سَلَمُ بْنُ جُنَادَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، وَجِيَءَ بِالْأَسْرَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص:

مَا تَقُولُونَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَوْمُكَ وَاهْلُكَ، اسْتَبَقْتَهُمْ وَاسْتَأْنَيْتَهُمْ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُتُوبَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَذَّبُوكَ وَأَخْرَجُوكَ، قَدِمْتُمْ فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْظُرْ وَادِيًا كَثِيرَ الْحَطَبِ فَأَدْخَلَهُمْ فِيهِ، ثُمَّ أَضْرَمَهُ عَلَيْهِمْ نَارًا قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: قَطَعْتَكَ رَحْمًا! قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ص فَلَمْ يُجِبْهُمْ، ثُمَّ دَخَلَ، فَقَالَ نَاسٌ: يَأْخُذُ بِقَوْلِ أَبِي بَكْرٍ، وَقَالَ نَاسٌ: يَأْخُذُ بِقَوْلِ عُمَرَ، وَقَالَ نَاسٌ: يَأْخُذُ بِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ، [فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيُلِينُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُشَدِّدُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ:

«فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»، وَمِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، مِثْلُ عِيسَى، قَالَ: «إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» وَمِثْلَكَ يَا عُمَرُ مِثْلُ نُوحٍ، قَالَ: «رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا»، وَمِثْلَكَ كَمِثْلِ مُوسَى، قَالَ: «رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: أَنْتُمْ الْيَوْمَ عَالَةٌ فَلَا يَفْلَتَنَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا بِفِدَاءٍ أَوْ ضَرْبٍ عُنِي، [قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: الْإِسْهِيلُ ابْنُ بَيْضَاءَ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَذْكُرُ الْإِسْلَامَ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَمَا رَأَيْتَنِي فِي يَوْمٍ أَخَوْفَ أَنْ تَقَعَ عَلَيَّ الْحِجَارَةُ مِنَ السَّمَاءِ مِنِّي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، حَتَّى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: إِلَّا سُهِيلَ بْنِ بَيْضَاءَ قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُخْجَنَ فِي الْأَرْضِ» إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ:

[لَمَّا نَزَلَتْ- يَعْنِي هَذِهِ الْآيَةُ: «مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لَوْ نَزَلَ عَذَابٌ مِنَ السَّمَاءِ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ إِلَّا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ،] لِقَوْلِهِ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَانَ الْإِثْمَانُ فِي الْقَتْلِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ اسْتِيقَاءِ الرِّجَالِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَكَانَ جَمِيعُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَمَنْ ضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص بِسَهْمِهِ وَأَجْرُهُ ثَلَاثَةٌ وَثَمَانِينَ رَجُلًا فِي قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْهُ: وَجَمِيعُ مَنْ شَهِدَ مِنَ الْأَوْسِ مَعَهُ وَمَنْ ضَرَبَ لَهُ بِسَهْمِهِ وَاحِدٌ وَثَمَانُونَ رَجُلًا وَجَمِيعُ مَنْ شَهِدَ مَعَهُ مِنَ الْخَزَرَجِ مِائَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا فِي قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَجَمِيعُ مَنْ اسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا، سِتَّةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَثَمَانِيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ.

وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ- فِيمَا زَعَمَ الْوَاقِدِيُّ- تِسْعَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ مِقَاتِلًا، وَكَانَتْ خِيَلُهُمْ مِائَةٌ فَرَسَ.

وَرَدَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَوْمَئِذٍ جَمَاعَةٌ اسْتَصْغَرَهُمْ- فِيمَا زَعَمَ الْوَاقِدِيُّ- فَفَنَّهُمْ فِيمَا زَعَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَرَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ، وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ ظَهْرٍ، وَعَمِيرُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ ثُمَّ أَجَازَ عَمِيرًا بَعْدَ أَنْ رَدَّهُ فَقَتَلَ يَوْمَئِذٍ

وكان رسول الله ص قد بعث قبل أن يخرج من المدينة طلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، إلى طريق الشام يتحسان الأخبار عن العير، ثم رجعا إلى المدينة، فقدماها يوم وقعة بدر، فاستقبلا رسول الله ص بتربان، وهو منحدر من بدر يريد المدينة. قال الواقدي: كان خروج رسول الله ص من المدينة في ثلاثمائة رجل وخمسة، وكان المهاجرون أربعة وسبعين رجلا، وسائرهم من الأنصار، وضرب لثمانية بأجورهم وسهمانهم: ثلاثة من المهاجرين، أحدهم عثمان بن عفان كان تخلف على ابنه رسول الله ص حتى ماتت، وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد، كان بعثهما يتحسان الخبر عن العير، وخمسة من الأنصار: أبو لبابة بشير بن عبد المنذر، خلفه على المدينة، وعاصم بن عدي بن العجلان، خلفه على العالية، والحارث بن حاطب، رده من الروحاء إلى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم، والحارث ابن الصمة، كسر بالروحاء، وهو من بني مالك بن النجار، وخوات بن جبير، كسر من بني عمرو بن عوف قال: وكانت الإبل سبعين بعيرا، والخيول فرسين:

فرس للمقداد بن عمرو، وفرس لمرد بن أبي مرثد.
 قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَرَوَى عَنْ ابْنِ سَعْدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: وَرَوَى رَسُولُ اللَّهِ ص فِي أَثَرِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ مُصَلِّيًا السَّيْفَ، يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ:
 «سَيَرْجَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدِّبْرَ» .

قَالَ: وَفِي غَزْوَةِ بَدْرٍ انْتَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص سَيْفَهُ ذَا الْفَقَارِ،

غزوه بني قينقاع

وَكَانَ لِمُنَبِّهِ بْنِ الْحَجَّاجِ.

قَالَ: وَفِيهَا غَنِمَ جَمَلٌ أَبِي جَهْلٍ، وَكَانَ مَهْرِيًّا يَغْزُو عَلَيْهِ وَيَضْرِبُ فِي لِقَاحِهِ.
 قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: ثُمَّ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِالْمَدِينَةِ، مُنْصَرَفُهُ مِنْ بَدْرٍ، وَكَانَ قَدْ وَاذَعَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ يَهُودَهَا، عَلَى أَنْ لَا يُعِينُوا عَلَيْهِ أَحَدًا، وَإِنَّهُ إِنْ دَهَمَهُ بِهَا عَدُوٌّ نَصَرُوهُ فَلَمَّا قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص مَنْ قَتَلَ بَدْرٍ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، أَظْهَرُوا لَهُ الْحَسَدَ وَالْبَغْيَ، وَقَالُوا: لَمْ يَلْقَ مُحَمَّدٌ مَنْ يُحْسِنُ الْقِتَالَ، وَلَوْ لَقِينَا لَأَقَى عِنْدَنَا قِتَالًا لَا يُشَبِّهُهُ قِتَالُ أَحَدٍ، وَأَظْهَرُوا نَقْضَ الْعَهْدِ.

غزوة بني قينقاع

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: كَانَ مِنْ أَمْرِ بَنِي قَيْنِقَاعَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص جَمَعَهُمْ بِسُوقِ بَنِي قَيْنِقَاعَ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، احْذَرُوا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِثْلَ مَا نَزَلَ بِقُرَيْشٍ مِنَ النَّقْمَةِ، وَأَسْلَمُوا، فَإِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ أَنِّي نَبِيٌّ مُرْسَلٌ تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ، وَفِي عَهْدِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ تَرَى أَنَا كَقَوْمِكَ! لَا يَغْرُنْكَ أَنَّكَ لَقِيتَ قَوْمًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ، فَأَصَبَتْ مِنْهُمْ فُرْصَةٌ، إِنَّا وَاللَّهِ لَأَنْ حَارَبْتَنَا لَتَلَعَنَّ أَنَا لَحْنُ النَّاسِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، أَنَّ بَنِي قَيْنِقَاعَ كَانُوا أَوَّلَ يَهُودَ نَقَضُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَحَارَبُوا فِيمَا بَيْنَ بَدْرٍ وَأُحُدٍ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَنَّ غَزْوَةَ رَسُولِ اللَّهِ ص بَنِي الْقَيْنِقَاعِ كَانَتْ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ.
 قَالَ الزُّهْرِيُّ عَنْ عُرْوَةَ: نَزَلَ جَبْرِيلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص بِهَذِهِ الْآيَةِ: «وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ»، فَلَمَّا فَرِغَ جَبْرِيلُ عَنِ هَذِهِ الْآيَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص، إِنِّي أَخَافُ مِنْ بَنِي قَيْنِقَاعَ، قَالَ عُرْوَةُ: فَسَارَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ص بِهَذِهِ الْآيَةِ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، قَالَ: حَاصِرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَ نَحْمَسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً لَا يَطْلُعُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ثُمَّ نَزَلُوا عَلَى حَكْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَ، فَكُتِفُوا وَهُوَ يُرِيدُ قَتْلَهُمْ، فَكَلَّمَهُ فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، قَالَ: فَحَاصِرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنِ سُلُولٍ حِينَ أَمَكْنَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَحْسِنُ فِي مَوَالِيَّ- وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْخَزَرِجِ- فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَحْسِنُ فِي مَوَالِيَّ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ النَّبِيُّ صَ.

قَالَ: فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَ: أَرْسَلَنِي، وَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَ حَتَّى رَأَوْا فِي وَجْهِهِ ظِلَالًا- يَعْنِي تَلَوْنَا- ثُمَّ قَالَ: وَيَحْكُ أَرْسَلَنِي! قَالَ:

لَا وَاللَّهِ لَا أَرْسَلُكَ حَتَّى تَحْسِنَ إِلَى مَوَالِي أَرْبَعَمِائَةِ حَاسِرُوا ثَلَاثِمِائَةَ دَارِجٍ قَدْ مَنَعُونِي مِنَ الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ، تَحْصُدُهُمْ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ! وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَمَنُ وَأَخْشَى الدَّوَاءَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَ: هُمْ لَكَ

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ فِي حَدِيثِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَ: خَلَوْهُمْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَعَنَهُ مَعَهُمْ! فَأَرْسَلَهُمْ ثُمَّ أَمَرَ بِإِجْلَائِهِمْ، وَغَنَمَ اللَّهُ عَرَّ وَجَلَّ رَسُولُهُ وَالْمُسْلِمِينَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ مَالٍ- وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ أَرْضُونَ، إِنَّمَا كَانُوا صَاغَةً- فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَ لَهُمْ سِلَاحًا كَثِيرًا وَالَّةَ صِيَاغَتِهِمْ، وَكَانَ الَّذِي وَلَّى إِخْرَاجَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ بِذَرَارِيهِمْ عِبَادَةَ بَنِ الصَّامِتِ، فَضَى بِهِمْ حَتَّى بَلَغَ بِهِمْ دَبَابٌ، وَهُوَ يَقُولُ: الشَّرَفُ الْأَبْعَدُ، الْأَقْصَى فَلَا أَقْصَى! وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَ اسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَفِيهَا كَانَ أَوَّلَ خَمْسِ نَحْمَسَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَ فِي الْإِسْلَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَ صَفِيَّةً وَانْحَمَسَ وَسَهْمَهُ، وَفَضَّ أَرْبَعَةَ أَمْحَاسٍ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَكَانَ أَوَّلَ خَمْسٍ قَبَضَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَ وَكَانَ لَوَاءُ رَسُولِ اللَّهِ صَ يَوْمَ بَنِي قَيْنَقَاعَ لَوَاءً أَيْضَ، مَعَ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَمْ تَكُنْ يَوْمَئِذٍ رَايَاتٍ ثُمَّ أَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَحَضَرَتِ الْأَضْحَى، فَذَكَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ ضَحَّى وَأَهْلَ الْيَسْرِ مِنْ أَصْحَابِهِ، يَوْمَ الْعَاشِرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَخَرَجَ بِالنَّاسِ إِلَى الْمُصَلَّى فَصَلَّى بِهِمْ، فَذَلِكَ أَوَّلُ صَلَاةٍ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَ بِالنَّاسِ بِالْمَدِينَةِ بِالْمُصَلَّى فِي عِيدٍ، وَذُحِّحَ فِيهِ بِالْمُصَلَّى بِيَدِهِ شَاتَيْنِ- وَقِيلَ ذُحِّحَ شَاةٌ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ، مِنْ وَلَدِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، عَنْ أَبِي مَبْشَرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: لَمَّا رَجَعْنَا مِنْ بَنِي قَيْنَقَاعَ ضَحِينَا فِي ذِي الْحِجَّةِ صَبِيحَةَ عَشْرِ، وَكَانَ أَوَّلَ أَضْحَى رَأَى الْمُسْلِمُونَ، وَذَبَحْنَا فِي بَنِي سَلْمَةَ فَعَدْتُ فِي بَنِي سَلْمَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ أَضْحِيَّةً.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ فَلَمْ يَوْقِ لَغْزَوَ رَسُولِ اللَّهِ صَ الَّتِي غَزَاهَا بَنِي قَيْنَقَاعَ وَقَتًا، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ ذَلِكَ بَيْنَ غَزْوَةِ السَّوِيقِ وَخُرُوجِ النَّبِيِّ صَ مِنَ الْمَدِينَةِ يُرِيدُ غَزْوَ قُرَيْشٍ، حَتَّى بَلَغَ بَنِي سَلِيمَ وَبَحْرَانَ، مَعْدَنَا بِالْحِجَازِ مِنْ نَاحِيَةِ الْفَرَعِ.

وَأَمَّا بَعْضُهُمْ، فَإِنَّهُ قَالَ: كَانَ بَيْنَ غَزْوِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَ بِدْرَةَ الْأُولَى وَغَزْوَةِ بَنِي قَيْنَقَاعَ ثَلَاثَ غَزَوَاتٍ وَسَرِيهِ اسْرَاها وَزَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَ إِنَّمَا غَزَاهُمْ لَتَسْعَ لَيَالٍ خُلُونِ مِنْ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ غَزَا بَعْدَ مَا أَنْصَرَفَ مِنْ بَدْرٍ، وَكَانَ رَجُوعُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لَثَمَانِي لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَأَنَّهُ أَقَامَ بِهَا بَقِيَّةَ رَمَضَانَ ثُمَّ غَزَا قَرْقَرَةَ الْكَدَرِ حِينَ بَلَغَهُ اجْتِمَاعُ بَنِي سَلِيمَ وَغُطْفَانَ، فَخَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ مَا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ، غَرَّةَ شَوَالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ إِلَيْهَا.

وَأَمَّا ابْنُ حَمِيدٍ، فَحَدَّثَنَا عَنْ سَلْمَةَ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، أَنَّهُ قَالَ:

لَمَّا قَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَ مِنْ بَدْرٍ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ فَرَاغُهُ مِنْ بَدْرٍ فِي عَقَبِ شَهْرِ رَمَضَانَ- أَوْ فِي أَوَّلِ شَوَالٍ- لَمْ يَقَمْ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا سَبْعَ لَيَالٍ، حَتَّى غَزَا بِنَفْسِهِ يُرِيدُ بَنِي سَلِيمَ، حَتَّى بَلَغَ مَاءَ مِنْ مِيَاهِهِمْ، يُقَالُ لَهُ الْكَدَرُ، فَأَقَامَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَلِقْ

كيدا، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة، وفدى في إقامته تلك جل الأسارى من قريش. وأما الواقدي، فرغم أن غزوه النبي ص الكدر كانت في المحرم من سنة ثلاث من الهجرة، وأن لواءه كان يحمله فيها على بن

غزوه السويق

أبي طالب، وأنه استخلف فيها ابن أم مكتوم المعيصي على المدينة. وقال بعضهم: لما رجع النبي ص من غزوة الكدر إلى المدينة، وقد ساق النعم والرعاء ولم يلق كيدا وكان قدومه منها- فيما زعم- لعشر خلون من شوال، بعث غالب بن عبد الله الليثي يوم الأحد لعشر ليال مضين من شوال إلى بني سليم وغطفان في سرية، فقتلوا فيهم، وأخذوا النعم، وانصرفوا إلى المدينة بالغنيمة يوم السبت، لأربع عشرة ليلة بقيت من شوال، واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر، وأن رسول الله ص أقام بالمدينة إلى ذي الحجة، وإن رسول الله ص غزا يوم الأحد لسبع ليال بقيت من ذي الحجة غزوة السويق غزوة السويق

قال أبو جعفر: وأما ابن إسحاق، فإنه قال في ذلك ما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما رجع رسول الله ص من غزوة الكدر إلى المدينة، أقام بها بقية شوال من سنة اثنتين من الهجرة، وذا القعدة ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السويق في ذي الحجة قال: وولي تلك الحجة المشركون من تلك السنة.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان ومن لا اتهم، عن عبيد الله ابن كعب بن مالك- وكان من أعلم الأنصار- قال: كان أبو سفيان بن حرب حين رجع إلى مكة، ورجع فل قريش إلى مكة من بدر، نذر ألا يمس رأسه ماء من جنبه حتى يغزو محمداً فخرج في مائتي راكب

من قريش، ليبر يمينه، فسلك النجدة حتى نزل بصدور قناة إلى جبل يقال له تيت، من المدينة على بريد أو نحوه ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل، فأتى حيي بن أخطب، فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه، فأبى فأنصرف إلى سلام بن مشكم- وكان سيد النضير في زمانه ذلك، وصاحب كنزهم- فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه، وبطن له خبر الناس، ثم خرج في عقب ليلته، حتى جاء أصحابه، فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة، فاتوا ناحية منها يقال لها العريض، فحرقوا في أصوار من نخل لها، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين، ونذر بهم الناس، فخرج رسول الله ص في طلبهم، حتى بلغ قرقرة الكدر، ثم انصرف راجعاً، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه، وقد رأوا من مزاول القوم ما قد طرحوه في الحرث، يتخفون منه للنجاة فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله ص:

أنطمع أن تكون لنا غزوة؟ قال: نعم.

وقد كان أبو سفيان قال وهو يتجهز خارجاً من مكة إلى المدينة آياتاً من شعر يحرص قريشاً:

كروا على يثرب وجمعهم ... فإن ما جمعوا لكم نفل

إن يك يوم القلب كان لهم ... فإن ما بعده لكم دول

اليت لا أقرب النساء ولا ... يمس رأسي وجلدي الغسل

حتى تبهروا قبائل الأوس و ... الخرج، إن الفؤاد مشتعل

فأجابه كعب بن مالك:

تلهف أم المسيحين على ... جيش ابن حرب بالحرّة الفشل

إذ يطرحون الرجال من سئم ... الطير ترقى لقنة الجبل
جاءوا بجمع لو قيس مبركه ... ما كان الا كمفحص الدئل
عار من النصر والثراء ومن ... أبطال أهل البطحاء والأسل
وأما الواقدي فزعم أن غزوة السويق كانت في ذي القعدة من سنة اثنتين من الهجرة وقال: خرج رسول الله ص في مائتي رجل من أصحابه من المهاجرين والأنصار ثم ذكر من قصة أبي سفيان نحواً مما ذكره ابن إسحاق، غير أنه قال: فر - يعني أبا سفيان - بالعريض، برجل معه أجبر له يقال له معبد بن عمرو، فقتلها وحرقت أباها هناك وتبنا، ورأى أن يمينه قد حلت، وجاء الصريح إلى النبي ص، فاستنفر الناس، فخرجوا في أثره فأعجزهم قال: وكان أبو سفيان وأصحابه يلقون جرب الدقيق ويخففون، وكان ذلك عامة زادهم، فلذلك سميت غزوة السويق.

وقال الواقدي: واستخلف رسول الله ص على المدينة أبا لبابه ابن عبد المنذر.
قال أبو جعفر: ومات في هذه السنة - أعني سنة اثنتين من الهجرة - في ذي الحجة عثمان بن مظعون، فدفعه رسول الله ص بالبيع، وجعل عند رأسه حجراً علامة لقبره.
وقيل: إن الحسن بن علي بن أبي طالب ع ولد في هذه السنة.
قال أبو جعفر: وأما الواقدي، فإنه زعم أن ابن أبي سبرة حدثه عن إسحاق بن عبد الله [عن أبي جعفر، أن علي بن أبي طالب ع بنى بفاطمة ع في ذي الحجة، على رأس اثنين وعشرين شهراً].
قال أبو جعفر: فإن كانت هذه الرواية صحيحة فالتقول الأول باطل.
وقيل: إن في هذه السنة كتب رسول الله ص المعاقل فكان معلقاً بسيفه

٢٠٧٠١٠ السنة الثالثة من الهجرة

غزوه ذي امر

خبر كعب بن الأشرف

ثم دخلت

السنة الثالثة من الهجرة

غزوه ذي امر

فحدثنا ابن حميد، قال حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال:

لما رجع رسول الله ص من غزوة السويق، أقام بالمدينة بقبعة ذي الحجة والمحرّم، أو قريباً منه، ثم غزا نجدًا يريد غطفان، وهي غزوة ذي أمر، فأقام بنجد صفرًا كله أو قريباً من ذلك ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدًا، فلبث بها شهر ربيع الأول كله إلا قليلاً منه.
ثم غزا يريد قريشًا وبني سليم، حتى بلغ بحران معدنا بالحجاز من ناحية الفرع فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدًا

. خبر كعب بن الأشرف

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة سرى النبي ص سرية إلى كعب بن الأشرف، فزعم الواقدي أن النبي ص وجهه من وجهه إليه في شهر ربيع الأول من هذه السنة.

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

كَانَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ الْأَشْرَفِ أَنَّهُ لَمَّا أُصِيبَ أَصْحَابُ بَدْرٍ، وَقَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ إِلَى أَهْلِ السَّافِلَةِ وَعَبَدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ إِلَى أَهْلِ الْعَالِيَةِ بِشِيرِينَ، بَعَثَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى مَنْ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَفْتَحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ وَقَتْلَ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيثِ ابْنِ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَسِيرِ الظَّفَرِيِّ، وَعَبَدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، وَعَاصِمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ، وَصَالِحِ بْنِ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ، قَالَ: كُلُّ

قَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ حَدِيثِهِ، قَالَ: قَالَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ - وَكَانَ رَجُلًا مِنْ طَيْئٍ، ثُمَّ أَحَدَ بَنِي نَهَانَ، وَكَانَتْ أُمُّهُ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ، فَقَالَ حِينَ بَلَغَهُ الْخَبَرُ:

وَيْلَكُمْ أَحَقُّ هَذَا! أَتَرَوْنَ أَنَّ مُحَمَّدًا قَتَلَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُسَمِّي هَذَانِ الرَّجُلَانِ - يَعْنِي زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَعَبَدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ؟ وَهَؤُلَاءِ أَشْرَافُ الْعَرَبِ وَمُلُوكُ النَّاسِ وَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ أَصَابَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَبَطُنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَنَا مِنْ ظَهْرِهَا. فَلَمَّا تَيَقَّنَ عَدُوُّ اللَّهِ الْخَبَرَ، خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَنَزَلَ عَلَى الْمُطَّلِبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ بْنِ ضُبَيْرَةَ السَّهْمِيِّ، وَعِنْدَهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ أُسَيْدِ بْنِ أَبِي الْعَيْصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، فَأَنْزَلَتْهُ وَأَكْرَمَتْهُ، وَجَعَلَ يَحْرُضُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، وَيُنْشِدُ الْأَشْعَارَ، وَيَبْكِي عَلَى أَصْحَابِ الْقَلْبِ الَّذِينَ أُصِيبُوا بِبَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ ثُمَّ رَجَعَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَشَبَّ بِأُمِّ الْفَضْلِ بِنْتِ الْحَارِثِ، فَقَالَ:

أَرَا حِلُّ أَنْتَ لَمْ تَحُلْ بِمَنْقِبَةٍ ... وَتَارِكُ أَنْتَ أُمَّ الْفَضْلِ بِالْحَرَمِ!

صَفَرَاءُ رَادِعَةٌ لَوْ تَعَصَّرَ انْعَصَرَتْ ... مِنْ ذِي الْقَوَارِيرِ وَالْحِنَاءِ وَالْكُتَمِ

يَرْتَجُ مَا بَيْنَ كَعْبِيهَا وَمَرْفَقَيْهَا ... إِذَا تَأْتَتْ قِيَامًا ثُمَّ لَمْ تَقُمْ

أَشْبَاهُ أُمِّ حَكِيمٍ إِذْ تَوَاصَلْنَا ... وَالْحَبْلُ مِنْهَا مَتِينٌ غَيْرُ مُنْجَدِمٍ

إِحْدَى بَنِي عَامِرٍ جَنَّ الْفُؤَادُ بِهَا ... وَلَوْ تَشَاءُ شَفَتْ كَعْبًا مِنَ السَّقَمِ

فَرَعُ النَّسَاءِ وَفَرَعُ الْقَوْمِ وَالِدُهَا ... أَهْلُ التَّحِلَّةِ وَالْإِفْيَاءِ بِالذِّمِّ

لَمْ أَرِ شَمْسًا بَلِيلَ قَبْلِهَا طَلَعَتْ ... حَتَّى تَجَلَّتْ لَنَا فِي لَيْلَةِ الظُّلَمِ

ثُمَّ شَبَّ بِنِسَاءٍ مِنْ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى آذَاهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ص كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيثِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ: مَنْ لِي مِنَ ابْنِ الْأَشْرَفِ!

قَالَ: فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلَمَةَ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ: أَنَا لَكَ بِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَقْتُلُهُ قَالَ: فَافْعَلْ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى ذَلِكَ، فَرَجَعَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلَمَةَ، فَكَتَبَ ثَلَاثًا لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ إِلَّا مَا يَلْقَى بِهِ نَفْسُهُ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص، فَدَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: لَمْ تَرَكَتِ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتُ قَوْلًا لَا أَدْرِي أَفِي بِهِ أَمْ لَا! قَالَ: إِنَّمَا عَلَيْكَ الْجَهْدُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نَقُولَ قَالَ: قُولُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ، فَانْتُمْ فِي حِلٍّ مِنْ ذَلِكَ! قَالَ: فَاجْتَمَعَ فِي قَتْلِهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلَمَةَ وَسُلَيْكَانُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ - وَهُوَ أَبُو نَائِلَةَ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَكَانَ أَخَا كَعْبٍ مِنَ الرِّضَاعَةِ - وَعَبَادُ بْنُ بَشِيرٍ وَوَقْشٍ، أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ بْنِ مُعَاذٍ، أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَأَبُو عَبْسٍ بْنُ جَبْرِ، أَخُو بَنِي حَارِثَةَ ثُمَّ قَدَّمُوا إِلَى ابْنِ الْأَشْرَفِ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوهُ سُلَيْكَانُ بْنُ سَلَامَةَ أَبَا نَائِلَةَ، لِحَاثِهِ فَتَحَدَّثَ مَعَهُ سَاعَةً، وَتَنَاشَدَا شِعْرًا - وَكَانَ أَبُو نَائِلَةَ يَقُولُ الشَّعْرَ - ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ الْأَشْرَفِ! إِنِّي قَدْ جِئْتُكَ لِحَاجَةٍ أُرِيدُ ذِكْرَهَا لَكَ، فَانْكُمُ عَلَيَّ، قَالَ:

أَفْعَلُ، قَالَ: كَانَ قُدُومُ هَذَا الرَّجُلِ بَلَاءً عَلَيْنَا عَادَتْنَا الْعَرَبُ وَرَمُونَا عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَقَطَعَتْ عَنَّا السُّبُلَ حَتَّى ضَاعَ الْعِيَالُ، وَجَهَدَتِ الْأَنْفُسُ، وَأَصْبَحْنَا قَدْ جُهِدْنَا وَجُهِدَ عِيَالُنَا! فَقَالَ كَعْبٌ: أَنَا ابْنُ الْأَشْرَفِ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخْبَرْتُكَ يَا بَنَ سَلَامَةَ أَنَّ الْأَمْرَ سَيَصِيرُ إِلَى مَا كُنْتُ أَقُولُ، فَقَالَ سِلْكَانُ: إِنِّي قَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَبِيعَنَا طَعَامًا وَزَهْنَكَ وَتَوَثَّقَ لَكَ، وَتُحْسِنَ فِي ذَلِكَ قَالَ: تَرَهُونَنِي أَبْنَاءُ كُرٍّ! فَقَالَ: لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَفْضَحْنَا! إِنَّ مَعِيَ أَصْحَابًا لِي عَلَى مِثْلِ رَأْيِي، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ آتِيكَ بِهِمْ فَتَبِيعَهُمْ، وَتُحْسِنَ فِي ذَلِكَ، وَزَهْنَكَ مِنَ الْحَلَقَةِ مَا فِيهِ لَكَ وَفَاءٌ- وَإِرَادَ سِلْكَانَ الْإِيكَرَ السِّلَاحَ إِذَا جَاءُوا بِهَا- فَقَالَ: إِنَّ فِي الْحَلَقَةِ الْوَفَاءَ، قَالَ: فَرَجَعَ سِلْكَانُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَأَخْبَرَهُمْ خَبْرَهُ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا السِّلَاحَ فَيَنْطَلِقُوا فَيَجْتَمِعُوا إِلَيْهِ، فَاجْتَمَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص. حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ:

حَدَّثَنِي ثَوْرُ بْنُ زَيْدٍ الدَّبَلِيُّ، عَنْ عِكْرَمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَشَى مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، ثُمَّ وَجَّهَهُمْ وَقَالَ: انْطَلِقُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ أَعِنَهُمْ ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى بَيْتِهِ فِي لَيْلَةٍ مُقَمَّرَةٍ، فَأَقْبَلُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى حِصْنِهِ، فَهَتَفَ بِهِ أَبُو نَائِلَةَ- وَكَانَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِعُرسٍ- فَوَثَبَ فِي مِلْحَفَتِهِ، فَأَخَذَتْ امْرَأَتُهُ بِنَاحِيَتِهَا، وَقَالَتْ: إِنَّكَ أَمْرُؤُ مُحَارِبٌ، وَإِنَّ صَاحِبَ الْحَرْبِ لَا يَنْزِلُ فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ قَالَ: إِنَّهُ أَبُو نَائِلَةَ، لَوْ وَجَدَنِي نَائِمًا لَمَا أَقْطَعَنِي، قَالَتْ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ فِي صَوْتِهِ الشَّرَّ قَالَ: يَقُولُ لَهَا كَعْبٌ: لَوْ دُعِيَ الْفَتَى لَطَعْنَةُ أَجَابَ، فَنَزَلَ فَتَحَدَّثَ مَعَهُمْ سَاعَةً، وَتَحَدَّثُوا مَعَهُ، ثُمَّ قَالُوا لَهُ: هَلْ لَكَ يَا بَنَ الْأَشْرَفِ، أَنْ تَمَاشَى إِلَى شَعْبِ الْعَجُوزِ فَتَحَدَّثَ بِهِ بَقِيَّةَ لَيْلَتِنَا هَذِهِ! قَالَ: إِنْ شِئْتُمْ! نَخْرُجُوا يَتَمَاشُونَ، فَشَوْا سَاعَةً ثُمَّ إِنَّ أَبَا نَائِلَةَ شَامَ يَدَهُ فِي فُودِ رَأْسِهِ، ثُمَّ شَمَ يَدَهُ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ طِيبَ عَطْرِ قُطْ ثُمَّ مَشَى سَاعَةً ثُمَّ عَادَ لِمِثْلِهَا، حَتَّى أَطْمَأَنَّ ثُمَّ مَشَى سَاعَةً، فَعَادَ لِمِثْلِهَا، فَأَخَذَ بِفُودِ رَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: اضْرِبُوا عَدُوَّ اللَّهِ، فَاخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ أَسْيَافُهُمْ، فَلَمْ تَغْنِ شَيْئًا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ:

فَذَكَرْتُ مَغُولًا فِي سَيْفِي حِينَ رَأَيْتُ أَسْيَافَنَا لَا تُغْنِي شَيْئًا، فَأَخَذَتْهُ، وَقَدْ صَاحَ عَدُوُّ اللَّهِ صَيْحَةً لَمْ يَبْقَ حَوْلُنَا حِصْنٌ إِلَّا أُوقِدَتْ عَلَيْهِ نَارٌ، قَالَ: فَوَضَعَتْهُ فِي ثُدُودِهِ، ثُمَّ تَحَامَلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى بَلَغَتْ عَاتِقَهُ، وَوَقَعَ عَدُوُّ اللَّهِ، وَقَدْ أَصِيبَ الْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ بْنِ مُعَاذٍ بِمِجْرَجٍ فِي رَأْسِهِ أَوْ رِجْلِهِ، أَصَابَهُ بَعْضُ أَسْيَافِنَا

قَالَ: نَخْرُجُنَا حَتَّى سَلَكْنَا عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، ثُمَّ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، ثُمَّ عَلَى بَعَاثَ حَتَّى أَسْنَدْنَا فِي حَرَّةِ الْعَرِيسِ، وَقَدْ أَبْطَأَ عَلَيْنَا صَاحِبُنَا الْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ وَزَفَهُ الدَّمُ، فَوَقَفْنَا لَهُ سَاعَةً، ثُمَّ أَتَانَا يَتَّبِعُ آثَارَنَا قَالَ:

فَاحْتَمَلْنَاهُ جُثَّتَنَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ص آخِرَ اللَّيْلِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا، فَأَخْبَرَنَا بِقَتْلِ عَدُوِّ اللَّهِ، وَتَقَلَّ عَلَى جُرْجٍ صَاحِبِنَا، وَرَجَعْنَا إِلَى أَهْلِنَا، فَأَصْبَحْنَا وَقَدْ خَافَتْ يَهُودُ بَوَاقِعَتَنَا بِعَدُوِّ اللَّهِ، فَلَيْسَ بِهَا يَهُودِيٌّ إِلَّا وَهُوَ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: مَنْ ظَفَرْتُ بِهِ مِنْ رِجَالِ يَهُودٍ فَاقْتُلُوهُ، فَوَثَبَ مُحْيِصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ عَلَى ابْنِ سَنِينَةَ- رَجُلٍ مِنْ تِجَارِ يَهُودٍ كَانَ يَلَابِسُهُمْ وَيُبَايِعُهُمْ فَقَتَلَهُ- وَكَانَ حَوِصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ إِذْ ذَاكَ لَمْ يُسَلِّمْ، وَكَانَ أَسَنَ مِنْ مُحْيِصَةَ- فَلَمَّا قَتَلَهُ جَعَلَ حَوِصَةُ يُضْرِبُهُ وَيَقُولُ: أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ! قَتَلْتَهُ! أَمَا وَاللَّهِ لَرُبِّ شَحْمٍ فِي بَطْنِكَ مِنْ مَالِهِ! قَالَ مُحْيِصَةُ: فَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ لَوْ أَمَرَنِي بِقَتْلِكَ مَنْ أَمَرَنِي بِقَتْلِهِ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنْ كَانَ لِأَوَّلِ إِسْلَامِ حَوِصَةَ، وَقَالَ:

لَوْ أَمَرَكَ مُحَمَّدٌ بِقَتْلِي لَقَتَلْتَنِي! قَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ، لَوْ أَمَرَنِي بِقَتْلِكَ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ قَالَ: وَاللَّهِ إِنْ دِينَا بَلَغَ بِكَ هَذَا لَعَجَبٌ! فَاسْلَمْ حَوِصَةَ. حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي هَذَا الْحَدِيثُ مَوْلَى لِبْنِي حَارِثَةَ، عَنْ ابْنَةِ مُحْيِصَةَ، عَنْ أَبِيهَا. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَزَعَمَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِرَأْسِ ابْنِ الْأَشْرَفِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص.

وَزَعَمَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ فِي رَجَبِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ تَزَوَّجَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ أُمَّ كَثُومَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَأَدْخَلَتْ عَلَيْهِ فِي جُمَادَى

غزوه القردة

الْآخِرَةِ، وَأَنَّ فِي رَجَبِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ص غَزْوَةَ أُنْمَارٍ - وَيُقَالُ لَهَا: ذُو أَمَرٍ - وَقَدْ ذَكَرْنَا قَوْلَ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي ذَلِكَ قَبْلُ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَفِيهَا وُلِدَ السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ ابْنُ أُخْتِ النَّبِيِّ
غزوة القردة

قال الواقدي: وفي جمادى الآخرة من هذه السنة، كانت غزوة القردة وكان أميرهم - فيما ذكر - زيد بن حارثة، قال: وهي أول سرية خرج فيها زيد بن حارثة أميراً.

قال أبو جعفر: وكان من أمرها ما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ الَّتِي بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص فِيهَا حِينَ أَصَابَ عَيْرَ قُرَيْشٍ، فِيهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، عَلَى الْقُرْدَةِ، مَاءٍ مِنْ مِيَاهِ نَجْدٍ قَالَ: وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهَا أَنَّ قُرَيْشًا قَدْ كَانَتْ خَافَتْ طَرِيقَهَا الَّتِي كَانَتْ تَسْلُكُ إِلَى الشَّامِ حِينَ كَانَ مِنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ مَا كَانَ، فَسَلَكُوا طَرِيقَ الْعِرَاقِ، فَخَرَجَ مِنْهُمْ تِجَارٌ فِيهِمْ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَمَعَهُ فِضَّةٌ كَثِيرَةٌ، وَهِيَ عِظَمُ تِجَارَتِهِمْ، وَاسْتَأْجَرُوا رَجُلًا مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ يُقَالُ لَهُ فِرَاتُ بْنُ حَيَّانٍ، يَدُلُّهُمْ عَلَى ذَلِكَ الطَّرِيقِ، وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَلَقِيَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ، فَأَصَابَ تِلْكَ الْعَيْرَ وَمَا فِيهَا، وَأَعْجَزَهُ الرِّجَالُ، فَقَدِمَ بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَمَّا الْوَاقِدِيُّ، فَرَزَعَمَ أَنَّ سَبَبَ هَذِهِ الْغَزْوَةِ كَانَ أَنَّ قُرَيْشًا قَالَتْ: قَدْ عَوَّرَ عَلَيْنَا مُحَمَّدٌ مُتَجَرِّناً وَهُوَ عَلَى طَرِيقِنَا وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ

مقتل أبي رافع اليهودي

وَصَفْوَانُ بْنُ أُمِيَّةٍ: إِنَّ أَقْنَأَ بَيْكَةٍ أَكَلْنَا رُءُوسَ أَمْوَالِنَا قَالَ أَبُو زَمْعَةَ بْنُ الْأَسْوَدِ:

فَأَنَا أَذْلُكُمْ عَلَى رَجُلٍ يَسْلُكُ بِكُمْ التَّجْدِيَّةَ، لَوْ سَلَكَهَا مُغْمَضُ الْعَيْنَيْنِ لَاهْتَدَى قَالَ صَفْوَانُ: مَنْ هُوَ؟ فَحَاجَتُنَا إِلَى الْمَاءِ قَلِيلٌ، إِنَّمَا نَحْنُ شَاتُونَ قَالَ: فِرَاتُ بْنُ حَيَّانٍ، فَدَعَاوَاهُ فَاسْتَأْجَرَاهُ، فَخَرَجَ بِهِمْ فِي الشِّتَاءِ، فَسَلَكَ بِهِمْ عَلَى ذَاتِ عِرْقٍ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِمْ عَلَى غَمْرِهِ، وَانْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ص خَبَرَ الْعَيْرَ وَفِيهَا مَالٌ كَثِيرٌ، وَأَنِيَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ حَمَلَهَا صَفْوَانُ بْنُ أُمِيَّةٍ، فَخَرَجَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَاعْتَرَضَهَا، فَظَفَرَ بِالْعَيْرِ، وَأَفْلَتَ أَعْيَانُ الْقَوْمِ، فَكَانَ انْخَمَسَ عِشْرِينَ أَلْفًا، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص، وَقَسَمَ الْأَرْبَعَةَ الْأَنْحَاسَ عَلَى السَّرِيَّةِ، وَأَتَى فِرَاتُ بْنُ حَيَّانَ الْعِجْلِيَّ أَسِيرًا، فَقِيلَ: إِنَّ أَسْلَمْتَ لَمْ يَقْتُلْكَ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَلَمَّا دَعَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ص أَسْلَمَ، فَأَرْسَلَهُ .
مقتل أبي رافع اليهودي

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة كان مقتل أبي رافع اليهودي - فيما قيل - وكان سبب قتله، أنه كان - فيما ذكر عنه - يظهر كعب بن الأشرف على رسول الله ص، فوجه إليه - فيما ذكر - رسول الله ص في النصف من جمادى الآخرة من هذه السنة عبد الله بن عتيك، فحدثنا هارون بن إسحاق الهمداني، قال: حدثنا مُصْعَبُ بْنُ الْمُقْدَامِ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْرَائِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى أَبِي رَافِعِ الْيَهُودِيِّ - وَكَانَ بِأَرْضِ الْحِجَازِ - رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بن عتبة - أو عبد الله بن عتيك - وكان أبو رافع يؤذى رسول الله ص وَيَبْغِي عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ وَقَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرَحِهِمْ، قَالَ لَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بن عتبة - أو عبد الله بن

عَتِيكُ: اجلسوا مكانكم، فَإِنِّي أَنْطَلِقُ وَأَتَلَطَّفُ لِلْبَوَابِ، لَعَلِّي أَدْخُلُ! قَالَ:

فَأَقْبَلَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ الْبَابِ، تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ، كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً، وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ، فَهَتَفَ بِهِ الْبَوَابُ يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ الْبَابَ قَالَ: فَدَخَلْتُ فَكُنْتُ تَحْتَ آرِي حِمَارٍ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ الْبَابَ ثُمَّ عَلَّقَ الْأَقَالِيدَ عَلَى وَدَّ قَالَ:

فَقُمْتُ إِلَى الْأَقَالِيدِ فَأَخَذْتُهَا، فَفَتَحْتُ الْبَابَ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يَسْمُرُ عِنْدَهُ فِي عَلَالِيٍّ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ، فَصَعِدْتُ إِلَيْهِ جَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَابًا أَغْلَقْتُهُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ قُلْتُ: إِنَّ الْقَوْمَ نَذَرُوا لِي لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّى أَقْتُلَهُ قَالَ: فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسَطَ عِيَالِهِ، لَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنَ الْبَيْتِ! قُلْتُ: أَبَا رَافِعٍ! قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ:

فَاهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ، فَأَضْرَبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ، وَأَنَا دَهْشُ فَمَا اغْنَى شَيْئًا وَصَاحَ، فَخَرَجْتُ مِنَ الْبَيْتِ وَمَكَّثْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ؟ قَالَ: لَأُمِّكَ الْوَيْلُ! إِنَّ رَجُلًا فِي الْبَيْتِ ضَرَبَنِي قَبْلَ بِالسَّيْفِ، قَالَ: فَأَضْرَبُهُ فَأُخْخِنُهُ وَلَمْ أَقْتُلْهُ قَالَ: ثُمَّ وَضَعْتُ ضَبِيبَ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ، حَتَّى أَخْرَجْتُهُ مِنْ ظَهْرِهِ، فَعَرَفْتُ أَنِّي قَدْ قَتَلْتُهُ، جَعَلْتُ أَفْتَحُ الْأَبْوَابَ بَابًا فَبَابًا، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ، فَوَضَعْتُ رِجْلِي، وَأَنَا أَرَى أَنِّي انْتَهَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ مُقَمَّرَةٍ، فَانْكَسَرَتْ سَاقِي، قَالَ: فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَتِي، ثُمَّ إِنِّي انْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ، فَقُلْتُ:

وَاللَّهِ لَا أَبْرَحُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ: أَقَتَلْتُهُ أَمْ لَا؟ قَالَ: فَلَمَّا صَاحَ الدِّيكُ، قَامَ النَّاعِي عَلَيْهِ عَلَى السُّورِ، فَقَالَ: ائْنَعِ أَبَا رَافِعٍ رَبَّاحَ أَهْلِ الْحِجَازِ! قَالَ:

فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي، فَقُلْتُ: النَّجَاءُ! قَدْ قَتَلَ اللَّهُ أَبَا رَافِعٍ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى

النَّبِيِّ ص، حَدَّثَنِي فَقَالَ: ابْسُطْ رِجْلَكَ، فَبَسَطْتُهَا فَمَسَحَهَا فَكَأَنَّمَا لَمْ أَشْتِكْهَا قَطُّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَمَّا الْوَاقِدِيُّ، فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ هَذِهِ السَّرِيَّةَ الَّتِي وَجَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى أَبِي رَافِعٍ سَلَامَ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ إِنَّمَا وَجَّهَهَا إِلَيْهِ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَأَنَّ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ فَقَتَلُوهُ، كَانُوا أَبَا قَتَادَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ، وَمَسْعُودُ بْنُ سِنَانٍ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ خُرَاعِيٍّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَيْسٍ.

وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ، فَإِنَّهُ قَصَّ مِنْ قِصَّةِ هَذِهِ السَّرِيَّةِ مَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ عَنْهُ: كَانَ سَلَامُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ - وَهُوَ أَبُو رَافِعٍ - مِمَّنْ كَانَ حِزْبَ الْأَحْزَابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، وَكَانَتْ الْأَوْسُ قَبْلَ أَحَدٍ قَتَلَتْ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ فِي عِدَاوَتِهِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَتَحْرِيزُهُ عَلَيْهِ، فَاسْتَأْذَنْتُ الْخُرَاجَ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي قَتْلِ سَلَامَ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ، وَهُوَ بِخَيْرٍ، فَأَذِنَ لَهُمْ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ بِهِ لِرَسُولِهِ أَنْ هَذَيْنِ الْحَيَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ: الْأَوْسُ وَالْخُرَاجُ، كَانَا يَتَصَاوَلَانِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ، لَا تَصْنَعُ الْأَوْسُ شَيْئًا فِيهِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ص غَنَاءٌ إِلَّا قَالَتْ الْخُرَاجُ: وَاللَّهِ لَا يَذْهَبُونَ بِهِذِهِ فَضْلًا عَلَيْنَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي الْإِسْلَامِ، فَلَا يَنْتَهُونَ حَتَّى يَوْقِعُوا مِثْلَهَا قَالَ:

وَإِذَا فَعَلْتَ الْخُرَاجَ شَيْئًا، قَالَتْ الْأَوْسُ مِثْلَ ذَلِكَ فَلَمَّا أَصَابَتْ الْأَوْسُ

كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ فِي عِدَاوَتِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ ص، قَالَتْ الْخُرَاجُ:

لَا يَذْهَبُونَ بِهَا فَضْلًا عَلَيْنَا أَبَدًا قَالَ: فَتَذَاكَرُوا: مِنْ رَجُلٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ص فِي الْعِدَاوَةِ كَابْنِ الْأَشْرَفِ! فَذَكَرُوا ابْنَ أَبِي الْحَقِيقِ وَهُوَ بِخَيْرٍ، فَاسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللَّهِ ص فِي قَتْلِهِ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ مِنَ الْخُرَاجِ ثُمَّ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ نَحْمَسَةَ نَفَرًا: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ، وَمَسْعُودُ بْنُ سِنَانٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَيْسٍ، وَأَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رَبِيعٍ، وَخُرَاعِيٌّ بْنُ الْأَسْوَدِ، حَلِيفُ لَهُمْ مِنْ أَسْلَمَ، فَخَرَجُوا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ص عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَتِيكٍ، وَنَهَايَهُمْ أَنْ يَقْتُلُوا وَلِيدًا أَوْ امْرَأَةً.

نفرجوا حتى قدموا خير، فأتوا دار ابن أبي الحقيق ليلا، فلم يدعوا بيتا في الدار إلا أغلقوه من خلفهم على أهله، وكان في عليه له إليها عجلة رومية، فأسندوا فيها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا، نفرجت إليهم امرأته فقالت: من أنتم؟ فقالوا: نفر من العرب نلتمس الميرة، قالت:

ذاك صاحبكم فادخلوا عليه، فلما دخلنا أغلقنا عليها وعلينا باب الحجر، ونخوفنا أن تكون دونه محاولة تحول بيننا وبينه قال: فصاحت امرأته، ونوهت بنا، وابتدرناه وهو على فراشه بأسيفنا، والله ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه، كأنه قبطية ملقاة قال: ولما صاح بنا امرأته، جعل الرجل منا يرفع عليها السيف ثم يذكر نبي رسول الله ص، فيكف يده، ولولا ذلك فرغنا منها بليل، فلما ضربناه بأسيفنا، تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول: قطني قطني! قال: ثم خرجنا، وكان عبد الله بن عتيك سيئ البصر، فوقع من الدرجة فوثئت رجله وثنا شديدا واحتملناه حتى نأتي به منيرا من عيونهم، فدخل فيه قال: وأوقدوا النيران، واشتدوا في كل وجه يطلبوننا، حتى إذا

يئسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتمفوه، وهو يقضي بينهم قال: فقلنا: كيف لنا بأن نعلم أن عدو الله قد مات! فقال رجل منا: أنا أذهب فأنظر لكم، فانطلق حتى دخل في الناس، قال: فوجدته ورجال يهود عنده، وامرأته في يدها المصباح تنظر في وجهه ثم قالت تحدثهم وتقول: أما والله لقد عرفت صوت ابن عتيك، ثم أكذبت، فقلت: أنى ابن عتيك بهذه البلاد! ثم أقبلت عليه لتنظر في وجهه ثم قالت: فاظ والله يهود! قال: يقول صاحبنا، فما سمعت من كلمة كانت ألد إلى نفسي منها، ثم جاءنا فأخبرنا الخبر فاحتملنا صاحبنا، فقدمنا على رسول الله ص، وأخبرناه بقتل عدو الله، واختلفنا عنده في قتله، وكلنا يدعيه، [فقال رسول الله ص: هاتوا أسيافكم، فجئناه بها فنظر إليها، فقال لسيف عبد الله بن أنيس: هذا قتله، ارى فيه اثر الطعام] فقال حسان بن ثابت، وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف وسلام ابن ابى الحقيق:

لله در عصابه لاقيتهم ... يا بن الحقيق وأنت يا بن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكم ... مرحا كأسد في عرين مغرف
حتى أتوكم في محل بلادكم ... فسقوكم حتفا ببيض ذفف
مستبصرين لنصر دين نبيهم ... مستضعفين لكل أمر مجحف

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي وعباس بن عبد العظيم العنبري، قالوا: حدثنا جعفر بن عون، قال: حدثنا إبراهيم بن إسماعيل، قال: حدثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، أن أباه حدثه عن أمه ابنة عبد الله بن أنيس، أنها حدثته عن عبد الله بن أنيس، أن

الرهط الذين بعثهم رسول الله ص إلى ابن أبي الحقيق ليقتلوه: عبد الله بن عتيك، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة، وحليف لهم، ورجل من الأنصار، وأنهم قدموا خير ليلا قال: فعمدنا إلى أبوابهم نغلقها من خارج، ونأخذ المفاتيح، حتى أغلقنا عليهم أبوابهم، ثم أخذنا المفاتيح فألقيناها في فقير، ثم جئنا إلى المشربة التي فيها ابن أبي الحقيق، فظهرت علينا أنا وعبد الله بن عتيك وقعد أصحابنا في الحائط، فاستأذن عبد الله بن عتيك، فقالت امرأة ابن أبي الحقيق: إن هذا لصوت عبد الله بن عتيك قال ابن أبي الحقيق: ثكلتك أمك! عبد الله بن عتيك بيثرب، ابن هو عندك هذه الساعة! افتح لي، إن الكريم لا يرد عن بابه هذه الساعة فقامت ففتحت، فدخلت أنا وعبد الله على ابن أبي الحقيق، فقال عبد الله بن عتيك:

دونك، قال: فظهرت عليها السيف، فأذهب لأضربها بالسيف فذكر نبي رسول الله ص عن قتل النساء والولدان، فأكف عنها، فدخل عبد الله بن عتيك على ابن أبي الحقيق قال: فأنظر إليه في مشربة مظلمة إلى شدة بياضه، فلما رآني السيف، أخذ الوسادة

فَاتَّقَانِي بِهَا، فَأَذْهَبُ لِأَضْرِبَهُ فَلَا أَسْتَطِيعُ، فَوَخَزْتُهُ بِالسَّيْفِ وَخَزَا ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أُنَيْسٍ، فَقَالَ: أَقْتُلُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أُنَيْسٍ فَذَفَفَ عَلَيْهِ قَالَ: ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَتِيكٍ، فَانْطَلَقْنَا، وصاحت المرأة وا بيئاته وا بيئاته! قَالَ: فَسَقَطَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عَتِيكٍ فِي الدَّرَجَةِ، فَقَالَ: وَارِجُلَاهُ وَارِجُلَاهُ! فَاحْتَمَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أُنَيْسٍ، حَتَّى وَضَعَهُ إِلَى الْأَرْضِ.
قَالَ: قُلْتُ: انْطَلِقْ، لَيْسَ بِرِجْلِكَ بِأَسْ قَالَ: فَانْطَلَقْنَا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أُنَيْسٍ: جِئْنَا أَصْحَابَنَا فَانْطَلَقْنَا، ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْسِي أَنِّي تَرَكْتُهَا فِي الدَّرَجَةِ، فَرَجَعْتُ إِلَى قَوْسِي، فَإِذَا أَهْلُ خَيْبَرٍ يَمُوجُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، لَيْسَ لَهُمْ

غزوه احد

كَلَامٌ إِلَّا مَنْ قَتَلَ ابْنَ أَبِي الْحَقِيقِ؟ مَنْ قَتَلَ ابْنَ أَبِي الْحَقِيقِ؟ قَالَ: جَعَلْتُ لَا أَنْظُرُ فِي وَجْهِ إِنْسَانٍ، وَلَا يَنْظُرُ فِي وَجْهِ إِنْسَانٍ إِلَّا قُلْتُ: مَنْ قَتَلَ ابْنَ أَبِي الْحَقِيقِ؟ قَالَ: ثُمَّ صَعِدْتُ الدَّرَجَةَ، وَالنَّاسُ يَظْهَرُونَ فِيهَا، وَيَنْزِلُونَ، فَأَخَذْتُ قَوْسِي مِنْ مَكَانِهَا، ثُمَّ ذَهَبْتُ فَأَدْرَكْتُ أَصْحَابِي، فَكُنَّا نَكْمُنُ النَّهَارَ وَنَسِيرُ اللَّيْلَ، فَإِذَا كُنَّا بِالنَّهَارِ أَقْعَدْنَا مِنَّا نَاطُورًا يَنْظُرُ لَنَا، فَإِنْ رَأَى شَيْئًا أَشَارَ إِلَيْنَا، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْضَاءِ كُنْتُ - قَالَ مُوسَى: أَنَا نَاطِرُهُمْ، وَقَالَ عَبَّاسٌ: كُنْتُ أَنَا نَاطِرُهُمْ - فَأَشْرْتُ إِلَيْهِمْ فَذَهَبُوا جَمْرًا وَخَرَجْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى إِذَا اقْتَرَبْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ أَدْرَكْتُهُمْ، قَالُوا: مَا شَأْنُكَ؟ هَلْ رَأَيْتَ شَيْئًا؟ قُلْتُ: لَا، إِلَّا أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ قَدْ بَلَغَكُمْ الْإِغْيَاءُ وَالْوَصْبُ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَحْمِلَكُمْ الْفَزَعُ.
قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فِي هَذِهِ السَّنَةِ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَ حَفْصَةَ بِنْتُ عُمَرَ بْنِ شُعْبَانَ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ تَحْتَ خُنَيْسِ بْنِ حِذَافَةَ السَّهْمِيِّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَنُفِيَ عَنْهَا.

وَفِيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَ أَحَدًا، وَكَانَتْ فِي شَوَّالٍ يَوْمَ السَّبْتِ لِسَبْعِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْهُ - فِيمَا قِيلَ - مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ مِنَ الْهِجْرَةِ.
غزوة احد

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَكَانَ الَّذِي هَاجَ غَزْوَةَ أَحَدٍ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَ وَمَشْرُكِي قُرَيْشٍ وَقَعَةُ بَدْرٍ وَقَتْلُ مَنْ قَتَلَ بَدْرَ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ وَرُؤَسَائِهِمْ، فَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ، وَعَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، وَالْحَصِينُ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَغَيْرُهُمْ مِنْ عُلَمَائِنَا، كُلُّهُمْ قَدْ حَدَّثَ بَعْضُ هَذَا الْحَدِيثِ عَنْ يَوْمِ أَحَدٍ، وَقَدْ اجْتَمَعَ حَدِيثُهُمْ كُلُّهُمْ فِيمَا سَقْتُ مِنَ الْحَدِيثِ عَنْ يَوْمِ أَحَدٍ، قَالُوا: لَمَّا أُصِيبَتْ قُرَيْشٌ - أَوْ مَنْ قَالَ مِنْهُمْ - يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ مِنْ أَصْحَابِ الْقَلِيبِ، فَرَجَعَ فَلَهُمْ إِلَى مَكَّةَ، وَرَجَعَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ بِعِيَرِهِ، مَشَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَيْعَةَ، وَعِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ مِمَّنْ أُصِيبَ آبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَإِخْوَانُهُمْ بِبَدْرٍ، فَكَلَّمُوا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ فِي تِلْكَ الْعِيرِ مِنْ قُرَيْشٍ تِجَارَةً، فَقَالُوا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَتَرَكَمُ، وَقَتَلَ خِيَارَكُمْ، فَأَعِينُونَا بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِهِ، لَعَلَّنَا أَنْ نُدْرِكَ مِنْهُ ثَارًا بِمَنْ أُصِيبَ مِنَّا، فَفَعَلُوا، فَاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ لِحَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَ حِينَ فَعَلَ ذَلِكَ أَبُو سُفْيَانَ وَأَصْحَابُ الْعِيرِ بِأَحَابِيشِهَا وَمَنْ أَطَاعَهَا مِنْ قَبَائِلِ كَثَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةَ، وَكُلُّ أُولَئِكَ قَدْ اسْتَعَوْا عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَ.

وَكَانَ أَبُو عَرَّةَ عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجُمَحِيُّ قَدْ مَنَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَ يَوْمَ بَدْرٍ وَكَانَ فَقِيرًا ذَا بَنَاتٍ، وَكَانَ فِي الْأَسَارَى، فَقَالَ: يَا رَسُولَ

اللَّهِ، إِنِّي فَتِيرٌ ذُو عِيَالٍ وَحَاجَةٌ قَدْ عَرَقَهَا، فَاْمَنْ عَلَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ! فَمَنْ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ص، فقال صفوان ابن أُمِيَّةَ: يَا أَبَا عَرَّةَ، إِنَّكَ أَمْرٌ شَاعِرٌ، فَأَعِنَّا بِلِسَانِكَ، فَاخْرُجْ مَعَنَا.

فَقَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَنَّ عَلَيَّ فَلَا أُرِيدُ أَنْ أَظَاهِرَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: بَلَى فَأَعِنَّا بِنَفْسِكَ، فَلَكَ اللَّهُ إِنْ رَجَعْتَ أَنْ أَغْنِيكَ، وَإِنْ أَصَبْتَ أَنْ أَجْعَلَ بَنَاتِكَ مَعَ بَنَاتِي يُصِيبُهُنَّ مَا أَصَابَهُنَّ مِنْ عُسْرٍ وَيُسِّرُ نَخْرَجَ أَبُو عَرَّةَ لِيَسِيرَ فِي تِهَامَةٍ، وَيَدْعُو بَنِي كِنَانَةَ وَخَرَجَ مُسَافِعٌ بَنُ عَبْدِ مَنَافٍ بَنُ وَهَبٍ بَنُ حَذَافَةَ بَنُ جُمَحٍ، إِلَى بَنِي مَالِكٍ بَنُ كِنَانَةَ يَحْرِضُهُمْ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَدَعَا جَبْرِ بَنُ مُطْعِمٍ غُلَامًا لَهُ يُقَالُ لَهُ وَحْشِيٌّ، كَانَ حَبَشِيًّا يَقْدِفُ بِحَرْبَةٍ لَهُ قَذْفُ الْحَبَشَةِ، فَلَهَا يُخْطِئُ بِهَا، فَقَالَ لَهُ: اخْرُجْ مَعَ النَّاسِ، فَإِنْ أَنْتَ قَتَلْتَ عَمَّ مُحَمَّدٍ بِعَمِّي طُعِيمَةَ بَنُ عَدِيٍّ فَأَنْتَ عَتِيقٌ.

فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ بِحَدِّهَا وَجَدِّهَا وَأَحَابِيْشِهَا، وَمَنْ مَعَهَا مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةٍ، وَخَرَجُوا مَعَهُمُ بِالظَّنِّ التَّمَّاسِ الْحَفِيطَةِ، وَلَثَلَا يَقْرُؤُوا نَخْرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بَنُ حَرْبٍ - وَهُوَ قَائِدُ النَّاسِ، مَعَهُ هِنْدُ بِنْتُ عَتَبَةَ ابْنِ رَبِيعَةَ - وَخَرَجَ عَكْرَمَةُ بَنُ أَبِي جَهْلٍ بَنُ هِشَامٍ بَنُ الْمُغِيرَةِ بِأَمِّ حَكِيمٍ بِنْتُ الْحَارِثِ بَنُ هِشَامٍ بَنِ الْمُغِيرَةِ، وَخَرَجَ الْحَارِثُ بَنُ هِشَامٍ بَنِ الْمُغِيرَةِ بِفَاطِمَةَ بِنْتِ الْوَلِيدِ بَنِ الْمُغِيرَةِ، وَخَرَجَ صَفْوَانُ بَنُ أُمِيَّةَ بَنِ خَلْفٍ بِرَبْرَةَ - قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ:

وَقِيلَ بِرَبْرَةَ - بِنْتُ مَسْعُودٍ بَنِ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ الثَّقَفِيَّةِ، وَهِيَ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ صَفْوَانَ - وَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ بِرَيْطَةَ بِنْتِ مُنْبِهِ بْنِ الْحَجَّاجِ، وَهِيَ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَخَرَجَ طَلْحَةُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، وَأَبُو طَلْحَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بِسَلَافَةَ بِنْتُ سَعْدِ بْنِ شَهِيدٍ - وَهِيَ أُمُّ بَنِي طَلْحَةَ مُسَافِعٍ وَالْجَلَّاسِ وَكِلَابٍ، قَتَلُوا يَوْمَئِذٍ وَأَبُوهُمْ - وَخَرَجَتْ خُنَاسُ بِنْتُ مَالِكِ بْنِ الْمَضْرِبِ أَحَدَى نِسَاءِ بَنِي مَالِكِ ابْنِ حِجْلٍ، مَعَ ابْنِهَا أَبِي عَزِيزٍ بَنِ عُمَيْرٍ، وَهِيَ أُمُّ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَخَرَجَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ عَلْقَمَةَ أَحَدَى نِسَاءِ بَنِي الْحَارِثِ بَنِ عَبْدِ مَنَاةَ بَنِ كِنَانَةَ، وَكَانَتْ هِنْدُ بِنْتُ عَتَبَةَ بَنِ رَبِيعَةَ كُلَّهَا مَرَّتْ بِوَحْشِيٍّ أَوْ مَرَّ بِهَا قَالَتْ:

إِيَّاهُ أَبَا دُسَمَةَ! أَشْفَى وَاشْتَفَى - وَكَانَ وَحْشِيٌّ يُكْنَى أَبَا دُسَمَةَ.

فَاقْبَلُوا حَتَّى نَزَلُوا بِعَيْنَيْنِ بِجَبَلٍ بِبَطْنِ السَّبْحَةِ، مِنْ قَنَاةٍ عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي مِمَّا يَلِي الْمَدِينَةَ.

فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ص وَالْمُسْلِمُونَ قَدْ نَزَلُوا حَيْثُ نَزَلُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِلْمُسْلِمِينَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ بَقْرًا فَأَوَّلَتْهَا خَيْرًا، وَرَأَيْتُ فِي ذُبَابٍ سِفْنِي ثَلَاثًا، وَرَأَيْتُ أَنِّي ادْخَلْتُ يَدِي فِي دَرْعِ حَصْنِيهِ فَأَوَّلَتْهَا الْمَدِينَةَ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تَقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ وَتَدْعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَقَامٍ، وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِيهَا وَنَزَلْتُ قُرَيْشٌ مَنَزَلَهَا مِنْ أَحَدِ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ فَأَقَامُوا بِهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ وَرَاحَ رَسُولُ اللَّهِ ص حِينَ صَلَّى الْجُمُعَةَ، فَأَصْبَحَ بِالشَّعْبِ مِنْ أَحَدِ فَالْتَقَوْا يَوْمَ السَّبْتِ لِلنَّصْفِ مِنْ شَوَالٍ، وَكَانَ رَأْيُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنِي سَلُولٍ مَعَ رَأْيِ رَسُولِ اللَّهِ ص، يَرَى رَأْيَ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي ذَلِكَ: أَلَّا يَخْرُجَ إِلَيْهِمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَكْرَهُ الْخُرُوجَ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ رِجَالُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ أَكْرَمَ اللَّهُ بِالشَّهَادَةِ يَوْمَ أُحُدٍ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ كَانَ فَاتَهُ بَدْرٌ وَحُضُورُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اخْرُجْ بِنَا إِلَى أَعْدَائِنَا، لَا يَرَوْنَ أَنَّا جَبْنَا عَنْهُمْ وَضَعَفْنَا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنِي سَلُولٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقِمِ بِالْمَدِينَةِ وَلَا تَخْرُجْ إِلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ مَا خَرَجْنَا مِنْهَا إِلَى عَدُوٍّ لَنَا قَطُّ إِلَّا أَصَابَ مَنَّا، وَلَا دَخَلَهَا عَلَيْنَا إِلَّا أَصَابَنَا مِنْهُ، فَدَعَوْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَجْلِسٍ، وَإِنْ دَخَلُوا قَاتَلَهُمُ الرِّجَالُ فِي وُجُوهِهِمْ، وَرَمَاهُمُ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ بِالْحِجَارَةِ مِنْ فَوْقِهِمْ،

وَأَنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خَائِبِينَ كَمَا جَاءُوا فَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ بِرَسُولِ اللَّهِ ص الَّذِينَ كَانُوا مِنْ أَمْرِهُمْ حُبَّ لِقَاءِ الْقَوْمِ، حَتَّى دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَلَبَسَ لَأَمْتَهُ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حِينَ فَرَّغَ مِنَ الصَّلَاةِ، وَقَدْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ مَالِكُ بْنُ عَمْرٍو، أَحَدُ بَنِي النَّجَّارِ، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ص، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ وَقَدْ نَدِمَ النَّاسُ، وَقَالُوا: اسْتَكَرْهُنَا رَسُولُ اللَّهِ ص وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَمَّا السُّدِّيُّ، فَإِنَّهُ قَالَ فِي ذَلِكَ غَيْرَ هَذَا الْقَوْلِ، وَلَكِنَّهُ قَالَ مَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنِ السُّدِّيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص لَمَّا سَمِعَ بِزُولِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَاتَّبَاعِهَا أَحَدًا، قَالَ لِأَصْحَابِهِ: أَشِيرُوا عَلَيَّ مَا أَصْنَعُ! فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْرِجْ بِنَا إِلَى هَذِهِ الْأَكْلَبِ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا غَلَبَنَا عَدُوُّنَا قَطُّ أَتَانَا فِي دِيَارِنَا، فَكَيْفَ وَانْتَفِينَا! فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ص عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَنْ سُلُولٍ - وَلَمْ يَدْعُهُ قَطُّ قَبْلَهَا - فَاسْتَشَارَهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْرِجْ بِنَا إِلَى هَذِهِ الْأَكْلَبِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يُعْجِبُهُ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ، فَيُقَاتِلُوا فِي الْأَرْقَةِ، فَأَتَاهُ النُّعْمَانُ بْنُ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَحْرَمْنِي الْجَنَّةَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ، فَقَالَ لَهُ: بِمِ؟ قَالَ: بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنِّي لَا أَفِرُّ مِنَ الرَّحْفِ قَالَ: صَدَقْتَ، فَقَتَلَ يَوْمَئِذٍ ثُمَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص دَعَا بِدَرْعِهِ فَلَبَسَهَا، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَدْ لَبَسَ السَّلَاحَ نَدِمُوا وَقَالُوا: بِئْسَ مَا صَنَعْنَا! نُشِيرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَالْوَحْيُ يَأْتِيهِ! فَقَامُوا فَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِ، وَقَالُوا: اصْنَعْ مَا رَأَيْتَ، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ يَلْبَسَ لَأَمْتَهُ فَيَضَعَهَا حَتَّى يَقَاتِلَ] نَفْرَجَ

رسول الله ص إلى أحد في ألف رجل، وقد وعدهم الفتح إن صبروا فلما خرج رجع عبد الله بن أبي بن سلول في ثلاثمائة، فتبعهم أبو جابر السلمي يدعوهم، فلما غلبوه وقالوا له: ما نعلم قتالا، ولئن أطعنا لترجع معنا، قال الله عز وجل: «إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا» فَمِنْ بَنِي سَلَمَةَ وَبَنُو حَارِثَةَ، هُمَا بِالرُّجُوعِ حِينَ رَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي، فَعَصَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَبَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي سَبْعِمِائَةٍ.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق: قال: قالوا: لما خرج عليهم رسول الله ص قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَكَرْهُنَاكَ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا، فَإِنْ شِئْتَ فَاقْعُدْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ! [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص:

مَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ إِذَا لَبَسَ لَأَمْتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَقَاتِلَ،] نَفْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ فِي أَلْفِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالشَّوْطِ بَيْنَ أَحَدٍ وَالْمَدِينَةِ انْخَزَلَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنْ سُلُولٍ بِثُلُثِ النَّاسِ، فَقَالَ: أَطَاعَهُمْ نَفْرَجَ وَعَصَانِي، وَاللَّهُ مَا نَدْرِي عِلَامَ نَقَلْنَا أَنْفُسَنَا هَاهُنَا أَيُّهَا النَّاسُ! فَارْجِعْ بَيْنَ اتَّبَعَهُ مِنَ النَّاسِ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَأَهْلِ الرِّيبِ، وَاتَّبَعَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ حَرَامٍ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ، يَقُولُ: يَا قَوْمُ أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ أَنْ تَخْدُلُوا نَبِيَكُمْ وَقَوْمَكُمْ عِنْدَ مَا حَضَرَ مِنْ عَدُوِّهِمْ! قَالُوا: لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَقَاتِلُونَ مَا أَسْلَمْنَاكُمْ، وَلَكِنَّا لَا نَرَى أَنْ يَكُونَ قِتَالٌ، فَلَمَّا اسْتَعَصَوْا عَلَيْهِ، وَأَبَوْا إِلَّا الْأَنْصِرَافَ عَنْهُ، قَالَ: أَبْعَدُكُمْ اللَّهُ أَعْدَاءَ اللَّهِ! فَسَيَغْنِي اللَّهُ عَنْكُمْ! قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ: انْخَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص مِنَ الشَّيْخِينَ بِثَلَاثِمِائَةٍ، وَبَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي سَبْعِمِائَةٍ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ ثَلَاثَةَ أَلْفٍ، وَانْخِلِيلَ

مِائَتِي فَرَسٍ، وَالطُّعْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ امْرَأَةً.

قال: وكان في المشركين سبعمائة دارع، كان في المسلمين مائة دارع، ولم يكن معهم من انخيل إلا فرسان: فرس لرَسُولِ اللَّهِ ص، وفرس لأبي بردة بن نيار الحارثي فأدلى رسول الله ص من الشيخين حين طلعت الحمراء - وهما أطمان، كان يهودي ويهودية أعيمان يقومان عليهما، فيتحدثان فلذلك، سميا الشيخين، وهو في طرف المدينة - قال: وعرض رسول الله ص المقاتلة بالشيخين بعد المغرب،

فَأَجَازَ مَنْ أَجَازَ، وَرَدَّ مَنْ رَدَّ، قَالَ: وَكَانَ فِيمَنْ رَدَّ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَابْنُ عُمَرَ، وَأُسَيْدُ بْنُ ظُهَيْرٍ، وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ، وَعُرَابَةُ بْنُ أَوْسٍ قَالَ: وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ الشَّمَاخُ:

رَأَيْتُ عُرَابَةَ الْأَوْسِيَّ يَتِي ... إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ
إِذَا مَا رَايَهُ رُفِعَتْ لِحْدُ ... تَلَقَّاهَا عُرَابَةُ بِالْيَمِينِ

قَالَ: وَرَدَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، وَأَجَازَ سُمْرَةَ بْنَ جُنْدَبٍ وَرَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص، قَدْ اسْتَصْغَرَ رَافِعًا، فَقَامَ عَلَى خُفَيْنٍ لَهُ فِيهِمَا رِقَاعٌ، وَتَطَاوَلَ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ص أَجَازَهُ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: كَانَتْ أُمُّ سُمْرَةَ بْنَ جُنْدَبٍ تَحْتَ مَرْيَمَ بْنِ سِنَانٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ، عَمَّ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، فَكَانَ رِيْبِهِ، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى أَحَدٍ، وَعَرَضَ أَصْحَابُهُ، فَدَّ مِنَ اسْتَصْغَرَ رَدَّ سُمْرَةَ بْنَ جُنْدَبٍ، وَأَجَازَ رَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ، فَقَالَ سُمْرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ لِرِيْبِهِ مَرْيَمَ بْنِ سِنَانٍ: يَا أَبَتِ،

أَجَازَ رَسُولُ اللَّهِ ص رَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ، وَرَدَّنِي وَأَنَا أَصْرَعُ رَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ، فَقَالَ: مَرْيَمُ بْنُ سِنَانٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَدَدْتَ ابْنِي، وَأَجَزْتَ رَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ وَابْنِي يَصْرَعُهُ! فَقَالَ النَّبِيُّ ص لِرَافِعٍ وَسُمْرَةَ: تَصَارَعَا، فَصَرَ سُمْرَةُ رَافِعًا، فَأَجَازَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص فَشَهِدَهَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ. قَالَ: وَكَانَ دَلِيلَ النَّبِيِّ ص أَبُو حَتْمَةَ الْحَارِثِيُّ.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ: قَالَ: وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ص حَتَّى سَلَكَ فِي حَرَّةِ بَنِي حَارِثَةَ، فَذَبَّ فَرَسٌ بِذَنَبِهِ، فَأَصَابَ كَلَابَ سَيْفٍ، فَاسْتَلَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص- وَكَانَ يُحِبُّ الْفَالَ وَلَا يَعْتَاَف- لِصَاحِبِ السَّيْفِ: شِمَّ سَيْفَكَ، فَإِنِّي أَرَى السُّيُوفَ سَتُسَلُّ الْيَوْمَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِأَصْحَابِهِ: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى الْقَوْمِ مِنْ كُتُبٍ، مِنْ طَرِيقٍ لَا يَمُرُّ بِنَا عَلَيْهِمْ؟

فَقَالَ أَبُو حَتْمَةَ أَخُو بَنِي حَارِثَةَ بْنَ الْحَارِثِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَدَّمَهُ فَنَفَذَ بِهِ فِي حَرَّةِ بَنِي حَارِثَةَ وَبَيْنَ أَمْوَالِهِمْ حَتَّى سَلَكَ بِهِ فِي مَالِ الْمَرْبَعِ بْنِ قَيْطِيٍّ- وَكَانَ رَجُلًا مُنَافِقًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ- فَلَمَّا سَمِعَ حَسَّ رَسُولُ اللَّهِ ص وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، قَامَ يَحْيِي فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ، وَيَقُولُ: إِنْ كُنْتُ رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنِّي لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ حَائِطِي، قَالَ: وَقَدْ ذَكَرَ لِي أَنَّهُ أَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَوْ أَعْلَمْتُ أَنِّي لَا أُصِيبُ بِهَا غَيْرَكَ يَا مُحَمَّدُ لَضَرَبْتُ بِهَا وَجْهَكَ فَابْتَدَرَهُ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص:

لَا تَفْعَلُوا، فَهَذَا الْأَعْمَى الْبَصَرِ، الْأَعْمَى الْقَلْبِ] وَقَدْ بَدَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ص عَنْهُ، فَضَرَبَهُ بِالْقَوْسِ فِي رَأْسِهِ فَشَجَّهُ، وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ص عَلَى وَجْهِهِ، حَتَّى نَزَلَ الشَّعْبُ مِنْ أَحَدٍ فِي عُدُوَّةِ الْوَادِي إِلَى الْجَبَلِ، لَجَعَلَ ظَهْرَهُ وَعَسْكَرَهُ إِلَى أَحَدٍ، وَقَالَ: لَا يُقَاتِلَنَّ أَحَدٌ حَتَّى نَأْمُرَهُ بِالْقِتَالِ، وَقَدْ سَرَحَتْ قُرَيْشُ الظُّهْرَ وَالْكَرَاعَ فِي زُرُوعٍ كَانَتْ بِالصَّمْغَةِ مِنَ قَنَاءِ لِلْمُسْلِمِينَ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ص عَنِ الْقِتَالِ:

أَتَرَعَى زُرُوعَ بَنِي قَيْلَةَ وَلَمَّا نَضَارِب! وَتَعْبَا رَسُولُ اللَّهِ ص لِلْقِتَالِ وَهُوَ فِي سَبْعِمِائَةِ رَجُلٍ، وَتَعَبَاتِ قُرَيْشُ وَهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ رَجُلٍ، وَمَعَهُمْ مَائَتَا فَرَسٍ قَدْ جَنَّبُوها، لَجَعَلُوا عَلَى مَيْمَنَةِ الْخَلِيلِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعَلَى مَيْسَرَتِهَا عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَلَى الرُّمَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرٍ، أَخَا بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ مُعَلِّمٌ بِبَيْتَابٍ بَيْضٍ، وَالرُّمَاءُ خَمْسُونَ رَجُلًا، وَقَالَ: انْصَحْ عَنَّا الْخَلِيلَ بِالنَّبْلِ لَا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا، فَابْتُتْ مَكَانَكَ لَا تُؤْتِينَ مِنْ قِبَلِكَ، وَظَاهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص بَيْنَ دَرْعَيْنِ.

حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ الْمَقْدَامِ، قَالَ:

حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ وَحَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ إِسْرَائِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَلَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَ الْمَشْرِكِينَ اجْلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَ رِجَالًا بِإِزَاءِ الرَّمَاةِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ، وَقَالَ لَهُمْ: لَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ إِنْ رَأَيْتُمْ ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا.

فَلَمَّا لَقِيَ الْقَوْمَ هَزَمَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ قَدْ رَفَعْنَ عَنْ سَوْقِهِنَّ، وَبَدَتْ

خَلَا خِيلَهُنَّ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: الْغَنِيمَةُ الْغَنِيمَةُ! فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: مَهْلًا، أَمَا عَلَيْكُمْ مَا عَهْدَ إِلَيْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَ! فَأَبَوْنَا، فَانْطَلَقُوا، فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صَرَفَ اللَّهُ وَجُوهَهُمْ، فَأَصِيبَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبْعُونَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ فِي ثَلَاثِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالٍ، حَتَّى نَزَلَ أُحُدًا، وَخَرَجَ النَّبِيُّ صَ، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ فَاجْتَمَعُوا، وَأَمَرَ الزُّبَيْرَ عَلَى الْخَيْلِ، وَمَعَهُ يَوْمُئِذٍ الْمُقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيُّ، وَاعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَ الْوَلَاءَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ، وَخَرَجَ حِمَزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِالْحَسَرِ، وَبَعَثَ حِمَزَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَى خَيْلِ الْمُشْرِكِينَ، وَمَعَهُ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَ الزُّبَيْرَ، وَقَالَ: اسْتَقْبِلْ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، فَكُنْ بِإِزَائِهِ حَتَّى أُوذِنَكَ، وَأَمَرَ بِخَيْلٍ أُخْرَى، فَكَانُوا مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، فَقَالَ: لَا تَبْرَحُنَّ حَتَّى أُوذِنَكُمْ وَأَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ يَجْهَلُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صَ إِلَى الزُّبَيْرِ أَنْ يَجْهَلَ، فَحَمَلَ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَهَزَمَهُ اللَّهُ وَمَنْ مَعَهُ، فَقَالَ: «وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعَدَهُ» - إِلَى قَوْلِهِ - «مَنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ»، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَنْصِرَهُمْ، وَإِنَّهُمْ مَعَهُمْ وَإِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَ بَعَثَ نَاسًا مِنَ النَّاسِ، فَكَانُوا مِنْ وَرَائِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَ: كُونُوا هَاهُنَا، فَرُدُّوا وَجْهَ مَنْ فَرَّ مِنَّا، وَكُونُوا حِرَاسًا لَنَا مِنْ قَبْلِ ظُهُورِنَا وَأَنْ رَسُولُ

اللَّهُ صَ لَمَّا هَزَمَ الْقَوْمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، قَالَ الَّذِينَ كَانُوا جُعِلُوا مِنْ وَرَائِهِمْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَرَأَوْا النِّسَاءَ مُصْعِدَاتٍ فِي الْجَبَلِ، وَرَأَوْا الْغَنَائِمَ: انْطَلَقُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَ، فَأَدْرَكُوا الْغَنِيمَةَ قَبْلَ أَنْ يَسْقُونَا إِلَيْهَا، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى: بَلْ نَطِيعُ رَسُولَ اللَّهِ صَ فَتَنَّبَتْ مَكَانَنَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ لَهُمْ: «مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا» الَّذِينَ أَرَادُوا الْغَنِيمَةَ، «وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ» الَّذِينَ قَالُوا: نَطِيعُ رَسُولِ اللَّهِ وَتَنَّبَتْ مَكَانَنَا، فَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ: مَا شَعَرْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَ كَانَ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَعَرَضَهَا، حَتَّى كَانَ يَوْمَئِذٍ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، قَالَ:

حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنِ السُّدِّيِّ، قَالَ: لَمَّا بَرَزَ رَسُولُ اللَّهِ صَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ بِأُحُدٍ أَمَرَ الرَّمَاةَ، فَقَامُوا بِأَصْلِ الْجَبَلِ فِي وَجْهِ خَيْلِ الْمُشْرِكِينَ، وَقَالَ لَهُمْ: لَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ إِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّا قَدْ هَزَمْنَاهُمْ، فَإِنَّا لَا نَزَالُ غَالِبِينَ مَا ثَبَتُمْ مَكَانَكُمْ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ أَخَا خَوَاتِ بْنِ جُبَيْرٍ.

ثُمَّ إِنَّ طَلْحَةَ بْنَ عُثْمَانَ صَاحِبَ لَوَاءِ الْمُشْرِكِينَ قَامَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُنَا بِسُيُوفِكُمْ إِلَى النَّارِ، وَيَجْعَلُكُمْ بِسُيُوفِنَا إِلَى الْجَنَّةِ، فَهَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ يَجْعَلُهُ اللَّهُ بِسُيُوفِي إِلَى الْجَنَّةِ، أَوْ يَجْعَلُنِي بِسُيُوفِهِ إِلَى النَّارِ! فَقَامَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَفَارُقُكَ حَتَّى أَجْعَلَكَ بِسُيُوفِي إِلَى النَّارِ، أَوْ تَجْعَلُنِي بِسُيُوفِكَ إِلَى الْجَنَّةِ، فَضْرَبَهُ عَلِيٌّ فَقَطَعَ رِجْلَهُ فَسَقَطَ فَانْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ، فَقَالَ: أَشَدُّكَ اللَّهُ وَالرَّحِمَ يَا بَنَ عَمٍّ! فَتَرَكَهُ، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَ، وَقَالَ لَعَلِّي:

مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجْهَزَ عَلَيْهِ؟ قَالَ: إِنَّ ابْنَ عَمِّي نَاشِدُنِي حِينَ انْكَشَفَتْ

عَوْرَتُهُ فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ ثُمَّ شَدَّ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ وَالْمُقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَهَزَمَهُمْ، وَحَمَلَ النَّبِيُّ صَ وَأَصْحَابُهُ فَهَزَمُوا أَبَا سُفْيَانَ.

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ - وَهُوَ عَلَى خَيْلِ الْمُشْرِكِينَ - حَمَلَ فَرَمَتَهُ الرَّمَاةُ فَانْقَمَعَ فَلَمَّا نَظَرَ الرَّمَاةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَأَصْحَابِهِ فِي جَوْفِ عَسْكَرِ الْمُشْرِكِينَ يَنْتَهِبُونَهُ، بَادَرُوا الْغَنِيمَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَتْرُكُ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَانْطَلَقَ عَامَّتُهُمْ فَلَحِقُوا بِالْعَسْكَرِ، فَلَمَّا رَأَى خَالِدُ قَلَّةَ الرَّمَاةِ صَاحَ فِي خَيْلِهِ، ثُمَّ حَمَلَ فَقَتَلَ الرَّمَاةَ، وَحَمَلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ص فَلَمَّا رَأَى الْمُشْرِكُونَ أَنَّ خَيْلَهُمْ تُقَاتِلُ، تَنَادَوْا فَشَدُّوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَهَزَمُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ.

حَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ آدَمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ الْكِلَابِيُّ، قَالَ:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْوَائِزِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ الزَّيْبِرُ: [عرض رسول الله ص سيفاً في يده يوم أحد، فقال: مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟ قَالَ: فَقُمْتُ فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَعْرَضَ عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟ فَقُمْتُ فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْرَضَ عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟ قَالَ: فَقَامَ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ، فَقَالَ: أَنَا آخِذُهُ بِحَقِّهِ، وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: حَقُّهُ أَلَّا تَقْتُلَ بِهِ مُسْلِمًا، وَأَلَّا تَفْرِيَهُ عَنْ كَافِرٍ، قَالَ: فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ] قَالَ: وَكَانَ إِذَا أَرَادَ الْقِتَالَ أَعْلَمَ بِعَصَابَةٍ، قَالَ: فَقُلْتُ:

لَا نَظُرَنَّ الْيَوْمَ مَا يَصْنَعُ، قَالَ: لَجَلَلُ لَا يَرْتَفِعُ لَهُ شَيْءٌ إِلَّا هَتَكَهْ وَأَفْرَاهُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى نِسْوَةٍ فِي سَفْحِ جَبَلٍ، مَعَهُنَّ دُفُوفٌ لَهْنٌ، فَبَيْنَ امْرَأَةٍ تَقُولُ:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ إِنْ تَقَبَّلُوا نَعَانِقُ وَنَبْسُطُ التَّمَارِقُ أَوْ تَدْبِرُوا نِفَارِقُ فِرَاقٍ غَيْرِ وَامِقٍ
قَالَ: فَفَرَعَ السَّيْفَ لِيَضْرِبَهَا، ثُمَّ كَفَّ عَنْهَا قَالَ: قُلْتُ: كُلُّ عَمَلِكَ قَدْ رَأَيْتُ، أَرَأَيْتَ رَفَعَكَ السَّيْفَ عَنِ الْمَرْأَةِ بَعْدَ مَا أَهْوَيْتَ بِهِ إِلَيْهَا! قَالَ:

فَقَالَ: أَكْرَمْتُ سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ أَنْ أَقْتُلَ بِهِ امْرَأَةً.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجَالٌ، فَأَمْسَكَهُ عَنْهُمْ، حَتَّى قَامَ إِلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أَخُو بَنِي سَاعِدَةَ، فَقَالَ: وَمَا حَقُّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْ تَضْرِبَ بِهِ فِي الْعَدُوِّ حَتَّى يَخْنِي، فَقَالَ: أَنَا آخِذُهُ بِحَقِّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ - وَكَانَ أَبُو دُجَانَةَ رَجُلًا شُجَاعًا يَحْتَالُ عِنْدَ الْحَرْبِ إِذَا كَانَتْ، وَكَانَ إِذَا أَعْلَمَ بِعَصَابَةٍ لَهُ حَمَرَاءُ يَعْصِبُهَا عَلَى رَأْسِهِ عِلْمَ النَّاسِ أَنَّهُ سَيُقَاتِلُ - فَلَمَّا أَخَذَ السَّيْفَ مِنْ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ص أَخَذَ عَصَابَتَهُ تِلْكَ، فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ، ثُمَّ جَعَلَ يَتَبَخَّرُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَسْلَمَ، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، قَالَ: [قال رسول الله ص حين رأى أبا دُجَانَةَ يَتَبَخَّرُ: إِنَّهَا لَمِشِيَّةٌ يَبْغِضُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْطِنِ] وَقَدْ أَرْسَلَ أَبُو سُفْيَانَ رُسُولًا، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ، خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ ابْنِ عَمِّنَا نَنْصَرِفُ عَنْكُمْ، فَإِنَّهُ لَا حَاجَةَ لَنَا بِقِتَالِكُمْ فَرَدُّوهُ بِمَا يَكْرَهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، أَنَّ أَبَا عَامِرٍ عَبْدَ عَمْرُو بْنِ صَيْفِيٍّ بْنِ مَالِكِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ أُمَّةَ، أَحَدَ بَنِي ضُبَيْعَةَ، وَقَدْ كَانَ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ مَبَاعِدًا

لِرَسُولِ اللَّهِ ص، مَعَهُ خَمْسُونَ غُلَامًا مِنَ الْأَوْسِ، مِنْهُمْ عُثْمَانُ بْنُ حَنِيفٍ - وَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ: كَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ - فَكَانَ يَعِدُ قُرَيْشًا أَنَّ لَوْ قَدْ لَقِيَ مُحَمَّدًا لَمْ يَحْتَلِفْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلَانِ، فَلَمَّا التَقَى النَّاسَ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَهُمْ أَبُو عَامِرٍ فِي الْأَحَابِيشِ وَعُبدَانِ أَهْلِ مَكَّةَ، فَنادَى: يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ، أَنَا أَبُو عَامِرٍ، قَالُوا: فَلَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا يَا فَاسِقُ - وَكَانَ أَبُو عَامِرٍ يُسَمَّى فِي الْجَاهِلِيَّةِ الرَّاهِبَ، فَسماه رسول الله

ص الْفَاسِقَ - فَلَمَّا سَمِعَ رَدَّهُمْ عَلَيْهِ، قَالَ: لَقَدْ أَصَابَ قَوْمِي بَعْدِي شَرٌّ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا، ثُمَّ ارْضَنَهُمْ بِالْحَجَارَةِ، وَقَدْ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ لِأَصْحَابِ الْوَلَاءِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ يُحَرِّضُهُمْ بِذَلِكَ عَلَى الْقِتَالِ: يَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، إِنَّكُمْ وَلَيْتُمْ لَوَاءَنَا يَوْمَ بَدْرٍ، فَأَصَابَنَا مَا قَدْ رَأَيْتُمْ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى النَّاسُ مِنْ قَبْلِ رَأْيَاتِهِمْ، إِذَا زَالَتْ زُلُومًا، فَمَا أَنْ تَكُونُوا لَوَاءَنَا، وَإِنَّمَا أَنْ تَخْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فَسَنَكْفِيكُمْوه فهُمُوا بِهِ وَتَوَاعَدُوهُ، وَقَالُوا: نَحْنُ نُسَلِّمُ إِلَيْكَ لَوَاءَنَا، سَتَعْلَمُ غَدًا إِذَا التَّقِينَا كَيْفَ نَصْنَعُ! وَذَلِكَ الَّذِي أَرَادَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَمَّا التَقَى النَّاسُ، وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، قَامَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ فِي النَّسْوَةِ اللَّوَاتِي مَعَهَا.

وَأَخَذَنَ الدُّفُوفَ يَضْرِبُ خَلْفَ الرِّجَالِ وَيُحَرِّضُهُمْ، فَقَالَتْ هِنْدُ فِيمَا تَقُولُ:

إِنْ تَقْبَلُوا نَعَاتِي ... وَنَفْرُسِ التَّمَارِقَ

أَوْ تَدْبِرُوا نِفَارِقَ ... فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقَ

وَتَقُولُ:

وَيْهَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ! ... وَبَيْهَا حُمَاةُ الْأَدْبَارِ!

ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَار

وَأَقْتَتَلَ النَّاسُ حَتَّى حَمِيَّتِ الْحَرْبُ، وَقَاتَلَ أَبُو دُجَانَةَ حَتَّى أَمْعَنَ فِي النَّاسِ، وَحَمَزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي رِجَالٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَانْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَصْرَهُ، وَصَدَقَهُمْ وَعَدَهُ، فَحَسُّوهُمْ بِالسُّيُوفِ حَتَّى كَشَفُوهُمْ، وَكَانَتْ الْهَزِيمَةُ لَا شَكَّ فِيهَا.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبَّادٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَنْظُرُ إِلَى خَدَمِ هِنْدِ بِنْتُ عُتْبَةَ وَصَوَاحِبِهَا مُشْمَرَاتٍ هَوَارِبَ، مَا دُونَ أَخَذْنِ قَلِيلَ كَثِيرٍ، إِذْ مَالَتِ الرَّمَاةُ إِلَى الْعَسْكَرِ حِينَ كَشَفْنَا الْقَوْمَ عَنْهُ يُرِيدُونَ النَّهْبَ، وَخَلَوْا ظُهُورَنَا لِلْخَيْلِ، فَأَتَيْنَا مِنْ أَدْبَارِنَا وَصَرَخَ صَارِخٌ: أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ! فَانْكَفَأْنَا وَانْكَفَأَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ، بَعْدَ أَنْ أَصْبَنَّا أَصْحَابَ الْوَلَاءِ حَتَّى مَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنَّ الْوَلَاءَ لَمْ يَزَلْ صَرِيحًا حَتَّى أَخَذَتْهُ سَمْرَةُ بِنْتُ عُلْقَمَةَ الْحَارِثِيَّةُ، فَرَفَعَتْهُ لِقَرِيشَ، فَلَاثُوا بِهِ، وَكَانَ الْوَلَاءُ مَعَ صَوَابٍ، غَلَامَ لَبْنِي أَبِي طَلْحَةَ، حَبْشِي، وَكَانَ آخِرَ مَنْ أَخَذَهُ مِنْهُمْ، فَقَاتَلَ حَتَّى قَطَعَتْ يَدَاهُ، ثُمَّ بَرَكَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَ الْوَلَاءَ بِصَدْرِهِ وَعَنْقَهُ حَتَّى قَتَلَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ هَلْ أَعْذَرْتُ! فَقَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي قِطْعٍ يَدِ صَوَابٍ حِينَ تَقَاذَفُوا بِالشَّعْرِ:

نَفَرْتُم بِالْوَلَاءِ وَشَرُّ نَفَرٍ ... لَوَاءٌ حِينَ رَدَّ إِلَى صَوَابٍ

جَعَلْتُمْ نَفَرَكُمْ فِيهَا لَعِبْدٍ ... مِنَ الْأُمِّ مِنْ وَطِي عَفْرِ التَّرَابِ

ظَنَنْتُمْ وَالسَّفِيهَ لَهُ ظَنُونٌ ... وَمَا إِنْ ذَاكَ مِنْ أَمْرِ الصَّوَابِ

بَأَنْ جَلَدَانَا يَوْمَ التَّقِينَا ... بِمَكَّةَ بَيْعَكُمْ حَمْرَ الْعِيَابِ

أَفَرِ الْعَيْنِ أَنْ عَصَبَتْ يَدَاهُ ... وَمَا إِنْ تَعْصَبَانِ عَلَى خَضَابِ

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَبَانُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ:

لَمَّا قَتَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَصْحَابَ الْإِلَوهِ، ابْصَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَ جَمَاعَةً مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، فَقَالَ لِعَلِيٍّ: اخْمِلْ عَلَيْهِمْ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ، فَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ، وَقَتَلَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجُمَحِيَّ قَالَ: ثُمَّ ابْصَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَ جَمَاعَةً مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، فَقَالَ لِعَلِيٍّ:

اخْمِلْ عَلَيْهِمْ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ فَفَرَّقَ جَمَاعَتَهُمْ، وَقَتَلَ شَيْبَةَ بْنَ مَالِكٍ أَحَدَ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، فَقَالَ جَبْرِيلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ لَلْمَوَاسَاةُ، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَ: إِنَّهُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، فَقَالَ جَبْرِيلُ:]

وَأَنَا مِنْكُمْ، قَالَ: فَسَمِعُوا صَوْتًا:

لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ ... وَلَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ

[قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَلَمَّا أَتَى الْمُسْلِمُونَ مِنْ خَلْفِهِمْ أَنْكَشَفُوا وَأَصَابَ مِنْهُمْ الْمُشْرِكُونَ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ لَمَّا أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ اثْنَلَاثًا: ثَلَاثَ قَتِيلٍ، وَثَلَاثَ جَرِيحٍ، وَثَلَاثَ مَنْهَرَمٍ، وَقَدْ جَهَدَتْهُ الْحَرْبُ حَتَّى مَا يَدْرِي مَا يَصْنَعُ، وَأُصِيبَتْ رِبَاعِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ص السُّفْلَى، وَشَقَّتْ شَفَتَهُ،

وَكُلَّمْ فِي وَجَنَتِهِ وَجَبَتِهِ فِي أُصُولِ شَعْرِهِ، وَعَلَاهُ ابْنُ قَيْثَةَ بِالسَّيْفِ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، وَكَانَ الَّذِي أَصَابَهُ عَتَبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ.

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، كُسِرَتْ رِبَاعِيَةُ رَسُولِ اللَّهِ ص وَشَجَّ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، [وَيَقُولُ: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَهُ نَبِيَّهُمْ بِالدَّمِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ!] فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» الْآيَةُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: [وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص حِينَ غَشِيَهُ الْقَوْمُ:

مَنْ رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ!] حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْحُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَعْدٍ بْنِ مُعَاذٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ، قَالَ: فَقَامَ زِيَادُ بْنُ السَّكَنِ فِي نَفَرٍ خَمْسَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ عِمَارَةُ بْنُ زِيَادِ ابْنِ السَّكَنِ، فَقَاتَلُوا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ص رَجُلًا، ثُمَّ رَجُلًا، يُقْتَلُونَ دُونَهُ، حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ زِيَادٌ - أَوْ عِمَارَةُ بْنُ زِيَادِ بْنِ السَّكَنِ - فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ، ثُمَّ فَأَتَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِتَّةٌ حَتَّى أَجْهَضُوهُمْ عَنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: ادْنُوهُ

مَنِي، فادْنُوهُ مِنْهُ، فَوَسَدَ قَدَمُهُ، فَمَاتَ وَخَذَهُ عَلَى قَدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَتَرَسَ دُونَ

رَسُولِ اللَّهِ ص أَبُو دُجَانَةَ بِنَفْسِهِ يَقَعُ النَّبْلُ فِي ظَهْرِهِ وَهُوَ مُنْحَنٍ عَلَيْهِ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِ النَّبْلُ، وَرَمَى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَقَالَ سَعْدٌ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنَاقِلُنِي وَيَقُولُ:

أَرْمِ فِدَاكَ إِلَيَّ وَأُمِّي! حَتَّى إِنَّهُ لَيَنَاقِلُنِي السَّهْمَ مَا فِيهِ نَصْلٌ، فَيَقُولُ:

أَرْمِ بِهِ! حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص رَمَى عَنْ قَوْسِهِ حَتَّى انْدَقَتْ سَيْتُهَا، فَأَخَذَهَا قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، فَكَانَتْ عِنْدَهُ، وَأُصِيبَتْ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ، حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجَنَتِهِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص رَدَّهَا بِيَدِهِ، فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ وَأَحَدَهُمَا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَاتَلَ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَمَعَهُ لَوَاؤُهُ حَتَّى قُتِلَ، وَكَانَ الَّذِي أَصَابَهُ ابْنُ قَيْثَةَ اللَّيْثِيُّ.

وَهُوَ يُظَنُّ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَجَرَعَ إِلَى قُرَيْشٍ، فَقَالَ:

قَتَلْتُ مُحَمَّدًا فَلَمَّا قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ص اللِّوَاءَ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَاتَلَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّى قَتَلَ أَرْطَاةَ بْنَ عَبْدِ شَرْحِبِيلَ بْنِ هَاشِمٍ بْنَ عَبْدِ مَنَافٍ بْنَ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ، وَكَانَ أَحَدَ النَّفَرِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ اللِّوَاءَ، ثُمَّ مَرَّ بِهِ سِبَاعُ بْنُ

عَبْدِ الْعَزَى الْغُبَّانِيُّ - وَكَانَ يُكْنَى بِأَبِي نِيَارٍ - فَقَالَ لَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: هَلُمَّ إِلَى يَا بَنَ مُقَطَّعَةِ الْبُظُورِ - وَكَانَتْ أُمُّهُ أُمُّ أَمَّارٍ مَوْلَاةَ شُرَيْقِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ وَهْبٍ الثَّقَفِيِّ، وَكَانَتْ خَتَانَةَ بِمَكَّةَ - فَلَمَّا التَّقِيَا ضَرَبَهُ حَمْزَةُ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ

وَحِثِّي غُلَامٌ جَبِيرٌ بِنِ مُطْعِمٍ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى حِمْزِهِ يَهْدِي النَّاسَ بِسَيْفِهِ، مَا يَلِيقُ شَيْئًا بِرَبِّهِ، مِثْلَ الْجَمَلِ الْأَوْرَقِ، إِذْ تَقَدَّمَنِي إِلَيْهِ سَبَاعُ بَنِ عَبْدِ الْعُزَّى، فَقَالَ لَهُ حِمْزَةٌ: هَلُمَّ إِلَى يَا بَنِ مُقْطَعَةِ الْبُظُورِ! فَضْرَبَهُ، فَكَأَنَّمَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ، وَهَزَزَتْ حَرْبِي حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ فَوَقَعَتْ فِي لُبَّتِهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ، وَأَقْبَلَ نَحْوِي، فَغَلَبَ فَوْقَ، فَأَمْلَتْهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ جِئْتُ فَأَخَذْتُ حَرْبِي، ثُمَّ تَخَيَّتُ إِلَى الْعَسْكَرِ، وَلَمْ يَكُنْ لِي بِشَيْءٍ حَاجَةٌ غَيْرُهُ وَقَدْ قَتَلَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ بَنَ أَبِي الْأَقْلَحِ أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ مُسَافِجَ بْنَ طَلْحَةَ وَأَخَاهُ كِلَابَ بْنَ طَلْحَةَ، كِلَاهُمَا يُشْعِرُهُ سَهْمًا، فَيَأْتِي أُمَّهُ سِلَافَةَ فَيَضَعُ رَأْسَهُ فِي جِرْهَا، فَتَقُولُ: يَا بُنَيَّ، مَنْ أَصَابَكَ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ رَجُلًا حِينَ رَمَانِي يَقُولُ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَقْلَحِ! فَتَقُولُ: أَقْلَحِي! فَتَذَرْتُ لِلَّهِ إِنْ أَمَكَّنَهَا مِنْ رَأْسِ عَاصِمٍ أَنْ تَشْرَبَ فِيهِ الْخَمْرَ وَكَانَ عَاصِمٌ قَدْ عَاهَدَ اللَّهَ الْإِيمَانُ مُشْرِكًا أَبَدًا وَلَا يَمْسُهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَافِعٍ، أَخُو بَنِي عَدِيٍّ بْنِ النَّجَّارِ، قَالَ: أَنْتَهَى أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ، عَمَّ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي رِجَالٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَقَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ: مَا يُجْلِسُكُمْ؟ قَالُوا: قَتَلَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: فَمَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ؟ قَوْمُوا فَمُوتُوا كَرَامًا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، وَبِهِ سُمِّيَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

حَدَّثَنِي حَمِيدُ الطَّوِيلُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَقَدْ وَجَدْنَا بِأَنَسِ بْنِ النَّضْرِ يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ ضَرْبَةً وَطَعْنَةً فَمَا عَرَفَهُ إِلَّا أُخْتُهُ، عَرَفَتْهُ بِحَسَنِ بَنَانِهِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

كَانَ أَوَّلُ مَنْ عَرَفَ رَسُولَ اللَّهِ صَ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ وَقَوْلِ النَّاسِ:

قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَ - كَمَا حَدَّثَنِي ابْنُ شِهَابٍ الزَّهْرِيُّ - كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ، قَالَ: عَرَفْتُ عَيْنِيهِ تَزْهَرَانِ تَحْتَ الْمَغْفَرِ، فَنَادَيْتُ: بِأَعْلَى صَوْتِي: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَبْشَرُوا! هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَ! فَأَشَارَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَ: أَنْ أَنْصِتْ فَلَمَّا عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَ نَهَضُوا بِهِ، وَنَهَضَ نَحْوُ الشَّعْبِ، مَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَامِ، وَالْحَارِثُ بْنُ الصَّمَةِ، فِي رَهْطٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلَمَّا أَسْنَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَ فِي الشَّعْبِ أَدْرَكَهُ أَبِي بَنِ خَلْفٍ وَهُوَ يَقُولُ: أَيْنَ مُحَمَّدُ! لَا نَجُوتُ إِنْ نَجُوتُ! فَقَالَ الْقَوْمُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْعُظُفَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مَنَا؟ قَالَ: دَعُوهُ، فَلَمَّا دَنَا تَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَ الْحَرْبَةَ مِنَ الْحَارِثِ بْنِ الصَّمَةِ - قَالَ: يَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ فِيمَا ذَكَرَ لِي:

فَلَمَّا أَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَ، انْتَفَضَ بِهَا انْتِفَاضَةً تَطَايَرْنَا عَنْهُ تَطَايِرَ الشَّعْرَاءِ عَنْ ظَهْرِ الْبَعِيرِ إِذَا انْتَفَضَ بِهَا، ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُ فَطَعَنَهُ فِي عُنُقِهِ طَعْنَةً تَدَادَأُ مِنْهَا عَنْ فَرْسِهِ مَرَارًا.

وَكَانَ أَبِي بَنِ خَلْفٍ - كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ صَالِحِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ - يَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ صَ بِمَكَّةَ، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ إِنْ عِنْدِي الْعُودُ، أَعْلِفْهُ كُلَّ يَوْمٍ فَرَقًا مِنْ ذُرَّةٍ أَقْتُلَكَ عَلَيْهِ! فَيَقُولُ

رَسُولُ اللَّهِ صَ: بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى قَرِيشٍ، وَقَدْ خَدَشَهُ فِي عُنُقِهِ خَدَشًا غَيْرَ كَبِيرٍ، فَاحْتَقَنَ الدَّمَ، قَالَ: قَتَلَنِي وَاللَّهِ مُحَمَّدٌ قَالُوا: ذَهَبَ وَاللَّهِ فَوَادُكَ، وَاللَّهِ إِنْ بِكَ بَأْسٌ قَالَ: إِنَّهُ قَدْ كَانَ بِمَكَّةَ قَالَ لِي: أَنَا أَقْتُلُكَ، فَوَاللَّهِ لَوْ بَصَقَ عَلَيَّ لَقَتَلَنِي فَاتَّ عَدُوُّ اللَّهِ بِسَرَفٍ وَهُمْ قَافِلُونَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ.

قَالَ: فَلَمَّا أَنْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَ إِلَى فَمِ الشَّعْبِ، خَرَجَ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى مَلَأَ دِرْقَتَهُ مِنَ الْمِهْرَاسِ ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَ

لِيَشْرَبَ مِنْهُ، فَوَجَدَ لَهُ رِيحًا فَعَفَاهُ، وَلَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ، وَغَسَلَ عَنْ وَجْهِهِ الدَّمَ، وَصَبَّ عَلَى رَأْسِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ دَمَى وَجْهَ نَبِيِّهِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا حَرَصْتُ عَلَى قَتْلِ رَجُلٍ قَطُّ مَا حَرَصْتُ عَلَى قَتْلِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَإِنْ كَانَ مَا عَلَتُ لِسِيَّ الْخَلْقِ، مُبْغَضًا فِي قَوْمِهِ، وَلَقَدْ كَفَانِي مِنْهُ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ص: اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ دَمَى وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، قَالَ:

حَدَّثَنَا أَهْبَاطُ، عَنِ السُّدِّيِّ، قَالَ: أَتَى ابْنُ قُيَيْثَةَ الْحَارِثِيُّ أَحَدَ بَنِي الْحَارِثِ ابْنَ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ، فَرَمَى رَسُولُ اللَّهِ ص بِحَجَرٍ، فَكَسَرَ أَنْفَهُ وَرَبَاعِيَّتَهُ، وَشَجَّهُ فِي وَجْهِهِ، فَأَثْقَلَهُ وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَدَخَلَ بَعْضُهُمُ الْمَدِينَةَ، وَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ فَوْقَ الْجَبَلِ إِلَى الصَّخْرَةِ، فَقَامُوا عَلَيْهَا، وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَدْعُو النَّاسَ: إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ!

إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ! فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ ثَلَاثُونَ رَجُلًا، فَجَعَلُوا يَسِيرُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَمْ يَقِفْ أَحَدٌ إِلَّا طَلْحَةَ وَسَهْلَ بْنَ حَنِيفٍ، فَحَمَاهُ طَلْحَةُ، فَرَمَى بِهِمْ فِي يَدِهِ فَيَسْتِ يَدُهُ، وَأَقْبَلَ أَبِي بَنْ خَلْفَ الْجَمْحِيِّ، وَقَدْ حَلَفَ لَيَقْتُلَنَّ النَّبِيَّ ص، فَقَالَ: بَلْ أَنَا أَقْتَلُهُ، فَقَالَ: يَا كَذَّابُ، إِنْ تَفَرَّ! فَحَمَلَ عَلَيْهِ فَطَعَنَهُ النَّبِيُّ ص فِي جَنْبِ الدَّرْعِ، فَجَرَحَ جُرْحًا خَفِيفًا، فَوَقَعَ يَخْوَرُ خَوَارَ الثَّوَرِ، فَاحْتَمَلُوهُ، وَقَالُوا: لَيْسَ بِكَ جِرَاحَةٌ، فَمَا يُجِزِعُكَ؟ قَالَ: أَلَيْسَ قَالَ: لَا أَقْتُلَنَّكَ! لَوْ كَانَتْ بِجَمِيعِ رِبْعَةٍ وَمَضَرَ لَقَتَلْتَهُمْ! فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ حَتَّى مَاتَ مِنْ ذَلِكَ الْجُرْحِ.

وَفَشَا فِي النَّاسِ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ص قَدْ قُتِلَ، فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الصَّخْرَةِ: لَيْتَ لَنَا رَسُولًا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي، فَيَأْخُذُ لَنَا أَمْنَةً مِنْ أَبِي سُفْيَانَ! يَا قَوْمُ إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَارْجِعُوا إِلَى قَوْمِكُمْ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوكمُ فَيَقْتُلُوكمُ.

قَالَ أَسُّ بْنُ النَّضْرِ: يَا قَوْمُ إِنَّ كَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ قُتِلَ، فَإِنَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ لَمْ يَقْتُلْ فَقَاتِلُوا عَلَى مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَدِرُ إِلَيْكَ مِمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ! ثُمَّ شَدَّ بِسَيْفِهِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَدْعُو النَّاسَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَصْحَابِ الصَّخْرَةِ، فَلَمَّا رَأَوْهُ وَضَعَ رَجُلٌ سَهْمًا فِي قَوْسِهِ، فَأَرَادَ أَنْ يَرْمِيَهُ فَقَالَ: أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله ص حيا، وفرح رسول الله ص حين رأى أَنَّ فِي أَصْحَابِهِ مَنْ يَمْتَنِعُ بِهِ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا وَفِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ص ذَهَبَ عَنْهُمْ الْحُزْنُ، فَأَقْبَلُوا يَذْكُرُونَ الْقِتْحَ، وَمَا فَاتَهُمْ مِنْهُ، وَيَذْكُرُونَ أَصْحَابَهُمُ الَّذِينَ قُتِلُوا، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَارْجِعُوا إِلَى قَوْمِكُمْ: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ

وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» .

فَأَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ نَسُوا ذَلِكَ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ، وَأَهْمَهُمْ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَعْلُونَا، اللَّهُمَّ إِنْ تَقَتَّلَ هَذِهِ الْعَصَابَةُ لَا تُعْبِدُ! ثُمَّ نَدَبَ أَصْحَابَهُ، فَرَمَوْهُمْ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى أَنْزَلُوهُمْ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ يَوْمَئِذٍ: اْعْلُ هُبْلُ، حَنْظَلَةٌ بِحَنْظَلَةٍ، وَيَوْمَ بَدْرٍ وَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ حَنْظَلَةَ بَنِ الرَّاهِبِ، وَكَانَ جُنْبًا فَغَسَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ، وَكَانَ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ قَتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ:

لَنَا الْعَزَى وَلَا عَزَى لَكُمْ! [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِعُمَرَ قُلِ: اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ] فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَفِيكُمْ مُحَمَّدٌ! أَمَا إِنَّهَا قَدْ كَانَتْ فِيكُمْ مِثْلَةٌ، مَا أَمَرْتُ بِهَا وَلَا نَهَيْتُ عَنْهَا، وَلَا سَرَّتْنِي وَلَا سَاءَتْنِي، فَذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِشْرَافَ أَبِي سُفْيَانَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «فَأَنَابَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ» ، وَالْغَمُّ الْأَوَّلُ مَا فَاتَهُمْ مِنَ الْغَنِيمَةِ وَالْقِتْحِ، وَالْغَمُّ الثَّانِي إِشْرَافُ الْعَدُوِّ عَلَيْهِمْ، «لِكَيْلَا

تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ» من الغنيمه «وَلَا مَا أَصَابَكُمْ» من القتل حين تَذْكُرُونَ فَشَغَلَهُمْ أَبُو سُفْيَانٍ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ، فَإِنَّهُ قَالَ- فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ عَنْهُ- بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ص فِي الشَّعْبِ، وَمَعَهُ أُوْلَاؤُكَ النَّفَرُ مِنْ أَصْحَابِهِ إِذْ عَلَتْ عَالِيَةً مِنْ قُرَيْشِ الْجَبَلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَعْلُونَا، فَقَاتَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَرَهْطُ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى أَهْبَطُوهُمْ عَنِ الْجَبَلِ، وَنَهَضَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى صَخْرَةٍ مِنَ الْجَبَلِ لِيَعْلُوَهَا وَقَدْ كَانَ بَدَنُ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَظَاهِرُ بَيْنِ دِرْعَيْنِ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْهَضَ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَجَلَسَ تَحْتَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَنَهَضَ حَتَّى اسْتَوَى عَلَيْهَا. حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدٌ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص، كَمَا حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عُبَادٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، [قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ يَوْمَئِذٍ: أَوْجَبَ طَلْحَةُ حِينَ صَنَعَ بِرَسُولِ اللَّهِ مَا صَنَعَ] قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَدْ كَانَ النَّاسُ انْهَزَمُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص، حَتَّى انْتَهَى بَعْضُهُمْ إِلَى الْمُنْتَقَى دُونَ الْأَعْوَصِ، وَفَرَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَعَقْبَةُ بْنُ عُثْمَانَ وَسَعْدُ بْنُ عُثْمَانَ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، حَتَّى بَلَّغُوا الْجَلْعَبَ جَبَلًا بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ مِمَّا لِي الْأَعْوَصِ، فَأَقَامُوا بِهِ ثَلَاثًا ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَرَزَعُوا إِنْ رَسُولُ اللَّهِ ص، قَالَ لَهُمْ: لَقَدْ ذَهَبْتُمْ فِيهَا عَرِيضَةً.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَدْ كَانَ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ الْغَسِيلُ، اتَّقَى هُوَ وَأَبُو سُفْيَانُ بْنُ حَرْبٍ، فَلَمَّا اسْتَعْلَاهُ حَنْظَلَةُ رَأَى شَدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ- وَكَانَ يُقَالُ لَهُ ابْنُ شُعُوبٍ- قَدْ عَلَا أَبَا سُفْيَانَ، فَضْرِبَهُ شَدَادٌ فَقَتَلَهُ [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: إِنَّ صَاحِبَكُمْ- يَعْنِي حَنْظَلَةَ- لَتُغْسِلَهُ الْمَلَائِكَةُ فَسَلُّوا أَهْلَهُ: مَا شَأْنُهُ؟ فَسَلِّتْ صَاحِبَتَهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ حِينَ سَمِعَ الْهَائِعَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لَذَلِكَ غَسَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ،] فَقَالَ شَدَادُ ابْنُ الْأَسْوَدِ فِي قَتْلِهِ حَنْظَلَةَ:

لَأَحْمِيَنَّ صَاحِبِي وَنَفْسِي ... بِطَعْنَةٍ مِثْلَ شُعَاعِ الشَّمْسِ

وَقَالَ أَبُو سُفْيَانُ بْنُ حَرْبٍ، وَهُوَ يَذْكُرُ صَبْرَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَمُعَاوَنَةَ ابْنِ شُعُوبٍ شَدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ إِيَّاهُ عَلَى حَنْظَلَةَ:

وَلَوْ شِئْتُ لَنَجَّيْتُ كُمَيْتَ طِمْرَةَ ... وَلَمْ أَجْمِلِ النِّعْمَاءَ لِابْنِ شُعُوبٍ

فَمَا زَالَ مُهْرِي مُرْجَرِ الْكَلْبِ مِنْهُمْ ... لَدَى غَدْوَةٍ حَتَّى دَنَتْ لِغُرُوبٍ

أَقَاتِلَهُمْ وَأَدْعِي يَالَ غَالِبٍ ... وَأَدْفَعُهُمْ عَنِّي بِرُكْنِ صَلِيبٍ

فَبِكِي وَلَا تَرْعِي مَقَالَةَ عَاذِلٍ ... وَلَا تَسْأَمِي مِنْ عِبْرَةٍ وَنَحِيبٍ

أَبَاكَ وَإِخْوَانَا لَهُ قَدْ تَتَابَعُوا ... وَحَقَّ لَهُمْ مِنْ عِبْرَةٍ بِنَصِيبٍ

وَسَلَى الَّذِي قَدْ كَانَ فِي النَّفْسِ أَنِّي ... قَتَلْتُ مِنَ النِّجَارِ كُلِّ نَحِيبٍ

وَمِنْ هَاشِمٍ قَرَمًا نَجِيًّا وَمَصْعَبًا ... وَكَانَ لَدَى الْهِجَاءِ غَيْرَ هَيُوبٍ

وَلَوْ أَنِّي لَمْ أَشْفِ مِنْهُمْ قُرُونِي ... لَكَانَتْ شَجَى فِي الْقَلْبِ ذَاتُ نَدُوبٍ

فَآبُوا وَقَدْ أَوْدَى الْخِلَائِبُ مِنْهُمْ ... لَهُمْ خَدَبٌ مِنْ مَغْبُطٍ وَكُتَيْبٍ

أَصَابَهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَدِمَائِهِمْ ... كَفِيًّا وَلَا فِي خُطَّةٍ بِضَرِيبٍ

فَأَجَابَهُ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ فَقَالَ:

ذَكَرْتُ الْقُرُومَ الصَّيْدَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... وَلَسْتُ لَزُورَ قَلْتِهِ بِمَصِيبٍ

أَتَعْجَبُ أَنْ أَقْصَدْتَ حِمَزَةَ مِنْهُمْ ... نَجِيًّا وَقَدْ سَمِيَتْهُ بِنَجِيبٍ

أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمْرًا وَعَتْبَةً وَابْنَهُ ... وَشَيْبَةَ وَالْحِجَاجَ وَابْنَ حَبِيبٍ!

غَدَاةَ دَعَا الْعَاصِي عَلِيًّا فَرَاعَهُ ... بِضَرْبَةِ عَضْبٍ بِهِ بِخَضِيبٍ

وقال شداد بن الأسود، يذكر يده عند أبي سفيان بن حرب فيما دفع عنه:
ولولا دفاعي يا بن حرب ومشهدي ... لألفيت يوم النعف غير مجيب
ولولا مكري المهر بالنعف قرقرت ... ضباع عليه أو ضراء كليب
وقال الحارث بن هشام يجيب أبا سفيان في قوله:
وما زال مهري مزجر الكلب منهم.

وظن أنه يعرض به إذ فر يوم بدر:

وإنك لو عاينت ما كان منهم ... لأبت بقلب ما بقيت نخب
لدى صحن بدر أو لقامت نوائح ... عليك، ولم تحفل مصاب حبيب
جزيتهم يوما ببدر كمثلهم ... على سابع ذي ميعة وشبيب

قال أبو جعفر: وقد وقفت هند بنت عتبة- فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثني صالح بن كيسان- والنسوة اللاتي معها يمثّلن بالقتلى من اصحاب رسول الله ص، يجدن الآذان والأنوف، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنفهم خدما وقلائد، وأعطت خدما وقلائدها وقرطتها وحشيا، غلام جبير بن مطعم، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ثم علت على صخرة مشرفة، فصرخت بأعلى صوتها بما قالت من الشعر حين ظفروا بما أصابوا من اصحاب رسول الله ص.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثني صالح بن كيسان، أنه حدث أن عمر بن الخطاب قال لحسان: يا بن الفريرة لو سمعت ما تقول هند ورأيت أشرها، قائمة على صخرة ترجز بنا، وتذكر ما صنعت بحمزة! فقال له حسان: والله إنني لأنظر إلى الحرب تهوي وأنا على رأس فارح- يعني أطمه- فقلت:

والله إن هذه لسلح ما هي بسلح العرب، وكأنها إنما تهوي إلى حمزة، ولا أدري أسمعني بعض قولها أكفيكموها، قال: فأشده عمر بعض ما قالت، فقال حسان يهجو هنداً:

أشرت لكأع وكان عادتاً ... لؤماً إذا أشرت مع الكفر
لئن الإله وزوجها معها ... هند الهنود عظمة البظر

أخرجت مرقصة إلى أحد ... في القوم مقتبة على بكر

بكر ثفال لا حراك به ... لا عن معاتبة ولا زجر

وعصاك إستك نتقين بها ... دقي العجاية هند بالفهر

قرحت عجيزتها ومشرجها ... من دأبها نصا على القتر

ظلت تداويها زميلتها ... بالماء تنضحه وبالسدر

أخرجت نائرة مبادرة ... بأبيك وابنك يوم ذي بدر

وبعمك المستوه في ردع ... وأخيك منعقرين في الجفر

ونسيت فاحشة أتيت بها ... يا هند، ويحك سبة الدهر!

فرجعت صاغرة بلا ترة ... منا ظفرت بها ولا نصر

زعم الولائد أنها ولدت ... ولدا صغيرا كان من عهر

قال أبو جعفر: ثم إن أبا سفيان بن حرب أشرف على القوم- فيما حدثنا هارون بن إسحاق قال: حدثنا مصعب بن المقدم، قال: حدثنا إسرائيل.

وحدثنا ابن وكيع، قال: حدثني أبي، عن إسرائيل، قال: حدثنا أبو إسحاق، عن البراء، قال: ثم إن أبا سفيان أشرف علينا، فقال: أي القوم محمد؟ فقال رسول الله ص: لا تجيبوه، مرتين، ثم قال: أي القوم ابن أبي حنيفة؟ ثلاثاً، فقال رسول الله ص: لا تجيبوه، ثم

قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لَا تُجِيبُوهُ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَدْ قُتِلُوا، لَوْ كَانُوا فِي الْأَحْيَاءِ لَأَجَابُوا، فَلَمْ يَمْلِكْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ نَفْسَهُ أَنْ قَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، قَدْ أَبَقِيَ اللَّهُ لَكَ مَا يُخْزِيكَ! فَقَالَ: اأَعْلُ هَبْلُ! اأَعْلُ هَبْلُ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: أَجِيبُوهُ، قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ! قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَلَا لَنَا الْعُزَى وَلَا عُرَى لَكُمْ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: أَجِيبُوهُ، قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قُولُوا: اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ! قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَوْمَ يَوْمٍ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ، أَمَّا إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي الْقَوْمِ مِثْلًا لَمْ أَمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسْؤُنِي. حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ فِي حَدِيثِهِ: لَمَّا أَجَابَ عُمَرُ أَبَا سُفْيَانَ قَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ: هَلُمَّ يَا عُمَرُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص: إِيَّتِهِ فَاَنْظُرْ مَا شَأْنُهُ؟ فَجَاءَهُ فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ:

أَشْهَدُكَ اللَّهُ يَا عُمَرُ، أَقْتَلْنَا مُحَمَّدًا؟ فَقَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ لَا، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ كَلَامَكَ الْآنَ، فَقَالَ: أَنْتَ أَصْدَقُ عِنْدِي مِنْ ابْنِ قَيْثَةَ وَأَبْرَ، لِقَوْلِ ابْنِ قَيْثَةَ لَهُمْ: إِنِّي قَتَلْتُ مُحَمَّدًا ثُمَّ نَادَى أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي قَتْلَاكُمْ مِثْلٌ وَاللَّهِ مَا رَضِيتُ وَلَا سَخَطْتُ، وَلَا نَهَيْتُ وَلَا أَمَرْتُ. وَقَدْ كَانَ الْحَلِيسُ بْنُ زَبَّانٍ أَخُو بَنِي الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ الْأَحَابِيشِ، قَدْ مَرَّ بِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَهُوَ يَضْرِبُ فِي شِدْقِ حِمَزَةِ بَرْجِ الرَّحْمِ، وَهُوَ يَقُولُ: ذُقْ عَقْقُ! فَقَالَ الْحَلِيسُ: يَا بَنِي كَنَانَةَ، هَذَا سَيِّدُ قُرَيْشٍ يَصْنَعُ بَابَنَ عَمِّهِ كَمَا تَرَوْنَ لِحْمًا! فَقَالَ: اكْتُمُهَا، فَإِنَّهَا كَانَتْ زَلَّةً، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَبُو سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ نَادَى: إِنَّ مَوْعِدَكُمْ بَدْرٌ لِلْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: قُلْ نَعَمْ هِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مَوْعِدٌ.

ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ ع، فَقَالَ: اأَخْرُجْ فِي آثَارِ الْقَوْمِ فَاَنْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ، وَمَاذَا يُرِيدُونَ! فَإِنْ كَانُوا قَدْ اجْتَنَبُوا الْخَلِيلَ، وَامْتَطَوْا الْإِبِلَ، فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ مَكَّةَ، وَإِنْ رَكِبُوا الْخَلِيلَ، وَسَاقُوا الْإِبِلَ، فَهُمْ يُرِيدُونَ الْمَدِينَةَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ أَرَادُوا لَا سِيرَنَّ إِلَيْهِمْ فِيهَا ثُمَّ لَأُنَاجِزَنَّهُمْ قَالَ عَلِيٌّ: نَخْرُجُ فِي آثَارِهِمْ أَنْظُرْ مَاذَا

يَصْنَعُونَ، فَلَمَّا اجْتَنَبُوا الْخَلِيلَ وَامْتَطَوْا الْإِبِلَ تَوَجَّهُوا إِلَى مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَالَ: أَيُّ ذَلِكَ كَانَ فَأَخْفِهَ حَتَّى تَأْتِيَنِي قَالَ عَلَى: فَلَمَّا رَأَيْتَهُمْ قَدْ تَوَجَّهُوا إِلَى مَكَّةَ أَقْبَلْتُ أَصِيحُ، مَا اسْتَطِيعَ أَنْ أَكْتُمَ الَّذِي أَمَرَنِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ص لِمَا بِي مِنَ الْفَرَجِ، إِذْ رَأَيْتَهُمْ انْصَرَفُوا إِلَى مَكَّةَ عَنِ الْمَدِينَةِ.

وَفَرَّغَ النَّاسُ لِقَتْلَاهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص- كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ الْمَازِنِيِّ أَخِي بَنِي النَّجَّارِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص، قَالَ: مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ؟ - وَسَعْدُ أَخُو بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ- أَفِي الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا أَنْظُرُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فَعَلَ، فَظَنَرَ فَوَجَدَهُ جَرِيحًا فِي الْقَتْلِ بِهِ رَمَقٌ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ لَهُ: أَفِي الْأَحْيَاءِ أَنْتَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟

قَالَ: فَأَنَا فِي الْأَمْوَاتِ، أَبْلَغَ رَسُولُ اللَّهِ عَنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: إِنْ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكَ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرَ مَا جُزِيَ نَبِيٌّ عَنْ أُمَّتِهِ، وَأَبْلَغَ عَنِّي قَوْمَكَ السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُمْ: إِنْ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَا عُذَرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ خَلَصَ إِلَى نَبِيِّكُمْ ص وَفِيكُمْ عَيْنٌ تَطْرُقُ ثُمَّ لَمْ أَبْرَحْ حَتَّى مَاتَ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص فَخَبَرْتُهُ خَبْرَهُ وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص- فِيمَا بَلَّغَنِي- يَلْتَمِسُ حِمَزَةَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَوَجَدَهُ بِبَطْنِ الْوَادِي قَدْ بَقِرَ بَطْنُهُ عَنْ كَبِدِهِ، وَمِثْلَ بِهِ، فَجَدَّعَ أَنْفَهُ وَأَذْنَاهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنِ الزَّيْبَرِ، [إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص حِينَ رَأَى بِحِمَزَةٍ مَا رَأَى، قَالَ: لَوْلَا أَنَّ تَحْزَنَ صَفِيَّةٌ أَوْ تَكُونُ سُنَّةٌ مِنْ بَعْدِي

لَتَرْكُتُهُ حَتَّى يَكُونَ فِي أَجَوَافِ السَّبَاعِ وَحَوَاصِلِ الطَّيْرِ، وَلَئِنْ أَنَا أَظْهَرَنِي اللَّهُ عَلَى قُرَيْشٍ فِي مَوْطِنٍ مِنَ الْمَوَاطِنِ لَأُمِثِلَنَّ بِثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا رَأَى

المسلمون حزن رسول الله ص وَغِيظُهُ عَلَى مَا فَعَلَ بِعَمِّهِ، قَالُوا: وَاللَّهِ لَئِنْ ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَنُمِثِلَنَّ بِهِمْ مِثْلَهُ لَمْ يَمِثْلُهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ بِأَحَدٍ قَطُّ!

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي بَرِيدَةُ بْنُ سُفْيَانَ بْنِ فَرَوَةَ الْأَسْلَمِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ سَلَمَةُ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عُمَارَةَ، عَنْ الْحَكَمِ بْنِ عَتِيبَةَ، عَنْ مِقْسَمٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَقَوْلِ أَصْحَابِهِ: «وَأِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ»، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، فَعَفَا رَسُولُ اللَّهِ ص وَصَبَرَ وَنَهَى عَنِ الْمِثْلَةِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَأَقْبَلَتْ - فِيمَا بَلَغَنِي - صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَتَنْظُرَ إِلَى حِمْرَةٍ - وَكَانَ أَخَاهَا لِأَيِّهَا وَأُمُّهَا - [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَابْنِهَا الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ: الْقَهْ فَارْجِعْهَا، لَا تَرَى مَا بِأَخِيهَا] فَلَقِيَهَا الزُّبَيْرُ فَقَالَ لَهَا: يَا أُمُّهُ، إِنْ رَسُولُ اللَّهِ ص يَأْمُرُكَ أَنْ تَرْجِعِي، فَقَالَتْ: وَلَمْ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ مِثْلُ بَأَخِي وَذَلِكَ فِي اللَّهِ قَلِيلٌ! فَمَا أَرْضَانَا بِمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ! لَأَحْتَسِبَنَّ وَلَا صَبْرَنَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَمَّا جَاءَ الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّهِ ص فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، قَالَ: خَلِّ سَبِيلَهَا، فَاتَتْهُ فَظَنَرْتُ إِلَيْهِ وَصَلَّتْ عَلَيْهِ، وَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِهِ فَدُفِنَ. حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: فَزَعَمَ بَعْضُ آلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ - وَكَانَ لَأُمِيمَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ خَالَهُ حِمْرَةً، وَكَانَ قَدْ مِثَلَ بِهِ كَمَا مِثَلَ بِحِمْرَةٍ، إِلَّا أَنَّهُ

لَمْ يُبْقَرَ عَنْ كِبِدِهِ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص دَفَنَهُ مَعَ حِمْرَةٍ فِي قَبْرِهِ، وَلَمْ أَسْمَعْ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ أَهْلِهِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ قَتَادَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ، قَالَ: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى أُحُدٍ وَقَعَ حُسَيْلُ بْنُ جَابِرٍ - وَهُوَ أَيْمَانُ أَبُو حُدَيْفَةَ بْنُ الْإِيْمَانِ - وَثَابِتُ بْنُ وَقْشٍ بْنُ زَعُورَاءٍ فِي الْآطَامِ مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ، وَهُمَا شَيْخَانِ كَبِيرَانِ: لَا أَبَالِكَ! مَا تَنْتَظِرُ؟

فَوَاللَّهِ إِنْ بَقِيَ لِوَاحِدٍ مَنَا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا ظِمٌّ حَمَارٍ، إِنَّمَا نَحْنُ هَامَةٌ الْيَوْمَ أَوْ غَدٍ، أَفَلَا نَأْخُذُ أَسْيَافَنَا، ثُمَّ نَلْحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ص، لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقُنَا شَهَادَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص! فَأَخَذَا أَسْيَافَهُمَا، ثُمَّ خَرَجَا حَتَّى دَخَلَا فِي النَّاسِ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِمَا، فَأَمَّا ثَابِتُ بْنُ وَقْشٍ فَقَتَلَهُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَمَّا حُسَيْلُ بْنُ جَابِرٍ، أَيْمَانُ، فَاخْتَلَفَ عَلَيْهِ أَسْيَافُ الْمُسْلِمِينَ فَقَتَلُوهُ، وَلَا يَعْرِفُونَهُ فَقَالَ حُدَيْفَةُ: أَيُّي! قَالُوا: وَاللَّهِ إِنْ عَرَفْنَاهُ.

وَصَدَقُوا، قَالَ حُدَيْفَةُ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ! فَارَادَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَنْ يَدِيَهُ فَتَصَدَّقَ حُدَيْفَةُ بِدِيَتِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَزَادَتْهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص خَيْرًا.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ:

حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ كَانَ يَدْعَى حَاطِبُ بْنُ أُمِيَّةَ بْنُ رَافِعٍ، وَكَانَ لَهُ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ يُزِيدُ بْنُ حَاطِبٍ، أَصَابَتْهُ جَرَاةٌ يَوْمَ أُحُدٍ: فَأَتَى بِهِ إِلَى دَارِ قَوْمِهِ وَهُوَ يَمُوتُ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلُ الدَّارِ، فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ يَقُولُونَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ: ابْشُرِيَا بِنَ حَاطِبٍ بِالْجَنَّةِ،

قَالَ: وَكَانَ حَاطِبُ شَيْخًا قَدِ عَسَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَجَنِمَ يَوْمَئِذٍ نِفَاقَهُ، فَقَالَ: بِأَيِّ شَيْءٍ تَبْشُرُونَهُ، أَبُجْنَةٍ مِنْ حَرَمٍ! غَرَرْتُمْ وَاللَّهِ هَذَا الْغَلَامُ مِنْ نَفْسِهِ، وَفَجَعَلُونِي بِهِ! حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، قَالَ: كَانَ فِينَا

رَجُلٌ أَتَى لَا يُدْرَى مِنْ أَيْنَ هُوَ، يُقَالُ لَهُ قُرْمَانٌ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَقُولُ إِذَا ذُكِرَ لَهُ: إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمٌ أُحِدٍ، قَاتَلَ قَتَالًا شَدِيدًا، فَقُتِلَ هُوَ وَحَدَهُ ثَمَانِيَّةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَوْ تِسْعَةٌ، وَكَانَ شَهْمًا شُجَاعًا ذَا بَأْسٍ، فَأَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ، فَاحْتُمِلَ إِلَى دَارِ بَنِي ظَفَرٍ قَاتِلًا:

فَجَعَلَ رِجَالُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُونَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَبْلَيْتَ الْيَوْمَ يَا قُرْمَانُ، فَأَبْشُرْ! قَالَ: بِمَ ابْشُرْ! فَوَاللَّهِ إِنْ قَاتَلْتُ إِلَّا عَلَى أَحْسَابِ قَوْمِي، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا قَاتَلْتُ، فَلَمَّا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ جِرَاحَتُهُ، أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِتَابَتِهِ فَقَطَعَ رَوَاهِشَهُ فَنَزَفَهُ الدَّمُ فَاتَ، فَخَبَرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا! وَكَانَ مِمَّنْ قُتِلَ يَوْمَ أُحِدٍ مُحْخِرِيقُ الْيَهُودِيِّ، وَكَانَ أَحَدُ بَنِي ثَعْلَبَةَ ابْنِ الْفُطَيْوْنِ، لَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ قَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ نَصْرَ مُحَمَّدٍ عَلَيْكُمْ لَحَقَّ قَالُوا: إِنْ الْيَوْمَ يَوْمُ السَّبْتِ، فَقَالَ: لَا سَبْتَ، فَأَخَذَ سَيْفَهُ وَعَدَّتْهُ، وَقَالَ: إِنْ أَصِبتُ فَمَالِي لِمُحَمَّدٍ يَصْنَعُ فِيهِ مَا شَاءَ ثُمَّ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فَقَاتَلَ مَعَهُ حَتَّى قُتِلَ، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص - فِيمَا بَلَغَنِي: مُحْخِرِيقُ خَيْرُ يَهُودٍ] .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْنِ حَقٍّ، قَالَ: وَقَدْ احْتَمَلَ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَتْلَهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ فَدَفَنُوهُمْ بِهَا، ثُمَّ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ص عَنْ ذَلِكَ، [وَقَالَ: ادْفِنُوهُمْ حَيْثُ صُرِعُوا] .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْنِ حَقٍّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي إِبْنُ حَقٍّ بِنِيسَارٍ، عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، [أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ يَوْمَئِذٍ حِينَ أَمَرَ بِدَفْنِ الْقَتْلَى: انظُرُوا عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ فَإِنَّهُمَا كَانَا مُتَصَافِيَيْنِ فِي الدُّنْيَا، فَاجْعَلُوهُمَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ] قَالَ: فَلَمَّا احْتَفَرُوا مُعَاوِيَةَ الْقَنَاةَ أَخْرَجَا وَهُمَا يَنْثَنِيَانِ كَأَنَّمَا دُفِنَا بِالْأَمْسِ.

قَالَ: ثُمَّ انصرفت رسول الله ص راجعاً إلى المدينة، فَلَقِيَتْهُ حِمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ - كَمَا ذُكِرَ لِي - فَنَعِيَ لَهَا أَخُوَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ، فَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ، ثُمَّ نَعِيَ لَهَا خَالَهَا حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ، ثُمَّ نَعِيَ لَهَا زَوْجَهَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، فَصَاحَتْ وَوَلَوَتْ، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: إِنْ زَوْجُ الْمَرْأَةِ مِنْهَا لَيْمَكَانَ، لِمَا رَأَى مِنْ ثُبَّتِهَا عِنْدَ أَخِيهَا وَخَالَهَا، وَصِيَّاحِهَا عَلَى زَوْجِهَا] .

قَالَ: وَمر رسول الله ص بِدَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ وَظَفَرٍ، فَسَمِعَ الْبُكَاءَ وَالنَّوْاحِ عَلَى قَتْلِهِمْ، فَذَرَفَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ص فَبَكَى [ثُمَّ قَالَ: لَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِي لَهُ!] فَلَمَّا رَجَعَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ إِلَى دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ أَمَرَ نِسَاءَهُمْ أَنْ يَخْتَزِمْنَ ثُمَّ يَذْهَبْنَ فَيَبْكِينَ عَلَى عَمِ رَسُولِ اللَّهِ ص.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْنِ حَقٍّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَبِي عَوْنٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ،

قَالَ: مر رسول الله ص بِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي دِينَارٍ، وَقَدْ أُصِيبَ زَوْجُهَا وَأَخُوهَا وَأَبُوهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص بِأَحَدٍ، فَلَمَّا نَعُوا لَهَا قَالَتْ: فَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص؟ قَالُوا: خَيْرًا يَا أُمَّ فُلَانٍ، هُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ كَمَا تَحْبِبِينَ، قَالَتْ: أُرِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَأُشِيرَ لَهَا إِلَيْهِ حَتَّى إِذَا رَأَتْهُ قَالَتْ: كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلُ! قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى أَهْلِهِ نَاولَ سَيْفَهُ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ، فَقَالَ: اغْسِلِي عَنْ هَذَا دَمَهُ يَا بِنِي، وَناولها على ع سيفه، وقال: وهذا فاغسلي عنه، فو الله لقد صدقني اليوم فقال رسول الله ص: لَئِنْ كُنْتُ صَدَقْتُ الْقِتَالَ لَقَدْ صَدَقَ مَعَكَ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ، وَأَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرْشَةَ وَزَعَمُوا أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ حِينَ اعْطَى فَاطِمَةَ ع سَيْفَهُ قَالَ:

أَفَاطِمُ هَاكَ السَّيْفُ غَيْرَ ذَمِيمٍ ... فَلَسْتُ بِرَعِيدٍ وَلَا بِمِلْمٍ

لَعَمْرِي لَقَدْ قَاتَلْتُ فِي حُبِّ أَحْمَدَ ... وَطَاعَةَ رَبِّ بِالْعِبَادِ رَحِيمِ
وسيفي بكفى كالشهاب اهزه ... اجذبه من عاتق وصميم
فَمَا زِلْتُ حَتَّى فَضَّ رَيِّي جُوعُهُمْ ... وَحَتَّى شَفِينَا نَفْسَ كُلِّ حَلِيمِ
وَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ حِينَ أَخَذَ السَّيْفَ مِنْ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَقَاتَلَ بِهِ قِتَالًا شَدِيدًا - وَكَانَ يَقُولُ: رَأَيْتُ إِنْسَانًا يَخْشُ النَّاسَ خَمَشًا شَدِيدًا
فَصَمَدَتْ لَهُ، فَلَمَّا حَمَلَتْ عَلَيْهِ بِالسَّيْفِ وَلَوَتْ، فَإِذَا امْرَأَةٌ، فَاكْرَمْتُ سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ص أَنْ أَضْرِبَ بِهِ امْرَأَةً - وَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ:
أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي ... وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ
أَلَا أَقُومَ الدَّهْرَ فِي الْكُيُولِ ... أَضْرِبُ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ

غزوه حمراء الأسد

غزوه حمراء الأسد

وكان رجوع رسول الله ص إلى المدينة يوم السبت، وذلك يوم الوقعة بأحد، فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني حسين بن عبد الله، عن عكرمة، قال: كان يوم أحد يوم السبت، للنصف من شوال، فلما كان الغد من يوم أحد - وذلك يوم الأحد لست عشرة ليلة خلت من شوال - اذن مؤذن رسول الله ص في الناس بطلب العدو، وأذن مؤذنه: ألا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس فكله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حزام، فقال: يا رسول الله، إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع، وقال لي: يا بني، إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله ص على نفسي، فتخلف على أخواتك فتخلفت عليهن فاذن له رسول الله ص، فخرج معه، وإنما خرج رسول الله ص مرهبا للعدو، وليلبغهم أنه خرج في طلبهم، ليظنوا به قوة، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي السَّائِبِ مَوْلَى عَائِشَةَ بِنْتِ عُمَانَ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ كَانَ شَهِدَ أَحَدًا، قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص أَنَا وَآخِ لِي، فَرَجَعْنَا جَرِيحَيْنِ، فَلَمَّا أَذِنَ مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللَّهِ ص بِالنُّجُوجِ فِي طَلَبِ الْعَدُوِّ، قُلْتُ لِأَخِي وَقَالَ لِي:

أَتَفَوْتُنَا غَزْوَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص! وَاللَّهُ مَا لَنَا مِنْ دَابَّةٍ نَرْكَبُهَا، وَمَا مِنَّا إِلَّا جَرِيحٌ ثَقِيلٌ، نَخْرَجُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص - وَكُنْتُ أَيْسَرَ جُرْحًا مِنْهُ - فَكُنْتُ إِذَا غُلِبَ حَمَلُهُ عَقِبَةً وَمَشَى عَقِبَةً، حَتَّى

انْتَهَيْنَا إِلَى مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص، حَتَّى انْتَهَى إِلَى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ، وَهِيَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ، فَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثًا: الْأَثْنَيْنِ، وَالثَّلَاثَاءِ، وَالْأَرْبَعَاءِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَقَدْ مَرَّ بِهِ - فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ - مَعْبُدِ الْخَزَاعِيِّ، وَكَانَتْ خِزَاعَةُ مُسْلِمِهِمْ وَمُشْرِكِهِمْ عِنْدَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَفَقْتَهُمْ مَعَهُ، لَا يُخَفُّونَ عَلَيْهِ شَيْئًا كَانَ بِهَِا - وَمَعْبُدٌ يَوْمُئِذٍ مُشْرِكٌ - فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَّ عَلَيْنَا مَا أَصَابَكَ فِي أَصْحَابِكَ، وَلَوَدِدْنَا أَنَّ اللَّهَ كَانَ أَعْفَاكَ فِيهِمْ! ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبًا بِجَمْرَاءِ الْأَسَدِ، حَتَّى لَقِيَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ بِالرَّوْحَاءِ، وَقَدْ أَجْمَعُوا الرَّجْعَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالُوا:

أَصْبَنَا حَدَ أَصْحَابِهِ وَقَادَتِهِمْ وَأَشْرَافِهِمْ، ثُمَّ رَجَعْنَا قَبْلَ أَنْ نَسْتَأْصِلَهُمْ، لَنَكْرَهَ عَلَى بَقِيَّتِهِمْ، فَلَنَفَرْنَا مِنْهُمْ فَلَمَّا رَأَى أَبُو سُفْيَانَ مَعْبَدًا، قَالَ: مَا وَرَاءَكَ يَا مَعْبَدُ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ^{مُؤَدِّ} قَدْ خَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ يَطْلُبُكُمْ فِي جَمْعٍ لَمْ أَرِ مِثْلَهُ قَطُّ، يَحْقِرُونَ عَلَيْكُمْ تَحَرُّقًا، قَدْ اجْتَمَعَ مَعَهُ مَنْ كَانَ تَخَلَّفَ

عَنْهُ فِي يَوْمِكُمْ، وَنَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا، فِيهِمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ لَمْ أَرِ مِثْلَهُ قَطُّ قَالَ: وَيْلَكَ مَا تَقُولُ! قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرَاكَ تَرْتَحِلُ حَتَّى تَرَى نَوَاصِي الْخَيْلِ قَالَ: فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَجْمَعْنَا الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ لِنَسْتَأْصِلَ بِقِيَّتِهِمْ، قَالَ:

فَانِي انْهَكَ عَنْ ذَلِكَ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ حَمَلَنِي مَا رَأَيْتَ عَلَى أَنْ قُلْتُ فِيهِ أَيْبَاتًا مِنْ شِعْرٍ، قَالَ: وَمَاذَا قُلْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: كَادَتْ تَهْدُ مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي ... إِذْ سَالَتْ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلِ

تُرْدِي بِأَسَدٍ كِرَامٍ لَا تَتَابَلَةٌ ... عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا خُرْقٍ مَعَاذِيلِ

فَظَلْتُ عَدُوًّا أَظُنُّ الْأَرْضَ مَائِلَةً ... لَمَّا سَمَوُا بِرَيْسٍ غَيْرِ مَخْذُولِ

فَقُلْتُ وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمْ ... إِذَا تَغَطَّمَتِ الْبُطْحَاءُ بِالْخَيْلِ!

إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ الْبُسْلِ ضَاحِيَةٌ ... لِكُلِّ ذِي إِرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولِ

مِنْ جَيْشٍ أَحْمَدَ لَا وَخْشٍ قَنَابِلُهُ ... وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أَنْذَرْتُ بِالْقَبِيلِ

قَالَ: فَتَنَى ذَلِكَ أَبَا سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ وَمَرَّ بِهِ رَكْبٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، فَقَالَ: أَيْنَ تَرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ الْمَدِينَةَ، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ

الْمِيرَةَ، قَالَ: فَهَلْ أَنْتُمْ مُبْلَغُونَ عَنِّي مُحَمَّدًا رَسُولًا أُرْسِلَكُمْ بِهَا إِلَيْهِ، وَأَحْمِلْ لَكُمْ إِبِلَكُمْ هَذِهِ غَدًا زَيْبًا بِعُكَاظٍ إِذَا وَافَيْتُمُوهَا؟ قَالُوا: نَعَمْ،

قَالَ: فَإِذَا جِئْتُمُوهُ فَأَخْبِرُوهُ أَنَّا قَدْ أَجْمَعْنَا الْمَسِيرَ إِلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ، لِنَسْتَأْصِلَ بِقِيَّتِهِمْ فَرَّ الرَّكْبُ بِرَسُولِ اللَّهِ ص وَهُوَ بِحَمْرَاءِ الْأَسَدِ،

فَأَخْبَرُوهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَاصْحَابُهُ: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ! قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى

الْمَدِينَةِ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ، فَرَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْإِخْبَارِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص ظَفَرَ فِي وَجْهِهِ إِلَى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ بِمُعَاوِيَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ،

وَأَبِي عَزَّةَ الْجَمْحِيِّ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص خَلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ حِينَ خَرَجَ إِلَى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنِي سَنَةَ ثَلَاثٍ مِنَ الْهَجْرَةِ - وُلِدَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي النَّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ.

وَفِيهَا عَلِقَتْ فَاطِمَةُ بِالْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَقِيلَ: لَمْ يَكُنْ بَيْنَ وَلادَتَهَا الْحَسَنَ وَحَمَلَهَا بِالْحُسَيْنِ إِلَّا خَمْسُونَ لَيْلَةً.

وَفِيهَا حَمَلَتْ - فِيمَا قِيلَ - جَمِيلَةً بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَعْدٍ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ فِي شَوَالٍ

٢٠٧٠١١ سنه اربع من الهجره

غزوه الرجيع

ذَكَرَ الْأَحْدَاثُ الَّتِي كَانَتْ فِي

سَنَةِ أَرْبَعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ

غزوه الرجيع

ثُمَّ دَخَلَتْ السَّنَةُ الرَّابِعَةُ مِنَ الْهَجْرَةِ، فَكَانَ فِيهَا غَزْوَةُ الرَّجِيعِ فِي صَفَرٍ.

وَكَانَ مِنْ أَمْرِهَا مَا حَدَّثَنِي بِهِ ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، قَالَ: قَدِمَ عَلَى

رَسُولِ اللَّهِ ص بَعْدَ أَحَدٍ رَهْطٍ مِنْ عَضَلٍ وَالْقَارَةَ فَقَالُوا لَهُ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فِينَا إِسْلَامًا وَخَيْرًا، فَابْعَثْ مَعَنَا نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِكَ يُفَقِّهُونَا فِي الدِّينِ، وَيَقْرَءُونَا الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمُونَا الشَّرَائِعَ الْإِسْلَامَ.

فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص مَعَهُمْ نَفَرًا سِتَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيُّ حَلِيفَ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَخَالِدُ بْنُ الْبُكَيْرِ حَلِيفَ بَنِي

عَدِيَّ بْنِ كَعْبٍ، وَعَاصِمَ بْنَ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَقْلَحِ أَخَا بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَحَبِيبَ بْنَ عَدَى أَخَا بَنِي جَحْجَحٍ بْنِ كَلْفَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَزَيْدَ بْنَ الدَّثَنَةِ أَخَا بَنِي بَيَاضَةَ بْنِ عَامِرٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَارِقٍ حَلِيفًا لِبَنِي ظُفَرٍ مِنْ بَلَى.

وَأَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْقَوْمِ مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ، نَخْرَجُوا مَعَ الْقَوْمِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا عَلَى الرَّجِيعِ مَاءً لَهْذِيلٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الْحِجَازِ مِنْ صُدُورِ الْهَدَاةِ غَدَرُوا بِهِمْ، فَاسْتَصْرَحُوا عَلَيْهِمْ هَذِيلًا، فَلَمْ يَرِجِ الْقَوْمُ وَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ إِلَّا بِالرِّجَالِ فِي أَيْدِيهِمُ السُّيُوفُ، قَدْ غَشَوْهُمْ.

فَأَخَذُوا أَسْيَافَهُمْ لِيُقَاتِلُوا الْقَوْمَ، فَقَالُوا لَهُمْ: إِنَّا وَاللَّهِ مَا نُرِيدُ قَتْلَكُمْ، وَلَكِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَصِيبَ بِكُمْ شَيْئًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَلَكُمْ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ أَلَّا نَقْتُلَكُمْ.

فَأَمَّا مَرْثَدُ بْنُ الْبَكْرِ وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَقْلَحِ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَا نَقْبَلُ مِنْ مُشْرِكٍ عَهْدًا وَلَا عَقْدًا أَبَدًا، فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قَتَلُوهُمْ جَمِيعًا.

وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ الدَّثَنَةِ وَحَبِيبُ بْنُ عَدِيٍّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَارِقٍ فَلَانُوا وَرَقُوا وَرَغَبُوا فِي الْحَيَاةِ، فَأَعْطَوْا بِأَيْدِيهِمْ، فَأَسْرَوْهُمْ، ثُمَّ خَرَجُوا بِهِمْ إِلَى مَكَّةَ لِيَلْبِعُوهُمْ بِهَا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالظَّهْرَانِ، انْتَرَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَارِقٍ يَدَهُ مِنَ الْقِرَانِ، ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ وَاسْتَأْخَرَ عَنْهُ الْقَوْمَ، فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى قَتَلُوهُ، فَقَبْرُهُ بِالظَّهْرَانِ وَأَمَّا حَبِيبُ بْنُ عَدِيٍّ وَزَيْدُ بْنُ الدَّثَنَةِ، فَقَدِمُوا بِهِمَا مَكَّةَ، فَبَاعُوهُمَا فَبَتَّاعَ خُبَيْبًا حَبِيرُ بْنُ أَبِي إِهَابٍ التَّمِيمِيُّ حَلِيفُ بَنِي نَوْفَلٍ لِعُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ نَوْفَلٍ - وَكَانَ حَبِيرُ أَخَا الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ لِأُمِّهِ - لِيَقْتُلَهُ بِأَيْدِيهِ، وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ الدَّثَنَةِ، فَابْتِاعَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ لِيَقْتُلَهُ بِأَيْدِيهِ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، وَقَدْ كَانَتْ هَذِيلُ حِينَ قَتَلَ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ قَدْ أَرَادُوا رَأْسَهُ لِيَلْبِعُوهُ مِنْ سُلَافَةِ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ شَيْبٍ، وَكَانَتْ قَدْ نَذَرَتْ حِينَ أَصَابَ ابْنَهَا يَوْمَ أُحُدٍ: لَنْ قَدَرْتُ عَلَى رَأْسِ عَاصِمٍ لَتَشْرَبَنَ فِي حِفْهِ الْخَمْرِ، فَفَنَعَتْهُ الدِّرُّ فَلَمَّا حَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، قَالُوا: دَعُوهُ حَتَّى يَمْسِيَ فَذَهَبَ عَنْهُ، فَأَخَذَهُ، فَبَعَثَ اللَّهُ الْوَادِي فَاحْتَمَلَ عَاصِمًا فَذَهَبَ بِهِ، وَكَانَ عَاصِمٌ قَدْ أَعْطَى اللَّهُ عَهْدًا أَلَّا يَمْسَهُ مُشْرِكٌ أَبَدًا وَلَا يَمْسَ مُشْرِكًا أَبَدًا، تَنَجَّسًا مِنْهُ فَكَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ حِينَ بَلَغَهُ، أَنَّ الدِّرَّ مَنَعَتْهُ: عَجَبًا، لِحِفْظِ اللَّهِ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ! كَانَ عَاصِمٌ نَذَرَ أَلَّا يَمْسَهُ مُشْرِكٌ، وَلَا يَمْسَ مُشْرِكًا أَبَدًا فِي حَيَاتِهِ، فَمَنَعَهُ اللَّهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ كَمَا أَمْتَنَعَ مِنْهُ فِي حَيَاتِهِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَمَّا غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ، فَإِنَّهُ قَصَّ مِنْ خَبَرِ هَذِهِ السَّرِيَّةِ غَيْرَ الَّذِي قَصَّه، وَالَّذِي قَصَّه غَيْرُهُ مِنْ ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ الْعُمَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عَمْرِو - أَوْ عُمَرَ - بْنِ أَسِيدٍ، عَنْ ابْنِ هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ عَشْرَةَ رَهْطٍ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ، نَخْرَجُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْهَدَاةِ ذَكَّرُوا الْحَيَّ مِنْ هَذِيلٍ، يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو لِحْيَانٍ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِمْ مِائَةَ رَجُلٍ رَامِيًا، فَوَجَدُوا مَا كُلُّهُمْ حَيْثُ أَكَلُوا التَّمْرَ، فَقَالُوا:

هَذِهِ نَوَى يَثْرِبَ، ثُمَّ اتَّبَعُوا آثَارَهُمْ، حَتَّى إِذَا أَحَسَّ بِهِمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ التَّجَنُّوا إِلَى جَبَلٍ، فَأَحَاطَ بِهِمُ الْآخَرُونَ، فَاسْتَنْزَلُوهُمْ، وَأَعْطَوْهُمْ الْعَهْدَ، فَقَالَ عَاصِمٌ: وَاللَّهِ لَا أَنْزِلُ عَلَى عَهْدٍ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ نَبِيَّكَ عَنَّا وَنَزِلْ إِلَيْهِمْ ابْنُ الدَّثَنَةِ الْبَيَاضِيُّ، وَحَبِيبُ، وَرَجُلٌ آخَرٌ، فَأُطْلِقَ الْقَوْمَ أَوْتَارَ قَسِيهِمْ، ثُمَّ أَوْثَقُوهُمْ، فَجَرَحُوا رَجُلًا مِنَ الثَّلَاثَةِ، فَقَالَ: هَذَا وَاللَّهِ أَوَّلُ الْغَدْرِ، وَاللَّهُ لَا أَتَّبِعُكُمْ فَضْرَبُوهُ فَقَتَلُوهُ، وَانْطَلَقُوا بِحُبَيْبٍ وَابْنِ الدَّثَنَةِ إِلَى مَكَّةَ، فَدَفَعُوا خُبَيْبًا إِلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ نَوْفَلٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَكَانَ حَبِيبٌ هُوَ الَّذِي قَتَلَ الْحَارِثَ بِأُحُدٍ، فَبَيْنَمَا حَبِيبٌ عِنْدَ بَنَاتِ الْحَارِثِ، إِذْ اسْتَعَارَ مِنْ إِحْدَى بَنَاتِ الْحَارِثِ مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا لِلْقَتْلِ، فَمَا رَاعَ الْمَرْأَةُ - وَلَهَا صَبِيٌّ يَدْرُجُ - إِلَّا بِحُبَيْبٍ قَدْ أَجْلَسَ الصَّبِيَّ عَلَى نَحْذِهِ، وَالْمُوسَى فِي يَدِهِ، فَصَاحَتِ الْمَرْأَةُ، فَقَالَ حَبِيبٌ: أَخْشَيْنَ أَنِّي أَقْتُلُهُ! إِنَّ الْغَدْرَ لَيْسَ مِنْ شَأْنِنَا قَالَ: فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ بَعْدَ: مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ حَبِيبٍ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ، وَإِنْ فِي يَدِهِ لَقِطْفًا مِنْ عِنَبٍ يَأْكُلُهُ، إِنْ كَانَ إِلَّا رِزْقًا رَزَقَهُ اللَّهُ خُبَيْبًا.

وَبَعَثَ حِيٍّ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمٍ لِيُؤْتُوا مِنْ لَحْمِهِ شَيْئًا، وَقَدْ كَانَ لِعَاصِمٍ فِيهِمْ أَثَارٌ بِأَحَدٍ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ دَبْرًا، فَحَمَتِ لَحْمَهُ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ لَحْمِهِ شَيْئًا، فَلَمَّا خَرَجُوا بِخَبِيبٍ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ، قَالَ: ذُرُونِي أَصِلْ رِكَعَتَيْنِ، فَتَرَكُوهُ فَصَلَّى سَجْدَتَيْنِ، فَجَرَتْ سُنَّةٌ لِمَنْ قُتِلَ صَبْرًا أَنْ يُصَلِّيَ رِكَعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ خَبِيبٌ: لَوْلَا أَنْ يَقُولُوا جَزَعٌ لَزِدْتُ، وَمَا أَبَالِي: عَلَى أَيْ شَيْءٍ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي.

ثُمَّ قَالَ:

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ ... يَبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شَلُو مُنْعٍ

اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، وَخُذْهُمْ بَدَدًا.

ثُمَّ خَرَجَ بِهِ أَبُو سِرْوَةَ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ عَامِرٍ بْنُ نَوْفَلٍ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ، فَضَرَبَهُ فَقَتَلَهُ.

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: وَأَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَبَّحَهُ وَحْدَهُ عَيْنًا إِلَى قُرَيْشٍ، قَالَ: فَجِئْتُ إِلَى خَشْبَةِ خَبِيبٍ وَأَنَا أَتَخَوَّفُ الْعَيُونَ، فَرَقِيتُ فِيهَا، فَخَلَّتْ خَبِيبًا، فَوَقَعَ إِلَى

ذَكَرَ الْخَبْرَ عَنْ عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةِ الضَّمْرِيِّ إِذْ وَجَّهَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَ لِقَتْلِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ

الْأَرْضِ، فَاتَّبَعْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ التَّفْتُ فَلَمْ أَرَ لَخْبِيبٍ رِمَةً، فَكَأَنَّمَا الْأَرْضُ ابْتَلَعَتْهُ، فَلَمْ تَذْكُرْ لَخْبِيبٍ رِمَةً حَتَّى السَّاعَةِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ الدُّثَنَةِ، فَإِنَّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ بَعَثَ بِهِ - فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ - مَعَ مَوْلَى لَهُ يُقَالُ لَهُ نِسْطَاسٌ إِلَى التَّعْمِيمِ، وَأَخْرَجَهُ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلَهُ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فِيمَ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ حِينَ قَدِمَ لِيُقْتَلَ: أُنْشِدْكَ اللَّهُ يَا زَيْدُ، أَتُحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا عِنْدَنَا الْآنَ مَكَانَكَ نَضْرِبُ عُنُقَهُ، وَأَنْتَ فِي أَهْلِكَ! قَالَ: وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وَأَنَا جَالِسٌ فِي أَهْلِي قَالَ: يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ: مَا رَأَيْتُ فِي النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا ثُمَّ قَتَلَهُ نِسْطَاسٌ

. ذَكَرَ الْخَبْرَ عَنْ عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةِ الضَّمْرِيِّ إِذْ وَجَّهَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَ لِقَتْلِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ

وَمَا قُتِلَ مِنْ وَجْهِهِ النَّبِيِّ صَ إِلَى عَضَلٍ وَالْقَارَةِ مِنْ أَهْلِ الرَّجِيعِ، وَبَلَغَ خَبْرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَ بَعَثَ عَمْرٍو بْنَ أُمَيَّةِ الضَّمْرِيِّ إِلَى مَكَّةَ مَعَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُمَا بِقَتْلِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، فَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةِ الضَّمْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ - يَعْنِي عَمْرٍو بْنَ أُمَيَّةَ - قَالَ: قَالَ عَمْرٍو بْنُ أُمَيَّةَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَ بَعْدَ قَتْلِ خَبِيبٍ وَأَصْحَابِهِ، وَبَعَثَ مَعِيَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: اثْنَا أَبَا سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فَاقْتُلَاهُ، قَالَ: فَخَرَجْتُ أَنَا وَصَاحِبِي وَمَعِيَ بَعِيرِي، وَلَيْسَ مَعِيَ صَاحِبِي بَعِيرٌ، وَبِرَجُلِهِ عِلَّةٌ.

فَكُنْتُ أَحْمِلُهُ عَلَى بَعِيرِي، حَتَّى جِئْنَا بَطْنَ يَأْجَجٍ، فَعَقَلْنَا بَعِيرَنَا فِي فَنَاءِ شَعْبٍ، فَاسْتَدْنَا فِيهِ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى دَارِ أَبِي سُفْيَانَ، فَإِنِّي مُحَاوِلٌ قَتْلَهُ فَانْظُرْ، فَإِنْ كَانَتْ مُحَاوَلَةٌ أَوْ خَشِيتُ شَيْئًا فَالْحَقْ بِبَعِيرِكَ فَارْكَبْهُ، وَالْحَقْ بِالْمَدِينَةِ فَاتِ رَسُولَ اللَّهِ صَ فَأَخْبِرْهُ الْخَبْرَ، وَخَلِّ عَنِّي، فَإِنِّي رَجُلٌ عَالِمٌ بِالْبَلَدِ، جَرِيءٌ عَلَيْهِ، نَجِيبُ السَّاقِ فَلَمَّا دَخَلْنَا مَكَّةَ وَمَعِيَ مِثْلُ خَافِيَةِ النَّسْرِ - يَعْنِي خِنْجَرَهُ - قَدْ أَعَدَدْتُهُ، إِنَّ عَانَقَنِي إِنْسَانٌ قَتَلْتُهُ بِهِ، فَقَالَ لِي صَاحِبِي: هَلْ لَكَ أَنْ نَبْدَأَ فَنَطُوفَ بِالْبَيْتِ أُسْبُوعًا، وَنُصَلِّيَ رِكَعَتَيْنِ؟ فَقُلْتُ: أَنَا أَعْلَمُ بِأَهْلِ مَكَّةَ مِنْكَ، إِنَّهُمْ إِذَا أَظْلَمُوا رَشَوْا أَفْنِيَتَهُمْ، ثُمَّ جَلَسُوا بِهَا، وَأَنَا أَعْرِفُ بِهَا مِنَ الْفَرَسِ الْأَبْلَقِ.

قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَتَيْنَا الْبَيْتَ، فَطُفْنَا بِهِ أُسْبُوعًا، وَصَلَيْنَا رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْنَا فَرَرْنَا بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِهِمْ، فَعَرَفَنِي رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَصَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: هَذَا عَمْرُو بْنُ أُمِيَّةَ! قَالَ: فَتَبَادَرَتَا أَهْلُ مَكَّةَ وَقَالُوا: تَاللَّهِ مَا جَاءَ بِعَمْرٍو خَيْرًا! وَالَّذِي يُحْلِفُ بِهِ مَا جَاءَهَا قَطُّ إِلَّا لِبَشَرٍ- وَكَانَ عَمْرُو رَجُلًا فَاتِكًا مُتَشِيطًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ- قَالَ: فَقَامُوا فِي طَلِيٍّ وَطَلَبَ صَاحِبِي، فَقُلْتُ لَهُ: النَّجَاءُ! هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي كُنْتُ أَحْذَرُ، أَمَّا الرَّجُلُ فَلَيْسَ إِلَيْهِ سَبِيلٌ، فَأَنْجُ بِنَفْسِكَ، نَخْرَجْنَا نَشْتَدُّ حَتَّى أَصْعَدْنَا فِي الْجَبَلِ، فَدَخَلْنَا فِي غَارٍ، فَبِتْنَا فِيهِ لَيْلَتَنَا، وَأَعْجَزْنَاهُمْ، فَرَجَعُوا وَقَدْ اسْتَتَرْتُ دُونَهُمْ بِأَجَارٍ حِينَ دَخَلْتُ الْغَارَ، وَقُلْتُ لِصَاحِبِي: أُمَهْلِنِي حَتَّى يَسْكُنَ الطَّلَبُ عَنَّا، فَإِنَّهُمْ وَاللَّهِ لَيَطْلُبُنَا لَيْلَتَهُمْ هَذِهِ وَيَوْمَهُمْ هَذَا حَتَّى يَمْسُوا قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِيهِ إِذْ أَقْبَلَ عَثْمَانُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّيْمِيُّ، يَتَخِيلُ بِفَرَسٍ لَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يَدْنُو وَيَتَخِيلُ بِفَرَسِهِ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا بِبَابِ الْغَارِ قَالَ: فَقُلْتُ لِصَاحِبِي: هَذَا وَاللَّهِ ابْنُ مَالِكٍ،

وَاللَّهِ لَئِنْ رَأَا لِيُعْلَمَنَّ بِنَا أَهْلُ مَكَّةَ قَالَ: نَخْرَجْتُ إِلَيْهِ فَوَجَّاهُ بِأَخْبَرٍ تَحْتَ التَّدْيِ، فَصَاحَ صَيْحَةً أَسْمَعَ أَهْلَ مَكَّةَ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ، وَرَجَعْتُ إِلَى مَكَانِي، فَدَخَلْتُ فِيهِ، وَقُلْتُ لِصَاحِبِي: مَكَانُكَ! قَالَ: وَاتَّبَعَ أَهْلُ مَكَّةَ الصَّوْتَ يَشْتَدُّونَ، فَوَجَدُوهُ وَبِهِ رَمَقٌ، فَقَالُوا: وَبِكَ مَنْ ضَرَبَكَ! قَالَ:

عَمْرُو بْنُ أُمِيَّةَ: ثُمَّ مَاتَ وَمَا أَدْرَكُوا مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْبِرَهُمْ بِمَكَانِنَا، فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ نَحِيرَ، وَشَغَلَهُمْ صَاحِبُهُمْ عَنْ طَلِبِنَا، فَاحْتَمَلُوهُ، وَمَكَّنَّا فِي الْغَارِ يَوْمَيْنِ حَتَّى سَكَنَ عَنَّا الطَّلَبُ ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى التَّنْعِيمِ، فَإِذَا خَشَبَةٌ خَبِيبٌ، فَقَالَ لِي صَاحِبِي: هَلْ لَكَ فِي خَبِيبٍ تُنْزِلُهُ عَنْ خَشَبَتِهِ؟

فَقُلْتُ: أَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: هُوَ ذَاكَ حَيْثُ تَرَى فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأُمَهْلِنِي وَتَنَحَّ عَنِّي قَالَ: وَحَوْلَهُ حَرَسٌ يَحْرُسُونَهُ قَالَ عَمْرُو بْنُ أُمِيَّةَ: فَقُلْتُ لِلْأَنْصَارِيِّ:

إِنْ خَشِيتَ شَيْئًا نَخْذُ الطَّرِيقَ إِلَى جَمَلِكَ فَارْكَبْهُ وَالْحَقَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ص، فَأَخْبِرْهُ الْخَبَرَ، فَاشْتَدَدْتُ إِلَى خَشَبَتِهِ فَاحْتَلَمْتُهُ وَاحْتَمَلْتُهُ عَلَى ظَهْرِي، فَوَاللَّهِ مَا مَشَيْتُ إِلَّا نَحْوَ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا حَتَّى نَزَرُوا بِي، فَطَرَحْتُهُ، فَمَا أُنْسَى وَجْبَتُهُ حِينَ سَقَطَ، فَاشْتَدُّوا فِي أَثْرِي، فَأَخَذْتُ طَرِيقَ الصَّفْرَاءِ فَأَعْيُوا، فَرَجَعُوا، وَانْطَلَقَ صَاحِبِي إِلَى بَعِيرِهِ فَرَكَبَهُ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ص فَأَخْبَرَهُ أَمْرَنَا، وَأَقْبَلْتُ أَمَشِي، حَتَّى إِذَا أَشْرَفْتُ عَلَى الْغَلِيلِ، غَلِيلِ ضَبْحَانَ، دَخَلْتُ غَارًا فِيهِ، وَمَعِيَ قَوْسِي وَأَسْهُمِي، فَبَيْنَا أَنَا فِيهِ إِذْ دَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الدَّيْلِ بْنِ بَكْرِ، أَعُورٌ طَوِيلٌ يَسُوقُ غَنَمًا لَهُ، فَقَالَ: مَنْ الرَّجُلُ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ بَنِي بَكْرِ، قَالَ: وَأَنَا مِنْ بَنِي بَكْرِ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي الدَّيْلِ ثُمَّ اضْطَجَعَ مَعِيَ فِيهِ، فَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ يَتَغَنَّى وَيَقُولُ:

وَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ مَا دُمْتُ حَيًّا ... وَلَسْتُ أَدِينُ دِينَ الْمُسْلِمِينَ

فَقُلْتُ: سَوْفَ تَعْلَمُ! فَلَمْ يَلْبِثِ الْأَعْرَابِيُّ أَنْ نَامَ وَغَطَّ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقَتَلْتُهُ أَسْوَأَ قِتْلَةٍ قَتَلَهَا أَحَدٌ أَحَدًا، قُتُّ إِلَيْهِ لَجَعَلْتُ سِيَةَ قَوْسِي فِي عَيْنِهِ الصَّحِيحَةِ، ثُمَّ تَحَامَلْتُ عَلَيْهَا حَتَّى أَخْرَجْتُهَا مِنْ قَفَاهُ.

قَالَ: ثُمَّ أَخْرَجَ مِثْلَ السَّبْعِ، وَأَخَذْتُ الْمِحْجَةَ كَأَنِّي نَسْرٌ، وَكَانَ النَّجَاءُ حَتَّى أَخْرَجَ عَلَى بَلَدٍ قَدْ وَصَفَهُ، ثُمَّ عَلَى رَكُوبَةٍ، ثُمَّ عَلَى النَّقِيعِ، فَإِذَا رَجُلَانِ

ذكر خبر بئر معونة

مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ بَعَثَهُمَا قُرَيْشٌ يَحْتَسِسَانِ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَعَرَفْتُهُمَا فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنَا، فَقَالَا: أَلَمْ نَسْتَأْذِنْكَ! فَأَرْمِي أَحَدَهُمَا بِسَهْمٍ فَأَقْتَلَهُ، ثُمَّ قُلْتُ لِلْآخَرِ: اسْتَأْذِنَا، فَاسْتَأْذِنَا، فَأَوْثَقْتُهُ، فَقَدِمْتُ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ وَرْدَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أُمِيَّةَ، قَالَ: لَمَّا قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، مَرَرْتُ بِمَشِيخَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالُوا: هَذَا وَاللَّهِ عَمْرُو بْنُ أُمِيَّةَ، فَسَمِعَ الصَّبِيَّانُ قَوْلَهُمْ، فَاشْتَدُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص يُخْبِرُونَهُ، وَقَدْ شَدَدْتُ إِبْهَامَ أَسِيرِي بَوْتَرِ قَوْسِي، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ص إِلَيْهِ فَضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ، ثُمَّ سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَخْبَرَ، فَقَالَ لِي خَيْرًا وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

وفي هذه السنة تزوج رسول الله ص زَيْنَبَ بِنْتَ خُزَيْمَةَ أُمِّ الْمَسَاكِينِ مِنْ بَنِي هِلَالٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَدَخَلَ بِهَا فِيهِ، وَكَانَ أَصْدَقُهَا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنَشَأَ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ الطُّفَيْلِ بْنِ الْحَارِثِ، فَطَلَّقَهَا .
ذكر خبر بئر معونة

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنِي سَنَةَ أَرْبَعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ - كَانَ مِنْ أَمْرِ السَّرِيَةِ الَّتِي وَجَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ ص، فَقَتَلْتُ بِبَيْرِ مَعُونَةٍ وَكَانَ سَبَبُ تَوْجِيهِ النَّبِيِّ ص إِلَيْهِمْ لَمَّا وَجَّهَهُمْ لَهُ، مَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِالْمَدِينَةِ بَقِيَّةَ شَوَالٍ وَذَا الْقَعْدَةِ وَذَا الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمِ، وَوَلِيَ تِلْكَ الْحِجَّةَ الْمُشْرِكُونَ.

ثُمَّ بَعَثَ أَصْحَابَ بَيْرِ مَعُونَةٍ فِي صَفَرٍ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ أَحَدٍ، وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِمْ مَا حَدَّثَنِي أَبِي: إِسْحَاقُ بْنُ يَسَّارٍ، عَنْ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، قَالُوا: قَدِمَ أَبُو بَرَاءٍ عَامِرُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ مُلَاعِبٌ

الْأَسَنَةَ - وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ - عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص الْمَدِينَةَ، [وَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ص أَنْ يَقْبَلَهَا، وَقَالَ: يَا أَبَا بَرَاءٍ، لَا أَقْبَلُ هَدِيَّةً مُشْرِكٍ، فَأَسْلَمَ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ أَقْبَلَ هَدِيَّتِكَ] ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا لَهُ فِيهِ، وَمَا وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الثَّوَابِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فَلَمْ يُسَلِّمْ وَلَمْ يَبْعُدْ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ أَمْرَكَ هَذَا الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ حَسَنٌ جَمِيلٌ، فَلَوْ بَعَثْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَى أَهْلِ نَجْدٍ فَدَعَوْهُمْ إِلَى أَمْرِكَ رَجَوْتُ أَنْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: إِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِمْ أَهْلَ نَجْدٍ! فَقَالَ أَبُو بَرَاءٍ: أَنَا لَهُمْ جَارٌ، فَأَبْعَثْهُمْ فَلْيَدْعُوا النَّاسَ إِلَى أَمْرِكَ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرِو أَخَا بَنِي سَاعِدَةَ الْمُعَنْقِ لِيُوتَ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ، مِنْهُمْ الْحَارِثُ بْنُ الصُّمَّةِ، وَحَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ أَخُو بَنِي عَدِيٍّ بْنِ النَّجَّارِ، وَعَزْرَةُ بْنُ أَسْمَاءَ بْنِ الصَّلْتِ السُّلَمِيِّ، وَنَافِعُ بْنُ بَدِيلٍ بْنُ وَرْقَاءَ الْخَزَاعِيِّ، وَعَامِرُ بْنُ فَهيرةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ، فِي رِجَالٍ مُسَمَّيْنَ مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ حَمِيدِ الطَّوِيلِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرِو بْنِ سَبْعِينَ رَاكِبًا، فَسَارُوا حَتَّى نَزَلُوا بِبَيْرِ مَعُونَةٍ - وَهِيَ أَرْضٌ بَيْنَ أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ وَحَرَّةِ بَنِي سُلَيْمٍ، كَلَا الْبَلَدَيْنِ مِنْهَا قَرِيبٌ، وَهِيَ إِلَى حَرَّةِ بَنِي سُلَيْمٍ أَقْرَبُ - فَلَمَّا نَزَلُوهَا بَعَثُوا حَرَامَ بْنَ مِلْحَانَ بِكَأَبِ رَسُولِ اللَّهِ ص إِلَى عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ، فَلَمَّا آتَاهُ لَمْ يَنْظُرْ فِي كِتَابِهِ، حَتَّى عَدَا عَلَى الرَّجُلِ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ اسْتَصْرَخَ عَلَيْهِمْ بَنِي عَامِرٍ، فَأَبَوْا أَنْ يُجِيبُوهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، وَقَالُوا: لَنْ نَخْفِرَ أَبَا بَرَاءٍ، قَدْ عَقَدَ لَهُمْ عَقْدًا وَجَوَارًا، فَاسْتَصْرَخَ عَلَيْهِمْ قَبَائِلُ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ: عَصِيَّةٌ، وَرَعْلَا، وَذُكْوَانٌ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ، فَخَرَجُوا حَتَّى غَشَوْا الْقَوْمَ، فَأَحَاطُوا بِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ أَخَذُوا السُّيُوفَ، ثُمَّ قَاتَلُوهُمْ حَتَّى قَتَلُوا عَنْ آخِرِهِمْ، إِلَّا كَعْبَ بْنَ زَيْدٍ أَخَا بَنِي دِينَارِ بْنِ النَّجَّارِ، فَإِنَّهُمْ تَرَكَوهُ وَبِهِ رَمَقٌ، فَأَرْتَتْ مِنْ بَيْنِ الْقَتْلَى، فَعَاشَ حَتَّى قَتِلَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ.

وَكَانَ فِي سَرَجِ الْقَوْمِ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمَرِيُّ، وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَحَدُ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَلَمْ يُنَبِّهْهُمَا بِمَصَابِ أَصْحَابِهِمَا إِلَّا الطَّيْرُ تَحُمُّ عَلَى الْعُسْكَرِ، فَقَالَا: وَاللَّهِ إِنَّ لِهَذِهِ الطَّيْرَ لَشَأْنًا، فَأَقْبَلَا لِيَنْظُرَا إِلَيْهِ، فَإِذَا الْقَوْمُ فِي دِمَائِهِمْ، وَإِذَا الْخَيْلُ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ وَاقِفَةٌ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ لِعَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ: مَاذَا تَرَى؟ قَالَ: أَرَى أَنَّ نَلْحَقَ رَسُولَ اللَّهِ ص فَخَبِرَهُ الْخَبَرُ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: لَكِنِّي مَا كُنْتُ لَأَرْغَبَ بِنَفْسِي عَنْ مَوْطِنٍ قَتِلَ فِيهِ الْمُنْذَرُ بْنُ عَمْرِو، وَمَا كُنْتُ لِتُخْبِرَنِي عَنْهُ الرِّجَالُ ثُمَّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ، وَأَخَذُوا عَمْرُو بْنَ أُمَيَّةَ أَسِيرًا، فَلَمَّا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ مِنْ مُضَرَ، أَطْلَقَهُ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، وَجَزَّ نَاصِيَّتَهُ، وَأَعْتَقَهُ عَنْ رَقَبَةٍ زَعَمَ أَنَّهَا كَانَتْ عَلَى أُمِّهِ نَفَرَجَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْقَرْقَرَةِ مِنْ صَدْرِ قَنَاءَ، أَقْبَلَ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ حَتَّى نَزَلَا مَعَهُ فِي ظِلِّ هُوَ فِيهِ، وَكَانَ مَعَ الْعَامِرِيِّينَ عَقْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص وَجِوَارٌ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ، وَقَدْ سَأَلَهُمَا حِينَ نَزَلَا: مِمَّنْ أَنْتُمَا؟ فَقَالَا: مِنْ بَنِي عَامِرٍ، فَأَمَلَهُمَا حَتَّى إِذَا نَامَا عَدَا عَلَيْهِمَا فَقَتَلَهُمَا، وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ قَدْ أَصَابَ بِهِمَا ثُورَةً مِنْ بَنِي عَامِرٍ، بِمَا أَصَابُوا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص [فَلَمَّا قَدِمَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص أَخْبَرَهُ الْخَبَرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لَقَدْ قَتَلْتَ قَتِيلَيْنِ لِأَدِينَهُمَا ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: هَذَا عَمَلُ أَبِي بَرَاءٍ، قَدْ كُنْتُ لِهَذَا كَارِهًا مُتَخَوِّفًا فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا بَرَاءٍ فَشَقَّ عَلَيْهِ إِخْفَارُ عَامِرٍ إِيَّاهُ، وَمَا أَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ ص بِسَبِّهِ وَجَوَارِهِ، وَكَانَ فِيمَنْ أُصِيبَ عَامِرُ بْنُ فَهَيْرَةَ]

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ، كَانَ يَقُولُ: إِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَمَّا قَتَلَ رَأَيْتُهُ رُفِعَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى رَأَيْتُ السَّمَاءَ مِنْ دُونِهِ قَالُوا: هُوَ عَامِرُ بْنُ فَهَيْرَةَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ أَحَدِ بَنِي جَعْفَرٍ، رَجُلٍ مِنْ بَنِي جَبَّارِ بْنِ سُلَيْمِ بْنِ مَالِكِ ابْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: كَانَ جَبَّارٌ فِيمَنْ حَضَرَهَا يَوْمَئِذٍ مَعَ عَامِرٍ، ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ: فَكَانَ يَقُولُ: مِمَّا دَعَانِي إِلَى الْإِسْلَامِ أَنِّي طَعَنْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ بِالرَّحِمِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى سِنَانِ الرَّحِمِ حِينَ خَرَجَ مِنْ صَدْرِهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ حِينَ طَعَنْتُهُ: فَرْتُ وَاللَّهِ! قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا فَازَ! أَلَيْسَ قَدْ قَتَلْتَ الرَّجُلَ! حَتَّى سَأَلْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ قَوْلِهِ، فَقَالُوا: الشَّهَادَةُ، قَالَ: فَقُلْتُ: فَازَ لِعَمْرِو اللَّهِ! فَقَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ يَحْرُضُ بَنِي أَبِي الْبَرَاءِ عَلَى عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ:

بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَلَمْ يَرْعَكُم ... وَأَنْتُمْ مِنْ ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدٍ

تَهَكُّمَ عَامِرٍ بِأَبِي بَرَاءٍ ... لِيَخْفِرَهُ، وَمَا خَطَأَ كَعْمَدَ

أَلَا أَبْلَغُ رِبْعَةَ ذَا الْمَسَاعِي ... فَمَا أَحْدَثَتْ فِي الْحَدَثَانِ بَعْدِي

أَبُوكَ أَبُو الْحُرُوبِ أَبُو بَرَاءٍ ... وَخَالُكَ مَاجِدُ حَكَمِ بْنِ سَعْدٍ

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ فِي ذَلِكَ أَيْضًا:

لَقَدْ طَارَتْ شِعَاعَا كُلِّ وَجْهٍ ... خِفَارَةٌ مَا أَجَارَ أَبُو بَرَاءٍ

فَقُتِلَ مَسْهَبُ وَبَنِي أَبِيهِ ... بِجَنْبِ الرَّدَةِ مِنْ كُنْفِي سِوَاءِ

بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَمَا سَمِعْتُمْ ... دَعَاءَ الْمُسْتَعِيثِ مَعَ الْمَسَاءِ!

وَتَتَوَيَّهُ الصَّرِيحُ بَلَى وَلَكِنْ ... عَرَفْتُمْ أَنَّهُ صَدَقَ اللَّقَاءُ

فَمَا صَفَرْتَ عِيَابَ بَنِي كَلَابٍ ... وَلَا الْقِرْطَاءَ مِنْ ذِمِّ الْوَفَاءِ

أَعَامَرَ عَامِرُ السُّوَاءَاتِ قَدَمًا ... فَلَا بِالْعَقْلِ فَرْتُ وَلَا السَّنَاءِ

أَخْفَرْتَ النَّبِيَّ وَكُنْتَ قَدَمًا ... إِلَى السُّوَاءَاتِ تَجْرِي بِالْعَرَاءِ!

فَلَسْتُ كَجَارِ جَارِ أَبِي دَوَادٍ ... وَلَا الْأَسَدِيِّ جَارِ أَبِي الْعَلَاءِ

وَلَكِنْ عَارِكُ دَاءٍ قَدِيمٍ ... وَدَاءُ الْغَدْرِ فَاعْلَمْ شَرَّ دَاءٍ

فلما بلغ ربيعة بن عامر أبي البراء قول حسان وقول كعب، حمل على عامر بن الطفيل فطعنه، فشطب الرمح عن مقتله، نحر عن فرسه. فَقَالَ: هذا عمل أبي براء! إن مت فدمي لعمي ولا يتبعن به، وإن أعش فسأرى رأيي فيما أتى إلي حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يُونُسَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ ص الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى أَهْلِ بَيْتِ مَعُونَةَ، قَالَ: لَا أَدْرِي، أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ! وَعَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ الْجَعْفَرِيُّ، نَفَرَ جَاحِظًا أُولَئِكَ النَّفَرُ مِنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ص الَّذِينَ بَعُثُوا، حَتَّى أَتَوْا غَارًا مُشْرِفًا عَلَى الْمَاءِ قَعَدُوا فِيهِ ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِيكُم يَبْلُغُ رِسَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص أَهْلَ هَذَا الْمَاءِ؟ فَقَالَ - أَرَاهُ ابْنَ مِلْحَانَ الْأَنْصَارِيِّ -: أَنَا أَبْلُغُ رِسَالَهُ رَسُولِ اللَّهِ ص، نَفَرَ جَاحِظًا حَتَّى أَتَى حِوَاءَ مِنْهُمْ، فَاحْتَبَى أَمَامَ الْبُيُوتِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَهْلَ بَيْتِ مَعُونَةَ، أَنَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ،

ذكر خبر جلاء بني النضير

إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَاْمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. نَفَرَ جَاحِظًا إِلَيْهِ مِنْ كَسْرِ الْبَيْتِ بَرُوحٌ فَضْرَبَ بِهِ فِي جَنْبِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الشَّقِّ الْآخِرِ، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ! فَاتَّبَعُوا أَثَرَهُ حَتَّى أَتَوْا أَصْحَابَهُ فِي الْغَارِ، فَقَتَلَهُمْ أَجْمَعِينَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ. قَالَ إِسْحَاقُ حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ فِيهِمْ قُرْآنًا: بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا، فَرَضِيَ عَنَّا، وَرَضِينَا عَنْهُ، ثُمَّ نُسِخَتْ، فَرَفَعَتْ بَعْدَ مَا قَرَأْنَاهُ زَمَانًا، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ. فَرِحِينَ» حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ الْكَلَابِيِّ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: فَقَالَ أَمِيرُهُمْ: مَكَانَكُمْ حَتَّى آتِيَكُمْ بِخَبَرِ الْقَوْمِ! فَلَمَّا جَاءَهُمْ قَالَ: اتَّوَمُنُونِي حَتَّى أَخْبِرَكُمْ بِرِسَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَبَيْنَا هُوَ عِنْدَهُمْ، إِذْ وَخَزَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِالسِّنَانِ قَالَ: فَقَالَ الرَّجُلُ: فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ! فَقَتَلَ، فَقَالَ: عَامِرُ! لَا أَحْسِبُهُ إِلَّا أَنَّ لَهُ أَصْحَابًا، فَاقْتَصُوا أَثَرَهُ حَتَّى أَتَوْهُمْ فَقَتَلُوهُمْ، فَلَمْ يَفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ. قَالَ أَنَسُ: فَكَأَنَّ نَفَرًا فِيمَا نُسِخَ: بَلِّغُوا عَنَّا إِخْوَانَنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا، فَرَضِيَ عَنَّا وَرَضِينَا عَنْهُ. وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنِي السَّنَةَ الرَّابِعَةَ مِنَ الْهِجْرَةِ - أَجَلَ النَّبِيُّ ص بَنِي النَّضِيرِ مِنْ دِيَارِهِمْ .

ذكر خبر جلاء بني النضير

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ مَا قَدْ ذَكَرْنَا قَبْلَ مِنْ قَتْلِ عَمْرُو بْنِ أَمِيهِ الضَّمْرِيِّ الرَّجُلَيْنِ الَّذِينَ قَتَلَهُمَا فِي مَنْصَرَفِهِ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَجْهَهُ إِلَيْهِ مَعَ أَصْحَابِ بَيْتِ مَعُونَةَ، وَكَانَ لهُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص جَوَارٌ وَعَهْدٌ وَقِيلَ إِنَّ عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ كَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص: إِنَّكَ قَتَلْتَ رَجُلَيْنِ لهُمَا مِنْكَ جَوَارٌ وَعَهْدٌ، فَابْعَثْ بَدِيَّتَهُمَا فَانْطَلِقْ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى قَبَاءٍ، ثُمَّ مَالَ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ مُسْتَعِينًا بِهِمْ فِي دِيَّتِهِمَا، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ وَأُسَيْدُ بْنُ حَضِيرٍ.

حَدَّثَنَا ابْنُ هُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى بَنِي النَّضِيرِ، يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ النَّضِيرِ قَتَلَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ، لِلْجَوَارِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَقَدَهُ لهُمَا، - كَمَا حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُوْمَانَ - وَكَانَ بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ وَبَيْنَ بَنِي عَامِرٍ حَلْفٌ وَعَقْدٌ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ، قَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ،

نَعِينُكَ عَلَى مَا أَحْبَبْتَ مِمَّا اسْتَعَنْتَ بِنَا عَلَيْهِ ثُمَّ خَلَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ هَذِهِ- ورسول الله ص إلى جَنْبِ جِدَارٍ مِنْ بُيُوتِهِمْ، قَاعِدٌ- فَقَالُوا: مَنْ رَجُلٌ يَعْلُو عَلَى هَذَا الْبَيْتِ، فَيُلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً فَيَقْتُلُهُ بِهَا فَيُرِيحُنَا مِنْهُ؟ فَانْتَدَبَ لِذَلِكَ عَمْرُو بْنُ جَحَاشٍ بْنُ كَعْبٍ أَحَدَهُمْ، فَقَالَ:

أَنَا لِذَلِكَ، فَصَعِدَ لِيُلْقِيَ عَلَيْهِ الصَّخْرَةَ- كما قال- ورسول الله ص فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ، فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ ص الْخَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ، فَقَامَ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ:

لَا تَبْرَحُوا حَتَّى آتِيَكُمْ، وَخَرَجَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا اسْتَلَبَتْ رَسُولَ اللَّهِ ص أَصْحَابُهُ، قَامُوا فِي طَلَبِهِ، فَلَقُوا رَجُلًا مُقْبِلًا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَسَأَلُوهُ عَنْهُ، فَقَالَ: رَأَيْتُمْ دَاخِلًا الْمَدِينَةَ، فَاقْبَلُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ص حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهِ، فَأَخْبِرْهُمْ الْخَبْرَ بِمَا كَانَتْ يَهُودٌ قَدْ أَرَادَتْ مِنَ الْغَدْرِ بِهِ، وَامْرُؤُوسَ اللَّهِ ص بِالتَّهْيِيزِ لِحَرْبِهِمْ، وَالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ.

ثُمَّ سَارَ بِالنَّاسِ إِلَيْهِمْ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ، فَتَحَصَّنُوا مِنْهُ فِي الْحِصُونِ، فَامْرُؤُوسَ اللَّهِ ص بِقَطْعِ النَّخْلِ وَالتَّحْرِيقِ فِيهَا، فَنَادَوْهُ: يَا مُحَمَّدُ، قَدْ كُنْتَ تَنْهَى عَنِ الْفَسَادِ وَتَعْيِيهِ عَلَى مَنْ صَنَعَهُ، فَمَا بَالُ قَطْعِ النَّخْلِ وَتَحْرِيقِهَا! قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَمَّا الْوَاقِدِيُّ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ بَنِي النَّضِيرِ لَمَّا تَأَمَّرُوا بِمَا تَأَمَّرُوا بِهِ مِنْ إِدْلَاءِ الصَّخْرَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، نَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ سَلَامٌ بْنُ مِشْكَمٍ وَخَوْفُهُمُ الْحَرْبَ وَقَالَ: هُوَ يَعْلَمُ مَا تُرِيدُونَ، فَعَصَوْهُ، فَصَعِدَ عَمْرُو بْنُ جَحَاشٍ لِيُخْرِجَ الصَّخْرَةَ، وَجَاءَ النَّبِيُّ ص الْخَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ، فَقَامَ كَأَنَّهُ يُرِيدُ حَاجَةً، وَانْتَظَرَهُ أَصْحَابُهُ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَتْ يَهُودٌ تَقُولُ: مَا حَبَسَ أَبَا الْقَاسِمِ، وَانْصَرَفَ أَصْحَابُهُ؟

فَقَالَ كَثَانَةُ بْنُ صُورِيَا: جَاءَهُ الْخَبْرُ بِمَا هَمَّمَتْ بِهِ، قَالَ: وَلَمَّا رَجَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ص انْتَهَوْا إِلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْتَظَرْنَاكَ وَمَضَيْتَ، [فَقَالَ: هَمَّتْ يَهُودٌ بِقَتْلِي، وَأَخْبَرَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ادْعُوا لِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، قَالَ: فَاتَى مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَى يَهُودٍ فَقُلْ لَهُمْ: اخْرُجُوا مِنْ بِلَادِي فَلَا تُسَاكِنُونِي وَقَدْ هَمَّمْتُ بِمَا هَمَّمْتُ بِهِ مِنَ الْغَدْرِ].

قَالَ: لَجَاءَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَظْعَنُوا مِنْ بِلَادِهِ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، مَا كُنَّا نَنْظُرُ أَنْ يَجِيئَنَا بِهِذَا رَجُلٌ مِنَ الْأَوْسِ! فَقَالَ مُحَمَّدٌ: تَغْيِرَتِ الْقُلُوبُ، وَمَحَا الْإِسْلَامُ الْعُهُودَ،

فَقَالُوا: نَحْمَلُ قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي يَقُولُ: لَا تَخْرُجُوا، فَإِنَّ مَعِيَ مِنَ الْعَرَبِ وَمِنْ أَنْصَوَى إِلَيَّ مِنْ قَوْمِي الْفَيْنِ، فَأَقِيمُوا فَمِنْهُمْ يَدْخُلُونَ مَعَكُمْ، وَقَرِيبَةٌ تَدْخُلُ مَعَكُمْ فَبَلَغَ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ صَاحِبَ عَهْدِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَقَالَ: لَا يَنْقُضُ الْعَهْدَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ وَأَنَا حَيٌّ، فَقَالَ سَلَامٌ بْنُ مِشْكَمٍ لِحَيٍّ بْنِ أَخْطَبَ: يَا حَيُّ أَقْبِلْ هَذَا الَّذِي قَالَ مُحَمَّدٌ، فَإِنَّمَا شَرَفْنَا عَلَى قَوْمِنَا بِأَمْوَالِنَا قَبْلَ أَنْ تَقْبَلَ مَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ قَالَ: وَمَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ؟ قَالَ:

أَخْذُ الْأَمْوَالِ وَسَبْيُ الذَّرِيَّةِ وَقَتْلُ الْمُقَاتِلَةِ، فَأَبَى حَيٌّ، فَأَرْسَلَ جَدِي ابْنَ أَخْطَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص: إِنَّا لَا نُزِيمُ دَارَنَا فَاصْنَعْ مَا بَدَأَ لَكَ! قَالَ: فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ص، وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَقَالَ: حَارَبَتْ يَهُودٌ، وَانْطَلَقَ جَدِي إِلَى ابْنِ أَبِي يَسْتَمِدُّهُ قَالَ: فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَمُنَادِي النَّبِيَّ ص يُنَادِي بِالسَّلَاحِ، فَدَخَلَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ أَبِي، وَأَنَا عِنْدَهُ، فَأَخَذَ السَّلَاحَ، ثُمَّ خَرَجَ يَعْذُو، قَالَ: فَأَيْسْتُ مِنْ مَعُونَتِهِ قَالَ: فَأَخْبَرْتُ بِذَلِكَ كُلَّهُ حَيًّا، فَقَالَ: هَذِهِ مَكِيدَةٌ مِنْ مُحَمَّدٍ، فَزَحَفَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص خَمْسَةَ عَشْرَ يَوْمًا، حَتَّى صَالَحُوهُ عَلَى أَنْ يَحْتَقِنَ لَهُمْ دِمَاءَهُمْ، وَلَهُ الْأَمْوَالُ وَالْحَلَقَةُ.

فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص- يَعْنِي بَنِي النَّضِيرِ- خَمْسَةَ عَشْرَ يَوْمًا حَتَّى بَلَغَ مِنْهُمْ كُلَّ مَبْلَغٍ، فَأَعْطَوْهُ مَا أَرَادَ مِنْهُمْ، فَصَالَحَهُمْ عَلَى أَنْ يَحْتَقِنَ لَهُمْ دِمَاءَهُمْ، وَأَنْ

يُخْرِجُهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ، وَيَسِيرُهُمْ إِلَى أَذْرَعَاتِ الشَّامِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ ثَلَاثَةٍ مِنْهُمْ بَعِيرًا وَسَقَاءَ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: قَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى صَالَحَهُمْ عَلَى الْجَلَاءِ، فَأَجْلَاهُمْ إِلَى الشَّامِ، عَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا أَقْلَتِ الْإِبِلُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الْحَلَقَةُ - وَالْحَلَقَةُ: السِّلَاحُ.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَقَدْ كَانَ رَهْطٌ مِنْ بَنِي عَوْفٍ بْنِ الْخَزَرَجِ، مِنْهُمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَن سُلُوكَ وَوَدِيعَةُ وَمَالِكُ بْنُ أَبِي قُوقِلٍ، وَسُوَيْدٌ وَدَاعِسٌ قَدْ بَعَثُوا إِلَى بَنِي النَّضِيرِ: أَنْ اثْبُتُوا وَتَمْنَعُوا، فَإِنَّا لَنْ نُسَلِّبَكُمْ، وَإِنْ قُوتِلْتُمْ قَاتَلْنَا مَعَكُمْ، وَإِنْ أُخْرِجْتُمْ خَرَجْنَا مَعَكُمْ، فَتَرَبَّصُوا فَلَمْ يَفْعَلُوا:

وَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجْلِيَهُمْ، وَيَكْفَ عَنْ دِمَائِهِمْ، عَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا حَمَلَتِ الْإِبِلُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا الْحَلَقَةُ فَعَلَّ فَاخْتَمَلُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ الْإِبِلُ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَهْدِمُ بَيْتَهُ عَنْ نَجَافِ بَابِهِ، فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرِهِ، فَيَنْطَلِقُ بِهِ نَخْرَجُوا إِلَى خَيْبَرٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ سَارَ إِلَى الشَّامِ، فَكَانَ أَشْرَافُهُمْ مِمَّنْ سَارَ مِنْهُمْ إِلَى خَيْبَرٍ سَلَامٌ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ، وَكَانَهُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ، وَحِيَّ بْنَ أَخْطَبَ، فَلَمَّا تَزَلُّوهُمَا دَانَ لَهُمْ أَهْلُهَا.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّهُمْ اسْتَقَلُّوا بِالنِّسَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْأَمْوَالِ، مَعَهُمُ الدُّفُوفُ وَالْمَزَامِيرُ وَالْقِيَانُ يَعْرِضْنَ خَلْفَهُمْ، وَأَنَّ فِيهِمْ يَوْمئِذٍ لَأُمُّ عَمْرٍو، صَاحِبَةُ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ الْعَبْسِيِّ، الَّتِي ابْتَاغُوا مِنْهُ، وَكَانَتْ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي غِفَارٍ بَرْهَاءَ وَغَفْرٍ، مَا رُئِيَ مِثْلُهُ مِنْ حَيٍّ مِنَ النَّاسِ فِي

غزوه ذات الرقاع

زَمَانِهِمْ، وَخَلُوا الْأَمْوَالُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاصَةً يَضَعُهَا حَيْثُ يَشَاءُ، فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ دُونَ الْأَنْصَارِ، إِلَّا أَنَّ سَهْلَ بْنَ حَنْفٍ وَأَبَا دُجَانَةَ سِمَاكَ بْنَ خَرْشَةَ، ذَكَرَا فَقَرَأَا فَأَعْطَاهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُسَلِّمْ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ إِلَّا رَجُلَانِ: يَامِينَ بْنُ عُمَيْرٍ بْنِ كَعْبٍ ابْنِ عَمِّ عَمْرٍو بْنِ جَحَّاشٍ، وَأَبُو سَعْدٍ بْنُ وَهَبٍ، أَسْلَمَا عَلَى أَمْوَالِهِمَا فَأَحْرَزَاهَا. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَاسْتَخْلَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ خَرَجَ لِحَرْبِ بَنِي النَّضِيرِ - فِيمَا قِيلَ - ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَكَانَتْ رَأَيْتُهُ يَوْمئِذٍ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ع.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْهَا، وَهُوَ ابْنُ سِتِّ سِنِينَ، وَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَزَلَ فِي حُفْرَتِهِ عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ.

وَفِيهَا وَلَدَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ع، لِلْيَالِ خُلُونُ مِنْ شَعْبَانَ

غزوه ذات الرقاع

وَاخْتَلَفَ فِي الَّتِي كَانَتْ بَعْدَ غَزْوَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ مِنْ غَزَوَاتِهِ، فَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي ذَلِكَ، مَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ:

حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: ثُمَّ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ غَزْوَةِ بَنِي النَّضِيرِ شَهْرًا رَيْجًا، وَبَعْضُ شَهْرِ جُمَادَى ثُمَّ غَزَا نَجْدًا - يُرِيدُ بَنِي مُحَارِبٍ وَبَنِي ثَعْلَبَةَ مِنْ غَطَفَانَ - حَتَّى

نَزَلَ نَخْلًا، وَهِيَ غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ، فَلَقِيَ بِهَا جَمْعًا مِنْ غَطَفَانَ، فَتَقَارَبَ النَّاسُ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ، وَقَدْ خَافَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالمُسْلِمِينَ صَلَاةَ الْخَوْفِ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ بِالمُسْلِمِينَ.

وَأَمَّا الْوَاقِدِيُّ، فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ غَزْوَةَ رَسُولِ اللَّهِ ص ذَاتَ الرِّقَاعِ، كَانَتْ فِي الْمَحْرَمِ سَنَةَ خَمْسٍ مِنَ الْهَجْرَةِ قَالَ: وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ ذَاتَ الرِّقَاعِ، لِأَنَّ الْجَبَلَ الَّذِي سُمِّيَتْ بِهِ ذَاتَ الرِّقَاعِ جَبَلٌ بِهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ وَحُمْرَةٌ، فَسُمِّيَتْ الْغَزْوَةُ بِذَلِكَ الْجَبَلِ قَالَ: وَاسْتَخْلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ عَلَى الْمَدِينَةِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَمُحَمَّدٌ - يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ - عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص إِلَى نَجْدٍ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَحْلِ، لَقِيَ جَمْعًا مِنْ غَطَفَانَ، فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا قِتَالٌ، إِلَّا أَنَّ النَّاسَ قَدْ خَافُوهُمْ، وَنَزَلَتْ صَلَاةُ الْخَوْفِ، فَصَدَعَ أَصْحَابُهُ صَدْعَيْنِ، فَقَامَتْ طَائِفَةٌ مُوَاجِهَةً الْعَدُوَّ، وَقَامَتْ طَائِفَةٌ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَكَبَرُوا جَمِيعًا، ثُمَّ رَكَعَ بَيْنَ خَلْفِهِ، وَبَجَدَ بِهِمْ، فَلَمَّا قَامُوا مَشَوْا الْقَهْقَرَى إِلَى مَصَافِّ أَصْحَابِهِمْ، وَرَجَعَ الْآخَرُونَ، فَصَلُّوا لَأَنْفُسِهِمْ رَكْعَةً، ثُمَّ قَامُوا فَصَلَّى بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ص رَكْعَةً وَجَلَسُوا، وَرَجَعَ الَّذِينَ كَانُوا مُوَاجِهِينَ الْعَدُوَّ، فَصَلُّوا الرُّكْعَةَ الثَّانِيَةَ،

فَجَلَسُوا جَمِيعًا، فَجَمَعَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ ص بِالسَّلَامِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَدْ اخْتَلَفَتْ الرِّوَايَةُ فِي صِفَةِ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ص هَذِهِ الصَّلَاةِ بِطَنْ نَحْلٍ اخْتِلَافًا مُتَفَاوِتًا، كَرِهْتُ ذِكْرَهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ خَشْيَةَ إِطَالَةِ الْكِتَابِ، وَسَأَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي كِتَابِنَا الْمُسَمَّى بِسَيْطِ الْقَوْلِ فِي أَحْكَامِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ فِي كِتَابِ صَلَاةِ الْخَوْفِ مِنْهُ وَقَدْ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ الْيَشْكِرِيِّ، أَنَّهُ سَأَلَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ إِقْصَارِ الصَّلَاةِ: أَيَّ يَوْمٍ أُنْزِلَ، أَوْ فِي أَيِّ يَوْمٍ هُوَ؟ فَقَالَ جَابِرٌ: انْطَلَقْنَا تَتَلَقَّى عِيرَ قُرَيْشٍ آتِيَةً مِنَ الشَّامِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِنَحْلِ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ تَخَافُنِي؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: اللَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْكَ، قَالَ: فَسَلِّ السَّيْفَ ثُمَّ تَهَدِّدْهُ وَأَوْعِدْهُ ثُمَّ نَادَى بِالرَّجُلِ وَأَخَذَ السَّلَاحَ.

ثُمَّ نُوْدِيَ بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّى نَبِيُّ اللَّهِ ص بِطَائِفَةٍ مِنَ الْقَوْمِ، وَطَائِفَةٍ أُخْرَى تَحْرُسُهُمْ، فَصَلَّى بِالَّذِينَ يَلُونَهُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ تَأَخَّرَ الَّذِينَ يَلُونَهُ عَلَى أَعْقَابِهِمْ، فَقَامُوا فِي مَصَافِّ أَصْحَابِهِمْ، ثُمَّ جَاءَ الْآخَرُونَ فَصَلَّى بِهِمْ رَكْعَتَيْنِ، وَالْآخَرُونَ يَحْرُسُونَهُمْ ثُمَّ سَلَّمَ، فَكَانَتْ لِلنَّبِيِّ ص أَرْبَعُ رَكْعَاتٍ، وَلِلْقَوْمِ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، فَيَوْمَئِذٍ أُنْزِلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِقْصَارِ الصَّلَاةِ، وَأَمَرَ الْمُؤْمِنُونَ بِأَخْذِ السَّلَاحِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي مُحَارِبٍ يُقَالُ لَهُ فُلَانُ بْنُ الْحَارِثِ، قَالَ لِقَوْمِهِ مِنْ غَطَفَانَ وَمُحَارِبٍ: أَلَا أَقْتُلُ لَكُمْ مُحَمَّدًا؟ قَالُوا: نَعَمْ، وَكَيْفَ تَقْتُلُهُ؟ قَالَ:

أَفْتِكَ بِهِ، فَأَقْبَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَهُوَ جَالِسٌ، وَسَيْفٌ

رَسُولُ اللَّهِ ص فِي حِجْرِهِ، [فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، انْظُرْ إِلَى سَيْفِكَ هَذَا! قَالَ: نَعَمْ، فَأَخَذَهُ فَاسْتَلَّهُ، ثُمَّ جَعَلَ يَهْزُهُ وَيَهْمُ بِهِ، فَيَكْبِتُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَمَا تَخَافُنِي؟ قَالَ: لَا، وَمَا أَخَافُ مِنْكَ؟ قَالَ:

أَمَا تَخَافُنِي وَفِي يَدِي السَّيْفُ؟ قَالَ: لَا، يَمْنَعُنِي اللَّهُ مِنْكَ! قَالَ: ثُمَّ غَمَدَ السَّيْفَ، فَردَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَانْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ» .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي صَدَقَةُ بْنُ يَسَّارٍ، عَنْ عَقِيلِ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَحْلِ، فَأَصَابَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ،

فَلَمَّا انصرف رسول الله ص قَافِلًا أَتَى زَوْجَهَا وَكَانَ غَائِبًا، فَلَمَّا أَخْبَرَ الْخَبَرَ، حَلَفَ أَلَّا يَنْتَهِيَ حَتَّى يَهْرِيْقَ فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ دَمًا، نَفْرَجَ يَتَّبِعُ أَثَرُ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْزِلًا، فَقَالَ: مَنْ رَجُلٌ يَكْلُونَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ؟ فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَا: نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَكُونَا بِفَمِ الشَّعْبِ- وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَأَصْحَابُهُ قَدْ نَزَلُوا الشَّعْبَ، مِنْ بَطْنِ الْوَادِي- فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلَانِ إِلَى فَمِ الشَّعْبِ، قَالَ الْأَنْصَارِيُّ لِلْمُهَاجِرِيِّ، أَيُّ اللَّيْلِ تُحِبُّ أَنْ أَكْفِيكَهُ؟ أَوَّلُهُ أَوْ آخِرُهُ؟ قَالَ: بَلِ اكْفِنِي أَوَّلَهُ، فَاضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ فَنَامَ، وَقَامَ الْأَنْصَارِيُّ يُصَلِّي، وَأَتَى زَوْجَ الْمَرْأَةِ، فَلَمَّا رَأَى شَخْصَ الرَّجُلِ عَرَفَ أَنَّهُ رَيْثَةُ الْقَوْمِ، فَرَمَى بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ، فَوَضَعَهُ وَثَبَتْ قَائِمًا يُصَلِّي ثُمَّ رَمَاهُ بِسَهْمٍ آخَرَ، فَوَضَعَهُ فِيهِ، فَنَزَعَهُ، فَوَضَعَهُ وَثَبَتْ قَائِمًا يُصَلِّي، ثُمَّ عَادَ لَهُ بِالثَّلَاثِ فَوَضَعَهُ فِيهِ، فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ، ثُمَّ أَهَبَ صَاحِبَهُ، فَقَالَ: اجْلِسْ، فَقَدْ أَتَيْتُ

ذكر الخبر عن غزوه السويق

قَالَ: فَوَثَبَ الْمُهَاجِرِيُّ، فَلَمَّا رَأَاهُمَا الرَّجُلُ، عَرَفَ أَنَّهُمْ قَدْ نَدَرُوا بِهِ، وَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِيُّ مَا بِالْأَنْصَارِيِّ مِنَ الدِّمَاءِ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! أَفَلَا، أَهْبَيْتَنِي أَوَّلَ مَا رَمَاكَ! قَالَ: كُنْتُ فِي سُورَةٍ أَقْرُؤُهَا فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتَّى أَنْفِدَهَا، فَلَمَّا تَبَاعَ عَلَى الرَّمَى رَكَعْتَ فَأَذْنُتُكَ، وَابْتَدَأَ اللَّهُ لَوْلَا أَنْ أَضِيعَ ثَغْرًا أَمْرِي رَسُولُ اللَّهِ ص بِحِفْظِهِ لَقَطَعَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا أَوْ أَنْفِدَهَا .

وَهِيَ غَزْوَةُ النَّبِيِّ ص بِدَرِّ الثَّانِيَةِ لِمِيعَادِ أَبِي سُفْيَانَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْمَدِينَةَ مِنْ غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ، أَقَامَ بِهَا بَقِيَّةَ جُمَادَى الْأُولَى وَجُمَادَى الْآخِرَةِ وَرَجَبَ، ثُمَّ خَرَجَ فِي شَعْبَانَ إِلَى بَدْرِ لِمِيعَادِ أَبِي سُفْيَانَ حَتَّى نَزَلَهُ، فَأَقَامَ عَلَيْهِ ثَمَانِي لَيَالٍ يَنْتَظِرُ أَبَا سُفْيَانَ، وَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ فِي أَهْلِ مَكَّةَ، حَتَّى نَزَلَ بِجَنَّةٍ مِنْ نَاحِيَةِ مَرِّ الظُّهْرَانِ- وَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ: قَدْ قَطَعَ عُسْفَانَ- ثُمَّ بَدَأَ لَهُ الرُّجُوعُ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ لَا يُصْلِحُكُمْ إِلَّا عَامُ خِصْبٍ تَرَعُونَ فِيهِ الشَّجَرَ، وَتَشْرَبُونَ فِيهِ اللَّبَنَ، وَإِنَّ عَامَكُمْ هَذَا عَامُ جَدَبٍ، وَإِنِّي رَاجِعٌ فَارْجِعُوا فَرَجَعَ وَرَجَعَ النَّاسُ، فَسَمَّاهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ جَيْشَ السَّوِيقِ يَقُولُونَ:

إِنَّمَا خَرَجْتُمْ لَتَشْرَبُونَ السَّوِيقَ.

فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَلَى بَدْرِ يَنْتَظِرُ أَبَا سُفْيَانَ لِمِيعَادِهِ، فَاتَّاهُ مَخْشِيُّ بْنُ عَمْرِو الضَّمَرِيِّ، وَهُوَ وَالَّذِي وَادَعَهُ عَلَى بَنِي ضَمْرَةَ فِي غَزْوَةِ وَدَانَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَجِئْتُ لِلِقَاءِ قُرَيْشٍ عَلَى هَذَا الْمَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أَخَا بَنِي ضَمْرَةَ، وَإِنْ شِئْتَ مَعَ ذَلِكَ رَدَدْنَا إِلَيْكَ مَا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ،

ثُمَّ جَالَدْنَاكَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ، مَا لَنَا بِذَلِكَ مِنْكَ مِنْ حَاجَةٍ، وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَنْتَظِرُ أَبَا سُفْيَانَ، فَمَرَّ بِهِ مَعْبِدُ بْنُ أَبِي مَعْبِدٍ الْخَزَاعِيُّ، وَقَدْ رَأَى مَكَانَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَنَاقَتَهُ تَهْوِي بِهِ فَقَالَ:

قَدْ نَفَرْتُ مِنْ رَفَقَتِي مُحَمَّدٍ ... وَعَجْوَةٍ مِنْ يَثْرَبَ كَالْعَجْدِ

تَهْوِي عَلَى دِينِ أَبِيهَا الْأَتَدِ ... قَدْ جَعَلَتْ مَاءَ قَدِيدٍ مَوْعِدِي

وَمَاءَ خُبْنَانَ لَهَا خُصِي الْعَدِ.

وَأَمَّا الْوَاقِدِيُّ، فَانْهَ ذَكَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص نَدَبَ أَصْحَابَهُ لَغَزْوَةِ بَدْرِ لِمَوْعِدِ أَبِي سُفْيَانَ الَّذِي كَانَ وَعَدَهُ الْإِتِّقَاءَ فِيهِ يَوْمَ أُحُدٍ رَأْسَ الْحَوْلِ

٢٠٧٠١٢ السنة الخامسة من الهجرة

ثُمَّ كَانَتْ
السَّنَةُ الْخَامِسَةُ مِنَ الْهَجْرَةِ
فَقِي هَذِهِ السَّنَةِ

०३२

عَلَيْكَ زَوْجَكَ، فَمَا اسْتَطَاعَ زَيْدٌ إِلَيْهَا سَبِيلًا بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَكَانَ يَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ صَ فِيخْبِرُهُ، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ، فَفَارَقَهَا زَيْدٌ وَاعْتَزَلَهَا وَحَلَّتْ] .

فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَ يَتَحَدَّثُ مَعَ عَائِشَةَ، إِذْ أَخَذَتْ رَسُولُ اللَّهِ صَ غَشِيَةً، فَسَرَى عَنْهُ وَهُوَ يَتَبَسَّمُ وَيَقُولُ: مَنْ يَذْهَبُ إِلَى زَيْنَبَ يَبْشُرُهَا، يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ زَوْجِنِيهَا؟ وَتَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَ: «وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» الْقِصَّةَ كُلَّهَا.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَخَذَنِي مَا قُرْبَ وَمَا بَعْدَ لَمَّا يَلْبِغُنَا مِنْ جَمَاهِلَا، وَأُخْرَى هِيَ أَعْظَمُ الْأُمُورِ وَأَشْرَفُهَا، مَا صَنَعَ اللَّهُ لَهَا، زَوْجَهَا، فَقُلْتُ: تَفْخَرُ عَلَيْنَا بِهَذَا.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَخَرَجْتُ سَلَى خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ صَ تُخْبِرُهَا بِذَلِكَ، فَأَعْطَتَهَا أَوْضَاحًا عَلَيْهَا. حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: كَانَ النَّبِيُّ صَ قَدْ زَوَّجَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشِ ابْنَةِ عَمَّتِهِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَ يَوْمًا يَرِيدُهُ، وَعَلَى الْبَابِ سِتْرٌ مِنْ شَعْرِ، فَرَفَعَتِ الرِّيحُ السِّتْرَ فَانْكَشَفَ وَهِيَ فِي حُجْرَتِهَا حَاسِرَةٌ، فَوَقَعَ إِعْجَابُهَا فِي قَلْبِ النَّبِيِّ صَ، فَلَمَّا وَقَعَ ذَلِكَ كَرِهَتْ إِلَى الْآخِرِ، قَالَ: لَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَفَارِقَ صَاحِبَتِي، فَقَالَ: مَا لَكَ! أَرَأَيْكَ مِنْهَا شَيْءٌ! فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْتُ مِنْهَا شَيْءًا، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا خَيْرًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَ: امْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَإِذْ تَقُولُ

غزوه دومه الجندل

ذكر الخبر عن غزوه الخندق

لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ، تَخْفِي فِي نَفْسِكَ أَنْ فَارَقَهَا تَزَوَّجَتْهَا. غَزَوْهُ دَوْمَةُ الْجَنْدَلِ

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَفِيهَا غَزَا دَوْمَةُ الْجَنْدَلِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ بَلَغَهُ أَنَّ جَمْعًا تَجَمَّعُوا بِهَا وَدَنُوا مِنْ اطْرَافِهِ فَغَزَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَ، حَتَّى بَلَغَ دَوْمَةَ الْجَنْدَلِ، وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا، وَخَلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ سَبَاعُ بْنُ عَرْفَطَةَ الْغِفَارِيُّ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَفِيهَا وَادَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَ عَيْنَهُ ابْنُ حَصْنٍ أَنْ يَرعى بَتَغْلِينَ وَمَا وَالَاهَا.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍ - فِيمَا حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ - وَذَلِكَ أَنَّ بِلَادَ عَيْنَةَ اجْدَبَتْ، فَوَادَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَ أَنْ يَرعى بَتَغْلِينَ إِلَى الْمَرَاضِ، وَكَانَ مَا هُنَاكَ قَدْ أَخْصَبَ بِسَحَابَةٍ وَقَعَتْ، فَوَادَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَ أَنْ يَرعى فِيمَا هُنَاكَ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَفِيهَا تَوَفَّيْتُ أُمَّ سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ وَسَعْدَ غَائِبًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَ إِلَى دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ

ذكر الخبر عن غزوة الخندق

وَفِيهَا: كَانَتْ غَزْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَ الْخَنْدَقِ فِي شَوَالٍ، حَدَّثَنَا بِذَلِكَ ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ:

وَكَانَ الَّذِي جَرَّ غَزْوَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَ الْخَنْدَقِ - فِيمَا قِيلَ - مَا كَانَ مِنْ إِجْلَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَ بَنِي النَّضِيرِ عَنْ دِيَارِهِمْ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ، مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَمَنْ لَا

أَتَاهُمْ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، وَعَنْ الزُّهْرِيِّ، وَعَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ

حَزْمٍ، وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ وَعَنْ غَيْرِهِمْ مِنْ عُلَمَائِنَا، كُلُّ قَدْ اجْتَمَعَ حَدِيثُهُ فِي الْحَدِيثِ عَنِ الْخَنْدَقِ، وَبَعْضُهُمْ يُحَدِّثُ مَا لَا

يُحَدِّثُ بَعْضُ، أَنَّهُ كَانَ مِنْ حَدِيثِ الْخَنْدَقِ أَنَّ نَفَرًا مِنَ الْيَهُودِ مِنْهُمْ سَلَامُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ النَّضْرِيُّ وَحِيَّ بْنُ أَخْطَبِ النَّضْرِيِّ، وَكَانَ بَنُو

الرَّبِيعُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ النَّضْرِيُّ، وَهُوَ ذُو بْنُ قَيْسٍ الْوَائِلِيُّ، وَأَبُو عَمَّارٍ الْوَائِلِيُّ، فِي نَفَرٍ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ وَنَفَرٍ مِنْ بَنِي وَائِلٍ، هُمُ الَّذِينَ حَزَبُوا الْأَحْزَابَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، خَرَجُوا حَتَّى قَدِمُوا عَلَى قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَقَالُوا: إِنَّا سَنَكُونُ مَعَكُمْ عَلَيْهِ حَتَّى نَسْتَأْصِلَهُ، فَقَالَتْ لَهُمْ قُرَيْشٌ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، إِنَّكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، وَالْعِلْمُ بِمَا أَصْبَحْنَا نَخْتَلِفُ فِيهِ نَحْنُ وَمُحَمَّدٌ، أَفَدِينُنَا خَيْرًا أَمْ دِينَهُ؟ قَالُوا:

بَلْ دِينُكُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ، وَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْهُ قَالَ: فَهُمْ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنِبِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا» - إِلَى قَوْلِهِ - «وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا» . فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ لِقُرَيْشٍ، سَرَّهُمْ مَا قَالُوا وَنَشَطُوا لِمَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ مِنْ حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَاجْتَمَعُوا لِذَلِكَ وَاتَّعَدُوا لَهُ

ثُمَّ خَرَجَ أُولَئِكَ النَّفَرُ مِنْ يَهُودَ حَتَّى جَاءُوا غَطَفَانَ مِنْ قَيْسِ عِيلَانَ فَدَعَوْهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ مَعَهُمْ عَلَيْهِ، وَأَنَّ قُرَيْشًا تَابِعُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَاجْتَمَعُوا فِيهِ، فَأَجَابُوهُمْ.

فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ وَقَائِدُهَا أَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَخَرَجَتْ غَطَفَانُ وَقَائِدُهَا عَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ بْنُ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ بْنِ بَنِي فَرَّارَةَ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ الْمُرِّيُّ فِي بَنِي مَرَّةٍ، وَمَسْعُودُ بْنُ رَخِيلَةَ بْنِ نَوِيرَةَ ابْنِ طَرِيفٍ بْنِ سَحْمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِلَالٍ بْنِ خَلَاوَةَ بْنِ أَشْجَعِ بْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَفَانَ، فِيمَنْ تَابَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَشْجَعِ.

فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ص وَبِمَا أَجْمَعُوا لَهُ مِنَ الْأَمْرِ، ضَرَبَ الْخَنْدَقَ عَلَى الْمَدِينَةِ لَخْدَشَتْ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمْرٍ، قَالَ: كَانَ الَّذِي أَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص بِالْخَنْدَقِ سَلْمَانَ، وَكَانَ أَوَّلَ مُشْهَدٍ شَهِدَهُ سَلْمَانُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ حَرٌّ، وَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا بِفَارِسٍ إِذَا حَوْصَرْنَا خَنْدَقْنَا عَلَيْنَا.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ: فَعَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ ص تَرْغِيْبًا لِلْمُسْلِمِينَ فِي الْأَجْرِ، وَعَمِلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ: فَدَأَبَ فِيهِ وَدَأَبُوا، وَأَبْطَأَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي عَمَلِهِمْ رِجَالٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَجَعَلُوا يَوْرُونَ بِالضَّعْفِ مِنَ الْعَمَلِ، وَيَتَسَلَّلُونَ إِلَى أَهَالِيهِمْ بَغِيرَ عِلْمٍ مِنَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَلَا إِذْنَ وَجَعَلَ الرَّجُلُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِذَا نَابَتْهُ نَائِبَةٌ مِنَ الْحَاجَةِ الَّتِي لَا بَدَّ مِنْهَا يَذْكُرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص وَيَسْتَأْذِنُهُ فِي الْحَقِّ بِحَاجَتِهِ، فَيَأْذَنُ لَهُ،

فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ رَجَعَ إِلَى مَا كَانَ فِيهِ مِنْ عَمَلِهِ رَغْبَةً فِي الْخَيْرِ، وَاحْتِسَابًا لَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ» إِلَى قَوْلِهِ: «وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي كُلِّ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَسْبَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالرَّغْبَةِ فِي الْخَيْرِ، وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ص ثُمَّ قَالَ يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَسَلَّلُونَ مِنَ الْعَمَلِ، وَيَذْهَبُونَ بَغِيرَ إِذْنِ رَسُولِ اللَّهِ ص: «لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا» إِلَى قَوْلِهِ: «قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ» ، أَيُّ قَدْ عَلِمَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ صَدَقٍ أَوْ كَذِبٍ، وَعَمِلَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ حَتَّى أَحْكَمُوهُ، وَارْتَجَزُوا فِيهِ بِرِجَالٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَالُ لَهُ جَعِيلٌ، فَسَمَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ص عَمْرًا، فَقَالُوا:

سَمَاهُ مِنْ بَعْدِ جَعِيلٍ عَمْرًا وَكَانَ لِلْبَاسِ يَوْمًا ظَهَرَا إِذَا مَرُّوا بِعَمْرٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَمْرًا، وَإِذَا قَالُوا: ظَهَرَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: ظَهَرَا.

فَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ عَثْمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ الْمَزْنِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ص الْخَنْدَقَ عَامَ الْأَحْزَابِ

مِنْ أَجْمِ الشَّيْخَيْنِ طَرَفِ بْنِ حَارِثَةَ، حَتَّى بَلَغَ الْمَدَادَ ثُمَّ قَطَعَهُ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا بَيْنَ كُلِّ عَشْرَةٍ، فَاحْتَقَّ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ فِي سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ - وَكَانَ رَجُلًا قَوِيًّا - فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: سَلْمَانُ مِنَّا، وَقَالَتِ الْمُهَاجِرُونَ: سَلْمَانُ مِنَّا، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ،]

قَالَ عَمْرُو بْنُ عَوْفٍ: فَكُنْتُ أَنَا وَسَلْمَانُ، وَحَدِيفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، وَالتَّعْمَانُ بْنُ مُقَرِّنِ الْمُرَيْ، وَسِتَّةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا، خَفَرْنَا تَحْتَ ذَوَابَابٍ حَتَّى بَلَغْنَا التَّدَى، فَأَخْرَجَ اللَّهُ عَرَّ وَجَلَّ مِنْ بَطْنِ الْخَنْدَقِ صَخْرَةً بَيْضَاءَ مَرْوَةً فَكَسَرَتْ حَدِيدَنَا، وَشَقَّتْ عَلَيْنَا فَقُلْنَا: يَا سَلْمَانُ، ارْقُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فَأَخْبِرْهُ خَبَرَ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَإِنَّمَا أَنْ نَعْدِلَ عَنْهَا فَإِنَّ الْمَعْدَلَ قَرِيبٌ، وَإِنَّمَا أَنْ يَأْمُرَنَا فِيهَا بِأَمْرِهِ، فَإِنَّا لَا نُحِبُّ أَنْ نَجَاوِزَ خَطَّهُ.

فَرَقِيَ سَلْمَانُ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ص وَهُوَ ضَارِبٌ عَلَيْهِ قَبَّةَ تَرْكِيَّةٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَيِّنَا أَنْتَ وَأَمْنًا! خَرَجَتْ صَخْرَةٌ بَيْضَاءَ مِنَ الْخَنْدَقِ مَرْوَةً، فَكَسَرَتْ حَدِيدَنَا، وَشَقَّتْ عَلَيْنَا حَتَّى مَا نَحِيكَ فِيهَا قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا، فَرُنَّا فِيهَا بِأَمْرِكَ، فَإِنَّا لَا نُحِبُّ أَنْ نَجَاوِزَ خَطَّكَ فَهَبِطَ رَسُولُ اللَّهِ ص مَعَ سَلْمَانَ فِي الْخَنْدَقِ، وَرَقِينَا نَحْنُ التَّسْعَةُ عَلَى شَقِهِ الْخَنْدَقِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْمَوْعِلَ مِنْ سَلْمَانَ، فَضَرَبَ الصَّخْرَةَ ضَرْبَةً صَدَعَهَا، وَبَرَقَتْ مِنْهَا بَرْقَةٌ أَضَاءَ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا- يَعْنِي لَابَتِي الْمَدِينَةِ- حَتَّى لَكَأَنَّ مِصْبَاحًا فِي جَوْفِ بَيْتِ مَظْلَمٍ فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ص تَكْبِيرَ فَتْحٍ، وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ ثُمَّ ضَرَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ص الثَّانِيَةَ، فَصَدَعَهَا وَبَرَقَ مِنْهَا بَرْقَةٌ أَضَاءَ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا، حَتَّى لَكَأَنَّ مِصْبَاحًا فِي جَوْفِ بَيْتِ مَظْلَمٍ، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ص تَكْبِيرَ فَتْحٍ وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ.

ثُمَّ ضَرَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ص الثَّلَاثَةَ فَكَسَرَهَا، وَبَرَقَ مِنْهَا بَرْقَةٌ أَضَاءَ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا، حَتَّى لَكَأَنَّ مِصْبَاحًا فِي جَوْفِ بَيْتِ مَظْلَمٍ، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ص تَكْبِيرَ فَتْحٍ وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ سَلْمَانَ فَرَقِيَ، فَقَالَ سَلْمَانُ: يَا أَيُّهَا أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَقَدْ رَأَيْتُ شَيْئًا مَا رَأَيْتُهُ قَطُّ! [فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى الْقَوْمِ، فَقَالَ: هَلْ رَأَيْتُمْ مَا يَقُولُ سَلْمَانُ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَيِّنَا أَنْتَ وَأَمْنًا قَدْ رَأَيْنَاكَ تَضْرِبُ فَيُخْرِجُ بَرْقٌ كَالْمَوْجِ، فَرَأَيْنَاكَ تَكْبُرُ فَكَبَّرُ، وَلَا نَرَى شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ.

قَالَ: صَدَقْتُمْ، ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي الْأُولَى، فَبَرَقَ الَّذِي رَأَيْتُمْ، أَضَاءَتْ لِي مِنْهَا قُصُورَ الْحِيرَةِ وَمَدَائِنَ كِسْرَى، كَأَنَّهَا أَنْيَابُ الْكِلَابِ، فَأَخْبَرَنِي جِبْرِيلُ أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا، ثُمَّ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي الثَّانِيَةَ، فَبَرَقَ الَّذِي رَأَيْتُمْ، أَضَاءَتْ لِي مِنْهَا قُصُورَ الْحِمْيَرِ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ، كَأَنَّهَا أَنْيَابُ الْكِلَابِ، فَأَخْبَرَنِي جِبْرِيلُ أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا، ثُمَّ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي الثَّلَاثَةَ، فَبَرَقَ مِنْهَا الَّذِي رَأَيْتُمْ، أَضَاءَتْ لِي مِنْهَا قُصُورُ صَنْعَاءَ كَأَنَّهَا أَنْيَابُ الْكِلَابِ، فَأَخْبَرَنِي جِبْرِيلُ أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا، فَأَبْشَرُوا بِإِلْغَائِهِمُ النَّصْرَ، وَأَبْشَرُوا بِإِلْغَائِهِمُ النَّصْرَ، وَأَبْشَرُوا بِإِلْغَائِهِمُ النَّصْرَ! فَاسْتَبَشَرُ الْمُسْلِمُونَ، وَقَالُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ مُوَعِدٍ صَادِقٍ بَارٍّ، وَعَدْنَا النَّصْرَ بَعْدَ الْحَصْرِ فَطَلَعَتِ الْأَحْزَابُ، فَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ:

«هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا»

وَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: أَلَا تَعْلَمُونَ! يُحَدِّثُكُمْ وَيَمْنِيكُمْ وَيَعِدُكُمْ بِالْبَاطِلِ! يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ يَبْصُرُ مِنْ يَثْرِبَ قُصُورَ الْحِيرَةِ وَمَدَائِنَ كِسْرَى، وَأَنَّهُ تَفْتَحُ لَكُمْ، وَأَنْتُمْ تَخْفَرُونَ الْخَنْدَقَ وَلَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَبْرُزُوا! وَأَنْزَلَ الْقُرْآنُ:

«وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا» .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَمَّنْ لَا يَتَّبِعُهُمْ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ حِينَ فُتِحَتْ هَذِهِ الْأَمْصَارُ فِي زَمَنِ عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَمَا بَعْدَهُ: افْتَتَحُوا مَا بَدَا لَكُمْ! فَوَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، مَا افْتَتَحْتُمْ مِنْ مَدِينَةٍ وَلَا تَفْتَتِحُونَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ مُحَمَّدٌ مَفَاتِيحَهَا قَبْلَ ذَلِكَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ قَالَ: وَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنَ الْخَنْدَقِ، أَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ حَتَّى نَزَلَتْ بِمَجْتَمَعِ الْأَسْيَالِ مِنْ رُومِهِ بَيْنَ الْجُرْفِ وَالْغَابَةِ، فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ أَحَابِيْشِهِمْ، وَمِنْ تَابِعِهِمْ مِنْ كِنَانَةٍ وَأَهْلِ تِهَامَةٍ، وَأَقْبَلَتْ غَطَفَانُ وَمِنْ تَابِعِهِمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، حَتَّى نَزَلُوا بِذَنْبِ نَقْمَى إِلَى جَانِبِ أُحُدٍ.

وخرج رسول الله ص عليه والمسلمون، حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع، في ثلاثة آلاف من المسلمين، ف ضرب هنالك عسكره، وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام وخرج عدو الله حيي بن أخطب،

حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، كان قد وادع رسول الله ص على قومه، وعاهده على ذلك وعاقده، فلما سمع كعب يحيي بن أخطب، أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له، فناداه حيي: يا كعب، افتح لي، قال: ويحك يا حيي! إنك امرؤ مشؤم، إني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاءً وصدقاً قال: ويحك! افتح لي أكلهمك، قال: ما أنا بفاعل، قال: والله إن أغلقت دوبي إلا على جشيتك أن أكل معك منها، فأحفظ الرجل، ففتح له، فقال: ويحك يا كعب! جئتك بعز الدهر وبجر طام، جئتك بقريش على قادتها وسادتها، حتى أنزلتهم بمجتمع الاسيال من رومه، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقي إلى جانب أحد، قد عاهدوني وعاهدوني ألا يرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه فقال له كعب بن أسد: جئتني والله بذل الدهر! بجهام قد هراق ماءه يرعد ويرق، ليس فيه شيء! ويحك فدعني ومحمداً وما أنا عليه، فلم أر من محمداً إلا صدقاً ووفاءً! فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب، حتى سمح له، على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً: لئن رجعت قریش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك فنقض كعب بن أسد عهده، وبريء مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله ص.

فلما انتهى إلى رسول الله ص الخبر وإلى المسلمين، بعث رسول الله ص سعد بن معاذ بن النعمان بن أمريئ القيس أحد بني عبد الأشهل - وهو يومئذ سيد الأوس - وسعد بن عباد بن دليم، أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج - وهو يومئذ سيد الخزرج - ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بلحارث بن الخزرج، وخوات بن جبير، أخو بني عمرو بن عوف، فقال: انطلقوا حتى تنظروا: أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً فالحنوا لي لحنا نعرفه، ولا تفتوا في أعضاء الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس.

فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، ونالوا من رسول الله ص، وقالوا: لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد. فشاتمهم سعد بن عباد وشاتموه، وكان رجلاً فيه حد، فقال له سعد ابن معاذ: دع عنك مشاتمهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة. ثم أقبل سعد وسعد ومن معه إلى رسول الله ص فسلموا عليه، ثم قالوا: عضل والقارة أي كعذر عضل والقارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الرجيع، خبيب بن عدي وأصحابه [فقال رسول الله ص: الله أكبر! أبشروا يا معشر المسلمين،] وعظم عند ذلك البلاء، واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال معتب ابن قشير، أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقیصر، وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط! وحتى قال أوس بن قيثي، أحد بني حارثة بن الحارث: يا رسول الله، إن بيوتنا لعورة من العدو - وذلك عن ملا من رجال قومه - فاذن لنا فلنرجع إلى دارنا، فإنها خارجة من المدينة.

فأقام رسول الله ص، وأقام المشركون عليه بضعا وعشرين ليلة، قريباً من شهر، ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالنبل والحصار. فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله ص - كما حدثنا ابن حميد، قال: حدثني محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة وعن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري - إلى

عَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ، وَإِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَوْفٍ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ الْمُرِّيِّ - وَهُمَا قَائِدَا غَطَفَانَ - فَأَعْطَاهُمَا ثَلَاثَ ثَمَارِ الْمَدِينَةِ، عَلَى أَنْ يَرْجِعَا بِمَنْ مَعَهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص وَأَصْحَابِهِ، جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمُ الصُّلْحُ، حَتَّى كَتَبُوا الْكِتَابَ، وَلَمْ تَقَعْ الشَّهَادَةُ وَلَا عَزِيمَةُ الصُّلْحِ إِلَّا الْمُرَاوَضَةُ فِي ذَلِكَ، فَفَعَلَا، فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَنْ يَفْعَلَ، بَعَثَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمَا، وَاسْتَشَارَهُمَا فِيهِ فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْرٌ نُحِبُّهُ فَنَصْنَعُهُ، أَمْ شَيْءٌ أَمَرَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ، لَا بُدَّ لَنَا مِنْ عَمَلٍ بِهِ، أَمْ شَيْءٌ تَصْنَعُهُ لَنَا؟ قَالَ: لَا، بَلْ لَكُمْ، وَاللَّهِ مَا أَصْنَعُ ذَلِكَ إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَكَالِبُوكُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ شَوْكَتَهُمْ لِأَمْرِ مَا سَاعَةً فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ كُنَّا نَحْنُ وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَى شِرْكٍ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَلَا نَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا نَعْرِفُهُ، وَهُمْ لَا يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنَّا تَمْرَةً إِلَّا قَرَى أَوْ يَبِيعَا، أَخِينَا أَرْكَمَنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَهَدَانَا لَهُ، وَأَعَزَّنَا بِكَ، نُعْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا مَا لَنَا بِهِذَا مِنْ حَاجَةٍ، وَاللَّهِ لَا نُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: فَأَنْتَ وَذَاكَ! فَتَنَاولَ سَعْدُ الصَّحِيفَةَ، فَحَا مَا فِيهَا مِنَ الْكِتَابِ، ثُمَّ قَالَ: لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا.

فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَالْمُسْلِمُونَ وَعَدُوَّهُمْ مُحَاصِرُهُمْ، لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ إِلَّا أَنَّ فَوَارِسَ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدِّ بْنِ أَبِي قَيْسٍ، أَخُو بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَعِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَهَيْبَةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ الْمَخْزُومِيَّانِ، وَنَوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ بْنِ مِرْدَاسٍ، أَخُو بَنِي مُحَارِبِ بْنِ فِهْرٍ، قَدْ تَلَبَّسُوا لِلْقِتَالِ، وَخَرَجُوا عَلَى خِيَلِهِمْ، وَمَرُّوا عَلَى بَنِي كِنَانَةَ، فَقَالُوا: تَهَيَّئُوا يَا بَنِي كِنَانَةَ لِلْحَرْبِ، فَسَتَعْلَمُونَ الْيَوْمَ

مَنْ الْفَرَسَانُ! ثُمَّ أَقْبَلُوا نَحْوَ الْخَنْدَقِ، حَتَّى وَقَفُوا عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: وَاللَّهِ إِنْ هَذِهِ لَمَكِيدَةٌ مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَكِيدُهَا، ثُمَّ تَيَمَّمُوا مَكَانًا مِنَ الْخَنْدَقِ ضَيْقًا، فَضَرَبُوا خِيُولَهُمْ، فَاقْتَحَمَتْ مِنْهُ، فَجَالَتْ بِهِمْ فِي السَّبْخَةِ بَيْنَ الْخَنْدَقِ وَسَلْعٍ، وَخَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى أَخَذَ عَلَيْهِمُ الثَّغْرَةَ الَّتِي أَقْحَمُوا مِنْهَا خِيَلَهُمْ، وَأَقْبَلَتِ الْفَرَسَانُ تَعْنُقُ نَحْوَهُمْ وَقَدْ كَانَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدِّ قَاتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ، حَتَّى أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ، فَلَمْ يَشْهَدْ أَحَدًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ خَرَجَ مُعَلِّمًا لِيَرَى مَكَانَهُ، فَلَمَّا وَقَفَ هُوَ وَخِيَلُهُ، [قَالَ لَهُ عَلِيٌّ: يَا عَمْرُو، إِنَّكَ كُنْتَ تَعَاهِدُ اللَّهَ لَا يَدْعُوكَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى خَلَّتَيْنِ إِلَّا أَخَذَتْ مِنْهُ إِحْدَاهُمَا! قَالَ: أَجَلْ! قَالَ لَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي بِذَلِكَ، قَالَ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى النَّزَالِ، قَالَ: وَلَمْ يَأْبِ بَنِي أَخِي، فَوَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ! قَالَ: عَلِيٌّ:

وَلَكِنِّي وَاللَّهِ أُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ قَالَ: فَحُمِيَ عَمْرُو عِنْدَ ذَلِكَ، فَاقْتَحَمَ عَنْ فَرَسِهِ فَعَقَرَهُ - أَوْ ضَرَبَ وَجْهَهُ - ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ، فَتَنَازَلَا وَتَجَاوَلَا، فَقَتَلَهُ عَلَى ع وَخَرَجَتْ خِيَلُهُ مِنْهُزِمَةً، [حَتَّى اقْتَحَمَتْ مِنَ الْخَنْدَقِ هَارِبَةً، وَقُتِلَ مَعَ عَمْرُو رَجُلَانِ: مُنْبَهُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ، أَصَابَهُ سَهْمٌ فَاتَتْ مِنْهُ بِمَكَّةَ، وَمِنْ بَنِي مَخْزُومٍ نَوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَكَانَ اقْتَحَمَ الْخَنْدَقَ فَتَوَرَّطَ فِيهِ، فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ، فَقَالَ:

يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ، قِتْلَةٌ أَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ! فَتَزَلْ إِلَيْهِ عَلِيٌّ فَقَتَلَهُ، فَغَلَبَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى جَسَدِهِ، [فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ص أَنْ يَبِيعَهُمْ جَسَدَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لَا حَاجَةَ لَنَا بِجَسَدِهِ وَلَا ثَمَنِهِ، فَشَانَكُمْ بِهِ نَخْلَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ] .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ

عَنْ أَبِي لَيْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَهْلٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَهْلِ الْأَنْصَارِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي حَارِثَةَ، أَنَّ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ كَانَتْ فِي حِصْنِ بَنِي

حَارِثَةَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، وَكَانَ مِنْ أَحْرَزِ حُصُونِ الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ أُمُّ سَعْدٍ بِنْتُ مُعَاذٍ مَعَهَا فِي الْحِصْنِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْنَا الْحِجَابُ قَالَتْ: فَرَّ سَعْدٌ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ مَقْلَصَةٌ، قَدْ خَرَجَتْ مِنْهَا ذِرَاعُهُ كُلُّهَا، وَفِي يَدِهِ حَرْبَتُهُ يَرْقُدُ بِهَا وَيَقُولُ:

لَيْتَ قَلِيلًا يُشْهِدُ الْهَيْجَا حَمْلَ لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ قَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: الْحَقُّ يَا بُنَيَّ، فَقَدْ وَاللَّهِ أَنْخَرْتَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّ سَعْدٍ، وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ دِرْعَ سَعْدٍ كَانَتْ أَسْبَغَ مِمَّا هِيَ! قَالَتْ: وَخِفْتُ عَلَيْهِ حَيْثُ أَصَابَ السَّهْمُ مِنْهُ. قَالَتْ: فَرُمِيَ سَعْدٌ بِنُ مُعَاذٍ بِسَهْمٍ، فَقَطَعَ مِنْهُ الْأَكْحَلُ، رَمَاهُ- فَبِمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ- حِبَّانُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الْعَرِقَةِ أَحَدُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، فَلَمَّا أَصَابَهُ قَالَ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْعَرِقَةِ، فَقَالَ سَعْدٌ: عَرَّقَ اللَّهُ وَجْهَكَ فِي النَّارِ! اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ أَبْقَيْتُ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فَأَبْقَيْتُ لَهَا فَإِنَّهُ لَا قَوْمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَجَاهِدَهُمْ مِنْ قَوْمٍ آذَوْا رَسُولَكَ، وَكَذَّبُوهُ وَأَخْرَجُوهُ اللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْعَلْهُ لِي شَهَادَةً وَلَا تُؤْتِنِي حَتَّى تُقَرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ. حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: خَرَجَتْ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَقْفُو آثَارِ النَّاسِ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُمُتُّ إِذْ سَمِعْتُ وَبَيْدَ.

الْأَرْضِ خَلْفِي- تَعْنِي حِسَّ الْأَرْضِ- فَالْتَفَتْتُ فَإِذَا أَنَا بِسَعْدٍ، جَلَسْتُ إِلَى الْأَرْضِ، وَمَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ الْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ- شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص، حَدَّثَنَا بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو- يَجْلِسُ مَجْنَهُ، وَعَلَى سَعْدٍ دِرْعٌ مِنْ حَدِيدٍ قَدْ خَرَجَتْ أَطْرَافُهُ مِنْهَا قَالَتْ: وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ وَأَطْوَلَهُمْ.

قَالَتْ: فَأَنَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أَطْرَافِ سَعْدٍ، فَرَمِي يَرْتَجِزُ، وَيَقُولُ: لَيْتَ قَلِيلًا يَدْرِكُ الْهَيْجَا حَمْلَ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ! قَالَتْ: فَلَمَّا جَاوَزَنِي قُتُّ فَاقْتَحَمْتُ حَدِيقَةً فِيهَا نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَفِيهِمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ تَسْبِغَةٌ لَهُ- قَالَ مُحَمَّدٌ: وَالتَّسْبِغَةُ الْمَغْفَرُ- لَا تَرَى إِلَّا عَيْنَاهُ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّكَ لَجَرِيئَةٌ، مَا جَاءَ بِكَ؟ مَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَكُونُ تَحَوُّزٌ أَوْ بَلَاءٌ! فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يُلَوِّمُنِي حَتَّى وَدِدْتُ أَنْ الْأَرْضُ تَنْشَقُّ لِي فَأَدْخُلَ فِيهَا، فَكَشَفَ الرَّجُلُ التَّسْبِغَةَ عَنْ وَجْهِهِ، فَإِذَا هُوَ طَلْحَةُ، فَقَالَ: إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ، أَيْنَ الْفِرَارُ، وَأَيْنَ التَّحَوُّزُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ! قَالَتْ: فَرُمِيَ سَعْدٌ يَوْمَئِذٍ بِسَهْمٍ، رَمَاهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْعَرِقَةِ، فَقَالَ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْعَرِقَةِ، فَقَالَ سَعْدٌ: عَرَّقَ اللَّهُ وَجْهَكَ فِي النَّارِ! فَأَصَابَ الْأَكْحَلُ مِنْهُ فَقَطَعَهُ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو: زَعَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَنْقَطِعْ مِنْ أَحَدٍ قَطُّ إِلَّا لَمْ يَزَلْ يَبِضُّ دَمًا حَتَّى يَمُوتَ فَقَالَ سَعْدٌ: اللَّهُمَّ لَا تُؤْتِنِي حَتَّى تُقَرَّ عَيْنِي فِي بَنِي قُرَيْظَةَ! وَكَانُوا حُلَفَاءَهُ وَمَوَالِيَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَمَّنْ لَا يَتَبَعُهُ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: مَا أَصَابَ سَعْدًا يَوْمَئِذٍ بِالسَّهْمِ إِلَّا أَبُو أُسَامَةَ الْجَشْمِيُّ حَلِيفُ بَنِي مَخْزُومٍ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ! حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبَّادٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ عَبَّادٍ، قَالَ: كَانَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ فِي فَارِعِ حِصْنِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ قَالَتْ:

وَكَانَ حَسَّانٌ مَعَنَا فِيهِ مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ قَالَتْ صَفِيَّةٌ: فَرَرْنَا بِرَجُلٍ مِنْ يَهُودَ، فَجَعَلَ يُطِيفُ بِالْحِصْنِ، وَقَدْ حَارَبَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ وَقَطَعَتْ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ص، لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَحَدٌ يَدْفَعُ عَنْنَا، وَرَسُولُ اللَّهِ ص وَالْمُسْلِمُونَ فِي نُحُورِ عَدُوِّهِمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَنْصَرَفُوا إِلَيْنَا عَنْهُمْ إِنْ أَنَا آتٍ قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا حَسَّانُ، إِنَّ هَذَا الْيَهُودِيَّ كَمَا تَرَى، يُطِيفُ بِالْحِصْنِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَمَنُهُ أَنْ يَدُلَّ عَلَى عَوْرَاتِنَا مَنْ

وَرَأَيْنَا مِنْ يَهُودٍ، وَقَدْ شُغِلَ عَنَّا رَسُولُ اللَّهِ ص وَأَصْحَابُهُ، فَانْزَلَ إِلَيْهِ فَأَقْبَلَهُ فَقَالَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ مَا أَنَا بِصَاحِبِ هَذَا! قَالَتْ: فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ لِي، وَلَمْ أَرْ عِنْدَهُ شَيْئًا احْتَجَزْتُ، ثُمَّ أَخَذْتُ عَمُودًا، ثُمَّ نَزَلْتُ مِنَ الْحِصْنِ إِلَيْهِ فَضَرَبْتُهُ بِالْعَمُودِ حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا فَرَّغْتُ مِنْهُ رَجَعْتُ إِلَى الْحِصْنِ، فَقُلْتُ:

يَا حَسَّانُ، انْزِلْ إِلَيْهِ فَاسْلُبْهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي مِنْ سَلْبِهِ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلٌ، قَالَ:

مَا لِي بِسَلْبِهِ مِنْ حَاجَةٍ يَا بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَأَصْحَابُهُ،

فِيمَا وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْخَوْفِ وَالشَّدَةِ، لِتَظَاهِرِ عَدُوَّهُمْ عَلَيْهِمْ، وَإِتْيَانِهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلِ مِنْهُمْ.

ثُمَّ إِنَّ نَعِيمَ بْنَ مَسْعُودٍ بْنَ عَامِرٍ بْنَ أُنَيْفٍ بْنَ ثَعْلَبَةَ بْنَ قَنْدِزِ بْنِ هَلَالِ بْنِ خَلَافَةَ بْنَ أَشْجَعِ بْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَفَانَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ص، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، وَإِنَّ قَوْمِي لَمْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي، فَرْنِي بِمَا شِئْتَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص: إِنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، نَحْدِلُ عَنَّا إِنْ اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ.

فَخَرَجَ نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَتَى بَنِي قُرَيْظَةَ- وَكَانَ لَهُمْ نَدِيمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ- فَقَالَ لَهُمْ: يَا بَنِي قُرَيْظَةَ، قَدْ عَرَفْتُمْ وُدِّي إِيَّاكُمْ، وَخَاصَّةً مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، قَالُوا: صَدَقْتَ، لَسْتَ عِنْدَنَا بِمَتِّهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ قَدْ جَاءُوا لِلْحَرْبِ مُحَمَّدًا، وَقَدْ ظَاهَرْتَهُمْ عَلَيْهِ، وَإِنَّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ لَيَسُوءَا كَهَيْئَتِكُمْ، الْبَلَدُ بَلَدُكُمْ، بِهِ أَمْوَالُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ، لَا تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تَحْوِلُوا مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَإِنَّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ أَمْوَالَهُمْ وَأَبْنَاؤَهُمْ وَنِسَاؤَهُمْ وَبِلَدَهُمْ بِغَيْرِهِ، فَلَيَسُوءَا كَهَيْئَتِكُمْ، إِنْ رَأَوْا نَهْزَةً وَغَنِيمَةً أَصَابُوهَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ لَحِقُوا بِبِلَادِهِمْ، وَخَلَوْا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الرَّجُلِ بِبَلَدِكُمْ، وَلَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهِ إِنْ خَلَا بِكُمْ، فَلَا تُقَاتِلُوا مَعَ الْقَوْمِ حَتَّى تَأْخُذُوا مِنْهُمْ رَهْنًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ يَكُونُونَ بِأَيْدِيكُمْ، ثَقَّةً لَكُمْ عَلَى أَنْ يُقَاتِلُوا مَعَكُمْ مُحَمَّدًا، حَتَّى تَنَاجِزُوهُ، فَقَالُوا: لَقَدْ أَشْرَتْ بِرَأْيِي وَنُصِجْتُ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا، فَقَالَ لِأَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، قَدْ عَرَفْتُمْ وُدِّي إِيَّاكُمْ، وَفِرَاقِي مُحَمَّدًا، وَقَدْ بَلَغَنِي أَمْرٌ رَأَيْتُ حَقًّا عَلَى أَنْ أُبَلِّغُكُمْوه نَصْحًا لَكُمْ، فَاسْكُتُوا عَلَيَّ قَالُوا: نَفْعَلُ، قَالَ: فَاعْلَمُوا أَنَّ مَعْشَرَ يَهُودٍ قَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَقَدْ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ أَنْ قَدْ نَدِمْنَا عَلَى مَا فَعَلْنَا، فَهَلْ يُرْضِيكَ عَنَّا أَنْ نَأْخُذَ مِنَ الْقَبِيلَتَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ رِجَالًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَنُعْطِيكَهُمْ، فَتَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، ثُمَّ نَكُونُ مَعَكَ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ؟ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَنْ نَعَمْ، فَإِنْ بَعَثْتَ إِلَيْكُمُ يَهُودَ يَلْتَمِسُونَ مِنْكُمْ رَهْنًا مِنْ رِجَالِكُمْ، فَلَا تَدْفَعُوا إِلَيْهِمْ مِنْكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى غَطَفَانَ، فَقَالَ:

يَا مَعْشَرَ غَطَفَانَ، أَنْتُمْ أَصْلِي وَعَشِيرَتِي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَا أَرَاكُمْ تَهْمُونَنِي! قَالُوا: صَدَقْتَ، قَالَ: فَاسْكُتُوا عَلَيَّ، قَالُوا: نَفْعَلُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ لِقُرَيْشٍ، وَحَذَرَهُمْ مَا حَذَرَهُمْ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ السَّبْتِ فِي شَوَالٍ سَنَةِ خَمْسٍ، وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ أَنْ أَرْسَلَ أَبُو سَفْيَانَ وَرُءُوسُ غَطَفَانَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ عِكْرَمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ، فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ، فَقَالُوا لَهُمْ:

إِنَّا لَسْنَا بِدَارٍ مُقَامٍ، قَدْ هَلَكَ الْخُفُّ وَالْخَافِرُ، فَاغْدُوا لِلْقِتَالِ حَتَّى تَنَاجِزَ مُحَمَّدًا وَنَفْرُغَ مِمَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ أَنَّ الْيَوْمَ السَّبْتُ، وَهُوَ يَوْمٌ لَا نَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا، وَقَدْ كَانَ أَحْدَثَ فِيهِ بَعْضُنَا حَدَثًا فَأَصَابَهُ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكُمْ، وَلَسْنَا مَعَ ذَلِكَ بِالَّذِينَ نُقَاتِلُ مَعَكُمْ حَتَّى تُعْطُونَا رَهْنًا مِنْ رِجَالِكُمْ، يَكُونُونَ بِأَيْدِينَا ثَقَّةً لَنَا، حَتَّى تَنَاجِزَ مُحَمَّدًا، فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ ضَرَسْتُمْ الْحَرْبَ، وَاشْتَدَّ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ، أَنْ تُشْمِرُوا إِلَى بِلَادِكُمْ وَتَتْرَكُونَا وَالرَّجُلُ فِي بِلَدِنَا، وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِذَلِكَ مِنْ مُحَمَّدٍ فَلَمَّا رَجَعَتْ إِلَيْهِمُ الرُّسُلُ بِالَّذِي قَالَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ، قَالَتْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ: تَعْلَمُونَ وَاللَّهِ أَنَّ الَّذِي حَدَّثَكُمْ نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ لَحَقَّ فَأَرْسَلُوا إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ: إِنَّا وَاللَّهِ لَا نَدْفَعُ إِلَيْكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا مِنْ رِجَالِنَا، فَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْقِتَالَ فَارْجُوا فَاقَاتِلُوا، فَقَالَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ حِينَ انْتَهَتْ الرُّسُلُ إِلَيْهِمْ بِهَذَا: إِنَّ الَّذِي ذَكَرَ لَكُمْ نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ لَحَقَّ، مَا يُرِيدُ الْقَوْمُ

إِلَّا أَنْ يُقَاتِلُوا، فَإِنْ وَجَدُوا فُرْصَةً انْتَهَزُوهَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ تَشَمَّرُوا إِلَى بِلَادِهِمْ، وَخَلُّوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الرَّجُلِ فِي بِلَادِكُمْ فَأَرْسَلُوا إِلَى قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ: إِنَّا وَاللَّهِ لَا نُقَاتِلُ مَعَكُمْ حَتَّى تُعْطُونَا رَهْنًا، فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ، وَخَذَلَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ، وَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ فِي لَيْالٍ شَاتِيَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ، فَجَعَلَتْ تَكْفَأُ قُدُورَهُمْ، وَتَطْرَحُ أَبْنِيَتُهُمْ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص مَا اخْتَلَفَ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَمَا فَرَّقَ اللَّهُ مِنْ جَمَاعَتِهِمْ، دَعَا حَذِيفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، فَبَعَثَهُ إِلَيْهِمْ لِيَنْظُرَ مَا فَعَلَ الْقَوْمُ لَيْلًا.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، قَالَ: قَالَ فُتَيْ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لِحَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، رَأَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ وَصَحْبَتَهُ! قَالَ: نَعَمْ يَا بَنَ أَخِي، قَالَ: فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ كُنَّا نَجْهَدُ، فَقَالَ الْفُتَيْ: وَاللَّهِ لَوْ أَدْرَكَا مَا تَرَكَاهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ، وَلَحْمَنَاهُ عَلَى أَعْنَاقِنَا فَقَالَ حَذِيفَةُ: يَا بَنَ أَخِي، وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص بِالْخَنْدَقِ، وَصَلَّى هَوِيًّا مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ- يَشْرُطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّهُ يَرْجِعُ- أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ؟ فَمَا قَامَ رَجُلٌ ثُمَّ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ص هَوِيًّا مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ مِثْلَهُ، فَمَا قَامَ مِنْ رَجُلٍ، ثُمَّ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ص هَوِيًّا مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْنَا، [فَقَالَ:

مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ- يَشْرُطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ الرَّجْعَةَ- أَسْأَلَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟ فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَشِدَّةِ الْجُوعِ وَشِدَّةِ الْبَرْدِ فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ص فَلَمْ يَكُنْ لِي بَدْ مِنْ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي فَقَالَ: يَا حَذِيفَةُ، أَذْهَبَ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ فَانْظُرْ مَا يَفْعَلُونَ، وَلَا تُحَدِّثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِينَا،] قَالَ: فَذَهَبْتُ فَدَخَلْتُ فِي الْقَوْمِ وَالرِّيحُ وَجُنُودُ اللَّهِ تَفْعَلُ بِهِمْ مَا تَفْعَلُ، لَا تُقِرُّ لَهُمْ قَدْرًا وَلَا نَارًا وَلَا بِنَاءً فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لِيَنْظُرَ أَمْرُؤُ جَلِيسَهُ، قَالَ: فَأَخَذْتُ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ إِلَى جَنْبِي، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا فُلَانٌ بْنُ فُلَانٍ ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارٍ مُقَامٍ، لَقَدْ هَلَكَ الْكُرَاعُ وَالْخُفُّ، وَأَخْلَفْتَنَا بَنُو قُرَيْظَةَ وَبَلَّغْنَا عَنْهُمْ الَّذِي نَكْرَهُ، وَلَقِينَا مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ، وَاللَّهِ مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قَدْرٌ، وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ، وَلَا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ، فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ.

ثُمَّ قَامَ إِلَى جَمَلِهِ وَهُوَ مَعْقُولٌ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ ضَرَبَهُ فَوْثَبَ بِهِ عَلَى ثَلَاثٍ، فَمَا أَطْلَقَ عِقَالَهُ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ، وَلَوْلَا عَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ ص إِلَى الْإِسْلَامِ لَقَاتَلْتُهُ بِسَهْمٍ قَالَ حَذِيفَةُ:

غزوه بنى قريظة

فَرَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مِرْطٍ لِبَعْضِ نِسَائِهِ مَرْحَلٍ، فَلَمَّا رَأَى أَدْخَلَنِي بَيْنَ رَجُلَيْهِ وَطَرَحَ عَلَيَّ طَرَفَ الْمِرْطِ ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ، فَأَذَلَّتُهُ فَلَمَّا سَلَّمَ أَخْبَرْتُهُ الْخَبْرَ، وَسَمِعْتُ غَطَفَانَ بِمَا فَعَلَتْ قُرَيْشٌ، فَانْتَشَمَرُوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، قَالَ: قَالَ فُتَيْ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لِحَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، رَأَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ وَصَحْبَتَهُ! قَالَ: نَعَمْ يَا بَنَ أَخِي، قَالَ: فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ كُنَّا نَجْهَدُ، فَقَالَ الْفُتَيْ: وَاللَّهِ لَوْ أَدْرَكَا مَا تَرَكَاهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ، وَلَحْمَنَاهُ عَلَى أَعْنَاقِنَا فَقَالَ حَذِيفَةُ: يَا بَنَ أَخِي، وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص بِالْخَنْدَقِ، وَصَلَّى هَوِيًّا مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ- يَشْرُطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّهُ يَرْجِعُ- أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ؟ فَمَا قَامَ رَجُلٌ ثُمَّ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ص هَوِيًّا مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ مِثْلَهُ، فَمَا قَامَ مِنْ رَجُلٍ، ثُمَّ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ص هَوِيًّا مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْنَا، [فَقَالَ:

مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ- يَشْرُطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ الرَّجْعَةَ- أَسْأَلَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟ فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَشِدَّةِ الْجُوعِ وَشِدَّةِ الْبَرْدِ فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ص فَلَمْ يَكُنْ لِي بَدْ مِنْ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي فَقَالَ: يَا حَذِيفَةُ، أَذْهَبَ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ فَانْظُرْ مَا يَفْعَلُونَ، وَلَا تُحَدِّثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِينَا،] قَالَ: فَذَهَبْتُ فَدَخَلْتُ فِي الْقَوْمِ وَالرِّيحُ وَجُنُودُ اللَّهِ تَفْعَلُ بِهِمْ مَا تَفْعَلُ، لَا تُقِرُّ لَهُمْ قَدْرًا وَلَا نَارًا وَلَا بِنَاءً فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لِيَنْظُرَ أَمْرُؤُ جَلِيسَهُ، قَالَ: فَأَخَذْتُ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ إِلَى جَنْبِي، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا فُلَانٌ بْنُ فُلَانٍ ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارٍ مُقَامٍ، لَقَدْ هَلَكَ الْكُرَاعُ وَالْخُفُّ، وَأَخْلَفْتَنَا بَنُو قُرَيْظَةَ وَبَلَّغْنَا عَنْهُمْ الَّذِي نَكْرَهُ، وَلَقِينَا مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ، وَاللَّهِ مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قَدْرٌ، وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ، وَلَا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ، فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ.

ثُمَّ قَامَ إِلَى جَمَلِهِ وَهُوَ مَعْقُولٌ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ ضَرَبَهُ فَوْثَبَ بِهِ عَلَى ثَلَاثٍ، فَمَا أَطْلَقَ عِقَالَهُ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ، وَلَوْلَا عَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ ص إِلَى الْإِسْلَامِ لَقَاتَلْتُهُ بِسَهْمٍ قَالَ حَذِيفَةُ:

وَأَنَا عَامِدٌ إِلَى بَنِي قَرِظَةَ.

[فامر رسول الله ص مُنَادِيًا، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ: إِنَّ مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطِيعًا فَلَا يُصَلِّينَ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قَرِظَةَ]
وقدم رسول الله ص علي بن أبي طالب بَرايته إلى بني قَرِظَةَ، وَابْتَدَرَهَا النَّاسُ، فَسَارَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ع، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ الْحُصُونِ، سَمِعَ مِنْهَا مَقَالَهُ قَبِيحَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ص مِنْهُمْ، فَرَجَعَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ص بِالطَّرِيقِ، فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا عَلَيْكَ أَلَا تَدْنُو مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَخَابِثِ! قَالَ: لَمْ؟

أَظْنُكَ سَمِعْتَ لِي مِنْهُمْ أَذَى! قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ قَدْ رَأَوْنِي لَمْ يَقُولُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا [فلما دنا رسول الله ص من حُصُونِهِمْ، قَالَ: يَا إِخْوَانُ الْقَرْدَةِ، هَلْ أَخْرَاكُمْ اللَّهُ، وَأَنْزَلَ بِكُمْ نِقْمَتَهُ!] قَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، مَا كُنْتَ جَهُولًا وَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ص عَلَى أَصْحَابِهِ بِالصُّورَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى بَنِي قَرِظَةَ، فَقَالَ: هَلْ مَرَّ بِكُمْ أَحَدٌ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ مَرَّ بِنَا دِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ، عَلَى بَغْلَةٍ بَيْضَاءَ، عَلَيْهَا رَحَالُهُ عَلَيْهَا قَطِيفَةُ دِيبَاجٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: ذَلِكَ جَبْرِيلُ، بُعِثَ إِلَى بَنِي قَرِظَةَ يُزَلِّلُ بِهِمْ حُصُونَهُمْ، وَيَقْدِفُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ فَلَمَّا اتَى رَسُولُ اللَّهِ ص بَنِي قَرِظَةَ، نَزَلَ عَلَى بَيْتٍ مِنْ أَبَارِهَا فِي نَاحِيَةٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، يُقَالُ لَهَا بَيْتُ أَنَا، فَلَا حَقَّ بِهِ النَّاسُ، فَاتَاهُ رِجَالٌ مِنْ بَعْدِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَمْ يَصَلُّوا الْعَصْرَ، [لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ص: لَا يُصَلِّينَ أَحَدُ الْعَصْرِ] إِلَّا فِي بَنِي قَرِظَةَ، لِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْهُ بَدٌّ مِنْ حَرِّهِمْ، وَأَبَوْا أَنْ يَصَلُّوا، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ص:

حَتَّى تَأْتُوا بَنِي قَرِظَةَ، فَصَلُّوا الْعَصْرَ بِهَا بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ فَمَا عَابَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ، وَلَا عَنَفَهُمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ص وَالْحَدِيثُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مَعْبَدِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَلَى سَعْدِ قُبَّةً فِي الْمَسْجِدِ، وَوَضَعَ السَّلَاحَ-- يَعْنِي عِنْدَ مَنْصَرَفِ رَسُولِ اللَّهِ ص مِنَ الْخَنْدَقِ- وَوَضَعَ الْمُسْلِمُونَ السَّلَاحَ، فَجَاءَهُ جَبْرِيلُ ع، فَقَالَ: أَوْضَعْتُمُ السَّلَاحَ! فَوَاللَّهِ مَا وَضَعَتِ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ السَّلَاحِ، أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَاتَلَهُمْ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ص بِالْأَمْتِ فَلَبِسَهَا، ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ، فَرَّ بَنِي غَنَمٍ، فَقَالَ: مَنْ مَرَّ بِكُمْ؟ قَالُوا: مَرَّ عَلَيْنَا دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ-- وَكَانَ يُشَبِّهُ سُنَّتَهُ وَلِحْيَتَهُ وَوَجْهَهُ بِجَبْرِيلَ ع- حَتَّى نَزَلَ عَلَيْهِمْ، وَسَعَدَ فِي قُبَّتِهِ الَّتِي ضَرَبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي الْمَسْجِدِ، فَحَاصَرَهُمْ شَهْرًا- أَوْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً- فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْحِصَارُ قِيلَ لَهُمْ: انْزِلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ، فَأَشَارَ أَبُو لُبَابَةَ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ إِنَّهُ الذَّبْحُ، فَقَالُوا: نَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص:

انْزِلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَتَزَلُّوا، فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ص بِجَمَارٍ بِإِكَافٍ مِنْ لَيْفٍ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ قَالَتْ عَائِشَةُ: لَقَدْ كَانَ بَرًّا كَلَّهُ حَتَّى مَا يَرَى مِنْهُ إِلَّا مِثْلُ الْخَرَصِ.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، حَتَّى جَهَدَهُمُ الْحِصَارُ، وَقَذَفَ * اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ*- وَقَدْ كَانَ حَيٌّ بْنُ أَخْطَبَ دَخَلَ عَلَى بَنِي قَرِظَةَ فِي حِصْنِهِمْ حِينَ رَجَعَتْ عَنْهُمْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ، وَفَاءً لِكَعْبِ بْنِ أَسَدٍ بِمَا كَانَ عَاهَدَهُ عَلَيْهِ- فَلَمَّا أَتَقَنُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص غَيْرُ مَنْصَرِفٍ عَنْهُمْ حَتَّى يَنَاجِزَهُمْ، قَالَ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ لَهُمْ:

يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ مِنَ الْأَمْرِ مَا تَرَوْنَ، وَإِنِّي عَارِضُ

عَلَيْكُمْ خِلَالًا ثَلَاثًا نَخْذُوا أَيَّهَا شِئْتُمْ! قَالُوا: وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: تَتَابَعُ هَذَا الرَّجُلُ وَنَصَدَقَهُ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ تَبَيَّنَ لَكُمْ أَنَّهُ لَنَبِيِّ مُرْسَلٍ، وَإِنَّهُ لَلَّذِي كُنْتُمْ تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ، فَتَأْمَنُوا عَلَى دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ وَنِسَائِكُمْ، قَالُوا: لَا نَفَارِقُ حُكْمَ التَّوْرَةِ أَبَدًا، وَلَا نَسْتَبْدِلُ بِهِ غَيْرَهُ

قال: فإذ أَيْتَمَ هَذِهِ عَلَيَّ فَهَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا، ثُمَّ نَخْرُجْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ رِجَالًا مُصَلِّتِينَ السُّيُوفَ، وَلَمْ تَتْرُكْ وَرَاءَنَا ثِقْلًا يَهْمُنَا، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، فَإِنْ نَهَكَ نَهَكَ وَلَمْ تَتْرُكْ وَرَاءَنَا شَيْئًا نُحْشِي عَلَيْهِ، وَإِنْ نَظَهَرَ فَلَعَمْرِي لَنَجِدَنَّ النِّسَاءَ وَالْأَبْنَاءَ قَالُوا: نَقْتُلُ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينَ، فَمَا خَيْرُ الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ! قَالَ: فإذ أَيْتَمَ هَذِهِ عَلَيَّ فَإِنَّ اللَّيْلَةَ لَيْلَةُ السَّبْتِ، وَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ قَدْ أَمِنُوا فِيهَا، فَانْزِلُوا لَعَلَّنَا نَصِيبُ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ غَرَهُ قَالُوا: نَفْسِدُ سَبْتَنَا، وَنُحْدِثُ فِيهِ مَا لَمْ يَكُنْ أَحْدَثَ فِيهِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، إِلَّا مَنْ قَدْ عَلِمَتْ فَأَصَابَهُ مِنَ الْمَسْخِ مَا لَمْ يَخَفْ عَلَيْكَ.

قَالَ: مَا بَاتَ رَجُلٌ مِنْكُمْ مِنْذُ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ لَيْلَةً وَاحِدَةً مِنَ الدَّهْرِ حَازِمًا.

قَالَ: ثُمَّ انْهَمُ بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص: أَنْ ابْعَثْ إِلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ، أَخَا بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ - وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْأَوْسِ - نَسْتَشِيرُهُ فِي أَمْرِنَا، فَأَرْسَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَيْهِمْ فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامَ إِلَيْهِ الرَّجَالُ، وَهَشَّ إِلَيْهِ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ يَكُونُ فِي وَجْهِهِ، فَرَقَّ لَهُمْ وَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا لُبَابَةَ، أَتَرَى أَنْ نَنْزِلَ عَلَى حُكْمِ مُحَمَّدٍ! قَالَ: نَعَمْ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ: إِنَّهُ الذَّبْحُ، قَالَ أَبُو لُبَابَةَ: فَوَاللَّهِ مَا زَالَتْ قَدَمَايَ حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّي خُنْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

ثُمَّ انْطَلَقَ أَبُو لُبَابَةَ عَلَى وَجْهِهِ، وَلَمْ يَأْتِ رَسُولَ اللَّهِ ص

حَتَّى ارْتَبَطَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَى عُمُودٍ مِنْ عُمُدِهِ، وَقَالَ: لَا أَبْرَحُ مَكَانِي هَذَا حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيَّ مَا صَنَعْتُ، وَعَاهِدَ اللَّهُ الْإِيطَاءَ بَنِي قُرَيْظَةَ أَبَدًا.

وَقَالَ: لَا يَرَانِي اللَّهُ فِي بَلَدٍ خُنْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيهِ أَبَدًا فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ص خَبْرَهُ، وَأَبْطَأَ عَلَيْهِ - وَكَانَ قَدْ اسْتَبْطَأَهُ - [قَالَ:

أَمَا لَوْ جَاءَنِي لَأَسْتَغْفِرْتُ لَهُ، فَمَا إِذْ فَعَلَ مَا فَعَلَ، فَمَا أَنَا بِالَّذِي أُطْلِقُهُ مِنْ مَكَانِهِ حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ] حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُسَيْطٍ، أَنَّ تَوْبَةَ أَبِي لُبَابَةَ انْزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص: وَهُوَ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص مِنَ السَّحَرِ يَضْحَكُ فَقُلْتُ: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَضْحَكَكَ اللَّهُ سِنَكَ! قَالَ: تَيْبَ عَلَى أَبِي لُبَابَةَ، فَقُلْتُ: أَلَا أُبَشِّرُهُ بِذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: بَلَى إِنْ شِئْتُ، قَالَ: فَقَامَتْ عَلَى بَابِ حُجْرَتِهَا - وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهِنَ الْحِجَابُ - فَقَالَتْ: يَا أَبَا لُبَابَةَ، أَبَشِّرُ فَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكَ قَالَ: فَتَارَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيُطْلِقُوهُ، فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ حَتَّى يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ص هُوَ الَّذِي يُطْلِقُنِي بِيَدِهِ، فَلَمَّا مَرَّ عَلَيْهِ خَارِجًا إِلَى الصُّبْحِ أُطْلِقَهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ إِنْ ثَعْلَبَةَ بْنُ سَعِيَةَ وَأُسَيْدَ بْنَ سَعِيَةَ، وَاسِدَ ابْنَ عُبَيْدٍ - وَهُمْ نَفَرٌ مِنْ بَنِي هَدَلٍ، لَيْسُوا مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ وَلَا النَّضِيرِ، نَسَبُهُمْ فَوْقَ ذَلِكَ - هُمْ بَنُو عَمِّ الْقَوْمِ أَسْلَمُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا قُرَيْظَةُ عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ص - وَخَرَجَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ عَمْرُو بْنُ

سَعْدَى الْقُرْظَى، فَرَجَسَ رَسُولُ اللَّهِ ص، وَعَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ:

عَمْرُو بْنُ سَعْدَى - وَكَانَ عَمْرُو قَدْ أَبَى أَنْ يَدْخُلَ مَعَ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي غَدْرِهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ص، وَقَالَ: لَا أَغْدِرُ بِمُحَمَّدٍ أَبَدًا - فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ حِينَ عَرَفَهُ: اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي عَثَرَاتِ الْكَرَامِ، ثُمَّ خَلَى سَبِيلَهُ، فَخَرَجَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى بَاتَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ص بِالْمَدِينَةِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ثُمَّ ذَهَبَ فَلَا يَدْرِي أَيْنَ ذَهَبَ مِنْ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا! فَذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص شَأْنَهُ، [فَقَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ نَجَّاهُ اللَّهُ بِوَفَائِهِ] .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَبَعْضُ النَّاسِ يَزْعُمُ أَنَّهُ كَانَ أَوْثَقَ بِرِمَّةٍ فِيمَنْ أَوْثَقَ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ حِينَ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَأَصْبَحَتْ رِمَتُهُ مُلْقَاةً لَا يَدْرِي أَيْنَ ذَهَبَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص فِيهِ تِلْكَ الْمَقَالَةَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فَلَمَّا أَصْبَحُوا نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَتَوَاتَبَتِ الْأَوْسُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ مَوَالِينَا دُونَ الْخَزَرِجِ، وَقَدْ

فَعَلَتْ فِي مَوَالِي الْخَزَرَجِ بِالْأَمْسِ مَا قَدْ عَلِمْتَ - وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَبْلَ بَنِي قُرَيْظَةَ حَاصِرَ بَنِي قَيْنِقَاعَ، وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْخَزَرَجِ، فَتَزَلُّوا عَلَى حُكْمِهِ، فَسَأَلَهُ إِيَّاهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سَلُولُ، فَوَهَبَهُمْ لَهُ فَلَمَّا كَلَّمَهُ الْأَوْسُ [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ؟] قَالُوا: بَلَى، قَالَ:

فَذَلِكَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ - وَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ قَدْ جَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي خِيَمِهِ امْرَأَهُ مِنْ أَسْلَمَ يُقَالُ لَهَا رُفِيدَةٌ فِي مَسْجِدِهِ، كَانَتْ تُدَاوِي الْجَرَحَى، وَتَحْتَسِبُ بِنَفْسِهَا عَلَى خِدْمَةٍ مَنْ كَانَتْ بِهِ ضَيْعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَدْ قَالَ لِقَوْمِهِ حِينَ أَصَابَهُ السَّهْمُ بِالْخَنْدَقِ: اجْعَلُوهُ فِي خِيَمَةِ رُفِيدَةٍ، حَتَّى أَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ - فَلَمَّا

حُكِمَ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، أَتَاهُ قَوْمُهُ، فَاحْتَمَلُوهُ عَلَى حِمَارٍ قَدْ وَطَّئُوا لَهُ بِوَسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ - وَكَانَ رَجُلًا جَسِيمًا - ثُمَّ أَقْبَلُوا مَعَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا أَبَا عَمْرٍو، أَحْسِنْ فِي مَوَالِيكَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص إِنَّمَا وَلَاكَ ذَلِكَ لِتُحْسِنَ فِيهِمْ فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ قَالَ: قَدْ أَنَى لِسَعْدٍ أَلَّا تَأْخُذَهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لِأَنَّهُمْ فَرَجَعَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ إِلَى دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، فَفَعَى لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ عَنْ كَلِمَتِهِ الَّتِي سَمِعَ مِنْهُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَلَمَّا انْتَهَى سَعْدُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَالْمُسْلِمِينَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص - فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عَلْقَمَةَ: فِي حَدِيثٍ ذَكَرَهُ، قَالَ: قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: فَلَمَّا طَلَعَ - يَعْنِي سَعْدًا - [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ - أَوْ قَالَ: إِلَى خَيْرِكُمْ - فَانْزِلُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص:

أَحْكُمُ فِيهِمْ، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ، وَأَنْ تُسَبَى ذَرَارِيُّهُمْ وَأَنْ تُقَسَمَ أَمْوَالُهُمْ فَقَالَ: لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ وَحُكْمِ رَسُولِهِ] .

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ: وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ فَإِنَّهُ قَالَ فِي حَدِيثِهِ: فَلَمَّا انْتَهَى سَعْدُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَالْمُسْلِمُونَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ، فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا:

يَا أَبَا عَمْرٍو، إِنْ رَسُولُ اللَّهِ ص قَدْ وَلَاكَ أَمْرَ مَوَالِيكَ لِتَحْكُمَ فِيهِمْ فَقَالَ سَعْدُ: عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ أَنْ الْحُكْمَ فِيهَا مَا حَكَمْتُ! قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: وَعَلَى مَنْ هَاهُنَا؟ - فِي النَاحِيَةِ الَّتِي فِيهَا رَسُولُ

اللَّهُ ص، وَهُوَ مُعْرَضٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص أَجْلَالًا لَهُ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: نَعَمْ، قَالَ سَعْدُ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ بِأَنْ تُقْتَلَ الرِّجَالُ، وَتُقَسَمَ الْأَمْوَالُ، وَتُسَبَى الذَّرَارِيُّ وَالنِّسَاءُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيِّ، [قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِسَعْدٍ:

لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ] .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ اسْتَنْزَلُوا، فَجَسَمَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي دَارِ ابْنَةِ الْحَارِثِ، امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي النَّجَارِ ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى سُوقِ الْمَدِينَةِ الَّتِي هِيَ سُوقُهَا الْيَوْمَ، فَخَنَدَقَ بِهَا خَنَادِقَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ فَضْرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فِي تِلْكَ الْخَنَادِقِ، يَخْرُجُ بِهِمْ إِلَيْهِ أَرْسَالًا، وَفِيهِمْ عَدُوُّ اللَّهِ حَبِيبُ بْنُ أَخْطَبَ، وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ، رَاسُ الْقَوْمِ، وَهُمْ سِتْمَاتُهُ أَوْ سَبْعُمَاتُهُ، الْمَكْثَرُ لَهُمْ يَقُولُ: كَانُوا مِنَ الثَّمَانِيَةِ إِلَى التَّسْعِمَائَةِ وَقَدْ قَالُوا لِكَعْبِ بْنِ أَسَدٍ - وَهُمْ يَذْهَبُ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص أَرْسَالًا -: يَا كَعْبُ، مَا تَرَى مَا يُصْنَعُ بِنَا! فَقَالَ كَعْبُ: فِي كُلِّ مَوْطِنٍ لَا تَعْقِلُونَ: أَلَا تَرَوْنَ الدَّاعِيَ لَا يَنْزِعُ، وَأَنَّهُ مَنْ ذَهَبَ بِهِ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُ، هُوَ وَاللَّهُ الْقَتْلُ! فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الدَّأْبُ حَتَّى فَرَّغَ مِنْهُمْ رَسُولُ

الله ص، وَأُتِيَ بِحُجَيِّ بْنِ أَخْطَبٍ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَلَيْهِ حَلَّةٌ لَهُ فِقَاحِيَّةٌ قَدْ شَقَّقَهَا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ كَمَوْضِعِ الْأَثْمَلَةِ، أَمْثَلَةُ أَمْثَلَةٍ، لِثَلَاثَةِ يَسْلِبَةٍ، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِجَبَلٍ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، قَالَ:

أَمَّا وَاللَّهِ مَا لُمْتُ نَفْسِي فِي عِدَاوَتِكَ، وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ اللَّهَ يُخْذَلْ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِأَمْرِ اللَّهِ، كَتَابَ اللَّهِ وَقَدَرَهُ، وَمَلَحَمَةً قَدْ كُتِبَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ثُمَّ جَلَسَ فَضْرِبَتْ عُنُقَهُ، فَقَالَ جَبَلُ بْنُ جَوَالِ الثَّعْلِيِّ:

لَعَمْرُكَ مَا لَمْ ابْنُ أَخْطَبٍ نَفْسَهُ ... وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ اللَّهَ يُخْذَلْ لَجَاهِدَ حَتَّى أَبْلُغَ النَّفْسَ عُذْرَهَا ... وَقَلَقَلْ يَبْغِي الْعِزَّ كُلُّ مُقْلَقَلٍ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمْ يَقْتُلْ مِنْ نِسَائِهِمْ إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً قَالَتْ: وَاللَّهِ إِنَّهَا لَعِنْدِي تُحَدِّثُ مَعِيَ، وَتَضْحَكُ ظَهْرًا وَبَطْنًا، وَرَسُولُ اللَّهِ ص يَقْتُلُ رِجَالَهُمْ بِالسُّوقِ، إِذْ هَتَفَ هَاتِفٌ بِاسْمِهَا: أَيْنَ فُلَانَةٌ؟ قَالَتْ: أَنَا وَاللَّهِ قَالَتْ:

قُلْتُ: وَيْلَكَ مَا لَكَ! قَالَتْ: أَقْتُلُ! قُلْتُ: وَلَمْ؟ قَالَتْ: حَدَّثَ أَحَدُهُمْ. قَالَتْ: فَانْطَلَقَ بِهَا فَضْرِبَتْ عُنُقَهَا فَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ: مَا أُنْسَى عَجَبًا مِنْهَا، طِيبُ نَفْسٍ وَكَثْرَةُ ضَحِكٍ، وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهَا تُقْتَلُ! وَكَانَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ - كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ:

حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ ابْنِ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ - أَيْ الزُّبَيْرِ بْنِ بَاطَا الْقُرَظِيِّ - وَكَانَ يُكْنَى أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ - وَكَانَ الزُّبَيْرُ قَدْ مَنَّ عَلَى ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَالَ مُحَمَّدٌ:

مِمَّا ذَكَرَ لِي بَعْضُ وَلَدِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ كَانَ مِنْ عَلَيْهِ يَوْمَ بَعَاثٍ، أَخَذَهُ فَجَزَّ نَاصِيَتَهُ، ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ - فَجَاءَهُ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، هَلْ تَعْرِفُنِي؟ قَالَ: وَهَلْ يَجْهَلُ مِثْلِي مِثْلَكَ!

قَالَ: إِنِّي قَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَجْزِيكَ بِبَيْدِكَ عِنْدِي، قَالَ: إِنَّ الْكَرِيمَ يَجْزِي الْكَرِيمَ ثُمَّ أَتَى ثَابِتَ رَسُولَ اللَّهِ ص، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ كَانَتْ لِلزُّبَيْرِ عِنْدِي يَدٌ، وَلَهُ عَلَيَّ مَنَةٌ، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَجْزِيَهُ بِهَا، فَهَبْ لِي دَمَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: هُوَ لَكَ، فَأَتَاهُ فَقَالَ:

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَدْ وَهَبَ لِي دَمَكَ فَهُوَ لَكَ، قَالَ: شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا أَهْلَ لَهُ وَلَا وَلَدَ، فَمَا يَصْنَعُ بِالْحَيَاةِ! فَأَتَى ثَابِتَ رَسُولَ اللَّهِ ص، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ، قَالَ: هُمْ لَكَ، فَأَتَاهُ فَقَالَ:

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَدْ أَعْطَانِي امْرَأَتَكَ وَوَلَدَكَ فَهُمْ لَكَ.

قَالَ: أَهْلُ بَيْتٍ بِالْحِجَازِ لَا مَالَ لَهُمْ، فَمَا بَقَاؤُهُمْ! فَأَتَى ثَابِتَ رَسُولَ اللَّهِ ص، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَهُ! قَالَ: هُوَ لَكَ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَعْطَانِي مَالَكَ فَهُوَ لَكَ، قَالَ: أَيُّ ثَابِتٍ! مَا فَعَلَ الَّذِي كَانَ وَجْهَهُ مِرَّةً صِينِيَّةً تَتَرَاءَى فِيهَا عَذَارَى الْحَيِّ، كَعْبُ بْنُ

أَسَدٍ؟

قَالَ: قُتِلَ، قَالَ: فَمَا فَعَلَ سَيِّدُ الْحَاضِرِ وَالْبَادِي، حُجَيُّ بْنُ أَخْطَبٍ؟ قَالَ:

قُتِلَ، قَالَ: فَمَا فَعَلَ مُقَدِّمَتُنَا إِذَا شَدَدْنَا، وَحَامِيَتُنَا إِذَا كَرَرْنَا، عَرَّالُ بْنُ شُمَيْلٍ؟ قَالَ: قُتِلَ، قَالَ: فَمَا فَعَلَ الْمَجْلِسَانِ - يَعْنِي بَنِي كَعْبِ بْنِ قُرَيْظَةَ وَبَنِي عَمْرِو بْنِ قُرَيْظَةَ - قَالَ: ذَهَبُوا، قُتِلُوا قَالَ: فَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِيَدِي عِنْدَكَ يَا ثَابِتُ، أَلَا أَلْحَقْتَنِي بِالْقَوْمِ، فَوَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مِنْ خَيْرٍ، فَمَا أَنَا بِبَصِيرِ اللَّهِ قِبَلَةَ دَلْوٍ نَضِجٍ حَتَّى أَلْقَى الْأَحِبَّةَ! فَقَدَّمَهُ ثَابِتٌ فَضْرَبَ عُنُقَهُ، فَلَمَّا بَلَغَ أَبَا بَكْرٍ قَوْلَهُ: أَلْقَى الْأَحِبَّةَ

قَالَ: يَلْقَاهُمْ وَاللَّهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا مَحْدًا أَبَدًا فَقَالَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ فِي ذَلِكَ، يَذْكُرُ الزَّيْبَرَ بْنَ بَاطَا:
وَفَتَ ذِمَّتِي أَيْ كَرِيمٍ وَأَنْبِي ... صَبُورٌ إِذَا مَا الْقَوْمُ حَادُوا عَنِ الصَّبْرِ
وَكَانَ زَيْبَرٌ أَعْظَمَ النَّاسِ مَنَةً ... عَلَيَّ فَلَمَّا شَدَّ كُوعَاهُ بِالْأَسْرِ
أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ كَيْمَا أَفْكُهُ ... وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ بَحْرًا لَنَا يَجْرِي
[قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَ قَدْ أَمَرَ بِقَتْلِ مَنْ أَنْتَبَتْ مِنْهُمْ].

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، أَخِي بَنِي
عَدِيٍّ بْنِ النَّجَّارِ، أَنَّ سَلْمَى بِنْتَ قَيْسٍ أُمَّ الْمُنْذِرِ أُخْتُ سُلَيْطِ بْنِ قَيْسٍ - وَكَانَتْ أَحَدَى خَالَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَ، قَدْ صَلَّتْ مَعَهُ الْقِبْلَتَيْنِ،
وَبَايَعَتْهُ بَيْعَةَ النِّسَاءِ - سَأَلَتْهُ رِفَاعَةُ بْنُ شُمَيْلٍ الْقُرْظِيُّ - وَكَانَ رَجُلًا قَدْ بَلَغَ وَلاذَ بِهَا، وَكَانَ يَعْرِفُهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ - فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي
أَنْتَ وَأُمِّي! هَبْ لِي رِفَاعَةَ بْنَ شُمَيْلٍ، فَإِنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّهُ سَيُصَلِّي، وَيَأْكُلُ لَحْمَ الْجَمَلِ، فَوَهَبَهُ لَهَا، فَاسْتَحْيَتْهُ.
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ قَسَمَ أَمْوَالَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَنِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَأَعْلَمَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سَهْمَانَ الْخَيْلِ
وَسَهْمَانَ الرِّجَالِ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا الْخُمْسَ، فَكَانَ لِلْفَارِسِ ثَلَاثَةُ أَشْهُمٍ، لِلْفَرَسِ سَهْمَانٍ وَلِفَارِسِهِ سَهْمٌ، وَلِلرَّاجِلِ مِمَّنْ لَيْسَ لَهُ فَرَسٌ سَهْمٌ،
وَكَانَتْ الْخَيْلُ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ سِتَّةً وَثَلَاثِينَ فَرَسًا، وَكَانَ أَوَّلُ فِيءٍ وَقَعَ فِيهِ السَّهْمَانِ وَأَخْرَجَ مِنْهُ الْخُمْسَ، فَعَلَى سُنَّتِهَا وَمَا مَضَى مِنْ رَسُولِ
اللَّهِ صَ فِيهَا وَقَعَتِ الْمَقَاسِمُ، وَمَضَتْ السَّنَةُ فِي الْمَغَازِي، وَلَمْ يَكُنْ يَسْهُمُ لِلْخَيْلِ إِذَا كَانَتْ مَعَ الرَّجُلِ إِلَّا لِلْفَرَسَيْنِ.
ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَ سَعْدَ بْنَ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيَّ،

أَخَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ بِسَبَايَا مِنْ سَبَايَا بَنِي قُرَيْظَةَ إِلَى نَجْدٍ، فَابْتَاعَ لَهُ بِهِمْ خَيْلًا وَسِلَاحًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَ قَدْ اصْطَفَى لِنَفْسِهِ مِنْ
نِسَائِهِمْ رِيحَانَةَ بِنْتَ عَمْرِو بْنِ خَنَافَةَ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي عَمْرِو بْنِ قُرَيْظَةَ، فَكَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَ حَتَّى تُوْفِيَ عَنْهَا وَهِيَ فِي مَلِكِهِ، وَقَدْ
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَ عَرَضَ عَلَيْهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا، وَيَضْرِبَ عَلَيْهَا الْحِجَابَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَلْ تَتَرَكَّنِي فِي مَلِكِكَ فَهُوَ أَخْفَى عَلَيَّ
وَعَلَيْكَ فَتَرَكَهَا، وَقَدْ كَانَتْ حِينَ سَبَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَ قَدْ تَعَصَّتْ بِالإِسْلَامِ، وَأَبَتْ إِلَّا الْيَهُودِيَّةَ، فَعَزَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَ وَوَجَدَ فِي نَفْسِهِ
لِذَلِكَ مِنْ أَمْرِهَا، فَبَيْنَا هُوَ مَعَ أَصْحَابِهِ إِذْ سَمِعَ وَقَعَ نَعْلَيْنِ خَلْفَهُ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَتُعْلَبَةُ بْنُ سَعْيَةَ يَبْشُرُنِي بِإِسْلَامِ رِيحَانَةَ، فَجَاءَهُ فَقَالَ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَسْلَمَتْ رِيحَانَةُ، فَسَرَهُ ذَلِكَ.

فَلَمَّا انْقَضَى شَأْنُ بَنِي قُرَيْظَةَ انْفَجَرَ جَرَحُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ دَعَا - كَمَا حَدَّثَنِي ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ
بْنُ عَمْرِو، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عَلْقَمَةَ، فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ عَنْ عَائِشَةَ: ثُمَّ دَعَا سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ - يَعْنِي بَعْدَ أَنْ حَكَمَ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ مَا حَكَمَ -
فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَوْمٌ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَقَاتِلَ أَوْ أَجَاهِدَ مِنْ قَوْمٍ كَذَبُوا رَسُولَكَ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ
قُرَيْشٍ عَلَى رَسُولِكَ شَيْئًا فَأَبْقِنِي لَهَا، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ قَطَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَأَقْبِضْنِي إِلَيْكَ فَانْفَجَرَ كَلْبُهُ، فَرَجَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَ إِلَى
خَيْمَتِهِ الَّتِي ضَرَبَتْ عَلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَحَضَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَ، وَابُو بَكْرٍ، وَعَمْرُو، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَعْرِفُ بُكَاءَ
أَبِي بَكْرٍ مِنْ بُكَاءِ عَمْرُو وَإِنِّي لَفِي حُجْرَتِي قَالَتْ: وَكَانُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ»

قَالَ عَلْقَمَةُ: أَيُّ أُمَةٍ! كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ رَسُولُ اللَّهِ صَ؟

قَالَتْ: كَانَتْ عَيْنُهُ لَا تَدْمَعُ عَلَى أَحَدٍ، وَلَكِنَّهُ كَانَ إِذَا اشْتَدَّ وَجْدُهُ عَلَى أَحَدٍ، أَوْ إِذَا وَجَدَ فَإِنَّمَا هُوَ آخِذٌ بِلَحْيَتِهِ حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ:
حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: لَمْ يَقْتُلْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ إِلَّا سِتَّةَ نَفَرٍ، وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ، وَقُتِلَ يَوْمَ

بَنِي قُرَيْظَةَ خَلَادُ بْنُ سُوَيْدٍ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ بَلْحَارِثِ بْنِ الْخَزَرَجِ، طَرَحَتْ عَلَيْهِ رَحَى فَشَدَخَتْهُ شَدْخًا شَدِيدًا. وَمَاتَ أَبُو سِنَانُ بْنُ مُحْصَنٍ بْنُ حُرْثَانَ، أَخُو بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ص مُحَاصِرُ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَدُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ. [ولما انصرف رسول الله ص عن الخندق، قال: الآن نَغْزُوهُمْ - يَعْنِي قُرَيْشًا - وَلَا يَغْزُونَنَا،] فَكَانَ كَذَلِكَ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ص مَكَّةَ.

وَكَانَ فَتَحَ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ أَوْ فِي صَدْرِ ذِي الْحِجَّةِ، فِي قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ وَأَمَّا الْوَاقِدِيُّ فَإِنَّهُ قَالَ: غَزَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي ذِي الْقَعْدَةِ، لِلَّيَالِ بَقِيْنَ مِنْهُ، وَزَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص أَمَرَ أَنْ يُشَقَّ لِبَنِي قُرَيْظَةَ فِي الْأَرْضِ أَخَادِيدٌ ثُمَّ جَلَسَ، فَجَعَلَ عَلَيَّ وَالزُّبَيْرُ يُضْرِبَانِ أَعْنَاقَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَزَعَمَ أَنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي قَتَلَهَا النَّبِيُّ ص يَوْمَئِذٍ كَانَتْ تُسَمَّى بَنَانَةَ، امْرَأَةً الْحَكَمِ الْقُرَظِيِّ، كَانَتْ قَتَلَتْ خَلَادَ بْنَ سُوَيْدٍ، رَمَتْ عَلَيْهِ رَحَى، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَضْرَبَ عَنْقَهَا بِخَلَادِ بْنِ سُوَيْدٍ. وَاخْتَلَفَ فِي وَقْتِ غَزْوِهِ النَّبِيُّ ص بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَهِيَ الْغَزْوَةُ الَّتِي يُقَالُ لَهَا غَزْوَةُ الْمُرَيْسِيعِ - وَالْمُرَيْسِيعُ اسْمُ مَاءٍ مِنْ مِيَاهِ خَزَاعَةَ بِنَاحِيَةِ قُدَيْدٍ إِلَى السَّاحِلِ - فَقَالَ: ابْنُ إِسْحَاقَ - فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ،

قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص غَزَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ مِنْ خَزَاعَةَ، فِي شَعْبَانَ سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الْهَجْرَةِ. وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ص الْمُرَيْسِيعَ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ خَمْسٍ مِنَ الْهَجْرَةِ وَزَعَمَ أَنَّ غَزْوَةَ الْخَنْدَقِ وَغَزْوَةَ بَنِي قُرَيْظَةَ كَانَتَا بَعْدَ الْمُرَيْسِيعِ لِحَرْبِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ مِنْ خَزَاعَةَ. وَزَعَمَ ابْنُ إِسْحَاقَ - فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ص انْصَرَفَ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَذَلِكَ فِي آخِرِ ذِي الْقَعْدَةِ أَوْ فِي صَدْرِ ذِي الْحِجَّةِ - فَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ ذَا الْحِجَّةِ وَالْحَرَمِ وَصَفَرًا وَشَهْرَ رَبِيعٍ، وَوَلِيَ الْحِجَّةَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ الْمَشْرُكُونَ

٢٠٧٠١٣ سنه ست من الهجره

غزوه بني لحيان

ذكر الأحداث التي كانت في
سنة ست من الهجره
غزوه بني لحيان

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي جَمَادَى الْأُولَى عَلَى رَأْسِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ فَتْحِ بَنِي قُرَيْظَةَ إِلَى بَنِي لَحْيَانَ، يُطَلَّبُ بِأَصْحَابِ الرَّجِيعِ، خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ وَأَصْحَابُهُ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يَرِيدُ الشَّامَ لِيَصِيبَ مِنَ الْقَوْمِ غُرَةَ نَفْرَجٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَسَلَكَ عَلَى غَرَابِ جَبَلِ بَنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ عَلَى طَرِيقِهِ إِلَى الشَّامِ ثُمَّ عَلَى مَخِيضٍ، ثُمَّ عَلَى الْبَتْرَاءِ، ثُمَّ صَفَقَ ذَاتَ الْيَسَارِ، ثُمَّ عَلَى يَمِينٍ، ثُمَّ عَلَى صَخِيرَاتِ الْيَمَامِ، ثُمَّ اسْتَقَامَ بِهِ الطَّرِيقَ عَلَى الْحِجَّةِ مِنْ طَرِيقِ مَكَّةَ، فَأَغْذَ السَّيْرَ سَرِيعًا، حَتَّى نَزَلَ عَلَى غَرَانٍ، وَهِيَ مَنَازِلُ بَنِي لَحْيَانَ - وَغَرَانُ وَادٍ بَيْنَ أُمِّجٍ وَعَسْفَانَ - إِلَى بَلَدٍ يُقَالُ لَهُ سَايَةُ، فَوَجَدَهُمْ قَدْ حَذَرُوا وَتَمَنَعُوا فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ، فَلَهَا نَزَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ص وَأَخْطَاهُ مِنْ غَرَّتِهِمْ مَا أَرَادَ، قَالَ: لَوْ أَنَا هَبَطْنَا عَسْفَانَ لَرَأَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنَا قَدْ جِئْنَا مَكَّةَ نَفْرَجٍ فِي مَائَتِي رَاكِبٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى نَزَلَ عَسْفَانَ، ثُمَّ بَعَثَ فَارِسِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى بَلَغَا كِرَاعَ الْغَمِيمِ، ثُمَّ كَرَا وَرَاحَ قَافِلًا.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ.

- قَالَ: وَالْحَدِيثُ فِي غَزْوَةِ بَنِي لَحْيَانَ - عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْمَدِينَةَ، فَلَمْ يَقَمْ إِلَّا لِيَالِي قَلَائِلَ حَتَّى أَغَارَ عَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ بْنُ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيُّ فِي خَيْلٍ

لِعَظْفَانٍ عَلَى لِقَاحِ رَسُولِ اللَّهِ ص بِالْغَابَةِ، وَفِيهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ وَأَمْرَأَتُهُ، فَقَتَلُوا الرَّجُلَ وَاحْتَمَلُوا الْمَرْأَةَ فِي اللَّقَاحِ

غزوه ذي قرد

غَزْوَةُ ذِي قَرْدٍ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَمَنْ لَا أَتَّبِعُهُمْ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، كُلُّ قَدْ حَدَّثَ فِي غَزْوَةِ ذِي قَرْدٍ بَعْضُ الْحَدِيثِ، أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ نَذَرَ بِهِمْ سَلَمَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْأَكْوَعِ الْأَسْلَمِيُّ، غَدَا يُرِيدُ الْغَابَةَ مُتَوَسِّحًا قَوْسَهُ وَنَبْلَهُ، وَمَعَهُ غَلَامٌ لَطْلَحَةٌ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ.

وَأَمَّا الرَّوَايَةُ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ بِهَذِهِ الْغَزْوَةِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص بَعْدَ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ، مُنْصَرَفًا مِنْ مَكَّةَ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ صَحِيحًا، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَا رَوَى عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ كَانَ إِمَّا فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَإِمَّا فِي أَوَّلِ سَنَةِ سَبْعٍ، وَذَلِكَ أَنْ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ كَانَ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَبَيْنَ الْوَقْتِ الَّذِي وَقَعَتْهُ ابْنُ إِسْحَاقَ لَغَزْوَةِ ذِي قَرْدٍ وَالْوَقْتِ الَّذِي رَوَى عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ قَرِيبٌ مِنْ سِتَّةِ أَشْهُرٍ حَدَّثَنَا حَدِيثُ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ بْنُ عَمَارٍ الْيَمَامِيُّ، عَنْ إِيَّاسِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص إِلَى الْمَدِينَةِ - يَعْنِي بَعْدَ صَلَاحِ الْحُدَيْبِيَّةِ - فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِظَهْرِهِ مَعَ رِبَاحِ غَلَامٍ رَسُولَ اللَّهِ، وَخَرَجْتُ مَعَهُ بِفَرَسٍ لَطْلَحَةٌ ابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ. فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُبَيْدَةَ قَدْ أَغَارَ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَاسْتَأْفَقَهُ أَجْمَعٌ، وَقَتَلَ رَاغِيَهُ قُلْتُ: يَا رِبَاحُ، خُذْ هَذَا الْفَرَسَ وَابْلُغْهُ طَلْحَةَ وَآخِرَ رَسُولِ اللَّهِ أَنْ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَغَارُوا عَلَى سَرَحِهِ ثُمَّ قَتَلَ عَلَى أَكْمَةٍ فَاسْتَقْبَلَتْ الْمَدِينَةَ، فَنَادَيْتُ ثَلَاثَةَ أَصْوَاتٍ: يَا صَبَاحَاهُ! ثُمَّ خَرَجْتُ فِي آثَارِ الْقَوْمِ أَرْمِيهِم بِالنَّبْلِ، وَارْتَجَزُ وَاقُولُ: أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ،

واليوم يوم الرضع.

قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ وَأَعْقِرُ بِهِمْ، فَإِذَا رَجَعُ إِلَى فَارِسٍ مِنْهُمْ أَتَيْتُ شَجَرَةً وَقَعَدْتُ فِي أَصْلِهَا، فَرَمَيْتُهُ فَعَقَرْتُ بِهِ، وَإِذَا تَضَاقَقَ الْجَبَلُ فَدَخَلُوا فِي مُتَضَاقِقِ عِلْوَتِ الْجَبَلِ، ثُمَّ أَرْدِيَهُمْ بِالْحِجَارَةِ، فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ كَذَلِكَ حَتَّى مَا خَلَقَ اللَّهُ بَعِيرًا مِنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ص إِلَّا جَعَلَتْهُ وَرَاءَ ظَهْرِي، وَخَلَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَحَتَّى الْقَوَا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ رُحًا وَثَلَاثِينَ بَرْدَةً، يَسْتَحْفُونَ بِهَا لَا يَلْقَوْنَ شَيْئًا إِلَّا جَعَلَتْ عَلَيْهِ أَرَامًا حَتَّى يَعْرِفَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا إِلَى مُتَضَاقِقِ مِنْ ثَنِيَّةٍ وَإِذَا هُمْ قَدْ أَتَاهُمْ عَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ بَدْرِ مُدًّا، فَقَعَدُوا يَتَضَحُّونَ، وَقَعَدْتُ عَلَى قَرْنٍ فَوْقَهُمْ، فَنَظَرُ

عَيْنُهُ، فَقَالَ: مَا الَّذِي أَرَى؟ قَالُوا: لَقِينَا مِنْ هَذَا الْبَرَحِ، لَا وَاللَّهِ مَا فَارَقْنَا هَذَا مِنْذُ غَلَسَ، يَرْمِينَا حَتَّى اسْتَنْقَذَ كُلَّ شَيْءٍ فِي أَيْدِينَا. قَالَ: فَلْيَقُمْ إِلَيْهِ مِنْكُمْ أَرْبَعَةٌ فَعَمِدُوا إِلَى أَرْبَعَةٍ مِنْهُمْ فَلَمَّا امْكُنُونِي مِنَ الْكَلَامِ، قُلْتُ: أَتَعْرِفُونِي؟ قَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ، وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ لَا أَطْلُبُ أَحَدًا مِنْكُمْ إِلَّا أَدْرَكْتُهُ، وَلَا يَطْلُبُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ فَيُدْرِكُنِي قَالَ أَحَدُهُمْ: أَنَا أَظُنُّ، قَالَ: فَارْجِعُوا فَمَا بَرَحْتُ مَكَانِي ذَاكَ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى فَوَارِسِ رَسُولِ اللَّهِ ص يَخْلُلُونَ الشَّجَرَ، أَوَلَهُمُ الْأَخْرَمُ الْأَسَدِيُّ، وَعَلَى إِثْرِهِ أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَعَلَى إِثْرِهِ الْمُقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْكَنْدِيُّ، فَأَخَذْتُ بَعْنَانَ فَرَسِ الْأَخْرَمِ، فَوَلَّوْا مُدِيرِينَ، فَقُلْتُ: يَا أَخْرَمُ، إِنَّ الْقَوْمَ قَلِيلٌ، فَاحْذَرَهُمْ لَا يَقْطَعُوكَ حَتَّى يَلْحَقَ بِنَا رَسُولُ اللَّهِ وَأَصْحَابُهُ فَقَالَ: يَا سَلَمَةُ، إِنْ كُنْتُ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ، فَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ قَالَ: خَلَيْتُهُ، فَالْتَقَى هُوَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَيْنَةَ، فَعَقَرَ الْأَخْرَمُ بَعْدَ الرَّحْمَنِ فَرَسَهُ، فَطَعَنَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ،

وَتَحَوَّلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى فَرَسِهِ، وَلَحِقَ أَبُو قَتَادَةَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ فَطَعَنَهُ وَقَتْلَهُ، وَعَقَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِأَبِي قَتَادَةَ فَرَسَهُ، وَتَحَوَّلَ أَبُو قَتَادَةَ عَلَى فَرَسٍ الْأَخْرَمِ، فَانْطَلَقُوا هَارِبِينَ.

قَالَ سَلَمَةُ: فَوَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَهُ مُحَمَّدٌ، لَتَبِعْتَهُمْ أَعْدُو عَلَى رَجُلِي، حَتَّى مَا أَرَى وَرَائِي مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ص وَلَا غُبَارِهِمْ شَيْئًا.

قَالَ: وَيَعْدِلُونَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى شِعْبٍ فِيهِ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ ذُو قَرْدٍ

يَشْرَبُونَ مِنْهُ وَهُمْ عَطَاشٌ، فَنَظَرُوا إِلَى أَعْدُو فِي آثَارِهِمْ، فَخَلِيتَهُمْ فَمَا ذَاقُوا مِنْهُ قَطْرَةً.

قَالَ: وَيَسْنِدُونَ فِي ثَنِيَةِ ذِي اثِيرٍ، وَيَعْطِفُ عَلَيَّ وَاحِدٌ فَأَرْشُقُهُ بِسَهْمٍ فَيَقَعُ فِي نَغْصٍ كَتَفِهِ، فَقُلْتُ:

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ فَقَالَ: أَكُوْعِي غَدُوًّا! قُلْتُ: نَعَمْ يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ، وَإِذَا فَرَسَانِ عَلَى الثَّنِيَّةِ، فَجِئْتُ بِهِمَا اقْوَدَهُمَا

إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَلَحِقَنِي عَمِّي بَعْدَ مَا أَظْلَمْتُ بِسَطِيحَةٍ فِيهَا مَذَقَةٌ مِنْ لَبَنٍ، وَسَطِيحَةٍ فِيهَا مَاءٌ، فَتَوَضَّأْتُ وَصَلَّيْتُ وَشَرَبْتُ، ثُمَّ جِئْتُ

إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَهُوَ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي حَلِيتَهُمْ عَنْهُ، عِنْدَ ذِي قَرْدٍ، وَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ قَدْ أَخَذَ تِلْكَ الْإِبِلَ الَّتِي اسْتَنْقَذْتُ مِنَ الْعَدُوِّ، وَكُلَّ

رُجْ، وَكُلَّ بَرْدَةٍ، وَإِذَا بِلَالٌ قَدْ نَحَرَ نَاقَةً مِنَ الْإِبِلِ الَّتِي اسْتَنْقَذْتُ مِنَ الْعَدُوِّ، فَهُوَ يَشْوِي لِرَسُولِ اللَّهِ ص مِنْ كِبِدِهَا وَسَنَامِهَا، فَقُلْتُ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَلَنِي فَلَا تَنْخُبْ مِائَةَ رَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ، فَاتَّبِعُ الْقَوْمَ فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ عَيْنٌ.

فَضَحَكَ رَسُولُ اللَّهِ ص حَتَّى بَدَا- وَقَدْ بَانَ- نَوَاجِذَهُ.

فِي ضَوْءِ النَّارِ ثُمَّ قَالَ: أَكُنْتُ فَاعِلًا! فَقُلْتُ: إِي وَالَّذِي أَكْرَمَكَ!

فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَيَقْرُونَ بِأَرْضِ غَطَفَانَ قَالَ، لَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ غَطَفَانَ، فَقَالَ: نَحَرَلَهُمْ فَلَانَ جُزُورًا، فَلَمَّا كَشَطُوا عَنْهَا

جِلْدَهَا رَأَوْا غُبَارًا، فَقَالُوا: أَتَيْتُمْ! نَخْرَجُوا هَارِبِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: خَيْرُ فُرْسَانِ الْيَوْمِ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرُ رَجَالِنَا سَلَمَةُ بْنُ

الْأَكْوَعِ] ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ص سَهْمَيْنِ سَهْمِ الْفَارِسِ، وَسَهْمَ الرَّاجِلِ، فَجَمَعَهُمَا لِي جَمْعًا، ثُمَّ أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ وَرَاءَهُ عَلَى الْعُضْبَاءِ،

رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يُسْبِقُ شَدًّا لَجَعَلُ يَقُولُ: أَلَا مِنْ مُسَابِقِي! فَقَالَ ذَاكَ مِرَارًا، فَلَمَّا سَمِعْتُهُ

قُلْتُ:

أَمَا تُكْرِمُ كَرِيمًا وَلَا تَهَابُ شَرِيفًا! فَقَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! أَتَدْنِي فَلَأُسَابِقَ الرَّجُلَ!

قَالَ:

إِنْ شِئْتَ، قَالَ: فَطَفَرْتُ فَعَدَوْتُ، فَربطتُ شرفاً أو شرفين فألحقه وأصكه بين كتفيه، فقلت: سبقتك والله! فقال: اني أظن، فسبقتك

إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمْ نَمُكِّثْ بِهَا إِلَّا ثَلَاثًا حَتَّى خَرَجْنَا إِلَى خَيْرٍ

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ وَمَعَهُ غُلَامٌ لَطْلَحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ- يَعْنِي مَعَ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ- مَعَهُ فَرَسٌ لَهُ يَقُودُهُ، حَتَّى إِذَا عَلَا

عَلَى ثَنِيَّةِ الْوُدَاعِ نَظَرَ إِلَى بَعْضِ خِيُولِهِمْ، فَأَشْرَفَ فِي نَاحِيَةِ سَلْعٍ، ثُمَّ صَرَخَ:

وَا صَبَاحَاهُ! ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ فِي آثَارِ الْقَوْمِ- وَكَانَ مِثْلَ السَّبْعِ- حَتَّى لَحِقَ بِالْقَوْمِ، لَجَعَلُ يَرُدُّهُمْ بِالنَّبْلِ، وَيَقُولُ إِذَا رَمَى: خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا

ابْنُ الْأَكْوَعِ، وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ.

فَإِذَا وَجَّهَتِ الْخَيْلُ نَحْوَهُ، انْطَلَقَ هَارِبًا، ثُمَّ عَارَضَهُمْ، فَإِذَا أَمَكَنَهُ الرَّمْيُ رَمَى، ثُمَّ قَالَ:

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ قَالَ: فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ: أَوَيْكُنَا هُوَ أَوَّلُ النَّهَارِ.

قَالَ: وَبَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ص صِيَاحُ ابْنِ الْأَكْوَعِ، فَصَرَخَ بِالْمَدِينَةِ: الْفَزَعُ الْفَزَعُ! فَتَنَامَتِ الْخَيُْولُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ

انْتَهَى إِلَيْهِ مِنَ الْفَرَسَانِ الْمُقَدَّادِ بْنِ عَمْرٍو.

ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ فَارِسٍ وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص بَعْدَ الْمَقْدَادِ مِنَ الْأَنْصَارِ، عَبَّادُ بْنُ بَشِيرٍ بْنُ وَقْشِ بْنِ زَغْبَةَ بْنِ زَعُورَاءَ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَسَعْدُ بْنُ زَيْدٍ، أَحَدُ بَنِي كَعْبِ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَأُسَيْدُ بْنُ ظَهْرٍ أَخُو بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ - يَشْكُ فِيهِ - وَعُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ، أَخُو بَنِي أُسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ، وَمُحْرِزُ بْنُ نُضْلَةَ، أَخُو بَنِي أُسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ، وَأَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رَبِيعٍ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ، وَأَبُو عِيَّاشٍ، وَهُوَ عبيد بن زيد بن صامت، أَخُو بَنِي زُرَيْقٍ.

فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص أَمَرَ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ.

ثُمَّ قَالَ: اخْرُجْ فِي طَلَبِ الْقَوْمِ حَتَّى أُلْحِقَكَ فِي النَّاسِ.

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص - فِيمَا بَلَغَنِي عَنْ رِجَالٍ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ - لِأَبِي عِيَّاشٍ: يَا أَبَا عِيَّاشٍ، لَوْ أُعْطِيتَ هَذَا الْفَرَسَ رَجُلًا هُوَ أَفْرَسُ مِنْكَ فَلَحِقَ بِالْقَوْمِ! قَالَ أَبُو عِيَّاشٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا

أفروس الناس، ثم ضربت الفرس، فوالله ما جرى خمسين ذراعًا حَتَّى طَرَحَنِي، فَعَجِبْتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولَ: لَوْ أُعْطِيتَ أَفْرَسُ مِنْكَ! وَأَقُولُ: أَنَا أَفْرَسُ النَّاسِ فَزَعَمَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص أَعْطَى فَرَسَ أَبِي عِيَّاشٍ مُعَاذَ بْنَ مَاعِصٍ - أَوْ عَائِذَ بْنَ مَاعِصٍ - ابْنَ قَيْسِ بْنِ خَلْدَةَ - وَكَانَ ثَامِنًا - وَبَعْضُ النَّاسِ يُعَدُّ سَلَمَةَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْأَكُوْعِ أَحَدَ الثَّمَانِيَةِ، وَيَطْرَحُ أُسَيْدُ بْنُ ظَهْرٍ أَخَا بَنِي حَارِثَةَ، وَلَمْ يَكُنْ سَلَمَةَ يَوْمَئِذٍ فَارِسًا، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَحِقَ بِالْقَوْمِ عَلَى رَجْلَيْهِ، فَخَرَجَ الْفَرَسَانُ فِي طَلَبِ الْقَوْمِ، حَتَّى تَلَا حَقُوقًا.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، أَنَّ أَوَّلَ فَارِسٍ لَحِقَ بِالْقَوْمِ مُحْرِزُ بْنُ نُضْلَةَ، أَخُو بَنِي أُسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ - وَيُقَالُ لِمُحْرِزٍ: الْأَخْرَمُ، وَيُقَالُ لَهُ: قُفَيْرٌ - وَأَنَّ الْفَرْعَ لَمَّا كَانَ، جَالَ فَرَسٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ فِي الْحَائِطِ حِينَ سَمِعَ صَاهِلَةَ الْخَلِيلِ، وَكَانَ فَرَسًا صَنِيعًا جَامًا، فَقَالَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ حِينَ رَأَى الْفَرَسَ يَجُولُ فِي الْحَائِطِ بِجَذَعٍ مِنْ نَخْلٍ هُوَ مَرْبُوطٌ بِهِ: يَا قُفَيْرُ، هَلْ لَكَ فِي أَنْ تَرْكَبَ هَذَا الْفَرَسَ - فَإِنَّهُ كَمَا تَرَى - ثُمَّ تَلْحَقُ بِرَسُولِ اللَّهِ ص وَبِالْمُسْلِمِينَ! قَالَ: نَعَمْ، فَأَعْطَانِيهِ إِيَّاهُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ بَذَلَ الْخَلِيلَ بِجَمَامِهِ حَتَّى أَدْرَكَ الْقَوْمَ، فَوَقَفَ لَهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، ثُمَّ قَالَ: قَفُوا مَعِشَرَ اللَّكِيْعَةِ حَتَّى يَلْحَقَ بِكُمْ مِنْ وَرَاءِكُمْ مِنْ أَدْبَارِكُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ.

قَالَ: وَحَمَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَتَلَهُ، وَجَالَ الْفَرَسُ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ،

حَتَّى وَقَفَ عَلَى آرِيَةِ فِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، فَلَمْ يَقْتُلْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غَيْرَهُ، وَكَانَ اسْمُ فَرَسٍ مُحَمَّدُ ذَا اللَّيْلَةِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ لَيْثٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ مُحْرِزًا إِذَا كَانَ عَلَى فَرَسٍ لِعُكَّاشَةَ بْنِ مُحْصَنٍ يُقَالُ لَهُ الْجَنَاحُ، فَقُتِلَ مُحْرِزٌ، وَاسْتَلْبَ الْجَنَاحُ وَلَمَّا تَلَا حَقَّتِ الْخِيُولُ قَتَلَ أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رَبِيعٍ أَخُو بَنِي سَلَمَةَ، حَبِيبُ بْنُ عَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ، وَغَشَّاهُ بِرِدَّتِهِ، ثُمَّ لَحِقَ بِالنَّاسِ، وَاقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَالْمُسْلِمُونَ، فَإِذَا حَبِيبُ مُسَجًى بِرِدَّةِ أَبِي قَتَادَةَ، فَاسْتَرْجَعَ النَّاسُ، وَقَالُوا:

قُتِلَ أَبُو قَتَادَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لَيْسَ بِأَبِي قَتَادَةَ، وَلَكِنَّهُ قَتِيلٌ لِأَبِي قَتَادَةَ، وَضَعَ عَلَيْهِ رِدَّتَهُ، لِتَعْرِفُوا أَنَّهُ صَاحِبُهُ وَأَدْرَكَ عُكَّاشَةَ ابْنَ مُحْصَنٍ أَوْبَارًا وَابْنَهُ عَمْرُو بْنُ أَوْبَارٍ عَلَى بَعِيرٍ وَاحِدٍ، فَانْتَضَمَهُمَا بِالرُّمْحِ فَقَتَلَهُمَا جَمِيعًا، وَاسْتَنْقَذُوا بَعْضَ اللَّقَاحِ وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ص. حَتَّى نَزَلَ بِالْجَبَلِ مِنْ ذِي قَرْدٍ، وَتَلَا حَقَّ بِهِ النَّاسُ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص، وَأَقَامَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَلَيْلَةً فَقَالَ لَهُ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكُوْعِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ سَرَّحْتَنِي فِي مِائَةِ رَجُلٍ لَأَسْتَنْقَذْتُ بَقِيَّةَ السَّرْحِ، وَأَخَذْتُ بِأَعْنَاقِ الْقَوْمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص - فِيمَا بَلَغَنِي: إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَغْبِقُونَ فِي غَطَفَانَ.

وقسم رسول الله ص في أصحابه في كُلِّ مِائَةٍ جُزُورًا،

ذكر غزوه بنى المصطلق

فأقاموا عليها، ثم رجع رسول الله ص قافلاً حتى قدم المدينة. فَأَقَامَ بِهَا بَعْضُ جُمَادَى الْآخِرَةِ وَرَجَبُ ثُمَّ غَزَا بِالْمُصْطَلِقِ مِنْ خُرَاعَةِ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ سِتٍّ ذَكَرُ غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ وَعَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ، قَالَ: كُلُّ قَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ حَدِيثِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، قَالُوا: بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَنْ يَلْبِصَ بِطَلْقٍ يَجْتَمِعُونَ لَهُ، وَقَائِدَهُمُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضَرَّارٍ، أَبُو جَوَيْرِيَةَ بِنْتُ الْحَارِثِ، زَوْجَ النَّبِيِّ ص، فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ص خَرَجَ إِلَيْهِمْ حَتَّى لَقِيَهُمْ عَلَى مَاءٍ مِنْ مِيَاهِهِمْ، يُقَالُ لَهُ: الْمُرَيْسِيعُ، مِنْ نَاحِيَةِ قَدِيدٍ إِلَى السَّاحِلِ، فَتَزَاخَفَ النَّاسُ وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَهَزَمَ اللَّهُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ، وَنَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَفَاءَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

وَقَدْ أَصِيبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَنِي كَلْبٍ بْنُ عَوْفٍ بْنُ عَامِرٍ بْنِ لَيْثِ ابْنِ بَكْرٍ، يُقَالُ لَهُ هِشَامُ بْنُ صَبَابَةَ، أَصَابَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ رَهْطِ عِبَادَةِ ابْنِ الصَّامِتِ، وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ مِنَ الْعَدُوِّ، فَقَتَلَهُ خَطَا

فَبَيَّنَا النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ وَرَدَّتْ وَارِدَةُ النَّاسِ، وَمَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَجِيرٌ لَهُ مِنْ بَنِي غِفَارٍ يُقَالُ لَهُ جَهْجَاهُ بْنُ سَعِيدٍ، يَقُودُ لَهُ فَرَسُهُ، فَازْدَحَمَ جَهْجَاهُ وَسَنَانُ الْجُهَيْنِيُّ حَلِيفُ بَنِي عَوْفٍ بْنِ الْخَزْرَجِ عَلَى الْمَاءِ، فَاقْتَتَلَا، فَصَرَخَ الْجُهَيْنِيُّ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، وَصَرَخَ جَهْجَاهُ: يَا مَعْشَرَ الْأَهْجَارِيِّينَ، فَغَضِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَعِنْدَهُ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِهِ، فِيهِمْ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمٍ غُلَامٌ حَدِيثُ السِّنِّ، فَقَالَ: أَقَدْ فَعَلَوْهَا! قَدْ نَافَرُونَا وَكَاثَرُونَا فِي بِلَادِنَا، وَاللَّهِ مَا عَدَوْنَا وَجَلَايِبُ قَرِيْشٍ مَا قَالَ الْقَاتِلُ:

سِنَّنُ كَلْبِكَ يَا كُلُّكَ، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ! ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ، فَقَالَ: هَذَا مَا فَعَلْتُمْ بَأَنْفُسِكُمْ! أَحَلَلْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ، وَقَاسَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ! أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَمْسَكْتُمْ عَنْهُمْ مَا بَأَيْدِيكُمْ لَتَحَوَّلُوا إِلَى غَيْرِ بِلَادٍ كُمْ.

فَسَمِعَ ذَلِكَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمٍ، فَشَى بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، وَذَلِكَ عِنْدَ فَرَاغِ رَسُولِ اللَّهِ ص مِنْ عَدُوِّهِ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرُ وَعِنْدَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَرُّ بِهِ عَبَادُ بْنُ بَشْرٍ بْنُ وَقْشٍ فَلْيَقْتُلْهُ، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: فَكَيْفَ يَا عُمَرُ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ: أَنْ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ!] لَا، وَلَكِنْ أَذِنَ بِالرَّحِيلِ - وَذَلِكَ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ص يَرْتَحِلُ فِيهَا - فَارْتَحَلَ النَّاسُ، وَقَدْ مَشَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمٍ قَدْ بَلَغَهُ مَا سَمِعَ مِنْهُ لَخْلَفَ بِاللَّهِ: مَا قُلْتُ مَا قَالَ، وَلَا تَكَلَّمْتُ بِهِ - وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فِي قَوْمِهِ شَرِيفًا عَظِيمًا - فَقَالَ مَنْ حَضَرَ رَسُولَ اللَّهِ ص مِنْ أَصْحَابِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَسَى أَنْ يَكُونَ الْغُلَامُ أَوْهَمَ فِي حَدِيثِهِ وَلَمْ يَحْفَظْ مَا قَالَ الرَّجُلُ! حَدِّثْنَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَدَفَعْنَا عَنْهُ.

فَلَمَّا اسْتَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَسَارَ، لَقِيَهِ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، فَحَيَّاهُ تَحِيَّةَ النَّبُوَّةِ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ رُحْتُ فِي سَاعَةٍ مُنْكَرَةٍ مَا كُنْتُ تَرُوحُ فِيهَا! [فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص: أَوْ مَا بَلَغَكَ مَا قَالَ صَاحِبُكُمْ!] قَالَ: وَائِي صَاحِبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّهُ إِنْ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَخْرَجَ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، قَالَ أُسَيْدُ: فَأَنْتَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ تُخْرِجُهُ إِنْ شِئْتَ، هُوَ وَاللَّهِ الدَّلِيلُ وَأَنْتَ الْعَزِيزُ! ثُمَّ قَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، ارفق به فوالله لقد جاء الله بك، وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً .
ثم متن رسول الله ص بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس
ثم نزل بالناس، فلم يكن إلا أن وجدوا مس الأرض وقعوا نياماً، وإنما فعل ذلك رسول الله ص ليشغل الناس عن الحديث الذي
كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي.

ثم راح بالناس، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع، يقال له نعاء، فلما راح رسول الله ص هبت على الناس ريح
شديدة آذتهم، وتخوفوها، [فقال رسول الله ص: لا تخافوا، فلما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار، فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة
بن زيد بن التابوت، أحد بني قينقاع- وكان من عظماء يهود، وكهفًا للمنافقين- قد مات في ذلك اليوم] .

ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في عبد الله بن أبي بن سلول ومن كان معه على مثل أمره، فقال: «إذا جاءك المنافقون»،
[فلما نزلت هذه السورة أخذ رسول الله ص بأذن زيد بن أرقم فقال: هذا الذي أوفى الله بإذنه] .

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن زيد بن أرقم، قال: خرجت مع عمي في غزاة،
فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول لأصحابه: «لا تنفقوا على من عند رسول الله» والله، «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرث
منها الأذل»، فذكرت ذلك لعمي، فذكره عمي لرسول الله ص، فأرسل إلى

خديثه، فأرسل إلى عبد الله وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، قال: فكذبني رسول الله ص وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست
في البيت، فقال لي عمي: ما اردت الى ان كذبتك رسول الله ومقتك! قال: حتى أنزل الله عز وجل: «إذا جاءك المنافقون»، قال:
فبعث الى رسول الله ص فقرأها، [ثم قال: إن الله صدقك يا زيد] .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة،
قال: حدثني محمد ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، أن عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول أتى رسول الله ص، فقال: يا
رسول الله، إنه قد بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي- فيما بلغك عنه- فإن كنت فاعلا فبرني به، فانا احمل إليك راسه، فوالله لقد
علمت انخرج ما كان بها رجل أبر بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن
أبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر فادخل النار، [فقال رسول الله ص: بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا] وجعل
بعد ذلك إذا أحدث الحديث، كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه، ويعنفونه ويتوعدونه، فقال رسول الله ص لعمر بن الخطاب
حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم: كيف ترى يا عمر! أما والله لو قتلته يوم أمرتني بقتله، لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم
بقتله لقتلته قال: فقال عمر: قد والله علمت، لامر رسول الله أعظم بركة من أمري.

قال: وقدم مقيس بن صبابه من مكة مسلماً فيما يظهر، فقال:
يا رسول الله، جئتكم مسلماً وجئت أطلب دية أخي قتل خطأ فأمر له رسول الله ص بدية أخيه هشام بن صبابه، فأقام عند رسول
الله ص غير كثير، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله، ثم خرج إلى مكة مرتداً، فقال في شعر:

شفى النفس أن قد بات بالقاع مسنداً ... تضرع ثوبه دماء الأخادع
وكانت هوم النفس من قبل قتله ... تلم، فتحميني وطاء المضاجع

حَلَّتْ بِهِ وَثَرِي، وَأَدْرَكَتْ ثَوْرِي ... وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْثَانِ أَوَّلَ رَاجِعٍ
تَارَتْ بِهِ فَهَرَا وَحَمَلَتْ عَقْلَهُ ... سُرَاةَ بَنِي النَّجَارِ أَرْبَابِ فَارِعٍ
وَقَالَ مَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ أَيْضًا:

جَلَّتْهُ ضَرْبَةُ بَاءَتْ، لَهَا وَشَلْ ... مِنْ نَاقِعِ الْجَوْفِ يَعْلُوهُ وَيَنْصَرِمُ
فَقُلْتُ وَالْمَوْتُ تَغْشَاهُ أَسْرَتُهُ ... لَا تَأْمَنَنَّ بَنِي بَكْرٍ إِذَا ظَلَمُوا

وَأَصِيبَ مَنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ يَوْمَئِذٍ نَاسٌ كَثِيرٌ، وَقَتَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنْهُمْ رَجُلَيْنِ: مَالِكًا وَابْنَهُ، وَأَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ ص مِنْهُمْ

حديث الافك

سَيِّئًا كَثِيرًا، فَفَشَا قَسَمُهُ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَمِنْهُمْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضَرَّارٍ زَوْجُ النَّبِيِّ ص.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ص،
قَالَتْ: لما قسم رسول الله ص سبأيا بني المصطلق، وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ ابْنِ الشَّامِسِ - أَوْ لَابِنِ
عَمِّ لَه - فَكَاتَبَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا - وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلُوًّا مَلَا حَةً، لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهَا - فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ص تَسْتَعِينُهُ عَلَى كِتَابَتِهَا،
قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتَهَا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي كَرِهَتْهَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سِيرَى مِنْهَا مِثْلَ مَا رَأَيْتُ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ
اللَّهِ، أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضَرَّارٍ سَيِّدِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخَفْ عَلَيْكَ، فَوَقَعْتُ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ
بْنِ الشَّامِسِ - أَوْ لَابِنِ عَمِّ لَه - فَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِي، فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَى كِتَابَتِي، [فَقَالَ لَهَا: فَهَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟] قَالَتْ: وَمَا هُوَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَقْضِي كِتَابَتَكَ وَاتَزَوَّجْكَ، قَالَتْ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:
قَدْ فَعَلْتُ، قَالَتْ: وَخَرَجَ الْخَبَرُ إِلَى النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَدْ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ، فَقَالَ النَّاسُ: أَصْهَارَ رَسُولِ اللَّهِ ص،
فَارْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ].

قَالَتْ: فَلَقَدْ أَعْتَقَ بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا مِائَةَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَهً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا

. حديث الإفك

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق،

قال: واقبل رسول الله ص مِنْ سَفَرِهِ ذَلِكَ - كَمَا حَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ - حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنَ
الْمَدِينَةِ - وَكَانَتْ مَعَهُ عَائِشَةُ فِي سَفَرِهِ ذَلِكَ - قَالَ أَهْلُ الْإِفْكِ فِيهَا مَا قَالُوا.

حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن الزُّهْرِيِّ، عَنْ علقمة بن وقاص الليثي وعن سعيد بن المسيَّب، وعن عروة
بن الزُّبَيْرِ وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال الزُّهْرِيُّ: كُلُّ قَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ هَذَا الْحَدِيثِ، وَبَعْضُ الْقَوْمِ كَانَ أَوْعَى لَهُ
مِنْ بَعْضٍ قَالَ: وَقَدْ جَمَعْتُ لَكَ كُلَّ الَّذِي حَدَّثَنِي الْقَوْمُ.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ
عَائِشَةَ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَ: وَكُلُّ قَدْ
اجْتَمَعَ حَدِيثُهُ فِي خَيْرِ قِصَّةِ عَائِشَةَ عَنْ نَفْسِهَا حِينَ قَالَ أَهْلُ الْإِفْكِ فِيهَا مَا قَالُوا، فَكُلُّ قَدْ دَخَلَ فِي حَدِيثِهَا عَنْ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا، وَيُحَدِّثُ
بَعْضُهُمْ مَا لَمْ يُحَدِّثْ بَعْضُ، وَكُلُّ كَانَ عَنْهَا ثِقَةً، وَكُلُّ قَدْ حَدَّثَ عَنْهَا بِمَا سَمِعَ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتَهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ، فَخَرَجَ سَهْمِي عَلَيَّ، فَخَرَجَ بِي رَسُولُ اللَّهِ ص قَالَتْ: وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعَلَقَ لَمْ يَبْهَجُنَّ اللَّحْمَ فَيُثْقَلْنَ قَالَتْ: وَكُنْتُ إِذَا رَحَلَ بَعِيرِي جَلَسْتُ فِي هَوْدَجِي، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ هَوْدَجِي فِي بَعِيرِي،

وَيَحْمِلُونِي فَيَأْخُذُونَ بِأَسْفَلِ الْهُودَجِ، فَيَرْفَعُونَهُ فَيَضَعُونَهُ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ، فَيَشُدُّونَهُ بِجِبَالِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُونَ بِرَأْسِ الْبَعِيرِ، فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ قَالَتْ: فَلَمَّا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ سَفَرِهِ ذَلِكَ، وَجَّهَ قَافِلًا، حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ نَزَلَ مَنْزِلًا، فَبَاتَ فِيهِ بَعْضَ اللَّيْلِ، ثُمَّ أَذِنَ فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ، فَلَمَّا ارْتَحَلَ النَّاسُ خَرَجْتُ لِبَعْضِ حَاجَتِي وَفِي عُنُقِي عَقْدٌ لِي فِيهِ جَزَعُ ظَفَارٍ، فَلَمَّا فَرَعْتُ النِّسْلَ مِنْ عُنُقِي وَلَا أَدْرِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى الرَّحْلِ ذَهَبَتْ أَتَمَّتْهُ فِي عُنُقِي فَلَمْ أَجِدْهُ، وَقَدْ أَخَذَ النَّاسُ فِي الرَّحِيلِ قَالَتْ:

فَرَجَعْتُ عَوْدِي عَلَى بَدْيِي إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي ذَهَبْتُ إِلَيْهِ، فَالْتَمَسْتُهُ حَتَّى وَجَدْتُهُ، وَجَاءَ خِلَافِي الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي الْبَعِيرَ، وَقَدْ فَرَّغُوا مِنْ رِحْلَتِهِ، فَأَخَذُوا الْهُودَجَ، وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنِّي فِيهِ كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ، فَاحْتَمَلُوهُ، فَشَدُّوا عَلَى الْبَعِيرِ، وَلَمْ يَشْكُوا أَنِّي فِيهِ ثُمَّ أَخَذُوا بِرَأْسِ الْبَعِيرِ فَاَنْطَلَقُوا بِهِ، وَرَجَعْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ وَمَا فِيهِ دَاجٌ وَلَا مُجِيبٌ، قَدْ انْطَلَقَ النَّاسُ قَالَتْ: فَتَلَفْتُ جِلْبَابِي ثُمَّ اضْطَجَعْتُ فِي مَكَانِي الَّذِي ذَهَبْتُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّ لَوْ قَدْ افْتَقَدُونِي قَدْ رَجَعُوا إِلَى قَالَتْ: فَوَاللَّهِ إِنِّي لَمُضْطَجِعَةٌ، إِذْ مَرَّ بِي صَفْوَانُ بْنُ الْمُعْطَلِ السُّلَمِيُّ، وَقَدْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنِ الْعَسْكَرِ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، فَلَمْ يَبْتَ مَعَ النَّاسِ فِي الْعَسْكَرِ، فَلَمَّا رَأَى سَوَادِي أَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيَّ فَعَرَفَنِي - وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْنَا الْحِجَابُ - فَلَمَّا رَأَى قَالَتْ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! أَطْعِمْنِي رَسُولُ اللَّهِ! وَأَنَا مُتَلَفَّةٌ فِي ثِيَابِي قَالَ: مَا خَلَقَكَ رَحِمَكِ اللَّهُ؟

قَالَتْ: فَمَا كَلَّمْتُهُ، ثُمَّ قَرَّبَ الْبَعِيرَ فَقَالَ: ارْكَبِي رَحِمَكِ اللَّهُ! وَاسْتَأْخِرْ عَنِّي قَالَتْ: فَرَكِبْتُ وَجَاءَ فَأَخَذَ بِرَأْسِ الْبَعِيرِ، فَاَنْطَلَقَ بِي سَرِيعًا يَطْلُبُ النَّاسَ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَكْنَا النَّاسَ، وَمَا افْتَقَدْتُ حَتَّى أَصْبَحْتُ، وَنَزَلَ النَّاسُ، فَلَمَّا اطْمَأَنَّنَا طَلَعَ الرَّجُلُ يَقُودُنِي، فَقَالَ أَهْلُ الْإِفْكِ فِي مَا قَالُوا فَاَرْجَحَّ

الْعَسْكَرَ، وَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَلَمْ أَمُكِّثْ أَنْ اسْتَكَيْتُ شَكْوَى شَدِيدَةً، وَلَا يَبْلَغُنِي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ انْتَهَى الْحَدِيثُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَالْيَافِي، وَلَا يَذْكُرَانِ لِي مِنْ ذَلِكَ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا، إِلَّا أَنِّي قَدْ انْكَرْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص بَعْضَ لُطْفِهِ بِي، كُنْتُ إِذَا اسْتَكَيْتُ رَحِمَنِي وَلَطَفَ بِي، فَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فِي شَكْوَايَ تِلْكَ، فَأَنْكَرْتُ مِنْهُ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيَّ وَأَمِّي تَمْرِضُنِي، قَالَ: كَيْفَ تَيْكُمُ؟ لَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ قَالَتْ: حَتَّى وَجَدْتُ فِي نَفْسِي مِمَّا رَأَيْتُ مِنْ جَفَائِهِ عَنِّي، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَذْنْتُ لِي فَاتَّقَلْتُ إِلَى أُمِّي فَرَضْتَنِي! قَالَ: لَا عَلَيْكَ! قَالَتْ: فَاتَّقَلْتُ إِلَى أُمِّي، وَلَا أَعْلَمُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ، حَتَّى نَفِهُتُ مِنْ وَجَعِي بَعْدَ بَضْعِ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً قَالَتْ:

وَكَمَا قَوْمًا عَرَبًا لَا يَتَّخِذُ فِي بَيْوتِهِ هَذِهِ الْكُنْفَ الَّتِي تَتَّخِذُهَا الْأَعَاجِمُ، نَعَافُهَا وَنَكْرَهُهَا، إِنَّمَا كُنَّا نَخْرُجُ فِي فُسْحِ الْمَدِينَةِ، وَإِنَّمَا كَانَ النِّسَاءُ يَخْرُجْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي حَوَائِجِهِنَّ، فَخَرَجْتُ لَيْلَةً لِبَعْضِ حَاجَتِي، وَمَعِيَ أُمُّ مِسْطَحَ بِنْتُ أَبِي رُهْمٍ بِنْتُ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَكَانَتْ أُمُّهَا بِنْتُ صَخْرٍ بِنْتُ عَامِرٍ بِنْتُ كَعْبٍ بِنْتُ سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ، خَالَه ابْنُ بَكْرٍ قَالَتْ فَوَاللَّهِ إِنَّمَا لَتَمَشِي مَعِي، إِذْ عَثَرْتُ فِي مَرِطِهَا، فَقَالَتْ: تَعَسَ مِسْطَحُ! قَالَتْ: قُلْتُ:

بُئْسَ لَعَمْرُ اللَّهِ مَا قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا! قَالَتْ: أَوْ مَا بَلَغَكَ الْخَبْرُ يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ! قَالَتْ: قُلْتُ: وَمَا الْخَبْرُ؟ فَأَخْبَرْتَنِي بِالَّذِي كَانَ مِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ قَالَتْ: قُلْتُ وَقَدْ كَانَ هَذَا! قَالَتْ: نَعَمْ وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا قَدَرْتُ عَلَى أَنْ أَقْضِيَ حَاجَتِي، وَرَجَعْتُ فَمَا زِلْتُ أَبْكِي حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ الْبُكَاءَ سَيَصْدَعُ كَبِدِي قَالَتْ: وَقُلْتُ لِأُمِّي:

يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ! تَحَدَّثَ النَّاسُ بِمَا تَحَدَّثُوا بِهِ وَبَلَّغَكَ مَا بَلَّغَكَ، وَلَا تَذْكُرِينَ لِي مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا! قَالَتْ: أَيُّ بَنِي خَفِضِي الشَّانَ، فَوَاللَّهِ قَلَمًا كَانَتْ امْرَأَةً حَسَنَاءَ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا لَهَا ضَرَارٌ إِلَّا كَثُرْنَ وَكَثُرَ النَّاسُ عَلَيْهَا قَالَتْ: وَقَدْ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي النَّاسِ يَخْطُبُهُمْ وَلَا أَعْلَمُ بِذَلِكَ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، مَا بَالُ رِجَالٍ يُؤْذُونَنِي فِي أَهْلِي، وَيَقُولُونَ عَلَيْنَ غَيْرِ الْحَقِّ! وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُمْ إِلَّا خَيْرًا، وَيَقُولُونَ ذَلِكَ لِرَجُلٍ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا! وَمَا دَخَلَ بَيْتًا مِنْ بَيْوتِي إِلَّا وَهُوَ مَعِيَ قَالَتْ: وَكَانَ كِبَرُ ذَلِكَ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنٍ سُلُولٍ فِي رِجَالٍ مِنَ الْخَزَرَجِ، مَعَ الَّذِي قَالَ مِسْطَحٌ وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ - وَذَلِكَ أَنَّ أُخْتَهَا زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَلَمْ تَكُنْ مِنْ نِسَائِهِ امْرَأَةً تَنَاصِبُنِي فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُ غَيْرَهَا، فَمَا زَيْنَبُ فَعَصَمَهَا اللَّهُ، وَامَّا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، فَأَشَاعَتْ مِنْ ذَلِكَ مَا أَشَاعَتْ، تُضَارِرُنِي لِأُخْتِهَا زَيْنَبَ بِنْتُ جَحْشٍ - فَشَقِيتُ بِذَلِكَ.

فَلَمَّا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص تِلْكَ الْمَقَالَةَ، قَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ يَكُونُوا مِنَ الْأَوْسِ نَكَفَكُهُمْ، وَإِنْ يَكُونُوا مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزَرَجِ فَرُنَا بِأَمْرِكَ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُمْ لِأَهْلٌ أَنْ تُضْرَبَ أَعْنَاقُهُمْ قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ - وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يَرَى رَجُلًا صَالِحًا - فَقَالَ: كَذَبْتَ لِعَمْرِ اللَّهِ لَا تُضْرَبُ أَعْنَاقُهُمْ! أَمَا وَاللَّهِ مَا قُلْتَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ إِلَّا أَنْكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُمْ مِنَ الْخَزَرَجِ، وَلَوْ كَانُوا مِنْ قَوْمِكَ مَا قُلْتَ هَذَا! قَالَ أُسَيْدٌ: كَذَبْتَ لِعَمْرِ اللَّهِ! وَلَكِنَّكَ مُنَاقِقٌ تَجَادَلُ عَنْ

الْمُنَافِقِينَ! قَالَتْ: وَنِثَاوَرَهُ النَّاسُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَيِّينَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ شَرٌّ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَدَخَلَ عَلَيَّ، قَالَتْ: فَدَعَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَاسْتَشَارَهُمَا، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَتْنِي خَيْرًا وَقَالَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَهْلُكَ، وَلَا نَعْلَمُ عَلَيْنَ إِلَّا خَيْرًا، وَهَذَا الْكُذْبُ وَالْبَاطِلُ وَأَمَّا عَلِيٌّ فَإِنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ النِّسَاءَ لَكَثِيرٌ، وَإِنَّكَ لَقَادِرٌ عَلَى أَنْ تَسْتَخْلِفَ، وَسَلِّ الْجَارِيَةَ فَإِنَّهَا تَصَدِّقُكَ فِدَا رَسُولِ اللَّهِ ص بِرَبْرَةٍ يَسْأَلُهَا قَالَتْ: فَقَامَ إِلَيْهَا عَلِيٌّ فَضَرَبَهَا ضَرْبًا شَدِيدًا، وَهُوَ يَقُولُ: أَصْدُقِي رَسُولَ اللَّهِ، قَالَتْ: فَتَقُولُ: وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كُنْتُ أَعِيبُ عَلَى عَائِشَةَ، إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أَعْجَنُ عَجِينِي فَأَمُرُهَا أَنْ تَحْفَظَهُ فَتَنَامَ عَنْهُ، فَيَأْتِي الدَّاجِنُ فَيَأْكُلُهُ.

ثُمَّ دَخَلَ عَلِيٌّ رَسُولُ اللَّهِ ص وَعِنْدِي أَبَوَايَ، وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَنَا أَبْكِي وَهِيَ تَبْكِي مَعِيَ، فَجَلَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَتْنِي عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ قَدْ كَانَ مَا بَلَّغَكَ مِنْ قَوْلِ النَّاسِ، فَاتَّقِي اللَّهَ، وَإِنْ كُنْتَ قَارِفَتْ سُوءًا مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ فَنُوبِي إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَالَ ذَلِكَ، تَقَلَّصَ دَمْعِي، حَتَّى مَا أَحَسُّ مِنْهُ شَيْئًا، وَاتَّظَرْتُ أَبَوِي أَنْ يَجِيبَا رَسُولَ اللَّهِ ص فَلَمْ يَتَكَلَّمَا قَالَتْ: وَإِيمُ اللَّهِ لَأَنَا كُنْتُ أَحْقَرُ فِي نَفْسِي وَأَصْغَرُ شَأْنًا مِنْ أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قُرْآنٍ يَقْرَأُ بِهِ فِي الْمَسَاجِدِ، وَيُصَلَّى بِهِ، وَلَكِنِّي قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ص فِي نَوْمِهِ شَيْئًا يَكْذِبُ اللَّهُ بِهِ عَنِّي، لِمَا يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَتِي، أَوْ يُخْبِرُ خَبْرًا، فَأَمَّا قُرْآنُ يَنْزِلُ فِيَّ، فَوَاللَّهِ لِنَفْسِي كَانَتْ أَحْقَرُ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ قَالَتْ: فَلَمَّا لَمْ أَرَ أَبَوِي يَتَكَلَّمَانِ.

قَالَتْ: قُلْتُ أَلَا تُجِيبَانِ رَسُولَ اللَّهِ! قَالَتْ: فَقَالَا لِي: وَاللَّهِ مَا نَذْرِي بِمَاذَا نُجِيبُهُ! قَالَتْ: وَإِيمُ اللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ دَخَلَ عَلَيْهِمْ مَا دَخَلَ عَلَى آلِ أَبِي بَكْرٍ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ! قَالَتْ: فَلَمَّا اسْتَعَجَمَا عَلَيَّ اسْتَعَبْتُ فَبَكَيْتُ ثُمَّ قُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِمَّا ذَكَرْتَ أَبَدًا، وَاللَّهِ لَنْ أَقَرُّتُ بِمَا يَقُولُ النَّاسُ - وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بِرِيئَةٌ - لَتَصَدِّقَنِي، لَأَقُولَنَّ مَا لَمْ يَكُنْ، وَلَنْ أُنَاكَرْتُ مَا تَقُولُونَ لَا تُصَدِّقُونَنِي قَالَتْ: ثُمَّ اتَّخَذْتُ اسْمَ يَعْقُوبَ فَمَا أَذْكُرُهُ، وَلَكِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ: «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ» .

قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا بَرِحَ رَسُولُ اللَّهِ ص مَجْلِسَهُ حَتَّى تَغْشَاهُ مِنَ اللَّهِ مَا كَانَ يَغْشَاهُ، فَسَجَى بِثَوْبِهِ، وَوَضَعَتْ وَسَادَةً مِنْ أَدَمٍ تَحْتَ رَأْسِهِ، فَأَمَّا أَنَا حِينَ رَأَيْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ، فَوَاللَّهِ مَا فَرَعْتُ كَثِيرًا وَلَا بَالِيَتْ، قَدْ عَرَفْتُ أَنِّي بِرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ غَيْرُ ظَالِمٍ لِي، وَأَمَّا أَبَوَايَ، فَوَاللَّهِ

الذي نَفَسَ عَائِشَةَ بِيَدِهِ، مَا سَرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص حَتَّى ظَنَنْتُ لَتَخْرُجَنَّ أَنْفُسُهُمَا فَرَقًا أَنْ يَأْتِيَ مِنَ اللَّهِ تَحْقِيقَ مَا قَالَ النَّاسُ قَالَتْ: ثُمَّ سَرَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص، جَلَسَ وَأَنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلَ الْجَمَانِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ الْعَرَقَ عَنْ جَبِينِهِ، وَيَقُولُ: أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بَرَاءَتَكَ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: بِحَمْدِ اللَّهِ وَذِمَّتِهِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ نَحَطَبُهُمْ، وَتَلَا عَلَيْهِمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْقُرْآنِ فِيهِ.

ثم امر بمسطح بن أثاثه وحسان بن ثابت وحننة بنت جحش - وكانوا ممن أفصح بالفاحشة - فضربوا حدهم حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق.

عن أبيه، عن بعض رجال بني النجار، أن أبا أيوب خالد بن زيد، قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب، أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال:

بلى، وذلك الكذب، أكنيت يا أم أيوب فاعلة ذلك! قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك قال: فلما نزل القرآن ذكر الله من قال من الفاحشة ما قال من اهل الافك: «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ» الآية، وذلك حسان بن ثابت في أصحابه الذين قالوا ما قالوا.

ثم قال الله عز وجل: «لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا» الآية، أي كما قال أبو أيوب وصاحبه ثم قال: «إِذْ تَلَقَوْهُ بِاللَّسِنِ كَ» الآية فلما نزل هذا في عائشة وفيمن قال لها ما قال قال أبو بكر - وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وحاجته: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً، ولا أنفقه بفتح أبداً بعد الذي قال لعائشة، وأدخل علينا ما أدخل! قالت: فأنزل الله عز وجل في ذلك:

«وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى» الآية

قالت: فقال أبو بكر: والله لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً. ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف حين بلغه ما يقول فيه، وقد كان حسان قال شعراً مع ذلك يعرض بابن المعطل فيه وبمن أسلم من العرب من مضر، فقال:

أَمْسَى الْجَلَالِيْبُ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا ... وَابْنُ الْفَرِيعَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ

قَدْ ثَكَلَتْ أُمُّهُ مِنْ كُنْتِ صَاحِبَهُ ... أَوْ كَانَ مُنْتَشِبًا فِي بَرْنِ الْأَسَدِ

مَا لَقَيْتَنِي الَّذِي أَغْدُو فَأَخَذَهُ ... مِنْ دِيَةِ فِيهِ يُعْطَاهَا وَلَا قُودَ

مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهَبُ الرِّيحُ شَامِيَةً ... فَيَغْطِلُ وَيَرْمِي الْعَبْرَ بِالزَّبْدِ

يَوْمًا بِأَغْلَبَ مَنِي حِينَ تَبَصَّرَنِي ... مَلْغِظُ أَفْرِي كَفَرِي الْعَارِضِ الْبَرْدِ

فاعترضه صفوان بن المعطل بالسيف فضربه ثم قال - كما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق:

تَلَقَّى ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَأَتَنِي ... غَلَامٌ إِذَا هُوَ جِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، أن ثابت بن قيس بن الشماس أخا بلحارث بن الخزرج، وثب على صفوان بن المعطل في ضربه حسان، فجمع يديه إلى عنقه، فانطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج، فلقبه عبد الله بن رواحة، فقال: ما هذا؟ قال: ألا أعجبك ضرب حسان بن ثابت بالسيف! والله ما أراه إلا قد قتله قال: فقال له عبد الله ابن رواحة: هل علم رسول الله ص بشيء مما صنعت؟

قَالَ: لَا وَاللَّهِ، قَالَ: لَقَدْ اجْتَرَأْتَ! أَطْلَقِ الرَّجُلَ، فَأُطْلِقَهُ ثُمَّ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ص، فَذَكَرُوا لَهُ ذَلِكَ، فَدَعَا حَسَّانَ وَصَفْوَانَ بْنَ الْمُعْطَلِ، فَقَالَ ابْنُ الْمُعْطَلِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَذَانِي وَهَجَانِي، فَاحْتَمَلَنِي الْغَضَبُ فَضْرَبْتُهُ [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِحَسَّانَ: يَا حَسَّانُ أَتَشَوَّهْتَ عَلَى قَوْمِي أَنْ هَدَاهُمُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ! ثُمَّ قَالَ: أَحْسِنُ يَا حَسَّانُ فِي الَّذِي قَدْ أَصَابَكَ، قَالَ: هِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ] وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص أَعْطَاهُ عَوْضًا مِنْهَا بَيْرَحًا - وَهِيَ قَصْرُ بَنِي حُدَيْلَةَ الْيَوْمَ بِالْمَدِينَةِ، كَانَتْ مَالًا لِأَبِي طَلْحَةَ بْنِ سَهْلٍ، تَصَدَّقَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَأَعْطَاهَا حَسَّانُ فِي ضَرْبَتِهِ - وَأَعْطَاهُ سِيرِينَ، أُمَةً قِبْطِيَّةً، فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ حَسَّانَ.

قَالَ: وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ: لَقَدْ سُئِلَ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ الْمُعْطَلِ فَوَجَدُوهُ رَجُلًا حَصُورًا مَا يَأْتِي النِّسَاءَ ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ شَهِيدًا. حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ حَمَزَةَ، أَنَّ حَدِيثَ عَائِشَةَ كَانَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: ثُمَّ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِالْمَدِينَةِ شَهْرَ رَمَضَانَ وَشَوَّالًا، وَخَرَجَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ مِائَتٍ مُعْتَمِرًا

ذكر الخبر عن عمره النبي ص التي صده المشركون فيها عن البيت، وهي قصه الحديبية

ذكر الخبر عن عمره النبي ص التي صده المشركون فيها عن البيت، وهي قصه الحديبية

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ بَشِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ ذَرِّهِمٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ص اعْتَمَرَ ثَلَاثَ عُمَرٍ، كُلُّهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ، يَرْجِعُ فِي كُلِّهَا إِلَى الْمَدِينَةِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ص مُعْتَمِرًا فِي ذِي الْقَعْدَةِ لَا يُرِيدُ حَرْبًا، وَقَدْ اسْتَنْفَرَ الْعَرَبَ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَوَادِي مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُ، وَهُوَ يَحْتَشِي مِنْ قُرَيْشٍ الَّذِي صَنَعُوا بِهِ أَنْ يَعْرِضُوا لَهُ بِحَرْبٍ، أَوْ يَصُدُّوهُ عَنِ الْبَيْتِ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمَنْ لَحِقَ بِهِ مِنَ الْعَرَبِ، وَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ، وَأَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ، لِيَأْمَنَ النَّاسُ مِنْ حَرْبِهِ، وَلِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ، مُعْظَمًا لَهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ قَالَا: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَامَ الْحَدَيْبِيَّةِ، يُرِيدُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ، لَا يُرِيدُ قِتَالًا، وَسَاقَ مَعَهُ سَبْعِينَ بَدَنَةً، وَكَانَ النَّاسُ سَبْعِمِائَةَ رَجُلٍ، كَانَتْ كُلُّ بَدَنَةٍ عَنْ عَشْرَةِ نَفَرٍ وَأَمَّا حَدِيثُ ابْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى، فَحَدَّثَنَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ

وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُبَارَكٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، قَالَا: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنَ الْحَدَيْبِيَّةِ، فِي بَضْعَةِ عَشْرٍ وَمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ. حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ بْنُ عَمَارٍ الْيَمَامِيُّ، عَنْ إِيَّاسِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَدِمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص الْحَدَيْبِيَّةَ، وَنَحْنُ أَرْبَعَةُ عَشْرٍ وَمِائَةً.

حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُوسَى الْقَطَّانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَسَعِيدُ بْنُ شَرْحِبِيلٍ الْمِصْرِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ الْمِصْرِيُّ، قَالَ:

حَدَّثَنَا أَبُو الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: كُنَّا يَوْمَ الْحَدَيْبِيَّةِ أَلْفًا وَأَرْبَعِمِائَةً.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْبَيْعَةِ تَحْتَ

الشجرة ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين.
 حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى، يَقُولُ: كُنَّا يَوْمَ الشَّجَرَةِ أَلْفًا وَثَلَاثُمِائَةً، وَكَانَتْ أَسْلَمُ ثَمَنَ الْمُهَاجِرِينَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: كُنَّا أَصْحَابُ الْحُدَيْبِيَةِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ وَمِائَةً.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: نَفَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص، حَتَّى إِذَا كَانَ بِعُسْفَانَ لَقِيَهُ بِشْرُ بْنُ سُفْيَانَ الْكَعْبِيُّ، فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ قَرِيشٌ قَدْ سَمِعُوا بِمَسِيرِكَ، نَخْرَجُوا مَعَهُمُ الْعَوْدُ الْمَطَافِيلُ، قَدْ لَبَسُوا جُلُودَ الثَّوَرِ، وَقَدْ نَزَلُوا بِذِي طُوًى، يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَا تَدْخُلُهَا عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَهَذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي خَيْلِهِمْ، قَدْ قَدَّمُوها إِلَى كِرَاعِ الْغَمِيمِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَدْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ كَانَ يَوْمَئِذٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص مُسْلِمًا.
 ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ الْقُمِيُّ، عَنْ جَعْفَرٍ - يَعْنِي ابْنَ أَبِي الْمُغِيرَةِ - عَنْ ابْنِ أَبِي، قَالَ: لما خرج النبي ص بِالْهَدْيِ، وَانْتَهَى إِلَى ذِي الْحُلَيْفَةِ، قَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَدْخُلُ عَلَى قَوْمٍ هُمْ لَكَ حَرْبٌ بِغَيْرِ سِلَاحٍ وَلَا كُرَاعٍ! قَالَ: فَبَعَثَ النَّبِيُّ ص إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمْ يَدَعْ فِيهَا كُرَاعًا وَلَا سِلَاحًا إِلَّا حَمَلَهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ مَكَّةَ مَنَعُوهُ أَنْ يَدْخُلَ، فَسَارَ حَتَّى أَتَى مَنًى، فَزَلَّ بِمَنًى، فَاتَّاهُ عَيْنُهُ أَنْ عِكْرَمَةَ بِنْتُ أَبِي جَهْلٍ قَدْ خَرَجَ عَلَيْكَ فِي خَمْسَمِائَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ: يَا خَالِدُ، هَذَا ابْنُ عَمِّكَ، قَدْ أَتَاكَ فِي الْخَلِيلِ، فَقَالَ خَالِدُ: أَنَا سَيْفُ اللَّهِ وَسَيْفُ رَسُولِهِ - فَيَوْمَئِذٍ سَمِيَ سَيْفَ اللَّهِ -: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرُمُ بِي حَيْثُ شِئْتَ فَبَعَثَهُ عَلَى خَيْلٍ، فَلَقِيَ عِكْرَمَةَ فِي الشَّعْبِ، فَهَزَمَهُ حَتَّى أَدْخَلَهُ حَيْطَانَ مَكَّةَ، ثُمَّ عَادَ فِي الثَّانِيَةِ، فَهَزَمَهُ حَتَّى أَدْخَلَهُ حَيْطَانَ مَكَّةَ، فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: «وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَإَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ» - إِلَى قَوْلِهِ: «عَذَابًا أَلِيمًا»

قال: وكف الله النبي ص

عَنْهُمْ بَعْدَ أَنْ أَظْفَرَهُ عَلَيْهِمْ لِبَقَايَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا بَقَوْا فِيهَا مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَهُ عَلَيْهِمْ كَرَاهِيَةً أَنْ تَطَّاهُمُ الْخَيْلُ بِغَيْرِ عِلْمٍ رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ [قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: يَا وَجْهٌ قَرِيشٍ! قَدْ أَكَلْتُمُ الْحَرْبَ، مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلَوْا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ الْعَرَبِ، فَإِنْ هُمْ أَصَابُونِي كَانَ ذَلِكَ الَّذِي أَرَادُوا، وَإِنْ أَظْهَرَنِي اللَّهُ عَلَيْهِمْ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَافَرِينَ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوَّةٌ فَمَا تَظُنُّ قَرِيشُ! فَوَاللَّهِ لَا أَزَالُ أُجَاهِدُهُمْ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ تَفَرَّدَ هَذِهِ السَّالِفَةُ] .

ثُمَّ قَالَ: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِهِمْ أَلَيْسَ هُمْ بِهَا؟

فَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَسَلَكَ بِهِمْ عَلَى طَرِيقٍ وَعَرِ حَزَنٍ بَيْنَ شَعَابٍ، فَلَمَّا أَنْ خَرَجُوا مِنْهُ - وَقَدْ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَأَفْضَوْا إِلَى أَرْضٍ سَهْلَةٍ عِنْدَ مُنْقَطَعِ الْوَادِي - [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِلنَّاسِ: قُولُوا: نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ.

فَفَعَلُوا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: وَاللَّهِ إِنَّهَا لِلْحَطَّةِ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَقُولُوهَا] .

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص النَّاسَ فَقَالَ:

اسْلُكُوا ذَاتَ الْيَمِينِ، بَيْنَ ظَهْرِي الْخَمَضِ فِي طَرِيقٍ تُخْرِجُهُ عَلَى ثَنِيَّةِ الْمَرَارِ، عَلَى مَهْطِ الْحُدَيْبِيَةِ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ قَالَ: فَسَلَكَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الطَّرِيقَ،

فَلَمَّا رَأَتْ خَيْلُ قُرَيْشٍ قَرَّةَ الْجَيْشِ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَدْ خَالَفَهُمْ عَنْ طَرِيقِهِمْ، رَكَضُوا رَاجِعِينَ إِلَى قُرَيْشٍ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص، حَتَّى إِذَا سَلَكَ فِي ثَنِيَةِ الْمُرَارِ، بَرَكْتَ نَاقَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: خَلَّاتُ! فَقَالَ: وَمَا هُوَ لَهَا بِمُخْلَقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ عَنْ مَكَّةَ، لَا تَدْعُونِي قُرَيْشُ الْيَوْمَ إِلَى خُطَّةٍ يَسْأَلُونِي صَلَةَ الرَّحِمِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: انْزِلُوا، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بِالْوَادِي مَاءٌ نَزَلَ عَلَيْهِ! فَأَخْرَجَ سَهْمًا مِنْ كِتَابَتِهِ فَأَعْطَاهُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ، فَزَلَّ فِي قَلْبٍ مِنْ تِلْكَ الْقُلُبِ فَعَرَّزَهُ فِي جَوْفِهِ، فَجَاشَ الْمَاءُ بِالرَّيِّ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ عَلَيْهِ بِعَطَنِ.

فَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ حَدَّثَهُ، أَنَّ الَّذِي نَزَلَ فِي الْقَلْبِ بِسَهْمِ رَسُولِ اللَّهِ ص نَاجِيَهُ بِنِ جَنْدَبِ بْنِ عَمِيرِ بْنِ يَعْمَرَ بْنِ دَارِمٍ، وَهُوَ سَائِقٌ بَدَنَ رَسُولِ اللَّهِ ص. قَالَ: وَقَدْ زَعَمَ لِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ كَانَ يَقُولُ: أَنَا الَّذِي نَزَلَتْ بِسَهْمِ رَسُولِ اللَّهِ ص قَالَ: وَأَنْشَدْتَ أَسْلَمَ أَيْبَاتًا مِنْ شَعْرٍ قَالَهَا نَاجِيَةً، قَدْ ظَنَنَّا أَنَّهُ هُوَ الَّذِي نَزَلَ بِسَهْمِ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَزَعَمْتَ أَسْلَمَ أَنَّ جَارِيَةً مِنَ الْأَنْصَارِ أَقْبَلَتْ بَدْلُوهَا، وَنَاجِيَةً فِي الْقَلْبِ يَمِيحُ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَتْ:

يَا أَيُّهَا الْمَائِحُ دُلُونِي دُونَكَ ... إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَمْحَدُونَكَ
يَتَنُونَ خَيْرًا وَيَمْحَدُونَكَ.

وَقَالَ نَاجِيَةً، وَهُوَ فِي الْقَلْبِ يَمِيحُ النَّاسُ:

قَدْ عَلِمْتُ جَارِيَةَ يَمَانِيهِ ... أَنِّي أَنَا الْمَائِحُ وَاسْمِي نَاجِيَهُ

وَطَعْنَةُ ذَاتِ رَشَاشٍ وَاهِيَةٍ ... طَعْنَتْهَا تَحْتَ صَدُورِ الْعَادِيَةِ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّنَعَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ الزَّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ. وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ، قَالَ:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزَّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، قَالَا: نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى ثَمْدٍ قَلِيلِ الْمَاءِ، إِنَّمَا يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا فَلَمْ يَلْبِثْهُ النَّاسُ أَنْ نَزَحُوهُ، فَشَكَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص الْعَطَشُ، فَزَعَّ سَهْمًا مِنْ كِتَابَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَوَلَّى اللَّهُ مَا زَالَ يَجِيئُ لَهُمْ بِالرَّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخَزَاعِيِّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خَزَاعَةَ - وَكَانُوا عِيبَهُ نَصَحَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ - فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ قَدْ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَّةِ، مَعَهُمُ الْعُودُ الْمُطَافِيلُ، وَهُمْ مُقَاتِلُونَ وَصَادُونَ عَنِ الْبَيْتِ [فَقَالَ النَّبِيُّ ص: إِنَّا لَمْ نَأْتِ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنْ جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهَكْتُمُ الْحَرْبَ وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْنَاكُمْ مَدَّةً وَيَخْلُؤُوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرُوا، فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا]

فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا وَإِلَّا فَقَدْ جَمَعُوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَقَاتِلُهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَتَفَرَّدَ سَالِفَتِي، أَوْ لِيَنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَنُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ.

فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا فَقَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ، وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا فَقَالَ سَفَهَاؤُهُمْ: لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ نَحْدِثًا عَنْهُ بَشْيَءٍ، وَقَالَ ذُو الرَّايِّ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ، قَالَ: سَمِعْتَهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ص. فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، السَّمُ بِالْوَالِدِ! قَالُوا: بَلَى، قَالَ:

أَوَلَسْتُ بِالْوَلَدِ! قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ تَتَهَمُونَنِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَلَسْتُ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَفْتَرْتُ أَهْلَ عُكَاظٍ، فَلَمَّا بَلَّحُوا عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي

وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي! قَالُوا: بَلَى.

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، فِي حَدِيثِهِ، قَالَ: كَانَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ لَسِيعَةً بِنْتُ عَبْدِ شَمْسٍ. رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى وَيَعْقُوبَ قَالَ: فَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطْبَهُ رُشِدَ فَاقْبَلُوهَا، وَدَعُونِي أَنَا فَقَالُوا: ائِمَّة، فَأَتَاهَا، فَجَعَلَ يَكْلِمُ النَّبِيَّ ص، فَقَالَ النَّبِيُّ نَحْوًا مِنْ مَقَالَتِهِ لِبَدِيلٍ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيُّ مُحَمَّدٍ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ قَوْمَكَ، فَهَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَنَحَ أَصْلَهُ قَبْلَكَ! وَإِنْ تَكُنِ الْآخَرَى، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى وَجُوهًا وَأَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلَقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدْعُوكَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ:

أَمُصُّ بِظَرِّ اللَّاتِ - وَاللَّاتُ طَاغِيَةٌ ثَقِيفٍ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ - أَنَحْنُ نَفِرُ وَنَدْعُهُ! فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ نَفْسِي بِيَدِهِ

لَوْلَا يَدُكَ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لِأَجْبِتِكَ، وَجَعَلَ يَكْلِمُ النَّبِيَّ ص، فَكَلَّمَهَا كَلِمَةً أَخَذَ بِلَحِيَّتِهِ - وَالْمُغِيرَةُ ابْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ص، وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمَغْفَرُ، فَكَلَّمَهَا أَهْوَى عُرْوَةَ بِيَدِهِ إِلَى لَحْيَةِ النَّبِيِّ ص ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ: أَخْرَيْدَكَ عَنْ لَحِيَّتِهِ، فَرَفَعَ عُرْوَةَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْمُغِيرَةُ ابْنُ شُعْبَةَ، قَالَ: أَيُّ غَدْرٍ، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ! وَكَانَ الْمُغِيرَةُ ابْنُ شُعْبَةَ صَحْبَ قَوْمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَاسَلَمَ، [فَقَالَ النَّبِيُّ ص: أَمَّا الْإِسْلَامُ فَقَدْ قَبِلْنَا، وَأَمَّا الْمَالُ فَإِنَّهُ مَالُ غَدْرٍ، لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ].

وَأَنْ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمِقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ص بَعِينَهُ قَالَ:

فَوَاللَّهِ إِنْ يَتَنَخَّمُ النَّبِيُّ نَحْمَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدُهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمُوا عِنْدَهُ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ وَمَا يُحَدِّثُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلَكًا قَطُّ يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعْظِمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ يَتَنَخَّمُ نَحْمَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدُهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمُوا عِنْدَهُ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ، وَمَا يُحَدِّثُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطْبَةً رُشِدَ فَاقْبَلُوهَا فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ كَنَانِهِ:

دَعُونِي أَنَا، فَقَالُوا: ائِمَّة، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ص وَأَصْحَابِهِ، [قَالَ النَّبِيُّ ص: هَذَا فَلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعْظِمُونَ الْبُذْنَ فَابْعَثُوهَا لَهُ،] فَبَعَثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ قَوْمٌ يَلْبُونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ:

سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ! وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ فِي حَدِيثِهِ: ثُمَّ بَعَثُوا إِلَيْهِ الْخَلِيسَ بْنَ عُلْقَمَةَ - أَوْ ابْنَ زَبَانَ - وَكَانَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدَ الْأَحَابِيشِ، وَهُوَ أَحَدُ بَلْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ص [قَالَ: إِنَّ هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلَّهُونَ، فَابْعَثُوا الْهُدْيَ فِي وَجْهِهِ حَتَّى يَرَاهُ،] فَلَمَّا رَأَى الْهُدْيَ يَسِيلُ عَلَيْهِ مِنْ عَرَضِ الْوَادِي فِي قَلَائِدِهِ، قَدْ أَكَلَ أَوْبَارَهُ مِنْ طُولِ الْحَبْسِ، رَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص إِعْظَامًا لِمَا رَأَى، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَا لَا يَحِلُّ صَدَهُ: الْهُدْيُ فِي قَلَائِدِهِ، قَدْ أَكَلَ أَوْبَارَهُ مِنْ طُولِ الْحَبْسِ عَنْ مَحَلِّهِ، قَالُوا لَهُ: اجْلِسْ، فَإِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ لَا عِلْمَ لَكَ.

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّ الْخَلِيسَ غَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ، وَقَالَ:

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ مَا عَلَى هَذَا حَالْفَنَّاكُمْ، وَلَا عَلَى هَذَا عَاقِدْنَاكُمْ، أَنْ تَصُدُّوا عَنْ يَتِّ اللَّهِ مَنْ جَاءَهُ مُعْظَمًا لَهُ، وَالَّذِي نَفْسُ الْحَلِيسِ بِيَدِهِ لَتُخْلَنَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ مَا جَاءَهُ لَهُ، أَوْ لَا تُفَرَّنَ بِالْأَحَادِيثِ نَفْرَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ! قَالَ: فَقَالُوا لَهُ: مَهْ! كُفَّ عَنَّا يَا حَلِيسُ حَتَّى نَأْخُذَ لَأَنْفُسِنَا مَا نَرْضَى بِهِ.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى وَيَعْقُوبَ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مُكَرِّزُ بْنُ حَفْصٍ، فَقَالَ لَهُمْ: دَعُونِي آتِهِ، قَالُوا: إِنَّهُ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ [قَالَ النَّبِيُّ ص: هَذَا مُكَرِّزُ بْنُ حَفْصٍ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ،] فُجَاءَ فَعَلَّ يَكْلُمُ النَّبِيَّ ص، فَبَيْنَا هُوَ يَكْلُمُهُ إِذْ جَاءَ سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو.

وَقَالَ أَيُّوبُ عَنْ عِكْرَمَةَ: أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سَهِيلُ [قَالَ النَّبِيُّ ص:

قَدْ سَهَّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ]

فَخَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُمَارَةَ الْأَسَدِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ - وَاللَّفْظُ لِابْنِ عُمَارَةَ - قَالَا: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ إِيَّاسِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكُوْعِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: بَعَثَ قُرَيْشُ سَهِيلَ بْنَ عَمْرٍو وَحَوَيْطَبَ بْنَ عَبْدِ الْعَزَى وَحَفْصَ بْنَ فُلَانٍ، إِلَى النَّبِيِّ ص لِيُصَالِحُوهُ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ فِيهِمْ سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو، [قَالَ: سَهَّلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ، الْقَوْمُ مَاتُونَ إِلَيْكُمْ بِأَرْحَامِكُمْ، وَسَائِلُكُمْ الصُّلْحِ، فَابْعَثُوا الْهَدْيَ، وَأَظْهَرُوا التَّلْبِيَةَ، لَعَلَّ ذَلِكَ يُلِينُ قُلُوبَهُمْ] فَلَبَّوْا مِنْ نَوَاحِي الْعَسْكَرِ حَتَّى ارْتَجَّتْ أَصْوَاتُهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ قَالَ: فُجَاءُوا فَسَأَلُوهُ الصُّلْحَ، قَالَ: فَبَيْنَمَا النَّاسُ قَدْ تَوَادَعُوا، وَفِي الْمُسْلِمِينَ نَاسٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَفِي الْمُشْرِكِينَ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ: فَفَتَكَ بِهِ أَبُو سَفْيَانَ، قَالَ: فَإِذَا الْوَادِي يَسِيلُ بِالرِّجَالِ وَالسَّلَاحِ قَالَ إِيَّاسُ: قَالَ سَلَمَةُ: فَجِئْتُ بِسِتَّةٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مُتَسَلِّحِينَ أَسْوَقَهُمْ، مَا يَمْلِكُونَ لَأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، فَأَتَيْتُ بِهِمُ النَّبِيَّ ص، فَلَمْ يَسْلُبْ وَلَمْ يَقْتُلْ، وَعَفَا.

وَأَمَّا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى فَإِنَّهُ حَدَّثَنَا قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ عِمَارٍ الْيَمَامِيُّ، عَنْ إِيَّاسِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا أَصْطَلَحْنَا نَحْنُ وَأَهْلُ مَكَّةَ، أَتَيْتُ الشَّجَرَةَ فَكَسَحْتُ شَوْكَهَا، ثُمَّ اضْطَجَعْتُ فِي ظِلِّهَا، فَأَتَانِي أَرْبَعَةُ نَفَرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَعَمَلُوا يَقْعُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ص، فَأَبْغَضْتُهُمْ قَالَ: فَتَحَوَّلْتُ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى، فَعَلَقُوا سِلَاحَهُمْ، ثُمَّ اضْطَجَعُوا، فَبَيْنَاهُمْ كَذَلِكَ، إِذْ نَادَى مُنَادٌ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ! قُتِلَ ابْنُ زَيْمٍ! فَاخْتَرْتُ سَيْفِي، فَشَدَدْتُ عَلَى أَوْلَئِكَ الْأَرْبَعَةِ وَهُمْ رُقُودٌ، فَأَخَذْتُ سِلَاحَهُمْ فَجَعَلْتُهُ ضِعْفًا فِي يَدِي، ثُمَّ قُلْتُ: وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ص، لَا يَرْفَعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَأْسَهُ إِلَّا ضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ قَالَ: فَجِئْتُ بِهِمْ

أَقُودَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، وَجَاءَ عَمِّي عَامِرُ بْنُ جُلٍّ مِنَ الْعَبَلَاتِ، يُقَالُ لَهُ مُكَرِّزٌ، يَقُودُهُ مُجَفِّفًا، حَتَّى وَقَفْنَا بِهِمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فِي سَبْعِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَظَنَرُ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ص، [فَقَالَ: دَعُوهُمْ يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الْفُجُورِ،] فَعَفَا عَنْهُمْ قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ» رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَارَةَ وَمُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ.

قَالَ سَلَمَةُ: فَشَدَدْنَا عَلَى مَنْ فِي أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ مَنَا، فَمَا تَرَكَآ فِي أَيْدِيهِمْ مَنَا رَجُلًا إِلَّا اسْتَقْدَنَاهُ قَالَ: وَغَلَبْنَا عَلَى مَنْ فِي أَيْدِينَا مِنْهُمْ. ثُمَّ إِنَّ قُرَيْشًا بَعَثُوا سَهِيلَ بْنَ عَمْرٍو وَحَوَيْطَبًا فَوَلَّوْهُمُ صُلْحَهُمْ، وَبَعَثَ النَّبِيُّ ص عَلِيًّا فِي صُلْحِهِ.

حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ص يُقَالُ لَهُ زَيْمٌ، أَطْلَعَ الثَّانِيَةَ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ، فَرَمَاهُ الْمُشْرِكُونَ فَقَتَلُوهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص خَيْلًا، فَأَتَوْهُ بِاثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا فَارِسًا مِنَ الْكُفَّارِ، فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّ اللَّهِ ص: هَلْ لَكُمْ عَلَيَّ عَهْدٌ؟ هَلْ لَكُمْ عَلَيَّ ذِمَّةٌ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَأَرْسَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْقُرْآنَ: «وَهُوَ

الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ - إلى قوله: «بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا» .
وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ قُرَيْشًا إِنَّمَا بَعَثَتْ سَهِيلَ بْنَ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ كَانَ رَسُولَ اللَّهِ ص أَرْسَلَهَا إِلَيْهِمْ مَعَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص دَعَا خِرَاشَ بْنَ أُمَيَّةَ الْخَزَاعِيَّ، فَبَعَثَهُ إِلَى قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ، وَحَمَلَهُ عَلَى جَمَلٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ الثَّعْلَبُ، لِيُبَلِّغَ أَشْرَافَهُمْ عَنْهُ مَا جَاءَ لَهُ، فَعَقَرُوا بِهِ جَمَلَ رَسُولِ اللَّهِ وَارَادُوا قَتْلَهُ، فَنَعَتْهُ الْأَحَابِيشُ، نَحَلُوا سَبِيلَهُ، حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ص. حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَمُّ، عَنْ عِكْرَمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ قُرَيْشًا بَعَثُوا أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ - أَوْ خَمْسِينَ رَجُلًا - وَأَمَرُوهُمْ أَنْ يُطِيفُوا بِعَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ ص لِيُصِيبُوا لَهُمْ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَخَذُوا أَخْذًا، فَأَتَى بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَعَفَا عَنْهُمْ، وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ - وَقَدْ كَانُوا رَمَوْا فِي عَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ ص بِالْحِجَارَةِ وَالنَّبْلِ - ثُمَّ دَعَا النَّبِيَّ ص عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لِيُبْعَثَهُ إِلَى مَكَّةَ، فَيُبَلِّغَ عَنْهُ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مَا جَاءَ لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَخَافُ قُرَيْشًا عَلَى نَفْسِي، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ بِنِ كَعْبٍ أَحَدٍ يَمْنَعُنِي، وَقَدْ عَرَفْتُ قُرَيْشَ عِدَاوَتِي إِيَّاهَا، وَغِلْظَتِي عَلَيْهَا، وَلَكِنِّي أَدْلُكَ عَلَى رَجُلٍ هُوَ أَعَزُّ بِهَا مِنِّي، عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ! فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ص عُثْمَانَ، فَبَعَثَهُ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَأَشْرَافِ قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبٍ، وَإِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ، مُعْظَمًا لِحُرْمَتِهِ. فَخَرَجَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَلَقِيَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ حِينَ دَخَلَ مَكَّةَ - أَوْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا - فَزَلَّ عَنْ دَابَّتِهِ، فَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ رَدَفَهُ وَأَجَارَهُ، حَتَّى بَلَغَ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَانْطَلَقَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ وَعَظَمَاءَ قُرَيْشٍ، فَبَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص مَا أَرْسَلَهُ بِهِ، فَقَالُوا لِعُثْمَانَ حِينَ فَرَغَ مِنْ رِسَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص إِلَيْهِمْ: إِنَّ شَيْئًا أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَطُفْ بِهِ، قَالَ: مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ

رَسُولُ اللَّهِ ص، فَاحْتَبَسَتْهُ قُرَيْشٌ عِنْدَهَا،

فَبَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَالْمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، [أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ، قَالَ: لَا نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ الْقَوْمَ]، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ فَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ حَدَّثَنِي ابْنُ عُمَارَةَ الْأَسَدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ إِيَّاسِ بْنِ سَلَمَةَ، قَالَ: قَالَ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَاعِ: بَيْنَمَا نَحْنُ قَافِلُونَ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ، نَادَى مُنَادِي النَّبِيَّ ص: أَيُّهَا النَّاسُ، الْبَيْعَةُ الْبَيْعَةُ! نَزَلَ رُوحُ الْقُدُسِ قَالَ: فَسَرْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَهُوَ تَحْتَ شَجَرَةِ سَمَرَةٍ، قَالَ: فَبَايَعْنَاهُ، قَالَ: وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» .

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدُ بْنُ بَيَّانٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: كَانَ أَوَّلُ مَنْ بَايَعَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ، يُقَالُ لَهُ: أَبُو سِنَانٍ بْنُ وَهْبٍ حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدَرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ وَمِائَةً قَالَ: فَبَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ص، وَعَمَرُ أَخَذَ بِيَدِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَهِيَ سَمَرَةٌ، فَبَايَعَنَاهُ غَيْرَ الْجَدِّ بْنِ قَيْسِ الْأَنْصَارِيِّ، اخْتَبَأَ تَحْتَ بَطْنِ بَعِيرِهِ.

قَالَ جَابِرٌ: بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُبَايَعْهُ عَلَى الْمَوْتِ

وَقَدْ قِيلَ فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَامِرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عِكْرَمَةُ بْنُ عَمَارٍ الْيَمَامِيُّ، عَنْ إِيَّاسِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَاعِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ص دَعَا النَّاسَ لِلْبَيْعَةِ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ، فَبَايَعْتُهُ فِي أَوَّلِ النَّاسِ، ثُمَّ بَايَعَ وَبَايَعَ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي وَسْطِ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: بَايَعَ يَا سَلَمَةُ، قَالَ: قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ! قَالَ: وَأَيْضًا، وَرَأَى النَّبِيَّ ص أَعْرَلَ، فَأَعْطَانِي جَفَّةً أَوْ دَرَقَةً

قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ بَايَعَ النَّاسَ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِهِمْ، قَالَ: أَلَا تَبَايَعُ يَا سَلَمَةُ! قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ بَايَعْتُكَ فِي أَوَّلِ النَّاسِ وَأَوْسَطِهِمْ! قَالَ: وَأيضاً قَالَ: فبايعته الثالثة، [فقال رسول الله ص:

فَإِنَّ الدَّرَقَةَ، وَالْحَجَفَةَ الَّتِي أُعْطِيتُكَ؟ قُلْتُ: لَقِيتَنِي عَمِّي عَامِرٌ أَعَزَلَ فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَقَالَ: إِنَّكَ كَالَّذِي قَالَ الْأَوَّلُ: اللَّهُمَّ ابْنِي حَبِيباً هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي].

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: فَبَايَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص النَّاسَ، وَلَمْ يَتَخَلَفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَضَرَهَا إِلَّا الْجَدُّ ابْنُ قَيْسٍ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ، قَالَ: كَانَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ لاصِقاً بِإِطِيقَتِهِ، قَدْ ضَبَّ إِلَيْهَا يَسْتَرُّ بِهَا مِنَ النَّاسِ ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ص أَنَّ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِ عُثْمَانَ بَاطِلٌ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: قَالَ الزُّهْرِيُّ: ثُمَّ بَعَثَتْ قُرَيْشٌ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو، أَخَا بَنِي عَامِرٍ بْنِ لُؤَيٍّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، وَقَالُوا لَهُ: ائْتِ مُحَمَّدًا فَصَالِحُهُ، وَلَا يَكُنْ فِي صَلَاحِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ عَنَّا عَامَهُ هَذَا، فَوَاللَّهِ لَا تُحَدِّثُ الْعَرَبُ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْنَا عُنُوةً أَبَدًا.

قَالَ: فَأَقْبَلَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَلَمَّا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ص مُقْبِلًا، قَالَ: قَدْ أَرَادَ الْقَوْمُ الصَّلَاحَ حِينَ بَعَثُوا هَذَا الرَّجُلَ فَلَمَّا انْتَهَى سُهَيْلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص تَكَلَّمَ فَأَطَالَ الْكَلَامَ، وَتَرَجَّعًا، ثُمَّ جَرَى بَيْنَهُمَا الصَّلَاحُ، فَلَمَّا تَأَمَّ الْأَمْرُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْكِتَابُ وَثَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَأَتَى أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ بِرَسُولِ اللَّهِ! قَالَ: بَلَى، قَالَ:

أَوْ لَسْنَا بِالْمُسْلِمِينَ! قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَوْ لَيْسُوا بِالْمُشْرِكِينَ! قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَعَلَامَ نَعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا! قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا عُمَرُ الزَّمْ غَرَزَهُ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ عُمَرُ: وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ.

قَالَ: ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ص فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ! قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَوْ لَسْنَا بِالْمُسْلِمِينَ! قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَوْ لَيْسُوا بِالْمُشْرِكِينَ! قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَعَلَامَ نَعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا! فَقَالَ:

أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ لَنْ أَخَالَفَ أَمْرَهُ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي قَالَ: فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: مَا زِلْتُ أَصُومُ وَأَتَصَدَّقُ وَأُصَلِّي وَأَعْتِقُ مِنَ الَّذِي صَنَعْتُ يَوْمَئِذٍ، مَخَافَةَ كَلَامِي الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ، حَتَّى رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ سَفْيَانَ بْنِ فَرُوهَ الْأَسْلَمِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ، عَنْ عُلْقَمَةَ ابْنِ قَيْسٍ النَّخَعِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ثُمَّ دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ص، فَقَالَ: اكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَقَالَ سُهَيْلٌ: لَا أَعْرِفُ هَذَا، وَلَكِنْ اكْتُبْ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فَكَتَبْتُهَا ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ: هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو: لَوْ شَهِدْتُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ أَقَاتِلْكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ اسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: اكْتُبْ: هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، اصْطَلَحَا عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَنِ النَّاسِ عَشْرَ سِنِينَ، يَأْمَنُ فِيهِمُ النَّاسُ، وَيَكْفُفُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ مِنْ قُرَيْشٍ بِغَيْرِ

إِذْنٍ وَلِيهِ رَدُّهُ عَلَيْهِمْ، وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشًا مِنْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ تَرُدَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْ بَيْنَنَا عِيبَةٌ مَكْفُوفَةٌ، وَأَنَّهُ لَا إِسْلَالَ وَلَا إِغْلَالَ، وَأَنَّهُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ رَسُولِ اللَّهِ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ، دَخَلَ فِيهِ - فَتَوَاتَبَتْ خِزَاعَةٌ فَقَالُوا: نَحْنُ فِي عَقْدِ رَسُولِ اللَّهِ وَعَهْدِهِ، وَتَوَاتَبَتْ بَنُو بَكْرٍ، فَقَالُوا: نَحْنُ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهَا - وَأَنْكَ تَرْجِعُ عَنَّا عَامَكَ هَذَا، فَلَا تَدْخُلُ عَلَيْنَا مَكَّةَ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَامٌ قَابِلٌ خَرَجْنَا عَنْكَ، فَدَخَلَتْهَا بِأَصْحَابِكَ، فَأَقَمْتُ بِهَا ثَلَاثًا، وَأَنْ مَعَكَ سِلَاحُ الرَّكِيبِ، السُّيُوفُ فِي الْقَرَبِ لَا تَدْخُلُهَا بِغَيْرِ هَذَا.

فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ص يَكْتُبُ الْكِتَابَ هُوَ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، إِذْ جَاءَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي الْحَدِيدِ، قَدْ انْفَلَتَ إِلَى رَسُولِ

الله ص- قال: وقد كان اصحاب رسول الله ص خرجوا وهم لا يشكون في الفتح، لرؤيا رآها رسول الله ص، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع، وما تحمل عليه رسول الله ص في نفسه، دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا- فلما رأى سهيل أبا جندل، قام إليه ف ضرب وجهه، وأخذ بلبه، فقال: يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا! قال: صدقت، قال: فجعل ينتره بلبه، ويجره ليرده إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أريد إلى المشركين يفتنونني في ديني! فزاد الناس ذلك شرا إلى ما بهم فقال [رسول الله ص: يا أبا جندل، احتسب، فإن الله جاعل لك ولين معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا، وأعطيناهم على ذلك عهدا، وأعطينا عهدا، وإنا لا نغدر بهم].

قال: فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه، ويقول: اصبر يا أبا جندل، فإنا هم المشركون، وإنا دم أحدهم دم كلب! قال: ويدي قائم السيف منه، قال: يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، قال: فضن الرجل بأبيه.

فلما فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين، ورجالا من المشركين: أبا بكر بن أبي خفاة، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمود بن مسلمة أخا بني عبد الأشهل، ومكرز بن حفص بن الأخيف- وهو مشرك- أخا بني عامر بن لؤي، وعلي بن أبي طالب، وكتب وكان هو كاتب الصحيفة.

حدثنا هارون بن إسحاق، قال: حدثنا مضعب بن المقدام، وحدثنا سفيان بن وكيع، قال: حدثنا أبي، قالا جميعا: حدثنا إسرائيل، قال: حدثنا أبو إسحاق، عن البراء، قال: اعتمر رسول الله ص في ذي القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة، حتى يقاضيه على أن يقيم بها ثلاثة أيام فلما كتب الكتاب كتب: هذا ما تقاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك، ولكن أنت محمد بن عبد الله، قال: أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله، قال لعل ع: انح رسول الله، قال: لا والله لا احاك ابدا، فأخذه رسول الله ص- وليس يحسن يكتب- فكتب مكان رسول الله محمد فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد، لا يدخل مكة بالسلاح إلا السيوف في القرب، ولا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه، ولا يمنع أحدا من أصحابه أراد أن يقيم بها فلما دخلها ومضى الأجل، أتوا عليها، فقالوا له: قل

لصاحبك: اخرج عنا فقد مضى الأجل، فخرج رسول الله ص.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة. وحدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، قال: حدثنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم في قصة الخديبية: فلما فرغ رسول الله ص من قضيته [قال لأصحابه: قوموا فانحروا، ثم اخلقوا قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يبق منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت له أم سلمة: يا نبي الله، أئحب ذلك! اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنتك، وتدعو حالقك فيحلقك، فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم كلمة حتى فعل ذلك، نحر بدنته ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما].

قال ابن حميد: قال سلمة: قال ابن إسحاق: وكان الذي حلقه- فيما بلغني ذلك اليوم- خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَلَقَ رِجَالُ يَوْمِ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَقَصَّرَ آخَرُونَ، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ، قَالُوا: وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ، قَالُوا:]

يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَالْمُقَصِّرِينَ؟ قَالَ: وَالْمُقَصِّرِينَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَمْ ظَاهَرَتِ التَّرَحُّمُ لِلْمُحَلِّقِينَ دُونَ الْمُقَصِّرِينَ؟ قَالَ: لَأَنَّهُمْ لَمْ يَشْكُوا] حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَهْدَى رَسُولُ اللَّهِ ص عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ فِي هَدَايَاهُ جَمَلًا لِأَبِي جَهْلٍ، فِي رَأْسِهِ بَرَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ، لِيَغِيظَ الْمُشْرِكِينَ بِذَلِكَ.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ الَّذِي ذَكَرْنَا قَبْلَ ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ص إِلَى الْمَدِينَةِ - زَادَ ابْنُ حَمِيدٍ عَنْ سَلَمَةَ فِي حَدِيثِهِ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: يَقُولُ الزُّهْرِيُّ: فَمَا فَتَحَ فِي الْإِسْلَامِ فَتَحَ قَبْلَهُ كَانَ أَعْظَمَ مِنْهُ، إِنَّمَا كَانَ الْقِتَالُ حَيْثُ اتَّقَى النَّاسُ - فَلَمَّا كَانَتِ الْهُدَنَةُ، وَوَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْ زَارَهَا، وَأَمِنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَاتَّقَوْا، وَتَفَاوَضُوا فِي الْحَدِيثِ وَالْمُنَازَعَةِ، فَلَمْ يَكْمَلْ أَحَدٌ بِالْإِسْلَامِ يَعْقِلُ شَيْئًا إِلَّا دَخَلَ فِيهِ، فَلَقَدْ دَخَلَ فِي تَبَنِكَ السَّنَتَيْنِ فِي الْإِسْلَامِ مِثْلُ مَا كَانَ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَ ذَلِكَ وَأَكْثَرُ وَقَالُوا جَمِيعًا فِي حَدِيثِهِمْ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنِ الْمُسَوِّدِ وَمَرْوَانَ: فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْمَدِينَةَ، جَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ، - رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ - قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي حَدِيثِهِ: أَبُو بَصِيرٍ عْتَبَةُ بْنُ أَسِيدِ بْنِ جَارِيَةَ - وَهُوَ مُسْلِمٌ، وَكَانَ مِمَّنْ حُسِبَ بِمَكَّةَ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ كَتَبَ فِيهِ أَزْهَرُ بْنُ عَبْدِ عَوْفٍ وَالْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيْقٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ وَهَبٍ الثَّقَفِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، وَبَعَثَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَامِرٍ بْنِ لُؤَيٍّ، وَمَعَهُ مَوْلَى لَهُمْ فَقَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص بِكُتَابِ الْأَزْهَرِ وَالْأَخْنَسِ، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: يَا أَبَا بَصِيرٍ، إِنَّا قَدْ أَعْطَيْنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ مَا قَدْ عَلِمْتَ، وَلَا يَصْلُحُ لَنَا فِي دِينِنَا الْغَدْرُ، وَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا].

قَالَ: فَانْطَلَقَ مَعَهُمَا حَتَّى إِذَا كَانَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ، جَلَسَ إِلَى جِدَارٍ وَجَلَسَ مَعَهُ صَاحِبَاهُ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَصَارِمُ سَيْفِكَ هَذَا يَا أَخَا بَنِي عَامِرٍ؟

قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَنْظِرْ إِلَيْهِ؟ قَالَ: إِنْ شِئْتَ! فَاسْتَلَّهُ أَبُو بَصِيرٍ، ثُمَّ عَلَاهُ بِهِ حَتَّى قَتَلَهُ، وَخَرَجَ الْمَوْلَى سَرِيعًا حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ص وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ طَالِعًا، قَالَ: إِنَّ هَذَا رَجُلٌ قَدْ رَأَى فِرْعَا، فَلَمَّا أَنْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ قَالَ: وَيْلَكَ! مَا لَكَ! قَالَ: قَتَلْتُ صَاحِبَكُمْ صَاحِبِي، فَوَاللَّهِ مَا بَرِحَ حَتَّى طَلَعَ أَبُو بَصِيرٍ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفَتْ ذِمَّتُكَ، وَادِّي عَنْكَ، أَسْلَمْتَنِي وَرَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ ثُمَّ أُنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ [فَقَالَ النَّبِيُّ ص: وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرُ حَرْبٍ! - وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي حَدِيثِهِ: مُحَشَّ حَرْبٍ - لَوْ كَانَ مَعَهُ رِجَالٌ!] فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سِيرَدُهُ إِلَيْهِمْ قَالَ: نَخْرَجُ أَبُو بَصِيرٍ حَتَّى نَزَلَ بِالْعَيْصِ مِنْ نَاحِيَةِ ذِي الْمُرَّةِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ بِطَرِيقِ قُرَيْشٍ الَّذِي كَانُوا يَأْخُذُونَ إِلَى الشَّامِ وَبَلَغَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا احْتَبَسُوا بِمَكَّةَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ص لِأَبِي بَصِيرٍ: [وَيْلُ أُمِّهِ مُحَشَّ حَرْبٍ لَوْ كَانَ مَعَهُ رِجَالٌ،] نَخْرَجُوا إِلَى أَبِي بَصِيرٍ بِالْعَيْصِ، وَيَنْفِلُ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سَهْلٍ بْنُ عَمْرِو، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ قَرِيبٌ مِنْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَكَانُوا قَدْ ضَيَّقُوا عَلَى قُرَيْشٍ، فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بَعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ، وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشُ إِلَى النَّبِيِّ ص يُنَاشِدُونَهُ بِاللَّهِ وَبِالرَّحِمِ لَمَّا أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ! فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ، فَاوَاهِمُ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَقَدِمُوا عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ.

زَادَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي حَدِيثِهِ: فَلَمَّا بَلَغَ سَهْلُ بْنُ عَمْرِو قَتْلَ أَبِي بَصِيرٍ صَاحِبَهُمُ الْعَامِرِيَّ أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ، وَقَالَ: لَا أُؤَخِّرُ ظَهْرِي عَنْ

الْكُعْبَةِ، حَتَّى يُودُوا هَذَا الرَّجُلَ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَهُوَ السَّفَهُ! وَاللَّهُ لَا يُودِي! ثَلَاثًا
وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى وَيَعْقُوبُ فِي حَدِيثِهِمَا: ثُمَّ جَاءَهُ - يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ - نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ، فَانْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ» - حَتَّى بَلَغَ: «بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ» قَالَ:

فَطَلَّقَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ فِي الشَّرِكِ قَالَ: فَهَاهُمْ أَنْ يَرُدُّوهُنَّ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَرُدُّوا الصَّدَاقَ حِينَئِذٍ.
قَالَ رَجُلٌ لِلزُّهْرِيِّ: أَمِنْ أَجْلِ الْفُرُوجِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةَ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَالْأُخْرَى صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ.
زَادَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي حَدِيثِهِ: وَهَاجَرَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَ أُمُّ كُلْثُومِ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ، فَخَرَجَ أَخَوَاهَا عِمَارَةُ وَالْوَلِيدُ
ابْنَا عُقْبَةَ، حَتَّى قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَ يَسْأَلَانِهِ أَنْ يَرُدَّهَا عَلَيْهِمَا بِالْعَهْدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ فِي الْحُدُوبِ، فَلَمْ يَفْعَلْ، أَبَى اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ.

وَقَالَ أَيُّضًا فِي حَدِيثِهِ: كَانَ مِمَّنْ طَلَّقَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، طَلَّقَ امْرَأَتَيْهِ قَرِيبَةً بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَتَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي
سُفْيَانَ، وَهُمَا عَلَى شَرِكِهِمَا بِمَكَّةَ، وَأُمُّ كُلْثُومِ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ جَرُولٍ الْخَزَاعِيَّةُ أُمُّ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، فَتَزَوَّجَهَا أَبُو جَهْمُ بْنُ حُدَافَةَ بْنِ غَانِمٍ،
رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهَا، وَهُمَا عَلَى شَرِكِهِمَا بِمَكَّةَ.

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: فِي هَذِهِ السَّنَةِ - فِي شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ مِنْهَا - بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَ عُكَّاشَةَ بْنَ مَحْصَنٍ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا إِلَى الْغَمْرِ، فِيمَنْ
ثَابِتُ بْنُ أَقْرَمَ وَشُجَاعُ بْنُ وَهَبٍ، فَأَغْدَتِ السَّيْرَ، وَنَذَرَ الْقَوْمُ بِهِ فَهَرَبُوا، فَتَزَلَّ عَلَى مِيَاهِهِمْ وَبَعَثَ الطَّلَاعُ، فَأَصَابُوا عَيْنًا فَدَلَّاهُمْ عَلَى بَعْضِ
مَاشِيَتِهِمْ، فَوَجَدُوا مَائَتَيْ بَعِيرٍ، فَحَدَرُوها إِلَى الْمَدِينَةِ

قَالَ: وَفِيهَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فِي عَشْرَةِ نَفَرٍ فِي رَجَبِ الْأَوَّلِ مِنْهَا، فَكَمَنَّ الْقَوْمُ لَهُمْ حَتَّى نَامَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، فَمَا شَعَرُوا إِلَّا
بِالْقَوْمِ، فَقَتَلَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ بْنُ مَسْلَمَةَ وَأَفْلَتَ مُحَمَّدٌ جَرِيحًا.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَفِيهَا أَسْرَى رَسُولُ اللَّهِ صَ سَرِيَّةَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ إِلَى ذِي الْقَصَّةِ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا، فَسَارُوا
لَيْلَتَهُمْ مُشَاةً، وَوَأَفَوْا ذَا الْقَصَّةَ مَعَ عِمَايَةِ الصُّبْحِ، فَأَغَارُوا عَلَيْهِمْ، فَأَعْجَزُوهُمْ هَرَبًا فِي الْجِبَالِ، وَأَصَابُوا نَعْمًا وَرَثَةً وَرَجُلًا وَاحِدًا، فَاسْلَمَ،
فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَ قَالَ: وَفِيهَا كَانَتْ سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ بِالْجُمُومِ، فَأَصَابَ امْرَأَةً مِنْ مُزَيْنَةَ، يُقَالُ لَهَا حَلِيمَةُ، فَدَلَّتْهُمْ عَلَى حِلَّةٍ مِنْ
مَحَالِ بَنِي سُلَيْمٍ، فَأَصَابُوا بِهَا نَعْمًا وَشَاءً وَأَسْرَاءَ، وَكَانَ فِي أُولَئِكَ الْأَسْرَاءِ زَوْجُ حَلِيمَةَ، فَلَمَّا قَفَلَ بِمَا أَصَابَ وَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَ لِلْمُزَيْنَةِ
زَوْجَهَا وَنَفْسَهَا.

قَالَ وَفِيهَا كَانَتْ سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إِلَى الْعِصِ فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْهَا.
وَفِيهَا أَخَذَتِ الْأَمْوَالُ الَّتِي كَانَتْ مَعَ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَاسْتَجَارَ بِزَيْنَبَ بِنْتِ النَّبِيِّ صَ فَأَجَارَتْهُ.
قَالَ: وَفِيهَا كَانَتْ سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إِلَى الطَّرَفِ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ، إِلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ فِي خَمْسَةِ عَشَرَ رَجُلًا، فَهَرَبَتِ الْأَعْرَابُ وَخَافُوا
أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ صَ سَارَ إِلَيْهِمْ، فَأَصَابَ مِنْ نَعْمِهِمْ عِشْرِينَ بَعِيرًا قَالَ: وَغَابَ أَرْبَعَ لَيَالٍ.

قَالَ: وَفِيهَا سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إِلَى حِسْمَى فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ
قَالَ: وَكَانَ أَوَّلَ ذَلِكَ - فِيمَا حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَقْبَلَ دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ مِنْ عِنْدِ قَيْصَرَ، وَقَدْ أَجَازَ دِحْيَةَ بِمَالٍ، وَكَسَاهُ
كِسَى، فَأَقْبَلَ حَتَّى كَانَ بِحِسْمَى، فَلَقِيَهُ نَاسٌ مِنْ جَذَامٍ، فَقَطَعُوا عَلَيْهِ الطَّرِيقَ، فَلَمْ يَتْرِكْ مَعَهُ شَيْءًا، فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ
بَيْتَهُ فَأَخْبَرَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ إِلَى حِسْمَى.

قَالَ: وَفِيهَا تَزَوَّجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ جَمِيلَةَ بِنْتِ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَقْلَحِ، أُخْتُ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ، فَطَلَّقَهَا عُمَرُ فَتَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ يَزِيدُ بْنُ جَارِيَةَ، فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدٍ، فَهُوَ أَخُو عَاصِمٍ لِأُمِّهِ.

قَالَ: وَفِيهَا سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إِلَى وَادِي الْقُرَى فِي رَجَبٍ.

قَالَ: وَفِيهَا سَرِيَّةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ إِلَى دُومَةِ الْجَنْدَلِ فِي شَعْبَانَ، [وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص: إِنْ أَطَاعُوكَ فَتَزَوَّجْ ابْنَةَ مَلِكِهِمْ،] فَاسْلَمَ الْقَوْمُ، فَتَزَوَّجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ثُمَّاضَ بِنْتَ الْأَصْبَغِ، وَهِيَ أُمُّ أَبِي سَلَمَةَ، وَكَانَ أَبُوهُا رَأْسُهُمْ وَمَلِكُهُمْ. قَالَ: وَفِيهَا أَجْدَبَ النَّاسُ جَدْبًا شَدِيدًا، فَاسْتَسْقَى رَسُولُ اللَّهِ ص فِي شَهْرِ رَمَضَانَ بِالنَّاسِ. قَالَ: وَفِيهَا سَرِيَّةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى فَدَكٍ فِي شَعْبَانَ.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عَقْبَةَ، قَالَ: خَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي مِائَةِ رَجُلٍ إِلَى فَدَكٍ، إِلَى حَيٍّ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّهُمْ جَمْعًا يَرِيدُونَ أَنْ يَمْدُوا يَهُودَ خَيْبَرَ، فَسَارَ إِلَيْهِمُ اللَّيْلُ وَكُنَّ النَّهَارَ، وَأَصَابَ عَيْنًا، فَأَقْرَهُهُمْ أَنَّهُ بَعَثَ إِلَى خَيْبَرَ يَعْزُضُ عَلَيْهِمْ نَصْرَهُمْ عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا لَهُمْ ثَمَرَ خَيْبَرَ.

قَالَ: وَفِيهَا سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إِلَى أُمِّ قُرْفَةَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

وَفِيهَا قُتِلَتْ أُمُّ قُرْفَةَ، وَهِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ رِبْعَةَ بْنِ بَدْرٍ، قَتَلَهَا قَتْلًا عَنِيفًا، رَبطَ بِرِجْلَيْهَا حَبْلًا ثُمَّ رَبطَهَا بَيْنَ بَعِيرَيْنِ حَتَّى شَقَّاهَا شَقًّا، وَكَانَتْ عَجُوزًا كَبِيرَةً. وَكَانَ مِنْ قِصَّتِهَا مَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ:

حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ إِلَى وَادِي الْقُرَى، فَلَقِيَ بِهِ بَنِي فَرَازَةَ، فَأُصِيبَ بِهِ أَنْاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَارْتَثَ زَيْدٌ مِنْ بَيْنِ الْقَتْلَى، وَأُصِيبَ فِيهَا وَرَدُ ابْنِ عَمْرٍو أَحَدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ هُذَيْمٍ، أَصَابَهُ أَحَدُ بَنِي بَدْرٍ، فَلَمَّا قَدِمَ زَيْدٌ نَذَرَ الْإِيمَانَ غَسَلَ رَأْسَهُ مِنْ جَنَابَةٍ حَتَّى يَغْزُو فَرَازَةَ، فَلَمَّا اسْتَبَلَّ مِنْ جِرَاحِهِ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي جَيْشٍ إِلَى بَنِي فَرَازَةَ، فَلَقِيَهُمْ بِوَادِي الْقُرَى، فَأَصَابَ فِيهِمْ، وَقَتَلَ قَيْسُ بْنُ الْمُسَحَّرِ الْيَعْمَرِيُّ مَسْعَدَةَ بِنَ حِكْمَةَ بِنَ مَالِكِ بْنِ بَدْرٍ، وَأَسْرَأَ أُمُّ قُرْفَةَ- وَهِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ رِبْعَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَكَانَتْ عِنْدَ مَالِكِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ، عَجُوزًا كَبِيرَةً- وَبَنَاتُهَا، وَعَبَدَ اللَّهُ بَنَ مَسْعَدَةَ فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ أَنْ يَقْتُلَ أُمَّ قُرْفَةَ، فَقَتَلَهَا قَتْلًا عَنِيفًا، رَبطَ بِرِجْلَيْهَا حَبْلَيْنِ ثُمَّ رَبطَهُمَا إِلَى بَعِيرَيْنِ حَتَّى شَقَّاهَا.

ثُمَّ قَدَمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص بِابْنَةِ أُمِّ قُرْفَةَ وَبَعَدَ اللَّهُ بَنَ مَسْعَدَةَ، وَكَانَتْ ابْنَةُ أُمِّ قُرْفَةَ لِسَلَمَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَكْوَعِ، كَانَ هُوَ الَّذِي أَصَابَهَا، وَكَانَتْ فِي بَيْتِ شَرَفٍ مِنْ قَوْمِهَا، كَانَتْ الْعَرَبُ تَقُولُ:

لَوْ كُنْتُ أَعَزُّ مِنْ أُمِّ قُرْفَةَ مَا زِدْتَ فَسَأَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ص سَلَمَةَ، فَوَهَبَهَا لَهُ، فَأَهْدَاهَا لِحَالِهِ حَزَنُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَزَنٍ.

وَأَمَّا الرِّوَايَةُ الْأُخْرَى عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ فِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ، أَنَّ أَمِيرَهَا كَانَ أَبَا بَكْرٍ بْنُ أَبِي حُفَافَةَ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَامِرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، عَنْ إِيَّاسِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَلَيْنَا أَبَا بَكْرٍ فَعَزَّوْنَا نَاسًا مِنْ بَنِي فَرَازَةَ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ الْمَاءِ أَمَرَنَا

ذكر خروج رسل رسول الله إلى الملوك

أَبُو بَكْرٍ فَعَرَسْنَا، فَلَمَّا صَلَّيْنَا الصُّبْحَ، أَمَرَنَا أَبُو بَكْرٍ فَشَنَّا الْغَارَةَ عَلَيْهِمْ.

قَالَ: فَوَرَدْنَا الْمَاءَ فَقَتَلْنَا بِهِ مَنْ قَتَلْنَا قَالَ: فَأَبْصَرْتُ عُنُقًا مِنَ النَّاسِ، وَفِيهِمُ النِّسَاءُ وَالذَّرَارِيُّ قَدْ كَادُوا يَسْبِقُونَ إِلَى الْجَبَلِ، فَطَرَحْتُ سَهْمًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَبَلِ، فَلَمَّا رَأَوْا السَّهْمَ وَقَفُوا، فَجِئْتُ بِهِمْ أَسْوَفُهُمْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، وَفِيهِمْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي فِرَازَةَ عَلَيْهَا قَشْعٌ أَدَمٌ، مَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا مِنْ أَحْسَنِ الْعَرَبِ قَالَ:

فَنَفَّلَنِي أَبُو بَكْرٍ ابْنَتَهَا، قَالَ: فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَلَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَ بِالسُّوقِ، فَقَالَ: يَا سَلَمَةُ، لِلَّهِ أَبُوكَ! هَبْ لِي الْمَرْأَةَ! فَقُلْتُ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْجَبْتَنِي وَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا قَالَ: فَسَكَتَ عَنِّي حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ لَقِيَنِي فِي السُّوقِ، فَقَالَ: يَا سَلَمَةُ، لِلَّهِ أَبُوكَ! هَبْ لِي الْمَرْأَةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا، وَهِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: فَبَعَثَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى مَكَّةَ، فَقَادَى بِهَا أُسَارَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا فِي أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ فَهَذِهِ الرَّوَايَةُ عَنْ سَلَمَةَ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: وَفِيهَا سَرِيَّةٌ كُرِّزَ بِنِ جَابِرِ الْفَهْرِيِّ إِلَى الْعَرَنِينَ الَّذِينَ قَتَلُوا رَاعِي رَسُولِ اللَّهِ صَ، وَاسْتَأْقُوا الْإِبِلَ فِي شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ، وَبَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي عَشْرِينَ فَارَسًا

. ذكر خروج رسل رسول الله إلى الملوك

قَالَ: وَفِيهَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَ الرُّسُلَ، فَبَعَثَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سِتَّةَ نَفَرٍ: ثَلَاثَةٌ مُصْطَحِبِينَ، حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ مِنْ نَحْلِ حَلِيفِ بَنِي أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى إِلَى الْمُقَوْسِ، وَشَجَاعَ بْنَ وَهَبٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ بْنِ خَزِيمَةَ - حَلِيفًا لِحَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ شَهِدَ بَدْرًا - إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرٍ الْغَسَّانِي، وَدَحِيَّةَ ابْنِ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ إِلَى قَيْصَرَ وَبَعَثَ سُلَيْطَ بْنَ عَمْرِو الْعَامِرِيِّ عَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ إِلَى هُوَذَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْخَنَفِيِّ وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ إِلَى كِسْرَى.

وَعَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمَرِيِّ إِلَى النَّجَاشِيِّ

وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ، فَإِنَّهُ - فِيمَا زَعَمَ، وَحَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ حَمِيدٍ - قَالَ:

حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَ قَدْ فَرَّقَ رَجَالًا مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى مُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، دَعَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا بَيْنَ الْحَدِيثِيَّةِ وَوُفَاتِهِ.

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ الْمِصْرِيِّ، أَنَّهُ وَجَدَ كِتَابًا فِيهِ تَسْمِيَةُ مَنْ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَ إِلَى مُلُوكِ الْخَلَائِفِينَ، وَمَا قَالَ لِأَصْحَابِهِ حِينَ بَعَثَهُمْ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَى ابْنِ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ، مَعَ ثِقَةٍ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ فَعَرَفَهُ وَفِي الْكِتَابِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ ذَاتَ غَدَاةٍ، [فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي بَعَثُ رَحْمَةً وَكَافَّةً، فَأَدُّوا عَنِّي بِرَحْمَتِ اللَّهِ، وَلَا تَخْتَلَفُوا عَلَيَّ كَاخْتِلَافِ الْخَوَارِجِ عَلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ كَانَ اخْتِلَافُهُمْ؟ قَالَ: دَعَا إِلَى مِثْلِ مَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ، فَأَمَّا مَنْ قَرُبَ بِهِ فَأَحَبَّ وَسَلَّمْ، وَأَمَّا مَنْ بَعُدَ بِهِ فَكَرِهَ وَأَبَى، فَشَكَا ذَلِكَ مِنْهُمْ عِيسَى إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَصْبَحُوا مِنْ لَيْلَتِهِمْ تِلْكَ، وَكُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلُغَةِ الْقَوْمِ الَّذِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ عِيسَى: هَذَا أَمْرٌ قَدْ عَزَمَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِ، فَاْمْضُوا].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ فَرَّقَ رَسُولُ اللَّهِ صَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَبَعَثَ سُلَيْطَ بْنَ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ وَدٍّ أَخَا بَنِي عَامِرَ بْنِ لُؤَيٍّ إِلَى هُوَذَةَ بْنِ عَلِيٍّ، صَاحِبِ الْيَمَامَةِ وَبَعَثَ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضَرَمِيِّ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى أَخِي بَنِي عَبْدِ الْقَيْسِ صَاحِبِ الْبَحْرَيْنِ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى جَيْفَرِ بْنِ جُلَنْدَى وَعَبَادِ بْنِ جُلَنْدَى الْأَزْدِيِّينِ صَاحِبِي عُثْمَانَ وَبَعَثَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْسِ صَاحِبِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ، فَأَدَّى إِلَيْهِ

كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ص، واهدى المقوقس الى رسول الله ص اربع جوار، منهن مارية أم ابراهيم بن رسول الله ص وبعث رسول الله دحية بن خليفه الكلبي ثم انلججى إلى قيصَر، وَهُوَ هِرَقْلُ مَلِكِ الرُّومِ، فَلَمَّا أَتَاهُ بِكَتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص نَظَرَ فِيهِ ثُمَّ جَعَلَهُ بَيْنَ نَفْذِيهِ وَخَاصِرَتِهِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ ابْنِ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: كُنَّا قَوْمًا تُجَّارًا، وَكَانَتِ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ حَصَرَتْنا حَتَّى نَهَكَتْ أَمْوَالُنَا، فَلَمَّا كَانَتِ الْهُدَنَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ، لَمْ نَأْمَنْ إِلَّا نَجِدَ أَمْنًا، نَخْرُجُ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ تُجَّارٍ إِلَى الشَّامِ، وَكَانَ وَجْهُ مَتَجَرِّنَا مِنْهَا غَزْرَةً، فَقَدِمْنَاهَا حِينَ ظَهَرَ هِرَقْلٌ عَلَى مَنْ كَانَ بِأَرْضِهِ مِنْ فَارِسَ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا، وَاتَّزَعَ لَهُ مِنْهُمْ صَليبهُ الْأَعْظَمَ، وَكَانُوا قَدْ اسْتَلْبَوْهُ إِيَّاهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَبَلَغَهُ أَنَّ صَليبهُ قَدْ اسْتَنْقَذَ لَهُ - وَكَانَتْ حِمَى مَنْزِلِهِ - خَرَجَ مِنْهَا يَمْشِي عَلَى قَدَمَيْهِ مُتَشَكِّرًا لِلَّهِ حِينَ رَدَّ عَلَيْهِ مَارِدًا، لِيُصَلِّيَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، تَبَسُّطَ لَهُ الْبَسُطُ، وَتَلَقَّى عَلَيْهَا الرِّيحَ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى إِبِلِيَاءَ وَقَضَى فِيهَا صَلَاتَهُ، وَمَعَهُ بَطَارِقَتُهُ وَأَشْرَافُ الرُّومِ، أَصْبَحَ ذَاتَ غَدَاةٍ مَهْمُومًا يُقَلِّبُ طَرَفَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ لَهُ بَطَارِقَتُهُ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَصْبَحَتْ إِيهَا الْمَلِكُ الْغَدَاةَ مَهْمُومًا، قَالَ: أَجَلٌ، رَأَيْتُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ أَنَّ مَلِكَ الْخِتَانِ ظَاهِرًا قَالُوا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، مَا نَعْلَمُ أُمَّةً تَحْتُنِي إِلَّا يَهُودَ، وَهُمْ فِي سُلْطَانِكَ وَتَحْتَ يَدِكَ، فَابْعَثْ إِلَى كُلِّ مَنْ لَكَ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ فِي بِلَادِكَ، فَرُهُ فَلْيَضْرِبْ أَعْنَاقَ كُلِّ مَنْ تَحْتَ يَدَيْهِ مِنْ يَهُودَ، وَاسْتَرْخِ مِنْ هَذَا الِهِمِّ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُمْ لَنَفِي ذَلِكَ مِنْ رَأْيِهِمْ يُدِيرُونَهُ، إِذْ أَتَاهُ رَسُولُ صَاحِبِ بَصْرَى بِرَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ، يَقُودُهُ - وَكَانَتِ الْمُلُوكُ تَهَادَى الْأَخْبَارَ بَيْنَهَا - فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّ

هَذَا الرَّجُلُ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ الشَّاءِ وَالْإِبِلِ، يُحَدِّثُ عَنْ أَمْرِ حَدَثَ بِلَادِهِ عَجَبٌ، فَسَلِّ عَنْهُ. فَلَمَّا انْتَهَى بِهِ إِلَى هِرَقْلَ رَسُولُ صَاحِبِ بَصْرَى، قَالَ هِرَقْلُ لِتَرْجُمَانِهِ: سَلِّهُ، مَا كَانَ هَذَا الْحَدَثُ الَّذِي كَانَ بِلَادِهِ؟ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: خَرَجَ بَيْنَ أَظْهَرِنَا رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، قَدْ اتَّبَعَهُ نَاسٌ وَصَدَّقُوهُ، وَخَالَفَهُ نَاسٌ، وَقَدْ كَانَتْ بَيْنَهُمْ مَلَا حِمٌ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ، فَتَرَكْتَهُمْ عَلَى ذَلِكَ.

قَالَ: فَلَمَّا أَخْبَرَهُ الْخَبَرُ قَالَ: جَرَدُوهُ، فَجَرَدُوهُ، فَإِذَا هُوَ مَخْتُونٌ، فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي أُرِيْتُ، لَا مَا تَقُولُونَ، اعْطُوهُ ثَوْبَهُ، انْطَلِقْ عَنَّا ثُمَّ دَعَا صَاحِبَ شُرْطَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: قَلِّبْ لِي الشَّامَ ظَهْرًا وَبَطْنًا، حَتَّى تَأْتِيَنِي بِرَجُلٍ مِنْ قَوْمِ هَذَا الرَّجُلِ - يَعْنِي النَّبِيَّ ص. قَالَ أَبُو سَفْيَانَ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَبَغْرَةٌ، إِذْ هَجَمَ عَلَيْنَا صَاحِبُ شُرْطَتِهِ، فَقَالَ: أَنْتُمْ مِنْ قَوْمِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بِالْحِجَازِ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى الْمَلِكِ، فَانْطَلَقْنَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ قَالَ: أَنْتُمْ مِنْ رَهْطِ هَذَا الرَّجُلِ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: فَأَيْكُمْ أَمْسُ بِهِ رَحِمًا؟ قُلْتُ: أَنَا.

قَالَ أَبُو سَفْيَانَ: وَابْنُ اللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِنْ رَجُلٍ أَرَى أَنَّهُ كَانَ أَنْكَرَ مِنْ ذَلِكَ الْأَغْلَفِ - يَعْنِي هِرَقْلَ - فَقَالَ: ادْنُهُ فَأَقْعِدْنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَقْعِدْ أَصْحَابِي خَلْفِي، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي سَأَسْأَلُهُ، فَا نَ كَذِبَ فَرَدُّوا عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَذَبْتُ مَا رَدُّوا عَلَيَّ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَمْرًا سَيِّدًا أَتَّكِرُ مِنَ الْكَذِبِ، وَعَرَفْتُ أَنَّ أَيْسَرَ مَا فِي ذَلِكَ إِنْ أَنَا كَذَبْتُ أَنْ يَحْفَظُوا ذَلِكَ عَلَيَّ، ثُمَّ يَحْدِثُوا بِهِ عَنِّي، فَلَمْ أَكْذِبْهُ، فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي خَرَجَ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ يَدْعِي مَا يَدْعِي! قَالَ: فَجَعَلْتُ أَزْهَدَ لَهُ شَأْنَهُ، وَأَصْغَرَ لَهُ أَمْرَهُ، وَأَقُولُ لَهُ:

أَيُّهَا الْمَلِكُ، مَا يَهْمُكَ مِنْ أَمْرِهِ! إِنَّ شَأْنَهُ دُونَ مَا يَبْلُغُكَ، فَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: أَنْبِئْنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ مِنْ شَأْنِهِ قُلْتُ: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ، قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فَيْكُمْ؟ قُلْتُ: مُحَضٌّ، أَوْسَطُنَا نَسَبًا قَالَ: فَأَخْبِرْنِي هَلْ كَانَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يَقُولُ مِثْلَ مَا يَقُولُ، فَهُوَ يَتَشَبَّهُ بِهِ؟

قُلْتُ: لَا: قَالَ: فَهَلْ كَانَ لَهُ فِيكُمْ مُلْكٌ فَاسْتَلَبْتُمُوهُ إِيَّاهُ، فَجَاءَ بِهَذَا الْحَدِيثِ لِتَرُدُّوا عَلَيْهِ مُلْكَهُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَتْبَاعِهِ مِنْكُمْ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَالْأَحْدَاثُ مِنَ الْغُلَامِ وَالنِّسَاءِ، وَأَمَّا ذُو الْأَسْنَانِ وَالشَّرَفِ مِنْ قَوْمِهِ، فَلَمْ يَتَّبِعْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ تَبِعِهِ، أَيُّجِبُهُ وَيَلْزِمُهُ أَمْ يَقْلِيهِ وَيُفَارِقُهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: مَا تَبِعَهُ رَجُلٌ ففَارَقَهُ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي كَيْفَ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ؟ قَالَ: قُلْتُ:

سِبْجَالٌ يَدَالُ عَلَيْنَا وَنَدَالُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي هَلْ يَغْدُرُ؟ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا مِمَّا سَأَلَنِي عَنْهُ أَعْمَرُهُ فِيهِ غَيْرَهَا، قُلْتُ: لَا، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي هُدْنَةٍ وَلَا نَأْمَنُ غَدْرَهُ قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا التَّفْتُ إِلَيْهَا مِنِّي، ثُمَّ كَرَّرَ عَلَيَّ الْحَدِيثَ.

قَالَ: سَأَلْتُكَ كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ، فَرَعَمْتُ أَنَّهُ مُحْضٌ، مِنْ أَوْسَطِكُمْ نَسَبًا، وَكَذَلِكَ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّبِيَّ إِذَا أَخَذَهُ، لَا يَأْخُذُهُ إِلَّا مِنْ أَوْسَطِ قَوْمِهِ نَسَبًا.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كَانَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يَقُولُ بِقَوْلِهِ، فَهُوَ يَتَشَبَّهُ بِهِ، فَرَعَمْتُ أَنْ لَا، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كَانَ لَهُ فِيكُمْ مُلْكٌ فَاسْتَلَبْتُمُوهُ إِيَّاهُ، فَجَاءَ بِهَذَا الْحَدِيثِ يَطْلُبُ بِهِ مُلْكَهُ؟ فَرَعَمْتُ أَنْ لَا وَسَأَلْتُكَ عَنْ أَتْبَاعِهِ، فَرَعَمْتُ أَنَّهُمُ الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَالْأَحْدَاثُ وَالنِّسَاءُ، وَكَذَلِكَ أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَسَأَلْتُكَ عَنْ تَبِعِهِ، أَيُّجِبُهُ وَيَلْزِمُهُ أَمْ يَقْلِيهِ وَيُفَارِقُهُ؟ فَرَعَمْتُ أَنَّهُ لَا يَتَّبِعُهُ أَحَدٌ ففَارَقَهُ، وَكَذَلِكَ حَلَاوَةُ الْإِيمَانِ لَا تَدْخُلُ قَلْبًا فَتَخْرُجُ مِنْهُ وَسَأَلْتُكَ:

هَلْ يَغْدُرُ؟ فَرَعَمْتُ أَنْ لَا، فَلَمَّا كُنْتُ صَدَقْتَنِي عَنْهُ لِيُغَلِّبَنِي عَلَى مَا تَحْتَ قَدَمِي هَاتَيْنِ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي عِنْدَهُ فَأَغْسِلُ قَدَمَيْهِ أَنْطَلِقُ لِشَأْنِكَ قَالَ: فَقُمْتُ مِنْ عِنْدِهِ وَأَنَا أَضْرِبُ إِحْدَى يَدَيَّ بِالْأُخْرَى، وَأَقُولُ: أَيُّ عِبَادِ اللَّهِ، لَقَدْ أَمَرَ أَمْرٌ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ! أَصْبَحَ مُلُوكُ بَنِي الْأَصْفَرِ يَهَابُونَهُ فِي سُلْطَانِهِمْ بِالشَّامِ! قَالَ: وَقَدْ مَكَابَ رَسُولُ اللَّهِ صَ مَعَ دِحْيَةَ بْنِ

خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ السَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ: أَسْلِمَ تَسْلَمَ، وَأَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنْ نَتَوَلَّ فَإِنَّ إِيَّاهُ الْأَكَارِينَ عَلَيْكَ - يَعْنِي تَحْمَالَهُ.

حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَتِ الْهُدْنَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ، خَرَجْتُ تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ ثُمَّ ذَكَرَ لَنَا حَدِيثَ ابْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ سَلَمَةَ، إِلَّا أَنَّهُ زَادَ فِي آخِرِهِ: قَالَ: فَأَخَذَ الْكَأْبَ فَجَعَلَهُ بَيْنَ نَفْذِهِ وَخَاصِرَتِهِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: قَالَ ابْنُ شَهَابٍ الزُّهْرِيُّ: حَدَّثَنِي أَسْقَفُ لِلنَّصَارَى أَدْرَكَتْهُ فِي زَمَانِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، أَنَّهُ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَ وَأَمْرِ هِرَقْلَ وَعَقْلِهِ، قَالَ: فَلَمَّا قَدَّمَ عَلَيْهِ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَ مَعَ دِحْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ، أَخَذَهُ هِرَقْلَ، فَجَعَلَهُ بَيْنَ نَفْذِهِ وَخَاصِرَتِهِ.

ثُمَّ كَتَبَ إِلَى رَجُلٍ بَرُومِيَّةٍ كَانَ يَقْرَأُ مِنَ الْعِبْرَانِيَّةِ مَا يَقْرَءُ وَنَهْ، يَذْكُرُ لَهُ أَمْرَهُ، وَيُصِفُ لَهُ شَأْنَهُ، وَيُخْبِرُهُ بِمَا جَاءَ مِنْهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ صَاحِبُ رُومِيَّةٍ: إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي كُنَّا نَنْتَظِرُهُ، لَا شَكَّ فِيهِ، فَاتَّبَعَهُ وَصَدَقَهُ.

فَأَمْرُ هِرَقْلَ بِبَطَارِقَةِ الرُّومِ، فَجَمَعُوا لَهُ فِي دِسْكِرَةٍ، وَأَمْرُ بِهَا فَأُشْرِجَتْ أَبْوَابُهَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أُطْلِعَ عَلَيْهِمْ مِنْ عَلَيْهِ لَهُ، وَخَافَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ، وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، إِنِّي قَدْ جَمَعْتُكُمْ لَخَبَرٍ، إِنَّهُ قَدْ أَتَانِي كِتَابُ

هَذَا الرَّجُلِ يَدْعُونِي إِلَى دِينِهِ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لِلنَّبِيِّ الَّذِي كُنَّا نَنْتَظِرُهُ وَنَجِدُهُ فِي كُتُبِنَا، فَهَلُمُّوا فَلْنَتَّبِعْهُ وَنُصَدِّقْهُ، فَتَسَلَّمَ لَنَا دُنْيَانَا وَآخِرَتَانَا. قَالَ: فَنَخْرُوا نَخْرَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ ابْتَدَرُوا أَبْوَابَ الدِسْكِرَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا فُوجِدُوهَا قَدْ أَغْلَقَتْ، فَقَالَ: كَرُوهُمْ عَلَيَّ - وَخَافَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ -

فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، إِنِّي قَدْ قُلْتُ لَكُمْ الْمَقَالَةَ الَّتِي قُلْتُ لِأَنْظُرَ كَيْفَ صَلَابَتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ لِهَذَا الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ حَدَثَ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ مِنْكُمْ الَّذِي أَسْرَبَ بِهِ، فَوَقَعُوا لَهُ سُجْدًا، وَأَمْرًا بِأَبْوَابِ الدِّسَكَةِ فَفَتَحَتْ لَهُمْ، فَاذْهَبُوا حَدَّثُوا ابْنَ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لِدَحِيَّةَ بِنِ خَلِيفَةَ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ بِكُتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص: وَيَحْكُ! وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ صَاحِبَكُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَإِنَّهُ الَّذِي كُنَّا نَنْتَظِرُهُ وَنَجِدُهُ فِي كِتَابِنَا، وَلَكِنِّي أَخَافُ الرُّومَ عَلَى نَفْسِي، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَا تَبِعْتَهُ، فَازْهَبْ إِلَى صِغَاطِرِ الْأَسْقَفِ فَادْكُرْ لَهُ أَمْرَ صَاحِبِكُمْ، فَهُوَ وَاللَّهُ أَعْظَمُ فِي الرُّومِ مِنِّي، وَأَجُوزُ قَوْلًا عَنْهُمْ مِنِّي، فَاظْهَرُ مَا يَقُولُ لَكَ.

قَالَ: جَاءَهُ دَحِيَّةٌ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص إِلَى هِرَقْلٍ، وَبِمَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ صِغَاطِرُ: صَاحِبُكَ وَاللَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، نَعْرِفُهُ بِصِفَتِهِ، وَنَجِدُهُ فِي كِتَابِنَا بِاسْمِهِ.

ثُمَّ دَخَلَ فَأَلْقَى ثِيَابًا كَانَتْ عَلَيْهِ سُودًا، وَلَبَسَ ثِيَابًا بَيْضًا، ثُمَّ أَخَذَ عَصَاهُ، فَخَرَجَ عَلَى الرُّومِ وَهُمْ فِي الْكَنِيسَةِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، إِنَّهُ قَدْ جَاءَنَا كِتَابٌ مِنْ أَحْمَدَ، يَدْعُونَا فِيهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ أَحْمَدَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَوَثَبُوا عَلَيْهِ وَثَبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَضَرَبُوهُ حَتَّى قَتَلُوهُ فَلَمَّا رَجَعَ

دَحِيَّةٌ إِلَى هِرَقْلٍ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ قَالَ: قَدْ قُلْتُ لَكَ: أَنَا نَخَافُهُمْ عَلَى أَنْفُسِنَا، فَصِغَاطِرُ- وَاللَّهِ- كَانَ أَعْظَمَ عَنْهُمْ وَأَجُوزَ قَوْلًا مِنِّي. حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ قَدَمَاءِ أَهْلِ الشَّامِ، قَالَ: لَمَّا أَرَادَ هِرَقْلُ الْخُرُوجَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، لَمَّا بَلَغَهُ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ص، جَمَعَ الرُّومَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، إِنِّي عَارِضٌ عَلَيْكُمْ أُمُورًا، فَانْظُرُوا فِيمَ قَدْ أَرَدْتُمَا! قَالُوا: مَا هِيَ؟ قَالَ: تَعْلَمُونَ وَاللَّهِ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَنَبِيٍّ مُرْسَلٍ، إِنَّا نَجِدُهُ فِي كِتَابِنَا نَعْرِفُهُ بِصِفَتِهِ الَّتِي وَصَفَ لَنَا، فَهَلُمَّ فَلْتَتَّبِعْهُ، فَتَسَلَّمْ لَنَا دُنْيَانَا وَآخِرَتَنَا، فَقَالُوا: نَحْنُ نَكُونُ تَحْتَ يَدَيِ الْعَرَبِ، وَنَحْنُ أَعْظَمُ النَّاسِ مُلْكًا، وَأَكْثَرُهُمْ رِجَالًا، وَأَفْضَلُهُمْ بَلَدًا! قَالَ: فَهَلُمَّ فَأَعْطِيهِ الْجِزْيَةَ فِي كُلِّ سَنَةٍ، أَكْسَرُوا عَنِّي شَوْكَتَهُ وَأَسْتَرِجُ مِنْ حَرْبِهِ بِمَالٍ أُعْطِيهِ إِيَّاهُ، قَالُوا: نَحْنُ نَعْطِي الْعَرَبَ الذَّلَّ وَالصَّغَارَ، بِخُرْجٍ يَأْخُذُونَهُ مِنَّا، وَنَحْنُ أَكْثَرُ النَّاسِ عَدَدًا، وَأَعْظَمُهُمْ مُلْكًا، وَأَمْنُهُمْ بَلَدًا، لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعَلُ هَذَا أَبَدًا.

قَالَ: فَهَلُمَّ فَلْأَصْلَحْهُ عَلَى أَنْ أُعْطِيَهُ أَرْضَ سُورِيَّةَ، وَيَدْعَنِي وَأَرْضَ الشَّامِ- قَالَ: وَكَانَتْ أَرْضُ سُورِيَّةَ أَرْضَ فِلَسْطِينَ وَالْأُرْدُنَّ وَدِمَشْقَ وَحِمَصَ وَمَا دُونَ الدَّرْبِ مِنْ أَرْضِ سُورِيَّةَ، وَكَانَ مَا وَرَاءَ الدَّرْبِ عَنْهُمْ الشَّامُ- فَقَالُوا لَهُ: نَحْنُ نَعْطِيهِ أَرْضَ سُورِيَّةَ، وَقَدْ عَرِفَتْ أَنَّهَا سِرَّةُ الشَّامِ، وَاللَّهِ لَا نَفْعَلُ هَذَا أَبَدًا.

فَلَمَّا أَبَا عَلَيْهِ، قَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لَتَرَوُنَّ أَنَّكُمْ قَدْ ظَفَرْتُمْ إِذَا امْتَنَعْتُمْ مِنْهُ فِي مَدِينَتِكُمْ ثُمَّ جَلَسَ عَلَى بَعْلِ لَهُ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا أَشْرَفَ عَلَى الدَّرْبِ اسْتَقْبَلَ أَرْضَ الشَّامِ، ثُمَّ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَرْضَ سُورِيَّةَ تَسْلِيمُ الْوَدَاعِ، ثُمَّ رَكَضَ حَتَّى دَخَلَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص شُجَاعَ بْنَ وَهْبٍ، أَخَا بَنِي أَسَدٍ بْنِ خُزَيْمَةَ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرِ الْغَسَّانِيِّ، صَاحِبِ دِمَشْقَ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الْوَاقِدِيُّ: وَكُتِبَ إِلَيْهِ مَعَهُ: سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، وَأَمِنْ بِهِ إِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ يُبْقِي لَكَ مُلْكَكَ فَقَدِمَ بِهِ شُجَاعُ بْنُ وَهْبٍ، فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: مَنْ يَنْزِعُ مِنِّي مُلْكِي! أَنَا سَائِرُ إِلَيْهِ، [قَالَ النَّبِيُّ ص: بَادَ مُلْكُهُ!] حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَمْرُو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِي شَأْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابِهِ، وَكُتِبَ مَعَهُ كِتَابًا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى النَّجَاشِيِّ الْأَصْحَمِ مَلِكَ الْحَبَشَةِ، سَلَامٌ أَنْتَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِمِّنُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ الطَّيِّبَةِ الْحَصِينَةِ، فَحَمَلَتْ بِعِيسَى، فَخَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ

رُوحِهِ وَنَفَخَهُ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَنَفَخَهُ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْمُؤَالَاةِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَأَنْ تَتَّبِعَنِي وَتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ ابْنَ عَمِّي جَعْفَرًا وَنَفَرًا مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا جَاءَكَ فَأَقْرِهُمْ، وَدَعِ التَّجْبُرَ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللَّهِ، فَقَدْ بَلَغْتُ وَنَصَحْتُ، فَاقْبَلُوا نَصِيحِي، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى.

فكتب النجاشي الى رسول الله ص: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، مِنَ النَّجَاشِيِّ الْأَصْحَمِ بْنِ أَبَجَرَ سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، مِنَ اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الَّذِي هَدَانِي إِلَى الْإِسْلَامِ أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ عِيسَى، فَوَرَبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ عِيسَى مَا يَزِيدُ عَلَى مَا ذَكَرْتَ تُفَرِّقُونَا، إِنَّهُ كَمَا قُلْتَ، وَقَدْ عَرَفْنَا مَا بَعَثْتَ بِهِ إِلَيْنَا، وَقَدْ قَرِينَا ابْنَ عَمِّكَ وَأَصْحَابَهُ، فَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَادِقًا مُصَدِّقًا، وَقَدْ بَايَعْتُكَ وَبَايَعْتُ ابْنَ عَمِّكَ، وَأَسَلْتُ عَلَى يَدَيْهِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بَابِي ارْهَأْ بَنِي الْأَصْحَمِ ابْنَ أَبَجَرَ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ آتِيكَ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ مَا تَقُولُ حَقٌّ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَذَكَرَ لِي أَنَّ النَّجَاشِيَّ بَعَثَ ابْنَهُ فِي سَتِينَ مِنَ الْحَبْشَةِ فِي سَفِينَةٍ، فَإِذَا كَانُوا فِي وَسْطٍ مِنَ الْبَحْرِ غَرِقَتْ بِهِمْ سَفِينَتُهُمْ، فَهَلَكُوا.

وَحَدَّثَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: ارسل رسول الله ص إِلَى النَّجَاشِيِّ لِيُزَوِّجَهُ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ، وَيَبْعَثَ بِهَا إِلَيْهِ مَعَ مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَرْسَلَ النَّجَاشِيُّ إِلَى أُمِّ حَبِيبَةَ يَخْبِرُهَا بِخَطْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص إِيَّاهَا جَارِيَةً لَهُ يُقَالُ لَهَا أَبْرَهَةُ، فَأَعْطَهَا أَوْضَاحًا لَهَا وَفَتْخًا، سُرُورًا بِذَلِكَ، وَأَمَرَهَا أَنْ تَوَكَّلَ مَنْ يَزُوجُهَا، فَوَكَّلَتْ خَالِدَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، فَزَوَّجَهَا، نَحَطَبَ النَّجَاشِيُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، وَخَطَبَ خَالِدٌ فَأَنكَحَ أُمَّ حَبِيبَةَ، ثُمَّ دَعَا النَّجَاشِيَّ بِأَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ صَدَاقِهَا، فَدَفَعَهَا إِلَى خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، فَلَمَّا جَاءَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ تِلْكَ الدَّنَانِيرُ، قَالَ: جَاءَتْ بِهَا أَبْرَهَةُ فَأَعْطَهَا خَمْسِينَ مِثْقَالًا، وَقَالَتْ: كُنْتُ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ بِيَدِي شَيْءٌ، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَذَا فَقَالَتْ أَبْرَهَةُ: قَدْ أَمَرَنِي الْمَلِكُ الْآخِذَ مِنْكَ شَيْئًا، وَأَنْ أَرُدَّ إِلَيْكَ الَّذِي أَخَذْتَ مِنْكَ، فَرُدِّدْتَهُ وَأَنَا صَاحِبَةُ دَهْنِ الْمَلِكِ وَثِيَابِهِ، وَقَدْ صَدَّقْتُ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ وَآمَنْتُ بِهِ، وَحَاجَتِي إِلَيْكَ أَنْ تُقَرِّبَنِي مَنِي السَّلَامِ.

قَالَتْ: نَعَمْ، وَقَدْ أَمَرَ الْمَلِكُ نِسَاءَهُ أَنْ يَبْعَثْنَ إِلَيْكَ بِمَا عِنْدَهُنَّ مِنْ عُدُوٍّ وَعَنْبَرٍ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَرَاهُ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا فَلَا يُنْكِرُهُ قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: نَخْرَجْنَا فِي سَفِينَتَيْنِ، وَبَعَثَ مَعَنَا النَّوَاتِيَّ حَتَّى قَدِمْنَا الْجَارَ، ثُمَّ رَكِبْنَا الظُّهْرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَجَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ ص بِخَيْبَرَ، فَخَرَجَ مِنْ خَرَجٍ إِلَيْهِ، وَأَقَمْتُ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ، فَكَانَ يَسْأَلُنِي عَنِ النَّجَاشِيِّ، وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَبْرَهَةَ السَّلَامِ، فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ص عَلَيْهَا، وَلَمَّا جَاءَ أَبَا سُفْيَانَ تَزَوُّجُ النَّبِيِّ ص أُمُّ حَبِيبَةَ قَالَ: ذَلِكَ الْفَحْلُ لَا يَقْدَعُ أَنْفَهُ.

وَفِيهَا كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى كِسْرَى، وَبَعَثَ الْكِتَابَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَشَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، لِيُنْذَرَ مَنْ كَانَ حَيًّا، أَسْلِمَ تَسْلِيمًا، فَإِنْ أَيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْمُجُوسِ.

فَمَزَّقَ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ ص، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: مُزَّقَ مُلْكُهُ].
حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَبِيبٍ، قَالَ: وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ بْنُ قَيْسٍ بْنِ عَدِيٍّ بْنُ سَعْدٍ بْنُ سَهْمٍ، إِلَى كِسْرَى بْنِ هُرْمُرُزٍ مَلِكِ فَارِسٍ وَكَتَبَ مَعَهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَشَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ

لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَدْعُوكَ بِدُعَاءِ اللَّهِ، فَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لِأَنْذَرِ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ، فَأَسْلَمَ تَسْلَمًا، فَإِنِ آيَّتْ، فَإِنِ اثْمَ الْمَجُوسِ عَلَيْكَ.

فَلَمَّا قَرَأَهُ مَرَّةً، وَقَالَ: يَكْتُبُ إِلَيَّ هَذَا وَهُوَ عَبْدِي! حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، [أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حُذَافَةَ قَدِمَ بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَ عَلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ شَقَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: مَرَّقَ مُلْكُهُ! حِينَ بَلَغَهُ أَنَّهُ شَقَّ كِتَابَهُ].

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ قَالَ: ثُمَّ كَتَبَ كِسْرَى إِلَى بَاذَانَ، وَهُوَ عَلَى الْيَمَنِ: أَنْ أَبْعَثْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بِالْحِجَازِ رَجُلَيْنِ مِنْ عِنْدِكَ جَلِيدَيْنِ، فليأتياي به، فَبَعَثَ بَاذَانَ قَهْرْمَانَهُ وَهُوَ بَابُويَه - وَكَانَ كَاتِبًا حَاسِبًا بِكِتَابِ فَارِسَ - وَبَعَثَ مَعَهُ رَجُلًا مِنَ الْفَرَسِ يُقَالُ لَهُ خَرْخَسُهُ، وَكَتَبَ مَعَهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَ يَأْمُرُهُ أَنْ يَنْصَرِفَ مَعَهُمَا إِلَى كِسْرَى، وَقَالَ لِبَابُويَه: ائْتِ بِلَدِّ هَذَا الرَّجُلِ، وَكَلِّهْ وَأُتْبِي بِخَبْرِهِ، فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا الطَّائِفَ فَوَجَدَا رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ بَخْبٍ مِنْ أَرْضِ الطَّائِفِ فَسَأَلَاهُم عَنْهُ، فَقَالُوا: هُوَ بِالْمَدِينَةِ، وَاسْتَبَشَرُوا بِهِمَا وَفَرِحُوا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ابْشُرُوا فَقَدْ نَصَبَ لَهُ كِسْرَى مَلِكَ الْمُلُوكِ، كُفَيْتُمُ الرَّجُلَ! فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَ، فَكَلَّمَهُ بَابُويَه، فَقَالَ: إِنْ شَاهَانِشَاهَ مَلِكِ الْمُلُوكِ كِسْرَى، قَدْ كَتَبَ إِلَى الْمَلِكِ بَاذَانَ، يَأْمُرُهُ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْكَ مَنْ يَأْتِيهِ بِكَ، وَقَدْ بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِنَتَلَقَّ مَعِي، فَإِنْ فَعَلْتَ كَتَبَ فِيكَ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ يَنْفَعُكَ وَيَكْفُهُ عَنْكَ، وَإِنْ آيَّتَ فَهُوَ مَنْ قَدْ عَلِمْتَ! فَهُوَ مَهْلُكُكَ وَمَهْلِكُ قَوْمِكَ، وَمُخَرَّبُ بِلَادِكَ، وَدَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَ وَقَدْ حَلَقَا لِحَاهُمَا، وَأَغْفَيَا شَوَارِبَهُمَا، فَكَرِهَ النَّظَرَ إِلَيْهِمَا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمَا فَقَالَ: وَيْلَكُمَا! مَنْ أَمْرُكُمَا بِهَذَا؟ قَالَا: أَمَرْنَا بِهَذَا رَبُّنَا - يَعْنِيَانِ كِسْرَى - [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: لَكِنَّ رَبِّي قَدْ أَمَرَنِي بِإِعْفَاءِ لِحْيَتِي وَفَقَصِ شَارِبِي].

ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: أَرْجِعَا حَتَّى تَأْتِيَانِي غَدًا، وَاتَى رَسُولُ اللَّهِ صَ الْخَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ سَلَطَ عَلَى كِسْرَى ابْنَهُ شَيْرُويَه، فَقَتَلَهُ فِي شَهْرِ كَذَا وَكَذَا لَيْلَةً كَذَا وَكَذَا مِنَ اللَّيْلِ، بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ، سَلَطَ عَلَيْهِ ابْنَهُ شَيْرُويَه فَقَتَلَهُ.

- قَالَ الْوَاقِدِيُّ: قَتَلَ شَيْرُويَه أَبَاهُ كِسْرَى لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ لِعَشْرِ لَيَالٍ مَضِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ لِسِتِّ سَاعَاتٍ مَضَتْ مِنْهَا - رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ.

فَدَعَاهُمَا فَأَخْبَرَهُمَا، فَقَالَا: [هَلْ تَدْرِي مَا تَقُولُ! إِنَّا قَدْ نَقَمْنَا عَلَيْكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ هَذَا، أَفَكُتُبُ هَذَا عَنْكَ، وَنُخْبِرُهُ الْمَلِكَ! قَالَ: نَعَمْ، أَخْبِرَاهُ ذَلِكَ عَنِّي، وَقُولَا لَهُ: إِنَّ دِينِي وَسُلْطَانِي سَيَبْلُغُ مَا بَلَغَ مُلْكُ كِسْرَى، وَيَنْتَهِي إِلَى مُنْتَهَى الْخُفِّ وَالْحَافِرِ، وَقُولَا لَهُ: إِنَّكَ إِنْ أَسْلَمْتَ أَعْطَيْتُكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ، وَمَلَكْتُكَ عَلَى قَوْمِكَ مِنَ الْأَبْنَاءِ، ثُمَّ أَعْطَى خَرْخَسُهُ مَنَظِقَةً فِيهَا ذَهَبٌ وَفِضَّةٌ، كَانَ أَهْدَاهَا لَهُ بَعْضُ الْمُلُوكِ] فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى قَدِمَا عَلَى بَاذَانَ، فَأَخْبَرَاهُ الْخَبْرَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا هَذَا بِكَلَامِ مَلِكٍ، وَإِنِّي لَأَرَى الرَّجُلَ نَبِيًّا كَمَا يَقُولُ، وَلَنَنْظُرَنَّ مَا قَدْ قَالَ، فَلَيْتَ كَانَ هَذَا حَقًّا مَا فِيهِ كَلَامٌ، إِنَّهُ لَنِي مُرْسَلٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَسَرَى فِيهِ رَأْيُنَا.

فَلَمْ يَنْشَبْ بَاذَانَ أَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ كِتَابُ شَيْرُويَه، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ كِسْرَى، وَلَمْ أَقْتُلْهُ إِلَّا غَضَبًا لِفَارِسَ لِمَا كَانَ اسْتَحَلَّ مِنْ قَتْلِ أَشْرَافِهِمْ وَتَجْجِيرِهِمْ فِي ثُغُورِهِمْ، فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا نَخَذْ لِي الطَّاعَةَ مِمَّنْ قَبْلَكَ، وَانْظُرِ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ كِسْرَى كَتَبَ فِيهِ إِلَيْكَ فَلَا تَهْجِهْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي فِيهِ.

فَلَمَّا انْتَهَى كِتَابُ شَيْرُويَه إِلَى بَاذَانَ قَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لِرَسُولٍ فَأَسْلَمَ وَأَسْلَمَتِ الْأَبْنَاءُ مَعَهُ مِنْ فَارِسَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْيَمَنِ، فَكَانَتْ حَمِيرٌ تَقُولُ

لخرخره: ذُو الْمُعْجِزَةِ، لِلْمِنْطَقَةِ الَّتِي أَعْطَاهُ إِيَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ ص- وَالْمِنْطَقَةُ بِلِسَانِ حَمِيرِ الْمُعْجِزَةِ- فَبَنُوهُ الْيَوْمَ يَنْسُبُونَ إِلَيْهَا خَرْخَرَهُ ذُو الْمُعْجِزَةِ.

وَقَدْ قَالَ بَابُوهُ لِبَادَانٍ: مَا كَلَّمْتُ رَجُلًا قَطُّ أَهْيَبَ عِنْدِي مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ بَادَانٌ: هَلْ مَعَهُ شَرْطٌ؟ قَالَ: لَا.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَفِيهَا كُتِبَ إِلَى الْمُقَوْسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ، يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُسَلِّمْ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ غَزْوَةِ الْحَدِيثِيَّةِ إِلَى الْمَدِينَةِ أَقَامَ بِهَا ذَا الْحِجَّةِ وَبَعْضَ الْمُحَرَّمِ- فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ:

حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ.

قَالَ: وَوَلِيَ الْحَجَّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ الْمُشْرِكُونَ

٣ الجزء الثالث

٣٠١ سنه سبع من الهجره

٣٠١٠١ غزوه خيبر

الجزء الثالث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذَكَرُ الْأَحْدَاثِ الْكَائِنَةِ فِي

سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ

غَزْوَةِ خَيْبَرَ

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي بَقِيَّةِ الْمُحَرَّمِ إِلَى خَيْبَرَ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ سَبَاعُ بْنُ عَرْفُطَةَ الْغِفَارِيُّ، فَمَضَى حَتَّى نَزَلَ بِحَيْشِهِ بِوَادٍ يُقَالُ لَهُ الرَّجِيعُ، فَنَزَلَ بَيْنَ أَهْلِ خَيْبَرَ وَبَيْنَ غُطَفَانَ- فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ- لِيُحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَمْدُوا أَهْلَ خَيْبَرَ، وَكَانُوا لَهُمْ مُظَاهِرِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص.

قَالَ: فَلَبِغْنِي أَنْ غُطَفَانَ لَمَّا سَمِعَتْ بِمَنْزِلِ رَسُولِ اللَّهِ ص مِنْ خَيْبَرَ، جَمَعُوا لَهُ، ثُمَّ خَرَجُوا لِيُظَاهِرُوا يَهُودَ عَلَيْهِ، حَتَّى إِذَا سَارُوا مَنَقَلَةً سَمِعُوا خَلْفَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَهَالِيهِمْ حِسَاءً، ظَنُّوا أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَالَفُوا إِلَيْهِمْ، فَرَجَعُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، فَأَقَامُوا فِي أَهَالِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَخَلَوْا بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَبَيْنَ خَيْبَرَ، وَبَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِالْأَمْوَالِ يَأْخُذُهَا مَا لَا مَالَ، وَيَفْتَتِحُهَا حِصْنًا حِصْنًا، فَكَانَ أَوَّلَ حُصُونِهِمْ أَفْتَحَ حِصْنَ نَاعِمٍ، وَعِنْدَهُ قَتْلُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ، أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ رَحًا مِنْهُ فَتَقَتَتْهُ، ثُمَّ الْقَمُوصُ، حِصْنُ ابْنِ أَبِي الْحَقِيقِ وَأَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْهُمْ سَبَايَا، مِنْهُمْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حِجِّي بْنِ أَخْطَبَ وَكَانَتْ عِنْدَ كَانَةَ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ، وَابْنَتِي عِمٍّ لَهَا فَاصْطَفَى رَسُولُ اللَّهِ ص صَفِيَّةَ لِنَفْسِهِ، وَكَانَ دَحِيَّةُ الْكَلْبِيِّ قَدْ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَصِيَّةً، فَلَبَّأَ اصْطَفَاهَا لِنَفْسِهِ أَعْطَاهُ ابْنَتِي عِمٍّ، وَفَشَتِ السَّبَايَا مِنْ خَيْبَرَ فِي الْمُسْلِمِينَ

قَالَ: ثُمَّ جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَتَدَنَّى الْحُصُونِ وَالْأَمْوَالِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ بَعْضُ أَهْلِ سَهْمٍ مِنْ أَسْلَمَ، أَنَّهُ أَتَا رَسُولَ اللَّهِ ص، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ جَهَدْنَا وَمَا بِأَيْدِينَا شَيْءٌ، فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئًا يُعْطِيهِمْ إِيَّاهُ، [فَقَالَ النَّبِيُّ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ حَالَهُمْ، وَأَنْ لَيْسَتْ بِهِمْ قُوَّةٌ، وَأَنْ لَيْسَ بِيَدِي شَيْءٌ أُعْطِيهِمْ إِيَّاهُ، فَافْتَحَ عَلَيْهِمْ أَكْثَرَ حُصُونِهَا، أَكْثَرَهَا طَعَامًا وَوَدَّكَ] فَعَدَا النَّاسُ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حِصْنَ الصَّعْبِ بْنِ مُعَاذٍ، وَمَا بِخَيْبَرَ حِصْنٌ كَانَ أَكْثَرَ طَعَامًا وَوَدَّكَ مِنْهُ.

قَالَ: وَلَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ حُصُونِهِمْ مَا افْتَتَحَ، وَحَازَ مِنَ الْأَمْوَالِ مَا حَازَ، انْتَهَوْا إِلَى حِصْنِهِمُ الْوُطَيْحِ وَالسَّلَاطِمِ - وَكَانَ آخِرُ حُصُونٍ خَيْرٍ افْتَتَحَ - حَاصِرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ بَضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً.

فَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَهْلٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَهْلٍ أَخِي بَنِي حَارِثَةَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: خَرَجَ مَرْحَبُ الْيَهُودِيِّ مِنْ حِصْنِهِمْ، قَدْ جَمَعَ سِلَاحَهُ وَهُوَ يَرْتَجِزُ، وَيَقُولُ:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أَيِّ مَرْحَبٍ شَاكِيَ السِّلَاحِ بَطْلٌ مَجْرَبٌ أَطْعَنُ أَحْيَانًا وَحِينًا أَضْرِبُ إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلْتُ تُحْرَبُ كَانَ حِمَايَ، لِلْحِمَى لَا يَقْرُبُ.

وَهُوَ يَقُولُ: هَلْ مِنْ مَبَارِزٍ! [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص:

مَنْ لِهَذَا؟ فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ، فَقَالَ: أَنَا لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا وَاللَّهِ الْمُتَوَرُّ الثَّائِرُ، قَتَلُوا أَخِي بِالْأَمْسِ! قَالَ: فَقُمْ إِلَيْهِ، اللَّهُمَّ أَعْنِهِ عَلَيْهِ

فَلَمَّا أَنْ دَنَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ، دَخَلَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةُ عَمْرِيهِ

مِنْ شَجَرِ الْعُشْرِ، فَفَعَلَ أَحَدُهُمَا يَلُودُ بِهَا مِنْ صَاحِبِهِ، فَكَلَّمَا لَازِمًا قُتِلَ أَحَدُهُمَا بِسَيْفِهِ مِنْهَا مَا دُونَهُ مِنْهَا، حَتَّى بَرَزَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ، وَصَارَتْ بَيْنَهُمَا كَالرَّجُلِ الْقَائِمِ، مَا بَيْنَهُمَا فَنٌّ، ثُمَّ حَمَلَ مَرْحَبٌ عَلَى مُحَمَّدٍ فَضْرَبَهُ، فَاتَّقَاهُ بِالْذَرَقَةِ فَوَقَعَ سَيْفُهُ فِيهَا، فَعَضَّتْ بِهِ فَاْمَسَكَتَهُ، وَضْرَبَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ حَتَّى قَتَلَهُ.

ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ مَرْحَبٍ أَخُوهُ يَاسِرٌ، يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أَنِي يَاسِرُ شَاكِيَ السِّلَاحِ بَطْلٌ مَغَاوِرُ إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلْتُ تَبَادَرُ وَأَجَمْتُ عَنْ صَوْلَتِي الْمَغَاوِرُ إِنَّ حِمَايَ فِيهِ مَوْتُ حَاضِرٍ.

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، أَنَّ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ خَرَجَ إِلَى يَاسِرٍ، فَقَالَتْ

أُمُّهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: أَيْقَتُلْ ابْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:

بَلِ ابْنُكَ يَقْتُلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَخَرَجَ الزُّبَيْرُ وَهُوَ يَقُولُ:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أَيِّ زَبَارِقٍ لِقَوْمٍ غَيْرِ نَكْسٍ فَرَارُ ابْنِ حُمَاةِ الْمَجْدِ وَابْنِ الْأَخْيَارِ يَاسِرُ لَا يَغْرُوكَ جَمْعُ الْكُفَّارِ جَمْعُهُمْ مِثْلُ السَّرَابِ

الْمَجْرَارِ.

ثُمَّ التَّقِيَا فَقَتَلَهُ الزُّبَيْرُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ مَيْمُونِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ بَرِيدَةَ حَدَّثَ عَنْ بَرِيدَةَ

الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: لَمَّا كَانَ حِينَ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِحَصْنِ أَهْلِ خَيْرٍ، أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ص الْوَاءَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، وَنَهَضَ مِنْ نَهَضٍ

مَعَهُ مِنَ النَّاسِ، فَلَقُوا أَهْلَ خَيْرٍ، فَانْكَشَفَ عَمْرُ وَاصْحَابُهُ، فَجَعَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، يَجْبِنُهُ أَصْحَابُهُ وَيَجْبِنُهُمْ، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص:

لَأُعْطِيَ الْوَاءَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ].

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ تَطَاوَلَ لَهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَدَعَا عَلِيًّا وَهُوَ أَرْمَدُ، فَتَقَلَّ فِي عَيْنَيْهِ، وَأَعْطَاهُ الْوَاءَ، وَنَهَضَ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ مَنْ نَهَضَ

قَالَ: فَلَقِي أَهْلَ خَيْرٍ، فَإِذَا مَرْحَبٌ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أَيِّ مَرْحَبٍ شَاكِيَ السِّلَاحِ بَطْلٌ مَجْرَبٌ أَطْعَنُ أَحْيَانًا وَحِينًا أَضْرِبُ إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلْتُ تَلْهَبُ فَاخْتَلَفَ هُوَ وَعَلِيٌّ ضَرْبَتَيْنِ،

فَضْرَبَهُ عَلِيٌّ عَلَى هَامَتِهِ، حَتَّى عَضَّ السَّيْفُ مِنْهَا بِأَضْرَاسِهِ، وَسَمِعَ أَهْلُ الْعَسْكَرِ صَوْتَ ضَرْبَتِهِ، فَمَا نَتَامَ آخِرُ النَّاسِ مَعَ عَلِيٍّ حَتَّى فَتَحَ

اللَّهُ لَهُ وَلَهُمْ.

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُسَيْبُ بْنُ مُسْلِمٍ الْأَوْدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَرِيدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص رُبَّمَا أَخَذَتْهُ الشَّقِيقَةُ، فَيَلْبَثُ الْيَوْمَ وَالْيَوْمِينَ لَا يَخْرُجُ فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص خَيْرَ أَخَذَتْهُ الشَّقِيقَةُ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى النَّاسِ وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَخَذَ رَايَةَ رَسُولِ اللَّهِ، ثُمَّ نَهَضَ فَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا، ثُمَّ رَجَعَ فَأَخَذَهَا عُمَرُ فَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْقِتَالِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَجَعَ فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ، [فَقَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لَا أُعْطِيهَا غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، يَأْخُذُهَا عَنْهُ]-

قال: وليس ثم على ع- فَنَطَاوَلَتْ لَهَا قَرِيشٌ، وَرَجَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ ذَلِكَ،

فَاصْبَحَ لُجَاءً عَلَى ع عَلَى بَعِيرٍ لَهُ، حَتَّى أَتَاخَ قَرِيبًا مِنْ خَبَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَهُوَ أَرْمَدُ، وَقَدْ عَصَبَ عَيْنَيْهِ بِشَقَّةٍ بَرْدٍ قَطْرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: مَا لَكَ؟ قَالَ: رَمِدَتْ بَعْدُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: ادْنِ مِنِّي، فَدَنَا فَتَقَلَّ فِي عَيْنَيْهِ، فَمَا وَجَعُهُمَا حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ ثُمَّ أَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَهَضَّ بِهَا مَعَهُ وَعَلَيْهِ حَلَّةٌ أَرْجَوَانٌ حَمْرَاءُ قَدْ أُخْرِجَ نَحْلُهَا فَأَتَى مَدِينَةَ خَيْبَرَ، وَخَرَجَ مَرْحَبٌ صَاحِبُ الْحِصْنِ وَعَلَيْهِ مَغْفَرٌ مَعْصَفَرٌ بِمَانٍ، وَحَجَرٌ قَدْ ثَقَبَهُ مِثْلُ الْبَيْضَةِ عَلَى رَأْسِهِ، وَهُوَ يَرْجُزُ وَيَقُولُ:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أَيِّ مَرْحَبٍ شَاكِيَ السِّلَاحِ بَطْلَ مَجْرِبٍ فَقَالَ عَلَى ع:

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتُ أُمِّي حَيْدَرَهُ أَكِلَكُمْ بِالسَّيْفِ كَيْلَ السَّنَدَرَةِ لَيْثُ بَغَابَاتٍ شَدِيدٍ قَسُورِهِ.

فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَبَدَرَهُ عَلَى فَضْرَبِهِ، فَقَدَّ الْحَجَرَ وَالْمَغْفَرَ وَرَأْسَهُ، حَتَّى وَقَعَ فِي الْأَضْرَاسِ وَأَخَذَ الْمَدِينَةَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِهِ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حِينَ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص بِرَأْيَتِهِ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْحِصْنِ خَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُهُ، فَقَاتَلَهُمْ فَضْرَبَهُ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَطَرَحَ تَرْسَهُ مِنْ يَدِهِ، فَتَنَاوَلَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَبَا كَانَ عِنْدَ الْحِصْنِ، فَتَرَسَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، فَلَمْ يَزَلْ فِي يَدِهِ وَهُوَ يُقَاتِلُ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَلْقَاهُ مِنْ يَدِهِ حِينَ فَرَّغَ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي نَفَرٍ سَبْعَةَ أَنَا ثَامِنُهُمْ، نَجْهَدُ عَلَى أَنْ نَقْلِبَ ذَلِكَ الْبَابَ فَمَا نَقْلَبُهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَلَمَّا

فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْقُمُوصَ، حِصْنَ ابْنِ أَبِي الْحَقِيقِ، أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ص بِصَفِيَّةَ بِنْتُ حِجٍّ بْنِ أَخْطَبَ، وَبِأُخْرَى مَعَهَا، فَرَّ بِهِمَا بِلَالٌ - وَهُوَ الَّذِي جَاءَ بِهِمَا - عَلَى قَتْلٍ مِنْ قَتْلِ يَهُودٍ، فَلَمَّا رَأَتْهُمُ الْيَتَّى مَعَ صَفِيَّةَ صَاحَتِ وَصَكَّتْ وَجْهَهَا، وَحَثَّتِ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ص قَالَ: أَغْرَبُوا عَنِّي هَذِهِ الشَّيْطَانَةَ، وَأَمَرَ بِصَفِيَّةَ فَحِيزَتْ خَلْفَهُ، وَأُلْقِيَ عَلَيْهَا رِدَاؤُهُ، فَعَرَفَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَدْ اصْطَفَاهَا لِنَفْسِهِ، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِبِلَالٍ - فِيمَا بَلَغَنِي - حِينَ رَأَى مِنْ تِلْكَ الْيَهُودِيَّةِ مَا رَأَى:

أَنْزَعَتْ مِنْكَ الرَّحْمَةُ يَا بِلَالُ، حَيْثُ تَمَرُّ بِأَمْرَاتَيْنِ عَلَى قَتْلِي رَجَالَهُمَا!] وَكَانَتْ صَفِيَّةٌ قَدْ رَأَتْ فِي الْمَنَامِ وَهِيَ عَرُوسٌ بِكَانَةِ ابْنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ، أَنَّ قَرَأَ وَقَعَ فِي جِرْهَا، فَعَرَضَتْ رُؤْيَاهَا عَلَى زَوْجِهَا فَقَالَ: مَا هَذَا إِلَّا أَنَّكَ تَمْنِينَ مَلِكَ الْحِجَازِ مُحَمَّدًا، فَلَطَمَ وَجْهَهَا لَطْمَةً اخْضَرَّتْ عَيْنَهَا مِنْهَا، فَأَتَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ص وَبِهَا أَثَرُ مِنْهَا، فَسَأَلَهَا: مَا هُوَ؟ فَأَخْبَرَتْهُ هَذَا الْخَبَرَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ص بِكَانَةِ ابْنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ - وَكَانَ عِنْدَهُ كَنْزُ بَنِي النَّضِيرِ - فَسَأَلَهُ فَجَحَدَ أَنَّ يَكُونُ يَعْلَمُ مَكَانَهُ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ص بِرَجُلٍ مِنْ يَهُودٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ كَانَةَ يُطِيفُ بِهَذِهِ الْخَرْبَةِ كُلَّ غَدَاةٍ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِكَانَةَ: أَرَأَيْتَ أَنْ وَجَدْنَاهُ عِنْدَكَ، اقْتُلْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ص بِالْخَرْبَةِ فَخَفِرَتْ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا بَعْضَ كَنْزِهِمْ، ثُمَّ سَأَلَهُ مَا بَقِيَ، فَأَبَى أَنْ يُؤَدِّيَهُ، [فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ص الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، فَقَالَ: عَذِبُهُ حَتَّى تَسْتَأْصِلَ مَا عِنْدَهُ،] فَكَانَ الزُّبَيْرُ يُقَدِّحُ بِزَنْدِهِ فِي صَدْرِهِ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ، ثُمَّ دَفَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ، فَضْرَبَ عُنُقَهُ بِأَخِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ وَحَاصِرَ رَسُولِ

الله ص أَهْلَ خَيْرٍ فِي حَصْنِهِمْ، الْوَطِيحَ وَالسَّلَامَ، حَتَّى إِذَا اتَّقَنُوا بِالْهَلَكَةِ سَأَلُوهُ أَنْ يُسِيرَهُمْ وَيَحْقِنَ لَهُمْ دِمَاءَهُمْ، فَفَعَلَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ حَازَ الْأَمْوَالَ كُلَّهَا: الشَّقَّ وَنَطَاةَ وَالْكُتَيْبَةَ، وَجَمِيعَ حُصُونِهِمْ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ ذِيكَ الْحَصْنَيْنِ.

فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ أَهْلُ فِدْكَ قَدْ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص يَسْأَلُونَهُ أَنْ يُسِيرَهُمْ وَيَحْقِنَ دِمَاءَهُمْ لَهُمْ، وَيَخْلُوا لَهُ الْأَمْوَالَ، فَفَعَلَ، وَكَانَ فِيمَنْ مَشَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ مُحِصَّةٌ بَنُ مَسْعُودٍ، أَخُو بَنِي حَارِثَةَ، فَلَمَّا نَزَلَ أَهْلُ خَيْرٍ عَلَى ذَلِكَ، سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يُعَامِلَهُمْ بِالْأَمْوَالِ عَلَى النِّصْفِ، وَقَالُوا: نَحْنُ أَعْلَمُ بِهَا مِنْكُمْ، وَاعْمُرْ لَهَا، فَصَالِحُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص عَلَى النِّصْفِ، عَلَى أَنَا إِذَا شِئْنَا أَنْ نُخْرِجَكُمْ أَخْرَجْنَاكُمْ، وَصَالِحُهُ أَهْلُ فِدْكَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ، فَكَانَتْ خَيْرٌ فَيْثًا لِلْمُسْلِمِينَ، وَكَانَتْ فِدْكَ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ص، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجْلِبُوا عَلَيْهَا بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ.

فَلَمَّا اطْمَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَهْدَتْ لَهُ زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ امْرَأَةً سَلَامَ بِنِ مِشْكَمٍ شَاةً مَصْلِيَّةً، وَقَدْ سَأَلَتْ: أَيُّ عَضْوٍ مِنَ الشَّاةِ أَحَبُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ؟ فَقِيلَ لَهَا: الدَّرَاعُ، فَأَكْثَرَتْ فِيهَا السَّمَّ، فَسَمَّتْ سَائِرَ الشَّاةِ، ثُمَّ جَاءَتْ بِهَا، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ص تَتَاوَلَ الدَّرَاعُ، فَأَخَذَهَا فَلَاكٌ مِنْهَا مُضْغَةً فَلَمْ يَسْغَهَا، وَمَعَهُ بَشَرُ بْنُ الْبَرَاءِ ابْنُ مَعْرُورٍ، وَقَدْ أَخَذَ مِنْهَا كَمَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ، فَأَمَّا بَشَرٌ فَأَسَاغَهَا، وَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ فَلَفَّظَهَا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا الْعَظْمَ لِيُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ، ثُمَّ دَعَا بِهَا فَاعْتَرَفَتْ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَتْ: بَلَغْتُ مِنْ قَوْمِي مَا لَمْ يَخَفْ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: إِنَّ كَانَ نَبِيًّا فَسَيُخْبِرُ، وَإِنْ كَانَ مَلِكًا اسْتَرَحْتُ مِنْهُ، فَتَجَاوَزَ عَنْهَا النَّبِيُّ ص وَمَاتَ بَشَرُ بْنُ الْبَرَاءِ مِنْ أَكَلْتِهِ الَّتِي أَكَلَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مَرْوَانَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ الْمُعَلَّى، قَالَ: وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص

٣٠١٠٢ ذكر غزوه رسول الله ص وادي القرى

قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ - وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ أُمُّ بَشَرِ بْنِ الْبَرَاءِ تَعُوذُهُ:

يَا أُمُّ بَشَرٍ، إِنَّ هَذَا الْأَوَانَ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنَ الْأَكَلَةِ الَّتِي أَكَلْتُ مَعَ ابْنِكَ بِخَيْرٍ.

قَالَ: وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَرَوْنَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَدْ مَاتَ شَهِيدًا مَعَ مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ النَّبُوَّةِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ خَيْرٍ انْصَرَفَ إِلَى وَادِي الْقُرَى لِحَاصِرِ أَهْلِهِ لَيْلِي، ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ

ذكر غزوه رسول الله ص وادي القرى

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا

انْصَرَفْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص مِنْ خَيْرٍ إِلَى وَادِي الْقُرَى، نَزَلْنَا أَصْلًا مَعَ مَغَارِبِ الشَّمْسِ، وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص غُلَامٌ لَهُ، أَهْدَاهُ إِلَيْهِ

رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ الْجَذَامِيُّ، ثُمَّ الضَّبْيِيُّ، فَوَاللَّهِ أَنَا لَنَضْعُ رِجْلَ رَسُولِ اللَّهِ ص إِذَا أَتَاهُ سَهْمٌ غَرْبٍ، فَأَصَابَهُ فَقَتَلَهُ، فَقُلْنَا: هُنَيْثًا لَهُ الْجَنَّةُ!

[فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: كَلَّا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ شِمْلَتَهُ الْآنَ لَتَحْرَقُ عَلَيْهِ فِي النَّارِ قَالَ: وَكَانَ غُلَامًا مِنْ فِئَةِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ خَيْرٍ]

قَالَ: فَسَمِعَهَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَأَتَاهُ، [فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصَبْتُ شِرَاكَيْنِ لِنَعْلَيْنِي لِي، قَالَ: فَقَالَ:

يَقْدُ لَكَ مِثْلُهُمَا مِنَ النَّارِ].

وَفِي هَذِهِ السَّفَرَةِ نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَأَصْحَابُهُ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ

إِسْحَاقَ،

عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ، قَالَ: لما انصرف رسول الله ص مِنْ خَيْبَرٍ، وَكَانَ بَعْضُ الطَّرِيقِ، قَالَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ: مَنْ رَجُلٌ يَحْفَظُ عَلَيْنَا الْفَجْرَ، لَعَلَّنَا نَنَامُ؟ فَقَالَ بِلَالٌ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ احْفَظْ لَكَ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص، وَنَزَلَ النَّاسُ فَنَامُوا، وَقَامَ بِلَالٌ يُصَلِّي، فَصَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُصَلِّيَ ثُمَّ اسْتَدَّ إِلَى بَعِيرِهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْفَجْرَ يَرْمُقُهُ، فَعَلَبَتْهُ عَيْنُهُ، فَنَامَ فَلَمْ يُوقِظْهُمُ إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَوَّلَ أَصْحَابِهِ هَبَّ مِنْ نَوْمِهِ، فَقَالَ: مَاذَا صَنَعْتَ بِنَا يَا بِلَالُ! فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ، قَالَ: صدقت ثم اقتاد رسول الله غير كثير، ثُمَّ أَنَاخَ فَتَوَضَّأَ وَتَوَضَّأَ النَّاسُ، ثُمَّ أَمَرَ بِإِلَالَا فَأَقَامَ الصَّلَاةَ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ، فَلَمَّا سَلَّمَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، [فَقَالَ: إِذَا نَسِيتُمُ الصَّلَاةَ فَصَلُّوْهَا إِذَا ذَكَّرْتُمُوهَا، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي»].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ فَتَحُ خَيْبَرَ فِي صَفَرٍ.

قال: وشهد مع رسول الله ص نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَرَخَّخَ لَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ الْفِيءِ وَلَمْ يَضْرِبْ لَهُنَّ بِسَهْمٍ . امر الحجاج بن علاط السلمي

قَالَ: وَلَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرٌ قَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ عَلَاطٍ السَّلْمِيُّ ثُمَّ الْبَهْزِيُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ص: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي مَالًا بِمَكَّةَ عِنْدَ صَاحِبَتِي أُمِّ شَيْبَةَ بِنْتِ أَبِي طَلْحَةَ- وَكَانَتْ عِنْدَهُ، لَهُ مِنْهَا مَعْرُضٌ بِنِ الْحَجَّاجِ- وَمَالٌ مَتَفَرِّقٌ فِي تِجَارَةِ أَهْلِ مَكَّةَ، فَأُذِّنْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاذَنْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ لَا بُدَّ لِي مِنْ أَنْ أَقُولَ، قَالَ: قُلْ، قَالَ الْحَجَّاجُ: نَفَرَجْتُ حَتَّى إِذَا قَدِمْتُ مَكَّةَ، فَوَجَدْتُ بِثَنِيَّةِ الْبَيْضَاءِ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ يَتَسَمَّعُونَ الْأَخْبَارَ، وَيَسْأَلُونَ عَنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ بَلَغَهُمْ أَنَّهُ قَدْ سَارَ

إِلَى خَيْبَرٍ، وَقَدْ عَرَفُوا أَنَّهَا قَرْيَةُ الْحِجَازِ، رِيفًا وَمَنْعَةً وَرَجَالًا، فَهُمْ يَتَحَسَّسُونَ الْأَخْبَارَ، فَلَمَّا رَأَوْنِي قَالُوا: الْحَجَّاجُ بْنُ عَلَاطٍ- وَلَمْ يَكُونُوا عَلِيمًا بِإِسْلَامِي- عِنْدَهُ وَاللَّهِ الْخَبْرُ! أَخْبَرْنَا بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ الْقَاطِعَ قَدْ سَارَ إِلَى خَيْبَرٍ، وَهِيَ بِلَدَةُ يَهُودٍ وَرِيفُ الْحِجَازِ قَالَ: قُلْتُ: قَدْ بَلَغَنِي ذَلِكَ، وَعِنْدِي مِنَ الْخَبَرِ مَا يَسُرُّكُمْ قَالَ: فَالْتَأَطُوا بِجَنِّي نَاقِي يَقُولُونَ: إِيهِ يَا حَجَّاجُ! قَالَ: قُلْتُ: هَرُمُوا هَزِيمَةً لَمْ تَسْمَعُوا بِمِثْلِهَا قَطُّ، وَقَتْلَ أَصْحَابِهِ قَتْلًا لَمْ تَسْمَعُوا بِمِثْلِهِ قَطُّ، وَأَسِرَ مُحَمَّدٌ أَسْرًا، وَقَالُوا: لَنْ نَقْتُلَهُ حَتَّى نَبْعَثَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ فَيَقْتُلُوهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مِمَّنْ كَانَ أَصَابَ مِنْ رَجَالِهِمْ قَالَ: فَقَامُوا فَصَاحُوا بِمَكَّةَ وَقَالُوا: قَدْ جَاءَ كُمْ الْخَبْرُ، وَهَذَا مُحَمَّدٌ ﷺ إِنَّمَا تَنْتَظِرُونَ أَنْ يُقَدَّمَ بِهِ عَلَيْكُمْ فَيُقْتَلَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ قَالَ: قُلْتُ: أَعِينُونِي عَلَى جَمْعِ مَالِي بِمَكَّةَ عَلَى غُرْمَائِي، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَقْدِمَ خَيْبَرَ، فَأُصِيبَ مِنْ فِئِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَنِي التَّجَارُ إِلَى مَا هُنَالِكَ.

قَالَ: فَقَامُوا جَمَعُوا مَالِي كَأَحْتٍ جَمَعَ سَمْعُتُ بِهِ جِئْتُ صَاحِبَتِي فَقُلْتُ: مَالِي- وَقَدْ كَانَ لِي عِنْدَهَا مَالٌ مُوْضِعٌ- لَعَلِّي أَخْجُزُ بِخَيْبَرٍ، فَأُصِيبُ مِنْ فُرْصِ الْبَيْعِ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَنِي إِلَيْهِ التَّجَارُ فَلَمَّا سَمِعَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْخَبْرَ وَجَاءَهُ عَنِّي، أَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ إِلَى جَنِّي، وَأَنَا فِي خِيَمَةٍ مِنَ خِيَامِ التَّجَارِ، فَقَالَ: يَا حَجَّاجُ، مَا هَذَا الَّذِي جِئْتَ بِهِ؟ قَالَ: قُلْتُ: وَهَلْ عِنْدَكَ حِفْظٌ لِمَا وَضَعْتَ عِنْدَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَاسْتَأْخِرْ عَنِّي حَتَّى أَتَاكَ عَلَى خَلَاءٍ، فَإِنِّي فِي جَمْعِ مَالِي كَمَا تَرَى، فَانْصَرَفَ عَنِّي حَتَّى إِذَا فَرَعْتُ مِنْ جَمْعِ كُلِّ شَيْءٍ كَانَ لِي بِمَكَّةَ، وَاجْتَمَعْتُ الْخُرُوجَ، لَقِيتُ الْعَبَّاسَ، فَقُلْتُ: احْفَظْ عَلَيَّ حَدِيثِي يَا أَبَا الْفَضْلِ، فَإِنِّي أَخْشَى الطَّلَبَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قُلْ مَا شِئْتَ قَالَ: أَفْعَلُ، قَالَ: قُلْتُ فَإِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ تَرَكْتُ ابْنَ أَخِيكَ عَرُوسًا عَلَى ابْنَةِ مَلِكِهِمْ- يَعْنِي صَفِيَّةَ بِنْتَ حَيٍّ ابْنَ أَخْطَبٍ- وَلَقَدْ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، وَأَنْتَ لَمْ تَكُنْ فِيهَا، وَصَارَتْ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ.

قَالَ: مَا تَقُولُ يَا حَجَّاجُ! قَالَ: قُلْتُ: إِي وَاللَّهِ، فَأَكْتُمُ عَلَيَّ، وَلَقَدْ اسْلَمْتُ

وَمَا جِئْتُ إِلَّا لَأَخْذُ مَالِي فَرَقًا مِنْ أَنْ أُغْلِبَ عَلَيْهِ، فَإِذَا مَضَتْ ثَلَاثُ فَأَظْهَرُ أَمْرِكَ، فَهُوَ وَاللَّهُ عَلَى مَا تُحِبُّ قَالَ: حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّلَاثِ لَبَسَ الْعَبَّاسُ حُلَّةً لَهُ، وَتَخَلَّقَ وَأَخَذَ عَصَاهُ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى الْكُعْبَةَ، فَطَافَ بِهَا، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: يَا أَبَا الْفَضْلِ، هَذَا وَاللَّهُ التَّجَلُّدُ لِحَرِّ الْمُصِيبَةِ! قَالَ: كَلَّا وَالَّذِي حَلَقْتُمْ بِهِ! لَقَدْ افْتَتَحَ مُحَمَّدٌ خَيْرٌ، وَتَرَكَ عَرُوسًا عَلَى ابْنَةِ مَلِكِهِمْ، وَأَحْرَزَ أَمْوَالَهَا وَمَا فِيهَا، فَأَصْبَحَتْ لَهُ وَلَأَصْحَابِهِ قَالُوا: مَنْ جَاءَكَ بِهَذَا الْخَبَرِ؟ قَالَ: الَّذِي جَاءَ كُمْ بِمَا جَاءَ كُمْ بِهِ، لَقَدْ دَخَلَ عَلَيْكُمْ مُسْلِمًا، وَأَخَذَ مَالَهُ وَانْطَلَقَ لِيَلْحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ وَاصْحَابِهِ فَيَكُونُ مَعَهُ، قَالُوا: يَا لِعِبَادِ اللَّهِ! أَقُلْتَ عَدُوَّ اللَّهِ! أَمَا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْنَا لَكَانَ لَنَا وَلَهُ شَأْنٌ، وَلَمْ يَنْشُبُوا أَنْ جَاءَهُمُ الْخَبَرُ بِذَلِكَ

ذكر مقاسم خيبر وأموالها

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: كَانَتْ الْمَقَاسِمُ عَلَى أَمْوَالِ خَيْرٍ عَلَى الشَّقِّ وَنَطَاطٍ وَالْكَتِيبَةِ، فَكَانَتْ الشَّقُّ وَنَطَاطٌ فِي سُهْمَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَتْ الْكَتِيبَةُ خَمْسَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَخَمْسَ النَّبِيِّ ص، وَسَهْمَ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَطُعْمَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ، وَطُعْمَ رِجَالٍ مَشَوْا بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَبَيْنَ أَهْلِ فَدَكٍ بِالصُّلْحِ، مِنْهُمْ مُحْيِصَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ، اعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْهَا ثَلَاثِينَ وَسَقَ شَعِيرٍ، وَثَلَاثِينَ وَسَقَ تَمْرٍ وَقَسِمَتْ خَيْرٌ عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثَةِ، مَنْ شَهِدَ مِنْهُمْ خَيْرٌ وَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَلَمْ يَغِبْ عَنْهَا إِلَّا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَرَامِ الْأَنْصَارِيِّ، فَقَسَمَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص كَسَبَهُمْ مَنْ حَضَرَهَا قَالَ: وَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ خَيْرٍ قَذَفَ اللَّهُ الرَّعْبَ فِي قُلُوبِ أَهْلِ فَدَكٍ حِينَ بَلَغَهُمْ مَا أَوْقَعَ اللَّهُ بِأَهْلِ خَيْرٍ، فَبَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ يُصَالِحُونَهُ عَلَى النِّصْفِ مِنْ فَدَكٍ، فَقَدِمَتْ عَلَيْهِ رُسُلُهُمْ بِخَيْرٍ أَوْ بِالطَّائِفِ، وَإِمَّا بَعْدَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَكَانَتْ فَدَكُ لِرَسُولِ اللَّهِ ص خَاصَّةً، لِأَنَّهُ لَمْ يُوجِفْ عَلَيْهَا بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَبْعَثُ إِلَى أَهْلِ خَيْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ خَارِصًا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَيَهُودَ، فَيَخْرُصُ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا قَالُوا: تَعَدَّيْتُمْ عَلَيْنَا، قَالَ: إِنْ شِئْتُمْ فَلَكُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَلَنَا، فَتَقُولُ يَهُودُ: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ.

وَإِنَّمَا خَرَصَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، ثُمَّ أَصِيبَ بِمُوتَةٍ، فَكَانَ جَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ بْنُ خَنْسَاءَ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ، هُوَ الَّذِي يَخْرُصُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ، فَاقَامَتْ يَهُودُ عَلَى ذَلِكَ لَا يَرَى بِهِمُ الْمُسْلِمُونَ بَأْسًا فِي مُعَامَلَتِهِمْ، حَتَّى عَدُوا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ص عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ سَهْلٍ، أَخِي بَنِي حَارِثَةَ، فَتَقْتُلُوهُ، فَاتَّهَمَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص وَالْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

سَأَلْتُ ابْنَ شَهَابٍ الزُّهْرِيَّ: كَيْفَ كَانَ إِعْطَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ص يَهُودَ خَيْرٍ نَخِيلِهِمْ حِينَ أَعْطَاهُمُ النَّخْلَ عَلَى خَرَجِهَا؟ أَبَتْ ذَلِكَ لَهُمْ حَتَّى قُبِضَ، أَمْ أَعْطَاهُمْ إِيَّاهَا لِضَرُورَةٍ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ؟

فَأَخْبَرَنِي ابْنُ شَهَابٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص افْتَتَحَ خَيْرَ عَنُودَ بَعْدَ الْقِتَالِ، وَكَانَتْ خَيْرٌ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، خَمْسَهَا رَسُولُ اللَّهِ وَوَقَسَمَهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَنَزَلَ مَنْ نَزَلَ مِنْ أَهْلِهَا عَلَى الْإِجْلَاءِ بَعْدَ الْقِتَالِ، فَدَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص فَقَالَ: إِنْ شِئْتُمْ دَفَعْنَا إِلَيْكُمْ هَذِهِ الْأَمْوَالَ عَلَى أَنْ تَعْمَلُوهَا، وَتَكُونَ ثَمَارُهَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، وَأَقْرُكُمْ مَا أَقْرَكُمُ اللَّهُ فَقَبِلُوا، فَكَانُوا عَلَى ذَلِكَ يَعْمَلُونَهَا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَبْعَثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ فَيَقْسِمُ ثَمَرَهَا، وَيَعْدِلُ عَلَيْهِمْ فِي الْخَرْصِ، فَلَمَّا تَوَقَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَهُ ص أَقْرَاهَا أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ النَّبِيِّ فِي أَيْدِيهِمْ عَلَى الْمُعَامَلَةِ الَّتِي

كَانَ عَامِلُهُمْ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى تُوَفِّي، ثُمَّ أَقْرَاهَا عُمَرُ صَدْرًا مِنْ إِمَارَتِهِ، ثُمَّ بَلَغَ عُمَرُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ: [لَا يَجْتَمِعَنَّ بِحَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانٍ]، فَفَحَصَ عُمَرُ عَنْ ذَلِكَ حَتَّى بَلَغَهُ الثَّبْتُ، فَأَرْسَلَ إِلَى يَهُودَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ فِي إِجْلَائِكُمْ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ: [لَا يَجْتَمِعَنَّ بِحَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانٍ]، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ فَلْيَأْتِنِي بِهِ أَنْفَذَهُ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مِنَ الْيَهُودِ فَلْيَتَجَهَّزْ لِلْجَلَاءِ، فَأَجْلَى عُمَرُ مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص مِنْهُمْ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى الْمَدِينَةِ.

قَالَ الْوَاقِدِي: فِي هَذِهِ السَّنَةِ رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ص زَيْنَبَ ابْنَتَهُ عَلَى أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَذَلِكَ فِي الْمُحَرَّمِ. قَالَ: وَفِيهَا قَدِمَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ مِنْ عِنْدِ الْمُقَوْسِ بِمَارِيَّةَ وَأَخْتِهَا سِيرِينَ وَبَغْلَتَهُ ذُلْدُلَ وَحِمَارِهِ يَعْفُورَ وَكَسَا، وَبَعَثَ مَعَهُمَا بِخَصِيٍّ فَكَانَ مَعَهُمَا، وَكَانَ حَاطِبٌ قَدْ دَعَاهُمَا إِلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يَقْدَمَ بِهِمَا، فَاسْلَمَتْ هِيَ وَأَخْتُهَا، فَأَنْزَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ص عَلَى أُمِّ سَلِيمٍ بِنْتِ مِلْحَانَ - وَكَانَتْ مَارِيَّةَ وَضِيئَةً - قَالَ: فَبَعَثَ النَّبِيُّ ص

بِأَخْتِهَا سِيرِينَ إِلَى حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانٍ. قَالَ: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ اتَّخَذَ النَّبِيُّ ص مِنْبَرَهُ الَّذِي كَانَ يُخْطَبُ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَاتَّخَذَ دَرَجَتَيْنِ وَمَقْعَدَةً. قَالَ: وَيُقَالُ إِنَّهُ عَمِلَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ قَالَ: وَهُوَ الثَّبْتُ عِنْدَنَا.

قَالَ: وَفِيهَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا إِلَى عِجْزِ هَوَازِنَ بِتُرَيْبَةَ، فَخَرَجَ بِدَلِيلٍ لَهُ مِنْ بَنِي هِلَالٍ، وَكَانُوا يَسِيرُونَ اللَّيْلَ، وَيَكْمُونُ النَّهَارَ، فَأَتَى الْخَبَرَ هَوَازِنَ فَهَرَّبُوا، فَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا، وَرَجَعَ. قَالَ: وَفِيهَا سَرِيَّةُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي خُفَافَةَ فِي شُعْبَانَ إِلَى نَجْدٍ، قَالَ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ: غَرَوْنَا مَعَ أَبِي بَكْرٍ فِي تِلْكَ السَّنَةِ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: قَدْ مَضَى خَبَرُهَا قَبْلُ.

قَالَ الْوَاقِدِي: وَفِيهَا سَرِيَّةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ إِلَى بَنِي مُرَّةَ بِفَدَكٍ فِي شُعْبَانَ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا فَأُصِيبَ أَصْحَابُهُ وَارْتَثَ فِي الْقَتْلِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَفِيهَا سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى الْمَيْفَعَةِ، حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص غَالِبَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكَلْبِيِّ إِلَى أَرْضِ بَنِي مُرَّةَ، فَأُصَابَ بِهَا مُرْدَاسُ بْنُ نَهْيَكٍ حَلِيفًا لَهُمْ مِنَ الْحُرَّةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، قَتَلَهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ.

قَالَ أُسَامَةُ: لَمَّا غَشِيَنَاهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَمْ تَنْزَعْ عَنْهُ حَتَّى قَتَلْنَاهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ أَخْبَرَنَا الْخَبَرَ، [فَقَالَ: يَا أُسَامَةُ، مَنْ لَكَ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ!] قَالَ الْوَاقِدِي: وَفِيهَا سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى بَنِي عَبْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، ذَكَرَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ حَدَّثَهُ عَنْ ابْنِ أَبِي عَوْنٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عَتَبَةَ، قَالَ:

٣٠١٠٥ عمره القضاء

قَالَ يَسَارُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ص: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَعْلَمُ غَرَّةً مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي مِائَةٍ وَثَلَاثِينَ رَجُلًا، حَتَّى أَغَارُوا عَلَى بَنِي عَبْدِ، فَاسْتَأْفَقُوا النَّعْمَ وَالشَّاءَ، وَحَدَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ.

قَالَ: وَفِيهَا سَرِيَّةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ إِلَى يَمَنِ وَجَنَابٍ، فِي شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ، ذَكَرَ أَنَّ يَحْيَى بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ سَعِيدٍ حَدَّثَهُ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، عَنْ بَشِيرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: الَّذِي أَهَاجَ هَذِهِ السَّرِيَّةَ أَنَّ حُسَيْلَ بْنَ نُوَيْرَةَ الْأَشْجَعِي - وَكَانَ دَلِيلَ رَسُولِ اللَّهِ ص

إلى خير- قدم على النبي ص، فقال: مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: تَرَكْتُ جَمْعًا مِنْ غَطَفَانَ بِالْجَنَابِ قَدْ بَعَثَ إِلَيْهِمْ عَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ لِيَسِيرُوا إِلَيْكُمْ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ بِشِيرِ بْنِ سَعْدٍ، وَخَرَجَ مَعَهُ الدَّلِيلُ حُسَيْلُ بْنُ نُؤَيْرَةَ، فَأَصَابُوا نَعْمًا وَشَاءً، وَلَقِيَهُمْ عَبْدٌ لِعَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ لَقُوا جَمْعَ عَيْنَةَ، فَانْهَزَمَ، فَلَقِيَهُ الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ مِنْهُمْ، فَقَالَ: قَدْ آَنَّ لَكَ يَا عَيْنَةُ أَنْ تُقْصِرَ عَمَّا تَرَى عَمْرَهُ الْقَضَاءُ

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ خَيْرٍ، أَقَامَ بِهَا شَهْرَ رَيْعِ الْأَوَّلِ وَشَهْرَ رَيْعِ الْآخِرِ وَجَمَادَى الْأُولَى وَجَمَادَى الْآخِرَةَ وَرَجَبَ وَشَعْبَانَ وَشَهْرَ رَمَضَانَ وَشَوَّالًا، يَبْعَثُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ غَزْوِهِ وَسَرَايَاهُ، ثُمَّ خَرَجَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ فِي الشَّهْرِ الَّذِي صَدَّهِ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ مُعْتَمِرًا عُمَرَةَ الْقَضَاءِ مَكَانَ عُمَرَتِهِ الَّتِي صَدَّوهُ عَنْهَا، وَخَرَجَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ فِي عُمَرَتِهِ تِلْكَ، وَهِيَ سَنَةُ سَبْعٍ، فَلَمَّا سَمِعَ بِهِ أَهْلُ مَكَّةَ خَرَجُوا عَنْهُ، وَتَحَدَّثَتْ قُرَيْشٌ بَيْنَهَا أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ فِي عُسْرٍ وَجَهْدٍ وَحَاجَةٍ. حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ

الْحَسَنِ بْنِ عِمَارَةَ، عَنْ الْحَكَمِ بْنِ عَتِيبَةَ، عَنْ مِقْسِمٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: اصْطَفَوْا لِرَسُولِ اللَّهِ ص عِنْدَ دَارِ النَّدْوَةِ لِيَنْظُرُوا إِلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ الْمَسْجِدَ، اضْطَجَعَ بِرِدَائِهِ، وَأَخْرَجَ عَضْدَهُ الْيَمْنَى، ثُمَّ قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَرَاهُمْ الْيَوْمَ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً! ثُمَّ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ وَخَرَجَ يَهْرُولُ وَيَهْرُولُ أَصْحَابَهُ مَعَهُ حَتَّى إِذَا وَارَاهُ الْبَيْتُ مِنْهُمْ، وَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ الْيَمَانِي مَشَى حَتَّى يَسْتَلِمَ الْأَسْوَدَ، ثُمَّ هَرُولٌ كَذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَطْوَافٍ، وَمَشَى سَائِرَهَا .

وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَظُنُّونَ أَنَّهَا لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا صَنَعَهَا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ لِلَّذِي بَلَغَهُ عَنْهُمْ، حَتَّى حَجَّ حَجَّةَ الْوُدَاعِ، فَرَمَلَهَا، فَمَضَتْ السَّنَةُ بِهَا.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص حِينَ دَخَلَ مَكَّةَ فِي تِلْكَ الْعُمَرَةِ، دَخَلَهَا وَعَبَدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ أَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ ... إِنِّي شَهِيدٌ أَنَّهُ رَسُولُهُ
خَلُّوا فَكُلَّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ ... يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقَبِيلِهِ
أَعْرِفُ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ ... يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقَبِيلِهِ
أَعْرِفُ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ ... نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ ... ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ
كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ ... ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ
وَيُذِلُّ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ،

عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ رَبَاحٍ وَمُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ فِي سَفَرِهِ ذَلِكَ، وَهُوَ حَرَامٌ، وَكَانَ الَّذِي زَوَّجَهُ إِيَّاهَا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِمَكَّةَ ثَلَاثًا، فَأَتَاهُ حُوَيْطُبُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ أَبِي قَيْسٍ بْنُ عَبْدِ وَدٍّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَسَلٍ، فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ وَكَلَّتْهَ بِأَخْرَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ص مِنْ مَكَّةَ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُ قَدْ انْقَضَى أَجْلُكَ فَأَخْرُجْ عَنَّا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص: مَا عَلَيْكُمْ لَوْ تَرَكْتُمُونِي فَأَعْرَسْتُ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ فَصَنَعْنَا لَكُمْ طَعَامًا فَخَضَرْتُمُوهُ! قَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا فِي

طَعَامِكَ فَانْخَرَجَ عَنَّا نَخْرُجَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَخَلَفَ أَبَا رَافِعٍ مَوْلَاهُ عَلَى مَيْمُونَةٍ، حَتَّى أَتَاهُ بِهَا بِسَرِفٍ، فَبَنَى عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ هُنَالِكَ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يُبَدِّلُوا الْهَدْيَ وَأَبْدَلَ مَعَهُمْ، فَعَزَّتْ عَلَيْهِمُ الْإِبِلُ فَرَخَّصَ لَهُمْ فِي الْبَقَرِ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى الْمَدِينَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ، فَأَقَامَ بِهَا بَقِيَّةَ ذِي الْحِجَّةِ - وَوَلَّى تِلْكَ الْحِجَّةَ الْمُشْرِكُونَ - وَالْمُحَرَّمِ وَصَفْرًا وَشَهْرَيَّ رَجَبٍ، وَبَعَثَ فِي جُمَادَى الْأُولَى بَعَثَهُ إِلَى الشَّامِ الَّذِينَ أُصِيبُوا بِمُوتَةٍ.

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ، عَنِ الزَّهْرِيِّ، قَالَ: أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص أَنْ يَعْتَمِرُوا فِي قَابِلٍ قَضَاءَ لِعُمْرَةِ الْحَدِيثِيَّةِ، وَأَنْ يَهْدُوا. قَالَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْعُمْرَةُ قَضَاءً، وَلَكِنْ كَانَ شَرْطًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَعْتَمِرُوا قَابِلًا فِي الشَّهْرِ الَّذِي صَدَّهُمُ الْمُشْرِكُونَ فِيهِ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: قَوْلُ ابْنِ أَبِي ذَنْبٍ أَحَبُّ إِلَيْنَا، لِأَنَّهُمْ أَحْصَرُوا وَلَمْ يَصِلُوا إِلَى الْبَيْتِ.

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُوَهَّبٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي عُمْرَةِ الْقَضِيَّةِ سِتِينَ بَدَنَةً

قَالَ: وَحَدَّثَنِي مُعَاذُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، قَالَ: حَمَلَ السَّلَاحَ وَالْبَيْضَ وَالرِّمَاحَ، وَقَادَ مِائَةَ فَرَسٍ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى السَّلَاحِ بِشِيرَ بْنَ سَعْدٍ، وَعَلَى الْخَيْلِ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا فَرَاغَهُمْ، فَأَرْسَلُوا مَكْرَزَ بْنَ حَفْصٍ ابْنَ الْأَخِيْفِ، فَلَقِيَهُ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ، [فَقَالَ لَهُ:

مَا عَرَفْتُ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا إِلَّا بِالْوَفَاءِ، وَمَا أُرِيدُ إِدْخَالَ السَّلَاحِ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ يَكُونُ قَرِيبًا إِلَيَّ] فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ فَأَخْبَرَهُمْ. قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَفِيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ ابْنِ أَبِي الْعُجَّاءِ السُّلَمِيِّ إِلَى بَنِي سُلَيْمٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَيْهِمْ بَعْدَ مَا رَجَعَ مِنْ مَكَّةَ فِي خَمْسِينَ رَجُلًا، نَخَّرَ إِلَيْهِمْ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَلَقِيَهُ - فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ - بَنُو سُلَيْمٍ، فَأُصِيبَ بِهَا هُوَ وَأَصْحَابُهُ جَمِيعًا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: أَمَّا الْوَاقِدِيُّ فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّهُ نَجَا وَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأُصِيبَ أَصْحَابُهُ

٣٠٢ سنه ثمان من الهجرة

٣٠٢٠١ خبر غزوه غالب بن عبد الله الليثي بنى الملوخ

ثُمَّ دَخَلَتْ

سَنَةُ ثَمَانٍ مِنَ الْهَجْرَةِ

فَفِيهَا تُوِفِّيَتْ - فِيمَا زَعَمَ الْوَاقِدِيُّ - زَيْنَبُ ابْنَةُ رَسُولِ اللَّهِ ص، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ.

خبر غزوه غالب بن عبد الله الليثي بنى الملوخ

قَالَ: وَفِيهَا اغْرَى رَسُولُ اللَّهِ ص غَالِبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيَّ فِي صَفَرٍ إِلَى الْكَدِيدِ إِلَى بَنِي الْمُلُوحِ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَكَانَ مِنْ خَبَرِ هَذِهِ السَّرِيَّةِ وَغَالِبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، مَا حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ وَسَعِيدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ - قَالَ إِبْرَاهِيمُ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى: حَدَّثَنِي أَبِي - وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، جَمِيعًا عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عُتْبَةَ ابْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ

مُسْلِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبِيبِ الْجُهَنِيِّ، عَنْ جَنْدَبِ بْنِ مَكِيثِ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَلْبِيُّ، كَلْبَ لَيْثٍ، إِلَى بَنِي الْمُلُوحِ بِالْكَدِيدِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُغِيرَ عَلَيْهِمْ، فَفَرَجَ - وَكُنْتُ فِي سَرِيَّتِهِ - فَضَيْنًا، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِقَدِيدٍ لَقِينَا بِهَا الْحَارِثَ بْنَ مَالِكٍ - وَهُوَ ابْنُ الْبَرَصَاءِ اللَّيْثِيُّ - فَأَخَذَنَاهُ فَقَالَ: إِنِّي إِنَّمَا جِئْتُ لِأَسْلِمَ، فَقَالَ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا جِئْتَ مُسْلِمًا، فَلَنْ يَضُرَّكَ رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ اسْتَوْثَقْنَا مِنْكَ قَالَ: فَأَوْثَقَهُ رِبَاطًا ثُمَّ خَلَفَ عَلَيْهِ رُوَيْجِلًا أَسْوَدَ كَانَ مَعْنًا، فَقَالَ: أَمْكُثْ مَعَهُ حَتَّى نَمُرَّ عَلَيْكَ، فَإِنْ نَازَعَكَ فَاحْتَزَّ رَأْسَهُ قَالَ: ثُمَّ مَضَيْنَا حَتَّى أَتَيْنَا بَطْنَ الْكَدِيدِ، فَزَلْنَا عُشَيْشِيَّةً بَعْدَ الْعَصْرِ، فَبَعَثَنِي أَصْحَابِي رَيْثَةً، فَعَمِدْتُ إِلَى تَلٍّ يُطْلِعُنِي عَلَى الْحَاضِرِ، فَاتَّبَعْتُ عَلَيْهِ - وَذَلِكَ قَبِيلَ الْمَغْرِبِ - فَفَرَجَ مِنْهُمْ رَجُلٌ، فَنَظَرَ فَرَانِي مُنْبَطِحًا عَلَى التَّلِّ، فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى عَلَى هَذَا التَّلِّ سَوَادًا مَا كُنْتُ رَأَيْتُهُ أَوَّلَ النَّهَارِ، فَانْظُرِي لَا تَكُونُ الْكَلَابُ جَرَتْ بَعْضُ أَوْعَيْنِكَ فَنَظَرْتُ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَفْقَدُ شَيْئًا قَالَ: فَنَازِلْنِي قَوْسِي وَسَهْمِي مِنْ نَبْلِي، فَنَازِلْتُهُ فَرَمَانِي بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِي جَنِي قَالَ:

فَنَزَعْتُهُ فَوَضَعْتُهُ، وَلَمْ أَتَحَرَّكْ ثُمَّ رَمَانِي بِالْآخِرِ، فَوَضَعَهُ فِي رَأْسِ مَنْكَبِي، فَزَعَرْتُهُ فَوَضَعْتُهُ وَلَمْ أَتَحَرَّكْ فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ خَالَطَهُ سَهْمَايَ، وَلَوْ كَانَ رَيْثَةً لَتَحَرَّكَ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتَّبِعِي سَهْمِي نَفْذِيهِمَا لَا تَمْضِغُهُمَا عَلَى الْكَلَابِ، قَالَ: فَأَمَلْنَاهُمْ حَتَّى رَاحَتْ رَاحَتُهُمْ، حَتَّى إِذَا احْتَلَبُوا وَعَطَنُوا سَكَنُوا، وَذَهَبَتْ عَتَمَةٌ مِنَ اللَّيْلِ شَنَّا عَلَيْهِمُ الْغَارَةَ، فَفَقَلْنَا مِنْ قَتْلَانَا وَاسْتَقْنَا النَّعَمَ، فَوَجَّهْنَا قَافِلِينَ، وَخَرَجَ صَرِيحُ الْقَوْمِ إِلَى الْقَوْمِ مُغَوًّا قَالَ:

وَنَحْرَجْنَا سِرَاعًا حَتَّى نَمُرَّ بِالْحَارِثِ بْنِ مَالِكٍ، ابْنِ الْبَرَصَاءِ، وَصَاحِبِهِ، فَانْطَلَقْنَا بِهِ مَعْنًا، وَأَتَانَا صَرِيحُ النَّاسِ، فَجَاءَنَا مَا لَا قَبْلَ لَنَا بِهِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ إِلَّا بَطْنُ الْوَادِي مِنْ قَدِيدٍ، بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ حَيْثُ شَاءَ سَحَابًا مَا رَأَيْنَا قَبْلَ ذَلِكَ مَطَرًا وَلَا خَالًا، فَجَاءَ بِمَا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَقْدِمَ عَلَيْهِ، فَلَقَدْ رَأَيْنَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْنَا، مَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَقْدِمَ وَلَا يَتَقَدَّمَ، وَنَحْنُ نَحْدُوهَا سِرَاعًا، حَتَّى أَسَدْنَاهَا فِي الْمِثْلِيِّ، ثُمَّ حَدَرْنَاهَا عَنْهَا، فَأَعْجَزْنَا الْقَوْمَ بِمَا فِي أَيْدِينَا، فَمَا أُنْسَى قَوْلَ رَاجِزٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ يَحْدُوهَا فِي أَعْقَابِهَا، وَيَقُولُ:

أَبَى أَبُو الْقَاسِمِ أَنْ تَعَزِّي ... فِي خِصْلٍ نَبَاتُهُ مَغْلُولِبٍ
صُفْرُ أَعَالِيهِ كَلَوْنِ الْمُدْهَبِ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ، عَنْ شَيْخٍ مِنْهُمْ، أَنَّ شُعَارَ اصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص تِلْكَ اللَّيْلَةَ كَانَ: أَمْتُ أَمْتُ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: كَانَتْ سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِضِعَةِ عَشْرِ رَجُلًا

فِيهَا قَدَمُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مُسْلِمًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص

قَالَ: وَفِيهَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضَرَمِيِّ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى الْعَبْدِيِّ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى سَلَامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ كِتَابَكَ جَاءَنِي وَرُسُلَكَ وَإِنَّهُ مِنْ صِلَى صَلَاتِنَا، وَأَكَلْ ذِيحَتِنَا، وَاسْتَقْبَلْ قِبَلَتَنَا، فَإِنَّهُ مُسْلِمٌ، لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ أَبَى فَعَلَيْهِ الْجَزِيَّةُ قَالَ: فَصَالِحُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص عَلَى أَنْ عَلَى الْمَجُوسِ الْجَزِيَّةُ، لَا تُؤْكَلُ ذَبَابُهُمْ، وَلَا تُشَكَّحُ نِسَاؤُهُمْ.

قَالَ: وَفِيهَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى جَيْفَرٍ وَعَبَادِ ابْنَيْ جَلَنْدِيٍّ بِعُمَانَ، فَصَدَّقَا النَّبِيَّ، وَأَقْرَأَا بِمَا جَاءَ بِهِ، وَصَدَّقَ أَمْوَالُهُمَا، وَأَخَذَ الْجَزِيَّةَ مِنَ الْمَجُوسِ.

قَالَ: وَفِيهَا سَرِيَّةٌ شُجَاعُ بْنُ وَهَبٍ إِلَى بَنِي عَامِرٍ، فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ فِي أَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ رَجُلًا، فَشَنَّ الْغَارَةَ عَلَيْهِمْ، فَأَصَابُوا نَعْمًا وَشَاءً، وَكَانَتْ سِهَامُهُمْ خَمْسَةَ عَشَرَ بَعِيرًا، لِكُلِّ رَجُلٍ.

قَالَ: وَفِيهَا كَانَتْ سَرِيَّةٌ عَمْرُو بْنُ كَعْبِ الْغِفَارِيِّ إِلَى ذَاتِ أَطْلَاجٍ، خَرَجَ فِي خَمْسَةِ عَشَرَ رَجُلًا، حَتَّى انْتَهَى إِلَى ذَاتِ أَطْلَاجٍ، فَوَجَدَ جَمْعًا كَثِيرًا، فَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَبَوْا أَنْ يُجِيبُوا، فَقَتَلُوا أَصْحَابَ عَمْرُو جَمِيعًا، وَتَحَامَلَ حَتَّى بَلَغَ الْمَدِينَةَ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَذَاتُ أَطْلَاجٍ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامِ، وَكَانُوا مِنْ قُضَاعَةَ، وَرَأْسُهُمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ سَدُوسٌ قَالَ:

وَفِيهَا قَدِمَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مُسْلِمًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص

، قَدْ أَسْلَمَ عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، وَقَدِمَ مَعَهُ عَثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ الْعَبْدَرِيُّ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنُ الْمُغِيرَةِ، قَدِمُوا الْمَدِينَةَ فِي أَوَّلِ صَفَرٍ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَكَانَ سَبَبُ إِسْلَامِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ، مَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ رَاشِدِ مَوْلَى ابْنِ أَبِي أَوْسٍ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي أَوْسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي

عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِنْ فِيهِ إِلَى أُذُنِي، قَالَ: لَمَّا انْصَرَفْنَا مَعَ الْأَحْزَابِ عَنِ الْخَنْدَقِ، جَمَعْتُ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا يَرَوْنَ رَأْيِي، وَيَسْمَعُونَ مِنِّي، فَقُلْتُ لَهُمْ:

تَعْلَمُونَ وَاللَّهِ أَنِّي لَأَرَى أَمْرَ مُحَمَّدٍ يَعْلُو الْأُمُورَ عَلَوًّا مُنْكَرًا وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا فَمَا تَرَوْنَ فِيهِ؟ قَالُوا: وَمَاذَا رَأَيْتَ؟ قُلْتُ: رَأَيْتُ أَنَّ نَلْحَقَ بِالنَّجَاشِيِّ، فَتَكُونُ عِنْدَهُ، فَإِنْ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى قَوْمِنَا كَمَا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، فَلَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْهِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْ مُحَمَّدٍ، وَإِنْ يَظْهَرُ قَوْمُنَا فَتَخُنُ مِنْ قَدْ عَرَفُوا، فَلَا يَأْتِينَا مِنْهُمْ إِلَّا خَيْرٌ فَقَالُوا: إِنْ هَذَا لَرَأَى قُلْتُ:

فَاجْعُوا لَهُ مَا نَهْدِي إِلَيْهِ- وَكَانَ أَحَبَّ مَا يَهْدِي إِلَيْهِ مِنْ أَرْضِنَا الْأُدْمَ- فَجَمَعْنَا لَهُ أَدْمًا كَثِيرًا، ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّا لَعِنْدَهُ، إِذْ جَاءَهُ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ- وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابِهِ- قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ: فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: هَذَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، لَوْ قَدْ دَخَلْتُ عَلَى النَّجَاشِيِّ وَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ، فَأَعْطَانِيهِ فَضَرَبْتُ عَنْقَهُ! فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي قَدْ أَجْزَأْتُ عَنْهَا حِينَ قَتَلْتُ رَسُولَ مُحَمَّدٍ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَسَجَدْتُ لَهُ كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِصَدِيقِي! أَهْدَيْتَ لِي شَيْئًا مِنْ بِلَادِكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَدْ أَهْدَيْتُ لَكَ أَدْمًا كَثِيرًا، ثُمَّ قَرِيبَتُهُ إِلَيْهِ، فَاعْجَبُهُ وَاشْتَبَاهُ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ، وَهُوَ رَسُولُ رَجُلٍ عَدُوٍّ لَنَا، فَأَعْطَانِيهِ لِأَقْتُلَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ أَصَابَ مِنْ أَشْرَافِنَا وَخِيَارِنَا قَالَ: فَغَضِبَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا أَنْفَهُ ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ كَسَرَهُ- يَعْنِي النَّجَاشِيَّ- فَلَوْ انْشَقَّتِ الْأَرْضُ لِي لَدَخَلْتُ فِيهَا فَرَقًا مِنْهُ ثُمَّ قُلْتُ: وَاللَّهِ أَيُّهَا الْمَلِكُ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَكْرَهُ هَذَا مَا سَأَلْتُكَ، قَالَ: أَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيَكَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى، لِتَقْتُلَهُ! فَقُلْتُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، أَكْذَاكَ هُوَ؟ قَالَ:

٣٠٢٠٢ ذكر ما في الخبر عن الكائن كان من الاحداث المذكوره في سنه ثمان من سني المهجره

وَيَحْكُ يَا عَمْرُو! أَطْعَمَنِي وَاتَّبَعَهُ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَعَلَّ الْحَقَّ، وَلِيُظْهَرَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ.

قَالَ: قُلْتُ: فَتَبَايَعْنِي لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَبَسَطَ يَدَهُ، فَبَايَعْتُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى أَصْحَابِي، وَقَدْ حَالَ رَأْيِي عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَكَتَمْتُ أَصْحَابِي إِسْلَامِي، ثُمَّ خَرَجْتُ عَامِدًا لِرَسُولِ اللَّهِ لَأَسْلَمَ، فَلَقِيتُ خَالِدَ ابْنَ الْوَلِيدِ- وَذَلِكَ قَبْلَ الْفَتْحِ- وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ، فَقُلْتُ: إِلَى أَيْنَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ؟

قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَقَامَ الْمَنْسَمُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَنَبِيٍّ، أَذْهَبُ وَاللَّهُ أَسْلِمٌ، فَحَتَّى مَتَى! فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا جِئْتُ إِلَّا لِأُسْلِمَ، فَقَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، [فَقَدِمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَسْلَمَ وَبَايَعَ، ثُمَّ دَنَوْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ تَغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي، وَلَا أَذْكَرَ مَا تَأَخَّرَ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: يَا عَمْرُو، بَايِعْ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ، وَإِنَّ الْهَجْرَةَ تَجِبُ مَا قَبْلَهَا فَبَايَعْتُهُ ثُمَّ انْصَرَفْتُ] حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ لَاحِقٍ، أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ، كَانَ مَعَهُمَا، أُسْلِمَ حِينَ أُسْلِمَا . ذَكَرَ مَا فِي الْخَبَرِ عَنِ الْكَائِنِ كَانَ مِنَ الْأَحْدَاثِ الْمَذْكُورَةِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ مِنْ سِنِي الْهَجْرَةِ

فَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ إِلَى السَّلَاسِلِ مِنْ بِلَادِ قِضَاعِهِ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ، وَذَلِكَ أَنَّ أُمَّ الْعَاصِ بِنَ وَائِلٍ - فِيمَا ذَكَرَ - كَانَتْ قِضَاعِيَّةً، فَذَكَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص أَرَادَ أَنْ يَتَأَلَّفَهُمْ بِذَلِكَ، فَوَجَّهَهُ فِي أَهْلِ الشَّرَفِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، ثُمَّ اسْتَمَدَ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَأَمَدَهُ بِأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَبِهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرُو بْنُ مَائِئِينَ، فَكَانَ جَمِيعُهُمْ خَمْسَمِائَةً

٣٠٢٠٣ غزوه ذات السلاسل

٣٠٢٠٤ غزوه الخبط

غزوه ذات السلاسل
وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى أَرْضِ بِلَى وَعُدْرَةَ، يَسْتَنْفِرُ النَّاسَ إِلَى الشَّامِ، وَذَلِكَ أَنَّ أُمَّ الْعَاصِ بِنَ وَائِلٍ كَانَتْ امْرَأَةً مِنْ بِلَى، فَبَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ يَسْتَأْذِنُهُمْ بِذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى مَاءٍ بِأَرْضِ جُدَامٍ، يُقَالُ لَهُ السَّلَاسِلُ - وَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ ذَاتَ السَّلَاسِلِ - فَلَمَّا كَانَ عَلَيْهِ خَافٌ، فَبَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ يَسْتَمِدُّهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ص أَبَا عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ فِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، فَبِهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرُو بْنُ رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِمُ، [وَقَالَ لِأَبِي عُبَيْدَةَ حِينَ وَجَّهَهُ: لَا تَخْتَلِفَا، فَخَرَجَ أَبُو عُبَيْدَةَ حَتَّى إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ، قَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: إِنَّمَا جِئْتُ مَدَدًا لِي، فَقَالَ لَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ:

يَا عَمْرُو، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ قَالَ لِي: لَا تَخْتَلِفَا، وَأَنْتَ إِنَّ عَصِيَّتِي أَطَعْتُكَ، قَالَ: فَأَنَا أَمِيرٌ عَلَيْكَ، وَإِنَّمَا أَنْتَ مَدَدٌ لِي، قَالَ: فَدُونَكَ!

فَصَلَّى عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِالنَّاسِ]

غزوه الخبط

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَفِيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ الْخَبْطِ، وَكَانَ الْأَمِيرُ فِيهَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي رَجَبٍ مِنْهَا، فِي ثَلَاثِمِائَةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ قَبْلَ جَهَيْنَةَ، فَأَصَابَهُمْ فِيهَا أَرْزُلٌ شَدِيدٌ وَجْهَدُ، حَتَّى اقْتَسَمُوا التَّمَرَّ عَدَدًا.

وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمِّي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ أَنَّ عَمْرُو بْنَ دِينَارٍ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: خَرَجْنَا فِي بَعْثٍ وَنَحْنُ ثَلَاثِمِائَةً، وَعَلَيْنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فَأَصَابَنَا جُوعٌ، فَكُنَّا نَأْكُلُ الْخَبْطَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، فَخَرَجَتْ

دَابَّةٌ مِنَ الْبَحْرِ

يُقَالُ لَهَا الْعَنْبَرُ، فَكُنَّا نَصِفُ شَهْرًا، نَأْكُلُ مِنْهَا، وَنَحْرَجُ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَزَائِرًا، ثُمَّ نَحْرُ مِنَ الْغَدِ كَذَلِكَ، فَفَهِاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ، فَاتَمَّتْ.

قَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ - وَسَمِعْتُ ذِكْرَ أَبِي صَالِحٍ قَالَ: إِنَّهُ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ.

قَالَ عَمْرُو: وَحَدَّثَنِي بَكْرُ بْنُ سَوَادَةَ الْجُدَامِيُّ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ نَحْوَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: جَاهِدُوا، وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِمْ قَيْسُ ابْنُ سَعْدٍ، وَنَحْرَهُمْ تِسْعَ رَكَائِبَ، وَقَالَ: بَعْثُهُمْ فِي بَعْثٍ مِنْ وَرَاءِ الْبَحْرِ، وَإِنَّ الْبَحْرَ أَلْتَمَى إِلَيْهِمْ دَابَّةٌ، فَكُنَّا عَلَيْهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَأْكُلُونَ مِنْهَا

وَيَقْدُدُونَ وَيَغْرِفُونَ شَحْمَهَا، [فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص ذَكَرُوا لَهُ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: إِنَّ الْجُودَ مِنْ شِمَةِ أَهْلِ ذَلِكَ الْبَيْتِ،] وَقَالَ فِي الْحَوْتِ: لَوْ نَعْلَمُ أَنَا نَبْلُغُهُ قَبْلَ أَنْ يَرُوحَ لِأَحِبِّبِنَا أَنْ لَوْ كَانَ عِنْدَنَا مِنْهُ شَيْءٌ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْخَبَطَ وَلَا شَيْئًا سِوَى ذَلِكَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يُخْبِرُ، قَالَ: زَوَدَنَا النَّبِيُّ ص جَرَابًا مِنْ تَمْرٍ، فَكَانَ يَقْبِضُ لَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ قَبْضَةً قَبْضَةً، ثُمَّ تَمْرَةً تَمْرَةً، فَمَضَاهَا وَشَرِبَ عَلَيْهَا الْمَاءَ إِلَى اللَّيْلِ، حَتَّى نَفَدَ مَا فِي الْجَرَابِ، فَكَأَنَّ نَجْنِي الْخَبَطَ، فَجَعْنَا جُوعًا شَدِيدًا قَالَ: فَأَلْقَى لَنَا الْبَحْرُ حُوتًا مَيْتًا، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: جِيَاعُ كُلُّوْا، فَأَكَلْنَا- وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَنْصُبُ الضِّلَعِ مِنْ أَضْلَاعِهِ فَيَمُرُّ الرَّكْبُ عَلَى بَعِيرِهِ تَحْتَهُ، وَيَجْلِسُ النَّفَرُ الْخَمْسَةُ فِي مَوْضِعٍ عَيْنِهِ- فَأَكَلْنَا وَادَهْنَا حَتَّى صَلَحَتْ أَجْسَامُنَا، وَحَسَنَتْ شَحْمَاتُنَا، [فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ قَالَ جَابِرُ: فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ص، فَقَالَ: كُلُّوْا رِزْقًا أَخْرَجَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكُمْ، مَعَكُمْ مِنْهُ شَيْءٌ؟ - وَكَانَ مَعَنَا مِنْهُ شَيْءٌ- فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْقَوْمِ فَأَكَلَ مِنْهُ].

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ غُرُوزَةُ الْخَبَطِ، لِأَنَّهُمْ أَكَلُوا الْخَبَطَ حَتَّى كَانَ أَشْدَاقَهُمْ أَشْدَاقَ الْإِبِلِ الْعُضْهِ

٣٠٢٠٥ حوادث متفرقة

فِيهَا كَانَتْ سَرِيَّةُ وَجْهَهَا رَسُولُ اللَّهِ ص فِي شَعْبَانَ، أَمِيرُهَا أَبُو قَتَادَةَ

[حوادث متفرقة]

قَالَ:

وَفِيهَا كَانَتْ سَرِيَّةٌ وَجْهَهَا رَسُولُ اللَّهِ ص فِي شَعْبَانَ، أَمِيرُهَا أَبُو قَتَادَةَ

. حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ [عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَدَرٍ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنْ قَوْمِي، فَأَصْدَقْتُهَا مِائَتِي دِرْهَمٍ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص أَسْتَعِينُهُ عَلَى نِكَاحِي، فَقَالَ: وَكَمْ أَصْدَقْتُ؟ قُلْتُ: مِائَتِي دِرْهَمٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! لَوْ كُنْتُمْ إِنَّمَا تَأْخُذُونَ الدَّرَاهِمَ مِنْ بَطْنٍ وَادٍ مَا زِدْتُمْ! وَاللَّهِ مَا عِنْدِي مَا أُعِينُكَ بِهِ].

قَالَ: فَلَبِثْتُ أَيَّامًا، وَأَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جُشَمَ بْنِ مُعَاوِيَةَ يُقَالُ لَهُ رِفَاعَةُ بْنُ قَيْسٍ - أَوْ قَيْسُ بْنُ رِفَاعَةَ- فِي بَطْنٍ عَظِيمٍ مِنْ جُشَمَ، حَتَّى نَزَلَ بِقَوْمِهِ وَمَنْ مَعَهُ بِالْغَابَةِ، يُرِيدُ أَنْ يَجْمَعَ قَيْسًا عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ص.

قَالَ: وَكَانَ ذَا اسْمٍ وَشَرَفٍ فِي جُشَمَ قَالَ: فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ص وَرَجُلَيْنِ، مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: أَخْرُجُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ حَتَّى تَأْتُونَا بِهِ، أَوْ تَأْتُونَا مِنْهُ بِخَبَرٍ وَعِلْمٍ قَالَ: وَقَدَّمْنَا لَنَا شَارِفًا عَجْفَاءً، فَحَمَلَهَا عَلَيْنَا، فَوَاللَّهِ مَا قَامَتْ بِهِ ضَعْفًا حَتَّى دَعَمَهَا الرِّجَالُ مِنْ خَلْفِهَا بِأَيْدِيهِمْ حَتَّى اسْتَقَلَّتْ وَمَا كَادَتْ ثُمَّ قَالَ: تَبَلَّغُوا عَلَى هَذِهِ وَاعْتَقِبُوهَا.

قَالَ: فَخَرَجْنَا وَمَعَنَا سِلَاحُنَا مِنَ النَّبْلِ وَالسُّيُوفِ، حَتَّى جِئْنَا قَرِيبًا مِنَ الْحَاضِرِ عُشَيْشِيَّةً مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَكَمَنْتُ فِي نَاحِيَةٍ، وَأَمَرْتُ صَاحِبِي، فَكَمْنَا فِي نَاحِيَةٍ أُخْرَى مِنْ حَاضِرِ الْقَوْمِ، وَقُلْتُ لَهَا: إِذَا سَمِعْتُمَانِي قَدْ كَبَّرْتُ وَشَدَدْتُ عَلَى الْعَسْكَرِ فَكَبِّرَا وَشَدَا مَعِي. قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَكَذَلِكَ نَنْتَظِرُ أَنْ نَرَى غِرَّةً أَوْ نُصِيبَ مِنْهُمْ شَيْئًا، غَشِينَا اللَّيْلَ حَتَّى ذَهَبَتْ حُمَةُ الْعِشَاءِ، وَقَدْ كَانَ لَهُمْ رَاجٌ قَدْ سَرَحَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِمْ حَتَّى تَخَوْفُوا عَلَيْهِ

فيها اغزى رسول الله ص في سريه أبا قتادة إلى بطن اضم

قَالَ: فَقَامَ صَاحِبُهُمْ ذَلِكَ رِفَاعَةُ بْنُ قَيْسٍ، فَأَخَذَ سَيْفَهُ، فَجَعَلَهُ فِي عُنُقِهِ ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَا تَبْعَنَ أَثَرُ رَاعِيْنَا هَذَا، وَلَقَدْ أَصَابَهُ شَرٌّ فَقَالَ نَفَرٌ مِّنْ مَّعَهُ: وَاللَّهِ لَا تَذْهَبُ، نَحْنُ نَكْفِيكَ! فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَذْهَبُ إِلَّا أَنَا، قَالُوا: فَخَنُ مَعَكَ، قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَتَّبِعُنِي مِنْكُمْ أَحَدٌ.

قَالَ: وَخَرَجَ حَتَّى مَرَّ بِي، فَلَمَّا أَمَكَّنِي نَفَحْتُهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعْتُهُ فِي فُؤَادِهِ، فَوَاللَّهِ مَا تَكَلَّمْتُ، وَوُثِّتُ إِلَيْهِ فَاحْتَرَزْتُ رَأْسَهُ، ثُمَّ شَدَدْتُ فِي نَاحِيَةِ الْعُسْكَرِ وَكَبَّرْتُ، وَشَدَّ صَاحِبَايَ وَكَبَّرَا، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَّا النِّجَاءُ مِّنْ كَانَ فِيهِ عِنْدَكَ بِكُلِّ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ نِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ، وَمَا خَفَّ مَعَهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ.

قَالَ: فَاسْتَقْنَا إِبِلًا عَظِيمَةً، وَغَنَمًا كَثِيرَةً، فَجِئْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، وَجِئْتُ بِرَأْسِهِ أَجْمَلُهُ مَعِي، قَالَ: فَأَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ تِلْكَ الْإِبِلِ بِثَلَاثَةِ عَشَرَ بَعِيرًا، فَجَمَعْتُ إِلَيَّ أَهْلِي.

وَأَمَّا الْوَاقِدِيُّ، فَذَكَرَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى بْنَ سَهْلٍ بْنَ أَبِي حَثْمَةَ، حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ، النَّبِيِّ ص بَعَثَ ابْنَ أَبِي حَذَرْدٍ فِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ مَعَ أَبِي قَتَادَةَ، وَأَنَّ السَّرِيَّةَ كَانَتْ سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا، وَأَنَّهُمْ غَابُوا خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَأَنَّ سَهْمَانَهُمْ كَانَتْ اثْنِي عَشَرَ بَعِيرًا يُعَدُّ الْبَعِيرُ بِعَشْرٍ مِنَ الْغَنَمِ، وَأَنَّهُمْ أَصَابُوا فِي وُجُوهِهِمْ أَرْبَعَ نِسْوَةٍ، فَبَيْنَ فَتَاةٍ وَضِيئَةٍ، فَصَارَتْ لِأَبِي قَتَادَةَ، فَكَلَّمَ مَحْمِيَّةَ ابْنِ الْجَزْءِ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ص، فَسَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَبَا قَتَادَةَ عَنْهَا، فَقَالَ: اشْتَرَيْتُهَا مِنَ الْمَغَنَمِ، فَقَالَ: هَبْهَا لِي، فَوَهَبَهَا لَهُ، فَأَعْطَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ص مَحْمِيَّةَ ابْنِ جَزْءِ الزُّبَيْدِيِّ.

وَفِيهَا أَغْزَى رَسُولُ اللَّهِ ص فِي سَرِيَّةٍ أَبَا قَتَادَةَ إِلَى بَطْنِ إِضْمٍ

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَزِيدَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُسَيْطٍ، عَنْ أَبِي الْقَعْقَاعِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَذَرْدٍ

الأسلي

٣٠٢٠٦ ذكر الخبر عن غزوه مؤتة

وَقَالَ بَعْضُهُمْ عَنْ ابْنِ الْقَعْقَاعِ - عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَذَرْدٍ، قَالَ:

بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى إِضْمٍ، فَخَرَجْتُ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رَبِيعٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَثَامَةَ بْنِ قَيْسٍ اللَّيْثِيُّ، فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَطْنِ إِضْمٍ - وَكَانَتْ قَبْلَ الْفَتْحِ - مَرَّ بِنَا عَامِرُ بْنُ الْأَضْبَطِ الْأَشْجَعِيُّ عَلَى قُعُودٍ لَهُ، مَعَهُ مَتِيعٌ لَهُ وَوُطْبٌ مِنْ لَبَنٍ فَلَمَّا مَرَّ بِنَا سَلَّمَ عَلَيْنَا بِحَيَّةِ الْإِسْلَامِ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ جَثَامَةَ اللَّيْثِيُّ لَشَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَقَتَلَهُ وَأَخَذَ بَعِيرَهُ وَمَتِيعَهُ، فَلَمَّا قَدَمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فَأَخْبَرَنَاهُ الْخَبْرَ، نَزَلَ فِينَا الْقُرْآنُ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا» الْآيَةَ.

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: إِنَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص بَعَثَ هَذِهِ السَّرِيَّةَ حِينَ خَرَجَ لِفَتْحِ مَكَّةَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَكَانُوا ثَمَانِيَةَ نَفَرٍ

ذَكَرُ الْخَبَرِ عَنْ غَزْوَةِ مُؤْتَةَ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ - فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ خَيْبَرَ، أَقَامَ بِهَا شَهْرًا رَبِيعًا، ثُمَّ بَعَثَ فِي جُمَادَى الْأُولَى بَعَثَهُ إِلَى الشَّامِ الَّذِينَ أُصِيبُوا بِمُؤْتَةَ حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص بَعَثَهُ إِلَى مُؤْتَةَ فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمُ

زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَقَالَ: إِنَّ أُصِيبَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ جَعَفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى النَّاسِ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعَفَرُ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ عَلَى النَّاسِ. فَتَجَهَّزَ النَّاسُ، ثُمَّ تَهَيَّأُوا لِلْخُرُوجِ، وَهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ، فَلَمَّا حَضَرَ خُرُوجَهُمْ وَدَعَ النَّاسُ أُمَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ وَسَلَّوْا عَلَيْهِمْ وَودَّعُوهُمْ فَلَمَّا وَدَّعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ مَعَ مَنْ وَدَعَ مِنْ أُمَرَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ص بَكَى، فَقَالُوا لَهُ: مَا يَبْكُكَ يَا بْنَ رَوَاحَةَ؟ فَقَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ مَا بِيَ حُبُّ الدُّنْيَا، وَلَا صَبَابَةٌ بِكُمْ، [وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ يَذْكُرُ فِيهَا النَّارَ: «وَأَنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا»].

فَلَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ لِي بِالصَّدْرِ بَعْدَ الْوُرُودِ! فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: صَحِّبَكُمْ اللَّهُ وَدَفَعَ عَنْكُمْ، وَرَدَّكُمْ إِلَيْنَا صَالِحِينَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: لَكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً ... وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْخٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا أَوْ طَعْنَةً يَدَيَّ حَرَّانٍ مُجَهَّزَةً ... بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَيدَا حَتَّى يَقُولُوا إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدِّي ... أَرْشَدَكَ اللَّهُ مِنْ غَارٍ وَقَدْ رَشَدَا! ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ تَهَيَّأُوا لِلْخُرُوجِ، فَجَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فَوَدَّعَهُ، ثُمَّ خَرَجَ الْقَوْمُ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ يُشِيعُهُمْ، حَتَّى إِذَا وَدَّعَهُمْ وَانْصَرَفَ عَنْهُمْ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ:

خَلَفَ السَّلَامُ عَلَى أَمْرِي وَدَعْتُهُ ... فِي النَّخْلِ خَيْرَ مُشِيعٍ وَخَلِيلٍ
ثُمَّ مَضَوْا حَتَّى نَزَلُوا مُعَانَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، فَبَلَغَ النَّاسُ أَنَّ هِرْقَلَ قَدْ نَزَلَ مَابَ مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ فِي مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ، وَانْضَمَّتْ إِلَيْهِ الْمُسْتَعْرَبَةُ مِنْ نَحْمٍ وَجَذَامٍ وَبَلْقَيْنَ وَبَهْرَاءَ وَبِلَى فِي مِائَةِ أَلْفٍ مِنْهُمْ، عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ بِلَى، ثُمَّ أَحَدُ إِرَاشَةَ، يُقَالُ لَهُ: مَالِكُ بْنُ رَافِلَةَ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ أَقَامُوا عَلَى مُعَانَ لَيْلَتَيْنِ، يَنْظُرُونَ فِي أَمْرِهِمْ، وَقَالُوا: نَكْتُبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَنُخْبِرُهُ بِعَدَدِ عَدُونَا، فِيمَا أَنْ يَمْدَنَا بِرِجَالٍ، وَإِمَّا أَنْ يَأْمُرَنَا بِأَمْرِهِ فَنَمْضِي لَهُ فَشَجَّعَ النَّاسُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَقَالَ: يَا قَوْمُ، وَاللَّهِ إِنَّ الَّذِي تَكْرَهُونَ لِلَّذِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ الشَّهَادَةَ، وَمَا تُقَاتِلُ النَّاسَ بِعَدَدٍ وَلَا قُوَّةٍ وَلَا كَثْرَةٍ، مَا نَقَاتِلُهُمْ إِلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ، فَانْطَلِقُوا، فَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى الْخَمْسِينَ، إِمَّا ظُهُورٌ، وَإِمَّا شَهَادَةٌ، فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ وَاللَّهِ صَدَقَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَضَى النَّاسُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فِي مُحْسِبِهِمْ ذَلِكَ:

جَلَبْنَا الْخَلِيلَ مِنْ آجَامٍ قُرْجٍ ... تَغْرُ مِنْ الْحَشِيشِ لَهَا الْعُكُومُ
حَذَوْنَاهَا مِنَ الصَّوَانِ سِبْتًا ... أَرْلَ كَأَنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيمُ
أَقَامَتْ لَيْلَتَيْنِ عَلَى مُعَانَ ... فَأَعْقَبَ بَعْدَ قَتَرَتِهَا جُحُومُ
فَرَحْنَا وَالْجِيَادُ مُسَوَّمَاتٌ ... تَنْفُسُ فِي مَنَاخِرِهَا السَّمُومُ
فَلَا وَابِي، مَابَ لَنَا تَيْنَهَا ... وَلَوْ كَانَتْ بِهَا عَرْبٌ وَرُومُ
فَعَبَانَا أَعْنَتَهَا فَجَاءَتْ ... عَوَاسٍ وَالْغُبَارُ لَهَا بَرِيمُ
بِذِي لَجَبٍ كَأَنَّ الْبَيْضَ فِيهِ ... إِذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُهَا النُّجُومُ
فَرَاضِيَةُ الْمَعِيشَةِ طَلَقَتْهَا ... أَسْنَتُنَا فَتَنَكْحُ أَوْ تَنِيمُ

ثُمَّ مَضَى النَّاسُ حَدَّثًا ابْنَ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْبَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: كُنْتُ يَتِيمًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ فِي حِجْرِهِ، فَخَرَجَ فِي سَفَرِهِ ذَلِكَ مُرْدِي عَلَى حَقِيْبِهِ رَحْلَهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَسِيرُ لَيْلَةً إِذْ سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَتْلُو آيَاتَهُ هَذِهِ: إِذَا أَدْبَتْنِي وَحَمَلْتَ رَحْلِي ... مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحِسَاءِ

فَشَانُكَ أَنْعَمَ وَخَلَائِكَ ذَمٌّ ... وَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي وَرَائِي
وَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ وَغَادَرُونِي ... بِأَرْضِ الشَّامِ مُشْتَبِيِ الثَّوَاءِ
وَرَدُّكَ كُلَّ ذِي نَسَبٍ قَرِيبٍ ... إِلَى الرَّحْمَنِ مُنْقَطِعُ الْإِخَاءِ
هُنَالِكَ لَا أَبْلِي طَلْعَ بَعْلٍ ... وَلَا نَخْلُ أَسَافِلَهَا رَوَاءِ

قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتَن مِنْهُ بِكَيْتٍ، نَخَفْتَنِي بِالِدَّرَةِ، وَقَالَ: مَا عَلَيْكَ يَا لُكْعُ! يَرْزُقُنِي اللَّهُ الشَّهَادَةَ، وَتَرْجِعُ بَيْنَ شُعْبَيْي الرَّحْلِ! ثُمَّ قَالَ عَبْدُ
اللَّهِ فِي بَعْضِ شِعْرِهِ وَهُوَ يَرْجُزُ:

يَا زَيْدُ زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ الذُّبْلِ ... تَطَاوَلَ اللَّيْلُ هُدَيْتَ فَانْزِلْ

قَالَ: ثُمَّ مَضَى النَّاسُ حَتَّى إِذَا كَانُوا يَتَخَوَّمُ الْبَلْقَاءَ، لَقِيَتْهُمْ جُمُوعُ هِرَقْلَ مِنَ الرُّومِ وَالْعَرَبِ، بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْبَلْقَاءِ يُقَالُ لَهَا مَشَارِفُ ثُمَّ
دَنَا الْعَدُوُّ، وَانْحَاَزَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا مَوْتَةٌ، فَالتَقَى النَّاسُ عِنْدَهَا، فَتَعَبَّ الْمُسْلِمُونَ، فَجَعَلُوا عَلَى مِيمَنَتِهِمْ رَجُلًا مِنْ بَنِي عُدْرَةَ،
يُقَالُ لَهُ قُطْبَةُ بْنُ قَتَادَةَ، وَعَلَى مِيسَرَتِهِمْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ عَبَايَةُ بْنُ مَالِكٍ، ثُمَّ التَقَى النَّاسُ، فَاقْتَتَلُوا، فَقَاتَلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بَرَايَةَ
رَسُولَ اللَّهِ ص حَتَّى شَاطَ فِي رِمَاحِ الْقَوْمِ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى إِذَا أَلْجَمَهُ الْقِتَالُ اقْتَحَمَ عَنْ فَرَسٍ لَهُ شَقْرَاءُ
فَعَقَرَهَا، ثُمَّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ، فَكَانَ جَعْفَرُ أَوَّلَ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَقَرَ فِي الْإِسْلَامِ فَرَسَهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ وَابُو تَمِيمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عُبَادٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي الَّذِي أَرْضَعَنِي - وَكَانَ
أَحَدَ بَنِي مُرَّةَ بْنِ عَوْفٍ، وَكَانَ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ غَزْوَةً مُؤَتَةً - قَالَ: وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى جَعْفَرٍ حِينَ اقْتَحَمَ عَنْ فَرَسٍ لَهُ شَقْرَاءُ، فَعَقَرَهَا،
ثُمَّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمَّا قُتِلَ جَعْفَرُ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ بِهَا وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ، فَجَعَلَ يَسْتَنْزِلُ نَفْسَهُ وَيَتَرَدَّدُ بَعْضُ
الْتَرَدُّدِ، ثُمَّ قَالَ:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّهُ طَائِعَةً أَوْ فَلَتَكْرَهَنَّهُ

إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّنَةَ ... مَا لِي أَرَاكَ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةَ!
قَدْ طَالَمَا قَدْ كُنْتَ مُطْمَئِنَّةً ... هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَنَةِ!

وَقَالَ أَيْضًا:

يَا نَفْسُ إِلَّا تَقْتُلِي تَمُوتِي ... هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صُلِيَتْ

وَمَا تَمْنَيْتِ فَقَدْ أُعْطِيَتْ ... إِنْ تَفْعَلِي فَعِلْهُمَا هُدَيْتِ

قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ، فَلَمَّا نَزَلَ أَتَاهُ ابْنُ عَمٍّ لَهُ بِعَظْمٍ مِنْ لَحْمٍ، فَقَالَ: شُدَّ بِهَا صُلْبُكَ، فَإِنَّكَ قَدْ لَقِيتَ أَيَّامَكَ هَذِهِ مَا لَقِيتَ، فَأَخَذَهُ مِنْ يَدِهِ،
فَانْتَهَسَ مِنْهُ نَهْسَةً ثُمَّ سَمِعَ الْخَطْمَةَ فِي نَاحِيَةِ النَّاسِ، فَقَالَ: وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا! ثُمَّ أَلْقَاهُ مِنْ يَدِهِ، وَأَخَذَ سَيْفَهُ، فَتَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ،
فَأَخَذَ الرَّايَةَ ثَابِتُ بْنُ أَقْرَمَ، أَخُو بُلْعَجَلَانَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ اصْطَلِحُوا عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ، فَقَالُوا:

أَنْتَ، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، فَاصْطَلَحَ النَّاسُ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَلَمَّا أَخَذَ الرَّايَةَ دَافَعَ الْقَوْمُ، وَحَاشَى بِهِمْ، ثُمَّ انْحَاَزَ وَتَحَيَّزَ عَنْهُ حَتَّى
انْصَرَفَ بِالنَّاسِ.

فَحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ بَشَرَ بْنِ مَعْرُوفٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَسْوَدُ بْنُ شَيْبَانَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ سُمَيْرٍ، قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَبَاجٍ الْأَنْصَارِيُّ - وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ تَقْفِيهِ - فَعَشِيَهُ النَّاسُ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو قَتَادَةَ فَارَسَ رَسُولَ اللَّهِ ص، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ
اللَّهِ جَيْشَ الْأَمْراءِ، فَقَالَ: عَلَيْكُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَإِنْ أَصِيبَ جَعْفَرُ

ابن أبي طالب، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن راحة، فوثب جعفر فقال:

يا رسول الله، ما كنت أذهب أن تستعمل زيدا علي! قال: امضي، فإنك لا تدري أي ذلك خير! فأنطلقوا، فلبثوا ما شاء الله ثم ان رسول الله ص صعد المنبر، وأمر فؤدي: الصلاة جامعة! فاجتمع الناس الى رسول الله، فقال:

باب خير، باب خير، باب خير! أخبركم عن جيشكم هذا الغازي، إنهم انطلقوا فلقوا العدو، فقتل زيد شهيدا- واستغفر له- ثم أخذ اللواء جعفر، فشد على القوم حتى قتل شهيدا- فشهد له بالشهادة واستغفر له- ثم أخذ اللواء عبد الله بن راحة، فأثبت قدميه حتى قتل شهيدا- فاستغفر له- ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد- ولم يكن من الأمراء، هو أمر نفسه- [ثم قال رسول الله ص: اللهم إنه سيف من سيوفك، فانت تنصره- فند يومئذ سبي خالد سيف الله- ثم قال رسول الله: أبكروا فأمدوا إخوانكم ولا يتخلف منكم أحد] فنفروا مشاة وركبانا، وذلك في حر شديد.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله ابن أبي بكر، قال: لما أتى رسول الله مصاب جعفر، [قال رسول الله ص: قد مر جعفر البارحة في نفر من الملائكة، له جناحان، مختضب القوادم بالدم، يريدون بيثة، أرضا باليمن] . قال وقد كان قطبة بن قتادة العذري الذي كان على ميمنة المسلمين حمل على مالك بن رافلة قائد المستعربة فقتله قال: وقد كانت كاهنة من حدس حين سمعت بجيش رسول الله ص مقبلا قد قالت لقومها من حدس- وقومها بطن يقال لهم بنو غنم: أنذرهم قوما خزرا، ينظرون شزرا، ويقودون الخيل بترا، ويهريقون دما

٣٠٢٧ ذكر الخبر عن فتح مكة

عكرا فأخذوا بقولها، فاعتزلوا من بين نخم، فلم يزالوا بعد اثنى حدس وكان الذين صلوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة، بطن من حدس، فلم يزالوا قليلا بعد، ولما انصرف خالد بن الوليد بالناس أقبل بهم قافلا.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، قال: لما دنوا من دخول المدينة، تلقاهم رسول الله ص والمسلمون، ولقيهم الصبيان يشتدون، ورسول الله مقبل مع القوم على دابة، فقال: خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر، فأتي بعبد الله بن جعفر فأخذه، فحمله بين يديه، قال: وجعل الناس يحثون على الجيش التراب، ويقولون:

يا فرار في سبيل الله، [فيقول رسول الله: ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار، إن شاء الله!] حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن بعض آل الحارث بن هشام- وهم أخواله- عن أم سلمة زوج النبي ص، قال: قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة: ما لي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ومع المسلمين! قالت: والله ما يستطيع أن يخرج، كلما خرج صاح الناس: أفرتم في سبيل الله! حتى قعد في بيته فما يخرج.

وفيها غزا رسول الله ص أهل مكة

ذكر الخبر عن فتح مكة

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق،

قال: ثم اقام رسول الله ص بالمدينة بعد بعثه إلى مؤتة، جمادى الآخرة ورجب.

ثم إن بني بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة، وهم على ماء لهم بأسفل مكة، يقال له الوثير وكان الذي هاج ما بين بني بكر

وبني خزاعة رجل من بلحزمي، يقال له مالك بن عباد- وحلف الحَضْرَمِيُّ يَوْمئِذٍ إِلَى الْأَسْوَدِ بْنِ رِزْنٍ- خَرَجَ تَاجِرًا، فَلَمَّا تَوَسَّطَ أَرْضَ خَزَاعَةَ عَدَوْا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ، وَأَخَذُوا مَالَهُ، فَعَدَّتْ بَنُو بَكْرِ عَلَى رَجُلٍ مِنْ خَزَاعَةَ فَقَتَلُوهُ، فَعَدَّتْ خَزَاعَةُ قَبِيلَ الْإِسْلَامِ عَلَى بَنِي الْأَسْوَدِ بْنِ رِزْنٍ الدِّيلِيِّ، وَهُمْ مَنْخَرُ بَنِي بَكْرٍ وَأَشْرَافُهُمْ: سُلَيْمَى، وَكُلْثُومٌ، وَذُوَيْبٌ، فَقَتَلُوهُمْ بِعَرَفَةَ عِنْدَ أَنْصَابِ الْحَرَمِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي الدِّيلِ، قَالَ: كَانَ بَنُو الْأَسْوَدِ يُودُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ دَيْتَيْنِ دَيْتَيْنِ، وَنُودَى بِهِ دِيَهُ لِفَضْلِهِمْ فِينَا.

فَبَيْنَا بَنُو بَكْرٍ وَخَزَاعَةُ عَلَى ذَلِكَ حَزَرَ بَيْنَهُمُ الْإِسْلَامُ، وَلَتَشَاغَلَ النَّاسُ بِهِ، فَلَمَّا كَانَ صَلْحُ الْحَدِيثِ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَبَيْنَ قُرَيْشٍ كَانَ فِيمَا شَرَطُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، وَشَرَطَ لَهُمْ- كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَغَيْرِهِ مِنْ عُلَمَائِنَا- أَنَّهُ مِنْ أَحَبِّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَعَقْدِهِ دَخَلَ فِيهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ وَعَقْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ، فَدَخَلَتْ بَنُو بَكْرٍ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ، وَدَخَلَتْ خَزَاعَةُ فِي عَقْدِ رَسُولِ اللَّهِ ص.

فَلَمَّا كَانَتْ تِلْكَ الْهَدَنَةُ اغْتَنَمَهَا بَنُو الدِّيلِ، مِنْ بَنِي بَكْرٍ مِنْ خَزَاعَةَ وَأَرَادُوا أَنْ يُصِيبُوا مِنْهُمْ ثَارًا بِأُولَئِكَ النَّفَرِ الَّذِينَ أَصَابُوا مِنْهُمْ بَنِي الْأَسْوَدِ بْنِ رِزْنٍ، فَخَرَجَ نُوْفَلُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الدِّيلِيُّ فِي بَنِي الدِّيلِ- وَهُوَ يَوْمَئِذٍ قَائِدُهُمْ، لَيْسَ كُلُّ بَنِي بَكْرٍ تَابِعَهُ- حَتَّى بَيْتَ خَزَاعَةَ، وَهُمْ عَلَى الْوَتِيرِ، مَاءٌ لَهُمْ، فَأَصَابُوا مِنْهُمْ رَجُلًا وَتَجَاوَزُوا وَاقْتَتَلُوا، وَرَفَدَتْ قُرَيْشُ بَنِي بَكْرٍ بِالسَّلَاحِ وَقَاتَلَ مَعَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ مَنْ قَاتَلَ بِاللَّيْلِ مُسْتَخْفِيًا، حَتَّى حَازُوا خَزَاعَةَ إِلَى الْحَرَمِ.

- قَالَ الْوَاقِدِيُّ: كَانَ مِمَّنْ أَعَانَ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي بَكْرٍ عَلَى خَزَاعَةَ لِيَلْتَنِدَ بِأَنْفُسِهِمْ مُتَكَبِّرِينَ صَفْوَانُ بْنُ أُمِيَّةَ، وَعَكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَسَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو، مَعَ غَيْرِهِمْ وَعَبِيدُهُمْ- رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيْهِ قَالَتْ بَنُو بَكْرٍ: يَا نُوفَلُ، إِنَّا قَدْ دَخَلْنَا الْحَرَمَ إِلْهَكَ إِلْهَكَ، فَقَالَ: كَلِمَةً عَظِيمَةً إِنَّهُ لَا إِلَهَ لَهُ الْيَوْمَ! يَا بَنِي بَكْرٍ أَصِيبُوا ثَارَكُمْ، فَلَعَمْرِي إِنَّكُمْ لَتَسْرِقُونَ فِي الْحَرَمِ، أَفَلَا تُصِيبُونَ ثَارَكُمْ فِيهِ! وَقَدْ أَصَابُوا مِنْهُمْ لَيْلَةً يَبْتُوهُمْ بِالْوَتِيرِ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ مِنْهُ، وَكَانَ مِنْهُ رَجُلًا مَفْتُودًا خَرَجَ هُوَ وَرَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، يُقَالُ لَهُ تَمِيمُ بْنُ أَسَدٍ- فَقَالَ لَهُ مِنْهُ: يَا تَمِيمُ، أُنْجِ بِنَفْسِكَ، فَمَا أَنَا فَوَاللَّهِ إِنِّي لَمِيتٌ قَتْلُونِي أَوْ تَرْكُونِي، لَقَدْ أَنْبَتُ فُؤَادِي فَأَنْطَلِقَ تَمِيمُ فَأَقْلَتَ، وَأَدْرَكُوا مِنْهَا فَقَتَلُوهُ- فَلَمَّا دَخَلَتْ خَزَاعَةُ مَكَّةَ لَجُّوا إِلَى دَارِ بَدِيلِ بْنِ وَرْقَاءَ الْخَزَاعِيِّ وَدَارَ مَوْلَى لَهُمْ يُقَالُ لَهُ رَافِعٌ.

قَالَ: فَلَمَّا تَظَاهَرَتْ بَنُو بَكْرٍ وَقُرَيْشٌ عَلَى خَزَاعَةَ، وَأَصَابُوا مِنْهُمْ مَا أَصَابُوا، وَنَقَضُوا مَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ص مِنَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ بِمَا اسْتَحْلَوْا مِنْ خَزَاعَةَ- وَكَانُوا فِي عَقْدِهِ وَعَهْدِهِ- خَرَجَ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ الْخَزَاعِيُّ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي كَعْبٍ، حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص الْمَدِينَةَ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمًا هَاجَ فَتَحَ مَكَّةَ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ جَالِسٌ بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاسِ، فَقَالَ:

لَا هُمْ أَنِي نَاشِدُ مُحَمَّدًا ... حَلَفَ أَبِينَا وَابِيهِ أَلَا تَلِدَا
فَوَالِدَا كَمَا وَكُنْتَ وَلَدًا ... ثُمَّتْ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزَعْ يَدَا
فَانْصُرْ رَسُولُ اللَّهِ نَصْرًا أَعْتَدَا ... وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا
فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا ... أَبْيَضَ مِثْلَ الْبَدْرِ يَنْجِي صُعْدَا
إِنْ سِمْ حَسَفًا وَجْهَهُ تَرَبَّدَا ... فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُرْبَدَا
إِنْ قُرَيْشًا أَخْلَفُواكَ الْمَوْعَدَا ... وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ رَصَدَا ... وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا

وَهُمْ أَذِلُّ وَأَقْلُّ عَدَدًا ... هُمْ يَتَوَنَّا بِالْوَتِيرِ هُجْدًا
فَقَتَلُونَا رَكْعًا وَتَجْدًا.

يَقُولُ: قَدْ قَتَلُونَا وَقَدْ أَسْلَمْنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ: قَدْ نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ! ثُمَّ عَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص عَنَّا مِنْ
السَّمَاءِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةُ لَتَسْتَهْلُ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ.

ثُمَّ خَرَجَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي نَفَرٍ مِنْ خِزَاعَةِ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْمَدِينَةَ، فَأَخْبَرُوهُ بِمَا أَصِيبَ مِنْهُمْ، وَبِمُظَاهَرَةِ قُرَيْشِ بْنِ بَكْرٍ عَلَيْهِمْ،
ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ إِلَى مَكَّةَ [وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَالَ لِلنَّاسِ:
كَانَكُمْ بِأَبِي سُفْيَانَ قَدْ جَاءَ لِيَشْدُدَ الْعَقْدَ، وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ]

وَمَضَى بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ وَأَصْحَابُهُ، فَلَقُوا أَبَا سُفْيَانَ بِعُسْفَانَ، قَدْ بَعَثَهُ قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ لِيَشْدُدَ الْعَقْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ، وَقَدْ رَهَبُوا الَّذِي
صَنَعُوا، فَلَمَّا لَقِيَ أَبُو سُفْيَانَ بُدَيْلًا، قَالَ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا بُدَيْلُ؟ وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ آتَى رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: سَرْتُ فِي خِزَاعَةِ فِي السَّاحِلِ وَفِي
بَطْنِ هَذَا الْوَادِي.

قَالَ: أَوْ مَا أَتَيْتَ مُحَمَّدًا؟ قَالَ: لَا قَالَ: فَلَمَّا رَاحَ بُدَيْلٌ إِلَى مَكَّةَ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَيْتَنِي كَانَ جَاءَ الْمَدِينَةَ لَقَدْ عَلَفَ بِهَا النَّوَى، فَعَمَدَ إِلَى
مَبْرَكٍ نَاقَتِهِ، فَأَخَذَ مِنْ بَعْرِهَا فَفَتَّهُ، فَرَأَى فِيهِ النَّوَى، فَقَالَ: أَحْلَفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ بُدَيْلٌ مُحَمَّدًا.

ثُمَّ خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ
رَسُولِ اللَّهِ ص طَوَّهَتْ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا بَنِيَّ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَرُغِبْتُ بِي عَنْ هَذَا الْفِرَاشِ، أَمْ رَغِبْتُ بِهِ عَنِّي! قَالَتْ: بَلْ هُوَ فِرَاشُ رَسُولِ
اللَّهِ، وَأَنْتَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ نَجِسٌ، فَلَمْ أَحِبَّ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ:

وَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَكَ يَا بَنِيَّ بَعْدِي شَرٌّ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى آتَى رَسُولَ اللَّهِ ص، فَكَلَّمَهُ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَكَلَّمَهُ أَنْ يَكْمُرَ
لَهُ رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ثُمَّ آتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَكَلَّمَهُ فَقَالَ:

أَنَا أَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ! فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ أَجِدْ إِلَّا الذَّرَّ لَجَاهَدْتُكُمْ ثُمَّ خَرَجَ فَدَخَلَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَعِنْدَهُ
فَاطِمَةُ ابْنَةُ رَسُولِ اللَّهِ، وَعِنْدَهَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، غُلَامٌ يَدُبُّ بَيْنَ يَدَيْهَا، فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، إِنَّكَ أَمْسَ الْقَوْمِ بِي رَحْمًا، وَأَقْرَبَهُمْ مِنِّي قَرَابَةً،
وَقَدْ جِئْتُ فِي حَاجَةٍ، فَلَا أَرْجِعَنَّ كَمَا جِئْتُ خَائِبًا، أَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ! قَالَ: وَيَحْكُ يَا أَبَا سُفْيَانَ! وَاللَّهِ لَقَدْ عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى
أَمْرٍ مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَكْلِمَهُ فِيهِ، فَالْتَفَتَ إِلَى فَاطِمَةَ، فَقَالَ: يَا ابْنَةَ مُحَمَّدٍ، هَلْ لَكَ أَنْ تَأْمُرِي بَنِيَّ هَذَا فَيُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَكُونَ سَيِّدَ
الْعَرَبِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ! قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا بَلَغَ بَنِيَّ ذَلِكَ

أَنْ يُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ، وَمَا يُجِيرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ أَحَدٌ قَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، إِنِّي أَرَى الْأُمُورَ قَدْ اشْتَدَّتْ عَلَيَّ فَأَنْصَحْنِي فَقَالَ لَهُ: وَاللَّهِ مَا
أَعْلَمُ شَيْئًا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا، وَلَكِنَّكَ سَيِّدُ بَنِي كِنَانَةَ، فَكُنْ فَأَجْرِ بَيْنَ النَّاسِ، ثُمَّ الْحَقَّ بِأَرْضِكَ.

قَالَ: أَوْ تَرَى ذَلِكَ مُغْنِيًا عَنِّي شَيْئًا! قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ لَكَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: أَيُّهَا
النَّاسُ، إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ بَيْنَ النَّاسِ، ثُمَّ رَكِبَ بَعِيرَهُ فَانْطَلَقَ.

فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى قُرَيْشٍ، قَالُوا: مَا وَرَاءُكَ؟ قَالَ: جِئْتُ مُحَمَّدًا فَكَلَّمْتُهُ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ جِئْتُ ابْنَ أَبِي خُفَافَةَ، فَلَمْ أَجِدْ عِنْدَهُ خَيْرًا،
ثُمَّ جِئْتُ ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَجَدْتُهُ أَعْدَى الْقَوْمِ، ثُمَّ جِئْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَوَجَدْتُهُ أَلَيْنَ الْقَوْمِ، وَقَدْ أَشَارَ عَلَى بَشِيءٍ صَنَعْتُهُ، فَوَاللَّهِ مَا
أَدْرِي هَلْ يُغْنِينِي شَيْئًا أَمْ لَا! قَالُوا: وَمِمَّاذَا أَمَرَكُ؟ قَالَ: أَمَرَنِي أَنْ أُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ فَفَعَلْتُ، قَالُوا: فَهَلْ أَجَازَ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ؟ قَالَ: لَا، قَالُوا:
وَيْلَكَ! وَاللَّهِ إِنْ زَادَ عَلَى أَنْ لَعَبَ بِكَ، فَمَا يُغْنِي عَنَّا مَا قُلْتَ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، مَا وَجَدْتُ غَيْرَ ذَلِكَ، قَالَ: وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص النَّاسَ

بِالْجَهَازِ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يَجْهَزُوهُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى ابْنَتِهِ عَائِشَةَ وَهِيَ تُحَرِّكُ بَعْضَ جِهَازِ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَقَالَ: أَيُّ بَنِيَّةٍ، أَمَرَكُمُ رَسُولُ اللَّهِ بِأَنْ تَجْهَزُوهُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَتَجْهَزْ، قَالَ: فَإِنَّ تَرِيئَهُ يَرِيدُ؟ قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي.

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّهُ سَافِرٌ إِلَى مَكَّةَ، وَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ وَالتَّهَيُّؤِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ خُذِ الْعِيُونَ وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَبْتَغِيَهَا فِي بِلَادِهَا.

فَتَجْهَزَ النَّاسُ، فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ يَحْرُضُ النَّاسَ، وَيَذْكُرُ مُصَابَ رِجَالِ خُرَاعَةَ:

أَتَانِي وَلَمْ أَشْهَدْ بِطَحَاءِ مَكَّةَ ... رِجَالُ بَنِي كَعْبٍ تُحْزِرُ قَابَهَا

بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَسْلُوا سِيُوفَهُمْ ... وَقَتْلَى كَثِيرٍ لَمْ تُجَنَّ ثِيَابَهَا

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَتَلَنَّ نُصْرَتِي ... سَيْلَ بَنٍ عَمْرٍو حَرْهَا وَعِقَابَهَا!

وَصَفْوَانَ عُوْدًا حَزَّ مِنْ شَفَرِ اسْتِهِ ... فَهَذَا أَوْ إِنْ الْحَرْبُ شَدَّ عَصَابَهَا

فَلَا تَامَنَّا يَا بَنَ أُمِّ مَجَالِدٍ ... إِذَا احْتَلَبَتْ صَرْفًا وَأَعْصَلَ نَابَهَا

فَلَا تَجْزَعُوا مِنْهَا فَإِنَّ سِيُوفَنَا ... لَهَا وَقْعَةٌ بِالْمَوْتِ يَفْتَحُ بَابَهَا

وَقَوْلُ حَسَّانٍ.

بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَسْلُوا سِيُوفَهُمْ.

يَعْنِي قُرَيْشًا وَابْنَ أُمِّ مَجَالِدٍ، يَعْنِي عِكْرَمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِ مِنْ عُلَمَائِنَا، قَالُوا: لَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْمَسِيرَ إِلَى مَكَّةَ، كَتَبَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ كِتَابًا إِلَى قُرَيْشٍ، يُخَبِّرُهُم بِالَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنَ الْأَمْرِ فِي السَّيْرِ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَعْطَاهُ امْرَأَةً - يَزْعُمُ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ أَنَّهَا مِنْ مَرْيَمَةَ، وَزَعَمَ غَيْرُهُمْ أَنَّهَا سَارَةُ، مَوْلَاةٌ لِبَعْضِ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - وَجَعَلَ لَهَا جُعْلًا عَلَى أَنْ تَبْلُغَهُ قُرَيْشًا فَجَعَلَتْهُ فِي رَأْسِهَا، ثُمَّ فَتَلَتْ عَلَيْهِ قُرُونَهَا، ثُمَّ

خَرَجَتْ بِهِ وَاتَى رَسُولَ اللَّهِ ص أَخْبَرَهُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا صَنَعَ حَاطِبٌ، فَبَعَثَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ، فَقَالَ: أَدْرِكَا امْرَأَةً قَدْ كَتَبَ مَعَهَا حَاطِبٌ بِكِتَابٍ إِلَى قُرَيْشٍ، يُحَذِّرُهُمْ مَا قَدْ أَجْمَعْنَا لَهُ فِي أَمْرِهِمْ، فَخَرَجَا حَتَّى أَدْرَكَاهَا بِالْحُلَيْفَةِ، حَلِيفَةُ ابْنِ أَبِي أَحْمَدَ، فَاسْتَزَلَاَهَا، فَاتَمَسَا فِي رَحْلِهَا، فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا، [فَقَالَ لَهَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:

إِنِّي أَحْلَفُ مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ وَلَا كَذِبْنَا، وَلَتُخْرِجَنَّ إِلَيَّ هَذَا الْكِتَابَ أَوْ لَنَكْشِفَنَّكَ،] فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّ مِنْهُ، قَالَتْ: أَعْرِضْ عَنِّي، فَأَعْرِضْ عَنْهَا، فَحَلَّتْ قُرُونَ رَأْسِهَا، فَاسْتَخَرَجَتْ الْكِتَابَ مِنْهُ، فَدَفَعَتْهُ إِلَيْهِ، فَجَاءَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ حَاطِبًا، فَقَالَ: يَا حَاطِبُ، مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَمُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، مَا غَيَّرْتُ وَلَا بَدَلْتُ، وَلَكِنِّي كُنْتُ امْرَأًا لَيْسَ لِي فِي الْقَوْمِ أَصْلٌ وَلَا عَشِيرَةٌ، وَكَانَ لِي بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ أَهْلٌ وَوَلَدٌ، فَصَانَعْتُهُمْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي فَلَا تُضْرِبُ عُنُقَهُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ نَافَقَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: وَمَا يَدْرِيكَ يَا عُمَرُ، لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ أَطْلَعَ إِلَى أَصْحَابِ بَدْرٍ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ! فَانْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَاطِبٍ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ» إِلَى قَوْلِهِ: «وَالْيَا أَيُّهَا النَّبِيُّ» إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ص لِسَفَرِهِ، وَاسْتَخْلَفَ

عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا رُحْمٍ كُثُومَ بْنِ حُصَيْنٍ بْنِ خَلْفٍ الْغَفَارِيِّ، وَخَرَجَ لِعَشْرِ مَضِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَصَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص، وَصَامَ النَّاسُ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْكُدَيْدِ مَا بَيْنَ عَسْفَانَ وَأَجَجٍ، أَفْطَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص، ثُمَّ مَضَى حَتَّى نَزَلَ مَرَّ الظَّهْرَانِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَسَبَّعْتُ سُلَيْمًا، وَالْتَمْتُ مَرْيَنَةَ وَفِي كُلِّ الْقَبَائِلِ عُدَّةٌ وَإِسْلَامٌ، وَأَوْعَبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، فَلَمْ يَخْلَفْ عَنْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص مَرَّ الظَّهْرَانِ، وَقَدْ عَمِيَّتِ الْأَخْبَارُ عَنْ قُرَيْشٍ فَلَا يَأْتِيهِمْ خَبَرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَا يَدْرُونَ مَا هُوَ فَاعِلٌ، فَخَرَجَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، وَبَدِيلُ بْنُ وَرْقَاءَ، يَتَحَسَّسُونَ الْأَخْبَارَ، هَلْ يَجِدُونَ خَبْرًا أَوْ يَسْمَعُونَ بِهِ! حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: وَقَدْ كَانَ فِيمَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْبَدٍ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: وَقَدْ كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تَلَقَّى رَسُولَ اللَّهِ ص بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، وَقَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَدْ لَقِيََا رَسُولَ اللَّهِ ص بِبَيْتِ الْعُقَابِ، فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَالْتَمَسَ الدُّخُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ فِيهِمَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْنُ عَمِّكَ وَابْنُ عَمَّتِكَ وَصِهْرُكَ، قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي بِهِمَا، أَمَّا ابْنُ عَمِّي فَهَتَكَ عِرْضِي، وَأَمَّا ابْنُ عَمَّتِي وَصِهْرِي فَهُوَ الَّذِي قَالَ بِمَكَّةَ مَا قَالَ.

فَلَمَّا خَرَجَ الْخَبَرُ إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ، وَمَعَ أَبِي سُفْيَانَ بَنِي لَهُ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَيَأْذَنَنَّ لِي أَوْ لَا خُذَنَّ بِيَدِ بَنِي هَذَا، ثُمَّ لَنَذْهَبَنَّ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى نَمُوتَ عَطْشًا وَجُوعًا فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ص رَقَّ لهُمَا، ثُمَّ أَذَنَ لهُمَا، فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَأَسْلَمَا وَأَنْشَدَهُ أَبُو سُفْيَانَ قَوْلَهُ فِي إِسْلَامِهِ وَاعْتِدَارِهِ مِمَّا كَانَ مَضَى مِنْهُ: لَعَمْرِي إِنْ يَوْمَ أَحْمَلُ رَايَةً ... لَتَغْلِبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ لَكَلْمُ الدَّلَجِ الْخَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ ... فَهَذَا أَوَانِي حِينَ أُهْدَى وَأَهْتَدِي وَهَادَ هَدَانِي غَيْرَ نَفْسِي وَنَالَنِي ... مَعَ اللَّهِ مِنْ طَرَدْتُ كُلَّ مُطَرَّدٍ أَصْدُ وَأَنَاى جَاهِدًا عَنْ مُحَمَّدٍ ... وَأُدْعَى وَلَوْ لَمْ أَنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدٍ هُمُ مَا هُمُ مِنْ لَمْ يَقُلْ بِهِوَاهُمُ ... وَإِنْ كَانَ ذَا رَأْيٍ يُلْمُ وَيُفْنَدُ أُرِيدُ لِأَرْضِيهِمْ وَلَسْتُ بِلَائِطٍ ... مَعَ الْقَوْمِ مَا لَمْ أُهْدَ فِي كُلِّ مَقْعَدٍ قُلْتُ لَتَقِيفَ لَا أُرِيدُ قِتَالَهَا ... وَقُلْ لَتَقِيفَ تِلْكَ غَيْرِي أَوْ عَدِي وَمَا كُنْتُ فِي الْجَيْشِ الَّذِي نَالَ عَامِرًا ... وَمَا كَانَ عَنْ جَرَى لِسَانِي وَلَا يَدِي قَبَائِلُ جَاءَتْ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ ... نَزَائِعُ جَاءَتْ مِنْ سِهَامٍ وَسَرْدَدٍ قَالَ: فَزَعَمُوا أَنَّهُ حِينَ أَنْشَدَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَوْلَهُ: وَنَالَنِي مَعَ اللَّهِ مِنْ طَرَدْتُ كُلَّ مُطَرَّدٍ، ضَرَبَ النَّبِيُّ ص فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ طَرَدْتَنِي كُلَّ مُطَرَّدٍ! وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى مَكَّةَ، فَقَائِلُ يَقُولُ: يُرِيدُ قُرَيْشًا، وَقَائِلُ يَقُولُ: يُرِيدُ هَوَازِنَ، وَقَائِلُ يَقُولُ: يُرِيدُ ثَقِيفًا، وَبَعَثَ إِلَى الْقَبَائِلِ فَتَخَلَّفَتْ عَنْهُ، وَلَمْ يَعْقِدِ الْأُلُويَةَ وَلَمْ يَنْشُرِ الرِّايَاتِ حَتَّى قَدِمَ قَدِيدًا، فَلَقِيَتْهُ بَنُو سُلَيْمٍ عَلَى الْخَيْلِ وَالسِّلَاحِ النَّتَامَ، وَقَدْ كَانَ عَيْنُهُ

لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ بِالْعَرَجِ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَلَحِقَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَاسٍ بِالسُّقْيَا، فَقَالَ عَيْنَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا أَرَى آلَةَ الْحَرْبِ وَلَا تَهْيئةَ الْإِحْرَامِ، فَأَيْنَ تَتَوَجَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ص أَنْ تَعْمَى عَلَيْهِمُ الْأَخْبَارُ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص مَرَّ الظَّهْرَانِ، وَلَقِيَهُ الْعَبَّاسُ بِالسُّقْيَا، وَلَقِيَهُ مَخْرَمَةً

بن نوفل ينيق العقاب.

فلما نزل مرَّ الظَّهْرَانِ خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَمَعَهُ حَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ فَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ بَكَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَ مَرَّ الظَّهْرَانِ، قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَقَدْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنَ الْمَدِينَةِ: يَا صَبَاحَ قُرَيْشٍ! وَاللَّهِ لَئِنْ بَغَتَا رَسُولُ اللَّهِ فِي بِلَادِهَآ، فَدَخَلَ مَكَّةَ عَنُوةً، إِنَّهُ لَهْلَاكُ قُرَيْشٍ آخِرَ الدَّهْرِ! فَجَلَسَ عَلَى بَغْلَةٍ رَسُولِ اللَّهِ ص الْبَيْضَاءِ، وَقَالَ: أَخْرُجْ إِلَى الْأَرَاكِ لَعَلِّي أَرَى حَطَّابًا أَوْ صَاحِبَ لَبَنٍ، أَوْ دَاخِلًا يَدْخُلُ مَكَّةَ، فَيُخْبِرُهُمْ بِمَكَانِ رَسُولِ اللَّهِ، فَيَأْتُونَهُ فَيَسْتَأْمِنُونَهُ فَنُفِرَ جَتِ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَطُوفُ فِي الْأَرَاكِ أَلْتَمِسُ مَا خَرَجْتُ لَهُ، إِذْ سَمِعْتُ صَوْتَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَحَكِيمِ بْنِ حَزَامٍ وَبَدِيلِ بْنِ وَرْقَاءَ، وَقَدْ خَرَجُوا يَتَحَسَّسُونَ الْخَبَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَسَمِعْتُ أَبَا سُفْيَانَ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ نِيرَانًا! فَقَالَ بَدِيلٌ: هَذِهِ وَاللَّهِ نِيرَانُ خِرَاعَةٍ، حَمَشَتَا الْحَرْبُ! فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: خِرَاعَةُ الْأُمِّ مِنْ ذَلِكَ وَاذِلُّ! فَعَرَفْتُ صَوْتَهُ، فَقُلْتُ:

يَا أَبَا حَنْظَلَةَ! فَقَالَ: أَبُو الْفَضْلِ! فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: لَبَيْكَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي! فَمَا وَرَاءَكَ؟ فَقُلْتُ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ وَرَائِي قَدْ دَلَفَ إِلَيْكُمْ بِمَا لَا قَبْلَ لَكُمْ بِهِ بِعَشْرَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَالَ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ فَقُلْتُ:

تَرَكْتُ عِزَّ هَذِهِ الْبَغْلَةِ، فَاسْتَأْمَنْ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ ظَفَرَ بِكَ لَيَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، فَدَفَعَنِي فَنَجَرْتُ بِهِ أَرْكُضُ بَغْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ ص نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَكَلَّمَا مَرَرْتُ بِنَارٍ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ وَنَظَرُوا إِلَى، قَالُوا: عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى بَغْلَةٍ رَسُولِ اللَّهِ، حَتَّى مَرَرْتُ بِنَارِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: أَبُو سُفْيَانَ! الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَكَّنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ! ثُمَّ اشْتَدَّ نَحْوُ النَّبِيِّ ص، وَرَكَضْتُ الْبَغْلَةَ، وَقَدْ أُرْدَفْتُ أَبَا سُفْيَانَ، حَتَّى افْتَحَمْتُ عَلَى بَابِ الْقُبَّةِ، وَسَبَقْتُ عُمَرَ بِمَا تَسْبِقُ بِهِ الدَّابَّةُ الْبَطِيئَةُ الرَّجُلَ الْبَطِيءَ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ عَدُوُّ اللَّهِ، قَدْ أَمَكَّنَ اللَّهُ مِنْهُ بِغَيْرِ عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ، فَدَعَنِي أَضْرِبُ عُنُقَهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ! ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ، فَقُلْتُ:

وَاللَّهِ لَا يُنَاجِيهِ الْيَوْمَ أَحَدٌ دُونِي! فَلَمَّا أَكْثَرَ فِيهِ عُمَرُ، قُلْتُ: مَهْلًا يَا عُمَرُ! فَوَاللَّهِ مَا تَصْنَعُ هَذَا إِلَّا لِأَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَلَوْ كَانَ مِنْ بَنِي عَبْدِ كَعْبٍ مَا قُلْتُ هَذَا فَقَالَ: مَهْلًا يَا عَبَّاسُ! فَوَاللَّهِ لِإِسْلَامِكَ يَوْمَ أَسَلَمْتُ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ! وَذَلِكَ لِأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ إِسْلَامَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: أَذْهَبَ فَقَدْ أَفْنَاهُ حَتَّى تَغْدُو بِهِ عَلَيَّ بِالْغَدَاةِ فَرَجَعَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ:

[وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ! أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمْ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ! فَقَالَ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَوْصَلَكَ وَأَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ!] وَاللَّهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى عَنِّي شَيْئًا، فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ! أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمْ أَنِّي

رَسُولُ اللَّهِ! فَقَالَ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَوْصَلَكَ وَأَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ! أَمَّا هَذِهِ فَفِي النَّفْسِ مِنْهَا شَيْءٌ! فَقَالَ الْعَبَّاسُ: فَقُلْتُ لَهُ وَيْلَكَ! تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ قَبْلَ اللَّهِ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقَكَ، قَالَ: فَتَشْهَدُ.

قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِلْعَبَّاسِ حِينَ تَشْهَدُ أَبُو سُفْيَانَ:

انصَرَفَ يَا عَبَّاسُ فَاحْبِسْهُ عِنْدَ خَطَمِ الْجَبَلِ بِمَضِيقِ الْوَادِي، حَتَّى تَمُرَّ عَلَيْهِ جُنُودُ اللَّهِ، فَقُلْتُ لَهُ: [يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ الْفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا يَكُونُ فِي قَوْمِهِ فَقَالَ: نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ].

خَرَجْتُ حَتَّى حَبَسْتُهُ عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ بِمَضِيقِ الْوَادِي، فَرَرْتُ عَلَيْهِ الْقَبَائِلُ، فَيَقُولُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا عَبَّاسُ؟ فَأَقُولُ: سَلِيمٌ، فَيَقُولُ: مَا لِي وَسَلِيمٌ! فَتَمَرُّ بِهِ قَبِيلَةٌ، فَيَقُولُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَأَقُولُ: أَسْلَمُ، فَيَقُولُ: مَا لِي وَلَا سَلَمَ! وَتَمَرُّ جُهَيْنَةٌ، فَيَقُولُ: مَا لِي وَلِجُهَيْنَةٍ! حَتَّى مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي الْخَضِرَاءِ، كَتَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي الْحَدِيدِ، لَا يَرَى مِنْهُمْ إِلَّا الْحَدَقَ، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا أَبَا الْفَضْلِ؟ فَقُلْتُ:

هَذَا رَسُولُ اللَّهِ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْفَضْلِ، لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ عَظِيمًا فَقُلْتُ: وَيْحَكَ إِنَّهَا النُّبُوَّةُ! فَقَالَ: نَعَمْ إِذَا، فَقُلْتُ: الْحَقُّ الْآنَ بِقَوْمِكَ فَخَذَرَهُمْ، فَخَرَجَ سَرِيعًا حَتَّى أَتَى مَكَّةَ، فَصَرَخَ فِي الْمَسْجِدِ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هَذَا مُحَمَّدٌ قَدْ جَاءَكُمْ بِمَا لَا قَبْلَ لَكُمْ بِهِ! قَالُوا: فَهَ! فَقَالَ: مَنْ دَخَلَ دَارِي فَهُوَ آمِنٌ، فَقَالُوا: وَيْحَكَ! وَمَا تُغْنِي عَنَّا دَارُكَ! فَقَالَ: وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ.

حَدَّثَنِي عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا، أَبَانُ الْعَطَّارُ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ عُرْوَةَ، أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ كَتَبْتَ إِلَيَّ تَسْأَلُنِي عَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ: هَلْ اغَارَ يَوْمَ الْفَتْحِ؟ وَيَأْمُرُ مَنْ أَغَارَ؟ وَإِنَّهُ كَانَ مِنْ شَأْنِ خَالِدٍ يَوْمَ الْفَتْحِ أَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ص، فَلَمَّا رَكِبَ النَّبِيُّ بَطْنَ مَرٍّ عَامِدًا إِلَى مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَتْ قُرَيْشٌ بَعَثُوا أَبَا سُفْيَانَ وَحَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ يَتَلَقِيَانِ رَسُولَ اللَّهِ ص، وَهُمَا حِينَ بَعَثُوهُمَا لَا يَدْرُونَ أَيْنَ يَتَوَجَّهُ النَّبِيُّ ص! إِلَيْهِمْ أَوْ إِلَى الطَّائِفِ! وَذَلِكَ أَيَّامَ الْفَتْحِ، وَاسْتَتَبَعَ أَبُو سُفْيَانَ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ بُدَيْلَ بْنَ وَرْقَاءَ، وَأَحْبَابًا أَنْ يَصْحَبَهُمَا، وَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ أَبِي سُفْيَانَ وَحَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ وَبُدَيْلٍ، وَقَالُوا لَهُمْ حِينَ بَعَثُوهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص: لَا تُؤْتَيْنَ مِنْ وَرَائِكُمْ، فَإِنَّا لَا نَدْرِي مَنْ يُرِيدُ مُحَمَّدًا! إِيَّانَا يُرِيدُ، أَوْ هَوَازِنَ يُرِيدُ، أَوْ ثَقِيفًا! وَكَانَ بَيْنَ النَّبِيِّ ص وَبَيْنَ قُرَيْشٍ صَلَاحُ يَوْمِ الْحُدَيْبِيَّةِ وَعَهْدٌ وَمُدَّةٌ، فَكَانَتْ بَنُو بَكْرِ فِي ذَلِكَ الصُّلْحِ مَعَ قُرَيْشٍ، فَاقْتَتَلَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي كَعْبٍ وَطَائِفَةٌ مِنْ بَنِي بَكْرِ، وَكَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَبَيْنَ قُرَيْشٍ فِي ذَلِكَ الصُّلْحِ الَّذِي اصْطَلَحُوا عَلَيْهِ: لَا أَغْلَالُ وَلَا أَغْلَالُ، فَأَعَانَتْ قُرَيْشٌ بَنِي بَكْرِ بِالسَّلَاحِ، فَاتَّهَمَتْ بَنُو كَعْبٍ قُرَيْشًا، فَفُتِنَا غَزَا رَسُولِ اللَّهِ ص أَهْلَ مَكَّةَ، وَفِي غَزْوَتِهِ تَلَقَى أَبُو سُفْيَانَ وَحَكِيمًا وَبُدَيْلًا بِمَرِّ الظَّهْرَانِ، وَلَمْ يَشْعُرُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص نَزَلَ مَرًّا، حَتَّى طَلَعُوا عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَوْهُ بِمَرٍّ، دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو سُفْيَانَ وَبُدَيْلٌ وَحَكِيمٌ بِمَنْزِلِهِ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ فَبَايَعُوهُ، فَلَمَّا بَايَعُوهُ بَعْثَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى قُرَيْشٍ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأُخْبِرْتُ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ - وَهِيَ بِأَعْلَى مَكَّةَ - وَمَنْ دَخَلَ دَارَ حَكِيمٍ - وَهِيَ بِأَسْفَلَ مَكَّةَ - فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ وَكَفَّ يَدَهُ فَهُوَ آمِنٌ.

وَأَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ وَحَكِيمٌ مِنَ النَّبِيِّ ص عَامِدِينَ إِلَى مَكَّةَ، بَعَثَ فِي إِثْرِهِمَا الزُّبَيْرَ وَأَعْطَاهُ رَايَتَهُ، وَأَمَرَهُ عَلَى خَيْلِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

وَأَمَرَهُ أَنْ يَغْرَزَ رَايَتَهُ بِأَعْلَى مَكَّةَ بِالْحُجُونِ، وَقَالَ لِلزُّبَيْرِ: لَا تَبْرَحْ حَيْثُ أَمَرْتُكَ أَنْ تَغْرَزَ رَايَتِي حَتَّى آتِيكَ، وَمِنْ ثَمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص، وَأَمَرَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ - فِيمَنْ كَانَ أَسْلَمَ مِنْ قِضَاعَةَ وَبَنِي سَلِيمٍ وَأَنَاسٍ، إِنَّمَا أَسْلَمُوا قَبِيلَ ذَلِكَ - أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أَسْفَلَ مَكَّةَ، وَبِهَا بَنُو بَكْرِ قَدْ اسْتَنْفَرْتَهُمْ قُرَيْشٌ، وَبَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ وَمَنْ كَانَ مِنَ الْأَحَابِيشِ أَمَرْتَهُمْ قُرَيْشٌ أَنْ يَكُونُوا بِأَسْفَلَ مَكَّةَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنْ أَسْفَلَ مَكَّةَ.

وَحَدَّثَ أَنَّ النَّبِيَّ ص قَالَ لَخَالِدٍ وَالزُّبَيْرِ حِينَ بَعَثَهُمَا:

لَا تُقَاتِلَا إِلَّا مَنْ قَاتَلَكُمَا، فَلَمَّا قَدِمَ خَالِدٌ عَلَى بَنِي بَكْرِ وَوَالْأَحَابِيشِ بِأَسْفَلَ مَكَّةَ، قَاتَلَهُمْ فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يَكُنْ بِمَكَّةَ قِتَالٌ غَيْرَ

ذَلِكَ، غَيْرَ أَنْ كُرْزَ بْنَ جَابِرٍ أَحَدَ بَنِي مُحَارِبِ بْنِ فَهْرِ وَابْنِ الْأَشْعَرِ- رَجُلًا مِنْ بَنِي كَعْبٍ- كَانَا فِي خَيْلِ الزُّبَيْرِ فَسَلَكَا كُدَاءً، وَلَمْ يَسْلُكَا طَرِيقَ الزُّبَيْرِ الَّذِي سَلَكَ، الَّذِي أَمَرَ بِهِ فَقَدَمَا عَلَى كَتِيبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ مَهْطَ كُدَاءً فَقُتِلَا، وَلَمْ يَكُنْ بِأَعْلَى مَكَّةَ مِنْ قَبْلِ الزُّبَيْرِ قِتَالٌ، وَمِنْ ثَمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ ص، وَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ يَبَايَعُونَهُ، فَأَسْلَمَ أَهْلُ مَكَّةَ، وَاقَامَ النَّبِيُّ ص عِنْدَهُمْ نِصْفَ شَهْرٍ، لَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى جَاءَتْ هَوَازِنُ وَثَقِيفٌ فَزَلُّوا بِحَنِينٍ.

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَجِيحٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ص حِينَ فَرَّقَ جَيْشَهُ مِنْ ذِي طُوًى، أَمَرَ الزُّبَيْرَ أَنْ يَدْخُلَ فِي بَعْضِ النَّاسِ مِنْ كُدَى، وَكَانَ الزُّبَيْرُ عَلَى الْمَجْنَبَةِ الْيُسْرَى، فَأَمَرَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ أَنْ يَدْخُلَ فِي بَعْضِ النَّاسِ مِنْ كُدَاءَ فَرَعَمَ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ سَعْدًا قَالَ حِينَ وَجَّهَ دَاخِلًا: الْيَوْمَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْحَرَمَةُ فَسَمِعَهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، [فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْمَعْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمَا نَأْمَنُ أَنْ تَكُونَ لَهُ فِي قُرَيْشٍ صَوْلَةٌ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ:

أَدْرَكَهُ فُخْدُ الرَّايَةِ، فَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تَدْخُلُ بِهَا]

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَجِيحٍ فِي حَدِيثِهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص أَمَرَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، فَدَخَلَ مِنَ اللَّيْطِ أَسْفَلَ مَكَّةَ، فِي بَعْضِ النَّاسِ، وَكَانَ خَالِدٌ عَلَى الْمَجْنَبَةِ الْيُمْنَى، وَفِيهَا أَسْلَمَ وَغَفَارٌ وَمُرَيْنَةُ وَجُهَيْنَةُ وَقَبَائِلُ مِنَ قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَأَقْبَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ بِالصَّفِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَنْصُبُ لِمَكَّةَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ أَدَاخِرِ، حَتَّى نَزَلَ بِأَعْلَى مَكَّةَ، وَضُرِبَتْ هُنَاكَ قَبْتُهُ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَجِيحٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ أَمِيهِ، وَعَكْرَمَةَ ابْنَ أَبِي جَهْلٍ، وَسَهِيلَ بْنَ عَمْرٍو، وَكَانُوا قَدْ جَمَعُوا أَنْاسًا بِالْخُدَمَةِ لِيُقَاتِلُوا، وَقَدْ كَانَ حِمَاسُ بْنُ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ أَخُو بَنِي بَكْرِ يُعِدُّ سِلَاحًا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ رَسُولُ اللَّهِ ص مَكَّةَ وَيُصْلِحُ مِنْهَا، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ:

لِمَاذَا تَعْدُ مَا أَرَى؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَرَاهُ يَقُومُ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ شَيْءً، قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَخْدَمَكَ بَعْضُهُمْ، فَقَالَ: ان تَقْبَلُوا الْيَوْمَ فَمَا لِي عَلَيْهِ... هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَاللَّهِ وَذُو غَرَارِينَ سَرِيعُ السَّلَةِ.

ثُمَّ شَهِدَ الْخُدَمَةَ مَعَ صَفْوَانَ وَسَهِيلَ بْنِ عَمْرٍو وَعَكْرَمَةَ، فَلَمَّا لَقِيَهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ نَاشَوْهُمْ شَيْئًا مِنْ قِتَالٍ، فَقَتَلَ كُرْزَ ابْنَ جَابِرِ بْنِ حَسَلِ بْنِ الْأَجَبِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ شَيْبَانَ بْنِ مُحَارِبِ بْنِ فَهْرِ، وَحَبِيشَ بْنَ خَالِدٍ، وَهُوَ الْأَشْعَرُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ أَصْرَمَ بْنِ ضَبْيَسٍ

ابْنِ حَرَامِ بْنِ حَبِيشَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو، حَلِيفُ بَنِي مُنْقِذٍ- وَكَانَا فِي خَيْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَشَدَّ عَنْهُ، وَسَلَكَا طَرِيقًا غَيْرَ طَرِيقِهِ، فَقُتِلَا جَمِيعًا- قُتِلَ خُنَيْسٌ قَبْلَ كُرْزِ بْنِ جَابِرٍ، فَجَعَلَهُ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ رَجُلِيهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ وَهُوَ يَرْتَجِزُ، وَيَقُولُ: قَدْ عَلِمْتُ صَفْرَاءَ مِنْ بَنِي فَهْرِ... نَقِيَّةُ الْوَجْهِ نَقِيَّةُ الصَّدْرِ لَأَضْرِبَنَّ الْيَوْمَ عَنْ أَبِي صَخْرٍ.

وَكَانَ خُنَيْسٌ يُكْنَى بِأَبِي صَخْرٍ، وَأُصِيبَ مِنْ جُهَيْنَةَ سَلَمَةُ بْنُ الْمِلَاءِ مِنْ خَيْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَأُصِيبَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَنْاسٌ قَرِيبٌ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ أَوْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ ثُمَّ أَنْهَزُوا، فَخَرَجَ حِمَاسُ مِنْهُمْ، حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ، ثُمَّ قَالَ لَامْرَأَتِهِ: أَغْلِقِي عَلَيَّ بَابِي، قَالَتْ: فَأَيْنَ مَا كُنْتَ تَقُولُ؟ فَقَالَ:

إِنَّكَ لَوْ شِهِدْتَ يَوْمَ الْخُدَمَةِ... إِذْ فَرَّ صَفْوَانُ وَفَرَّ عَكْرَمَةُ

وَأَبُو يَزِيدَ قَائِمٌ كَالْمُؤَمَّةِ ... وَاسْتَقْبَلَتْهُمْ بِالسُّيُوفِ الْمُسَلَّهِةِ
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمُحَةٍ ... ضَرْبًا فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَةً
لَهُمْ نَهَيْتُ خَلْفَنَا وَهَمَّهُمْ ... لَمْ تَنْطَقِ فِي الْوُجُوهِ أَدْنَى كَلِمَةٍ
حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَدْ عَهْدَ إِلَى أَمْرَائِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حِينَ أَمَرَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا مَكَّةَ، أَلَّا يَقْتُلُوا أَحَدًا إِلَّا مَنْ قَاتَلَهُمْ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ عَهْدَ فِي
نَفَرِ سَمَاءِهِمْ، أَمَرَ بِقَتْلِهِمْ وَأَنْ وَجِدُوا تَحْتَ اسْتَارِ الْكَعْبَةِ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ

ابن أبي سرج بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي - وإنما امر رسول الله ص بقتله، لأنه كان قد أسلم
فارتد مشركاً، ففر إلى عثمان، وكان أخاه من الرضاعة، فغيبه حتى أتى به رسول الله ص بعد أن أطمأن أهل مكة، فاستأمن له رسول
الله، فذكر أن رسول الله ص صمت طويلاً، ثم قال: نعم، فلما انصرف به عثمان، [قال رسول الله ص لمن حوله من أصحابه: أما والله لقد
صمت ليقوم إليهم بعضكم فيضرب عنقه! فقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت إلي يا رسول الله! قال: إن النبي لا يقتل بالإشارة]-
وعبد الله بن خطلي، رجل من بني تيم بن غالب - وإنما امر بقتله لأنه كان مسلماً، فبعثه رسول الله ص مصداً، وبعث معه رجلاً
من الأنصار، وكان معه مولى له يخدمه، وكان مسلماً، فنزل منزلاً، وأمر المولى أن يذبح له تيساً، ويصنع له طعاماً، ونام فاستيقظ
ولم يصنع له شيئاً، فعدا عليه فقتله، ثم ارتد مشركاً، وكانت له قيتان: فرتى وأخرى معها، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ص، فأمر
بقتلهما معه - والخويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد بن قصي، وكان ممن يؤذيه بمكة، ومقيس بن صبابه - وإنما أمر بقتله لقتله الأنصاري
الذي كان قتل أخاه خطأ، ورجوعه إلى قريش مرتداً - وعكرمة بن أبي جهل، وسارة مولاة كانت لبعض بني عبد المطلب، وكانت
ممن يؤذيه بمكة فأما عكرمة بن أبي جهل فهرب إلى اليمن، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنت له رسول الله
فأمنه، فخرجت في طلبه حتى أتته به رسول الله ص، فكان عكرمة يحدث - فيما يذكرون - أن الذي رده إلى الإسلام بعد خروجه إلى
اليمن أنه كان يقول: أردت ركوب البحر لألحق بالحبشة، فلما أتيت السفينة لأركبها قال صاحبها: يا عبد الله، لا تركب سفيني حتى
توحد الله، وتخلع ما دونه من الأنداد، فإني أخشى إن لم تفعل أن نهلك فيها، فقلت: وما يركبه أحد
حتى يوحد الله ويخلع ما دونه! قال: نعم، لا يركبه أحد إلا أخلص.

قال: فقلت: فقيم أفرق محمداً! فهذا الذي جاءنا به، فو الله إن إلهنا في البحر لإلهنا في البر، فعرفت الإسلام عند ذلك، ودخل في
قلي وأما عبد الله ابن خطلي، فقتله سعيد بن حريث المخزومي وأبو برة الأسلمي، اشتراكاً في دمه، وأما مقيس بن صبابه فقتله نميلة
بن عبد الله، رجل من قومه، فقالت أخت مقيس:

لعمري لقد أخزى نميلة رهطه ... ولجج أضياف الشتاء بمقيس
فليله عيناً من رأى مثل مقيس ... إذا النفساء أصبحت لم تحرس!

وأما قينتا ابن خطلي فقتلت إحداهما، وهربت الأخرى حتى استؤمن لها رسول الله ص بعد، فأمنها وأما سارة، فاستؤمن لها فأمنها،
ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرسا له في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح، فقتلها وأما الخويرث بن نقيذ، فقتله علي بن أبي
طالب رضي الله عنه.

وقال الواقدي: امر رسول الله ص بقتل ستة نفر وأربع نسوة، فذكر من الرجال من سمأه ابن إسحاق، ومن النساء هند بنت عتبة ابن

رَبِيعَةَ، فَأَسْلَمْتُ وَبَايَعْتُ، وَسَارَةَ مَوْلَاةَ عَمْرِو بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، قُتِلَتْ يَوْمَئِذٍ، وَقَرِيبَةَ، قُتِلَتْ يَوْمَئِذٍ، وَفَرْتَنَى عَاشَتْ إِلَى خِلَافَةِ عُثْمَانَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُوسَى ابْنِ الْوَجِيهِ، عَنْ قَتَادَةَ السَّدُوسِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَامَ قَائِمًا حِينَ وَقَفَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدُهُ، وَنَصَرَ عَبْدُهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ أَلَا كُلُّ مَأْثَرَةٍ، أَوْ دَمٍ، أَوْ مَالٍ يَدْعَى، فَهُوَ تَحْتَ قَدَمِي هَاتَيْنِ إِلَّا سِدَانَةَ الْبَيْتِ وَسِقَايَةَ الْحَاجِّ.

أَلَا وَقَتِيلُ الْخَطَا مِثْلُ الْعَمْدِ، السُّوْطِ وَالْعَصَا، فِيهِمَا الدِّبَةُ مُغْلَظَةٌ مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ، مِنْهَا أَرْبَعُونَ فِي بَطُونِهَا أَوْلَادُهَا. يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَحْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَظَّمَهَا بِالْأَبَاءِ النَّاسِ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ خَلِقَ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ص: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» الْآيَةَ. يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، وَيَا أَهْلَ مَكَّةَ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخُ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ ثُمَّ قَالَ: أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطَّلَاءُ.

فَاعْتَقَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ ص، وَقَدْ كَانَ اللَّهُ أَمَكْنَهُ مِنْ رِقَابِهِمْ عَنُودًا، وَكَانُوا لَهُ فَيْثًا، فَبِذَلِكَ يُسَمَّى أَهْلُ مَكَّةَ الطَّلَاءُ ثُمَّ اجْتَمَعَ النَّاسُ بِمَكَّةَ لِبَيْعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص عَلَى الْإِسْلَامِ، فَجَلَسَ لَهُمْ - فِيمَا بَلَغَنِي - عَلَى الصَّفَا وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ تَحْتَ رَسُولِ اللَّهِ أَصْفَلُ مِنْ مَجْلِسِهِ يَأْخُذُ عَلَى النَّاسِ فَبَايَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ - فِيمَا اسْتَطَاعُوا - وَكَذَلِكَ كَانَتْ يَبْعَتُهُ لِمَنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ص مِنَ النَّاسِ عَلَى الْإِسْلَامِ فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ بَيْعَةِ الرِّجَالِ بَايَعَ النِّسَاءَ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، فَبَيْنَ هُنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ، مُتَنَكِّبَةً مُتَنَكِّرَةً لِحَدِيثِهَا وَمَا كَانَ مِنْ صَنِيعِهَا بِحَمْزَةٍ، فَهِيَ تَخَافُ أَنْ يَأْخُذَهَا رَسُولُ اللَّهِ ص

٣٠٢٠٨ فيها قتل خراش بن اميه الكعبي جنيد بن الادلع

يُحَدِّثُهَا ذَلِكَ، فَلَمَّا دَنَوْنَ مِنْهُ لِيُبَايِعَنَّهُ [قَالَ، رَسُولُ اللَّهِ ص - فِيمَا بَلَغَنِي -: تَبَايَعْنِي عَلَى أَلَا تُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا! فَقَالَتْ هُنْدُ: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَأْخُذُ عَلَيْنَا أَمْرًا مَا تَأْخُذُهُ عَلَى الرِّجَالِ وَسَنُؤْتِيكَه قَالَ: وَلَا تُسْرِقَنَّ، قَالَتْ: وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لِأَصِيبُ مِنْ مَالِ أَبِي سُفْيَانَ الْهَنَةَ وَالْهَنَةَ وَمَا أَدْرَى أَكَانَ ذَلِكَ حَلَالِي أَمْ لَا! فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ - وَكَانَ شَاهِدًا لِمَا تَقُولُ: أَمَّا مَا أَصَبْتَ فِيمَا مَضَى فَأَنْتِ مِنْهُ فِي حِلٍّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص:

وَأَنْتِ لِهِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ! فَقَالَتْ: أَنَا هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ، فَاعْفُ عَمَّا سَلَفَ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ! قَالَ: وَلَا تَزْنَيْنِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ تَزْنِي الْحُرَّةُ! قَالَ: وَلَا تَقْتُلْنِ أَوْلَادَكُمْ، قَالَتْ: قَدْ رَيْنَاهُمْ صِغَارًا، وَقَتَلْتَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ كِبَارًا، فَأَنْتِ وَهُمْ أَعْلَمُ! فَضَحِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنْ قَوْلِهَا حَتَّى اسْتَغْرَبَ.

قَالَ: وَلَا تَأْتَيْنِ بَيْهَتَانِ تَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيكِنَّ وَأَرْجُلِكِنَّ، قَالَتْ:

وَاللَّهِ إِنْ إِيَّانِ الْبَهْتَانِ لَقَبِيحٌ، وَلِبَعْضِ التَّجَاوُزِ أَمْثَلُ قَالَ: وَلَا تَعْصِيْنِي فِي مَعْرُوفٍ، قَالَتْ: مَا جَلَسْنَا هَذَا الْمَجْلِسَ وَنَحْنُ نُرِيدُ أَنْ نَعْصِيَكَ فِي مَعْرُوفٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِعُمَرَ: بَايِعْنَهُ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ، فَبَايَعْنَهُ عُمَرُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَا يُصَاحُفُ النِّسَاءَ، وَلَا يَمْسُ امْرَأَةً وَلَا تَمْسُهُ إِلَّا امْرَأَةٌ أَحَلَّهَا اللَّهُ لَهُ، أَوْ ذَاتُ مُحَرَّمٍ مِنْهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ، أَنَّ بَيْعَةَ النِّسَاءِ قَدْ كَانَتْ عَلَى نَحْوَيْنِ - فِيمَا أَخْبَرَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ - كَانَ يَوْضَعُ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَ إِنْاءٌ فِيهِ مَاءٌ، فَإِذَا أَخَذَ عَلَيْهِنَ وَأَعْطَيْنَهُ غَمَسَ يَدِهِ فِي الْإِنْاءِ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا فَغَمَسَ النِّسَاءَ أَيْدِيَهُنَ فِيهِ ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَأْخُذُ عَلَيْهِنَ، فَإِذَا أَعْطَيْنَهُ مَا شَرَطَ عَلَيْهِنَ، قَالَ: أَذْهَبْنَ فَقَدْ بَايَعْتَكُنَّ، لَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ . قَالَ الْوَاقِدِيُّ:

فِيهَا قَتْلُ خِرَاشِ بْنِ أُمَيَّةَ الْكَعْبِيِّ جَنِيدِ بْنِ الْأَدْلَعِ

الْهَذَلِيُّ - وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ابْنُ الْأَثْوَعِ الْهَذَلِيُّ - وَإِنَّمَا قَتَلَهُ بِذَحْلِ، كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ [النَّبِيُّ ص:]: إِنْ خِرَاشًا قَتَلَ، إِنْ خِرَاشًا قَتَلَ! يَعْيبُهُ بِذَلِكَ، فَامْرُؤُ النَّبِيِّ ص خِرَازَةُ أَنْ يَدُوهُ] .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ - قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا وَقَدْ حَدَّثَنِي عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ - قَالَ: خَرَجَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ يُرِيدُ جَدَّةَ، لِيَرْكَبَ مِنْهَا إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنْ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ سَيِّدُ قَوْمِهِ، وَقَدْ خَرَجَ هَارِبًا مِنْكَ لِيَقْذِفَ نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ، فَأَمْنُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ! قَالَ: هُوَ أَمِنٌ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْطِنِي شَيْئًا يَعْرِفُ بِهِ أَمَانُكَ، فَأَعْطَاهُ عِمَامَتَهُ الَّتِي دَخَلَ فِيهَا مَكَّةَ، فَخَرَجَ بِهَا عُمَيْرٌ حَتَّى أَدْرَكَهُ بِجَدَّةَ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَرْكَبَ الْبَحْرَ، فَقَالَ: يَا صَفْوَانُ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي! أَذْكُرُكَ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ أَنْ تَهْلِكَمَا! فَهَذَا أَمَانٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ جِئْتُكَ بِهِ، قَالَ:

وَيْلَكَ! اغْرُبْ عَنِّي فَلَا تُكَلِّمْنِي! قَالَ: أَيُّ صَفْوَانُ! فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي! أَفْضَلُ النَّاسِ، وَأَبَرُّ النَّاسِ، وَأَحْلَمُ النَّاسِ، وَخَيْرُ النَّاسِ، ابْنُ عَمَّتِكَ، عَزْرَةُ عَزْرِكَ، وَشَرَفُهُ شَرَفُكَ، وَمُلْكُهُ مُلْكُكَ! قَالَ: إِنِّي أَخَافُهُ عَلَى نَفْسِي، قَالَ: هُوَ أَحْلَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَكْرَمُ، فَارْجِعْ بِهِ مَعَهُ، حَتَّى قَدِمَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فَقَالَ صَفْوَانُ: إِنْ هَذَا زَعَمَ أَنَّكَ قَدْ أَمَّنْتَنِي، قَالَ: صَدَقَ، قَالَ: فَاجْعَلْنِي فِي أَمْرِي بِأَخْيَارِ شَهْرَيْنِ، قَالَ: أَنْتَ فِيهِ بِأَخْيَارِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، أَنَّ أُمَّ حَكِيمٍ بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ وَفَاحِشَةَ بِنْتَ الْوَلِيدِ - وَكَانَتْ فَاحِشَةُ عِنْدَ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَأُمُّ حَكِيمٍ عِنْدَ عِكْرَمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ - أَسْلَمَتَا، فَأَمَّا أُمُّ حَكِيمٍ فَاسْتَأْمَنَتْ رَسُولَ اللَّهِ لِعِكْرَمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ، فَأَمْنَهُ، فَلَحِقَتْ بِهِ بِالْيَمَنِ، فَجَاءَتْ بِهِ، فَلَمَّا أَسْلَمَ عِكْرَمَةُ وَصَفْوَانُ، أَقْرَاهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ص عِنْدَهُمَا عَلَى النِّكَاحِ الْأَوَّلِ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص مَكَّةَ هَرَبَ هُبَيْرَةَ بْنِ أَبِي وَهَبٍ الْمُخَزُومِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِيِّ السَّهْمِيُّ إِلَى نَجْرَانَ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: رَمَى حَسَّانُ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِيِّ وَهُوَ بِنَجْرَانَ بَيْتَ وَاحِدٍ، مَا زَادَهُ عَلَيْهِ:

لَا تَعْدَمَنَّ رَجُلًا أَحَلَّكَ بُغْضَهُ ... نَجْرَانَ فِي عَيْشٍ أَحَدًا لَيْمٍ

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ ابْنُ الزُّبَيْرِيِّ، رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَقَالَ حِينَ أَسْلَمَ:

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنَّ لِسَانِي ... رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بَوْرٌ

إِذْ أَبَارِي الشَّيْطَانَ فِي سِنَنِ الرَّيْحِ ... وَمَنْ مَالٌ مِثْلُهُ مَثْبُورٌ

أَمِنْ اللَّحْمِ وَالْعِظَامِ لِرَبِّي ... ثُمَّ نَفْسِي الشَّهِيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ

إِنِّي عَنْكَ زَاجِرٌ ثُمَّ حَيٌّ ... مِنْ لَوْيٍ فَكُلُّهُمْ مَغْرُورٌ

وَأَمَّا هُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ، فَأَقَامَ بِهَا كَافِرًا، وَقَدْ قَالَ حِينَ بَلَغَهُ إِسْلَامُ أُمِّ هَانِيٍّ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ وَكَانَتْ تَحْتَهُ، وَاسْمُهَا هِنْدٌ:

أَشَاقَتَكَ هُنْدُ أُمِّ نَاكَ سُؤَالَهَا ... كَذَاكَ النَّوَى أَسْبَابَهَا وَانْفِتَالَهَا
حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف، من بني غفار أربعمائة، ومن اسلم أربعمائة، ومن مزينة ألف وثلاثة نفر، ومن بني سليم

٣٠٢٠٩ في هذه السنة تزوج رسول الله ص مليكة بنت داود الليثية،

٣٠٢١٠ وفيها هدم خالد بن الوليد العزى ببطن نخلة،

سبعمائة، ومن جهينة ألف وأربعمائة رجل، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من بني تميم وقيس وأسد . قَالَ الواقدي:

فِي هَذِهِ السَّنَةِ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ص مَلِيكَةَ بِنْتِ دَاوُدَ اللَّيْثِيَّةِ،

لَجَاءَ إِلَيْهَا بَعْضُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ص، فَقَالَتْ لَهَا: أَلَا تَسْتَحِينِ حِينَ تَزَوِّجِينَ رَجُلًا قَتَلَ أَبَاكَ! فَاسْتَعَاذَتْ مِنْهُ، وَكَانَتْ جَمِيلَةً، وَكَانَتْ حَدِثَةً، فَفَارَقَهَا رَسُولُ اللَّهِ، وَكَانَ قَتْلُ أَبَاهَا يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ . قَالَ:

وَفِيهَا هَدَمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْعَزْيَ بِبَطْنِ نَخْلَةٍ،

خَمْسَ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَهُوَ صَنْمٌ لِبَنِي شَيْبَانَ، بَطْنٌ مِنْ سُلَيْمٍ حُلَفَاءُ بَنِي هَاشِمٍ، وَبَنُو أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْيِ، يَقُولُونَ: هَذَا صَنْمُنَا، نَخْرُجُ إِلَيْهِ خَالِدًا، فَقَالَ: قَدْ هَدَمْتُهُ، قَالَ: أَرَأَيْتَ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَارْجِعْ فَاهْدَمْهُ، فَارْجَعَ خَالِدٌ إِلَى الصَنْمِ فَهَدَمَ بَيْتَهُ، وَكَسَرَ الصَنْمَ، فَجَعَلَ السَّادَنُ يَقُولُ: أَعَزَى اغْضَبِي بَعْضَ غَضَبَاتِكَ! نَخَرَجْتَ عَلَيْهِ امْرَأَةً حَبَشِيَّةً عَرِيَانَةً مَوْلُودَةً، فَقَتَلَهَا وَأَخَذَ مَا فِيهَا مِنْ حَلِيَّةٍ، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ص، فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ:

تِلْكَ الْعَزْيُ، وَلَا تَعْبُدِ الْعَزْيَ أَبَدًا.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى الْعَزْيِ - وَكَانَتْ بِنَخْلَةٍ، وَكَانَتْ بَيْتًا يَعِظُمُهُ هَذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانَتْ وَمُضَرَ كُلِّهَا، وَكَانَتْ سَدَنُهَا مِنْ بَنِي شَيْبَانَ، مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ حُلَفَاءُ بَنِي هَاشِمٍ - فَلَمَّا سَمِعَ صَاحِبُهَا بِمَسِيرِ خَالِدٍ إِلَيْهَا، عَلَّقَ عَلَيْهَا سَيْفَهُ، وَأَسْنَدَ فِي الْجَبَلِ الَّذِي هِيَ إِلَيْهِ فَأَصْعَدَ فِيهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

أَيَا عَزُّ شُدِّي شَدَّةً لَا شَوَى لَهَا ... عَلَى خَالِدٍ أَلْقِي الْقِنَاعَ وَشَمِيرِي
وَيَا عَزُّ إِنْ لَمْ تَقْتُلِي الْيَوْمَ خَالِدًا ... فَبُؤْيِي بِإِثْمٍ عَاجِلٍ أَوْ تَنْصُرِي

٣٠٢١١ وفيها هدم سواع،

٣٠٢١٢ وفيها هدم مناه بالمشلل،

٣٠٢١٣ مسير خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن مالك

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهَا خَالِدٌ هَدَمَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص

قَالَ الْوَاقِدِيُّ:

وَفِيهَا هَدَمَ سَوَاعٌ،

وَكَانَ بَرُهَاطٍ لِهَذِي، وَكَانَ حَجْرًا، وَكَانَ الَّذِي هَدَمَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لَمَّا انْتَهَى إِلَى الصَّنَمِ، قَالَ لَهُ السَّادِنُ: مَا تُرِيدُ؟ قَالَ: هَدَمْتُ سُوَاعَ، قَالَ: لَا تَطِيقُ تَهْدِمُهُ، قَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: أَنْتَ فِي الْبَاطِلِ بَعْدُ! فَهَدَمَهُ عَمْرُو، وَلَمْ يَجِدْ فِي خِرَاتِهِ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ عَمْرُو لِلْسَّادِنِ: كَيْفَ رَأَيْتَ؟ قَالَ: أَسْلَمْتُ وَاللَّهِ . وَفِيهَا هَدَمَ مَنَاةَ بِالْمُثَلِّلِ،

هَدَمَهُ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ الْأَشْهَلِي، وَكَانَ لِلْأَوْسِ وَالخُزَرَجِ

. مَسِيرَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ بْنِ مَالِكٍ وَفِيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بِبَنِي جَذِيمَةَ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِهِمْ مَا حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: قَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص بَعَثَ فِيمَا حَوْلَ مَكَّةَ السَّرَايَا تَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ بِقِتَالِ، وَكَانَ مِّنْ بَعَثَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَأَمْرَهُ أَنْ يَسِيرَ بِأَسْفَلَ تِهَامَةَ دَاعِيًا، وَلَمْ يَبْعَثْهُ مُقَاتِلًا، فَوُطِئَ بَنِي جَذِيمَةَ، فَأَصَابَ مِنْهُمْ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ عَبَّادِ بْنِ حُنَيْفٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنٍ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص حِينَ افْتَتَحَ مَكَّةَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ دَاعِيًا وَلَمْ يَبْعَثْهُ مُقَاتِلًا، وَمَعَهُ قِبَائِلُ مِنَ الْعَرَبِ: سُلَيْمٌ وَمَذْلُجٌ، وَقِبَائِلُ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَلَمَّا نَزَلُوا عَلَى الْغُمَيْصَاءِ - وَهِيَ مَاءٌ مِنْ مِيَاهِ بَنِي جَذِيمَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ ابْنِ كِنَانَةَ - عَلَى جَمَاعَتِهِمْ، وَكَانَتْ بَنُو جَذِيمَةَ قَدْ أَصَابُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَوْفَ بْنِ عَبْدِ عَوْفٍ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَالْفَاكَةَ ابْنَ الْمُغِيرَةَ - وَكَانَا أَقْبَلَا تَاجِرِينَ مِنَ الْيَمَنِ - حَتَّى إِذَا نَزَلَا بِهِمْ قَتَلُوهُمَا، وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمَا، فَلَمَّا كَانَ الْإِسْلَامُ، وَبَعَثَ

رَسُولُ اللَّهِ ص خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، سَارَ حَتَّى نَزَلَ ذَلِكَ الْمَاءِ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمَ أَخَذُوا السِّلَاحَ، فَقَالَ لَهُمْ خَالِدٌ: ضَعُوا السِّلَاحَ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ أَسْلَمُوا.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي جَذِيمَةَ، قَالَ: لَمَّا أَمَرْنَا خَالِدٌ بِوَضْعِ السِّلَاحِ، قَالَ رَجُلٌ مِّنَّا يُقَالُ لَهُ جَحْدَمٌ: وَيْلَكُمْ يَا بَنِي جَذِيمَةَ! إِنَّهُ خَالِدٌ! وَاللَّهِ مَا بَعْدَ وَضْعِ السِّلَاحِ إِلَّا الْإِسَارُ، ثُمَّ مَا بَعْدَ الْإِسَارِ إِلَّا ضَرْبُ الْأَعْنَاقِ، وَاللَّهِ لَا أَضْعُ سِلَاحِي أَبَدًا قَالَ: فَأَخَذَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَقَالُوا: يَا جَحْدَمُ، أَتُرِيدُ أَنْ تَسْفِكَ دِمَاءَنَا! إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَسْلَمُوا، وَوُضِعَتِ الْحَرْبُ، وَأَمِنَ النَّاسُ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى نَزَعُوا سِلَاحَهُ، وَوَضَعَ الْقَوْمُ السِّلَاحَ لِقَوْلِ خَالِدٍ، فَلَمَّا وَضَعُوهُ أَمَرَ بِهِمْ خَالِدٌ عِنْدَ ذَلِكَ فَكَتَفُوا، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى السَّيْفِ، فَقَتَلَ مِنْ قَتَلَ مِنْهُمْ فَلَمَّا انْتَهَى الْخَبَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ! ثُمَّ دَعَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ع، [فَقَالَ: يَا عَلِيُّ اخْرُجْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، فَانْظُرْ فِي أَمْرِهِمْ، وَاجْعَلْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيْكَ فَخَرَجَ حَتَّى جَاءَهُمْ وَمَعَهُ مَالٌ قَدْ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص بِهِ، فَوَدِيَ لَهُمُ الدِّمَاءَ وَمَا أُصِيبَ مِنَ الْأَمْوَالِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَدِي مِيلَغَةَ الْكَلْبِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنْ دَمٍ وَلَا مَالٍ إِلَّا وَدَاهُ، بَقِيَتْ مَعَهُ بَقِيَّةٌ مِنَ الْمَالِ.

فَقَالَ لَهُمْ عَلَى عَ حِينَ فَرَغَ مِنْهُمْ: هَلْ بَقِيَ لَكُمْ دَمٌ أَوْ مَالٌ لَمْ يُوَدَ إِلَيْكُمْ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَإِنِّي أُعْطِيكُمْ هَذِهِ الْبَقِيَّةَ مِنْ هَذَا الْمَالِ احتياطاً لِرَسُولِ اللَّهِ ص مِمَّا لَا يَعْلَمُ وَلَا تَعْلَمُونَ فَفَعَلَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: أَصَبْتَ وَأَحْسَنْتَ [ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ قَائِمًا شَاهِرًا يَدَيْهِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَرَى بَيَاضَ

مَا تَحْتَ مَنْكِبَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ! قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ قَالَ بَعْضُ مَنْ يَعْدُرُ خَالِدًا: إِنَّهُ قَالَ: مَا قَاتَلْتُ حَتَّى أَمَرَنِي بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُدَافَةَ السَّهْمِيُّ، وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَمَرَكَ بِقَتْلِهِمْ لَا مِتْنَاعِهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ،

وَقَدْ كَانَ جَحْدَمُ قَالَ لَهُمْ حِينَ وَضَعُوا سِلَاحَهُمْ، وَرَأَى مَا يَصْنَعُ خَالِدُ بْنُ جَدِيْمَةَ: يَا بَنِي جَدِيْمَةَ، ضَاعَ الضَّرْبُ، قَدْ كُنْتُ حَذَرْتُكُمْ مَا وَقَعْتُ فِيهِ! حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ - فِيمَا بَلَغَنِي - كَلَامٌ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ: عَمِلْتَ بِأَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ! فَقَالَ: إِنَّمَا ثَارَتْ بِأَيْكَ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: كَذَبْتَ! قَدْ قَتَلْتَ قَاتِلَ أَبِي، وَلَكِنَّكَ إِنَّمَا ثَارَتْ بِعَمَلِكَ الْفَاكِهَ بْنِ الْمُغِيرَةَ، حَتَّى كَانَ بَيْنَهُمَا شَيْءٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ص، [فَقَالَ: مَهْلًا يَا خَالِدُ! دَعْ عَنْكَ أَصْحَابِي، فَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ لَكَ أَحَدٌ ذَهَبًا ثُمَّ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا أَدْرَكَتْ غَدْوَةَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي وَلَا رَوْحَتَهُ].

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأُمَوِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، جَمِيعًا عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ الْمُغِيرَةَ بْنِ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَدَرْدٍ الْأَسْلَبِيِّ، عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَدَرْدٍ، قَالَ: كُنْتُ يَوْمَئِذٍ فِي خَيْلِ خَالِدٍ، فَقَالَ لِي فَتَى مِنْهُمْ - وَهُوَ فِي السَّيِّ، وَقَدْ جَمَعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِرُمَةٍ وَلِنِسْوَةٍ مَجْتَمِعَاتٍ غَيْرَ بَعِيدٍ مِنْهُ: يَا فَتَى! قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ أَنْتَ آخِذٌ بِهَذِهِ الرُّمَةِ فَقَائِدِي بِهَا إِلَى هَؤُلَاءِ النِّسْوَةِ، حَتَّى أَقْضَى

إِلَيْهِنَّ حَاجَةً، ثُمَّ تَرَدَّنِي بَعْدُ، فَتَصَنَعُوا بِي مَا بَدَأَ لَكُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ لَيْسَ بِمَا سَأَلْتُ، فَأَخَذْتُ بِرُمَتِهِ فَقَدْتُهُ بِهَا حَتَّى أَوْقَفْتُهُ عَلَيْهِنَّ، فَقَالَ:

أَسْلَبِي حَيْشُ، عَلَى نَفْدِ الْعَيْشِ:

أَرَيْتُكَ إِذْ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ ... بِحِلْيَةٍ أَوْ الْفَيْتُكُمْ بِالْخَوَاتِقِ!

أَلَمْ يَكْ حَقًّا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقٌ ... تَكَلَّفَ إِدْلَاجَ السَّرَى وَالْوَدَاقِ!

فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ أَهْلُنَا مَعًا ... أَتَيْتُ بُوْدَّ قَبْلَ إِحْدَى الصَّفَاقِ!

أَتَيْتُ بُوْدَّ قَبْلَ أَنْ تَشْحَطَ النَّوَى ... وَيَتَأَى الْأَمِيرُ بِالْحَبِيبِ الْمَفَارِقِ

فَإِنِّي لَا سِرًّا لَدَيَّ أَضَعْتُهُ ... وَلَا رَاقَ عَيْنِي بَعْدَ وَجْهِكَ رَاقٍ

عَلَى أَنْ مَا نَابَ الْعَشِيرَةَ شَاغِلٌ ... وَلَا ذُكْرًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَوَامِقِ

قَالَتْ: وَأَنْتَ لَحَيْتَ عَشْرًا، وَسَبْعًا وَتَرًّا، وَتَمَانِيًا تَرَى! ثُمَّ أَنْصَرَفْتُ بِهِ، فَقَدِمَ فَضْرَبْتُ عَنْقَهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي فِرَاسِ بْنِ أَبِي سَنْبَلَةَ الْأَسْلَبِيِّ، عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْهُمْ، عَنْ عَمْرِو بْنِ حَضْرَاهَا، قَالُوا:

قَامَتْ إِلَيْهِ حِينَ ضَرَبْتُ عَنْقَهُ، فَأَكْبَتَ عَلَيْهِ، فَمَا زَالَتْ تَقْبَلُهُ حَتَّى مَاتَ عِنْدَهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ

ص بِمَكَّةَ بَعْدَ فَتْحِهَا خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً يَقْصُرُ الصَّلَاةَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ فَتْحُ مَكَّةَ لِعَشْرِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانَ.

٣٠٢٠١٤ ذكر الخبر عن غزوه رسول الله ص هوازن بجنين

٥٤٥٢٤١ ذكر الخبر عن غزوه رسول الله ص هوازن بجنين

وَكَانَ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْرِ هَوَازَنَ مَا حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ بْنِ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ وَعَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنُ

عَبْدِ الْوَارِثِ - قَالَ عَلِيُّ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، وَقَالَ عَبْدُ الْوَارِثِ: حَدَّثَنَا أَبِي - قَالَ: حَدَّثَنَا أَبَانُ الْعَطَّارُ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ،

عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ:

أقام النبي ص بِمَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ نِصْفَ شَهْرٍ، لَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى جَاءَتْ هَوَازِنٌ وَثَقِيفٌ، فَنَزَلُوا بِحَنْيْنٍ - وَحَنْيْنٌ وَادٍ إِلَى جَنْبِ ذِي الْمَجَازِ - وَهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِدُونَ يَرِيدُونَ قِتَالَ النَّبِيِّ ص، وَكَانُوا قَدْ جَمَعُوا قَبْلَ ذَلِكَ حِينَ سَمِعُوا بِمَخْرَجِ رَسُولِ اللَّهِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَرِيدُهُمْ حَيْثُ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ أَنَّهُ قَدْ نَزَلَ مَكَّةَ، أَقْبَلَتْ هَوَازِنٌ عَامِدِينَ إِلَى النَّبِيِّ ص، وَأَقْبَلُوا مَعَهُمُ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ وَالْأَمْوَالُ - وَرَأْسُ هَوَازِنٍ يَوْمَئِذٍ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ أَحَدُ بَنِي نَصْرٍ - وَأَقْبَلَتْ مَعَهُمْ ثَقِيفٌ، حَتَّى نَزَلُوا حَنِينًا يَرِيدُونَ النَّبِيَّ ص، فَلَمَّا حَدَّثَ النَّبِيُّ وَهُوَ بِمَكَّةَ أَنَّ قَدْ نَزَلَتْ هَوَازِنٌ وَثَقِيفٌ بِحَنْيْنٍ، يَسُوقُهُمْ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ أَحَدُ بَنِي نَصْرٍ - وَهُوَ رَأْسُهُمْ يَوْمَئِذٍ - عَمَدَ النَّبِيِّ ص حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَوَافَاهُمْ بِحَنْيْنٍ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَانَ فِيهَا مَا ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْكِتَابِ، وَكَانَ الَّذِي سَاقُوا مِنَ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ وَالْمَالِ غَنِيمَةً غَنِمَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولُهُ، فَقَسَمَ أَمْوَالَهُمْ فِيمَنْ كَانَ أَسْلَمَ مَعَهُ مِنْ قُرَيْشٍ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

لَمَّا سَمِعَتْ هَوَازِنُ بِرَسُولِ اللَّهِ ص وَمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ مَكَّةَ، جَمَعَهَا مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ النَّصْرِيُّ، وَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ مَعَ هَوَازِنٍ ثَقِيفٌ كُلُّهَا، فَجَمَعَتْ نَصْرٌ وَجُشَمٌ كُلُّهَا وَسَعْدُ بْنُ بَكْرٍ وَنَاسٌ مِنْ بَنِي هَلَالٍ، وَهُمْ قَلِيلٌ، وَلَمْ يَشْهَدْهَا مِنْ قَيْسِ عِيلَانَ إِلَّا هَؤُلَاءِ، وَغَابَتْ عَنْهَا فَلَمْ يَحْضُرْهَا مِنْ هَوَازِنٍ كَعْبٌ وَلَا كَلَابٌ، وَلَمْ يَشْهَدْهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ لَهُ اسْمٌ، وَفِي جُشَمٍ دَرِيدُ بْنُ الصَّمَةِ شَيْخٌ كَبِيرٌ، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ إِلَّا التَّيْمَنُ بِرَأْيِهِ وَمَعْرِفَتُهُ بِالْحَرْبِ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا مَجْرِبًا، وَفِي ثَقِيفٍ سَيِّدَانِ لَهُمَا فِي الْأَحْلَافِ: قَارِبُ بْنُ الْأَسْوَدِ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَفِي بَنِي مَالِكٍ ذُو الْخَمَارِ سَبِيعُ بْنُ الْحَارِثِ وَأَخُوهُ الْأَحْمَرُ بْنُ الْحَارِثِ فِي بَنِي هَلَالٍ، وَجَمَاعٌ أَمَرَ النَّاسَ إِلَى مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ النَّصْرِيِّ.

فَلَمَّا أَجْمَعَ مَالِكُ الْمَسِيرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص حَطَّ مَعَ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ، فَلَمَّا نَزَلَ بِأَوْطَاسَ، اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَفِيهِمْ دَرِيدُ بْنُ الصَّمَةِ فِي شَجَارٍ لَهُ يَقَادُ بِهِ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: بِأَيِّ وَادٍ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: بِأَوْطَاسَ، قَالَ: نَعَمْ مَجَالُ الْخَيْلِ! لَا حَزَنَ ضَرَسَ وَلَا سَهْلَ دَهَسَ، مَا لِي أَسْمَعُ رِغَاءَ الْبَعِيرِ، وَنَهَاقَ الْحَمِيرِ، وَيَعَارُ الشَّاءِ، وَبَكَاءَ الصَّغِيرِ! قَالُوا: سَاقَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ مَعَ النَّاسِ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَقَالَ: أَيْنَ مَالِكُ؟ فَقِيلَ: هَذَا مَالِكُ، فَدَعِيَ لَهُ، فَقَالَ: يَا مَالِكُ، إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ رَأْسَ قَوْمِكَ، وَإِنْ هَذَا يَوْمٌ كَأَنَّ لَهُ مَا بَعْدَهُ مِنَ الْأَيَّامِ، مَا لِي أَسْمَعُ رِغَاءَ الْبَعِيرِ، وَنَهَاقَ الْحَمِيرِ، وَيَعَارُ الشَّاءِ، وَبَكَاءَ الصَّغِيرِ! قَالَ: سَقَتْ مَعَ النَّاسِ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، قَالَ: وَلَمْ؟ قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَ خَلْفَ كُلِّ رَجُلٍ أَهْلَهُ وَمَالَهُ لِيُقَاتِلَ عَنْهُمْ، قَالَ: فَانْقَضَ بِهِ ثُمَّ قَالَ: رَاعِي ضَأْنَ وَاللَّهِ! هَلْ يَرِدُ الْمَنْهَزُ شَيْءًا! إِنَّهَا إِنْ كَانَتْ لَكَ لَمْ يَنْفَعَكَ إِلَّا رَجُلٌ بِسَيْفِهِ وَرُمَحِهِ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ فَضَحَتْ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ.

مَا فَعَلْتَ كَعْبٌ وَكَلَابٌ؟ قَالُوا: لَمْ يَشْهَدْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، قَالَ: غَابَ الْجَدُّ وَالْحَدُّ، لَوْ كَانَ يَوْمٌ عِلَاءٍ وَرَفْعَةٍ لَمْ تَغِبْ عَنْهُ كَعْبٌ وَكَلَابٌ، وَلَوْ دَدْتُ أَنْتُمْ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتَ كَعْبٌ وَكَلَابٌ، فَمَنْ شَهِدَهَا مِنْكُمْ؟ قَالُوا: عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ وَعَوْفُ بْنُ عَامِرٍ، قَالَ: ذَانِكَ الْجُدْعَانِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ! لَا يَنْفَعَانِ وَلَا

يُضْرَانِ، يَا مَالِكُ إِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ بِتَقْدِيمِ الْبَيْضَةِ، بَيْضَةُ هَوَازِنَ، إِلَى نُحُورِ الْخَيْلِ شَيْئًا، أَرْفَعُهُمْ إِلَى مَتْنَعٍ بِلَادِهِمْ وَعَلِيَا قَوْمِهِمْ، ثُمَّ أَلْقَى الصَّبَاءَ عَلَى مَتْنِ الْخَيْلِ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ لَحِقَ بِكَ مِنْ وَرَاءِكَ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ أَلْفَاكَ ذَلِكَ وَقَدْ أَحْرَزْتَ أَهْلَكَ وَمَالَكَ قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ، إِنَّكَ قَدْ كَبُرْتَ وَكَبُرَ عَلَيْكَ، وَاللَّهُ لَتَطِيعَنِي يَا مَعْشَرَ هَوَازِنَ أَوْ لَا تُكْتَنَ عَلَى هَذَا السَّيْفِ حَتَّى يُخْرِجَ مِنْ ظَهْرِي! وَكَرِهَ أَنْ يَكُونَ لِدَرِيدٍ فِيهَا ذِكْرٌ وَرَأْيَ قَالَ دَرِيدُ بْنُ الصَّمَةِ: هَذَا يَوْمٌ لَمْ أَشْهَدْهُ، وَلَمْ يَفْتِنِي:

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ ... أَحَبُّ فِيهَا وَأَضَعُ

أقود وطفاء الزرع ... كأنها شاة صدع

وكان دريد رئيس بني جشم وسيدهم وأوسطهم، ولكن السن أدركته حتى في- وهو دريد بن الصمة بن بكر بن علقمة بن جداعة بن غزية ابن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن- ثم قال مالك للناس: إذا أنتم رأيتم القوم فاكسروا جفون سيوفكم، وشدوا شدة رجل واحد عليهم.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن امية ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، أنه حدث أن مالك بن عوف بعث عيوناً من رجاله لينظروا له، ويأتوه بخبر الناس، فرجعوا إليه وقد تفرقت أوصالهم، فقال: ويلكم! ما شأنكم؟ قالوا: رأينا رجلاً يبيضا على خيل بلق، فوالله ما تماسكا أن أصابنا ما ترى! فلم ينه ذلك عن وجهه، إن مضى على ما يريد.

قال ابن إسحاق: ولما سمع بهم رسول الله ص بعث

إليهم عبد الله بن أبي حذرٍ الأسلي، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يأتيه بخبر منهم، ويعلم من عليهم فأنطلق ابن أبي حذرٍ، فدخل فيهم، فأقام معهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ص، وعلم أمر مالك وأمر هوازن وما هم عليه ثم أتى رسول الله، فأخبره الخبر، فدعا رسول الله ص عمر بن الخطاب، فأخبره خبر ابن أبي حذرٍ، فقال عمر: كذب! فقال ابن أبي حذرٍ:

إن تكذبني فطالما كذبت بالحق يا عمر! فقال عمر: ألا تسمع يا رسول الله إلى ما يقول ابن أبي حذرٍ! [فقال رسول الله ص: قد كنت ضالاً فهذاك الله يا عمر].

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: [حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن حسين، قال: لما اجمع رسول الله ص السير إلى هوازن ليلقاهم، ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعاً وسلاحاً، فأرسل إليه، فقال: يا أبا أمية- وهو يومئذ مشرك: أعزنا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا غداً فقال له صفوان: أغضباً يا محمد! قال: بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك، قال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائة درع بما يصلحها من السلاح، فزعموا أن رسول الله ص سأل أن يكفيه حملها ففعل.

قال أبو جعفر محمد بن علي: فضت السنة أن العارية مضمونة مؤداة].

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله ابن أبي بكر، قال: ثم خرج رسول الله ص، ومعه ألفان من أهل مكة، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم مكة، فكانوا اثني عشر ألفاً، واستعمل رسول الله ص عتاب بن اسيد ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة أميراً على من غاب عنه من الناس، ثم مضى على وجهه يريد لقاء هوازن

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه، قال: لما استقبلنا وادي حنين، انحدرنا في وادٍ من أودية تهامة أجوف حطوط، إنما نخدر فيه انحداراً- قال: وفي عماية الصبح، وكان القوم قد سبقوا إلى الوادي، فكمئوا لنا في شعايه وأحنايه ومضايقيه، قد اجمعوا وتبثوا وأعدوا- فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكائب قد شدت علينا شدة رجل واحد، وانهزم الناس أجمعون، فانشمروا لا يلوي أحد على أحد، وانحاز رسول الله ص ذات اليمين، ثم قال: أين أيها الناس! هلم إلى! أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله! قال: فلا شيء، احتملت الإبل بعضها بعضاً، فأنطلق الناس، إلا أنه قد بقي مع رسول الله ص نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته ومن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر، وعمر، ومن أهل بيته علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وابنه الفضل، وأبو سفيان بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وأيمن بن عبيد- وهو أيمن بن أم أيمن- وأسامة

بْنُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ قَالَ: وَرَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرٌ، بِيَدِهِ رَايَةٌ سَوْدَاءُ فِي رَأْسِ رُحَى طَوِيلٍ، أَمَامَ النَّاسِ وَهَوَازِنُ خَلْفَهُ، إِذَا أُدْرِكَ طَعَنَ بِرُحَاهُ، وَإِذَا فَاتَهُ النَّاسُ رَفَعَ رُحَاهُ لِمَنْ وَرَاءَهُ، فَاتَّبَعُوهُ وَلَمَّا انْهَزَمَ النَّاسُ، وَرَأَى مَنْ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص مِنْ جُفَاةِ أَهْلِ مَكَّةَ الْهَزِيمَةَ، تَكَلَّمَ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الصَّغْنِ، فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ: لَا تَنْتَهِي هَزِيمَتُهُمْ دُونَ الْبَحْرِ، وَالْأَزْلَامُ مَعَهُ فِي كِبَانَتِهِ، وَصَرَخَ كَلْدَةُ بْنُ الْحَنْبَلِ - وَهُوَ مَعَ أَخِيهِ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ وَكَانَ أَخَاهُ لِأُمِّهِ، وَصَفْوَانُ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي جَعَلَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص - فَقَالَ: أَلَا بَطَلَ السِّحْرُ الْيَوْمَ! فَقَالَ لَهُ صَفْوَانُ: اسْكُتْ فَضَّ اللَّهُ فَاكْ! فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَرِيَنِي رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرِيَنِي

رَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ! وَقَالَ شَيْبَةُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الدَّارِ: قُلْتُ: الْيَوْمَ أُدْرِكُ ثَارِي - وَكَانَ أَبُوهُ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ - الْيَوْمَ أَقْتُلُ مُحَمَّدًا.

قَالَ: فَأَرَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ لَأَقْتُلَهُ، فَأَقْبَلَ شَيْءٌ حَتَّى تَغَشَى فُؤَادِي فَلَمْ أَطِقْ ذَلِكَ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ مَنَعَ مِنِّي.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ الْعَبَّاسِ، عَنْ أَبِيهِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، قَالَ: إِنِّي لَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَخَذَ بِحِكْمَةِ بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، قَدْ شَجَرَتْهَا بِهَا، قَالَ: وَكُنْتُ أَمْرًا جَسِيمًا شَدِيدَ الصَّوْتِ، قَالَ: وَرَسُولُ اللَّهِ ص يَقُولُ حِينَ رَأَى مِنَ النَّاسِ مَا رَأَى: أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ! فَلَمَّا رَأَى النَّاسَ لَا يَلُودُونَ عَلَى شَيْءٍ قَالَ: يَا عَبَّاسُ، اضْرُخْ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! يَا أَصْحَابَ السَّمَرَةِ! فَنَادَيْتُ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ السَّمَرَةِ! قَالَ: فَأَجَابُوا: أَنْ لَيْكَ لَيْكًا! قَالَ: فَيَذْهَبُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يُرِيدُ لِيُنِّي بَعِيرَهُ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَيَأْخُذُ دِرْعَهُ فَيَقْذِفُهَا فِي عُنُقِهِ، وَيَأْخُذُ سَيْفَهُ وَتَرْسَهُ، ثُمَّ يَقْتَحِمُ عَنْ بَعِيرِهِ فَيُخَلِّي سَبِيلَهُ فِي النَّاسِ، ثُمَّ يَوْمُ الصَّوْتِ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ مِائَةٌ رَجُلٍ اسْتَقْبَلُوا النَّاسَ، فَاقْتَتَلُوا، فَكَانَتْ الدَّعْوَى أَوَّلَ مَا كَانَتْ: يَا لِلْأَنْصَارِ! ثُمَّ جَعَلْتُ أَخِيرًا: يَا لِلْخَزَرَجِ! وَكَانُوا صَبْرًا عِنْدَ الْحَرْبِ، فَأَشْرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي رِكَابِهِ، فَنَظَرَ مُجْتَلِدَ الْقَوْمِ وَهُمْ يَجْتَلِدُونَ، فَقَالَ: الْآنَ حَمِي الْوَطِيسُ! حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ الْمِقْدَامِ، قَالَ:

حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: كَانَ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ يَقُودُ بِالنَّبِيِّ ص بِغْلَتِهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَمَّا غَشَى النَّبِيَّ ص الْمُشْرِكُونَ، نَزَلَ لِيُجْعَلَ يَرْتَجِزُ، وَيَقُولُ:

[أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ ... أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ]

[فَمَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَشَدُّ مِنْهُ حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ أَبِيهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: بَيْنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ مِنْ هَوَازِنَ صَاحِبُ الرَّايَةِ عَلَى جَمَلِهِ يَصْنَعُ مَا يَصْنَعُ، إِذْ هَوَى لَهُ عَلَى بَنٍ أَبِي طَالِبٍ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، يُرِيدَانِهِ، فَيَأْتِيهِ عَلَى مَنْ خَلْفَهُ، فَيَضْرِبُ عُرْقُوبِي الْجَمَلِ، فَوَقَعَ عَلَى عَجْزِهِ، وَوَشَبَ الْأَنْصَارِيُّ عَلَى الرَّجُلِ فَضْرَبَهُ ضَرْبَةً أَطَنَّ قَدَمُهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ، فَانْجَعَفَ عَنْ رَحْلِهِ.

قَالَ: وَاجْتَلَدَ النَّاسُ، فَوَاللَّهِ مَا رَجَعَتْ رَاجِعَةُ النَّاسِ مِنْ هَزِيمَتِهِمْ حَتَّى وَجَدُوا الْأَسَارَى مُكْتَفِينَ، وَقَدْ انْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى أَبِي سَفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ - وَكَانَ مِمَّنْ صَبَرَ يَوْمَئِذٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَكَانَ حَسَنَ الْإِسْلَامِ حِينَ أَسْلَمَ، وَهُوَ أَخَذُ بِثَفْرِ بَغْلَتِهِ - فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: ابْنُ أُمِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص انْتَفَتَ، فَرَأَى أُمَّ سَلِيمٍ بِنْتَ مِلْحَانَ - وَكَانَتْ مَعَ زَوْجِهَا أَبِي طَلْحَةَ - حَازِمَةً وَسَطَهَا يَبْرُدُ لَهَا، وَإِنَّهَا لِحَامِلٌ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ،

وَمَعَهَا جَمَلٌ أَيْ طَلْحَةٌ، وَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَعْرِضَهَا الْجَمَلُ، فَأَذْنَتُ رَأْسَهُ مِنْهَا، فَأَدْخَلَتْ يَدَهَا فِي خِرَازِمَتِهِ مَعَ الْخِطَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: أَمَّ سُلَيْمٍ! قَالَتْ: نَعَمْ،

بِأَيِّ أَنْتِ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! اقْتُلْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقْرُونَ عَنْكَ كَمَا تَقْتُلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكَ، فَإِنَّهُمْ لَذَلِكَ أَهْلٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: أَوْ يَكْفِي اللَّهَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ! وَمَعَهَا خَنْجَرٌ فِي يَدِهَا، فَقَالَ لَهَا أَبُو طَلْحَةَ: مَا هَذَا مَعَكَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟ قَالَتْ: خَنْجَرٌ أَخَذْتُهُ مَعِي، إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَعَجْتَهُ بِهِ قَالَ: يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: أَلَا تَسْمَعُ مَا تَقُولُ أُمَّ سُلَيْمٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ!

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

حَدَّثَنِي حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَقَدْ اسْتَلَبَ أَبُو طَلْحَةَ يَوْمَ حُنَيْنٍ عَشْرِينَ رَجُلًا وَحَدَهُ هُوَ قَتَلَهُمْ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ قَبْلَ هَزِيمَةِ الْقَوْمِ وَالنَّاسِ يَقْتَتِلُونَ مِثْلَ الْجَادِ الْأَسْوَدِ، أَقْبَلَ مِنَ السَّمَاءِ حَتَّى سَقَطَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ، فَظَرْتُ فَإِذَا نَمْلٌ أَسْوَدٌ مَبْثُوثٌ قَدْ مَلَأَ الْوَادِي، فَلَمْ أَشْكُ أَنَّهَا الْمَلَائِكَةُ، وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا هَزِيمَةُ الْقَوْمِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

فَلَمَّا انْهَزَمَتْ هَوَازِنُ اسْتَحَرَّ الْقَتْلُ مِنْ ثَقِيفِ بَنِي مَالِكٍ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا تَحْتَ رَايَتِهِمْ، فِيهِمْ عَثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ حَبِيبٍ، جَدُّ ابْنِ أُمِّ حَكَمٍ بِنْتُ أَبِي سَفْيَانَ، وَكَانَتْ رَايَتَهُمْ مَعَ ذِي النَّمَارِ، فَلَمَّا قَتَلَ أَخَذَهَا عَثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَامِرِ بْنِ وَهْبٍ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَتْلَ عَثْمَانَ، قَالَ: أَبْعَدَهُ اللَّهُ! فَإِنَّهُ كَانَ يَبْغِضُ قَرِيشًا

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُؤَمِّلٌ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ زَادَانَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ص يَوْمَ حُنَيْنٍ عَلَى بَغْلَةٍ بَيْضَاءَ، يُقَالُ لَهَا دَلْدَلٌ، فَلَمَّا انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ، [قَالَ النَّبِيُّ ص لِبَغْلَتِهِ: الْبَدِي دُلْدُلُ! فَوَضَعَتْ بَطْنَهَا عَلَى الْأَرْضِ فَاخَذَ النَّبِيُّ ص حِفْنَةً مِنْ تَرَابٍ، فَرَمَى بِهَا فِي وَجُوهِهِمْ، وَقَالَ: حَمَّ لَا يَنْصُرُونَ!]

فَوَلَّى الْمُشْرِكُونَ مُدْبِرِينَ، مَا ضَرَبَ بِسَيْفٍ وَلَا طَعَنَ بِرُمْحٍ وَلَا رَمَى بِسَهْمٍ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ، قَالَ: قُتِلَ مَعَ عَثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ غُلَامٌ لَهُ نَصْرَانِيٌّ أَغْرَلُ قَالَ: فَبَيْنَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَسْتَلِبُ قَتْلَ مَنْ ثَقِيفٍ، إِذْ كَشَفَ الْعَبْدَ لِيَسْتَلِبَهُ، فَوَجَدَهُ أَغْرَلًا، فَصَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَعْلُمُ اللَّهُ أَنَّ ثَقِيفًا غُرْلًا مَا تَحْتَنُّنُ! قَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ: فَأَخَذْتُ يَدَهُ، وَخَشِيتُ أَنْ تَذْهَبَ عَنَّا فِي الْعَرَبِ، فَقُلْتُ: لَا تَقُلْ ذَلِكَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي! إِنَّمَا هُوَ غُلَامٌ لَنَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ جَعَلْتُ أَكْشِفُ لَهُ قَتْلَانَا فَأَقُولُ: أَلَا تَرَاهُمُ مُحْتَنِينَ! قَالَ: وَكَانَتْ رَايَةُ الْأَحْلَافِ مَعَ قَارِبِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَلَمَّا هَزِمَ النَّاسُ أَسْنَدَ رَايَتَهُ إِلَى شَجَرَةٍ، وَهَرَبَ هُوَ وَبَنُو عَمِّهِ وَقَوْمُهُ مِنَ الْأَحْلَافِ، فَلَمْ يَقْتُلْ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلَانِ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِيَرَةَ يُقَالُ لَهُ وَهْبٌ، وَآخَرُ مِنْ بَنِي كَنْةَ يُقَالُ لَهُ: الْجَلَّاحُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص حِينَ بَلَغَهُ قَتْلُ الْجَلَّاحِ: قُتِلَ الْيَوْمَ سَيِّدُ شَبَابِ ثَقِيفٍ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ ابْنِ هُنَيْدَةَ - وَابْنِ هُنَيْدَةَ الْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَلَمَّا انْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ أَتَوْا الطَّائِفَ، وَمَعَهُمْ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ، وَعَسْكَرُ بَعْضِهِمْ بِأَوْطَاسٍ، وَتَوَجَّهَ بَعْضُهُمْ نَحْوَ نَخْلَةٍ - وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ تَوَجُّهُ نَحْوَ نَخْلَةٍ إِلَّا بَنُو غِيَرَةَ مِنْ ثَقِيفٍ - فَتَبِعَتْ خَيْلُ رَسُولِ اللَّهِ ص مِنْ سَلَكِ فِي

نخلة

من الناس، ولم تتبع من سلك الثنايا، فأدرك ربيعة بن ربيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سمال بن عوف بن امرئ القيس- وكان يقال له ابن لذعة وهي أمه، فغلبت على نسبه- دريد بن الصمة، فأخذ بخطام جملة، وهو يظن أنه امرأة، وذلك أنه كان في شجار له، فإذا هو رجل، فأناخ به، وإذا هو بشيخ كبير، وإذا هو دريد بن الصمة، لا يعرفه الغلام، فقال له دريد: ماذا تريد بي؟ قال: أقتلك، قال: ومن أنت؟ قال: أنا ربيعة بن ربيع السلمي، ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئا، فقال: بأسماء سلحتك أملك! خذ سيفي هذا من مؤخر الرحل في الشجار، ثم اضرب به وارفع عن العظام، واخفض عن الدماغ، فإني كذلك كنت أقتل الرجال ثم إذا أتيت أملك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة، فرب يوم والله قد منعت نساءك! فزعمت بنو سليم أن ربيعة قال: لما ضربته فوقع تكشف الثوب عنه، فإذا عجانه ويطون نخذه مثل القرطاس من ركوب الخيل أعراء، فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه، فقالت: والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثا.

قال أبو جعفر: وبعث رسول الله ص في آثار من توجه قبل أوطاس، فحدثني موسى بن عبد الرحمن الكندي، قال: حدثنا أبو أسامة، عن يزيد بن عبد الله، عن أبي بردة، عن أبيه، قال:

لما قدم النبي ص من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس، فلقي دريد بن الصمة، فقتل دريدا، وهزم الله أصحابه. قال أبو موسى: فبعثني مع أبي عامر، قال: فرمي أبو عامر في ركبته، رماه رجل من بني جشم بسهم فأثبته في ركبته، فأنتهت إليه، فقلت:

يا عم، من رماك؟ فأشار أبو عامر لأبي موسى، فقال: إن ذاك قاتلي، تراه ذلك الذي رماني!

قال أبو موسى: فقصدت له فاعتمدته، فلحقته، فلما رأيته عني ذاهبا، فاتبعته، وجعلت أقول له: الا تستحي! ألسنت عرييا! ألا تثبت! فكرت، فالتفتت أنا وهو، فاختلطنا ضربتين، فضربته بالسيف، ثم رجعت إلى أبي عامر، فقلت: قد قتل الله صاحبك، قال: فارتع هذا السهم، فزعرته فزأ منه الماء، فقال: يا بن أخي، انطلق إلى رسول الله، فأقرئه مني السلام، وقل له إنه يقول لك: استغفر لي. قال: واستخلفني أبو عامر على الناس فكث يسيرا ثم إنه مات.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال:

يزعمون أن سلمة بن دريد، هو الذي رمى أبا عامر بسهم فأصاب ركبته، فقتله، فقال سلمة بن دريد في قتله أبا عامر: إن تسألوا عني فإني سلمة ابن سمار من توممه أضرب بالسيف رءوس المسلمين. وسمادير أم سلمة، فانتفى إليها.

قال: وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة، فوقف في فوارس من قومه على ثنية من الطريق، وقال لأصحابه: قفوا حتى تمضي ضعفاؤكم وتلحق أخراكم، فوقف هنالك حتى مضى من كان لحق بهم من منهزمة الناس.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثني بعض بني سعد بن بكر، أن رسول الله ص قال يومئذ نخله التي بعث: إن قدرتم على بجاد- رجل من بني سعد ابن بكر- فلا يفلتكم، وكان بجادا قد أحدث حديثا، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله، وساقوا أخته الشيماء بنت الحارث بن عبد الله بن عبد العزى، أخت رسول الله ص من الرضاة، فعنفوا عليها في السياق معهم،

فقال للمسلمين: تعلمون والله أنني لأخت صاحبكم من الرضاة، فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله ص.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا ابن إسحاق، عن أبي وجزة يزيد بن عبيد السعدي، قال: لما انتهت بالشيماء إلى رسول

الله ص قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُخْتُكَ، قَالَ: وَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ؟ قَالَتْ عَصَۃٌ عَصَضْتَنِيَا فِي ظَهْرِي وَأَنَا مُتَوَرِّكَتُكَ قَالَ: فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْعَلَامَةَ، فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ، ثُمَّ قَالَ: هَاهُنَا، فَأَجْلَسَهَا عَلَيْهِ، وَخَيْرَهَا، وَقَالَ: إِنْ أَحْبَبْتَ فَعِنْدِي مُحِبَّةٌ مُكْرَمَةٌ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أُمْتَعِكَ وَتَرَجَّعِي إِلَى قَوْمِكَ، قَالَتْ: بَلْ تَمْتَعْنِي وَتَرُدَّنِي إِلَى قَوْمِي، فَتَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ص، وَرَدَّهَا إِلَى قَوْمِهَا، فَرَعَمَتْ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ أَنَّهُ أَعْطَاهَا غُلَامًا لَهُ يُقَالُ لَهُ مَكْحُولٌ، وَجَارِيَةٌ، فَزَوَّجَتْ أَحَدَهُمَا الْآخَرَ، فَلَمْ يَزَلْ فِيهِمْ مِنْ نَسْلِهِمَا بَقِيَّةٌ.

قال ابن إسحاق: استشهد يوم حنين من قريش، ثُمَّ من بني هاشم:

أَيُّمُ بْنُ عَبِيدٍ - وهو ابن أم أيمن، مولاه رسول الله ص - ومن بني أسد بن عبد العزى يزيد بن زععة بن الأسود بن المطلب بن أسد - جمع به فرس له يقال له الجناح، فقتل - ومن الأنصار سراقه بن الحارث ابن عدي بن بلعجلان، ومن الأشعرين أبو عامر الأشعري ثم جمعت إلى رسول الله ص سبائا حنين وأموالها، وكان على المغانم مسعود بن عمرو القاري، فامر رسول الله ص بالسبائا والأموال إلى الجعرانة فخبست بها حدثًا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: قال ابن إسحاق:

لما قدم فل ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها، وصنعوا الصنائع للقتال، ولم يشهد حنينًا ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن

٣٠٢٠١٥ غزوه الطائف

سلمة، كانا بجرش يتعلمان صنعة الدباب والضبور والمجانيق. غزوه الطائف

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبَانُ الْعَطَّارُ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَوْمَ حُنَيْنٍ مِنْ فَوْرِهِ ذَلِكَ - يَعْنِي مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ - حَتَّى نَزَلَ الطَّائِفَ، فَأَقَامَ نِصْفَ شَهْرٍ يقاتلهم رسول الله ص وَأَصْحَابُهُ، وَقَاتَلَتْهُمْ ثَقِيفٌ مِنْ وَرَاءِ الْحِصْنِ، لَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَأَسْلَمَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ، وَجَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ص وَفُودُهُمْ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ص وَلَمْ يُحَاصِرْهُمْ إِلَّا نِصْفَ شَهْرٍ حَتَّى نَزَلَ الْجَعْرَانَةَ، وَبِهَا السِّيُّ الَّذِي سَبَى رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ حُنَيْنٍ مِنْ نِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ - وَيَزْعُمُونَ أَنَّ ذَلِكَ السِّيَّ الَّذِي أَصَابَ يَوْمَئِذٍ مِنْ هَوَازِنَ كَانَتْ عِدَّتُهُ سِتَّةَ آلَافٍ مِنْ نِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ - فَلَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ص إِلَى الْجَعْرَانَةِ، قَدِمَتْ عَلَيْهِ وَفُودُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ، فَأَعْتَقَ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ كُلَّهُمْ، وَأَهْلَ بَعْمَرَةَ مِنَ الْجَعْرَانَةِ، وَذَلِكَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ.

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَاسْتَخْلَفَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقِيمَ لِلنَّاسِ الْحَجَّ، وَيُعَلِّمَ النَّاسَ الْإِسْلَامَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَمِّنَ مَنْ جَاءَ مِنَ النَّاسِ، وَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا

قَدِمَهَا قَدِمَ عَلَيْهِ وَفُودُ ثَقِيفَ، فَقَاضَوْهُ عَلَى الْقَضِيَّةِ الَّتِي ذَكَرْتُ، فَبَايَعُوهُ، وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي عِنْدَهُمْ كَاتِبُوهُ عَلَيْهِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص سَلَكَ إِلَى الطَّائِفِ مِنْ حُنَيْنٍ عَلَى نَحْلَةِ الْيَمَانِيَّةِ، ثُمَّ عَلَى قَرْنٍ، ثُمَّ عَلَى الْمُلَيْجِ، ثُمَّ عَلَى بَحْرَةِ الرِّغَاءِ مِنْ لَيْلَةٍ، فَابْتَنَى بِهَا مَسْجِدًا، فَصَلَّى فِيهِ، فَأَقَادَ يَوْمَئِذٍ بِحْرَةَ الرِّغَاءِ حِينَ نَزَلَهَا بِدَمٍ - وَهُوَ أَوَّلُ دَمٍ أُقِيدَ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ - رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ، قَتَلَ رَجُلًا مِنْ هُذَيْلٍ، فَقَتَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَهُوَ بَلِيَّةٌ

بِحِصْنِ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ فَهَدِمَ، ثُمَّ سَلَكَ فِي طَرِيقٍ يُقَالُ لَهَا الضِّيْقَةُ، فَلَمَّا تَوَجَّهَ فِيهَا، سَأَلَ عَلَى اسْمِهَا، فَقَالَ: مَا اسْمُ هَذِهِ الطَّرِيقِ؟

فَقِيلَ لَهُ: الضِّيْقَةُ، فَقَالَ: بَلْ هِيَ الْيُسْرَى ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَلَى نَحْبٍ، حَتَّى نَزَلَ تَحْتَ سِدْرَةٍ يُقَالُ لَهَا الصَّادِرَةُ، قَرِيبًا مِنْ مَالِ رَجُلٍ مِنْ ثَقِيفَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ص: إِمَّا أَنْ تَخْرُجَ، وَإِمَّا أَنْ تُحَرِّبَ عَلَيْكَ حَائِطُكَ، فَأَبَى أَنْ يَخْرُجَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص

بِإِخْرَافِهِ ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى نَزَلَ قَرِيبًا مِنَ الطَّائِفِ، فَضَرَبَ عَسْكَرَهُ، فَقُتِلَ أَنْاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالنَّبْلِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَسْكَرَ اقْتَرَبَ مِنْ حَائِطِ الطَّائِفِ فَكَانَتِ النَّبْلُ تَنَاهَهُمْ، وَلَمْ يَقْدِرِ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَدْخُلُوا حَائِطَهُمْ، غَلَقُوهُ دُونَهُمْ، فَلَمَّا أُصِيبَ أُولَئِكَ النَّفَرُ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالنَّبْلِ، ارْتَفَعَ، فَوَضَعَ عَسْكَرَهُ عِنْدَ مَسْجِدِهِ الَّذِي بِالطَّائِفِ الْيَوْمَ، فَخَاصَرَهُمْ بِضْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، وَمَعَهُ امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِهِ، إِحْدَاهُمَا أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةٍ وَأُخْرَى مَعَهَا- قَالَ الْوَاقِدِيُّ:

الْأُخْرَى زَيْنَبُ بِنْتُ بَحْشٍ- فَضَرَبَ لَهُمَا قُبَتَيْنِ، فَصَلَّى بَيْنَ الْقُبَتَيْنِ

فَلَمَّا أَسْلَمَتِ ثَقِيفٌ، بَنَى عَلَى مُصَلًى رَسُولِ اللَّهِ صَ ذَلِكَ أَبُو أُمَيَّةَ بْنُ عَمْرِو بْنِ وَهَبٍ بْنُ مُعْتَبٍ بْنِ مَالِكٍ مَسْجِدًا، وَكَانَتْ فِي ذَلِكَ الْمَسْجِدِ سَارِيَّةٌ- فِيمَا يَزْعُمُونَ- لَا تَطْلُعُ عَلَيْهَا الشَّمْسُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، إِلَّا سَمِعَ لَهَا نَقِيضٌ، فَخَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَ، وَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا، وَتَرَامَوْا بِالنَّبْلِ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ الشَّدْحَةِ عِنْدَ جِدَارِ الطَّائِفِ، دَخَلَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَ تَحْتَ دَبَابَةٍ، ثُمَّ زَحَفُوا بِهَا إِلَى جِدَارِ الطَّائِفِ، فَأَرْسَلَتْ عَلَيْهِمْ ثَقِيفٌ سِكِّكَ الْحَدِيدِ مُجَمَّاةً بِالنَّارِ، فَخَرَجُوا مِنْ تَحْتِهَا، فَرَمَتْهُمْ ثَقِيفٌ بِالنَّبْلِ، وَقَتَلُوا رِجَالًا، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ بِقَطْعِ أَعْنَابِ ثَقِيفٍ، فَوَقَعَ فِيهَا النَّاسُ يَقْطَعُونَ.

وَتَقَدَّمَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَالْمُخِيزَةُ بْنُ شُعْبَةَ إِلَى الطَّائِفِ فَنَادِيَا ثَقِيفًا:

أَنْ أَمْنُونَا حَتَّى نُكَلِّمَكُمُ! فَأَمْنُوهُمَا، فَدَعَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ قُرَيْشٍ وَبَنِي كِنَانَةَ لِيَخْرُجَنَّ إِلَيْهِمَا- وَهُمَا يَخَافَانِ عَلَيْهِنَّ السِّبَاءَ- فَابَيْنَ، مِنْهُنَّ أَمِنَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ، كَانَتْ عِنْدَ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ لَهُ مِنْهَا دَاوُدُ بْنُ عُرْوَةَ وَغَيْرُهَا.

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنِي كَثِيرُ بْنُ زَيْدٍ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ رَبَاجٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا مَضَتْ خَمْسَ عَشْرَةَ مِنْ حِصَارِ الطَّائِفِ، اسْتَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ نَوْفَلَ بْنَ مُعَاوِيَةَ الدِّبَلِيَّ، وَقَالَ: يَا نَوْفَلُ، مَا تَرَى فِي الْمَقَامِ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثَعْلَبٌ فِي جُحْرٍ، إِنْ أَقَمْتَ عَلَيْهِ أَخَذَتْهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَضُرَّكَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي خُفَافَةَ، وَهُوَ مُحَاصِرٌ ثَقِيفًا بِالطَّائِفِ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ أُهْدِيَتْ لِي قَعْبَةٌ

مَمْلُوءَةٌ زَبْدًا، فَفَرَّهَا دِيكَ فَأَهْرَاقَ مَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا أَظُنُّ أَنْ تُدْرِكَ مِنْهُمْ يَوْمَكَ هَذَا مَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَ: وَأَنَا لَا أَرَى ذَلِكَ.

ثُمَّ إِنَّ خَوْلَةَ بِنْتَ حَكِيمٍ بِنْتُ أُمَيَّةَ بِنْتُ حَارِثَةَ بِنْتُ الْأَوْقَصِ السُّلَمِيَّةِ- وَهِيَ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَطْعُونٍ- قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْطِنِي إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ الطَّائِفَ حُلِيَّ بَادِيَّةٍ بِنْتُ غَيْلَانَ بْنِ سَلَمَةَ، أَوْ حُلِيَّ الْفَارَعَةِ بِنْتُ عَقِيلٍ- وَكَانَتَا مِنْ أَهْلِ نِسَاءِ ثَقِيفٍ- قَالَ: فَذَكَرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ قَالَ لَهَا: وَإِنْ كَانَ لَمْ يُؤْذَنْ لِي فِي ثَقِيفٍ يَا خَوْلَةُ! فَخَرَجْتُ خَوِيلَةً، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حَدِيثُ حَدَّثْتَنِيهِ خَوِيلَةً أَنْكَ قُلْتَهُ! قَالَ: قَدْ قُلْتُهُ، قَالَ: أَوْ مَا أُذِنَ فِيهِمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: لَا، قَالَ: أَفَلَا أُؤْذِنُ بِالرَّحِيلِ فِي النَّاسِ! قَالَ: بَلَى، فَاذْنِ عُمَرَ بِالرَّحِيلِ، فَلَمَّا اسْتَقَلَّ النَّاسُ نَادَى سَعِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ بْنُ أُسَيْدٍ بْنُ أَبِي عَمْرٍو بْنِ عِلَاجٍ الثَّقَفِيُّ:

أَلَا إِنَّ الْحَيَّ مُقِيمٌ! قَالَ: يَقُولُ عَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ: أَجَلٌ وَاللَّهِ مَجْدَةٌ كَرَامًا! فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: قَاتَلَكَ اللَّهُ يَا عَيْنَةُ! أَمْتَدِحْ قَوْمًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِالْإِمْتِنَاعِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَقَدْ جِئْتَ تَصْرُهُ! قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا جِئْتُ لِأَقَاتِلَ مَعَكُمْ ثَقِيفًا، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ يَفْتَحَ مُحَمَّدٌ

الطَّائِفَ فَأَصِيبُ مِنْ ثَقِيفٍ جَارِيَةً أَتَبَطَّنَا لَعَلَّهَا أَنْ تَدِدَ لِي رَجُلًا، فَإِنَّ ثَقِيفًا قَوْمٌ مَنَاقِيرُ.
واستشهد بالطائف من اصحاب رسول الله ص اثنا عشر رجلاً، سبعة من قُرَيْشٍ ورجل من بنى ليث، واربعة من الانصار

٣٠٢٠١٦ امر اموال هوازن وعطايا المؤلفه قلوبهم منها

امر اموال هوازن وعطايا المؤلفه قلوبهم منها
حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:
ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص حِينَ انْصَرَفَ مِنَ الطَّائِفِ عَلَى دَحْنًا، حَتَّى نَزَلَ الْجِعْرَانَةَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ قَدِمَ سَبِيُّ هَوَازَنَ حِينَ
سَارَ إِلَى الطَّائِفِ إِلَى الْجِعْرَانَةِ، فُخِسَ بِهَا، ثُمَّ اثْنَتَا بِالْجِعْرَانَةِ، وَكَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص مِنْ سَبِيِّ هَوَازَنَ مِنَ النِّسَاءِ وَالذَّرَارِيِّ عَدَدٌ كَثِيرٌ،
وَمِنْ الْإِبِلِ سِتَّةٌ آلَافٍ بَعِيرٍ، وَمِنْ الشَّاءِ مَا لَا يُحْصَى.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو
بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: أَتَى وَفَدُ هَوَازَنَ رَسُولَ اللَّهِ ص وَهُوَ بِالْجِعْرَانَةِ، وَقَدْ أَسْلَمُوا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا أَصْلُ وَعَشِيرَةٌ، وَقَدْ أَصَابَنَا مِنَ
الْبَلَاءِ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ، فَاْمَنْ عَلَيْنَا مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ! فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ هَوَازَنَ - أَحَدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، وَكَانَ بَنُو سَعْدِ هُمْ الَّذِينَ أَرْضَعُوا
رَسُولَ اللَّهِ ص - يُقَالُ لَهُ زُهَيْرُ بْنُ صُرْدٍ، وَكَانَ يُكْنَى بِأَبِي صُرْدٍ - فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا فِي الْخَطَائِرِ عَمَاتُكَ وَخَالَاتُكَ وَحَوَاضِنُكَ اللَّاتِي كُنَّ يَكْفُلُنَا! وَلَوْ أَنَّا مَلَحْنَا لِلْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرٍ أَوْ لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْدَرِ،
ثُمَّ نَزَلَ مِنَّا بِمِثْلِ مَا نَزَلَتْ بِهِ، رَجَوْنَا عَطْفَهُ وَعَائِدَتَهُ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُكْفُولِينَ! ثُمَّ قَالَ:
اْمَنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي كَرَمٍ ... فَإِنَّكَ الْمَرْءُ نَرْجُوهُ وَنَدْخُرُ
اْمَنْ عَلَى بَيْضَةٍ قَدْ عَاقَهَا قَدَرٌ ... مُمَزَّقَ شَمْلُهَا، فِي دَهْرٍهَا غَيْرُ

فِي آيَاتٍ قَالَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: أَبَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أَمْ أَمْوَالُكُمْ؟ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَيْرَتُنَا بَيْنَ أَحْسَابِنَا وَأَمْوَالِنَا،
بَلْ تَرُدُّ عَلَيْنَا نِسَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا فَهُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا، فَقَالَ: أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ، فَإِذَا أَنَا صَلَّيْتُ بِالنَّاسِ، فَقُولُوا: إِنَّا
نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَبِالْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي أَبْنَائِنَا وَنِسَائِنَا، فَسَأَعْطِيكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ، وَأَسْأَلُ لَكُمْ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ
اللَّهِ ص بِالنَّاسِ الظُّهْرَ، قَامُوا فَتَكَكَلُوا بِالَّذِي أَمَرَهُمْ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ، وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ:
وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ، وَقَالَتِ الْأَنْصَارُ:

وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ قَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ: أَمَّا أَنَا وَبَنُو تَمِيمٍ فَلَا، وَقَالَ عُبَيْدَةُ بْنُ حِصْنٍ: أَمَّا أَنَا وَبَنُو فَرَازَةَ فَلَا، وَقَالَ عَبَّاسُ
بْنُ مِرْدَاسٍ: أَمَّا أَنَا وَبَنُو سُلَيْمٍ فَلَا، قَالَتْ بَنُو سُلَيْمٍ: مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ.

قَالَ: يَقُولُ الْعَبَّاسُ لِبَنِي سُلَيْمٍ: وَهَنْتُمُونِي! [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: أَمَّا مَنْ تَمَسَّكَ بِحَقِّهِ مِنْ هَذَا السَّبِيِّ مِنْكُمْ فَلَهُ بِكُلِّ إِنْسَانٍ سِتُّ فَرَائِضَ
مِنْ أَوَّلِ شَيْءٍ نُصِيبُهُ، فَرُدُّوهُ إِلَى النَّاسِ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ].

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عُبَيْدِ السَّعْدِيِّ أَبُو وَجْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص كَانَ أَعْطَى
عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ جَارِيَةً مِنْ سَبِيِّ حُنَيْنٍ يُقَالُ لَهَا رِبْطَةُ بِنْتُ هِلَالِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ عَمِيرَةَ بْنِ هِلَالِ بْنِ نَاصِرَةَ بْنِ قُصَيْبَةَ بْنِ نَصْرِ بْنِ سَعْدِ
بْنِ بَكْرٍ، وَأَعْطَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ جَارِيَةً يُقَالُ لَهَا زَيْنَبُ بِنْتُ حَيَّانَ بْنِ

عَمْرُو بْنُ حَيَّانَ، وَأَعْطَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ جَارِيَةً، فَوَهَبَهَا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ جَارِيَةً مِنْ سَبْيِ هَوَازِنَ، فَوَهَبَهَا لِي، فَبَعَثْتُ بِهَا إِلَى أَخَوَالِي مِنْ بَنِي جُمَحٍ لِيُصْلِحُوا لِي مِنْهَا حَتَّى أَطُوفَ بِالْبَيْتِ ثُمَّ أَتِيَهُمْ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُصِيبَهَا إِذَا رَجَعْتُ إِلَيْهَا، قَالَ: نَخْرَجُ مِنَ الْمَسْجِدِ حِينَ فَرَعْتُ، فَإِذَا النَّاسُ يَشْتَدُونَ، فَقُلْتُ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: رَدَّ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، قَالَ: قُلْتُ: تَلَكُمُ صَاحِبَتُكُمْ فِي بَنِي جُمَحٍ، أَذْهَبُوا نَخْذُوها، فَذَهَبُوا إِلَيْهَا فَأَخْذَوْها، وَأَمَّا عَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ فَأَخَذَ عَجُوزًا مِنْ عَجَائِزِ هَوَازِنَ، وَقَالَ حِينَ أَخَذَهَا: أَرَى عَجُوزًا وَأَرَى لَهَا فِي الْحَيِّ نَسَبًا، وَعَسَى أَنْ يَعْظُمَ فِدَاؤُهَا! فَلَهَا رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَ السَّبَايَا بِسِتِّ فَرَانِصٍ أَبِي أَنْ يَرُدَّهَا، فَقَالَ لَهُ زُهَيْرُ ابْنِ صَرْدٍ: خَذَهَا عَنْكَ، فَوَاللَّهِ مَا فُوهَا بِبَارِدٍ، وَلَا تُدِيهَا بِنَاهِدٍ، وَلَا بَطْنَهَا بِوَالِدٍ، وَلَا دَرَهَا بِمَا كَدَ، وَلَا زَوْجَهَا بِوَاحِدٍ فَرَدَّهَا بِسِتِّ فَرَانِصٍ حِينَ قَالَ لَهُ زُهَيْرٌ مَا قَالَ، فَرَعَمُوا أَنَّ عَيْنَةَ لَقِيَ الْأَقْرَعَ بْنَ حَاسٍ، فَشَكَا إِلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّكَ مَا أَخَذْتَهَا بِكَرٍّ غَرِيرَةٍ، وَلَا نَصَفًا وَثِيرَةٍ، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَ لَوْفِدِ هَوَازِنَ، وَسَلَّحَهُمْ عَنْ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ: مَا فَعَلَ؟ فَقَالُوا: هُوَ بِالطَّائِفِ مَعَ ثَقِيفٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: أَخْبِرُوا مَالِكًا أَنَّهُ إِنْ أَتَانِي مُسَلِّمًا رَدَدْتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، وَأَعْطَيْتُهُ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ،] فَأَتَى مَالِكٌ بِذَلِكَ، فَخَرَجَ مِنَ الطَّائِفِ إِلَيْهِ، وَقَدْ كَانَ مَالِكٌ خَافَ ثَقِيفًا عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ قَالَ لَهُ مَا قَالَ، فَيَحْبِسُوهُ، فَأَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَهَيَّئَتْ لَهُ، وَأَمَرَ بِفَرَسٍ لَهُ فَأَتَى بِهِ الطَّائِفَ، فَخَرَجَ لَيْلًا، فَجَلَسَ عَلَى فَرَسِهِ فَرَكَّضَهُ، حَتَّى أَتَى رَاحِلَتَهُ حَيْثُ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُحْبَسَ لَهُ، فَرَكَّبَهَا، فَلَحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ فَأَدْرَكَهُ بِالْجَعْرَانَةِ- أَوْ

بِمَكَّةَ- فَرَدَّ عَلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، وَأَعْطَاهُ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ، وَأَسْلَمَ حُسْنُ إِسْلَامُهُ.

وَأَسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَ عَلَى قَوْمِهِ وَعَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ تِلْكَ الْقَبَائِلِ حَوْلَ الطَّائِفِ: ثُمَالَةَ وَسَلَمَةَ وَفَهْمَ، فَكَانَ يُقَاتِلُ بِهِمْ ثَقِيفًا، لَا يَخْرُجُ لَهُمْ سَرَحٌ إِلَّا أَغَارَ عَلَيْهِ، حَتَّى ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ أَبُو مَحْجَنَ ابْنُ حَبِيبٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ الثَّقَفِيُّ:

هَابَتِ الْأَعْدَاءُ جَانِبَنَا ... ثُمَّ تَغَرَّوْنَا بَنُو سَلَمَةَ

وَأَتَانَا مَالِكٌ بِهِمْ ... نَاقِضًا لِلْعَهْدِ وَالْحَرَمَةِ

وَأَتُونَا فِي مَنَازِلِنَا ... وَلَقَدْ كُنَّا أُولَى نِقْمَةٍ

وَهَذَا آخِرُ حَدِيثِ أَبِي وَجْزَةٍ.

ثُمَّ رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، قَالَ: فَلَمَّا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَ مِنْ رَدِّ سَبَايَا حَنِينٍ إِلَى أَهْلِهَا، رَكِبَ وَاتَّبَعَهُ النَّاسُ [يَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اقْسِمْ عَلَيْنَا فَيُنَا الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ، حَتَّى الْجُثُوهُ إِلَى شَجَرَةٍ، فَاخْتَطَفَتِ الشَّجَرَةُ عَنْهُ رِدَاءَهُ، فَقَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي أَيُّهَا النَّاسُ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ شَجَرِ تِهَامَةٍ نِعْمًا لَقَسَمْتُهَا عَلَيْكُمْ، ثُمَّ مَا لَقَيْتُمُونِي بِخَيْلٍ وَلَا جَبَانًا وَلَا كَذَابًا ثُمَّ قَامَ إِلَى جَنْبِ بَعِيرٍ، فَأَخَذَ وَبَرَةً مِنْ سَنَامِهِ فَجَعَلَهَا بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ، ثُمَّ رَفَعَهَا فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ وَاللَّهِ لَيْسَ لِي مِنْ فَيْئِكُمْ وَلَا هَذِهِ الْوَبَرَةُ إِلَّا الْخُمْسُ، وَالْخُمْسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ، فَأَدُّوا الْخِلَاطَ وَالْخَيْطَ،

فَإِنَّ الْغُلُولَ يَكُونُ عَلَى أَهْلِهِ عَارًا وَنَارًا وَشَنَارًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِكُبَّةٍ مِنْ خِيُوطٍ شَعْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخَذْتُ هَذِهِ الْكُبَّةَ أَعْمَلُ بِهَا بَرْدَةً بَعِيرٍ لِي دَبْرٍ، قَالَ: أَمَّا نَصِيبِي مِنْهَا فَلَاكَ، [فَقَالَ:

إِنَّهُ إِذَا بَلَغَتْ هَذِهِ فَلَا حَاجَةَ لِي بِهَا، ثُمَّ طَرَحَهَا مِنْ يَدِهِ.

إِلَى هَاهُنَا حَدِيثُ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَ الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ- وَكَانُوا

أَشْرَافًا مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ يَتَأَلَّفُهُمْ وَيَتَأَلَّفُ بِهِ قُلُوبَهُمْ - فَأَعْطَى أَبَا سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ مِائَةَ بَعِيرٍ، وَأَعْطَى ابْنَهُ مُعَاوِيَةَ مِائَةَ بَعِيرٍ، وَأَعْطَى حَكِيمَ ابْنَ حِزَامٍ مِائَةَ بَعِيرٍ، وَأَعْطَى النَّضِيرَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ بْنِ عَلْقَمَةَ أَخَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ مِائَةَ بَعِيرٍ، وَأَعْطَى الْعَلَاءَ بْنَ جَارِيَةَ الثَّقَفِيِّ حَلِيفَ بَنِي زُهْرَةَ مِائَةَ بَعِيرٍ، وَأَعْطَى الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ مِائَةَ بَعِيرٍ، وَأَعْطَى صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةَ بَعِيرٍ، وَأَعْطَى سَهِيلَ بْنَ عَمْرٍو مِائَةَ بَعِيرٍ، وَأَعْطَى حُوَيْطَبَ بْنَ عَبْدِ الْعَزَّى بْنِ أَبِي قَيْسٍ مِائَةَ بَعِيرٍ، وَأَعْطَى عَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ مِائَةَ بَعِيرٍ، وَأَعْطَى الْأَقْرَعَ ابْنَ حَابِسٍ التَّمِيمِيَّ مِائَةَ بَعِيرٍ، وَأَعْطَى مَالِكََ بْنَ عَوْفٍ النَّصْرِيَّ مِائَةَ بَعِيرٍ، فَهَؤُلَاءِ أَصْحَابُ الْمِثْنِ، وَأَعْطَى دُونَ الْمِائَةِ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ، مِنْهُمْ مَخْرَمَةُ ابْنِ نَوْفَلٍ بْنِ أَهْبَبٍ الزُّهْرِيُّ، وَعُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ الْجُمَحِيُّ، وَهِشَامُ بْنُ عَمْرٍو أَخُو بَنِي عَامِرٍ بْنِ لُؤَيٍّ - لَا يُحْفَظُ عِدَّةُ مَا أَعْطَاهُمْ، وَقَدْ عُرِفَ فِيمَا زِعِمَ أَنَّهَا دُونَ الْمِائَةِ - وَأَعْطَى سَعِيدَ بْنَ يَرْبُوعَ بْنِ عَنَكَةَ بْنَ عَامِرٍ بْنِ مَخْزُومٍ نَحْسِينَ مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى السَّهْمِيَّ نَحْسِينَ مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عَبَّاسَ بْنَ مُرْدَاسٍ السُّلَمِيَّ ابَاعِرَ فَنَسَخَطَهَا، وَعَاتَبَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ص، فَقَالَ:

كَانَتْ نِهَابًا تَلَا فِتْنًا ... بِكَرِّي عَلَى الْمُهْرِ فِي الْأَجْرِ
وَإِبْقَاظِي الْقَوْمَ أَنْ يَرْقُدُوا ... إِذَا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ أَهْجَعْ
فَأَصْبَحَ نَهْيِي وَنَهَبَ الْعَبِيدَ ... بَيْنَ عَيْنَةٍ وَالْأَقْرَعِ
وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ ذَا تُدْرٍ ... فَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا وَلَمْ أُمْنَعْ
إِلَّا أَفَائِلَ أُعْطِيَتْهَا ... عَدِيدَ قَوَائِمِهَا الْأَرْبَعِ

وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ ... يَفُوقَانِ مُرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِي مِنْهُمَا ... وَمَنْ تَضَعُ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعُ
قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: اذْهَبُوا فَاقْطَعُوا عَنِّي لِسَانَهُ، فزادوه حَتَّى رَضِيَ، فَكَانَ ذَلِكَ قَطْعَ لِسَانِهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ [مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ، ابْنِ قَائِلَا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص مِنْ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُعْطِيَتْ عَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ مِائَةَ مِائَةٍ، وَتَرَكْتُ جُعِيلَ بْنَ سُرَاقَةَ الضَّمْرِيَّ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَجُعِيلُ بْنُ سُرَاقَةَ خَيْرٌ مِنْ طِلَاعِ الْأَرْضِ، كُلُّهُمْ مِثْلُ عَيْنَةِ بْنِ حِصْنٍ وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، وَلَكِنِّي تَأَلَّفْتُهُمَا لِيُسَلِّمَا، وَوَكَلْتُ جُعِيلَ بْنَ سُرَاقَةَ إِلَى إِسْلَامِهِ]

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مِقْسَمِ أَبِي الْقَاسِمِ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ، قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَتَلِيدُ بْنُ كِلَابٍ اللَّبِيثُ حَتَّى أَتَيْنَا عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ مُعَلِّقًا نَعْلَيْهِ بِيَدِهِ، فَقُلْنَا لَهُ:

هَلْ حَضَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ ص حِينَ كَلَّمَهُ التَّمِيمِيُّ يَوْمَ حَنِينٍ؟

[قَالَ: نَعَمْ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُ ذُو الْخَوِصْرَةِ، فَوَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَهُوَ يُعْطِي النَّاسَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قَدْ رَأَيْتُ مَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْيَوْمِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: أَجَلْ، فَكَيْفَ رَأَيْتَ؟ قَالَ: لَمْ أَرَكَ عَدَلْتَ! فغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ص، ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ! إِذَا لَمْ يَكُنِ الْعَدْلُ عِنْدِي، فَعِنْدَ مَنْ يَكُونُ! فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَقْتُلُهُ! فَقَالَ: لَا، دَعُوهُ، فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شِيعَةٌ يَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ حَتَّى يُخْرِجُوا مِنْهُ كَمَا يُخْرِجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ فِي النَّصْلِ فَلَا يُوْجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ فِي الْقَدَحِ فَلَا يُوْجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ فِي الْفَوْقِ فَلَا يُوْجَدُ شَيْءٌ، سَبَقَ الْفَرْثُ وَالْدَّمُ].

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ مِثْلَ ذَلِكَ، وَسَمَاءُ ذَا الْخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيَّةُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَدْ رَوَى عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ الَّذِي كَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ ص بِهَذَا الْكَلَامِ، أَمَّا كَلِمُهُ بِهِ فِي مَالٍ كَانَ عَلَى عِوَضِهِ مِنْ الْيَمَنِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَقَسَمَهُ بَيْنَ جَمَاعَةٍ، مِنْهُمْ عَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، وَالْأَقْرَعُ، وَزَيْدُ الْخَلِيلِ، فَقَالَ حِينَئِذٍ مَا ذُكِرَ عَنْ ذِي الْخُوَيْصِرَةِ أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ حَضَرَهُ

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ [أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ص مِمَّنْ شَهِدَ مَعَهُ حُنَيْنًا، قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسِيرُ إِلَى جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ ص عَلَى نَاقَةٍ لِي، وَفِي رِجْلِي نَعْلٌ غَلِيظَةٌ، إِذْ زَحَمَتْ نَاقَتِي نَاقَةَ رَسُولِ اللَّهِ، وَيَقَعُ حَرْفُ نَعْلِي عَلَى سَاقِ رَسُولِ اللَّهِ فَأَوْجَعَهُ، قَالَ: فَفَرَعْتُ قَدَمِي بِالسُّوْطِ، وَقَالَ:

أَوْجَعَتْنِي فَتَأَخَّرَ عَنِّي، فَأَنْصَرَفْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ يَلْتَمِسُنِي، قَالَ: قُلْتُ: هَذَا وَاللَّهِ لِمَا كُنْتُ أَصَبْتُ مِنْ رِجْلِ رَسُولِ اللَّهِ بِالْأَمْسِ قَالَ:

لِحُفَّتِهِ وَأَنَا أَتَوَقَّعُ، فَقَالَ لِي: إِنَّكَ قَدْ أَصَبْتَ رِجْلِي بِالْأَمْسِ فَأَوْجَعَتْنِي فَفَرَعْتُ قَدَمَكَ بِالسُّوْطِ، فَدَعَوْتُكَ لِأَعُوْضَكَ مِنْهَا، فَأَعْطَانِي ثَمَانِينَ نَعْجَةً بِالضَّرْبَةِ الَّتِي ضَرَبَنِي].

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: لَمَّا أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ مَا أُعْطِيَ مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُمْ الْقَالَةُ، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ وَاللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ قَوْمَهُ! فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتُ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عَظَمًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ، قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ! قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَنَا إِلَّا مِنْ قَوْمِي! قَالَ: فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدُ فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَهُ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ فَدَرَسَهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ أَتَاهُ سَعْدُ فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَاتَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، مَا قَالَةُ بَلَّغْتَنِي عَنْكُمْ،

٣٠٢٠١٧ عمرة رسول الله من الجعرانة

وَمَوْجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَلَمْ أَتِكُمْ ضُلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ، وَأَعْدَاءً فَالَفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ! قَالُوا: بَلَى، لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ! فَقَالَ: أَلَا تُجِيبُونِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ! قَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ لَقُلْتُمْ فَصَدَقْتُمْ، وَلَصَدَقْتُمْ، أَتَيْتُنَا مَكْدَبًا فَصَدَقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَأَوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَاسْتَيْنَاكَ، وَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفَتْ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِبُوا، وَوَكَلْتُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ! أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ! [فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكَتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ! اللَّهُمَّ ارْحِمِ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ!] قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهِمُ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحِطًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَتَفَرَّقُوا

. عمرة رسول الله من الجعرانة

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنَ الْجِعْرَانَةِ مُعْتَمِرًا، وَأَمَرَ بِبَقَايَا الْفِيءِ، فَخُبِسَ بِمَجَنَّةَ، وَهِيَ بِنَاحِيَةِ مَرِّ الظُّهْرَانِ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ عُمْرَتِهِ وَانْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ، اسْتَخْلَفَ عَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ عَلَى مَكَّةَ، وَخَلَفَ مَعَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَفْقَهُ النَّاسَ فِي الدِّينِ وَيُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ، وَاتَّبَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِبَقَايَا الْفِيءِ وَكَانَتْ عُمَرُ رَسُولِ اللَّهِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ص

الْمَدِينَةَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ أَوْ فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَجَّ النَّاسُ تِلْكَ السَّنَةَ عَلَى مَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَحْجُّ عَلَيْهِ، وَجَّ تِلْكَ السَّنَةَ بِالْمُسْلِمِينَ عَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ، وَهِيَ سَنَةٌ ثَمَانٍ، وَأَقَامَ أَهْلُ الطَّائِفِ عَلَى شَرِكِهِمْ وَأَمْتِنَاعِهِمْ فِي طَائِفِهِمْ مَا بَيْنَ ذِي الْقَعْدَةِ، إِذْ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ عَنْهُمْ إِلَى شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْغَنَائِمَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْجِعْرَانَةِ، أَصَابَ كُلَّ رَجُلٍ أَرْبَعٌ مِنَ الْإِبِلِ وَأَرْبَعُونَ شَاةً، فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ فَارِسًا أَخَذَ سَهْمَ فَرَسِهِ أَيْضًا وَقَالَ أَيْضًا: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْمَدِينَةَ لِلَّيَالِ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَفَرَتِهِ هَذِهِ. قَالَ: وَفِيهَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى جَيْفَرٍ وَعَمْرُو ابْنِ الْجَلَنْدِيِّ مِنَ الْأَزْدِ مُصَدِّقًا، نَخْلِيًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّدَقَةِ، فَأَخَذَ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَاءِهِمْ وَرَدَّهَا عَلَى فَقَرَائِهِمْ، وَأَخَذَ الْجَزِيَّةَ مِنَ الْمَجُوسِ الَّذِينَ بِهَا، وَهُمْ كَانُوا أَهْلَ الْبَلَدِ، وَالْعَرَبُ كَانُوا يَكُونُونَ حَوْلَهَا. قَالَ: وَفِيهَا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْكَلَابِيَّةَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ الضَّحَّاكِ بْنِ سُفْيَانَ، فَاخْتَارَتِ الدُّنْيَا حِينَ خَيْرَتْ وَقِيلَ: إِنَّهَا اسْتَعَاذَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، فَفَارَقَهَا وَذَكَرَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ وَثِيئَةَ بْنَ مَالِكِ بْنِ أَوْسِ بْنِ الْحَدَّثَانِ، حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي وَجْزَةَ السَّعْدِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ص تَزَوَّجَهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ.

قَالَ: وَفِيهَا وَلَدَتْ مَارِيَةُ إِبْرَاهِيمَ فِي ذِي الْحِجَّةِ، فَدَفَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى أُمِّ بُرْدَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ بْنِ زَيْدِ بْنِ لَبِيدِ بْنِ خَدَّاشِ بْنِ عَامِرِ بْنِ غَنَمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ، وَزَوَّجَهَا الْبَرَاءُ بْنُ أَوْسِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْجَعْدِ ابْنَ عَوْفِ بْنِ مَبْدُولِ بْنِ عَمْرُو بْنِ غَنَمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ، فَكَانَتْ تَرْضِعُهُ.

قَالَ: وَكَانَتْ قَابِلَتَهَا سَلْمَى مَوْلَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَخَرَجَتْ إِلَى أَبِي رَافِعٍ فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا وَلَدَتْ غُلَامًا، فَبَشَّرَ بِهِ أَبُو رَافِعٍ رَسُولَ اللَّهِ، فَوَهَبَ لَهُ مَمْلُوكًا. قَالَ: وَغَارَتْ نِسَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِنَّ حِينَ رُزِقَتْ مِنْهُ الْوَلَدُ.

٣٠٣ سنه تسع

٣٠٣٠١ امر ثقيف وإسلامها

ثم دخلت
سنة تسع

وفيهما قدم وفد بني اسد على رسول الله ص- فيما ذكر- فقالوا: قدمنا يا رسول الله قبل أن ترسل إلينا رسولاً، فأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ: «يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ» الآية. وفيها قدم وفد يلي في شهر ربيع الأول، فنزلوا على رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتِ الْبَلَوِيِّ. وفيها قدم وفد الدارين من لحم، وهم عشرة. امر ثقيف وإسلامها

وفيهما قدم- في قول الْوَاقِدِيِّ- عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص مسلماً، وَكَانَ مِنْ خَبْرِهِ- مَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ:

حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ حِينَ أَنْصَرَفَ عَنْ أَهْلِ الطَّائِفِ اتَّبَعَ اثْرُهُ عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ بْنُ مُعْتَبٍ حَتَّى أَدْرَكَهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَاسْتَلَمَ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى قَوْمِهِ بِالْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَ - كَمَا يَتَخَذُ قَوْمُهُمْ: إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ، وَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّ فِيهِمْ نَخْوَةً بِالْإِمْتِنَاعِ الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ - فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَبْكَارِهِمْ - وَكَانَ فِيهِمْ كَذَلِكَ مُحِبًّا مُطَاعًا -

فَخَرَجَ يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَرَجَا أَلَّا يَخَالِفُوهُ لِمَنْزِلَتِهِ فِيهِمْ، فَلَمَّا أَشْرَفَ لَهُمْ عَلَى عِلْيَةٍ لَهُ وَقَدْ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَظْهَرَ لَهُمْ دِينَهُ، رَمَوْهُ بِالنَّبْلِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَأَصَابَهُ سَهْمٌ فَقَتَلَهُ، فَتَزَعَمَ بَنُو مَالِكٍ أَنَّهُ قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أَوْسُ بْنُ عَوْفٍ، أَخُو بَنِي سَالِمٍ بْنِ مَالِكٍ، وَتَزَعَمُ الْأَحْلَافُ أَنَّهُ قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ مِنْ بَنِي عَتَّابٍ بْنِ مَالِكٍ، يُقَالُ لَهُ وَهْبُ بْنُ جَابِرٍ فَقِيلَ لِعُرْوَةَ:

مَا تَرَى فِي دَمِكَ؟ قَالَ: كَرَامَةٌ أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا، وَشَهَادَةٌ سَاقَهَا اللَّهُ إِلَيَّ، فَلَيْسَ فِيَّ إِلَّا مَا فِي الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ قَتَلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَحِلَ عَنْكُمْ، فَادْفُونِي مَعَهُمْ، فَدَفَنُوهُ مَعَهُمْ [فَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ قَالَ فِيهِ: إِنَّ مَثَلَهُ فِي قَوْمِهِ كَمَثَلِ صَاحِبِ يَسٍ فِي قَوْمِهِ] . وَفِيهَا قَدَمٌ وَفَدَّ أَهْلُ الطَّائِفِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَ، قِيلَ: إِنَّهُمْ قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

فَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

ثُمَّ أَقَامَتْ ثَقِيفٌ بَعْدَ قَتْلِ عُرْوَةَ أَشْهَرًا، ثُمَّ إِنَّهُمْ اتَّمَرُوا بَيْنَهُمْ أَلَّا طَاقَةَ لَهُمْ بِحَرْبٍ مِنْ حَوْلِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ وَقَدْ بَايَعُوا وَأَسْلَمُوا. وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقٍ الثَّقَفِيِّ، أَنَّ عَمْرُو بْنَ أُمَيَّةَ أَخَا بَنِي عِلَاجٍ كَانَ مُهَاجِرًا لِعَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَمْرٍو، الَّذِي بَيْنَهُمَا سِيٌّ - وَكَانَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِ - فَشَقَى إِلَى عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَمْرٍو حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ دَارَهُ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ: أَنَّ عَمْرُو بْنَ أُمَيَّةَ يَقُولُ لَكَ: أَخْرِجْ إِلَيَّ، فَقَالَ عَبْدُ يَالِيلَ لِلرَّسُولِ: وَيْحَكَ! أَعْمَرُوا أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَهُوَ ذَا وَقَفٍ فِي دَارِكَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مَا كُنْتُ أَظُنُّهُ! لِعَمْرٍو كَانَ أَمْنٌ فِي نَفْسِهِ مِنْ ذَلِكَ فَلَمَّا رَأَاهُ رَحِبَ بِهِ، وَقَالَ عَمْرُو: إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِنَا أَمْرٌ لَيْسَتْ مَعَهُ هِجْرَةٌ، إِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ مَا قَدْ رَأَيْتَ، وَقَدْ أَسْلَمْتُ

الْعَرَبُ كُلُّهَا، وَلَيْسَتْ لَكُمْ بِحَرْبِهِمْ طَاقَةٌ، فَانظُرُوا فِي أَمْرِكُمْ فَعِنْدَ ذَلِكَ اتَّمَرَتْ ثَقِيفٌ بَيْنَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يَأْمُرُ لَكُمْ سَرَبٌ، وَلَا يَخْرُجُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا اقْتِطَعَ بِهِ! فَاتَّمَرُوا بَيْنَهُمْ، وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَرْسُلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَ رَجُلًا، كَمَا أَرْسَلُوا عُرْوَةَ، فَكَلَمُوا عَبْدَ يَالِيلَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ عُمَيْرٍ - وَكَانَ فِي سِنِّ عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ - وَعَرَضُوا ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَأَبَى أَنْ يَفْعَلَ، وَخَشِيَ أَنْ يُضَنَّ بِهِ إِذَا رَجَعَ كَمَا يُضَنَّ بِعُرْوَةَ، فَقَالَ: لَسْتُ فَاعِلًا حَتَّى تَبْعَثُوا مَعِيَ رَجُلًا، فَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَبْعَثُوا مَعَهُ رَجُلَيْنِ مِنَ الْأَحْلَافِ وَثَلَاثَةً مِنْ بَنِي مَالِكٍ، فَيَكُونُوا سِتَّةً: عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ بْنِ بَشْرِ بْنِ عَبْدِ دُهْمَانَ أَخُو بَنِي يَسَارٍ، وَأَوْسُ بْنُ عَوْفٍ أَخُو بَنِي سَالِمٍ، وَغَمِيرُ بْنُ خَرْشَةَ بْنِ رِبِيعَةَ أَخُو بَلْحَارِثٍ، وَبَعَثُوا مِنَ الْأَحْلَافِ مَعَ عَبْدِ يَالِيلَ الْحَكَمَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ وَهْبٍ بْنِ مُعْتَبٍ وَشَرْحَبِيلَ بْنَ غِيلَانَ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ مُعْتَبٍ، فَخَرَجَ بِهِمْ عَبْدُ يَالِيلَ - وَهُوَ نَابُ الْقَوْمِ وَصَاحِبُ أَمْرِهِمْ - وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَّا خَشْيَةً مِنْ مِثْلِ مَا صَنَعَ بِعُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ، لِيَشْغَلَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَى الطَّائِفِ رَهْطُهُ - فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ، وَنَزَلُوا قَنَاقَةَ لَقُوا بِهَا الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَرْعَى فِي نَوْبَتِهِ رِكَابَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، وَكَانَتْ رَعِيَّتُهَا نَوْبًا عَلَى أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا رَأَاهُمُ الْمُغِيرَةُ تَرَكَ الرِّكَابَ وَضَبَرَ يَشْتَدُّ لِيُشِيرَ رَسُولَ اللَّهِ صَ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ، فَلَقِيَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَأَخْبَرَهُ عَنْ رَكْبٍ ثَقِيفٍ أَنَّهُمْ قَدِمُوا يُرِيدُونَ الْبَيْعَةَ وَالْإِسْلَامَ، بِأَنْ يَشْرَطَ لَهُمْ شُرُوطًا، وَيَكْتَتِبُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كِتَابًا فِي قَوْمِهِمْ وَبِلَادِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمُغِيرَةِ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ لَا تَسْبِقَنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى

أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَحْدَثَهُ، فَفَعَلَ الْمُغِيرَةُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَأَخْبَرَهُ عَنْ رَكْبٍ ثَقِيفٍ بُقْدُومِهِمْ، ثُمَّ خَرَجَ الْمُغِيرَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَرَوْحَ الظُّهْرِ مَعَهُمْ، وَعَلِمَهُمْ كَيْفَ يَحْيُونَ رَسُولَ اللَّهِ ص، فَلَمْ يَفْعَلُوا إِلَّا بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ

ولما ان قدموا على رسول الله ص ضربَ عليهم قبةً في ناحية مسجده - كما يزعمون - وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ص، حتى اكتتبوا كتابهم، وكان خالد هو الذي كتب كتابهم بيده، وكانوا لا يطعمون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله حتى يأكل منه خالد، حتى أسلموا وبايعوا وفرغوا من كتابهم - وقد كان فيما سألوا رسول الله ص أن يدع الطاغية، وهي اللات، لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى رسول الله ذلك عليهم، فما برحوا يسألونه سنة سنة، فأبى عليهم حتى سأله شهراً واحداً بعد مقدمهم، فأبى أن يدعها شيئاً يسمى، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يسألوا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذرائعهم، ويكرهون أن يروعا قومهم يهدمها حتى يدخلهم الإسلام - فأبى رسول الله ص ذلك إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة ابن شعبة فيهدمها، [وقد كانوا سأله مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة، وأن يكسروا أوثانهم بأيديهم، فقال رسول الله: أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه، وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه، فقالوا: يا محمد، أما هذه فسؤتيكها وإن كانت دناءة] .

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ص كتابهم، أمر عليهم عثمان بن أبي العاص - وكان من أحدثهم سناً - وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن، فقال أبو بكر لرسول الله ص:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ هَذَا الْغُلَامَ فِيهِمْ مِنْ أَحْرَصِهِمْ عَلَى التَّفَقُّهِ فِي الْإِسْلَامِ وَتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ. حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَعْقُوبَ ابْنِ عَتَبَةَ، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَتَوَجَّهُوا إِلَى بِلَادِهِمْ رَاجِعِينَ، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ،

٣٠٣٠٢ ذكر الخبر عن غزوه تبوك

وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فِي هَدْمِ الطَّاغِيَةِ، نَفَرَجَا مَعَ الْقَوْمِ، حَتَّى إِذَا قَدِمُوا الطَّائِفَ أَرَادَ الْمُغِيرَةُ أَنْ يُقَدِّمَ أَبَا سُفْيَانَ، فَأَبَى ذَلِكَ أَبُو سُفْيَانَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: ادْخُلْ أَنْتَ عَلَى قَوْمِكَ، وَأَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ بِمَالِهِ بِذِي الْحَرَمِ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ عَلَاهَا يَضْرِبُهَا بِالْمِعْوَلِ، وَقَامَ قَوْمُهُ دُونَهُ - بَنُو مُعْتَبٍ - خَشْيَةً أَنْ يَرْمَى أَوْ يُصَابَ كَمَا أُصِيبَ عُرْوَةُ، وَخَرَجَ نِسَاءُ ثَقِيفٍ حُسْرًا يَبْكِينَ عَلَيْهَا، وَيَقْلُنَ:

أَلَا ابْكِينَ دَفَاعٌ ... أَسْلَبَهَا الرِّضَاعُ
لَمْ يُحْسِنُوا الْمِصَاعُ.

قَالَ: وَيَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ وَالْمُغِيرَةُ يَضْرِبُهَا بِالْفَاسِ: وَاها لك! وَاها لك! فَلَمَّا هَدَمَهَا الْمُغِيرَةُ أَخَذَ مَالَهَا وَحَلِيَّهَا وَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَحَلِيَّهَا جَمُوعًا، وَمَالَهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالْجَزَعِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَمَرَ أَبَا سُفْيَانَ أَنْ يَقْضِيَ مِنْ مَالِ اللاتِ دِينَ عُرْوَةَ وَالْأَسُودَ ابْنَ مَسْعُودٍ، فَقَضَى مِنْهُ دَيْنَهُمَا.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ص غَزْوَةَ تَبُوكَ.

ذَكَرَ الْخَبْرَ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنَ الطَّائِفِ، مَا بَيْنَ ذِي الْحِجَّةِ إِلَى رَجَبٍ

ثم امر الناس بالتهيؤ الغزو الروم، حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ وَيزيد بن رومان وعبد الله بن

أَبِي بَكْرٍ وَعَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ وَغَيْرِهِمْ، كُلُّ قَدْ حَدَّثَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ مَا بَلَغَهُ عَنْهَا، وَبَعْضُ الْقَوْمِ يُحَدِّثُ مَا لَمْ يُحَدِّثْ بَعْضٌ، وَكُلُّ قَدْ اجْتَمَعَ حَدِيثُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالتَّيَّؤِ لِعَزْوِ الرُّومِ، وَذَلِكَ فِي زَمَنِ عُسْرَةٍ مِنَ النَّاسِ، وَشِدَّةٍ مِنَ الْحَرِّ، وَجَدَّبَ مِنَ الْبِلَادِ، وَحِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَأُحْبِتَ الظَّلَالُ، فَالنَّاسُ يُحِبُّونَ الْمَقَامَ فِي ثَمَارِهِمْ وَظِلَالِهِمْ، وَيَكْرَهُونَ الشُّحُوصَ عَنْهَا عَلَى الْحَالِ مِنَ الزَّمَانِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَ قَلْبًا يَخْرُجُ فِي غَزْوَةٍ إِلَّا كُنِيَ عَنْهَا، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ غَيْرَ الَّذِي يَصُمِدُ لَهُ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَإِنَّهُ يَبْنِي لِلنَّاسِ لِبُعْدِ الشَّقَّةِ وَشِدَّةِ الزَّمَانِ وَكَثْرَةِ الْعَدُوِّ الَّذِي يَصُمِدُ لَهُ، لِيَتَأَهَّبَ النَّاسُ لِذَلِكَ أَهْبَتَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالْجِهَازِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ يُرِيدُ الرُّومَ.

فَتَجَهَّزَ النَّاسُ عَلَى مَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْكَرْهِ لِذَلِكَ الْوَجْهِ لِمَا فِيهِ، مَعَ مَا عَظَّمُوا مِنْ ذِكْرِ الرُّومِ وَغَزْوِهِمْ، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ فِي جِهَازِهِ ذَلِكَ لِلْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ أَخِي بَنِي سَلَمَةَ: هَلْ لَكَ يَا جَدُّ الْعَامَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ تَأْذَنَ لِي وَلَا تَفْتِنِي! فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفَ قَوْمِي مَا رَجُلٌ أَشَدُّ عَجَبًا بِالنِّسَاءِ مِنِّي، وَإِنِّي أَخْشَى إِنْ رَأَيْتُ نِسَاءً بَنِي الْأَصْفَرِ إِلَّا أَصْبِرَ عَنْهُمْ فَأَعْرِضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَ وَقَالَ: قَدْ أَذْنْتُ لَكَ، فَبَنِي الْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذْنُ لِي وَلَا تَفْتِنِي»] «الآيَةُ، أَيُّ إِنْ كَانَ إِنَّمَا يَخْشَى الْفِتْنَةَ مِنْ نِسَاءِ بَنِي الْأَصْفَرِ - وَلَيْسَ ذَلِكَ بِهِ - فَمَا سَقَطَ فِيهِ مِنَ الْفِتْنَةِ بِخَلْفِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَالرَّغْبَةِ بِنَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ أَعْظَمُ، وَإِنْ جَهَّزَ لِمَنْ وَرَائِهِ.

وَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ لِبَعْضٍ: لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ، زَاهِدَةً فِي الْجِهَادِ، وَشَكًّا فِي الْحَقِّ، وَإِرْجَافًا بِالرُّسُولِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِمْ: «وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كُنَّا نَفْقَهُونَ إِلَى قَوْلِهِ:

«جَزَاءٌ بِمَا كُنَّا نَكْسِبُونَ» .

ثُمَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ جَدَّ فِي سَفَرِهِ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالْجِهَازِ وَالْإِنْكَاشِ، وَحَضَّ أَهْلَ الْغَنَى عَلَى النَّفَقَةِ وَالْمُحْلَانِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَغَّبَهُمْ فِي ذَلِكَ، فَحَمَلَ رِجَالٌ مِنَ أَهْلِ الْغَنَى فَاحْتَسَبُوا، وَانْفَقَ عِثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فِي ذَلِكَ نَفَقَةً عَظِيمَةً لَمْ يُنْفِقْ أَحَدٌ أَعْظَمَ مِنْ نَفَقَتِهِ. ثُمَّ إِنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ الْبَكَاءُ، وَهُمْ سَبْعَةُ نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَغَيْرِهِمْ، [فَاسْتَحْمَلُوا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَانُوا أَهْلَ حَاجَةٍ، فَقَالَ:

«لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعِينَهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ»] قَالَ: فَلَبَّغَنِي أَنَّ يَامِينَ بْنَ عُمَيْرٍ بْنَ كَعْبِ النَّضْرِيِّ لَقِيَ أَبَا لَيْلَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ كَعْبٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَغْفَلٍ، وَهُمَا يَبْكِيَانِ، فَقَالَ لَهُمَا: مَا يَبْكِيَا؟ قَالَا: جِئْنَا رَسُولَ اللَّهِ لِيَحْمِلَنَا، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ مَا يَحْمِلُنَا عَلَيْهِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نَتَّقُوهُ بِهِ عَلَى الْخُرُوجِ مَعَهُ، فَأَعْطَاهُمَا نَاضِحًا فَارْتَحَلَاهُ، وَزَوَّدَهُمَا شَيْئًا مِنْ تَمْرٍ، فَخَرَجَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَ

قَالَ: وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ، فَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِ فَلَمْ يَعْذَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَذَكَرَ لِي أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ بَنِي غِفَارٍ، مِنْهُمْ خُفَافُ بْنُ إِيمَاءَ بْنِ رَحْضَةَ.

ثُمَّ اسْتَبَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَ سَفَرُهُ، وَأُجْمِعَ السَّيْرُ، وَقَدْ كَانَ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْطَأَتْ بِهِمُ النِّبَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى تَخْلَفُوا عَنْهُ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا ارْتِيَابٍ، مِنْهُمْ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ أَبِي كَعْبٍ أَخُو بَنِي سَلَمَةَ، وَمُرَّارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَهَلَالُ بْنُ أُمِيَّةٍ أَخُو بَنِي وَاقِفٍ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ أَخُو بَنِي سَالِمٍ بْنِ عَوْفٍ، وَكَانُوا نَفَرٌ صِدْقٍ لَا يَتَمُومُونَ فِي إِسْلَامِهِمْ، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَ ضَرْبَ

عَسْكَرُهُ عَلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ، وَضَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سُلُولَ عَسْكَرِهِ عَلَى حِدَةٍ أَسْفَلَ مِنْهُ بِحِذَاءِ ذُبَابٍ، جَبَلَ بِالْجَبَانَةِ أَسْفَلَ مِنْ ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ وَكَانَ - فِيمَا يَزْعُمُونَ - لَيْسَ بِأَقْلَ الْعَسْكَرِينَ، فَلَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ص تَخَلَّفَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فِيمَنْ تَخَلَّفَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَأَهْلِ الرِّيبِ - وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَخَا بَنِي عَوْفٍ بْنِ الْخَزْرَجِ - وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَبْتَلٍ أَخَا بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَرِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ النَّابُوتِ أَخَا بَنِي قَيْنَقَاعَ، وَكَانُوا مِنْ عُظَمَاءِ الْمُنَافِقِينَ، وَكَانُوا مِمَّنْ يَكِيدُ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ.

قَالَ: وَفِيهِمْ - فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ - أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ»، الْآيَةَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَخَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَى أَهْلِهِ، وَأَمَرَهُ بِالْإِقَامَةِ فِيهِمْ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ سَبَاعَ بْنَ عَرْفَطَةَ، أَخَا بَنِي غَفَارٍ، فَأَرْجَفَ الْمُنَافِقُونَ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَقَالُوا: مَا خَلَفَهُ

إِلَّا اسْتِثْقَالًا لَهُ، وَتَخَفًا مِنْهُ [فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ الْمُنَافِقُونَ، أَخَذَ عَلِيٌّ سِلَاحَهُ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ص وَهُوَ بِالْجُرْفِ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، زَعَمَ الْمُنَافِقُونَ أَنَّكَ إِنَّمَا خَلَفْتَنِي، أَنَّكَ اسْتِثْقَلْتَنِي وَتَخَفْتَنِي مِنِّي! فَقَالَ:

كَذِبُوا، وَلَكِنِّي إِنَّمَا خَلَقْتُكَ لِمَا وَرَائِي، فَارْجِعْ فَاخْلُفْنِي فِي أَهْلِي وَأَهْلِكَ، أَفَلَا تَرْضَى يَا عَلِيُّ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي!] فَرَجَعَ عَلِيٌّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ص عَلَى سَفَرِهِ.

ثُمَّ إِنَّ أَبَا خَيْثَمَةَ أَخَا بَنِي سَالِمٍ رَجَعَ - بَعْدَ أَنْ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَيَّامًا - إِلَى أَهْلِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ، فَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ لَهُ فِي عَرِيشَيْنِ لَهَا فِي حَائِطٍ، قَدْ رَشَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرِيشَهَا وَبَرَدَتْ لَهُ فِيهِ مَاءٌ، وَهَيَّاتُ لَهُ فِيهِ طَعَامًا، فَلَمَّا دَخَلَ فَقَامَ عَلَى بَابِ الْعَرِيشَيْنِ، فَنَظَرَ إِلَى امْرَأَتَيْهِ وَمَا صَنَعَتَا لَهُ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ص فِي الضَّحَى وَالرَّيْحِ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ فِي ظِلَالٍ بَارِدَةٍ وَمَاءٍ بَارِدٍ وَطَعَامٍ مَبِيلٍ وَامْرَأَةٍ حَسَنَاءَ، فِي مَالِهِ مَقِيمٌ! مَا هَذَا بِالنِّصْفِ! ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَدْخُلُ عَرِيشَ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا حَتَّى أَلْحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ، فَهَيْثَا لِي زَادًا، فَفَعَلْتَا ثُمَّ قَدِمَ نَاضِحَهُ فَارْتَحَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ فِي طَلَبِ رَسُولِ اللَّهِ ص حَتَّى أَدْرَكَهُ حِينَ نَزَلَ تَبُوكَ، وَقَدْ كَانَ أَدْرَكَ أَبَا خَيْثَمَةَ عَمِيرَ بْنَ وَهَبٍ الْجَمْحِيَّ فِي الطَّرِيقِ، يَطْلُبُ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَتَرَفَقَا حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ تَبُوكَ قَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ لِعَمِيرَ بْنَ وَهَبٍ: إِنَّ لِي ذَنْبًا، فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَخْلَفَ عَنِّي حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ص فَفَعَلَ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص وَهُوَ نَازِلٌ بِتَبُوكَ، قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَاكِبٌ عَلَى الطَّرِيقِ مُقْبِلٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ:

كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ! فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ وَاللَّهِ أَبُو خَيْثَمَةَ! فَلَمَّا انْأَخَّ أَقْبَلَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: أُولَى لَكَ يَا أَبَا خَيْثَمَةَ! ثُمَّ أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ الْخَبَرَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ.

وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص حِينَ مَرَّ بِالْحَجَرِ نَزَلَهَا وَاسْتَقَى النَّاسُ مِنْ بَثْرِهَا، فَلَمَّا رَاحُوا مِنْهَا [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا، وَلَا تَتَوَضَّئُوا مِنْهَا لِلصَّلَاةِ، وَمَا كَانَ مِنْ عَجِينٍ عَجَنْتُمُوهُ فَاعْلَفُوهُ إِلَّا بِلٍ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئًا، وَلَا يُخْرِجَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ]، فَفَعَلَ النَّاسُ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ، خَرَجَ أَحَدُهُمَا لِحَاجَتِهِ، وَخَرَجَ الْآخَرُ فِي طَلَبِ بَعِيرٍ لَهُ، فَأَمَّا الَّذِي ذَهَبَ لِحَاجَتِهِ فَإِنَّهُ خَنَقَ عَلَى مَذْهَبِهِ، وَأَمَّا الَّذِي ذَهَبَ فِي طَلَبِ بَعِيرِهِ فَاحْتَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى طَرَحَتْهُ فِي جَبَلِي طِيٍّ، فَخَبَرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَلَمْ أَنْهَكُمُ أَنْ يُخْرِجَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ! ثُمَّ دَعَا لِلَّذِي أَصِيبَ عَلَى مَذْهَبِهِ فَشَفِي، وَأَمَّا الْآخَرُ الَّذِي وَقَعَ بِجَبَلِي طِيٍّ، فَانْطَبَأَ هَدَيْتُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ص حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَالحديث عن الرجلين.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ: فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ - وَلَا مَاءَ مَعَهُمْ - شَكُّوا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَدَعَا اللَّهَ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ سَحَابَةً فَأَمْطَرَتْ حَتَّى ارْتَوَى النَّاسُ، وَاحْتَمَلُوا حَاجَتَهُمْ

مِنَ الْمَاءِ حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِمُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ: هَلْ كَانَ النَّاسُ يَعْرِفُونَ النِّفَاقَ فِيهِمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَعْرِفُهُ مِنْ أَخِيهِ وَمِنْ أَبِيهِ وَمِنْ عَمِّهِ وَمِنْ عَشِيرَتِهِ، ثُمَّ يَلْبِسُ بَعْضَهُمْ بَعْضًا عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ مُحَمَّدٌ:

لَقَدْ أَخْبَرَنِي رِجَالٌ مِنْ قَوْمِي عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ مَعْرُوفٌ نِفَاقُهُ، كَانَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَ حَيْثُ سَارَ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْمَاءِ بِالْحَجْرِ مَا كَانَ، وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَ حِينَ دَعَا، فَأَرْسَلَ اللَّهُ السَّحَابَةَ فَأَمْطَرَتْ حَتَّى ارْتَوَى النَّاسُ، أَقْبَلْنَا عَلَيْهِ نَقُولُ: وَيْحَكَ! هَلْ بَعْدَ هَذَا شَيْءٌ؟ قَالَ: سَحَابَةٌ مَرَّةً ثُمَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ سَارَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ ضَلَّتْ نَاقَتُهُ، فَخَرَجَ أَصْحَابُهُ فِي طَلَبِهَا، وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، يُقَالُ لَهُ عُمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ، وَكَانَ عَقِيبًا بِدْرِيًّا، وَهُوَ عَمُّ بَنِي عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ، وَكَانَ فِي رَحْلِهِ زَيْدُ بْنُ لُصَيْبٍ الْقَيْنَقَاعِيُّ، وَكَانَ مُنَافِقًا، فَقَالَ زَيْدُ بْنُ لُصَيْبٍ وَهُوَ فِي رَحْلِ عُمَارَةَ، وَعُمَارَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَ: [الَيْسَ يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ نَبِيٌّ يُخْبِرُكُمْ عَنْ خَبَرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَ- وَعُمَارَةُ عِنْدَهُ: إِنَّ رَجُلًا قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا هَذَا يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُخْبِرُكُمْ بِخَبَرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ! وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ، وَقَدْ دَلَّنِي اللَّهُ عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي الْوَادِي مِنْ شَعْبٍ كَذَا وَكَذَا قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزَمَامِهَا، فَانْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا بِهَا، فَذَهَبُوا لِبُجَاءِهَا،] فَارْجَعَ عُمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَعَجَبٌ مِنْ شَيْءٍ حَدَّثَنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَ أَنفًا عَنْ مَقَالَةٍ قَائِلٍ أَخْبَرَهُ اللَّهُ عَنْهُ كَذَا وَكَذَا- لِلَّذِي قَالَ زَيْدُ بْنُ لُصَيْبٍ- فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ فِي رَحْلِ عُمَارَةَ، وَلَمْ يَحْضُرْ رَسُولَ اللَّهِ: زَيْدُ بْنُ لُصَيْبٍ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةُ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ فَأَقْبَلَ عُمَارَةُ عَلَى زَيْدٍ يَجُأُ فِي عُنُقِهِ، وَيَقُولُ: يَا عِبَادَ اللَّهِ، وَاللَّهِ إِنْ فِي رَحْلِي لَدَاهِيَّةٌ وَمَا أَدْرِي! أَخْرَجَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ مِنْ رَحْلِي فَلَا تَصْحَبْنِي! قَالَ: فَزَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ زَيْدًا تَابَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَقَالَ بَعْضُ:

لَمْ يَزَلْ مَتَمًّا بِشَرِّ حَتَّى هَلَكَ

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَ سَائِرًا، فَجَعَلَ يَتَخَلَّفُ عَنْهُ الرَّجُلُ [فَيَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَخَلَّفَ فُلَانٌ، فَيَقُولُ: دَعُوهُ، فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَيَسِيلِحْهُ اللَّهُ بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ، حَتَّى قِيلَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَخَلَّفَ أَبُو ذَرٍّ وَابْطَأَ بِهِ بَعِيرُهُ، فَقَالَ: دَعُوهُ، فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَيَسِيلِحْهُ اللَّهُ بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ].

قَالَ: وَتَلَوَّمَ أَبُو ذَرٍّ عَلَى بَعِيرِهِ، فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ أَخَذَ مَتَاعَهُ، فَحَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ، ثُمَّ خَرَجَ يَتَّبِعُ أَثَرَ رَسُولِ اللَّهِ مَاشِيًا، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ فِي بَعْضِ مَنَازِلِهِ، فَنَظَرَهُ نَاطِرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، [فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ وَحْدَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَ: كُنْ أَبَا ذَرٍّ! فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ الْقَوْمُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ أَبُو ذَرٍّ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَ: يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ! يَمْشِي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيَبْعَثُ وَحْدَهُ].

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ سُفْيَانَ الْأَسْلَمِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ، قَالَ: لَمَّا نَفَى عُثْمَانُ أَبَا ذَرٍّ نَزَلَ أَبُو ذَرٍّ الرَّبْدَةَ، فَأَصَابَهُ بِهَا قَدَرُهُ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُهُ وَغُلَامُهُ، فَأَوْصَاهُمَا أَنْ غَسِّلَانِي وَكَفِّنَانِي، ثُمَّ ضَعَانِي عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، فَأَوَّلُ رَكْبٍ يَمُرُّ بِكُمْ فَقُولُوا: هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ فَلَمَّا مَاتَ فَعَلَا ذَلِكَ بِهِ، ثُمَّ وَضَعَاهُ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، فَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَرَهْطٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عُمَرَاءَ، فَلَمْ يَرَوْهُمْ إِلَّا بِجَنَازَةٍ عَلَى الطَّرِيقِ قَدْ كَادَتْ الْإِبِلُ تَطَوُّهَا، وَقَامَ إِلَيْهِمُ الْغُلَامُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ، فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ قَالَ: فَاسْتَهْلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَبْكِي، وَيَقُولُ: صَدَقَ

رَسُولُ اللَّهِ! تَمْشِي وَحَدَكْ، وَتَمُوتُ وَحَدَكْ، وَتَبْعُثُ وَحَدَكْ! ثُمَّ نَزَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَوَارَوْهُ.
ثُمَّ حَدَّثَهُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ حَدِيثَهُ وَمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي مَسِيرِهِ إِلَى تَبُوكَ

قَالَ: وَقَدْ كَانَ رَهْطٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، مِنْهُمْ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَمِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَشْجَعِ حَلِيفِ لَبْنِي سَلَمَةَ، يُقَالُ لَهُ مَخْشَى ابْنِ حَمِيرٍ، يَسِيرُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَهُوَ مُنْطَلِقٌ إِلَى تَبُوكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: اتَّحَسِبُونَ قِتَالَ بَنِي الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ غَيْرِهِمْ! وَاللَّهُ لَكَأَنِّي بِكُمْ غَدًا مُقَرَّنِينَ فِي الْحِيَالِ، إِرْجَافًا وَتَرْهِيًا لِلْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ مَخْشَى ابْنُ حَمِيرٍ: وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَقَاضِي عَلَى أَنْ يُضْرَبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهَا مِائَةً جَلْدَةً، وَأَنَا نَفَلْتُ أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ فِينَا قُرْآنًا لِمَقَالَتِكُمْ هَذِهِ [وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص- فِيمَا بَلَغَنِي- لِعِمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ: أَدْرِكِ الْقَوْمَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ احْتَرَقُوا، فَسَلُّهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَإِنْ أَنْكَرُوا قُتِلُوا: بَلَى قَدْ قُلْتُمْ كَذًا وَكَذَا] فَاُنْطَلَقَ إِلَيْهِمْ عِمَّارٌ فَقَالَ لَهُمْ ذَلِكَ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، فَقَامَ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ وَرَسُولُ اللَّهِ وَقَفَ عَلَى نَاقَتِهِ، لَجَلَلٌ يَقُولُ وَهُوَ آخِذٌ بِحَبْلِهَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُنَّا نَحُوضُ وَنَلْعَبُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ: «وَلَوْ أَنَّ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَحُوضُ وَنَلْعَبُ» وَقَالَ مَخْشَى بْنُ حَمِيرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَعَدَ بِي اسْمِي وَاسْمُ أَبِي، فَكَانَ الَّذِي عَفِيَ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَخْشَى بْنُ حَمِيرٍ، فَسَمِيَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَقْتُلَهُ شَهِيدًا لَا يَعْلَمُ مَكَانَهُ، فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ فَلَمْ يَوْجَدْ لَهُ أَثَرٌ فَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى تَبُوكَ، أَتَاهُ يَحْنَةُ بْنُ رُوْبَةَ، صَاحِبُ آيِلِهِ، فَصَالَحَ رَسُولَ اللَّهِ ص وَاعْطَاهُ الْجِزْيَةَ، وَاهْلَ جَرَبَاءَ وَادْرَحَ اعْطَاهُ الْجِزْيَةَ، وَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِكُلِّ كِتَابًا، فَهُوَ عَنْدهُمْ.

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص دَعَا خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، فَبَعَثَهُ إِلَى أَكِيدِرِ دُومَةَ- وَهُوَ أَكِيدِرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ، كَانَ مَلِكًا عَلَيْهَا، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا- فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِحَالِدٍ: إِنَّكَ سَتَجِدُهُ

يَصِيدُ الْبَقْرَ، فَخَرَجَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ حَصْنِهِ بِمَنْظَرِ الْعَيْنِ، وَفِي لَيْلَةٍ مُقَمَّرَةٍ صَائِفَةٍ، وَهُوَ عَلَى سَطْحٍ لَهُ، وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ، فَبَاتَتِ الْبَقْرُ تَحْتَ بُقْرُونِهَا بَابَ الْقَصْرِ، فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ: هَلْ رَأَيْتَ مِثْلَ هَذَا قَطُّ! قَالَ: لَا وَاللَّهِ، قَالَتْ: فَمَنْ يَتْرُكُ هَذَا؟ قَالَ: لَا أَحَدٌ فَنَزَلَ فَأَمَرَ بِفَرَسِهِ فَأَسْرَجَ لَهُ، وَرَكِبَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فِيهِمْ أَخٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ حَسَّانٌ، فَركَبَ، وَخَرَجُوا مَعَهُ بِمِطَارِدِهِمْ، فَلَمَّا خَرَجُوا تَلَقَّاهُمْ خَيْلُ رَسُولِ اللَّهِ ص فَأَخَذَتْهُ، وَقَتَلُوا أَخَاهُ حَسَّانَ، وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ قَبَاءٌ لَهُ مِنْ دِيْبَاجٍ مَخْصُصٍ بِالذَّهَبِ، فَاسْتَلَبَهُ خَالِدٌ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص قَبْلَ قُدُومِهِ عَلَيْهِ حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: [رَأَيْتُ قَبَاءَ أَكِيدِرٍ حِينَ قَدِمَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، لَجَلَلُ الْمُسْلِمُونَ يَلْمُسُونَهُ بِأَيْدِيهِمْ، وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: اتَّعَجَّبُونَ مِنْ هَذَا! فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَمُنَادِيْلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا!] حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

ثُمَّ إِنَّ خَالِدًا قَدِمَ بِأَكِيدِرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَحَقَّنَ لَهُ دَمَهُ، وَصَالَحَهُ عَلَى الْجِزْيَةِ، ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ، فَرَجَعَ إِلَى قَرْيَتِهِ.
رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ يَزِيدَ بْنِ رُوْمَانَ الَّذِي فِي أَوَّلِ غَزْوَةِ تَبُوكَ قَالَ:

فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِتَبُوكَ بِضْعَ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ وَلَمْ يُجَاوِزْهَا، ثُمَّ انْصَرَفَ قَافِلًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَكَانَ فِي الطَّرِيقِ مَاءٌ يَخْرُجُ مِنْ وَشَلٍ مَا يَرَوِي الرَّاكِبُ وَالرَّاكِبِينَ وَالثَّلَاثَةَ، بِوَادٍ يُقَالُ لَهُ وَادِي الْمُسْقَى، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: مَنْ سَبَقَنَا إِلَى ذَلِكَ الْمَاءِ فَلَا يَسْتَقِينَنَّ مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى نَأْتِيَهُ قَالَ:

فَسَبَقَهُ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَاسْتَقَوْا مَا فِيهِ، فَلَمَّا أَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ص وَقَفَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرِ فِيهِ شَيْئًا، فَقَالَ: مَنْ سَبَقَنَا إِلَى هَذَا الْمَاءِ؟ فَقِيلَ لَهُ:

يا رسول الله، فلان وفلان، فقال: أو لم ينههم أن يستقوا منه شيئاً حتى نأتيه! ثم لعنهم رسول الله، ودعا عليهم [ثم نزل ص، فوضع يده تحت الوشل، فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب، ثم نضحه به ومسحه بيده، ودعا رسول الله ص بما شاء الله أن يدعو، فأنحرق من الماء- كما يقول من سمعه: إن له حساً كحس الصواعق، فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه، [فقال رسول الله ص: من بقي منكم ليسمع بهذا الوادي، وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه] ١٢٤١٤ ثم أقبل رسول الله ص حتى نزل بذي أوان، بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك، [فقالوا: يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه فقال: إنني على جناح سفر، وحال شغل- أو كما قال رسول الله- ولو قد منا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه، فلما نزل بذي أوان أتاه خبر المسجد، فدعا رسول الله ص مالك بن الدخشم، أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدي- أو أخاه عاصم بن عدي أخا بني العجلان- فقال: انطلقا إلى المسجد الظالم أهله فاهداه وحرّاه، [فخرجنا سريعين حتى أتينا بني سالم بن عوف، وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لمعن: أنظرنني حتى أخرج إليك بنار من أهلي، فدخل إلى أهله، فأخذ سقاء من النخل، فأشعل فيه ناراً، ثم خرجا يشدان حتى دخلا المسجد وفيه أهله، فحرّاه وهدماه، وتفرقا عنه، ونزل فيهم من القرآن ما نزل: «والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين»، إلى آخر القصة.

وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً: خدام بن خالد، من بني عبيد بن

٣٠٣٣ امر طيء وعدى بن حاتم

زيد، أحد بني عمرو بن عوف- ومن داره أخرج مسجد الشقاق- وثعلبة بن حاطب من بني عبيد- وهو إلى بني أمية بن زيد، ومعتب بن قشير من بني ضبيعة بن زيد، وأبو حبيبة بن الأزعر من بني ضبيعة بن زيد، وعباد بن حنيف، أخو سهل بن حنيف من بني عمرو بن عوف، وجارية بن عامر، وابناه مجع بن جارية وزيد بن جارية، وبتل بن الحارث، من بني ضبيعة، وو بحرج- وهو إلى بني ضبيعة- وبجاد بن عثمان- وهو من بني ضبيعة- ووديعة بن ثابت وهو إلى بني أمية رهط أبي لبابة بن عبد المنذر.

قال: وقدم رسول الله ص المدينة- [وقد كان تحلف عنه رهط من المنافقين، وتحلف أولئك الرهط من المسلمين من غير شك ولا نفاق: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية- فقال رسول الله ص: لا يكلمن أحدًا أحدًا من هؤلاء الثلاثة،] وأتاه من تحلف عنه من المنافقين، فجعلوا يحلفون له ويعتدرون، فصّح عنهم رسول الله ص ولم يعذرهم الله ولا رسوله، واعتزل المسلمون كلام هؤلاء الثلاثة النفر، حتى أنزل الله عز وجل قوله: «لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار» - إلى قوله- «وكونوا مع الصادقين»، فتاب الله عليهم.

قال: وقدم رسول الله ص المدينة من تبوك في شهر رمضان.

وقدم عليه في ذلك الشهر وقد ثقيف، وقد مضى ذكر خبرهم قبل

. امر طيء وعدى بن حاتم

قال: وفي هذه السنة- أعني سنة تسع- وجه رسول الله ص علي بن أبي طالب رضي الله عنه في سرية إلى بلاد طيء في ربيع الآخر، فأغار عليهم، فسبى وأخذ سيفين كانا في بيت الصنم، يقال لأحدهما:

رُسُوبٌ، وَلِلْآخِرِ الْخِذْمُ، وَكَانَ لَهُمَا ذِكْرُكَ، كَانَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي شَمِرٍ نَذَرَهُمَا لَهُ، وَسَبَى أُخْتَ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ.
قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَأَمَّا الْأَخْبَارُ الْوَارِدَةُ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ عِنْدَنَا بِذَلِكَ فَبِغَيْرِ بَيَانٍ وَقْتٍ، وَبِغَيْرِ مَا قَالَ الْوَاقِدِيُّ فِي سَبْيِ عَلِيٍّ أُخْتُ عَدِيِّ
بْنِ حَاتِمٍ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سِمَاكٌ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبَادَ بْنَ حُبَيْشٍ يُحَدِّثُ عَنْ
عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: جَاءَتْ خَيْلُ رَسُولِ اللَّهِ ص- أَوْ قَالَ: رَسُلُ رَسُولِ اللَّهِ- فَأَخَذُوا عَمَتِي وَنَاسًا، فَاتُوا بِهِمُ النَّبِيَّ ص قَالَ: فَصَفُّوا
لَهُ قَالَتْ:

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَأَى الْوَأْفِدُ، وَانْقَطَعَ الْوَالِدُ، وَأَنَا عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ مَا بِي مِنْ خِدْمَةٍ، فَمَنْ عَلَيَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: وَمَنْ
وَأَفِدُكَ؟ قَالَتْ:

عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، قَالَ: الَّذِي فَرَّ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ! قَالَتْ: فَمَنْ عَلَيَّ- وَرَجُلٌ إِلَى جَنْبِهِ تَرَى أَنَّهُ عَلَيَّ ع، قَالَ: سَلِيهِ حَمَلَانَا- قَالَ: فَسَأَلْتُهُ،
فَامرَ بِهَا فَاتْنِي، فَقَالَتْ: لَقَدْ فَعَلْتُ فَعْلَةً مَا كَانَ أَبُوكَ يَفْعَلُهَا! قَالَتْ:
إِنِّي رَاغِبًا وَرَاهِبًا، فَقَدْ أَتَاهُ فَلَانٌ فَأَصَابَ مِنْهُ.

قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَإِذَا عِنْدَهُ امْرَأَةٌ وَصَبِيَانٌ- أَوْ صَبِيٌّ- فَذَكَرْتُ قُرْبَهُمْ مِنَ النَّبِيِّ ص- فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَلِكٍ كَسَرَى وَلَا قَيْصَرَ، [فَقَالَ لِي:
يَا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، مَا أَفْرَكَ أَنْ يُقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ! فَهَلْ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ! وَمَا أَفْرَكَ أَنْ يُقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ! فَهَلْ مِنْ شَيْءٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنَ اللَّهِ!
فَأَسَلْتُ فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ اسْتَبْشَرَ].

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ شَيْبَانَ بْنِ سَعْدٍ الطَّائِي، قَالَ: كَانَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ طِيئِي يَقُولُ فِيمَا بَلَغَنِي:
مَا رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ كَانَ أَشَدَّ كَرَاهِيَةً لِرَسُولِ اللَّهِ حِينَ سَمِعَ بِهِ مَنِي، أَمَا

أَنَا لَكُنْتُ أَمْرًا شَرِيفًا، وَكُنْتُ نَصْرَانِيًّا أُسِيرَ فِي قَوْمِي بِالْمَرْبَاعِ، فَكُنْتُ فِي نَفْسِي عَلَى دِينٍ، وَكُنْتُ مَلِكًا فِي قَوْمِي، لِمَا كَانَ يُصْنَعُ بِي، فَلَمَّا
سَمِعْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ كَرِهْتُهُ، فَقُلْتُ لِعِلاَمٍ كَانَ لِي عَرَبِيٌّ وَكَانَ رَاعِيًا لِإِبِلِي: لَا أَبَالِكَ! أَعَدِدْ لِي مِنْ إِبِلِي أَجْمَالًا ذُلًّا سَمَانًا مَسَانًا، فَاحْبِسْهَا
قَرِيبًا مِنِّي، فَإِذَا سَمِعْتَ بِحَيْشِ مُحَمَّدٍ قَدْ وَطِئَ هَذِهِ الْبِلَادَ فَادْنِي، فَفَعَلَ ثُمَّ إِنَّهُ أَتَانِي ذَاتَ غَدَاةٍ، فَقَالَ: يَا عَدِيُّ، مَا كُنْتَ صَانِعًا إِذَا
غَشَيْتَكَ خَيْلُ مُحَمَّدٍ فَاصْنَعُهُ الْآنَ، فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَايَاتٍ، فَسَأَلْتُ عَنْهَا، فَقَالُوا: هَذِهِ جُيُوشُ مُحَمَّدٍ، قَالَ:
فَقُلْتُ: قَرَّبْ لِي جِمَالِي، فَقَرَّبَهَا، فَاحْتَمَلْتُ بِأَهْلِي وَوَلَدِي، ثُمَّ قُلْتُ:

أَلْحَقْ بِأَهْلِي دِينِي مِنَ النَّصَارَى بِالشَّامِ، فَسَلَكْتُ الْحَوْشِيَّةَ وَخَلَفْتُ ابْنَةَ حَاتِمٍ فِي الْحَاضِرِ، فَلَمَّا قَدِمْتُ الشَّامَ أَقْبَتُ بِهَا، وَتَخَالَفَنِي خَيْلُ
لِرَسُولِ اللَّهِ ص فَتُصِيبُ ابْنَةَ حَاتِمٍ فَيَمْنُ أَصِيبُ فَقَدِمَ بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي سَبَايَا طِيئٍ، وَقَدْ بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ص هَرَبِي إِلَى الشَّامِ قَالَ:
[فَجَعَلْتُ ابْنَةَ حَاتِمٍ فِي حَظِيرَةِ بَابِ الْمَسْجِدِ كَانَتِ السَّبَايَا يُحْبَسْنَ بِهَا، فَرَبَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ص فَقَامَتْ إِلَيْهِ- وَكَانَتْ امْرَأَةً جَزَلَةً- فَقَالَتْ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَ الْوَالِدُ، وَغَابَ الْوَأْفِدُ، فَاْمَنْنُ عَلَيَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ! قَالَ: وَمَنْ وَأَفِدُكَ؟ قَالَتْ: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، قَالَ: الْفَارُّ مِنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ! قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ص وَتَرَكَنِي، حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ مَرَّ بِي وَقَدْ أَبَسْتُ، فَأَشَارَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ: أَنَّ قَوْمِي إِلَيْهِ
فَكَلِّمِي، قَالَتْ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَ الْوَالِدُ، وَغَابَ الْوَأْفِدُ، فَاْمَنْنُ عَلَيَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ! قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ فَلَا تَعْجَلِي
بِخُرُوجِ حَتَّى تَجِدِي مِنْ قَوْمِكَ مَنْ يَكُونُ لَكَ ثِقَةً حَتَّى يُبَلِّغَكَ إِلَى بِلَادِكَ ثُمَّ أَذِنِي] قَالَتْ: فَسَأَلْتُ عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيَّ أَنَّ كَلِمَةَ

فَقِيلَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَالَتْ: وَأَقْبْتُ حَتَّى قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَلِيٍّ - أَوْ مِنْ قُضَاعَةَ - قَالَتْ: وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ آتِيَ أَخِي

بِالشَّامِ، قَالَتْ: فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِي لِي فِيهِمْ ثِقَةٌ وَبَلَاغٌ قَالَتْ: فَكَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ ص، وَحَمَلَنِي وَأَعْطَانِي نَفَقَةً، فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ قَالَ عَدِي: فَوَاللَّهِ، إِنِّي لَقَاعِدٌ فِي أَهْلِي إِذْ نَظَرْتُ إِلَى طَعِينَةٍ تُصَوِّبُ إِلَيَّ تَوَمَّنًا قَالَ: فَقُلْتُ: ابْنَةُ حَاتِمٍ! قَالَ: فَإِذَا هِيَ هِيَ، فَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَيَّ انْسَحَلَتْ تَقُولُ: الْقَاطِعُ الظَّالِمُ! احْتَمَلْتَ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ، وَتَرَكْتَ بَنِيَّةَ وَالِدِكَ وَعَوْرَتَهُ! قَالَ: قُلْتُ: يَا أَخِيهِ، لَا تَقُولِي إِلَّا خَيْرًا، فَوَاللَّهِ مَا لِي عُدْرٌ، لَقَدْ صَنَعْتُ مَا ذَكَرْتَ قَالَ: ثُمَّ نَزَلَتْ فَأَقَامَتْ عِنْدِي، فَقُلْتُ لَهَا - وَكَانَتْ امْرَأَةً حَازِمَةً: مَاذَا تَرِينَ فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ؟ قَالَتْ: أَرَى وَاللَّهِ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ سَرِيعًا، فَإِنْ يَكُنِ الرَّجُلُ نَبِيًّا فَالَسَّابِقُ إِلَيْهِ لَهُ فَضِيلَةٌ، وَإِنْ يَكُنْ مَلِكًا فَلَنْ تَذَلَّ فِي عَرِّ الْيَمِينِ وَأَنْتِ أَنْتِ! قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنْ هَذَا لِلرَّأْيِ.

قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْدَمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَنْ الرَّجُلُ؟ فَقُلْتُ: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص فَانْطَلَقَ بِي إِلَى بَيْتِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَعَامِدٌ بِي إِذْ لَقِيْتُهُ امْرَأَةً ضَعِيفَةً كَبِيرَةً فَاسْتَوْفَقَتْهُ، فَوَقَفَ لَهَا طَوِيلًا تَكَلَّمَهُ فِي حَاجَتِهَا قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاللَّهِ مَا هَذَا بِمَلِكٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ، فَتَنَاولَ وَسَادَةً مِنْ أَدَمٍ مُحْشُوَّةً لِفًا، فَقَذَفَهَا إِلَيَّ، فَقَالَ لِي: اجْلِسْ عَلَى هَذِهِ، قَالَ: قُلْتُ: لَا بَلْ أَنْتَ، فَاجْلِسْ عَلَيْهَا قَالَ: لَا بَلْ أَنْتَ، [فَجَلَسْتُ وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِالْأَرْضِ قَالَ: قُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاللَّهِ مَا هَذَا بِأَمْرِ مَلِكٍ، ثُمَّ قَالَ: إِيَّاهُ يَا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ! أَلَمْ تَكُ رَكُوسِيًّا! قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: أَوْ لَمْ تَكُنْ تَسِيرُ فِي قَوْمِكَ بِالْمَرْبَاعِ! قَالَ: قُلْتُ:

بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ، قَالَ: قُلْتُ: أَجَلُ وَاللَّهِ - وَعَرَفْتُ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ يَعْلَمُ مَا يُجْهَلُ - قَالَ: ثُمَّ قَالَ: لَعَلَّه يَا عَدِيُّ بْنُ

٣٠٣٠٤ قدوم وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات

حَاتِمٍ، إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنَ الدُّخُولِ فِي هَذَا الدِّينِ مَا تَرَى مِنْ حَاجَتِهِمْ! فَوَاللَّهِ لَيُوشِكَنَّ الْمَالُ يَفِيضُ فِيهِمْ حَتَّى لَا يُوجَدَ مِنْ يَأْخُذُهُ، وَلَعَلَّه إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنَ الدُّخُولِ فِي هَذَا الدِّينِ مَا تَرَى مِنْ كَثْرَةِ عَدُوهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِهِمْ، فَوَاللَّهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْمَرْأَةِ تَخْرُجُ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى بَعِيرِهَا حَتَّى تَزُورَ هَذَا الْبَيْتَ، لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَلَعَلَّه إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنَ الدُّخُولِ فِيهِ أَنَّكَ تَرَى أَنَّ الْمَلِكَ وَالسُّلْطَانَ فِي غَيْرِهِمْ، وَإِيمُ اللَّهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْقُصُورِ الْبَيْضِ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ فُتِحَتْ] قَالَ: فَاسْأَلْتُهُ، فَكَانَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ يَقُولُ: مَضَتْ الثَّانَتَانِ وَبَقِيَ الثَّالِثَةُ، وَاللَّهِ لَتَكُونَنَّ قَدْ رَأَيْتُ الْقُصُورَ الْبَيْضَ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ فُتِحَتْ، وَرَأَيْتُ الْمَرْأَةَ تَخْرُجُ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى بَعِيرِهَا لَا تَخَافُ شَيْئًا حَتَّى تَحْجَّ هَذَا الْبَيْتَ وَإِيمُ اللَّهِ لَتَكُونَنَّ الثَّالِثَةُ لَيَفِيضَنَّ الْمَالُ حَتَّى لَا يُوجَدَ مِنْ يَأْخُذُهُ.

قدوم وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَفِيهَا قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَفَدُ بَنِي تَمِيمٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَا: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص عَطَارِدُ بْنُ حَاجِبٍ بْنُ زُرَّارَةَ بْنِ عَدُسِ التَّمِيمِيِّ فِي أَشْرَافٍ مِنْ تَمِيمٍ، مِنْهُمْ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، وَالزَّبْرِقَانُ بْنُ بَدْرِ التَّمِيمِيِّ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي سَعْدٍ، وَعَمْرُو بْنُ الْأَهَمِّ، وَالْحَتَّاتُ بْنُ فُلَانٍ، وَنَعِيمُ بْنُ زَيْدٍ، وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ أَخُو بَنِي سَعْدٍ فِي وَفْدٍ عَظِيمٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، مَعَهُمْ عَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُدَيْفَةَ الْفَزَارِيِّ - وَقَدْ كَانَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ وَعَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ شُهَدَاءَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص فَتَحَ مَكَّةَ وَحَصَارَ الطَّائِفَ، فَلَمَّا وَفَدَ وَفَدُ بَنِي تَمِيمٍ كَانَا مَعَهُمْ - فَلَمَّا دَخَلَ وَفَدُ بَنِي تَمِيمٍ الْمَسْجِدَ، نَادَوْا

رسول الله ص من وراء الحُجرات: أَنْ اخْرُجْ إِلَيْنَا يَا مُحَمَّدٌ فَادَى ذَلِكَ مِنْ صِيَاحِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ
ص، فخرَجَ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، جِئْنَاكَ لِنُفَاحِرَكَ، فاذن لشاعرنا وخطيبنا، قال: نعم، أَذِنْتُ لَخَطِيبِكُمْ فَلْيَقُلْ فَقَامَ إِلَيْهِ عَطَارِدُ بْنُ
حَاجِبٍ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ عَلَيْنَا الْفَضْلُ وَهُوَ أَهْلُهُ، الَّذِي جَعَلَنَا مُلُوكًا، وَوَهَبَ لَنَا أَمْوَالًا عِظَامًا نَفْعُلُ فِيهَا الْمَعْرُوفَ، وَجَعَلَنَا أَعْرَ
أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَأَكْثَرَهُ عَدَدًا وَأَيْسَرَهُ عُدَّةً، فَمَنْ مِثْلُنَا فِي النَّاسِ! أَلَسْنَا بِرُءُوسِ النَّاسِ وَأُولَى فَضْلِهِمْ! فَمَنْ يَفَاحِرُنَا فَلْيَعُدُّ مِثْلَ مَا عَدَدْنَا،
وَأَنَا لَوْ نَشَاءُ لَأَكْثَرْنَا الْكَلَامَ، وَلَكِنَّا نَحْيَا مِنَ الْإِكْثَارِ فِيمَا أُعْطَانَا، وَإِنَّا نَعْرِفُ أَقُولُ هَذَا الْآنَ لِتَأْتُونَا بِمِثْلِ قَوْلِنَا، وَأَمْرٍ أَفْضَلَ مِنْ أَمْرِنَا،
ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ أَخِي بَلْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ: قُمْ فَأَجِبِ الرَّجُلَ فِي خُطْبَتِهِ.

فَقَامَ ثَابِتٌ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ خَلَقَهُ، قَضَى فِيهِنَّ أَمْرَهُ، وَوَسَّعَ كُرْسِيَهُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَكُ شَيْءٌ قَطُّ إِلَّا مِنْ فَضْلِهِ
ثُمَّ كَانَ مِنْ قُدْرَتِهِ أَنْ جَعَلَنَا مُلُوكًا وَاصْطَفَى مِنْ خَيْرِ خَلْقِهِ رَسُولًا أَكْرَمَهُمْ نَسَبًا، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا، وَأَفْضَلَهُمْ حِسَابًا، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ،
وَأَتَمَّنَهُ عَلَى خَلْقِهِ، فَكَانَ خَيْرَ اللَّهِ مِنَ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ دَعَا النَّاسَ إِلَى الْإِيمَانِ، فَأَمَّنَ بِرَسُولِ اللَّهِ الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قَوْمِهِ وَذَوِي رَحِمِهِ، أَكْرَمَ
النَّاسِ أَنْسَابًا، وَأَحْسَنَ النَّاسِ وَجُوهًا، وَخَيْرَ النَّاسِ فِعَالًا، ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ الْخَلْقِ إِجَابَةً - وَاسْتَجَابَ لِلَّهِ حِينَ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ص - نَحْنُ،
فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ وَوُزَرَاءُ رَسُولِهِ، نُقَاتِلُ النَّاسَ حَتَّى يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ، فَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُنِعَ مَالَهُ وَدَمَهُ، وَمَنْ كَفَرَ جَاهَدْنَاهُ فِي اللَّهِ
أَبَدًا، وَكَانَ قَتْلُهُ عَلَيْنَا يَسِيرًا، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالسَّلَامَ عَلَيْكُمْ.

قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَتَذُنْ لَشَاعِرِنَا، فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَامَ الزَّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرٍ فَقَالَ:

نَحْنُ الْكَرَامُ فَلَا حِيَّ يُعَادِلُنَا ... مِنْهَا الْمُلُوكُ وَفِينَا تَنْصَبُ الْبَيْعُ
وَكَمْ قَسَرْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ ... عِنْدَ النَّهَابِ وَفَضْلُ الْعِزِّ يَتَّبِعُ
وَنَحْنُ نُنْطَعِمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مَطْعَمَنَا ... مِنَ الشَّوَاءِ إِذَا لَمْ يُؤْنَسِ الْقَرْعُ
ثُمَّ تَرَى النَّاسَ تَأْتِينَا سُرَاتِهِمْ ... مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هَوِيًّا ثُمَّ نَضْطَنِعُ
فَنَنْحَرُ الْكُومَ عَبْطًا فِي أَرْوَمَتِنَا ... لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أُنْزِلُوا شَبَعُوا
فَلَا تَرَانَا إِلَى حَيٍّ نَفَاحِرُهُمْ ... إِلَّا اسْتَقَادُوا وَكَادَ الرَّأْسُ يَقْطَعُ
إِنَّا أَبَيْنَا وَلَنْ يَأْبَى لَنَا أَحَدٌ ... إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَرْتَفِعُ
فَمَنْ يُقَادِرُنَا فِي ذَاكَ يَعْرِفُنَا ... فَيَرْجِعُ الْقَوْلُ وَالْأَخْبَارُ لِنُسْمَعُ

وَكَانَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ غَائِبًا، فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ص، قَالَ حَسَّانُ: فَلَمَّا جَاءَنِي رَسُولُهُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ إِنَّمَا دَعَانِي لِأَجِيبَ شَاعِرَ بَنِي
تَمِيمٍ، خَرَجْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَنَا أَقُولُ:

مَنْعَنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ حَلَّ وَسَطْنَا ... عَلَى كُلِّ بَاغٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاغِمٍ
مَنْعَنَا لَمَّا حَلَّ بَيْنَ بَيُوتِنَا ... بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ عَادٍ وَظَالِمٍ
بَيَّتَ حَرِيدَ عِزِّهِ وَثَرَاوَهُ ... بِجَايَةِ الْجَوْلَانِ وَسَطِ الْأَعَاجِمِ
هَلِ الْمَجْدُ إِلَّا السُّودُّدُ الْعُودُ وَالنَّدَى ... وَجَاهُ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالُ الْعِظَائِمِ!

قَالَ: فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَقَامَ شَاعِرُ الْقَوْمِ، فَقَالَ مَا قَالَ، عَرَضْتُ فِي قَوْلِهِ وَقُلْتُ عَلَى نَحْوِ مَا قَالَ، فَلَمَّا فَرَغَ الزَّبْرَقَانُ بْنُ
بَدْرٍ مِنْ قَوْلِهِ [قال رسول الله ص لحسان: قُمْ يَا حَسَّانُ فَأَجِبِ الرَّجُلَ فِيمَا قَالَ]، قَالَ: فَقَالَ حَسَّانُ:

إِنَّ الذَّوَائِبَ مِنْ فِهْرِ وَإِخْوَتِهِمْ ... قَدْ بَيْنُوا سَنَةَ لِلنَّاسِ تَتَّبَعُ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ ... تَقْوَى الْإِلَهِ وَكُلُّ الْخَيْرِ يُصْطَنَعُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَوْا عَدُوَّهُمْ ... أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةَ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرَ مُحَدَّثَةٍ ... إِنَّ الْخَلَائِقَ فَاعْلَمْ شَرُّهَا الْبِدْعُ
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ ... فَكُلُّ سَبَقٍ لَأَذْنَى سَبَقِهِمْ تَبِعَ
لَا يَرِيقُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَعْقَبُهُمْ ... عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبَقُهُمْ ... أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِاللَّيْ مَتَعُوا
أَعَقَّةَ ذِكْرَتٍ فِي الْوَحْيِ عَقَبَتُهُمْ ... لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يُرْدِيهِمْ طَمَعُ
لَا يَجْلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ ... وَلَا يَمْسَهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ
إِذَا نَصَبْنَا لِحْيٍ لَمْ نَدِبْ لَهُمْ ... كَمَا يَدِبُ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرْعُ
نَسْمُو إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْنَا مَخَالِبَهَا ... إِذَا الرِّعَانُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا
لَا نَحْرُ إِنْ هُمْ أَصَابُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ ... وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَا خُورٌ وَلَا هُلَعُ
كَأَنَّهُمْ فِي الْوَحْيِ وَالْمَوْتِ مُكْتَنِعٌ ... أَسَدٌ بِحَلِيَّةٍ فِي أَرْسَاعِهَا فَدَعُ
خُذْ مِنْهُمْ مَا آتَوْا عَفْوًا إِذَا غَضِبُوا ... وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ الْأَمْرَ الَّذِي مَنَعُوا
فَإِنَّ فِي حَرْبِهِمْ - فَاتْرُكْ عِدَاوَتَهُمْ ... شَرًّا يُخَاضُ عَلَيْهِ السَّمُّ وَالسَّلْعُ
أَكْرَمَ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللَّهِ شَيْعَتَهُمْ ... إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ
أَهْدَى لَهُمْ مَدْحَتِي قَلْبُ يَوَازِرُهُ ... فِيمَا أَحَبَّ لِسَانَ حَائِكٍ صَنَعَ
فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ ... إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جَدُّ الْقَوْلِ أَوْ شِيعُوا
فَلَمَّا فَرَّغَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ قَوْلِهِ، قَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ: وَأَيُّ إِنْ هَذَا الرَّجُلُ لَمْ يُؤْتِ لَهُ! لَخَطِيبَةٌ أَخْطَبُ مِنْ خَطِيبِنَا، وَلَشَاعِرُهُ أَشْعَرُ
مِنْ شَاعِرِنَا، وَأَصْوَاتُهُمْ أَعْلَى مِنْ أَصْوَاتِنَا فَلَمَّا فَرَّغَ الْقَوْمُ أَسْلَمُوا، وَجُوزَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص فَأَحْسَنَ جَوَائِزَهُمْ - وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْأَهِمِّ قَدْ
خَلَفَهُ الْقَوْمُ فِي ظَهْرِهِمْ - فَقَالَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ - وَكَانَ يُبَغِّضُ عَمْرُو بْنَ الْأَهِمِّ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنَّْا رَجُلٌ فِي رِحَالِنَا وَهُوَ غَلَامٌ حَدَّثٌ، وَأَزْرَى بِهِ، فَاعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ص مِثْلَ مَا أُعْطِيَ الْقَوْمَ، فَقَالَ عَمْرُو
بْنُ الْأَهِمِّ حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ، وَهُوَ يَهْجُوهُ:
ظَلَلَتْ مُفْتَرِشًا هَلْبَاكَ تَشْتَمِينِي ... عِنْدَ الرَّسُولِ فَلَمْ تُصَدِّقْ وَلَمْ تُصَبِّ
إِنْ تُبَغِّضُونَا فَإِنَّ الرُّومَ أَصْلَكُمْ ... وَالرُّومُ لَا تَمْلِكُ الْبَغْضَاءُ لِلْعَرَبِ
سَدْنَا فَسُودَدْنَا عَوْدَ وَسُودَدَكُمْ ... مُؤَخَّرٌ عِنْدَ أَصْلِ الْعُجْبِ وَالذَّنْبِ

٣٠٣٥ قدوم رسول ملوك حمير على رسول الله بكتابهم

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان، قال: فأنزل الله فيهم القرآن: «إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ» - من بني تميم - «أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ»، قال: وهي القراءة الاولى.

قال الواقدي: وفيها مات عبد الله بن أبي بن سلول، مرض في ليال بقين من شوال، ومات في ذي القعدة، وكان مرضه عشرين ليلة. قدوم رسول ملوك حمير على رسول الله بكتابهم

قال: وفيها قدم على رسول الله ص كتاب ملوك حمير في شهر رمضان مقرين بالإسلام، مع رسولهم الحارث بن عبد كلال ونعيم ابن عبد كلال، والنعمان قيل ذي رعين.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: قدم على رسول الله ص كتاب ملوك حمير مقدمه من تبوك ورسولهم إليه بإسلامهم:

الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال، والنعمان قيل ذي رعين، وهمدان ومعاfer، وبعث إليه زرة ذويزن مالك بن مرة الرهاوي بإسلامه، ومفارقهم الشرك واهله، فكتب اليهم رسول الله ص:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ وَنَعِيمِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ وَالنُّعْمَانِ قِيلَ ذِي رُعَيْنٍ وَهَمْدَانَ وَمَعَاْفَرَ، أَمَّا بَعْدُ ذَلِكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ وَقَعَ بِنَا رَسُولُكُمْ مَقْفَلًا مِنْ أَرْضِ الرُّومِ، فَلَقِينَا بِالْمَدِينَةِ، فَبَلَغَ مَا أَرْسَلْتُمْ،

وَخَبَرَ مَا قَبْلَكُمْ، وَأَنبَأَنَا بِإِسْلَامِكُمْ وَقَتْلِكُمُ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ هَدَاكُمْ بِهَدَايَتِهِ، إِنْ أَصْلَحْتُمْ وَأَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَأَقِمُّوا الصَّلَاةَ،

وَاتِمُّوا الزَّكَاةَ، وَأَعْطَيْتُمْ مِنَ الْمَغَانِمِ خُمْسَ اللَّهِ، وَسَمِعْتُمْ نَبِيَّهِ وَصَفِيَّهِ، وَمَا كَتَبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الصَّدَقَةِ مِنَ الْعَقَارِ عَشْرًا مَا سَقَتِ الْعَيْنُ

وَمَا سَقَتِ السَّمَاءُ، وَكُلُّ مَا سَقَى بِالْغَرْبِ نِصْفُ الْعُشْرِ، وَفِي الْإِبِلِ فِي الْأَرْبَعِينَ ابْنَةُ لَبُونٍ، وَفِي ثَلَاثِينَ مِنَ الْإِبِلِ ابْنُ لَبُونٍ ذَكَرٌ، وَفِي

كُلِّ خُمْسٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاةٌ، وَفِي كُلِّ عَشْرٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاتَانِ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْبَقَرِ بَقْرَةٌ، وَفِي كُلِّ ثَلَاثِينَ مِنَ الْبَقَرِ تَبِيعٌ، جَذَعٌ

أَوْ جَذَعَةٌ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْغَنَمِ سَائِمَةٌ وَحَدَاةٌ، شَاةٌ وَإِنَّمَا فَرِيضَةُ اللَّهِ الَّتِي فَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ، فَمَنْ زَادَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ

لَهُ، وَمَنْ أَدَّى ذَلِكَ وَاشْهَدَ عَلَى إِسْلَامِهِ وَظَاهَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، لَهُ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ، وَلَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ

رَسُولِهِ وَإِنَّهُ مِنْ أَسْلَمٍ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ فَإِنَّ لَهُ مِثْلَ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مِثْلَ مَا عَلَيْهِمْ، وَمَنْ كَانَ عَلَى يَهُودِيَّةٍ أَوْ نَصْرَانِيَّةٍ فَإِنَّهُ لَا يَفْتَنُ

عَنْهَا، وَعَلَيْهِ الْجَزِيَّةُ، عَلَى كُلِّ حَالٍ ذَكَرَ أَوْ أُنْثَى، حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ، دِينَارٌ وَافٍ أَوْ قِيمَتُهُ مِنَ الْمَعَاْفِرِ أَوْ عَرْضُهُ ثِيَابًا، فَمَنْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ

اللَّهِ، فَإِنَّ لَهُ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَمَنْ مَنَعَهُ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ مُحَمَّدًا النَّبِيَّ أَرْسَلَ إِلَى زُرْعَةَ ذِي يَزَنَ أَنْ إِذَا

أَتَيْتُمْ رَسُولِي فَأَوْصِيَكُمْ بِهِمْ خَيْرًا: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ وَمَالِكُ بْنُ عُبَادَةَ، وَعُقْبَةُ بْنُ نَمِرٍ، وَمَالِكُ بْنُ مُرَّةٍ وَأَصْحَابُهُمْ، وَإِنْ

اجْتَمَعُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالْجَزِيَّةِ مِنْ مَخَالِفِكُمْ وَبَلَّغُوها رَسُولِي، وَإِنْ أَمِيرُهُمْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَلَا يَنْقَلِبَنَّ إِلَّا رَاضِيًا

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّهُ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ إِنْ مَالِكُ بْنُ مُرَّةٍ الرَّهَافِيُّ قَدْ حَدَّثَنِي أَنَّكَ أَسَلَمْتَ مِنْ أَوَّلِ حَمِيرٍ،

وَقَتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ فَأَبَشِرْ بِخَيْرٍ، وَأَمْرُكَ بِخَيْرٍ خَيْرًا، وَلَا تَخُونُوا وَلَا تَحْذُلُوا فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ مَوْلَى غَنِيَّتِكُمْ وَفَقِيرِكُمْ، وَإِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ

لِحُمْدٍ وَلَا لِأَهْلِهِ، إِنَّمَا هِيَ زَكَاةٌ يَتَزَكَّى بِهَا عَلَى فَقَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ، وَإِنْ مَالُكَ قَدْ بَلَغَ الْخَبَرَ وَحَفِظَ الْغَيْبَ، وَأَمْرُكُمْ بِهِ خَيْرًا، وَإِنِّي

قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ مِنْ صَالِحِي أَهْلِي وَأَوْلِي دِينِي، وَأَوْلِي عَلَيْهِمْ، فَأَمْرُكُمْ بِهِمْ خَيْرًا فَإِنَّهُ مَنْظُورٌ إِلَيْهِمْ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

قال الْوَاقِدِيُّ: وفيها قدم وفد بهراء على رسول الله ص ثلاثة عشر رجلا، ونزلوا على المقداد بن عمرو. قال: وفيها قدم وفد بني البكاء.

وفيها قدم وفد بني فزارة، وهم بضعة عشر رجلا، فيهم خارجة بن حصن.

قال: وفيها نعى رسول الله ص للمسلمين النجاشي، وأنه مات في رجب سنة تسع.

قال: وفيها حج أبو بكر بالناس ثم خرج أبو بكر من الْمَدِينَةِ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ، وبعث معه رسول الله ص بعشرين بدنة، وساق أبو بكر خمس بدنات ورجع فيها عبد الرحمن بن عوف وأهدى.

وبعث رسول الله ص على بن ابى طالب ع على أثر أبي بكر رضي الله عنه، فأدركه بالعرج، فقرأ علي عليه براءة يوم النحر عند العقبة حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، قَالَ:

حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنِ السَّيِّدِيِّ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ إِلَى رَأْسِ الْأَرْبَعِينَ

- يَعْني مِنْ سُورَةِ بَرَاءَةِ - فَبَعَثَ بِهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، وَأَمَرَهُ عَلَى الْحَجِّ، فَلَمَّا سَارَ فَبَلَغَ الشَّجَرَةَ مِنْ ذِي الْحَلِيفَةِ أَتَبَعَهُ بِعَلِيٍّ، فَأَخَذَهَا

مِنْهُ، [فَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّبِيِّ ص، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي! أَنْزَلَ فِي شَأْنِي شَيْءٌ؟] قَالَ: لَا، وَلَكِنْ لَا يُبَلِّغُ عَنِّي غَيْرِي أَوْ

رَجُلٌ مَنِي أَمَّا تَرْضَى يَا أَبَا بَكْرٍ أَنَّكَ كُنْتَ مَعِيَ فِي الْغَارِ، وَأَنْتَ صَاحِبِي عَلَى الْخَوْضِ! قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَسَارَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْحَجِّ،

[وَسَارَ عَلِيٌّ يُؤَذِّنُ بِبَرَاءَةِ، فَقَامَ يَوْمَ الْأَضْحَى فَاذَنَ فَقَالَ: لَا يَقْرَبَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ مُشْرِكٌ بَعْدَ عَامِهِ هَذَا، وَلَا يَطُوفَنَّ بِالْبَيْتِ عُزَيَّانٌ،

وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ عَهْدٌ فَلَهُ عَهْدُهُ إِلَى مَدَّتِهِ، وَإِنَّ هَذِهِ أَيَّامُ أَكْلِ وَشُرْبٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ مُسْلِمًا]

فَقَالُوا: نَحْنُ نَبْرَأُ مِنْ عَهْدِكَ وَعَهْدِ ابْنِ عَمِّكَ إِلَّا مِنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ.

فَرَجَعَ الْمُشْرِكُونَ فَلَامَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَقَالُوا: مَا تَصْنَعُونَ وَقَدْ أَسْلَمْتَ قُرَيْشٌ! فَاسْلَمُوا.

حدثني الْحَارِثُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبَانَ، قَالَ:

حَدَّثَنَا أَبُو مَعْشَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ وَغَيْرُهُ، قَالُوا: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَبَا بَكْرٍ أَمِيرًا عَلَى الْمَوْسِمِ سَنَةَ تِسْعٍ، وَبَعَثَ

عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ بِثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ آيَةً مِنْ بَرَاءَةِ، فَقَرَأَهَا عَلَى النَّاسِ، يُؤَجِّلُ الْمُشْرِكِينَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ لِيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ

بَرَاءَةَ يَوْمَ عَرَفَةَ، أَجَلَ الْمُشْرِكِينَ عَشْرِينَ يَوْمًا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمِ وَصَفَرٍ وَشَهْرَ رَجَبٍ الْأَوَّلِ وَعَشْرًا مِنْ رَجَبٍ الْآخِرِ، وَقَرَأَهَا عَلَيْهِمْ فِي

مَنَازِلِهِمْ، وَلَا يَحْجَنَّ بَعْدَ عَامِنَا هَذَا مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَنَّ بِالْبَيْتِ عُزَيَّانٌ.

قال أَبُو جَعْفَرٍ: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ فُرِضَتِ الصَّدَقَاتُ، وَفَرَّقَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ص عُمَّالَهُ عَلَى الصَّدَقَاتِ

٣٠٣٠٦ قدوم ضمام بن ثعلبه وافدا عن بني سعد

وَفِيهَا نَزَلَ قَوْلُهُ: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ»، وَكَانَ السَّبَبُ الَّذِي نَزَلَ ذَلِكَ بِهِ قِصَّةُ أَمْرِ ثَعْلَبَةَ بْنِ حَاطِبٍ، ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ.

قال الواقدي: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَتْ أُمُ كَلْثُومِ ابْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي شَعْبَانَ، وَغَسَلَتْهَا أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ وَصَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

قال: وَقِيلَ غَسَلَتْهَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَبَيْنَ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ عَطِيَّةٍ، وَنَزَلَ فِي حُفْرَتِهَا أَبُو طَلْحَةَ.

قال: وفيها قدم وفد ثعلبه بن منقذ

. قدوم ضمام بن ثعلبه وافدا عن بني سعد

وَفِيهَا قَدِمَ وَفَدَّ سَعْدُ هُذَيْمٍ حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ نُوفَيْجٍ، عَنْ كُرَيْبِ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَعَثَ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرِ ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَقَدِمَ عَلَيْهِ، فَأَنَاحَ بَعِيرَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ص جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، وَكَانَ ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ رَجُلًا جَلَدًا أَشْعَرَ ذَا غَدِيرَتَيْنِ، [فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: مُحَمَّدٌ؟ قَالَ:

نَعَمْ، قَالَ: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنِّي سَأَلْتُكَ وَمَغْلَظْتُ لَكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدَنَّ فِي نَفْسِكَ! قَالَ: لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي، فَسَلْ عَمَّا بَدَأَ لَكَ، قَالَ: أَتَشُدُّكَ بِاللَّهِ إِلَهَكَ وَاللَّهُ مِنْ كَانَ قَبْلَكَ وَاللَّهُ مِنْ هُوَ كَأَنَّ بَعْدَكَ، اللَّهُ بَعَثَكَ إِلَيْنَا رَسُولًا؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: فَأَتَشُدُّكَ بِاللَّهِ إِلَهَكَ وَاللَّهُ مِنْ كَانَ قَبْلَكَ وَاللَّهُ مِنْ هُوَ كَأَنَّ بَعْدَكَ، وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ نَخْلَعَ هَذِهِ الْأَنْدَادَ الَّتِي كَانَتْ أَبَاؤُنَا تَعْبُدُ مِنْ دُونِهِ؟

قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: فَأَتَشُدُّكَ بِاللَّهِ إِلَهَكَ وَاللَّهُ مِنْ كَانَ قَبْلَكَ وَاللَّهُ مِنْ هُوَ كَأَنَّ بَعْدَكَ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْمُرَنَا أَنْ نَصِلِيَ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ؟

قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ: ثُمَّ جَعَلَ يَذْكُرُ فَرَائِضَ الْإِسْلَامِ فَرِيضَةَ فَرِيضَةً، الزَّكَاةَ، وَالصِّيَامَ، وَالْحَجَّ، وَشَرَائِعَ الْإِسْلَامِ كُلَّهَا، يُنَاشِدُهُ عَنْ كُلِّ فَرِيضَةٍ كَمَا نَاشِدُهُ فِي الَّتِي قَبْلُهَا، حَتَّى إِذَا فَرَغَ قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَسَأُؤَدِّي هَذِهِ الْفَرَائِضَ وَأَجْتَنِبُ مَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ، ثُمَّ لَا أَنْقُصُ وَلَا أَزِيدُ ثُمَّ انصرفت إلى بعيده راجعا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص حِينَ وَلَّى: إِنَّ صَدَقَ ذُو الْعَقِيصَتَيْنِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَالَ: فَأَتَى بَعِيرَهُ فَأَطْلَقَ عِقَالَهُ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: بَاسَتْ اللَّاتُ وَالْعُزَّى! قَالُوا: مَا يَا ضِمَامُ! أَتَتَى الْبَرَصَ، أَتَتَى الْجَذَامَ، أَتَتَى الْجُنُونَ! قَالَ: وَيَحْكُمُ، إِنَّهُمَا وَاللَّهِ لَا يَنْفَعَانِ وَلَا يَضُرَّانِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا، اسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ.

قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أَمْسَى ذَلِكَ الْيَوْمَ فِي حَاضِرِهِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا قَالَ: يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَمَا سَمِعْنَا بِوَأْفِدِ قَوْمٍ كَانَ أَفْضَلُ مِنْ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ

٣٠٤ سنه عشر

٣٠٤٠١ سريه خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب واسلامهم

سنه عشر

سريه خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب واسلامهم

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَبَعَثَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ص خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ - وَقِيلَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَقِيلَ فِي جُمَادَى الْأُولَى - سَرِيهِ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ إِلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص خَالِدُ ابْنُ الْوَلِيدِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ - أَوْ فِي جُمَادَى الْأُولَى - مِنْ سَنَةِ عَشْرِ، إِلَى بَلْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ بَنِي جَرَّانَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يُقَاتِلَهُمْ

ثَلَاثًا، فَإِنْ اسْتَجَابُوا لَكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَأَقِمْ فِيهِمْ، وَعَلَيْهِمْ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ، وَمَعَالِمُ الْإِسْلَامِ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَقَاتِلْهُمْ. فُجِرَ خَالِدٌ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَبَعَثَ الرُّكْبَانُ يَضْرِبُونَ فِي كُلِّ وَجْهِ، وَيَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَيَقُولُونَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا فَاسْلَمَ النَّاسُ، وَدَخَلُوا فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، فَأَقَامَ خَالِدٌ فِيهِمْ، يَعْلِمُهُمُ الْإِسْلَامَ وَكِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ.

ثُمَّ كَتَبَ خَالِدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

لِ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ ص مِنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَإِنِّي أَحَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَا بَعْدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ص، بَعَثَنِي إِلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، وَأَمَرْتَنِي إِذَا أَتَيْتُهُمْ أَلَّا أُقَاتِلَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَأَنْ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَسْلَمُوا قَبِلْتُ مِنْهُمْ وَعَلِمْتُهُمْ مَعَالِمَ الْإِسْلَامِ وَكِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ، وَإِنْ لَمْ يَسْلَمُوا قَاتَلْتُهُمْ وَإِنِّي قَدِمْتُ عَلَيْهِمْ فَدَعَوْتُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ص، وَبَعَثَ فِيهِمْ رُكْبَانًا قَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ، أَسْلِمُوا

تَسْلَمُوا، فَاسْلَمُوا وَلَمْ يَقَاتِلُوا، وَأَنَا مُقِيمٌ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ وَأَمْرُهُمْ بِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَأَنَا هَاهُمْ عَمَّا نَهَاَهُمُ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَعْلِمُهُمْ مَعَالِمَ الْإِسْلَامِ وَسُنَّةَ النَّبِيِّ ص حَتَّى يَكْتُبَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ص: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ سَلَامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ كِتَابَكَ جَاءَنِي مَعَ رُسُلِكَ بِخَبَرٍ أَنَّ بَنِي الْحَارِثِ قَدْ أَسْلَمُوا قَبْلَ أَنْ يَقَاتِلُوا، وَأَجَابُوا إِلَى مَا دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنْ قَدْ هَدَاهُمُ اللَّهُ بِهَدَاهُ، فَبَشِّرْهُمْ وَأَنْذِرْهُمْ، وَأَقْبِلْ وَلِيقْبَلْ مَعَكَ وَفَدَهُمْ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

فَأَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، وَأَقْبَلَ مَعَهُ وَفْدُ بَلْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، فِيهِمْ قَيْسُ بْنُ الْحَصَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ قَنَانَ ذِي الْغُصَّةِ، وَيَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَانِ، وَيَزِيدُ بْنُ الْمُحَجَّلِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُرَيْظٍ الزِّيَادِيُّ، وَشَدَّادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَنَانِيُّ، وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّبَّائِيُّ.

[فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَرَّاهُمْ قَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانَتْهُمْ رِجَالُ الْهِنْدِ؟ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَؤُلَاءِ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، فَلَمَّا وَقَفُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص سَلَّمُوا عَلَيْهِ، فَقَالُوا:

نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: أَنْتُمْ الَّذِينَ إِذَا زُجِرُوا اسْتَقْدَمُوا! فَسَكَتُوا، فَلَمْ يَرَا جَعُهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ أَعَادَهَا رَسُولُ اللَّهِ ص الثَّانِيَةَ، فَلَمْ يَرَا جَعُهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ أَعَادَهَا رَسُولُ اللَّهِ الثَّلَاثَةَ فَلَمْ يَرَا جَعُهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ أَعَادَهَا رَسُولُ اللَّهِ الرَّابِعَةَ، فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَانِ:

نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَحْنُ الَّذِينَ إِذَا زُجِرْنَا اسْتَقْدَمْنَا، فَقَالَهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لَوْ أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ لَمْ يَكْتُبْ إِلَيَّ فَيَكُمُ أَنْكُمْ أَسْلَمْتُمْ وَلَمْ تُقَاتِلُوا لَأَلْقَيْتُ رُءُوسَكُمْ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَانِ: أَمَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حَمَدْنَاكَ وَلَا حَمَدْنَا خَالِدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: فَمَنْ حَمَدْتُمْ؟ قَالُوا: حَمَدْنَا اللَّهَ الَّذِي هَدَانَا بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: صَدَقْتُمْ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: بِمِ كُنْتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالُوا: لَمْ نَكُنْ نَغْلِبُ أَحَدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: بَلَى قَدْ كُنْتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُنَّا نَغْلِبُ مَنْ قَاتَلَنَا، أَنَا كُنَّا بَنِي عُبَيْدٍ، وَكُنَّا نَجْتَمِعُ وَلَا تَتَفَرَّقُ، وَلَا نَبْدَأُ أَحَدًا بِظُلْمٍ، قَالَ: صَدَقْتُمْ ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى بَلْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ قَيْسُ بْنُ الْحَصَنِ فَرَجَعَ وَفْدُ بَلْحَارِثِ ابْنِ كَعْبٍ إِلَى قَوْمِهِمْ فِي بَقِيَّةِ شَوَّالٍ أَوْ فِي صَدْرِ ذِي الْقَعْدَةِ، فَلَمْ يَمُكُّثُوا بَعْدَ أَنْ قَدِمُوا إِلَى قَوْمِهِمْ إِلَّا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، حَتَّى تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ص.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص بَعَثَ إِلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ بَعْدَ أَنْ وَلَّى وَفَدَهُمْ عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ الْأَنْصَارِيُّ، ثُمَّ أَحَدَ بَنِي النَّجَّارِ، لِيَفْقَهُهُمْ فِي الدِّينِ وَيُعَلِّمَهُمُ السُّنَّةَ وَمَعَالِمَ الْإِسْلَامِ، وَيَأْخُذُ مِنْهُمْ صَدَقَاتِهِمْ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا عَهْدَ إِلَيْهِ فِيهِ، وَأَمَرَهُ فِيهِ بِأَمْرِهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا بَيَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ»، عَقْدٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ لِعَمْرُو بْنِ حَزْمٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ، أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِالْحَقِّ كَمَا أَمَرَ بِهِ اللَّهُ وَأَنْ يُبَشِّرَ النَّاسَ بِالْخَيْرِ، وَيَأْمُرَهُمْ بِهِ، وَيَعْلَمَ النَّاسَ الْقُرْآنَ، وَيَفْقَهُهُمْ فِي الدِّينِ، وَيَنْهَى النَّاسَ وَلَا «يَمَسَّ أَحَدُ الْقُرْآنِ إِلَّا وَهُوَ طَاهِرٌ»، وَيُخْبِرَ النَّاسَ بِالَّذِي لَهُمْ، وَبِالَّذِي عَلَيْهِمْ، وَيَلِينَ لِلنَّاسِ فِي الْحَقِّ، وَيَشْتَدَّ عَلَيْهِمْ فِي الظُّلْمِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَرِهَ الظُّلْمَ وَنَهَى عَنْهُ وَقَالَ: «أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ»، وَيُبَشِّرُ النَّاسَ بِالْجَنَّةِ وَيَعْمَلُهَا، وَيُنْذِرُ النَّارَ

وَيَعْمَلُهَا، وَيَسْتَأْذِنُ النَّاسَ حَتَّى يَفْقَهُوا فِي الدِّينِ، وَيَعْلَمَ النَّاسَ مَعَالِمَ الْحَجِّ وَسُنَّتَهُ وَفَرِيضَتَهُ، وَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي الْحَجِّ الْأَكْبَرِ وَالْحَجِّ الْأَصْغَرِ، وَهُوَ الْعُمْرَةُ، وَيَنْهَى النَّاسَ أَنْ يُصَلِّيَ أَحَدٌ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ صَغِيرٍ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ ثَوْبًا وَاحِدًا يُثْنِي طَرَفَهُ عَلَى عَاتِقِهِ، وَيَنْهَى أَنْ يَحْتَجِيَ أَحَدٌ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ يَفْضِي بَفَرْجِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَيَنْهَى أَلَّا يَعْقِصَ أَحَدٌ شَعْرَ رَأْسِهِ إِذَا عَفَا فِي قَفَاهُ، وَيَنْهَى إِذَا كَانَ بَيْنَ النَّاسِ هَيْجٌ عَنِ الدُّعَاءِ إِلَى الْقِبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ، وَلَيْكُنْ دُعَاؤُهُمْ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَمَنْ لَمْ يَدْعُ إِلَى اللَّهِ وَدَعَا إِلَى الْقِبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ فَلْيَقْطَعُوا بِالسَّيْفِ حَتَّى يَكُونَ دُعَاؤُهُمْ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيَأْمُرُ النَّاسَ بِإِسْبَاغِ الْوُضُوءِ وَجُوهَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ إِلَى الْمِرْفَاقِ وَأَرْجُلَهُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَيَمْسَحُونَ بِرُءُوسِهِمْ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَرَهُ بِالصَّلَاةِ لَوْقَتِهَا، وَإِتْمَامِ الرُّكُوعِ وَالْخُشُوعِ، وَيُغْسِلُ بِالْفَجْرِ، وَيُهْجِرُ بِالْهَاجِرَةِ حِينَ تَمِيلُ الشَّمْسُ، وَصَلَاةِ الْعَصْرِ وَالشَّمْسُ فِي الْأَرْضِ مُدْبِرَةٌ، وَالْمَغْرِبُ حِينَ يَقْبَلُ اللَّيْلُ، لَا تُؤَخَّرُ حَتَّى تَبْدُو النُّجُومُ فِي السَّمَاءِ، وَالْعِشَاءُ أَوَّلُ اللَّيْلِ وَيَأْمُرُ بِالسَّعْيِ إِلَى الْجُمُعَةِ إِذَا نُودِيَ لَهَا، وَالْغُسْلُ عِنْدَ الرُّوَجِ إِلَيْهَا، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْمَغَانِمِ خُمْسَ اللَّهِ وَمَا كُتِبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ مِنَ الْعَقَارِ عَشْرُ مَا سَقَى الْبَعْلُ وَمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَمَا سَقَى الْغَرْبُ نِصْفُ الْعَشْرِ، وَفِي كُلِّ عَشْرِ مِنَ الْإِبِلِ شَاتَانِ، وَفِي كُلِّ عَشْرِينَ مِنَ الْإِبِلِ أَرْبَعُ شِبَاهٍ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْبَقَرِ بَقْرَةٌ، وَفِي كُلِّ ثَلَاثِينَ مِنَ الْبَقَرِ تَبِيعٌ جَذَعٌ أَوْ جَذَعَةٌ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْغَنَمِ سَائِمَةٌ شَاةٌ، فَإِنَّمَا فَرِيضَةُ اللَّهِ الَّتِي اقْتَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ، فَمَنْ زَادَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنَّهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ إِسْلَامًا خَالِصًا مِنْ نَفْسِهِ، وَدَانَ دِينَ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، لَهُ مِثْلُ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مِثْلُ مَا عَلَيْهِمْ، وَمَنْ كَانَ عَلَى نَصْرَانِيَّتِهِ أَوْ يَهُودِيَّتِهِ فَإِنَّهُ لَا يُفْتَنُ عَنْهَا، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ ذَكَرٌ أَوْ أَنْثَى، حُرٌّ أَوْ عَبْدٌ، دِينَارٌ وَافٍ أَوْ عَرَضُهُ شِبَابًا، فَمَنْ آدَى ذَلِكَ، فَإِنَّ لَهُ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَمَنْ مَنَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا

٣٠٤٠٢ قدوم وفد الأزدي

قال الواقدي: توفى رسول الله ص وعمرو بن حزم عامله بنجران.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَدِمَ وَفْدُ سَلَامَانَ فِي شَوَّالٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، وَهُمْ سَبْعَةُ نَفَرٍ، رَأْسُهُمْ حَبِيبُ السَّلَامَانِيِّ.

وَفِيهَا قَدِمَ وَفْدُ غَسَّانٍ فِي رَمَضَانَ وَفِيهَا قَدِمَ وَفْدُ غَامِدٍ فِي رَمَضَانَ

قدوم وفد الأزدي

وَفِيهَا قَدِمَ وَفْدُ الْأَزْدِ، رَأْسُهُمْ صَرْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي بَضْعَةِ عَشْرِ خَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص صَرْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيُّ فَأَسْلَمَ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، فِي وَفْدٍ مِنَ الْأَزْدِ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ

اللَّهِ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُجَاهِدَ بَيْنَ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قِبَائِلِ الْيَمَنِ، فَخَرَجَ صُرْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يُسِيرُ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ فِي جَيْشٍ حَتَّى نَزَلَ بِجَرْشَ، وَهِيَ يَوْمُئِذٍ مَدِينَةٌ مَغْلَقَةٌ، وَفِيهَا قِبَائِلُ الْيَمَنِ، وَقَدْ ضَوَّتْ إِلَيْهِمْ خُتْعَمُ، فَدَخَلُوا مَعَهُمْ حِينَ سَمِعُوا بِمُسِيرِ الْمُسْلِمِينَ، فَخَاصَرُوهُمْ بِهَا قَرِيبًا مِنْ شَهْرٍ، وَامْتَنَعُوا مِنْهُمْ فِيهَا ثُمَّ إِنَّهُمْ رَجَعُوا عَنْهُمْ قَافِلًا، حَتَّى إِذَا كَانَ إِلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ كُشَرُ ظَنَّ أَهْلُ جَرْشَ أَنَّهُ إِنَّمَا وَلَّى عَنْهُمْ مِنْهُمْ، فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهِ، حَتَّى إِذَا أَدْرَكُوهُ عَطَفَ عَلَيْهِمْ فَقَتَلَهُمْ قَتْلًا، وَقَدْ كَانَ أَهْلُ جَرْشَ قَدْ بَعَثُوا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ يَرْتَادَانِ وَيَنْظُرَانِ، فَبَيْنَا هُمَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ عَشِيَّةَ بَعْدَ الْعَصْرِ، إِذْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: بِأَيِّ بِلَادٍ اللَّهُ شُكْرُكُمْ؟ فَقَامَ الْجَرْشِيُّانِ فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِلَادِنَا جَبَلٌ

٣٠٤٠٣ سريه على بن ابى طالب إلى اليمن

يُقَالُ لَهُ جَبَلٌ كُشَرُ، وَكَذَلِكَ تُسَمِّيهِ أَهْلُ جَرْشَ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِكُشَرٍ، وَلَكِنَّهُ شُكْرٌ [قَالَا: فَالهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّ بُدْنَ اللَّهِ لَتَنَحَرَ عِنْدَهُ الْآنَ] قَالَ جَلَسَ الرَّجُلَانِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَإِلَى عُثْمَانَ، فَقَالَ لهُمَا: وَيْحَكُمَا! إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ الْآنَ لَيَنْبَغِي لَكُمَا قَوْمُكُمَا، فَقُومَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَاسْأَلَاهُ أَنْ يَدْعُو اللَّهَ فَيَرْفَعَ عَنْ قَوْمُكُمَا، فَقَامَا إِلَيْهِ فَسَأَلَاهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ ارْفَعْ عَنْهُمْ، فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ رَاجِعِينَ إِلَى قَوْمِهِمَا، فَوَجَدَا قَوْمَهُمَا أُصِيبُوا يَوْمَ أَصَابَهُمْ صُرْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ص مَا قَالَ، وَفِي السَّاعَةِ الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا مَا ذَكَرَ، فَخَرَجَ وَقَدْ جَرَشَ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فَاسْأَلُوهُ، وَحَمَى لَهُمْ حَمَى حَوْلَ قَرَيْتِهِمْ عَلَى أَعْلَامٍ مَعْلُومَةٍ لِلْفَرَسِ، وَلِلرَّاحِلَةِ، وَلِلْمُثِيرَةِ يُثِيرُ الْحَرثَ، فَمَنْ رَعَاهَا مِنَ النَّاسِ سِوَى ذَلِكَ فَالَهُ سُحْتُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ- وَكَانَتْ خُتْعَمُ تُصِيبُ مِنَ الْأَزْدِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانُوا يَغْزُونَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ:

يَا غَزْوَةَ مَا غَزَوْنَا غَيْرَ خَائِيَةٍ ... فِيهَا الْبِغَالُ وَفِيهَا الْخَيْلُ وَالْحُمْرُ
حَتَّى أَتَيْنَا حُمَيْرًا فِي مَصَانِعِهَا ... وَجَمَعَ خُتْعَمُ قَدْ سَاغَتْ لَهَا النُّذُرُ
إِذَا وَضَعْتُ غَلِيلًا كُنْتُ أَحْمَلُهُ ... فَمَا أَبَالِي أَدَانَا بَعْدَ أَمِّ كَفَرُوا!

سريه على بن ابى طالب إلى اليمن

قال: وفيها وجه رسول الله ص علي بن أبي طالب في سرية إلى اليمن في رمضان فحدثنا أبو كريب ومحمد بن عمرو بن هياج، قالوا: حدثنا يحيى بن عبد الرحمن الأزجي، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب، قال: بعث

٣٠٤٠٤ قدوم وفد زبيد

رسول الله ص خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فكننت فيمن سار معه، فأقام عليه ستة أشهر لا يجيبونه إلى شيء، فبعث النبي ص علي بن أبي طالب، وأمره أن يقفل خالدًا ومن معه، فإن أراد أحد من كان مع خالد بن الوليد أن يعقب معه تركه. قال البراء: فكننت فيمن عقب معه، فلما انتهينا إلى أوائل اليمن، بلغ القوم الخبر، فجمعوا له، فصلى بنا علي الفجر، فلما فرغ صفنا صفًا واحدًا، ثم تقدم بين أيدينا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله ص، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، وكتب بذلك إلى رسول الله ص، فلما قرأ كتابه خر ساجدًا، ثم جلس، فقال: السلام على همدان، السلام على همدان! ثم تابع أهل اليمن على الاسلام

. قدوم وفد زبيد

قال أبو جعفر: وفيها قدم وفد زبيد على النبي ص بإسلامهم فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي

بكر، قال: قدم على رسول الله ص عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زبيد، فاسلم، وكان عمرو بن معديكرب قد قال لقيس بن مكشوح المرادي حين انتهى اليهم امر رسول الله ص: يا قيس، إنك سيد قومك اليوم، وقد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول، إني نبي، فانطلق بنا إليه حتى نعلم عليه، فإن كان نبيا كما يقول، فإنه لا يخفى عليك.

إذا لقيناه اتبعناه، وإن كان غير ذلك علمنا عليه، فأبى عليه ذلك قيس بن مكشوح وسفه رأيه فركب عمرو بن معد يكرب حتى قدم على رسول الله ص فصدقه وآمن به، فلما بلغ ذلك قيسا أوعده عمرا، وتحفظ عليه، وقال: خالفني وترك رأيي! فقال عمرو في ذلك:

أمرتك يوم ذي صنعاء ... أمرا باديا رشده
أمرتك باتقاء الله ... والمعروف تاتعده
خرجت من المني مثل الحمار ... أعاره وتده
تمناني على فرس ... عليه جالسا أسده
علي مفاضة كالنهي ... أخلص ماءه جده
ترد الرمح مثني السنان ... عواثرا قصده
فلو لا قيتني لأقيت ... ليثا فوقه لبدته
تلاقي شنبشا شثن البراشن ... ناشزا كتده
يسامي القرن إن قرن ... تيممه فيعتضده
فيأخذه فيرفعه ... فيخفضه فيقتصدده
فيدمغه فيحطمه ... فيخضمه فيزدرده
ظلوم الشرك فيما أحرزت ... أنياه ويده

٣٠٤٠٥ قدوم فروه بن مسيك المرادي

متى ما يغد أو يغدى ... به فقبوله برده
فيخطر مثل خطر الفحل ... فوق جرائه زبده
فأمسى يعتريه من البعوض ... ممنعا بلده
فلا تتمني وتمن ... غيري لينا كتده
وبوئى له وطنا ... كثيرا حوله عدده

قال: فأقام عمرو بن معديكرب في قومه من بني زبيد، وعليهم فروة ابن مسيك المرادي، فلما توفي رسول الله ص ارتد عمرو فقال حين ارتد:

وجدنا ملك فروة شر ملك ... حمارا ساف منخره بقدر
وكنت إذا رأيت أبا عمير ... ترى الحولاء من خبث وغدر
قدوم فروه بن مسيك المرادي

وقد كان قدم على رسول الله في هذه السنة - أعني سنة عشر - قبل قدوم عمرو بن معديكرب، فروة بن مسيك المرادي مفارقا للملوك كندة فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: قدم فروة بن مسيك المرادي على رسول الله ص مفارقا للملوك كندة، ومعاندا لهم، وقد كان قبيل الإسلام بين مراد وهمدان وقعة أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا، حتى أئخنهم في يوم كان يقال له الرزم، وكان الذي قاد همدان إلى مراد الأجدع بن مالك، ففرضهم يومئذ، وفي ذلك يقول فروة بن مسيك:

فإن نغلب فغلابون قداما ... وإن نهزم فغير مهزمين

وَإِنْ نَقُتْلَ فَلَا جُنَ وَلَكِنْ ... مَنَانَا وَطُعْمَةَ آخِرِنَا
كَذَلِكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سَجَالٌ ... تَكْرُ صُرُوفُهُ حِينًا حِينًا
فَبَيْنَاهُ يَسْرُهُ وَيَرْضَى ... وَلَوْ لَبَسْتَ غَضَارَتَهُ سَنِينَا
إِذَا انْقَلَبَتْ بِهِ كَرَاتُ دَهْرٍ ... فَأَلْفَى لِلأُولَى غَبِطُوا طَحِينَا
وَمَنْ يُغْبِطُ بَرِيْبَ الدَّهْرِ مِنْهُمْ ... يَجِدُ رَيْبَ الزَّمَانِ لَهُ خَوْنَا
فَلَوْ خَلَدَ الْمُلُوكُ إِذَا خَلَدْنَا ... وَلَوْ بَقِيَ الْكِرَامُ إِذَا بَقِينَا
فَأَفْنَى ذَاكُمُ سَرَوَاتُ قَوْمِي ... كَمَا أَفْنَى الْقُرُونُ الْأَوَّلِينَا
وَلَمَّا تَوَجَّهَ فِرْوَةُ بْنُ مُسِيكٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص مَفَارِقًا لِلْمُلُوكِ كِنْدَةَ قَالَ:
لَمَّا رَأَيْتُ مُلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضْتُ ... كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجُلَ عَرَقَ نِسَائَهَا
يَمُمْتُ رَاحِلَتِي أَوْمَ مُحَمَّدًا ... أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَرَائِهَا
قَالَ: فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص [قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - فِيمَا بَلَغَنِي: يَا فِرْوَةُ، هَلْ سَاءَكَ مَا أَصَابَ قَوْمَكَ يَوْمَ الرِّزْمِ؟ فَقَالَ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ ذَا يُصِيبُ قَوْمَهُ مِثْلَ مَا أَصَابَ قَوْمِي يَوْمَ الرِّزْمِ، لَا يَسُوؤُهُ

٣٠٤٠٦ قدوم الجارود في وفد عبد القيس

ذَلِكَ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: أَمَّا إِنْ ذَلِكَ لَمْ يَزِدْ قَوْمَكَ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا خَيْرًا [فَاسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى مُرَادٍ وَزُبَيْدٍ وَمَذْحِجٍ كُلِّهَا،
وَبَعَثَ مَعَهُ خَالِدَ بْنَ سَعِيدٍ بْنِ الْعَاصِ عَلَى الصَّدَقَةِ، وَكَانَ مَعَهُ فِي بِلَادِهِ حَتَّى تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ص.
حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَسُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، قَالَ:
أَخْبَرَنَا جُبَلَدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَامِرٌ، عَنْ فِرْوَةَ بْنِ مُسِيكٍ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: أَكْرَهْتَ يَوْمَكَ وَيَوْمَ هَمْدَانَ؟ فَقُلْتُ: إِي وَاللَّهِ! أَفْنَى
الْأَهْلَ وَالْعَشِيرَةَ، فَقَالَ: أَمَّا أَنَّهُ خَيْرٌ لِمَنْ بَقِيَ] .

قدوم الجارود في وفد عبد القيس

وَفِيهَا قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ، لِحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص الْجَارُودُ بْنُ عَمْرِو بْنِ
حَنْشِ بْنِ الْمُعَلَّى، أَخُو عَبْدِ الْقَيْسِ فِي وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ وَكَانَ نَصْرَانِيًّا.
حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: لَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص كَلَّمَهُ،
فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، وَدَعَاهُ إِلَيْهِ، وَرَغَبَهُ فِيهِ، [فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى دِينٍ، وَإِنِّي تَارَكْتُ دِينِي لِدِينِكَ، فَتَضَمَّنْ لِي دِينِي؟
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: نَعَمْ أَنَا ضَامِنٌ لَكَ أَنْ قَدْ هَدَاكَ اللَّهُ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ قَالَ: فَأَسْلَمَ وَأَسْلَمَ مَعَهُ أَصْحَابُهُ، ثُمَّ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ
الْجَمْلَانَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بِلَادِنَا ضَوَالٍ مِنْ ضَوَالِ النَّاسِ، أَفَتَبْلُغُ عَلَيْنَا إِلَى
بِلَادِنَا؟ قَالَ: إِيَّاكُمْ وَإِيَّاهَا، فَإِنَّمَا ذَلِكَ حَرَقُ النَّارِ قَالَ: نَخْرُجُ مِنْ عِنْدِهِ الْجَارُودُ رَاجِعًا إِلَى قَوْمِهِ - وَكَانَ حَسَنَ الْإِسْلَامِ صُلْبًا عَلَى
دِينِهِ - حَتَّى هَلَكَ، وَقَدْ أَدْرَكَ الرَّدَةَ،

٣٠٤٠٧ قدوم وفد بني حنيفة ومعهم مسيلمه

فَلَمَّا رَجَعَ مِنْ قَوْمِهِ مَنْ كَانَ أَسْلَمَ مِنْهُمْ إِلَى دِينِهِمُ الْأَوَّلَ مَعَ الْغُرُورِ، الْمُنْذِرُ ابْنُ النَّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ، أَقَامَ الْجَارُودُ فَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ وَدَعَا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّهُ مَنْ لَمْ يَشْهَدْ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى الْعَبْدِيِّ، فَأَسْلَمَ فَحُسِّنَ إِسْلَامُهُ، ثُمَّ هَلَكَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَقَبْلَ رِدَّةِ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ، وَالْعَلَاءُ أَمِيرٌ عِنْدَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ عَلَى الْبَحْرَيْنِ
قدوم وفد بني حنيفة ومعهم مسيلمه

وَفِيهَا قَدِمَ وَفْدُ بَنِي حَنِيفَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَفْدُ بَنِي حَنِيفَةَ، فِيهِمْ مَسِيلَةُ بْنُ حَبِيبٍ الْكَذَّابُ، فَكَانَ مَنْزِلُهُمْ فِي دَارِ ابْنَةِ الْحَارِثِ، امْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي النَّجَارِ.
حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

حَدَّثَنِي بَعْضُ عُلَمَائِنَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، أَنَّ بَنِي حَنِيفَةَ أَتَتْ بِمُسَيْلَمَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص تَسْتَرُّهُ بِالثِّيَابِ، وَرَسُولُ اللَّهِ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، وَمَعَهُ عَسِيبٌ مِنْ سَعْفِ النَّخْلِ، فِي رَأْسِهِ خُوصَاتٌ، [فَلَمَّا أَنْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَهُمْ يَسْتَرُونَهُ بِالثِّيَابِ، كَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: لَوْ سَأَلْتَنِي هَذَا الْعَسِيبُ الَّذِي فِي يَدِي مَا أَعْطَيْتُكَ!] حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ شَيْخٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ مِنْ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، قَالَ: كَانَ حَدِيثُ مُسَيْلَمَةَ عَلَى غَيْرِ هَذَا،

٣٠٤٠٨ قدوم الاشعث بن قيس في وفد كنده

زَعِمَ أَنَّ وَفْدَ بَنِي حَنِيفَةَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ص وَخَلَقُوا مُسَيْلَمَةَ فِي رَحَالِهِمْ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا ذَكَرُوا لَهُ مَكَانَهُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا قَدْ خَلَقْنَا صَاحِبًا لَنَا فِي رِحَالِنَا وَرِكَابِنَا يَحْفَظُهُمَا لَنَا قَالَ: فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ بِمِثْلِ مَا أَمَرَ بِهِ لِلْقَوْمِ، وَقَالَ: [أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ بِشِرْكُكُمْ مَكَانًا، يَحْفَظُ ضَيْعَةَ أَصْحَابِهِ،] وَذَلِكَ الَّذِي يُرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَجَاءُوا مُسَيْلَمَةَ بِمَا أَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ، فَلَمَّا أَنْتَهَى إِلَى الْيَمَامَةِ ارْتَدَّ عَدُوُّ اللَّهِ وَتَنَبَّأَ وَتَكَلَّبَ لَهُمْ، وَقَالَ: إِنِّي قَدْ اشْرَكَتُ فِي الْأَمْرِ مَعَهُ، وَقَالَ الْوَفْدُ: أَلَمْ يَقُلْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ حَيْثُ ذَكَّرْتُمُونِي: أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ بِشِرْكُكُمْ مَكَانًا! مَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَا كَانَ يَعْلَمُ أَنِّي قَدْ اشْرَكَتُ مَعَهُ، ثُمَّ جَعَلَ يَسْجَعُ السَّجَعَاتِ، وَيَقُولُ لَهُمْ فِيمَا يَقُولُ مُضَاهَاةً لِلْقُرْآنِ: لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الْحَبْلِ، أَخْرَجَ مِنْهَا نَسْمَةً تَسْعَى، مِنْ بَيْنِ صِفَاقٍ وَحِشَى، وَوَضَعَ عَنْهُمْ الصَّلَاةَ، وَأَحَلَّ لَهُمُ النَّخْرَ وَالزَّنَا، وَنَحَوَ ذَلِكَ فَشَهِدَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَصْفَقَتْ بَنُو حَنِيفَةَ عَلَى ذَلِكَ، فَاللَّهُ اعْلَمْ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ.

قدوم الاشعث بن قيس في وفد كنده

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَفِيهَا قَدِمَ وَفْدُ كِنْدَةَ، رَأْسُهُمُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ الْكِنْدِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ ابْنِ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ فِي سِتِّينَ رَاكِبًا مِنْ كِنْدَةَ، فَدَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مَسْجِدَهُ، وَقَدْ

٣٠٤٠٩ حوادث متفرقة

رَجَلُوا جُمُعَهُمْ، وَتَكَحَّلُوا، عَلَيْهِمْ جُبُّ الْحَبَرَةِ، قَدْ كَفَّفُوهَا بِالْحَرِيرِ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، قَالَ: أَلَمْ تُسَلِّمُوا؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَمَا بَالُ هَذَا الْحَرِيرِ فِي أَعْنَاقِكُمْ؟ قَالَ: فَشَقُّوهُ مِنْهَا فَأَلْقَوْهُ، ثُمَّ قَالَ الْأَشْعَثُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَحْنُ بَنُو أَكْلِ الْمُرَارِ، وَأَنْتَ ابْنُ أَكْلِ الْمُرَارِ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: نَاسِبُوا بِهَذَا النَّسَبِ الْعَبَّاسِ ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَرَبِيعَةَ ابْنِ الْحَارِثِ قَالَ: وَكَانَ رَبِيعَةُ وَالْعَبَّاسُ تَاجِرَيْنِ، فَكَانَا إِذَا سَاحَا فِي أَرْضِ الْعَرَبِ فُسَيْلًا مِنْهُمَا؟ قَالَا: نَحْنُ بَنُو أَكْلِ الْمُرَارِ، يَتَعَزَّانِ بِذَلِكَ، وَذَلِكَ أَنَّ كِنْدَةَ كَانَتْ مَلُوكًا،

[فقال رسول الله ص: نَحْنُ بَنُو النَّصْرِ بْنِ كَثَّانَةَ لَا نَقْفُو أَمْنًا، وَلَا نَنْتَفِي مِنْ أَيْبِنَا] فَقَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ: هَلْ عَرَفْتُمْ يَا مَعْشَرَ كِنْدَةَ! وَاللَّهِ لَا أَسْمَعُ رَجُلًا قَالَهَا بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَّا ضَرَبْتَهُ حَذَاهُ ثَمَانِينَ . [حوادث متفرقة]

قال الْوَأْقِدِيُّ: وفيها قدم وفد محارب وفيها قدم وفد الرهاويين .
وفيها قدم وفد العاقب والسيد من نجران، فكتب لهما رَسُولُ اللَّهِ ص كتاب الصلح.
قال: وفيها قدم وفد عبس .
وفيها قدم وفد صدف، وافوا رَسُولُ اللَّهِ ص فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ

٣٠٤٠١٠ قدوم رفاعه بن زيد الجذامي

قال: وفيها قدم عدي بن حاتم الطائي، فِي شَعْبَانَ .
وفيها مات أبو عامر الراهب عِنْدَ هِرَقْلَ، فاختلف كَثَّانَةُ بْنُ عَبْدِ يَالِيلَ وَعَلْقَمَةُ بْنُ عَلَاقَةَ فِي مِيرَاثِهِ، فَقَضِيَ بِهِ لِكَثَّانَةَ بْنُ عَبْدِ يَالِيلَ قَالَ:
هما من اهل المدر، وأنت من اهل الوير .
قدوم رفاعه بن زيد الجذامي
قال: وفيها قدم وفد خولان، وهم عشرة .

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، قَالَ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فِي هُدْنَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ قَبْلَ خَيْرِ رِفَاعَةَ بْنِ زَيْدِ الْجَذَامِيِّ ثُمَّ الضُّبَيْيُّ، فَأَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ غَلَامًا، وَأَسْلَمَ حَسَنَ إِسْلَامِهِ، وَكَتَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى قَوْمِهِ كِتَابًا، فِي كِتَابِهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِرِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ، إِنِّي بَعَثْتُهُ إِلَى قَوْمِهِ عَامَّةً وَمَنْ دَخَلَ فِيهِمْ، يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، فَمَنْ أَقْبَلَ فَمِنْ حِزْبِ اللَّهِ وَحِزْبِ رَسُولِهِ، وَمَنْ أَدْبَرَ فَلَهُ أَمَانٌ شَهْرَيْنِ فَلَمَّا قَدِمَ رِفَاعَةُ عَلَى قَوْمِهِ، أَجَابُوا وَأَسْلَمُوا، ثُمَّ سَارُوا إِلَى الْحَرَّةِ، حَرَّةَ الرَّجْلَاءِ فَزَلُّوْهَا .

فَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَمَّنْ لَا يَتَّبِعُهُمْ، عَنْ رَجَالٍ مِنْ جَذَامٍ كَانُوا بِهَا عُلَمَاءَ، أَنَّ رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ، لَمَّا قَدِمَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ص بِكِتَابِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَاسْتَجَابُوا لَهُ، لَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَقْبَلَ دِحْيَةَ بْنَ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ مِنْ عِنْدِ قَيْصَرَ صَاحِبِ الرُّومِ، حِينَ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ وَمَعَهُ تِجَارَةٌ لَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِوَادٍ مِنْ أَوْدِيَّتِهَا، يُقَالُ لَهُ: شَنَارٌ، أَغَارَ عَلَى دِحْيَةَ الْهَنْدِيِّ بْنِ عَوْصٍ وَابْنِهِ عَوْصُ بْنُ الْهَنْدِيِّ، الضُّلَيْعِيَّانِ - وَالضُّلَيْعُ بَطْنٌ مِنْ جَذَامٍ - فَأَصَابَا كُلَّ شَيْءٍ كَانَ مَعَهُ،

فَبَلَغَ ذَلِكَ نَفَرًا مِنْ بَنِي الضُّبَيْيِّ قَوْمَ رِفَاعَةَ فَمَنْ كَانَ أَسْلَمَ وَأَجَابَ، فَنفَرُوا إِلَى الْهَنْدِيِّ وَابْنِهِ، فِيهِمْ مِنْ بَنِي الضُّبَيْيِّ التُّعْمَانُ بْنُ أَبِي جَعَالٍ، حَتَّى لَقَوْهُمْ، فَاقْتَتَلُوا، وَاتَّيَ يَوْمُئِذٍ قَرَّةٌ مِنْ أَشَقَرِ الضُّفَارِيِّ ثُمَّ الضُّلَيْعِيِّ، فَقَالَ: أَنَا ابْنُ لُبْنَى، وَرَمَى التُّعْمَانُ بْنُ أَبِي جَعَالٍ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ رُكْبَتَهُ، فَقَالَ حِينَ أَصَابَهُ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ لُبْنَى - وَكَانَتْ لَهُ أُمُّ تُدْعَى لُبْنَى - قَالَ: وَقَدْ كَانَ حَسَّانُ بْنُ مَلَّةَ الضُّبَيْيِّ قَدْ صَحَبَ دِحْيَةَ بْنَ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ قَبْلَ ذَلِكَ، فَعَلِمَهُ أُمُّ الْكِتَابِ، فَاسْتَقْدُوا مَا كَانَ فِي يَدِ الْهَنْدِيِّ وَابْنِهِ عَوْصٍ، فَردُّوه عَلَى دِحْيَةَ، فَسَارَ دِحْيَةَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُ، وَاسْتَسْقَاهُ دَمَ الْهَنْدِيِّ وَابْنِهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ - وَذَلِكَ الَّذِي هَاجَ غَزْوَةَ زَيْدِ جَذَامًا، وَبَعَثَ مَعَهُ جَيْشًا - وَقَدْ وَجَّهَتْ غُطْفَانُ مِنْ جَذَامٍ كُلِّهَا وَوَاتِلُ وَمَنْ كَانَ مِنْ سَلَامَانَ وَسَعْدُ بْنُ هَذِيمٍ حِينَ جَاءَهُمْ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ، فَزَلُّوا بِالْحَرَّةِ، حَرَّةَ الرَّجْلَاءِ، وَرِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ بِكَرَاعِ رَبَّةٍ وَلَمْ يَعْلَمْ، وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي الضُّبَيْيِّ وَسَائِرُ بَنِي الضُّبَيْيِّ بِوَادٍ مِنْ نَاحِيَةِ الْحَرَّةِ مِمَّا يَسِيلُ مَشْرِقًا، وَأَقْبَلَ جَيْشُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مِنْ نَاحِيَةِ الْأَوَّلَاجِ، فَأَغَارَ بِالْفَضَافِضِ مِنْ قَبْلِ الْحَرَّةِ،

وَجَمَعُوا مَا وَجَدُوا مِنْ مَالٍ وَأُنَاسٍ، وَقَتَلُوا الْهَنْدَ وَابْنَهُ وَرَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي الْأَخْنَفِ، وَرَجُلًا مِنْ بَنِي خَصِيبٍ، فَلَمَّا سَمِعَتْ بِذَلِكَ بَنُو الضَّبِيبِ وَالْجَيْشُ بَيْفَاءَ مُدَانَ، رَكِبَ حَسَّانُ بْنُ مَلَّةَ عَلَى فَرَسٍ لِسُوَيْدِ بْنِ زَيْدٍ يُقَالُ لَهَا الْعَجَاجَةُ، وَأَتَيْفُ بْنُ مَلَّةَ عَلَى فَرَسٍ لِمَلَّةَ، يُقَالُ لَهَا رِغَالُ، وَأَبُو زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو عَلَى فَرَسٍ لَهُ يُقَالُ لَهَا شَمْرُ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنَ الْجَيْشِ، قَالَ أَبُو زَيْدٍ لِأَتَيْفِ بْنِ مَلَّةَ: كُفَّ عَنَّا وَانْصَرَفْ، فَإِنَّا نَخْشَى لِسَانَكَ، فَانْصَرَفَ فَوْقَ عَنْهُمَا، فَلَمْ يَبْعُدَا مِنْهُ، فَجَعَلَ فَرَسُهُ يَبْحَثُ بِبَيْدَاهَا وَتَوَثَّبُ، فَقَالَ: لَأَنَا أَضْنُ بِالرَّجُلَيْنِ مِنْكَ بِالْفَرَسَيْنِ، فَأَرْنِي لَهَا حَتَّى أَدْرِكُهُمَا، فَقَالَا لَهُ: أَمَا إِذْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ، فَكُفَّ عَنَّا لِسَانَكَ وَلَا تَشَأْمُنَا الْيَوْمَ، وَتَوَاطَوْا أَلَا يَتَكَلَّمُ مِنْهُمْ إِلَّا حَسَّانُ بْنُ مَلَّةَ، وَكَانَتْ

بَيْنَهُمْ كَلِمَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَدْ عَرَفُوهَا، بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، إِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمْ أَنْ يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ قَالَ: ثَوْرِي. فَلَمَّا بَرَزُوا عَلَى الْجَيْشِ أَقْبَلَ الْقَوْمُ يَتَدَرُونَ، فَقَالَ حَسَّانُ:

إِنَّا قَوْمٌ مُسْلِمُونَ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِيَهُمْ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ أَدْهَمَ بَائِعٌ رُحْمَهُ يَقُولُ مَعْرَضُهُ: كَأَنَّمَا رَكَّزَهُ عَلَى مَنْسَجٍ فَرَسِهِ جُدَّ وَأَعْتَقُ، فَأَقْبَلَ يَسُوقُهُمْ، فَقَالَ أَتَيْفُ: ثَوْرِي، فَقَالَ حَسَّانُ: مَهْلًا! فَلَمَّا وَقَفُوا عَلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ قَالَ لَهُ حَسَّانُ: إِنَّا قَوْمٌ مُسْلِمُونَ، فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: فَاقْرَأْ أُمَّ الْكِتَابِ، فَقَرَأَهَا حَسَّانُ، فَقَالَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ: نَادُوا فِي الْجَيْشِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَيْنَا نُغَرَّةَ الْقَوْمِ الَّتِي جَاءُوا مِنْهَا إِلَّا مَنْ خَرَّ، وَإِذَا أُخْتُ لِحَسَّانِ ابْنِ مَلَّةَ - وَهِيَ امْرَأَةُ أَبِي وَبَرٍ بْنِ عَدِيِّ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ الضَّبِيبِ - فِي الْأُسَارَى. فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: خُذْهَا، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِيهِ، فَقَالَتْ أُمُّ الْفَزْرِ الضَّلِيلِيَّةُ:

أَتَنْطَلِقُونَ بِنَاتِكُمْ، وَتَذَرُونَ أُمَهَاتِكُمْ! فَقَالَ أَحَدُ بَنِي خَصِيبٍ: إِنَّمَا بَنُو الضَّبِيبِ! وَسَحَرَتْ أَلْسِنَتُهُمْ سَائِرَ الْيَوْمِ، فَسَمِعَهَا بَعْضُ الْجَيْشِ، فَأَخْبَرَ بِهَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَأَمَرَ بِأُخْتِ حَسَّانِ، فَفَكَّتْ يَدَاهَا مِنْ حَقْوِيهِ، فَقَالَ لَهَا: اجْلِسِي مَعَ بَنَاتِ عَمِّكَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ فَيَكُنَّ حُكْمُهُ، فَرَجَعُوا، وَنَهَى الْجَيْشُ أَنْ يَهْبِطُوا إِلَى وَادِيهِمْ الَّذِي جَاءُوا مِنْهُ، فَأَمَسُوا فِي أَهْلِيهِمْ، وَاسْتَعْتَمُوا ذُودًا لِسُوَيْدِ بْنِ زَيْدٍ، فَلَمَّا شَرَبُوا عَمَّتَهُمْ رَكَبُوا إِلَى رِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَكَانَ مِمَّنْ رَكِبَ إِلَى رِفَاعَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَبُو زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو وَأَبُو شِمَاسٍ بْنُ عَمْرٍو، وَسُوَيْدُ بْنُ زَيْدٍ، وَبَعْجَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَبَرْذَعُ بْنُ زَيْدٍ، وَتَعْلَبَةُ بْنُ عَمْرٍو، وَخُرَيْبَةُ بْنُ عَدِيِّ، وَأَتَيْفُ بْنُ مَلَّةَ، وَحَسَّانُ بْنُ مَلَّةَ، حَتَّى صَبَحُوا رِفَاعَةَ

ابْنَ زَيْدٍ بِكَرَاعِ رَبَّةٍ يَظْهَرُ الْحَرَّةَ عَلَى بَيْتِ هُنَالِكَ مِنْ حَرَّةٍ لَيْلٍ، فَقَالَ لَهُ حَسَّانُ بْنُ مَلَّةَ: إِنَّكَ لَجَالِسٌ تَحْلُبُ الْمَعْرَى وَنِسَاءَ جُدَامٍ يُجْرِنُ أُسَارَى قَدْ غَرَّهَا كِتَابُكَ الَّذِي جِئْتَ بِهِ! فَدَعَا رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ بِجَمَلٍ لَهُ، فَجَعَلَ يَشْكِلُ عَلَيْهِ رَحْلَهُ، وَهُوَ يَقُولُ:

هَلْ أَنْتَ حَيٌّ أَوْ تَنَادِي حَيًّا

ثُمَّ غَدَا وَهُمْ مَعَهُ بِأُمَيَّةَ بْنِ ضَفَّارَةَ أَخِي الْخَصِيبِيِّ الْمَقْتُولِ مُبَكِّرِينَ مِنْ ظَهْرِ الْحَرَّةِ، فَسَارُوا إِلَى جَوْفِ الْمَدِينَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا دَخَلُوا انْتَهَوْا إِلَى الْمَسْجِدِ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهُمْ: لَا تُنِيخُوا إِلَيْكُمْ فَتَقْطَعَ أَيْدِيَهُنَّ، فَزَلُّوا عَنْهَا وَهَنَ قِيَامُ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَرَأَاهُمْ، أَلَا حَ إِلَيْهِمْ يَدِهِ: أَنْ تَعَالَوْا مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ، فَلَمَّا اسْتَفْتَحَ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ الْمَنْطِقَ قَامَ رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَوْمٌ سَحَرَهُ، فَارْدَدَهَا مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ رِفَاعَةُ: رَحِمَ اللَّهُ مَنْ لَمْ يُجْزِنَا فِي يَوْمِنَا هَذَا إِلَّا خَيْرًا! ثُمَّ دَفَعَ رِفَاعَةَ كِتَابَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي كَانَ كَتَبَهُ لَهُ، فَقَالَ: دُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدِيمًا كِتَابُهُ، حَدِيثًا غَدَرَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: اقْرَأْ يَا غُلَامُ وَأَعْلِنُ، فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُمْ وَاسْتَخَبَرَهُمْ فَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: كَيْفَ أَصْنَعُ بِالْقَتْلِ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ رِفَاعَةُ: أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْلَمْ، لَا نَحْرَمُ عَلَيْكَ حَلَالًا، وَلَا نُحِلُّ لَكَ حَرَامًا، فَقَالَ أَبُو زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو: أَطْلِقْ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ كَانَ حَيًّا، وَمَنْ كَانَ قَدْ قُتِلَ فَهُوَ تَحْتَ قَدَمِي هَاتَيْنِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: صَدَقَ أَبُو زَيْدٍ، أَرْكَبُ مَعَهُمْ يَا عَلِيُّ، فَقَالَ عَلِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ زَيْدًا لَنْ يُطِيعَنِي، قَالَ: خُذْ سَيْفِي، فَأَعْطَاهُ سَيْفَهُ، فَقَالَ عَلِيُّ:

لَيْسَ لِي رَاحِلَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرْكَبُهَا، فَحَمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى جَمَلٍ لَتَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرٍو، يُقَالُ لَهُ الْمَكْحَالُ، فَخَرَجُوا، فَإِذَا رَسُولُ لَزِيدِ بْنِ حَارِثَةَ عَلَى نَاقَةٍ مِنْ إِبِلِ أَبِي وَبَرٍ، يُقَالُ لَهَا الشَّمَرُ، فَأَنْزَلُوهُ عَنْهَا، فَقَالَ: يَا عَلِيُّ مَا شَأْنِي؟ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ: مَا لَهُمْ عَرَفُوهُ فَأَخَذُوهُ ثُمَّ سَارُوا حَتَّى لَقُوا الْجَيْشَ بِفَيْفَاءِ الْفَحْلَتَيْنِ، فَأَخَذُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، حَتَّى كَانُوا يَنْزِعُونَ لَبَدَ الْمَرْأَةِ مِنْ تَحْتِ الرَّحْلِ

٣٠٤١١ وفد بني عامر بن صعصعة

وفد بني عامر بن صعصعة

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، قَالَ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَفَدُ بَنِي عَامِرٍ، فِيهِمْ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، وَأَرْبَدُ بْنُ قَيْسِ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ، وَجَبَّارُ بْنُ سَلَمَى بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ رُءُوسَ الْقَوْمِ وَشِيَاظِهِمْ. فَقَدِمَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَهُوَ يَرِيدُ الْغَدْرَ بِهِ، وَقَدْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: يَا عَامِرُ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَسْلَمُوا فَأَسْلِمْ، قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَلَيْتُ أَلَّا أَنْتَرِي حَتَّى تَتَّبِعَ الْعَرَبُ عَقْبِي، أَفَأَنَا أَتَّبِعُ عَقِبَ هَذَا الْفَتَى مِنْ قُرَيْشٍ! ثُمَّ قَالَ لِأَرْبَدَ: إِذَا قَدِمْتُ عَلَى الرَّجُلِ فَإِنِّي شَاغِلٌ عَنْكَ وَجْهَهُ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَاعْلَهُ بِالسَّيْفِ، [فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص قَالَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ: يَا مُحَمَّدُ خَالِنِي، قَالَ: لَا وَاللَّهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ خَالِنِي، قَالَ: لَا وَاللَّهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فَلَمَّا أَبَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ص قَالَ: أَمَّا رَأَى عَامِرٌ مَا يَصْنَعُ أَرْبَدُ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ خَالِنِي، قَالَ: لَا وَاللَّهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فَلَمَّا أَبَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ص قَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لَا مَلَأْنَاهَا عَلَيْكَ خِيَلًا حُمْرًا وَرِجَالًا، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: اللَّهُمَّ اكْفِنِي عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ،] فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ قَالَ عَامِرٌ لِأَرْبَدَ: وَيْلَكَ يَا أَرْبَدُ أَيْنَ مَا كُنْتُ أَوْصَيْتُكَ بِهِ! وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ رَجُلٌ هُوَ أَخَوْفُ عَلَى نَفْسِي عِنْدِي مِنْكَ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَا أَخَافُكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا قَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَى لَا ابَالِكَ! وَاللَّهِ مَا هَمَمْتُ بِالَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ مِنْ مَرَّةٍ إِلَّا دَخَلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّجُلِ حَتَّى مَا أَرَى غَيْرَكَ، أَفَأَضْرِبُكَ بِالسَّيْفِ! قَالَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ:

بُعِثَ الرَّسُولُ بِمَا تَرَى فَكَأَنَّمَا ... عَمْدَانِشْنِ عَلَى الْمَقَانِبِ غَارَا

وَلَقَدْ وَرَدَنَ بِنَا الْمَدِينَةَ شُرْبًا ... وَلَقَدْ قَتَلَنَ بِجَوْهَا الْأَنْصَارَا

وَخَرَجُوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ

٣٠٤١٢ قدوم زيد الخيل في وفد طيئ

وَجَلَّ عَلَى عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ الطَّاعُونَ فِي عُنُقِهِ فَقَتَلَهُ، وَإِنَّهُ فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سُلُولَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا بَنِي عَامِرٍ، أَغْدَةُ كَغْدَةِ الْبَكْرِ، وَمَوْتُ فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سُلُولَ! ثُمَّ خَرَجَ أَصْحَابُهُ حِينَ وَارَوْهُ، حَتَّى قَدِمُوا أَرْضَ بَنِي عَامِرٍ، فَلَمَّا قَدِمُوا أَتَاهُمْ قَوْمُهُمْ، فَقَالُوا: مَا وَرَاءَكَ يَا أَرْبَدُ؟ قَالَ:

لَا شَيْءَ، وَاللَّهِ لَقَدْ دَعَانَا إِلَى عِبَادَةِ شَيْءٍ لَوَدِدْتُ أَنَّهُ عِنْدِي الْآنَ فَأَرْمِيهِ بِنَبْلِي هَذِهِ حَتَّى أَقْتَلَهُ، فَخَرَجَ بَعْدَ مَقَاتِلَتِهِ هَذِهِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، مَعَهُ جَمَلٌ لَهُ يَبِيعُهُ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمَلِهِ صَاعِقَةً فَأَحْرَقَتْهُمَا وَكَانَ أَرْبَدُ بْنُ قَيْسٍ أَخَا لَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ لَا مَهَ.

قدوم زيد الخليل في وفد طيئ
وقدم على رسول الله ص وفد طيئ، فيهم زيد الخليل، وهو سيدهم، فلما انتهوا إليه كلموه، وعرض عليهم رسول الله الإسلام فأسلموا
فحسن إسلامهم، [فقال رسول الله ص- كما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن رجال من طيئ: ما
ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا ما كان من زيد الخليل، فإنه لم يبلغ فيه كل ما فيه].
ثم سماه زيد الخير، وقطع له فيدا وأرضين معه، وكتب له بذلك نخرج من عند رسول الله راجعا إلى قومه، فقال رسول الله: إن ينج
زيد من حمى المدينة! سماها رسول الله باسم غير الحمى وغير أم ملدم فلم يثبت- فلما انتهى من بلاد نجد إلى ماء من مياهه يقال له فردة
أصابته الحمى، فمات بها، فلما أحس زيد بالموت قال:
أمرتكم قومي المشارق غدوة... وأترك في بيت بفردة منجد
ألا رب يوم لو مرضت لعادني... عوائد من لم يبر منهن يجهد

٣٠٤٠١٣ كتاب مسيله إلى رسول الله والجواب عنه

فلما مات عمدة امرأته إلى ما كان معها من كتبه التي قطع له رسول الله ص فخرقتها بالنار

. كتاب مسيله الى رسول الله والجواب عنه

وفي هذه السنة كتب مسيلة إلى رسول الله ص يدعي أنه أشرك معه في النبوة حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق،
عن عبد الله بن أبي بكر، قال: كان مسيلة بن حبيب الكذاب كتب الى رسول الله ص: من مسيلة رسول الله إلى محمد رسول الله
سلام عليك، فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض ولقریش نصف الأرض، ولكن قريشا قوم يعتدون.
فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن شيخ من أشجع قال ابن حميد: أما علي بن مجاهد فيقول: عن أبي مالك
الأشجعي، عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعي، عن أبيه نعيم- [قال: سمعت رسول الله ص يقول لهما حين قرأ كتاب مسيلة: فآ
تقولان أنما؟ قالان:

نقول كما قال، فقال: أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما].
ثم كتب إلى مسيلة: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مسيلة الكذاب سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني
الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قال: وكان ذلك في آخر سنة عشر.
قال أبو جعفر: وقد قيل: إن دعوى مسيلة ومن ادعى النبوة من الكذابين في عهد النبي ص، إنما كانت بعد انصراف النبي من حجة
المسمى حجة الوداع، ومرضته التي مرضها التي كانت منها وفاته ص

٣٠٤٠١٤ خروج الأمراء والعمال على الصدقات

حدثنا عبيد الله بن سعيد الزهري، قال: حدثني عمي يعقوب بن إبراهيم قال: حدثني سيف بن عمر- وكتب بذلك الى السري يقول:
حدثنا شعيب ابن إبراهيم التميمي، عن سيف بن عمر التميمي الأسدي- قال: حدثنا عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجذع الأنصاري،
عن عبيد مولى رسول الله ص عن أبي موهبة مولى رسول الله، قال: لما انصرف النبي ص الى المدينة بعد ما قضى حجة التمام، فتحلل

بِهِ السَّيْرُ، وَطَارَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ لِتَحُلُّ السَّيْرِ بِالنَّبِيِّ ص، أَنَّهُ قَدْ اشْتَكَى، فَوُتِبَ الْأَسْوَدُ بِالْيَمَنِ وَمُسْلِمَةٌ بِالْمِثَامَةِ، وَجَاءَ الْخَبَرُ عَنْهُمَا لِلنَّبِيِّ ص، ثُمَّ وَتِبَ طَلِيحَةُ فِي بِلَادِ بَنِي أَسَدٍ بَعْدَ مَا أَفَاقَ النَّبِيُّ، ثُمَّ اشْتَكَى فِي الْمَحْرَمِ وَجَعَهُ الَّذِي تَوَفَاهُ اللَّهُ فِيهِ .
خروج الأمراء والعمال على الصدقات

قال أبو جعفر: وفرق رسول الله ص في جميع البلاد التي دخلها الإسلام عملاً على الصدقات، على كل ما أوطأ الإسلام من البلدان، فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء، فخرج عليه العنسي وهو بها، وبعث زياد بن ليدي أخا بني بياضة الأنصاري إلى حضرموت على صدقاتها، وبعث عدي بن حاتم على الصدقة، صدقة طي وأسد، وبعث مالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة، وفرق صدقة بني سعد على رجلين منهم، وبعث العلاء بن الحضرمي على البحرين، وبعث علي بن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيتهم

٣٠٤٠١٥ حجه الوداع

حجه الوداع

فَلَمَّا دَخَلَ ذُو الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنِي سَنَةَ عَشْرِ - تَجَهَّزَ النَّبِيُّ إِلَى الْحَجِّ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالْجِهَازِ لَهُ لِحَدَّثْنَا ابْنَ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ص، قَالَتْ: خَرَجَ النَّبِيُّ ص إِلَى الْحَجِّ نَحْمَسَ لَيْلًا بَقِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ، لَا يَذْكُرُ وَلَا يَذْكُرُ النَّاسُ إِلَّا الْحَجَّ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْفٍ، [وَقَدْ سَاقَ رَسُولُ اللَّهِ مَعَهُ الْهُدْيَ وَأَشْرَافُ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَحِلُّوا بِعُمْرَةٍ إِلَّا مَنْ سَاقَ الْهُدْيَ، وَحَضَّتْ ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَدَخَلَ عَلَى وَا نَا ابْنِي، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا عَائِشَةُ؟ لَعَلَّكَ نَفِسْتَ! فَقُلْتُ:

نَعَمْ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَخْرُجْ مَعَكُمْ عَامِي هَذَا فِي هَذَا السَّفَرِ، قَالَ: لَا تَفْعَلِي، لَا تَقُولَنَّ ذَلِكَ، فَإِنَّكَ تَقْضِينَ كُلَّ مَا يَقْضِي الْحَاجُّ، إِلَّا أَنَّكَ لَا تَطُوفِينَ بِالْبَيْتِ] قَالَتْ: وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص مَكَّةَ، فَحَلَّ كُلُّ مَنْ كَانَ لَا هَدْيَ مَعَهُ، وَحَلَّ نِسَاؤُهُ بِعُمْرَةٍ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ النَّحْرِ أُتِيتُ بِلَحْمٍ بَقَرٍ كَثِيرٍ، فَطُرِحَ فِي بَيْتِي، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: ذَبَحَ رَسُولُ اللَّهِ عَنْ نِسَائِهِ الْبَقَرِ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ الْحَصْبَةِ، بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ مَعَ أَخِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، لِأَقْضِيَ عُمْرَتِي مِنَ التَّنْعِيمِ مَكَانَ عُمْرَتِي الَّتِي فَاتَتْنِي.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، قَالَ: [بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ إِلَى نَجْرَانَ، فَلَقِيَهُ بِمَكَّةَ، وَقَدْ أَحْرَمَ، فَدَخَلَ عَلَيَّ عَلَى فَاطِمَةَ ابْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ، فَوَجَدَهَا قَدْ حَلَّتْ وَتَهَيَّأتْ، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَتْ:

أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ أَنْ نَحِلَّ بِعُمْرَةٍ، فَأَحْلَلْنَا، قَالَ: ثُمَّ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ص، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ سَفَرِهِ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: انْطَلِقِ فَطُفْ بِالْبَيْتِ، وَحِلَّ كَمَا حَلَّ أَصْحَابُكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ أَهَلَّتُ بِمَا أَهَلَّتُ بِهِ، قَالَ: ارْجِعِي فَاحْلِلِي كَمَا حَلَّ أَصْحَابُكَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قُلْتُ حِينَ أُحْرِمْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَهَلَّتُ بِمَا أَهَلَّ بِهِ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، قَالَ: فَهَلْ مَعَكَ مِنْ هَدْيٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَاشْرِكْهُ رَسُولَ اللَّهِ ص فِي هَدْيِهِ وَتَبَّتْ عَلَى إِحْرَامِهِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، حَتَّى فَرَغَا مِنَ الْحَجِّ، وَنَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ الْهُدْيَ عَنْهُمَا].

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَحْيَى ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ رُكَّانَةَ، قَالَ: لَمَّا أَقْبَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنَ الْيَمَنِ لِيَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ بِمَكَّةَ تَعَجَّلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى جُنْدِهِ الَّذِينَ مَعَهُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ، فَعَمَدَ ذَلِكَ الرَّجُلُ، فَكَسَا رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ حُلًّا مِنَ الْبَزِّ الَّذِي كَانَ مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَلَمَّا دَنَا جَيْشُهُ، خَرَجَ عَلَيَّ

يلقاهم، فإذا هم عليهم الخلل، فقال: ويحك ما هذا! قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، فقال: ويلك! انزع من قبل أن تنتهي إلى رسول الله قال:

فانتزع الخلل من الناس، وردّها في البز، وأظهر الجيش شكايّة لما صنع بهم.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم، عن سليمان بن محمد بن كعب ابن عجرة، عن عمته زينب بنت كعب بن عجرة - وكانت عند أبي سعيد الخدري - عن أبي سعيد، [قال: شكّا الناس عليّ بن أبي طالب، فقام رسول الله فينا خطيباً، فسمعته يقول: يا أيها الناس، لا تشكوا عليا، فوالله أنه لأخشى في ذات الله - أو في سبيل الله - من أن يشكى]

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح، قال: ثم مضى رسول الله ص على وجهه، فأرى الناس مناسكهم، وأعلمهم سنن حجهم، وخطب الناس خطبته التي بين للناس فيها ما بين، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، اسمعوا قولي، فإنني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا، بهذا الموقف أبداً أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، وحرمة شهركم هذا، وستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها وإن كل رباً موضوع، ولكم رؤوس أموالكم، لا تظلمون ولا تظلمون قضى الله أنه لا رباً وإن رباً العباس بن عبد المطلب موضوع كله، وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وإن أول دم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب - وكان مسترضعاً في بني ليث، فقتلته بنو هذيل - فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية أيها الناس، إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم، فأحذروه على دينكم.

أيها الناس: «إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله»، ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، و«إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق»

السموات والأرض منها أربعة حرم»، ثلاثة متواليّة، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان. أما بعد أيها الناس، فإن لكم على نساءكم حقاً ولهن عليكم حقاً، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع

، وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحلتم فروجهن بكلمة الله، فاعقلوا أيها الناس واسمعوا قولي، [فإنني قد بلغت وتركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، كتاب الله وسنة نبيه].

أيها الناس، [اسمعوا قولي فإنني قد بلغت، واعقلوه تعلن أن كل مسلم أخو المسلم، وأن المسلمين إخوة،] فلا يحل لامرئٍ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس، فلا تظلموا أنفسكم اللهم هل بلغت! قال: فذكر أنهم قالوا: اللهم نعم، فقال رسول الله: اللهم أشهد.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: كان الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله وهو على عرفة، ربيعة بن أمية بن خلف، [قال:

يقول له رسول الله: قل: أيها الناس، إن رسول الله يقول: هل تدرون أي شهر هذا! فيقولون: الشهر الحرام، فيقول: قل لهم: إن الله

قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ كَرُمَةً شَهْرُكُمْ هَذَا ثُمَّ قَالَ: قُلْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، فَهَلْ تَدْرُونَ أَيَّ بَلَدٍ هَذَا؟ قَالَ: فَيَصْرُخُ بِهِ، فَيَقُولُونَ: الْبَلَدُ الْحَرَامُ، قَالَ: فَيَقُولُ: قُلْ: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ

٣٠٤١٦ ذكر جملة الغزوات

وَأَمْوَالَكُمْ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، كَرُمَةً بَلَدِكُمْ هَذَا ثُمَّ قَالَ: قُلْ: أَيُّهَا النَّاسُ، هَلْ تَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ هَذَا؟ فَقَالَ لَهُمْ، فَقَالُوا: يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، فَقَالَ: قُلْ:

إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَدِمَاءَكُمْ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ كَرُمَةً يَوْمِكُمْ هَذَا .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَجِيحٍ، [أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ وَقَفَ بِعَرَفَةَ، قَالَ: هَذَا الْمَوْقِفُ لِلْجَبَلِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ - وَكُلُّ عَرَفَةَ مَوْقِفٌ وَقَالَ حِينَ وَقَفَ عَلَى قُرْجٍ صَبِيحَةَ الْمُزْدَلِفَةِ: هَذَا الْمَوْقِفُ، وَكُلُّ الْمُزْدَلِفَةِ مَوْقِفٌ ثُمَّ لَمَّا نَحَرَ بِالْمَنْحَرِ، قَالَ:

هَذَا الْمَنْحَرُ، وَكُلُّ مَنْى مَنْحَرٍ، فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ ص الْحَجَّ وَقَدْ أَرَاهُمْ مَنَاسِكَهُمْ، وَعَلَّمَهُمْ مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ فِي حَجِّهِمْ فِي الْمَوَاقِفِ وَرَمَى الْجِمَارَ وَالطَّوَافَ بِالْبَيْتِ، وَمَا أَحَلَّ لَهُمْ فِي حَجِّهِمْ وَمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَتْ حَجَّةَ الْوَدَاعِ وَحَجَّةَ الْبَلَاغِ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يَحْجَّ بَعْدَهَا .

ذَكَرَ جَمْلَةَ الْغَزَوَاتِ . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَكَانَتْ غَزَوَاتُهُ بِنَفْسِهِ سِتًّا وَعِشْرِينَ غَزْوَةً، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: هُنَّ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ غَزْوَةً، فَمَنْ قَالَ: هِيَ سِتٌّ وَعِشْرُونَ، جَعَلَ غَزْوَهُ النَّبِيِّ ص خَيْرَ غَزْوَتِهِ مِنْ خَيْرِ إِلَى وَادِي الْقُرَى غَزْوَةً وَاحِدَةً، لِأَنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ خَيْرٍ حِينَ فَرَّغَ مِنْ أَمْرِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ، وَلَكِنَّهُ مَضَى مِنْهَا إِلَى وَادِي الْقُرَى، فَجَعَلَ ذَلِكَ غَزْوَةً وَاحِدَةً وَمَنْ قَالَ: هِيَ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ غَزْوَةً، جَعَلَ غَزْوَةَ خَيْرٍ غَزْوَةً، وَغَزْوَةَ وَادِي الْقُرَى غَزْوَةً أُخْرَى، فَيَجْعَلُ الْعَدَدَ سَبْعًا وَعِشْرِينَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: كَانَ جَمِيعُ مَا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ص بِنَفْسِهِ سِتًّا وَعِشْرِينَ غَزْوَةً أَوَّلَ غَزْوَةٍ غَزَاهَا وَدَّانَ، وَهِيَ غَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَوَاطٍ إِلَى نَاحِيَةِ رَضْوَى، ثُمَّ غَزْوَةُ الْعَشِيرَةِ مِنْ بَطْنِ يَنْبَعٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرٍ

الْأُولَى يَطْلُبُ كُرْزَ بْنَ جَابِرٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرِ الْكُبْرَى الَّتِي قَتَلَ فِيهَا صَنَادِيدَ قُرَيْشٍ وَأَشْرَافَهُمْ، وَأَسْرَفَ فِيهَا مَنْ أَسْرَ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي سُلَيْمٍ حَتَّى بَلَغَ الْكُدَّرَ، مَاءً لِبَنِي سُلَيْمٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ السَّوِيقِ يَطْلُبُ أَبَا سُفْيَانَ حَتَّى بَلَغَ قَرْقَةَ الْكُدَّرِ، ثُمَّ غَزْوَةُ غَطَفَانَ إِلَى نَجْدٍ، وَهِيَ غَزْوَةُ ذِي أَمْرِ،

ثُمَّ غَزْوَةُ بَحْرَانَ، مَعْدِنَ بِالْحِجَازِ مِنْ فَوْقِ الْفُرْعِ، ثُمَّ غَزْوَةُ أُحُدٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ، ثُمَّ غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَخْلٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرِ الْآخِرَةِ، ثُمَّ غَزْوَةُ دُومَةِ الْجَنْدَلِ، ثُمَّ غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي قَرْيَظَةَ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي لَحْيَانَ مِنْ هَذِيلٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ ذِي قَرْدٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ مِنْ خَزَاعَةَ، ثُمَّ غَزْوَةُ الْحُدَيْبِيَّةِ - لَا يُرِيدُ قِتَالًا، فَصَدَّهُ الْمُشْرِكُونَ - ثُمَّ غَزْوَةُ خَيْبَرَ، ثُمَّ اعْتَمَرَ عُمَرَةُ الْقَضَاءِ، ثُمَّ غَزْوَةُ الْفَتْحِ، فَتَحَ مَكَّةَ، ثُمَّ غَزْوَةُ حَنْينَ، ثُمَّ غَزْوَةُ الطَّائِفِ، ثُمَّ غَزْوَةُ تَبُوكَ قَاتَلَ مِنْهَا فِي تِسْعِ غَزَوَاتٍ: بَدْرٌ، وَأُحُدٌ، وَالْخَنْدَقُ، وَقَرْيَظَةُ، وَالْمُصْطَلِقُ، وَخَيْبَرُ، وَالْفَتْحُ، وَحَنْينَ، وَالطَّائِفُ .

حَدَّثَنَا الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَهْلٍ بْنُ أَبِي حَثْمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ص سِتًّا وَعِشْرِينَ غَزْوَةً ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ ابْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ سَلَمَةَ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ مَعْرُوفَةٌ مُجْتَمِعَةٌ عَلَيْهَا، لَيْسَ فِيهَا اخْتِلَافٌ بَيْنَ أَحَدٍ فِي عَدَدِهَا، وَهِيَ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ غَزْوَةً، وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا بَيْنَهُمْ فِي تَقْدِيمِ مَغْزَاةٍ قَبْلَ مَغْزَاةٍ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: سُئِلَ ابْنُ عُمَرَ: كَمْ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ص؟ قَالَ: سَبْعًا وَعِشْرِينَ غَزْوَةً، فَقِيلَ لَابْنِ عُمَرَ: كَمْ غَزَوْتَ مَعَهُ؟ قَالَ: إِحْدَى وَعِشْرِينَ غَزْوَةً، أُولَٰهَا الْخَنْدُقُ، وَفَاتِنِي سِتُّ غَزَوَاتٍ، وَقَدْ كُنْتُ حَرِيصًا، قَدْ عَرَضْتُ

٣٠٤٠١٧ ذكر جملة السرايا والبعوث

على النبي ص، كُلَّ ذَلِكَ يَرُدُّنِي فَلَا يُجِيزُنِي حَتَّى أَجَارَنِي فِي الْخَنْدَقِ.
قَالَ الْوَاقِدِيُّ: قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي إِحْدَى عَشْرَةٍ، ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ التَّسْعَ الَّتِي ذَكَرْتُهَا عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَعَدَّ مَعَهَا غَزْوَةً وَادِي الْقُرَى، وَأَنَّهُ قَاتَلَ فِيهَا فَقُتِلَ غُلَامُهُ مَدْعَمٌ، رُمِيَ بِسَهْمٍ قَالَ: وَقَاتَلَ يَوْمَ الْغَابَةِ، فَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَقُتِلَ مُحْرِزُ بْنُ نَضْلَةَ يَوْمَئِذٍ.
• ذكر جملة السرايا والبعوث

واختلف في عدد سراياه ص، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: كَانَتْ سَرَايَا رَسُولِ اللَّهِ ص وَبَعُوثُهُ - فِيمَا بَيْنَ أَنْ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَبَيْنَ أَنْ قَبِضَهُ اللَّهُ - خَمْسًا وَثَلَاثِينَ بَعْثًا وَسَرِيَّةً.
سَرِيَّةٌ عُبَيْدَةَ بْنُ الْحَارِثِ إِلَى أَحْيَاءٍ مِنْ ثَنِيهِ الْمَرَّةِ، وَهُوَ مَاءٌ بِالْحِجَازِ، ثُمَّ غَزْوَةُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مِنْ نَاحِيَةِ الْعِصِ - وَبَعْضُ النَّاسِ يَقْدِمُ غَزْوَةَ حَمْزَةَ قَبْلَ غَزْوَةِ عُبَيْدَةَ - وَغَزْوَةُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ إِلَى الْخُرَّارِ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، وَغَزْوَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ إِلَى نَخْلَةٍ، وَغَزْوَةُ زَيْدِ ابْنِ حَارِثَةَ الْقَرْدَةِ، مَاءً مِنْ مِيَاهِ نَجْدٍ، وَغَزْوَةُ مَرْثَدِ بْنِ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ الرَّجِيعِ، وَغَزْوَةُ الْمُنْذِرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَعُونَةَ، وَغَزْوَةُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ إِلَى ذِي الْقَصَبَةِ مِنْ طَرِيقِ الْعِرَاقِ، وَغَزْوَةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ تَرْبَةً مِنْ أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ، وَغَزْوَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْيَمَنَ، وَغَزْوَةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكَلْبِيِّ - كَلْبَ لَيْثٍ - الْكَدِيدَ، وَأَصَابَ بِلَهْلُوحٍ، وَغَزْوَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ مِنْ أَهْلِ فَدَكٍ، وَغَزْوَةُ ابْنِ أَبِي الْعَوَّاءِ السُّلَمِيِّ أَرْضَ

بَنِي سُلَيْمٍ، أُصِيبَ بِهَا هُوَ وَأَصْحَابُهُ جَمِيعًا، وَغَزْوَةُ عُكَّاشَةَ بْنِ مَحْصَنِ الْغَمَرَةِ، وَغَزْوَةُ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ قَطْنَا، مَاءً مِنْ مِيَاهِ بَنِي أَسَدٍ مِنْ نَاحِيَةِ نَجْدٍ قُتِلَ فِيهَا مَسْعُودُ بْنُ عُرْوَةَ، وَغَزْوَةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ، أَخِي بَنِي الْحَارِثِ إِلَى الْقُرْطَاءِ مِنْ هَوَازِنَ، وَغَزْوَةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ إِلَى بَنِي مُرَّةٍ بِفَدَكٍ، وَغَزْوَةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ أَيْضًا إِلَى يَمَنٍ وَجَنَابٍ، بَلَدٌ مِنْ أَرْضِ خَيْبَرٍ - وَقِيلَ يَمَنٌ وَجَبَّارٌ، أَرْضٌ مِنْ أَرْضِ خَيْبَرٍ، وَغَزْوَةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ الْجُمُومِ، مِنْ أَرْضِ بَنِي سُلَيْمٍ، وَغَزْوَةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ أَيْضًا جُدَامَ مِنْ أَرْضِ حِمْيَرَ - وَقَدْ مَضَى ذِكْرُ خَبَرِهَا قَبْلُ - وَغَزْوَةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ أَيْضًا وَادِي الْقُرَى، لَقِيَ بَنِي فَزَارَةَ.

وَغَزْوَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ خَيْبَرَ مَرَّتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا الَّتِي أَصَابَ اللَّهُ فِيهَا يَسِيرَ بْنَ رِزَامٍ - وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ يَسِيرِ بْنِ رِزَامٍ الْيَهُودِيِّ أَنَّهُ كَانَ بِخَيْبَرَ يَجْمَعُ غُفْلَانَ لَغَزْوِ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، مِنْهُمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ حَلِيفُ بَنِي سَلَمَةَ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ كَلَّمُوهُ وَوَاعَدُوهُ وَقَرَّبُوا لَهُ، وَقَالُوا لَهُ: إِنَّكَ إِنْ قَدِمْتَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ اسْتَعْمَلَكَ وَأَكْرَمَكَ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى خَرَجَ مَعَهُمْ فِي نَفَرٍ مِنْ يَهُودٍ، فَحَمَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ عَلَى بَعِيرِهِ وَرَدَّهُ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْقَرْقَرَةِ مِنْ خَيْبَرَ عَلَى سِتَّةِ أَمْيَالٍ نَدِمَ يَسِيرُ بْنُ رِزَامٍ عَلَى سِيَرِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَفَطِنَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أُنَيْسٍ وَهُوَ يَرِيدُ السَّيْفَ، فَاقْتَحَمَ بِهِ، ثُمَّ ضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَ رِجْلَهُ وَضَرَبَهُ يَسِيرُ

بِمَخْرَشٍ فِي يَدِهِ مِنْ شَوْحَطٍ، فَأَمَّهُ فِي رَأْسِهِ، وَقَتَلَ اللَّهُ يَسِيرًا، وَمَالَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص عَلَى صَاحِبِهِ مِنْ يَهُودَ فَقَتَلَهُ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا أَفْلَتَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَلَمَّا قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَنَيْسٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص تَقَلَّ عَلَى شُجَّتِهِ فَلَمْ تَفْحَ وَلَمْ تُؤْذِهِ. وَغَزْوَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيكَ إِلَى خَيْبَرٍ، فَأَصَابَ بِهَا أَبَا رَافِعٍ،

وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص بَعَثَ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمَةَ وَأَصْحَابَهُ - فِيمَا بَيْنَ بَدْرٍ وَاحِدٍ - إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَقَتَلُوهُ، وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَنَيْسٍ إِلَى خَالِدِ بْنِ سَفْيَانَ بْنِ نُبَيْجٍ الْهُذَلِيِّ - وَهُوَ بِخَلَّةٍ أَوْ بَعْرَةَ - يَجْمَعُ لِرَسُولِ اللَّهِ لِيُغْزَوْهُ، فَقَتَلَهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ، قَالَ: دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ص، فَقَالَ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ خَالِدَ بْنَ سَفْيَانَ بْنِ نُبَيْجٍ الْهُذَلِيَّ يَجْمَعُ لِي النَّاسَ لِيُغْزَوْنِي - وَهُوَ بِخَلَّةٍ أَوْ بَعْرَةَ - فَأَتَيْتُهُ فَقَتَلْتُهُ، قَالَ:

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْعَمْتُ لِي حَتَّى أَعْرِفَهُ، قَالَ: إِذَا رَأَيْتَهُ أَذْكُرَكَ الشَّيْطَانَ! إِنَّهُ آيَةٌ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أَنْتَ إِذَا رَأَيْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ قَشْعِرِيرَةً قَالَ: نَخَرَجْتُ مُتَوَشِّحًا سَيْفِي حَتَّى دَفَعْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي ظِلِّ يَرْتَادُ لَهْنَ مَنْزِلًا حَيْثُ كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُ وَجَدْتُ مَا وَصَفَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ص مِنَ الْقَشْعِرِيرَةِ، فَأَقْبَلْتُ نَحْوَهُ، وَخَشِيتُ أَنْ تَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَجَاوِلَةٌ تَشْغَلُنِي عَنِ الصَّلَاةِ، فَصَلَّيْتُ وَأَنَا أَمْشِي نَحْوَهُ، أَوْمِئُ بِرَأْسِي إِيمَاءً، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ قَالَ: مَنْ الرَّجُلُ؟ قُلْتُ: رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ سَمِعَ بِكَ وَبَجَعَكَ لِهَذَا الرَّجُلِ، لِحَاجَتِكَ لَذَلِكَ، قَالَ: أَجَلٌ، أَنَا فِي ذَلِكَ، فَشِيتُ مَعَهُ شَيْئًا حَتَّى إِذَا أَمَكَّنَنِي حَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلْتُهُ، ثُمَّ خَرَجْتُ وَتَرَكْتُ طَعَائِنَهُ مُجَابَاتٍ عَلَيْهِ. فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَرَأَيْتِي، قَالَ: أَفْلَحَ الْوَجْهَ! قَالَ:

قُلْتُ: قَدْ قَتَلْتُهُ قَالَ: صَدَقْتَ! ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ فَدَخَلَ بَيْتَهُ، فَأَعْطَانِي عَصَا، فَقَالَ: أَمْسِكْ هَذِهِ الْعَصَا عِنْدَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَنَيْسٍ قَالَ:

نَخَرَجْتُ بِهَا عَلَى النَّاسِ، فَقَالُوا: مَا هَذِهِ الْعَصَا؟ قُلْتُ: أَعْطَانِيهَا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَمْسِكَهَا عِنْدِي، قَالُوا: أَفَلَا تَرْجِعُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَتَسْأَلُهُ لِمَ ذَلِكَ؟ فَارْجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ أَعْطَيْتَنِي هَذِهِ الْعَصَا؟ قَالَ: آيَةٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ أَقْلَ النَّاسِ الْمُتَخَصِّرُونَ

يَوْمَئِذٍ، فَقَرَنَهَا عَبْدُ اللَّهِ بِسَيْفِهِ، فَلَمْ تَزَلْ مَعَهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ أَمَرَ بِهَا فَضُمَّتْ مَعَهُ فِي كَفَنِهِ، ثُمَّ دُفِنَا جَمِيعًا ثُمَّ رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: وَغَزْوَةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ إِلَى مَوْتَةٍ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وَغَزْوَةُ كَعْبِ بْنِ عَمِيرٍ الْغَفَارِيِّ بِذَاتِ أَطْلَاحٍ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، فَأَصِيبَ بِهَا هُوَ وَأَصْحَابُهُ، وَغَزْوَةُ عَيْنَةَ بْنِ حَصْنِ بْنِ الْعَنْبَرِ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، وَكَانَ مِنْ

حَدِيثِهِمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص بَعَثَهُ إِلَيْهِمْ، فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ، فَأَصَابَ مِنْهُمْ نَاسًا، وَسَبَى مِنْهُمْ سَبِيًّا. حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، [أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ص:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عَلِيَّ رَقَبَةً مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: هَذَا سَبِيٌّ بَنِي الْعَنْبَرِ يَقْدُمُ الْآنَ فَنُعْطِيكَ إِنْسَانًا فَتَعْتِقِيهِ] قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا قَدِمَ سَبِيهِمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص رَكِبَ فِيهِمْ وَفَدَّ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، حَتَّى قَدَمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، مِنْهُمْ رِبِيعَةُ بْنُ رَفِيعٍ، وَسَبْرَةُ بْنُ عَمْرٍو، وَالْقَعْقَاعُ بْنُ مَعْبُدٍ، وَوَرْدَانُ بْنُ مُحَرَّرٍ، وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ، وَمَالِكُ بْنُ عَمْرٍو، وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَاسٍ، وَحَنْظَلَةُ بْنُ دَارِمٍ، وَفِرَاسُ بْنُ حَاسٍ وَكَانَ مِنْ سَبِيٍّ مِنْ نِسَائِهِمْ يَوْمَئِذٍ أَسْمَاءُ بِنْتُ مَالِكٍ، وَكَأْسُ بِنْتُ أَرِيٍّ، وَنَجْوَةُ بِنْتُ نَهْدٍ وَجَمِيعَةُ بِنْتُ قَيْسٍ، وَعَمْرَةُ بِنْتُ مَطَرٍ.

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: وَغَزْوَةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكَلْبِيِّ - كُلُّبُ لَيْثٍ - أَرْضُ بَنِي مُرَّةَ، فَأَصَابَ بِهَا مُرْدَاسُ بْنُ نَهِيكٍ، حَلِيفًا لَهُمْ مِنَ الْحُرَّةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، قَتَلَهُ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَهُوَ الَّذِي [قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ص لِأَسَامَةَ:

مَنْ لَكَ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ!

وَعَزْوَةُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ذَاتَ السَّلَاسِلِ، وَعَزْوَةُ ابْنِ أَبِي حَدَرٍ وَأَصْحَابِهِ إِلَى بَطْنِ إِضْمٍ، وَعَزْوَةُ ابْنِ أَبِي حَدَرٍ الْأَسْلَبِيِّ إِلَى الْغَابَةِ، وَغَزَوْهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ.

وَبَعَثَ سَرِيَّةً إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ، وَعَلَيْهِمْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَهِيَ غَزْوُهُ الْحَبْطُ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو: كَانَتْ سَرَايَا رَسُولِ اللَّهِ ص ثَمَانِيًا وَأَرْبَعِينَ سَرِيَّةً.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَدِمَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص مُسْلِمًا فِي رَمَضَانَ، فَبَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى ذِي الْخُلَصَةِ فَهَدَمَهَا.

قَالَ: وَفِيهَا قَدِمَ وَبَرُّ بْنُ يَحْنَسَ عَلَى الْأَنْبَاءِ بِالْبَيْنِ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَنَزَلَ عَلَى بَنَاتِ النُّعْمَانِ بْنِ بَزْرَجٍ فَأَسْلَمْنَ، وَبَعَثَ إِلَى فَيْرُوزِ الدَّيْلِيِّ فَأَسْلَمَ، وَإِلَى مَرْكُودٍ وَعَطَاءِ ابْنِهِ، وَوَهْبِ بْنِ مَنبَهٍ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ بِصَنْعَاءَ ابْنَهُ عَطَاءُ بْنُ مَرْكُودٍ وَوَهْبُ بْنُ مَنبَهٍ.

قَالَ: وَفِيهَا اسْلَمَ بِأَذَانَ، وَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ ص بِإِسْلَامِهِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَدْ خَالَفَ فِي ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ مِنْ قَالَ: كَانَتْ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ ص سِتًّا وَعَشْرِينَ غَزْوَةً، مِنْ أَنَا ذَاكَرُهُ: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: سَمِعْتُ مِنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ غَزَا تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً، وَحَجَّ بَعْدَ مَا هَاجَرَ حَجَّةً، لَمْ يَحْجَ غَيْرَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ حَجَّةً بِمَكَّةَ.

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: فَسَأَلْتُ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ: كَمْ غَزَوْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ؟

قَالَ: سَبْعَ عَشْرَةَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيَّ خَرَجَ يَسْتَسْقِي بِالنَّاسِ، قَالَ:

٣٠٤١٨ ذكر الخبر عن حج رسول الله ص

فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ اسْتَسْقَى قَالَ: فَلَقِيتُ يَوْمَئِذٍ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ، قَالَ: لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ غَيْرُ رَجُلٍ - أَوْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ رَجُلٌ - قَالَ: فَقُلْتُ: كَمْ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ص؟ قَالَ: تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً، فَقُلْتُ: كَمْ غَزَوْتَ مَعَهُ؟

قَالَ: سَبْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً، فَقُلْتُ: فَمَا أَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَا؟ قَالَ: ذَاتُ الْعَسِيرِ - أَوِ الْعَشِيرِ.

وَزَعَمَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ هَذَا عِنْدَهُمْ خَطَأٌ، حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: لَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ: كَمْ غَزَوْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص؟ قَالَ: سَبْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً، قُلْتُ: كَمْ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ص؟ قَالَ: تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً قَالَ الْحَارِثُ:

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: قَالَ الْوَاقِدِيُّ: لَحَدَّثْتُ هَذَا الْحَدِيثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، فَقَالَ: هَذَا إِسْنَادُ أَهْلِ الْعِرَاقِ، يَقُولُونَ هَكَذَا، وَأَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا زَيْدُ بْنُ الْأَرْقَمِ الْمُرْسِيعُ، وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ، وَشَهِدَ مُؤَتَةَ رَدِيفَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ، وَمَا غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ص إِلَّا ثَلَاثَ غَزَوَاتٍ أَوْ أَرْبَعًا. وَدُرِيَ عَنْ مَكْحُولٍ فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنِي سُؤَيْدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ، عَنْ مَكْحُولٍ، قَالَ: غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ص ثَمَانِيَةَ عَشْرَةَ غَزْوَةً، قَاتَلَ مِنْ ذَلِكَ فِي ثَمَانِ غَزَوَاتٍ أَوَّلَهُنَّ بَدْرَ وَاحِدٍ وَالْأَحْزَابُ وَقَرِظَةُ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: فَهَذَانِ الْحَدِيثَانِ: حَدِيثُ زَيْدِ بْنِ الْأَرْقَمِ، وَحَدِيثُ مَكْحُولٍ جَمِيعًا غَلَطٌ.

. ذكر الخبر عن حج رسول الله ص
 حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي زَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ص

٣٠٤٠١٩ ذكر الخبر عن أزواج رسول الله ص

حَجَّ ثَلَاثَ حَجَجٍ: حَجَّتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَهَاجِرَ، وَحَجَّةً بَعْدَ مَا هَاجَرَ، مَعَهَا عُمْرَةٌ.

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَيَّانٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ يُونُسَ، عَنْ شَرِيكِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص عُمَرَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَحْجَّ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَرْبَعَ عُمَرٍ، قَدْ عَلِمَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، مِنْهُنَّ عُمْرَةٌ مَعَ حَجَّتِهِ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، قَالَ:

حَدَّثَنَا أَبُو حَمْزَةَ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص ثَلَاثَ عُمَرٍ فَبَلَغَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: لَقَدْ عَلِمَ ابْنُ عُمَرَ أَنَّهُ اعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرٍ، مِنْهَا عُمَرَتُهُ الَّتِي قَرَنَ مَعَهَا الْحُجَّةَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا ابْنُ عُمَرَ جَالِسٌ عِنْدَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَقُلْنَا: كَمْ اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ص؟ فَقَالَ: أَرْبَعًا، إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ، فَكَّرْهُنَا أَنْ نَكْذِبَهُ وَنَرُدَّ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا اسْتِنَانًا عَائِشَةَ فِي الْحُجْرَةِ، فَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: يَا أُمُّهُ، يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَمَا تَسْمَعِينَ مَا يَقُولُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ! فَقَالَتْ: وَمَا يَقُولُ؟ قَالَ: يَقُولُ: إِنَّ النَّبِيَّ ص اعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرٍ: إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ، فَقَالَتْ: يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! مَا اعْتَمَرَ النَّبِيُّ عُمْرَةً إِلَّا وَهُوَ شَاهِدٌ، وَمَا اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ

. ذكر الخبر عن أزواج رسول الله ص

ومن منهن عاش بعده ومن منهن فارقه في حياته، والسبب الذي فارقه من أجله، ومن منهن مات قبله.
 حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص تزوج خمس

ذكر السبب الذي كان في خطبه رسول الله ص عائشة وسودة

عَشْرَةَ امْرَأَةً، دَخَلَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَجَمَعَ بَيْنَ إِحْدَى عَشْرَةٍ، وَتَوَفَّيَ عَنْ تِسْعٍ.

تَزَوَّجَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَهُوَ ابْنُ بَضْعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى، وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ تَزَوَّجَ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ عَتِيقِ بْنِ عَابِدِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ، وَأُمُّهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ زَائِدَةَ بِنْتُ الْأَصَمِّ بْنِ رَوَاحَةَ بْنِ جُرْجَرٍ بْنِ مَعِيصٍ بْنِ لُؤَيٍّ فَوَلَدَتْ لِعَتِيقٍ جَارِيَةً، ثُمَّ تَوَفَّيَ عَنْهَا وَخَلَفَ عَلَيْهَا أَبُو هَالَةَ بْنُ زُرَّارَةَ بْنِ نُبَاشٍ بْنِ زُرَّارَةَ بْنِ حَبِيبٍ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ غَدِيٍّ بْنِ جِرْوَةَ بْنِ أُسَيْدٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ، وَهُوَ فِي بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ.

فَوَلَدَتْ لِأَبِي هَالَةَ هِنْدُ بْنُ أَبِي هَالَةَ، ثُمَّ تَوَفَّيَ عَنْهَا وَخَلَفَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ص، وَعِنْدَهَا ابْنُ أَبِي هَالَةَ هِنْدُ، فَوَلَدَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ص ثَمَانِيَةَ: الْقَاسِمُ، وَالطَّبِيبُ، وَالطَّاهِرُ، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَزَيْنَبُ، وَرُقِيَّةُ، وَأُمُّ كُلثُومٍ، وَفَاطِمَةُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَلَمْ يَتَزَوَّجْ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي حَيَاتِهَا عَلَى خَدِيجَةَ حَتَّى مَضَتْ لِسَبِيلِهَا، فَلَمَّا تَوَفَّيَتْ خَدِيجَةُ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ص بَعْدَهَا، فَاخْتَلَفَ فِيمَنْ بَدَأَ بِنِكَاحِهَا مِنْهُمْ بَعْدَ خَدِيجَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَتْ الَّتِي بَدَأَ بِنِكَاحِهَا بَعْدَ خَدِيجَةَ قَبْلَ غَيْرِهَا عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

بَلْ كَانَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ وَدِّ بْنِ نَضِرٍ فَأَمَّا عَائِشَةُ فَكَانَتْ يَوْمَ تَزَوَّجَهَا صَغِيرَةً لَا تَصْلُحُ لِلْجَمَاعِ، وَأَمَّا سَوْدَةُ فَإِنَّهَا كَانَتْ امْرَأَةً ثَيِّبًا، قَدْ كَانَ لَهَا قَبْلَ النَّبِيِّ صَ زَوْجٌ، وَكَانَ زَوْجُهَا قَبْلَ النَّبِيِّ السَّكْرَانُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وَكَانَ السَّكْرَانُ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْحَبَشَةِ فَتَنَصَّرَ وَمَاتَ بِهَا، نَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ص وَهُوَ بِمَكَّةَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَلَا خِلَافَ بَيْنَ جَمِيعِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص بَنَى بِسَوْدَةَ قَبْلَ عَائِشَةَ.

ذَكَرَ السَّبَبَ الَّذِي كَانَ فِي خُطْبِهِ رَسُولُ اللَّهِ ص عَائِشَةَ وَسَوْدَةَ

وَالرَّوَايَةَ الْوَارِدَةَ بِأُولَاهُمَا كَانَ عَقْدَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ عَقْدَةَ النِّكَاحِ:

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأُمَوِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا تُوُفِّيتُ خَدِيجَةً، قَالَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ الْأَوْقَصِ، امْرَأَةُ عَثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ وَذَلِكَ بِمَكَّةَ: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ، أَلَا تَزَوِّجُ؟ فَقَالَ:

وَمَنْ؟ فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكَرًا وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا، قَالَ: فَمَنِ الْبِكْرُ؟ قَالَتْ:

ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْكَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: وَمَنِ الثَّيِّبُ؟ قَالَتْ:

سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْسٍ، قَدْ آمَنْتُ بِكَ وَاتَّبَعْتُكَ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ قَالَ:

فَاذْهَبِي فَادْكُرِيهِمَا عَلَيَّ فَجَاءَتْ فَدَخَلَتْ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ، فَوَجَدَتْ أُمَّ رُومَانَ، أُمَّ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: أَيُّ أُمِّ رُومَانَ؟ مَاذَا أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ! قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ، قَالَتْ:

وَدِدْتُ! أَنْتَظِرِي أَبَا بَكْرٍ، فَانْهَ آتٍ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، قَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَاذَا أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ! أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ، قَالَ: وَهَلْ تَصْلُحُ لَهُ، إِنَّمَا هِيَ ابْنَةُ أَخِيهِ! فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: ارْجِعِي إِلَيْهِ، فَقُولِي لَهُ: أَنْتَ أَخِي فِي الْإِسْلَامِ، وَأَنَا أَخُوكَ، وَابْنَتُكَ تَصْلُحُ لِي؟ فَأَنْتَ أَبَا بَكْرٍ فَذَكَرْتَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: أَنْتَظِرِي حَتَّى أَرْجِعَ، فَقَالَتْ أُمُّ رُومَانَ: إِنَّ الْمُطْعَمَ بْنَ عَدِيَّ كَانَ ذَكَرَهَا عَلَى ابْنِهِ، وَلَا وَاللَّهِ مَا وَعَدَ شَيْئًا قَطُّ فَأَخْلَفَ فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى مُطْعَمٍ، وَعِنْدَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ ابْنِهِ الَّذِي كَانَ ذَكَرَهَا عَلَيْهِ، فَقَالَتْ الْعَجُوزُ:

يَا بَنَ أَبِي خُفَافَةَ، لَعَلَّنَا إِنْ زَوَّجْنَا ابْنَنَا ابْنَتَكَ أَنْ تَصْبِيَهُ وَتَدْخُلَهُ فِي دِينِكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ! فَأَقْبَلَ عَلَى زَوْجِهَا الْمُطْعَمِ، فَقَالَ: مَا تَقُولُ هَذِهِ؟ فَقَالَ: إِنَّهَا تَقُولُ ذَلِكَ قَالَ: نَفَرَجَ أَبُو بَكْرٍ، وَقَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ الْعِدَةَ الَّتِي كَانَتْ فِي نَفْسِهِ مِنْ عِدَّتِهِ الَّتِي وَعَدَهَا إِيَّاهُ، وَقَالَ لَخَوْلَتِ: ادْعِي لِي رَسُولَ اللَّهِ، فَدَعَا لَخَوْلَتِ فَجَاءَتْ فَانْكَحَهُ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ ابْنَةُ سِتِّ سِنِينَ قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى سَوْدَةَ فَقُلْتُ: أَيُّ سَوْدَةَ، مَاذَا أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ! قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ يَخْطُبُكَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَقَالَتْ:

وَدِدْتُ! ادْخُلِي عَلَى أَبِي فَادْكُرِي لَهُ ذَلِكَ، قَالَتْ: وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ الْحَجِّ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَحَيَّيْتُهُ بِحَيَّةِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، ثُمَّ قُلْتُ:

إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَرْسَلَنِي أَخْطُبُ عَلَيْهِ سَوْدَةَ، قَالَ: كُفِّ كَرِيمٌ، فَمَاذَا تَقُولُ صَاحِبَتُهُ؟ قَالَتْ: تُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: ادْعِيهَا إِلَيَّ، فَدَعَا لَهَا، فَقَالَ: أَيُّ سَوْدَةَ، زَعَمْتَ هَذِهِ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَرْسَلَ يَخْطُبُكَ وَهُوَ كُفٌّ كَرِيمٌ، فَتَحْبِبِينَ أَنْ أُزَوِّجَكُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ:

فَادْعِيهِ لِي، فَدَعَا لَهَا، فَجَاءَ فَرَوَّجَهُ، فَجَاءَ أَخُوها مِنَ الْحَجِّ، عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ، فَجَعَلَ يَحْيِي فِي رَأْسِهِ التُّرَابَ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ: إِنِّي لَسَفِيهٌ يَوْمَ أَحْيَيْ فِي رَأْسِي التُّرَابَ أَنْ تَزَوِّجَ رَسُولُ اللَّهِ سَوْدَةَ بِنْتُ زَمْعَةَ! قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ:

فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَنَزَلَ أَبُو بَكْرٍ السُّنَحَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، قَالَتْ:

لَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ فَدَخَلَ بَيْتَنَا، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالنِّسَاءِ، لَجَاءَنِي أُمِّي وَأَنَا فِي أَرْجُوحةٍ بَيْنَ عَدَقَيْنِ يُرْحِحُ بِي، فَأَنْزَلَتْنِي ثُمَّ وَفَّتْ جُمَيْمَةَ كَانَتْ لِي، وَمَسَحَتْ وَجْهِي بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ تَقُودُنِي، حَتَّى إِذَا كُنْتُ عِنْدَ الْبَابِ وَقَفَتْ بِي حَتَّى ذَهَبَ بَعْضُ نَفْسِي، ثُمَّ ادْخَلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرٍ فِي بَيْتِنَا قَالَتْ: فَأَجْلَسْتَنِي فِي جِرْهٍ، فَقَالَتْ: هَؤُلَاءِ أَهْلُكَ فَبَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهِمْ وَبَارَكَ لَهْنُ فِيكَ! وَوُثِبَ الْقَوْمُ وَالنِّسَاءُ، فَخَرَجُوا، فَبَنَى بِي رَسُولُ اللَّهِ فِي بَيْتِي، مَا نُحِرْتُ جُزُورًا وَلَا ذُبَحْتُ عَلَى شَاةٍ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ ابْنَةُ تِسْعِ سِنِينَ، حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيْنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بِجَفَنَةٍ كَانَ يَرْسِلُ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص.

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ - وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي - قَالَ: حَدَّثَنَا أَبَانُ الْعَطَّارُ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ عُرْوَةَ، أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ مَرْوَانَ: إِنَّكَ كَتَبْتَ إِلَيَّ فِي خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ تَسْأَلُنِي: مَتَى تُوُفِّيَتْ؟

وَأَنهَا تُوُفِّيَتْ قَبْلَ مَخْرَجِ رَسُولِ اللَّهِ ص مِنْ مَكَّةَ بِثَلَاثِ سِنِينَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، وَنَكَحَ عَائِشَةُ مُتَوَفَّى خَدِيجَةَ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ رَأَى عَائِشَةَ مَرَّتَيْنِ، يَقَالُ لَهُ: هَذِهِ أَمْرَأَتُكَ، وَعَائِشَةُ يَوْمَئِذٍ ابْنَةُ سِتِّ سِنِينَ

ثم ان رسول الله ص بنى بعائشة بعد ما قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَهِيَ يَوْمَ بَنَى بِهَا ابْنَةُ تِسْعِ سِنِينَ رَجَعَ الْخَبَرُ إِلَى خَبَرِ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ ثُمَّ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ - وَاسْمُهُ عَتِيقُ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ، وَهُوَ عُثْمَانُ - وَيُقَالُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُثْمَانَ - بْنُ عَامِرِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مَرَّةٍ تَزَوَّجَهَا قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ، وَهِيَ ابْنَةُ سَبْعِ سِنِينَ، وَجُمِعَ إِلَيْهَا بَعْدَ أَنْ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهِيَ ابْنَةُ تِسْعِ سِنِينَ فِي شَوَالٍ، فَتَوَفَّى عَنْهَا وَهِيَ ابْنَةُ ثَمَانِ عَشْرَةٍ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ رَسُولُ اللَّهِ ص بَكْرًا غَيْرَهَا، ثُمَّ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ص حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ابْنِ نَفِيلِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ رِيَّاحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطِ بْنِ كَعْبٍ - وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ خُنَيْسِ بْنِ حَذَافَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدَى ابْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمٍ.

وَكَانَ بِدْرِيَا، شَهِدَ بِدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص - فَلَمْ تَلِدْ لَهُ شَيْئًا، وَلَمْ يَشْهَدْ مِنْ بَنِي سَهْمٍ بِدْرًا غَيْرَهُ

• ثُمَّ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ص أُمَّ سَلَمَةَ، وَاسْمُهَا هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ أَبِي سَلَمَةَ ابْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ بْنِ هَالَلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ، وَشَهِدَ بِدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَكَانَ فَارِسُ الْقَوْمِ، فَأَصَابَتْهُ جَرَاخَةٌ يَوْمَ أَحَدِ فَمَاتَ مِنْهَا، وَكَانَ ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَرَضِيعُهُ، وَأُمُّهُ بَرَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَلَدَتْ لَهُ عُمَرَ، وَسَلَمَةَ، وَزَيْنَبَ، وَدُرَّةَ، [فَلَمَّا مَاتَ كَبُرَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَلَى أَبِي سَلَمَةَ تِسْعَ تَكْبِيرَاتٍ، فَلَمَّا قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَسْهَوْتَ أَمْ نَسِيتَ؟ قَالَ: لَمْ أَسْهَ وَلَمْ أَنْسَ، وَلَوْ كَبُرَتْ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ أَلْفًا كَانَ أَهْلًا لَذَلِكَ]، وَدَعَا النَّبِيُّ ص لِأَبِي سَلَمَةَ بِخَلْفِهِ فِي أَهْلِهِ فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ص قَبْلَ الْأَحْزَابِ سَنَةَ ثَلَاثٍ، وَزَوَّجَ سَلَمَةَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ ابْنَةَ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ

ثم تزوج رسول الله ص عام المريسيع جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار بن حبيب بن مالك بن جذيمة - وهو المصطلق بن سعد بن عمرو - سنة خمس، وكانت قبله عند مالك بن صفوان ذي الشفر بن أبي سرح بن مالك بن المصطلق، لم تلد له شيئا، فكانت صفية رسول الله ص يوم المريسيع، فأعتقها وتزوجها، وسألت رسول الله ص عتق ما في يده من قومها، فأعتقهم لها.

ثم تزوج رسول الله ص أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت عند عبيد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صبره بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد - وكانت من مهاجرات الحبشة هي وزوجها، فتنصر زوجها وحاولها أن تتابعه فأبت وصبرت على دينها، ومات زوجها على النصرانية، فبعث رسول الله ص إلى النجاشي فيها، فَقَالَ النجاشي لأصحابه: من أولاكم بها؟ قالوا: خالد بن سعيد بن العاص، قَالَ: فزوجها من نبيكم، ففعل وأمرها أربعمئة دينار ويقال: بل خطبها رسول الله ص إلى عثمان بن عفان، فلما زوجه

إياها بعث إلى النجاشي فيها، فساق عنه النجاشي، وبعث بها إلى رسول الله ص.

ثم تزوج رسول الله ص زينب بنت جحش بن رثاب ابن يعمر بن صبرة، وكانت قبله عند زيد بن حارثة بن شراحيل مولى رسول الله ص، فلم تلد له شيئا، وفيها أنزل الله عز وجل: «وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» إلى آخر الآية، فزوجها الله عز وجل إياه، وبعث في ذلك جبريل، وكانت تفخر على نساء النبي ص، وتقول: أنا أكرمكم وليا، وأكرمكم سفيرا.

ثم تزوج رسول الله ص صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير، وكانت قبله تحت سلام بن مشكم بن الحكم بن حارثة بن الخزرج بن كعب بن الخزرج، وتوفي عنها وخلف عليها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، فقتله محمد بن مسلمه بأمر النبي ص، ضرب عنقه صبرا، فلما تصفح النبي ص السبي يوم خيبر، ألقى رداءه على صفية، فكانت صفية يوم خيبر، ثم عرض عليها الإسلام فأسلمت، فأعتقها، وذلك سنة ست.

ثم تزوج رسول الله ص ميمونه بنت الحارث بن حزن ابن بجير بن الهزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال، وكانت قبله عند عمير ابن عمرو، من بني عقدة بن غيرة بن عوف بن قسي - وهو ثقيف - لم تلد له شيئا، وهي أخت أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب، فتزوجها رسول الله ص بسرف في عمرة القضاء، زوجها إياه العباس ابن عبد المطلب، فتزوجها رسول الله ص.

وكل هؤلاء اللواتي ذكرنا ان رسول الله ص تزوجهن إلى هذا الموضع، توفي رسول الله ص وهن أحياء، غير خديجة بنت خويلد. ثم تزوج رسول الله ص امرأة من بني كلاب بن ربيعة، يقال لها النشاة بنت رفاعه، وكانوا حلفاء لبني رفاعه من قريظة وقد اختلف فيها، وكان بعضهم يسمي هذه سنا وينسبها، فيقول: سنا بنت أسماء بن الصلت السلمية وقال بعضهم: هي سبا بنت أسماء بن الصلت من بني حرام من بني سليم وقالوا: توفيت قبل ان يدخل بها رسول الله ص، ونسبها بعضهم فقال: هي سنا بنت الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن حرام بن سمال بن عوف السلمي.

ثم تزوج رسول الله ص الشنقاء بنت عمرو الغفارية. وكانوا أيضا حلفاء لبني قريظة، وبعضهم يزعم أنها قرظية، وقد جهل نسبها لهلاك بني قريظة، وقيل أيضا إنها كنانية، فعركت حين دخلت

عليه، ومات إبراهيم قبل أن تطهر، فقالت: لو كان نبيا ما مات أحب الناس إليه، فسرحتها رسول الله ص.

ثم تزوج رسول الله ص غزية بنت جابر من بني أبي بكر بن كلاب، بلغ رسول الله ص عنها جمال وبسطة، فبعث أبا أسيد الأنصاري، ثم الساعدي، فخطبها عليه فلما قدمت على النبي ص - وكانت حديثة عهد بالكفر فقالت: إني لم أستأمر في نفسي، إني أعوذ بالله منك! فقال النبي ص: امتنع عائذ الله وردها إلى أهلها، يقال: إنها من كندة.

ثم تزوج رسول الله ص أسماء بنت النعمان بن الأسود ابن شراحيل بن الجون بن حجر بن معاوية الكندي، فلما دخل بها وجد بها بياضا فمتعها وجهازها وردها إلى أهلها، ويقال: بل كان النعمان بعث بها إلى رسول الله ص فسرحت، فلما دخلت عليه استعادت منه أيضا، فبعث إلى أبيها، فقال له: أليست ابنتك؟ قال: بلى، قال لها: أليست ابنته؟ قالت:

بلى، قال النعمان: عليكها يا رسول الله، فإنها وإنها وأطنب في الثناء فقال: إنها لم تبيع قط، ففعل بها ما فعل بالعامرية، فلا يدري: ألقوها أم لقلو أبيها: إنها لم تبيع قط.

وأفاء الله عز وجل على رسوله ربحانة بنت زيد، من بني قريظة.

وأهدي لرسول الله ص مارية القبطية، أهداها له المقوقس صاحب الإسكندرية، فولدت له إبراهيم بن رسول الله ص.

فهؤلاء ازواج رسول الله ص، منهن ست قرشيات.

قال أبو جعفر: ومن لم يذكر هشام في خبره هذا ممن روى عن رسول الله ص أنه تزوجه من النساء: زينب بنت خزيمة - وهي التي

يقال لها أم المساكين- من بني عامر بن صعصعة، وهي زينب بنت خزيمة بن الحارث ابن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، وكانت قبل رسول الله عند الطفيل بن الحارث بن المطلب، أخي عبيدة بن الحارث، توفيت عند رسول الله ص بالمدينة

وقيل انه لم يمت عند رسول الله في حياته من أزواجه غيرها وغير خديجة وشراف بنت خليفة، أخت دحية بن خليفة الكلبي، والعالية بنت ظبيان.

حدثني ابن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدثنا شعيب بن الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، قال: تزوج رسول الله ص العالية، امرأة من بني أبي بكر بن كلاب فتعها، ثم فارقتها، وقبيلة بنت قيس ابن معديكرب أخت الأشعث بن قيس، فتوفي عنها قبل أن يدخل بها، فارتدت عن الإسلام مع أخيها، وفاطمة بنت شريح.

وذكر عن ابن الكلبي أنه قال: غزية بنت جابر، هي أم شريك، تزوجها رسول الله ص بعد زوج كان لها قبله، وكان لها منه ابن يقال له شريك، فكنيت به، فلما دخل بها النبي ص وجدها مسنة، فطلقها، وكانت قد أسلمت، وكانت تدخل على نساء قريش فتدعوهن إلى الإسلام.

وقيل: إنه تزوج خولة بنت الهذيل بن هبيرة بن قبيصة بن الحارث، روي ذلك عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس. وهذا الإسناد أن ليلي بنت الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر ابن الحارث بن الخزرج، اقبلت الى النبي ص وهو مول ظهره الشمس، فضربت على منكبيه، فقال: من هذه؟ قالت: أنا ابنة مباري الریح، أنا ليلي بنت الخطيم، جئتكم أعرض عليكم نفسي فتزوجني، قال: قد فعلت، فرجعت إلى قومها، فقالت: قد تزوجني رسول الله، فقالوا: بئسما صنعت! أنت امرأة غیری، والنبي صاحب نساء، استقبله نفسك، فرجعت إلى النبي ص، فقالت: أقلني، قال: قد أقلتك.

وبغير هذا الاسناد ان النبي ص تزوج عمرة بنت يزيد، امرأة من بني رؤاس بن كلاب

٣٠٤٠٢٠ ذكر من خطب النبي ص من النساء ثم لم ينكهن

٣٠٤٠٢١ ذكر سراري رسول الله ص

٣٠٤٠٢٢ ذكر موالي رسول الله ص

ذكر من خطب النبي ص من النساء ثم لم ينكهن

منهن أم هانئ بنت أبي طالب، واسمها هند، خطبها رسول الله ص ولم يتزوجها، لأنها ذكرت أنها ذات ولد. وخطب ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة إلى ابنها سلمة بن هشام بن المغيرة، فقال: حتى أستأمرها، فأتاها فقال: ان النبي ص خطبك، فقالت:

ما قلت له؟ قال: قلت له حتى أستأمرها! قالت: وفي النبي يستأمر! ارجع فزوجه، فرجع فسكت عنه النبي ص، وذلك أنه أخبر أنها قد كبرت.

وخطب- فيما ذكر- صفية بنت بشامة أخت الأعور العنبري، وكان أصابها سباء، فخيرها، فقال: إن شئت أنا وإن شئت زوجك، قالت:

بل زوجي، فأرسلها.

وخطب أم حبيب بنت العباس بن عبد المطلب، فوجد العباس أخاه من الرضاة، أرضعتها ثوية.

وخطب جمرة بنت الحارث بن أبي حارثة، فقال أبوها- فيما ذكر:

بها شيء، ولم يكن بها شيء، فرجع فوجدها قد برصت

. ذكر سراري رسول الله ص

وهي مارية بنت شمعون القبطية، وريحانة بنت زيد القرظية وقيل:

هي من بني النضير وقد مضى ذكر أخبارهما قبل

. ذكر موالى رسول الله ص

فمنهم زيد بن حارثة وابنه أسامة بن زيد، وقد ذكرنا خبره فيما مضى.

وثوبان- مولى رسول الله، فأعتقه، ولم يزل معه حتى قبض، ثم نزل حمص

وله بها دار وقف، ذكر أنه توفي سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية.

وقال بعضهم: بل كان سكن الرملة، ولا عقب له.

وشقران- وكان من الحبشة، اسمه صالح بن عدى، اختلف في امره قد ذكر عن عبد الله بن داود الخريبي انه قال: شقران ورثه رسول

الله ص عن أبيه وقال بعضهم: شقران من الفرس، ونسبه فقال: هو صالح بن حول ابن مهربود.

نسب شقران مولى رسول الله ص في قول من نسبته إلى عجم الفرس زعم أنه صالح بن حول بن مهربوذ بن آذر جشنس بن مهربان بن

فيران بن رستم بن فيروز بن ماي بن بهرام بن رشتيري، وزعم أنهم كانوا من دهاقين الري.

وذكر عن مصعب الزبيري أنه قال: كان شقران لعبد الرحمن بن عوف.

فوهبه للنبي ص وانه اعقب، وان آخرهم مثوبا، رجل كان بالمدينة من ولده، كان له بالبصرة بقية.

ورويغ- وهو أبو رافع مولى رسول الله ص، اسمه أسلم وقال بعضهم: اسمه إبراهيم واختلفوا في أمره، فقال بعضهم: كان للعباس بن

عبد المطلب، فوهبه لرسول الله ص، فأعتقه رسول الله.

وقال بعضهم: كان أبو رافع لأبي أحيحة سعيد بن العاص الأكبر فورثه بنوه، فأعتق ثلاثة منهم أنصباءهم منه، وقتلوا يوم بدر جميعا،

وشهد أبو رافع معهم بدرا، ووهب خالد بن سعيد نصيبه منه لرسول الله ص فأعتقه رسول الله.

وابنه البي- اسمه رافع.

وأخو البي عبيد الله بن أبي رافع- وكان يكتب لعلي بن أبي طالب، فلما ولي عمرو بن سعيد المدينة دعا البي، فقال: من مولاك؟

فقال: رسول الله، فضربه مائة سوط، وقال: مولى من أنت! قال: مولى رسول الله، فضربه مائة سوط، فلم يزل يفعل به ذلك كلما

سأله: مولى من أنت؟ قال:

مولى رسول الله، حتى ضربه خمسمائة سوط، ثم قال: مولى من أنت؟

قال: مولاكم، فلما قتل عبد الملك عمرو بن سعيد قال البي بن أبي رافع:

صَحَّتْ وَلَا شَلَّتْ وَضُرَّتْ عَدُوها ... يَمِينْ هَرَاقتْ مَهْجَه ابنِ سعيد

هو ابن ابى العاصي مرارا وينتمي ... إلى أسرة طابت له وجدود

وسلمان الفارسي- وكنيته أبو عبد الله من أهل قرية إصبيان، ويقال:

إنه من قرية رامهرمز، فأصابه أسر من بعض كلب، فبيع من بعض اليهود بناحية وادي القرى، فكاتب اليهودي، فأعانه رسول الله ص

والمسلمون حتى عتق وقال بعض نسابه الفرس: سلمان من كور سابور، واسمه ما به بن بوذخشان بن ده ديره وسفينه- مولى رسول الله

ص، وكان لأم سلمة فأعتقته، واشترطت عليه خدمة رسول الله ص حياته، قيل: إنه أسود، واختلف في اسمه، فقال بعضهم: اسمه

مهران، وقال بعضهم: اسمه رباح، وقال بعضهم: هو من عجم الفرس، واسمه سبيه بن مارقيه، وأنسة يكنى أبا مسروح، وقيل: أبا مسروح

كان من مولدي السراة، وكان يأذن على رسول الله ص إذا جلس، وشهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله ص وقال بعضهم:

أصله من عجم الفرس، كانت أمه حبشية وأبوه فارسياً قال: واسم أبيه بالفارسية كردوى ابن أشرنيده بن أدوهر بن مهادر بن كخنكان من بني مهجوار بن يوماست.

وأبو كبشة- واسمه سليم، قيل إنه كان من مولدي مكة، وقيل:

من مولدي أرض دوس، ابتاعه رسول الله ص فأعتقه، فشهد مع رسول الله بدرًا وأحدا والمشاهد توفي في أول يوم استخلف فيه عمر بن الخطاب، سنة ثلاث عشرة من الهجرة.

وأبو مويبة- قيل: إنه كان من مولدي مزينة، فاشتراه رسول الله ص فأعتقه.

ورباح الأسود- كان يأذن لرسول الله ص.

وفضالة- مولى رسول الله ص نزل- فيما ذكر- الشام.

ومدعم- مولى رسول الله ص، كان عبدا لرفاعة

ابن زيد الجذامي، فوهبه لرسول الله، فقتل بوادي القرى، يوم نزل بهم رسول الله، أتاها سهم غرب فقتله.

وأبو ضميرة- كان بعض نسابة الفرس زعم أنه من عجم الفرس، من ولد كشتاسب الملك، وأن اسمه واح بن شيرز بن بيرويس بن تاريشمه ابن ماهوش بن باكمهيز وذكر بعضهم أنه كان ممن صار في قسم رسول الله في بعض وقائعه، فأعتقه، وكتب له كتابا بالوصية، وهو جد حسين بن عبد الله بن أبي ضميرة، وأن ذلك الكتاب في أيدي ولد ولده وأهل بيته، وأن حسين بن عبد الله هذا قدم على المهدي ومعه ذلك الكتاب، فأخذه المهدي فوضعه على عينيه، ووصله بثلاثمائة دينار.

ويسار- وكان فيما ذكر نوبيا، كان فيما وقع في سهم رسول الله ص في بعض غزواته فأعتقه، وهو الذي قتله العرنيون الذين أغاروا على لقاح رسول الله.

ومهران- حدث عن رسول الله ص.

وكان له خصي يقال له مابور- كان المقوقس أهدها إليه مع الجاريتين اللتين يقال لإحداها مارية، وهي التي تسري بها والأخرى سيرين وهي التي وهبها رسول الله ص لحسان بن ثابت، لما كان من جنابة صفوان بن المعطل عليه، فولدت لحسان ابنه عبد الرحمن بن حسان وكان المقوقس بعث بهذا الخصى مع الجاريتين اللتين أهدها لرسول الله ص ليوصلهما إليه، ويحفظهما من الطريق حتى متصلا إليه وقيل:

إنه الذي قذفت مارية به، فبعث رسول الله ص عليا وأمره بقتله، فلما رأى عليا وما يريد به تكشف حتى تبين لعل أنه أجب لا شيء معه مما يكون مع الرجال، فكف عنه علي وخرج إليه من الطائف- وهو محاصر أهلها- أعبد لهم أربعة، فاعتقهم ص، منهم أبو بكر

٣٠٤٠٢٣ ذكر من كان يكتب لرسول الله ص

٣٠٤٠٢٤ أسماء خيل رسول الله ص

ذكر من كان يكتب لرسول الله ص

ذكر أن عثمان بن عفان كان يكتب له أحيانا، وأحيانا علي بن أبي طالب، وخالد بن سعيد، وأبان بن سعيد، والعلاء بن الحضرمي.

قيل: أول من كتب له أبي بن كعب، وكان إذا غاب أبي كتب له زيد بن ثابت.

وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سرح، ثم ارتد عن الإسلام، ثم راجع الإسلام يوم فتح مكة.

وكتب له معاوية بن أبي سفيان، وحنظلة الأسدي

. أسماء خيل رسول الله ص

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر، قال: حدثنا محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة، عن أبيه، قال: أول فرس ملكه رسول الله ص فرس ابتاعه بالمدينة من رجل من بني فزارة بعشر أواق، وكان اسمه عند الأعرابي الضرس، فسماه رسول الله السكب، وكان أول ما غزا عليه أحدا، ليس مع المسلمين يومئذ فرس غيره، وفرس لأبي بردة بن نيار، يقال له ملأوح.

حدثني الحارث، قال: أخبرنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: سألت محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة عن المرتجز، فقال: هو الفرس الذي اشتراه من الأعرابي الذي شهد له فيه خزيمة بن ثابت، وكان الأعرابي من بني مرة.

حدثني الحارث قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا أبي بن عباس بن سهل، عن أبيه، عن جده، قال: كان لرسول الله ص ثلاثة افراس: لزاز، والظرب، والخيف،

٣٠٤٠٢٥ ذكر أسماء بغال رسول الله ص

٣٠٤٠٢٦ ذكر أسماء ابله ص

فاما لزاز فاهدا له المقوقس، واما الخيف فأهداه له ربيعة بن أبي البراء، فأثابه عليه فرائض من نعم بني كلاب، وأما الظرب فاهدا له فروه ابن عمرو الجذامي وأهدى تميم الداري لرسول الله فرسا يقال له: الورد، فأعطاه عمر، فحمل عليه عمر في سبيل الله، فوجده ينباع.

وقد زعم بعضهم أنه كان له مع ما ذكرت من الخيل فرس يقال له اليسوب.

. ذكر أسماء بغال رسول الله ص

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر، قال: حدثنا موسى بن محمد بن إبراهيم، عن أبيه، قال: كانت دلدل بغله النبي ص أول بغلة ربيت في الإسلام، أهداها له المقوقس وأهدى له معها حمرا يقال له عفير، فكانت البغلة قد بقيت حتى كان زمن معاوية.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، قال: دلدل أهداها له فروة بن عمرو الجذامي.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن زامل بن عمرو، قال: أهدى فروة بن عمرو إلى النبي ص بغلة يقال لها فضة، فوهبها لأبي بكر، وحماره يعفور، فنفق منصرفه من حجة الوداع.

. ذكر أسماء ابله ص

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبيه، قال: كانت

٣٠٤٠٢٧ ذكر أسماء لقاح رسول الله ص

القصواء من نعم بني الحريش، ابتاعها أبو بكر وأخرى معها بثمانمائة درهم، وأخذها منه رسول الله ص بأربعمائة، فكانت عنده حتى نفقت، وهي التي هاجر عليها، وكانت حين قدم رسول الله المدينة رباعية، وكان اسمها القصواء والجذعاء والعضباء.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني ابن أبي ذئب، عن يحيى بن يعلى، عن ابن المسيب، قال: كان اسمها العضباء، وكان في طرف أذنها جدع

. ذكر أسماء لقاح رسول الله ص

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع، قال: كانت لرسول الله ص لقاح، وهي التي أغار عليها القوم بالغابة، وهي عشرون لقحة، وكانت التي يعيش بها أهل رسول الله ص يراح إليه كل ليلة بقربتين عظيمتين من لبن فيها لقاح غزار: الحناء، والسمر، والعريس، والسعدية، والبغوم، واليسيرة، والرياء. حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني هارون بن محمد، عن أبيه، عن نهبان، مولى أم سلمة، قال: سمعت أم سلمة، تقول: كان عيشنا مع رسول الله اللب- أو قالت أكثر عيشنا- كانت لرسول الله لقاح بالغابة كان قد فرقها على نسائه، فكانت فيها لقحة تدعى العريس، وكأ ما فيها شئنا من اللب، وكانت لعائشة لقحة تدعى السمر غزيرة، لم تكن كلقحتي، فقرب راعيها اللقاح إلى مرعى بناحية الجوانية، فكانت تروح على أيتام فتؤتي بهما فتحلبان، فتوجد لقحته أغزر منهما بمثل لبنهما أو أكثر

٣٠٤٠٢٨ ذكر أسماء منائح رسول الله ص

٣٠٤٠٢٩ ذكر أسماء سيوف رسول الله ص

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا عبد السلام بن جبيرة، عن أبيه، قال: كانت لرسول الله ص لقاح تكون بذوي الجدر، وتكون بالجماء، فكان لبنا يؤوب إلينا، لقحة تدعى مهرة، أرسل بها سعد بن عباد من نعم بني عقيل وكانت غزيرة، وكانت الريا والشقراء ابتاعهما بسوق النبط من بني عامر، وكانت بردة، والسمر، والعريس، واليسيرة، والحناء، يجلبن ويراح إليه بلبن كل ليلة، وكان فيها غلام للنبي ص اسمه يسار، فقتلوه

. ذكر أسماء منائح رسول الله ص

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني زكرياء بن يحيى، عن إبراهيم بن عبد الله، من ولد عتبة بن غزوان، قال: كانت منائح رسول الله ص سبعة: عجو، وزمزم، وسقيا، وبركة، وورسة، وأطال، وأطراف. حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد، قال: حدثني أبو إسحاق، عن عباد بن منصور، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كانت منائح رسول الله ص سبع أعز منائح، يرعاهن ابن أم أيمن

. ذكر أسماء سيوف رسول الله ص

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن مروان بن

٣٠٤٠٣٠ ذكر أسماء قسيه ورماحه ص

٣٠٤٠٣١ ذكر أسماء دروعه ص

أبي سعيد بن المعلّى، قال: أصاب رسول الله ص من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف: سيفاً قلعياً، وسيفاً يدعى بتاراً، وسيفاً يدعى الحنف، وكان عنده بعد ذلك المخدّم ورسوب، أصابهما من الفلّس وقيل انه قدم رسول الله ص المدينة ومعه سيفان، يقال لأحدهما: القضيبي، شهد به بدرًا، وسيفه ذو الفقار غنمه يوم بدر، كان لنبه بن الحجاج

. ذكر أسماء قسيه ورماحه ص

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن مَرْوَانَ بْنِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى، قال: أصاب رسول الله ص مِنْ سِلَاحِ بَنِي قَيْنَقَاجٍ ثَلَاثَةَ أَرْمَاجٍ وَثَلَاثَ قِسيٍّ: قَوْسُ الرَّوحَاءِ، وَقَوْسُ شَوْحَطٍ، تُدْعَى الْبَيْضَاءُ، وَقَوْسُ صَفْرَاءٍ تُدْعَى الصَّفْرَاءُ مِنْ نَبْعِ

. ذكر أسماء دروعه ص

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن مَرْوَانَ بْنِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى، قال: أصاب رسول الله ص مِنْ سِلَاحِ بَنِي قَيْنَقَاجٍ دِرْعَيْنِ، دِرْعٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدِيَّةُ، وَدِرْعٌ يُقَالُ لَهَا فَضَّةٌ. حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عُمَرَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ، قَالَ: رَأَيْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص يَوْمَ أُحُدٍ دِرْعَيْنِ:

٣٠٤٠٣٢ ذكر ترسه ص

٣٠٤٠٣٣ ذكر أسماء رسول الله ص

دِرْعُهُ ذَاتُ الْفُضُولِ وَدِرْعُهُ فَضَّةٌ، وَرَأَيْتُ عَلَيْهِ يَوْمَ خَيْبَرَ دِرْعَيْنِ: ذَاتَ الْفُضُولِ وَالسَّعْدِيَّةَ . ذكر ترسه ص

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا عَتَّابُ بْنُ زِيَادٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مَكْحُولًا يَقُولُ: كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص تُرْسٌ فِيهِ تِمْتَالُ رَأْسِ كَبْشٍ، فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ مَكَانَهُ، فَأَصْبَحَ يَوْمًا وَقَدْ أَذْهَبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

. ذكر أسماء رسول الله ص

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ - يَعْنِي الْمَسْعُودِيَّ - عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: سَمَى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ص نَفْسَهُ أَسْمَاءً، مِنْهَا مَا حَفِظْنَا. قَالَ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَبَنِي التَّوْبَةِ وَالْمَلْحَمَةِ.

حَدَّثَنِي ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ - يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ - عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرٍ بْنُ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، [قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ص: إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْعَاقِبُ، وَالْمَاحِي] قَالَ الزُّهْرِيُّ: الْعَاقِبُ: الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ، وَالْمَاحِي:

الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سَفْيَانُ بْنُ حُسَيْنٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ بْنُ مُطْعِمٍ، [عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمَاحِي،

٣٠٤٠٣٤ ذكر صفه النبي ص

وَالْعَاقِبُ، وَالْحَاشِرُ، الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي قَالَ يَزِيدُ: فَسَأَلْتُ سُفْيَانَ: مَا الْعَاقِبُ؟ قَالَ: آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ . ذكر صفه النبي ص

حدثني ابن المثنى، قال: حدثني ابن أبي عدي، عن المسعودي، عن عثمان بن عبد الله بن هرم، قال: حدثني نافع بن جبير، [عن علي ابن ابي طالب، قال: كان رسول الله ص ليس بالطويل ولا بالقصير، ضخم الرأس واللحية، شثن الكفين والقدمين، ضخم الكراديس، مشرباً وجهه الحمرة، طويل المسربة إذا مشى تكفأ تكفأ كأنما يخط من صبيب، لم أر قبله ولا بعده مثله، ص] /

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري، قال: حدثنا مجمع بن يحيى، قال: حدثنا عبد الله بن عمران، [عن رجل من الأنصار - لم يسمه - أنه سأل علي بن أبي طالب وهو في مسجد الكوفة محتب بحالة سيفه، فقال: انعت لي نعت رسول الله ص، فقال له علي: كان رسول الله أبيض اللون مشرباً حمرة، أدع سبط الشعر، دقيق المسربة، سهل الخدين، كث اللحية، ذا وفرة، كأن عنقه إبريق فضة، كان له شعر من لبتة إلى سرتة يجري كالقضيبي، لم يكن في إبطه ولا صدره شعر غيره، شثن الكف والقدم، إذا مشى كأنما ينحدر من صبيب، وإذا مشى كأنما ينقلع من صخر، وإذا التفت التفت جميعاً، ليس بالقصير ولا بالطويل، ولا العاجز ولا اللثيم، كأن العرق في وجهه

٣٠٤٠٣٥ ذكر خاتم النبوة التي كانت به ص

اللؤلؤ، ولريح عرقه أطيب من المسك، لم أر قبله ولا بعده مثله ص] .
حدثنا ابن المقدمي، قال: حدثنا يحيى بن محمد بن قيس الذي يقال له أبو زكير قال: سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن يذكر عن أنس بن مالك أن رسول الله ص بعث على رأس أربعين، فأقام بمكة عشرة وبالمدينة عشرة، وتوفي على رأس ستين، ليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء، ولم يكن رسول الله ص بالطويل البائن، ولا القصير، ولم يكن بالأبيض الأمهق، ولا الآدم، ولم يكن بالجعد القلط ولا السبط.

حدثني ابن المثنى قال: حدثنا يزيد بن هارون، عن الجريري، قال: كنت مع أبي الطفيل نطوف بالبيت، فقال: ما بقي أحد رأى رسول الله ص غيري، قال: وقلت: رأيته؟ قال: نعم، قلت: كيف كان صفته؟ قال: كان أبيض مليحاً مقصداً
ذكر خاتم النبوة التي كانت به ص

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا الضحاك بن مخلد، قال: حدثنا عررة بن ثابت، قال: حدثنا علباء، قال: حدثنا أبو زيد، قال: قال لي رسول الله ص: يا أبا زيد، اذن مني امسح ظهري - وكشف عن ظهره - قال: فمسست ظهره، ثم وضعت إصبعي على الخاتم فغمزتها، قال: قلت: وما الخاتم؟ قال: شعر مجمع كان على كتفيه.
حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا بشر بن الوضاح أبو الهيثم، قال:

حدثنا أبو عقيل الدورقي عن أبي نضرة، قال: سألت أبا سعيد الخدري عن الخاتم التي كانت للنبي ص، قال: كانت بضعة ناشرة

٣٠٤٠٣٦ ذكر شجاعته وجوده ص

٣٠٤٠٣٧ ذكر صفه شعره ص وهل كان يخضب أم لا

ذكر شجاعته وجوده ص
حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا حماد بن واقد، عن ثابت، عن أنس، قال: كان نبي الله ص من أحسن الناس، وأسمج الناس، وأشجع

النَّاسِ، لَقَدْ كَانَ فَرَعٌ بِالْمَدِينَةِ، فَانْطَلَقَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ نَحْوَ الصَّوْتِ، فَإِذَا هُمْ قَدْ تَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ ص عَلَى فَرَسٍ عُرِّيَ لِأَبِي طَلْحَةَ، مَا عَلَيْهِ سَرَجٌ، وَعَلَيْهِ السَّيْفُ: قَالَ: وَقَدْ كَانَ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، قَالَ: جَعَلَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَمْ تَرَاعُوا، لَمْ تَرَاعُوا! مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، وَجَدْنَاهُ بِحَرٍّ، وَقَدْ كَانَ الْفَرَسُ يَبْطَأُ، فَمَا سَبَقَهُ فَرَسٌ بَعْدَ ذَلِكَ. حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَشْجَعَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، كَانَ فَرَعٌ بِالْمَدِينَةِ فَفَرَّجَ النَّاسُ قَبْلَ الصَّوْتِ، فَاسْتَبْرَأَ الْفَرَعُ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرِيَ، مَا عَلَيْهِ سَرَجٌ، فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ قَالَ: وَجَدْنَاهُ بِحَرٍّ- أَوْ قَالَ: وَانْه لبحر

. ذَكَرَ صِفَةَ شَعْرِهِ ص وَهَلْ كَانَ يَخْضِبُ أَمْ لَا

حَدَّثَنِي ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُرَيْزُ بْنُ عُثْمَانَ، قَالَ أَبُو مُوسَى: قَالَ مُعَاذٌ: وَمَا رَأَيْتُ مِنْ رَجُلٍ قَطُّ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ أَفْضَلَهُ عَلَيْهِ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَسْرٍ، فَقُلْتُ لَهُ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي: ارَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ص؟ أَشَيْخًا كَانَ؟ قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى عُنُقِهِ، وَقَالَ: كَانَ فِي عُنُقِهِ شَعْرٌ أَيْضٌ حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي جَحْفَةَ، قَالَ: رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ص عُنُقَهُ بَيْضًا، قِيلَ: مِثْلُ مَنْ أَنْتَ يَوْمَئِذٍ يَا أَبَا جَحْفَةَ؟ قَالَ: أَبْرِي النَّبْلَ وَأَرِيشَهَا حَدَّثَنِي ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ، قَالَ: سُئِلَ أَنَسٌ: أَخْضَبَ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: فَقَالَ أَنَسٌ: لَمْ يَشْدَ بِرَسُولِ اللَّهِ الشَّيْبَ، وَلَكِنْ خَضَّبَ أَبُو بَكْرٍ بِالْحِنَاءِ وَالْكَتَمِ، وَخَضَّبَ عُمَرُ بِالْحِنَاءِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ حُمَيْدٍ، قَالَ:

سُئِلَ أَنَسٌ: هَلْ خَضَّبَ رَسُولُ اللَّهِ ص؟ قَالَ: لَمْ يَرِ مِنَ الشَّيْبِ إِلَّا نَحْوُ مِنْ تِسْعِ عَشْرَةٍ أَوْ عِشْرِينَ شَعْرَةً بَيْضًا فِي مُقَدِّمِ لِحْيَتِهِ قَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَشْنِ بِالشَّيْبِ، فَقِيلَ لَأَنَسٍ: وَشَيْنٌ هُوَ! قَالَ: كُلُّكُمْ يَكْرَهُهُ، وَلَكِنْ خَضَّبَ أَبُو بَكْرٍ بِالْحِنَاءِ وَالْكَتَمِ، وَخَضَّبَ عُمَرُ بِالْحِنَاءِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: لَمْ يَكُنِ الشَّيْبُ الَّذِي بَالَنَبِيِّ ص عِشْرِينَ شَعْرَةً. حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ سِمَاكِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: مَا كَانَ فِي رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ص مِنَ الشَّيْبِ إِلَّا شَعْرَاتٌ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، وَكَانَ إِذَا دَهَنَهُ غَطَّاهُنَّ.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَامُ بْنُ أَبِي مُطِيعٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْهَبٍ، قَالَ: دَخَلْتُ زَوْجَ النَّبِيِّ ص فَأَخْرَجَتْ إِلَيْنَا شَعْرًا مِنْ شَعْرِ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدًا بِالْحِنَاءِ وَالْكَتَمِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرِ بْنِ الْكُرْدِيِّ الْوَاسِطِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ بْنُ حُمْرَةَ، عَنْ غِيلَانَ بْنِ جَامِعٍ، عَنْ إِيَادِ بْنِ لَقِيطٍ، عَنْ أَبِي رَمْثَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَخْضِبُ بِالْحِنَاءِ وَالْكَتَمِ، وَكَانَ يَبْلُغُ شَعْرُهُ كَتِفَيْهِ أَوْ مَنْكِبَيْهِ- الشَّكُّ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ

٣٠٤٠٣٨ ذكر الخبر عن بدء مرض رسول الله الذي توفي فيه وما كان منه قبيل ذلك لما نعت إليه نفسه ص

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ- يَعْنِي ابْنَ نَافِعٍ- عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أُمِّ هَانِي، قَالَتْ: رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ص وَلَهُ ضَفَائِرُ أَرْبَعٌ

. ذَكَرَ الْخَبَرَ عَنْ بَدْءِ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ وَمَا كَانَ مِنْهُ قَبِيلَ ذَلِكَ لَمَّا نَعِيتَ إِلَيْهِ نَفْسَهُ ص

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا» قَدْ مَضَى ذِكْرُنَا قَبْلَ مَا كَانَ مِنْ تَعْلِيمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابِهِ - فِي حِجَّتِهِ الَّتِي حَجَّهَا الْمَسْمَاةُ حُجَّةُ الْوَدَاعِ، وَحُجَّةُ التَّمَامِ، وَحُجَّةُ الْبَلَاغِ - مَنَاسِكُهُمْ وَوَصِيَّتُهُ إِيَّاهُمْ، بِمَا قَدْ ذَكَرْتُ قَبْلَ فِي خُطْبَتِهِ الَّتِي خُطِبَهَا بِهِمْ فِيهَا. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْصَرَفَ مِنْ سَفَرِهِ ذَلِكَ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ حُجِّهِ إِلَى مَنْزِلِهِ بِالْمَدِينَةِ فِي بَقِيَّةِ ذِي الْحِجَّةِ، فَأَقَامَ بِهَا مَا بَقِيَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَالْحَرَمِ وَالصَّفَرِ

٣٠٥ سنة إحدى عشرة

٣٠٥١ ذكر الأحداث التي كانت فيها

ثم دخلت

سنة إحدى عشرة

ذكر الأحداث التي كانت فيها

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: ثُمَّ ضَرَبَ فِي الْحَرَمِ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ عَلَى النَّاسِ بَعَثًا إِلَى الشَّامِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ مَوْلَاهُ وَابْنُ مَوْلَاهُ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ حَارِثَةَ، وَأَمْرَهُ - فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عِيَّاشٍ بْنِ أَبِي رَيْعَةَ - أَنَّ يُوْطَيْيَ الْخَلِيلِ تَحْوِمَ الْبَلْقَاءِ وَالْدَارُومَ مِنْ أَرْضِ فَلَسْطِينَ، فَتَجَهَّزَ النَّاسَ، وَأَوْعَبَ مَعَ أَسَامَةَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ. فَبَيْنَا النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ ابْتَدَى صَ شَكْوَاهُ الَّتِي قَبَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا إِلَى مَا أَرَادَ بِهِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَكَرَامَتِهِ فِي لَيَالٍ بَقِيَتْ مِنْ صَفَرٍ، أَوْ فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ الزُّهْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: أَخْبَرَنَا سَيْفُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الْجَزْعِ الْأَنْصَارِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُنَيْنٍ مَوْلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ أَبِي مُوَيْهَبَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ مَا قَضَى حُجَّةَ التَّمَامِ، فَتَحَلَّلَ بِهِ السَّيْرُ، وَضَرَبَ عَلَى النَّاسِ بَعَثًا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، وَأَمْرَهُ أَنْ يُوْطَيْيَ مِنْ آيِلِ الزَّيْتِ مِنْ مَشَارِفِ الشَّامِ الْأَرْضِ بِالْأُرْدُنِّ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ فِي ذَلِكَ، [وَرَدَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]: إِنَّهُ نَخْلِقُ لَهَا - أَيُّ حَقِيقٍ بِالْإِمَارَةِ - وَإِنْ قُلْتُمْ فِيهِ لَقَدْ قُلْتُمْ فِي أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَإِنْ كَانَ نَخْلِقُ لَهَا فطارت الأخبار بتحلل السير بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَ أَنَّ النَّبِيَّ قَدْ اشْتَكَى، فَوَثَبَ الْأَسْوَدُ بِالْيَمَامَةِ، وَمَسِيلُهُ بِالْيَمَامَةِ،

وَجَاءَ الْخَبْرُ عَنْهُمَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَثَبَ طَلِيحَةٌ فِي بِلَادِ أَسَدٍ بَعْدَ مَا أَفَاقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ اشْتَكَى فِي الْحَرَمِ وَجَعَهُ الَّذِي قَبَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ. حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: أَخْبَرَنَا سَيْفُ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعَهُ الَّذِي تَوَفَّاهُ اللَّهُ بِهِ فِي عَقَبِ الْحَرَمِ وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: بَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعَهُ لِلَّيْلَتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ صَفَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنَا سَيْفُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُسْتَنِيرُ بْنُ يَزِيدَ النَّخَعِيُّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ غَزِيَّةِ الدُّثَيْنِيِّ، عَنْ الضَّحَّاكِ بْنِ فَيْرُوزِ بْنِ الدَّيْلَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ رِدَّةٍ كَانَتْ فِي الْإِسْلَامِ بِالْيَمَنِ كَانَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى يَدَيْ ذِي الْخِجَارِ عِبِلَةَ بْنِ كَعْبٍ - وَهُوَ الْأَسْوَدُ - فِي عَامَةِ مَذْحِجٍ.

خَرَجَ بَعْدَ الْوَدَاعِ، كَانَ الْأَسْوَدُ كَاهِنًا شَعْبَاذًا، وَكَانَ يُرِيهِمُ الْأَعَاجِيبَ، وَيُسَيِّي قُلُوبَ مَنْ سَمِعَ مَنْطِقَهُ، وَكَانَ أَوَّلَ مَا خَرَجَ أَنْ خَرَجَ مِنْ كَهْفِ خُبَّانٍ، وَهِيَ كَانَتْ دَارَهُ، وَبِهَا وَلَدٌ وَنَشَأَ، فَكَاتَبَتْهُ مَذْحِجٌ، وَوَاْعَدَتْهُ نَجْرَانٌ، فَوَثَبُوا بِهَا وَأَخْرَجُوا عَمْرَو بْنَ حَزْمٍ وَخَالِدَ بْنَ سَعِيدٍ

بْنِ الْعَاصِ وَأَنْزَلُوهُ مِنْزِلَهُمَا، وَوُثِبَ قَيْسُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ عَلَى فِرْوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ وَهُوَ عَلَى مُرَادٍ، فَأَجْلَاهُ وَنَزَلَ مِنْزِلَهُ، فَلَمْ يَنْشَبْ عِبَلَةً بِخِرَانٍ أَنْ سَارَ إِلَى صَنْعَاءَ فَأَخَذَهَا، وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ص مِنْ فِعْلِهِ وَنَزُولِهِ صَنْعَاءَ، وَكَانَ أَوَّلَ خَبَرٍ وَقَعَ بِهِ عَنْهُ مِنْ قَبْلِ فِرْوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ، وَلَحِقَ بِفِرْوَةَ مَنْ تَمَّ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ مَذْحِجٍ، فَكَانُوا بِالْأَحْسِيَةِ، وَلَمْ يَكَاتِبْهُ الْأَسُودُ وَلَمْ يُرْسِلْ إِلَيْهِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَحَدٌ يُشَاغِبُهُ، وَصَفَا لَهُ مُلْكُ الْيَمَنِ

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمِّي يَعْقُوبُ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَيْفٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا طَلْحَةُ بْنُ الْأَعْلَمِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ص قَدْ ضَرَبَ بَعَثَ أُسَامَةَ فَلَمْ يَسْتَبْ لَوْجَعِ رَسُولِ اللَّهِ وَلَخَلَجَ مُسَيْلَمَةَ وَالْأَسُودَ، وَقَدْ أَكْثَرَ الْمُنَافِقُونَ فِي تَأْمِيرِ أُسَامَةَ، حَتَّى بَلَغَهُ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ص عَلَى النَّاسِ عَاصِبًا رَأْسَهُ مِنَ الصَّدَاعِ لَذَلِكَ الشَّانُ وَانْتِشَارُهُ، لِرُؤْيَا رَأَاهَا فِي بَيْتِ عَائِشَةَ: [فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ- فِيمَا يَرَى النَّاسُ- أَنَّ فِي عَضْدِي سَوَارِينَ مِنْ ذَهَبٍ، فَكِرِهْتُمَا فَنَفَخْتُمَا، فَطَارَا، فَأَوَلَتْهُمَا هَذَيْنِ الْكَذَّابَيْنِ- صَاحِبِ الْيَمَامَةِ وَصَاحِبِ الْيَمَنِ- وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ أَقْوَامًا يَقُولُونَ فِي إِمَارَةِ أُسَامَةَ! وَلَعَمْرِي لئن قَالُوا فِي إِمَارَتِهِ، لَقَدْ قَالُوا فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ! وَإِنْ كَانَ أَبُوهُ خَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنَّهُ لَخَلِيقٌ لَهَا، فَأَنْفَذُوا بَعَثَ أُسَامَةَ وَقَالَ: لَعَنَ اللَّهُ الَّذِينَ يَخْذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدًا!] فَخَرَجَ أُسَامَةُ فَضَرَبَ بِالْجُرْفِ، وَأَنْشَأَ النَّاسُ فِي الْعُسْكَرِ، وَنَجَمَ طَلِيحَةٌ وَتَمَهَّلَ النَّاسُ، وَثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ص فَلَمْ يَسْتَمِ الْأَمْرُ، يَنْظُرُونَ أَوَّلَهُمْ آخِرَهُمْ، حَتَّى تَوَفَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَهُ ص.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، يَقُولُ: حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيُّ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ أَبِي يَعْقُوبَ، عَنْ أَبِي مَاجِدٍ الْأَسَدِيِّ، عَنْ الْحَضَرِيِّ بْنِ عَامِرٍ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ أَمْرِ طَلِيحَةَ ابْنِ خُوَيْلِدٍ، فَقَالَ: وَقَعَ بِنَا الْخَبَرِ بِوُجَعِ النَّبِيِّ ص، ثُمَّ بَلَغَنَا أَنَّ مُسَيْلَمَةَ قَدْ غَلَبَ عَلَى الْيَمَامَةِ، وَأَنَّ الْأَسُودَ قَدْ غَلَبَ عَلَى الْيَمَنِ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى ادَّعَى طَلِيحَةُ النَّبُوَّةَ، وَعَسَكَرَ بِسَمِيرَاءَ، وَاتَّبَعَهُ الْعَوَامُ، وَاسْتَكْتَفَ أَمْرَهُ، وَبَعَثَ حِبَالَ ابْنِ أَخِيهِ إِلَى النَّبِيِّ ص يَدْعُوهُ إِلَى الْمَوَادَعَةِ، وَيُخْبِرُهُ خَبْرَهُ وَقَالَ حِبَالٌ: إِنَّ الَّذِي يَأْتِيهِ ذُو النُّونِ، فَقَالَ:

لَقَدْ سَمِيَ مَلَكًا، فَقَالَ حِبَالٌ: أَنَا ابْنُ خُوَيْلِدٍ، [فَقَالَ النَّبِيُّ ص: قَتَلَكَ اللَّهُ وَحَرَّمَكَ الشَّهَادَةَ!]

وَحَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَمِّي يَعْقُوبُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سَيْفٌ، قَالَ: وَحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ حَرِثِ بْنِ الْمَعْلَى: أَنَّ أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ إِلَى النَّبِيِّ ص بِخَبَرِ طَلِيحَةَ سَنَانُ بْنُ أَبِي سَنَانَ، وَكَانَ عَلَى بَنِي مَالِكٍ، وَكَانَ قَضَاعِي بْنُ عَمْرِو عَلَى بَنِي الْحَارِثِ. حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَمِّي، قَالَ: أَخْبَرَنَا سَيْفٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: حَارَبَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص بِالرُّسُلِ، قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَى نَفَرٍ مِنَ الْأَنْبَاءِ رُسُلًا، وَكُتِبَ إِلَيْهِمْ أَنْ يُحَاوِلُوهُ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَنْجِدُوا رِجَالًا- قَدْ سَمَّاهُمْ- مِنْ بَنِي تَمِيمٍ وَقَيْسٍ، وَأَرْسَلَ إِلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ أَنْ يُجِدُّوهُمْ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، وَانْقَطَعَتْ سُبُلُ الْمُرْتَدَّةِ، وَطُعِنُوا فِي نَقْصَانٍ وَأَغْلَقَهُمْ، وَاسْتَغْلَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ، فَأُصِيبَ الْأَسُودُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَقَبْلَ وَفَاتِهِ يَوْمٍ أَوْ بَلِيلَةٍ، وَلَظَّ طَلِيحَةُ وَمُسَيْلَمَةُ وَأَشْبَاهُهُمْ بِالرُّسُلِ، وَلَمْ يَشْغَلْهُ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْوُجَعِ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالذَّبِّ عَنْ دِينِهِ، فَبَعَثَ وَبَرَّ بْنَ يَحْنَسَ إِلَى فَيْرُوزَ وَجُشَيْشِ الدَّيْلَمِيِّ وَدَاذُويِهِ الْإِصْطَخَرِيِّ، وَبَعَثَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى ذِي الْكَلَّاحِ وَذِي ظُلَيْمٍ، وَبَعَثَ الْأَقْرَعَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحَمِيرِيِّ إِلَى ذِي زُودٍ وَذِي مُرَانَ، وَبَعَثَ فُرَاتُ بْنُ حِيَّانَ الْعَجَلِيَّ إِلَى ثُمَامَةَ بْنِ أَثَالٍ، وَبَعَثَ زِيَادُ بْنُ حَنْظَلَةَ التَّمِيمِيِّ ثُمَّ الْعُمَرِيُّ إِلَى قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ وَالزَّبْرَقَانَ بْنَ بَدْرِ، وَبَعَثَ صَلْصَلَ بْنَ شَرَحْبِيلَ إِلَى سَبْرَةَ الْعَنْبَرِيِّ وَوَكَيْعِ الدَّارِمِيِّ وَإِلَى عَمْرِو بْنِ الْمُحْجُوبِ الْعَامِرِيِّ، وَإِلَى عَمْرِو بْنِ الْخَفَّاجِيِّ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، وَبَعَثَ ضِرَارُ بْنُ الْأَزْوَرِ الْأَسَدِيِّ إِلَى عَوْفِ الزُّرْقَانِيِّ مِنْ بَنِي الصَّيْدَاءِ وَسَنَانَ الْأَسَدِيِّ ثُمَّ الْغَنَمِيِّ، وَقَضَاعِي الدُّوَلِيِّ، وَبَعَثَ نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيَّ إِلَى ابْنِ

ذِي الْحِيَةِ وَابْنِ مُشَيْمَصَةَ الْجُبَيْرِيِّ.

وحدثت عن هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدثنا الصقعب ابن زهير، عن فقهاء أهل الحجاز، أن رسول الله ص وجعه الذي قبض فيه في آخر صفر في أيام بقرين منه، وهو في بيت زينب بنت جحش
حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة وعلي بن مجاهد، عن محمد ابن إسحاق، عن عبد الله بن عمر بن علي، عن عبيد بن جبير، مولى الحكم ابن أبي العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، [عن أبي مويهبة مولى رسول الله ص، قال: بعثني رسول الله ص من جوف الليل، فقال لي: يا أبا مويهبة، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع، فأنطلق معي، فأنطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم، قال: السلام عليكم أهل المقابر، ليهن لكم ما أصبح فيه مما أصبح الناس فيه! أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى.

ثم أقبل علي فقال: يا أبا مويهبة، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، خيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة، فأخترت لقاء ربي والجنة قال: قلت: بأبي أنت وأمي! نخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة فقال: لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم أنصرف [فبدئ رسول الله ص بوجعه الذي قبض فيه.
حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد ابن إسحاق.

وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا علي بن مجاهد، قال: حدثنا ابن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة، عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة زوج النبي ص، قالت: رجع رسول الله ص من البقيع، فوجدني وأنا أجد صداعاً في راسي، وأنا أقول: وا راساه! قال: بل أنا والله يا عائشة وا راساه! ثم قال: ما ضرك لو ميت قبلي فقمْتُ عليك وكفنتك، وصليت عليك، ودفنتك! فقلت: والله لكأنني بك لو فعلت ذلك رجعت إلى بيتي فأعرست

ببعض نسائك، قالت: فتبسم رسول الله ص، وتأم به وجعه، وهو يدور على نسائه حتى استعز به وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيتي، فاذن له.

نفرج رسول الله ص بين رجلين من أهله: أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر نخط قدماه الأرض، عاصباً رأسه حتى دخل بيتي.
- قال عبيد الله: فحدثت هذا الحديث عنها عبد الله بن عباس، فقال:

هل تدري من الرجل؟ قلت: لا، قال: علي بن أبي طالب، ولكنها كانت لا تقدر على أن تذكره بخير وهي تستطيع - [ثم غمر رسول الله ص واشتد به الوجع، فقال: أهريقوا علي من سبع قرب من أبارشتي، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم، قالت: فأقعدناه في مخضب لحفصة بنت عمر، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول: حسبكم، حسبكم!]
فحدثني حميد بن الربيع الخزاز، قال: حدثنا معن بن عيسى، قال:

حدثنا الحارث بن عبد الملك بن عبد الله بن إياس الليثي، ثم الاشجعي، عن القاسم بن يزيد، عن عبد الله بن قسيط، عن أبيه، عن عطاء، عن ابن عباس، عن أخيه الفضل بن عباس قال: جاءني رسول الله ص، فخرجت إليه فوجدته موعوكاً قد عصب رأسه، فقال: خذ بيدي يا فضل، فأخذت بيده، حتى جلس على المنبر، ثم قال: ناد في الناس.

فاجتمعوا إليه، فقال: أما بعد أيها الناس، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وإنه قد دنا مني حقوق من بين أظهركم، فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شمت له عرماً فهذا عرضي فليستقد منه، ألا وإن الشحناء ليست من

طَبْعِي وَلَا مِنْ شَأْنِي، أَلَا وَإِنَّ أَجْبَرَ إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ مِنِّي حَقًّا إِنْ كَانَ لَهُ، أَوْ حَلَلَنِي فَلَقِيتُ اللَّهَ وَأَنَا أَطِيبُ النَّفْسِ، وَقَدْ أَرَى أَنَّ هَذَا غَيْرُ مُغْنٍ عَنِّي حَتَّى أَقُومَ فَيَكُومَ مَرَارًا.

قَالَ الْفَضْلُ: ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ رَجَعَ فَجَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَعَادَ لِمَقَالَتِهِ الْأُولَى فِي الشَّحْنَاءِ وَغَيْرِهَا، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي عِنْدَكَ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ، قَالَ: أَعْطِهِ يَا فَضْلُ، فَأَمَرْتُهُ فَجَلَسَ ثُمَّ قَالَ: [أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيُؤَدِّهِ وَلَا يَقُلْ فُضُوحَ الدُّنْيَا، أَلَا وَإِنَّ فُضُوحَ الدُّنْيَا أَيْسَرُ مِنْ فُضُوحِ الْآخِرَةِ] فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عِنْدِي ثَلَاثَةُ دَرَاهِمَ غَلَّتْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ: وَلَمْ غَلَّتْهَا؟ قَالَ: كُنْتُ إِلَيْهَا مُحْتَاجًا، قَالَ: خُذْهَا مِنْهُ يَا فَضْلُ ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ خَشِيَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا فَلْيَقُمْ أَدْعُ لَهُ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَكَذَابٌ، إِنِّي لَفَاحِشٌ، وَإِنِّي لَنُؤُومٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ صِدْقًا وَإِيمَانًا، وَأَذْهَبْ عَنْهُ النَّوْمَ إِذَا أَرَادَ ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَكَذَابٌ وَإِنِّي لَمُنَافِقٌ، وَمَا شَيْءٌ - أَوْ إِن شَاءَ - إِلَّا قَدْ جَنَيْتُهُ فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ:

فَضَحْتُ نَفْسَكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ! فَقَالَ النَّبِيُّ ص: يَا بَنَ الْخَطَّابِ، فُضُوحُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ فُضُوحِ الْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ صِدْقًا وَإِيمَانًا وَصَبْرًا أَمْرَهُ إِلَى خَيْرٍ.

فَقَالَ عُمَرُ كَلِمَةً، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: [عُمَرُ مَعِيَ وَأَنَا مَعَ عُمَرُ، وَالْحَقُّ بَعْدِي مَعَ عُمَرَ حَيْثُ كَانَ].

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ بَشِيرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَخَرَ عَصَبًا رَأْسَهُ، حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ صَلَّى عَلَى أَصْحَابِ أُحُدٍ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَكْثَرَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ قَالَ: فَفَهَّمَهَا أَبُو بَكْرٍ، وَعَلِمَ أَنَّ نَفْسَهُ يُرِيدُ، فَبَكَى، وَقَالَ: بَلْ نَفْدِيكَ بِأَنْفُسِنَا وَأَبْنَائِنَا، فَقَالَ: عَلَى

رِسْلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ! انْظُرُوا هَذِهِ الْأَبْوَابَ الشَّوَارِعَ اللَّافِظَةَ فِي الْمَسْجِدِ فَسُدُّوْهَا، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا كَانَ أَفْضَلَ عِنْدِي فِي الصُّحْبَةِ يَدًا مِنْهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ بَعْضِ آلِ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ الْمُعَلَّى، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ [قَالَ يَوْمَئِذٍ فِي كَلَامِهِ هَذَا: فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ الْعِبَادِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّ صُحْبَةً وَإِخَاءً إِيْمَانٍ حَتَّى يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا عِنْدَهُ].

وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهَبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ حُنَيْنٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَجَسَ يَوْمًا عَلَى الْمِنْبَرِ، [فَقَالَ: إِنَّ عَبْدًا خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَ اللَّهِ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ،] فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ قَالَ: فَدَيْنَاكَ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: فَتَجَعَّبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ يُخْبِرُ رَسُولَ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ يُخَيَّرُ، وَيَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا! قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ هُوَ الْمُخَيَّرُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمُنَا بِهِ، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: إِنَّ أَمَّنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّ أُخُوَّةَ الْإِسْلَامِ، لَا تَبَقَّ خَوْخَةٌ فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا خَوْخَةٌ أَبِي بَكْرٍ].

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الصَّبَّاحِ الْهَمْدَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ جَعْفَرٍ الْبَجَلِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الْمَلِكِ

ابن الأصبهاني عن خلاد الأسدي، قال: قال عبد الله بن مسعود: نعى إلينا نبينا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر، فلما دنا الفراق جمعنا في بيت أمنا عائشة، فنظر إلينا وشدد، فدمعت عينه، [وقال: مرحباً بكم! رحمكم الله!]

أواكم الله! حفظكم الله! رفعكم الله! نفعكم الله! وفقكم الله! نصركم الله! سلمكم الله! رحمكم الله! قبلكم الله! أوصيكم بتقوى الله، وأوصي الله بكم، وأستخلفه عليكم، وأوديكُم إليه، إني لكم نذير وبشير، لا تعلوا على الله في عباده وبلاده، فإنه قال لي ولكم: «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين» وقال: «أليس في جهنم مثوى للمتكبرين» فقلنا: متى أجلك؟ قال:

قد دنا الفراق، والمنقلب إلى الله، وإلى سدرة المنتهى قلنا: فمن يغسلك يا نبي الله؟ قال: أهلي الأدنى فالأدنى، قلنا: ففيم نكفّنك يا نبي الله؟

قال: في ثيابي هذه إن شئتم، أو في بياض مصر، أو حلة يمانية، قلنا:

فمن يصلي عليك يا نبي الله؟ قال: مهلاً غفر الله لكم، وجزاًكم عن نبيكم خيراً! فبكينا وبكى النبي ص، وقال: إذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا، على شفير قبوري، ثم اخرجوا عني ساعة، فإن أول من يصلي علي جليسي وخليلي جبريل، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم ملك الموت مع جنود كثيرة من الملائكة بأجمعها، ثم ادخلوا علي فوجاً فوجاً، فصلوا علي وسلّموا تسليماً، ولا تؤذوني بتزكية ولا برنة ولا صيحة، وليبدأ بالصلاة علي رجال أهل بيتي، ثم نسأوهم، ثم أنتم بعد أقرئوا أنفسكم مني السلام، فإني أشهدكم أنني قد سلّمت على من بايعني على ديني من اليوم إلى يوم القيامة قلنا: فمن يدخلك في قبرك يا نبي الله؟

قال: أهلي مع ملائكة كثيرين يرونكم من حيث لا ترونهم [حدثنا أحمد بن حماد الدؤلاي، قال: حدثنا سفيان، عن سليمان ابن أبي مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: يوم الخميس وما يوم الخميس! قال: اشتد برسول الله ص وجعه، [فقال: اثنوني أكتب كتاباً لا تصلوا بعدي أبداً فتنازعوا- ولا ينبغي عند نبي أن يتنازع]-

فقالوا: ما شأنه؟ أهجراً! استفهّموه، فذهبوا يعيدون عليه، فقال: دعوني فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه، [وأوصي بثلاث، قال: اخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بخير مما كنت أجيزهم، وسكت عن الثالثة عمداً- أو قال: فنسيها]. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا ابن عيينة، عن سليمان الأحول، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: يوم الخميس! ثم ذكر نحو حديث أحمد بن حماد، غير أنه قال: ولا ينبغي عند نبي أن ينازع.

حدثنا أبو كريب وصالح بن سمال، قال: حدثنا وكيع، عن مالك ابن مغول، عن طلحة بن مصرف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: يوم الخميس وما يوم الخميس! قال: ثم نظرت إلى دموعه تسيل على خديه كأنها نظام اللؤلؤ قال: [قال رسول الله ص: اثنوني باللّوج والدّواة- أو بالكتف والدّواة- أكتب لكم كتاباً لا تصلون بعده] قال: فقالوا: ان رسول الله يهجر.

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: حدثني عمي عبد الله ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن الزهري، قال: أخبرني عبد الله ابن كعب بن مالك، أن ابن عباس أخبره أن علي بن أبي طالب خرج من عند رسول الله ص في وجعه الذي توفي فيه، [فقال الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول الله؟ قال: أصبح بمحمد الله بارئاً، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب، فقال: ألا ترى أنك بعد ثلاث عبد العصا! وإني أرى رسول الله سيتوفى في وجعه هذا، وإني لأعرف وجه بني عبد المطلب عند الموت، فاذهب إلى رسول الله فسله فيمن يكون هذا الأمر؟ فإن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا أمر به فأوصى بنا قال علي: والله لئن

سَأَلْنَاهَا رَسُولَ اللَّهِ فَنَعْنَاهَا لَا يُعْطِيهَا النَّاسُ أَبَدًا، وَاللَّهُ لَا أَسْأَلُهَا رَسُولَ اللَّهِ أَبَدًا] .

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن الزُّهري، عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن عبد الله بن عباس، قال: خرج يومئذ علي بن أبي طالب على الناس من عند رسول الله ص، ثم ذكر نحوه، غير أنه قال في حديثه: أحلف بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله كما كنت أعرفه في وجه بني عبد المطلب، فانطلق بنا إلى رسول الله، فإن كان هذا الأمر فينا علمنا، وإن كان في غيرنا أمرنا فأوصى بنا الناس، وزاد فيه أيضًا: فتوفي رسول الله حين اشتد الضحى من ذلك اليوم.

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: حدثنا أبي، عن عروة، عن عائشة، قالت: [قال لنا رسول الله ص: أفرغوا علي من سبع قرب من سبع آبار شتى، لعلني أخرج إلى الناس فأعهد إليهم] .

قال محمد، عن محمد بن جعفر، عن عروة، عن عائشة، قالت: فصبنا عليه من سبع قرب، فوجد راحة، فخرج فصلى بالناس، وخطبهم، واستغفر للشهداء من أصحاب أحد، ثم أوصى بالأنصار خيرا، فقال: أما بعد يا معشر المهاجرين، إنكم قد أصبحتم تزيدون، وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم، والأنصار عيتي التي أويت إليها، فأكرموا كريمهم، وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال: إن عبدا من عباد الله قد خير بين ما عند الله وبين الدنيا فاختار ما عند الله، فلم يقفها إلا أبو بكر، ظن أنه يريد نفسه، فبكي، [فقال له النبي ص:

على رسلك يا أبا بكر! سدوا هذه الأبواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر، فإنني لا أعلم امرأة أفضل يدا في الصحابة من أبي بكر] حدثنا عمرو بن علي، قال: حدثنا يحيى بن سعيد القطان، قال:

حدثنا سفيان، قال: حدثنا موسى بن أبي عائشة، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة، عن عائشة، قالت: لدنا رسول الله ص في مرضه، فقال: لا تدوني! فقلنا: كراهية المريض الدواء فلما أفاق قال: لا يبقى منكم أحد إلا لد، غير العباس فإنه لم يشهدكم.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق في حديثه الذي ذكرناه عنه، عن الزُّهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن عائشة، قالت: ثم نزل رسول الله ص، فدخل بيته، وثام به وجهه حتى غمر، واجتمع عنده نساء من نسائه: أم سلمة، وميمونة، ونساء من نساء المؤمنين، منهن أسماء بنت عميس، وعنده عمه العباس بن عبد المطلب، وأجمعوا على أن يدوه، فقال العباس: لأدنه، قال: فلد، فلما أفاق رسول الله ص، قال: من صنع بي هذا؟ قالوا: يا رسول الله، عمك العباس، قال: هذا دواء أتى به نساء من نحو هذه الأرض - وأشار نحو أرض الحبشة - قال: ولم فعلتم ذلك؟ [فقال العباس: خشينا يا رسول الله أن يكون بك وجع ذات الجنب، فقال: إن ذلك لداء ما كان الله ليعذبني به، لا يبقى في البيت أحد إلا لد إلا عمي] قال: فلقد لدت ميمونة وانها لصائمه لقسم رسول الله ص، عقوبة لهم بما صنعوا.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة، [أن عائشة حدثته أن رسول الله ص حين قالوا: خشينا أن يكون بك ذات الجنب، قال:

إنها من الشيطان، ولم يكن الله ليلسطها علي] .

حدثت عن هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدثني الصَّعْبُ ابن زهير، عن فقهاء أهل الحجاز، أن رسول الله ص ثقل في وجهه الذي توفي فيه حتى أغمي عليه، فاجتمع إليه نسائه وابنته وأهل

بَيْتَهُ وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَجَمِيعُهُمْ، وَإِنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ عُمَيْسٍ قَالَتْ: مَا وَجَعَهُ هَذَا إِلَّا ذَاتُ الْجَنْبِ، فَلَدُوهُ، فَلَدَدْنَاهُ، فَلَمَّا أَفَاقَ، قَالَ: مَنْ فَعَلَ بِي هَذَا؟ قَالُوا: لَدَّتْكَ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، ظَنَّتْ أَنَّ بِكَ ذَاتُ الْجَنْبِ [قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ يَبْلِيَنِي ذَاتُ الْجَنْبِ، أَنَا أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ] .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ إِسَامَةَ ابْنَ زَيْدٍ، قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ صَ هَبَطْتُ وَهَبَطَ النَّاسُ مَعِيَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَدَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَ، وَقَدْ أُصِمَتْ فَلَا يَتَكَلَّمُ، فَجَعَلَ يَرْفَعُ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ يَضَعُهَا عَلَيَّ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَدْعُو لِي.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، [عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَ كَثِيرًا مَا أَسْمَعُهُ، وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيًّا حَتَّى يُخْبِرَهُ] .

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بَكْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الْأَرْقَمِ بْنِ شُرْحَبِيلَ، قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: أَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ صَ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ؟ قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ابْعَثُوا إِلَى عَلِيٍّ فَادْعُوهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ:

لَوْ بَعَثْتَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ! وَقَالَتْ حَفْصَةُ: لَوْ بَعَثْتَ إِلَى عُمَرَ! فَاجْتَمَعُوا عِنْدَهُ جَمِيعًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَ: انصَرِفُوا، فَإِنَّ تَكُ لِي حَاجَةً أَبْعَثُ إِلَيْكُمْ، فَانصَرَفُوا، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَ: آتِ الصَّلَاةَ؟

قِيلَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَمَرُوا أَبَا بَكْرٍ لِيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّهُ رَجُلٌ رَقِيقٌ، فَمَرُّوا عُمَرَ، فَقَالَ: مَرُّوا عُمَرَ، فَقَالَ عُمَرُ: مَا كُنْتُ لَا تَقْدَمُ وَأَبُو بَكْرٍ

شَاهِدٌ]، فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ، وَوَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ خَفَةً، فَخَرَجَ، فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ حَرَكَتَهُ تَأَخَّرَ، فَجَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَ ثَوْبَهُ، فَأَقَامَهُ مَكَانَهُ، وَقَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَرَأَ مِنْ حَيْثُ انْتَهَى أَبُو بَكْرٍ.

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ الْأَعْمَشِ، قَالَ: وَحَدَّثَنَا أَبُو هِشَامٍ الرَّفَاعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكِيعٌ، قَالَا: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، وَحَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ عَثْمَانَ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: [لَمَّا مَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَ الْمَرَضَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، أُذِّنَ بِالصَّلَاةِ، فَقَالَ: مَرُّوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَقُلْتُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، وَإِنَّهُ مَتَى يَقُومُ مَقَامَكَ لَا يُطِيقُ! قَالَ: فَقَالَ:

مَرُّوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَقُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَغَضِبَ، وَقَالَ: إِنَّكَ صَوَاحِبُ يَوْسُفَ - وَقَالَ ابْنُ وَكِيعٍ: صَوَاحِبَاتُ يَوْسُفَ - مَرُّوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، قَالَ: فَخَرَجَ يَهَادِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ وَقَدَمَاهُ تَخْطَانِ فِي الْأَرْضِ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ أَبِي بَكْرٍ، تَأَخَّرَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَ أَنْ قُمْ فِي مَقَامِكَ، فَقَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَ، فَصَلَّى إِلَى جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ جَالِسًا قَالَتْ: فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّيُ بِصَلَاةِ النَّبِيِّ، وَكَانَ النَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ اللَّفْظُ لِحَدِيثِ عِيسَى بْنِ عَثْمَانَ.

حَدَّثَ عَنْ الْوَاقِدِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ أَبِي سَبْرَةَ: كَمْ صَلَّى أَبُو بَكْرٍ بِالنَّاسِ؟ قَالَ: سَبْعَ عَشْرَةَ صَلَاةً، قُلْتُ: مَنْ أَخْبَرَكَ؟ قَالَ: أَيُّوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَ قَالَ: وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ سُهَيْلٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، قَالَ: صَلَّى بِهِمْ أَبُو بَكْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ اللَّيْثِ، عَنِ اللَّيْثِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْهَادِ، عَنْ مُوسَى بْنِ سَرَجَسٍ، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَ يَمُوتُ، وَعِنْدَهُ قَدَحٌ فِيهِ مَاءٌ يَدْخُلُ يَدُهُ فِي الْقَدَحِ، ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ ثُمَّ يَقُولُ:

[اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى سَكْرَةِ الْمَوْتِ!]

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ الْعَسْقَلَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا آدَمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ ابْنِ الْهَادِ، عَنْ مُوسَى بْنِ سَرْجَسٍ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص وَهُوَ يَمُوتُ ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَهُ، إِلَّا أَنَّهُ [قَالَ: أَعِنِّي عَلَى سَكْرَاتِ الْمَوْتِ] .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْاِثْنَيْنِ، الْيَوْمُ الَّذِي قَبِضَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ص، خَرَجَ إِلَى النَّاسِ وَهُمْ يَصَلُّونَ الصُّبْحَ، فَرَفَعَ الْبُسْتَرُ، وَفَتَحَ الْبَابَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، حَتَّى قَامَ بِبَابِ عَائِشَةَ، فَكَادَ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلَاتِهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ص حِينَ رَأَوْهُ، فَرَحًا بِهِ، وَتَفَرَّجُوا فَأَشَارَ بِيَدِهِ: أَنْ ائْتَبُوا عَلَى صَلَاتِكُمْ، وَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ فَرَحًا لَمَّا رَأَى مِنْ هَيْئَتِهِمْ فِي صَلَاتِهِمْ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص أَحْسَنَ هَيْئَةً مِنْهُ تِلْكَ السَّاعَةَ، ثُمَّ رَجَعَ وَانْصَرَفَ النَّاسُ، وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَدْ أَفَاقَ مِنْ وَجَعِهِ، فَجَعَّ أَبُو بَكْرٍ إِلَى أَهْلِهِ بِالسُّنْحِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْاِثْنَيْنِ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَاصِبًا رَأْسَهُ إِلَى الصُّبْحِ، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص تَفَرَّجَ النَّاسُ، فَعَرَفَ أَبُو بَكْرٍ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ص، فَتَكَبَّرَ عَنْ مَصَلَاةٍ، فَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ فِي ظَهْرِهِ، وَقَالَ: صَلِّ بِالنَّاسِ وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى جَنْبِهِ، فَصَلَّى قَاعِدًا عَنْ يَمِينِ أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ، أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَكَلَّمَهُمْ رَافِعًا صَوْتَهُ حَتَّى خَرَجَ صَوْتُهُ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ، يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، سَعَرَتِ النَّارُ، وَأَقْبَلَتِ الْفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ! وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا تُمْسِكُونَ عَلَيَّ شَيْئًا، إِنِّي لَمْ أَحِلَّ لَكُمْ إِلَّا مَا أَحَلَّ لَكُمْ الْقُرْآنُ، وَلَمْ أُحَرِّمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْقُرْآنُ فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ كَلَامِهِ، قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ:

٣٠٥٢ ذكر الاخبار الواردة باليوم الذي توفي فيه رسول الله ومبلغ سنه يوم وفاته

يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنِّي أَرَاكَ قَدْ أَصْبَحْتَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ كَمَا نَحِبُّ، وَالْيَوْمُ يَوْمُ ابْنَةِ خَارِجَةَ، فَاتِيهَا ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى أَهْلِهِ بِالسُّنْحِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ حِينَ دَخَلَ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاضْطَجَعَ فِي جُجْرِي، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ آلِ بَكْرٍ فِي يَدِهِ سِوَاكُ أَخْضَرُ قَالَتْ: فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى يَدِهِ نَظْرًا عَرَفْتُ أَنَّهُ يَرِيدُهُ، فَأَخَذَتْهُ فَمَضَعَتْهُ حَتَّى انْتَهَى، ثُمَّ أَعْطَيْتُهُ إِيَّاهُ، قَالَتْ: فَاسْتَنَّا بِهِ كَأَشَدِّ مَا رَأَيْتُهُ يَسْتَنُّ بِسِوَاكِ قَبْلَهُ، ثُمَّ وَضَعَهُ، وَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَثْقُلُ فِي جُجْرِي قَالَتْ:

فَذَهَبْتُ أَنْظُرَ فِي وَجْهِهِ، [فَإِذَا نَظَرُهُ قَدْ شَخَصَ، وَهُوَ يَقُولُ: بَلِ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ! قَالَتْ: قُلْتُ: خَيْرٌ فَاخْتَرْتُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ! قَالَتْ:

وَقَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ص] .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عِبَادِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ عِبَادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ: مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ص بَيْنَ سَخْرِي وَنَحْرِي، وَلَمْ أَظَلِّ فِيهِ أَحَدًا، فَمِنْ سَفْهِي وَحَدَاثَةِ سِنِّي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَبِضَ وَهُوَ فِي جُجْرِي، ثُمَّ وَضَعْتُ رَأْسَهُ عَلَى وِسَادَةٍ، وَفُتَّ التَّدِيمُ مَعَ النِّسَاءِ، وَأَضْرَبُ وَجْهِي

ذكر الاخبار الواردة باليوم الذي توفي فيه رسول الله ومبلغ سنه يوم وفاته

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: أَمَا الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَلَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْأَخْبَارِ فِيهِ أَنَّهُ كَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ، غَيْرَ أَنَّهُ

اختلف في أي الاثنين كان موته ص؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثْتُ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي مُخَنِفٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الصَّقْعَبِيُّ بْنُ زَهْرٍ، عَنْ فَقْهَاءِ أَهْلِ الْحِجَازِ، قَالُوا: قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ص نِصْفَ النَّهَارِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، لِلْيَلْتَيْنِ مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ، وَبُوعَ أَبُو بَكْرٍ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ النَّبِيُّ ص.

وقال الواقدي: توفي يوم الاثنين لثني عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، ودُفِنَ مِنَ الْغَدِ نِصْفَ النَّهَارِ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ، وَذَلِكَ يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ص وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ وَعُمَرُ حَاضِرٌ حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ص قَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ تَوَفَّى وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهُ مَا مَاتَ، وَلَكِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى رَبِّهِ كَمَا ذَهَبَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ، فَغَابَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ قِيلَ قَدْ مَاتَ، وَاللَّهُ لِيَرْجِعَنَّ رَسُولُ اللَّهِ فَلْيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رَجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ مَاتَ.

قَالَ: وَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى نَزَلَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ حِينَ بَلَغَهُ الْخَبَرُ، وَعَمُرُ يَكْلُمُ النَّاسَ، فَلَمَّا يَلْتَفَتَ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ مُسَجَّى فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، عَلَيْهِ بُرْدٌ حَرِيرِي، فَأَقْبَلَ حَتَّى كَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَايَ أَنْتَ وَأُمِّي! أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَقَدْ ذُقْتَهَا، ثُمَّ لَنْ يُصِيبَكَ بَعْدَهَا مَوْتَةٌ أَبَدًا ثُمَّ رَدَّ الثَّوْبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ خَرَجَ وَعَمُرُ يَكْلُمُ النَّاسَ، فَقَالَ: عَلَى رِسْلِكَ يَا عُمَرُ! فَانْصَبْتُ، فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَتَكَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو بَكْرٍ لَا يَنْصَبُ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَلَمَّا سَمِعَ النَّاسُ كَلَامَهُ أَقْبَلُوا عَلَيْهِ،

وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ.

ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ» إِلَى آخِرِ الْآيَةِ قَالَ: فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ قَالَ: وَأَخَذَهَا النَّاسُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ فَإِنَّمَا هِيَ فِي أَفْوَاهِهِمْ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ يَتْلُوهَا فَعُقِرْتُ حَتَّى وَقَعْتُ إِلَى الْأَرْضِ، مَا تَحِلُّنِي رِجْلَايَ، وَعَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ مَاتَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ زِيَادِ بْنِ كَلْبٍ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: لَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ ص كَانَ أَبُو بَكْرٍ غَائِبًا، فَجَاءَ بَعْدَ ثَلَاثٍ، وَلَمْ يَجْتَرِئْ أَحَدٌ أَنْ يَكْشِفَ عَنْ وَجْهِهِ، حَتَّى أُرْبِدَ بَطْنُهُ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَايَ أَنْتَ وَأُمِّي! طِبْتَ حَيًّا وَطِبْتَ مَيِّتًا! ثُمَّ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ثُمَّ قَرَأَ: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: لَمْ يَمُتْ، وَكَانَ يَتَوَعَّدُ النَّاسَ بِالْقَتْلِ فِي ذَلِكَ.

فَاجْتَمَعَ الْأَنْصَارُ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ لِيُبَايَعُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، فَلَبَّغَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ، فَأَتَاهُمْ وَمَعَهُ عُمَرُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟

فَقَالُوا: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مِنَّا الْأَمْرَاءُ وَمِنْكُمْ الْوُزَرَاءُ.

ثُمَّ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنِّي قَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ: عُمَرُ أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ، إِنَّ النَّبِيَّ ص جَاءَهُ قَوْمٌ فَقَالُوا: ابْعَثْ مَعَنَا أَمِينًا فَقَالَ: لَا ابْعَثَنَّ مَعَكُمْ أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ، فَبَعَثَ مَعَهُمْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجُرَّاحِ، وَأَنَا أَرْضَى لَكُمْ أَبَا عُبَيْدَةَ فَقَامَ عُمَرُ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ تَطِيبُ نَفْسَهُ أَنْ يَخْلَفَ قَدَمَيْنِ قَدَمَهُمَا النَّبِيُّ ص! فَبَايَعَهُ عُمَرُ وَبَايَعَهُ النَّاسُ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ- أَوْ بَعْضُ الْأَنْصَارِ، لَا نُبَايِعُ إِلَّا عَلِيًّا. حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مُعَاوِيَةَ، عَنْ زِيَادِ بْنِ كَلْبٍ، قَالَ: أَتَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مَنْزِلَ عَلِيٍّ وَفِيهِ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَرَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَحْرِقَنَّ عَلَيْكُمْ أَوْ لَتَخْرُجَنَّ إِلَى الْبَيْعَةِ نَخْرَجَ عَلَيْهِ الزُّبَيْرُ مُصَلِّيًا بِالسَّيْفِ، فَعَثَرَ فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِ فَاحْذَوْهُ.

حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى الضَّرِيرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، قَالَ:
حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَوْدِيُّ، عَنْ حَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُمَيْرِيِّ، قَالَ: تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ص وَأَبُو بَكْرٍ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَجَاءَ
فَكَشَفَ الثَّوبَ عَنْ وَجْهِهِ فَقَبَّلَهُ، وَقَالَ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي! مَا أَطْيَبَكَ حَيًّا وَمَيِّتًا! مَاتَ مُحَمَّدٌ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ! قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الْمَنْبَرِ،
فَوَجَدَ عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ قَائِمًا يُوعِدُ النَّاسَ، وَيَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص حَيٌّ لَمْ يَمُتْ، وَإِنَّهُ خَارِجٌ إِلَى مَنْ أَرْجَفَ بِهِ، وَقَاطَعَ أَيْدِيَهُمْ،
وَضَارَبَ أَعْنَاقَهُمْ، وَصَالَبَهُمْ قَالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: أَنْصِتْ قَالَ: فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَنْصِتَ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: إِنْ لَمْ يَنْصِتْ لِي، فَلْيَنْصِتْ لِرَبِّهِمْ،
«إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ» «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ»، حَتَّى خَتَمَ الْآيَةَ، فَنَزَلَ

٣٠٥٣ حوادث السنة الحادية عشرة بعد وفاة رسول الله

حديث السقيفة

كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَقَدْ مَاتَ إِلَهُهُ الَّذِي كَانَ يَعْبُدُهُ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ.
قَالَ: خَلَفَ رِجَالٌ أَدْرَكَاهُمْ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ص:

ما علمنا ان هاتين الآيتين نزلتا حتى قرأهما أبو بكر يومئذ، إذ جاء رجل يسعى فقال: هاتيك الأنصار قد اجتمعت في ظل بني ساعدة، يبايعون رجلا منهم، يقولون: منا أمير ومن قريش أمير، قال: فانطلق أبو بكر وعمر يتفادان حتى أتياهم، فأراد عمر أن يتكلم، فنهاه أبو بكر، فقال:

لا اعصى خليفه النبي ص في يوم مرتين.

قَالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمْ يَتْرِكْ شَيْئًا نَزَلَ فِي الْأَنْصَارِ، وَلَا ذَكَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ شَانِهِمْ إِلَّا وَذَكَرَهُ [وَقَالَ: لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ وَادِيًا سَلَكَتُ وَادِي الْأَنْصَارِ] [وَلَقَدْ عَلِمْتَ يَا سَعْدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَأَنْتَ قَاعِدٌ قُرَيْشٍ وَلَا هَذَا الْأَمْرُ، فَبَرِ النَّاسِ تَبِعَ لِرَبِّهِمْ، وَفَاجِرُهُمْ تَبِعَ لِفَاجِرِهِمْ قَالَ: فَقَالَ سَعْدٌ: صَدَقْتَ، فَنَحْنُ الْوَزَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْأُمَرَاءُ] قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ فَلَا بَايِعَكَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلْ أَنْتَ يَا عُمَرُ، فَأَنْتَ أَقْوَى لَهَا مِنِّي قَالَ: وَكَانَ عُمَرُ أَشَدَّ الرَّجُلَيْنِ، قَالَ: وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُرِيدُ صَاحِبَهُ يَفْتَحُ يَدَهُ يَضْرِبُ عَلَيْهَا، فَفَتَحَ عُمَرُ يَدَ أَبِي بَكْرٍ وَقَالَ: إِنَّ لَكَ قُوَّتِي مَعَ قُوَّتِكَ قَالَ: فَبَايَعَ النَّاسُ وَاسْتَتَبَتُوا لِلْبَيْعَةِ، وَتَخَلَّفَ عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ، وَاخْتَرَطَ الزُّبَيْرُ سَيْفَهُ، وَقَالَ: لَا أَعْمِدُهُ حَتَّى يَبَايَعَ عَلِيٌّ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَقَالَ عُمَرُ: خُذُوا سَيْفَ الزُّبَيْرِ، فَاضْرِبُوا بِهِ الْحَجَرَ قَالَ: فَانْطَلَقَ إِلَيْهِمْ عُمَرُ، فَجَاءَ بِهِمَا تَعْبًا، وَقَالَ:

لِتَبَايَعَنِ وَأَتَمَّا طَائِعَانِ، أَوْ لِتَبَايَعَانِ وَأَتَمَّا كَارِهَانِ! فَبَايَعَا . [حوادث السنة الحادية عشرة بعد وفاة رسول الله]
حَدِيثُ السَّقِيفَةِ

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبَادُ بْنُ عَبَّادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبَادُ بْنُ رَاشِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ أُقْرِئُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ الْقُرْآنَ، قَالَ:

خَفَّجَ عُمَرُ وَحُجَّجْنَا مَعَهُ، قَالَ: فَإِنِّي لَفِي مَنْزِلٍ بِنِي إِذْ جَاءَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ، فَقَالَ: شَهِدْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ، وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ فَلَانًا يَقُولُ: لَوْ قَدْ مَاتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ بَايَعْتُ فَلَانًا قَالَ: فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: إِنِّي لَقَائِمُ الْعَشِيَّةِ فِي النَّاسِ فُحَذِّرُهُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوا النَّاسَ أَمْرَهُمْ قَالَ: قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رِعَاعَ النَّاسِ وَغَوَاءَهُمْ، وَإِنَّهُمْ الَّذِينَ يَغْلِبُونَ عَلَى مَجْلِسِكَ، وَإِنِّي لَخَائِفٌ إِنْ قُلْتُ الْيَوْمَ مَقَالَةً أَلَا يَعُوهَا وَلَا يَحْفَظُوهَا، وَلَا يَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا، وَأَنْ يَطِيرُوا بِهَا كُلُّ مُطِيرٍ، وَلَكِنْ أَهْلٌ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ، نَقْدَمُ دَارَ الْهَجْرَةِ وَالسَّنَةِ، وَتُخَلَّصُ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَتَقُولُ مَا قُلْتَ مُتَمَكِّيًا فَيَعُوهَا مَقَالَتَكَ، وَيَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَقُومَنَّ بِهَا فِي أَوَّلِ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ.

قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، وَجَاءَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ هَجَرْتُ لِلْحَدِيثِ الَّذِي حَدَّثَنِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَوَجَدْتُ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهَجِيرِ، فَجَلَسْتُ إِلَى جَنْبِهِ عِنْدَ الْمِنْبَرِ، رُكِبَتِي إِلَى رُكْبَتِهِ، فَلَمَّا زَالَتِ الشَّمْسُ لَمْ يَلْبَثْ عُمَرُ أَنْ خَرَجَ، فَقُلْتُ لِسَعِيدٍ وَهُوَ مُقْبِلٌ: لِيَقُولَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ مَقَالَةً لَمْ تُقَلْ قَبْلَهُ فَغَضِبَ وَقَالَ: فَأَيُّ مَقَالَةٍ يَقُولُ لَمْ تُقَلْ قَبْلَهُ! فَلَمَّا جَلَسَ عُمَرُ عَلَى الْمِنْبَرِ أَذِنَ الْمُؤَدِّثُونَ، فَلَمَّا قَضَى الْمُؤَدِّثُونَ أَذَانَهُ قَامَ عُمَرُ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ مَقَالَةً قَدْ قَدَّرْتُ أَنْ أَقُولَهَا، مِنْ وَعَاها وَعَقْلَهَا وَحَفِظَهَا، فَلِيَحْدِثَ بِهَا حَيْثُ تَنْتَهِي بِهِ رَاحِلَتُهُ، وَمَنْ لَمْ يَعِهَا فَإِنِّي لَا أَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيَّ إِنْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، وَكَانَ فِيمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةُ الرَّجْمِ، فَرَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ، وَإِنِّي قَدْ خَشِيتُ أَنْ يَطُولَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ، فَيَقُولُ قَائِلٌ: وَاللَّهِ مَا نَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةِ أَنْزَلَهَا اللَّهُ، وَقَدْ كُنَّا نَقُولُ: لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَإِنَّهُ كُفِرَ بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ ثُمَّ إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ قَائِلًا مِنْكُمْ يَقُولُ:

لَوْ قَدْ مَاتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَايَعْتُ فَلَانًا! فَلَا يَغْرَنَ امْرَأً أَنْ يَقُولَ:

إِنْ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلَتَةً، فَقَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ وَفَى شَرَّهَا، وَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تُشْطَعُ إِلَيْهِ الْأَعْنَاقُ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ! وَإِنَّهُ كَانَ مِنْ خَبَرْنَا حِينَ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيَهُ ص أَنَّ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ وَمَنْ مَعَهُمَا تَخَلَّفُوا عَنَّا فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ، وَتَخَلَّفَتْ عَنَّا الْأَنْصَارُ بِأَسْرِهِا، وَاجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا هَؤُلَاءِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْطَلِقْنَا نُوْمُهُمْ، فَلَقِينَا رَجُلَانِ صَالِحَانِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فَقَالَا: أَيْنَ تُرِيدُونَ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ؟ فَقُلْنَا: نُرِيدُ إِخْوَانَنَا هَؤُلَاءِ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَا: فَارْجِعُوا فَاقْضُوا أَمْرَكُمْ بَيْنَكُمْ فَقُلْنَا: وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّهُمْ، قَالَ: فَاتَيْنَاهُمْ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ قَالَ: وَإِذَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ رَجُلٌ مُرْمَلٌ، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقُلْتُ: مَا شَأْنُهُ؟ قَالُوا: وَجِعٌ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَنَحْنُ الْأَنْصَارُ وَكِتَابَةُ الْإِسْلَامِ، وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ رَهْطُ بَنِيْنَا، وَقَدْ دَفَّتْ إِلَيْنَا مِنْ قَوْمِكُمْ دَافَّةٌ قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتَهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْتَرِلُونَا مِنْ أَصْلَانَا، وَيَغْصِبُونَا الْأَمْرَ وَقَدْ كُنْتُ زَوْرْتُ فِي نَفْسِي مَقَالَةً أَقْدِمُهَا بَيْنَ يَدَيَّ أَبِي بَكْرٍ، وَقَدْ كُنْتُ أَدَارِي مِنْهُ بَعْضَ الْحَدِّ، وَكَانَ هُوَ أَوْقَرَ مِنِّي وَأَحْلَمَ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، قَالَ:

عَلَى رِسْلِكَ! فَكِرِهْتُ أَنْ أَغْصِيَهُ، فَقَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، فَمَا تَرَكَ شَيْئًا كُنْتُ زَوْرْتُ فِي نَفْسِي أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ لَوْ تَكَلَّمْتُ، إِلَّا قَدْ جَاءَ

بِهِ أَوْ بِأَحْسَنَ مِنْهُ.

وَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، فَإِنَّكُمْ لَا تَذْكُرُونَ مِنْكُمْ فَضْلًا إِلَّا وَأَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ، وَإِنَّ الْعَرَبَ لَا تَعْرِفُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ، وَهُمْ

أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَارًا وَنَسَبًا، وَلَكِنْ قَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، فَبَايَعُوا إِيَّاهُمَا شِئْمَ فَأَخَذَ بِيَدِي وَبَيَّدَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ. وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا كَرِهْتُ مِنْ كَلَامِهِ شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، إِنْ كُنْتُ لِأَقْدَمَ فَتَضْرَبَ عَنْقِي فِيمَا لَا يُقَرِّبُنِي إِلَى إِثْمٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُؤَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ فَلَمَّا قَضَى أَبُو بَكْرٍ كَلَامَهُ، قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ، فَقَالَ:

أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكِّكُ، وَعَذِيقُهَا الْمَرْجَبُ، مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ.

قَالَ: فَارْتَفَعَتِ الْأَصَوَاتُ، وَكَثُرَ اللَّغَطُ، فَلَمَّا أَشْفَقْتُ الْاِخْتِلَافَ، قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: ابْسُطْ يَدَكَ أَبَايَعُكَ، فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتَهُ وَبَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ، وَبَايَعَهُ الْأَنْصَارُ ثُمَّ نَزَوْنَا عَلَى سَعْدٍ، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فَقُلْتُ: قَتَلَ اللَّهُ سَعْدًا! وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا وَجَدْنَا أَمْرًا هُوَ أَقْوَى مِنْ مُبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ، خَشِينَا إِنْ فَارَقْنَا الْقَوْمَ وَلَمْ تَكُنْ بَيْعَةً أَنْ يُحْدِثُوا بَعْدَنَا بَيْعَةً، فِيمَا أَنْ تَبَايَعَهُمْ عَلَى مَا نَرْضَى، أَوْ نَخَالِفَهُمْ فَيَكُونُ فَسَادٌ حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: إِنَّ أَحَدَ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ لَقُوا مِنَ الْأَنْصَارِ حِينَ ذَهَبُوا إِلَى السَّقِيفَةِ، عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ وَالْآخَرُ مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ، أَخُو بَنِي الْعَجَلَانِ، فَأَمَّا عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ فَهُوَ الَّذِي بَلَّغَنَا أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص

: [مَنْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ: «فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ»؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: نَعِمَ الْمَرْءُ مِنْهُمْ عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ!] وَأَمَّا مَعْنُ فَلَبَّغْنَا أَنْ النَّاسَ بَكَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص حِينَ تَوَفَّاهُ اللَّهُ، وَقَالُوا: وَاللَّهِ لَوَدِدْنَا أَنَّا مِتْنَا قَبْلَهُ، إِنَّا نَخْشَى أَنْ نُفْتَنَ بَعْدَهُ فَقَالَ مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ: وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِتُّ قَبْلَهُ حَتَّى أَصْدَقَهُ مِيتًا كَمَا صَدَّقْتُهُ حَيًّا فَقُتِلَ مَعْنُ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ يَوْمَ مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ.

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ الزُّهْرِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَمِّي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَيْفُ بْنُ عُمَرَ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَبِيَةَ الْبَجَلِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ جَمِيعٍ الزُّهْرِيُّ، قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ حَرِثٍ لِسَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ: أَشْهَدْتُ وَفَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ص؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَتَى بُوَيْعَ أَبُو بَكْرٍ؟ قَالَ: يَوْمَ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ص كَرِهُوا أَنْ يَبْقُوا بَعْضُ يَوْمٍ وَلَيْسُوا فِي جَمَاعَةٍ قَالَ: خَالَفَ عَلَيْهِ أَحَدٌ؟ قَالَ:

لَا إِلَّا مُرْتَدًّا أَوْ مَنْ قَدْ كَادَ أَنْ يَرْتَدَّ، لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْقِذُهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: فَهَلْ قَعَدَ أَحَدٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ؟ قَالَ: لَا، نَتَابَعُ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى بَيْعَتِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْعُوهُمْ.

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمِّي، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَيْفُ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ سِيَاهٍ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ فِي بَيْتِهِ إِذْ أَتَى فَقِيلَ لَهُ: قَدْ جَلَسَ أَبُو بَكْرٍ لِلْبَيْعَةِ، فَخَرَجَ فِي قَيْصٍ مَا عَلَيْهِ إِزَارٌ وَلَا رِدَاءٌ، عَجَلًا، كَرَاهِيَةً أَنْ يُبْطِئَ عَنْهَا، حَتَّى بَايَعَهُ ثُمَّ جَلَسَ إِلَيْهِ وَبَعَثَ إِلَى ثَوْبِهِ فَأَتَاهُ فَتَجَلَّاهُ، وَلَزِمَ مَجْلِسَهُ.

حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ الضَّرَّارِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ فَاطِمَةَ وَالْعَبَّاسَ أَتَيَا أَبَا بَكْرٍ يَطْلُبَانِ مِيرَاثَهُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَهُمَا حِينَئِذٍ يَطْلُبَانِ أَرْضَهُ مِنْ فَدَكٍ، وَسَهْمَهُ مِنْ خَيْبَرٍ، فَقَالَ لَهُمَا أَبُو بَكْرٍ: أَمَّا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: [لَا نَوْرَ، مَا تَرَكَهُ فَهُوَ صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ فِي هَذَا الْمَالِ] وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَدْعُ أَمْرًا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَصْنَعُهُ إِلَّا صَنَعْتُهُ قَالَ:

فَهَجَرَتْهُ فَاطِمَةُ فَلَمْ تُكَلِّمْهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى مَاتَتْ، فَدَفَنَهَا عَلِيٌّ لَيْلًا، وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ وَكَانَ لِعَلِيٍّ وَجْهُ مِنَ النَّاسِ حَيَاةَ فَاطِمَةَ، فَلَمَّا تَوَفَّيَتْ فَاطِمَةُ انْصَرَفَتْ وَجْوهُ النَّاسِ عَنْ عَلِيٍّ، فَكَثُرَتْ فَاطِمَةُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص، ثُمَّ تَوَفَّيَتْ.

قَالَ مَعْمَرٌ: فَقَالَ رَجُلٌ لِلزُّهْرِيِّ: أَفَلَمْ يُبَايِعْهُ عَلِيٌّ سِتَّةَ أَشْهُرٍ! قَالَ:

لَا، وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، حَتَّى بَايَعَهُ عَلِيٌّ فَلَمَّا رَأَى عَلِيٌّ انْصِرَافَ وَجْوهِ النَّاسِ عَنْهُ ضَرَعَ إِلَى مُصَالَحَةِ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ: أَنْ ائْتِنَا وَلَا يَأْتِنَا مَعَكَ أَحَدٌ، وَكَرِهَ أَنْ يَأْتِيَهُ عُمَرُ لِمَا عَلِمَ مِنْ شِدَّةِ عُمَرُ، فَقَالَ عُمَرُ: لَا تَأْتِهِمْ وَحْدَكَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَلِلَّهِ لَا تَيْتَنَهُمْ وَحْدِي، وَمَا عَسَى أَنْ يَصْنَعُوا بِي! قَالَ: فَانْطَلَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَدَخَلَ عَلَى عَلِيٍّ، وَقَدْ جَمَعَ بَنِي هَاشِمٍ عِنْدَهُ، فَقَامَ عَلِيٌّ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنَا مِنْ أَنْ تُبَايِعَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ إِنْكَارُ لِفَضِيلَتِكَ، وَلَا نَفَاسَةُ عَلَيْكَ بِخَيْرِ سَاقِهِ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَلَكِنَّا نَرَى أَنَّ لَنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ حَقًّا، فَاسْتَبَدَدْتُمْ بِهِ عَلَيْنَا.

ثُمَّ ذَكَرَ قَرَابَتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص وَحَقَّهُمْ فَلَمْ يَزَلْ عَلِيٌّ يَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى بَكَى أَبُو بَكْرٍ.

فَلَمَّا صَمَتَ عَلِيٌّ تَشَهَّدَ أَبُو بَكْرٍ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَوَاللَّهِ لِقَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَلَوْتُ فِي هَذِهِ الْأَمْوَالِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ غَيْرَ الْخَيْرِ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: [لَا نُورَثُ، مَا تَرَكَنا فَهُوَ صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ فِي هَذَا الْمَالِ]، وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ لَا أَذْكُرُ أَمْرًا صَنَعَهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا صَنَعْتُهُ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ: مَوْعِدُكَ الْعَشِيَّةَ لِلْبَيْعَةِ، فَلَمَّا صَلَّى أَبُو بَكْرٍ الظُّهْرَ أَقْبَلَ

عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ عَذَرَ عَلِيًّا بِبَعْضِ مَا اعْتَذَرَ، ثُمَّ قَامَ عَلِيٌّ فَعَظَّمَ مِنْ حَقِّ أَبِي بَكْرٍ، وَذَكَرَ فَضِيلَتَهُ وَسَابِقَتَهُ، ثُمَّ مَضَى إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَبَايَعَهُ قَالَتْ: فَاقْبَلَ النَّاسُ إِلَى عَلِيٍّ فَقَالُوا: أَصَبْتَ وَأَحْسَنْتَ، قَالَتْ: فَكَانَ النَّاسُ قَرِيبًا إِلَى عَلِيٍّ حِينَ قَارَبَ الْحَقَّ وَالْمَعْرُوفَ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ صَفْوَانَ الثَّقَفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو قَتَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ - يَعْنِي ابْنَ مِغْوَلٍ - عَنْ ابْنِ الْحَرِّ، قَالَ: قَالَ أَبُو سُفْيَانَ لِعَلِيٍّ: مَا بَالُ هَذَا الْأَمْرِ فِي أَقْلٍ حَيٍّ مِنْ قُرَيْشٍ! وَاللَّهِ لَئِنْ شِئْتُ لَأَمْلَأَنَّهَا عَلَيْهِ خَيْلًا وَرِجَالًا! قَالَ: [فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، طَالَمَا عَادَيْتَ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ فَلَمْ تَضُرَّهُ بِذَلِكَ شَيْئًا! إِنَّا وَجَدْنَا أَبَا بَكْرٍ لَهَا أَهْلًا].

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَثْمَانَ الثَّقَفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ:

حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سُلَيْمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، قَالَ: لَمَّا اسْتَخْلَفَ أَبُو بَكْرٍ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا لَنَا وَلِأَبِي فَصِيلٍ، إِنَّمَا هِيَ بَنُو عَبْدِ مَنْفٍ! قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ وَلَّى ابْنَكَ، قَالَ: وَصَلْتُهُ رَحِمًا! حَدَّثْتُ عَنْ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَوَانَةُ، قَالَ: لَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ، أَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى عَجَاجَةً لَا يُطْفِئُهَا إِلَّا دَمٌ! يَا آلَ عَبْدِ مَنْفٍ فِيمَ أَبُو بَكْرٍ مِنْ أُمُورِكُمْ! أَيْنَ الْمُسْتَضْعَفَانِ! أَيْنَ الْأَذْلَانِ عَلَيَّ وَالْعَبَّاسُ! [وَقَالَ: أَبَا حَسَنِ! ابْسُطْ يَدَكَ حَتَّى أَبَايَعَكَ.

فَأَبَى عَلِيٌّ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ يَتَمَثَّلُ بِشَعْرِ الْمُتَلَبِّسِ:

وَلَنْ يُقِيمَ عَلَى خَسْفٍ يُرَادُ بِهِ ... إِلَّا الْأَذْلَانِ عِبرُ الْحَيِّ وَالْوَدَدُ

هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَعْكُوسٌ بِرُمَّتِهِ ... وَذَا يُشْجُ فَلَا يَبْكِي لَهُ أَحَدٌ

قَالَ: فَزَجَرَهُ عَلِيٌّ، وَقَالَ: إِنَّكَ وَاللَّهِ مَا أَرَدْتَ بِهَذَا إِلَّا الْفِتْنَةَ، وَإِنَّكَ وَاللَّهِ طَالَمَا بَغَيْتَ الْإِسْلَامَ شَرًّا! لَا حَاجَةَ لَنَا فِي نَصِيحَتِكَ]

قَالَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْقُرَشِيُّ، قَالَ: لَمَّا بُويعَ أَبُو بَكْرٍ، قَالَ أَبُو سَفْيَانَ لِعَلِيٍّ وَالْعَبَّاسُ: أَنْتُمَا الْأَذْلَانِ! ثُمَّ انْشَدَ يَمْتَثِلُ:
إِنَّ الْهَوَانَ حِمَارُ الْأَهْلِ يَعْرِفُهُ ... وَالْحَرِيكَهَ وَالرُّسْلَةَ الْأَجْدُ
وَلَا يُقِيمُ عَلَى ضِمٍّ يَرَادُ بِهِ ... إِلَّا الْأَذْلَانِ عِيرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ
هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَعْكُوسٌ بِرُمَّتِهِ ... وَذَا يَشْجُ فَلَا يَبْكِي لَهُ أَحَدٌ

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا بُويعَ أَبُو بَكْرٍ فِي السَّقِيفَةِ، وَكَانَ الْغَدُ، جَلَسَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَامَ عُمَرُ فَتَكَلَّمَ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَتَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ قُلْتُ لَكُمْ بِالْأَمْسِ مَقَالَةً مَا كَانَتْ إِلَّا عَنْ رَأْيِي، وَمَا وَجَدْتُهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلَا كَانَتْ عَهْدًا عَهْدُهُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ص، وَلَكِنِّي قَدْ كُنْتُ أَرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ سَيُذِيرُ أَمْرَنَا، حَتَّى يَكُونَ آخِرَنَا، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْقَى فِيكُمْ كِتَابَهُ الَّذِي هَدَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ هَذَا كَرَّمَ اللَّهُ لِمَا كَانَ هَدَاهُ لَهُ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَمَعَ أَمْرَكُمْ عَلَى خَيْرِكُمْ، صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ، وَثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ، فَقُومُوا فَبَايَعُوا فَبَايَعَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ بَيْعَةَ الْعَامَةِ بَعْدَ بَيْعَةِ السَّقِيفَةِ.

ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَتَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ:

أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي، وَإِنْ أَسَأْتُ فَقُومُونِي الصِّدْقُ أَمَانَةٌ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ، وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أُرِجَ عَلَيْهِ حَقُّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالْقَوِيُّ مِنْكُمْ الضَّعِيفُ عِنْدِي حَتَّى أَخَذَ الْحَقُّ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا يَدْعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْعُهُ قَوْمٌ إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللَّهُ بِالذِّلِّ، وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ قُومُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ رَحِمَكُمُ اللَّهُ!

ذكر جهاز رسول الله ص ودفنه

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَمْشِي مَعَ عُمَرَ فِي خِلَافَتِهِ، وَهُوَ عَامِدٌ إِلَى حَاجَةِ لَهُ، وَفِي يَدِهِ الدَّرَّةُ، وَمَا مَعَهُ غَيْرِي.

قَالَ وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ، وَيَضْرِبُ وَحْشِيَّ قَدَمَهُ بِدِرَّتِهِ، قَالَ إِذْ التَفْتُ إِلَى فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، هَلْ تَدْرِي مَا حَمَلَنِي عَلَى مَقَالَتِي هَذِهِ الَّتِي قُلْتُ حِينَ تَوَفَّى اللَّهُ رَسُولَهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا أَدْرِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْتَ أَعْلَمُ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنْ حَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ:

«وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا»، فَوَاللَّهِ إِنِّي كُنْتُ لَأُظَنُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ سَيَبْقَى فِي أُمَّتِهِ حَتَّى يَشْهَدَ عَلَيَّ بِآخِرِ أَعْمَالِهَا، فَإِنَّهُ لِلَّذِي حَمَلَنِي عَلَى أَنْ قُلْتُ مَا قُلْتُ

ذكر جهاز رسول الله ص ودفنه

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَلَمَّا بُويعَ أَبُو بَكْرٍ أَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى جِهَازِ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ، وَذَلِكَ الْغَدُ مِنْ وَفَاتِهِ ص.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا دُفِنَ بَعْدَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَقَدْ مَضَى ذِكْرُ بَعْضِ قَائِلِي ذَلِكَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَكَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَصْحَابِهِ، عَنْ مَنْ يُحَدِّثُهُ،

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَالْفَضْلَ بْنَ الْعَبَّاسِ وَقَتْمَ بْنَ الْعَبَّاسِ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَشَقْرَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ غُسِّلَهُ، وَإِنَّ أَوْسَ بْنَ خُوَيْلٍ أَحَدَ بَنِي عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ، قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: أَتَشَدُّكَ اللَّهُ يَا عَلِي، وَحَظْنَا مِنْ رَسُولِ

اللَّهِ! وَكَانَ أَوْسٌ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ، وَقَالَ: ادْخُلْ، فَدَخَلَ فَخَضَرَ غَسَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى صَدْرِهِ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ وَالْفَضْلُ وَقَتْمٌ هُمُ الَّذِينَ يَقْلُبُونَهُ مَعَهُ، وَكَانَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَشَقْرَانُ مَوْلِيَاهُ هُمَا اللَّذَانِ يَصْبَانِ الْمَاءَ، وَعَلِيُّ يَغْسِلُهُ قَدْ أَسْنَدَهُ إِلَى صَدْرِهِ، وَعَلَيْهِ فَيُصَبُّ يَدُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَقُولُ: بِأَيِّ أَنْتَ وَأَيُّي! مَا أَطْيَبَكَ حَيًّا وَمَيِّتًا! وَلَمْ يَرِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْءٌ مِمَّا يَرَى مِنَ الْمَيِّتِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَحْيَى ابْنِ عَبَّادٍ، عَنْ أَبِيهِ عَبَّادٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَغْسِلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا نَدْرِي أَتُجَرَّدُ رَسُولَ اللَّهِ مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا تُجَرَّدُ مَوْتَانَا، أَوْ نَغْسِلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ! فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أُلْقِيَ عَلَيْهِمُ السِّنَةُ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَذَقْنُهُ فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُتَكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ لَا يَدْرِي مَنْ هُوَ: أَنْ اغْسِلُوا النَّبِيَّ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ، قَالَتْ: فَقَامُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَغْسَلُوهُ وَعَلَيْهِ فَيُصَبُّونَ عَلَيْهِ الْمَاءَ فَوْقَ الْقَمِيصِ، وَيَدْلِكُونَهُ وَالْقَمِيصُ دُونَ أَيْدِيهِمْ. قَالَ: فَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ: لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا غَسَلَهُ إِلَّا نِسَاؤُهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ جَعْفَرِ ابْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، [عَنْ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنٍ، قَالَ: فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ غَسْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ: ثَوْبَيْنِ صَحَارِيِّينَ وَبُرْدِ حَبْرَةٍ، أُدْرِجَ فِيهَا إِدْرَاجًا]

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عِكْرَمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَحْفَرُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ يَضْرَحُ كَحْفَرِ أَهْلِ مَكَّةَ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ زَيْدُ ابْنِ سَهْلٍ هُوَ الَّذِي يَحْفَرُ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ يَلْحَدُ - فَدَعَا الْعَبَّاسُ رَجُلَيْنِ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا: اذْهَبْ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ، وَلِلْآخَرِ: اذْهَبْ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ، اللَّهُمَّ خَرِّ لِرَسُولِكَ، قَالَ: فَوَجَدَ صَاحِبُ أَبِي طَلْحَةَ أَبَا طَلْحَةَ جَاءَ بِهِ فَلَحَدَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ جِهَازِ رَسُولِ اللَّهِ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَضَعَ عَلَى سَرِيرِهِ فِي بَيْتِهِ، وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ، فَقَالَ قَائِلٌ:

نَدْفِنُهُ فِي مَسْجِدِهِ، وَقَالَ قَائِلٌ: يَدْفَنُ مَعَ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: [مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلَّا يَدْفَنُ حَيْثُ قُبِضَ،] فَرَفَعَ فِرَاشَ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي تَوَفَّى عَلَيْهِ، فَحَفَرَ لَهُ تَحْتَهُ، وَدَخَلَ النَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ يَصَلُّونَ عَلَيْهِ أَرْسَالًا، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ الرِّجَالُ أَدْخَلَ النِّسَاءُ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ النِّسَاءُ أَدْخَلَ الصِّبْيَانُ، ثُمَّ أَدْخَلَ الْعَبِيدُ، وَلَمْ يَوْمِ النَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ، ثُمَّ دَفَنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَطَ اللَّيْلِ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ بْنِ عُمَارَةَ، أَمْرَأَةَ عَبْدِ اللَّهِ - يَعْنِي ابْنَ أَبِي بَكْرٍ - عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زُرَّارَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: مَا عَلِمْنَا بِدَفْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى سَمِعْنَا صَوْتَ الْمَسَاحِي مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ الَّذِي نَزَلَ قَبْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ وَقَتْمُ بْنُ الْعَبَّاسِ وَشَقْرَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ قَالَ أَوْسُ بْنُ خُوَيْلٍ: أَتَشَدُّكَ اللَّهُ يَا عَلِي وَحَظْنَا

مِنْ رَسُولِ اللَّهِ! فَقَالَ لَهُ: أَنْزِلْ، فَنَزَلَ مَعَ الْقَوْمِ، وَقَدْ كَانَ شَقْرَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ حِينَ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي حُفْرَتِهِ، وَبُنِيَ عَلَيْهِ، قَدْ أَخَذَ قَطِيفَةً كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَلْبَسُهَا وَيَفْتَرِشُهَا، فَقَذَفَهَا فِي الْقَبْرِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَلْبَسُهَا أَحَدٌ بَعْدَكَ ابداً قَالَ: فدفت مع رسول الله ص.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ يَدْعِي أَنَّهُ أَحَدُ النَّاسِ عَهْدًا بِرَسُولِ اللَّهِ ص، وَيَقُولُ: أَخَذْتُ خَاتَمِي فَأَلْقَيْتُهُ فِي الْقَبْرِ، وَقُلْتُ: إِنَّ خَاتَمِي قَدْ سَقَطَ، وَإِنَّمَا طَرَحْتُهُ عَمْدًا لَامَسَ رَسُولُ اللَّهِ، فَأَكُونُ آخِرَ النَّاسِ بِهِ عَهْدًا حَدَّثَنِي ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ مِقْسَمِ أَبِي الْقَاسِمِ، مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ ابْنِ نَوْفَلٍ، عَنْ مَوْلَاهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: اعْتَمَرْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي زَمَانِ عُمَرَ - أَوْ زَمَانِ عُمَانَ - فَنَزَلَ عَلَى أُخْتِهِ أُمِّ هَانِئِ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ عُمْرَتِهِ رَجَعَ وَسَكَبَتْ لَهُ غُسْلًا فَاغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ [دَخَلَ عَلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَقَالُوا، يَا أَبَا الْحَسَنِ، جِئْنَا نَسْأَلُكَ عَنْ أَمْرِ نُحْبُ أَنْ تُخْبِرَنَا بِهِ! فَقَالَ: أَظُنُّ الْمُغِيرَةَ يُحَدِّثُكُمْ أَنَّهُ كَانَ أَحَدُ النَّاسِ عَهْدًا بِرَسُولِ اللَّهِ ص! قَالُوا: أَجَلْ، عَنْ ذَا جِئْنَا نَسْأَلُكَ! قَالَ: كَذَبَ، كَانَ أَحَدُ النَّاسِ عَهْدًا بِرَسُولِ اللَّهِ قُمْ بْنُ الْعَبَّاسِ] .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ صَالِحِ ابْنِ كَيْسَانَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص نَحِيصَةٌ سَوْدَاءُ حِينَ اشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ، قَالَتْ: فَهُوَ يَضَعُهَا مَرَّةً عَلَى وَجْهِهِ، وَمَرَّةً يَكْشِفُهَا عَنْهُ، [وَيَقُولُ قَاتِلَ اللَّهِ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ! يُحَذِّرُ ذَلِكَ عَلَى أُمَّتِهِ] .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ صَالِحِ ابْنِ كَيْسَانَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: [كَانَ آخِرَ مَا عَهِدَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَنَّهُ قَالَ: لَا يَتْرُكُ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَارٍ] .

قَالَتْ: وَتَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ص لاثْنَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ، فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرًا فَاسْتَكْمَلَ فِي هِجْرَتِهِ عَشْرَ سِنِينَ كَوَامِلَ.

واختلف في مبلغ سنه يوم توفى ص، فَقَالَ بعضهم: كَانَ لَهُ يَوْمئِذٍ ثَلَاثٌ وَسِتُونَ سَنَةً. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الْمُنْهَالِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ - يَعْنِي ابْنَ سَلَمَةَ - عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الْمُنْهَالِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: عَاشَ رَسُولُ اللَّهِ ص ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، يَقُولُ: أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرًا، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا، وَتَوَفَّى وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ الْعَسْقَلَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا آدَمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو جَمْرَةَ الضَّبْعِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ص وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ.

وقال آخرون: كَانَ لَهُ يَوْمئِذٍ خَمْسٌ وَسِتُونَ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني زياد بن أيوب، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، قال: قبض النبي ص وهو ابن خمس وستين.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا معاذ بن هشام، قال: حدثني أبي، عن قتادة، عن الحسن، عن دغفل - يعني ابن حنظلة - ان النبي ص توفي وهو ابن خمس وستين سنة.

وقال آخرون: بل كان له يومئذ ستون سنة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا حجاج، قال: حدثنا حماد، قال:

حدثنا عمرو بن دينار، عن عروة بن الزبير، قال: بعث رسول الله ص وهو ابن أربعين، ومات وهو ابن ستين. حدثنا الحسين بن نصر، قال: أخبرنا عبيد الله، قال: أخبرنا شيبان، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، قال: حدثني عائشة وابن عباس، ان رسول الله ص لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة عشرة

ذكر الخبر عن اليوم والشهر اللذين توفي فيهما رسول الله ص

ذكر الخبر عن اليوم والشهر اللذين توفي فيهما رسول الله ص

قال أبو جعفر: حدثنا عبد الرحمن بن الوليد الجرجاني، قال:

حدثنا أحمد بن أبي طيبة، قال: حدثنا عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، ان النبي ص استعمل أبا بكر على الحج سنة تسع، فأراهم مناسكهم، فلما كان العام المقبل حج رسول الله ص حجة الوداع سنة عشر، وصدر إلى المدينة، وقبض في ربيع الأول.

حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: حدثنا موسى بن داود، عن ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن حنش الصنعاني، عن ابن عباس، قال: ولد النبي ص يوم الاثنين، واستنئى يوم الاثنين، ورفع الحجر يوم الاثنين، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، وقدم المدينة يوم الاثنين، وقبض يوم الاثنين.

حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم، قال: حدثنا عبد الرحمن بن شريك، قال: حدثني أبي، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم، عن أبيه، قال: توفي رسول الله ص في شهر ربيع الأول في اثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين ودفن ليلة الأربعاء.

حدثني أحمد بن عثمان، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، أنه دخل عليه فقال لامرأته فاطمة: حدثني محمد ما سمعت من عمرة بنت عبد الرحمن.

فقلت: سمعت عمرة تقول: سمعت عائشة تقول: دفن نبي الله ص ليلة الأربعاء، وما علمنا به حتى سمعنا صوت المساحي

ذكر الخبر عما جرى بين المهاجرين والانصار في امر الإمارة في سقيفه بني ساعده

ذكر الخبر عما جرى بين المهاجرين والانصار في أمر الإمارة في سقيفة بني ساعدة

حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي مَخْنَفٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَبِضَ اجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَقَالُوا: نُولِي هَذَا الْأَمْرَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ، وَأَخْرَجُوا سَعْدًا إِلَيْهِمْ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَالَ لَابْنُهُ أَوْ بَعْضُ بَنِي عَمِّهِ: إِنِّي لَا أَقْدِرُ لَشُكْوَايَ أَنْ أَسْمَعَ الْقَوْمَ كُلَّهُمْ كَلَامِي، وَلَكِنْ تَلِقْ مِنِّي قَوْلِي فَأَسْمَعَهُمْ، فَكَانَ يَتَكَلَّمُ وَيَحْفَظُ الرَّجُلُ قَوْلَهُ، فَيَرْفَعُ صَوْتَهُ فَيَسْمَعُ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، لَكُمْ سَابِقَةٌ فِي الدِّينِ وَفَضِيلَةٌ فِي الْإِسْلَامِ لَيْسَتْ لِقَبِيلِهِ مِنَ الْعَرَبِ، إِنْ مُحَمَّدًا عَ لَبِثَ بَضْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ فِي قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ الرَّحْمَنِ وَخَلَعَ الْأَنْدَادَ وَالْأَوْثَانَ، فَمَا آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا رَجَالٌ قَلِيلٌ، وَكَانَ مَا كَانُوا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَمْنَعُوا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا أَنْ يَعُزُّوا دِينَهُ، وَلَا أَنْ يَدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ضَيْمًا عَمُوا بِهِ، حَتَّى إِذَا أَرَادَ بِكُمْ الْفَضِيلَةَ، سَاقَ إِلَيْكُمْ الْكِرَامَةَ وَخَصَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ، فَرَزَقَكُمْ اللَّهُ الْإِيمَانَ بِهِ وَرَسُولَهُ، وَالْمَنْعَ لَهُ وَأَصْحَابَهُ، وَالْإِعْزَازَ لَهُ وَلَدِينَهُ، وَالْجِهَادَ لِأَعْدَائِهِ، فَكُنْتُمْ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَى عَدُوهِ مِنْكُمْ، وَأَثْقَلَهُ عَلَى عَدُوهِ مِنْ غَيْرِكُمْ، حَتَّى اسْتَقَامَتِ الْعَرَبُ لِأَمْرِ اللَّهِ طَوْعًا وَكَرْهًا، وَأَعْطَى الْبَعِيدَ الْمَقَادَةَ صَاحِرًا دَاخِرًا، حَتَّى أَثْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ بِكُمْ الْأَرْضَ، وَدَانَتْ بِأَسْيَافِكُمْ لَهُ الْعَرَبُ، وَتَوَفَاهُ اللَّهُ وَهُوَ عَنْكُمْ رَاضٍ، وَبِكُمْ قَرِيرَ عَيْنٍ اسْتَبَدُّوا بِهَذَا الْأَمْرِ فَإِنَّهُ لَكُمْ دُونَ النَّاسِ.

فَأَجَابُوهُ بِأَجْمَعِهِمْ: أَنْ قَدْ وَفَّقْتَ فِي الرَّأْيِ وَأَصَبْتَ فِي الْقَوْلِ، وَلَنْ نَعْدُو مَا رَأَيْتَ، وَنُولِيكَ هَذَا الْأَمْرَ، فَإِنَّكَ فِينَا مَقْنَعٌ وَلِصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ رِضًا ثُمَّ إِنَّهُمْ تَرَادَوْا الْكَلَامَ بَيْنَهُمْ، فَقَالُوا: فَإِنْ أَبَتْ مَهَاجِرَةُ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا:

نَحْنُ الْمُهَاجِرُونَ وَصَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ الْأَوَّلُونَ، وَنَحْنُ عَشِيرَتُهُ وَأَوْلِيَائِهِ، فَعَلَامَ تَنَازَعُونَا هَذَا الْأَمْرَ بَعْدَهُ! فَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: فَإِنَّا نَقُولُ إِذَا:

مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، وَلَنْ نَرْضَى بِدُونِ هَذَا الْأَمْرِ أَبَدًا فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ حِينَ سَمِعَهَا: هَذَا أَوَّلُ الْوَهْنِ! وَأَتَى عُمَرَ الْخَبَرَ، فَأَقْبَلَ إِلَى مَنْزِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَأَبُو بَكْرٍ فِي الدَّارِ وَعَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَ دَائِبٍ فِي جِهَازِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَخْرُجَ إِلَيَّ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: إِنِّي مُشْتَغَلٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ لَا يَدْرِي مِنْ حُضُورِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْأَنْصَارَ قَدْ اجْتَمَعُوا فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، يَرِيدُونَ أَنْ يُولُوا هَذَا الْأَمْرَ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ، وَأَحْسَنُهُمْ مَقَالَةً مَنْ يَقُولُ: مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْ قُرَيْشٍ أَمِيرٌ! فَضَيَّا مُسْرِعِينَ نَحْوَهُمْ، فَلَقِيَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ، فَمَا شَاؤُوا إِلَيْهِمْ ثَلَاثَتَهُمْ، فَلَقِيَهُمْ عَاصِمُ بْنُ عَدِي وَعُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ، فَقَالَا لَهُمْ: ارْجِعُوا فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ مَا تَرِيدُونَ، فَقَالُوا:

لَا نَفْعَ، فُجَاءُوا وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَتَيْنَاهُمْ - وَقَدْ كُنْتُ زُورْتُ كَلَامًا أَرَدْتُ أَنْ أَقُومَ بِهِ فِيهِمْ - فَلَمَّا أَنْ دَفَعْتُ إِلَيْهِمْ ذَهَبْتُ لِأُبَدِئُ الْمُنْطِقَ، فَقَالَ لِي أَبُو بَكْرٍ: رَوَيْدَا حَتَّى أَتَكَلَّمَ ثُمَّ انْطَقَ بَعْدَ مَا أَحْبَبْتَ فَنَطَقَ، فَقَالَ عُمَرُ: فَمَا شَيْءٌ كُنْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَهُ إِلَّا وَقَدْ أَتَى بِهِ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ.

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: فَبَدَأَ أَبُو بَكْرٍ، حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنْ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا رَسُولًا إِلَى خَلْقِهِ، وَشَهِيدًا عَلَى أُمَّتِهِ، لِيَعْبُدُوا اللَّهَ وَيُوحِدُوهُ وَهُمْ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً شَتَّى، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا لَهُمْ عِنْدَهُ شَافِعَةٌ، وَلَهُمْ نَافِعَةٌ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ حَجَرٍ مَنْحُوتٍ، وَخَشَبٍ مَنْجُورٍ، ثُمَّ قَرَأَ: «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ»، وَقَالُوا: «مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى»، فَعَظَّمَ عَلَى الْعَرَبِ أَنْ يَتْرَكُوا دِينَ آبَائِهِمْ، فَخَصَّ اللَّهُ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ

قَوْمِهِ بِتَصَدِيقِهِ، وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَالْمُؤَاسَاةِ لَهُ، وَالصَّبْرِ مَعَهُ عَلَى شِدَّةِ أَذَى قَوْمِهِمْ لَهُمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُمْ، وَكُلِّ النَّاسِ لَهُمْ مُخَالَفٍ، زَارَ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَسْتَوْحِشُوا لِقَلَّةِ عِدَدِهِمْ وَشَنَفِ النَّاسِ لَهُمْ، وَإِجْمَاعِ قَوْمِهِمْ عَلَيْهِمْ، فَهُمْ أَوَّلُ مَنْ عِبَدَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَآمَنَ بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ، وَهُمْ أَوْلِيَائِهِ وَعَشِيرَتُهُ، وَأَحَقُّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ، وَلَا يَنَازِعُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا ظَالِمٌ، وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، مَنْ لَا يَنْكُرُ فَضْلَهُمْ فِي الدِّينِ، وَلَا سَابِقَتَهُمُ الْعَظِيمَةَ فِي الْإِسْلَامِ، رَضِيَكُمْ اللَّهُ أَنْصَارًا لَدِينِهِ وَرَسُولِهِ، وَجَعَلَ إِلَيْكُمْ هِجْرَتَهُ، وَفِيكُمْ جِلَّةَ أَزْوَاجِهِ وَأَصْحَابِهِ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ عِنْدَنَا أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِكُمْ، فَنَحْنُ الْأَمْرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ، لَا تَفْتَاتُونَ بِمَشُورَةٍ، وَلَا نَقْضِي دُونَكُمْ الْأُمُورَ.

قَالَ: فقام الحباب بن المنذر بن الجوح، فَقَالَ: يا معشر الأنصار، املكوا عليكم أمركم، فإن الناس في فيئكم وفي ظلكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم، أنتم أهل العز والثروة، وأولو العدد والمنعة والتجربة، ذوو البأس والنجدة، وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون، ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم، وينتقض عليكم أمركم، فإن أبي هؤلاء إلا ما سمعتم، فإنا أمير ومنهم أمير. فَقَالَ عمر: هيات لا يجتمع اثنان في قرن! والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم وبنبيها من غيركم، ولكن العرب لا تمتنع أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم وولي أمورهم منهم، ولنا بذلك على من أبي من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل، أو متجانف لاثم، ومتورط في هلكة! فقام الحباب بن المنذر فَقَالَ: يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتهم، فاجلوهم عن هذه البلاد، وتولوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم، فانه بأسيا فكم دان لهذا الذين من دان ممن لم يكن يدين أنا جديها المحكك، وعديتها المرجب! أما والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة، فَقَالَ عمر: إذا يقتلك الله! قَالَ: بل إياك يقتل! فَقَالَ أبو عبيدة: يا معشر الأنصار، إنكم أول من نصر وآزر، فلا تكونوا أول من بدل وغير.

فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فَقَالَ: يا معشر الأنصار، إنا والله لئن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا، والكبح لأنفسنا، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك، ولا نبتغي به من الدنيا عرضا، فإن الله ولي المنة علينا بذلك، ألا ان محمدا ص من قريش، وقومه أحق به وأولى وإيم الله لا يراني الله أنزعهم هذا الأمر أبدا، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم! فَقَالَ أبو بكر: هذا عمر، وهذا أبو عبيدة، فأيهما شئتم فبايعوا فقالوا:

لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك، فإنك أفضل المهاجرين وثاني اثنين إذ هما في الغار، وخليفة رسول الله على الصلاة، والصلاة أفضل دين المسلمين، فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك! ابسط يدك نبايعك.

فلما ذهب لبايعاه، سبقهما إليه بشير بن سعد، فبايعه، فداده الحباب ابن المنذر: يا بشير بن سعد: عقتك عقاق، ما أحوجك إلى ما صنعت، أنفست على ابن عمك الإمارة! فَقَالَ: لا والله، ولكني كرهت أن أنزع قوما حقا جعله الله لهم.

ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد، وما تدعو إليه قريش، وما تطلب الخرج من تأمير سعد بن عباد، قال بعضهم لبعض، وفيهم اسيد ابن حضير- وكان أحد النقباء: والله لئن وليتها الخرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا أبدا، فقوموا فبايعوا

أبا بكر فقاموا إليه فبايعوه، فانكسر على سعد بن عباد وعلى الخرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم.

قَالَ هشام: قَالَ أبو مخنف: فحدثني أبو بكر بن محمد الخزازي، أن أسلم أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السكك، فبايعوا أبا بكر، فكان عمر يقول: ما هو إلا أن رأيت أسلم، فأيقنت بالنصر.

قَالَ هشام، عن أبي مخنف: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: فأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر، وكادوا يطئون سعد بن عباد، فَقَالَ ناس من أصحاب سعد: اتقوا سعدا لا تطئوه، فَقَالَ عمر: اقتلوه قتله الله! ثُمَّ قام على رأسه، فَقَالَ: لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضدك، فأخذ سعد بلحية عمر، فَقَالَ: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة، فَقَالَ أبو بكر: مهلا يا عمر! الرفق هاهنا أبلغ فأعرض عنه عمر وقال سعد: أما والله لو أن بي قوة ما، أقوى على النهوض، لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيرا يحرك وأصحابك، أما والله إذا لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع! احملوني من هذا المكان، فحملوه فأدخلوه في داره، وترك أياما ثُمَّ بعث إليه أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك، فَقَالَ: أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبي، وأخضب سنان رمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي، فلا أفعل، وإيم الله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم، حتى أعرض على ربي، وأعلم ما حسابي.

فلما أتى أبو بكر بذلك قال له عمر: لا تدعه حتى يباع فقال له بشير بن سعد: إنه قد لج وأبى، وليس بمبايعكم حتى يقتل، وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته، فاتركوه فليس تركه بضاركم، إنما هو رجل واحد فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد واستنصحوه لما بدا لهم منه،

ذكر امر ابى بكر في أول خلافته

فكان سعد لا يصلي بصلاتهم، ولا يجمع معهم ويحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم، فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر رحمه الله. حدثنا عبيد الله بن سعد، قال: حدثنا عمي، قال: أخبرنا سيف ابن عمر، عن سهل وأبي عثمان، عن الضحاک بن خليفة، قال: لما قام الحباب ابن المنذر انتضى سيفه، وقال: أنا جدي لها المحكك وعذيقها المرجب، أنا أبو شبل في عريسة الأسد، يعزى إلى الأسد فأمله عمر فضرب يده، فندر السيف، فأخذه ثم وثب على سعد ووثبوا على سعد، وتنازع القوم على البيعة، وبيع سعد، وكانت فلتة كفلات الجاهلية، قام أبو بكر دونها وقال قائل حين أوطئ سعد: قتلتم سعدا، فقال عمر: قتله الله! إنه منافق، واعترض عمر بالسيف صخرة فقطعه.

حدثنا عبيد الله بن سعيد، قال: حدثني عمي يعقوب، قال: حدثنا سيف، عن مبشر، عن جابر، قال: قال سعد بن عباد يومئذ لأبي بكر:

إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ حَسَدْتُمُونِي عَلَى الْإِمَارَةِ، وَإِنَّكُمْ وَقَوْمِي أَجَبَرْتُمُونِي عَلَى الْبَيْعَةِ، فَقَالُوا: إِنَّا لَوْ أَجَبَرْنَاكَ عَلَى الْفُرْقَةِ فَصَرْتَ إِلَى الْجَمَاعَةِ كُنْتَ فِي سَعِهِ، وَلَكِنَّا أَجَبَرْنَا عَلَى الْجَمَاعَةِ، فَلَا إِقَالَةَ فِيهَا، لَئِنْ نَزَعْتَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، أَوْ فَرَّقْتَ جَمَاعَةً، لَنُضِرَّ بِكَ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاكَ.

. ذكر امر ابى بكر في أول خلافته

حدثنا عبيد الله بن سعد، قال: أخبرنا عمي، قال: حدثنا سيف - وحدثني السري بن يحيى، قال: حدثنا شعيب بن إبراهيم، عن سيف بن عمر - عن أبي حمزة، عن أبيه، عن عاصم بن عدي، قال: نادى منادي أبي بكر، من بعد الغد من متوفى رسول الله ص:

لَيْتُمْ بَعَثْتُ أُسَامَةَ، أَلَا لَا يَبْقَيْنَ بِالْمَدِينَةِ أَحَدٌ مِنْ جُنْدِ أُسَامَةَ إِلَّا خَرَجَ إِلَى عَسْكَرِهِ بِالْجُرْفِ وَقَامَ فِي النَّاسِ، حَمْدَ اللَّهِ وَأَثْنِي عَلَيْهِ وَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا مِثْلُكُمْ، وَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلَّكُمْ سَتَكَلَّفُونِي مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يُطِيقُ، إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ وَعَصَمَهُ مِنَ الْآفَاتِ، وَإِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ، فَإِنْ اسْتَقَمْتُ فَتَابِعُونِي، وَإِنْ زُغْتُ فَاقْوَمُونِي، وَإِنْ رَسُلُ اللَّهِ ص قُبِضَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَطْلُبُهُ بِمُظْلَمَةٍ ضَرَبَهُ سَوْطٌ فَمَا دُونَهَا، أَلَا وَإِنَّ لِي شَيْطَانًا يَعْتَرِينِي، فَإِذَا أَتَانِي فَاجْتَنِبُونِي، لَا أُؤْثِرُ فِي أَشْعَارِكُمْ وَأَبْشَارِكُمْ، وَأَنْتُمْ تَعْدُونَ وَتَرْوَحُونَ فِي أَجَلٍ قَدْ غِيبَ عَنْكُمْ عِلْمُهُ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَلَا يَمْضِي هَذَا الْأَجَلُ إِلَّا وَأَنْتُمْ فِي عَمَلٍ صَالِحٍ فَافْعَلُوا، وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَسَابِقُوا فِي مَهْلِ آجَالِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُسَلِّمَ آجَالُكُمْ إِلَى انْقِطَاعِ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ قَوْمًا نَسُوا آجَالَهُمْ، وَجَعَلُوا أَعْمَالَهُمْ لِغَيْرِهِمْ، فَأَيَّاكُمْ أَنْ تَكُونُوا أَمْثَلَهُمُ الْجَدَّ الْجَدَّ! وَالْوَحَا الْوَحَا! وَالنَّجَاءُ النَّجَاءُ! فَإِنَّ وَرَاءَكُمْ طَالِبًا حَثِيثًا، أَجَلًا مَرُّهُ سَرِيعٌ أَحْذَرُوا الْمَوْتَ، وَاعْتَبَرُوا بِالْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانِ، وَلَا تَغْطُوا الْأَحْيَاءَ إِلَّا بِمَا تَغْطُونَ بِهِ الْأَمْوَاتَ.

وَقَامَ أَيْضًا حَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنِي عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَا أُريدَ بِهِ وَجْهَهُ، فَأَرِيدُوا اللَّهَ بِأَعْمَالِكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا أَخْلَصْتُمْ لِلَّهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَطَاعَةُ أَتَيْتُمُوهَا، وَخَطَأُ ظَفَرْتُمْ بِهِ، وَضَرَائِبُ أَدَيْتُمُوهَا، وَسَلَفَ قَدَمْتُمُوهُ مِنْ أَيَّامٍ فَانِيَةٍ لِأُخْرَى بَاقِيَةٍ، لِحِينٍ فَقَرَّكُمْ وَحَاجَّتْكُمْ اعْتَبَرُوا عِبَادَ اللَّهِ بِمَنْ مَاتَ مِنْكُمْ، وَتَفَكَّرُوا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَيْنَ كَانُوا أَمْسَ، وَأَيْنَ هُمْ الْيَوْمَ! أَيْنَ الْجَبَّارُونَ! وَأَيْنَ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ ذِكْرُ الْقِتَالِ وَالْغَلْبَةِ فِي مَوَاطِنِ الْحُرُوبِ! قَدْ تَضَعُضِعُ بِهِمُ الدَّهْرُ، وَصَارُوا رَمِيمًا، قَدْ تَرَكْتَ عَلَيْهِمُ الْقَالَاتُ، الْخَبِيثَاتُ

لِخَبِيثِينَ، وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَإِنَّ الْمُلُوكَ الَّذِينَ أَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا، قَدْ بَعْدُوا وَلَيْسَ ذِكْرُهُمْ، وَصَارُوا كَلَّا شَيْءَ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْقَى عَلَيْهِمُ التَّبِعَاتِ، وَقَطَعَ عَنْهُمْ الشَّهَوَاتِ، وَمَضَوْا وَالْأَعْمَالُ أَعْمَالُهُمْ، وَالْدُّنْيَا دُنْيَا غَيْرِهِمْ، وَبَقِينَا خَلْقًا بَعْدَهُمْ، فَإِنْ نَحْنُ اعْتَبَرْنَا بِهِمْ نَجُونَا، وَإِنْ اغْتَرَرْنَا كَمَا مَثَلُهُمْ! أَيْنَ الْوُضَاءُ الْحَسَنَةُ وَجُوهُهُمْ، الْمَعْجُونَ بِشَبَابِهِمْ! صَارُوا تَرَابًا، وَصَارَ مَا فَرَطُوا فِيهِ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ! أَيْنَ الَّذِينَ بَنَوْا الْمَدَائِنَ وَحَصَّنُوهَا بِالْحَوَائِطِ، وَجَعَلُوا فِيهَا الْأَعَاجِيبَ! قَدْ تَرَكُوهَا

لِمَنْ خَلْفَهُمْ، فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ خَاوِيَةٌ، وَهُمْ فِي ظِلْمَاتِ الْقُبُورِ، هَلْ نَحْسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا! أَيْنَ مَنْ تَعْرِفُونَ مِنْ أَبْنَائِكُمْ وَأَخْوَانِكُمْ، قَدْ انْتَهَتْ بِهِمْ أَجَالُهُمْ، فَوَرَدُوا عَلَى مَا قَدَّمُوا لِحُلُوهَا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا لِلشَّقْوَةِ وَالسَّعَادَةِ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ سَبَبٌ يُعْطِيهِ بِهِ خَيْرًا، وَلَا يَصْرِفُ عَنْهُ بِهِ سُوءًا، إِلَّا بِطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَعِلْمُوا أَنَّكُمْ عِبِيدُ مَدِينُونَ، وَأَنَّ مَا عِنْدَهُ لَا يَدْرِكُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ، أَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ، وَلَا شَرٍّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ.

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمِّي، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَيْفٌ - وَحَدَّثَنِي السَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سَيْفٌ - عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا بُويعَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجَمَعَ الْأَنْصَارُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي اقْتَرَقُوا فِيهِ، قَالَ: لَيْتَمَ بَعَثَ أُسَامَةَ، وَقَدْ ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ، إِمَامًا عَامَةً وَإِمَامًا خَاصَةً فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ، وَنَجَمَ النِّفَاقُ، وَاشْرَبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَالْمُسْلِمُونَ كَالْغَنَمِ فِي اللَّيْلَةِ الْمُطِيرَةِ الشَّاتِيَةِ، لَفَقَدَ نَبِيَهُمْ صَ وَقَلَّتْهُمْ، وَكَثُرَ عَدُوُّهُمْ فَقَالَ لَهُ النَّاسُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ جُلُّ الْمُسْلِمِينَ وَالْعَرَبِ - عَلَى مَا تَرَى - قَدْ انْتَقَضَتْ بِكَ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَفْرُقَ عَنْكَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي بَكْرٍ بِيَدِهِ، لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّ السِّيَاحَ تَخَطَّفَنِي لَأَنْفَذْتُ بَعَثَ أُسَامَةَ كَمَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ص، وَلَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الْقُرَى غَيْرِي لَأَنْفَذْتُهُ! حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَيْفٌ - وَحَدَّثَنِي السَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَيْفٌ - عَنْ عَطِيَّةٍ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ عَلِيٍّ، وَعَنْ الضَّحَّاكِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَا: ثُمَّ اجْتَمَعَ مِنْ حَوْلِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْقَبَائِلِ الَّتِي غَابَتْ فِي عَامِ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَخَرَجُوا وَخَرَجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فِي جُنْدِ أُسَامَةَ، فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ مَنْ بَقِيَ مِنْ تِلْكَ الْقَبَائِلِ الَّتِي كَانَتْ لَهُمُ الْمَجْرَةُ فِي دِيَارِهِمْ، فَصَارُوا مَسَاحَ حَوْلَ قَبَائِلِهِمْ وَهُمْ قَلِيلٌ.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَيْفٌ - وَحَدَّثَنِي السَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَيْفٌ - عَنْ أَبِي ضَمْرَةَ وَأَبِي عَمْرٍو وَغَيْرِهِمَا، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، قَالَ: ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَبْلَ وَفَاتِهِ بَعْثًا عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ، وَفِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ أُسَامَةَ بْنُ زَيْدٍ فَلَمْ يُجَاوِزْ آخِرَهُمْ الْخَنْدَقَ، حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَوَقَفَ أُسَامَةُ بِالنَّاسِ، ثُمَّ قَالَ لِعُمَرَ: ارْجِعْ إِلَى خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ فَاسْتَأْذِنْهُ، يَأْذَنُ لِي أَنْ أَرْجِعَ بِالنَّاسِ، فَإِنَّ مَعِيَ وَجُوهَ النَّاسِ وَحَدَّهُمْ، وَلَا أَمْنُ عَلَى خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ وَاتَّقَالَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَخْطَفَهُمُ الْمُشْرِكُونَ وَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: فَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ نَمْضِيَ فَأَبْلَغُهُ عَنَّا، وَاطْلُبْ إِلَيْهِ أَنْ يُؤَلِّيَ أَمْرَنَا رَجُلًا أَقْدَمَ سِنًا مِنْ أُسَامَةَ.

فَخَرَجَ عُمَرُ بِأَمْرِ أُسَامَةَ، وَاتَّى أَبَا بَكْرٍ فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ أُسَامَةُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ، لَوْ خَطَفَتْنِي الْكِلَابُ وَالذِّئَابُ لَمْ أَرُدَّ قَضَاءَ قَضَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ص! قَالَ: فَإِنَّ الْأَنْصَارَ أَمَرُونِي أَنْ أَبْلَغَكَ، وَإِنَّهُمْ يَطْلُبُونَ إِلَيْكَ أَنْ تُؤَلِّيَ أَمْرَهُمْ رَجُلًا أَقْدَمَ سِنًا مِنْ أُسَامَةَ، فَوَثَبَ أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ جَالِسًا - فَأَخَذَ بِلُحْيَةِ عُمَرَ، فَقَالَ لَهُ: ثَكِلَتْكَ أَمْلَكَ وَعَدَمْتُكَ يَا بَنَ الْخَطَّابِ! اسْتَعْمَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ص وَتَأْمُرَنِي أَنْ أَنْزِعَهُ! فَخَرَجَ عُمَرُ إِلَى النَّاسِ فَقَالُوا لَهُ:

مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: امْضُوا، ثَكِلَتْكُمْ أَمْهَاتُكُمْ! مَا لَقِيتُ فِي سَبِيكُمْ مِنْ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ! ثُمَّ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَتَاهُمْ، فَأَشْخَصَهُمْ وَشَاعَهُمْ

وَهُوَ مَاشٍ وَأُسَامَةُ رَاكِبٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يَقُودُ دَابَّةَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ أُسَامَةُ:
يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَتَرَكِبَنَّ أَوْ لَا تَزِلَنَّ! فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا تَزِلُّ وَوَاللَّهِ لَا أُرَكِبُ! وَمَا عَلَيَّ أَنْ أُغَيِّرَ قَدَمِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَاعَةً، فَإِنَّ
لِلْغَازِي بِكُلِّ خَطْوِهِ يَخْطُوهَا سَبْعُمِائَةَ حَسَنَةٍ تَكْتُبُ لَهُ، وَسَبْعُمِائَةَ دَرَجَةٍ تَرْتَفِعُ لَهُ، وَتَرْفَعُ عَنْهُ سَبْعُمِائَةَ خَطِيئَةٍ! حَتَّى إِذَا انْتَهَى قَالَ: إِنْ
رَأَيْتَ أَنْ تُعِينَنِي بِعَمْرٍ فَافْعَلْ! فَأَذِنَ لَهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قِفُوا أَوْصِيَكُمْ بِعَشْرٍ فَاحْفَظُوهَا عَنِّي:
لَا تَخُونُوا وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا طِفْلاً صَغِيراً، وَلَا شَيْخاً كَبِيراً وَلَا امْرَأَةً، وَلَا تَعْقِرُوا نَخْلاً وَلَا تُحْرِقُوا، وَلَا تَقْطَعُوا
شَجَرَةً

بقية الخبر عن امر الكذاب العنسي

مُثْمَرَةً، وَلَا تَذْبَحُوا شَاةً وَلَا بَقَرَةً وَلَا بَعِيراً إِلَّا لِمَا كَلَّهَ، وَسَوْفَ تَمْرُونَ بِأَقْوَامٍ قَدْ فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِ، فَدَعُوهُمْ وَمَا فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ
لَهُ، وَسَوْفَ تَقْدَمُونَ عَلَى قَوْمٍ يَأْتُونَكُمْ بِأَنِيَةٍ فِيهَا أَلْوَانُ الطَّعَامِ، فَإِذَا أَكَلْتُمْ مِنْهَا شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا وَتَلْقَوْنَ أَقْوَاماً قَدْ
حَفِصُوا أَوْسَاطَ رُءُوسِهِمْ وَتَرَكَوا حَوْلَهَا مِثْلَ الْعَصَائِبِ، فَاحْفَظُوهُمْ بِالسَّيْفِ حَقّاً أَنْدَفِعُوا بِاسْمِ اللَّهِ، أُنَاكُمْ اللَّهُ بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ.
حَدَّثَنِي السَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَيْفٌ - وَأَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنَا سَيْفٌ - عَنْ هِشَامِ بْنِ
عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى الْجُرْفِ، فَاسْتَقَرَّ أُسَامَةُ وَبَعَثَهُ، وَسَأَلَهُ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ، وَقَالَ لَهُ: اصْنَعْ مَا أَمَرَكَ بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ
ص، ابْدَأْ بِلَادِ قِضَاعِهِ ثُمَّ آتِ آبِلَ، وَلَا تُقْصِرَنَّ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَلَا تَعْجَلَنَّ لِمَا خَلَفْتَ عَنْ عَهْدِهِ فَمَضَى أُسَامَةُ مُغْذًى
عَلَى ذِي الْمُرَّةِ وَالْوَادِي، وَانْتَهَى إِلَى مَا أَمَرَهُ بِهِ النَّبِيُّ ص مِنْ بَيْتِ الْخَيُْولِ فِي قَبَائِلِ قِضَاعَةٍ وَالْعَارَةِ عَلَى آبِلَ، فَسَلِمَ وَغَنِمَ، وَكَانَ فَرَاغُهُ
فِي أَرْبَعِينَ يَوْماً سِوَى مُقَامِهِ وَمَنْقَلَبِهِ رَاجِعاً.
حَدَّثَنِي السَّرِيُّ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ سَيْفٍ - وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَمِّي، قَالَ: أَخْبَرَنَا سَيْفٌ - عَنْ مُوسَى بْنِ
عُقْبَةَ، عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ.
وَعَنْهُمَا، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عَطَاءِ الْخُرَّاسَانِيِّ مِثْلَهُ.

بقية الخبر عن امر الكذاب العنسي

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص جَمَعَ - فِيمَا بَلَّغْنَا - لِبَادَامٍ حِينَ أَسْلَمَ وَأَسْلَمَتِ الْيَمَنُ عَمَلَ الْيَمَنِ كُلِّهَا، وَأَمَرَهُ عَلَى جَمِيعِ مَخَالِفِهَا، فَلَمْ يَزَلْ عَامِلَ رَسُولِ
اللَّهِ
ص أَيَّامَ حَيَاتِهِ، فَلَمْ يَعْزِلْ عَنْهَا وَلَا عَنْ شَيْءٍ مِنْهَا، وَلَا أَشْرَكَ مَعَهُ فِيهَا شَرِيكاً حَتَّى مَاتَ بِأَدَامَ، فَلَمَّا مَاتَ فَرَّقَ عَمَلُهَا بَيْنَ جَمَاعَةٍ مِنْ
أَصْحَابِهِ.
حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنَا سَيْفٌ - وَحَدَّثَنِي السَّرِيُّ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ بْنُ إِبْرَاهِيمَ،
عَنْ سَيْفٍ - قَالَ: حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ يُونُسَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ صَخْرٍ ابْنِ لَوْذَانَ الْأَنْصَارِيِّ السُّلَمِيِّ - وَكَانَ فِيمَنْ بَعَثَ النَّبِيُّ ص مَعَ
عَمَالِ الْيَمَنِ فِي سَنَةِ عَشْرٍ بَعْدَ مَا جَجَّ حَجَّةَ التَّمَامِ: وَقَدْ مَاتَ بِأَدَامَ، فَلِذَلِكَ فَرَّقَ عَمَلُهَا بَيْنَ شَهْرٍ بِأَدَامَ، وَعَامِرِ بْنِ شَهْرِ الْأَهْمَدَانِيِّ، وَعَبْدِ اللَّهِ
بْنِ قَيْسٍ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، وَخَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، وَالطَّاهِرِ بْنِ أَبِي هَالَةَ، وَيَعْلَى بْنِ أَمِيهِ، وَعُمَرَ بْنِ حَزْمٍ، وَعَلَى بِلَادِ حَضْرَمَوْتَ
زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الْبِيَاضِيَّ وَعُكَّاشَةَ بْنَ ثَوْرٍ بْنِ أَصْغَرَ الْغَوْثِيَّ، عَلَى السَّكَّاسِكِ وَالسَّكُونِ وَمَعَاوِيَةَ ابْنِ كِنْدَةَ، وَبَعَثَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ مُعَلِّماً لِأَهْلِ
الْبَلَدَيْنِ: الْيَمَنِ وَحَضْرَمَوْتَ.

حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمِّي، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَيْفٌ - يَعْنِي ابْنَ عُمَرَ - عَنْ أَبِي عَمْرٍو مَوْلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ قَرْصِ بْنِ عِبَادِهِ، عَنْ قَرْصِ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ مَا قَضَى حُجَّةَ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ وَجَّهَ إِمَارَةَ الْيَمَنِ وَفَرَّقَهَا بَيْنَ رِجَالٍ، وَأَفْرَدَ كُلَّ رَجُلٍ بِحِيزِهِ، وَوَجَّهَ إِمَارَةَ حَضْرَمَوْتَ وَفَرَّقَهَا بَيْنَ ثَلَاثَةٍ، وَأَفْرَدَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِحِيزِهِ، وَاسْتَعْمَلَ عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ عَلَى نَجْرَانَ، وَخَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ عَلَى مَا بَيْنَ نَجْرَانَ وَرَمْعٍ وَزَيْدٍ، وَعَامِرُ بْنُ شَهْرٍ عَلَى هَمْدَانَ، وَعَلَى صَنْعَاءَ ابْنُ بَاذَامَ، وَعَلَى عَكٍّ وَالْأَشْعَرِيَّ الطَّاهِرَ بْنَ أَبِي هَالَةَ، وَعَلَى مَارِبَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ، وَعَلَى الْجَنْدِ يَعْلَى بْنُ أُمَيَّةَ وَكَانَ مُعَاذٌ مُعَلِّبًا يَتَنَقَّلُ فِي عِمَالَةٍ كُلِّ عَامِلٍ بِالْيَمَنِ وَحَضْرَمَوْتَ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى أَعْمَالِ حَضْرَمَوْتَ، عَلَى السَّكَاكِ وَالسُّكُونِ عُكَّاشَةُ بْنُ ثَوْرٍ، وَعَلَى بَنِي مُعَاوِيَةَ بْنِ كِنْدَةَ عَبْدُ اللَّهِ - أَوِ الْمُهَاجِرَ - فَاشْتَكَى فَلَمْ يَذْهَبْ حَتَّى وَجَّهَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعَلَى حَضْرَمَوْتَ زِيَادُ بْنُ لَيْدٍ

الْبَيَاضِيُّ، وَكَانَ زِيَادٌ يَقُومُ عَلَى عَمَلِ الْمُهَاجِرِ، فَاتَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُؤُلَاءِ عَمَالُهُ عَلَى الْيَمَنِ وَحَضْرَمَوْتَ، إِلَّا مَنْ قُتِلَ فِي قِتَالِ الْأَسْوَدِ أَوْ مَاتَ، وَهُوَ بَاذَامَ، مَاتَ فَفَرَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَ الْعَمَلَ مِنْ أَجْلِهِ. وَشَرَّابْنَهُ - يَعْنِي ابْنَ بَاذَامَ - فَسَارَ إِلَيْهِ الْأَسْوَدُ فَقَاتَلَهُ فَقَتَلَهُ.

وَحَدَّثَنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ سَيْفٍ.

فَقَالَ فِيهِ: عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو مَوْلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ طَلْحَةَ ثُمَّ سَاطِرُ الْحَدِيثِ بِإِسْنَادِهِ مِثْلُ حَدِيثِ ابْنِ سَعْدٍ الزُّهْرِيُّ.

قَالَ: حَدَّثَنِي السَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ الْأَعْلَمِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَوَّلُ مَنْ اعْتَرَضَ عَلَى الْعَنْسِيِّ وَكَأَثَرُهُ عَامِرُ بْنُ شَهْرٍ الْهَمْدَانِيُّ فِي نَاحِيَّتِهِ وَفَيُوزُ وَدَاذُويهِ فِي نَاحِيَّتِهِمَا، ثُمَّ تَبَاعَ الَّذِينَ كَتَبَ إِلَيْهِمْ عَلَى مَا أَمُرُوا بِهِ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَمِّي، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَيْفٌ، قَالَ وَحَدَّثَنَا السَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَيْفٌ - عَنْ سَهْلِ بْنِ يَوْسُفَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ صَخْرِ، قَالَ فَبَيْنَا نَحْنُ بِالْجَنْدِ قَدْ أَقْنَاهُمْ عَلَى مَا يَنْبَغِي، وَكُنَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الْكُتُبُ، إِذْ جَاءَنَا كِتَابٌ مِنَ الْأَسْوَدِ: أَيُّهَا الْمُتَوَرِّدُونَ عَلَيْنَا، أَمْسِكُوا عَلَيْنَا مَا أَخَذْتُمْ مِنْ أَرْضِنَا، وَوَفِّرُوا مَا جَمَعْتُمْ، فَتَحْنُ أَوَّلَى بِهِ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ فَقُلْنَا لِلرَّسُولِ: مَنْ أَيْنَ جِئْتَ؟ قَالَ: مِنْ كَهْفِ خُبَّانٍ ثُمَّ كَانَ وَجْهَهُ إِلَى نَجْرَانَ، حَتَّى أَخَذَهَا فِي عَشْرِ لَحْرَجِهِ، وَطَاقَهُ عَوَامٌ مَذْجٌ فَبَيْنَا نَحْنُ نَنْظُرُ فِي أَمْرِنَا، وَنَجْمَعُ جَمْعَنَا، إِذْ أَتَيْنَا فَقِيلَ: هَذَا الْأَسْوَدُ بِشُعُوبٍ، وَقَدْ خَرَجَ إِلَيْهِ شَهْرُ بْنُ بَاذَامَ، وَذَلِكَ لِعِشْرِينَ لَيْلَةً مِنْ مَنْجَمِهِ فَبَيْنَا نَحْنُ نَنْتَظِرُ الْخَبَرَ عَلَى مَنْ تَكُونُ الدَّبْرَةُ، إِذْ أَتَانَا أَنَّهُ قَتَلَ شَهْرًا، وَهَزَمَ الْأَبْنَاءَ، وَغَلَبَ عَلَى صَنْعَاءَ خَمْسَ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً مِنْ مَنْجَمِهِ وَخَرَجَ مُعَاذٌ هَارِبًا، حَتَّى مَرَّ بِأَبِي مُوسَى

وَهُوَ بِمَارِبَ، فَاقْتَحَمَا حَضْرَمَوْتَ، فَأَمَّا مُعَاذٌ فَإِنَّهُ نَزَلَ فِي السُّكُونِ، وَأَمَّا أَبُو مُوسَى فَإِنَّهُ نَزَلَ فِي السَّكَاكِ مِمَّا يَلِي الْمَفُورَ وَالْمَفَازَةَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ مَارِبَ، وَانْحَازَ سَائِرُ أُمَرَاءِ الْيَمَنِ إِلَى الطَّاهِرِ إِلَّا عَمْرًا وَخَالِدًا، فَإِنَّهُمَا رَجَعَا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَالطَّاهِرُ يَوْمئِذٍ فِي وَسْطِ بِلَادِ عَكٍّ بِحِيَالِ صَنْعَاءَ وَغَلَبَ الْأَسْوَدُ عَلَى مَا بَيْنَ صَهِيدٍ - مَفَازَةَ حَضْرَمَوْتَ - إِلَى عَمَلِ الطَّائِفِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ قَبْلَ عَدَنَ، وَطَاقَتْ عَلَيْهِ الْيَمَنُ، وَعَكَ بِتَهَامَةِ مُعَرِّضُونَ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يَسْتَطِيرُ اسْتِطَارَةَ الْحَرِيقِ، وَكَانَ مَعَهُ سَبْعُمِائَةِ فَارَسٍ يَوْمَ لَقِيَ شَهْرًا سِوَى الرَّجَّانِ، وَكَانَ قُوَادَهُ قَيْسُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ الْمُرَادِيُّ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ قَيْسِ الْجَنْبِيِّ وَزَيْدُ بْنُ مُحَرَّمٍ وَزَيْدُ بْنُ حُصَيْنِ الْحَارِثِيُّ وَزَيْدُ بْنُ الْأَفْكَلِ الْأَزْدِيُّ وَثَبِتَ مُلْكُهُ وَاسْتَغْلَظَ أَمْرُهُ، وَدَانَتْ لَهُ سَوَاحِلُ مِنَ السَّوَاكِحِلِ، حَازَ عَثْرَ وَالشَّرْجَةَ وَالْحَرْدَةَ وَغُلَافِقَةَ وَعَدَنَ، وَالْجَنْدَ، ثُمَّ صَنْعَاءَ إِلَى عَمَلِ الطَّائِفِ، إِلَى الْأَحْسِيَةِ وَعَلَيْبَ، وَعَامِلَةَ الْمُسْلِمُونَ بِالْبَقِيَّةِ، وَعَامِلَةَ أَهْلِ الرَّدَّةِ بِالْكَفْرِ وَالرُّجُوعِ عَنِ الْإِسْلَامِ.

وَكَانَ خَلِيفَتُهُ فِي مَذْجٍ عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ، وَأَسْنَدَ أَمْرَهُ إِلَى نَفَرٍ، فَأَمَّا أَمْرُ جُنْدِهِ فَلِإِ قَيْسِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ، وَأَسْنَدَ أَمْرَ الْأَبْنَاءِ إِلَى

فَيُرُوزُ وَدَاوِيَهُ.

فَلَمَّا أَتَخْنُ فِي الْأَرْضِ اسْتَحَفَّ بَقِيْسٍ وَبَفَيْرُوزَ وَدَاوِيَهُ، وَتَزَوَّجَ امْرَأَةً شَهْرًا، وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّ فَيْرُوزَ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ بِحَضْرَمُوتَ - وَلَا نَأْمَنُ أَنَّ يَسِيرَ إِلَيْنَا الْأَسُودُ، أَوْ يَبْعَثَ إِلَيْنَا جَنْشًا، أَوْ يَخْرُجَ بِحَضْرَمُوتَ خَارِجَ يَدْعِي بِمِثْلِ مَا أَدْعَى بِهِ الْأَسُودُ، فَنَحْنُ عَلَى ظَهْرِهِ، تَزَوَّجَ مُعَاذٌ إِلَى بَنِي بَكْرَةَ، حَيٍّ مِنَ السُّكُونِ، امْرَأَةً أَخَوَالَهَا بَنُو زَنْكَبِيلَ يَقَالُ لَهَا رَمْلَةً، فَحَدُّبُوا لِصَهْرِهِ عَيْنًا، وَكَانَ مُعَاذٌ بِهَا مُعْجَبًا، فَإِنْ كَانَ لَيَقُولُ فِيمَا يَدْعُو اللَّهَ بِهِ:

اللَّهُمَّ ابْعَثْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ السُّكُونِ، وَيَقُولُ أَحْيَانًا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْسُّكُونِ - إِذْ جَاءَتْهُمَا كَتَبَ النَّبِيُّ ص يَأْمُرُنَا فِيهَا أَنْ نَبْعَثَ الرِّجَالَ لِمَجَاوِلَتِهِ أَوْ لِمُصَاوِلَتِهِ، وَنَبْلِغَ كُلَّ مَنْ رَجَا عَنْهُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ص فَقَامَ مُعَاذٌ فِي ذَلِكَ بِالَّذِي أَمَرَ بِهِ، فَعَرَفْنَا الْقُوَّةَ وَوَقَّعْنَا بِالنَّصْرِ. حَدَّثَنَا السَّرِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَيْفٌ - وَحَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَمِّي، قَالَ: أَخْبَرَنَا سَيْفٌ - قَالَ: أَخْبَرَنَا الْمُسْتَنِيرُ ابْنُ يَزِيدَ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ غَزِيَّةَ الدُّثَيْنِيِّ، عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ فَيْرُوزَ - قَالَ السَّرِيُّ: عَنْ جُشَيْشِ بْنِ الدَّيْلَمِيِّ، وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: عَنْ جُشَيْشِ بْنِ الدَّيْلَمِيِّ - قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا وَبُرُّ بْنُ يَحْنَسَ بِكُتَابِ النَّبِيِّ ص، يَأْمُرُنَا فِيهِ بِالْقِيَامِ عَلَى دِينِنَا، وَالنُّهْضِ فِي الْحَرْبِ، وَالْعَمَلِ فِي الْأَسُودِ: إِمَّا غِيلَةً وَإِمَّا مُصَادِمَةً، وَأَنْ نَبْلِغَ عَنْهُ مَنْ رَأَيْنَا أَنَّ عَنْدهُ نَجْدَةٌ وَدِينًا فَعَمَلْنَا فِي ذَلِكَ، فَرَأَيْنَا امْرَأَةً كَثِيفًا، وَرَأَيْنَاهُ قَدْ تَغَيَّرَ لَقَيْسُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ - وَكَانَ عَلَى جُنْدِهِ - فَقُلْنَا: يَخَافُ عَلَى دَمِهِ، فَهُوَ لِأَوَّلِ دَعْوَةٍ، فَدَعَوْنَاهُ وَأَنْبَأْنَاهُ الشَّانَ، وَابْلَغْنَاهُ عَنِ النَّبِيِّ ص، فَكَأَنَّمَا وَقَعْنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ، وَكَانَ فِي غَمٍّ وَضِيقٍ بِأَمْرِهِ، فَأَجَابَنَا إِلَى مَا أَحْبَبْنَا مِنْ ذَلِكَ، وَجَاءَنَا وَبُرُّ بْنُ يَحْنَسَ، وَكَاتَبْنَا النَّاسَ وَدَعَوْنَاهُمْ، وَأَخْبَرَهُ الشَّيْطَانُ بِشَيْءٍ، فَأَرْسَلَ إِلَى قَيْسٍ وَقَالَ: يَا قَيْسُ، مَا يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: وَمَا يَقُولُ؟ قَالَ: يَقُولُ: عَمِدْتُ إِلَى قَيْسٍ فَأَكْرَمْتُهُ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ مِنْكَ كُلُّ مُدْخَلٍ، وَصَارَ فِي الْعِزِّ مِثْلَكَ، مَا لَمْ يَمِلْ عَدُوُّكَ، وَحَاوَلَ مُلْكَكَ وَأَضْمَرَ عَلَى الْغَدْرِ! إِنَّهُ يَقُولُ: يَا أَسُودُ يَا أَسُودُ! يَا سَوْءَةً يَا سَوْءَةً! أَقْطَفَ قَتْنَهُ، وَخَذَ مِنْ قَيْسٍ أَعْلَاهُ، وَإِلَّا سَلَبَكَ أَوْ قَطَفَ قَتْنَكَ فَقَالَ قَيْسٌ - وَحَلَفَ بِهِ: كَذَبَ وَذِي الْخِمَارِ، لَأَنْتَ اعْظَمُ فِي

نَفْسِي وَأَجَلٌ عِنْدِي مَنْ أَنْ أُحَدِّثَ بِكَ نَفْسِي، فَقَالَ: مَا أَجْفَاكَ: أَتُكْذِبُ الْمَلِكَ! قَدْ صَدَقَ الْمَلِكُ، وَعَرَفْتُ الْآنَ أَنَّكَ تَأْتِبُ بِمَا أَطَّلَعَ عَلَيْهِ مِنْكَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَتَانَا، فَقَالَ: يَا جُشَيْشُ، وَيَا فَيْرُوزَ، وَيَا دَاوِيَهُ، إِنَّهُ قَدْ قَالَ وَقُلْتُ، فَمَا الرَّأْيُ؟ فَقُلْنَا: نَحْنُ عَلَى حَدَرٍ، فَإِنَّا فِي ذَلِكَ، إِذْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: أَلَمْ أَشْرَفْكُمْ عَلَى قَوْمِكُمْ، أَلَمْ يَبْلُغْنِي عَنْكُمْ! فَقُلْنَا: أَقَلْنَا مَرَّتَيْنِ هَذِهِ، فَقَالَ: لَا يَبْلُغْنِي عَنْكُمْ فَاقْتُلْكُمْ، فَجَنُونَا وَلَمْ تَكُ، وَهُوَ فِي ارْتِيَابٍ مِنْ أَمْرِنَا وَأَمْرِ قَيْسٍ، وَنَحْنُ فِي ارْتِيَابٍ وَعَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ، إِذْ جَاءَنَا اعْتِرَاضُ عَامِرِ بْنِ شَهْرٍ وَذِي زُوْدٍ وَذِي مَرَّانٍ وَذِي الْكَلَّاعِ وَذِي ظَلِيمٍ عَلَيْهِ، وَكَاتَبُونَا وَبَذَلُوا لَنَا النَّصْرَ، وَكَاتَبْنَاهُمْ وَأَمْرُنَاهُمْ أَلَّا يُحَرِّكُوا شَيْئًا حَتَّى نَبْرِمَ الْأَمْرَ - وَإِنَّمَا اهْتَأَجُوا لِذَلِكَ حِينَ جَاءَ كِتَابُ النَّبِيِّ ص، وَكَتَبَ النَّبِيُّ ص إِلَى أَهْلِ نَجْرَانَ، إِلَى عَرَبِهِمْ وَسَاكِنِي الْأَرْضِ مِنْ غَيْرِ الْعَرَبِ، فَتَبَتُوا فَتَنَحَّوْا وَانْضَمُّوا إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ - وَبَلَّغَهُ ذَلِكَ، وَأَحْسَ بِالْهَلَاكِ، وَفَرَّقَ لَنَا الرَّأْيَ، فَدَخَلْتُ عَلَى آدَادَ، وَهِيَ امْرَأَتُهُ، فَقُلْتُ: يَا ابْنَةَ عَمِّ، قَدْ عَرَفْتُ بَلَاءَ هَذَا الرَّجُلِ عِنْدَ قَوْمِكَ، قَتَلَ زَوْجَكَ، وَطَاطَأَ فِي قَوْمِكَ الْقَتْلَ، وَسَفَلَ بِمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ، وَفَضَحَ النِّسَاءَ، فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ مُلَاةٍ عَلَيْهِ! فَقَالَتْ: عَلَى أَيِّ أَمْرِهِ؟ قُلْتُ: إِخْرَاجِهِ، قَالَتْ: أَوْ قَتْلِهِ، قُلْتُ: أَوْ قَتْلِهِ، قَالَتْ: نَعَمْ وَاللَّهِ مَا خَلَقَ اللَّهُ شَخْصًا أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْهُ، مَا يَقُومُ لِلَّهِ عَلَى حَقٍّ، وَلَا يَنْتَهِي لَهُ عَنْ حُرْمَةٍ، فَإِذَا عَزَمْتُمْ فَأَعْلِمُونِي أَخْبِرْكُمْ بِمَا تَأْتِي هَذَا الْأَمْرَ فَأَخْرَجَ فَإِذَا فَيْرُوزُ وَدَاوِيَهُ يَنْتَظِرَانِي، وَجَاءَ قَيْسٌ وَنَحْنُ نُرِيدُ أَنْ نُنَاهِضَهُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ إِلَيْنَا: الْمَلِكُ يَدْعُوكَ، فَدَخَلَ فِي عَشْرَةِ مِنْ مَدْحٍ وَهَمْدَانٍ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى قَتْلِهِ مَعَهُمْ - قَالَ

السري في حديثه: فقال:

يَا عَيْلَهُ بَنُ كَعْبِ بْنِ غَوْثٍ، وَقَالَ عبيد الله في حديثه: يَا عَيْلَهُ بَنُ كَعْبِ بْنِ غَوْثٍ - أَمْنِي تُحْصَنُ بِالرَّجَالِ! ألم اخبرك الحق وتخبرني الكذابة! انه يقول: يَا سَوْءَةً يَا سَوْءَةً! إِلَّا تَقْطَعُ مِنْ قَيْسٍ يَدَهُ يَقْطَعُ قَتْنَكَ الْعُلْيَا، حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ قَاتِلُهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْحَقِّ أَنْ أَقْتُلَكَ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَرُبِّي بِمَا أَحْبَبْتَ، فَأَمَّا الْخَوْفُ وَالْفَزَعُ فَأَنَا فِيهِمَا مَخَافَهُ أَنْ تَقْتُلَنِي - قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَإِمَّا قَتَلْتَنِي فَمَوْتُهُ، وَقَالَ السَّريُّ: اقْتُلْنِي فَمَوْتُهُ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ أُمُوتِهَا كُلِّ يَوْمٍ - فَرَقَّ لَهُ فَأَخْرَجَهُ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَأَخْبَرَنَا وَوَاطْنَا، وَقَالَ: اعْمَلُوا عَمَلَكُمْ، وَخَرَجَ عَلَيْنَا فِي جَمْعٍ، فَقُمْنَا مَثُولًا لَهُ، وَبِالْبَابِ مَائَةٌ مَا بَيْنَ بَقَرَةٍ وَبَعِيرٍ، فَقَامَ وَخَطَّ خَطًّا فَأُقِيمَتِ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَامَ مِنْ دُونِهَا، فَفَحَرَهَا غَيْرَ مُحْبَسَةٍ وَلَا مُعَقَلَةٍ، مَا يَقْتَحِمُ الْخَطُّ مِنْهَا شَيْءٌ، ثُمَّ خَلَاهَا فَجَالَتْ إِلَى أَنْ زَهَقَتْ، فَمَا رَأَيْتُ أَمْرًا كَانَ أَفْظَعَ مِنْهُ، وَلَا يَوْمًا أَوْحَشَ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ: أَحَقُّ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ يَا فَيْرُوزُ؟

وَبَوَّاءُ لَهُ الْحَرَبَةُ - لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَتَحْرَكَ فَأَتْبِعَكَ هَذِهِ الْبَيْمَةَ، فَقَالَ:

اخْتَرْتَنَا لِصَهْرِكَ وَفَضَّلْتَنَا عَلَى الْأَنْبَاءِ، فَلَوْ لَمْ تَكُنْ نَبِيًّا مَا بَعْنَا نَصِيبَنَا مِنْكَ بِشَيْءٍ، فَكَيْفَ وَقَدْ اجْتَمَعَ لَنَا بِكَ أَمْرٌ آخِرَةٌ وَدُنْيَا، لَا تَقْبَلُنَا عَلَيْنَا امْتِثَالِ مَا يَبْلُغُكَ، فَإِنَّا بِحَيْثُ نُحِبُّ فَقَالَ: أَقْسِمُ هَذِهِ، فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِمَنْ هَاهُنَا، فَاجْتَمَعَ إِلَيَّ أَهْلُ صَنْعَاءَ، وَجَعَلْتُ أَمْرًا لِلرَّهْطِ بِالْجَزُورِ وَلَا أَهْلَ الْبَيْتِ بِالْبَقَرَةِ، وَلَا أَهْلَ الْحَلَّةِ بِالْعِدَّةِ، حَتَّى أَخَذَ أَهْلُ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِقِسْطِهِمْ فَلَحِقَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى دَارِهِ - وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى - رَجُلٍ يَسْعَى إِلَيْهِ بِفَيْرُوزٍ، فَاسْتَمَعَ لَهُ، وَاسْتَمَعَ لَهُ فَيْرُوزٌ وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا قَاتِلُهُ غَدًا وَأَصْحَابُهُ، فَاغْدُ عَلَيَّ، ثُمَّ التَفْتُ فَإِذَا بِهِ، فَقَالَ: مَهْ! فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي صَنَعَ، فَقَالَ: أَحْسَنْتَ، ثُمَّ ضَرَبَ دَابَّتَهُ دَاخِلًا، فَجَرَعَ إِلَيْنَا فَأَخْبَرَنَا

الْخَبْرَ، فَأَرْسَلْنَا إِلَى قَيْسٍ، فَجَاءَنَا، فَاجْمَعْ مَلُؤَهُمْ أَنْ أَعُودَ إِلَى الْمَرْأَةِ فَأُخْبِرَهَا بِعَزِيمَتِنَا لِتُخْبِرَنَا بِمَا تَأْمُرُ، فَأَتَيْتُ الْمَرْأَةَ وَقُلْتُ: مَا عِنْدَكَ؟ فَقَالَتْ: هُوَ مَتَحَرِّزٌ مَتَحَرِّسٌ، وَلَيْسَ مِنَ الْقَصْرِ شَيْءٌ إِلَّا وَالْحَرْسُ مُحِيطُونَ بِهِ غَيْرَ هَذَا الْبَيْتِ، فَإِنَّ ظَهْرَهُ إِلَى مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا مِنْ الطَّرِيقِ، فَإِذَا أَمْسَيْتُمْ فَانْقُبُوا عَلَيْهِ، فَإِنَّكُمْ مِنْ دُونِ الْحَرْسِ، وَلَيْسَ دُونُ قَتْلِهِ شَيْءٌ وَقَالَتْ: إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِيهِ سِرَاجًا وَسِلَاحًا فَخَرَجْتُ فَتَلَقَانِي الْأَسُودَ خَارِجًا مِنْ بَعْضِ مَنَازِلِهِ، فَقَالَ لِي مَا أَدْخَلَكَ عَلَيَّ؟ وَوَجَأَ رَأْسِي حَتَّى سَقَطْتُ - وَكَانَ شَدِيدًا - وَصَاحَتِ الْمَرْأَةُ فَأَدْهَشَتْهُ عَنِّي، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقَتَلَنِي وَقَالَتْ: ابْنُ عَمِّي جَاءَنِي زَائِرًا، فَقَصَرْتُ بِي! فَقَالَ: اسْكُنِي لَا ابَالِكَ، فَقَدْ وَهَبْتُ لَكَ! فَتَزَايَلْتُ عَنِّي، فَأَتَيْتُ أَصْحَابِي فَقُلْتُ: النَّجَاءُ! الْهَرَبُ! وَأَخْبَرْتَهُمُ الْخَبْرَ، فَإِنَّا عَلَى ذَلِكَ حَيَارَى إِذْ جَاءَنِي رَسُولُهَا: لَا تَدْعُنَّ مَا فَارَقْتُكَ عَلَيْهِ، فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى أَطْمَآنَنَّا، فَقُلْنَا لِفَيْرُوزٍ: انْتَهَا فَتَثَبَّتْ مِنْهَا، فَأَمَّا أَنَا فَلَا سَبِيلَ لِي إِلَى الدُّخُولِ بَعْدَ النَّهْيِ فَفَعَلْتُ، وَإِذَا هُوَ كَانَ أَفْظَنَ مِنِّي، فَلَمَّا اخْبَرْتَهُ قَالَتْ: وَكَيْفَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَنْقُبَ عَلَى بُيُوتِ مُبْطَنَةٍ! يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُقْلِعَ بَطَانَةَ الْبَيْتِ، فَدَخَلْنَا فَاقْتَلَعْنَا الْبَطَانَةَ، ثُمَّ أَغْلَقْنَاهُ، وَجَلَسَ عِنْدَهَا كَالزَّائِرِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا الْأَسُودَ فَاسْتَحَقَّتْهُ غَيْرَةً، وَأَخْبَرْتَهُ بِرِضَاعٍ وَقَرَابَةٍ مِنْهَا عِنْدَهُ مُحَرَّمٌ، فَصَاحَ بِهِ وَأَخْرَجَهُ وَجَاءَنَا بِالْخَبْرِ، فَلَمَّا أَمْسَيْنَا عَمَلْنَا فِي أَمْرِنَا، وَقَدْ وَاطْنَا أَشْيَاعَنَا، وَعَجَلْنَا عَنْ مُرَاسِلَةِ الْهَمْدَانِيِّينَ وَالْحَمِيرِيِّينَ، فَانْقَبْنَا الْبَيْتَ مِنْ خَارِجٍ، ثُمَّ دَخَلْنَا وَفِيهِ سِرَاجٌ تَحْتَ جُفْنَةٍ، وَاتَّقِينَا بِفَيْرُوزٍ، وَكَانَ أَنْجَدُنَا وَأَشَدَّنَا - فَقُلْنَا: انْظُرْ مَاذَا تَرَى! فَخَرَجَ وَنَحْنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَرْسِ مَعَهُ فِي مَقْصُورَةٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ بَابِ الْبَيْتِ سَمِعَ غَطِيطًا شَدِيدًا، وَإِذَا الْمَرْأَةُ جَالِسَةً، فَلَمَّا قَامَ عَلَى الْبَابِ أَجْلَسَهُ الشَّيْطَانُ فَكَلَّمَهُ عَلَى لِسَانِهِ - وَانَّهُ لَيَغْطِي جَالِسًا وَقَالَ أَيُّضًا: مَا لِي وَلَكَ يَا فَيْرُوزُ! نَحْشِي إِنْ رَجَعَ أَنْ يَهْلِكَ وَتَهْلِكَ الْمَرْأَةُ، فَعَاجَلَهُ نَخَالُطُهُ وَهُوَ مِثْلُ الْجَمَلِ، فَأَخَذَ بِرَأْسِهِ فَقَتَلَهُ، فَدَقَّ

عُنُقَهُ، وَوَضَعَ رُكْبَتَهُ فِي ظَهْرِهِ فَدَقَّهُ، ثُمَّ قَامَ لِيَخْرُجَ، فَأَخَذَتِ الْمَرْأَةُ بِثَوْبِهِ وَهِيَ تَرَى أَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْهُ، فَقَالَتْ: أَيْنَ تَدْعُنِي! قَالَ: أَخْبِرْ

أَصْحَابِي بِمَقْتَلِهِ، فَأَتَانَا فَقُمْنَا مَعَهُ، فَأَرَدْنَا حَزَّ رَأْسِهِ، فَحَرَكَهُ الشَّيْطَانُ فَاضْطَرَبَ فَلَمْ يَضْبِطْهُ، فَقُلْتُ: اجْلِسُوا عَلَى صَدْرِهِ، فَجَلَسَ اثْنَانِ عَلَى صَدْرِهِ، وَأَخَذَتِ الْمَرْأَةُ بِشَعْرِهِ، وَسَمِعْنَا بَرَبْرَةً فَالْجِئْتُهُ بِمِثْلَاةٍ، وَأَمَرْتُ الشَّفْرَةَ عَلَى حَلْقِهِ نَخَارَ كَأَشَدِّ خَوَارِ ثَوْرٍ سَمِعْتُهُ قَطُّ، فَابْتَدَرَ الْحَرَسُ الْبَابَ وَهُمْ حَوْلَ الْمَقْصُورَةِ، فَقَالُوا:

مَا هَذَا، مَا هَذَا! فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: النَّبِيُّ يُوحَىٰ إِلَيْهِ! نَحْمَدُ ثُمَّ سَمَرْنَا لَيْلَتَنَا وَنَحْنُ نَأْتِمِرُ كَيْفَ نَخْبِرُ أَشْيَاعَنَا، لَيْسَ غَيْرُنَا ثَلَاثَتُنَا: فَيُرَوِّزُ وَدَاوِيهِ وَقَيْسُ، فَاجْتَمَعْنَا عَلَى النَّدَاءِ بِشِعَارِنَا الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَشْيَاعِنَا، ثُمَّ يَنَادَىٰ بِالْأَذَانِ، فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ نَادَىٰ دَاوِيَهُ بِالشَّعَارِ، فَفَزِعَ الْمُسْلِمُونَ وَالْكَافِرُونَ، وَتَجَمَّعَ الْحَرَسُ فَأَحَاطُوا بِنَا، ثُمَّ نَادَيْتُ بِالْأَذَانِ، وَتَوَافَّتْ خِيولُهُمْ إِلَى الْحَرَسِ، فَنَادَيْتُهُمْ:

أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّ عِبْرَةَ كَذَابٍ! وَالْقِيَامُ إِلَيْهِمْ رَأْسُهُ، فَأَقَامَ وَبِرَ الصَّلَاةِ، وَشَبَّهَا الْقَوْمُ غَارَةً، وَنَادَيْنَا: يَا أَهْلَ صَنْعَاءَ، مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ دَاخِلٌ فَتَعَلَّقُوا بِهِ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَتَعَلَّقُوا بِهِ.

وَنَادَيْنَا بِمَنْ فِي الطَّرِيقِ: تَعْلَقُوا بِمَنْ اسْتَطَعْتُمْ! فَاخْتَطَفُوا صَبِيئَانَا كَثِيرِينَ، وَانْتَهَبُوا مَا انْتَهَبُوا، ثُمَّ مَضُوا خَارِجِينَ، فَلَمَّا بَرَزُوا فَقَدُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ فَارِسًا رُكَّانًا، وَإِذَا أَهْلُ الدَّوْرِ وَالطَّرِيقِ وَقَدْ وَافَوْا بِهِمْ، وَفَقَدْنَا سَبْعَمِائَةَ عَيْلٍ فَرَّاسِلُونَا وَرَاسِلُنَاهُمْ أَنْ يَتْرُكُوا لَنَا مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَتَرَكُوا لَهُمْ مَا فِي أَيْدِينَا، فَقَعَلُوا خَفَرًا لَمْ يَظْفَرُوا مِنَّا بِشَيْءٍ، فَتَرَدَّدُوا فِيمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَنَجْرَانَ، وَخَلَصَتْ صَنْعَاءُ وَالْجُنْدُ، وَأَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَاهْلَهُ، وَتَنَافَسْنَا الْإِمَارَةَ، وَتَرَاجَعَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَ إِلَى أَعْمَالِهِمْ، فَاصْطَلَحْنَا عَلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، فَكَانَ يُصَلِّي بِنَا، وَكَتَبْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص بِالْخَبَرِ، وَذَلِكَ فِي حَيَاةِ

النبي ص فَاتَاهُ الْخَبَرُ مِنْ لَيْلَتِهِ، وَقَدِمَتْ رُسُلُنَا، وَقَدْ مَاتَ النَّبِيُّ ص صَبِيحَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَأَجَابَنَا أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَمِّي، قَالَ: أَخْبَرَنَا سَيْفٌ - وَحَدَّثَنِي السَّيِّدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ سَيْفٍ - عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الشَّنَوِيِّ، عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، [قَالَ: أَتَى الْخَبَرَ النَّبِيُّ ص مِنَ السَّمَاءِ اللَّيْلَةَ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا الْعَنْسِيُّ لَيْسَ رَنَا، فَقَالَ: قُتِلَ الْعَنْسِيُّ الْبَارِحَةَ، قَتَلَهُ رَجُلٌ مُبَارَكٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُبَارَكِينَ، قِيلَ: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ:

فَيُرْوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَمِّي، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَيْفٌ - وَحَدَّثَنِي السَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ سَيْفٍ - عَنْ
الْمُسْتَتِيرِ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنْ فَيْرُوزٍ، قَالَ: قَتَلْنَا الْأَسُودَ، وَعَادَ أَمْرُنَا كَمَا كَانَ، إِلَّا أَنَّا أُرْسَلْنَا إِلَى مُعَاذٍ، فَتَرَضِينَا عَلَيْهِ، فَكَانَ
يَصِلُ بِنَا فِي صَنْعَاءَ، فَوَاللَّهِ مَا صَلَى بِنَا إِلَّا ثَلَاثًا وَنَحْنُ رَاجُونَ مُؤْمَلُونَ، لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ نَكْرَهُهُ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ تِلْكَ الْخِيُولِ الَّتِي تَتَرَدَّدُ بَيْنَنَا
وَبَيْنَ نَجْرَانَ، حَتَّى أَتَانَا الْخَبَرُ بِوَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَاتَّقِصَصْتُ الْأُمُورَ، وَأَنْكَرْنَا كَثِيرًا مِمَّا كُنَّا نَعْرِفُ، وَاضْطَرَبَتِ الْأَرْضُ حَدَّثَنِي السَّرِيُّ،
قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَيْفٌ، عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ وَأَبِي مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ يَحْيَى بْنِ أَبِي عَمْرٍو السَّيْبَانِي، مِنْ جُنْدِ فَلَسْطِينَ، عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَيْرُوزَ الدَّيْلَمِيِّ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ص بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، يُقَالُ لَهُ: وَبَرُّ بْنُ يُحْنَسَ الْأَزْدِيُّ، وَكَانَ مَنَزَلُهُ عَلَى دَاؤُوِيهِ
الْفَارِسِيِّ، وَكَانَ الْأَسُودُ كَاهِنًا مَعَهُ شَيْطَانٌ وَتَابِعٌ لَهُ، فَخَرَجَ فَنَزَلَ عَلَى مَلِكِ الْيَمَنِ، فَقَتَلَ مَلِكَهَا وَنَكَحَ امْرَأَتَهُ وَمَلَكَ الْيَمَنَ، وَكَانَ بَادِئًا
هَلَكَ قَبْلَ ذَلِكَ، نَخْلَفَ ابْنَهُ عَلَى أَمْرِهِ، فَقَتَلَهُ وَتَزَوَّجَهَا، فَاجْتَمَعَتْ أَنَا وَدَاؤُوِيهِ وَقَيْسُ بْنُ الْمَكْشُوحِ الْمُرَادِيِّ عِنْدَ وَبَرِّ بْنِ يُحْنَسَ رَسُولِ
نَبِيِّ اللَّهِ ص

نَاتِمِرُ بِقَتْلِ الْأَسْوَدِ ثُمَّ إِنَّ الْأَسْوَدَ أَمَرَ النَّاسَ فَاجْتَمَعُوا فِي رُحْبَةٍ مِنْ صَنَعَاءَ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَامَ فِي وَسْطِهِمْ، وَمَعَهُ حَرْبَةُ الْمَلِكِ، ثُمَّ دَعَا
بِفِرْسِ الْمَلِكِ فَأَوْجَرَهُ الْحَرْبَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَ لِفُجْعَلٍ يَجْرِي فِي الْمَدِينَةِ وَدِمَاؤُهُ تَسِيلُ حَتَّى مَاتَ وَقَامَ وَسْطَ الرُّحْبَةِ، ثُمَّ دَعَا بِجُزُرٍ مِنْ وَرَاءِ
الْخِطِّ فَأَقَامَهَا، وَأَعْنَقَهَا وَرُءُوسَهَا فِي الْخِطِّ مَا يَجْزَنُهُ ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُنَّ بِحَرْبَتِهِ فَحَرَّهْنَ فَتَصَدَّعْنَ عَنْهُ، حَتَّى فَرَّغَ مِنْهُنَّ، ثُمَّ أَمْسَكَ حَرْبَتَهُ فِي

يَدِهِ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ يَقُولُ- يَعْنِي شَيْطَانَهُ الَّذِي مَعَهُ: إِنَّ ابْنَ الْمَكْشُوحِ مِنَ الطُّغَاةِ، يَا أَسُودَ أَقْطَعُ قَنَةَ رَأْسِهِ الْعَلِيَّ ثُمَّ أَكَبَّ رَأْسَهُ أَيْضًا يَنْظُرُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ ابْنَ الدَّيْلِيِّ مِنَ الطُّغَاةِ، يَا أَسُودَ أَقْطَعُ يَدَهُ الْيُمْنَى وَرِجْلَهُ الْيُمْنَى، فَلَمَّا سَمِعَتْ قَوْلَهُ قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا آمَنَ أَنْ يَدْعُوَنِي، فَيَنْحَرِنِي بِحَرْبَتِهِ كَمَا نَحَرَ هَذِهِ الْجُزُرَ، فَجَعَلْتُ أُسْتَرُّ بِالنَّاسِ لئَلَّا يَرَانِي، حَتَّى خَرَجْتُ وَلَا أَدْرِي مِنْ حِذْرِي كَيْفَ آخِذًا! فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْ مَنْزِلِي لَقِينِي رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَدَقَّ فِي رَقَبَتِي، فَقَالَ: إِنَّ الْمَلِكَ يَدْعُوكَ وَأَنْتَ تَرُوحُ! أَرْجِعْ، فَرَدَّنِي، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ خَشِيتُ أَنْ يَقْتُلَنِي قَالَ: وَكَلَّا لَا يَكَادُ يَفَارِقُ رَجُلًا مِمَّا أَبَدًا خَنْجَرُهُ، فَأَدُسُ يَدِي فِي خُفِّي، فَأَخَذْتُ خَنْجَرِي، ثُمَّ أَقْبَلْتُ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَجْلَعَ عَلَيْهِ، فَأَطَعَنَهُ بِهِ حَتَّى أَقْتَلَهُ، ثُمَّ أَقْتَلْتُ مِنْ مَعَهُ، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ رَأَى فِي وَجْهِهِ الشَّرَّ، فَقَالَ: مَكَانَكَ! فَوَقَفْتُ، فَقَالَ: إِنَّكَ أَكْبَرُ مِنْ هَاهُنَا وَأَعْلَمُهُمْ بِأَشْرَافِ أَهْلِهَا، فَاقْسِمِ هَذِهِ الْجُزُرَ بَيْنَهُمْ وَرَكِبْ فَانْطَلِقْ وَعَلَّقْتُ أَقْسِمُ اللَّحْمَ بَيْنَ أَهْلِ صَنْعَاءَ، فَأَتَانِي ذَلِكَ الَّذِي دَقَّ فِي رَقَبَتِي، فَقَالَ: أَعْطِنِي مِنْهَا، فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ وَلَا بَضْعَةً وَاحِدَةً، أَلَسْتُ الَّذِي دَقَقْتُ فِي رَقَبَتِي! فَانْطَلَقَ غَضَبَانِ حَتَّى أَتَى الْأَسُودَ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا لَقِيَ مِنِّي وَقُلْتُ لَهُ فَلَمَّا فَرَعْتُ أَتَيْتُ الْأَسُودَ أَمْشِي إِلَيْهِ، فَسَمِعْتُ الرَّجُلَ وَهُوَ يَشْكُونِي إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْأَسُودُ: أَمَا وَاللَّهِ لَا ذَبْحَنَهُ ذَبْحًا! فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي قَدْ فَرَعْتُ

مِمَّا أَمَرْتَنِي بِهِ، وَقَسَمْتَهُ بَيْنَ النَّاسِ قَالَ: قَدْ أَحْسَنْتَ فَانْصَرِفْ فَانْصَرَفْتُ، فَبَعَثْنَا إِلَى امْرَأَةِ الْمَلِكِ: أَنَا نُرِيدُ قَتْلَ الْأَسُودَ، فَكَيْفَ لَنَا! فَأَرْسَلَتْ إِلَيَّ: أَنْ هَلُمَّ فَأَتَيْتَهَا، وَجَعَلْتُ الْجَارِيَةَ عَلَى الْبَابِ لَتُؤَذِّنَا إِذَا جَاءَ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَهِيَ الْبَيْتَ الْآخَرَ، فَحَفَرْنَا حَتَّى نَقْبًا نَقْبًا، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْبَيْتِ، فَأَرْسَلْنَا السِّتْرَ، فَقُلْتُ: إِنَّا نَقْتُلُهُ اللَّيْلَةَ، فَقَالَتْ: فَتَعَالَوْا، فَمَا شَعَرْتُ بِشَيْءٍ حَتَّى إِذَا الْأَسُودَ قَدْ دَخَلَ الْبَيْتَ، وَإِذَا هُوَ مَعَنَا، فَأَخَذْتُهُ غَيْرَ شَدِيدَةٍ، فَجَعَلَ يَدُقُّ فِي رَقَبَتِي، وَكَفَكَفْتُهُ عَنِّي، وَخَرَجْتُ فَأَتَيْتُ أَصْحَابِي بِالَّذِي صَنَعْتُ، وَاقْبَنْتُ بِانْقِطَاعِ الْحِيلَةِ عَنَّا فِيهِ، إِذْ جَاءَنَا رَسُولُ الْمَرْأَةِ، أَلَا يَكْسِرَنَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ مَا رَأَيْتُمْ، فَإِنِّي قَدْ قُلْتُ لَهُ بَعْدَ مَا خَرَجْتُ: أَلَسْتُ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ أَقْوَامٌ أَحْرَارٌ لَكُمْ أَحْسَابُ! قَالَ: بَلَى، فَقُلْتُ: جَاءَنِي أَخِي يُسَلِّمُ عَلَيَّ وَيُكْرِمُنِي، فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ تَدُقُّ فِي رَقَبَتِهِ، حَتَّى أَخْرَجْتَهُ، فَكَانَتْ هَذِهِ كِرَامَتُكَ إِيَّاهُ! فَمِ أَزَلُّ أَلُومَةٍ حَتَّى لَا مِ نَفْسَةٍ، وَقَالَ: أَهْوَأُ أَخُوكَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: مَا شَعَرْتُ، فَأَقْبِلُوا اللَّيْلَةَ لِمَا أَرَدْتُمْ.

قَالَ الدَّيْلِيُّ: فَاطْمَأَنَّتْ أَنْفُسَنَا، وَاجْتَمَعَ لَنَا أَمْرُنَا، فَأَقْبَلْنَا مِنَ اللَّيْلِ أَنَا وَدَاوُوْدُ وَفَيْسُ حَتَّى نَدْخُلَ الْبَيْتَ الْأَقْصَى مِنَ النَّقْبِ الَّذِي نَقَبْنَا، فَقُلْتُ:

يَا قَيْسُ، أَنْتَ فَارِسُ الْعَرَبِ، ادْخُلْ فَاقْتُلِ الرَّجُلَ، قَالَ: إِنِّي تَأْخُذْنِي رِعْدَةٌ شَدِيدَةٌ عِنْدَ الْبَاسِ، فَأَخَافُ أَنْ أَضْرِبَ الرَّجُلَ ضَرْبَةً لَا تُغْنِي شَيْئًا، وَلَكِنْ ادْخُلْ أَنْتَ يَا فَيْرُوزُ، فَإِنَّكَ أَشْبَهُ وَأَقْوَانَا، قَالَ: فَوَضَعْتُ سَيْفِي عِنْدَ الْقَوْمِ، وَدَخَلْتُ لِأَنْظُرَ أَيْنَ رَأْسُ الرَّجُلِ! فَإِذَا السَّرَاجُ يَزْهَرُ، وَإِذَا هُوَ رَاقِدٌ عَلَى فَرْشٍ قَدْ غَابَ فِيهَا لَا أَدْرِي أَيْنَ رَأْسُهُ مِنْ رِجْلِهِ! وَإِذَا الْمَرْأَةُ جَالِسَةٌ عِنْدَهُ كَأَنَّهُ تَطْعِمُهُ رَمَانًا حَتَّى رَقَدَ، فَاشْرُتُ إِلَيْهَا: أَيْنَ رَأْسُهُ؟ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ، فَأَقْبَلْتُ أَمْشِي حَتَّى قُفْتُ عِنْدَ رَأْسِهِ لِأَنْظُرَ، فَمَا أَدْرِي أَنْظَرْتُ فِي وَجْهِهِ أَمْ لَا! فَإِذَا هُوَ قَدْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ، فَظَنَرْتُ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: إِنْ رَجَعْتُ إِلَى سَيْفِي خِفْتُ أَنْ يَفُوتَنِي وَيَأْخُذَ عِدَّةً يَمْتَنِعُ بِهَا مِنِّي، وَإِذَا شَيْطَانُهُ قَدْ أَنْذَرَهُ بِمَكَانِي وَقَدْ أَيْقَطَهُ، فَلَمَّا أَبْطَأَ كَلِمَتِي عَلَى لِسَانِهِ، وَإِنَّهُ لَيَنْظُرُ وَيَغْطُ، فَأَضْرَبُ بِيَدِي إِلَى رَأْسِهِ، فَأَخَذْتُ رَأْسَهُ بِيَدٍ وَلِحِيَّتَهُ بِيَدٍ، ثُمَّ الْوِي عُنُقَهُ فَدَقَقْتُهَا، ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى أَصْحَابِي، فَأَخَذْتُ الْمَرْأَةَ بِثَوْبِي، فَقَالَتْ: أَخْتُكُمْ نَصِيحَتُكُمْ! قُلْتُ:

قَدْ وَاللَّهِ قَتَلْتُهُ وَأَرْحَتُكَ مِنْهُ قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى صَاحِبِي فَأَخْبَرْتُهُمَا، قَالَا:

فَارْجِعْ فَاحْتَزْ رَأْسَهُ وَاتَّئِنَّا بِهِ، فَدَخَلْتُ فَبَرَبْرَ فَالْجَمْتَهُ فَحَزَزْتُ رَأْسَهُ، فَأَتَيْتُهُمَا بِهِ، ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى أَتَيْنَا مَنْزِلَنَا، وَعِنْدَنَا وَبَرُّ بْنُ يَحْنَسَ

الأزدي، فقام معنا حتى ارتقىنا على حصن مرتفع من تلك الحصون، فأذن وبر بن يحسن بالصلاة، ثم قلنا: ألا إن الله عز وجل قد قتل الأسود الكذاب، فاجتمع الناس إلينا فرمينا برأسه، فلما رأى القوم الذين كانوا معه أسرجوا خيولهم، ثم جعل كل واحد منهم يأخذ غلاماً من أبنائنا معه من أهل البيت الذي كان نازلاً فيهم، فأبصرتهم في الغلس مردي الغلمان، فناديت أخي وهو أسفل مني مع الناس: أن تعلقوا بمن استطعتم منهم، ألا ترون ما يصنعون بالأبناء! فتعلقوا بهم، فحبسنا منهم سبعين رجلاً، وذهبوا منا بثلاثين غلاماً، فلما برزوا إذا هم يفقدون سبعين رجلاً حين تفقدوا أصحابهم، فأتونا فقالوا:

أرسلوا إلينا أصحابنا، فقلنا لهم: أرسلوا إلينا أبنائنا، فأرسلوا إلينا الأبناء، وأرسلنا إليهم أصحابهم.

قال: [وقال رسول الله ص لأصحابه: إن الله قد قتل الأسود الكذاب العنسي، قتله بيد رجل من إخوانكم، وقوم أسلموا وصدقوا، فكمّا كائنًا على الأمر الذي كان قبل قدوم الأسود علينا وأمن الأمراء وتراجعوا، واعتذر الناس وكانوا حديثي عهد بالجاهلية. حدثنا عبيد الله، قال: حدثنا عمي، قال: أخبرنا سيف - وحدثني السري، قال: حدثنا شعيب، قال: حدثنا سيف - عن سهل بن يوسف، عن أبيه، عن عبيد بن صخر، قال: كان أول أمره إلى آخره ثلاثة أشهر

حوادث متفرقة

وحدثني السري، قال: حدثنا شعيب، عن سيف - وحدثنا عبيد الله قال: أخبرنا عمي، قال: أخبرنا سيف - عن جابر بن يزيد، عن عروه ابن غزية، عن الضحاك بن فيروز، قال: كان ما بين خروجه بكهف خبان ومقتله نحو من أربعة أشهر، وقد كان قبل ذلك مستسراً بأمره. حتى بادي بعد.

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، عن أبي معشر ويزيد بن عياض بن جعد به وغسان بن عبد الحميد وجويرية بن أسماء، عن مشيختهم، قالوا: أمضى أبو بكر جيش أسامة بن زيد في آخر ربيع الأول، وأتى مقتل العنسي في آخر ربيع الأول بعد مخرج أسامة، وكان ذلك أول فتح أتى أبا بكر وهو بالمدينة . [حوادث متفرقة]

وقال الواقدي: في هذه السنة - أعني سنة إحدى عشرة - قدم وفد النخع في النصف من المحرم على رسول الله ص، رأسهم زرار بن عمرو، وهم آخر من قدم من الوفود.

وفيها: ماتت فاطمة ابنة رسول الله ص في ليلة الثلاثاء، لثلاث خلون من شهر رمضان، وهي يومئذ ابنة تسع وعشرين سنة أو نحوها. وذكر أن أبا بكر بن عبد الله، حدثه عن إسحاق بن عبد الله، عن أبان بن صالح بذلك وزعم أن ابن جريج حدثه عن عمرو بن دينار، عن أبي جعفر، قال: توفيت فاطمة ع بعد النبي ص بثلاثة أشهر.

قال: وحدثنا ابن جريج، عن الزهري، عن عروة، قال: توفيت فاطمة بعد النبي ص بستة أشهر.

قال الواقدي: وهو أثبت عندنا.

قال: وغسلها على ع وأسماء بنت عميس

قال: وحدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله بن عثمان بن حنيف، عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، عن عمرة ابنة عبد الرحمن قالت: صلى عليها العباس بن عبد المطلب.

وحدثنا أبو زيد، قال: حدثنا علي، عن أبي معشر، قال: دخل قبرها العباس وعلي والفضل بن العباس.

قَالَ: وفيها توفي عبد الله بن أبي بكر بن أبي خفافة، وَكَانَ أَصَابَهُ بِالطَّائِفِ سَهْمٌ مَعَ النَّبِيِّ ص، رماه أبو محجن، ودمل الجرح حتى انتقض به في شوال، فمات.

وحدثني أبو زيد، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِي، قَالَ: حدثنا أبو معشر ومحمد بن إِنْخَاقَ وجويرة بن أسماء بإسناده الَّذِي ذَكَرْتُ قَبْلَ، قَالُوا: فِي الْعَامِ الَّذِي بَوَّعَ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ مَلِكَ أَهْلِ فَارَسَ عَلَيْهِمْ يَزْدَجَرْدَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وفيها كَانَ لِقَاءُ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ خَارِجَةَ بْنَ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بِإِسْنَادِهِ الَّذِي ذَكَرْتُ قَبْلَ، قَالُوا: أَقَامَ أَبُو بَكْرٍ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَتَوَجَّهَ أَصَامَةُ فِي جَيْشِهِ إِلَى حَيْثُ قَتَلَ أَبُوهُ زَيْدٌ بَنَ حَارِثَةَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَمْرَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ، لَمْ يَحْدُثْ شَيْئًا، وَقَدْ جَاءَتْهُ وَفُودُ الْعَرَبِ مُرْتَدِّينَ يَقْرُونَ بِالصَّلَاةِ، وَيَمْنَعُونَ الزَّكَاةَ.

فَلَمْ يَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَرَدَّهُمْ، وَأَقَامَ حَتَّى قَدِمَ أَصَامَةُ بْنُ زَيْدٍ بَنَ حَارِثَةَ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا مِنْ شَخْصِهِ - وَيُقَالُ: بَعْدَ سَبْعِينَ يَوْمًا - فَلَهَا قَدِمَ أَصَامَةُ بْنُ زَيْدٍ اسْتَخْلَفَهُ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْمَدِينَةِ وَشَخْصَ - وَيُقَالُ اسْتَخْلَفَ سَنَانَا الضَّمْرِي عَلَى الْمَدِينَةِ - فَسَارَ وَنَزَلَ بِذِي الْقَصَبَةِ فِي جُمَادَى الْأُولَى، وَيُقَالُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَكَانَ نُوْفَلُ بْنُ مَعَاوِيَةَ الدِّيلِيُّ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص،

فَلَقِيَهُ خَارِجَةُ بْنُ حِصْنٍ بِالشَّرْبَةِ، فَأَخَذَ مَا فِي يَدَيْهِ، فَرَدَّهُ عَلَى بَنِي فِزَارَةَ، فَرَجَعَ نُوْفَلٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ قُدُومِ أَصَامَةَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَأُولُ حَرْبٍ كَانَتْ فِي الرَّدِّ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ص حَرْبُ الْعَنْسِيِّ، وَقَدْ كَانَتْ حَرْبُ الْعَنْسِيِّ بِالْيَمَنِ، ثُمَّ حَرْبُ خَارِجَةَ بْنَ حِصْنٍ وَمَنْظُورُ بْنُ زَبَانَ بْنِ سِيَارٍ فِي غُطْفَانَ، وَالْمَسْلُومُونَ غَارُونَ، فَانْحَازَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى أَجْمَةِ فَاسْتَتَرَ بِهَا، ثُمَّ هَزَمَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ.

وحدثني عبيد الله، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمِّي، قَالَ: أَخْبَرَنَا سَيْفٌ - وَحَدَّثَنِي السَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَيْفٌ - عَنْ الْجَالِدِ ابْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: لَمَّا فَصَلَ أَصَامَةُ كَفَرْتَ الْأَرْضَ وَتَضَرَّمَتْ، وَارْتَدَّتْ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ عَامَةً أَوْ خَاصَةً الْا قَرِيْشًا وَثَقِيفًا. وَحَدَّثَنِي عبيد الله، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمِّي، قَالَ: أَخْبَرَنَا سَيْفٌ - وَحَدَّثَنِي السَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَيْفٌ - عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ص، وَفَصَلَ أَصَامَةُ ارْتَدَّتْ الْعَرَبُ عَوَامٌ أَوْ خَوَاصٌ، وَتَوَحَّى مَسِيلَةَ وَطْلِيحَةَ، فَاسْتَغْلَظَ أَمْرُهُمَا، وَاجْتَمَعَ عَلَى طَلِيحَةَ عَوَامٌ طَيِّئٌ وَأَسَدٌ، وَارْتَدَّتْ غُطْفَانُ إِلَى مَا كَانَ مِنْ أَشْجَعٍ وَخَوَاصٌ مِنَ الْأَفْنَاءِ فَبَايَعُوهُ، وَقَدِمَتْ هَوَازَنُ رَجُلًا وَأَخْرَجَتْ رَجُلًا أَمْسَكُوا الصَّدَقَةَ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ ثَقِيفٍ وَلَفْهَاءَ، فَإِنَّهُمْ اقْتَدَى بِهِمْ عَوَامٌ جَدِيلَةٌ وَالْأَعْجَازُ، وَارْتَدَّتْ خَوَاصٌ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ النَّاسِ بِكُلِّ مَكَانٍ.

قَالَ: وَقَدِمَتْ رَسُلُ النَّبِيِّ ص مِنَ الْيَمَنِ وَالْيَمَامَةِ وَبِلَادِ بَنِي أَسَدٍ وَوَفُودٌ مِنْ كَانَ كَاتِبَهُ النَّبِيُّ ص، وَأَمْرُهُ فِي الْأَسْوَدِ وَمَسِيلِهِ وَطْلِيحَةَ بِالْأَخْبَارِ وَالْكِتَابِ، فَدَفَعُوا كِتَابَهُمْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، وَخَبَرُوهُ

الْخَبَرَ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو بَكْرٍ: لَا تَبْرَحُوا حَتَّى تَجِيءَ رَسُلُ أَمْرَائِكُمْ وَغَيْرِهِمْ بِأَدَهَى مِمَّا وَصَفْتُمْ وَأَمْرٌ، وَانْتِقَاضُ الْأُمُورِ فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ قَدِمَتْ كُتُبُ أَمْرَاءِ النَّبِيِّ ص مِنْ كُلِّ مَكَانٍ بَانْتِقَاضَ عَامَةٍ أَوْ خَاصَةٍ، وَتَبَسُّطَهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمِيلِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَحَارَبَهُمْ أَبُو بَكْرٍ بِمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص حَارَبَهُمْ بِالرَّسْلِ فَرَدَّ رَسْلَهُمْ بِأَمْرِهِ، وَأَتْبَعَ الرِّسْلَ رَسْلًا، وَانْتَظَرَ بِمَصَادِمَتِهِمْ قُدُومَ أَصَامَةَ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ صَادَمَ عَبْسَ وَذِيانَ، عَاجِلُوهُ فَقَاتَلَهُمْ قَبْلَ رَجُوعِ أَصَامَةَ.

وحدثني عبيد الله، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَمِّي، قَالَ: أَخْبَرَنَا سَيْفٌ - وَحَدَّثَنِي السَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَيْفٌ - عَنْ أَبِي عَمْرٍو، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ، قَالَ: مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَعَمَالُهُ عَلَى قِضَاعَةٍ، وَعَلَى كَلْبٍ أَمْرُ الْقَيْسِ بْنِ الْأَصْبَغِ الْكَلْبِيُّ مِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ، وَعَلَى الْقَيْنِ عَمْرٍو بْنِ الْحَكَمِ، وَعَلَى سَعْدِ هَذِيمٍ مَعَاوِيَةَ بْنِ فُلَانٍ الْوَائِلِيِّ.

وَقَالَ السَّرِيُّ الْوَائِلِيُّ: فَارْتَدَّ وَدِيعَةُ الْكَلْبِيِّ فِيمَنْ آزَرَهُ مِنْ كَلْبٍ، وَبَقِيَ أَمْرُ الْقَيْسِ عَلَى دِينِهِ، وَارْتَدَّ زَمِيلُ بْنُ قُطَيْبَةَ الْقَيْنِيِّ فِيمَنْ آزَرَهُ مِنْ بَنِي الْقَيْنِ وَبَقِيَ عَمْرٍو، وَارْتَدَّ مَعَاوِيَةَ فِيمَنْ آزَرَهُ مِنْ سَعْدِ هَذِيمٍ.

فكتب أبو بكر إلى امرئ القيس بن فلان- وهو جد سكينه ابنة حسين- فسار لوديعة، وإلى عمرو فأقام لزميل، وإلى معاوية العذري فلها توسط أسامة بلاد قضاة، بث الخيول فيهم وأمرهم أن ينهضوا من أقام على الإسلام إلى من رجع عنه، فخرجوا هرباً، حتى أروا إلى دومة، واجتمعوا إلى وديعة، ورجعت خيول أسامة إليه، ففرض فيها أسامة.

حتى أغار على الحمقتين، فأصاب في بني الضبيب من جذام، وفي بني خليل من لحم ولفها من القبيلين، وحازهم من آبل وانكفأ سالماً غانماً فحدثني السري، قال: حدثنا شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، قال: مات رسول الله ص، واجتمعت أسد وغطفان وطئ على طليحة، إلا ما كان من خواص أقوام في القبائل الثلاث، فاجتمعت أسد بسميراء، وفرارة ومن يليهم من غطفان بجنوب طيبة، وطئ على حدود أرضهم واجتمعت ثعلبة بن سعد ومن يليهم من مرة وعبس بالأبرق من الربذة، وتأشب، إليهم ناس من بني كنانة، فلم تحملهم البلاد، فافترقوا فرقتين، فأقامت فرقة منهم بالأبرق، وسارت الأخرى إلى ذي القصة، وأمدهم طليحة بجال فكان حبال على أهل ذي القصة من بني أسد ومن تأشب من ليث والدليل ومدلج وكان على مرة بالأبرق عوف بن فلان بن سنان، وعلى ثعلبة وعبس الحارث ابن فلان، أحد بني سبيع، وقد بعثوا وفوداً فقدموا المدينة، فنزلوا على وجوه الناس، فأنزلوهم ما خلا عباساً فتحملوا بهم على أبي بكر، على أن يقيموا الصلاة، وعلى ألا يؤتوا الزكاة، فعزم الله لأبي بكر على الحق، وقال: لو منعوني عقلاً لجاهدتهم عليه- وكانت عقل الصدقة على أهل الصدقة مع الصدقة- فردهم فرجع وفد من يلي المدينة من المرتدة إليهم، فأخبروا

عشائهم بقله من أهل المدينة، وأطعموهم فيها، وجعل أبو بكر بعد ما أخرج الوفد على انقاب المدينة نفراً: علياً والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود، وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد، وقال لهم: إن الأرض كافرة، وقد رأى وفدكم منكم قلة، وإنكم لا تدرون أليلاً تؤتون أم نهراً! وأدناهم منكم على يريد.

وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم، وقد أئبنا عليهم، ونبذنا إليهم عهدهم، فاستعدوا وأعدوا فلبثوا إلا ثلاثاً حتى طرقت المدينة غارة مع الليل، وخلفوا بعضهم بذي حسي، ليكونوا لهم رداء، فوافق الغوار ليلاً الانقاب، وعليها المقاتلة، ودونهم أقوام يدرجون، فنبهوهم، وأرسلوا إلى أبي بكر بالخبر، فأرسل إليهم أبو بكر أن الزموا أماكنكم، ففعلوا وخرج في أهل المسجد على النواضح إليهم، فانفش العدو، فاتبعهم المسلمون على إبلهم، حتى بلغوا ذا حسي، فخرج عليهم الرداء بأنحاء قد نفخوها، جعلوا فيها الحبال، ثم ددهوها بأرجلهم في وجوه الإبل، فتدهده كل نحي في طوله، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها- ولا تنفر الإبل من شيء نفاها من الأنحاء- فعاجت بهم ما يملكونها، حتى دخلت بهم المدينة، فلم يصرع مسلم ولم يصب، فقال: في ذلك الخطيل بن أوس أخو الخطيئة ابن أوس:

فدى لبني ذبيان رحلي وناقتي ... عشية يحذى بالرماح أبو بكر
ولكن يدهدي بالرجال فهينه ... إلى قدر ما أن يزيد ولا يحري
ولله أجناد تذاق مذاقه ... لتحسب فيما عد من عجب الدهر!
وأنشده الزهري: من حسب الدهر.

وقال عبد الله الليثي، وكانت بنو عبد مناة من المرتدة- وهم بنو ذبيان- في ذلك الأمر بذي القصة وبذي حمى:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا ... فيا لعباد الله ما لأبي بكر!
أبورثها بكراً إذا مات بعده ... وتلك لعمر الله قاصمة الظهر
فهلاً رددتم وفدنا بزمانه ... وهلاً خشيم حس راغية البكر!
وإن التي سألوكم فننعم ... لكاتمر أو أحلى إلي من التمر

فظن القوم بالمسلمين الوهن، وبعثوا إلى أهل ذي القصة بالخبر، فقدموا عليهم اعتماداً في الذين أخبروهم، وهم لا يشعرون لأمر الله عز وجل الذي أراده، وأحب أن يبلغه فيهم، فبات أبو بكر ليلته يتهياً، فعبي الناس، ثم خرج على تعبئة من أعجاز ليلته يمشي، وعلى

ميمنته النعمان بن مقرن، وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن، وعلى الساقة سويد بن مقرن معه الركاب، فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد، فما سمعوا للمسلمين همسا ولا حسا حتى وضعوا فيهم السيوف، فاقتتلوا أعجاز ليلتهم، فما ذر قرن الشمس حتى ولوهم الأدبار، وغلبوهم على عامة ظهرهم، وقتل حبال واتبعهم أبو بكر، حتى نزل بذي القصة - وكان أول الفتح - ووضع بها النعمان ابن مقرن في عدد، ورجع إلى المدينة فذل بها المشركون، فوثب بنو ذبيان وعبس على من فيهم من المسلمين، فقتلوهم كل قتلة، وفعل من وراءهم فعلهم وعز المسلمون بوقعة أبي بكر، وحلف أبو بكر ليقتلن في المشركين كل قتلة، وليقتلن في كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة، وفي ذلك يقول زياد بن حنظلة التيمي:

غداة سعى أبو بكر إليهم ... كما يسعى لموته جلال
أراح على نواحقها عليا ... ومج لمن مهجته حبال

وقال أيضا:

أقننا لهم عرض الشمال فكبكبو ... ككبكة الغزى أناخوا على الوفر

فما صبروا للحرب عند قيامها ... صبيحة يسمو بالرجال أبو بكر

طرقنا بني عبس بأدنى نباجها ... وذبيان نهننا بقاصمة الظهر

ثم لم يصنع إلا ذلك، حتى ازداد المسلمون لها ثباتا على دينهم في كل قبيلة، وازداد لها المشركون انعكاسا من أمرهم في كل قبيلة، وطرقت المدينة صدقات نفر: صفوان، الزبرقان، عدي، صفوان، ثم الزبرقان، ثم عدي، صفوان في أول الليل، والثاني في وسطه، والثالث في آخره وكان الذي بشر بصفوان سعد بن أبي وقاص، والذي بشر بالزبرقان عبد الرحمن بن عوف، والذي بشر بعدي عبد الله بن مسعود وقال غيره: أبو قتادة.

قال: وقال الناس لكلهم حين طلع: نذير، وقال أبو بكر: هذا بشير، هذا حام وليس بوان، فإذا نادى بالخير، قالوا: طالما بشرت بالخير! وذلك لتمام ستين يوما من مخرج أسامة وقدم أسامة بعد ذلك بأيام شهرين وأيام، فاستخلفه أبو بكر على المدينة، وقال له ولجنده: أريحوا وأريحوا ظهركم.

ثم خرج في الذين خرجوا إلى ذي القصة والذين كانوا على الأنقاب على ذلك الظهر، فقال له المسلمون: نشدك الله يا خليفة رسول الله أن تعرض نفسك! فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو، فابعث رجلا، فإن أصيب أمرت آخر، فقال: لا والله لا أفعل ولا وأسينكم بنفسي، فخرج في تعبته إلى ذي حسي وذو القصة، والنعمان وعبد الله وسويد على ما كانوا عليه، حتى نزل على أهل الربرة بالأبرق، فاقتتلوا، فهزم

الله الحارث وعوفا، وأخذ الحطيئة أسيرا، فطارت عبس وبنو بكر، وأقام أبو بكر على الأبرق أياما، وقد غلب بني ذبيان على البلاد وقال: حرام على بني ذبيان أن يملكوا هذه البلاد إذ غنمناها الله! وأجلاها.

فلما غلب أهل الردة، ودخلوا في الباب الذي خرجوا منه، وسامح الناس جاءت بنو ثعلبة، وهي كانت منازلهم لينزلوها، فنعوا منها فاتوه في المدينة، فقالوا: علام نمنع من نزول بلادنا! فقال: كذبتم، ليست لكم بلاد، ولكنها موهبي ونقدي، ولم يعتبهم، وحمي الأبرق لخيول المسلمين، وأرعى سائر بلاد الربرة الناس على بني ثعلبة، ثم حماها كلها لصدقات المسلمين، لقتال كان وقع بين الناس وأصحاب الصدقات، فنع بذلك بعضهم من بعض.

ولما فضت عبس وذبيان أرزوا إلى طليحة وقد نزل طليحة على براخة، وارتحل عن سمراء إليها، فأقام عليها، وقال في يوم الأبرق زياد بن حنظلة:

ويوم بالأبارق قد شهدنا ... على ذبيان يلتهب التها

أتيناهم بداهية نسوف ... مع الصديق إذ ترك العتابا

حَدَّثَنِي السَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ ثَابِتِ بْنِ الْجَدْعِ وَحَرَامِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ وَاسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَمَضَى حَتَّى انْتَهَى إِلَى الرَّبْدَةِ يَلْقَى بَنِي عَبْسٍ وَذُبْيَانَ وَجَمَاعَهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَاةِ ابْنِ كِنَانَةَ، فَلَقِيَهُمْ بِالْأَبْرِقِ، فَقَاتَلَهُمْ فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ وَفَلَهُمْ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا جَمَّ جُنْدُ أَسَامَةَ، وَثَابَ مَنْ حَوْلَ الْمَدِينَةِ خَرَجَ إِلَى ذِي الْقُصَّةِ فَنَزَلَ بِهِمْ - وَهُوَ عَلَى بَرِيدٍ مِنَ الْمَدِينَةِ تَلْقَاءَ نَجْدٍ - فَقَطَعَ فِيهَا الْجُنْدَ، وَعَقَدَ الْأَلْوِيَةَ، عَقَدَ أَحَدَ عَشَرَ لَوَاءً عَلَى أَحَدِ عَشَرَ جُنْدًا، وَأَمَرَ أَمِيرَ كُلِّ

كتاب ابى بكر إلى القبائل المرتدة ووصيته للامراء

جُنْدٍ بِاسْتِنْفَارِ مَنْ مَرَّ بِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْقُوَّةِ، وَتَخَلَّفَ بَعْضُ أَهْلِ الْقُوَّةِ لَمَنْعِ بِلَادِهِمْ.

حَدَّثَنَا السَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ يَوْسَفٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: لَمَّا أَرَاكَ أَسَامَةُ وَجُنْدُهُ ظَهَرَهُمْ وَجُوهًا، وَقَدْ جَاءَتْ صِدَقَاتُ كَثِيرَةٍ تَفْضُلُ عَنْهُمْ، قَطَعَ أَبُو بَكْرٍ الْبُعُوثَ وَعَقَدَ الْأَلْوِيَةَ، فَعَقَدَ أَحَدَ عَشَرَ لَوَاءً: عَقَدَ لِحَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَأَمْرَهُ بِطُلَيْحَةَ بْنِ خُوَيْلِدٍ، فَإِذَا فَرَغَ سَارَ إِلَى مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ بِالْبَطَاحِ أَنْ أَقَامَ لَهُ، وَلِعُكْرَمَةَ ابْنِ أَبِي جَهْلٍ وَأَمْرَهُ بِمُسَيْلَمَةَ، وَلِلْمُهَاجِرِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةٍ وَأَمْرَهُ بِجُنُودِ الْعَنْسِيِّ وَمَعُونَةِ الْأَبْنَاءِ عَلَى قَيْسِ بْنِ الْمَكْشُوحِ وَمَنْ أَعَانَهُ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَمْضِي إِلَى كِنْدَةَ بِحَضْرَمَوْتِ، وَلِحَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ - وَكَانَ قَدِمَ عَلَى تَفْصِيَةِ ذَلِكَ مِنَ الْيَمَنِ وَتَرَكَ عَمَلَهُ - وَبَعَثَهُ إِلَى الْحَمَقَتَيْنِ مِنَ مَشَارِفِ الشَّامِ، وَلِعُمَيْرِ بْنِ الْعَاصِ إِلَى جَمَاعِ قُضَاعَةَ وَوَدِيعَةَ وَالْحَارِثِ، وَلِحَذِيفَةَ بْنِ مَحْصَنِ الْغُلَفَانِيِّ وَأَمْرَهُ بِأَهْلِ دَبَا وَلِعُرْفَةَ بْنِ هَرَثَمَةَ وَأَمْرَهُ بِمُهْرَةَ، وَأَمْرَهُمَا أَنْ يَجْتَمِعَا وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي عَمَلِهِ عَلَى صَاحِبِهِ، وَبَعَثَ شُرَحْبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ فِي أَثَرِ عُكْرَمَةَ ابْنِ أَبِي جَهْلٍ، وَقَالَ: إِذَا فَرَغَ مِنَ الْيَمَامَةِ فَالْحَقْ بِقُضَاعَةَ، وَأَنْتَ عَلَى خَيْلِكَ تَقَاتِلُ أَهْلَ الرَّدَّةِ، وَلَطْرِيفَةَ بْنَ حَاجِزٍ وَأَمْرَهُ بِبَنِي سُلَيْمٍ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ هَوَازِنَ، وَلِسُوَيْدِ بْنِ مِقْرِنٍ وَأَمْرَهُ بِتِهَامَةَ الْيَمَنِ، وَلِلْعَلَاءِ بْنِ الْحَضَرَمِيِّ وَأَمْرَهُ بِالْبَحْرَيْنِ

كتاب ابى بكر الى القبائل المرتدة ووصيته للامراء

فَفَصَّلَتِ الْأُمَرَاءُ مِنْ ذِي الْقُصَّةِ، وَنَزَلُوا عَلَى قُصْدِهِمْ، فَلَحِقَ بِكُلِّ أَمِيرٍ جُنْدُهُ، وَقَدْ عَاهَدَ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُ، وَكُتِبَ إِلَى مَنْ بَعَثَ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْمُرْتَدَّةِ

حَدَّثَنَا السَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَشَارَكَهُ فِي الْعَهْدِ وَالْكِتَابِ لِحَذْمٍ، فَكَانَتْ الْكُتُبُ إِلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ الْمُرْتَدَّةِ كِتَابًا وَاحِدًا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص إِلَى مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا مِنْ عَامَّةٍ وَخَاصَّةٍ، أَقَامَ عَلَى إِسْلَامِهِ أَوْ رَجَعَ عَنْهُ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، وَلَمْ يَرْجِعْ بَعْدَ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالَةِ وَالْعَمَى، فَإِنِّي أَحَدُ إِلَهِكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، نَقَرْتُ بِمَا جَاءَ بِهِ، وَنَكْفَرُ مِنْ أَبِي وَنُجَاهَدُهُ أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْسَلَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ إِلَى خَلْقِهِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ فَهَدَى اللَّهُ بِالْحَقِّ مَنْ أَجَابَ إِلَيْهِ.

وَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِإِذْنِهِ مَنْ أَذْبَرَ عَنْهُ، حَتَّى صَارَ إِلَى الْإِسْلَامِ طَوْعًا وَكَرْهًا ثُمَّ تَوَقَّى اللَّهُ رَسُولَهُ اللَّهُ ص وَقَدْ نَفَذَ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَنَصَحَ لِأَمَّتِهِ، وَقَضَى الَّذِي عَلَيْهِ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ بَيَّنَّ لَهُ ذَلِكَ وَلِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ، فَقَالَ: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» وَقَالَ:

«وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ» وَقَالَ لِلْمُؤْمِنِينَ: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» ، فَمَنْ كَانَ إِنَّمَا يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ إِنَّمَا يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فَإِنَّ اللَّهَ لَهُ بِالْمُرْصَادِ، حَيُّ قَيُّومٌ لَا يَمُوتُ، وَلَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، حَافِظٌ لَأَمْرِهِ، مُنْتَقِمٌ مِنْ عَدُوِّهِ، يَجْزِيهِ وَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحِظْكُمْ وَنَصِيحِكُمْ مِنَ اللَّهِ، وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ نَبِيُّكُمْ ص، وَأَنْ تَهْتَدُوا بِهَدَاهُ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِدِينِ اللَّهِ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ لَمْ يَهْدِهِ اللَّهُ ضَالًّا، وَكُلَّ مَنْ لَمْ يَعْأَفِهِ مُبْتَلًى، وَكُلَّ مَنْ لَمْ يَعْزِزْهُ اللَّهُ مُحْذُولٌ، فَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ كَانَ مُهْتَدِيًّا، وَمَنْ أَضَلَّهُ كَانَ ضَالًّا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدُ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا» ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا عَمَلٌ حَتَّى يَقْرَبَهُ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ فِي الْآخِرَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ.

وَقَدْ بَلَغَنِي رُجُوعٌ مِنْ رَجَعٍ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ أَقْرَبَ بِالإِسْلَامِ وَعَمِلَ بِهِ، اغْتِرَارًا بِاللَّهِ، وَجَهَالَةً بِأَمْرِهِ، وَاجَابَةً لِلشَّيْطَانِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا» وَقَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حُزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ» ، وَإِنِّي بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ فُلَانًا فِي جَيْشٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ، وَأَمَرْتُهُ أَلَّا يُقَاتِلَ أَحَدًا وَلَا يَقْتُلَهُ حَتَّى يَدْعُوهُ إِلَى دَاعِيَةِ اللَّهِ، فَمَنْ اسْتَجَابَ لَهُ وَأَقْرَبَ وَكَفَّ وَعَمِلَ صَالِحًا قَبْلَ مِنْهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَبَى أَمَرْتُ أَنْ يُقَاتِلَهُ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ لَا يَبْقَى عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ قَدَرٌ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَحْرِقَهُمُ النَّارُ، وَيَقْتُلَهُمْ كُلَّ قَتْلَةٍ، وَأَنْ يَسِيَّ النِّسَاءَ وَالذَّرَارِيَّ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا الإِسْلَامَ، فَمَنْ اتَّبَعَهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَمَنْ تَرَكَهُ فَلَنْ يُعْزِزَ اللَّهُ وَقَدْ أَمَرْتُ رَسُولِي أَنْ يَقْرَأَ كِتَابِي فِي كُلِّ جَمْعٍ لَكُمْ، وَالدَّاعِيَةُ الْأَذَانُ، فَإِذَا أَدَّنَ الْمُسْلِمُونَ فَأَذَنُوا كُفُّوا عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يُؤْذَنُوا عَاجِلُوهُمْ، وَإِنْ أَدَّنُوا اسْأَلُوهُمْ مَا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ أَبَوْا عَاجِلُوهُمْ، وَإِنْ أَقْرَبُوا قَبِلَ مِنْهُمْ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى مَا يَنْبَغِي لَهُمْ.

فَنَفَذَتِ الرُّسُلُ بِالْكِتَابِ أَمَامَ الْجُنُودِ، وَخَرَجَتِ الْأَمْراءُ وَمَعَهُمُ الْعُهُودُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا عَهْدٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص لِفُلَانٍ حِينَ بَعَثَهُ فِيمَنْ بَعَثَهُ لِقِتَالٍ مِنْ رَجَعٍ عَنِ الإِسْلَامِ، وَعَهْدٌ إِلَيْهِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ مَا اسْتَطَاعَ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً، وَأَمْرُهُ بِالْجِدِّ فِي أَمْرِ اللَّهِ، وَمُجَاهَدَةٍ مِنْ تَوَلَّى عَنْهُ، وَرَجَعٍ عَنِ الإِسْلَامِ إِلَى أَمَانِي الشَّيْطَانِ بَعْدَ أَنْ يَعْذِرَ إِلَيْهِمْ فَيَدْعُوهُمْ بِدَاعِيَةِ الإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوهُ أَمْسَكَ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَجِيبُوهُ شَنَّ غَارَتَهُ عَلَيْهِمْ، حَتَّى يَقْرُوا لَهُ، ثُمَّ يَنْبِئُهُمُ بِالَّذِي عَلَيْهِمُ وَالَّذِي لَهُمْ، فَيَأْخُذُ مَا عَلَيْهِمْ، وَيُعْطِيهِمُ الَّذِي لَهُمْ، لَا يَنْظُرُهُمْ، وَلَا يَرُدُّ الْمُسْلِمِينَ عَنْ قِتَالِ عَدُوِّهِمْ، فَمَنْ أَجَابَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَقْرَبَ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ بِالْمَعْرُوفِ، وَإِنَّمَا يُقَاتِلُ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ عَلَى الْإِقْرَارِ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَإِذَا أَجَابَ الدَّعْوَةَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ سَبِيلٌ، وَكَانَ اللَّهُ حَسْبَهُ بَعْدَ فِيمَا اسْتَسَرَّ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْ دَاعِيَةَ اللَّهِ قَتْلَ وَقُوتَ حَيْثُ كَانَ، وَحَيْثُ بَلَغَ مُرَاعِمَةً، لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا أَعْطَاهُ إِلَّا الإِسْلَامَ، فَمَنْ أَجَابَهُ وَأَقْرَبَ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْهُ وَعَلَيْهِ، وَمَنْ أَبَى قَاتَلَهُ، فَإِنْ أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ قَتَلَ مِنْهُمْ كُلَّ قَتْلَةٍ بِالسَّلَاحِ وَالنِّيرَانِ، ثُمَّ قَسَمَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِلَّا الْخُمْسَ فَإِنَّهُ يَبْلُغُهُ، وَأَنْ يَمْنَعَ أَصْحَابَهُ الْعَجَلَةَ وَالْفَسَادَ، وَأَلَّا يَدْخُلَ فِيهِمْ حَشَوًا حَتَّى يَعْرِفَهُمْ وَيَعْلَمَ مَا هُمْ، لَا يَكُونُوا عِيُونًا، وَلَثَلَا يُؤْتَى الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِبَلِهِمْ، وَأَنْ يَقْتَصِدَ بِالْمُسْلِمِينَ وَيَرْفِقَ بِهِمْ فِي السَّيْرِ وَالْمَنْزِلِ وَيَتَفَقَّهُهُمْ، وَلَا يَعْجَلُ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَيُسْتَوْصَى بِالْمُسْلِمِينَ فِي حُسْنِ الصُّحْبَةِ وَلَيْنِ الْقَوْلِ

ذكر بقية الخبر عن غطفان حين انضمت إلى طليحة وما آل إليه امر طليحة

ذكر بقية الخبر عن غطفان حين انضمت إلى طليحة وما آل إليه امر طليحة

حدثنا عبيد الله بن سعد، قال: حدثنا عمي، قال: أخبرنا سيف - وحدثني السري، قال: حدثنا شعيب، قال: حدثنا سيف - عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد وبدر بن الحليل وهشام بن عروة، قالوا: لما أرزت عبس وذبيان ولفها إلى البرأخة، أرسل طليحة إلى جديلة والغوث أن ينضموا إليه، فتعجل إليه، فتعجل إليه أناس من الحيين، وأمرؤا قومهم بالحق بهم، فقدموا على طليحة، وبعث أبو بكر عدياً قبل توجيه خالد من ذي القصة إلى قومه، وقال: أدركهم لا يؤكلوا فخرج إليهم فقتلهم في الذروة والغارب، وخرج خالد في أثره، وأمره أبو بكر أن يبدأ بطيء على الأكاف، ثم يكون وجهه إلى البرأخة، ثم يثك بالبطاح، ولا يريم إذا فرغ من قوم حتى يحدث إليه، ويأمره بذلك وأظهر أبو بكر أنه خارج إلى خيبر ومنصب عليه منها حتى يلاقيه بالأكاف، أكاف سلمى، فخرج خالد فازار عن البرأخة، وجنح إلى أجا، وأظهر أنه خارج إلى خيبر، ثم نصب عليهم، ففقد ذلك طيئاً وبطأهم عن طليحة، وقدم عليهم عدي، فدعاهم فقالوا: لا نبايع أبا الفصيل أبداً، فقال: لقد أتاكم قوم ليبين حريمكم، ولتكنن بالفحل الأكبر، فشأنكم به فقالوا له: فاستقبل الجيش فنهه عنا حتى نستخرج من لحق بالبرأخة منا، فإننا إن خالفنا طليحة وهم في يديه قتلهم أو ارتنهم فاستقبل عدي خالداً وهو بالسنج، فقال: يا خالد، أمسك عني ثلاثاً يجتمع لك خمسمائة مقاتل تضرب بهم عدوك، وذلك خير من أن تعجلهم إلى النار، وتساغل بهم، ففعل فعاد عدى إليهم وقد أرسلوا إخوانهم، فأتوهم من براحة كالدد لهم، ولولا ذلك لم يتركوا، فعاد عدي بإسلامهم إلى خالد، وأرحل خالد نحو الأنسر يريد جديلة، فقال له عدي: إن طيئاً كالطائر، وإن جديلة

أحد جناحي طيئ، فأجلني أياماً لعل الله أن ينتقد جديلة كما انتقد الغوث، ففعل، فأتاهم عدي فلم يزل بهم حتى بايعوه، فجاءه بإسلامهم، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب، فكان خير مولود ولد في أرض طيئ وأعظمه عليهم بركة.

وأما هشام بن الكلبي، فإنه زعم أن أبا بكر لما رجع إليه أسامة ومن كان معه من الجيش، جد في حرب أهل الردة، وخرج بالناس وهو فيهم حتى نزل بذي القصة، منزلاً من المدينة على بريد من نحو نجد، فبعى هنالك جنوده، ثم بعث خالد بن الوليد على الناس، وجعل ثابت بن قيس على الأنصار، وأمره إلى خالد، وأمره أن يصمد طليحة وعيينة بن حصن، وهما على براحة، ماء من مياه بني أسد، وأظهر أني الأقبك بمن معي من نحو خيبر، مكيدة، وقد أوعب مع خالد الناس، ولكنه أراد أن يبلغ ذلك عدوه فيرعبهم ثم رجع إلى المدينة، وسار خالد بن الوليد، حتى إذا دنا من القوم بعث عكاشة بن محصن، وثابت بن أقرم - أحد بني العجلان حليفاً للأنصار - طليعة، حتى إذا دنا من القوم خرج طليحة وأخوه سلمة ينظران ويسألان: فأما سلمة فلم يمهل ثابراً أن قتله، ونادى طليحة أخاه حين رأى أن قد فرغ من صاحبه أن أعني على الرجل، فإنه آكل، فاعتونا عليه، فقتلاه ثم رجعا، وأقبل خالد بالناس حتى مروا بثابت بن أقرم قتيلاً، فلم يفتنوا له حتى وطئته المطي بأخفافها، فكبر ذلك على المسلمين، ثم نظروا فإذا هم بعكاشة بن محصن صريعاً، فجزع لذلك المسلمون، وقالوا: قتل سيدان من سادات المسلمين وفارسان من فرسانهم، فأنصرف خالد نحو طيئ.

قال هشام: قال أبو مخنف: حدثني سعد بن مجاهد، عن المحلل ابن خليفة، عن عدي بن حاتم، قال: بعثت إلى خالد بن الوليد أن سر إلي فأقم عدي أياماً حتى أبعث إلى قبائل طيئ، فأجمع لك منهم أكثر ممن معك، ثم أحبك إلى عدوك قال: فسار إلي.

قال هشام: قال أبو مخنف: حدثنا عبد السلام بن سويد أن بعض

الأنصارِ حَدَّثَهُ أَنَّ خَالِدًا لَمَّا رَأَى مَا بِأَصْحَابِهِ مِنَ الْجَزَعِ عِنْدَ مَقْتَلِ ثَابِتٍ وَعُكَاشَةَ، قَالَ لَهُمْ: هَلْ لَكُمْ إِلَى أَنْ أَمِيلَ بِكُمْ إِلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، كَثِيرٍ عَدَدُهُمْ، شَدِيدَةٍ شَوْكَتُهُمْ، لَمْ يَرْتَدَّ مِنْهُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ أَحَدًا! فَقَالَ لَهُ النَّاسُ: وَمَنْ هَذَا الْحَيُّ الَّذِي تَعْنِي؟ فَنَعِمَ وَاللَّهِ الْحَيُّ هُوَ! قَالَ لَهُمْ: طَيِّئْ، فَقَالُوا:

وَفَقَّكَ اللَّهُ، نِعَمَ الرَّأْيِ رَأَيْتَ! فَانْصَرَفَ بِهِمْ حَتَّى نَزَلَ بِالْجَيْشِ فِي طَيِّئٍ.

قَالَ هِشَامٌ: حَدَّثَنِي جَدِيلُ بْنُ خَبَابٍ النَّبَهَانِيُّ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ أَبِي، أَنَّ خَالِدًا جَاءَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى أَرْكِ، مَدِينَةِ سَلَمَى.

قَالَ هِشَامٌ: قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ أَنَّهُ نَزَلَ بِأَجَا، ثُمَّ تَعَبَى لِحَرْبِهِ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى التَّقِيَا عَلَى بُزَاخَةٍ، وَبَنُو عَامِرٍ عَلَى سَادَتِهِمْ وَقَادَتِهِمْ قَرِيبًا يَسْتَمْعُونَ وَيَتَرَبَّصُونَ عَلَى مَنْ تَكُونُ الدَّبْرَةُ.

قَالَ هِشَامٌ عَنْ أَبِي مَخْنَفٍ: حَدَّثَنِي سَعْدُ بْنُ مَجَاهِدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَشْيَاخًا مِنْ قَوْمِهِ يَقُولُونَ: سَأَلْنَا خَالِدًا أَنْ نَكْفِيَهُ قَيْسًا فَإِنَّ بَنِي أَسَدٍ حُلَفَاؤُنَا، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا قَيْسٌ بِأَوْهَنَ الشَّوْكَتَيْنِ، اضْمُدُّوا إِلَى أَيِّ الْقَبْلَتَيْنِ أَحْبَبْتُمْ، فَقَالَ عَدِيٌّ: لَوْ تَرَكَ هَذَا الدِّينَ أُسْرَتِي الْأَدْنَى فَلَا أَدْنَى مِنْ قَوْمِي لَجَاهَدْتُهُمْ عَلَيْهِ، فَأَنَا أَمْتَنُ مِنْ جِهَادِ بَنِي أَسَدٍ لِحُلْفَتِهِمْ! لَا لَعَمْرُ اللَّهِ لَا أَفْعَلُ! فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: إِنَّ جِهَادَ الْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا جِهَادٌ، لَا تُخَالَفُ رَأْيَ أَصْحَابِكَ، امْضِ إِلَى أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ، وَامْضِ بِهِمْ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ لِقَاتِلِهِمْ أَنْشَطُ.

قَالَ هِشَامٌ، عَنْ أَبِي مَخْنَفٍ: حَدَّثَنِي عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ سُوَيْدٍ، أَنَّ خَيْلَ طَيِّئٍ كَانَتْ تَلْقَى خَيْلَ بَنِي أَسَدٍ وَفَزَارَةَ قَبْلَ قُدُومِ خَالِدٍ عَلَيْهِمْ فَيَتَشَامُونَ وَلَا يَقْتَتِلُونَ، فَقَالُوا أَسَدٌ وَفَزَارَةُ: لَا وَاللَّهِ لَا نُبَايِعُ أَبَا الْفَصِيلِ أَبَدًا فَتَقُولُ لَهُمْ خَيْلُ طَيِّئٍ: أَشْهَدُ لِقَاتِلَانَكُمْ حَتَّى تَكُونَهُ أَبَا الْفَعْلِ الْأَكْبَرِ! فَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ،

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ رَكَاةٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَّ النَّاسَ لَمَّا اقْتَتَلُوا، قَاتَلَ عَيْنَهُ مَعَ طَلِيحَةَ فِي سَبْعِمِائَةٍ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ قِتَالًا شَدِيدًا، وَطَلِيحَةُ مُتَلَفِفٌ فِي كِسَاءٍ لَهُ بِنَاءٌ بَيْتَ لَهُ مِنْ شَعْرٍ، يَتَنَبَّأُ لَهُمْ، وَالنَّاسُ يَقْتَتِلُونَ، فَلَهَا هَزَتْ عَيْنُهُ الْحَرْبَ، وَضَرَسَ الْقِتَالَ، كَرَّ عَلَى طَلِيحَةَ، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكَ جَبْرِيلُ بَعْدَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ:

فَرَجَعَ فَقَاتَلَ حَتَّى إِذَا ضَرَسَ الْقِتَالَ وَهَزَتْهُ الْحَرْبُ كَرَّ عَلَيْهِ فَقَالَ: لَا أَيَّا لَكَ! أَجَاءَكَ جَبْرِيلُ بَعْدَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، قَالَ: يَقُولُ عَيْنُهُ حَلِيفًا:

حَتَّى مَتَى! قَدْ وَاللَّهِ بَلَغَ مِنَّا! قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ فَقَاتَلَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ كَرَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكَ جَبْرِيلُ بَعْدَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَاذَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: قَالَ لِي: إِنَّ لَكَ رَحًا كَرَحَاهُ، وَحَدِيثًا لَا تَنْسَاهُ، قَالَ: يَقُولُ عَيْنُهُ: أَظُنُّ أَنَّ قَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ سَيَكُونُ حَدِيثٌ لَا تَنْسَاهُ، يَا بَنِي فَزَارَةَ هَكَذَا، فَانْصَرَفُوا، فَهَذَا وَاللَّهِ كَذَابٌ فَانْصَرَفُوا وَانْهَزَمَ النَّاسُ فَغَشَوْا طَلِيحَةَ يَقُولُونَ: مَاذَا تَأْمُرُنَا؟ وَقَدْ كَانَ أَعَدَّ فَرَسَهُ عِنْدَهُ، وَهَيَأَ بَعِيرًا لَامِرَاتِهِ النُّوَارَ، فَلَمَّا أَنْ غَشَوْهُ يَقُولُونَ: مَاذَا تَأْمُرُنَا؟ قَامَ فَوَثَبَ عَلَى فَرَسِهِ، وَحَمَلَ امْرَأَتَهُ ثُمَّ نَجَا بِهَا، وَقَالَ: مِنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ وَيَنْجُو بِأَهْلِهِ فَلْيَفْعَلْ، ثُمَّ سَلَكَ الْحَوْشِيَةَ حَتَّى لَحِقَ بِالشَّامِ وَارْفَضَ جَمْعَهُ، وَقَتَلَ اللَّهُ مِنْ قَتَلَ مِنْهُمْ، وَبَنُو عَامِرٍ قَرِيبًا مِنْهُمْ عَلَى قَادَتِهِمْ وَسَادَتِهِمْ، وَتَلَكَ الْقَبَائِلُ مِنْ سَلِيمٍ وَهَوَازَنَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَلَمَّا أَوْقَعَ اللَّهُ بِطَلِيحَةَ وَفَزَارَةَ مَا أَوْقَعَ، أَقْبَلَ أَوْلَئِكَ يَقُولُونَ: نَدْخُلُ فِيمَا خَرَجْنَا مِنْهُ، وَنُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَنُسَلِّمُ لِحُكْمِهِ فِي أَمْوَالِنَا وَأَنْفُسِنَا قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَكَانَ سَبَبُ ارْتِدَادِ عَيْنَةَ وَغُطْفَانَ وَمَنْ ارْتَدَّ مِنْ طَيِّئٍ مَا حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمِّي، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَيْفٌ - وَحَدَّثَنِي السَّرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ عَنْ سَيْفٍ - عَنْ طَلْحَةَ بْنِ الْأَعْلَمِ عَنْ حَبِيبِ بْنِ رَبِيعَةَ الْأَسَدِيِّ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ فُلَانٍ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: ارْتَدَّ طَلِيحَةُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَادْعَى النَّبُوَّةَ، فَوَجَّهَ النَّبِيَّ

صَ ضَرَارَ بْنَ الْأَزْوَورِ إِلَى عُمَالِهِ عَلَى بَنِي أَسَدٍ فِي ذَلِكَ، وَأَمَرَهُمْ بِالْقِيَامِ فِي ذَلِكَ عَلَى كُلِّ مَنْ ارْتَدَّ، فَأَتَجَبَّوْا طَلِيحَةَ وَأَخَافُوهُ، وَنَزَلَ

المُسْلِمُونَ بِوَارِدَاتٍ، وَنَزَلَ الْمُشْرِكُونَ بِسَمِيرَاءَ، فَمَا زَالَ الْمُسْلِمُونَ فِي نَمَاءٍ وَالْمُشْرِكُونَ فِي نَقْصَانٍ، حَتَّى هَمَّ ضَرَارٌ بِالسَّيْرِ إِلَى طَلِيحَةَ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَهُ سِلْهًا، إِلَّا ضَرْبَةً كَانَ ضَرْبَهَا بِالْجُرَازِ، فَبَا عَنْهُ، فَشَاعَتْ فِي النَّاسِ فَأَتَى الْمُسْلِمُونَ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ بِخَيْرِ مَوْتِ نَبِيهِمْ ص، وَقَالَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ لَتِلْكَ الضَّرْبَةُ: إِنَّ السَّلَاحَ لَا يَحِيكُ فِي طَلِيحَةَ، فَمَا أَمْسَى الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ حَتَّى عَرَفُوا النُّقْصَانَ، وَارْفَضَ النَّاسُ إِلَى طَلِيحَةَ، وَاسْتَطَارَ أَمْرُهُ، وَأَقْبَلَ ذُو الْخَمَارَيْنِ عَوْفُ الْجُذُمِيِّ حَتَّى نَزَلَ بِإِزَائِنَا، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ثُمَامَةُ بْنُ أَوْسٍ بْنِ لَأَمٍ الطَّائِي: إِنْ مَعِيَ مِنْ جَدِيلِهِ خَمْسَمِائَةٍ، فَإِنْ دَهَمَكُمْ أَمْرٌ فَتَحْنُ بِالْقُرْدُودَةِ وَالْأَنْسَرِ دَوِينَ الرَّمْلَ وَارْسِلْ إِلَيْهِ مَهْلَهْلُ بْنُ زَيْدٍ: إِنْ مَعِيَ حَدُّ الْغَوْثِ، فَإِنْ دَهَمَكُمْ أَمْرٌ فَتَحْنُ بِالْأَكْثَافِ بِحِيَالٍ فَيَدُ وَإِنَّمَا تَحَدَّثْتُ طَيْئًا عَلَى ذِي الْخَمَارَيْنِ عَوْفٍ، أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ أَسَدٍ وَغَطَفَانَ وَطَيْئٍ حِلْفٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ص اجْتَمَعَتْ غَطَفَانُ وَأَسَدٌ عَلَى طَيْئٍ، فَأَزَاحُوهَا عَنْ دَارِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ: غَوْثًا وَجَدِيلَتَهَا، فَكَرِهَ ذَلِكَ عَوْفٌ، فَقَطَعَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَطَفَانَ، وَتَبَاعَ الْحَيَّانُ عَلَى الْجَلَاءِ، وَأَرْسَلَ عَوْفٌ إِلَى الْحَيَّانِ مِنْ طَيْئٍ، فَأَعَادَ حِلْفَهُمْ، وَقَامَ بِنَصْرَتِهِمْ، فَرَجَعُوا إِلَى دُورِهِمْ، وَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى غَطَفَانَ، فَلَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَامَ عَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ فِي غَطَفَانَ، فَقَالَ:

مَا أَعْرِفُ حَدُودَ غَطَفَانَ مُنْذُ انْقَطَعَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَنِي أَسَدٍ، وَإِنِّي لَمَجْدِدُ الْحِلْفِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا فِي الْقَدِيمِ وَمَتَابِعُ طَلِيحَةَ، وَاللَّهُ لَأَنْ تَتَّبِعَ نَبِيًّا مِنَ الْخَلِيفَيْنِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ تَتَّبِعَ نَبِيًّا مِنْ قُرَيْشٍ، وَقَدْ مَاتَ مُحَمَّدٌ، وَبَقِيَ طَلِيحَةُ فَطَابَقُوهُ عَلَى رَأْيِهِ، فَفَعَلَ وَفَعَلُوا فَلَمَّا اجْتَمَعَتْ غَطَفَانُ عَلَى الْمُطَابَقَةِ لَطَلِيحَةَ هَرَبَ ضَرَارٌ وَقُضَاعِي وَسَنَانٌ وَمَنْ كَانَ قَامَ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ ص فِي بَنِي أَسَدٍ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، وَارْفَضَ مَنْ كَانَ مَعَهُمْ، فَأَخْبَرُوا أَبَا بَكْرٍ الْخَبَرَ، وَأَمْرُوهُ بِالْخَذَرِ، فَقَالَ ضَرَارُ بْنُ الْأَزْوَ: فَمَا رَأَيْتَ أَحَدًا- لَيْسَ رَسُولُ اللَّهِ ص- أَمَلًا بِحَرْبٍ شَعْوَاءَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، لَجَعَلْنَا نُخْبِرُهُ، وَلَكِنَّا نَخْبِرُهُ بِمَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ وَقَدِمْتُ عَلَيْهِ وَفُودُ بَنِي أَسَدٍ وَغَطَفَانَ وَهَوَازَنَ وَطَيْئٍ، وَتَلَقَّتُ وَفُودَ قُضَاعَةَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَخَوَّزَهَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَاجْتَمَعُوا بِالْمَدِينَةِ فَزَلُّوا عَلَى وَجْهِ الْمُسْلِمِينَ، لِعَاشِرٍ مِنْ مُتَوَقِّ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَعَرَضُوا الصَّلَاةَ عَلَى أَنْ يُعْفُوا مِنَ الزَّكَاةِ، وَاجْتَمَعَ مَلَأٌ مِنْ أَتْلَهُمْ عَلَى قَبُولِ ذَلِكَ حَتَّى يَبْلُغُوا مَا يَرِيدُونَ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ وَجْهِ الْمُسْلِمِينَ أَحَدٌ إِلَّا أَنْزَلَ مِنْهُمْ نَازِلًا إِلَّا الْعَبَّاسَ ثُمَّ اتَّوَا أَبَا بَكْرٍ فَأَخْبَرُوهُ خَبَرَهُمْ وَمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ مَلُؤُهُمْ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، فَإِنَّهُ أَبَى إِلَّا مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَأْخُذُ، وَأَبَوَا، فَفَرَدَهُمْ وَأَجْلَهُمْ يَوْمًا وَلَيْلَةً، فَتَطَايَرُوا إِلَى عَشَائِرِهِمْ.

حَدَّثَنِي السَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ الْحَجَّاجِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَدْ بَعَثَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى جَيْفَرٍ، مُنْصَرَفَهُ مِنْ حِجَّةِ الْوَدَاعِ، فَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَعَمْرُو بْنُ عَمَانَ، فَأَقْبَلَ حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَى الْبَحْرَيْنِ وَجَدَ الْمُنْذَرَ بْنَ سَاوَى فِي الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُ الْمُنْذَرُ: أَشَرُّ عَلَيَّ فِي مَالِي بِأَمْرِ لِي وَلَا عَلَيَّ، قَالَ: صَدِّقْ بِعَقَارِ صَدَقَةٍ تَجْرِي مِنْ بَعْدِكَ، فَفَعَلَ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، فَسَارَ فِي بَنِي تَمِيمٍ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا إِلَى بِلَادِ بَنِي عَامِرٍ، فَزَلَّ عَلَى قُرَّةَ بْنِ هَبِيرَةَ، وَقُرَّةٌ يَقْدُمُ رَجُلًا وَيُؤَخِّرُ رَجُلًا، وَعَلَى ذَلِكَ بَنُو عَامِرٍ كُلُّهُمْ إِلَّا خَوَاصُّ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَأَطَافَتْ بِهِ قُرَيْشٌ، وَسَأَلُوهُ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْعَسَاكِرَ مُعْسَكَةٌ مِنْ دَبَا إِلَى حَيْثُ انْتَهَيْتِ إِلَيْكُمْ، فَتَفَرَّقُوا وَتَحَلَّقُوا حِلْقًا، وَأَقْبَلَ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ يُرِيدُ التَّسْلِيمَ عَلَى عَمْرُو،

فَمَرَّ بِحَلَقَةٍ، وَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنَ الَّذِي سَمِعُوا مِنْ عَمْرُو فِي تِلْكَ الْحَلَقَةِ: عُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَسَعْدٌ، فَلَمَّا دَنَا عَمْرُو مِنْهُمْ سَكَنُوا، فَقَالَ: فِيمَ أَنْتُمْ؟ فَلَمْ يُجِيبُوهُ، فَقَالَ: مَا أَعْلَمَنِي بِالَّذِي خَلَوْتُمْ عَلَيْهِ! فَغَضِبَ طَلْحَةُ، وَقَالَ: تَاللَّهِ يَا بَنَ الْخَطَّابِ لَتُخْبِرُنَا بِالْغَيْبِ! قَالَ: لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَكِنْ أَظُنُّ قُلْتُمْ: مَا أَخَوْفُنَا عَلَى قُرَيْشٍ مِنَ الْعَرَبِ وَاخْلَقَهُمْ أَلَّا يَقْرَأُوا بِهَذَا الْأَمْرِ! قَالُوا: صَدَقْتَ، قَالَ: فَلَا تَخَافُوا هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ، أَنَا وَاللَّهُ مِنْكُمْ عَلَى الْعَرَبِ أَخَوْفُ مِنِّي مِنَ الْعَرَبِ عَلَيْكُمْ، وَاللَّهُ لَوْ تَدَخَلُونَ مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ بِحِرَا لَدَخَلْتُهُ الْعَرَبُ

فِي آثَارِكُمْ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِيهِمْ وَمَضَى إِلَى عَمْرٍو فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ.

حَدَّثَنَا السَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: نَزَلَ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ عَمَانَ - بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ص - بِقَرَّةِ بْنِ هُبَيْرَةَ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ قُشَيْرٍ، وَحَوْلَهُ عَسْكَرٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ مِنْ أَفْنَائِهِمْ، فَذَبَحَ لَهُ وَأَكْرَمَ مِثْوَاهُ، فَلَمَّا أَرَادَ الرِّحْلَةَ خَلَا بِهِ قَرَّةٌ، فَقَالَ: يَا هَذَا، إِنَّ الْعَرَبَ لَا تَطِيبُ لَكُمْ نَفْسًا بِالإِتَاوَةِ، فَإِنْ أَنْتُمْ أَغْفَيْتُمُوهَا مِنْ أَخْذِ أَمْوَالِهَا فَسَتَسْمَعُ لَكُمْ وَتَطِيعُ، وَإِنْ أَيْتَمُ فَلَا أَرَى أَنْ تَجْتَمَعَ عَلَيْكُمْ فَقَالَ عَمْرٍو: أَكْفَرْتَ يَا قَرَّةُ! وَحَوْلَهُ بَنُو عَامِرٍ، فَكَّرَهُ أَنْ يَبُوحَ بِمُتَابَعَتِهِمْ فَيَكْفُرُوا بِمُتَابَعَتِهِ، فَيَنْفِرَ فِي شَرٍّ، فَقَالَ: لَنُرَدَّنَّكُمْ إِلَى فَيْئَتِكُمْ - وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ الْإِسْلَامُ - اجْعَلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مَوْعِدًا فَقَالَ عَمْرٍو:

أَتَوْعَدُنَا بِالْعَرَبِ وَتُخَوِّفُنَا بِهَا! مَوْعِدُكَ حَفْشُ أُمِّكَ، فَوَاللَّهِ لَا وَطِئْتُ عَلَيْكَ الْخَيْلَ وَقَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَالْمُسْلِمِينَ فَأَخْبَرَهُمْ. حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

لَمَّا فَرَغَ خَالِدٌ مِنْ أَمْرِ بَنِي عَامِرٍ وَبَيْعَتِهِمْ عَلَى مَا بَايَعَهُمْ عَلَيْهِ، أَوْثَقَ عَيْنَهُ بَنِي

حِصْنِ وَقَرَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ، فَبَعَثَ بِهِمَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا قَدِمَا عَلَيْهِ قَالَ لَهُ قَرَّةٌ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ مُسْلِمًا، وَلِي مِنْ ذَلِكَ عَلَى إِسْلَامِي عِنْدَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ شَهَادَةٌ، قَدْ مَرَّ بِي فَأَكْرَمْتُهُ وَقَرَّبْتُهُ وَمَنْعْتُهُ قَالَ: فَدَعَا أَبُو بَكْرٍ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ، فَقَالَ: مَا تَعْلَمُ مِنْ أَمْرِ هَذَا؟ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْخَبَرَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَا قَالَ لَهُ مِنْ أَمْرِ الصَّدَقَةِ، قَالَ لَهُ قَرَّةٌ: حَسْبُكَ رَحِمَكَ اللَّهُ! قَالَ: لَا وَاللَّهِ، حَتَّى أُبْلَغَ لَهُ كُلُّ مَا قُلْتَ، فَبْلَغَ لَهُ، فَتَجَاوَزَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، وَحَقَّنَ دَمَهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ رَكَّانَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَنْ نَظَرَ إِلَى عَيْنَةِ بْنِ حِصْنٍ مَجْمُوعَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِحَبْلٍ، يَخْشَاهُ غُلَامَانِ الْمَدِينَةِ بِالْجَرِيدِ، يَقُولُونَ: أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ، أَكْفَرْتَ بَعْدَ إِيمَانِكَ! فَيَقُولُ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَمَنْتُ بِاللَّهِ قَطُّ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ وَحَقَّنَ لَهُ دَمَهُ.

حَدَّثَنِي السَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ يَوْسَفَ، قَالَ: أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ، فَأَتَى بِهِ خَالِدٌ بِالْغَمْرِ - وَكَانَ عَالِمًا بِأَمْرِ طَلِيحَةَ - فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: حَدَّثْنَا عَنْهُ وَعَمَا يَقُولُ لَكُمْ، فَرَعِمَ أَنْ مِمَّا أَتَى بِهِ: وَالْحَمَامُ وَالْيَامُ، وَالصَّرْدُ الصَّوَامُ، قَدْ صَمِنَ قَبْلَكُمْ بِأَعْوَامٍ، لِيَبْلُغَنَّ مَلِكًا الْعِرَاقَ وَالشَّامَ حَدَّثَنِي السَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي يَعْقُوبَ سَعِيدَ بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: لَمَّا أَرَزَى أَهْلَ الْغَمْرِ إِلَى الْبَزَاخَةِ، قَامَ فِيهِمْ طَلِيحَةُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَرْتُ أَنْ تَصْنَعُوا رَحَا ذَاتَ عَرَاءٍ، يَرْمِي اللَّهُ بِهَا مِنْ رَمِيٍّ، يَهْوِي عَلَيْهَا مِنْ هَوَىٍّ، ثُمَّ عَيَّ جُنُودَهُ، ثُمَّ قَالَ: ابْعَثُوا فَارْسِينَ، عَلَى فَرَسِينَ

ذكر رده هوازن وسليم وعامر

أدھمین، من بني نصر بن قعين، يأتیانكم بعین فبعثوا فارسین من بني قعين، نخرج هو وسلمة طليعتين.

حَدَّثَنَا السَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ الْجَلْدِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ شَهْدِ بَزَاخَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: لَمْ يُصَبِّ خَالِدٌ عَلَى الْبَزَاخَةِ عِيْلًا وَاحِدًا، كَانَتْ عِيْلَاتُ بَنِي أَسَدٍ مُحْرَزَةً - وَقَالَ أَبُو يَعْقُوبَ: بَيْنَ مَثْبُجٍ وَفَلَجٍ، وَكَانَتْ عِيْلَاتُ قَيْسٍ بَيْنَ فَلَجٍ وَوَاسِطَ - فَلَمْ يَعُدْ أَنْ انْهَزَمُوا، فَأَقْرُوا جَمِيعًا بِالْإِسْلَامِ خَشْيَةً عَلَى الذَّرَارِيِّ، وَاتَّقُوا خَالِدًا بِطَلَبَتِهِ، وَاسْتَحَقُّوا الْأَمَانَ، وَمَضَى طَلِيحَةُ، حَتَّى نَزَلَ كَلْبٌ عَلَى النَّفْعِ، فَأَسْلَمَ، وَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا فِي كَلْبٍ حَتَّى مَاتَ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ إِسْلَامُهُ هُنَالِكَ حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ أَسَدًا وَغَطَفَانًا وَعَامِرًا قَدْ أَسْلَمُوا، ثُمَّ خَرَجَ نَحْوَ مَكَّةَ مُعْتَمِرًا فِي إِمَارَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَمَرَّ بِجَنَابَاتِ الْمَدِينَةِ، فَقِيلَ لِأَبِي بَكْرٍ:

هَذَا طَلِيحَةٌ، فَقَالَ: مَا أَصْنَعُ بِهِ! خَلُّوا عَنْهُ، فَقَدْ هَدَاهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ.
وَمَضَى طَلِيحَةٌ نَحْوَ مَكَّةَ فَقَضَى عُمَرَتَهُ، ثُمَّ أَتَى عُمَرَ إِلَى الْبَيْعَةِ حِينَ اسْتَخْلَفَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَنْتَ قَاتِلُ عُكَّاشَةَ وَثَابِتٍ! وَاللَّهِ لَا أُحِبُّكَ أَبَدًا
فَقَالَ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا تَهْمُ مِنْ رَجُلَيْنِ أَكْرَمَهُمَا اللَّهُ بِيَدَيَّ، وَلَمْ يُهَيِّ بِأَيْدِيهِمَا! فَبَايَعَهُ عُمَرُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا خُدْعُ، مَا بَقِيَ مِنْ كَهَاتِكَ؟ قَالَ:
نَفْخَةٌ أَوْ نَفْخَتَانِ بِالْكَبِيرِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى دَارِ قَوْمِهِ، فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى خَرَجَ إِلَى الْعِرَاقِ
• ذكر ردة هَوَازِنَ وسليم وعامر

حَدَّثَنَا السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سَهْلٍ وَعَبْدِ اللَّهِ، قَالَا:
أَمَّا بَنُو عَامِرٍ فَإِنَّهُمْ قَدَّمُوا رِجَالًا وَأَخْرَوْا أُخْرَى، وَنَظَرُوا مَا تَصْنَعُ أَسَدُ وَغَطَفَانُ، فَلَمَّا أُحِيطَ بِهِمْ وَبَنُو عَامِرٍ عَلَى قَادَتِهِمْ وَسَادَتِهِمْ، كَانَ
قُرَّةَ بْنِ

هَبِيرَةَ فِي كَعْبٍ وَمَنْ لَافَهَا، وَعَلَقَمَةُ بْنُ عَلَاثَةَ فِي كِلَابٍ وَمَنْ لَافَهَا، وَقَدْ كَانَ عَلَقَمَةُ أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ فِي أَرْزَمَانَ النَّبِيِّ ص، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ
فَتْحِ الطَّائِفِ حَتَّى لَحِقَ بِالشَّامِ، فَلَمَّا تَوَفَّى النَّبِيَّ ص أَقْبَلَ مُسْرِعًا حَتَّى عَسَكَرَ فِي بَنِي كَعْبٍ، مُقَدِّمًا رِجَالًا وَمُؤَخِّرًا أُخْرَى، وَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا
بَكْرٍ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ سَرِيَّةً، وَأَمَرَ عَلَيْهَا الْقَعْقَاعَ بْنَ عَمْرٍو، وَقَالَ: يَا قَعْقَاعُ، سِرْ حَتَّى تَغِيرَ عَلَى عَلَقَمَةَ بْنِ عَلَاثَةَ، لَعَلَّكَ أَنْ تَأْخُذَهُ لِي أَوْ تَقْتُلَهُ،
وَأَعْلَمْ أَنَّ شِفَاءَ الشَّقِّ الْخَوْصِ، فَاصْنَعْ مَا عِنْدَكَ فَخَرَجَ فِي تِلْكَ السَّرِيَّةِ، حَتَّى أَغَارَ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي عَلَيْهِ عَلَقَمَةُ، وَكَانَ لَا يَبْرَحُ أَنْ يَكُونَ
عَلَى رَجُلٍ، فَسَبَقَهُمْ عَلَى فَرَسِهِ، فَسَبَقَهُمْ مُرَاكِضَةً، وَأَسْلَمَ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ، فَانْتَسَفَ امْرَأَتُهُ وَبَنَاتُهُ وَنِسَاءُهُ، وَمَنْ أَقَامَ مِنَ الرِّجَالِ، فَاتَّقَوْهُ
بِالْإِسْلَامِ فَقَدَّمَ بِهِمْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَجَحَدَ وَلَدَهُ وَزَوْجَتَهُ أَنْ يَكُونُوا مَالِئًا عَلَقَمَةَ، وَكَانُوا مُقِيمِينَ فِي الدَّارِ، فَلَمْ يَبْلُغْهُ إِلَّا ذَلِكَ، وَقَالُوا: مَا
ذَنْبُنَا فِيمَا صَنَعَ عَلَقَمَةُ مِنْ ذَلِكَ! فَأَرْسَلَهُمْ ثُمَّ أَسْلَمَ، فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ.

حَدَّثَنَا السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو وَأَبِي ضَمْرَةَ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ مِثْلَ مَعَانِيهِ.
وَأَقْبَلَتْ بَنُو عَامِرٍ بَعْدَ هَزِيمَةِ أَهْلِ بَزَاخَةَ يَقُولُونَ: نَدْخُلُ فِيمَا خَرَجْنَا مِنْهُ، فَبَايَعَهُمْ عَلَى مَا بَايَعَ عَلَيْهِ أَهْلَ الْبَزَاخَةِ مِنْ أَسَدٍ وَغَطَفَانَ وَطِيئَ
قَبْلَهُمْ، وَأَعْطَوْهُ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَسَدٍ وَلَا غَطَفَانَ وَلَا هَوَازِنَ وَلَا سَلِيمٍ وَلَا طِيئٍ إِلَّا أَنْ يَأْتَوْهُ بِالَّذِينَ حَرَقُوا
وَمَثَلُوا وَعَدُوا عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي حَالِ رَدَّتِهِمْ فَأَتَوْهُ بِهِمْ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ إِلَّا قُرَّةَ بْنَ هَبِيرَةَ وَنَفَرًا مَعَهُ أَوْثَقَهُمْ، وَمِثْلَ بِالَّذِينَ عَدُوا عَلَى
الْإِسْلَامِ، فَأَحْرَقَهُمُ بِالنِّيرَانِ وَوَرَضَهُمُ بِالْحِجَارَةِ، وَرَمَى بِهِمْ مِنَ الْجِبَالِ، وَنَكَسَهُمْ فِي الْآبَارِ، وَخَزَقَ بِالنَّبَالِ وَبَعَثَ بِقُرَّةٍ وَبِالْأَسَارَى،
وَكُتِبَ

إِلَى أَبِي بَكْرٍ: إِنَّ بَنِي عَامِرٍ أَقْبَلَتْ بَعْدَ إِعْرَاضِ، وَدَخَلَتْ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ تَرْبِصٍ، وَإِنِّي لَمْ أَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ قَاتِلَنِي أَوْ سَالِمَنِي شَيْئًا حَتَّى
يَجِيئُونِي بِمَنْ عَدَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَتَقَاتَلَتْ كُلُّ قِتْلَةٍ، وَبَعَثْتُ إِلَيْكَ بِقُرَّةٍ وَأَصْحَابِهِ حَدَّثَنَا السَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي
عَمْرٍو، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: كَتَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى خَالِدٍ: لِيُزِدَكَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ خَيْرًا، وَآتَى اللَّهُ فِي أَمْرِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ
هُمْ مُحْسِنُونَ جَدِّ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَلَا تَبْنِينَ، وَلَا تَظْفَرَنَّ بِأَحَدٍ قَتَلَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا قَتَلْتَهُ وَنَكَلْتَ بِهِ غَيْرَهُ، وَمَنْ أَحْبَبْتَ مِنْ حَادِّ اللَّهِ أَوْ ضَادِّهِ،
مَنْ تَرَى أَنَّ فِي ذَلِكَ صَلَاحًا فَاقْتُلْهُ فَأَقَامَ عَلَى الْبَزَاخَةِ شَهْرًا يَصْعَدُ عَنْهَا وَيَصُوبُ، وَيَرْجِعُ إِلَيْهَا فِي طَلَبِ أَوْلَئِكَ، فَهُمْ مِنْ أَحْرَقَ، وَمِنْهُمْ
مَنْ قَطَعَهُ وَرَضَّخَهُ بِالْحِجَارَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَمَى بِهِ مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ وَقَدَّمَ بِقُرَّةٍ وَأَصْحَابِهِ، فَلَمْ يَزَلُوا وَلَمْ يَقُلْ لَهُمْ كَمَا قِيلَ لِعَيْنَيْنِ وَأَصْحَابِهِ،
لَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا فِي مِثْلِ حَالِهِمْ، وَلَمْ يَفْعَلُوا فِعْلَهُمْ قَالَ السَّرِيُّ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سَهْلٍ وَابْنِ يَعْقُوبَ، قَالَ: وَاجْتَمَعَتْ
فَلَالُ غَطَفَانَ إِلَى ظَفَرٍ، وَبِهَا أُمُّ زَمْلٍ سُلَيْمَى ابْنَةُ مَالِكِ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَهِيَ تَشَبَّهُ بِأُمِّهَا أُمُّ قُرْفَةَ بِنْتُ رَبِيعَةَ بْنِ فُلَانٍ بْنِ بَدْرٍ، وَكَانَتْ
أُمُّ قُرْفَةَ عِنْدَ مَالِكِ بْنِ حَذِيفَةَ، فَوُلِدَتْ لَهُ قُرْفَةُ، وَحَكْمَةُ، وَجَرَّاشَةُ، وَزَمْلَا، وَحَصِينَا، وَشَرِيكَا، وَعَبْدَا، وَزَفَرَا، وَمَعَاوِيَةُ، وَحَمَلَةُ، وَقَيْسَا،

ولأيا، فأما حكمة فقتله رسول الله ص يوم أغار عيينة بن حصن على سرح المدينة، قتله أبو قتادة، فاجتمعت تلك الفلال إلى سلمى، وكانت في مثل عز أمها، وعندها جمل أم قرفة، فزولوا إليها فذمرتهم، وأمرتهم بالحرب، وصعدت سائرة فيهم وصوبت، تدعوهم إلى حرب خالد، حتى اجتمعوا لها، وتشجعوا على ذلك، وتأشب إليهم الشراء من كل جانب- وكانت قد سببت أيام أم قرفة، ف وقعت لعائشة فأعتقتها، فكانت تكون عندها، ثم رجعت إلى قومها، [وقد كان النبي ص دخل عليهن يوما، فقال إن إحداكن تستنبح كلاب الحوآب،] ففعلت سلمى ذلك حين ارتدت، وطلبت بذلك الثأر، فسيرت فيما بين ظفر والحوآب، لتجتمع إليها، فتجمع إليها كل فل ومضيق عليه من تلك الأحياء من غطفان وهوازن وسليم وأسد وطبي، فلما بلغ ذلك خالدا- وهو فيما هو فيه من تتبع الثأر، وأخذ الصدقة ودعاء الناس وتسكينهم- سار إلى المرأة وقد استكتف أمرها، وغلظ شأنها، فنزل عليها وعلى جماعها، فاقتتلوا قتالا شديدا، وهي واقفة على جمل أمها، وفي مثل عزها، وكان يقال: من نحس جملها فله مائة من الإبل لعزها، وابيرت يومئذ بيوتات من جاس- قال أبو جعفر:

جاس حي من غم- وهاربه، وغم، وأصيب في أناس من كاهل، وكان قتالهم شديدا، حتى اجتمع على الجمل فوارس فعقروه وقتلوها. وقتل حول جملها مائة رجل، وبعث بالفتح، فقدم على أثر قرة بنحو من عشرين ليلة.

قال السري: قال شعيب، عن سيف، عن سهل وأبي يعقوب، قال:

كان من حديث الجواء وناعر، أن الفجاءة إياس بن عبد ياليل قدم على أبي بكر، فقال: أعني بسلاح، ومرني بمن شئت من أهل الردة، فأعطاه سلاحا، وأمره أمره، فخالف أمره إلى المسلمين، فخرج حتى ينزل بالجواء، وبعث نجبة بن أبي الميثاء من بني الشريد، وأمره بالمسلمين، فشنها غارة على كل مسلم في سليم وعامر وهوازن، وبلغ ذلك أبا بكر، فأرسل إلى طريفة بن حاجر يأمره أن يجمع له وأن يسير إليه، وبعث إليه عبد الله بن قيس الجاسي عوناً، ففعل، ثم نهضا إليه وطلباه، فجعل يلوذ منهما حتى لقياه على الجواء، فاقتتلوا، فقتل نجبة، وهرب الفجاءة، فلحقه طريفة فأسره ثم بعث به إلى أبي بكر، فقدم به على أبي بكر، فأمر فأوقد له نارا في مصلى المدينة على حطب كثير، ثم رمي به فيها مقموطا

قال أبو جعفر: وأما ابن حميد، فإنه حدثنا في شأن الفجاءة عن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: قدم على أبي بكر رجل من بني سليم، يقال له الفجاءة، وهو إياس بن عبد الله بن عبد ياليل بن عميرة بن خفاف، فقال لأبي بكر: إني مسلم، وقد أردت جهاد من ارتد من الكفار، فأحمني وأعني، فحمله أبو بكر على ظهره، وأعطاه سلاحا، فخرج يستعرض الناس: المسلم والمرتد، يأخذ أموالهم، ويصيب من امتنع منهم، ومعه رجل من بني الشريد، يقال له: نجبة بن أبي الميثاء، فلما بلغ أبا بكر خبره، كتب إلى طريفة بن حاجر: إن عدو الله الفجاءة أتاني يزعم أنه مسلم، ويسألني أن أقويه على من ارتد عن الإسلام، فحملته وسلحته، ثم انتهى إلي من يقين الخبر أن عدو الله قد استعرض الناس: المسلم والمرتد يأخذ أموالهم، ويقتل من خالفه منهم، فسر إليه بمن معك من المسلمين حتى تقتله، أو تأخذه فتأنيبني به فسار طريفة بن حاجر، فلما التقى الناس كانت بينهم الرمي بالنبل، فقتل نجبة بن أبي الميثاء بسهم رمي به، فلما رأى الفجاءة من المسلمين الجد قال لطريفة: والله ما أنت بأولى بالأمر مني، أنت أمير لأبي بكر وأنا أميره فقال له طريفة: إن كنت صادقا فضع السلاح، وانطلق معي إلى أبي بكر فخرج معه، فلما قد ما عليه أمر أبو بكر طريفة بن حاجر، فقال: اخرج به إلى هذا البقيع فخرقه فيه بالنار، فخرج به طريفة إلى المصلى فأوقد له نارا، فحرقه فيها، فقال خفاف بن ندبة- وهو خفاف بن عمير- يذكر الفجاءة، فيما صنع:

لم يأخذون سلاحه لقتاله ... ولذا كم عند الإله اثم

لادينهم ديني ولا انا منهم ... حتى يسير الى الصراة شمام

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: كانت سلم بن منصور قد انتفض بعضهم، فرجعوا

كُفَّارًا، وَثَبَّتَ بَعْضُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ مَعَ أَمِيرٍ كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ عَلَيْهِمُ،
يُقَالُ لَهُ مَعْنُ بْنُ حَاجِزٍ، أَحَدُ بَنِي حَارِثَةَ، فَلَمَّا سَارَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى طَلِيحَةَ وَأَصْحَابِهِ، كَتَبَ إِلَى مَعْنُ بْنُ حَاجِزٍ أَنْ يَسِيرَ بِمَنْ ثَبَّتَ مَعَهُ
عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ مَعَ خَالِدٍ، فَسَارَ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى عَمَلِهِ أَخَاهُ طَرِيفَهُ ابْنَ حَاجِزٍ، وَقَدْ كَانَ لِحَقِّ فَيَمَنْ لِحَقِّ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ بَاهِلٍ
الرَّوْدَةُ أَبُو شَجْرَةَ ابْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَهُوَ ابْنُ الْخَنْسَاءِ، فَقَالَ:

فَلَوْ سَأَلْتَ عَنَا غَدَاهُ مَرَامِرُ ... كَمَا كُنْتُ عَنْهَا سَائِلًا لَوْ نَأَيْتَهَا
لِقَاءَ بَنِي فَهْرٍ وَكَانَ لِقَاؤُهُمْ ... غَدَاةَ الْجَوَاءِ حَاجَةً فَقَضَيْتَهَا
صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِي وَعَرَّجْتُ مَهْرِي ... عَلَى الطَّعْنِ حَتَّى صَارَ وَرْدًا كَمِيَّتَهَا
إِذَا هِيَ صَدَّتْ عَنْ كَمِّي أُرِيدُهُ ... عَدَلْتُ إِلَيْهِ صَدْرَهَا فَهَدَيْتَهَا
فَقَالَ أَبُو شَجْرَةَ حِينَ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ:

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ مِيَّ هَوَاهُ وَأَقْصَرَ ... وَطُلُوعِ فِيهَا الْعَاذِلِينَ فَأَبْصَرَ
وَأَصْبَحَ أَذْنَى رَائِدِ الْجَهْلِ وَالصَّبَا ... كَمَا وَدَّهَا عَنَا كَذَاكَ تَغْيِرًا
وَأَصْبَحَ أَذْنَى رَائِدِ الْوَصْلِ مِنْهُمْ ... كَمَا حَبَلَهَا مِنْ حَبَلِنَا قَدْ تَبَيَّرَا
أَلَا أَيُّهَا الْمُدْبِي بِكَثْرَةِ قَوْمِهِ ... وَحَظُّكَ مِنْهُمْ أَنْ تُضَامَ وَتُقَهَّرَا
سَلَى النَّاسَ عَنَا كُلُّ يَوْمٍ كَرِيمَةٍ ... إِذَا مَا التَّقِينَا: دَارِعِينَ وَحُسْرَا
الْسَّنَا نَعَاطِي ذَا الطَّمَاحِ لِحَامِهِ ... وَنَطْعُنُ فِي الْهَيْجَا إِذَا الْمَوْتُ أَقْفَرَا!
وَعَاظِرَةُ شُهْبَاءُ تَخْطُرُ بِالْقَنَا ... تَرَى الْبَلْقُ فِي حَاقَاتِهَا وَالسَّنَوْرَا
فَرَوَيْتُ رُحْمِي مِنْ كَتِيبَةِ خَالِدٍ ... وَإِنِّي لَأَرْجُو بَعْدَهَا أَنْ أَعْمَرَا
ثُمَّ إِنَّ أَبَا شَجْرَةَ أَسْلَمَ، وَدَخَلَ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، فَلَمَّا كَانَ زَمَنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَدِمَ الْمَدِينَةَ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ،
عَنْ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَنَسٍ السُّلَمِيِّ، عَنْ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ وَحَدَّثَنَا السَّرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سَهْلِ
وَأَبِي يَعْقُوبَ وَمُحَمَّدَ بْنَ مَرْزُوقَ،

ذَكَرَ خَبَرَ بَنِي تَمِيمٍ وَامْرَأَتِ سَبَاحَ بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ سُؤَيْدٍ

وَعَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِي مَخْنَفٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَيْسٍ السُّلَمِيِّ، قَالُوا:
فَأَنَّا نَاخَ نَاقَتَهُ بِصَعِيدِ بَنِي قُرَيْظَةَ قَالَ: ثُمَّ أَتَى عُمَرُ وَهُوَ يُعْطِي الْمَسَاكِينَ مِنَ الصَّدَقَةِ وَيَقْسِمُهَا بَيْنَ فُقَرَاءِ الْعَرَبِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
أَعْطِنِي فَإِنِّي ذُو حَاجَةٍ، قَالَ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَبُو شَجْرَةَ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى السُّلَمِيُّ، قَالَ: أَبُو شَجْرَةَ! أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ، أَلَسْتَ الَّذِي تَقُولُ:
فَرَوَيْتُ رُحْمِي مِنْ كَتِيبَةِ خَالِدٍ ... وَإِنِّي لَأَرْجُو بَعْدَهَا أَنْ أَعْمَرَا
قَالَ: ثُمَّ جَعَلَ يَلْعُوهُ بِالْدَّرَةِ فِي رَأْسِهِ حَتَّى سَبَقَهُ عَدُوًّا، فَجَرَعَ إِلَى نَاقَتِهِ فَارْتَحَلَهَا، ثُمَّ أَسْنَدَهَا فِي حَرَّةٍ شَوْرَانَ رَاجِعًا إِلَى أَرْضِ بَنِي سُلَيْمٍ،
فَقَالَ:

ضَنَّ عَلَيْنَا أَبُو حَفْصٍ بَنَائِلَهُ ... وَكُلُّ مَخْتَبِطٍ يَوْمًا لَهُ وَرَقٌ

مَا زَالَ يَرْهُقُنِي حَتَّى خَذَيْتُ لَهُ ... وَحَالَ مِنْ دُونِ بَعْضِ الرَّغْبَةِ الشَّفَقُ
لَمَّا رَهَبْتُ أَبَا حَفْصٍ وَشَرَطْتُهُ ... وَالشَّيْخُ يَفْزَعُ أَحْيَانًا فَيَنْحَمِقُ
ثُمَّ ارْعَوَيْتُ إِلَيْهَا وَهِيَ جَانِحَةٌ ... مِثْلَ الطَّرِيدَةِ لَمْ يَنْبُتْ لَهَا وَرَقٌ
أُورِدَتْهَا الْحُلَّ مِنْ شُورَانٍ صَادِرَةٍ ... إِنِّي لِأُزْرِي عَلَيْهَا وَهِيَ تَتَطَلَّقُ
تَطِيرُ مَرْوَأَبَانَ عَنْ مَنَاسِمِهَا ... كَمَا تَتَوَقَّدُ عِنْدَ الْجَهْدِ الْوَرَقُ
إِذَا يُعَارِضُهَا خَرَقٌ تُعَارِضُهُ ... وَرَهَاءُ فِيهَا إِذَا اسْتَعْجَلَتْهَا خَرَقُ
يَنْوُءُ آخِرَهَا مِنْهَا بِأَوَّلِهَا ... سَرَحَ الْيَدَيْنِ بِهَا نِهَاضَةَ الْعَنْقِ
ذَكَرَ خَبَرَ بَنِي تَمِيمٍ وَأَمْرَ سَجَاحَ بِنْتِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ

وَكَانَ مِنْ أَمْرِ بَنِي تَمِيمٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَفَّى وَقَدْ فَرَّقَ فِيهِمْ عَمَالَهُ، فَكَانَ الزَّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرِ عَلَى الرَّبَابِ وَعُوفُ وَالْأَبْنَاءُ- فِيمَا ذَكَرَ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ الصَّعْبِ بْنِ عَطِيَّةَ بْنِ بِلَالٍ، عَنْ أَبِيهِ وَسَهْمِ بْنِ مَنْجَابٍ- وَقَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ عَلَى مَقَاعَسَ وَالْبَطُونِ، وَصَفْوَانَ ابْنَ صَفْوَانَ وَسَبْرَةَ بْنَ عَمْرٍو عَلَى بَنِي عَمْرٍو، هَذَا عَلَى بَهْدِي وَهَذَا عَلَى خَضَمٍ- قَبِيلَتَيْنِ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ- وَوَكَيْعِ بْنِ مَالِكٍ وَمَالِكِ بْنِ نُورَةَ عَلَى بَنِي حَنْظَلَةَ، هَذَا عَلَى بَنِي مَالِكٍ، وَهَذَا عَلَى بَنِي يَرْبُوعَ فَضْرَبَ صَفْوَانَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ حِينَ وَقَعَ إِلَيْهِ الْخَبَرُ بِمَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَدَقَاتِ بَنِي عَمْرٍو، وَمَا وَلَّى مِنْهَا وَبِمَا وَلَّى سَبْرَةَ، وَأَقَامَ سَبْرَةَ فِي قَوْمِهِ لِحَدَثِ أَنَّ نَابَ الْقَوْمِ، وَقَدْ أَطْرَقَ قَيْسٌ يَنْظُرُ مَا الزَّبْرَقَانُ صَانِعٌ وَكَانَ الزَّبْرَقَانُ مُتَعَبًّا عَلَيْهِ، وَقَلْبًا جَامِلًا إِلَّا مَرْقَهُ الزَّبْرَقَانُ بِحُظُوتهِ وَجَدَهُ وَقَدْ قَالَ قَيْسٌ وَهُوَ يَنْتَظِرُ لِيَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ لِيُخَالِفَهُ حِينَ أَبْطَأَ عَلَيْهِ: وَابْنُ بِلَالٍ مِنْ ابْنِ الْعُكَيْلَةِ! وَاللَّهُ لَقَدْ مَرَّقَنِي فَمَا أَدْرِي مَا أَصْنَعُ! لَئِنْ أَنَا تَابَعْتُ أَبَا بَكْرٍ وَأَتَيْتُهُ بِالْصَّدَقَةِ لِيَنْحَرِنَهَا فِي بَنِي سَعْدٍ فَلْيَسُودَنِي فِيهِمْ، وَلَئِنْ نَحَرْتَهَا فِي بَنِي سَعْدٍ لِيَأْتِيَنِي أَبَا بَكْرٍ فَلْيَسُودَنِي عِنْدَهُ فَعَزَمَ قَيْسٌ عَلَى قَسْمِهَا فِي الْمَقَاعَسِ وَالْبَطُونِ، فَفَعَلَ وَعَزَمَ الزَّبْرَقَانُ عَلَى الْوَفَاءِ، فَاتَّبَعَ صَفْوَانَ بِصَدَقَاتِ الرَّبَابِ وَعُوفِ وَالْأَبْنَاءِ حَتَّى قَدِمَ بِهَا الْمَدِينَةَ، وَهُوَ يَقُولُ وَيَعْرِضُ بِقَيْسٍ:
وَفَيْتَ بِأَذْوَادِ الرَّسُولِ وَقَدْ أَبَتْ ... سَعَاةٌ فَلَمْ يَرُدَّ بَعِيرًا مَجِيرَهَا

وَتَحَلَّلَ الْأَحْيَاءُ وَنَشَبَ الشَّرُّ، وَتَشَاغَلُوا وَشَغَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ثُمَّ نَدِمَ قَيْسٌ بَعْدَ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَظْلَهُ الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ أَخْرَجَ صَدَقَتَهَا، فَتَلَقَاهُ بِهَا، ثُمَّ خَرَجَ مَعَهُ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ:

أَلَا أَبْلُغَا عَنِي قَرِيْشًا رِسَالَةً ... إِذَا مَا أَتَتْهَا بَيْنَاتُ الْوُدَائِعِ

فَتَشَاغَلَتْ فِي تِلْكَ الْحَالِ عُوفُ وَالْأَبْنَاءُ بِالْبَطُونِ وَالرَّبَابِ بِمَقَاعَسَ، وَتَشَاغَلَتْ خَضَمٌ بِمَالِكٍ وَبَهْدِي بِيَرْبُوعَ، وَعَلَى خَضَمٍ سَبْرَةَ بْنَ عَمْرٍو، وَذَلِكَ الَّذِي حَلَفَهُ عَنْ صَفْوَانَ وَالْحَصِينِ بْنِ نِيَارٍ عَلَى بَهْدِي، وَالرَّبَابِ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ عَلَى ضَبَّةٍ، وَعَصَمَةُ بْنُ أَبِي رَعْلَةَ عَلَى عَبْدِ مَنَاةَ، وَعَلَى عُوفِ وَالْأَبْنَاءِ عُوفُ بْنُ الْبِلَادِ ابْنَ خَالِدٍ مِنْ بَنِي غَنَمِ الْجَشْمِيِّ، وَعَلَى الْبَطُونِ سَعْرُ بْنُ خَفَافٍ، وَقَدْ كَانَ ثَمَامَةُ ابْنُ أَثَالٍ تَأْتِيهِ أُمْدَادٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَلَمَّا حَدَّثَ هَذَا الْحَدَّثَ فِيمَا بَيْنَهُمْ تَرَاجَعُوا إِلَى عَشَائِرِهِمْ، فَأَضْرَكَ ذَلِكَ بِثَمَامَةَ بْنِ أَثَالٍ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ عِكْرَمَةُ وَأَنْهَضَهُ، فَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا، فَبَيْنَا النَّاسُ فِي بِلَادِ تَمِيمٍ عَلَى ذَلِكَ، قَدْ شَغَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَسَلَبَهُمْ بِإِزَاءٍ مِنْ قَدَمِ رَجُلٍ وَأَخْرَ أُخْرَى وَتَرْبِصَ، وَبِإِزَاءٍ مِنْ ارْتَابَ، فَجَحَّتْهُمْ سَجَاحُ بِنْتِ الْحَارِثِ قَدْ أَقْبَلَتْ مِنَ الْجَزِيرَةِ، وَكَانَتْ وَرَهْطُهَا فِي بَنِي تَغْلِبَ تَقُودُ أَفْنَاءَ رِبِيعَةٍ، مَعَهَا الْهَذِيلُ بْنُ عَمْرَانَ فِي بَنِي تَغْلِبَ، وَعَقَهُ ابْنُ هَالَالٍ فِي النَّمْرِ، وَتَادَ بَنُ فُلَانٍ فِي إِيَادٍ، وَالسَّلِيلُ بْنُ قَيْسٍ فِي شَيْبَانَ، فَأَتَاهُمْ أَمْرٌ دَهِيٌّ، هُوَ أَعْظَمُ مِمَّا فِيهِ النَّاسُ، لِهَجُومِ سَجَاحَ عَلَيْهِمْ، وَلَمَّا هَمَّ فِيهِ مِنْ اخْتِلَافِ الْكَلِمَةِ، وَالتَّشَاغُلِ بِمَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ عَفِيفُ بْنُ الْمَنْذَرِ فِي ذَلِكَ:

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَبْنَاءُ تَسْرِي ... بِمَا لَاقَتْ سَرَاةَ بَنِي تَمِيمٍ
تَدَاعَى مِنْ سَرَائِهِمْ رَجَالٌ ... وَكَانُوا فِي الذَّوَابِ وَالصَّمِيمِ

وأجوههم وَكَانَ لَهُمْ جَنَابٌ ... إلى أحياء خاليه وخيم

وكانت سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان- هي وبنو أبيها عقفان- في بني تغلب، فتنبت بعد موت رسول الله ص بالجزيرة في بني تغلب، فاستجاب لها الهذيل، وترك التنصر، وهؤلاء الرؤساء الذين أقبلوا معها لتغزو بهم أبا بكر فلما انتهت إلى الحزن راسلت مالك بن نويرة ودعته إلى المودعة، فأجابها، وفتأها عن غزوها، وحملها على أحياء من بني تميم، قالت: نعم، فشأنك بمن رأيت، فإني إنما أنا امرأة من بني يربوع، وإن كَانَ ملك فملككم فأرسلت إلى بني مالك بن حنظلة تدعوهم إلى المودعة، فخرج عطارذ بن حاجب وسروات بني مالك حَتَّى نزلوا في بني العنبر على سبرة بن عمرو هُرَابًا قد كرهوا ما صنع وكيع،

وخرج أشباههم من بني يربوع، حَتَّى نزلوا على الحصين بن نيار في بني مازن، وقد كرهوا ما صنع مالك، فلما جاءت رسلها إلى بني مالك تطلب المودعة، أجابها إلى ذَلِكَ وكيع، فاجتمع وكيع ومالك وسجاح، وقد وادع بعضهم بعضا، واجتمعوا على قتال الناس وقالوا: بمن نبدأ؟ بخضم، أم بهدي، أم بعوف والأبناء، أم بالرباب؟ وكفوا عن قيس لما رأوا من تردده وطمعوا فيه، فقالت: أعدوا الركاب، واستعدوا للنهاب، ثُمَّ أَغِيرُوا عَلَى الرَّبَابِ، فليس دونهم حجاب.

قَالَ: وصمدت سجاح للأحفار حَتَّى تنزل بها، وقالت لهم: إن الدهناء حجاز بني تميم، ولن تعدو الرباب، إذا شدها المصاب، أن تلوذ بالدجاني والدهاني، فلينزلها بعضهم فتوجه الجفول- يعني مالك بن نويرة- إلى الدجاني فنزلها، وسمعت بهذا الرباب فاجتمعوا لها، ضبتها وعبد مناتها، فولي وكيع وبشر بني بكر من بني ضبة، وولي ثعلبة بن سعد بن ضبة عقة، وولي عبد مناة الهذيل فالتقى وكيع وبشر وبكر من بني ضبة، فهزما، وأسر سماعة ووكيع وقعقاع، وقتلت قتلى كثيرة، فَقَالَ فِي ذَلِكَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ، وذلك أول ما استبان فيه الندم:

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ سَمَاعَةَ إِذْ غَزَا ... وما سر قعقاع وخاب وكيع

رَأَيْتُكَ قَدْ صَاحَبْتَ ضِبَّةَ كَارَهَا ... على ندب في الصفحتين وجيع

ومطلق أسرى كَانَ حَقًّا مَسِيرَهَا ... إلى صخرات أمرهن جميع

فصرفت سجاح والهذيل وعقة بني بكر، للمودعة التي بينها وبين وكيع- وَكَانَ عَقَّةُ خَالِ بَشَرَ- وقالت: اقتلوا الرباب ويصالحونكم ويطلقون أسراكم، وتحملون لهم دماءهم، وتحمّد غب رأيهم أخراهم فاطلقت

لهم ضبة الأسرى، وودوا القتلى، وخرجوا عنهم فَقَالَ فِي ذَلِكَ قَيْسُ يَعْبِرُهُمْ صَلْحَ ضِبَّةٍ، إسعادا لضبة وتأنيا لهم ولم يدخل في أمر سجاح عمري ولا سعدي ولا ربي، ولم يطمعوا من جميع هؤلاء إلا في قيس، حَتَّى بَدَأَ مِنْهُ إِسْعَادُ ضِبَّةٍ، وظهر منه الندم ولم يمالئهم من حنظلة إلا وكيع ومالك، فكانت ممالأتهما مودعة على أن ينصر بعضهم بعضا، ويحتاز بعضهم إلى بعضهم، وقال أصم التيمي في ذَلِكَ:

أَتَيْنَا أُخْتَ تَغْلِبَ فَاسْتَهْدَتْ ... جلائب من سراة بني أبينا

وَأَرَسْتُ دَعْوَةَ فِينَا سَفَاهَا ... وكانت من عمائر آخرينا

فَمَا كُنَّا لِنَرْزِيَهُمْ زَبَالًا ... وما كانت لتسلم إذ أتينا

أَلَا سَفَهْتَ حُلُومَكُمْ وَضَلْتَ ... عشية تحشدون لها ثبينَا

قَالَ: ثُمَّ إِنْ سَجَّاحٌ خَرَجَتْ فِي جُنُودِ الْجَزِيرَةِ، حَتَّى بَلَغَتْ النَّبَاجَ، فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ أَوْسُ بْنُ خَزِيمَةَ الْمُهْجِيمِي فِيمَنْ تَأَشَّبَ إِلَيْهِ مِنْ بَنِي عَمْرٍو، فَأَسْرَ الْهَذِيلَ، أسره رجل من بني مازن ثُمَّ أَحَدَ بَنِي وَبَرَ، يدعى ناشرة.

وأسر عقة، أسره عبدة المهجيمي، وتحاجزوا على أن يترادوا الأسرى، وينصرفوا عنهم، ولا يجتازوا عليهم، ففعلوا، فردوها وتوثقوا عليها وعليهما، أن يرجعوا عنهم، ولا يتخذوهم طريقا إلا من وراءهم فوفوا لهم، ولم يزل في نفس الهذيل على المازني، حَتَّى إِذَا قَتَلَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَانَ، جمع جمعا فأغار على سفار، وعليه بنو مازن، فقتلته بنو مازن ورموا به في سفار.

ولما رجع الهذيل وعقة إليها واجتمع رؤساء أهل الجزيرة قالوا لها: ما تأمريننا؟

فقد صالح مالك ووكيح قومهما، فلا ينصروننا ولا يزيدوننا على أن نجوز في أرضهم، وقد عاهدنا هؤلاء القوم فقالت: اليمامة، فقالوا: إن شوكة أهل اليمامة شديدة، وقد غلظ أمر مسيلة، فقالت: عليكم باليمامة، ودفوا ديف الحمame، فإنها غزوة صرامة، لا يلحقكم بعدها ملامة.

فهدت لبني حنيفة، وبلغ ذلك مسيلة فهابها، وخاف إن هو شغل بها أن يغلبه ثمامة على حجر أو شرحبيل بن حسنة، أو القبائل التي حولهم، فأهدى لها، ثم أرسل إليها يستأمنها على نفسه حتى يأتيها.

فنزلت الجنود على الأمواه، وأذنت له وأمنته، فجاءها وافدا في أربعين من بني حنيفة- وكانت راسخة في النصرانية، قد علمت من علم نصارى تغلب- فقال مسيلة: لنا نصف الأرض، وكان لقريش نصفها لو عدلت، وقد رد الله عليك النصف الذي ردت قريش، فباك به، وكان لها لو قبلت فقالت: لا يرد النصف إلا من حنف، فاحمل النصف إلى خيل تراها كالسيف فقال مسيلة: سمع الله لمن سمع، وأطمعه بالخير إذ طمع، ولا زال أمره في كل ما سر نفسه يجتمع راكم ربكم خياكم، ومن وحشة خلاكم، ويوم دينه أنجاكم فأحياكم علينا من صلوات معشر أبرار، لا أشقياء ولا فجار، يقومون الليل ويصومون النهار، لربكم الكبار، رب الغيوم والأمطار.

وقال أيضا: لما رأيت وجوههم حسنت، وأبشارهم صفت، وأيديهم طفلت، قلت لهم: لا النساء تأتون، ولا الخمر تشربون، ولكنكم معشر أبرار، تصومون يوما، وتكفون يوما، فسبحان الله! إذا جاءت الحياة كيف تحيون، وإلى ملك السماء ترقون! فلو أنها حبة خردلة، لقام عليها شهيد يعلم ما في الصدور، ولأكثر الناس فيها الثبور.

وكان مما شرع لهم مسيلة أن من أصاب ولدا واحدا عقبا لا يأتي امرأة إلى أن يموت ذلك الابن فيطلب الولد، حتى يصيب ابنا ثم يمك، فكان قد حرم النساء على من له ولد ذكر. قال أبو جعفر: وأما غير سيف ومن ذكرنا عنه هذا الخبر، فإنه ذكر أن مسيلة لما نزلت به سجاح، أغلق الحصن دونها، فقالت له سجاح: انزل، قال: فنحي عنك أصحابك، ففعلت فقال مسيلة:

اضربوا لها قبة وجروها لعلها تذكر الباه، ففعلوا، فلما دخلت القبة نزل مسيلة فقال: ليقف هاهنا عشرة، وهاهنا عشرة، ثم دارسها، فقال:

ما أوحى إليك؟ فقالت: هل تكون النساء يبتدئن! ولكن أنت قل ما أوحى إليك؟ قال: ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبل، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشي قالت: وماذا أيضا؟ قال: أوحى إلي: أن الله خلق النساء أفراجا، وجعل الرجال لهن أزواجا، ففولج فيهن قعسا إيلاجا، ثم نخرجها إذا نشاء إخراجا، فينتجن لنا سخالا إنتاجا قالت: أشهد أنك نبي، قال: هل لك أن أتزوجك فأكل بقومي وقومك العرب! قالت: نعم، قال:

ألا قومي إلى النيك ... فقد هي لك المضجع
وإن شئت ففي البيت ... وإن شئت ففي الخدع
وإن شئت سلقناك ... وإن شئت على أربع
وإن شئت بثلاثه ... وإن شئت به أجمع

قالت: بل به أجمع، قال بذلك أوحى إلي فأقامت عنده ثلاثا ثم انصرفت إلى قومها، فقالوا: ما عندك؟ قالت: كان على الحق فاتبعته فتزوجته، قالوا: فهل أصدقك شيئا؟ قالت: لا، قالوا: ارجعي إليه، فقبيح بمثلك أن ترجع بغير صداق! فرجعت، فلما رآها مسيلة أغلق الحصن، وقال: ما لك؟ قالت: أصدقني صداقا، قال: من مؤذتك؟

قالت: شبت بن ربي الرياحي، قال: علي به، فجاء فقال: ناد في أصحابك أن مسيلة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد: صلاة العشاء الآخرة وصلاة الفجر.

قال: وكان من أصحابها الزبرقان بن بدر وعطار بن حاجب ونظراؤهم.

- وذكر الكلبي أن مشيخة بني تميم حدثوه أن عامة بني تميم بالرمل لا يصلونهما- فانصرفت ومعها أصحابها، فيهم الزبرقان، وعطار بن حاجب، وعمرو بن الأهم، وغيلان بن خرشة، وشبث ابن ربيعي، فقال عطار بن حاجب: أمست نبينا أنثى نطيف بها... وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا وقال حكيم بن عياش الأعور الكلبي، وهو يعير مضر بسجاح، ويذكر ربيعة: أتوكم بدين قائم وأتيم... بمنسوخ الآيات في مصحف طب

رجع الحديث إلى حديث سيف فصالحها على أن يحمل إليها النصف من غلات اليمامة، وأبت إلا السنة المقبلة يسلفها، فباح لها بذلك، وقال: خلفي على السلف من يجمعه لك، وانصرفي أنت بنصف العام، فرجع فحمل إليها النصف، فاحتلمته وانصرفت به إلى الجزيرة، وخلفت الهذيل وعقة وزيدا لينجز النصف الباقي، فلم يفجأهم إلا دنو خالد بن الوليد منهم، فارتضوا فلم تزل سجاح في بني تغلب، حتى نقلهم معاوية عام الجماعة في زمانه، وكان معاوية حين أجمع عليه أهل العراق بعد على ع يخرج من الكوفة المستغرب في أمر علي، وينزل داره المستغرب في أمر نفسه من أهل الشام وأهل البصرة وأهل الجزيرة، وهم الذين يقال لهم النواقل في الأمصار، فأخرج من الكوفة قعقاع بن عمرو بن مالك إلى إيليا بفلسطين، فطلب إليه أن ينزل منازل بني أبيه بني عقفان، وينقلهم إلى بني تميم، فنقلهم من الجزيرة إلى الكوفة، وأنزلهم منازل القعقاع وبني أبيه، وجاءت معهم وحسن إسلامها، وخرج الزبرقان والأقرع إلى أبي بكر، وقالوا: اجعل لنا خراج البحرين ونضمن لك ألا يرجع من قومنا أحد، ففعل وكتب الكتاب وكان الذي يختلف بينهم طلحة بن عبيد الله وأشهدوا شهودا منهم عمر فلما أتى عمر بالكتاب فنظر فيه لم يشهد، ثم قال: لا والله ولا كرامة! ثم مرق الكتاب ومحاها، فغضب طلحة، فأتى أبا بكر، فقال: أنت الأمير أم عمر؟ فقال: عمر، غير أن الطاعة لي. فسكت.

وشهدا مع خالد المشاهد كلها حتى اليمامة، ثم مضى الأقرع ومعه شرحبيل إلى دومة

ذكر البطاح وخبره

ذكر البطاح وخبره

كتب إلي السري بن يحيى، عن شعيب، عن سيف، عن الصعب بن عطية بن بلال، قال: لما انصرفت سجاح إلى الجزيرة، ارعوى مالك بن نويرة، وندم وتحير في أمره، وعرف وكيع وسماعة قبح ما أتيا، فرجعا رجوعا حسنا، ولم يتجبرا، وأخرجا الصدقات فاستقبلا بها خالدا، فقال خالد: ما حملكما على مودعة هؤلاء القوم؟ فقالا: ثار كنا نطلبه في بني ضبة، وكانت أيام تشاغل وفرص، وقال وكيع في ذلك:

فلا تحسبا أني رجعت وأنتي... منعت وقد تحنى إلي الأصابع

ولكنني حاميت عن جل مالك... ولاحظت حتى أكلتني الأخادع

فلما أتانا خالد بلوائه... تخطت إليه بالبطاح الودائع

ولم يبق في بلاد بني حنظلة شيء يكره إلا ما كان من مالك بن نويرة ومن تأشب إليه بالبطاح، فهو على حاله متحير شي.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن سهل، عن القاسم وعمرو بن شعيب، قالوا: لما أراد خالد السير خرج من ظفر، وقد استبرأ أسداً وغطفاناً وطيباً وهوازن، فسار يريد البطاح دون الحزن، وعليها مالك بن نويرة، وقد تردد عليه أمره، وقد تردت الأنصار على خالد وتحلف عنه، وقالوا: ما هذا بعهد الخليفة إلينا! إن الخليفة عهد إلينا إن نحن فرغنا من البرأحة، واستبرأنا بلاد القوم أن نقيم حتى يكتب إلينا.

فَقَالَ خَالِدٌ: إِنَّ يَكُ عَهْدٍ إِلَيْكُمْ هَذَا فَقَدْ عَهْدَ إِلَيَّ أَنْ أَمْضِيَ، وَأَنَا الْأَمِيرُ وَإِلَيَّ تَنْتَهِي الْأَخْبَارُ وَلَوْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِنِي لَهُ كِتَابٌ وَلَا أَمْرٌ، ثُمَّ رَأَيْتُ فُرْصَةً، فَكُنْتُ إِنْ أَعْلَمْتُهُ فَاتْنِي لَمْ أَعْلِهِ حَتَّى أَنْتَهَزَهَا، كَذَلِكَ لَوْ ابْتَلَيْنَا بِأَمْرِ لَيْسَ مِنْهُ عَهْدٌ إِلَيْنَا فِيهِ لَمْ نَدْعُ أَنْ نَرَى أَفْضَلَ مَا مُحَضَّرْتَنَا، ثُمَّ نَعْمَلُ بِهِ.

وَهَذَا مَالِكُ بْنُ نُوَيْرَةَ بِحِيَالِنَا، وَأَنَا قَاصِدٌ إِلَيْهِ وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ، وَلَسْتُ أَكْرَهُكُمْ وَمَضَى خَالِدٌ، وَنَدِمَتِ الْأَنْصَارُ وَتَذَامَرُوا، وَقَالُوا: إِنْ أَصَابَ الْقَوْمُ خَيْرًا إِنَّهُ لَخَيْرُ حَرَمْتُمُوهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ لِيَجْتَنِبَنَّ النَّاسُ فَاجْمَعُوا لِلْحَقِّ بِخَالِدٍ وَجَرَدُوا إِلَيْهِ رَسُولًا، فَأَقَامَ عَلَيْهِمْ حَتَّى لَحِقُوا بِهِ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى قَدِمَ الْبَطَاحَ فَلَمْ يَجِدْ بِهِ أَحَدًا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ، فِيمَا كَتَبَ بِهِ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، يَذْكُرُ عَنْ شُعَيْبِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ حَدَّثَهُ عَنْ سَيْفِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ خُزَيْمَةَ بْنِ شَجَرَةَ الْعُقْفَانِيِّ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ سُوَيْدِ بْنِ الْمُثَنَّبَةِ الرِّيَّاحِيِّ، قَالَ: قَدِمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْبَطَاحَ فَلَمْ يَجِدْ عَلَيْهِ أَحَدًا، وَوَجَدَ مَالِكًا قَدْ فَرَقَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الْجَمْعِ حِينَ تَرَدَّدَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ، وَقَالَ: يَا بَنِي يَرْبُوعَ، إِنَّا قَدْ كُنَّا عَصِينَا أَمْرًا إِذْ دَعَوْنَا إِلَى هَذَا الدِّينِ، وَبَطَّأْنَا النَّاسَ عَنْهُ فَلَمْ نَفْلَحْ وَلَمْ نَنْجَحْ، وَإِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَوَجَدْتُ الْأَمْرَ يَتَأْتِي لَهُمْ بِغَيْرِ سِيَاسَةٍ، وَإِذَا الْأَمْرُ لَا يَسُوسُهُ النَّاسُ، فَإِيَّاكُمْ وَمَنَاوَاةَ قَوْمٍ صُنِعَ لَهُمْ، فَتَفَرَّقُوا إِلَى دِيَارِكُمْ وَادْخُلُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ فَتَفَرَّقُوا عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَمْوَالِهِمْ، وَخَرَجَ مَالِكٌ حَتَّى رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَلَمَّا قَدِمَ خَالِدُ الْبَطَاحَ بَثَّ السَّرَايَا وَأَمْرَهُمْ بِدَاعِيَةِ الْإِسْلَامِ أَنَّ يَأْتُوهُ بِكُلِّ مَنْ لَمْ يُجِبْ، وَإِنْ أَمْتَعَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، وَكَانَ مِمَّا أَوْصَى بِهِ أَبُو بَكْرٍ: إِذَا نَزَلْتُمْ مَنْزِلًا فَادْنُوا وَأَقِيمُوا، فَإِنْ أَذِنَ الْقَوْمُ وَأَقَامُوا فَكُفُّوا عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا شَيْءَ إِلَّا الْغَارَةُ، ثُمَّ اقْتُلُوهُمْ كُلَّ قِتْلَةٍ، الْحَرْقُ فَمَا سِوَاهُ، وَإِنْ

أَجَابَكُمْ إِلَى دَاعِيَةِ الْإِسْلَامِ فَسَائِلُوهُمْ، فَإِنْ أَقَرُّوا بِالزَّكَاةِ فَاقْبَلُوا مِنْهُمْ، وَإِنْ أَبَوْهَا فَلَا شَيْءَ إِلَّا الْغَارَةُ وَلَا كَلِمَةً جَاءَتْهُ الْخِيلُ بِمَالِكِ بْنِ نُوَيْرَةَ فِي نَفَرٍ مَعَهُ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوعَ، مِنْ عَاصِمٍ وَعَبِيدٍ وَعُرَيْنٍ وَجَعْفَرٍ، فَاخْتَلَفَتِ السَّرِيَّةُ فِيهِمْ، وَفِيهِمْ أَبُو قَتَادَةَ، فَكَانَ فِيمَنْ شَهِدَ أَنَّهُمْ قَدْ أَذْنُوا وَأَقَامُوا وَصَلُّوا فَلَمَّا اخْتَلَفُوا فِيهِمْ أَمْرُ بِهِمْ فَحْبَسُوا فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ لَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ، وَجَعَلَتْ تَرْدَادُ بَرْدًا، فَأَمَرَ خَالِدٌ مُنَادِيًا فَنَادَى: ادْفِنُوا اسْرَاكُمُ، وَكَانَتْ فِي لُغَةٍ كَأَنَّهُ إِذَا قَالُوا: دَثَرُوا الرَّجُلَ فَادْفَنُوهُ، دَفَنَتْهُ قَتْلُهُ وَفِي لُغَةٍ غَيْرِهِمْ: أَدْفَنِي فَاقْتُلْنِي، فَظَنَّ الْقَوْمُ - وَهِيَ فِي لُغَتِهِمُ الْقَتْلُ - أَنَّهُ أَرَادَ الْقَتْلَ، فَقَتَلُوهُمْ، فَقَتَلَ ضِرَارُ بْنُ الْأَزْوَرِ مَالِكًا، وَسَمِعَ خَالِدُ الْوَاعِيَّةُ، فَخَرَجَ وَقَدْ فَرَّغُوا مِنْهُمْ، فَقَالَ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا أَصَابَهُ.

وَقَدْ اخْتَلَفَ الْقَوْمُ فِيهِمْ، فَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ: هَذَا عَمَلُكَ، فَرَبَّرَهُ خَالِدٌ فَعَضِبَ وَمَضَى، حَتَّى أَتَى أَبَا بَكْرٍ فَعَضِبَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ، حَتَّى كَلَّمَهُ عُمَرُ فِيهِ، فَلَمْ يَرْضَ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَارْجَعَ إِلَيْهِ حَتَّى قَدِمَ مَعَهُ الْمَدِينَةَ، وَتَزَوَّجَ خَالِدٌ أُمَّ تَمِيمِ ابْنَةَ الْمُنْهَالِ، وَتَرَكَهَا لِيَنْقَضِيَ طَهْرُهَا، وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَكْرَهُ النِّسَاءَ فِي الْحَرْبِ وَتُعَارِيهِ، وَقَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ إِنَّ فِي سَيْفِ خَالِدٍ رَهَقًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا حَقًّا، حَقَّ عَلَيْهِ أَنْ تُقِيدَهُ، وَأَكْثَرَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ - وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ لَا يَقِيدُ مِنْ عَمَلِهِ وَلَا وَرَعَتِهِ - فَقَالَ: هِيَ يَا عُمَرُ! تَأُولُ فَأَخْطَأُ، فَارْفَعْ لِسَانَكَ عَنْ خَالِدٍ وَوَدِي مَالِكًا وَكُتِبَ إِلَى خَالِدٍ أَنْ يَقْدَمَ عَلَيْهِ، فَفَعَلَ، فَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُ،

فَعَذَرَهُ وَقَبِلَ مِنْهُ، وَعَنَّفَهُ فِي التَّزْوِيجِ الَّذِي كَانَتْ تَعِيبُ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنْ ذَلِكَ وَكُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: شَهِدَ قَوْمٌ مِنَ السَّرِيَّةِ أَنَّهُمْ أَذْنُوا وَأَقَامُوا وَصَلُّوا، فَفَعَلُوا مِثْلَ ذَلِكَ.

وَشَهِدَ آخَرُونَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَقَتَلُوا وَقَدِمَ أَخُوهُ مَتَمُّ بْنُ نُوَيْرَةَ يَنْشُدُ أَبَا بَكْرٍ دَمَهُ، وَيَطْلُبُ إِلَيْهِ فِي سَبِيهِمْ، فَكُتِبَ لَهُ بِرَدِّ

السِّي، وَأَلَحَّ عَلَيْهِ عُمَرُ فِي خَالِدٍ أَنْ يَعْزِلَهُ، وَقَالَ: إِنَّ فِي سَيْفِهِ رَهَقًا فَقَالَ: لَا يَا عُمَرُ، لَمْ أَكُنْ لِأَشِيمِ سَيْفًا سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ. كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ خُزَيْمَةَ، عَنْ عُثْمَانَ، عَنْ سُؤَيْدٍ، قَالَ: كَانَ مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ شَعْرًا، وَإِنَّ أَهْلَ الْعَسْكَرِ أَثْقُوا بِرُءُوسِهِمُ الْقُدُورَ، فَمَا مِنْهُمْ رَأْسٌ إِلَّا وَصَلَتْ النَّارُ إِلَى بَشَرَتِهِ مَا خَلَا مَالِكًا، فَإِنَّ الْقِدْرَ نَضَجَتْ وَمَا نَضَجَ رَأْسُهُ مِنْ كَثَرَةِ شَعْرِهِ، وَفِي الشَّعْرِ الْبَشَرَةُ حَرًّا أَنْ يَبْلُغَ مِنْهُ ذَلِكَ.

وَأَنشَدَهُ مَتَمِّمٌ، وَذَكَرَ خَمَصَهُ، وَقَدْ كَانَ عُمَرُ رَأَاهُ مُقَدِّمَهُ عَلَى النَّبِيِّ ص، فَقَالَ: أَكَذَاكَ يَا مُتَمِّمٌ كَانَ! قَالَ: أَمَّا مَا أَعْنِي فَنَعَمْ. حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ مِنْ عَهْدِهِ إِلَى جُبُوشِهِ: أَنَّ إِذَا غَشِيَتْ دَارًا مِنْ دُورِ النَّاسِ فَسَمِعَتْ فِيهَا أَذَانًا لِلصَّلَاةِ، فَأَمْسَكُوا عَنْ أَهْلِهَا حَتَّى تَسْأَلُوهُمْ مَا الَّذِي نَقَمُوا! وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا أَذَانًا، فَشَنُوا الْغَارَةَ، فَاقْتُلُوا، وَحَرِّقُوا

وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ لِلْمَلِكِ بِالإِسْلَامِ أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رَبِيعٍ أَخُو بَنِي سَلَمَةَ، وَقَدْ كَانَ عَاهَدَ اللَّهُ أَلَا يَشْهَدَ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ حَرْبًا أَبَدًا بَعْدَهَا، وَكَانَ يُحَدِّثُ أَنَّهُمْ لَمَّا غَشُوا الْقَوْمَ رَاوَهُمْ تَحْتَ اللَّيْلِ، فَأَخَذَ الْقَوْمُ السِّلَاحَ قَالَ: فَقُلْنَا: إِنَّا الْمُسْلِمُونَ، فَقَالُوا: وَنَحْنُ الْمُسْلِمُونَ، قُلْنَا: فَمَا بِالِ السِّلَاحِ مَعَكُمْ! قَالُوا لَنَا: فَمَا بِالِ السِّلَاحِ مَعَكُمْ! قُلْنَا: فَإِنْ كُنْتُمْ كَمَا تَقُولُونَ فَضَعُوا السِّلَاحَ، قَالَ: فَوَضَعُوهَا، ثُمَّ صَلَّيْنَا وَصَلُّوا وَكَانَ خَالِدٌ يَعْتَدِرُ فِي قَتْلِهِ أَنَّهُ قَالَ لَهُ وَهُوَ يَرَا جَعُهُ: مَا أَخَالَ صَاحِبَكُمْ إِلَّا وَقَدْ كَانَ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا قَالَ: أَوْ مَا تُعْذِرُ لَكَ صَاحِبًا! ثُمَّ قَدَّمَهُ فَضْرَبَ عُنُقَهُ وَأَعْنَاقَ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا بَلَغَ قَتْلَهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، تَكَلَّمَ فِيهِ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ فَأَكْثَرَ، وَقَالَ: عَدُو اللَّهِ عَدَا عَلَى أَمْرِي مُسْلِمٍ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ نَزَا عَلَى أَمْرَاتِهِ! وَأَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَافِلًا حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ لَهُ عَلَيْهِ صَدَأُ الْحَدِيدِ، مُعْتَجِرًا بِعِمَامَةٍ لَهُ، قَدْ غَرَزَ فِي عِمَامَتِهِ أَسْهُمًا، فَلَمَّا أَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ فَانْتَرَعَ الْأَسْهُمَ مِنْ رَأْسِهِ فَحَطَّمَهَا، ثُمَّ قَالَ:

ارثاء! قَتَلْتَ أَمْرًا مُسْلِمًا، ثُمَّ نَزَوْتَ عَلَى أَمْرَاتِهِ! وَاللَّهِ لَأَرْجُمَنَّكَ بِأَجَارِكَ- وَلَا يَكِلُهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَلَا يَظُنُّ إِلَّا أَنْ رَأَى أَبِي بَكْرٍ عَلَى مِثْلِ رَأْيِ عُمَرَ فِيهِ- حَتَّى دَخَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا أَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ أَخْبَرَهُ الْخَبْرَ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَعَذَرَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَتَجَاوَزَ عَنْهُ مَا كَانَ فِي حَرْبِهِ تِلْكَ قَالَ: نَفَرَ خَالِدٌ حِينَ رَضِيَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: هَلُمَّ إِلَى يَا بَنِي أُمِّ سُمْلَةَ! قَالَ: فَعَرَفَ عُمَرُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَدْ رَضِيَ عَنْهُ فَلَمْ يَكِلْهُ، وَدَخَلَ بَيْتَهُ.

وَكَانَ الَّذِي قَتَلَ مَالِكَ بْنَ نُؤَيْرَةَ عَبْدُ بْنُ الْأَزْوَْرِ الْأَسَدِيُّ وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ: الَّذِي قَتَلَ مَالِكَ بْنَ نُؤَيْرَةَ ضِرَارُ بْنُ الْأَزْوَْرِ

ذكر بقية خبر مسيلمه الكذاب وقومه من اهل اليمامة

ذِكْرُ بَقِيَّةِ خَبَرِ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ وَقَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَامَةِ

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ يَوْسُفَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ حِينَ بَعَثَ عِكْرَمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ إِلَى مُسَيْلِمَةَ وَاتَّبَعَهُ شُرَحْبِيلَ عَجَلٍ عِكْرَمَةَ، فَبَادَرَ شُرَحْبِيلَ لِيَذْهَبَ بِصَوْتِهَا فَوَاقِعَهُمْ، فَكَبَّوْهُ، وَأَقَامَ شُرَحْبِيلُ بِالطَّرِيقِ حَيْثُ أَدْرَكَهُ الْخَبْرُ، وَكَتَبَ عِكْرَمَةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ: يَا بَنِي أُمِّ عِكْرَمَةَ، لَا أَرَيْنَاكَ وَلَا تَرَانِي عَلَى حَالِهَا! لَا تَرْجِعْ فُتُوهُنَ النَّاسِ، امْضِ عَلَى وَجْهِكَ حَتَّى تُسَانِدَ حُدَيْفَةَ وَعُرْجَةَ فَقَاتِلْ مَعَهُمَا أَهْلَ عُمَانَ وَمَهْرَةَ، وَإِنْ شِغْلًا فَاْمْضِ أَنْتَ، ثُمَّ تَسِيرُ وَتَسِيرُ جُنْدَكَ تَسْتَبْرِئُونَ مِنْ مَرَرَتِهِمْ بِهِ، حَتَّى تَلْتَقُوا أَنْتُمْ وَالْمُهَاجِرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بِالْيَمَنِ وَحَضَرَمَوْتَ.

وَكُتِبَ إِلَى شُرَحْبِيلَ يَأْمُرُهُ بِالْمَقَامِ حَتَّى يَأْتِيَهُ أَمْرُهُ، ثُمَّ كُتِبَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُوجَّهَ خَالِدًا بِأَيَّامٍ إِلَى الْيَمَامَةِ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ خَالِدٌ، ثُمَّ فَرَّغْتَهُ مِنْ شَاءَ اللَّهِ فَالْحَقْ بِقُضَاعَةَ، حَتَّى تَكُونَ أَنْتَ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى مَنْ أَبِي مِنْهُمْ وَخَالَفَ فَلَمَّا قَدِمَ خَالِدٌ عَلَى أَبِي بَكْرٍ مِنَ الْبِطَاحِ رَضِيَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ خَالِدٍ، وَسَمِعَ عُذْرَهُ وَقَبِلَ مِنْهُ وَصَدَّقَهُ وَرَضِيَ عَنْهُ، وَوَجَّهَهُ إِلَى مُسَيْلَمَةَ وَأَوْعَبَ مَعَهُ النَّاسَ وَعَلَى الْأَنْصَارِ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ وَالْبَرَاءُ بْنُ فُلَانٍ، وَعَلَى الْمُهَاجِرِينَ أَبُو حُذَيْفَةَ وَزَيْدٌ، وَعَلَى الْقَبَائِلِ، عَلَى كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ.

وَتَعَجَّلَ خَالِدٌ حَتَّى قَدِمَ عَلَى أَهْلِ الْعُسْكَرِ بِالْبِطَاحِ، وَانْتَظَرَ الْبَعْثَ الَّذِي ضَرَبَ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ نَهَضَ حَتَّى أَتَى الْيَمَامَةَ وَبَنُو حَنِيفَةَ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ، عَنْ رِجَالٍ، قَالُوا: كَانَ عَدَدُ بَنِي حَنِيفَةَ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، فِي قُرَاهَا

وَجَرَّهَا، فَسَارَ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا أَظْلَلَ عَلَيْهِمْ أَسَدٌ خِيُولًا لِعُقَّةٍ وَالْهُذَيْلِ وَزِيَادٍ، وَقَدْ كَانُوا أَقَامُوا عَلَى خَرْجٍ أَخْرَجَهُ لَهُمْ مُسَيْلَمَةُ لِيُحِقُّوا بِهِ سَبَاحَ.

وَكُتِبَ إِلَى الْقَبَائِلِ مِنْ تَمِيمٍ فِيهِمْ، فَفَرَّوهُمْ حَتَّى أَخْرَجُوهُمْ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَعَجَّلَ شُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ، وَفَعَلَ فِعْلَ عِكْرَمَةَ، وَبَادَرَ خَالِدًا بِقِتَالِ مُسَيْلَمَةَ قَبْلَ قُدُومِ خَالِدٍ عَلَيْهِ، فَنَكِبَ، فَحَاجَزَ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ خَالِدٌ لَامَهُ، وَإِنَّمَا أَسَدَ خَالِدٌ تِلْكَ الْخِيُولَ مَخَافَةَ أَنْ يَأْتُوهُ مِنْ خَلْفِهِ، وَكَانُوا بِأَفْنِيَةِ الْيَمَامَةِ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ ثَابِتٍ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ جَابِرِ بْنِ فُلَانٍ، قَالَ: وَأَمَدَّ أَبُو بَكْرٍ خَالِدًا بِسُلَيْطٍ، لِيَكُونَ رِدْءًا لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْفِهِ، فَخَرَجَ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ خَالِدٍ وَجَدَ تِلْكَ الْخِيُولَ الَّتِي انْتَابَتْ تِلْكَ الْبِلَادَ قَدْ فَرَّقُوا، فَهَرَبُوا، وَكَانَ مِنْهُمْ قَرِيبًا رِدْءًا لَهُمْ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: لَا أَسْتَعْمِلُ أَهْلَ بَدْرٍ، أَدْعُهُمْ حَتَّى يَلْقُوا اللَّهَ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ بِهِمْ وَبِالْصُّلَحَاءِ مِنَ الْأُمَمِ أَكْثَرَ وَأَفْضَلَ مِمَّا يَنْتَصِرُ بِهِمْ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ:

وَاللَّهِ لِأَشْرِكَنَّهُمْ وَلِيُؤَسِّنِي كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ الْأَعْلَمِ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عَمِيرٍ، عَنْ أَثَالِ الْخَنْفِيِّ - وَكَانَ مَعَ ثَمَامَةَ بْنِ أَثَالٍ - قَالَ: وَكَانَ مُسَيْلَمَةُ يَصْنَعُ كُلَّ أَحَدٍ وَيَتَأَلَّفُهُ وَلَا يَبَالِي أَنْ يَطْلُعَ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى قَبِيحٍ، وَكَانَ مَعَهُ نَهَارُ الرِّجَالِ بَنُ عَنُفُوَةٍ، وَكَانَ قَدْ هَاجَرَ إِلَى النَّبِيِّ ص، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، وَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، فَبَعَثَهُ مَعَهُ لِأَهْلِ الْيَمَامَةِ وَلِيَشْغِبَ عَلَى مُسَيْلَمَةَ، وَلِيَشَدِّدَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَكَانَ أَعْظَمَ فِتْنَةً عَلَى بَنِي حَنِيفَةَ مِنْ مُسَيْلَمَةَ، شَهِدَ لَهُ أَنَّهُ سَمِعَ مُحَمَّدًا ص يَقُولُ: إِنَّهُ قَدْ أَشْرَكَ مَعَهُ، فَصَدَّقُوهُ وَاسْتَجَابُوا لَهُ، وَأَمَرُوهُ بِمَكَاتِبِهِ النَّبِيِّ ص

، وَوَعَدُوهُ إِنْ هُوَ لَمْ يَقْبَلْ أَنْ يَعِينُوهُ عَلَيْهِ، فَكَانَ نَهَارُ الرِّجَالِ بَنُ عَنُفُوَةٍ لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا تَابِعَهُ عَلَيْهِ، وَكَانَ يَنْتَهِي إِلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ يُؤْذَنُ لِلنَّبِيِّ ص، وَيَشْهَدُ فِي الْأَذَانِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَكَانَ الَّذِي يُؤْذَنُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ النُّوَاحَةِ، وَكَانَ الَّذِي يَقِيمُ لَهُ حَجِيرُ بْنُ عَمِيرٍ، وَيَشْهَدُ لَهُ، وَكَانَ مُسَيْلَمَةُ إِذَا دَنَا حَجِيرٌ مِنَ الشَّهَادَةِ، قَالَ: صَرَحَ حَجِيرٌ، فَيَزِيدُ فِي صَوْتِهِ، وَيَبَالِغُ لَتَصْدِيقِ نَفْسِهِ، وَتَصْدِيقِ نَهَارٍ وَتَضْلِيلِ مَنْ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ، فَعَظُمَ وَقَارَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ قَالَ: وَضَرَبَ حَرَمًا بِالْيَمَامَةِ، فَهَبَى عَنْهُ، وَأَخَذَ النَّاسُ بِهِ، فَكَانَ مُحَرَّمًا فَوْقَ فِي ذَلِكَ الْحَرَمِ قَرَى الْأَحَالِيفِ، أَنْفَازَ مِنْ بَنِي أَسِيدٍ، كَانَتْ دَرَاهِمُ بِالْيَمَامَةِ، فَصَارَ مَكَانَ دَارِهِمْ فِي الْحَرَمِ - وَالْأَحَالِيفِ: سِيحَانٌ وَثَمَارَةٌ وَغَمْرٌ وَالْحَارِثُ بَنُو جَرُوة - فَإِنْ أَخْصَبُوا أَغَارُوا عَلَى ثَمَارِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، وَاتَّخَذُوا الْحَرَمَ دَغْلًا، فَإِنْ نَذَرُوا بِهِمْ فَدَخَلُوهُ أَجْمَعُوا عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَنْذَرُوا بِهِمْ فَذَلِكَ مَا يَرِيدُونَ فَكَثُرَ ذَلِكَ مِنْهُمْ حَتَّى اسْتَعْدُوا عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: أُنْتَظَرُ الَّذِي يَأْتِي مِنَ السَّمَاءِ فِيكُمْ وَفِيهِمْ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: وَاللَّيْلِ الْأَطْحَمُ، وَالذُّبُّ الْأَدْلَمُ وَالْجَذَعُ الْأَزْلَمُ، مَا انْتَهَكَتَ أَسِيدٌ مِنْ مُحَرَّمٍ، فَقَالُوا: أَمَا مُحَرَّمُ اسْتِحْلَالِ الْحَرَمِ وَفَسَادِ الْأَمْوَالِ! ثُمَّ عَادُوا لِلْغَارَةِ، وَعَادُوا لِلْعُدُوى. فَقَالَ: أُنْتَظَرُ الَّذِي يَأْتِينِي، فَقَالَ: وَاللَّيْلِ الدَّامِسُ، وَالذُّبُّ الْهَامِسُ، مَا قَطَعَتْ أَسِيدٌ مِنْ رَطْبٍ وَلَا يَابَسَ، فَقَالُوا: أَمَا النَّخِيلُ مَرطُبة

فقد جدوها، وأما الجدران يابسة فقد هدموها، فقال: اذهبوا وارجعوا فلا حق لكم.

وكان فيما يقرأ لهم فيهم: إن بني تميم قوم طهر لقاح، لا مكروه

عليهم ولا إتاوة، نجاورهم ما حيننا بإحسان، تمنعهم من كل إنسان، فإذا متنا فأمرهم إلى الرحمن.

وكان يقول: والشاء وألوانها، وأعجبها السود وألوانها واللبن الأبيض، إنه لعجب محض، وقد حرم المذق، فما لكم لا تتجعون!

وكان يقول: يا ضفدع ابنة ضفدع، نقي ما تنقين، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين.

وكان يقول: والمبذرات زرعاً، والحاصدات حصداً، والذاريات قمحاً، والطاحنات طحناً، والخابزات خبزاً، والثارذات ثرداً، واللاقمات لقماً، إهالة وسمناء، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، ريفكم فامنعوه، والمعتز فآووه، والباغي فناوئوه.

قال: وأنت امرأة من بني حنيفة تكنى بأُم الهيثم فقالت: إن نخلنا لسحق وإن آبارنا لجرز، فادع الله لماثنا ولنخلنا كما دعا محمد لأهل هزمان.

فقال: يا نهار ما تقول هذه؟ فقال: ان اهل هزمان أتوا محمداً ص فشكوا بعد مائهم، - وكانت آبارهم جزا- ونخلهم أنها ستحق، فدعا لهم فجاشت آبارهم، وانخت كل نخلة قد انتهت حتى وضعت جرانها لانتهاها، فحكت به الأرض حتى أنشبت عروفا ثم قطعت من دون ذلك، فعادت فسيلاً مكماً بنى صاعداً.

قال: وكيف صنع بالآبار؟ قال: دعا بسجل، فدعا لهم فيه،

ثم تمضمض بفمه منه، ثم مجه فيه، فانطلقوا به حتى فرغوه في تلك الآبار، ثم سقوه نخلهم، ففعل النبي ما حدثك، وبقي الآخر إلى انتهائه فدعا مسيلة بدلو من ماء فدعا لهم فيه، ثم تمضمض منه، ثم مج فيه فنقلوه فأفرغوه في آبارهم فغارت مياه تلك الآبار، وخوى نخلهم، وإنما استبان ذلك بعد مهلكه.

وقال له نهار: برك على مولودي بني حنيفة، فقال له: وما التبريك؟

قال: كان أهل الحجاز إذا ولد فيهم المولود أتوا به محمداً ص فحنكه ومسح رأسه، فلم يؤت مسيلة بصبي فحنكه ومسح رأسه إلا قرع ولثغ واستبان ذلك بعد مهلكه.

وقالوا: تتبع حيطانهم كما كان محمد ص يصنع فصل فيها: فدخل حائطا من حوائط اليمامة، فتوضأ، فقال نهار لصاحب الحائط: ما يمنعك من وضوء الرحمن فتسقي به حائطك حتى يروى ويبتل، كما صنع بنو المهرية، أهل بيت من بني حنيفة- وكان رجل من المهرية قدم على النبي ص فأخذ وضوءه فنقله معه إلى اليمامة فأفرغه في بئر، ثم نزع وسقى، وكانت أرضه تهوم فرويت وجزأت فلم تلف إلا خضراء مهتزة- ففعل فعادت يباباً لا يثبت مرعاها.

وأناه رجل فقال: ادع الله لأرضي فإنها مسبخه، كما دعا محمد ص لسلي على أرضه فقال: ما يقول يا نهار؟ فقال:

قدم عليه سلي، وكانت أرضه سبخة فدعا له، وأعطاه سجلاً من ماء، ومج له فيه، فأفرغه في بئر، ثم نزع، فطابت وعذبت، ففعل مثل ذلك فانطلق الرجل، ففعل بالسجل كما فعل سلي، فغرقت أرضه، فما جف ثراها، ولا أدرك ثرها.

وأنت امرأة فاستجلبتة إلى نخل لها يدعو لها فيها، فجزت بكأسها يوم عقرباء كلها، وكانوا قد علموا واستبان لهم، ولكن الشقاء غلب عليهم.

كتب إلي السري، قال: حدثنا شعيب، عن سيف، عن خلود بن ذفرة النمري، عن عمير بن طلحة النمري، عن أبيه، أنه جاء اليمامة، فقال: أين مسيلة؟ قالوا: مه رسول الله! فقال: لا، حتى أراه، فلما جاءه، قال: أنت مسيلة؟ قال: نعم، قال: من يأتيك؟

قال: رحمن، قال: أي نور أو في ظلمة؟ فقال: في ظلمة، فقال: أشهد أنك كذاب وأن محمداً صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر، فقتل معه يوم عقرباء.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الكلبي مثله، إلا أنه قال: كذاب ربيعة أحب إلي من كذاب مضر.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن طلحة بن الأعم، عن عبيد بن عمير، عن رجل منهم، قال: لما بلغ مسيلة دنو خالد، ضرب عسكره بعقرباء، واستنفر الناس، فجعل الناس يخرجون إليه، وخرج مجاعة بن مرارة في سريه يطلب ثارا له في بني عامر وبني

تميم قد خاف فواته، وبادر به الشغل، فأما ثاره في بني عامر فكانت خولة ابنة جعفر فيهم، فمنعوه منها، فاختلفوها، وأما ثاره في بني تميم فنعم أخذوا له واستقبل خالد شريحيل بن حسنة، فقدمه وأمر على المقدمة خالد بن فلان المخزومي، وجعل على المجنبتين زيدا وأبا حذيفة، وجعل مسيلة على

مجنبتيه المحكم والرجال، فسار خالد ومعه شريحيل، حتى إذا كان من عسكر مسيلة على ليله، هجم على جيله هجوم- المقلل يقول: أربعين، والمكثر يقول: ستين- فإذا هو مجاعة وأصحابه، وقد غلبهم الكرى، وكانوا راجعين من بلاد بني عامر، قد طووا إليهم، واستخرجوا خولة ابنة جعفر فهي معهم، فعرسوا دون أصل الثنية، ثنية اليمامة، فوجدوهم نياما وأرسان خيولهم بأيديهم تحت خدودهم وهم لا يشعرون بقرب الجيش منهم، فأنهبوهم، وقالوا: من أنتم؟ قالوا: هذا مجاعة وهذه حنيفة، قالوا: وأنتم فلا حياكم الله! فأوثقوهم وأقاموا إلى أن جاءهم خالد بن الوليد، فأتوه بهم، فظن خالد أنهم جاءوه ليستقبلوه وليتقوه بحاجته، فقال: متى سمعتم بنا؟

قالوا: ما شعرنا بك، إنما خرجنا لثأر لنا فيمن حولنا من بني عامر وميم، ولو فطنوا لقالوا: تلقيناك حين سمعنا بك فأمر بهم أن يقتلوا، فجادوا كلهم بأنفسهم دون مجاعة بن مرارة، وقالوا: إن كنت تريد بأهل اليمامة غدا خيرا أو شرا فاستبق هذا ولا تقتله، فقتلهم خالد وحبس مجاعة عنده كالرهينة.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ طَلْحَةَ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ بَعَثَ إِلَى الرِّجَالِ فَاتَاهُ فَأَوْصَاهُ بِوَصِيَّتِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ إِلَى أَهْلِ الْيَمَامَةِ، وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ عَلَى الصِّدْقِ حِينَ أَجَابَهُ قَالَا:

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: جَلَسْتُ مَعَ النَّبِيِّ ص فِي رَهْطٍ مَعَنَا الرِّجَالُ ابْنُ عُنْفُوَةَ، فَقَالَ: [إِنَّ فِيكُمْ لَرَجُلًا ضَرَسَهُ فِي النَّارِ أَعْظَمُ مِنْ أَحَدٍ]، فَهَلَكَ الْقَوْمُ وَبَقِيَ أَنَا وَالرِّجَالُ، فَكُنْتُ مُتَخَوِّفًا لَهَا، حَتَّى خَرَجَ الرِّجَالُ مَعَ مُسَيْلَةَ، فَشَهِدَ لَهُ بِالنُّبُوَّةِ، فَكَانَتْ فِتْنَةُ الرِّجَالِ أَعْظَمُ مِنْ فِتْنَةِ مُسَيْلَةَ.

فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ خَالِدًا، فَسَارَ حَتَّى إِذَا بَلَغَ ثَنِيَةَ الْيَمَامَةِ، اسْتَقْبَلَ مَجَاعَةَ ابْنَ مَرَارَةَ- وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي حَنِيفَةَ- فِي جَبَلٍ مِنْ قَوْمِهِ، يُرِيدُ الْغَارَةَ عَلَى

بَنِي عَامِرٍ، وَيَطْلُبُ دَمًا، وَهُمْ ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ فَارِسًا رُكْبَانًا قَدْ عَرَسُوا.

فَبَيَّتَهُمْ خَالِدٌ فِي مَعَرَسِهِمْ، فَقَالَ: مَتَى سَمِعْتُمْ بِنَا؟ فَقَالُوا: مَا سَمِعْنَا بِكُمْ، إِنَّمَا خَرَجْنَا لِنُثَرِّ بِدَمٍ لَنَا فِي بَنِي عَامِرٍ فَأَمَرَ بِهِمْ خَالِدٌ فَضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ، وَاسْتَحْيَا مَجَاعَةَ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْيَمَامَةِ، فَخَرَجَ مُسَيْلَةُ وَبَنُو حَنِيفَةَ حِينَ سَمِعُوا بِخَالِدٍ، فَزَلُّوا بِعَقْرَبَاءَ، فَحَلَّ بِهَا عَلَيْهِمْ- وَهِيَ طَرَفُ الْيَمَامَةِ دُونَ الْأَمْوَالِ- وَرِيفُ الْيَمَامَةِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَقَالَ شُرَحْبِيلُ بْنُ مُسَيْلَةَ: يَا بَنِي حَنِيفَةَ، الْيَوْمَ يَوْمَ الْغَيْرَةِ، الْيَوْمَ إِنْ هَزِمْتُمْ تَسْتَرِدِفُ النِّسَاءُ سَبِيَّاتٍ، وَيَنْكَحْنَ غَيْرَ خَطِيْبَاتٍ، فَقَاتَلُوا عَنْ أَحْسَابِكُمْ، وَأَمْنَعُوا نِسَاءَكُمْ فَاقْتَتَلُوا بِعَقْرَبَاءَ، وَكَانَتْ رَايَةُ الْمُهَاجِرِينَ مَعَ سَالِرِ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ، فَقَالُوا: تَخْشَى عَلَيْنَا مِنْ نَفْسِكَ شَيْئًا! فَقَالَ: بَشَسَ حَامِلُ الْقُرْآنِ أَنَا إِذَا! وَكَانَتْ رَايَةُ الْأَنْصَارِ مَعَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَّاسٍ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ عَلَى رَايَاتِهَا وَمَجَاعَةُ أُسِيرَ مَعَ أُمِّ تَمِيمٍ فِي فُسْطَاطِهَا فَجَالَ الْمُسْلِمُونَ جَوْلَةً، وَدَخَلَ أَنْاسٌ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ عَلَى أُمِّ تَمِيمٍ، فَأَرَادُوا قَتْلَهَا، فَمَنَعَهَا مَجَاعَةُ قَالَ: أَنَا لَهَا جَارٌ، فَعَمَتِ الْحَرَّةُ هِيَ! فَدَفَعَهُمْ عَنْهَا، وَتَرَادَّ الْمُسْلِمُونَ، فَكُرُّوا عَلَيْهِمْ، فَانْهَزَمَتْ بَنُو حَنِيفَةَ، فَقَالَ الْمُحْكَمُ بْنُ الطُّفَيْلِ: يَا بَنِي حَنِيفَةَ، ادْخُلُوا الْحَدِيقَةَ، فَإِنِّي سَأَمْنَعُ أَدْبَارَكُمْ، فَقَاتَلَ دُونَهُمْ سَاعَةً ثُمَّ قَتَلَهُ اللَّهُ، قَتَلَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَدَخَلَ الْكُفَّارُ الْحَدِيقَةَ، وَقَتَلَ وَحْشِيَّ مُسَيْلَةَ، وَضَرَبَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَشَارَكَهُ فِيهِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، بِحَوْ حَدِيثِ سَيْفٍ هَذَا، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: دَعَا خَالِدٌ بِمَجَاعَةَ وَمَنْ أَخَذَ مَعَهُ حِينَ

أَصْبَحَ، فَقَالَ: يَا بَنِي حَنِيفَةَ، مَا تَقُولُونَ؟ قَالُوا: نَقُولُ: مِنَّا نَبِيٌّ وَمِنْكُمْ نَبِيٌّ، فَعَرَضَهُمْ عَلَى السَّيْفِ، حَتَّى إِذَا بَقِيَ مِنْهُمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ سَارِيَةُ بْنُ عَامِرٍ وَمَجَاعَةُ بْنُ مِرَارَةَ، قَالَ لَهُ سَارِيَةُ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهَذِهِ الْقَرْيَةِ غَدًا خَيْرًا أَوْ شَرًّا، فَاسْتَبَقِي هَذَا الرَّجُلَ - يَعْنِي مَجَاعَةَ - فَأَمَرَ بِهِ خَالِدٌ فَأَوْثَقَهُ فِي الْحَدِيدِ، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أُمِّ تَيْمٍ أَمْرَأَتِهِ، فَقَالَ: اسْتَوْصِي بِهِ

خَيْرًا، ثُمَّ مَضَى حَتَّى نَزَلَ الْيَمَامَةَ عَلَى كَثِيبٍ مُشْرِفٍ عَلَى الْيَمَامَةِ، فَضَرَبَ بِهِ عَسْكَرَهُ، وَخَرَجَ أَهْلُ الْيَمَامَةِ مَعَ مُسَيْلَمَةَ وَقَدْ قَدِمَ فِي مُقَدِّمَتِهِ الرَّحَالُ - قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ، هَكَذَا قَالَ ابْنُ حُمَيْدٍ بِالْحَاءِ - بَنُ عُنْفُوَةَ بْنُ نَهْشَلٍ، وَكَانَ الرَّحَالُ رَجُلًا مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ قَدْ كَانَ أَسْلَمَ، وَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ الْيَمَامَةَ شَهِدَ لِمُسَيْلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَدْ كَانَ أَشْرَكَهُ فِي الْأَمْرِ فَكَانَ أَعْظَمَ عَلَى أَهْلِ الْيَمَامَةِ فِتْنَةً مِنْ مُسَيْلَمَةَ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسْأَلُونَ عَنِ الرِّجَالِ يَرْجُونَ أَنَّهُ يَثْلُمُ عَلَى أَهْلِ الْيَمَامَةِ أَمْرَهُمْ بِإِسْلَامِهِ، فَلَقِيَهُمْ فِي أَوَائِلِ النَّاسِ مُتَكَتِّبًا، وَقَدْ قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرِهِ، وَعِنْدَهُ أَشْرَافُ النَّاسِ وَالنَّاسُ عَلَى مُصَافِهِمْ، وَقَدْ رَأَى بَارِقَةً فِي بَنِي حَنِيفَةَ:

أَبْشُرُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَدْ كَفَاكُمْ اللَّهُ أَمْرَ عَدُوِّكُمْ وَاخْتَلَفَ الْقَوْمُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَنَظَرَ مَجَاعَةُ وَهُوَ خَلْفَهُ مُوثِقًا فِي الْحَدِيدِ، فَقَالَ: كَلَّا وَاللَّهِ، وَلَكِنَّهَا الْهُدُونَانِيَّةُ خَشَوْا عَلَيْهَا مِنْ تَحْطُمِهَا، فَأَبْرَزُوهَا لِلشَّمْسِ لِتَلِينَ لَهُمْ، فَكَانَ كَمَا قَالَ فَلَمَّا التَّقَى الْمُسْلِمُونَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَهُمُ الرِّجَالُ بَنُ عُنْفُوَةَ، فَقَتَلَهُ اللَّهُ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ شَيْخٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، [إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ يَوْمًا - وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَرَجُلَانِ بَنُ عُنْفُوَةَ فِي مَجْلِسٍ عِنْدَهُ:

لَضَرَسُ أَحَدُكُمْ أَيُّهَا الْمَجْلِسُ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مِنْ أَحَدٍ] .

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَضَى الْقَوْمَ لِسَبِيلِهِمْ، وَبَقِيْتُ أَنَا وَرَجُلَانِ بَنُ عُنْفُوَةَ، فَمَا زِلْتُ لَهَا مَتَخَوِّفًا، حَتَّى سَمِعْتُ بِمَخْرَجِ رَجَالٍ، فَأَمَنْتُ وَعَرَفْتُ أَنَّ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص حَقٌّ.

ثُمَّ التَّقَى النَّاسُ وَلَمْ يَلْقَهُمْ حَرْبٌ قَطُّ مِثْلَهَا مِنْ حَرْبِ الْعَرَبِ، فَاقْتَتَلَ النَّاسُ قِتَالًا شَدِيدًا، حَتَّى انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ وَخَلَصَ بَنُ حَنِيفَةَ إِلَى مَجَاعَةَ وَإِلَى خَالِدٍ، فَزَالَ خَالِدٌ عَنْ فُسْطَاطِهِ وَدَخَلَ أَنَاسُ الْفُسْطَاطِ وَفِيهِ مَجَاعَةُ عِنْدَ أُمِّ تَيْمٍ، فَحَمَلَ عَلَيْهَا رَجُلٌ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ مَجَاعَةُ: مَهْ،

أَنَا لَهَا جَارٌ، فَنَعِمَتِ الْحَرَّةُ! عَلَيْكُمْ بِالرَّجَالِ، فَرَعَبُوا الْفُسْطَاطَ بِالسُّيُوفِ ثُمَّ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ تَدَاعَوْا، فَقَالَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ:

بِسْمَا عَوَدْتُمْ أَنْفُسَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ! اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي أَهْلَ الْيَمَامَةِ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ - ثُمَّ جَالَدَ بِسَيْفِهِ حَتَّى قَتَلَ وَقَالَ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ حِينَ انْكَشَفَ النَّاسُ عَنْ رِحَالِهِمْ: لَا تَحْزُبْ بَعْدَ الرَّحَالِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ ثُمَّ قَامَ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ أَخُو أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - وَكَانَ إِذَا حَضَرَ الْحَرْبَ أَخَذَتْهُ الْعُرْوَاءُ حَتَّى يَقْعُدَ عَلَيْهِ الرِّجَالُ، ثُمَّ يَنْتَفِضُ تَحْتَهُمْ حَتَّى يَبُولَ فِي سَرَاوِيلِهِ، فَإِذَا بَالَ يَثُورُ كَمَا يَثُورُ الْأَسَدُ - فَلَمَّا رَأَى مَا صَنَعَ النَّاسُ أَخَذَهُ الَّذِي كَانَ يَأْخُذُهُ حَتَّى قَعَدَ عَلَيْهِ الرِّجَالُ، فَلَمَّا بَالَ وَثَبَ، فَقَالَ: أَيْنَ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ! أَنَا الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ، هَلُمَّ إِلَيَّ! وَفَاءَتْ فِتْنَةٌ مِنَ النَّاسِ، فَقَاتَلُوا الْقَوْمَ حَتَّى قَتَلَهُمُ اللَّهُ، وَخَلَصُوا إِلَى مُحْكَمِ الْيَمَامَةِ - وَهُوَ مُحْكَمُ بَنِ الطُّفَيْلِ - فَقَالَ حِينَ بَلَغَهُ الْقِتَالُ: يَا مَعْشَرَ بَنِي حَنِيفَةَ، الْآنَ وَاللَّهِ تُسْتَحَقُّبُ الْكِرَامُ غَيْرَ رَضِيَّاتٍ، وَيُنْكَحُنَّ غَيْرَ خَطِيْبَاتٍ، فَمَا عِنْدَكُمْ مِنْ حَسَبٍ فَأَخْرِجُوهُ فَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا، وَرَمَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرِ الصِّدِّيقِ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِي نَحْرِهِ فَقَتَلَهُ ثُمَّ زَحَفَ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى الْجُثُومَ إِلَى الْحَدِيقَةِ، حَدِيقَةِ الْمَوْتِ، وَفِيهَا عَدُوُّ اللَّهِ مُسَيْلَمَةُ الْكَذَّابُ، فَقَالَ الْبَرَاءُ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، الْقُوْنِي عَلَيْهِمْ فِي الْحَدِيقَةِ فَقَالَ النَّاسُ: لَا تَفْعَلْ يَا بَرَاءُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَتَطْرَحَنِي عَلَيْهِمْ فِيهَا، فَاحْتَمَلَ حَتَّى إِذَا أَشْرَفَ عَلَى الْحَدِيقَةِ مِنَ الْجِدَارِ، اقْتَحَمَ فَقَاتَلَهُمْ عَنْ بَابِ الْحَدِيقَةِ، حَتَّى فَتَحَهَا الْمُسْلِمُونَ، وَدَخَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ فِيهَا، فَاقْتَتَلُوا حَتَّى قَتَلَ اللَّهُ مُسَيْلَمَةَ عَدُوَّ اللَّهِ، وَاشْتَرَكَ فِي قَتْلِهِ وَحْشِيٌّ مَوْلَى جُبَيْرِ

بْنِ مُطْعَمٍ وَرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، كِلَاهُمَا قَدْ أَصَابَهُ، أَمَّا وَحْشِيٌّ فَدَفَعَ عَلَيْهِ حَرْبَهُ، وَأَمَّا الْأَنْصَارِيُّ فَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ، فَكَانَ وَحْشِيٌّ يَقُولُ: رَبُّكَ أَعْلَمُ أَيْنَا قَتَلَهُ!

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ رِبِيعَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا يَوْمَئِذٍ يَصْرُخُ يَقُولُ، قَتَلَهُ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ! كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ طَلْحَةَ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: كَانَ الرَّجَالُ بِحِيَالِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ، فَلَمَّا دَنَا صَفَاهُمَا، قَالَ زَيْدٌ: يَا رَجُلُ، اللَّهُ اللَّهُ! فَوَاللَّهِ لَقَدْ تَرَكْتُ الدِّينَ، وَإِنَّ الَّذِي أَدْعُوكَ إِلَيْهِ لَا شَرَفَ لَكَ، وَأَكْثَرُ لِدُنْيَاكَ قَابِي، فَاجْتَدَا فُقُتِلَ الرَّجُلُ وَأَهْلُ الْبَصَائِرِ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ فِي أَمْرِ مُسَيْلَمَةَ، فَتَدَامَرُوا وَحَمَلُ كُلِّ قَوْمٍ فِي نَاحِيَّتِهِمْ، فَجَالَ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى بَلَغُوا عَسْكَرَهُمْ، ثُمَّ أَعْرَوْهُ لَهُمْ، فَقَطَّعُوا أَطْنَابَ الْبُيُوتِ، وَهَتَّكُوهَا، وَتَشَاغَلُوا بِالْعُسْكَرِ، وَعَاجَلُوا مُجَاعَةً، وَهَمُّوا بِأَمِّ تَمِيمٍ، فَأَجَارَهَا، وَقَالَ: نَعَمْ أُمُّ الْمُثَوَى! وَتَدَامَرَ زَيْدٌ وَخَالِدٌ وَأَبُو حُذَيْفَةَ، وَتَكَلَّمَ النَّاسُ - وَكَانَ يَوْمَ جَنْوَبٍ لَهُ غَبَارٌ - فَقَالَ زَيْدٌ: لَا وَاللَّهِ لَا أَتَكَلَّمُ الْيَوْمَ حَتَّى نَهْزِمَهُمْ أَوْ أَلْقَى اللَّهُ فَأُكَلِّمُهُ بِحُجَّتِي! عَضُّوا عَلَى أَضْرَاسِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَاضْرِبُوا فِي عَدُوِّكُمْ، وَامْضُوا قُدَمَا فَفَعَلُوا، فَردُّوهُمْ إِلَى مُصَافِهِمْ حَتَّى أَعَادُوهُمْ إِلَى أَعْدٍ مِنَ الْغَايَةِ الَّتِي حِيزُوا إِلَيْهَا مِنْ عَسْكَرِهِمْ، وَقَتْلَ زَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَتَكَلَّمَ ثَابِتٌ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أَنْتُمْ حِزْبُ اللَّهِ وَهُمْ أَحْزَابُ الشَّيْطَانِ، وَالْعِزَّةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلَا حَزَابٍ، أَرُونِي كَمَا أَرِيكُمْ، ثُمَّ جَلَدَ فِيهِمْ حَتَّى حَازَهُمْ.

وَقَالَ أَبُو حُذَيْفَةَ: يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ، زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِالْفِعَالِ وَحَمَلْ خَازِمَهُمْ حَتَّى أَنْفَذَهُمْ، وَأُصِيبَ رَحِمُهُ اللَّهُ، وَحَمَلْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَقَالَ لِحُمَاتِهِ: لَا أُوتِينَ مِنْ خَلْفِي حَتَّى كَانَ بِحِيَالِ مُسَيْلَمَةَ يَطْلُبُ الْفُرْصَةَ وَيَرْقُبُ مُسَيْلَمَةَ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مَبْشَرِ بْنِ الْفَضْلِ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَمَّا أُعْطِيَ سَالِمُ الرَّايَةَ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: مَا أَعْلَمُنِي لِأَيِّ شَيْءٍ أُعْطِيتُمُونِيهَا! قُلْتُ: صَاحِبُ قُرْآنٍ وَسَيِّئْتُ كَمَا ثَبَتَ صَاحِبُهَا قَبْلَهُ حَتَّى مَاتَ! قَالُوا: أَجَلٌ وَقَالُوا: فَانْظُرْ كَيْفَ تَكُونُ؟ فَقَالَ: بَلَسَ وَاللَّهِ حَامِلُ الْقُرْآنِ أَنَا إِنْ لَمْ أَثْبُتْ! وَكَانَ صَاحِبَ الرَّايَةِ قَبْلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَفْصِ بْنِ غَانِمٍ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ ثَابِتٍ وَابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا قَالَ مُجَاعَةُ لِبَنِي حَنِيفَةَ: وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِالرَّجَالِ، إِذَا فَتَنَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ تَدَامَرُوا بَيْنَهُمْ فَتَفَانُوا وَتَفَانَى الْمُسْلِمُونَ كُلَّهُمْ، وَتَكَلَّمَ رَجَالٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَقَالَ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ: وَاللَّهِ لَا أَتَكَلَّمُ أَوْ أَظْفَرُ أَوْ أُقْتَلُ، وَاصْنَعُوا كَمَا أَصْنَعُ أَنَا، فَحَمَلَ وَحَمَلُ أَصْحَابُهُ وَقَالَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ: بِئْسَمَا عَوَدْتُمْ أَنْفُسَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ! هَكَذَا عَنِي حَتَّى أَرِيكُمْ الْجِلَادَ وَقَتْلَ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مَبْشَرٍ، عَنْ سَالِمٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ حِينَ رَجَعَ: أَلَا هَلَكْتَ قَبْلَ زَيْدٍ! هَلَكَ زَيْدٌ وَأَنْتَ حَيٌّ! فَقَالَ: قَدْ حَرَصْتُ عَلَى ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ، وَلَكِنْ نَفْسِي تَأَخَّرَتْ، فَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالشَّهَادَةِ وَقَالَ سَهْلٌ: قَالَ: مَا جَاءَ بِكَ وَقَدْ هَلَكَ زَيْدٌ؟ أَلَا وَارَيْتَ وَجْهَكَ عَنِّي! فَقَالَ: سَأَلَ اللَّهُ الشَّهَادَةَ فَأَعْطِيَهَا، وَجَهَدْتُ أَنْ تُسَاقَ إِلَيَّ فَلَمْ أُعْطَهَا.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن طلحة بن الأعم، عن عبيد بن عمير: إن المهاجرين والأنصار جنبوا أهل البوادي وجنبهم أهل البوادي، فقال بعضهم لبعض: امتازوا كي نستحيا من الفرار اليوم، ونعرف اليوم من أين نؤتي! ففعلوا وقال أهل القرى: نحن أعلم بقتال أهل القرى يا معشر أهل البادية منكم، فقال لهم أهل البادية: إن أهل القرى لا يحسنون القتال، ولا يدرون ما الحرب! فسترون إذا امتزنا من أين يجيء الخلل! فامتازوا، فما رآى يوم كان أحد ولا أعظم نكابة مما رآى يومئذ، ولم يدر أي الفريقين كان أشد

فيهم نكايه! إلا أن المصيبة كانت في المهاجرين والأنصار أكثر منها في أهل البادية، وأن البقية أبدا في الشدة. ورمى عبد الرحمن بن أبي بكر المحكم بسهم فقتله وهو يخطب، فحره وقتل زيد بن الخطاب الرجال بن عنفوة.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الضحّاك بن يربوع، عن أبيه، عن رجل من بني سحيم قد شهدا مع خالد، قال: لما اشتد القتال - وكانت يومئذ سجلا إنما تكون مرة على المسلمين ومرة على الكافرين - فقال خالد: أيها الناس امتازوا لنعلم بلاء كل حي، ولنعلم من أين نؤتي! فامتاز أهل القرى والبوادي، وامتازت القبائل من أهل البادية وأهل الحاضر، فوقف بنو كل أب على رأيهم، فقاتلوا جميعا، فقال أهل البوادي يومئذ: الآن يستحر القتال في الأجرع الأضعف، فاستحر القتال في أهل القرى، وثبت مسيلة، ودارت رحاهم عليه، فعرف خالد أنها لا تركد إلا بقتل مسيلة، ولم تحفل بنو حنيفة بقتل من قتل منهم ثم برز خالد، حتى إذا كان أمام الصف دعا إلى البراز وانتهى، وقال: أنا ابن الوليد العود، أنا ابن عامر وزيد! ونادى بشعارهم يومئذ، وكان شعارهم يومئذ: يا محمد! فجعل لا يبرز له أحد إلا قتله، وهو يرنج:

أنا ابن أشياخ وسيفي السخت أعظم شيء حين يأتيك النفث ولا يبرز له شيء إلا أكله، ودارت رحا المسلمي وطحنت ثم نادى خالد حين دنا من مسيلة - وكان رسول الله ص قال: إن مع مسيلة شيطانا لا يعصيه، فإذا اعتراه أزد كان شقيقه زبيتان لا يهمن بخير أبدا إلا صرفه عنه، فإذا رأيتم منه عورة، فلا تقيلوها العثرة - فلما دنا خالد منه طلب تلك، وراه ثابتا ورحاهم تدور عليه، وعرف أنها لا تزول إلا بزواله، فدعا مسيلة طلبا لعورته، فأجابه، فعرض عليه أشياء مما يشتهي مسيلة، وقال: إن قبلنا النصف، فأبي الأنصاف تعطينا؟ فكان إذا هم بجوابه أعرض بوجهه مستشيرا، فنهاه شيطانه أن يقبل، فأعرض بوجهه مرة من ذلك، وركبه خالد فأرهقه فأدبر، وزالوا فدمر خالد الناس، وقال: دونكم لا تقيلوهم! وركبهم فكانت هزيمتهم، فقال مسيلة حين قام، وقد تطاير الناس عنه، وقال قائلون: فإين ما كنت تعدنا؟ فقال: قاتلوا عن أحسابكم، قال: ونادى المحكم:

يا بني حنيفة، الحديقة الحديقة! ويأتي وحشي على مسيلة وهو مزبد متساند لا يعقل من الغيظ، فخرط عليه حربته فقتله، واقتحم الناس عليهم حديقة الموت من حيطانها وأبوابها، فقتل في المعركة، وحديقة الموت عشرة آلاف مقاتل.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن هارون، وطلحة، عن عمرو بن شعيب وابن إسحاق أنهم لما امتازوا وصبروا، وانحازت بنو حنيفة تبعهم المسلمون يقتلونهم، حتى بلغوا بهم إلى حديقة الموت، فاختلفوا في قتل مسيلة عندها، فقال قائلون: فيها قتل، فدخلوها وأغلقتها عليهم، وأحاط المسلمون بهم وصرخ البراء بن مالك، فقال: يا معشر المسلمين، احمولوني على الجدار حتى تطرحوني عليه، ففعلوا حتى إذا وضعوه على الجدار نظر وأرعد فنادى: أنزلوني، ثم قال: احمولوني، ففعل ذلك مرارا ثم قال:

أف لهذا خشعا! ثم قال: احمولوني، فلما وضعوه على الحائط اقتحم عليهم، فقاتلهم على الباب حتى فتحه للمسلمين وهم على الباب من خارج فدخلوا، فأغلق الباب عليهم، ثم رمى بالفتاح من وراء الجدار، فاقتتلوا قتالا شديدا لم يروا مثله، وأبى من في الحديقة منهم، وقد قتل الله مسيلة، وقالت له بنو حنيفة: أين ما كنت تعدنا! قال: قاتلوا عن أحسابكم! كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن هارون وطلحة وابن إسحاق، قالوا: لما صرخ الصارخ أن العبد الأسود قتل مسيلة، خرج

خالد بجاعة يرسف في الحديد ليريه مسيلة، وأعلام جنده، فأتى على الرجال فقال: هذا الرجال! حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال:

لما فرغ المسلمون من مسيلة أتى خالد فأخبر، فخرج بجاعة يرسف معه في الحديد ليدله على مسيلة، فجعل يكشف له القتلى حتى مر

بِحَكْمِ بْنِ الطُّفَيْلِ - وَكَانَ رَجُلًا جَسِيمًا وَسِيمًا - فَلَمَّا رَأَاهُ خَالِدٌ، قَالَ: هَذَا صَاحِبُكُمْ قَالَ: لَا، هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَكْرَمُ، هَذَا مُحَكَّمُ الْيَمَامَةِ قَالَ: ثُمَّ مَضَى خَالِدٌ يَكْشِفُ لَهُ الْقَتْلَى حَتَّى دَخَلَ الْحَدِيقَةَ، فَقَلَبَ لَهُ الْقَتْلَى، فَإِذَا رُوَيْجِلُ أُصَيْفَرُ أُخِينَسٍ فَقَالَ مُجَاعَةٌ: هَذَا صَاحِبُكُمْ، قَدْ فَرَعْتُمْ مِنْهُ، فَقَالَ خَالِدٌ لِمُجَاعَةٍ: هَذَا صَاحِبُكُمْ الَّذِي فَعَلَ بِكُمْ مَا فَعَلَ، قَالَ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا خَالِدُ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا جَاءَكَ إِلَّا سَرَعَانُ النَّاسِ، وَإِنَّ جَمَاهِيرَ النَّاسِ لَفِي الْحُصُونِ فَقَالَ: وَيْلَكَ مَا تَقُولُ! قَالَ: هُوَ وَاللَّهِ الْحَقُّ، فَهَلُمَّ لِأَصْلَحِكُ عَلَى قَوْمِي.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الضَّحَّاكِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ حَنْفَةَ يَدْعَى الْأَغْلَبَ بْنَ عَامِرِ بْنِ حَنْفَةَ، وَكَانَ أَغْلَظَ أَهْلِ زَمَانِهِ عُنُقًا، فَلَمَّا انْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَئِذٍ، وَأَحَاطَ الْمُسْلِمُونَ بِهِمْ، تَمَاتُوا، فَلَمَّا أَثْبَتَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْقَتْلَى أَتَى رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَكْنَى أَبُو بَصِيرَةَ وَمَعَهُ نَفَرٌ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَوْهُ مَجْدَلًا فِي الْقَتْلَى وَهُمْ يَحْسِبُونَهُ قَتِيلًا، قَالُوا: يَا أَبَا بَصِيرَةَ، إِنَّكَ تَزْعُمُ - وَلَمْ تَزَلْ تَزْعُمُ - أَنْ سَيْفَكَ قَاطِعٌ، فَاضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْأَغْلَبِ الْمَيِّتِ، فَإِنْ قَطَعْتَهُ فَكُلْ شَيْءًا كَانَ يَبْلُغُنَا حَقًّا، فَاخْتَرَطَهُ ثُمَّ مَشَى إِلَيْهِ وَلَا يَرُونَهُ إِلَّا مَيِّتًا، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ ثَارَ،

فَخَاضَرَهُ، وَاتَّبَعَهُ أَبُو بَصِيرَةَ، وَجَعَلَ يَقُولُ: أَنَا أَبُو بَصِيرَةَ الْأَنْصَارِيِّ! وَجَعَلَ الْأَغْلَبُ يَتَمَطَّرُ وَلَا يَزْدَادُ مِنْهُ إِلَّا بَعْدًا، فَكَلَّمَا قَالَ ذَلِكَ أَبُو بَصِيرَةَ، قَالَ الْأَغْلَبُ: كَيْفَ تَرَى عَدُوَّ أَخِيكَ الْكَافِرَ! حَتَّى أَفْلَتَ كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ يُوْسُفَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: لَمَّا فَرَعَ خَالِدٌ مِنْ مُسَيْلَمَةَ وَالْجَنْدِ، قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ: ارْتَحِلْ بِنَا وَبِالنَّاسِ فَانْزِلْ عَلَى الْحُصُونِ، فَقَالَ: دَعَانِي أَبْتُ الْخِيُولَ فَالْقَطُطُ مَنْ لَيْسَ فِي الْحُصُونِ، ثُمَّ أَرَى رَأْيِي.

فَبَتَّ الْخِيُولَ فَخَوَّوْا مَا وَجَدُوا مِنْ مَالٍ وَنِسَاءٍ وَصَبِيَّانَ، فَضَمُّوْا هَذَا إِلَى الْعَسْكَرِ، وَنَادَى بِالرَّحِيلِ لِيَنْزِلَ عَلَى الْحُصُونِ، فَقَالَ لَهُ مُجَاعَةٌ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا جَاءَكَ إِلَّا سَرَعَانُ النَّاسِ، وَإِنَّ الْحُصُونَ لَمَمْلُوءَةٌ رِجَالًا، فَهَلُمَّ لَكَ إِلَى الصُّلْحِ عَلَى مَا وَرَائِي، فَصَالَحَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ دُونَ النَّفْسِ ثُمَّ قَالَ: انْطَلِقْ إِلَيْهِمْ فَأَشَاوِرْهُمْ وَنَظُرْ فِي هَذَا الْأَمْرِ، ثُمَّ أَرْجِعْ إِلَيْكَ فَدَخَلَ مُجَاعَةُ الْحُصُونَ، وَلَيْسَ فِيهَا إِلَّا النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ وَمَشِيخَةٌ فَانِيَّةٌ، وَرِجَالٌ ضَعْفَى فَظَاهَرُ الْحَدِيدِ عَلَى النِّسَاءِ وَأَمْرَهُنَّ أَنْ يَنْشُرْنَ شَعُورَهُنَّ، وَأَنْ يُشْرِفْنَ عَلَى رُءُوسِ الْحُصُونِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِنَّ، ثُمَّ رَجَعَ فَأَتَى خَالِدًا فَقَالَ: قَدْ أَبَوْنَا أَنْ يُجِيزُوا مَا صَنَعْتَ، وَقَدْ أَشْرَفَ لَكَ بَعْضُهُمْ نَقْضًا عَلَيَّ وَهُمْ مِنِّي بَرَاءٌ فَنَظَرَ خَالِدٌ إِلَى رُءُوسِ الْحُصُونِ وَقَدْ اسْوَدَّتْ، وَقَدْ نَهَكَتِ الْمُسْلِمِينَ الْحَرْبُ، وَطَالَ اللَّقَاءُ، وَأَحْبَبُوا أَنْ يَرْجِعُوا عَلَى الظَّفَرِ، وَلَمْ يَدْرُوا مَا كَانَ كَائِنًا لَوْ كَانَ فِيهَا رِجَالٌ وَقَتَالٌ، وَقَدْ قُتِلَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْ أَهْلِ قَصْبَةِ الْمَدِينَةِ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ قَالَ سَهْلٌ: وَمِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالتَّابِعِينَ بِأَحْسَانٍ ثَلَاثُمِائَةٍ

مِنْ هَؤُلَاءِ وَثَلَاثُمِائَةٍ مِنْ هَؤُلَاءِ، سَمَاتَهُ أَوْ يَزِيدُونَ وَقَتْلَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ يَوْمَئِذٍ، قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَطَعَتْ رِجْلَهُ، فَرَمَى بِهَا قَاتِلَهُ فَقَتَلَهُ، وَقَتْلَ مِنْ بَنِي حَنْفَةَ فِي الْفَضَاءِ بِعَقْرَبَاءَ سَبْعَةَ آلَافٍ، وَفِي حَدِيقَةِ الْمَوْتِ سَبْعَةَ آلَافٍ، وَفِي الطَّلَبِ نَحْوَ مِائَةٍ.

وَقَالَ ضَرَارُ بْنُ الْأَزْوَريِّ فِي يَوْمِ الْيَمَامَةِ:

وَلَوْ سَأَلْتُ عَنَّا جَنُوبٌ لَأَخْبَرْتُ ... عَشِيَّةً سَأَلَتْ عَقْرَبَاءَ وَمَلَهُمْ
وَسَأَلَ بِفَرْعِ الْوَادِ حَتَّى تَرَقَّرَتْ ... جِجَارَتُهُ فِيهَا مِنَ الْقَوْمِ بِالْذِّمِّ
عَشِيَّةً لَا تُغْنِي الرِّمَاحُ مَكَانَهَا ... وَلَا النَّبْلُ إِلَّا الْمَشْرِفُ الْمُصَمِّمُ
فَإِنْ تَبَتَّغَى الْكُفَّارَ غَيْرَ مَلِيمةٍ ... جَنُوبٌ، فَإِنِّي تَابِعُ الدِّينِ مُسْلِمُ
أُجَاهِدُ إِذْ كَانَ الْجِهَادُ غَنِيمةً ... وَلِلَّهِ بِالْمَرْءِ الْمُجَاهِدِ أَعْلَمُ
حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

قَالَ مُجَاعَةُ لَخَالِدٍ مَا قَالَ إِذْ قَالَ لَهُ: فَهَلُمَّ لِأَصْلَحِكَ عَنْ قَوْمِي لِرَجُلٍ قَدْ نَهَكَتُهُ الْحَرْبُ، وَأُصِيبَ مَعَهُ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ مَنْ أُصِيبَ، فَقَدْ رَقَّ وَأَحَبَّ الدَّعَةَ وَالصُّلْحَ فَقَالَ: هَلُمَّ لِأَصْلَحِكَ، فَصَالِحُهُ عَلَى الصَّفَرَاءِ وَالْبَيْضَاءِ وَالْحَلَقَةِ وَنِصْفِ السَّبْيِ ثُمَّ قَالَ: إِنِّي آتِي الْقَوْمَ فَأَعْرِضُ عَلَيْهِمْ مَا قَدْ صَنَعْتُ قَالَ: فَانْطَلِقْ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لِلنِّسَاءِ: الْبِسْنَ الْحَدِيدَ ثُمَّ أَشْرَفْنَ عَلَى الْحُصُونِ، فَفَعَلْنَ ثُمَّ رَجَعْنَ إِلَى خَالِدٍ، وَقَدْ رَأَى خَالِدُ الرِّجَالِ فِيمَا يَرَى عَلَى الْحُصُونِ عَلَيْهِمُ الْحَدِيدُ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى خَالِدٍ، قَالَ: أَبُوءَا مَا صَالِحْتُكَ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتُ صَنَعْتُ لَكَ شَيْئًا، فَعَزَمْتُ عَلَى الْقَوْمِ قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: تَأْخُذُ مِنِّي رُبْعَ السَّبْيِ وَتَدْعُ رُبْعًا قَالَ خَالِدٌ:

قَدْ فَعَلْتُ، قَالَ: قَدْ صَالِحْتُكَ، فَلَمَّا فَرَاغَا فَتَحَتِ الْحُصُونُ، فَإِذَا لَيْسَ فِيهَا إِلَّا النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ، فَقَالَ خَالِدٌ لِمُجَاعَةَ: وَيْحَكَ خَدَعْتَنِي! قَالَ: قَوْمِي، وَلَمْ أَسْتَطِعْ إِلَّا مَا صَنَعْتُ.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، قال: قال مجاعة يومئذ ثانية: إن شئت أن تقبل مني نصف السبي والصفراء والبيضاء والحلقة والكراع عزمت وكتبت الصلح بيني وبينك.

ف فعل خالد ذلك، فصالحه على الصفراء والبيضاء والحلقة والكراع وعلى نصف السبي وحائط من كل قرية يختاره خالد، ومزرعة يختارها خالد.

فتقاضوا على ذلك، ثم سرحه، وقال: أنتم بالخيار ثلاثاً، والله لئن تتما وتقبلوا لأنهدن إليكم، ثم لا أقبل منكم خصلة أبداً إلا القتل فأتاهم مجاعة فقال: أما الآن فاقبلوا، فقال سلمة بن عمير الحنفي: لا والله لا نقبل، نبعث إلى أهل القرى والعبيد فنقاتل ولا نقاضي خالداً، فإن الحصون حصينة والطعام كثير، والشتاء قد حضر فقال مجاعة: إنك امرؤ مشثوم، وغرك أني خدعت القوم حتى أجابوني إلى الصلح، وهل بقي منكم أحد فيه خير، أوبه دفع! وإنما أنا بادرتم قبل أن يصيبكم ما قال شرحبيل بن مسيلة، فخرج مجاعة سابع سبعة حتى أتى خالداً، فقال: بعد شد ما رضوا، اكتب كتابك، فكتب:

هذا ما قاضى عليه خالد بن الوليد مجاعة بن مرارة وسلمة بن عمير وفلانا وفلانا، قاضاهم على الصفراء والبيضاء ونصف السبي والحلقة والكراع وحائط من كل قرية، ومزرعة، على أن يسلموا ثم أنتم آمنون بأمان الله، ولكم ذمة خالد بن الوليد وذمة أبي بكر خليفة رسول الله ص، وذمة المسلمين على الوفاء.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ طَلْحَةَ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا صَالَحَ خَالِدٌ مُجَاعَةَ، صَالَحَهُ عَلَى الصَّفَرَاءِ وَالْبَيْضَاءِ وَالْحَلَقَةِ وَكُلِّ حَائِطٍ رِضَانًا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ وَنِصْفِ الْمَمْلُوكِينَ.

فَأَبُوءَا ذَلِكَ، فَقَالَ خَالِدٌ: أَنْتَ بِالْخِيَارِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَقَالَ سَلَمَةُ بْنُ عُمَيْرٍ: يَا بَنِي حَنِيفَةَ، قَاتِلُوا عَنْ أَحْسَابِكُمْ، وَلَا تُصَالِحُوا عَلَى شَيْءٍ، فَإِنَّ الْحَصْنَ حَصِينٌ، وَالطَّعَامَ كَثِيرٌ وَقَدْ حَضَرَ الشِّتَاءُ فَقَالَ مُجَاعَةُ:

يَا بَنِي حَنِيفَةَ، أَطِيعُونِي وَأَعِصُوا سَلَمَةَ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَشْثُومٌ، قَبْلَ أَنْ يَصِيبَكُمْ مَا قَالَ شَرْحَبِيلُ بْنُ مَسِيلَةَ قَبْلَ أَنْ تُسْتَرْدَفَ النِّسَاءُ غَيْرَ رِضِيَّاتٍ، وَيَنْكَحْنَ غَيْرَ خَطِيْبَاتٍ فَأَطَاعُوهُ وَعَصُوا سَلَمَةَ، وَقَبِلُوا قَضِيَّتَهُ وَقَدْ بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَكْتُابُ إِلَى خَالِدٍ مَعَ سَلَمَةَ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ وَقَشٍ، يَأْمُرُهُ أَنْ ظَفَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَقْتُلَ مَنْ جَرَتْ عَلَيْهِ الْمَوَاسِي مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ، فَقَدِمَ فَوَجَدَهُ قَدْ صَالَحَهُمْ، فَوَقَّ لَهُمْ، وَتَمَّ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، وَحَشِرَتْ بَنُو حَنِيفَةَ إِلَى الْبَيْعَةِ وَالْبَرَاءَةِ مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ إِلَى خَالِدٍ، وَخَالِدٌ فِي عَسْكَرِهِ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَالَ سَلَمَةُ بْنُ عُمَيْرٍ لِمُجَاعَةَ:

اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى خَالِدٍ أَكَلَهُ فِي حَاجَةٍ لَهُ عِنْدِي وَنَصِيحَةٍ- وَقَدْ أَجْمَعَ أَنْ يَفْتِكَ بِهِ- فَكَلَّمَهُ فَأَذِنَ لَهُ، فَأَقْبَلَ سَلَمَةُ بْنُ عُمَيْرٍ، مُشْتَمِلًا عَلَى السَّيْفِ يُرِيدُ مَا يُرِيدُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا الْمُقْبِلُ؟ قَالَ مُجَاعَةُ: هَذَا الَّذِي كَلَّمْتُكَ فِيهِ، وَقَدْ أَذِنْتَ لَهُ، قَالَ: أَخْرِجُوهُ عَنِّي، فَأَخْرَجُوهُ

عنه، ففتشوه فوجدوا معه السيف، فلعنوه وشتموه وأوثقوه، وقالوا: لقد أردت أن تهلك قومك، وإيم الله ما أردت إلا أن تستأصل بنو حنيفة، وتُسبى الذرية والنساء، وإيم الله لو أن خالدًا علم أنك حملت السلاح لقتلك، وما نأمنه إن بلغه ذلك أن يقتلك وأن يقتل الرجال ويسبى النساء بما فعلت، ويحسب أن ذلك عن ملائمة فأوثقوه وجعلوه في الحصن، وتتابع بنو حنيفة على البراء مما كانوا عليه، وعلى الإسلام، وعاهدتهم سلمة على ألا يحدث حدثًا ويعفوه، فأبوا ولم يثقوا بحججه أن يقبلوا منه عهدًا، فأقلت ليلاً، فعمد إلى عسكر خالد، فصاح به الحرس، وفزع بنو حنيفة، فاتبعوه فأدركوه في بعض الحوائط، فشد عليهم بالسيف، فاكتنفوه بالحجارة، وأجال السيف على حلقه فقطع أوداجه، فسقط في بئر فأت.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الضحاک بن ربیع، عن أبيه، قال: صالح خالد بن حنيفة جميعاً إلا ما كان بالعرض والقرية فإنهم سبوا عند انبثاث الغارة، فبعث إلى أبي بكر ممن جرى عليه القسم بالعرض والقرية من بني حنيفة أو قيس بن ثعلبة أو يشكر، خمسمائة رأس.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثم إن خالدًا قال لمجاعة: زوجني ابنتك، فقال له مجاعة: مهلاً، إنك قاطع ظهري وظهرك معي عند صاحبك قال: أيها الرجل، زوجني، فزوجه، فبلغ ذلك أبا بكر، فكتب إليه كتاباً يقطر الدم: لعمرى يا بن أم خالد، إنك لفارغ تكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومائتي رجل من المسلمين لم يحفف بعد! قال: فلما نظر خالد في الكتاب جعل يقول:

هذا عمل الأعيسر - يعني عمر بن الخطاب - وقد بعث خالد بن الوليد وفداً من بني حنيفة إلى أبي بكر، فقدّموا عليه، فقال لهم أبو بكر: ويحكم! ما هذا الذي استزل منكم ما استزل! قالوا: يا خليفة رسول الله، قد كان الذي بلغك مما أصابنا كان امرأ لم يبارك الله عز وجل له ولا لعشيرته فيه، قال: على ذلك، ما الذي دعاكم به! قالوا: كان يقول: يا ضفدع نقي نقي، لا الشارب تمنع، ولا الماء تكدرين، لنا نصف الأرض، ولقرش نصف الأرض، ولكن قریشاً قوم يعتدون. قال أبو بكر: سبحان الله! ويحكم! إن هذا لكلام ما خرج من إل ولا بر، فأين يذهب بكم! فلما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة - وكان منزله الذي به التقى الناس أباض، وإد من

ذكر خبر أهل البحرين ورده الحطم ومن تجمع معه بالبحرين

أودية اليمامة ثم تحول إلى وادٍ من أوديتها يقال له الوبر - كان منزله بها . ذكر خبر أهل البحرين ورده الحطم ومن تجمع معه بالبحرين

قال أبو جعفر: وكان فيما بلغنا من خبر أهل البحرين وارتداد من ارتد منهم ما حدثنا عبيد الله بن سعد، قال: أخبرنا عمي يعقوب بن إبراهيم، قال: أخبرنا سيف، قال: خرج العلاء بن الحضرمي نحو البحرين، وكان من حديث البحرين أن النبي ص والمنذر بن ساوى اشتكا في شهر واحد، ثم مات المنذر بعد النبي ص بقليل، وارتد بعده أهل البحرين، فأما عبد القيس ففأنت، وأما بكر فتمت على ردتها، وكان الذي ثنى عبد القيس الجارود حتى فاءوا.

حدثنا عبيد الله، قال: أخبرنا عمي، قال: أخبرنا سيف، عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن بن أبي الحسن، قال: [قدّم الجارود بن المعلّى على النبي ص مرتداً، فقال: أسلم يا جارود، فقال: إن لي ديناً، قال له النبي ص: إن دينك يا جارود ليس بشيء، وليس يدين، فقال له الجارود: فإن أنا أسلمت فما كان من تبعه في الإسلام فعليك؟ قال: نعم فأسلم ومكث بالمدينة حتى فقه.

فَلَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَجِدُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ ظَهْرًا نَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: مَا أَصْبَحَ عِنْدَنَا ظَهْرٌ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَجِدُ بِالطَّرِيقِ ضَوَالًا مِنْ هَذِهِ الضُّوَالِ، قَالَ: تِلْكَ حَرَقَ النَّارِ، فَإِيَّاكَ وَإِيَّاهَا فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَجَابُوهُ كُلُّهُمْ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى مَاتَ النَّبِيُّ ص فَقَالَتْ عَبْدِ الْقَيْسِ: لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ نَبِيًّا لَمَّا مَاتَ، وَارْتَدُّوا، وَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَبَعَثَ فِيهِمْ جَمْعَهُمْ، ثُمَّ قَامَ يَخْطُبُهُمْ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ عَبْدِ الْقَيْسِ، إِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِ فَأَخْبَرُونِي بِهِ إِنْ عَلِمْتُمُوهُ وَلَا تُجِيبُونِي إِنْ لَمْ تَعْلَمُوا قَالُوا: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ، قَالَ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ كَانَ لِلَّهِ أَنْبِيَاءُ فِيمَا مَضَى؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُونَهُ أَوْ تَرَوْنَهُ؟

قَالُوا: لَا بَلْ نَعْلَمُهُ، قَالَ: فَمَا فَعَلُوا؟ قَالُوا: مَاتُوا، قَالَ: فَانْ مُحَمَّدًا ص مَاتَ كَمَا مَاتُوا، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالُوا: وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَأَفْضَلُنَا وَثَبَّتُوا عَلَى إِسْلَامِهِمْ، وَلَمْ يَبْسُطُوا وَلَمْ يَبْسُطِ إِلَيْهِمْ وَخَلُّوا بَيْنَ سَائِرِ رِيعَةِ وَبَيْنَ الْمُنْذِرِ وَالْمُسْلِمِينَ، فَكَانَ الْمُنْذِرُ مِشْتَغَلًا بِهِمْ حَيَاتُهُ، فَلَمَّا مَاتَ الْمُنْذِرُ حَصَرَ أَصْحَابُ الْمُنْذِرِ فِي مَكَانَيْنِ حَتَّى تَتَقَدَّهُمُ الْعُلَاءُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ فَإِنَّهُ قَالَ فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا فَرَّغَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنَ الْيَمَامَةِ بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْعُلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ وَكَانَ الْعُلَاءُ هُوَ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص بَعَثَهُ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى الْعَبْدِيِّ، فَاسْلَمَ الْمُنْذِرُ، فَأَقَامَ بِهَا الْعُلَاءُ أَمِيرًا لِرَسُولِ اللَّهِ ص، فَاتَتْ الْمُنْذِرُ بْنُ سَاوَى بِالْبَحْرَيْنِ بَعْدَ مَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بُعْمَانًا، فَتَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ص وَعَمْرُو بْنُ سَاوَى فَاقْبَلَ عَمْرُو، فَمَرَّ بِالْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى وَهُوَ بِالْمَوْتِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ الْمُنْذِرُ لَهُ:

كَمْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَجْعَلُ لِلنَّبِيِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَالِهِ عِنْدَ وَفَاتِهِ؟ قَالَ عَمْرُو: فَقُلْتُ لَهُ: كَانَ يَجْعَلُ لَهُ الثُّلْثَ، قَالَ: فَمَا تَرَى لِي أَنْ أَصْنَعَ فِي ثُلْثِ مَالِي؟ قَالَ عَمْرُو: فَقُلْتُ لَهُ: إِنْ شِئْتَ قَسَمْتُهُ فِي أَهْلِ قُرَابَتِكَ، وَجَعَلْتُهُ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ، وَإِنْ شِئْتَ تَصَدَّقْتَ بِهِ فَجَعَلْتُهُ صَدَقَةً مُحَرَّمَةً تَجْرِي مِنْ بَعْدِكَ عَلَى مَنْ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَيْهِ قَالَ: مَا أَحَبُّ أَنْ أَجْعَلَ مِنْ مَالِي شَيْئًا مُحَرَّمًا كَالْبَحِيرَةِ وَالسَّائِيَةِ وَالْوَصِيلَةِ وَالْحَامِي وَلَكِنْ أَقْسَمُهُ، فَأَنْفِذْهُ عَلَى مَنْ أَوْصَيْتُ بِهِ لَهُ يَصْنَعُ بِهِ مَا يَشَاءُ قَالَ: فَكَانَ عَمْرُو يَعْجَبُ لَهَا مِنْ قَوْلِهِ وَارْتَدَّتْ رِيعَةُ بِالْبَحْرَيْنِ فِيمَنْ ارْتَدَّ مِنَ الْعَرَبِ، إِلَّا الْجَارُودُ بْنُ عَمْرُو بْنِ حَنْشِ بْنِ مَعْلَى، فَإِنَّهُ ثَبَّتَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ، وَقَامَ حِينَ بَلَغَتْهُ وَفَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ص وَارْتَدَّ الْعَرَبُ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَكْفَرُ مَنْ لَا يَشْهَدُ وَاجْتَمَعَتْ رِيعَةُ بِالْبَحْرَيْنِ وَارْتَدَّتْ، فَقَالُوا: نَرُدُّ الْمُلْكَ فِي آلِ الْمُنْذِرِ، فَلَكُوا الْمُنْذِرُ بْنَ النُّعْمَانَ بْنِ الْمُنْذِرِ، وَكَانَ يُسَمَّى الْغُرُورَ، وَكَانَ يَقُولُ حِينَ أَسْلَمَ وَأَسْلَمَ النَّاسُ وَغَلِبَهُمُ السَّيْفُ: لَسْتُ بِالْغُرُورِ، وَلَكِنِّي الْمَغْرُورُ حَدَّثَنَا عبيد الله بن سعد، قال: أخبرنا عمي، قال: أخبرنا سيف،

عن إسماعيل بن مسلم، عن عمير بن فلان العبدى، قال: لما مات النبي ص خرج الحطيم بن ضبيعة أخو بني قيس بن ثعلبة فيمن اتبعه من بكر بن وائل على الردة، ومن تأشب إليه من غير المرتدين ممن لم يزل كافرا، حتى نزل القطيف وهجر، واستغوى الخط ومن فيها من الزط والسيابجة، وبعث بعثا إلى دارين، فأقاموا له ليجعل عبد القيس بينه وبينهم، وكانوا مخالفين لهم، يمدون المنذر والمسلمين، وأرسل إلى الغرور بن سويد، أخي النعمان بن المنذر، فبعثه إلى جوثى، وقال: اثبت، فإني إن ظفرت ملكتك بالبحرين حتى تكون كالنعمان بالحيرة وبعث إلى جوثى، فحصرهم وألحوا عليهم فاشتد على المحصورين الحصر، وفي المسلمين المحصورين رجل من صالح المسلمين يقال له عبد الله بن حذف، أحد بني أبي بكر بن كلاب، وقد اشتد عليه وعليهم الجوع حتى كادوا أن يهلكوا وقال في ذلك عبد الله بن حذف:

ألا أبلغ أبا بكر رسولا ... وفتيان المدينة أجمعينا

فهل لكم إلى قوم كرام ... قعود في جوثى محصرينا!

كأن دماءهم في كل فج ... شعاع الشمس يغشى الناظرينا

توكلنا على الرحمن إنا ... وجدنا الصبر للمتوكلينا

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ الصَّعْبِ بْنِ عَطِيَّةِ بْنِ بِلَالٍ، عَنْ سَهْمِ بْنِ مَنْجَابٍ، عَنْ مَنْجَابِ بْنِ رَاشِدٍ، قَالَ: بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضَرِيِّ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الرِّدَّةِ بِالْبَحْرَيْنِ، فَلَمَّا أَقْبَلَ إِلَيْهَا، فَكَانَ بِحِيَالِ الْيَمَامَةِ، لَحِقَ بِهِ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ فِي مُسْلَمَةِ بَنِي حَنِيفَةَ مِنْ بَنِي سَحِيمٍ وَمِنْ أَهْلِ الْقُرَى مِنْ سَائِرِ بَنِي حَنِيفَةَ، وَكَانَ مُتَلَدِّدًا، وَقَدْ لَحِقَ عِكْرَمَةُ بِعُمَانَ ثُمَّ مَهْرَةَ، وَأَمَرَ شُرَحْبِيلُ بِالْمَقَامِ حَيْثُ انْتَهَى إِلَى أَنْ يَأْتِيَهُ أُمُّ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ يَغَاوِرُ هُوَ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَهْلَ الرِّدَّةِ مِنْ قُضَاعَةَ فَأَمَّا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَكَانَ يَغَاوِرُ سَعْدًا وَبَلِيًا وَأَمْرَ هَذَا بَكْلَبَ وَلَفْهًا، فَلَمَّا دَنَا مِنَّا وَنَحْنُ فِي عَلِيَا الْبِلَادِ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ لَهُ فَرَسٌ مِنَ الرَّبَابِ وَعَمْرُو بْنُ تَمِيمٍ إِلَّا جَنْبَهُ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُ، فَأَمَّا بَنُو حَنْظَلَةَ فَإِنَّهُمْ قَدَّمُوا رَجُلًا وَآخَرًا أُخْرَى وَكَانَ مَالِكُ بْنُ نُورَةَ فِي الْبَطَاحِ وَمَعَهُ جُمُوعٌ يُسَاجِلُنَا وَلَسَاجِلُهُ.

وَكَانَ وَكِيعُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْقُرْعَاءِ مَعَهُ جُمُوعٌ يُسَاجِلُ عُمَرَا وَعَمْرُو سَاجِلُهُ، وَأَمَّا سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ مَنَاةَ فَإِنَّهُمْ كَانُوا فَرِيقَيْنِ، فَأَمَّا عَوْفُ وَالْأَبْنَاءُ فَإِنَّهُمْ أَطَاعُوا الزَّبْرِقَانَ بْنَ بَدْرٍ، فَتَبَتُوا عَلَى إِسْلَامِهِمْ وَتَمَوُّا وَذَبُّوا عَنْهُ، وَأَمَّا الْمُقَاعِسُ وَالْبُطُونُ فَإِنَّهُمَا اصْطَاخَا وَلَمْ يُتَابِعَا، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ، فَإِنَّهُ قَسَمَ الصَّدَقَاتِ الَّتِي كَانَتْ اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ فِي الْمُقَاعِسِ وَالْبُطُونِ حِينَ شَخَصَ الزَّبْرِقَانُ بِصَدَقَاتِ عَوْفٍ وَالْأَبْنَاءِ، فَكَانَتْ عَوْفُ وَالْأَبْنَاءُ مَشَاغِلُ بِالْمُقَاعِسِ وَالْبُطُونِ فَلَمَّا رَأَى قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ مَا صَنَعَتِ الرَّبَابُ وَعَمْرُو بْنُ تَلْقِي الْعَلَاءِ نَدِمَ عَلَى مَا كَانَ فَرَطَ مِنْهُ، فَتَلَقَّى الْعَلَاءُ بِإِعْدَادٍ مَا كَانَ قَسَمَ مِنَ الصَّدَقَاتِ، وَنَزَعَ عَنْ أَمْرِهِ الَّذِي كَانَ هَمُّ بِهِ، وَاسْتَأْذَنَ حَتَّى أَبْلَغَهَا إِيَّاهُ، وَخَرَجَ مَعَهُ إِلَى قِتَالِ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا كَمَا قَالَ الزَّبْرِقَانُ فِي صَدَقَتِهِ حِينَ أَبْلَغَهَا أَبَا بَكْرٍ، وَكَانَ الَّذِي قَالَ الزَّبْرِقَانُ فِي ذَلِكَ:

وَفَيْتُ بِأَذْوَادِ الرَّسُولِ وَقَدْ أَبَتْ ... سَعَاةٌ فَلَمْ يَرُدِّدْ بَعِيرًا مُجِيرَهَا
مَعَا وَمَنْعَنَاهَا مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ ... تَرَامِي الْأَعَادِي عِنْدَنَا مَا يُضِيرَهَا
فَادَيْتَهَا كَيْ لَا أَخُونِ بِذِمَّتِي ... مُحَانِيْقٌ لَمْ تُدْرَسْ لِرَكْبِ ظُهورِهَا
أَرَدْتُ بِهَا التَّقْوَى وَمَجْدَ حَدِيثِهَا ... إِذَا عُصْبَةُ سَامِي قَبِيلِي نُحُورَهَا
وَإِنِّي لَمِنْ حَيٍّ إِذَا عُدَّ سَعِيمٌ ... يَرَى الْفَخْرَ مِنْهَا حَيًّا وَقَبُورَهَا
أَصَاغَرُوهُمْ لَمْ يَضْرَعُوا وَكَارَهُمْ ... رَزَانٌ مَرَّاسِيهَا، عَفَافٌ صُدُورَهَا
وَمِنْ رَهْطٍ كَادَ تَوَفَّيْتُ ذِمَّتِي ... وَلَمْ يَثْنِ سَيْفِي نَجْهًا وَهَرِيرَهَا
وَلِلَّهِ مَلِكٌ قَدْ دَخَلَتْ وَفَارِسٍ ... طَعَنْتُ إِذَا مَا انْخِلِلَ شَدَّ مُغِيرَهَا
فَفَرَجْتُ أَوْلَاهَا بِنَجْلَاءِ ثَرَّةٍ ... بِحَيْثُ الَّذِي يَرْجُو الْحَيَاةَ يُضِيرَهَا
وَمَشْهَدٌ صِدْقٍ قَدْ شَهِدْتُ فَلَمْ أَكُنْ ... بِهِ خَامِلًا وَالْيَوْمُ يَثْنِي مَصِيرَهَا
أَرَى رَهْبَةَ الْأَعْدَاءِ مِنِّي جَرَاءَةً ... وَيَسْكِي إِذَا مَا النَّفْسُ يُوحَى ضَمِيرَهَا
وَقَالَ قَيْسُ عِنْدَ اسْتِقْبَالِ الْعَلَاءِ بِالصَّدَقَةِ:

أَلَا أَبْلَغَا عَنِّي قُرَيْشًا رِسَالَةً ... إِذَا مَا أَتَتْهَا بَيْنَاتُ الْوَدَائِعِ
حَبَوْتُ بِهَا فِي الدَّهْرِ اعْرَاضَ مَنْقَرٍ ... وَأَيَّاسْتُ مِنْهَا كُلَّ أَطْلَسٍ طَامِعٍ
وَجَدْتُ أَبِي وَانْخَالَ كَانَا بِنَجْوَةٍ ... بِقَاعٍ فَلَمْ يَحْلُلْ بِهَا مِنْ إِدَافِعٍ

فَاكْرَمَهُ الْعَلَاءُ، وَخَرَجَ مَعَ الْعَلَاءِ مِنْ عَمْرُو وَسَعْدِ الرَّبَابِ مِثْلَ عَسْكَرِهِ، وَسَلَكَ بِنَا الدَّهْنَاءَ، حَتَّى إِذَا كُنَّا فِي مُجْبُوحَتِهَا وَالْحَنَانَاتِ وَالْعَزَّافَاتِ

عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، وَأَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُرِينَا آيَاتِهِ نَزَلَ وَأَمَرَ النَّاسَ بِالنُّزُولِ، فَفَرَّتِ الْإِبِلُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَأَبْقَى عِنْدَنَا بَعِيرٌ وَلَا زَادٌ وَلَا مَرَادٌ

وَلَا بِنَاءٌ إِلَّا ذَهَبَ عَلَيَّاهُ فِي عَرْضِ الرَّمْلِ، وَذَلِكَ حِينَ نَزَلَ النَّاسُ، وَقَبِلَ أَنْ يَحْطُوا، فَأَعْلَتْ جَمْعًا هَجَمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْغَمِّ مَا هَجَمَ عَلَيْنَا وَأَوْصَى بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ، وَنَادَى مُنَادِي الْعَلَاءِ: اجْتَمِعُوا، فَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ، فَقَالَ:

مَا هَذَا الَّذِي ظَهَرَ فِيكُمْ وَغَلَبَ عَلَيْكُمْ؟ فَقَالَ النَّاسُ: وَكَيْفَ نُلَامُ وَنَحْنُ إِنْ بَلَّغْنَا غَدًا لَمْ تَحْمِ شَمْسُهُ حَتَّى نَصِيرَ حَدِيثًا! فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَرَاوَعُوا، أَلَسْتُمْ مُسْلِمِينَ! أَلَسْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ! أَلَسْتُمْ أَنْصَارَ اللَّهِ! قَالُوا: بَلَى، قَالَ:

فَابْشُرُوا، فَوَاللَّهِ لَا يَخْذُلُ اللَّهُ مَنْ كَانَ فِي مِثْلِ حَالِكُمْ وَنَادَى الْمُنَادِي بِصَلَاةِ الصُّبْحِ حِينَ طَلَعَ الْفَجْرُ فَصَلَّى بِنَا، وَمِنَّا الْمُتِمِّمُ، وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَزَلْ عَلَى طُهْرِهِ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ جَثَا لِرُكْبَتَيْهِ وَجَثَا النَّاسُ، فَصَبَّ فِي الدُّعَاءِ وَنَصَبُوا مَعَهُ، فَلَمَعَ لَهُمْ سَرَابُ الشَّمْسِ، فَالْتَفَتَ إِلَى الصَّفِّ، فَقَالَ: رَائِدٌ يَنْظُرُ مَا هَذَا؟ فَفَعَلَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: سَرَابٌ، فَأَقْبَلَ عَلَى الدُّعَاءِ، ثُمَّ لَمَعَ لَهُمْ آخَرُ فَكَذَلِكَ، ثُمَّ لَمَعَ لَهُمْ آخَرُ، فَقَالَ: مَاءٌ، فَقَامَ وَقَامَ النَّاسُ، فَشِينَا إِلَيْهِ حَتَّى نَزَلْنَا عَلَيْهِ، فَشَرَبْنَا وَاغْتَسَلْنَا، فَمَا تَعَالَى النَّهَارُ حَتَّى أَقْبَلَتِ الْإِبِلُ تَكَرَّدَ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، فَأَنَاخَتْ إِلَيْنَا، فَقَامَ كُلُّ رَجُلٍ إِلَى ظَهْرِهِ، فَأَخَذَهُ، فَمَا فَقَدْنَا سَلَكًا فَأَرْوَيْنَاهَا وَأَسْقَيْنَاهَا الْعِلَّ بَعْدَ النَّهْلِ، وَتَرَوَيْنَا ثُمَّ تَرَوَحْنَا- وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَفِيقِي- فَلَمَّا غَبَا عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ، قَالَ لِي: كَيْفَ عَلَيْكَ بِمَوْضِعِ ذَلِكَ الْمَاءِ؟ فَقُلْتُ: أَنَا مِنْ أَهْدِي الْعَرَبِ بِهَذِهِ الْبِلَادِ قَالَ: فَكُنْ مَعِيَ حَتَّى تَقِيمَنِي عَلَيْهِ، فَكَّرْتُ بِهِ، فَأَتَيْتُ بِهِ عَلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ بَعِينَةً، فَإِذَا هُوَ لَا غَدِيرَ بِهِ، وَلَا أَثَرَ لِلْمَاءِ، فَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي لَا أَرَى الْغَدِيرَ لَأَخْبَرْتُكَ أَنَّ هَذَا هُوَ الْمَكَانُ، وَمَا رَأَيْتُ هَذَا الْمَكَانَ مَاءً نَاقِعًا قَبْلَ الْيَوْمِ، وَإِذَا إِدَاوَةٌ مَمْلُوءَةٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا سَهْمٍ، هَذَا وَاللَّهِ الْمَكَانُ، وَلِهَذَا رَجَعْتُ وَرَجَعْتُ بِكَ وَمَلَأْتُ إِدَاوَتِي ثُمَّ وَضَعْتُهَا عَلَى شَفِيرِهِ، فَقُلْتُ:

إِنْ كَانَ مِنْهُ مِنَ الْمَنِّ وَكَانَتْ آيَةٌ عَرَفْتُهَا، وَإِنْ كَانَ غِيَاثًا عَرَفْتُهُ، فَإِذَا مِنْهُ مِنَ الْمَنِّ، فَحَمَدَ اللَّهُ، ثُمَّ سَرْنَا حَتَّى نَزَلَ هَجْرًا قَالَ: فَأَرْسَلَ الْعَلَاءُ إِلَى الْجَارُودِ وَرَجُلٍ آخَرَ أَنْ انْضَمَّا فِي عَبْدِ الْقَيْسِ حَتَّى تَنْزِلَا عَلَى الْحِطَمِ مِمَّا يَلِيكُمَا، وَخَرَجَ هُوَ فِيمَنْ جَاءَ مَعَهُ وَفِيمَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ، حَتَّى يَنْزِلَ عَلَيْهِ مِمَّا يَلِي هَجْرًا، وَتَجَمَّعَ الْمُشْرِكُونَ كُلُّهُمْ إِلَى الْحِطَمِ إِلَّا أَهْلَ دَارَيْنِ، وَتَجَمَّعَ الْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ إِلَى الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ، وَخَنَدَقَ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ، وَكَانُوا يَتَرَاوَحُونَ الْقِتَالَ وَيَرْجِعُونَ إِلَى خَنَدَقِهِمْ، فَكَانُوا كَذَلِكَ شَهْرًا، فَبَيْنَا النَّاسُ لَيْلَةً إِذْ سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ فِي عَسْكَرِ الْمُشْرِكِينَ ضَوْضَاءً شَدِيدَةً، كَأَنَّهَا ضَوْضَاءُ هَزِيمَةٍ أَوْ قِتَالٍ، فَقَالَ الْعَلَاءُ: مَنْ يَا تَيْنَا بَخْبَرِ الْقَوْمِ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَذَفٍ: أَنَا أَتَيْتُكُمْ بِخَبَرِ الْقَوْمِ- وَكَانَتْ أُمُّهُ عَجَلِيَّةً- نَفَرَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ خَنَدَقِهِمْ أَخَذُوهُ، فَقَالُوا لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَانْتَسَبَ لَهُمْ، وَجَعَلَ يَنَادِي: يَا أَبَجْرَاهُ! لِحَافِ أَبَجْرُ بْنُ بَجِيرٍ، فَعَرَفَهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟

فَقَالَ: لَا أَضِيعَنَّ اللَّيْلَةَ بَيْنَ اللَّهَازِمِ! عَلَامٌ أُقْتِلَ وَحَوْلِي عَسَاكِرُ مِنْ عَجَلٍ وَتَيْمٍ اللَّاتِ وَقَيْسٍ وَعَنْزَةٍ! أَتَيْتُ لَعَبَ بِي الْحِطَمِ وَنَزَاعُ الْقَبَائِلِ وَأَنْتُمْ شُهُودٌ! فَتَخَلَّصَهُ، وَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَظُنُّكَ بِسِ بْنِ الْأُخْتِ لِأُخْوَالِكَ اللَّيْلَةَ! فَقَالَ: دَعْنِي مِنْ هَذَا وَأَطْعِمْنِي، فَإِنِّي قَدْ مِتُّ جُوعًا فَقَرَّبَ لَهُ طَعَامًا، فَأَكَلَ ثُمَّ قَالَ: زَوِّدْنِي وَاحْمِلْنِي وَجَوِّزْنِي أَنْطَلِقَ إِلَى طَيْتِي.

وَيَقُولُ ذَلِكَ لِرَجُلٍ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الشَّرَابُ، فَفَعَلَ وَحَمَلَهُ عَلَى بَعِيرٍ، وَزَوَّدَهُ وَجَوَّزَهُ، وَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَذَفٍ حَتَّى دَخَلَ عَسْكَرَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْقَوْمَ سُكَارَى، نَفَرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ حَتَّى اقْتَحَمُوا عَلَيْهِمْ عَسْكَرَهُمْ، فَوَضَعُوا السُّيُوفَ فِيهِمْ حَيْثُ شَاءُوا، وَاقْتَحَمُوا الْخَنَدَقَ هَرَابًا، فَتَرَدُّوا، وَنَاجَ وَدَهَشَ، وَمَقْتُولٌ أَوْ مَأْسُورٌ، وَاسْتَوْلَى الْمُسْلِمُونَ عَلَى مَا فِي الْعَسْكَرِ، لَمْ يَفْلِتْ

رَجُلٌ إِلَّا بِمَا عَلَيْهِ، فَأَمَّا أَبَجْرُ فَأَفْلَتَ، وَأَمَّا الْحِطَمُ فَإِنَّهُ بَعَلَ وَدَهَشَ، وَطَارَ فُؤَادُهُ، فَقَامَ إِلَى فَرَسِهِ- وَالْمُسْلِمُونَ خِلَالَهُمْ يَجُوسُونَهُمْ-

لِيرَكِبَهُ، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ انْقَطَعَ بِهِ، فَرَّ بِهِ عَفِيفُ بْنُ الْمُنْذِرِ أَحَدُ بَنِي عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ، وَالْحَطَمُ يَسْتَعِيثُ وَيَقُولُ: أَلَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ يَعْقِلُنِي! فَرَفَعَ صَوْتَهُ، فَعَرَفَ صَوْتَهُ، فَقَالَ: أَبُو ضُبَيْعَةَ! قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَعْطِنِي رِجْلَكَ أُعْقِلَكَ، فَأَعْطَاهُ رِجْلَهُ يَعْقِلُهُ، فَفَنَحَهَا فَأَطْنَهَا مِنَ الْفَخْذِ، وَتَرَكَهُ، فَقَالَ: أَجْهَزْ عَلَيَّ، فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّ أَلَا تَمُوتَ حَتَّى أَمْضُكَ.

- وَكَانَ مَعَ عَفِيفٍ عِدَّةٌ مِنْ وَلَدِ أَبِيهِ، فَأَصَابُوا لَيْلَتَهُ- وَجَعَلَ الْحَطَمُ لَا يَمُرُّ بِهِ فِي اللَّيْلِ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا قَالَ: هَلْ لَكَ فِي الْحَطَمِ أَنْ تَقْتُلَهُ؟ وَيَقُولُ:

ذَلِكَ لِمَنْ لَا يَعْرِفُهُ، حَتَّى مَرَّ بِهِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ، فَالَّ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ، فَلَمَّا رَأَى نَفْخَهُ نَادَرَهُ، قَالَ: وَاسْوَأَتَاهُ! لَوْ عَلِمْتُ الَّذِي بِهِ لَمْ أُحَرِّكْهُ، وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ مَا أَحْرَزُوا الْخَنْدَقَ عَلَى الْقَوْمِ يَطْلُبُونَهُمْ، فَاتَّبَعُوهُمْ، فَالْحَقَّ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ أَبْجَرَ- وَكَانَ فَرَسُ أَبْجَرَ أَقْوَى مِنْ فَرَسِ قَيْسٍ- فَلَمَّا خَشِيَ أَنْ يَقُوتَهُ طَعَنَهُ فِي الْعِرْقُوبِ فَقَطَعَ الْعَصَبَ، وَسَلَّمُ النِّسَاءِ فَكَانَتْ رَادَّةً، وَقَالَ عَفِيفُ بْنُ الْمُنْذِرِ:

فَإِنْ يَرَقِ الْعِرْقُوبُ لَا يَرَقِ النَّسَاءُ ... وَمَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى بِذَلِكَ عَالِمٌ
أَلَمْ تَرَ أَنَا قَدْ فَلَلْنَا حِمَاتِهِمْ ... بِأَسْرَةٍ عَمَرُوا وَالرَّيَابُ الْأَكَارِمُ

وَأَسْرَ عَفِيفُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْغُرُورَ بْنَ سُؤَيْدٍ، فَكَلَّمَتْهُ الرَّبَابُ فِيهِ، وَكَانَ أَبُوهُ ابْنُ أُخْتِ التَّمِيمِ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يُجِيرَهُ، فَقَالَ لِلْعَلَاءِ: إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ هَذَا، قَالَ: وَمَنْ هَذَا؟ قَالَ: الْغُرُورُ، قَالَ: أَنْتَ غَرَرْتَ هَؤُلَاءِ، قَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنِّي لَسْتُ بِالْغُرُورِ، وَلَكِنِّي الْمَغْرُورُ، قَالَ:

أَسْلَمُ، فَأَسْلَمَ وَبَقِيَ بِهَجَرَ، وَكَانَ اسْمُهُ الْغُرُورُ، وَلَيْسَ بِلَقَبٍ، وَقَتَلَ عَفِيفُ بْنُ الْمُنْذِرِ ابْنَ سُؤَيْدٍ، أَخَا الْغُرُورِ لِأُمِّهِ، وَأَصْبَحَ الْعَلَاءُ فَقَسَمَ الْأَنْفَالَ، وَنَفَلَ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ الْبَلَاءِ ثِيَابًا، فَكَانَ فِيْمَنْ نَفَلَ عَفِيفُ بْنُ الْمُنْذِرِ وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ وَثِمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ، فَأَمَّا ثِمَامَةُ فَنَفَلَ ثِيَابًا فِيهَا نَحِيصَةُ ذَاتِ أَعْلَامٍ، كَانَ الْحَطَمُ يَأْهِي فِيهَا، وَبَاعَ الثِّيَابَ وَقَصَدَ عَظَمَ الْفَلَاحِ لِدَارَيْنِ، فَرَكِبُوا فِيهَا السُّفُنَ، وَرَجَعَ الْآخَرُونَ إِلَى بِلَادِ قَوْمِهِمْ، فَكَتَبَ الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضَرَمِيِّ إِلَى مَنْ أَقَامَ عَلَى إِسْلَامِهِ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ فِيهِمْ، وَأَرْسَلَ إِلَى عُتَيْبَةَ بْنِ النَّهَّاسِ وَإِلَى عَامِرِ بْنِ عَبْدِ الْأَسْوَدِ بَلَزُومَ مَا هُمْ عَلَيْهِ وَالْقُعُودَ لِأَهْلِ الرَّدَّةِ بِكُلِّ سَبِيلٍ، وَأَمَرَ مِسْمَعًا بِمَبَادَرَتِهِمْ، وَأَرْسَلَ إِلَى خَصْفَةَ التَّمِيمِيِّ وَالْمُثَنَّى بْنِ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيِّ، فَأَقَامُوا لِأَوَّلِكَ بِالطَّرِيقِ، فَنَهَمَ مِنْ أَنَابَ، فَاقْبَلُوا مِنْهُ وَاشْتَمَلُوا عَلَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَبَى وَلَجَ فَنَعَمَ مِنَ الرَّجُوعِ، فَارْجَعُوا عَوْدَهُمْ عَلَى بَدَنِهِمْ، حَتَّى عَبَرُوا إِلَى دَارَيْنِ، فَجَمَعَهُمُ اللَّهُ بِهَا، وَقَالَ فِي ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي ضُبَيْعَةَ بْنِ عَجَلٍ، يُدْعَى وَهْبًا، يُعِيرُ مِنْ ارْتَدَّ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبُكُ خَلْقَهُ ... فَيَخْبِثُ أَقْوَامٌ وَيَصْفُو مَعَشَرَ

لَحَى اللَّهُ أَقْوَامًا أَصَابُوا بِخَنْعَةٍ ... أَصَابَهُمْ زَيْدُ الضَّلَالِ وَمَعْمَرُ!

وَلَمْ يَزَلِ الْعَلَاءُ مُقِيمًا فِي عَسْكَرِ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى رَجَعَتْ إِلَيْهِ الْكُتُبُ مِنْ عِنْدِ مَنْ كَانَ كَتَبَ إِلَيْهِ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ، وَبَلَغَهُ عَنْهُمْ الْقِيَامُ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَالْغَضَبُ لِدِينِهِ، فَلَمَّا جَاءَهُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ يَشْتَبِي، أَيقَنَ أَنَّهُ لَنْ يُؤْتَى مِنْ خَلْفِهِ بِشَيْءٍ يَكْرَهُهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ، وَنَدَبَ النَّاسَ إِلَى دَارَيْنِ، ثُمَّ جَمَعَهُمْ نَخَطَهُمْ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَمَعَ لَكُمْ أَحْزَابَ الشَّيَاطِينِ وَشَرَدَ الْحَرْبَ فِي هَذَا الْبَحْرِ، وَقَدْ أَرَاكُمْ مِنْ آيَاتِهِ فِي الْبَرِّ لَتَعْتَبِرُوا بِهَا

فِي الْبَحْرِ، فَانْهَضُوا إِلَى عَدُوِّكُمْ، ثُمَّ اسْتَعَرَضُوا الْبَحْرَ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَمَعَهُمْ، فَقَالُوا: نَفْعَلُ وَلَا نَهَابُ وَاللَّهِ بَعْدَ الدَّهْنَاءِ هَؤُلَاءِ مَا بَقِينَا فَارْتَحِلْ وَارْتَحِلُوا، حَتَّى إِذَا أَتَى سَاحِلَ الْبَحْرِ اقْتَحَمُوا عَلَى الصَّاهِلِ، وَالْجَامِلِ، وَالشَّاحِجِ وَالنَّاهِقِ، وَالرَّاكِبِ وَالرَّاجِلِ، وَدَعَا وَدَعَا، وَكَانَ

دَعَاؤُهُ وَدَعَاؤُهُمْ: يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، يَا كَرِيمُ، يَا حَلِيمُ، يَا أَحَدُ، يَا صَمَدُ يَا حَيُّ يَا مُحْيِي الْمَوْتِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا رَبَّنَا فَاجْزُوا ذَلِكَ الْخَلِيجَ بِإِذْنِ اللَّهِ جَمِيعًا يَمْشُونَ عَلَى مِثْلِ رَمْلَةٍ مَيْثَاءَ، فَوْقَهَا مَاءٌ يَغْمُرُ أَخْفَافَ الْإِبِلِ، وَإِنَّ مَا بَيْنَ السَّاحِلِ وَدَارَيْنِ مَسِيرَةُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لَسُنْفِ الْبَحْرِ فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ، فَالْتَقُوا بِهَا، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَمَا تَرَكُوا بِهَا مَخْبَرًا وَسَبُوحًا الذَّرَارِي، وَاسْتَقُوا الْأَمْوَالَ، فَبَلَغَ نَفْلُ الْفَارِسِ سِتَّةَ آلَافٍ، وَالرَّاجِلِ أَلْفَيْنِ، قَطَعُوا لَيْلَهُمْ وَسَارُوا يَوْمَهُمْ، فَلَمَّا فَرَّغُوا رَجَعُوا عَوْدَهُمْ عَلَى بَدْيِهِمْ حَتَّى عَبَرُوا، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَفِيفُ بْنُ الْمُنْذَرِ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ ذَلَّلَ بَحْرَهُ ... وَأَنْزَلَ بِالْكَفَّارِ إِحْدَى الْجَلَالِ!
دَعَوْنَا الَّذِي شَقَّ الْبِحَارَ فَجَاءَنَا ... بِأَعْجَبَ مِنْ فَلَقِ الْبِحَارِ الْأَوَائِلِ
وَلَمَّا رَجَعَ الْعَلَاءُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ، وَضَرَبَ الْإِسْلَامُ فِيهَا بِجِرَانِهِ، وَعَزَّ الْإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ، وَذَلَّ الشِّرْكَ وَأَهْلُهُ، أَقْبَلَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَا فِيهَا عَلَى الْإِرْجَافِ، فَأَرْجَفَ مُرْجِفُونَ، وَقَالُوا: هَذَا ذَاكَ مَفْرُوقٌ، قَدْ جَمَعَ رَهْطُهُ.
شَيْبَانٌ وَتَغْلَبَ وَالتَّمَرُ، فَقَالَ لَهُمْ أَقْوَامٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: إِذَا تَشْغَلَهُمْ عَنَّا اللَّهَازِمُ - وَاللَّهَازِمُ يَوْمٌ قَدْ اسْتَجْمَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى نَصْرِ الْعَلَاءِ وَطَابَقُوا وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ حَذَفٍ فِي ذَلِكَ:

لَا تُوعِدُونَا بِمَفْرُوقٍ وَأُسْرَتِهِ ... إِنْ يَأْتِنَا يَلْقَ فِيْنَا سَنَةَ الْحَطَمِ
وَإِنَّ ذَا الْحَيِّ مِنْ بَكْرٍ وَإِنْ كَثُرُوا ... لِأُمَّةٍ دَاخِلُونَ النَّارَ فِي أُمَمٍ
فَالنَّخْلُ ظَاهِرُهُ خَيْلٌ وَبَاطِنُهُ ... خَيْلٌ تَكْدَسُ بِالْفَتَيَانِ فِي النَّعَمِ
وَأَقْفَلَ الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضَرَمِيِّ النَّاسَ، فَارْجَعَ النَّاسُ إِلَّا مَنْ أَحَبَّ الْمَقَامَ، فَتَقَفْنَا وَقَفْلَ ثُمَامَةَ بْنِ أُثَالِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا عَلَى مَاءٍ لِبْنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، فَأَرَاوَا ثُمَامَةَ، وَرَأَوْا خَمِيصَةَ الْحَطَمِ عَلَيْهِ دَسُوا لَهُ رَجُلًا، وَقَالُوا: سَلُهُ كَيْفَ صَارَتْ لَهُ؟ وَعَنِ الْحَطَمِ: أَهْوَقْتَهُ أَوْ غَيْرُهُ؟ فَاتَّاهُ، فَسَأَلَهُ عَنْهَا، فَقَالَ: نَفَلْتَهَا قَالَ: أَنْتَ قَتَلْتَ الْحَطَمَ؟ قَالَ: لَا، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ قَتَلْتُهُ، قَالَ: فَمَا بَالُ هَذِهِ الْخَمِيصَةِ مَعَكَ؟ قَالَ: أَلَمْ أُخْبِرْكَ! فَارْجَعَ إِلَيْهِمْ فَأَخْبَرَهُمْ، فَتَجَمَّعُوا لَهُ، ثُمَّ أَتَوْهُ فَاحْتَوَشَوْهُ، فَقَالَ: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا:
أَنْتَ قَاتِلُ الْحَطَمِ؟ قَالَ: كَذَبْتُمْ، لَسْتُ بِقَاتِلِهِ وَلَكِنِّي نَفَلْتَهَا، قَالُوا:
هَلْ يُنْفَلُ إِلَّا الْقَاتِلُ! قَالَ: إِنَّهَا لَمْ تَكُنْ عَلَيْهِ، إِنَّمَا وَجَدْتُ فِي رَحْلِهِ، قَالُوا: كَذَبْتَ فَأَصَابُوهُ.
قَالَ: وَكَانَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ رَاهِبٌ فِي هَجْرٍ، فَأَسْلَمَ يَوْمَئِذٍ فَقِيلَ: مَا دَعَاكَ إِلَى الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ، خَشِيتُ أَنْ يَمْسَخَنِي اللَّهُ بَعْدَهَا
إِنْ أَنَا لَمْ أَفْعَلْ:
فِيضُ فِي الرِّمَالِ، وَتَمْهِيدُ أَتْبَاجِ الْبِحَارِ، وَدَعَاءُ سَمِعْتُهُ فِي عَسْكَرِهِمْ فِي الْهَوَاءِ مِنَ السَّحْرِ قَالُوا: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، لَا إِلَهَ غَيْرُكَ، وَابْدِيعُ لَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَالدَّائِمُ غَيْرُ الْغَافِلِ، وَالْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَخَالِقُ مَا يَرَى وَمَا لَا يَرَى، وَكُلُّ يَوْمٍ أَنْتَ فِي شَأْنٍ، وَعَلِمْتَ اللَّهُمَّ كُلَّ شَيْءٍ بِغَيْرِ تَعَلُّمٍ، فَعَلِمْتُ أَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يُعَانُوا بِالْمَلَائِكَةِ إِلَّا وَهُمْ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ.
فَلَقَدْ كَانَ اصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ص يَسْمَعُونَ مِنْ ذَلِكَ الْهَجْرِيِّ بَعْدَ

ذكر الخبر عن رده اهل عمان ومهره واليمن

وَكَتَبَ الْعَلَاءُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَرَّ لَنَا الدَّهْنَاءَ فَيَضًا لَا تُرَى غَوَارِبُهُ، وَأَرَانَا آيَةً وَعِبْرَةً بَعْدَ غَمٍّ وَكَرْبٍ، لِنَحْمَدَ اللَّهَ وَنُحْمَدَهُ، فَادْعُ اللَّهَ وَاسْتَنْصِرْهُ لِنُجُودِهِ وَأَعْوَانِ دِينِهِ.

فَحَمَدَ أَبُو بَكْرٍ اللَّهَ وَدَعَا، وَقَالَ: مَا زَالَتِ الْعَرَبُ فِيمَا تُحَدِّثُ عَنْ بُدَانِهَا يَقُولُونَ: إِنَّ لَقَمَانَ حِينَ سُئِلَ عَنِ الدَّهْنَاءِ: أَيَحْتَفِرُونَهَا أَوْ يَدْعُونَهَا؟

نَهَاهُمْ، وَقَالَ: لَا تَبْلُغْهَا الْأَرَشِيَّةَ، وَلَمْ تَقْرَ الْعُيُونُ، وَأَنَّ شَأْنَ هَذَا الْفَيْضِ مِنْ عَظِيمِ الْآيَاتِ، وَمَا سَمِعْنَا بِهِ فِي أُمَّةٍ قَبْلَهَا اللَّهُمَّ اخْلُفْ مُحَمَّدًا صَ فِينَا.

ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ الْعَلَاءُ بِهَزِيمَةِ أَهْلِ الْخَنْدَقِ وَقَتْلِ الْحُطَمِ، قَتْلَهُ زَيْدٌ وَمَعْمَرٌ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ اسْمُهُ سَلَبَ عَدُونًا عَقُولَهُمْ، وَأَذْهَبَ رِيحَهُمْ بِشَرَابٍ أَصَابُوهُ مِنَ النَّهَارِ، فَاقْتَحَمْنَا عَلَيْهِمْ خَنْدَقَهُمْ، فَوَجَدْنَاهُمْ سُكَارَى، فَقَتَلْنَاهُمْ إِلَّا الشَّرِيدَ، وَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ الْحُطَمَ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ بَلْعَكَ عَنْ بَنِي شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ تَمَّ عَلَى مَا بَلَّغَكَ، وَخَاضَ فِيهِ الْمُرْجِفُونَ، فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ جُنْدًا فَأَوْطِئَهُمْ وَشَرِّدْ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ فَلَمْ يَجْتَمِعُوا، وَلَمْ يَصِرْ ذَلِكَ مِنْ أَرْجَافِهِمْ إِلَى شَيْءٍ.

ذكر الخبر عن ردة أهل عمان ومهرة واليمن

قال أبو جعفر: وقد اختلف في تاريخ حرب المسلمين، فقال محمد بن إسحاق - فيما حدثنا ابن حميد، عن سلمة عنه: كان فتح اليمامة واليمن والبحرين وبعث الجنود إلى الشام في سنة اثنتي عشرة.

وأما أبو زيد فحدثني عن أبي الحسن المدائني في خبر ذكره، عن أبي معشر ويزيد بن عياض بن جعدة وأبي عبيدة بن محمد بن أبي عبيدة وغسان بن عبد الحميد وجويرة بن أسماء، بإسنادهم عن مشيختهم وغيرهم من علماء أهل الشام وأهل العراق، أن الفتوح في أهل الردة كلها كانت لخالد بن الوليد وغيره في سنة إحدى عشرة، إلا أمر ربيعة بن بجير، فإنه كان في سنة ثلاث عشرة. وقصة ربيعة بن بجير التغلبي أن خالد بن الوليد - فيما ذكر في خبره هذا الذي ذكرت عنه - بالمصيخ والحصيد، قام وهو في جمع من المرتدين فقاتله، وغنم وسبي، وأصاب ابنة لربيعة بن بجير، فسابها وبعث بالسبي إلى أبي بكر رحمه الله، فصارت ابنة ربيعة إلى علي بن أبي طالب ع.

فأما أمر عمان فإنه كان - فيما كتب إلي السري بن يحيى يخبرني عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد والغصن بن القاسم وموسى الجليوسي عن ابن محيرز، قال: نبع بعمان ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي، وكان يسامي في الجاهلية الجلفندي، وادعى بمثل ما ادعى به من كان نبيا، وغلب على عمان مرتدا، وألجأ جيفرا وعبادا إلى الأجلال والبحر، فبعث جيفرا إلى أبي بكر يخبره بذلك، ويستجيشه عليه فبعث أبو بكر الصديق حذيفة بن محصن الغلفاني من حمير، وعرجة البارقي من الأزد، حذيفة إلى عمان وعرجة إلى مهرة وأمرهما إذا اتفقا أن يجتمعا على من بعثا إليه، وأن يبتدئا بعمان، وحذيفة على عرجة في وجهه، وعرجة على حذيفة في وجهه.

ففرجا متساندين، وأمرهما أن يجدا السير حتى يقدموا عمان، فإذا كانا منها قريبا كاتبوا جيفرا وعبادا، وعملا برأيهما ففضيا لما أمرا به، وقد كان أبو بكر بعث عكرمة إلى مسيلة باليمامة، وأتبعه شرحبيل بن حسنة،

وسمى لهما اليمامة، وأمرهما بما أمر به حذيفة وعرجة فبادر عكرمة شرحبيل، وطلب حظوة الظفر، فنكبه مسيلة، فأجم عن مسيلة، وكتب إلى أبي بكر بالخبر، وأقام شرحبيل عليه حيث بلغه الخبر، وكتب أبو بكر إلى شرحبيل بن حسنة، أن أقم بأدنى اليمامة حتى يأتيك أمري، وترك أن يمضيه لوجهه الذي وجهه له، وكتب إلى عكرمة يعنفه لتسرع، ويقول: لا أرينك ولا أسمع بك إلا بعد بلاء، والحق بعمان حتى تقاتل أهل عمان، وتعين حذيفة وعرجة، وكل واحد منكم على خيله، وحذيفة ما دتم في عمله على الناس،

فإذا فرغتم فامض إلى مهرة، ثم ليكن وجهك منها إلى اليمن، حتى تلاقي المهاجر ابن أبي أمية باليمن وبحضرموت، وأوطئ من بين عمان واليمن ممن ارتد، وليبلغني بلاؤك.

فمضى عكرمة في أثر عرقة وحذيفة فيمن كان معه حتى لحق بهما قبل أن ينتهيا إلى عمان، وقد عهد إليهم أن ينتهيا إلى رأي عكرمة بعد الفراغ في السير معه أو المقام بعمان، فلما تلاحقوا- وكانوا قريبا من عمان بمكان يدعى رجاما- راسلوا جيفرا وعبادا وبلغ لقيطا محبي الجيش، فجمع جموعه وعسكر بدبا، وخرج جيفر وعباد من موضعهما الذي كانا فيه، فعسكرا بصحارا، وبعثا إلى حذيفة وعرقة وعكرمة في القدوم عليهما، فقدموا عليهما بصحارا، فاستبرءوا ما يليهم حتى رضوا ممن يليهم، وكتبوا رؤساء مع لقيط وبدءوا بسيد بني جديد، فكتبهم وكتبوه حتى ارفضوا عنه، ونهذوا إلى لقيط، فالتقوا على دبا، وقد جمع لقيط العيالات، فجعلهم وراء صفوفهم ليحربهم، وليحافظوا على حرهم-- ودبا هي مصر والسوق العظمى- فاقتتلوا بدبا قتالا شديدا، وكاد لقيط يستعلي الناس، فبيناهم كذلك، وقد رأى المسلمون الخلل ورأى المشركون الظفر، جاءت المسلمين موادهم العظمى من بني ناجية، وعليهم الخريت بن راشد، ومن عبد القيس وعليهم سيحان بن صوحان، وشواذب

ذكر خبر مهرة بالنجد

عمان من بني ناجية وعبد القيس، فقوى الله بهم أهل الإسلام، ووهن الله بهم أهل الشرك، فولى المشركون الأدبار، فقتلوا منهم في المعركة عشرة آلاف، وركبهم حتى أثخنوا فيهم، وسبوا الذراري، وقسموا الأموال على المسلمين، وبعثوا بالخمس إلى أبي بكر مع عرقة، ورأى عكرمة وحذيفة أن يقيم حذيفة بعمان حتى يوطئ الأمور، ويسكن الناس، وكان الخمس ثمانمائة رأس، وغنموا السوق بخذافيرها فسار عرقة إلى أبي بكر بخمس السبي والمغانم، وأقام حذيفة لتسكين الناس، ودعا القبائل حول عمان إلى سكون ما أفاء الله على المسلمين، وشواذب عمان، ومضى عكرمة في الناس، وبدأ بمهرة، وقال في ذلك عباد الناجي:

لعمري لقد لاقى لقيط بن مالك ... من الشر ما أخزى وجوه الثعالب

وبادى أبا بكر ومن هلل فارتمى ... خليجان من تياره المترابك

ولم تنه الأولى ولم ينكأ العدا ... فألوت عليه خيله بالجنائب

ذكر خبر مهرة بالنجد

ولما فرغ عكرمة وعرقة وحذيفة من ردة عمان، خرج عكرمة في جنده نحو مهرة، واستنصر من حول عمان وأهل عمان، وسار حتى يأتي مهرة، ومعه ممن استنصره من ناجية والأزد وعبد القيس وراسب وسعد من بني تميم بشر، حتى اقتحم على مهرة بلادها، فوافق بها جمعين من مهرة: أما أحدهما فيمكن من أرض مهرة يقال له:

جيروت، وقد امتلأ ذلك الحيز إلى نضدون- قاعين من قيعان مهرة- عليهم شخريت، رجل من بني شخرة، وأما الآخر فبالنجد، وقد انقادت

مهرة جميعا لصاحب هذا الجمع، عليهم المصبح، أحد بني محارب والناس كلهم معه، إلا ما كان من شخريت، فكانا مختلفين، كل واحد من الرئيسين يدعو الآخر إلى نفسه، وكل واحد من الجندين يشتهي أن يكون الفلج لرئيسهم، وكان ذلك مما أعان الله به المسلمين وقواهم على عدوهم، ووهنهم.

ولما رأى عكرمة قلة من مع شخريت دعاه إلى الرجوع إلى الإسلام، فكان لأول الدعاء، فأجابه ووهن الله بذلك المصبح ثم أرسل إلى المصبح يدعو إلى الإسلام والرجوع عن الكفر، فاعتز بكثرة من معه، وازداد مباحدة لمكان شخريت، فسار إليه عكرمة، وسار معه شخريت، فالتقوا هم والمصبح بالنجد، فاقتتلوا أشد من قتال دبا.

ثم إن الله كشف جنود المرتدين، وقتل رئيسهم، وركبهم المسلمون فقتلوا منهم ما شاءوا، وأصابوا ما شاءوا، وأصابوا فيما أصابوا ألفي نجبية، فخمس عكرمة الفتي، فبعث بالأنحاس مع شخريت إلى أبي بكر، وقسم الأربعة الأنحاس على المسلمين، وازداد عكرمة وجنده قوة بالظهر والمتاع والأداة، وأقام عكرمة حتى جمعهم على الذي يحب، وجمع أهل النجد، أهل رياض الروضة، وأهل الساحل، وأهل

الجزائر، وأهل المر واللبان وأهل جيروت، وظهور الشحر والصبرات، وينعب، وذات الخيم، فبايعوا على الإسلام، فكتب بذلك مع البشير- وهو السائب أحد بني عابد من مخزوم- فقدم على أبي بكر بالفتح، وقدم شخريت بعده بالأخماس، وقال في ذلك علجوم المحاربي: جزى الله شخريتاً وأفناء هيشم ... وفرضم إذ سارت إلينا الحلائب
جزاء مسيء لم يراقب لذمة ... ولم يرجها فيما يرجى الأقارب
أعكرم لولا جمع قومي وفعلهم ... لضائق عليك بالفضاء المذاهب

ذكر خبر المرتدين باليمن

وكنا كمن اقتاد كفا بأختها ... وحلت علينا في الدهور النوائب

ذكر خبر المرتدين باليمن

قال أبو جعفر: كتب إلي السري بن يحيى، عن شعيب، عن سيف، عن طلحة، عن عكرمة وسهل، عن القاسم بن محمد، قال: توفي رسول الله ص وعلى مكة وأرضها عتاب بن أسيد والطاهر بن أبي هالة، عتاب على بني كنانة، والطاهر على عك، وذلك ان النبي ص قال: اجعلوا عمالة عك في بني أبيها معد بن عدنان، وعلى الطائف وأرضها عثمان بن أبي العاص ومالك بن عوف النصري، عثمان على أهل المدبر ومالك على أهل الوبر أعجاز هوازن، وعلى نجران وأرضها عمرو بن حزم وأبو سفيان ابن حرب، عمرو بن حزم على الصلاة وأبو سفيان بن حرب على الصدقات، وعلى ما بين رمع وزيد إلى حد نجران خالد بن سعيد بن العاص، وعلى همدان كلها عامر بن شهر، وعلى صنعاء فيروز الديلمي يسانده داؤويه وقيس بن المكشوح، وعلى الجند يعلى بن أمية، وعلى مأرب أبو موسى الأشعري، وعلى الأشعرين مع عك الطاهر بن أبي هالة، ومعاذ بن جبل يعلم القوم، يتنقل في عمل كل عامل، فنزاه بهم الأسود في حياه النبي ص، فخاربه النبي ع بالرسول والكتب حتى قتله الله، وعاد أمر النبي ع كما كان قبل وفاه النبي ع ليلة، إلا أن مجيئهم لم يحرك الناس، والناس مستعدون له.

فلما بلغهم موت النبي ص انتفضت اليمن والبلدان، وقد كانت تدبذبت خيول العنسي- فيما بين نجران إلى صنعاء في عرض ذلك البحر- لا تأوي إلى أحد، ولا يأوي إليها أحد، فعمرو بن معد يكرب بحيال فروة بن مسيك، ومعاوية بن أنس في فالة العنسي يتردد، ولم يرجع من عمال النبي ص بعد وفاه النبي ص إلا عمرو بن حزم وخالد بن سعيد، ولجأ سائر العمال إلى المسلمين، واعترض عمرو بن معد يكرب خالد بن سعيد، فسلبه الصمصامة.

ورجعت الرسل مع من رجع بالخبر، فرجع جرير بن عبد الله والأقرع بن عبد الله ووبر بن يحنس، فخارب أبو بكر المرتدة جميعاً بالرسول والكتب، كما كان رسول الله ص حاربهم، إلى أن رجع أسامة بن زيد من الشام، وحزر ذلك ثلاثة أشهر، إلا ما كان من أهل ذي حمى وذوي القصّة ثم كان أول مصادم عند رجوع أسامة هم نخرج إلى الأبرق فلم يصمد لقوم فيفلهم إلا استنفر من لم يرتد منهم إلى آخرين، ففيل بطائفة من المهاجرين والأنصار والمستنصرة ممن لم يرتد إلى التي تليهم، حتى فرغ من آخر أمور الناس، ولا يستعين بالمرتدين.

فكان أول من كتب إليه عتاب بن أسيد، كتب إليه بركوب من ارتد من أهل عمله بمن ثبت على الإسلام، وعثمان بن أبي العاص بركوب من ارتد من أهل عمله بمن ثبت على الإسلام، فاما عتاب فانه بعث خالد بن أسيد إلى أهل تهامة، وقد تجمعت بها جماع من مدح، وتآشب إليهم شذاذ من خزاعة وأفناء كنانة، عليهم جندب بن سلمى، أحد بني شنوق، من بني مدح، ولم يكن في عمل عتاب

جَمَعَ غَيْرُهُ، فَالْتَقَوْا بِالْأَبَارِقِ، فَفَرَّقَهُمْ وَقَتْلَهُمْ، وَاسْتَحَرَّ الْقَتْلُ فِي بَنِي شُنُوقٍ، فَمَا زَالُوا أَذْلَاءَ قَلِيلًا، وَبَرِثَتْ عِمَالَةُ عَتَابٍ، وَأَفْلَتَ جُنْدُبٌ، فَقَالَ جُنْدُبٌ فِي ذَلِكَ:

نَدِمْتُ وَأَيْقَنْتُ الْغَدَاةَ بِأَنِّي ... أَتَيْتُ الَّتِي يَبْقَى عَلَى الْمَرْءِ عَارُهَا
شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ ... بَنِي مُدْلِجٍ فَاللَّهُ رِيٌّ وَجَارُهَا

خبر الأخابث من عك

وَبَعَثَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ بَعَثًا إِلَى شَنْوَةَ، وَقَدْ تَجَمَّعَتْ بِهَا جُمَاعٌ مِنَ الْأَزْدِ وَبَجِيلَةَ وَخَثْعَمٍ، عَلَيْهِمْ حُمَيْضَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، وَعَلَى أَهْلِ الطَّائِفِ عُثْمَانُ بْنُ رَبِيعَةَ، فَالْتَقَوْا بِشَنْوَةَ، فَهَزَمُوا تِلْكَ الْجُمَاعَ، وَتَفَرَّقُوا عَنْ حُمَيْضَةَ وَهَرَبَ حُمَيْضَةُ فِي الْبِلَادِ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ عُثْمَانُ بْنُ رَبِيعَةَ:

فَضَضْنَا جَمْعَهُمُ وَالنَّعْعُ كَابٍ ... وَقَدْ تَعْدِي عَلَى الْغَدْرِ الْفُتُوقُ
وَأَبْرَقَ بَارِقٌ لَمَّا التَّقِينَا ... فَعَادَتْ خُلْبًا تِلْكَ الْبُرُوقُ

خبر الأخابث من عك

قال أبو جعفر: وكان أول منتقض بعد النبي ص بهامة عك والأشعرين، وذلك أنهم حين بلغهم موت النبي ص تجمع منهم طخارير، فأقبل إليهم طخارير من الأشعرين وخضم فانضموا إليهم، فأقاموا على الأعلاب طريق الساحل، وتأشب إليهم أو زاع على غير رئيس، فكتب بذلك الطاهر بن أبي هالة إلى أبي بكر، وسار إليهم، وكتب أيضا بمسيره إليهم، ومعه مسروق العكي حتى انتهى إلى تلك الأوزاع، على الأعلاب، فالتقوا فاقتتلوا، فهزمهم الله، وقتلهم كل قتلة، وأنتنت السبل لقتلهم، وكان مقتلهم فتحا عظيما وأجاب أبو بكر الطاهر قبل أن يأتيه كتابه بالفتح:

بلغني كتابك تخبرني فيه مسيرك واستنفارك مسروقا وقومه إلى الأخابث بالأعلاب، فقد أصبت، فعاجلوا هذا الضرب ولا ترفهوا عنهم، وأقيموا بالأعلاب حتى يأمن طريق الأخابث، ويأتيكم أمري: فسميت تلك

الجموع من عك ومن تأشب إليهم إلى اليوم الأخابث، وسمي ذلك الطريق طريق الأخابث، وقال في ذلك الطاهر بن أبي هالة.

ووالله لولا الله لا شيء غيره ... لما فض بالأجراع جمع العثااث

فلم تر عيني مثل يوم رأيته ... بجنب صحار في جموع الأخابث

قتلتهم ما بين قنة خامر ... إلى القيمة الحمراء ذات النبائث

وفئنا بأموال الأخابث عنوة ... جهارا ولم نخفل بتلك الهثااث

وعسكر طاهر على طريق الأخابث، ومعه مسروق في عك ينتظر أمر أبي بكر رحمه الله.

قال أبو جعفر: ولما بلغ أهل نجران وفاه رسول الله ص وهم يومئذ أربعون ألف مقاتل، من بني الأفعى، الأمة التي كانوا بها قبل بني الحارث، بعثوا وفدا ليجددوا عهدا، فقدموا إليه فكتب لهم كتابا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص لِأَهْلِ نَجْرَانَ، أَجَارَهُمْ مِنْ جُنْدِهِ وَنَفْسِهِ، وَأَجَازَ لَهُمْ

ذِمَّةَ مُحَمَّدٍ ص إِلَّا مَا رَجَعَ عَنْهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ص بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَرْضِهِمْ وَأَرْضِ الْعَرَبِ، أَلَا يَسْكُنُ بِهَا دِينَانٌ، أَجَارَهُمْ عَلَى

أَنْفُسِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَمِلَّتِهِمْ وَسَائِرِ أَمْوَالِهِمْ وَحَاشِيَتِهِمْ وَعَادِيَتِهِمْ، وَغَائِبِهِمْ وَشَاهِدِهِمْ، وَأَسْقَفَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ وَيَبْعَهُمْ حَيْثَمَا وَقَعَتْ، وَعَلَى مَا

مَلَكَتْ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ، عَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أَدَوْهُ فَلَا

يُحْشَرُونَ وَلَا يَعْشَرُونَ وَلَا يَغْيَرُ أَسْقَفُ مِنْ اسْقَفِيَّتِهِ، وَلَا رَاهِبٌ مِنْ رَهْبَانِيَّتِهِ، وَوَفَى لَهُمْ بِكُلِّ مَا كَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص وَعَلَى مَا فِي

هذا الكتاب من ذمة محمد رسول الله ص وجوار المسلمين.
وعليهم النصح والإصلاح فيما عليهم من الحق شهد المسور بن عمرو، وعمرو مولى أبي بكر.
ورد أبو بكر جرير بن عبد الله، وأمره أن يدعو من قومه من ثبت على أمر الله، ثم يستنفر مقويهم، فيقاتل بهم من ولى عن أمر الله، وأمره أن يأتي خنعم، فيقاتل من خرج غضبا لذي الخلصة، ومن أراد إعادته حتى يقتلهم الله، ويقتل من شاركهم فيه، ثم يكون وجهه إلى نجران، فيقيم بها حتى يأتيه أمره.
نفر جرير فنفذ لما أمره به أبو بكر، فلم يقر له أحد إلا رجال في عدة قليلة، فقتلهم وتبعهم، ثم كان وجهه إلى نجران، فأقام بها انتظارا أمر أبي بكر رحمه الله.
وكتب إلى عثمان بن أبي العاص أن يضرب بعثا على أهل الطائف على كل مخالف بقدره، ويولي عليهم رجلا يأمنه ويثق بناحيته، فضرب على كل مخالف عشرين رجلا، وأمر عليهم أخاه.
وكتب إلى عتاب بن أسيد، أن اضرب على أهل مكة وعملها خمسمائة مقو، وابعث عليهم رجلا تأمنه، فسمى من يبعث، وأمر عليهم خالد بن أسيد، وأقام أمير كل قوم، وقاموا على رجل ليأتيهم أمر أبي بكر، ولير عليهم المهاجر

رده اهل اليمن ثانيه

ردة أهل اليمن ثانية

قال أبو جعفر: فممن ارتد ثانية منهم، قيس بن عبد يغوث المكشوح، كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، قال: كان من حديث قيس في رده الثانية، أنه حين وقع إليهم الخبر بموت رسول الله ص انتكث، وعمل في قتل فيروز وداذويه وجشيش، وكتب أبو بكر إلى عمير ذي مران وإلى سعيد ذي زود وإلى سميفع ذي الكلاع، وإلى حوشب ذي ظليم، وإلى شهر ذي يناف، يأمرهم بالتمسك بالذي هم عليه، والقيام بأمر الله والناس، ويعدهم الجنود:
من ابى بكر خليفه رسول الله ص إلى عمير بن أفلح ذي مران، وسعيد بن العاقب ذي زود، وسميفع بن ناكور ذي الكلاع وحوشب ذي ظليم، وشهر ذي يناف أما بعد، فأعينوا الأبناء على من ناوأهم وحوطوهم واسمعوا من فيروز، وجدوا معه، فإني قد وليته.
كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ الْمُسْتَنِيرِ بْنِ يَزِيدٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ غَزِيَّةَ الدَّثِينِيِّ، قَالَ: لَمَّا وَلِيَ أَبُو بَكْرٍ أَمْرَ فَيْرُوزَ، وَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ مُتَسَانِدُونَ، هُوَ وَدَاذُويهِ وَجَشِيشٌ وَقَيْسٌ، وَكَتَبَ إِلَى وَجُوهِ مِنْ وَجُوهِ أَهْلِ الْيَمَنِ، وَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ قَيْسٌ أَرْسَلَ إِلَى ذِي الْكَلَّاعِ وَأَصْحَابِهِ:

إِنَّ الْأَبْنَاءَ نَزَاعَ فِي بِلَادِكُمْ، وَنَقْلَاءُ فَيْكُمُ، وَإِنْ تَرَكُوهُمْ لَنْ يَزَالُوا عَلَيْكُمْ، وَقَدْ أَرَى مِنَ الرَّأْيِ أَنْ أَقْتُلَ رُءُوسَهُمْ، وَأُخْرِجَهُمْ مِنْ بِلَادِنَا فَتَبَرُّوا، فَلَمْ يَمَالُئُوهُ وَلَمْ يَنْصُرُوا الْأَبْنَاءَ، وَاعْتَزَلُوا وَقَالُوا: لَسْنَا مِمَّا هَاهُنَا فِي شَيْءٍ، أَنْتَ صَاحِبُهُمْ وَهُمْ أَصْحَابُكَ.
فَقَرَّبَ لَهُمْ قَيْسٌ، وَاسْتَعَدَّ لِقَتْلِ رُءُوسِهِمْ وَتَسْيِيرِ عَامَتِهِمْ، فَكَاتَبَ قَيْسٌ تِلْكَ الْفَالَةَ السَّيَارَةَ الْحَجِيَّةَ، وَهُمْ يَصْعَدُونَ فِي الْبِلَادِ وَيَصُوبُونَ، مُحَارِبِينَ لَجَمِيعٍ مَنْ خَالَفَهُمْ، فَكَاتَبَهُمْ قَيْسٌ فِي السَّرِّ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَتَعَجَّلُوا إِلَيْهِ، وَلِيَكُونَ أَمْرُهُ وَأَمْرُهُمْ وَاحِدًا، وَلِيَجْتَمِعُوا عَلَى نَفْيِ الْأَبْنَاءِ مِنْ بِلَادِ الْيَمَنِ فَكَتَبُوا إِلَيْهِ بِالْإِسْتِجَابَةِ لَهُ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ سَرَّاعٌ، فَلَمْ يَفْجَأْ أَهْلَ صَنْعَاءَ إِلَّا الْخَبَرُ بِدُنُوبِهِمْ مِنْهَا، فَأَتَى قَيْسٌ فَيْرُوزَ فِي ذَلِكَ كَالْفَرَقِ مِنْ هَذَا الْخَبَرِ وَأَتَى دَاذُويَهُ، فَاسْتَشَارَهُمَا لِيَلْبَسَ عَلَيْهِمَا، وَلِتَلَا يَتِمَّاهُ، فَظَنُّوا فِي ذَلِكَ وَاطْمَأَنَّنُوا إِلَيْهِ ثُمَّ إِنَّ قَيْسًا دَعَاهُمَا مِنَ الْغَدِ إِلَى طَعَامٍ، فَبَدَأَ بِدَاذُويِهِ، وَثَنَى بِفَيْرُوزَ، وَثَلَّثَ بِجَشِيشَ، فَخَرَجَ دَاذُويَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ عَاجِلُهُ فَقَتَلَهُ، وَخَرَجَ فَيْرُوزُ يَسِيرُ حَتَّى إِذَا دَنَا سَمِعَ امْرَأَتَيْنِ عَلَى سَطْحَيْنِ تَتَحَدَّثَانِ، فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا: هَذَا مَقْتُولٌ كَمَا قُتِلَ دَاذُويَهُ، فَلَقِيَهُمَا، فَعَاجَ حَتَّى يَرَى أَوَيَّ

الْقَوْمَ الَّذِي أُرْبُوا، فَأَخْبِرْ بِرُجُوعِ فَيُوزَ، نَحْرَجُوا يَرْكُضُونَ، وَرَكَضَ فَيُوزُ، وَتَلَقَّاهُ جَشِيشٌ، نَحْرَجَ مَعَهُ مُتَوَجِّهًا نَحْوَ جَبَلِ خَوْلَانَ- وَهُمْ أَخْوَالُ فَيُوزَ- فَسَبَقَا الْخِيُولَ إِلَى الْجَبَلِ، ثُمَّ نَزَلَا، فَتَوَقَّلا وَعَلَيْهِمَا خَفَافٌ سَادِجَةٌ، فَمَا وَصَلَا حَتَّى تَقَطَّعَتْ أَقْدَامُهُمَا، فَانْتَبَهَا إِلَى خَوْلَانَ وَامْتَنَعَ فَيُوزُ بِأَخْوَالِهِ، وَآلَى أَلَا يَنْتَعِلَ سَادِجًا، وَرَجَعَتِ الْخِيُولُ إِلَى قَيْسٍ، فَثَارَ بِصَنَعَاءَ فَأَخَذَهَا، وَجَبَى مَا حَوْلَهَا، مُقَدِّمًا رَجُلًا وَمُؤَخِّرًا أُخْرَى، وَانْتَهَى خِيُولُ الْأَسُودِ.

وَمَا أَوَى فَيُوزُ إِلَى أَخْوَالِهِ خَوْلَانَ فَفَعَّوهُ وَتَأَشَّبَ إِلَيْهِ النَّاسُ، كَتَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِالْخَبَرِ فَقَالَ قَيْسٌ: وَمَا خَوْلَانُ! وَمَا فَيُوزُ! وَمَا قَرَارُ أَوْوَا إِلَيْهِ! وَطَابَقَ عَلَى قَيْسٍ عَوَامٌ قَبَائِلٍ مَنْ كَتَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رُؤَسَائِهِمْ، وَبَقِيَ الرُّؤَسَاءُ مُعْتَرِلِينَ، وَعَمَدَ قَيْسٌ إِلَى الْأَبْنَاءِ فَفَرَّقَهُمْ ثَلَاثَ فَرَقٍ: أَقَرَّ مَنْ أَقَامَ وَأَقَرَّ عِيَالَهُ، وَفَرَّقَ عِيَالَ الَّذِينَ هَرَبُوا إِلَى فَيُوزَ فَرَقَتَيْنِ، فَوَجَّهَ إِحْدَاهُمَا إِلَى عَدَنَ، لِيَحْمِلُوا فِي الْبَحْرِ، وَحَمَلَ الْأُخْرَى فِي الْبَرِّ، وَقَالَ لَهُمْ جَمِيعًا: الْحَقُّوَا بِأَرْضِكُمْ، وَبَعَثَ مَعَهُمْ مَنْ يُسِيرُهُمْ، فَكَانَ عِيَالُ الدَّيْلَمِيِّ مِمَّنْ سِيرَ فِي الْبَرِّ

وَعِيَالُ دَاوُودَ مِنْ سِيرَ فِي الْبَحْرِ، فَلَمَّا رَأَى فَيُوزُ أَنَّ قَدِ اجْتَمَعَ عَوَامُ أَهْلِ الْيَمَنِ عَلَى قَيْسٍ، وَأَنَّ الْعِيَالَ قَدْ سِيرُوا وَعَرَّضَهُمْ لِلنَّهْبِ، وَلَمْ يَجِدْ إِلَى فِرَاقِ عَسْكَرِهِ فِي تَتَقُّدُهُمْ سَبِيلًا، وَبَلَغَهُ مَا قَالَ قَيْسٌ فِي اسْتِصْغَارِهِ الْأَخْوَالَ وَالْأَبْنَاءَ، فَقَالَ فَيُوزُ مُنْتَمِيًا وَمُفَاخِرًا وَذَكَرَ الظَّنَّ:

أَلَا نَادِيَا ظُنْعًا إِلَى الرَّمْلِ ذِي النَّخْلِ ... وَقُولَا لَهَا أَلَا يُقَالُ وَلَا عَذْلِي
وَمَا ضَرَّهُمْ قَوْلُ الْعُدَاةِ لَوْ أَنَّهُ ... أَلَيْ قَوْمُهُ عَنْ غَيْرِ خُفْشٍ وَلَا بَخْلِ
فَدَعَ عَنْكَ ظُنْعًا بِالطَّرِيقِ الَّتِي هَوَتْ ... لَطَيْتَهَا صَمَدُ الرِّمَالِ إِلَى الرَّمْلِ
وَأَنَا وَإِنْ كَانَتْ بِصَنَعَاءَ دَارُنَا ... لَنَا نَسْلُ قَوْمٍ مِنْ عَرَانِينِهِمْ نَسْلِي
وَلِلدَّيْلِ الرِّزَامُ مِنْ بَعْدِ بَاسِلٍ ... أَبَى الْخَفْضُ وَاخْتَارَ الْخُرُورَ عَلَى الظِّلِّ
وَكَانَتْ مَنَابِيتُ الْعِرَاقِ جَسَامَهَا ... لِرَهْطِي إِذَا كَسَرَى مَرَاجِلَهُ تَغْلِي
وَبَاسِلُ أَصْلِي إِنْ نَمَيْتُ وَمَنْصِي ... كَمَا كُلُّ عَوْدٍ مُنْتَهَاهُ إِلَى الْأَصْلِ
هُمْ تَرَكُوا بِجَرَايَ سَهْلًا وَحَصَّنُوا ... بِفَجَاجِي بِحُسْنِ الْقَوْلِ وَالْحَسَبِ الْجَزْلِ
فَمَا عَزَّنَا فِي الْجَهْلِ مِنْ ذِي عِدَاوَةٍ ... أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُعِزَّ عَلَى الْجَهْلِ
وَلَا عَاقَنَا فِي السَّلْمِ عَنْ آلِ أَحْمَدَ ... وَلَا خَسَّ فِي الْإِسْلَامِ إِذْ أَسْلَمُوا قَبْلِي
وَإِنْ كَانَ سَجَلُ مَنْ قَبِيلِي أَرَشَنِي ... فَإِنِّي لَرَاغٌ أَنْ يُغْرِقَهُمْ سَجْلِي

وَقَامَ فَيُوزُ فِي حَرْبِهِ، وَتَجَرَّدَ لَهَا، وَأَرْسَلَ إِلَى بَنِي عُقَيْلِ بْنِ رَيْبَعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَسُولًا بِأَنَّهُ مُتَخَفِرٌ بِهِمْ، يَسْتَمِدُّهُمْ وَيَسْتَنْصِرُهُمْ فِي ثَمْلِهِ عَلَى الَّذِينَ يَزِجُّونَ أَثْقَالَ الْأَبْنَاءِ، وَأَرْسَلَ إِلَى عَكِّ رَسُولًا يَسْتَمِدُّهُمْ وَيَسْتَنْصِرُهُمْ عَلَى الَّذِينَ يَزِجُّونَ أَثْقَالَ الْأَبْنَاءِ فَرَكِبَتْ عُقَيْلٌ وَعَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ يُقَالُ لَهُ مُعَاوِيَةُ، فَاعْتَرَضُوا خَيْلَ قَيْسٍ فَتَقَدَّزُوا أُولَئِكَ الْعِيَالَ، وَقَتَلُوا الَّذِينَ سِيرُوهُمْ، وَقَصَرُوا عَلَيْهِمُ الْقُرَى، إِلَى أَنْ رَجَعَ فَيُوزُ إِلَى

صَنَعَاءَ، وَوَثِبَتْ عَكٌّ، وَعَلَيْهِمْ مَسْرُوقٌ، فَسَارُوا حَتَّى تَقَدَّزُوا عِيَالَاتِ الْأَبْنَاءِ، وَقَصَرُوا عَلَيْهِمُ الْقُرَى، إِلَى أَنْ رَجَعَ فَيُوزُ إِلَى صَنَعَاءَ، وَأَمَدَّتْ عُقَيْلٌ وَعَكٌّ فَيُوزَ بِالرِّجَالِ، فَلَمَّا أَتَتْهُ أَمَدَادُهُمْ- فِيمَنْ كَانَ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ- خَرَجَ فِيمَنْ كَانَ تَأَشَّبَ إِلَيْهِ وَمَنْ أَمَدَّهُ مِنْ عَكٍّ وَعُقَيْلٍ، فَنَاهَدَ قَيْسًا فَالتَقُوا دُونَ صَنَعَاءَ، فَاقْتَتَلُوا فَهَزَمَ اللَّهُ قَيْسًا فِي قَوْمِهِ وَمَنْ أَنْهَضُوا، نَحْرَجَ هَارِبًا فِي جُنْدِهِ حَتَّى عَادَ مَعَهُمْ، وَعَادُوا

إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانُوا بِهِ مُبَادِرِينَ حِينَ هَرَبُوا بَعْدَ مَقْتَلِ الْعَنْسِيِّ، وَعَلَيْهِمْ قَيْسٌ، وَتَذَبَذَبَتْ رَافِضَةُ الْعَنْسِيِّ وَقَيْسٌ مَعَهُمْ فِيمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَنَجْرَانَ، وَكَانَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرَبٍ بِإِزَاءِ فَرَوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ فِي طَاعَةِ الْعَنْسِيِّ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَطِيَّةٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ، قَالَ: وَكَانَ مِنْ أَمْرِ فَرَوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ أَنَّهُ كَانَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص مُسْلِمًا، وَقَالَ فِي ذَلِكَ:

لَمَّا رَأَيْتُ مُلُوكَ حَمِيرٍ أَعْرَضَتْ ... كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجُلَ عِرْقُ نَسَائِهَا
يَمُتُ رَاحِلَتِي أَمَامَ مُحَمَّدٍ ... أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَنَائِهَا

وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص فِيمَا قَالَ لَهُ: هَلْ سَاءَكَ مَا لَقِيَ قَوْمَكَ يَوْمَ الرِّزْمِ يَا فَرَوَةَ أَوْ سَرَك؟ قَالَ: وَمَنْ يُصَبِّ فِي قَوْمِهِ بِمِثْلِ الَّذِي أَصَبْتُ بِهِ فِي قَوْمِي يَوْمَ الرِّزْمِ إِلَّا سَاءَهُ ذَلِكَ! وَكَانَ يَوْمَ الرِّزْمِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ هَمْدَانَ عَلَى يَغُوثَ، وَثِنْ كَانَ يَكُونُ فِي هَؤُلَاءِ مَرَّةً وَفِي هَؤُلَاءِ مَرَّةً، فَأَرَادَتْ مُرَادٌ أَنْ تَغْلِبَهُمْ عَلَيْهِ فِي مَرَّتِهِمْ، فَقَتَلَتْهُمْ هَمْدَانُ، وَرَأْسُهُمُ الْأَجْدَعُ أَبُو مَسْرُوقٍ، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: أَمَا إِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزِدْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا خَيْرًا]، فَقَالَ: قَدْ سَرَّنِي إِذْ كَانَ ذَلِكَ، فَاسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صَدَقَاتٍ مُرَادٍ وَمَنْ نَازَلَهُمْ أَوْ نَزَلَ دَارَهُمْ وَكَانَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرَبٍ قَدْ فَارَقَ قَوْمَهُ سَعْدَ الْعَشِيرَةِ فِي بَنِي زَيْدٍ وَاخْلَافَهَا، وَانْحَازَ إِلَيْهِمْ، وَأَسْلَمَ مَعَهُمْ، فَكَانَ فِيهِمْ، فَلَمَّا ارْتَدَّ الْعَنْسِيُّ وَاتَّبَعَهُ عَوَامٌ مَذْحِجٍ، اعْتَزَلَ فَرَوَةَ فِيمَنْ أَقَامَ مَعَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَارْتَدَّ عَمْرُو فِيمَنْ ارْتَدَّ، خَلَفَهُ الْعَنْسِيُّ، لَجَعَلَهُ بِإِزَاءِ فَرَوَةَ، فَكَانَ بِحِيَالِهِ، وَيَمْتَنِعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَكَانٍ صَاحِبِهِ مِنَ الْبَرَّاجِ، فَكَانَا يَتَهَادِيَانِ الشَّعْرَ، فَقَالَ عَمْرُو يَذْكُرُ إِمَارَةَ فَرَوَةَ وَيَعْيِيهَا:

وَجَدْنَا مُلْكَ فَرَوَةَ شَرَّ مُلْكٍ ... حَمَارًا سَافَ مَنْخَرُهُ بِقَدْرِ
وَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ أَبَا عَمِيرٍ ... تَرَى الْحَوْلَاءَ مِنْ خُبْتٍ وَغَدْرِ
فَأَجَابَهُ فَرَوَةُ:

أَتَانِي عَنْ أَبِي ثَوْرٍ كَلَامٌ ... وَقَدِمَا كَانَ فِي الْأَبْغَالِ يَجْرِي
وَكَانَ اللَّهُ يُبْغِضُهُ قَدِيمًا ... عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُبْتٍ وَغَدْرِ
فَبَيْنَاهُمْ كَذَلِكَ قَدِمَ عِكْرَمَةُ أُبَيْنَ.

وَكُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سَهْلٍ، عَنْ الْقَاسِمِ وَمُوسَى بْنِ الْغَضَنِ، عَنْ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ، قَالَ: نَفَرَ عِكْرَمَةُ مِنْ مَهْرَةَ سَائِرًا نَحْوَ الْيَمَنِ حَتَّى وَرَدَ أُبَيْنَ، وَمَعَهُ بَشَرٌ كَثِيرٌ مِنْ مَهْرَةَ، وَسَعْدُ بْنُ زَيْدٍ، وَالْأَزْدُ، وَنَاجِيَّةٌ، وَعَبْدُ الْقَيْسِ، وَحَدْبَانُ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ كَثَّانَةَ، وَعَمْرُو بْنُ جَنْدَبٍ مِنَ الْعَنْبَرِ، لَجَمَعَ النَخْعَ بَعْدَ مِنْ أَصَابَ مِنْ مَدِيرِهِمْ فَقَالَ لَهُمْ: كَيْفَ كُنْتُمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ؟ فَقَالُوا لَهُ: كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَهْلَ دِينٍ، لَا تَتَعَاطَى مَا تَتَعَاطَى الْعَرَبُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، فَكَيْفَ بَنَّا إِذَا صَرْنَا إِلَى دِينٍ عَرَفْنَا فَضْلَهُ، وَدَخَلْنَا حَبَهُ! فَسَأَلَ عَنْهُمْ فَإِذَا الْأَمْرُ كَمَا قَالُوا، ثَبَتَ عَوَامُهُمْ وَهَرَبَ مِنْ كَانَ فَارَقَ مِنْ خَاصَّتِهِمْ، وَاسْتَبْرَأَ النَخْعَ وَحَمِيرَ، وَأَقَامَ لاجْتِمَاعَهُمْ، وَأَرْزَقَ قَيْسُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ لَهْبُوطَ عِكْرَمَةَ إِلَى الْيَمَنِ إِلَى عَمْرِو بْنِ مَعْدِيكَرَبٍ، فَلَمَّا ضَامَهُ وَقَعَ بَيْنَهُمَا تَنَازَعٌ، فَتَعَارَا، فَقَالَ

ذَكَرَ خَبَرَ طَاهِرٍ حِينَ شَخْصَ مَدَدًا لَفِيْرُوزَ

عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرَبٍ يَعْبُرُ قَيْسًا غَدْرَهُ بِالْأَبْنَاءِ وَقَتْلَهُ دَاذُوِيَهُ، وَيَذْكُرُ فِرَارَهُ مِنْ فَيْرُوزَ:
غَدَرْتُ وَلَمْ تَحْسَنْ وَفَاءَ وَلَمْ يَكُنْ ... لِيَحْتَمِلِ الْأَسْبَابَ إِلَّا الْمَعُودَ
وَكَيْفَ لَقَيْسَ أَنْ يَنْوُطَ نَفْسَهُ ... إِذَا مَا جَرَى وَالْمُضْرَحِي الْمَسُودَ!

وقال قيس:

وفيت لقومي واحتشدت لمعشر ... أصابوا على الأحياء عمرا ومرثدا
وكنت لدى الأبناء لما لقيتهم ... كأصيد يسمو بالعزازة أصيدا

وقال عمرو بن معديكرب:

فما إن داذوي لكم بفخر ... ولكن داذوي فضح الذمارا
وفيروز غداة أصاب فيكم ... وأضرب في جموعكم استجارا

ذكر خبر طاهر حين شخص مددا لفيروز

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله: قد كان أبو بكر رحمه الله كتب إلى طاهر بن أبي هالة بالنزول إلى صنعاء وإعانة الأبناء، وإلى مسروق، نغرجا حتى أتيا صنعاء، وكتب إلى عبد الله بن ثور بن أصغر، بأن يجمع إليه العرب ومن استجاب له من أهل تهامة، ثم يقيم بمكانه حتى يأتيه أمره.

وكان أول ردة عمرو بن معديكرب أنه كان مع خالد بن سعيد نخالفه، واستجاب للأسود، فسار إليه خالد بن سعيد حتى لقيه، فاختلفا ضربتين، فضربه خالد على عاتقه فقطع حمالة سيفه فوق، ووصلت الضربة إلى عاتقه، وضربه عمرو فلم يصنع شيئا، فلما أراد خالد أن يثني عليه نزل فتوقل في الجبل، وسلبه فرسه وسيفه الصمصامة،

ولحج عمرو فيمن لحج وصارت إلى سعيد بن العاص الأصغر مواريث آل سعيد بن العاص الأكبر فلما ولي الكوفة عرض عليه عمرو ابنته، فلم يقبلها، وأتاه في داره بعدة سيوف كان خالد أصابها باليمن، فقال: أيها الصمصامة؟ قال: هذا، قال: خذه فهو لك، فأخذه، ثم أكف بغلا له فضرب الإكاف فقطعه والبرذعة، وأسرع في البغل، ثم رده على سعيد، وقال: لو زرتني في بيتي وهو لي لوهبته لك، فما كنت لأقبله إذ وقع.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْمُسْتَنِيرِ بْنِ يَزِيدٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ غَزِيَّةٍ وَمُوسَى، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ السَّيْبَانِي، قَالَ: وَلَمَّا فَصَلَ الْمُهَاجِرُ بْنُ أَبِي أُمِيَّةٍ مِنْ عِنْدِ أَبِي بَكْرٍ - وَكَانَ فِي آخِرِ مِنْ فَصْلِ - اتَّخَذَ مَكَّةَ طَرِيقًا، فَرَبَّهَا فَاتَبَعَهُ خَالِدُ بْنُ أُسَيْدٍ، وَمَرَّ بِالطَّائِفِ فَاتَبَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الْعَاصِ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى إِذَا حَاضَى جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثُورٍ حِينَ حَازَاهُ، ثُمَّ قَدَّمَ عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ، فَانْضَمَّ إِلَيْهِ فُرُوءُ بْنُ مَسِيكٍ، وَفَارَقَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ قَيْسًا، وَأَقْبَلَ مُسْتَجِيبًا، حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْمُهَاجِرِ عَلَى غَيْرِ أَمَانٍ، فَأَوْثَقَهُ الْمُهَاجِرَ، وَأَوْثَقَ قَيْسًا، وَكَتَبَ بِحَالِهِمَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَبَعَثَ بِهِمَا إِلَيْهِ فَلَمَّا سَارَ الْمُهَاجِرُ مِنْ نَجْرَانَ إِلَى الْحَجِجَةِ، وَالتَفَتَ الْخِيُولَ عَلَى تِلْكَ الْفَالَةِ اسْتَأْمَنُوا، فَأَبَى أَنْ يُؤْمِنَهُمْ، فَافْتَرَقُوا فَرَقَتَيْنِ، فَلَقِيَ الْمُهَاجِرُ إِحْدَاهُمَا بِعَجِيبٍ، فَأَتَى عَلَيْهِمْ، وَلَقِيَتْ خِيُولَهُ الْآخَرَى بِطَرِيقِ الْأَخَابِثِ، فَأَتَوْا عَلَيْهِمْ - وَعَلَى الْخِيُولِ عَبْدُ اللَّهِ - وَقَتَلَ الشُّرَدَاءَ بِكُلِّ سَبِيلٍ، فَقَدَّمَ بِقَيْسٍ وَعَمْرُو عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا قَيْسُ، أَعْدَوْتَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ تَقْتُلُهُمْ وَتَتَّخِذُ الْمُرْتَدِينَ وَالْمَشْرِكِينَ وَلِجَّةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ! وَهُمْ بِقَتْلِهِ لَوْ وَجَدَ أَمْرًا جَلِيلًا وَاتَّفَى قَيْسُ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَارِفَ مِنْ أَمْرِ دَاذُويهِ شَيْئًا، وَكَانَ ذَلِكَ عَمَلًا عَمَلًا فِي سِرٍّ لَمْ يَكُنْ بِهِ بَيْنَةٌ، فَتَجَافَى لَهُ عَنْ دَمِهِ، وَقَالَ لِعَمْرُو ابْنِ مَعْدِيكَرِبٍ: أَمَا تَخْزِي أَنْكَ كُلَّ يَوْمٍ مَهْزُومٍ أَوْ مَأْسُورٍ! لَوْ نَصَرْتَ هَذَا

ذكر خبر حضرموت في ردتهم

الدين لرفعك الله ثم خلى سبيله، وردهما إلى عشائرها، وقال عمرو:

لا جرم! لأقبلن ولا أعود.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْمُسْتَنِيرِ وَمُوسَى قَالَا: سَارَ الْمُهَاجِرُ مِنْ عَجِيبٍ، حَتَّى يَنْزِلَ صَنْعَاءَ، وَأَمَرَ أَنْ يَتَّبِعُوا شُدَّاذَ الْقَبَائِلِ الَّذِينَ هَرَبُوا، فَاقْتُلُوا مَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْهُمْ كُلَّ قَتْلَةٍ، وَلَمْ يَعْفَ مَتَمَرِدًا، وَقَبْلَ تَوْبَةٍ مِنْ أَنْابٍ مِنْ غَيْرِ الْمَتَمَرِدَةِ، وَعَمَلُوا فِي ذَلِكَ عَلَى قَدَرٍ مَا رَأَوْا مِنْ آثَارِهِمْ، وَرَجَوْا عَنْهُمْ وَكَتَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِدُخُولِهِ صَنْعَاءَ وَبِالَّذِي يَتَّبِعُ مِنْ ذَلِكَ

. ذكر خبر حضرموت في ردتهم

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ يُوسُفَ، عَنِ الصَّلْتِ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ الصَّلْتِ، قَالَ: مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَعَمَلُهُ عَلَى بِلَادِ حَضْرَمَوْتَ: زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الْبَيَاضِيُّ عَلَى حَضْرَمَوْتَ وَعُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنِ عَلَى السَّكَّاسِكِ وَالسَّكُونِ، وَالْمُهَاجِرُ عَلَى كِنْدَةَ- وَكَانَ بِالْمَدِينَةِ لَمْ يَكُنْ خَرَجَ حَتَّى تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ص، فَبَعَثَهُ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ إِلَى قِتَالٍ مِنَ الْيَمَنِ وَالْمُضِيِّ بَعْدَ إِلَى عَمَلِهِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي السَّائِبِ، عطاء ابن فلان المخزومي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ وَالْمُهَاجِرِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ، أَنَّهُ كَانَ تَخْلَفَ عَنْ تَبُوكَ، فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَهُوَ عَلَيْهِ عَاتِبٌ، فَبَيَّنَا أُمُّ سَلَمَةَ تَغْسِلُ رَأْسَ رَسُولِ اللَّهِ ص، قَالَتْ: كَيْفَ يَنْفَعُنِي شَيْءٌ وَأَنْتَ عَاتِبٌ عَلَى أَخِي! فَرَأَتْ مِنْهُ رَقَّةً، فَأَوْمَأَتْ إِلَى خَادِمِهَا، فَدَعَتْهُ، فَلَمْ يَزَلْ بِرَسُولِ اللَّهِ ص يَنْشُرُ عُذْرَهُ حَتَّى عُذِرَهُ وَرَضِيَ عَنْهُ وَأَمَرَهُ عَلَى كِنْدَةَ فَاشْتَكَى وَلَمْ يُطِقِ الذَّهَابَ، فَكَتَبَ إِلَى زِيَادٍ لِيَقُومَ لَهُ عَلَى عَمَلِهِ وَبَرًّا بَعْدَ، فَأَتَمَّ لَهُ أَبُو بَكْرٍ أَمْرَهُ، وَأَمَرَهُ بِقِتَالِ مَنْ بَيْنَ نَجْرَانَ إِلَى أَقْصَى الْيَمَنِ، وَلِذَلِكَ أَبْطَأَ زِيَادٌ وَعُكَّاشَةُ عَنْ مُنَاجَزَةِ كِنْدَةَ انْتِظَارًا لَهُ كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ يُوسُفَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: كَانَ سَبَبُ رِدَّةِ كِنْدَةَ إِجَابَتُهُمُ الْأَسْوَدَ الْعَنَسِيَّ حَتَّى لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُلُوكَ الْأَرْبَعَةَ، وَأَنَّهُمْ قَبْلَ رِدَّتِهِمْ حِينَ أَسْلَمُوا وَأَسْلَمَ أَهْلُ بِلَادِ حَضْرَمَوْتَ كُلُّهُمْ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا يُوضَعُ مِنَ الصَّدَقَاتِ أَنْ يُوضَعَ صَدَقَةٌ بَعْضُ حَضْرَمَوْتَ فِي كِنْدَةَ، وَتُوضَعَ صَدَقَةٌ كِنْدَةَ فِي بَعْضِ حَضْرَمَوْتَ، وَبَعْضُ حَضْرَمَوْتَ فِي السَّكُونِ وَالسَّكُونُ فِي بَعْضِ حَضْرَمَوْتَ فَقَالَ نَفَرٌ مِنْ بَنِي وَلَيْعَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لَسْنَا بِأَصْحَابِ إِبِلٍ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ يَبْعَثُوا إِلَيْنَا بِذَلِكَ عَلَى ظَهْرٍ! فَقَالَ: إِنْ رَأَيْتُمْ! قَالُوا: فَإِنَّا نَنْظُرُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ظَهْرٌ فَعَلْنَا فَلَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَاءَ ذَلِكَ الْإِبَانُ، دَعَا زِيَادُ النَّاسَ إِلَى ذَلِكَ، فَحَضَرُوهُ، فَقَالَتْ بَنُو وَلَيْعَةَ: أَلْبَغُونَا كَمَا وَعَدْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ص، فَقَالُوا: إِنَّ لَكُمْ ظَهْرًا، فَهَلُّوْا فَاحْتَمِلُوا، وَلَا حُوْهُمْ، حَتَّى لَا حُوا زِيَادًا، وَقَالُوا لَهُ: أَنْتَ مَعَهُمْ عَلَيْنَا فَأَبَى الْحَضْرَمِيُّونَ، وَلَجَّ الْكِنْدِيُّونَ، فَارْجَعُوا إِلَى دَارِهِمْ، وَقَدَّمُوا رِجَالًا وَآخَرُوا أُخْرَى، وَأَمْسَكَ عَنْهُمْ زِيَادٌ انْتِظَارًا لِلْمُهَاجِرِ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُ صَنَعَاءَ، كَتَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِكُلِّ الَّذِي صَنَعَ، وَأَقَامَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ جَوَابُ بَنِيهِ مِنْ قَبْلِ أَبِي بَكْرٍ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ وَإِلَى عِكْرَمَةَ أَنْ يَسِيرَا حَتَّى يَقْدَمَا حَضْرَمَوْتَ، وَاقر زِيَادًا عَلَى عَمَلِهِ، وَاذن لمن معك من بَيْنِ مَكَّةَ وَالْيَمَنِ فِي الْقَفْلِ، إِلَّا أَنْ يُوْثِرَ قَوْمَ الْجِهَادِ وَامد به عبده ابن سعد ففعل، فَسَارَ الْمُهَاجِرُ مِنْ صَنَعَاءَ يُرِيدُ حَضْرَمَوْتَ، وَسَارَ عِكْرَمَةُ مِنْ أَيْبِنَ يُرِيدُ حَضْرَمَوْتَ، فَالْتَقَيَا بِمَارِبٍ، ثُمَّ فُوزَا مِنْ صَهِيدٍ، حَتَّى افْتَحَحَا حَضْرَمَوْتَ، فَزَلَّ أَحَدُهُمَا عَلَى الْأَشْعَثِ وَالْآخَرُ عَلَى وَائِلٍ

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن أبيه، عن كثير بن الصلت، قال: وكان زياد بن لبید حين رجع الكنديون ولجوا ولج الحضرميون، ولي صدقات بني عمرو بن معاوية بنفسه، فقدم عليهم وهم بالرياض، فصدق أول من انتهى إليه منهم، وهو غلام، يقال له شيطان بن حجر، فأعجبه بكرة من الصدقة، فدعا بنار فوضع عليها الميسم، وإذا الناقة لأخي الشيطان العداء بن حجر، وليست عليه صدقة، وكان أخوه قد أوهم حين أخرجها وظنها غيرها، فقال العداء: هذه شذرة باسمها، فقال الشيطان: صدق أخي، فإني لم أعطكموها إلا وأنا أراها غيرها، فأطلق شذرة وخذ غيرها، فإنها غير متروكة فرأى زياد أن ذلك منه اعتلال، واتهمة بالكفر ومباعدة الإسلام وتحري الشر.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن أبيه، عن كثير بن الصلت، قال: وكان زياد بن لبید حين رجع الكنديون ولجوا ولج الحضرميون، ولي صدقات بني عمرو بن معاوية بنفسه، فقدم عليهم وهم بالرياض، فصدق أول من انتهى إليه منهم، وهو غلام، يقال له شيطان بن حجر، فأعجبه بكرة من الصدقة، فدعا بنار فوضع عليها الميسم، وإذا الناقة لأخي الشيطان العداء بن حجر، وليست عليه صدقة، وكان أخوه قد أوهم حين أخرجها وظنها غيرها، فقال العداء: هذه شذرة باسمها، فقال الشيطان: صدق أخي، فإني لم أعطكموها إلا وأنا أراها غيرها، فأطلق شذرة وخذ غيرها، فإنها غير متروكة فرأى زياد أن ذلك منه اعتلال، واتهمة بالكفر ومباعدة الإسلام وتحري الشر.

خفي وحي الرجلان، فقال زياد: لا ولا تنعم، ولا هي لك، لقد وقع عليها ميسم الصدقة وصارت في حق الله، ولا سبيل إلى ردها، فلا تكونن شذرة عليكم كالبسوس، فنادى العداء: يا آل عمرو، بالرياض أضام واضطهد! إن الذليل من أكل في داره! وناذى: يا أبا

السميط، فأقبل ابو السميطة حارثة بن سراقه بن معديكرب، فقصد لزياد بن لبيد وهو واقف، فقال: أطلق لهذا الفتى بكرته، وخذ بعيرا مكانها، فإنما بعير مكان بعير، فقال: ما إلى ذلك سبيل! فقال: ذاك إذا كنت يهوديا! وعاج إليها، فأطلق عقلاها، ثم ضرب على جنبها، فبعثها وقام دونها، وهو يقول:

يمنعها شيخ بخديه الشيب ... ملع كما يلعب الثوب

فأمر به زياد شبابا من حضرموت والسكون، فغثوه وتوطئوه، وكتفوه وكتفوا أصحابه، وارتهنوهم، وأخذوا البكره فعقلوها كما كانت، وقال زياد ابن لبيد في ذلك:

لم يمنع الشذرة أركوب ... والشيخ قد يثنيه أرجوب

وتصايح أهل الرياض وتنادوا، وغضبت بنو معاوية لحارثة، وأظهروا أمرهم، وغضبت السكون لزياد، وغضبت له حضرموت، وقاموا جميعا دونه وتوافى عسكريان عظيمان من هؤلاء وهؤلاء، لا تحدث بنو معاوية لمكان أسرائهم شيئا، ولا يجد أصحاب زياد على بني معاوية سبيلا يتعلقون به عليهم، فأرسل إليهم زياد: إما أن تضعوا السلاح، وإما أن تؤذونا بحرب، فقالوا: لا نضع السلاح أبدا حتى ترسلوا أصحابنا، فقال زياد: لا يرسلون أبدا حتى ترفضوا وأتم صغرة قاة يا أخا ث الناس، أستم سكان حضرموت وجيران السكون! فما عسى أن تكونوا وتصنعوا في دار حضرموت، وفي جنوب مواليكم! وقالت له السكون: ناهد القوم، فإنه لا يقطعهم إلا ذلك، فهد إليهم ليلا، فقتل منهم، وطاروا عباديد، وتمثل زياد حين أصبح في عسكرهم:

وكنت امرأ لا أبعث الحرب ظالما ... فلها أبو ساحت في حرب حاطب

ولما هرب القوم خلى عن النفر الثلاثة، ورجع زياد إلى منزله على الظفر ولما رجع الأسراء إلى أصحابهم ذمروهم فتمادروا، وقالوا: لا تصلح البلدة علينا وعلى هؤلاء حتى تخلو لأحد الفريقين فأجمعوا وعسكروا جميعا، ونادوا بمنع الصدقة، فتركهم زياد لم يخرج إليهم، وتركوا المسير إليه وأرسل إليهم الحصين بن نمير، فما زال يسفر فيما بينهم وبين زياد وحضرموت والسكون حتى سكن بعضهم عن بعض، وهذه النفرة الثانية، وقال السكوني في ذلك:

لعمري وما عمري بعرضه جانب ... ليجتلبن منها المار بنو عمرو

كذبتم وبيت الله لا تمنعونها ... زيادا، وقد جئنا زيادا على قدر

فأقاموا بعد ذلك يسيرا ثم إن بني عمرو بن معاوية خصوصا خرجوا إلى المحاجر، إلى أحماء حموها، فنزل جمد محجرا، ومخوص محجرا، ومشرح محجرا، وأبضعة محجرا، وأختهم العمردة محجرا- وكانت بنو عمرو ابن معاوية على هؤلاء الرؤساء- ونزلت بنو الحارث بن معاوية محاجرهما، فنزل الأشعث بن قيس محجرا، والسمط بن الأسود محجرا، وطابقت معاوية كلها على منع الصدقة، وأجمعوا على الردة إلا ما كان من شرحبيل بن السمط وابنه، فإنهما قاما في بني معاوية، فقالا: والله إن هذا القبيح بأقوام أحرار التنقل، إن الكرام ليكونون على الشبهة فيكرمون أن يتنقلوا منها إلى أوضح منها مخافة العار، فكيف بالرجوع عن الجميل، وعن الحق إلى الباطل والقبيح! اللهم انا لا نملئ قومنا على هذا، وإنا لنادمون على مجامعتهم إلى يومنا هذا- يعني يوم البكرة ويوم النفرة- وخرج شرحبيل بن السمط وابنه السمط، حتى أتيا زياد بن لبيد، فانضموا إليه، وخرج ابن صالح وأمرؤ القيس بن عابس، حتى أتيا زيادا، فقالا له: بيت القوم، فإن أقواما من السكاسك قد انضموا إليهم، وقد تسرع إليهم قوم من السكون وشذاذ من حضرموت، لعلنا نوقع بهم وقعة تورث بيننا عداوة، وتفرق بيننا، وإن أبيت خشينا أن يرفض الناس عنا إليهم، والقوم غارون لمكان من أتاهم، راجون لمن بقي فقال: شأنكم فجمعوا جمعهم، فطرقوهم في محاجرهم، فوجدوهم حول نيرانهم جلوسا، فعرفوا من يريدون، فأكبوا على بني عمرو بن معاوية، وهم عدد القوم وشوكتهم، من خمسة أوجه في خمس فرق، فأصابوا مشرحا ومخوصا وجمدا وأبضعة وأختهم العمردة، أدركتهم اللعنة، وقتلوا فأكثرأوا، وهرب من أطاق الهرب، ووهنت بنو عمرو بن معاوية، فلم يأتوا بخير بعدها، وانكفأ زياد بالسبي والأموال، وأخذوا طريقا

يفضي بهم إلى عسكر الأشعث وبني الحارث بن معاوية، فلما مروا بهم فيه استغاث نسوة بني عمرو بن معاوية ببني الحارث ونادينه: يا أشعث، يا أشعث! خالاتك خالاتك! فثار في بني الحارث فتنقدهم- وهذه الثالثة- وقال الأشعث:

منعت بني عمرو وقد جاء جمعهم ... بأعز من يوم البضيض وأصبرا

وعلم الأشعث أن زيادا وجنده إذا بلغهم ذلك لم يقلعوا عنه ولا عن بني الحارث بن معاوية وبني عمرو بن معاوية، فجمع إليه بني الحارث بن معاوية وبني عمرو بن معاوية، ومن أطاعه من السكاسك والخصائص من قبائل ما حولهم، وتباين لهذه الواقعة من بحضرموت من القبائل، فثبت أصحاب زياد على طاعة زياد، ولجت كندة، فلما تباينت القبائل كتب زياد إلى المهاجر، وكتبه الناس فتلقاها بالكتاب، وقد قطع صهيدي - مفازة ما بين مأرب وحضرموت - واستخلف على الجيش عكرمة، وتعجل في سرعان الناس، ثم سار حتى قدم على زياد، فهدى إلى كندة وعليهم الأشعث، فالتقوا بمحجر الزرقان فاقتتلوا به فهزمت كندة، وقتلت وخرجوا هرابا، فالتجأت إلى النجير وقد رموه وحسنوه، وقال في يوم محجر الزرقان المهاجر:

كما بزرقان إذ يشردكم ... بحريزجي في موجه الخطبا

نحن قتلناكم بمحجركم ... حتى ركبتم من خوفنا السببا

إلى حصار يكون أهونه ... سبي الذراري وسوقها خبيا

وسار المهاجر في الناس من محجر الزرقان حتى نزل على النجير،

وقد اجتمعت إليه كندة، فتنحسروا فيه، ومعهم من استغفروا من السكاسك وشذاذ من السكون وحضرموت والنجير، على ثلاثة سبل، فنزل زياد على أحدها، ونزل المهاجر على الآخر، وكان الثالث لهم يؤتون فيه ويذهبون فيه، إلى أن قدم عكرمة في الجيش، فأنزله على ذلك الطريق، فقطع عليهم المواد وردهم، وفرق في كندة الخيول، وأمرهم أن يوطئوهم وفيمن بعث يزيد بن قنان من بني مالك بن سعد، فقتل من بقرى بني هند إلى برهوت، وبعث فيمن بعث إلى الساحل خالد بن فلان المخزومي وربيعة الحضرمي، فقتلوا أهل محار وأحياء آخر، وبلغ كندة وهم في الحصار ما لقي سائر قومهم، فقالوا: الموت خير مما أنتم فيه، جزوا نواصيكم حتى كأنكم قوم قد وهبتم لله أنفسكم، فأنعم عليكم فبؤتم بنعمه، لعله أن ينصركم على هؤلاء الظلمة فجزوا نواصيهم، وتعاقدوا وتواثقوا ألا يفر بعضهم عن بعض، وجعل راجزهم يرتجز في جوف الليل فوق حصنهم:

صباح سوء لبني قتيبة ... وللأمير من بني المغيرة

وجعل راجز المسلمين زياد بن دينار يرد عليهم:

لا تواعدونا واصبروا حصيره ... نحن خيول ولد المغيرة

وفي الصباح تظفر العشيده.

فلما أصبحوا خرجوا على الناس، فاقتتلوا بأفنية النجير، حتى كثرت القتلى بحيال كل طريق من الطرق الثلاثة، وجعل عكرمة يرتجز يومئذ، ويقول:

أطعنهم وأنا على أوفاز ... طعنا أبوء به على مجاز

ويقول:

أنفذ قولي وله نفاذ ... وكل من جاورني معاذ

فهزمت كندة، وقد أكثروا فيهم القتل.

وقال هشام بن محمد: قدم عكرمة بن أبي جهل بعد ما فرغ المهاجر من أمر القوم مددا له، فقال زياد والمهاجر لمن معهما: إن إخوانكم قدموا مددا لكم، وقد سبقتهم بالفتح فأشركوهم في الغنيمة ففعلوا وأشركوا من لحق بهم، وتواصوا بذلك، وبعثوا بالأنحاس والأسرى، وسار البشير فسبقهم، وكانوا يبشرون القبائل ويقرءون عليهم الفتح.

وكتب إلي السري، قال: كتب أبو بكر رحمه الله إلى المهاجر مع المغيرة بن شعبة: إذا جاءكم كتابي هذا ولم تظفروا، فإن ظفرت بالقوم فاقتلوا مقاتلته، واسبوا الذرية إن أخذتموهم عنوة، أو ينزلوا على حكمي، فإن جرى بينكم صلح قبل ذلك فعلى أن تخرجوهم من ديارهم، فإنني أكره أن أقر أقواما فعلوا فعلهم في منازلهم، ليعلموا أن قد أساءوا، وليذوقوا وبال بعض الذي أتوا قال أبو جعفر: ولما رأى أهل النجير المواد لا تنقطع عن المسلمين، وأيقنوا أنهم غير منصرفين عنهم، خشعت أنفسهم، ثم خافوا القتل، وخاف الرؤساء على أنفسهم، ولو صبروا حتى يجيء المغيرة لكانت لهم في الثالثة الصلح على الجلاء نجاة فجعل الأشعث، فخرج إلى عكرمة بأمان، وكان لا يأمن غيره،

وذلك أنه كانت تحته أسماء ابنة النعمان بن الجون، خطبها وهو يومئذ بالجند ينتظر المهاجر، فأهداها إليه أبوها قبل أن يبادوا، فأبلغه عكرمة المهاجر، واستأمنه له على نفسه، ونفر معه تسعة، على أن يؤمنهم وأهلهم وأن يفتحوا لهم الباب، فأجابه إلى ذلك، وقال: انطلق فاستوثق لنفسك، ثم هلم كتابك أخته.

كَتَبَ إِلَيَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي إسحاق الشيباني، عن سعيد بن أبي بردة، عن عامر، أنه دخل عليه فاستأمنه على أهله وماله، وتسعة ممن أحب، وعلى أن يفتح لهم الباب فيدخلوا على قومه.

فقال له المهاجر: اكتب ما شئت واجعل، فكتب أمانه وأمانهم، وفيهم أخوه وبنو عمه وأهلهم، ونسي نفسه، عجل ودهش ثم جاء بالكتاب فحتمه، ورجع فسرب الذين في الكتاب.

وقال الأجلح والمجالد: لما لم يبق إلا أن يكتب نفسه وثب عليه جحدم بشفرة، وقال: نفسك أو تكتبني! فكتبه وترك نفسه. قال أبو إسحاق: فلما فتح الباب اقتحمه المسلمون فلم يدعوا فيه مقاتلا إلا قتلوه، ضربوا أعناقهم صبرا، وأحصى ألف امرأة ممن في النجير والخذندق، ووضع على السبي والفبيء الأحراس، وشاركهم كثير.

وقال كثير بن الصلت: لما فتح الباب وفرغ ممن في النجير، وأحصى ما أفاء الله عليهم، دعا الأشعث بأولئك النفر، ودعا بكتابه فعرضهم، فأجاز من في الكتاب، فإذا الأشعث ليس فيه، فقال المهاجر: الحمد لله الذي أخطاك نوءك يا أشعث، يا عدو الله! قد كنت أشتي أن يخزيك الله.

فشده وثاقا، وهم بقتله، فقال له عكرمة: أخره، وأبلغه أبا بكر، فهو أعلم بالحكم في هذا وإنه كان رجلا نسي اسمه أن يكتبه، وهو ولي مخاطبة أفضاك يبطل ذاك! فقال المهاجر: إن أمره لبين، ولكني أتبع المشورة وأوثرها وأخره وبعث به إلى أبي بكر مع السبي، فكان معهم يلعبه المسلمون ويلعبه سببا قومه، وسماه نساء قومه عُرْف النار - كلام يمان يسمون به الغادر - وقد كان المغيرة تحير ليله للذي أراد الله، فجاء والقوم في دمائهم والسبي على ظهر، وسارت السبايا والأسرى، فقدم القوم على أبي بكر رحمه الله بالفتح والسبايا والأسرى فدعا بالأشعث، فقال:

استزلك بنو وليعه، ولم تكن لتستزل لهم - ولا يرونك لذلك أهلا - وهلكوا وأهلكوك! أما تخشى أن تكون دعوه رسول الله ص قد وصل إليك منها طرف! ما تراني صانعا بك؟ قال: إني لا علم لي برأيك، وأنت أعلم برأيك، قال: فإني أرى قتلك قال: فإني أنا الذي راوضت القوم في عشرة، فما يحل دمي، قال: أفوضوا إليك؟ قال: نعم، قال:

ثم أتيتهم بما فوضوا إليك فحتموه لك؟ قال: نعم، قال: فإنما وجب الصلح بعد ختم الصحيفة على من في الصحيفة، وإنما كنت قبل ذلك مراوضا فلما خشي أن يقع به قال: أو تحتسب في خيرا فتطلق إيساري وتقبلني عثرتي، وتقبل إسلامي، وتفعل بي مثل ما فعلته بأمثالي وترد علي زوجتي - وقد كان خطب أم فروة بنت أبي حنيفة مقدمه على رسول الله ص، فزوجه وأخرها إلى أن يقدم الثانية، فمات رسول الله ص، وفعل الأشعث ما فعل، فخشي ألا ترد عليه - تجديني خير أهل بلادي لدين الله! فتجافى له عن دمه، وقبل منه، ورد عليه أهله، وقال: انطلق فليلغني عنك خير، وخلي عن القوم فذهبوا، وقسم أبو بكر في الناس الخمس، واقتسم الجيش الأربعة الأحماس.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَمَّا ابْنُ حَمِيدٍ، فَإِنَّهُ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّ الْأَشْعَثَ لَمَّا قُدِمَ بِهِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: مَاذَا تَرَانِي أَصْنَعُ بِكَ، فَإِنَّكَ قَدْ فَعَلْتَ مَا عَلِمْتُ! قَالَ: تَمَنَّ عَلَى فَتَفَكَّتْكَ مِنَ الْحَدِيدِ وَتَزَوَّجَنِي أُخْتَكَ، فَإِنِّي قَدْ رَاجَعْتُ وَأَسْلَمْتُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَدْ فَعَلْتُ فَرَوَّجَهُ أُمُّ فَرَوَةَ ابْنَةُ أَبِي حُنَافَةَ، فَكَانَ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى فَتَحَ الْعِرَاقَ.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ سَيْفٍ فَلَهَا وَلِي عُمَرُ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: أَنَّهُ لَيَقْبَحُ بِالْعَرَبِ أَنْ يَمْلِكَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَقَدْ وَسَّعَ اللَّهُ، وَفَتَحَ الْأَعَاجِمَ.

وَأَسْتَشَارَ فِي فِدَاءِ سَبَايَا الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ إِلَّا امْرَأَةً وُلِدَتْ لِسَيِّدِهَا، وَجَعَلَ فِدَاءُ كُلِّ إِنْسَانٍ سَبْعَةَ أْبْعَرَةٍ وَسِتَّةَ أْبْعَرَةٍ الْخَنِيْفَةِ وَكَنْدَةَ، فَإِنَّهُ خَفَّفَ عَنْهُمْ لِقَتْلِ رِجَالِهِمْ، وَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى فِدَاءِ لِقِيَامِهِمْ وَأَهْلٍ دَبَا، فَتَتَبَعَتْ رِجَالَهُمْ نِسَاءَهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ فَوَجَدَ الْأَشْعَثُ فِي بَنِي نَهْدٍ وَبَنِي غُطَيْفٍ امْرَأَتَيْنِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ وَقَفَ فِيهَا يَسْأَلُ عَنْ غُرَابٍ وَعُقَابٍ، فَقِيلَ:

مَا تُرِيدُ إِلَى ذَلِكَ؟ قَالَ: إِنَّ نِسَاءَنَا يَوْمَ النَّجْرِ خَطَفَهُنَّ الْعُقَبَانُ وَالْغُرَبَانُ وَالذَّئَابُ وَالْكِلَابُ فَقَالَ بَنُو غُطَيْفٍ: هَذَا غُرَابٌ، قَالَ: فَمَا مَوْضِعُهُ فَيْكُمْ؟ قَالُوا: فِي الصَّبَاةِ، قَالَ: فَنَعَمْ، وَانصَرَفَ وَقَالَ عُمَرُ: لَا مُلْكَ عَلَى عَرَبِيٍّ، لِلَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُ.

قَالُوا: وَنَظَرَ الْمُهَاجِرُ فِي أَمْرِ الْمَرْأَةِ الَّتِي كَانَ أَبُوهَا النُّعْمَانُ بْنُ الْجَوْنِ أَهْدَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ص، فَوَصَفَهَا أَنَّهَا لَمْ تَشْتِكْ قَطُّ، فَردَّهَا، [وَقَالَ: لَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا، بَعْدَ أَنْ أَجْلَسَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ لَهُ:

لَوْ كَانَ لَهَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَأَشْتَكْتُ] فَقَالَ الْمُهَاجِرُ لِعِكْرَمَةَ: مَتَى تَزَوِّجَتَهَا؟

قَالَ: وَأَنَا بَعْدُنِ، فَأُهْدِيَتْ إِلَيَّ بِالْجَنْدِ، فَسَافَرْتُ بِهَا إِلَى مَأْرِبٍ، ثُمَّ أَوْرَدْتُهَا الْعَسْكَرَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: دَعَهَا فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِأَهْلٍ أَنْ يُرْغَبَ فِيهَا وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَدْعُهَا فَكُتِبَ الْمُهَاجِرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ أَبَاهَا النُّعْمَانَ بْنَ الْجَوْنِ اتَى رَسُولَ اللَّهِ ص، فَزَيْنَهَا لَهُ حَتَّى أَمَرَهُ أَنْ يُجِئَهُ بِهَا، فَلَمَّا جَاءَهُ بِهَا قَالَ: أُرِيدُكَ أَنَّهَا لَمْ تَجْعَلْ شَيْئًا قَطُّ، [فَقَالَ: لَوْ كَانَ لَهَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَأَشْتَكْتُ،] وَرَغِبَ عَنْهَا، فَارْغَبُوا عَنْهَا فَأَرْسَلَهَا وَبَقِيَ فِي قُرَيْشٍ بَعْدَ مَا أَمَرَ عُمَرُ فِي السَّبْيِ بِالْفِدَاءِ عِدَّةً، مِنْهُمْ بَشْرَى بِنْتُ قَيْسِ بْنِ أَبِي الْكَئِيسِ،

عِنْدَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَوُلِدَتْ لَهُ عُمَرُ، وَزُرْعَةُ بِنْتُ مِشْرَجٍ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ وَلِدَتْ لَهُ عَلِيًّا. وَكَتَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى الْمُهَاجِرِ يُخْبِرُهُ الْإِمْنُ أَوْ حَضْرَمَوْتَ، فَاخْتَارَ الْإِمْنَ، فَكَانَتْ الْإِمْنُ عَلَى أُمَيْرِينَ: فَيُرَوِّزُ وَالْمُهَاجِرِ، وَكَانَتْ حَضْرَمَوْتَ عَلَى أُمَيْرِينَ: عُبَيْدَةَ بْنُ سَعْدٍ عَلَى كِنْدَةَ وَالسَّكَاكِسْ، وَزِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ عَلَى حَضْرَمَوْتَ.

وَكَتَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عُمَالِ الرَّدَّةِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ أَحَبَّ مَنْ أَدْخَلْتُمْ فِي أُمُورِكُمْ إِلَيَّ مَنْ لَمْ يَرْتَدَّ وَمَنْ كَانَ مِنْ لَمْ يَرْتَدَّ، فَاجْمَعُوا عَلَى ذَلِكَ، فَاتَّخِذُوا مِنْهَا صَنَائِعَ، وَأَتَذَنُوا لِمَنْ شَاءَ فِي الْإِنْصِرَافِ، وَلَا تَسْتَعِينُوا بِمُرْتَدِّ فِي جِهَادِ عَدُوٍّ.

وَقَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ مَثْنَسٍ السَّكُونِيُّ يَبْكِي أَهْلَ النَّجْرِ:

لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَى بَيْتٍ ... لَقَدْ كُنْتُ بِالْقَتْلِ لِحَقِّ ضَمِينٍ

فَلَا غُرُو إِلَّا يَوْمَ اقْرَعُ بَيْنَهُمْ ... وَمَا الدَّهْرُ عِنْدِي بَعْدَهُمْ بِأَمِينٍ

فَلَيْتَ جُنُوبُ النَّاسِ تَحْتَ جُنُوبِهِمْ ... وَلَمْ تَمْشِ أُنْثَى بَعْدَهُمْ لَجْنِينٍ

وَكُنْتُ كَذَاتِ الْبُورِ رِيْعَتْ فَأَقْبَلْتُ ... عَلَى بَوَّاهَا إِذْ طَرَبْتُ بِجَنْبَيْنِ

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ خَلِيفَةَ، قَالَ: وَقَعَ إِلَى الْمُهَاجِرِ امْرَأَتَانِ مُغْنِيَتَانِ، غَنَّتْ إِحْدَاهُمَا بِشَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَقَطَعَ يَدَهَا، وَنَزَعَ ثَنِيَّتَهَا، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: بَلَّغْنِي الَّذِي سَرْتَ بِهِ فِي الْمَرْأَةِ الَّتِي تَغَنَّتْ وَزَمَرَتْ بِشَتِيمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَلَوْلَا مَا قَدْ سَبَقْتَنِي فِيهَا لِأَمْرُكَ بِقَتْلِهَا، لِأَنَّ حَدَّ الْأَنْبِيَاءِ لَيْسَ يُشَبُّ الْخُدُودَ، فَمَنْ تَعَاطَى ذَلِكَ مِنْ

مُسْلِمٍ فَهُوَ مُرْتَدٌّ، أَوْ مُعَاهِدٌ فَهُوَ مُحَارِبٌ غَادِرٌ.

وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ فِي الَّتِي تَغَنَّتْ بِهَجَاءِ الْمُسْلِمِينَ: أَمَّا بَعْدُ، فَانْهَ

حوادث متفرقة

بلغني انك قطعت يدا امرأة في أن تَغْنَتْ بهجاء المسلمين، ونَزَعَتْ ثَنِيَّتَهَا، فَإِنْ كَانَتْ مِمَّنْ تَدْعِي الْإِسْلَامَ فَأَدَبُ وَتَقْدِمَةُ دُونَ الْمُثَلَّةِ، وَإِنْ كَانَتْ ذِمِّيَّةً فَلَعَمْرِي لَمَا صَفَحْتَ عَنْهُ مِنَ الشَّرِّكَ أَعْظَمُ، وَلَوْ كُنْتَ تَقَدَّمْتَ إِلَيْكَ فِي مِثْلِ هَذَا لَبَلَّغْتَ مَكْرُوهًا، فَأَقْبَلِ الدَّعَاةَ وَإِيَّاكَ وَالْمُثَلَّةَ فِي النَّاسِ، فَإِنَّهَا مَأْثَمٌ وَمَنْفَرَةٌ إِلَّا فِي قِصَاصٍ .

[حوادث متفرقة]

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنِي سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ - انصرف معاذ بن جبل من اليمن .

وستقضى أبو بكر فيها عمر بن الخطاب، فكان على القضاء أيام خلافته كلها .

وفيهما أمر أبو بكر رحمه الله على الموسم عتاب بن أسيد - فيما ذكره الذين أسند إليهم خبره علي بن محمد الذين ذكرت قبل في كتابي هذا أسماءهم .

وقال علي بن محمد: وقال قوم: بل حج بالناس في سنة إحدى عشرة عبد الرحمن بن عوف عن تأمير أبي بكر إياه بذلك

٣٠٦ سنة اثنتي عشرة من الهجرة

٣٠٦٠١ مسير خالد إلى العراق وصلاح الحيرة

ثم كانت

سنة اثنتي عشرة من الهجرة

مسير خالد إلى العراق وصلاح الحيرة

قال أبو جعفر، ولما فرغ خالد من أمر اليمامة، كتب إليه أبو بكر الصديق رحمه الله، وخالد مقيم باليمامة - فيما حدثنا عبيد الله بن سعد الزهري، قال: أخبرنا عمي، قال: أخبرنا سيف بن عمر، عن عمرو بن محمد، عن الشعبي: أن سر إلى العراق حتى تدخلها، وابدأ بفرج الهند، وهي الأبله، وتألف أهل فارس، ومن كان في ملكهم من الأمم .

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد بالإسناد الذي قد تقدم ذكره، عن القوم الذين ذكرت فيهم، أن أبا بكر رحمه الله وجه خالد بن الوليد إلى أرض الكوفة، وفيها المثنى بن حارثة الشيباني، فسار في المحرم سنة اثنتي عشرة، فجعل طريقه البصرة، وفيها قطبة بن قتادة السدوسي .

قال أبو جعفر: وأما الواقدي، فإنه قال: اختلف في أمر خالد بن الوليد، فقائل يقول: مضى من وجهه ذلك من اليمامة إلى العراق وقائل يقول: رجع من اليمامة، فقدم المدينة، ثم سار إلى العراق من المدينة على طريق الكوفة، حتى انتهى إلى الحيرة .

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن صالح بن كيسان، أن أبا بكر رحمه الله كتب إلى خالد بن الوليد يأمره أن يسير إلى العراق، فضى خالد يريد العراق، حتى نزل بقریات من السواد، يقال لها: بأنقيا وباروسما وأليس، فصالحه أهلها، وكان الذي صالحه علياً ابن صلوبا، وذلك في سنة اثنتي عشرة، فقبل منهم خالد الجزية

وكتب لهم كتاباً فيه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ لابن صلوبا السوادي - ومنزله بشاطئ الفرات - إنك آمن بأمان الله - إذ حقن دمه بإعطاء الجزية - وقد أعطيت عن نفسك وعن أهل خرجك وجزيرتك ومن كان في قريتك - بأنقيا وباروسما - ألف درهم، فقبلتها منك، ورضي من معي من المسلمين بها منك، ولك ذمة الله وذمة محمد صلى الله عليه وسلم، وذمة المسلمين على ذلك وشهد هشام بن الوليد .

ثُمَّ أَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِمَنْ مَعَهُ حَتَّى نَزَلَ الْحِيرَةَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَشْرَافُهُمْ مَعَ قَبِيصَةَ بْنِ إِيَّاسَ بْنِ حِيَةَ الطَّائِيِّ - وَكَانَ أَمْرُهُ عَلَيْهَا كَسَرَى بَعْدَ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ - فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ وَلِأَصْحَابِهِ: أَدْعُواكُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَبْتُمْ إِلَيْهِ فَأَنْتُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، لَكُمْ مَا لَهُمْ وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَالْجَزِيَّةُ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ الْجَزِيَّةَ فَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِأَقْوَامٍ هُمْ أَحْرَصُ عَلَى الْمَوْتِ مِنْكُمْ عَلَى الْحَيَاةِ، جَاهِدْنَاكُمْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ.

فَقَالَ لَهُ قَبِيصَةُ بْنُ إِيَّاسٍ: مَا لَنَا بِحَرْبِكَ مِنْ حَاجَةٍ، بَلْ نَقِيمُ عَلَى دِينِنَا، وَنُعْطِيكَ الْجَزِيَّةَ فَصَالِحُهُمْ عَلَى تِسْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَكَانَتْ أَوَّلُ جَزِيَّةٍ وَقَعَتْ بِالْعِرَاقِ، هِيَ الْقُرَيَاتُ الَّتِي صَالَحَ عَلَيْهَا ابْنُ صُلُوبَا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَمَّا هِشَامُ بْنُ الْكَلْبِيِّ، فَإِنَّهُ قَالَ: لَمَّا كَتَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَهُوَ بِالْيَمَامَةِ أَنْ يَسِيرَ إِلَى الشَّامِ، أَمَرَهُ أَنْ يَبْدَأَ بِالْعِرَاقِ فَيَمُرَّ بِهَا، فَأَقْبَلَ خَالِدٌ مِنْهَا يَسِيرُ حَتَّى نَزَلَ النَّبَاجَ.

قَالَ هِشَامٌ: قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ حَمْرَةُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، أَنَّ الْمُثَنَّى بْنَ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيَّ، سَارَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَالَ: أَمَرَنِي عَلَى مَنْ قَبْلِي مِنْ قَوْمِي، أَقَاتِلْ مَنْ يَلِينِي مِنْ أَهْلِ فَارِسٍ، وَأَكْفِكِ نَاحِيَّتِي، فَفَعَلَ ذَلِكَ، فَأَقْبَلَ لَجَمْعَ قَوْمِهِ وَأَخَذَ يُغِيرُ بِنَاحِيَّةِ كَسَكِرَ مَرَّةً، وَفِي أَسْفَلِ الثُّرَاتِ مَرَّةً، وَنَزَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ النَّبَاجَ وَالْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ بِخِفَانٍ مَعَكُمْ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ

لِيَأْتِيَهُ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِكُتَّابٍ مِنْ أَبِي بَكْرٍ يَأْمُرُهُ فِيهِ بِطَاعَتِهِ، فَانْقَضَ إِلَيْهِ جَوَادًا حَتَّى لَحِقَ بِهِ، وَقَدْ زَعَمَتْ بَنُو عَجَلٍ أَنَّهُ كَانَ خَرَجَ مَعَ الْمُثَنَّى بْنِ حَارِثَةَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَقَالُ لَهُ مَذْعُورُ بْنُ عَدَى، نَازَعَ الْمُثَنَّى بْنَ حَارِثَةَ، فَتَكَتَبَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَكَتَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى الْعَجَلِيِّ يَأْمُرُهُ بِالْمَسِيرِ مَعَ خَالِدٍ إِلَى الشَّامِ، وَأَقْرَأَ الْمُثَنَّى عَلَى حَالِهِ، فَبَلَغَ الْعَجَلِيُّ مِصْرَ، فَشَرَفَ بِهَا وَعَظُمَ شَأْنُهُ، فَدَارَهُ الْيَوْمَ بِهَا مَعْرُوفَةٌ، وَأَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ يَسِيرُ، فَعَرَضَ لَهُ جَابَانُ صَاحِبِ أُلَيْسَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمُثَنَّى بْنَ حَارِثَةَ، فَقَاتَلَهُ فَهَزَمَهُ، وَقَتَلَ جُلَّ أَصْحَابِهِ، إِلَى جَانِبِ نَهْرٍ ثُمَّ يَدْعَى نَهْرَ دَمٍ لِتِلْكَ الْوَقْعَةِ، وَصَالَحَ أَهْلَ أُلَيْسَ، وَأَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنَ الْحِيرَةِ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ خِيُولُ آزَادِهِ صَاحِبِ خَيْلٍ كَسَرَى الَّتِي كَانَتْ فِي مَسَاحٍ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَرَبِ، فَلَقَوْهُمْ بِمَجْتَمَعِ الْأَنْهَارِ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِمُ الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ وَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَهْلُ الْحِيرَةِ خَرَجُوا لِيَسْتَقْبِلُونَهُ، فِيمَ عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنُ عَمْرِو بْنِ بَقِيلَةَ وَهَانِيُّ بْنُ قَبِيصَةَ، فَقَالَ خَالِدُ لِعَبْدِ الْمَسِيحِ: مَنْ أَيْنَ أَثْرُكَ؟ قَالَ: مِنْ ظَهْرِ أَبِي، قَالَ: مَنْ أَيْنَ خَرَجْتَ؟ قَالَ: مِنْ بَطْنِ أُمِّي، قَالَ: وَيْحَكَ! عَلَى أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ؟ قَالَ: عَلَى الْأَرْضِ، قَالَ:

وَيْلَكَ! فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ؟ قَالَ: فِي ثِيَابِي، قَالَ: وَيْحَكَ! تَعْقِلُ؟ قَالَ:

نَعَمْ وَأَقِيدُ، قَالَ: إِنَّمَا أَسْأَلُكَ، قَالَ: وَأَنَا أُجِيبُكَ، قَالَ: أَسَلِمُ أَنْتَ أَمْ حَرْبُ؟ قَالَ: بَلْ سَلِمُ، قَالَ: فَمَا هَذِهِ الْحُصُونُ الَّتِي أَرَى؟ قَالَ: بَنَيْنَاهَا لِلْسَّفِيهِ نَحْبِسُهُ حَتَّى يَجِيءَ الْحَلِيمُ فَيَنْهَاهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ خَالِدٌ:

إِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى عِبَادَتِهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ قَبِلْتُمْ فَلَكُمْ مَا لَنَا وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْنَا، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَالْجَزِيَّةُ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِقَوْمٍ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ كَمَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ شُرْبَ الْخَمْرِ فَقَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا فِي حَرْبِكَ، فَصَالَحَهُمْ عَلَى تِسْعِينَ وَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَكَانَتْ أَوَّلُ جَزِيَّةٍ حُمِلَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنَ الْعِرَاقِ ثُمَّ نَزَلَ

عَلَى بَاقِيَا، فَصَالَحَهُ بِصَبْرَى بْنِ صُلُوبَا عَلَى أَلْفِ دِرْهَمٍ وَطَيْلَسَانَ، وَكَتَبَ لَهُمْ كِتَابًا، وَكَانَ صَالِحُ خَالِدٍ أَهْلَ الْحِيرَةِ عَلَى أَنْ يَكُونُوا لَهُ عِيُونًا، فَفَعَلُوا.

قَالَ هِشَامٌ، عَنْ أَبِي مُخَنَفٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْمُجَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: أَقْرَأَنِي أَبُو بَقِيلَةَ كِتَابَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى أَهْلِ الْمَدَائِنِ:

مَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى مَرَاذِبَةِ أَهْلِ فَارِسٍ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّ خِدْمَتَكُمْ، وَسَلَبَ مُلْكَكُمْ، وَوَهَنَ كَيْدَكُمْ وَأَنَّهُ مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَيْحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ مَا لَنَا، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا أَمَّا بَعْدُ، فَإِذَا جَاءَ كُمْ نَكَايِي فَابْعَثُوا إِلَيَّ بِالرَّهْنِ، وَاعْتَقِدُوا مِنِّي الذِّمَّةَ، وَالْأَفْوَى الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَا بَعَثَ إِلَيْكُمْ قَوْمًا يُحِبُّونَ الْمَوْتَ كَمَا تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ فَلَمَّا قَرَأُوا الْكِتَابَ، أَخَذُوا يَتَعَجَّبُونَ، وَذَلِكَ سَنَةُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ.

قال أبو جعفر: وأما غير ابن إسحاق وغير هشام ومن ذكرت قوله من قبل، فإنه قال في أمر خالد ومسيره إلى العراق ما حدثنا عبيد الله بن سعد الزهري، قال: حدثني عمي، عن سيف بن عمر، عن عمرو بن محمد، عن الشعبي، قال: لما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة، كتب إليه أبو بكر رحمه الله: إن الله فتح عليك فعارض حتى تلقى عياضاً وكتب إلى عياض بن غنم وهو بين النجاف والحجاز: أن سر حتى تأتي المصيخ فابدأ بها، ثم ادخل العراق من أعلاها، وعارق حتى تلقى خالداً وأذننا لمن شاء بالرجوع، ولا تستفتحاً بمتكاره. ولما قدم الكتاب على خالد وعياض، وأذننا في القفل عن أمر أبي بكر قتل أهل المدينة وما حولها وأعرؤهما، فاستمداً أبا بكر، فأمد أبو بكر خالداً بالقعقاع بن عمرو التميمي، فقيل له: أتمد رجلاً قد أرفض عنه

جندوه رجل! فقال: لا يهزم جيش فيهم مثل هذا وأمد عياضاً بعبد بن عوف الحميري، وكتب إليهما أن استنفرا من قاتل أهل الردة، ومن ثبت على الإسلام بعد رسول الله ص، ولا يغزونا معكم أحد ارتد حتى أرى رأيي فلم يشهد الأيام مرثد. فلما قدم الكتاب على خالد بتأثير العراق، كتب إلى حرملة وسلي والمثنى ومذعور بالحق به، وأمرهم أن يواعدوا جندهم الأبله، وذلك أن أبا بكر أمر خالداً في نكايه: إذا دخل العراق أن يبدأ بفرج أهل السند والهند - وهو يومئذ الأبله - ليوم قد سماه، ثم حشر من بينه وبين العراق، فحشر ثمانية آلاف من ربيعه ومضر إلى ألقين كانا معه، فقدم في عشرة آلاف على ثمانية آلاف ممن كان مع الأمراء الأربعة - يعني بالأمراء الأربعة: المثنى، ومذعور، وسلي، وحرملة - فلقى هرمر في ثمانية عشر ألفاً.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثني عمي، عن سيف، عن المهلب الأسدي عن عبد الرحمن بن سياه، وطلحة بن الأعلم، عن المغيرة بن عتبة، قالوا: كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد، إذ أمره على حرب العراق، أن يدخلها من أسفلها وإلى عياض إذ أمره على حرب العراق، أن يدخلها من أعلاها، ثم يستبقا إلى الحيرة، فأيهما سبق إلى الحيرة فهو أمير على صاحبه، وقال: إذا اجتمعتما بالحيرة، وقد فضضتما مسالح فارس وأمنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم، فليكن أحداكم رداءً للمسلمين ولصاحبه بالحيرة، وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من أهل فارس دارهم ومستقر عزهم، المدائن.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثني عمي، عن سيف، عن المجالد، عن الشعبي، قال: كتب خالد إلى هرمر قبل خروجه مع أراذبه - أي الزياذبه الذين باليمامة وهرمر صاحب الثغر يومئذ: أما بعد، فأسلم تسلم، أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة، وأقرر بالجزية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة.

قال سيف، عن طلحة بن الأعلم، عن المغيرة بن عتبة - وكان قاضي أهل الكوفة - قال: فرق خالد مخرجته من اليمامة إلى العراق جنده ثلاث فرق، ولم يحملهم على طريق واحدة فسرح المثنى قبله بيومين ودليله ظفر، وسرح عدي بن حاتم وعاصم بن عمرو ودليلاهما مالك بن عباد وسالم بن نصر، أحدهما قبل صاحبه بيوم، وخرج خالد ودليله رافع، فواعدهم جميعاً الحفير ليجمعوا به وليصادموا به عدوهم، وكان فرج الهند أعظم فروج فارس شأننا، وأشدّها شوكة، وكان صاحبه يحارب العرب في البر والهند في البحر.

قَالَ - وَشَارَكَهُ الْمُهَلَّبُ بْنُ عُقْبَةَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سِيَاهِ الْأَحْمَرِيُّ، الَّذِي تُنسَبُ إِلَيْهِ الْحَمْرَاءُ، فَيُقَالُ: حَمْرَاءُ سِيَاهٍ - قَالَ: لَمَّا قَدِمَ كِتَابُ خَالِدٍ عَلَى هُرْمَزٍ كَتَبَ بِالْخَبَرِ إِلَى شِيرَى بْنِ كَسْرَى وَإِلَى أَرْدَشِيرَ بْنِ شِيرَى وَجَمَعَ جُمُوعَهُ، ثُمَّ تَجَعَّلَ إِلَى الْكُؤَاطِمِ فِي سَرَاعَانِ أَصْحَابِهِ لِيَتَلَقَى خَالِدًا، وَسَبَقَ حَلْبَتَهُ فَلَمْ يَجِدْهَا طَرِيقَ خَالِدٍ، وَبَلَغَهُ أَنَّهُمْ تَوَاعَدُوا الْحَفِيرَ، فَعَاجَ يُبَادِرُهُ إِلَى الْحَفِيرِ فَزَلَهُ، فَتَعَبَى بِهِ، وَجَعَلَ عَلَى مَجْنِبَتِهِ أَخَوَيْنِ يُلَاقِيَانِ أَرْدَشِيرَ وَشِيرَى إِلَى أَرْدَشِيرِ الْأَكْبَرِ، يُقَالُ لهُمَا: قَبَاذُ وَانُو شُجَانٍ، وَاقْتَرَنُوا فِي السَّلَاسِلِ، فَقَالَ مَنْ لَمْ يَرِ ذَلِكَ لِمَنْ رَأَاهُ: قَيْدْتُمْ أَنْفُسَكُمْ لَعْدُوكُمْ، فَلَا تَفْعَلُوا، فَإِنَّ هَذَا طَائِرُ سُوءٍ، فَأَجَابُوهُمْ وَقَالُوا:

أَمَا أَنْتُمْ لِحَدُوثِنَا أَنْكُمْ تُرِيدُونَ الْهَرَبَ فَلَمَّا أَتَى الْخَبَرَ خَالِدًا بِأَنَّ هُرْمَزَ فِي الْحَفِيرِ أَمَالَ النَّاسَ إِلَى كَاطِمَةٍ، وَبَلَغَ هُرْمَزُ ذَلِكَ فَبَادِرَهُ إِلَى كَاطِمَةٍ فَزَلَّهَا وَهُوَ حَسِيرٌ، وَكَانَ مِنْ أَسْوَأِ أُمَرَاءِ ذَلِكَ الْفَرَجِ جَوَارًا لِلْعَرَبِ، فَكَلَّ الْعَرَبُ عَلَيْهِ مَغِيْظًا، وَقَدْ كَانُوا ضَرْبُوهُ مَثَلًا فِي الْخُبَثِ حَتَّى قَالُوا: أَخْبَثُ مِنْ هُرْمَزٍ، وَأَكْفَرُ مِنْ هُرْمَزٍ وَتَعَبَى هُرْمَزُ وَأَصْحَابُهُ وَاقْتَرَنُوا فِي السَّلَاسِلِ، وَالْمَاءُ فِي أَيْدِيهِمْ وَقَدِمَ خَالِدٌ عَلَيْهِمْ فَزَلَّ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ، فَقَالُوا لَهُ فِي ذَلِكَ،

فَأَمَرَ مُنَادِيَهُ، فَنَادَى: أَلَا أَنْزِلُوا وَحُطُّوا أَثْقَالَكُمْ، ثُمَّ جَالَدُوهُمْ عَلَى الْمَاءِ، فَلَعَمْرِي لَيَصِيرَنَّ الْمَاءُ لِأَصْبَرَ الْفَرِيقَيْنِ، وَأَكْرَمَ الْجُنْدَيْنِ، حُطَّتِ الْأَثْقَالُ وَانْخَلِيلُ وَقُوفٌ، وَتَقَدَّمَ الرَّجُلُ، ثُمَّ زَحَفَ إِلَيْهِمْ حَتَّى لَاقَاهُمْ، فَاقْتَتَلُوا، وَارْسَلُ اللَّهُ سَحَابَهُ فَاغْزَرَتْ مَا وَرَاءَ صَفِّ الْمُسْلِمِينَ، فَقَوَّاهُمْ بِهَا، وَمَا ارْتَفَعَ النَّهَارُ وَفِي الْغَائِطِ مُقْتَرَنٌ.

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِي، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَطَاءٍ الْبَكَّائِيِّ، عَنِ الْمُقَطَّعِ بْنِ الْهَيْثَمِ الْبَكَّائِيِّ بِمِثْلِهِ، وَقَالُوا: وَأَرْسَلَ هُرْمَزُ أَصْحَابَهُ بِالْغَدِ لِيَغْدُرُوا بِخَالِدٍ، فَوَاطَئُوهُ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ خَرَجَ هُرْمَزُ، فَنَادَى رَجُلٌ وَرَجُلٌ: أَيْنَ خَالِدٌ؟ وَقَدْ عَهْدَ إِلَى فِرْسَانِهِ عَهْدَهُ، فَلَمَّا نَزَلَ خَالِدُ نَزَلَ هُرْمَزُ، وَدَعَاهُ إِلَى النَّزَالِ فَزَلَّ خَالِدٌ فَنَشِي إِلَيْهِ، فَالتَقِيَا فَاحْتَلَفَا ضَرْبَيْنِ، وَاحْتَضَنَهُ خَالِدُ، وَحَمَلَتْ حَامِيَةُ هُرْمَزُ وَغَدَرَتْ، فَاسْتَلَحَمُوا خَالِدًا، فَمَا شَغَلَهُ ذَلِكَ عَنْ قَتْلِهِ وَحَمَلَ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو وَاسْتَلَحَمَ حَمَاهُ هُرْمَزُ فَأَنَامُوهُمْ، وَإِذَا خَالِدٌ يَمَاصِعُهُمْ، وَانْهَزَمَ أَهْلُ فَارَسَ، وَرَكِبَ الْمُسْلِمُونَ أَثْقَالَهُمْ إِلَى اللَّيْلِ، وَجَمَعَ خَالِدُ الرِّثَاءَ وَفِيهَا السَّلَاسِلُ، فَكَانَتْ وَقَرْبَعِيرَ، الْفَ رَطْلُ، فَسَمِيَتْ ذَاتُ السَّلَاسِلِ، وَافَلَتْ قَبَاذُ وَانُو شُجَانٍ.

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِي، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: كَانَ أَهْلُ فَارَسَ يَجْعَلُونَ قَلَانِسَهُمْ عَلَى قَدَرِ أَحْسَابِهِمْ فِي عَشَائِرِهِمْ، فَمَنْ تَمَّ شَرْفُهُ فَيَقِيْمُهُ قَلَنْسُوتُهُ مِائَةَ أَلْفٍ فَكَانَ هُرْمَزُ مِنْ تَمَّ شَرْفُهُ، فَكَانَتْ قِيَمَتُهَا مِائَةَ أَلْفٍ، فَفَلَّهَا أَبُو بَكْرٍ خَالِدًا، وَكَانَتْ مَفْصَصَةً بِالْجَوْهَرِ، وَتَمَامَ شَرَفُ أَحَدِهِمْ إِنْ يَكُونُ مِنْ بِيَوَاتٍ

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِي، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ نُوَيْرَةَ، عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ زِيَادٍ بْنِ حَنْظَلَةَ، قَالَ: لَمَّا تَرَاجَعَ الطَّلَبُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، نَادَى مُنَادِي خَالِدَ بِالرَّحِيلِ، وَسَارَ بِالنَّاسِ، وَاتَّبَعَتْهُ الْأَثْقَالُ، حَتَّى يَنْزِلَ بِمَوْضِعِ الْجِسْرِ الْأَعْظَمِ مِنَ الْبَصْرَةِ الْيَوْمِ، وَقَدْ أَفَلَتْ قَبَاذُ وَانُو شُجَانٍ، وَبَعَثَ خَالِدٌ بِالْفَتْحِ وَمَا بَقِيَ مِنَ الْأَنْحَاسِ وَبِالْفِيلِ، وَقَرَأَ الْفَتْحَ عَلَى النَّاسِ وَلَمَّا قَدِمَ زُرُّ بْنُ كَلِيبٍ بِالْفِيلِ مَعَ الْأَنْحَاسِ، فَطِيفَ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ لِيَرَاهُ النَّاسُ، جَعَلَ ضَعِيفَاتُ النِّسَاءِ يَقْلَنَ: أَمِنْ خَلْقِ اللَّهِ مَا نَرَى! وَرَأَيْنَهُ مَصْنُوعًا، فَدَّهَ أَبُو بَكْرٍ مَعَ زُرِّ قَالَ: وَلَمَّا نَزَلَ خَالِدٌ مَوْضِعَ الْجِسْرِ الْأَعْظَمِ الْيَوْمَ بِالْبَصْرَةِ، بَعَثَ الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ فِي آثَارِ الْقَوْمِ، وَأَرْسَلَ مَعْقِلَ بْنَ مُقَرِّنٍ الْمُزَنِّيَّ إِلَى الْأَبْلَةِ لِيَجْمَعَ لَهُ مَالَهَا وَالسَّيِّ، فَخَرَجَ مَعْقِلٌ حَتَّى نَزَلَ الْأَبْلَةُ فَجَمَعَ الْأَمْوَالَ وَالسَّبَايَا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَهَذِهِ الْقِصَّةُ فِي أَمْرِ الْأَبْلَةِ وَفَتْحِهَا خِلَافَ مَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ السَّيْرِ، وَخِلَافَ مَا جَاءَتْ بِهِ الْآثَارُ الصَّحَاحُ، وَإِنَّمَا كَانَ فَتْحُ الْأَبْلَةِ أَيَّامَ عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَعَلَى يَدِ عُتْبَةَ بْنِ غَرْوَانَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ عَشْرَةَ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَسَنَدُكُمْ أَمْرَهَا وَقِصَّةَ فَتْحِهَا إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَى ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ نُوَيْرَةَ، عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ زِيَادٍ، قَالَ: وَخَرَجَ الْمُثَنَّى حَتَّى انْتَهَى إِلَى نَهْرِ الْمَرْأَةِ، فَانْتَهَى إِلَى الْحِصْنِ الَّذِي فِيهِ الْمَرْأَةُ، خَلَفَ الْمُعَنَّى بْنُ حَارِثَةَ عَلَيْهِ، فَحَاصَرَهَا فِي قَصْرِهَا، وَمَضَى الْمُثَنَّى إِلَى الرَّجُلِ فَحَاصَرَهُ ثُمَّ اسْتَنْزَلَهُمْ عَنُودَ، فَقَتَلَهُمْ وَأَسْتَفَاءَ أَمْوَالَهُمْ، وَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمَرْأَةُ صَالَحَتِ الْمُثَنَّى وَأَسْلَمَتْ، فَتَزَوَّجَهَا الْمُعَنَّى، وَلَمْ يُحْرِكْ خَالِدٌ وَأَمْرًاؤُهُ الْفَلَاحِينَ فِي شَيْءٍ مِنْ فَتُوْحِهِمْ لِتَقْدَمَ أَبِي بَكْرٍ إِلَيْهِ فِيهِمْ، وَسَبَى أَوْلَادَ الْمُقَاتِلَةِ الَّذِينَ كَانُوا يَقُومُونَ بِأُمُورِ الْأَعَاجِمِ، وَأَقْرَبَ مَنْ لَمْ يَنْهَضْ مِنَ الْفَلَاحِينَ، وَجَعَلَ لَهُمُ الذِّمَّةَ، وَبَلَغَ سَهْمُ الْفَارِسِ فِي يَوْمِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ وَالْثَنِي أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَالرَّاجِلِ عَلَى الثَّلْثِ مِنْ ذَلِكَ

٣٠٦٠٢ ذكر وقعه المذار

أ ذكر وقعه المذار

٨ قال: وَكَانَتْ وَقْعَةُ الْمَذَارِ فِي صَفَرٍ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وَيَوْمَئِذٍ قَالَ النَّاسُ:

صَفَرُ الْأَصْفَارِ، فِيهِ يُقْتَلُ كُلُّ جَبَّارٍ، عَلَى جَمْعِ الْأَنْهَارِ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ زِيَادٍ وَالْمُهَلَّبِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سِيَاهِ الْأَحْمَرِيِّ.

وَأَمَّا فِيمَا كَتَبَ بِهِ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، فَإِنَّهُ عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْمُهَلَّبِ بْنِ عَقْبَةَ وَزِيَادِ بْنِ سَرَجَسَ الْأَحْمَرِيِّ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سِيَاهِ الْأَحْمَرِيِّ وَسُفْيَانَ الْأَحْمَرِيِّ، قَالُوا: وَقَدْ كَانَ هُرْمُزُ كَتَبَ إِلَى أَرْدَشِيرَ وَشِيرَى بِالنَّخْبِ بِكَتَابٍ خَالِدٍ إِلَيْهِ بِمَسِيرِهِ مِنَ الْيَمَامَةِ نَحْوَهُ، فَأَمَدَهُ بِقَارِنِ بْنِ قِرْيَانَسَ، فَخَرَجَ قَارِنٌ مِنَ الْمَدَائِنِ مُدًّا لِهَرْمُزَ، حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَى الْمَذَارِ بَلَّغَتْهُ الْهَزِيمَةُ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ الْفُلَالُ فَتَذَامَرُوا، وَقَالَ فُلَالُ الْأَهْوَازِ وَفَارِسُ لُفَالِ السَّوَادِ وَالْجَبَلِ: إِنْ افْتَرَقْتُمْ لَمْ تَجْتَمِعُوا بَعْدَهَا أَبَدًا، فَاجْتَمَعُوا عَلَى الْعُودِ مَرَّةً وَاحِدَةً، فَهَذَا مَدَدُ الْمَلِكِ وَهَذَا قَارِنٌ، لَعَلَّ اللَّهَ يَدِينُنَا وَيُشْفِينَا مِنْ عَدُونِنَا وَنُدْرِكُ بَعْضَ مَا أَصَابُوا مِنَّا فَفَعَلُوا وَعَسَكُرُوا بِالْمَذَارِ، وَاسْتَعْمَلَ قَارِنٌ عَلَى مَجْنَبَتِهِ قُبَاذَ وَأَنُوشْجَانَ، وَارَزَّ الْمُثَنَّى وَالْمُعَنَّى إِلَى خَالِدٍ بِالنَّخْبِ، وَلَمَّا انْتَهَى النَّخْبُ إِلَى خَالِدٍ عَنْ قَارِنِ قَسَمَ الْفَيْءَ عَلَى مَنْ أَفَاءَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَنَفَلَ مِنَ الْخُمْسِ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَبَعَثَ بِبَقِيَّتِهِ وَبِالْفَتْحِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَبِالنَّخْبِ عَنِ الْقَوْمِ وَبِاجْتِمَاعِهِمْ إِلَى الثَّنِيِّ الْمَغِيثِ وَالْمَغَاثِ، مَعَ الْوَلِيدِ ابْنِ عَقْبَةَ - وَالْعَرَبُ تَسْمِي كُلَّ نَهَرٍ ثَنِيٍّ - وَخَرَجَ خَالِدٌ سَائِرًا حَتَّى يَنْزِلَ الْمَذَارَ عَلَى قَارِنِ فِي جُمُوعِهِ، فَالْتَقَوْا وَخَالِدٌ عَلَى تَعْيِيَّتِهِ، فَاقْتَتَلُوا عَلَى حَتَّى وَحَفِيظَةٍ، وَخَرَجَ قَارِنٌ يَدْعُو لِلْبَرَّازِ، فَبَرَزَ لَهُ خَالِدٌ وَأَبْيَضَ الرُّجَانُ مَعْقِلُ بْنُ الْأَعَشَى بْنِ النَّبَّاشِ، فَابْتَدَرَاهُ، فَسَبَقَهُ إِلَيْهِ مَعْقِلٌ، فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ عَاصِمُ الْأَنُوشْجَانَ، وَقَتَلَ عَدِيُّ قُبَاذَ وَكَانَ شَرَفُ قَارِنِ قَدْ انْتَهَى، ثُمَّ لَمْ يُقَاتَلْ

الْمُسْلِمُونَ بَعْدَهُ أَحَدًا انْتَهَى شَرْفُهُ فِي الْأَعَاجِمِ، وَقَتَلَتْ فَارِسُ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، فَضَمُّوا السُّفْنَ، وَمَنْعَتِ الْمِيَاهُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ طَلَبِهِمْ، وَأَقَامَ خَالِدٌ بِالْمَذَارِ، وَسَلَّمُ الْأَسْلَابِ لِمَنْ سَلَبَهَا بِالْعَةِ مَا بَلَغَتْ، وَقَسَمَ الْفَيْءَ وَنَفَلَ مِنَ الْأَنْخَاسِ أَهْلَ الْبَلَاءِ، وَبَعَثَ بِبَقِيَّةِ الْأَنْخَاسِ، وَوَقَدَ وَفَدًا مَعَ سَعِيدِ بْنِ التُّعْمَانِ أَخِي بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ.

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: قُتِلَ لَيْلَةَ الْمَذَارِ ثَلَاثُونَ أَلْفًا سِوَى مَنْ غَرِقَ، وَلَوْلَا الْمِيَاهُ لَأُتِيَ عَلَى آخِرِهِمْ، وَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ مَنْ أَفْلَتَ إِلَّا عُرَاءٌ وَأَشْبَاهُ الْعُرَاءِ.

قَالَ سَيْفٌ، عَنْ عَمْرِو وَالمُجَالِدِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: كَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِيَ خَالِدٌ مَهْبَطُهُ الْعِرَاقِ هُرْمُزُ بِالْكَوَاظِمِ، ثُمَّ نَزَلَ الْفَرَاتَ بِشَاطِئِ دِجْلَةٍ، فَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا، وَتَجَبَّحَ بِشَاطِئِ دِجْلَةٍ، ثُمَّ الثَّنِيَّ، وَلَمْ يَلْقَ بَعْدَ هُرْمُزَ أَحَدًا إِلَّا كَانَتْ الْوَقْعَةُ الْآخِرَةُ أَعْظَمَ مِنَ الَّتِي قَبْلَهَا، حَتَّى أَتَى دَوْمَةَ الْجَنْدَلِ، وَزَادَ سَهْمُ الْفَارِسِ فِي يَوْمِ الثَّنِيِّ عَلَى سَهْمِهِ فِي ذَاتِ السَّلَاسِلِ.

فَأَقَامَ خَالِدٌ بِالثَّنِيِّ يُسَيِّ عِيَالَتِ الْمُقَاتِلَةِ وَمَنْ أَعَانَهُمْ، وَأَقَرَّ الْفَلَّاحِينَ وَمَنْ أَجَابَ إِلَى الْخُرَاجِ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ بَعْدَ مَا دُعُوا، وَكُلَّ ذَلِكَ أَخَذَ عُنُوًّا وَلَكِنْ دُعُوا إِلَى الْجَزَاءِ، فَأَجَابُوا وَتَرَجَعُوا، وَصَارُوا ذِمَّةً، وَصَارَتْ أَرْضُهُمْ لَهُمْ، كَذَلِكَ جَرَى مَا لَمْ يُقَسَّمْ، فَإِذَا اقْتَسَمَ فَلَا، وَكَانَ فِي السَّنَةِ حَبِيبٌ أَبُو الْحَسَنِ - يَعْنِي أَبَا الْحَسَنِ الْبَصْرِيَّ - وَكَانَ نَصْرَانِيًّا، وَمَافَتُهُ مَوْلَى عُثْمَانَ، وَأَبُو زِيَادٍ مَوْلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، وَأَمَرَ عَلَى الْجَنْدِ سَعِيدَ بْنَ النُّعْمَانِ، وَعَلَى الْجَزَاءِ سُؤَيْدَ بْنَ مُقَرِّنَ الْمُرِّيَّ، وَأَمَرَهُ بِنَزُولِ الْخَفِيرِ، وَأَمَرَهُ بِبَيْتِ عَمَالِهِ وَوَضَعِ يَدِهِ فِي الْجَبَايَةِ، وَأَقَامَ لَعْدُوهُ يَتَجَسَّسُ الْإِخْبَارَ

٣٠٦٣ ذكر وقعه الولجة

ذكر وقعه الولجة

ثُمَّ كَانَ أَمْرُ الْوَلَجَةِ فِي صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وَالْوَلَجَةُ مِمَّا بَلَى كَسَكِرٍ مِنَ الْبَرِّ.

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي سَيْفٌ، عَنْ عَمْرٍو وَالمَجَالِدِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ لَمَّا فَرَّغَ خَالِدٌ مِنَ الثَّنِيِّ وَاتَى الْخَبَرَ أَرْدَشِيرَ، بَعَثَ الْأَنْدَرَزْغَرِ، وَكَانَ فَارِسِيًّا مِنْ مَوْلَدِي السَّوَادِ.

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي سَيْفٌ، عَنْ زِيَادِ بْنِ سَرَجَسَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سِيَاهٍ، قَالَ - وَفِيمَا كَتَبَ بِهِ إِلَيَّ السَّرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ قَالَ: حَدَّثَنَا سَيْفٌ، عَنْ الْمُهَلَّبِ بْنِ عُقْبَةَ وَزِيَادِ بْنِ سَرَجَسَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سِيَاهٍ - قَالُوا: لَمَّا وَقَعَ الْخَبَرُ بِأَرْدَشِيرَ بِمَصَابِ قَارِنٍ وَأَهْلِ الْمَذَارِ، أَرْسَلَ الْأَنْدَرَزْغَرِ، - وَكَانَ فَارِسِيًّا مِنْ مَوْلَدِي السَّوَادِ وَتَنَائِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ وَلَدِ فِي الْمَدَائِنِ وَلَا نَشَأَ بِهَا - وَأَرْسَلَ بِهِمْ جَادُوِيَهُ فِي أَثَرِهِ فِي جَيْشٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْبُرَ طَرِيقَ الْأَنْدَرَزْغَرِ، وَكَانَ الْأَنْدَرَزْغَرُ قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى فَرْجِ خُرَاسَانَ، فَفَرَجَ الْأَنْدَرَزْغَرُ سَائِرًا مِنَ الْمَدَائِنِ حَتَّى أَتَى كَسَكِرَ، ثُمَّ جَارَهَا إِلَى الْوَلَجَةِ، وَخَرَجَ بِهِمْ جَادُوِيَهُ فِي أَثَرِهِ، وَأَخَذَ غَيْرَ طَرِيقِهِ، فَسَلَكَ وَسَطَ السَّوَادِ، وَقَدْ حَشَرَ إِلَى الْأَنْدَرَزْغَرِ مِنْ بَيْنِ الْحَيَةِ وَكَسَكِرٍ مِنْ عَرَبِ الضَّاحِيَةِ وَالْدَّهَاقِينِ فَعَسَكُرُوا إِلَى جَنْبِ عَسْكَرِهِ بِالْوَلَجَةِ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ لَهُ مَا أَرَادَ وَاسْتَمَّ أَعْجَبَهُ مَا هُوَ فِيهِ، وَاجْمَعَ السَّيْرَ إِلَى خَالِدٍ، وَلَمَّا بَلَغَ خَالِدًا وَهُوَ بِالثَّنِيِّ خَبَرَ الْأَنْدَرَزْغَرِ وَنَزُولِهِ الْوَلَجَةَ، نَادَى بِالرَّحِيلِ، وَخَلَفَ سُؤَيْدَ بْنَ مُقَرِّنَ، وَأَمَرَهُ بِلُزُومِ الْخَفِيرِ، وَتَقَدَّمَ إِلَى مَنْ خَلَفَ فِي أَسْفَلِ دِجْلَةٍ، وَأَمَرَهُمْ بِالْخَذَرِ وَقَلَّةِ الْغَفْلَةِ، وَتَرَكَ الْإِعْتِرَارَ، وَخَرَجَ سَائِرًا فِي الْجُنُودِ نَحْوَ الْوَلَجَةِ، حَتَّى يَنْزِلَ عَلَى الْأَنْدَرَزْغَرِ وَجُنُودِهِ وَمَنْ تَأَسَّبَ إِلَيْهِ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، هُوَ أَعْظَمُ مِنْ قِتَالِ الثَّنِيِّ

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: نَزَلَ خَالِدٌ عَلَى الْأَنْدَرَزْغَرِ بِالْوَلَجَةِ فِي صَفَرٍ، فَاقْتَتَلُوا بِهَا قِتَالًا شَدِيدًا، حَتَّى ظَنَّ الْقَرِيقَانِ أَنَّ الصَّبْرَ قَدْ فَرَغَ، وَاسْتَبَطَّ خَالِدٌ كَمِينَهُ، وَكَانَ قَدْ وَضَعَ لَهُمْ كَمِينًا فِي نَاحِيَتَيْنِ، عَلَيْهِمْ بَسْرُ بْنُ أَبِي رَهْمٍ وَسَعِيدُ بْنُ مَرْةِ الْعِجْلِيِّ، فَفَرَجَ الْكَمِينَ فِي وَجْهَيْنِ، فَانْهَزَمَتْ صُفُوفُ الْأَعَاجِمِ وَوَلَّوْا، فَأَخَذَهُمْ خَالِدٌ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَالْكَمِينَ مِنْ خَلْفِهِمْ، فَلَمْ يَرِ رَجُلٌ مِنْهُمْ مَقْتَلٌ صَاحِبِهِ، وَمَضَى الْأَنْدَرَزْغَرُ فِي هَزِيمَتِهِ، فَاتَتْ عَطَشًا وَقَامَ خَالِدٌ فِي النَّاسِ خَطِيئًا يَرْغَبُهُمْ فِي بِلَادِ الْعَجَمِ، وَيُزْهِدُهُمْ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ، وَقَالَ: أَلَا تَرَوْنَ إِلَى الطَّعَامِ كَرَفَعِ التُّرَابِ وَبِاللَّهِ لَوْ لَمْ يُلْزَمْنَا الْجِهَادُ فِي اللَّهِ وَالِدُّعَاءُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا الْمَعَاشُ لَكَانَ الرَّأْيُ أَنَّ نُقَارِعَ عَلَى هَذَا الرِّيفِ حَتَّى نَكُونَ أَوْلَى بِهِ، وَنُوَلِّيَ الْجُوعَ وَالْإِقْلَالَ مَنْ تَوَلَّاهُ مِنْ أَثَاقِلِ عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَسَارَ خَالِدٌ فِي الْفَلَّاحِينَ بِسِيرَتِهِ فَلَمْ يَقْتُلْهُمْ، وَسَبَى ذُرَارِيَّ الْمُقَاتِلَةِ وَمَنْ أَعَانَهُمْ، وَدَعَا أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَى الْجَزَاءِ وَالذِّمَّةِ، فَتَرَجَعُوا كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ - وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، عَنْ سَيْفٍ - عَنْ عَمْرٍو، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: بَارَزَ خَالِدٌ يَوْمَ الْوَلَجَةِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ فَارِسَ يَعْدِلُ بِأَلْفِ رَجُلٍ فَقَتَلَهُ، فَلَمَّا فَرَغَ اتَّكَأَ عَلَيْهِ، وَدَعَا بِغَدَائِهِ وَأَصَابَ فِي أَنْاسٍ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ

ابن الجار بن بجير وابنا عبد الأسود

٣٠٦٠٤ خبر اليس، وهي على صلب الفرات

خبر اليس، وهي على صلب الفرات
قال أبو جعفر، حدثنا عبيد الله، قال: حدثني عمي، قال: حدثنا سيف، عن محمد بن طلحة، عن أبي عثمان وطلحة بن الأعلم عن المغيرة بن عتبة وأما السري فإنه قال فيما كتب إلي: حدثنا شعيب، عن سيف، عن محمد بن عبد الله عن أبي عثمان، وطلحة بن الأعلم عن المغيرة بن عتبة، قالا: ولما أصاب خالد يوم الوجة من أصاب من بكر بن وائل من نصاراهم الذين أعانوا أهل فارس غضب لهم نصارى قومهم، فكتبوا الأعاجم وكتبتهم الأعاجم، فاجتمعوا إلى اليس، وعليهم عبد الأسود العجلي، وكان أشد الناس على أولئك النصارى مسلحوا بني عجل:

عتيبة بن النحاس وسعيد بن مرة وفرات بن حيان والمثنى بن لحي ومذعور ابن عدي وكتب أردشير إلى بهمن جاذويه، وهو بقسيانا- وكان رافد فارس في يوم من أيام شهرهم وبنوا شهرهم كل شهر على ثلاثين يوماً، وكان لأهل فارس في كل يوم رافد قد نصب لذلك يرفدهم عند الملك، فكان رافدهم بهمن روز- أن سر حتى تقدم اليس بجيشك إلى من اجتمع بها من فارس ونصارى العرب فقدم بهمن جاذويه جابان وأمره بالحث، وقال: كفك نفسك وجندك من قتال القوم حتى ألحق بك إلا أن يعجلوك فسار جابان نحو اليس، وانطلق بهمن جاذويه إلى أردشير ليحدث به عهداً، وليستأمره فيما يريد أن يشير به، فوجده مريضاً، فعرج عليه، وأخلى جابان بذلك الوجه، ومضى حتى أتى اليس، فنزل بها في صفر، واجتمعت إليه المسالحي التي كانت بإزاء العرب، وعبد الأسود في نصارى العرب من بني عجل وتيم اللات وضبيعة وعرب الضاحية من أهل الحيرة، وكان جابر بن بجير نصرانياً، فساند عبد الأسود، وقد كان خالد بلغه تجمع عبد الأسود وجابر وزهير فيمن تأشب اليهم، فنهدهم ولا يشعر بدنو جابان، وليست لخالد همة إلا من تجمع له من عرب الضاحية

ونصاراهم، فأقبل فلما طلع على جابان باليس، قالت الأعاجم لجابان:

انعاجلهم أم نغدى الناس ولا نزيهم إنا نحفل بهم، ثم نقاتلهم بعد الفراغ؟

فقال جابان: إن تركوكم والتهاون بكم فهاونوا، ولكن ظني بهم ان سيعجلونكم ويعجلونكم عن الطعام فعصوه وبسطوا البسط ووضعوا الأطعمة، وتداخوا إليها، وتوافوا عليها فلما انتهى خالد إليهم، وقف وأمر بحط الأثقال، فلما وضعت توجه إليهم، ووكل خالد بنفسه حوامي يحمون ظهره، ثم بدر أمام الصف، فنادى: أين أبجر؟ أين عبد الأسود؟ أين مالك بن قيس؟

رجل من جذرة، فنكلوا عنه جميعاً إلا مالكا، فبرز له، فقال له خالد:

يا بن الخبيثة، ما جرأك علي من بينهم، وليس فيك وفاء! فضره فقتله، وأجهض الأعاجم عن طعامهم قبل أن يأكلوا، فقال جابان: ألم أقل لكم يا قوم! أما والله ما دخلتني من رئيس وحشة قط حتى كان اليوم، فقالوا حيث لم يقدرُوا على الأكل تجلداً: ندعها حتى نفرغ منهم، ونعود إليها.

فقال جابان: وأيضا أظنكم والله لهم وضعموها وأنتم لا تشعرون، فالآن فأطيعوني، سموها، فإن كانت لكم فاهون هالك، وإن كانت عليكم كنتم قد صنعتم شيئا، وأبليت عذرا فقالوا: لا، اقتدارا عليهم فجعل جابان على مجنبيه عبد الأسود وابجر، وخالد على تعبته في

الأيام التي قبلها، فاقْتَلَوْا قِتَالًا شَدِيدًا، وَالْمُشْرِكُونَ يَزِيدُهُمْ كِبًا وَشِدَّةً مَا يَتَوَقَّعُونَ مِنْ قُدُومِ بِهِمِ جَاذُوَيْهِ، فَصَابَرُوا الْمُسْلِمِينَ لِلَّذِي كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يُصِيرَهُمْ إِلَيْهِ، وَحَرَبَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ خَالِدٌ: اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ إِنْ مَنَحْتَنَا أَكْثَفَهُمْ أَلَا أَسْتَبْقِي مِنْهُمْ أَحَدًا قَدَرْنَا عَلَيْهِ حَتَّى أَجْرِي نَهْرَهُمْ بِدِمَائِهِمْ! ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَشَفَهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ، وَمَنَحَهُمْ أَكْثَفَهُمْ، فَأَمَرَ خَالِدٌ مُنَادِيَهُ، فَنادى فِي النَّاسِ: الْأَسْرَ الْأَسْرَ! لَا تَقْتُلُوا إِلَّا مَنْ أَمْتَنَعَ، فَأَقْبَلَتِ الْخِيُولُ بِهِمْ أَفْوَاجًا مُسْتَأْسِرِينَ يُسَاقُونَ سَوْقًا، وَقَدْ وَكَلَ بِهِمْ رِجَالًا يَضْرِبُونَ أَعْنَاقَهُمْ فِي النَّهْرِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَطَلَبُوهُمْ الْغَدَ وَبَعْدَ الْغَدِ،

حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى النَّهَرَيْنِ، وَمَقْدَارُ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ جَوَانِبِ أَلَيْسَ فَضْرَبَ أَعْنَاقَهُمْ، وَقَالَ لَهُ الْقَعْقَاعُ وَأَشْبَاهُ لَهُ: لَوْ أَنَّكَ قَتَلْتَ أَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ تَجْرِ دِمَاؤُهُمْ، إِنَّ الدَّمَاءَ لَا تَزِيدُ عَلَى أَنْ تَرَقْرَقَ مِنْذُ نُبَيْتٍ عَنِ السَّيْلَانِ، وَنُبَيْتِ الْأَرْضِ عَنْ نَشْفِ الدَّمَاءِ، فَأَرْسَلَ عَلَيْهَا، الْمَاءُ تَبَرَّيْمِيْنُكَ وَقَدْ كَانَ صَدَّ الْمَاءُ عَنِ النَّهْرِ فَأَعَادَهُ، فَجَرَى دَمًا عَيْطًا فَسَمِيَ نَهْرُ الدَّمِ لِذَلِكَ الشَّانِ إِلَى الْيَوْمِ وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ بِشِيرِ بْنِ الْخَصَاصِيَّةِ، قَالَ: وَبَلَّغْنَا أَنَّ الْأَرْضَ لَمَّا نَشَفَتْ دَمَ ابْنِ آدَمَ نُبَيْتٌ عَنْ نَشْفِ الدَّمَاءِ، وَنَبِي الدَّمِ عَنِ السَّيْلَانِ إِلَّا مَقْدَارُ بَرْدِهِ.

وَلَمَّا هَزِمَ الْقَوْمُ وَأَجْلَوْا عَنْ عَسْكَرِهِمْ، وَرَجَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ طَلَبِهِمْ وَدَخَلُوهُ، وَقَفَ خَالِدٌ عَلَى الطَّعَامِ، فَقَالَ: قَدْ نَفَلْتُكُمْوهُ فَهُوَ لَكُمْ وَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِذَا أَتَى عَلَى طَعَامٍ مَصْنُوعٍ نَفَلَهُ فَقَعَدَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ لِعَشَائِهِمْ بِاللَّيْلِ، وَجَعَلَ مَنْ لَمْ يَرَ الْأَرْيَافَ وَلَا يَعْرِفَ الرِّقَاقَ يَقُولُ: مَا هَذِهِ الرِّقَاقُ الْبَيْضُ! وَجَعَلَ مَنْ قَدْ عَرَفَهَا يُحِبُّهُمْ، وَيَقُولُ لَهُمْ مَارِحًا: هَلْ سَمِعْتُمْ بِرَقِيقِ الْعَيْشِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: هُوَ هَذَا، فَسَمِيَ الرِّقَاقُ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّيهِ الْقَرَى.

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنَا سَيْفٌ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ خَالِدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص نَفَلَ النَّاسَ يَوْمَ خَيْرِ الْخُبْزِ وَالطَّيْنِ وَالشَّوَاءِ، وَمَا أَكَلُوا غَيْرَ ذَلِكَ فِي بَطُونِهِمْ غَيْرَ مُتَأَلِّهِهِ. كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ طَلْحَةَ، عَنِ الْمَغِيرَةِ، قَالَ: كَانَتْ عَلَى النَّهْرِ أَرْحَاءُ، فَطَحَنْتُ بِالْمَاءِ وَهُوَ أَحْمَرُ قُوتِ الْعَسْكَرِ، ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفًا أَوْ يَزِيدُونَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَبَعَثَ خَالِدٌ بِالْخَبَرِ مَعَ رَجُلٍ يَدْعَى

٣٠٦٥ حديث أمغيشيا

جَنْدَلًا مِنْ بَنِي عَجَلٍ، وَكَانَ دَلِيلًا صَارِمًا، فَقَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بِالْخَبَرِ، وَبَفَتْحِ أَلَيْسَ، وَبِقَدْرِ الْفَيْءِ وَبِعِدَّةِ السَّيِّ، وَبِمَا حَصَلَ مِنَ الْأَنْحَاسِ، وَبِأَهْلِ الْبَلَاءِ مِنَ النَّاسِ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَرَأَى صَرَامَتَهُ وَثَبَاتَ خَبَرِهِ، قَالَ: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: جَنْدَلٌ، قَالَ: وَيَهَا جَنْدَلُ! نَفْسُ عَصَامٍ سَوَدَتْ عَصَامًا ... وَعَوَدَتْهُ الْكُرَّ وَالْإِقْدَامَا وَأَمَرَ لَهُ بِجَارِيَةٍ مِنْ ذَلِكَ السَّيِّ، فَوَلَدَتْ لَهُ.

قَالَ: وَبَلَغَتْ قَتْلَاهُمْ مِنْ أَلَيْسَ سَبْعِينَ أَلْفًا جُلَّهُمْ مِنْ أَمْغِيشِيَا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: قَالَ لَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ: قَالَ عَمِّي: سَأَلْتُ عَنْ أَمْغِيشِيَا بِالْحَيْرَةِ فَقِيلَ لِي: مَنْشِيَا، فَقُلْتُ لِسَيْفٍ، فَقَالَ: هَذَا اسْمَانِ

. حديث أمغيشيا

في صفر، وأفاءها الله عز وجل بغير خيل.

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ وَطَلْحَةَ، عَنِ الْمَغِيرَةِ، قَالَ: لَمَّا فَرَّغَ خَالِدٌ مِنْ وَقْعَةِ أَلَيْسَ، نَهَضَ فَأَتَى أَمْغِيشِيَا، وَقَدْ أَعْجَلَهُمْ عَمَّا فِيهَا، وَقَدْ جَلَا أَهْلُهَا، وَتَفَرَّقُوا فِي السَّوَادِ، وَمِنْ يَوْمِئِذٍ صَارَتِ السَّكَرَاتُ فِي السَّوَادِ، فَأَمَرَ خَالِدٌ بِهِمْ أَمْغِيشِيَا وَكُلَّ شَيْءٍ كَانَ فِي حِيزِهَا، وَكَانَتْ مَصْرًا كَالْحَيْرَةِ، وَكَانَ فَرَاتٌ بَادِقًا يَنْتَهِي إِلَيْهَا، وَكَانَتْ أَلَيْسَ مِنْ مَسَاحِلِهَا، فَأَصَابُوا فِيهَا مَا

لم يصيبوا مثله قط.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ بَحْرِ بْنِ الْفُرَاتِ الْعَجَلِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمْ يُصَبِّ الْمُسْلِمُونَ فِيمَا بَيْنَ ذَاتِ السَّلَاسِلِ وَأَمْغِشِيَا مِثْلَ شَيْءٍ أَصَابُوهُ فِي أَمْغِشِيَا، بَلَغَ سَهْمُ الْفَارِسِ أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةٍ، سِوَى النَّفْلِ الَّذِي نَفَلَهُ أَهْلُ الْبَلَاءِ وَقَالُوا جَمِيعًا: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ حِينَ

٣٠٦٠٦ حديث يوم المقر وفم فرات بادقلى

بَلَّغَهُ ذَلِكَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - يُخْبِرُهُمْ بِالَّذِي آتَاهُ: عَدَا أَسَدُكُمْ عَلَى الْأَسَدِ فَغَلَبَهُ عَلَى خِرَازِيلِهِ، عَجَزَتِ النِّسَاءُ أَنْ يَنْسِلْنَ مِثْلَ خَالِدٍ! حديث يوم المقر وفم فرات بادقلى

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ وَطْلَحَةَ، عَنِ الْمُغِيرَةِ: أَنَّ الْأَزَادَةَ كَانَ مَرْزَبَانَ الْحِيرَةَ أَرْمَانَ كَسَرَى إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَكَانُوا لَا يُمِدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا بِإِذْنِ الْمَلِكِ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَ نِصْفَ الشَّرَفِ، وَكَانَ قِيَمَةُ قُلُوسُوتِهِ خَمْسِينَ أَلْفًا، فَلَمَّا أَخْرَبَ خَالِدٌ أَمْغِشِيَا، وَعَادَ أَهْلُهَا سَكَاتٍ لِدَهَاقِينَ الْقُرَى عِلْمَ الْأَزَادَةِ أَنَّهُ غَيْرُ مَتْرُوكٍ، فَأَخَذَ فِي أَمْرِهِ وَتَبَاهَى لِحَرْبِ خَالِدٍ، وَقَدَّمَ ابْنَهُ ثُمَّ خَرَجَ فِي أَثَرِهِ حَتَّى عَسَكَرَ خَارِجًا مِنَ الْحِيرَةِ، وَأَمَرَ ابْنَهُ بِسَدِّ الْفُرَاتِ، وَلَمَّا اسْتَقَلَّ خَالِدٌ مِنْ أَمْغِشِيَا وَحَمَلَ الرَّجُلَ فِي السُّفْنِ مَعَ الْإِنْفَالِ وَالْإِنْقَالِ، لَمْ يَفْجَأْ خَالِدٌ إِلَّا وَالسُّفْنُ جَوَاحُجٌ، فَارْتَاعُوا لِذَلِكَ، فَقَالَ الْمَلَا حُونَ: إِنَّ أَهْلَ فَارِسٍ جَفَرُوا الْأَنْهَارَ، فَسَلَكَ الْمَاءُ غَيْرَ طَرِيقِهِ، فَلَا يَأْتِينَا الْمَاءُ إِلَّا بِسَدِّ الْأَنْهَارِ، فَتَجَلَّلَ خَالِدٌ فِي خَيْلٍ نَحْوِ ابْنِ الْأَزَادَةِ، فَتَلَقَّاهُ عَلَى فَمِ الْعَتِيقِ خَيْلٍ مِنْ خِيَلِهِ، فَجَاهَمَ وَهُمْ أَمِنُونَ لِغَارَةِ خَالِدٍ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، فَأَنَامَهُمْ بِالْمَقَرِّ، ثُمَّ سَارَ مِنْ فُورِهِ وَسَبَقَ الْأَخْبَارُ إِلَى ابْنِ الْأَزَادَةِ حَتَّى يَلْقَاهُ وَجَدَهُ عَلَى فَمِ فُرَاتٍ بَادِقَلَى، فَاقْتَتَلُوا فَأَنَامَهُمْ، وَجَفَرُوا الْفُرَاتَ وَسَدَّ الْأَنْهَارَ وَسَلَكَ الْمَاءُ سَبِيلَهُ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ وَطْلَحَةَ، عَنِ الْمُغِيرَةِ، وَبَحْرِ عَنْ أَبِيهِ، قَالُوا وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنَا سَيْفٌ، عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي عَثْمَانَ، وَطْلَحَةَ عَنِ الْمُغِيرَةِ، قَالَا: لَمَّا أَصَابَ خَالِدُ ابْنُ الْأَزَادَةِ عَلَى فَمِ فُرَاتٍ بَادِقَلَى، قَصَدَ

لِلْحِيرَةِ، وَاسْتَلْحَقَ أَصْحَابَهُ، وَسَارَ حَتَّى يَنْزِلَ بَيْنَ الْخَوَرْتَقِ وَالنَّجَفِ، فَقَدَّمَ خَالِدٌ الْخَوَرْتَقَ، وَقَدْ قَطَعَ الْأَزَادَةُ الْفُرَاتَ هَارِبًا مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ، وَأَمَّا حَدَاةُ عَلَى الْهَرَبِ أَنَّ الْخَبَرَ وَقَعَ إِلَيْهِ بِمَوْتِ أَرْدَشِيرَ وَمُصَابِ ابْنِهِ، وَكَانَ عَسَكَرُهُ بَيْنَ الْغَرِيِّينَ وَالْقَصْرِ الْأَبْيَضِ وَلَمَّا نَتَمَّ أَصْحَابُ خَالِدٍ إِلَيْهِ بِالْخَوَرْتَقِ خَرَجَ مِنَ الْعَسْكَرِ حَتَّى يَعْسَكَرَ بِمَوْضِعِ عَسْكَرِ الْأَزَادَةِ بَيْنَ الْغَرِيِّينَ وَالْقَصْرِ الْأَبْيَضِ، وَأَهْلُ الْحِيرَةِ مُتَحَصِّنُونَ، فَأَدْخَلَ خَالِدُ الْحِيرَةَ الْخَيْلَ مِنْ عَسْكَرِهِ، وَأَمَرَ بِكُلِّ قَصْرِ رَجُلًا مِنْ قَوَادِهِ يُحَاصِرُ أَهْلَهُ وَيَقَاتِلُهُمْ، فَكَانَ ضِرَارُ بْنُ الْأَزُورِ مُحَاصِرًا الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ، وَفِيهِ إِيَّاسُ بْنُ قُبَيْصَةَ الطَّائِي، وَكَانَ ضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ مُحَاصِرًا قَصْرَ الْعَدَسِيِّينَ وَفِيهِ عَدِيُّ بْنُ عَدِيٍّ الْمَقْتُولُ، وَكَانَ ضِرَارُ بْنُ مَقْرِنٍ الْمَزْنِيُّ عَاشِرَ عَشْرَةِ إِخْوَةٍ لَهُ مُحَاصِرًا قَصْرَ بَنِي مَازِنٍ، وَفِيهِ ابْنُ أَكَّالٍ، وَكَانَ الْمُثَنَّى مُحَاصِرًا قَصْرَ ابْنِ بَقِيلَةَ وَفِيهِ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْمَسِيحِ، فَدَعَوْهُمْ جَمِيعًا، وَأَجْلَوْهُمْ يَوْمًا، فَأَبَى أَهْلُ الْحِيرَةِ وَلَجُوا، فَنَاشَهُمُ الْمُسْلِمُونَ.

حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ الْغَضَنِ بْنِ الْقَاسِمِ، رَجُلٍ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ - قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: هَكَذَا قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ وَقَالَ السَّرِيُّ فِيمَا كَتَبَ بِهِ إِلَيَّ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ الْغَضَنِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ - قَالَ: عَهْدَ خَالِدٍ إِلَى أُمَرَائِهِ أَنْ يَبْدَعُوا بِالِدَّعَاءِ، فَإِنْ قَبِلُوا قَبِلُوا مِنْهُمْ وَإِنْ أَبَوْا أَنْ يُؤْجِلُوهُمْ يَوْمًا، وَقَالَ: لَا تُمَكِّنُوا عَدُوَّكُمْ مِنْ أَدَانِكُمْ، فَيَتَرَبَّصُوا بِكُمْ الدَّوَارَ، وَلَكِنْ نَاجِزُوهُمْ وَلَا تَرُدُّوهُمُ الْمُسْلِمِينَ عَنْ قِتَالِ عَدُوِّهِمْ فَكَانَ أَوَّلُ الْقَوَادِ أَنْشَبَ الْقِتَالَ بَعْدَ يَوْمٍ أَجْلَوْهُمْ فِيهِ ضِرَارُ بْنُ الْأَزُورِ، وَكَانَ

عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ، فَأَصْبَحُوا وَهُمْ مُشْرِفُونَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى إِحْدَى ثَلَاثٍ: الْإِسْلَامَ، أَوِ الْجَزَاءَ، أَوِ الْمُنَابَذَةَ، فَاخْتَارُوا الْمُنَابَذَةَ وَتَدَاوَا: عَلَيْكُمْ الْخَزَارِيفُ، فَقَالَ ضَرَارٌ: تَخَوُّوا لَا يَنَالُكُمْ الرَّيُّ، حَتَّى نَنْظُرَ فِي الَّذِي هَتَفُوا بِهِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ امْتَلَأَ رَأْسُ الْقَصْرِ مِنْ رِجَالٍ مُتَعَلِّقِي الْمَخَالِي، يَرْمُونَ الْمُسْلِمِينَ بِالْخَزَارِيفِ - وَهِيَ الْمَدَاحِي مِنَ الْخَزَفِ - فَقَالَ ضَرَارٌ: أَرْشَقُوهُمْ، فَدَنُوا مِنْهُمْ فَرَشَقُوهُمْ بِالنَّبْلِ، فَأَعْرَوْا رُءُوسَ الْحِيطَانِ، ثُمَّ بَثُوا غَارَتَهُمْ فِيمَنْ يَلِيهِمْ، وَصَبَحَ أَمِيرُ كُلِّ قَوْمٍ أَصْحَابَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَافْتَتَحُوا الدُّورَ وَالْدِّيرَاتِ، وَأَكْثَرُوا الْقَتْلَ، فَدَادَى الْقَسِيسُونَ وَالرُّهْبَانُ: يَا أَهْلَ الْقُصُورِ، مَا يَقْتُلُنَا غَيْرُكُمْ فَدَادَى أَهْلُ الْقُصُورِ:

يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ، قَدْ قَبَلْنَا وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ، فَادْعُوا بِنَا وَكُفُّوا عَنَّا حَتَّى تَبْلُغُنَا خَالِدًا نَخْرَجَ إِيَّاسَ بْنَ قَبِيصَةَ وَأَخُوهُ إِلَى ضَرَارِ بْنِ الْأَزْوَ، وَخَرَجَ عَدِيُّ بْنُ عَدِيٍّ وَزَيْدُ بْنُ عَدِيٍّ إِلَى ضَرَارِ بْنِ الْخَطَّابِ - وَعَدِيُّ الْأَوْسَطُ الَّذِي رَثِمَهُ أُمُّهُ وَقُتِلَ يَوْمَ ذِي قَارٍ - وَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْمَسِيحِ وَابْنُ أَكَّالٍ، هَذَا إِلَى ضَرَارِ بْنِ مَقْرِنٍ، وَهَذَا إِلَى الْمُثَنَّى بْنِ حَارِثَةَ، فَأَرْسَلُوهُمْ إِلَى خَالِدٍ وَهُمْ عَلَى مَوَاقِفِهِمْ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي عَثْمَانَ، وَطَلْحَةَ عَنْ الْمُغِيرَةِ، قَالَا: كَانَ أَوَّلُ مَنْ طَلَبَ الصُّلْحَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْمَسِيحِ ابْنُ قَيْسِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ الْحَارِثِ وَهُوَ بَقِيلَةٌ - وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِقِيلَةٍ لِأَنَّهُ خَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي بُرْدَيْنِ أَخْضَرَيْنِ، فَقَالُوا: يَا حَارِ مَا أَنْتَ إِلَّا بِقِيلَةٌ خَضْرَاءُ - وَتَتَابَعُوا عَلَى ذَلِكَ، فَأَرْسَلَهُمُ الرُّؤَسَاءُ إِلَى خَالِدٍ، مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ثَقَّةٌ، لِيُصَالِحَ عَلَيْهِ أَهْلَ الْحِصْنِ، نَحْنُ خَالِدُ بْنُ أَهْلِ كُلِّ قَصْرِ مِنْهُمْ دُونَ الْآخَرِينَ، وَبَدَأَ بِأَصْحَابِ عَدِيٍّ، وَقَالَ: وَيَحْكُمُ! مَا أَنْتُمْ! أَعَرَبُ؟ فَمَا تَقْمُونَ مِنَ الْعَرَبِ! أَوْ عَجْمُ؟ فَمَا تَقْمُونَ مِنَ الْإِنصَافِ وَالْعَدْلِ! فَقَالَ لَهُ عَدِيٌّ: بَلْ عَرَبٌ عَرَبَةٌ وَأُخْرَى مُتَعَرِّبَةٌ، فَقَالَ: لَوْ كُنْتُمْ كَمَا تَقُولُونَ لَمْ تُحَادُونَا وَتَكْرَهُوا أَمْرَنَا، فَقَالَ لَهُ عَدِيٌّ: لِيُذَلِّكَ عَلَى مَا نَقُولُ أَنَّهُ لَيْسَ لَنَا لِسَانٌ إِلَّا بِالْعَرَبِيَّةِ، فَقَالَ: صَدَقْتَ وَقَالَ: اخْتَارُوا وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ:

أَنْ تَدْخُلُوا فِي دِينِنَا فَلَكُمْ مَا لَنَا وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْنَا إِنْ نَهَضْتُمْ وَهَاجَرْتُمْ

وَأِنْ أَقَمْتُمْ فِي دِيَارِكُمْ، أَوِ الْجَزْيَةَ، أَوِ الْمُنَابَذَةَ وَالْمُنَاجَزَةَ، فَقَدْ وَاللَّهِ أَتَيْتُكُمْ بِقَوْمٍ هُمْ عَلَى الْمَوْتِ أَحْرَصُ مِنْكُمْ عَلَى الْحَيَاةِ فَقَالَ: بَلْ نَعْطِيكَ الْجَزْيَةَ، فَقَالَ خَالِدٌ: تَبَّ لَكُمْ، وَيَحْكُمُ! إِنَّ الْكُفْرَ فَلَاةٌ مُضِلَّةٌ، فَاحْمَقِ الْعَرَبُ مَنْ سَلَكَهَا فَلَقِيَهُ دَلِيلَانِ: أَحَدُهُمَا عَرَبِيٌّ فَتَرَكَهُ وَاسْتَدَلَّ الْأَعْجَمِيَّ.

فَصَاحُوهُ عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ وَتَسْعِينَ أَلْفًا، وَتَتَابَعُوا عَلَى ذَلِكَ، وَأَهْدُوا لَهُ هَدَايَا، وَبَعَثَ بِالْفَتْحِ وَالْهَدَايَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مَعَ الْهَذِيلِ الْكَاهِلِيِّ، فَقَبِلَهَا أَبُو بَكْرٍ مِنَ الْجَزَاءِ، وَكَتَبَ إِلَى خَالِدٍ أَنْ أَحْسِبْ لَهُمْ هَدِيَّتَهُمْ مِنَ الْجَزَاءِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَزَاءِ، وَخَذَ بَقِيَّةَ مَا عَلَيْهِمْ فَقَوَّ بِهَا أَصْحَابَكَ: وَقَالَ ابْنُ بَقِيلَةَ:

أبعد المنذرين ارى سواما ... تروح بالخورنق والسدير!

وبعد فوارس النعمان أرمي ... قلو صا بين مرة والخفير

فصرنا بعد هلك أبي قبيس ... كجرب المعز في اليوم المطير

تقسما القبائل من معد ... علانية كأيسار الجزور

وكنا لا يرام لنا حريم ... فحن كضرة الضرع الفخور

نؤدي الخرج بعد خراج كسرى ... وخرج من قريظة والنضير

كذاك الدهر دولته سجال ... فيوم من مساءه او سرور

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الغضن بن القاسم عن رجل من بني كنانة، ويونس بن أبي إسحاق بنحو منه، وقالوا: فكانوا يختلِفون إليه ويقدمون في حوائجهم عمرو بن عبد المسيح، فقال له خالد: كم أتت عليك من السنين قال: مئو سنين، قال: فما

أَعْجَبُ مَا رَأَيْتَ؟

قَالَ: رَأَيْتُ الْقُرَى مَنْظُومَةً مَا بَيْنَ دِمَشْقَ وَالْحِيرَةِ، تَخْرُجُ الْمَرْأَةُ مِنَ الْحِيرَةِ فَلَا تَزُودُ إِلَّا رَغِيْفًا فَتَبْسَمُ خَالِدٌ، وَقَالَ:

هَلْ لَكَ مِنْ شَيْخِكَ إِلَّا عَمَلُهُ

خَرِفَتْ وَاللَّهِ يَا عَمْرُو! ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَهْلِ الْحِيرَةِ فَقَالَ: أَلَمْ يَبْلُغْنِي أَنْكُمْ خَبَثَةُ خَدَعَةٍ مَكْرَةٍ! فَمَا لَكُمْ تَتَنَاولُونَ حَوَائِجَكُمْ بِخَرْفٍ لَا يُدْرَى مِنْ أَيْنَ جَاءَ! فَتَجَاهِلُ لَهُ عَمْرُو، وَأَحَبُّ أَنْ يُرِيَهُ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَعْرِفُ بِهِ عَقْلُهُ، وَيَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى صِحَّةِ مَا حَدَّثَهُ بِهِ، فَقَالَ: وَحَقَّ أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنِّي لَأَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ جِئْتُ؟ قَالَ: فَمِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟ قَالَ: أَقْرَبُ أَمْ أَبْعَدُ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، قَالَ: مِنْ بَطْنِ أُمِّي، قَالَ: فَأَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُمَامِي، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ:

الْآخِرَةَ قَالَ: فَمِنْ أَيْنَ أَقْصَى أَثْرُكَ؟ قَالَ: مِنْ صُلْبِ أَبِي، قَالَ: فَفِيمَ أَنْتَ؟

قَالَ: فِي ثِيَابِي، قَالَ: أَتَعْقِلُ؟ قَالَ: إِي وَاللَّهِ وَأَقِيدُ قَالَ: فَوَجَدَهُ حِينَ فَرَهُ عَضًا، وَكَانَ أَهْلُ قَرْيَتِهِ أَعْلَمَ بِهِ- فَقَالَ خَالِدٌ: قَتَلْتُ أَرْضَ جَاهِلِيَّهَا، وَقَتْلُ أَرْضًا عَالِمِيَّهَا، وَالْقَوْمُ أَعْلَمُ بِمَا فِيهِمْ فَقَالَ عَمْرُو: أَيُّهَا الْأَمِيرُ التَّمْلَةُ أَعْلَمُ بِمَا فِي بَيْتِهَا مِنَ الْجَمَلِ بِمَا فِي بَيْتِ التَّمْلَةِ وَشَارَكَهُمْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي السَّفَرِ، عَنْ ذِي الْجَوْشَنِ الضَّبَّائِي، وَأَمَّا الزُّهْرِيُّ فَإِنَّهُ حَدَّثَنَا بِهِ، فَقَالَ: شَارَكَهُمْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ رَجُلٌ مِنَ الضَّبَّابِ.

قَالُوا: وَكَانَ مَعَ ابْنِ بَقِيلَةَ مَنْصُفٌ لَهُ فُلَعْلَقٌ كَيْسًا فِي حَقْوِهِ، فَتَنَاولَ خَالِدُ الْكَيْسَ، وَنَثَرَ مَا فِيهِ فِي رَاحَتِهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا عَمْرُو؟ قَالَ: هَذَا وَأَمَانَةُ اللَّهِ سَمُ سَاعَةٍ، قَالَ: لَمْ تَحْتَقِبِ السَّمَ؟ قَالَ: خَشِيتُ أَنْ تَكُونُوا عَلَى غَيْرِ مَا رَأَيْتُ، وَقَدْ أَتَيْتُ عَلَى أَجَلِي، وَالْمَوْتُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَكْرُوهِ أَدْخَلَهُ عَلَى قَوْمِي وَأَهْلِ قَرْيَتِي فَقَالَ خَالِدٌ: إِنِّهَا لَنْ تَمُوتَ نَفْسُ حَتَّى تَأْتِيَ عَلَى أَجَلِهَا، وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ خَيْرِ الْأَسْمَاءِ، رَبِّ الْأَرْضِ وَرَبِّ السَّمَاءِ، الَّذِي لَيْسَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ دَاءٌ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ فَاهْوُوا إِلَيْهِ لِيُنْعُوهُ مِنْهُ، وَبَادَرَهُمْ فَابْتَلَعَهُ، فَقَالَ عَمْرُو: وَاللَّهِ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ تَلْمُكُنَّ مَا أَرَدْتُمْ مَا دَامَ مِنْكُمْ أَحَدٌ أَيُّهَا الْقَرْنُ وَأَقْبَلَ عَلَى أَهْلِ الْحِيرَةِ، فَقَالَ: لَمْ أَرْ كَالْيَوْمِ أَمْرًا أَوْضَحَ إِقْبَالًا!

وَأَبَى خَالِدٌ أَنْ يَكْتَابَهُمْ إِلَّا عَلَى إِسْلَامٍ كَرَامَةٍ بِنْتُ عَبْدِ الْمَسِيحِ إِلَى شُوَيْلٍ، فَتَقَلَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَتْ: هَوِّنُوا عَلَيْكُمْ وَأَسْلِمُونِي، فَإِنِّي سَافِقْدِي.

فَفَعَلُوا، وَكَتَبَ خَالِدٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كِتَابًا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا عَاهَدَ عَلَيْهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَدِيًّا وَعَمْرًا ابْنَيْ عَدِيٍّ، وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْمَسِيحِ وَإِيَّاسَ بْنَ قَيْصَةَ وَحَيْرِيَّ بْنَ أَكَّالٍ- وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: جَبْرِي- وَهُمْ نَقَبَاءُ أَهْلِ الْحِيرَةِ، وَرَضِيَ بِذَلِكَ أَهْلُ الْحِيرَةِ، وَأَمْرُوهُمْ بِهِ- عَاهَدَهُمْ عَلَى تِسْعِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ، تُقْبَلُ فِي كُلِّ سَنَةٍ جَزَاءً عَنْ أَيْدِيهِمْ فِي الدُّنْيَا، رُهْبَانِهِمْ وَقِسِيْسِهِمْ، إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ عَلَى غَيْرِ ذِي يَدٍ، حَبِيسًا عَنِ الدُّنْيَا، تَارِكًا لَهَا- وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: إِلَّا مَنْ كَانَ غَيْرِ ذِي يَدٍ حَبِيسًا عَنِ الدُّنْيَا، تَارِكًا لَهَا- أَوْ سَاحِجًا تَارِكًا لِلدُّنْيَا، وَعَلَى الْمُنْعَةِ، فَإِنْ لَمْ يَمْنَعَهُمْ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَمْنَعَهُمْ، وَإِنْ غَدَرُوا بِفِعْلٍ أَوْ بِقَوْلٍ فَالْدِّمَةُ مِنْهُمْ بَرِيَّةٌ وَكُتِبَ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وَدَفَعَ الْكِتَابَ إِلَيْهِمْ. فَلَمَّا كَفَرَ أَهْلُ السَّوَادِ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي بَكْرٍ اسْتَخَفُّوا بِالْكِتَابِ، وَضِعُّوهُ، وَكَفَرُوا فِيمَنْ كَفَرَ، وَغَلَبَ عَلَيْهِمْ أَهْلُ فَارِسَ، فَلَمَّا افْتَتَحَ الْمُشَنَّى ثَانِيَةً، أَذَلُّوا بِذَلِكَ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ إِلَيْهِ، وَعَادَ بِشَرِّ آخَرٍ، فَلَمَّا غَلَبَ الْمُشَنَّى عَلَى الْبِلَادِ كَفَرُوا وَأَعَانُوا وَاسْتَخَفُّوا وَأَضَاعُوا الْكِتَابَ فَلَمَّا افْتَتَحَهَا سَعْدٌ، وَأَذَلُّوا بِذَلِكَ سَأَلَهُمْ وَاحِدًا مِنَ الشَّرْطِيِّينَ، فَلَمْ يَجِئُوا بِهِمَا، فَوَضَعَ عَلَيْهِمْ وَتَحَرَّى مَا يَرَى أَنَّهُمْ مُطَبِقُونَ، فَوَضَعَ عَلَيْهِمْ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفٍ سِوَى الْحَزْزَةِ- قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: سِوَى الْخُرْزَةِ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، عَنْ سَيْفٍ- وَالسَّرِيِّ، عَنْ

شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ - عَنْ الغصن بن القاسم الكِنَافِيِّ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي كَثَّانَةَ وَيُونُسَ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَا: كَانَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ إِلَى الشَّامِ، فَاسْتَأْذَنَ خَالِدًا إِلَى أَبِي بَكْرٍ لِيَكْلَهُ فِي قَوْمِهِ وَلِيَجْمَعَهُمْ لَهُ، وَكَانُوا أَوْزَاعًا فِي الْعَرَبِ، وَلِيَتَخَلَّصَهُمْ، فَأَذِنَ لَهُ، فَقَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَذَكَرَ لَهُ عِدَّةً مِنَ النَّبِيِّ ص وَأَتَاهُ عَلَى الْعِدَّةِ بِشُهُودٍ، وَسَأَلَهُ أَنْجَازَ ذَلِكَ، فَغَضِبَ أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ لَهُ: تَرَى شُغْلَنَا وَمَا نَحْنُ فِيهِ بِغَوْثِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ بِإِزَائِهِمْ مِنَ الْأَسَدِينَ فَارِسَ وَالرُّومَ، ثُمَّ أَنْتَ تُكَلِّفُنِي التَّشَاغُلَ بِمَا لَا يُغْنِي عَمَّا هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ! دَعْنِي وَسِرْ نَحْوَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَحْكُمُ اللَّهُ فِي هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ.

فَسَارَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى خَالِدٍ وَهُوَ بِالْحِيرَةِ، وَلَمْ يَشْهَدْ شَيْئًا مِمَّا كَانَ بِالْعِرَاقِ إِلَّا مَا كَانَ بَعْدَ الْحِيرَةِ، وَلَا شَيْئًا مِمَّا كَانَ خَالِدٌ فِيهِ مِنْ أَهْلِ الرِّدَّةِ وَقَالَ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو فِي أَيَّامِ الْحِيرَةِ:

سَقَى اللَّهُ قَتْلَى بِالْفَرَاتِ مُقِيمَةً ... وَأُخْرَى بِأَبْجَاجِ النَّجَافِ الْكُوفِ
فَنَحْنُ وَطَنُنَا بِالْكُوفِ هَرَمْرَمًا ... وَبِالنَّيِّ قَرْنِي قَارِنِ بِالْجَوَارِفِ
وَيَوْمَ أَحَطْنَا بِالْقُصُورِ نَتَابَعَتْ ... عَلَى الْحِيرَةِ الرُّوحَاءُ إِحْدَى الْمَصَارِفِ
حَطَطْنَا مِنْهَا وَقَدْ كَادَ عَرْشُهُمْ ... يَمِيلُ بِهِمْ، فِعَلَ الْجَبَّانِ الْمُخَالِفِ
رَمِينًا عَلَيْهِمُ بِالْقُبُولِ وَقَدْ رَأَوْا ... غُبُوقَ الْمَنَآيَا حَوْلَ تِلْكَ الْمَحَارِفِ
صَبِيحَةً قَالُوا نَحْنُ قَوْمٌ تَزَلُّوا ... إِلَى الرَّيْفِ مِنْ أَرْضِ الْعُرَيْبِ الْمُقَانِفِ
خبر ما بعد الحيرة

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ الزُّهْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ جَمِيلِ الطَّائِي، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا أُعْطِيَ شُوَيْلٌ كَرَامَةَ ابْنَتِ عَبْدِ الْمَسِيحِ

قُلْتُ لِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: أَلَا تَعْجَبُ مِنْ مَسْأَلَةِ شُوَيْلٍ كَرَامَةَ ابْنَتِ عَبْدِ الْمَسِيحِ عَلَى ضَعْفِهِ! قَالَ: كَانَ يَهْرَفُ بِهَا دَهْرُهُ، قَالَ: [وذلك اني لما سمعت رسول الله ص يذكر ما رُفِعَ لَهُ مِنَ الْبُلْدَانِ، فَذَكَرَ الْحِيرَةَ فِيمَا رُفِعَ لَهُ، وَكَأَنَّ شَرْفَ قُصُورِهَا أَضْرَاسُ الْكِلَابِ،] عَرَفْتُ أَنَّ قَدْ أَرِيهَا، وَأَنَّهَا سَتَفْتَحُ، فَلَقِيْتَهُ مَسْأَلَتَهَا.

وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، عَنْ سَيْفٍ، قَالَ: قَالَ لِي عَمْرُو وَالمُجَالِدُ، عَنِ الشَّعْبِيِّ - وَالسَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ الْمُجَالِدِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ - قَالَ: [لَمَّا قَدِمَ شُوَيْلٌ إِلَى خَالِدٍ، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَذْكُرُ فَتَحَ الْحِيرَةَ، فَسَأَلْتُهُ كَرَامَةً، فَقَالَ: هِيَ لَكَ إِذَا فَتَحْتَ عَنُوةً] وَشَهِدَ لَهُ بِذَلِكَ، وَعَلَى ذَلِكَ صَالِحُهُمْ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، فَاسْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهَا وَأَهْلِ قَرْيَتِهَا مَا وَقَعَتْ فِيهِ، وَأَعْظَمُوا الْخَطَرَ، فَقَالَتْ: لَا تَخْطُرُوهُ، وَلَكِنْ اصْبِرُوا، مَا تَخَافُونَ عَلَى امْرَأَةٍ بَلَغَتْ ثَمَانِينَ سَنَةً! فَإِنَّمَا هَذَا رَجُلٌ أَحْمَقُ رَأَيْتُ فِي شَبِيبَتِي فَظَنُّ أَنَّ الشَّبَابَ يَدُومُ.

فَدَفَعُوهَا إِلَى خَالِدٍ، فَدَفَعَهَا خَالِدٌ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: مَا أَرَبُكَ إِلَى عَجُوزٍ كَمَا تَرَى! فَادْنِ، قَالَ: لَا، إِلَّا عَلَى حُكْمِي، قَالَتْ: فَلَكِ حُكْمُكَ مُرْسَلًا فَقَالَ: لَسْتُ لِأُمِّ شُوَيْلٍ أَنْ نَقْصُتُكَ مِنْ أَلْفِ دِرْهَمٍ! فَاسْتَكْثَرَتْ ذَلِكَ لِتَخْذَعَهُ، ثُمَّ أَتَتْهُ بِهَا فَرَجَعَتْ إِلَى أَهْلِهَا، فَتَسَامَعَ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَعَنَّفُوهُ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ عَدَدًا يَزِيدُ عَلَى أَلْفٍ! فَأَبَوْا عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يُخَاصِمَهُمْ نِفَاصِمَهُمْ، فَقَالَ: كَانَتْ نَيْتِي غَايَةَ الْعَدَدِ، وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ الْعَدَدَ يَزِيدُ عَلَى أَلْفٍ، فَقَالَ خَالِدٌ: أَرَدْتُ أَمْرًا وَأَرَادَ اللَّهُ غَيْرَهُ، نَأْخُذُ بِمَا يَظْهَرُ وَنَدَعُكَ وَنَيْتَكَ، كَاذِبًا كُنْتُ أَوْ صَادِقًا.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرٍو، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: لَمَّا فَتَحَ خَالِدُ الْحِيرَةَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَتْحِ ثَمَانِي رَكَعَاتٍ لَا يُسَلِّمُ

فِيهِمْ، ثُمَّ انْصَرَفَ، وَقَالَ: لَقَدْ قَاتَلْتُ يَوْمَ مُؤْتَةَ فَانْقَطَعَ فِي يَدِي تِسْعُهُ

أَسْيَافٍ، وَمَا لَقِيتُ قَوْمًا كَقَوْمِ لَقِيَتُهُمْ مِنْ أَهْلِ فَارَسَ، وَمَا لَقِيتُ مِنْ أَهْلِ فَارَسَ قَوْمًا كَأَهْلِ أَلَيْسَ! حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرٍو وَالْمُجَالِدِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: صَلَّى خَالِدٌ صَلَاةَ الْفَتْحِ، ثُمَّ انْصَرَفَ ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَ حَدِيثِ السَّرِيِّ.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثني عمي، عن سيف- والسري، عن شعيب، عن سيف- عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم- وكان قدِمَ مع جرير على خالد- قال: أتينا خالدًا بالحيرة وهو متوشح قد شد ثوبه في عنقه يصلي فيه وحده، ثم انصرف، فقال: اندق في يدي تسعة أسياف يوم مؤتة، ثم صبرت في يدي صفيحة يمانية، فما زالت معي.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثني عمي، عن سيف، عن محمد بن عبد الله عن أبي عثمان وطلحة بن الأعلم عن المغيرة بن عتبة والغصن ابن القاسم، عن رجل من بني كنانة وسفيان الأحمري عن ماهان، قال:

وَلَمَّا صَالَحَ أَهْلُ الْحِيرَةِ خَالِدًا خَرَجَ صَلُوبًا بْنُ نَسْطُونًا صَاحِبُ قِسِّ النَّاطِفِ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَالِدٍ عَسْكَرَهُ، فَصَالَحَهُ عَلَى بَانِقِيَا وَبِسْمَا، وَضَمَّنَ لَهُ مَا عَلَيْهِمَا وَعَلَى أَرْضَيْهِمَا مِنْ شَاطِئِ الْفُرَاتِ جَمِيعًا، وَاعْتَقَدَ لِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَقَوْمِهِ عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ دِينَارٍ سِوَى الْخُرْزَةِ، خُرْزَةٍ كَسَرَى، وَكَانَتْ عَلَى كُلِّ رَأْسٍ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمٍ، وَكَتَبَ لَهُمْ كِتَابًا فَتَمَوْا وَتَمَّ، وَلَمْ يَتَعَلَّقْ عَلَيْهِ فِي حَالِ غَلْبَةِ فَارَسَ بَغْدَرْ، وَشَارَكَهُمُ الْمُجَالِدُ فِي الْكِتَابِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ لَصَلُوبًا بْنُ نَسْطُونًا وَقَوْمِهِ، إِنِّي عَاهَدْتُكُمْ عَلَى الْجَزِيَةِ وَالْمَنْعَةِ، عَلَى كُلِّ ذِي يَدٍ، بَانِقِيَا وَبِسْمَا جَمِيعًا، عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ دِينَارٍ سِوَى الْخُرْزَةِ، الْقَوَى عَلَى

قَدْرِ قُوَّتِهِ، وَالْمُقْلُ عَلَى قَدْرِ إِقْلَالِهِ، فِي كُلِّ سَنَةٍ وَإِنَّكَ قَدْ نَقَبْتَ عَلَى قَوْمِكَ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ رَضُوا بِكَ، وَقَدْ قَبِلْتُ وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَرَضِيْتُ وَرَضِي قَوْمَكَ، فَلَكَ الذِّمَّةُ وَالْمَنْعَةُ، فَإِنْ مَنَعْنَاكُمْ فَلَنَا الْجَزِيَّةُ، وَإِلَّا فَلَا حَتَّى تَمْنَعَكُمْ شَهْدَ هِشَامِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَالْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو، وَجَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَمِيرِيُّ، وَحَنْظَلَةُ بْنُ الرَّيِّعِ وَكَتَبَ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ فِي صَفَرٍ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ ابْنِ أَبِي مَكْنَفٍ، وَطَلْحَةَ عَنِ الْمُغِيرَةِ، وَسُفْيَانَ عَنْ مَاهَانَ وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، وَطَلْحَةَ عَنِ الْمُغِيرَةِ، قَالَ: كَانَ الدَّهَّاقُ يُتَرَبِّصُونَ بِخَالِدٍ وَيَنْظُرُونَ مَا يَصْنَعُ أَهْلُ الْحِيرَةِ فَلَمَّا اسْتَقَامَ مَا بَيْنَ أَهْلِ الْحِيرَةِ وَبَيْنَ خَالِدٍ، وَاسْتَقَامُوا لَهُ أَنَّهُ دَهَّاقِينَ الْمُلْطَاطِينَ، وَأَتَاهُ زَادُ بْنُ بَهْشٍ دَهْقَانُ فُرَاتٍ سَرِيًّا، وَصَلُوبًا بْنُ نَسْطُونًا بِبَصْبَرَى- هَكَذَا فِي حَدِيثِ السَّرِيِّ، وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: صَلُوبًا بْنُ نَسْطُونًا بِبَصْبَرَى- هَكَذَا فِي حَدِيثِ السَّرِيِّ، وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: صَلُوبًا بْنُ بَصْبَرَى وَنَسْطُونًا- فَصَالَحُوهُ عَلَى مَا بَيْنَ الْفَلَاحِ إِلَى هَرْمَزٍ جَرْدَ عَلَى الْفِي أَلْفٍ- وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ فِي حَدِيثِهِ: عَلَى أَلْفٍ أَلْفٍ ثَقِيلٍ- وَأَنَّ لِلْمُسْلِمِينَ مَا كَانَ لآلِ كَسَرَى وَمَنْ مَالَ مَعَهُمْ عَنِ الْمَقَامِ فِي دَارِهِ فَلَمْ يَدْخُلْ فِي الصُّلْحِ وَضَرَبَ خَالِدٌ رِوَاقَهُ فِي عَسْكَرِهِ، وَكَتَبَ لَهُمْ كِتَابًا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ لَزَادُ بْنُ بَهْشٍ وَصَلُوبًا بْنُ نَسْطُونًا، لَكُمْ الذِّمَّةُ وَعَلَيْكُمْ الْجَزِيَّةُ، وَأَنْتُمْ ضَامِنُونَ لِمَنْ نَقَبْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْبَهْقَبَازِ الْأَسْفَلِ وَالْأَوْسَطِ- وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: وَأَنْتُمْ ضَامِنُونَ جَزِيَّةً مَنْ نَقَبْتُمْ عَلَيْهِ- عَلَى الْفِي أَلْفٍ ثَقِيلٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ، عَنْ كُلِّ ذِي يَدٍ سِوَى مَا عَلَى بَانِقِيَا وَبِسْمَا وَأَنْتُمْ قَدْ أَرْضَيْتُمُونِي وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا قَدْ أَرْضَيْنَاكُمْ وَأَهْلَ الْبَهْقَبَازِ

الْأَسْفَلِ، وَمَنْ دَخَلَ مَعَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَهْقَبَازِ الْأَوْسَطِ عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَيْسَ فِيهَا مَا كَانَ لآلِ كَسَرَى وَمَنْ مَالَ مِلَهُمْ شَهْدَ هِشَامِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَالْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو، وَجَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَمِيرِيُّ، وَبَشِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْخَصَّاصِيَّةِ، وَحَنْظَلَةُ بْنُ الرَّيِّعِ وَكَتَبَ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ

فِي صَفَرٍ وَبَعَثَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عُمَّالَهُ وَمَسَاحِلَهُ، فَبَعَثَ فِي الْعِمَالَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ وَثِيئَةَ النَّصْرِيَّ، فَنَزَلَ فِي أَعْلَى الْعَمَلِ بِالْفَلَايِجِ عَلَى الْمُنْعَةِ وَقَبْضِ الْجَزْيَةِ، وَجَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى بَانِقِيَا وَبَسْمَا، وَبَشِيرَ بْنَ الْخَصَاصِيَّةِ عَلَى النَّهْرَيْنِ فَنَزَلَ الْكُوفِيَّةَ بِبَانُورَا، وَسُوَيْدَ بْنَ مَقْرَنَ الْمَزْنِي إِلَى نَسْتَرٍ، فَنَزَلَ الْعَقْرَ - فَهِيَ تَسْمَى عَقْرَ سُوَيْدٍ إِلَى الْيَوْمِ، وَلَيْسَتْ بِسُوَيْدٍ الْمُنْقَرِي سَمِيَتْ - وَأَطَى بْنُ أَبِي أَطَى إِلَى رُوْدْمَسْتَانَ، فَنَزَلَ مِنْزِلًا عَلَى نَهْرٍ سَمِيَ ذَلِكَ النَّهْرُ بِهِ - وَيُقَالُ لَهُ:

نَهْرُ أَطَى إِلَى الْيَوْمِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاةَ، فَهَؤُلَاءِ كَانُوا عُمَّالَ الْخُرَاجِ زَمَنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ.

وَكَانَتْ الثُّغُورُ فِي زَمَنِ خَالِدٍ بِالسَّيْبِ، بَعَثَ ضَرَارَ بْنَ الْأَزُورِ وَضَرَارَ ابْنَ الْخَطَّابِ وَالْمُثَنَّى بْنَ حَارِثَةَ وَضَرَارَ بْنَ مُقَرِّنٍ وَالْقَعْقَاعَ بْنَ عَمْرِو وَبَسْرَ بْنَ أَبِي رَهْمٍ وَعُتَيْبَةَ بْنَ النَّهَّاسِ، فَنَزَلُوا عَلَى السَّيْبِ فِي عَرْضِ سُلْطَانِهِ فَهَؤُلَاءِ أُمَرَاءُ ثُغُورِ خَالِدٍ وَأَمْرُهُمْ خَالِدٌ بِالْغَارَةِ وَالْإِلْحَاجِ، فَخَرُّوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ إِلَى شَاطِئِ دِجْلَةٍ.

قَالُوا: وَلِمَا غَلَبَ خَالِدٌ عَلَى أَحَدِ جَانِبِي السَّوَادِ، دَعَا مِنْ أَهْلِ الْحَيْرَةِ بَرَجُلًا، وَكَتَبَ مَعَهُ إِلَى أَهْلِ فَارَسَ وَهُمْ بِالْمَدَائِنِ مُخْتَلِفُونَ مُتَسَانِدُونَ لِمَوْتِ أَرْدَشِيرَ، إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ أَنْزَلُوا بِهِمْ جَاذُوِيَه بِهَرَسِيرَ، وَكَانَهُ عَلَى الْمَقْدَمَةِ، وَمَعَ بِهِمْ جَاذُوِيَه الْآزَاذِبَةَ فِي أَشْبَاهٍ لَهُ، وَدَعَا صَلُوبًا بَرَجُلًا، وَكَتَبَ مَعَهُمَا كِتَابَيْنِ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فِإِلَى الْخَاصَةِ وَأَمَّا الْآخَرُ فِإِلَى الْعَامَةِ، أَحَدُهُمَا حِيرِيٌّ وَالْآخَرُ نَبْطِيٌّ.

وَلَمَّا قَالَ خَالِدٌ لِرَسُولِ أَهْلِ الْحَيْرَةِ: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: مُرَّةٌ، قَالَ: خُذْ

الْكِتَابَ فَأَتِ بِهِ أَهْلَ فَارَسَ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرَّ عَلَيْهِمْ عَيْشُهُمْ، أَوْ يُسَلِّهُوا، أَوْ يُنَبِّهُوا وَقَالَ لِرَسُولِ صَلُوبَا: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: هَزْقِيلُ، قَالَ: خُذْ الْكِتَابَ.

وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَزْهِقْ نَفْسَهُمْ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مَجَالِدٍ وَغَيْرِهِ، بِمِثْلِهِ. وَالْكِتَابَانِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى مُلُوكِ فَارَسَ، أَمَّا بَعْدُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَلَّ نِظَامَكُمْ، وَوَهَنَ كَيْدُكُمْ، وَفَرَّقَ كَلِمَتَكُمْ، وَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ بِكُمْ كَانَ شَرًّا لَكُمْ، فَادْخُلُوا فِي أَمْرِنَا نَدْعُكُمْ وَأَرْضَكُمْ، وَنُجَوِّزُكُمْ إِلَى غَيْرِكُمْ، وَإِلَّا كَانَ ذَلِكَ وَأَنْتُمْ كَارِهُونَ عَلَى غَلَبِ، عَلَى أَيْدِي قَوْمٍ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ كَمَا يُحِبُّونَ الْحَيَاةَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى مَرَاذِبَةِ فَارَسَ، أَمَّا بَعْدُ فَاسْلُهُوا تَسْلَهُوا، وَإِلَّا فَاعْتَقِدُوا مِنِّي الذِّمَّةَ، وَأَدُّوا الْجَزْيَةَ، وَإِلَّا فَقَدْ جِئْتُكُمْ بِقَوْمٍ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ، كَمَا يُحِبُّونَ شَرْبَ الْخَمْرِ.

حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ نُورِيَّةَ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ وَالسَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ وَالْمَهْلَبِ بْنِ عَقْبَةَ وَزِيَادَ بْنَ سَرْجَسَ، عَنْ سِيَاهِ وَسَفْيَانَ الْأَحْمَرِيِّ، عَنْ مَاهَانَ: أَنَّ الْخُرَاجَ جِي إِلَى خَالِدٍ فِي خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ الَّذِينَ ضَمَنُوهُ وَالَّذِينَ هُمْ رءُوسُ الرِّسَالَتِ رَهْنَا فِي يَدِهِ، فَأَعْطَى ذَلِكَ كُلَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَقَوُوا بِهِ عَلَى أُمُورِهِمْ وَكَانَ أَهْلُ فَارَسَ بِمَوْتِ أَرْدَشِيرِ مُخْتَلِفِينَ فِي الْمَلِكِ، مُجْتَمِعِينَ عَلَى قِتَالِ خَالِدٍ، مُتَسَانِدِينَ، وَكَانُوا بِذَلِكَ سَنَةً، وَالْمُسْلِمُونَ يَخْرُونَ مَا دُونَ دِجْلَةٍ، وَلَيْسَ لِأَهْلِ فَارَسَ فِيمَا بَيْنَ الْحَيْرَةِ وَدِجْلَةٍ أَمْرٌ، وَلَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ ذِمَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ كَاتَبُوهُ وَكَاتَبُوا مِنْهُ، وَسَائِرُ أَهْلِ السَّوَادِ جَلَاءَ، وَمُتَحَصِّنُونَ، وَمُحَارِبُونَ وَكَاتَبَ عَمَالَ الْخُرَاجِ، وَكَتَبُوا الْبَرَاءَاتِ لِأَهْلِ الْخُرَاجِ، مِنْ نَسْخَةِ وَاحِدَةٍ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بَرَاءَةٌ لِمَنْ كَانَ مِنْ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْجَزْيَةِ الَّتِي صَالِحُهُمْ عَلَيْهَا الْأَمِيرُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَقَدْ قَبِضَتْ الَّتِي صَالِحُهُمْ عَلَيْهِ خَالِدٌ، وَخَالِدٌ وَالْمُسْلِمُونَ لَكُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ بَدَلَ صِلَاحَ خَالِدٍ، مَا أَقْرَرْتُمْ بِالْجَزْيَةِ وَكَفَفْتُمْ أَمَانَكُمْ أَمَانًا، وَصَلَحَكُمْ صِلَاحًا، نَحْنُ لَكُمْ عَلَى الْوَفَاءِ

وأشهدوا لهم النفر من الصحابة الذين كان خالد أشدهم: هشاما، والقعقاع، وجابر بن طارق، وجرياء، وبشيرا، وحنظلة، وأزاداء، والحجاج بن ذي العنق، ومالك بن زيد.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثني عمي، عن سيف، عن عطية بن الحارث، عن عبد خير، قال: وخرج خالد وقد كتب أهل الحيرة عنه كتابا: إنا قد أدينا الجزية التي عاهدنا عليها خالد العبد الصالح والمسلمون عباد الله الصالحون، على أن يمنعونا وأميرهم البغي من المسلمين وغيرهم.

وأما السري، فإنه قال في كتابه إلي: حدثنا شعيب، عن سيف، عن عطية بن الحارث، عن عبد خير، عن هشام بن الوليد، قال: فرغ خالد.

ثم سائر الحديث مثل حديث عبيد الله بن سعد.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثني عمي، عن سيف- والسري، عن شعيب عن سيف- عن عبد العزيز بن سياه، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ابن الهذيل الكاهلي نحوه منه، قالوا: وأمر الرسولين اللذين بعثهما أن يوافياه بالخبر، وأقام خالد في عمله سنة، ومنزله الحيرة، يصعد ويصوب قبل خروجه إلى الشام، وأهل فارس يخلعون ويملكون، ليس إلا الدفع عن بهر سير، وذلك أن شيرى بن كسرى قتل كل من كان يناسبه إلى كسرى بن قباد، ووثب أهل فارس بعده وبعد أردشير ابنه، فقتلوا كل من بين كسرى بن قباد وبين بهرام جور، فبقوا لا يقدر على من يملكونه ممن يجتمعون عليه.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثني عمي، قال: حدثني سيف، عن عمرو والمجاد، عن الشعبي، قال: أقام خالد بن الوليد فيما بين فتح الحيرة إلى خروجه إلى الشام أكثر من سنة، يعالج عمل عياض الذي سمي له، وقال خالد للمسلمين: لولا ما عهد إلي الخليفة لم أتقذ عياضا، وكان قد شجى وأشجى بدومة، وما كان دون فتح فارس شيئا، إنها لسنة كأنها سنة نساء وكان عهد إليه ألا يقتحم عليهم وخلفه نظام لهم وكان بالعين عسكر لفارس وبالأنبار آخر وبالفراض آخر ولما وقعت كتب خالد إلى أهل المدائن تكلم نساء آل كسرى، فولي الفرخزاد بن البندوان إلى أن يجتمع آل كسرى على رجل إن وجدوه.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن عبد الله عن أبي عثمان، وطلحة عن المغيرة، والمهلب عن سياه، وسفيان عن ماهان، قالوا: كان أبو بكر رحمه الله قد عهد إلى خالد أن يأتي العراق من أسفل منها، وإلى عياض أن يأتي العراق من فوقها، وأيكما سبق إلى الحيرة فهو أمير على الحيرة، فإذا اجتمعتا بالحيرة إن شاء الله وقد فضضتما مسالح ما بين العرب وفارس وأمنتم أن يؤتى المسلمون من خلفهم فليقم بالحيرة أحدهما، وليقتحم الآخر على القوم، وجالدهم عما في أيديهم، واستعينوا بالله واتقوه، وأثروا أمر الآخرة على الدنيا يجتمعا لكم، ولا تؤثروا الدنيا فتسلبوهما.

واحدروا ما حذركم الله بترك المعاصي ومعالجة التوبة، وإياكم والإصرار وتأخير التوبة.

فأتى خالد على ما كان أمر به، ونزل الحيرة، واستقام له ما بين الفلاليح إلى أسفل السواد، وفرق سواد الحيرة يومئذ على جرير بن عبد الله الحميري.

وبشير بن الخصاصية، وخالد بن الواثمة، وابن ذي العنق، وأط، وسويد وضار، وفرق سواد الأبله على سويد بن مقرن، وحسكة الحبطي، والحصين بن أبي الحر، وريعة بن عسل، وأقر المسالح على ثغورهم،

٣٠٦٠٨ حديث الأنبار - وهي ذات العيون - وذكر كلواذى

وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْحِيرَةِ الْقَعْقَاعَ بْنَ عَمْرٍو وَخَرَجَ خَالِدٌ فِي عَمَلٍ عِيَاضٍ لِيَقْضِيَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَلَا غَاثَةَ، فَسَلَكَ الْفُلُوحَةَ حَتَّى نَزَلَ بِكَرْبَلَاءَ وَعَلَى مَسَلَحَتِهَا عَاصِمُ بْنُ عَمْرٍو، وَعَلَى مُقَدِّمَةِ خَالِدٍ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، لِأَنَّ الْمُثَنَّى كَانَ عَلَى ثَغْرٍ مِنَ الثُّغُورِ الَّتِي تَلِي الْمَدَائِنَ، فَكَانُوا يُغَاوِرُونَ أَهْلَ فَارِسَ، وَيَنْتَهُونَ إِلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ قَبْلَ خُرُوجِ خَالِدٍ مِنَ الْحِيرَةِ وَبَعْدَ خُرُوجِهِ فِي إِغَاثَةِ عِيَاضٍ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي رَوْحٍ، عَنْ شَهْدِهِمْ بِمِثْلِهِ، إِلَى أَنْ قَالَ: وَأَقَامَ خَالِدٌ عَلَى كَرْبَلَاءَ أَيَّامًا، وَشَكَاَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَثِيئَةَ الذُّبَابِ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: اصْبِرْ فَإِنِّي إِذَا أَرِيدُ أَنْ أَسْتَفْرِغَ الْمَسَالِحَ الَّتِي أَمَرَهَا بِهَا عِيَاضُ فَتُسَكِّنَهَا الْعَرَبُ، فَتَأْمَنُ جُنُودُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُؤْتُوا مِنْ خَلْفِهِمْ، وَنَجِينَا الْعَرَبُ أَمْنَةً وَغَيْرَ مُتَعَتَّةٍ، وَبِذَلِكَ أَمَرْنَا الْخَلِيفَةَ، وَرَأَيْهِ يَعْدِلُ نَجْدَةَ الْأُمَّةِ وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَتْبَعِ فِيمَا حَكَى ابْنُ وَثِيئَةَ:

لَقَدْ حُبِسْتُ فِي كَرْبَلَاءَ مَطِيئِي ... وَفِي الْعَيْنِ حَتَّى عَادَ غُثَا سَمِينِهَا

إِذَا زَحَلْتُ مِنْ مَبْرَكٍ رَجَعْتُ لَهُ ... لَعَمْرُأَيَّهَا إِنِّي لِأُهِنُّهَا

وَيَمْنَعُهَا مِنْ مَاءٍ كُلِّ شَرِيعَةٍ ... رِفَاقُ مِنَ الذُّبَابِ زُرُقُ عِيُونِهَا

حديث الأنبار - وهي ذات العيون - وذكر كلواذى

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَأَصْحَابِهِمَا، قَالُوا: خَرَجَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي تَعْيِيْتِهِ الَّتِي خَرَجَ فِيهَا مِنَ الْحِيرَةِ، وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ فَلَمَّا نَزَلَ الْأَقْرَعُ الْمَنْزِلَ الَّذِي يُسَلِّهُ إِلَى الْأَنْبَارِ أَتَتْهُ قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا الْعَرَجَةَ،

وَلَمْ يَجِدُوا بَدَأَ مِنَ الْإِقْدَامِ، وَمَعَهُمْ بَنَاتٌ مُحَاضِرٌ، تَتَّبِعُهُمْ فَلَمَّا نُوْدِيَ بِالرَّحِيلِ صَرُّوا الْأُمَهَاتِ، وَاحْتَقَبُوا الْمُسْتَوْجَاتِ، لِأَنَّهَا لَمْ تُطَقِ السَّيْرَ، فَاتْنَهَوْا رُكْبَانًا إِلَى الْأَنْبَارِ، وَقَدْ تَحَصَّنَ أَهْلُ الْأَنْبَارِ، وَخَنَدَقُوا عَلَيْهِمْ، وَأَشْرَفُوا مِنْ حَصْنِهِمْ، وَعَلَى تِلْكَ الْجُنُودِ شِيرَزَادَ صَاحِبَ سَابَاطٍ - وَكَانَ أَعْقَلَ أَعْجَمِيٍّ يَوْمَئِذٍ وَأَسْوَدَهُ وَأَقْنَعُهُ فِي النَّاسِ: الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ - فَتَصَالَحَ عَرَبُ الْأَنْبَارِ يَوْمَئِذٍ مِنَ السُّورِ، وَقَالُوا: صَبَحَ

الْأَنْبَارُ شَرًّا، جَمَلٌ يَحْمِلُ جَمِيلَةً وَجَمَلٌ تَرْبُهُ عُوذُ فَقَالَ شِيرَزَادُ: مَا يَقُولُونَ؟ فَفَسَّرَ لَهُ، فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَدْ قَضَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقَوْمَ إِذَا قَضَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ قَضَاءً كَادَ يُلْزِمُهُمْ، وَاللَّهُ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ خَالِدٌ مُجْتَازًا لِأَصْلَاحَتِهِ، فَبَيْنَاهُمْ كَذَلِكَ قَدِمَ خَالِدٌ عَلَى الْمُقَدِّمَةِ، فَأَطَافَ بِالْخَنْدَقِ، وَأَنْشَبَ الْقِتَالَ، وَكَانَ قَلِيلَ الصَّبْرِ عَنْهُ إِذَا رَأَاهُ أَوْ سَمِعَ بِهِ، وَتَقَدَّمَ إِلَى رُمَاتِهِ، فَأَوْصَاهُمْ وَقَالَ:

إِنِّي أَرَى أَقْوَامًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ، فَأَرَمُوا عِيُونَهُمْ وَلَا تَوَخَّوْا غَيْرَهَا، فَرَمُوا رَشْقًا وَاحِدًا، ثُمَّ تَابَعُوا، فَفَقِيَ أَلْفَ عَيْنٍ يَوْمَئِذٍ، فَسَمِيتُ تِلْكَ الْوَقْعَةَ ذَاتَ الْعِيُونِ، وَتَصَالَحَ الْقَوْمُ: ذَهَبَتْ عِيُونُ أَهْلِ الْأَنْبَارِ! فَقَالَ شِيرَزَادُ: مَا يَقُولُونَ؟

فَفَسَّرَ لَهُ، فَقَالَ: أَبَاذَ أَبَاذَ فَرَأَسَلْ خَالِدًا فِي الصُّلْحِ عَلَى أَمْرٍ لَمْ يَرْضَهُ خَالِدٌ، فَدَرَّ رُسُلَهُ، وَأَتَى خَالِدٌ أَضِيقَ مَكَانٍ فِي الْخَنْدَقِ بِرِذَايَا الْجَيْشِ فَفَحَرَهَا، ثُمَّ رَمَى بِهَا فِيهِ فَأَفْعَمَهُ، ثُمَّ اقْتَحَمَ الْخَنْدَقَ - وَالرِّدَايَا جُسُورَهُمْ - فَاجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ فِي الْخَنْدَقِ وَارَزَّ الْقَوْمَ إِلَى حَصْنِهِمْ، وَرَأَسَلْ شِيرَزَادَ فِي الصُّلْحِ عَلَى مَا أَرَادَ، فَقَبِلَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يُخْلِيَهُ وَيُلْحِقَهُ بِأَمْنِهِ فِي جَرِيدَةِ خَيْلٍ، لَيْسَ مَعَهُمْ مِنَ الْمَتَاعِ وَالْأَمْوَالِ شَيْءٌ، فَخَرَجَ شِيرَزَادُ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى بَهْمَنَ جَاذَوِيهِ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ لَامَهُ، فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ فِي قَوْمٍ لَيْسَتْ لَهُمْ عُقُولٌ، وَأَصْلُهُمْ

مِنَ الْعَرَبِ، فَسَمِعْتُهُمْ مُقَدِّمَهُمْ عَلَيْنَا يَقْضُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَقَلْبًا قَضَى قَوْمٌ عَلَى أَنْفُسِهِمْ قَضَاءً إِلَّا وَجَبَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَاتَلَهُمُ الْجَنْدُ، فَفَقَّوْا فِيهِمْ وَفِي أَهْلِ الْأَرْضِ أَلْفَ عَيْنٍ، فَعَرَفْتُ أَنَّ الْمُسَالِمَةَ أَسْلَمُ وَلَمَّا أَطْمَأَنَّ خَالِدٌ بِالْأَنْبَارِ وَالْمُسْلِمُونَ، وَأَمَّنَ أَهْلُ الْأَنْبَارِ وَظَهَرُوا، رَأَاهُمْ يَكْتُبُونَ بِالْعَرَبِيَّةِ وَيَتَعَلَّمُونَهَا، فَسَأَلَهُمْ: مَا أَنْتُمْ؟ فَقَالُوا: قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ، نَزَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْعَرَبِ قَبْلَنَا - فَكَانَتْ أَوَائِلُهُمْ نَزَلُوهَا أَيَّامَ

بِخْتَصَرٍ حِينَ أَبَاحَ الْعَرَبُ، ثُمَّ لَمْ تَزَلْ عَنْهَا- فَقَالَ: مِمَّنْ تَعَلَّمْتُمُ الْكِتَابَ؟ فَقَالُوا: تَعَلَّمْنَا الْخَطَّ مِنْ إِيَادٍ، وَأَنشَدُوهُ قَوْلَ الشَّاعِرِ:
قَوْمِي إِيَادٌ لَوْ أَنَّهُمْ أَمَمٌ ... أَوْ لَوْ أَقَامُوا فَتَهَزَلُ النَّعَمُ
قَوْمٌ لَهُمْ بَاحَةُ الْعِرَاقِ إِذَا ... سَارُوا جَمِيعًا وَالْخَطُّ وَالْقَلَمُ

وَصَالِحَ خَالِدٍ مِنْ حَوْطِهِمْ، وَبَدَأَ بِأَهْلِ الْبَوَازِجِ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ أَهْلُ كَلَوَازِي وَعَقَدَ لَهُمْ، فَكَاتِبَهُمْ فَكَانُوا عِيَّتَهُ مِنْ وَرَاءِ دِجْلَةٍ ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ
الْأَنْبَارِ وَمَا حَوْلَهَا نَقَضُوا فِيمَا كَانَ يَكُونُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ مِنَ الدُّوَلِ مَا خَلَا أَهْلَ الْبَوَازِجِ، فَإِنَّهُمْ ثَبَتُوا كَمَا ثَبَتَ أَهْلُ بَانِقِيَا.
كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ- يَعْنِي ابْنَ سِيَاه- عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، قَالَ: لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ
السَّوَادِ عَقْدٌ قَبْلَ الْوَقْعَةِ إِلَّا بَنِي صُلُوبَا- وَهُمْ أَهْلُ الْحِيرَةِ- وَكَلَوَازِي، وَقَرَى مِنْ قَرَى الْفَرَاتِ، ثُمَّ غَدَرُوا حَتَّى دَعَا إِلَى الذِّمَّةِ بَعْدَ مَا
غَدَرُوا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: قُلْتُ لِلشَّعْبِيِّ: أَخَذَ السَّوَادُ عَنُودَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَكُلُّ أَرْضٍ إِلَّا
بَعْضَ الْقَلَاعِ وَالْحَصُونِ، فَإِنَّ بَعْضَهُمْ صَالِحٌ بِهِ، وَبَعْضُهُمْ غَلَبَ فَقُلْتُ: فَهَلْ لِأَهْلِ السَّوَادِ ذِمَّةٌ اعْتَقَدُوهَا قَبْلَ الْهَرَبِ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْهُمْ
لَمَّا دَعَا وَرَضُوا بِالْخِرَاجِ وَأَخَذَ مِنْهُمْ صَارُوا ذِمَّةً

٣٠٦٠٩ خبر عين التمر

خبر عين التمر

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَالْمُهَلَّبِ وَزِيَادٍ، قَالُوا: وَلَمَّا فَرَّغَ خَالِدٌ مِنَ الْأَنْبَارِ، وَاسْتَحْكَمَتْ لَهُ،
اسْتَخْلَفَ عَلَى الْأَنْبَارِ الزُّبَيْرَانَ بْنَ بَدْرٍ، وَقَصَدَ لَعَيْنَ التَّمْرِ، وَبِهَا يَوْمُئِذٍ مِهْرَانُ بْنُ بَهْرَامَ جَوِينٍ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ مِنَ الْعَجَمِ، وَعَقَّةُ بْنُ أَبِي عَقَّةٍ
فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ مِنَ الْعَرَبِ مِنَ التَّمْرِ وَتَغْلِبَ وَإِيَادٍ وَمَنْ لَافَهُمْ فَلَهَا سَمِعُوا بِخَالِدٍ قَالَ عَقَّةُ لِمِهْرَانَ:

إِنَّ الْعَرَبَ أَعْلَمُ بِقِتَالِ الْعَرَبِ، فَدَعْنَا وَخَالِدًا، قَالَ: صَدَقْتَ، لَعَمْرِي لَأَنْتُمْ أَعْلَمُ بِقِتَالِ الْعَرَبِ، وَإِنْكُمْ لَمِثْلُنَا فِي قِتَالِ الْعَجَمِ نَحْدَعُهُ وَاتَّقَى
بِهِ، وَقَالَ: دُونَكُمْ هُمْ وَإِنْ احْتَجَجْتُمْ إِلَيْنَا أَعَنَّاكُمْ فَلَهَا مَضَى نَحْوَ خَالِدٍ قَالَتْ لَهُ الْأَعَاجِمُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ هَذَا الْقَوْلَ لِهَذَا الْكَلْبِ!
فَقَالَ: دَعُونِي فَإِنِّي لَمْ أُرِدْ إِلَّا مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَشَرٌّ لَهُمْ، إِنَّهُ قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ قَتْلِ مُلُوكِكُمْ، وَفَلَّ حَدَّكُمْ، فَاتَّقَيْتُهُ بِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ
عَلَى خَالِدٍ فِيهِ لَكُمْ، وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى لَمْ تَبْلُغُوا مِنْهُمْ حَتَّى يَهْنُوا، فَتُقَاتِلَهُمْ وَنَحْنُ أَقْوِيَاءُ وَهُمْ مُضْعِفُونَ.

فَاعْتَرَفُوا لَهُ بِفَضْلِ الرَّأْيِ، فَلَزِمَ مِهْرَانُ الْعَيْنَ، وَنَزَلَ عَقَّةُ لَخَالِدٍ عَلَى الطَّرِيقِ، وَعَلَى مِيمَنَتِهِ بِحَيْرِ بْنِ فُلَانٍ أَحَدِ بَنِي عُبَيْدَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ زُهَيْرٍ،
وَعَلَى مِيسَرَتِهِ الْهَذِيلُ ابْنُ عِمْرَانَ، وَبَيْنَ عَقَّةٍ وَبَيْنَ مِهْرَانَ رُوحَةٌ أَوْ غَدُودَةٌ، وَمِهْرَانُ فِي الْحِصْنِ فِي رَابِطَةِ فَارِسٍ، وَعَقَّةُ عَلَى طَرِيقِ الْكَرْخِ
كَالْخَفِيرِ فَقَدِمَ عَلَيْهِ خَالِدٌ وَهُوَ فِي تَعَبَةٍ جُنْدِهِ، فَعَبَّى خَالِدٌ جُنْدَهُ وَقَالَ لِمُجَنَّبَتِيهِ: اكْفُونَا مَا عِنْدَهُ، فَإِنِّي حَامِلٌ، وَوَكَّلَ بِنَفْسِهِ حَوَامِي،
ثُمَّ حَمَلَ وَعَقَّةُ يَقِيمُ صُفُوفَهُ، فَاحْتَضَنَهُ فَأَخَذَهُ أُسِيرًا، وَانْهَزَمَ صَفُّهُ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ، فَأَكْثَرُوا فِيهِمُ الْأَسْرَ، وَهَرَبَ بِحَيْرٍ وَالْهَذِيلُ، وَاتَّبَعَهُمُ
الْمُسْلِمُونَ وَلَمَّا جَاءَ الْخَبَرُ مِهْرَانَ هَرَبَ فِي جُنْدِهِ، وَتَرَكُوا الْحِصْنَ وَلَمَّا انْتَهَتْ فَلَالُ عَقَّةٍ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ إِلَى الْحِصْنِ اقْتَحَمُوهُ وَاعْتَصَمُوا

بِهِ، وَأَقْبَلَ خَالِدٌ فِي النَّاسِ حَتَّى يَنْزِلَ عَلَى الْحِصْنِ وَمَعَهُ عَقَّةُ أُسِيرٌ وَعَمْرُو بْنُ الصَّبْعِيِّ، وَهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يَكُونَ خَالِدٌ كَمَنْ كَانَ
يُغِيرُ مِنَ الْعَرَبِ، فَلَمَّا رَأَوْهُ يُحَاوِلُهُمْ سَأَلُوهُ الْأَمَانَ، فَأَبَى إِلَّا عَلَى حُكْمِهِ فَسَلِسُوا لَهُ بِهِ فَلَمَّا فَتَحُوا دَفَعَهُمْ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فَصَارُوا مَسَاكًا،
وَأَمَرَ خَالِدٌ بِعَقَّةٍ وَكَانَ خَفِيرُ الْقَوْمِ فَضْرِبَتْ عَنْقَهُ لِيُؤْسَ الْأَسْرَاءَ مِنَ الْحَيَاةِ، وَلَمَّا رَأَى الْأَسْرَاءُ مَطْرُوحًا عَلَى الْجَسْرِ يَتَسَوَّوْنَ مِنَ الْحَيَاةِ،
ثُمَّ دَعَا بِعَمْرُو بْنِ الصَّبْعِيِّ فَضْرِبَ عَنْقَهُ، وَضْرَبَ أَعْنَاقَ أَهْلِ الْحِصْنِ أَجْمَعِينَ وَسَبَى كُلَّ مَنْ حَوَى حِصْنَهُمْ، وَغَنِمَ مَا فِيهِ، وَوَجَدَ فِي

بِعَتَمِهِمْ أَرْبَعِينَ غُلَامًا يَتَعَلَّمُونَ الْإِنْجِيلَ، عَلَيْهِمْ بَابٌ مَغْلَقٌ، فَكَسَرَهُ عَنْهُمْ، وَقَالَ: مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: رُهْنٌ، فَقَسَمَهُمْ فِي أَهْلِ الْبَلَاءِ، مِنْهُمْ أَبُو زِيَادٌ مَوْلَى ثَقِيفٍ، وَمِنْهُمْ نَصِيرٌ أَبُو مُوسَى بْنُ نَصِيرٍ، وَمِنْهُمْ أَبُو عَمْرٍةُ جَدُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى الشَّاعِرِ، وَسِيرِينُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ سِيرِينَ، وَحَرِيثٌ، وَعَلَاثَةُ فَصَارَ أَبُو عَمْرٍةُ لَشَرَحْبِيلَ ابْنِ حَسَنَةَ، وَحَرِيثٌ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي عَبَادٍ، وَعَلَاثَةُ لِلْمَعْنَى، وَحَمْرَانُ لِعُثْمَانَ وَمِنْهُمْ عَمِيرٌ وَأَبُو قَيْسٍ، فَتَبَتَ عَلَى نَسَبِهِ مِنْ مَوَالِي أَهْلِ الشَّامِ الْقُدَمَاءُ، وَكَانَ نَصِيرٌ يَنْسَبُ إِلَى بَنِي يَشْكُرَ، وَأَبُو عَمْرٍةُ إِلَى بَنِي مُرَّةَ وَمِنْهُمْ ابْنُ أُخْتِ التَّمْرِ. كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَأَبِي سُفْيَانَ طَلْحَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَالْمُهَلَّبُ بْنُ عُقْبَةَ، قَالُوا: وَلَمَّا قَدِمَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ مِنْ عِنْدِ خَالِدٍ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بِمَا بَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ مِنَ الْأَنْحَاسِ وَجَّهَهُ إِلَى عِيَاضٍ، وَأَمَدَهُ بِهِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ الْوَلِيدُ، وَعِيَاضٌ مُحَاصِرُهُمْ وَهُمْ مُحَاصِرُوهُ، وَقَدْ أَخَذُوا عَلَيْهِ بِالطَّرِيقِ، فَقَالَ لَهُ: الرَّأْيُ فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ خَيْرٌ مِنْ جُنْدٍ كَثِيفٍ، أَبْعَثْ إِلَى خَالِدٍ فَاسْتَمِدَّهُ فَفَعَلَ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ رَسُولُهُ غُبٌ وَقَعَةُ الْعَيْنِ مُسْتَغِيثًا، فَعَجَلَ إِلَى عِيَاضٍ بِكَبَابِهِ: مِنْ خَالِدٍ إِلَى عِيَاضٍ إِيَّاكَ أُرِيدُ. لَيْثٌ قَلِيلًا تَأْتِكَ الْخَلَابُ... يَحْمِلُنَ آسَادًا عَلَيْهَا الْقَاشِبُ كَتَّابٌ يَتَّبِعُهَا كَتَّابٌ

٣٠٦١٠ خبر دومه الجنادل

خبر دومة الجنادل

قالوا: ولما فرغ خالد من عين التمر خلف فيها عويم بن الكاهل الأسلمي، وخرج في تعبته التي دخل فيها العين، ولما بلغ أهل دومة مسير خالد إليهم بعثوا إلى أحزابهم من بهراء وكلب وغسان وتوخ والضجاعم، وقبل ما قد أتاهم وديعة في كلب وبهراء، ومسانده ابن وبرة بن رومانس، وأتاهم ابن الحدرجان في الضجاعم، وابن الأيهم في طوائف من غسان وتوخ، فأشجوا عياضا وشجوا به. فلما بلغهم دنو خالد، وهم على رئيسين: أكيدر بن عبد الملك والجودي ابن ربيعة، اختلفوا، فقال أكيدر: أنا أعلم الناس بخالد، لا أحد أمين طائرا منه، ولا أحد في حرب، ولا يرى وجه خالد قوم أبدا قلوبا أو كثروا إلا انهزموا عنه، فأطيعوني وصالحوا القوم فأبوا عليه، فقال: لن أملككم على حرب خالد، فشأنكم.

نفرج لطيته، وبلغ ذلك خالدا، فبعث عاصم بن عمرو معارضا له، فأخذه فقال: إنما تلقبت الأمير خالدا، فلما أتى به خالدا أمر به فضربت عنقه، وأخذ ما كان معه من شيء، ومضى خالد حتى ينزل على أهل دومة، وعليهم الجودي بن ربيعة، ووديعة الكلبي، وابن رومانس الكلبي، وابن الأيهم وابن الحدرجان، فجعل خالد دومة بين عسكره وعسكر عياض، وكان النصاري الذين أمدوا أهل دومة من العرب محيطين بحصن دومة، لم يملكهم الحصن، فلما اطمأن خالد خرج الجودي، فنهض بوديعة فزحفا لخالد، وخرج ابن الحدرجان وابن الأيهم إلى عياض، فاقتتلوا، فهزم الله الجودي ووديعة علي يدي خالد، وهزم عياض من يليه، وركبهم المسلمون، فأما خالد فإنه أخذ الجودي أخذا، وأخذ الأقرع بن حابس وديعة، وأررز بقية الناس إلى الحصن، فلم يملكهم، فلما امتلأ الحصن، أغلق من في الحصن الحصن دون أصحابهم، فبقوا حوله حرداء، وقال عاصم بن عمرو: يا بني تميم، حلفاؤكم كلب، آسؤهم واجيروهم،

فإنكم لا تقدرون لهم على مثلها، ففعلوا وكان سبب نجاتهم يومئذ وصية عاصم بني تميم بهم، وأقبل خالد على الذين أرزوا إلى الحصن فقتلهم حتى سد بهم باب الحصن، ودعا خالد بالجودي فضربت عنقه، ودعا بالأسرى فضربت أعناقهم إلا أسارى كلب، فإن عاصما والأقرع وبني تميم قالوا: قد آمنهم، فأطلقهم لهم خالد، وقال: ما لي ولكم! أتخفظون أمر الجاهلية وتضيعون أمر الإسلام! فقال له عاصم: لا تحسدكم العافية، ولا يحوزهم الشيطان ثم أطاف خالد بالباب، فلم يزل عنه حتى اقتلعه، واقتحموا عليهم، فقتلوا المقاتلة، وسبوا الشرخ، فأقاموهم فيمن يزيد، فاشترى خالد ابنة الجودي وكانت موصوفة، وأقام خالد بدومة ورد الأقرع إلى الأنبار. ولما رجع خالد إلى الحيرة- وكان منها قريبا حيث يصبحها- أخذ القعقاع أهل الحيرة بالتقليس، ونفروا يلقونه وهم يقلسون، وجعل

بعضهم يقول لبعض: مروا بنا فهذا فرج الشرا! كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَالْمُهَلَّبِ، قَالُوا: وَقَدْ كَانَ خَالِدٌ أَقَامَ بِدُومَةَ، فَظَنَّ الْأَعَاجِمُ بِهِ، وَكَاتَبَهُمْ عَرَبُ الْجَزِيرَةِ غَضَبًا لِعَقَّةٍ، نَفَرَ، زُرْمَرُ بْنُ بَغْدَادٍ وَمَعَهُ رُوزْبَةُ يُرِيدَانِ الْأَنْبَارَ، وَاتَّعَدَا حَصِيدًا وَانْخَافَسَ، فَكَتَبَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْقَعْقَاعِ إِلَى الْأَنْبَارِ وَهُوَ عَلَى الْأَنْبَارِ إِلَى الْقَعْقَاعِ بْنِ عَمْرٍو وَهُوَ يَوْمَئِذٍ خَلِيفَةُ خَالِدٍ عَلَى الْحِيرَةِ، فَبَعَثَ الْقَعْقَاعُ عَبْدَ بْنَ فَدَكِي السَّعْدِيِّ وَأَمْرَهُ بِالْحَصِيدِ، وَبَعَثَ عُرْوَةَ بْنَ الْجَعْدِ الْبَارِقِيَّ وَأَمْرَهُ بِانْخَافَسِ، وَقَالَ لهُمَا: إِنْ رَأَيْتُمَا مُقَدِّمًا فَأَقْدِمَا نَفَرًا فَحَالًا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الرَّيْفِ، وَأَغْلَقَاهُمَا، وَانْتَظَرَ رُوزْبَةُ وَزُرْمَرُ بِالْمُسْلِمِينَ اجْتِمَاعَ مَنْ كَاتَبَهُمَا مِنْ رِبِيعَةَ، وَقَدْ كَانُوا تَكَاتَبُوا وَاتَّعَدُوا، فَلَمَّا رَجَعَ خَالِدٌ مِنْ دُومَةَ إِلَى الْحِيرَةِ عَلَى الظَّهِيرِ وَبَلَغَهُ ذَلِكَ وَقَدْ عَزَمَ عَلَى مُصَادَمَةِ أَهْلِ الْمَدَائِنِ، كَرِهَ خِلَافَ أَبِي بَكْرٍ، وَأَنْ يَتَعَلَّقَ عَلَيْهِ بَشِيءٌ، فَفَعَلَ الْقَعْقَاعُ

٣٠٦٠١١ خبر حصيد

٣٠٦٠١٢ الخنافس

ابن عَمْرٍو وَأَبُو لَيْلَى بْنُ فَدَكِيٍّ إِلَى رُوزْبَةَ وَزُرْمَرُ، فَسَبَقَاهُ إِلَى عَيْنِ التَّمْرِ، وَقَدِمَ عَلَى خَالِدٍ كَتَبُ امْرِئِ الْقَيْسِ الْكَلْبِيِّ، أَنَّ الْهَذِيلَ بْنَ عِمْرَانَ قَدْ عَسَكَرَ بِالمَصِيخِ، وَنَزَلَ رِبِيعَةَ بْنُ بُجَيْرٍ بِالثَّنِيِّ وَبِالبَشْرِ فِي عَسَكٍ غَضَبًا لِعَقَّةٍ، يُرِيدَانِ زُرْمَرُ وَرُوزْبَةَ نَفَرَ خَالِدٌ وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ الْأَقْرَعُ بْنُ حَاسِبٍ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْحِيرَةِ عِيَاضُ بْنُ غَنْمٍ، وَأَخَذَ طَرِيقَ الْقَعْقَاعِ وَأَبِي لَيْلَى إِلَى انْخَافَسِ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمَا بِالْعَيْنِ، فَبَعَثَ الْقَعْقَاعُ إِلَى حَصِيدٍ، وَأَمْرَهُ عَلَى النَّاسِ، وَبَعَثَ أَبَا لَيْلَى إِلَى انْخَافَسِ، وَقَالَ: زَجِيَاهُمْ لِيَجْتَمِعُوا وَمِنْ اسْتِثَارِهِمْ، وَإِلَّا فَوَاقِعَهُمْ فَأَيًّا إِلَّا الْمَقَامَ

خبر حصيد

فَلَمَّا رَأَى الْقَعْقَاعُ أَنَّ زُرْمَرُ وَرُوزْبَةَ لَا يَتَحَرَّكَانِ سَارَ نَحْوَ حَصِيدٍ، وَعَلَى مَنْ مَرَّ بِهِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ رُوزْبَةَ وَلَمَّا رَأَى رُوزْبَةَ أَنَّ الْقَعْقَاعَ قَدْ قَصِدَ لَهُ اسْتَمَدَ زُرْمَرُ، فَأَمَدَهُ بِنَفْسِهِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى عَسَاكِرِ الْمُهَبُودَانِ، فَالْتَقُوا بِحَصِيدٍ، فَاقْتَتَلُوا، فَقَتَلَ اللَّهُ الْعَجَمَ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، وَقَتَلَ الْقَعْقَاعُ زُرْمَرُ، وَقَتَلَ رُوزْبَةَ، قَتَلَهُ عَصْمَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَحَدُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ طَرِيفٍ، مِنْ بَنِي ضَبَّةٍ، وَكَانَ عَصْمَةُ مِنَ الْبَرَّةِ - وَكُلُّ نَفْذٍ هَاجَرَ بِأَسْرَها تَدْعَى الْبَرَّةَ، وَكُلُّ قَوْمٍ هَاجَرُوا مِنْ بَطْنٍ يَدْعُونَ الْخَيْرَةَ - فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ خَيْرَةً وَبَرَّةً وَغَنَمَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ حَصِيدٍ غَنَائِمَ كَثِيرَةً وَأَرْزَ فَلَاحُ حَصِيدٍ إِلَى انْخَافَسِ فَاجْتَمَعُوا بِهَا

الخنافس

وَسَارَ أَبُو لَيْلَى بْنُ فَدَكِيٍّ مَعَهُ وَمَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ نَحْوُ انْخَافَسِ، وَقَدْ أَرْزَتْ فَلَاحُ حَصِيدٍ إِلَى الْمُهَبُودَانِ، فَلَمَّا أَحَسَّ الْمُهَبُودَانِ بِقُدُومِهِمْ هَرَبَ وَمَنْ مَعَهُ وَأَرْزُوا إِلَى الْمَصِيخِ، وَبِهِ الْهَذِيلُ بْنُ عِمْرَانَ، وَلَمْ يَلْقَ بِانْخَافَسِ كِيدًا، وَبَعَثُوا إِلَى خَالِدٍ بِالْخَبَرِ جَمِيعًا

٣٠٦٠١٣ مصيخ بنى البرشاء

مصيخ بنى البرشاء

قَالُوا: وَلَمَّا انْتَهَى الْخَبَرُ إِلَى خَالِدٍ بِمَصَابِ أَهْلِ الْحَصِيدِ وَهَرَبَ أَهْلُ انْخَافَسِ كَتَبَ إِلَيْهِمْ، وَوَعَدَ الْقَعْقَاعُ وَأَبَا لَيْلَى وَأَعْبَدَ وَعُرْوَةَ لَيْلَةً وَسَاعَةً يَجْتَمِعُونَ فِيهَا إِلَى الْمَصِيخِ - وَهُوَ بَيْنَ حُورَانَ وَالْقَلْتِ - وَخَرَجَ خَالِدٌ مِنَ الْعَيْنِ قَاصِدًا لِلْمَصِيخِ عَلَى الْإِبِلِ يَجْنُبُ الْخَيْلَ، فَنَزَلَ الْجَنَابَ فَالْبُرْدَانَ فَالْحَنَى، وَاسْتَقَلَ مِنَ الْحَنَى، فَلَمَّا كَانَ تِلْكَ السَّاعَةُ مِنْ لَيْلِهِ الْمَوْعَدِ اتَّفَقُوا جَمِيعًا بِالْمَصِيخِ، فَأَغَارُوا عَلَى الْهَذِيلِ وَمَنْ مَعَهُ وَمَنْ أَوَى إِلَيْهِ، وَهُمْ نَائِمُونَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ، فَقَتَلُوهُمْ وَأَفْلَتَ الْهَذِيلُ فِي أَنْاسٍ قَلِيلٍ، وَامْتَلَأَ الْفَضَاءُ قَتْلًا، فَمَا شَبِهُوا بِهِمْ إِلَّا غَنَمًا مَصْرَعَةً، وَقَدْ كَانَ حَرْقُوصُ بْنُ النُّعْمَانِ قَدْ مُحَضَّهْمُ النَّصْحَ، وَأَجَادَ الرَّأْيَ، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِتَحْذِيرِهِ، وَقَالَ حَرْقُوصُ بْنُ النُّعْمَانِ قَبْلَ الْغَارَةِ:

الاسقياني قبل خيل أبي بكر.

الْأَبْيَاتُ وَكَانَ حَرْقُوصُ مَعْرَسًا بِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي هَلَالٍ تَدْعَى أُمَّ تَغْلَبَ، فَقَتَلَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَعِبَادَةُ بْنُ الْبَشْرِ وَامْرَأَةُ الْقَيْسِ بْنُ بَشْرِ وَقَيْسُ

بْنُ بَشْرٍ، وَهَؤُلَاءِ بَنُو الثَّوْرِيَّةِ مِنْ بَنِي هَلَالٍ وَأَصَابَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَوْمَ الْمَصِيحِ مِنَ النَّمْرِ عَبْدِ الْعَزَى بْنُ أَبِي رَهْمٍ بْنُ قُرَاشٍ أَخَا أَوْسٍ مَنَاةَ، مِنَ النَّمْرِ، وَكَانَ مَعَهُ وَمَعَ لَبِيدُ بْنُ جَرِيرٍ كِتَابٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ بِإِسْلَامِهِمَا، وَبَلَغَ أَبُو بَكْرٍ قَوْلَ عَبْدِ الْعَزَى، وَقَدْ سَمَاهُ عَبْدُ اللَّهِ لَيْلَةَ الْغَارَةِ، وَقَالَ:

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبُّ مُحَمَّدٍ.

فَوَدَاهُ وَوَدَى لَبِيدًا- وَكَانَا أَصِيبَا فِي الْمَعْرَكَةِ- وَقَالَ: أَمَا إِنْ ذَلِكَ لَيْسَ عَلَيَّ إِذْ نَازَلَا أَهْلَ الْحَرْبِ، وَأَوْصَى بِأَوْلَادِهِمَا، وَكَانَ عَمْرِيَعَتٌ عَلَى خَالِدٍ بِقَتْلِهِمَا إِلَى قَتْلِ مَالِكٍ- يَعْنِي ابْنَ نَوِيرَةَ- فَيَقُولُ أَبُو بَكْرٍ: كَذَلِكَ يَلْقَى مَنْ سَاكَنَ أَهْلَ الْحَرْبِ فِي دِيَارِهِمْ وَقَالَ عَبْدُ الْعَزَى:

أَقُولُ إِذْ طَرَقَ الصَّبَاحُ بَغَارَةً: ... سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبُّ مُحَمَّدٍ

٣٠٦٠١٤ الثني والزميل

سُبْحَانَ رَبِّي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ... رَبُّ الْبِلَادِ وَرَبُّ مَنْ يَتَوَدَّدُ

كُتِبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: أَغْرَنَا عَلَى أَهْلِ الْمَصِيحِ، وَإِذَا رَجُلٌ يَدْعِي بِاسْمِهِ حَرْقُوسَ ابْنِ النُّعْمَانِ، مِنَ النَّمْرِ، وَإِذَا حَوْلَهُ بَنُوهُ وَأَمْرَأَتُهُ، وَيَبْنِيهِمْ جَفْنَةً مِنْ خَمْرٍ، وَهُمْ عَلَيْهَا عُكُوفٌ يَقُولُونَ لَهُ: وَمَنْ يَشْرَبُ هَذِهِ السَّاعَةَ وَفِي أَعْجَازِ اللَّيْلِ! فَقَالَ: أَشْرَبُوا شَرِبَ وَدَاعٍ، فَمَا أَرَى أَنْ تَشْرَبُوا خَمْرًا بَعْدَهَا، هَذَا خَالِدٌ بِالْعَيْنِ وَجُنُودُهُ بِحَصِيدٍ، وَقَدْ بَلَغَهُ جَمْعُنَا وَلَيْسَ بِتَارِكًا، ثُمَّ قَالَ:

أَلَا فَاشْرَبُوا مِنْ قَبْلِ فَاصْمِهِ الظَّهْرِ ... بُعِيدَ انْتِفَاحِ الْقَوْمِ بِالْعَكْرِ الدَّرِ

وَقَبْلَ مَنَايَا الْمَصِيبَةِ بِالْقَدَرِ ... لِحَيْنٍ لَعْمَرِي لَا يَزِيدُ وَلَا يَحْزِي

فَسَبَقَ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْخَيْلِ، فَضْرَبَ رَأْسَهُ، فَإِذَا هُوَ فِي جَفْنَتِهِ، وَأَخَذْنَا بَنَاتِهِ وَقَتَلْنَا بَنِيهِ .

الثني والزميل

وَقَدْ نَزَلَ رَبِيعَةُ بْنُ بَجِيرٍ التَّغْلَبِيُّ الثَّانِي وَالْبَشْرُ غَضِبًا لَعَقَةً، وَوَاعَدَ رُوزِيهِ وَزُرْمَرٍ وَالْهَذِيلَ فَلَمَّا أَصَابَ خَالِدُ أَهْلَ الْمَصِيحِ بِمَا أَصَابَهُمْ بِهِ، تَقَدَّمَ إِلَى الْقَعْقَاعِ وَإِلَى أَبِي لَيْلَى، بِأَنْ يَرْتَحِلَا أَمَامَهُ، وَوَاعَدَهُمَا اللَّيْلَةَ لِيَفْتَرِقُوا فِيهَا لِلْغَارَةِ عَلَيْهِمْ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ، كَمَا فَعَلَ بِأَهْلِ الْمَصِيحِ ثُمَّ خَرَجَ خَالِدُ مِنَ الْمَصِيحِ، فَزَلَ حُورَانَ، ثُمَّ الرُّنْقَ، ثُمَّ الْحِمَاةَ- وَهِيَ الْيَوْمَ لِبَنِي جِنَادَةَ بْنِ زَهْرٍ مِنْ كَلْبٍ- ثُمَّ الزَّمِيلَ، وَهُوَ الْبَشْرُ وَالثَّانِي مَعَهُ- وَهُمَا الْيَوْمَ شَرْقِي الرِّصَافَةِ- فَبَدَأَ بِالثَّانِي، وَاجْتَمَعَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، فَبَيَّنَتْهُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ بَيَاتًا وَمِنْ اجْتِمَاعٍ لَهُ وَإِلَيْهِ، وَمِنْ تَأَشُّبٍ لَذَلِكَ مِنَ الشُّبَّانِ، فَجَرَدُوا فِيهِمُ السُّيُوفَ، فَلَمْ يَفْلِتْ مِنْ ذَلِكَ الْجَيْشِ مَخْبِرٌ، وَاسْتَبَى الشَّرْخَ، وَبَعَثَ بِخُمْسِ اللَّهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ مَعَ النُّعْمَانِ بْنِ عَوْفٍ

بْنِ النُّعْمَانِ الشُّبَّانِي، وَقَسَمَ النَّهْبَ وَالسَّبَايَا، فَاشْتَرَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَ بِنْتَ رَبِيعَةَ

٣٠٦٠١٥ حديث الفراض

ابْنَ بَجِيرٍ التَّغْلَبِيِّ، فَاتَّخَذَهَا، فَوُلِدَتْ لَهُ عَمْرُ وَرَقِيَّةُ، وَكَانَ الْهَذِيلُ حِينَ نَجَا أَوْى إِلَى الزَّمِيلِ، إِلَى عَتَابِ بْنِ فُلَانٍ، وَهُوَ بِالْبَشْرِ فِي عَسْكَرِ خُضَمٍ، فَبَيَّنَتْهُ بِمِثْلِهَا غَارَةُ شَعْوَاءَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ سَبَقَتْ إِلَيْهِمُ الْخَبْرَ عَنْ رَبِيعَةَ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً لَمْ يَقْتُلُوا قَبْلَهَا مِثْلَهَا، وَأَصَابُوا مِنْهُمْ مَا شَاءُوا، وَكَانَتْ عَلَى خَالِدِ يَمِينٌ: لِيَبْغِثَنَّ تَغْلِبَ فِي دَارِهَا، وَقَسَمَ خَالِدُ فِيئَهُمْ فِي النَّاسِ، وَبَعَثَ بِالْأَنْحَاسِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ مَعَ الصَّبَاحِ بْنِ فُلَانِ الْمَزْنِيِّ، وَكَانَتْ فِي الْأَنْحَاسِ ابْنَةُ مَوْذَنِ النَّمْرِ، وَلَيْلَى بِنْتُ خَالِدٍ، وَرِيحَانَةُ بِنْتُ الْهَذِيلِ بِنْتُ هُبَيْرَةَ ثُمَّ عَطَفَ خَالِدُ مِنَ الْبَشْرِ إِلَى الرِّضَابِ، وَبِهَا هَلَالُ بْنُ عَقَّةَ، وَقَدْ أَرَفَضَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ حِينَ سَمِعُوا بِدَنُو خَالِدٍ، وَانْقَشَعَ عَنْهَا هَلَالٌ فَلَمْ يَلْقَ كِيدًا بِهَا

حديث الفراض

ثم قصد خالد بعد الرضاب وبغته تغلب إلى الفراض - والفراض: تخوم الشام والعراق والجزيرة - فأفطر بها رمضان في تلك السفرة التي اتصلت له فيها الغزوات والأيام، ونظمن نظاماً، أكثر فيهن الرجاز إلى ما كان قبل ذلك منهن.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ - وشاركهما عمرو بنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَعْدٍ، عَنْ ظَفَرِ بْنِ دَهْيٍ - وَالْمُهَلَّبِ بْنِ عَقْبَةَ، قَالُوا: فَلَمَّا اجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْفَرَّاضِ، حَمَيْتِ الرُّومُ وَاغْتَاظَتْ، وَاسْتَعَانُوا بِمَنْ يَلِيهِمْ مِنْ مَسَالِحِ أَهْلِ فَارَسٍ، وَقَدْ حَمَوْا وَاغْتَاظُوا وَاسْتَمَدُّوا تَغْلِبَ وَإِيَادَ وَالنَّمِرَ، فَأَمَدَوْهُمْ، ثُمَّ نَاهَدُوا خَالِدًا، حَتَّى إِذَا صَارَ الْفَرَاتُ بَيْنَهُمْ، قَالُوا: إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا وَإِمَّا أَنْ نَعْبُرَ إِلَيْكُمْ قَالَ: خَالِدٌ:

بَلْ اعْبُرُوا إِلَيْنَا، قَالُوا: فَتَنَحَّوْا حَتَّى نَعْبُرَ، فَقَالَ خَالِدٌ: لَا نَفْعَ لِي، وَلَكِنْ اعْبُرُوا أَسْفَلَ مِنَّا وَذَلِكَ لِلنَّصَفِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةً اثْنَيْ عَشْرَةَ فَقَالَتِ الرُّومُ وَفَارَسٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: احْتَسِبُوا مَلِكَكُمْ، هَذَا رَجُلٌ يُقَاتِلُ عَلَى دِينٍ، وَلَهُ عَقْلٌ وَعِلْمٌ، وَوَاللَّهِ لَيَنْصُرُنَّ وَلَنُخْذِلُنَّ ثُمَّ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِذَلِكَ، فَعَبَرُوا أَسْفَلَ مِنْ خَالِدٍ، فَلَمَّا ثَامَمُوا قَالَتِ الرُّومُ: امْتَازُوا حَتَّى نَعْرِفَ الْيَوْمَ مَا كَانَ مِنْ حَسَنِ أَوْ قَبِيحٍ، مِنْ أَيْنَا يَجِيءُ! فَفَعَلُوا، فَاقْتَتَلُوا قَتَالًا

٣٠٦٠١٦ حجه خالد

شديدا طويلا ثم إن الله عز وجل هزمهم، وقال خالد للمسلمين: ألحوا عليهم ولا ترفهوا عنهم، فجعل صاحب الخليل يحشر منهم الزمرة برماح أصحابه، فإذا جمعهم قتلهم، فقتل يوم الفراض في المعركة وفي الطلب مائة ألف، وأقام خالد على الفراض بعد الوقعة عشرا، ثم أذن في القفل إلى الحيرة لخمس بقين من ذي القعدة، وأمر عاصم بن عمرو أن يسير بهم، وأمر شجرة بن الأعز أن يسوقهم، وأظهر خالد أنه في الساقة

. حجة خالد

قال أبو جعفر: وخرج خالد حاجا من الفراض لخمس بقين من ذي القعدة، مكتتما بحجه، ومعه عدة من أصحابه، يعتسف البلاد حتى أتى مكة بالسمت، فتأتى له من ذلك ما لم يأت لدليل ولا رتبال، فسار طريقا من طرق أهل الجزيرة، لم ير طريق أعجب منه، ولا أشد على صعوبته منه، فكانت غيبته عن الجند يسيرة، فما توافى إلى الحيرة آخروهم حتى وافاهم مع صاحب الساقة الذي وضعه فقدما معا، وخالد وأصحابه مخلقون، لم يعلم بحجه إلا من أفضى إليه بذلك من الساقة، ولم يعلم أبو بكر رحمه الله بذلك إلا بعد، فعتب عليه وكانت عقوبته إياه أن صرفه إلى الشام وكان مسير خالد من الفراض أن استعرض البلاد متعسفا متسمتا، ففقط طريق الفراض ماء العنبري، ثم مثقبا، ثم انتهى إلى ذات عرق، فشرق منها، فأسلمه إلى عرفات من الفراض، وسمي ذلك الطريق الصد، ووافاه كتاب من أبي بكر منصرفه من حجه بالحيرة يأمره بالشام، يقاربه ويباعده.

قال أبو جعفر: قالوا: فوافى خالدا كتاب أبي بكر بالحيرة، منصرفه من حجه: أن سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك، فإنهم قد شجوا

٣٠٦٠١٧ حوادث متفرقة

وأشجوا، وإياك أن تعود لمثل ما فعلت، فإنه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجاك، ولم ينزع الشجى من الناس نزحك، فليهنك أبا سليمان النية والخطوة، فأتمم يتم الله لك، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل، وإياك أن تدل بعمل، فإن الله له المن، وهو ولي الجزاء. كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الملك بن عطاء بن البكائي، عن المقطع بن الهيثم البكائي، عن أبيه، قال: كان أهل الأيام من أهل الكوفة يوعدون معاوية عند بعض الذي يبلغهم، ويقولون: ما شاء معاوية! نحن أصحاب ذات السلاسل ويسمون ما بينها وبين الفراض ما يذكرون ما كان بعد احتقارنا لما كان بعد فيما كان قبل.

وَحَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بِإِسْنَادِ الَّذِي قَدْ مَضَى ذِكْرُهُ، أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ أَتَى الْأَنْبَارَ فَصَالَحُوهُ عَلَى الْجَلَاءِ، ثُمَّ أَعْطَوْهُ شَيْئًا رَضِيَ بِهِ، وَأَنَّهُ أَغَارَ عَلَى سُوقِ بَغْدَادَ مِنْ رُسْتَاقِ الْعَالِ، وَأَنَّهُ وَجَّهَ الْمُثَنَّى فَأَغَارَ عَلَى سُوقٍ فِيهَا جَمْعٌ لِقُضَاعَةَ وَبَكْرٍ، فَأَصَابَ

مَا فِي السُّوقِ، ثُمَّ سَارَ إِلَى عَيْنِ التَّمْرِ، فَفَتَحَهَا عَنُودٌ، وَفَتَّلَ وَسْبَى، وَبَعَثَ بِالسَّبْيِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَكَانَ أَوَّلَ سَبْيٍ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنَ الْعَجَمِ، وَسَارَ إِلَى دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، فَفَتَّلَ أَكِيدَر، وَسَبَى ابْنَةَ الْجُودِي، وَرَجَعَ فَأَقَامَ بِالْحِيرَةِ.

هَذَا كُلُّهُ سَنَةُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ

. [حوادث متفرقة]

وَفِيهَا تَزَوَّجَ عُمَرُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَاتِكَةَ بِنْتَ زَيْدٍ وَفِيهَا مَاتَ أَبُو مَرْثَدٍ الْغَنَوِيُّ.

وَفِيهَا مَاتَ أَبُو الْعَاصِي بْنِ الرَّبِيعِ فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَأَوْصَى إِلَى الزَّيْرِ، وَتَزَوَّجَ عَلَى عِ ابْنَتِهِ وَفِيهَا اشْتَرَى عُمَرُ أَسْلَمَ مَوْلَاهُ وَاخْتَلَفَ فِيمَنْ جَاءَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: جَاءَ بِهِمْ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ، مَوْلَى الْحُرَّةِ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَهْمٍ، عَنْ ابْنِ مَاجِدَةَ السَّهْمِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ فِي خِلَافَتِهِ سَنَةُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وَقَدْ عَارَمْتُ غُلَامًا مِنْ أَهْلِي، فَعَضَّ بِأُذُنِي فَقَطَعَ مِنْهَا- أَوْ عَضَضْتُ بِأُذُنِهِ فَقَطَعْتُ مِنْهَا- فَرَفَعَ شَأْنَنَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: أَذْهَبُوا بِهِمَا إِلَى عُمَرَ فَلْيَنْظُرْ، فَإِنْ كَانَ الْجَارِحُ قَدْ بَلَغَ فَلْيَقْدِ مِنْهُ فَلَمَّا انْتَهَى بِنَا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَعَمْرِي لَقَدْ بَلَغَ هَذَا! ادْعُوا لِي حَجَّامًا قَالَ: فَلَمَّا ذَكَرَ الْحَجَّامُ، قَالَ: [أَمَا إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ص يَقُولُ: قَدْ أُعْطِيتَ خَالَتِي غُلَامًا، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَارِكَ اللَّهُ لَهَا فِيهِ، وَقَدْ نَهَيْتَهَا أَنْ تَجْعَلَهُ حَجَّامًا أَوْ قَصَّابًا أَوْ صَائِغًا، فَاقْتَصَّ مِنْهُ].

وَذَكَرَ الْوَأَقِدِيُّ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِي وَجْزَةَ يَزِيدَ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: جَاءَ بِالنَّاسِ سَنَةُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

بَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ: لَمْ يَحْجِ أَبُو بَكْرٍ فِي خِلَافَتِهِ، وَأَنَّهُ بَعَثَ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ عَلَى الْمَوْسِمِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، أَوْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ

٣٠٧ سَنَةُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ

٣٠٧.١ ذَكَرَ الْخَبَرُ عَمَّا كَانَ فِيهَا مِنَ الْإِحْدَاثِ

ثُمَّ دَخَلْتُ

سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ

ذَكَرَ الْخَبَرُ عَمَّا كَانَ فِيهَا مِنَ الْإِحْدَاثِ

فَفِيهَا وَجَّهَ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ الْجِيُوشَ إِلَى الشَّامِ بَعْدَ مَنْصَرِفِهِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: لَمَّا قَتَلَ أَبُو بَكْرٍ مِنَ الْحَجِّ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ جَهَّزَ الْجِيُوشَ إِلَى الشَّامِ، فَبَعَثَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ قَبْلَ فَلَسْطِينَ، فَأَخَذَ طَرِيقَ الْمُعَرَّةِ عَلَى أَيْلَةٍ، وَبَعَثَ يَزِيدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَأَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ وَشُرَحْبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ- وَهُوَ أَحَدُ الْغَوِثِ- وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْلُكُوا التَّبُوكِيَّةَ عَلَى الْبَلْقَاءِ مِنْ عَلِيَاءِ الشَّامِ.

وَحَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بِالإِسْنَادِ الَّذِي ذَكَرْتُ قَبْلُ، عَنْ شُبُوحِ بْنِ اللَّيْنِ مَضَى ذِكْرَهُمْ، قَالَ: ثُمَّ وَجَّهَ أَبُو بَكْرٍ الْجُنُودَ إِلَى الشَّامِ أَوَّلَ سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، فَأَوَّلُ لَوَاءٍ عَقَدَهُ لَوَاءُ خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي، ثُمَّ عَزَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَسِيرَ، وَوَلَّى يَزِيدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، فَكَانَ أَوَّلَ الْأَمْرَاءِ الَّذِينَ خَرَجُوا إِلَى الشَّامِ، وَخَرَجُوا فِي سَبْعَةِ آلَافٍ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَكَانَ سَبَبَ عَزْلِ أَبِي بَكْرٍ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ - فِيمَا ذَكَرَ - مَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّ خَالِدَ بْنَ سَعِيدٍ لَمَّا قَدِمَ مِنَ الْيَمَنِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَرَبَّصَ بِبَيْعَتِهِ شَهْرَيْنِ، يَقُولُ: قَدْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ لَمْ يَعِزَّنِي حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ وَقَدْ لَقِيَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَعُثْمَانَ ابْنَ عَفَّانٍ، فَقَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ، لَقَدْ طَبَعْتُمْ نَفْسًا عَنْ أَمْرِكُمْ بِلَيْهِ غَيْرُكُمْ! فَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَخْفَلْهَا عَلَيْهِ، وَأَمَّا عُمَرُ فَاضْطَظَّهَا عَلَيْهِ ثُمَّ بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ الْجُنُودَ إِلَى الشَّامِ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ اسْتَعْمَلَ عَلَى رُبْعٍ مِنْهَا خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ، فَأَخَذَ عُمَرُ يَقُولُ: أَتُؤْمِرُهُ وَقَدْ صَنَعَ مَا صَنَعَ وَقَالَ مَا قَالَ! فَلَمْ يَزَلْ بِأَبِي بَكْرٍ حَتَّى عَزَلَهُ، وَأَمَرَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُبَشَّرِ بْنِ فَضِيلٍ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ صَخْرٍ حَارِسِ النَّبِيِّ ص، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

كَانَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ ابْنُ الْعَاصِي بِالْيَمَنِ زَمَنَ النَّبِيِّ ص، وَتَوَفَّى النَّبِيَّ ص وَهُوَ بِهَا، وَقَدِمَ بَعْدَ وَفَاةِ بَشِيرٍ، وَعَلَيْهِ جَبَّةٌ دِيْبَاجٌ فَلَقِيَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَصَاحَ عُمَرُ بِمَنْ يَلِيهِ: مَرِّقُوا عَلَيْهِ جُبَّتَهُ! أَيْلَبَسُ الْحَرِيرَ وَهُوَ فِي رَجَالِنَا فِي السَّلَامِ مَهْجُورًا! فَمَرَّقُوا جُبَّتَهُ، فَقَالَ خَالِدٌ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ، اغْلَبْتُمْ عَلَيْهَا! فَقَالَ عَلِيٌّ ع: أُمُغَالِبَةٌ تَرَى أَمْ خِلَافَةٌ؟ قَالَ: لَا يَغَالِبُ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ أَوْلَى مِنْكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ وَقَالَ عُمَرُ لَخَالِدٍ: فَضَّ اللَّهُ فَاكْ! وَاللَّهِ لَا يَزَالُ كَاذِبٌ يَخُوضُ فِيمَا قُلْتَ ثُمَّ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ فَأَبْلَغَ عُمَرُ أَبَا بَكْرٍ مَقَالَتهُ، فَلَمَّا عَقَدَ أَبُو بَكْرٍ الْأُلُويَةَ لِقِتَالِ أَهْلِ الرِّدَّةِ عَقَدَ لَهُ فِيمَنْ عَقَدَ، فَهَاهُ عَنْهُ عُمَرُ وَقَالَ: إِنَّهُ لَمَخْذُولٌ، وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ التَّوَكُّلِ، وَلَقَدْ كَذَبَ كَذِبَةً لَا يُفَارِقُ الْأَرْضَ مُدًّا بِهَا وَخَائِضٌ فِيهَا، فَلَا تَسْتَصِرَّ بِهِ فَلَمْ يَحْتَمِلْ أَبُو بَكْرٍ عَلَيْهِ، وَجَعَلَهُ رِدْءًا بِتَيْمَاءَ، أَطَاعَ عُمَرُ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ وَعَصَاهُ فِي بَعْضٍ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ أَبِي صَفِيَةَ التَّيْمِيِّ، تَيْمُ بْنُ شَيْبَانَ، وَطَلْحَةَ عَنِ الْمُغِيرَةِ، وَمُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالُوا: أَمَرَ أَبُو بَكْرٍ خَالِدًا بِأَنْ يَزِلَ تَيْمَاءَ، فَفَصَلَ رِدْءًا حَتَّى يَزِلَ بِتَيْمَاءَ، وَقَدْ أَمَرَهُ أَبُو بَكْرٍ أَلَّا يَبْرَحَهَا، وَأَنْ يَدْعُو مَنْ حَوْلَهُ بِالْإِنْضِمَامِ إِلَيْهِ، وَالْأَيْقَبَلِ إِلَّا مَنْ لَمْ يَرْتَدَّ، وَلَا يُقَاتِلْ إِلَّا مَنْ قَاتَلَهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُ أَمْرُهُ فَأَقَامَ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ، وَبَلَغَ الرُّومَ عَظُمَ ذَلِكَ الْعُسْكَرُ، فَضَرَبُوا عَلَى الْعَرَبِ الضَّاحِيَةَ الْبُعُوثَ بِالشَّامِ إِلَيْهِمْ، فَكَتَبَ خَالِدُ بْنُ

سَعِيدٍ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِذَلِكَ، وَيَنْزُولُ مِنَ اسْتَنْفَرَتِ الرُّومُ، وَنَفَرَ إِلَيْهِمْ مِنْ بَهْرَاءَ وَكَلْبٍ وَسَلِيحٍ وَتَوَخَّ وَخَلَّمَ وَجَدَامَ وَغَسَّانَ مِنْ دُونِ زِيَاءَ ثَلَاثٍ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ: أَنْ أَقْدِمَ وَلَا تُحْجِمَ وَاسْتَنْصِرِ اللَّهَ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ خَالِدٌ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ تَفَرَّقُوا وَأَعْرَوْا مَنْزِلَهُمْ، فَزَلَّهُ وَدَخَلَ أَمَةً مَنْ كَانَ تَجَمَّعَ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَكَتَبَ خَالِدٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ:

أَقْدِمَ وَلَا تَقْتَحِمَنَّ حَتَّى لَا تُؤْتِيَ مِنْ خَلْقِكَ فَسَارَ فِيمَنْ كَانَ خَرَجَ مَعَهُ مِنْ تَيْمَاءَ وَفِيمَنْ لَحِقَ بِهِ مِنْ طَرَفِ الرَّمْلِ، حَتَّى نَزَلُوا فِيمَا بَيْنَ أَيْلٍ وَزِيَاءَ وَالْقُسْطَلِ، فَسَارَ إِلَيْهِ بِطَرِيقٍ مِنْ بَطَارِقَةِ الرُّومِ، يُدْعَى بِأَهَانَ، فَهَزَمَهُ وَقَتْلَ جُنْدَهُ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَاسْتَمَدَّهُ وَقَدْ قَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ أَوَائِلُ مُسْتَنْفِرِي الْيَمَنِ وَمَنْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْيَمَنِ، وَفِيهِمْ ذُو الْكَلَاعِ، وَقَدِمَ إِلَيْهِ عِكْرَمَةُ قَافِلًا وَغَازِيَا فِيمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ تِهَامَةَ وَعُمَانَ وَالْبَحْرَيْنِ وَالسَّرُورِ.

فَكَتَبَ لَهُمْ أَبُو بَكْرٍ إِلَى أُمَرَاءِ الصَّدَقَاتِ أَنْ يَبْدُلُوا مَنْ اسْتَبْدَلَ، فَكُلُّهُمْ اسْتَبْدَلَ، فَسَمِيَ ذَلِكَ الْجَيْشَ جَيْشَ الْبِدَالِ فَقَدِمُوا عَلَى خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، وَعِنْدَ ذَلِكَ اهْتَجَّ أَبُو بَكْرٍ لِلشَّامِ، وَعَنَاهُ أَمْرُهُ وَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَدَّ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ عَلَى عَمَالِهِ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَلَاهَا إِيَّاهُ مِنْ صَدَقَاتِ سَعْدِ هَذِيمٍ، وَعُذْرَةٌ وَمَنْ لَقَّهَا مِنْ جَدَامَ، وَحَدَسٍ قَبْلَ ذِهَابِهِ إِلَى عُثْمَانَ نَخْرَجَ إِلَى عُثْمَانَ وَهُوَ عَلَى عِدَةٍ مِنْ عَمَلِهِ، إِذَا هُوَ رَجَعَ فَأَنْجَزَ لَهُ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ.

فَكَتَبَ أَبُو بَكْرٍ عِنْدَ اهْتِيَاجِهِ لِلشَّامِ إِلَى عَمْرٍو: إِنِّي كُنْتُ قَدْ رَدَدْتُكَ عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَلَا كُهُ مَرَّةً، وَسَمَّاهُ لَكَ أُخْرَى، مَبْعُوثَكَ إِلَى عَمَانَ إِنْجَازًا لِمَوَاعِيدِ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَقَدْ وَلِيْتَهُ ثُمَّ وَلِيْتَهُ، وَقَدْ أَحْبَبْتُ - أبا عَبْدِ اللَّهِ - أَنْ أُفْرِغَكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ فِي حَيَاتِكَ وَمَعَادِكَ مِنْهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ أَحَبُّ إِلَيْكَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرٍو: إِنِّي سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْإِسْلَامِ، وَأَنْتَ بَعْدَ اللَّهِ الرَّامِي بِهَا، وَالْجَامِعُ لَهَا، فَانْظُرْ أَشَدَّهَا وَأَخْشَاهَا وَأَفْضَلَهَا فَارْمِ بِهِ شَيْئًا إِنْ جَاءَكَ مِنْ نَاحِيَةٍ مِنَ النَّوَاجِي وَكَتَبَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَقْبَةَ بِخَوْذِ ذَلِكَ، فَأَجَابَهُ بِإِثَارِ الْجِهَادِ

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ يَوْسُفَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: كَتَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَمْرٍو، وَإِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَقْبَةَ - وَكَانَ عَلَى النِّصْفِ مِنْ صَدَقَاتِ قُضَاعَةَ - وَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ شَيْعَهُمَا مَبْعُوثًا عَلَى الصَّدَقَةِ، وَأَوْصَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِوَصِيَّةٍ وَاحِدَةٍ: اتَّقِ اللَّهَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيَعْظُمْ لَهُ أَجْرًا فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا تَوَاصَى بِهِ عِبَادُ اللَّهِ، إِنَّكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَا يَسْعُكَ فِيهِ الْإِذْهَانُ وَالتَّفْرِيطُ وَالْغَفْلَةُ عَمَّا فِيهِ قَوَامُ دِينِكُمْ، وَعِصْمَةُ أَمْرِكُمْ، فَلَا تَنْ وَلَا تَفْتَرُ وَكَتَبَ إِلَيْهِمَا: اسْتَخْلَفَا عَلَى أَعْمَالِكُمَا، وَانْدَبَا مِنْ يَلِيكُمَا.

فَوَلَّى عَمْرٍو عَلَى عَلِيَا قُضَاعَةَ عَمْرٍو بْنِ فَلَانٍ الْعُدْرِيِّ، وَوَلَّى الْوَلِيدُ عَلَى ضَاحِيَةِ قُضَاعَةَ مِمَّا يَلِي دُومَةَ أَمْرًا الْقَيْسِي، وَانْدَبَا النَّاسَ، فَتَنَّمَ إِلَيْهِمَا بِشَرِّ كَثِيرٍ، وَانْتَظَرَا أَمْرَ أَبِي بَكْرٍ.

وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فِي النَّاسِ خَطِيئًا، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى رَسُولِهِ، وَقَالَ: أَلَا إِنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ جَوَامِعَ، فَمَنْ بَلَغَهَا فَهِيَ حَسْبُهُ، وَمَنْ عَمِلَ لِلَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ.

عَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالْقَصْدِ، فَإِنَّ الْقَصْدَ أَبْلَغُ، إِلَّا إِنَّهُ لَا دِينَ لِأَحَدٍ لَا إِيمَانَ لَهُ، وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ، وَلَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ أَلَا وَإِنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَمَّا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُحِبَّ أَنْ يُخْصَّ بِهِ، هِيَ التِّجَارَةُ الَّتِي دَلَّ اللَّهُ عَلَيْهَا، وَنَجَّى بِهَا مِنَ الْخُرْزِيِّ، وَالْحَقُّ بِهَا الْكَرَامَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَأَمَدَّ عَمْرًا بِبَعْضِ مَنْ اتَّذَبَ إِلَى مَنْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ، وَأَمَرَهُ عَلَى فِلَسْطِينَ، وَأَمَرَهُ بِطَرِيقِ سَمَاهَا لَهُ، وَكَتَبَ إِلَى الْوَلِيدِ وَأَمَرَهُ بِالْأُرْدُنِّ، وَأَمَدَّهُ بِبَعْضِهِمْ:

وَدَعَا يَزِيدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، فَأَمَرَهُ عَلَى جُنْدٍ عَظِيمٍ، هُمْ جَمُهورٌ مِنَ اتَّذَبَ لَهُ، وَفِي جُنْدِهِ سَهْلُ بْنُ عَمْرٍو وَأَشْبَاهُهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَشَيْعُهُ مَاشِيًا.

وَاسْتَعْمَلَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ عَلَى مَنْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ، وَأَمَرَهُ عَلَى حِمَصَ وَخَرَجَ مَعَهُ وَهُمَا مَاشِيَانِ وَالنَّاسُ مَعَهُمَا وَخَلْفَهُمَا، وَأَوْصَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ يَوْسُفَ، عَنِ الْقَاسِمِ،

وَمُبَشِّرٍ عَنْ سَالِمٍ، وَيَزِيدَ بْنِ أُسَيْدِ الْغَسَّانِيِّ عَنْ خَالِدٍ، وَعُبَادَةَ، قَالُوا: وَلَمَّا قَدِمَ الْوَلِيدُ عَلَى خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ فَسَانَدَهُ، وَقَدِمَتْ جُنُودُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَمَدَهُ بِهِمْ وَسَمَوْا جَيْشَ الْبِدَالِ، وَبَلَغَهُ عَنِ الْأُمَرَاءِ وَتَوَجُّهُهُمْ إِلَيْهِ، اقْتَحَمَ عَلَى الرُّومِ طَلَبَ الْحَطُوتِ، وَأَعْرَى ظَهْرَهُ، وَبَادَرَ الْأُمَرَاءُ بِقِتَالِ الرُّومِ، وَاسْتَطَرَدَ لَهُ بَاهَانُ فَارَزَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى دِمَشْقَ، وَاقْتَحَمَ خَالِدٌ فِي الْجَيْشِ وَمَعَهُ ذُو الْكَلَّاحِ وَعِكْرَمَةُ وَالْوَلِيدُ حَتَّى يَنْزِلَ مَرْجَ الصَّفْرِ، مِنْ بَيْنِ الْوَأُقُوصَةِ وَدِمَشْقَ، فَانْطَوَتْ مَسَالِحُ بَاهَانَ عَلَيْهِ، وَأَخَذُوا عَلَيْهِ الطُّرُقَ وَلَا يَشْعُرُ، وَزَحَفَ لَهُ بَاهَانُ فَوْجَدَ ابْنَهُ سَعِيدَ بْنَ خَالِدٍ يَسْتَمْطِرُ فِي النَّاسِ، فَقَتَلُوهُمْ.

وَأَتَى الْخَبْرُ خَالِدًا، فَخَرَجَ هَارِبًا فِي جَرِيدَةٍ، فَأَفْلَتَ مِنْ أَفْلَتَ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَى ظُهُورِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ، وَقَدْ أَجْهَضُوا عَنْ عَسْكَرِهِمْ، وَلَمْ

تَنَتَهُ بِخَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ هَزِيمَهُ عَنْ ذِي الْمُرَّةِ، وَأَقَامَ عِكْرَمَةَ فِي النَّاسِ رَدَاءَ لَهُمْ، فَرَدَّ عَنْهُمْ بَاهَانَ جُنُودَهُ أَنْ يَطْلُبُوهُ، وَأَقَامَ مِنَ الشَّامِ عَلَى قَرِيبٍ، وَقَدْ قَدِمَ شُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ وَإِفْدَا مِنْ عِنْدِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَدَبَّ مَعَهُ النَّاسُ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَهُ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَمَلِ الْوَلِيدِ، وَخَرَجَ مَعَهُ يُوصِيهِ، فَأَتَى شُرَحْبِيلُ عَلَى خَالِدٍ، فَفَصَلَ بِأَصْحَابِهِ إِلَّا الْقَلِيلَ، وَاجْتَمَعَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنْاسٌ، فَأَمَرَ عَلَيْهِمْ مُعَاوِيَةَ، وَأَمَرَهُ بِاللِّحَاقِ بِبِزِيدٍ، فَخَرَجَ مُعَاوِيَةُ حَتَّى لَحِقَ بِبِزِيدٍ، فَلَمَّا مَرَّ بِخَالِدٍ فَصَلَ بِبَقِيَّةِ أَصْحَابِهِ كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُ أَبَا بَكْرٍ فِي خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فِي خَالِدِ ابْنِ سَعِيدٍ، فَأَبَى أَنْ يُعْطِيَهُ فِي خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَقَالَ: لَا أَشِيمُ سَيْفًا سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْكُفَّارِ، وَأَطَاعَهُ فِي خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ بَعْدَ مَا فَعَلَ فَعَلْتُهُ فَأَخَذَ عَمْرُو طَرِيقَ الْمُعَرَّةِ، وَسَلَكَ أَبُو عُبَيْدَةَ طَرِيقَهُ، وَأَخَذَ بِزِيدَ طَرِيقَ التَّبُوكِيَّةِ، وَسَلَكَ شُرَحْبِيلُ طَرِيقَهُ، وَسَمِيَ لَهُمْ أَمْصَارَ الشَّامِ، وَعَرَفَ أَنَّ الرُّومَ سَتَشْغَلُهُمْ، فَأَحَبَّ أَنْ يُصْعِدَ الْمُصَوَّبَ وَيُصَوِّبَ الْمُصْعِدَ، لِثَلَا يَتَوَاكَلُوا، فَكَانَ كَمَا ظَنَّ وَصَارُوا إِلَى مَا أَحَبَّ

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرُو، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ ذَا الْمُرَّةِ، وَأَتَى أَبَا بَكْرٍ الْخَبَرَ كَتَبَ إِلَى خَالِدٍ:

أَقِمْ مَكَانَكَ، فَلَعَمْرِي إِنَّكَ مِقْدَامٌ مَحْجَامٌ، نَجَاءٌ مِنَ الْغَمَرَاتِ، لَا تَخُوضُهَا إِلَّا إِلَى حَقٍّ، وَلَا تَصْبِرُ عَلَيْهِ وَلَمَّا كَانَ بَعْدُ، وَأَذِنَ لَهُ فِي دُخُولِهِ الْمَدِينَةَ قَالَ خَالِدٌ: اعْذُرْنِي، قَالَ: أَخْطَلُ! أَنْتَ أَمْرُؤُ جَبْنٌ لَدَى الْحَرْبِ فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ: كَانَ عَمْرُو عَلِيٍّ أَعْلَمَ بِخَالِدٍ، وَلَوْ أَطَعْتُمَا فِيهِ اخْتَشَيْتُهُ وَاتَّقَيْتُهُ! كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُبَشِّرٍ وَسَهْلٍ وَأَبِي عَثْمَانَ، عَنْ خَالِدٍ وَعِبَادَةَ وَأَبِي حَارِثَةَ، قَالُوا: وَأَوْعَبَ الْقَوَادِ بِالنَّاسِ نَحْوَ الشَّامِ وَعِكْرَمَةُ رَدَاءٌ لِلنَّاسِ، وَبَلَغَ الرُّومَ ذَلِكَ، فَكَتَبُوا إِلَى هِرْقُلَ، وَخَرَجَ هِرْقُلُ حَتَّى نَزَلَ بِمَحْصٍ، فَأَعَدَّ لَهُمُ الْجُنُودَ، وَعَبَّى لَهُمُ الْعَسَاكِرَ، وَأَرَادَ اشْتِغَالَ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ لِكَثْرَةِ جُنْدِهِ، وَفَضُولِ رَجَالِهِ، وَأَرْسَلَ إِلَى عَمْرُو أَخَاهُ تَذَارِقَ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَخَرَجَ نَحْوَهُمْ فِي تَسْعِينَ أَلْفًا، وَبَعَثَ مَنْ يَسُوقُهُمْ، حَتَّى نَزَلَ صَاحِبُ السَّاقَةِ ثَنِيَّةَ جَلْقَ بِأَعْلَى فَلَسْطِينَ، وَبَعَثَ جَرِجَةَ بْنَ تَوْدَرَا نَحْوَ بِزِيدِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَعَسَكَرَ بِإِزَائِهِ، وَبَعَثَ الدَّرَاقِصَ فَاسْتَقْبَلَ شُرَحْبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ، وَبَعَثَ الْفَيْقَارَ بْنَ نَسْطُوسَ فِي سِتِينَ أَلْفًا نَحْوَ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَهَابَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَجَمِيعَ فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، سِوَى عِكْرَمَةَ فِي سِتَّةِ آلَافٍ، فَفَزِعُوا جَمِيعًا بِالْكَتَبِ وَبِالرُّسُلِ إِلَى عَمْرُو: أَنَّ مَا الرَّأْيُ؟

فَكَاتَبَهُمْ وَرَاسَلَهُمْ: أَنَّ الرَّأْيَ الْاجْتِمَاعُ، وَذَلِكَ أَنَّ مِثْلَنَا إِذَا اجْتَمَعَ لَمْ يَغْلِبْ مِنْ قِلَّةٍ، وَإِذَا نَحْنُ تَفَرَّقْنَا لَمْ يَبْقَ الرَّجُلُ مَنَّا فِي عَدَدٍ يُقْرَنُ فِيهِ لِأَحَدٍ مِمَّنْ اسْتَقْبَلْنَا وَاعِدَ لَنَا لِكُلِّ طَائِفَةٍ مَنَّا فَاتَّعَدُوا بِالْيَرْمُوكِ لِيَجْتَمِعُوا بِهِ، وَقَدْ كَتَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِمِثْلِ مَا كَاتَبُوا بِهِ عَمْرًا، فَطَلَعَ عَلَيْهِمْ كِتَابُهُ بِمِثْلِ رَأْيِ عَمْرُو، بِأَنْ اجْتَمِعُوا فَتَكُونُوا عَسْكَرًا وَاحِدًا، وَالْقَوَا زُحُوفَ الْمُشْرِكِينَ بِزَحْفِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّكُمْ أَعْوَانُ اللَّهِ، وَاللَّهُ نَاصِرٌ مَنْ نَصَرَهُ، وَخَازِلٌ مَنْ كَفَرَهُ، وَلَنْ يُؤْتِيَ مِثْلَكُمْ مِنْ قِلَّةٍ، وَإِنَّمَا يُؤْتِي الْعَشْرَةَ آلَافٍ وَالزِّيَادَةَ عَلَى الْعَشْرَةِ آلَافٍ إِذَا اتَّوَا مِنْ تَلْقَاءِ الذَّنُوبِ، فَاحْتَرِسُوا مِنَ الذَّنُوبِ، وَاجْتَمِعُوا بِالْيَرْمُوكِ مُتَسَانِدِينَ وَلِيَصِلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِأَصْحَابِهِ.

وَبَلَغَ ذَلِكَ هِرْقُلَ، فَكَتَبَ إِلَى بَطَارِقَتِهِ: أَنْ اجْتَمِعُوا لَهُمْ، وَأَنْزِلُوا بِالرُّومِ مَنَزِلًا وَاسِعَ الْعَطْنِ، وَاسِعَ الْمِطْرَدِ، ضَيْقَ الْمَهْرَبِ، وَعَلَى النَّاسِ التَذَارِقَ وَعَلَى الْمُقَدِّمَةِ جَرِجَةَ، وَعَلَى مُجَنَّبَتِهِ بَاهَانَ وَالدَّرَاقِصَ، وَعَلَى الْحَرْبِ الْفَيْقَارَ، وَأَبْشَرُوا فَإِنَّ بَاهَانَ فِي الْأَثَرِ مَدَدٌ لَكُمْ فَفَعَلُوا فَتَزَلُّوا الْوَاقُوصَةَ وَهِيَ عَلَى ضِفَّةِ الْيَرْمُوكِ، وَصَارَ الْوَادِي خَنْدَقًا لَهُمْ، وَهُوَ لَهَبٌ لَا يُدْرِكُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بَاهَانُ وَأَصْحَابُهُ أَنْ تَسْتَفِيقَ الرُّومُ وَيَأْسُوا بِالْمُسْلِمِينَ، وَتَرْجِعَ إِلَيْهِمْ أَفْئِدَتُهُمْ عَنْ طَيْرَتِهَا.

وَأَنْتَقَلَ الْمُسْلِمُونَ عَنْ عَسْكَرِهِمُ الَّذِي اجْتَمَعُوا بِهِ، فَزَلَّ عَلَيْهِمْ بِحَذَائِهِمْ عَلَى طَرِيقِهِمْ، وَلَيْسَ لِلرُّومِ طَرِيقٌ إِلَّا عَلَيْهِمْ فَقَالَ عَمْرُو: أَيُّهَا

النَّاسُ، أَبْشَرُوا، حُصِرَتْ وَاللَّهُ الرُّومُ، وَقَلَمًا جَاءَ مَحْصُورٌ بِخَيْرٍ! فَأَقَامُوا بِأَزَائِهِمْ وَعَلَى طَرِيقِهِمْ، وَخَرَجَهُمْ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَشَهْرِي رَجَبٍ، لَا يَقْدِرُونَ مِنَ الرُّومِ عَلَى شَيْءٍ، وَلَا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِمْ، اللَّهُبَّ - وَهُوَ الْوَاقُصَةُ - مِنْ وَرَائِهِمْ، وَانْخَدَقُ مِنْ أَمَامِهِمْ، وَلَا يَخْرُجُونَ خَرْجَةً إِلَّا أَدِيلَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ، حَتَّى إِذَا سَلَخُوا شَهْرَ رَجَبِ الْأَوَّلِ، وَقَدْ اسْتَدُّوا أَبَا بَكْرٍ وَأَعْلَمُوهُ الشَّأْنَ فِي صَفَرٍ، فَكَتَبَ إِلَى خَالِدٍ لِيَلْحَقَ بِهِمْ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَخْلَفَ عَلَى الْعِرَاقِ الْمُتَنَّى، فَوَافَاهُمْ فِي رَجَبٍ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَعَمْرُوَ وَالْمُهَلَّبِ، قَالُوا: وَلَمَّا نَزَلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَرْمُوكَ، وَاسْتَدُّوا أَبَا بَكْرٍ، قَالَ: خَالِدٌ لَهَا فَبَعَثَ إِلَيْهِ وَهُوَ بِالْعِرَاقِ، وَعَزَمَ عَلَيْهِ وَاسْتَحْتَهُ فِي السَّيْرِ، فَفَدَّ خَالِدٌ لَذَلِكَ، فَطَلَعَ عَلَيْهِمْ خَالِدٌ، وَطَلَعَ بَاهَانُ عَلَى الرُّومِ، وَقَدْ قَدَّمَ قَدَامَهُ الشَّمَامِسَةُ وَالرُّهْبَانُ وَالْقَيْسِيَّيْنَ، يَغْرُونَهُمْ وَيَحْضِضُونَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ، وَوَافَقَ قُدُومُ خَالِدٍ

٣٠٧٠٢ خبر اليرموك

قُدُومُ بَاهَانٍ، فَخَرَجَ بِهِمْ بَاهَانُ كَالْمُقْتَدِرِ، فَوَلَّى خَالِدٌ قِتَالَهُ، وَقَاتَلَ الْأُمَرَاءَ مِنْ بِأَزَائِهِمْ، فَهَزَمَ بَاهَانُ، وَتَبَاعَ الرُّومُ عَلَى الْهَزِيمَةِ، فَاقْتَحَمُوا خَنْدَقَهُمْ، وَتَمَنَّتِ الرُّومُ بِبَاهَانٍ، وَفَرَحَ الْمُسْلِمُونَ بِخَالِدٍ وَحَرَدَ الْمُسْلِمُونَ وَحَرَبَ الْمُشْرِكُونَ وَهُمْ أَرْبَعُونَ وَمِائَتَا أَلْفٍ، مِنْهُمْ ثَمَانُونَ أَلْفًا مُقَيَّدٌ، وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا مِنْهُمْ مُسْلَسَلٌ لِلْمَوْتِ، وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا مَرْبُطُونَ بِالْعَمَائِمِ، وَثَمَانُونَ أَلْفًا فَارِسٌ وَثَمَانُونَ أَلْفًا رَاجِلٌ، وَالْمُسْلِمُونَ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا مِّنْ كَانَ مُقَيَّمًا، إِلَى أَنْ قَدِمَ عَلَيْهِمْ خَالِدٌ فِي تِسْعَةِ آلَافٍ، فَصَارُوا سِتَّةً وَثَلَاثِينَ أَلْفًا.

وَمَرَضَ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي جُمَادَى الْأُولَى، وَتَوَفَّى لِلنَّصَفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، قَبْلَ الْفَتْحِ بِعَشْرِ لَيَالٍ

• خبر اليرموك

قال أبو جعفر: وكان أبو بكر قد سمي لكل أمير من أمراء الشام كورة، فسمى لأبي عبيدة بن عبد الله بن الجراح حمص، وليزيد بن أبي سفيان دمشق، ولشرحبيل بن حسنة الأردن، ولعمرو بن العاص ولعلقمة بن مجزز فلسطين، فلما فرغا منها نزل علقمة وسار إلى مصر فلما شارفوا الشام، دهم كل أمير منهم قوم كثير، فأجمع رأيهم أن يجتمعوا بمكان واحد، وأن يلقوا جمع المشركين بجمع المسلمين.

ولما رأى خالد أن المسلمين يقاتلون متساندين قال لهم: هل لكم يا معشر الرؤساء في أمر يعز الله به الدين، ولا يدخل عليكم معه ولا منه نقيصة ولا مكروه! كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان يزيد بن أسيد الغساني، عن خالد وعبد الله، قالا: تَوَافَى إِلَيْهَا مَعَ الْأُمَرَاءِ وَالْجُنُودِ الْأَرْبَعَةُ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا وَثَلَاثَةُ آلَافٍ مِنْ فَلَاحِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، أَمَرَ عَلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَمَعَاوِيَةُ وَشَرْحَبِيلُ، وَعَشْرَةُ آلَافٍ مِنْ أَمْدَادِ أَهْلِ الْعِرَاقِ مَعَ خَالِدٍ

ابن الوليد سوى سِتَّةِ آلَافٍ ثَبَتُوا مَعَ عِكْرَمَةَ رَدَّاءَ بَعْدَ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، فَكَانُوا سِتَّةً وَأَرْبَعِينَ أَلْفًا، وَكُلُّ قِتَالِهِمْ كَانَ عَلَى تَسَانُدٍ، كُلُّ جُنْدٍ وَأَمِيرِهِ، لَا يَجْمَعُهُمْ أَحَدٌ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ خَالِدٌ مِنَ الْعِرَاقِ وَكَانَ عَسْكَرُ أَبِي عُبَيْدَةَ بِالْيَرْمُوكِ مُجَاوِرًا لِعَسْكَرِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ، وَعَسْكَرُ شَرْحَبِيلِ مُجَاوِرًا لِعَسْكَرِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ رُبَّمَا صَلَّى مَعَ عَمْرُوَ، وَشَرْحَبِيلُ مَعَ يَزِيدَ.

فَإِذَا عَمْرُو وَيَزِيدُ فَإِنَّهُمَا كَانَا لَا يُصَلِّيَانِ مَعَ أَبِي عُبَيْدَةَ وَشَرْحَبِيلَ، وَقَدِمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَهُمْ عَلَى حَالِهِمْ تِلْكَ، فَعَسَكَرَ عَلَى حُدُودِهِ، فَصَلَّى بِأَهْلِ الْعِرَاقِ، وَوَافَقَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ مُتَضَاعِفُونَ بِمَدَدِ الرُّومِ، عَلَيْهِمْ بَاهَانُ، وَوَافَقَ الرُّومَ وَهُمْ نَشَاطٌ بِمَدَدِهِمْ، فَالْتَقَوْا، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ حَتَّى أَلْجَأَهُمْ وَأَمْدَادَهُمْ إِلَى الْخَنْدَاقِ - وَالْوَاقُصَةُ أَحَدُ حُدُودِهِ - فَلَزِمُوا خَنْدَقَهُمْ عَامَةً شَهْرٍ، يَحْضِضُهُمُ الْقَيْسِيُّونَ وَالشَّمَامِسَةُ وَالرُّهْبَانُ وَيَنْعُونَ لَهُمُ النَّصْرَانِيَّةَ، حَتَّى اسْتَبَصَرُوا.

فَخَرَجُوا لِلْقِتَالِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ بَعْدَهُ قِتَالٌ مِثْلَهُ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ.

فَلَمَّا أَحَسَّ الْمُسْلِمُونَ خُرُوجَهُمْ، وَأَرَادُوا الْخُرُوجَ مُتَسَائِدِينَ، سَارَ فِيهِمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ اللَّهِ، لَا يَنْبَغِي فِيهِ الْفَخْرُ وَلَا الْبَغْيُ أَخْلَصُوا جِهَادَكُمْ، وَأَرِيدُوا اللَّهَ بِعَمَلِكُمْ، فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ، وَلَا تَقَاتِلُوا قَوْمًا عَلَى نِظَامٍ وَتَعْبَةٍ، عَلَى تَسَانُدٍ وَانْتِشَارٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَحِلُّ وَلَا يَنْبَغِي وَإِنَّ مِنْ وَرَاءِكُمْ لَوْ يَعْلَمُ عَلَيْكُمْ حَالُ بَيْنِكُمْ وَبَيْنَ هَذَا، فَأَعْمَلُوا فِيهَا لَمْ تُؤْمَرُوا بِهِ بِالَّذِي تَرَوْنَ أَنَّهُ الرَّأْيُ مِنَ وَالْيَكْمُ وَمَحَبَّتُهُ، قَالُوا: فَهَاتِ، فَمَا الرَّأْيُ؟ قَالَ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَبْعَثْنَا إِلَّا وَهُوَ يَرَى أَنَّا سَنَتِيَّاسِرُ، وَلَوْ عَلِمَ بِالَّذِي كَانَ وَيَكُونُ، لَقَدْ جَمَعَكُمْ أَنْ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ أَشَدُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِمَّا قَدْ غَشِيَهُمْ، وَأَنْفَعُ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ أَمْدَادِهِمْ، وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الدُّنْيَا فَرَقَتْ بَيْنَكُمْ، فَاللَّهُ اللَّهُ، فَقَدْ أَفْرَدَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِلَدٍّ مِنَ الْبُلْدَانِ لَا يَنْتَقِصُهُ مِنْهُ أَنْ دَانَ لِأَحَدٍ مِنْ أُمَرَاءِ الْجُنُودِ، وَلَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ أَنْ دَانُوا لَهُ إِنَّ تَأْمِيرَ بَعْضِكُمْ لَا يَنْقُصُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدَ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص هَلُمُّوا فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَهَيَّأُوا، وَهَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ، إِنْ رَدَدْنَاهُمْ إِلَى خَنْدَقِهِمْ الْيَوْمَ لَمْ نَزَلْ نَزْدَهُمْ، وَإِنْ هَزَمُونَا لَمْ نَفْلَحْ بَعْدَهَا فَهَلُمُّوا فَلْتَتَعَاوَرِ الْإِمَارَةُ، فليكنَ عَلَيْهَا بَعْضُنَا الْيَوْمَ، وَالْآخَرُ غَدًا، وَالْآخَرُ بَعْدَ غَدٍ، حَتَّى يَتَأَمَّرَ كُلُّكُمْ، وَدَعُونِي أَلِيكُمْ الْيَوْمَ.

فَأَمَرُوهُ، وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهَا تَخَرَّجَاتُهُمْ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أَطْوَلَ مِمَّا صَارُوا إِلَيْهِ، فَخَرَجَتِ الرُّومُ فِي تَعْبَةٍ لَمْ يَرَ الرَّاؤُونَ مِثْلَهَا قَطُّ، وَخَرَجَ خَالِدٌ فِي تَعْبَةٍ لَمْ تَعْبَهَا الْعَرَبُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَخَرَجَ فِي سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ كُرْدُوسًا إِلَى الْأَرْبَعِينَ، وَقَالَ: إِنَّ عَدُوَّكُمْ قَدْ كَثُرَ وَطَغَى، وَلَيْسَ مِنَ التَّعْبَةِ تَعْبَةُ أَكْثَرِ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ مِنَ الْكَرَادِيسِ فَجَعَلَ الْقَلْبَ كَرَادِيسَ، وَأَقَامَ فِيهِ أَبَا عُبَيْدَةَ، وَجَعَلَ الْمَيْمَنَةَ كَرَادِيسَ وَعَلَيْهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَفِيهَا شَرْحِبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ.

وَجَعَلَ الْمَيْسِرَةَ كَرَادِيسَ وَعَلَيْهَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَكَانَ عَلَى كُرْدُوسٍ مِنْ كَرَادِيسِ أَهْلِ الْعِرَاقِ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو، وَعَلَى كُرْدُوسٍ مَذْعُورُ بْنُ عَدِيٍّ، وَعِيَاضُ بْنُ غَنَمٍ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَهَاشِمُ بْنُ عُبَيْدَةَ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَزِيَادُ بْنُ حَنْظَلَةَ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَخَالِدُ بْنُ كُرْدُوسٍ، وَعَلَى فَالِهِ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ دَحِيَّةُ بْنُ خَلِيفَةَ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَأَمْرُؤُ الْقَيْسِ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَيَزِيدُ بْنُ يَحْنَسَ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَعِكْرَمَةُ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَسَهِيلُ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدٍ عَلَى كُرْدُوسٍ - وَهُوَ يَوْمئِذٍ ابْنُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً - وَحَبِيبُ بْنُ مُسْلَمَةَ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ خَالِدٍ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَأَبُو الْأَعْوَرِ بْنُ سُفْيَانَ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَابْنُ ذِي الْاِنْخَارِ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَفِي الْمَيْمَنَةِ عَمَارَةُ بْنُ مَخْشِي بْنِ خُوَيْلِدٍ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَشَرْحِبِيلُ عَلَى كُرْدُوسٍ وَمَعَهُ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَعَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَالسَّمُطُ بْنُ الْأَسْوَدِ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَذُو الْكَلَّاحِ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَمُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ عَلَى آخَرٍ، وَجَنْدُبُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حُمَةَ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَعَمْرُو بْنُ فُلَانٍ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَلَقِيطُ بْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ بْنِ بَجْرَةَ حَلِيفُ لِبْنِي ظَفَرٍ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَفِي الْمَيْسِرَةِ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَالزُّبَيْرُ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَحَوْشَبُ ذُو ظُلَيْمٍ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَقَيْسُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ زَيْدِ بْنِ عَوْفٍ بْنِ مَبْدُولِ بْنِ مَازِنِ بْنِ صَعْصَعَةَ مِنْ هَوَازِنَ - حَلِيفُ لِبْنِي النَّجَّارِ - عَلَى كُرْدُوسٍ، وَعِصْمَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - حَلِيفُ لِبْنِي النَّجَّارِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ - عَلَى كُرْدُوسٍ، وَضَرَارُ بْنُ الْأَزْوَريِّ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَمَسْرُوقُ بْنُ فُلَانٍ عَلَى كُرْدُوسٍ، وَعُبَيْدَةُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ بَهَزٍ - حَلِيفُ لِبْنِي عِصْمَةَ - عَلَى كُرْدُوسٍ، وَجَارِيَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَشْجَعِيُّ - حَلِيفُ لِبْنِي سَلَمَةَ - عَلَى كُرْدُوسٍ، وَقَبَاتُ عَلَى كُرْدُوسٍ وَكَانَ الْقَاضِي أَبُو الدَّرْدَاءِ، وَكَانَ الْقَاصُّ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَكَانَ عَلَى الطَّلَائِعِ قَبَاتُ بْنُ أَشِيمٍ، وَكَانَ عَلَى الْأَقْبَاضِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة نحوًا من حديث أبي عثمان، وقالوا جميعًا: وكان القارئ المقداد ومن

السُّنَّةِ الَّتِي سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ص بَعْدَ بَدْرِ أَنْ تُقْرَأَ سُورَةُ الْجِهَادِ عِنْدَ اللَّقَاءِ، وَهِيَ الْأَنْفَالُ، وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى ذَلِكَ. كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ يَزِيدَ بْنِ أُسَيْدٍ الْغَسَّانِيِّ، عَنْ عُبَادَةَ وَخَالِدٍ، قَالَا: شَهِدَ الْيَرْمُوكَ الْفَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص، فِيهِمْ نَحْوُ مِائَةٍ مِنْ أَهْلِ بَدْرِ قَالَا:

وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ يَسِيرُ فَيَقِفُ عَلَى الْكَرَادِيسِ، فَيَقُولُ: اللَّهُ لَه! إِنَّكُمْ ذَادَةُ الْعَرَبِ، وَأَنْصَارُ الْإِسْلَامِ، وَإِنَّهُمْ ذَادَةُ الرُّومِ وَأَنْصَارُ الشَّرْكِ! اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِكَ، اللَّهُمَّ أَنْزِلْ نَصْرَكَ عَلَى عِبَادِكَ! قَالَا: وَقَالَ رَجُلٌ لَخَالِدٍ: مَا أَكْثَرَ الرُّومَ وَأَقَلَّ الْمُسْلِمِينَ! فَقَالَ خَالِدٌ: مَا أَقَلَّ الرُّومَ وَأَكْثَرَ الْمُسْلِمِينَ! إِنَّمَا تَكْثُرُ الْجُنُودُ بِالنَّصْرِ وَتَقِلُّ بِالْخِلْدَانِ، لَا بِعَدَدِ الرِّجَالِ، وَاللَّهُ لَوَدِدْتُ أَنَّ الْأَشْقَرِ بَرَاءٌ مِنْ تَوْجِيهِ، وَأَنْهُمْ أَضْعَفُوا فِي الْعَدَدِ - وَكَانَ فَرَسُهُ قَدْ حَفِيَ فِي مَسِيرِهِ - قَالَا: فَأَمَرَ خَالِدٌ عِكْرِمَةَ وَالْقَعْقَاعَ، وَكَانَا عَلَى مَجْنَى الْقَلْبِ، فَأَنْشَبَا الْقِتَالَ، وَارْتَجَزَا الْقَعْقَاعُ وَقَالَ:

يَا لَيْتَنِي أَلْقَاكَ فِي الطَّرَادِ قَبْلَ اعْتِرَامِ الْحَفْلِ الْوَرَادِ وَأَنْتَ فِي حَلْبَتِكَ الْوَرَادِ.
وَقَالَ عِكْرِمَةُ:

قَدْ عَلِمْتُ بِهِكُنَّةَ الْجَوَارِي أَنِّي عَلَى مَكْرَمَةٍ أَحَامِي فَتَنْشَبُ الْقِتَالُ، وَالتَّحَمُّ النَّاسُ، وَتَطَارِدُ الْفَرَسَانُ، فَإِنَّهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ قَدِمَ الْبَرِيدُ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَأَخَذَتْهُ الْخِيُولُ، وَسَأَلُوهُ الْخَبَرَ، فَلَمْ يُخْبِرْهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةٍ، وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ أَمْدَادٍ، وَإِنَّمَا جَاءَ بِمَوْتِ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَتَأْمِيرِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَأَبْلَغُوهُ خَالِدًا، فَأَخْبَرَهُ خَبَرَ أَبِي بَكْرٍ، أَسْرَهُ إِلَيْهِ، وَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي أَخْبَرَهُ بِهِ الْجُنْدُ قَالَ: أَحْسَنْتَ فَقَفْ، وَأَخَذَ الْكَلْبَ وَجَعَلَهُ فِي كِتَابَتِهِ، وَخَافَ إِنْ هُوَ أَظْهَرَ ذَلِكَ أَنْ يَنْتَشِرَ لَهُ أَمْرُ الْجُنْدِ، فَوَقَفَ مَحْمِيَّةُ بْنُ زَيْمٍ مَعَ خَالِدٍ، وَهُوَ الرَّسُولُ، وَخَرَجَ جَرْجَةً، حَتَّى كَانَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ، وَنَادَى: لِيَخْرُجْ إِلَيَّ خَالِدٌ، نَخْرُجُ إِلَيْهِ خَالِدٌ وَأَقَامَ أَبَا عُبَيْدَةَ مَكَانَهُ، فَوَافَقَهُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ، حَتَّى اخْتَلَفَتْ أَعْنَاقُ دَابَّتَيْهِمَا، وَقَدْ أَمِنَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، فَقَالَ جَرْجَةً:

يَا خَالِدُ أَصْدَقْنِي وَلَا تُكَذِّبْنِي فَإِنَّ الْحُرَّ لَا يَكْذِبُ وَلَا تُخَادِعْنِي فَإِنَّ الْكَرِيمَ لَا يُخَادِعُ الْمُسْتَرْسِلَ بِاللَّهِ، هَلْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ سَيْفًا مِنَ السَّمَاءِ فَأَعْطَاكَهُ،

فَلَا تَسْأَلُهُ عَلَى قَوْمٍ إِلَّا هَزَمْتَهُمْ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فِيمَ سَمِيتَ سَيْفَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ فِيْنَا نَبِيَّهُ ص، فَدَعَانَا فَفَرَرْنَا عَنْهُ وَنَانِيَا عَنْهُ جَمِيعًا ثُمَّ إِنَّ بَعْضَنَا صَدَقَهُ وَتَابَعَهُ، وَبَعْضَنَا بَاعَدَهُ وَكَذَبَهُ، فَكُنْتُ فِيمَنْ كَذَبَهُ وَبَاعَدَهُ وَقَاتَلَهُ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ بِقُلُوبِنَا وَنَوَاصِينَا، فَهَدَانَا بِهِ، فَتَابَعْنَاهُ [فَقَالَ: أَنْتَ سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ!] وَدَعَا لِي بِالنَّصْرِ، فَسَمِيتُ سَيْفَ اللَّهِ بِذَلِكَ، فَأَنَا مِنْ أَشَدِّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ صَدَقْتَنِي، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ جَرْجَةً:

يَا خَالِدُ، أَخْبَرْنِي أَلَا مَ تَدْعُونِي؟ قَالَ: إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَالْإِقْرَارِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، قَالَ: فَنَنْ لَمْ يُجِبْكُمْ؟

قَالَ: فَالْجَزِيَّةُ وَمَنْعُهُمْ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ يُعْطَهَا، قَالَ: نُؤْذَنُ بِحَرْبٍ، ثُمَّ نَقَاتَلَهُ قَالَ: فَمَا مَنَزَلَةُ الَّذِي يَدْخُلُ فِيكُمْ وَيُجَبِّئُكُمْ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ الْيَوْمَ؟

قَالَ: مَنَزَلَتُنَا وَاحِدَةٌ فِيمَا اقْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْنَا، شَرِيفُنَا وَوَضِيعُنَا، وَأَوَّلُنَا وَآخِرُنَا. ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ جَرْجَةً: هَلْ لِمَنْ دَخَلَ فِيكُمْ الْيَوْمَ يَا خَالِدُ مِثْلُ مَا لَكُمْ مِنَ الْأَجْرِ وَالذَّخْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأَفْضَلُ، قَالَ: وَكَيْفَ يُسَاوِيكُمْ وَقَدْ سَبَقْتُمُوهُ؟

قَالَ: إِنَّا دَخَلْنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَبَايَعْنَا نَبِيَّنَا ص وَهُوَ حَيٌّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، تَأْتِيهِ أَخْبَارُ السَّمَاءِ وَيُخْبِرُنَا بِالْكِتَابِ، وَبُرِينَا الْآيَاتِ، وَحَقٌّ لِمَنْ

رَأَى مَا رَأَيْنَا، وَسَمِعَ مَا سَمِعْنَا، أَنْ يُسَلِّمَ وَيُبَايِعَ، وَإِنْكُمْ أَنْتُمْ لَمْ تَرَوْا مَا رَأَيْنَا، وَلَمْ تَسْمَعُوا مَا سَمِعْنَا مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْحُجَجِ، فَنَزَلَ فِي هَذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ بِحَقِيقَةٍ وَنَبِيَّةٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنَّا قَالَ جَرَجَةُ: بِاللهِ لَقَدْ صَدَقْتَنِي وَلَمْ تُخَادِعْنِي وَلَمْ تَأْلُفْنِي! قَالَ: بِاللهِ، لَقَدْ صَدَقْتُكَ وَمَا بِي إِلَيْكَ وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ وَحُشَّةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ لَوَلِيٌّ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ فَقَالَ: صَدَقْتَنِي، وَقَلْبُ التُّرْسِ وَمَالٌ مَعَ خَالِدٍ، وَقَالَ: عَلَيَّ الْإِسْلَامُ، فَقَالَ بِهِ خَالِدٌ إِلَى فُسْطَاطِهِ، فَشَنَّ عَلَيْهِ قَرِيبَةً مِنْ مَاءٍ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ، وَحَمَلَتِ الرُّومُ مَعَ انْقِلَابِهِ إِلَى خَالِدٍ، وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهَا مِنْهُ حَمَلَةٌ، فَأَزَالُوا الْمُسْلِمِينَ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ إِلَّا الْمُحَامِيَّةَ، عَلَيْهِمْ عِكْرَمَةُ وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ وَرَكِبَ خَالِدٌ وَمَعَهُ جَرَجَةُ وَالرُّومُ خِلَالَ الْمُسْلِمِينَ، فَتَنَادَى النَّاسُ، فَتَابُوا، وَتَرَجَعَتِ الرُّومُ إِلَى مَوَاقِفِهِمْ، فَزَحَفَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى تَصَاحَفُوا بِالسُّيُوفِ، فَضْرَبَ فِيهِمْ خَالِدٌ وَجْرَةً مِنْ لَدُنِ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ إِلَى جُنُوحِ الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ، ثُمَّ أُصِيبَ جَرَجَةُ وَلَمْ يُصَلِّ صَلَاةً سَجْدَ فِيهَا إِلَّا الرُّكَعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ أَسْلَمَ عَلَيْهِمَا، وَصَلَّى النَّاسُ الْأَوَّلَى وَالْعَصْرَ إِيمَاءً، وَتَضَعُضَعَ الرُّومُ، وَنَهَدَ خَالِدٌ بِالْقَلْبِ حَتَّى كَانَ بَيْنَ خَيْلِهِمْ وَرِجْلِهِمْ، وَكَانَ مُقَاتِلُهُمْ وَاسِعَ الْمَطَرِ، ضَيْقَ الْمَهْرَبِ، فَلَمَّا وَجَدَتْ خَيْلُهُمْ مَذْهَبًا ذَهَبَتْ وَتَرَكُوا رِجْلَهُمْ فِي مَصَافِهِمْ، وَخَرَجَتْ خَيْلُهُمْ تُشْتَدُّ بِهِمْ فِي الصَّحْرَاءِ، وَأَخَّرَ النَّاسُ الصَّلَاةَ حَتَّى صَلُّوا بَعْدَ الْفَتْحِ.

وَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ خَيْلَ الرُّومِ تَوَجَّهَتْ لِلْمَهْرَبِ، أَفْرَجُوا لَهَا، وَلَمْ يَحْجُجُوهَا، فَذَهَبَتْ فَتَفَرَّقَتْ فِي الْبِلَادِ، وَأَقْبَلَ خَالِدٌ وَالْمُسْلِمُونَ عَلَى الرَّجْلِ فَفَضُّوهُمْ، فَكَانُوا هَدِمَ بِهِمْ حَائِطٌ، فَاقْتَحَمُوا فِي خَدَقِهِمْ، فَاقْتَحَمَهُ عَلَيْهِمْ فَعَمَدُوا إِلَى الْوَاقُصَةِ، حَتَّى هَوَى فِيهَا الْمُقْتَرِنُونَ وَغَيْرَهُمْ، فَمِنْ صَبَرٍ مِنَ الْمُقْتَرِنِينَ لِلْقِتَالِ هَوَى بِهِ مِنْ خَشَعَتْ نَفْسُهُ، فِيهِوِي الْوَاحِدُ بِالْعَشْرَةِ لَا يُطِيقُونَهُ، كُلُّهُ هَوَى اثْنَانِ كَانَتْ الْبَقِيَّةُ أَضْعَفَ، فَتَهَافَتَ فِي الْوَاقُصَةِ عَشْرُونَ وَمِائَةُ أَلْفٍ، ثَمَانُونَ أَلْفَ مُقْتَرِنٍ وَأَرْبَعُونَ أَلْفَ مُطْلَقٍ، سَوَى مَنْ قُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ مِنَ الْخَيْلِ وَالرَّجْلِ، فَكَانَ سَهْمُ الْفَارِسِ يَوْمَئِذٍ أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةٍ، وَتَجَلَّلَ الْفَيْقَارُ وَأَشْرَافُ مِنْ أَشْرَافِ الرُّومِ بِرَأْسِهِمْ، ثُمَّ جَلَسُوا وَقَالُوا: لَا نُحِبُّ أَنْ نَرَى يَوْمَ السُّوءِ إِذْ لَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ نَرَى يَوْمَ السُّرُورِ، وَإِذْ لَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ نَمْنَعَ النَّصْرَانِيَّةَ، فَأُصِيبُوا فِي تَرْكِهِمْ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ، عَنْ خَالِدٍ وَعِبَادِهِ، قَالَا: أَصْبَحَ خَالِدٌ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَهُوَ فِي رِوَاقٍ تَذَارِقُ، لَمَّا دَخَلَ الْخَنْدَقَ نَزَلَهُ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَيْلُهُ، وَقَاتَلَ النَّاسُ حَتَّى أَصْبَحُوا. كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ الْغَسَّانِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ يَوْمَئِذٍ: قَاتَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ، وَأَفْرَأُ مِنْكُمْ الْيَوْمَ! ثُمَّ نَادَى: مَنْ يُبَايِعُ عَلَى الْمَوْتِ؟ فَبَايَعَهُ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ وَضِرَارُ بْنُ الْأَزْوَري فِي أَرْبَعَمِائَةٍ مِنْ وَجُوهِ الْمُسْلِمِينَ وَفِرْسَانِهِمْ، فَقَاتَلُوا قَدَامَ فُسْطَاطِ خَالِدٍ حَتَّى أَثْبَتُوا جَمِيعًا جَرَاحًا، وَقَتَلُوا إِلَّا مَنْ بَرَأَ، وَمِنْهُمْ ضِرَارُ بْنُ الْأَزْوَري قَالَ: وَاتَى خَالِدٌ بَعْدَ مَا أَصْبَحُوا بِعِكْرَمَةَ جَرِيحًا فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى نَحْدِهِ، وَبَعَمَرُوا بِنَ عِكْرَمَةَ فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاقِهِ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ عَنْ وَجُوهِهِمَا، وَيَقْطُرُ فِي حُلُوقِهِمَا الْمَاءَ، وَيَقُولُ:

كَلَا، زَعَمَ ابْنُ الْخَنْتَمَةِ أَنَّنَا لَا نَسْتَشْهِدُ! كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي عُمَيْسٍ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ- وَكَانَ شَهِدَ الْيَرْمُوكَ هُوَ وَعِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ- أَنَّ النَّسَاءَ قَاتَلْنَ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ فِي جَوْلَةٍ، فَخَرَجَتْ جَوِيرِيَّةُ ابْنَةُ أَبِي سُفْيَانَ فِي جَوْلَةٍ، وَكَانَتْ مَعَ زَوْجِهَا وَأُصِيبَتْ بَعْدَ قِتَالٍ شَدِيدٍ، وَأُصِيبَتْ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ أَبِي سُفْيَانَ، فَأَخْرَجَ السَّهْمَ مِنْ عَيْنِهِ وَابُو حَثْمَةَ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْمُسْتَنِيرِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ أَرْطَاةِ ابْنِ جَهْمِشٍ، قَالَ: كَانَ الْأَشْتَرُ قَدْ شَهِدَ الْيَرْمُوكَ وَلَمْ يَشْهَدْ الْقَادِسِيَّةَ، فَخَرَجَ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ مِنَ الرُّومِ، فَقَالَ: مَنْ يَبَارِزُ؟ فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْأَشْتَرُ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَقَالَ لِلرُّومِيِّ: خُذْهَا وَأَنَا الْغَلَامُ الْإِيَادِي، فَقَالَ:

الرومي: أكثر الله في قومي مثلك! أما والله لو أنك من قومي لآزرت الروم، فأما الآن فلا اعينهم!

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان وخالد:

وكان ممن أصيب في الثلاثة الآلاف الذين أصيبوا يوم اليرموك عكرمة، وعمرو بن عكرمة، وسلبة بن هشام، وعمرو بن سعيد، وأبان بن سعيد- وأثبت خالد بن سعيد فلا يدرى أين مات بعد- وجندب بن عمرو ابن حممة الدوسي، والطفيل بن عمرو، وضرار بن الأزور أثبت فبقي وطلب بن عمير بن وهب من بني عبد بن قصي، وهبار بن سفيان، وهشام بن العاصي.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن ميمون، عن أبيه، قال: لقي خالدًا مقدمه الشام مُغيثًا لأهل اليرموك رجل من روم العرب، فقال: يا خالد، إن الروم في جمع كثير، مائتي ألف أو يزيدون، فإن رأيت أن ترجع على حاميتك فافعل، فقال خالد:

أبا الروم تخوفني! والله لوددت أن الأشقر براء من توجيه، وأنهم أضعفوا ضعفهم، فهزمهم الله على يديه! كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن المستنير بن يزيد، عن أرطاة بن جهيش، قال: قال خالد يومئذ: الحمد لله الذي قضى على أبي بكر بالموت وكان أحب إلي من عمر، والحمد لله الذي ولّى عمر، وكان أبغض إلي من أبي بكر ثم الزماني حبه! كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وعمرو ابن ميمون، قالوا: وقد كان هرقل حج قبل مهزم خالد بن سعيد، فحج بيت المقدس، فبينا هو مقيم به أتاه الخبر بقرب الجنود منه، فجمع الروم، وقال: أرى من الرأي ألا تقاتلوا هؤلاء القوم، وإن نصالحوهم، فوالله لأن تعطوهم نصف ما أخرجت الشام، وتأخذوا نصفًا وتقر لكم جبال الروم، خير لكم من أن يبلغوكم على الشام، ويشاركوكم في جبال الروم، فنخر أخوه ونخر ختنه، وتصدع عنه من كان حوله، فلما رأهم يعصونه ويردون عليه بعث أخاه، وأمر الأمراء ووجه إلى كل جند

جندا فلما اجتمع المسلمون، أمرهم بمنزل واحد واسع جامع حصين، فنزلوا بالواقصة، وخرج فنزل حمص، فلما بلغه أن خالدًا قد طلع على سوى وانتسف أهله وأموالهم، وعمد إلى بصرى وافتتحها وأباح عذراء، قال لجلسائه: ألم أقل لكم لا تقاتلوهم! فإنه لا قوام لكم مع هؤلاء القوم، إن دينهم دين جديد يجدد لهم ثبارهم، فلا يقوم لهم أحد حتى يبلى. فقالوا: قاتل عن دينك ولا تجبن الناس، واقض الذي عليك، قال:

وأي شيء أطلب إلا توفير دينكم! ولما نزلت جنود المسلمين اليرموك، بعث إليهم المسلمون: إنا نريد كلام أميركم وملاقاته، فدعونا نأته ونكلمه، فأبلغوه فأذن لهم فأثاه أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان كالرسول، والحارث بن هشام وضرار بن الأزور وأبو جندل بن سهيل، ومع أخي الملك يومئذ ثلاثون رواقًا في عسكره وثلاثون سرادقًا، كلها من ديباج، فلما انتهوا إليها أبوا أن يدخلوا عليه فيها، وقالوا: لا نستحل الحرير فابرز لنا فبرز إلى فرش ممهدة، وبلغ ذلك هرقل، فقال: ألم أقل لكم! هذا أول الذل، أما الشام فلا شأم، وويل للروم من المولود المشثوم! ولم يتأت بينهم وبين المسلمين صلح، فرجع أبو عبيدة وأصحابه واتعدوا، فكان القتال حتى جاء الفتح.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن مطرح، عن القاسم، عن أبي أمامة وأبي عثمان، عن يزيد بن سنان، عن رجال من أهل الشام ومن أشياخهم، قالوا: لما كان اليوم الذي تأمر فيه خالد، هزم الله الروم مع الليل، وصعد المسلمون العقبة، وأصابوا ما في العسكر، وقتل الله صناديدهم ورءوسهم وفرسانهم، وقتل الله أخا هرقل، وأخذ التدارق، وانتهت الهزيمة إلى هرقل وهو دون مدينة حمص، فارتحل فجعل حمص بينه وبينهم، وأمر عليها أميرًا وخلفه فيها، كما كان أمر على دمشق، وأتبع المسلمون الروم حين هزموهم خيولًا يثفونهم ولما صار إلى

أبي عبيدة الأمر بعد الهزيمة، نادى بالرحيل، وارتحل المسلمون يزحفهم حتى وضعوا عساكرهم بمرج الصفر قال أبو أمامة: فبعثت طليعة من مرج الصفر، معي فارسان، حتى دخلت الغوطة فحستها بين أبياتها وشجراتها، فقال أحد صاحبي: قد بلغت حيث أمرت فانصرف لا تهلكا، فقلت:

قف مكانك حتى تصبح أو آتيك فسرت حتى دفعت إلى باب المدينة، وليس في الأرض أحد ظاهر، فنزعت لجام فرسي وعلقت

عليها مخلاتها، وركزت رحلي، ثم وضعت رأسي فلم أشعر إلا بالمفتاح يحرك عند الباب ليفتح، فقامت فصليت الغداة، ثم ركبتي فرسي، فحملت عليه، فطعنت البواب فقتلته، ثم انكفأت راجعا، وخرجوا يطلبونني، فجعلوا يكفون عني مخافة أن يكون لي كمين، فدفعت إلى صاحبي الأدنى الذي أمرته أن يقف، فلما رأوه قالوا: هذا كمين انتهى إلى كمينه فانصرفوا وسرت أنا وصاحبي، حتى دفعنا إلى صاحبنا الثاني، فسرنا حتى انتهينا إلى المسلمين، وقد عزم أبو عبيدة ألا يبرح حتى يأتيه رأي عمر وأمره، فأتاه فرحوا حتى نزلوا على دمشق، وخلف باليرموك بشير بن كعب بن أبي الحميري في خيل كتب إلي السري عن شعيب، عن سيف عن عبد الله بن سعيد عن أبي سعيد، قال: قال قباث: كنت في الوفد بفتح اليرموك، وقد أصبنا خيرا ونفلا كثيرا، فربنا الدليل على ماء رجل قد كنت اتبعته في الجاهلية حين أدركت وأنست من نفسي لأصيب منه، كنت دلت عليه، فأتيته فأخبرته، فقال: قد أصبت، فإذا ريبال من ريبالة العرب قد كان يأكل في اليوم عجز جزور بأدمها ومقدار ذلك من غير العجز ما يفضل عنه إلا ما يقوتني وكان يغير على الحي ويدعني قريبا، ويقول: إذا مر بك راجز يرتجز بكذا وكذا، فأنا ذلك، فشل معي فكثت بذلك حتى أقطعني قطيعا من مال، وأتيت به أهلي، فهو أول مال أصبته.

ثم إني رأيت قومي، وبلغت مبلغ رجال العرب، فلما مر بنا على ذلك الماء عرفته، فسألت عن بيته فلم يعرفوه، وقالوا: هو حي، فأتيت بينين استفادهم بعدي، فأخبرتهم خبري، فقالوا: اغد علينا غدا، فإنه أقرب ما يكون إلى ما تحب بالغداة، فغاديتهم فأدخلت عليه، فأخرج من خدره، فأجلس لي، فلم أزل أذكره حتى ذكر، وتسمع وجعل يطرب للحديث ويستطعمنيه، وطال مجلسنا وثقلنا على صبيانهم، ففرقوه ببعض ما كان يفرق منه ليدخل خدره، فوافق ذلك عقله، فقال: قد كنت وما أفزع! فقلت: أجل، فأعطيته ولم أدع أحدا من أهله إلا أصبته بمعروف ثم ارتحلت.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْمُقْبَرِيِّ، قَالَ:

قَالَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ لِقَبَاثٍ: أَنْتَ أَكْبَرُ أَمْ رَسُولُ اللَّهِ ص؟

قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنِّي، وَأَنَا أَقْدَمُ مِنْهُ، قَالَ: فَمَا أَبْعَدُ ذِكْرَكَ؟

قَالَ: خِثِّي الْفِيلَ لِسَنَةٍ قَالَ: وَمَا أَتَجَبُّ مَا رَأَيْتُ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ قُضَاعَةَ، إِنِّي لَمَّا أَدْرَكْتُ وَأَسْتُ مِنْ نَفْسِي سَأَلْتُ عَنْ رَجُلٍ أَكُونُ مَعَهُ وَأَصِيبُ مِنْهُ، فَدَلَّتْ عَلَيْهِ وَاقْتَصَّ هَذَا الْحَدِيثَ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ حِينَ سَارَ الْقَوْمُ خَرَجَ مَعَ يَزِيدَ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ يُوْصِيهِ، وَأَبُو بَكْرٍ يَمْشِي وَيَزِيدُ رَاكِبٌ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ وَصِيَّتِهِ قَالَ: أَقْرَبُكَ السَّلَامُ، وَأَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ ثُمَّ أَنْصَرَفَ وَمَضَى يَزِيدُ، فَأَخَذَ التَّبُوكِيَّةَ ثُمَّ تَبِعَهُ شُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ ثُمَّ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ مَدَدَا لَهَا عَلَى رِجْلَيْهِ، فَسَلَكُوا ذَلِكَ الطَّرِيقَ، وَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ حَتَّى نَزَلَ بِغَمْرِ الْعَرَبَاتِ، وَنَزَلَتِ الرُّومُ بَنِيَّةَ جَلْقَ بِأَعْلَى فَلَسْطِينَ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا، عَلَيْهِمْ تَذَارِقُ أَخُو هِرْقَلَ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ فَكَتَبَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، يَذْكُرُ لَهُ أَمْرَ الرُّومِ وَيَسْتَمِدُّهُ وَخَرَجَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي، وَهُوَ بِمَرْجِ الصَّفَرِ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ فِي يَوْمٍ مَطِيرٍ يَسْتَمَطِرُ فِيهِ، فَتَعَاوَى عَلَيْهِ

أَعْلَاجُ الرُّومِ، فَقَتَلُوهُ، وَقَدْ كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ كَتَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ يَذْكُرُ لَهُ أَمْرَ الرُّومِ وَيَسْتَمِدُّهُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَمَّا أَبُو زَيْدٍ، فَحَدَّثَنِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بِالإِسْنَادِ الَّذِي قَدْ ذَكَرْتُ قَبْلُ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَجَهَ بَعْدَ خُرُوجِ يَزِيدَ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ مَوْجَهَا إِلَى الشَّامِ بِأَيَّامِ، شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ - قَالَ: وَهُوَ شُرَحْبِيلُ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُطَّاعِ بْنِ عَمْرٍو، مِنْ كِنْدَةَ، وَيُقَالُ مِنَ الْأَزْدِ - فَسَارَ فِي سَبْعَةِ أَلْفٍ، ثُمَّ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ فِي سَبْعَةِ أَلْفٍ، فَنَزَلَ يَزِيدُ الْبَلَقَاءَ، وَنَزَلَ شُرَحْبِيلُ الْأُرْدَنَ - وَيُقَالُ بَصْرَى - وَنَزَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ الْجَلَابِيَّةَ، ثُمَّ أَمَدَهُمْ بِعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، فَنَزَلَ بِغَمْرِ الْعَرَبَاتِ، ثُمَّ رَغَبَ النَّاسُ فِي الْجِهَادِ، فَكَانُوا يَأْتُونَ الْمَدِينَةَ فَيُوجِّهُهُمْ أَبُو بَكْرٍ إِلَى الشَّامِ فَهُمْ مَنْ يَصِيرُ مَعَ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَصِيرُ مَعَ يَزِيدٍ، يَصِيرُ كُلُّ قَوْمٍ مَعَ مَنْ أَحَبُّوا.

قَالُوا: فَأُولُ صُلُحٍ كَانَ بِالشَّامِ صُلُحٌ مَابٍ، وَهِيَ فُسْطَاطٌ لَيْسَتْ بِمَدِينَةٍ، مَرَّ أَبُو عُبَيْدَةَ بِهِمْ فِي طَرِيقِهِ، وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنَ الْبَلْقَاءِ، فَقَاتَلُوهُ، ثُمَّ سَأَلُوهُ الصُّلْحَ فَصَالَحَهُمْ وَاجْتَمَعَ الرُّومُ جَمْعًا بِالْعَرَبَةِ مِنْ أَرْضِ فَلَسْطِينَ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ أَبَا أُمَامَةَ الْبَاهِلِيَّ، فَفَضَّ ذَلِكَ الْجَمْعَ.

قَالُوا: فَأُولُ حَرْبٍ كَانَتْ بِالشَّامِ بَعْدَ سَرِيَّةِ أُسَامَةَ بِالْعَرَبَةِ ثُمَّ اتَّوَا الدَّائِنَةَ - وَيُقَالُ الدَّائِنُ - فَهَزَمَهُمْ أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ، وَقَتَلَ بِطَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ كَانَتْ مَرْجَ الصُّفَرِ، اسْتَشْهَدَ فِيهَا خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي، أَتَاهُمْ أَدْرَنْجَارُ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ وَهُمْ غَارُونَ، فَاسْتَشْهَدَ خَالِدٌ وَعِدَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقِيلَ إِنَّ الْمَقْتُولَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ كَانَ ابْنًا لَخَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، وَإِنَّ خَالِدًا انْحَاذَ حِينَ قُتِلَ ابْنُهُ، فَوَجَّهَ أَبُو بَكْرٍ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ أَمِيرًا عَلَى الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ بِالشَّامِ، ضَمَّهُمْ إِلَيْهِ، فَشَخَّصَ خَالِدٌ مِنَ الْحِيرَةِ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ فِي ثَمَانِمِائَةٍ - وَيُقَالُ فِي خَمْسِمِائَةٍ - وَاسْتَخْلَفَ عَلَى عَمَلِهِ الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ، فَلَقِيَهُ عَدُوٌّ بِصَنْدُودَاءَ، فَظَفَرَ بِهِمْ، وَخَلَفَ بِهَا ابْنُ حَرَامٍ الْأَنْصَارِيَّ، وَلَقِيَ جَمْعًا بِالْمُصَيَّخِ وَالْحَصِيدِ عَلَيْهِمُ

رَبِيعَةُ بْنُ بَجْرِ التَّغْلِيَّ، فَهَزَمَهُمْ وَسَبَى وَغَنِمَ، وَسَارَ فَفُوزَ مِنْ قُرَاقٍ إِلَى سَوَى، فَأَغَارَ عَلَى أَهْلِ سَوَى، وَاسْتَحْصَحَ أَمْوَالَهُمْ، وَقَتَلَ حُرُوقَ ابْنِ النُّعْمَانِ الْبَهْرَانِيِّ، ثُمَّ أَتَى أَرْكَ فَصَالَحُوهُ، وَأَتَى تَدْمَرَ فَتَحَصَّنُوا، ثُمَّ صَالَحُوهُ، ثُمَّ أَتَى الْقَرَيْتَيْنِ، فَقَاتَلَهُمْ فَظَفَرَ بِهِمْ وَغَنِمَ، وَأَتَى حَوَارِينَ، فَقَاتَلَهُمْ فَهَزَمَهُمْ وَقَتَلَ وَسَبَى، وَأَتَى قَصَمَ فَصَالَحَهُ بَنُو مَشْجَعَةٍ مِنْ قِضَاعَةَ، وَأَتَى مَرْجَ رَاهِطَ، فَأَغَارَ عَلَى غَسَّانٍ فِي يَوْمٍ فَصَحَّهِمْ، فَقَتَلَ وَسَبَى، وَوَجَّهَ بِسَرِّ بْنِ أَبِي أَرْطَاةَ وَحَبِيبَ بْنَ مُسْلِمَةَ إِلَى الْغَوْطَةِ، فَأَتَوْا كَنِيسَةَ فَسَبَوْا الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ، وَسَاقُوا الْغِيَالِ إِلَى خَالِدٍ.

قَالَ: فَوَافَى خَالِدًا كِتَابَ أَبِي بَكْرٍ بِالْحِيرَةِ مَنْصَرَفَهُ مِنْ حِجَّةٍ: أَنْ سَرَّ حَتَّى تَأْتِيَ جَمُوعُ الْمُسْلِمِينَ بِالْيَرْمُوكِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ شَجَّوْا وَأَشْجَوْا، وَإِيَّاكَ أَنْ تَعُودَ لِمِثْلِ مَا فَعَلْتَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَشْجِ الْجَمُوعُ مِنَ النَّاسِ بِعَوْنِ اللَّهِ شَجَاكَ، وَلَمْ يَنْزِعِ الشَّجَى مِنَ النَّاسِ نَزْعَكَ فَلْيَهْنِكْ أَبَا سُلَيْمَانَ النِّيةَ وَالْحِطْوَةَ، فَأَتَمَّ يَتَمَّ اللَّهُ لَكَ، وَلَا يَدْخُلَنَّكَ عَجَبٌ فَتُخْسِرَ وَتُخْذَلُ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَدُلَّ بِعَمَلٍ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ الْمَنُ، وَهُوَ وَلِيُّ الْجَزَاءِ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ الْهَيْثَمِ الْبَكَايِيِّ، قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْأَيَّامِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ يُوْعَدُونَ مَعَاوِيَةَ عِنْدَ بَعْضِ الَّذِينَ يَبْلُغُهُمْ، وَيَقُولُونَ: مَا شَاءَ مَعَاوِيَةُ! نَحْنُ أَصْحَابُ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، وَيَسْمُونَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْفِرَاضِ، مَا يَذْكُرُونَ مَا كَانَ بَعْدَ، احْتِقَارًا لِمَا كَانَ بَعْدَ فِيمَا كَانَ قَبْلَ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ ظَفَرِ بْنِ دَهْيٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي عُمَيَّانَ،

وَطَلْحَةَ عَنِ الْمُغِيرَةِ، وَالْمُهَلَّبِ بْنِ عُقْبَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سِيَاهِ الْأَحْمَرِيِّ، قَالُوا: كَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ وَجَّهَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي إِلَى الشَّامِ حَيْثُ وَجَّهَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى الْعِرَاقِ، وَأَوْصَاهُ بِمِثْلِ الَّذِي أَوْصَى بِهِ خَالِدًا وَأَنَّ خَالِدَ بْنَ سَعِيدٍ سَارَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى الشَّامِ وَلَمْ يَقْتَحِمْ، وَاسْتَجَلَبَ النَّاسَ فَعَزَّ، فَهَابَتْهُ الرُّومُ، فَأَجْمَعُوا عَنْهُ، فَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى أَمْرِ أَبِي بَكْرٍ وَلَكِنْ تَوَرَّدَهَا فَاسْتَطَرَدَتْ لَهُ الرُّومُ، حَتَّى أَوْرَدُوهُ الصُّفَرِ، ثُمَّ تَعَطَّفُوا عَلَيْهِ بَعْدَ مَا آمَنَ، فَوَافَقُوا ابْنَهُ سَعِيدَ بْنَ خَالِدٍ مُسْتَمْطَرًّا، فَقَاتَلُوهُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ، وَأَتَى الْخَبْرُ خَالِدًا، فَخَرَجَ هَارِبًا، حَتَّى يَأْتِيَ الْبَرَّ، فَيَنْزِلَ مَنْزِلًا، وَاجْتَمَعَتِ الرُّومُ إِلَى الْيَرْمُوكِ، فَتَزَلُّوا بِهِ، وَقَالُوا: وَاللَّهِ لَنُشْغِلَنَّ أَبَا بَكْرٍ فِي نَفْسِهِ عَنْ تَوَرُّدِ بِلَادِنَا نَحْيُولِهِ.

وَكُتِبَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِالَّذِي كَانَ، فَكُتِبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - وَكَانَ فِي بِلَادِ قِضَاعَةَ - بِالسَّيْرِ إِلَى الْيَرْمُوكِ، فَفَعَلَ وَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ وَبِزِيدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَمَرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْغَارَةِ، وَالْأُتُغْلُ حَتَّى لَا يَكُونَ وَرَاءَ كَرٍّ أَحَدٌ مِنْ عَدُوِّكُمْ. وَقَدِمَ عَلَيْهِ شُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ بَفَتْجٍ مِنْ فُتُوحِ خَالِدٍ، فَسَرَّحَهُ نَحْوَ الشَّامِ فِي جُنْدٍ، وَسَمَّى لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْ أُمَرَاءِ الْأَجْنَادِ كُورَةً مِنْ كُورِ

الشَّامَ، فَتَوَفَّوْا بِالْيَرْمُوكِ، فَلَمَّا رَأَتْ الرُّومُ تَوَافِيَهُمْ، نَدَمُوا عَلَى الَّذِي ظَهَرَ مِنْهُمْ، وَنَسُوا الَّذِي كَانُوا يَتَوَعَّدُونَ بِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَاهْتَمُّوا وَهَمَّتَهُمْ أَنْفُسُهُمْ، وَأَشْجَوْهُمْ وَشَجَّوْا بِهِمْ، ثُمَّ نَزَلُوا الْوَاقُصَةَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لَأُنْسِينَ الرُّومَ وَسَاوَسَ الشَّيْطَانُ بِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِهَذَا الْكِتَابِ الَّذِي فَوْقَ هَذَا الْحَدِيثِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَخْلِفَ الْمُثَنَّى بْنَ حَارِثَةَ عَلَى الْعِرَاقِ فِي نِصْفِ النَّاسِ، فَإِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الشَّامَ، فَارْجِعْ إِلَى عَمَلِكَ بِالْعِرَاقِ وَبَعَثْ خَالِدًا بِالْأَنْحَاسِ إِلَّا مَا نُفِلَ مِنْهَا مَعَ عُمَيْرِ بْنِ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيِّ وَمِيسِرَةَ إِلَى الشَّامِ. وَدَعَا خَالِدٌ الْأَدْلَةَ، فَارْتَحَلَ مِنَ الْحِيرَةِ سَائِرًا إِلَى دُومَةَ، ثُمَّ طَعَنَ فِي الْبَرِّ إِلَى قُرَاقِرَ، ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ لِي بِطَرِيقٍ أَخْرَجَ فِيهِ مِنْ وَرَاءِ جُمُوعِ الرُّومِ!

فَإِنِّي إِنِ اسْتَقْبَلَتْهَا حَبَسْتَنِي عَنْ غِيَاثِ الْمُسْلِمِينَ، فَكُلُّهُمْ قَالَ: لَا نَعْرِفُ إِلَّا طَرِيقًا لَا يَحْمِلُ الْجِيُوشَ، يَأْخُذُهُ الْفَذُّ الرَّاكِبُ، فَإِيَّاكَ أَنْ تُغَرَّ بِالْمُسْلِمِينَ فَعَزَمَ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا رَافِعُ بْنُ عُمَيْرَةَ عَلَى تَهَيُّبٍ شَدِيدٍ، فَقَامَ فِيهِمْ، فَقَالَ: لَا يَخْتَلِفَنَّ هَدْيُكُمْ، وَلَا يَضَعُفَنَّ يَقِينُكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمَعُونَةَ تَأْتِي عَلَى قَدَرِ النِّيَّةِ، وَالْأَجْرُ عَلَى قَدَرِ الْحَسْبَةِ، وَإِنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكْتَرِثَ بِشَيْءٍ يَقَعُ فِيهِ مَعَ مَعُونَةِ اللَّهِ لَهُ، فَقَالُوا لَهُ: أَنْتَ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ الْخَيْرَ، فَشَانَكَ فَطَابَقُوهُ وَنَوُوا وَاحْتَسَبُوا، وَاشْتَهَوْا مِثْلَ الَّذِي اشْتَهَى خَالِدٌ، فَأَمَرَهُمْ خَالِدٌ، فَتَرَوُوا لِلشَّفَةِ نَخْمَسٍ، وَأَمَرَ صَاحِبَ كُلِّ خَيْلٍ بِقَدَرٍ مَا يَسْقِيهَا، فَظَمًا كُلُّ قَائِدٍ مِنَ الْإِبِلِ الشَّرَفِ الْجَلَالِ مَا يَكْتَفِي بِهِ، ثُمَّ سَقَوْهَا الْعَلَلَ بَعْدَ النَّهْلِ، ثُمَّ صَرُّوا أَذَانَ الْإِبِلِ وَكَعَمُوهَا، وَخَلَّوْا أَذْبَارَهَا، ثُمَّ رَكِبُوا مِنْ قُرَاقِرَ مُفَوِّزِينَ إِلَى سَوَى - وَهِيَ عَلَى جَانِبِهَا الْآخِرِ مِمَّا يَلِي الشَّامَ - فَلَمَّا سَارُوا يَوْمًا افْتَضَلُوا لِكُلِّ عَدَّةٍ مِنَ الْخَيْلِ عَشْرًا مِنْ تِلْكَ الْإِبِلِ فَزَجُّوا مَا فِي كُرُوشِهَا بِمَا كَانَ مِنَ الْأَلْبَانِ، ثُمَّ سَقَوْا الْخَيْلَ، وَشَرَبُوا لِلشَّفَةِ جَرْعًا، فَفَعَلُوا ذَلِكَ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَفَزِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، عَنْ حَدِثِهِ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ، أَنَّ مُحْرَزُ بْنُ حَرِيشٍ الْحَارَبِيَّ قَالَ لَخَالِدٍ: اجْعَلْ كَوَكَبَ الصَّبْحِ عَلَى حَاجِبِكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ أَمَّهُ تَفَضُّضًا إِلَى سَوَى، فَكَانَ أَذْلَهُمْ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ: وَشَارَكَهُمْ مُحَمَّدٌ وَطَلْحَةُ، قَالُوا: لِمَا نَزَلَ بِسَوَى وَخَشِيَ أَنْ يَفْضَحَهُمْ حَرُ الشَّمْسِ، نَادَى خَالِدٌ رَافِعًا: مَا عِنْدَكَ؟ قَالَ:

خَيْرٌ، اذْرَكْتُمُ الرِّيَّ، وَأَنْتُمْ عَلَى الْمَاءِ! وَشَجَّعَهُمْ وَهُوَ مُتَحِيرٌ أَرْمَدًا، وَقَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ، انْظُرُوا عَلَيْنِ كَأَنَّهُمَا ثِدْيَانِ فَأَتَوْا عَلَيْهِمَا وَقَالُوا: عَلِمَانِ، فَقَامَ عَلَيْهِمَا فَقَالَ: اضْرِبُوا يَمْنَةً وَيَسْرَةً - لَعُوبَةٌ كَقَعْدَةِ الرَّجُلِ - فَوَجَدُوا جَذْمَهَا، فَقَالُوا: جَذْمٌ وَلَا نَرَى شَجْرَةَ، فَقَالَ: احْتَفَرُوا حَيْثُ شِئْتُمْ، فَاسْتَثَارُوا أَوْشَالًا وَأَحْسَاءَ رَوَاءَ، فَقَالَ رَافِعٌ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، وَاللَّهِ مَا وَرَدَتْ هَذَا الْمَاءَ مِنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَمَا وَرَدَتْهُ إِلَّا مَرَّةٌ وَانَا غَلَامٌ مَعَ أَبِي.

فَاسْتَعَدَّ وَاشْتَمَّ أَغَارُوا وَالْقَوْمُ لَا يَرُونَ أَنَّ جَيْشًا يَقْطَعُ إِلَيْهِمْ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ ظُفَرِ بْنِ دَهْيٍ، قَالَ: فَأَغَارَ بَنُو خَالِدٍ مِنْ سَوَى عَلَى مُصَيِّخٍ بِهِمَاءٍ بِالْقُصَوَانِيَّ - مَاءٌ مِنَ الْمِيَاهِ - فَصَبَحَ الْمُصَيِّخُ وَالنَّارُ، وَإِنَّهُمْ لَغَارُونَ، وَإِنَّ رُفْقَةَ لَتَشْرَبُ فِي وَجْهِ الصُّبْحِ، وَسَاقِيهِمْ يُغْنِيهِمْ، وَيَقُولُ:

أَلَا صَبَحَانِي قَبْلَ جَيْشِ أَبِي بَكْرٍ.

فَضْرَبَتْ عُنُقَهُ، فَاخْتَلَطَ دَمُهُ بِجَمْرِهِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ بِإِسْنَادِهِ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، قَالَ: وَلَمَّا بَلَغَ غَسَّانَ خَرُوجُ خَالِدٍ عَلَى سَوَى وَانْسَافُهَا، وَغَارَتُهُ عَلَى مُصَيِّخٍ بِهِمَاءٍ وَانْسَافُهَا، فَاجْتَمَعُوا بِمَرْجٍ رَاهِطٍ، وَبَلَغَ ذَلِكَ خَالِدًا، وَقَدْ خَلَفَ ثُغُورَ الرُّومِ وَجُنُودَهَا مِمَّا يَلِي الْعِرَاقَ،

فَصَارَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْيَرْمُوكَ، صَدَدَ لَهُمْ، فَخَرَجَ مِنْ سَوَى بَعْدَ مَا رَجَعَ إِلَيْهَا بِسَيِّئِ بَهْرَاءَ، فَزَلَّ الرُّمَانَتَيْنِ - عَلِمَنِ عَلَى الطَّرِيقِ - ثُمَّ نَزَلَ الْكَثَبَ، حَتَّى صَارَ إِلَى دِمَشْقَ، ثُمَّ مَرَجَ الصُّفَرِ، فَلَقِيَ عَلَيْهِ غَسَّانَ وَعَلَيْهِمُ الْحَارِثُ بْنُ الْأَيْهَمِ، فَانْتَسَفَ عَسْكَرُهُمْ وَعِيَالَتِهِمْ وَنَزَلَ بِالْمَرْجِ أَيَّامًا، وَبَعَثَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِالْأَنْحَاسِ مَعَ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزْنِيِّ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْمَرْجِ حَتَّى يَنْزِلَ قَنَاةَ بَصْرَى، فَكَانَتْ أَوَّلَ مَدِينَةٍ افْتَتَحَتْ بِالشَّامِ عَلَى يَدِي خَالِدٍ

فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ جُنُودِ الْعِرَاقِ، وَخَرَجَ مِنْهَا، فَوَافَى الْمُسْلِمِينَ بِالْوَأْقُوصَةِ، فَنَازَلَهُمْ بِهَا فِي تِسْعَةِ آلَافٍ. كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَالْمُهَلَّبِ، قَالُوا: وَلَمَّا رَجَعَ خَالِدٌ مِنْ حِجِّهِ وَأَفَاهُ كِتَابُ أَبِي بَكْرٍ بِالْخُرُوجِ فِي شَطْرِ النَّاسِ، وَأَنْ يُخَلِّفَ عَلَى الشَّطْرِ الْبَاقِي الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ، وَقَالَ: لَا تَأْخُذَنَّ نَجْدًا إِلَّا خَلَفْتَ لَهُ نَجْدًا، فَإِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَارْدُدْهُمْ إِلَى الْعِرَاقِ، وَأَنْتَ مَعَهُمْ، ثُمَّ أَنْتَ عَلَى عَمَلِكَ، وَأَحْضَرَ خَالِدٌ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتَأْثَرَ بِهِمْ عَلَى الْمُثَنَّى، وَتَرَكَ لِلْمُثَنَّى أَعْدَادَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْقَنَاةِ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ صُحْبَةٌ، ثُمَّ نَظَرَ فِيمَنْ بَقِيَ، فَاخْتَلَجَ مِنْ كَانَ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَ وَافِدًا أَوْ غَيْرَ وَافِدٍ، وَتَرَكَ لِلْمُثَنَّى أَعْدَادَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْقَنَاةِ، ثُمَّ قَسَمَ الْجُنْدَ نِصْفَيْنِ، فَقَالَ الْمُثَنَّى: وَاللَّهِ لَا أَقِيمُ إِلَّا عَلَى إِنْفَازِ أَمْرِ أَبِي بَكْرٍ كُلِّهِ فِي اسْتِصْحَابِ نِصْفِ الصَّحَابَةِ أَوْ بَعْضِ النَّصَفِ، وَبِاللَّهِ مَا أَرْجُو النَّصْرَ إِلَّا بِهِمْ، فَأَنَّى تُعَرِّينِي مِنْهُمْ! فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ خَالِدٌ بَعْدَ مَا تَلَكَّأَ عَلَيْهِ أَعَاضُهُ مِنْهُمْ حَتَّى رَضِيَ، وَكَانَ فِيمَنْ أَعَاضَهُ مِنْهُمْ فَرَاتُ بْنُ حَيَّانَ الْعَجَلِيُّ، وَبَشِيرُ بْنُ الْخَصَّاصِيَّةِ وَالْحَارِثُ بْنُ حَسَّانَ الذُّهْلِيَّانِ، وَمَعْبُدُ بْنُ أُمِّ مَعْبُدٍ الْأَسْلَمِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى الْأَسْلَمِيُّ، وَالْحَارِثُ بْنُ بِلَالِ الْمُزْنِيِّ، وَعَاصِمُ بْنُ عَمْرِو التَّمِيعِيِّ، حَتَّى إِذَا رَضِيَ الْمُثَنَّى وَأَخَذَ حَاجَتَهُ، انْجَذَبَ خَالِدٌ فُضْضَى لَوَجْهِهِ وَشَيْعَهُ الْمُثَنَّى إِلَى قَرَاقرٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْحِيرَةِ فِي الْمَحْرَمِ، فَأَقَامَ فِي سُلْطَانِهِ، وَوَضَعَ فِي الْمُسْلِحَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا عَلَى السَّيْبِ أَخَاهُ، وَمَكَانَ ضَرَارِ بْنِ الْخَطَّابِ عُتَيْبَةَ بْنِ النَّهَّاسِ، وَمَكَانَ ضَرَارِ بْنِ الْأَزُورِ مَسْعُودًا أَخَاهُ الْآخَرَ، وَسَدَّ أَمَاكِنَ كُلِّ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْأُمَرَاءِ بِرِجَالٍ أَمْثَلَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْغَنَاءِ، وَوَضَعَ مَدْعُورَ بْنَ عَدِيٍّ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَمَاكِنِ، وَاسْتَقَامَ أَهْلُ فَارِسَ - عَلَى رَأْسِ سَنَةِ مِنْ مَقْدَمِ خَالِدِ الْحِيرَةِ، بَعْدَ خُرُوجِ خَالِدٍ بِقَلِيلٍ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ - عَلَى شَهْرِ بَرَّازَ بْنِ أَرْدَشِيرَ بْنِ شَهْرِيَّارٍ مِمَّنْ يَنْسَبُ إِلَى كِسْرَى، ثُمَّ إِلَى سَابُورَ فُوجِهِ إِلَى الْمُثَنَّى جُنْدًا عَظِيمًا عَلَيْهِمْ هَرْمُزُ جَاذُوِيهِ

فِي عَشْرَةِ آلَافٍ، وَمَعَهُ فِيلٌ، وَكَتَبَتْ الْمَسَالِحُ إِلَى الْمُثَنَّى بِإِقْبَالِهِ، فَخَرَجَ الْمُثَنَّى مِنَ الْحِيرَةِ نَحْوَهُ، وَضَمَّ إِلَيْهِ الْمَسَالِحَ، وَجَعَلَ عَلَى مَجْنِبَتِهِ الْمَعْنَى وَمَسْعُودًا ابْنِي حَارِثَةَ، وَأَقَامَ لَهُ بِبَابِلَ، وَاقْبَلَ هَرْمَزَ جَاذُوِيهِ، وَعَلَى مَجْنِبَتِهِ الْكُوكَبُودَ وَالْحُرْكَبُودَ وَكَتَبَ إِلَى الْمُثَنَّى: مِنْ شَهْرِ بَرَّازَ إِلَى الْمُثَنَّى، إِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ جُنْدًا مِنْ وَخْشِ أَهْلِ فَارِسَ، إِنَّمَا هُمْ رِعَاةُ الدَّجَاجِ وَالْخَنَازِيرِ، وَلَسْتُ أَقَاتِلُكَ إِلَّا بِهِمْ فَأَجَابَهُ الْمُثَنَّى: مِنْ الْمُثَنَّى إِلَى شَهْرِ بَرَّازَ، إِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ:

إِمَّا بَاغٍ فَذَلِكَ شَرُّكَ وَخَيْرٌ لَنَا، وَإِمَّا كَاذِبٌ فَاعْظُمُ الْكَذَّابِينَ عُقُوبَةً وَفَضِيحَةً عِنْدَ اللَّهِ فِي النَّاسِ الْمُلُوكُ وَأَمَّا الَّذِي يَدُلُّنَا عَلَيْهِ الرَّأْيُ، فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا اضْطَرَرْتُمْ إِلَيْهِمْ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَكُمْ إِلَى رِعَاةِ الدَّجَاجِ وَالْخَنَازِيرِ.

فَجَزَعَ أَهْلُ فَارِسَ مِنْ كِتَابِهِ، وَقَالُوا: إِنَّمَا أَتَى شَهْرَ بَرَّازَ مِنْ شَوْمِ مَوْلِدِهِ وَلَوْمْ مَنَشَتْهُ - وَكَانَ يَسْكُنُ مَيْسَانَ - وَبَعْضُ الْبُلْدَانِ شَيْنٌ عَلَى مَنْ يَسْكُنُهُ.

وَقَالُوا لَهُ: جَرَأَتْ عَلَيْنَا عِدُونَا بِالَّذِي كَتَبْتَ بِهِ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَاتَبْتَ أَحَدًا فَاسْتَشِرْ فَالْتَقُوا بِبَابِلَ، فَاقْتُلُوا بِعَدْوَةِ الصَّرَاةِ الدُّنْيَا عَلَى الطَّرِيقِ الْأَوَّلِ قَتَالًا شَدِيدًا ثُمَّ إِنَّ الْمُثَنَّى وَنَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ اعْتَوَرُوا الْفِيلَ - وَقَدْ كَانَ يَفْرُقُ بَيْنَ الصُّفُوفِ وَالْكَرَادِيْسِ - فَأَصَابُوا مَقْتَلَهُ، فَقَتَلُوهُ وَهَرَمُوا أَهْلَ فَارِسَ، وَاتَّبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَهُمْ، حَتَّى جَاوَزُوا بِهِمْ مَسَاحِلَهُمْ، فَأَقَامُوا فِيهَا، وَتَبَعَ الطَّلَبُ الْفَالَةَ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْمَدَائِنِ،

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَبْدُهُ بْنُ الطَّيِّبِ السَّعْدِيُّ، وَكَانَ عَبْدُهُ قَدْ هَاجَرَ لِمُهَاجِرَةِ حَلِيلَةٍ لَهُ حَتَّى شَهِدَ وَقْعَةَ بَابِلَ، فَلَمَّا آيَسَتْهُ رَجَعَ إِلَى الْبَادِيَةِ، فَقَالَ:

هَلْ حَبْلُ خَوْلَةٍ بَعْدَ الْبَيْنِ مَوْصُولٌ ... أَمْ أَنْتَ عَنْهَا بَعِيدُ الدَّارِ مَشْغُولُ!
وَلَأَحَبَّةُ أَيَّامٍ تَذَكَّرُهَا ... وَلَلنَّوَى قَبْلَ يَوْمِ الْبَيْنِ تَأْوِيلُ
حَلَّتْ خَوْلِيَّةٌ فِي حَيِّ عَهْدَتِهِمْ ... دُونَ الْمَدَائِنِ فِيهَا الدِّيْكُ وَالْفِيلُ
يُقَارِعُونَ رُءُوسَ الْعُجَمِ ضَاحِيَةً ... مِنْهُمْ فَوَارِسُ، لَا عُرْلٌ وَلَا مِيلُ
الْقَصِيدَةِ وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ يُعَدُّ بَيُوتَاتِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ وَذَكَرَ الْمُثَنَّى وَقَتْلَهُ الْفِيلَ:
وَيَتُّ الْمُثَنَّى قَاتِلَ الْفِيلِ عَنُودٌ ... بِبَابِلَ إِذْ فِي فَارِسٍ مُلْكُ بَابِلَ

ومات شهر براز منهزم هزم جاذويه.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ فَارِسَ، وَبَقِيَ مَا دُونَ دِجْلَةَ وَبُرْسَ مِنَ السَّوَادِ فِي يَدَيِ الْمُثَنَّى وَالْمُسْلِمِينَ.

ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ فَارِسَ اجتمعوا بعد شهر براز على دخت زنان ابنة كسرى، فلم ينفذ لها أمر فخلعت.

وَمَلِكُ سَابُورُ بْنُ شَهْرٍ بَرَزَ قَامَ بِأَمْرِهِ الْفَرَخَزَادُ بْنُ الْبَنْدَوَانِ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَزُوجَهُ أَرْمِيدَخْتَ ابْنَةَ كَسْرَى، فَفَعَلَ، فَغَضِبَتْ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَتْ: يَا بَنَ عَمِّ، اتَزَوِجْنِي عَبْدِي! قَالَ: اسْتَحْيِي مِنْ هَذَا الْكَلَامِ وَلَا تُعِيدِيهِ عَلَيَّ، فَإِنَّهُ زَوْجُكَ، فَبَعَثَتْ إِلَى سِيَاوُخْشَ الرَّازِيِّ - وَكَانَ مِنْ فِتَاكِ الْأَعَاجِمِ - فَشَكَتْ إِلَيْهِ الَّذِي تَخَافُ، فَقَالَ لَهَا: إِنْ كُنْتَ كَارِهَةً لِهَذَا فَلَا تُعَاوِدِيهِ فِيهِ، وَأَرْسِلِي إِلَيْهِ وَقُولِي لَهُ: فَلْيَقِلْ لَهُ فُلْيَانُكَ، فَأَنَا أَكْفِيكَهُ فَفَعَلَتْ وَفَعَلَ، وَاسْتَعَدَّ سِيَاوُخْشُ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ الْعُرْسِ أَقْبَلَ الْفَرَخَزَادُ حَتَّى دَخَلَ، فَتَارَ بِهِ سِيَاوُخْشُ فَقَتَلَهُ وَمِنْ مَعَهُ، ثُمَّ نَهَدَ بِهَا مَعَهُ إِلَى سَابُورَ، فَحَضَرَتْهُ ثُمَّ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ وَمَلَكَتْ أَرْمِيدَخْتُ بِنْتُ كَسْرَى، وَتَشَاغَلُوا بِذَلِكَ، وَأَبْطَأَ خَبَرُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَخَلَفَ الْمُثَنَّى عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِشِيرِ بْنِ الْخَصَاصِيَّةِ، وَوَضَعَ مَكَانَهُ فِي الْمَسَاحِ سَعِيدَ بْنَ مَرَّةَ الْعِجْلِيِّ، وَخَرَجَ الْمُثَنَّى نَحْوَ أَبِي بَكْرٍ لِيُخْبِرَهُ خَبَرَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَلَيْسْتَ أَذْنُهُ فِي الْاسْتِعَانَةِ بِمَنْ قَدْ ظَهَرَتْ

تَوْبَتُهُ وَنَدَمَهُ مِنْ أَهْلِ الرَّدَةِ مَنْ يَسْتَطِيعُهُ الْغَزْوُ، وَلِيُخْبِرَهُ أَنَّهُ لَمْ يَخْلَفْ أَحَدًا أَنْشَطَ إِلَى قِتَالِ فَارِسَ وَحَرْبِهَا وَمَعُونَةِ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ وَأَبُو بَكْرٍ مَرِيضٌ، وَقَدْ كَانَ مَرَضَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ مَخْرَجِ خَالِدٍ إِلَى الشَّامِ - مَرَضَتَهُ الَّتِي مَاتَ فِيهَا - بِأَشْهَرٍ، فَقَدِمَ الْمُثَنَّى وَقَدْ أَشْفِيَ، وَعَقَدَ لِعَمْرٍ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: عَلَيَّ بِعَمْرٍ، لَجَاءَ فَقَالَ لَهُ: اسْمَعْ يَا عَمْرُ مَا أَقُولُ لَكَ، ثُمَّ أَعْمَلْ بِهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَمُوتَ مِنْ يَوْمِي هَذَا - وَذَلِكَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ - فَإِنْ أَنَامْتُ فَلَا تَمْسِسْ حَتَّى تَدُبَّ النَّاسَ مَعَ الْمُثَنَّى، وَإِنْ تَأَخَّرْتُ إِلَى اللَّيْلِ فَلَا تُصَبِّحَنَّ حَتَّى تَدُبَّ النَّاسَ مَعَ الْمُثَنَّى، وَلَا تَشْغَلَنَّكَ مُصِيبَةٌ وَإِنْ عَظُمَتْ عَنْ أَمْرِ دِينِكُمْ، وَوَصِيَّةِ رَبِّكُمْ، وَقَدْ رَأَيْتَنِي مَتَوَفَى رَسُولَ اللَّهِ صَ وَمَا صَنَعْتُ، وَلَمْ يُصَبِّ الْخَلْقُ بِمِثْلِهِ، وَبِاللَّهِ لَوْ أَنِي عَنْ أَمْرِ رَسُولِهِ لَخَذَلْنَا وَلَعَاقَبْنَا، فَاضْطَرَمَّتِ الْمَدِينَةُ نَارًا وَإِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَى أَمْرَاءِ الشَّامِ فَارْدُدْ أَصْحَابَ خَالِدٍ إِلَى الْعِرَاقِ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُهُ وَوَلَاةُ أَمْرِهِ وَحَدَهُ وَاهِلُ الضَّرَاوَةِ مِنْهُمْ وَالْجَرَاةُ عَلَيْهِمْ.

وَمَاتَ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مَعَ اللَّيْلِ، فَدَفَنَهُ عُمَرُ لَيْلًا، وَصَلَّى عَلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ، وَنَدَبَ النَّاسَ مَعَ الْمُثَنَّى بَعْدَ مَا سَوِيَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَقَالَ عُمَرُ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ يَسُوءُنِي أَنْ أُؤَمِّرَ خَالِدًا عَلَى حَرْبِ الْعِرَاقِ، حِينَ أَمَرَنِي بِصَرْفِ أَصْحَابِي، وَتَرَكَ ذِكْرَهُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَإِلَى أَرْمِيدَخْتَ انْتَهَى شَأْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَأَحَدُ شَقِي السَّوَادِ فِي سُلْطَانِهِ، ثُمَّ مَاتَ وَتَشَاغَلَ أَهْلُ فَارِسَ فِيمَا بَيْنَهُمْ عَنْ إِزَالَةِ الْمُسْلِمِينَ عَنِ السَّوَادِ، فِيمَا بَيْنَ مُلْكِ أَبِي بَكْرٍ إِلَى قِيَامِ عُمَرَ وَرَجُوعِ الْمُثَنَّى مَعَ أَبِي عُبَيْدٍ إِلَى الْعِرَاقِ، وَالْجُمْهُورِ مِنْ جُنْدِ أَهْلِ الْعِرَاقِ بِالْحِيرَةِ، وَالْمَسَاحِ بِالسَّيْبِ، وَالْغَارَاتُ تَنْتَهِي بِهِمْ إِلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ، وَدِجْلَةُ حِجَازٍ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْعُجَمِ.

فَهَذَا حَدِيثُ الْعِرَاقِ فِي إِمَارَةِ أَبِي بَكْرٍ مِنْ مَبْتَدَأِهِ إِلَى مَبْتَدَأِهِ

٣٠٧٠٣ ذكر وقعة أجنادين

[ذكر وقعة أجنادين]

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ وَكَتَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى خَالِدٍ وَهُوَ بِالْحِيرَةِ، يَأْمُرُهُ أَنْ يَمْدَّ أَهْلَ الشَّامِ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْقُوَّةِ، وَيُخْرِجَ فِيهِمْ، وَيَسْتَخْلَفُ عَلَى ضَعْفَةِ النَّاسِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا أَتَى خَالِدًا كَتَبَ أَبِي بَكْرٍ بِذَلِكَ، قَالَ خَالِدٌ: هَذَا عَمَلُ الْإِيسَرِ بْنِ أُمِّ شَمْلَةَ - يَعْنِي عَمْرَ ابْنِ الْخَطَّابِ - حَسَدَنِي أَنْ يَكُونَ فَتَحَ الْعِرَاقَ عَلَى يَدَيَّ فَسَارَ خَالِدٌ بِأَهْلِ الْقُوَّةِ مِنَ النَّاسِ وَرَدَّ الضُّعَفَاءَ وَالنِّسَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ، مَدِينَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيُّ، وَاسْتَخْلَفَ خَالِدٌ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ بِالْعِرَاقِ مِنْ رِبْعَةٍ وَغَيْرِهِمُ الْمُشَنَّى بْنِ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيِّ ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى عَيْنِ التَّمْرِ، فَأَغَارَ عَلَى أَهْلِهَا، فَأَصَابَ مِنْهُمْ، وَرَابَطَ حَصْنًا بِهَا فِيهِ مُقَاتِلَةٌ كَانَتْ كَسْرَى وَضَعَهُمْ فِيهِ حَتَّى اسْتَنْزَلَهُمْ، فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ، وَسَبَى مِنْ عَيْنِ التَّمْرِ وَمِنْ أَبْنَاءِ تِلْكَ الْمُرَابِطَةِ سَبَايَا كَثِيرَةً، فَبَعَثَ بِهَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَكَانَ مِنْ تِلْكَ السَّبَايَا أَبُو عَمْرٍة مَوْلَى شُبَّانٍ، وَهُوَ أَبُو عَبْدِ الْأَعْلَى بْنُ أَبِي عَمْرٍة، وَأَبُو عُبَيْدَةَ مَوْلَى الْمُعَلَّى، مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى زَهْرَةَ، وَخَيْرٌ مَوْلَى أَبِي دَاوُدَ الْأَنْصَارِيِّ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، وَيَسَارٌ وَهُوَ جَدُّ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ مَوْلَى قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأَفْلَحَ مَوْلَى أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ، وَحِمْرَانُ بْنُ أَبَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ وَقَتْلَ خَالِدٍ بْنُ الْوَلِيدِ هَلَالُ بْنُ عَقَّةِ ابْنِ بَشْرِ التَّمْرِ وَصَلَبَهُ بِعَيْنِ التَّمْرِ، ثُمَّ أَرَادَ السَّيْرَ مَفْرُوزًا مِنْ قُرَاقِرٍ - وَهُوَ مَاءٌ لِكَلْبٍ إِلَى سَوَى، وَهُوَ مَاءٌ لِبَهْرَاءَ بَيْنَهُمَا خَمْسَ لِيَالٍ - فَلَمْ يَهْتِدِ خَالِدٌ الطَّرِيقَ، فَالْتَمَسَ دَلِيلًا، فَدَلَّ عَلَى رَافِعِ بْنِ عُمَيْرَةَ الطَّائِي، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: انْطَلِقْ بِالنَّاسِ، فَقَالَ لَهُ رَافِعٌ: إِنَّكَ لَنْ تَطِيقَ ذَلِكَ بِالْخَيْلِ وَالْأَثْقَالِ، وَاللَّهِ إِنَّ الرَّائِبَ الْمَفْرَدَ لِيَخَافُهَا عَلَى نَفْسِهِ وَمَا يَسْلُكُهَا إِلَّا مُغْرَرًا، إِنَّهَا خَمْسَ لِيَالٍ جِيَادٍ لَا يُصَابُ فِيهَا مَاءٌ مَعَ مَضَلَّتِهَا، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: وَيْحَكَ! إِنَّهُ وَاللَّهِ إِنَّ لِي بَدًّا مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ قَدْ أَتَنَّى مِنَ الْأَمِيرِ عَزْمَةً بِذَلِكَ، فَمُرْ بِأَمْرِكَ.

قَالَ: اسْتَكَثَرُوا مِنَ الْمَاءِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَصِرَ أُذُنٌ نَاقَتِهِ عَلَى مَاءٍ فَلْيَفْعَلْ،

فَإِنَّهَا الْمَهَالِكُ إِلَّا مَا دَفَعَ اللَّهُ، ابْنِي عَشْرِينَ جُزُورًا عَظَمًا سَمَانًا مَسَانًا.

فَاتَاهُ بَنُو خَالِدٍ، فَعَمِدَ إِلَيْهِمْ رَافِعٌ فَظَمَّاهُمْ، حَتَّى إِذَا أَجْهَدُهُمْ عَطَشًا أَوْرَدَهُمْ فَشْرِبَ حَتَّى إِذَا تَمَلَّأَ عَمِدَ إِلَيْهِمْ، فَقَطَعَ مَشَافِرَهُمْ، ثُمَّ كَعَمَهُمْ لَيْلًا يَجْتَرُونَ، ثُمَّ أَخْلَى أَدْبَارَهُمْ.

ثُمَّ قَالَ لَخَالِدٍ: سِرْ، فَسَارَ خَالِدٌ مَعَهُ مَغْذًا بِالْخَيْلِ وَالْأَثْقَالِ، فَكَلَّهَا نَزَلَ مِنْزِلًا افْتَقَطَ أَرْبَعًا مِنْ تِلْكَ الشَّوَارِفِ، فَأَخَذَ مَا فِي أَكْرَاشِهَا، فَسَقَاهُ الْخَيْلَ، ثُمَّ شَرِبَ النَّاسُ مِمَّا حَمَلُوا مَعَهُمْ مِنَ الْمَاءِ، فَلَمَّا خَشِيَ خَالِدٌ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الْمَفَازَةِ قَالَ لِرَافِعِ بْنِ عُمَيْرَةَ وَهُوَ أَرْمَدُ: وَيْحَكَ يَا رَافِعُ! مَا عِنْدَكَ؟ قَالَ أَدْرَكْتُ الرَّيَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْعَلَبِينَ، قَالَ لِلنَّاسِ: انْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ شَجِيرَةً مِنْ عَوْجٍ

كَقَعْدَةِ الرَّجُلِ؟ قَالُوا: مَا نَرَاهَا.

قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! هَلَكْتُمْ وَاللَّهِ إِذَا وَهَلَكْتَ، لَا أَبَالِكُمْ! انْظُرُوا، فَطَلَبُوا فَوَجَدُوهَا قَدْ قُطِعَتْ وَبَقِيَتْ مِنْهَا بَقِيَّةٌ، فَلَمَّا رَأَاهَا الْمُسْلِمُونَ كَبَرُوا وَكَبَّرَ رَافِعُ بْنُ عُمَيْرَةَ، ثُمَّ قَالَ: احْفَرُوا فِي أَصْلِهَا، فَحَفَرُوا فَاسْتَخْرَجُوا عَيْنًا، فَشَرَبُوا حَتَّى رَوِيَ النَّاسُ، فَاتَّصَلَتْ بَعْدَ ذَلِكَ لَخَالِدٍ الْمَنَازِلُ، فَقَالَ رَافِعٌ:

وَاللَّهِ مَا وَرَدْتُ هَذَا الْمَاءَ قَطُّ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً، وَرَدَّتْهُ مَعِيَ أَبِي وَأَنَا غُلَامٌ، فَقَالَ شَاعِرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ:

لِلَّهِ عَيْنَا رَافِعٌ أَتَى اهْتَدَى ... فَوَزَّ مِنْ قُرَاقِرٍ إِلَى سَوَى!

خَمْسًا إِذَا مَا سَارَهَا الْجَيْشُ بَكَّى ... مَا سَارَهَا قَبْلَكَ إِنِّي يَرَى
فَلَمَّا أَتَى خَالِدٌ إِلَى سَوَى، أَغَارَ عَلَى أَهْلِهِ - وَهُمْ بِهَرَاءَ - قَبِيلَ الصَّبْحِ، وَنَاسٌ مِنْهُمْ يَشْرَبُونَ نَحْرًا لَهِمْ فِي جَفْنَةٍ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَيْهَا، وَمَغْنِيهِمْ يَقُولُ:

أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ جَيْشِ أَبِي بَكْرٍ ... لَعَلَّ مَنَايَانَا قَرِيبٌ وَمَا نَدْرِي
الَا عَلَّلَانِي بِالزَّجَاجِ وَكَرَارٍ ... عَلَيَّ كَمِيتَ اللَّوْنُ صَافِيَةً تَجْرِي
أَلَا عَلَّلَانِي مِنْ سُلَافَةِ قَهْوَةٍ ... تُسَلِّي هُمُومَ النَّفْسِ مِنْ جِدِّ النَّحْرِ
أُظُنُّ خِيُولَ الْمُسْلِمِينَ وَخَالِدًا ... سَتَطْرُقُكُمْ قَبْلَ الصَّبَاحِ مِنَ الْبُشْرِ
فَهَلْ لَكُمْ فِي السَّيْرِ قَبْلَ قِتَالِهِمْ ... وَقَبْلَ خُرُوجِ الْمُعْصِرَاتِ مِنَ الْخُدْرِ!
فَيَزْعُمُونَ أَنَّ مُغْنِيَهُمْ ذَلِكَ قُتِلَ تَحْتَ الْغَارَةِ، فَسَالَ دَمُهُ فِي تِلْكَ الْجَفْنَةِ.

ثُمَّ سَارَ خَالِدٌ عَلَى وَجْهِهِ ذَلِكَ، حَتَّى أَغَارَ عَلَى غَسَّانَ بِمَرْجٍ رَاهِطٍ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى قَنَاةٍ بُصْرَى، وَعَلَيْهَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَشُرْحَبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ وَيزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهَا، فَارْبَطُوهَا حَتَّى صَالَحَتْ بُصْرَى عَلَى الْجَزْيَةِ، وَفَتَحَهَا اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَكَانَتْ أَوَّلَ مَدِينَةٍ مِنْ مَدَائِنِ الشَّامِ فَتَحَتْ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ سَارُوا جَمِيعًا إِلَى فَلَسْطِينَ، مَدَدًا لِعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ، وَعَمَرُو مُقِيمٌ بِالْعَرَبَاتِ مِنْ غَوْرِ فَلَسْطِينَ، وَسَمِعَتِ الرُّومُ بِهِمْ، فَانْكَشَفُوا عَنْ جَلَقٍ إِلَى أَجْنَادِينَ، وَعَلَيْهِمْ تَذَارِقُ أَخُو هِرْقُلَ لِأَيِّهِ وَأُمِّهِ - وَأَجْنَادِينَ بَلَدٌ بَيْنَ الرَّمْلَةِ وَبَيْتِ جَبْرِينَ مِنْ أَرْضِ فَلَسْطِينَ - وَسَارَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ حِينَ سَمِعَ بِأَيِّ عِيْدِهِ بْنِ الْجَرَّاحِ وَشُرْحَبِيلِ بْنِ حَسَنَةَ وَيزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ حَتَّى لَقِيَهُمْ فَاجْتَمَعُوا بِأَجْنَادِينَ، حَتَّى عَسَكُرُوا عَلَيْهِمْ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ قَالَ: كَانَ عَلَى الرُّومِ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ الْقَبْقَلَارُ، وَكَانَ هِرْقُلُ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى أَمْرَاءِ الشَّامِ حِينَ سَارَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَإِلَيْهِ انْصَرَفَ تَذَارِقُ بَيْنَ مَعَهُ مِنَ الرُّومِ.

فَأَمَّا عُلَمَاءُ الشَّامِ فَيَزْعُمُونَ أَنَّكَ كَانَ عَلَى الرُّومِ تَذَارِقُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: لَمَّا تَدَانَى الْعَسْكَرَانِ بَعَثَ الْقَبْقَلَارُ رَجُلًا عَرَبِيًّا - قَالَ: لَحْدْتُ أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ رَجُلٌ مِنْ قَضَاعَةَ، مِنْ تَزِيدِ بْنِ حِيدَانَ، يُقَالُ لَهُ ابْنُ هَزَارِفٍ - فَقَالَ: ادْخُلْ فِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَأَقِمْ فِيهِمْ يَوْمًا وَلَيْلَةً، ثُمَّ أَتْنِي بِخَبْرِهِمْ قَالَ: فَدَخَلَ فِي النَّاسِ رَجُلٌ عَرَبِيٌّ لَا يَنْكُرُ، فَأَقَامَ فِيهِمْ يَوْمًا وَلَيْلَةً، ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ:

بِاللَّيْلِ رَهْبَانٌ، وَبِالنَّهَارِ فَرَسَانٌ، وَلَوْ سَرَقَ ابْنُ مَلِكِهِمْ قَطَعُوا يَدَهُ، وَلَوْ زَنَى رَجُلٌ، لِإِقَامَةِ الْحَقِّ فِيهِمْ فَقَالَ لَهُ الْقَبْقَلَارُ: لَئِنْ كُنْتُ صَدَقْتَنِي لَبَطَنَ الْأَرْضَ خَيْرٌ مِنْ لِقَاءِ هَؤُلَاءِ عَلَى ظَهَرِهَا، وَلَوْ دِدْتُ أَنَّ حَظِّي مِنَ اللَّهِ أَنْ يَخْلِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَلَا يَنْصُرُنِي عَلَيْهِمْ، وَلَا يَنْصُرُهُمْ عَلَيَّ قَالَ: ثُمَّ تَزَاحَفَ النَّاسُ، فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا رَأَى الْقَبْقَلَارُ مَا رَأَى مِنْ قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ لِلرُّومِ: لَفُوا رَأْسِي بِثَوْبٍ، قَالُوا لَهُ: لَمْ؟ قَالَ: يَوْمَ الْبَيْتِ، لَا أَحِبُّ أَنْ أَرَاهُ! مَا رَأَيْتُ فِي الدُّنْيَا يَوْمًا أَشَدَّ مِنْ هَذَا! قَالَ: فَاحْتَزَّ الْمُسْلِمُونَ رَأْسَهُ، وَإِنِّهِ لَمْلَفٌ.

وَكَانَتْ وَقْعَةُ أَجْنَادِينَ فِي سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةِ اللَّيْلَتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ جُمَادَى الْأُولَى وَقَتْلَ يَوْمِئِذٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَمَاعَةٌ، مِنْهُمْ سَلَمَةُ بْنُ هِشَامِ ابْنِ الْمُغِيرَةِ، وَهَبَارُ بْنُ الْأَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ، وَنَعِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّحَامِ، وَهَشَامُ بْنُ الْعَاصِي بْنِ وَائِلٍ، وَجَمَاعَةٌ أُخَرُ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ: وَلَمْ يَسْمَعْ لَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ أَحَدٌ أَصِيبَ بِهَا.

وَفِيهَا تُوْفِيَ أَبُو بَكْرٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ بَقِيْنَ - أَوْ سَبْعَ بَقِيْنَ - مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ.
رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ أَبِي زَيْدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بِإِسْنَادِهِ الَّذِي قَدْ مَضَى ذِكْرُهُ قَالَ: وَأَتَى خَالِدٌ دِمَشْقَ فَجَمَعَ لَهُ صَاحِبُ بَصْرَى،

فسار إليه هو وأبو عبيدة، فلقبهم أدرنجا، فظفر بهم وهزمهم، فدخلوا حصنهم، وطلبوا الصلح، فصالحهم على كل رأس دينار في كل عام وجريب حنطة ثم رجع العدو للمسلمين، فتوافت جنود المسلمين والروم

٣٠٧٠٤ ذكر مرض أبي بكر ووفاته

بأجنادين، فالتقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة، فظهر المسلمون، وهزم الله المشركين، وقتل خليفة هرقل، واستشهد رجال من المسلمين، ثم رجع هرقل للمسلمين، فالتقوا بالواقصة فقاتلوهم، وقتلهم العدو، وجاءتهم وفاة أبي بكر وهم مصافون وولاية أبي عبيدة، وكانت هذه الوقعة في رجب

ذكر مرض أبي بكر ووفاته
حدثني أبو زيد، عن علي بن محمد، بإسناده الذي قد مضى ذكره، قالوا:
توفي أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة في جمادى الآخرة يوم الاثنين لثمان بقين منه قالوا: وكان سبب وفاته أن اليهود سمته في أرزة، ويقال في جذيدة، وتناول معه الحارث بن كدة منها، ثم كف وقال لأبي بكر: أكلت طعاما مسموما سم سنة فمات بعد سنة، ومرض خمسة عشر يوما، فقليل له: لو أرسلت إلى الطبيب! فقال: قد رأي، قالوا: فما قال لك؟ قال: إني أفعل ما أشاء.
قال أبو جعفر: ومات عتاب بن أسيد بمكة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر. وكانا سما جميعا- ثم مات عتاب بمكة.
وقال غير من ذكرت في سبب مرض أبي بكر الذي توفي فيه، ما حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال:

حدثني أسامة بن زيد الليثي، عن محمد بن حمزة، عن عمرو، عن أبيه، قال: وأخبرنا محمد بن عبد الله، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قال:

وأخبرنا عمر بن عمران بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، عن عمر بن الحسين مولى آل مظعون، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي بكر، قالوا: كان أول ما بدأ مرض أبي بكر به أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة، وكان يوما باردا فم خمسة عشر يوما لا يخرج إلى الصلاة، وكان يأمر عمر بن الخطاب أن يصلي بالناس، ويدخل الناس يعودونه، وهو يثقل كل يوم، وهو نازل في داره

التي قطع له رسول الله ص وجاه دار عثمان بن عفان اليوم، وكان عثمان ألزمهم له في مرضه، وتوفي أبو بكر مسي ليلة الثلاثاء، لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال قال: وكان أبو معشر يقول: كانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليال، فتوفي، وهو ابن ثلاث وستين سنة، مجتمع على ذلك في الروايات كلها، استوفى سن النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أبو بكر ولد بعد الفيل بثلاث سنين.

حدثنا ابن حميد، قال حدثنا جرير، عن يحيى بن سعيد، قال:

قال سعيد بن المسيب: استكمل أبو بكر بخلافته سن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتوفي وهو بسن النبي ص.
حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو نعيم، عن يونس بن إسحاق، عن أبي السفر، عن عامر، عن جرير، قال: كنت عند معاوية فقال:

توفي النبي ص وهو ابن ثلاث وستين سنة، وتوفي أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقتل عمر وهو ابن ثلاث وستين سنة.
وحدثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد، عن جرير، قال: قال معاوية: قبض رسول الله ص وهو ابن ثلاث وستين، وقتل عمر وهو ابن ثلاث وستين، وتوفي أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ فِي خَبَرِهِ الَّذِي ذَكَرْتُ عَنْهُ: كَانَتْ وَلَايَةُ أَبِي بَكْرٍ سَنَتَيْنِ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا، وَيُقَالُ: عَشْرَةُ أَيَّامٍ

٣٠٧٥ ذكر الخبر عن غسله والكفن الذي كفن فيه أبو بكر ومن صلى عليه والوقت الذي صلى عليه فيه والوقت الذي توفي فيه

ذكر الخبر عن غسله والكفن الذي كفن فيه أبو بكر ومن صلى عليه والوقت الذي صلى عليه فيه والوقت الذي توفي فيه

حدثني الحارث، عن ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال:

حدثني مالك بن أبي الرِّحَال، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: تُوِّفِيَ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاصِجٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَطَاءٍ وَابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ عُمَيْسٍ، قَالَتْ:

قَالَ لِي أَبُو بَكْرٍ: غَسَلْنِي، قُلْتُ: لَا أُطِيقُ ذَلِكَ، قَالَ: يُعِينُكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ، يَصُبُّ الْمَاءَ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا الْأَشْعَثُ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ

بْنِ صَبْرَةَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ أَوْصَى أَنْ تُغَسَّلَ امْرَأَتُهُ أَسْمَاءُ، فَإِنْ عَجَزَتْ أَعَانَهَا ابْنُهُ مُحَمَّدٌ قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: قَالَ مُحَمَّدٌ

بْنُ عَمْرِو:

وَهَذَا الْحَدِيثُ وَهَلْ، وَإِنَّمَا كَانَ لِمُحَمَّدٍ يَوْمَ تُوِّفِيَ أَبُو بَكْرٍ ثَلَاثُ سِنِينَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، سَأَلَهَا أَبُو بَكْرٍ، فِي كَرِّ كُفْنِ النَّبِيِّ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَتْ: فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ، قَالَ: اغْسِلُوا ثَوْبِي هَذَيْنِ - وَكَانَا مُشَقَّيْنِ - وَابْتَاعُوا لِي ثَوْبًا آخَرَ قُلْتُ: يَا أَبَهْ، إِنَّا مُوسِرُونَ، قَالَ:

أَيُّ بَنِيَّةٍ، الْحَيُّ أَحَقُّ بِالْجَدِيدِ مِنَ الْمَيِّتِ، وَإِنَّمَا هُمَا لِلْمَهْلَةِ وَالصِّدِّيقِ حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ،

قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْقَاسِمِ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ تُوِّفِيَ عِشَاءً بَعْدَ مَا غَابَتِ الشَّمْسُ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ، وَدُفِنَ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ.

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا غَنَامٌ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ مَاتَ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ وَدُفِنَ لَيْلًا.

حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بِإِسْنَادِهِ الَّذِي قَدْ مَضَى ذِكْرُهُ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ حُمِلَ عَلَى السَّرِيرِ الَّذِي حُمِلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، وَصَلَّى عَلَيْهِ عُمَرُ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَدَخَلَ قَبْرَهُ عُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَطَلْحَةُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَارَادَ عَبْدُ اللَّهِ أَنْ

يَدْخُلَ قَبْرَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: كُفِّتَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَكَانَ أَوْصَى - فِيمَا حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، عَنْ ابْنِ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي

سَبْرَةَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - يَعْنِي ابْنَ عُرْوَةَ - أَنَّهُ سَمِعَ عُرْوَةَ وَالْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولَانِ: أَوْصَى أَبُو بَكْرٍ عَائِشَةَ أَنْ يَدْفَنَ إِلَى جَنْبِ النَّبِيِّ

ص، فَلَمَّا تُوِّفِيَ حُفِرَ لَهُ، وَجُعِلَ رَأْسُهُ عِنْدَ كَتِفِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاصْقُوا اللَّحْدَ يَلْحَدُ النَّبِيَّ ص فَقَبِرَ هُنَالِكَ.

قَالَ الْحَارِثُ: حَدَّثَنِي ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو، قَالَ:

حَدَّثَنِي ابْنُ عُثْمَانَ، عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: جُعِلَ رَأْسُ أَبِي بَكْرٍ عِنْدَ كَتِفِي رَسُولِ اللَّهِ ص، وَرَأْسُ عُمَرَ عِنْدَ حَقْوِي أَبِي

بَكْرٍ.

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُسْلِمٍ الطُّوسِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ، قَالَ:

أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ بْنِ هَانِيٍّ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا، فَقُلْتُ: يَا أُمُّهُ، اكْشِفِي لِي عَنْ قَبْرِ

النَّبِيِّ ص وَصَاحِبِيهِ، فَكَشَفَتْ لِي عَنْ ثَلَاثَةِ قُبُورٍ، لَا مُشْرِفَةَ وَلَا لَاطِئَةَ، مَبْطُوحَةً بِبَطْحَاءِ الْعَرَصَةِ الْحُمْرَاءِ، قَالَ: فَرَأَيْتُ قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقَدَّمًا وَقَبْرَ أَبِي بَكْرٍ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَعُمَرَ رَأْسُهُ عِنْدَ رِجْلِي النَّبِيِّ ص.

حدثني الحارث، عن ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن عمرو بن أبي عمرو، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، قال: جعل قبر أبي بكر مثل قبر النبي ص مسطحاً، ورش عليه الماء، وأقامت عليه عائشة النوح.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب، قال: حدثني سعيد بن المسيب، قال: لما توفي أبو بكر رحمه الله أقامت عليه عائشة النوح، فأقبل عمر بن الخطاب حتى قام يبأبها، فهاهن عن البكاء على أبي بكر، فأبين أن ينتهين، فقال عمر لهشام بن الوليد: ادخل فأخرج إلي ابنة أبي حنيفة، أخت أبي بكر، فقالت عائشة لهشام حين سمعت ذلك من عمر: إني أخرج عليك بيتي فقال عمر لهشام: ادخل فقد أذنت لك، فدخل هشام فأخرج أم فروة أخت أبي بكر إلى عمر، فعلاها بالدرّة، فضر بها ضربات، فتنفرق النوح حين سمعوا ذلك.

وتمثل في مرضه - فيما حدثني أبو زيد، عن علي ابن محمد بإسناده - الذي توفي فيه:

وكل ذي إبل موروث ... وكل ذي سلب مسلوب

وكل ذي غيبة يثوب ... وغائب الموت لا يثوب

وكان آخر ما تكلم به، رب «توفي مسلماً وألحقي بالصالحين»

٣٠٧٠٦ ذكر الخبر عن صفه جسم أبي بكر رحمه الله

٣٠٧٠٧ ذكر نسب أبي بكر واسمه وما كان يعرف به

ذكر الخبر عن صفة جسم أبي بكر رحمه الله

حدثني الحارث، عن ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال:

حدثنا شعيب بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، عن أبيه، عن عائشة، رضي الله تعالى عنها، أنها نظرت إلى رجل من العرب مرّ وهي في هودجها، فقالت: ما رأيت رجلاً أشبه بأبي بكر من هذا، فقلنا لها: صفي أبا بكر، فقالت: رجل أبيض نحيف خفيف العارضين، أجناً لا يستمسك إزاره، يسترخي عن حقويه، معروق الوجه، غائر العينين، ناتئ الجبهة، عاري الأشاجع. وأما علي بن محمد، فإنه قال في حديثه الذي ذكرت إسناده قبل:

إنه كان أبيض يخالطه صفرة، حسن القامة، نحيفاً اجناً، رقيقاً عتيقاً، أقنى، معروق الوجه، غائر العينين، حمش الساقين، محوص الفخذين، يخضب بالحناء والكم وكان أبو حنيفة حين توفي حياً بمكة، فلما نعي إليه قال: رزء جليل!

ذكر نسب أبي بكر واسمه وما كان يعرف به

حدثني أبو زيد، قال: حدثنا علي بن محمد بإسناده الذي قد مضى ذكره، أنهم أجمعوا على أن اسم أبي بكر عبد الله، وأنه إنما قيل له عتيق عن عتيقه قال: وقال بعضهم: قيل له ذلك، [لأن النبي صلى الله عليه وسلم، قال له: أنت عتيق من النار]

٣٠٧٠٨ ذكر أسماء نساء أبي بكر الصديق رحمه الله

حدثني الحارث، عن ابن سعد، عن محمد بن عمر، قال: حدثنا إسحاق بن يحيى بن طلحة، عن معاوية بن إسحاق، عن أبيه، عن عائشة، أنها سئلت: لم سمي أبو بكر عتيقاً؟ فقالت: [نظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم يوماً، فقال: هذا عتيق الله من النار].

وَأَسْمُ أَبِيهِ عُمَانُ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو حُقَافَةَ، قَالَ: فَأَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكٍ، وَأُمُّهُ أُمُّ الْخَيْرِ بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ. وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حُقَافَةَ - وَأَسْمُهُ عُمَانُ - بْنُ عَامِرٍ.

وَأُمُّهُ أُمُّ الْخَيْرِ، وَأَسْمُهَا سَلَمَى بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ. وَأَمَّا هِشَامٌ، فَإِنَّهُ قَالَ - فِيمَا حَدَّثْتُ عَنْهُ - أَنَّ اسْمَ ابْنِ بَكْرِ عَتِيقِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَامِرٍ. وَحَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ لُهِيعَةَ، عَنْ عِمَارَةَ بْنِ غَزِيَّةَ، قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْقَاسِمِ عَنْ اسْمِ أَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ، فَقَالَ: عَتِيقُ، وَكَانُوا إِخْوَةَ ثَلَاثَةِ بَنِي أَبِي حُقَافَةَ: عَتِيقُ وَمَعْتَقُ وَعَتِيقُ ذَكَرَ أَصْنَافُ نِسَاءِ أَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ رَحِمَهُ اللَّهُ

حَدَّثَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ حَدَّثِهِ وَمَنْ ذَكَرَتْ مِنْ شَيْخُوهُ، قَالَ: تَزَوَّجَ أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَتِيلَةَ - وَوَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ الْوَاقِدِيُّ وَالْكَلْبِيُّ - قَالُوا: وَهِيَ قَتِيلَةُ ابْنَةِ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ عَبْدِ بْنِ أَسْعَدَ بْنِ جَابِرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِصْلِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيِ، فَوُلِدَتْ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ وَأَسْمَاءُ وَتَزَوَّجَ أَيْضًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أُمُّ رُومَانَ

٣٠٧٠٩ ذكر أسماء قضاياه وكتابه وعمله على الصدقات

بَنَتْ عَامِرُ بْنُ عَمِيرَةَ بْنِ ذَهْلٍ بْنِ دَهْمَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ غَنَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كَنَانَةَ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ أُمُّ رُومَانَ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ عَوَيْمِرِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَتَابِ بْنِ أُذَيْنَةَ بْنِ سَبِيعِ بْنِ دَهْمَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ غَنَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كَنَانَةَ - فَوُلِدَتْ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَعَالِشَةُ. فَكُلُّ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ مِنْ أَوْلَادِهِ، وَلَدُوا مِنْ زَوْجَتَيْهِ اللَّتَيْنِ سَمِيْنَاهُمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

وَتَزَوَّجَ فِي الْإِسْلَامِ أَصْنَافُ بَنَتْ عَمِيْسَ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَهِيَ أَصْنَافُ بِنْتُ عَمِيْسَ بْنِ مَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حُقَافَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ نَسْرِ بْنِ وَهْبِ اللَّهِ بْنِ شَهْرَانَ بْنِ عَفْرَسَ بْنِ حَلْفِ بْنِ أَفْتَلٍ - وَهُوَ خَشْعَمٌ - فَوُلِدَتْ لَهُ مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي بَكْرٍ.

وَتَزَوَّجَ أَيْضًا فِي الْإِسْلَامِ حَبِيبَةَ بِنْتَ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَبِي زَهْرٍ، مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَكَانَتْ نِسَاءً حِينَ تَوَفَّى أَبُو بَكْرٍ، فَوُلِدَتْ لَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ جَارِيَةٌ سَمِيَتْ أُمُّ كَلْثُومٍ

ذَكَرَ أَصْنَافُ قَضَائِهِ وَكُتَابَهُ وَعَمَلَهُ عَلَى الصَّدَقَاتِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُخَرَّمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْفَتْحِ نَصْرُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، قَالَ: قَالَ سَفْيَانُ - وَذَكَرَهُ عَنْ مِسْعَرٍ: لَمَّا وَلِيَ أَبُو بَكْرٍ، قَالَ لَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَنَا أَكْفِيكَ الْمَالَ - يَعْنِي الْجَزَاءَ - وَقَالَ عُمَرُ: أَنَا أَكْفِيكَ الْقَضَاءَ: فَكَثُرَ عُمُرُ سَنَةً لَا يَأْتِيهِ رَجُلَانِ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الَّذِينَ سَمِعُوا: قَالَ بَعْضُهُمْ: جَعَلَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ قَاضِيًا فِي خِلَافَتِهِ، فَكَثُرَ سَنَةً لَمْ يُخَاصَمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ. قَالَ: وَقَالُوا: كَانَ يَكْتُبُ لَهُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَيَكْتُبُ لَهُ الْأَخْبَارَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ يَكْتُبُ لَهُ مَنْ حَضَرَ

وَقَالُوا: كَانَ عَامِلُهُ عَلَى مَكَّةَ عَتَابُ بْنُ أُسَيْدٍ، وَعَلَى الطَّائِفِ عَثْمَانُ بْنُ ابْنِ الْعَاصِي، وَعَلَى صَنْعَاءَ الْمُهَاجِرِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ، وَعَلَى حَضْرَمَوْتَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ، وَعَلَى خَوْلَانَ يَعْلَى بْنُ أُمَيَّةَ، وَعَلَى زَيْدٍ وَرَمَعَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، وَعَلَى الْجَنْدِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَعَلَى الْبَحْرَيْنِ الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ وَبَعَثَ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى نَجْرَانَ، وَبَعَثَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَوْرٍ، أَحَدِ بَنِي الْغَوْثِ إِلَى نَاحِيَةِ جَرْشٍ، وَبَعَثَ عِيَاضَ بْنَ غَنَمٍ

الْفَهْرِيِّ إِلَى دَوْمَةَ الْجَنْدَلِ، وَكَانَ بِالشَّامِ أَبُو عُبَيْدَةَ وَشُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ، وَيزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَلَى جَنْدٍ، وَعَلَيْهِمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَخِيًّا لَنَا، عَالِمًا بِأَنْسَابِ الْعَرَبِ، وَفِيهِ يَقُولُ خُفَافُ بْنُ نُدْبَةَ - وَنُدْبَةُ أُمُّهُ، وَأَبُوهُ عَمِيرُ بْنُ الْحَارِثِ - فِي مَرْثِيَّتِهِ أَبَا بَكْرٍ:

أَبْلَجُ ذُو عَرَفٍ وَذُو مَنْكَرٍ مَقْسَمِ الْمَعْرُوفِ رَحِبِ الْفَنَاءِ لِلْمَجْدِ فِي مَنْزِلِهِ بَادِيَا حَوْضِ رَفِيعٍ لَمْ يَخْنِهِ الْإِزَاءُ وَاللَّهُ لَا يَدْرِكُ أَيَّامَهُ ذُو مَثَرٍ حَافٍ وَلَا ذُو رَدَاءٍ مَنْ يَسْعَى كِي يَدْرِكُ أَيَّامَهُ يَجْتَهِدُ الشَّدَّ بِأَرْضِ فُضَاءٍ وَكَانَ - فِيمَا ذَكَرَ الْحَارِثُ، عَنْ ابْنِ سَعْدٍ، عَنْ عَمْرُو بْنِ الْهَيْثَمِ أَبِي قَطْنٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ عَنْ حِيَانَ الصَّائِغِ، قَالَ: كَانَ نَقَشَ خَاتَمُ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: نَعَمْ الْقَادِرُ اللَّهُ.

قَالُوا: وَلَمْ يَعِشْ أَبُو خُفَافَةَ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا سِتَّةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا، وَتَوَفَّى فِي الْحَرَمِ سَنَةً أَرْبَعَ عَشْرَةَ بِمَكَّةَ، وَهُوَ ابْنُ سَبْعٍ وَتَسْعِينَ سَنَةً

٣٠٧٠١٠ ذكر استخلافه عمر بن الخطاب

ذكر استخلافه عمر بن الخطاب

وعقد أبو بكر في مرضته التي توفي فيها لعمر بن الخطاب عقد الخلافة من بعده.

وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ الْعَقْدَ لَهُ دَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، فِيمَا ذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ، عَنْ الْوَاقِدِيِّ، عَنْ ابْنِ أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَ بِأَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ الْوَفَاةُ دَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ عُمَرَ، فَقَالَ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، هُوَ وَاللَّهُ أَفْضَلُ مِنْ رَأْيِكَ فِيهِ مِنْ رَجُلٍ، وَلَكِنْ فِيهِ غِلْظَةٌ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَرَانِي رَقِيقًا، وَلَوْ أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَيْهِ لَتَرَكْتُ كَثِيرًا مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ وَيَا أَبَا مُحَمَّدٍ قَدْ رَمَقْتُهُ، فَرَأَيْتَنِي إِذَا غَضِبْتُ عَلَى الرَّجُلِ فِي الشَّيْءِ أَرَانِي الرِّضَا عَنْهُ، وَإِذَا لَنْتُ لَهُ أَرَانِي الشَّدَّةَ عَلَيْهِ، لَا تَذْكُرُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ مِمَّا قُلْتُ لَكَ شَيْئًا، قَالَ: نَعَمْ ثُمَّ دَعَا عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، قَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَنْ عُمَرَ، قَالَ: أَنْتَ أَخْبَرْتَنِي بِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: عَلَيَّ ذَاكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! قَالَ: اللَّهُمَّ عَلَيَّ بِهِ أَنْ سَرِيرَتَهُ خَيْرٌ مِنْ عِلَانِيَّتِهِ، وَأَنْ لَيْسَ فِينَا مِثْلُهُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، لَا تَذْكُرْ مِمَّا ذَكَرْتُ لَكَ شَيْئًا، قَالَ: أَفْعَلُ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: لَوْ تَرَكْتَهُ مَا دَعَوْتُكَ، وَمَا أَدْرِي لَعَلَّهُ تَارَكُهُ، وَالْخَيْرُ لَهُ الْأَيْلِي مِنْ أُمُورِكُمْ شَيْئًا، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ خَلَوًا مِنْ أُمُورِكُمْ، وَأَنِّي كُنْتُ فِيمَنْ مَضَى مِنْ سَلَفِكُمْ، يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، لَا تَذْكُرَنَّ مِمَّا قُلْتُ لَكَ مِنْ أَمْرِ عُمَرَ، وَلَا مِمَّا دَعَوْتُكَ لَهُ شَيْئًا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاصِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي السَّفَرِ، قَالَ: أَشْرَفَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى النَّاسِ مِنْ كَنِيفِهِ وَأَسْمَاءِ ابْنَةِ عُمَيْسٍ مُسَكَّتِهِ، مَوْشُومَةُ الْيَدَيْنِ، وَهُوَ يَقُولُ: أَتَرْضَوْنَ بِمَنْ اسْتَخْلَفَ عَلَيْكُمْ؟ فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا الْوْتُ مِنْ جَهْدِ الرَّأْيِ، وَلَا وَلَيْتُ ذَا قَرَابَةٍ، وَإِنِّي قَدْ اسْتَخْلَفْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا، فَقَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

حَدَّثَنِي عُثْمَانُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عُثْمَانَ الْقُرْقُسَانِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَجْلِسُ وَالنَّاسُ مَعَهُ، وَبِيَدِهِ جَرِيدَةٌ، وَهُوَ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا قَوْلَ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص، إِنَّهُ يَقُولُ: إِنِّي لَمَّا الْكُمُ نَصَحًا قَالَ: وَمَعَهُ مَوْلَى لَأَبِي بَكْرٍ يَقَالُ لَهُ: شَدِيدٌ، مَعَهُ الصَّحِيفَةُ الَّتِي فِيهَا اسْتَخْلَافُ عُمَرَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: دَعَا أَبُو بَكْرٍ عُثْمَانَ خَالِيًا، فَقَالَ: اكْتُبْ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا عَهْدَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي خُفَافَةَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، أَمَّا بَعْدُ قَالَ: ثُمَّ أَعْمَى عَلَيْهِ، فَذَهَبَ عَنْهُ، فَكَتَبَ عُثْمَانُ: أَمَّا

كَيْسَانَ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ - ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ، وَلَمْ يَقُلْ فِيهِ: عَنْ أَبِيهِ . [حال أبي بكر قبل الخلافة وبعدها]

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ قَبْلَ أَنْ يَشْتَغَلَ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ تَاجِرًا، وَكَانَ مَنْزِلُهُ بِالسُّنْحِ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ الْمُعَلَّى، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ قَالَ: وَأَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَبِيحَةَ التَّمِيمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: وَأَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَ: وَأَخْبَرَنَا أَبُو قُدَّامَةَ عَثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ

أَبِي وَجْزَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ وَغَيْرُهُمْ أَيْضًا قَدْ حَدَّثَنِي بِبَعْضِهِ، فَدَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي حَدِيثِ بَعْضٍ، قَالُوا: قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ مَنْزِلُ أَبِي السُّنْحِ عِنْدَ زَوْجَتِهِ حَبِيبَةَ ابْنَةِ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَبِي زَهْرٍ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ ابْنِ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ قَدْ جَرَّ عَلَيْهِ جُرَّةٌ مِنْ سَعَفٍ، فَأَزَادَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تَحَوَّلَ إِلَى مَنْزِلِهِ بِالْمَدِينَةِ، فَأَقَامَ هُنَاكَ بِالسُّنْحِ بَعْدَ مَا بُويعَ لَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، يَغْدُو عَلَى رَجُلَيْهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَرُبَّمَا رَكَبَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، وَعَلَيْهِ إِزَارٌ وَرِدَاءٌ مُمَشَّقٌ، فَيُؤَافِي الْمَدِينَةَ فَيُصَلِّي الصَّلَاةَ بِالنَّاسِ، فَإِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ، رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ بِالسُّنْحِ، فَكَانَ إِذَا حَضَرَ صَلَاةَ النَّاسِ وَإِذَا لَمْ يَحْضَرْ صَلَاةَ بَعْضِهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: فَكَانَ يُقِيمُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ صَدْرَ النَّهَارِ بِالسُّنْحِ يَصْبِغُ رَأْسَهُ وَلِحْيَتَهُ ثُمَّ يَرْوِحُ لِقَدْرِ الْجُمُعَةِ، فَيُجْمَعُ بِالنَّاسِ.

وَكَانَ رَجُلًا تَاجِرًا، فَكَانَ يَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ إِلَى السُّوقِ، فَيَبِيعُ وَيَتَبَاعُ، وَكَانَتْ لَهُ قِطْعَةٌ غَنَمٍ تَرْوَحُ عَلَيْهِ، وَرُبَّمَا خَرَجَ هُوَ بِنَفْسِهِ فِيهَا، وَرُبَّمَا كَفَّيَهَا فَرَعِيَّتَ لَهُ، وَكَانَ يَحْلِبُ لِحَيِّ أَغْنَامِهِمْ، فَلَمَّا بُويعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ قَالَتْ جَارِيَةٌ مِنَ الْحَيِّ: الْآنَ لَا تَحْلِبُ لَنَا مَنَاحَ دَارِنَا، فَسَمِعَهَا أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ:

يَا لَعَمْرِي لَا حَلَبَهَا لَكُمْ، وَإِنِّي لَا رَجُوءَ إِلَّا يَغِيرَنِي مَا دَخَلْتُ فِيهِ عَنْ خُلُقٍ كُنْتُ عَلَيْهِ فَكَانَ يَحْلِبُ لَهُمْ، فَرُبَّمَا قَالَ لِلْجَارِيَةِ مِنَ الْحَيِّ: يَا جَارِيَةُ تَحْبِينَ أَنْ أُرْعَى لَكَ، أَوْ أَصْرَحَ؟ فَرُبَّمَا قَالَتْ: ارْعَ، وَرُبَّمَا قَالَتْ:

صَرَحَ، فَأَيُّ ذَلِكَ قَالَتْهُ فَعَلَ، فَكَثُرَ كَذَلِكَ بِالسُّنْحِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَقَامَ بِهَا، وَنَظَرَ فِي أَمْرِهِ، فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ، مَا تُصْلِحُ أُمُورَ النَّاسِ التَّجَارَةَ، وَمَا يُصْلِحُهُمْ إِلَّا التَّفَرُّغُ لَهُمْ وَالنَّظَرُ فِي شَأْنِهِمْ، وَلَا بَدَّ لِعِيَالِي مِمَّا يُصْلِحُهُمْ فَتَرَكَ التَّجَارَةَ وَاسْتَنْفَقَ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ مَا يُصْلِحُهُ وَيُصْلِحُ عِيَالَهُ يَوْمًا بِيَوْمٍ، وَيُحْجِ وَيَعْتَمِرُ وَكَانَ الَّذِي فَرَضُوا لَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ سِتَّةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قَالَ: رُدُّوا مَا عِنْدَنَا مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنِّي لَا أَصِيبُ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْئًا، وَإِنِّي أَرْضِي الَّذِي بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا لِلْمُسْلِمِينَ بِمَا أَصَبَتْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، فَدَفَعَ ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ، وَلَقَّوْحًا وَعَبْدًا

صَيْقَلًا، وَقَطِيفَةً مَا تُسَاوِي خَمْسَةَ دَرَاهِمٍ، فَقَالَ عُمَرُ: لَقَدْ أَتَعَبَ مَنْ بَعْدَهُ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ - فِيمَا حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ عَنْهُ فِي حَدِيثِهِ عَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ ذَكَرْتُ رِوَايَتَهُ عَنْهُمْ - قَالَ أَبُو بَكْرٍ: انْظُرُوا كَمْ أَنْفَقْتُ مِنْذُ وَلِيتُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ فَاقْضُوهُ عَنِّي فَوَجَدُوا مَبْلَغَهُ ثَمَانِيَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ فِي وَلايَتِهِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَسْمَاءَ ابْنَةِ عُمَيْسٍ، قَالَتْ: دَخَلَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: اسْتَخْلَفْتَ عَلَى النَّاسِ عُمَرَ، وَقَدْ رَأَيْتَ مَا يَلْقَى النَّاسُ مِنْهُ وَأَنْتَ مَعَهُ، فَكَيْفَ بِهِ إِذَا خَلَا بِهِمْ! وَأَنْتَ لَا قِ رِبْكَ فَسَائِلُكَ عَنْ رِعْيَتِكَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ مُضْطَجِعًا:

أَجْلَسُونِي، فَأَجْلَسُوهُ، فَقَالَ لَطْلَحَةُ: أَبِاللَّهِ تَفْرُقُنِي - أَوْ أَبِاللَّهِ تُخَوِّفُنِي - إِذَا لَقِيتُ اللَّهَ رَبِّي فَسَاءَ لِي قُلْتُ: اسْتَخْلَفْتُ عَلَى أَهْلِكَ خَيْرَ أَهْلِكَ. حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَصِينِ بِمِثْلِ ذَلِكَ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا وَقْتُ عَقْدِ أَبِي بَكْرٍ لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ انْخِلَافَهُ، وَوَقْتُ وَفَاةِ أَبِي بَكْرٍ، وَأَنَّ عُمَرَ صَلَّى عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ لَيْلَةَ وَفَاتِهِ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ النَّاسُ، فَأَصْبَحَ عُمَرُ صَبِيحَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا عَمِلَ وَقَالَ - فِيمَا ذَكَرَ - مَا حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا اسْتَخْلَفَ عُمَرُ صَعِدَ الْمَنْبَرَ، فَقَالَ: إِنِّي قَائِلٌ كَلِمَاتٍ فَأَمِنُوا عَلَيَّ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْطِقٍ نَطَقَ بِهِ حِينَ اسْتَخْلَفَ - فِيمَا حَدَّثَنِي أَبُو السَّائِبِ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ، عَنْ ضَرَّارٍ، عَنْ حُصَيْنِ الْمُرِّيِّ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ: إِنَّمَا مِثْلُ الْعَرَبِ مِثْلُ جَمَلٍ أَنْفٍ اتَّبَعَ قَائِدَهُ، فَلْيَنْظُرْ قَائِدُهُ حَيْثُ يَقُودُ، وَأَمَّا أَنَا فَوَرَبِ الْكَعْبَةِ لِأَحْمِلَنَّهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ

٣٧٠١٢ ذكر غزوه فحل وفتح دمشق

حَدَّثَنَا عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيٌّ، عَنْ عِيسَى بْنِ يَزِيدٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، قَالَ: كَانَ أَوَّلُ كِتَابٍ كَتَبَهُ عُمَرُ حِينَ وُلِيَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ يُوَلِّيهُ عَلَى جُنْدِ خَالِدٍ: أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي يَبْقَى وَيَقْنَى مَا سِوَاهُ، الَّذِي هَدَانَا مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَخْرَجَنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَقَدْ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَى جُنْدِ خَالِدِ ابْنِ الْوَلِيدِ، فَقُمَ بِأَمْرِهِمُ الَّذِي يَحِقُّ عَلَيْكَ، لَا تُقَدِّمِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى هَلَكَةٍ رَجَاءَ غَنِيمَةٍ، وَلَا تُنْزِلْهُمْ مَنْزِلًا قَبْلَ أَنْ تَسْتَرِيدَهُ لَهُمْ، وَتَعْلَمَ كَيْفَ مَاتَاهُ، وَلَا تَبْعَثْ سَرِيَّةً إِلَّا فِي كَثْفٍ مِنَ النَّاسِ، وَإِيَّاكَ وَالْقَاءَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْهَلَكَةِ، وَقَدْ أَبْلَاكَ اللَّهُ بِي وَأَبْلَانِي بِكَ، فَغَمَضَ بَصْرَكَ عَنِ الدُّنْيَا، وَالْهَ قَلْبَكَ عَنْهَا، وَإِيَّاكَ أَنْ تَهْلِكَ كَمَا أَهْلَكْتُ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَصَارِعَهُمْ

ذكر غزوه فحل وفتح دمشق

حَدَّثَنِي عُمَرُ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ، بِإِسْنَادِهِ، عَنِ النَّفَرِ الَّذِينَ ذَكَرَتْ رَوَايَتُهُمْ عَنْهُمْ فِي أَوَّلِ ذِكْرِي أَمْرَ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّهُمْ قَالُوا: قَدِمَ بُوفاةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَى الشَّامِ شَدَادُ بْنُ أَوْسٍ بْنُ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ وَمَحْمِيَّةُ بْنُ جَزْءٍ، وَبِرْفَأُ، فَكَتَمُوا الْخَبَرَ النَّاسَ حَتَّى ظَفَرَ الْمُسْلِمُونَ - وَكَانُوا بِالْبَاقِصَةِ يَقَاتِلُونَ عَدُوَّهُمْ مِنَ الرُّومِ، وَذَلِكَ فِي رَجَبٍ - فَأَخْبَرُوا أَبَا عُبَيْدَةَ بُوفاةُ أَبِي بَكْرٍ وَوَلَايَتَهُ حَرْبَ الشَّامِ، وَضَمَّ عُمَرُ إِلَيْهِ الْأُمَرَاءَ، وَعَزَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

لَمَّا فَرَّغَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَجْنَادِينَ سَارُوا إِلَى فِخْلٍ مِنْ أَرْضِ الْأُرْدُنِّ، وَقَدْ اجْتَمَعَتْ فِيهَا رَافِضَةُ الرُّومِ، وَالْمُسْلِمُونَ عَلَى أَمْرَائِهِمْ وَخَالِدٍ عَلَى مُقَدِّمَةِ النَّاسِ.

فَلَمَّا نَزَلَتْ الرُّومُ بَيْسَانَ بَثُّوا أَنْهَارَهَا، وَهِيَ أَرْضُ صَبْخَةٍ، فَكَانَتْ وَحَلًا، وَنَزَلُوا فِخْلًا - وَبَيْسَانَ بَيْنَ فِلَسْطِينَ وَبَيْنَ الْأُرْدُنِّ - فَلَمَّا غَشِيَهَا الْمُسْلِمُونَ وَلَمْ

يَعْلَمُوا بِمَا صَنَعَتِ الرُّومُ، وَحَلَّتْ خِيُولُهُمْ، وَلَقُوا فِيهَا عَنَاءً، ثُمَّ سَلِمَهُمُ اللَّهُ - وَسَمِيَتْ بَيْسَانُ ذَاتَ الرَّدْغَةِ لَمَّا لَقِيَ الْمُسْلِمُونَ فِيهَا - ثُمَّ نَهَضُوا إِلَى الرُّومِ وَهُمْ بِفِخْلٍ، فَاقْتَتَلُوا فَهَزِمَتِ الرُّومُ، وَدَخَلَ الْمُسْلِمُونَ فِخْلًا وَلَحِقَتْ رَافِضَةُ الرُّومِ بِدِمَشْقَ، فَكَانَتْ فِخْلُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، عَلَى سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ وَأَقَامَ تِلْكَ الْحِجَّةَ لِلنَّاسِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ.

ثُمَّ سَارُوا إِلَى دِمَشْقَ وَخَالِدٌ عَلَى مُقَدِّمَةِ النَّاسِ، وَقَدْ اجْتَمَعَتِ الرُّومُ إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ بَاهَانُ بِدِمَشْقَ - وَقَدْ كَانَ عُمَرُ عَزَلَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَاسْتَعْمَلَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ - فَالْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالرُّومُ فِيمَا حَوْلَ دِمَشْقَ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، ثُمَّ هَزَمَ اللَّهُ الرُّومَ،

وَأَصَابَ مِنْهُمْ الْمُسْلِمُونَ، وَدَخَلَتِ الرُّومُ دِمَشْقَ، فَعَلَقُوا أَبْوَابَهَا وَجَمَّ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهَا فَرَابَطُوهَا حَتَّى فُتِحَتْ دِمَشْقُ، وَأَعْطُوا الْجِزْيَةَ، وَقَدْ قَدِمَ الْكَأَبُ عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بِأَمَارَتِهِ وَعَزَلَ خَالِدٌ، فَاسْتَحْيَا أَبُو عُبَيْدَةَ أَنْ يُقْرَى خَالِدًا الْكَأَبَ حَتَّى فُتِحَتْ دِمَشْقُ، وَجَرَى الصُّلْحُ عَلَى يَدَيِ خَالِدٍ، وَكَتَبَ الْكَأَبُ بِاسْمِهِ فَلَمَّا صَالَحَتْ دِمَشْقُ لِحَقِّ بَاهَانَ- صَاحِبِ الرُّومِ الَّذِي قَاتَلَ الْمُسْلِمِينَ- بِهَرَقْلَ وَكَانَ فَتَحَ دِمَشْقَ فِي سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ فِي رَجَبٍ، وَأَظْهَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِمَارَتَهُ وَعَزَلَ خَالِدٌ، وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ، التَّقْوَاهُمْ وَالرُّومُ بِلَدٍ يُقَالُ لَهُ عَيْنُ خَلِّ بَيْنَ فِلَسْطِينَ وَالْأُرْدُنِّ، فَاقْتَتَلُوا بِهِ قِتَالًا شَدِيدًا، ثُمَّ لَحِقَتْ الرُّومُ بِدِمَشْقَ.

وَأَمَّا سَيْفٌ- فِيمَا ذَكَرَ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ خَالِدٍ وَعُبَادَةَ- فَإِنَّهُ ذَكَرَ فِي خَبَرِهِ أَنَّ الْبَرِيدَ قَدِمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَدِينَةِ بِمَوْتِ أَبِي بَكْرٍ وَتَأْمِيرِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَهُمْ بِالْيَرْمُوكِ، وَقَدْ اتَّحَمَ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرُّومِ.

وَقَصَّ مِنْ خَبَرِ الْيَرْمُوكِ وَخَبَرِ دِمَشْقَ غَيْرَ الَّذِي اقْتَصَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ، وَأَنَا ذَاكَرُ بَعْضِ الَّذِي اقْتَصَّ مِنْ ذَلِكَ:

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: لَمَّا قَامَ عُمَرُ رَضِيَ عَنْ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ فَأَذِنَ لهُمَا بِدُخُولِ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ مَنَعَهُمَا لِفَرَّتَهُمَا الَّتِي فَرَاها وَرَدَّهَما

إِلَى الشَّامِ، وَقَالَ: لِيَبْلُغَنِي عَنْكُمَا غِنَاءُ أَيْلَكُمَا بَلَاءً، فَانْضَمَّا إِلَى أَبِي أُمَرَائِمَا أَحَبَّتُمَا، فَلَحِقَا بِالنَّاسِ فَأَبْلَيَا وَأَغْنَيَا. خبر دمشق من رواية سيف:

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ خَالِدٍ وَعُبَادَةَ، قَالَا: لَمَّا هَزَمَ اللَّهُ جُنْدَ الْيَرْمُوكِ، وَتَهَافَتَ أَهْلُ الْوَأْقُوصَةِ وَفُرِغَ مِنَ الْمَقَاسِمِ وَالْأَنْفَالِ، وَبُعِثَ بِالْأَخْنَاسِ وَسَرَّحَتِ الْوُفُودُ، اسْتَخْلَفَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَلَى الْيَرْمُوكِ بِشِيرِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ أَبِي الْخَمِيرِيِّ كَيْلًا يَغْتَالُ بَرْدَةً، وَلَا تَقْطَعُ الرُّومُ عَلَى مَوَادِهِ، وَخَرَجَ أَبُو عُبَيْدَةَ حَتَّى يَنْزِلَ بِالصُّفْرِ، وَهُوَ يَرِيدُ اتِّبَاعَ الْفَالَةِ، وَلَا يَدْرِي يَجْتَمِعُونَ أَوْ يَفْتَرِقُونَ، فَاتَاهُ الْخَبَرُ بِأَنَّهُمْ أَرْزَوْا إِلَى خَلِّ، وَاتَاهُ الْخَبَرُ بِأَنَّ الْمَدَدَ قَدْ أَتَى أَهْلَ دِمَشْقَ مِنْ حِمَصٍ، فَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْدِمَشْقَ يَبْدَأُ أَمْ يَفْعَلُ مِنْ بِلَادِ الْأُرْدُنِّ فَكَتَبَ فِي ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ، وَانْتَظَرَ الْجَوَابَ، وَأَقَامَ بِالصُّفْرِ، فَلَمَّا جَاءَ عُمَرُ فَتَحَ الْيَرْمُوكَ أَقْرَ الْأَمْرَاءِ عَلَى مَا كَانَ اسْتَعْمَلَهُمْ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَإِنَّهُ ضَمَّ خَالِدًا إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ، وَأَمَرَ عُمَرَا بِمَعُونَةِ النَّاسِ، حَتَّى يُصِيرَ الْحَرْبَ إِلَى فِلَسْطِينَ، ثُمَّ يَتَوَلَّى حَرْبَهَا.

وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ، فَإِنَّهُ قَالَ فِي أَمْرِ خَالِدٍ وَعَزَلَ عُمَرَ إِيَّاهُ مَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّمَا نَزَعَ عُمَرُ خَالِدًا فِي كَلَامٍ كَانَ خَالِدٌ تَكَلَّمَ بِهِ- فِيمَا يَزْعُمُونَ- وَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ عَلَيْهِ سَاطِطًا وَلَا أَمْرَهُ كَارِهًا فِي زَمَانِ أَبِي بَكْرٍ كُلِّهِ، لَوْ قَعَتِهِ بِابْنِ نُوَيْرَةَ، وَمَا كَانَ يَعْمَلُ بِهِ فِي حَرْبِهِ، فَلَمَّا اسْتَخْلَفَ عُمَرُ كَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ عَزْلُهُ، فَقَالَ: لَا يَلِي لِي عَمَلًا أَبَدًا، فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ: إِنَّ خَالِدَ أَكْذَبَ نَفْسُهُ فَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَإِنْ هُوَ لَمْ يَكْذِبْ نَفْسُهُ فَأَنْتَ الْأَمِيرُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْزَعَ عِمَامَتَهُ عَنْ

رَأْسِهِ، وَقَاسَمَهُ مَا لَهُ نِصْفَيْنِ فَلَمَّا ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ ذَلِكَ لَخَالِدٍ، قَالَ: انْظُرْنِي اسْتَشِرَّ أُخْتِي فِي أَمْرِي، فَفَعَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ، فَدَخَلَ خَالِدٌ عَلَى أُخْتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْوَلِيدِ- وَكَانَتْ عِنْدَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ- فَذَكَرَ لَهَا ذَلِكَ، فَقَالَتْ:

وَاللَّهِ لَا يُحِبُّكَ عُمَرُ أَبَدًا، وَمَا يَرِيدُ إِلَّا أَنْ تُكْذِبَ نَفْسَكَ ثُمَّ يَنْزَعَكَ قَبْلَ رَأْسِهَا وَقَالَ: صَدَقْتَ وَاللَّهِ! فَمَكَ عَلَى أَمْرِهِ، وَأَبَى أَنْ يَكْذِبَ نَفْسَهُ فَقَامَ بِلَالٌ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ، فَقَالَ: مَا أُمِرْتُ بِهِ فِي خَالِدٍ؟ قَالَ:

أُمِرْتُ أَنْ أَنْزَعَ عِمَامَتَهُ، وَأُقَاسِمَهُ مَا لَهُ فَقَاسَمَهُ مَا لَهُ حَتَّى بَقِيَتْ نَعْلَاهُ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: إِنَّ هَذَا لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِهَذَا، فَقَالَ خَالِدٌ: أَجَلٌ، مَا أَنَا بِالَّذِي أُعْصِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَاصْنَعْ مَا بَدَأَ لَكَ! فَأَخَذَ نَعْلًا وَأَعْطَاهُ نَعْلًا.

ثُمَّ قَدِمَ خَالِدٌ عَلَى عُمَرَ الْمَدِينَةَ حِينَ عَزَلَهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ كُلَّمَا مَرَّ بِخَالِدٍ قَالَ: يَا خَالِدُ، أَخْرِجْ مَالَ اللَّهِ مِنْ تَحْتِ اسْتِكَ، فَيَقُولُ:

وَاللَّهِ مَا عِنْدِي مِنْ مَالٍ، فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ عُمَرُ قَالَ لَهُ خَالِدٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا قِيمَةُ مَا أَصَبْتُ فِي سُلْطَانِكُمْ! أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ! فَقَالَ عُمَرُ: قَدْ أَخَذْتُ ذَلِكَ مِنْكَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، قَالَ: هُوَ لَكَ، قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُ وَلَمْ يَكُنْ لَخَالِدٍ مَالٌ إِلَّا عِدَّةٌ وَرَقِيقٌ، فَحُسِبَ ذَلِكَ، فَبَلَغَتْ قِيمَتُهُ ثَمَانِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَنَاصَفَهُ عُمَرُ ذَلِكَ، فَأَعْطَاهُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَأَخَذَ الْمَالَ فَقِيلَ لَهُ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ رَدَدْتَ عَلَى خَالِدٍ مَالَهُ! فَقَالَ: إِنَّمَا أَنَا تَاجِرٌ لِلْمُسْلِمِينَ، وَاللَّهِ لَا أَرُدُّهُ عَلَيْهِ أَبَدًا فَكَانَ عُمَرُ يَرَى أَنَّهُ قَدْ اشْتَفَى مِنْ خَالِدٍ حِينَ صَنَعَ بِهِ ذَلِكَ.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي عُمَانَ، عَنْ خَالِدٍ وَعُبَادَةَ، قَالَا: وَلَمَّا جَاءَ عُمَرَ الْكَأَبُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بِالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَبْدَأَ بِهِ كَتَبَ إِلَيْهِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَأَبْدُؤُوا بِدِمَشْقَ، فَانْهَدُوا لَهَا، فَإِنَّهَا حِصْنُ الشَّامِ وَبَيْتُ

مَمْلَكَتِهِمْ، وَاشْغُلُوا عَنْكُمْ أَهْلَ الْخَلِّ بِخَيْلٍ تَكُونُ بِإِزَائِهِمْ فِي نُحُورِهِمْ وَأَهْلَ فَلَسْطِينَ وَأَهْلَ حِمَصَ، فَإِنْ فَتَحَهَا اللَّهُ قَبْلَ دِمَشْقَ فَذَلِكَ الَّذِي نَحْبُ، وَإِنْ تَأَخَّرَ فَتَحَهَا حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ دِمَشْقَ فَلْيَنْزِلْ بِدِمَشْقَ مَنْ يُمْسِكُ بِهَا، وَدَعُوهَا، وَانْطَلِقْ أَنْتَ وَسَائِرُ الْأُمَرَاءِ حَتَّى تُغَيِّرُوا عَلَى الْخَلِّ، فَإِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَانْصَرَفْ أَنْتَ وَخَالِدٌ إِلَى حِمَصَ، وَدَعِ شُرَحْبِيلَ وَعُمَرًا وَأَخْلَاهُمَا بِالْأُرْدُنِّ وَفِلَسْطِينَ، وَأَمِيرُ كُلِّ بَلَدٍ وَجُنْدٌ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ إِمَارَتِهِ فَسَرَحَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى الْخَلِّ عَشْرَةَ قَوَادٍ: أَبَا الْأَعْوَرِ السُّلَمِيَّ، وَعَبْدَ عَمْرِو بْنِ يَزِيدَ بْنَ عَامِرٍ الْجُرَشِيِّ، وَعَامِرَ بْنَ حَثْمَةَ، وَعَمْرِو بْنَ كُلَيْبٍ مِنْ يَحْصَبَ، وَعُمَارَةَ بْنَ الصَّعِقِ بْنِ كَعْبٍ، وَصَيْفِيَّ بْنَ عُلْبَةَ بْنِ شَامِلٍ، وَعَمْرِو بْنَ الْحَبِيبِ بْنِ عَمْرِو، وَلُبْدَةَ بْنَ عَامِرٍ بْنِ خَثْعَمَةَ، وَبِشْرَ بْنَ عِصْمَةَ، وَعُمَارَةَ بْنَ مَخْشٍ قَائِدَ النَّاسِ، وَمَعَ كُلِّ رَجُلٍ خَمْسَةَ قَوَادٍ، وَكَانَتْ الرُّؤَسَاءُ تَكُونُ مِنَ الصَّحَابَةِ حَتَّى لَا يَجِدُوا مَنْ يَحْتَمِلُ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَسَارُوا مِنَ الصُّفْرِ حَتَّى نَزَلُوا قَرِيبًا مِنَ الْخَلِّ، فَلَمَّا رَأَتْ الرُّومُ أَنَّ الْجُنُودَ تُرِيدُهُمْ بَثُّوا الْمِيَاهَ حَوْلَ الْخَلِّ، فَأَرْدَغَتِ الْأَرْضُ، ثُمَّ وَحَلَتْ، وَأَغْتَمَّ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ، فَحَبَسُوا عَنِ الْمُسْلِمِينَ بِهَا ثَمَانِينَ أَلْفَ فَارِسٍ وَكَانَ أَوَّلُ مُحْصُورٍ بِالشَّامِ أَهْلُ الْخَلِّ، ثُمَّ أَهْلُ دِمَشْقَ وَبَعَثَ أَبُو عُبَيْدَةَ ذَا الْكَلَاعِ حَتَّى كَانَ بَيْنَ دِمَشْقَ وَحِمَصَ رِدْءًا وَبَعَثَ عَلْقَمَةَ بْنَ حَكِيمٍ وَمَسْرُوقًا فَكَانَا بَيْنَ دِمَشْقَ وَفِلَسْطِينَ، وَالْأَمِيرُ يَزِيدُ فَفَصَلَ، وَفَصَلَ بِأَبِي عُبَيْدَةَ مِنَ الْمَرْجِ، وَقَدِمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَعَلَى مُجَنَّبَتَيْهِ عَمْرُو وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَعَلَى الْخَيْلِ عِيَاضُ، وَعَلَى الرَّجُلِ شُرَحْبِيلُ، فَقَدِمُوا عَلَى دِمَشْقَ، وَعَلَيْهِمْ نَسْطَاسُ بْنُ نَسْطُورِ، فَحَصَرُوا أَهْلَ دِمَشْقَ، وَنَزَلُوا حَوَالِيهَا، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَلَى نَاحِيَةٍ، وَعَمْرُو عَلَى نَاحِيَةٍ، وَيَزِيدُ عَلَى نَاحِيَةٍ، وَهَرَقْلُ يَوْمئِذٍ بِحِمَصَ، وَمَدِينَةُ حِمَصَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ فَحَاصَرُوا أَهْلَ دِمَشْقَ نَحْوًا مِنْ سَبْعِينَ لَيْلَةً حَصَارًا شَدِيدًا بِالزُّخُوفِ وَالتَّرَامِي وَالْمَجَانِيقِ، وَهُمْ مَعْتَصِمُونَ

بِالْمَدِينَةِ يَرْجُونَ الْغِيَاثَ، وَهَرَقْلُ مِنْهُمْ قَرِيبٌ وَقَدْ اسْتَمَدَّوهُ وَذُو الْكَلَاعِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ حِمَصَ عَلَى رَاسِ لَيْلِهِ مِنْ دِمَشْقَ، كَأَنَّهُ يُرِيدُ حِمَصَ، وَجَاءَتْ خِيُولُ هَرَقْلَ مُغِيثَةً لِأَهْلِ دِمَشْقَ، فَأَشْجَبَتْهَا الْخِيُولُ الَّتِي مَعَ ذِي الْكَلَاعِ، وَشَغَلَتْهَا عَنِ النَّاسِ، فَأَرَزُوا وَنَزَلُوا بِإِزَائِهِ، وَأَهْلُ دِمَشْقَ عَلَى حَالِهِمْ.

فَلَمَّا أَتَى أَهْلُ دِمَشْقَ أَنَّ الْأَمْدَادَ لَا تَصِلُ إِلَيْهِمْ فَشَلُّوا وَوَهِنُوا وَأَبْلَسُوا وَازْدَادَ الْمُسْلِمُونَ طَمَعًا فِيهِمْ، وَقَدْ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهَا كَالْغَارَاتِ قَبْلَ ذَلِكَ، إِذَا هَجَمَ الْبَرْدُ قَتَلَ النَّاسَ، فَسَقَطَ النَّجْمُ وَالْقَوْمُ مُقِيمُونَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ انْقَطَعَ رَجَاؤُهُمْ، وَنَدِمُوا عَلَى دُخُولِ دِمَشْقَ، وَوُلِدَ لِلْبَطْرِيقِ

الَّذِي دَخَلَ عَلَى أَهْلِ دِمَشْقَ مَوْلُودٌ، فَصَنَعَ عَلَيْهِ، فَأَكَلَ الْقَوْمُ وَشَرَبُوا، وَغَفَلُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ، وَلَا يَشْعُرُ بِذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ خَالِدٍ، فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنِيمُ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِمْ شَيْءٌ، عِيُونُهُ ذَاكِيَةٌ وَهُوَ مَعْنِيٌّ بِمَا يَلِيهِ، قَدْ اتَّخَذَ حَبَالًا كَهَيْئَةِ السَّلَالِيمِ وَأَوْهَاقًا فَلَمَّا أَمْسَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ نَهَدَ وَمِنْ مَعَهُ مِنْ جُنْدِهِ الَّذِينَ قَدِمَ بِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَتَقَدَّمَهُمْ هُوَ وَالْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو، وَمَذْعُورُ بْنُ عَدِيٍّ، وَأَمَثَالُهُ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي أَوَّلِ يَوْمِهِ، وَقَالُوا: إِذَا سَمِعْتُمْ تَكْبِيرَنَا عَلَى السُّورِ فَارْقُوا إِلَيْنَا، وَانْهَدُوا لِلْبَابِ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْبَابِ الَّذِي يَلِيهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ الْمُتَقَدِّمُونَ رَمَوْا بِالْحِجَالِ الشَّرَفَ وَعَلَى ظُهُورِهِمُ الْقِرْبُ الَّتِي قَطَعُوا بِهَا خَنْدَقَهُمْ فَلَمَّا ثَبَتَ لَهُمْ وَهَقَانِ تَسَلَّقَ فِيهِمَا الْقَعْقَاعُ وَمَذْعُورُ، ثُمَّ لَمْ يَدْعَا أَحْبُولَةً إِلَّا أَثْبَتَاهَا- وَالْأَوْهَاقُ بِالشَّرَفِ- وَكَانَ الْمَكَانُ الَّذِي اقْتَحَمُوا مِنْهُ أَحْصَنَ مَكَانٍ يُحِيطُ بِدِمَشْقَ، أَكْثَرُهُ مَاءً، وَأَشَدُّهُ مَذْخَلًا، وَتَوَافَوْا لِذَلِكَ، فَلَمْ يَبْقَ مِمَّنْ دَخَلَ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا رَقِيٌّ أَوْ دَنَا مِنَ الْبَابِ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَوْا عَلَى السُّورِ حَذَرَ عَامَّةُ أَصْحَابِهِ، وَانْحَدَرَ مَعَهُمْ، وَخَلَفَ

مَنْ يَجِيئُ ذَلِكَ الْمَكَانَ لَنْ يَرْتَقِي، وَأَمَرَهُمُ بِالتَّكْبِيرِ، فَكَبَّرَ الَّذِينَ عَلَى رَأْسِ السُّورِ، فَهَدَّ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْبَابِ، وَمَالَ إِلَى الْحِجَالِ بَشَرٌ كَثِيرٌ، فَوْشُوا فِيهَا، وَانْتَهَى خَالِدٌ إِلَى أَوَّلِ مَنْ يَلِيهِ فَأَنَامَهُمْ، وَانْحَدَرَ إِلَى الْبَابِ، فَقَتَلَ الْبَوَائِينَ، وَثَارَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، وَفَزِعَ سَائِرُ النَّاسِ، فَأَخَذُوا مَوَاقِفَهُمْ، وَلَا يَدْرُونَ مَا الشَّانُ! وَتَشَاغَلَ أَهْلُ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِمَا يَلِيهِمْ، وَقَطَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَمِنْ مَعَهُ أَغْلَاقُ الْبَابِ بِالسُّيُوفِ، وَفَتَحُوا لِلْمُسْلِمِينَ، فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مِنْ دَاخِلٍ، حَتَّى مَا بَقِيَ مِمَّا يَلِي بَابَ خَالِدٍ مُقَاتِلٌ إِلَّا أَنْيَمَ وَلَمَّا شَدَّ خَالِدٌ عَلَى مَنْ يَلِيهِ، وَبَلَغَ مِنْهُمْ الَّذِي أَرَادَ عَنُودَ أَرَزَ مَنْ أَفَلَّتْ إِلَى أَهْلِ الْأَبْوَابِ الَّتِي تَلِي غَيْرَهُ، وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ دَعَوْهُمْ إِلَى الْمَشَاظَةِ فَأَبَوْا وَأَبْعَدُوا، فَلَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلَّا وَهُمْ يُبْهِحُونَ لَهُمْ بِالصُّلْحِ، فَأَجَابُوهُمْ وَقَبِلُوا مِنْهُمْ، وَفَتَحُوا لَهُمُ الْأَبْوَابَ، وَقَالُوا: ادْخُلُوا وَامْنَعُونَا مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْبَابِ فَدَخَلَ أَهْلُ كُلِّ بَابٍ بِصُلْحٍ مِمَّا يَلِيهِمْ، وَدَخَلَ خَالِدٌ مِمَّا يَلِيهِ عَنُودَ، فَالْتَقَى خَالِدٌ وَالْقَوَادُ فِي وَسْطِهَا، هَذَا اسْتِعْرَاضًا وَانْتِهَابًا، وَهَذَا صُلْحًا وَتَسْكِينًا، فَأَجْرُوا نَاحِيَةَ خَالِدٍ جَرَى الصُّلْحِ، فَصَارَ صُلْحًا، وَكَانَ صُلْحُ دِمَشْقَ عَلَى الْمُقَاسَمَةِ، الدِّيَارِ وَالْعَقَارِ، وَدِينَارٍ عَنْ كُلِّ رَأْسٍ، فَاقْتَسَمُوا الْأَسْلَابَ، فَكَانَ أَصْحَابُ خَالِدٍ فِيهَا كَأَصْحَابِ سَائِرِ الْقَوَادِ، وَجَرَى عَلَى الدِّيَارِ وَمَنْ بَقِيَ فِي الصُّلْحِ جَرِيْبٌ مِنْ كُلِّ جَرِيْبٍ أَرْضٍ، وَوَقَفَ مَا كَانَ لِلْهُلُوكِ وَمَنْ صَوَّبَ مَعَهُمْ فَيْئًا، وَقَسَمُوا لِذِي الْكَلَاعِ وَمَنْ مَعَهُ، وَلَأَيُّ الْأَعْوَرِ وَمَنْ مَعَهُ، وَلِبَشِيرٍ وَمَنْ مَعَهُ، وَبَعَثُوا بِالْبِشَارَةِ إِلَى عُمَرَ، وَقَدِمَ عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ كِتَابُ عُمَرَ، بِأَنْ أَصْرَفَ جُنْدَ الْعِرَاقِ إِلَى الْعِرَاقِ، وَأَمَرَهُمُ بِالْحَثِّ إِلَى سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَأَمَرَ عَلَى جُنْدِ الْعِرَاقِ هَاشِمُ بْنُ عُبَيْدَةَ، وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو، وَعَلَى مُجَنَّبَتَيْهِ عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ الزُّهْرِيُّ وَرَبِيعُ بْنُ عَامِرٍ، وَضَرَبُوا بَعْدَ دِمَشْقَ نَحْوَ سَعْدٍ، فَخَرَجَ هَاشِمُ نَحْوَ الْعِرَاقِ فِي جُنْدِ الْعِرَاقِ، وَخَرَجَ الْقَوَادُ نَحْوَ خَلِّ

وَأَصْحَابُ هَاشِمٍ عَشْرَةُ آلَافٍ إِلَّا مَنْ أُصِيبَ مِنْهُمْ، فَأَتَمُّوهُمْ بِأَنَاسٍ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ، وَمِنْهُمْ قَيْسٌ وَالْأَشْتُرُ، وَخَرَجَ عُلْقَمَةُ وَمَسْرُوقٌ إِلَى إِيْلِيَاءَ، فَزَلَا عَلَى طَرِيقِهَا، وَبَقِيَ بِدِمَشْقَ مَعَ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ مِنْ قَوَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ عِدَّةٌ، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ شُعْبَةَ بْنِ غَزِيَّةَ، وَسَهْمُ بْنُ الْمُسَافِرِ بْنِ هَزْمَةَ، وَمُشَافِعُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَافِعٍ وَبَعَثَ يَزِيدُ دَحِيَّةَ بْنَ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ فِي خَيْلٍ بَعْدَ مَا فَتَحَ دِمَشْقَ إِلَى تَدْمُرَ، وَأَبَا الزُّهْرَاءِ الْقُسَيْرِيِّ إِلَى الْبُثْنَةِ وَحُورَانَ، فَصَالَحُوهُمَا عَلَى صُلْحٍ دِمَشْقَ، وَوَلِيَا الْقِيَامَ عَلَى فَتْحِ مَا بَعَثَا إِلَيْهِ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: كَانَ فَتْحُ دِمَشْقَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ عَشْرَةَ فِي رَجَبٍ وَقَالَ أَيْضًا: كَانَتْ وَقْعَةٌ خَلَّ قَبْلَ دِمَشْقَ، وَإِنَّمَا صَارَ إِلَى دِمَشْقَ رَافِضَةُ خَلَّ، وَاتَّجَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ إِلَيْهَا وَزَعَمَ أَنَّ وَقْعَةَ خَلَّ كَانَتْ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْهَا، حَدَّثَنَا بِذَلِكَ ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ عَنْهُ.

وَأَمَّا الْوَاقِدِيُّ: فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ فَتْحَ دِمَشْقَ كَانَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ عَشْرَةَ، كَمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَزَعَمَ أَنَّ حِصَارَ الْمُسْلِمِينَ لَهَا كَانَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ

وَزَعَمَ أَنَّ وَقْعَهُ الْيَرْمُوكَ كَانَتْ فِي سَنَةِ خَمْسٍ عَشْرَةٍ وَزَعَمَ أَنَّ هِرْقَلَ جَلَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ بَعْدَ وَقْعَةِ الْيَرْمُوكَ فِي شَعْبَانَ مِنْ أَنْطَاكِيَةِ إِلَى قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَعْدَ الْيَرْمُوكَ وَقْعَةً.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَدْ مَضَى ذِكْرِي مَا رَوَى عَنْ سَيْفٍ، عَمَّنْ رَوَى عَنْهُ، أَنَّ وَقْعَةَ الْيَرْمُوكَ كَانَتْ فِي سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ وَرَدَ عَلَيْهِمُ الْبَرِيدُ بِوَفَاةِ ابْنِ بَكْرِ بِالْيَرْمُوكِ، فِي الْيَوْمِ الَّذِي هُزِمَتِ الرُّومُ فِي آخِرِهِ، وَأَنَّ عُمَرَ أَمَرَهُمْ بَعْدَ فَرَاغِهِمْ مِنَ الْيَرْمُوكِ بِالْمَسِيرِ إِلَى دِمَشْقَ، وَزَعَمَ أَنَّ فُخْلًا كَانَتْ بَعْدَ دِمَشْقَ، وَأَنَّ حُرُوبًا بَعْدَ ذَلِكَ كَانَتْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومِ سِوَى ذَلِكَ، قَبْلَ شُخُوصِ هِرْقَلَ إِلَى قُسْطَنْطِينِيَّةَ، سَأَذْكُرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي مَوَاضِعِهَا.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنِي سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ - وَجَّهَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَبَا عُبَيْدِ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ نَحْوَ الْعِرَاقِ وَفِيهَا اسْتَشْهَدَ فِي قَوْلِ الْوَاقِدِيِّ وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ، فَإِنَّهُ قَالَ: كَانَ يَوْمُ الْجَسْرِ، جَسَرَ ابْنِ عُبَيْدِ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ عَشْرَةٍ.

ذَكَرَ أَمْرُ فُخْلٍ مِنْ رِوَايَةِ سَيْفٍ:

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَنَذَرُ الْآنَ أَمْرَ فُخْلٍ إِذْ كَانَ فِي الْخَبَرِ الَّذِي فِيهِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ مَا ذَكَرْتُ مِنْ فَتُوحِ جَنْدِ الشَّامِ وَمِنْ الْأُمُورِ الَّتِي تَسْتَنَكِرُ وَقُوعُ مِثْلِ الْاِخْتِلَافِ الَّذِي ذَكَرْتَهُ فِي وَقْتِهِ، لِقَرَبِ بَعْضِ ذَلِكَ مِنْ بَعْضٍ.

فَأَمَّا مَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ ذَلِكَ وَقَصَّ مِنْ قِصَّتِهِ، فَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ قَبْلَ وَامَّا السَّرَى فَإِنَّهُ كَتَبَ بِهِ إِلَيَّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ يَزِيدَ بْنِ أَسِيدِ الْغَسَّانِيِّ وَأَبِي حَارِثَةَ الْعَبْشَمِيِّ، قَالَا: خَلَفَ النَّاسَ بَعْدَ فَتْحِ دِمَشْقَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ فِي خَيْلِهِ فِي دِمَشْقَ، وَسَارُوا نَحْوَ فُخْلٍ، وَعَلَى النَّاسِ شَرْحِبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ، فَبَعَثَ خَالِدًا عَلَى الْمَقْدَمَةِ وَأَبَا عُبَيْدَةَ وَعَمْرًا عَلَى مَجْنَبَتَيْهِ، وَعَلَى الْخَيْلِ ضَرَارُ بْنُ الْأَزُورِ، وَعَلَى الرَّجُلِ عِيَاضُ، وَكَرَهُوا أَنْ يَصْمُدُوا لِهَرْقَلٍ، وَخَلْفَهُمْ ثَمَانُونَ أَلْفًا، وَعَلِمُوا أَنَّ مِنْ بِلَازَاءِ فُخْلٍ جَنَّةَ الرُّومِ وَإِلَيْهِمْ يَنْظُرُونَ، وَأَنَّ الشَّامَ بَعْدَهُمْ سَلِمَ فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى أَبِي الْأَعُورِ، قَدَمُوهُ إِلَى طَبْرِيقَةٍ، فَخَاصَرَهُمْ وَنَزَلُوا عَلَى فُخْلٍ مِنَ الْأُرْدَنِ، - وَقَدْ كَانَ أَهْلُ فُخْلٍ حِينَ نَزَلَ بِهِمْ أَبُو الْأَعُورِ تَرَكَوهُ وَأَرْزَوْا إِلَى بَيْسَانَ - فَنَزَلَ شَرْحِبِيلُ بِالنَّاسِ فُخْلًا، وَالرُّومُ بَيْسَانَ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ تِلْكَ الْمِيَاهُ وَالْأَوْحَالُ، وَكُتِبُوا إِلَى عُمَرَ بِالْخَبَرِ، وَهُمْ يَحْدِثُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْمَقَامِ، وَلَا يَرِيدُونَ أَنْ يَرِيمُوا فُخْلًا حَتَّى يَرْجِعَ جَوَابُ كِتَابِهِمْ مِنْ عِنْدِ عُمَرَ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ الْإِقْدَامَ عَلَى عَدُوِّهِمْ فِي مَكَانِهِمْ لَمَّا دُونَهُمْ مِنَ الْأَوْحَالِ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَسْمِي تِلْكَ الْغَزَاةَ فُخْلًا وَذَاتَ الرَّدْغَةِ وَبَيْسَانَ وَأَصَابَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ رَيْفِ الْأُرْدَنِ أَفْضَلَ مِمَّا فِيهِ الْمُشْرِكُونَ، مَادَتِهِمْ مُتَوَاصِلَةٌ، وَخَصْبُهُمْ رَغْدٌ، فَاعْتَرَاهُمُ الْقَوْمُ، وَعَلَى الْقَوْمِ سَقْلَارُ بْنُ مَخْرَاقَ، وَرَجَاوُ أَنْ يَكُونُوا

٣٧٠١٣ ذَكَرَ بَيْسَانَ

عَلَى غَرِهِ، فَاتَوْهُمْ وَالْمُسْلِمُونَ لَا يَأْمَنُونَ مَجِيئَهُمْ، فَهَمُّ عَلَى حَذَرٍ وَكَانَ شَرْحِبِيلُ لَا يَبِيتُ وَلَا يَصْبِحُ إِلَّا عَلَى تَعَبَةٍ فَلَمَّا هَجَمُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ غَافَصُوهُمْ، فَلَمْ يَنْظُرُوهُمْ، وَاقْتَتَلُوا بِفُخْلٍ كَأَشَدِّ قِتَالٍ اقْتَتَلُوهُ قَطَّ لَيْلَتَهُمْ وَيَوْمَهُمْ إِلَى اللَّيْلِ، فَأَظْلَمَ اللَّيْلُ عَلَيْهِمْ وَقَدْ حَارُوا، فَانْهَزَمُوا وَهُمْ حِيَارَى وَقَدْ أَصِيبَ رَأْسُهُمْ سَقْلَارُ بْنُ مَخْرَاقَ، وَالَّذِي يَلِيهِ فِيهِمْ نَسْطُورُسُ، وَظَفَرُ الْمُسْلِمُونَ أَحْسَنَ ظَفَرٍ وَأَهْنَأَ، وَرَكِبُوهُمْ وَهُمْ يَرُونَ أَنَّهُمْ عَلَى قَصْدٍ وَجَدَدٍ، فَوَجَدُوهُمْ حِيَارَى لَا يَعْرِفُونَ مَا خَذَهُمْ، فَأَسْلَمَتِهِمْ هَزِيمَتُهُمْ وَحِيرَتُهُمْ إِلَى الْوَحْلِ، فَرَكِبُوهُ، وَلَحَقَ أَوَائِلُ الْمُسْلِمِينَ بِهِمْ، وَقَدْ وَحَلُوا فَرَكِبُوهُمْ، وَمَا يَمْنَعُونَ يَدَ لَامَسَ، فَوَخَزُوهُمْ بِالرَّمَاكِ، فَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ فِي فُخْلٍ، وَكَانَ مَقْتَلُهُمْ فِي الرَّدَاغِ، فَأَصِيبَ الثَّمَانُونَ أَلْفًا، لَمْ يَفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ، وَكَانَ اللَّهُ يَصْنَعُ لِلْمُسْلِمِينَ وَهُمْ كَارِهُونَ، كَرَهُوا الْبَثُوقَ فَكَانَتْ عَوْنًا لَهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَأَنَاءَ مِنَ اللَّهِ لِيَزِدَادُوا بِصِيرَةٍ وَجَدًا، وَاقْتَسَمُوا مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَانْصَرَفَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِخَالِدٍ مِنْ فُخْلٍ إِلَى حِمَصَ، وَصَرَفُوا سَمِيرَ بْنَ كَعْبٍ مَعَهُمْ، وَمَضُوا بِذِي الْكَلَّاعِ وَمِنْ مَعَهُ، وَخَلَفُوا شَرْحِبِيلَ وَمِنْ مَعَهُ

• ذَكَرَ بَيْسَانَ

وَلَمَّا فَرَّغَ شَرْحِبِيلُ مِنْ وَقْعَةِ فُخْلٍ نَهَدَ فِي النَّاسِ وَمَعَهُ عَمَرُو إِلَى أَهْلِ بَيْسَانَ، فَنَزَلُوا عَلَيْهِمْ، وَأَبُو الْأَعُورِ وَالْقَوَادِ مَعَهُ عَلَى طَبْرِيقَةٍ، وَقَدْ بَلَغَ أَفْنَاءَ أَهْلِ الْأُرْدَنِ مَا لَقِيَتْ دِمَشْقَ، وَمَا لَقِيَ سَقْلَارُ وَالرُّومُ بِفُخْلٍ وَفِي الرَّدْغَةِ، وَمَسِيرُ شَرْحِبِيلَ إِلَيْهِمْ، وَمَعَهُ عَمَرُو بْنُ الْعَاصِ وَالْحَارِثُ

بن هشام وسهيل بن عمرو، يريد بيسان، وتحصنوا بكل مكان، فسار شرحبيل بالناس إلى أهل بيسان، فحصرهم أياماً ثم إنهم خرجوا عليهم فقاتلهم، فأناموا من خرج إليهم، وصالحوا بقية أهلها، فقبل ذلك على صلح دمشق

٣٠٧٠١٤ طبرية

٣٠٧٠١٥ ذكر خبر المثنى بن حارثة وإبي عبيد بن مسعود

طبرية

وبلغ أهل طبرية الخبر، فصالحوا أبا الأعور، على أن يبلغهم شرحبيل، ففعل، فصالحوهم وأهل بيسان على صلح دمشق، على أن يشاطروا المسلمين المنازل في المدائن، وما أحاط بها مما يصلها، فيدعون لهم نصفاً، ويجمعون في النصف الآخر، وعن كل رأس دينار كل سنة، وعن كل جريب أرض جريب بر أو شعير، أي ذلك حث، وأشياء في ذلك صالحوهم عليها، ونزلت القواد وخيولهم فيها، وتم صلح الأردن، وتفرقت الأمداد في مدائن الأردن وقرأها، وكتب إلى عمر بالفتح

. ذكر خبر المثنى بن حارثة وأبي عبيد بن مسعود

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف بن عمر، عن محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم وزياد بن سرجس الأحمري بإسنادهم، قالوا: أول ما عمل به عمر أن ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيباني إلى أهل فارس قبل صلاة الفجر، من الليلة التي مات فيها أبو بكر رضي الله عنه، ثم أصبح فبايع الناس، وعاد فندب الناس إلى فارس، وتتابع الناس على البيعة ففرغوا في ثلاث، كل يوم يندبهم فلا ينتدب أحد إلى فارس، وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم وأثقلها عليهم، لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الأمم قالوا: فلما كان اليوم الرابع، عاد فندب الناس إلى العراق، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود وسعد بن عبيد الأنصاري حليف بني فزارة، هرب يوم الجسر، فكانت الوجوه تعرض عليه بعد ذلك، فيأبى إلا العراق، ويقول: إن الله جل وعز اعتد علي فيها بكرة، فلعله أن يرد علي فيها كرة وتتابع الناس.

كتب إلى السري بن يحيى، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، قال: وتكلم المثنى بن حارثة، فقال: يا أيها الناس، لا يعظم عليكم هذا الوجه، فإننا قد نجحنا ريف فارس، وغلبناهم على خير شقي السواد وشاطرناهم ولننا منهم، واجترأ من قبلنا عليهم، ولها إن شاء الله ما بعدها وقام عمر رحمه الله في الناس، فقال:

إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك، أين الطراء المهاجرون عن موعود الله! سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها، فإنه قال: «ليظهره على الدين كله*»، والله مظهر دينه، ومعر ناصره، ومولي أهله موارث الأمم أين عباد الله الصالحون! فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود، ثم ثني سعد بن عبيد - أو سليط ابن قيس - فلما اجتمع ذلك البعث، قيل لعمر: أمر عليهم رجلاً من السابقين من المهاجرين والأنصار قال: لا والله لا أفعل، إن الله إنما رفعكم بسبقكم وسرعتكم إلى العدو، فإذا جنتم وكرهتم اللقاء، فاولى بالرياسة منكم من سبق إلى الدفع، وأجاب إلى الدعاء! والله لا أؤمر عليهم إلا أولهم انتداباً. ثم دعا أبا عبيد، وسليطاً وسعداً، فقال: أما إنكما لو سبقتماه لوليتكما ولأدرتكما بها إلى ما لكما من القدمة فأمر أبا عبيد على الجيش، وقال لأبي عبيد: اسمع من أصحاب النبي ص وسلم، وأشركهم في الأمر، ولا تجتهد مسرعاً حتى تبين، فإنها الحرب، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف وقال رجل من الأنصار: قال عمر رضي الله عنه لأبي عبيد: إنه لم يمنعني أن أؤمر سليطاً إلا سرعته إلى الحرب، وفي التسرع إلى الحرب ضياع إلا عن بيان، والله لو لا سرعته لأمرته، ولكن الحرب لا يصلحها إلا المكيث.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عُمَرَ، عَنِ الْمُجَالِدِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: قَدِمَ الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، فَبَعَثَ مَعَهُ بَعْثًا قَدْ كَانَ نَدَبُهُمْ ثَلَاثًا، فَلَمْ يَنْتَدِبْ لَهُ أَحَدٌ حَتَّى انْتَدَبَ لَهُ أَبُو عُبَيْدٍ ثُمَّ سَعْدُ بْنُ عُبَيْدٍ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ حِينَ انْتَدَبَ:

٣٠٧٠١٦ خبر النمارق

أَنَا هَا، وَقَالَ سَعْدُ: أَنَا هَا، لَفَعْلَةً فَعَلَهَا وَقَالَ سُلَيْطٌ: فَقِيلَ لِعُمَرَ: أَمْرٌ عَلَيْهِمْ رَجُلًا لَهُ صُحْبَةٌ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّمَا فَضَّلَ الصَّحَابَةُ بِسُرْعَتِهِمْ إِلَى الْعَدُوِّ وَكِفَايَتِهِمْ مِنْ أَبِي، فَإِذَا فَعَلَ فَعَلَهُمْ قَوْمٌ وَاثَقَلُوا كَانَ الَّذِينَ يَنْفِرُونَ خِفَافًا وَثَقَلَا أَوْلَى بِهَا مِنْهُمْ، وَاللَّهِ لَا أَبْعَثُ عَلَيْهِمْ إِلَّا أَوْلَهُمْ انْتِدَابًا فَأَمَرَ أَبَا عُبَيْدٍ، وَأَوْصَاهُ بِجُنْدِهِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ سَهْلِ، عَنِ الْقَاسِمِ وَمُبَشَّرٍ، عَنْ سَالِمٍ، قَالَ: كَانَ أَوَّلُ بَعْثٍ بَعَثَهُ عُمَرُ بَعْثَ أَبِي عُبَيْدٍ، ثُمَّ بَعَثَ يَعْلَى بْنَ أُمَيَّةَ إِلَى الْيَمَنِ وَأَمَرَهُ بِإِجْلَاءِ أَهْلِ نَجْرَانَ، لَوْصِيهِ رَسُولَ اللَّهِ ص فِي مَرَضِهِ بِذَلِكَ، وَلَوْصِيَّةَ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ فِي مَرَضِهِ، وَقَالَ: اتَّبِعْتُمْ وَلَا تَفْتِنْتُمْ عَنْ دِينِهِمْ، ثُمَّ أَجْلَاهُمْ، مَنْ أَقَامَ مِنْهُمْ عَلَى دِينِهِ، وَأَقَرَّ الْمُسْلِمَ، وَأَمْسَحَ أَرْضَ كُلِّ مَنْ تُجَلِّي مِنْهُمْ، ثُمَّ خَرَهُمُ الْبُلْدَانَ، وَأَعْلَاهُمْ أَنَا نُجَلِّهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، أَلَا يَتْرَكَ بِحُزْنٍ الْعَرَبَ دِينَانَ، فليُخْرِجُوا، مَنْ أَقَامَ عَلَى دِينِهِ مِنْهُمْ، ثُمَّ نَعُطِيهِمْ أَرْضًا كَأَرْضِهِمْ، إِقْرَارًا لَهُمْ بِالْحَقِّ عَلَى أَنْفُسِنَا، وَوَفَاءً بِذِمَّتِهِمْ فِيمَا أَمَرَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، بَدَلًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ جِيرَانِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ وَغَيْرِهِمْ فِيمَا صَارَ لِجِيرَانِهِمْ بِالرِّيفِ.

. خبر النمارق

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، عَنْ شُعَيْبِ، عَنْ سَيْفِ، عَنْ سَهْلِ وَمُبَشَّرٍ بِإِسْنَادِهِمَا، وَمُجَالِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالُوا: نَفَرَ أَبُو عُبَيْدٍ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَيْدٍ، وَسُلَيْطُ بْنُ قَيْسٍ، أَخُو بَنِي عَدِي بْنِ النُّجَارِ، وَالْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ أَخُو بَنِي شَيْبَانَ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي هَنْدٍ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبِ، عَنْ سَيْفِ، عَنْ مُجَالِدٍ، وَعُمَرُو عَنِ الشَّعْبِيِّ، وَأَبِي رَوْقٍ، قَالُوا: كَانَتْ بُورَانُ بِنْتُ كِسْرَى - كُلُّهَا اخْتَلَفَ النَّاسُ بِالْمَدَائِنِ - عَدَلًا بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى يَصْطَلِحُوا، فَلَمَّا قُتِلَ الْفَرَخَزَادُ بْنُ

الْبُدُوَانِ وَقَدِمَ رُسْتَمُ فَقَتَلَ آزْرَمِيدَخْتَ، كَانَتْ عَدَلًا إِلَى أَنْ اسْتَخْرَجُوا يَزْدَجَرَدَ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدٍ وَالْعَدْلُ بُورَانُ، وَصَاحِبُ الْحَرْبِ رُسْتَمُ، وَقَدْ كَانَتْ بُورَانُ أَهْدَتْ لِلْنَّبِيِّ ص، فَقَبِلَ هَدِيَّتَهَا، وَكَانَتْ ضِدَا عَلَى شِيرَى سَنَةً، ثُمَّ إِنَّهَا تَابَعَتْهُ، وَاجْتَمَعَا عَلَى أَنْ رَأْسَ وَجَعَلَهَا عَدَلًا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى عَنْ شُعَيْبِ، عَنْ سَيْفِ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادَ بِإِسْنَادِهِمْ، قَالُوا: لَمَّا قُتِلَ سَيَاوُخْشُ فَرَخَزَادُ بْنُ الْبُدُوَانِ، وَمَلَكَتْ آزْرَمِيدَخْتُ، اخْتَلَفَ أَهْلُ فَارَسَ، وَتَشَاغَلُوا عَنِ الْمُسْلِمِينَ غِيبةَ الْمُثَنَّى كُلُّهَا إِلَى أَنْ رَجَعَ مِنَ الْمَدِينَةِ فَبَعَثَتْ بُورَانُ إِلَى رُسْتَمِ بِالْخَبَرِ، وَاسْتَحْتَتُهُ بِالسَّيْرِ، وَكَانَ عَلَى فَرْجِ خُرَاسَانَ، فَأَقْبَلَ فِي النَّاسِ حَتَّى نَزَلَ الْمَدَائِنَ، لَا يَلْقَى جَيْشًا لَآزْرَمِيدَخْتَ إِلَّا هَزَمَهُ، فَأَقْتَتَلُوا بِالْمَدَائِنِ، فَهَزَمَ سَيَاوُخْشَ وَحَصَرَ وَحَصَرَتْ آزْرَمِيدَخْتُ، ثُمَّ افْتَتَحَهَا فَقَتَلَ سَيَاوُخْشَ، وَفَقًّا عَيْنَ آزْرَمِيدَخْتَ، وَنَصَبَ بُورَانُ وَدَعَتْهُ إِلَى الْقِيَامِ بِأَمْرِ أَهْلِ فَارَسَ، وَشَكَتْ إِلَيْهِ تَضَعُضَهُمْ وَإِدْبَارَ أَمْرِهِمْ، عَلَى أَنْ تَمْلِكُهُ عَشْرَ حِجَجٍ، ثُمَّ يَكُونُ الْمَلِكُ فِي آلِ كِسْرَى، إِنْ وَجَدُوا مِنْ غُلَمَانِهِمْ أَحَدًا، وَإِلَّا فَفِي نِسَائِهِمْ.

فَقَالَ رُسْتَمُ: أَمَا أَنَا فَسَامِعٌ مُطِيعٌ، غَيْرُ طَالِبٍ عِوَضًا وَلَا ثَوَابًا، وَإِنْ شَرَفْتُمُونِي وَصَنَعْتُمْ إِلَيَّ شَيْئًا فَانْتُمْ أَوْلِيَاءُ مَا صَنَعْتُمْ، إِنَّمَا أَنَا سَهْمُكُمْ وَطَوْعُ أَيْدِيكُمْ فَقَالَتْ بُورَانُ: اغْدُ عَلَيَّ، فَعَدَا عَلَيْهَا وَدَعَتْ مَرَاذِبَةَ فَارَسَ، وَكُتِبَتْ لَهُ بِأَنَّكَ عَلَى حَرْبِ فَارَسَ، لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، عَنْ رِضَا مِنَّا وَتَسْلِيمٍ لِحُكْمِكَ، وَحُكْمُكَ جَائِزٌ فِيهِمْ مَا كَانَ حُكْمُكَ فِي مَنْعِ أَرْضِهِمْ وَجَمْعِهِمْ عَنْ فِرْقَتِهِمْ وَتَوَجُّهَهُ وَأَمَرَتْ أَهْلَ

فَارِسَ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيَطِيعُوا فَدَانَتْ لَهُ فَارِسُ بَعْدَ قُدُومِ أَبِي عُبَيْدٍ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ أَحْدَثَهُ عُمَرُ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي بَكْرٍ مِنَ اللَّيْلِ، أَنْ نَادَى: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ! ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَتَفَرَّقُوا عَلَى غَيْرِ إِجَابَةٍ مِنْ أَحَدٍ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ، فَأَجَابَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ أَوَّلَ النَّاسِ، وَتَتَابَعَ النَّاسُ، وَانْتَحَبَ عُمَرُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمِنْ حَوْلِهَا أَلْفَ رَجُلٍ، أَمَرَ عَلَيْهِمْ أَبُو عُبَيْدٍ، فَقِيلَ لَهُ: اسْتَعْمِلْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: لَا هَا اللَّهُ ذَا يَا أَصْحَابَ النَّبِيِّ، لَا أُنَدِبُكُمْ فَتَنْكَلُونَ، وَيَنْتَدِبُ غَيْرُكُمْ فَأُوْمَرُكُمْ عَلَيْهِمْ! إِنَّكُمْ إِنَّمَا فَضِلْتُمْ بِتَسَرُّعِكُمْ إِلَى مِثْلِهَا، فَاِنْ نَكَلْتُمْ فَضْلُكُمْ، بَلْ أُوْمَرُ عَلَيْكُمْ أَوْلَكُمْ اِنتِدَابًا وَعَجَلًا الْمُثَنَّى، وَقَالَ:

النَّجَاءَ حَتَّى يَقْدَمَ عَلَيْكَ أَصْحَابُكَ! فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ أَحْدَثَهُ عُمَرُ فِي خِلَافَتِهِ مَعَ بَيْعَتِهِ بَعَثَ أَبُو عُبَيْدٍ، ثُمَّ بَعَثَ أَهْلَ نَجْرَانَ، ثُمَّ نَدَبَ أَهْلَ الرَّدَّةِ، فَأَقْبَلُوا سِرَاعًا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، فَرَمَى بِهِمُ الشَّامَ وَالْعِرَاقَ، وَكَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْيَمُومُوكَ، بِأَنَّ عَلَيْهِمْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنَ الْجُرَاحِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنَّكَ عَلَى النَّاسِ، فَإِنْ أَظْفَرَكَ اللَّهُ فَاصْرِفْ أَهْلَ الْعِرَاقِ إِلَى الْعِرَاقِ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْ أَمْدَادِكُمْ إِذَا هُمْ قَدُمُوا عَلَيْكُمْ فَكَانَ أَوَّلَ فَتْحٍ أَتَاهُ الْيَمُومُوكَ عَلَى عَشْرِينَ لَيْلَةً مِنْ مُتَوَقِّي أَبِي بَكْرٍ، وَكَانَ فِي الْأَمْدَادِ إِلَى الْيَمُومُوكَ فِي زَمَنِ عُمَرَ قَيْسُ بْنُ هُبَيْرَةَ، وَرَجَعَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا غَزَا حِينَ أَذِنَ عُمَرُ لِأَهْلِ الرَّدَّةِ فِي الْغَزْوِ وَقَدْ كَانَتْ فَارِسُ تَشَاغَلَتْ بِمَوْتِ شَهْرِ بَرَزٍ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّكَتْ شَاهُ زَنَانَ، حَتَّى اصْطَلَحُوا عَلَى سَابُورِ بْنِ شَهْرِ بَرَزٍ أَرْدَشِيرَ بْنَ شَهْرِ يَارَ، فَثَارَتْ بِهِ آزَمِيدَخْتُ، فَفَقَتَلَتْهُ وَالْفَرخَزَادُ، وَمَلَّكَتْ - وَرُسْتَمُ بْنُ الْفَرخَزَادِ بِخُرَاسَانَ عَلَى فَرَجِهَا - فَاتَاهُ الْخَبَرُ عَنْ بَوْرَانَ وَقَدِمَ الْمُثَنَّى الْحَيْرَةَ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي عَشْرِ، وَلَحِقَهُ أَبُو عُبَيْدٍ بَعْدَ شَهْرٍ، فَأَقَامَ الْمُثَنَّى بِالْحَيْرَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَكَتَبَ رُسْتَمُ إِلَى دَهَاقِينَ السَّوَادِ أَنْ يَثُورُوا بِالْمُسْلِمِينَ، وَدَسَّ فِي كُلِّ رُسْتَقٍ رَجُلًا لِيَثُورَ بِأَهْلِهِ، فَبَعَثَ جَابَانَ إِلَى الْبَهْقَاذِ الْأَسْفَلِ، وَبَعَثَ نَزِيئًا إِلَى كَسْكَرَ، وَوَعَدَهُمْ يَوْمًا، وَبَعَثَ جُنْدًا لِمُصَادَمَةِ الْمُثَنَّى، وَبَلَغَ الْمُثَنَّى ذَلِكَ، فَضَمَّ إِلَيْهِ مَسَاحِلَهُ وَحَذَرَ، وَعَجَلَ جَابَانَ، فَثَارَ وَنَزَلَ النَّمَارِقَ.

وَتَوَلَّوْا عَلَى الْخُرُوجِ، فَخَرَجَ نَزِيئًا، فَزَلَّ زَنْدُورْدَ، وَثَارَ أَهْلُ الرَّسَاتِيْقِ مِنْ أَعْلَى الثُّرَاتِ إِلَى أَسْفَلِهِ، وَخَرَجَ الْمُثَنَّى فِي جَمَاعَةٍ حَتَّى يَنْزِلَ خَفَانَ، لَثَلَا يُؤْتَى مِنْ خَلْفِهِ بِشَيْءٍ يَكْرَهُهُ، وَأَقَامَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ أَبُو عُبَيْدَةَ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدٍ عَلَى النَّاسِ، فَأَقَامَ بِخَفَانَ أَيَّامًا لَيْسَتْ جَمَّ أَصْحَابُهُ، وَقَدْ اجْتَمَعَ إِلَى جَابَانَ بِشَرِّ كَثِيرٍ، وَخَرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ بَعْدَ مَا جَمَّ النَّاسَ وَظَهَرَهُمْ، وَتَعَبَى، فَجَعَلَ الْمُثَنَّى عَلَى الْخَيْلِ، وَعَلَى مِيْمَنَتِهِ وَالْقِيَامُ بْنُ جِيدَارَةَ، وَعَلَى مِيسَرَتِهِ عُمَرُ بْنُ الْهَيْثَمِ بْنِ الصَّلْتِ بْنِ حَبِيبِ السُّلَمِيِّ وَعَلَى مُجَنَّبَتِي جَابَانَ جَشْنُسُ مَاهَ وَمَرْدَانَ شَاهُ فَزَلُّوا عَلَى جَابَانَ بِالنَّمَارِقِ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا فَهَزَمَ اللَّهُ أَهْلَ فَارِسَ، وَأُسِرَ جَابَانَ، وَأُسِرَ مَطَرُ بْنُ فَضْهِ التِّيمِيِّ، وَأُسِرَ مَرْدَانَ شَاهُ، أَسْرَهُ أَكْثَلُ بْنُ شَمَاجِ الْعُكْلِيِّ، فَأَمَّا أَكْثَلُ فَانْهَ ضَرْبَ عُنُقِ مَرْدَانَ شَاهُ، وَأَمَّا مَطَرُ بْنُ فَضْهِ فَإِنَّ جَابَانَ خَدَعَهُ، حَتَّى تَفَلَّتَ مِنْهُ بِشَيْءٍ نَفَلَى عَنْهُ، فَأَخَذَهُ الْمُسْلِمُونَ، فَاتَّوَا بِهِ أَبُو عُبَيْدٍ وَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ الْمَلِكُ، وَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِقَتْلِهِ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ أَنْ أَقْتُلَهُ، وَقَدْ أَمَنَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، وَالْمُسْلِمُونَ فِي التَّوَادِّ وَالتَّنَاصُرِ كَالْجَسَدِ، مَا لَزِمَ بَعْضُهُمْ فَقَدْ لَزِمَهُمْ كُلُّهُمْ.

فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُ الْمَلِكُ، قَالَ: وَإِنْ كَانَ لَا أَغْدُرُ، فَتَرَكَهُ كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الصَّلْتِ بْنِ بَهْرَامَ، عَنْ أَبِي عَمْرَانَ الْجَعْفِيِّ، قَالَ: وَلَّتْ حَرْبَهَا فَارِسُ رُسْتَمُ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَلَكَوهُ، وَكَانَ مُنْجِمًا عَالِمًا بِالنُّجُومِ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا دَعَاكَ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ وَأَنْتَ تَرَى مَا تَرَى! قَالَ: الطَّمَعُ وَحُبُّ الشَّرَفِ فَكَاتَبَ أَهْلَ السَّوَادِ، وَدَسَّ إِلَيْهِمُ الرُّؤْسَاءَ، فَثَارُوا بِالْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ كَانَ عَهْدٌ إِلَى الْقَوْمِ أَنَّ الْأَمِيرَ عَلَيْهِمْ أَوَّلُ مَنْ ثَارَ، فَثَارَ جَابَانَ فِي فِرَاتٍ بِأَدَقْلَى، وَثَارَ النَّاسُ بَعْدَهُ، وَأَرَزَّ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمُثَنَّى بِالْحَيْرَةِ، فَصَمَدَ لَخَفَانَ، وَنَزَلَ خَفَانَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ أَبُو عُبَيْدٍ وَهُوَ الْأَمِيرُ عَلَى الْمُثَنَّى وَغَيْرِهِ، وَنَزَلَ جَابَانَ النَّمَارِقَ، فَسَارَ إِلَيْهِ أَبُو عُبَيْدٍ مِنْ خَفَانَ، فَالْتَقَوْا بِالنَّمَارِقِ،

فَهَزَمَ اللَّهُ أَهْلَ فَارَسَ، وَأَصَابُوا مِنْهُمْ مَا شَاءُوا وَبَصَرَ مَطْرَبُ بْنُ فَضَّةَ- وَكَانَ يُنْسَبُ إِلَى أُمِّهِ- وَأَبِي بَرْجَلٍ عَلَيْهِ حُلِيٌّ، فَشَدَّ عَلَيْهِ فَأَخَذَاهُ أُسِيرًا، فَوَجَدَاهُ شَيْخًا كَبِيرًا

٣٠٧٠١٧ السقاطية بكسك

فَزَهَّدَ فِيهِ أَبِي وَرَغِبَ مَطْرَبُ فِي فِدَائِهِ، فَاصْطَلَحَا عَلَى أَنْ سَلَبَهُ لِأَبِيٍّ، وَأَنَّ إِسَارَهُ لِمَطْرَبٍ، فَلَمَّا خَلَصَ مَطْرَبُ بِهِ، قَالَ: إِنَّكُمْ مَعَاشِرَ الْعَرَبِ أَهْلُ وَفَاءٍ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَوْمِنَنِي وَأَعْطِيكَ غُلَامَيْنِ أَمْرَدَيْنِ خَفِيفَيْنِ فِي عَمَلِكَ وَكَذَا وَكَذَا! قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَدْخِلْنِي عَلَى مَلِكِكُمْ، حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ بِمَشْهَدٍ مِنْهُ، فَفَعَلَ فَأَدْخَلَهُ عَلَى أَبِي عُبَيْدٍ، فَمَمَّ لَهُ عَلَى ذَلِكَ، فَأَجَازَ أَبُو عُبَيْدٍ، فَقَامَ أَبِي وَأَنَاسٌ مِنْ رِبِيعَةَ، فَأَمَّا أَبِي فَقَالَ: أَسْرَتُهُ أَنَا وَهُوَ عَلَى غَيْرِ أَمَانٍ، وَأَمَّا الْآخَرُونَ فَعَرَفُوهُ، وَقَالُوا: هَذَا الْمَلِكُ جَابَانُ، وَهُوَ الَّذِي لَقِينَا بِهَذَا الْجَمْعِ، فَقَالَ: مَا تَرَوْنِي فَاعِلًا مَعَاشِرَ رِبِيعَةَ؟ أَيُؤْمِنُهُ صَاحِبُكُمْ وَأَقْتَلَهُ أَنَا! مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ! وَقَسَمَ أَبُو عُبَيْدٍ الْغَنَائِمَ، وَكَانَ فِيهَا عَطَرٌ كَثِيرٌ وَنَفْلٌ، وَبَعَثَ بِالْأَخْمَاسِ مَعَ الْقَاسِمِ . السقاطية بكسك

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطْلَحَةَ وَزِيَادٍ، قَالُوا: وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ حِينَ انْهَزَمُوا وَأَخَذُوا نَحْوَ كَسْكَرٍ لِيَلْجِئُوا إِلَى نَزِيٍّ- وَكَانَ نَزِيٌّ ابْنُ خَالَةِ كَسْرَى، وَكَانَتْ كَسْكَرُ قَطِيعَةً لَهُ، وَكَانَ النَّزِيسَانِ لَهُ، يَحْمِيهِ لَا يَأْكُلُهُ بَشَرٌ، وَلَا يَغْرُسُهُ غَيْرُهُمْ أَوْ مَلِكُ فَارَسَ إِلَّا مَنْ أَكْرَمُوهُ بِشَيْءٍ مِنْهُ، وَكَانَ ذَلِكَ مَذْكُورًا مِنْ فَعْلِهِمْ فِي النَّاسِ، وَأَنَّ ثَمَرَهُمْ هَذَا حَمِيٌّ، فَقَالَ لَهُ رُسْتَمُ وَبُورَانُ: اشْخَصْ إِلَى قَطِيعَتِكَ فَاحْمِهَا مِنْ عَدُوِّكَ وَعَدُونَا وَكُنْ رَجُلًا، فَلَمَّا انْهَزَمَ النَّاسُ يَوْمَ النَّمَارِقِ، وَوَجَّهَتِ الْفَالَةُ نَحْوَ نَزِيٍّ- وَنَزِيٌّ فِي عَسْكَرِهِ- نَادَى أَبُو عُبَيْدٍ بِالرَّحِيلِ، وَقَالَ لِلْمُجَرَّدَةِ: اتَّبِعُوهُمْ حَتَّى تُدْخِلُوهُمْ عَسْكَرَ نَزِيٍّ، أَوْ تُبَيِّدُوهُمْ فِيمَا بَيْنَ النَّمَارِقِ إِلَى بَارِقٍ إِلَى دُرْتَا وَقَالَ عَاصِمُ بْنُ عَمْرٍو فِي ذَلِكَ:

لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَى بَهَيْنٍ ... لَقَدْ صَبَّحَتْ بِالنَّخْزِي أَهْلُ النَّمَارِقِ
بِأَيْدِي رَجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رِبِيعٍ ... يَجُوسُونَهُمْ مَا بَيْنَ دُرْتَا وَبَارِقِ
قَتَلْنَاهُمْ مَا بَيْنَ مَرْجٍ مُسَلِّجٍ ... وَبَيْنَ الْهَوَافِي مِنْ طَرِيقِ الْبَذَارِقِ

وَمَضَى أَبُو عُبَيْدٍ حِينَ ارْتَحَلَ مِنَ النَّمَارِقِ حَتَّى يَنْزِلَ عَلَى نَزِيٍّ بِكَسْكَرٍ- وَنَزِيٌّ يَوْمَئِذٍ بِأَسْفَلِ كَسْكَرٍ- وَالْمُثْنَى فِي تَعْيِيَتِهِ الَّتِي قَاتَلَ فِيهَا جَابَانُ، وَنَزِيٌّ عَلَى مُجْنَبَتِهِ ابْنًا خَالَهُ وَهُمَا ابْنَا خَالِ كَسْرَى بَنَدُويَهُ وَتَبَرُويَهُ ابْنَا بَسْطَامٍ- وَأَهْلُ بَارُوسْمَا وَنَهْرُ جَوْبَرٍ وَالزَّوَابِي مَعَهُ إِلَى جُنْدِهِ، وَقَدْ أَتَى الْخَبْرُ بُورَانَ وَرُسْتَمَ بِهَزِيمَةِ جَابَانُ، فَبَعَثُوا إِلَى الْجَالُوسِ، وَبَلَغَ ذَلِكَ نَزِيٍّ وَأَهْلَ كَسْكَرٍ وَبَارُوسْمَا وَنَهْرُ جَوْبَرٍ وَالزَّابَ، فَرَجَّوْا أَنْ يَلْحَقَ قَبْلَ الْوُقْعَةِ، وَعَاجَلَهُمْ أَبُو عُبَيْدٍ فَالْتَقَوْا أَسْفَلَ مِنْ كَسْكَرٍ بِمَكَانٍ يُدْعَى السَّقَاطِيَةَ فَاقْتَتَلُوا فِي صَحَارَى مَلَسَ قِتَالًا شَدِيدًا ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ هَزَمَ فَارَسَ، وَهَرَبَ نَزِيٌّ، وَغَلَبَ عَلَى عَسْكَرِهِ وَأَرْضِهِ، وَأَخْرَبَ أَبُو عُبَيْدٍ مَا كَانَ حَوْلَ مُعَسْكَرِهِمْ مِنْ كَسْكَرٍ، وَجَمَعَ الْغَنَائِمَ، فَرَأَى مِنَ الْأَطْعِمَةِ شَيْئًا عَظِيمًا، فَبَعَثَ فِيمَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ فَانْتَقَلُوا مَا شَاءُوا، وَأَخَذَتْ خَزَائِنُ نَزِيٍّ، فَلَمْ يَكُونُوا بِشَيْءٍ مِمَّا خَزَنَ أَفْرَحُ مِنْهُمْ بِالنَّزِيسَانِ، لِأَنَّهُ كَانَ يَحْمِيهِ وَيَمَالُهُ عَلَيْهِ مُلُوكُهُمْ، فَاقْتَسَمُوهُ جَعَلُوا يُطْعِمُونَهُ الْفَلَاحِينَ، وَبَعَثُوا بِخُمْسِهِ إِلَى عُمَرَ وَكَتَبُوا إِلَيْهِ: إِنَّ اللَّهَ أَطْعَمَنَا مَطَاعِمَ كَانَتْ الْأَكَاسِرَةُ يَحْمُونَهَا، وَأَحْبَبْنَا أَنْ تَرَوْهَا، وَلِتَذْكُرُوا أَنْعَامَ اللَّهِ وَإِفْضَالَهُ.

وَأَقَامَ أَبُو عُبَيْدٍ وَسَرَحَ الْمُثْنَى إِلَى بَارُوسْمَا، وَبَعَثَ وَالْقَا إِلَى الزَّوَابِي وَعَاصِمًا إِلَى نَهْرِ جَوْبَرٍ، فَهَزَمُوا مَنْ كَانَ تَجَمَّعَ وَأَخْرَبُوا وَسَبَّوْا، وَكَانَ

مَّا أَخْرَبَ الْمُثَنَّى وَسَبَى أَهْلَ زَنْدَوْرَدَ وَبُسُوسِيَا، وَكَانَ أَبُو زَعْبَلٍ مِنْ سَبْيِ زَنْدَوْرَدَ، وَهَرَبَ ذَلِكَ الْجُنْدُ إِلَى الْجَالِنُوسِ، فَكَانَ مِنْ أَسْرَ عَاصِمٍ أَهْلُ بَيْتِيَقَ مِنْ نَهْرِ جَوْبَرٍ، وَمِنْ أَسْرَ وَالِقِ أَبُو الصَّلْتِ وَخَرَجَ فَرُوخُ وَفَرُونْدَاذُ إِلَى الْمُثَنَّى، يَطْلُبَانِ الْجَزَاءَ وَالْذِمَّةَ، دَفْعًا عَنْ أَرْضِهِمْ، فَأَبْلَغَهُمَا أَبَا عُبَيْدٍ:

أَحَدُهُمَا بَارُوسْمَا وَالْآخَرُ نَهْرَ جَوْبَرٍ، فَأَعْطِيَاهُ عَنْ كُلِّ رَأْسٍ أَرْبَعَةً، فَرُوخُ عَنْ بَارُوسْمَا وَفَرُونْدَاذُ عَنْ نَهْرِ جَوْبَرٍ، وَمِثْلُ ذَلِكَ الزَّوَابِي وَكَسَكُرُ، وَضَمْنَا لَهُمُ الرِّجَالَ عَنِ التَّعْجِيلِ، فَفَعَلُوا وَصَارُوا صُلْحًا وَجَاءَ فَرُوخُ

وَفَرُونْدَاذُ إِلَى أَبِي عُبَيْدٍ بِأَنْيَةٍ فِيهَا أَنْوَعُ أَطْعَمَةِ فَارَسَ مِنَ الْأَلْوَانِ وَالْأَخْبَصَةِ وَغَيْرَهَا، فَقَالُوا: هَذِهِ كَرَامَةٌ أَكْرَمْنَاكَ بِهَا، وَقَرَى لَكَ قَالَ: أَكْرَمْتُمُ الْجُنْدَ وَقَرَيْتُوهُمْ مِثْلَهُ؟ قَالُوا: لَمْ يَتَيْسَّرْ وَنَحْنُ فَاعِلُونَ، وَإِنَّمَا يَتَرَبَّصُونَ بِهِمْ قُدُومَ الْجَالِنُوسِ وَمَا يَصْنَعُ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيمَا لَا يَسَعُ الْجُنْدَ، فَدَرَهُ، وَخَرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ حَتَّى يَنْزِلَ بِبَارُوسْمَا فَبَلَّغَهُ مَسِيرَ الْجَالِنُوسِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ السَّرِيِّ الضُّبِّيِّ، قَالَ: فَأَتَاهُ الْأَنْدَرَزُغَرُ بْنُ الْخُرَكْبَذِ بِمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ فَرُوخُ وَفَرُونْدَاذُ.

فَقَالَ لَهُمْ: أَأَكْرَمْتُمُ الْجُنْدَ بِمِثْلِهِ وَقَرَيْتُوهُمْ؟ قَالُوا: لَا، فَدَرَهُ، وَقَالَ:

لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ، بَشَى الْمَرْءُ أَبُو عُبَيْدٍ، إِنْ صَحِبَ قَوْمًا مِنْ بِلَادِهِمْ أَهْرَاقُوا دِمَاءَهُمْ دُونَهُ، أَوْ لَمْ يَهْرِيقُوا فَاسْتَأْثَرُوا عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ يَضِيهِهِ! لَا وَاللَّهِ لَا يَأْكُلُ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِلَّا مِثْلَ مَا يَأْكُلُ أَوْسَاطُهُمْ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَدْ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ بَخُو مِنْ حَدِيثِ سَيْفِ هَذَا، عَنْ رَجَالِهِ فِي تَوْجِيهِ عَمْرِ الْمُثَنَّى وَأَبَا عُبَيْدِ بْنِ مَسْعُودٍ إِلَى الْعِرَاقِ فِي حَرْبٍ مِنْ بَهَا مِنَ الْكُفَّارِ وَحُرُوبِهِمْ، وَمِنْ حَارِبِهِمْ بِهَا، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا هَزَمَ جَالِنُوسَ وَأَصْحَابَهُ، وَدَخَلَ أَبُو عُبَيْدٍ بَارُوسْمَا، نَزَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ قَرْيَةً مِنْ قَرَاهَا، فَاشْتَمَلَتْ عَلَيْهِمْ، فَصَنَعَ لِأَبِي عُبَيْدٍ طَعَامَ فَأَتَى بِهِ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ: مَا أَنَا بِالَّذِي أَكَلَ هَذَا دُونَ الْمُسْلِمِينَ! فَقَالُوا لَهُ: كُلْ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَصْحَابِكَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يُوْتِي فِي مَنْزِلِهِ بِمِثْلِ هَذَا أَوْ أَفْضَلَ، فَأَكَلَ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَيْهِ سَأَلَهُمْ عَنْ طَعَامِهِمْ، فَأَخْبَرُوهُ بِمَا جَاءَهُمْ مِنَ الطَّعَامِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمْرِ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادَةَ بِإِسْنَادِهِمْ، قَالُوا: وَقَدْ كَانَ جَابَانُ وَتَرْسِيُّ اسْتَمَدَّا بُورَانَ، فَأَمَدَّتَهُمَا بِالْجَالِنُوسِ فِي جُنْدِ جَابَانَ، وَأَمَرَ أَنْ يَبْدَأَ بِتَرْسِيِّ، ثُمَّ يَقَاتِلُ أَبَا عُبَيْدٍ بَعْدُ، فَبَادَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ، فَهَضَّ فِي جُنْدِهِ قَبْلَ أَنْ يَدْنُو، فَلَمَّا دَنَا

اسْتَقْبَلَهُ أَبُو عُبَيْدٍ، فَزَلَ الْجَالِنُوسُ بِأَقْسِيَا مِنْ بَارُوسْمَا، فَهَدَّ إِلَيْهِ أَبُو عُبَيْدٍ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ عَلَى تَعْيِيَتِهِ، فَالْتَقَوْا عَلَى بَاقُسِيَا، فَهَزَمَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَهَرَبَ الْجَالِنُوسُ، وَأَقَامَ أَبُو عُبَيْدٍ، قَدْ غَلَبَ عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ السَّرِيِّ وَالْمُجَالِدِ بَخُو مِنْ وَقْعَةِ بَاقُسِيَا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادَةَ وَالنَّضْرِ بِإِسْنَادِهِمْ، قَالُوا: أَتَاهُ أُولَئِكَ الدَّهَاقِيُّنَ الْمُتَرَبِّصُونَ جَمِيعًا بِمَا وَسِعَ الْجُنْدُ، وَهَابُوا وَخَافُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمَّا النَّضْرُ وَالمُجَالِدُ فَانْتَهَمَا قَالَا:

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: أَلَمْ أَعْلِمُكُمْ أَنِّي لَسْتُ أَكِلَا إِلَّا مَا يَسَعُ مِنْ مَعِي مَنْ أَصَبْتُمْ بِهِمْ! قَالُوا: لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ أَتَى بِشَبْعِهِ مِنْ هَذَا فِي رِحَالِهِمْ وَأَفْضَلَ.

فَلَمَّا رَاحَ النَّاسُ عَلَيْهِ سَأَلَهُمْ عَنْ قَرَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَأَخْبَرُوهُ، وَإِنَّمَا كَانُوا قَصَرُوا أَوَّلًا تَرَبُّصًا وَمَخَافَةً عَقُوبَةَ أَهْلِ فَارَسَ وَأَمَّا مُحَمَّدٌ وَطَلْحَةُ وَزِيَادَةُ فَانْتَهَمُوا قَالُوا: فَلَمَّا عَلِمَ قَبْلَ مِنْهُمْ، وَأَكَلَ وَأَرْسَلَ إِلَى قَوْمٍ كَانُوا يَأْكُلُونَ مَعَهُ أَضْيَافًا عَلَيْهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الطَّعَامِ، وَقَدْ أَصَابُوا مَنْ نَزَلَ

فَارَسَ وَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ أَتَوْا أَبَا عُبَيْدٍ بِشَيْءٍ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى مِثْلِ مَا كَانُوا يَدْعُونَ إِلَيْهِ مِنْ غَلِيظِ عَيْشِ أَبِي عُبَيْدٍ، وَكَرَهُوا تَرْكَ مَا أَتَوْا بِهِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالُوا لَهُ: قُلْ لِلْأَمِيرِ، إِنَّا لَا نَشْتَبِي شَيْئًا مَعَ شَيْءٍ أَتَيْنَا بِهِ الدَّهَاقِينَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ: إِنَّهُ طَعَامٌ كَثِيرٌ مِنْ أَطْعَمَةِ الْأَعَاجِمِ، لَتَنْظُرُوا ابْنَ هُوَ مَا أَتَيْتُمْ بِهِ! إِنَّهُ قَرَوَ وَنَجْمَ وَجُوزَلَ وَشَوَاءَ وَخَرْدَلَ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ عَاصِمُ بْنُ عَمْرٍو وَأَضْيَافُهُ عِنْدَهُ:

إِنْ تَكُ ذَا قَرَوَ وَنَجْمَ وَجُوزَلَ ... فَعِنْدَ ابْنِ فَرُوحَ شَوَاءٌ وَخَرْدَلُ
وَقَرَوُ رِقَاقُ كَالصَّحَائِفِ طَوِيَتْ ... عَلَى مَنْزِعٍ فِيهَا بَقُولُ وَجُوزَلُ
وَقَالَ أَيْضًا:

صَبَحْنَا بِالْبَقَايِسِ رَهْطَ كَسْرَى ... صَبُوحًا لَيْسَ مِنْ نَحْرِ السَّوَادِ
صَبَحْنَاهُمْ بِكُلِّ فَتَى كَمِي ... وَأَجْرَدَ سَاحِجٍ مِنْ خَيْلِ عَادِ

٣٠٧٠١٨ وقعه القرقس

ثُمَّ ارْتَحَلَ أَبُو عُبَيْدٍ، وَقَدَّمَ الْمُثَنَّى، وَسَارَ فِي تَعْيِيْتِهِ حَتَّى قَدِمَ الْحِيرَةَ.
وَقَالَ النَّضْرُ وَمَجَالِدٌ وَمُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ: تَقَدَّمَ عَمْرٌو إِلَى أَبِي عُبَيْدٍ، فَقَالَ: إِنَّكَ تَقْدِمُ عَلَى أَرْضِ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ وَالْخِيَانَةِ وَالْجَبْرِيةِ، تُقَدِّمُ عَلَى قَوْمٍ قَدْ جَرَّوْا عَلَى الشَّرِّ فَعَلَهُوهُ، وَتَنَاسَوْا الْخَيْرَ فَجَهِلُوهُ، فَانْظُرْ كَيْفَ تَكُونُ! وَاخْزَنْ لِسَانَكَ، وَلَا تُفْشِئَنَّ سِرَّكَ، فَإِنَّ صَاحِبَ السِّرِّ مَا ضَبَطَهُ، مُتَحَصِّنٌ لَا يُؤْتَى مِنْ وَجْهِ يَكْرَهُهُ، وَإِذَا ضَبَعَهُ كَانَ بِمَضِيعَةٍ

. وقعة القرقس

ويقال لها القس قس الناطف، ويقال لها الجسر، ويقال لها المروحة.

قال ابو جعفر الطبري رحمه الله: كتب إلي السري بن يحيى، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم، قالوا: ولما رجع الجالئوس إلى رستم ومن أفلت من جنوده، قال رستم: أي العجم أشد على العرب فيما ترون؟

قالوا: بهمن جادويه، فوجهه ومعه فيلة ورد الجالئوس معه، وقال له: قدِمَ الجالئوس، فَإِنْ عَادَ لِمِثْلِهَا فَاضْرِبْ عُنْقَهُ، فَأَقْبَلَ بِهِمْ جَادُويَهُ وَمَعَهُ دَرَفُشُ كَلْبَانَ رَايَةَ كَسْرَى - وَكَانَتْ مِنْ جُلُودِ النَّمْرِ، عَرَضَ ثَمَانِيَةَ أَذْرُعٍ فِي طُولِ اثْنَيْ عَشَرَ ذِرَاعًا - وَأَقْبَلَ أَبُو عُبَيْدٍ، فَنَزَلَ الْمَرْوَحَةَ، مَوْضِعَ الْبُرْجِ وَالْعَاقُولِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِهِمْ جَادُويَهُ: إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا وَنَدْعُكُمْ وَالْعُبُورَ وَإِمَّا أَنْ تَدْعُونَا نَعْبُرَ إِلَيْكُمْ! فَقَالَ النَّاسُ: لَا تَعْبُرُوا يَا أَبَا عُبَيْدٍ، نَهَكَ عَنِ الْعُبُورِ وَقَالُوا لَهُ: قُلْ لَهُمْ: فَلْيَعْبُرُوا - وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ سُلَيْطٌ - فَلَجَّ أَبُو عُبَيْدٍ وَتَرَكَ الرَّأْيَ، وَقَالَ: لَا يَكُونُونَ أَجْرًا عَلَى الْمَوْتِ مِنَّا، بَلْ نَعْبُرُ إِلَيْهِمْ فَعَبَرُوا إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي مَنْزِلِ ضَيْقِ الْمَطْرَدِ وَالْمَذْهَبِ، فَاقْتَتَلُوا يَوْمًا - وَأَبُو عُبَيْدٍ فِيمَا بَيْنَ السِّتَةِ وَالْعَشْرِ - حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ النَّهَارِ، وَاسْتَبْطَأَ رَجُلٌ مِنْ ثَقِيفٍ الْفَتْحَ، أَلْفَ بَيْنَ النَّاسِ، فَتَصَاحُوا بِالسُّيُوفِ وَضَرَبَ أَبُو عُبَيْدٍ الْفِيلَ، وَخَبَطَ الْفِيلُ أَبَا عُبَيْدٍ، وَقَدْ أَسْرَعَتِ السُّيُوفُ فِي أَهْلِ فَارَسَ،

وَأَصِيبَ مِنْهُمْ سِتَّةُ آلَافٍ فِي الْمَعْرَكَةِ، وَلَمْ يَبْقَ وَلَمْ يَنْتَظِرْ إِلَّا الْهَزِيمَةَ، فَلَمَّا خُطِبَ أَبُو عُبَيْدٍ، وَقَامَ عَلَيْهِ الْفِيلُ جَالَ الْمُسْلِمُونَ جَوْلَةً، ثُمَّ تَمَوَّعُوا عَلَيْهَا، وَرَكِبَهُمْ أَهْلُ فَارَسَ، فَبَادَرَ رَجُلٌ مِنْ ثَقِيفٍ إِلَى الْجِسْرِ فَقَطَعَهُ، فَانْتَهَى النَّاسُ إِلَيْهِ وَالسُّيُوفُ تَأْخُذُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ، فَتَهَافَتُوا فِي الثُّرَاتِ، فَأَصَابُوا يَوْمَئِذٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ، مِنْ بَيْنِ غَرِيقٍ وَقَتِيلٍ، وَحَمَى الْمُثَنَّى النَّاسَ وَعَاصِمٌ وَالْكَلَجُ الضَّيِّقُ وَمَذْعُورٌ، حَتَّى عَقَدُوا الْجِسْرَ وَعَبَرُوهُمْ ثُمَّ عَبَرُوا فِي آثَارِهِمْ، فَأَقَامُوا بِالْمَرْوَحَةِ وَالْمُثَنَّى جَرِيحٌ، وَالْكَلَجُ وَمَذْعُورٌ وَعَاصِمٌ - وَكَانُوا حَمَاهُ لِنَاسٍ - مَعَ الْمُثَنَّى، وَهَرَبَ مِنَ النَّاسِ بَشَرٌ كَثِيرٌ عَلَى وَجْهِهِمْ، وَافْتَضَحُوا فِي أَنْفُسِهِمْ، وَاسْتَحْيَوْا مِمَّا نَزَلَ بِهِمْ، وَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرٌو عَنْ بَعْضٍ مَنْ أَوَى إِلَى

الْمَدِينَةَ فَقَالَ: عِبَادَ اللَّهِ! اللَّهُمَّ إِنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ فِي حِلِّ مَنِيِّ، أَنَا فِتْنَةٌ كُلِّ مُسْلِمٍ، يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا عُبَيْدٍ! لَوْ كَانَ عِبْرَ فَاغْتَصَمَ بِالْخَيْفِ، أَوْ تَحَيَّزَ إِلَيْنَا وَلَمْ يَسْتَقْتِلْ لَكُنَّا لَهُ فِتْنَةً! وَبَيْنَا أَهْلُ فَارِسَ يُحَاوِلُونَ الْعُبُورَ أَتَاهُمْ الْخَبْرُ أَنَّ النَّاسَ بِالْمَدَائِنِ قَدْ ثَارُوا بِرُسْتَمَ، وَنَقَضُوا الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ فَصَارُوا فِرْقَتَيْنِ: الْفَهْلُوجُ عَلَى رُسْتَمَ، وَأَهْلُ فَارِسَ عَلَى الْفِيرْزَانَ، وَكَانَ بَيْنَ وَقْعَةِ الْيَرْمُوكِ وَالْجَسْرِ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً، وَكَانَ الَّذِي جَاءَ بِالْخَبَرِ عَنِ الْيَرْمُوكِ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخَمِيرِيُّ، وَالَّذِي جَاءَ بِالْخَبَرِ عَنِ الْجَسْرِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ - وَلَيْسَ بِالَّذِي رَأَى الرَّؤْيَا - فَاتَمَّتْ إِلَى عُمَرَ وَعُمَرُ عَلَى الْمَنْبَرِ فَنادى عُمَرُ: الْخَبْرُ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ! قَالَ:

أَتَاكَ الْخَبْرُ الْيَقِينُ، ثُمَّ صَعِدَ إِلَيْهِ الْمَنْبَرُ فَأَسْرَّ ذَلِكَ إِلَيْهِ.
وَكَانَتْ الْيَرْمُوكُ فِي أَيَّامٍ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَالْجَسْرُ فِي شَعْبَانَ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْمَجَالِدِ وَسَعِيدِ ابْنِ الْمَرْزُبَانِ، قَالَا: وَاسْتَعْمَلَ رُسْتَمُ عَلَى حَرْبِ أَبِي عُبَيْدٍ بِهِمْ جَاذُوِيَهُ، وَهُوَ ذُو الْحَاجِبِ، وَرَدَّ مَعَهُ الْجَالُوسُ وَمَعَهُ الْفِيلَةُ، فِيهَا فِيلٌ أَيْضُ عَلَيْهِ النَّخْلُ، وَأَقْبَلَ فِي الدَّهْمِ، وَقَدْ اسْتَقْبَلَهُ أَبُو عُبَيْدٍ حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَابِلَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ انْخَازَ حَتَّى جَعَلَ الْفَرَاتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَعَسَكَرَ بِالْمَرْوَحَةِ ثُمَّ إِنَّ أَبَا عُبَيْدٍ نَدِمَ حِينَ نَزَلُوا بِهِ وَقَالُوا: إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا وَإِمَّا أَنْ نَعْبُرَ، فَخَلَفَ لِيَقْطَعَ الْفَرَاتَ إِلَيْهِمْ، وَلِيَمْحَصَنَّ مَا صَنَعَ، فَنَاشَدَهُ سُلَيْطُ بْنُ قَيْسٍ وَوُجُوهُ النَّاسِ، وَقَالُوا: إِنَّ الْعَرَبَ لَمْ تَلَقْ مِثْلَ جُنُودِ فَارِسَ مِذْ كَانُوا، وَإِنَّهُمْ قَدْ حَفَلُوا لَنَا وَاسْتَقْبَلُونَا مِنَ الزُّهَاءِ وَالْعُدَّةِ بِمَا لَمْ يَلْقُنَا بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَقَدْ نَزَلَتْ مَنْزِلًا لَنَا فِيهِ مَجَالٌ وَمَلْجَأٌ وَمَرْجِعٌ، مِنْ فِرَّةٍ إِلَى كِرَّةٍ فَقَالَ:

لَا أَفْعَلُ، جَبَنْتُ وَاللَّهِ! وَكَانَ الرَّسُولُ فِيمَا بَيْنَ ذِي الْحَاجِبِ وَأَبِي عُبَيْدٍ مُرْدَانُ شَاهِ الْخَصِي، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ عَيَّرُوهُمْ، فَازْدَادَ أَبُو عُبَيْدٍ مُحَاكًا، وَرَدَّ عَلَى أَصْحَابِهِ الرَّأْيَ، وَجَبَنَ سُلَيْطًا، فَقَالَ: سُلَيْطُ:

أَنَا وَاللَّهِ أَجْرًا مِنْكَ نَفْسًا، وَقَدْ أَشْرْنَا عَلَيْكَ الرَّأْيَ فَسَتَعْلَمُ! كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ النُّضْرِ بْنِ السَّرِيِّ، عَنِ الْأَغَرِّ الْعَجَلِيِّ، قَالَ: أَقْبَلَ ذُو الْحَاجِبِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ بِقَيْسِ النَّاطِفِ، وَأَبُو عُبَيْدٍ مُعَسِّكٌ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ بِالْمَرْوَحَةِ فَقَالَ: إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا وَإِمَّا أَنْ نَعْبُرَ إِلَيْكُمْ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: بَلْ نَعْبُرُ إِلَيْكُمْ فَعَدَّ ابْنُ صَلُوبَا الْجَسْرَ لِلْفِرْقَتَيْنِ جَمِيعًا، وَقَبْلَ ذَلِكَ مَا قَدْ رَأَتْ دَوْمَةُ امْرَأَةِ أَبِي عُبَيْدٍ رُؤْيَا وَهِيَ بِالْمَرْوَحَةِ، أَنَّ رَجُلًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ بِإِنَاءٍ فِيهِ شَرَابٌ، فَشَرِبَ أَبُو عُبَيْدٍ وَجَبَرُ فِي أَنْاسٍ مِنْ أَهْلِهِ، فَأَخْبَرَتْ بِهَا أَبَا عُبَيْدٍ، فَقَالَ: هَذِهِ الشَّهَادَةُ، وَعَهْدَ أَبُو عُبَيْدٍ إِلَى النَّاسِ، فَقَالَ: إِنْ قُتِلَ فَعَلَى النَّاسِ جَبَرٌ، فَإِنْ قُتِلَ فَعَلَيْكُمْ فَلَانُ، حَتَّى أَمَرَ الَّذِينَ شَرَبُوا مِنَ الْإِنَاءِ عَلَى الْوَلَاءِ مِنْ كَلَامِهِ ثُمَّ قَالَ: إِنْ قُتِلَ أَبُو الْقَاسِمِ فَعَلَيْكُمْ الْمِثْنَى، ثُمَّ نَهَدَ بِالنَّاسِ فَعَبَرُوا وَعَبَرُوا إِلَيْهِمْ، وَعَضَلَتِ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا، وَالْحَمُّ النَّاسَ الْحَرْبَ.

فَلَمَّا نَظَرَتْ الْخِيُولُ إِلَى الْفِيلَةِ عَلَيْهَا النَّخْلُ، وَانْخَلِيلُ عَلَيْهَا التَّجَافِيفُ وَالْفَرَسَانُ عَلَيْهِمُ الشُّعْرُ رَأَتْ شَيْئًا مُنْكَرًا لَمْ تَكُنْ تَرَى مِثْلَهُ، فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ إِذَا حَمَلُوا عَلَيْهِمْ لَمْ تَقْدَمْ خِيُولُهُمْ، وَإِذَا حَمَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْفِيلَةِ وَالْجَلَّاجِلِ فَرَّقَتْ بَيْنَ كَرَادِسِهِمْ، لَا تَقُومُ لَهَا انْخِيلُ إِلَّا عَلَى نَفَارٍ وَخَزَقَهُمُ الْفَرَسُ

بِالنُّشَابِ، وَعَضَّ الْمُسْلِمِينَ الْأَمْرُ، وَجَعَلُوا لَا يَصِلُونَ إِلَيْهِمْ، فَتَرَجَّلَ أَبُو عُبَيْدٍ وَتَرَجَّلَ النَّاسُ، ثُمَّ مَشَوْا إِلَيْهِمْ فَصَاحُوهُمْ بِالسُّيُوفِ، فَجَعَلَتِ الْفِيلَةُ لَا تَحْمِلُ عَلَى جَمَاعَةٍ إِلَّا دَفَعَتْهُمْ، فَنادى أَبُو عُبَيْدٍ: احْتَوْشُوا الْفِيلَةَ، وَقَطِّعُوا بَطْنَهَا وَأَقْبِلُوا عَنْهَا أَهْلَهَا، وَوَاتِبَ هُوَ الْفِيلَ الْأَيْضُ، فَتَعَلَّقَ بِبَطْنِهِ فَقَطَّعَهُ، وَوَقَعَ الَّذِينَ عَلَيْهِ، وَفَعَلَ الْقَوْمُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَمَا تَرَكُوا فِيلًا إِلَّا حَطُّوا رَحْلَهُ، وَقَتَّلُوا أَصْحَابَهُ، وَأَهْوَى الْفِيلُ لِأَبِي عُبَيْدٍ، فَفَنَحَ مِشْفَرَهُ بِالسَّيْفِ، فَاتَّقَاهُ الْفِيلُ بِيَدِهِ، وَأَبُو عُبَيْدٍ يَجْرُمُهُ، فَأَصَابَهُ بِيَدِهِ فَوَقَعَ نَحْبَطُهُ الْفِيلَ، وَقَامَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا بَصَرَ النَّاسُ بِأَبِي عُبَيْدٍ

تَحْتَ الْفِيلِ، خَشَعَتْ أَنْفُسُ بَعْضِهِمْ، وَأَخَذَ اللّوَاءَ الَّذِي كَانَ أَمْرُهُ بَعْدَهُ، فَقَاتَلَ الْفِيلَ حَتَّى تَنَحَّى عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ، فَاجْتَرَهُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَأَحْرَزُوا شِلْوَهُ، وَتَجَرَّمُ الْفِيلُ فَاتَّقَاهُ الْفِيلُ بِيَدِهِ، دَابَّ أَبِي عُبَيْدٍ وَخَبَطَهُ الْفِيلُ وَقَامَ عَلَيْهِ وَتَتَابَعَ سَبْعَةً مِنْ ثَقِيفٍ، كُلُّهُمْ يَأْخُذُ اللّوَاءَ فَيُقَاتِلُ حَتَّى يَمُوتَ ثُمَّ أَخَذَ اللّوَاءَ الْمُثْنَى، وَهَرَبَ النَّاسُ، فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُرَيْدٍ الثَّقَفِيَّ مَا لَقِيَ أَبُو عُبَيْدٍ وَخَلْفَاؤُهُ وَمَا يَصْنَعُ النَّاسُ، بَادَرَهُمْ إِلَى الْجِسْرِ فَقَطَعَهُ، وَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ أُمَرَاؤُكُمْ أَوْ تَظْفَرُوا وَحَازَ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْجِسْرِ، وَخَشَعَ نَاسٌ فَتَوَاتَبُوا فِي الْفُرَاتِ، فَغَرِقَ مَنْ لَمْ يَصْبِرْ وَأَسْرَعُوا فِيمَنْ صَبَرَ، وَحَمَى الْمُثْنَى وَفَرَسَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ النَّاسَ، وَنَادَى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا دُونَكُمْ فَاعْبُرُوا عَلَى هَيْئَتِكُمْ وَلَا تَدْهَشُوا، فَإِنَّا لَنْ نَزَالِ حَتَّى نَرَاكُمْ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ، وَلَا تَغْرَقُوا أَنْفُسَكُمْ.

فوجدوا الجسرَ وعبدُ الله بنُ مرزُدٍ قائمٌ عليه يمنعُ النَّاسَ مِنَ العبورِ، فأخذوه فأتوا به المثنى، فضربه وقال: مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتَ؟ قَالَ: لِيُقَاتِلُوا، وَنَادَى مِنْ عِبرِ لُجَاءٍ وَابْعُلُوجٍ، فَضَمُّوا إِلَى السَّفِينَةِ الَّتِي قُطِعَتْ سَفَائِنُهَا، وَعَبَرَ النَّاسُ، وَكَانَ آخِرُ مَنْ قُتِلَ عِنْدَ الْجِسْرِ سُلَيْطُ بْنُ قَيْسٍ، وَعَبَرَ الْمَثْنَى وَحَمَى جَانِبَهُ، فَاضْطَرَبَ عَسْكَرُهُ، وَرَأَاهُمْ ذُو الْحَاجِبِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِمْ،

فَلَمَّا عَبَرَ الْمُثَنَّى وَحَمَى جَانِبَهُ أَرْفَضَ عَنْهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ حَتَّى لَحِقُوا بِالْمَدِينَةِ وَتَرَكُوهَا بَعْضُهُمْ وَنَزَلُوا الْبَوَادِي وَبَقِيَ الْمُثَنَّى فِي قَلَّةٍ.
كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ النَّهْدِيِّ، قَالَ: هَلَكَ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعَةُ آلَافٍ بَيْنَ قَتِيلٍ وَغَرِيقٍ،
وَهَرَبَ أَلْفَانِ، وَبَقِيَ ثَلَاثَةُ آلَافٍ، وَأَتَى ذَا الْحَاجِبِ الْخَبَرَ بِاخْتِلَافِ فَارِسٍ، فَرَجَعَ بِجَنْدِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبِيلاً لِرَفْضِ أَهْلِهِمْ عَنْهُ، وَجَرَحَ
الْمُثَنَّى، وَأُثْبِتَ فِيهِ حَلْقٌ مِنْ دَرَعِهِ هَتَكُنَ الرَّحِمِ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُجَالِدٍ وَعَطِيَّةٍ نَحْوًا مِنْهُ.
كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُجَالِدٍ وَعَطِيَّةٍ وَالتَّضَرُّ، أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَمَّا لَحِقُوا بِالْمَدِينَةِ وَأَخْبَرُوا عَمَّنْ سَارَ فِي الْبِلَادِ
اسْتَحْيَاءً مِنَ الْهَزِيمَةِ، اشْتَدَّ عَلَى عَمْرِو ذَلِكَ وَرَحْمَهُمْ قَالَ الشَّعْبِيُّ: قَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ كُلُّ مُسْلِمٍ فِي حِلٍّ مِنِّي، أَنَا فَتَةُ كُلِّ مُسْلِمٍ، مَنْ لَقِيَ
الْعَدُوَّ فَقَطَعَ بِشْيًى مِنْ أَمْرِهِ فَأَنَا لَهُ فَتَةٌ، يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا عُبَيْدٍ لَوْ كَانَ انْحَاذَ إِلَيَّ لَكُنْتُ لَهُ فَتَةً! وَبَعَثَ الْمُثَنَّى بِالْخَبَرِ إِلَى عُمَرَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ زَيْدٍ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَدِمَ عَلَى عُمَرَ.

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ خُوَيْرِ سَيْفٍ هَذَا فِي أَمْرِ أَبِي عُبَيْدٍ وَذِي الْحَاجِبِ، وَقِصَّةِ حَرْبِهِمَا، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ:

وَقَدْ كَانَتْ رَأَتْ دَوْمَةً أُمَ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ، أَنَّ رَجُلًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَعَهُ إِنَاءٌ فِيهِ شَرَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ فِيمَا يَرَى النَّامُ، فَشَرِبَ مِنْهُ أَبُو عُبَيْدٍ وَجَبْرِ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ وَأَنَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ وَقَالَ أَيُّضًا: فَلَمَّا رَأَى أَبُو عُبَيْدٍ مَا يَصْنَعُ الْفِيلُ، قَالَ: هَلْ لِهَذِهِ الدَّابَّةِ مِنْ مَقْتَلٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ، إِذَا قُطِعَ مِشْفَرُهَا مَاتَتْ، فَشَدَّ عَلَى الْفِيلِ فَضْرَبَ مِشْفَرَهُ فَتَقَطَّعَهُ، وَبَرَكَ عَلَيْهِ الْفِيلُ فَقَتَلَهُ وَقَالَ أَيُّضًا: فَرَجَعَتِ الْفَرَسُ وَنَزَلَ الْمُشَقِيُّ بْنُ حَارِثَةَ الْيَسَّى، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ، فَلَحِقُوا بِالْمَدِينَةِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَدِمَ الْمَدِينَةَ يَخْبِرُ النَّاسَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ الْحَصِينِ الْخَطْمِيُّ، فَخَبَرَ النَّاسَ

٣٠٧٠١٩ خبر اليس الصغرى

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ عَمْرَةَ ابْنَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ص، قَالَتْ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حِينَ قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ، فَتَأَدَّى: الْخَبْرُ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ! وَهُوَ دَاخِلُ الْمَسْجِدِ، وَهُوَ يَمُرُّ عَلَى بَابِ حُجْرَتِي، فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ؟ قَالَ: أَتَاكَ الْخَبْرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ أَخْبَرَهُ خَبَرَ النَّاسِ، فَأُتِيَ سَمِعْتُ بِرَجُلٍ

حَضَرَ أَمْرًا حَدَّثَ عَنْهُ كَانَ أَثْبَتَ خَبْرًا مِنْهُ فَلَمَّا قَدِمَ فَلِ النَّاسِ، وَرَأَى عُمَرُ جَزَعَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنَ الْفِرَارِ، قَالَ: لَا تَجْزَعُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أَنَا فَتَيْتُكُمْ، إِنَّمَا انْخَزْتُمْ إِلَيَّ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحُصَيْنِ وَغَيْرِهِ، أَنَّ مُعَاذًا الْقَارِي أَخَا بَنِي النَّجَّارِ، كَانَ مِمَّنْ شَهِدَهَا فَقَرَّ يَوْمئِذٍ، فَكَانَ إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: «وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمئِذٍ دَرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ»، بَكَى، فَيَقُولُ لَهُ عُمَرُ: لَا تَبْكُ يَا مُعَاذُ، أَنَا فَتَيْتُكُمْ، وَإِنَّمَا انْخَزْتُ إِلَيَّ.

. خبر أليس الصغرى

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ نُورَةَ وَطَلْحَةَ وَزِيَادٍ وَعَطِيَّةَ، قَالُوا: وَخَرَجَ جَابَانُ وَمَرْدَانُ شَاهٍ حَتَّى أَخَذَا بِالطَّرِيقِ، وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ سِيرَفُضُونَ وَلَا يَشْعُرُونَ بِمَا جَاءَ ذَا الْحَاجِبِ مِنْ فُرْقَةِ أَهْلِ فَارَسَ، فَلَمَّا أَرَفَضَ أَهْلُ فَارَسَ، وَخَرَجَ ذُو الْحَاجِبِ فِي آثَارِهِمْ، وَبَلَغَ الْمُثْنَى فَعَلَهُ جَابَانُ وَمَرْدَانُ شَاهٍ، اسْتَخْلَفَ عَلَى النَّاسِ عَاصِمُ بْنُ عُمَرٍ، وَخَرَجَ فِي جَرِيدَةٍ خَيْلٍ يُرِيدُهُمَا، فَظَنَّا أَنَّهُ هَارِبٌ،

٣٠٧٠٢٠ البويب

فَاعْتَرَضَاهُ فَأَخَذَهُمَا أُسِيرِينَ، وَخَرَجَ أَهْلُ أَلَيْسَ عَلَى أَصْحَابِهِمَا، فَاتَوْهُ بِهِمْ أُسْرَاءَ، وَعَقَدَ لَهُمْ بِهَا ذِمَّةً وَقَدَّمَهُمَا، وَقَالَ: إِنَّمَا غَرَرْتُمَا أَمِيرَنَا، وَكَذَبْتُمَا وَاسْتَفْزَزْتُمَا فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمَا، وَضَرَبَ أَعْنَاقَ الْأُسْرَاءِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَسْكَرِهِ وَهَرَبَ أَبُو مَحْجَنٍ مِنْ أَلَيْسَ، وَلَمْ يَرْجِعْ مَعَ الْمُثْنَى، وَكَانَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَحَنظَلَةُ بْنُ الرَّبِيعِ وَنَفَرٌ اسْتَأْذَنُوا خَالِدًا مِنْ سُورَى، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَقَدِمُوا عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَذَكَرَ لَهُ جَرِيرُ حَاجَتَهُ، فَقَالَ: أَعْلَى حَالِنَا، وَآخِرُهُ بِهَا، فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ دَعَا بِالْبَيْتَةِ، فَأَقَامَهَا، فَكَتَبَ لَهُ عُمَرُ إِلَى عَمَلِهِ السَّعَاةِ فِي الْعَرَبِ كُلِّهِمْ: مَنْ كَانَ فِيهِ أَحَدٌ يُنْسَبُ إِلَى بَجِيلَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَثَبَّتَ عَلَيْهِ فِي الْإِسْلَامِ يَعْرِفُ ذَلِكَ فَأَخْرِجُوهُ إِلَى جَرِيرٍ وَوَعَدَهُمْ جَرِيرٌ مَكَانًا بَيْنَ الْعِرَاقِ وَالْمَدِينَةِ وَلَمَّا أُعْطِيَ جَرِيرُ حَاجَتَهُ فِي اسْتِخْرَاجِ بَجِيلَةٍ مِنَ النَّاسِ لَجَمْعِهِمْ فَأَخْرِجُوا لَهُ، وَأَمَرَهُمْ بِالْمَوْعِدِ مَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالْعِرَاقِ، فَتَتَامَوْا، قَالَ الْجَرِيرُ:

اُخْرَجَ حَتَّى تَلَحَّقَ بِالْمُثْنَى، فَقَالَ: بَلِ الشَّامُ، قَالَ: بَلِ الْعِرَاقُ، فَإِنَّ أَهْلَ الشَّامِ قَدْ قَوَّوْا عَلَى عَدُوِّهِمْ، فَأَبَى حَتَّى أَكْرِهَهُ، فَلَمَّا خَرَجُوا لَهُ وَأَمَرَهُمْ بِالْمَوْعِدِ عَوَّضَهُ لِأَكْرَاهِهِ وَاسْتِصْلَاحًا لَهُ، فَجَعَلَ لَهُ رُبْعَ خُمْسٍ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي غَزَاتِهِمْ هَذِهِ لَهُ وَلِمَنِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ، وَلِمَنْ أَخْرَجَ لَهُ إِلَيْهِ مِنَ الْقَبَائِلِ، وَقَالَ:

اتَّخَذُونَا طَرِيقًا، فَقَدِمُوا الْمَدِينَةَ، ثُمَّ فَصَلُوا مِنْهَا إِلَى الْعِرَاقِ مُدَيْنَ لِلْمُثْنَى، وَبَعَثَ عِصْمَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ الْحَارِثِ الضُّبِّيِّ فِيمَنْ تَبِعَهُ مِنْ بَنِي ضُبَّةَ، وَقَدْ كَانَ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الرِّدَّةِ، فَلَمْ يُوَافِ شُعْبَانَ أَحَدٌ إِلَّا رَمَى بِهِ الْمُثْنَى

. البويب

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبِ، عَنْ سَيْفِ، عَنْ مُحَمَّدِ وَطَلْحَةَ وَزِيَادٍ بِإِسْنَادِهِمْ، قَالُوا: وَبَعَثَ الْمُثْنَى بَعْدَ الْجَسْرِ فِيمَنْ يَلِيهِ مِنَ الْمَدِينِ، فَتَوَافَوْا إِلَيْهِ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ، وَبَلَغَ رِسْتَمُ وَالْفِيرِزَانُ ذَلِكَ، وَأَتَتْهُمُ الْعَيُونُ بِهِ وَبِمَا يَنْتَظِرُونَ مِنَ الْأُمْدَادِ، وَاجْتَمَعَا عَلَى أَنْ يَبِيعَ مَهْرَانُ الْهَمْدَانِي، حَتَّى يَرِيَا مِنْ رَأْيِهِمَا، فَخَرَجَ مَهْرَانُ فِي الْخِيُولِ وَأَمْرَاهُ بِالْحَيْرَةِ، وَبَلَغَ الْمُثْنَى الْخَبَرَ وَهُوَ مَعَ سَكْرٍ بِمَرْجِ السَّبَاخِ بَيْنَ الْقَادِسِيَّةِ وَخَفَانَ فِي الَّذِينَ أَمَدَوْهُ مِنَ الْعَرَبِ عَنْ خَبَرِ بَشِيرٍ وَكَانَةَ- وَبَشِيرُ يَوْمئِذٍ بِالْحَيْرَةِ- فَاسْتَبْطَنَ فِرَاتَ بَادِقِي، وَأَرْسَلَ إِلَى جَرِيرٍ وَمِنْ مَعَهُ: إِنَّا جَاءَنَا أَمْرٌ لَمْ نَسْتَطِعْ مَعَهُ الْمَقَامَ حَتَّى تَقْدَمُوا عَلَيْنَا، فَجَعَلُوا لِلْحَاقِ بِنَاءً، وَمَوْعِدًا لِمَنْ يَأْتِيهِمْ.

وَكَانَ جَرِيرٌ مَدَا لَهُ، وَكَتَبَ إِلَى عِصْمَةَ وَمِنْ مَعَهُ، وَكَانَ مَدَا لَهُ بِمَثَلِ ذَلِكَ، وَإِلَى كُلِّ قَائِدٍ أَظْلَهُ بِمَثَلِ ذَلِكَ، وَقَالَ: خَذُوا عَلَى الْجُوفِ،

فسلكوا القادسية والجوف، وسلك المثنى وسط السواد، فطلع على النهرين ثم على الخورنق، وطلع عصمة على النجف، ومن سلك معه طريقه، وطلع جرير على الجوف ومن سلك معه طريقه، فأتوها إلى المثنى، وهو على البويب، ومهران من وراء الفرات بإزائه، فاجتمع عسكر المسلمين على البويب مما يلي موضع الكوفة اليوم، وعليهم المثنى وهم بإزاء مهران وعسكره فقال المثنى لرجل من أهل السواد: ما يقال للرقعة التي فيها مهران وعسكره؟ قال: بسوسيا فقال: أكدي مهران وهلك! نزل منزلا هو البسوس، وأقام بمكانه حتى كاتبه مهران: إما أن تعبروا إلينا، وإما أن نعبر إليكم، فقال المثنى: اعبروا، فعب مهران، فنزل على شاطئ الفرات معهم في الملقاط، فقال المثنى لذلك الرجل: ما يقال لهذه الرقعة التي نزلها مهران وعسكره؟ قال: شوميا- وذلك في رمضان- فنادى في الناس: انهذوا لعدوكم، فتناهدوا، وقد كان المثنى عبي جيشه، فجعل على مجنبيه مذعورا والنسير، وعلى المجردة عاصما، وعلى الطلائع عصمة، واصطف الفريقان، وقام المثنى فيهم خطيبا، فقال:

إنكم صوام، والصوم مرقعة ومضعفة، وإنني أرى من الرأي أن تفطروا ثم تقووا بالطعام على قتال عدوكم قالوا: نعم، فأفطروا، فأبصر رجلا يستوفز ويستنتل من الصف، فقال: ما بال هذا؟ قالوا: هو ممن فر من الزحف يوم الجسر، وهو يريد أن يستقبل، فقرعه بالرحم، وقال: لا ابالك! الزم موقفك، فإذا أتاك قرنك فأغنه عن صاحبك ولا تستقتل، قال: إني بذلك لجدير، فاستقر ولزم الصف.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيِّ بِمِثْلِهِ.
كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية وعن سفيان الأحمر، عن المجالد، عن الشعبي، قالوا: قال عمر حين استجمع جمع بجيلة: اتخذونا طريقا، فخرج سروا بجيلة ووفدهم نحوه، وخلفوا الجمهور، فقال: أي الوجوه أحب إليكم؟ قالوا: الشام فإن أسلافنا بها، فقال: بل العراق، فإن الشام في كفاية، فلم يزل بهم، ويأبون عليه حتى عزم على ذلك، وجعل لهم ربع خمس ما أفاء الله على المسلمين إلى نصيبهم من الفء، فاستعمل عرجة على من كان مقيما على جديلة من بجيلة، وجريرا على من كان من بني عامر وغيرهم، وقد كان أبو بكر ولده قتال أهل عمان في نفر، وأقبله حين غزا في البحر، فولاه عمر عظم بجيلة، وقال: اسمعوا لهذا، وقال للآخرين:

اسمعوا لجرير، فقال جرير لبجيلة: تقرأون بهذا- وقد كانت بجيلة غضبت على عرجة في امرأة منهم- وقد أدخل علينا ما أدخل! فاجتمعوا فاتوا عمر، فقالوا: أعفنا من عرجة، فقال: لا أعفيكم من أقدمكم هجرة وإسلاما، وأعظمكم بلاء وإحسانا، قالوا: استعمل علينا رجلا منا، ولا تستعمل علينا نزيعا فينا، فظن عمر أنهم ينفونه من نسبه، فقال: انظروا ما تقولون! قالوا: نقول ما نسمع، فأرسل إلى عرجة، فقال: إن هؤلاء استعفوني منك، وزعموا أنك لست منهم، فما عندك؟ قال: صدقوا، وما يسرني أني منهم.
أنا امرؤ من الأزد، ثم من بارق، في كهف لا يحصى عدده، وحسب غير مؤثب فقال عمر: نعم الحي الأزد! يأخذون نصيبهم من الخير والشر قال عرجة: إنه كان من شأني أن الشر تفاقم فينا، ودارنا واحده،

فأصبنا الدماء، ووتر بعضنا بعضا، فاعتزلتهم لما خفتهم، فكنيت في هؤلاء أسودهم وأقودهم، فحفظوا علي لأمر دار بيني وبين دهاقينهم، فحسدوني وكفروني فقال: لا يضرك فاعتزلهم إذ كرهوك واستعمل جريرا مكانه، وجمع له بجيلة، وأرى جريرا وبجيلة أنه يبعث عرجة إلى الشام، فحبب ذلك إلى جرير العراق، وخرج جرير في قومه مدا للمثنى ابن حارثة، حتى نزل ذا قار، ثم ارتفع حتى إذا كان بالجل والمثنى بمرج السباخ، أتى المثنى الخبر عن حديث بشير وهو بالحيرة، أن الأعاجم قد بعثوا مهران، ونهض من المدائن شاخصا نحو الحيرة فأرسل المثنى إلى جرير وإلى عصمة بالحث، وقد كان عهد إليهم عمر ألا يعبروا بحرا ولا جسرا إلا بعد ظفر، فاجتمعوا بالبويب، فاجتمع العسكران على شاطئ البويب الشرقي، وكان البويب مغيضا للفرات أيام المدود، أزمان فارس، يصب في الجوف، والمشركون

بِمَوْضِع دَارِ الرِّزْقِ، وَالْمُسْلِمُونَ بِمَوْضِعِ السَّكُونِ كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ عَطِيَّةَ وَالمُجَالِدِ بِإِسْنَادِهِمَا، قَالَا: وَقَدِمَا عَلَى عُمَرَ غَزَاةُ بَنِي كَثَّانَةَ وَالْأَزْدُ فِي سَبْعِمِائَةٍ جَمِيعًا، فَقَالَ: أَيُّ الْوُجُوهِ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ؟ قَالُوا: الشَّامُ، أَسْلَافُنَا أَسْلَافُنَا! فَقَالَ: ذَلِكَ قَدْ كُفِّتُمُوهُ، الْعِرَاقُ الْعِرَاقُ! ذَرُوا بِلَدَهُ قَدْ قَلَّ اللَّهُ شَوْكَتَهَا وَعَدَدُهَا، وَاسْتَقْبِلُوا جِهَادَ قَوْمٍ قَدْ حَوَّاهُ فُتُونُ الْعَيْشِ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُوَرِّثَكُمْ بِقِسْطِكُمْ مِنْ ذَلِكَ فَتَعِيشُوا مَعَ مَنْ عَاشَ مِنَ النَّاسِ فَقَالَ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيُّ وَعَزَّجَةُ الْبَارِقِيُّ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِقَوْمِهِ، وَقَامَا فِيهِمْ:

يَا عَشِيرَتَاهُ! أَجِيبُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا يَرَى، وَأَمْضُوا لَهُ مَا يُسْكِنُكُمْ قَالُوا:
إِنَّا قَدْ أَطَعْنَاكَ وَأَجَبْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا رَأَى وَأَرَادَ فَدَعَا لَهُمْ عُمَرُ بِخَيْرٍ وَقَالَ لَهُمْ، وَأَمَرَ عَلَى بَنِي كَثَّانَةَ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَسَرَّحَهُ، وَأَمَرَ عَلَى الْأَزْدِ عَزَّجَةُ بْنُ هَرْمَةَ وَعَامَتُهُمْ مِنْ بَارِقٍ، وَفَرَحُوا بِرُجُوعِ عَزَّجَةَ إِلَيْهِمْ.
نَفَرَ هَذَا فِي قَوْمِهِ، وَهَذَا فِي قَوْمِهِ، حَتَّى قَدِمَا عَلَى الْمُثَنَّى.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وعمر
بإسناديهما، قالا: وَخَرَجَ هَلَالُ بْنُ عُلْفَةَ التَّيْمِيُّ فِيمَنْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنَ الرِّبَابِ حَتَّى أَتَى عُمَرَ، فَأَمَرَهُ عَلَيْهِمْ وَسَرَّحَهُ، فَقَدِمَ عَلَى الْمُثَنَّى وَخَرَجَ ابْنُ الْمُثَنَّى الْجَشْمِيُّ، جُشْمُ سَعْدٍ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ، فَوَجَّهَهُ وَأَمَرَهُ عَلَى بَنِي سَعْدٍ، فَقَدِمَ عَلَى الْمُثَنَّى.
كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْمُجَالِدِ، عَنْ الشَّعْبِيِّ وَعَطِيَّةَ بِإِسْنَادِهِمَا، قَالَا: وَجَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذِي السَّهْمِينَ فِي أَنْاسٍ مِنْ خَثْعَمٍ، فَأَمَرَهُ عَلَيْهِمْ وَوَجَّهَهُ إِلَى الْمُثَنَّى، نَفَرَ نَحْوَهُ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَعُمَرُو بِإِسْنَادِهِمَا، قَالَا: وَجَاءَ رُبْعِي فِي أَنْاسٍ مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ، فَأَمَرَهُ عَلَيْهِمْ وَسَرَّحَهُمْ، وَخَرَجُوا حَتَّى قَدِمَ بِهِمْ عَلَى الْمُثَنَّى، فَأَرَأَسَ بَعْدَهُ ابْنَهُ شَبْثُ بْنُ رُبْعِي، وَقَدِمَ عَلَيْهِ أَنْاسٌ مِنْ بَنِي عَمْرُو، فَأَمَرَ عَلَيْهِمْ رُبْعِي بْنُ عَامِرِ بْنِ خَالِدِ الْعَنُودِ، وَأَلْحَقَهُ بِالْمُثَنَّى، وَقَدِمَ عَلَيْهِ قَوْمٌ مِنْ بَنِي ضَبَّةٍ، فَجَعَلَهُمْ فَرَقَتَيْنِ، فَجَعَلَ عَلَى إِحْدَى الْفَرَقَتَيْنِ ابْنَ الْهُوَيْرِ، وَعَلَى الْأُخْرَى الْمُنْذِرُ بْنُ حَسَّانٍ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ قُرْطُ بْنُ جَمَاحٍ فِي عَبْدِ الْقَيْسِ، فَوَجَّهَهُ وَقَالُوا جَمِيعًا: اجْتَمَعَ الْفَيْرِزَانُ وَرَسَمَ عَلَى أَنْ يَبْعَثَا مَهْرَانًا لِقِتَالِ الْمُثَنَّى وَاسْتَأْذَنَا بَوْرَانَ - وَكَانَا إِذَا أَرَادَا شَيْئًا دَنَوْا مِنْ حِجَابِهَا حَتَّى يَكَلِّمَاهَا بِهِ - فَقَالَا بِالْذِي رَأَيَا وَأَخْبَرَاهَا بَعْدَ الْجَيْشِ - وَكَانَتْ فَارِسٌ لَا تَكْثُرُ الْبِعُوثُ، حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِ الْعَرَبِ مَا كَانَ - فَلَمَّا أَخْبَرَاهَا بِكَثْرَةِ عَدَدِ الْجَيْشِ، قَالَتْ: مَا بَالُ أَهْلِ فَارِسٍ لَا يَخْرُجُونَ إِلَى الْعَرَبِ كَمَا كَانُوا يَخْرُجُونَ قَبْلَ الْيَوْمِ؟ وَمَا لَكُمَا لَا تَبْعَثَانِ كَمَا كَانَتِ الْمُلُوكُ تَبْعَثُ قَبْلَ الْيَوْمِ! قَالَا: إِنَّ الْهَيْبَةَ كَانَتْ مَعَ عَدُونَا يَوْمَئِذٍ، وَانْهَاهَا فِينَا الْيَوْمَ، فَلَمَّا لَتَمَّا وَعَرَفَتْ مَا جَاءَهَا بِهِ، فَضَى مَهْرَانُ فِي جَنْدِهِ حَتَّى نَزَلَ مِنْ دُونِ الْفَرَاتِ وَالْمُثَنَّى وَجَنْدُهُ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ، وَالْفَرَاتُ بَيْنَهُمَا، وَقَدِمَ أُنْسُ بْنُ هَلَالِ الثَّمَرِيِّ مَدًا لِلْمُثَنَّى فِي أَنْاسٍ مِنَ الثَّمَرِ نَصَارَى وَجَلَابِ جَلْبُوا خَيْلًا، وَقَدِمَ ابْنُ مَرْدَى الْفَهْرِيُّ التَّغْلَبِيُّ فِي أَنْاسٍ مِنْ بَنِي تَغْلَبِ نَصَارَى وَجَلَابِ جَلْبُوا خَيْلًا - وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَلِيبِ بْنِ خَالِدٍ - وَقَالُوا حِينَ رَأَوْا نَزُولَ الْعَرَبِ بِالْعَجَمِ: نَقَاتِلْ مَعَ قَوْمِنَا وَقَالَ مَهْرَانُ: إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا

إِلَيْنَا، وَإِمَّا أَنْ نَعْبُرَ إِلَيْكُمْ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: اعْبُرُوا إِلَيْنَا، فَارْتَحَلُوا مِنْ بَسُوسِيَا إِلَى شُومِيَا، وَهِيَ مَوْضِعُ دَارِ الرِّزْقِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُحْفَزٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ الْعَجَمَ لَمَّا أَذِنَ لَهُمْ فِي الْعُبُورِ نَزَلُوا شُومِيَا مَوْضِعُ دَارِ الرِّزْقِ، فَتَعَبُوا هُنَاكَ، فَأَقْبَلُوا إِلَى الْمُسْلِمِينَ فِي صُفُوفٍ ثَلَاثَةٍ مَعَ كُلِّ صَفٍّ فِيلٌ، وَرَجُلُهُمْ أَمَامَ فَيْلِهِمْ، وَجَاءُوا وَلَهُمْ زَجَلٌ فَقَالَ الْمُثَنَّى لِلْمُسْلِمِينَ: إِنَّ الَّذِي تَسْمَعُونَ فَشَلٌ، فَالْزَمُوا الصَّمْتَ وَاتَّمَرُوا هَمْسًا فَدَنُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَجَاءَهُمْ مِنْ قَبْلِ نَهْرِ بَنِي سَلِيمٍ نَحْوُ مَوْضِعِ نَهْرِ بَنِي سَلِيمٍ، فَلَمَّا دَنَوْا زَحَفُوا، وَصَفَّ الْمُسْلِمُونَ فِيمَا بَيْنَ نَهْرِ بَنِي سَلِيمِ الْيَوْمَ وَمَا وَرَاءَهَا كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا:

وَكَانَ عَلَى مَجْنَبَتِي الْمُثَنَّى بِشِيرٍ وَبِسَرِّ بْنِ أَبِي رَهْمٍ، وَعَلَى مَجْرَدَتِهِ الْمُعَنَّى، وَعَلَى الرَّجُلِ مَسْعُودٌ، وَعَلَى الطَّلَاحِ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ النِّسِيرُ، وَعَلَى

الردء مذعور، وكان على مجنبي مهران ابن الازاذبه مرزبان الحيرة ومردان شاه.

ولما خرج المثنى طاف في صفوفه يعهد إليهم عهده، وهو على فرسه الشموس- وكان يدعى الشموس من لين عريكته وطهارته، فكان إذا ركبته قاتل، وكان لا يركبه إلا لقتال ويدعه ما لم يكن قتال- فوقف على الرايات راية راية يحضضهم، ويأمرهم بأمره، ويهزمهم بأحسن ما فيهم، تحضضهم لهم، ولكلهم يقول: إني لأرجو ألا تؤتى العرب اليوم من قبلكم، والله ما يسرنى اليوم لنفسي شيء إلا وهو يسرنى لعامتكم، فيجيبونه بمثل ذلك وأنصفهم المثنى في القول والفعل، وخلط الناس في المكروه والمحجوب، فلم يستطع أحد منهم أن يعيب له قولاً ولا عملاً ثم قال: إني مكبر ثلاثاً فتهيئوا، ثم احملا مع الرابعة، فلما كبر أول تكبيرة أعجلهم أهل فارس وعاجلوهم خالطوهم مع أول تكبيرة، وركدت حربهم ملياً، فرأى المثنى خلا في بعض صفوفه، فأرسل إليهم رجلاً، وقال: إن الأمير يقرأ عليكم السلام، ويقول: لا تفضحوا المسلمين اليوم، فقالوا: نعم، واعتدلوا، وجعلوا قبل ذلك يرونه وهو يمد لحيته لما يرى منهم، فاعتنوا بأمر لم يجيء به أحد من المسلمين يومئذ فرمقوه، فأروه يضحك فرحاً والقوم بنو عجل.

فلما طال القتال واشتد، عمد المثنى إلى أنس بن هلال، فقال: يا أنس إنك امرؤ عربي، وإن لم تكن على ديننا، فإذا رأيتني قد حملت على مهران فاحمل معي، وقال لابن مردى الفهر مثل ذلك فأجابه فحمل المثنى على مهران، فأزاله حتى دخل في ميمنته، ثم خالطوهم واجتمع القلبان وارتفع الغبار والمجنبات تقتتل، لا يستطيعون أن يفرغوا لنصر أميرهم، لا المشركون ولا المسلمون، وارتث مسعود يومئذ وقواد من قواد المسلمين، وقد كان قال لهم: إن رأيتونا أصبنا فلا تدعوا ما أتم فيه، فإن الجيش ينكشف ثم ينصرف، الزموا مصافكم، وأغنوا غناء من يليكم وأوجع قلب المسلمين في قلب المشركين، وقتل غلام من التغلبين نصراني مهران واستوى على فرسه، فجعل المثنى سلبه لصاحب خيله، وكذلك إذا كان المشرك في خيل رجل فقتل وسلب فهو للذي هو أمير على من قتل، وكان له قائدان: أحدهما جرير والآخر ابن الهوير، فافتسما سلاحه.

كُتِبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُحْفَزٍ، عَنْ أَبِيهِ مُحْفَزِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، قَالَ: جَلَبَ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ أَفْرَاسًا، فَلَمَّا اتَّقَى الزَّحْفَانُ يَوْمَ الْبُوبِ، قَالُوا: نَقَاتِلِ الْعِجْمَ مَعَ الْعَرَبِ، فَأَصَابَ أَحَدَهُمْ مِهْرَانُ يَوْمِئِذٍ، وَمِهْرَانُ عَلَى فَرَسٍ لَهُ وَرَدٌ مَجْجَفٌ بِتَجْجَفٍ أَصْفَرٍ، بَيْنَ عَيْنَيْهِ هَالَالٌ، وَعَلَى ذَنْبِهِ أَهْلَةٌ مِنْ شَبِّهِ، فَاسْتَوَى عَلَى فَرَسِهِ، ثُمَّ انْتَمَى:

أَنَا الْغَلَامُ التَّغْلِبِيُّ، أَنَا قَتَلْتُ الْمَرْزَبَانَ! فَاتَاهُ جَرِيرُ بْنُ الْهَوَيْرِ فِي قَوْمِهِمَا فَأَخَذَا بَرَجْلَهُ فَأَنْزَلَاهُ.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن سعيد بن المرزبان أن جريرا والمندر اشتراكا فيه فاختمهما في سلاحه، فتقاضيا إلى المثنى، فجعل سلاحه بينهما والمنطقة والسوارين بينهما، وأفنوا قلب المشركين كُتِبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ، قَالَ:

وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَنَأْتِي الْبُوبِ، فَتَرَى فِيمَا بَيْنَ مَوْضِعِ السَّكُونِ وَبَنِي سَلِيمٍ عِظَامًا بَيِضًا تَلُولًا تَلُوحُ مِنْ هَامِهِمْ وَأَوْصَالِهِمْ، يَعْتَبِرُ بِهَا قَالَ: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ مَنْ شَهِدَهَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَحْزِرُونَهَا مِائَةَ أَلْفٍ، وَمَا عَفِيَ عَلَيْهَا حَتَّى دَفَنَهَا أَدْفَانُ الْبُيُوتِ.

كُتِبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطْلَحَةَ، قَالَا:

وَقَفَ الْمَثْنَى عِنْدَ ارْتِفَاعِ الْغُبَارِ، حَتَّى أَصْفَرَ الْغُبَارُ، وَقَدْ فَنِيَ قَلْبُ الْمَشْرُكِينَ، وَالْمَجْنِبَاتُ قَدْ هَزَّ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَلَمَّا رَأَوْهُ وَقَدْ أَزَالَ الْقَلْبَ، وَأَفْنَى أَهْلَهُ، قَوِيَتْ الْمَجْنِبَاتُ- مَجْنِبَاتُ الْمُسْلِمِينَ- عَلَى الْمَشْرُكِينَ، وَجَعَلُوا يَرْدُونَ الْأَعَاجِمَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ، وَجَعَلَ الْمَثْنَى وَالْمُسْلِمُونَ فِي الْقَلْبِ يَدْعُونَ لَهُمْ بِالنَّصْرِ، وَيُرْسِلُ عَلَيْهِمْ مَنْ يَذْمُرُهُمْ، وَيَقُولُ: إِنْ الْمَثْنَى يَقُولُ: عَادَاتُكُمْ فِي أَمْثَالِهِمْ، انصروا الله ينصركم، حتى هزموا القوم، فسابقهم المثنى إلى الجسر فسبقهم وأخذ الأعاجم، فافترقوا بشاطئ الفرات مصعدين ومصوبين، واعتورتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم، ثم جعلوهم جثا، فما كانت بين العرب والعجم وقعة كانت أبقي رمة منها ولما ارتث مسعود بن حارثة يومئذ- وكان صرع قبل الهزيمة، فتضعضع من معه، فرأى ذلك وهو دنف- قال: يا معشر بكر بن وائل، ارفعوا رأيكم، رفعكم الله! لا يهولنكم مصري وقاتل أنس بن هلال النمري يومئذ حتى ارتث، ارتثه للمثنى، وضمه وضم مسعودا إليه وقاتل قرط بن جراح العبدى يومئذ حتى دق قنا، وقطع أسيافا وقتل شهربراز من دهاقين فارس وصاحب مجردة مهران.

قال: ولما فرغوا جلس المثنى للناس من بعد الفراغ يحدثهم ويحدثونه، وكلما جاء رجل فتحدث قال له: أخبرني عنك، فقال له قرط بن جراح: قتل رجلًا فوجدت منه رائحة المسك، فقلت: مهران، ورجوت أن يكون إياه، فإذا هو صاحب الخليل شهر براز، فوالله ما رأيته إذ لم يكن مهران شيئًا.

فقال المثنى: قد قاتلت العرب والعجم في الجاهلية والإسلام، والله لمائة من العجم في الجاهلية كانوا أشد علي من ألف من العرب، ولمائة اليوم من العرب

أشد علي من ألف من العجم، إن الله أذهب مصدوقتهم، ووهن كيدهم، فلا يروعنكم زهاء ترونه، ولا سواد ولا قسي فج، ولا نبال طوال، فإنهم إذا أعجلوا عنها أو فقدوها، كالبهائم أينما وجهتموها اتجهت.

وقال ربيعي وهو يحدث المثنى: لما رأيت ركود الحرب واحتدامها، قلت: تترسوا بالجان، فإنهم شادون عليكم، فاصبروا لشدتين وأنا زعيم لكم بالظفر في الثالثة، فأجابوني والله، فوفى الله كفالي.

وقال ابن ذي السهمين محدثًا: قلت لأصحابي: إني سمعت الأمير يقرأ ويذكر في قراءته الرعب، فما ذكره إلا لفضل عنده، اقتدوا برايتكم، وليحم راجلكم خيلكم، ثم احموا، فما لقول الله من خلف، فأنجز الله لهم وعده، وكان كما رجوت.

وقال عرفة محدثًا: حزنا كتيبة منهم إلى الفرات، ورجوت أن يكون الله تعالى قد أذن في غرقهم وسلى عنا بها مصيبة الجسر، فلما دخلوا في حد الإحراج، كروا علينا، فقاتلناهم قتالا شديدا حتى قال بعض قومي:

لو أخرت رايتك! فقلت: علي إقدامها، وحملت بها على حاميتهم فقتلتها، فولوا نحو الفرات، فما بلغه منهم أحد فيه الروح.

وقال ربيعي بن عامر بن خالد: كنت مع أبي يوم البويب - قال وسمي البويب يوم الأعشار - أحصي مائة رجل، قتل كل رجل منهم عشرة في المعركة يومئذ، وكان عروة بن زيد الخليل من أصحاب التسعة، وغالب في بني كنانة من أصحاب التسعة، وعرفة في الأزد من أصحاب التسعة.

وقتل المشركون فيما بين السكون اليوم إلى شاطئ الفرات، ضفة البويب الشرقية، وذلك أن المثنى بادرهم عند الهزيمة الجسر، فأخذه عليهم، فأخذوا مينة ويسرة، وتبعهم المسلمون إلى الليل، ومن الغد إلى الليل، وندم المثنى على أخذه بالجسر، وقال: لقد عجزت عجرة وقى الله شرها بمسابقتي إياهم إلى الجسر وقطعه، حتى أخرجتهم، فإني غير عائد، فلا تعودوا

ولا تقتدوا بي أيها الناس، فإنها كانت مني زلة لا ينبغي إحراج أحد إلا من لا يقوى على امتناع ومات أناس من الجرحى من أعلام المسلمين، منهم خالد بن هلال ومسعود بن حارثة، فصلى عليهم المثنى، وقدمهم على الأسنان والقرآن، وقال: والله إنه ليهون علي وجدي أن شهدوا البويب، أقدموا وصبروا، ولم يجزعوا ولم ينكروا، وإن كان في الشهادة كفارة لتجوز الذنوب كتبت إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزيد، قالوا: وقد كان المثنى وعصمة وجري أصابوا في أيام البويب على الظهر نزل مهران غنما ودقيقا وبقرا، فبعثوا بها إلى عيالات من قدم من المدينة وقد خلفوهن بالقوادس، وإلى عيالات أهل الأيام قبلهم، وهم بالحيرة.

وكان دليل الذين ذهبوا بنصيب العيالات الذين بالقوادس عمرو بن عبد المسيح بن ببيعة، فلما رفعوا للنسوة فرأين الخليل، تصايحن وحسبنا غارة، فقممن دون الصبيان بالحجارة والعمد، فقال عمرو: هكذا ينبغي لنساء هذا الجيش! وبشروهن بالفتح، وقالوا: هذا أوله، وعلى الخليل التي أتتهم بالنزل النسير، وأقام في خيله حامية لهم، ورجع عمرو بن عبد المسيح فبات بالحيرة وقال المثنى يومئذ: من يتبع الناس حتى ينتهي إلى السيب؟

فقام جرير بن عبد الله في قومه، فقال: يا معشر بجيلة، إنكم وجميع من شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء، وليس لأخذ منهم في هذا الخمس غدا من النفل مثل الذي لكم منه، ولكم ربع خمسه نفلا من أمير المؤمنين، فلا يكون أحد أسرع إلى هذا العدو ولا أشد عليه منكم للذي لكم منه، ونية إلى ما ترجون، فإنما تنتظرون إحدى الحسنيين: الشهادة والجنة أو الغنيمة والجنة.

ومال المثنى على الذين أرادوا أن يستقتلوا من منهزمة يوم الجسر، ثم قال: أين المستبسل بالأمس وأصحابه! انتدبوا في آثار هؤلاء القوم إلى السيب، وابلغوا من عدوكم ما تغيظونهم به، فهو خير لكم وأعظم أجرا،

واستغفروا الله إن الله غفور رحيم

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن حمزة بن علي بن محفز، عن رجل من بكر بن وائل، قال: كان أول الناس انتدب يومئذ للمثنى واتبع آثارهم المستبسل وأصحابه، وقد كان أراد الخروج بالأمس إلى العدو من صف المسلمين واستوفز واستنتل، فأمر المثنى أن يعقد لهم الجسر، ثم أخرجهم في آثار للقوم، واتبعتهم بجيلة وخيول من المسلمين تغذ من كل فارس، فانطلقوا في طلبهم حتى بلغوا السيب، ولم يبق في العسكر جسري إلا خرج في الخيل، فأصابوا من البقر والسي وسائر الغنائم شيئا كثيرا فقسمه المثنى عليهم، وفضل أهل البلاء من جميع القبائل، ونفل بجيلة يومئذ ربع الخمس بينهم بالسوية، وبعث بثلاثة أرباعه مع عكرمة، وألقى الله الرعب في قلوب أهل فارس وكتب القواد الذين قادوا الناس في الطلب إلى المثنى، وكتب عاصم وعصمة وجريز: إن الله عز وجل قد سلم وكفى، ووجه لنا ما رأيت، وليس دون القوم شيء، فتأذن لنا في الإقدام! فأذن لهم، فأغاروا حتى بلغوا ساباط، وتحصن أهل ساباط منهم واستباحوا القرى دونها، وراماهم أهل الحصن بساباط عن حصنهم، وكان أول من دخل حصنهم ثلاثة قواد: عصمة، وعاصم، وجريز، وقد تبعهم أوزاع من الناس كلهم ثم انكفئوا راجعين إلى المثنى.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية بن الحارث، قال: لما أهلك الله مهران استمكن المسلمون من الغارة على السواد فيما بينهم وبين دجلة فخروها، لا يخافون كيدا، ولا يلجون فيها مانعا، وانتقضت مسالح العجم، فرجعت إليهم، واعتصموا بساباط، وسرهم أن يتركوا ما وراء دجلة.

وكانت وقعة البويب في رمضان سنة ثلاث عشرة، قتل الله عليه مهران وجيشه، وأفعموا جنوبي البويب عظاما، حتى استوى وما عفى عليها إلا التراب أزمان الفتنة، وما يثار هنالك شيء إلا وقعوا منها على شيء، وهو ما بين السكون ومرهبة وبني سليم، وكان مغضيا للفرات أزمان الاكاسره بصب في الجوف وقال الأعور العبدى الشني:

هاجت لأعور دار الحى أحزانا ... واستبدلت بعد عبد القيس خفانا

وقد أرانا بها والشمل مجتمع ... إذ بالنخيلة قتلى جند مهرانا

أزمان سار المثنى بالخيول لهم ... فقتل الزحف من فرس وجيلانا

سما لمهران والجيش الذي معه ... حتى أبادهم مثنى ووحدانا

قال أبو جعفر: وأما ابن إسحاق، فإنه قال في أمر جريز وعرجة والمثنى وقتال المثنى مهران غير ما قص سيف من أخبارهم، والذي قال في أمرهم ما حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما انتهت إلى عمر بن الخطاب مصيبة أصحاب الجسر، وقدم عليه فلهم، قدم عليه جريز بن عبد الله البجلي من اليمن في ركب من بجيلة، وعرجة بن هرثمة - وكان عرجة يومئذ سيد بجيلة، وكان حليفا لهم من الأزد - فكلهم عمر، فقال لهم: إنكم قد علمتم ما كان من المصيبة في إخوانكم بالعراق، فسيروا إليهم وأنا أخرج إليكم من كان منكم في قبائل العرب فأجمعهم إليكم قالوا: نفعل يا أمير المؤمنين، فأخرج لهم قيس كبة وسحمة وعريضة، وكانوا في قبائل بني عامر بن صعصعة، وأمر عليهم عرجة بن هرثمة فعضب من ذلك جريز بن عبد الله البجلي، فقال لبجيلة: كلوا أمير المؤمنين، فقالوا له: استعملت علينا رجلا ليس منا، فأرسل إلى عرجة، فقال: ما يقول هؤلاء؟ قال: صدقوا يا أمير المؤمنين، لست منهم، ولكني رجل من الأزد، كذا أصبنا في الجاهلية دما في قومنا، فليحنا بجيلة، فبلغنا فيهم من السؤدد ما بلغك فقال له عمر: فائت على منزلتك، ودافعهم كما يدفعونك قال: لست فاعلا ولا سائرا معهم، فسار عرجة إلى البصرة بعد أن نزلت، وترك بجيلة، وأمر عمر على بجيلة جريز بن عبد الله، فسار بهم مكانه إلى الكوفة، وضم إليه عمر قومه من بجيلة، فأقبل جريز حتى إذا مر قريبا من المثنى بن حارثة، كتب إليه المثنى أن أقبل إلي، فأما أنت مدد لي فكتب إليه جريز: إني لست فاعلا إلا أن يأمرني بذلك أمير المؤمنين، أنت أمير وأنا أمير

ثُمَّ سَارَ جَرِيرٌ نَحْوَ الْجِسْرِ، فَلَقِيَهُ مِهْرَانُ بْنُ بَاذَانَ - وَكَانَ مِنْ عُظَمَاءِ فَارِسَ - عِنْدَ النَّخِيلَةِ، قَدْ قَطَعَ إِلَيْهِ الْجِسْرَ، فَاقْتَتَلَا شَدِيدًا، وَشَدَّ الْمُنْذِرُ بْنُ حَسَّانَ بْنِ ضَرَارِ الضَّبِّيِّ عَلَى مِهْرَانَ فَطَعَنَهُ، فَوَقَعَ عَنْ دَابَّتِهِ، فَاقْتَحَمَ عَلَيْهِ جَرِيرٌ فَاحْتَزَّ رَأْسَهُ، فَاخْتَصَمَا فِي سَلْبِهِ، ثُمَّ اصْطَلَحَا فِيهِ، فَأَخَذَ جَرِيرٌ السَّلَاحَ، وَأَخَذَ الْمُنْذِرُ بْنُ حَسَّانَ مِنْطَقَتَهُ.

قَالَ: وَحَدَّثْتُ أَنَّ مِهْرَانَ لَمَّا لَقِيَ جَرِيرًا قَالَ:

إِنْ تَسْأَلُونِي عَنِّي فَإِنِّي مِهْرَانُ ... أَنَا لِمَنْ أَنْكَرَنِي ابْنُ بَاذَانَ

قَالَ: فَأَنْكَرْتُ ذَلِكَ حَتَّى حَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَمُّ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ كَانَ عَرَبِيًّا نَشَأَ مَعَ أَبِيهِ بِالْيَمَنِ إِذْ كَانَ عَامِلًا لِكِسْرَى قَالَ: فَلَمْ أَنْكَرْ ذَلِكَ حِينَ بَلَغَنِي.

وَكَتَبَ الْمُثَنَّى إِلَى عُمَرَ يُجِلُّ بِجَرِيرٍ، فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى الْمُثَنَّى: إِنِّي لَمْ أَكُنْ لَأَسْتَعْمِلْكَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ص - يَعْنِي جَرِيرًا وَقَدْ وَجَّهَ عُمَرُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ إِلَى الْعِرَاقِ فِي سِتَّةِ آلَافٍ، أَمَرَهُ عَلَيْهِمْ، وَكَتَبَ إِلَى الْمُثَنَّى وَجَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنْ يَجْتَمِعَا إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَأَمَرَ سَعْدًا عَلَيْهِمَا، فَسَارَ سَعْدٌ حَتَّى نَزَلَ شَرَافَ، وَسَارَ الْمُثَنَّى وَجَرِيرٌ حَتَّى نَزَلَا عَلَيْهِ، فَشَتَا بَيْنَهُمَا سَعْدٌ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَمَاتَ الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ

. خبر الخنافس

رجع الحديث الى حديث سيف كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادَ بِإِسْنَادِهِمْ، قَالُوا: وَمَخَّرَ الْمُثَنَّى السَّوَادَ وَخَلَفَ بِالْحِيرَةِ بِشِيرِ بْنِ الْخِصَاصِيَّةِ، وَأَرْسَلَ جَرِيرًا إِلَى مَيْسَانَ، وَهَلَالَ بْنَ عُلْفَةَ التَّيْمِيَّ إِلَى دَسْتِ مَيْسَانَ، وَأَذْكَى الْمَسَالِحَ بِعَصْمَةِ بْنِ فُلَانِ الضَّبِّيِّ

وبالكلج الضبي وبعرجة البارقي، وأمثالهم في قواد المسلمين، فبدأ فنزل أليس - قرية من قرى الأنبار - وهذه الغزاة تدعى غزاة الأنبار الآخرة، وغزاة أليس الآخرة، وألز رجلان بالمشي: أحدهما أنباري، والآخر حيري يدله كل واحد منهما على سوق، فأما الأنباري فدلّه على الخنافس، وأما الحيري فدلّه على بغداد فقال المشي: أيتما قبل صاحبتهما؟ فقالوا: بينهما أيام، قال: أيهما أعجل؟ قالوا: سوق الخنافس سوق يتوافى إليها الناس، ويجتمع بها ربيعة وقضاة يخفرونهم فاستعد لها المشي، حتى إذا ظن أنه موافقها يوم سوقها ركب نحوهم، فأغار على الخنافس يوم سوقها، وبها خيلان من ربيعة وقضاة، وعلى قضاة رومانس بن وبرة، وعلى ربيعة السليل بن قيس وهم الخفراء، فانتسف السوق وما فيها، وسلب الخفراء، ثم رجع عوده على بدئه حتى يطرق دهاقين الأنبار طروقاً في أول النهار يومه، فتحصنوا منه، فلما عرفوه نزلوا إليه فأتوه بالأعلاف والزاد، وأتوه بالأدلاء على بغداد، فكان وجهه إلى سوق بغداد، فصباحهم والمسلمون يخرجون السواد والمشي بالأنبار، ويشنون الغارات فيما بين أسفل كسكر وأسفل الفرات وجسور مثقب إلى عين التمر وما والاها من الأرض في أرض الفلاليج والعال.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَفَزٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ لِلْمُثَنَّى: أَلَا نَذُكُّكَ عَلَى قَرْيَةٍ يَأْتِيهَا تِجَارُ مَدَائِنِ كِسْرَى وَالسَّوَادِ، وَتَجْتَمِعُ بِهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً وَمَعَهُمْ فِيهَا الْأَمْوَالُ، كَبَيْتِ الْمَالِ، وَهَذِهِ أَيَّامُ سُوقِهِمْ، فَإِنْ أَنْتَ قَدَرْتَ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ أَصَبْتَ فِيهَا مَا لَا يَكُونُ غَنَاءً لِلْمُسْلِمِينَ، وَقَوَّوْا بِهِ عَلَى عَدُوِّهِمْ دَهْرَهُمْ، قَالَ: وَكَمْ بَيْنَ مَدَائِنِ كِسْرَى وَبَيْنَهَا؟ قَالَ: بَعْضُ يَوْمٍ أَوْ عَامَةٌ يَوْمٍ، قَالَ: فَكَيْفَ لِي بِهَا؟ قَالُوا: نَأْمُرُكَ إِنْ أَرَدْتَهَا أَنْ تَأْخُذَ طَرِيقَ الْبَرِّ،

حَتَّى تَتَّيَّرَ إِلَى الْخَنَافِسِ، فَإِنَّ أَهْلَ الْأَنْبَارِ سَيَضْرِبُونَ إِلَيْهَا، وَيَخْبِرُونَ عَنْكَ فَيَأْمَنُونَ، ثُمَّ تَعُوجُ عَلَى أَهْلِ الْأَنْبَارِ فَتَأْخُذُ الدَّهَاقِينَ بِالْأَدْلَاءِ، فَتَسِيرُ سَوَادَ لَيْلَتِكَ مِنَ الْأَنْبَارِ حَتَّى تَأْتِيَهُمْ صَبْحًا فَتَصْبِحُهُمْ غَارَةً.

خَرَجَ مِنْ أَيْسَ حَتَّى أَتَى الْخَنَافِسَ، ثُمَّ عَاجَ حَتَّى رَجَعَ عَلَى الْأَنْبَارِ، فَلَمَّا أَحَسَّهُ صَاحِبُهَا تَحَصَّنَ وَهُوَ لَا يَدْرِي مَنْ هُوَ، وَذَلِكَ لَيْلًا، فَلَمَّا عَرَفَهُ نَزَلَ إِلَيْهِ فَاطْمَعَهُ الْمُثَنَّى، وَخَوْفَهُ وَاسْتَكْتَمَهُ، وَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغِيرَ فَأَبْعَثَ مَعِيَ الْأَدْلَاءَ إِلَى بَغْدَادَ، حَتَّى أُغِيرَ مِنْهَا إِلَى الْمَدَائِنِ قَالَ: أَنَا أَجِيءُ مَعَكَ، قَالَ: لَا أُرِيدُ أَنْ تَجِيءَ مَعِيَ، وَلَكِنْ أَبْعَثْ مَعِيَ مَنْ هُوَ أَدْلُ مِنْكَ، فَزَوَّدَهُمُ الْأَطْعِمَةَ وَالْأَعْلَافَ، وَبَعَثَ مَعَهُمُ الْأَدْلَةَ، فَسَارُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالنَّصَفِ، قَالَ لَهُمُ الْمُثَنَّى: كَمْ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ؟ قَالُوا: أَرْبَعَةٌ أَوْ خَمْسَةٌ فَرَاخَ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: مَنْ يَنْتَدِبُ لِلْحَرْسِ؟

فَاتَدَبَ لَهُ قَوْمٌ فَقَالَ لَهُمْ: أَذْكُوا حَرْسَكُمْ، وَنَزَلَ، وَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَقِيمُوا وَأَطِيعُوا وَتَوَضَّؤُوا وَتَهَيَّؤُوا وَبَعَثَ الطَّلَاعَ فَحَسِبُوا النَّاسَ لَيْسِقُوا الْأَخْبَارَ، فَلَمَّا فَرَّغُوا أَسْرَى إِلَيْهِمْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَعَبَّرَ إِلَيْهِمْ، فَصَبَحَهُمْ فِي أَسْوَاقِهِمْ، فَوَضَعَ فِيهِمُ السَّيْفَ فَقَتَلَ، وَأَخَذُوا مَا شَاءُوا، وَقَالَ الْمُثَنَّى: لَا تَأْخُذُوا إِلَّا الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، وَلَا تَأْخُذُوا مِنَ الْمَتَاعِ إِلَّا مَا يَقْدِرُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ عَلَى حَمْلِهِ عَلَى دَابَّتِهِ. وَهَرَبَ أَهْلُ الْأَسْوَاقِ، وَمَلَأَ الْمُسْلِمُونَ أَيْدِيَهُمْ مِنَ الصَّفَرَاءِ وَالْبَيْضَاءِ وَالْحَرَمِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ خَرَجَ كَارًّا حَتَّى نَزَلَ بِنَهْرِ السَّيْلَحِينَ بِالْأَنْبَارِ، فَنَزَلَ وَخَطَبَ النَّاسَ، وَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، انْزِلُوا وَقْضُوا أَوْطَارَكُمْ، وَتَاهَبُوا لِلْسَّيْرِ، وَاحْمَدُوا اللَّهَ وَسَلُّوهُ الْعَافِيَةَ، ثُمَّ انْكَشَفُوا قَبِيضًا. فَفَعَلُوا، فَسَمِعَ هَمْسًا فِيمَا بَيْنَهُمْ: مَا أَسْرَعَ الْقَوْمَ فِي طَلَبِنَا! فَقَالَ: تَنَاجَوْا بِاللَّيْلِ وَالتَّقْوَى وَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، انْظُرُوا فِي الْأُمُورِ وَقَدِّرُوهَا ثُمَّ تَكَلَّمُوا، أَنَّهُ لَمْ يَبْلُغِ النَّذِيرُ مَدِينَتَهُمْ بَعْدَ، وَلَوْ بَلَغَهُمْ لَحَالَ الرَّعْبُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ طَلَبِكُمْ إِنْ لِلْغَارَاتِ رَوَعَاتٌ تَنْتَشِرُ عَلَيْهَا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ، وَلَوْ طَلَبَكُمْ الْمُحَامُونَ مِنْ رَأْيِ الْعَيْنِ مَا أَدْرَكُوكُمْ، وَأَتَمَّ عَلَى الْعَرَابِ حَتَّى تَنْتَهَوْا إِلَى

عَسْكَرِكُمْ وَجَمَاعَتِكُمْ، وَلَوْ أَدْرَكُوكُمْ لَقَاتَلْتُمُوهُمْ لَا تَنْتَبِهَنَّ: الْتِمَاسُ الْأَجْرِ وَرَجَاءُ النَّصْرِ، فَتَقُوا بِاللَّهِ وَأَحْسِنُوا بِهِ الظَّنَّ، فَقَدْ نَصَرَكُمْ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَهُمْ أَعَدُّ مِنْكُمْ، وَسَاخِرُكُمْ عَنِّي وَعَنِ انْكِامِي وَالَّذِي أُرِيدُ بِذَلِكَ، إِنَّ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَ أَبَا بَكْرٍ أَوْصَانَا أَنْ نُقْلِلَ الْعُرْجَةَ، وَنُسْرِعَ الْكُرَّةَ فِي الْغَارَاتِ، وَنُسْرِعُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الْأَوْبَةِ وَأَقْبَلَ بِهِمْ وَمَعَهُمْ أَدْلَاؤُهُمْ يَقْطَعُونَ بِهِمُ الصَّحَارِي وَالْأَنْهَارَ، حَتَّى أَنْتَهَى بِهِمْ إِلَى الْأَنْبَارِ، فَاسْتَقْبَلَهُمْ دَهَاقِينُ الْأَنْبَارِ بِالْكَرَامَةِ، وَاسْتَبَشَرُوا بِسَلَامَتِهِ، وَكَانَ مَوْعِدُهُ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ إِذَا اسْتَقَامَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا يُحِبُّونَ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادَ، قَالُوا: لَمَّا رَجَعَ الْمُثَنَّى مِنْ بَغْدَادَ إِلَى الْأَنْبَارِ سَرَحَ الْمُضَارِبَ الْعِجْلِيَّ وَزَيْدًا إِلَى الْكَبَاثِ، وَعَلَيْهِ فَارِسُ الْعِنَابِ التَّغْلِي، ثُمَّ خَرَجَ فِي آثَارِهِمْ، فَقَدِمَ الرَّجُلَانِ الْكَبَاثَ، وَقَدْ أَرْفَضُوا وَأَخْلَوْا الْكَبَاثَ، وَكَانَ أَهْلُهُ كُلُّهُمْ مِنْ بَنِي تَغْلَبَ، فَرَكِبُوا آثَارَهُمْ يَتَّبِعُونَهُمْ، فَأَدْرَكُوا أُخْرِيَاتِهِمْ وَفَارِسُ الْعِنَابِ يَحْمِيهِمْ، فَحَمَاهُمْ سَاعَةً ثُمَّ هَرَبَ، وَقَتَلُوا فِي أُخْرِيَاتِهِمْ وَأَكْثَرُوا، وَرَجَعَ الْمُثَنَّى إِلَى عَسْكَرِهِ بِالْأَنْبَارِ، وَانْخَلِيفَةُ عَلَيْهِمْ فَرَاتُ بْنُ حَيَّانَ فَلَمَّا رَجَعَ الْمُثَنَّى إِلَى الْأَنْبَارِ سَرَحَ فَرَاتُ بْنُ حَيَّانَ وَغَتِيبةَ بَنِ النَّهَاسِ وَأَمَرَهُمَا بِالْغَارَةِ عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ تَغْلَبَ وَالنَّيْرِ بِصَفِينِ، ثُمَّ اتَّبَعَهُمَا وَخَلَفَ عَلَى النَّاسِ عَمْرُو بْنُ أَبِي سَلَمَى الْمُجِيمِي، فَلَمَّا دَنُوا مِنْ صَفِينِ، افْتَرَقَ الْمُثَنَّى وَفَرَاتُ وَغَتِيبةَ، وَفَرَّ أَهْلُ صَفِينِ وَعَبَرُوا الْفَرَاتَ إِلَى الْجَزِيرَةِ، وَتَحَصَّنُوا، وَأَرْمَلَ الْمُثَنَّى وَأَصْحَابُهُ مِنَ الزَّادِ، حَتَّى أَقْبَلُوا عَلَى رَوَاحِلِهِمْ إِلَّا مَا لَا بَدَّ مِنْهُ فَأَكَلُوهَا حَتَّى أَخْفَاهَا وَعِظَاهَا وَجُلُودَهَا ثُمَّ أَدْرَكُوا عِيرًا مِنْ أَهْلِ دِيَاْفَ وَحَوْرَانَ، فَقَتَلُوا الْعُلُوجَ وَأَصَابُوا ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنْ بَنِي تَغْلَبَ خَفَرَاءَ، وَأَخَذُوا الْعِيرَ، وَكَانَ ظَهْرًا فَاضِلًا، وَقَالَ لَهُمْ: دُلُونِي، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: آمَنُونِي عَلَى أَهْلِ وَمَا لِي، وَأَدُلُّكُمْ عَلَى حَيٍّ مِنْ تَغْلَبَ غَدَوْتُ مِنْ عِنْدِهِمْ الْيَوْمَ، فَاْمَنَهُ الْمُثَنَّى وَسَارَ مَعَهُ يَوْمَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْعَشِيُّ هَجَمَ عَلَى الْقَوْمِ، فَإِذَا النَّعْمُ صَادِرَةٌ عَنِ الْمَاءِ، وَإِذَا الْقَوْمُ جُلُوسٌ بِأَفْنِيهِ

الْبُيُوتِ، فَبَثَّ غَارَتَهُ، فَقَتَلُوا الْمُقَاتِلَةَ، وَسَبُّوا الذَّرِيَّةَ، وَاسْتَأْفَقُوا الْأَمْوَالَ، وَإِذَا هُمْ بِبَنِي الرُّوحِلَةِ، فَاشْتَرَى مِنْ كَانَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ

رَبِيعَةَ السَّبَايَا بِنَصِيْبِهِ مِنَ الْفَيْءِ، وَأَعْتَقُوا سَبِيْعَهُمْ، وَكَانَتْ رَبِيعَةُ لَا تُسَمَّى إِذِ الْعَرَبُ يَتَسَابُونَ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ وَأَخْبَرَ الْمُثَنَّى أَنَّ جُمْهُورَ مَنْ سَلَكَ الْبِلَادَ قَدْ انْتَجَعُوا الشَّطَّ، شَاطِئُ دِجْلَةَ، فَخَرَجَ الْمُثَنَّى، وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ فِي غُرَوَاتِهِ هَذِهِ بَعْدَ الْبُؤَيْبِ كُلُّهَا حَذِيفَةُ بْنُ مَحْصَنِ الْغُلَفَانِي، وَعَلَى مُجَنَّبِيَةِ النُّعْمَانِ بْنِ عَوْفٍ بْنِ النُّعْمَانِ وَمَطَرُ الشَّيْبَانِيَانِ، فَسَرَحَ فِي أَدْبَارِهِمْ حَذِيفَةُ وَاتَّبَعَهُ، فَأَذْرَكُوهُمْ يَتَكْرِتُ دُونَهَا مِنْ حَيْثُ طَلَبُوهُمْ يَخُوضُونَ الْمَاءَ، فَأَصَابُوا مَا شَاءُوا مِنَ النَّعَمِ، حَتَّى أَصَابَ الرَّجُلُ خَمْسًا مِنَ النَّعَمِ، وَخَمْسًا مِنَ السَّيِّ، وَخَمْسَ الْمَالِ، وَجَاءَ بِهِ حَتَّى يَنْزِلَ عَلَى النَّاسِ بِالْأَنْبَارِ، وَقَدْ مَضَى فِرَاتٌ وَعَتِيبَةُ فِي وُجُوْهِهِمَا، حَتَّى أَغَارُوا عَلَى صَفَيْنِ وَبِهَا التَّمْرُ وَتَغْلِبُ مُتَسَانِدِينَ، فَأَغَارُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى رَمَوْا بِطَائِفَةٍ مِنْهُمْ فِي الْمَاءِ، فَنَاشَدُوهُمْ فَلَمْ يَقْلَعُوا عَنْهُمْ، وَجَعَلُوا يَنَادُونَهُمْ: الْغَرَقُ الْغَرَقُ! وَجَعَلَ عَتِيبَةُ وَفِرَاتٌ يَذْمُرُونَ النَّاسَ، وَيَنَادُونَهُمْ: تَغْرِيقٌ بِتَغْرِيقٍ - يُذَكِّرُونَهُمْ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَحْرَقُوا فِيهِ قَوْمًا مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ فِي غِيْظَةٍ مِنَ الْغِيَاظِ - ثُمَّ انْكَفَتْوَا رَاجِعِينَ إِلَى الْمُثَنَّى، وَقَدْ غَرَّقُوهُمْ.

وَلَمَّا تَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى عَسْكَرِهِمْ بِالْأَنْبَارِ وَتَوَافَى بِهَا الْبُعُوثُ وَالسَّرَايَا، انْخَدَرَ بِهِمُ الْمُثَنَّى إِلَى الْخَيْرَةِ، فَزَلَّ بِهَا وَكَانَتْ تَكُونُ لِعُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ الْعُيُونُ فِي كُلِّ جَيْشٍ، فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بِمَا كَانَ فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ، وَبَلَّغَهُ الَّذِي قَالَ عَتِيبَةُ وَفِرَاتٌ يَوْمَ بَنِي تَغْلِبَ وَالْمَاءِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمَا فَسَالَهُمَا، فَأَخْبَرَاهُ أَنَّهَا قَالَا ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ أَنَّهُ مِثْلٌ، وَأَنَّهَا لَمْ يَفْعَلَا ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ طَلَبِ ذِخْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَاسْتَحْلَفَهُمَا، فَخَلَفَا أَنَّهَا مَا أَرَادَا بِذَلِكَ إِلَّا الْمَثْلَ وَاعْزَازَ الْإِسْلَامِ، فَصَدَّقَهُمَا وَرَدَّهُمَا حَتَّى قَدِمَا عَلَى الْمُثَنَّى

٣٠٧٠٢٢ ذكر الخبر عما هيج امر القادسية

ذكر الخبر عما هيج أمر القادسية

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَوَادٍ بْنِ نَوِيرَةَ، عَنْ عَزِيزِ بْنِ مَكْنَفٍ التَّمِيمِيِّ ثُمَّ الْأَسِيدِيِّ، وَطَلْحَةَ بْنِ الْأَعْلَمِ الْخَنْفِيِّ، عَنْ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَتِيبَةَ بْنِ النَّهَاسِ الْعَجَلِيِّ، وَزِيَادِ بْنِ سَرَجَسٍ الْأَحْمَرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابَاطٍ الْأَحْمَرِيِّ، قَالُوا جَمِيعًا، قَالَ أَهْلُ فَارَسٍ لِرَسْتَمٍ وَالْفَيْرِزَانَ - وَهُمَا عَلَى أَهْلِ فَارَسٍ: أَيْنَ يَذْهَبُ بَكَّا! لَمْ يَبْرَحْ بَكَّا الْإِخْتِلَافَ حَتَّى وَهَنْتُمَا أَهْلَ فَارَسٍ، وَأَطْمَعْتُمَا فِيهِمْ عَدُوَّهُمْ! وَإِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ مِنْ خَطَرِكُمَا أَنْ يَقْرَبَا فَارَسَ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ، وَأَنْ تَعْرِضَاهَا لِلْهَلَكَةِ، مَا بَعْدَ بَغْدَادٍ وَسَابَاطٍ وَتَكْرِيَتٍ إِلَّا الْمَدَائِنَ، وَاللَّهُ لَتَجْتَمِعَانِ أَوْ لَنَبْدَأَنَّ بِكُمَا قَبْلَ أَنْ يَشْمَتَ بِنَا شَامَتُ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُحْفَزٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ أَهْلُ فَارَسٍ لِرَسْتَمٍ وَالْمُسْلِمُونَ يَخْرُونَ السَّوَادَ: مَا تَنْتَظِرُونَ وَاللَّهُ إِلَّا أَنْ يَنْزِلَ بِنَا وَنَهْلِكَ! وَاللَّهُ مَا جَرَّ هَذَا الْوَهْنُ عَلَيْنَا غَيْرَكُمْ يَا مَعَاشِرَ الْقَوَادِ! لَقَدْ فَرَقْتُمْ بَيْنَ أَهْلِ فَارَسٍ وَثَبُطْتُمُوهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ وَاللَّهُ لَوْلَا أَنْ فِي قَتْلِكُمْ هَلَاكًا لَعَجَلْنَا لَكُمْ الْقَتْلَ السَّاعَةَ، وَلَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَهْلِكَنَّكُمْ ثُمَّ نَهْلَكَ وَقَدْ اسْتَفِينَا مِنْكُمْ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادٍ، قَالُوا: فَقَالَ الْفَيْرِزَانُ وَرُسْتَمُ لِبُورَانَ ابْنَةَ كِسْرَى: اكْتُبِي لَنَا نِسَاءَ كِسْرَى وَسَرَارِيهِ وَنِسَاءَ آلِ كِسْرَى وَسَرَارِيهِمْ فَفَعَلْتُ، ثُمَّ أَخْرَجْتُ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ فِي كِتَابٍ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِنَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا أَتَوْا بِهَا، فَأَخَذُوهُنَّ بِالرِّجَالِ وَوَضَعُوا عَلَيْهِنَّ الْعَذَابَ يَسْتَدِلُّونَهُنَّ عَلَى ذِكْرِ مَنْ أَبْنَاءُ كِسْرَى، فَلَمْ يَوْجَدْ عِنْدَهُنَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَقُلْنَ - أَوْ مِنْ قَالَ مِنْهُنَّ: لَمْ يَبْقَ إِلَّا غُلَامٌ يُدْعَى يَزْدَجَرْدُ مِنْ وَلَدِ شَهْرِيَارِ بْنِ كِسْرَى، وَأُمُّهُ مِنْ أَهْلِ بَادُورِيَا فَأَرْسَلُوا إِلَيْهَا فَأَخَذُوهَا بِهَا، وَكَانَتْ قَدْ أَنْزَلَتْهُ فِي أَيَّامِ شِيرِي حِينَ جَمَعَهُنَّ فِي الْقَصْرِ

الْأَبْيَضِ، فَقَتَلَ الذُّكُورَ، فَوَاعَدَتْ أَخْوَالَهُ، ثُمَّ دَلَّتْهُ إِلَيْهِمْ فِي زَيْلٍ فَسَأَلُوهَا عَنْهُ وَأَخَذُوهَا بِهَا، فَدَلَّتْهُمْ عَلَيْهِ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فَجَاءُوا بِهِ فَلَكَّوْهُ وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ، وَأَطْمَأَنَّتْ فَارِسُ وَاسْتَوْثِقُوا وَتَبَارَى الرُّؤْسَاءُ فِي طَاعَتِهِ وَمَعُونَتِهِ فَسَمَّى الْجُنُودَ لِكُلِّ

مُسْلِحَةً كَانَتْ لِكِسْرَى أَوْ مَوْضِعٍ تَغْرٍ، فَسَمِيَ جُنْدُ الْحَيَرَةِ وَالْأَنْبَارِ وَالْمَسَاحِ وَالْأُبَلَّةِ وَبَلَغَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى يَزْدَجَرْدَ الْمُثْنَى وَالْمُسْلِمِينَ، فَكَتَبُوا إِلَى عُمَرَ بِمَا يَنْتَظِرُونَ مِّنْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، فَلَمْ يَصِلِ الْكِتَابُ إِلَى عُمَرَ حَتَّى كَفَرَ أَهْلُ السَّوَادِ، مَنْ كَانَ لَهُ مِنْهُمْ عَهْدٌ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْهُمْ عَهْدٌ نَخَّرَجَ الْمُثْنَى عَلَى حَامِيَّتِهِ حَتَّى نَزَلَ بِذِي قَارٍ، وَنَزَلَ النَّاسُ بِالطَّفِّ فِي عَسْكَرٍ وَاحِدٍ حَتَّى جَاءَهُمْ كِتَابُ عُمَرَ:

أَمَّا بَعْدُ، فَانْخَرُجُوا مِنْ بَيْنِ ظَهْرِي الْأَعَاجِمِ، وَتَفَرَّقُوا فِي الْمِيَاهِ الَّتِي تَلِي الْأَعَاجِمَ عَلَى حُدُودِ أَرْضِكُمْ وَأَرْضِهِمْ، وَلَا تَدْعُوا فِي رِبْعَةٍ أَحَدًا وَلَا مُضَرَ وَلَا حُلَفَاءَهُمْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ النَّجْدَاتِ وَلَا فَارِسًا إِلَّا اجْتَلَبْتُمُوهُ، فَإِنْ جَاءَ طَائِعًا وَإِلَّا حَشَرْتُمُوهُ، احْمِلُوا الْعَرَبَ عَلَى الْجِدِّ إِذَا جَدَّ الْعَجَمُ، فَلْتَلْقُوا جَدَّهُمْ بِجَدِّكُمْ.

فَنَزَلَ الْمُثْنَى بِذِي قَارٍ، وَنَزَلَ النَّاسُ بِالْجُلِّ وَشَرَّافٍ إِلَى غُضِيٍّ - وَغُضِيٌّ حِيَالُ الْبَصْرَةِ - فَكَانَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بَغُضِيٍّ وَسَبْرَةُ بْنُ عَمْرِو الْعَنْبَرِيِّ وَمَنْ أَخَذَ أَخَذَهُمْ فِيمَنْ مَعَهُ إِلَى سَلْمَانَ، فَكَانُوا فِي أَمَوَاتِ الطِّفِّ مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا مَسَاحُ بَعْضِهِمْ يَنْظُرُ إِلَى بَعْضٍ، وَيَغِيثُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِنْ كَانَ كَوْنٌ، وَذَلِكَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ.

حَدَّثَنَا السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادٍ بِإِسْنَادِهِمْ، قَالُوا: كَانَ أَوَّلُ مَا عَمِلَ بِهِ عُمَرُ حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ فَارِسَ قَدْ مَلَكَوا يَزْدَجَرْدَ، أَنَّ كَتَبَ إِلَى عُمَالِ الْعَرَبِ عَلَى الْكُورِ وَالْقَبَائِلِ، وَذَلِكَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ مَخْرَجَهُ إِلَى الْحَجِّ، وَجَّعَ سَنَاتِهِ كُلَّهَا: لَا تَدْعَى

٣٠٨ سنه اربع عشره

٣٠٨٠١ ذكر ابتداء امر القادسية

أَحَدًا لَهُ سِلَاحٌ، أَوْ فَرَسٌ، أَوْ نَجْدَةٌ، أَوْ رَأْيٌ إِلَّا انْتَجَبْتُمُوهُ، ثُمَّ وَجَّهْتُمُوهُ إِلَيَّ، وَالْعَجَلُ الْعَجَلُ! فَضَبَّتِ الرُّسُلُ إِلَى مَنْ أَرْسَلَهُمْ إِلَيْهِمْ مَخْرَجَهُ إِلَى الْحَجِّ، وَوَفَّاهُ أَهْلُ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ الْقَبَائِلِ الَّتِي طُرِقَهَا عَلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَلَى النِّصْفِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعِرَاقِ، فَوَفَّاهُ بِالْمَدِينَةِ مَرْجِعَهُ مِنَ الْحَجِّ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ فَانْضَمُّوا إِلَى الْمُثْنَى، فَأَمَّا مَنْ وَافَى عُمَرَ فَإِنَّهُمْ أَخْبَرُوهُ عَنْ رَأْيِهِمْ بِالْحَثِّ.

وَقَالَ أَبُو مَعْشَرٍ، فِيمَا حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، عَنْ ابْنِ سَعْدٍ، عَنْهُ وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ - فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْهُ: الَّذِي جَجَّ بِالنَّاسِ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَقَدْ حَدَّثَنِي الْمُقَدِّمِيُّ، عَنْ إِسْحَاقَ الْفَرُوزِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: اسْتَعْمَلَ عُمَرُ عَلَى الْحَجِّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ فِي السَّنَةِ الَّتِي وَلِيَ فِيهَا، فَحَجَّ بِالنَّاسِ، ثُمَّ حَجَّ سَنِيهِ كُلَّهَا بَعْدَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ.

وَكَانَ عَامِلَ عُمَرَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ - عَلَى مَا ذَكَرَ - عَلَى مَكَّةَ عَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ، وَعَلَى الطَّائِفِ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ، وَعَلَى الْيَمَنِ يَعْلَى بْنُ مُنِيَّةَ، وَعَلَى عُثْمَانَ وَالْيَمَامَةِ حُذَيْفَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، وَعَلَى الْبَحْرَيْنِ الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضَرَمِيِّ، وَعَلَى الشَّامِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَعَلَى فَرَجِ الْكُوفَةِ وَمَا فَتَحَ مِنْ أَرْضِهَا الْمُثْنَى ابْنُ حَارِثَةَ وَكَانَ عَلَى الْقَضَاءِ - فِيمَا ذَكَرَ - عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَقِيلَ:

لَمْ يَكُنْ لِعُمَرَ فِي أَيَّامِهِ قَاضٍ

• ثُمَّ دَخَلَ

سنة اربع عشره

ذكر ابتداء امر القادسية

٨ ففي أول يوم من المحرم سنة أربع عشرة- فِيمَا كَتَبَ إِلَى بِهِ السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادٍ بِإِسْنَادِهِمْ- خَرَجَ عُمَرُ حَتَّى نَزَلَ عَلَى مَاءٍ يَدْعَى صِرَارًا، فَعَسَكَرَ بِهِ وَلَا يَدْرِي النَّاسُ مَا يُرِيدُ، أَيْسِيرُ أَمْ يُقِيمُ وَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَسْأَلُوهُ عَنْ شَيْءٍ رَمَوْهُ بِعُثْمَانَ أَوْ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَكَانَ عُثْمَانُ يَدْعَى فِي إِمَارَةِ عُمَرَ رَدِيفًا- قَالُوا: وَالرَّدِيفُ بِلِسَانِ الْعَرَبِ الرَّجُلُ الَّذِي بَعْدَ الرَّجُلِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ ذَلِكَ لِلرَّجُلِ الَّذِي يَرْجُوهُ بَعْدَ رَأْسِهِمْ- وَكَانُوا إِذَا لَمْ يَقْدِرْ هَذَانِ عَلَى عِلْمِ شَيْءٍ مِمَّا يُرِيدُونَ، ثَلَّثُوا بِالْعَبَّاسِ، فَقَالَ عُثْمَانُ لِعُمَرَ: مَا بَلَغَكَ؟ مَا الَّذِي تُرِيدُ؟ فَنادى: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ ثُمَّ نَظَرَ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَقَالَ الْعَامَّةُ: سِرٌّ وَسِرٌّ بِنَا مَعَكَ، فَدَخَلَ مَعَهُمْ فِي رَأْيِهِمْ، وَكَرِهَ أَنْ يَدْعَهُمْ حَتَّى يُخْرِجَهُمْ مِنْهُ فِي رَفْقٍ، فَقَالَ: اسْتَعِدُّوا وَأَعِدُّوا فَإِنِّي سَائِرٌ إِلَّا أَنْ يَجِيءَ رَأْيِي هُوَ أَمْثَلُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ بَعَثَ إِلَى أَهْلِ الرَّأْيِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ وَجْهُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْلَامُ الْعَرَبِ، فَقَالَ: أَحْضَرُونِي الرَّأْيَ فَإِنِّي سَائِرٌ فَاجْتَمَعُوا جَمِيعًا، وَاجْمَعْ مَلُؤَهُمْ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَيُقِيمُ، وَيَرْمِيهِ بِالْجُنُودِ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي يَشْتَرِي مِنَ الْفَتْحِ، فَهُوَ الَّذِي يُرِيدُ وَيُرِيدُونَ، وَإِلَّا أَعَادَ رَجُلًا وَنَدَبَ جُنْدًا آخَرَ، وَفِي ذَلِكَ مَا يَغِيظُ الْعَدُوَّ، وَيَرْعَوِي الْمُسْلِمُونَ، وَيَجِيءُ نَصْرُ اللَّهِ بِإِنجَازِ مَوْعُودِ اللَّهِ فَنادى عمر: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَأَرْسَلَ إِلَى عَلِيٍّ ع، وَقَدْ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ، فَأَتَاهُ، وَإِلَى طَلْحَةَ وَقَدْ بَعَثَهُ

عَلَى الْمَقْدَمَةِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، وَجَعَلَ عَلَى الْمُجَنَّبَتَيْنِ الزُّبَيْرِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَامَ فِي النَّاسِ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَمَعَ عَلَى الْإِسْلَامِ أَهْلَهُ، فَالْفَ بَيْنَ الْقُلُوبِ، وَجَعَلَهُمْ فِيهِ إِخْوَانًا، وَالْمُسْلِمُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ كَالْجَسَدِ لَا يَخْلُو مِنْهُ شَيْءٌ مِنْ شَيْءٍ أَصَابَ غَيْرَهُ، وَكَذَلِكَ يَحِقُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونُوا أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَوِي الرَّأْيِ مِنْهُمْ، فَالنَّاسُ تَبِعَ لِمَنْ قَامَ بِهَذَا الْأَمْرِ، مَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وَرَضُوا بِهِ لَزِمَ النَّاسُ وَكَانُوا فِيهِ تَبَعًا لَهُمْ، وَمَنْ أَقَامَ بِهَذَا الْأَمْرِ تَبِعَ لِأُولِي رَأْيِهِمْ مَا رَأَوْا لَهُمْ وَرَضُوا بِهِ لَهُمْ مِنْ مَكِيدَةٍ فِي حَرْبٍ كَانُوا فِيهِ تَبَعًا لَهُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي إِنَّمَا كُنْتُ كَرَجُلٍ مِنْكُمْ حَتَّى صَرَفَنِي ذُووُ الرَّأْيِ مِنْكُمْ عَنِ الْخُرُوجِ، فَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُقِيمَ وَأَبْعَثَ رَجُلًا، وَقَدْ أَحْضَرْتُ هَذَا الْأَمْرَ، مَنْ قَدِمْتُ وَمَنْ خَلَفْتُ: وَكَانَ عَلَى ع خَلِيفَتُهُ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَطَلْحَةُ عَلَى مَقْدَمَتِهِ بِالْأَعْوَصِ، فَأَحْضَرَهُمَا ذَلِكَ كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: لَمَّا انْتَهَى قَتْلُ أَبِي عُبَيْدِ بْنِ مَسْعُودٍ إِلَى عُمَرَ، وَاجْتِمَاعُ أَهْلِ فَارَسَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ آلِ كَسْرَى، نَادَى فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَخَرَجَ حَتَّى أَتَى صِرَارًا، وَقَدَّمَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ حَتَّى يَأْتِيَ الْأَعْوَصَ، وَسَمَى لِمَيْمَنَتِهِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَلِمَيْسَرَتِهِ الزُّبَيْرِ ابْنَ الْعَوَامِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَاسْتَشَارَ النَّاسَ، فَكَلَّمَهُمْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِالسَّيْرِ إِلَى فَارَسَ، وَلَمْ يَكُنْ اسْتِشَارَ فِي الَّذِي كَانَ حَتَّى نَزَلَ بِصِرَارٍ وَرَجَعَ طَلْحَةُ، فَاسْتَشَارَ ذَوِي الرَّأْيِ، فَكَانَ طَلْحَةُ مِمَّنْ تَابَعَ النَّاسَ، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِمَّنْ نَهَاهُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَمَا فَدَيْتُ أَحَدًا بِأَبِي وَأُمِّي بَعْدَ النَّبِيِّ ص قَبْلَ يَوْمَيْئذٍ وَلَا بَعْدَهُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَايَ وَأُمِّي، اجْعَلْ عَجْزَهَا بِي وَأَقِمَّ وَأَبْعَثْ جُنْدًا، فَقَدْ رَأَيْتُ قَضَاءَ اللَّهِ لَكَ فِي جُنُودِكَ قَبْلَ وَبَعْدَ، فَإِنَّهُ إِنْ يَهْزِمَ جَيْشُكَ لَيْسَ كَهْزَيْمَتِكَ، وَأَنْتَ إِنْ تَقْتُلَ أَوْ تَهْزِمَ

فِي أَنْفِ الْأَمْرِ خَشِيتُ أَلَّا يَكْبُرَ الْمُسْلِمُونَ وَلَا يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَبَدًا وَهُوَ فِي ارْتِيَادٍ مِنْ رَجُلٍ، وَأَتَى كِتَابَ سَعْدٍ عَلَى حَفَفِ مَشُورَتِهِمْ، وَهُوَ عَلَى بَعْضِ صَدَقَاتٍ نَجْدٍ، فَقَالَ عُمَرُ: فَأَشِيرُوا عَلَيَّ بِرَجُلٍ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: وَجَدْتُهُ، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: الْأَسَدُ فِي بَرَاثَتِهِ، سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ، وَمَالَاهُ أُولُو الرَّأْيِ.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن خليد بن ذفرة، عن أبيه، قال: كتب المثنى إلى عمر باجتماع فارس على يزدجرد

وَبِعُوهُمْ، وَبَحَالَ أَهْلُ الذِّمَّةِ فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمَرُ، أَنْ تَتَحَّ إِلَى الْبَرِّ، وَادْعُ مَنْ يَلِيكَ، وَأَقِمْ مِنْهُمْ قَرِيْبًا عَلَى حُدُودِ أَرْضِكَ وَأَرْضِهِمْ، حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي وَعَاجَلَتُهُمُ الْأَعَاجِمُ فَرَاخَفَتُهُمُ الرُّخُوفُ، وَثَارَ بِهِمْ أَهْلُ الذِّمَّةِ، فَفَرَّجَ الْمُثْنَى بِالنَّاسِ حَتَّى يَنْزِلَ الطَّفُّ، فَفَرَّقَهُمْ فِيهِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، فَأَقَامَ مَا بَيْنَ غُضِيٍّ إِلَى الْقَطْقَطَانَةِ مَسَاحِلَهُ، وَعَادَتْ مَسَاحِلُ كِسْرَى وَثُغُورِهِ، وَاسْتَقَرَّ أَمْرُ فَارِسَ وَهُمْ فِي ذَلِكَ هَائِبُونَ مُشْفِقُونَ، وَالْمُسْلِمُونَ مُتَدَفِقُونَ قَدْ ضَرُّوا بِهِمْ كَالْأَسَدِ يَنَازِعُ فَرِيْسَتَهُ، ثُمَّ يَعَاوِدُ الْكِرَّ، وَأَمْرَاؤُهُمْ يَكْفِكِفُونَهُمْ بِكِتَابِ عُمَرَ وَأَمْدَادِ الْمُسْلِمِينَ كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ سَهْلِ بْنِ يُوْسُفَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: قَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ اسْتَعْمَلَ سَعْدًا عَلَى صَدَقَاتِ هَوَازِنَ بَنِي جَدٍّ، فَأَقْرَهُ عُمَرُ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ فِيمَنْ كُتِبَ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَالِ حِينَ اسْتَفْرَأَ النَّاسُ أَنْ يَنْتَخِبَ أَهْلَ الْخَلِيلِ وَالسَّلَاحِ مِمَّنْ لَهُ رَأْيٌ وَنَجْدَةٌ فَرَجَعَ إِلَيْهِ كِتَابُ سَعْدٍ بِمَنْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الضَّرْبِ، فَوَافَقَ عُمَرُ وَقَدْ اسْتَشَارَهُمْ فِي رَجُلٍ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِهِ عِنْدَ ذِكْرِهِ

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبِ، عَنْ سَيْفِ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ بِإِسْنَادِهِمَا، قَالَا: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ عَلَى صَدَقَاتِ هَوَازِنَ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمَرُ فِيمَنْ كُتِبَ إِلَيْهِ بِإِتِّخَابِ ذَوِي الرَّأْيِ وَالنَّجْدَةِ مِمَّنْ كَانَ لَهُ سِلَاحٌ أَوْ فَرَسٌ، فَجَاءَهُ كِتَابُ سَعْدٍ: إِنِّي قَدْ انْتَخَبْتُ لَكَ أَلْفَ فَارِسٍ مُؤَدِّ كُلِّهِمْ لَهُ نَجْدَةٌ وَرَأْيٌ، وَصَاحِبُ حِيْطَةٍ يَحُوطُ حَرِيمَ قَوْمِهِ، وَيَمْنَعُ ذِمَارَهُمْ، إِلَيْهِمْ انْتَهَتْ أَحْسَابُهُمْ وَرَأْيُهُمْ، فَشَانَكَ بِهِمْ وَوَافَقَ كِتَابَهُ مَشُورَتَهُمْ، فَقَالُوا: قَدْ وَجَدْتُهُ، قَالَ: فَمَنْ؟ قَالُوا: الْأَسَدُ عَادِيًّا، قَالَ: مَنْ؟ قَالُوا: سَعْدٌ، فَانْتَهَى إِلَى قَوْلِهِمْ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ، فَأَمَرَهُ عَلَى حَرْبِ الْعِرَاقِ وَأَوْصَاهُ فَقَالَ: يَا سَعْدُ، سَعْدُ بْنُ وَهْبٍ، لَا يَغْرُنَكَ مِنَ اللَّهِ أَنْ قِيلَ خَالَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَصَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَحْمُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ، وَلَكِنَّهُ يَحْمُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٌ إِلَّا طَاعَتُهُ، فَالنَّاسُ شَرِيفُهُمْ وَوَضِيعُهُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ سَوَاءٌ، اللَّهُ رَبُّهُمْ وَهُمْ عِبَادُهُ، يَتَفَاضَلُونَ بِالْعَافِيَةِ، وَيُدْرِكُونَ مَا عِنْدَهُ بِالطَّاعَةِ فَانْظُرِ الْأَمْرَ الَّذِي رَأَيْتَ النَّبِيَّ ص عَلَيْهِ مِنْذُ بَعَثَ إِلَى أَنْ فَارَقْنَا فَالْزِمَهُ فَإِنَّهُ الْأَمْرُ هَذِهِ عَظِيَّتِي إِيَّاكَ إِنْ تَرَكْتَهَا وَرَغِبْتَ عَنْهَا حَيْطَ عَمَلِكَ، وَكُنْتَ مِنَ الْخَاسِرِينَ. وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَسْرَحَهُ دَعَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ حَرْبَ الْعِرَاقِ فَاحْفَظْ وَصِيَّتِي فَإِنَّكَ تُقَدِّمُ عَلَى أَمْرٍ شَدِيدٍ كَرِيْهِ لَا يَخْلُصُ مِنْهُ إِلَّا الْحَقُّ، فَعَوَّذَ نَفْسَكَ وَمَنْ مَعَكَ الْخَيْرَ، وَاسْتَفْتَحَ بِهِ وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَادَةٍ عِتَادًا، فَعِتَادُ الْخَيْرِ الصَّبْرُ، فَالْصَّبْرُ عَلَى مَا أَصَابَكَ أَوْ نَابَكَ، يَجْتَمِعُ لَكَ خَشْيَةُ اللَّهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ خَشْيَةَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ فِي أَمْرَيْنِ: فِي طَاعَتِهِ وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ، وَإِنَّمَا أَطَاعَهُ مَنْ أَطَاعَهُ بِغُضِّ الدُّنْيَا وَحُبِّ الْآخِرَةِ، وَعَصَاهُ مَنْ عَصَاهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا

وَبُغْضِ الْآخِرَةِ، وَلِلْقُلُوبِ حَقَائِقُ يُنْشِئُهَا اللَّهُ إِنْشَاءً، مِنْهَا السَّرُّ، وَمِنْهَا الْعَلَانِيَةُ، فَأَمَّا الْعَلَانِيَةُ فَإِنْ يَكُونُ حَامِدُهُ وَدَامُهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، وَأَمَّا السَّرُّ فَيَعْرِفُ بِظُهُورِ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ، وَبِمَحَبَّةِ النَّاسِ، فَلَا تَزْهَدُ فِي التَّحَبُّبِ فَإِنَّ النَّبِيَّ قَدْ سَأَلُوا مُحَبَّتَهُ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا حَبَبَهُ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا أَبْغَضَهُ فَاعْتَبِرْ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَنْزِلَتِكَ عِنْدَ النَّاسِ، مِمَّنْ يَشْرَعُ مَعَكَ فِي أَمْرِكَ ثُمَّ سَرَحَهُ فِيمَنْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ مِنْ نَفِيرِ الْمُسْلِمِينَ.

فَفَرَّجَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ مِنَ الْمَدِينَةِ قَاصِدًا الْعِرَاقَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، ثَلَاثَةٌ مِمَّنْ قَدِمَ عَلَيْهِ مِنَ الْيَمَنِ وَالسَّرَاةِ، وَعَلَى أَهْلِ السَّرَوَاتِ حُمِيْضَةُ بْنُ النُّعْمَانِ بْنِ حُمِيْضَةَ الْبَارِقِيِّ، وَهُمْ بَارِقُ وَالْمَعُ وَغَامِدُ وَسَائِرُ اخْوَتِهِمْ، فِي سَبْعِمِائَةٍ مِنْ أَهْلِ السَّرَاةِ، وَاهِلِ الْيَمَنِ الْفَانِ وَثَلَاثُمِائَةٍ مِنْهُمْ النَّخَعُ بْنُ عَمْرٍو، وَجَمِيعُهُمْ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، مَقَاتَلَتُهُمْ وَذَرَارِيَهُمْ وَنِسَائُهُمْ، وَأَتَاهُمْ عُمَرُ فِي عَسْكَرِهِمْ، فَأَرَادَهُمْ جَمِيعًا عَلَى الْعِرَاقِ، فَأَبَوْا إِلَّا الشَّامَ، وَأَبَى إِلَّا الْعِرَاقَ، فَسَمَحَ نِصْفَهُمْ فَأَمْضَاهُمْ نَحْوَ الْعِرَاقِ، وَأَمْضَى النِّصْفَ الْآخَرَ نَحْوَ الشَّامِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ حَنْشِ النَّخَعِيِّ، عَنْ أَبِيهِ وَغَيْرِهِ مِنْهُمْ، أَنَّ عُمَرَ أَتَاهُمْ فِي عَسْكَرِهِمْ، فَقَالَ: إِنَّ الشَّرَفَ فِيكُمْ يَا مَعْشَرَ النَّخَعِ لَمُتَرَبِّعٌ، سِيرُوا مَعَ سَعْدٍ فَزَعُوا إِلَى الشَّامِ، وَأَبَى إِلَّا الشَّامَ، فَسَرَحَ نِصْفَهُمْ إِلَى الشَّامِ وَنِصْفَهُمْ إِلَى الْعِرَاقِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَالْمُسْتَتِيرِ وَحَنْشٍ، قَالُوا: وَكَانَ فِيهِمْ مِنْ حَضْرَمَوْتَ وَالصَّدْفِ سِتْمَائَةَ، عَلَيْهِمُ شَدَادُ بْنُ ضَمْعَجٍ، وَكَانَ فِيهِمْ أَلْفٌ وَثَلَاثُمِائَةٍ مِنْ مَذْحِجٍ، عَلَى ثَلَاثَةِ رُؤَسَاءَ: عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرْبٍ عَلَى بَنِي مَنبَه، وَأَبُو سَبْرَةَ بْنُ ذُوَيْبٍ عَلَى جَعْفَنِي وَمَنْ فِي حَلْفِ جَعْفَنِي مِنْ إِخْوَةِ جَزْءٍ وَزَيْدٍ وَأَنْسٍ وَاللَّهِ وَمَنْ لَفْهِمْ، وَيزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ الصَّدَائِيُّ عَلَى صَدَاءَ وَجَنْبٍ وَمُسْلِيهِ فِي ثَلَاثُمِائَةٍ، هَؤُلَاءِ شَهِدُوا مِنْ مَذْحِجٍ فِيمَنْ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ مَخْرَجَ سَعْدٍ مِنْهَا، وَخَرَجَ مَعَهُ مِنْ قَيْسِ عِيلَانَ أَلْفٌ عَلَيْهِمْ بَشَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَلَالِيُّ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عُبَيْدَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: خَرَجَ أَهْلُ الْقَادِسِيَّةِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَكَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ، ثَلَاثَةَ آلَافٍ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ وَأَلْفٌ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَسَهْلٍ، عَنِ الْقَاسِمِ، قَالُوا: وَشِعْهُمُ عُمَرُ بْنُ صِرَارٍ إِلَى الْأَعْوَصِ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا ضَرَبَ لَكُمْ الْأَمْثَالَ، وَصَرَفَ لَكُمْ الْقَوْلَ، لِيُحْيِيَ بِهِ الْقُلُوبَ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ مِيتَةٌ فِي صُدُورِهَا حَتَّى يُحْيِيَهَا اللَّهُ، مَنْ عِلِمَ شَيْئًا فَلْيَنْتَفِعْ بِهِ، وَإِنَّ لِلْعَدْلِ أَمَارَاتٍ وَتَبَاشِيرَ، فَأَمَّا الْأَمَارَاتُ فَالْحَيَاءُ وَالسَّخَاءُ وَالْهَيْئَةُ وَاللَّيْنُ، وَأَمَّا التَّبَاشِيرُ فَالرَّحْمَةُ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ أَمْرٍ بَابًا، وَيَسِّرَ لِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحًا، فَبَابُ الْعَدْلِ الْإِعْتِبَارُ وَمِفْتَاحُهُ الزُّهْدُ.

وَالْإِعْتِبَارُ ذِكْرُ الْمَوْتِ بِتَذَكُّرِ الْأَمْوَاتِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لَهُ بِتَقْدِيمِ الْأَعْمَالِ، وَالزُّهْدُ اخْذُ الْحَقِّ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَهُ حَقًّا، وَتَأْدِيَةُ الْحَقِّ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ لَهُ حَقٌّ وَلَا تُصَانَعُ فِي ذَلِكَ أَحَدًا، وَاكْتَفَ بِمَا يَكْفِيكَ مِنَ الْكَفَافِ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَكْفِهِ الْكَفَافُ لَمْ يَغْنِهِ شَيْءٌ إِيَّايَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَحَدٌ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَلْزَمَنِي دَفْعَ الدُّعَاءِ عَنْهُ، فَانْهَوْا شُكَاكُمْ إِلَيْنَا، فَنَنْصَحَ بِمَا نَسْتَطِيعُ فَإِلَى مَنْ يَبْلِغُنَا نَأْخُذُ لَهُ الْحَقَّ غَيْرَ مُتَعَجِّجٍ وَأَمَرَ سَعْدًا بِالسَّيْرِ، وَقَالَ: إِذَا انْتَهَيْتَ إِلَى زُرُودَ فَانْزِلْ بِهَا، وَتَفَرَّقُوا فِيمَا حَوْلَهَا، وَأَنْدُبْ مَنْ حَوْلَكَ مِنْهُمْ، وَانْتَحِبْ أَهْلَ النَّجْدَةِ وَالرَّأْيَ وَالْقُوَّةَ وَالْعُدَّةَ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوْقَةَ، عَنْ رَجُلٍ، قَالَ: مَرَّتِ السُّكُونُ مَعَ أَوَّلِ كَنْدَةَ مَعَ حَصِينِ بْنِ نَمِيرِ السُّكُونِيِّ وَمَعَاوِيَةَ بْنِ حَدِيجٍ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ، فَاعْتَرَضَهُمْ، فَإِذَا فِيهِمْ فَتِيَّةٌ دَلِمَ سَبَاطُ

مَعَ مَعَاوِيَةَ بْنِ حَدِيجٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ، ثُمَّ اعْرَضَ، ثُمَّ اعْرَضَ، حَتَّى قِيلَ لَهُ: مَالِكُ وَلِهَؤُلَاءِ! قَالَ: إِنِّي عَنْهُمْ لَمُتَرَدِّدٌ، وَمَا مَرَّ بِي قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ أَكْرَهَ إِلَيَّ مِنْهُمْ ثُمَّ أَمْضَاهُمْ، فَكَانَ بَعْدَ يَكْثَرُ أَنْ يَتَذَكَّرَهُمُ بِالْكَرَاهِيَةِ، وَتَعْجَبُ النَّاسُ مِنْ رَأْيِ عُمَرَ وَكَانَ مِنْهُمْ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ سُودَانُ بْنُ حِمْرَانَ، قَتَلَ عُمَرَ بْنَ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَإِذَا مِنْهُمْ حَلِيفٌ لَهُمْ يَقَالُ لَهُ خَالِدُ بْنُ مَلْجَمٍ، قَتَلَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَإِذَا مِنْهُمْ مَعَاوِيَةُ بْنُ حَدِيجٍ، فَهَضَّ فِي قَوْمٍ مِنْهُمْ يَتَّبِعُ قَتْلَ عُمَرَ يَتْلَهُمْ، وَإِذَا مِنْهُمْ قَوْمٌ يَقْرُونَ قَتْلَ عُمَرَ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، عَنْ مَاهَانَ، وَزِيَادٍ بِإِسْنَادِهِ، قَالُوا: وَأَمَدَّ عُمَرَ سَعْدًا بَعْدَ خُرُوجِهِ بِالْقَبْلِ بِمَآئِيٍّ وَالْقَبْلِ نَجْدِيٍّ مُؤَدٍّ مِنْ غُطَفَانَ وَسَائِرِ قَيْسٍ، فَقَدِمَ سَعْدٌ زُرُودَ فِي أَوَّلِ الشِّتَاءِ، فَتَزَلَّهَا وَتَفَرَّقَتِ الْجُنُودُ فِيمَا حَوْلَهَا مِنْ أَمْوَاهِ بَنِي تَمِيمٍ وَأَسَدٍ، وَانْتَظَرَ اجْتِمَاعَ النَّاسِ، وَأَمَرَ عُمَرَ، وَانْتَحِبَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ وَالرَّبَّابِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ، ثَلَاثَةَ آلَافٍ تَمِيمِيٍّ وَأَلْفَ رَيْيٍّ، وَانْتَحِبَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ ثَلَاثَةَ آلَافٍ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى حَدِّ أَرْضِهِمْ بَيْنَ الْحَزْنِ وَالْبَسِيطَةِ، فَأَقَامُوا هُنَاكَ بَيْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَبَيْنَ الْمُثَنَّى بْنِ حَارِثَةَ، وَكَانَ الْمُثَنَّى فِي ثَمَانِيَةِ آلَافٍ، مِنْ رِبْعَةِ سِتَّةِ آلَافٍ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، وَالْفَانِ مِنْ سَائِرِ رِبْعَةٍ، أَرْبَعَةَ آلَافٍ مِمَّنْ كَانَ انْتَحِبَ

بَعْدَ فُضُولِ خَالِدٍ، وَأَرْبَعَةُ آلَافٍ كَانُوا مَعَهُ مِمَّنْ بَقِيَ يَوْمَ الْجِسْرِ وَكَانَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ الْفَانِ مِنْ بَجِيلَةَ، وَالْفَانِ مِنْ قُضَاعَةَ وَطَيْئٍ مِمَّنْ انْتَجَبُوا إِلَى مَا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ، عَلَى طَيْئِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، وَعَلَى قُضَاعَةَ عَمْرُو بْنُ وَبَرَةَ، وَعَلَى بَجِيلَةَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَبَيْنَا النَّاسُ كَذَلِكَ، سَعْدٌ يَرْجُو أَنْ يَقْدَمَ عَلَيْهِ الْمُثَنَّى، وَالْمُثَنَّى يَرْجُو أَنْ يَقْدَمَ عَلَيْهِ سَعْدٌ، مَاتَ الْمُثَنَّى مِنْ جِرَاحَتِهِ الَّتِي كَانَ جَرَحَهَا يَوْمَ الْجِسْرِ، انْتَقَضَتْ بِهِ، فَاسْتَخْلَفَ الْمُثَنَّى عَلَى النَّاسِ بِشِيرِ بْنِ الْخِصَاصِيَّةِ، وَسَعْدٌ يَوْمَئِذٍ بَزْرُودٌ، وَمَعَ بِشِيرٍ يَوْمَئِذٍ وَجْهُ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَمَعَ سَعْدٌ وَفُودُ أَهْلِ الْعِرَاقِ الَّذِينَ كَانُوا قَدَمُوا عَلَى عَمْرٍ، مِنْهُمْ فَرَاتُ بْنُ حِيَانَ الْعَجَلِيُّ وَعَتِيبَةُ، فَرَدَّهُمْ مَعَ سَعْدٍ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ بِإِسْنَادِهِ، وَزِيَادٌ عَنْ مَاهَانَ، قَالَا: فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي عَدَدِ أَهْلِ الْقَادِسِيَّةِ، فَمِنْ قَالَ: أَرْبَعَةُ آلَافٍ فَلَمَخَرَجَهُمْ مَعَ سَعْدٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَمِنْ قَالَ: ثَمَانِيَةُ آلَافٍ فَلَاجْتِمَاعَهُمْ بَزْرُودٌ، وَمِنْ قَالَ: تِسْعَةُ آلَافٍ فَلِلْحَاقِ الْقَيْسِيِّينَ، وَمِنْ قَالَ: اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا فَلَدَفُوفُ بَنِي أَسَدٍ مِنْ فُرُوعِ الْحَزْنِ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ.

وَأَمْرٌ سَعْدًا بِالْإِقْدَامِ، فَأَقْدَمَ وَنَهَضَ إِلَى الْعِرَاقِ وَجَمْعُ النَّاسِ بِشَرَافٍ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ مَعَ قَدُومِهِ شَرَافُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ فِي الْفِ وَسَبْعُمِائَةٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَجَمِيعٌ مِنْ شَهِدِ الْقَادِسِيَّةَ بِضَعَةِ ثَلَاثُونَ أَلْفًا، وَجَمِيعٌ مِنْ قَسَمَ عَلَيْهِ فِي الْقَادِسِيَّةِ نَحْوَ مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا. كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ زِيَادٍ، عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يَنْزِعُونَ إِلَى الشَّامِ، وَكَانَتْ مُضَرٌّ تَنْزِعُ إِلَى الْعِرَاقِ، فَقَالَ عَمْرٌ: أَرْحَامُكُمْ أَرْبَحُ مِنْ أَرْحَامِنَا! مَا بَالُ مُضَرٍّ لَا تَذْكُرُ أَسْلَافَهَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ! كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي سَعْدِ بْنِ الْمَرْزَبَانِ، عَنْ حَدَّثِهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قَالَ: لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ أَجْرًا عَلَى فَارِسٍ مِنْ رِبْعَةٍ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسْمُونَهُمْ رِبْعَةَ الْأَسَدِ إِلَى رِبْعَةِ الْفَرَسِ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا تَسْمِي فَارِسَ الْأَسَدِ، وَالرُّومَ الْأَسَدَ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ طَلْحَةَ، عَنْ مَاهَانَ، قَالَ: قَالَ عَمْرٌ: وَاللَّهِ لَا أَضْرِبَنَّ مُلُوكَ الْعُجَمِ بِمُلُوكِ الْعَرَبِ، فَلَمْ يَدْعُ رَيْسًا، وَلَا ذَا رَأْيٍ، وَلَا ذَا شَرَفٍ، وَلَا ذَا سَطَةِ، وَلَا خَطِيبًا، وَلَا شَاعِرًا، إِلَّا رَمَاهُمْ بِهِ، فَرَمَاهُمْ بِوَجْهِهِ النَّاسِ وَغَرَّرَهُمْ. كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: كَانَ عَمْرٌ قَدْ كَتَبَ إِلَى سَعْدٍ مُرْتَحِلُهُ مِنْ زُرُودٍ، أَنْ ابْعَثْ إِلَى فَرَجِ الْهَنْدِ

رَجُلًا تَرْضَاهُ يَكُونُ حِجَالِيهِ، وَيَكُونُ رِدْءًا لَكَ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَتَاكَ مِنْ تِلْكَ التُّخُومِ، فَبَعَثَ الْمَغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ فِي خَمْسِمِائَةٍ، فَكَانَ حِجَالِي الْأُبَلَّةِ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ، فَأَتَى غُضِيًّا، وَنَزَلَ عَلَى جَرِيرٍ، وَهُوَ فِيهَا هُنَاكَ يَوْمَئِذٍ فَلَمَّا نَزَلَ سَعْدٌ بِشَرَافٍ، كَتَبَ إِلَى عَمْرٍ بِمَنْزِلِهِ وَبِمَنْزِلِ النَّاسِ فِيمَا بَيْنَ غُضِيٍّ إِلَى الْجَبَابَةِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرٌ: إِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَعَشِّرِ النَّاسَ وَعَرِّفْ عَلَيْهِمْ، وَأَمِّرْ عَلَى أَجْنَادِهِمْ، وَعَبِّهِمْ، وَمُرْ رُؤُسَاءَ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَشْهَدُوا، وَقَدِّرْهُمْ وَهُمْ شُهُودٌ، ثُمَّ وَجِّهِهُمْ إِلَى أَصْحَابِهِمْ، وَوَاعِدْهُمْ الْقَادِسِيَّةَ، وَاضْمُمْ إِلَيْكَ الْمَغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ فِي خَيْلِهِ، وَاسْكُتْ إِلَى الْبَلَدِ يَسْتَقِرُّ عَلَيْهِ أَمْرُهُمْ فَبَعَثَ سَعْدٌ إِلَى الْمَغِيرَةِ، فَانْضَمَّ إِلَيْهِ وَإِلَى رُؤُسَاءِ الْقَبَائِلِ، فَأَتَوْهُ، فَقَدَّرَ النَّاسَ وَعَبَّاهُمْ بِشَرَافٍ، وَأَمَرَ أَمْرَاءَ الْأَجْنَادِ، وَعَرَّفَ الْعُرَفَاءَ، فَعَرَّفَ عَلَى كُلِّ عَشْرَةِ رَجُلًا، كَمَا كَانَتِ الْعَرَافَاتُ أَزْمَانَ النَّبِيِّ ص، وَكَذَلِكَ كَانَتْ إِلَى أَنْ فُرِضَ الْعَطَاءُ، وَأَمَرَ عَلَى الرَّيَّاتِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ السَّابِقَةِ، وَعَشَّرَ النَّاسَ، وَأَمَرَ عَلَى الْأَعْشَارِ رَجُلًا مِنَ النَّاسِ لَهُمْ وَسَائِلُ فِي الْإِسْلَامِ، وَوَلَّى الْحُرُوبَ رَجُلًا، فَوَلَّى عَلَى مُقَدِّمَاتِهَا وَمُجَنَّبَاتِهَا وَسَاقَتِهَا وَمُجَرِّدَاتِهَا وَطَلَائِعِهَا وَرَجُلًا وَرِكَابَهَا، فَلَمْ يَفْصَلْ إِلَّا عَلَى تَعْبَةِ، وَلَمْ يَفْصَلْ مِنْهَا إِلَّا بِكُتَابِ عَمْرٍ وَإِذْنِهِ، فَمَا أَمْرَاءُ التَّعْبَةِ، فَاسْتَعْمَلَ زَهْرَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَتَادَةَ بْنِ الْحَوِيَّةِ بْنِ مَرْثَدٍ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ مَعْنٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَرْثَمَ بْنِ جُشَمِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَعْرَجِ، وَكَانَ مَلِكٌ هَجَرَ قَدْ سَوَّدَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَوَفَّدهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدَّمَهُ، فَفَصَلَ بِالْمُقَدِّمَاتِ بَعْدَ الْإِذْنِ

مِنْ شَرَفٍ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْعُذَيْبِ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَيْمَنَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَمِ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ص، وَكَانَ أَحَدَ التَّسْعَةِ الَّذِينَ قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَمَمَهُمْ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ عَشْرَةً، فَكَانُوا عِرَافَةً، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَيْسَرَةِ شُرَحْبِيلُ بْنُ السَّمْطِ بْنِ شُرَحْبِيلِ الْكَنْدِيِّ - وَكَانَ غُلَامًا شَابًّا، وَكَانَ قَاتِلَ أَهْلِ الرِّدَّةِ، وَوَفَّى اللَّهُ، فَعَرَفَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَانَ قَدْ غَلَبَ الْأَشْعَثُ عَلَى الشَّرَفِ فِيمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ، إِلَى أَنْ اخْتَطَّتِ الْكُوفَةُ

وَكَانَ أَبُوهُ مِمَّنْ تَقَدَّمَ إِلَى الشَّامِ مَعَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ - وَجَعَلَ خَلِيفَتَهُ خَالِدُ بْنُ عَرْفُطَةَ، وَجَعَلَ عَاصِمَ بْنَ عَمْرٍو التَّمِيمِيَّ ثُمَّ الْعُمَرَى عَلَى السَّاقَةِ، وَسُودَ ابْنُ مَالِكِ التَّمِيمِيَّ عَلَى الطَّلَائِعِ، وَسَلْمَانَ بْنَ رِبْعَةَ الْبَاهِلِيَّ عَلَى الْمَجْرَدَةِ، وَعَلَى الرَّجُلِ حَمَّالُ بْنُ مَالِكِ الْأَسَدِيِّ، وَعَلَى الرَّجُلَانِ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ ذِي السَّهْمَيْنِ الْخُثْعَمِيَّ، فَكَانَ أَمْرَاءُ التَّبَعَةِ يُلُونُ الْأُمِيرَ، وَالَّذِينَ يُلُونُ أَمْرَاءَ الْأَعْشَارِ، وَالَّذِينَ يُلُونُ أَمْرَاءَ الْأَعْشَارِ أَصْحَابُ الرَّيَّاتِ، وَالَّذِينَ يُلُونُ أَصْحَابَ الرَّيَّاتِ وَالْقَوَادِ رُؤُوسُ الْقَبَائِلِ، وَقَالُوا جَمِيعًا: لَا يَسْتَعِينُ أَبُو بَكْرٍ فِي الرِّدَّةِ وَلَا عَلَى الْأَعَاجِمِ بِمُرْتَدٍّ، وَاسْتَنْفَرَهُمْ عُمَرُ وَلَمْ يُولَّ مِنْهُمْ أَحَدًا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُجَالِدٍ وَعَمْرٍو بِإِسْنَادِهِمَا، وَسَعِيدُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ، قَالُوا: بَعَثَ عُمَرُ الْأَطِبَّةَ، وَجَعَلَ عَلَى قَضَاءِ النَّاسِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ رِبْعَةَ الْبَاهِلِيَّ ذَا النُّورِ، وَجَعَلَ إِلَيْهِ الْأَقْبَاضَ وَقِسْمَةَ الْقِيَّ، وَجَعَلَ دَاعِيَتَهُمُ وَرَائِدَهُمْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ. كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، قَالَ: وَالتَّرْجُمَانُ هِلَالُ الْهَجَرِيِّ وَالْكَاتِبُ زِيَادُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ.

فَلَمَّا فَرَغَ سَعْدٌ مِنْ تَعْيِيتهِ، وَعَدَ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ جَمَاعًا وَرَأْسًا، كَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى عُمَرَ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِ سَعْدٍ فِيمَا بَيْنَ كِتَابِهِ إِلَى عُمَرَ بِالَّذِي جَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسَ وَبَيْنَ رُجُوعِ جَوَابِهِ وَرَحْلِهِ مِنْ شَرَفٍ إِلَى الْقَادِسِيَّةِ قَدُومِ الْمُثَنَّى بْنِ حَارِثَةَ وَسَلَمَى بِنْتِ خَصْفَةَ التَّمِيمِيَّةِ، تِمُّ اللَّاتِ، إِلَى سَعْدٍ بِوَصِيَّةِ الْمُثَنَّى، وَكَانَ قَدْ أَوْصَى بِهَا، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَعْمَلُوهَا عَلَى سَعْدٍ بِزُرُودٍ، فَلَمْ يَفْرُغُوا لِذَلِكَ وَشَغَلَهُمْ عَنْهُ قَابُوسُ بْنُ قَابُوسَ بْنِ الْمُنْذَرِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَزَادِمَرْدَ بْنَ الْأَزَادِيَّةِ بَعَثَهُ إِلَى الْقَادِسِيَّةِ، وَقَالَ لَهُ: ادْعُ الْعَرَبَ، فَأَنْتَ عَلَى مَنْ أَجَابَكَ، وَكُنْ كَمَا كَانَ أَبَاؤُكَ فَتَزَلِ الْقَادِسِيَّةَ، وَكَاتَبَ بِكَرْبَنَ

وَأَيْلٍ بِمِثْلِ مَا كَانَ النُّعْمَانُ يُكَاتِبُهُمْ بِهِ مُقَارَبَةً وَوَعِيدًا فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْمَعْنَى خَبَرَهُ، أَسْرَى الْمَعْنَى مِنْ ذِي قَارٍ حَتَّى بَيْتِهِ، فَأَنَامَهُ وَمَنْ مَعَهُ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى ذِي قَارٍ، وَخَرَجَ مِنْهَا هُوَ وَسَلَمَى إِلَى سَعْدٍ بِوَصِيَّةِ الْمُثَنَّى بْنِ حَارِثَةَ وَرَأْيِهِ، فَقَدِمُوا عَلَيْهِ وَهُوَ بِشَرَفٍ، يَذْكُرُ فِيهَا أَنَّ رَأْيَهُ لِسَعْدٍ أَلَّا يُقَاتَلَ عَدُوهُ وَعَدُوهُمْ - يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ - مِنْ أَهْلِ فَارَسَ، إِذَا اسْتَجْمَعَ أَمْرُهُمْ وَمَلُؤُهُمْ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتِلَهُمْ عَلَى حُدُودِ أَرْضِهِمْ عَلَى أَدْنَى جَبَرٍ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ وَأَدْنَى مَدْرَةٍ مِنْ أَرْضِ الْعَجَمِ، فَإِنْ يُظْهِرُ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ فَلَهُمْ مَا وَرَاءَهُمْ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَأُوتُوا إِلَى فِتَّةٍ، ثُمَّ يَكُونُوا أَعْلَمَ بِسَبِيلِهِمْ، وَأَجْرًا عَلَى أَرْضِهِمْ، إِلَى أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ.

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى سَعْدٍ رَأَى الْمُثَنَّى وَوَصِيَّتَهُ تَرَحَّمُ عَلَيْهِ، وَأَمَرَ الْمَعْنَى عَلَى عَمَلِهِ، وَأَوْصَى بِأَهْلِ بَيْتِهِ خَيْرًا، وَخَطَبَ سَلَمَى فَتَزَوَّجَهَا وَبَنَى بِهَا، وَكَانَ فِي الْأَعْشَارِ كُلِّهَا بَضْعُهُ وَسَبْعُونَ بَدْرِيًا، وَثَلَاثُمِائَةٍ وَبِضْعَةُ عَشْرٍ مِمَّنْ كَانَتْ لَهُ حُجْبَةٌ، فِيمَا بَيْنَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ إِلَى مَا فَوْقَ ذَلِكَ، وَثَلَاثُمِائَةٍ مِمَّنْ شَهِدَ الْفَتْحَ، وَسَبْعُمِائَةٍ مِنْ أُنْبَاءِ الصَّحَابَةِ، فِي جَمِيعِ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ وَقَدِمَ عَلَى سَعْدٍ وَهُوَ بِشَرَفٍ كِتَابُ عُمَرَ بِمِثْلِ رَأْيِ الْمُثَنَّى، وَقَدْ كَتَبَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ مَعَ كِتَابِ سَعْدٍ، فَفَصَلَ كِتَابَهُمَا إِلَيْهَا، فَأَمَرَ أَبَا عُبَيْدَةَ فِي كِتَابِهِ بِصَرْفِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَهُمْ سِتَّةَ آلَافٍ، وَمَنْ اشْتَبَى أَنْ يَلْحَقَ بِهِمْ، وَكَانَ كِتَابُهُ إِلَى سَعْدٍ:

أَمَّا بَعْدُ، فَبَرِّ مِنْ شَرَفٍ نَحْوَ فَارَسَ بِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، وَاسْتَعِنْ بِهِ عَلَى أَمْرِكَ كُلِّهِ، وَاعْلَمْ فِيمَا لَدَيْكَ أَنَّكَ تَقْدَمُ

عَلَى أُمَّةٍ عَدَدُهُمْ كَثِيرٌ، وَعَدَّتُهُمْ فَاضِلَةٌ، وَبِأَسْهُمٍ شَدِيدٍ، وَعَلَى بَلَدٍ مَنِيحٍ - وَإِنْ كَانَ سَهْلًا - كَوُودٍ لِبُحُورِهِ وَفِيُوضِهِ وَدَادِيهِ، إِلَّا أَنْ تَوَافَقُوا غِيضًا مِنْ فَيْضٍ.

وَإِذَا لَقِيتُمُ الْقَوْمَ أَوْ أَحَدًا مِنْهُمْ فَابْدُؤُوهُمْ الشَّدَّ وَالضَّرْبَ، وَإِيَّاكُمْ وَالْمَنَاظَرَةَ لِجُمُوعِهِمْ وَلَا يَخْدَعَنَّكُمْ، فَإِنَّهُمْ خُدَعَةُ مَكْرَةٍ، أَمْرُهُمْ غَيْرُ أَمْرِكُمْ، إِلَّا

أَنْ تَجَادُوهُمْ، وَإِذَا انْتَهَيْتَ إِلَى الْقَادِسِيَّةِ - وَالْقَادِسِيَّةُ بَابُ فَارَسَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَهِيَ أَجْمَعُ تِلْكَ الْأَبْوَابِ لِمَادَّتِهِمْ، وَلَمَّا يُرِيدُونَهُ مِنْ تِلْكَ الْأَصْلِ، وَهُوَ مَنْزِلُ رَغِيبٍ خَصِيبٍ حَصِينٍ دُونَهُ قَنَاطِرٌ، وَأَنْهَارٌ مُتَنَتَّةٌ - فَتَكُونُ مَسَالِحُكَ عَلَى أَنْقَابِهَا، وَيَكُونُ النَّاسُ بَيْنَ الْحَجَرِ وَالْمَدَرِ عَلَى حَافَاتِ الْحَجَرِ وَحَافَاتِ الْمَدَرِ، وَالْجِرَاعُ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ الزَّمْ مَكَانَكَ فَلَا تَبْرَحْهُ، فَإِنَّهُمْ إِذَا احْسُوكَ انْغَضَتْهُمْ وَرَمَوْكَ بِجَمْعِهِمُ الَّذِي يَأْتِي عَلَى خِيَلِهِمْ وَرِجْلِهِمْ وَحَدِّهِمْ وَجَدِّهِمْ، فَإِنْ أَنْتُمْ صَبَرْتُمْ لِعَدُوِّكُمْ وَاحْتَسَبْتُمْ لِقِتَالِهِ وَنَوَيْتُمْ الْأَمَانَةَ، رَجَوْتُ أَنْ تُصَرُّوا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ لَا يَجْتَمِعُ لَكُمْ مِثْلُهُمْ أَبَدًا إِلَّا أَنْ يَجْتَمِعُوا، وَلَيْسَتْ مَعَهُمْ قُلُوبُهُمْ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى كَانَ الْحَجَرُ فِي أَدْبَارِكُمْ، فَانْصَرَفْتُمْ مِنْ أَدْنَى مَدْرَةٍ مِنْ أَرْضِهِمْ إِلَى أَدْنَى حَجَرٍ مِنْ أَرْضِكُمْ، ثُمَّ كُنْتُمْ عَلَيْهَا أَجْرًا وَبِهَا أَعْلَمُ، وَكَانُوا عَنْهَا أَجَبَنَ وَبِهَا أَجْهَلُ، حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِالْفَتْحِ عَلَيْهِمْ، وَيُرْدُّ لَكُمْ الْكُرَّةَ. وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَيْضًا بِالْيَوْمِ الَّذِي يَرْتَحِلُ فِيهِ مِنْ شَرَفٍ: فَإِذَا كَانَ يَوْمٌ كَذَا وَكَذَا فَارْتَحِلْ بِالنَّاسِ حَتَّى تَنْزِلَ فِيمَا بَيْنَ عُذَيْبِ الْمَجَانَاتِ وَعُذَيْبِ الْقَوَادِسِ، وَشَرِّقْ بِالنَّاسِ وَغَرِّبْ بِهِمْ.

ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ كِتَابُ جَوَابِ عُمَرَ: أَمَّا بَعْدُ، فَعُتَاهِدْ قَلْبَكَ، وَحَادِثْ جُنْدَكَ بِالْمَوْعِظَةِ وَالنِّبَةِ وَالْحِسْبَةِ، وَمَنْ غَفَلَ فَلْيَحْدِثْهُمَا، وَالصَّبْرَ الصَّبْرَ، فَإِنَّ الْمَعُونَةَ تَأْتِي مِنَ اللَّهِ عَلَى قَدَرِ النِّبَةِ، وَالْأَجْرُ عَلَى قَدَرِ الْحِسْبَةِ وَالْحَذَرُ الْحَذَرُ عَلَى مَنْ أَنْتَ عَلَيْهِ وَمَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، وَأَكْثَرُوا مِنْ قَوْلٍ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَاسْكُتْ إِلَى أَيْنَ بَلَغَكَ جَمْعُهُمْ، وَمَنْ رَأْسُهُمُ الَّذِي يَلِي مُصَادِمَتَكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ مَنَعَنِي مِنْ بَعْضِ مَا أَرَدْتَ الْكِتَابَ بِهِ قِلَّةً عَلَيَّ بِمَا هَجَمْتُمْ عَلَيَّ، وَالَّذِي اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ أَمْرُ عَدُوِّكُمْ، فَصِفْ لَنَا مَنَازِلَ الْمُسْلِمِينَ، وَالْبَلَدَ الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمَدَائِنِ صِفَةً كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَمْرِكُمْ عَلَى الْجَلِيلَةِ، وَخَفِ اللَّهَ وَارْجُهُ، وَلَا تُدَلِّ بِشَيْءٍ وَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَكُمْ وَتَوَكَّلْ لِهَذَا الْأَمْرِ بِمَا لَا خُلْفَ لَهُ، فَاحْذَرِ أَنْ تُصَرِّفَهُ عَنْكَ، وَيُسْتَبَدَّلَ بِكُمْ غَيْرُكُمْ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَعْدٌ بِصِفَةِ الْبُلْدَانِ: إِنَّ الْقَادِسِيَّةَ بَيْنَ الْخَنْدَقِ وَالْعَتِيقِ، وَإِنْ مَا عَنْ يَسَارِ الْقَادِسِيَّةِ بَحْرٌ أَخْضَرُ فِي جَوْفٍ لَاحٍ إِلَى الْحِيرَةِ بَيْنَ طَرِيقَيْنِ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَعَلَى الظَّهْرِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَعَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ يُدْعَى الْحَضُوضُ، يُطْلَعُ بِمَنْ سَلَكَهُ عَلَى مَا بَيْنَ الْخَوَرْتِ وَالْحِيرَةِ، وَمَا عَنْ يَمِينِ الْقَادِسِيَّةِ إِلَى الْوَلْجَةِ فَيْضٌ مِنْ فَيُوضِ مِيَاهِهِمْ وَإِنْ جَمِيعٌ مِنْ صَالِحِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ قَبْلِي أَلْبَ لِأَهْلِ فَارَسَ قَدْ خَفُوا لَهُمْ، وَاسْتَعَدُّوا لَنَا وَإِنَّ الَّذِي أَعَدُّوا لِمُصَادِمَتِنَا رُسَمٌ فِي أَمْثَالٍ لَهُ مِنْهُمْ، فَهُمْ يُحَاوِلُونَ إِنْغَاضَنَا وَإِحْطَامَنَا، وَنَحْنُ نَحَاوِلُ إِنْغَاضَهُمْ وَإِبْرَازَهُمْ، وَأَمْرُ اللَّهِ بَعْدَ مَاضٍ، وَقَضَاؤُهُ مُسَلَّمٌ إِلَى مَا قَدَّرْنَا لَنَا وَعَلَيْنَا، فَسَأَلُ اللَّهَ خَيْرَ الْقَضَاءِ، وَخَيْرَ الْقَدَرِ فِي عَافِيَةٍ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: قَدْ جَاءَنِي كِتَابُكَ وَفَهِمْتُهُ، فَأَقِمْ بِمَكَانِكَ حَتَّى يَنْغُضَ اللَّهُ لَكَ عَدُوَّكَ، وَعَلِمْتُ أَنَّ لَهَا مَا بَعْدَهَا، فَإِنْ مَنَحَكَ اللَّهُ أَذْبَارَهُمْ فَلَا تَنْزِعْ عَنْهُمْ حَتَّى تَقْتَحِمَ عَلَيْهِمُ الْمَدَائِنَ، فَإِنَّهُ خَرَابُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَجَعَلَ عُمَرُ يُدْعُو لِسَعْدٍ خَاصَّةً، وَيَدْعُونَ لَهُ مَعَهُ، وَلِلْمُسْلِمِينَ عَامَةً، فَقَدِمَ زَهْرَةُ سَعْدٍ حَتَّى عَسَكَرَ بِعُذَيْبِ الْمَجَانَاتِ، ثُمَّ خَرَجَ فِي أَثَرِهِ حَتَّى يَنْزِلَ عَلَى زَهْرَةَ بِعُذَيْبِ الْمَجَانَاتِ، وَقَدَّمَهُ، فَزَلَّ زَهْرَةُ الْقَادِسِيَّةَ بَيْنَ الْعَتِيقِ وَالْخَنْدَقِ بِحِيَالِ الْقَنْطَرَةِ، وَقَدِيسُ يَوْمٍ أَسْفَلَ مِنْهَا بِمِيلٍ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْقَعْقَاعِ بِإِسْنَادِهِ، قَالَ: وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى سَعْدٍ: إِنِّي قَدْ أُلْقِيْتُ فِي رَوْعِي أَنَّكُمْ إِذَا لَقِيتُمُ الْعَدُوَّ هَزَمْتُمُوهُمْ، فَاطْرَحُوا الشَّكَّ، وَاثَرُوا التَّقِيَّةَ عَلَيْهِ، فَإِنْ لَاعَبَ أَحَدٌ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنَ الْعُجَمِ بِأَمَانٍ أَوْ قَرَفَهُ بِأَشَارِهِ أَوْ بِلِسَانٍ، فَكَانَ

لَا يَدْرِي الْأَعْجَمِيُّ مَا كَلَّمَهُ بِهِ، وَكَانَ عِنْدَهُمْ أَمَانًا فَأَجْرُوا ذَلِكَ لَهُ مَجْرَى الْأَمَانِ، وَإِيَّاكُمْ وَالضَّحِكَ وَالْوَفَاءَ وَالْوَفَاءَ! فَإِنَّ الْخَطَأَ بِالْوَفَاءِ بَقِيَّةٌ وَإِنْ انْخَطَأَ بِالْغَدْرِ الْمَلَكَةُ، وَفِيهَا وَهْنٌ وَقُوَّةٌ عُدْوَكُمْ، وَذَهَابُ رِيحِكُمْ، وَإِقْبَالُ رِيحِهِمْ وَأَعْلَمُوا أَنِّي أُحَدِّثُكُمْ أَنْ تَكُونُوا شَيْنًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَسَبَبًا لِتَوَهِينِهِمْ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ الْعُكْلِيِّ وَالْمُقَدَّامِ بْنِ أَبِي الْمُقَدَّامِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ كَرْبِ بْنِ أَبِي كَرْبٍ الْعُكْلِيِّ - وَكَانَ فِي الْمَقْدَمَاتِ أَيَّامَ الْقَادِسِيَّةِ - قَالَ: قَدِمْنَا سَعْدَ بْنَ شَرَفٍ، فَزَلْنَا بِعَذِيبِ الْمَهْجَانَاتِ ثُمَّ ارْتَحَلْ، فَلَمَّا نَزَلَ عَلَيْنَا بِعَذِيبِ الْمَهْجَانَاتِ وَذَلِكَ فِي وَجْهِ الصَّبْحِ خَرَجَ زَهْرَةُ بْنُ الْحَوِيَّةِ فِي الْمَقْدَمَاتِ، فَلَمَّا رَفَعَ لَنَا الْعَذِيبَ - وَكَانَ مِنْ مَسَاحِلِهِمْ - اسْتَبْنَا عَلَى بَرُوجِهِ نَاسًا، فَمَا نَشَاءُ أَنْ نَرَى عَلَى بَرَجٍ مِنْ بَرُوجِهِ رَجُلًا أَوْ بَيْنَ شَرَفَتَيْنِ إِلَّا رَأَيْنَاهُ، وَكَانَ فِي سُرْعَانِ الْخَيْلِ، فَأَمْسَكْنَا حَتَّى تَلَّاحَقَ بِنَا كَثُفٌ وَنَحْنُ نَرَى أَنْ فِيهَا خَيْلًا، ثُمَّ أَقْدَمْنَا عَلَى الْعَذِيبِ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهُ، خَرَجَ رَجُلٌ يَرْكُضُ نَحْوَ الْقَادِسِيَّةِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِ، فَدَخَلْنَاهُ فَإِذَا لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ، وَإِذَا ذَلِكَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي كَانَ يَتَرَاءَى لَنَا عَلَى الْبُرُوجِ وَهُوَ بَيْنَ الشَّرَفِ مَكِيدَةً، ثُمَّ انْطَلَقَ بِخَبْرِنَا، فَطَلَبْنَاهُ فَأَعْجَزْنَا، وَسَمِعَ بِذَلِكَ زَهْرَةُ فَاتَّبَعْنَا، فَلَحِقَ بِنَا وَخَلَفْنَا وَاتَّبَعَهُ وَقَالَ: إِنْ أَفَلَتَ الرَّبِيءُ أَتَاهُمْ الْخَبْرُ فَلَحِقَهُ بِالْخَنْدَقِ فَطَعَنَهُ فَجَدَلَهُ فِيهِ، وَكَانَ أَهْلُ الْقَادِسِيَّةِ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ شَجَاعَةِ ذَلِكَ الرَّجُلِ، وَمَنْ عِلْمُهُ بِالْحَرْبِ، لَمْ يَرِ عَيْنَ قَوْمٍ قَطُّ أَثْبَتَ وَلَا أَرْبَطَ جَاشَأً مِنْ ذَلِكَ الْفَارِسِيِّ، لَوْلَا بَعْدُ غَايَتُهُ لَمْ يَلْحَقْ بِهِ، وَلَمْ يَصْبِهِ زَهْرَةُ، وَوَجَدَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْعَذِيبِ رَمَاحًا وَنَشَابًا وَأَسْفَاطًا مِنْ جُلُودٍ وَغَيْرِهَا، انْتَفَعَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ ثُمَّ بَثَّ الْغَارَاتِ، وَسَرَحَهُمْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَمَرَهُمْ بِالْغَارَةِ عَلَى الْحَيْرَةِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ بِكَبِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ - وَكَانَ فِيهَا الشَّمَاخُ الشَّاعِرُ الْقَيْسِيُّ فِي ثَلَاثِينَ مَعْرُوفِينَ بِالنَّجْدَةِ وَالْبَاسِ - فَسَرَوْا حَتَّى جَاوَزُوا السَّيْلِحِينَ، وَقَطَعُوا جَسْرَهَا يَرِيدُونَ الْحَيْرَةَ، فَسَمِعُوا جَلْبَةً وَأَرْفَلَةً، فَأَجْمَعُوا عَنِ الْإِقْدَامِ، وَأَقَامُوا كَمِينًا حَتَّى يَتَبَيَّنُوا، فَمَا زَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى جَاوَزُوا بِهِمْ، فَإِذَا خِيُولٌ تَقْدُمُ تِلْكَ الْغَوَاةِ، فَتَرَكُوها فَفَذَّتِ الطَّرِيقَ إِلَى الصَّنِينِ، وَإِذَا هُمْ

لَمْ يَشْعُرُوا بِهِمْ، وَإِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ ذَلِكَ الْعَيْنَ لَا يَرِيدُونَهُمْ، وَلَا يَأْبَهُونَ لَهُمْ، إِنَّمَا هَمَّتْهُمُ الصَّنِينِ، وَإِذَا اخْتَارَ مَرْدُ بْنُ أَرَاذِبَةَ مَرْزَبَانَ الْحَيْرَةَ تَزَفَ إِلَى صَاحِبِ الصَّنِينِ - وَكَانَ مِنْ أَشْرَافِ الْعَجَمِ - فَسَارَ مَعَهَا مِنْ يَبْلُغُهَا مَخَافَةً مَا هُوَ دُونَ الَّذِي لَقُوا، فَلَمَّا انْقَطَعَتْ الْخَيْلُ عَنِ الزَّوَارِفِ، وَالْمُسْلِمُونَ كَمِينَ فِي النَّخْلِ، وَجَاوَزَتْ بِهِمُ الْأَثْقَالُ، حَمَلَ بِكَبِيرٌ عَلَى شِيرَزَادِ بْنِ أَرَاذِبَةَ، وَهُوَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْخَيْلِ، فَقَصَمَ صُلْبَهُ، وَطَارَتْ الْخَيْلُ عَلَى وَجُوهِهَا، وَأَخَذُوا الْأَثْقَالَ وَابْنَةَ أَرَاذِبَةَ فِي ثَلَاثِينَ امْرَأَةً مِنَ الدَّهَاقِينَ وَمَائَةً مِنَ التَّوَابِعِ، وَمَعَهُمْ مَا لَا يَدْرِي قِيمَتَهُ، ثُمَّ عَاجَ وَاسْتَأَقَ ذَلِكَ، فَصَبَحَ سَعْدًا بِعَذِيبِ الْمَهْجَانَاتِ بِمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَكَبَرُوا تَكْبِيرَةً شَدِيدَةً فَقَالَ سَعْدٌ: أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَقَدْ كَبَرْتُمْ تَكْبِيرَةً قَوْمٌ عَرَفَتْ فِيهِمُ الْعِزَّ، فَقَسَمَ ذَلِكَ سَعْدٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَانْخَمَسَ نَفْلُهُ، وَأَعْطَى الْمَجَاهِدِينَ بَقِيَّتَهُ، فَوَقَعَ مِنْهُمْ مَوْقَعًا، وَوَضَعَ سَعْدٌ بِالْعَذِيبِ خَيْلًا تَحُوطُ الْحَرِيمَ، وَانْضَمَّ إِلَيْهَا حَاطَةٌ كُلُّ حَرِيمٍ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيُّ، وَنَزَلَ سَعْدُ الْقَادِسِيَّةَ، فَتَزَلَّ بِقَدِيسَ، وَنَزَلَ زَهْرَةُ بِحِيَالِ قَنْطَرَةِ الْعَتِيقِ فِي مَوْضِعِ الْقَادِسِيَّةِ الْيَوْمَ، وَبَعَثَ بِخَبْرٍ سَرِيَّةً بِكَبِيرٍ، وَبَنَزَلَهُ قَدِيسًا، فَأَقَامَ بِهَا شَهْرًا، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ: لَمْ يُوَجِّهْ الْقَوْمَ إِلَيْنَا أَحَدًا، وَلَمْ يَسْنَدُوا حَرْبًا إِلَى أَحَدٍ عَلِمْنَاهُ، وَمَتَى مَا يَبْلُغُنَا ذَلِكَ نَكْتُبُ بِهِ، وَاسْتَنْصَرَ اللَّهُ، فَإِنَّا بِمَنْحَةِ دُنْيَا عَرِيضَةٍ، دُونَهَا بَأْسٌ شَدِيدٌ، قَدْ تَقَدَّمَ إِلَيْنَا فِي الدَّعَاءِ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أَوَّلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ» .

وَبَعَثَ سَعْدٌ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى أَسْفَلِ الْفَرَاتِ عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو فَسَارَ حَتَّى أَتَى مَيْسَانَ، فَطَلَبَ غَنَمًا أَوْ بَقَرًا فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهَا، وَتَحَصَّنَ مِنْهُ مِنْ فِي الْأَفْدَانِ، وَوَوَّغَلُوا فِي الْآجَامِ، وَوَوَّغَلُ حَتَّى أَصَابَ رَجُلًا عَلَى طِفِّ أُجْمَةٍ، فَسَأَلَهُ وَاسْتَدْلَاهُ عَلَى الْبَقْرِ وَالْغَنَمِ، فَخَلَفَ لَهُ وَقَالَ: لَا أَعْلَمُ، وَإِذَا هُوَ رَاعِي مَا فِي تِلْكَ الْأُجْمَةِ، فَصَاحَ مِنْهَا ثَوْرٌ كَذَبَ وَاللَّهِ وَهِيَ نَحْنُ أَوْلَاءُ، فَدَخَلَ فَاسْتَأَقَ الثَّيْرَانَ وَأَتَى بِهَا الْعَسْكَرَ، فَقَسَمَ ذَلِكَ سَعْدٌ عَلَى النَّاسِ فَأَخْصَبُوا أَيَّامًا، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْحِجَابُ فِي زَمَانِهِ، فَأَرْسَلَ إِلَى نَفَرٍ مِنْ شُهَدَائِهِمْ أَحَدُهُمْ نَذِيرُ بْنُ عَمْرٍو وَالْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ وَزَاهِرٍ،

فَسَأَلَهُمْ فَقَالُوا: نَعَمْ، نَحْنُ سَمِعْنَا ذَلِكَ، وَرَأَيْنَاهُ وَاسْتَقْنَاهَا، فَقَالَ: كَذَبْتُمْ! فَقَالُوا:

كَذَلِكَ، إِنْ كُنْتَ شَهِدْتَهَا وَغَبْنَاهَا، فَقَالَ: صَدَقْتُمْ، فَمَا كَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ فِي ذَلِكَ؟ قَالُوا: آيَةٌ تَبَشِيرٌ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى رِضَا اللَّهِ، وَفَتْحِ عَدُونَا، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا يَكُونُ هَذَا إِلَّا وَالْجَمْعُ أَبْرَارٌ أَتَقِيَاءُ، قَالُوا: وَاللَّهِ مَا نَدْرِي مَا أَجْنَتْ قُلُوبُهُمْ، فَأَمَّا مَا رَأَيْنَا فَإِنَّا لَمْ نَرِ قَوْمًا قَطُّ أَزْهَدَ

في دنيا منهم، ولا أشد لها بغضا، ما اعتد على رجل منهم في ذلك اليوم بواحدة من ثلاث، لا بجبن ولا بغدر ولا بغلول، وكان هذا اليوم يوم الأباقر، وبث الغارات بين كسكر والأنبار، فحوا من الأطمعة ما كانوا يستكفون به زمانا، وبعث سعد عيوننا إلى أهل الحيرة وإلى صلوبا، ليعلموا له خبر أهل فارس، فرجعوا إليه بالخبر، بأن الملك قد ولى رستم بن الفرخاذا الأرمني حربه، وأمره بالعسكرة فكتب بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: لا يكرنبك ما يأتيك عنهم، ولا ما يأتونك به، واستعن بالله وتوكل عليه، وابعث إليه رجلا من أهل المنطرة والرأي والجلد يدعونه، فإن الله جاعل دعاءهم توهينا لهم، وفلجا عليهم، واكتب إلي في كل يوم ولما عسكر رستم بسباط كتبوا بذلك إلى عمر كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي ضمرة، عن ابن سيرين، وإسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم، قالوا: لما بلغ سعدا فصول رستم إلى سباط، أقام في عسكره لاجتماع الناس، فأما إسماعيل فإنه قال: كتب إليه سعد أن رستم قد ضرب عسكره بسباط دون المدائن وزحف إلينا، وأما أبو ضمرة فإنه قال: كتب إليه أن رستم قد عسكر بسباط، وزحف إلينا بالخيول والفيول وزهاء فارس، وليس شيء أهم إلي ولا أنا له أكثر ذكرا مني لما أحببت أن أكون عليه، ونستعين بالله، وتوكل عليه، وقد بعثت فلانا وفلانا وهم ما وصفت

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو والمجادل بإسناديهما، وسعيد بن المرزبان، أن سعد بن أبي وقاص حين جاءه أمر عمر فيهم، جمع نفرا عليهم نجار، ولهم آراء، ونفرا لهم منظر، وعليهم مهابة ولهم آراء، فأما الذين عليهم نجار ولهم آراء ولهم اجتهد فالنعمان بن مقرن وبسر بن أبي رهم وحملة بن جوية الكائي وحظلة بن الربيع التيمي وفرات بن حيان العجلي وعدى بن سبيل والمغيبة بن زرار بن النباش بن حبيب، وأما من لهم منظر لأجسامهم، وعليهم مهابة ولهم آراء، فبطاريد بن حاجب والأشعث بن قيس والحارث بن حسان وعاصم بن عمرو وعمرو ابن معديكرب والمغيبة بن شعبه والمثنى بن حارثة، فبعثهم دعاة إلى الملك. حدثني محمد بن عبد الله بن صفوان الثقفي، قال: حدثنا أمية بن خالد، قال: حدثنا أبو عوانة، عن حصين بن عبد الرحمن، قال: قال أبو وائل: جاء سعد حتى نزل القادسية، ومعه الناس، قال: لا أدري لعلنا لا نزيد على سبعة آلاف أو نحو من ذلك، والمشركون ثلاثون ألفا أو نحو ذلك فقالوا لنا: لا يدي لكم ولا قوة ولا سلاح، ما جاء بكم؟ ارجعوا، قال: قلنا: لا نرجع، وما نحن براجعين، فكانوا يضحكون من نبلنا، ويقولون:

دوك دوك، ويشبهونها بالمغازل قال: فلما أينا عليهم أن نرجع، قالوا:

ابعثوا إلينا رجلا منكم، عاقلا بين لنا ما جاء بكم، فقال المغيبة بن شعبة: أنا، فعبر إليهم، فقعده مع رستم على السرير، فنحروا وصاحوا، فقال: إن هذا لم يزدني رفعة، ولم ينقص صاحبكم، قال رستم: صدقت، ما جاء بكم؟

قال: أنا كما قوما في شر وضلالة، فبعث الله فينا نبيا، فهدانا الله به ورزقنا على يديه، فكان مما رزقنا حبة زعمت تنبت بهذا البلد، فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا: لا صبر لنا عن هذه، أنزلونا هذه الأرض حتى نأكل من هذه الحبة، فقال رستم: إذا نقتلكم، فقال: ان قتلتمونا

دخلنا الجنة، وإن قتلناكم دخلتم النار، أو أديتم الجزية قال: فلما قال:

أديتم الجزية، نحروا وصاحوا، وقالوا: لا صلح بيننا وبينكم، فقال:

المغيبة: تعبرون إلينا أو نعبركم؟ فقال رستم: بل نعبركم، فاستأخر المسلمون حتى عبر منهم من عبر، فحملوا عليهم فهزموهم.

قال حصين: فحدثني رجل منا يقال له عبيد بن جحش السلمي، قال:

لقد رأيتنا وإننا لنطأ على ظهور الرجال، ما مسهم سلاح، قتل بعضهم بعضا، ولقد رأيتنا أصبنا جرابا من كافور، فحسبناه ملحا لا نشك

أَنَّهُ مِلْحٌ، فَطَبَخْنَا لَحْمًا، فَجَعَلْنَا نُلْقِيهِ فِي الْقَدْرِ فَلَا نَجِدُ لَهُ طَعْمًا، فَرَبَّنَا عِبَادِي مَعَهُ قَيْصٌ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُعَرِّبِينَ، لَا تُفْسِدُوا طَعَامَكُمْ، فَإِنَّ مِلْحَ هَذِهِ الْأَرْضِ لَا خَيْرَ فِيهِ، هَلْ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا هَذَا الْقَمِيصَ بِهِ؟ فَأَخَذْنَاهُ مِنْهُ، وَأَعْطَيْنَاهُ مَنَّا رَجُلًا يَلْبَسُهُ، فَجَعَلْنَا نَطِيفُ بِهِ وَنَعَجِبُ مِنْهُ، فَلَمَّا عَرَفْنَا الثَّيَابَ، إِذَا ثَمَنُ ذَلِكَ الْقَمِيصِ دِرْهَمَانِ قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتِي أَقْرَبَ إِلَى رَجُلٍ عَلَيْهِ سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ، وَسِلَاحُهُ، خَفَاءُ فَمَا كَلِمَتُهُ حَتَّى ضَرَبْتُ عُنُقَهُ.

قَالَ: فَانْهَزُمُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الصَّرَاةِ، فَطَلَبْنَاهُمْ فَانْهَزُمُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْمَدَائِنِ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَكُونُوا وَكَانَ مَسَلَحَةُ الْمُشْرِكِينَ بِدَيْرِ الْمَسْلَاحِ، فَأَتَاهُمُ الْمُسْلِمُونَ فَالْتَقَوْا، فَهَزِمَ الْمُشْرِكُونَ حَتَّى نَزَلُوا بِشَاطِئِ دِجْلَةٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ عَبَرَ مِنْ كَلَوَاضِي، وَمِنْهُمْ مَنْ عَبَرَ مِنْ أَسْفَلِ الْمَدَائِنِ، فَحَصَرُوهُمْ حَتَّى - مَا يَجِدُونَ طَعَامًا يَأْكُلُونَهُ، إِلَّا كَلَابَهُمْ وَسَنَانِيرَهُمْ نَخَرَجُوا لَيْلًا، فَلَحِقُوا بِجُلُولَاءِ، فَأَتَاهُمُ الْمُسْلِمُونَ، وَعَلَى مُقَدِّمَةِ سَعْدِ هَاشِمِ بْنِ عُبَيْدَةَ، وَمَوْضِعُ الْوَقْعَةِ الَّتِي أَلْحَقَهُمْ مِنْهَا فَرِيدٌ قَالَ أَبُو وَائِلٍ: فَبَعَثَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَذِيفَةَ ابْنَ الْيَمَانِ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَمَجَاشِعَ بْنَ مَسْعُودٍ عَلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، وَطَلْحَةَ عَنِ الْمُغِيرَةِ، قَالُوا: نَخْرُجُوا مِنَ الْعَسْكَرِ حَتَّى قَدِمُوا الْمَدَائِنَ احْتِجَاجًا وَدَعَاةً لِيَزْدَجِرَ، فَطَوَّأُوا رُسُومًا، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى بَابِ يَزْدَجِرَ، فَوَقَفُوا عَلَى خِيُولِ عَرَوَاتٍ، مَعَهُمْ جَنَائِبُ، وَكُلُّهَا صَهَالٌ، فَاسْتَأْذَنُوا فَخَبَسُوا، وَبَعَثَ يَزْدَجِرُ إِلَى وَزَرَاتِهِ وَوَجُوهِ أَرْضِهِ يَسْتَشِيرُهُمْ فِيمَا يَصْنَعُ بِهِمْ، وَيَقُولُهُ لَهُمْ، وَسَمِعَ بِهِمُ النَّاسُ فَحَضَرُوهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ، وَعَلَيْهِمُ الْمُقَطَّعَاتُ وَالْبُرُودُ، وَفِي أَيْدِيهِمْ سِيَاطٌ دِقَاقٌ، وَفِي أَرْجُلِهِمُ النَّعَالُ فَلَمَّا اجْتَمَعَ رَأَيْهِمْ أَذِنَ لَهُمْ فَأَدْخَلُوا عَلَيْهِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ طَلْحَةَ، عَنْ بِنْتِ كَيْسَانَ الضَّبِيَّةِ، عَنْ بَعْضِ سَبَايَا الْقَادِسِيَّةِ مِمَّنْ حَسَنُ إِسْلَامِهِ، وَحَضَرَ هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ وَفُودُ الْعَرَبِ قَالَ: وَثَابَ إِلَيْهِمُ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ أَرْ عَشْرَةَ قَطْ يَعْدِلُونَ فِي الْهَيْئَةِ بِأَلْفِ غَيْرِهِمْ، وَخِيْلَهُمْ تَخْبُطُ وَيُوْعَدُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَجَعَلَ أَهْلُ فَارَسٍ يَسُوءُهُمْ مَا يَرُونَ مِنْ حَالِهِمْ وَحَالِ خِيْلِهِمْ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يَزْدَجِرَ أَمَرَهُمْ بِالْجُلُوسِ، وَكَانَ سَيِّءَ الْأَدَبِ، فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ دَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ أَنْ أَمَرَ التَّرْجَمَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَقَالَ: سَلِّمُوا مَا يَسْمُونَ هَذِهِ الْأُرْدِيَّةَ؟ فَسَأَلَ النِّعْمَانَ - وَكَانَ عَلَى الْوَفْدِ: مَا تَسْمِي رَدَاءُكَ؟ قَالَ:

الْبَرْدُ، فَتَطِيرُ وَقَالَ: بَرْدُ جِهَانٍ، وَتَغَيَّرَتْ أَلْوَانُ فَارَسٍ وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ: سَلِّمُوا عَنْ أَحْذِيَّتِهِمْ، فَقَالَ: مَا تَسْمُونَ هَذِهِ الْإِحْذِيَّةَ؟ فَقَالَ: النِّعْمَانَ، فَعَادَ لِمِثْلِهَا، فَقَالَ: نَالَهُ فِي أَرْضِنَا، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنِ الَّذِي فِي يَدِهِ فَقَالَ:

سُوطٌ، وَالسُّوْطُ بِالْفَارْسِيَّةِ الْحَرِيقُ، فَقَالَ: أَحْرَقُوا فَارَسَ أَحْرَقَهُمُ اللَّهُ! وَكَانَ تَطِيرُهُ عَلَى أَهْلِ فَارَسٍ، وَكَانُوا يَجِدُونَ مِنْ كَلَامِهِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرِو، عَنِ الشَّعْبِيِّ، بِمِثْلِهِ وَزَادَ: ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ: سَلِّمُوا مَا جَاءَ بِكُمْ؟ وَمَا دَعَاكُمْ إِلَى غَزْوِنَا وَالْوُلُوعِ بِبِلَادِنَا؟

أَمِنْ أَجْلِ أَنَا أَجْمَعْنَاكُمْ، وَتَشَاغَلْنَا عَنْكُمْ، اجْتَرَأْتُمْ عَلَيْنَا! فَقَالَ لَهُمُ النِّعْمَانُ ابْنُ مَقْرَنٍ: إِنْ شِئْتُمْ أَجَبْتُ عَنْكُمْ، وَمَنْ شَاءَ آثَرْتُهُ فَقَالُوا: بَلْ تَكَلِّمْ، وَقَالُوا لِلْمَلِكِ: كَلَامُ هَذَا الرَّجُلِ كَلَامُنَا فَتَكَلِّمُ النِّعْمَانَ، فَقَالَ: إِنْ اللَّهُ رَحِمَنَا فَأَرْسَلْ إِلَيْنَا رَسُولًا يَدُلُّنَا عَلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُنَا بِهِ، وَيَعْرِفُنَا الشَّرَّ وَيَنْهَانَا عَنْهُ، وَوَعَدْنَا عَلَى إِجَابَتِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَمْ يَدْعُ إِلَى ذَلِكَ قَبِيلَةٌ إِلَّا صَارُوا فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةٌ تَقَارِبُهُ، وَفِرْقَةٌ تَبَاعَدُهُ، وَلَا يَدْخُلُ مَعَهُ فِي دِينِهِ إِلَّا الْخَوَاصُّ فَكُثِرَ

بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُثَ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يَنْبَذَ إِلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنَ الْعَرَبِ، وَبَدَأَ بِهِمْ وَفَعَلَ، فَدَخَلُوا مَعَهُ جَمِيعًا عَلَى وَجْهَيْنِ: مَكْرَهُ عَلَيْهِ فَاغْتَبَطَ، وَطَائِعَ أَتَاهُ فَازْدَادَ، فَعَرَفْنَا جَمِيعًا فَضْلَ مَا جَاءَ بِهِ عَلَى الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالضِّيْقِ، ثُمَّ أَمَرْنَا أَنْ نَبْدَأَ بِمَنْ يَلِينَا مِنَ الْأُمَمِ فَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِنْصَافِ، فَحَنَّنَ نَدْعُوهُمْ إِلَى دِينِنَا، وَهُوَ دِينُ حَسَنِ الْحَسَنِ وَقَبْحُ الْقَبِيحِ كُلِّهِ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَأَمَرَ مِنَ الشَّرِّ هُوَ أَهْوَنُ مِنْ آخِرِ شَرِّ مِنْهُ الْجَزَاءِ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَمَّا نَجَزَا، فَإِنْ أَجَبْتُمْ إِلَى دِينِنَا خَلَفْنَا فِيكُمْ كِتَابَ اللَّهِ، وَأَقْنَاكُمْ عَلَيْهِ، عَلَى أَنْ تَحْكُمُوا بِأَحْكَامِهِ، وَنَرْجِعَ عَنْكُمْ

وشأنكم وبلا دكم، وإن اتقيتمونا بالجزء قبلنا ومنعناكم، وإلا قاتلناكم.

قال: فتكلم يزدجرد، فقال: إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عددا ولا أسوأ ذات بين منكم، قد كنا نوكل بكم قري الضواحي فيكفونناكم لا تغزون فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم، فإن كان عدد لحق فلا يغرنكم منا، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتا إلى خصبكم، وأكرمنا وجوهكم وكسونناكم، وملكا عليكم ملكا يرفق بكم.

فأسكت القوم فقام المغيرة بن زرارمة بن النباش الأسدي، فقال:

أيها الملك، إن هؤلاء رءوس العرب ووجوههم، وهم أشرف يستحيون من الأشراف، وإنما يكرم الأشراف الأشراف، ويعظم حقوق الأشراف الأشراف، ويفخم الأشراف الأشراف، وليس كل ما أرسلوا به جمعه لك، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك، فخاوبني لأكون الذي أبلغك، ويشهدون على ذلك، أنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالما، فأما ما ذكرت من سوء الحال، فما كان أسوأ حالا منا، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع، كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات، فترى ذلك طعامنا وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم،

ديننا أن يقتل بعضنا بعضا، ويغير بعضنا على بعض، وإن كان أحدا ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامنا، فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك، فبعث الله إلينا رجلا معروفا، نعرف نسبه، ونعرف وجهه ومولده، فأرضه خير أرضنا، وحسبه خير أحسابنا، وبيته أعظم بيوتنا، وقبيلته خير قبائلنا، وهو بنفسه كان خيرنا في الحال التي كان فيها أصدقنا وأحلمنا، فدعانا إلى امر فلم يجبه أحد قبل ترب كان له وكان الخليفة من بعده، فقال وقلنا، وصدق وكذبنا، وزاد ونقصنا، فلم يقل شيئا إلا كان، فقذف الله في قلوبنا التصديق له واتباعه، فصار فيما بيننا وبين رب العالمين، فما قال لنا فهو قول الله، وما أمرنا فهو أمر الله، فقال لنا: إن ربكم يقول: إني أنا الله وحدي لا شريك لي، كنت إذ لم يكن شيء وكل شيء هالك إلا وجهي، وأنا خلقت كل شيء، وإني يصير كل شيء، وإن رحمتي أدركتكم فبعثت إليكم هذا الرجل لأدلكم على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي، ولأحللكم داري، دار السلام، فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق، وقال:

من تابعكم على هذا فله ما لكم وعليه ما عليكم، ومن أبي فاعرضوا عليه الجزية، ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم، ومن أبي فقاتلوه، فأنا الحكم بينكم فمن قتل منكم أدخلته جني، ومن بقي منكم أعقبته النصر على من ناوأه، فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر، وإن شئت فالسيف، أو تسلم فتنجي نفسك فقال: أنتقبلني بمثل هذا! فقال: ما استقبلت إلا من كلني، ولو كلني غيرك لم أستقبلك به فقال: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم، لا شيء لكم عندي، وقال:

ائتوني بوقر من تراب، فقال: احمليه على أشرف هؤلاء، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن، ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أي مرسل إليكم رستم

حتى يديكم ويدفيه في خندق القادسية، وينكل به وبكم من بعد، ثم أوردته بلادكم، حتى أشغلكم في أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور. ثم قال: من أشرفكم؟ فسكت القوم، فقال عاصم بن عمرو- وافئات ليأخذ التراب: أنا أشرفهم، أنا سيد هؤلاء فحملني، فقال: أكذاك؟ قالوا: نعم، فحملة على عنقه، فخرج به من الإيوان والدار حتى أتى راحلته فحملة عليها، ثم انجذب في السير، فأثوا به سعدا وسبقهم عاصم فرباب قديس فطواه، فقال: بشروا الأمير بالظفر، ظفرنا إن شاء الله.

ثم مضى حتى جعل التراب في الحجر، ثم رجع فدخل على سعد، فأخبره الخبر فقال: أبشروا فقد والله أعطانا الله أقاليد ملكهم وجاء أصحابه وجعلوا يزدادون في كل يوم قوة، ويزداد عدوهم في كل يوم وهنا، واشتد ما صنع المسلمون، وصنع الملك من قبول التراب على جلساء الملك، وراح رستم من ساباط إلى الملك يسأله عما كان من أمره وأمرهم، وكيف رآهم، فقال الملك: ما كنت أرى أن في العرب مثل رجال رأيتم دخلوا علي وما أنتم بأعقل منهم، ولا أحسن جوابا منهم، وأخبره بكلام متكلمهم، وقال: لقد صدقني القوم، لقد وعد القوم أمرا ليدركه أو ليموتن عليه، على أني قد وجدت أفضلهم أحقهم، لما ذكروا الجزية أعطيته ترابا فحملة على رأسه، فخرج

به، ولو شاء اتقى بغيره، وأنا لا أعلم.

قال: أيها الملك، إنه لأعقلهم، وتطير إلى ذلك، وأبصرها دون أصحابه.

وخرج رستم من عنده كئيبا غضبان- وكان منجما كاهنا- فبعث في أثر الوفد، وقال لثقتة: إن أدركهم الرسول تلافينا أرضنا، وإن أعجزوه

سلبكم الله أرضكم وأبناءكم فرجع الرسول من الحيرة بفواتهم، فقال: ذهب القوم بأرضكم غير ذي شك، ما كان من شأن ابن الحجابة الملك! ذهب القوم بمفاتيح أرضنا! فكان ذلك مما زاد الله به فارس غيظا وأغاروا بعد ما خرج الوفد إلى يزدجرد، إلى أن جاءوا إلى صيادين قد اصطادوا سمكا، وسار سواد بن مالك التيمي إلى النجاف والفراض إلى جنبها، فاستاق ثلاثمائة دابة من بين بغل وحمار وثور، فأوقروها سمكا، واستاقوها، فصبحوا العسكر، فقسم السمك بين الناس سعد، وقسم الدواب، ونفل الخمس إلا ما رد على المجاهدين منه، وأسهم على السبي، وهذا يوم الحيتان، وقد كان الآزاد مرد ابن الآزاذبه خرج في الطلب، فعطف عليه سواد وفوارس معه، فقاتلهم على قنطرة السيلحين، حتى عرفوا أن الغنيمة قد نجت، ثم اتبعوها فأبلغوها المسلمين، وكانوا إنما يقرمون إلى اللحم، فأما الخنطة والشعير والتمر والحبوب، فكانوا قد اكتسبوا منها ما اكتفوا به لو أقاموا زمنا، فكانت السرايا إنما تسري للحوم، ويسمون أيامها بها، ومن أيام اللحم يوم الأباقر ويوم الحيتان وبعث مالك بن ربيعة بن خالد التيمي، تيم الرباب، ثم الواثلي ومعه المساور بن النعمان التيمي ثم الربيعي في سرية أخرى، فأغاروا على الفيوم، فأصابا إبلا لبني تغلب والتمر فشلاها ومن فيها، فغدوا بها على سعد، فنحرت الإبل في الناس واخصبوا، واغاروا على النهرين عمرو ابن الحارث، فوجدوا على باب ثوراء مواشي كثيرة، فسلكوا أرض شيلي- وهي اليوم نهر زياد- حتى أتوا بها العسكر.

وقال عمرو: ليس بها يومئذ إلا نهران وكان بين قدوم خالد العراق ونزول سعد القادسية سنتان وشيء وكان مقام سعد بها شهرين وشيئا حتى ظفروا.

قال- والإسناد الأول:- وكان من حديث فارس والعرب بعد البويب أن الأنوشجان بن الهربد خرج من سواد البصرة يريد أهل غضي، فاعترضه أربعة نفر على أفناء تميم، وهم بإزائهم: المستورد وهو على الرباب،

وعبد الله بن زيد يسانده، الرباب بينهما، وجزء بن معاوية وابن النابغة يسانده، سعد بينهما، والحصين بن نيار والأعور بن بشامة يسانده على عمرو، والحصين بن معبد والشبه على حنظلة، فقتلوه دونهم وقدم سعد فانضموا إليه هم وأهل غضي وجميع تلك الفرق.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطليحة وعمرو بإسنادهم، قالوا: وعج أهل السواد إلى يزدجرد بن شهريار، وأرسلوا إليه أن العرب قد نزلوا القادسية بأمر ليس يشبه إلا الحرب، وإن فعل العرب مذ نزلوا القادسية لا يبقى عليه شيء، وقد أخبروا ما بينهم وبين الفرات، وليس فيما هنالك أنيس إلا في الحصون، وقد ذهب الدواب وكل شيء لم تحتمله الحصون من الأطعمة، ولم يبق إلا أن يستنزلونا، فإن أبطأ عنا الغياث أعطيناهم بأيدينا وكتب إليه بذلك الملوك الذين لهم الضياع بالطف، وأعانوهم عليه، وهيجوه على بعثه رستم.

ولما بدا ليزدجرد أن يرسل رستم أرسل إليه، فدخل عليه، فقال له:

إني أريد أن أوجهك في هذا الوجه، وإنما يعد للأمر على قدرها، وأنت رجل أهل فارس اليوم، وقد ترى ما جاء أهل فارس من أمر لم يأتهم مثله منذ ولي آل أردشير فأراه أن قد قبل منه، وأثنى عليه.

فقال له الملك: قد أحب أن أنظر فيما لديك لأعرف ما عندك، فصاف لي العرب وفعلمهم منذ نزلوا القادسية، وصف لي العجم وما يلقون منهم.

فقال رستم: صفة ذئاب صادفت غرة من رعاء فأفسدت فقال:

ليس كذلك، إني إنما سألتك رجاء أن تعرب صفتهم فأقولك لتعمل على قدر ذلك فلم تصب، فافهم عني، إنما مثلهم ومثل أهل فارس كمثل عقاب أوفى على جبل يأوي إليه الطير بالليل، فتبيت في سفحه في أوكارها،

فلما أصبحت تجلت الطير، فأبصرته يرقبها، فإن شذ منها شيء اختطفه، فلما أبصرته الطير لم تنهض من مخافته، وجعلت كلما شذ منها

طائر اختطفه، فلو نهضت نهضة واحدة رده، وأشد شيء يكون في ذلك أن تنجو كلها إلا واحدا، وإن اختلفت لم تنهض فرقة إلا هلك، فهذا مثلهم ومثل الأعاجم، فاعمل على قدر ذلك فقال له رستم: أيها الملك، دعني، فإن العرب لا تزال تهاب العجم ما لم تضرهم بي، ولعل الدولة أن تثبت بي فيكون الله قد كفى، ونكون قد أصبنا المكيدة ورأي الحرب، فإن الرأي فيها والمكيدة أنفع من بعض الظفر فأبى عليه، وقال: أي شيء بقي! فقال رستم: إن الأناة في الحرب خير من العجلة، وللأناة اليوم موضع، وقتال جيش بعد جيش أمثل من هزيمة بمرة وأشد على عدونا فلج وأبى، فخرج حتى ضرب عسكره بسباط، وجعلت تختلف إلى الملك الرسل ليرى موضعا لإعفائه وبعثة غيره، ويجتمع إليه الناس وجاء العيون إلى سعد بذلك من قبل الحيرة وبني صلوبا، وكتب إلى عمر بذلك ولما كثرت الاستغاثة على يزدجرد من أهل السواد على يدي الآزاد مرد بن الآزاد به جشعت نفسه، واتقى الحرب برستم، وترك الرأي- وكان ضيقا لجوجا- فاستحث رستم، فأعاد عليه رستم القول، وقال: أيها الملك، لقد اضطرني تضييع الرأي إلى إعظام نفسي وتزكيتها، ولو أجد من ذلك بدا لم أتكلم به، فأنشدك الله في نفسك وأهلك وملكك، دعني أقم بعسكري وأسرح الجالوس، فإن تكن لنا فذلك، وإلا فأنا على رجل وأبعث غيره، حتى إذا لم نجد بدا ولا حيلة صبرنا لهم، وقد وهناهم وحسرتناهم ونحن جامون فأبى إلا أن يسير.

كُتِبَ إِلَى السري، عن شعيب، عن سيف، عن النضر بن السري الضبي، عن ابن الرفيل، عن أبيه، قال: لما نزل رستم بسباط، وجمع آلة الحرب وأداتها بعث على مقدمته الجالوس في أربعين ألفا، وقال: زحف زحفا، ولا تنجذب إلا بأمرى، واستعمل على ميمته الهرمان، وعلى ميسرته مهران بن بهرام الرازي، وعلى ساقته البيرزان، وقال رستم

ليشجع الملك: إن فتح الله علينا القوم فهو وجهنا إلى ملكهم في دارهم حتى نشغلهم في أصلهم وبلادهم، إلى أن يقبلوا المسألة أو يرضوا بما كانوا يرضون به فلما قدمت وفود سعد على الملك، ورجعوا من عنده رأى رستم فيما يرى النائم رؤيا فكرهها، وأحس بالشر، وكره لها الخروج ولقاء القوم، واختلف عليه رأيه واضطرب وسأل الملك أن يمضي الجالوس ويقيم حتى ينظر ما يصنعون، وقال: إن غناء الجالوس كغنائي، وإن كان اسمي أشد عليهم من اسمه، فإن ظفر فهو الذي نريد، وإن تكن الأخرى وجهت مثله، ودفعنا هؤلاء القوم إلى يوم ما، فإني لا أزال مرجوا في أهل فارس، ما لم أهزم ينشطون، ولا أزال مهيبا في صدور العرب، ولا يزالون يهابون الإقدام ما لم أباشرهم، فإن باشرتهم اجترأوا آخر دهرهم، وانكسر أهل فارس آخر دهرهم فبعث مقدمته أربعين ألفا، وخرج في ستين ألفا، وساقته في عشرين ألفا.

كُتِبَ إِلَى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد وعمرو بإسنادهم، قالوا: وخرج رستم في عشرين ومائة ألف، كلهم متبوع، وكانوا بأبناهم أكثر من مائتي ألف، وخرج من المدائن في ستين ألف متبوع.

كُتِبَ إِلَى السري، عن شعيب، عن سيف، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أن رستم زحف لسعد وهو بالقادسية في ستين ألف متبوع.

كُتِبَ إِلَى السري، عن شعيب، عن سيف، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أن رستم زحف لسعد وهو بالقادسية في ستين ألف متبوع.

كتب إلى السري، عن شعيب عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد وعمرو بإسنادهم، قالوا: لما أبى الملك إلا السير، كتب رستم إلى أخيه وإلى رؤوس أهل بلادهم: من رستم إلى البندوان مرزبان الباب، وسهم أهل فارس، الذي كان لكل كون يكون، فيفض الله به كل جند عظيم شديد، ويفتح به

كل حصن حصين، ومن يليه، فرموا حصونكم، وأعدوا واستعدوا، فكأنكم بالعرب قد وردوا بلادكم، وقارعوكم عن أرضكم وأبنائكم، وقد كان من رأيي مدافعهم ومطاولتهم حتى تعود سعودهم نحو سا، فأبى الملك.

كُتِبَ إِلَى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الصلت بن بهرام، عن رجل، أن يزدجرد لما أمر رستم بالخروج من سباط، كتب

إلى أخيه بنحو من الكتاب الأول، وزاد فيه: فإن السمكة قد كدرت الماء، وإن النعائم قد حسنت، وحسنت الزهرة، واعتدل الميزان، وذهب بهرام، ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون علينا، ويستولون على ما يلينا وإن أشد ما رأيت أن الملك قال: لتسيرن إليهم أو لأسيرن إليهم أنا بنفسي فأنا سائر إليهم.

كَتَبَ إِلَيَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن النضر بن السري، عن ابن الرقيل، عن أبيه، قال: كان الذي جرأ يزيد جرد على إرسال رستم غلام جابان منجم كسرى، وكان من أهل فرات بادقلى، فأرسل إليه فقال: ما ترى في مسير رستم وحرب العرب اليوم؟ تخافه على الصدق فكذبه، وكان رستم يعلم نحواً من علمه، فثقل عليه مسيره لعلمه، وخف على الملك لما غره منه، وقال: انى أحب ان تخبرني بشيء أراه اطمأن به إلى قولك، فقال الغلام لزرنا الهندي: أخبره، فقال:

سلي، فسأله فقال: أيها الملك يقبل طائر فيقع على إيوانك فيقع منه شيء في فيه هاهنا- وخط دارة- فقال العبد: صدق، والطائر غراب، والذي في فيه درهم وبلغ جابان أن الملك طلبه، فأقبل حتى دخل عليه، فسأله عما قال غلامه، فحسب فقال: صدق ولم يصب، هو عقق، والذي في فيه درهم، فيقع منه على هذا المكان، وكذب زرنا.

ينزو الدرهم فيستقر هاهنا- ودور دارة أخرى- فما قاموا حتى وقع على الشرفات عقق، فسقط منه الدرهم في الخط الأول، فنزا فاستقر في الخط

الآخر ونافر الهندي جابان حيث خطأه، فأثيا ببقرة نتوج، فقال الهندي:

سختها غراء سوداء، فقال جابان: كذبت، بل سوداء صبغاء، فنحرت البقرة فاستخرجت سختها، فإذا هي ذنبا بين عينيها، فقال جابان: من هاهنا أتى زرنا، وشجعه على إخراج رستم، فأمضاه، وكتب جابان إلى جشنسماه: إن أهل فارس قد زال أمرهم، وأدبل عدوهم عليهم، وذهب ملك الجوسية، وأقبل ملك العرب، وأدبل دينهم، فاعتقد منهم الذمة، ولا تخليبك الأمور، والعجل العجل قبل أن تؤخذ! فلما وقع الكتاب إليه خرج جشنسماه إليهم حتى أتى المعنى، وهو في خيل بالعقيق، وأرسله إلى سعد، فاعتقد منه على نفسه وأهل بيته ومن استجاب له ورده، وكان صاحب أخبارهم وأهدى للمعنى فالودق، فقال لامرأته: ما هذا؟ فقالت:

أظن البائسة امرأته أراغت العصيدة فأخطأتها، فقال المعنى: بؤسا لها! كَتَبَ إِلَيَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزيد وعمرو بإسنادهم، قالوا: لما فصل رستم من ساباط، لقيه جابان على القنطرة، فشكا إليه، وقال: ألا ترى ما أرى؟ فقال له رستم: أما أنا فأقاد بخشاش وزمام، ولا أجد بدا من الانقياد وأمر الجالئوس حتى قدم الحيرة، ففضى واضطرب فسطاطه بالنجف، وخرج رستم حتى ينزل بكوثي، وكتب إلى الجالئوس والآزادمر: أصيبا لي رجلا من العرب من جند سعد فربكا بأنفسهما طليعة، فأصابا رجلا، فبعثا به إليه وهو بكوثي فاستخبره، ثم قتله.

كَتَبَ إِلَيَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن النضر بن السري، عن ابن الرقيل، عن أبيه، قال: لما فصل رستم، وأمر الجالئوس بالتقدم إلى الحيرة، أمره أن يصيب له رجلا من العرب، فخرج هو والآزادمر سرية في مائة، حتى انتهيا إلى القادسية، فأصابا رجلا دون قنطرة القادسية فاخطفاه، فنفر الناس فأعجزوهم إلا ما أصاب المسلمون في أخرياتهم.

فلما انتهيا إلى النجف سرحا به إلى رستم، وهو بكوثي، فقال له رستم:

ما جاء بكم؟ وماذا تطلبون؟ قال: جئنا نطلب موعود الله، قال: وما هو؟

قال: أرضكم وأبناؤكم ودمائكم إن أبيتم أن تسلموا قال رستم: فإن قتلتم قبل ذلك؟ قال: في موعود الله أن من قتل منا قبل ذلك أدخله الجنة، وأنجز لمن بقي منا ما قلت لك، فنحن على يقين فقال رستم: قد وضعنا إذا في أيديكم، قال: ويحك يا رستم! إن أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها، فلا يغرنك ما ترى حولك، فإنك لست تحاول الانس، انما تحاول القضاء والقدر! فاستشاط غضبا، فأمر به فضربت عنقه، وخرج رستم من كوثي، حتى ينزل بيرس، فغضب أصحابه الناس أموالهم ووقعوا على النساء، وشربوا الخمر فضج العلوج إلى رستم، وشكوا إليه ما يلقون في أموالهم وأبنائهم فقام فيهم، فقال: يا معشر أهل فارس، والله لقد صدق العربي، والله ما أسلمنا إلا

أعمالنا، والله للعرب في هؤلاء وهم لهم ولنا حرب أحسن سيرة منكم إن الله كان ينصركم على العدو، ويمكن لكم في البلاد بحسن السيرة وكف الظلم والوفاء بالعهود والإحسان، فأما إذ تحولتم عن ذلك إلى هذه الأعمال، فلا أرى الله إلا مغيرا ما بكم، وما أنا بآمن أن ينزع الله سلطانه منكم وبعث الرجال، فلقطوا له بعض من يشكى فأتي بنفر، فضرِب أعناقهم، ثم ركب ونادى في الناس بالرحيل، فخرج ونزل بجبال دير الأعور، ثم انصب إلى الملطاط، فعسكر مما يلي الفرات بجبال أهل النجف بجبال الخورنق إلى الغريين، ودعا بأهل الحيرة، فأوعدهم وهم بهم، فقال له ابن ببيعة: لا تجمع علينا اثنتين: أن تعجز عن نصرتنا، وتلومنا على الدفع عن أنفسنا وبلادنا فسكت.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ الشَّعْبِيِّ، وَالْمُقْدَامِ الْحَارِثِيِّ عَمَّنْ ذَكَرَهُ، قَالَا: دَعَا رَسَمَ أَهْلَ الْحِيرَةِ وَسَرَادِقَهُ إِلَى جَانِبِ الدَّيْرِ، فَقَالَ: يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ، فَرَحْتُمْ بِدُخُولِ الْعَرَبِ عَلَيْنَا بِلَادَنَا، وَكُنْتُمْ عَيُونًا لَهُمْ عَلَيْنَا، وَقَوِيَّتُوهُمْ بِالْأَمْوَالِ! فَاتَّقُوهُ ابْنَ بَيْعِيلَةَ، وَقَالُوا لَهُ: كُنْ أَنْتَ الَّذِي تَكَلِّمُهُ، فَتَقْدَمُ، فَقَالَ: أَمَا أَنْتَ وَقَوْلُكَ:

إِنَّا فَرَحْنَا بِجَبِّيهِمْ، فَاذَا فَعَلُوا؟ وَبَأْيَ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ نَفْرَحُ! إِنَّهُمْ لِيُزْعِمُونَ أَنَا عَيْبِدُ لَهُمْ، وَمَا هُمْ عَلَى دِينِنَا، وَإِنَّهُمْ لَيُشْهَدُونَ عَلَيْنَا أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَأَمَا قَوْلُكَ: إِنَّا كُنَّا عَيُونًا لَهُمْ، فَمَا الَّذِي يُجَوِّهُهُمْ إِلَى أَنْ نَكُونَ عَيُونًا لَهُمْ، وَقَدْ هَرَبَ أَصْحَابُكُمْ مِنْهُمْ، وَخَلَوْا لَهُمْ الْقُرَى! فَلَيْسَ يَمْنَعُهُمْ أَحَدٌ مِنْ وَجْهِ أَرَادُوهُ، إِنْ شَاءُوا أَخَذُوا يَمِينًا أَوْ شِمَالًا وَأَمَا قَوْلُكَ: إِنَّا قَوَيْنَاهُمْ بِالْأَمْوَالِ، فَإِنَّا صَانَعْنَاهُمْ بِالْأَمْوَالِ عَنْ أَنْفُسِنَا، وَإِذْ لَمْ تَمْنَعُونَا مَخَافَةَ أَنْ نَسْبِي وَأَنْ نَحْرِبَ، وَتَقْتُلَ مُقَاتِلَتَنَا- وَقَدْ عَجَزَ مِنْهُمْ مَنْ لَقِيَهُمْ مِنْكُمْ- فَكُنَّا نَحْنُ أَعْجَزُ، وَلَعَمْرِي لَأَنْتُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْهُمْ، وَأَحْسَنُ عِنْدَنَا بِلَاءً، فَا مَنَعُونَا مِنْهُمْ لَكِنْ لَكُمْ أَعْوَانًا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِمَنْزِلَةِ عُلُوجِ السَّوَادِ، عَيْبِدُ مِنْ غَلَبَ.

فَقَالَ رَسَمٌ: صَدَقْتُمْ الرَّجُلَ كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ النُّضْرِ، عَنْ ابْنِ الرِّفِيلِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: رَأَى رَسَمَ بِالْدَّيْرِ أَنْ مَلَكًا جَاءَ حَتَّى دَخَلَ عَسْكَرَ فَارَسَ، نَفَخَ السِّلَاحَ أَجْمَعَ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، وَشَارَكَهُمْ النَّضْرُ بِإِسْنَادِهِ، قَالُوا: وَلَمَّا أَطْمَأَنَّ رَسَمٌ أَمَرَ الْجَالِنُوسَ أَنْ يُسِيرَ مِنَ النَّجَفِ، فَسَارَ فِي الْمَقْدِمَاتِ، فَزَلَّ فِيمَا بَيْنَ النَّجَفِ وَالسَّيْلَحِينَ، وَارْتَحَلَ رَسَمٌ، فَزَلَّ النَّجَفَ- وَكَانَ بَيْنَ خُرُوجِ رَسَمٍ مِنَ الْمَدَائِنِ وَعَسْكَرَتِهِ إِسْبَاطَ وَزَحْفِهِ مِنْهَا إِلَى أَنْ لَقِيَ سَعْدًا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، لَا يَقْدِمُ وَلَا يَقَاتِلُ- رَجَاءً أَنْ يَضْجُرُوا بِمَكَانِهِمْ، وَأَنْ يُجْهِدُوا فَيَنْصَرِفُوا، وَكَرِهَ قِتَالَهُمْ مَخَافَةَ أَنْ يَلْقَى مَا لَقِيَ مِنْ قَبْلِهِ، وَطَاوَلَهُمْ لَوْلَا مَا جَعَلَ الْمَلِكُ يُسْتَعِجِلُهُ وَيَنْهَضُهُ وَيَقْدِمُهُ، حَتَّى أَفْجَمَهُ، فَلَمَّا نَزَلَ رَسَمٌ النَّجَفَ عَادَتْ عَلَيْهِ الرُّؤْيَا، فَرَأَى ذَلِكَ الْمَلِكُ وَمَعَهُ النَّبِيُّ صَ وَعَمْرٌ، فَأَخَذَ الْمَلِكُ سِلَاحَ أَهْلِ

فَارَسَ، نَفَخْتُهُ، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَ، فَدَفَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَمْرٍو فَأَصْبَحَ رَسَمٌ، فَازْدَادَ حُزْنًا، فَلَمَّا رَأَى الرِّفِيلُ ذَلِكَ رَغِبَ فِي الْإِسْلَامِ، فَكَانَتْ دَاعِيَتُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَعَرَفَ عَمْرٌ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَطَاوِلُونَهُمْ، فَهَدَّ إِلَى سَعْدٍ وَإِلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَنْزِلُوا حُدُودَ أَرْضِهِمْ، وَأَنْ يَطَاوِلُوهُمْ أَبَدًا حَتَّى يَنْغَضُوهُمْ، فَزَلُّوا الْقَادِسِيَّةَ، وَقَدْ وَطَنُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى الصَّبْرِ وَالْمُطَاوَلَةِ، وَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ، فَأَقَامُوا وَأَطْمَأَنَّنُوا، فَكَانُوا يُغَيِّرُونَ عَلَى السَّوَادِ، فَانْتَسَفَوْا مَا حَوْلَهُمْ فَخَوَّهُ وَأَعْدَوْا لِلْمُطَاوَلَةِ، وَعَلَى ذَلِكَ جَاءُوا، أَوْ يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

وَكَانَ عَمْرٌ يَمْدُهُمْ بِالْأَسْوَاقِ إِلَى مَا يُصَيِّبُونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْمَلِكُ وَرَسَمٌ وَعَرَفُوا حَالَهُمْ، وَبَلَّغَهُمْ عَنْهُمْ فَعَلَهُمْ، عَلِمَ أَنَّ الْقَوْمَ غَيْرَ مُنْتَهِينَ، وَأَنَّهُ إِنْ أَقَامَ لَمْ يَتْرُكُوهُ، فَرَأَى أَنَّ يَشْخَصَ رَسَمٌ، وَرَأَى رَسَمٌ أَنْ يَنْزِلَ بَيْنَ الْعَتِيقِ وَالنَّجَفِ، ثُمَّ يَطَاوِلَهُمْ مَعَ الْمُنَازِلَةِ، وَرَأَى أَنَّ ذَلِكَ أَمْثَلُ مَا هُمْ فَاعِلُونَ، حَتَّى يُصَيِّبُوا مِنَ الْإِجَامِ حَاجَتَهُمْ، أَوْ تَدُورَ لَهُمْ سَعُودٌ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادَ بِإِسْنَادِهِمْ، قَالُوا: وَجَعَلَتِ السَّرَايَا تَطُوفَ، وَرَسَمٌ بِالنَّجَفِ وَالْجَالِنُوسَ بَيْنَ النَّجَفِ وَالسَّيْلَحِينَ وَذُو الْحَاجِبِ بَيْنَ رَسَمٍ وَالْجَالِنُوسَ، وَالْهَرَمَزَانَ وَمِهْرَانَ عَلَى مَجْنَبَتَيْهِ، وَالْبِيرِزَانَ عَلَى سَاقَتِهِ وَزَادَ بَنُ بَهِيْشٍ صَاحِبَ فَرَاتٍ سَرِيًّا عَلَى الرِّجَالَةِ، وَكَثَارَى عَلَى الْمَجْرَدَةِ، وَكَانَ جُنْدُهُ مِائَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا، سِتِينَ أَلْفَ مُتَبَوِّعٍ مَعَ الرَّجُلِ الشَّاكِرِيِّ، وَمِنْ السِّتِينَ أَلْفًا

خمسة عشر ألف شريف متبوع، وقد تسلسلوا وتقارنوا لتدور عليهم رحي الحرب.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ طَرِيفٍ، قَالَ: قَالَ النَّاسُ لِسَعْدٍ: لَقَدْ ضَاقَ بِنَا الْمَكَانُ، فَأَقْدَمَ، فَزَبَرَ مَنْ كَلَّمَهُ بِذَلِكَ، وَقَالَ: إِذَا كُفَيْتُمُ الرَّأْيَ، فَلَا تَكَلَّفُوا، فَإِنَّا لَنْ نَقْدَمَ إِلَّا عَلَى رَأْيِ ذَوِي الرَّأْيِ، فَاسْكُتُوا مَا سَكُنَّا عَنْكُمْ وَبَعَثَ

طُليحَةَ وَعَمْرًا فِي غَيْرِ خَيْلٍ كَالطُّليحَةِ، وَخَرَجَ سَوَادٌ وَحَمِيضَةُ فِي مِائَةِ مِائَةٍ، فَأَغَارُوا عَلَى النَّهْرَيْنِ، وَقَدْ كَانَ سَعْدٌ نَهَاَهُمَا أَنْ يَمْعَنَا، وَبَلَغَ رِسْمُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ خَيْلًا، وَبَلَغَ سَعْدًا أَنَّ خَيْلَهُ قَدْ وَغِلَتْ، فَدَعَا عَاصِمَ بْنَ عَمْرٍو وَجَابِرَ الْأَسَدِيَّ، فَأَرْسَلَهُمَا فِي آثَارِهِمْ يَقْتَصِبَانَهَا، وَسَلَكَ طَرِيقَهُمَا، وَقَالَ لِعَاصِمٍ:

إِنْ جَمَعَكُمُ قِتَالٌ فَأَنْتَ عَلَيْهِمْ، فَلَقِيَهُمْ بَيْنَ النَّهْرَيْنِ وَاصْطِيْمَا، وَخَيْلُ أَهْلِ فَارِسَ مُحْتَوِشَتِهِمْ، يُرِيدُونَ تَخْلُصَ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَقَدْ قَالَ سَوَادٌ لِحَمِيضَةَ:

اخْتَرْتُ، إِمَّا أَنْ تُقِيمَ لَهُمْ وَأَسْتَأْذِنَ الْغَنِيْمَةَ، أَوْ أُقِيمَ لَهُمْ وَتَسْتَأْذِنَ الْغَنِيْمَةَ قَالَ:

أَقِمْ لَهُمْ وَنَهْهُمْ عَنِّي، وَأَنَا أَبْلَغُ لَكَ الْغَنِيْمَةَ، فَأَقَامَ لَهُمْ سَوَادٌ، وَانْجَذَبَ حَمِيضَةُ، فَلَقِيَهُ عَاصِمُ بْنُ عَمْرٍو، فَظَنَّ حَمِيضَةُ أَنَّهَا خَيْلٌ لِلْأَعَاجِمِ أُخْرَى، فَصَدَّ عَنْهَا مُنَحْرِفًا، فَلَمَّا تَعَارَفُوا سَاقَهَا، وَمَضَى عَاصِمٌ إِلَى سَوَادٍ - وَقَدْ كَانَ أَهْلُ فَارِسَ تَتَقَدُّوا بَعْضَهَا - فَلَمَّا رَأَتْ الْأَعَاجِمُ عَاصِمًا هَرَبُوا، وَتَقَدَّ سَوَادٌ مَا كَانُوا ارْتَجَعُوا، فَأَتَوْا سَعْدًا بِالْفَتْحِ وَالْغَنَائِمِ وَالسَّلَامَةِ، وَقَدْ خَرَجَ طُليحَةُ وَعَمْرٌو، فَأَمَّا طُليحَةُ فَأَمَرَهُ بِعَسْكَرِ رِسْمٍ، وَأَمَّا عَمْرٌو فَأَمَرَهُ بِعَسْكَرِ الْجَالْنُوسِ، فَخَرَجَ طُليحَةُ وَحْدَهُ، وَخَرَجَ عَمْرٌو فِي عِدَّةٍ، فَبَعَثَ قَيْسُ بْنُ هُبَيْرَةَ فِي آثَارِهِمَا، فَقَالَ: إِنْ لَقِيتَ قِتَالًا فَأَنْتَ عَلَيْهِمْ - وَأَرَادَ إِذْلالَ طُليحَةَ لِمَعْصِيَتِهِ، وَأَمَّا عَمْرٌو فَقَدْ أَطَاعَهُ - فَخَرَجَ حَتَّى تَلَقَى عَمْرًا، فَسَأَلَهُ عَنْ طُليحَةَ، فَقَالَ:

لَا عِلْمَ لِي بِهِ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى النَّجَفِ مِنْ قَبْلِ الْجَوْفِ، قَالَ لَهُ قَيْسٌ:

مَا تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أُغَيِّرَ عَلَى أَدْنَى عَسْكَرِهِمْ، قَالَ: فِي هَؤُلَاءِ! قَالَ:

نَعَمْ، قَالَ: لَا أَدْعُكَ وَاللَّهِ وَذَاكَ! أَتَعْرِضُ الْمُسْلِمِينَ لِمَا لَا يُطِيقُونَ! قَالَ: وَمَا أَنْتَ وَذَاكَ! قَالَ: إِنِّي أُمِرْتُ عَلَيْكَ، وَلَوْ لَمْ أَكُنْ أَمِيرًا لَمْ أَدْعُكَ وَذَاكَ وَشَهِدَ لَهُ الْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدٍ فِي نَفَرٍ إِنَّ سَعْدًا قَدْ اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْكَ، وَعَلَى طُليحَةَ إِذَا اجْتَمَعْتُمْ، فَقَالَ عَمْرٌو: وَاللَّهِ يَا قَيْسُ، إِنْ زَمَانًا تَكُونُ عَلَيَّ فِيهِ أَمِيرًا لَزِمَانُ سُوءٍ! لَأَنْ أَرْجِعَ عَنْ دِينِكُمْ هَذَا إِلَى دِينِي الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ وَأُقَاتِلُ عَلَيْهِ حَتَّى أَمُوتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ نُبَايَعَ عَلَيَّ ثَانِيَةً وَقَالَ: لَتَنْ عَادَ صَاحِبُكَ الَّذِي بَعَثَكَ لِمِثْلِهِا لِنِفَارِقَتِهِ، قَالَ: ذَاكَ إِلَيْكَ بَعْدَ مَرَّتِكَ هَذِهِ، فَردَّهُ، فَرجَعَا

إِلَى سَعْدٍ بِالْخَبَرِ وَبِأَعْلَاجٍ وَأَفْرَاسٍ، وَشَكَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، أَمَّا قَيْسٌ فَشَكَا عِصْيَانَ عَمْرٍو، وَأَمَّا عَمْرٌو، فَشَكَا غِلْظَةَ قَيْسٍ، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا عَمْرٌو، الْخَبَرُ وَالسَّلَامَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مُصَابِ مِائَةِ بَقْتَلِ أَلْفٍ، أَتَعْمَدُ إِلَى حَلْبَةِ فَارِسَ فَتُصَادِمُهُمْ بِمِائَةٍ! إِنْ كُنْتُ لَأَرَاكَ أَعْلَمَ بِالْحَرْبِ بِمَا أَرَى فَقَالَ: إِنَّ الْأَمْرَ لَكَمَا قُلْتُ، وَخَرَجَ طُليحَةُ حَتَّى دَخَلَ عَسْكَرَهُمْ فِي لَيْلَةٍ مُقَمَّرَةٍ، فَتَوَسَّمْ فِيهِ، فَهَتَكَ أَطْنَابَ بَيْتِ رَجُلٍ عَلَيْهِ، وَاقْتَادَ فَرَسَهُ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى مَرَّ بِعَسْكَرِ ذِي الْحَاجِبِ، فَهَتَكَ عَلَى رَجُلٍ آخَرَ بَيْتَهُ، وَحَلَّ فَرَسَهُ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى الْجَالْنُوسِ عَسْكَرَهُ فَهَتَكَ عَلَى آخَرِ بَيْتَهُ، وَحَلَّ فَرَسَهُ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى الْخَرَّارَةَ، وَخَرَجَ الَّذِي كَانَ بِالنَّجَفِ، وَالَّذِي كَانَ فِي عَسْكَرِ ذِي الْحَاجِبِ فَاتَّبَعَهُ الَّذِي كَانَ فِي عَسْكَرِ الْجَالْنُوسِ، فَكَانَ أَوَّلُهُمْ لِحَاقًا بِهِ الْجَالْنُوسُ، ثُمَّ الْحَاجِبِيُّ، ثُمَّ النَّجَفِيُّ، فَأَصَابَ الْأَوَّلِينَ، وَأَسْرَ الْآخِرَ وَأَتَى بِهِ سَعْدًا فَأَخْبَرَهُ، وَأَسْلَمَ، فَسَمَاهُ سَعْدٌ مُسْلِمًا، وَلَزِمَ طُليحَةَ، فَكَانَ مَعَهُ فِي تِلْكَ الْمَغَازِي كُلِّهَا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، قَالَ: كَانَ عَمْرٌو قَدْ عَاهَدَ إِلَى سَعْدٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى

فَارِسَ، أَلَا يَمْرُبَاءُ مِنَ الْمِيَاهِ بِذِي قُوَّةٍ وَنَجْدَةٍ وَرِيَّاسَةٍ إِلَّا اشْخَصَهُ، فَإِنْ أَبَى اتَّخَبَهُ، فَأَمَرَهُ عُمَرُ، فَقَدِمَ الْقَادِسِيَّةَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا مِنْ أَهْلِ الْأَيَّامِ، وَأَنَاسٍ مِنَ الْحَمْرَاءِ اسْتَجَابُوا لِلْمُسْلِمِينَ، فَأَعَانُوهُمْ، أَسْلَمَ بَعْضُهُمْ قَبْلَ الْقِتَالِ، وَأَسْلَمَ بَعْضُهُمْ غِبَّ الْقِتَالِ، فَأَشْرَكُوا فِي الْغَنِيمَةِ، وَفُرِضَتْ لَهُمْ فَرَائِضُ أَهْلِ الْقَادِسِيَّةِ:

الْقَيْنِ الْقَيْنِ، وَسَأَلُوا عَنْ أَمْنِ قِبَائِلِ الْعَرَبِ، فَعَادُوا تَمِيمًا، فَلَمَّا دَنَا رُسْتُمْ، وَنَزَلَ النَّجَفَ بَعَثَ سَعْدُ الطَّلَاحِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُصِيبُوا رَجُلًا لِيَسْأَلَهُ عَنْ أَهْلِ فَارِسَ، فَخَرَجَتِ الطَّلَاحُ بَعْدَ اخْتِلَافٍ، فَلَمَّا اجْمَعَ مَلَائِكَةُ النَّاسِ أَنَّ الطَّلِيعَةَ مِنَ الْوَاحِدِ إِلَى الْعَشْرَةِ سَمَحُوا، فَأَخْرَجَ سَعْدُ طُلَيْحَةَ فِي خَمْسَةِ، وَعَمَرُوهُنَّ مَعْدِيكَرَبَ فِي خَمْسَةِ، وَذَلِكَ صَبِيحَةَ قَدَمِ رَسْمِ الْجَالْنُوسِ وَذَا الْحَاجِبِ، وَلَا يَشْعُرُونَ بِفَصُولِهِمْ مِنَ النَّجَفِ، فَلَمْ يَسِيرُوا إِلَّا فَرَسًا وَبَعْضَ

آخَرٍ، حَتَّى رَأَوْا مَسَاحِلَهُمْ وَسَرَحَهُمْ عَلَى الطُّفُوفِ قَدْ مَلُتُوها، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ارْجِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ فَإِنَّهُ سَرَحَكُمْ، وَهُوَ يَرَى أَنَّ الْقَوْمَ بِالنَّجَفِ، فَاخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ارْجِعُوا لَا يَنْذِرُكُمْ عَدُوُّكُمْ! فَقَالَ عَمْرُو لِأَصْحَابِهِ: صَدَقْتُمْ، وَقَالَ طُلَيْحَةُ لِأَصْحَابِهِ: كَذَبْتُمْ، مَا بُعِثْتُ لِتُخْبِرُوا عَنِ السَّرْحِ، وَمَا بُعِثْتُ إِلَّا لِلْخَبَرِ قَالُوا: فَمَا تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أُخَاطِرَ الْقَوْمَ أَوْ أَهْلَكَ، فَقَالُوا: أَنْتَ رَجُلٌ فِي نَفْسِكَ غَدْرٌ، وَلَنْ تَفْلَحَ بَعْدَ قَتْلِ عَكَاشَةَ ابْنِ مُحْصَنٍ، فَارْجِعْ بِنَا، فَأَبَى وَأَتَى سَعْدًا الْخَبَرَ بِرَحِيلِهِمْ، فَبَعَثَ قَيْسَ بْنَ هُبَيْرَةَ الْأَسَدِيَّ، وَأَمَرَهُ عَلَى مِائَةِ وَعَلِيهِمْ إِنْ هُوَ لَقِيَهُمْ فَانْتَهَى إِلَيْهِمْ وَقَدْ افْتَرَقُوا، فَلَمَّا رَأَاهُ عَمْرُو قَالَ: تَجَلَدُوا لَهُ، أَرَوْهُ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْغَارَةَ، فَدَهُمُ، وَوَجَدَ طُلَيْحَةَ قَدْ فَارَقَهُمْ فَارْجَعَ بِهِمْ فَأَتَوْا سَعْدًا، فَأَخْبَرُوهُ بِقُرْبِ الْقَوْمِ، وَمَضَى طُلَيْحَةُ، وَعَارَضَ الْمِيَاهَ عَلَى الطُّفُوفِ، حَتَّى دَخَلَ عَسْكَرَ رُسْتُمْ، وَبَاتَ فِيهِ يَجُوسُهُ وَيَنْظُرُ وَيَتَوَسَّمُ، فَلَمَّا أَذْبَرَ اللَّيْلَ، خَرَجَ وَقَدْ أَتَى أَفْضَلَ مَنْ تَوَسَّمُ فِي نَاحِيَةِ الْعَسْكَرِ، فَإِذَا فَرَسٌ لَهُ لَمْ يَرِ فِي خَيْلِ الْقَوْمِ مِثْلُهُ، وَفُسْطَاطٌ أَيْضٌ لَمْ يَرِ مِثْلُهُ، فَانْتَضَى سَيْفَهُ، فَقَطَعَ مِقْوَدَ الْفَرَسِ، ثُمَّ صَمَّهَ إِلَى مِقْوَدِ فَرَسِهِ، ثُمَّ حَرَّكَ فَرَسَهُ، فَخَرَجَ يَعْذُو بِهِ، وَنَذَرَهُ النَّاسَ وَالرَّجُلَ، فَتَنَادَوْا وَرَكِبُوا الصَّعْبَةَ وَالذَّلُولَ، وَعَجَلَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَسْرَجَ، فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهِ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَحِقَهُ فَارِسٌ مِنَ الْجُنْدِ، فَلَمَّا غَشِيَهُ وَبَوَّأَ لَهُ الرَّمْحَ لِيَطْعَنَهُ عَدَلَ طُلَيْحَةُ فَرَسَهُ، فَانْدَرَجَ الْفَارِسِيُّ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَكَّرَ عَلَيْهِ طُلَيْحَةُ، فَقَصَمَ ظَهْرَهُ بِالرَّمْحِ، ثُمَّ لَحِقَ بِهِ آخَرٌ، فَفَعَلَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ لَحِقَ بِهِ آخَرٌ، وَقَدْ رَأَى مَضْرَعَ صَاحِبِيهِ - وَهُمَا ابْنَا عَمِّهِ - فَارْدَادَ حَقًّا، فَلَمَّا لَحِقَ بِطُلَيْحَةَ، وَبَوَّأَ لَهُ الرَّمْحَ، عَدَلَ طُلَيْحَةُ فَرَسَهُ، فَانْدَرَجَ الْفَارِسِيُّ أَمَامَهُ، وَكَرَّ عَلَيْهِ طُلَيْحَةُ، وَدَعَاهُ إِلَى الْإِسَارِ، فَعَرَفَ الْفَارِسِيُّ أَنَّهُ قَاتِلُهُ فَاسْتَأْسَرَ، وَأَمَرَهُ طُلَيْحَةُ أَنْ يَرْكُضَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَفَعَلَ وَلَحِقَ النَّاسُ فَرَأَوْا فَارِسِيَّ الْجُنْدِ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ أُسِرَ الثَّلَاثُ، وَقَدْ شَارَفَ طُلَيْحَةُ عَسْكَرَهُمْ، فَأَجْمَعُوا عَنْهُ، وَنَكَسُوا، وَأَقْبَلَ طُلَيْحَةُ حَتَّى غَشِيَ الْعَسْكَرَ، وَهُمْ عَلَى تَعَبَةٍ، فَأَفْزَعَ النَّاسَ، وَجَرَّوهُ إِلَى سَعْدٍ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ، قَالَ: وَيْحَكَ مَا وَرَاءَكَ! قَالَ: دَخَلْتُ عَسَاكِرَهُمْ وَجَسْتُهَا مِنْذُ اللَّيْلَةِ، وَقَدْ أَخَذْتُ أَفْضَلَهُمْ تَوَسُّمًا، وَمَا أَدْرِي أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ! وَهَا هُوَ ذَا فَاسْتَخْبِرُهُ فَأَقِيمَ التَّرْجَمَانُ بَيْنَ سَعْدٍ وَبَيْنَ الْفَارِسِيِّ، فَقَالَ لَهُ الْفَارِسِيُّ: أَتُؤْمِنُنِي عَلَى دَمِي إِنْ صَدَقْتُكَ؟

قَالَ: نَعَمْ، الصِّدْقُ فِي الْحَرْبِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الْكَذِبِ، قَالَ:

أَخْبِرْكُمُ عَنْ صَاحِبِكُمْ هَذَا قَبْلَ أَنْ أَخْبِرْكُمُ عَنِّي قَبْلِي، بَاشَرْتُ الْحُرُوبَ وَغَشِيَتْهَا، وَسَمِعْتُ بِالْأَبْطَالِ وَلَقِيَتْهَا، مِنْذُ أَنَا غُلَامٌ إِلَى أَنْ بَلَغْتُ مَا تَرَى، وَلَمْ أَرَوْا لَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِ هَذَا، أَنَّ رَجُلًا قَطَعَ عَسْكَرَيْنِ لَا يَجْتَرِئُ عَلَيْهِمَا الْأَبْطَالُ إِلَى عَسْكَرٍ فِيهِ سَبْعُونَ أَلْفًا، يُخْدِمُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ الْخَمْسَةَ وَالْعَشْرَةَ إِلَى مَا هُوَ دُونَ، فَلَمْ يَرْضَ أَنْ يُخْرَجَ كَمَا دَخَلَ حَتَّى سَلَبَ فَارِسَ الْجُنْدِ، وَهَتَكَ أَطْنَابَ بَيْتِهِ فَاذْرَهُ، فَاذْرَنَا بِهِ، فَطَلَبْنَاهُ، فَأَذْرَكَهُ الْأَوَّلُ وَهُوَ فَارِسُ النَّاسِ، يَعْدِلُ أَلْفَ فَارِسٍ فَقَتَلَهُ، فَأَذْرَكَهُ الثَّانِي وَهُوَ نَظِيرُهُ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ أَذْرَكَتُهُ، وَلَا أَظُنُّ أَنَّي خَلَقْتُ بَعْدِي مَنْ يَعْدِلُنِي وَأَنَا النَّاثِرُ بِالْقَتِيلَيْنِ، وَهُمَا ابْنَا عَمِّي، فَارَأَيْتُ الْمَوْتَ فَاسْتَأْسَرْتُ ثُمَّ أَخْبَرَهُ عَنْ أَهْلِ فَارِسَ، بِأَنَّ الْجُنْدَ عَشْرُونَ

وَمِائَةُ أَلْفٍ، وَأَنَّ الْإِتِّبَاعَ مِثْلَهُمْ خِدَامٌ لَهُمْ وَأَسْلَمَ الرَّجُلُ وَسَمَّاهُ سَعْدُ مُسْلِمًا، وَعَادَ إِلَى طُلَيْحَةَ، وَقَالَ: لَا وَاللَّهِ، لَا تُهْزَمُونَ مَا دُمْتُ عَلَى مَا أَرَى مِنْ الْوَفَاءِ وَالصِّدْقِ وَالْإِصْلَاحِ وَالْمُؤَاسَاةِ، لَا حَاجَةَ لِي فِي صُحْبَةِ فَارِسَ، فَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَاءِ يَوْمَئِذٍ.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن قيس، عن موسى بن طريف، قال: قَالَ سَعْدُ لِقَيْسِ بْنِ هُبَيْرَةَ الْأَسَدِيِّ: اخْرُجْ يَا عَاقِلُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ وَرَاءَكَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ تَخْوَ عَلَيْهِ حَتَّى تَأْتِيَنِي بِعِلْمِ الْقَوْمِ نَحْرَجَ وَسَرَحَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرَبَ وَطُلَيْحَةَ، فَلَمَّا حَازَى الْقَنْطَرَةَ لَمْ يَسِرْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى لَحِقَ، فَانْتَهَى إِلَى خَيْلٍ عَظِيمَةٍ مِنْهُمْ بِحِيَالِهَا تَرَدُّ عَنْ عَسْكَرِهِمْ، فَإِذَا رُسْتُمْ قَدْ ارْتَحَلَ مِنَ النَّجَفِ، فَزَلَ مَنْزِلَ ذِي الْحَاجِبِ،

فَارْتَحَلَ الْجَالْنُوسُ، فَزَلَ ذُو الْحَاجِبِ مَنْزِلَهُ، وَالْجَالْنُوسُ يُرِيدُ طَبِيزَنَابَازَ، فَزَلَ بِهَا، وَقَدَّمَ تِلْكَ الْخَيْلَ وَإِنَّ مَا حَمَلَ سَعْدًا عَلَى إِرْسَالِ عَمْرُو وَطُلَيْحَةَ مَعَهُ لِمَقَالَةٍ بَلَغَتْهُ عَنْ عَمْرُو، وَكَلِمَةً قَالَهَا لِقَيْسِ بْنِ هُبَيْرَةَ قَبْلَ هَذِهِ الْمَرَّةِ، فَقَالَ:

قَاتِلُوا عَدُوَّكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ فَأَنْشَبَ الْقِتَالُ، وَطَارَدَهُمْ سَاعَةً ثُمَّ إِنَّ قَيْسًا حَمَلَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَتْ هَزِيمَتُهُمْ، فَأَصَابَ مِنْهُمْ اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا، وَثَلَاثَةَ أُسْرَاءٍ، وَأَصَابَ أَسْلَابًا، فَأَتَوْا بِالْغَنِيمَةِ سَعْدًا وَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ:

هَذِهِ بُشْرَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ، إِذَا لَقِيتُمْ جَمْعَهُمُ الْأَعْظَمَ وَحَدَهُمْ، فَلَهُمْ أَمْثَلُهَا، وَدَعَا عَمْرًا وَطُلَيْحَةَ، فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتُمَا قَيْسًا؟ فَقَالَ طُلَيْحَةُ: رَأَيْنَاهُ أَكْمَانًا، وَقَالَ عَمْرُو: الْأَمِيرُ أَعْلَمُ بِالرِّجَالِ مِنَّا قَالَ سَعْدُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحْيَانًا بِالإِسْلَامِ وَأَحْيَا بِهِ قُلُوبًا كَانَتْ مَيِّتَةً، وَأَمَاتَ بِهِ قُلُوبًا كَانَتْ حَيَّةً، وَإِنِّي أُحْذِرُكُمْ أَنْ تُؤْثِرُوا أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى الإِسْلَامِ، فَتَمُوتُ قُلُوبُكُمْ وَأَنْتُمْ حَيَّانٍ، الزَّمَّا السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ وَالْاعْتِرَافَ بِالْحَقِّوقِ، فَمَا رَأَى النَّاسُ كَأَقْوَامٍ أَعَزَّهُمُ اللَّهُ بِالإِسْلَامِ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَعَمْرُو وَزِيَادَ، وَشَارَكَهُمُ الْمَجَالِدُ وَسَعِيدُ بْنُ الْمَرْزَبَانَ، قَالُوا: فَلَمَّا أَصْبَحَ رُسْتُمْ مِنَ الْغَدِ مِنْ يَوْمِ نَزَلَ السَّيْلَحِينَ قَدِمَ الْجَالْنُوسُ وَذَا الْحَاجِبِ، فَارْتَحَلَ الْجَالْنُوسُ، فَزَلَ مِنْ دُونِ الْقَنْطَرَةِ بِحِيَالِ زَهْرَةَ، وَنَزَلَ إِلَى صَاحِبِ الْمَقْدَمَةِ، وَنَزَلَ ذُو الْحَاجِبِ مَنْزِلَهُ بِطَبِيزَنَابَازَ، وَنَزَلَ رُسْتُمْ ذِي الْحَاجِبِ بِالنَّخْرَةِ، ثُمَّ قَدِمَ ذَا الْحَاجِبِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْعَتِيقِ تَيَاسَرَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِحِيَالِ قَدِيسِ خَنْدَقِ خَنْدَقًا، وَارْتَحَلَ الْجَالْنُوسُ فَزَلَ عَلَيْهِ وَعَلَى مَقْدَمَتِهِ - أَعْنَى سَعْدًا - زَهْرَةَ بْنُ الْحَوِيَّةِ، وَعَلَى مَجْنَبَتَيْهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَمِ، وَشَرْحَبِيلَ بْنَ السَّمَطِ الْكَنْدِيِّ، وَعَلَى مَجْرَدَتِهِ عَاصِمُ بْنُ عَمْرُو، وَعَلَى الْمَرَامِيَّةِ فُلَانٌ، وَعَلَى الرَّجُلِ فُلَانٌ، وَعَلَى الطَّلَائِعِ سَوَادُ بْنُ مَالِكٍ، وَعَلَى مَقْدَمَةِ رُسْتُمْ الْجَالْنُوسُ، وَعَلَى مَجْنَبَتَيْهِ الْهَرَمَزَانُ وَمِهْرَانٌ وَعَلَى مَجْرَدَتِهِ ذُو الْحَاجِبِ، وَعَلَى الطَّلَائِعِ الْبَيْرِزَانُ، وَعَلَى الرِّجَالَةِ زَادُ بْنُ بَهِيْشٍ فَلَمَّا انْتَهَى رُسْتُمْ إِلَى الْعَتِيقِ، وَقَفَ عَلَيْهِ

بِحِيَالِ عَسْكَرِ سَعْدٍ، وَنَزَلَ النَّاسُ، فَمَا زَالُوا يَتَلَحُّقُونَ وَيَنْزِلُهُمْ فَيَنْزِلُونَ، حَتَّى اعْتَمَوْا مِنْ كَثَرَتِهِمْ، فَبَاتَ بِهَا تِلْكَ اللَّيْلَةُ وَالْمُسْلِمُونَ مُمْسِكُونَ عَنْهُمْ.

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمَرْزَبَانَ: فَلَمَّا أَصْبَحُوا مِنْ لَيْلَتِهِمْ بِشَاطِئِ الْعَتِيقِ غَدَا مِنْجَمَ رُسْتُمْ عَلَى رُسْتُمْ بِرُؤْيَا أَرَاهَا مِنَ اللَّيْلِ، قَالَ: رَأَيْتُ الدُّلُوفَ فِي السَّمَاءِ، دَلُوفًا أَفْرَغَ مَائُوهُ، وَرَأَيْتُ السَّمَكَةَ، سَمَكَةً فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ الْمَاءِ تَضْطَرِبُ، وَرَأَيْتُ النِّعَامَ وَالزَّهْرَةَ تَزْدَهَرُ، قَالَ: وَيْحَكَ! هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟ قَالَ:

لَا، قَالَ: فَارْتَحَلْتُهَا كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مَجَالِدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: كَانَ رُسْتُمْ مِنْجَمًا، فَكَانَ يَبْكِي مِمَّا يَرَى وَيَقْدُمُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا كَانَ بِظَهْرِ الْكُوفَةِ رَأَى أَنَّ عَمْرًا دَخَلَ عَسْكَرَ فَارِسَ، وَمَعَهُ مَلِكٌ، نَفِثَ عَلَى سِلَاحِهِمْ، ثُمَّ حَزَمَهُ وَدَفَعَهُ إِلَى عَمْرٍ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ - وَكَانَ قَدْ شَهِدَ الْقَادِسيَّةَ - قَالَ: كَانَ مَعَ رُسْتُمْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ فَيْلًا، وَمَعَ الْجَالْنُوسِ خَمْسَةَ عَشَرَ فَيْلًا.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مَجَالِدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: كَانَ مَعَ رُسْتُمْ يَوْمَ الْقَادِسيَّةِ ثَلَاثُونَ فَيْلًا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَرْزَبَانِ، عَنْ رَجُلٍ، قَالَ: كَانَ مَعَ رُسْتَمِ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ فَيْلًا، مِنْهَا فَيْلٌ سَابُورُ الْأَبْيَضِ، وَكَانَتِ الْفَيْلَةُ تَأْلِفُهُ، وَكَانَ أَعْظَمُهَا وَأَقْدَمُهَا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ النَّضْرِ، عَنْ ابْنِ الرِّفِيلِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ مَعَ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ فَيْلًا، مَعَهُ فِي الْقَلْبِ ثَمَانِيَةٌ عَشَرَ فَيْلًا، وَمَعَهُ فِي الْمَجْنِبَتَيْنِ خَمْسَةٌ عَشَرَ فَيْلًا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ الْمُجَالِدِ وَسَعِيدٍ وَطَلْحَةَ وَعَمْرُو وَزِيَادَ، قَالُوا: فَلَمَّا أَصْبَحَ رُسْتَمٌ مِنْ لَيْلَتِهِ الَّتِي بَاتَهَا بِالْعَتِيقِ، أَصْبَحَ رَاكِبًا فِي خَيْلِهِ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ صَعَدَ نَحْوَ الْقَنْطَرَةِ، وَقَدْ حَزَرَ النَّاسُ، فَوَقَفَ بِحَيْلِهِمْ دُونَ الْقَنْطَرَةِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَجُلًا، إِنَّ رُسْتَمَ يَقُولُ لَكُمْ: أَرْسَلُوا إِلَيْنَا رَجُلًا نَكَلِّمُهُ وَيَكَلِّمُنَا، وَأَنْصَرَفَ فَأَرْسَلَ زَهْرَةَ إِلَى سَعْدٍ بِذَلِكَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ، فَأَخْرَجَهُ زَهْرَةُ إِلَى الْجَالِنُوسِ، فَأَبْلَغَهُ الْجَالِنُوسُ رُسْتَمَ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ النَّضْرِ، عَنْ ابْنِ الرِّفِيلِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَ رُسْتَمٌ عَلَى الْعَتِيقِ وَبَاتَ بِهِ، أَصْبَحَ غَادِيًا عَلَى التَّصْفِاحِ وَالْحَزْرِ، فَسَايرَ الْعَتِيقَ نَحْوَ خَفَانٍ، حَتَّى أَتَى عَلَى مَنَقَطِ عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ صَعَدَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْقَنْطَرَةِ، فَتَأَمَّلَ الْقَوْمَ، حَتَّى أَتَى عَلَى شَيْءٍ يَشْرَفُ مِنْهُ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى الْقَنْطَرَةِ رَأَسِلَ زَهْرَةَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى وَقَفَهُ، فَأَرَادَهُ أَنْ يَصَالِحَهُمْ، وَيَجْعَلَ لَهُ جَعَلًا عَلَى أَنْ يَنْصَرَفُوا عَنْهُ، وَجَعَلَ يَقُولُ فِيمَا يَقُولُ: أَتَمَّ جِيرَانُنَا وَقَدْ كَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ فِي سُلْطَانِنَا، فَكُنَّا نَحْسِنُ جَوَارِهِمْ، وَنَكْفِ الْأَذَى عَنْهُمْ، وَنُولِيهِمُ الْمَرَافِقَ الْكَثِيرَةَ، نَحْفَظُهُمْ فِي أَهْلِ بَادِيَتِهِمْ، فَزَعِيمُهُمْ مَرَاعِينَا، وَنَمِيرُهُمْ مِنْ بِلَادِنَا، وَلَا نَمْنَعُهُمْ مِنَ التَّجَارَةِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَرْضِنَا، وَقَدْ كَانَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مَعَاشٌ - يَعْرِضُ لَهُمُ بِالصَّلْحِ، وَإِنَّمَا يَخْبِرُهُ بِصَنِيعِهِمْ، وَالصَّلْحُ يَرِيدُ وَلَا يَصْرَحُ - فَقَالَ لَهُ زَهْرَةُ:

صَدَقْتَ، قَدْ كَانَ مَا تَذَكَّرُ، وَلَيْسَ أَمْرُنَا أَمْرٌ أَوْلُوكَ وَلَا طَلِبَتُنَا إِنَّا لَمْ نَأْتِكُمْ لَطَلْبِ الدُّنْيَا، إِنَّمَا طَلِبَتُنَا وَهَمَّتْنَا الْآخِرَةَ، كَمَا كُنَّا ذَكَرْتَ، يَدِينُ لَكُمْ مِنْ وَرْدٍ عَلَيْكُمْ مِنَّا، وَيَضْرَعُ إِلَيْكُمْ يَطْلُبُ مَا فِي أَيْدِيكُمْ ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْنَا رَسُولًا، فَدَعَانَا إِلَى رَبِّهِ، فَأُجِبْنَاهُ، فَقَالَ لِنَبِيهِ ص: إِنِّي قَدْ سُلِّطْتُ هَذِهِ الطَّائِفَةَ عَلَى مَنْ لَمْ يَدْنِ بِدِينِي، فَأَنَا مُنْتَقِمٌ بِهِمْ مِنْهُمْ، وَأَجْعَلُ لَهُمُ الْغَلْبَةَ مَا دَامُوا مُقْرِنِينَ بِهِ، وَهُوَ دِينُ الْحَقِّ، لَا يَرْغَبُ عَنْهُ أَحَدٌ إِلَّا ذَلٌّ، وَلَا يَعْتَصِمُ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا عِزٌّ فَقَالَ لَهُ رُسْتَمٌ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: أَمَا عَمُودُهُ الَّذِي

لَا يَصْلُحُ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا بِهِ، فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَالْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا! وَأَيُّ شَيْءٍ أَيْضًا؟

قَالَ: وَإِخْرَاجُ الْعِبَادِ مِنَ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ: حَسَنٌ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَيْضًا؟ قَالَ: وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَحَوَاءَ، إِخْوَةٌ لِأَبِ وَأُمٍّ، قَالَ:

مَا أَحْسَنَ هَذَا! ثُمَّ قَالَ لَهُ رُسْتَمٌ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنِّي رَضِيتُ بِهَذَا الْأَمْرِ وَأُجِبْتُكُمْ إِلَيْهِ، وَمَعِيَ قَوْمِي كَيْفَ يَكُونُ أَمْرُكُمْ! أَتَرْجِعُونَ؟ قَالَ: إِي وَاللَّهِ، ثُمَّ لَا نَقْرُبُ بِلَادَكُمْ أَبَدًا إِلَّا فِي تِجَارَةٍ أَوْ حَاجَةٍ قَالَ: صَدَقْتَنِي وَاللَّهِ، أَمَا إِنْ أَهْلَ فَارَسٍ مِنْدُ وَلِي أَرْدَشِيرٍ لَمْ يَدْعُوا أَحَدًا يَخْرُجُ مِنْ عَمَلِهِ مِنَ السَّفَلَةِ، كَانُوا يَقُولُونَ إِذَا خَرَجُوا مِنْ أَعْمَالِهِمْ: تَعَدُّوا طُورَهُمْ، وَعَادُوا أَشْرَافَهُمْ فَقَالَ لَهُ زَهْرَةُ: نَحْنُ خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ، فَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَكُونَ كَمَا تَقُولُونَ، نَطِيعُ اللَّهِ فِي السَّفَلَةِ، وَلَا يَضُرُّنَا مِنْ عَصَى اللَّهِ فِينَا فَانْصَرَفَ عَنْهُ، وَدَعَا رَجَالَ فَارَسٍ فَذَاكَرَهُمْ هَذَا، فَخَمُوا مِنْ ذَلِكَ، وَأَنْفَوْا، فَقَالَ: أَبْعَدَكُمْ اللَّهُ وَأَسْخَقَكُمْ! أَخْزَى اللَّهُ أَنْعَرْنَا وَأُجِبْنَا! فَلَمَّا انْصَرَفَ رُسْتَمٌ مَلَتْ إِلَى زَهْرَةَ، فَكَانَ إِسْلَامِي، وَكَانَتْ لَهُ عَدِيدًا وَفَرَضَ لِي فَرَائِضَ أَهْلِ الْقَادِسِيَةِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَعَمْرُو وَزِيَادٍ بِإِسْنَادِهِمْ مِثْلَهُ قَالُوا: وَأَرْسَلَ سَعْدٌ إِلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ وَبُسْرِ بْنِ أَبِي رَهْمٍ وَعَزْرَجَةَ بْنِ هَرْمَةَ وَحَذِيفَةَ بْنِ مَحْصَنٍ وَرَبِيعَ بْنِ عَامِرٍ وَقِرْفَةَ بْنَ زَاهِرٍ التَّيْمِيَّ ثُمَّ الْوَائِلِيَّ وَمَذْعُورَ بْنَ عَدِيِّ الْعَجَلِيَّ، وَالْمُضَارِبَ ابْنَ يَزِيدَ الْعَجَلِيَّ وَمَعْبِدَ بْنَ مُرَّةَ الْعَجَلِيَّ - وَكَانَ مِنْ دُهَاةِ الْعَرَبِ - فَقَالَ: إِنِّي مُرْسِلُكُمْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، فَمَا عِنْدَكُمْ؟ قَالُوا جَمِيعًا: نَتَّبِعُ مَا تَأْمُرُنَا بِهِ، وَنَنْتَهِي إِلَيْهِ، فَإِذَا جَاءَ أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ فِيهِ شَيْءٌ نَنْظُرُنَا أَمْثَلُ مَا يَنْبَغِي وَأَنْفَعُهُ لِلنَّاسِ، فَكَلَّمْنَاهُمْ بِهِ فَقَالَ

سَعْدُ: هَذَا فِعْلُ الْحِرْمَةِ، أَذْهَبُوا فَتَهَيَّؤُوا، فَقَالَ رَبِيعُ بْنُ عَامِرٍ: إِنَّ الْأَعَاجِمَ لَهُمْ آرَاءٌ وَأَدَابٌ، وَمَتَى نَأْتِيهِمْ جَمِيعًا يَرَوْنَ أَنَا قَدْ احْتَفَلْنَا بِهِمْ! فَلَا تَزِدْهُمْ عَلَى رَجُلٍ، فَمَالَتْهُ جَمِيعًا عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ: فَسَرَّحُونِي، فَسَرَّحَهُ، فَخَرَجَ رَبِيعٌ لِيَدْخُلَ عَلَى رُسْتَمَ عَسْكَرَهُ، فَاحْتَبَسَهُ الَّذِينَ عَلَى الْقَطْرَةِ، وَأَرْسَلَ إِلَى رُسْتَمَ لِمَجِيئِهِ، فَاسْتَشَارَ عِظَمَاءَ أَهْلِ فَارَسَ، فَقَالَ: مَا تَرَوْنَ؟ أُنَبِّهِي أَمْ نَتَهَاوَنُ! فَاجْمَعْ مَلُوكَهُمْ عَلَى التَّهَاجُوتِ، فَظَهَرُوا الزَّبِجَ، وَبَسَطُوا الْبُسْطَ وَالتَّمَارِقَ، وَلَمْ يَتْرَكُوا شَيْئًا، وَوَضَعَ لِرُسْتَمَ سَرِيرَ الذَّهَبِ، وَالْبِسَ زِينَتَهُ مِنَ الْأَمْطِ وَالْوَسَائِدِ الْمَنْسُوجَةِ بِالذَّهَبِ وَأَقْبَلَ رَبِيعٌ يَسِيرُ عَلَى فَرَسٍ لَهُ زَبَاءٌ قَصِيرَةٌ، مَعَهُ سَيْفٌ لَهُ مَشُوفٌ، وَعَمْدُهُ لِفَافَةٌ ثَوْبٍ خَلَقٍ، وَرُحْمُهُ مَعْلُوبٌ بِقَدٍّ، مَعَهُ حُفَّةٌ مِنْ جُلُودِ الْبَقَرِ، عَلَى وَجْهِهَا أَدِيمٌ أَحْمَرٌ مِثْلُ الرِّغِيفِ، وَمَعَهُ قَوْسُهُ وَنَبْلُهُ فَلَمَّا غَشِيَ الْمَلِكَ، وَانْتَهَى إِلَيْهِ وَإِلَى أَدْنَى الْبُسْطِ، قِيلَ لَهُ: انْزِلْ، فَحَمَلَهَا عَلَى الْبُسْطِ، فَلَمَّا اسْتَوَتْ عَلَيْهِ، نَزَلَ عَنْهَا وَرَبَطَهَا بِوَسَادَتَيْنِ فَشَقَّهُمَا، ثُمَّ أَدْخَلَ الْحَبْلَ فِيهِمَا، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَنْهَوْهُ، وَإِنَّمَا أَرَوْهُ التَّهَاجُوتَ وَعَرَفَ مَا أَرَادُوا، فَأَرَادَ اسْتِحْرَاجَهُمْ، وَعَلَيْهِ دِرْعٌ لَهُ كَانَتْ أَضَاةٌ وَيَلْبِقُهُ عَبَاءَةٌ بَعِيرُهُ، قَدْ جَابَهَا وَتَدَرَّعَهَا، وَشَدَّهَا عَلَى وَسَطِهِ بِسَلَبٍ وَقَدْ شَدَّ رَأْسَهُ بِمِعْجَرَتِهِ، وَكَانَ أَكْثَرُ الْعَرَبِ شَعْرَةً، وَمِعْجَرَتُهُ نَسْعَةٌ بَعِيرُهُ، وَلِرَأْسِهِ أَرْبَعُ ضَفَائِرَ، قَدْ قُنَّ قِيَامًا، كَانَهُنَّ قُرُونُ الْوَعْلَةِ فَقَالُوا: ضَعْ سِلَاحَكَ، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ أَتِكُمْ فَأَضَعُ سِلَاحِي بِأَمْرِكُمْ، أَنْتُمْ دَعَوْتُونِي، فَاِنْ ابْتِغَاءً أَنْ آتِيَكُمْ كَمَا أَرِيدُ رَجَعْتُ فَأَخْبِرُوا رُسْتَمَ، فَقَالَ: ائْذَنُوا لَهُ، هَلْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ! فَأَقْبَلَ يَتَوَكَّأُ عَلَى رُحْمِهِ، وَزَجَهُ نَصْلٌ يَقَارِبُ الْخَطُوطَ، وَيَزِجُ التَّمَارِقَ وَالْبُسْطَ، فَمَا تَرَكَ لَهُمْ نَمِرَقَةً وَلَا بُسَاطًا إِلَّا أَفْسَدَهُ وَتَرَكَهُ مِنْهَكَ مُخَرَّقًا، فَلَمَّا دَنَا مِنْ رُسْتَمَ تَعَلَّقَ بِهِ الْحَرْسُ، وَجَلَسَ عَلَى الْأَرْضِ، وَرَكَزَ رُحْمَهُ بِالْبُسْطِ، فَقَالُوا: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: إِنَّا لَا نَسْتَحِبُّ الْقُعُودَ عَلَى زِينَتِكُمْ هَذِهِ فَكَلَّمَهُ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟

قَالَ: اللَّهُ ابْتَعَنَّا، وَاللَّهُ جَاءَ بِنَا لِنُخْرِجَ مِنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمِنْ ضَيْقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلْنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، فَمِنْ قَبْلِ مَنَّا ذَلِكَ قَبْلَنَا ذَلِكَ مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ، وَتَرَكَاهُ وَأَرْضَهُ يَلِيهَا دُونَنَا، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا، حَتَّى نُنْفِضِي إِلَى مَوْعِدِ اللَّهِ.

قَالَ: وَمَا مَوْعِدُ اللَّهِ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالٍ مِنْ أَبِي، وَالظُّفْرُ لِمَنْ بَقِيَ فَقَالَ رُسْتَمُ: قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكُمْ، فَهَلْ لَكُمْ أَنْ تُؤْخِرُوا هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى نَنْظُرَ فِيهِ وَتَنْظُرُوا! قَالَ: نَعَمْ، كَرَّ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ؟ أَيُّوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ؟

قَالَ: لَا بَلْ حَتَّى نَكْتُبَ أَهْلَ رَأْيِنَا وَرُؤُسَاءَ قَوْمِنَا وَأَرَادَ مُقَارَبَتَهُ وَمُدَافَعَتَهُ، فَقَالَ: إِنَّ مَّا سَنَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَ وَعَمِلَ بِهِ أُمْتُنَا، أَلَا نُمَكِّنُ الْأَعْدَاءَ مِنْ آذَانِنَا، وَلَا نُؤْجِلُهُمْ عِنْدَ اللَّقَاءِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثٍ، فَنَحْنُ مُتَرَدِّدُونَ عَنْكُمْ ثَلَاثًا، فَانْظُرْ فِي أَمْرِكَ وَأَمْرِهِمْ، وَاخْتَرِ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ بَعْدَ الْأَجَلِ، اخْتَرِ الْإِسْلَامَ وَنَدْعُكَ وَأَرْضَكَ، أَوْ الْجُزَاءَ، فَاقْبَلْ وَنَكُفَّ عَنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ عَنْ نَصْرِنَا غَنِيًّا تَرَكَكَ مِنْهُ، وَإِنْ كُنْتَ إِلَيْهِ مُحْتَاجًا مَنَعْنَاكَ أَوْ الْمُنَابَذَةَ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ، وَلَسْنَا نَبْدُوكَ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْيَوْمِ الرَّابِعِ إِلَّا أَنْ تَبْدَأَنَا، أَنَا كَفَيْلٌ لَكَ بِذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِي وَعَلَى جَمِيعٍ مَنْ تَرَى قَالَ: أَسِيدُهُمْ أَنْتَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَسَدِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، يُجِيرُ أَدْنَاهُمْ عَلَى أَعْلَاهُمْ نَخْلَصُ رُسْتَمَ بَرَاءً وَسَاءً أَهْلُ فَارَسَ، فَقَالَ: مَا تَرَوْنَ؟ هَلْ رَأَيْتُمْ كَلَامًا قُطُّ أَوْضَحَ وَلَا أَعَزَّ مِنْ كَلَامِ هَذَا الرَّجُلِ؟ قَالُوا: مَعَاذَ اللَّهِ لَكَ أَنْ تَمِيلَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا وَتَدَعَ دِينَكَ لِهَذَا الْكَلْبِ! أَمَا تَرَى إِلَى ثِيَابِهِ! فَقَالَ: وَيَحْكُمُ لَا تَنْظُرُوا إِلَى الثِّيَابِ، وَلَكِنْ انْظُرُوا إِلَى الرَّأْيِ وَالْكَلَامِ وَالسِّيَرَةِ، إِنَّ الْعَرَبَ تَسْتَخِفُّ بِاللِّبَاسِ وَالْمَأْكَلِ وَيَصُونُونَ الْأَحْسَابَ، لَيْسُوا مِثْلَكُمْ فِي اللَّبَاسِ، وَلَا يَرَوْنَ فِيهِ مَا تَرَوْنَ وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَتَنَاوَلُونَ سِلَاحَهُ، وَيَزْهَدُونَهُ فِيهِ، فَقَالَ لَهُمْ: هَلْ لَكُمْ إِلَى أَنْ تَرَوْنِي فَأَرِيكُمْ؟ فَأَخْرَجَ سَيْفَهُ مِنْ خِرْقِهِ كَأَنَّهُ شُعْلَةٌ نَارٍ فَقَالَ الْقَوْمُ:

أَعْمَدُهُ، فَعَمَدُهُ، ثُمَّ رَمَى تَرْسًا وَرَمَوْا حَجَفَتَهُ، نَحَرِقُ تَرْسَهُمْ، وَسَلَيْتُ حَجَفَتَهُ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ فَارِسَ، إِنَّكُمْ عَظَمْتُمْ الطَّعَامَ وَاللِّبَاسَ وَالشَّرَابَ، وَأَنَا صَغَرْنَا هُنَّ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى الْأَجَلِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ بَعَثُوا أَنْ ابْعَثْ إِلَيْنَا ذَلِكَ الرَّجُلَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَعْدَ حَذِيفَةَ بْنِ مَحْصَنٍ، فَأَقْبَلَ فِي نَحْوِ مَنْ ذَلِكَ الرَّيِّ، حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى أَدْنَى الْبِسَاطِ، قِيلَ لَهُ: أَنْزِلْ، قَالَ: ذَلِكَ لَوْ جِئْتُكُمْ فِي حَاجَتِي، فَقُولُوا لِمَلِكِكُمْ: أَلَهُ الْحَاجَةُ أَمْ لِي؟

فَإِنْ قَالَ: لِي، فَقَدْ كَذَبَ، وَرَجَعْتُ وَتَرَكْتُكُمْ، فَإِنْ قَالَ: لَهُ، لَمْ أَتِكُمْ إِلَّا عَلَى مَا أُحِبُّ فَقَالَ: دَعُوهُ، فَجَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ وَرَسَمَ عَلَى سَرِيرِهِ، فَقَالَ:

أَنْزِلْ، قَالَ: لَا أَفْعَلُ، فَلَمَّا أَبَى سَأَلَهُ: مَا بَالُكَ جِئْتُ وَلَمْ يَجِيءْ صَاحِبُنَا بِالْأَمْسِ؟ قَالَ: إِنَّ أَمِيرَنَا يُحِبُّ أَنْ يَعْدَلَ بَيْنَنَا فِي الشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، فَهَذِهِ نَوْبِي قَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَلَيْنَا بِدِينِهِ، وَأَرَانَا آيَاتِهِ، حَتَّى عَرَفْنَاهُ وَكُنَّا لَهُ مُنْكَرِينَ ثُمَّ أَمَرَنَا بِدُعَاءِ النَّاسِ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْ ثَلَاثٍ، فَأَيُّهَا أَجَابُوا إِلَيْهَا قِيلَ: الْإِسْلَامُ وَنَصَرَفَ عَنْكُمْ، أَوِ الْجَزَاءُ وَيَمْنَعُكُمْ إِنْ احْتَجَجْتُمْ إِلَى ذَلِكَ، أَوِ الْمُنَابَذَةُ فَقَالَ: أَوِ الْمَوَادَعَةُ إِلَى يَوْمٍ مَا؟ فَقَالَ:

نَعَمْ، ثَلَاثًا مِنْ أَمْسٍ فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ إِلَّا ذَلِكَ رَدَّهُ وَأَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: وَيْحَكُمْ! أَلَا تَرَوْنَ إِلَى مَا أَرَى! جَاءَنَا الْأَوَّلُ بِالْأَمْسِ فَغَلَبْنَا عَلَى أَرْضِنَا، وَحَقَّرَ مَا نَعُظُّمُ، وَأَقَامَ فَرَسَهُ عَلَى زَبْرَجِنَا وَرَبَطَهُ بِهِ، فَهُوَ فِي يَمْنِ الطَّائِرِ، ذَهَبَ بِأَرْضِنَا وَمَا فِيهَا إِلَيْهِمْ، مَعَ فَضْلِ عَقْلِهِ وَجَاءَنَا هَذَا الْيَوْمَ فَوَقَّفَ عَلَيْنَا، فَهُوَ فِي يَمْنِ الطَّائِرِ، يَقُومُ عَلَى أَرْضِنَا دُونَنا، حَتَّى أَغْضِبَهُمْ وَأَغْضَبُوهُ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَرْسَلَ: ابْعَثُوا إِلَيْنَا رَجُلًا، فَبَعَثُوا إِلَيْهِمُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ قَالَ: لَمَّا جَاءَ الْمُغِيرَةُ إِلَى الْقَنْطَرَةِ فَعَبَّرَهَا إِلَى أَهْلِ فَارِسَ حَبَسُوهُ وَاسْتَأْذَنُوا رَسَمَ

فِي إِجَازَتِهِ، وَلَمْ يَغْيُرُوا شَيْئًا مِنْ شَارَتِهِمْ، تَقْوِيَةً لَهَاوِنِهِمْ، فَأَقْبَلَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَالْقَوْمُ فِي زِيَّتِهِمْ، عَلَيْهِمُ التَّيْجَانُ وَالثِّيَابُ الْمَنَسُوجَةُ بِالذَّهَبِ، وَبَسَطَهُمْ عَلَى غُلْوَةٍ لَا يَصِلُ إِلَى صَاحِبِهِمْ، حَتَّى يَمِشِيَ عَلَيْهِمْ غُلْوَةً، وَأَقْبَلَ الْمُغِيرَةُ وَلَهُ أَرْبَعُ ضَفَائِرٍ يَمِشِي، حَتَّى جَلَسَ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ وَوَسَادَتِهِ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِ فَتَرْتَرُوهُ وَأَنْزَلُوهُ وَمَغْثُوهُ فَقَالَ: كَانَتْ تَبْلُغُنَا عَنْكُمْ الْأَحْلَامُ، وَلَا أَرَى قَوْمًا أَسْفَهَ مِنْكُمْ! إِنَّا مَعْشَرَ الْعَرَبِ سَوَاءٌ، لَا يَسْتَعِيدُ بَعْضُنَا بَعْضًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُحَارِبًا لِصَاحِبِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّكُمْ تَوَاسُونَ قَوْمَكُمْ كَمَا تَتَوَاسَى، وَكَانَ أَحْسَنَ مِنَ الَّذِي صَنَعْتُمْ أَنْ تُخْبِرُونِي أَنَّ بَعْضَكُمْ أَرْبَابُ بَعْضٍ، وَأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَسْتَقِيمُ فِيكُمْ فَلَا نَصْنَعُهُ، وَلَمْ أَتِكُمْ، وَلَكِنْ دَعَوْتُونِي الْيَوْمَ، عَلِمْتُ أَنَّ أَمْرَكُمْ مُضْمَحِلٌّ، وَأَنْتُمْ مَغْلُوبُونَ، وَأَنْ مَلِكًا لَا يَقُومُ عَلَى هَذِهِ السَّيْرِ، وَلَا عَلَى هَذِهِ الْعُقُولِ فَقَالَتْ السَّفَلَةُ: صَدَقَ وَاللَّهِ الْعَرَبِيُّ، وَقَالَتْ الدَّهَاقِينُ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَمَى بِكَلَامٍ لَا يَزَالُ عِبِيدُنَا يَنْزِعُونَ إِلَيْهِ، قَاتَلَ اللَّهُ أَوَّلِينَا، مَا كَانَ أَحَقَّهُمْ حِينَ كَانُوا يُصَغِّرُونَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ! فَمَارَحَهُ رَسَمٌ لِيَحُو مَا صَنَعَ، وَقَالَ لَهُ:

يَا عَرَبِيُّ، إِنَّ الْحَاشِيَةَ قَدْ تَصَنَّعَ مَا لَا يُوَافِقُ الْمَلِكَ، فَيَتَرَاخَى عَنْهَا مَخَافَةً أَنْ يَكْسِرَهَا عَمَّا يَنْبَغِي مِنْ ذَلِكَ، فَلَا أَمْرَ عَلَى مَا تُحِبُّ مِنَ الْوَفَاءِ وَقَبُولِ الْحَقِّ، مَا هَذِهِ الْمَغَازِلُ الَّتِي مَعَكَ؟ قَالَ: مَا ضَرَّ الْجَمْرَةَ إِلَّا تَكُونُ طَوِيلَةً! ثُمَّ رَامَاهُمْ وَقَالَ:

مَا بَالُ سَيْفِكَ رَثًا! قَالَ: رَثُ الْكِسْوَةِ، حَدِيدُ الْمَضْرِبَةِ ثُمَّ عَاطَاهُ سَيْفَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسَمٌ: تَكَلَّمْ أَمْ أَتَكَلَّمُ؟ فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: أَنْتَ الَّذِي بَعَثْتَ إِلَيْنَا، فَتَكَلَّمْ، فَأَقَامَ التَّرْجُمَانُ بَيْنَهُمَا، وَتَكَلَّمْ رَسَمٌ، فَحَمِدَ قَوْمَهُ، وَعَظَّمَ أَمْرَهُمْ وَطَوَّلَهُ، وَقَالَ: لَمْ نَزَلْ مُتَمَكِّينَ فِي الْبِلَادِ، ظَاهِرِينَ عَلَى الْأَعْدَاءِ، أَشْرَافًا فِي الْأُمَمِ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُلُوكِ مِثْلُ عِزِّنَا وَشَرَفِنَا وَسُلْطَانِنَا، نُنْصِرُ عَلَى النَّاسِ وَلَا يُنْصَرُونَ عَلَيْنَا إِلَّا الْيَوْمَ وَالْيَوْمَيْنِ، أَوِ الشَّهْرَ وَالشَّهْرَيْنِ، لِلذُّنُوبِ، فَإِذَا انْتَقَمَ اللَّهُ فَرَضِي رَدَّ إِلَيْنَا عِزَّنَا، وَجَمَعَنَا لِعَدُونَا شَرَّ يَوْمٍ هُوَ آتٍ عَلَيْهِمْ

ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي النَّاسِ أُمَّةٌ أَصْغَرُ عِنْدَنَا أَمْرًا مِنْكُمْ، كُنْتُمْ أَهْلَ قَشْفٍ وَمَعِيشَةٍ سَيِّئَةٍ، لَا نَرَاكُمْ شَيْئًا وَلَا نَعُدُّكُمْ، وَكُنْتُمْ إِذَا حَقَّتْ أَرْضُكُمْ، وَأَصَابَتْكُمُ السَّنَةُ اسْتَعْتَمْتُمْ بَنَاحِيَهُ أَرْضُنَا فَنَأْمُرُ لَكُمْ بِالشَّيْءِ مِنَ التَّمْرِ وَالشَّعِيرِ ثُمَّ نَرُدُّكُمْ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَمْ يَحْمِلْكُمْ عَلَى مَا صَنَعْتُمْ إِلَّا مَا أَصَابَكُمْ مِنَ الْجَهْدِ فِي بِلَادِكُمْ، فَأَنَا أَمْرٌ لِأَمِيرِكُمْ بِكِسْوَةٍ وَبَغْلٍ وَالْفِ دَرَاهِمٍ، وَأَمْرٌ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِوَقْرٍ تَمْرٍ وَبَثْوَيْنٍ، وَتَتَصَرَّفُونَ عَنَّا، فَإِنِّي لَسْتُ أَشْتَبِي أَنْ أَقْتُلَكُمْ وَلَا أَسْرُكُمْ فَتَكَلَّمِ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، حَمْدُ اللَّهِ وَآثْنِي عَلَيْهِ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَازِقُهُ، فَمَنْ صَنَعَ شَيْئًا فَإِنَّمَا هُوَ الَّذِي يَصْنَعُهُ هُوَ لَهُ وَأَمَّا الَّذِي ذَكَرْتَ بِهِ نَفْسَكَ وَأَهْلَ بِلَادِكَ، مِنَ الظُّهُورِ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَالتَّمَكُّنِ فِي الْبِلَادِ وَعَظْمِ السُّلْطَانِ فِي الدُّنْيَا، فَحَنْ نَعْرِفُهُ، وَلَسْنَا نُنْكِرُهُ، فَاللَّهُ صَنَعَهُ بِكُمْ، وَوَضَعَهُ فِيكُمْ، وَهُوَ لَهُ دُونُكُمْ، وَأَمَّا الَّذِي ذَكَرْتَ فِينَا مِنْ سُوءِ الْحَالِ، وَضِيقِ الْمَعِيشَةِ وَاخْتِلَافِ الْقُلُوبِ، فَحَنْ نَعْرِفُهُ، وَلَسْنَا نُنْكِرُهُ، وَاللَّهُ ابْتَلَانَا بِذَلِكَ، وَصَبَرْنَا إِلَيْهِ، وَالدُّنْيَا دُولٌ، وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ شَدَائِدِهَا يَتَوَقَّعُونَ الرَّخَاءَ حَتَّى يَصِيرُوا إِلَيْهِ، وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ رَخَائِهَا يَتَوَقَّعُونَ الشَّدَائِدَ حَتَّى تَنْزِلَ بِهِمْ، وَيَصِيرُوا إِلَيْهَا، وَلَوْ كُنْتُمْ فِيمَا آتَاكُمْ اللَّهُ ذَوِي شُكْرِ، كَانَ شُكْرُكُمْ يَقْصُرُ عَمَّا أُوتِيتُمْ، وَأَسْلَمَكُمْ ضَعْفُ الشُّكْرِ إِلَى تَغْيِيرِ الْحَالِ، وَلَوْ كُنَّا فِيمَا ابْتَلَيْنَا بِهِ أَهْلَ كُفْرٍ، كَانَ عَظِيمُ مَا تَتَابَعَ عَلَيْنَا مُسْتَجْلِبًا مِنَ اللَّهِ رَحْمَةً يَرْفَهُ بِهَا عَنَّا، وَلَكِنَّ الشَّانَ غَيْرُ مَا تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ، أَوْ كُنْتُمْ تَعْرِفُونَنَا بِهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعَثَ فِينَا رَسُولًا ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَ الْكَلَامِ الْأَوَّلِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ:

وَإِنْ احْتَجَّتْ إِلَيْنَا أَنْ نَمْنَعَكَ فَكُنْ لَنَا عَبْدًا تُؤَدِّي الْجَزِيَّةَ عَنْ يَدٍ وَأَنْتَ صَاغِرٌ، وَإِلَّا فَالْسَيْفُ إِنْ آيَتْ! فَنَخْرُ نَخْرَةً، وَاسْتَشَاطَ غَضَبًا، ثُمَّ حَلَفَ بِالشَّمْسِ لَا يَرْتَفِعُ لَكُمْ الصُّبْحُ غَدًا حَتَّى أَقْتُلَكُمْ أَجْمَعِينَ.

فَانْصَرَفَ الْمُغِيرَةُ، وَخَلَصَ رُسُومُ تَأْلَفًا بِأَهْلِ فَارِسَ، وَقَالَ: أَيْنَ هَؤُلَاءِ مِنْكُمْ؟ مَا بَعْدَ هَذَا! أَلَمْ يَأْتِكُمُ الْأَوَّلَانِ فَخَسَرَاكُمْ وَاسْتَحْرَجَاكُمْ، ثُمَّ جَاءَ كَمْ

هَذَا، فَلَمْ يَخْتَلِفُوا، وَسَلَكُوا طَرِيقًا وَاحِدًا، وَلَزِمُوا أَمْرًا وَاحِدًا، هَؤُلَاءِ وَاللَّهُ الرَّجَالُ، صَادِقِينَ كَانُوا أَمْ كَاذِبِينَ! وَاللَّهُ لَئِنْ كَانَ بَلَغَ مِنْ إِرْبِهِمْ وَصَوْنِهِمْ لِسِرِّهِمْ أَلَّا يَخْتَلِفُوا، فَمَا قَوْمٌ أَبْلَغُ فِيمَا أَرَادُوا مِنْهُمْ، لَئِنْ كَانُوا صَادِقِينَ مَا يَقُومُ هَؤُلَاءِ شَيْءٌ! فَلَجُّوا وَتَجَلَّدُوا وَقَالَ: وَاللَّهُ إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَصْغُونَ إِلَى مَا أَقُولُ لَكُمْ، وَإِنْ هَذَا مِنْكُمْ رِيَاءً، فَارْزُدُوا لِبَاجَةٍ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ النُّضْرِ، عَنْ ابْنِ الرِّفِيلِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: فَأَرْسَلَ مَعَ الْمُغِيرَةِ رَجُلًا، وَقَالَ لَهُ: إِذَا قَطَعَ الْقَنْطَرَةَ، وَوَصَلَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَنَادِ: إِنَّ الْمَلِكَ كَانَ مُنْجِمًا قَدْ حَسَبَ لَكَ وَنَظَرَ فِي أَمْرِكَ، فَقَالَ: إِنَّكَ غَدًا تَفْقَأُ عَيْنَكَ فَفَعَلَ الرَّسُولُ، فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: بَشَّرْتَنِي بِخَيْرٍ وَاجِرٍ، وَلَوْلَا أَنْ أُجَاهِدَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَشْبَاهَكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، لَتَمَيَّتُ أَنَّ الْأُخْرَى ذَهَبَتْ أَيْضًا فَارَاهُمْ يَضْحَكُونَ مِنْ مَقَالَتِهِ، وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ بَصِيرَتِهِ، فَرَجَعَ إِلَى الْمَلِكَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: أَطِيعُونِي يَا أَهْلَ فَارِسَ، وَإِنِّي لَأَرَى لِلَّهِ فِيكُمْ نَقْمَةً لَا تَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا عَنْ أَنْفُسِكُمْ.

وَكَانَتْ خِيولُهُمْ تَلْتَقِي عَلَى الْقَنْطَرَةِ لَا تَلْتَقِي إِلَّا عَلَيْهَا، فَلَا يَزَالُونَ يَبْدُؤُونَ الْمُسْلِمِينَ، وَالْمُسْلِمُونَ كَافُونَ عَنْهُمْ الثَّلَاثَةَ أَيَّامًا، لَا يَبْدُؤُونَهُمْ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مِنْهُمْ صَدُوهُمْ وَرَدُّوهُمْ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: كَانَ تَرْجُمَانُ رُسُومٍ عَنْ أَهْلِ الْحَبِيرَةِ يُدْعَى عُبُودَ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مَجَالِدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ وَسَعِيدِ بْنِ الْمَرْزَبَانِ، قَالَا: دَعَا رُسُومُ بِالْمُغِيرَةِ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ عَلَى سَرِيرِهِ، وَدَعَا رُسُومُ تَرْجُمَانَهُ- وَكَانَ عَرَبِيًّا مِنْ أَهْلِ الْحَبِيرَةِ، يُدْعَى عُبُودَ- فَقَالَ لَهُ الْمُغِيرَةُ: وَيْحَكَ يَا عُبُودُ! أَنْتَ رَجُلٌ عَرَبِيٌّ، فَأَبْلَغُهُ

عَنِّي إِذَا أَنَا تَكَلَّمْتُ كَمَا تَبَلَّغْنِي عَنْهُ فَقَالَ لَهُ رُسْتَمٌ مِثْلَ مَقَالَتِهِ، وَقَالَ لَهُ الْمُغِيرَةُ مِثْلَ مَقَالَتِهِ، إِلَى أَحَدَى ثَلَاثٍ خِلَالٍ: إِلَى الْإِسْلَامِ وَلَكُمْ فِيهِ مَا لَنَا وَعَلَيْكُمْ فِيهِ مَا عَلَيْنَا، لَيْسَ فِيهِ تَفَاضُلٌ بَيْنَنَا، أَوِ الْجَزِيَّةِ عَنْ يَدٍ وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ قَالَ: مَا صَاغِرُونَ؟

قَالَ: أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ عَلَى رَأْسِ أَحَدِنَا بِالْجَزِيَّةِ يَحْمِدُهُ أَنْ يَقْبَلَهَا مِنْهُ.

إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَالْإِسْلَامُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْهُمَا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عُبَيْدَةَ، عَنْ شَقِيقٍ، قَالَ: شَهِدْتُ الْقَادِسِيَّةَ غُلَامًا بَعْدَ مَا احْتَلَمْتُ، فَقَدِمَ سَعْدُ الْقَادِسِيَّةَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، وَبِهَا أَهْلُ الْأَيَّامِ، فَقَدِمْتُ عَلَيْنَا مُقَدِّمَاتُ رُسْتَمٍ، ثُمَّ زَحَفَ إِلَيْنَا فِي سِتِّينَ أَلْفًا، فَلَمَّا أَشْرَفَ رُسْتَمٌ عَلَى الْعَسْكَرِ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ، ابْعَثُوا إِلَيْنَا رَجُلًا يَكَلِّمُنَا وَنَكَلِّمُهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ وَنَفَرًا، فَلَمَّا أَتَوْا رُسْتَمَ جَلَسَ الْمُغِيرَةُ عَلَى السَّرِيرِ، فَخَرَّ أَخُو رُسْتَمٍ، فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: لَا تَخْرُ، فَمَا زَادَنِي هَذَا شَرَفًا وَلَا نَقَصَ أَخَاكَ فَقَالَ رُسْتَمٌ:

يَا مُغِيرَةُ، كُنْتُ أَهْلُ شِقَاءٍ، حَتَّى بَلَغَ، وَإِنْ كَانَ لَكُمْ أَمْرٌ سِوَى ذَلِكَ، فَأَخْبِرُونَا ثُمَّ أَخَذَ رُسْتَمٌ سَهْمًا مِنْ كِتَابَتِهِ، وَقَالَ: لَا تَرَوْا أَنَّ هَذِهِ الْمَغَارِلَ تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا، فَقَالَ الْمُغِيرَةُ مُجِيبًا لَهُ، فَذَكَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَكَانَ مِمَّا رَزَقَنَا اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ حَبَّةً تَبَّتْ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ، فَلَمَّا أَذَقْنَاهَا عِيَالَنَا، قَالُوا: لَا صَبْرَ لَنَا عَنْهَا، فَجُنْنَا لِنَطْعَمَهُمْ أَوْ نَمُوتَ فَقَالَ رُسْتَمٌ: إِذَا تَمُوتُونَ أَوْ تُقْتَلُونَ، فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: إِذَا يَدْخُلُ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَدْخُلُ مَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ النَّارَ، وَيُظْفَرُ مِنْ بَقِيٍّ مَنَا بِمَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ، فَنَحْنُ نُخِيرُكَ بَيْنَ ثَلَاثٍ خِلَالٍ إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ فَقَالَ رُسْتَمٌ: لَا صَلَحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادَ، قَالُوا: أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ سَعْدُ بَقِيَّةَ ذَوِي الرَّأْيِ جَمِيعًا، وَحَبَسَ الثَّلَاثَةَ، فَخَرَجُوا حَتَّى أَتَوْهُ لِيُعْظِمُوا عَلَيْهِ اسْتِقْبَاحًا، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ أَمِيرَنَا يَقُولُ لَكَ: إِنَّ الْجَوَارِ يَحْفَظُ الْوَلَاةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَنَا وَلَكَ، الْعَافِيَةُ أَنْ تَقْبَلَ

مَا دَعَاكَ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَنَرْجِعُ إِلَى أَرْضِنَا، وَنَرْجِعُ إِلَى أَرْضِكَ وَبَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ، إِلَّا أَنْ دَارَكُمْ لَكُمْ، وَأَمْرُكُمْ فِيكُمْ، وَمَا أَصَبْتُمْ مِمَّا وَرَاءَكُمْ كَانَ زِيَادَةً لَكُمْ دُونَنَا، وَكَأَنَّكُمْ عَوْنَا عَلَى أَحَدٍ إِنْ أَرَادَكُمْ أَوْ قَوِيَّ عَلَيْكُمْ وَاتَّقِ اللَّهَ يَا رُسْتَمُ، وَلَا يَكُونَنَّ هَلَاكُ قَوْمِكَ عَلَى يَدَيْكَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَنْ تَغْبِطَ بِهِ إِلَّا أَنْ تَدْخُلَ فِيهِ وَتَطْرُدَ بِهِ الشَّيْطَانُ عَنْكَ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ كَلَّمْتُ مِنْكُمْ نَفَرًا، وَلَوْ أَنَّهُمْ فَهِمُوا عَنِّي رَجَوْتُ أَنْ تَكُونُوا قَدْ فَهِمْتُمْ، وَإِنَّ الْأَمْثَالَ أَوْضَحُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْكَلَامِ، وَسَأَضْرِبُ لَكُمْ مِثْلَكُمْ تُبْصِرُوا أَنْكُمْ كُنْتُمْ أَهْلُ جَهْدٍ فِي الْمَعِيشَةِ، وَقَشَفَ فِي الْهَيْئَةِ، لَا تَمْتَنِعُونَ وَلَا تَنْتَصِفُونَ، فَلَمْ نُسَيِّ جَوَارَكُمْ، وَلَمْ نَدْعُ مُوَسَاتِكُمْ، تُقَحِّمُونَ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ، فَنَمِيرُكُمْ ثُمَّ نَرُدُّكُمْ، وَتَأْتُونَنَا أَجْرَاءَ وَتُجَارًا، فَنَحْسِنُ إِلَيْكُمْ، فَلَمَّا تَطَاعَمْتُمْ بِطَعَامِنَا، وَشَرِبْتُمْ شَرَابَنَا، وَأَظْلَكُمُ ظِلَّنَا، وَصَفْتُمْ لِقَوْمَكُمْ، فَدَعَوْتُمُوهُمْ، ثُمَّ أَتَيْتُمُونَا بِهِمْ، وَإِنَّمَا مِثْلُكُمْ فِي ذَلِكَ وَمِثْلُنَا كَمِثْلِ رَجُلٍ كَانَ لَهُ كَرْمٌ، فَرَأَى فِيهِ ثَعْلَبًا، فَقَالَ: وَمَا ثَعْلَبُ! فَانْطَلَقَ الثَّعْلَبُ، فَدَعَا الثَّعْلَبَ إِلَى ذَلِكَ الْكَرْمِ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ سَدٌّ عَلَيْهِنَّ صَاحِبُ الْكَرْمِ الْخَجْرَ الَّذِي كُنَّ يَدْخُلْنَ مِنْهُ، فَقَتَلَهُنَّ، وَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّ الَّذِي حَمَلَكُمْ عَلَى هَذَا الْحَرْصِ وَالطَّمَعِ وَالْجَهْدِ، فَارْجِعُوا عَنَّا عَامَكُمْ هَذَا، وَأَمْتَارُوا حَاجَتَكُمْ، وَلَكُمْ الْعُودُ كُلُّمَا اجْتَجَمْتُمْ، فَإِنِّي لَا أَشْتَهِي أَنْ أَقْتُلَكُمْ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عِمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ الضُّبِّيِّ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ يَرْبُوعٍ شَهِدَهَا، قَالَ: وَقَدْ أَصَابَ أَنَاسٌ كَثِيرٌ مِنْكُمْ مِنْ أَرْضِنَا مَا أَرَادُوا، ثُمَّ كَانَ مُصِيرُهُمُ الْقَتْلَ وَالْهَرَبَ، وَمِنْ سَنَ هَذَا لَكُمْ خَيْرٌ مِنْكُمْ وَأَقْوَى، وَقَدْ رَأَيْتُمْ أَنْتُمْ كُلُّمَا أَصَابُوا شَيْئًا أَصِيبَ بَعْضُهُمْ وَنَجَّى بَعْضُهُمْ، وَخَرَجَ مِمَّا كَانَ أَصَابَ، وَمِنْ أَمْثَالِكُمْ فِيمَا تَصْنَعُونَ مِثْلَ جَرْدَانِ أَلْفَتْ جَرَّةً فِيهَا حَبٌّ، وَفِي الْجَرَّةِ ثَقَبٌ، فَدَخَلَ الْأَوَّلُ فَأَقَامَ فِيهَا، وَجَعَلَ الْآخَرُ يَنْقُلُنَ مِنْهَا وَيَرْجِعْنَ وَيَكَلِمْنَهُ فِي الرَّجُوعِ، فَيَأْبَى فَاتَهَى سَمْنُ الَّذِي فِي الْجَرَّةِ، فَاشْتَاقَ إِلَى أَهْلِهِ

ليزيمهم حسن حاله،

فضاق عليه الجحر، ولم يطق الخروج، فشكا القلق إلى أصحابه، وسألهم المخرج، فقلن له: ما أنت بخارج منها حتى تعود كما كنت قبل أن تدخل، فكف وجوع نفسه، وبقي في الخوف، حتى إذا عاد كما كان قبل أن يدخلها أتى عليه صاحب الجرة فقتله فاخرجوا ولا يكون هذا لكم مثلاً.

كَتَبَ إِلَى السَّري، عن شعيب، عن سيف، عن النضر، عن ابن الرقيل، عن أبيه، قال: وقال: لم يخلق الله خلقاً أولع من ذباب ولا أضرم، ما خلاكم يا معشر العرب، ترون الهلاك ويدليكم فيه الطمع، وسأضرب لكم مثلكم: إن الذباب إذا رأى العسل طار، وقال: من يوصلني إليه وله درهمان حتى يدخله؟ لا يهنه أحد إلا عصاه، فإذا دخله غرق ونشب وقال: من يخرجني وله أربعة دراهم؟ وقال أيضاً: إنما مثلكم مثل ثعلب دخل بجرا وهو مهزول ضعيف إلى كرم، فكان فيه يأكل ما شاء الله، فرآه صاحب الكرم، ورأى ما به، فرحمه، فلما طال مكثه في الكرم وسمن، وصلحت حاله، وذهب ما كان به من الهزال أشر، فجعل يعث بالكرم ويفسد أكثر مما يأكل، فاشتد على صاحب الكرم، فقال: لا أصبر على هذا من أمر هذا، فأخذ له خشبة واستعان عليه غلثانه، فطلبوه وجعل يراوغهم في الكرم، فلما رأى أنهم غير مقلعين عنه، ذهب ليخرج من الجحر الذي دخل منه، فنشب اتسع عليه وهو مهزول، وضاق عليه وهو سمين، فجاءه وهو على تلك الحال صاحب الكرم، فلم يزل يضربه حتى قتله، وقد جئتم وأنتم مهازيل، وقد ستمت شيئا من سمن، فانظروا كيف تخرجون! وقال أيضاً: إن رجلاً وضع سلا، وجعل طعامه فيه، فأتى الجرذان، فخرقوا سله، فدخلوا فيه فأراد سده، فقيل له: لا تفعل، إذا يخرقنه، ولكن انقب بحباله، ثم اجعل فيها قصبة مجوفة، فإذا جاءت الجرذان دخلن من القصبة وخرجن منها، فكلما طلع عليكم جرد قتلتموه وقد سددت عليكم، فإياكم أن تقتحموا القصبة، فلا يخرج منها أحد إلا قتل، وما دعاكم إلى ما صنعتم، ولا أرى عدداً ولا عدة!

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة بإسناديهما وزيد معهما، قالوا: فتكلم القوم فقالوا: أَمَا مَا ذَكَّرْتُمْ مِنْ سُوءِ حَالِنَا فِيمَا مَضَى، وَأَنْتُمْ أَمْرِنَا، فَلَمَّا تَبْلَغَ كُنْهَهُ! يَمُوتُ الْمَيِّتُ مِنْهُ إِلَى النَّارِ، وَيَبْقَى الْبَاقِي مِنْهُ فِي بُؤْسٍ، فَبَيْنَا نَخُنُّ فِي أَسْوَأِ ذَلِكَ، بَعَثَ اللَّهُ فِينَا رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِنَا إِلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، رَحْمَةً رَحِمَ بِهَا مَنْ أَرَادَ رَحْمَتَهُ، وَنَقْمَةً يَنْتَقِمُ بِهَا مَنْ رَدَّ كَرَامَتَهُ، فَبَدَأَ بِنَا قَبِيلَةَ قَبِيلَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَشَدَّ عَلَيْهِ، وَلَا أَشَدَّ إِنْكَارًا لِمَا جَاءَ بِهِ، وَلَا أَجْهَدَ عَلَى قَتْلِهِ وَرَدَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى طَابَقْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ كُلُّنَا، فَصَبْنَا لَهُ جَمِيعًا، وَهُوَ وَحْدَهُ فَرَدُّ لَيْسَ مَعَهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، فَأَعْطَى الظُّفَرَ عَلَيْنَا، فَدَخَلَ بَعْضُنَا طَوْعًا، وَبَعْضُنَا كَرْهًا، ثُمَّ عَرَفْنَا جَمِيعًا الْحَقَّ وَالصِّدْقَ لِمَا أَتَانَا بِهِ مِنَ الْآيَاتِ الْمُعْجَزَةِ، وَكَانَ مِمَّا أَتَانَا بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا جِهَادُ الْأَدْنَى فَلَا أَدْنَى، فَسَرْنَا بِذَلِكَ فِيمَا بَيْنَنَا، نَرَى أَنَّ الَّذِي قَالَ لَنَا وَوَعَدَنَا لَا يُخْرَمُ عَنْهُ وَلَا يُنْقَضُ، حَتَّى اجْتَمَعَتِ الْعَرَبُ عَلَى هَذَا، وَكَانُوا مِنْ اخْتِلَافِ الرَّأْيِ فِيمَا لَا يُطِيقُ الْخِلَافُ تَأْلِيْفُهُمْ ثُمَّ أَتَيْنَاكُمْ بِأَمْرِ رَبِّنَا، نُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ، وَنَنْفِذُ لَأَمْرِهِ، وَنَنْتَهِزُ مَوْعِدَهُ، وَنَدْعُوكُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَحُكْمِهِ، فَإِنْ أَجَبْتُمُونَا تَرَكَّاكُمْ وَرَجَعْنَا وَخَلَفْنَا فِيكُمْ كِتَابَ اللَّهِ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ لَمْ يَحِلَّ لَنَا إِلَّا أَنْ نَعَاطِيَكُمْ الْقِتَالَ أَوْ تَفْتَدُوا بِالْجِزْيِ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ وَإِلَّا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْرَثَنَا أَرْضَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ.

فَاقْبَلُوا نَصِيحَتَنَا، فَوَاللَّهِ لِإِسْلَامِكُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ غَنَائِكُمْ، وَلِقِتَالِكُمْ بَعْدَ أَحَبِّ مِنْ صَلَاحِكُمْ وَأَمَّا مَا ذَكَّرْتُ مِنْ رِثَائِنَا وَقِلَّتِنَا فَإِنَّ أَدَاتَنَا الطَّاعَةَ، وَقِتَالَنَا الصَّبْرَ وَأَمَّا مَا ضَرَبْتُمْ لَنَا مِنَ الْأَمْثَالِ، فَإِنَّكُمْ ضَرَبْتُمْ لِلرَّجَالِ وَالْأُمُورِ الْجِسَامَ وَلِلْجِدِّ الْهَزْلَ، وَلَكِنَّ سَنَضْرِبُ مَثَلَكُمْ، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ مَثَلُ رَجُلٍ غَرَسَ أَرْضًا، وَاخْتَارَ لَهَا الشَّجَرَ وَالْحَبَّ، وَأَجْرَى إِلَيْهَا الْأَنْهَارَ، وَزَيَّنَهَا بِالْقُصُورِ، وَأَقَامَ فِيهَا فَلَا حِينَ يَسْكُنُونَ قُصُورَهَا، وَيَقُومُونَ عَلَى جَنَاتِهَا، فَخَلَا الْفُلَاْحُونَ فِي الْقُصُورِ عَلَى مَا لَا يُحِبُّ، وَفِي الْجَنَانِ بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَأَطَالَ نَظَرْتَهُمْ، فَلَمَّا لَمْ يَسْتَحْيُوا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ، اسْتَعْتَبَهُمْ فَكَابَرُوهُ، فَدَعَا

إِلَيْهَا غَيْرُهُمْ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا، فَإِنْ ذَهَبُوا عَنْهَا تَخَطَّفَهُمُ النَّاسُ، وَإِنْ أَقَامُوا فِيهَا صَارُوا خَوَلًا لِهَؤُلَاءِ يَمْلِكُونَهُمْ، وَلَا يَمْلِكُونَ عَلَيْهِمْ، فَيَسُومُونَهُمُ الْخَسْفَ ابداً، وَوَاللَّهِ أَنْ لَوْ لَمْ يَكُنْ مَا نَقُولُ لَكَ حَقًّا، وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا الدُّنْيَا، لَمَا كَانَ لَنَا عَمَّا ضَرَيْنَا بِهِ مِنْ لَذِيذِ عَيْشِكُمْ، وَرَأَيْنَا مِنْ زَبْرَجِكُمْ مِنْ صَبْرٍ، وَلَقَارَعْنَاكُمْ حَتَّى نَغْلِبَكُمْ عَلَيْهِ.

فَقَالَ رُسْتَمٌ: أَتَعْبُرُونَ إِلَيْنَا أَمْ نَعْبُرُ إِلَيْكُمْ؟ فَقَالُوا: بَلَى اْعْبُرُوا إِلَيْنَا، نَخْرُجُوا مِنْ عِنْدِهِ عَشِيًّا، وَأَرْسَلَ سَعْدٌ إِلَى النَّاسِ أَنْ يَقِفُوا مَوَاقِفَهُمْ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ: شَانُكُمْ وَالْعُبُورَ، فَأَرَادُوا الْقَنْطَرَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ: لَا وَلَا كَرَامَةً! أَمَّا شَيْءٌ قَدْ غَلَبَنَاكُمْ عَلَيْهِ فَلَنْ نَزِدَّهُ عَلَيْكُمْ، تَكَلَّفُوا مَعْبَرًا غَيْرَ الْقَنَاطِرِ، فَبَاتُوا يَسْكُرُونَ الْعَتِيقَ حَتَّى الصَّبَاحِ بِأَمْتِعَتِهِمْ

يوم أرمات

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ وَعَنْ الْحَكَمِ، قَالَا: لَمَّا أَرَادَ رُسْتَمُ الْعُبُورَ أَمَرَ بِسُكْرِ الْعَتِيقِ بِحِيَالٍ قَادِسٍ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ أَسْفَلَ مِنْهَا الْيَوْمَ مِمَّا يَلِي عَيْنَ الشَّمْسِ، فَبَاتُوا لَيْلَتَهُمْ حَتَّى الصَّبَاحِ يَسْكُرُونَ الْعَتِيقَ بِالتَّرَابِ وَالْقَصَبِ وَالْبِرَازِ عِ حَتَّى جَعَلُوهُ طَرِيقًا، وَاسْتَمَّ بَعْدَ مَا ارْتَفَعَ النَّهَارُ مِنَ الْغَدِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادَ بِإِسْنَادِهِمْ، قَالُوا: وَرَأَى رُسْتَمُ مِنَ اللَّيْلِ أَنَّ مَلَكًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، فَأَخَذَ قِسِي أَصْحَابِهِ، نَفِثَ عَلَيْهِا، ثُمَّ صَعِدَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَقِظَ مَهْمُومًا مَحْزُونًا، فَدَعَا خَاصَّتَهُ فَقَصَّهَا عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَيُعْظِنَا، لَوْ أَنَّ فَارِسَ تَرَكَوْنِي أَتَعْظُ! أَمَّا تَرُونَ النَّصْرَ قَدْ رَفَعَ عَنَّا، وَتَرُونَ الرِّيحَ مَعَ عَدُونَا، وَأَنَا لَا نَقُومُ لَهُمْ فِي فِعْلٍ وَلَا مَنْطِقٍ، ثُمَّ هُمْ يَرِيدُونَ مَغَالِبَةَ بِالْجَبْرِ! فَعَبُرُوا بِأَثْقَالِهِمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى ضِفَّةِ الْعَتِيقِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْأَعْمَشِ، قَالَ:

لَمَّا كَانَ يَوْمُ السُّكْرِ، لَبَسَ رُسْتَمُ دَرْعَيْنِ وَمَغْفَرًا وَأَخَذَ سِلَاحَهُ، وَأَمَرَ بِفَرَسِهِ فَأَسْرَجَ، فَأَتَى بِهِ فَوْثَبَ، فَإِذَا هُوَ عَلَيْهِ لَمْ يَمْسِهِ وَلَمْ يَضَعْ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ، ثُمَّ قَالَ: غَدَا نَدْقُهُمْ دَقًّا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقَالَ:

وَأِنْ لَمْ يَشَأْ! كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادَ بِإِسْنَادِهِمْ، قَالُوا: قَالَ رُسْتَمُ: إِنَّمَا ضَغَا الثَّعْلَبُ حِينَ مَاتَ الْأَسَدُ - يَذْكُرُهُمْ مَوْتُ كَسْرَى - ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: قَدْ خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ سَنَةُ الْقُرُودِ وَلَمَّا عَبَرَ أَهْلُ فَارِسٍ أَخَذُوا مَصَافِهِمْ، وَجَلَسَ رُسْتَمُ عَلَى سَرِيرِهِ وَضَرَبَ عَلَيْهِ طَيَّارَةً، وَعَبَى فِي الْقَلْبِ ثَمَانِيَةَ عَشْرٍ فَيَلًا، عَلَيْهَا الصَّنَادِيقُ وَالرِّجَالُ، وَفِي الْمَجْنِبَتَيْنِ ثَمَانِيَةَ وَسَبْعَةَ، عَلَيْهَا الصَّنَادِيقُ وَالرِّجَالُ، وَأَقَامَ الْجَالُوسُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مِمْنَتِهِ وَابِيرِزَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مِيسَرَتِهِ، وَبَقِيَتِ الْقَنْطَرَةُ بَيْنَ خَيْلَيْنِ مِنْ خَيْولِ الْمُسْلِمِينَ وَخَيْولِ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ يَزْدَجُرُ وَضَعُ رِجَالٍ عَلَى بَابِ إِيْوَانِهِ، إِذْ سَرَحَ رُسْتَمُ، وَأَمْرُهُ بِلِزُومِهِ وَإِخْبَارِهِ، وَآخِرُ حَيْثُ يَسْمَعُهُ مِنَ الدَّارِ، وَآخِرُ خَارِجِ الدَّارِ، وَكَذَلِكَ عَلَى كُلِّ دَعْوَةِ رِجَالًا، فَلَمَّا نَزَلَ رُسْتَمُ، قَالَ الَّذِي بِسَابَاطٍ: قَدْ نَزَلَ، فَقَالَ الْآخَرُ حَتَّى قَالَ الَّذِي عَلَى بَابِ الْإِيْوَانِ، وَجَعَلَ بَيْنَ كُلِّ مَرَحَلَتَيْنِ عَلَى كُلِّ دَعْوَةِ رِجَالًا، فَكَلَّمَا نَزَلَ وَارْتَحَلَ أَوْ حَدَثَ أَمْرٌ قَالَهُ، فَقَالَ الَّذِي يَلِيهِ، حَتَّى يَقُولَهُ الَّذِي يَلِي بَابَ الْإِيْوَانِ، فَتَنَظَّمُ مَا بَيْنَ الْعَتِيقِ وَالْمَدَائِنِ رِجَالًا، وَتَرَكَ الْبَرْدَ، وَكَانَ ذَلِكَ هُوَ الشَّأْنُ.

وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ مَصَافِهِمْ، وَجَعَلَ زَهْرَةَ وَعَاصِمَ بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَشَرْحِبِيلَ، وَوَكَلَ صَاحِبَ الطَّلَائِعِ بِالطَّرَادِ، وَخَلَطَ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْقَلْبِ وَالْمَجْنِبَاتِ، وَنَادَى مُنَادِيهِ: أَلَا إِنَّ الْحَسَدَ لَا يَحِلُّ إِلَّا عَلَى الْجِهَادِ فِي أَمْرِ اللَّهِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَتَحَاسَدُوا وَتَغَايَرُوا عَلَى الْجِهَادِ وَكَانَ سَعْدُ يَوْمُئِذٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْكَبَ وَلَا يَجْلِسَ، بِهِ جَبُونٌ، فَإِنَّمَا هُوَ عَلَى وَجْهِهِ فِي صَدْرِهِ وَسَادَةٌ، هُوَ مَكْبٌ عَلَيْهَا، مُشْرِفٌ عَلَى النَّاسِ مِنَ الْقَصْرِ، يَرْمِي بِالرَّقَاعِ فِيهَا أَمْرَهُ وَنَبِيَّهُ،

إِلَى خَالِدِ بْنِ عَرْفَطَةَ، وَهُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ، وَكَانَ الصَّفُّ إِلَى جَنْبِ الْقَصْرِ، وَكَانَ خَالِدٌ كَاخْلِيفَةً لِسَعْدٍ لَوْ لَمْ يَكُنْ سَعْدٌ شَاهِدًا مُشْرِفًا. كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ الْوَلِيدِ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ثَمْرَانَ، قَالَ: لَمَّا عَبَرَ رُسْتَمُ تَحُولَ زَهْرَةَ

وَالْجَالُوسُ، جَعَلَ سَعْدُ زَهْرَةَ مَكَانَ ابْنِ السِّمْطِ، وَجَعَلَ رُسْتُمُ الْجَالُوسَ مَكَانَ الْهَرْمَرَانِ، وَكَانَ سَعْدٌ عَزَقَ النَّسَا وَدَمَامِيلُ، وَكَانَ إِثْمًا هُوَ مَكْبٌ، وَاسْتَخْلَفَ خَالِدُ بْنُ عَرْفَطَةَ عَلَى النَّاسِ، فَاخْتَلَفَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَقَالَ:

أَحْمِلُونِي، وَأَشْرَفُوا بِي عَلَى النَّاسِ، فَارْتَقُوا بِهِ، فَأَكَبَ مُطْلَعًا عَلَيْهِمْ، وَالصَّفُّ فِي أَصْلِ حَائِطٍ قُدَيْسٍ، يَأْمُرُ خَالِدًا فَيَأْمُرُ خَالِدُ النَّاسَ، وَكَانَ مِّنْ شَغَبٍ عَلَيْهِ وَجْهُ مِنْ وَجْهِ النَّاسِ، فَهَمَّ بِهِمْ سَعْدٌ وَشَتَّاهُمْ، وَقَالَ:

أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ عَدُوَّكُمْ بِحَضْرَتِكُمْ لَجَعَلْتُكُمْ نَكَالًا لِّغَيْرِكُمْ! فَحَسَبَهُمْ - وَمِنْهُمْ أَبُو مَحْجَنٍ الثَّقَفِيُّ - وَقِيدَهُمْ فِي الْقَصْرِ، وَقَالَ جَرِيرٌ: أَمَا إِنِّي بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص عَلَى أَنْ أَسْمَعَ وَأَطِيعَ لِمَنْ وَلَاهُ اللَّهُ الْأَمْرَ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبِشِيًّا، وَقَالَ سَعْدٌ: وَاللَّهِ لَا يَعُودُ أَحَدٌ بَعْدَهَا يَحْسِبُ الْمُسْلِمِينَ عَنْ عَدُوِّهِمْ وَيُشَاغِلُهُمْ وَهُمْ بِإِزَائِهِمْ إِلَّا سَنَتْ بِهِ سَنَةً يُؤْخَذُ بِهَا مِنْ بَعْدِي.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادٍ بِإِسْنَادِهِمْ، قَالُوا: إِنَّ سَعْدًا خَطَبَ مَنْ يَلِيهِ يَوْمَئِذٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ فِي الْمَحْرَمِ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ، بَعْدَ مَا تَهَدَّمْ عَلَى الَّذِينَ اعْتَرَضُوا عَلَى خَالِدِ بْنِ عَرْفَطَةَ فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي الْمُلْكِ، وَلَيْسَ لِقَوْلِهِ خَلْفٌ، قَالَ اللَّهُ جَلِ ثَنَاهُ: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرُثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ»، إِنَّ هَذَا مِيرَاثُكُمْ وَمَوْعِدُ رَبِّكُمْ، وَقَدْ أَبَاحَهَا لَكُمْ مِنْذُ ثَلَاثِ حِجَجٍ، فَانْتُمْ تَطْعَمُونَ مِنْهَا، وَتَأْكُلُونَ مِنْهَا، وَتَقْتُلُونَ أَهْلَهَا، وَتَجْبُونَهُمْ وَتَسْبُونَهُمْ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ.

بِمَا نَالَ مِنْهُمْ أَصْحَابُ الْأَيَّامِ مِنْكُمْ، وَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْهُمْ هَذَا الْجَمْعُ، وَأَنْتُمْ وَجْهُ الْعَرَبِ وَأَعْيَانُهُمْ، وَخِيَارُ كُلِّ قَبِيلَةٍ، وَعَزَ مِنْ وَرَاءَكُمْ، فَإِنْ تَزْهَدُوا فِي الدُّنْيَا وَتَرَّغَبُوا فِي الْآخِرَةِ جَمَعَ اللَّهُ لَكُمْ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَلَا يَقْرِبُ ذَلِكَ أَحَدًا إِلَى أَجَلِهِ، وَإِنْ تَفْشَلُوا وَتَهِنُوا وَتَضَعُفُوا تَذْهَبَ رِيحُكُمْ، وَتُوبِقُوا آخِرَتُكُمْ.

وَقَامَ عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْمُجَرَّدَةِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ بِلَادٌ قَدْ أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ أَهْلَهَا، وَأَنْتُمْ تَتَالُونَ مِنْهُمْ مِنْذُ ثَلَاثِ سِنِينَ مَا لَا يَنَالُونَ مِنْكُمْ، وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ، إِنْ صَبَرْتُمْ وَصَدَقْتُمُوهُمْ الضَّرْبَ وَالطَّعْنَ فَلَكُمْ أَمْوَالُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ وَبَنَاتُهُمْ وَبِلَادُهُمْ، وَإِنْ خَرْتُمْ وَفَشَلْتُمْ فَاللَّهُ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ جَارٌ وَحَافِظٌ، لَمْ يَبْقَ هَذَا الْجَمْعُ مِنْكُمْ بَاقِيَةً، خَافَةَ أَنْ تَعُودُوا عَلَيْهِمْ بِعَائِدِهِ هَلَاكُ اللَّهِ! اذْكُرُوا الْأَيَّامَ وَمَا مَنَحَكُمْ اللَّهُ فِيهَا، أَوْ لَا تَرَوْنَ أَنَّ الْأَرْضَ وَرَاءَكُمْ بِسَابِئٍ قَفَّارٍ لَيْسَ فِيهَا خَمْرٌ وَلَا وَزْرٌ يَعْقِلُ إِلَيْهِ، وَلَا يَمْتَنِعُ بِهِ! اجْعَلُوا هَمَّكُمْ الْآخِرَةَ.

وَكَتَبَ سَعْدٌ إِلَى الرَّيَّاتِ: إِنِّي قَدْ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ خَالِدُ بْنُ عَرْفَطَةَ، وَلَيْسَ يَمْنَعُنِي أَنْ أَكُونَ مَكَانَهُ إِلَّا وَجَعِي الَّذِي يَعُودُنِي وَمَا بِي مِنَ الْحَبُونِ، فَإِنِّي مُكَبٌّ عَلَى وَجْهِي وَشَخْصِي لَكُمْ بَادٍ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا، فَإِنَّهُ إِثْمًا يَأْمُرُكُمْ بِأَمْرِي، وَيَعْمَلُ بِرَأْيِي فَقَرِّئْ عَلَى النَّاسِ فِرَادَهُمْ خَيْرًا، وَأَنْتَهُوَ إِلَى رَأْيِهِ، وَقَبِلُوا مِنْهُ وَتَحَاطُّوا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَاجْمَعُوا عَلَى عَذْرِ سَعْدٍ وَالرِّضَا بِمَا صَنَعَ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ حَلَامٍ، عَنْ مَسْعُودٍ، قَالَ: وَخَطَبَ أَمِيرُ كُلِّ قَوْمٍ أَصْحَابَهُ، وَسِيرَ فِيهِمْ، وَتَحَاضُوا عَلَى الطَّاعَةِ وَالصَّبْرِ تَوَاصُوا، وَرَجَعَ كُلُّ أَمِيرٍ إِلَى مَوْقِفِهِ بَيْنَ الْوَالِدِ مِنْ أَصْحَابِهِ عِنْدَ الْمَوَاقِفِ، وَنَادَى مَنَادِي سَعْدَ بِالظَّهْرِ، وَنَادَى رُسْتُمُ: پادشهان مرند، أَكَلِ عَمْرَ كَبْدِي أَحْرَقَ اللَّهُ كَبْدَهُ! عِلْمُ هَؤُلَاءِ حَتَّى عِلْمُوا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَيْفٌ، عَنْ النُّضْرِ، عَنْ ابْنِ الرِّفِيلِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَ رُسْتُمُ النُّجَفَ بَعَثَ مِنْهَا عَيْنًا إِلَى عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ، فَانْغَمَسَ فِيهِمْ بِالْقَادِسِيَةِ كَبْعُضُ مَنْ نَدَّ مِنْهُمْ، فَأَرَاهُمْ يَسْتَاكُونَ

عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ ثُمَّ يَصْلُونَ فَيَفْتَرِقُونَ إِلَى مَوَاقِفِهِمْ، فَارْجِعْ إِلَيْهِ فَأَخْبِرْهُ بِخَبَرِهِمْ، وَسِيرَتِهِمْ، حَتَّى سَأَلَهُ: مَا طَعَامُهُمْ؟ فَقَالَ: مَكَّتَتْ فِيهِمْ لَيْلَةٌ، لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ يَأْكُلُ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَمْصُوا عِيدَانًا لَهُمْ حِينَ يَمْسُونَ، وَحِينَ يَنَامُونَ، وَقَبِيلٌ أَنْ يَصْبَحُوا فَلَهَا سَارَ فَنَزَلَ بَيْنَ

الحصن والعتيق وافقهم وقد أذن مؤذن سعد الغداة، فرأهم يتحششون، فنادى في أهل فارس أن يركبوا، فقبل له: ولم؟ قال: أما ترون إلى عدوكم قد نودي فيهم فتحششوا لكم! قال عينه: ذلك إنما تحششهم هذا للصلاة، فقال بالفارسية، وهذا تفسيره بالعربية أتانى صوت عند الغداة، وإنما هو عمر الذي يكلم الكلاب فيعلمهم العقل، فلما عبروا تواقفوا، وأذن مؤذن سعد للصلاة، فصلى سعد، وقال رستم: أكل عمر كبدي! كتب إلي السري، قال: حدثنا شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم، قالوا: وأرسل سعد الذين انتهى إليهم رأي الناس، والذين انتهت إليهم نجاتهم وأصناف الفضل منهم إلى الناس، فكان منهم من ذوي الرأي النفر الذين أتوا رستم المغيرة، وحذيفة، وعاصم، وأصحابهم، ومن أهل النجدة طليحة، وقيس الأسدي، وغالب، وعمرو ابن معد يكرب وأمثالهم، ومن الشعراء الشماخ والخطيئة، وأوس بن مغراء، وعبد بن الطيب، ومن سائر الأصناف أمثالهم وقال قبل أن يرسلهم: انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم ويحق عليهم عند مواطن البأس، فإنكم من العرب بالمكان الذي أنتم به، وأنتم شعراء العرب وخطباءهم وذوو رأيهم ونجاتهم وساداتهم، فسيروا في الناس، فذكروهم وحرصوهم على القتال، فساروا فيهم فقال قيس بن هبيرة الأسدي: أيها الناس، احمدا الله على ما هداكم له وأبلاككم يزدكم، واذكروا آلاء الله، وارغبوا إليه في عادته، فإن الجنة أو النعمة أمامكم، وأنه ليس وراء هذا القصر إلا العراء والأرض القفر، والظراب الخشن، والقلوات التي لا تقطعها الأدلة.

وقال غالب: أيها الناس، احمدا الله على ما أبلاككم، وسلوه يزدكم، وادعوه يجبكم، يا معاشر معد، ما علتكم اليوم وأنتم في حصونكم - يعني الخيل - ومعكم من لا يعصيكم - يعني السيوف؟ اذكروا حديث الناس في غد، فإنه بكم غدا يبدأ عنده، وبمن بعدكم ينبي. وقال ابن الهذيل الأسدي: يا معاشر معد، اجعلوا حصونكم السيوف، وكونوا عليهم كأسود الأجم، وترددوا لهم تبرد النور، وادرعوا العجاج، وثقوا بالله وعضوا الأبصار، فإذا كلت السيوف فإنها مأمورة، فأرسلوا عليهم الجنادل، فإنها يؤذن لها فيما لا يؤذن للديد فيه. وقال بسر بن أبي رهم الجهني: احمدا الله، وصدقوا قولكم بفعل، فقد حمدتم الله على ما هداكم له ووحدتموه ولا إله غيره، وكبرتموه، وأمنتم بنبيه ورسوله فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون، ولا يكونن شيء بأهون عليكم من الدنيا، فإنها تأتي من تهاون بها، ولا تميلوا إليها فتهرب منكم لتميل بكم. انصروا الله ينصركم.

وقال عاصم بن عمرو: يا معاشر العرب، إنكم أعيان العرب، وقد صمدتم الأعيان من العجم، وإنما تخاطرون بالجنة، ويخاطرون بالدنيا، فلا يكونن على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم لا تحذثوا اليوم امرا تكونون به شيئا على العرب غدا. وقال ربيع بن البلاء السعدي: يا معاشر العرب، قاتلوا للدين والدنيا، «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين»، وإن عظم الشيطان عليكم الأمر، فاذكروا الأخبار عنكم بالمواسم ما دام للأخبار أهل. وقال ربيع بن عامر: إن الله قد هداكم للإسلام، وجمعكم به، وأراكم الزيادة، وفي الصبر الراحة، فعودوا أنفسكم الصبر تعتادوه، ولا تعودوها الجزع فتعتادوه.

وقام كلهم بنحو من هذا الكلام، وتواتق الناس، وتعاهدوا، واهتاجوا لكل ما كان ينبغي لهم، وفعل أهل فارس فيما بينهم مثل ذلك، وتعاهدوا وتواصوا، وأقترنوا بالسلاسل، وكان المقترون ثلاثين ألفا كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد، عن الشعبي: إن أهل فارس كانوا عشرين ومائة ألف، معهم ثلاثون فيلا، مع كل فيل أربعة آلاف.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ حَلَامٍ، عَنْ مَسْعُودِ بْنِ خِرَاشٍ، قَالَ: كَانَ صَفُّ الْمُشْرِكِينَ عَلَى شَفِيرِ الْعَتِيقِ، وَكَانَ صَفُّ الْمُسْلِمِينَ مَعَ حَائِطٍ قُدَيْسٍ، اخْتَدَقُوا مِنْ وَرَائِهِمْ فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ بَيْنَ اخْتَدَقٍ وَالْعَتِيقِ وَمَعَهُمْ ثَلَاثُونَ أَلْفَ مُسَلِّسٍ، وَثَلَاثُونَ فَيْلًا تُقَاتِلُ، وَفَيْلَةٌ عَلَيْهَا الْمُلُوكُ وَقُوفٌ لَا تُقَاتِلُ وَأَمَرَ سَعْدُ النَّاسَ أَنْ يَقْرَءُوا عَلَى النَّاسِ سُورَةَ الْجِهَادِ، وَكَانُوا يَتَعْلَمُونَهَا. كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادٍ بِإِسْنَادِهِمْ، قَالُوا: قَالَ سَعْدٌ: الزُّمُوا مَوَاقِفَكُمْ، لَا تَحْرَكُوا شَيْئًا حَتَّى تَصْلُوا الظُّهْرَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الظُّهْرَ فَإِنِّي مُكَبِّرُ تَكْبِيرَةً، فَكَبِّرُوا وَاسْتَعِدُّوا.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ التَّكْبِيرَ لَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ قَبْلَكُمْ، وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُعْطِيْتُمُوهُ تَأْيِيدًا لَكُمْ ثُمَّ إِذَا سَمِعْتُمُ الثَّانِيَةَ فَكَبِّرُوا، وَلِتَسْتَمِعُوا عِدَّتَكُمْ، ثُمَّ إِذَا كَبَّرْتَ الثَّالِثَةَ فَكَبِّرُوا، وَلِيَنْشُطَ فِرْسَانُكُمْ النَّاسَ لِيَبْرَزُوا وَيُطَارِدُوا، فَإِذَا كَبَّرْتَ الرَّابِعَةَ فَارْزَحُوا جَمِيعًا حَتَّى تَخْلُطُوا عَدُوَّكُمْ، وَقُولُوا: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ! كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الرِّيَّانِ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، مِثْلَهُ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ زَكْرِيَاءَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: أَرْسَلَ سَعْدٌ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ فِي النَّاسِ: إِذَا سَمِعْتُمُ التَّكْبِيرَ فَشُدُّوا شُسُوعَ نَعَالِكُمْ، فَإِذَا كَبَّرْتَ الثَّانِيَةَ فَتَهَيَّئُوا، فَإِذَا كَبَّرْتَ الثَّالِثَةَ فَشُدُّوا التَّوَاجِدَ عَلَى الْأَصْرَاسِ وَاحْمِلُوا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادٍ بِإِسْنَادِهِمْ، قَالُوا: لَمَّا صَلَّى سَعْدُ الظُّهْرَ أَمَرَ الْغُلَامَ الَّذِي كَانَ أَلْزَمَهُ عُمَرُ إِيَّاهُ - وَكَانَ مِنَ الْقِرَاءَةِ - أَنْ يَقْرَأَ سُورَةَ الْجِهَادِ، فَقَرَأَتْ فِي كُلِّ كِتَابَةٍ، فَهَشَّتْ قُلُوبُ النَّاسِ وَعَيُونُهُمْ وَعَرَفُوا السَّكِينَةَ مَعَ قِرَاءَتِهَا كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادٍ بِإِسْنَادِهِمْ، قَالُوا: لَمَّا فَرَغَ الْقُرَاءَةَ كَبَّرَ سَعْدٌ، فَكَبَّرَ الَّذِينَ يَلُونَهُ تَكْبِيرَةً، وَكَبَّرَ بَعْضُ النَّاسِ بِتَكْبِيرٍ بَعْضٍ، فَتَحْشَحَشَ النَّاسُ، ثُمَّ ثَبَّتَ فَاسْتَمَعَ النَّاسُ، ثُمَّ ثَلَّثَ فَبَرَزَ أَهْلُ النَّجْدَاتِ فَأَنْشَبُوا الْقِتَالَ، وَخَرَجَ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ أَمْثَلُهُمْ، فَاعْتَرَوْا الطَّعْنَ وَالضَّرْبَ، وَخَرَجَ غَالِبٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيُّ وَهُوَ يَقُولُ:

قَدْ عَلِمْتُ وَارِدَةَ الْمَسَاحِجِ ... ذَاتُ اللَّبَانِ وَالْبَنَانِ الْوَاضِحِ

أَنِّي سِمَامُ الْبَطْلِ الْمُسَاحِجِ ... وَفَارِجُ الْأَمْرِ الْمُهَمِّ الْفَادِحِ

نَفَرَ إِلَى هَرْمُزٍ - وَكَانَ مِنْ مُلُوكِ الْبَابِ، وَكَانَ مُتَوَجًّا - فَاسْرَهُ غَالِبٌ أَسْرًا، فَجَاءَ سَعْدًا، فَأَدْخَلَ، وَأَنْصَرَفَ غَالِبٌ إِلَى الْمُطَارِدَةِ، وَخَرَجَ عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو وَهُوَ يَقُولُ:

قَدْ عَلِمْتُ بَيَاضَ صَفَرَاءِ اللَّبِّ ... مِثْلَ اللَّجَيْنِ إِذْ تَغْشَاهُ الذَّهَبُ

أَنِّي أَمْرٌ لَا مِنْ تَعْيِبِهِ السَّبَبُ ... مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ يُغْرِبُهُ الْعَتَبُ

فَطَارَدَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ فَارِسَ، فَهَرَبَ مِنْهُ وَاتَّبَعَهُ، حَتَّى إِذَا خَالَطَ صَفَّهُمْ اتَّقَى بِفَارِسٍ مَعَهُ بَغْلُهُ، فَتَرَكَ الْفَارِسَ الْبَغْلَ، وَاعْتَصَمَ بِأَصْحَابِهِ حَمُوهُ، وَاسْتَأْقَ عَاصِمُ الْبَغْلَ وَالرَّحْلَ، حَتَّى أَفْضَى بِهِ إِلَى الصَّفِّ، فَإِذَا هُوَ خَبَّازُ الْمَلِكِ وَإِذَا الَّذِي مَعَهُ لُطْفُ الْمَلِكِ الْأَخِيصَةُ وَالْعَسَلُ الْمَعْقُودُ، فَأَتَى بِهِ سَعْدًا، وَرَجَعَ إِلَى مَوْقِفِهِ، فَلَبَّا نَظَرَ فِيهِ سَعْدٌ، قَالَ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى أَهْلِ مَوْقِفِهِ، وَقَالَ:

إِنَّ الْأَمِيرَ قَدْ نَفَلَكُمْ هَذَا فَكُلُوهُ، فَفَلَّهْمُ إِيَّاهُ قَالُوا: وَبَيْنَا النَّاسُ يَنْتَظِرُونَ التَّكْبِيرَةَ الرَّابِعَةَ، إِذْ قَامَ صَاحِبُ رَجَالَةِ بَنِي نَهْدٍ قَيْسُ بْنُ حَذِيمٍ بِنَ جُرْثُومَةَ، فَقَالَ: يَا بَنِي نَهْدٍ انْهَدُوا، إِنَّمَا سَمِعْتُمْ نَهْدًا لِتَفْعَلُوا فَبِعَثَ إِلَيْهِ خَالِدُ بْنُ عَرْفُطَةَ: وَاللَّهِ لَتَكْفَنَ أَوْ لَأُولِينَ عَمَلِكَ غَيْرَكَ فَكَفَّ.

وَلَمَّا تَطَارَدَتِ الْخَيْلُ وَالْفَرَسَانُ خَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ يَنَادِي: مُرِدٌ وَمُرِدٌ، فَاتَّيَدَبَ لَهُ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبَ وَهُوَ بِحِيَالِهِ، فَبَارَزَهُ فَاعْتَنَقَهُ، ثُمَّ جَلَدَ بِهِ الْأَرْضَ فَذَبَحَهُ، ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى النَّاسِ، فَقَالَ: إِنَّ الْفَارِسِيَّ إِذَا فَقَدَ قَوْسَهُ فَإِنَّمَا هُوَ تَيْسٌ ثُمَّ تَكْتَبَتِ الْكَتَائِبُ مِنْ هَوْلَاءِ وَهَوْلَاءِ. كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: مَرَّ بَنَا عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبَ وَهُوَ

يحضض الناس بين الصفين، وهو يقول: إن الرجل من هذه الأعاجم إذا ألقى مزراقه، فإنما هو تيس، فبينا هو كذلك يحرضنا إذ خرج إليه رجل من الأعاجم، فوقف بين الصفين فرمى بنشابة، فما أخطأت سية قوسه وهو متنكبها، فالتفت إليه فحمل عليه، فاعتنقه، ثم أخذ بمنطقته، فاحتمله فوضعه بين يديه، فجاء به حتى إذا دنا منا كسر عنقه، ثم وضع سيفه على حلقه فذبجه، ثم ألقاه ثم قال: هكذا فاصنعوا بهم! فقلنا:

يا أبا ثور، من يستطيع أن يصنع كما تصنع! وقال بعضهم غير إسماعيل: وأخذ سواريه ومنطقته ويلقى ديباج عليه.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ،

عن قيس بن أبي حازم، أن الأعاجم وجهت إلى الوجه الذي فيه بجيلة ثلاثة عشر فيلا.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، قَالَ: كَانَتْ - يَعْنِي وَقْعَةَ الْقَادِسِيَّةِ - فِي الْمَحْرَمِ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ فِي أَوَّلِهِ وَكَانَ قَدْ خَرَجَ مِنَ النَّاسِ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُ أَهْلُ فَارَسَ: أَحْلَنَّا، فَأَحْلَاهُمْ عَلَى بَجِيلَةٍ، فَصَرَفُوا إِلَيْهِمْ سِتَّةَ عَشْرِ فَيْلًا.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطْلُحَةَ وَزِيَادٍ، قَالُوا: لَمَّا تَكَتَبَتِ الْكَاتِبُ بَعْدَ الطَّرَادِ حَمَلَ أَصْحَابُ الْفَيْلَةِ عَلَيْهِمْ، فَفَرَّقَتْ بَيْنَ الْكَاتِبِ، فَأَبْذَعَرَتِ الْخَيْلُ، فَكَادَتْ بِجِيلَةَ أَنْ تُؤْكَلَ، فَزَيَّعَتْهَا خَيْلُهَا نِفَارًا، وَعَمَّنَ كَانَ مَعَهُمْ فِي مَوَاقِفِهِمْ، وَبَقِيَتِ الرِّجَالُ مِنْ أَهْلِ الْمَوَاقِفِ، فَأَرْسَلَ سَعْدٌ إِلَى بَنِي أُسْدٍ: ذَبُّوا عَنْ بَجِيلَةٍ وَمَنْ لَافَهَا مِنَ النَّاسِ، نَخَّرَجَ طَلِيحَةَ بْنُ خُوَيْلِدٍ وَحَمَالَ بْنَ مَالِكٍ وَغَالِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَالرَّيْلُ بْنُ عَمْرِو بْنِ كَثَائِبِهِمْ، فَبَاشَرُوا الْفَيْلَةَ حَتَّى عَدَلَهَا رُكْبَانُهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ فَيْلٍ عِشْرِينَ رَجُلًا.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ طَرِيفٍ، أَنَّ طَلِيحَةَ قَامَ فِي قَوْمِهِ حِينَ اسْتَصْرَخَهُمْ سَعْدٌ، فَقَالَ: يَا عَشِيرَتَاهُ، إِنَّ الْمَنُوهُ بِاسْمِهِ، الْمُوثُوقُ بِهِ، وَإِنْ هَذَا لَوْ عَلِمَ أَنَّ أَحَدًا أَحَقَّ بِإِغَاثَةِ هَؤُلَاءِ مِنْكُمْ اسْتَغَاثَهُمْ، ابْتَدَأَ وَهُمْ الشَّدَةُ، وَأَقْدَمُوا عَلَيْهِمْ

إِقْدَامَ اللَّيْثِ الْحَرْبَةِ، فَإِنَّمَا سَمِيتُمْ أَسْدًا لِتَفْعَلُوا فَعْلَهُ، شَدُّوا وَلَا تَصُدُّوا، وَكُرُّوا وَلَا تَفْرُوا، اللَّهُ دَرِيبَةُ! أَيُّ فَرِي يَفْرُونَ! وَأَيُّ قَرْنٍ يَغْنُونَ! هَلْ يُوَصِّلُ إِلَى مَوَاقِفِهِمْ! فَأَغْنُوا عَنْ مَوَاقِفِكُمْ أَعَانَكُمْ اللَّهُ! شَدُّوا عَلَيْهِمْ بِاسْمِ اللَّهِ! فَقَالَ الْمَعْرُورُ بْنُ سُوَيْدٍ وَشَقِيقُ: فَشَدُّوا وَاللَّهِ عَلَيْهِمْ فَمَا زَالُوا يَطْعُونَهُمْ وَيَضْرِبُونَهُمْ حَتَّى حَبَسْنَا الْفَيْلَةَ عَنْهُمْ، فَأَخْرَجْتُ، وَخَرَجَ إِلَى طَلِيحَةَ عَظِيمٌ مِنْهُمْ فَبَارَزَهُ، فَمَا لَبِثَهُ طَلِيحَةُ أَنْ قَتَلَهُ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطْلُحَةَ وَزِيَادٍ، قَالُوا: وَقَامَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ كِنْدَةَ، لِلَّهِ دَرُ بْنُ أُسْدٍ! أَيُّ فَرِي يَفْرُونَ! وَأَيُّ هَذِهِ يَهْدُونَ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ مِنْذُ الْيَوْمِ! أَغْنَى كُلُّ قَوْمٍ مَا يَلِيهِمْ، وَأَنْتُمْ تَنْتَظِرُونَ مَنْ يَكْفِيكُمْ الْبَأْسُ! أَشْهَدُ مَا أَحْسَنْتُمْ أَسْوَةَ قَوْمِكُمُ الْعَرَبِ مِنْذُ الْيَوْمِ، وَإِنَّهُمْ لَيَقْتُلُونَ وَيَقَاتِلُونَ، وَأَنْتُمْ جُثَاةٌ عَلَى الرُّكْبِ تَنْتَظِرُونَ! فَوُثِبَ إِلَيْهِ عَدَدُ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ، فَقَالُوا: عَثَرَ اللَّهُ جَدَّكَ! إِنَّكَ لَتُؤَيِّسُنَا جَاهِدًا، وَلَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ مَوْقِفًا! فَمِنْ أَيْنَ خَذَلْنَا قَوْمَنَا الْعَرَبَ وَأَسَانَا أَسْوَتَهُمْ! فَهَذَا نَحْنُ مَعَكَ فَهَدَّ وَنَهَدُوا، فَأَزَالُوا الَّذِينَ يَزَائِهِمْ، فَلَمَّا رَأَى أَهْلُ فَارَسَ مَا تَلَقَّى الْفَيْلَةُ مِنْ كِتَابَةِ أُسْدٍ رَمَوْهُمْ بِجَدِّهِمْ وَبَدَرَ الْمُسْلِمِينَ الشَّدَةُ عَلَيْهِمْ ذُو الْحَاجِبِ وَالْجَالْنُوسُ، وَالْمُسْلِمُونَ يَنْتَظِرُونَ التَّكْبِيرَةَ الرَّابِعَةَ مِنْ سَعْدٍ، فَاجْتَمَعَتْ حَلَبَةُ فَارَسَ عَلَى أُسْدٍ وَمَعَهُمْ تِلْكَ الْفَيْلَةُ، وَقَدْ ثَبَتُوا لَهُمْ، وَقَدْ كَبَّرَ سَعْدُ الرَّابِعَةَ، فَزَحَفَ إِلَيْهِمْ

الْمُسْلِمُونَ وَرَحَى الْحَرْبِ تَدُورُ عَلَى أُسْدٍ، وَحَمَلَتِ الْفَيْلُ عَلَى الْمَيْمَنَةِ وَالْمَيْسَرَةِ عَلَى الْخَيْلِ، فَكَانَتْ الْخَيْلُ تُجْجِمُ عَنْهَا وَتَحِيدُ، وَتَلْحُ فَرَسَانَهُمْ عَلَى الرَّجْلِ يَشْمِسُونَ بِالْخَيْلِ، فَأَرْسَلَ سَعْدٌ إِلَى عَاصِمِ بْنِ عَمْرِو، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ بَنِي تَيْمٍ، أَلَسْتُمْ أَصْحَابُ الْإِبِلِ وَالْخَيْلِ! أَمَا عِنْدَكُمْ لِهَذِهِ الْفَيْلَةِ مِنْ حِيلَةٍ! قَالُوا:

بَلَى وَاللَّهِ، ثُمَّ نَادَى فِي رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ رُمَاةٍ وَآخَرِينَ لَهُمْ ثَقَافَةٌ، فَقَالَ لَهُمْ:

يَا مَعْشَرَ الرُّمَّةِ ذُوبُوا رُجْكَانَ الْفِيلَةِ عَنْهُمْ بِالنَّبْلِ، وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الثَّقَافَةِ اسْتَدْبِرُوا الْفِيلَةَ فَقَطَّعُوا وَضْنَهَا، وَخَرَجَ يَحْمِيهِمُ وَالرَّحَى تَدُورُ عَلَى أَسَدٍ، وَقَدْ جَالَتْ الْمَيْمَنَةُ وَالْمَيْسَرَةُ غَيْرَ بَعِيدٍ، وَأَقْبَلَ أَصْحَابُ عَاصِمٍ عَلَى الْفِيلَةِ، فَأَخَذُوا بِأُذُنَيْهَا وَذَبَابِزِهَا، فَقَطَّعُوا وَضْنَهَا، وَارْتَفَعَ عَوَاوُهُمْ، فَمَا بَقِيَ لَهُمْ يَوْمٌ فِيلٌ إِلَّا أُعْرِيَ، وَقُتِلَ أَصْحَابُهَا، وَتَقَابَلَ النَّاسُ وَنَفَسَ عَنْ أَسَدٍ، وَرَدُّوا فَارِسَ عَنْهُمْ إِلَى مَوَاقِفِهِمْ، فَاقْتَتَلُوا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ثُمَّ حَتَّى ذَهَبَتْ هِدَاةٌ مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ رَجَعَ هَوْلَاءُ وَهَوْلَاءُ، وَأَصِيبَ مِنْ أَسَدٍ تِلْكَ الْعَشِيَّةَ خَمْسَمِائَةَ، وَكَانُوا رَدًءًا لِلنَّاسِ، وَكَانَ عَاصِمٌ عَادِيَةَ النَّاسِ وَحَامِيَتِهِمْ، وَهَذَا يَوْمُهَا الْأَوَّلُ وَهُوَ يَوْمُ أَرْمَاثَ.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الغصن، عن القاسم، عن رجل من بني كنانة، قال: جالت المجنبات ودارت على أسد يوم أرمات فقتل تلك العشيّة منهم خمسماية رجل، فقال عمرو بن شأس الأسدي:

جلينا الخليل من أكاف نيق ... إلى كسرى فوافقها رعالا
تركن لهم على الأقسام شجوا ... وبالحقوين أياما طوالا
وداعية بفارس قد تركا ... تبكي كلما رأت الهلالا
قتلنا رستما وبنيه قسرا ... نثير الخليل فوقهم الهيالا
تركا منهم حيث التقينا ... فثاما ما يريدون ارتحالا
وفر البيرزان ولم يحامي ... وكان على كتيبتة وبالا
ونجى الهرمزان حذار نفس ... وركض الخليل موصله عجالا

٣٠٨٠٣ يوم اغواث

يوم اغواث

كُتِبَ إِلَيَّ السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطْلُحَةَ، قَالَ:

وكان سعدٌ قد تزوج سلمى بنت خصفة، امرأة المثنى بن حارثة قبله بشراف، فنزل بها القادسية، فلما كان يوم أرمات، وجال الناس، وكان لا يطبق جلسة إلا مستوفزا أو على بطنه، جعل سعد يتلمل ويحول جزعا فوق القصر، فلما رأت ما يصنع أهل فارس، قالت: وا مثنياه ولا مثنى للخليل اليوم! - وهي عند رجلٍ قد أضجره ما يرى من أصحابه وفي نفسه - فلطم وجهها، وقال: أين المثنى من هذه الكتيبة التي تدور عليها الرحى! - يعني أسداً وعاصماً وخيله - فقالت: أغيرة وجبنا! قال: والله لا يعذرني اليوم أحدٌ إذا أنت لم تعذريني وأنت ترين ما بي، والناس أحق ألا يعذروني! فتعلقها الناس، فلما ظهر الناس لم يبق شاعرٌ إلا اعتد بها عليه، وكان غير جبانٍ ولا ملومٍ ولما أصبح القوم من الغد أصبحوا على تعبئة، وقد وكل سعد رجلاً ينقل الشهداء إلى العذيب ونقل الرثيث، فأما الرثيث فأسلم إلى النساء يقمن عليهم إلى قضاء الله عز وجل عليهم، وأما الشهداء فدفعوهم هنالك على مشرق - وهو واد بين العذيب وبين عين الشمس في عدوتيه جميعاً، الدنيا منهما إلى العذيب والقصوى منهما من العذيب - والناس ينتظرون بالقتال حمل الرثيث والأموات، فلما استقلت بهم الإبل وتوجهت بهم نحو العذيب طلعت نواصي الخليل من الشام - وكان فتح دمشق قبل القادسية بشهر - فلما قدم على أبي عبيدة كتاب عمر بصرف أهل العراق أصحاب خالد، ولم يذكر خالدًا

ضن بخالد فحبسه وسرح الجيش، وهم ستة آلاف، خمسة آلاف من ربيعة ومضر وألف من أفناء اليمن من أهل الحجاز، وأمر عليهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو، فجعله أمامه، وجعل على إحدى مجنبتيه قيس بن هبيرة بن عبد يغوث المرادي - ولم يكن شهد الأيام، اتاهم وهم باليرموك حين صرف أهل العراق وصرف معهم - وعلى المجنبة الأخرى الهزهاز بن عمرو

الْعَجَلِيَّ، وَعَلَى السَّاقَةِ أَنَسَ بْنَ عَبَّاسٍ.

فَانْجَذَبَ الْقَعْقَاعُ وَطَوَى وَتَعَجَّلَ، فَقَدِمَ عَلَى النَّاسِ صَبِيحَةَ يَوْمِ أَغَوَاثَ، وَقَدْ عَاهَدَ إِلَى أَصْحَابِهِ أَنْ يَتَقَطَّعُوا أَعْشَارًا، وَهُمْ أَلْفٌ، فَكُلُّهَا بَلَغَ عَشْرَةَ مَدَى الْبَصَرِ سَرَّحُوا فِي آثَارِهِمْ عَشْرَةَ، فَقَدِمَ الْقَعْقَاعُ أَصْحَابَهُ فِي عَشْرَةِ، فَأَتَى النَّاسَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَبَشَّرَهُمْ بِالْجُنُودِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ فِي قَوْمٍ، وَاللَّهِ أَنْ لَوْ كَانُوا بِمَكَانِكُمْ، ثُمَّ أَحْسَوْكُمْ حَسَدُكُمْ حَفَظَتَهَا، وَحَاوَلُوا أَنْ يَطِيرُوا بِهَا دُونَكُمْ، فَاصْنَعُوا كَمَا أَصْنَعُ، فَقَدِمَ ثُمَّ نَادَى: مَنْ يَبَارِزُ؟

فَقَالُوا فِيهِ بِقَوْلِ أَبِي بَكْرٍ: لَا يُهْزَمُ جَيْشٌ فِيهِمْ مِثْلُ هَذَا، وَسَكُنُوا إِلَيْهِ، نَخَرَجَ إِلَيْهِ ذُو الْحَاجِبِ، فَقَالَ لَهُ الْقَعْقَاعُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا بِهِمْ جَادُوِيهِ، فَنَادَى: يَا لثَارَاتِ أَبِي عُبَيْدٍ وَسَلِيطِ وَأَصْحَابِ يَوْمِ الْجَسْرِ! فَاجْتَدَدَا، فَقَتَلَهُ الْقَعْقَاعُ، وَجَعَلَتْ خِيَلُهُ تَرْدُ قِطْعًا، وَمَا زَالَتْ تَرْدُ إِلَى اللَّيْلِ وَتَنْشُطُ النَّاسُ، وَكَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِالْأَمْسِ مُصِيبَةً، وَكَأَنَّمَا اسْتَقْبَلُوا قِتْلَهُمْ بِقَتْلِ الْحَاجِبِيِّ وَلِحَاقِ الْقِطْعِ، وَانْكَسَرَتِ الْأَعَاجِمُ لَذَلِكَ وَنَادَى الْقَعْقَاعُ أَيْضًا:

مَنْ يَبَارِزُ؟ نَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلَانِ: أَحَدُهُمَا الْبِيرِزَانُ وَالْآخَرُ الْبَنْدَوَانُ، فَانْضَمَّ إِلَى الْقَعْقَاعِ الْحَارِثُ بْنُ ظَبْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ أَخُو بَنِي تَيْمِ اللَّاتِ، فَبَارَزَ الْقَعْقَاعُ الْبِيرِزَانَ، فَضْرَبَهُ فَأَذْرَى رَأْسَهُ، وَبَارَزَ ابْنُ ظَبْيَانَ الْبَنْدَوَانَ، فَضْرَبَهُ فَأَذْرَى رَأْسَهُ، وَتَوَرَدَهُمْ فِرْسَانُ الْمُسْلِمِينَ، وَجَعَلَ الْقَعْقَاعُ يَقُولُ: يَا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، بَاشِرُوهُمْ بِالسُّيُوفِ، فَإِنَّمَا يُحْصِدُ النَّاسُ بِهَا! فَتَوَاصَى النَّاسُ،

وَلَشَايَعُوا إِلَيْهِمْ، فَاجْتَدَدُوا بِهَا حَتَّى الْمَسَاءِ فَلَمْ يَرِ أَهْلُ فَارِسَ فِي هَذَا الْيَوْمِ شَيْئًا مِمَّا يُعْجِبُهُمْ، وَأَكْثَرَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِمُ الْقَتْلَ، وَلَمْ يُقَاتِلُوا فِي هَذَا الْيَوْمِ عَلَى فِيلٍ، كَانَتْ تَوَابِيتُهَا تَكْسَرَتْ بِالْأَمْسِ، فَاسْتَأْنَفُوا عِلَاجَهَا حِينَ أَصْبَحُوا فَلَمْ تَرْتَفِعْ حَتَّى كَانَ الْغَدُ كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ،

عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مَجَالِدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: كَانَتْ امْرَأَةٌ مِنَ النِّخَعِ لَهَا بَنُونَ أَرْبَعَةٌ شَهِدُوا الْقَادِسيَّةَ، فَقَالَتْ لِبَنِيهَا: إِنَّكُمْ اسْلُمْتُمْ فَلَمْ تَبْدُلُوا، وَهَاجَرْتُمْ فَلَمْ تُثَبِّتُوا، وَلَمْ تَنْبِ بِكُمْ الْبِلَادُ، وَلَمْ تَقْهَمْكُمْ السَّنَةُ، ثُمَّ جِئْتُمْ بِأَمْكُمُ عَجُوزَ كَبِيرَةٍ فَوَضَعْتُمُوهَا بَيْنَ يَدَيْ أَهْلِ فَارِسَ، وَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَبَنُو رَجُلٍ وَاحِدٍ، كَمَا أَنَّكُمْ بَنُو امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، مَا خَنْتَ أَبَاكُمْ، وَلَا فَضَحْتَ خَالَكُمْ، انْطَلَقُوا فَاشْهَدُوا أَوَّلَ الْقِتَالِ وَآخِرَهُ فَأَقْبَلُوا يَشْتَدُونَ، فَلَمَّا غَابُوا عَنْهَا رَفَعَتْ يَدَيْهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَهِيَ تَقُولُ: اللَّهُمَّ ادْفَعْ عَن بَنِي! فَارْجِعُوا إِلَيْهَا، وَقَدْ أَحْسَنُوا الْقِتَالَ، مَا كُلُّكُمْ مِنْهُمْ رَجُلٌ كَلَّمَا، فَرَأَيْتُمْ بَعْدَ ذَلِكَ يَأْخُذُونَ أَلْفِينَ أَلْفِينَ مِنَ الْعَطَاءِ، ثُمَّ يَأْتُونَ أُمَّهَ، فَيَلْقُونَهُ فِي حَجَرِهَا، فَتَرُدُّهُ عَلَيْهِمْ وَتَقْسِمُهُ فِيهِمْ عَلَى مَا يَصْلَحُهُمْ وَيَرْضَاهُمْ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادَ، قَالُوا: فَازَرَ الْقَعْقَاعُ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنْ بَنِي يَرْبُوعَ رِيَاحِينَ، وَجَعَلَ الْقَعْقَاعُ كُلُّهَا طَلَعَتْ قِطْعَةً كَبِيرَةً وَكَبِيرَ الْمُسْلِمُونَ، وَيَحْمِلُ وَيَحْمَلُونَ، وَالْيَرْبُوعِيُّونَ: نَعِيمُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَتَابٍ، وَعتَابُ بْنُ نَعِيمٍ بْنُ عَتَابِ بْنِ الْحَارِثِ ابْنِ عَمْرٍو بْنِ هَمَامٍ، وَعَمْرٍو بْنُ شَبِيبِ بْنِ زَنْبَاعِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ رَبِيعَةَ، أَحَدُ بَنِي زَيْدٍ وَقَدِمَ ذَلِكَ الْيَوْمَ رَسُولُ لَعْمَرٍ بِأَرْبَعَةِ أَسْيَافٍ وَأَرْبَعَةِ أَفْرَاسٍ يَقْسِمُهَا فِيمَنْ انْتَهَى إِلَيْهِ الْبَلَاءُ، إِنْ كُنْتَ لَقِيتَ حَرْبًا فَدَعَا حِمَالُ بْنُ مَالِكٍ وَالرَّبِيلُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ رَبِيعَةَ الْوَالِبِيِّينَ وَطَلِيحَةَ بْنَ خُوَيْلِدٍ الْفَقْعَسِيَّ - وَكُلُّهُمْ مِنْ بَنِي أَسَدٍ - وَعَاصِمُ بْنُ عَمْرٍو التِّيمِيَّ، فَأَعْطَاهُمُ الْأَسْيَافَ، وَدَعَا الْقَعْقَاعُ ابْنَ عَمْرٍو وَالْيَرْبُوعِيِّينَ لِحَمْلِهِمْ عَلَى الْأَفْرَاسِ، فَأَصَابَ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي يَرْبُوعَ

ثَلَاثَةً أَرْبَاعَهَا، وَأَصَابَ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ ثَلَاثَةً أَرْبَاعَ السُّيُوفِ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ الرَّبِيلُ بْنُ عَمْرٍو:

لَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَا أَحَقُّهُمْ ... إِذَا حَصَلُوا بِالْمَرْهَفَاتِ الْبَوَاتِرِ

وَمَا فَتَنْتُ خَيْلِي عَشِيَّةَ أَرْمَتْهَا ... يَذُودُونَ رَهْوًا عَنْ جُمُوعِ الْعَشَائِرِ

لَدُنْ غَدْوَةٍ حَتَّى أَتَى اللَّيْلَ دُونَهُمْ ... وَقَدْ أَفْلَحَتْ أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ

وَقَالَ الْقَعْقَاعُ فِي شَأْنِ الْخَيْلِ:

لم تعرف الخليل العراب سواءنا ... عشية أغواث بجنب القوادس
عشية رحنا بالرماح كأنها ... على القوم ألوان الطيور الرسارس
كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ سَلِيمٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ يَكُونُ أَوَّلُ الْقِتَالِ فِي
كُلِّ أَيَّامِهَا الْمَطَارِدَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ الْقَعْقَاعُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اصْنَعُوا كَمَا اصْنَعُ، وَنَادَى:

مَنْ يَبَارِزُ؟ فَبَرَزَ لَهُ ذُو الْحَاجِبِ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ الْبِيرِزَانُ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَبَدَأَ الْحَرْبَ وَالطَّعَانَ، وَحَمَلَ بَنُو عَمِّ الْقَعْقَاعِ
يَوْمَئِذٍ عَشْرَةَ عَشْرَةَ مِنَ الرِّجَالِ، عَلَى إِبِلٍ قَدْ أَلْبَسُوهَا فِيهَا مَجْلَلَةٌ مَبْرَقَةٌ، وَأَطَافَتْ بِهِمْ خِيُولُهُمْ، تَحْمِيهِمْ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَحْمِلُوا عَلَى خَيْلِهِمْ بَيْنَ
الضَّفِينِ يَتَشَبَّهُونَ بِالْفِيلَةِ، فَفَعَلُوا بِهِمْ يَوْمَ أَغْوَاثٍ كَمَا فَعَلَتْ فَارِسُ يَوْمَ أَرْمَاثٍ، فَجَعَلَتْ تِلْكَ الْإِبِلُ لَا تَصْمَدُ لِقَلِيلٍ وَلَا لَكَثِيرٍ إِلَّا نَفَرَتْ
بِهِمْ خَيْلُهُمْ، وَرَكِبَتْهُمْ خِيُولُ الْمُسْلِمِينَ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ النَّاسُ اسْتَنَوُوا بِهِمْ، فَلَقِيَ فَارِسُ مِنَ الْإِبِلِ يَوْمَ أَغْوَاثٍ أَعْظَمَ مِمَّا لَقِيَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ
الْفِيلَةِ يَوْمَ أَرْمَاثٍ.

وَحَمَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ مِمَّنْ كَانَ يَحْمِي الْعَشِيرَةَ يَقَالُ لَهُ سَوَادٌ، وَجَعَلَ يَتَعَرَّضُ لِلشَّهَادَةِ، فَقَتَلَ بَعْدَ مَا حَمَلَ، وَأَبْطَأَتْ عَلَيْهِ الشَّهَادَةُ،
حَتَّى تَعَرَّضَ لِرِسْتَمَ يَرِيدِهِ، فَأَصِيبَ دُونَهُ

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْغَصَنِ عَنْ الْعَلَاءِ ابْنِ زِيَادٍ، وَالْقَاسِمِ بْنِ سَلِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَا: خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ
فَارِسٍ، يَنَادِي: مَنْ يَبَارِزُ؟ فَبَرَزَ لَهُ عَلْبَاءُ بْنُ جَحْشٍ الْعَجَلِي، فَفَحَّهَ عَلْبَاءٌ، فَأَسْحَرَهُ، وَنَفَحَهُ الْآخِرَ فَأَمْعَاهُ، وَخَرَأَ، فَأَمَّا الْفَارِسِيُّ فَمَاتَ مِنْ
سَاعَتِهِ، وَأَمَّا الْآخِرُ فَانْتَثَرَتْ أَمْعَاؤُهُ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْقِيَامَ، فَعَالَجَ إِدْخَالَهَا فَلَمْ يَتَأْتْ لَهُ حَتَّى مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: يَا هَذَا، أَعْنِي
عَلَى بَطْنِي، فَأَدْخَلَهُ لَهُ، فَأَخَذَ بِصَفَاقِيهِ، ثُمَّ زَحَفَ نَحْوَ صَفِ فَارِسٍ مَا يَلْتَفِتُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ عَلَى رَأْسِ ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا مِنْ
مَصْرَعِهِ، إِلَى صَفِ فَارِسٍ، وَقَالَ:

أَرْجُو بِهَا مِنْ رَبِّنَا ثَوَابًا ... قَدْ كُنْتُ مِمَّنْ أَحْسَنَ الضَّرْبَا

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْغَصَنِ عَنْ الْعَلَاءِ، وَالْقَاسِمِ عَنْ أَبِيهِ، قَالَا: وَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ فَارِسٍ فَنَادَى: مَنْ
يَبَارِزُ؟

فَبَرَزَ لَهُ الْأَعْرَفُ بْنُ الْأَعْلَمِ الْعَقِيلِي فَقَتَلَهُ، ثُمَّ بَرَزَ لَهُ آخَرُ فَقَتَلَهُ، وَأَحَاطَتْ بِهِ فَوَارِسُ مِنْهُمْ فَصَرَعُوهُ، وَنَدَرَ سِلَاحَهُ عَنْهُ فَاخْذُوهُ، فَغَبَرَ فِي
وُجُوهِهِم بِالْتَرَابِ حَتَّى رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ:

وَإِنْ يَأْخُذُوا بِزِيٍّ فَإِنِّي مَجْرَبٌ ... خُرُوجُ مِنَ الْغَمَاءِ مُحْتَضِرُ النَّصْرِ

وَإِنِّي لِحَامٌ مِنْ وَرَاءِ عَشِيرَتِي ... رُكُوبُ لَأَثَارِ الْهَوَى مُحْفَلُ الْأَمْرِ

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْغَصَنِ عَنْ الْعَلَاءِ، وَالْقَاسِمِ عَنْ أَبِيهِ، قَالَا: فَحَمَلَ الْقَعْقَاعُ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثِينَ حِمْلَةً، كُلُّهَا
طَلَعَتْ قِطْعَةً حَمَلِ حِمْلَةٍ، وَأَصَابَ فِيهَا، وَجَعَلَ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ:

أَرْجُوهُمْ عَمْدًا بِهَا إِزْعَاجًا أَطْعَنَ طَعْنًا صَائِبًا تُجَاجَا أَرْجُو بِهِ مِنْ جَنَةِ أَفْوَاجَا

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادَ، قَالُوا: قَتَلَ الْقَعْقَاعُ يَوْمَ أَغْوَاثٍ ثَلَاثِينَ فِي ثَلَاثِينَ حِمْلَةً، كُلُّهَا حَمَلَ
حِمْلَهُ قَتَلَ فِيهَا، فَكَانَ آخِرُهُمْ بَزْرَجْمُ الْهَمْدَانِي، وَقَالَ فِي ذَلِكَ الْقَعْقَاعُ:

حَبُوتُهُ جِيلَشُهُ بِالنَّفْسِ ... هَدَارَةٌ مِثْلُ شِعَاعِ الشَّمْسِ

فِي يَوْمِ أَغْوَاثٍ فِيلُ الْفَرَسِ ... أَنْخَسَ بِالْقَوْمِ أَشَدَّ النَّخَسِ
حَتَّى تَقْبِضَ مَعْشَرِي وَنَفْسِي.

وَبَارِزُ الْأَعُورِ بْنُ قُطْبَةَ شَهْرٍ بَرَّازٍ سَجِسْتَانٍ، فَقَتَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، فَقَالَ أَخُوهُ فِي ذَلِكَ:

لَمْ أَرِ يَوْمًا كَانَ أَحْلَى وَأَمْرٌ ... مِنْ يَوْمِ أَغْوَاثٍ إِذْ اقْتَرَّ الثَّغَرُ

مِنْ غَيْرِ ضَحْكَ كَانَ أَسْوَأَ وَأَبْر.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطْلُحَةَ وَزِيَادٍ، وَشَارِكِهِمْ ابْنَ مَخْرَاقٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ طَيْئٍ، قَالُوا: وَقَاتَلْتُ الْفَرَسَانَ يَوْمَ الْكَائِبِ فِيمَا بَيْنَ أَنْ أَصْبَحُوا إِلَى انْتِصَافِ النَّهَارِ، فَلَهَا عَدَلَ النَّهَارُ تَزَاحَفَ النَّاسُ، فَاقْتَتَلُوا بِهَا صَتِيئًا حَتَّى انْتَصَفَ اللَّيْلُ، فَكَانَتْ لَيْلَةُ أَرْمَاثٍ تَدْعَى الْهَدَاةَ، وَلَيْلَةُ أَغَوَاثٍ تَدْعَى السَّوَادَ، وَالنَّصِيفُ الْأَوَّلُ يَدْعَى السَّوَادَ ثُمَّ لَمْ يَزَلِ الْمُسْلِمُونَ يَرُونَ فِي يَوْمِ أَغَوَاثٍ فِي الْقَادِسِيَةِ الظُّفْرَ، وَقَتَلُوا فِيهِ عَامَةً أَعْلَامَهُمْ، وَجَالَتْ فِيهِ خَيْلُ الْقَلْبِ، وَثَبَّتَ رِجْلُهُمْ، فَلَوْلَا أَنْ خَيْلَهُمْ كَرَّتْ أَخَذَ رَسْمَ أَخْذَاءٍ، فَلَهَا ذَهَبَ السَّوَادُ بَاتَ النَّاسُ عَلَى مِثْلِ مَا بَاتَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ لَيْلَةَ أَرْمَاثٍ، وَلَمْ يَزَلِ الْمُسْلِمُونَ يَنْتَمُونَ لَدُنْ أَمْسَا حَتَّى تَفَايَتْوا فَلَهَا أَمْسَى سَعْدٌ وَسَمِعَ ذَلِكَ نَامٌ، وَقَالَ لِبَعْضٍ مِنْ عِنْدِهِ: إِنْ تَمَّ النَّاسُ عَلَى الْإِنْتِمَاءِ فَلَا تَوَقُّظِي، فَإِنَّهُمْ أَقْوِيَاءُ عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَإِنْ سَكَتُوا وَلَمْ يَنْتَمِ الْآخَرُونَ فَلَا تَوَقُّظِي، فَإِنَّهُمْ عَلَى السَّوَاءِ

فَإِنْ سَمِعْتَهُمْ يَنْتَمُونَ فَايْقُظِي، فَإِنْ انْتَمَاءَهُمْ عَنِ السَّوَاءِ.

فَقَالُوا: وَلَمَّا اشْتَدَّ الْقِتَالُ بِالسَّوَادِ، وَكَانَ أَبُو مَحْجَنٍ قَدْ حَبَسَ وَقِيدَ، فَهُوَ فِي الْقَصْرِ، فَصَعِدَ حِينَ أَمْسَى إِلَى سَعْدٍ يَسْتَعْفِيهِ وَيَسْتَقِيلُهُ، فَزَبَرَهُ وَرَدَّهُ، فَزَلَّ، فَأَتَى سَلْمَى بِنْتَ خَصْفَةَ، فَقَالَ: يَا سَلْمَى يَا بِنْتَ آلِ خَصْفَةَ، هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ؟ قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: تَخْلِينِ عَنِّي وَتَعِيرِينِي الْبَلْقَاءَ، فَلَهُ عَلَيَّ إِنْ سَلَمَنِي اللَّهُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ حَتَّى أَضَعَ رِجْلِي فِي قَيْدِي، فَقَالَتْ: وَمَا أَنَا وَذَاكَ! فَارْجِعْ يَرْسِفْ فِي قَيْدِهِ، وَيَقُولُ:

كَفَى حَزْنًا أَنْ تَرْدِي الْخَلِيلَ بِالْقَنَا ... وَأَتْرَكَ مَشْدُودًا عَلَيَّ وَثَاقِيَا

إِذَا قَتَّ عَنَانِي الْحَدِيدَ وَأَغْلَقْتَ ... مَصَارِيْعَ دُونِي قَدْ تَصَمَّ الْمَنَادِيَا

وَقَدْ كُنْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَإِخْوَةً ... فَقَدْ تَرَكُونِي وَاحِدًا لَا إِخَالِيَا

وَلِلَّهِ عَهْدٌ لَا أَخِيْسَ بَعْدَهُ ... لَئِنْ فَرَجَتْ أَلَا أَرْزُرُ الْخَوَانِيَا

فَقَالَتْ سَلْمَى: إِنِّي اسْتَخَرْتُ اللَّهَ وَرَضِيْتُ بَعْدُكَ، فَأُطْلِقْتَهُ وَقَالَتْ:

أَمَّا الْفَرَسُ فَلَا أُعِيرُهَا، وَرَجَعْتُ إِلَى بَيْتِهَا، فَاقْتَادَهَا فَأَخْرَجَهَا مِنْ بَابِ الْقَصْرِ الَّذِي يَلِي الْخَنْدَقَ فَرَكَبَهَا، ثُمَّ دَبَّ عَلَيْهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ بِحِيَالِ الْمِيْمَةِ كَبْرٍ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى مَيْسَرَةِ الْقَوْمِ يَلْعَبُ بِرِمْحِهِ وَسِلَاحِهِ بَيْنَ الصَّفَيْنِ، فَقَالُوا: بِسَرَجِهَا، وَقَالَ سَعِيدٌ وَالْقَاسِمُ: عَرِيَا، ثُمَّ رَجَعَ مِنْ خَلْفِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَيْسَرَةِ فَكَبَّرَ وَحَمَلَ عَلَى مَيْمَنَةِ الْقَوْمِ يَلْعَبُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ بِرِمْحِهِ وَسِلَاحِهِ، ثُمَّ رَجَعَ مِنْ خَلْفِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْقَلْبِ

فَدَرَّ أَمَامَ النَّاسِ، فَحَمَلَ عَلَى الْقَوْمِ يَلْعَبُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ بِرِمْحِهِ وَسِلَاحِهِ، وَكَانَ يَقْصِفُ النَّاسَ لِيَلْتَنِدَ قَصْفًا مَنَكْرًا

وَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْهُ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ وَلَمْ يَرَوْهُ مِنَ النَّهَارِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ:

أَوَائِلُ أَصْحَابِ هَاشِمٍ أَوْ هَاشِمٍ نَفْسَهُ وَجَعَلَ سَعْدٌ يَقُولُ وَهُوَ مُشْرِفٌ عَلَى النَّاسِ مَكْبٌ مِنْ فَوْقِ الْقَصْرِ: وَاللَّهِ لَوْلَا مَحْبِسُ أَبِي مَحْجَنٍ

لَقُلْتُ: هَذَا أَبُو مَحْجَنٍ وَهَذِهِ الْبَلْقَاءُ! وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: إِنْ كَانَ الْخَضِرُ يَشْهَدُ الْحُرُوبَ فَتَنْظُنْ صَاحِبَ الْبَلْقَاءِ الْخَضِرُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

لَوْلَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَبَاشِرُ الْقِتَالَ لَقُلْنَا: مَلِكٌ يَثْبِتُنَا، وَلَا يَذْكُرُهُ النَّاسُ وَلَا يَأْبَهُونَ لَهُ، لِأَنَّهُ بَاتَ فِي مَحْبِسِهِ، فَلَهَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ حَاجِزَ أَهْلِ

فَارِسَ، وَتَرَاجَعَ الْمُسْلِمُونَ، وَأَقْبَلَ أَبُو مَحْجَنٍ حَتَّى دَخَلَ مِنْ حَيْثُ خَرَجَ، وَوَضَعَ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ دَابَّتِهِ، وَأَعَادَ رِجْلِيهِ فِي قَيْدِيهِ، وَقَالَ:

لَقَدْ عَلِمْتُ ثَقِيفٌ غَيْرُ نَفَرٍ ... بَأَنَا نَحْنُ أَكْرَمُهُمْ سِيُوفَا

وَأَكْثَرُهُمْ دُرُوعًا سَابِغَاتٍ ... وَأَصْبَرُهُمْ إِذَا كَرِهُوا الْوُقُوفَا

وَأَنَا وَفَدُهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ ... فَإِنْ عَمِيُوا فَسَلِّ بِهِمْ عَرِيفَا

وَلَيْلَةُ قَادِسٍ لَمْ يَشْعُرُوا بِي ... وَلَمْ أَشْعُرْ بِخُرْجِي الزَّحُوفَا

فَإِنْ أَحْبَسَ فَذَلِكَ بِلَايٍ ... وَإِنْ أَتْرَكَ أَذِيقَهُمُ الْحَتُوفَا

فَقَالَتْ لَهُ سَلْمَى: يَا أَبَا مَحْجَنٍ، فِي أَيِّ شَيْءٍ حَبَسَكَ هَذَا الرَّجُلُ؟

قَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ مَا حَبَسَنِي بِحَرَامٍ أَكَلْتُهُ وَلَا شَرِبْتُهُ، وَلَكِنِّي كُنْتُ صَاحِبَ شَرَابٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَنَا أَمْرٌ شَاعِرٌ يَدْبُ الشَّعْرَ عَلَى لِسَانِي،

يَبْعَثُهُ عَلَى شَفْتِي أَحْيَانًا، فَيَسَاءُ لَذَلِكَ ثَنَائِي، وَلِذَلِكَ حَبَسَنِي، قُلْتُ:

إِذَا مِتَ فَادْفِنِي إِلَى أَصْلِ كَرْمَةٍ ... تَرُوي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عَرُوقَهَا

ولا تدفني بالفلاة فإنني ... أخاف إذا ما مت ألا أذوقها
وتروي بخمر الحص لحدي فإنني ... أسير لها من بعد ما قد أسوقها

٣٠٨٠٤ يوم عماس

ولم تزل سلمي مغاضبة لسعد عشية أرماث، وليلة الهدأة، وليلة السواد، حتى إذا أصبحت أئنه وصالحته وأخبرته خبرها وخبر أبي محجن، فدعا به فأطلقه، وقال: اذهب فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله، قال: لا جرم، والله لا أجيب لساني إلى صفة قبيح أبدا . يوم عماس

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ بْنُ يَحْيَى، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطْلُحَةَ وَزِيَادٍ بِإِسْنَادِهِمْ، وَابْنُ مَخْرَاقٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ طَيْئٍ، قَالُوا: فَأَصْبَحُوا مِنَ الْيَوْمِ الثَّلَاثِ، وَهُمْ عَلَى مَوَاقِفِهِمْ، وَأَصْبَحَتْ الْأَعَاجِمُ عَلَى مَوَاقِفِهِمْ، وَأَصْبَحَ مَا بَيْنَ النَّاسِ كَالرَّجُلَةِ الْحُمْرَاءِ - يَعْنِي الْحَرَّةَ - مِيلٌ فِي عَرْضِ مَا بَيْنَ الصَّفَيْنِ، وَقَدْ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَلْفَانِ مِنْ رِثِيثٍ وَمَيْتٍ، وَمِنَ الْمُشْرِكِينَ عَشْرَةُ أَلْفٍ مِنْ رِثِيثٍ وَمَيْتٍ وَقَالَ سَعْدٌ: مِنْ شَاءَ غَسَلَ الشَّهَدَاءَ، وَمِنْ شَاءَ فَلْيَدْفِنِهِمْ بِدِمَائِهِمْ، وَأَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى قَتْلِهِمْ فَأَحْرَزُوهُمْ، فَجَعَلُوهُمْ مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ، وَأَقْبَلَ الَّذِينَ يَجْمَعُونَ الْقَتْلَى يَحْمِلُونَهُمْ إِلَى الْمَقَابِرِ، وَيَلْبِغُونَ الرِّثِيثَ إِلَى النِّسَاءِ، وَحَاجِبُ بْنُ زَيْدٍ عَلَى الشَّهَدَاءِ، وَكَانَ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ يَحْفَرُونَ الْقُبُورَ فِي الْيَوْمَيْنِ: يَوْمَ أَغَاوِثَ، وَيَوْمَ أَرْمَاثَ، بَعْدَ وَتِي مَشْرِقَ، فَدَفِنَ الْفَانِ وَخَمْسَمِائَةَ مِنْ أَهْلِ الْقَادِسِيَّةِ وَأَهْلِ الْأَيَّامِ، فَمَرَّ حَاجِبٌ وَبَعْضُ أَهْلِ الشَّهَادَةِ وَوَلَاةِ الشَّهَدَاءِ فِي أَصْلِ نَخْلَةٍ بَيْنَ الْقَادِسِيَّةِ وَالْعَذِيبِ، وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا يَوْمُئِذٍ نَخْلٌ غَيْرُهَا، فَكَانَ الرِّثِيثُ إِذَا حَمَلُوا فَانْتَبَهَ بِهِمْ إِلَيْهَا وَأَحَدُهُمْ يَعْقِلُ سَأَلَهُمْ أَنْ يَقْفُوا بِهِ تَحْتَهَا يَسْتَرْوِحُ إِلَى ظِلِّهَا، وَرَجُلٌ مِنَ الْجَرْحِيِّ يَدْعِي بِحَيْرَاءٍ، يَقُولُ وَهُوَ مُسْتَظِلٌّ بِظِلِّهَا:

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا نَخْلَةً بَيْنَ قَادِسَ ... وَبَيْنَ الْعَذِيبِ لَا يَجَاوِرُكَ النَّخْلُ

وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي ضَبَّةَ، أَوْ مِنْ بَنِي ثَوْرٍ يَدْعِي غِيلَانَ، يَقُولُ:

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا نَخْلَةً بَيْنَ جَرَّةَ ... يَجَاوِرُكَ الْجَمَانُ دُونَكَ وَالرَّغْلُ

وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّهِ، يَقَالُ لَهُ: رَبْعِي يَقُولُ:

أَيَا نَخْلَةَ الْجَرَّاءِ يَا جَرَّةَ الْعَدَى ... سَقَتَكَ الْغَوَادِي وَالْغِيُوْثُ الْهَوَاطِلُ

وَقَالَ الْأَعُورُ بْنُ قُطَيْبَةَ:

أَيَا نَخْلَةَ الرِّجَالِ لَا زَلْتَ فَانْضَرِي ... وَلَا زَالٌ فِي أَكْثَفِ جَرَعَاتِكَ النَّخْلُ

وَقَالَ عَوْفُ بْنُ مَالِكِ التَّمِيمِيِّ - وَيُقَالُ التَّمِيمِيُّ تَيْمِ الرَّبَابِ:

أَيَا نَخْلَةَ دُونَ الْعَذِيبِ بَتْلَعَةُ ... سَقَيْتِ الْغَوَادِي الْمَدَجَّنَاتِ مِنَ النَّخْلِ

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ بْنُ يَحْيَى، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطْلُحَةَ وَزِيَادٍ، قَالُوا: وَبَاتَ الْقَعْقَاعُ لَيْلَتَهُ كُلِّهَا يَسْرِبُ أَصْحَابُهُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي فَارَقَهُمْ فِيهِ مِنَ الْأَمْسِ، ثُمَّ قَالَ: إِذَا طَلَعَتْ لَكُمْ الشَّمْسُ، فَأَقْبِلُوا مِائَةَ مِائَةٍ، كُلُّهَا تَوَارَى عَنْكُمْ مِائَةُ مِائَةٍ فَلْيَتَّبِعْهَا مِائَةً، فَإِنْ جَاءَ هَاشِمٌ فَذَلِكَ وَإِلَّا جَدَّدْتُمْ لِلنَّاسِ رَجَاءً وَجَدًّا، فَفَعَلُوا، وَلَا يَشْعُرُ بِذَلِكَ أَحَدٌ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ عَلَى مَوَاقِفِهِمْ قَدْ أَحْرَزُوا قَتْلَهُمْ، وَخَلُّوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ حَاجِبِ بْنِ زَيْدٍ وَقَتْلَى الْمُشْرِكِينَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ قَدْ أَضْيَعُوا، وَكَانُوا لَا يَعْرِضُونَ لِأَمْوَاتِهِمْ، وَكَانَ مَكَانُهُمْ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ مَكِيدَةً فَتَحَهَا لِيَشْدَ بِهَا أَعْضَادُ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا ذَرَقَ الشَّمْسُ وَالْقَعْقَاعُ يَلَاظُ الْخَلِيلَ، وَطَلَعَتْ نَوَاصِيهَا كَبْرًا وَكَبْرَ النَّاسِ، وَقَالُوا: جَاءَ الْمَدَدُ، وَقَدْ كَانَ عَاصِمُ بْنُ عَمْرٍو أَمْرًا أَنْ يَصْنَعَ مِثْلَهَا، فَجَاءُوا مِنْ قَبْلِ خَفَانٍ، فَتَقَدَّمَ الْفَرَسَانُ وَتَكْتَبَتِ الْكُتَّابُ، فَاخْتَلَفُوا الضَّرْبَ وَالطَّعْنَ، وَمَدَدَهُمْ مُتَتَابِعٌ، فَلَمَّا جَاءَ آخِرُ أَصْحَابِ الْقَعْقَاعِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ هَاشِمٌ، وَقَدْ طَلَعُوا فِي سَبْعِمِائَةٍ، فَأَخْبَرُوهُ بِرَأْيِ الْقَعْقَاعِ وَمَا صَنَعَ فِي يَوْمِيهِ، فَعَجَى أَصْحَابُهُ سَبْعِينَ سَبْعِينَ، فَلَمَّا جَاءَ آخِرُ أَصْحَابِ الْقَعْقَاعِ خَرَجَ هَاشِمٌ فِي سَبْعِينَ مَعَهُ، فِيهِمْ قَيْسُ بْنُ هَبِيرَةَ بْنُ عَبْدِ يَغُوْثَ - وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْأَيَّامِ، إِنَّمَا أَتَى مِنَ الْيَمَنِ الْيَرْمُوكَ - فَانْتَدَبَ مَعَ هَاشِمٍ، فَأَقْبَلَ هَاشِمٌ حَتَّى إِذَا خَالَطَ الْقَلْبَ، كَبْرًا وَكَبْرَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ أَخَذُوا مِصَافَهُمْ، وَقَالَ هَاشِمٌ: أَوَّلُ الْقِتَالِ الْمِطَارِدَةُ ثُمَّ الْمَرَامَةُ، فَأَخَذَ قَوْسَهُ، فَوَضَعَ سَهْمًا عَلَى كَبْدِهَا، ثُمَّ نَزَعَ فِيهَا، فَرَفَعَتْ فَرْسَهُ رَاسَهَا، نَفَلَ أُذُنَهَا،

فضحك وقال: وا سواتاه من رمية رجل! كل من رأى ينتظره! أين ترون سهمي كان بالغا؟ ف قيل:

العتيق، فزقها وقد نزع السهم، ثم ضربها حتى بلغت العتيق، ثم ضربها فأقبلت به تخرقهم، حتى عاد إلى موقفه، وما زالت مقابله تطلع إلى الأولى، وقد بات المشركون في علاج توابيتهم، حتى أعادوها، وأصبحوا على مواقفهم، وأقبلت الفيلة معها الرجالة يحمونها أن تقطع وضنها، ومع الرجالة فرسان يحمونهم، إذا أرادوا كتيبة دلفوا لها بفيل وأتباعه، لينفروا بهم خيلهم فلم يكن ذلك منهم كما كان بالأمس، لأن الفيل إذا كان وحده ليس معه أحد كان أوحش، وإذا أطافوا به كان أنس، فكان القتال كذلك، حتى عدل النهار، وكان يوم عماس من أوله إلى آخره شديدا، العرب والعجم فيه على السواء، ولا يكون بينهم نقطة إلا تعاورها الرجال بالأصوات حتى تبلغ يزدجرد، فيبعث إليهم أهل النجدات ممن بقي عنده، فيقومون بهم، وأصبحت عنده للذي لقي بالأمس الأمداد على البرد، فلولا الذي صنع الله للمسلمين بالذي ألهم القعقاع في اليومين وأتاح لهم بهاشم، كسر ذلك المسلمين.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مَجَالِدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ:

قدم هاشم بن عتبة من قبل الشام، معه قيس بن المكشوح المرادي في سبعمائة بعد فتح اليرموك ودمشق، فتعجل في سبعين، فيهم سعيد بن نمران

الهمداني قال مجالد: وكان قيس بن أبي حازم مع القعقاع في مقدمة هاشم.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ بَجْدَبِ بْنِ جَرَبٍ، عَنْ عَصْمَةَ الْوَابِلِيِّ - وكان قد شهد القادسية - قال: قدم هاشم في أهل العراق من الشام، فتعجل أناس ليس معه أحد من غيرهم إلا نفيروا، منهم ابن المكشوح، فلما دنا تعجل في ثلاثمائة، فوافق الناس وهم على مواقفهم، فدخلوا مع الناس في صفوفهم.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مَجَالِدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: كان اليوم الثالث يوم عماس، ولم يكن في أيام القادسية مثله، خرج الناس منه على السواء، كلهم على ما أصابه كان صابرا، وكلما بلغ منهم المسلمون بلغ الكافرون من المسلمين مثله، وكلما بلغ الكافرون من المسلمين بلغ المسلمون من الكافرين مثله.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن الريان، عن إسماعيل بن محمد بن سعد، قال: قدم هاشم بن عتبة القادسية يوم عماس، فكان لا يقاتل إلا على فرس أنثى، لا يقاتل على ذكر، فلما وقف في الناس رمى بسهم، فأصاب اذن فرسه، فقال: وا سواتاه من هذه! أين ترون سهمي كان بالغا لو لم يصب اذن الفرس! قالوا: كذا وكذا، فأجال فنزل وترك فرسه، ثم خرج يضربهم حتى بلغ حيث قالوا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادَ، قَالُوا: وكان في الميمنة.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عمرو بن الريان، عن إسماعيل بن محمد، قال: كما نرى أنه كان على الميمنة، وما كان عامة جنن الناس إلا البراذع، براذع الرحال، قد أعرضوا فيها الجريد، وعصب من لم يكن له وقاية رءوسهم بالأنساع

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي كبران الحسن ابن عقبة، أن قيس بن المكشوح، قال مقدمه من الشام مع هاشم، وقام فيمن يليه، فقال لهم: يا معشر العرب، إن الله قد من عليكم بالإسلام، وأكرمكم بمحمد ص، فأصبحتم بنعمة الله إخوانا.

دعوتكم واحدة، وأمركم واحد، بعد إذ أنتم يعدو بعضكم على بعض عدو الأسد، ويختطف بعضكم بعضا اختطاف الذئب، فانصروا الله ينصركم، وتنجزوا من الله فتح فارس، فإن إخوانكم من أهل الشام قد أنجز الله لهم فتح الشام، وانتال القصور الحمر والحصون الحمر

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْمُقْدَامِ الْحَارِثِيِّ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: قال عمرو بن معديكرب: إني حامل على الفيل ومن حوله - لفيل بإزائهم - فلا تدعوني أكثر من جزر جزور، فإن تأخرتم عني فقدتم أبا ثور، فإني لكم مثل أبي ثور! فإن أدركتموني وجدتموني وفي يدي السيف فحمل فما اثني حتى ضرب فيهم، وستره الغبار، فقال أصحابه:

ما تنتظرون! ما أنتم بخلقاء أن تدركوه، وإن فقدتموه فقد المسلمون فارسهم، فحملوا حملة، فأفرج المشركون عنه بعد ما صرعوه وطعنوه،

وإن سيفه لفي يده يضاربهم، وقد طعن فرسه، فلما رأى أصحابه، وانفرج عنه أهل فارس أخذ برجل فرس رجل من أهل فارس، فحركه الفارسي، فاضطرب الفرس، فالتفت الفارسي إلى عمرو، فهم به وأبصره المسلمون، فغشوه، فنزل عنه الفارسي، وحاضر إلى أصحابه، فقال عمرو: أمكنوني من لجامه، فأمكنوه منه فركبه.

كُتِبَ إِلَى السَّريِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغيرةِ العَبْدِيِّ، عَنِ الْأَسودِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَشْيَاحٍ لَهُمْ شَهِدُوا الْقَادِسيَّةَ، قَالُوا:

لَمَّا كَانَ يَوْمَ عَمَاسٍ خَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الْعَجَمِ حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ هَدَرَ وَشَقِشَقَ وَنَادَى: مَنْ يَبَارِزُ؟ فَخَرَجَ رَجُلٌ مَنَا يُقَالُ لَهُ شَبْرُ بْنُ عُلْقَمَةَ - وَكَانَ قَصِيرًا قَلِيلًا دَمِيمًا - فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ أَنْصَفَكُمْ الرَّجُلُ، فَلَمْ يَجِبْهُ أَحَدٌ، وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ أَحَدٌ، فَقَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَزِدُونِي لَخَرَجْتُ

إِلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يَمْنَعُ أَخَذَ سَيْفَهُ وَجَفَّتَهُ، وَتَقَدَّمَ فَلَمَّا رَأَاهُ الْفَارِسِيُّ هَدَرَ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَيْهِ فَاحْتَمَلَهُ، فَجَلَسَ عَلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ لِيَذْبَحَهُ وَمَقُودُ فَرْسِهِ مَشْدُودٌ بِمَنْطِقَتِهِ، فَلَمَّا اسْتَلَّ السَّيْفُ حَاصَ الْفَرْسُ حَيْصَةً فَجَذَبَهُ الْمَقُودُ، فَقَلَبَهُ عَنْهُ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَسْحَبُ، فَافْتَرَشَهُ، فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَصِيحُونَ بِهِ، فَقَالَ: صَيِّحُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ، فَوَاللَّهِ لَا أَفَارِقُهُ حَتَّى أَقْتُلَهُ وَأَسْلِبَهُ فَذْبَحَهُ وَسَلَبَهُ، ثُمَّ أَتَى بِهِ سَعْدًا، فَقَالَ: إِذَا كَانَ حِينَ الظَّهْرِ فَأَتْنِي، فَوَافَاهُ بِالسَّلْبِ، فَحَمَدَ اللَّهُ سَعْدَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنَّ أَنْحُلَهُ إِيَّاهُ، وَكُلَّ مَنْ سَلَبَ سَلَبًا فَهُوَ لَهُ، فَبَاعَهُ بِأَثْنِي عَشَرَ أَلْفًا.

كُتِبَ إِلَى السَّريِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادٍ، قَالُوا: وَلَمَّا رَأَى سَعْدُ الْفِيلَةَ تَفَرَّقَ بَيْنَ الْكُتَّابِ وَعَادَتْ لِفِعْلِهَا يَوْمَ أَرْمَاثَ، أُرْسِلَ إِلَى أُولَئِكَ الْمُسْلِمَةِ: ضَخْمٌ، وَمُسْلِيٌّ، وَرَافِعٌ، وَعَشْتَقٌ، وَأَصْحَابُهُمْ مِنَ الْفُرْسِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَسَأَلَهُمْ عَنِ الْفِيلَةِ: هَلْ لَهَا مَقَاتِلٌ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، الْمَشَافِرُ وَالْعَيُونُ لَا يَنْتَفِعُ بِهَا بَعْدَهَا فَأُرْسِلَ إِلَى الْقَعْقَاعِ وَعَاصِمِ ابْنَيْ عَمْرٍو: اكْنُفِيَانِي الْأَبْيَضَ - وَكَانَتْ كُلُّهَا أَلْفَةً لَهُ، وَكَانَ بِإِزَائِهِمَا - وَأُرْسِلَ إِلَى حَمَالٍ وَالرَّيْلِ: اكْنُفِيَانِي الْفِيلَ الْأَجْرَبَ، وَكَانَتْ أَلْفَةً لَهُ كُلُّهَا، وَكَانَ بِإِزَائِهِمَا، فَأَخَذَ الْقَعْقَاعُ وَعَاصِمٌ رُحْمَيْنِ أَصْمَيْنِ لَيْتَيْنِ وَدَبَّ فِي خَيْلٍ وَرَجُلٍ فَقَالَا: اكْتَنِفُوهُ لِتُخَيِّرُوهُ، وَهُمَا مَعَ الْقَوْمِ، فَفَعَلَ حَمَالٌ وَالرَّيْلُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا خَالَطُوهُمَا اكْتَنِفُوهُمَا، فَظَنَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَمَنَةً وَيسَرَةً، وَهُمَا يُرِيدَانِ أَنْ يَتَخَبَّطَا، فَحَمَلَ الْقَعْقَاعُ وَعَاصِمٌ، وَالْفِيلُ مُتَشَاغِلٌ بِمَنْ حَوْلَهُ، فَوَضَعَا رُحْمَيْهِمَا مَعًا فِي عَيْنِي الْفِيلِ الْأَبْيَضِ، وَقَبَعَ وَنَفَضَ رَأْسَهُ، فَطَرَحَ سَائِسَهُ وَدَلَّى مِشْفَرَهُ، فَفَنَحَهُ الْقَعْقَاعُ، فَرَمَى بِهِ وَوَقَعَ لِحْنِيهِ، فَقَتَلُوا مَنْ كَانَ عَلَيْهِ، وَحَمَلَ حَمَالٌ، وَقَالَ لِلرَّيْلِ: اخْتَرِ، إِمَّا أَنْ تَضْرِبَ الْمِشْفَرَ وَأَطْعُنَ فِي عَيْنِهِ، أَوْ تَطْعُنَ فِي عَيْنِهِ وَأَضْرِبَ مِشْفَرَهُ، فَاخْتَارَ الضَّرْبَ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ حَمَالٌ وَهُوَ

مُتَشَاغِلٌ بِمَلَا حِظَّةٍ مِنْ اكْتَنِفَهُ، لَا يَخَافُ سَائِسَهُ إِلَّا عَلَى بَطَانِهِ، فَانْفَرَدَ بِهِ أُولَئِكَ، فَطَعَنَهُ فِي عَيْنِهِ، فَأَقْعَى، ثُمَّ اسْتَوَى وَنَفَحَهُ الرَّيْلُ، فَأَبَانَ مِشْفَرَهُ وَبَصَرَ بِهِ سَائِسَهُ، فَبَقَّرَ أَنْفَهُ وَجَبِيْنَهُ بِفَأْسِهِ.

كُتِبَ إِلَى السَّريِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مَجَالِدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: قَالَ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، يُقَالُ لَهُمَا الرَّيْلُ وَحَمَالٌ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَيُّ الْمَوْتِ أَشَدُّ؟ قَالُوا: أَنْ يَشْدَ عَلَى هَذَا الْفِيلِ، فَتَزَقَا فَرَسَيْهِمَا حَتَّى إِذَا قَامَا عَلَى السَّنَابِكِ ضَرَبَاهُمَا عَلَى الْفِيلِ الَّذِي بِإِزَائِهِمَا، فَطَعَنَ أَحَدُهُمَا فِي عَيْنِ الْفِيلِ، فَوُطِئَ الْفِيلُ مِنْ خَلْفِهِ، وَضُرِبَ الْآخَرُ مِشْفَرَهُ، فَضَرَبَهُ سَائِسُ الْفِيلِ ضَرْبَةً شَائِئَةً بِالطَّبْرَزِينَ فِي وَجْهِهِ، فَأَفْلَتَ بِهَا هُوَ وَالرَّيْلُ، وَحَمَلَ الْقَعْقَاعُ وَأَخُوهُ عَلَى الْفِيلِ الَّذِي بِإِزَائِهِمَا، فَفَقَأَ عَيْنَيْهِ، وَقَطَعَا مِشْفَرَهُ، فَبَقِيَ مُتَلَدِّدًا بَيْنَ الصَّفَيْنِ، كَمَا أَتَى صَفَ الْمُسْلِمِينَ وَخَزَوْهُ، وَإِذَا أَتَى صَفَ الْمُشْرِكِينَ نَحَسُوهُ.

كُتِبَ إِلَى السَّريِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: كَانَ فِي الْفِيلَةِ فَيْلَانُ يَعْلَمَانِ الْفِيلَةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْقَادِسيَّةِ حَمَلُوهُمَا عَلَى الْقَلْبِ، فَأَمَرَ بِهِمَا سَعْدُ الْقَعْقَاعُ وَعَاصِمَا التَّيْمِيِّينَ وَحَمَالَا وَالرَّيْلَ الْأَسَدِيِّينَ، فَذَكَرَ مِثْلَ الْأَوَّلِ إِلَّا أَنَّ فِيهِ: وَعَاشَ بَعْدَ، وَصَاحَ الْفَيْلَانُ صِيَاحَ الْخَنْزِيرِ، ثُمَّ وَلَّى الْأَجْرَبُ الَّذِي عَوْرَ، فَوُثِبَ فِي الْعَتِيقِ، فَاتَّبَعَتْهُ الْفِيلَةُ، فَخَرَقَتْ صَفَ الْأَعَاجِمِ فَعَبَرَتِ الْعَتِيقَ فِي أَثَرِهِ،

فأُتت المدائن في توابيتها، وهلك من فيها.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادٍ، قَالُوا: فَلَمَّا ذَهَبَتِ الْفِيلَةُ، وَخَلَصَ الْمُسْلِمُونَ بِأَهْلِ فَارَسٍ، وَمَالَ الظِّلُّ تَزَاحَفَ الْمُسْلِمُونَ، وَحَمَاهُمْ فَرَسَانَهُمُ الَّذِينَ قَاتَلُوا أَوَّلَ النَّهَارِ، فَاجْتَدَلُوا بِهَا حَتَّى أَمْسَوْا عَلَى حَرْدٍ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى السَّوَاءِ، لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ حِينَ فَعَلُوا بِالْفَيْوَلِ مَا فَعَلُوا، تَكْتَبُ كَتَائِبُ الْإِبِلِ الْمُجَفِّفَةِ، فَعَرَقُوا فِيهَا، وَكَفَفُوا عَنْهَا.

وَقَالَ فِي ذَلِكَ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو:

حَضَضَ قَوْمِي مُضَرَّحِي بْنَ يَعْمَرَ ... فَلِلَّهِ قَوْمِي حِينَ هَزَوْا الْعَوَالِيَا

وَمَا خَامَ عَنْهَا يَوْمَ سَارَتْ جَمُوعُنَا ... لِأَهْلِ قَدِيسٍ يَمْنَعُونَ الْمَوَالِيَا

فَإِنْ كُنْتَ قَاتِلْتَ الْعَدُوَّ فَلَتَنَّهُ ... فَإِنِّي لَأَلْقَى فِي الْحُرُوبِ الدَّوَاهِيَا

فَيُولَا أَرَاهَا كَالْبَيُوتِ مَغِيرَةً ... أَسْمَلُ أَعْيَانَا لَهَا وَمَآقِيَا

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادٍ، قَالُوا: لَمَّا أَمْسَى النَّاسُ مِنْ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ، وَطَعَنُوا فِي اللَّيْلِ، اشْتَدَّ الْقِتَالُ وَصَبَرَ الْفَرِيقَانِ، نَفَرَا عَلَى السَّوَاءِ إِلَّا الْغَمَاغِمُ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، فَسَمِيتُ لَيْلَةَ الْهَرِيرِ، لَمْ يَكُنْ قِتَالٌ بَلِيلٌ بَعْدَهَا بِالْقَادِسِيَّةِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَيْشٍ، أَنَّ سَعْدًا بَعَثَ لَيْلَةَ الْهَرِيرِ طَلِيحَةً وَعَمْرًا إِلَى مَخَاضَةِ أَسْفَلَ مِنَ الْعَسْكَرِ لِيُقِيمَا عَلَيْهَا خَشِيَّةً أَنْ يَأْتِيَهُ الْقَوْمُ مِنْهَا، وَقَالَ لَهَا: إِنْ وَجَدْتُمَا الْقَوْمَ قَدْ سَبَقُوكُمَا إِلَيْهَا فَانْزِلَا بِحِيَالِهِمْ، وَإِنْ لَمْ تَجِدَاهُمَا عَلِمُوا بِهَا، فَأَقِيمَا حَتَّى يَأْتِيَكُمَا أَمْرِي - وَكَانَ عَمْرٌ قَدْ عَاهَدَ إِلَى سَعْدٍ أَلَّا يُؤَيِّلَ رُؤُسَاءَ أَهْلِ الرِّدَّةِ عَلَى مَائَةٍ - فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الْمَخَاضَةِ فَلَمْ يَرِيا فِيهَا أَحَدًا، قَالَ طَلِيحَةُ: لَوْ خُضْنَا فَأَتَيْنَا الْأَعَاجِمَ مِنْ خَلْفِهِمْ! فَقَالَ عَمْرٌو: لَا، بَلْ نَعْبُرُ أَسْفَلَ، فَقَالَ طَلِيحَةُ: إِنَّ الَّذِي أَقُولُهُ أَنْفَعُ لِلنَّاسِ، فَقَالَ عَمْرٌو: إِنَّكَ تَدْعُونِي إِلَى مَا لَا أُطِيقُ، فَافْتَرَقَا، فَأَخَذَ طَلِيحَةُ نَحْوَ الْعَسْكَرِ مِنْ وَرَاءِ الْعَتِيقِ وَحَدَهُ، وَسَفَلَ عَمْرٌو بِأَصْحَابِهِمَا جَمِيعًا، فَأَغَارُوا،

وَنَارَتْ بِهِمُ الْأَعَاجِمُ، وَخَشِيَ سَعْدٌ مِنْهُمَا الَّذِي كَانَ، فَبَعَثَ قَيْسَ بْنَ الْمَكْشُوحِ فِي آثَارِهِمَا فِي سَبْعِينَ رَجُلًا، وَكَانَ مِنْ أَوْلَيْكَ الرُّؤَسَاءِ الَّذِينَ نَهَى عَنْهُمْ أَنْ يُولِيَهُمُ الْمَائَةُ، وَقَالَ: إِنْ لَحِقْتَهُمْ فَانْتَ عَلَيْهِمْ نَفْرَجْ نَحْوَهُمْ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الْمَخَاضَةِ وَجَدَ الْقَوْمَ يَكْرُدُونَ عَمْرًا وَأَصْحَابَهُ، فَهَنَّهُ النَّاسُ عَنْهُ، وَأَقْبَلَ قَيْسٌ عَلَى عَمْرٍو يُلُومُهُ، فَتَلَا حَيًّا، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: إِنَّهُ قَدْ أَمَرَ عَلَيْكَ، فَسَكَتَ، وَقَالَ: يَتَأَمَّرُ عَلَيَّ رَجُلٌ قَدْ قَاتَلْتُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عُمَرُ رَجُلٍ! فَارْجِعْ إِلَى الْعَسْكَرِ، وَأَقْبَلَ طَلِيحَةُ حَتَّى إِذَا كَانَ بِحِيَالِ السَّكْرِ، كَبَّرَ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ ذَهَبَ، فَطَلَبَهُ الْقَوْمُ فَلَمْ يَدْرُوا أَيْنَ سَلَكَ! وَسَفَلَ حَتَّى خَاضَ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى الْعَسْكَرِ، فَأَتَى سَعْدًا فَأَخْبَرَهُ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ وَمَا يَدْرُونَ مَا هُوَ! كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ قِدَامَةَ الْكَاهِلِيِّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ كَاهِلٍ، أَنَّ عَمْرًا أَخُوهُ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ بْنُ أَسَدٍ، يُقَالُ لَهُمْ بَنُو حَرْبٍ، جَعَلَ أَحَدَهُمْ يَرْتَجِزُ لَيْلَتَهُ، وَيَقُولُ:

أَنَا ابْنُ حَرْبٍ وَمَعِيَ مَخْرَاقِي أَضْرِبُهُمْ بِصَارِمٍ رُقْرَاقٍ أَذْكَرُهُ الْمَوْتَ أَبُو إِسْحَاقَ وَجَاشَتْ النَّفْسُ عَلَى التَّرَاقِي صَبْرًا عَفَاقُ إِنَّهُ الْفِرَاقُ.

وَكَانَ عَفَاقُ أَحَدَ الْعَشَرَةِ، فَأَصِيبَ نَحْدُ صَاحِبِ هَذَا الشَّعْرِ يَوْمَئِذٍ، فَأُلْشَأُ يَقُولُ:

صَبْرًا عَفَاقُ إِنَّهَا الْأَسَاوِرَةُ صَبْرًا وَلَا تَغْرُوكَ رَجُلٌ نَادَرَهُ فَمَاتَ مِنْ ضَرْبَتِهِ يَوْمَئِذٍ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ النُّضْرِ، عَنْ ابْنِ الرِّفِيلِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ أَبِي شُبَّارٍ، قَالَ: بَعَثَ سَعْدٌ طَلِيحَةً فِي حَاجَةِ فَرَقِهَا، وَعَبَرَ الْعَتِيقَ، فَدَارَ إِلَى عَسْكَرِ الْقَوْمِ، حَتَّى إِذَا وَقَفَ عَلَى رَدَمِ النَّهْرِ كَبَّرَ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، فَرَأَى أَهْلَ فَارَسَ، وَتَعَجَّبَ الْمُسْلِمُونَ،

فَكَفَّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ لِلتَّظَرِّ فِي ذَلِكَ، فَأَرْسَلَتِ الْأَعَاجِمُ فِي ذَلِكَ، وَسَأَلَ الْمُسْلِمُونَ عَنْ ذَلِكَ ثُمَّ انْهَمُوا عَادُوا وَجَدَدُوا تَعْبَةً، وَأَخَذُوا

فِي أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا عَلَيْهِ فِي الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ، وَالْمُسْلِمُونَ عَلَى تَعْيِيَتِهِمْ، وَجَعَلَ طَلِيحَةُ يَقُولُ:

لَا تَعْدُمُوا أَمْرًا ضَعُفَكُمْ وَخَرَجَ مَسْعُودُ بْنُ مَالِكٍ الْأَسَدِيُّ وَعَاصِمُ بْنُ عَمْرِو التَّمِيمِيُّ وَابْنُ ذِي الْبُرْدِينَ الْهَلَالِيُّ وَابْنُ ذِي السَّهْمَيْنِ وَفَيْسُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْأَسَدِيُّ، وَأَشْبَاهُهُمْ، فَطَارَدُوا الْقَوْمَ، وَانْبَعَثُوا لِلْقِتَالِ، فَإِذَا الْقَوْمُ لَمَّا لَا يَشُدُّونَ، وَلَا يُرِيدُونَ غَيْرَ الزَّحْفِ، فَقَدَّمُوا صَفًّا لَهُ أَذْنَانِ، وَاتَّبَعُوا آخِرَ مِثْلِهِ، وَآخِرَ وَآخِرَ، حَتَّى تَمَّتْ صُفُوفُهُمْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ صَفًّا فِي الْقَلْبِ وَالْمَجْنِبَيْنِ كَذَلِكَ، فَلَمَّا أَقْدَمَ عَلَيْهِمْ فَرَسَانُ الْعَسْكَرِ رَامُوهُمْ فَلَمْ يَعْطِفْهُمْ ذَلِكَ عَنْ رُكُوبِهِمْ، ثُمَّ لَحِقَتْ بِالْفَرَسَانِ الْكَنَابُ، فَأَصِيبَ لَيْلَتْنِدُ خَالِدُ بْنُ يَعْمَرَ التَّمِيمِيُّ، ثُمَّ الْعُمَرِيُّ، فَحَمَلَ الْقَعْقَاعُ عَلَى نَاحِيَتِهِ الَّتِي رَمَى بِهَا مُزْدَلِفًا، فَقَامُوا عَلَى سَاقٍ، فَقَالَ الْقَعْقَاعُ:

سَقَى اللَّهُ يَا خَوْصَاءُ قَبْرِ ابْنِ يَعْمَرَ إِذَا ارْتَحَلَ السَّفَارُ لَمْ يَتَرَحَّلِ سَقَى اللَّهُ أَرْضًا حَلَهَا قَبْرُ خَالِدٍ ذَهَابَ غَوَادٍ مُدْجَنَاتٍ تُجْلِجِلُ فَأَقْسَمْتُ لَا يَنْفَكُ سَيْفِي يَحْسِبُهُمْ فَإِنْ زَحَلَ الْأَقْوَامُ لَمْ أَتَزَحَلِ فَزَاحِفُهُمْ وَالنَّاسُ عَلَى رَايَاتِهِمْ بِغَيْرِ إِذْنِ سَعْدٍ، فَقَالَ سَعْدٌ: اللَّهُمَّ اغْفِرْهَا لَهُ، وَانصُرْهُ قَدْ أَذْنَتْ لَهُ إِذْ لَمْ يَسْتَأْذِنِي، وَالْمُسْلِمُونَ عَلَى مَوَاقِفِهِمْ، إِلَّا مَنْ تَكْتَبُ أَوْ طَارَدَهُمْ وَهُمْ ثَلَاثَةُ صُفُوفٍ، فَصَفٌّ فِيهِ الرَّجَالَةُ أَصْحَابُ الرِّمَاحِ وَالسُّيُوفِ، وَصَفٌّ فِيهِ الْمَرَامِيَةُ، وَصَفٌّ فِيهِ الْخِيُولُ، وَهُمْ أَمَامَ الرَّجَالَةِ، وَكَذَلِكَ الْمَيْمَنَةُ، وَكَذَلِكَ الْمَيْسَرَةُ وَقَالَ سَعْدٌ: إِنَّ الْأَمْرَ الَّذِي صَنَعَ الْقَعْقَاعُ، إِذَا كَبُرَتْ ثَلَاثًا فَارْزَحُوا، فَكَبَّرَ تَكْبِيرَةً فَتَهَيَّأُوا، وَرَأَى النَّاسُ كُلَّهُمْ مِثْلَ الَّذِي

رَأَى، وَالرَّحَى تَدُورُ عَلَى الْقَعْقَاعِ وَمَنْ مَعَهُ كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرَّةٍ، قَالَ: وَقَامَ قَيْسُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْمَرَادِي فِيمَنْ يَلِيهِ، وَلَمْ يَشْهَدْ شَيْئًا مِنْ لَيَالِيهَا إِلَّا تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَقَالَ: إِنْ عَدُوْكُمْ قَدْ أَبَى إِلَّا الْمَزَاحِفَةَ، وَالرَّأْيَ رَأْيَ أَمِيرِكُمْ، وَلَيْسَ بِأَنْ تَحْمِلَ الْخَيْلُ لَيْسَ مَعَهَا الرَّجَالَةُ، فَإِنَّ الْقَوْمَ إِذَا زَحَفُوا وَطَارَدَهُمْ عَدُوْهُمْ عَلَى الْخَيْلِ لَا رَجَالَ مَعَهُمْ عَقَرُوا بِهِمْ، وَلَمْ يَطِيقُوا أَنْ يَقْدَمُوا عَلَيْهِمْ، فَتَيْسَرُوا لِلْحِمْلَةِ فَتَيْسَرُوا وَانْتَظَرُوا التَّكْبِيرَةَ وَمُوَافَقَةَ حَمْلِ النَّاسِ، وَإِنْ نَشَابَ الْأَعَاجِمُ لَتَجُوزَ صَفَّ الْمُسْلِمِينَ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْمُسْتَنِيرِ بْنِ يَزِيدٍ، عَنْ حُدْثِهِ، قَالَ: وَقَالَ دَرِيدُ بْنُ كَعْبٍ النَّخَعِيُّ، وَكَانَ مَعَهُ لَوَاءُ النَّخَعِ:

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ تَهَيَّأُوا لِلْمَزَاحِفَةِ، فَاسْبِقُوا الْمُسْلِمِينَ اللَّيْلَةَ إِلَى اللَّهِ وَالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْبِقُ اللَّيْلَةَ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ ثَوَابُهُ عَلَى قَدَرِ سَبْقِهِ، نَافِسُوهُمْ فِي الشَّهَادَةِ، وَطَبِيبُوا بِالْمَوْتِ نَفْسًا، فَإِنَّهُ أَنْجَى مِنَ الْمَوْتِ إِنْ كُنْتُمْ تَرِيدُونَ الْحَيَاةَ، وَإِلَّا فَالْآخِرَةُ مَا أُرْدْتُمْ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْأَجْلَحِ، قَالَ:

قَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ: يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ، إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ أَجْرًا عَلَى الْمَوْتِ، وَلَا أَسْخَى أَنْفُسًا عَنِ الدُّنْيَا، تَنَافَسُوا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ، وَلَا تَجْزَعُوا مِنَ الْقَتْلِ، فَإِنَّهُ أَمَانِي الْكِرَامِ، وَمَنَآيَا الشُّهَدَاءِ، وَتَرْجُلُ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ:

قَالَ حَنْظَلَةُ بْنُ الرِّبِيعِ وَأَمْرَاءُ الْأَعْيَانِ: تَرْجَلُوا أَيُّهَا النَّاسُ، وَافْعَلُوا كَمَا نَفْعَلُ، وَلَا تَجْزَعُوا مِمَّا لَا بَدَّ مِنْهُ، فَالْصَّبْرُ أَنْجَى مِنَ الْفَزَعِ وَفَعَلَ طَلِيحَةُ وَغَالِبٌ وَحَمَالٌ وَأَهْلُ النُّجْدَاتِ مِنْ جَمِيعِ الْقَبَائِلِ مِثْلَ ذَلِكَ

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ النُّضَرِ بْنِ السَّرِيِّ، قَالَا: وَنَزَلَ ضَرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ الْقُرَشِيُّ، وَتَتَابَعَ عَلَى التَّسَرُّعِ إِلَيْهِمُ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِيهَا بَيْنَ تَكْبِيرَاتٍ سَعْدٌ حِينَ اسْتَبَطَّوْهُ فَلَمَّا كَبُرَ الثَّانِيَةَ، حَمَلَ عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو حَتَّى انْضَمَّ إِلَى الْقَعْقَاعِ، وَحَمَلَتْ النَّخَعُ، وَعَصَى النَّاسُ كُلُّهُمْ سَعْدًا، فَلَمْ يَنْتَظِرِ الثَّالِثَةَ إِلَّا الرُّؤْسَاءُ، فَلَمَّا كَبُرَ الثَّالِثَةَ زَحَفُوا فَلَحَقُوا بِأَصْحَابِهِمْ، وَخَالَطُوا الْقَوْمَ، فَاسْتَقْبَلُوا اللَّيْلَ اسْتِقْبَالًا بَعْدَ مَا صَلَوَا الْعِشَاءَ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَبِيَّةٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: حَمَلَ النَّاسُ لَيْلَةَ الْهَرِيرِ عَامَةً، وَلَمْ يَنْتَظِرُوا بِالْحِمْلَةِ سَعْدًا، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ حَمَلَ الْقَعْقَاعُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْهَا لَهُ وَانصُرْهُ.

وقال: وا تميماء سائر الليلة! ثم قال: أرى الأمر ما فيه هذا، فإذا كبرت ثلاثا فاحملوا فكبر واحدة فلحقهم أسد، فقيل: قد حملت أسد، فقال: اللهم اغفرها لهم وانصرهم، وأسداه سائر الليلة! ثم قيل: حملت النخع، فقال: اللهم اغفرها لهم وانصرهم، وانخعا سائر الليلة! ثم قيل: حملت بجيلة، فقال: اللهم اغفرها لهم، وانصرهم، وبجيلته! ثم حملت الكنود، فقيل: حملت كندة، فقال: وا كندتاه! ثم زحف الرؤساء بمن انتظر التكبير، فقامت حربهم على ساق حتى الصباح، فذلك ليلة الهرير.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ نَويرة، عَنْ عَمِّهِ أَنَسِ بْنِ الْحَلِيسِ، قَالَ: شَهِدْتُ لَيْلَةَ الْهَرِيرِ، فَكَانَ صَلِيلُ الْحَدِيدِ فِيهَا كَصَوْتِ الْقِيُونِ لَيْلَتِهِمْ حَتَّى الصَّبَاحِ، أَفْرَغَ عَلَيْهِمُ الصَّبْرُ إِفْرَاغًا، وَبَاتَ سَعْدٌ بَلِيلَةً لَمْ يَبْتَ بِمِثْلِهَا، وَرَأَى الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ أَمْرًا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ قَطُّ، وَانْقَطَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَالْأَخْبَارُ عَنْ رِسْتِهِمْ وَسَعْدٍ، وَأَقْبَلَ سَعْدٌ عَلَى الدَّعَاءِ، حَتَّى إِذَا كَانَ وَجْهُ الصَّبْحِ، انْتَهَى النَّاسُ فَاسْتَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّهُمُ الْأَعْلُونَ، وَأَنَّ الْغَلْبَةَ لَهُمْ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ الْأَعُورِ بْنِ بَنانِ الْمُنْقَرِيِّ، قَالَ: أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعَهُ سَعْدٌ لَيْلَتُنْذَ مَا يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى الْفَتْحِ فِي نِصْفِ اللَّيْلِ الْبَاقِي صَوْتُ الْقَعْقَاعِ بْنِ عَمْرِو وَهُوَ يَقُولُ:

نَحْنُ قَتَلْنَا مَعْشَرًا وَزَنَدًا أَرْبَعَهُ وَخَمْسَةَ وَوَاحِدًا يَحْسِبُ فَوْقَ الْبَدَنِ الْأَسَاوِدَا حَتَّى إِذَا مَاتُوا دَعَوْتَ جَاهِدًا اللَّهُ رَبِّي، وَاحْتَرَزْتَ عَامِدًا. كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْأَعُورِ وَمُحَمَّدٍ، عَنْ عَمِّهِ، وَالنَّضْرُ عَنْ ابْنِ الرِّفِيلِ، قَالُوا: اجْتَلَدُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى الصَّبَاحِ لَا يَنْطَقُونَ، كَلَامُهُمُ الْهَرِيرُ، فَسَمِيَتْ لَيْلَةُ الْهَرِيرِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الرِّيَانِ، عَنْ مُضْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: بَعَثَ سَعْدٌ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ بِجَادًا وَهُوَ غُلَامٌ إِلَى الصَّفِّ، إِذْ لَمْ يَجِدْ رَسُولًا، فَقَالَ: انْظُرْ مَا تَرَى مِنْ حَالِهِمْ، فَارْجِعْ فَقَالَ:

مَا رَأَيْتُ أَيْ بَنِي؟ قَالَ: رَأَيْتُهُمْ يَلْعَبُونَ، فَقَالَ: أَوْ يَجِدُونَ! كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ الْعَبْدِيِّ، عَنْ عَابِسِ الْجَعْفِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَتْ بِإِزَاءِ جَعْفِي يَوْمَ عَمَاسٍ كَتِيبَةٌ مِنْ كُتَائِبِ الْعَجَمِ، عَلَيْهِمُ السِّلَاحُ التَّامُ، فَازْدَلَفُوا لَهُمْ، فَجَالَدُوهُمْ بِالسُّيُوفِ، فَرَأَوْا أَنَّ السُّيُوفَ لَا تَعْمَلُ فِي الْحَدِيدِ فَارْتَدَعُوا، فَقَالَ حَمِيضَةُ: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: لَا يَجُوزُ فِيهِمُ السِّلَاحُ، قَالَ: كَمَا أَتَمُّ حَتَّى أَرِيكُمْ، انْظُرُوا فَحَمَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَقَّ ظَهْرَهُ بِالرَّحْمِ، ثُمَّ التَفَتَ

٣٠٨٠٥ ليله القادسية

إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: مَا أَرَاهُمْ إِلَّا يَمُوتُونَ دُونَكُمْ فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ فَأَزَالُوهُمْ إِلَى صَفْهِهِمْ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مَجَالِدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا شَهِدْتُ مِنْ كُنْدِهِ خَاصَهُ إِلَّا سَبْعِمِائَةً، وَكَانَ بِإِزَائِهِمْ تَرَكَ الطَّبْرِي، فَقَالَ الْأَشْعَثُ: يَا قَوْمَ ارْزَحِفُوا لَهُمْ، فَزَحَفَ لَهُمْ فِي سَبْعِمِائَةٍ، فَأَزَالَهُمْ وَقَتْلَ تَرَكَ، فَقَالَ رَاجِزُهُمْ: نَحْنُ تَرَكَ تَرَكَهُمْ فِي الْمَصْطَرِهِ مَحْتَضِبًا مِنْ بَهْرَانِ الْأَبْرَةِ

ليلة القادسية

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادٍ، قَالُوا: وَأَصْبَحُوا لَيْلَةَ الْقَادِسِيَّةِ، وَهِيَ صَبْحَةُ لَيْلَةِ الْهَرِيرِ، وَهِيَ تَسْمَى لَيْلَةَ الْقَادِسِيَّةِ، مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الْأَيَّامِ وَالنَّاسِ حَسْرَى، لَمْ يَغْمُضُوا لَيْلَتَهُمْ كُلَّهَا، فَسَارَ الْقَعْقَاعُ فِي النَّاسِ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّيْرَةَ بَعْدَ سَاعَةٍ لِمَنْ بَدَأَ الْقَوْمَ، فَاصْبِرُوا سَاعَةً وَاحْمِلُوا، فَإِنَّ النُّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ فَاتَّزَوْا الصَّبْرَ عَلَى الْجَزَعِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الرُّؤَسَاءِ، وَصَمَدُوا لِرِسْتِهِمْ، حَتَّى خَالَطُوا الَّذِينَ دُونَهُ مَعَ الصَّبْحِ، وَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ الْقَبَائِلُ قَامَ فِيهَا رِجَالٌ، فَقَامَ قَيْسُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثٍ وَالْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ وَعَمْرِو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ وَابْنُ ذِي السَّهْمِينَ الْخَثْعَمِيُّ وَابْنُ ذِي الْبَرْدِينَ الْهَلَالِيُّ، فَقَالُوا: لَا يَكُونُ هَؤُلَاءِ أَجْدَ فِي أَمْرِ اللَّهِ مِنْكُمْ، وَلَا يَكُونُ هَؤُلَاءِ - لِأَهْلِ فَارِسَ - أَجْرًا عَلَى الْمَوْتِ مِنْكُمْ، وَلَا أُسْنَى أَنْفُسًا عَنِ الدُّنْيَا، تَنَافَسُوا فَحَمَلُوا مِمَّا يَلِيهِمْ حَتَّى خَالَطُوا الَّذِينَ بِإِزَائِهِمْ، وَقَامَ فِي رِبْعَةٍ رِجَالٌ، فَقَالُوا: أَنْتُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِفَارِسَ وَأَجْرُهُمْ عَلَيْهِمْ فِيمَا مَضَى، فَمَا يَمْنَعُكُمُ الْيَوْمَ أَنْ تَكُونُوا أَجْرًا مِمَّا كُنْتُمْ بِالْجَرَاءِ! فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ زَالَ

حين قام قائم الظهيرة الهرمزان والبيرزان، فتأخرا وثبتا حيث انتهيا، وانفرج

القلب حين قام قائم الظهيرة، وركد عليهم النقع، وهبت ريح عاصف، فقلعت طيارة رستم عن سريره، فهوت في العتيق، وهي دبور، ومال الغبار عليهم، وانتهى الققعاق ومن معه إلى السرير فعثروا به، وقد قام رستم عنه حين طارت الريح بالطيارة إلى بغال قد قدمت عليه بمال يومئذ فهي واقفة، فاستظل في ظل بغل وحمله، وضرب هلال بن علفة الحمل الذي رستم تحته، فقطع حباله، ووقع عليه أحد العدلين، ولا يراه هلال ولا يشعر به، فأزال من ظهره فقارا، ويضربه ضربة فنفتحت مسكا، ومضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه، واقتحمه هلال عليه، فتناوله وقد عام، وهلال قائم، فأخذ برجله، ثم خرج به إلى الجدد، فضرب جبينه بالسيف حتى قتله، ثم جاء به حتى رمى به بين أرجل البغال، وصعد السرير، ثم نادى: قتلت رستم ورب الكعبة، إلي، فأطافوا به وما يحسون السرير ولا يرونه، وكبروا وتنادوا، وابت قلب المشركين عندها وانهمزوا، وقام الجالانوس على الردم، ونادى أهل فارس إلى العبور، وانسفر الغبار، فأما المقترنون فإنهم جشعوا فتهافتوا في العتيق، فوخزهم المسلمون برماحهم فما أفلت منهم مخبر، وهم ثلاثون ألفا، وأخذ ضرار بن الخطاب درفش كايان، فعوض منها ثلاثين ألفا، وكانت قيمتها ألف ومائتي ألف، وقتلوا في المعركة عشرة آلاف سوى من قتلوا في الأيام قبله.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن عمرو بن سلمة، قال: قتل هلال بن علفة رستم يوم القادسية.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن ابن مخراق، عن أبي كعب الطائي، عن أبيه، قال: أصيب من الناس قبل ليلة الهرير القان وخمسائة، وقتل ليلة الهرير ويوم القادسية ستة آلاف من المسلمين، فدفنوا في الخندق بحيال مشرق

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزيد، قالوا: لما انكشف أهل فارس، فلم يبق منهم بين الخندق والعتيق أحد، وطبقت القتلى ما بين قديس والعتيق أمر سعد زهرة باتباعهم، فنادى زهرة في المقدمات، وأمر الققعاق بمن سفل، وشرحيل بمن علا، وأمر خالد بن عرفة بسلب القتلى ودفن الشهداء، فدفن الشهداء، شهداء ليلة الهرير ويوم القادسية، حول قديس القان وخمسائة وراء العتيق بحيال مشرق، ودفن شهداء ما كان قبل ليلة الهرير على مشرق، وجمعت الأسلاب والأموال فجمع منها شيء لم يجمع قبله ولا بعده مثله، وأرسل سعد إلى هلال، فدعا له، فقال: أين صاحبك؟ قال: رميت به تحت ابغل، قال: اذهب فجيء به، فذهب بجاء به، فقال: جرده إلا ما شئت، فأخذ سلبه فلم يدع عليه شيئا، ولما رجع الققعاق وشرحيل قال لهذا:

اغد فيما طلب هذا، وقال لهذا: اغد فيما طلب هذا، فعلا هذا، وسفل هذا، حتى بلغا مقدار الخسارة من القادسية، وخرج زهرة بن الحوية في آثارهم، وانتهى إلى الردم وقد بثقوه ليمنعوهم به من الطلب، فقال زهرة:

يا بكير، أقدم، فضرب فرسه، وكان يقاتل على الإنان، فقال: شي أطلال، فتجمعت وقالت: وثبا وسورة البقرة! ووثب زهرة- وكان عن حصان- وسائر الخيل فافتحمته، وتتابع على ذلك ثلاثمائة فارس، ونادى زهرة حيث كاعت الخيل: خذوا أيها الناس على القنطرة، وعارضونا، فمضى ومضى الناس إلى القنطرة يتبعونه، فليح بالقوم والجالانوس في آخرهم يجمعهم، فشاولة زهرة، فاختلعا ضربتين، فقتله زهرة، وأخذ سلبه، وقتلوا ما بين الخسارة إلى السيلحين، إلى النجف، وأمسا فرجعوا فباتوا بالقادسية.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن شبرمة، عن شقيق، قال: اقتحمنا القادسية صدر النهار، فراجعنا وقد أتى الصلاة، وقد أصيب المؤذن، فتشاح الناس في الأذان حتى كادوا أن يجتلدوا بالسيف، فأقرع سعد بينهم، فخرج سهم رجل فاذن. ثم رجع الحديث وتراجع الطلب الذين طلبوا من علا على القادسية ومن سفل عنها، وقد أتى المؤذن فتشاحوا على الأذان، فأقرع بينهم سعد، وأقاموا بقية يومهم ذلك وليلتهم حتى رجع زهرة، وأصبحوا وهم جميع لا ينتظرون أحدا من جندهم، وكتب سعد بالفتح وبعده من قتلوا ومن أصيب من المسلمين، وسمى لعمر من يعرف مع سعد بن عميلة الفزاري.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ النُّضْرِ، عَنْ ابْنِ الرُّفَيْلِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: دَعَانِي سَعْدٌ، فَأَرْسَلَنِي أَنْظُرَ لَهُ فِي الْقَتْلِ، وَأَسْمِي لَهُ رُءُوسَهُمْ، فَأَتَيْتُهُ فَأَعْلَمْتُهُ، وَلَمْ أَرُ رُسْتَمَ فِي مَكَانِهِ، فَأَرْسَلْتُ إِلَى رَجُلٍ مِنَ التَّيْمِ يُدْعَى هَلَالًا، فَقَالَ: أَلَمْ تُبَلِّغْنِي أَنَّكَ قَتَلْتَ رُسْتَمَ! قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَمَا صَنَعْتَ بِهِ؟ قَالَ: أَلْقَيْتُهُ تَحْتَ قَوَائِمِ الْأَبْغَلِ، قَالَ: فَكَيْفَ قَتَلْتَهُ؟ فَأَخْبَرَهُ، حَتَّى قَالَ: ضَرَبْتُ جَبِينَهُ وَأَنْفَهُ قَالَ: لِحْنُنًا بِهِ، فَأَعْطَاهُ سَلْبَهُ، وَكَانَ قَدْ تَخَفَّفَ حِينَ وَقَعَ إِلَى الْمَاءِ، فَبَاعَ الَّذِي عَلَيْهِ بِسَبْعِينَ أَلْفًا، وَكَانَتْ قِيَمَةُ قَلَنْسُوتِهِ مِائَةَ أَلْفٍ لَوْ ظَفَرَ بِهَا وَجَاءَ نَفَرٌ مِنَ الْعُبَادِ حَتَّى دَخَلُوا عَلَى سَعْدٍ، فَقَالُوا: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، رَأَيْنَا جَسَدَ رُسْتَمَ عَلَى بَابِ قَصْرِكَ وَعَلَيْهِ رَأْسٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ الضَّرْبُ قَدْ شَوَّهَهُ، فَضَحِكَ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادَ، قَالُوا: وَقَالَ الدَّيْلَمُ وَرُؤَسَاءُ أَهْلِ الْمَسَالِحِ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلْمُسْلِمِينَ، وَقَاتَلُوا مَعَهُمْ عَلَى غَيْرِ الْإِسْلَامِ: إِخْوَانُنَا الَّذِينَ دَخَلُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ مِنْ أَوَّلِ الشَّأْنِ أَصُوبٌ مِنَّا وَخَيْرٌ، وَلَا وَاللَّهِ لَا يَفْلَحُ أَهْلُ فَارَسَ بَعْدَ رُسْتَمَ إِلَّا مَنْ دَخَلَ فِي

هَذَا الْأَمْرِ مِنْهُمْ، فَأَسْلَمُوا، وَخَرَجَ صَبِيانُ الْعَسْكَرِ فِي الْقَتْلِ، وَمَعَهُمُ الْأَدَاوِيُّ يُسْقُونَ مِنْ بِهِ رَمَقٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَقْتُلُونَ مِنْ بِهِ رَمَقٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَانْحَدَرُوا مِنَ الْعَذِيبِ مَعَ الْعِشَاءِ قَالَ: وَخَرَجَ زَهْرَةُ فِي طَلَبِ الْجَالُوسِ، وَخَرَجَ الْقَعْقَاعُ وَأَخُوهُ وَشَرَحْبِيلُ فِي طَلَبٍ مِنْ ارْتَفَعَ وَسَفَلَ، فَقَتَلُوهُمْ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ وَأَجْمَةٍ وَشَاطِئِ نَهْرٍ، وَرَجَعُوا فَوَافُوا صَلَاةَ الظُّهْرِ، وَهَذَا النَّاسُ أُمِيرُهُمْ، وَأَتْنَى عَلَى كُلِّ حِي خَيْرًا، وَذَكَرَهُ مِنْهُمْ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ، قَالَ: خَرَجَ زَهْرَةُ حَتَّى أَدْرَكَ الْجَالُوسَ، مَلَكًا مِنْ مُلُوكِهِمْ، بَيْنَ الْخُرَّارَةِ وَالسَّلَاحِينَ، وَعَلَيْهِ يَارْقَانٌ وَقَلْبَانٌ وَقِرْطَانٌ عَلَى بَرْدُونٍ لَهُ قَدْ خَصَدَ، حَمَلَ عَلَيْهِ، فَقَتَلَهُ قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ زَهْرَةَ يَوْمَئِذٍ لَعَلَى فَرَسٍ لَهُ مَا عَنَانُهَا إِلَّا مِنْ حَبْلِ مَضْفُورٍ كَالْمَقُودِ، وَكَذَلِكَ جَزَامُهَا شَعْرٌ مَنْسُوجٌ، فَجَاءَ بِسَلْبِهِ إِلَى سَعْدٍ، فَعَرَفَ الْأُسَارَى الَّذِينَ عِنْدَ سَعْدٍ سَلْبَهُ، فَقَالُوا: هَذَا سَلْبُ الْجَالُوسِ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: هَلْ أَعَانَكَ عَلَيْهِ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَنْ؟ قَالَ: اللَّهُ، فَفَلَّهِ سَلْبُهُ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عُبَيْدَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: كَانَ سَعْدٌ اسْتَكْثَرَ لَهُ سَلْبَهُ، فَكَتَبَ فِيهِ إِلَى عُمَرَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: إِنِّي قَدْ نَفَلْتُ مِنْ قَتْلِ رَجُلًا سَلْبَهُ، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ فَبَاعَهُ بِسَبْعِينَ أَلْفًا.

وَعَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْبَرْمَكَانَ، وَالْمُجَالِدِ عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: لَحِقَ بِهِ زَهْرَةُ، فَرَفَعَ لَهُ الْكَرَّةَ فَمَا يُخْطِئُهَا بِنَشَابَةٍ، فَالْتَقَيَا فَضْرَبَهُ زَهْرَةُ فَجَدَ لَهُ - وَلَزَهْرَةُ يَوْمَئِذٍ ذُؤَابَةٌ وَقَدْ سَوَدَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَحَسُنَ بَلَاؤُهُ فِي الْإِسْلَامِ وَلَهُ سَابِقَةٌ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ شَابٌّ - فَتَدَرَّعَ زَهْرَةُ مَا كَانَ عَلَى الْجَالُوسِ، فَبَلَغَ بِضْعَةَ وَسَبْعِينَ

أَلْفًا فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى سَعْدٍ نَزَعَ سَلْبَهُ، وَقَالَ: أَلَا انْتِظَرْتَ إِذْنِي! وَتَكَتَبًا، فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى سَعْدٍ: تَعَمَّدُ إِلَى مِثْلِ زَهْرَةَ - وَقَدْ صَلَّى بِمِثْلِ مَا صَلَّى بِهِ، وَقَدْ بَقِيَ عَلَيْكَ مِنْ حَرْبِكَ مَا بَقِيَ - تَكْسِيرُ قَرْنِهِ، وَتَقْسِدُ قَلْبُهُ! أَمْضِ لَهُ سَلْبَهُ، وَفَضِّلْهُ عَلَى أَصْحَابِهِ عِنْدَ الْعَطَاءِ بِخَمْسَمِائَةٍ. وَعَنْ سَيْفٍ، عَنْ عُبَيْدٍ، عَنْ عِصْمَةَ، قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ إِلَى سَعْدٍ: أَنَا أَعْلَمُ بِزَهْرَةَ مِنْكَ، وَإِنَّ زَهْرَةَ لَمْ يَكُنْ لِيُغَيَّبَ مِنْ سَلْبِ سَلْبِهِ شَيْئًا، فَإِنَّ كَانَ الَّذِي سَعَى بِهِ إِلَيْكَ كَاذِبًا فَلَقَاهُ اللَّهُ مِثْلَ زَهْرَةَ، فِي عَضْدِيهِ يَا رِقَان، وَإِنِّي قَدْ نَفَلْتُ كُلَّ مَنْ قَتَلَ رَجُلًا سَلْبَهُ، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ فَبَاعَهُ بِسَبْعِينَ أَلْفًا.

وَعَنْ سَيْفٍ، عَنْ عُبَيْدَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَعَامِرٍ، أَنَّ أَهْلَ الْبَلَاءِ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ فَضَلُوا عِنْدَ الْعَطَاءِ بِخَمْسَمِائَةٍ خَمْسَمِائَةٍ فِي أُعْطِيَاتِهِمْ، خَمْسَةَ وَعِشْرِينَ رَجُلًا، مِنْهُمْ زَهْرَةُ، وَعِصْمَةُ الضُّبِّي، وَالْكَلْبُجُ وَأَمَّا أَهْلُ الْأَيَّامِ، فَإِنَّهُ فَرَضَ لَهُمْ عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافٍ فَضَلُوا عَلَى أَهْلِ الْقَادِسِيَّةِ.

وَعَنْ سَيْفٍ، عَنْ عبيدة، عن يزيد الضخم، قال: فقليل لعمر: لو ألحقت بهم أهل القادسية! فقال: لم أكن لألحق بهم من لم يدركهم وقيل له في أهل القادسية: لو فضلت من بعدت داره على من قاتلهم بفنائهم! قال:

وكيف أفضلهم عليهم على بعد دارهم، وهم شجن العدو، وما سويت بينهم حتى استطبتهم، فهلا فعل المهاجرون بالأنصار إذ قاتلوا بفنائهم مثل هذا! وَعَنْ سَيْفٍ، عن المجالد، عن الشعبي، وسعيد بن المرزبان عن رجل من بني عباس، قال: لما زال رستم عن مكانه ركب بغلا، فلها دنا منه هلال نزع له نشابة، فأصاب قدمه فشكها في الركاب، وقال: بيايه، فأقبل عليه هلال فنزل، فدخل تحت البغل، فلما لم يصل إليه قطع عليه المال، ثم نزل إليه ففلق هامته.

وَعَنْ سَيْفٍ، عن عبيدة، عن شقيق، قال: حملنا على الأعاجم يوم القادسية حملة رجل واحد، فهزمهم الله، فلقد رأيتني أشرت إلى أسوار منهم

فجاء إلي وعليه السلاح التام، فضربت عنقه، ثم أخذت ما كان عليه.

وَعَنْ سَيْفٍ، عن سعيد بن المرزبان، عن رجل من بني عباس، قال:

أصاب أهل فارس يومئذ بعد ما انهزموا ما أصاب الناس قبلهم، قتلوا حتى إن كان الرجل من المسلمين ليدعو الرجل منهم فيأتيه حتى يقوم بين يديه، فيضرب عنقه، وحتى إنه ليأخذ سلاحه فيقتله به، وحتى إنه ليأمر الرجلين أحدهما بصاحبه، وكذلك في العدة.

وَعَنْ سَيْفٍ، عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن شهداء، قال: أبصر سلمان بن ربيعة الباهلي أناسا من الأعاجم تحت راية لهم قد حفروا لها، وجلسوا تحتها، وقالوا: لا نبرح حتى نموت، فحمل عليهم فقتل من كان تحتها وسلبهم وكان سلمان فارس الناس يوم القادسية، وكان أحد الذين مالوا بعد الهزيمة على من ثبت، والآخر عبد الرحمن بن ربيعة ذو النور، ومال على آخرين قد تكتبوا، ونصبوا للمسلمين فطحنهم بخيله.

وَعَنْ سَيْفٍ، عن الغصن، عن القاسم، عن البهي، أن الشعبي قال: كان يقال: لسلمان أبصر بالمفاصل من الجازر بمفاصل الجزور. فكان موضع الحبس اليوم دار عبد الرحمن بن ربيعة، والتي بينها وبين دار المختار دار سلمان، وإن الأشعث بن قيس استقطع فناء كان قدامها، هو اليوم في دار المختار، فأقطعه فقال له: ما جرأك علي يا أشعث؟ والله لئن حزتها لأضربنك بالجنثي - يعني سيفه - فانظر ما يبقى منك بعد، فصدف عنها ولم يتعرض لها.

وَعَنْ سَيْفٍ، عن المهلب ومحمد وطلحة وأصحابه، قالوا: وثبت بعد الهزيمة بضع وثلاثون كتيبة، استقتلوا واستحيوا من الفرار، فأبادهم الله، فصمد لهم بضعة وثلاثون من رؤساء المسلمين، ولم يتبعوا فالة القوم، فصمد سلمان بن ربيعة لكتيبة وعبد الرحمن بن ربيعة ذو النور لآخرى، وصمد لكل كتيبة منها رأس من رؤساء المسلمين

وكان قتال أهل هذه الكتائب،

من أهل فارس على وجهين، فمنهم من كذب فهرب، ومنهم من ثبت حتى قتل، فكان ممن هرب من أمراء تلك الكتائب الهرمزان وكان بإزاء عطارد، وأهود وكان بإزاء حنظلة بن الربيع، وهو كاتب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وزاذ بن بهيش وكان بإزاء عاصم بن عمرو، وقارن وكان بإزاء القعقاع بن عمرو، وكان ممن استقتل شريار بن كثار وكان بإزاء سلمان.

وابن الهربد وكان بإزاء عبد الرحمن، والفرخان الأهوازي وكان بإزاء بسر بن أبي رهم الجهني، وخسرو شنوم الهمداني وكان بجبال ابن الهذيل الكاهلي.

ثم إن سعدا أتبع بعد ذلك القعقاع وشرحبيل من صوب في هزيمته أو صعد عن العسكر وأتبع زهرة بن الحوية الجالوس ذكر حديث ابن إسحاق:

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله: رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق.

قال: ومات المثني بن حارثة، وتزوج سعد بن أبي وقاص امرأته سلمى ابنة خصفة وذلك في سنة أربع عشرة وأقام تلك الحجة للناس عمر بن الخطاب ودخل أبو عبيدة بن الجراح تلك السنة دمشق، فشتا بها، فلما أصافت الروم سار هرقل في الروم حتى نزل أنطاكية

ومعه من المستعربة لحم وجذام وبلقين ويلي وعاملة، وتلك القبائل من قضاعه، غسان بشر كثير، ومعه من أهل أرمينية مثل ذلك، فلما نزلها أقام بها، وبعث الصقلار، خصيا له، فسار بمائة ألف مقاتل، معه من أهل أرمينية اثنا عشر ألفا، عليهم جرجة، ومعه من المستعربة من غسان وتلك القبائل من قضاة اثنا عشر ألفا عليهم جلبة بن الأيهم الغساني، وسائرهم من الروم، وعلى جماعة الناس الصقلار خصي هرقل، وسار اليهم المسلمون

وهم أربعة وعشرون ألفا عليهم أبو عبيدة بن الجراح، فالتقوا باليرموك في رجب سنة خمس عشرة، فاقتتل الناس قتالا شديدا حتى دخل عسكر المسلمين، وقاتل نساء من نساء قريش بالسيوف حين دخل العسكر- منهن أم حكيم بنت الحارث بن هشام- حتى سابقن الرجال، وقد كان انضم إلى المسلمين حين ساروا إلى الروم ناس من لحم وجذام، فلما رأوا جد القتال فروا ونجوا إلى ما كان قربهم من القرى، وخذلوا المسلمين.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه، قال: قال قاتل من المسلمين حين رأى من لحم وجذام ما رأى:

القوم لحم وجذام في الهرب ... ونحن والروم بمرج نضطرب
فإن يعودوا بعدها لا نصطحب.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن وهب ابن كيسان، عن عبد الله بن الزبير، قال: كنت مع أبي الزبير عام اليرموك، فلما تعي المسلمون للقتال، لبس الزبير لأتمته، ثم جلس على فرسه، ثم قال لمولين له: احبسنا عبد الله بن الزبير معكم في الرحل، فإنه غلام صغير.

قال: ثم توجه فدخل في الناس، فلما اقتتل الناس والروم نظرت إلى ناس وقوف على تل لا يقاتلون مع الناس قال: فأخذت فرسا للزبير كان خلفه في الرحل فركبته، ثم ذهبت إلى أولئك الناس فوقفت معهم، فقلت: أنظر ما يصنع الناس، فإذا أبو سفيان بن حرب في مشيخة من قريش من مهاجرة الفتح وقوفا لا يقاتلون، فلما رأوني رأوا غلاما حدثا، فلم يتقوني.

قال: فجعلوا والله إذا مال المسلمون وركبتهم الحرب، للروم يقولون: إيه إيه بلا صفر! فإذا مالت الروم وركبتهم المسلمون، قالوا: يا ويح بلا صفر! فجعلت أعجب من قولهم، فلما هزم الله الروم ورجع الزبير، جعلت أحدثه

خبرهم قال: فجعل يضحك ويقول: قاتلهم الله، أبوا إلا ضغنا! وماذا لهم إن يظهر علينا الروم! لنحن خير لهم منهم.

ثم إن الله تبارك وتعالى أنزل نصره، فهزمت الروم وجوع هرقل التي جمع، فأصيب من الروم أهل أرمينية والمستعربة سبعون ألفا، وقتل الله الصقلار وباهان، وقد كان هرقل قدمه مع الصقلار حين لحق به، فلما هزمت الروم بعث أبو عبيدة عياض بن غنم في طلبهم، فسلك الأعماق حتى بلغ ملطية، فصالحه أهلها على الجزية، ثم انصرف، ولما سمع هرقل بذلك بعث إلى مقاتلتها ومن فيها، فساقهم إليه، وأمر بملطية فحرق وقيل من المسلمين يوم اليرموك من قريش من بني أمية بن عبد شمس عمرو بن سعيد بن العاص وأبان بن سعيد بن العاص، ومن بني مخزوم عبد الله بن سفيان بن عبد الأسد، ومن بني سهم سعيد بن الحارث بن قيس.

قال: وفي آخر سنة خمس عشرة، قتل الله رستم بالعراق، وشهد أهل اليرموك حين فرغوا منه يوم القادسية مع سعد بن أبي وقاص، وذلك أن سعدا حين حصر عنه الشتاء، سار من شراف يريد القادسية، فسمع به رستم، فخرج إليه بنفسه، فلما سمع بذلك سعد وقف، وكتب إلى عمر يستمده، فبعث إليه عمر المغيرة بن شعبة الثقفي في أربعمئة رجل مددا من المدينة، وامده بقيس ابن مكشوح المرادي في سبعمائة، فقدموا عليه من اليرموك وكتب إلى أبي عبيدة: أن أمد سعد بن أبي وقاص أمير العراق بألف رجل من عندك، ففعل أبو عبيدة، وأمر عليهم عياض بن غنم الفهري، وأقام تلك الحجة للناس عمر بن الخطاب سنة خمس عشرة.

وَقَدْ كَانَ لِكِسْرَى مُرَابِطَةً فِي قَصْرِ بَنِي مُقَاتِلٍ، عَلَيْهَا التُّعْمَانُ بْنُ قَبِيصَةَ، وَهُوَ ابْنُ حِيَةَ الطَّائِي ابْنُ عَمِّ قَبِيصَةَ بْنِ إِيَّاسِ بْنِ حِيَةَ الطَّائِي صَاحِبِ الْحِيرَةِ، فَكَانَ فِي مَنْظَرَةٍ لَهُ، فَلَمَّا سَمِعَ بِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ سَأَلَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَنَانِ ابْنَ جَرِيرِ الْأَسَدِيِّ، ثُمَّ الصَّيْدَاوِيُّ، فَقِيلَ لَهُ: رَجُلٌ مِنْ قَرِيشٍ، فَقَالَ:

أَمَّا إِذَا كَانَ قُرَشِيًّا فَلَيْسَ بِشَيْءٍ، وَاللَّهِ لِأَجَاهِدَنَّهُ الْقِتَالَ، إِنَّمَا قُرَيْشٌ عَبِيدُ مَنْ غَلَبَ، وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُونَ خَفِيرًا، وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْ بِلَادِهِمْ إِلَّا بِخَفِيرٍ، فَغَضِبَ حِينَ قَالَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَنَانِ الْأَسَدِيُّ، فَأَمَلَهُ حَتَّى إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ، فَوَضَعَ الرَّمْحَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ لَحِقَ بِسَعْدٍ فَأَسْلَمَ وَقَالَ فِي قَتْلِهِ التُّعْمَانُ بْنُ قَبِيصَةَ:

لَقَدْ غَادَرَ الْأَقْوَامُ لَيْلَةً أَدْلَجُوا ... بِقَصْرِ الْعَبَادِي ذَا الْفَعَالِ مُجَدَّلًا
دَلَفْتُ لَهُ تَحْتَ الْعُجَاجِ بِطَعْنَةٍ ... فَأَصْبَحَ مِنْهَا فِي النَّجِيعِ مَرْمَلًا

أَقُولُ لَهُ وَالرُّمْحُ فِي نُغْصِ كَتِفِهِ ... أَبَا عَامِرٍ عَنْكَ الْيَمِينَ تَحْلَلًا
سَقَيْتُ بِهَا التُّعْمَانَ كَأْسًا رَوِيَةً ... وَعَاطَيْتُهُ بِالرَّمْحِ سَمًّا مَثْمَلًا
تَرَكْتُ سَبَاعَ الْجَوَيْعِ حَوْلَهُ ... وَقَدْ كَانَ عَنْهَا لَابْنُ حِيَةَ مَعَزَلًا
كَفَيْتُ قُرَيْشًا إِذَا تَغَيَّبَ جَمْعَهَا ... وَهَدَمْتُ لِلتُّعْمَانِ عَرًّا مُؤَثَّلًا

وَلَمَّا لَحِقَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ الْمَغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ وَفَيْسَ بْنَ مَكْشُوحٍ فِيمَنْ مَعَهُمَا، سَارَ إِلَى رُسْتَمٍ حِينَ سَمِعَ بِهِ حَتَّى نَزَلَ قَادِسَ - قَرْيَةً إِلَى جَانِبِ الْعُذَيْبِ - فَنَزَلَ النَّاسُ بِهَا، وَنَزَلَ سَعْدُ فِي قَصْرِ الْعُذَيْبِ، وَأَقْبَلَ رُسْتَمٌ فِي جُمُوعِ فَارِسٍ سِتِينَ أَلْفًا مِمَّا أُحْصِيَ لَنَا فِي دِيَوَانِهِ، سِوَى التَّبَاعِ وَالرَّقِيقِ، حَتَّى نَزَلَ الْقَادِسِيَّةَ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ جِسْرُ الْقَادِسِيَّةِ، وَسَعْدُ فِي مَنْزِلِهِ وَجِعَ، قَدْ خَرَجَ بِهِ قَرْحٌ شَدِيدٌ، وَمَعَهُ أَبُو مَحْجَنَ بْنُ حَبِيبٍ الثَّقَفِيُّ مُحْبُوسٌ فِي الْقَصْرِ، حَبَسَهُ فِي شُرْبِ الْخَمْرِ، فَلَمَّا أَنْ نَزَلَ بِهِمْ رُسْتَمٌ بَعَثَ إِلَيْهِمْ أَنْ ابْعَثُوا إِلَيَّ رَجُلًا مِنْكُمْ جَلِيدًا أَكَلَهُ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ الْمَغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، فَجَاءَهُ وَفَدَّ فَرَّقَ رَأْسَهُ أَرْبَعَ فَرَاقٍ: فَرَقَةً مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى قَفَاهُ، وَفَرَقَةً إِلَى أُذُنَيْهِ، ثُمَّ عَقَصَ شَعْرَهُ، وَلَبَسَ بُرْدًا لَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى رُسْتَمٍ، وَرُسْتَمٌ مِنْ وَرَاءِ الْجِسْرِ الْعَتِيقِ مِمَّا يَلِي

الْعِرَاقَ، وَالْمُسْلِمُونَ مِنْ نَاحِيَّتِهِ الْأُخْرَى مِمَّا يَلِي الْحِجَازَ فِيمَا بَيْنَ الْقَادِسِيَّةِ وَالْعُذَيْبِ، فَكَلَّمَهُ رُسْتَمٌ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ كُنْتُمْ أَهْلَ شَقَاءٍ وَجَهْدٍ، وَكُنْتُمْ تَأْتُونَنَا مِنْ بَيْنِ تَاجِرٍ وَأَجِيرٍ وَوَافِدٍ، فَأَكَلْتُمْ مِنْ طَعَامِنَا، وَشَرِبْتُمْ مِنْ شَرَابِنَا، وَأَسْتَظَلَّكُمْ مِنْ ظِلَالِنَا، فَذَهَبْتُمْ فَدَعَوْتُمْ أَصْحَابَكُمْ، ثُمَّ أَتَيْتُمُونَا بِهِمْ، وَإِنَّمَا مِثْلُكُمْ مِثْلُ رَجُلٍ كَانَ لَهُ حَائِطٌ مِنْ عِنَبٍ، فَرَأَى فِيهِ ثَعْلَبًا وَاحِدًا، فَقَالَ: مَا ثَعْلَبٌ وَاحِدٌ! فَانْطَلَقَ الثَّعْلَبُ، فَدَعَا الثَّعْلَبُ إِلَى الْحَائِطِ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ فِيهِ جَاءَ الرَّجُلُ فَسَدَّ الْحِجْرَ الَّذِي دَخَلَ مِنْهُ، ثُمَّ قَتَلَهُنَّ جَمِيعًا.

وَقَدْ أَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي حَمَلَكُمْ عَلَى هَذَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ الْجَهْدُ الَّذِي قَدْ أَصَابَكُمْ، فَارْجِعُوا عَنَّا عَامَكُمْ هَذَا، فَإِنَّكُمْ قَدْ شَغَلْتُمُونَا عَنْ عِمَارَةِ بِلَادِنَا، وَعَنْ عَدُونِنَا، وَلَحْنُ نُوْقِرُ لَكُمْ رُكَّابَكُمْ قَحَا وَتَمْرًا، وَنَأْمُرُ لَكُمْ بِكِسْوَةٍ، فَارْجِعُوا عَنَّا عَافَاكُمْ اللَّهُ! فَقَالَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ: لَا تَذْكُرْ لَنَا جَهْدًا إِلَّا وَقَدْ كُنَّا فِي مِثْلِهِ أَوْ أَشَدَّ مِنْهُ، أَفْضَلُنَا فِي أَنْفُسِنَا عَيْشًا الَّذِي يَقْتُلُ ابْنَ عَمِّهِ، وَيَأْخُذُ مَالَهُ فَيَأْكُلُهُ، نَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَالْعِظَامَ، فَلَمْ نَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ فِينَا نَبِيًّا، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى مَا بَعَثَهُ بِهِ، فَصَدَّقَهُ مِنَّا مُصَدِّقٌ، وَكَذَبَهُ مِنَّا آخَرٌ، فَقَاتَلَ مِنْ صَدَقَهُ مِنْ كَذَبِهِ، حَتَّى دَخَلْنَا فِي دِينِهِ، مِنْ بَيْنِ مُوقِنٍ بِهِ، وَبَيْنَ مُقَهْوَرٍ، حَتَّى اسْتَبَانَ لَنَا أَنَّهُ صَادِقٌ، وَأَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ.

فَأَمَرْنَا أَنْ نُقَاتِلَ مَنْ خَالَفَنَا، وَأَخْبَرْنَا أَنَّ مَنْ قُتِلَ مِنَّا عَلَى دِينِهِ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ عَاشَ مَلِكٌ وَظَهَرَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ، فَتَحْنُ نَدْعُوكَ إِلَى أَنْ

تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتَدْخُلُ فِي دِينِنَا، فَإِنْ فَعَلْتَ كَأَنْتَ لَكَ بِلَادُكَ، لَا يَدْخُلُ عَلَيْكَ فِيهَا إِلَّا مَنْ أَحْبَبْتَ، وَعَلَيْكَ الزَّكَاةُ وَالْخُمْسُ، وَإِنْ أَيْبَتَ ذَلِكَ فَالْجَزِيَّةُ، وَإِنْ أَيْبَتَ ذَلِكَ قَاتَلْنَاكَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ.

قَالَ لَهُ رَسُولُهُ: مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّيْ أَعِيشُ حَتَّى أَسْمَعَ مِنْكُمْ هَذَا مَعَشَرَ الْعَرَبِ.

لَا أُمْسِي غَدًا حَتَّى أَفْرِغَ مِنْكُمْ وَأَقْتُلَكُمْ كُلَّكُمْ ثُمَّ أَمَرَ بِالْعَتِيقِ أَنْ يَسْكُرَ، فَبَاتَ لَيْلَتَهُ يَسْكُرُ بِالْبَرَادِيعِ وَالتَّرَابِ وَالْقَصَبِ حَتَّى أَصْبَحَ، وَقَدْ تَرَكَهُ طَرِيقًا مُهَيَّأً، وَتَعَيَّ لَهُ الْمُسْلِمُونَ، فَجَعَلَ سَعْدٌ عَلَى جَمَاعَةِ النَّاسِ خَالِدُ بْنُ عَرْفُطَةَ حَلِيفَ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وَجَعَلَ عَلَى مِيمَنَةِ النَّاسِ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ، وَجَعَلَ عَلَى مَيْسَرَتِهِمْ قَيْسُ بْنُ الْمَكْشُوحِ الْمُرَادِيُّ.

ثُمَّ زَحَفَ إِلَيْهِمْ رَسُولُهُ، وَزَحَفَ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ، وَمَا عَامَةَ جَنَّتِهِمْ - فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ - غَيْرَ بَرَادِيعِ الرَّحَالِ، قَدْ عَرَضُوا فِيهَا الْجَرِيدَ، يَتَرُسُونَ بِهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَمَا عَامَةَ مَا وَضَعُوهُ عَلَى رُءُوسِهِمْ إِلَّا أَسْنَاعُ الرَّحَالِ، يَطْوِي الرَّجُلُ نَسْعَ رَحْلِهِ عَلَى رَأْسِهِ يَتَّقِي بِهِ، وَالْفُرسُ فِيمَا بَيْنَهُمْ مِنَ الْحَدِيدِ وَالْيَلَامِ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، وَسَعَدٌ فِي الْقَصْرِ يَنْظُرُ، مَعَهُ سَلْمَى بِنْتُ خَصْفَةَ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ الْمُثَنَّى بْنِ حَارِثَةَ، فَجَالَتْ الْخَيْلُ، فَرَعِبَتْ سَلْمَى حِينَ رَأَتْ الْخَيْلَ جَالَتِ، فَقَالَتْ: وَاسْتِثْيَاهُ وَلَا مُثَنَّى لِي الْيَوْمَ! فَغَارَ سَعْدٌ فَلَطَمَ وَجْهَهَا، فَقَالَتْ:

أَغِيرَةٌ وَجُبْنًا! فَلَمَّا رَأَى أَبُو مُجَجْنٍ مَا تَصْنَعُ الْخَيْلُ حِينَ جَالَتْ، وَهُوَ يَنْظُرُ مِنْ قَصْرِ الْعَذِيبِ وَكَانَ مَعَ سَعْدٍ فِيهِ، قَالَ:

كَفَى حُزْنًا أَنْ تُرْدِيَ الْخَيْلُ بِالْقَنَا ... وَأَتَرَكَ مَشْدُودًا عَلَيَّ وَثَاقِيَا

إِذَا قَتَّ عَنَانِي الْحَدِيدُ وَاغْلَقَتْ ... مَصَارِيعُ دُونِي لَا نَجِيبُ الْمَنَادِيَا

وَقَدْ كُنْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَإِخْوَةٍ ... فَقَدْ تَرَكُونِي وَاحِدًا لَا إِخَالِيَا

فَكَلَّمَ زَبْرَاءَ أُمَّ وَلَدِ سَعْدٍ - وَكَانَ عِنْدَهَا مَحْبُوسًا، وَسَعْدٌ فِي رَأْسِ الْحِصْنِ يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ - فَقَالَ: يَا زَبْرَاءُ، أَطْلِقِينِي وَلَكِ عَلَيَّ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ، لَئِنْ لَمْ أَقْتُلْ لَأَرْجِعَنَّ إِلَيْكَ حَتَّى تَجْعَلِي الْحَدِيدَ فِي رِجْلِي، فَأَطْلَقْتُهُ وَحَمَلَتْهُ عَلَى فَرَسٍ لِسَعْدٍ بَلَقَاءَ وَخَلَّتْ سَبِيلَهُ، فَجَعَلَ يَشُدُّ عَلَى الْعَدُوِّ وَسَعْدٌ يَنْظُرُ فَجَعَلَ سَعْدٌ يَعْرِفُ فَرَسَهُ وَيَنْكُرُهَا، فَلَمَّا أَنْ فَرَّغُوا مِنَ الْقِتَالِ، وَهَزَمَ اللَّهُ جُمُوعَ فَارِسَ، رَجَعَ أَبُو مُجَجْنٍ إِلَى زَبْرَاءَ، فَأَدْخَلَ رِجْلَهُ فِي قَيْدِهِ، فَلَمَّا نَزَلَ سَعْدٌ مِنْ رَأْسِ الْحِصْنِ رَأَى فَرَسَهُ تَعَرَّقُ، فَعَرَفَ أَنَّهَا قَدْ رُكِبَتْ، فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ زَبْرَاءَ، فَأَخْبَرَتْهُ خَبَرَ أَبِي مُجَجْنٍ نَخْلَى سَبِيلَهُ

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَقَدْ كَانَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرَبٍ شَهِدَ الْقَادِسِيَّةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ. وَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسَدِ النَّخَعِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: شَهِدْتُ الْقَادِسِيَّةَ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ غَلَامًا مِنْ مَنَا مِنَ النَّخَعِ يَسُوقُ سَتِينَ أَوْ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ أَبْنَاءِ الْأَحْرَارِ.

فَقُلْتُ: لَقَدْ أَذَلَّ اللَّهُ أَبْنَاءَ الْأَحْرَارِ! حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، مَوْلَى بَجِيلَةَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ الْبَجَلِيِّ - وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ الْقَادِسِيَّةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ - قَالَ: كَانَ مَعَنَا يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ رَجُلٌ مِنْ ثَقِيفٍ، فَلَحِقَ بِالْفُرسِ مُرْتَدًّا، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ بَأْسَ النَّاسِ فِي الْجَانِبِ الَّذِي بِهِ بَجِيلَةُ قَالَ: وَكُنَّا رُبْعَ النَّاسِ، فَوَجَّهُوا إِلَيْنَا سِتَّةَ عَشَرَ فِيلًا وَإِلَى سَائِرِ النَّاسِ فِيلَيْنِ، وَجَعَلُوا يُلْقُونَ تَحْتَ أَرْجُلِ خَيْلِنَا حَسَكَ الْحَدِيدِ، وَيَرْشُقُونَنَا بِالنَّشَابِ، فَكَانَ الْمَطَرُ عَلَيْنَا، وَقَرَنُوا خَيْلَهُمْ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ لِئَلَّا يَفِرُّوا قَالَ: وَكَانَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرَبٍ يَمُرُّ بِنَا فَيَقُولُ: يَا مَعَشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، كُونُوا أَسُودًا، فَإِنَّمَا الْأَسَدُ مَنْ أَغْنَى شَأْنُهُ، فَإِنَّمَا الْفَارِسِيُّ تَيْنٌ إِذَا لَقِيَ نِيزَكُهُ.

قَالَ: وَكَانَ إِسْوَارُ مِنْهُمْ لَا يَكَادُ تَسْقُطُ لَهُ نَشَابَةٌ، فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا ثَوْرٍ، اتَّقِ ذَلِكَ الْفَارِسِيَّ فَإِنَّهُ لَا تَقَعُ لَهُ نَشَابَةٌ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ وَرَمَاهُ الْفَارِسِيُّ بِنَشَابَةٍ فَأَصَابَ قَوْسَهُ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ عَمْرُو فَأَعْتَنَهُ فَذَبَحَهُ، وَاسْتَلَبَهُ سَوَارِينَ مِنْ ذَهَبٍ وَمِنْطَقَةً مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَقًا مِنْ دِيْبَاجٍ، وَقَتَلَ اللَّهُ رُسُومَهُمْ، وَأَفَاءَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ عَسْكَرَهُ وَمَا فِيهِ، وَإِنَّمَا الْمُسْلِمُونَ سِتَّةَ آلَافٍ أَوْ سَبْعَةَ آلَافٍ، وَكَانَ الَّذِي قَتَلَ رُسُومَ هَلَالُ بْنُ عُلْفَةَ التَّيْمِيُّ رَأَى فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ، فَرَمَاهُ رُسُومٌ بِنَشَابَةٍ فَأَصَابَ قَدَمَهُ وَهُوَ يَتْبَعُهُ، فَشَكَّهَا إِلَى رِكَابِ سَرَجِهِ، وَرُسُومٌ يَقُولُ بِالْفَارِسِيَّةِ:

بِأَيِّهِ، أَيُّ كَمَا أَنْتَ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ هَلَالُ بْنُ عُلْفَةَ فَضْرِبَهُ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ احْتَزَّ رَأْسَهُ فَعَلَقَهُ، وَوَلَّتِ الْفَرَسُ فَاتَّبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَهُمْ، فَلَمَّا بَلَغَتْ الْفَرَسُ الْخَرَارَةَ نَزَلُوا فَشَرِبُوا مِنَ الْخَمْرِ، وَطَعِمُوا مِنَ الطَّعَامِ، ثُمَّ خَرَجُوا يَتَعَجَّبُونَ مِنْ رَمِيهِمْ، وَانَّهُ لَمْ يَعْمَلْ فِي الْعَرَبِ وَخَرَجَ جَالْنُوسُ فَرَفَعُوا لَهُ كُرَّةً فَهُوَ يَرْمِيهَا وَيَشْكُهَا بِالنَّشَابِ، وَلَحِقَ بِهِمْ فَرَسَانٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ هُنَالِكَ، فَشَدَّ عَلَى جَالْنُوسِ زَهْرَةَ بْنُ حَوِيَةَ التَّيْمِيُّ فَقَتَلَهُ، وَانْهَزَمَتِ الْفَرَسُ، فَلَحَقُوا بِدِيرِ قُرَّةَ وَمَا وَرَاءَهُ، وَنَهَضَ سَعْدُ بِالْمُسْلِمِينَ حَتَّى نَزَلَ بِدِيرِ قُرَّةَ عَلَى مَنْ هُنَالِكَ مِنَ الْفَرَسِ، وَقَدْ قَدَّمَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ بِدِيرِ قُرَّةَ عِيَاضُ بْنُ غَنَمٍ فِي مَدَدِهِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَهُمْ أَلْفُ رَجُلٍ، فَأَسْهَمَ لَهُ سَعْدٌ وَأَصْحَابُهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا أَصَابُوا بِالْقَادِسِيَّةِ، وَسَعْدٌ وَجَعَ مِنْ قَرْحَتِهِ تِلْكَ، وَقَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ:

أَنَا جَرِيرُ كُنَيْتِي أَبُو عَمْرٍو ... قَدْ نَصَرَ اللَّهُ وَسَعْدٌ فِي الْقَصْرِ
وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَيْضًا:

نُقَاتِلُ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ ... وَسَعْدٌ بِيَابِ الْقَادِسِيَّةِ مُعَصَّمٌ
فَأَبْنَا وَقَدْ أَمَتْ نِسَاءٌ كَثِيرَةٌ ... وَنِسْوَةٌ سَعْدٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أَيْمٌ

قَالَ: وَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمَا سَعْدًا، خَرَجَ إِلَى النَّاسِ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ، وَأَرَاهُمْ مَا بِهِ مِنَ الْقَرْحِ فِي خَفْدَيْهِ وَالْيَتِيَّةِ، فَعَذَرَهُ النَّاسُ، وَلَمْ يَكُنْ سَعْدٌ لِعَمْرِي يَجِبُنْ، فَقَالَ سَعْدٌ يَجِبُ جَرِيرًا فِيمَا قَالَ:

وَمَا أَرْجُو بِجِيلَةٍ غَيْرِ آتِيٍّ ... أَوْمَلُ أَجْرَهُمْ يَوْمَ الْحِسَابِ
فَقَدْ لَقِيتُ خِيُولَهُمْ خِيُولًا ... وَقَدْ وَقَعَ الْفَوَارِسُ فِي ضِرَابِ
وَقَدْ دَلَفَتْ بِعَرَصَتِهِمْ فَيُولُ ... كَأَنَّ زَهَاءَهَا إِبِلُ جِرَابِ

ثُمَّ إِنَّ الْفَرَسَ هَرَبَتْ مِنْ دِيرِ قُرَّةَ إِلَى الْمَدَائِنِ يَرِيدُونَ نِهَازَهُ، وَاحْتَمَلُوا مَعَهُمُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَالْذِّيْبَاجَ وَالْفِرْنَذَ وَالْخَرِيرَ وَالسَّلَاحَ وَثِيَابَ كَسْرَى وَبَنَاتَهُ، وَخَلَوْا مَا سِوَى ذَلِكَ، وَاتَّبَعَهُمْ سَعْدُ الطَّلَبِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَبَعَثَ خَالِدُ بْنُ عَرْفُطَةَ حَلِيفَ بَنِي أُمَيَّةَ، وَوَجَّهَ مَعَهُ عِيَاضُ بْنُ غَنَمٍ فِي أَصْحَابِهِ، وَجَعَلَ عَلَى مُقَدِّمَةِ النَّاسِ هَاشِمُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَلَى مِيمَنَتِهِمْ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ، وَعَلَى مِيسَرَتِهِمْ زَهْرَةُ بْنُ حَوِيَةَ التَّيْمِيُّ، وَتَخَلَّفَ سَعْدٌ لَمَّا بِهِ مِنَ الْوَجَعِ، فَلَمَّا أَفَاقَ سَعْدٌ مِنْ وَجَعِهِ ذَلِكَ اتَّبَعَ النَّاسُ بِمَنْ بَقِيَ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى أَدْرَكَهُمْ دُونَ دِجْلَةٍ عَلَى بَهْرَسِيرٍ، فَلَمَّا وَضَعُوا عَلَى دِجْلَةِ الْعَسْكَرِ وَالْأَثْقَالَ طَلَبُوا الْمَخَاضَةَ، فَلَمْ يَهْتَدُوا لَهَا، حَتَّى أَتَى سَعْدًا عَلِجٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدَائِنِ، فَقَالَ: أَدُلُّكُمْ عَلَى طَرِيقٍ تُدْرِكُونَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَمْعِنُوا فِي السَّيْرِ! فَخَرَجَ بِهِمْ عَلَى مَخَاضَةٍ بِقَطْرُبَلٍ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ خَاضَ الْمَخَاضَةَ هَاشِمُ بْنُ عُتْبَةَ فِي رَجْلِهِ، فَلَمَّا جَازَ اتَّبَعَتْهُ خِيَلُهُ، ثُمَّ أَجَازَ خَالِدُ بْنُ عَرْفُطَةَ بِحَيْلِهِ، ثُمَّ أَجَازَ عِيَاضُ بْنُ غَنَمٍ بِحَيْلِهِ، ثُمَّ تَابَعَ النَّاسُ نَخَاضُوا حَتَّى أَجَازُوا، فَزَعَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَهْتَدِ تِلْكَ الْمَخَاضَةَ بَعْدَ ثَمَّ سَارُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى مُظَلِّمٍ سَابَاطٍ، فَاشْفَقَ النَّاسُ أَنْ يَكُونَ بِهِ كَيْفٌ لِلْعَدُوِّ، فَتَرَدَّدَ النَّاسُ، وَجَنَّبُوا عَنْهُ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ دَخَلَ بِحَيْلِهِ هَاشِمُ بْنُ عُتْبَةَ، فَلَمَّا أَجَازَ الْأَحَاحَ لِلنَّاسِ بِسَيْفِهِ، فَعَرَفَ النَّاسُ أَنَّ لَيْسَ بِهِ شَيْءٌ يَخَافُونَهُ، فَأَجَازَ بِهِمْ خَالِدُ بْنُ عَرْفُطَةَ، ثُمَّ لَحِقَ سَعْدٌ بِالنَّاسِ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى جُلُولَاءَ وَبِهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْفَرَسِ، فَكَانَتْ وَقَعَةٌ جُلُولَاءَ بِهَا،

فَهَزَمَ اللَّهُ الْفُرسَ، وَأَصَابَ الْمُسْلِمُونَ بِهَا مِنْ الْفَيْءِ أَفْضَلَ مِمَّا أَصَابُوا بِالْقَادِسِيَّةِ، وَأَصِيبَتْ ابْنَةُ لِكْسَرَى، يُقَالُ لَهَا مِنْجَانَةٌ، وَيُقَالُ: بَلِ ابْنَةُ ابْنِهِ وَقَالَ شَاعِرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ:
يَا رَبِّ مَهْرٍ حَسَنٍ مُطَهَّمٌ ... يَجْمَلُ أَثْقَالَ الْغُلَامِ الْمُسْلِمِ
يَنْجُو إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ جَهَنَّمَ ... يَوْمَ جُلُولَاءَ وَيَوْمَ رَسْتَمِ
ويوم زحف الكوفة المقدم ... ويوم لاقى ضيقةً مهزَمَ
وخرَّ دينُ الْكَافِرِينَ لِلْفَتْمِ

٣٠٨٠٦ ذكر أحوال أهل السواد

ثُمَّ كَتَبَ سَعْدٌ إِلَى عُمَرَ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: أَنْ قِفْ وَلَا تَطْلُبُوا غَيْرَ ذَلِكَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَعْدٌ أَيْضًا: إِنَّمَا هِيَ سَرِبَةٌ أَدْرَكَّاها وَالْأَرْضُ بَيْنَ أَيْدِينَا، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: أَنْ قِفْ مَكَانَكَ وَلَا تَتَّبِعْهُمْ، وَاتَّخِذْ لِلْمُسْلِمِينَ دَارَ هَجْرَةٍ وَمَنْزِلَ جِهَادٍ، وَلَا تَجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بَحْرًا فَزَلَّ سَعْدٌ بِالنَّاسِ الْأَنْبَارَ، فَاجْتَوَوْهَا وَأَصَابَتْهُمْ بِهَا الْحُمَى، فَلَمْ تَوَافِقْهُمْ، فَكَتَبَ سَعْدٌ إِلَى عُمَرَ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَى سَعْدٍ أَنَّهُ لَا تَصْلُحُ الْعَرَبُ إِلَّا حَيْثُ يَصْلُحُ الْبَعِيرُ وَالشَّاةُ فِي مَنْابِتِ الْعُشْبِ، فَانْظُرْ فَلَاةً فِي جَنْبِ الْبَحْرِ فَارْتَدَّ لِلْمُسْلِمِينَ بِهَا مَنْزِلًا.
قَالَ: فَسَارَ سَعْدٌ حَتَّى نَزَلَ كُوفَةَ عَمْرٍو بْنِ سَعْدٍ، فَلَمْ تَوَافِقِ النَّاسَ مَعَ الذُّبَابِ وَالْحُمَى فَبِعَثَ سَعْدٌ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ الْحَارِثُ بْنُ سَلَمَةَ - وَيُقَالُ: بَلِ عَثْمَانُ بْنُ حَنِيفٍ، أَخَا بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ - فَارْتَادَ لَهُمْ مَوْضِعَ الْكُوفَةِ الْيَوْمَ، فَزَلَّهَا سَعْدٌ بِالنَّاسِ، وَخَطَّ مَسْجِدَهَا، وَخَطَّ فِيهَا الْخُطَطَ لِلنَّاسِ.

وَقَدْ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ خَرَجَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ إِلَى الشَّامِ فَزَلَّ الْجَابِيَّةَ، وَفُتِحَتْ عَلَيْهِ إِبِلِيَاءُ، مَدِينَةُ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَبِعَثَ فِيهَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ حَنْظَلَةَ بْنُ الطُّفَيْلِ السُّلَمِيِّ إِلَى حِمَصَ، فَفَتَحَهَا اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، وَاسْتَعْمَلَ سَعْدٌ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ عَلَى الْمَدَائِنِ رَجُلًا مِنْ كِنْدَةَ، يُقَالُ لَهُ شَرْحِبِيلُ بْنُ السِّمَطِ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ:

إِلَا لَيْتَنِي وَالْمَرْءَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ ... وَرِبْرَاءَ وَابْنُ السِّمَطِ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ

ذكر أحوال أهل السواد

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مَنَا يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ مَعَ الْفَتْحِ: نَقَاتِلْ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ ... وَسَعْدٌ بِيَابِ الْقَادِسِيَّةِ مُعَصَّمٌ

فَأَبْنَا وَقَدْ أَمَتْ نِسَاءٌ كَثِيرَةٌ ... وَنِسْوَةٌ سَعْدٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أَيْمٌ

فَبِعَثَ بِهَا فِي النَّاسِ، فَلَبَّغَتْ سَعْدًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَاذِبًا، أَوْ قَالَ الَّذِي قَالَ رِيَاءً وَسَمْعَةً وَكَذِبًا، فَاقْطَعْ عَنِّي لِسَانَهُ وَيَدَهُ.
وَقَالَ قَبِيصَةُ: فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَوَاقِفٌ بَيْنَ الصَّفَيْنِ يَوْمَئِذٍ، إِذْ أَقْبَلَتْ نَشَابَةُ لِدَعْوَةِ سَعْدٍ، حَتَّى وَقَعَتْ فِي لِسَانِهِ فَيُبْسَ شِقُّهُ، فَمَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْمُقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ الْحَارِثِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ جَرِيرٌ يَوْمَئِذٍ:

أَنَا جَرِيرٌ كُنَيْتِي أَبُو عَمْرٍو ... قَدْ نَصَرَ اللَّهُ وَسَعْدٌ فِي الْقَصْرِ

فَاشْرَفَ عَلَيْهِ سَعْدٌ، فَقَالَ:

وَمَا أَرْجُو بِجِيلَةٍ غَيْرِ أَنِّي ... أَوْمَلُ أَجْرَهَا يَوْمَ الْحِسَابِ

وَقَدْ لَقِيتُ خِيُولَهُمْ خِيُولًا ... وَقَدْ وَقَعَ الْفَوَارِسُ فِي الضَّرَابِ
فَلَوْلَا جَمْعُ قَعْقَاعِ بْنِ عَمْرِو ... وَحَمَالٍ لِلْجَوِّ فِي الْكَذَابِ
هُمْ مَنَعُوا جُمُوعَكُمْ بِطَعْنٍ ... وَضَرَبَ مِثْلَ تَشْقِيقِ الْإِهَابِ
وَلَوْلَا ذَاكَ الْفَيْتَمُ رِعَاعًا ... نُشِلَ جُمُوعُكُمْ مِثْلَ الذُّبَابِ

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن القاسم بن سليم بن عبد الرحمن السعدي، عن عثمان بن رجاء السعدي، قال: كان سعد بن مالك أجراً الناس وأشجعهم، إنه نزل قصراً غير حصين بين الصفين، فأشرف منه على الناس، ولو أعراه الصف فواق ناقة أخذ برمته، فوالله ما أكرهته هول تلك الأيام ولا أقلقه

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن سليمان بن بشير، عن أم كثير، امرأة همام بن الحارث النخعي، قالت: شهدنا القادسية مع سعد مع أزواجنا، فلما أتاها أن قد فرغ من الناس شددنا علينا ثيابنا، وأخذنا المروى، ثم أتينا القتلى، فما كان من المسلمين سقيناها ورفعناه، وما كان من المشركين أجهزنا عليه، وتبعنا الصبيان نوليهم ذلك، ونصرفهم به.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَطِيَّةٍ - وَهُوَ ابْنُ الْحَارِثِ - عَمَّنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ، قَالَ: لَمْ يَكُنْ مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ أَحَدٌ أَكْثَرَ امْرَأَةً يَوْمَ الْقَادِسيَّةِ مِنْ بِجِيلَةٍ وَالنَّخَعِ، وَكَانَ فِي النَّخَعِ سَبْعُمِائَةِ امْرَأَةٍ فَارِغَةٍ، وَفِي بِجِيلَةِ أَلْفٍ، فَصَاهِرَ هَؤُلَاءِ أَلْفٌ مِنَ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، وَهَؤُلَاءِ سَبْعُمِائَةٍ، وَكَانَتِ النَّخَعُ تَسْمَى أَصْهَارَ الْمُهَاجِرِينَ، وَبِجِيلَةٍ، وَإِنَّمَا جَرَأَهُمْ عَلَى الْإِتِّقَالِ بِأَتْقَالِهِمْ تَوَطُّةُ خَالِدٍ، وَالْمِثْنَى بَعْدَ خَالِدٍ، وَأَبِي عُبَيْدٍ بَعْدَ الْمِثْنَى، وَأَهْلُ الْأَيَّامِ، فَلَاقُوا بِأَسَا بَعْدَ ذَلِكَ شَدِيدًا.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَالْمُهَلَّبِ وَطَلْحَةَ، قَالُوا: وَكَانَ بَكِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ وَعُتْبَةُ بْنُ فَرْقَدٍ السَّلْمِيِّ وَسِمَاكُ بْنُ خُرْشَةَ الْأَنْصَارِيِّ - وَلَيْسَ بِأَبِي دِجَانَةَ - قَدْ خُطِبُوا امْرَأَةً يَوْمَ الْقَادِسيَّةِ، وَكَانَ مَعَ النَّاسِ نِسَاءُهُمْ، وَكَانَتِ مَعَ النَّخَعِ سَبْعُمِائَةِ امْرَأَةٍ فَارِغَةٍ، وَكَانُوا يَسْمُونَ أَخْتَانَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَانَ قَرِيبًا، فَتَزَوَّجَهُنَّ الْمُهَاجِرُونَ قَبْلَ الْفَتْحِ وَبَعْدَ الْفَتْحِ، حَتَّى اسْتَوْعِبُوهُنَّ، فَصَارَ إِلَيْهِنَّ سَبْعُمِائَةُ رَجُلٍ مِنَ الْأَفْئَاءِ، فَلَمَّا فَرَّغَ النَّاسُ خُطِبَ هَؤُلَاءِ الْفَرَزْدَةَ الْمَرْأَةَ - وَهِيَ أَرْوَى ابْنَةَ عَامِرِ الْهَلَالِيَّةِ - هَلَالِ النَّخَعِ، وَكَانَتِ أَخْتَهَا هَنِيْدَةً تَحْتَ الْقَعْقَاعِ بْنِ عَمْرِو التَّمِيمِيِّ، فَقَالَتْ لِأَخْتِهَا: اسْتَشِيرِي زَوْجَكَ أَيُّهُمْ يَرَاهُ لَنَا! فَفَعَلْتُ، وَذَلِكَ بَعْدَ الْوَقْعَةِ وَهُمْ بِالْقَادِسيَّةِ، فَقَالَ الْقَعْقَاعُ: سَأَصْفَهُمْ فِي الشَّعْرِ فَانْظُرِي لِأَخْتِكَ، وَقَالَ:

إِنْ كُنْتُ حَاوَلْتُ الدَّرَاهِمَ فَانْكَحِي ... سَمَاكَ أَخَا الْأَنْصَارِ أَوْ ابْنَ فَرْقَدٍ
وَإِنْ كُنْتُ حَاوَلْتُ الطَّعْنَ فِيمَنِّي ... بِكَيْرٍ إِذَا مَا انْخَلِيلَ جَالَتْ عَنِ الرَّدِيِّ
وَكُلُّهُمْ فِي ذُرْوَةِ الْمَجْدِ نَازِلٌ ... فَشَأْنُكُمْ إِنْ الْبَيَانُ عَنِ الْغَدِ

وقالوا: وكانت العرب توقع وقعة العرب وأهل فارس في القادسية فيما بين العذيب إلى عدن أبين، وفيما بين الأبله وأيلة، يرون أن ثبات ملكهم وزواله بها، وكانت في كل بلد مصيخة إليها، تنظر ما يكون من أمرها، حتى إن كان الرجل ليريد الأمر فيقول: لا أنظر فيه حتى أنظر ما يكون من أمر القادسية فلها كانت وقعة القادسية سارت بها الجن، فأنت بها ناسا من الإنس، فسبقت أخبار الإنس إليهم، قالوا: فبدرت امرأة ليلا على جبل بصنعاء، لا يدرى من هي؟ وهي تقول:

حَيِّتْ عَنَا عَكْرَمُ ابْنَةُ خَالِدٍ ... وَمَا خَيْرُ زَادٍ بِالْقَلِيلِ الْمَصْرَدِ
وَحَيْتِكَ عَنِي الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا ... وَحَيَّاكَ عَنِي كُلُّ نَاجٍ مَفْرَدِ
وَحَيْتِكَ عَنِي عَصْبَةُ نَخْعِيَّةٍ ... حَسَانَ الْوُجُوهِ آمَنُوا بِمُحَمَّدِ
أَقَامُوا لِكُسرِي يَضْرِبُونَ جُنُودَهُ ... بِكُلِّ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ مَهْنَدِ
إِذَا ثُوبُ الدَّاعِي أَنَاخُوا بِكُلِّكَ ... مِنَ الْمَوْتِ تَسْوَدُ الْغِيَاظُ مَجْرَدِ
وَسَمِعَ أَهْلَ الْيَمَامَةِ مَجْتَازًا يَغْنِي بِهَذِهِ الْأَيَّاتِ:

اسْتَكْرَهُ وَحَشَرَ فَهَرَبَ وَلَمْ يُقَاتِلْ، أَوْ اسْتَسْلَمَ، فَإِنَّا بِأَرْضٍ رَغِيْبَةٍ، وَالْأَرْضُ خَلَاءٌ مِنْ أَهْلِهَا، وَعَدَدُنَا قَلِيلٌ، وَقَدْ كَثُرَ أَهْلُ صَلْحِنَا، وَإِنْ أَعْمَرَ لَنَا وَأَوْهَنَ لِعِدُونَا تَأْلَفَهُمْ فَقَامَ عُمَرُ فِي النَّاسِ فَقَالَ: إِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ بِالْهَوَى وَالْمَعْصِيَةِ يَسْقُطُ حَظُّهُ وَلَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ السُّنَّةَ وَيَتَّبِعْهُ إِلَى الشَّرَائِعِ، وَيَلْزِمِ السَّبِيلَ النَّهْجَ ابْتِغَاءً مَا عِنْدَ اللَّهِ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ، أَصَابَ أَمْرُهُ، وَظَفَرَ بِحَظِّهِ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: «وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا»، وَقَدْ ظَفَرَ أَهْلُ الْأَيَّامِ وَالْقَوَادِسِ بِمَا يَلِيهِمْ، وَجَلَا أَهْلُهُ، وَأَتَاهُمْ مَنْ أَقَامَ عَلَى عَهْدِهِمْ، فَمَا رَأَيْكُمْ فِيمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ اسْتَكْرَهُ وَحَشَرَ، وَفِيمَنْ لَمْ يَدَعْ ذَلِكَ وَلَمْ يَقُمْ وَجِلًا، وَفِيمَنْ أَقَامَ وَلَمْ يَدَعْ شَيْئًا، وَلَمْ يَجَلْ، وَفِيمَنْ اسْتَسْلَمَ فَاجْمَعُوا عَلَى أَنْ الْوَفَاءَ لِمَنْ أَقَامَ وَكَفَّ لَمْ يَزِدْهُ غَلْبَةً إِلَّا خَيْرًا، وَأَنْ مَنْ ادَّعَى فَصَدَقَ أَوْ فِي فِيمَنْزَلَتِهِمْ، وَإِنْ كَذَبَ نَبَذَ إِلَيْهِمْ وَأَعَادُوا صَلَحَهُمْ، وَأَنْ يَجْعَلَ أَمْرٌ مِنْ جَلَا إِلَيْهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا وَادَّعَوْهُمْ وَكَانُوا لَهُمْ ذِمَّةً، وَإِنْ شَاءُوا تَمَوَّعُوا عَلَى مَنْعِهِمْ مِنْ أَرْضِهِمْ وَلَمْ يَعْطَوْهُمْ إِلَّا الْقِتَالَ، وَأَنْ يَخِيَرُوا مَنْ أَقَامَ وَاسْتَسْلَمَ: الْجَزَاءُ، أَوِ الْجَلَاءُ، وَكَذَلِكَ الْفَلَاحُ.

وكتب جواب كتاب أنس بن الحليس: أما بعد، فإن الله جل وعلا أنزل في كل شيء رخصة في بعض الحالات إلا في أمرين: العدل في السيرة والذكر، فأما الذكر فلا رخصة فيه في حالة، ولم يرض منه إلا بالكثير، وأما العدل فلا رخصة فيه في قريب ولا بعيد، ولا في شدة ولا رخاء، والعدل - وان رأتى لنا - فهو أقوى وأطفأ للجرور، وأقع للباطل من الجور، وان رأتى شديدا فهو انكش للكفر، فن تم على عهده من أهل السواد، ولم يعن عليكم بشيء، فلهم الذمة، وعليهم الجزية، وأما من ادعى أنه استكره ممن لم يخالفهم إليكم أو يذهب في الأرض، فلا تصدقوهم بما ادعوا من ذلك إلا أن تشاءوا، وإن لم تشاءوا فانبذوا إليهم، وابلغوهم مأمهم

وأجابهم في كتاب أبي الهياج أما من أقام ولم يجل وليس له عهد فلهم ما لأهل العهد بمقامهم لكم وكفهم عنكم إجابة، وكذلك الفلاحون إذا فعلوا ذلك، وكل من ادعى ذلك فصدق فلهم الذمة، وإن كذبوا نبذ إليهم، وأما من أعان وجلا، فذلك أمر جعله الله لكم، فإن شئتم فادعوه إلى أن يقيموا لكم في أرضهم، ولهم الذمة، وعليهم الجزية، وإن كرهوا ذلك، فاقسموا ما أفاء الله عليكم منهم.

فلما قدمت كتب عمر على سعد بن مالك والمسلمين عرضوا على من يليهم ممن جلا وتخي عن السواد أن يتراجعوا، ولهم الذمة وعليهم الجزية، فتراجعوا وصاروا ذمة كمن تم ولم عهد، إلا أن خراجهم أثقل، فأنزلوا من ادعى الاستكراه وهرب منزلتهم وعقدوا لهم، وأنزلوا من أقام منزلة ذي العهد وكذلك الفلاحين، ولم يدخلوا في الصلح ما كان لآل كسرى، ولا ما كان لمن خرج معهم، ولم يجبهم إلى واحدة من اثنتين: الإسلام، أو الجزاء، فصارت فيثا لمن أفاء الله عليه، فهي والصوفي الأولى ملك لمن أفاء الله عليه، وسائر السواد ذمة وأخذوهم بخراج كسرى، وكان خراج كسرى على رءوس الرجال على ما في أيديهم من الحصاة والأموال، وكان مما أفاء الله عليهم ما كان لآل كسرى، ومن صوب معهم وعيال من قاتل معهم وماله، وما كان لبيوت النيران والآجام ومستنقع المياه، وما كان للسكك، وما كان لآل كسرى، فلم يتأت قسم ذلك الفيء الذي كان لآل كسرى ومن صوب معهم، لأنه كان متفرقا في كل السواد، فكان يليه لأهل الفيء من وثقوا به، وتراضوا عليه، فهو الذي يتداعاه أهل الفيء لأعظم السواد، وكانت الولاة عند تنازعهم فيها تهاون بقسمه بينهم، فذلك الذي شبه على الجهلة أمر السواد، ولو أن الحلء جامعوا السفهاء الذين سألوا الولاة قسمه لقسموه بينهم، ولكن الحلء أبوا، فتابع الولاة الحلء، وترك قول السفهاء.

كذلك صنع علي رحمه الله، وكل من طلب إليه قسم ذلك فإنما تابع الحلء، وترك قول السفهاء، وقالوا: لئلا يضرب بعضهم وجوه بعض.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: السَّوَادُ مَا حَالُهُ؟ قَالَ أَخَذَ عَنُودَ، وَكَذَلِكَ كُلُّ أَرْضٍ إِلَّا الْحَصُونَ، فَجَلَا أَهْلُهَا، فَدَعَا إِلَى الصَّلَاحِ وَالذِّمَّةِ، فَأَجَابُوا وَتَرَجَعُوا، فَصَارُوا ذِمَّةً، وَعَلَيْهِمُ الْجَزَاءُ، وَلَهُمُ الْمُنْعَةُ، وَذَلِكَ هُوَ السَّنَةُ، كَذَلِكَ صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص بدومة، وبقي ما كان لآل كسرى ومن خرج معهم فيثا لمن أفاء الله عليه.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ طَلْحَةَ وَسُفْيَانَ، عَنْ مَاهَانَ، قَالُوا: فَتَحَ اللَّهُ السَّوَادَ عَنُودَ - وَكَذَلِكَ كُلُّ أَرْضٍ بَيْنَهَا

وبين نهر بلخ- إلا حصنا، ودعوا إلى الصلح، فصاروا ذمه، وصارت لهم أرضهم ولم يدخلوا في ذلك أموال آل كسرى ومن اتبعهم، فصارت فينا لمن أفاءه الله عليه، ولا يكون شيء من الفتوح فينا حتى يقسم، وهو قوله: «ما غَنَمْتُ مِنْ شَيْءٍ»، مما اقتسمتم.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلِ بْنِ مُسْلَمٍ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ، قَالَ: عامة ما أخذ المسلمون عنوة فدعاهم إلى الرجوع والذمة، وعرضوا عليهم الجزاء فقبلوه ومنعواهم.

وَعَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: قلت له: إن أناسا يزعمون أن أهل السواد عبيد، فقال: فعلام يؤخذ الجزاء من العبيد؟

أخذ السواد عنوة، وكل أرض علمتها إلا حصنا في جبل أو نحوه.

فدعوا إلى الرجوع فرجعوا، وقبل منهم الجزاء، وصاروا ذمة، وإنما يقسم من الغنائم ما تغنم، فأما ما لم يغنم وأجاب أهله إلى الجزاء من قبل أن يتغنم، فلهم جرت السنة بذلك.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي ضَمْرَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُسْتَوْدِدِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: البلدان كلها أخذت عنوة إلا حصون قليلة، عاهدوا قبل أن ينزلوا ثم دعوا- يعني الذين أخذوا عنوة- إلى الرجوع والجزاء، فصاروا ذمة أهل السواد والجبل كله

أمر لم يزل يصنع في أهل الفتي، وإنما عمل عمر والمسلمون في هذا الجزاء والذمة على اجريا ما عمل به رسول الله ص في ذلك، وقد كان بعث خالد بن الوليد من تبوك إلى دومة الجندل، فأخذها عنوة، وأخذ ملكها أكيدر بن عبد الملك أسيرا، فدعاه إلى الذمة والجزاء، وقد أخذت بلاده عنوة، وأخذ أسيرا، وكذلك فعل بابني عريض، وقد أخذوا فادعيا أنهما أوداؤه، فعقد لهما على الجزاء والذمة، وكذلك كان أمر يحنه ابن رؤبة صاحب أيلة وليس المعمول به من الأشياء كرواية الخصاص، من روى غير ما عمل به الأئمة العدول المسلمون، فقد كذب وطعن عليهم.

وَعَنْ سَيْفٍ، عَنْ حُجَّاجِ الصَّوَّافِ، عَنْ مُسْلِمٍ مَوْلَى حَذِيفَةَ، قَالَ:

تزوج المهاجرون والأنصار في أهل السواد- يعني في أهل الكائين منهم، ولو كانوا عبيدا لم يستحلوا ذلك، ولم يحل لهم أن ينكحوا إماء أهل الكتاب، لأن الله تعالى يقول: «وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً» الآية، ولم يقل:

فتياتهم من أهل الكائين.

وَعَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، قَالَ:

بعث عمر بن الخطاب إلى حذيفة بعد ما ولاه المدائن وكثر المسلمات: إنه بلغني أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلقها فكتب إليه: لا أفعل حتى تخبرني: أحلال أم حرام، وما أردت بذلك! فكتب إليه: لا بل حلال، ولكن في نساء الأعاجم خلافة، فإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم فقال: الآن، فطلقها.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَشْعَثَ بْنِ سَوَّارٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: شَهِدْتُ الْقَادِسِيَّةَ مَعَ سَعْدٍ، فَتَزَوَّجْنَا نِسَاءَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَنَحْنُ لَا نَجِدُ كَثِيرَ مُسْلِمَاتٍ، فَلَمَّا قَفَلْنَا، فِينَا مَنْ طَلَّقَ، وَمِنَّا مَنْ أَمْسَكَ.

وَعَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، قَالَ:

أخذ السواد عنوة، فدعوا إلى الرجوع والجزاء، فأجابوا إليه، فصاروا ذمة، إلا ما كان لآل كسرى، وأتباعهم، فصار فينا لأهله، وهو الذي يتحجى أهل الكوفة إلى أن جهل ذلك، فحسبوه السواد كله، وأما سوادهم، فذلك.

وَعَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْمُسْتَنِيرِ بْنِ يَزِيدٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدٍ النَّخَعِيِّ، قَالَ: أخذ السواد عنوة، فدعوا إلى الرجوع، فمن أجاب فعليه الجزية وله الذمة، ومن أبى صار ماله فينا، فلا يحل بيع شيء من ذلك الفتي فيما بين الجبل إلى العذيب من أرض السواد ولا في الجبل.

وَعَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، بِمَثَلِهِ: لَا يَحِلُّ بَيْعُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ الْفِيءِ فِيمَا بَيْنَ الْجَبَلِ وَالْعَذِيبِ.
وَعَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: أَقْطَعَ الزُّبَيْرُ وَخُبَابُ بْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ يَاسِرٍ وَابْنُ هُبَارٍ أَزْمَانَ عُثْمَانَ، فَإِنْ يَكُنْ عُثْمَانُ
أَخْطَا فَلِذَلِكَ قَبِلُوا مِنْهُ الْخَطَا أَوْ خَطَا، وَهُمْ الَّذِينَ أَخَذْنَا عَنْهُمْ دِينَارًا وَأَقْطَعَ عُمَرُ طَلْحَةَ وَجَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَالرَّبِيعُ بْنُ عَمْرٍو، وَأَقْطَعَ أَبَا
مُفْزَرَ دَارَ الْفِيلِ فِي عَدَدٍ مِمَّنْ أَخَذْنَا عَنْهُمْ، وَإِنَّمَا الْقَطَائِعُ عَلَى وَجْهِ الْفِيلِ مِنْ نَحْمَسٍ مَا أَفَاءَ اللَّهُ.
وَكُتِبَ عُمَرُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ حَنْفِيٍّ مَعَ جَرِيرٍ: أَمَّا بَعْدُ، فَأَقْطَعَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَدْرَ مَا يَقُوتُهُ لَا وَكْسٍ وَلَا شَطَطٍ فَكُتِبَ عُثْمَانُ إِلَى
عُمَرَ: إِنَّ جَرِيرًا قَدِمَ عَلَيَّ بِكُتَابٍ مِنْكَ تَقْطَعُهُ مَا يَقُوتُهُ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: أَنْ قَدْ صَدَّقَ جَرِيرٌ، فَأَنْفَذَ
ذَلِكَ، وَقَدْ أَحْسَنْتَ فِي مَوَازِينِي وَأَقْطَعَ أَبَا مُوسَى وَأَقْطَعَ عَلِيٌّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَرْدُوسَ بْنِ هَانِئٍ الْكُرْدُوسِيَّةَ، وَأَقْطَعَ سُؤَيْدُ بْنُ غَفْلَةَ الْجَعْفِيَّ.
وَعَنْ سَيْفٍ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ هَرِيمٍ، عَنْ سُؤَيْدِ بْنِ غَفْلَةَ، قَالَ:
اسْتَقْطَعْتُ عَلَيْهِ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَالَ: اكْتُبْ: هَذَا مَا أَقْطَعَ عَلَيَّ سُؤَيْدًا أَرْضًا لِدَاذُويهِ، مَا بَيْنَ كَذَا إِلَى كَذَا وَمَا شَاءَ اللَّهُ.
وَعَنْ سَيْفٍ، عَنِ الْمُسْتَنَبِرِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ: إِذَا

٣٠٨٠٧ ذكر بناء البصرة

عَاهَدْتُمْ قَوْمًا فَأَبْرَأُوا إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجِيُوشِ فَكَانُوا يَكْتُبُونَ فِي الصُّلْحِ لِمَنْ عَاهَدُوا: وَنَبْرًا إِلَيْكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجِيُوشِ.
وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: كَانَتْ وَقْعَةُ الْقَادِسِيَّةِ وَافْتِتَاحُهَا سَنَةَ سِتِّ عَشْرَةَ، وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَقُولُ: كَانَتْ وَقْعَةُ الْقَادِسِيَّةِ سَنَةَ خَمْسِ
عَشْرَةَ.
قَالَ: وَالثَّبْتُ عِنْدَنَا أَنَّهَا كَانَتْ فِي سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ.
وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فَإِنَّهُ قَالَ: كَانَتْ سَنَةَ خَمْسِ عَشْرَةَ، وَقَدْ مَضَى ذِكْرِي الرَّوَايَةَ عَنْهُ بِذَلِكَ
ذكر بناء البصرة

قال أبو جعفر: وفي سنة أربع عشرة أمر عمر بن الخطاب رحمه الله - فيما زعم الواقدي - الناس بالقيام في المساجد في شهر رمضان
بالمدينة، وكتب إلى الأمصار يأمر المسلمين بذلك.
وفي هذه السنة - أعني سنة أربع عشرة - وجه عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان إلى البصرة، وأمره بنزولها بمن معه، وقطع مادة أهل
فارس عن الذين بالمدائن ونواحيها منهم في قول المدائني وروايته.
وزعم سيف أن البصرة مصرت في ربيع سنة ست عشرة، وأن عتبة بن غزوان إنما خرج إلى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد من
جلولاء وتكريت والحصنين، وجهه إليها سعد بأمر عمر.
كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْهُ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ، قَالَ:
حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي مَخْنَفٍ، عَنْ مُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ:
قُتِلَ مِهْرَانُ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ فِي صَفَرٍ، فَقَالَ عُمَرُ لِعُبَّةَ - يَعْنِي ابْنَ غَزْوَانَ -:
قَدْ فَتَحَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ عَلَى إِخْوَانِكُمُ الْحِيرَةَ وَمَا حَوْلَهَا، وَقُتِلَ عَظِيمٌ مِنْ عَظَمَائِهَا

وَلَسْتُ أَمِنُ أَنْ يَمُدَّهُمْ إِخْوَانُهُمْ مِنْ أَهْلِ فَارَسَ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُوجِّهَكَ إِلَى أَرْضِ الْهِنْدِ، لَتَمْنَعَ أَهْلُ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ مِنْ إِمْدَادِ إِخْوَانِهِمْ عَلَى
إِخْوَانِكُمْ، وَتَقَاتِلَهُمْ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَفْتَحَ عَلَيْكُمْ فَسَّرَ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ، وَاتَّقِ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتَ، وَاحْكُمْ بِالْعَدْلِ، وَصَلِّ الصَّلَاةَ لَوْ قَتَبَهَا، وَأَكْثِرْ
ذَكَرَ اللَّهُ فَأَقْبَلَ عُتْبَةَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ وَبِضْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا، وَضَوَى إِلَيْهِ قَوْمٌ مِنَ الْأَعْرَابِ وَأَهْلِ الْبَوَادِي، فَقَدِمَ الْبَصْرَةَ فِي خَمْسِمِائَةٍ، يَزِيدُونَ

قَلِيلًا أَوْ يَنْقُصُونَ قَلِيلًا، فَزَلَّهَا فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ - أَوِ الْآخِرِ - سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ، وَالْبَصْرَةَ يَوْمَئِذٍ تُدْعَى أَرْضَ الْهِنْدِ فِيهَا حِجَارَةٌ بَيْضٌ خَشِنٌ، فَزَلَّ الْخُرَيْبَةَ، وَلَيْسَ بِهَا إِلَّا سَبْعُ دَسَاكِرَ، بِالزَّابُوقَةِ وَالْخُرَيْبَةِ وَمَوْضِعِ بَنِي تَمِيمٍ وَالْأَزْدِ: ثُنْتَانِ بِالْخُرَيْبَةِ، وَثُنْتَانِ بِالْأَزْدِ، وَثُنْتَانِ فِي مَوْضِعِ بَنِي تَمِيمٍ وَوَاحِدَةً بِالزَّابُوقَةِ فَكُتِبَ إِلَى عُمَرَ، وَوَصَفَ لَهُ مَنْزِلَهُ فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: أَجْمَعَ لِلنَّاسِ مَوْضِعًا وَاحِدًا، وَلَا تُفَرِّقَهُمْ، فَأَقَامَ عُبَيْةٌ أَشْهَرًا لَا يَغْزُو وَلَا يَلْقَى أَحَدًا.

وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَارٍ، فَإِنَّهُ حَدَّثَنَا، قَالَ: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عَيْسَى الزُّهْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَيْسَى أَبُو نَعَامَةَ الْعَدَوِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ عَمِيرٍ وَشُوَيْسًا أَبَا الرُّقَادِ، قَالَا: بَعَثَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عُبَيْةَ بْنَ غَرْوَانَ، فَقَالَ لَهُ: انْطَلِقْ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ، حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي أَقْصَى أَرْضِ الْعَرَبِ وَأَدْنَى أَرْضِ الْعَجَمِ، فَأَقِيمُوا فَأَقْبِلُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْمَرْبِدِ وَجَدُوا هَذَا الْكَذَانَ قَالُوا: مَا هَذِهِ الْبَصْرَةُ؟ فَسَارُوا حَتَّى بَلَّغُوا حِيَالَ الْجَسْرِ الصَّغِيرِ، فَإِذَا فِيهِ حُلَفَاءٌ وَقَصَبٌ نَابِتَةٌ، فَقَالُوا: هَاهُنَا أَمْرُكُمْ، فَزَلُّوا دُونَ صَاحِبِ الْفُرَاتِ، فَاتَوْهُ فَقَالُوا: إِنْ هَاهُنَا قَوْمًا مَعَهُمْ رَايَةٌ، وَهُمْ يُرِيدُونَكَ، فَأَقْبَلَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ إِسْوَارَ، فَقَالَ: مَا هُمْ إِلَّا مَا أَرَى، أَجْعَلُوا فِي أَعْنَاقِهِمُ الْحِبَالَ، وَأَتُونِي بِهِمْ، لَجْعَلِ عُبَيْةَ يَزْجُلُ، وَقَالَ: إِنِّي شَهِدْتُ الْحَرْبَ مَعَ النَّبِيِّ ص، حَتَّى إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ، قَالَ: احْمِلُوا، فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ فَفَقَتَلُوهُمْ أَجْمَعِينَ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا صَاحِبُ الْفُرَاتِ، أَخَذُوهُ

أَسِيرًا، فَقَالَ عُبَيْةُ بْنُ غَرْوَانَ: ابْعَثُوا لَنَا مَنْزِلًا هُوَ أَتَمُّ مِنْ هَذَا - وَكَانَ يَوْمَ عِكَكَ وَوَمَدٍ - فَرَفَعُوا لَهُ مِنْبَرًا، فَقَامَ يَخْطُبُ، فَقَالَ: إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّعَتْ وَوَلَّتْ حَذَاءً، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صَبَابَةٌ كَصَبَابَةِ الْإِنَاءِ أَلَا وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارِ الْقَرَارِ، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرٍ مَا بِحَضْرَتِكُمْ وَقَدْ ذُكِرَ لِي:

لَوْ أَنَّ صَخْرَةَ أَلْقَيْتَ مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ هَوَتْ سَبْعِينَ خَرِيفًا، وَلَتَمْلَأَنَّهُ، أَوْعَجِبْتُمْ! وَلَقَدْ ذُكِرَ لِي أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيحِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَهُوَ كظِظِ بَرْحَامٍ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي وَأَنَا سَابِعُ سَبْعَةٍ مَعَ النَّبِيِّ ص، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ السَّمْرِ، حَتَّى تَقَرَّحَتْ أَشْدَاقُنَا، وَالتَّقَطُّ بَرْدَةٌ فَشَقَّقَتْهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدٍ، فَمَا مِنَّا مِنْ أُولَئِكَ السَّبْعَةِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ أَمِيرُ مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ، وَسَيَجْرِيُونَ النَّاسَ بَعْدَنَا.

وَعَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَالْمُهَلَّبِ وَعَمْرُو، قَالُوا: لَمَّا تَوَجَّهَ عُبَيْةُ بْنُ غَرْوَانَ الْمَازِنِيُّ مِنْ بَنِي مَازَنَ بْنِ مَنْصُورٍ مِنَ الْمَدَائِنِ إِلَى فَرْجِ الْهِنْدِ، نَزَلَ عَلَى الشَّاطِئِ بِحِيَالِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَأَقَامَ قَلِيلًا ثُمَّ أَرَزَ، ثُمَّ شَكُوا ذَلِكَ حَتَّى أَمَرَهُ عُمَرُ بِأَنْ يَنْزِلَ الْحَجْرَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَوْطَانٍ إِذَا اجْتَوُوا الطَّيْنَ، فَزَلُّوا فِي الرَّابِعَةِ الْبَصْرَةَ - وَالْبَصْرَةُ كُلُّ أَرْضٍ حِجَارَتُهَا جِصٌّ - وَأَمَرَهُمْ بِنَهْرِ يُجْرَى مِنْ دِجْلَةٍ، فَسَاقُوا إِلَيْهَا نَهْرًا لِلشَّفَةِ، وَكَانَ إِيطَانُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ الْبَصْرَةَ الْيَوْمَ وَإِيطَانُ أَهْلِ الْكُوفَةِ الْكُوفَةَ الْيَوْمَ فِي شَهْرِ وَاحِدٍ فَأَمَّا أَهْلُ الْكُوفَةِ فَكَانَ مَقَامُهُمْ قَبْلَ نَزْوِهَا الْمَدَائِنِ إِلَى أَنْ وَطَنُهَا، وَأَمَّا أَهْلُ الْبَصْرَةِ فَكَانَ مَقَامُهُمْ عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةٍ ثُمَّ أَرَزُوا مَرَّاتٍ حَتَّى اسْتَقَرُّوا وَبَدَأُوا، فَخَسُوا فَرَسًا وَجَرُوا مَعَهُمْ نَهْرًا، ثُمَّ فَرَسًا ثُمَّ جَرَوْهُ ثُمَّ فَرَسًا، ثُمَّ جَرَوْهُ ثُمَّ أَتَوْا

الْحَجْرَ، ثُمَّ جَرَوْهُ، وَاخْتَطَّتْ عَلَى نَحْوٍ مِنَ خَطِّ الْكُوفَةِ، وَكَانَ عَلَى أَنْزَالِ الْبَصْرَةِ أَبُو الْجَرَبَاءِ عَاصِمُ بْنُ الدَّلْفِ، أَحَدُ بَنِي غَيْلَانَ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ تَمِيمٍ.

وَقَدْ كَانَ قُطْبَةُ بْنُ قَتَادَةَ - فِيمَا حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْمَدَائِنِيُّ عَنْ النَّضْرِ بْنِ إِسْحَاقَ السُّلَمِيِّ، عَنْ قُطْبَةَ بْنِ قَتَادَةَ السَّدُوسِيِّ - يُغِيرُ بِنَاحِيَةَ الْخُرَيْبَةِ مِنَ الْبَصْرَةِ، كَمَا كَانَ الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيُّ يُغِيرُ بِنَاحِيَةَ الْحِيرَةِ.

فَكُتِبَ إِلَى عُمَرَ يَعْطِيهِ مَكَانَهُ، وَانْهَ لَوْ كَانَ مَعَهُ عِدَّةٌ يَسِيرُ ظَفَرُ يَمَنِ قَبْلَهُ مِنَ الْعَجَمِ، فَفَافَهُمْ مِنْ بِلَادِهِمْ وَكَانَتْ الْأَعَاجِمُ يَتْلُكَ النَّاحِيَةَ

قَدْ هَابُوهُ بَعْدَ وَقْعَةِ خَالِدِ بْنِ الْمُرَّةِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: إِنَّهُ أَتَانِي كِتَابُكَ أَنْكَ تَغَيِّرُ عَلَيَّ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الْأَعَاجِمِ، وَقَدْ أَصَبْتَ وَوَفَّقْتَ، أَقِمْ مَكَانَكَ، وَاحْذَرْ عَلَيَّ مِنْ مَعَكَ مِنْ أَصْحَابِكَ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي فَوَجَّهْ عُمَرَ شَرِيحَ بْنَ عَامِرٍ، أَحَدَ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَقَالَ لَهُ: كُنْ رَدِّئًا لِلْمُسْلِمِينَ بِهَذِهِ الْجِيْزَةِ، فَأَقْبَلَ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَتَرَكَ بِهَا قُطْبَةً، وَمَضَى إِلَى الْأَهْوَازِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى دَارِسَ، وَفِيهَا مَسْلَحَةٌ لِلْأَعَاجِمِ، فَقَتَلُوهُ، وَبَعَثَ عُمَرُ عُتْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ.

حَدَّثَنَا عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيٌّ، عَنْ عِيسَى بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ حُدَيْفَةَ وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَجَّاجِ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: إِنَّ عُمَرَ قَالَ لِعُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ إِذْ وَجَّهَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ: يَا عُتْبَةُ، إِنِّي قَدْ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَى أَرْضِ الْهِنْدِ، وَهِيَ حَوْمَةٌ مِنْ حَوْمَةِ الْعَدُوِّ، وَأَرْجُو أَنْ يُكْفِيكَ اللَّهُ مَا حَوْلَهَا، وَأَنْ يُعِينَكَ عَلَيْهَا وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَى الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضَرَمِيِّ أَنْ يَمْدَكَ بِعَرْجَةِ بْنِ هَرَثَمَةَ، وَهُوَ ذُو مُجَاهِدَةِ الْعَدُوِّ وَمُكَايَدَتِهِ، فَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ فَاسْتَشِرَّهُ وَقَرِّبَهُ، وَادْعُ إِلَى اللَّهِ، فَمَنْ أَجَابَكَ فَأَقْبَلْ مِنْهُ، وَمَنْ أَبَى فَالْجِزِيَّةَ عَنْ صَغَارٍ وَذَلَّةٍ، وَإِلَّا فَالْسَيْفَ فِي غَيْرِ هَوَادَةٍ وَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا وُلِّيتَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَنَازِعَكَ نَفْسُكَ إِلَى كِبَرٍ يَفْسِدُ عَلَيْكَ اخْوَتُكَ، وَقَدْ صَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَ فَعَزَزْتَ بِهِ بَعْدَ الذَّلَّةِ، وَقَوَّيْتَ بِهِ بَعْدَ الضَّعْفِ، حَتَّى صِرْتَ أَمِيرًا مُسَلِّطًا وَمَلِكًا مُطَاعًا، تَقُولُ فَيَسْمَعُ مِنْكَ، وَتَأْمُرُ فَيُطَاعُ أَمْرُكَ، فَيَا لَهَا نِعْمَةً، إِنْ لَمْ تَرْفَعَكَ فَوْقَ قَدْرِكَ وَتُبْطِرَكَ عَلَى مَنْ دُونَكَ! احْتَفِظْ مِنَ النِّعْمَةِ احْتِفَازَكَ مِنَ الْمُعْصِيَةِ، وَلِهِيَ أَخَوْفُهُمَا عِنْدِي عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَدْرِجَكَ وَتَحْدَعَكَ، فَتَسْقُطَ سَقْطَةً تَصِيرُ بِهَا إِلَى جَهَنَّمَ، أُعِيذُكَ بِاللَّهِ وَنَفْسِي مِنْ ذَلِكَ إِنَّ النَّاسَ أَسْرَعُوا إِلَى اللَّهِ حِينَ رُفِعَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا فَأَرَادُوهَا، فَأَرَادَ اللَّهُ وَلَا تُرِدِ الدُّنْيَا، وَاتَّقِ مَصَارِعَ الظَّالِمِينَ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْمَاعِيلَ الْهَمْدَانِيُّ وَأَبُو مُحَمَّدٍ خَنْفٍ، عَنْ مُجَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: قَدِمَ عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ الْبَصْرَةَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ، فَلَمَّا رَأَى مَنْبَتَ الْقَصَبِ، وَسَمِعَ نَقِيقَ الضَّفَادِعِ قَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَنِي أَنْ أَنْزِلَ أَقْصَى الْبَرِّ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ، وَأَدْنَى أَرْضِ الرِّيفِ مِنْ أَرْضِ الْعَجَمِ، فَهَذَا حَيْثُ وَاجِبٌ عَلَيْنَا فِيهِ طَاعَةُ إِمَامِنَا فَتَزَلْ الْخُرَيْبَةَ وَبِالْأُبَلَّةِ خَمْسَمِائَةٍ مِنَ الْأَسَاوِرَةِ يَحْمُونَهَا وَكَانَتْ مَرْفَأَ السُّفْنِ مِنَ الصِّينِ وَمَا دُونَهَا، فَسَارَ عُتْبَةُ فَتَزَلْ دُونَ الْإِجَانَةِ، فَأَقَامَ نَحْوًا مِنْ شَهْرٍ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْأُبَلَّةِ فَنَاهَضَهُمْ عُتْبَةُ، وَجَعَلَ قُطْبَةَ بْنَ قَتَادَةَ السَّدُوسِيَّ وَقَسَامَةَ بْنَ زُهَيْرٍ الْمَازِنِيَّ فِي عَشْرَةِ فَوَارِسَ، وَقَالَ لَهُمَا: كُونَا فِي ظَهْرِنَا، فَتَرَدَّا مِنَ الْمَنْهَرِ، وَتَمَنَعَا مِنْ أَرَادَانَا مِنْ وَرَائِنَا ثُمَّ التَّقُوا فَمَا اقْتَتَلُوا مَقْدَارَ جَزْرٍ جَزُورٍ وَقَسَمَهَا، حَتَّى مَنَحَهُمُ اللَّهُ أَكْثَافَهُمْ، وَوَلَّوْا مُنْهَرِمِينَ، حَتَّى دَخَلُوا الْمَدِينَةَ، وَرَجَعَ عُتْبَةُ إِلَى عَسْكَرِهِ، فَأَقَامُوا أَيَّامًا، وَأَلْقَى اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَخَرَجُوا عَنِ الْمَدِينَةِ، وَحَمَلُوا مَا خَفَّ لَهُمْ، وَعَبَرُوا إِلَى الْفُرَاتِ، وَخَلَوْا الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَهَا الْمُسْلِمُونَ فَأَصَابُوا مَتَاعًا وَسِلَاحًا وَسَبِيًّا وَعَيْنًا، فَاقْتَسَمُوا الْعَيْنَ، فَأَصَابَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ دَرَاهِمًا، وَوَلَّى عُتْبَةُ نَافِعَ بْنَ الْحَارِثِ أَقْبَاضَ الْأُبَلَّةِ، فَأَخْرَجَ خُمْسَهُ، ثُمَّ قَسَمَ الْبَاقِيَ بَيْنَ مَنْ أَفَاءَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ مَعَ نَافِعِ بْنِ الْحَارِثِ. وَعَنْ بَشِيرِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَتَلَ نَافِعُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ الْأُبَلَّةِ تِسْعَةَ، وَأَبُو بَكْرٍ سِتَّةً.

وَعَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، قَالَ: أَصَابَ الْمُسْلِمُونَ بِالْأُبَلَةِ مِنَ الدَّرَاهِمِ سِتْمِائَةَ دَرَاهِمٍ، فَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ دَرَاهِمَيْنِ، فَفَرَضَ عُمَرُ لِأَصْحَابِ الدَّرَاهِمَيْنِ مِمَّنْ أَخَذَهُمَا مِنْ فَتْحِ الْأُبَلَةِ فِي الْفَيْنِ مِنَ الْعَطَاءِ، وَكَانُوا ثَلَاثِمِائَةَ رَجُلٍ، وَكَانَ فَتْحُ الْأُبَلَةِ فِي رَجَبٍ، أَوْ فِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: شَهِدَ فَتْحَ الْأُبَلَةِ مَائَتَانِ وَسَبْعُونَ، فِيهِمْ أَبُو بَكْرَةَ، وَنَافِعُ بْنُ الْحَارِثِ، وَشَيْلُ بْنُ مَعْبَدٍ، وَالْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَمُجَاشِعُ بْنُ مَسْعُودٍ، وَأَبُو مَرْيَمَ الْبَلَوِيُّ، وَرَبِيعَةُ بْنُ كِلْدَةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيُّ، وَالْحَجَّاجُ.

وَعَنْ عُبَايَةَ بْنِ عَبْدِ عَمْرٍو، قَالَ: شَهِدْتُ فَتْحَ الْأُبَلَةِ مَعَ عُتْبَةَ، فَبَعَثَ نَافِعُ بْنُ الْحَارِثِ إِلَى عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِالْفَتْحِ، وَجَمَعَ لَنَا أَهْلَ دَسْتِ

ملسان، فَقَالَ عُبَّةُ: أَرَى أَنْ نَسِيرَ إِلَيْهِمْ، فَمَرْنَا فَلَقِينَا مَرْزَبَانَ دَسْتِ مِيسَانَ، فَقَاتَلْنَاهُ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ وَأَخَذَ أُسِيرًا، فَأَخَذَ قَبَاؤُهُ وَمِنْطَقَتَهُ، فَبَعَثَ بِهِ عُبَّةُ مَعَ انْسِ بْنِ حُجِيَّةِ الْيَشْكُرِيِّ.

وَعَنْ أَبِي الْمَلِيجِ الْهَذَلِيِّ، قَالَ: بَعَثَ عُبَّةُ انْسَ بْنَ حُجِيَّةٍ إِلَى عُمَرَ بِمِنْطَقَتِهِ مَرْزَبَانَ دَسْتِ مِيسَانَ، فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ الْمُسْلِمُونَ؟ قَالَ: انْتَالَتْ عَلَيْهِمُ الدُّنْيَا، فَهُمْ يَهْلُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَرَغَبَ النَّاسُ فِي الْبَصْرَةِ، فَأَتَوْهَا.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: لَمَّا فَرَّغَ عُبَّةُ مِنَ الْأَبْلَةِ، جَمَعَ لَهُ مَرْزَبَانَ دَسْتِ مِيسَانَ، فَسَارَ إِلَيْهِ عُبَّةُ مِنَ الْأَبْلَةِ، فَقَتَلَهُ، ثُمَّ سَرَحَ مُجَاشِعَ بْنَ مَسْعُودٍ إِلَى الْفُرَاتِ وَبِهَا مَدِينَةٌ وَوَفَدَ عُبَّةُ إِلَى عُمَرَ، وَأَمَرَ الْمُغِيرَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ حَتَّى يَقْدَمَ مُجَاشِعُ مِنَ الْفُرَاتِ، فَإِذَا قَدِمَ فَهُوَ الْأَمِيرُ فَظَفَرَ مُجَاشِعُ بِأَهْلِ الْفُرَاتِ، وَرَجَعَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَجَمَعَ الْفِيلَكَانَ، عَظِيمٌ مِنْ عَظَمَاءِ أَبْزِقَادَ لِلْمُسْلِمِينَ، نَفَرَ إِلَى الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ، فَلَقِيَهُ بِالْمَرْغَابِ، فَظَفَرَهُ بِهِ، فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بِالْفَتْحِ، فَقَالَ عُمَرُ لِعُبَّةَ: مَنْ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى الْبَصْرَةِ؟ قَالَ: مُجَاشِعُ بْنُ مَسْعُودٍ، قَالَ: تَسْتَعْمِلُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْوَبَرِ عَلَى أَهْلِ الْمَدَرِ؟ تَدْرِي مَا حَدَثَ! قَالَ: لَا، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْمُغِيرَةَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى عَمَلِهِ، فَتَاتَ عُبَّةُ فِي

الطَّرِيقِ، وَاسْتَعْمَلَ عُمَرَ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ.

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَوْشَنِ، قَالَ: شَخَّصَ عُبَّةُ بَعْدَ مَا قَتَلَ مَرْزَبَانَ دَسْتِ مِيسَانَ، وَوَجَّهَ مُجَاشِعًا إِلَى الْفُرَاتِ، وَاسْتَخْلَفَهُ عَلَى عَمَلِهِ، وَأَمَرَ الْمُغِيرَةَ ابْنَ شُعْبَةَ بِالصَّلَاةِ حَتَّى يَرْجِعَ مُجَاشِعُ مِنَ الْفُرَاتِ، وَجَمَعَ أَهْلُ مِيسَانَ، فَلَقِيَهُمُ الْمُغِيرَةُ، وَظَهَرَ عَلَيْهِمْ قَبْلَ قُدُومِ مُجَاشِعٍ مِنَ الْفُرَاتِ، وَبَعَثَ بِالْفَتْحِ إِلَى عُمَرَ.

الطَّبْرِيِّ، بِإِسْنَادِهِ عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: جَمَعَ أَهْلُ مِيسَانَ لِلْمُسْلِمِينَ، فَسَارَ إِلَيْهِمُ الْمُغِيرَةُ، وَخَلَفَ الْمُغِيرَةَ الْأَثْقَالَ، فَلَقِيَ الْعَدُوَّ دُونَ دَجْلَةَ، فَقَالَتْ أُرْدَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بِنْتُ كَلْدَةَ: لَوْ لَحَقْنَا بِالْمُسْلِمِينَ فَكُنَّا مَعَهُمْ! فَاعْتَقَدَتْ لَوَاءَ مِنْ خِمَارِهَا، وَاتَّخَذَ النِّسَاءُ مِنْ نَحْرِهِنَّ رَايَاتٍ، وَخَرَجْنَ يَرْدُنَ الْمُسْلِمِينَ، فَانْتَهَيْنَ إِلَيْهِمْ، وَالْمُشْرِكُونَ يَقَاتِلُونَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى الْمُشْرِكُونَ الرَّايَاتِ مُقْبِلَةً، ظَنُّوا أَنَّ مَدَدًا أَتَى الْمُسْلِمِينَ فَانْكَشَفُوا، وَأَتَبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ عِدَّةً وَعَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرَّبٍ، قَالَ: فَتَحَتِ الْأَبْلَةُ عَنُودَ، فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ عُبَّةُ - كَكَّةَ - يَعْنِي خَبَزًا أبيضَ وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ مِثْلَهُ.

قَالَ الطَّبْرِيُّ، وَكَانَ مِمَّنْ سَِيَّ مِنْ مِيسَانَ يَسَارُ أَبُو الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَأَرْطَبَانُ جَدُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْنِ بْنِ أَرْطَبَانَ. وَعَنِ الْمُثَنَّى بْنِ مُوسَى بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْمُحَبِّقِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ:

شَهِدْتُ فَتْحَ الْأَبْلَةِ، فَوَقَعَ لِي فِي سَهْمِي قَدْرُ نَحَاسٍ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِذَا هِيَ ذَهَبٌ فِيهَا ثَمَانُونَ أَلْفَ مِثْقَالٍ، فَكُتِبَ فِي ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ، فَكُتِبَ أَنْ يُصَبَّرَ يَمِينُ سَلَمَةَ بِاللَّهِ لَقَدْ أَخَذَهَا وَهِيَ عِنْدَهُ نَحَاسٌ، فَإِنْ حَلَفَ سَلَمَةُ إِلَيْهِ، وَإِلَّا قَسَمْتُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ قَالَ: خَلَفْتُ، فَسَلَّمْتُ لِي قَالَ الْمُثَنَّى: فَأَصُولُ أَمْوَالِنَا الْيَوْمَ مِنْهَا

وَعَنْ عَمْرَةَ ابْنَةِ قَيْسٍ، قَالَتْ: لَمَّا خَرَجَ النَّاسُ لِقِتَالِ أَهْلِ الْأَبْلَةِ خَرَجَ زَوْجِي وَأَبْنِي مَعَهُمْ، فَأَخَذُوا الدَّرْهَمَيْنِ وَمَكُوكَ زَبِيبٍ، وَإِنَّهُمْ مَضَوْا حَتَّى إِذَا كَانُوا حِيَالَ الْأَبْلَةِ، قَالُوا لِلْعَدُوِّ: نَعْبُرُ إِلَيْكُمْ أَوْ تَعْبُرُونَ إِلَيْنَا؟ قَالَ: بَلَى أَعْبُرُوا إِلَيْنَا، فَأَخَذُوا خَشَبَ الْعُشْرِ فَأَوْتَقَوْهُ، وَعَبَرُوا إِلَيْهِمْ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَا تَأْخُذُوا أَوْلَهُمْ حَتَّى يَعْبُرَ آخِرُهُمْ فَلَمَّا صَارُوا عَلَى الْأَرْضِ كَبَرُوا تَكْبِيرَةً، ثُمَّ كَبَرُوا الثَّانِيَةَ، فَقَامَتِ دَوَابُّهُمْ عَلَى أَرْجُلِهَا، ثُمَّ كَبَرُوا الثَّالِثَةَ، فَجَعَلَتِ الدَّابَّةُ تُضْرِبُ بِصَاحِبِهَا الْأَرْضَ، وَجَعَلْنَا نَنْظُرُ إِلَى رُؤُوسِ تَنْدَرٍ، مَا نَرَى مِنْ يَضْرِبُهَا، وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ.

الْمَدَائِنِيِّ، قَالَ: كَانَتْ عِنْدَ عُبَّةَ صَفِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بِنْتُ كَلْدَةَ، وَكَانَتْ أُخْتَهَا أُرْدَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ عِنْدَ شَبْلِ بْنِ مَعْبِدِ الْبَجَلِيِّ، فَلَمَّا وَلِيَ

عُتِبَ الْبَصْرَةَ الْخُدْرَ مَعَهُ أَصْهَارُهُ: أَبُو بَكْرَةَ، وَنَافِعٌ، وَشَيْلُ بْنُ مَعْبِدٍ، وَالْخُدْرُ مَعَهُمْ زِيَادٌ، فَلَمَّا فَتَحُوا الْأَبْلَةَ لَمْ يَجِدُوا قَاسِمًا يَقْسِمُ بَيْنَهُمْ، فَكَانَ زِيَادٌ قَاسِمُهُمْ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سَنَةً، لَهُ ذُوَابَةٌ، فَأَجْرُوا عَلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ دِرْهَمَيْنِ.

وَقِيلَ: إِنَّ إِمَارَةَ عُتْبَةَ الْبَصْرَةَ كَانَتْ سَنَةَ خَمْسِ عَشْرَةٍ، وَقِيلَ سِتَّ عَشْرَةٍ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ، فَكَانَتْ إِمَارَتُهُ عَلَيْهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ. وَاسْتَعْمَلَ عُمَرُ عَلَى الْبَصْرَةِ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ فَبَقِيَ سَنَتَيْنِ، ثُمَّ رَمَى بِمَا رُمِيَ، وَاسْتَعْمَلَ أَبُو مُوسَى، وَقِيلَ اسْتَعْمَلَ بَعْدَ عُتْبَةَ أَبُو مُوسَى، وَبَعْدَهُ الْمُغِيرَةُ.

وَفِيهَا - أَعْنَى سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ - ضَرَبَ عُمَرُ ابْنَهُ عُبَيْدَ اللَّهِ وَأَصْحَابَهُ فِي شَرَابٍ شَرِبُوهُ وَأَبَا مُحَمَّدٍ. وَجَّعَ النَّاسَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَكَانَ عَلَى مَكَّةَ عَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ فِي قَوْلٍ، وَعَلَى الْبَيْنِ يَعْلَى بْنُ مُنِيَّةٍ، وَعَلَى الْكُوفَةِ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَلَى الشَّامِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَعَلَى الْبَحْرَيْنِ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ - وَقِيلَ: الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضَرَمِيِّ - وَعَلَى عُثْمَانَ حُدَيْفَةُ بْنُ مُحْصَنٍ

٣٠٩ سنه خمس عشرة

٣٠٩١ ذكر الوقعه بمرج الروم

ثم دخلت
سنة خمس عشرة

قال ابن جرير: قال بعضهم: فيها مصر سعد بن أبي وقاص الكوفة، دلهم عليها ابن ببيعة، قال لسعد: أدلك على أرض ارتفعت عن البق، وانحدرت عن الفلاة! فدلهم على موضع الكوفة اليوم.

ذكر الوقعة بمرج الروم

وفي هذه السنة كانت الوقعة بمرج الروم، وكان من ذلك أن أبا عبيدة خرج بخالد بن الوليد من خيل إلى حمص، وانصرف بمن أضيف إليهم من اليرموك، فنزلوا جميعاً على ذي الكلاع، وقد بلغ الخبر هرقل، فبعث توذرا البطريق حتى نزل بمرج دمشق وغربها، فبدأ أبو عبيدة بمرج الروم وجمعهم هذا، وقد هجم الشتاء عليهم والجراح فيهم فاشية، فلما نزل على القوم بمرج الروم نازله يوم نزل عليه شنس الرومي، في مثل خيل توذرا، إمداداً لتوذرا ورداء لأهل حمص، فنزل في عسكر على حدة، فلما كان من الليل أصبحت الأرض من توذرا بلاقع، وكان خالد بإزائه وأبو عبيدة بإزاء شنس، وأتى خالد الخبر أن توذرا قد رحل إلى دمشق، فأجمع رأيهم ورأي أبي عبيدة أن يتبعه خالد، فأتبعه خالد من ليلته في جريده، وقد بلغ يزيد بن أبي سفيان الذي فعل، فاستقبله فاقتتلوا، ولحق بهم خالد وهم يقتتلون، فأخذهم من خلفهم، فقتلوا من بين أيديهم ومن خلفهم، فأناموهم ولم يفلت منهم إلا الشريد، فأصاب المسلمون ما شاءوا من ظهر وأداة وثياب، وقسم

٣٠٩٢ ذكر فتح حمص

ذلك يزيد بن أبي سفيان على أصحابه وأصحاب خالد، ثم انصرف يزيد إلى دمشق، وانصرف خالد إلى أبي عبيدة، وقد قتل خالد توذرا، وقال خالد:

نحن قتلنا توذرا وشوذرا وقبله ما قد قتلنا حيدرا نحن أزرنا الغيضة الأكيدرا.

وقد ناهد أبو عبيدة بعد خروج خالد في أثر توذرا شنس، فاقتتلوا بمرج الروم، فقتلهم مقتلة عظيمة، وقتل أبو عبيدة شنس، وامتلاً المرج من قتلاهم، فأنتنت منهم الأرض، وهرب من هرب منهم، فلم يفلتهم، وركبوا أكساءهم إلى حمص . ذكر فتح حمص

حكى الطبري عَنْ سَيْفٍ، فِي كِتَابِهِ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ، قَالَ: وَلَمَّا بَلَغَ هِرْقُلُ الْخَبَرَ بِمَقْتَلِ أَهْلِ الْمَرْجِ، أَمَرَ أَمِيرَ حِمَصٍ بِالسَّيْرِ وَالْمُضِيِّ إِلَى حِمَصٍ، وَقَالَ: إِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّ طَعَامَهُمْ لَحُومَ الْإِبِلِ، وَشَرَابُهُمْ أَلْبَانُهَا، وَهَذَا الشِّتَاءُ فَلَا تَقَاتُلُوهُمْ إِلَّا فِي كُلِّ يَوْمٍ بَارِدٍ، فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى إِلَى الصَّيْفِ مِنْهُمْ أَحَدٌ، هَذَا جُلُّ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَارْتَحَلَ مِنْ عَسْكَرِهِ ذَلِكَ، فَأَتَى الرَّهَاءَ، وَأَخَذَ عَامِلَهُ بِحِمَصٍ، وَأَقْبَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى حِمَصٍ، وَأَقْبَلَ خَالِدٌ بَعْدَهُ حَتَّى يَنْزِلَ عَلَيْهَا، فَكَانُوا يَغَادُونَ الْمُسْلِمِينَ وَيُرَاحُونَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ بَارِدٍ، وَلَقِيَ الْمُسْلِمُونَ بِهَا بَرْدًا شَدِيدًا، وَالرُّومُ حَصَارًا طَوِيلًا، فَأَمَّا الْمُسْلِمُونَ فَصَبَرُوا وَرَابَطُوا، وَأَفْرَغَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الصَّبْرَ، وَأَعْقَبَهُمُ النَّصْرَ، حَتَّى اضْطَرَبَ الشِّتَاءُ، وَإِنَّمَا تَمَسَّكَ الْقَوْمُ بِالْمَدِينَةِ رَجَاءً أَنْ يَهْلِكَهُمْ الشِّتَاءُ.

وعن أبي الزهراء القشيري، عن رجل من قومه، قال: كان أهل حمص يتواصلون فيما بينهم، ويقولون: تمسكوا فإنهم حفاة، فإذا أصابهم البرد تقطعت أقدامهم مع ما يأكلون ويشربون، فكانت الروم تراجع، وقد سقطت أقدام بعضهم في خفافهم، وإن المسلمين في النعال ما أصيب أصيب أحد منهم، حتى إذا انخنس الشتاء، قام فيهم شيخ لهم يدعوهم إلى مصالحة المسلمين قالوا: كيف والملك في سلطانه وعزه، ليس بيننا وبينهم شيء! فتركهم، وقام فيهم آخر فقال: ذهب الشتاء، وانقطع الرجاء، فما تنتظرون؟

فقالوا: البرسام، وإنما يسكن في الشتاء ويظهر في الصيف، فقال: إن هؤلاء قوم يعانون، ولأن تأتوهم بعهد وميثاق، خير من أن تؤخذوا عنوة، أجيوني محمدين قبل أن تجيوني مذمومين! فقالوا: شيخ خرف، ولا علم له بالحرب.

وعن أشياخ من غسان وبلقين، قالوا: أثاب الله المسلمين على صبرهم أيام حمص أن زلزل بأهل حمص، وذلك أن المسلمين ناهدوهم، فكبروا تكبيرة زلزلت معها الروم في المدينة، وتصدعت الحيطان، ففزعوا إلى رؤسائهم وذوي رأيهم، فقالوا: ألا ترون إلى عذاب الله! فأجابوهم: لا يطلب الصلح غيركم، فأشرفوا فنادوا: الصلح الصلح! ولا يشعر المسلمون بما حدث فيهم، فأجابوهم وقبلوا منهم على أنصاف دورهم، وعلى أن يترك المسلمون أموال الروم وبنيانهم، لا ينزلونه عليهم، فتركوه لهم، فصالح بعضهم على صلح دمشق على دينار وطعام، على كل جريب أبداً أيسروا أو أعسروا وصالح بعضهم على قدر طاقته، إن زاد ماله زيد عليه، وإن نقص نقص، وكذلك كان صلح دمشق والأردن، بعضهم على شيء إن أيسروا وإن أعسروا، وبعضهم على قدر طاقته، وولوا معاملة ما جلا ملوكهم عنه. وبعث أبو عبيدة السمط بن الأسود في بني معاوية، والأشعث بن مثنى في السكون، معه ابن عابس، والمقداد في بلي، وبلا لا وخالدا في الجليش، والصباح

٣٠٩٠٣ حديث قنسرين

ابن شتير وذهيل بن عطية وذا شمسستان، فكانوا في قصبتها وأقام في عسكره، وكتب إلى عمر بالفتح، وبعث بالأنحاس مع عبد الله بن مسعود، وقد وفده.

وأخبر خبر هرقل، وأنه عبر الماء إلى الجزيرة، فهو بالرهاء ينغمس أحياناً، ويطلع أحياناً فقدم ابن مسعود على عمر، فردّه، ثم بعثه بعد ذلك إلى سعد بالكوفة، ثم كتب إلى أبي عبيدة: أن أقم في مدينتك وادع أهل القوة والجلد من عرب الشام، فإني غير تارك البعثة إليك بمن يكافئك، إن شاء الله . حديث قنسرين

وعن أبي عثمان وجارية، قالوا: وبعث أبو عبيدة بعد فتح حمص خالد بن الوليد إلى قنسرين، فلما نزل بالحاضر زحف إليهم الروم، وعليهم مينا، وهو رأس الروم وأعظمهم فيهم بعد هرقل، فالتقوا بالحاضر، فقتل مينا ومن معه مقتلة لم يقتلوا مثلاً، فأما الروم فماتوا على دمه حتى لم يبق منهم أحد، وأما أهل الحاضر فأرسلوا إلى خالد أنهم عرب، وأنهم إنما حشروا ولم يكن من رأيهم حرب، فقبل منهم وتركهم ولما بلغ عمر ذلك قال: أمر خالد نفسه، يرحم الله أبا بكر، هو كان أعلم بالرجال مني، وقد كان عزله والمثنى مع قيامه، وقال: إني لم أعزلهما عن ربيعة، ولكن الناس عظموهما، نفشيت أن يوكلا إليهما فلما كان من أمره وأمر قنسرين ما كان، رجع عن رأيه، وسار خالد حتى نزل قنسرين، فتحصنوا منه، فقال:

إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم الله إلينا قال: فنظروا في أمرهم، وذكروا ما لقي أهل حمص، فصالحوه على صلح حمص، فأبى إلا على إخراج المدينة فأخربها، واتطأت حمص وقنسرين، فعند ذلك خنس هرقل، وإنما كان سبب خنوسه أن خالدا حين قتل مينا وسامات الروم على دمه، وعقد لأهل الحاضر وترك قنسرين، طلع من قبل الكوفة عمر

٣٠٩٠٤ ذكر خبر ارتحال هرقل إلى القسطنطينية

ابن مالك من قبل قرقيسيا، وعبد الله بن المعتم من قبل الموصل، والوليد ابن عقبة من بلاد بني تغلب وعرب الجزيرة، وطووا مدائن الجزيرة من نحو هرقل، وأهل الجزيرة في حران والرقعة ونصيبين وذواتها لم يرضوا غرضهم، حتى يرجعوا إليهم، إلا أنهم خلفوا في الجزيرة الوليد لثلاثي يوتوا من خلفهم، فأدرب خالد وعياض مما يلي الشام، وأدرب عمر وعبد الله مما يلي الجزيرة، ولم يكونوا أدربوا قبله، ثم رجعوا، فهي أول مدرية كانت في الإسلام سنة ست عشرة فرجع خالد إلى قنسرين فنزلها، وأثنى امرأته، فلما عزله قال: إن عمر ولاني الشام حتى إذا صارت بثنية وعسلا عزلني.

قال أبو جعفر الطبري: ثم خرج هرقل نحو القسطنطينية، فاختلف في حين شخوصه إليها وتركه بلاد الشام، فقال ابن إسحاق: كان ذلك سنة خمس عشرة، وقال سيف: كان سنة ست عشرة ذكر خبر ارتحال هرقل إلى القسطنطينية

ذكر سيف عن أبي الزهراء القشيري، عن رجل من بني قشير، قالوا:

لما خرج هرقل من الرهاء واستتب أهلها، قالوا: نحن هاهنا خير منا معك، وأبوا أن يتبعوه، وتفرقوا عنه وعن المسلمين، وكان أول من أنبج كلاهما، وأنفر دجاجها زياد بن حنظلة، وكان من الصحابة، وكان مع عمر ابن مالك مسانده، وكان حليفا لبني عبد بن قصي، وقبل ذلك ما قد خرج هرقل حتى شمشاط، فلما نزل القوم الرهاء أدرب فنزل نحو القسطنطينية، ولحقه رجل من الروم كان أسيرا في أيدي المسلمين، فأفقت، فقال له: أخبرني عن هؤلاء القوم، فقال: أحدثك كأنك تنظر إليهم، فرسان بالهار ورهبان بالليل، ما يأكلون في ذمتهم إلا بثن، ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون على

٣٠٩٠٥ ذكر فتح قيساريه وحصر غزه

من حاربهم حتى يأتوا عليه، فقال: لئن كنت صدقتني ليرثن ما تحت قدمي هاتين.

وعن عبادة وخالد، أن هرقل كان كلما حج بيت المقدس نخلف سورية، ووطن في أرض الروم التفت فقال: عليك السلام يا سورية تسليم مودع لم يقض منك وطره، وهو عائذ فلما توجه المسلمون نحو حمص عبر الماء، فنزل الرهاء، فلم يزل بها حتى طلع أهل الكوفة وفتحت قنسرين وقتل مينا، فخنس عند ذلك إلى شمشاط، حتى إذا فصل منها نحو الروم علا على شرف، فالتفت ونظر نحو سورية، وقال: عليك السلام يا سورية، سلاما لا اجتماع بعده، ولا يعود إليك رومي أبدا إلا خائفا، حتى يولد المولود المشؤم، ويا ليت لا يولد! ما أحلى فعله، وأمر عاقبه على الروم! وعن أبي الزهراء وعمرو بن ميمون، قالوا: لما فصل هرقل من شمشاط داخلا الروم التفت إلى سورية، فقال: قد كنت سلمت عليك تسليم المسافر، فأما اليوم فعليك السلام يا سورية تسليم المفارق، ولا يعود إليك رومي أبدا إلا خائفا، حتى يولد المولود المشؤم، وليته لم يولد! ومضى حتى نزل القسطنطينية.

وأخذ أهل الحصون التي بين إسكندرية وطرسوس معه، لثلاثي يسير المسلمون في عمارة ما بين أنطاكية وبلاد الروم، وشعث الحصون، فكان المسلمون لا يجدون بها أحدا، وربما كمن عندها الروم، فأصابوا غرة المتخلفين، فاحتاط المسلمون لذلك

. ذكر فتح قيسارية وحصر غزه

ذكر سيف، عن أبي عثمان وأبي حارثة، عن خالد وعبادة، قالوا: لما انصرف أبو عبيدة وخالد إلى حمص من فحل، نزل عمرو وشرحيل على يسان فافتتحاها، وصالحته الأردن، واجتمع عسكر الروم بالجنادين

وَيَسَانَ وَغَزَّةَ، وَكَتَبُوا إِلَى عُمَرَ بِتَفْرِقِهِمْ، فَكَتَبَ إِلَى يَزِيدَ بَأْنَ يَدْقُ ظُهُورَهُم بِالرَّجَالِ، وَأَنْ يَسْرَحَ مُعَاوِيَةَ إِلَى قَيْسَارِيَّةَ وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بِأَمْرِهِ بِصَدَمِ الْأَرطُبُونَ، وَإِلَى عُلْقَمَةَ بِصَدَمِ الْفَيْقَارِ.

وَكَانَ كِتَابُ عُمَرَ إِلَى مُعَاوِيَةَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ وَلَيْتُكَ قَيْسَارِيَّةَ، فَسِرْ إِلَيْهَا وَاسْتَنْصِرِ اللَّهَ عَلَيْهِمْ، وَأَكْثِرْ مِنْ قَوْلٍ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، اللَّهُ رَبُّنَا وَثَقْتُنَا وَرَجَاؤُنَا وَمَوْلَانَا، نَعَمْ الْمَوْلَى وَنَعَمْ النَّصِيرُ فَانْتَهَى الرَّجُلَانِ إِلَى مَا أَمَرَا بِهِ، وَسَارَ مُعَاوِيَةُ فِي جُنْدِهِ حَتَّى نَزَلَ عَلَى أَهْلِ قَيْسَارِيَّةَ وَعَلَيْهِمْ ابْنِي، فَهَزَمَهُ وَحَصَرَهُ فِي قَيْسَارِيَّةَ ثُمَّ إِنَّهُمْ جَعَلُوا يَزَاحِفُونَهُ، وَجَعَلُوا لَا يَزَاحِفُونَهُ مِنْ مَرَّةٍ إِلَّا هَزَمَهُ وَرَدَّهُمْ إِلَى حَصْنِهِمْ ثُمَّ زَاحَفُوهُ آخِرَ ذَلِكَ، وَخَرَجُوا مِنْ صِيَاصِيهِمْ، فَاقْتَتَلُوا فِي حَفِيزَةِ وَاسْمَاتَةَ، فَلَبَغَتْ قَتْلَاهُمْ فِي الْمَعْرَكَةِ ثَمَانِينَ أَلْفًا، وَكَلَّهَا فِي هَزِيمَتِهِمْ مِائَةَ أَلْفٍ، وَبَعَثَ بِالْفَتْحِ مَعَ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي الضَّبِيبِ، ثُمَّ خَافَ مِنْهُمَا الضَّعْفَ، فَبَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عُلْقَمَةَ الْفَرَّاسِيَّ وَزُهَيْرَ بْنَ الْحَلَابِ اخْتِصَمِيًّا، وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَتْبَعَاهُمَا وَيَسْبِقَاهُمَا، فَلَحِقَاهُمَا، فَطَوَّيَاهُمَا وَهَمَّا نَائِمَانِ.

وَابْنُ عُلْقَمَةَ يَتَثَلُ وَهِيَ هَجِيرَاهُ:

أَرْقَ عَيْنِي أَخَوَا جَذَامٍ ... كَيْفَ أَنَا وَمَا أَمَامِي!

إِذَا يَرَحْلَانِ وَالْمُجِيرُ طَامِي ... أَخُو حَشِيمٍ وَأَخُو حَرَامٍ

وَانْطَلَقَ عُلْقَمَةُ بْنُ مُجَزٍّ، فَحَصَرَ الْفَيْقَارَ بِغَزَّةَ، وَجَعَلَ يُرَاسِلُهُ، فَلَمْ يَشْفِهِ مِمَّا يَرِيدُ أَحَدٌ، فَأَتَاهُ كَأَنَّهُ رَسُولُ عُلْقَمَةَ، فَأَمَرَ الْفَيْقَارَ رَجُلًا أَنْ يَقْعُدَ لَهُ بِالطَّرِيقِ، فَإِذَا مَرَّ قَتَلَهُ، فَفَطِنَ عُلْقَمَةُ، فَقَالَ: إِنَّ مَعِيَ نَفْرًا شُرَكَائِي فِي الرَّأْيِ، فَاَنْطَلِقُ فَاتِيكَ بِهِمْ، فَبَعَثَ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ: لَا تَعْرِضْ لَهُ.

فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَلَمْ يُعِدْ، وَفَعَلَ كَمَا فَعَلَ عُمَرُ بِالْأَرطُبُونَ، وَانْتَهَى بِرِيدِ مُعَاوِيَةَ إِلَى عُمَرَ بِالْخَبَرِ، فَجَمَعَ النَّاسَ وَأَبَاتَهُمْ عَلَى الْفَرَجِ لَيْلًا، فَحَمَدَ اللَّهُ وَقَالَ: لَتَحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى فَتْحِ قَيْسَارِيَّةَ، وَجَعَلَ مُعَاوِيَةُ قَبْلَ الْفَتْحِ وَبَعْدَهُ يَحْسُ الْأَسْرَى عِنْدَهُ، وَيَقُولُ: مَا صَنَعَ مِخَائِيلُ بِأَسْرَانَا صَنَعْنَا بِأَسْرَاهُمْ مِثْلَهُ، فَفَطَمَهُ عَنِ الْعَبَثِ بِأَسْرَى الْمُسْلِمِينَ حَتَّى افْتَتَحَهَا

٣٠٩٠٦ ذكر فتح بيسان ووقعه اجنادين

ذكر فتح بيسان ووقعة أجنادين

ولما توجه علقمة إلى غزاة وتوجه معاوية إلى قيسارية، صمد عمرو بن العاص إلى الأربطون، ومر بإزائه، وخرج معه شرحبيل بن حسنة على مقدمته، واستخلف على عمل الأردن أبا الأعور، وولى عمرو بن العاص مجنبيه عبد الله بن عمرو وجنادة بن تميم المالكي، مالك بن كنانة، فخرج حتى ينزل على الروم بأجنادين، والروم في حصونهم وخنادقهم وعليهم الأربطون.

وكان الأربطون أدهى الروم وأبعدها غورا، وأنكاها فعلا، وقد كان وضع بالرملة جندا عظيما، وبإيلياء جندا عظيما، وكتب عمرو إلى عمر بالخبر، فلما جاءه كتاب عمرو، قال: قد رمينا أربطون الروم بأربطون العرب، فانظروا عم تفرج! وجعل عمر رحمه الله من لدن وجه أمراء الشام يمد كل أمير جند ويرميه بالأمداد، حتى إذا أتاه كتاب عمرو بتفريق الروم، كتب إلى يزيد أن يبعث معاوية في خيله إلى قيسارية، وكتب إلى معاوية بإمرته على قتال أهل قيسارية، وليشغلهم عن عمرو، وكان عمرو قد استعمل علقمة ابن حكيم الفراسي ومسروق بن فلان العكي على قتال أهل إيلياء، فصاروا بإزاء أهل إيلياء، فشغلهم عن عمرو، وبعث أبا أيوب المالكي إلى الرملة، وعليها التذارق، وكان بإزائهم، ولما تابعت الأمداد على عمرو، بعث محمد بن عمرو مددا لعلقمة ومسروق، وبعث عمارة بن عمرو بن أمية الضمري مددا لأبي أيوب، وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأربطون على سقطة، ولا تشفيه الرسل، فوليه بنفسه، فدخل عليه كأنه رسول، فأبلغه ما يريد، وسمع كلامه، وتأمل حصونه حتى عرف ما أراد وقال أربطون في نفسه: والله إن هذا لعمرو، أو

إنه للذي يأخذ عمرو برأيه، وما كنت لأصيب القوم بأمر أعظم عليهم من قتله ثم دعا حرسيا فساره بقتله، فقال: اخرج فقم مكان كذا وكذا، فإذا مر بك فاقتله، وفطن له عمرو، فقال: قد سمعت مني وسمعت منك، فأما ما قلته فقد وقع مني موقعا، وأنا واحد من عشرة، بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالي لنكافه ويشهدنا أموره، فأرجع فأتيتك بهم الآن، فإن رأوا في الذي عرضت مثل الذي أرى، فقد رآه أهل العسكر والأمير، وإن لم يروه رددتهم إلى مأمهم، وكنت على رأس أمرك فقال: نعم، ودعا رجلا فساره، وقال: اذهب إلى فلان فردده إلي، فرجع إليه الرجل وقال لعمرو: انطلق لخيء بأصحابك، فخرج عمرو ورأى ألا يعود لمثلها، وعلم الرومي بأنه قد خدعه، فقال:

خدعني الرجل، هذا أدهى الخلق فبلغت عمر، فقال: غلبه عمرو، لله عمرو! وناهده عمرو، وقد عرف مأخذه وعاقبته، والتقوا ولم يجد من ذلك بدا فالتقوا بأجنادين، فاقتتلوا قتالا شديدا كقتال اليرموك، حتى كثرت القتلى بينهم.

ثم إن أرطوبون انهزم في الناس فأوى إلى إيلياء، ونزل عمرو أجنادين. ولما أتى أرطوبون إيلياء أفرج له المسلمون حتى دخلها، ثم أزالهم إلى أجنادين، فانضم علقمة ومسروق ومحمد بن عمرو وأبو أيوب إلى عمرو بأجنادين، وكتب أرطوبون إلى عمرو بأنك صديقي ونظيري، أنت في قومك مثلي في قومي، والله لا تفتتح من فلسطين شيئا بعد أجنادين، فارجع ولا تغر فتلقى ما لقي الذين قبلك من الهزيمة فدعا عمرو رجلا يتكلم بالرومية، فأرسله إلى أرطوبون، وأمره أن يغرب ويتنكر، وقال: استمع ما يقول حتى تخبرني به إذا رجعت إن شاء الله.

وكتب إليه: جاءني كتابك وأنت نظيري ومثلي في قومك، لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتي، وقد علمت أني صاحب فتح هذه البلاد، وأستعدي عليك فلانا وفلانا وفلانا- لوزرائه- فأقرهم كتابي، ولينظروا فيما بيني وبينك فخرج الرسول على ما أمره به حتى أتى أرطوبون فدفع إليه الكتاب بمشهد من نفر، فاقترأه فضحكوا وتعجبوا، وأقبلوا على أرطوبون، فقالوا: من أين علمت أنه ليس بصاحبها؟ قال: صاحبها رجل اسمه عمر ثلاثة أحرف، فرجع الرسول إلى عمرو فعرف أنه عمر

٣٠٩٧ ذكر فتح بيت المقدس

وكتب إلى عمر يستمده، ويقول: إني أعالج حربا كثودا ضدوما وبلادا ادخرت لك، فأريك ولما كتب عمرو إلى عمر بذلك، عرف أن عمرا لم يقل إلا بعلم، فنادى في الناس، ثم خرج فيهم حتى نزل بالجالية وجميع ما خرج عمر إلى الشام أربع مرات، فأما الأولى فعلى فرس، وأما الثانية فعلى بعير، وأما الثالثة فقصر عنها أن الطاعون مستعر، وأما الرابعة فدخلها على حمار فاستخلف عليها، وخرج وقد كتب مخرجه أول مرة إلى أمراء الأجناد أن يوافوه بالجالية- ليوم سماهم في المجردة- وأن يستخلفوا على أعمالهم.

فلقوه حيث رفعت لهم الجالية، فكان أول من لقيه يزيد ثم أبو عبيدة ثم خالد على الخيول، عليهم الديباج والحريز، فنزل وأخذ الحجارة، فرماهم بها، وقال: سرع ما لفتم عن رأيكم! إياي تستقبلون في هذا الزم، وإنما شبعتم منذ سنتين! سرع ما ندت بكم البطنة! وتالله لو فعلتموها على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنها يلامقة، وإن علينا السلاح، قال: فنعم إذا وركب حتى دخل الجالية وعمرو وشرحيل بأجنادين لم يتحركا من مكانهما.

ذكر فتح بيت المقدس

وعن سالم بن عبد الله، قال: لما قدم عمر رحمه الله الجالية، قال له رجل من يهود: يا أمير المؤمنين، لا ترجع إلى بلادك حتى يفتح الله عليك إيلياء، فبينما عمر بن الخطاب بها، إذ نظر إلى كردوس من خيل مقبل، فلما دنوا منه سلوا السيوف، فقال عمر: هؤلاء قوم يستأمنون، فأمنوهم، فأقبلوا فإذا هم أهل إيلياء، فصالحوه على الجزية، وفتحوها له، فلما فتحت عليه دعا ذلك اليهودي، فقيل له: إن عنده لعلها قال: فسأله عن الدجال- وكان كثير المسألة عنه- فقال له اليهودي: وما مسألتك عنه يا أمير المؤمنين! فأنتم والله معشر العرب تقتلونهم دون باب لد ببضع عشرة ذراعا

وعن سالم، قال: لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق، فقال:

السلام عليك يا فاروق! أنت صاحب إيلياء لا والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء، وكانوا قد أشجوا عمرا وأشجاهم، ولم يقدر عليها ولا على الرملة، فبينما عمر معسكرا بالجابية، فزع الناس إلى السلاح، فقال: ما شأنكم؟

فقالوا: ألا ترى الخيل والسيوف! فنظر، فإذا كردوس يلعبون بالسيوف، فقال عمر: مستأمنة، ولا تراعوا وأمنوهم، فأمنوهم، وإذا هم أهل إيلياء، فأعطوه واكتبوا منه على إيلياء وحيزها، والرملة وحيزها، فصارت فلسطين نصفين: نصف مع أهل إيلياء، ونصف مع أهل الرملة، وهم عشر كور، وفلسطين تعدل الشام كله، وشهد ذلك اليهودي الصلح، فسأله عمر عن الدجال، فقال: هو من بني بنيامين، وأنتم والله يا معشر العرب تقتلون على بضعة عشرة ذراعا من باب لد وعن خالد وعبادة، قالوا: كان الذي صالح فلسطين العوام من أهل إيلياء والرملة، وذلك أن أرطوبون والتذارق لحقا بمصر، مقدم عمر الجابية، وأصيبا بعد في بعض الصوائف.

وقيل: كان سبب قدوم عمر إلى الشام، أن أبا عبيدة حضر بيت المقدس، فطلب أهله منه أن يصلحهم على صلح أهل مدن الشام، وأن يكون المتولي للعقد عمر بن الخطاب، فكتب إليه بذلك، فسار عن المدينة وعن عدي بن سهل، قال: لما استمد أهل الشام عمر على أهل فلسطين، استخلف عليا، وخرج ممداهم، فقال علي: أين تخرج بنفسك! إنك تريد عدوا كلبا، فقال: إني أبادر بجهاد العدو موت العباس، إنكم لو قد فقدتم العباس لا تنتفض بكم الشر كما ينتفض أول الحبل.

قال: وانضم عمرو وشرحيل إلى عمر بالجابية حين جرى الصلح فيما بينهم، فشهد الكتاب.

وعن خالد وعبادة، قالوا: صالح عمر أهل إيلياء بالجابية، وكتب لهم

فيها الصلح لكل كورة كتابا واحدا، ما خلا أهل إيلياء.

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم، ولكائسهم وصلبانهم، وسقيمتهم وبريئهم وسائر ملتهم، أنه لا تسكن كائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بينهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة. فأما سائر كتبهم فعلى كتاب لد بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكائسهم وصلبهم وسقيمتهم وبريئهم وسائر ملتهم، أنه لا تسكن كائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا مللها، ولا من صليهم ولا من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، وعلى أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل مدائن الشام، وعليهم أن يخرجوا مثل

ذلك الشرط إلى آخره ثم سرح إليهم، وفرق فلسطين على رجلين، فجعل علقمة بن حكيم على نصفها وأنزله الرملة، وعلقمة بن مجرز على نصفها وأنزله إيلياء، فنزل كل واحد منهما في عمله في الجنود التي معه.

وعن سالم، قال: استعمل علقمة بن مجرز على إيلياء وعلقمة بن حكيم على الرملة في الجنود التي كانت مع عمرو وضم عمرا وشرحيل إليه بالجابية، فلما انتهيا إلى الجابية، وافقا عمر رحمه الله راجعا، فقبلا ركبتيه، وضم عمر كل واحد منهما محتضنهما.

وعن عبادة وخالد، قالوا: ولما بعث عمر بأمان أهل إيلياء وسكنها الجند، شخص إلى بيت المقدس من الجابية، فرأى فرسه يتوجى، فنزل عنه، وأتى ببرذون فركبه، فهزه فنزل، فضرب وجهه بردائه، ثم قال: قبح الله من علمك هذا! ثم دعا بفرسه بعد ما أجمه أياما يوقه فركبه، ثم سار حتى انتهى إلى بيت المقدس.

وعن أبي صفية، شيخ من بني شيبان، قال: لما أتى عمر الشام أتى ببرذون فركبه، فلما سار جعل يتخلج به، فنزل عنه، وضرب وجهه، وقال: لا علم الله من علمك! هذا من الخيلاء، ولم يركب برذونا قبله ولا بعده وفتحت إيلياء وأرضها كلها على يديه، ما خلا اجنادين فإنها فتحت على يدي عمرو، وقيسارية على يدي معاوية.

وعن أبي عثمان وأبي حارثة، قالوا: افتتحت إيلياء وأرضها على يدي عمر في ربيع الآخر سنة ست عشرة.

وعن أبي مريم مولى سلامة، قال: شهدت فتح إيلياء مع عمر رحمه الله، فسار من الجابية فاصلا حتى يقدم إيلياء، ثم مضى حتى يدخل المسجد، ثم مضى نحو محراب داود، ونحن معه، فدخله ثم قرأ سجدة داود، فسجد وسجدنا معه.

وعن رجاء بن حيوة، عمن شهد، قال: لما شخص عمر من الجابية إلى إيلياء، فدنا من باب المسجد، قال: اركبوا لي كعبا، فلما انفرد به الباب، قال: ليكن، اللهم ليكن، بما هو أحب إليك! ثم قصد المحراب، محراب داود ع، وذلك ليلا، فصلى فيه، ولم يلبث أن طلع الفجر، فأمر المؤذن بالإقامة، فتقدم فصلى بالناس، وقرأ بهم ص، وسجد فيها، ثم قام، وقرأ بهم في الثانية صدر بني إسرائيل، ثم ركع ثم انصرف، فقال:

علي بكعب، فأتي به، فقال: أين ترى أن نجعل المصلي؟ فقال: إلى الصخرة، فقال: ضاهيت والله اليهودية يا كعب، وقد رأيتك وخلعتك نعليك، فقال: أحببت أن أباشره بقدمي، فقال: قد رأيتك، بل نجعل قبلته صدره، كما جعل رسول الله ص قبله مساجدنا صدورها، اذهب إليك، فإننا لم نؤمر بالصخرة، ولكنا أمرنا بالكعبة، فجعل قبلته صدره، ثم قام من مصلاه إلى كئسة قد كانت الروم قد دفنت بها بيت المقدس في زمان بني إسرائيل، فلما صار إليهم أبرزوا بعضها، وتركوا سائرها، وقال:

يا أيها الناس، اصنعوا كما أصنع، وجثا في أصلها، وجثا في فرج من فروج قبائه، وسمع التكبير من خلفه، وكان يكره سوء الرعة في كل شيء، فقال: ما هذا؟ فقالوا: كبر كعب وكبر الناس بتكبيره فقال: علي به فأتي به، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه قد تنبأ على ما صنعت اليوم نبي منذ خمسمائة سنة، فقال: وكيف؟ فقال: إن الروم أغاروا على بني إسرائيل فأديلوا عليهم، فدفنوه، ثم أديلوا فلم يفرغوا له حتى أغارت عليهم فارس فبغوا على بني إسرائيل، ثم أديلت الروم عليهم إلى أن وليت، فبعث الله نبيا على الكئسة، فقال: أبشري أورى شلم! عليك الفاروق ينقذك مما فيك وبعث إلى القسطنطينية نبي، فقام على تلها، فقال: يا قسطنطينية، ما فعل أهلك بيتي! أخربوه وشبهوك كعرشي، وتأولوا علي، فقد قضيت عليك أن أجعلك جلحاء يوما ما، لا يأوي إليك أحد، ولا يستظل فيك علي أيدي بني القاذر سبأ وودان، فما أمسوا حتى ما بقي منه شيء.

وعن ربيعة الشامي بمثله، وزاد: أذاك الفاروق في جندي المطيع، ويدركون لأهلك بئارك في الروم وقال في قسطنطينية: أدعك جلحاء بارزة للشمس، لا يأوي إليك أحد، ولا تظليته.

وعن أنس بن مالك، قال: شهدت إيلياء مع عمر، فبينما هو يطعم الناس يوما بها أتاه راهبا وهو لا يشعر أن الخمر محرمة، فقال: هل لك في شراب نجده في كتبنا حاللا إذا حرمت الخمر! فدعاه به فقال: من أي شيء هذا؟ فأخبره أنه طبخه عصيرا، حتى صار إلى ثلثه، فغرف بإصبعه، ثم حركه في الإناء فشطره، فقال: هذا طلاء، فشبهه بالقطران، وشرب منه، وأمر أمراء الأجناد بالشام به، وكتب في الأمصار: إني أتيت بشراب مما قد طبخ من العصير حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه كالطلاء، فاطبخوه وارزقوه المسلمين.

وعن أبي عثمان وأبي حارثة، قالوا: ولحق أرطوبون بمصر مقدم عمر الجابية، ولحق به من أحب ممن أبى الصلح، ثم لحق عند صلح أهل مصر، وغلبهم بالروم في البحر، وبقي بعد ذلك، فكان يكون على صوائف الروم، والتقى هو وصاحب صائفة المسلمين فيختلف هو ورجل من قيس يقال له ضريس، فقطع يد القيسي، وقتله القيسي، فقال:

فإن يكن أرطوبون الروم أفسدها ... فإن فيها بحمد الله منتفعا

بناتان وجرموز أقيم به ... صدر القناة إذا ما آسوا فرعا

وإن يكن أرطوبون الروم قطعها ... فقد تركت بها أوصاله قطعاً

وقال زياد بن حنظلة:
تذكرت حرب الروم لما تطاولت ... وإذ نحن في عام كثير نزائله
وإذ نحن في أرض الحجاز وبيننا ... مسيرة شهر بينهن بلابله
وإذ أرتبون الروم يحجي بلاده ... يحاوله قرم هناك يساجله

٣٠٩٠٨ ذكر فرض العطاء وعمل الديوان

فلما رأى الفاروق أزمان فتحها ... سما بجنود الله كيما يصاوله
فلما أحسوه وخافوا صواله ... أتوه وقالوا أنت ممن نواصله
وألقت إليه الشام أفلاذ بطنها ... وعيشا خصيبا ما تعد ما كله
أباح لنا ما بين شرق ومغرب ... مواريث أعقاب بنتها قرامله
وكم مثقل لم يضطلع باحتماله ... تحمل عبئا حين شالت شوائله
وقال أيضا:

سما عمر لما أئنه رسائل ... كأصيد يحجي صرمة الحي أغيدا
وقد عضلت بالشام أرض بأهلها ... تريد من الأقوام من كان أنجدا
فلما أتاه ما أتاه أجابهم ... بجيش ترى منه الشبانك سجد
وأقبلت الشام العريضة بالذي ... أراد أبو حفص وأزكى وأزيدا
فقسط فيما بينهم كل جزية ... وكل رفاد كان أهنا وأحمدا
ذكر فرض العطاء وعمل الديوان

وفي هذه السنة فرض عمر للمسلمين الفروض، ودون الدواوين، وأعطى العطايا على السابقة، وأعطى صفوان بن أمية والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو في أهل الفتح أقل ما أخذ من قبلهم، فامتنعوا من أخذه وقالوا:
لا نعترف أن يكون أحد أكرم منا، فقال: إني إنما أعطيتكم على السابقة في الإسلام لا على الأحساب، قالوا: فنعم إذا، وأخذوا،
وخرج الحارث وسهيل بأهليهما نحو الشام، فلم يزالا مجاهدين حتى أصيبا في بعض تلك الدروب، وقيل: ماتا في طاعون عمواس
ولما أراد عمر وضع الديوان، قال له علي وعبد الرحمن بن عوف: ابدأ بنفسك، قال: لا، بل أبدأ بعم رسول الله ص، ثم الأقرب
فالأقرب، ففرض للعباس وبدأ به، ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف، ثم فرض لمن بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف
أربعة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى أن ألق أبو بكر عن أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف، في ذلك من شهد الفتح وقاتل عن
أبي بكر، ومن ولى الأيام قبل القادسية، كل هؤلاء ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ثم فرض لأهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين، وفرض
لأهل البلاء البار من ألفين وخمسمائة، ألفين وخمسمائة، فقيل له: لو ألحقت أهل القادسية بأهل الأيام! فقال: لم أكن لألحقهم
بدرجة من لم يدركوا، وقيل له: قد سويت من بعدت داره بمن قربت داره وقاتلهم عن فائه، فقال: من قربت داره أحق بالزيادة،
لأنهم كانوا رداء للحق وشجى للعدو، فهلا قال المهاجرون مثل قولكم حين سويت بين السابقين منهم والأنصار! فقد كانت نصره الأنصار
بنائهم، وهاجر إليهم المهاجرون من بعد، وفرض لمن بعد القادسية واليرموك ألفا ألفا، ثم فرض للروادف: المثنى خمسمائة خمسمائة،
ثم للروادف الثلاث بعدهم، ثلاثمائة ثلاثمائة، سوى كل طبقة في العطاء، قويهم وضعيفهم، عريهم وعجمهم، وفرض للروادف الربيع
على مائتين وخمسين، وفرض لمن بعدهم وهم أهل هجر والعباد على مائتين، وألحق بأهل بدر أربعة من غير أهلها: الحسن والحسين
وأبا ذر وسلمان، وكان فرض للعباس خمسة وعشرين ألفا- وقيل اثني عشر ألفا- وأعطى نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشرة آلاف
عشرة آلاف، إلا من جرى عليها الملك، فقال نسوة رسول الله ص: ما كان رسول الله ص يفضلنا عليهن في القسمة، فسو بيننا، ففعل
وفضل عائشة بألفين لمحبه رسول الله ص إياها فلم تأخذ، وجعل نساء أهل بدر في

خمسائة نحسمائة، ونساء من بعدهم الى الحديبية على أربعمائة أربعمائة، ونساء من بعد ذلك الى الأيام ثلاثمائة ثلاثمائة، ونساء أهل القادسية مائتين مائتين، ثم سوى بين النساء بعد ذلك، وجعل الصبيان سواء على مائة مائة، ثم جمع ستين مسكينا، وأطعمهم الخبز، فأحصوا ما أكلوا، فوجدوه يخرج من جريبتين، ففرض لكل إنسان منهم ولعياله جريبتين في الشهر.

وقال عمر قبل موته: لقد هممت أن أجعل العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف، وألأ يجعلها الرجل في اهله، وألأ يزدوها معه، وألأ يتجهز بها، ألأ يترفق بها، فأت قبل أن يفعل قال ابو جعفر الطبري: كتب إلي السري عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وزيد والمجالد وعمرو، عن الشعبي، وإسماعيل عن الحسن، وأبي حمزة عن عبد الله بن المستورد عن محمد بن سيرين، ويحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيب، والمستنير بن يزيد عن إبراهيم، وزهرة عن أبي سلمة، قالوا: فرض عمر العطاء حين فرض لأهل الفتياء الذين أفاء الله عليهم، وهم أهل المدائن، فصاروا بعد إلى الكوفة، انتقلوا عن المدائن إلى الكوفة والبصرة ودمشق وحمص والأردن وفلسطين ومصر، وقال: الفتياء لأهل هؤلاء الأمصار ولبن لحق بهم وأعانهم، وأقام معهم ولم يفرض لغيرهم، ألا فيهم سكت المدائن والقرى، وعليهم جرى الصلح، وإليهم أدي الجزاء، وبهم سدت الفروج ودوخ العدو ثم كتب في إعطاء أهل العطاء أعطياتهم إعطاء واحدا سنة خمس عشرة.

وقال قائل: يا أمير المؤمنين، لو تركت في بيوت الأموال عدة لكون إن كان! فقال: كلبه ألقاها الشيطان على فيك وقاني الله شرها، وهي فتنة لمن بعدي، بل أعد لهم ما أمرنا الله ورسوله طاعة لله ورسوله، فهما عدتنا التي بها أفضينا إلى ما ترون، فإذا كان هذا المال ثمن دين أحدكم هلكتكم

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف عن محمد والمهلب وطلحة وعمرو وسعيد، قالوا: لما فتح الله على المسلمين وقيل رستم، وقدمت على عمر الفتوح من الشام جمع المسلمين، فقال: ما يحل للوالي من هذا المال؟ فقالوا جميعا: أما لخاصته فقوته وقوت عياله، لا وكس ولا شطط، وكسوتهم وكسوته للشتاء والصيف، ودابتان إلى جهاده وحواله وحماله إلى حجه وعمرة، والقسم بالسوية، أن يعطى أهل البلاء على قدر بلائهم، ويرم أمور الناس بعد، ويتعاهدهم عند الشدائد والنوازل حتى تكشف، ويبدأ بأهل الفتياء.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، قال: جمع الناس عمر بالمدينة حين انتهى إليه فتح القادسية ودمشق، فقال: إني كنت امرأ تاجرا، يغني الله عيالي بتجاري وقد شغلتموني بأمركم، فإذا ترون أنه يحل لي من هذا المال؟ فكثر القوم وعلى ع ساكت، فقال: [ما تقول يا علي؟ فقال: ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف، ليس لك من هذا المال غيره،] فقال القوم: القول قول ابن أبي طالب.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قام رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: ما يحل لك من هذا المال؟ فقال: ما أصلحني وأصلح عيالي بالمعروف، وحلة الشتاء وحلة الصيف، وراحلة عمر للحج والعمرة، ودابة في حوائجه وجهاده.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن مبشر بن الفضيل، عن سالم بن عبد الله، قال: لما ولي عمر قعد على رزق أبي بكر الذي كانوا فرضوا له، فكان بذلك، فاشتدت حاجته، فاجتمع نفر من المهاجرين منهم عثمان، وعلي وطلحة والزبير، فقال الزبير: لو قلنا لعمر في زيادة زيدا إياه في رزقه! فقال علي: ودنا قبل ذلك، فانطلقوا بنا، فقال

عثمان: إنه عمر! فلهوا فلستبرئ ما عنده من وراء، نأتي حفصة فنسألها ونستكثمها، فدخلوا عليها وأمروها أن تخبر بالخبر عن نفر،

وَلَا تُسَمِّي لَهُ أَحَدًا، إِلَّا أَنْ يَقْبَلَ، وَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهَا، فَلَقِيَتْ عُمَرُ فِي ذَلِكَ، فَعَرَفَتْ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، وَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَتْ: لَا سَبِيلَ إِلَى عَلَيْهِمْ حَتَّى أَعْلَمَ رَأْيَكَ، فَقَالَ: لَوْ عَلِمْتُ مَنْ هُمْ لَسَوْتُ وَجُوهَهُمْ، أَنْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ! أَشَدُّكَ بِاللَّهِ، مَا أَفْضَلَ مَا اقْتَنَى رَسُولُ اللَّهِ ص فِي بَيْتِكَ مِنَ الْمَلْبَسِ؟ قَالَتْ: ثَوْبَيْنِ مُشَقَّيْنِ كَانَ يَلْبَسُهُمَا لِلْوَفْدِ، وَيَخْطُبُ فِيهِمَا لِلْجُمُعِ، قَالَ: فَأَيُّ الطَّعَامِ نَالَهُ عِنْدَكَ أَرْفَعُ؟ قَالَتْ: خَبَزْنَا خُبْزَةَ شَعِيرٍ، فَصَبَبْنَا عَلَيْهَا وَهِيَ حَارَّةٌ أَسْفَلَ عَكَّةً لَنَا، فَجَعَلْنَاهَا هَشَّةً دَسِمَةً، فَأَكَلَ مِنْهَا وَتَطَعَمَ مِنْهَا اسْتَطَابَةً لَهَا قَالَ: فَأَيُّ مَبْسُطٍ كَانَ يَبْسُطُهُ عِنْدَكَ كَانَ أَوْطَأُ؟ قَالَتْ: كِسَاءٌ لَنَا نُحْنِ كَمَا نُرْبِعُهُ فِي الصَّيْفِ، فَجَعَلُهُ نُحْتَنَّا، فَإِذَا كَانَ الشِّتَاءُ بَسَطْنَا نِصْفَهُ وَتَدَثَّرْنَا بِنِصْفِهِ، قَالَ: يَا حَفْصَةُ، فَأَبْلِغِيهِمْ عَنِّي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَدَرُ فَوْضِ الْفُضُولِ مَوَاضِعُهَا، وَتَبْلُغُ بِالْتَرْجِيهِ، وَإِنِّي قَدَرْتُ فَوَ اللَّهِ لَا ضَعْنَ الْفُضُولِ مَوَاضِعُهَا، وَلَا تَبْلُغْنَ بِالْتَرْجِيهِ، وَإِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُ صَاحِبِي كَمَلَاةٍ سَلَكَوا طَرِيقًا، فَضَى الْأَوَّلُ وَقَدْ تَزَوَّدَ زَادًا فَلَبِغَ، ثُمَّ اتَّبَعَهُ الْآخَرُ فَسَلَكَ طَرِيقَهُ، فَافْضَى إِلَيْهِ، ثُمَّ اتَّبَعَهُ الثَّالِثُ، فَإِنْ لَزِمَ طَرِيقَهُمَا وَرَضِيَ بِزَادِهِمَا لَحِقَ بِهِمَا وَكَانَ مَعَهُمَا، وَإِنْ سَلَكَ غَيْرَ طَرِيقَهُمَا لَمْ يُجَامِعْهُمَا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَصْحَابِهِ. وَالضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا افْتُتِحَتِ الْقَادِسِيَّةُ وَصَالِحٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ وَافْتُتِحَتِ دِمَشْقُ، وَصَالِحٌ أَهْلُ دِمَشْقُ، قَالَ عُمَرُ لِلنَّاسِ:

اجْتَمِعُوا فَأَحْضُرُونِي عِلْمُكُمْ فِيمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْقَادِسِيَّةِ وَأَهْلِ الشَّامِ فَاجْتَمَعَ رَأْيُ عُمَرَ وَعَلِيٌّ عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ، فَقَالُوا: «مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى» - يعني من الخمس - «فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ»، إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّسُولِ، مِنَ اللَّهِ الْأَمْرُ وَعَلَى الرَّسُولِ الْقَسْمُ «وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ» الْآيَةُ، ثُمَّ فَسَّرُوا ذَلِكَ بِالْآيَةِ الَّتِي تَلِيهَا: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ» الْآيَةُ، فَأَخَذُوا الْأَرْبَعَةَ أُنْحَاسَ عَلَى مَا قَسَمَ عَلَيْهِ الْخَمْسَ فِيمَنْ بَدَأَ بِهِ وَثْنِي وَثَلَاثَ، وَأَرْبَعَةَ أُنْحَاسَ لِمَنْ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْمَغْنَمَ ثُمَّ اسْتَشْهَدُوا عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا: «وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ»، فَقَسَمَ الْأُنْحَاسَ عَلَى ذَلِكَ، وَاجْتَمَعَ عَلَى ذَلِكَ عُمَرُ وَعَلِيٌّ، وَعَمِلَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَهُ، فَبَدَأَ بِالْمُهَاجِرِينَ، ثُمَّ بِالْأَنْصَارِ، ثُمَّ التَّابِعِينَ الَّذِينَ شَهِدُوا مَعَهُمْ وَأَعَانُوهُمْ، ثُمَّ فَوَّضَ الْأَعْطِيَةَ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَى مَنْ صَالِحٌ أَوْ دُعِيَ إِلَى الصُّلْحِ مِنْ جَزَائِهِ، مَرْدُودٌ عَلَيْهِمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَيْسَ فِي الْجَزَاءِ أُنْحَاسٌ، وَالْجَزَاءُ لِمَنْ مَنَعَ الدِّمَّةَ وَوَفَّى لَهُمْ مِمَّنْ وَلِيَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ فَأَعَانَهُمْ، إِلَّا أَنْ يُؤَاسُوا بِفَضْلَةٍ مِنْ طِيبِ أَنْفُسٍ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَلَّ مِثْلَ الَّذِي نَالُوا.

قَالَ الطَّبْرِيُّ: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنِي سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ - كَانَتْ وَقَعَاتٌ فِي قَوْلِ سَيْفِ بْنِ عُمَرَ، وَفِي قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ: كَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ، وَقَدْ ذَكَرْنَا الرِّوَايَةَ بِذَلِكَ عَنْهُ قَبْلُ، وَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي قَوْلِ الْوَاقِدِيِّ.

نَذَرُ الْآنَ الْأَخْبَارَ الَّتِي وَرَدَتْ بِمَا كَانَ بَيْنَ مَا ذَكَرْتُ مِنَ الْحُرُوبِ إِلَى انْقِضَاءِ السَّنَةِ الَّتِي ذَكَرْتُ أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِيهَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ: كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَالْمُهَلَّبِ وَعَمْرٍو وَسَعِيدٍ، قَالُوا: عَهْدَ عُمَرَ إِلَى سَعْدٍ حِينَ أَمَرَهُ بِالسَّيْرِ إِلَى الْمَدَائِنِ أَنْ يُخَلِّفَ النِّسَاءَ وَالْعِيَالَ بِالْعَتِيقِ، وَيَجْعَلَ مَعَهُمْ كَثْفًا مِنَ الْجُنْدِ، فَفَعَلَ

٣٠٩٠٩ خبر يوم برس

وَعَهْدَ إِلَيْهِ أَنْ يُشْرِكَهُمْ فِي كُلِّ مَغْنَمٍ مَا دَامُوا يَخْلُقُونَ الْمُسْلِمِينَ فِي عِيَالَتِهِمْ. قَالُوا: وَكَانَ مَقَامُ سَعْدٍ بِالْقَادِسِيَّةِ بَعْدَ الْفَتْحِ شَهْرَيْنِ فِي مَكَاتِبَةِ عُمَرَ فِي الْعَمَلِ بِمَا يَنْبَغِي، فَقَدِمَ زَهْرَةُ نَحْوَ اللَّسَانِ - وَاللِّسَانُ لِسَانُ الْبَرِّ الَّذِي

أَدْلَعَهُ فِي الرَّيْفِ، وَعَلَيْهِ الْكُوفَةُ الْيَوْمَ، وَالْحِيرَةُ قَبْلَ الْيَوْمِ- وَالنَّخِيرَجَانُ مُعَسِّكُهُ، فَارْفَضَ وَلَمْ يَثْبُتْ حِينَ سَمِعَ بِمَسِيرِهِمْ إِلَيْهِ، فَلَحَقَ بِأَصْحَابِهِ قَالُوا: فَكَانَ مِمَّا يَلْعَبُ بِهِ الصَّبِيَّانُ فِي الْعُسْكَرِ وَتَلْقِيَةِ النِّسَاءِ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ عَلَى شَاطِئِ الْعَتِيقِ، أَمْرٌ كَانَ النِّسَاءُ يَلْعَبْنَ بِهِ فِي زُرُودِ وَذِي قَارٍ، وَتِلْكَ الْأَمْوَاهُ حِينَ أَمَرُوا بِالسَّيْرِ فِي جُمَادَى إِلَى الْقَادِسِيَّةِ، وَكَانَ كَلَامًا أَبَدَنَ فِيهِ كَالْأَوَائِدِ مِنَ الشَّعْرِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ جُمَادَى وَرَجَبٍ شَيْءٌ:

الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ ... بَيْنَ جُمَادَى وَرَجَبٍ
أَمْرٌ قَضَاهُ قَدْ وَجِبَ ... يُخْبِرُهُ مِنْ قَدْ شَجِبَ
تَحْتَ غُبَارٍ وَلَجِبَ
• خبر يوم برس

قال: ثم إن سعدا ارتحل بعد الفراغ من أمر القادسية كله، وبعد تقديم زهرة بن الحوية في المقدمات إلى اللسان، ثم أتبعه عبد الله بن المعتم، ثم أتبع عبد الله شرحبيل بن السمط، ثم أتبعهم هاشم بن عتبة، وقد ولاه خلافته، عمل خالد بن عرفة، وجعل خالدا على الساقة، ثم أتبعهم وكل المسلمين فارس مؤد قد نقل الله إليهم ما كان في عسكر فارس من سلاح وكراع ومال، لأيام بقين من شوال، فسار زهرة حتى ينزل الكوفة- والكوفة كل حصباء حمراء وسهلة حمراء مختلطتين- ثم نزل عليه عبد الله وشرحبيل، وارتحل زهرة حين نزلا عليه نحو المدائن، فلما انتهى إلى برس لقيه بها بصبري في جمع فناوشوه فهزمهم، فهرب بصبري ومن

٣٠٩٠١٠ يوم بابل

معه إلى بابل وبها فالة القادسية وبقايا رؤسائهم: النخيرجان ومهران الرازي والهرمزاني وأشباههم، فأقاموا واستعملوا عليهم الفيرزان، وقدم عليهم بصبري وقد نجا بطعنة، فمات منها.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ النُّضْرِ بْنِ السَّرِيِّ، عَنْ ابْنِ الرُّفَيْلِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: طَعَنَ زَهْرَةَ بِصَبْرِي فِي يَوْمِ بَرَسٍ، فَوَقَعَ فِي النَّهْرِ فَمَاتَ مِنْ طَعْنَتِهِ بَعْدَ مَا لَحِقَ بِبَابِلَ، وَلَمَّا هَزَمَ بِصَبْرِي أَقْبَلَ بِسْطَامُ دَهْقَانَ بَرَسَ، فَاعْتَقَدَ مِنْ زَهْرَةَ وَعَقَدَ لَهُ الْجَسُورَ، وَأَتَاهُ بِخَبَرِ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا بِبَابِلَ
• يوم بابل

قالوا: ولما أتى بسطام زهرة بالخبر عن الذين اجتمعوا ببابل من فلال القادسية، أقام وكتب إلى سعد بالخبر ولما نزل سعد على من بالكوفة مع هاشم بن عتبة، وأتاه الخبر عن زهرة باجتماع الفرس ببابل على الفيرزان، قدم عبد الله، وأتبعه شرحبيل وهاشما، ثم ارتحل بالناس، فلما نزل عليهم برس، قدم زهرة فأتبعه عبد الله وشرحبيل وهاشما، واتبعهم فنزلوا على الفيرزان ببابل، وقد قالوا: نقاتلهم دسقا قبل أن نفترق، فاقتتلوا ببابل، فهزموهم في أسرع من لفت الرداء، فانطلقوا على وجوههم، ولم يكن لهم همة إلا الافتراق، فخرج الهرمزاني متوجها نحو الأهواز، فأخذها فأكلها ومهرجانتها، وخرج الفيرزان معه حتى طلع على نهاوند، وبها كنوز كسرى، فأخذها وأكل الماهين، وصمد النخيرجان ومهران الرازي للمدائن، حتى عبرا بهرسير إلى جانب دجلة الآخر، ثم قطعوا الجسر، وأقام سعد ببابل أياما، وبلغه أن النخيرجان قد

خلف شهربار، دهقانان من دهاقين الباب بكوثر في جمع، فقدم زهرة ثم أتبعه الجنود، فخرج زهرة حتى ينزل على شهربار بكوثر بعد قتل فيومان والفرخان فيما بين سورا والدير.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ النُّضْرِ بْنِ السَّرِيِّ، عَنْ ابْنِ الرُّفَيْلِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ سَعْدٌ قَدِمَ زَهْرَةَ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ فَضَى مُتَشَعِّبًا فِي حَرْبِهِ وَجَنَدِهِ، ثُمَّ لَمْ يَلِقَ جَمْعًا فَهَزَمَهُمْ إِلَّا قَدَمَ، فَأَتَبَعَهُمْ لَا يَمُرُّونَ بِأَحَدٍ إِلَّا قَتَلُوهُ مِمَّنْ لَحِقُوا بِهِ مِنْهُمْ أَوْ أَقَامَ لَهُمْ، حَتَّى إِذَا قَدِمَهُ مِنْ بَابِلَ قَدِمَ زَهْرَةَ بُكَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيُّ وَكَثِيرُ بْنُ شِهَابٍ السَّعْدِيُّ أَخَا الْغَلَاظِ حِينَ عَبَرَ الصَّرَاةَ، فَيَلْحَقُونَ بِأَخْرِيَاتِ الْقَوْمِ وَفِيهِمْ فَيُؤْمَانُ وَالْفَرْخَانُ، هَذَا مَيْسَانِي وَهَذَا أَهْوَايَ، فَقَتَلَ بُكَيْرُ الْفَرْخَانَ، وَقَتَلَ كَثِيرُ فَيُؤْمَانَ بِسُورَا ثُمَّ مَضَى زَهْرَةَ حَتَّى جَاوَزَ سُورَا،

ثُمَّ نَزَلَ، وَأَقْبَلَ هَاشِمٌ حَتَّى نَزَلَ عَلَيْهِ، وَجَاءَ سَعْدٌ حَتَّى يَنْزِلَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَدِمَ زَهْرَةُ، فَسَارَ تَلَقَّاءَ الْقَوْمِ، وَقَدْ أَقَامُوا لَهُ فِيمَا بَيْنَ الدَّيْرِ وَكُوَيْتٍ، وَقَدْ اسْتَخْلَفَ النُّخَيْرِجَانُ وَمَهْرَانٌ عَلَى جُنُودِهِمَا شَهْرِيَّارَ، دِهْقَانَ الْبَابِ وَمُضِيًّا إِلَى الْمَدَائِنِ، وَأَقَامَ شَهْرِيَّارَ هُنَالِكَ، فَلَمَّا اتَّقَوْا بِأَتْخَافِ كُوَيْتٍ، جِيئَ شَهْرِيَّارَ وَأَوَائِلُ الْخَلِيلِ، خَرَجَ فَنَادَى:

أَلَا رَجُلٌ، أَلَا فَارِسٌ مِنْكُمْ شَدِيدٌ عَظِيمٌ يُخْرِجُ إِلَيَّ حَتَّى أَكُلَ بِهِ! فَقَالَ زَهْرَةُ: لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَبَارِزَكَ، فَأَمَّا إِذْ سَمِعْتُ قَوْلَكَ، فَإِنِّي لَا أَخْرُجُ إِلَيْكَ إِلَّا عَبْدًا، فَإِنْ أَقَمْتَ لَهُ قَتْلَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَبْغِيكَ، وَإِنْ فَرَرْتَ مِنْهُ فَإِنَّمَا فَرَرْتَ مِنْ عَبْدٍ، وَكَأَيْدِهِ، ثُمَّ أَمَرَ أَبَا نُبَاتَةَ نَائِلَ بْنَ جُعْشُمٍ الْأَعْرَجِيَّ - وَكَانَ مِنْ شُجْعَانَ بْنِ تَمِيمٍ - فَخَرَجَ إِلَيْهِ، وَمَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الرَّحْمُ، وَكِلَاهُمَا وَثِيقُ الْخَلْقِ، إِلَّا أَنَّ الشَّهْرِيَّارَ مِثْلُ الْجَمَلِ، فَلَمَّا رَأَى نَائِلًا أَلْقَى الرَّحْمَ لِيَعْتَنِقَهُ، وَأَلْقَى نَائِلٌ رُحْمَهُ لِيَعْتَنِقَهُ، وَانْتَضِيَا سَيْفَيْهِمَا فَاجْتَلَدَا، ثُمَّ اعْتَنَقَا نَحْرًا عَنْ دَابَتَيْهِمَا، فَوَقَعَ عَلَى نَائِلٍ كَأَنَّهُ بَيْتٌ، فَضَعَطَهُ بِفَخْذِهِ، وَأَخَذَ الْخَنْجَرَ وَأَرَاغَ حَلَّ اِرْزَارِ دَرَعِهِ، فَوَقَعَتْ اِبْهَامُهُ فِي فَمِ نَائِلٍ، فَخَطَمَ عَظْمَهُمَا، وَرَأَى مِنْهُ فُتُورًا، فَثَوَّرَهُ فَجَلَدَ بِهِ الْأَرْضَ، ثُمَّ قَعَدَ عَلَى صَدْرِهِ، وَأَخَذَ خَنْجَرَهُ، فَكَشَفَ دَرَعَهُ عَنْ بَطْنِهِ، فَطَعَنَهُ فِي بَطْنِهِ وَجَنْبِهِ حَتَّى مَاتَ،

٣٠٩٠١١ حديث بهرسيرو في ذي الحجة سنة خمس عشرة في قول سيف

فَأَخَذَ فَرَسَهُ وَسِوَارِيَهُ وَسَلْبَهُ، وَانْكَشَفَ أَصْحَابُهُ، فَذَهَبُوا فِي الْبِلَادِ، وَأَقَامَ زَهْرَةُ بِكُوَيْتٍ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ سَعْدٌ، فَأَتَى بِهِ سَعْدًا، فَقَالَ سَعْدٌ: عَزَمْتُ عَلَيْكَ يَا نَائِلُ بْنُ جُعْشُمٍ لَمَّا لَبِسْتَ سِوَارِيَهُ وَقَبَاءَهُ وَدَرَعَهُ، وَلَتَرْكَبَنَّ بِرَدُونَهُ! وَغَنِمَهُ ذَلِكَ كُلُّهُ فَانْطَلِقْ، فَتَدْرِعْ سَلْبَهُ، ثُمَّ أَتَاهُ فِي سِلَاحِهِ عَلَى دَابَّتِهِ، فَقَالَ: اخْلَعْ سِوَارِيكَ إِلَّا أَنْ تَرَى حَرْبًا فَتَلْبِسَهُمَا، فَكَانَ أَوَّلَ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سُورَ بِالْعِرَاقِ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَالْمُهَلَّبِ وَعَمْرُو وَسَعِيدٍ، قَالُوا: فَأَقَامَ سَعْدٌ بِكُوَيْتٍ أَيَّامًا، وَأَتَى الْمَكَانَ الَّذِي جَلَسَ فِيهِ إِبْرَاهِيمُ عِ بَكُوَيْتٍ، فَنَزَلَ جَانِبَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا يُبَشِّرُونَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَتَى الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ فِيهِ إِبْرَاهِيمُ عِ مُحَبُوسًا، فَظَنَرَ إِلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَقَرَأَ:

«وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُلَهَا بَيْنَ النَّاسِ»

. حديث بهرسيرو في ذي الحجة سنة خمس عشرة في قول سيف

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَالْمُهَلَّبِ وَعَمْرُو وَسَعِيدٍ وَالنَّضْرِ، عَنِ ابْنِ الرُّفَيْلِ، قَالُوا: ثُمَّ إِنَّ سَعْدًا قَدِمَ زَهْرَةَ إِلَى بَهْرَسِيرٍ، فَضَى زَهْرَةُ مِنْ كُوَيْتٍ فِي الْمَقْدِمَاتِ حَتَّى يَنْزِلَ بَهْرَسِيرَ، وَقَدْ تَلَقَّاهُ شِيرَزَادٌ بِسَابَاطٍ بِالصُّلْحِ وَتَأْدِيَةِ الْجَزَاءِ، فَأَمَضَاهُ إِلَى سَعْدٍ، فَأَقْبَلَ مَعَهُ وَتَبِعَتْهُ الْمُجَنَّبَاتُ، وَخَرَجَ هَاشِمٌ، وَخَرَجَ سَعْدٌ فِي أَثَرِهِ، وَقَدْ فَلَ زَهْرَةُ كَتِيبَةً كَسَرَى بُورَانَ حَوْلَ الْمُظَلِّ، وَانْتَهَى هَاشِمٌ إِلَى مُظَلِّ سَابَاطٍ، وَوَقَفَ لِسَعْدٍ حَتَّى لَحِقَ بِهِ، فَوَافَقَ ذَلِكَ رُجُوعَ الْمُقَرَّبِ أَسَدَ كَانَ لِكَسَرَى قَدْ أَلْفَهُ وَتَخَيَّرَهُ مِنْ أَسُودِ الْمُظَلِّ، وَكَانَتْ بِهِ كِتَابٌ كَسَرَى الَّتِي تُدْعَى بُورَانَ، وَكَانُوا يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ كُلَّ يَوْمٍ: لَا يَزُولُ مُلْكُ فَارِسَ مَا عَشْنَا-، فَبَادَرَ

الْمُقَرَّبُ النَّاسَ حِينَ انْتَهَى إِلَيْهِمْ سَعْدٌ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ هَاشِمٌ فَقَتَلَهُ، وَسَمِيَ سَيْفُهُ الْمَتَنَ، فَقَبِلَ سَعْدٌ رَأْسَ هَاشِمٍ، وَقَبَلَ هَاشِمٌ قَدَمَ سَعْدٍ، فَقَدَّمَهُ سَعْدٌ إِلَى بَهْرَسِيرَ، فَنَزَلَ إِلَى الْمُظَلِّ وَقَرَأَ: «أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمُ مِنْ زَوَالٍ»، فَلَمَّا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ هَذَا ارْتَحَلَ، فَنَزَلَ عَلَى النَّاسِ بِبَهْرَسِيرَ، وَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ قَدِمَتْ خَيْلٌ عَلَى بَهْرَسِيرَ وَفَقُّوا ثُمَّ كَبَرُوا، فَكَذَلِكَ حَتَّى نَجَزَ آخِرُ مَنْ مَعَ سَعْدٍ، فَكَانَ مَقَامُهُ بِالنَّاسِ عَلَى بَهْرَسِيرَ شَهْرَيْنِ، وَعَبَرُوا فِي الثَّالِثِ.

وَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَكَانَ عَامِلُهُ فِيهَا عَلَى مَكَّةَ عَتَابُ بْنُ أُسَيْدٍ، وَعَلَى الطَّائِفِ يَعْلَى بْنُ مَنِه، وَعَلَى الْيَمَامَةِ وَالْبَحْرَيْنِ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ، وَعَلَى عَمَانَ حَذِيفَةُ بْنُ مَحْصَنٍ، وَعَلَى كُورِ الشَّامِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَعَلَى الْكُوفَةِ وَأَرْضِهَا سَعْدُ بْنُ أَبِي

وقاص، وعلى قضائها أبو قرة، وعلى البصرة وأرضها المغيرة بن شعبه

٤ الجزء الرابع

٤٠١ سنة ست عشرة

٤٠١٠١ ذكر بقية خبر دخول المسلمين مدينة بهرسير

الجزء الرابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة ست عشرة

قال أبو جعفر: ففيها دخل المسلمون مدينة بهرسير، وافتتحوا المدائن، وهرب منها يزدجرد بن شهريار.

ذكر بقية خبر دخول المسلمين مدينة بهرسير

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَالْمُهَلَّبِ، قَالُوا: لَمَّا نَزَلَ سَعْدٌ عَلَى بَهْرَسِيرَ بَثَّ الْخِيُولَ، فَأَغَارَتْ عَلَى مَا بَيْنَ دِجْلَةَ إِلَى مَنْ لَهُ عَهْدٌ مِنْ أَهْلِ الْقُرَاتِ، فَأَصَابُوا مِائَةَ أَلْفٍ فَلَاحَ، فَحَسَبُوا، فَأَصَابَ كُلُّ مِنْهُمْ فَلَاحًا، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّهُمْ فَارِسٌ بِبَهْرَسِيرَ فَنَحْدَقَ لَهُمْ، فَقَالَ لَهُ شِيرَزَادُ دِهْقَانُ سَابَاطُ: إِنَّكَ لَا تَصْنَعُ بِهَؤُلَاءِ شَيْئًا، إِنَّمَا هَؤُلَاءِ عُلُوجٌ لِأَهْلِ فَارِسَ لَمْ يَجْرُوا إِلَيْكَ، فَدَعَهُمْ إِلَى حَتَّى يَفِرَ لَكُمْ الرَّأْيُ.

فَكَتَبَ عَلَيْهِ بِأَسْمَائِهِمْ، وَدَفَعَهُمْ إِلَيْهِ، فَقَالَ شِيرَزَادُ: انصَرِفُوا إِلَى قُرَاكُمْ.

وَكَتَبَ سَعْدٌ إِلَى عُمَرَ: إِنَّا وَرَدْنَا بَهْرَسِيرَ بَعْدَ الَّذِي لَقِينَا فِيمَا بَيْنَ الْقَادِسِيَّةِ وَبَهْرَسِيرَ، فَلَمْ يَأْتِنَا أَحَدٌ لِقَتَالٍ، فَبَثْتُ الْخِيُولَ، فَجَمَعْتُ الْفَلَاحِينَ مِنَ الْقُرَى وَالْأَجَامِ، فَرَأَيْكَ.

فَأَجَابَهُ: إِنَّ مَنْ أَتَاكُمْ مِنَ الْفَلَاحِينَ إِذَا كَانُوا مُقِيمِينَ لَمْ يَعِينُوا عَلَيْكُمْ فَهُوَ أَمَانُهُمْ، وَمَنْ هَرَبَ فَأَدْرَكْتُمُوهُ فَشَانُكُمْ بِهِ.

فَلَمَّا جَاءَ الْكِتَابُ خَلَّى عَنْهُمْ وَرَاسَلَهُ الدِّهَاقِينَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالرُّجُوعِ، أَوْ الْجَزَاءِ وَلَهُمُ الذِّمَّةُ وَالْمَنْعَةُ، فَتَرَجَعُوا عَلَى الْجَزَاءِ وَالْمَنْعَةِ وَلَمْ يَدْخُلْ فِي ذَلِكَ مَا كَانَ لَالَ كِسْرَى، وَمَنْ دَخَلَ مَعَهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ فِي غَزَايِ دِجْلَةَ إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ سَوَادِيٍّ إِلَّا آمَنَ وَاعْتَبَطَ بِمِلْكِ الْإِسْلَامِ وَاسْتَقْبَلُوا الْخُرَاجَ، وَأَقَامُوا عَلَى بَهْرَسِيرَ شَهْرَيْنِ يَرْمُونَهَا بِالْمَجَانِيْقِ وَيَدُوبُونَ إِلَيْهِمْ بِالْدَّبَابَاتِ، وَيَقَاتِلُونَهُمْ بِكُلِّ عُدَّةٍ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ الْحَارِثِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: نَزَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى بَهْرَسِيرَ، وَعَلَيْهَا خَنَادِقُهَا وَحَرَسَهَا وَعُدَّةُ الْحَرْبِ، فَرَمَوْهُمْ بِالْمَجَانِيْقِ وَالْعَرَادَاتِ، فَاسْتَصْنَعَ سَعْدُ شِيرَزَادُ الْمَجَانِيْقَ، فَنَصَبَ عَلَى أَهْلِ بَهْرَسِيرَ عِشْرِينَ مِنْجَنِيْقًا، فَشَغَلُوهُمْ بِهَا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ السَّرِيِّ، عَنِ ابْنِ الرُّفَيْلِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: فَلَمَّا نَزَلَ سَعْدٌ عَلَى بَهْرَسِيرَ، كَانَتْ الْعَرَبُ مُطِيفَةً بِهَا، وَالْعَجَمُ مُتَحَصِّنَةً فِيهَا، وَرَبَّمَا خَرَجَ الْأَعَاجِمُ يَمْشُونَ عَلَى الْمُسْنِيَّاتِ الْمُشْرِفَةِ عَلَى دِجْلَةَ فِي جَمَاعَتِهِمْ وَعَدَّتِهِمْ لِقَتَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا يَقُومُونَ لَهُمْ، فَكَانَ آخِرُ مَا خَرَجُوا فِي رَجَالَةٍ وَنَاشِبَةٍ، وَتَجَرَّدُوا لِلْحَرْبِ، وَتَبَاعَعُوا عَلَى الصَّبْرِ، فَقَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فَلَمْ يَثْبُتُوا لَهُمْ، فَكَذَّبُوا وَتَوَلَّوْا، وَكَانَتْ عَلَى زَهْرَةَ بْنِ الْجَوِيهِ دِرْعٌ مَفْصُومَةٌ، فَقِيلَ لَهُ: لَوْ أَمَرْتَ بِهَذَا الْقَصْمِ فَسُرِدَ! فَقَالَ: وَلَمْ؟ قَالُوا: نَخَافُ عَلَيْكَ مِنْهُ، قَالَ: إِنِّي لَكَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، أَنْ تَرَكَ سَهْمَ فَارِسَ الْجُنْدُ كُلُّهُ ثُمَّ أَتَانِي مِنْ هَذَا الْقَصْمِ، حَتَّى يَثْبُتَ فِيَّ! فَكَانَ أَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

أَصِيبَ يَوْمَئِذٍ بِنُشَابَةٍ، فَثَبَّتَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْقَصَمِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَنْزَعُوهَا عَنْهُ، فَقَالَ: دَعُونِي، فَإِنَّ نَفْسِي مَعِيَ مَا دَامَتْ فِيَّ، لَعَلِّي أَنْ أُصِيبَ مِنْهُمْ بَطْعَةً أَوْ ضَرْبَةً أَوْ خُطُوءَةً، فَضَى نَحْوَ الْعُدُوِّ، فَضْرَبَ بِسَيْفِهِ شَهْرَبْرَازَ مِنْ أَهْلِ إِصْطَخَرٍ، فَقَتَلَهُ، وَأُحِيطَ بِهِ فَقُتِلَ وَانْكَشَفُوا. كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ عَمْرَةَ ابْنَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَسْعَدَ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَرَّ وَجَلَ وَقَتْلَ رُسُومٍ وَأَصْحَابَهُ بِالْقَادِسِيَّةِ وَفُضَّتْ جُمُوعُهُمْ، اتَّبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى تَزَلُّوا الْمَدَائِنَ، وَقَدْ ارْفَضَتْ جُمُوعُ فَارِسَ، وَلَحِقُوا بِجِبَالِهِمْ، وَتَفَرَّقَتْ جَمَاعَتُهُمْ وَفَرَسَانُهُمْ، إِلَّا أَنَّ الْمَلِكَ مُقِيمٌ فِي مَدِينَتِهِمْ، مَعَهُ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ عَلَى أَمْرِهِ.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن سمالك بن فلان الهجيمي، عن أبيه ومحمد بن عبد الله، عن أنس بن الحليس، قال: بينا نحن محاصرو بهرسيير بعد زحفهم وهزيمتهم، أشرف علينا رسول فقال: إن الملك يقول لكم: هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة وجبلنا، ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم؟ أما شعبتم لا أشيع الله بطونكم! فبدر الناس أبو مفزر الأسود بن قطبة، وقد أنطقه الله بما لا يدري ما هو ولا نحن، فرجع الرجل ورأيانهم يقطعون إلى المدائن، فقلنا:

يا أبا مفزر، ما قلت له؟ فقال: لا والذي بعث محمدا بالحق ما أدري ما هو، إلا أن علي سكينه، وأنا أرجو أن أكون قد أنطقت بالذي هو خير، وانتاب الناس يسألونه حتى سمع بذلك سعد، فجاءنا فقال: يا أبا مفزر، ما قلت؟ فوالله إنهم لهرب، فحدثه بمثل حديثه إيانا، فنأدى في الناس، ثم نهد بهم، وإن مجانيقنا لتخطر عليهم، فما ظهر على المدينة أحد، ولا خرج إلينا إلا رجل نادى بالأمان فأمناه، فقال: إن بقي فيها أحد فما يمنعكم! فتسورها الرجال، وافتتحناها، فما وجدنا فيها شيئا ولا أحدا، إلا أسارى أسراهم خارجا منها، فسألناهم وذلك الرجل: لأي شيء هربوا؟

فقالوا: بعث الملك إليكم يعرض عليكم الصلح، فأجبتهموه بأنه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبدا حتى نأكل عسل أفريذين بأترج كوئي، فقال الملك:

واويله! ألا إن الملائكة تكلم على ألسنتهم، ترد علينا وتجيئنا عن العرب، والله لئن لم يكن كذلك، ما هذا إلا شيء ألقى علي في هذا الرجل لنتهي، فأرزوا إلى المدينة القصوى.

كتب إلى السري عن سيف، عن سعيد بن المرزبان، عن مسلم بمثل حديث سمالك

٤٠١٢ حديث المدائن القصوى التي كان فيها منزل كسرى

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد، قالوا: لَمَّا دَخَلَ سَعْدُ وَالْمُسْلِمُونَ بِهَرَسِيرٍ أَنْزَلَ سَعْدُ النَّاسَ فِيهَا، وَتَحَوَّلَ الْعَسْكَرُ إِلَيْهَا، وَحَاوَلَ الْعُبُورَ فَوَجَدُوهُمْ قَدْ ضَمُّوا السُّفْنَ فِيمَا بَيْنَ الْبَطَاحِ وَتَكْرِيَتٍ وَلَمَّا دَخَلَ الْمُسْلِمُونَ بِهَرَسِيرَ - وَذَلِكَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ - لَاحَ لَهُمُ الْآبِيضُ، فَقَالَ ضَرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ: اللَّهُ أَكْبَرُ! آيَبُضُ كَسْرَى، هَذَا مَا وَعَدَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَتَابَعُوا التَّكْبِيرَ حَتَّى أَصْبَحُوا فَقَالَ مُحَمَّدٌ وَطَلْحَةُ: وَذَلِكَ لَيْلَةٌ نَزَلُوا عَلَى بِهَرَسِيرٍ كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ صُهَبَانَ أَبِي مَالِكٍ، قَالَ: دَفَعْنَا إِلَى الْمَدَائِنِ - يَعْنِي بِهَرَسِيرَ - وَهِيَ الْمَدِينَةُ الدُّنْيَا، فَخَصَرْنَا مَلِكَهُمْ وَأَصْحَابَهُ، حَتَّى أَكَلُوا الْكِلَابَ وَالسَّنَانِيرَ.

قال: ثم لم يدخلوا حتى ناداهم مناد: والله ما فيها أحد، فدخلوها وما فيها أحد

. حديث المدائن القصوى التي كان فيها منزل كسرى

قال سيف: وذلك في صفر سنة ست عشرة، قالوا: ولما نزل سعد بهرسيير، وهي المدينة الدنيا، طلب السفن ليعبر بالناس إلى المدينة القصوى، فلم يقدر

على شيء، ووجدهم قد ضموا السفن، فأقاموا بهرسيير أياما من صفر يريدونه على العبور فيمنعه الإبقاء على المسلمين، حتى أتاه أعلاج

فدلوه على مخاضة تخاض إلى صلب الوادي، فأبى وتردد عن ذلك، وفجئهم المد، فرأى رؤيا، إن خيول المسلمين اقتحمتها فعبرت وقد أقبلت من المد بأمر عظيم، فعزم لتأويل رؤياه على العبور، وفي سنة جود صيفها متتابع فجمع سعد الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر، فلا تخلصون إليه معه، وهم يخلصون إليكم إذا شاءوا، فيناوشونكم في سفنهم، وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه، فقد كفاكمهم أهل الأيام، وعطلوا ثغورهم، وأفنوا ذادتهم، وقد رأيت من الرأي أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم فقالوا جميعا: عزم الله لنا ولك على الرشد، فافعل.

فندب سعد الناس إلى العبور، ويقول: من يبدأ ويحجى لنا الفراض حتى نتلاحق به الناس لكيلا يمنعهم من الخروج؟ فانتدب له عاصم بن عمرو ذو الباس، وانتدب بعده ستمائة من أهل النجدات، فاستعمل عليهم عاصما، فسار فيهم حتى وقف على شاطئ دجلة، وقال: من ينتدب معي لنمنع الفراض من عدوكم ولنحميكم حتى تعبروا؟ فانتدب له ستون، منهم أصم بن ولاد وشرحبيل، في أمثالهم، فجعلهم نصفين على خيول إناث وذكوره، ليكون أساسا لعموم الخيل ثم اقتحموا دجلة، واقتحم بقية الستمائة على أثرهم، فكان أول من فصل من الستين أصم التيم، والكليج، وأبو مفزر، وشرحبيل، وحجل العجلي، ومالك بن كعب الهمداني، وغلام من بني الحارث بن كعب، فلما رآهم الأعاجم وما صنعوا أعدوا للخيل التي تقدمت سعدا مثلها، فاقتحموا عليهم دجلة، فأعاموها إليهم، فلقوا عاصما في السرعان، وقد دنا من الفراض، فقال عاصم: الرماح الرماح! أشرعوها وتوخوا العيون، فالتقوا فاطعنوا، وتوخى المسلمون عيونهم، فولوا نحو الجدد، والمسلمون يشمسون بهم خيلهم، ما يملك رجالها منع

ذلك منها شيئا فلحقوا بهم في الجدد، فقتلوا عامتهم، ونجا من نجا منهم عورانا، وتزلزلت بهم خيولهم، حتى انتقضت عن الفراض، وتلاحق الستمائة بأوائلهم الستين غير متعتين ولما رأى سعد عاصما على الفراض قد منعها، أذن للناس في الاقتحام، وقال: قولوا نستعين بالله، ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم! وتلاحق عظم الجدد، فركبوا اللجة، وإن دجلة لترمي بالزبد، وإنها لمسودة، وإن الناس ليتحدثون في عومهم وقد اقتربوا ما يكثرثون، كما يتحدثون في مسيرهم على الأرض، ففجئوا أهل فارس بأمر لم يكن في حسابهم، فأجهضوهم وأعجلوهم عن جمهور أموالهم، ودخلها المسلمون في صفر سنة ست عشرة، واستولوا على ذلك كله مما بقي في بيوت كسرى من الثلاثة آلاف ألف ألف، ومما جمع شيري ومن بعده وفي ذلك يقول أبو بجيد نافع بن الأسود:

وأرسلنا على المدائن خيلا ... بحرها مثل برهن أريضا
فانتثنا خزائن المرء كسرى ... يوم ولوا وحاص منا جريضا

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَيْبَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا أَقَامَ سَعْدٌ عَلَى دِجْلَةَ أَتَاهُ عَلِيجٌ، فَقَالَ: مَا يُقِيمُكَ! لَا يَأْتِي عَلَيْكَ ثَلَاثَةٌ حَتَّى يَذْهَبَ يَزْدَجِرْدُ بِكُلِّ شَيْءٍ فِي الْمَدَائِنِ، فَذَلِكَ مِمَّا هَيَّجَهُ عَلَى الْقِيَامِ بِالْدُّعَاءِ إِلَى الْعُبُورِ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِي عُمَانَ النَّهْدِيِّ فِي قِيَامِ سَعْدٍ فِي النَّاسِ فِي دُعَائِهِمْ إِلَى الْعُبُورِ بِمِثْلِهِ، وَقَالَ: طَبَقْنَا دِجْلَةَ خَيْلًا وَرَجُلًا وَدَوَابَّ حَتَّى مَا يَرَى الْمَاءَ مِنَ الشَّاطِئِ أَحَدٌ، فَخَرَجَتْ

بَنَاتُ خَيْلِنَا إِلَيْهِمْ تَنْفُضُ أَعْرَافَهُنَّ، لَهَا صَهِيلٌ فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ ذَلِكَ انْطَلَقُوا لَا يَلُودُونَ عَلَى شَيْءٍ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ، وَفِيهِ قَوْمٌ قَدْ تَحَصَّنُوا، فَأَشْرَفَ بَعْضُهُمْ فَكَلَمْنَا، فَدَعَوْنَاهُمْ وَعَرَضْنَا عَلَيْهِمْ، فَقُلْنَا: ثَلَاثٌ تَخْتَارُونَ مِنْهُنَّ آيَتُهُنَّ شَتْمٌ، قَالُوا: مَا هُنَّ؟ قُلْنَا: الْإِسْلَامُ فَإِنْ أَسْلَمْتُمْ فَلَكُمْ مَا لَنَا وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْنَا، وَإِنْ أَيْتَمَ فَالْجُزْيَةُ، وَإِنْ أَيْتَمَ فَنَاجَزْتُكُمْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ فَأَجَابَنَا مُجِيبُهُمْ: لَا حَاجَةَ لَنَا فِي الْأَوَّلَى وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَلَكِنْ الْوَسْطَى.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَطِيَّةَ بِمِثْلِهِ قَالَ:
وَالسَّفِيرُ سَلْمَانُ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ السَّرِيِّ، عَنِ ابْنِ الرِّفِيلِ، قَالَ: لَمَّا هَزَمُوهُمْ فِي الْمَاءِ وَأَخْرَجُوهُمْ إِلَى الْفَرَاضِ، ثُمَّ كَشَفُوهُمْ عَنِ الْفَرَاضِ أَجْلُوهُمْ عَنِ الْأَمْوَالِ، إِلَّا مَا كَانُوا تَقَدَّمُوا فِيهِ - وَكَانَ فِي بَيْوتِ أَمْوَالِ كَسْرَى ثَلَاثَةَ آلَافِ أَلْفِ أَلْفٍ - فَبَعَثُوا

مع رستم بنصف ذلك، وأقروا نصفه في بيوت الأموال.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ بَدْرِ بْنِ عُمَانَ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَفْصِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ سَعْدٌ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ وَقِفٌ قَبْلَ أَنْ يَقْحَمَ الْجُمْهُورُ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى حِمَاةِ النَّاسِ وَهُمْ يَقَاتِلُونَ عَلَى الْفِرَاضِ:

وَاللَّهُ أَنْ لَوْ كَانَتْ الْخُرَسَاءُ - يَعْنِي الْكُتَيْبَةُ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو وَحَمَّالُ بْنُ مَالِكٍ وَالرَّيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَقَاتَلُوا قِتَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ هَذِهِ الْخَلِيلِ - لَكَانَتْ قَدْ أَجْزَأَتْ وَأَغْنَتْ، وَكُتَيْبَةُ عَاصِمٍ هِيَ كُتَيْبَةُ الْأَهْوَالِ، فَشَبَّهَ كُتَيْبَةَ الْأَهْوَالِ - لِمَا رَأَى مِنْهُمْ فِي الْمَاءِ وَالْفِرَاضِ بِكُتَيْبَةِ الْخُرَسَاءِ قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُمْ تَنَادَوْا بَعْدَ هُنَاتٍ قَدْ اعْتَوَرُوها عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ نَفْرَجُوا حَتَّى لَحِقُوا بِهِمْ، فَلَمَّا اسْتَوَوْا عَلَى الْفِرَاضِ هُمْ وَجَمِيعُ كُتَيْبَةِ الْأَهْوَالِ بِأَسْرِهِمْ، أَفْخَمَ سَعْدُ النَّاسَ - وَكَانَ الَّذِي يُسَافِرُ سَعْدًا فِي الْمَاءِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ - فَعَامَتْ بِهِمْ الْخَلِيلُ، وَسَعْدٌ يَقُولُ: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ! وَاللَّهُ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ وَلِيَّهُ، وَلَيُظْهِرَنَّ اللَّهُ دِينَهُ، وَلَيَهْزِمَنَّ اللَّهُ عَدُوَّهُ، إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْجَيْشِ بَغِيٌّ أَوْ ذُنُوبٌ تَغْلِبُ الْحَسَنَاتِ.

فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: الْإِسْلَامُ جَدِيدٌ، ذَلَّتْ لَهُمُ وَاللَّهُ الْبُحُورَ كَمَا ذَلَّ لَهُمُ الْبَرُّ، أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ لَيَخْرُجَنَّ مِنْهُ أَفْوَاجًا كَمَا دَخَلُوهُ أَفْوَاجًا فَطَبَقُوا الْمَاءَ حَتَّى مَا يَرَى الْمَاءُ مِنَ الشَّاطِئِ، وَلَهُمْ فِيهِ أَكْثَرُ حَدِيثًا مِنْهُمْ فِي الْبَرِّ لَوْ كَانُوا فِيهِ، نَفْرَجُوا مِنْهُ - كَمَا قَالَ سَلْمَانُ - لَمْ يَفْقِدُوا شَيْئًا، وَلَمْ يَغْرَقْ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي عَمْرِو دُثَارٍ، عَنْ أَبِي عُمَانَ النَّهْدِيِّ، أَنَّهُمْ سَلِمُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ إِلَّا رَجُلًا مِنْ بَارِقٍ يَدْعَى غَرْقَدَةَ، زَالَ عَنْ ظَهْرِ فَرَسٍ لَهُ شَقْرَاءُ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهَا تَنْفُضُ أَعْرَافَهَا عَرِيَا وَالْغَرِيقُ طَافَ، فَثَنَى الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو عَنَانِ فَرَسِهِ إِلَيْهِ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَجَرَهُ حَتَّى عَبَرَ، فَقَالَ الْبَارِقِيُّ - وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ: أَعْجَزَ الْأَخْوَاتِ أَنْ يَلْدَنَ مِثْلَكَ يَا قَعْقَاعُ! وَكَانَ لِلْقَعْقَاعِ فِيهِمْ خَوْلَةٌ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَالمُهَلَّبِ وَعَمْرٍو وَسَعِيدٍ، قَالُوا: فَمَا ذَهَبَ لَهُمْ فِي الْمَاءِ يَوْمَئِذٍ إِلَّا قَدَحٌ كَانَتْ عِلَاقَتُهُ رِثَةً، فَانْقَطَعَتْ، فَذَهَبَ بِهِ الْمَاءُ، فَقَالَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ يِعَاوِمُ صَاحِبَ الْقَدَحِ مَعِيرًا لَهُ: أَصَابَهُ الْقَدَرُ فَطَاحَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَعَلِي جَدِيدَةٌ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَسْلُبَنِي قَدَحِي مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْعَسْكَرِ فَلَمَّا عَبَرُوا إِذَا رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَحْمِي الْفِرَاضَ، قَدْ سَفَلَ حَتَّى طَلَعَ عَلَيْهِ أَوَائِلُ النَّاسِ، وَقَدْ ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ وَالْأَمْوَاجُ حَتَّى وَقَعَ إِلَى الشَّاطِئِ، فَتَنَاولَهُ بِرِمْحِهِ، فَجَاءَ بِهِ إِلَى الْعَسْكَرِ فَعَرَفَهُ، فَأَخَذَهُ صَاحِبُهُ، وَقَالَ لِلَّذِي كَانَ يِعَاوِمُهُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ! وَصَاحِبُهُ حَلِيفٌ لِقَرِيشٍ مِنْ عَنَزٍ، يَدْعَى مَالِكُ بْنُ عَامِرٍ، وَالَّذِي قَالَ: طَاحَ يَدْعَى عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ الْوَلِيدِ، عَنْ عُمَيْرِ الصَّائِدِيِّ، قَالَ: لَمَّا أَفْخَمَ سَعْدُ النَّاسَ فِي دِجْلَةٍ اقْتَرَنُوا، فَكَانَ

سَلْمَانُ قَرِينٌ سَعْدٍ إِلَى جَانِبِهِ يُسَافِرُهُ فِي الْمَاءِ، وَقَالَ سَعْدٌ: ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، وَالْمَاءُ يَطْمُو بِهِمْ، وَمَا يَزَالُ فَرَسٌ يَسْتَوِي قَائِمًا إِذَا أَعْيَا يَنْشُرُ لَهُ تَلْعَةً فَيَسْتَرِيحُ عَلَيْهَا، كَأَنَّهُ عَلَى الْأَرْضِ، فَلَمْ يَكُنْ بِالْمَدَائِنِ أَمْرٌ أَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْمَاءِ، وَكَانَ يَدْعَى يَوْمَ الْجَرَائِمِ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَالمُهَلَّبِ وَطَلْحَةَ وَعَمْرٍو وَسَعِيدٍ، قَالُوا: كَانَ يَوْمَ رُكُوبِ دِجْلَةٍ يَدْعَى يَوْمَ الْجَرَائِمِ، لَا يَبْعَا أَحَدٌ إِلَّا أَنْشَرَتْ لَهُ جَرِثُومَةٌ يَرِيحُ عَلَيْهَا كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: خَضْنَا دِجْلَةً وَهِيَ تَطْفَحُ، فَلَمَّا كُنَّا فِي أَكْثَرِهَا مَاءً لَمْ يَزَلْ فَارِسٌ وَقَفَ مَا يَبْلُغُ الْمَاءُ حَزَامَهُ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ صَهْبَانَ أَبِي مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا دَخَلَ سَعْدُ الْمَدِينَةَ الدُّنْيَا، وَقَطَعَ الْقَوْمُ الْجِسْرَ، وَصَمُّوا السُّفْنَ، قَالَ الْمُسْلِمُونَ: مَا تَنْتَظِرُونَ بِهَذِهِ النُّطْفَةِ! فَاقْتَحَمَ رَجُلٌ، نَفَخَ النَّاسُ فَمَا غَرِقَ مِنْهُمْ إِنْسَانٌ وَلَا ذَهَبَ لَهُمْ مَتَاعٌ، غَيْرَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ قَدَحًا لَهُ انْقَطَعَتْ عِلَاقَتُهُ، فَرَأَيْتُهُ يَطْفَحُ عَلَى الْمَاءِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَطَلْحَةَ، قَالُوا: وَمَا زَالَتْ حِمَاةُ أَهْلِ فَارَسٍ يِقَاتِلُونَ عَلَى الْفَرَاضِ حَتَّى أَتَاهُمْ آتٌ فَقَالَ: عَلَامُ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ! فَوَاللَّهِ مَا فِي الْمَدَائِنِ أَحَدٌ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَطَلْحَةَ وَعَمْرُو وَسَعِيدٍ، قَالُوا: لَمَّا رَأَى الْمُشْرِكُونَ الْمُسْلِمِينَ وَمَا يَهْمُونَ بِهِ بَعَثُوا مَنْ يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْعُبُورِ، وَتَحَمَّلُوا نَحْرَجُوا هُرَابًا، وَقَدْ أُخْرِجَ يَزْدَجَرْدُ - قَبْلَ ذَلِكَ وَبَعْدَ مَا فُتِحَتْ بَهْرَسِيرَ عِيَالَهُ إِلَى حُلْوَانَ، نَخْرَجَ يَزْدَجَرْدُ بَعْدَ حَتَّى يَنْزِلَ حُلْوَانَ، فَلَحِقَ بِعِيَالِهِ، وَخَلَفَ مِهْرَانَ الرَّازِي وَالنَّخِيرَجَانَ - وَكَانَ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ - بِالنَّهْرَوَانِ، وَنَحْرَجُوا مَعَهُمْ بِمَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ حَرِّ مَتَاعِهِمْ

وَوَخْفِيهِ، وَمَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، وَبِالنِّسَاءِ وَالذَّرَارِيِّ، وَتَرَكُوا فِي الْخَرَائِنِ مِنَ الثِّيَابِ وَالْمَتَاعِ وَالْآنِيَةِ وَالْفُضُولِ وَالْأَلْطَافِ وَالْأَذْهَانِ مَا لَا يُدْرَى مَا قِيمَتُهُ، وَخَلَفُوا مَا كَانُوا أَعْدَاؤًا لِلْحَصَارِ مِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْأَطْعِمَةِ وَالْأَشْرَبَةِ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ دَخَلَ الْمَدَائِنَ كِتَابَةَ الْأَهْوَالِ، ثُمَّ الْخُرَسَاءِ، فَأَخَذُوا فِي سَكِّهَا لَا يُلْقُونَ فِيهَا أَحَدًا وَلَا يَحْسُونَهُ إِلَّا مَنْ كَانَ فِي الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ، فَأَحَاطُوا بِهِمْ وَدَعَوْهُمْ، فَاسْتَجَابُوا لِسَعْدٍ عَلَى الْجَزَاءِ وَالذِّمَّةِ، وَتَرَاجَعَ إِلَيْهِمْ أَهْلُ الْمَدَائِنِ عَلَى مِثْلِ عَهْدِهِمْ، لَيْسَ فِي ذَلِكَ مَا كَانَ لَأَلِ كَسْرَى وَمَنْ خَرَجَ مَعَهُمْ، وَنَزَلَ سَعْدُ الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ، وَسَرَحَ زَهْرَةَ فِي الْمَقْدِمَاتِ فِي آثَارِ الْقَوْمِ إِلَى النَّهْرَوَانِ، نَخْرَجَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى النَّهْرَوَانِ، وَسَرَحَ مِقْدَارَ ذَلِكَ فِي طَلَبِهِمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ صُهَيْبَانَ أَبِي مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا عَبَرَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ الْمَدَائِنِ دَجَلَةَ، فَظَنُّوا إِلَيْهِمْ يَعْبرُونَ، جَعَلُوا يَقُولُونَ بِالْفَارَسِيَّةِ: دِيوَانُ آمَدٍ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: وَاللَّهِ مَا تَقَاتِلُونَ الْإِنْسَ وَمَا تَقَاتِلُونَ إِلَّا الْجَنَ فَنَهَزُمُوا. كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَطِيَّةِ بْنِ الْحَارِثِ وَعَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ، قَالَ: كَانَ رَأْسُ الْمُسْلِمِينَ سَلْمَانَ الْفَارَسِيَّ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ جَعَلُوهُ دَاعِيَةَ أَهْلِ فَارَسٍ قَالَ عَطِيَّةُ: وَقَدْ كَانُوا أَمْرُوهُ بِدَعَاءِ أَهْلِ بَهْرَسِيرَ، وَأَمْرُوهُ يَوْمَ الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ، فَدَعَاهُمْ ثَلَاثًا قَالَ عَطِيَّةُ وَعَطَاءُ: وَكَانَ دَعَاؤُهُ إِيَّاهُمْ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي مِنْكُمْ فِي الْأَصْلِ، وَأَنَا أَرْقُ لَكُمْ، وَلَكُمْ فِي ثَلَاثِ أَدْعَاؤِكُمْ إِلَيْهَا مَا يَصْلَحُكُمْ: أَنْ تَسْلَمُوا فَاخْوَانَنَا لَكُمْ مَا لَنَا وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْنَا، وَإِلَّا فَالْجَزِيَّةُ، وَإِلَّا نَابِذْنَاكُمْ عَلَى سَوَاءٍ، إِنْ اللَّهُ لَا يَحِبُّ الْخَائِنِينَ قَالَ عَطِيَّةُ: فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثِ فِي بَهْرَسِيرَ أَبَوْا أَنْ يَجِيبُوا إِلَى شَيْءٍ، فَتَقَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حِينَ أَبَوْا وَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثِ فِي الْمَدَائِنِ قَبْلَ أَهْلِ الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ وَخَرَجُوا، وَنَزَلَ سَعْدُ الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ وَاتَّخَذَ الْإِيوَانَ مَصْلً، وَإِنْ فِيهِ لَتَمَائِيلُ جِصٌّ فَمَا حَرَكُهَا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَطَلْحَةَ، وَشَارِكِهِمْ سَمَّاكَ الْهَجِيمِيَّ، قَالُوا: وَقَدْ كَانَ الْمَلِكُ سَرَبَ عِيَالَهُ حِينَ أَخَذَتْ بَهْرَسِيرَ إِلَى حُلْوَانَ، فَلَمَّا رَكِبَ الْمُسْلِمُونَ الْمَاءَ خَرَجُوا هُرَابًا، وَخَيْلَهُمْ عَلَى الشَّاطِئِ يَمْنَعُونَ الْمُسْلِمِينَ وَخَيْلَهُمْ مِنَ الْعُبُورِ، فَاقْتَتَلُوا هُمُ وَالْمُسْلِمُونَ قِتَالًا شَدِيدًا، حَتَّى نَادَاهُمْ مَنَادٌ: عَلَامُ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ! فَوَاللَّهِ مَا فِي الْمَدَائِنِ مِنْ أَحَدٍ فَانْهَزَمُوا وَاقْتَحَمَتْهَا الْخِيُولُ عَلَيْهِمْ، وَعَبَرَ سَعْدٌ فِي بَقِيَةِ الْجَيْشِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَطَلْحَةَ، قَالُوا: أَدْرَكَ أَوَائِلَ الْمُسْلِمِينَ أَخْرِيَاتُ أَهْلِ فَارَسٍ، فَأَدْرَكَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَدْعَى ثَقِيفًا أَحَدَ بَنِي عَدَى ابْنَ شَرِيفٍ، رَجُلًا مِنْ أَهْلِ فَارَسٍ، مُعْتَرِضًا عَلَى طَرِيقٍ مِنْ طَرَفِهَا يَحْمِي أَدْبَارَ أَصْحَابِهِ، فَضَرَبَ فَرَسَهُ عَلَى الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ، فَأَجْحَمَ وَلَمْ يَقْدَمْ، ثُمَّ ضَرَبَهُ لِلْهَرَبِ فَتَقَاعَسَ حَتَّى لَحِقَهُ الْمُسْلِمُ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ وَسَلَبَهُ كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَطِيَّةٍ وَعَمْرُو وَدَثَارَ أَبِي عَمْرٍ، قَالُوا: كَانَ فَارَسٌ مِنْ فَرَسَانِ الْعَجَمِ فِي الْمَدَائِنِ يَوْمَئِذٍ مِمَّا يَلِي جَازَرَ، فَقِيلَ لَهُ: قَدْ دَخَلَتِ الْعَرَبُ وَهَرَبَ أَهْلُ فَارَسٍ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِهِمْ، وَكَانَ وَائِثًا بِنَفْسِهِ، وَمَضَى حَتَّى دَخَلَ بَيْتَ أَعْلَاجَ لَهُ، وَهُمْ يَنْقُلُونَ ثِيَابًا لَهُمْ، قَالَ: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: أَخْرَجْتَنَا الزَّنَابِيرَ، وَغَلَبْتَنَا عَلَى بِيوتِنَا، فَدَعَا بِجَلَاهُ قُوتٍ وَبَطْنٍ، فَجَعَلَ يَرْمِيهِمْ حَتَّى أَلْزَقَهُنَّ بِالْحَيْطَانِ، فَأَفْنَاهُنَّ وَانْتَهَى إِلَيْهِ

الفرع، فقام وأمر علجا فأسرج له، فانقطع حزامه، فشده على عجل، وركب، ثم خرج فوقف ومر به رجل فطعنه، وهو يقول: خذها وأنا ابن المَخارق! فقتله ثم مضى ما يلتفت إليه.

كُتِبَ إِلَى السري، عن شعيب، عن سيف، عن سعيد بن المرزبان بمثله، وإذا هو ابن المَخارق بن شهاب. قالوا: وأدرك رجل من المسلمين رجلا منهم معه عصاة يتلاومون،

٤٠١٣ ذكر ما جمع من فيء اهل المدائن

ويقولون: من أي شيء فررنا! ثم قال قاتل منهم لرجل منهم: ارفع لي كرة، فرماها لا يخطئ، فلما رأى ذلك عاج وعاجوا معه وهو أمامهم، فانتفى إلى ذلك الرجل، فرماه من أقرب مما كان يرمي منه الكرة ما يصيبه، حتى وقف عليه الرجل، ففلق هامته، وقال: أنا ابن مشرط الحجارة. وتفار عن الفارسي أصحابه.

وقالوا جميعا، محمد والمهلب وطلحة وعمرو وأبو عمر وسعيد، قالوا: ولما دخل سعد المدائن، فرأى خلوتها، وانتفى إلى إيوان كسرى، أقبل يقرأ: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ» وصلى فيه صلاة الفتح - ولا تصلى جماعة - فصل ثمان ركعات لا يفصل بينهن، واتخذ مسجدا، وفيه تماثيل الجص رجال وخيل، ولم يمتنع ولا المسلمون لذلك، وتركوها على حالها قالوا: وأتم سعد الصلاة يوم دخلها، وذلك انه اراد المقام فيها وكانت أول جمعة بالعراق جمعت جماعة بالمدائن، في صفر سنة ست عشرة.

. ذكر ما جمع من فيء أهل المدائن

كُتِبَ إِلَى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد والمهلب وعقبة وعمرو وأبي عمر وسعيد، قالوا: نَزَلَ سَعْدُ إِيوَانَ كِسْرَى، وَقَدِمَ زَهْرَةَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَبْلُغَ النَّهْرَوَانَ فَبَعَثَ فِي كُلِّ وَجْهِ مِقْدَارَ ذَلِكَ لِنَفْيِ الْمُشْرِكِينَ وَجَمْعِ الْفِيْءِ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى الْقَصْرِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ، وَوَكَّلَ بِالْأَقْبَاضِ عمرو بن عمرو ابن مُقَرِّنٍ، وَأَمَرَهُ بِجَمْعِ مَا فِي الْقَصْرِ وَالْإِيوَانَ وَالْدُورِ وَإِحْصَاءِ مَا يَأْتِيهِ بِهِ الطَّلَبُ، وَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْمَدَائِنِ تَنَاهَبُوا عِنْدَ الْهَزِيمَةِ غَارَةً، ثُمَّ طَارُوا فِي كُلِّ وَجْهِ، فَمَا أَفَلَّتْ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ فِي عَسْكَرِ مَهْرَانَ بِالنَّهْرَوَانَ وَلَا يَخِيطُ وَأَلَحَّ عَلَيْهِمُ الطَّلَبُ فَتَنَقَّذُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَرَجَعُوا بِمَا أَصَابُوا مِنَ الْأَقْبَاضِ، فَضَمُّوهُ إِلَى مَا قَدْ جُمِعَ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ جُمِعَ يَوْمَئِذٍ مَا فِي الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ وَمَنَازِلِ كِسْرَى وَسَائِرِ دُورِ الْمَدَائِنِ.

كُتِبَ إِلَى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الأعمش، عن حبيب بن صهبان، قال: دخلنا المدائن، فأتيننا على قباب تركية مملوءة سلالا مختمة بالرصاص، فما حسبناها إلا طعاما، فإذا هي آنية الذهب والفضة فقسمت بعد بين الناس وقال حبيب: وقد رأيت الرجل يطوف ويقول: من معه بيضاء بصفراء؟ وأتيننا على كافور كثير، فما حسبناه إلا ملحا، فجعلنا نعجن به حتى وجدنا مرارته في الخبز. كُتِبَ إِلَى السري، عن شعيب، عن سيف، عن النضر بن السري، عن ابن الرقيل، عن أبيه الرقيل بن ميسور، قال: خرج زهرة في المقدمة يتبعهم حتى انتهى إلى جسر النهروان، وهم عليه، فازدحموا، فوقع بغل في الماء فجعلا وكلبوا عليه، فقال زهرة: إني أقسم بالله إن لهذا البغل لشأنا! ما كلب القوم عليه ولا صبروا للسيوف بهذا الموقف الضنك إلا لشيء بعد ما أرادوا تركه، وإذا الذي عليه حلية كسرى، ثيابه وخرزاته ووشاحه ودرعه التي كان فيها الجوهر، وكان يجلس فيها للباهة، وترجل زهرة يومئذ حتى إذا أراحهم أمر أصحابه بالبغل فاحتملوه، فأخرجوه فجاءوا بما عليه، حتى رده إلى الاقباض، ما يدرون ما عليه، وارتجز يومئذ زهرة:

فدى لقومي اليوم أخوالي وأعمامي هم كرهوا بالنهر خذلاني وإسلامي هم فلجوا بالبغل في الخضم بكل قطاع شئون الهام وصرعوا الفرس على الآكام كأنهم نعم من الأنعام كُتِبَ إِلَى السري، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ هُبَيْرَةَ بْنِ الْأَشْعَثِ، عَنْ جَدِّهِ الْكَلْبِجِ، قَالَ:

كنت فيمن خرج في الطلب، فإذا أنا ببغالين قد ردا الخيل عنهما بالنشاب، فما بقي معهما غير نشابتين، فألظت بهما، فاجتمعا، فقال أحدهما لصاحبه: ارمه وأحميك، أو أرميه وتحميني!

فحَمَى كل واحد منهما صاحبه حتى رميا بها ثم إني حملت عليهما فقتلتهم وجئت بالبغلين ما أدري ما عليهما، حتى أبلغتهما صاحب الأقباض، وإذا هويكتب ما يأتيه به الرجال وما كان في الخزائن والدور، فقال:

على رسلك حتى ننظر ما معك! فخطت عنهما، فإذا سفطان على أحد البغلين فيهما تاج كسرى مفسخا- وكان لا يحمله إلا أسطوانتان- وفيهما الجواهر، وإذا على الآخر سفطان فيهما ثياب كسرى التي كان يلبس من الديباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجواهر وغير الديباج منسوجا منظوما.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطْلُحَةَ وَالْمُهَلَّبِ، قَالُوا: وَخَرَجَ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو يَوْمَئِذٍ فِي الطَّلَبِ، فَلَحِقَ بِفَارِسِيِّ يَحْمِي النَّاسَ، فَاقْتَتَلَا فَقَتَلَهُ، وَإِذَا مَعَ الْمَقْتُولِ جَنِيَّةٌ عَلَيْهَا عَيِّتَانِ وَغُلَافَانِ فِي أَحَدِهِمَا خَمْسَةُ أَسْيَافٍ وَفِي الْآخَرِ سِتَّةُ أَسْيَافٍ، وَإِذَا فِي الْعَيِّتَيْنِ أَدْرَاعٌ، فَإِذَا فِي الْأَدْرَاعِ دَرَعٌ كَسْرَى وَمَغْفَرُهُ وَسَاقَاهُ وَسَاعِدَاهُ، وَدَرَعٌ هِرْقَلٌ، وَدَرَعٌ خَاقَانٌ وَدَرَعٌ دَاهِرٌ وَدَرَعٌ بَهْرَامُ شَوْبِينَ وَدَرَعٌ سَيَاوِخَشٌ وَدَرَعٌ النُّعْمَانُ، وَكَانُوا اسْتَلَبُوا مَا لَمْ يَرْتَوْا، اسْتَلَبُوهَا أَيَّامَ غَزَاتِهِمْ خَاقَانٌ وَهِرْقَلٌ وَدَاهِرٌ، وَأَمَّا النُّعْمَانُ وَبَهْرَامُ فَخِينٌ هَرَبَا وَخَالَفَا كَسْرَى، وَأَمَّا أَحَدُ الْغُلَافَيْنِ فَفِيهِ سَيْفٌ كَسْرَى وَهَرَمَزٌ وَقَبَازٌ وَفِيروز، وَإِذَا السُّيُوفُ الْآخَرُ، سَيْفٌ هِرْقَلٌ وَخَاقَانٌ وَدَاهِرٌ وَبَهْرَامُ وَسَيَاوِخَشٌ وَالنُّعْمَانُ بَجَاءَ بِهِ إِلَى سَعْدٍ، فَقَالَ: اخْتَرِ أَحَدَ هَذِهِ الْأَسْيَافِ، فَاخْتَارَ سَيْفَ هِرْقَلٍ، وَأَعْطَاهُ دَرَعَ بَهْرَامٍ، وَأَمَّا سَائِرُهَا فَنَفَلَهَا فِي الْخُرَسَاءِ إِلَّا سَيْفَ كَسْرَى وَالنُّعْمَانُ- لِيَبْعَثُوا بِهِمَا إِلَى عَمْرِو لَتَسْمَعَ بِذَلِكَ الْعَرَبُ لِمَعْرِفَتِهِمَا بِهِمَا، وَحَبَسُوهُمَا فِي الْأَنْحَاسِ- وَحَلِيَ كَسْرَى وَتَاجَهُ وَثِيَابَهُ، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ إِلَى عَمْرِو لِيَرَاهُ الْمُسْلِمُونَ، وَلَتَسْمَعَ بِذَلِكَ الْعَرَبُ، وَعَلَى هَذَا الْوَجْهَ سَلَبَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ عَمْرٍو بْنَ مَعْدٍ يَكْرِبُ سَيْفَهُ الصَّمْصَامَةَ فِي الرِّدَّةِ وَالْقَوْمِ يَسْتَحْيُونَ مِنْ ذَلِكَ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عُبَيْدَةَ بْنِ مَعْتَبٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ طَرِيفٍ، عَنْ عَصْمَةَ بْنِ الْحَارِثِ الضُّبِيِّ، قَالَ: خَرَجْتُ فِيمَنْ خَرَجَ يَطْلُبُ، فَأَخَذْتُ طَرِيقًا مَسْلُوكًا وَإِذَا عَلَيْهِ حِمَارٌ،

فَلَمَّا رَأَيْتُ حَتَّهُ فَلَحِقْتُ بِآخِرِ قَدَامِهِ، فَالَا، وَحِثَا حِمَارِيهِمَا، فَانْتَبَهَا إِلَى جَدُولٍ قَدْ كَسَرَ جَسْرَهُ، فَثَبَتَا حَتَّى أَتَيْتَهُمَا، ثُمَّ تَفَرَّقَا، وَرَمَانِي أَحَدُهُمَا فَأَلْظَمْتُ بِهِ فَقَتَلْتُهُ وَأَقْلَتُ الْآخَرَ، وَرَجَعْتُ إِلَى الْحِمَارَيْنِ، فَأَتَيْتُ بِهِمَا صَاحِبَ الْأَقْبَاضِ، فَنَظَرَ فِيمَا عَلَى أَحَدِهِمَا، فَإِذَا سَفْطَانٌ فِي أَحَدِهِمَا فَرَسٌ مِنْ ذَهَبٍ مَسْرُجٌ بِسَرَجٍ مِنْ فِضَّةٍ، عَلَى ثَفَرِهِ وَلَبِيهِ الْيَاقُوتُ، وَالزَّمْرَدُ مَنْظُومٌ عَلَى الْفِضَّةِ، وَلِجَامٌ كَذَلِكَ، وَفَارَسٌ مِنْ فِضَّةٍ مَكْلَلٌ بِالْجَوْهَرِ، وَإِذَا فِي الْآخِرِ نَاقَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، عَلَيْهَا شَلِيلٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَبَطَانٌ مِنْ ذَهَبٍ وَلَهَا شَنَاقٌ- أَوْ زَمَامٌ- مِنْ ذَهَبٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَنْظُومٌ بِالْيَاقُوتِ، وَإِذَا عَلَيْهِمَا رَجُلٌ مِنْ ذَهَبٍ مَكْلَلٌ بِالْجَوْهَرِ، كَانَ كَسْرَى يَضَعُهُمَا إِلَى أَسْطَوَانَتِي التَّاجِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ هُبَيْرَةَ بْنِ الْأَشْعَثِ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْعَنْبَرِيِّ، قَالَ: لَمَّا هَبَطَ الْمُسْلِمُونَ الْمَدَائِنَ، وَجَمَعُوا الْأَقْبَاضَ، أَقْبَلَ رَجُلٌ بِحَقِّ مَعَهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى صَاحِبِ الْأَقْبَاضِ، فَقَالَ وَالَّذِينَ مَعَهُ:

مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَذَا قَطُّ، مَا يَعِدُ لَهُ مَا عِنْدَنَا وَلَا يَقَارِبُهُ، فَقَالُوا: هَلْ أَخَذْتَ مِنْهُ شَيْئًا؟ فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا أَتَيْتُكُمْ بِهِ، فَعَرَفُوا أَنَّ لِلرَّجُلِ شَأْنًا، فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أَخْبِرُكُمْ لِتَحْمَدُونِي، وَلَا غَيْرُكُمْ لِيَقْرَظُونِي، وَلَكِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ وَأَرْضِي بِثَوَابِهِ فَأَتَّبِعُوهُ رَجُلًا حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَصْحَابِهِ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَإِذَا هُوَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطْلُحَةَ وَالْمُهَلَّبِ وَعَمْرٍو وَسَعِيدٍ، قَالُوا: قَالَ سَعْدٌ: وَاللَّهِ إِنَّ الْجَيْشَ لَذُو أَمَانَةٍ، وَلَوْلَا مَا سَبَقَ لِأَهْلِ بَدْرٍ لَقُلْتُ: وَائِمُّ اللَّهِ- عَلَى فَضْلِ أَهْلِ بَدْرٍ- لَقَدْ تَبَعْتُ مِنْ أَقْوَامٍ مِنْهُمْ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ فِيمَا أَحْرَزُوا، مَا أَحْسَبُهَا وَلَا أَسْمَعُهَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مَبْشَرِ بْنِ الْفَضِيلِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، مَا أَطَّلَعْنَا عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقَادِسِيَّةِ، أَنَّهُ يُرِيدُ الدُّنْيَا مَعَ الْآخِرَةِ، وَلَقَدْ أَتَيْنَا ثَلَاثَةَ نَفَرٍ، فَمَا

٤٠١٤ ذكر صفه قسم الفيء الذي اصيب بالمدائن بين اهله وكانوا - فيما زعم سيف - ستين ألفا

رَأَيْنَا كَالَّذِي هَجَمْنَا عَلَيْهِ مِنْ أَمَانَتِهِمْ وَزُهُدِهِمْ: طليحة بن خويلد، وعمرو بن معد يكرب، وقيس بن المكشوح.
كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مَخْلَدِ بْنِ قَيْسِ الْعَجَلِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا قُدِمَ بِسَيْفِ كِسْرَى عَلَى عُمَرَ وَمِنْطَقَتِهِ وَزُبْرَجِهِ، قَالَ: إِنَّ أَقْوَامًا أَدَّوْا هَذَا لَذُووْ أَمَانَةٍ! [فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنَّكَ عَفَفْتَ فَعَفَّتِ الرَّعِيَّةُ].
كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرِو وَالمُجَالِدِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ حِينَ نَظَرَ إِلَى سِلَاحِ كِسْرَى: إِنَّ أَقْوَامًا أَدَّوْا هَذَا لَذُووْ أَمَانَةٍ

. ذكر صفة قسم الفيء الذي أصيب بالمدائن بين أهله وكانوا- فيما زعم سيف- ستين ألفا

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَعَمْرُو وَسَعِيدٍ وَالمُهَلَّبِ، قَالُوا: وَلَمَّا بَعَثَ سَعْدٌ بَعْدَ نَزُولِهِ الْمَدَائِنَ فِي طَلَبِ الْأَعَاجِمِ، بَلَغَ الطَّلَبُ النَّهْرَوَانَ، ثُمَّ تَرَجَعُوا، وَمَضَى الْمُشْرِكُونَ نَحْوَ حُلَوَانَ، فَتَقَسَّمَ سَعْدُ الْفِيءَ بَيْنَ النَّاسِ بَعْدَ مَا نَحَسَّهُ، فَأَصَابَ الْفَارِسَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، وَكُلُّهُمْ كَانَ فَارِسًا لَيْسَ فِيهِمْ رَاجِلٌ، وَكَانَتِ الْجَنَائِبُ فِي الْمَدَائِنِ كَثِيرَةً.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْمُجَالِدِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ بِمِثْلِهِ، وَقَالُوا جَمِيعًا: وَنَفَلَ مِنَ الْأَنْحَاسِ وَلَمْ يَجْهَدْهَا فِي أَهْلِ الْبَلَاءِ. وَقَالُوا جَمِيعًا: قَسَمَ سَعْدٌ دُورَ الْمَدَائِنِ بَيْنَ النَّاسِ، وَأَوْطَنُوهَا، وَالَّذِي وَلِيَ الْقَبْضَ عَمْرُو بْنُ عَمْرِو الْمُزْنِيِّ، وَالَّذِي وَلِيَ الْقَسَمَ سَلْمَانُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَكَانَ فَتَحَ الْمَدَائِنَ فِي صَفَرٍ سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ قَالُوا: وَلَمَّا دَخَلَ سَعْدُ الْمَدَائِنَ أَتَمَّ الصَّلَاةَ وَصَامَ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِإِيْوَانِ كِسْرَى فَجَعَلَ مَسْجِدًا لِلْأَعْيَادِ، وَنَصَبَ فِيهِ مِنْبَرًا، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ - وَفِيهِ التَّمَاثِيلُ - وَيَجْمَعُ فِيهِ، فَلَمَّا كَانَ الْفَطْرُ

قِيلَ: اَبْرُزُوا، فَإِنَّ السَّنَةَ فِي الْعِيدِ الْبَرَّازُ فَقَالَ سَعْدٌ: صَلُّوا فِيهِ، قَالَ: فَصَلَّى فِيهِ، وَقَالَ: سَوَاءٌ فِي عَقْرِ الْقَرْيَةِ أَوْ فِي بَطْنِهَا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ: عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرِو، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَ سَعْدُ الْمَدَائِنَ، وَقَسَمَ الْمَنَازِلَ، بَعَثَ إِلَى الْعِيَالِ، فَانْزَلَهُمُ الدُّورَ وَفِيهَا الْمَرَافِقُ، فَأَقَامُوا بِالْمَدَائِنِ حَتَّى فَرَّغُوا مِنْ جُلُودٍ وَتَكْرِيتٍ وَالمَوْصِلِ، ثُمَّ تَحَوَّلُوا إِلَى الْكُوفَةِ كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادٍ وَالمُهَلَّبِ، وَشَارَكَهُمْ عَمْرُو وَسَعِيدٌ: وَجَمَعَ سَعْدُ الْأَنْحَاسَ، وَأَدْخَلَ فِيهِ كُلَّ شَيْءٍ أَرَادَ أَنْ يَعْجِبَ مِنْهُ عُمَرُ، مِنْ ثِيَابِ كِسْرَى وَحُلِيِّهِ وَسَيْفِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَمَا كَانَ يَعْجِبُ الْعَرَبُ أَنْ يَقَعَ إِلَيْهِمْ، وَنَفَلَ مِنَ الْأَنْحَاسِ، وَفَضَلَ بَعْدَ الْقَسَمِ بَيْنَ النَّاسِ وَإِخْرَاجِ الْأَنْحَاسِ الْقُطْفَ، فَلَمْ تَعْتَدِلْ قِسْمَتُهُ، فَقَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: هَلْ لَكُمْ فِي أَنْ تَطِيبَ أَنْفُسَنَا عَنْ أَرْبَعَةِ أَنْحَاسِهِ، فَنَبْعَثُ بِهِ إِلَى عُمَرَ فَيَضَعَهُ حَيْثُ يَرَى، فَإِنَّا لَا نَرَاهُ يَتَّفِقُ قِسْمَتُهُ، وَهُوَ بَيْنَنَا قَلِيلٌ، وَهُوَ يَقَعُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَوْقِعًا! فَقَالُوا: نَعَمْ هَا اللَّهُ إِذَا، فَبَعَثَ بِهِ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ، وَكَانَ الْقُطْفُ سِتِّينَ ذِرَاعًا فِي سِتِّينَ ذِرَاعًا، بِسَاطًا وَاحِدًا مِقْدَارُ جَرِيْبٍ، فِيهِ طُرُقٌ كَالصُّوَرِ وَفُصُوصٌ كَالْأَنْهَارِ، وَخِلَالِ ذَلِكَ كَالدَّرِيِّ، وَفِي حَافَاتِهِ كَالْأَرْضِ الْمَرْوَعَةِ وَالأَرْضِ الْمَبْقَلَةِ بِالنَّبَاتِ فِي الرَّبِيعِ مِنَ الْحَرِيرِ عَلَى قُضْبَانِ الذَّهَبِ وَنَوَارِهِ بِالذَّهَبِ وَالْفَنَظَةِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى عُمَرَ نَفَلَ مِنَ الْأَنْحَاسِ يُنْفَلُ مِنْهَا مَنْ شَهِدَ وَمَنْ غَابَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَاءِ فِيمَا بَيْنَ الْأَنْحَاسِينَ، وَلَا أَرَى الْقَوْمَ جَاهِدُوا الْأَنْحَاسَ بِالنَّفْلِ، ثُمَّ قَسَمَ الْأَنْحَاسَ فِي مَوَاضِعِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي هَذَا الْقُطْفِ! فَأَجْمَعَ مَلُؤُهُمْ عَلَى أَنْ قَالُوا: قَدْ جَعَلُوا ذَلِكَ لَكَ، فَرَأَيْكَ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَلِيٍّ فَإِنَّهُ [قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، الْأَمْرُ كَمَا قَالُوا، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا التَّرْوِيَةُ،

إِنَّكَ إِنْ تَقَبَّلَهُ عَلَى هَذَا الْيَوْمِ لَمْ تَعْدِمَ فِي غَدٍ مَنْ يَسْتَحِقُّ بِهِ مَا لَيْسَ لَهُ] ،

قَالَ: صَدَقْتَنِي وَنَصَحْتَنِي فَقَطَعَهُ بَيْنَهُمْ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: أَصَابَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ الْمَدَائِنِ بِهَارٍ كَسَرَى، ثَقُلَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَذْهَبُوا بِهِ، وَكَانُوا يَعُدُّونَهُ لِلشَّيْءِ إِذَا ذَهَبَتِ الرِّيَّاحِينَ، فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا الشَّرْبَ شَرَبُوا عَلَيْهِ، فَكَانَهُمْ فِي رِيَاضٍ بَسَاطٍ سِتِينَ فِي سِتِينَ، أَرْضُهُ بَذْهَبٍ، وَوَشْيُهُ بِفُصُوصٍ، وَثَمَرُهُ بِجَوْهَرٍ، وَوَرَقُهُ بِمَجَرِيرٍ وَمَاءُ الذَّهَبِ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّيهِ الْقُطْفَ، فَلَهَا قَسَمَ سَعْدُ فِيهِمْ فَضْلَ عَنْهُمْ، وَلَمْ يَتَّفِقْ قِسْمَتُهُ، فَجَمَعَ سَعْدُ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ مَلَأَ أَيْدِيَكُمْ، وَقَدْ عَسَرَ قَسْمُ هَذَا الْبَسَاطِ، وَلَا يَقْوَى عَلَى شِرَائِهِ أَحَدٌ، فَأَرَى أَنْ تَطِيبُوا بِهِ نَفْسًا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَضَعُهُ حَيْثُ شَاءَ، فَفَعَلُوا فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى عُمَرَ الْمَدِينَةَ رَأَى رُؤْيَا فَجَمَعَ النَّاسَ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَاسْتَشَارَهُمْ فِي الْبَسَاطِ، وَأَخْبَرَهُمْ خَبْرَهُ، فَمِنْ بَيْنِ مُشِيرٍ بِقَبْضِهِ، وَآخَرٍ مُفَوِّضٍ إِلَيْهِ، وَآخَرُ مَرَقٍّ، [فَقَامَ عَلَيَّ حِينَ رَأَى عُمَرَ يَأْبَى حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ، فَقَالَ: لَمْ تَجْعَلْ عَلَيْكَ جَهْلًا، وَيَقِينُكَ شُكًا! إِنَّهُ لَيْسَ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا أُعْطِيتَ فَاْمُضِيتَ، أَوْ لَبِستَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ] قَالَ: صَدَقْتَنِي فَقَطَعَهُ فَقَسَمَهُ بَيْنَ النَّاسِ، فَأَصَابَ عَلِيًّا قِطْعَةً مِنْهُ، فَبَاعَهَا بِعِشْرِينَ أَلْفًا، وَمَا هِيَ بِأَجُودَ تِلْكَ الْقِطْعِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطْلَحَةَ وَالْمُهَلَّبِ وَعُمَيْرٍ وَسَعِيدٍ، قَالُوا: وَكَانَ الَّذِي ذَهَبَ بِالْأَخْمَاسِ، أَخْمَاسُ الْمَدَائِنِ، بِشِيرِ بْنِ الْخَصَّاصِيَّةِ، وَالَّذِي ذَهَبَ بِالْفَتْحِ خُنَيْسُ بْنُ فُلَانٍ الْأَسَدِيِّ، وَالَّذِي وَلِيَ الْقَبْضَ عُمَرُ وَالْقَسَمَ سَلْمَانُ قَالُوا: وَلَمَّا قَسَمَ الْبَسَاطُ بَيْنَ النَّاسِ أَكْثَرَ النَّاسِ فِي فَضْلِ أَهْلِ الْقَادِسِيَّةِ، فَقَالَ عُمَرُ: أُولَئِكَ أَعْيَانُ الْعَرَبِ وَغُرَرُهَا، اجْتَمَعَ لَهُمْ مَعَ الْأَخْطَارِ الدِّينُ، هُمْ أَهْلُ الْأَيَّامِ وَأَهْلُ الْقَوَادِسِ.

قَالُوا: وَلَمَّا اتَى بِحُلَى كَسَرَى فِي الْمَشَاهِدَةِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ - وَكَانَتْ لَهُ عِدَّةُ أَرْيَاءٍ لِكُلِّ حَالَةٍ زِيٍّ - قَالَ: عَلَيَّ بِمَحْلَمٍ - وَكَانَ أَجْسَمَ عَرَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ بِأَرْضِ الْمَدِينَةِ فَأُلْبَسَ تَاجَ كَسَرَى عَلَى عُمُودَيْنِ مِنْ خَشَبٍ، وَصَبَّ عَلَيْهِ أَوْشَحْتُهُ وَقَلَانِدُهُ وَثِيَابُهُ، وَأُجْلِسَ لِلنَّاسِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ النَّاسُ، فَرَأَوْا أَمْرًا عَظِيمًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَفَتَنَتَهَا، ثُمَّ قَامَ عَنْ ذَلِكَ، فَأُلْبَسَ زِيَّهُ الَّذِي بَلِيَهُ، فَنَظَرُوا إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ فِي غَيْرِ نَوْعٍ، حَتَّى أَتَى عَلَيْهِمَا كُلُّهُمَا، ثُمَّ الْبَسَهُ سِلَاحَهُ، وَقَلَدَهُ سَيْفَهُ، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ وَضَعَهُ ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ إِنْ أَقْوَامًا آدَوْا هَذَا لَذَوُوا أَمَانَةً وَنَفَلَ سَيْفُ كَسَرَى مَحْلَمًا، وَقَالَ:

أَحَقُّ بِأَمْرِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ غَرَّتُهُ الدُّنْيَا! هَلْ يَبْلَغَنَّ مَغْرُورٌ مِنْهَا إِلَّا دُونَ هَذَا أَوْ مِثْلَهُ! وَمَا خَيْرُ أَمْرٍ مُسْلِمٍ سَبَقَهُ كَسَرَى فِيمَا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ! إِنَّ كَسَرَى لَمْ يَزِدْ عَلَى أَنْ تَشَاغَلَ بِمَا أُوتِيَ عَنْ آخِرَتِهِ، فَجَمَعَ لَزُوجِ امْرَأَتِهِ أَوْ زَوْجِ ابْنَتِهِ، أَوْ امْرَأَةَ ابْنِهِ، وَلَمْ يَقْدَمْ لِنَفْسِهِ، فَقَدِمَ أَمْرًا لِنَفْسِهِ وَوَضَعَ الْفُضُولَ مَوَاضِعَهَا تَحْصُلُ لَهُ، وَإِلَّا حَصِلَتْ لِلثَّلَاثَةِ بَعْدَهُ، وَأَحَقُّ بَيْنَ جَمْعٍ لَهُمْ أَوْ لِعَدُوٍّ جَارِفٍ! كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كُرَيْبٍ، عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ مُقَدِّمَ الْأَخْمَاسِ عَلَيْهِ حِينَ نَظَرَ إِلَى سِلَاحِ كَسَرَى وَثِيَابِهِ وَحُلِيِّهِ، مَعَ ذَلِكَ سَيْفِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُذَنِّرِ، فَقَالَ لَجُبَيْرٍ:

إِنْ أَقْوَامًا آدَوْا هَذَا لَذَوُوا أَمَانَةً! إِلَى مَنْ كُنْتُمْ تَنْسُبُونَ النُّعْمَانَ؟ فَقَالَ جُبَيْرٌ: كَانَتِ الْعَرَبُ تَنْسُبُهُ إِلَى الْأَشْلَاءِ، أَشْلَاءَ قَنْصٍ، وَكَانَ أَحَدُ بَنِي عَجْمٍ بَنِي قَنْصٍ، فَقَالَ: خَذْ سَيْفَهُ فَنَفِلْهُ إِيَّاهُ، فَجَهَلَ النَّاسُ عَجْمًا، وَقَالُوا لَحْمٌ وَقَالُوا جَمِيعًا: وَوَلَّى عُمَرُ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ صَلَاةَ مَا غَلَبَ عَلَيْهِ وَحَرِيَهُ، فَوَلَّى ذَلِكَ، وَوَلَّى الْخُرَاجَ النُّعْمَانَ وَسُوَيْدًا ابْنِي عُمَرَ بْنِ مُقَرِّنٍ، سُوَيْدًا عَلَى مَا سَقَى الْفُرَاتُ، وَالنُّعْمَانُ عَلَى مَا سَقَتْ دِجْلَةُ، وَعَقَدُوا الْجُسُورَ، ثُمَّ وَلَّى عَمَلَهُمَا، وَاسْتَعْفَا حُذَيْفَةَ بْنَ أَسِيدٍ وَجَابِرَ بْنَ عَمْرِو الْمُزَنِيِّ، ثُمَّ وَلَّى عَمَلَهُمَا بَعْدَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ وَعُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ.

قَالَ: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ - اعْنَى سَنَةَ سِتِّ عَشْرَةَ - كَانَتْ وَقْعَةُ جُلُولَاءَ، كَذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ وَكَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ يَذْكُرُ أَنَّ شُعَيْبًا حَدَّثَهُ عَنْ سَيْفٍ بِذَلِكَ .
ذكر الخبر عن وقعة جلولا الوقية

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: لما أقمنا بالمدائن حين هبطناها واقتسمنا ما فيها، وبعثنا إلى عمر بالأحماس، وأوطناها، أتانا الخبر بأن مهران قد عسكر بجلولا، وخندق عليه، وأن أهل الموصل قد عسكروا بتكريت.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الوليد بن عبد الله ابن أبي طيبة البجلي، عن أبيه بمثله، وزاد فيه: فكتب سعد بذلك إلى عمر، فكتب إلى سعد: أن سرح هاشم بن عتبة إلى جلولا في اثني عشر ألفا، واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو، وعلى ميمنته سحر بن مالك، وعلى ميسرته عمرو بن مالك بن عتبة، واجعل على ساقته عمرو بن مرة الجهني.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وزبياد، قالوا: وكتب عمر إلى سعد: إن هزم الله الجندين: جند مهران وجند الأنطاق، فقدم القعقاع حتى يكون بين السواد وبين الجبل على حد سواد كرم، وشاركهم عمرو وسعيد قالوا: وكان من حديث أهل جلولا، أن الأعاجم لما انتهوا بعد الحرب من المدائن إلى جلولا، وافترقت الطرق بأهل أذربيجان والباب وبأهل الجبال وفارس، تذا مروا وقالوا: إن افترقتم لم تجتمعوا أبداً، وهذا مكان يفرق بيننا، فلهوا فلنجمع للعرب به ولنقاتلهم، فإن كانت لنا فهو الذي نريد، وإن كانت الأخرى كما قد قضينا الذي علينا، وأبلىنا عذراً فاحتفروا الخندق، واجتمعوا فيه على مهران الرازي، ونفذ يزدجرد إلى حلوان فنزل بها، ورامهم بالرجال،

وخلف فيهم الأموال، فأقاموا في خندقهم، وقد أحاطوا به الحسك من الخشب إلا طرقتهم قال عمرو، عن عامر الشعبي: كان أبو بكر لا يستعين في حربه بأحد من أهل الردة حتى مات، وكان عمر قد استعان بهم، فكان لا يؤمر منهم أحداً إلا على النفر وما دون ذلك، وكان لا يعدل أن يؤمر الصحابة إذا وجد من يجزى عنه في حربه، فإن لم يجد ففي التابعين بإحسان، ولا يطمع من انبعث في الردة في الرياسة، وكان رؤساء أهل الردة في تلك الحروب حشوة إلى أن ضرب الإسلام بجراحه.

ثم اشترك عمرو ومحمد والمهلب وطلحة وسعيد، فقالوا: ففصل هاشم ابن عتبة بالناس من المدائن في صفر سنة ست عشرة، في اثني عشر ألفاً، منهم وجوه المهاجرين والأنصار وأعلام العرب ممن ارتد ومن لم يرتد، فسار من المدائن إلى جلولا أربعاً، حتى قدم عليهم، وأحاط بهم، فحاصرهم وطاولهم أهل فارس، وجعلوا لا يخرجون عليهم إلا إذا أرادوا، وزاحفهم المسلمون بجلولا ثمانين زحفاً، كل ذلك يعطي الله المسلمين عليهم الظفر، وغلبوا المشركين على حسك الخشب، فاتخذوا حسك الحديد.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عقبة بن مكرم، عن بطن بن بشر، قال: لما نزل هاشم على مهران بجلولا حصرهم في خندقهم، فكانوا يزاحفون المسلمين في زهاء وأهويل، وجعل هاشم يقوم في الناس، ويقول: إن هذا المنزل منزل له ما بعده، وجعل سعد يمدد بالفرسان حتى إذا كان أخيراً احتفلوا للمسلمين، فخرجوا عليهم، فقام هاشم في الناس، فقال: أبلوا الله بلاء حسناً يتم لكم عليه الأجر والمغنم، واعملوا لله فالتقوا فاقتلوا، وبعث الله عليهم ريحا أظلمت عليهم البلاد فلم يستطيعوا إلا المحاجزة، فتهاقت فرسانهم في الخندق، فلم يجدوا بدا من أن يجعلوا فرضاً مما يليهم، تصعد منه خيلهم، فأفسدوا حصنهم، وبلغ ذلك المسلمين، فنظروا إليه، فقالوا: أنهض إليهم ثانية فندخله عليهم

أو نموت دونه! فلما نهض المسلمون الثانية خرج القوم، فرموا حول الخندق مما يلي المسلمين بحسك الحديد لكيلا يقدم عليهم الخيل، وتركوا للرجال.

وجها، نفرجوا على المسلمين منه، فاقتتلوا قتالا شديدا لم يقتتلوا مثله إلا ليلة الهير، إلا أنه كان أكش وأجل، وانتهى القعقاع بن عمرو في الوجه الذي زاحف فيه إلى باب خندقهم، فأخذ به، وأمر مناديا فنادى: يا معشر المسلمين، هذا أميركم قد دخل خندق القوم وأخذ به فأقبلوا إليه، ولا يمنعكم من بينكم وبينه من دخوله وإنما أمر بذلك ليقوي المسلمين به، فحمل المسلمون ولا يشكون إلا أن هاشما فيه، فلم يبق لهم شيء، حتى انتهوا إلى باب الخندق، فإذا هم بالقعقاع بن عمرو، وقد أخذ به، وأخذ المشركون في هزيمة يمنة ويسرة عن المجال الذي بحيال خندقهم، فهلكوا فيما أعدوا للمسلمين فقترت دوابهم، وعادوا رجالة، وأتبعهم المسلمون، فلم يفلت منهم إلا من لا يعد، وقتل الله منهم يومئذ مائة ألف، فجالت القتلى المجال وما بين يديه وما خلفه، فسميت جلولا بما جلاها من قتلاهم، فهي جلولا الواقعة كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبيد الله بن محفز، عن أبيه، قال: إني لفي أوائل الجمهور، مدخلهم ساباط ومظلمها، وإني لفي أوائل الجمهور حين عبروا دجلة، ودخلوا المدائن، ولقد أصبت بها تمثالا لو قسم في بكر بن وائل لسد منهم مسدا، عليه جوهر، فأديته، فما لبثنا بالمدائن إلا قليلا حتى بلغنا أن الأعاجم قد جمعت لنا بجلولا جمعا عظيما، وقدموا عيالاتهم إلى الجبال، وحبسوا الأموال، فبعث إليهم سعد عمرو بن مالك بن عتبة بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وكان جند جلولا اثني عشر ألفا من المسلمين، على مقدمتهم القعقاع بن عمرو، وكان قد خرج فيهم وجوه الناس وفرسانهم، فلما مروا ببابل مروا صالحة دهقانها، على أن يفرش له جريب أرض دراهم، ففعل وصالحه ثم مضى حتى قدم عليهم بجلولا، فوجدهم قد خندقوا وتحصنوا في خندقهم، ومعهم بيت ما لهم، وتوثقوا وتعاهدوا بالنيران ألا يفروا، ونزل المسلمون قريبا منهم، وجعلت

الأمماد تقدم على المشركين كل يوم من حلوان، وجعل يمدهم بكل من أمده من أهل الجبال، واستمد المسلمون سعدا فأمدهم بمائتي فارس، ثم مائتين، ثم مائتين ولما رأى أهل فارس أمماد المسلمين بادروا بقتال المسلمين.

وعلى خيل المسلمين يومئذ طليحة بن فلان، أحد بني عبد الدار، وعلى خيل الأعاجم خرزاذ بن خرهمز- فاقتتلوا قتالا شديدا، لم يقاتلوا المسلمين مثله في موطن من المواطن، حتى انفذوا النبل، وحتى أنفذوا النشاب، وقصفوا الرماح حتى صاروا إلى السيوف والطبرزيات فكانوا بذلك صدر نهارهم إلى الظهر، ولما حضرت الصلاة صلى الناس إجماء، حتى إذا كان بين الصلاتين خنست كتيبة وجاءت أخرى فوقفت مكانها، فأقبل القعقاع بن عمرو على الناس، فقال: أهالكم هذه؟ قالوا: نعم، نحن مكلون وهم مريحون، والكال يخاف العجز إلا أن يعقب، فقال:

إنا حاملون عليهم ومجادوهم وغير كافين ولا مقلعين حتى يحكم الله بيننا وبينهم فاحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى تحالطوهم، ولا يكذب أحد منكم فحمل فانفرجوا، فما نهه أحد عن باب الخندق، وألبسهم الليل رواقه، فأخذوا يمنة ويسرة، وجاء في الأمماد طليحة وقيس بن المكشوح وعمرو بن معد يكرب وحجر بن عدي، فوافقوهم قد تجاوزوا مع الليل، ونادى منادي القعقاع بن عمرو: أين تجاوزون وأميركم في الخندق! فتفار المشركون، وحمل المسلمون، فأدخل الخندق، فألقى فسطاطا فيه مرافق وثياب، وإذا فرش على إنسان فأنبشه، فإذا امرأة كالغزال في حسن الشمس، فأخذتها وثيابها، فأديت الثياب، وطلبت في الجارية حتى صارت إلى فاتخذتها أم ولد.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن حماد بن فلان البرجمي، عن أبيه، أن خارجة بن الصلت أصاب يومئذ ناقة من ذهب أو فضة موشحة بالدر والياقوت مثل الجفرة إذا وضعت على الأرض، وإذا عليها رجل من ذهب موشح كذلك، فجاء بها وبه حتى أداهما. كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد والوليد بن عبد الله والمجالد وعقبة بن مكرم، قالوا: وأمر هاشم القعقاع بن عمرو بالطلب، فطلبهم حتى بلغ خانقين، ولما بلغت الهزيمة يزدجرد سار من حلوان نحو الجبال، وقدم القعقاع حلوان، وذلك أن عمر كان كتب إلى سعد: إن هزم الله الجندين، جند مهران وجند الأنطاق، فقدم القعقاع، حتى يكون بين السواد والجبل، على حد سواد كمر فنزل القعقاع بحلوان في جند من الأفناء ومن الحمراء، فلم يزل بها إلى أن تحول الناس من المدائن إلى الكوفة، فلما خرج سعد من المدائن إلى الكوفة لحق به القعقاع، واستعمل على الثغر قباذ- وكان من الحمراء، واصله من خراسان-

ونقل منها من شهدها، وبعض من كان بالمداين نائياً. وقالوا- واشتركوا في ذلك: وكتبوا إلى عمر يفتح جلولاء وينزل القعقاع حلوان واستأذنه في اتباعهم، فأبى، وقال: لوددت أن بين السواد وبين الجبل سداً لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم، حسبنا من الريف السواد، إني أثرت سلامة المسلمين على الأنفال، قالوا: ولما بعث هاشم القعقاع في آثار القوم، ادرك مهران بخانقين، فقتله وادرك الفيرزان فنزل، وتوكل في الطراب، وخلق فرسه، وأصاب القعقاع سبايا، فبعث بهم إلى هاشم من سباياهم، واقتسموهم فيما اقتسموا من الفتيء فأتخذن، فولدت في المسلمين وذلك السبي ينسب إلى جلولاء، فيقال: سبي جلولاء، ومن ذلك السبي أم الشعبي، وقعت لرجل من بني عبس، فولدت فأت عنها خلف عليها شراحيل، فولدت له عامراً، ونشأ في بني عبس.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب، قالوا: واقتسم في جلولاء على كل فارس تسعة آلاف، تسعة آلاف، وتسعة من الدواب، ورجع هاشم بالأنحاس إلى سعد. كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو، عن الشعبي، قال: أفاء الله على المسلمين ما كان في عسكرهم بجلولاء وما كان عليهم، وكل دابة كانت معهم إلا اليسير لم يفلتوا بشيء من الأموال، وولي قسم ذلك بين المسلمين سلمان بن ربيعة، فكانت إليه يومئذ الأقباض والأقسام، وكانت العرب تسميه لذلك سلمان الخيل، وذلك أنه كان يقسم لها ويقصر بما دونها، وكانت العتاق عنده ثلاث طبقات، وبلغ سهم الفارس بجلولاء مثل سهمه بالمداين كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن المجالد وعمرو، عن الشعبي، قال: اقتسم الناس في جلولاء على ثلاثين ألف ألف، وكان الخمس ستة آلاف ألف.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن طلحة ومحمد والمهلب وسعيد، قالوا: ونفل سعد من أنحاس جلولاء من أعظم البلاء ممن شهدها ومن أعظم البلاء ممن كان نائياً بالمداين، وبعث بالأنحاس مع قضاعي ابن عمرو الدؤلي من الأذهاب والأوراق والآنية والثياب، وبعث بالسبي مع أبي مفرز الأسود، ففضيا.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن زهرة ومحمد بن عمرو، قالوا: بعث الأنحاس مع قضاعي وأبي مفرز، والحساب مع زياد ابن أبي سفيان، وكان الذي يكتب للناس ويدونهم، فلما قدموا على عمر كرم زياد عمر فيما جاء له، ووصف له، فقال عمر: هل تستطيع أن تقوم في الناس بمثل الذي كلمتني به؟ فقال: والله ما على الأرض شخص أهيب في صدري منك، فكيف لا أقوى على هذا من غيرك! فقام في الناس بما

أصابوا وبما صنعوا، وبما يستأذنون فيه من الانسياح في البلاد فقال عمر: هذا الخطيب المصقع، فقال: إن جندنا أطلقوا بالفعل لساننا.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن زهرة ومحمد، عن أبي سلمة، قال: لما قدم على عمر بالأنحاس من جلولاء، قال عمر: والله لا يجنه سقف بيت حتى أقسمه فبات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن أرقم يحرسانه في صحن المسجد، فلما أصبح جاء في الناس فكشف عنه جلايبه- وهي الأنطاع- فلما نظر إلى ياقوته وزبرجده وجوهره بكى، فقال له عبد الرحمن: ما يبكيك يا أمير المؤمنين، فوالله إن هذا لموطن شكر! فقال:

عمر: والله ما ذاك يبكي، وتالله ما أعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم وأشكل على عمر في أنحاس القادسية حتى خطر عليه ما أفاء الله يعني من الخمس- فوضع ذلك في اهله، فأجرى جلولاء مجرى خمس القادسية عن ملا وتشاور وإجماع من المسلمين، ونفل من ذلك بعض أهل المدينة.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَالْمُهَلَّبِ وَسَعِيدٍ وَعَمْرٍو، قَالُوا: وَجَمَعَ سَعْدٌ مِنْ وَرَاءِ الْمَدَائِنِ، وَأَمَرَ بِالْإِحْصَاءِ فَوَجَدَهُمْ بَضْعَةً وَثَلَاثِينَ وَمِائَةً أَلْفٍ، وَوَجَدَهُمْ بَضْعَةً وَثَلَاثِينَ أَلْفَ أَهْلٍ بَيْتٍ، وَوَجَدَ قِسْمَتَهُمْ ثَلَاثَةً لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِأَهْلِهِمْ، فَكَتَبَ فِي ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: أَنْ أَقْرَ الْفَلَاحِينَ عَلَى حَالِهِمْ، إِلَّا مَنْ حَارَبَ أَوْ هَرَبَ مِنْكَ إِلَى عَدُوِّكَ فَأَدْرَكْتُهُ، وَأَجْرُهُمْ مَا أَجَرْتِ لِلْفَلَاحِينَ قَبْلَهُمْ، وَإِذَا كَتَبْتُ إِلَيْكَ فِي قَوْمٍ فَأَجَرُوا أَمْثَلَهُمْ مَجْرَاهُمْ فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَعْدٌ فِيمَنْ لَمْ يَكُنْ فَلَاحًا فَأَجَابَهُ: أَمَّا مَنْ سِوَى الْفَلَاحِينَ فَذَلِكَ إِلَيْكُمْ مَا لَمْ تَغْنَوْهُ - يَعْنِي تَقْتَسِمُوهُ - وَمَنْ تَرَكَ أَرْضَهُ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ نَحْلَاهَا فِيهِمْ لَكُمْ، فَإِنْ دَعَوْتَهُمْ وَقَبِلْتُمْ مِنْهُمْ الْجَزَاءَ وَرَدَدْتُمُوهُمْ قَبْلَ قِسْمَتِهَا فَذِمَّةٌ، وَإِنْ لَمْ تَدْعُوهُمْ فَقَبِلْتُمْ لَكُمْ مِنْ أَفَاءِ اللَّهِ

ذَلِكَ عَلَيْهِ وَكَانَ أَحْظَى بِفِيءِ الْأَرْضِ أَهْلَ جُلُولَاءِ، اسْتَأْثَرُوا بِفِيءِ مَا وَرَاءَ النَّهْرَوَانِ، وَشَارَكُوا النَّاسَ فِيهَا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ، فَأَقْرُوا الْفَلَاحِينَ وَدَعَوْا مَنْ لَجَّ، وَوَضَعُوا الْخَرَاجَ عَلَى الْفَلَاحِينَ وَعَلَى مَنْ رَجَعَ وَقَبِلَ الذِّمَّةَ، وَاسْتَصَفُوا مَا كَانَ لآلِ كَسْرَى وَمَنْ لَجَّ مَعَهُمْ فَيَثُلُ مِنْ أَفَاءِ اللَّهِ عَلَيْهِ، لَا يُجَازُ بَيْعُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فِيمَا بَيْنَ الْجَبَلِ إِلَى الْجَبَلِ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ الَّذِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُجَازُوا بَيْعَ ذَلِكَ فِيمَا بَيْنَ النَّاسِ - يَعْنِي فِيمَنْ لَمْ يَفْتَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِمَّنْ يَعْمَلُهُمْ مِمَّنْ لَمْ يَفْتَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ - فَأَقْرَهُ الْمُسْلِمُونَ، لَمْ يَقْتَسِمُوهُ، لِأَنَّهُ قَسَمَتْهُ لَمْ تَنَأَتْ لَهُمْ، فَمِنْ ذَلِكَ الْآجَامُ وَمَغِيضُ الْمِيَاهِ وَمَا كَانَ لِبُيُوتِ النَّارِ وَلِسَكِّ الْبُرْدِ، وَمَا كَانَ لِكَسْرَى وَمَنْ جَامَعَهُ، وَمَا كَانَ لِمَنْ قُتِلَ، وَالْأَرْحَاءُ، فَكَانَ بَعْضُ مَنْ يَرْقُ يُسْأَلُ الْوَلَاةَ قِسْمَ ذَلِكَ، فَيَمْنَعُهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْجُمْهُورُ، أَبَوَا ذَلِكَ، فَاتَّهَوْا إِلَى رَأْسِهِمْ وَلَمْ يُجِيبُوا، وَقَالُوا: لَوْلَا أَنْ يَضْرِبَ بَعْضُكُمْ وَجْهَ بَعْضٍ لَفَعَلْنَا، وَلَوْ كَانَ طَلَبَ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَنْ مَلَأٍ لَقَسَمَهَا بَيْنَهُمْ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ الْأَعْلَمِ، عَنْ مَاهَانَ، قَالَ: لَمْ يَثْبُتْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ عَلَى الْعَهْدِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْأَيَّامِ إِلَّا أَهْلَ قَرِيَّاتٍ، أَخَذُوهَا عَنْوَةً، كُلُّهُمْ نَكْثٌ، مَا خَلَا أُولَئِكَ الْقَرِيَّاتِ، فَلَمَّا دَعُوا إِلَى الرَّجُوعِ صَارُوا ذِمَّةً، وَعَلَيْهِمُ الْجَزَاءُ، وَلَهُمُ الْمُنْعَةُ، إِلَّا مَا كَانَ لآلِ كَسْرَى وَمَنْ مَعَهُمْ، فَإِنَّهُ صَافِيَةٌ فِيمَا بَيْنَ حُلُوانِ وَالْعِرَاقِ، وَكَانَ عُمَرُ قَدْ رَضِيَ بِالسَّوَادِ مِنَ الرِّيفِ. كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ طَلْحَةَ، عَنْ مَاهَانَ، قَالَ: كَتَبُوا إِلَى عُمَرَ فِي الصَّوَّافِي، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ: أَنْ أَعْمَدُوا إِلَى الصَّوَّافِي الَّتِي أَصْفَا كُوهَا اللَّهُ، فَوَزَعُوهَا عَلَى مَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ، أَرْبَعَةَ أَمْحَاسٍ لِلْجُنْدِ، وَخُمْسٌ فِي مَوَاضِعِهِ إِلَيَّ، وَإِنْ أَحْبَبُوا أَنْ يَنْزِلُوهَا فَهُوَ الَّذِي لَهُمْ فَلَهَا

جَعَلَ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ رَأْوًا أَلَا يَفْتَرِقُوا فِي بِلَادِ الْعَجَمِ، وَأَقْرُوهَا حَبِيسًا لَهُمْ يُولُونَهَا مِنْ تَرَاضَوْا عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقْتَسِمُونَهَا فِي كُلِّ عَامٍ، وَلَا يُولُونَهَا إِلَّا مَنْ أَجْمَعُوا عَلَيْهِ بِالرِّضَا، وَكَانُوا لَا يَجْمَعُونَ إِلَّا عَلَى الْأَمْرَاءِ، كَانُوا بِذَلِكَ فِي الْمَدَائِنِ، وَفِي الْكُوفَةِ حِينَ تَحَوَّلُوا إِلَى الْكُوفَةِ كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَيْبَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ: أَنْ احْتَازُوا فَيْئَكُمْ فَإِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَتَقَادَمَ الْأَمْرُ يَلْحَجُ، وَقَدْ قَضَيْتُ الَّذِي عَلَى اللَّهِ أَنْ أُشْهِدَكُم عَلَيْهِمْ فَاشْهَدُوا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: فَكَانَ الْفَلَاحُونَ لِلطَّرِيقِ وَالْجَسُورِ وَالْأَسْوَاقِ وَالْحَرْثِ وَالدَّلَالَةِ مَعَ الْجَزَاءِ عَنْ أَيْدِيهِمْ عَلَى قَدْرِ طاقَتِهِمْ، وَكَانَتِ الدِّهَاقِينَ لِلْجَزْيَةِ عَنْ أَيْدِيهِمْ وَالْعِمَارَةِ، وَعَلَى كُلِّهِمُ الْإِرْشَادُ وَضِيَاةُ ابْنِ السَّبِيلِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَكَانَتِ الضِّيَاةُ لِمَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ خَاصَةً مِيرَاثًا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ سِيَاهٍ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ بَخْوٍ مِنْهُ، وَقَالُوا جَمِيعًا: كَانَ فَتْحُ جُلُولَاءِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةً سِتَّ عَشْرَةَ فِي أَوَّلِهَا، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدَائِنِ تِسْعَةُ أَشْهُرٍ.

وَقَالُوا جَمِيعًا: كَانَ صَلَاحُ عُمَرَ الَّذِي صَالَحَ عَلَيْهِ أَهْلَ الذِّمَّةِ، أَنَّهُمْ إِنْ غَشَوْا الْمُسْلِمِينَ لِعَدُوِّهِمْ بَرِثَتْ مِنْهُمْ الذِّمَّةُ، وَإِنْ سَبُّوا مُسْلِمًا أَنْ يَهْكُوا

عُقُوبَةً، وَإِنْ قَاتَلُوا مُسْلِمًا أَنْ يَقْتُلُوا، وَعَلَى عُمَرُ مَنَعَتَهُمْ، وَبَرِيءٌ عُمَرُ إِلَى كُلِّ ذِي عَهْدٍ مِنْ مَعَرَةِ الْجِيُوشِ.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَالْمُسْتَنِيرِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بِمِثْلِهِ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ طَلْحَةَ، عَنْ مَاهَانَ، قَالَ: كَانَ أَشَقَى أَهْلِ فَارَسٍ بِجُلُولَاءِ أَهْلِ الرِّي، كَانُوا بِهَا حِمَاةَ أَهْلِ

فَارَسٍ فَفَنَى أَهْلُ الرِّي يَوْمَ جُلُولَاءِ وَقَالُوا جَمِيعًا: وَلَمَّا رَجَعَ أَهْلُ جُلُولَاءِ إِلَى الْمَدَائِنِ نَزَلُوا قَطَائِعَهُمْ، وَصَارَ السَّوَادُ ذِمَّةَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَصْفَاهُمْ اللَّهُ بِهِ مِنْ مَالِ الْأَكَاكِرَةِ، وَمَنْ لَجَ مَعَهُمْ وَقَالُوا جَمِيعًا: وَلَمَّا بَلَغَ أَهْلُ فَارَسٍ قَوْلَ عُمَرَ وَرَأْيَهُ فِي السَّوَادِ وَمَا خَلْفَهُ، قَالُوا: وَنَحْنُ نَرْضَى بِمِثْلِ الَّذِي رَضُوا بِهِ، لَا يَرْضَى أَكْرَادُ كُلِّ بَلَدٍ أَنْ يَنَالُوا مِنْ رِيفِهِمْ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْمُسْتَنِيرِ بْنِ يَزِيدٍ وَحَكِيمِ بْنِ عَمِيرٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدٍ، قَالَ: لَا يَحِلُّ اشْتِرَاءُ أَرْضٍ فِيمَا بَيْنَ حُلَوَانَ وَالْقَادِسِيَّةِ، وَالْقَادِسِيَّةِ مِنَ الصَّوْفِي، لِأَنَّهُ لَمْ يَأْفَاءِ اللَّهُ عَلَيْهِ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ مِثْلَهُ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شَيْبَةَ، قَالَ: اشْتَرَى جَرِيرٌ مِنْ أَرْضِ السَّوَادِ صَافِيَةً عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ، فَأَتَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ، فَردَّ ذَلِكَ الشِّرَاءَ وَكَرِهَهُ، وَنَهَى عَنْ شِرَاءِ شَيْءٍ لَمْ يَقْتَسِمَهُ أَهْلُهُ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: قُلْتُ لِلشَّعْبِيِّ: أَخَذَ السَّوَادُ عَنُوةً؟ قَالَ: نَعَمْ، وَكُلُّ أَرْضٍ إِلَّا بَعْضَ الْقَلَاعِ وَالْحَصُونِ، فَإِنْ بَعْضُهُمْ صَالِحٌ وَبَعْضُهُمْ غَلَبَ، قُلْتُ: فَهَلْ لِأَهْلِ السَّوَادِ ذِمَّةٌ اعْتَقَدُوهَا قَبْلَ الْهَرَبِ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْهُمْ لَمَّا دَعُوا وَرَضُوا بِالْخُرَاجِ وَأَخَذَ مِنْهُمْ صَارُوا ذِمَّةً.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، قَالَ: لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ عَقْدٌ إِلَّا بَنِي صَلُوبَا وَأَهْلُ الْحِيرَةِ وَأَهْلُ كَلَوَاذَى وَقَرَى مِنْ قَرَى الْفُرَاتِ، ثُمَّ غَدَرُوا، ثُمَّ دَعُوا إِلَى الذِمَّةِ بَعْدَ مَا غَدَرُوا وَقَالَ هَاشِمُ بْنُ عَتَبَةَ فِي يَوْمِ جُلُولَاءِ:

يَوْمَ جُلُولَاءِ وَيَوْمَ رَسْتَمٍ ... وَيَوْمَ زَحْفِ الْكُوفَةِ الْمَقْدَمِ

وَيَوْمَ عَرَضِ النَّهْرِ الْحَرَمِ ... مِنْ بَيْنِ أَيَّامِ خُلُونِ صَرَمِ

شَيْنِ أَصْدَاغِي فَهَنْ هَرَمِ ... مِثْلُ ثَغَامِ الْبَلَدِ الْحَرَمِ

وَقَالَ أَبُو بَجِيدٍ فِي ذَلِكَ:

وَيَوْمَ جُلُولَاءِ الْوَقِيعَةِ أَصْبَحَتْ ... كَتَائِبُنَا تَرْدِي بِأَسَدِ عَوَابِسِ

فَفَضَّتْ جَمُوعَ الْفَرَسِ ثُمَّ أَمْتَمَتْ ... فِتْيَا لِأَجْسَادِ الْمَجُوسِ النَّجَاسِ!

وَأَفْلَتَنَ الْفِيرَزَانُ بِجَرَّةٍ ... وَمِهْرَانُ أَرَدَتْ يَوْمَ حَزِّ الْقَوَانِسِ

أَقَامُوا بَدَارَ لَهْنِيَّةٍ مَوْعِدٍ ... وَلِلتَّرَبِّ تَحْتُوهَا نَجُوجُ الرُّوَامِسِ

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَالْمُهَلَّبِ وَعُمَرَ وَسَعِيدٍ، قَالُوا: وَقَدْ كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَتَبَ إِلَى سَعْدٍ: إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ جُلُولَاءَ فَسَرِّحِ الْقَعْقَاعَ بْنَ عُمَرَ فِي آثَارِ الْقَوْمِ حَتَّى يَنْزِلَ بِحُلَوَانَ فَيَكُونَ رِدْءًا لِلْمُسْلِمِينَ وَيَحْرِزَ اللَّهُ لَكُمْ سَوَادَ كُرْمِ فَلْبَا هَزَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَهْلَ جُلُولَاءِ، أَقَامَ هَاشِمُ بْنُ عَتَبَةَ بِجُلُولَاءِ، وَخَرَجَ الْقَعْقَاعُ بْنُ عُمَرَ فِي آثَارِ الْقَوْمِ إِلَى خَانِقَيْنِ فِي جُنْدٍ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ وَمِنْ الْحَمَرَاءِ، فَأَدْرَكَ سَبِيًّا مِنْ سَبْيِهِمْ، وَقَتَلَ مُقَاتِلَةً مِنْ أَدْرَكَ، وَقَتَلَ مِهْرَانَ وَأَفْلَتَ الْفِيرَزَانُ، فَلَمَّا بَلَغَ يَزْدَجَرْدَ هَزِيمَةُ أَهْلِ جُلُولَاءِ وَمُصَابُ مِهْرَانَ، خَرَجَ مِنْ حُلَوَانَ سَائِرًا نَحْوَ الرِّيِّ، وَخَلَفَ بِحُلَوَانَ خِيَلًا عَلَيْهَا خَسِرُوا شَنُومَ، وَأَقْبَلَ الْقَعْقَاعُ حَتَّى إِذَا كَانَ بِقَصْرِ شَيْبَانَ عَلَى رَأْسِ فَرَسٍ مِنْ حُلَوَانَ خَرَجَ إِلَيْهِ خَسِرُوا شَنُومَ، وَقَدِمَ الزَّيْنِيُّ دِهْقَانُ حُلَوَانَ، فَلَقِيَهُ الْقَعْقَاعُ فَاقْتَتَلَا فَقَتَلَ الزَّيْنِيَّ، وَاحْتَقَ فِيهِ عَمِيرَةٌ

بْنِ طَارِقٍ وَعَبْدُ اللَّهِ، فَجَعَلَهُ وَسَلَبَهُ بَيْنَهُمَا، فَعَدَّ عَمِيرَةَ ذَلِكَ حَقْرَهُ وَهَرَبَ خَسِرُوا شَنُومًا، وَاسْتَوَى الْمُسْلِمُونَ عَلَى حُلُوانٍ وَأَنْزَلَهَا الْقَعْقَاعُ الْحَمْرَاءَ، وَوَلَّى عَلَيْهِمْ قَبَازًا، وَلَمْ يَزَلِ الْقَعْقَاعُ هُنَالِكَ عَلَى الثَّغْرِ وَالْجَزَاءِ بَعْدَ مَا دَعَاهُمْ،

٤٠١٦ ذكر فتح تكريت

فَتَرَجَعُوا وَأَقْرَبُوا بِالْجَزَاءِ إِلَى أَنْ تَحَوَّلَ سَعْدٌ مِنَ الْمَدَائِنِ إِلَى الْكُوفَةِ، فَلَحِقَ بِهِ، وَاسْتَخْلَفَ قَبَازًا عَلَى الثَّغْرِ، وَكَانَ أَصْلُهُ خِرَاسَانِيَا .

ذكر فتح تكريت
وَكَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنِي سَنَةَ سِتِّ عَشْرَةَ فِي رِوَايَةِ سَيْفٍ - فَتْحُ تَكْرِيتَ، وَذَلِكَ فِي جُمَادَى مِنْهَا.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَالْمُهَلَّبِ وَسَعِيدٍ، وَشَارَكَهُمْ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَيْيَةَ، قَالُوا: كُتِبَ سَعْدٌ فِي اجْتِمَاعِ أَهْلِ الْمُوصِلِ إِلَى الْأَنْطَاقِ وَإِقْبَالِهِ حَتَّى نَزَلَ بِتَكْرِيتَ، وَخَنَدَقَ فِيهِ عَلَيْهِ لِيَحْمِيَ أَرْضَهُ، وَفِي اجْتِمَاعِ أَهْلِ جُلُولَاءَ عَلَى مِهْرَانَ مَعَهُ، فَكُتِبَ فِي جُلُولَاءَ مَا قَدْ فَرَّغْنَا مِنْهُ، وَكُتِبَ فِي تَكْرِيتَ وَاجْتِمَاعِ أَهْلِ الْمُوصِلِ إِلَى الْأَنْطَاقِ بِهَا: أَنْ سَرَّحَ إِلَى الْأَنْطَاقِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَمِ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى مَقْدَمَتِهِ رَبِيعُ بْنُ الْأَفْكَلِ الْعَنْزِيَّ، وَعَلَى مِیْمَنَتِهِ الْحَارِثُ بْنُ حَسَّانِ الذُّهَلِيِّ، وَعَلَى مِیْسَرَّتِهِ فُرَاتُ بْنُ حَيَّانِ الْعَجَلِيِّ، وَعَلَى سَاقَتِهِ هَانِئُ بْنُ قَيْسٍ، وَعَلَى الْخَيْلِ عَرْجَةُ بْنُ هَرْمَةَ، فَفَصَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَمِ فِي خَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَدَائِنِ، فَسَارَ إِلَى تَكْرِيتَ أَرْبَعًا، حَتَّى نَزَلَ عَلَى الْأَنْطَاقِ، وَمَعَهُ الرُّومُ وَإِيَادٌ وَتَغْلِبٌ وَالتَّمِرُ وَمَعَهُ الشَّهَارِجَةُ وَقَدْ خَنَدَقُوا بِهَا، فَحَصَرَهُمْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَتَرَاخَفُوا فِيهَا أَرْبَعَةٌ وَعِشْرِينَ زَحْفًا، وَكَانُوا أَهْوَنَ شَوْكَةً، وَأَسْرَعَ أَمْرًا مِنْ أَهْلِ جُلُولَاءَ، وَوَكَّلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَمِ بِالْعَرَبِ لِيَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ وَإِلَى نَصْرَتِهِ عَلَى الرُّومِ، فَهُمْ لَا يُخْفُونَ عَلَيْهِ شَيْئًا، وَلَمَّا رَأَتْ الرُّومُ أَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ خَرْجَةً إِلَّا كَانَتْ عَلَيْهِمْ، وَهَزَمُونَ فِي كُلِّ مَا زَاخَفُوهُمْ، تَرَكَوا أَمْرَاءَهُمْ، وَنَقَلُوا مَتَاعَهُمْ إِلَى السُّفْنِ، وَأَقْبَلَتِ الْعُيُونُ مِنْ تَغْلِبَ وَإِيَادٍ وَالتَّمِرِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَمِ بِالْخَبَرِ، وَسَلَّوَهُ لِلْعَرَبِ السَّلَامَ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ قَدْ اسْتَجَابُوا لَهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ: إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ بِذَلِكَ فَاشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَقْرَبُوا بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، ثُمَّ أَعْلَمُونَا رَأْيَكُمْ فَرَجَعُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ، فَرَدُّوهُمْ إِلَيْهِ بِالْإِسْلَامِ، فَرَدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ: إِذَا سَمِعْتُمْ تَكْبِيرَنَا فَاعْلَمُوا أَنَّا قَدْ نَهَدْنَا إِلَى الْأَبْوَابِ الَّتِي تَلِينَا لِنَدْخُلَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا، نَخْذُوا بِالْأَبْوَابِ الَّتِي تَلِي دِجْلَةَ، وَكَبِّرُوا وَأَقْتُلُوا مَنْ قَدَرْتُمْ عَلَيْهِ، فَانْطَلِقُوا حَتَّى تَوَاطِئُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَنَهْدَ عَبْدُ اللَّهِ وَالْمُسْلِمُونَ لِمَا يَلِيهِمْ وَكَبُرُوا، وَكَبُرَتْ تَغْلِبُ وَإِيَادُ وَالتَّمِرُ، وَقَدْ أَخَذُوا بِالْأَبْوَابِ، فَحَسِبَ الْقَوْمُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ أَتَوْهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِمْ مِمَّا يَلِي دِجْلَةَ، فَبَادَرُوا الْأَبْوَابَ الَّتِي عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ، فَأَخَذَتْهُمُ السُّيُوفُ، سُبُوفُ الْمُسْلِمِينَ مُسْتَقْبِلَتُهُمْ، وَسُيُوفُ الرُّبْعِيِّينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِيَتَنَدَّ مِنْ خَلْفِهِمْ، فَلَمْ يَفْلِتْ مِنْ أَهْلِ الْخَنْدَقِ إِلَّا مَنْ أَسْلَمَ مِنْ تَغْلِبَ وَإِيَادٍ وَالتَّمِرِ وَقَدْ كَانَ عُمَرُ عَهْدَ إِلَى سَعْدٍ، إِنْ هُمْ هَزَمُوا أَنْ يَأْمُرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَمِ بِتَسْرِجِ بْنِ الْأَفْكَلِ الْعَنْزِيَّ إِلَى الْحِصْنَيْنِ، فَسَرَّحَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَمِ ابْنَ الْأَفْكَلِ الْعَنْزِيَّ إِلَى الْحِصْنَيْنِ، فَأَخَذَ بِالطَّرِيقِ، وَقَالَ: اسْبِقِ الْخَبَرَ، وَسِرْ مَا دُونَ الْقَيْلِ، وَاحِى اللَّيْلَ وَسَرَّحَ مَعَهُ تَغْلِبُ وَإِيَادُ وَالتَّمِرُ، فَقَدَّمَهُمْ وَعَلَيْهِمْ عَتَبَةُ بْنُ الْوَعْلِ، أَحَدُ بَنِي جُشَمَ بْنِ سَعْدٍ وَذُو الْقُرْطِ وَأَبُو وَدَاعَةَ بْنُ أَبِي كَرِبٍ وَابْنُ ذِي السُّنَيْنَةِ قَتِيلُ الْكِلَابِ وَابْنُ الْحَجِيرِ الْإِيَادِيُّ وَبِشْرُ بْنُ أَبِي حَوْطٍ مُتَسَانِدِينَ، فَسَبَقُوا الْخَبَرَ إِلَى الْحِصْنَيْنِ وَلَمَّا كَانُوا قَرِيبًا قَدَمُوا عَتَبَةَ ابْنَ الْوَعْلِ فَادَعَى بِالظُّفْرِ وَالنَّفْلِ وَالْقَفْلِ، ثُمَّ ذُو الْقُرْطِ، ثُمَّ ابْنُ ذِي السُّنَيْنَةِ، ثُمَّ ابْنُ الْحَجِيرِ، ثُمَّ بِشْرُ، وَوَقَفُوا بِالْأَبْوَابِ، وَقَدْ أَخَذُوا بِهَا، وَأَقْبَلَتْ سَرَعَانُ الْخَيْلِ مَعَ رَبِيعِ بْنِ الْأَفْكَلِ حَتَّى اقْتَحَمَتْ عَلَيْهِمُ الْحِصْنَيْنِ، فَكَانَتْ إِيَّاهَا،

فَنَادُوا بِالْإِجَابَةِ إِلَى الصُّلْحِ، فَأَقَامَ مِنْ اسْتِجَابَ، وَهَرَبَ مَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ، إِلَى أَنْ أَتَاهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَمِّ، فَلَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ دَعَا مَنْ لَجَّ وَذَهَبَ، وَوَقَّى لِمَنْ أَقَامَ، فَتَرَجَعَ الْهَرَابُ وَاعْتَبَطَ الْمُقِيمُ، وَصَارَتْ لَهُمْ جَمِيعًا الذِّمَّةُ وَالْمَنْعَةُ، وَاقْتَسَمُوا فِي تَكْرِيتٍ عَلَى كُلِّ سَهْمٍ أَلْفَ دِرْهَمٍ، لِلْفَارِسِ ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَلِلرَّاجِلِ أَلْفٌ، وَبَعَثُوا بِالْأَنْحَاسِ مَعَ فُرَاتِ بْنِ حَيَّانَ، وَبِالْفَتْحِ

٤٠١٠٧ ذكر فتح ماسبذان

٤٠١٠٨ ذكر وقعه قرقيسياء

مَعَ الْحَارِثِ بْنِ حَسَّانٍ وَوَلَّى حَرْبَ الْمُوَصِّلِ رَبِيعِ بْنِ الْأَفْكَلِ، وَالْخَرَجَ عَرِيفَةَ ابْنِ هَرْمَةَ .
ذكر فتح ماسبذان

وفي هذه السنة - أعني سنة ست عشرة - كان فتح ماسبذان أيضا.
ذكر الخبر عن فتحها:

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ طَلْحَةَ وَمُحَمَّدٍ وَالْمُهَلَّبِ وَعَمْرٍو وَسَعِيدٍ قَالُوا: وَلَمَّا رَجَعَ هَاشِمُ بْنُ عَتَبَةَ مِنْ جُلُولَاءَ إِلَى الْمَدَائِنِ، بَلَغَ سَعْدًا أَنَّ أَذِينَ بْنَ الْهَرَمْزَانَ قَدْ جَمَعَ جَمْعًا، فَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى السَّهْلِ، فَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى عُمَرَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: ابْعَثْ إِلَيْهِمْ ضِرَارَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي جُنْدٍ وَاجْعَلْ عَلَى مَقْدَمَتِهِ ابْنَ الْهَذِيلِ الْأَسَدِيَّ، وَعَلَى مَجْنِبَتَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ الرَّاسِيَّ حَلِيفَ بَجِيلَةٍ، وَالْمُضَارِبَ بْنَ فَلَانَ الْعَجَلِيَّ، فَخَرَجَ ضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي مُحَارِبٍ بْنِ فَهْرِ فِي الْجُنْدِ، وَقَدِمَ ابْنُ الْهَذِيلِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَهْلِ مَاسَبَذَانَ، فَالْتَقَوْا بِمَكَانٍ يُدْعَى بَهْدَفٍ، فَاقْتَتَلُوا بَهَا، فَاسْرَعَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْمَشْرِكِينَ، وَأَخَذَ ضِرَارُ أَذِينَ سَلْمًا، فَاسْرَهُ فَانْهَزَمَ عَنْهُ جَيْشُهُ فَقَدَّمَهُ فَضْرَبَ عَنْقَهُ ثُمَّ خَرَجَ فِي الطَّلَبِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى السَّيْرَوَانِ فَأَخَذَ مَاسَبَذَانَ عَنْوَةً فَطَطَّيرَ أَهْلَهَا فِي الْجِبَالِ، فَدَعَاهُمْ فَاسْتَجَابُوا لَهُ، وَأَقَامَ بَهَا حَتَّى تَحَوَّلَ سَعْدٌ مِنَ الْمَدَائِنِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَنَزَلَ الْكُوفَةَ وَاسْتَخْلَفَ ابْنَ الْهَذِيلِ عَلَى مَاسَبَذَانَ فَكَانَتْ إِحْدَى فُرُوجِ الْكُوفَةِ

ذكر وقعه قرقيسياء

وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةُ قَرْقِيسِيَاءَ فِي رَجَبٍ.

ذكر الخبر عن الوقعة بها:

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ طَلْحَةَ وَمُحَمَّدٍ وَالْمُهَلَّبِ وَعَمْرٍو وَسَعِيدٍ، قَالُوا: وَلَمَّا رَجَعَ هَاشِمُ بْنُ عَتَبَةَ عَنْ جُلُولَاءَ إِلَى الْمَدَائِنِ

وَقَدْ اجْتَمَعَتْ جُمُوعُ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ، فَأَمَدُوا هَرَقْلَ عَلَى أَهْلِ حِمَصَ، وَبَعَثُوا جُنْدًا إِلَى أَهْلِ هَيْتَ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ سَعْدٌ إِلَى عُمَرَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ أَنْ ابْعَثْ إِلَيْهِمْ عُمَرَ بْنَ مَالِكِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ فِي جُنْدٍ، وَابْعَثْ عَلَى مَقْدَمَتِهِ الْحَارِثَ بْنَ يَزِيدَ الْعَامِرِيَّ، وَعَلَى مَجْنِبَتَيْهِ رَبِيعِ بْنَ عَامِرٍ وَمَالِكِ ابْنَ حَبِيبٍ، فَخَرَجَ عُمَرُ بْنُ مَالِكٍ فِي جُنْدِهِ سَائِرًا نَحْوَ هَيْتَ، وَقَدِمَ الْحَارِثُ ابْنَ يَزِيدَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى مَنْ بِهِتَ، وَقَدْ خَنَدَقُوا عَلَيْهِمْ فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ ابْنَ مَالِكٍ امْتِنَاعَ الْقَوْمِ بِخَنَدَقِهِمْ وَاعْتِصَامِهِمْ بِهِ، اسْتَطَالَ ذَلِكَ، فَتَرَكَ الْأَخْبِيَةَ عَلَى حَالِهَا وَخَلَفَ عَلَيْهِمُ الْحَارِثُ بْنُ يَزِيدَ مُحَاصِرُهُمْ، وَخَرَجَ فِي نِصْفِ النَّاسِ يِعَارِضُ الطَّرِيقَ حَتَّى يَجِيءَ قَرْقِيسِيَاءَ فِي عَرِهِ، فَأَخَذَهَا عَنْوَةً، فَأَجَابُوا إِلَى الْجَزَاءِ، وَكَتَبَ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ يَزِيدَ أَنَّ هُمْ اسْتَجَابُوا نَحْلَ عَنْهُمْ فَلْيَخْرُجُوا، وَإِلَّا نَخْنَدُقُ عَلَى خَنَدَقِهِمْ خَنَدَقًا أَبَوَابَهُ مِمَّا يَلِيكَ حَتَّى أَرَى مِنْ رَأْيِي فَسَمَحُوا بِالْاسْتِجَابَةِ، وَأَنْضَمَ الْجُنْدُ إِلَى عُمَرَ وَالْأَعَاجِمُ إِلَى أَهْلِ بِلَادِهِمْ وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَرَبَ عُمَرُ أَبَا مَحْجَنٍ الثَّقَفِي إِلَى بَاضِعٍ.

قال: وَفِيهَا تَزَوَّجَ ابْنُ عُمَرَ صَفِيَّةَ بِنْتَ أَبِي عُبَيْدَةَ.

قَالَ: وَفِيهَا مَاتَتْ مَارِيَةُ أُمُّ وَلَدِ رَسُولِ اللَّهِ ص، أُمُّ إِبْرَاهِيمَ، وَصَلَّى عَلَيْهَا عَمْرٌ، وَقَبَرَهَا بِالْبَقِيعِ، فِي الْمَحْرَمِ.
قَالَ: وَفِيهَا كُتِبَ التَّأْرِيخُ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ.

قال: وحدثني ابن أبي سبرة، عَنْ عُمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ ابْنِ الْمُسَيْبِ، قَالَ: أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ التَّأْرِيخَ عَمْرٌ، لِسَنَتَيْنِ وَنِصْفٍ مِنْ خِلَافَتِهِ، فَكُتِبَ لِسِتِّ عَشْرَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ بِمَشُورَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا نَعِيمُ ابْنُ حَمَّادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الدَّرَاوَرْدِيُّ، عَنْ عُمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيْبِ يَقُولُ: جَمَعَ عَمْرٌ بْنُ الْخَطَّابِ النَّاسَ، فَسَأَلَهُمْ مِنْ أَيِّ يَوْمٍ نَكْتُبُ؟ [فَقَالَ عَلِيٌّ: مِنْ يَوْمِ هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص، وَتَرَكَ أَرْضَ الشِّرْكِ] فَفَعَلَهُ عَمْرٌ.
وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي عَبَّادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ الطَّائِفِيُّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ التَّأْرِيخُ فِي السَّنَةِ الَّتِي قَدِمَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ص الْمَدِينَةَ وَفِيهَا وَلِدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ.

وجاء بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب، واستخلف على المدينة - فيما زعم الواقدي - زيد بن ثابت وكان عامل عمر في هذه السنة على مكة عتاب بن أسيد، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص، وعلى اليمن يعلى ابن أمية، وعلى اليمامة والبحرين العلاء بن الحضرمي، وعلى عمان حذيفة بن محصن، وعلى الشام كلها أبو عبيدة بن الجراح، وعلى الكوفة سعد بن أبي وقاص، وعلى قضائها أبو قرّة، وعلى البصرة وأرضها المغيرة بن شعبه، وعلى حرب الموصل ربيعة بن الأفكل، وعلى الخراج بها عرجة بن هرثمة في قول بعضهم، وفي قول آخرين عتبة بن فرقد على الحرب والخراج - وقيل ذلك كله كان إلى عبد الله بن المعتم - وعلى الجزيرة عياض بن عمرو الأشعري

٤٠٢ سنه سبع عشرة

٤٠٢٠١ ذكر سبب تحول من تحول من المسلمين من المدائن إلى الكوفة وسبب اختطاطهم الكوفة في روايه سيف

سنة سبع عشرة

ففيها اختطت الكوفة، وتحول سعد بالناس من المدائن إليها في قول سيف بن عمر وروايته.

ذكر سبب تحول من تحول من المسلمين من المدائن إلى الكوفة وسبب اختطاطهم الكوفة في رواية سيف

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَالْمُهَلَّبِ وَعَمْرٍو وَسَعِيدٍ، قَالُوا: لَمَّا جَاءَ فَتْحُ جُلُولَاءَ وَحُلُولَانِ وَنَزُولُ الْقَعْقَاعِ بْنِ عَمْرِو بْنِ جُلُولَانَ فِيمَنْ مَعَهُ، وَجَاءَ فَتْحُ تَكْرِيتَ وَالْحَصْنَيْنِ، وَنَزُولُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَمِ وَأَبْنِ الْأَفْكَلِ الْحَصْنَيْنِ فِيمَنْ مَعَهُ، وَقَدِمَتِ الْوُفُودُ بِذَلِكَ عَلَى عَمْرٍ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ عَمْرٌ قَالَ: وَاللَّهِ مَا هَيْئَتُكُمْ بِالْهَيْئَةِ الَّتِي أَبْدَأْتُمْ بِهَا، وَلَقَدْ قَدِمْتُ وَفُودُ الْقَادِسِيَّةِ وَالْمَدَائِنِ وَإِنَّهُمْ لَكَا أَبْدُءُوا، وَلَقَدْ اتَّكَيْتُمْ فَمَا غَيْرُكُمْ؟ قَالُوا: وَخُومَةُ الْبِلَادِ فَنَظَرَ فِي حَوَائِجِهِمْ، وَجَلَّ سَرَاخُهُمْ، وَكَانَ فِي وَفُودِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَمِ عُبَّةُ بْنُ الْوَعْلِ، وَذُو الْقُرْطِ، وَأَبْنُ ذِي السُّنَيْنَةِ، وَأَبْنُ الْحُبَيْرِ وَبَشَرٌ، فَعَاقَدُوا عَمْرَ عَلَى بَنِي تَغْلِبَ، فَقَعَدَ لَهُمْ، عَلَى أَنَّ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ فَلَهُ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ، وَمَنْ أَبَى فَعَلَيْهِ الْجَزَاءُ، وَأَمَّا الْإِجْبَارُ مِنَ الْعَرَبِ عَلَى مَنْ كَانَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فَقَالُوا: إِذَا يَهْرُبُونَ وَيَنْقَطِعُونَ فَيَصِيرُونَ عَجَمًا، فَأَمْرُ أَجْمَلِ الصَّدَقَةِ، فَقَالَ: لَيْسَ إِلَّا الْجَزَاءُ، فَقَالُوا: نُجْعَلُ جِزْيَتَهُمْ مِثْلَ صَدَقَةِ الْمُسْلِمِ، فَهُوَ مَجْهُودُهُمْ، فَفَعَلَ عَلَى الْأَيْتِصَرُوا وَلِيدًا مِمَّنْ أَسْلَمَ آبَاؤُهُمْ، فَقَالُوا: لَكَ ذَلِكَ، فَهَاجَرَ هَؤُلَاءِ التَّغْلِبِيُّونَ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ مِنَ النَّمِرِيِّينَ وَالْإِيَادِيِّينَ إِلَى سَعْدٍ بِالْمَدَائِنِ وَخَطُوا مَعَهُ بَعْدَ بِالْكُوفَةِ، وَأَقَامَ مَنْ أَقَامَ فِي بِلَادِهِ عَلَى مَا أَخَذُوا لَهُمْ عَلَى عَمْرِو مُسْلِمِهِمْ وَذَمِيمِهِمْ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ ابْنِ شَبْرَمَةَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: كَتَبَ حُدَيْفَةُ إِلَى عُمَرَ: إِنَّ الْعَرَبَ قَدْ أَتَرَفَتْ بِطُوقِهَا، وَخَفَتْ أَعْضَادُهَا، وَتَغَيَّرَتْ أَلْوَانُهَا وَحُدَيْفَةُ يَوْمَئِذٍ مَعَ سَعْدٍ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَأَصْحَابِهِمَا، قَالُوا: كَتَبَ عُمَرُ إِلَى سَعْدٍ: أَيْتَنِي مَا الَّذِي غَيَّرَ أَلْوَانَ الْعَرَبِ وَلُحُومَهُمْ؟ فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنَّ الْعَرَبَ خَدَّدَهُمْ وَكَفَى أَلْوَانَهُمْ وَخُومَةَ الْمَدَائِنِ وَدَجَلَةَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنَّ الْعَرَبَ لَا يُوَافِقُهَا إِلَّا مَا وَافَقَ إِبِلُهَا مِنَ الْبُلْدَانِ، فَابْعَثْ سَلْمَانَ رَائِدًا وَحُدَيْفَةَ - وَكَانَا رَائِدِي الْجَيْشِ - فَلْيَرْتَادَا مَنْزِلًا بَرِيًّا بَحْرِيًّا، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فِيهِ بَحْرٌ وَلَا جِسْرٌ، وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنْ أَمْرِ الْجَيْشِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ أَسْنَدَهُ إِلَى رَجُلٍ، فَبَعَثَ سَعْدٌ حُدَيْفَةَ وَسَلْمَانَ، فَخَرَجَ سَلْمَانُ حَتَّى يَأْتِيَ الْأَنْبَارَ، فَسَارَ فِي غَرْبِي الْفُرَاتِ لَا يَرْضَى شَيْئًا، حَتَّى أَتَى الْكُوفَةَ.

وَخَرَجَ حُدَيْفَةُ فِي شَرْقِي الْفُرَاتِ لَا يَرْضَى شَيْئًا حَتَّى أَتَى الْكُوفَةَ، وَالْكُوفَةُ عَلَى حَصْبَاءَ - وَكُلُّ رَمْلَةٍ حَمْرَاءُ يُقَالُ لَهَا سَهْلَةٌ، وَكُلُّ حَصْبَاءٍ وَرَمْلٍ هَكَذَا مُخْتَلِطِينَ فَهُوَ كُوفَةٌ - فَاتَّيَا عَلَيْهِمَا، وَفِيهَا دِيرَاتٌ ثَلَاثَةٌ: دِيرُ حَرَقَةٍ، وَدِيرُ أُمِّ عَمْرٍو، وَدِيرُ سَلْسَلَةٍ، وَخِصَاصٌ خِلَالِ ذَلِكَ، فَاعْجَبْتَهُمَا الْبُقْعَةُ، فَتَزَلَا فَصَلَّيَا، وَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاءِ وَمَا أَظَلَّتْ، وَرَبَّ الْأَرْضِ وَمَا أَقَلَّتْ، وَالرَّيْحِ وَمَا ذَرَّتْ، وَالنُّجُومِ وَمَا هَوَّتْ، وَالْبَحَارِ وَمَا جَرَّتْ، وَالشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ، وَالْخِصَاصِ وَمَا أَجَنْتْ، بَارِكْ لَنَا فِي هَذِهِ الْكُوفَةِ، وَاجْعَلْهُ مَنْزِلَ ثَبَاتٍ وَكَتَبَ إِلَى سَعْدٍ بِالْخَبَرِ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أُمِيَّةُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: لَمَّا هُزِمَ النَّاسُ يَوْمَ جُلُولَاءَ، رَجَعَ سَعْدٌ بِالنَّاسِ، فَلَمَّا قَدِمَ عَمَّارٌ خَرَجَ بِالنَّاسِ إِلَى الْمَدَائِنِ فَاجْتَوَوْهَا، قَالَ عَمَّارٌ: هَلْ تَصْلُحُ بِهَا الْإِبِلُ؟ قَالُوا: لَا، إِنَّ بِهَا الْبُعُوضَ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ: إِنَّ الْعَرَبَ لَا تَصْلُحُ بِأَرْضٍ لَا تَصْلُحُ بِهَا الْإِبِلُ قَالَ: فَخَرَجَ عَمَّارٌ بِالنَّاسِ حَتَّى نَزَلَ الْكُوفَةَ

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن مَخْلَدِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ النَسِيرِ بْنِ ثَوْرٍ، قَالَ: وَلَمَّا اجْتَوَى الْمُسْلِمُونَ الْمَدَائِنَ بَعْدَ مَا نَزَلْنَاهَا وَأَذَاهُمُ الْغُبَارُ وَالذَّبَابُ، وَكَتَبَ إِلَى سَعْدٍ فِي بَعْثِهِ رَوَادًا يَرْتَادُونَ مَنْزِلًا بَرِيًّا بَحْرِيًّا، فَإِنَّ الْعَرَبَ لَا يَصْلَحُهَا مِنَ الْبُلْدَانِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ الْبَعِيرَ وَالشَّاةَ، سَأَلَ مِنْ قَبْلِهِ عَنْ هَذِهِ الصِّفَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ مِنْ رَأْيِ الْعِرَاقِ مِنْ وَجْهِ الْعَرَبِ بِاللِّسَانِ - وَظَهَرَ الْكُوفَةَ يُقَالُ لَهُ اللَّسَانُ، وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ إِلَى الْعَيْنِ، عَيْنِ بَنِي الْحِذَاءِ، كَانَتِ الْعَرَبُ تَقُولُ: أَدْلَعُ الْبَرَّ لِسَانَهُ فِي الرَّيْفِ، فَمَا كَانَ يَلِي الْفُرَاتَ مِنْهُ فَهُوَ الْمَلْطَاطُ، وَمَا كَانَ يَلِي الطَّيْنَ مِنْهُ فَهُوَ النِّجَافُ - فَكَتَبَ إِلَى سَعْدٍ بِأَمْرِهِ بِهِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَالْمُهَلَّبِ وَعَمْرٍو وَسَعِيدٍ، قَالُوا: وَلَمَّا قَدِمَ سَلْمَانُ وَحُدَيْفَةُ عَلَى سَعْدٍ، وَأَخْبَرَاهُ عَنِ الْكُوفَةِ، وَقَدِمَ كِتَابُ عُمَرَ بِالَّذِي ذَكَرَ لَهُ، كَتَبَ سَعْدٌ إِلَى الْقَعْقَاعِ بْنِ عَمْرٍو: أَنَّ خَلْفَ عَلَى النَّاسِ بِجُلُولَاءَ قُبَاذَ فِيمَنْ تَبِعَكُمْ إِلَى مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْحَمْرَاءِ فَفَعَلَ وَجَاءَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى سَعْدٍ فِي جُنْدِهِ، وَكَتَبَ سَعْدٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَمِ: أَنَّ خَلْفَ عَلَى الْمُؤَصِّلِ مُسْلِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الَّذِي كَانَ أَسْرَ أَيَّامِ الْقَادِسِيَّةِ فِيمَنْ اسْتَجَابَ لَكُمْ مِنَ الْأَسَاوِرَةِ، وَمَنْ كَانَ مَعَكُمْ مِنْهُمْ فَفَعَلَ، وَجَاءَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى سَعْدٍ فِي جُنْدِهِ، فَارْتَحَلَ سَعْدٌ بِالنَّاسِ مِنَ الْمَدَائِنِ حَتَّى عَسَكَرَ بِالْكُوفَةِ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةِ سَبْعٍ عَشْرَةَ وَكَانَ بَيْنَ وَقْعَةِ الْمَدَائِنِ وَنَزُولِ الْكُوفَةِ سَنَةً وَشَهْرَانِ، وَكَانَ بَيْنَ قِيَامِ عُمَرَ وَاخْتِطَاطِ الْكُوفَةِ ثَلَاثَ سِنِينَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، اخْتِطَّتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ مِنْ إِمَارَةِ عُمَرَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةِ سَبْعٍ عَشْرَةَ مِنَ التَّارِيخِ، وَأَعْطَاوُا الْعَطَايَا بِالْمَدَائِنِ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَحِلُوا وَفِي بَهْرَسِيرٍ، فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةِ سِتٍّ عَشْرَةَ، وَاسْتَقَرَّ بِأَهْلِ الْبَصْرَةِ مَنْزِلُهُمُ الْيَوْمَ بَعْدَ ثَلَاثِ نَزَلَاتٍ قَبْلُهَا، كُلُّهَا ارْتَحَلُوا عَنْهَا فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةِ سَبْعٍ عَشْرَةَ، وَاسْتَقَرَّ بَاقِي قَرَارِهَا الْيَوْمَ فِي شَهْرِ وَاحِدٍ.

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: سَمِعْتُ الْقَاسِمَ بْنَ مَعْنٍ يَقُولُ: نَزَلَ النَّاسُ الْكُوفَةَ فِي آخِرِ سَنَةِ سَبْعٍ عَشْرَةَ

قال: وحدثني ابن أبي الرقاد، عن أبيه، قال: نَزَلُوهَا حِينَ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانِيَةَ عَشْرَةَ، فِي أَوَّلِ السَّنَةِ.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ سَيْفٍ قَالُوا: وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ وَإِلَى عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ أَنْ يَتَرَبَّعَا بِالنَّاسِ فِي كُلِّ حِينٍ رَيْعٍ فِي أَطْيَبِ أَرْضِهِمْ، وَأَمَرَ لَهُمْ بِمَعَاوَنِهِمْ فِي الرَّيْعِ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ، وَبِإِعْطَائِهِمْ فِي الْمَحْرَمِ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ، وَبِقِيَّتِهِمْ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّعْرِ فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَذَلِكَ عِنْدَ إِدْرَاكِ الْغَلَاتِ، وَأَخَذُوا قَبْلَ نَزُولِ الْكُوفَةِ عَطَاءَيْنِ كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مَخْلَدِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُدْعَى الْمَغْرُورَ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَ سَعْدُ الْكُوفَةَ، كَتَبَ إِلَى عُمَرَ: إِنِّي قَدْ نَزَلْتُ بِكُوفَةٍ مَنَزِلًا بَيْنَ الْحِيرَةِ وَالْفُرَاتِ بَرِيًّا بَحْرِيًّا، يُنْتَبِئُ الْحِلْيَ وَالنَّصِي، وَخَيْرَتُ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَدَائِنِ، فَمَنْ أَحْبَبَهُ الْمَقَامُ فِيهَا تَرَكَتُهُ فِيهَا كَالْمَسْلَحَةِ فَبَقِيَ أَقْوَامٌ مِنَ الْأَفْنَاءِ، وَأَكْثَرُهُمْ بَنُو عَبَسٍ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَعُمَرُو وَسَعِيدٍ وَالْمُهَلَّبِ، قَالُوا: وَلَمَّا نَزَلَ أَهْلُ الْكُوفَةِ الْكُوفَةَ، وَاسْتَقَرَّتْ بِأَهْلِ الْبَصْرَةِ الدَّارُ، عَرَفَ الْقَوْمُ أَنْفُسَهُمْ، وَثَابَ إِلَيْهِمْ مَا كَانُوا فَقَدُوا ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ اسْتَأْذَنُوا فِي بُنْيَانِ الْقَصْبِ، وَاسْتَأْذَنَ فِيهِ أَهْلُ الْبَصْرَةِ، فَقَالَ عُمَرُ: الْعَسْكَرُ أَجَدُ لِحَرْبِكُمْ وَأَذْكَى لَكُمْ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ أَخَالَفَكُمْ، وَمَا الْقَصْبُ؟ قَالُوا: الْعَكْرُشُ إِذَا رُويَ قَصْبٌ فَصَارَ قَصْبًا، قَالَ: فَشَانُكُمْ، فَابْتَنَى أَهْلُ الْمَصْرِينَ بِالْقَصْبِ. ثُمَّ إِنَّ الْحَرِيقَ وَقَعَ بِالْكُوفَةِ وَبِالْبَصْرَةِ، وَكَانَ أَشَدَّهُمَا حَرِيقًا الْكُوفَةُ،

فَاحْتَرَقَ ثَمَانُونَ عَرِيشًا، وَلَمْ يَبْقَ فِيهَا قِصْبَةٌ فِي شَوَالٍ، فَمَا زَالَ النَّاسُ يَذْكُرُونَ ذَلِكَ فَبَعَثَ سَعْدٌ مِنْهُمْ نَفَرًا إِلَى عُمَرَ يَسْتَأْذِنُونَ فِي الْبِنَاءِ بِاللَّيْلِ، فَقَدِمُوا عَلَيْهِ بِالْخَبَرِ عَنِ الْحَرِيقِ، وَمَا بَلَغَ مِنْهُمْ - وَكَانُوا لَا يَدْعُونَ شَيْئًا وَلَا يَأْتُونَهُ إِلَّا وَأَمْرُهُ فِيهِ - فَقَالَ: أَفْعَلُوا، وَلَا يَزِيدَنَّ أَحَدُكُمْ عَلَى ثَلَاثَةِ آيَاتٍ، وَلَا تُطَاوَلُوا فِي الْبُنْيَانِ، وَالزُّمُو السَّنَةَ تَلْزِمُكُمْ الدَّوْلَةُ فَرَجَعَ الْقَوْمُ إِلَى الْكُوفَةِ بِذَلِكَ وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى عُتْبَةَ وَأَهْلِ الْبَصْرَةِ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَعَلَى تَنْزِيلِ أَهْلِ الْكُوفَةِ أَبُو الْهَيَّاجِ بْنُ مَالِكٍ، وَعَلَى تَنْزِيلِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ عَاصِمُ بْنُ الدَّلْفِ أَبُو الْجَرَّاءِ.

قَالَ: وَعَهْدَ عُمَرَ إِلَى الْوَفْدِ وَتَقَدَّمَ إِلَى النَّاسِ أَلَّا يَرْفَعُوا بُنْيَانًا فَوْقَ الْقَدَرِ. قَالُوا: وَمَا الْقَدَرُ؟ قَالَ: مَا لَا يَقْرِبُكُمْ مِنَ السَّرَفِ، وَلَا يُخْرِجُكُمْ مِنَ الْقَصْدِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَالْمُهَلَّبِ وَعُمَرُو وَسَعِيدٍ، قَالُوا: لَمَّا أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَضَعُوا بُنْيَانَ الْكُوفَةِ، أَرْسَلَ سَعْدٌ إِلَى أَبِي الْهَيَّاجِ فَأَخْبَرَهُ بِكُتَابِ عُمَرَ فِي الطَّرْقِ، أَنَّهُ أَمَرَ بِالْمَنَاجِحِ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا، وَمَا يَلِيهَا ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ عَشْرِينَ، وَبِالْأَرْقَةِ سَبْعَ أَذْرُعٍ، لَيْسَ دُونَ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَفِي الْقَطَائِعِ سِتِينَ ذِرَاعًا إِلَّا الَّذِي لِبَنِي ضَبَّةٍ فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الرَّأْيِ لِلتَّقْدِيرِ، حَتَّى إِذَا أَقَامُوا عَلَى شَيْءٍ قَسَمَ أَبُو الْهَيَّاجِ عَلَيْهِ، فَأُولَ شَيْءٍ خَطَ الْكُوفَةَ وَبَنَى حِينَ عَزَمُوا عَلَى الْبِنَاءِ الْمَسْجِدَ، فَوُضِعَ فِي مَوْضِعِ أَصْحَابِ الصَّابُونِ وَالتَّمَارِينَ مِنَ السُّوقِ، فَاخْتَطَوْهُ، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ فِي وَسْطِهِ، رَامَ شَدِيدُ النَّزْعِ، فَرَمَى عَنْ يَمِينِهِ فَأَمَرَ مَنْ شَاءَ أَنْ يَبْنِيَ وَرَاءَ مَوْضِعِ ذَلِكَ السَّهْمِ، وَرَمَى مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَأَمَرَ مَنْ شَاءَ أَنْ يَبْنِيَ وَرَاءَ مَوْضِعِ السَّهْمَيْنِ.

فَتَرَكَ الْمَسْجِدَ فِي مَرْبَعَةٍ غُلُوهُ مِنْ كُلِّ جَوَانِبِهِ، وَبَنَى ظِلَّةً فِي مُقَدِّمِهِ، لَيْسَتْ لَهَا مُجَنَّبَاتٌ وَلَا مَوَاحِيرُ، وَالْمَرْبَعَةُ لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ لِثَلَاثَةِ يَزْدَحَمُوا -

وَكَذَلِكَ كَانَتْ الْمَسَاجِدُ مَا خَلَا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، فَكَانُوا لَا يُشَبِّهُونَ بِهِ الْمَسَاجِدَ تَعْظِيمًا لِحُرْمَتِهِ، وَكَانَتْ ظِلَّتُهُ مَائَتِي ذِرَاعٍ عَلَى أَسَاطِينِ رُخَامٍ كَانَتْ لِلْأَكَاسِرَةِ، سَمَاوُهَا كَأَسْمَةِ الْكَائِسِ الرُّومِيَّةِ، وَأَعْلَمُوا عَلَى الصَّحْنِ بِخَنْدَقٍ لَثَلَا يَقْتَحِمُهُ أَحَدٌ بَنِيَانٍ، وَبَنُوا لِسَعْدٍ دَارًا بِحِجَالِهِ بَيْنَهُمَا طَرِيقٌ مَنَقَبٌ مَائَتِي ذِرَاعٍ، وَجَعَلَ فِيهَا بُيُوتَ الْأَمْوَالِ، وَهِيَ قَصْرُ الْكُوفَةِ الْيَوْمَ، بَنَى ذَلِكَ لَهُ رُوزَبَةُ مِنْ آجَرِ بُنْيَانِ الْأَكَاسِرَةِ بِالْحِيرَةِ، وَنَهَجَ فِي الْوُدْعَةِ مِنَ الصَّحْنِ خَمْسَةَ مَنَاجِحَ، وَفِي قِبْلَتِهِ أَرْبَعَةَ مَنَاجِحَ، وَفِي شَرْقِيَّةِ ثَلَاثَةَ مَنَاجِحَ، وَفِي غَرْبِيَّةِ ثَلَاثَةَ مَنَاجِحَ، وَعَلَمُهَا،

فَأَنْزَلَ فِي وَدْعَةِ الصَّحْنِ سَلِيمًا وَثَقِيفًا مِمَّا يَلِي الصَّحْنَ عَلَى طَرِيقَيْنِ، وَهَمْدَانٌ عَلَى طَرِيقٍ، وَبَجِيلَةَ عَلَى طَرِيقٍ آخَرَ، وَتَمِيمَ اللَّاتِ عَلَى آخِرِهِمْ وَتَغْلَبَ، وَأَنْزَلَ فِي قِبْلَةِ الصَّحْنِ بَنِي أَسَدٍ عَلَى طَرِيقٍ، وَبَيْنَ بَنِي أَسَدٍ وَالنَّخَعِ طَرِيقٌ، وَبَيْنَ النَّخَعِ وَكِنْدَةَ طَرِيقٌ، وَبَيْنَ كِنْدَةَ وَالْأَزْدِ طَرِيقٌ، وَأَنْزَلَ فِي شَرْقِيِّ الصَّحْنِ الْأَنْصَارَ، وَمُزَيْنَةَ عَلَى طَرِيقٍ، وَتَمِيمًا وَمُحَارِبًا عَلَى طَرِيقٍ، وَأَسَدًا وَعَامِرًا عَلَى طَرِيقٍ، وَأَنْزَلَ فِي غَرْبِيِّ الصَّحْنِ بِجَالَةَ وَبَجْلَةَ عَلَى طَرِيقٍ، وَجَدِيلَةَ وَأَخْلَاطًا عَلَى طَرِيقٍ، وَجُهَيْنَةَ وَأَخْلَاطًا عَلَى طَرِيقٍ، فَكَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُلُونَ الصَّحْنَ وَسَائِرُ النَّاسِ بَيْنَ ذَلِكَ وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ وَاقْتَسَمَتِ عَلَى السَّهْمَانِ، فَهَذِهِ مَنَاجِيهُمَا الْعُظْمَى وَبَنُو مَنَاجٍ دُونَهَا تُحَاذِي هَذِهِ ثُمَّ تَلَاقِيهَا، وَأُخَرُ تَتَّبِعُهَا، وَهِيَ دُونَهَا فِي الذَّرْعِ، وَالْمَحَالِ مِنْ وَرَائِهَا، وَفِيمَا بَيْنَهَا، جَعَلَ هَذِهِ الطَّرَقَاتِ مِنْ وَرَاءِ الصَّحْنِ، وَنَزَلَ فِيهَا الْأَعْشَارُ مِنْ أَهْلِ الْأَيَّامِ وَالْقَوَادِسِ، وَحَمَى لِأَهْلِ الثُّغُورِ وَالْمُوصِلِ أَمَاكِنَ حَتَّى يَوَافُوا إِلَيْهَا، فَلَمَّا رَدَفْتُمُ الرُّوَادِفَ، الْبَدَأَ وَالثَّنَاءَ، وَكَثُرُوا عَلَيْهِمْ، ضَيَّقَ النَّاسُ الْمَحَالَّ فَمَنْ كَانَتْ رَادِفَتُهُ كَثِيرَةً شَخَصَ إِلَيْهِمْ وَتَرَكَ مَحَلَّتَهُ، وَمَنْ كَانَتْ رَادِفَتُهُ قَلِيلَةً أَنْزَلُوهُمْ مَنَازِلَ مِنْ شَخَصَ إِلَى رَادِفَتِهِ لِقَلَّتِهِ إِذَا كَانُوا جِيرَانِهِمْ، وَإِلَّا وَسَعُوا عَلَى رُوَادِفِهِمْ وَضَيَّقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَكَانَ الصَّحْنُ عَلَى حَالِهِ زَمَانَ عَمْرٍ كَلَهُ، لَا تَطْمَعُ فِيهِ الْقِبَالُ، لَيْسَ فِيهِ إِلَّا الْمَسْجِدُ وَالْقَصْرُ، وَالْأَسْوَاقُ فِي غَيْرِ بَنِيَانٍ وَلَا أَعْلَامٍ وَقَالَ عَمْرٍ: الْأَسْوَاقُ عَلَى سَنَةِ الْمَسَاجِدِ، مِنْ سَبَقَ

إِلَى مَقْعَدِ فَهَوَ لَهُ، حَتَّى يَقُومَ مِنْهُ إِلَى بَيْتِهِ أَوْ يَفْرُغَ مِنْ بَيْعِهِ، وَقَدْ كَانُوا أَعْدَوْا مَنَاحَا لِكُلِّ رَادِفٍ، فَكَانَ كُلٌّ مِنْ يَجِيءُ سَوَاءً فِيهِ - وَذَلِكَ الْمَنَاحُ الْيَوْمَ دُورُ بَنِي الْبَكَاءِ - حَتَّى يَأْتُوا بِالْهِيَاجِ، فَيَقُومُ فِي أَمْرِهِمْ حَتَّى يَقْطَعَ لَهُمْ حَيْثُ أَحْبَبُوا وَقَدْ بَنَى سَعْدٌ فِي الذِّينِ خَطَاوًا لِلْقَصْرِ قَصْرًا بِحِيَالٍ مُحَرَّابٍ مَسْجِدَ الْكُوفَةِ الْيَوْمَ، فَشِيدَهُ، وَجَعَلَ فِيهِ بَيْتَ الْمَالِ، وَسَكَنَ نَاحِيَتَهُ ثُمَّ إِنَّ بَيْتَ الْمَالِ نَقَبَ عَلَيْهِ نَقْبًا، وَأَخَذَ مِنَ الْمَالِ، وَكُتِبَ سَعْدٌ بِذَلِكَ إِلَى عَمْرٍ، وَوُصِفَ لَهُ مَوْضِعُ الدَّارِ وَبُيُوتُ الْمَالِ مِنَ الصَّحْنِ مِمَّا يَلِي وَدْعَةَ الدَّارِ.

فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَمْرٍ: أَنْ أَنْتَقِلَ الْمَسْجِدَ حَتَّى تَضَعَهُ إِلَى جَنْبِ الدَّارِ، وَاجْعَلِ الدَّارَ قِبْلَتَهُ، فَإِنَّ لِلْمَسْجِدِ أَهْلًا بِالنَّهَارِ وَبِاللَّيْلِ، وَفِيهِمْ حَصْنٌ لِمَالِهِمْ، فَنَقَلَ الْمَسْجِدَ وَأَرَاغَ بَنِيَانَهُ، فَقَالَ لَهُ دَهْقَانٌ مِنْ أَهْلِ هَمْدَانَ، يُقَالُ لَهُ رُوزِبَةُ بْنُ بَزْرَجَمَهْرٍ: أَنَا أَبْنِيهِ لَكَ، وَأَبْنِي لَكَ قَصْرًا فَأَصْلُهُمَا، وَيَكُونُ بَنِيَانًا وَاحِدًا نَخْطُ قَصْرَ الْكُوفَةِ عَلَى مَا خَطَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَنْشَأَهُ مِنْ نَقْضِ آجَرِ قَصْرِ كَانَ لِلْأَكَاسِرَةِ فِي ضَوَاحِي الْحِيرَةِ عَلَى مَسَاحَتِهِ الْيَوْمَ، وَلَمْ يَسْمَحْ بِهِ، وَوَضَعَ الْمَسْجِدَ بِحِيَالِ بُيُوتِ الْأَمْوَالِ مِنْهُ إِلَى مَتْنِ الْقَصْرِ، يَمْنَةً عَلَى الْقِبْلَةِ، ثُمَّ مَدَّ بِهِ عَنْ يَمِينِ ذَلِكَ إِلَى مَنَقَطِ رَحْبَةِ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَ، وَالرَّحْبَةُ قِبْلَتُهُ، ثُمَّ مَدَّ بِهِ فَكَانَتْ قِبْلَةُ الْمَسْجِدِ إِلَى الرَّحْبَةِ وَمِيمَنَةِ الْقَصْرِ، وَكَانَ بَنِيَانَهُ عَلَى أَسَاطِينٍ مِنْ رَخَامٍ كَانَتْ لِكُسْرَى بِكَأْسٍ بَغِيرِ مَجْنِبَاتٍ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَنَى أَزْمَانَ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ بَنِيَانَهُ الْيَوْمَ، عَلَى يَدَيْ زِيَادٍ.

وَلَمَّا أَرَادَ زِيَادُ بَنِيَانَهُ دَعَا بَنِيَانَيْنِ مِنْ بَنَائِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَوُصِفَ لَهُمْ مَوْضِعُ الْمَسْجِدِ وَقَدَرَهُ وَمَا يَشْتَبِي مِنْ طُولِهِ فِي السَّمَاءِ، وَقَالَ: أَشْتَبِي مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا لَا أَقَعُ عَلَى صِفَتِهِ، فَقَالَ لَهُ بِنَاءٌ قَدْ كَانَ بِنَاءً لِكُسْرَى: لَا يَجِيءُ هَذَا إِلَّا بِأَسَاطِينٍ مِنْ جِبَالِ أَهْوَازٍ، تَنْقَرُ ثُمَّ تُثَقَّبُ، ثُمَّ تُحْشَى بِالرِّصَاصِ وَبِسَفَافِيدِ الْحَدِيدِ، قَتْرَفُهُ ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ تَسْقَفُهُ، وَتَجْعَلُ لَهُ مَجْنِبَاتٍ وَمَوَاقِيرَ، فَيَكُونُ أَثْبَتَ لَهُ فَقَالَ: هَذِهِ الصِّفَةُ الَّتِي كَانَتْ نَفْسِي تَتَارَعُنِي

إِلَيْهَا وَلَمْ تُعْبَرْهَا وَغُلِقَ بَابُ الْقَصْرِ، وَكَانَتْ الْأَسْوَاقُ تَكُونُ فِي مَوْضِعِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَكَانَتْ غَوَاؤُهُمْ تَمْنَعُ سَعْدًا الْحَدِيثَ، فَلَمَّا بَنَى ادَّعَى النَّاسُ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَقِلْ، وَقَالُوا: قَالَ سَعْدٌ: سَكَنَ عَنِي الصُّوَيْتُ وَبَلَغَ عَمْرٍ ذَلِكَ، وَأَنَّ النَّاسَ يَسْمُونَهُ قَصْرَ سَعْدٍ، فَدَعَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ، فَسَرَحَهُ إِلَى الْكُوفَةِ، وَقَالَ: اعْمِدْ إِلَى الْقَصْرِ حَتَّى تَحْرِقَ بَابَهُ، ثُمَّ ارْجِعْ عَوْدَكَ عَلَى بَدْنِكَ، نَخْرُجْ حَتَّى قَدِمَ الْكُوفَةَ، فَاشْتَرَى حَطْبًا، ثُمَّ أَتَى بِهِ الْقَصْرَ، فَأَحْرَقَ الْبَابَ، وَأَتَى سَعْدَ فَأَخْبَرَ الْخَبَرَ، فَقَالَ: هَذَا رَسُولُ أَرْسَلَ لِهَذَا مِنَ الشَّأْنِ، وَبَعَثَ لِيَنْظُرَ مَنْ هُوَ؟ فَإِذَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولًا بِأَنْ أَدْخُلَ، فَأَبَى نَخْرُجَ إِلَيْهِ سَعْدٌ، فَأَرَادَهُ عَلَى الدَّخُولِ وَالنُّزُولِ، فَأَبَى، وَعَرَضَ عَلَيْهِ نَفَقَةً فَلَمْ يَأْخُذْ، وَدَفَعَ كِتَابَ عَمْرٍ إِلَى سَعْدٍ: بَلِّغْنِي أَنَّكَ بَنَيْتَ قَصْرًا اتَّخَذْتَهُ حَصْنًا، وَيُسَمَّى قَصْرَ سَعْدٍ، وَجَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ بَابًا، فَلَيْسَ بِقَصْرِكَ، وَلَكِنَّهُ قَصْرُ الْخَبَالِ، أَنْزَلَ مِنْهُ مَنْزِلًا مِمَّا يَلِي بُيُوتَ الْأَمْوَالِ وَأَغْلَقَهُ، وَلَا تَجْعَلِ عَلَى الْقَصْرِ بَابًا تَمْنَعُ النَّاسَ مِنْ دُخُولِهِ وَتَنْفِيهِمْ بِهِ عَنْ حَقُوقِهِمْ، لِيُوَافِقُوا مَجْلِسَكَ وَمَخْرَجَكَ مِنْ دَارِكَ إِذَا خَرَجْتَ، فَخَلَفَ لَهُ سَعْدٌ مَا قَالَ الَّذِي قَالُوا وَرَجَعَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ مِنْ فُورِهِ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ فَنِي زَادَهُ، فَتَبَلَّغَ بِلَحَاءٍ مِنْ لَحَاءِ الشَّجَرِ، فَقَدِمَ عَلَى عَمْرٍ، وَقَدْ سَتَقَ فَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُ كُلَّهُ، فَقَالَ: فَهَلَا قَبِلْتَ مِنْ سَعْدٍ! فَقَالَ: لَوْ

أردت ذلك كتبت لي به، أو أذنت لي فيه، فقال عمر: إن أكل الرجال رأيا من إذا لم يكن عنده عهد من صاحبه عمل بالحزم، أو قال به، ولم ينكل، وأخبره بيمين سعد وقوله، فصدق سعدا وقال: هو أصدق ممن روى عليه ومن أبلغني.
كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطاء أبي محمد، مولى إسحاق بن طلحة، قال: كنت أجلس في المسجد الأعظم قبل أن يبنيه زياد، وليست له مجنبات ولا مواخير، فأرى منه دير هند وباب الجسر.
كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ ابْنِ شَبْرَمَةَ، عَنْ

الشعبي، قال: كان الرجل يجلس في المسجد فيرى منه باب الجسر كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عِيَّاشٍ أَخِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ عِيَّاشٍ، عَنْ أَبِي كَثِيرٍ، أَنَّ رُوْزْبَةَ بْنَ بَرْجَهْرٍ سَاسَانُ كَانَ هَمْدَانِيًّا، وَكَانَ عَلَى فَرْجٍ مِنْ فُرُوجِ الرُّومِ، فَأَدْخَلَ عَلَيْهِمْ سِلَاحًا، فَأَخَافَهُ الْأَكَاسِرَةَ، فَلَحَقَ بِالرُّومِ، فَلَمْ يَأْمَنْ حَتَّى قَدِمَ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ، فَبَنَى لَهُ الْقَصْرَ وَالْمَسْجِدَ ثُمَّ كَتَبَ مَعَهُ إِلَى عَمْرِو، وَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ، فَأَسْلَمَ، وَفَرَضَ لَهُ عَمْرٌو وَأَعْطَاهُ، وَصَرَفَهُ إِلَى سَعْدٍ مَعَ أَكْرِيائِهِ - وَالْأَكْرِيَاءُ يَوْمُئِذٍ هُمُ الْعِبَادُ - حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَكَانِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ قَبْرُ الْعِبَادِيِّ مَاتَ، فَحَفَرُوا لَهُ، ثُمَّ انْتَظَرُوا بِهِ مِنْ يَمْرِ بِهِمْ مِمَّنْ يَشْهَدُونَهُ مَوْتَهُ، فَمَرُّوا مِنَ الْأَعْرَابِ، وَقَدْ حَفَرُوا لَهُ عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَرْوَهُمُوهُ لِيَبْرَأَ مِنْ دَمِهِ، وَأَشْهَدُوهُمْ ذَلِكَ، فَقَالُوا: قَبْرُ الْعِبَادِيِّ - وَقِيلَ قَبْرُ الْعِبَادِيِّ لِمَكَانِ الْأَكْرِيَاءِ - قَالَ أَبُو كَثِيرٍ: فَهُوَ وَاللَّهُ أَبِي، قَالَ: فَقُلْتُ: أَفَلَا تَخْبِرُ النَّاسَ بِحَالِهِ! قَالَ: لَا كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَالْمُهَلَّبِ وَعَمْرُو وَسَعِيدٍ وَزِيَادٍ، قَالُوا: وَرَجَّحَ الْأَعْيَانُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا رَجْحَانًا كَثِيرًا، فَكَتَبَ سَعْدُ إِلَى عَمْرِو فِي تَعْدِيلِهِمْ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنَّ عَدْلَهُمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى قَوْمٍ مِنْ نَسَابِ الْعَرَبِ وَذَوِي رَأْيِهِمْ وَعَقْلَانِهِمْ مِنْهُمْ سَعِيدُ بْنُ ثَمْرَانَ وَمَشْعَلَةُ بْنُ نَعِيمٍ، فَعَدَلُوهُمْ عَنِ الْأَسْبَاعِ، فَجَعَلُوهُمْ أَسْبَاعًا، فَصَارَتْ كُنَانَةً وَحَلَفَاؤُهَا مِنَ الْأَحَابِيْشِ وَغَيْرِهِمْ، وَجَدِيلَةٌ - وَهُمْ بَنُو عَمْرُو بْنِ قَيْسِ عِيلَانَ - سَبْعَاءُ، وَصَارَتْ قَضَاعَةٌ - وَمِنْهُمْ يَوْمُئِذٍ غَسَانُ بْنُ شَبَامٍ - وَبَجِيلَةٌ وَخَثْعَمٌ وَكَنْدَةُ وَحَضْرَمُوتُ، وَالْأَزْدُ سَبْعَاءُ، وَصَارَتْ مَذْحِجٌ وَحَمِيرٌ وَهَمْدَانٌ وَحَلَفَاؤُهُمْ سَبْعَاءُ، وَصَارَتْ تَمِيمٌ وَسَائِرُ الرِّبَابِ وَهُوَازَنُ سَبْعَاءُ، وَصَارَتْ أَسَدٌ وَغُظْفَانٌ وَمَحَارِبٌ وَالنَّمِرُ وَضَبِيعَةٌ وَتَغْلِبُ سَبْعَاءُ، وَصَارَتْ إِيَادٌ وَعَكٌّ وَعَبْدُ الْقَيْسِ وَأَهْلُ هَجْرٍ وَالْحَمْرَاءُ سَبْعَاءُ، فَلَمْ يَزَلُوا بِذَلِكَ زَمَانَ عَمْرُو وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، وَعَامَةٌ إِمَارَةٌ مُعَاوِيَةُ، حَتَّى رُبِعَهُمْ زِيَادُ

٤٠٢٢ اعاده تعريف الناس

٤٠٢٣ فتوح المدائن قبل الكوفة

إعادة تعريف الناس

وعرفوهم على مائة ألف درهم، فكانت كل عرافة من القادسية خاصة ثلاثة وأربعين رجلا وثلاثا وأربعين امرأة وخمسين من العيال، لهم مائة ألف درهم، وكل عرافة من أهل الأيام عشرين رجلا على ثلاثة آلاف وعشرين امرأة، وكل عيل على مائة، على مائة ألف درهم، وكل عرافة من الرادفة الأولى ستين رجلا وستين امرأة وأربعين من العيال ممن كان رجالهم ألحقوا على ألف وخمسمائة على مائة ألف درهم، ثم على هذا من الحساب.

وقال عطية بن الحارث: قد أدركت مائة عريف، وعلى مثل ذلك كان أهل البصرة، كان العطاء يدفع إلى أمراء الأسباع وأصحاب الرايات، والرايات على أيادي العرب، فيدفعونه إلى العرفاء والنقباء والأمناء، فيدفعونه إلى أهله في دورهم

. فتوح المدائن قبل الكوفة

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَالْمُهَلَّبِ وَعَمْرُو وَسَعِيدٍ، قَالُوا: فَتُوحُ الْمَدَائِنِ السَّوَادِ وَحُلُوانَ وَمَاسِبَذَانَ وَقَرْقِيسِيًّا، فَكَانَتْ الثُّغُورُ تُغَوَّرُ الْكُوفَةُ أَرْبَعَةً: حُلُوانَ عَلَيْهَا الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرُو، وَمَاسِبَذَانَ عَلَيْهَا ضَرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ الْفَهْرِيِّ، وَقَرْقِيسِيًّا عَلَيْهَا عَمْرُ بْنُ مَالِكٍ أَوْ عَمْرُو بْنُ عَتَبَةَ بْنِ نُوْفَلٍ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ، وَالْمَوْصِلَ عَلَيْهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَمِ، فَكَانُوا بِذَلِكَ، وَالنَّاسُ مُقِيمُونَ بِالْمَدَائِنِ بَعْدَ مَا تَحَوَّلَ سَعْدٌ إِلَى تَمْصِيرِ الْكُوفَةِ، وَانْضَمَّامِ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ إِلَى الْكُوفَةِ وَاسْتِخْلَافِهِمْ عَلَى الثُّغُورِ مِنْ يَمْسُكُ بِهَا وَيَقُومُ عَلَيْهَا، فَكَانَ خَلِيفَةُ

القعقاع على حلوان قباذ بن عبد الله، وخليفة عبد الله على الموصل مسلم بن عبد الله، وخليفة ضرار رافع بن عبد الله، وخليفة عمر عشنق بن عبد الله، وكتب إليهم عمر أن يستعينوا بمن احتاجوا إليه من الأساورة، ويرفعوا عنهم الجزاء، ففعلوا فلما اختطت الكوفة وأذن للناس بالبناء، نقل الناس أبوابهم من المدائن إلى الكوفة فعلقوها على

٤٠٢٠٤ ذكر خبر حمص حين قصد من فيها من المسلمين صاحب الروم

ما بنوا وأوطنوا الكوفة وهذه ثغورهم، وليس في أيديهم من الريف إلا ذلك. كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد عن عامر، قال: كانت الكوفة وسوادها والفروج: حلوان، والموصل، وماسبذان وقرقيسياء ثم وافقهم في الحديث عمرو بن الريان، عن موسى بن عيسى الهمداني بمثل حديثهم، ونهاهم عما وراء ذلك، ولم يأذن لهم في الانسياح.

وقالوا جميعا: ولي سعد بن مالك على الكوفة بعد ما اختطت ثلاث سنين ونصفا سوى ما كان بالمدائن قبلها، وعماله ما بين الكوفة وحلوان والموصل وماسبذان وقرقيسياء إلى البصرة، ومات عتبة بن غزوان وهو على البصرة فظع بعمله، وسعد على الكوفة فولى عمر أبا سبرة مكان عتبة بن غزوان، ثم عزل أبا سبرة عن البصرة، واستعمل المغيرة، ثم عزل المغيرة، واستعمل أبا موسى الأشعري . ذكر خبر حمص حين قصد من فيها من المسلمين صاحب الروم

وفي هذه السنة قصدت الروم أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من جند المسلمين بحمص لحربهم، فكان من أمرهم وأمر المسلمين ما ذكر أبو عبيدة، وهو فيما كتب به إلى السري عن شعيب، عن سيف عن محمد وطلحة وعمرو وسعيد- قالوا أول ما أذن عمر للجند بالانسياح، أن الروم خرجوا، وقد تكتبوا هم وأهل الجزيرة يريدون أبا عبيدة والمسلمين بحمص، فضم أبو عبيدة إليه مسالحه، وعسكروا بفناء مدينة حمص، وأقبل خالد من قنسرين حتى انضم إليهم فيمن انضم من أمراء المسالح، فاستشارهم أبو عبيدة في المناجزة أو التحصن إلى مجيء الغياث، فكان خالد يأمره أن يناجزهم، وكان سائرهم يأمرونه بأن يتحصن، ويكتب إلى عمر، فأطاعهم وعصى خالدا، وكتب إلى عمر يخبره بخروجهم عليه،

وشغلهم أجناد أهل الشام عنه، وقد كان عمر اتخذ في كل مصر على قدره خيولا من فضول أموال المسلمين عدة لكون إن كان، فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فرس فلما وقع الخبر لعمر كتب إلى سعد ابن مالك: أن اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كغابي إلى حمص، فإن أبا عبيدة قد أحيط به، وتقدم إليهم في الجد والحث.

وكتب أيضا إليه أن سرح سهيل بن عدي إلى الجزيرة في الجند وليأت الرقة فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص، وإن أهل قرقيسياء لهم سلف وسرح عبد الله بن عبد الله بن عتبان إلى نصيبين، فإن أهل قرقيسياء لهم سلف، ثم لينفضا حران والرهاء وسرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ وسرح عياضا، فإن كان قتال فقد جعلت أمرهم جميعا إلى عياض بن غنم- وكان عياض من أهل العراق الذين خرجوا مع خالد بن الوليد ممدنين لأهل الشام، ومن انصرف أيام انصرف أهل العراق ممدنين لأهل القادسية، وكان يرافد أبا عبيدة- فضى القعقاع في أربعة آلاف من يومهم الذي أتاهم فيه الكتاب نحو حمص، وخرج عياض بن غنم وأمراء الجزيرة فأخذوا طريق الجزيرة على الفراض وغير الفراض، وتوجه كل أمير إلى الكورة التي أمر عليها فأتى الرقة، وخرج عمر من المدينة مغيا لآبي عبيدة يريد حمص حتى نزل الجابية ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص واستثاروهم وهم معهم مقيمون عن حديث من بالجزيرة منهم بأن الجنود قد ضربت من الكوفة، ولم يدروا: الجزيرة يريدون أم حمص! فتفرقوا إلى بلدانهم وإخوانهم، وخلوا الروم ورأى أبو عبيدة أمرا لما انفضوا غير الأول، فاستشار خالدا في الخروج، فأمره بالخروج، ففتح الله عليهم وقدم القعقاع بن عمرو في أهل الكوفة في ثلاث من يوم الواقعة، وقدم عمر فنزل الجابية، فكتبوا إلى عمر بالفتح وبقدوم المدد عليهم في ثلاث، وبالحكم في ذلك فكتب إليهم أن أشركوهم، وقال: جزي الله أهل الكوفة خيرا! يكفون حوزتهم ويمدون أهل الأمصار.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن زكرياء بن سياه، عن الشَّعْبِيِّ، قَالَ: اسْتَمَدَّ أَبُو عُبَيْدَةَ عُمَرُ، وَخَرَجَتْ عَلَيْهِ الرُّومُ، وَتَابَعَهُمُ النَّصَارَى فَحَصَرُوهُ، فَخَرَجَ وَكَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَنَفَرَ إِلَيْهِمْ فِي غَدَاةٍ أَرْبَعَةَ آلَافٍ عَلَى الْبِغَالِ يُجَنِّبُونَ الْخَيْلَ، فَقَدِمُوا عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ فِي ثَلَاثٍ بَعْدَ الْوُقْعَةِ، فَكَتَبَ فِيهِمْ إِلَى عُمَرُ، وَقَدْ انْتَهَى إِلَى الْجَالِيَةِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ:

أَنْ أَشْرِكُهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَدْ نَفَرُوا إِلَيْكُمْ، وَتَفَرَّقَ لَهُمْ عَدُوُّكُمْ كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ طَلْحَةَ، عَنْ مَاهَانَ، قَالَ: كَانَ لِعَمْرٍ أَرْبَعَةُ آلَافٍ فَرَسٍ عِدَّةٌ لَكُونُ إِنْ كَانَ، يَشْتَبِيهَا فِي قِبْلَةِ قَصْرِ الْكُوفَةِ وَمِيسَرَتِهِ، وَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ يُسَمَّى ذَلِكَ الْمَكَانَ الْآرِي إِلَى الْيَوْمِ، وَيَرْبَعُهَا فِيمَا بَيْنَ الْفَرَاتِ وَالْأَبْيَاتِ مِنَ الْكُوفَةِ مِمَّا يَلِي الْعَاقُولِ، فَسَمَّيْتُهُ الْأَعَاجِمَ آخِرَ الشَّاهِجَانِ، يَعْنُونَ مَعْلَفَ الْأَمْرَاءِ، وَكَانَ قِيَمُهُ عَلَيْهَا سَلْمَانُ بْنُ رَبِيعَةَ الْبَاهِلِي فِي نَفَرٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، يَصْنَعُ سَوَابِقَهَا، وَيَجْرِيهَا فِي كُلِّ عَامٍ، وَبِالْبَصْرَةِ نَحْوُ مِائَةِ قِيَمَةٍ عَلَيْهَا جَزَاءُ بَنٍ مُعَاوِيَةَ، وَفِي كُلِّ مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ الثَّمَانِيَةِ عَلَى قَدَرِهَا، فَإِنْ نَابَتْهُمْ نَائِبَةٌ رَكِبَ قَوْمٌ وَتَقَدَّمُوا إِلَى أَنْ يَسْتَعِدَّ النَّاسُ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ حَلَامٍ، عَنْ شَهْرِ بْنِ مَالِكٍ نَحْوُ مِائَةِ قِيَمَةٍ فَلَهَا فَرَاغُوا رَجَعُوا

٤٠٢٠٥ ذكر فتح الجزيرة

ذكر فتح الجزيرة

وفي هذه السنة - أعني سنة سبع عشرة - افتتحت الجزيرة في رواية سيف وأما ابن إسحاق، فإنه ذكر أنها افتتحت في سنة تسع عشرة من الهجرة، وذكر من سبب فتحها ما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ عَنْهُ، أَنَّ عُمَرَ كَتَبَ إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ فَتَحَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الشَّامَ وَالْعِرَاقَ، فَابْعَثْ مِنْ عِنْدِكَ جُنْدًا إِلَى الْجَزِيرَةِ، وَأَمْرٌ عَلَيْهِمْ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ: خَالِدُ بْنُ عَرْفُطَةَ، أَوْ هَاشِمُ بْنُ عَتَبَةَ، أَوْ عِيَاضُ بْنُ غَنَمٍ.

فلما انتهى إلى سعد كتاب عمر، قال: ما أحرأ أمير المؤمنين عياض بن غنم آخر القوم إلا أنه له فيه هوى أن أوليه، وأنا موليه فبعثه وبعث معه جيشاً، وبعث أبا موسى الأشعري، وابنه عمر بن سعد - وهو غلام حدث السن ليس إليه من الأمر شيء - وعثمان بن أبي العاص بن بشر الثقفي، وذلك في سنة تسع عشرة فخرج عياض إلى الجزيرة، فنزل بجنده على الرهاء فصالحه أهلها على الجزيرة، وصالحت حران حين صالحت الرهاء، فصالحه أهلها على الجزيرة ثم بعث أبا موسى الأشعري إلى نصيبين، ووجه عمر بن سعد إلى رأس العين في خيل رداء للمسلمين، وسار بنفسه في بقية الناس إلى داراء، فنزل عليها حتى افتتحها، فافتتح أبو موسى نصيبين، وذلك في سنة تسع عشرة ثم وجه عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية الرابعة فكان عندها شيء من قتال، أصيب فيه صفوان بن المعطل السلمي شهيداً.

ثم صالح أهلها عثمان بن أبي العاص على الجزيرة، على كل أهل بيت دينار ثم كان فتح قيسارية من فلسطين وهرب هرقل. وأما في رواية سيف، فإن الخبر في ذلك، فيما كتب به إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد والمهلب وطلحة وعمر وسعيد، قالوا:

خرج عياض بن غنم في أثر القعقاع، وخرج القواد - يعني حين كتب عمر إلى سعد بتوجيه القعقاع في أربعة آلاف من جنده مدداً لأبي عبيدة حين قصدته الروم وهو بمحصر - فسلخوا طريق الجزيرة على الفراض وغيرها،

فسلك سهيل بن عدي وجنده طريق الفراض حتى انتهى إلى الرقة، وقد أرفض أهل الجزيرة عن حمص إلى كورهم حين سمعوا بمقبل أهل الكوفة، فنزل عليهم، فأقام محاصرهم حتى صالحوه، وذلك أنهم قالوا فيما بينهم: أقم بين أهل العراق وأهل الشام، فما بقاءكم على حرب هؤلاء هؤلاء! فبعثوا في ذلك إلى عياض وهو في منزل واسط من الجزيرة، فرأى أن يقبل منهم، فبايعوه وقبل منهم، وكان الذي عقد لهم سهيل بن عدي عن أمر عياض، لأنه أمير القتال وأجروا ما أخذوا عنوة، ثم أجابوا مجرى أهل الذمة، وخرج عبد الله بن عبد الله بن عتبان، فسلك على دجلة حتى انتهى إلى الموصل، فعبر إلى بلد حتى أتى نصيبين، فلقوه بالصلح، وصنعوا كما صنع أهل الرقة، وخافوا مثل الذي خافوا، فكتبوا إلى عياض، فرأى أن يقبل منهم، فعقد لهم عبد الله بن عبد الله، وأجروا ما أخذوا عنوة،

ثم أجابوا مجرى أهل الذمة، وخرج الوليد بن عقبة حتى قدم على بني تغلب وعرب الجزيرة، فنهض معه مسلمهم وكافرهم إلا إياهم ابن نزار، فإنهم ارتحلوا بقليتهم، فاقتحموا أرض الروم، فكتب بذلك الوليد إلى عمر بن الخطاب ولما أعطى أهل الرقة ونصيبين الطاعة ضم عياض سهيلا وعبد الله إليه فسار بالناس إلى حران، فأخذ ما دونها فلما انتهى إليهم اتقوه بالإجابة إلى الجزية فقبل منهم، وأجرى من أجاب بعد غلبه مجرى أهل الذمة ثم إن عياضا سرح سهيلا وعبد الله إلى الرهاء، فاتقوها بالإجابة إلى الجزية، وأجرى من دونهم مجراهم، فكانت الجزيرة أسهل البلدان أمرا، وأيسره فتحا، فكانت تلك السهولة مهجنة عليهم وعلى من أقام فيهم من المسلمين، وقال عياض بن غنم:

من مبلغ الأقوم أن جموعنا ... حوت الجزيرة يوم ذات زحام

جمعوا الجزيرة والغيث فنفسوا ... عمن بمحص غيابه القدام

إن الأعزة والأكارم معشر ... فضوا الجزيرة عن فراخ الهام

غلبوا الملوك على الجزيرة فانتهوا ... عن غزو من يأوي بلاد الشام

ولما نزل عمر الجابية، وفرغ أهل حمص أمد عياض بن غنم بحبيب ابن مسلمة، فقدم على عياض مددا، وكتب أبو عبيدة إلى عمر بعد انصرافه من الجابية يسأله أن يضم إليه عياض بن غنم إذ ضم خالدًا إلى المدينة، فصرفه إليه، وصرف سهيل بن عدي وعبد الله بن عبد الله إلى الكوفة ليصرفهما إلى المشرق، واستعمل حبيب بن مسلمة على عجم الجزيرة وحرها، والوليد بن عقبة على عرب الجزيرة، فأقاما بالجزيرة على أعمالهما.

قالوا: ولما قدم الكتاب من الوليد على عمر كتب عمر إلى ملك الروم:

إنه بلغني أن حيا من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك، فوالله لتخرجنه أو لننذرن إلى النصارى، ثم لنخرجهم إليك فأخرجهم ملك الروم، فخرجوا فتم منهم على الخروج أربعة آلاف مع أبي عدي بن زياد، وخنس بقيتهم، ففترقوا فيما يلي الشام والجزيرة من بلاد الروم، فكل إيادي في أرض العرب من أولئك الأربعة الآلاف، وأبى الوليد بن عقبة أن يقبل من بني تغلب إلا الإسلام، فقالوا له: أما من نقب على قومه في صلح سعد ومن كان قبله فأنتم وذاك، وأما من لم ينقب عليه أحد ولم يجر ذلك لمن نقب فما سبيلك عليه! فكتب فيهم إلى عمر، فأجابه عمر: إنما ذلك لجزيرة العرب لا يقبل منهم فيها إلا الإسلام، فدعهم على ألا ينصروا وليدا، وأقبل منهم إذا أسلموا فقبل منهم على ألا ينصروا وليدا، ولا يمنعوا أحدا منهم من الإسلام، فأعطى بعضهم ذلك فأخذوا به، وأبى بعضهم إلا الجزاء، فرضي منهم بما رضي من العباد وتنوخ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَيْفٍ التَّغْلَبِيِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَدْ عَاهَدَ وَفَدَهُمْ

٤٠٢٠٦ خروج عمر بن الخطاب إلى الشام

عَلَى أَلَا يُنْصَرُوا وَلَيْدًا، فَكَانَ ذَلِكَ الشَّرْطُ عَلَى الْوَفْدِ وَعَلَى مَنْ وَفَدَهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَى غَيْرِهِمْ، فَلَمَّا كَانَ زَمَانُ عُمَرَ قَالَ مُسْلِمُهُمْ: لَا تَفْرُوهُمْ بِاخْرَاجِ فَيَذْهَبُوا، وَلَكِنْ أَضْعِفُوا عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةَ الَّتِي تَأْخُذُونَهَا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَيَكُونُ جَزَاءً، فَإِنَّهُمْ يَغْضَبُونَ مِنْ ذِكْرِ الْجَزَاءِ عَلَى أَلَا يُنْصَرُوا مَوْلُودًا إِذَا أَسْلَمَ آبَاؤُهُمْ.

فخرج وفدهم في ذلك إلى عمر، فلما بعث الوليد إليه براءوس النصارى وبديانيمهم، قال لهم عمر: أدوا الجزية، فقالوا: لعمر: أبلغنا ما مننا، والله لئن وضعت علينا الجزاء لندخلن أرض الروم، والله لتفرضننا من بين العرب، فقال لهم: أنتم فضحتن أنفسكم، وخالفتم أمتكم فيمن خالف واقتضح من عرب الضاحية، وتالله لتؤدنه وأنتم صغرة قاة، ولئن هربتم إلى الروم لا كتبت فيكم، ثم لأسبينكم قالوا: نخذ منا شيئًا ولا نسمه جزاء، فقال: أما نحن فنسميه جزاء، وسموه أنتم ما شئتم [فقال له علي بن أبي طالب:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَمْ يُضْعِفْ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: بَلَى، وَأَصْنَعِي إِلَيْهِ، فَرَضِي بِهِ مِنْهُمْ جَزَاءً، فَرَجَعُوا عَلَى ذَلِكَ، وَكَانَ فِي بَنِي تَغْلَبَ عِزٌّ وَامْتِنَاعٌ، وَلَا يَزَالُونَ يَتَارِعُونَ الْوَلِيدَ، فَهَمَّ بِهِمُ الْوَلِيدُ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ:

إِذَا مَا عَصَبْتُ الرَّأْسَ مَنِّي بِمَشْوَذٍ ... فَغَيْكَ مَنِّي تَغْلَبَ ابْنَةُ وَائِلٍ

وَبَلَغَتْ عَنْهُ عُمَرُ، نَخَافُ أَنْ يَخْرِجُوهُ وَأَنْ يَضْعِفَ صَبْرَهُ فَيَسْطُو عَلَيْهِمْ، فَعَزَلَهُ وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ فُرَاتَ بْنَ حَيَّانَ وَهَنْدَ بْنَ عَمْرٍو الْجَمَلِيَّ، وَخَرَجَ الْوَلِيدُ وَاسْتَوْدَعَ إِبِلًا لَهُ حَرِثَ بْنَ النُّعْمَانِ، أَحَدُ بَنِي كِنَانَةَ بْنِ تَيْمٍ مِنْ بَنِي تَغْلَبَ، وَكَانَتْ مَائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ فَاخْتَانَهَا بَعْدَ مَا خَرَجَ الْوَلِيدُ.

وَكَانَ فَتَحَ الْجَزِيرَةَ فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةٍ فِي ذِي الْحِجَّةِ

. خَرُوجَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى الشَّامِ

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنَى سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةٍ - خَرَجَ عُمَرُ مِنَ الْمَدِينَةِ يُرِيدُ

الشَّامَ حَتَّى بَلَغَ سِرْعَ، فِي قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا بِذَلِكَ ابْنُ حَمِيدٍ عَنْ سَلَمَةَ عَنْهُ، وَفِي قَوْلِ الْوَاقِدِيِّ.

ذَكَرَ الْخَبْرَ عَنْ خُرُوجِهِ إِلَيْهَا:

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

خَرَجَ عُمَرُ إِلَى الشَّامِ غَازِيَا فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسِرْعَ لَقِيَهِ أَمْرَاءُ الْأَجْنَادِ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْأَرْضَ سَقِيمَةٌ، فَرَجَعَ بِالنَّاسِ إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَقَدْ كَانَ عُمَرُ - كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ ابْنِ شِهَابِ الزَّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبَّاسٍ - خَرَجَ غَازِيَا، وَخَرَجَ مَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَأَوْعَبَ

النَّاسَ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا نَزَلَ بِسِرْعَ، لَقِيَهِ أَمْرَاءُ الْأَجْنَادِ: أَبُو عُبَيْدَةَ ابْنُ الْجَرَّاحِ، وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ، وَشُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ

الْأَرْضَ سَقِيمَةٌ، فَقَالَ عُمَرُ: اجْمَعْ إِلَيَّ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، قَالَ:

جَمَعْتَهُمْ لَهُ، فَاسْتَشَارَهُمْ، فَاخْتَلَفُوا عَلَيْهِ، فَنِهَمُ الْقَائِلُ: خَرَجْتَ لَوَجْهِ تَرْيِدٍ فِيهِ اللَّهُ وَمَا عِنْدَهُ، وَلَا نَرَى أَنْ يَصُدَّكَ عَنْهُ بَلَاءٌ عَرَضَ لَكَ

وَمِنْهُمْ الْقَائِلُ: إِنَّهُ لَبَلَاءٌ وَفَنَاءٌ مَا نَرَى أَنْ تَقْدَمَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا اخْتَلَفُوا عَلَيْهِ قَالَ:

قُومُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: اجْمَعْ لِي مُهَاجِرَةَ الْأَنْصَارِ، جَمَعْتَهُمْ لَهُ، فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا طَرِيقَ الْمُهَاجِرِينَ، فَكَأَنَّمَا سَمِعُوا مَا قَالُوا فَقَالُوا مِثْلَهُ فَلَمَّا

اخْتَلَفُوا عَلَيْهِ قَالَ: قُومُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: اجْمَعْ لِي مُهَاجِرَةَ الْفَتْحِ مِنْ قُرَيْشٍ، جَمَعْتَهُمْ لَهُ، فَاسْتَشَارَهُمْ فَلَمْ يَخْتَلَفْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ اثْنَانِ، وَقَالُوا:

ارْجِعْ بِالنَّاسِ، فَإِنَّهُ بَلَاءٌ وَفَنَاءٌ قَالَ: فَقَالَ لِي عُمَرُ: يَا بَنَ عَبَّاسٍ، أَصْرُخُ فِي النَّاسِ فَقُلْ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مُصْبِحٌ عَلَى

ظَهْرٍ، فَأَصْبَحُوا عَلَيْهِ قَالَ: فَأَصْبَحَ عُمَرُ عَلَى ظَهْرٍ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي رَاجِعٌ فَارْجِعُوا، فَقَالَ

لَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ! قَالَ: نَعَمْ فِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ

رَجُلًا هَبَطَ وَادِيًا لَهُ عِدْوَتَانِ: إِحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ يَرَعَى مِنَ رَعَى الْجَدْبَةِ بِقَدَرِ اللَّهِ، وَيَرَعَى مِنَ رَعَى الْخَصْبَةِ بِقَدَرِ

اللَّهِ! ثُمَّ قَالَ: لَوْ غَيْرُكَ يَقُولُ هَذَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ! ثُمَّ خَلَا بِهِ بِنَاحِيَةِ دُونَ النَّاسِ، فَبَيْنَا النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ إِذْ أَتَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ - وَكَانَ

مُتَخَلِّفًا عَنِ النَّاسِ لَمْ يَشْهَدْهُمْ بِالْأَمْسِ - فَقَالَ: مَا شَأْنُ النَّاسِ؟ فَأَخْبَرَ الْخَبْرَ، فَقَالَ: عِنْدِي مِنْ هَذَا عِلْمٌ، فَقَالَ: عُمَرُ: فَأَنْتَ عِنْدَنَا

الْأَمِينُ الْمُصَدِّقُ، فَمَاذَا عِنْدَكَ؟

[قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: إِذَا سَمِعْتُمْ هَذَا الْوَبَاءَ بِلَدٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ وَأَنْتُمْ بِهِ فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ،] وَلَا يُخْرِجُكُمْ

إِلَّا ذَلِكَ، فَقَالَ عُمَرُ: فَلِلَّهِ الْحَمْدُ! انصَرِفُوا أَيُّهَا النَّاسُ، فَانصَرَفَ بِهِمْ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ ابْنِ شِهَابِ الزَّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ وَسَلَامِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

بْنِ عَمْرٍ، أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ أَنَّ عَمْرًا إِذَا رَجَعَ بِالنَّاسِ عَنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَلَمَّا رَجَعَ عَمْرٌ رَجَعَ عَمَالُ الْأَجْنَادِ إِلَى أَعْمَالِهِمْ وَأَمَّا سَيْفٌ، فَإِنَّهُ رَوَى فِي ذَلِكَ مَا كَتَبَ بِهِ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي حَارِثَةَ وَأَبِي عَثْمَانَ وَالرَّبِيعِ، قَالُوا: وَقَعَ الطَّاعُونَ بِالشَّامِ وَمِصْرَ وَالْعِرَاقِ، وَاسْتَقَرَّ بِالشَّامِ، وَمَاتَ فِيهِ النَّاسُ الَّذِينَ هُمْ فِي كُلِّ الْأَمْصَارِ فِي الْمَحْرَمِ وَصَفَرٍ، وَارْتَفَعَ عَنِ النَّاسِ وَكَتَبُوا بِذَلِكَ إِلَى عَمْرٍ مَا خَلَا الشَّامَ، نَخَرَجَ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْهَا قَرِيبًا بَلَغَهُ أَنَّهُ أَشَدُّ مَا كَانَ، فَقَالَ وَقَالَ الصَّحَابَةُ:

[قال رسول الله ص: إِذَا كَانَ بِأَرْضٍ وَبَاءٌ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا] فَرَجَعَ حَتَّى ارْتَفَعَ عَنْهَا، وَكَتَبُوا بِذَلِكَ إِلَيْهِ وَبِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَوَارِيثِ، فَجَمَعَ النَّاسُ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ، فَاسْتَشَارَهُمْ فِي الْبُلْدَانِ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ بَدَأَ لِي أَنْ أَطُوفَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي بُلْدَانِهِمْ لِأَنْظُرَ فِي آثَارِهِمْ، فَأَشِيرُوا عَلَيَّ - وَكَعَبُ الْأَخْبَارِ

فِي الْقَوْمِ، وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ مِنْ إِمَارَةِ عَمْرِو أَسْلَمَ - فَقَالَ كَعَبٌ: بِأَيِّهَا تُرِيدُ أَنْ تَبْدَأَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: بِالْعِرَاقِ، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ الشَّرَّ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ وَالْخَيْرُ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ، فَجُزْءٌ مِنَ الْخَيْرِ بِالْمَشْرِقِ وَتِسْعَةٌ بِالْمَغْرِبِ، وَإِنْ جُزْءًا مِنَ الشَّرِّ بِالْمَغْرِبِ وَتِسْعَةٌ بِالْمَشْرِقِ، وَبِهَا قَرْنُ الشَّيْطَانِ، وَكُلُّ دَاءٍ عُضَالٌ.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن سعيد، عن الأصمغ، عن علي، قال: قام إليه علي، فقال: [يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللَّهِ إِنَّ الْكُوفَةَ لِلْهِجْرَةِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، وَإِنَّهَا لَقَبَةُ الْإِسْلَامِ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ لَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ إِلَّا أَتَاهَا وَحَنَ إِلَيْهَا، وَاللَّهِ لَيُنْصَرَنَّ بِأَهْلِهَا كَمَا انْتَصَرَ بِالْحِجَارَةِ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ].

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن المطرج، عن القاسم، عن أبي أُمَامَةَ، قَالَ: وَقَالَ عُثْمَانُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الْمَغْرِبَ أَرْضُ الشَّرِّ، وَإِنَّ الشَّرَّ قِسْمَ مِائَةِ جُزْءٍ، فَجُزْءٌ فِي النَّاسِ وَسَائِرُ الْأَجْزَاءِ بِهَا.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي يَحْيَى التَّمِيمِي، عَنْ أَبِي مَاجِدٍ، قَالَ: قَالَ عَمْرٌ: الْكُوفَةُ رُحْمُ اللَّهِ، وَقَبَةُ الْإِسْلَامِ، وَجَمِئَةُ الْعَرَبِ، يَكْفُونُ ثَغُورَهُمْ، وَيَمْدُونُ الْأَمْصَارَ، فَقَدْ ضَاعَتْ مَوَارِيثُ أَهْلِ عَمُوسَ، فَأَبْدَأُ بِهَا.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عُثْمَانَ وَأَبِي حَارِثَةَ وَالرَّبِيعِ بْنِ النُّعْمَانِ، قَالُوا: قَالَ عَمْرٌ: ضَاعَتْ مَوَارِيثُ النَّاسِ بِالشَّامِ، أَبْدَأُ بِهَا فَأَقْسِمُ الْمَوَارِيثَ، وَأَقِيمُ لَهُمْ مَا فِي نَفْسِي، ثُمَّ أَرْجِعُ فَاتَّقَلَّبُ فِي الْبِلَادِ، وَأَنْبِذُ إِلَيْهِمْ أَمْرِي فَأَتَى عَمْرُ الشَّامَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، مَرَّتَيْنِ فِي سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ، وَمَرَّتَيْنِ فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةَ، لَمْ يَدْخُلْهَا فِي الْأُولَى مِنَ الْآخِرَتَيْنِ.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن بكر بن وائل، عن محمد بن مسلم، قال: [قال رسول الله ص: قِسِمَ الْخِفْظُ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ، فَتِسْعَةٌ فِي التُّرْكِ وَجُزْءٌ فِي سَائِرِ النَّاسِ، وَقِسِمَ الْبُخْلُ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ، فَتِسْعَةٌ فِي فَارِسَ، وَجُزْءٌ فِي سَائِرِ النَّاسِ، وَقِسِمَ السَّخَاءُ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ،

فَتِسْعَةٌ فِي السُّودَانَ، وَجُزْءٌ فِي سَائِرِ النَّاسِ، وَقِسِمَ الشُّبُقُ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ، فَتِسْعَةٌ فِي الْهِنْدِ، وَجُزْءٌ فِي سَائِرِ النَّاسِ، وَقِسِمَ الْحَيَاءُ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ، فَتِسْعَةٌ فِي النِّسَاءِ، وَجُزْءٌ فِي سَائِرِ النَّاسِ، وَقِسِمَ الْحَسَدُ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ، فَتِسْعَةٌ فِي الْعَرَبِ وَجُزْءٌ فِي سَائِرِ النَّاسِ، وَقِسِمَ الْكِبَرُ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ، فَتِسْعَةٌ فِي الرُّومِ وَجُزْءٌ فِي سَائِرِ النَّاسِ].

واختلف في خبر طاعون عمواس وفي أي سنة كان، فقال ابن إسحاق ما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عنه، قال: ثم دخلت سنة ثماني عشرة، ففيها كان طاعون عمواس، ففتناني فيها الناس، فتوفي أبو عبيده ابن الجراح، وهو أمير الناس، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، والحارث ابن هشام، وسهيل بن عمرو، وعتبة بن سهيل، وأشرف الناس.

وحدثني أحمد بن ثابت الرازي، قال: حدثنا عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: كان طاعون عمواس والجلابية في سنة ثمان عشرة.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن شعبة بن الحجاج، عن المخارق بن عبد الله البجلي، عن طارق بن شهاب البجلي، قال: أتينا أبا موسى وهو في داره بالكوفة لتحدث عنه، فلما جلسنا قال: لا عليكم أن تحفوا، فقد أصيب في الدار إنسان بهذا السقم، ولا عليكم أن تنزهوا عن هذه القرية، فتخرجوا في فسيح بلادكم ونزهها حتى يرفع هذا الوباء، سأخبركم بما يكره مما يتقى، من ذلك أن يظن من خرج أنه لو أقام مات، ويظن من أقام فصابه ذلك لو أنه لو خرج لم يصبه، فإذا لم يظن هذا المرء المسلم فلا

عليه أن يخرج، وأن يتنزه عنه، إني كنت مع أبي عبيدة بن الجراح بالشام عام طاعون عمواس، فلما اشتعل الوباء، وبلغ ذلك عمر، كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه: أن سلام عليك، أما بعد، فإنه قد عرضت لي إليك حاجة أريد أن أشفهك فيها، فعزمت عليك إذا نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتى تقبل إلي قال: فعرف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء، قال: يغفر الله لأمر المؤمنين! ثم كتب إليه: يا أمير المؤمنين، إني قد عرفت حاجتك إلي، وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسني رغبة عنهم، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله في وفيم أمره وقضائه، فخلني من عزمتك يا أمير المؤمنين، ودعني في جندي فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقال الناس: يا أمير المؤمنين، أمات أبو عبيدة؟ قال: لا، وكأن قد قال: ثم كتب إليه: سلام عليك، أما بعد، فإنك أنزلت الناس أرضاً غمقه، فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة فلما أتاه كتابه دعاني فقال: يا أبا موسى، إن كتاب أمير المؤمنين قد جاءني بما ترى، فاخرج فارتد للناس منزلاً حتى أتبعك بهم، فرجعت إلى منزلي لأرتحل، فوجدت صاحبتني قد أصيبت، فرجعت إليه، فقلت له: والله لقد كان في أهلي حدث، فقال: لعل صاحبك أصيبت! قلت: نعم، قال: فأمر ببيعه فرحل له، فلما وضع رجله في غرزة طعن، فقال: والله لقد أصيبت ثم سار بالناس حتى نزل الجلابية، ورفع عن الناس الوباء.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن أبان بن صالح، عن شهر بن حوشب الأشعري، عن رابة - رجل من قومه، وكان قد خلف على أمه بعد أبيه، كان شهد طاعون عمواس - قال: لما اشتعل الوباء قام أبو عبيدة في الناس خطيباً، فقال: أيها الناس، إن هذا الوباء رحمه بكم ودعوه نبيكم محمد ص، وموت الصالحين قبلكم، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه فطعن

فمات، واستخلف على الناس معاذ بن جبل قال: فقام خطيباً بعده، فقال:

أيها الناس، إن هذا الوباء رحمه ربكم، ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم، وإن معاذاً يسأل الله أن يقسم لآل معاذ منه حظهم، فطعن ابنه عبد الرحمن بن معاذ، فمات ثم قام فدعا به لنفسه، فطعن في راحته، فلقد رأيته ينظر إليها ثم يقبل ظهره كفه، ثم يقول: ما أحب أن لي بما فيك شيئاً من الدنيا، فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص، فقام خطيباً في الناس، فقال: أيها الناس، إن هذا الوباء إذا وقع فإتما يشتعل اشتعال النار، فتجبلوا منه في الجبال فقال أبو وائل الهذلي: كذبت، والله لقد صحبت رسول الله ص وأنت شر من حماري هذا! قال: والله ما أرد عليك ما تقول، وإيم الله لا نقيم عليه ثم خرج وخرج الناس ففرقوا، ورفع الله عنهم قال: فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأي عمرو بن العاص، فوالله ما كرهه.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن رجل، عن أبي قلابة عبد الله بن زيد الجرمي، أنه كان يقول: بلغني هذا من قول أبي عبيدة وقول معاذ بن جبل: إن هذا الوباء رحمه بكم ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، فكنت أقول: كيف دعا به رسول الله ص لأمتيه، حتى حدثني بعض من لا أتهم عن رسول الله أنه سمعه منه، وجاءه جبريل ع فقال: إن فناء أمتك يكون بالطعن أو الطاعون، [فجعل رسول الله ص يقول: اللهم فناء الطاعون!] فعرفت أنها التي كان قال أبو عبيدة ومعاذ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى عُمَرَ مَصَابُ أَبِي عُبَيْدَةَ وَيزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، أَمَرَ معاوية ابن أَبِي سُفْيَانَ عَلَى جُنْدِ دِمَشْقَ وَخَرَاجِهَا، وَأَمَرَ شُرَحْبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ عَلَى جُنْدِ الْأُرْدُنِّ وَخَرَاجِهَا. وَأَمَّا سَيْفٌ، فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ طَاعُونَ عُمَاسَ كَانَ فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةَ

٤٠٢٠٧ ذكر الخبر عن سيف في ذلك، والخبر عما ذكره عن عمر في خرجته تلك انه احدث في مصالح المسلمين:

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان وأبي حارثة والربيع بإسنادهم، قالوا: كان ذلك الطاعون- يعنون طاعون عمواس- موتانا لم ير مثله، طمع له العدو في المسلمين، وتخوفت له قلوب المسلمين، كثر موته، وطال مكثه، مكث أشهراً حتى تكلم في ذلك الناس.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: أَصَابَ الْبَصْرَةَ مِنْ ذَلِكَ مَوْتُ ذَرِيعٍ، فَأَمَرَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ غُلَامًا لَهُ أَعْجَمِيًّا أَنْ يَحْمِلَ ابْنًا لَهُ صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ غَيْرُهُ عَلَى حِمَارٍ، ثُمَّ يَسُوقَ بِهِ إِلَى سَفْوَانَ، حَتَّى يَلْحَقَهُ نَفْرَجٌ فِي آخِرِ اللَّيْلِ ثُمَّ اتَّبَعَهُ، وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى سَفْوَانَ، وَدَنَا مِنْ ابْنِهِ وَغُلَامِهِ، فَرَفَعَ الْغُلَامُ عَقِيرَتَهُ يَقُولُ:

لَنْ يَعْبُزُوا اللَّهَ عَلَى حِمَارٍ ... وَلَا عَلَى ذِي غَرَةِ مَطَارٍ

قد يصبح الموت أمام الساري

فسكت حتى انتهى إليهم، فإذا هم هم، قال: ويحك، ما قلت! قال:

ما أدري، قال: ارجع، فرجع بابه، وعلم أنه قد أسمع آية وأريها.

قال: وعزم رجل على الخروج الى ارض بها الطاعون فتردد بعد ما طعن، فإذا غلام له أعجمي يحذو به:

يا ايها المشعر هما لا تهم ... إنك إن تكتب لك الحمى تحم

وفي هذه السنة- أعني سنة سبع عشرة- كان خروج عمر إلى الشام الخرجة الأخيرة فلم يعد إليها بعد ذلك في قول سيف، وأما ابن إسحاق فقد مضى ذكره

. ذكر الخبر عن سيف في ذلك، والخبر عما ذكره عن عمر في خرجته تلك أنه أحدث في مصالح المسلمين:

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي عثمان وأبي حارثة والربيع، قالوا: وخرج عمر وخلف عليا على المدينة، وخرج معه بالصحابة

وأغذوا السير واتخذ أيلة طريقا، حتى إذا دنا منها تنحى عن الطريق، واتبعه غلامه، فنزل فبال، ثم عاد فركب بعير غلامه، وعلى رحله فرو مقلوب، وأعطى غلامه مركبه، فلما تلقاه أوائل الناس، قالوا: أين أمير المؤمنين؟ قال: أمامكم- يعني نفسه- وذهبوا هم إلى أمامهم، فجازوه حتى انتهى هو إلى أيلة فنزلها وقيل للمتقين: قد دخل أمير المؤمنين أيلة ونزلها.

فَرَجَعُوا إِلَيْهِ كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَيْلَةَ، وَمَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ دَفَعَ قَمِيصًا لَهُ كَرَايِسُ قَدْ انْجَابَ مُؤَخَّرُهُ عَنْ قَعْدَتِهِ مِنْ طُولِ السَّيْرِ إِلَى الْأُسْقُفِ، وَقَالَ: اغْسِلْ هَذَا وَارْقَعَهُ، فَاَنْطَلَقَ الْأُسْقُفُ بِالْقَمِيصِ، وَرَقَعَهُ، وَخَاطَ لَهُ آخِرَ مِثْلِهِ، فَرَأَحَ بِهِ إِلَى عُمَرَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ الْأُسْقُفُ: أَمَا هَذَا فَقَمِيصُكَ قَدْ غَسَلْتَهُ وَرَقَعْتَهُ، وَأَمَّا هَذَا فَكِسْوَةٌ لَكَ مِنِّي.

فَنَظَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ وَمَسَحَهُ، ثُمَّ لَبَسَ قَمِيصَهُ، وَرَدَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْقَمِيصَ، وَقَالَ:

هَذَا أَشْفَهُمَا لِلْعَرَقِ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَطِيَّةَ وَهَلَالٍ، عَنْ رَافِعِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْعَبَّاسَ بِالْجَابِيَةِ يَقُولُ لِعُمَرَ: أَرَبْعَ مَنْ

عَمِلَ بِهِنَّ اسْتَوْجَبَ الْعَدْلَ: الْأَمَانَةُ فِي الْمَالِ، وَالنَّسْوِيَّةُ فِي الْقَسَمِ، وَالْوَفَاءُ بِالْعِدَّةِ، وَالْخُرُوجُ مِنَ الْعُيُوبِ، نَظَّفَ نَفْسَكَ وَأَهْلَكَ.
كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ وَالرَّبِيعِ وَأَبِي حَارِثَةَ بِإِسْنَادِهِمْ، قَالُوا: قَسَمَ عُمَرُ الْأَرَزَاقِ، وَسَمَّى الشَّوَاتِيَّ
وَالصَّوَائِفَ، وَسَدَّ فُرُوجَ الشَّامِ وَمَسَالِحَهَا، وَأَخَذَ يَدُورُ بِهَا، وَسَمَّى ذَلِكَ فِي كُلِّ كَوْرَةٍ، وَاسْتَعْمَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ عَلَى السَّوَاكِحِ مِنْ
كُلِّ كَوْرَةٍ، وَعَزَلَ شُرَحْبِيلَ، وَاسْتَعْمَلَ مُعَاوِيَةَ، وَأَمَرَ أَبَا عُبَيْدَةَ وَخَالِدًا تَحْتَهُ، فَقَالَ لَهُ شُرَحْبِيلُ: أَعَنْ

سَخَطَةَ عَزَلْتَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: لَا، إِنَّكَ لَكَا أَحَبُّ، وَلَكِنِّي أُرِيدُ رَجُلًا أَقْوَى مِنْ رَجُلٍ، قَالَ: نَعَمْ، فَأَعِزُّرْنِي فِي النَّاسِ لَا تُدْرِكُنِي
هُجْنَةً، فَقَامَ فِي النَّاسِ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا عَزَلْتُ شُرَحْبِيلَ عَنْ سَخَطَةِ، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ رَجُلًا أَقْوَى مِنْ رَجُلٍ وَأَمَرَ عَمْرُو بْنُ
عَبْسَةَ عَلَى الْأَهْرَاءِ، وَسَمَّى كُلَّ شَيْءٍ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ بِالْوَدَاعِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي ضَمْرَةَ وَأَبِي عَمْرٍو، عَنْ الْمُسْتَوْدِدِ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ سَهْلٍ، قَالَ: لَمَّا فَرَّغَ عَمْرُو بْنُ فُرُوجِهِ
وَأُمُورَهُ قَسَمَ الْمَوَارِيثَ، فَوَرِثَ بَعْضُ الْوَرِثَةِ مِنْ بَعْضٍ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا إِلَى الْأَحْيَاءِ مِنْ وَرِثَةِ كُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ.
كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مَجَالِدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ:

وَخَرَجَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْهُمْ إِلَّا أَرْبَعَةً، فَقَالَ الْمُهَاجِرُ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ:
مَنْ يَسْكُنُ الشَّامَ يَعْزِزُ بِهِ ... وَالشَّامُ إِنْ لَمْ يَفْنَا كَارِبُ
أَفْنَى بَنِي رِيْطَةَ فَرَسَانِهِمْ ... عَشْرُونَ لَمْ يَقْصَصْ لَهُمْ شَارِبُ
وَمَنْ بَنَى أَعْمَامَهُمْ مِثْلَهُمْ ... لِمِثْلِ هَذَا أَعْجَبُ الْعَاجِبُ
طَعْنَا وَطَاعُونَا مَنِيَاهُمْ ... ذَلِكَ مَا خَطَّ لَنَا الْكَاتِبُ

قَالَ: وَقَفَلَ عَمْرُو بْنُ الشَّامِ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَخَطَبَ حِينَ أَرَادَ الْقُفُولَ، فَحَمْدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلَا إِنِّي قَدْ وَلَيْتُ عَلَيْكُمْ
وَقَضَيْتُ الَّذِي عَلَيَّ فِي الَّذِي وَلَانِي اللَّهُ مِنْ أَمْرِكُمْ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَسَطْنَا بَيْنَكُمْ فَيْتَكُمْ وَمَنَازِلَكُمْ وَمَغَازِيَكُمْ، وَأَبْلَغْنَا مَا لَدَيْكُمْ، فَجَنَدْنَا لَكُمْ الْجُنُودَ،
وَهَيَّأْنَا لَكُمْ الْفُرُوجَ، وَبَوَّأْنَاكُمْ وَوَسَعْنَا عَلَيْكُمْ مَا بَلَغَ فَيْتَكُمْ وَمَا قَاتَلْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ شَأْمِكُمْ، وَسَمِينَا لَكُمْ أَطْمَاعَكُمْ، وَامْرَأْنَا لَكُمْ بَاعِطِيَّاتَكُمْ، وَأَرْزَاقَكُمْ
وَمَغَانِمَكُمْ

٤٠٢٠٨ ذكر خبر عزل خالد بن الوليد

فَمَنْ عِلْمٌ عِلْمُ شَيْءٍ يَنْبَغِي الْعَمَلُ بِهِ فَبَلَّغْنَا نَعْمَلُ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، وَقَالَ النَّاسُ: لَوْ أَمَرْتُ بِلَا لَا فَأُذِنُ!
فَأَمَرَهُ فَأُذِنَ، فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ كَانَ أَدْرَكَ رَسُولَ اللَّهِ ص وَبِلَالٌ يُؤْذِنُ لَهُ إِلَّا بَكَى حَتَّى بَلَ لِحَيْتِهِ، وَعَمْرُو أَشَدَّهُمْ بَكَاءً، وَبَكَى مِنْ لَمْ يَدْرِكُهُ
بِبَكَائِهِمْ، وَلِذَلِكَ ص

. ذكر خبر عزل خالد بن الوليد

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ وَأَبِي حَارِثَةَ، قَالَا: فَمَا زَالَ خَالِدٌ عَلَى قَنْسَرَيْنِ حَتَّى غَزَا غَزَاةً الَّتِي أَصَابَ
فِيهَا، وَقَسَمَ فِيهَا مَا أَصَابَ لِنَفْسِهِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي الْمَجَالِدِ مِثْلَهُ.

قَالُوا: وَبَلَغَ عَمْرُو بْنُ خَالِدًا دَخَلَ الْحَمَامَ فَتَدَلَّكَ بَعْدَ النُّورَةِ بَنَاتَيْنِ عَصْفَرٍ مَعْجُونٍ بِجَمْرٍ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: بَلَغْنِي أَنْكَ تَدَلَّكَتْ بِجَمْرٍ، وَإِنْ اللَّهَ قَدْ
حَرَّمَ ظَاهَرَ الْخَمْرِ وَبَاطِنَهُ، كَمَا حَرَّمَ ظَاهَرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ، وَقَدْ حَرَّمَ مَسَ الْخَمْرِ إِلَّا أَنْ تَغْسَلَ كَمَا حَرَّمَ شَرِبَهَا، فَلَا تَمْسُوهَا أَجْسَادَكُمْ فَإِنَّهَا
نَجَسٌ، وَإِنْ فَعَلْتُمْ فَلَا تَعُودُوا.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ خَالِدٌ: إِنَّا قَتَلْنَاهَا فَعَادَتْ غَسُولًا غَيْرَ خَمْرٍ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ: إِنِّي أَظُنُّ آلَ الْمَغِيرَةِ قَدْ ابْتَلَوْا بِالْجَفَاءِ، فَلَا أَمَاتَكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ! فَانْتَهَى
إِلَيْهِ ذَلِكَ.

وفي هذه السنة- أعني سنة سبع عشرة- أدرب خالد بن الوليد وعياض ابن غنم في رواية سيف عن شيوخه ذكر من قال ذلك:

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان وأبي حارثة والمهلب، قالوا: وأدرب سنة سبع عشرة خالد وعياض، فسارا فأصابا أموالا عظيمة، وكانا توجهها من الجابية، مرجع عمر إلى المدينة، وعلى حمص أبو عبيدة وخالد تحت يديه على قنسرين، وعلى دمشق يزيد بن أبي سفيان، وعلى الأردن معاوية، وعلى فلسطين علقمة بن مجرز، وعلى الأهراء عمرو ابن عبسة، وعلى السواحل عبد الله بن قيس، وعلى كل عمل عامل.

فقامت مسالح الشام ومصر والعراق على ذلك إلى اليوم لم تجز أمة إلى أخرى عملها بعد، إلا أن يقتحموا عليهم بعد كفر منهم، فيقدموا مسالحهم بعد ذلك، فاعتدل ذلك سنة سبع عشرة.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي المجالد وأبي عثمان والربيع وأبي حارثة، قالوا: ولما قفل خالد وبلغ الناس ما أصابت تلك الصائفة انتجعه رجال، فانتجع خالدًا رجال من أهل الآفاق، فكان الأشعث بن قيس ممن انتجع خالدًا بقنسرين، فأجازه بعشرة آلاف.

وكان عمر لا يخفى عليه شيء في عمله، كتب إليه من العراق بخروج من خرج، ومن الشام بجائزة من أجيز فيها- فدعا البريد، وكتب معه إلى أبي عبيدة أن يقيم خالدًا ويعقله بعمامته، وينزع عنه قلنسوته حتى يعلمهم من أين إجازة الأشعث، أمن ماله أم من إصابة أصابها؟ فإن زعم أنها من إصابة أصابها فقد أقر بخيانة، وإن زعم أنها من ماله فقد أسرف.

واعزله على كل حال، واضم إليك عمله فكتب أبو عبيدة إلى خالد، فقدم عليه، ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر، فقام البريد فقال: يا خالد، أمن مالك أجرت بعشرة آلاف أم من إصابة؟ فلم يجبه حتى أكثر عليه، وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيئًا، فقام بلال إليه، فقال: إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا، ثم تناول قلنسوته فعقله بعمامته وقال: ما تقول! أمن مالك أم من إصابة؟ قال: لا بل من مالي، فأطلقه وأعاد قلنسوته ثم عممه بيده، ثم قال: نسمع ونطيع لولائنا، ونفخم ونخدم موالينا قالوا: وأقام خالد متحيرًا لا يدري امعزول

٤٠٢٠٩ ذكر تجديد المسجد الحرام والتوسعة فيه

أم غير معزول؟ وجعل أبو عبيدة لا يخبره حتى إذا طال على عمر أن يقدم ظن الذي قد كان، فكتب إليه بالإقبال، فأتى خالد أبا عبيدة، فقال:

رحمك الله، ما أردت إلى ما صنعت! كتمتني أمرا كنت أحب أن أعلمه قبل اليوم! فقال أبو عبيدة: إني والله ما كنت لأرورك ما وجدت لذلك بدا، وقد علمت أن ذلك يروحك قال: فرجع خالد إلى قنسرين، نخطب أهل عمله وودعهم وتحمّل، ثم أقبل إلى حمص نخطبهم وودعهم، ثم خرج نحو المدينة حتى قدم على عمر، فشكاه وقال: لقد شكوتك إلى المسلمين، وبالله إنك في أمري غير مجمل يا عمر، فقال عمر: من اين هذا الثراء؟

قال: من الأنفال والسهمان، ما زاد على الستين ألفا فلك فقوم عمر عروضة فخرجت إليه عشرون ألفا، فأدخلها بيت المال ثم قال: يا خالد، والله إنك علي لكريم، وإنك إلي لحبيب، ولن تعاتبني بعد اليوم على شيء.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن المستورد، عن أبيه، عن عدي بن سهيل، قال: كتب عمر إلى الأمصار: إني لم أعزل خالدًا عن سخط ولا خيانة، ولكن الناس فتنوا به، نخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع، وألا يكونوا بعرض فتنة.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عن شعيب، عن سيف، عن مبشر، عن سائر، قال: لما قدم خالد على عمر قال عمر متمثلًا: صَنَعْتَ فَلَمْ يَصْنَعْ كَصْنَعِكَ صَانِعٌ ... وَمَا يَصْنَعُ الْأَقْوَامُ فَاللَّهُ يَصْنَعُ

فَأَغْرَمَهُ شَيْئًا، ثُمَّ عَوَّضَهُ، وَكَتَبَ فِيهِ إِلَى النَّاسِ بِهَذَا الْكِتَابِ لِيَعْذَرَهُ عِنْدَهُمْ وَلِيُبَصِّرَهُمْ .
ذكر تجديد المسجد الحرام والتوسعة فيه

وفي هذه السنة- أعني سنة سبع عشرة- اعتمر عمر، وبني المسجد الحرام- فيما زعم الواقدي- ووسع فيه، وأقام بمكة عشرين ليلة، وهدم على أقوام أبوا أن يبيعوا، ووضع أثمان دورهم في بيت المال حتى أخذوها

٤٠٢٠١٠ ذكر خبر عزل المغيرة عن البصرة وولايه ابى موسى

قال: وكان ذلك الشهر الذي اعتمر فيه رجب، وخلف على المدينة زيد بن ثابت. قال الواقدي: وفي عمرته هذه أمر بتجديد أنصاب الحرم، فأمر بذلك مخزومة بن نوفل والأزهر بن عبد عوف وحويطب بن عبد العزى وسعيد بن يربوع.

قال: وحدثني كثير بن عبد الله المزني، عن أبيه، عن جده، قال: قدمنا مع عمر مكة في عمرته سنة سبع عشرة، فمر بالطريق فكله أهل المياه أن يبتنوا منازل بين مكة والمدينة- ولم يكن قبل ذلك بناء- فأذن لهم، وشرط عليهم أن ابن السيل أحق بالظل والماء.

قال: وفيها تزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم ابنة علي بن أبي طالب، وهي ابنة فاطمة بنت رسول الله ص، ودخل بها في ذي القعدة . ذكر خبر عزل المغيرة عن البصرة وولايه ابى موسى

قال: وفي هذه السنة ولّى عمر أبا موسى البصرة، وأمره أن يشخص إليه المغيرة في ربيع الأول- فشهد عليه- فيما حدثني معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب- أبو بكرة، وشبل بن معبد البجلي، ونافع بن كعدة، وزباد.

قال: وحدثني محمد بن يعقوب بن عتبة، عن أبيه، قال: كان يختلف إلى أم جميل، امرأة من بني هلال، وكان لها زوج هلك قبل ذلك من ثقيف، يقال له الحجاج بن عبيد، فكان يدخل عليها، فبلغ ذلك أهل البصرة، فأعظموه، فخرج المغيرة يوما من الأيام حتى دخل عليها، وقد وضعوا عليها الرصد، فانطلق القوم الذين شهدوا جميعا، فكشفوا الستر، وقد واقعها فوفد أبو بكرة إلى عمر، فسمع صوته وبينه وبينه حجاب، فقال: أبو بكرة؟ قال: نعم، قال: لقد جئت لشر، قال: إنما جاء بي المغيرة، ثم قص عليه القصة، فبعث عمر أبا موسى الأشعري عاملا، وأمره

أن يبعث إليه المغيرة، فأهدى المغيرة لأبي موسى عقيلة، وقال: اني رضيته لك، فبعث أبو موسى بالمغيرة إلى عمر. قال الواقدي: وحدثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن مالك بن أوس بن الحدثان، قال: حضرت عمر حين قدم بالمغيرة، وقد تزوج امرأة من بني مرة، فقال له: إنك لفارغ القلب، طويل الشبق، فسمعت عمر يسأل عن المرأة فقال:

يقال لها الرقطاء، وزوجها من ثقيف، وهو من بني هلال قال أبو جعفر: وكان سبب ما كان بين أبي بكرة والشهادة عليه- فيما كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد والمهلب وطلحة وعمرو بإسنادهم، قالوا: كان الذي حدث بين أبي بكرة والمغيرة بن شعبة أن المغيرة كان يناغيه، وكان أبو بكرة ينافره عند كل ما يكون منه، وكانا بالبصرة، وكانا متجاورين بينهما طريق، وكانا في مشربتين متقابلتين لهما في داريهما في كل واحدة منهما كوة مقابلة الأخرى، فاجتمع إلى أبي بكرة نفر يتحدثون في مشربته، فهبت ريح، ففتحت باب الكوة، فقام أبو بكرة ليصفقه، فبصر بالمغيرة، وقد فتحت الريح باب كوة مشربته، وهو بين رجلي امرأة، فقال للنفر: قوموا فانظروا، فقاموا فنظروا، ثم قال: اشهدوا، قالوا: من هذه؟ قال: أم جميل ابنة الأفقم- وكانت أم جميل إحدى بني عامر بن صعصعة، وكانت غاشية للمغيرة، وتغشى الأمراء والأشراف- وكان بعض النساء يفعلن ذلك في زمانها- فقالوا: إنما رأينا أعجازا، ولا

ندري ما الوجه؟ ثم إنهم صمموا حين قامت، فلما خرج المغيرة إلى الصلاة حال أبو بكره بينه وبين الصلاة وقال: لا تصل بنا فكتبوا إلى عمر بذلك، وتكاثبوا، فبعث عمر إلى أبي موسى، فقال: يَا أَبَا مُوسَى، إني مستعملك، إني أبعثك إلى أرض قد باض بها الشيطان وفرخ، فالزم ما تعرف، ولا تستبدل فيستبدل الله بك فقال: يا أمير المؤمنين،

أعني بعدة من أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار، فإني وجدتهم في هذه الأمة وهذه الأعمال كالملح لا يصلح الطعام إلا به فاستعن بمن أحببت فاستعان بتسعة وعشرين رجلا، منهم أنس بن مالك وعمران بن حصين وهشام بن عامر ثم خرج أبو موسى فيهم حتى أناخ بالمربد، وبلغ المغيرة أن أبا موسى قد أناخ بالمربد فقال: والله ما جاء أبو موسى زائرا، ولا تاجرا، ولكنه جاء أميرا فإنهم لفي ذلك، إذ جاء أبو موسى حتى دخل عليهم، فدفع إليه أبو موسى كتابا من عمر، وإنه لأوجز كتاب كتب به أحد من الناس، أربع كلم عزل فيها، وعاتب، واستحث، وأمر:

أما بعد، فإنه بلغني نبأ عظيم، فبعثت أبا موسى أميرا، فسلم إليه ما في يدك، والعجل وكتب إلى أهل البصرة: أما بعد، فإني قد بعثت أبا موسى أميرا عليكم، ليأخذ لضعيفكم من قويمكم، وليقاتل بكم عدوكم، وليدفع عن ذمتكم، وليحصي لكم فيكم ثم ليقسمه بينكم، ولينقي لكم طرقكم.

وأهدى له المغيرة وليدة من مولدات الطائف تدعى عقيلة، وقال: إني قد رضىتها لك- وكانت فارهة- وارتحل: المغيرة وأبو بكره ونافع بن كعدة وزباد وشبل بن معبد البجلي حتى قدموا على عمر، فجمع بينهم وبين المغيرة، فقال المغيرة: سل هؤلاء الأعداء كيف رأوني، مستقبلهم أو مستدبرهم؟ وكيف رأوا المرأة أو عرفوها؟ فإن كانوا مستقبلين فكيف لم أستتر، أو مستدبرين فبأي شيء استحلوا النظر إلي في منزلي على امرأتي! والله ما أتيت إلا امرأتي- وكانت شبهها- فبدأ بأبي بكره، فشهد عليه أنه رآه بين رجلي أم جميل وهو يدخله ويخرجه كالليل في المكحلة، قال:

كيف رأيتهما؟ قال مستدبرهما، قال: فكيف استثبت رأسي؟ قال: تحاملت. ثم دعا بشبل بن معبد، فشهد بمثل ذلك، فقال: استدبرتهما أو استقبلتهما؟

٤٠٢٠١١ فتح سوق الاهواز ومناذر ونهر تيرى

قال: استقبلتهما وشهد نافع بمثل شهادة أبي بكره، ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم، قال: رأيته جالسا بين رجلي امرأة، فرأيت قدمين مخضوبتين تخفقان، واستين مكشوفتين، وسمعت حفزانا شديدا قال: هل رأيت كالليل في المكحلة؟ قال: لا، قال: فهل تعرف المرأة؟ قال: لا، ولكن أشبهها، قال: ففتح، وأمر بالثلاثة فجلدوا الحد، وقرأ: فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ، فقال المغيرة:

اشفني من الأعداء، فقال: اسكت اسكت الله نامتك! اما والله لو تمت الشهادة لرجمتك باحجارك . فتح سوق الاهواز ومناذر ونهر تيرى

وفي هذه السنة- أعني سنة سبع عشرة- فتحت سوق الأهواز ومناذر ونهر تيرى في قول بعضهم، وفي قول آخرين: كان ذلك في سنة ست عشرة من الهجرة.

ذكر الخبر عن سبب فتح ذلك وعلى يدي من جرى:

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، يَذْكُرُ أَنَّ شُعَيْبًا حَدَّثَهُ عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمْرِو، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطْلُحَةَ وَالْمُهَلَّبِ وَعَمْرُو، قَالُوا: كَانَ الْهَرَمَزَانُ أَحَدَ الْبُيُوتَاتِ السَّبْعَةِ فِي أَهْلِ فَارَسَ، وَكَانَتْ أُمَّتُهُ مَهْرَجَانْقَذَقَ وَكُورَ الْأَهْوَازِ، فَهَؤُلَاءِ بُيُوتَاتُ دُونَ سَائِرِ أَهْلِ فَارَسَ، فَلَمَّا انْهَزَمَ يَوْمَ الْقَادِسيَّةِ كَانَ وَجْهَهُ إِلَى أُمَّتِهِ، فَلَمَّكَهُمْ وَقَاتَلَ بِهِمْ مِنْ أَرَادَهُمْ، فَكَانَ الْهَرَمَزَانُ يَغِيرُ عَلَى أَهْلِ مِيسَانَ وَدَسْتَمِيسَانَ مِنْ وَجْهَيْنِ، مِنْ مَنَاذِرَ وَنَهْرِ تِيرِي، فَاسْتَمَدَّ عَتَبَةُ بْنُ غَزْوَانَ سَعْدًا، فَأَمَدَهُ سَعْدُ بَنِي عَمْرِو بْنِ مَقْرُونٍ وَنَعِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ، وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَأْتِيَا أَعْلَى مِيسَانَ وَدَسْتَمِيسَانَ حَتَّى يَكُونَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ نَهْرِ تِيرِي وَوَجْهَ عَتَبَةَ ابْنِ غَزْوَانَ سَلْمَى بْنُ الْقَيْنِ وَحَرْمَلَةَ بْنَ مَرِيْطَةَ- وَكَانَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَهُمَا مِنْ بَنِي الْعَدُوَّةِ مِنَ

بني حنظلة- فنزلا على حدود أرض ميسان ودستميسان، بينهم وبين مناذر، ودعوا بني العم، نفرج إليهم غالب الوائلي وكليب بن وائل الكليني، فتركوا نعيما ونعيما ونجبا عنهما، وأتيا سلمى وحرملة، وقالوا: أنتما من العشيرة، وليس لكما مترك، فإذا كان يوم كذا وكذا فانهذا للهرمزان، فإن أحدنا يثور بمناذر والآخر بنهر تيرى، فنقتل المقاتلة، ثم يكون وجهنا إليكم، فليس دون الهرمزان شيء إن شاء الله ورجعا وقد استجابا واستجاب قومهما بنو العم بن مالك.

قال: وكان من حديث العمي، والعمي مرة بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم- أنه تخت عليه وعلى العصية بن امرئ القيس أفناء معد فعماه عن الرشد من لم ير نصره فارس على آل اردوان، فقال في ذلك كعب بن مالك أخوه- ويقال: صدي بن مالك:

لقد عم عنها مرة الخير فانصمى ... وصم فلم يسمع دعاء العشائر

ليتخ عنا رغبة عن بلاده ... ويطلب ملكا عاليا في الأساور

فهذا البيت سمي العم، فليل بنو العم، عموه عن الصواب بنصره أهل فارس كقول الله تبارك وتعالى: عَمُوا وَصَمُوا، وقال يربوع بن مالك:

لقد علمت عليا معد بأننا ... غداة التباهي غر ذاك التبادر

تختنا على رغم العداه ولم ننخ ... بحج تميم والعديد الجماهر

نفينا عن الفرس النيط فلم يزل ... لنا فيهم إحدى الهنات البهائر

إذا العرب العليا جاشت بحورها ... نفرنا على كل البحور الزواجر

وقال أيوب بن العصية بن امرئ القيس:

لنحن سبقنا بالتنوخ القبائل ... وعمدا تختنا حيث جاءوا قنابلا

وكنا ملوكا قد عززنا الأوائلا ... وفي كل قرن قد ملكنا الحلائلا

فلما كانت تلك الليلة ليلة الموعد من سلمى وحرملة وغالب وكليب، والهرمزان يومئذ بين نهر تيرى بين دلت، خرج سلمى وحرمله صبيحتها في تعبئة، وأنهما نعيما ونعيما فالتقوا هم والهرمزان بين دلت ونهر تيرى، وسلمى ابن القين على أهل البصرة، ونعيم بن مقرن على أهل الكوفة فاقتتلوا فيبيناهم في ذلك أقبل المدد من قبل غالب وكليب، وأتى الهرمزان الخبر بأن مناذر ونهر تيرى قد أخذتا، فكسر الله في ذرعه وذرع جنده، وهزمه وإياهم، فقتلوا منهم ما شاءوا، وأصابوا منهم ما شاءوا، وأتبعوهم حتى وقفوا على شاطئ دجيل، وأخذوا ما دونه، وعسكروا بحيال سوق الأهواز، وقد عبر الهرمزان جسر سوق الأهواز، وأقام بها، وصار دجيل بين الهرمزان وحرملة وسلمى ونعيم ونعيم وغالب وكليب.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْعَبْدِيِّ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ يَدْعَى صَحَارًا، قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى هَرَمِ بْنِ حَيَانَ- فِيمَا بَيْنَ الدُّلُوثِ وَدَجِيلٍ- بِجَلَالٍ مِنْ تَمَرٍ، وَكَانَ لَا يَصْبِرُ عَنْهُ، وَكَانَ جُلُّ زَادِهِ إِذَا تَزَوَّدَ التَّمَرِ، فَإِذَا فِيهِ اتَّخَبَ لَهُ مَزَاوِدَ مِنْ جَلَالٍ وَهُمْ يَنْفِرُونَ فَيَحْمِلُهَا فَيَأْكُلُهَا وَيَطْعَمُهَا حَيْثَمَا كَانَ مِنْ سَهْلٍ أَوْ جَبَلٍ.

قالوا: ولما دهم القوم الهرمزان ونزلوا بحياه من الأهواز رأى ما لا طاقة له به، فطلب الصلح، فكتبوا إلى عتبة بذلك يستأمرونه فيه، وكتبه الهرمزان، فأجاب عتبة إلى ذلك على الأهواز كلها ومهرجانقدق، ما خلا نهر تيرى ومناذر، وما غلبوا عليه من سوق الأهواز، فإنه لا يرد عليهم ما تنقذنا.

وجعل سلمى بن القين على مناذر مسلحة وأمرها إلى غالب، وحرملة على نهر تيرى وأمرها إلى كليب، فكانا على مسلح البصرة وقد هاجرت طوائف بني العم، فنزلوا منازلهم من البصرة، وجعلوا يتتابعون على ذلك، وقد كتب بذلك عتبة إلى عمر، ووفد وفدا منهم سلمى، وأمره أن يستخلف على عمله، وحرملة- وكانا من الصحابة- وغالب وكليب، ووفد وفود من البصرة

يومئذ، فأمرهم أن يرفعوا حوائجهم، فكلهم قال: أما العامة فأنت صاحبها، ولم يبق إلا خواص أنفسنا، فطلبوا لأنفسهم، إلا ما كان من الأحنف ابن قيس، فإنه قال: يا أمير المؤمنين، إنك لكما ذكروا، ولقد يعزب عنك ما يحق علينا إنهاؤه إليك مما فيه صلاح العامة، وإنما ينظر الوالي فيما غاب عنه بأعين أهل الخبر، ويسمع بآذانهم، وإنا لم نزل منزلنا بعد منزل حتى أُرْزَنَا إِلَى الْبَرِّ، وَإِنْ إِخْوَانُنَا

من أهل الكوفة نزلوا في مثل حدقة البعير الغاسقة، من العيون العذاب، والجنان الخصاب، فتأتيهم ثمارهم ولم تُخَصَّدْ، وأنا معشر أهل البصرة نزلنا سبخة هشاشة، زعقة نشاشة، طرف لها في الفلاة وطرف لها في البحر الأجاج، يجري إليها ما جرى في مثل مريء النعامة دارنا فعمة، ووظيفتنا ضيقة، وعددنا كثير، وأشرافنا قليل، وأهل البلاء فينا كثير، ودرهمنا كبير، وقفيزنا صغير، وقد وسع الله علينا، وزادنا في أرضنا، فوسع علينا يا أمير المؤمنين، وزدنا وظيفة توظف علينا، ونعيش بها فنظر إلى منازلهم التي كانوا بها إلى أن صاروا إلى الحجر فنفلهموه وأقطعهموه، وكان مما كان لآل كسرى، فصار فينا فيما بين دجلة والحجر، فاققسموه، وكان سائر ما كان لآل كسرى في أرض البصرة على حال ما كان في أرض الكوفة ينزلونه من أحبوا، ويقتسمونه بينهم، لا يستأثرون به على بدء ولا ثنى، بعد ما يرفعون خمسة إلى الوالي فكانت قطائع أهل البصرة نصفين: نصفها مقسوم، ونصفها متروك للعسكر وللإجماع، وكان أصحاب الألفين ممن شهد القادسية ثم أتى البصرة مع عتبة خمسة آلاف، وكانوا بالكوفة ثلاثين ألفاً، فألحق عمر أعدادهم من أهل البصرة من أهل البلاء في الألفين حتى ساواهم بهم، ألحق جميع من شهد الأهواز.

ثم قال: هذا الغلام سيد أهل البصرة، وكتب إلى عتبة فيه بأن يسمع منه

ويشرب برأيه، ورد سلمى وحرمة وغالبا وكليبا إلى مناذر ونهر تيرى، فكانوا عدة فيه لكون إن كان، ولهميزوا خراجها كَتَبَ إِلَيَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو، قالوا: بينا الناس من أهل البصرة وذمتهم على ذلك وقع بين الهرمزان وبين غالب وكليب في حدود الأرضين اختلاف وادعاء، فحضر ذلك سلمى وحرمة لينظرا فيما بينهم، فوجدا غالبا وكليبا محقين والهرمزان مبطلا، فحالا بينه وبينهما، فكفر الهرمزان أيضا ومنع ما قبله، واستعان بالأكراد، فكثف جنده وكتب سلمى وحرمة وغالب وكليب ببغى الهرمزان وظلمه وكفره إلى عتبة بن غزوان، فكتب بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر يأمره بأمره، وأمدهم عمر بحرقوص بن زهير السعدي، وكانت له صحبة من رسول الله ص، وأمره على القتال وعلى ما غلب عليه فنهد الهرمزان بمن معه وسلمى وحرمة وغالب وكليب، حتى إذا انتهوا إلى جسر سوق الأهواز أرسلوا إلى الهرمزان: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم، فقال: اعبروا إلينا، فعبروا من فوق الجسر، فاقتتلوا فوق الجسر مما يلي سوق الأهواز، حتى هزم الهرمزان ووجه نحو رامهرمز، فأخذ على قنطرة أربك بقرية الشجر حتى حل برامهرمز، وافتتح حرقوص سوق الأهواز، فأقام بها ونزل الجبل، واتسقت له بلاد سوق الأهواز إلى تستر، ووضع الجزية، وكتب بالفتح والأحماس إلى عمر، ووفد وفدا بذلك، فحمد الله، ودعا له بالثبات والزيادة وقال الأسود بن سريع في ذلك - وكانت له صحبة:

لعمرك ما أضاع بنو آيينا ... ولكن حافظوا فيمن يطيع
أطاعوا ربهم وعصاه قوم ... أضاعوا أمره فيمن يضيع
مجوس لا ينيها كتاب ... فلاقوا كبة فيها قبوع
وولى الهرمزان على جواد ... سريع الشد يثفنه الجميع

٤٠٢٠١٢ فتح تستر

وخلى سرة الأهواز كرها ... غداة الجسر إذ نجم الربيع
وقال حرقوص:

غلبنا الهرمزان على بلاد ... لها في كل ناحية ذخائر
سواء برهم والبحر فيها ... إذا صارت نواجبها بواكر
لها بحر يعرج بجانبه ... جعافر لا يزال لها زواجر
فتح تستر

وفيها فتحت تستر في قول سيف وروايته - أعني سنة سبع عشرة - وقال بعضهم: فتحت سنة ست عشرة، وبعضهم يقول: في سنة تسع عشرة.
ذكر الخبر عن فتحها:

كَتَبَ إِلَى السَّريِّ، عن شعيب، عن سيف، عن مُحَمَّدٍ وَطْلحة والمهلب وعمرو، قالوا: لما انهزم الهرمزان يوم سوق الأهواز، وافتتح حرقوص بن زهير سوق الأهواز، أقام بها، وبعث جزء بن معاوية في أثره بأمر عمر إلى سرق، وقد كان عهد إليه فيه: إن فتح الله عليهم أن يتبعه جزءا، ويكون وجهه إلى سرق فخرج جزء في أثر الهرمزان، والهرمزان متوجه إلى رامهرمز هاربا، فما زال يقتلهم حتى انتهى إلى قرية الشجر، وأعجزه بها الهرمزان، فمال جزء إلى دورق من قرية الشجر، وهي شاغرة برجلها- ودورق مدينة سرق فيها قوم لا يطبقون منعها- فأخذها صافية، وكتب إلى عمر بذلك وإلى عتبة، وبدعائه من هرب إلى الجزء والمنعة، وإجابته إلى ذلك.

فكتب عمر إلى جزء بن معاوية وإلى حرقوص بن زهير بلزوم ما غلبا عليه، وبالمقام حتى يأتيهما أمره، وكتب إليه مع عتبة بذلك، ففعلا واستأذن جزء في عمران بلاده عمر، فأذن له، فشق الأنهار، وعمر الموات ولما

نزل الهرمزان رامهرمز وضاعت عليه الأهواز والمسلمون حلال فيها فيما بين يديه، طلب الصلح، وراسل حرقوصا وجزءا في ذلك، فكتب فيه حرقوص إلى عمر، فكتب إليه عمر وإلى عتبة، يأمره أن يقبل منه على ما لم يفتحوا منها على رامهرمز وتستر والسوس وجندي سابور، والبنيان ومهرجانقدق، فأجابهم إلى ذلك، فأقام أمراء الأهواز على ما أسند إليهم، وأقام الهرمزان على صلحة يجي إليهم ويمنعونه، وإن غاوره أكراد فارس أعانوه وذوبوا عنه.

وكتب عمر إلى عتبة أن أوفد علي وفدا من صلحاء جند البصرة عشرة، فوفد إلى عمر عشرة، فيهم الأحنف فلما قدم على عمر قال: إنك عندي مصدق، وقد رايتك رجلا، فأخبرني ان ظلمت الذمة، المظلمة نفروا أم لغير ذلك؟ فقال: لا بل لغير مظلمة، والناس على ما تحب قال:

فنعلم إذا! انصرفوا إلى رحالكم فانصرف الوفد إلى رحالهم، فنظر في ثيابهم فوجد ثوبا قد خرج طرفه من عيبة فشمه، ثم قال: لمن هذا الثوب منكم؟

قال الأحنف: لي، قال: فبكم أخذته؟ فذكر ثمنا يسيرا، ثمانية أو نحوها، ونقص مما كان أخذه به- وكان قد أخذه باثني عشر- قال: فهلا بدون هذا، ووضعت فضلته موضعا تغني به مسلما! حصوا وضعوا الفضول مواضعها تريحوا أنفسهم وأموالكم، ولا تسرفوا فتخسروا أنفسكم وأموالكم، إن نظر امرؤ لنفسه وقدم لها يخلف له وكتب عمر إلى عتبة أن أعزب الناس عن الظلم، واتقوا واحذروا أن يدال عليكم لغدر يكون منكم أو بغي، فإنكم إنما أدركتم بالله ما أدركتم على عهد عاهدكم عليه، وقد تقدم إليكم فيما أخذ عليكم فأوفوا بعهد الله، وقوموا على أمره يكن لكم عونا وناصرا.

وبلغ عمر أن حرقوصا نزل جبل الأهواز والناس يختلفون إليه، والجبل كثود يشق على من راحه فكتب إليه: بلغني أنك نزلت منزلا كثودا لا تؤتي فيه إلا على مشقة، فأسهل ولا تشق على مسلم ولا معاهد، وقم في أمرك على رجل تدرك الآخرة وتصف لك الدنيا، ولا تدركك فترة ولا عجلة، فتكدر دنياك، وتذهب آخرتك

٤٠٢٠١٣ غزو المسلمين فارس من قبل البحرين

ثم إن حرقوصا تحرر يوم صفين وبقي على ذلك، وشهد النهروان مع الحرورية . غزو المسلمين فارس من قبل البحرين

وفي هذه السنة- أعني سنة سبع عشرة- غزا المسلمون أرض فارس من قبل البحرين فيما زعم سيف ورواه. ذكر الخبر بذلك:

كَتَبَ إِلَى السَّريِّ، يقول: حَدَّثَنَا شعيب، قال: حَدَّثَنَا سيف، عن مُحَمَّدٍ وَطْلحة والمهلب وعمرو، قالوا: كان المسلمون بالبصرة وأرضها- وأرضها يومئذ سوادها، والأهواز على ما هم عليه إلى ذلك اليوم، ما غلبوا عليه منها ففي أيديهم، وما صولحوا عليه منها ففي أيدي أهله، يؤدون الخراج ولا يدخل عليهم، ولهم الذمة والمنعة- وعُميد الصلح الهرمزان وقد قال عمر: حسبنا لأهل البصرة سوادهم والأهواز، وددت أن بيننا وبين فارس جبلا من نار لا يصلون إلينا منه ولا نصل إليهم، كما قال لأهل الكوفة: وددت أن بينهم وبين الجبل جبلا من نار لا يصلون إلينا منه، ولا نصل إليهم.

وكان العلاء بن الحضرمي على البحرين أزمان أبي بكر، فعزله عمر، وجعل قدامة بن المظعون مكانه، ثم عزل قدامة ورد العلاء، وكان العلاء يباري سعدا لصدع صدعه القضاء بينهما، فطار العلاء على سعد في الردة بالفضل، فلما ظفر سعد بالقادسية، وأزاح الأكاسرة عن الدار، وأخذ حدود ما يلي السواد، واستعلى، وجاء بأعظم مما كان العلاء جاء به، سر العلاء أن يصنع شيئا في الأعاجم، فرجا أن يدال كما قد كان أديل، ولم يقدر العلاء ولم ينظر فيما بين فضل الطاعة والمعصية بجدة، وكان أبو بكر قد استعمله، وأذن له في قتال أهل الردة، واستعمله عمر، ونهاه عن البحر، فلم يقدر في الطاعة والمعصية وعواقبهما، فندب أهل البحرين إلى فارس، فتسرعوا إلى ذلك، وفرقهم أجنادا، على أحدهما

الجارود بن المعلى، وعلى الآخر السوار بن همام، وعلى الآخر خليلد بن المنذر بن ساوى، وخليد على جماعة الناس، فحملهم في البحر إلى فارس بغير إذن عمر، وكان عمر لا يأذن لأحد في ركوبه غازيا، يكره التغير بجنده استنانا بالنبي ص وبأبي بكر، لم يغز فيه النبي ص ولا أبو بكر فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس، فخرجوا في إصطخر، وبإزائهم أهل فارس، وعلى أهل فارس الهربد، اجتمعوا عليه، فخالوا بين المسلمين وبين سفنهم، فقام خليلد في الناس، فقال: أما بعد، فإن الله إذا قضى أمرا جرت به المقادير حتى تصيبه، وإن هؤلاء القوم لم يزيدوا بما صنعوا على أن دعوكم إلى حربهم، وإنما جئتم لمحاربتهم، والسفن والأرض لمن غلب، ف استعينوا بالصبر والصلاة، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين فأجابوه إلى ذلك فصلوا الظهر، ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالا شديدا في موضع من الأرض يدعى طاوس، وجعل السوار يرتجز يومئذ ويذكر قومه، ويقول:

يا آل عبد القيس للقراع ... قد حفل الأمداد بالجراع
وكلهم في سنن المصاع ... يحسن ضرب القوم بالقطاع

حتى قتل وجعل الجارود يرتجز ويقول:

لو كان شيئا أما أكلته ... أو كان ماء سادما جهرته
لكن بحرا جاءنا أنكرته.

حتى قتل ويومئذ ولي عبد الله بن السوار والمنذر بن الجارود حياتهما إلى أن ماتا وجعل خليلد يومئذ يرتجز ويقول:

يال تميم أجمعوا النزول ... وكاد جيش عمر يزول

وكلكم يعلم ما أقول

انزلوا، فنزلوا فاقتتل القوم فقتل أهل فارس مقتلة لم يقتلوا مثلها قبلها ثم خرجوا يريدون البصرة وقد غرقت سفنهم، ثم لم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلا ثم وجدوا شريك قد أخذ على المسلمين بالطرق، فعسكروا وامتنعوا في نشوبهم ولما بلغ عمر الذي صنع العلاء من بعثه ذلك الجيش في البحر ألقى في روعه نحو من الذي كان فاشتد غضبه على العلاء، وكتب إليه يعزله وتوعده، وأمره بأثقل الأشياء عليه، وأبغض الوجوه إليه، بتأمر سعد عليه، وقال: الحق بسعد بن أبي وقاص فيمن قبلك، فخرج بمن معه نحو سعد وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان: إن العلاء بن الحضرمي حمل جندا من المسلمين، فأقطعهم أهل فارس، وعصاني، وأظنه لم يرد الله بذلك، فخشيت عليهم ألا ينصروا أن يغلبوا وينشبوا، فاندب إليهم الناس، واضممهم إليك من قبل أن يجتاحوا فندب عتبة الناس، وأخبرهم بكتاب عمر فاندب عاصم بن عمرو، وعرجة بن هرثمة، وحذيفة بن محصن، ومجزأة بن ثور، ونهار بن الحارث، والترجمان بن فلان، والحصين بن أبي الحر، والأحنف بن قيس، وسعد بن أبي العرجاء، وعبد الرحمن بن سهل، وصعصعة بن معاوية، فخرجوا في اثني عشر ألفا على البغال يجنبون الخيل، وعليهم أبو سبرة بن أبي رهم أحد بني مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، والمسالح على حالها بالأهواز والذمة، وهم ردة للغازي والمقيم فسار أبو سبرة بالناس، وساحل لا يلقاه أحد، ولا يعرض له، حتى التقى أبو سبرة وخليد بحيث أخذ عليهم بالطرق غب وقعة القوم

بطاوس، وإنما كان ولي قتالهم أهل إصطخر وحدهم، والشذاذ من غيرهم، وقد كان أهل إصطخر حيث أخذوا على المسلمين بالطرق، وأنشبوهم، استصرخوا عليهم أهل فارس كلهم، فصرخوا إليهم من كل وجه وكورة، فالتقوا هم وأبو سبرة بعد طاوس، وقد توافت إلى

المسلمين أمدادهم وإلى المشركين أمدادهم، وعلى المشركين شهرک، فاقتتلوا، ففتح الله على المسلمين، وقتل المشركين وأصاب المسلمون منهم ما شاءوا- وهي الغزاة التي شرفت فيها نابتة البصرة، وكانوا أفضل نوابت الأمصار، فكانوا أفضل المصريين نابتة- ثم انكفئوا بما أصابوا، وقد عهد إليهم عتبة وكتب إليهم بالحث وقلة العرجة، فانضموا إليه بالبصرة، فخرج أهلها إلى منازلهم منها، وتفرق الذين تنقذوا من أهل هجر إلى قبائلهم، والذين تنقذوا من عبد القيس في موضع سوق البحرين ولما أحرز عتبة الأهواز وأوطأ فارس، استأذن عمر في الحج، فأذن له، فلما قضى حجه استعفاه، فأبى أن يعفيه، وعزم عليه ليرجعن إلى عمله، فدعا الله ثم انصرف، فمات في بطن نخلة، فدفن، وبلغ عمر، فربه زائراً لقبره، وقال: أنا قتلتك، لولا أنه أجل معلوم وكتاب مرقوم، وأثنى عليه بفضلته، ولم يخط فيمن اختط من المهاجرين، وإنما ورث ولده منزلهم من فاختة ابنة غزوان، وكانت تحت عثمان بن عفان، وكان خباب مولاه قد لزم سمته فلم يخط، ومات عتبة بن غزوان على رأس ثلاث سنين ونصف من مفارقة سعد بالمداخن، وقد استخلف على الناس أبا سبرة بن أبي رهم، وعماله على حالهم، ومساحه على نهر تيرى ومناذر وسوق الأهواز وسرق والهرمزان برامهرمز مصالح عليها، وعلى السوس والبنیان وجندی سابور ومهرجانقذق، وذلك بعد تنقذ الذين كان حمل العلاء في البحر إلى فارس، ونزولهم البصرة. وكان يقال لهم أهل طاوس، نسبوا إلى الوقعة وافر عمر أبا سبره

٤٠٢٠١٤ ذكر فتح رامهرمز وتستر

ابن أبي رهم على البصرة بقية السنة ثم استعمل المغيرة بن شعبة في السنة الثانية بعد وفاة عتبة، فعمل عليها بقية تلك السنة والسنة التي تليها، لم ينتقض عليه أحد في عمله، وكان مرزوقا السلامة، ولم يحدث شيئا إلا ما كان بينه وبين أبي بكر. ثم استعمل عمر أبا موسى على البصرة، ثم صرف إلى الكوفة، ثم استعمل عمر بن سراقه، ثم صرف عمر بن سراقه إلى الكوفة من البصرة، وصرف أبو موسى إلى البصرة من الكوفة، فعمل عليها ثانية ذكر فتح رامهرمز وتستر

وفي هذه السنة- أعني سنة سبع عشرة- كان فتح رامهرمز والسوس وتستر وفيها أسر الهرمزان في رواية سيف ذكر الخبر عن فتح ذلك من روايته:

كُتِبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو، قالوا: ولم يزل يزدجرد يثير أهل فارس أسفا على ما خرج منهم، فكتب يزدجرد إلى أهل فارس وهو يومئذ بمرو، يذكرهم الأحقاد ويؤنبهم، أن قد رضيت يا أهل فارس أن قد غلبتكم العرب على السواد وما والاه، والأهواز. ثم لم يرضوا بذلك حتى توردوكم في بلادكم وعقر داركم، فتحركوا وتكاتبوا:

أهل فارس وأهل الأهواز، وتعاهدوا وتعاهدوا وتواثقوا على النصر، وجاءت الأخبار حرقوص بن زهير، وجاءت جزءا وسلي وحرملة عن خبر غالب وكليب، فكتب سلمي وحرملة إلى عمر وإلى المسلمين بالبصرة، فسبق كتاب سلمي حرملة، فكتب عمر إلى سعد: أن ابعث إلى الأهواز بعثا كثيفا مع النعمان بن مقرن، وعجل وابعث سويد بن مقرن، وعبد الله بن ذي السهمين، وجريز بن عبد الله الحميري، وجريز بن عبد الله البجلي، فلينزلوا بإزاء الهرمزان حتى يتبينوا أمره وكتب إلى أبي موسى

أن ابعث إلى الأهواز جندا كثيفا وأمر عليهم سهل بن عدي- أخا سهل ابن عدي- وابعث معه البراء بن مالك، وعاصم بن عمرو، ومجزأة بن ثور، وكعب بن سور، وعريفة بن هرثمة، وحذيفة بن محصن، وعبد الرحمن ابن سهل، والحصين بن معبد، وعلى أهل الكوفة وأهل البصرة جميعا أبو سبره ابن أبي رهم، وكل من أتاه فمد له.

وخرج النعمان بن مقرن في أهل الكوفة، فأخذ وسط السواد حتى قطع دجلة بجبال ميسان، ثم أخذ البر إلى الأهواز على البغال يجنبون الخيل، وانتهى إلى نهر تيرى فجازها، ثم جاز مناذر، ثم جاز سوق الأهواز، وخلف حرقوصا وسلي وحرملة، ثم سار نحو الهرمزان- والهرمزان يومئذ برامهرمز- ولما سمع الهرمزان بمسير النعمان إليه بادره الشدة، ورجا أن يقتطعه، وقد طمع الهرمزان في نصر أهل فارس، وقد أقبلوا نحوه، ونزلت أوائل أمدادهم بتستر، فالتقى النعمان والهرمزان بأربك، فاقتتلوا قتالا شديدا ثم إن الله عز وجل هزم

الهرمزان للنعمان، وأخلى رامهرمز وتركها ولحق بتستر، وسار النعمان من أربك حتى ينزل براهيمر، ثم صعد لإيذج، فصالحه عليها تيرويه، فقبل منه وتركه ورجع إلى رامهرمز فأقام بها.

قالوا: ولما كتب عمر إلى سعد وأبي موسى، وسار النعمان وسهل، سبق النعمان في أهل الكوفة سهلاً وأهل البصرة، ونكب الهرمزان، وجاء سهل في أهل البصرة حتى نزلوا بسوق الأهواز، وهم يريدون رامهرمز، فأنتهم الوقعة وهم بسوق الأهواز، وأتاهم الخبر أن الهرمزان قد لحق بتستر، فمالوا من سوق الأهواز نحوهم، فكان وجههم منها إلى تستر، ومال النعمان من رامهرمز إليها، وخرج سلمي وحرمله وحرقوص وجزء، فزفوا جميعاً على تستر والنعمان على أهل الكوفة، وأهل البصرة متساندون، وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس وأهل الجبال والأهواز في الخنادق، وكتبوا بذلك إلى عمر، واستمده أبو سبرة فأمدهم بأبي موسى، فسار نحوهم، وعلى أهل الكوفة النعمان، وعلى أهل البصرة أبو موسى، وعلى الفريقين جميعاً أبو سبرة،

فحاصروهم أشهراً، وأكثروا فيهم القتل وقتل البراء بن مالك فيما بين أول ذلك الحصار إلى أن فتح الله على المسلمين مائة مبارز، سوى من قتل في غير ذلك، وقتل مجزأة بن ثور مثل ذلك، وقتل كعب بن سور مثل ذلك، وقتل أبو تيممة مثل ذلك في عدة من أهل البصرة وفي الكوفيين مثل ذلك، منهم حبيب بن قرة، وربيع بن عامر، وعامر بن عبد الأسود - وكان من الرؤساء - في ذلك ما ازدادوا به إلى ما كان منهم، وزاحفهم المشركون في أيام تستر ثمانين زحفاً في حصارهم، يكون عليهم مرة ولهم أخرى، حتى إذا كان في آخر زحف منها واشتد القتال قال المسلمون: يا براء، أقسم على ربك ليزمنهم لنا! فقال: اللهم اهزمهم لنا، واستشهدني.

قال: فهزمهم حتى أدخلوهم خنادقهم، ثم اقتحموها عليهم، وأرزوا إلى مدينتهم، وأحاطوا بها، فبيناهم على ذلك وقد ضاقت بهم المدينة، وطالت حربهم، خرج إلى النعمان رجل فاستأمنه على أن يدلّه على مدخل يؤتون منه، ورمى في ناحية أبي موسى بسهم فقال: قد وثقت بكم وأمنتكم واستأمنتكم على أن دلتكم على ما تأتون منه المدينة، ويكون منه فتحها، فأمنوه في نشابة فرمى إليهم بآخر، وقال: انهذوا من قبل مخرج الماء، فإنكم ستفتحنها، فاستشار في ذلك وندب إليه، فانتدب له عامر بن عبد قيس، وكعب بن سور، ومجزأة بن ثور، وحسكة الحبطي، وبشر كثير، فنهذوا لذلك المكان ليلاً، وقد ندب النعمان أصحابه حين جاءه الرجل، فانتدب له سويد بن المثعبة، وورقاء بن الحارث، وبشر بن ربيعة الخثعمي، ونافع ابن زيد الحميري، وعبد الله بن بشر الهلالي، فنهذوا في بشر كثير، فالتقوا هم وأهل البصرة على ذلك المخرج، وقد انسرب سويد وعبد الله بن بشر، فأتبعهم هؤلاء وهؤلاء، حتى إذا اجتمعوا فيها - والناس على رجل من خارج - كبروا فيها، وكبر المسلمون من خارج، وفتحت الأبواب، فاجتلدوا فيها، فأناموا كل مقاتل، وأررز الهرمزان إلى القلعة، وأطاف به الذين دخلوا من مخرج الماء، فلما عاينوه وأقبلوا قبله قال لهم: ما شئتم!

قد ترون ضيق ما أنا فيه وأنتم، ومعى في جعيتي مائة نشابه، والله ما تصلون إلي ما دام معي منها نشابه، وما يقع لي سهم، وما خير إيساري إذا أصبت منكم مائة بين قتيل أو جريح! قالوا: فتريد ماذا؟ قال: أن أضع يدي في أيديكم على حكم عمر يصنع بي ما شاء، قالوا: فلك ذلك، فرمى بقوسه، وأمكنهم من نفسه، فشده وثاقاً، واقتسموا ما أفاء الله عليهم، فكان سهم الفارس فيها ثلاثة آلاف، والراجل ألفاً، ودعا صاحب الرمية بها، فجاء هو والرجل الذي خرج بنفسه، فقالا: من لنا بالأمان الذي طلبنا، علينا وعلى من مال معنا؟ قالوا: ومن مال معكم؟ قالوا: من أغلق بابه عليه مدخلكم فأجازوا ذلك لهم، وقتل من المسلمين ليلتئذ أناس كثير، ومن قتل الهرمزان بنفسه مجزأة بن ثور، والبراء بن مالك.

قالوا: وخرج أبو سبرة في أثر الفل من تستر - وقد قصدوا للسوس - إلى السوس، وخرج بالنعمان وأبي موسى ومعهم الهرمزان، حتى اشمئوا على السوس، وأحاط المسلمون بها، وكتبوا بذلك إلى عمر فكتب عمر إلى عمر بن سراقه بأن يسير نحو المدينة، وكتب إلى أبي موسى فردّه على البصرة، وقد ردّ أبا موسى على البصرة ثلاث مرات بهذه، ورد عمر عليها مرتين، وكتب إلى زر بن عبد الله بن كليب الفقيمي أن يسير إلى جندی سابور، فسار حتى نزل عليها، وانصرف أبو موسى إلى البصرة بعد ما أقام إلى رجوع كتاب عمر، وأمر عمر على جند البصرة المقترّب، الأسود بن ربيعة أحد بني ربيعة بن مالك، وكان الأسود وزيراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين - وكان الأسود قد وفد على رسول الله ص وقال: جئت لأقترّب إلى الله عز وجل بصحبتك، فسماه المقترّب، وكان زر

قد وفد على رسول الله ص، وقال: فني بطني، وكثر إخوتنا، فادع الله لنا، [فقال: اللهم اوف لزعمره، فتحول إليهم العدد- وأوفد أبو سبرة وفداً] فيهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس، وأرسل الهرمزان معهم، فقدموا مع أبي موسى البصرة، ثم خرجوا نحو المدينة، حتى إذا دخلوا هيئوا الهرمزان في هيئته، فألبسوه كسوته من الديباج الذي فيه الذهب، ووضعوا على رأسه تاجاً يدعى الآذين، مكلاً بالياقوت، وعليه حلته، كيما يراه عمر والمسلمون في هيئته، ثم خرجوا به على الناس يريدون عمر في منزله فلم يجدوه، فسألوا عنه، فقيل لهم: جلس في المسجد لوفد قدموا عليه من الكوفة، فانطلقوا يطلبونه في المسجد، فلم يروه، فلما انصرفوا مروا بغلمان من أهل المدينة يلعبون، فقالوا لهم: ما تلهونكم؟! تريدون أمير المؤمنين؟ فإنه نائم في ميمنة المسجد، متوسد برنسه- وكان عمر قد جلس لوفد أهل الكوفة في برنس، فلما فرغ من كلامهم وارتفعوا عنه، وأخلوه نزع برنسه ثم توسده فنام- فانطلقوا ومعهم النظارة، حتى إذا رأوه جلسوا دونه، وليس في المسجد نائم ولا يقظان غيره، والدرة في يده معلقة، فقال: الهرمزان: أين عمر؟ فقالوا: هو ذا، وجعل الوفد يشيرون إلى الناس أن اسكتوا عنه، وأصغى الهرمزان إلى الوفد، فقال: أين حرسه وحجابه عنه؟ قالوا: ليس له حارس ولا حاجب، ولا كاتب ولا ديوان، قال: فينبغي له أن يكون نبياً، فقالوا: بل يعمل عمل الأنبياء، وكثر الناس، فاستيقظ عمر بالجلبة، فاستوى جالساً، ثم نظر إلى الهرمزان، فقال: الهرمزان؟ قالوا: نعم، فتأمل، وتأمل ما عليه، وقال: أعوذ بالله من النار، وأستعين الله! وقال: الحمد لله الذي أذل بالإسلام هذا وأشياعه، يا معشر المسلمين، تمسكوا بهذا الدين، واهتدوا بهدى نبيكم، ولا تبترنكم الدنيا فإنها غرارة فقال الوفد: هذا ملك الأهواز، فكله، فقال: لا، حتى لا يبقى عليه من حلته شيء، فرمي عنه بكل شيء عليه إلا شيئاً يستره، وألبسوه ثوباً صفيقاً، فقال عمر: هيه يا هرمزان! كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله! فقال: يا عمر، إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم، فغلبناكم إذ لم يكن معنا ولا معكم، فلما كان معكم

غلبتمونا فقال عمر: إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا ثم قال عمر:

ما عذرک وما جتک في انتقاضک مرة بعد مرة؟ فقال: أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك، قال: لا تخف ذلك واستسقى ماء، فأتي به في قدح غليظ، فقال: لو مت عطشاً لم أستطع أن أشرب في مثل هذا، فأتي به في إناء يرضاه، فجعلت يده ترجف، وقال: إني أخاف أن أقتل وأنا أشرب الماء، فقال عمر: لا بأس عليك حتى تشربه، فأكفأه، فقال عمر: أعيذوا عليه، ولا تجمعوا عليه القتل والعطش، فقال: لا حاجة لي في الماء، إنما أردت أن أستأمن به، فقال له عمر: إني قاتلك، قال: قد أمنتني! فقال: كذبت! فقال أنس: صدق يا أمير المؤمنين، قد أمنتته، قال:

ويحك يا أنس! أنا أو من قاتل مجزأة والبراء! والله لتأتين بخرج أو لأعاقبك! قال: قلت له: لا بأس عليك حتى تخبرني، وقلت: لا بأس عليك حتى تشربه، وقال له من حوله مثل ذلك، فأقبل على الهرمزان، وقال: خدعتني، والله لا أنخدع إلا لمسلم، فأسلم. ففرض له على ألفين، وأنزله المدينة كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي سفيان طلحه ابن عبد الرحمن، عن ابن عيسى، قال: كان الترجمان يوم الهرمزان المغيرة بن شعبة إلى أن جاء المترجم، وكان المغيرة يفقه شيئاً من الفارسية، فقال عمر للمغيرة: قل له: من أي أرض أنت؟ فقال المغيرة: از کدام ارضی؟ فقال: مهرجاني، فقال: تكلم بحجتك، قال: كلام حي أو ميت؟ قال: بل كلام حي، قال: قد أمنتني، قال: خدعتني، إن للمخدوع في الحرب حكمه، لا والله لا أومنك حتى تسلم، فأيقن أنه القتل أو الإسلام، فأسلم، ففرض له على ألفين وأنزله المدينة وقال للمغيرة:

ما أراك بها حاذقاً، ما أحسنها منكم أحد إلا خب، وما خب إلا دق إياكم وإياها، فإنها تنقض الإعراب وأقبل زيد فكله، وأخبر عمر بقوله، والهرمزان يقول عمر

٤٠٢٠١٥ ذكر فتح السوس

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحه وعمرو، عن الشعبي وسفيان، عن الحسن، قال: قال عمر للوفد: لعل المسلمين يفضون إلى أهل الذمة بأذى وبأمور لها ما ينتقضون بكم! فقالوا: ما نعلم إلا وفاء وحسن ملكة، قال: فكيف هذا؟ فلم يجد

عند أحد منهم شيئا يشفيه ويبصر به مما يقولون، إلا ما كان من الأخف، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرك أنك نهيئنا عن الانسياع في البلاد، وأمرتنا بالاعتصار على ما في أيدينا، وإن ملك فارس حي بين أظهرهم، وإنهم لا يزالون يساجلوننا ما دام ملكهم فيهم، ولم يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج أحدهما صاحبه، وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئا بعد شيء إلا بانبعاثهم، وأن ملكهم هو الذي يبعثهم، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فلنسح في بلادهم حتى نزله عن فارس، ونخرجه من مملكته وعز أمته، فهناك ينقطع رجاء أهل فارس ويضربون جأشا فقال: صدقتني والله، وشرحت لي الأمر عن حقه ونظر في حوائجهم وسرحهم.

وقدم الكتاب على عمر باجتماع أهل نهاوند وانتفاء أهل مهران، وأهل كور الأهواز إلى رأي الهرمزان ومشيتته، فذلك كان سبب إذن عمر لهم في الانسياع.

. ذكر فتح السوس

اختلف أهل السير في أمرها، فأما المدائني فإنه - فيما حدَّثني عنه أبو زيد - قال: لما انتهى فل جلولا إلى يزدرج وهو بجلوان، دعا بخاصته والموبذ، فقال: إن القوم لا يلقون جمعا إلا فلوهم، فما ترون؟

فقال الموبذ: نرى أن تخرج فتزول إصطخر، فإنها بيت المملكة، وتضم إليك خزائنك، وتوجه الجنود فأخذ برأيه، وسار إلى إصبهان دعا سياه، فوجهه في ثلاثمائة، فيهم سبعون رجلا من عظمائهم، وأمره أن ينتخب من كل بلدة يمر بها من أحب، فمضى سياه وأتبعه يزدرج، حتى نزلا إصطخر وأبو موسى محاصر السوس، فوجه سياه إلى السوس، والهرمزان إلى تستر، فنزل سياه الكلبانية، وبلغ أهل السوس أمر جلولا ونزول يزدرج إصطخر منهزما، فسألوا أبا موسى الأشعري الصلح، فصالحهم، وسار إلى رامهرمز وسياه بالكلبانية، وقد عظم أمر المسلمين عنده، فلم يزل مقيما حتى صار أبو موسى إلى تستر، فتحول سياه، فنزل بين رامهرمز وتستر، حتى قدم عمار بن ياسر، فدعا سياه الرؤساء الذين كانوا خرجوا معه من إصبهان، فقال: قد علمت أنا كما نتحدث أن هؤلاء القوم أهل الشقاء والبؤس سيغلبون على هذه المملكة، وتروث دوابهم في إيوانات إصطخر ومصانع الملوك، ويشدون خيولهم بشجرها، وقد غلبوا على ما رأيتم، وليس يلحقون جندا إلا فلوهم، ولا ينزلون بحصن إلا فتحوه، فانظروا لأنفسكم قالوا: رأينا رأيك، قال: فليكفني كل رجل منكم حشمة والمنقطعين إليه، فإني أرى أن ندخل في دينهم ووجهوا شيرويه في عشرة من الأساورة إلى أبي موسى يأخذ شروطا على أن يدخلوا في الإسلام فقدم شيرويه على أبي موسى، فقال: إنا قد رغبت في دينكم، فنسلم على أن نقاتل معكم العجم، ولا نقاتل معكم العرب، وإن قاتلنا أحد من العرب منعمونا منه، وننزل حيث شئنا، ونكون فيمن شئنا منكم، وتلحقونا بأشراف العطاء، ويعقد لنا الأمير الذي هو فوقك بذلك فقال أبو موسى: بل لكم ما لنا، وعليكم ما علينا، قالوا:

لا نرضي.

وكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب، فكتب إلى أبي موسى: أعطهم ما سألوكم فكتب أبو موسى لهم، فأسلموا، وشهدوا معه حصار تستر، فلم يكن أبو موسى يرى منهم جدا ولا نكايه، فقال لسياه: يا أعور، ما أنت وأصحابك كما كنا نرى! قال: لسنا مثلكم في هذا الدين ولا بصائرنا كبصائرهم، وليس لنا فيكم حرم نحامي عنهم، ولم تلحقنا بأشراف العطاء

ولنا سلاح وكراع وأنتم حسر فكتب أبو موسى إلى عمر في ذلك، فكتب إليه عمر: أن ألحقهم على قدر البلاء في أفضل العطاء وأكثر شيء، أخذه أحد من العرب ففرض مائة منهم في ألفين ألفين، ولستة منهم في الفين، وخمسمائة لسياه وخسرو - ولقبه مقلاص - وشهريار، وشهرويه، وأفروذين فقال الشاعر:

ولما رأى الفاروق حسن بلائهم ... وكان بما يأتي من الأمر أبصرا
فسن لهم الفين فرضا وقد رأى ... ثلاثمئين فرض عك وحيرا

قال: فحاصروا حصنا بفارس، فأنسل سياه في آخر الليل في زي العجم حتى رمى بنفسه إلى جنب الحصن، ونضح ثيابه بالدم، وأصبح أهل الحصن، فرأوا رجلا في زيهم صريعا، فظنوا أنه رجل منهم أصيبوا به، ففتحوا باب الحصن ليدخلوه، فثار وقاتلهم حتى خلوا عن باب الحصن وهربوا، ففتح الحصن وحده، ودخله المسلمون، وقوم يقولون: فعل هذا الفعل سياه بتستر، وحاصروا حصنا، فثنى

خسرو إلى الحصن، فأشرف عليه رجل منهم يكلمه، فرماه خسرو بنشابة فقتله.

وأما سيف فإنه قال في روايته ما كتب به إلى السري، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْهُ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطِلْحَةَ وَعَمْرٍو وَدَّثَارِ أَبِي عَمْرٍ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ، قَالُوا: لما نزل أبو سبرة في الناس على السوس، وأحاط المسلمون بها، وعليهم شهر يار أخو الهرمزان، ناوشوهم مرات، كل ذلك يصيب أهل السوس في المسلمين، فأشرف عليهم يوما الرهبان والقسيسون، فقالوا: يا معشر العرب، إن مما عهد إلينا علمائنا وأوائلنا، أنه لا يفتح السوس إلا الدجال أو قوم فيهم الدجال، فإن كان الدجال فيكم فستفتحونها، وإن لم يكن فيكم فلا تغنوا بحصارنا وجاء صرف أبي موسى إلى البصرة، وعمل على أهل البصرة المقرب مكان أبي موسى بالسوس، واجتمع الأعاجم بنهاوند والنعمان على أهل الكوفة محاصرا لأهل السوس مع أبي سبرة، وزر محاصر أهل نهاوند من

وجهه ذلك، وضرب على أهل الكوفة، البعث مع حذيفة، وأمرهم بموافاته بنهاوند، وأقبل النعمان على التهيؤ للسير إلى نهاوند، ثم استقل في نفسه، فناوشهم قبل مضيه، فعاد الرهبان والقسيسون، وأشرفوا على المسلمين، وقالوا:

يا معشر العرب، لا تغنوا فإنه لا يفتحها إلا الدجال أو قوم معهم الدجال، وصاحوا بالمسلمين وغازوهم، وصاف بن صياد يومئذ مع النعمان في خيله، وناهدهم المسلمون جميعا، وقالوا: نقاتلهم قبل أن نفترق، ولما يخرج أبو موسى بعد وأتى صاف باب السوس غضبان، فدقه برجله، وقال: انفتح فطار فتقطعت السلاسل، وتكسرت الأغلاق، وفتحت الأبواب، ودخل المسلمون، فألقى المشركون بأيديهم، وتنادوا: الصلح الصلح! وأمسكوا بأيديهم، فاجابوهم إلى ذلك بعد ما دخلوها عنوة، واقتسموا ما أصابوا قبل الصلح، ثم افرقوا. فخرج النعمان في أهل الكوفة من الأهواز حتى نزل على ماه، وسرح أبو سبرة المقرب حتى ينزل على جندی سابور مع زر، فأقام النعمان بعد دخول ماه، حتى وافاه أهل الكوفة، ثم نهدهم إلى أهل نهاوند، فلما كان الفتح رجع صاف إلى المدينة، فأقام بها، ومات بالمدينة.

كَتَبَ إِلَيَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن أورد فتح السوس، قال: وقيل لأبي سبرة: هذا جسد دانيال في هذه المدينة، قال: وما لنا بذلك! فأقره بأيديهم - قال عطية بإسناده: إن دانيال كان لزم أسياف فارس بعد بختنصر، فلما حضرته الوفاة، ولم ير أحدا ممن هو بين ظهريهم على الإسلام، أكرم كتاب الله عن لم يحبه ولم يقبل منه، فأودعه ربه، فقال لابنه: ائت ساحل البحر، فاقدف بهذا الكتاب فيه، فأخذه الغلام، وضم به، وغاب مقدار ما كان ذاهبا وجائيا، وقال:

قد فعلت، قال: فما صنع البحر حين هوى فيه؟ قال: لم أره يصنع شيئا، فغضب وقال: والله ما فعلت الذي أمرتك به فخرج من عنده، ففعل مثل فعلته الأولى، ثم أتاه فقال: قد فعلت، فقال: كيف رأيت البحر حين هوى فيه؟ قال: ماج واصطفق، فغضب أشد من غضبه الأول، وقال:

والله ما فعلت الذي أمرتك به بعد، فعزم ابنه على إلقائه في البحر الثالثة،

٤٠٢٠١٦ ذكر مصالحة المسلمين اهل جندی سابور

فانطلق إلى ساحل البحر، وألقاه فيه، فانكشف البحر عن الارض حتى بدت، وانفجرت له الأرض عن هواء من نور، فهوى في ذلك النور، ثم انطبقت عليه الأرض، واختلط الماء، فلما رجع إليه الثالثة سأله فأخبره الخبر، فقال: الآن صدقت ومات دانيال بالسوس، فكان هنالك يستسقى بجسده، فلما افتتحها المسلمون أتوا به فأقروه في أيديهم، حتى إذا ولي أبو سبرة عنهم إلى جندی سابور أقام أبو موسى بالسوس وكتب إلى عمر فيه، فكتب إليه يأمره بتوريته، فكفنه ودفنه المسلمون وكتب أبو موسى إلى عمر بأنه كان عليه خاتم وهو عندنا فكتب إليه أن تحتمه، وفي فسه نقش رجل بين اسدين

ذكر مصالحة المسلمين اهل جندی سابور

وفيها - أعني سنة سبع عشرة - كانت مصالحة المسلمين اهل جندی سابور. ذكر الخبر عن أمرهم وأمرها:

كَتَبَ إِلَيَّ السَّري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي عمرو وأبي سفيان والمهلب قالوا: لما فرغ أبو سبرة من السوس خرج في جنده حتى نزل على جندی سابور، وزر بن عبد الله بن كليب محاصره، فأقاموا عليها يغادونهم ويرأونهم القتال، فما زالوا مقيمين عليها حتى رمي إليهم بالأمان من عسكر المسلمين، وكان فتحها وفتح نهاوند في مقدار شهرين، فلم يفجأ المسلمين إلا وأبوابها تفتح، ثم خرج السرح، وخرجت الاسواق، واثبت أهلها، فأرسل المسلمون: ان ما لكم؟ قالوا:

رمىتم إلينا بالأمان فقبلناه، وأقررنا لكم بالجزاء على أن تمنعونا فقالوا:

ما فعلنا، فقالوا: ما كذبنا، فسأل المسلمون فيما بينهم، فإذا عبد يدعى مكنتفا كان أصله منها، هو الذي كتب لهم فقالوا: إنما هو عبد، فقالوا: إنا لا نعرف حرم من عبدكم، قد جاء أمان فنحن عليه قد قبلناه،

٤٠٢٠١٧ أخبار متفرقة

ولم نبدل، فإن شئتم فاغدروا فأمسكوا عنهم، وكتبوا بذلك إلى عمر، فكتب إليهم: إن الله عظم الوفاء، فلا تكونون أوفياء حتى تفنوا، ما دمت في شك أجيزوهم، وفوا لهم فوفوا لهم، وانصرفوا عنهم.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو، قالوا: أذن عمر في الانسياح سنة سبع عشرة في بلاد فارس، وانتهى في ذلك إلى رأي الأحنف بن قيس، وعرف فضله وصدقه، وفرق الأمراء والجنود، وأمر على أهل البصرة أمراء، وأمر على أهل الكوفة أمراء، وأمر هؤلاء وهؤلاء بأمره، وأذن لهم في الانسياح سنة سبع عشرة، فساحوا في سنة ثمان عشرة، وأمر أبا موسى أن يسير من البصرة إلى منقطع ذمة البصرة، فيكون هنالك حتى يحدث إليه، وبعث بألوية من ولي مع سهيل بن عدي حليف بني عبد الأشهل، فقدم سهيل بالألوية، ودفع لواء خراسان إلى الأحنف ابن قيس، ولواء أردشير خره وسابور إلى مجاشع بن مسعود السلمي، ولواء إصطخر إلى عثمان بن أبي العاص الثقفي، ولواء فسا ودارابجرد إلى سارية بن زعيم الكاظمي، ولواء كرمات مع سهيل بن عدي، ولواء سجستان إلى عاصم ابن عمرو. وكان عاصم من الصحابة- ولواء مكران إلى الحكم بن عمير التغلبي فخرجوا في سنة سبع عشرة، فعسكروا ليخرجوا إلى هذه الكور فلم يستتب مسيرهم، حتى دخلت سنة ثمان عشرة، وأمدهم عمر بأهل الكوفة، فأمد سهيل بن عدي بعبد الله بن عبد الله بن عتبان، وأمد الأحنف بعلقمه ابن النضر، وبعبد الله بن أبي عقيل، وبريعي بن عامر، وبابن أم غزال. وأمد عاصم بن عمرو بعبد الله بن عمير الأشجعي، وأمد الحكم بن عمير بشهاب بن المخارق المازني قال بعضهم: كان فتح السوس ورامهرمز وتوجيه الهرمز إلى عمر من تستر في سنة عشرين . [أخبار متفرقة]

وجج بالناس في هذه السنة- أعني سنة سبع عشرة- عمر بن الخطاب، وكان عامله على مكة عتاب بن أسيد، وعلى اليمن يعلى بن أمية، وعلى اليمامة والبحرين عثمان بن أبي العاص وعلى عمان حذيفة بن محصن، وعلى الشام من قد ذكرت أسماءهم قبل، وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبي وقاص، وعلى قضائها أبو قررة، وعلى البصرة وأرضها أبو موسى الأشعري- وقد ذكرت فيما مضى الوقت الذي عزل فيه عنها، والوقت الذي رد فيه إليها أميرا وعلى القضاء- فيما قيل- أبو مريم الحنفي وقد ذكرت من كان على الجزيرة والموصل قبل

٤٠٣ سنة ثمان عشرة

٤٠٣٠١ ذكر الاحداث التي كانت في سنة ثمان عشرة

ذكر القحط وعام الرماده

سنة ثمان عشرة

ذكر الأحداث التي كانت في سنة ثمان عشرة

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة- أعني ثمان عشرة- أصابت الناس مجاعة شديدة ولزبة، وجدوب وقحوط، وذلك هو العام الذي يسمى عام الرمادة.

ذكر القحط وعام الرمادة

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: دخلت سنة ثمان عشرة، وفيها كان عام الرمادة وطاعون عمواس، فتفانى فيها الناس.

وحدثني أحمد بن ثابت الرازي، قال: حدثت عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: كانت الرمادة سنة ثمان عشرة قال: وكان في ذلك العام طاعون عمواس.

كتب إلي السري يقول: حدثنا شعيب، عن سيف، عن الربيع وأبي المجالد وأبي عثمان وأبي حارثة، قالوا: وكتب أبو عبيدة إلى عمر: إن نفرا من المسلمين أصابوا الشراب، منهم ضرار، وأبو جندل، فسألناهم فتأولوا، وقالوا: خيرنا فاخترنا، قال: «فهل أنتم منتهون»! ولم يعزم علينا.

فكتب إليه عمر: فذلك بيننا وبينهم، «فهل أنتم منتهون»، يعني فانتهموا وجمع الناس، فاجتمعوا على أن يضربوا فيها ثمانين جلده، ويضمنوا الفسق من تأول عليها بمثل هذا، فإن أبي قتل.

فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن ادعهم، فإن زعموا أنها حلال فاقتلهم، وإن زعموا أنها حرام فاجلدوهم ثمانين فبعث إليهم فسألهم على رؤوس الناس، فقالوا: حرام، فجلدهم ثمانين ثمانين، وحد القوم، وندموا على لجأتهم، وقال: ليحدثن فيكم يا أهل الشام حادث، فحدثت الرمادة.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن شبرمة عن الشعبي بمثله.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، قال: لما قدم على عمر كُتاب أبي عبيدة في ضرار وأبي جندل، كتب إلي أبي عبيدة في ذلك، وأمره أن يدعوهم على رؤوس الناس فيسألهم:

أحرام الخمر أم حلال؟ فإن قالوا: حرام، فاجلدوهم ثمانين جلدة، واستتبهم، وإن قالوا: حلال، فاضرب أعناقهم فدعاهم فسألهم، فقالوا: بل حرام، فجلدهم، فاستحيوا فلزموا البيوت ووسوس أبو جندل، فكتب أبو عبيدة إلى عمر: إن أبا جندل قد وسوس، إلا أن

يأتيه الله على يدك بفرج، فكتب إليه وذكره، فكتب إليه: من عمر إلى أبي جندل «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» ، فكتب وأرفع رأسك، وأبرز ولا تقنط، فإن الله عز وجل، يقول: «يا عبادي الذين أسرفوا على

أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم» فلما قرأه عليه أبو عبيدة تطلق وأسفر عنه وكتب إلى الآخرين بمثل ذلك فبرزوا، وكتب إلى الناس: عليكم أنفسكم، ومن استوجب التغيير فغيروا عليه، ولا تعيروا أحدا فيفسوا فيكم البلاء.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن عبد الله، عن عطاء نحا منه، إلا أنه لم يذكر أنه كتب إلى الناس ألا يعيروهم، وقال:

قالوا: جاشت الروم، دعونا نغزوهم، فإن قضى الله لنا الشهادة فذلك، وإلا عمدت للذي يريد فاستشهد ضرار بن الأزور في قوم، وبقي الآخرون فحدوا وقال أبو الزهراء القشيري في ذلك:

ألم تر أن الدهر يعثر بالفتى ... وليس على صرف المنون بقادر

صبرت ولم أجزع وقد مات إخوتي ... ولست عن الصباء يوما بصابر

رماها أمير المؤمنين بحتفها ... فخلاتها يكون حول المعاصر

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الربيع بن النعمان وأبي المجالد جراد بن عمرو وأبي عثمان يزيد بن أسيد الغساني،

وأبي حارثة محرز العبشمي بإسنادهم، ومحمد بن عبد الله، عن كريب، قالوا:

أصاب الناس في إمارة عمر رضي الله عنه سنة بالمدينة وما حولها، فكانت تسفى إذا ريحت ترابا كالرماد، فسمي ذلك العام عام الرمادة، فآلى عمر ألا يذوق سمنًا ولا لبنًا ولا لحما حتى يحى الناس من أول الحيا، فكان بذلك حتى أحيا الناس من أول الحيا، فقدمت السوق عكة من سمن ووطب من لبن، فاشترهما غلام لعمر بأربعين، ثم أتى عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، قد أبر الله يمينك، وعظم أجرك، قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن، فابتعتما بأربعين، فقال عمر: أغليت بهما، فتصدق بهما، فإني أكره أن أكل إسرافا وقال عمر: كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسنني ما مسهم! كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ يَوْسَفَ السَّلِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: كَانَتْ فِي آخِرِ سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةِ وَأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةَ، وَكَانَتْ الرَّمَادَةُ جَوْعًا أَصَابَ النَّاسَ بِالْمَدِينَةِ وَمَا حَوْلَهَا فَأَهْلَكَهُمْ حَتَّى جَعَلَتْ الْوَحْشُ تَأْوِي إِلَى الْإِنْسِ، وَحَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَذْبَحُ الشَّاةَ فَيَعَافُهَا مِنْ قَبْحِهَا، وَإِنَّهُ لَمُقْفَرٌ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ يَوْسَفَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: كَانَ النَّاسُ بِذَلِكَ وَعُمَرُ كَالْمَحْصُورِ عَنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ، حَتَّى أَقْبَلَ بِلَالُ بْنُ الْحَارِثِ الْمُزْنِيُّ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَقَالَ:

أَنَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكَ، يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لَقَدْ عَاهَدْتُكَ كَيْسًا، وَمَا زِلْتُ عَلَى رَجُلٍ، فَمَا شَأْنُكَ! فَقَالَ: مَتَى رَأَيْتَ هَذَا؟ قَالَ: الْبَارِحَةَ، نَفَرَ فَنَادَى فِي النَّاسِ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ! فَصَلَّى بِهِمْ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَشَدُّكُمْ اللَّهُ، هَلْ تَعْلَمُونَ مِنِّي أَمْرًا غَيْرَهُ خَيْرٌ مِنْهُ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ لَا، قَالَ: فَإِنَّ بِلَالَ بْنَ الْحَارِثِ يَزْعُمُ ذِيَّةً وَذِيَّةً، فَقَالُوا:

صَدَقَ بِلَالٌ، فَاسْتَغْتِ بِاللَّهِ وَبِالْمُسْلِمِينَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ- وَكَانَ عُمَرُ عَنْ ذَلِكَ مُحْصُورًا- فَقَالَ عُمَرُ: اللَّهُ أَكْبَرُ! بَلِّغِ الْبَلَاءَ مَدَّتُهُ فَاكْشَفَ، مَا أُذِنَ لِقَوْمٍ فِي الطَّلَبِ إِلَّا وَقَدْ رُفِعَ عَنْهُمْ الْبَلَاءُ، فَكَتَبَ إِلَى أُمَرَاءِ الْأَمْصَارِ:

أَغِيثُوا أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَ جَهْدُهُمْ، وَأَخْرَجَ النَّاسَ إِلَى الْاسْتِسْقَاءِ، نَفَرَ وَخَرَجَ مَعَهُ بِالْعَبَاسِ مَاشِيًا، نَخَطَبَ فَأَوْجَزَ، ثُمَّ صَلَّى، ثُمَّ جَثَا لِرُكْبَتَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَارْضَ عَنَّا ثُمَّ انْصَرَفَ، فَمَا بَلَّغُوا الْمَنْزِلَ رَاجِعِينَ حَتَّى خَاصُوا الْغُدْرَانَ كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مَبْشَرِ بْنِ الْفَضِيلِ، عَنْ جَبْرِ بْنِ صَخْرٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَقِيتُ النَّاسَ زَمَانَ عَمْرًا، فَهَزَلَ الْمَالُ، فَقَالَ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ مَزِينَةٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ لِمُصَاحِبِهِمْ: قَدْ بَلَّغْنَا، فَادْبَحْ لَنَا شَاةً، قَالَ: لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى ذَبَحَ لَهُمْ شَاةً، فَسَلَخَ عَنْ عَظْمِ أَحْمَرٍ، فَنَادَى: يَا مُحَمَّدَاهُ! فَأَرِي فِيمَا يَرَى النَّاسُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص أَتَاهُ، فَقَالَ: أَبْشُرْ بِالْحَيَا! إِنَّتَ عَمْرٌ فَأَقْرَأْهُ مِنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: إِنَّ عَهْدِي بِكَ وَأَنْتَ وَفِي الْعَهْدِ، شَدِيدَ الْعَقْدِ، فَالْكَيْسُ الْكَيْسُ يَا عَمْرُ! بَلَاءٌ حَتَّى أَتَى بَابَ عَمْرٍ، فَقَالَ لِعَاصِمِهِ:

اسْتَأْذِنْ لِرَسُولِ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَأَتَى عَمْرٌ فَأَخْبَرَهُ، فَفَزِعَ وَقَالَ: رَأَيْتَ بِهِ مَسَا! قَالَ: لَا، قَالَ: فَأَدْخَلَهُ، فَدَخَلَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، نَفَرَ فَنَادَى فِي النَّاسِ، وَصَعِدَ الْمَنْبَرَ، وَقَالَ: أَشَدُّكُمْ بِالَّذِي هَذَا كَمَ لِلْإِسْلَامِ، هَلْ رَأَيْتُمْ مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ! قَالُوا: اللَّهُمَّ لَا، قَالُوا: وَلَمْ ذَاكَ؟ فَأَخْبَرَهُمْ، فَفَطَنُوا وَلَمْ يَفْطَنُوا، فَقَالُوا: إِنَّمَا اسْتَبْطَأَكَ فِي الْاسْتِسْقَاءِ، فَاسْتَسْقَى بِنَاءً، فَنَادَى فِي النَّاسِ، فَقَامَ نَخَطَبَ فَأَوْجَزَ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَأَوْجَزَ، ثُمَّ قَالَ:

اللَّهُمَّ عَجَزْتَ عَنَّا أَنْصَارَنَا، وَعَجَزَ عَنَّا حَوْلُنَا وَقُوَّتُنَا، وَعَجَزْتَ عَنَّا أَنْفُسَنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ، اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا، وَأُحْيِ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ! كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ التُّعْمَانِ وَجَرَادِ أَبِي الْمُجَالِدِ وَأَبِي عُثْمَانَ وَأَبِي حَارِثَةَ، كُلُّهُمْ عَنْ رَجَاءٍ- وَزَادَ أَبُو عُثْمَانَ وَأَبُو حَارِثَةَ: عَنْ عُبَادَةَ وَخَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنَمٍ- قَالُوا: كَتَبَ عُمَرُ إِلَى أُمَرَاءِ الْأَمْصَارِ يَسْتَعِينُهُمْ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا، وَيَسْتَمِدُّهُمْ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي

أَرْبَعَةَ آلَافٍ رَاحِلَةٍ مِنْ طَعَامٍ، فَوَلَاهُ قِسْمَتَهَا فِيمَنْ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا فَرَّغَ وَرَجَعَ إِلَيْهِ أَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ، فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا أَرَدْتُ اللَّهُ وَمَا قَبْلَهُ، فَلَا تُدْخِلْ عَلَيَّ الدُّنْيَا، فَقَالَ: خُذْهَا فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ إِذْ لَمْ تَطْلُبْهُ، فَأَبَى فَقَالَ: خُذْهَا فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَ مِثْلَ هَذَا، فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قُلْتَ لَكَ، فَقُلْتُ لَهُ كَمَا قُلْتَ لِي فَأَعْطَانِي فَقَبِلَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَأَنْصَرَفَ إِلَى عَمَلِهِ، وَتَتَابَعَ النَّاسُ وَاسْتَغْنَى أَهْلُ الْحِجَازِ، وَأَحْيَاوْا مَعَ أَوَّلِ الْحَيَا.

وَقَالُوا بِإِسْنَادِهِمْ: وَجَاءَ كِتَابُ عُمَرَوِ بْنِ الْعَاصِ جَوَابَ كِتَابِ عُمَرَ فِي الاسْتِعَانَةِ: إِنَّ الْبَحْرَ الشَّامِي حَفَرَ لِمَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ صَ حَفِيرًا، فَصَبَّ فِي بَحْرِ الْعَرَبِ، فَسَدَهُ الرُّومُ وَالْقَبِطُ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ يَقُومَ سَعَرُ الطَّعَامِ بِالْمَدِينَةِ كَسَعَرِهِ بِمِصْرَ، حَفَرْتُ لَهُ نَهْرًا وَبَنَيْتُ لَهُ قَنَاطِيرَ فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: أَنْ أَفْعَلَ وَجَعَلَ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ أَهْلُ مِصْرَ: خَرَّاجُكَ زَاجٍ، وَأَمِيرُكَ رَاضٍ، وَإِنْ تَمَّ هَذَا انْكَسَرَ الْخَرَّاجُ فَكُتِبَ إِلَى عُمَرَ بِذَلِكَ، وَذَكَرَ أَنَّ فِيهِ انْكَسَارَ خَرَّاجِ مِصْرَ وَخَرَابَهَا فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: اْعْمَلْ فِيهِ وَعَجِّلْ، أَخْرَبَ اللَّهُ مِصْرَ فِي عِمْرَانَ الْمَدِينَةِ وَصَلَاحِهَا، فَعَالَجَهُ عُمَرُو وَهُوَ بِالْقَلْزُومِ، فَكَانَ سَعَرُ الْمَدِينَةِ كَسَعَرِ مِصْرَ، وَلَمْ يَزِدْ ذَلِكَ مِصْرَ إِلَّا رَخَاءً، وَلَمْ يَرِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بَعْدَ الرَّمَادَةِ مِثْلَهَا، حَتَّى حُبِسَ عَنْهُمْ الْبَحْرُ مَعَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَذَلُّوا وَتَقَاصَرُوا وَخَشَعُوا

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَزَعَمَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ الرَّقَّةَ وَالرَّهَاءَ وَحَرَانَ فَتَحَتْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى يَدَيِّ عِيَاضِ بْنِ غَنَمٍ، وَأَنَّ عَيْنَ الْوَرْدَةِ فَتَحَتْ فِيهَا عَلَى يَدَيِّ عَمِيرِ بْنِ سَعْدٍ وَقَدْ ذَكَرْتُ قَوْلَ مَنْ خَالَفَهُ فِي ذَلِكَ فِيمَا مَضَى، وَزَعَمَ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَوْلَ الْمَقَامِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ إِلَى مَوْضِعِهِ الْيَوْمَ، وَكَانَ مُلَصِّقًا بِالْبَيْتِ قَبْلَ ذَلِكَ وَقَالَ: مَاتَ فِي طَاعُونَ عِمَّوَّاسَ خَمْسَةَ وَعِشْرُونَ أَلْفًا. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَقْضَى عُمَرُ شَرِيحَ ابْنِ الْحَارِثِ الْكِنْدِيِّ عَلَى الْكُوفَةِ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ كَعْبَ بْنَ سَوْرِ الْأَزْدِيِّ.

قَالَ: وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَكَانَتْ وُلَاتُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى الْأَمْصَارِ الْوَلَاةِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَيْهَا فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةِ

٤٠٤ سنه تسع عشرة

٤٠٤٠١ ذكر الاحداث التي كانت في سنه تسع عشرة

سنة تسع عشرة

ذكر الأحداث التي كانت في سنة تسع عشرة

قال أبو جعفر: قَالَ أَبُو مَعْشَرَ - فِيمَا حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ الرَّازِي، عَنْ حَدِّثِهِ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى عَنْهُ: إِنْ فَتَحَ جُلَوْلَاءُ كَانَ فِي سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةِ عَلَى يَدَيِّ سَعْدٍ، وَكَذَلِكَ قَالَ الْوَاقِدِيُّ.

وقال ابن إسحاق: كَانَ فَتْحُ الْجَزِيرَةِ وَالرَّهَاءِ وَحَرَانَ وَرَأْسِ الْعَيْنِ وَنَصِيبِينَ فِي سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةِ.

قال أبو جعفر: وَقَدْ ذَكَرْنَا قَوْلَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِي ذَلِكَ قَبْلَ.

وقال أبو معشر: كَانَ فَتْحُ قَيْسَارِيَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنِي سَنَةَ تِسْعِ عَشْرَةِ - وَأَمِيرُهَا مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ الرَّازِي، عَنْ حَدِّثِهِ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْهُ.

وكالذي قال أبو معشر في ذلك قال الواقدي.

وأما ابن إسحاق فإنه قال: كَانَ فَتْحُ قَيْسَارِيَةِ مِنْ فِلَسْطِينَ وَهَرَبَ هِرْقُلَ وَفَتْحَ مِصْرَ فِي سَنَةِ عِشْرِينَ، حَدَّثَنَا بِذَلِكَ ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْبَةُ، عَنْهُ.

وأما سيف بن عمر فإنه قال: كان فتحها في سنة ست عشرة.
قال: وكذلك فتح مصر.

وقد مضى الخبر عن فتح قيسارية قبل، وأنا ذاكر خبر مصر وفتحها بعد في قول، من قال: فتحت سنة عشرين، وفي قول من خالف ذلك.
قال أبو جعفر: وفي هذه السنة- أعني سنة تسع عشرة- سالت حرة ليلي نارا- فيما زعم الواقدي- فأراد عمر الخروج إليها بالرجال، ثم أمرهم بالصدقة فانطفأت
وزعم أيضا الواقدي أن المدائن وجلولاء فتحتا في هذه السنة، وقد مضى ذكر من خالفه في ذلك.
وجج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
وكان عماله على الأمصار وقضاته فيها الولاة والقضاة الذين كانوا عليها في سنه ثمان عشره

٤٠٥ سنه عشرين

٤٠٥١ ذكر الخبر عما كان فيها من مغازي المسلمين وغير ذلك من أمورهم

ذكر الخبر عن فتحها وفتح الإسكندرية

عشرين
ذكر الخبر عما كان فيها من مغازي المسلمين وغير ذلك من أمورهم
قال أبو جعفر: ففي هذه السنة فتحت مصر في قول ابن إسحاق.
حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال:
فتحت مصر سنة عشرين.
وكذلك قال أبو معشر، حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، أنه قال: فتحت مصر سنة عشرين، وأميرها عمرو بن العاص.
وحدثني أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: فتحت إسكندرية سنة خمس وعشرين.
وقال الواقدي- فيما حدثت عن ابن سعد عنه: فتحت مصر والإسكندرية في سنة عشرين.
وأما سيف فإنه زعم- فيما كتب به إلي السري، عن شعيب، عن سيف- أنها فتحت والإسكندرية في سنة ست عشرة.
ذكر الخبر عن فتحها وفتح الإسكندرية
قال أبو جعفر: قد ذكرنا اختلاف أهل السير في السنة التي كان فيها فتح مصر والإسكندرية، ونذكر الآن سبب فتحهما، وعلى يدي من كان، على ما في ذلك من اختلاف بينهم أيضا، فأما ابن إسحاق فإنه قال في ذلك ما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عنه، أن عمر رضي الله عنه حين فرغ من الشام كلها كتب إلى عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر في جنده، فخرج حتى فتح باب اليون في سنة عشرين.

قال: وقد اختلف في فتح الإسكندرية، فبعض الناس يزعم أنها فتحت

في سنة خمس وعشرين، وعلى سنتين من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعليها عمرو بن العاص.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: وحدثني القاسم بن قرمان- رجل من أهل مصر- عن زياد بن جزء الزبيدي، أنه حدثه أنه كان في جند عمرو بن العاص حين افتتح مصر والإسكندرية، قال: افتتحنا الإسكندرية في خلافة عمر بن الخطاب في سنة إحدى وعشرين- أو سنة اثنتين وعشرين- قال: لما افتتحنا باب اليون تدنينا قرى الريف فيما بيننا وبين الإسكندرية قرية فقريه، حتى انتهينا إلى بلهيب- قرية من قرى الريف، يقال لها قرية الريش- وقد بلغت سبيلانا المدينة ومكة واليمن.

قال: فلما انتهينا إلى بلهيب أرسل صاحب الإسكندرية إلى عمرو بن العاص: إني قد كنت أخرج الجزية إلى من هو أبغض إلي منكم معشر العرب لفارس والروم، فإن أحببت أن أعطيك الجزية على أن ترد علي ما أصبتم من سبائا أرضي فعلت.

قال: فبعث إليه عمرو بن العاص: إن ورائي أميرا لا أستطيع أن أصنع أمرا دونه، فإن شئت أن أمسك عنك وتمسك عني حتى أكتب إليه بالذي عرضت علي، فإن هو قبل ذلك منك قبلت، وإن أمرني بغير ذلك مضيت لأمره قال: فقال: نعم قال: فكتب عمرو بن العاص إلى عمر ابن الخطاب- قال: وكانوا لا يخفون علينا كتابا كتبوا به- يذكر له الذي عرض عليه صاحب الإسكندرية قال: وفي أيدينا بقايا من سبيهم ثم وقفنا بلهيب، وأقنا ننتظر كتاب عمر حتى جاءنا، فقرأه علينا عمرو وفيه: أما بعد، فإنه جاءني كتابك تذكر أن صاحب الإسكندرية عرض أن يعطيك الجزية على أن ترد عليه ما أصيب من سبائا أرضه، ولعمري لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدنا من المسلمين أحب إلي من فيء يقسم، ثم كأنه لم يكن، فاعرض على صاحب الإسكندرية أن يعطيك الجزية، على أن تخيروا من في أيديكم من سبيهم بين الإسلام وبين دين قومه، فمن اختار

منهم الإسلام فهو من المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم، ومن اختار دين قومه، وضع عليه من الجزية ما يوضع على أهل دينه، فأما من تفرق من سبيهم بأرض العرب فبلغ مكة والمدينة واليمن فإن لا تقدر على ردهم، ولا نحب أن نصلحه على أمر لا نفي له به قال: فبعث عمرو إلى صاحب الإسكندرية يعلمه الذي كتب به أمير المؤمنين قال: فقال: قد فعلت.

قال: فجمعنا ما في أيدينا من السبائا، واجتمعت النصارى، فجعلنا نأتي بالرجل ممن في أيدينا، ثم نخيره بين الإسلام وبين النصرانية، فإذا اختار الإسلام كبرنا تكبيرة هي أشد من تكبيرنا حين تفتح القرية، قال: ثم نحوزه إلينا، وإذا اختار النصرانية فخرت النصارى، ثم حازوه إليهم، ووضعنا عليه الجزية، وجزعنا من ذلك جزعا شديدا، حتى كأنه رجل خرج منا إليهم قال: فكان ذلك الدأب حتى فرغنا منهم، وقد أتى فيمن أتينا به بأبي مريم عبد الله بن عبد الرحمن- قال القاسم: وقد أدركته وهو عريف بني زبيد- قال: فوقفناه، فعرضنا عليه الإسلام والنصرانية- وأبوه وأمه وإخوته في النصارى- فاختر الإسلام، فخرناه إلينا، ووثب عليه أبوه وأمه وإخوته يجاذبوننا، حتى شققوا عليه ثيابه، ثم هو اليوم عريفنا كما ترى ثم فتحت لنا الإسكندرية فدخلناها، وإن هذه الكاسة التي ترى يا بن أبي القاسم لكاسة بناحية الإسكندرية حولها أحجار كما ترى، ما زادت ولا نقصت، فمن زعم غير ذلك أن الإسكندرية وما حولها من القرى لم يكن لها جزية ولا لأهلها عهد، فقد والله كذب قال القاسم: وإنما هاج هذا الحديث أن ملوك بني أمية كانوا يكتبون إلى أمراء مصر أن مصر إنما دخلت عنوة، وإنما هم عبيدنا نزيد عليهم كيف شئنا، ونضع ما شئنا.

قال أبو جعفر: وأما سيف، فإنه ذكر فيما كتب به إلي السري، يذكر أن شعيبا حدثه عنه، عن الربيع أبي سعيد، وعن أبي عثمان وأبي حارثة، قالوا: أقام عمر بإيلياء بعد ما صالح أهلها، ودخلها أياما، فامضى عمرو بن العاص إلى مصر وأمره عليها، إن فتح الله عليه، وبعث في أثره الزبير

ابن العوام مددا له، وبعث أبا عبيدة إلى الرمادة، وأمره إن فتح الله عليه أن يرجع إلى عمله كتب إلي السري، عن شعيب، عن ابن سيف، قال: حدثنا أبو عثمان عن خالد وعبد الله، قال: خرج عمرو بن العاص إلى مصر بعد ما رجع عمر إلى المدينة، حتى انتهى إلى باب اليون، وأتبعه الزبير، فاجتمعوا، فلقيهم هنالك أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف في أهل النيات بعثه المقوقس لمنع بلادهم فلما نزل بهم عمرو قاتلوه، فأرسل إليهم: لا تعجلونا لنعدركم، وترون رأيكم بعد فكفوا أصحابهم، وأرسل إليهم عمرو: إني بارز فليبرز إلي أبو مريم وأبو مزيام، فأجابوه إلى ذلك، وأمن بعضهم بعضا، فقال لهما عمرو: أنتما راهبا هذه البلدة فاسمعا، إن الله عز وجل بعث محمدا ص بالحق وأمره به، وأمرنا به محمد ص، وأدّى إلينا كل الذي أمر به، ثم مضى صلوات الله عليه ورحمته وقد قضى الذي عليه، وتركنا على الواضحة، وكان مما أمرنا به الإغذار إلى الناس، فنحن ندعوكم إلى الإسلام، فمن أجابنا إليه فثقلنا، ومن لم يجبنا عرضا عليه الجزية، وبذلنا له المنعة، وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم، وأوصانا بكم حفظا لرحمتنا فيكم، وإن لكم إن أجبتونا بذلك ذمة إلى ذمة ومما

عَهْدَ إِلَيْنَا أَمِيرِنَا: اسْتَوْصُوا بِالْقَبْطِيِّينَ خَيْرًا، [فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص أَوْصَانَا بِالْقَبْطِيِّينَ خَيْرًا، لِأَنَّ لَهُمْ رَحِمًا وَذِمَّةً]، فَقَالُوا: قَرَابَةٌ بَعِيدَةٌ لَا يَصِلُ مِثْلُهَا إِلَّا الْإِنْبِيَاءُ، مَعْرُوفَةٌ شَرِيفَةٌ، كَانَتْ ابْنَةُ مَلِكَا، وَكَانَتْ مِنْ أَهْلِ مَنْفَ وَالْمَلِكُ فِيهِمْ، فَأَدْبِلَ عَلَيْهِمْ أَهْلُ عَيْنِ شَمْسٍ، فَقَتَلُوهُمْ وَسَلَبُوا مَلِكَهُمْ وَاعْتَرَبُوا، فَذَلِكَ صَارَتْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ع مَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا، آمِنًا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَيْكَ فَقَالَ عَمْرُو: إِنَّ مِثْلِي لَا يُجَدُّ، وَلَكِنِّي أُؤْجَلُكُمْ ثَلَاثًا لِنَتَّظِرَ وَلِنَتَّظِرَ قَوْمَكُمْ، وَالَا نَاجِزْتُكُمْ، قَالَا: زِدْنَا، فَزَادَهُمْ يَوْمًا، فَقَالَا: زِدْنَا، فَزَادَهُمْ يَوْمًا، فَجَعَا إِلَى الْمَقَوْسِ فَهَمَّ، فَأَبَى أَرْطُبُونَ أَنْ يُجِيبَهُمَا، وَأَمَرَ بِمُتَاهَدَتِهِمْ،

فَقَالَا لِأَهْلِ مِصْرَ: أَمَّا نَحْنُ فَسَنَجْهَدُ أَنْ نَدْفَعَ عَنْكُمْ، وَلَا نَرْجِعَ إِلَيْهِمْ، وَقَدْ بَقِيَتْ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ، فَلَا تُصَابُونَ فِيهَا بِشَيْءٍ إِلَّا رَجَوْنَا أَنْ يَكُونَ لَهُ أَمَانٌ فَلَمْ يَفْجَأْ عَمْرُ وَالزُّبَيْرُ إِلَّا الْبَيَاتَ مِنْ فَرْقَبَ، وَعَمْرُو عَلَى عُدَّةٍ، فَلَقَوْهُ فَقَتَلَ وَمَنْ مَعَهُ، ثُمَّ رَكِبُوا أَكْسَاءَهُمْ، وَقَصَدَ عَمْرُو وَالزُّبَيْرُ لِعَيْنِ شَمْسٍ، وَبِهَا جَمْعُهُمْ، وَبَعَثَ إِلَى الْفَرَمَا أَبْرَهَةَ بْنَ الصَّبَاحِ، فَزَلَّ عَلَيْهِمَا، وَبَعَثَ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى الْإِسْكَندَرِيَّةِ، فَزَلَّ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِأَهْلِ مَدِينَتِهِ: إِنَّ تَنْزِلُوا فَلكُمْ الْأَمَانُ، فَقَالُوا: نَعَمْ، فَرَأَسُوهُمْ، وَتَرَبَّصَ بِهِمْ أَهْلُ عَيْنِ شَمْسٍ، وَسَبَى الْمُسْلِمُونَ مِنْ بَيْنِ ذَلِكَ وَقَالَ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ: مَا أَحْسَنَ مَدِينَتَكُمْ يَا أَهْلَ الْإِسْكَندَرِيَّةِ! فَقَالُوا: إِنَّ الْإِسْكَندَرَ قَالَ: إِنِّي أَبْنِي مَدِينَةً إِلَى اللَّهِ فَقِيرَةً، وَعَنِ النَّاسِ غَنِيَّةً- أَوْ لَأَبْنِي مَدِينَةً إِلَى اللَّهِ فَقِيرَةً، وَعَنِ النَّاسِ غَنِيَّةً- فَبَقِيَتْ بِهِجَتَهَا. وَقَالَ أَبْرَهَةُ لِأَهْلِ الْفَرَمَا: مَا أَخْلَقَ مَدِينَتَكُمْ يَا أَهْلَ الْفَرَمَا؟ قَالُوا: إِنَّ الْفَرَمَا قَالَ: إِنِّي أَبْنِي مَدِينَةً عَنِ اللَّهِ غَنِيَّةً، وَإِلَى النَّاسِ فَقِيرَةً، فَذَهَبَتْ بِهِجَتَهَا. وَكَانَ الْإِسْكَندَرُ وَالْفَرَمَا أَخَوَيْنِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: قَالَ الْكَلْبِيُّ: كَانَ الْإِسْكَندَرُ وَالْفَرَمَا أَخَوَيْنِ، ثُمَّ حَدَّثَ بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَسَبَبَتْهُمَا، فَالْفَرَمَا يَنْهَدُ فِيهَا كُلَّ يَوْمٍ شَيْءٌ، وَخَلَقَتْ مَرَاتَهَا، وَبَقِيَتْ جِدَّةُ الْإِسْكَندَرِيَّةِ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي حَارِثَةَ وَأَبِي عَثْمَانَ، قَالَا: لَمَّا نَزَلَ عَمْرُو عَلَى الْقَوْمِ بَعَيْنِ شَمْسٍ، وَكَانَ الْمَلِكُ بَيْنَ الْقَبْطِ وَالنُّوبِ، وَنَزَلَ مَعَهُ الزُّبَيْرُ عَلَيْهَا قَالَ أَهْلُ مِصْرَ لِمَلِكِهِمْ: مَا تَرِيدُ إِلَى قَوْمٍ فَلَوْ كَسَرُوا وَقِصَرُوا، وَغَيْرَهُمْ عَلَى بِلَادِهِمْ! صَالِحُ الْقَوْمِ وَاعْتَقَدَ مِنْهُمْ، وَلَا تَعْرِضُ لَهُمْ، وَلَا تَعْرِضُنَا لَهُمْ- وَذَلِكَ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ- فَأَبَى، وَنَاهَدُوهُمْ فَقَاتَلُوهُمْ، وَارْتَقَى الزُّبَيْرُ سُورَهَا، فَلَهَا أَحْسَوْهُ فَتَحُوا الْبَابَ لِعَمْرُو، وَخَرَجُوا إِلَيْهِ مُصَالِحِينَ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ، وَنَزَلَ الزُّبَيْرُ عَلَيْهِمْ عَنُوةً، حَتَّى خَرَجَ عَلَى عَمْرُو مِنَ الْبَابِ مَعَهُمْ، فَاعْتَقَدُوا بَعْدَ مَا أَشْرَفُوا عَلَى الْهَلَكَةِ، فَأَجْرُوا مَا أَخَذَ عَنْهُ مَجْرَى مَا صَالِحَ عَلَيْهِ، فَصَارُوا ذِمَّةً، وَكَانَ صَلَاحُهُمْ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا أُعْطِيَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَهْلَ مِصْرَ مِنَ الْأَمَانِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَمِلَتِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَكَائِنَتِهِمْ وَصَلْبِهِمْ، وَبِرْهِمْ وَبِحَرْهِمْ، لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَا يَنْتَقِصُ، وَلَا يَسَاكِنُهُمُ النُّوبُ وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ أَنْ يَعْطُوا الْجِزْيَةَ إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى هَذَا الصَّلَاحِ، وَانْتَهَتْ زِيَادَةُ نَهْرِهِمْ خَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفٍ، وَعَلَيْهِمْ مَا جَنَى لَصُوتِهِمْ، فَإِنْ أَبَى أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يُجِيبَ رَفْعَ عَنْهُمْ مِنَ الْجِزَاءِ بِقَدْرِهِمْ، وَذِمَّتَا مَنْ أَبَى بَرِيَّةً، وَإِنْ نَقَصَ نَهْرُهُمْ مِنْ غَايَتِهِ إِذَا انْتَهَى رَفْعَ عَنْهُمْ بِقَدْرِ ذَلِكَ، وَمَنْ دَخَلَ فِي صَلَاحِهِمْ مِنَ الرُّومِ وَالنُّوبِ فَلَهُ مِثْلُ مَا لَهُمْ، وَعَلَيْهِ مِثْلُ مَا عَلَيْهِمْ، وَمَنْ أَبَى وَاخْتَارَ الذَّهَابَ فَهُوَ آمِنٌ حَتَّى يَبْلُغَ مَأْمَنَهُ، أَوْ يُخْرِجَ مِنْ سُلْطَانِنَا عَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ أَثَلَاثًا فِي كُلِّ ثَلَاثِ جَبَايَةٍ ثَلَاثَ مَا عَلَيْهِمْ، عَلَى مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ عَهْدَ اللَّهِ وَذِمَّتُهُ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ وَذِمَّةُ الْخَلِيفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَذِمَّةُ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَى النُّوبَةِ، الَّذِينَ اسْتَجَابُوا أَنْ يَعِينُوا بِكَذَا رَأْسًا، وَكَذَا وَكَذَا فَرَسًا، عَلَى أَلَا يَغْزُوا وَلَا يَمْنَعُوا مِنْ تِجَارَةٍ صَادِرَةٍ وَلَا وَارِدَةٍ شَهِدَ الزُّبَيْرُ وَعَبْدُ اللَّهِ وَمُحَمَّدُ ابْنَاهُ وَكُتِبَ وَرَدَانٌ وَحَضَرَ.

فَدَخَلَ فِي ذَلِكَ أَهْلَ مِصْرَ كُلَّهُمْ، وَقَبِلُوا الصَّلَاحَ، وَاجْتَمَعَتِ الْخِيُولُ فَمِصْرَ عَمْرُو الْفُسْطَاطِ، وَنَزَلَ الْمُسْلِمُونَ، وَظَهَرَ أَبُو مَرْيَمَ وَأَبُو مَرْيَمَ، فَكَلَّمَا عَمْرًا فِي السَّبَايَا الَّتِي أَصَابَتْ بَعْدَ الْمَعْرَكَةِ، فَقَالَ: أَوَلَهُمْ عَهْدٌ وَعَقْدٌ؟ أَلَمْ نَخَالِفْكُمْ وَيَغَارَ عَلَيْنَا مِنْ يَوْمِكُمْ! وَطَرَدَهُمَا، فَجَعَا وَهَمَا

يقولان: كل شيء أصبتموه إلى أن نرجع إليكم ففي ذمة منكم، فقال لهما: أتعينون علينا وهم في ذمة؟ قالوا: نعم، وقسم عمرو ذلك السي على الناس، وتوزعوه، ووقع في بلدان العرب وقدم البشير على عمر بعد بالأخماس، وبعث الوفود فسألهم عمر، فما زالوا يخبرونه حتى مروا بحديث الجاثليق وصاحبه، فقال:

ألا أراهما يبصران وأنتم تجهلون ولا تبصرون! من قاتلكم فلا أمان له، ومن لم يقاتلكم فأصابه منكم شيء من أهل القرى فله الأمان في الأيام الخمسة حتى تنصرم، وبعث في الآفاق حتى رد ذلك السي الذي سبوا ممن لم يقاتل في الأيام الخمسة إلا من قاتل بعد، فترادوهم إلا ما كان من ذلك الضرب، وحضرت القبط باب عمرو، وبلغ عمرا أنهم يقولون: ما أرث العرب وأهون عليهم أنفسهم! ما رأينا مثنا دان لهم! نخاف أن يستثيرهم ذلك من أمرهم، فأمر بجزر فذبحت، فطبخت بالماء والملح، وأمر أمراء الأجناد أن يحضروا، وأعلموا أصحابهم، وجلس وأذن لأهل مصر، ووجيء باللحم والمرق فطافوا به على المسلمين، فأكلوا أكلا عربيا، انتشلوا وحسوا وهم في العباء ولا سلاح، فافترق أهل مصر وقد ازدادوا طمعا وجرأة، وبعث في أمراء الجنود في الحضور بأصحابهم من الغد، وأمرهم أن يجيئوا في ثياب أهل مصر وأحذيتهم، وأمرهم أن يأخذوا أصحابهم بذلك ففعلوا، وأذن لأهل مصر، فأروا شيئا غير ما رأوا بالأمس، وقام عليهم القوام بألوان مصر، فأكلوا أكل أهل مصر، ونحوا نحوهم، فافترقوا وقد ارتابوا، وقالوا: كدنا وبعث إليهم أن تسلحوا للعرض غدا، وغدا على العرض، وأذن لهم فعرضهم عليهم ثم قال: إني قد علمت أنكم رأيتم في أنفسكم أنكم في شيء حين رأيتم اقتصاد العرب وهون تزجيتهم، فخشيت أن تهلكوا، فأحببت أن أريكم حالهم، وكيف كانت في أرضهم، ثم حالهم في أرضكم، ثم حالهم في الحرب، فظفروا بكم، وذلك عيشهم، وقد كلبوا على بلادكم قبل أن ينالوا منها ما رأيتم في اليوم الثاني، فأحببت أن تعلموا أن من رأيتم في اليوم الثالث غير تارك عيش اليوم الثاني، وراجع إلى عيش اليوم الأول فتفرقوا وهم يقولون: لقد رمتكم العرب برجلهم.

وبلغ عمر، فقال لجلسائه: والله إن حربته للينة ما لها سطوة ولا سورة كسورات الحروب من غيره، إن عمرا لعض ثم أمره عليها وقام بها. كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الرَّبِيعِ ابْنِ النَّعْمَانِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، قَالَ: لَمَّا التَقَى عَمْرُو وَالْمُقَوْسُ بِعَيْنِ شَمْسٍ،

وَأَقْتَلَتْ خَيْلَاهُمَا، جَعَلَ الْمُسْلِمُونَ يَجُولُونَ بَعْدَ الْبُعْدِ فَدَمَرَهُمْ عَمْرُو، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ مِنْ حِجَارَةٍ وَلَا حَدِيدٍ! فَقَالَ: اسْكُتْ، فَإِنَّمَا أَنْتَ كَلْبٌ، قَالَ: فَأَنْتَ أَمِيرُ الْكِلَابِ، قَالَ: فَلَمَّا جَعَلَ ذَلِكَ يَتَوَاصَلُ نَادَى عَمْرُو: إِنْ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ص؟ فَخَضِرَ مَنْ شَهِدَهَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَقَالَ: تَقَدَّمُوا، فَبَكَرَ يَنْصُرُ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ فَتَقَدَّمُوا وَفِيهِمْ يَوْمُنَا أَبُو بَرْدَةَ وَأَبُو بَرَزَةَ، وَنَاهَدَهُمُ النَّاسُ يَتَّبِعُونَ الصَّحَابَةَ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَظَفَرُوا أَحْسَنَ الظَّفَرِ.

وَأَفْتَتَحَتْ مِصْرُ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ سِتِّ عَشْرَةَ، وَقَامَ فِيهَا مُلْكُ الْإِسْلَامِ عَلَى رَجُلٍ، وَجَعَلَ يَفِيضُ عَلَى الْأُمَمِ وَالْمُلُوكِ، فَكَانَ أَهْلُ مِصْرَ يَتَدَفَّقُونَ عَلَى الْأَجْلِ، وَأَهْلُ مَكْرَانَ عَلَى رَاسِلَ وَدَاهِرَ، وَأَهْلُ بَجَسْتَانَ عَلَى الشَّاهِ وَذَوِيهِ، وَأَهْلُ خُرَاسَانَ وَالْبَابِ عَلَى خَاقَانَ، وَخَاقَانَ وَمَنْ دُونَهُمَا مِنَ الْأُمَمِ، فَكَفَفَهُمْ عَمْرُو إِبْقَاءً عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَلَوْ خَلَّى سَرِيَهُمْ لَبَلَّغُوا كُلَّ مَنْهَلٍ.

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلَمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ لَهِيعة، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا فَتَحُوا مِصْرَ غَزَوْا نُوبَةَ مِصْرَ، فَقَفَلَ الْمُسْلِمُونَ بِالْجَرَاحَاتِ، وَذَهَابَ الْحَدَقُ مِنْ جُودَةِ الرَّمِي، فَسَمَوْا رِمَاةَ الْحَدَقِ، فَلَمَّا وَلِيَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرَحٍ مِصْرَ، وَوَلَاهُ إِيَّاهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صَالَحَهُمْ عَلَى هَدِيَةِ عِدَّةِ رُؤُوسٍ مِنْهُمْ، يُوَدُّونَهُمْ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَيَهْدِي إِلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ سَنَةٍ طَعَامًا مَسْمًى وَكُسُوهُ مِنْ نَحْوِ ذَلِكَ.

قال علي: قال الوليد: قال ابن لهيعة: وأمضى ذلك الصلح عثمان ومن بعده من الولاة والأمراء، وأقره عمر بن عبد العزيز نظرا منه للمسلمين، وإبقاء عليهم.

قال سيف: ولما كان ذو القعدة من سنة ست عشرة، وضع عمر رضي الله عنه مسالح مصر على السواحل كلها، وكان داعية ذلك أن هرقل أغزى

أخبار متفرقة

مصر والشام في البحر، ونهد لأهل حمص بنفسه، وذلك لثلاث سنين وستة أشهر من إماره عمر رضي الله عنه [أخبار متفرقة]

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة- أعني سنة عشرين- غزا أرض الروم أبو بحرية الكندي عبد الله بن قيس، وهو أول من دخلها- فيما قيل وقيل: أول من دخلها ميسره بن مسروق العبسي، فسلم وغنم.

قال: وقال الواقدي: وفي هذه السنة عزل قدامة بن مظعون عن البحرين، وحده في شرب الخمر.

وفيهما استعمل عمر أبا هريرة على البحرين واليمامة.

قال: وفيها تزوج عمر فاطمة بنت الوليد أم عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام.

قال: وفيها توفي بلال بن رباح رضي الله عنه، ودفن في مقبرة دمشق.

وفيهما عزل عمر سعدا عن الكوفة لشكايتهم إياه، وقالوا: لا يحسن يصلي.

وفيهما قسم عمر خير بين المسلمين، وأجلى اليهود منها، وبعث أبا حبيبة إلى فداك فأقام لهم نصف، فأعطاهم، ومضى إلى وادي القرى فقسماها.

وفيهما أجلى يهود نجران إلى الكوفة- فيما زعم الواقدي.

قال الواقدي: وفي هذه السنة- أعني سنة عشرين- دون عمر رضي الله عنه الدواوين قال أبو جعفر: قد ذكرنا قول من خالفه.

وفيهما بعث عمر رضي الله عنه علقمة بن مجزز المدلجي إلى الحبشة في البحر، وذلك أن الحبشة كانت تطرفت- فيما ذكر- طرفا من أطراف الإسلام، فأصيبوا، فجعل عمر على نفسه ألا يحمل في البحر أحدا أبدا

وأما أبو معشر فإنه قال- فيما حدثني أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عنه: كانت غزوة الأسودة في البحر سنة إحدى وثلاثين.

قال الواقدي: وفيها مات أسيد بن الحضير في شعبان.

وفيهما ماتت زينب بنت جحش.

وجج في هذه السنة عمر رضي الله عنه.

وكانت عماله في هذه السنة على الأمصار عماله عليها في السنة التي قبلها، إلا من ذكرت أنه عزله واستبدل به غيره، وكذلك قضاته فيها كانوا القضاة الذين كانوا في السنة التي قبلها

٤٠٦ سنه احدى وعشرين

٤٠٦.١ ذكر الخبر عن وقعه المسلمين والفرس بنهاوند

إحدى وعشرين

قال أبو جعفر: وفيها كانت وقعة نهاوند في قول ابن إسحاق، حدثنا بذلك ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عنه.

وكذلك قال أبو معشر، حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عنه.

وكذلك قال الواقدي.

وأما سيف بن عمر فإنه قال: كانت وقعة نهاوند في سنة ثمان عشرة في سنة ست من إمارة عمر، كتب إلي بذلك السري، عن شعيب، عن سيف.

ذكر الخبر عن وقعة المسلمين والفرس بنهاوند

وكان ابتداء ذلك- فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال- كَانَ مِنْ حَدِيثِ نَهَاوَنْدَ أَنَّ النعمانَ بْنَ مقرنَ كان عاملاً على كسرك، فكتب إلى عمر رضي الله عنه يخبره أن سعد ابن ابى وقاص استعمله على جباية الخراج، وقد أحببت الجهاد ورغبت فيه.

فكتب عمر إلى سعد: إن النعمان كتب إلي يذكر أنك استعملته على جباية الخراج، وأنه قد كره ذلك، ورغب في الجهاد، فابعث به إلى أهم وجوهك، إلى نهاوند.

قال: وقد اجتمعت بنهاوند الأعاجم، عليهم ذو الحجاب- رجل من الأعاجم- فكتب عمر إلى النعمان بن مقرن:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن

مقرن، سلام عليك، إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإنه قد بلغني أن جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند، فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله، وبعون الله، وبنصر الله، بمن معك من المسلمين، ولا توطئهم وعرا فتؤذيهم، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم، ولا تدخلهم غيضة، فإن رجلاً من المسلمين أحب إلي من مائة ألف دينار والسلام عليك.

فسار النعمان إليه ومعه وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، منهم حذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وجريز بن عبد الله البجلي، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن معديكرب الزبيدي، وطليحة بن خويلد الأسدي، وقيس بن مكشوح المرادي فلما انتهى النعمان بن مقرن في جنده إلى نهاوند، طرخوا له حسك الحديد، فبعث عيوناً، فساروا لا يعلمون بالحسك، فزجر بعضهم فرسه، وقد دخلت في يده حسكة، فلم يبرح، فنزل، فنظر في يده فإذا في حافره حسكة، فأقبل بها، وأخبر النعمان الخبر، فقال النعمان للناس: ما ترون؟ فقالوا: انتقل من منزلك هذا حتى يروا أنك هارب منهم، فيخرجوا في طلبك، فانتقل النعمان من منزله ذلك، وكنت الأعاجم الحسك، ثم خرجوا في طلبه، وعطف عليهم النعمان، فضرب عسكره، ثم عبي كتابه، وخطب الناس فقال: إن أصبت فعليكم حذيفة بن اليمان، وإن أصيب فعليكم جريز بن عبد الله، وإن أصيب جريز بن عبد الله فعليكم قيس بن مكشوح، فوجد المغيرة بن شعبة في نفسه إذ لم يستخلفه، فأتاه، فقال له: ما تريد أن تصنع؟ فقال: إذا أظهرت قاتلتهم، لاني رايت رسول الله ص يستحب ذلك، فقال المغيرة: لو كنت بمنزلك باكرتهم القتال، قال له النعمان: ربما باكرت القتال، ثم لم يسود الله وجهك وذلك يوم الجمعة فقال النعمان: نصلي إن شاء الله، ثم تلقى عدونا دبر الصلاة، فلما تصافوا قال النعمان للناس: إني مكبر ثلاثاً، فإذا كبرت الأولى فشد رجل شسعه، وأصلح

من شأنه، فإذا كبرت الثانية، فشد رجل إزاره، وتباً لوجه حملته، فإذا كبرت الثالثة فاحملوا عليهم، إني حامل وخرجت الأعاجم قد شدوا أنفسهم بالسلاسل لثلاثاً يفروا، وحمل عليهم المسلمون فقاتلوه، فرمى النعمان بنشابة فقتل رحمه الله، فلفه أخوه سويد بن مقرن في ثوبه، وكم قتله حتى فتح الله عليهم، ثم دفع الراية إلى حذيفة بن اليمان، وقتل الله ذا الحجاب، وافتتحت نهاوند، فلم يكن للأعاجم بعد ذلك جماعة.

قال أبو جعفر: وقد كان- فيما ذكر لي- بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه السائب بن الأقرع، مولى ثقيف- وكان رجلاً كاتباً حاسباً- فقال: الحق بهذا الجيش فكن فيهم، فإن فتح الله عليهم فاقسم على المسلمين فيهم، وخذ خمس الله وخمس رسوله، وإن هذا الجيش أصيب، فاذهب في سواد الأرض، فبطن الأرض خير من ظهرها.

قال السائب: فلما فتح الله على المسلمين نهاوند، أصابوا غنائم عظيمة، فو الله إني لأقسم بين الناس، إذ جاءني عالج من أهلها فقال: أتؤمنني على نفسي وأهلي وأهل بيتي، على أن أدلك على كنوز النخيرجان- وهي كنوز آل كسرى- تكون لك ولصاحبك، لا يشاركك فيها أحد؟ قال: قلت:

نعم، قال: فابعث معي من أدله عليها، فبعثت معه، فأتى بسفطين عظيمين ليس فيهما إلا اللؤلؤ والزبرجد والياقوت، فلما فرغت من قسمي بين الناس احتملتها معي، ثم قدمت على عمر بن الخطاب، فقال: ما وراءك يا سائب؟

فقلت: خير يا أمير المؤمنين، فتح الله عليك بأعظم الفتح، واستشهد النعمان ابن مقرن رحمه الله فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون!

قال: ثم بكى فنشج، حتى إني لأنظر إلى فروع منكبيه من فوق كتفه قال: فلما رأيت ما لقي قلت: والله يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده من رجل يعرف وجهه فقال المستضعفون من المسلمين: لكن الذي أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وانشابهم، وما يصنعون بمعرفة عمر بن أم عمر! ثم قام ليدخل، فقلت: إن

معي مالا عظيما قد جئت به، ثم أخبرته خبر السفطين، قال: أدخلهما بيت المال حتى ننظر في شأنهما، والحق بجندك قال: فأدخلتهما بيت المال، وخرجت سريعا إلى الكوفة قال: وبات تلك الليلة التي خرجت فيها، فلما أصبح بعث في اثرى رسولا، فوالله ما أدركني حتى دخلت الكوفة، فأنخت بعيري، وأناخ بعيره على عرقوبي بعيري، فقال: الحق بأمر المؤمنين، فقد بعثني في طلبك، فلم أقدر عليك إلا الآن قال: قلت: ويلك! ماذا ولماذا؟ قال: لا أدري والله، قال: فركبت معه حتى قدمت عليه، فلما رأيته قال: ما لي ولابن أم السائب! بل ما لابن أم السائب وما لي! قال: قلت:

وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: ويحك! والله ما هو إلا أن نمت في الليلة التي خرجت فيها، فبات ملائكة ربي تسحبني إلى ذينك السفطين يشتعلان نارا، يقولون: لنكونك بهما، فأقول: إني سأقسمهما بين المسلمين، نخذهما عنى لا ابالك والحق بهما، فبعضهما في أعطية المسلمين وأرزاقهم.

قال: فخرجت بهما حتى وضعتهما في مسجد الكوفة، وغشيتي التجار، فابتاعهما مني عمرو بن حريث المخزومي بألفي ألف، ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم، فباعهما بأربعة آلاف ألف، فما زال أكثر أهل الكوفة مالا بعد حدثنا الربيع بن سليمان، قال: حدثنا أسد بن موسى، قال: حدثنا المبارك بن فضالة، عن زياد بن حدير، قال: حدثني أبي، أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، قال للهمران حين آمنه: لا بأس، انصح لي، قال: نعم، قال: إن فارس اليوم رأس وجناحان، قال: وأين الرأس؟

قال: يهاوند مع بندار، فإن معه أسورة كسرى وأهل إصهان، قال: وأين الجناحان؟ فذكر مكانا نسيته، قال: فاقطع الجناحين يهن الرأس.

فقال عمر: كذبت يا عدو الله! بل أعمد إلى الرأس فأقطعه، فإذا قطعه الله لم يعص عليه الجناحان قال: فأراد أن يسير إليه بنفسه، فقالوا: نذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تسير بنفسك إلى حلبة العجم، فإن أصبت لم يكن للمسلمين نظام، ولكن ابعث الجنود، فبعث أهل المدينة فيهم عبد الله بن

عمر بن الخطاب، وفيهم المهاجرون والأنصار، وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن سر بأهل البصرة، وكتب إلى حذيفة بن اليمان أن سر بأهل الكوفة حتى تجتمعوا جميعا يهاوند، وكتب: إذا التقيتم فأمركم النعمان بن مقرن المزني، فلما اجتمعوا يهاوند، أرسل بندار العجل إليهم: أن أرسلوا إلينا رجلا نكله، فأرسلوا إليه المغيرة بن شعبة قال أبي: كآني أنظر إليه، رجلا طويل الشعر أعور، فأرسلوه إليه، فلما جاء سألناه، فقال: وجدته قد استشار أصحابه، فقال: بأي شيء نأذن لهذا العربي؟ بشارتنا وبهجتنا وملكا، أو نتكشف له فيما قبلنا حتى يزهد؟ فقالوا: لا، بل بأفضل ما يكون من الشارة والعدة، فتهيئوا بها، فلما أتيناهم كادت الحراب والنيارك يلتصع منها البصر، فإذا هم على رأسه مثل الشياطين، وإذا هو على سرير من ذهب على رأسه التاج قال: فضيبت كما أنا ونكست، قال: فدفعته

ونهنه، فقلت: الرسل لا يفعل بهم هذا، فقالوا: إنما أنت كلب، فقلت: معاذ الله! لانا أشرف في قومي من هذا في قومه، فانهروني، وقالوا: اجلس، فأجلسوني قال- وترجم له قوله: إنكم معشر العرب أبعد الناس من كل خير، وأطول الناس جوعا، وأشقى الناس شقاء، وأقدر الناس قدرا، وأبعده دارا، وما منعي أن أمر هؤلاء الأساورة حولي أن ينتظموكم بالنشاب إلا تنجسوا لجيفكم، فإنكم أرجاس، فإن تذهبوا نخل عنكم، وإن تأتوا نركم مصارعكم، قال: فحمدت الله، وأثنت عليه، فقلت: والله ما أخطأت من صفتنا شيئا، ولا من نعتنا، إن كنا لأبعد الناس دارا، وأشد الناس جوعا، وأشقى الناس شقاء، وأبعد الناس من كل خير، حتى بعث الله

عز وجل إلينا رسوله ص، فَوَعَدَنَا النَّصْرَ فِي الدُّنْيَا، وَالْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ، فَوَاللَّهِ مَا زِلْنَا نَتَعَرَّفُ مِنْ رَبِّنا مُنْذُ جَاءَنَا رَسُولُهُ الْفَتْحَ وَالنَّصْرَ، حَتَّى أَتَيْنَاكُمْ، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ إِلَى ذَلِكَ الشَّقَاءِ أَبَدًا حَتَّى نَعْلِبَكُمْ عَلَى مَا فِي أَيْدِيكُمْ، أَوْ نُقْتَلَ بِأَرْضِكُمْ فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ الْأَعْوَرَ قَدْ صَدَقَكُمْ الَّذِي فِي نَفْسِهِ قَالَ: فَقُمْتُ وَقَدْ وَاللَّهِ أَرَعَيْتُ الْعَلَجَ جَهْدِي قَالَ: فَأَرْسَلُ إِلَيْنَا الْعَلَجَ: إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا بِنَهَاوَدَ، وَإِمَّا أَنْ نَعْبُرَ إِلَيْكُمْ فَقَالَ النُّعْمَانُ:

اعْبُرُوا، قَالَ أَيُّ: فَلَمْ أَرِ وَاللَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، إِنَّهُمْ يَجِيئُونَ كَانَهُمْ جِبَالٌ حَدِيدٌ، قَدْ تَوَاتَفُوا أَلَا يَفِرُّوا مِنَ الْعَرَبِ، وَقَدْ قَرَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، سَبْعَةٌ فِي قِرَانٍ، وَالْقَوَا حَسَكَ الْحَدِيدِ خَلْفَهُمْ، وَقَالُوا: مَنْ فَرَّ مِنَّا عَقَرَهُ حَسَكُ الْحَدِيدِ. فَقَالَ الْمُغِيرَةُ حِينَ رَأَى كَثَرَتَهُمْ: لَمْ أَرِ كَالْيَوْمِ فَشَلًا، إِنَّ عَدُوَّنَا يَتَرَكُونَ يَتَأَهَّبُونَ لَا يَعْجَلُونَ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْأَمْرَ لِي لَقَدْ أَجَلْتَهُمْ- وَكَانَ النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرِّنٍ رَجُلًا لَيْنًا- فَقَالَ لَهُ: فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَشْهَدُكَ أَمَّا هَلَا فَلَا يَحْزُنُكَ وَلَا يَعِيبُكَ مَوْفُكُ، إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا مَنَعَنِي مِنْ أَنْ أَتَا جَزَهُمْ إِلَّا شَيْءٌ شَهِدْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ إِذَا غَزَا فَلَمْ يُقَاتِلْ أَوَّلَ النَّهَارِ لَمْ يَعْجَلْ حَتَّى تَحْضُرَ الصَّلَاةُ، وَتَهَبَّ الْأَرْوَاحُ، وَيَطِيبَ الْقِتَالُ، فَمَا مَنَعَنِي إِلَّا ذَلِكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَقَرَّ عَيْنِي الْيَوْمَ بِفَتْحِ يَكُونُ فِيهِ عِزُّ الْإِسْلَامِ، وَذُلُّ يَذُلُّ بِهِ الْكُفَّارُ، ثُمَّ أَقْبِضْنِي إِلَيْكَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الشَّهَادَةِ، آمَنُوا بِرَحْمَتِ اللَّهِ!

فَأَمَّا وَبَكَيْنًا ثُمَّ قَالَ: إِنِّي هَازِلُا لَوَائِي فَتَيَسَّرُوا لِلْسَّلَاحِ، ثُمَّ هَازَ الثَّانِيَةَ، فَكُونُوا مُتَأَهِّبِينَ لِقِتَالِ عَدُوِّكُمْ، فَإِذَا هَزَزْتُ الثَّلَاثَةَ فَلْيَحْمِلْ كُلُّ قَوْمٍ عَلَى مَنْ يَلِيهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ.

قَالَ: وَجَاءُوا بِحَسَكِ الْحَدِيدِ قَالَ: فَجَعَلَ يُلْبِثُ حَتَّى إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ وَهَبَتِ الْأَرْوَاحُ كَبَّرَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: أَرْجُو أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لِي، وَيَفْتَحَ عَلَيَّ، ثُمَّ هَزَّ اللَّوَاءَ فَتَيَسَّرْنَا لِلْقِتَالِ، ثُمَّ هَزَّ الثَّانِيَةَ فَكَّا بِإِزَاءِ الْعَدُوِّ، ثُمَّ هَزَّ الثَّلَاثَةَ.

قَالَ: فَكَبَّرَ وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ، وَقَالُوا: فَتَحَا يَعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، ثُمَّ قَالَ النُّعْمَانُ: إِنْ أُصِيبْتُ فَعَلَى النَّاسِ حُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، وَإِنْ أُصِيبَ حُدَيْفَةُ فَلَوْلَانِ، وَإِنْ أُصِيبَ فَلَانُ فَلَوْلَانِ، حَتَّى عَدَّ سَبْعَةَ آخَرَهُمُ الْمُغِيرَةَ، ثُمَّ هَزَّ اللَّوَاءَ الثَّلَاثَةَ، فَحَمَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَدُوِّ قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحَدًا يَوْمَئِذٍ يُرِيدُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يُظْفَرُ، فَحَمَلْنَا حِمْلَةً وَاحِدَةً، وَثَبَتُوا لَنَا، فَمَا كُنَّا نَسْمَعُ إِلَّا وَقَعَ الْحَدِيدُ عَلَى الْحَدِيدِ، حَتَّى أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِمَصَائِبٍ عَظِيمَةٍ، فَلَمَّا رَأَوْا صَبْرَنَا وَإِنَّا لَا نَبْرَحُ

الْعُرْصَةَ أَنْهَزُمُوا، فَجَعَلَ يَقَعُ الْوَاحِدُ فَيَقَعُ عَلَيْهِ سَبْعَةٌ، بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي قِيَادٍ، فَيَقْتُلُونَ جَمِيعًا، وَجَعَلَ يَعْقِرُهُمْ حَسَكُ الْحَدِيدِ الَّذِي وَضَعُوا خَلْفَهُمْ.

فَقَالَ النُّعْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدِمُوا اللَّوَاءَ، فَجَعَلْنَا نَقْدِمُ اللَّوَاءَ، وَنَقْتَلُهُمْ وَنَهْزِمُهُمْ فَلَمَّا رَأَى أَنَّ اللَّهَ قَدْ اسْتَجَابَ لَهُ وَرَأَى الْفَتْحَ، جَاءَتْهُ نَشَابَةٌ فَأَصَابَتْ خَاصِرَتَهُ، فَقَتَلَتْهُ قَالَ: جَاءَ أَخُوهُ مَعْقِلٌ فَسَجَى عَلَيْهِ ثَوْبًا، وَأَخَذَ اللَّوَاءَ فَقَاتَلَ، ثُمَّ قَالَ: تَقَدَّمُوا نَقْتَلُهُمْ وَنَهْزِمُهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ قَالُوا:

أَيْنَ أَمِيرُنَا؟ قَالَ مَعْقِلٌ: هَذَا أَمِيرُكُمْ، قَدْ أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ بِالْفَتْحِ، وَخَتَمَ لَهُ بِالشَّهَادَةِ قَالَ: فَبَايَعَ النَّاسُ حُدَيْفَةَ وَعُمَرَ بِالْمَدِينَةِ يَسْتَنْصِرُ لَهُ، وَيَدْعُو لَهُ مِثْلُ الْحَبْلِ.

قَالَ: وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بِالْفَتْحِ مَعَ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا أَتَاهُ قَالَ لَهُ: أَبْشُرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِفَتْحِ أَعَزَّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَأَذَلَّ بِهِ الْكُفْرَ وَأَهْلَهُ قَالَ: فَحَمَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ قَالَ: النُّعْمَانُ بَعَثَكَ؟ قَالَ: احْتَسَبِ النُّعْمَانُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: فَبَكَى عُمَرُ وَاسْتَرْجَعَ

قَالَ: وَمَنْ وَيَحْكُ! قَالَ: فَلَانُ وَفَلَانُ، حَتَّى عَدَّ لَهُ نَاسًا كَثِيرًا، ثُمَّ قَالَ: وَآخِرِينَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَعْرِفُهُمْ، فَقَالَ عُمَرُ وَهُوَ يَبْكِي: لَا يَضُرُّهُمْ أَلَا يَعْرِفُهُمْ عُمَرُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَعْرِفُهُمْ.

وأما سيف، فإنه قال- فيما كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ يَذْكُرُ أَنَّ شُعْبِيَا حَدَّثَهُ عَنْهُ، وَعَنْ مُحَمَّدٍ وَالْمُهَلَّبِ وَطَلْحَةَ وَعُمَرَ وَسَعِيدَ- إِنَّ الَّذِي هَاجَ أَمْرَ نِهَازَنْدَ أَنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ لَمَّا أَشْجَوْا الْهَرَمْزَانَ، وَأَعْجَلُوا أَهْلَ فَارَسَ عَنْ مَصَابِ جَنْدِ الْعَلَاءِ، وَوُطِّئُوا أَهْلَ فَارَسَ، كَاتَبُوا مُلْكُهُمْ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ بِمَرْو، فَخَرَّكَوهُ، فَكَاتَبَ الْمَلِكُ أَهْلَ الْجِبَالِ مِنْ بَيْنِ الْبَابِ وَالسُّنْدِ وَخِرَاسَانَ وَحُلَوَانَ، فَتَحَرَّكَوْا وَتَكَاتَبُوا، وَرَكِبَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَاجْتَمَعُوا أَنَّ يَوْافُوا نِهَازَنْدَ، وَيَبْرَمُوا فِيهَا أُمُورَهُمْ، فَتَوَافَى إِلَى نِهَازَنْدَ أَوَائِلَهُمْ.

وَبَلَغَ سَعْدُ الْخَبَرَ عَنْ قَبَازِ صَاحِبِ حُلَوَانَ، فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بِذَلِكَ، فَتَزَا بِسَعْدِ أَقْوَامَ، وَأَلْبُوا عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَ تَرَاسِلِ الْقَوْمِ وَاجْتِمَاعِهِمْ إِلَى نِهَازَنْدَ، وَلَمْ يَشْغَلْهُمْ

مَا دَهُمَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ مِمَّنْ نَهَضَ الْجِرَاحُ بْنُ سَنَانَ الْأَسَدِيِّ فِي نَفَرٍ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ الدَّلِيلَ عَلَى مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الشَّرِّ نِهَازَنْدُكُمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَقَدْ اسْتَعَدَّ لَكُمْ مِنْ اسْتَعْدُوا، وَإِمَامُ اللَّهِ لَا يَمْنَعُنِي ذَلِكَ مِنَ النَّظَرِ فِيمَا لَدَيْكُمْ وَإِنْ نَزَلُوا بِكُمْ فَبِعَثِّ عُمَرَ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمَةَ، وَالنَّاسُ فِي الْاسْتِعْدَادِ لِلْأَعَاجِمِ، وَالْأَعَاجِمُ فِي الْاجْتِمَاعِ- وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ هُوَ صَاحِبُ الْعَمَالِ الَّذِي يَقْتَصُّ آثَارَ مَنْ شَكِيَ زَمَانَ عُمَرَ- فَقَدَّمَ مُحَمَّدٌ عَلَى سَعْدٍ لِيُطَوِّفَ بِهِ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَالبُعُوثُ تَضْرِبُ عَلَى أَهْلِ الْأَمْصَارِ إِلَى نِهَازَنْدَ، فَطُوفَ بِهِ عَلَى مَسَاجِدِ أَهْلِ الْكُوفَةِ، لَا يَتَعَرَّضُ لِلْمَسْأَلَةِ عَنْهُ فِي السَّرِّ، وَلَيْسَتْ الْمَسْأَلَةُ فِي السَّرِّ مِنْ شَأْنِهِمْ إِذْ ذَاكَ، وَكَانَ لَا يَقِفُ عَلَى مَسْجِدٍ فَيَسْأَلُهُمْ عَنْ سَعْدٍ إِلَّا قَالُوا: لَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَلَا نَشْتَهِي بِهِ بَدَلًا، وَلَا نَقُولُ فِيهِ، وَلَا نَعِينُ عَلَيْهِ، إِلَّا مَنْ مَالَأَ الْجِرَاحُ بْنُ سَنَانَ وَأَصْحَابَهُ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَسْكُتُونَ لَا يَقُولُونَ سُوءًا، وَلَا يَسُوعُغُ لَهُمْ، وَيَتَعَمَّدُونَ تَرْكَ الثَّنَاءِ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى بَنِي عَبَسَ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ: أُنْشِدْ بِاللَّهِ رَجُلًا يَعْلَمُ حَقًّا إِلَّا قَالَ! قَالَ أَسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ: اللَّهُمَّ إِنْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّهُ لَا يَقْسَمُ بِالسُّوْيَةِ، وَوَلَا يَعْدِلُ فِي الرِّعْيَةِ، وَلَا يَغْزُو فِي السَّرِيَةِ فَقَالَ سَعْدُ:

اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ قَالُهَا كَاذِبًا وَرِثَاءَ وَسَمْعَةٍ فَأَعْمَ بَصْرَهُ، وَأَكْثَرَ عِيَالَهُ، وَعَرَضَهُ لِمَضَلَاتِ الْفَتَنِ فَعْمِي، وَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ عَشْرُ بَنَاتٍ، وَكَانَ يَسْمَعُ بِخَبَرِ الْمَرْأَةِ فَيَأْتِيهَا حَتَّى يَجْسِمَهَا، فَإِذَا عَثَرَ عَلَيْهِ قَالَ: دَعَا سَعْدُ الرَّجُلَ الْمُبَارِكَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الدَّعَاءِ عَلَى النَّفَرِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانُوا خَرَجُوا أَشْرًا وَبَطْرًا وَكَذِبًا فَاجْهَدْ بِلَاءَهُمْ، فَجْهَدْ بِلَاءَهُمْ، فَقَطَعَ الْجِرَاحُ بِالسُّيُوفِ يَوْمَ ثَاوَرِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ لِيُغْتَالَهُ بِسَابِاطٍ، وَشَدَخَ قَبِيصَةً بِالْحِجَارَةِ، وَقَتَلَ أَرْبَدَ بِالْوَجْءِ وَبَنَعَ السُّيُوفِ وَقَالَ سَعْدُ: إِنِّي لِأَوَّلِ رَجُلٍ أَهْرَقَ دَمًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَقَدْ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا جَمَعَهُمَا لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي نَحْمَسُ الْإِسْلَامَ، وَبَنُو أَسَدٍ تَزْعُمُ أَنِّي لَا أَحْسَنُ

إِنْ أَصْلِي، وَأَنْ الصَّيْدَ يَلْهِيَنِي وَخَرَجَ مُحَمَّدٌ بِهِ وَبِهِمْ إِلَى عُمَرَ حَتَّى قَدَمُوا عَلَيْهِ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: يَا سَعْدُ، وَيَحْكُ، كَيْفَ تَصْلِي! فَقَالَ: أَطِيلُ الْأَوَّلِينَ، وَأَحْذِفُ الْآخِرِينَ، فَقَالَ: هَكَذَا الظَّنُّ بِكَ! ثُمَّ قَالَ: لَوْلَا الْإِحْتِيَاطُ لَكَانَ سَبِيلُهُمْ بَيْنَنَا ثُمَّ قَالَ: مَنْ خَلِيفَتُكَ يَا سَعْدُ عَلَى الْكُوفَةِ؟ قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتْبَانَ، فَأَقْرَهُ وَاسْتَعْمَلَهُ، فَكَانَ سَبَبُ نِهَازَنْدَ وَبَدَأَ مَشُورَتَهَا وَبَعُوثَهَا فِي زَمَانِ سَعْدٍ، وَأَمَّا الْوَقْعَةُ فَفِي زَمَانِ عَبْدِ اللَّهِ.

قَالُوا: وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِمْ أَنَّهُمْ نَفَرُوا لِلْكَتَابِ يَزْجُرُ الْمَلِكُ، فَتَوَافَوْا إِلَى نِهَازَنْدَ، فَتَوَافَى إِلَيْهَا مِنْ بَيْنِ خِرَاسَانَ إِلَى حُلَوَانَ، وَمِنْ بَيْنِ الْبَابِ إِلَى حُلَوَانَ، وَمِنْ بَيْنِ سَجِسْتَانَ إِلَى حُلَوَانَ، فَاجْتَمَعَتْ حَلْبَةُ فَارَسَ وَالْفَهْلُوجُ أَهْلُ الْجِبَالِ مِنْ بَيْنِ الْبَابِ إِلَى حُلَوَانَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، وَمِنْ بَيْنِ خِرَاسَانَ إِلَى حُلَوَانَ سِتُونَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، وَمِنْ بَيْنِ سَجِسْتَانَ إِلَى فَارَسَ وَحُلَوَانَ سِتُونَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، وَاجْتَمَعُوا عَلَى الْفِيرْزَانَ، وَإِلَيْهِ كَانُوا تَوَافَوْا وَشَارَكَهُمْ مُوسَى عَنْ حِمْزَةِ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي طَعْمَةَ الثَّقَفِيِّ- وَكَانَ قَدْ أَدْرَكَ ذَلِكَ- قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا الَّذِي جَاءَ الْعَرَبَ بِالْإِسْلَامِ لَمْ يَغْرُضْ غَرَضَنَا، ثُمَّ مُلْكُهُمْ أَبُو بَكْرٍ مِنْ بَعْدِهِ فَلَمْ يَغْرُضْ غَرَضَ فَارَسَ، إِلَّا فِي غَارَةٍ تَعْرِضُ لَهُمْ فِيهَا، وَإِلَّا فِيمَا يَلِي بِلَادَهُمْ مِنَ السَّوَادِ ثُمَّ مُلْكُ عُمَرَ مِنْ بَعْدِهِ، فَطَالَ مُلْكُهُ وَعَرِضَ، حَتَّى تَنَاوَلَكُمْ وَانْتَقَصَكُمْ السَّوَادُ وَالْأَهْوَازُ، وَأَوْطَأَهَا، ثُمَّ لَمْ يَرْضَ حَتَّى أَتَى أَهْلَ فَارَسَ وَالْمَمْلَكَةَ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ، وَهُوَ آتِيكُمْ إِنْ لَمْ تَأْتَوْهُ، فَقَدْ أَخْرَبَ بَيْتَ مَمْلَكَتِكُمْ، وَاقْتَحَمَ بِلَادَ مُلْكِكُمْ، وَلَيْسَ بِمَنْتَهُ حَتَّى تَخْرُجُوا مِنْ فِي بِلَادِكُمْ مِنْ جُنُودِهِ، وَتَقْلَعُوا هَذِينَ الْمَصْرِينَ، ثُمَّ تَشْغَلُوهُ فِي بِلَادِهِ وَقَرَارِهِ وَتَعَاهِدُوا وَتَعَاقِدُوا، وَكُتِبُوا بَيْنَهُمْ عَلَى

ذلك كتابا، وتماثلوا عليه.

وبلغ الخبر سعدا، وقد استخلف عبد الله بن عبد الله بن عتيان.

ولما شخص لقي عمر بالخبر مشافهة، وقد كان كتب إلى عمر بذلك، وقال:

إن أهل الكوفة يستأذنونك في الانسياح قبل أن يبادروهم الشدة- وقد كان عمر منعهم من الانسياح في الجبل وكتب إليه أيضا عبد الله وغيره بأنه قد تجمع منهم خمسون ومائة ألف مقاتل، فإن جاءونا قبل أن نبادرهم الشدة ازدادوا جرأة وقوة، وإن نحن عاجلناهم كان لنا ذلكم، وكان الرسول بذلك قريب بن ظفر العبدى.

ثم خرج سعد بعده فوافى مشورة عمر، فلما قدم الرسول بالكتاب إلى عمر بالخبر فرآه قال: ما اسمك؟ قال: قريب، قال: ابن من؟ قال: ابن ظفر، فتفاءل إلى ذلك، وقال: ظفر قريب إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله! ونودي في الناس: الصلاة جامعة! فاجتمع الناس، ووافاه سعد، فتفاءل إلى سعد بن مالك، وقام على المنبر خطيبا، فأخبر الناس الخبر، واستشارهم، وقال: هذا يوم له ما بعده من الأيام، ألا وإني قد هممت بأمر وإني عارضه عليكم فاسمعوه، ثم أخبروني وأجزوا، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، ولا تكثروا ولا تطيلوا، فتفشغ بكم الأمور، ويلتوي عليكم الرأي، أفمن الرأي أن أسير فيمن قبلي ومن قدرت عليه، حتى أنزل منزلا واسطا بين هذين المصرين، فأستنفرهم ثم أكون لهم ردا حتى يفتح الله عليهم، ويقضي ما أحب، فإن فتح الله عليهم انضربهم عليهم في بلادهم، ولينازعوا ملكهم فقام عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، في رجال من أهل الرأي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتكلموا كلاما، فقالوا: لا نرى ذلك، ولكن لا يغيبن عنهم رأيك وأثرك، وقالوا: بإزاءهم وجوه العرب وفرسانهم وأعلامهم، ومن قد فض جمعهم، وقتل ملوكهم، وباشر من حروبهم ما هو أعظم من هذه، وإنما استأذنونك ولم يستصرخوك، فأذن لهم، واندب إليهم، وادع لهم وكان الذي ينتقد له الرأي إذا عرض عليه العباس رضي الله عنه.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن حمزة، عن أبي طعمة، [قال: فقام علي بن أبي طالب ع فقال: أصاب القوم يا أمير المؤمنين الرأي، وفهموا ما كتب به إليك، وإن هذا

الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه لكثرة ولا قلة، هو دينه الذي أظهر، وجنده الذي أعز، وأيده بالملائكة، حتى بلغ ما بلغ، فنحن على موعود من الله، والله منجز وعده، وناصر جنده، ومكانك منهم مكان النظام من الخرز، يجمعه ويمسكه، فإن انحل تفرق ما فيه وذهب، ثم لم يجتمع بخذافيه أبدا والعرب اليوم وإن كانوا قليلا فهي كثير عزيز بالإسلام، فأقم واكتب إلى أهل الكوفة فهم أعلام العرب ورؤساؤهم، ومن لم يحفل بمن هو أجمع وأحد وأجد من هؤلاء فليأتهم الثلثان وليقم الثلث، واكتب إلى أهل البصرة أن يمدوهم ببعض من عندهم].

فسر عمر بحسن رأيهم، وأعجبه ذلك منهم وقام سعد فقال:

يا أمير المؤمنين، خفض عليك، فإنهم إنما جمعوا لنقمة.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي بكر الهذلي قال: لما أخبرهم عمر الخبر واستشارهم، وقال: أجزوا في القول، ولا تطيلوا فتفشغ بكم الأمور، واعلموا أن هذا يوم له ما بعده من الأيام، تكلموا، فقام طلحة بن عبيد الله- وكان من خطباء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم- فتشهد، ثم قال: أما بعد يا أمير المؤمنين، فقد أحكمتك الأمور، وعجمتك البلايا، واحتكتك التجارب، وأنت وشأنك، وأنت ورأيك، لا ننبو في يدك، ولا نكل عليك، إليك هذا الأمر، فرنا نطع، وادعنا نجب، واحملنا نركب، ووفدنا نفد، وقدنا ننقد، فإنك ولي هذا الأمر، وقد بلوت وجربت واختبرت، فلم ينكشف شيء من عواقب قضاء الله لك إلا عن خيار ثم جلس فعاد عمر فقال: إن هذا يوم له ما بعده من الأيام، فتكلموا فقام عثمان بن عفان، فتشهد، وقال: أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شأهم، وتكتب إلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم،

ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين إلى المصرين: الكوفة والبصرة، فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين، فإنك إذا سرت بمن معك وعندك

قل في نفسك ما قد تكاثر من عدد القوم، وكنت أعز عزا وأكثر، يا أمير المؤمنين إنك لا تستبقي من نفسك بعد العرب باقية، ولا تمتع من الدنيا بعزيز، ولا تلوذ منها بحريز، إن هذا اليوم له ما بعده من الأيام، فاشهده برأيك وأعوانك ولا تغب عنه ثم جلس.

فعاد عمر، فقال: إن هذا يوم له ما بعده من الأيام، فتكلموا، [فقام علي بن أبي طالب فقال: أما بعد يا أمير المؤمنين، فإنك إن أشخصت أهل الشام من شأهم سارت الروم إلى ذراريهم، وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم، وإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك الأرض من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات، أقرر هؤلاء في أمصارهم، واكتب إلى أهل البصرة فليفرقوا فيها ثلاث فرق، فلتقم فرقة لهم في حرهم وذراريهم، ولتقم فرقة في أهل عهدهم، لئلا ينتقضوا عليهم، ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مددا لهم، إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدا قالوا: هذا أمير العرب، وأصل العرب، فكان ذلك أشد لكلبهم، وألبتهم على نفسك وأما ما ذكرت من مسير القوم فإن الله هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره، وأما ما ذكرت من عددهم، فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، ولكنا كنا نقاتل بالنصر].

فقال عمر: أجل والله، لئن شخصت من البلدة لتنتقضن علي الأرض من أطرافها وأكافها، ولئن نظرت إلي الأعاجم لا يفارقن العرصة ويمدنها من لم يمدهم، وليقولن: هذا أصل العرب، فإذا

اقتطعتموه اقتطعتم أصل العرب، فأشيروا علي برجل أوله ذلك الثغر غدا.

قالوا: أنت أفضل رأيا، وأحسن مقدرة، قال: أشيروا علي به، واجعلوه عراقيا قالوا: يا أمير المؤمنين، أنت أعلم بأهل العراق وجندك قد وفدوا عليك ورأيهم وكلبتهم، فقال: أما والله لأولين أمرهم رجلا ليكون لأول الأسنة إذا لقيها غدا، فقيل: من يا أمير المؤمنين؟ فقال: النعمان بن مقرن المزني فقالوا: هولاء- والنعمان يومئذ بالبصرة معه قواد من قواد أهل الكوفة أمدهم بهم عمر عند انتقاض الهرمزان، فافتتحوا رامهرمز وإذج، وأعانوه على تسير وجندى سابور والسوس فكتب إليه عمر مع زر بن كليب والمقترب الأسود بن ربيعة بالخبر، وإني قد وليتك حربهم، فسر من وجهك ذلك حتى تأتي ماه، فإني قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافوك بها، فإذا اجتمع لك جنودك فسر إلى الفيرزان ومن تجمع إليه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم، واستنصروا الله، وأكثروا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وروي عن أبي وائل في سبب توجيه عمر النعمان بن مقرن إلى نهاوند، ما حدَّثني به محمد بن عبد الله بن صفوان الثقفي، قال: حدثنا أمية بن خالد، قال: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ:

قال أبو وائل: كان النعمان بن مقرن على كسكر، فكتب إلى عمر:

مثلي ومثل كسكر كمثل رجل شاب وإلى جنبه مومسة تلون له وتعطر، فأشدك الله لما عزلتني عن كسكر، وبعثتني إلى جيش من جيوش المسلمين! قال: فكتب إليه عمر: أن اتت الناس بنهاوند، فأنت عليهم قال:

فالتقوا، فكان أول قتيل، وأخذ الراية أخوه سويد بن مقرن، ففتح الله على المسلمين، ولم يكن لهم- يعني للفرس- جماعة بعد يومئذ، فكان أهل كل مصر يغزون عدوهم في بلادهم

رجع الحديث إلى حديث سيف وكتب- يعني عمر- إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَعَ رَبِيعِ بْنِ عَامِرٍ، أَنْ اسْتَنْفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ مَعَ النَّعْمَانِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنِّي قَدْ كَتَبْتُ إِلَيْهِ بِالتَّوَجُّهِ مِنَ الْأَهْوَازِ إِلَى مَاه، فليوافوه بها، وليسر بهم إلى نهاوند، وقد أمرت عليهم حذيفة بن اليمان، حتى ينتهي إلى النعمان بن مقرن، وقد كتبت إلى النعمان: إن حدث بك حدث فعلى الناس حذيفة بن اليمان، فإن حدث بحذيفة حدث فعلى الناس نعيم بن مقرن، ورد قريب ابن ظفر ورد معه السائب بن الأقرع أمينا وقال: إن فتح الله عليكم فاقسم ما أفاء الله عليهم بينهم، ولا تخدعني ولا ترفع إلي باطلا، وإن نكب القوم فلا تراني ولا أراك فقدما إلى الكوفة بكتاب عمر بالاستحثاث، وكان أسرع أهل الكوفة إلى ذلك الروادف، ليلوا في الدين، وليدركوا حظا، وخرج حذيفة بن اليمان بالناس ومعه نعيم حتى قدموا على النعمان بالظُر، وجعلوا بمرج القلعة خيلا عليها النسير وقد كتب عمر إلى سلمى بن القين وحرمة بن مريطة وزر بن كليب والمقترب

الأسود بن ربيعة، وقواد فارس الذين كانوا بين فارس والأهواز، أن اشغلوا فارس عن إخوانكم، وحوطوا بذلك أمتكم وأرضكم، وأقيموا على حدود ما بين فارس والأهواز حتى يأتيكم أمري وبعث مجاشع بن مسعود السلمي إلى الأهواز، وقال له: انصل منها على ماه، نفرج حتى إذا كان بغضي شجر، أمره النعمان أن يقيم مكانه، فأقام بين غضي شجر ومرج القلعة، ونصل سلمى وحرملة وزر والمقتر، فكانوا في تخوم إصبهان وفارس، فقطعوا بذلك عن أهل نهاوند أمداد فارس ولما قدم أهل الكوفة على النعمان بالطرز جاءه كتاب عمر مع قريب:

إن معك حد العرب ورجالهم في الجاهلية، فأدخلهم دون من هو دونهم في العلم بالحرب، واستعن بهم، واشرب برأيهم، وسل طليحة وعمرا وعمرا ولا تولهم شيئا فبعث من الطزر طليحة وعمرا وعمرا طليحة ليأتوه بالخبر، وتقدم إليهم ألا يغلوا نفرج طليحة بن خويلد وعمرو بن أبي سلمى العنزي، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي، فلما ساروا يوما إلى الليل رجع عمرو بن أبي سلمى، فقالوا: ما رجعت؟ قال: كنت في أرض العجم، وقتلت أرض جاهلها، وقتل أرضا عالمها ومضى طليحة وعمرو حتى إذا كان من آخر الليل رجع عمرو، فقالوا: ما رجعت؟ قال: سرنا يوما وليلة، ولم نر شيئا، وخفت أن يؤخذ علينا الطريق ونفذ طليحة ولم يحفل بهما فقال الناس: ارتد الثانية، ومضى طليحة حتى انتهى إلى نهاوند، وبين الطزر ونهاوند بضعة وعشرون فرسخا فلم علم القوم، واطلع على الأخبار، ثم رجع حتى إذا انتهى إلى الجمهور كبر الناس، فقال: ما شأن الناس؟ فأخبروه بالذي خافوا عليه، فقال: والله لو لم يكن دين إلا العربية ما كنت لأجزر العجم الطماطم هذه العرب العاربة فأتى النعمان فدخل عليه، فأخبروه الخبر، وأعلمه أنه ليس بينه وبين نهاوند شيء يكرهه، ولا أحد.

فنادى عند ذلك النعمان بالرحيل، فأمرهم بالتعبية وبعث إلى مجاشع بن مسعود أن يسوق الناس، وسار النعمان على تعبيته، وعلى مقدمته نعيم بن مقرن، وعلى مجنبيه حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن، وعلى المجردة القعقاع ابن عمرو، وعلى الساقة مجاشع، وقد توافى إليه أمداد المدينة، فيهم المغيرة وعبد الله، فأتوا إلى الاسبيذهان والقوم وقوف دون وای خرد على تعبيتهم وأميرهم الفيرزان، وعلى مجنبيه الزردق وبهم جاذويه الذي جعل مكان ذي الحجاب، وقد توافى إليهم بنهاوند كل من غاب عن القادسية والأيام من أهل الثغور وأمرائها وأعلام من أعلامهم ليسوا بدون من شهد الأيام والقوادس، وعلى خيولهم أنوشق فلما رأهم النعمان كبر وكبر الناس معه فتزلزلت الأعاجم، فأمر النعمان وهو واقف بحط الأثقال، وبضرب الفسطاط، فضرب وهو واقف، فابتدره اشراف اهل الكوفة وأعيانهم، فسبق إليه يومئذ عده من اشراف اهل الكوفة تسابقوا فبنوا له فسطاطا سابقوا أكفاهم فسبقوهم، وهم أربعة عشر، منهم حذيفة بن اليمان، وعقبة بن عمرو، والمغيرة بن شعبة، وبشير بن الخصاصية، وحنظلة الكاتب بن الربيع، وابن الهوير، وربيع بن عامر، وعامر بن مطر، وجريز بن عبد الله الحميري، والأقرع بن عبد الله الحميري وجريز بن عبد الله البجلي، والأشعث بن قيس الكندي، وسعيد بن قيس الهمداني، ووائل بن حجر، فلم يربأ فسطاط بالعراق كهؤلاء وانشب النعمان بعد ما حط الأثقال القتال، فاقتتلوا يوم الأربعاء ويوم الخميس، والحرب بينهم في ذاك سجال في سبع سنين من إمارة عمر، في سنة تسع عشرة، وإنهم انجحروا في خنادقهم يوم الجمعة، وحصرهم المسلمون، فأقاموا عليهم ما شاء الله والأعاجم بالخيار، لا يخرجون إلا إذا أرادوا الخروج، فاشتد ذلك على المسلمين، وخافوا أن يطول امرهم وسرهم أن يناجزهم عدوهم، حتى إذا كان ذات يوم في جمعة من الجمع تجمع أهل الرأي من المسلمين، فتكلموا، وقالوا: نراهم علينا بالخيار وأتوا النعمان في ذلك فأخبروه، فوافقوه وهو يروي في الذي رويوا فيه فقال: على رسلكم، لا تبرحوا! وبعث إلى من بقي من أهل النجدات والرأي في الحروب، فتوافوا إليه، فتكلم النعمان، فقال:

قد ترون المشركين واعتصامهم بالحصون من الخنادق والمدائن، وأنهم لا يخرجون إلا إذا شاءوا، ولا يقدر المسلمون على إنغاضهم وانبعاثهم قبل مشيئتهم، وقد ترون الذي فيه المسلمون من التضايق بالذي هم فيه وعليه من الخيار عليهم في الخروج، فما الرأي الذي به نحشهم ونستخرجهم إلى المنابذة، وترك التطويل؟

فتكلم عمرو بن ثبي - وكان أكبر الناس يومئذ سنا، وكانوا إنما يتكلمون على الأسنان - فقال: التحصن عليهم أشد من المطاولة عليكم،

فدعهم ولا تخرجهم وطاولهم، وقاتل من أتاك منهم، فردوا عليه جميعاً رأيته.
وقالوا: إنا على يقين من إنجاز ربنا موعده لنا.
وتكلم عمرو بن معديكرب، فقال: ناهدكم وكأثرهم ولا تخفهم.

فردوا عليه جميعاً رأيته، وقالوا: إنما تناطح بنا الجدران، والجدران لهم أعوان علينا.

وتكلم طليحة فقال: قد قالوا ولم يصيبوا ما أرادوا، وأما أنا فأرى أن تبعث خيلاً مؤدية، فيحرقوا بهم، ثم يرموا لينشوا القتال، ويحشوشهم، فإذا استحمشوا واختلطوا بهم وأرادوا الخروج أرزوا إلينا استطراداً، فإننا لم نستطرد لهم في طول ما قاتلناهم، وإنا إذا فعلنا ذلك ورأوا ذلك منا طمعوا في هزيمتنا ولم يشكوا فيها، فخرجوا فجادونا وجاددناهم، حتى يقضي الله فيهم وفيما ما أحب.

فأمر النعمان القعقاع بن عمرو- وكان على المجردة- ففعل، وأنشب القتال بعد احتجاز من العجم، فأغضهم فلما خرجوا نكص، ثم نكص، ثم نكص، واغتنمها الأعاجم، ففعلوا كما ظن طليحة وقالوا: هي هي، فخرجوا فلم يبق أحد إلا من يقوم لهم على الأبواب، وجعلوا يركبونهم حتى أرز القعقاع إلى الناس، وانقطع القوم عن حصنهم بعض الانقطاع، والنعمان ابن مقرن والمسلمون على تعييتهم في يوم جمعة في صدر النهار، وقد عهد النعمان إلى الناس عهده، وأمرهم أن يلزموا الأرض ولا يقاتلوهم حتى يأذن لهم، ففعلوا واستتروا بالحجف من الرمي، وأقبل المشركون عليهم يرمونهم حتى أفضوا فيهم الجراحات، وشكا بعض الناس ذلك إلى بعض، ثم قالوا للنعمان: ألا ترى ما نحن فيه! ألا ترى إلى ما لقي الناس، فما تنتظر بهم!

أذن للناس في قتالهم، فقال لهم النعمان: رويدا رويدا! قالوا له ذلك مراراً، فأجابهم بمثل ذلك مراراً: رويدا رويدا، فقال المغيرة: لو أن هذا الأمر إلي علمت ما أصنع! فقال: رويدا ترى أمرك، وقد كنت تلي الأمر فتحسن، فلا يخذلنا الله ولا إياك، ونحن نرجو في المكث مثل الذي ترجو في الحث.

وجعل النعمان ينتظر بالقتال إكمال ساعات كانت أحب إلى رسول الله ص في القتال أن يلقي فيها العدو، وذلك عند الزوال وتفيؤ الأفياء ومهب الرياح فلما كان قريباً من تلك الساعة تحشش النعمان، وسار في الناس على بردون أحوى قريب من الأرض، فجعل يقف على كل راية، ويحمد الله ويثني عليه، ويقول: قد علمتم ما أعزكم الله به من هذا الدين، وما وعدكم من الظهور، وقد أنجز لكم هوائي ما وعدكم وصدوره، وإنما بقيت أعجازه وأكارعه، والله منجز وعده، ومتبع آخر ذلك أوله، واذكروا ما مضى إذ كنتم أذلة، وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزة، فأنتم اليوم عباد الله حقاً وأوليائه، وقد علمتم انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة، والذي لهم في ظفركم وعزكم، والذي عليهم في هزيمتكم وذلكم، وقد ترون من أنتم بإزائه من عدوكم، وما أخطرتكم وما أخطروا لكم، فأما ما أخطروا لكم فهذه الرثة وما ترون من هذا السواد، وأما ما أخطرتكم لهم فدينكم وبيضتكم، ولا سواء ما أخطرتكم وما أخطروا، فلا يكون على دنياهم أحى منكم على دينكم، واتقى الله عبد صدق الله، وأبلى نفسه فأحسن البلاء، فإنكم بين خيرين منتظرين، إحدى الحسينيين، من بين شهيد حي مرزوق، أو فتح قريب وظفر يسير فكفى كل رجل ما يليه، ولم يكل قرنه إلى أخيه، فيجتمع عليه قرنه وقرن نفسه، وذلك من الملائمة، وقد يقاتل الكلب عن صاحبه، فكل رجل منكم مسلط على ما يليه، فإذا قضيت أمري فاستعدوا فإني مكبر ثلاثاً، فإذا كبرت التكبير الأولى فليتهياً من لم يكن تهيأ، فإذا كبرت الثانية فليشد عليه سلاحه،

وليتأهب للنهوض، فإذا كبرت الثالثة، فإني حامل إن شاء الله فاحملوا معاً اللهم أعز دينك، وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك! فلما فرغ النعمان من التقدم إلى أهل المواقف، وقضى إليهم أمره، رجع إلى موقفه، فكبر الأولى والثانية والثالثة، والناس سامعون مطيعون مستعدون للمناهضة، ينجي بعضهم بعضاً عن سذنتهم، وحمل النعمان وحمل الناس، وراية النعمان تنقض نحوهم انقضاض العقاب، والنعمان معلم ببياض القباء والقلنسوة، فاقتتلوا بالسيوف قتالاً شديداً لم يسمع السامعون بوقعه يوم قط كانت أشد قتالاً منها، فقتلوا فيها من أهل فارس فيما بين الزوال والإعتماد ما طبق أرض المعركة دماً يزلق الناس والدواب فيه، وأصيب فرسان من فرسان المسلمين في الزلق في الدماء، فزلق فرس النعمان في الدماء فصرعه، وأصيب النعمان حين زلق به فرسه، وصرع وتناول الراية نعيم بن مقرن قبل أن تقع، وسبحى النعمان بثوب، وأتى حذيفة بالراية فدفعها إليه، وكان اللواء مع

حذيفة، فجعل حذيفة نعيم بن مقرن مكانه، وأتى المكان الذي كان فيه النعمان فأقام اللواء، وقال له المغيرة: اكنتموا مصاب أميركم حتى ننظر ما يصنع الله فينا وفيهم، لكيلا يهن الناس، واقتتلوا حتى إذا أظلمهم الليل انكشف المشركون وذهبوا، والمسلمون ملظون بهم متلبسون، فعمي عليهم قصدهم، فتركوه وأخذوا نحو اللهب الذي كانوا نزلوا دونه بإسيذهان، فوقعوا فيه، وجعلوا لا يهوي منهم أحد إلا قال: واه خرد، فسمي بذلك واه خرد إلى اليوم، فمات فيه منهم مائة ألف أو يزيدون، سوى من قتل في المعركة منهم اعدادهم لم يفلت إلا الشريد، ونجا الفيرزان بين الصرعى في المعركة، فهرب نحو همدان في ذلك الشريد، فأتبعه نعيم بن مقرن، وقدم القعقاع قدماه فأدركه حين انتهى إلى ثنية همدان، والثنية مشحونة من بغال وحمر موقرة عسلا، فخبسه الدواب

سنة ٢١ على أجله، فقتله على الثنية بعد ما امتنع، وقال المسلمون: إن الله جنودا من عسل، واستاقوا العسل وما خالطه من سائر الأحمال، فأقبل بها، وسميت الثنية بذلك ثنية العسل، وإن الفيرزان لما غشيه القعقاع نزل فتوقل في الجبل إذ لم يجد مساغا، وتوقل القعقاع في أثره حتى أخذه، ومضى الفلال حتى انتهوا إلى مدينة همدان والخليل في آثارهم، فدخلوها، فنزل المسلمون عليهم، وحووا ما حولها، فلما رأى ذلك خسرو شنوم استأمنهم، وقبل منهم على أن يضمن لهم همدان ودستي، وألا يؤتى المسلمون منهم، فأجابوهم إلى ذلك وأمنوهم، وأمن الناس، وأقبل كل من كان هرب، ودخل المسلمون بعد هزيمة المشركين يوم نهاوند مدينة نهاوند واحتوا ما فيها وما حولها، وجمعوا الأسلاب والريث إلى صاحب الأقباض السائب بن الأقرع فبيناهم كذلك على حالهم وفي عسكرهم يتوقعون ما يأتيهم من إخوانهم بهمدان، أقبل الهربذ صاحب بيت النار على أمان، فأبلغ حذيفة، فقال:

أتؤمنني على أن أخبرك بما أعلم؟ قال: نعم، قال: إن النخيرجان وضع عندي ذخيرة لكسرى، فأنا أخرجها لك على أمانى وأمان من شئت، فأعطاه ذلك، فأخرج له ذخيرة كسرى، جوهرها كان أعده لنوائب الزمان، فنظروا في ذلك، فأجمع رأي المسلمين على رفعه إلى عمر، فجعلوه له، فأخروه حتى فرغوا فبعثوا به مع ما يرفع من الأحماس، وقسم حذيفة بن اليمان بين الناس غنائمهم، فكان سهم الفارس يوم نهاوند ستة آلاف، وسهم الراجل ألفين، وقد نفل حذيفة من الأحماس من شاء من أهل البلاء يوم نهاوند، ورفع ما بقي من الأحماس إلى السائب بن الأقرع، فقبض السائب الأحماس، نفرج بها إلى عمر وبذخيرة كسرى وأقام حذيفة بعد الكتاب بفتح نهاوند بنهاوند ينتظر جواب عمر وأمره، وكان رسوله بالفتح طريف بن سهم، أخو بني ربيعة ابن مالك.

فلما بلغ الخبر أهل الماهين بأن همدان قد أخذت، ونزلها نعيم ابن مقرن والقعقاع بن عمرو اقتدوا بخسرو شنوم، فراسلوا حذيفة، فأجابهم إلى ما طلبوا، فأجمعوا على القبول، وعزموا على إتيان حذيفة، فغدعهم دينار- وهو دون أولئك الملوك، وكان ملكا، إلا أن غيره منهم كان أرفع منه، وكان أشرفهم قارن- وقال: لا تلقوهم في جمالكم ولكن تقهلوهم لهم، ففعلوا، وخالفهم فاتاهم في الديباج والخلي، وأعطاهم حاجتهم واحتمل للمسلمين ما أرادوا، فعاقده عليهم، ولم يجد الآخرون بدا من متابعتة والدخول في أمره، فقيل ماه دينار لذلك فذهب حذيفة بماء دينار، وقد كان النعمان عاقد بهراذان على مثل ذلك، فنسبت إلى بهراذان، ووكل النسير بن ثور بقلعة قد كان لجأ إليها قوم فجأهدهم، فافتتحها فنسبت إلى النسير، وقسم حذيفة لمن خلفوا بمرج القلعة ولمن أقام بغضي شجر ولأهل المسالح جميعا في فيء نهاوند مثل الذي قسم لأهل المعركة، لأنهم كانوا رداء للمسلمين لثلا يؤتوا من وجه من الوجوه وتملأ عمر تلك الليلة التي كان قدر للقائم، وجعل يخرج ويلتمس الخبر، فبينما رجل من المسلمين قد خرج في بعض حوائجه، فرجع إلى المدينة ليلا، فمر به راكب في الليلة الثالثة من يوم نهاوند يريد المدينة فقال: يا عبد الله، من أين أقبلت؟

قال: من نهاوند، قال: ما الخبر؟ قال: الخبر خير، فتح الله على النعمان، واستشهد، واقتسم المسلمون فيء نهاوند، فأصاب الفارس ستة آلاف.

وطواه الراكب حتى انغمس في المدينة، فدخل الرجل، فبات فأصبح فتحدث بحديثه، ونمى الخبر حتى بلغ عمر، وهو فيما هو فيه، فأرسل إليه، فسأله فأخبره، فقال: صدق وصدقت، هذا عثم بريد الجن، وقد رأى بريد الإنس، فقدم عليه طريف بالفتح بعد ذلك، فقال: الخبر! فقال: ما عندي أكثر من الفتح، خرجت والمسلمون في الطلب وهم على رجل، وكتبته إلا ما سره.

ثم خرج وخرج معه أصحابه، فأمعن، فرفع له راكب، فقال: قولوا، فقال عثمان بن عفان: السائب، فقال: السائب، فلما دنا منه قال:

ما وراءك؟

قال: البشري والفتح، قال: ما فعل النعمان؟ قال: زلق فرسه في دماء القوم، فصرع فاستشهد، فانطلق راجعا والسائب يسايره، وسأل عن عدد من قتل من المسلمين، فأخبره بعدد قليل، وأن النعمان أول من استشهد يوم فتح الفتوح- وكذلك كان يسميه أهل الكوفة والمسلمون- فلما دخل المسجد حطت الأحمال فوضعت في المسجد، وأمر نفر من أصحابه- منهم عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن أرقم- بالمبيت فيه، ودخل منزله، وأتبعه السائب بن الأقرع بذنك السفطين، وأخبره خبرهما وخبر الناس، فقال:

يا بن مليكة، والله ما دروا هذا، ولا أنت معهم! فالنجا النجا، عودك على بدئك حتى تأتي حذيفة فيقسمهما على من أفاءهما الله عليه، فأقبل راجعا بقبل حتى انتهى إلى حذيفة بماء، فأقامهما فباعهما، فأصاب أربعة آلاف ألف.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ الْأَسَدِيِّ، أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ رَاشِدٍ، قَالَ لَطْلِيحَةٌ وَهُمْ مُقِيمُونَ عَلَى نِهَادِنْد: لَقَدْ أَخَذْتَا خَلَةً، فَهَلْ بَقِيَ مِنْ أَعَاجِيكِ شَيْءٌ تَنْفَعُنَا بِهِ؟ فَقَالَ:

كَمَا أَنْتُمْ حَتَّى أَنْظُرَ، فَأَخَذَ كَسَاءً فَتَقَنَعَ بِهِ غَيْرَ كَثِيرٍ، ثُمَّ قَالَ: الْبَيَانُ الْبَيَانُ، غَنَمُ الدَّهْقَانِ، فِي بَسْتَانٍ، مَكَانُ أَرُونَانَ فَدَخَلُوا الْبَسْتَانَ فَوَجَدُوا الْغَنَمَ مَسْمُومَةً.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي مَعْبِدٍ الْعَبْسِيِّ وَعُرْوَةَ ابْنِ الْوَلِيدِ، عَمَّنْ حَدَّثَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مُحَاصِرُونَ أَهْلَ نِهَادِنْدَ خَرَجُوا عَلَيْنَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَاتَلُونَا فَلَمْ نَلْبِثْهُمْ أَنْ هَزَمَهُمُ اللَّهُ، فَتَبَعَ سِمَاكُ بْنُ عَبِيدٍ الْعَبْسِيِّ- رَجُلًا مِنْهُمْ- مَعَهُ نَفَرٌ ثَمَانِيَةٌ عَلَى أَفْرَاسٍ لَهُمْ فَبَارَزَهُمْ، فَلَمْ يَبْرَزْ لَهُ أَحَدٌ إِلَّا قَتَلَهُ، حَتَّى أَتَى عَلَيْهِمْ ثُمَّ حَمَلَ عَلَى الَّذِي كَانُوا مَعَهُ، فَأَسْرَهُ وَأَخَذَ سِلَاحَهُ، وَدَعَا لَهُ رَجُلًا اسْمُهُ عَبْدُ فَوْكَلَةَ بِهِ، فَقَالَ: أَذْهَبُوا بِي إِلَى أَمِيرِكُمْ حَتَّى أَصَالِحَهُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ، وَأُودِي إِلَيْهِ الْجَزْيَةَ، وَسَلِّنِي أَنْتَ عَنْ إِسَارِكُ مَا شِئْتَ، وَقَدْ مَنَنْتَ عَلَيَّ إِذْ لَمْ تَقْتُلْنِي، وَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ الْآنَ، وَإِنْ أَدْخَلْتَنِي عَلَى الْمَلِكِ، وَأَصْلَحْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَجَدْتُ لِي شُكْرًا، وَكُنْتُ

لِي أَخَا نَخْلٍ سَبِيلَهُ وَأَمْنَهُ، وَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا دِينَار- وَالْبَيْتُ مِنْهُمْ يَوْمُئِذٍ فِي آلِ قَارِن- فَأَتَى بِهِ حَذِيفَةَ، فَخَدَّه دِينَارٌ عَنْ نَجْدَةِ سِمَاكٍ وَمَا قَتَلَ وَنَظَرَهُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَصَالِحَهُ عَلَى الْخُرَاجِ، فَتَنَسَّبَتْ إِلَيْهِ مَاهُ، وَكَانَ يُوَاصِلُ سِمَاكًا وَيَهْدِي لَهُ، وَيُوَافِي الْكُوفَةَ كُلَّمَا كَانَ عَمَلُهُ إِلَى عَامِلِ الْكُوفَةِ، فَقَدِمَ الْكُوفَةَ فِي إِمَارَةِ مُعَاوِيَةَ، فَقَامَ فِي النَّاسِ بِالْكُوفَةِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْكُوفَةِ، أَنْتُمْ أَوَّلُ مَا مَرَرْتُمْ بِنَا كُنْتُمْ خِيَارَ النَّاسِ، فَعَمَّرْتُمْ بِذَلِكَ زَمَانَ عُمَرَ وَعُثْمَانَ، ثُمَّ تَغَيَّرْتُمْ وَفَشَتْ فِيكُمْ خِصَالُ أَرْبَعٍ: بَخْلٌ، وَخُبٌّ، وَغَدْرٌ، وَضَيْقٌ، وَلَمْ يَكُنْ فِيكُمْ وَاحِدَةٌ مِنْهُمْ، فَرَمَقْتُمْ، فَإِذَا ذَلِكَ فِي مَوْلَدِيكُمْ، فَعَلِمْتُ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُمْ، فَإِذَا الْخُبُّ مِنْ قَبْلِ النَّبْطِ، وَالْبَخْلُ مِنْ قَبْلِ فَارَسَ، وَالْغَدْرُ مِنْ قَبْلِ خِرَاسَانَ، وَالضَّيْقُ مِنْ قَبْلِ الْأَهْوَازِ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عُمَرَوِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ بِسِي نِهَادِنْدَ إِلَى الْمَدِينَةِ، جَعَلَ أَبُو لَوْلُؤَةَ فَيُرُوزُ غَلَامَ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ لَا يَلْقَى مِنْهُمْ صَغِيرًا إِلَّا مَسَحَ رَأْسَهُ وَبَكَى وَقَالَ:

أَكَلْتُ عَمْرَ كَبْدِي- وَكَانَ نِهَادِنْدِيَا، فَأَسْرَتَهُ الرُّومُ أَيَّامَ فَارَسَ، وَأَسْرَهُ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ، فَتَنَسَّبَ إِلَى حَيْثُ سَبِي.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عُمَرَوِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: قَتَلَ فِي اللَّهَبِ مِنْ هَوَى فِيهِ ثَمَانُونَ أَلْفًا، وَفِي الْمَعْرَكَةِ ثَلَاثُونَ أَلْفًا مَقْتَرِينَ، سَوَى مِنْ قَتَلَ فِي الطَّلَبِ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَافْتَتَحَتْ مَدِينَةُ نِهَادِنْدَ فِي أَوَّلِ سَنَةِ تَسْعِ عَشْرَةِ، لِسَبْعِ سَنِينَ مِنْ إِمَارَةِ عُمَرَ، لَتَمَامِ سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةٍ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَالمُهَلَّبِ وَطَلْحَةَ فِي كِتَابِ النُّعْمَانِ بْنِ مَقْرَنٍ وَحَذِيفَةَ لِأَهْلِ الْمَاهِينِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا أَعْطَى النُّعْمَانُ بْنُ مَقْرَنٍ أَهْلَ مَاهِ بَهْرَاذَانَ،

أَعْطَاهُمْ الْأَمَانَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَرْضِيهِمْ، لَا يَغْيِرُونَ عَلَى مِلَّةٍ، وَلَا يَحَالُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ شَرَائِعِهِمْ، وَلَهُمُ الْمُنْعَةُ مَا أَدَاوا الْجَزْيَةَ فِي كُلِّ سَنَةٍ إِلَى مَنْ وَلِيَهُمْ، عَلَى كُلِّ حَالٍ فِي مَالِهِ وَنَفْسِهِ عَلَى قَدَرِ طَاقَتِهِ، وَمَا أُرْشَدُوا ابْنَ السَّبِيلِ، وَأَصْلَحُوا الطَّرِيقَ، وَقَرُّوا جُنُودَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ مَرَبِّهِمْ فَأَوْى إِلَيْهِمْ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَوَفَّوْا وَنَصَحُوا، فَإِنْ غَشَوْا وَبَدَلُوا، فَذَمَّتْنَا مِنْهُمْ بِرِيئَةٍ شَهِدَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ ذِي السَّهْمَيْنِ، وَالْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو،

وجريز بن عبد الله.
وكتب في المحرم سنة تسع عشرة.

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى حذيفة بن اليمان أهل ماه دينار، أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأراضيهم، لا يغيرون عن ملة، ولا يحال بينهم وبين شرائعهم، ولهم المنعة ما أدوا الجزية في كل سنة إلى من وليهم من المسلمين، على كل حالم في ماله ونفسه على قدر طاقته، وما أرشدوا ابن السبيل، وأصلحو الطرق، وقرؤوا جنود المسلمين، من مر بهم، فأوى إليهم يوما وليلة، ونصحوا، فإن غشوا وبدلوا فذمتنا منهم بريئة شهد القعقاع بن عمرو، ونعيم بن مقرن، وسويد بن مقرن وكتب في المحرم.
قالوا: وألحق عمر من شهد نهاوند فأبلى من الروادف بلاء فاضلا في ألفين ألفين، ألحقهم بأهل القادسية.

وفي هذه السنة أمر عمر جيوش العراق بطلب جيوش فارس حيث كانت، وأمر بعض من كان بالبصرة من جنود المسلمين وحواليها بالمسير إلى أرض فارس وكرمان وإصبهان، وبعض من كان منهم بناحية الكوفة وما هاتها إلى إصبهان وأذربيجان والري، وكان بعضهم يقول: إنما كان ذلك من فعل عمر في سنة ثمان عشرة وهو قول سيف بن عمر.

ذكر الخبر عما كان في هذه السنة - أعني سنة إحدى وعشرين - من أمر الجندين اللذين ذكرت أن عمر أمرهما بما ذكر أنه أمرهما به:
كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَالْمُهَلَّبِ

وعمر وسعيد، قالوا: لما رأى عمر أن يزدجرد يبعث عليه في كل عام حربا، وقيل له: لا يزال هذا الدأب حتى يخرج من مملكته، أذن للناس في الانسياح في أرض العجم، حتى يغلبوا يزدجرد على ما كان في يدي كسرى، فوجه الأمراء من أهل البصرة بعد فتح نهاوند، ووجه الأمراء من أهل الكوفة بعد فتح نهاوند، وكان بين عمل سعد بن أبي وقاص وبين عمل عمار بن ياسر أميران: أحدهما عبد الله بن عبد الله بن عتبان - وفي زمانه كانت وقعة نهاوند - وزياد بن حنظلة حليف بني عبد بن قصي - وفي زمانه أمر بالانسياح - وعزل عبد الله بن عبد الله، وبعث في وجه آخر من الوجوه، وولي زياد بن حنظلة - وكان من المهاجرين - فعمل قليلا، وألح في الاستعفاء، فأعني، وولي عمار بن ياسر بعد زياد، فكان مكانه، وأمد أهل البصرة بعبد الله بن عبد الله، وأمد أهل الكوفة بأبي موسى، وجعل عمر بن سراقه مكانه، وقدمت الأولوية من عند عمر إلى نفر بالكوفة زمان زياد بن حنظلة، فقدم لواء منها على نعيم بن مقرن، وقد كان أهل همدان كفروا بعد الصلح، فأمره بالسير نحو همدان، وقال: فإن فتح الله على يديك فإلى ما وراء ذلك، في وجهك ذلك إلى خراسان وبعث عتبة ابن فرقد وبكير بن عبد الله وعقد لهما على أذربيجان، وفرقها بينهما، وأمر أحدهما أن يأخذ إليها من حلوان إلى ميمتها، وأمر الآخر أن يأخذ إليها من الموصل إلى ميسرتها، فتيامن هذا عن صاحبه، وتياسر هذا عن صاحبه وبعث إلى عبد الله بن عبد الله بلواء، وأمره أن يسير إلى إصبهان، وكان شجاعا بطلا من أشرف الصحابة ومن وجوه الأنصار، حليفا لبني الحبلى من بني أسد، وأمه بأبي موسى من البصرة، وأمر عمر بن سراقه على البصرة.

وكان من حديث عبد الله بن عبد الله أن عمر حين أتاها فتح نهاوند بدا له أن يأذن في الانسياح فكتب إليه: أن سر من الكوفة حتى تنزل المدائن، فاندبهم ولا تنتخبهم، واكتب إلي بذلك، وعمر يريد توجيهه إلى إصبهان.

فاتدب له فيمن انتدب عبد الله بن ورقاء الرياحي، وعبد الله بن الحارث

٤٠٦٠٢ ذكر الخبر عن أصبهان

ابن ورقاء الأسدي والذين لا يعلمون يرون أن أحدهما عبد الله بن بديل ابن ورقاء الخزاعي، لذكر ورقاء، وظنوا أنه نسب إلى جده، وكان عبد الله ابن بديل بن ورقاء يوم قتل بصفين ابن أربع وعشرين سنة، وهو أيام عمر صبي ولما أتى عمر انبعاث عبد الله، بعث زياد بن حنظلة، فلما أتاها انبعاث الجنود وانسياحهم أمر عمارا بعد، وقرأ قول الله عز وجل: «وَنَزِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ» وقد كان زياد صرف في وسط من إمارة سعد إلى قضاء الكوفة بعد إعفاء سلمان وعبد الرحمن ابني ربيعة، ليقضي إلى أن يقدم عبد الله بن مسعود من حمص، وقد كان عمل لعمر على ما سقى الفرات ودجلة النعمان وسويد ابنا مقرن،

فاستغفيا، وقالوا: أعفنا من عمل يتغول ويتزين لنا بزينة المومسة. فأعفاهما، وجعل مكانهما حذيفة بن أسيد الغفاري وجابر بن عمرو المزني، ثم استغفيا فأعفاهما، وجعل مكانهما حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف، حذيفة على ما سقت دجلة وما وراءها، وعثمان على ما سقى الفرات من السوادين جميعا، وكتب إلى أهل الكوفة: إني بعثت إليكم عمار بن ياسر أميرا، وجعلت عبد الله بن مسعود معلما ووزيرا، ووليت حذيفة بن اليمان ما سقت دجلة وما وراءها، ووليت عثمان بن حنيف الفرات وما سقى.

. ذكر الخبر عن إصبيان

قالوا: ولما قدم عمار إلى الكوفة أميرا، وقدم كتاب عمر إلى عبد الله:

أن سر إلى إصبيان وزياذ على الكوفة، وعلى مقدمتك عبد الله بن ورقاء الرياحي، وعلى مجنبتك عبد الله بن ورقاء الأسدي وعصمة بن عبد الله - وهو عصمة بن عبد الله بن عبيدة بن سيف بن عبد الحارث - فسار عبد الله في الناس حتى قدم على حذيفة، ورجع حذيفة إلى عمله، وخرج عبد الله فيمن كان معه ومن انصرف معه من جند النعمان من نهاوند نحو جند قد اجتمع له من أهل إصبيان عليهم الأستندار، وكان على مقدمته شهر براز جاذويه، شيخ كبير في جمع عظيم، فالتقى المسلمون ومقدمة المشركين برستاق من رساتيق إصبيان، فاقتتلوا قتالا شديدا، ودعا الشيخ إلى البراز، فبرز له عبد الله بن ورقاء، فقتله وانهزم أهل إصبيان، وسمى المسلمون ذلك الرستاق رستاق الشيخ، فهو اسمه إلى اليوم ودعا عبد الله ابن عبد الله من يليه، فسأل الأستندار الصلح، فصالحهم، فهذا أول رستاق أخذ من إصبيان ثم سار عبد الله من رستاق الشيخ نحو جي حتى انتهى إلى جي والملك بإصبيان يومئذ الفاذوسفان، ونزل بالناس على جي، فحاصروهم، فخرجوا إليه بعد ما شاء الله من زحف، فلما التقوا قال الفاذوسفان لعبد الله: لا تقتل أصحابي، ولا أقتل أصحابك، ولكن ابرزي، فإن قتلتك رجع أصحابك وإن قتلني سالمك أصحابي، وإن كان أصحابي لا يقع لهم نشابة فبرز له عبد الله وقال: إما أن تحمل علي، وإما أن أحمل عليك، فقال: أحمل عليك، فوقف له عبد الله، وحمل عليه الفاذوسفان، فطعنه، فأصاب قربوس سرجه فكسره، وقطع اللبب والحزام، وزال اللبد والسرّج، وعبد الله على الفرس، فوقع عبد الله قائما، ثم استوى على الفرس عريا، وقال له: اثبت، فحاجزه، وقال: ما أحب أن أقاتلك، فإني قد رأيتك رجلا كاملا ولكن أرجع معك إلى عسكرك فأصلحك، وأدفع المدينة إليك، على أن من شاء أقام ودفع الجزية وأقام على ماله، وعلى أن تجرى من أخذتم أرضه عنوة مجراهم، ويتراجعون، ومن أبى أن يدخل فيما دخلنا فيه ذهب حيث شاء، ولكم أرضه قال:

لكم ذلك.

وقدم عليه أبو موسى الأشعري من ناحية الأهواز، وقد صالح الفاذوسفان عبد الله ففرج القوم من جي، ودخلوا في الذمة إلا ثلاثين رجلا من أهل إصبيان خالفوا قومهم وتجمعوا فلحقوا بكرمان في حاشيتهم، بلجج كان بها، ودخل عبد الله وأبو موسى جي - وجي مدينة إصبيان - وكتب بذلك

إلى عمر، واغتبط من أقام، وندم من شخص فقدم كتاب عمر على عبد الله:

أن سر حتى تقدم على سهيل بن عدي فتجامعه على قتال من بكرمان، وخلف في جي من بقي عن جي، واستخلف على إصبيان السائب بن الأقرع.

كُتِبَ إِلَيَّ السَّريُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ، مِنْهُمْ الْمُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ، عَنْ الْحَسَنِ، عَنْ أُسَيْدِ بْنِ الْمُتَشَمِّسِ بْنِ أَنْحِي الْأَحْنَفِ، قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ أَبِي مُوسَى فَتَحَ إِصْبِيَّانَ، وَإِنَّمَا شَهِدَهَا مَدَدًا.

كُتِبَ إِلَيَّ السَّريُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَالْمُهَلَّبِ وَعَمْرُو وَسَعِيدٍ، قَالُوا: كُتِبَ صِلَحُ إِصْبِيَّانَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كُتِبَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ لِلْفَاذُوسْفَانِ وَأَهْلِ إِصْبِيَّانَ وَحَوَالِيهَا، إِنَّكُمْ آمَنُونَ مَا أَدَيْتُمُ الْجَزِيَّةَ، وَعَلَيْكُمْ مِنَ الْجَزِيَّةِ بِقَدْرِ طَاقَتِكُمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ تَوَدُّونَهَا إِلَى الَّذِي يَلِي بِلَادَكُمْ عَنْ كُلِّ حَالٍ، وَدَلَالَةِ الْمُسْلِمِ وَإِصْلَاحَ طَرِيقِهِ وَقِرَاءَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَحِمْلَانَ الرَّاجِلِ إِلَى مَرَحَلَةٍ، لَا تَسْلُطُوا عَلَى مُسْلِمٍ، وَلِلْمُسْلِمِينَ نَصْحَكُمْ وَأَدَاءَ مَا عَلَيْكُمْ، وَلَكُمْ الْأَمَانُ مَا فَعَلْتُمْ، فَإِذَا غَيَّرْتُمْ شَيْئًا أَوْ غَيَّرْتُمْ مِنْكُمْ وَلَمْ تَسْلُطُوا فَلَا

أمان لكم، ومن سب مسلماً بلغ منه، فإن ضربه قتلناه وكتب وشهد عبد الله بن قيس، وعبد الله بن ورقاء، وعصمة بن عبد الله. فلما قدم الكتاب من عمر على عبد الله، وأمر فيه بالحق بسهيل بن عدي بكرمان خرج في جريدة خيل، واستخلف السائب، ولحق بسهيل قبل أن يصل إلى كerman.

وقد روي عن معقل بن يسار أن الذي كان أميراً على جيش المسلمين حين غزوا إصبيان النعمان بن مقرن. ذكر الرواية بذلك:

حدثنا يعقوب بن إبراهيم وعمرو بن علي، قالوا: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن أبي عمران الجوني، عن علقمه

ابن عبد الله المزني، عن معقل بن يسار، أن عمر بن الخطاب شاور الهرمزان، فقال: ما ترى؟ أبدأ بفارس، أم بأذربيجان، أم بإصبيان؟ فقال: إن فارس وأذربيجان الجناحان، وإصبيان الرأس فإن قطعت أحد الجناحين قام الجناح الآخر، فإن قطعت الرأس وقع الجناحان، فأبدأ بالرأس.

فدخل عمر المسجد والنعمان بن مقرن يصلي، ففقد إلى جنبه، فلما قضى صلاته، قال: إني أريد أن أستعملك، قال: أما جابيا فلا، ولكن غازيا، قال: فأنت غاز فوجهه إلى إصبيان، وكتب إلى أهل الكوفة أن يمدوه، فأتاهما وبينه وبينهم النهر، فأرسل إليهم المغيرة بن شعبة، فأتاهم، فقيل للملكهم - وكان يقال له ذو الحاجين: إن رسول العرب على الباب، فشاؤا أصحابه، فقال: ما ترون؟ أقعد له في بهجة الملك؟ فقالوا: نعم، ففقد على سرير، ووضع التاج على رأسه، وقعد أبناء الملوك نحو السماطين عليهم القرطه واسوره الذهب وثياب الديباج ثم أذن له فدخل ومعه رمحه وترسه، فجعل يطعن برمحه بسطهم ليتطيروا، وقد أخذ بضبعيه رجلان، فقام بين يديه، فكلمه ملكهم، فقال: إنكم يا معشر العرب أصابكم جوع شديد نفرجتم، فإن شئتم أمرناكم ورجعتم إلى بلادكم فتكلم المغيرة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنا معاشر العرب، كنا نأكل الجيف والميتة، ويطؤونا الناس ولا نطوهم، وإن الله عز وجل ابتعث منا نبيا، أوسطنا حسبا، وأصدقنا حديثا - فذكر النبي ص بما هو أهله - وإنه وعدنا أشياء فوجدناها كما قال، وإنه وعدنا أنا سنظهر عليكم، ونغلب على ما هاهنا وإني أرى عليكم بزة وهيئة ما أرى من خلفي يذهبون حتى يصيبوها.

قال: ثم قلت في نفسي: لو جمعت جراميزي، فوثبت وثبة، ففقدت مع العليج على سرير له ليتطير! قال: فوجدت غفله، فوثبت، فإذا أنا معه على سرير له قال: فأخذوه يتوجئونه ويطئون به أرجلهم قال: قلت:

هكذا تفعلون بالرسول! فإنا لا نفعل هكذا، ولا نفعل برسلكم هذا فقال الملك: إن شئتم قطعتم إلينا، وإن شئتم قطعنا إليكم قال: فقلت: بل نقطع إليكم قال: فقطعنا إليهم فتسلسلوا كل عشرة في سلسلة، وكل خمسة وكل ثلاثة قال: فصاففناهم، فرشقونا حتى أسرعوا فينا، فقال المغيرة للنعمان: يرحمك الله! إنه قد أسرع في الناس فاحمل، فقال: والله إنك لذو مناقب، لقد شهدت مع رسول الله ص القتال، فكان إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس، وتهب الرياح، وينزل النصر.

قال: ثم قال: إني هازلواي ثلاث مرات، فأما الهزة الأولى فقضى رجل حاجته وتوضأ، وأما الثانية فنظر رجل في سلاحه وفي شبعه فأصلحه، وأما الثالثة فاحملوا، ولا يلون أحد على أحد، وإن قتل النعمان فلا يلو عليه أحد، فإني أدعو الله عز وجل بدعوة، فعزمت على كل امرئ منكم لما أمن عليها! اللهم أعط اليوم النعمان الشهادة في نصر المسلمين، وافتح عليهم، وهزلواه أول مرة، ثم هزل الثانية، ثم هزل الثالثة، ثم شل درعه، ثم حمل فكان أول صريع، فقال معقل: فأتيته عليه، فذكرت عزيمته، فجعلت عليه علما، ثم ذهبت - وكنا إذا قتلنا رجلا شغل عنا أصحابه - ووقع ذو الحاجين عن بغلته فانشق بطنه، فهزمهم الله، ثم جئت إلى النعمان ومعي إداوة فيها ماء، فغسلت عن وجهه التراب، فقال: من أنت؟ قلت:

معقل بن يسار، قال: ما فعل الناس؟ فقلت: فتح الله عليهم، قال:

الحمد لله، اكتبوا بذلك إلى عمر، وفاضت نفسه.

واجتمع الناس إلى الأشعث بن قيس، وفيهم ابن عمر وابن الزبير، وعمرو بن معديكرب وحذيفة، فبعثوا إلى أم ولده، فقالوا: أما عهد إليك عهدا؟ فقالت: هاهنا سفت فيه كتاب، فأخذوه، فكان فيه: إن قتل النعمان ففلان، وإن قتل فلان ففلان

[أخبار متفرقة]

وقال الواقدي: في هذه السنة- يعني سنة إحدى وعشرين- مات خالد ابن الوليد بمحصر، وأوصى إلى عمر بن الخطاب. قال: وفيها غزا عبد الله وعبد الرحمن ابنا عمرو وأبو سروعة، فقدموا مصر، فشرب عبد الرحمن وأبو سروعة الخمر، وكان من أمرهما ما كان. وفيها: سار عمرو بن العاص إلى أنطابلس- وهي برقة- فافتتحها، وصالح أهل برقة على ثلاثة عشر ألف دينار، وأن يبيعوا من أبنائهم ما أحبوا في جزيتهم.

قال: وفيها ولي عمر بن الخطاب عمار بن ياسر على الكوفة، وابن مسعود على بيت المال، وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض، فشكا أهل الكوفة عمارا، فاستعفى عمار عمر بن الخطاب، فأصاب جبير بن مطعم خاليا فولاه الكوفة، فقال: لا تذكره لأحد، فبلغ المغيرة بن شعبة أن عمر خلا بجبير بن مطعم، فرجع إلى امرأته، فقال: اذهبي إلى امرأة جبير بن مطعم، فاعرضي عليها طعام السفر، فأنتها فعرضت عليها، فاستعجمت عليها، ثم قالت: نعم، فجئني به، فلما استيقن المغيرة بذلك جاء إلى عمر، فقال: بارك الله لك فيمن وليت! قال: فمن وليت؟ فأخبره أنه ولي جبير ابن مطعم، فقال عمر: لا أدري ما أصنع! وولى المغيرة بن شعبة الكوفة، فلم يزل عليها حتى مات عمر.

قال: وفيها بعث عمرو بن العاص عقبة بن نافع الفهري، فافتتح زويلة بصلح وما بين برقة وزويلة سلم للمسلمين وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال:

كان بالشام في سنة إحدى وعشرين غزوة الأمير معاوية بن أبي سفيان، وعمير بن سعد الأنصاري على دمشق والبنية وحوارن وحمص وقنسرين والجزيرة، ومعاوية على اللقاء والأردن وفلسطين والسواحل وأنطاكية ومعره مصرين وقلقية وعند ذلك صالح أبو هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس على قلقية وأنطاكية ومعرة مصرين. وقيل: وفيها ولد الحسن البصري وعامر الشعبي.

قال الواقدي: وجج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب، وخلف على المدينة زيد بن ثابت، وكان عامله على مكة والطائف واليمن واليمامة والبحرين والشام ومصر والبصرة من كان عليها في سنة عشرين، وأما الكوفة فإن عامله عليها كان عمار بن ياسر، وكان إليه الأحداث، وإلى عبد الله ابن مسعود بيت المال، وإلى عثمان بن حنيف الخراج، وإلى شريح- فيما قيل- القضاء.

٤٠٧ سنه اثنتين وعشرين

٤٠٧٠١ ذكر فتح همدان

اثنتين وعشرين
ذكر فتح همدان

قال أبو جعفر: ففيها فتحت أذربيجان، فيما حدثني أحمد بن ثابت الرازي، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: كانت أذربيجان سنة اثنتين وعشرين، وأميرها المغيرة بن شعبة وكذلك قال الواقدي. وأما سيف بن عمر، فإنه قال فيما كتب إلي به السري عن شعيب عنه، قال: كان فتح أذربيجان سنة ثمان عشرة من الهجرة بعد فتح همدان والري وجرجان وبعد صلح إصهيد طبرستان المسلمين قال: وكل ذلك كان في سنة ثمان عشرة. قال: فكان سبب فتح همدان- فيما زعم- أن محمدا والمهلب وطلحة وعمر وسعيدا أخبروه أن النعمان لما صرف إلى الماهين لاجتماع الأعاجم إلى نهاوند، وصرف إليه أهل الكوفة وافوه مع حذيفة، ولما فصل أهل الكوفة من حلوان وأفضوا إلى ماه هجموا على قلعه في مرج فيها مسلحه، فاستزلوهم، وكان أول الفتح، وأنزلوا مكانهم خيلا يسكون بالقلعة، فسموا معسكرهم بالمرج، مرج القلعة، ثم ساروا من مرج القلعة نحو نهاوند، حتى إذا انتهوا إلى قلعة- فيها قوم خلفوا عليها النسير بن ثور في عجل وحذيفة، فنسبت إليه، وافتتحها بعد

فتح نهاوند ولم يشهد نهاوند عجلي ولا حنفي - أقاموا مع النسير على القلعة، فلما جمعوا فيء نهاوند والقلاع أشركوا فيها جميعا، لأن بعضهم قوى بعضا ثم وصفوا ما استقروا فيما بين مرج القلعة وبين نهاوند مما مروا به قبل ذلك فيما استقروا من المرج إليها بصفاتها، وازدحم الركاب في ثنية من ثنایا ماه، فسميت بالركاب، فقيل: ثنية الركاب وأتوا على أخرى تدور طريقها بصخرة، فسموها ملويه، فدرست أسماؤها الأولى، وسميت بصفاتها، ومروا بالجليل الطويل المشرف على الجبال، فقال قاتل منهم: كأنه سن سميرة - وسميرة امرأة من المهاجرات من بني معاوية، ضبية لها سن مشرفة على أسنانها، فسمي ذلك الجبل بسنها - وقد كان حذيفة أتبع الفالة - فالة نهاوند - نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو، فبلغا همدان، فصالحهم خسروشنوم، فرجعا عنهم، ثم كفر بعده فلما قدم عهده في العهود من عند عمر ودع حذيفة وودعه حذيفة، هذا يريد همدان، وهذا يريد الكوفة راجعا واستخلف على الماهين عمرو بن بلال بن الحارث.

وكان كتاب عمر إلى نعيم بن مقرن: أن سر حتى تأتي همدان، وابعث على مقدمتك سويد بن مقرن، وعلى مجنبتيك ربعي بن عامر ومهلل ابن زيد، هذا طائي، وذاك تميمي فخرج نعيم بن مقرن في تعبته حتى نزل ثنية العسل - وإنما سميت ثنية العسل بالعسل الذي أصابوا فيها غب وقعة نهاوند حيث أتبعوا الفالة - فأنتهى الفيرزان إليها، وهي غاصة بحوامل تحمل العسل وغير ذلك، فخبست الفيرزان حتى نزل، فتوقل في الجبل وغار فرسه فأدرك فأصيب ولما نزلوا كنكور سرت دواب من دواب المسلمين، فسمي قصر اللصوص. ثم انحدر نعيم من الثنية حتى نزل على مدينة همدان، وقد تحصنوا منهم، فحصرهم فيها، وأخذ ما بين ذلك وبين جرميدان، واستولوا على بلاد همدان كلها فلما رأى ذلك أهل المدينة سألوا الصلح، على أن يجربهم ومن استجاب مجرى واحدا، ففعل، وقبل منهم الجزاء على المنعة، وفرق دستي بين نفر من أهل الكوفة، بين عصمة بن عبد الله الضبي ومهلل بن زيد الطائي وسماك بن عبيد العبسي وسماك بن مخزومة الأسدي،

وسماك بن خرشة الأنصاري، فكان هؤلاء أول من ولي مسالح دستي. وقاتل الديلم.

وأما الواقدي فإنه قال: كان فتح همدان والري في سنة ثلاث وعشرين. قال: ويقال افتتح الري قرظه بن كعب.

وحدثني ربيعة بن عثمان أن فتح همدان كان في جمادى الأولى، على رأس ستة أشهر من مقتل عمر بن الخطاب، وكان أميرها المغيرة بن شعبه.

قال: ويقال: كان فتح الري قبل وفاة عمر بسنتين، ويقال: قتل عمر وجيوشه عليها.

رجع الحديث إلى حديث سيف قال: فبينما نعيم في مدينة همدان في توطئتها في اثني عشر ألفا من الجند تكتب الديلم وأهل الري وأهل أذربيجان، ثم خرج موتا في الديلم حتى ينزل بواج رود، وأقبل الزينبي أبو الفرخان في أهل الري حتى انضم إليه، وأقبل إسفندياذ أخو رسم في أهل أذربيجان، حتى انضم إليه، وتحصن أمراء مسالح دستي، وبعثوا إلى نعيم بالخبر، فاستخلف يزيد بن قيس، وخرج إليهم في الناس حتى نزل عليهم بواج الروذ، فاقتتلوا بها قتالا شديدا، وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند، ولم تكن دونها، وقتل من القوم مقتلة عظيمة لا يحصون ولا تقصر ملحماتهم من الملاحم الكبار، وقد كانوا كتبوا إلى عمر باجتماعهم، ففرغ منها عمر، واهتم بحربها، وتوقع ما يأتيه عنهم، فلم ينجأه إلا البريد بالبشارة، فقال:

أبشیر! فقال: بل عروة، فلما ثنى عليه: أبشیر؟ فطن، فقال: بشیر، فقال عمر: رسول نعيم؟ قال: رسول نعيم، قال: الخبر؟ قال: البشرى بالفتح والنصر، وأخبره الخبر، فحمد الله، وأمر بالكتاب فقرئ على الناس، فحمدوا الله ثم قدم سماك بن مخزومة وسماك بن عبيد وسماك بن خرشه في وفود من وفود أهل الكوفة بالأحماس على عمر، فنسبهم، فانتسب له سماك

وسماك وسماك، فقال: بارك الله فيكم، اللهم اسمك بهم الإسلام وأيدهم بالإسلام فكانت دستي من همدان ومسالحها إلى همدان، حتى رجع الرسول إلى نعيم بن مقرن بجواب عمر بن الخطاب:

أما بعد، فاستخلف على همدان، وأمد بكير بن عبد الله بسماك بن خرشة، وسر حتى تقدم الري، فتلقى جمعهم، ثم أقم بها، فإنها أوسط تلك البلاد وأجمعها لما تريد فأقر نعيم يزيد بن قيس الهمداني على همدان، وسار من واج الروذ بالناس إلى الري. وقال نعيم في واج الروذ:

لما أتاني أن موتاً ورهطه ... بني باسل جروا جنود الأعاجم
نهضت إليهم بالجنود مساميا ... لأمنع منهم ذمتي بالقواصم
فجئنا إليهم بالحديد كأننا ... جبال تراءى من فروع القلاسم
فلما لقيناهم بها مستفيضة ... وقد جعلوا يسمون فعل المساهم
صدمناهم في واج روذ بجمعنا ... غداة رميناهم بإحدى العظام
فما صبروا في حومة الموت ساعة ... لحد الرماح والسيوف الصوارم
كأنهم عند انبثاث جموعهم ... جدار تشظى لبنه للهوادم
أصبنا بها موتاً ومن لف جمعه ... وفيها نهاب قسمه غير عاتم
تبعناهم حتى أووا في شعابهم ... نقتلهم قتل الكلاب الجواحم
كأنهم في واج روذ وجوه ... ضئين أصابتها فروج المخارم
وسماك بن مخرمة هو صاحب مسجد سماك

٤٠٧٠٢ فتح الري

وأعاد فيهم نعيم كتاب صلح همدان، وخلف عليها يزيد بن قيس الهمداني، وسار بالجنود حتى لحق بالري، وكان أول نسل الديلم من العرب، وقاؤهم فيه نعيم . فتح الري

قالوا: وخرج نعيم بن مقرن من واج روذ في الناس - وقد أخرجها - إلى دستي، ففصل منها إلى الري، وقد جمعوا له، وخرج الزينبي أبو الفرخان، فلقية الزينبي بمكان يقال له قها مسالما ومخالفا لملك الري، وقد رأى من المسلمين ما رأى مع حسد سياوخش وأهل بيته، فأقبل مع نعيم والملك يومئذ بالري سياوخش بن مهران بن بهرام شوبين، فاستمد أهل دناوند وطبرستان وقومس وجرجان وقال: قد علمتم أن هؤلاء قد حلوا بالري، إنه لا مقام لكم، فاحتشدوا له، فهاذه سياوخش، فالتقوا في سفح جبل الري إلى جنب مدينتها، فاقتتلوا به، وقد كان الزينبي قال لنعيم: إن القوم كثير، وأنت في قلة، فابعث معي خيلاً أدخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به، وناهدهم أنت، فإنهم إذا خرجوا عليهم لم يثبتوا لك فبعث معه نعيم خيلاً من الليل، عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو، فأدخلهم الزينبي المدينة، ولا يشعر القوم، وبيتهم نعيم بياتا فشغلهم عن مدينتهم، فاقتتلوا وصبروا له حتى سمعوا التكبير من ورائهم ثم إنهم انهزموا فقتلوا مقتلة عدوا بالقصب فيها، وأفاء الله على المسلمين بالري نحواً من فيء المدائن، وصالحه الزينبي على أهل الري ومرزبه عليهم نعيم، فلم يزل شرف الري في أهل الزينبي الأكبر، ومنهم شهرام وفرخان، وسقط آل بهرام، وأخرب نعيم مدينتهم، وهي التي يقال لها العتيقة - يعني مدينة الري - وأمر الزينبي فبنى مدينة الري الحدثى وكتب نعيم إلى عمر بالذي فتح الله عليه مع المضارب العجلي، ووفد بالأنحاس مع عتيبة بن النهاس وأبي مفزر في وجوه من وجوه أهل الكوفة، وأمد بكير بن عبد الله بسماك بن

٤٠٧٠٣ فتح قومس

خرشة الأنصاري بعد ما فتح الري، فسار سماك إلى أذربيجان مدداً لبكير، وكتب نعيم لأهل الري كتاباً:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى نعيم بن مقرن الزينبي بن قوله، أعطاه الأمان على أهل الري ومن كان معهم من غيرهم على الجزاء، طاقة كل حالم في كل سنة، وعلى أن ينصحوا ويدلوا ولا يغلوا ولا يسلوا، وعلى أن يقرؤا المسلمين يوما وليلة، وعلى أن يفخموا المسلم، فمن سب مسلما أو استخف به نهك عقوبة، ومن ضربه قتل، ومن بدل منهم فلم يسلم برمته فقد غير جماعتكم وكتب وشهد وراسله المصمغان في الصلح على شيء يفتدى به منهم من غير أن يسأله النصر والمنعة، فقبل منه، وكتب بينه وبينه كتابا على غير نصر ولا معونة على أحد، فجرى ذلك لهم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ نَعِيمِ بْنِ مَقْرِنٍ لِمُرْدَانِشَاهِ مَصْمِغَانَ دِنَاوَنْدٍ وَأَهْلِ دِنَاوَنْدٍ وَالْخَوَارِ وَاللَّارِ وَالْشَّرْزِ إِنَّكَ آمِنٌ وَمِنْ دَخَلَ مَعَكَ عَلَى الْكَفِّ، أَنْ تَكْفَ أَهْلَ أَرْضِكَ، وَتُتَقِيَ مِنْ وَلِيِّ الْفَرَجِ بِمَائَتِي أَلْفِ دِرْهَمٍ وَزَنْ سَبْعَةٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ، لَا يَغَارُ عَلَيْكَ، وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْكَ إِلَّا بِإِذْنٍ، مَا أَقَمْتَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تَغْيِرَ، وَمِنْ غَيْرِ فَلَا عَهْدَ لَهُ وَلَا لِمَنْ لَمْ يَسْلَمْهُ وَكُتِبَ وَشَهِدَ فَتَحَ قَوْمُسَ

قالوا: ولما كتب نعيم بفتح الري مع المضارب العجلي، ووفد بالأنحاس كتب إليه عمر: أن قدم سويد بن مقرن إلى قومس، وابعث على مقدمته سماك بن مخزومة وعلى مجنبيه عتيبة بن النهاس وهند بن عمرو الجملي، ففصل سويد بن مقرن في تعبته من الري نحو قومس، فلم يقيم له أحد، فأخذها سلما، وعسكر بها، فلما شربوا من نهر لهم يقال له ملاذ، فشا فيهم القصر، فقال لهم سويد: غيروا ماء كم حتى تعودوا كاهله، ففعلوا،

٤٠٧٠٤ فتح جرجان

واستمره، وكتبه الذين لجؤوا إلى طبرستان منهم، والذين أخذوا المفاوز، فدعاهم إلى الصلح والجزاء، وكتب لهم: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى سويد بن مقرن أهل قومس ومن حشوا من الأمان على أنفسهم ومللهم وأموالهم، على أن يؤدوا الجزية عن يد، عن كل حالم بقدر طاقته، وعلى أن ينصحوا ولا يغشوا، وعلى أن يدلوا، وعليهم نزل من نزل بهم من المسلمين يوما وليلة من أوسط طعامهم، وإن بدلوا واستخفوا بعهدهم فالذمة منهم بريئة وكتب وشهد. فتح جرجان

قالوا: وعسكر سويد بن مقرن ببسطام، وكتب ملك جرجان رزبان صول ثم سار إليها، وكتبه رزبان صول، وبادره بالصلح على أن يؤدي الجزاء، ويكفيه حرب جرجان، فإن غلب أعانه فقبل ذلك منه، وتلقاه رزبان صول قبل دخول سويد جرجان، فدخل معه، وعسكر بها حتى جبي إليه الخراج، وسمى فزوجها، فسدها بترك دهستان، فرفع الجزاء عن أقالم يمنعها، وأخذ الخراج من سائر أهلها، وكتب بينهم وبينه كتابا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ سُوَيْدِ بْنِ مَقْرِنٍ لِرِزْبَانَ صَوْلِ ابْنِ رِزْبَانَ وَأَهْلِ دِهَسْتَانَ وَسَائِرِ أَهْلِ جَرْجَانَ، إِنْ لَكُمْ الذِّمَّةُ، وَعَلَيْنَا الْمُنْعَةُ، عَلَى أَنْ عَلَيْكُمْ مِنَ الْجَزَاءِ فِي كُلِّ سَنَةٍ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِكُمْ، عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَمَنْ اسْتَعْنَا بِهِ مِنْكُمْ فَلَهُ جَزَاؤُهُ فِي مَعُونَتِهِ عَوْضًا مِنْ جَزَائِهِ، وَلَهُمُ الْأَمَانُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَمِلْلَتِهِمْ وَشَرَائِعِهِمْ، وَلَا يَغْيِرُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ هُوَ إِلَيْهِمْ مَا أَدَوْا وَأَرْشَدُوا ابْنَ السَّبِيلِ وَنَصَحُوا وَقَرُّوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَبْدِ مِنْهُمْ سُلٌّ وَلَا غُلٌّ، وَمَنْ أَقَامَ فِيهِمْ فَلَهُ مِثْلُ مَا لَهُمْ، وَمَنْ خَرَجَ فَهُوَ آمِنٌ حَتَّى يَبْلُغَ مَأْمَنَهُ، وَعَلَى أَنْ مَنْ سَبَّ مُسْلِمًا بَلَّغَ جَهْدَهُ، وَمَنْ ضَرَبَهُ حَلَّ دَمَهُ شَهِدَ سَوَادُ بْنُ قُطْبَةَ، وَهَنْدُ بْنُ عَمْرٍو، وَسَمَّاكُ بْنُ مَخْرَمَةَ، وَعَتِيْبَةُ بْنُ النَّهَّاسِ وَكُتِبَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ عَشْرَةٍ

٤٠٧٠٥ فتح طبرستان

٤٠٧٠٦ فتح اذربيجان

وأما المدائني، فإنه قال- فيما حدثنا أبو زيد، عنه: فتحت جرجان في زمن عثمان سنة ثلاثين.

فتح طبرستان

قالوا: وأرسل الإصبيذ سويدا في الصلح، على أن يتوادعا، ويجعل له شيئا على غير نصر ولا معونة على أحد، فقبل ذلك منه، وجرى ذلك لهم، وكتب له كتابا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ سَوِيدِ بْنِ مَقْرَنٍ لِلْفَرْخَانَ إِصْبِيذَ خِرَاسَانَ عَلَى طَبْرِسْتَانَ وَجِيلَ جِيلَانَ مِنْ أَهْلِ الْعَدُوِّ، إِنَّكَ آمَنْ بِأَمَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَنْ تَكْفَ لَصَوْتِكَ وَأَهْلَ حَوَاشِي أَرْضِكَ، وَلَا تَتَوَّيْ لَنَا بَغِيَةً، وَتَتَقَى مِنْ وَلِيٍّ فَرَجَ أَرْضِكَ بِخَمْسَمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ مِنْ دِرْهَمِ أَرْضِكَ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُ أَنْ يَغْيِرَ عَلَيْكَ، وَلَا يَتَطَرَّقَ أَرْضَكَ، وَلَا يَدْخُلَ عَلَيْكَ إِلَّا بِإِذْنِكَ، سَبِيلُنَا عَلَيْكُمْ بِالْإِذْنِ آمَنَةً، وَكَذَلِكَ سَبِيلُكُمْ، وَلَا تَتَوَّوْنَ لَنَا بَغِيَةً، وَلَا تَسْلُونَ لَنَا إِلَى عَدُوٍّ، وَلَا تَغْلُونَ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ فَلَا عَهْدَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ شَهِدَ سَوَادُ بْنُ قُطَيْبَةَ التَّمِيمِيِّ، وَهَنْدُ بْنُ عَمْرِو المَرَادِيِّ، وَسَمَّاكَ بْنُ مَخْرَمَةَ الْأَسَدِيِّ، وَسَمَّاكَ بْنُ عُبَيْدِ الْعَبْسِيِّ، وَعُتَيْبَةُ بْنُ النَّهَاسِ الْبَكْرِيُّ وَكَتَبَ سَنَةَ ثَمَانٍ عَشْرَةٍ.

فتح أذربيجان

قال: ولما افتتح نعيم همدان ثانية، وسار إلى الري من واج رود، كتب إليه عمر: أن يبعث سماك بن خرشة الأنصاري ممدا لبكير بن عبد الله بأذربيجان، فأخر ذلك حتى افتتح الري، ثم سرحه من الري، فسار سماك نحو بكير بأذربيجان، وكان سماك بن خرشة وعتبة بن فرقد

من أغنياء العرب، وقدا الكوفة بالغنى، وقد كان بكير سار حين بعث إليها، حتى إذا طلع بحيال جرميدان- طلع عليهم إسفندياذ بن الفرخزاد مهزوما من واج رود، فكان أول قتال لقيه بأذربيجان، فاقتلوا، فهزم الله جنده، وأخذ بكير إسفندياذ أسيرا، فقال له إسفندياذ: الصلح أحب إليك أم الحرب؟ قال: بل الصلح، قال: فأمسكني عندك، فإن أهل أذربيجان إن لم اصالح عليهم أو أجيء لم يقيموا لك، وجلوا إلى الجبال التي حولها من القنج والروم ومن كان على التحصن تحصن إلى يوم ما، فأمسكه عنده، فأقام وهو في يده، وصارت البلاد إليه إلا ما كان من حصن وقدم عليه سماك بن خرشة ممدا وإسفندياذ في إيساره، وقد افتتح ما يليه، وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه وقال بكير لسماك مقدمه عليه، ومازحه: ما الذي أصنع بك وبعثة بأغنيين؟ لئن أطعت ما في نفسي لأمضين قدما ولأخلفنكما، فإن شئت أقت معي، وإن شئت أتيت عتبة فقد أذنت لك، فإني لا أراني إلا تارككما وطالبا وجهها هو أكره من هذا. فاستغنى عمر، فكتب إليه بالإذن على أن يتقدم نحو الباب، وأمره أن يستخلف على عمله، فاستخلف عتبة على الذي افتتح منها، ومضى قدما، ودفع إسفندياذ إلى عتبة، فضمه عتبة إليه، وأمر عتبة سماك بن خرشة- وليس بأبي دجاجة- على عمل بكير الذي كان افتتح، وجمع عمر أذربيجان كلها لعتبة بن فرقد.

قالوا: وقد كان بهرام بن الفرخزاد أخذ بطريق عتبة بن فرقد، وأقام له في عسكره حتى قدم عليه عتبة، فاقتلوا، فهزمه عتبة، وهرب بهرام.

فلما بلغ الخبر بهزيمة بهرام ومهره إسفندياذ وهو في الإيسار عند بكير، قال: الآن تم الصلح، وطفئت الحرب، فصالحه، وأجاب إلى ذلك كلهم، وعادت أذربيجان سلهما، وكتب بذلك بكير وعتبة إلى عمر، وبعثوا بما خمسوا مما أفاء الله عليهم، ووفدوا الوفود بذلك، وكان بكير قد سبق عتبة بفتح ما ولي، وتم الصلح بعد ما هزم عتبة بهرام وكتب عتبة بينه

٤٠٧٧ فتح الباب

وبين أهل أذربيجان كتابا حيث جمع له عمل بكير إلى عمله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا أُعْطِيَ عُتْبَةُ بْنُ فَرْقَدٍ، عَامِلَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلَ أَذَرْبَيْجَانَ- سَهْلَهَا وَجَبَلَهَا وَحَوَاشِيهَا وَشَفَارَهَا وَأَهْلَ مَلَلَهَا- كُلُّهُمْ الْأَمَانُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَمُلْكِهِمْ وَشَرَائِعِهِمْ، عَلَى أَنْ يُوَدُّوا الْجَزِيَّةَ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِمْ، لَيْسَ عَلَى صَبِيٍّ وَلَا امْرَأَةٍ وَلَا زَمَنْ لَيْسَ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَا مُتَعَبٌ مُتَخَلِّلٌ لَيْسَ فِي يَدَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ، لَهُمْ ذَلِكَ وَلَمْ يَسْكُنْ مَعَهُمْ، وَعَلَيْهِمْ قَرَى الْمُسْلِمُ مِنْ جُنُودِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً وَدَلَالَتَهُ، وَمَنْ حَشَرَ مِنْهُمْ فِي سَنَةٍ وَضَعَهُ عَنْهُ جَزَاءُ تِلْكَ السَّنَةِ، وَمَنْ أَقَامَ فَلَهُ مِثْلُ مَا لَمْ يَأْمُرْ

ذلك، ومن خرج فله الأمان حتى يلجأ إلى حرزه وكتب جندب، وشهد بكير بن عبد الله الليثي وسماك بن خرشة الأنصاري وكتب في سنة ثمان عشرة.

قالوا: وفيها، قدم عتبة على عمر بالخبيص الذي كان أهده له، وذلك أن عمر كان يأخذ عماله بموافاة الموسم في كل سنة يحجر عليهم بذلك الظلم، ويحجزهم به عنه

فتح الباب

وفي هذه السنة كان فتح الباب في قول سيف وروايته، قال: وقالوا- يعني الذين ذكرت أسماءهم قبل: رد عمر أبا موسى إلى البصرة، وردده سراقه بن عمرو- وكان يدعى ذا النور- إلى الباب، وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة- وكان أيضا يدعى ذا النور- وجعل على إحدى المجنبتين حذيفة بن أسيد الغفاري، وسمى للآخرى بكير بن عبد الله الليثي- وكان بإزاء الباب قبل قدوم سراقه بن عمرو عليه، وكتب إليه أن يلحق به-

وجعل على المقاسم سلمان بن ربيعة فقدم سراقه عبد الرحمن بن ربيعة، وخرج في الأثر، حتى إذا خرج من أذريجان نحو الباب، قدم على بكير في أداني الباب، فاستدفع ببكير، ودخل بلاد الباب على ما عباه عمر.

وأمدده عمر بحبيب بن مسلمة، صرفه إليه من الجزيرة، وبعث زياد بن حنظلة مكانه على الجزيرة ولما أطل عبد الرحمن بن ربيعة على الملك بالباب- والملك بها يومئذ شهربراز، رجل من أهل فارس، وكان على ذلك الفرج، وكان أصله من أهل شهربراز الملك الذي أفسد بني إسرائيل، وأعرى الشام منهم- فكاتبه شهربراز، واستأمنه على أن يأتيه، ففعل فأتاه، فقال:

إني بإزاء عدو كلب وأمم مختلفة، لا ينسبون إلى أحساب، وليس ينبغي لذي الحسب والعقل أن يعين أمثال هؤلاء، ولا يستعين بهم على ذوي الأحساب والأصول، وذو الحسب قريب ذي الحسب حيث كان، ولست من القبح في شيء، ولا من الأرمن، وإنكم قد غلبتم على بلادتي وأمتي، فأنا اليوم منكم ويدي مع أيديكم، وصغوي معكم، وبارك الله لنا ولكم، وجزيتنا إليكم النصر لكم، والقيام بما تحبون، فلا تذولونا بالجزية فتوهنونا لعدوكم.

فقال عبد الرحمن: فوقي رجل قد أظلك فسر إليه، فجوزه، فسار إلى سراقه فلقية بمثل ذلك، فقال سراقه: قد قبلت ذلك فيمن كان معك على هذا ما دام عليه، ولا بد من الجزاء ممن يقيم ولا ينهض فقبل ذلك، وصار سنة فيمن كان يحارب العدو من المشركين، وفيمن لم يكن عنده الجزاء، إلا أن يستنفروا فتوضع عنهم جزاء تلك السنة وكتب سراقه إلى عمر بن الخطاب بذلك، فأجازه وحسنه، وليس لتلك البلاد التي في ساحة تلك الجبال نك لم يقيم الأرمن بها إلا على أوفاز، وإنما هم سكان ممن حولها ومن الطراء استأصلت الغارات نبكها من أهل القرار، وأرز أهل الجبال منهم إلى جبالهم، وجلوا عن قرار أرضهم، فكان لا يقيم بها إلا الجنود ومن أعانهم أو تجر إليهم، واكتبوا من سراقه بن عمرو كتابا:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى سراقه بن عمرو عامل أمير المؤمنين

عمر بن الخطاب شهربراز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وملتهم الا يضاروا ولا ينتقضوا، وعلى أهل أرمينية والأبواب، الطراء منهم والتناء ومن حولهم فدخل معهم أن ينفروا لكل غارة، وينفذوا لكل أمر ناب أو لم ينسب رآه الوالي صلاحا، على أن توضع الجزاء عن أجاب إلى ذلك إلا الحشر، والحشر عوض من جزائهم ومن استغنى عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل أذريجان من الجزاء والدلالة والنزل يوما كاملا، فإن حشروا وضع ذلك عنهم، وإن تركوا أخذوا به شهد عبد الرحمن بن ربيعة، وسلمان بن ربيعة، وبكير بن عبد الله وكتب مرضي بن مقرن وشهد ووجه سراقه بعد ذلك بكير بن عبد الله وحبيب بن مسلمة وحذيفة بن أسيد وسلمان بن ربيعة إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية، فوجه بكيرا إلى موقان، ووجه حبيبا إلى تفلنس، وحذيفة بن أسيد إلى من بجبال اللان، وسلمان بن ربيعة إلى الوجه الآخر، وكتب سراقه بالفتح والذي وجه فيه هؤلاء أنفر إلى عمر بن الخطاب، فأتى عمر أمر لم يكن يرى أنه يستتم له على ما خرج عليه في سريح بغير مئونة وكان فرجا عظيما به جند عظيم، إنما ينتظر أهل فارس صنيعهم، ثم يضعون الحرب أو يبعثونها.

فلما استوسقوا واستحلوا عدل الإسلام مات سراقه، واستخلف عبد الرحمن ابن ربيعة، وقد مضى أولئك القواد الذين بعثهم سراقه، فلم يفتح أحد منهم ما وجه له إلا بكير فإنه فض موقان، ثم تراجعوا على الجزية، فكتب لهم:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى بكير بن عبد الله اهل موقان من جبال القبيج الأمان على أموالهم وأنفسهم وملتهم وشرائعهم على الجزاء، دينار على كل حالم أو قيمته، والنصح، ودلالة المسلم ونزله يومه وليته، فلهم الأمان ما أقروا ونصحوا، وعلينا الوفاء، والله المستعان فإن تركوا ذلك واستبان منهم غش فلا أمان لهم إلا أن يسلموا الغششة برمتهم، وإلا فهم متمثلون شهد الشماخ بن ضرار والرسارس بن جنادب، وحمة بن جوية. وكتب سنة إحدى وعشرين

قالوا: ولما بلغ عمر موت سراقه واستخلافه عبد الرحمن بن ربيعة أقر عبد الرحمن على فرج الباب، وأمره بغزو الترك، فخرج عبد الرحمن بالناس حتى قطع الباب، فقال له شهربراز: ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد بلنجر، قال: إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب قال: لكنا لا نرضى منهم بذلك حتى نأتيهم في ديارهم، وتالله إن معنا لأقواما لو يأذن لنا أميرنا في الإيعان لبلغت بهم الردم قال: وما هم؟ قال: أقوام صحبوا رسول الله ص ودخلوا في هذا الأمر بنية، كانوا أصحاب حياء وتكرم في الجاهلية، فزاد حياؤهم وتكرمهم، فلا يزال هذا الأمر دائما لهم، ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم، وحتى يلفتوا عن حالهم بمن غيرهم فغزا بلنجر غزاة في زمن عمر لم تَمْ فيها امرأة، ولم يَتَم فيها صبي، وبلغ خيله في غزاتها البيضاء على رأس مائتي فرسخ من بلنجر، ثم غزا فسلم، ثم غزا غزوات في زمان عثمان، وأصيب عبد الرحمن حين تبدل أهل الكوفة في إمارة عثمان لاستعماله من كان ارتد استصلاحا لهم، فلم يصلحهم ذلك، وزادهم فسادا أن سادهم من طلب الدنيا، وعضلوا بعثمان حتى جعل يثقل:

وكنْتُ وعمراً كالمسمن كلبه ... نغْدشه أنيابه وأظافره

كُتِبَ إِلَيَّ السَّريُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الغصن بن القاسم، عن رجل، عن سلمان بن ربيعة، قال: لما دخل عليهم عبد الرحمن بن ربيعة حال الله بين الترك والخروج عليه، وقالوا: ما اجترأ علينا هذا الرجل الا ومعه الملائكة تمنعه من الموت، فتحصنوا منه وهربوا، فرجع بالغنم والظفر، وذلك في إمارة عمر، ثم إنه غزاهم غزوات في زمن عثمان، ظفر كما كان يظفر، حتى إذا تبدل أهل الكوفة لاستعمال عثمان من كان ارتد فغزاهم بعد ذلك، تذامرت الترك وقال بعضهم لبعض: إنهم لا يموتون، قال: انظروا، وفعلوا فاختفوا لهم في الغياض، فرمى رجل منهم رجلا من

المسلمين على غرة فقتله، وهرب عنه أصحابه، فخرجوا عليه عند ذلك، فاقتتلوا فاشتد قتالهم، ونادى مناد من الجو: صبرا آل عبد الرحمن وموعدكم الجنة! فقاتل عبد الرحمن حتى قتل، وانكشف الناس، وأخذ الراية سلمان بن ربيعة، فقاتل بها، ونادى المناادي من الجو: صبرا آل سلمان ابن ربيعة! فقال سلمان: أو ترى جزعا! ثم خرج بالناس، وخرج سلمان وأبو هريرة الدوسي على جيلان، فقطعوها إلى جرجان، واجترأ الترك بعدها ولم يمنعهم ذلك من اتخاذ جسد عبد الرحمن، فهم يستسقون به حتى الآن.

وحدث عمرو بن معد يكرب عن مطر بن ثلج التميمي، قال: دخلت على عبد الرحمن بن ربيعة بالباب وشهربراز عنده، فأقبل رجل عليه شحوبة، حتى دخل على عبد الرحمن، فجلس إلى شهربراز، وعلى مطر قباء يرود يمينية، أرضه حمراء، ووشيه أسود- أو وشيه أحمر- وأرضه سوداء، فقساءلا.

ثم إن شهربراز، قال: أيها الأمير، أتدري من أين جاء هذا الرجل؟

هذا الرجل بعثته منذ سنين نحو السد لينظر ما حاله ومن دونه، وزودته مالا عظيما، وكتبت له إلى من يليني، وأهديت له، وسألته أن يكتب له إلى من وراءه، وزودته لكل ملك هدية، ففعل ذلك بكل ملك بينه وبينه، حتى انتهى إليه، فانتفى إلى الملك الذي السد في ظهر أرضه، فكتب له إلى عامله على ذلك البلد، فأتاه فبعث معه بازياره ومعه عقابه، فأعطاه حريرة، قال: فتشكر لي البازيار، فلما انتهينا فإذا جيلان بينهما سد مسدود، حتى ارتفع على الجبلين بعد ما استوى بهما، وإذا دون السد خندق أشد سوادا من الليل لبعده، فنظرت إلى ذلك كله، وتفرست فيه، ثم ذهبت لأنصرف، فقال لي البازيار: على رسلك أكافك! إنه لا يلي ملك بعد ملك إلا تقرب

إلى الله بأفضل ما عنده من الدنيا، فيرمي به في هذا اللهب، فشرح بضعة لحم معه، فألقاها في ذلك الهواء، وانقضت عليها العقاب، وقال: إن أدركتها قبل أن تقع فلا شيء، وإن لم تدركها حتى تقع فذلك شيء، فخرجت علينا العقاب باللحم في مخالبا، وإذا فيه يا قوتة، فأعطانيها،

٤٠٧٠٨ أخبار متفرقة

٤٠٧٠٩ ذكر تعديل الفتوح بين اهل الكوفة والبصرة

وها هي هذه فتناولها شهربراز حمراء، فناولها عبد الرحمن، فنظر إليها، ثم ردها إلى شهربراز، وقال شهربراز: لهذه خير من هذا البلد- يعني الباب- وإيم الله لأنتم أحب إلي ملكة من آل كسرى، ولو كنت في سلطانهم ثم بلغهم خبرها لانتزعوها مني، وإيم الله لا يقوم لكم شيء ما وفيتم ووفى ملككم الأكبر.

فأقبل عبد الرحمن على الرسول، وقال: ما حال هذا الردم وما شبهه؟

فقال: هذا الثوب الذي على هذا الرجل، قال: فنظر إلى ثوبي، فقال مطر بن ثلج لعبد الرحمن بن ربيعة: صدق والله الرجل، لقد نفذ ورأى، فقال: أجل، وصف صفة الحديد والصفير، وقال: «أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ» إلى آخر الآية.

وقال عبد الرحمن لشهربراز: كم كانت هديتك؟ قال: قيمة مائة ألف في بلادي هذه، وثلاثة آلاف ألف أو أكثر في تلك البلدان.

وزعم الواقدي أن معاوية غزا الصائفة في هذه السنة، ودخل بلاد الروم في عشرة آلاف من المسلمين

. [أخبار متفرقة]

وقال بعضهم: في هذه السنة كانت وفاة خالد بن الوليد.

وفيها ولد يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان.

وجج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب، وكان عامله على مكة عتاب بن أسيد، وعلى اليمن يعلى بن أمية، وعلى سائر أمصار المسلمين الذين كانوا عماله في السنة التي قبلها، وقد ذكرناهم قبل

. ذكر تعديل الفتوح بين اهل الكوفة والبصرة

وفي هذه السنة عدل عمر فتوح أهل الكوفة والبصرة بينهم.

ذكر الخبر بذلك:

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَالْمُهَلَّبِ وَعَمْرٍو، وَسَعِيدٍ، قَالُوا: أَقَامَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ عَامِلًا عَلَى الْكُوفَةِ سَنَةً فِي أَمَارِهِ

عمر وبعض أخرى وكتب عمر بن سراقه وهو يومئذ على البصرة إلى عمر ابن الخطاب يذكر له كثرة أهل البصرة، وعجز خراجهم عنهم، ويسأله أن يزيدهم أحد الماهين أو ماسبذان وبلغ ذلك أهل الكوفة، فقالوا لعمار: اكتب لنا إلى عمر أن رامرمر وإيدج لنا دونهم، لم يعينونا عليهما بشيء، ولم يلحقوا بنا حتى افتتحناهما، فقال عمار: ما لي ولما هاهنا! فقال له عطار: فعلا تدع فينا أيها العبد الأجدع! فقال: لقد سببت أحب أذني إلي ولم يكتب في ذلك فأبغضوه، ولما أتى أهل الكوفة إلا انحصومة فيهما لأهل البصرة شهد لهم أقوام على أبي موسى، أنه قد كان أمن أهل رامرمر وإيدج، وأن أهل الكوفة والنعمان راسلوهم وهم في أمان فأجاز لهم عمر ذلك، وأجراها لأهل البصرة بشهادة الشهود وأدعى أهل البصرة في إصبيان قريات افتتحها أبو موسى دون جبي، أيام أمدهم بهم عمر إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان، فقال أهل الكوفة: أيتيمونا مددا وقد افتتحنا البلاد، فأسيناكم في المغانم، والذمة ذمتنا، والأرض أرضنا، فقال عمر: صدقوا ثم إن أهل الأيام وأهل القادسية من أهل البصرة أخذوا في أمر آخر حتى قالوا: فليعطونا نصيبنا مما نحن شركاؤهم فيه

مَنْ سَوَادِهِمْ وَحَوَاشِيَهُ فَقَالَ لَهُمْ عُمَرُ: أَتَرْضَوْنَ بِمَا؟ وَقَالَ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ: أَتَرْضَوْنَ أَنْ نُعْطِيَهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَحَدِ الْمَاهِنِينَ؟ فَقَالُوا: مَا رَأَيْتَ أَنَّهُ يَنْبَغِي فاعْمَلْ بِهِ، فَأَعْطَاهُمْ مَاهُ دِينَارٍ بِنَصِيْبِهِمْ لِمَنْ كَانَ شَهِدَ الْأَيَّامَ وَالْقَادِسِيَّةَ مِنْهُمْ إِلَى سَوَادِ الْبَصْرَةِ وَمَهْرَجَانَقْدُقٍ، وَكَانَ ذَلِكَ لِمَنْ شَهِدَ الْأَيَّامَ وَالْقَادِسِيَّةَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَلِمَا وَلِيَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ - وَكَانَ مُعَاوِيَةُ هُوَ الَّذِي جَنَدَ قَنَسَرِينَ مِنْ رَافِضَةِ الْعِرَاقِينَ أَيَّامَ عَلِيٍّ، وَإِنَّمَا كَانَتْ قَنَسَرِينَ رَسَاتِقًا مِنْ رَسَاتِيقِ حِمَصٍ حَتَّى مَصَرَهَا مُعَاوِيَةُ وَجَنَدَهَا بَيْنَ تَرْكِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَأَخَذَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ بِنَصِيْبِهِمْ مِنْ فُتُوحِ الْعِرَاقِ أَذْرِيْجَانَ وَالْمُوصِلَ وَالْبَابَ، فَضَمَّهَا فِيْمَا ضَمَّ، وَكَانَ أَهْلُ الْجَزِيرَةِ وَالْمُوصِلِ يَوْمَئِذٍ نَاقِلَةً رُمِيْتًا بِكُلِّ مَنْ كَانَ تَرْكٌ هَجْرَتَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدَيْنِ، وَكَانَتِ الْبَابُ وَأَذْرِيْجَانُ وَالْجَزِيرَةُ

وَالْمُوصِلُ مِنْ فُتُوحِ أَهْلِ الْكُوفَةِ - نَقَلَ ذَلِكَ إِلَى مَنْ انْتَقَلَ مِنْهُمْ إِلَى الشَّامِ أَرْمَانَ عَلِيٍّ، وَإِلَى مَنْ رُمِيَتْ بِهِ الْجَزِيرَةُ وَالْمُوصِلُ مِمَّنْ كَانَ تَرْكٌ هَجْرَتَهُ أَيَّامَ عَلِيٍّ، وَكَفَرَ أَهْلُ أَرْمِينِيَّةِ زَمَانِ مُعَاوِيَةَ، وَقَدْ أَمَرَ حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ عَلَى الْبَابِ - وَحَبِيبُ يَوْمَئِذٍ بِجَرْزَانَ - وَكَاتَبَ أَهْلُ تَفْلَيْسَ وَتِلْكَ الْجِبَالِ، ثُمَّ نَاجَزَهُمْ، حَتَّى اسْتَجَابُوا وَاعْتَقَدُوا مِنْ حَبِيبٍ وَكَتَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كِتَابًا بَعْدَ مَا كَاتَبَهُمْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ إِلَى أَهْلِ تَفْلَيْسَ مِنْ جَرْزَانَ أَرْضِ الْهَرَمِزِ وَسَلَمَ أَنْتُمْ، فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكُمْ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَإِنَّهُ قَدْ قَدِمَ عَلَيْنَا رَسُولُكُمْ تَفْلَى، فَبَلَغَ عَنْكُمْ، وَأَدَّى الَّذِي بَعَثْتُمْ وَذَكَرْتَفْلَى عَنْكُمْ أَنَّا لَمْ نَكُنْ أُمَّةً فِيْمَا تَحْسِبُونَ، وَكَذَلِكَ نَحْنُ حَتَّى هَدَانَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمُحَمَّدٍ ص، وَأَعَزَّنَا بِالْإِسْلَامِ بَعْدَ قِلَّةٍ وَذِلَّةٍ وَجَاهِلِيَّةٍ وَذَكَرْتَفْلَى أَنْكُمْ أَحْبَبْتُمْ سَلْمَنَا فَمَا كَرِهْتُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعِي، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ جَزَاءِ السُّلَيْمِيِّ، وَهُوَ مِنْ أَعْلَانَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ وَأَهْلِ الْقُرْآنِ، وَبَعَثْتُ مَعَهُ بِكَاتِبِي بِأَمَانَتِكُمْ، فَإِنْ رَضِيتُمْ دَفَعَهُ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ أَذْنَكُمْ بِحَرْبٍ عَلَى سِوَاءِ إِنْ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ لِأَهْلِ تَفْلَيْسَ مِنْ جَرْزَانَ أَرْضِ الْهَرَمِزِ، بِالْأَمَانِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَصَوَامِعِكُمْ وَبَيْعِكُمْ وَصَلَوَاتِكُمْ، عَلَى الْإِفْرَارِ بِصِغَارِ الْجَزِيرَةِ، عَلَى كُلِّ أَهْلِ بَيْتٍ دِينَارٌ وَافٍ، وَلَنَا نَصْحُكُمْ وَنَصْرُكُمْ عَلَى عَدُوِّ اللَّهِ وَعَدُوِّنَا، وَقَرَى الْمُجْتَازَ لَيْلَةً مِنْ حَلَالِ طَعَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَحَلَالِ شَرَابِهِمْ، وَهَدَايَةَ الطَّرِيقِ فِي غَيْرِ مَا يَضُرُّ فِيهِ بِأَحَدٍ مِنْكُمْ.

فَإِنْ أَسْلَمْتُمْ وَأَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ، فَإِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ وَمَوَالِينَا، وَمَنْ تَوَلَّى عَنِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَكُتِبَ وَحِزْبُهُ فَقَدْ أَذْنَاكُمْ بِحَرْبٍ عَلَى سِوَاءِ، إِنْ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

٤٠٧٠١٠ ذكر عزل عمار عن الكوفة

الْخَائِنِينَ شَهِدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدٍ، وَالْحَجَّاجُ، وَعِيَاضُ وَكَتَبَ رِيَاحًا، وَأَشْهَدُ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا .

ذكر عزل عمار عن الكوفة

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَمَّارًا عَنِ الْكُوفَةِ، وَاسْتَعْمَلَ أَبَا مُوسَى فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ، وَقَدْ ذَكَرْتُ مَا قَالَ الْوَاقِدِيُّ فِي ذَلِكَ قَبْلُ.

ذَكَرَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ:

قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرِي بَعْضَ سَبَبِ عَزْلِهِ، وَنَذَرْتُ بَقِيَّتَهُ ذَكَرَ السَّرِيِّ - فِيْمَا كَتَبَ بِهِ إِلَيَّ - عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرِي مِنْ شُيُوخِهِ، قَالَ: قَالُوا: وَكَتَبَ أَهْلُ الْكُوفَةِ، عَطَارِدُ ذَلِكَ وَأَنَاسٌ مَعَهُ إِلَى عُمَرَ فِي عَمَارٍ، وَقَالُوا: إِنَّهُ لَيْسَ بِأَمِيرٍ، وَلَا يَحْتَمِلُ مَا هُوَ فِيهِ، وَنَزَا بِهِ أَهْلُ الْكُوفَةِ فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى عَمَارٍ: أَنْ أَقْبِلْ، نَفَرَجَ بُوْفِدَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَوَفِدَ رَجُلًا مِمَّنْ يَرَى أَنَّهُمْ مَعَهُ، فَكَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهِ مِمَّنْ تَخَلَّفَ، فَجَزَعَ فَقِيلَ لَهُ:

يَا أَبَا الْيَقْظَانِ، مَا هَذَا الْجَزَعُ! فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَحْمَدُ نَفْسِي عَلَيْهِ، وَلَقَدْ ابْتَلَيْتُ بِهِ - وَكَانَ سَعْدُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ عَمَّ الْمُخْتَارِ، وَجَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَعَهُ - فَسَعِيًا بِهِ، وَأَخْبَرَا عُمَرَ بِأَشْيَاءَ يَكْرَهُهَا، فَعَزَلَهُ عُمَرُ وَلَمْ يُؤْلِهِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ جُمَيْجٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ: قِيلَ لِعِمَّارٍ: أَسَاءَكَ الْعَزْلُ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا سَرَّنِي حِينَ اسْتَعْمَلْتُ، وَلَقَدْ سَاءَ نِي حِينَ عَزَلْتُ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ وَمُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ: أَيُّ مَنْزِلِكُمْ أَجَبُ إِلَيْكُمْ؟ - يَعْنِي الْكُوفَةُ أَوِ الْمَدَائِنِ - وَقَالَ: إِنِّي لَأَسْأَلُكُمْ وَإِنِّي لَأَعْرِفُ فَضْلَ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ فِي وُجُوهِكُمْ، فَقَالَ جَرِيرٌ: أَمَّا مَنْزِلُنَا هَذَا الْأَدْنَى فَإِنَّهُ أَدْنَى مَحَلَّةٍ مِنَ السَّوَادِ مِنَ الْبَرِّ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَوَعْدُ الْبَحْرِ وَغَمُّهُ وَبَعُوضُهُ فَقَالَ عِمَّارٌ: كَذَبْتَ، فَقَالَ عُمَرُ لِعِمَّارٍ: بَلْ أَنْتَ أَكْذَبُ مِنْهُ، وَقَالَ:

مَا تَعْرِفُونَ مَنْ أَمِيرُكُمْ عِمَّارٌ؟ فَقَالَ جَرِيرٌ: هُوَ وَاللَّهِ غَيْرُ كَافٍ وَلَا مُجْزٍ وَلَا عَالِمٍ بِالسِّيَاسَةِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ زَكْرِيَاءَ بْنِ سِيَاهٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثَّقَفِيِّ، أَنَّ سَعْدَ بْنَ مَسْعُودٍ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا يَدْرِي عِلَامَ اسْتَعْمَلْتَهُ! فَقَالَ عُمَرُ: عِلَامَ اسْتَعْمَلْتُكَ يَا عِمَّارُ؟ قَالَ: عَلَى الْحَيَرَةِ وَأَرْضِهَا فَقَالَ: قَدْ سَمِعْتُ بِالْحَيَرَةِ تَجَارًا تَخْتَلِفُ إِلَيْهَا، قَالَ: وَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: عَلَى بَابِلَ وَأَرْضِهَا، قَالَ: قَدْ سَمِعْتُ بِذِكْرِهَا فِي الْقُرْآنِ.

قَالَ: وَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: عَلَى الْمَدَائِنِ وَمَا حَوْلَهَا، قَالَ: أَمَدَائِنُ كِسْرَى؟

قَالَ: نَعَمْ قَالَ: وَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: عَلَى مَهْرَجَانَقْدُقٍ وَأَرْضِهَا.

قَالُوا: قَدْ أَخْبَرْنَاكَ أَنَّهُ لَا يَدْرِي عِلَامَ بَعَثْتَهُ! فَعَزَلَهُ عَنْهُمْ، ثُمَّ دَعَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَسَاءَكَ حِينَ عَزَلْتُكَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا فَرِحْتُ بِهِ حِينَ بَعَثْتَنِي، وَلَقَدْ سَاءَ نِي حِينَ عَزَلْتَنِي فَقَالَ: لَقَدْ عَلِمْتُ مَا أَنْتَ بِصَاحِبِ عَمَلٍ، وَلَكِنِّي تَأَوَّلْتُ: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ».

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ خُلَيْدِ بْنِ ذَفَرَةَ النَّبَرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ بِمَثَلِهِ وَزِيَادِهِ، فَقَالَ: أَوْ تَحْمَدُ نَفْسَكَ بِمَعْرِفَةٍ مَنْ تَعَالَجَهُ مِنْذُ قَدِمْتُ! وَقَالَ: وَاللَّهِ يَا عِمَّارُ لَا يَنْتَهِي بِكَ حَدُّكَ حَتَّى يُلْقِيَكَ فِي هَنَةٍ، وَتَاللَّهِ لَئِنْ أَدْرَكَكَ عُمَرُ لَتَرَقَّنَ، وَلَئِنْ رَفَقْتَ لَتَبْتَلِينَ، فَسَلِ اللَّهَ الْمَوْتَ ثُمَّ أَقْبِلْ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ فَقَالَ: مَنْ تُرِيدُونَ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ؟ فَقَالُوا: أَبَا مُوسَى فَأَمَرَهُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ عِمَّارٍ، فَأَقَامَ عَلَيْهِمْ سَنَةً، فَبَاعَ غُلَامَهُ

الْعَلْفَ وَسَمِعَهُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ، يَقُولُ: مَا صَحِبْتُ قَوْمًا قَطُّ إِلَّا آثَرْتَهُمْ، وَوَاللَّهِ مَا مَنَعَنِي أَنْ أَكْذِبَ شُهَدَاءَ الْبَصْرَةِ إِلَّا صَحْبَتَهُمْ، وَلَئِنْ صَحِبْتُكُمْ لَأَمْنَحُكُمْ خَيْرًا فَقَالَ الْوَلِيدُ: مَا ذَهَبَ بِأَرْضِنَا غَيْرُكَ، وَلَا جَرَمَ لَا تَعْمَلْ عَلَيْنَا نَخْرَجَ وَنُخْرَجَ مَعَهُ نَفَرٌ، فَقَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا فِي أَبِي مُوسَى، قَالَ: وَلَمْ؟ قَالُوا: غُلَامٌ لَهُ يَتِيمٌ فِي حَشْرِنَا فَعَزَلَهُ عَنْهُمْ وَصَرَفَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَصَرَفَ عُمَرُ بْنُ سُرَاقَةَ إِلَى الْجَزِيرَةِ وَقَالَ لِأَصْحَابِ أَبِي مُوسَى الَّذِينَ شَخَّصُوا فِي عَزْلِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ: أَقْوَى مُشَدَّدٌ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أَمْ ضَعِيفٌ مُؤْمِنٌ؟ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ شَيْئًا، فَتَنَحَّى، نَحَلًا فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَنَامَ فَأَتَاهُ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَكَلَّاهُ حَتَّى اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا مِنْ عَظِيمٍ، فَهَلْ نَابَكَ

مِنْ نَائِبٍ؟ قَالَ: وَأَيُّ نَائِبٍ أَعْظَمَ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ لَا يَرْضُونَ عَنْ أَمِيرٍ، وَلَا يَرْضَى عَنْهُمْ أَمِيرٌ! وَقَالَ فِي ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ.

وَاخْتَطَّتِ الْكُوفَةُ حِينَ اخْتَطَّتْ عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ مُقَاتِلٍ، وَأَتَاهُ أَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: شَأْنِي أَهْلُ الْكُوفَةِ قَدْ عَصَوْا بِي.

وَأَعَادَ عَلَيْهِمْ عَمْرَ الْمُشَوَّرَةِ الَّتِي اسْتَشَارَ فِيهَا، فَأَجَابَهُ الْمُغِيرَةُ فَقَالَ: أَمَّا الضَّعِيفُ الْمُسْلِمُ فَضَعْفُهُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ وَفَضْلُهُ لَهُ، وَأَمَّا الْقَوِيُّ الْمَشْدُدُ فَقُوَّتُهُ لَكَ وَلِلْمُسْلِمِينَ، وَشِدَادُهُ عَلَيْهِ وَلَهُ فَبِعْتُهُ عَلَيْهِمْ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ عُمَرَ قَالَ قَبْلَ أَنْ اسْتَعْمَلَ الْمُغِيرَةَ: مَا تَقُولُونَ فِي تَوَلِيَةِ رَجُلٍ ضَعِيفٍ مُسْلِمٍ أَوْ رَجُلٍ قَوِيٍّ مُشَدَّدٍ؟ فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: أَمَّا الضَّعِيفُ الْمُسْلِمُ فَإِنَّ إِسْلَامَهُ لِنَفْسِهِ وَضَعْفُهُ عَلَيْكَ، وَأَمَّا الْقَوِيُّ الْمَشْدُدُ فَإِنَّ شِدَادَهُ لِنَفْسِهِ وَقُوَّتُهُ لِلْمُسْلِمِينَ قَالَ: فَإِنَّا بَاعِثُوكَ يَا مُغِيرَةُ فَكَانَ الْمُغِيرَةُ عَلَيْهِمَا حَتَّى مَاتَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَذَلِكَ نَحْوَ مَنْ سَتَيْنِ وَزِيَادَةٍ فَلَمَّا وَدَّعَهُ الْمُغِيرَةُ لِلذَّهَابِ إِلَى الْكُوفَةِ، قَالَ لَهُ: يَا مُغِيرَةُ لِيَأْمَنَكَ الْأَبْرَارُ، وَلِيَخَفَكَ الْفُجَّارُ.

ثُمَّ أَرَادَ عُمَرُ أَنْ يَبْعَثَ سَعْدًا عَلَى عَمَلِ الْمُغِيرَةِ فَقُتِلَ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَهُ، فَأَوْصَى بِهِ، وَكَانَ مِنْ سُنَّةِ عُمَرَ وَسِيرَتِهِ أَنْ يَأْخُذَ عَمَلَهُ بِمُؤَافَاةِ الْحِجِّ فِي كُلِّ سَنَةٍ

٤٠٧٠١١ ذكر مصير يزيدجرد إلى خراسان وما كان السبب في ذلك

لِلسِّيَاسَةِ، وَلِيَحْجِزَهُمْ بِذَلِكَ عَنِ الرَّعِيَّةِ، وَلِيَكُونَ لِسَكَاةِ الرِّعْيَةِ وَقِتَا وَغَايَةً يَهْوَنَهَا فِيهِ إِلَيْهِ. وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ - فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ خُرَاسَانَ - وَحَارَبَ يَزْدَجَرْدَ، وَأَمَّا فِي رِوَايَةِ سَيْفٍ فَإِنَّ خُرُوجَ الْأَخْنَفِ إِلَى خُرَاسَانَ كَانَ فِي سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةَ مِنَ الْهِجْرَةِ

ذكر مصير يزيدجرد إلى خراسان وما كان السبب في ذلك

اختلف أهل السير في سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه، فأما ما ذكره سيف عن أصحابه في ذلك، فإنه فيما كتب به إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن مُحَمَّدٍ وَطْلُحَةَ وَالمُهَلَّبِ وَعَمْرٍو، قالوا: كَانَ يَزْدَجَرْدُ بْنُ شَهْرِيَارِ بْنِ كَسْرَى - وَهُوَ يَوْمُئِذٍ مَلِكُ فَارَسَ - لَمَّا انْهَزَمَ أَهْلُ جُلُولَاءَ خَرَجَ يَرِيدُ الرِّيِّ، وَقَدْ جَعَلَ لَهُ مَحْمَلٌ وَاحِدٌ يُطَبَّقُ ظَهْرَ بَعِيرِهِ، فَكَانَ إِذَا سَارَ نَامَ فِيهِ وَلَمْ يَعْرِسْ بِالْقَوْمِ فَانْتَهَوْا بِهِ إِلَى مُحَاضَةٍ وَهُوَ نَائِمٌ فِي مَحْمَلِهِ، فَأَنْبَهُوهُ لِيَعْلَمَ، وَلَثَلَا يَفْزَعُ إِذَا خَاضَ الْبَعِيرُ إِنْ هُوَ اسْتَيْقِظَ، فَعَنْفَهُمْ وَقَالَ: بئسما صنعتم! وَاللَّهِ لَوْ تَرَكْتُمُونِي لَعَلَّتْ مَا مَدَّةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، إِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي وَمُحَمَّدًا تَنَاجِيَانِ عِنْدَ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ: أَمَلِكُهُمْ مِائَةَ سَنَةٍ، فَقَالَ: زِدْنِي، فَقَالَ: عَشْرًا وَمِائَةَ سَنَةٍ، فَقَالَ: زِدْنِي، فَقَالَ: عَشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ، فَقَالَ: زِدْنِي، فَقَالَ: لَكَ.

وَأَنْبَهْتُمُونِي، فَلَوْ تَرَكْتُمُونِي لَعَلَّتْ مَا مَدَّةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

فلما انتهى إلى الرِّيِّ، وَعَلَيْهَا أَبَانُ جَاذَوِيهِ، وَثَبَ عَلَيْهِ فَأَخَذَهُ، فَقَالَ:

يَا أَبَانُ جَاذَوِيهِ، تَغْدِرْ بِي! قَالَ: لَا، وَلَكِنْ قَدْ تَرَكْتُ مَلِكُكَ، وَصَارَ فِي يَدِ غَيْرِكَ، فَأُحْبِبْتُ أَنْ أَكْتُبَ عَلَى مَا كَانَ لِي مِنْ شَيْءٍ، وَمَا أَرَدْتُ غَيْرَ ذَلِكَ وَأَخَذَ خَاتَمَ يَزْدَجَرْدَ وَوَصَلَ الْأَدَمَ، وَاكْتُبْتُ الصِّكَاكَ وَسَجَلْتُ السَّجَلَاتِ بِكُلِّ مَا أَعْجَبَهُ، ثُمَّ خَتَمَ عَلَيْهَا وَرَدَّ الْخَاتَمَ ثُمَّ أَتَى بَعْدَ سَعْدًا فَرَدَّ عَلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ فِي كِتَابِهِ وَلَمَّا صَنَعَ أَبَانُ جَاذَوِيهِ بِيَزْدَجَرْدَ مَا صَنَعَ

خَرَجَ يَزْدَجَرْدُ مِنَ الرِّيِّ إِلَى إِصْبَهَانَ، وَكَرِهَ أَبَانُ جَاذَوِيهِ، فَأَرَادَ مِنْهُ وَلَمْ يَأْمَنْهُ ثُمَّ عَزَمَ عَلَى كَرْمَانَ، فَأَتَاهَا وَالنَّارَ مَعَهُ، فَأَرَادَ أَنْ يَضَعَهَا فِي كَرْمَانَ، ثُمَّ عَزَمَ عَلَى خُرَاسَانَ، فَأَتَى مَرُوَ، فَتَزَلَّهَا وَقَدْ نَقَلَ النَّارَ، فَبَنَى لَهَا بَيْتًا وَاتَّخَذَ بَسْتَانًا، وَبَنَى أَرْجَا فَرَسَخَيْنِ مِنْ مَرُوَ إِلَى الْبَسْتَانِ، فَكَانَ عَلَى رَأْسِ فَرَسَخَيْنِ مِنْ مَرُوَ، وَاطْمَأَنَّ فِي نَفْسِهِ وَأَمَّنَ أَنْ يُوْتَى، وَكَاتَبَ مِنْ مَرُوَ مِنْ بَقِيٍّ مِنَ الْأَعَاجِمِ فِيمَا لَمْ يَفْتَحْهُ الْمُسْلِمُونَ، فَدَانُوا لَهُ، حَتَّى أَثَارَ أَهْلُ فَارَسَ وَالْهَرَمَزَانَ فَنَكَشُوا، وَثَارَ أَهْلُ الْجِبَالِ وَالْفِيرِزَانَ فَنَكَشُوا، وَصَارَ ذَلِكَ دَاعِيَةً إِلَى إِذْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَبْدِيِّ فِي الْإِنْسِيَاكِ، فَانْسَاحَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ وَأَهْلُ الْكُوفَةِ حَتَّى أَثْنَوْا فِي الْأَرْضِ، فَخَرَجَ الْأَخْنَفُ إِلَى خُرَاسَانَ، فَأَخَذَ عَلَى مَهْرَجَانِثَقَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى إِصْبَهَانَ - وَأَهْلُ الْكُوفَةِ مُحَاصِرُونَ جِي - فَدَخَلَ خُرَاسَانَ مِنَ الطَّبْسِينَ، فَافْتَتَحَ هَرَاةَ عَنُودَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا صَحَارَ بْنَ فَلَانَ الْعَبْدِيَّ ثُمَّ سَارَ نَحْوَ مَرُوَ الشَّاهِجَانَ، وَأَرْسَلَ إِلَى نَيْسَابُورَ - وَلَيْسَ دُونَهَا قِتَالٌ - مَطْرَفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ وَالْحَارِثَ بْنَ حَسَّانَ إِلَى سَرِخْسَ، فَلَمَّا

دنا الأحنف من مرو الشاهجان خرج منها يزدجرد نحو مرو الروذ حتى نزلها، ونزل الأحنف مرو الشاهجان، وكتب يزدجرد وهو بمرو الروذ إلى خاقان يستمده، وكتب إلى ملك الصغد يستمده، فخرج رسوله نحو خاقان وملك الصغد، وكتب إلى ملك الصين يستعينه، وخرج الأحنف من مرو الشاهجان، واستخلف عليها حاتم بن النعمان الباهلي بعد ما لحقت به أمداد أهل الكوفة، على أربعة أمراء: علقمة بن النضر النضري، وربيع بن عامر التيمي، وعبد الله بن أبي عقيل الثقفي، وابن أم غزال الهمداني، وخرج سائرا نحو مرو الروذ، حتى إذا بلغ ذلك يزدجرد خرج إلى بلخ، ونزل الأحنف مرو الروذ، وقدم أهل الكوفة، فساروا إلى بلخ، واتبعهم الأحنف، فالتقى أهل الكوفة ويزدجرد ببلخ، فهزم الله يزدجرد، وتوجه في أهل فارس إلى النهر فعبه، ولحق الأحنف باهل الكوفة، وقد فتح الله عليهم، فبلخ من فتوح أهل الكوفة واتباع أهل خراسان ممن شذ أو تحصن على الصلح فيما بين نيسابور إلى طخارستان ممن كان في مملكة كسرى، وعاد الأحنف إلى مرو الروذ، فنزلها واستخلف على طخارستان ربيع بن عامر، وهو الذي يقول فيه النجاشي - ونسبه إلى أمه، وكانت من أشراف العرب:

ألا رب من يدعى فتى ليس بالفتى ... ألا إن ربيع ابن كأس هو الفتى
طويل قعود القوم في قعر بيته ... إذا شبعوا من ثقل جفنته سقى

كتب الأحنف إلى عمر بفتح خراسان، فقال: لوددت أني لم أكن بعثت إليها جندا، ولوددت أنه كان بيننا وبينها بحر من نار، فقال علي:

ولم يا أمير المؤمنين؟ قال: لأن أهلها سينفضون منها ثلاث مرات، فيجتاحون في الثالثة، فكان أن يكون ذلك بأهلها أحب إلي من أن يكون بالمسلمين.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عبد الرحمن الفزاري، عن أبي الجنوب اليشكري، [عن علي بن أبي طالب ع، قال: لما قدم عمر على فتح خراسان، قال: لوددت أن بيننا وبينها بحرا من نار، فقال علي: وما يشتد عليك من فتحها! فإن ذلك لموضع سرور،] قال: أجل ولكي حتى أتى على آخر الحديث.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عيسى بن المغيرة، وعن رجل من بكر بن وائل يدعى الوازع بن زيد بن خليفة، قال: لما بلغ عمر غلبة الأحنف على المروين وبلخ، قال: وهو الأحنف، وهو سيد أهل المشرق المسمى بغير اسمه وكتب عمر إلى الأحنف: أما بعد، فلا تجوزن النهر واقتصر على ما دونه، وقد عرفتم بأي شيء دخلتم على خراسان، فداوموا على الذي دخلتم به خراسان يدم لكم النصر، وإياكم ان تعبروا فتفضوا ولما بلغ رسولا يزدجرد خاقان وغوزك، لم يستتب لهما إنجاده حتى عبر

إليهما النهر مزموماً، وقد استتب فأنجده خاقان - والملوك ترى على أنفسها إنجاد الملوك - فأقبل في الترك، وحشر أهل فرغانة والصغد، ثم خرج بهم، وخرج يزدجرد راجعاً إلى خراسان، حتى عبر إلى بلخ، وعبر معه خاقان، فأرز أهل الكوفة إلى مرو الروذ إلى الأحنف، وخرج المشركون من بلخ حتى نزلوا على الأحنف بمرو الروذ وكان الأحنف حين بلغه عبور خاقان والصغد نهر بلخ غازياً له، خرج في عسكره ليلاً يتسمع: هل يسمع برأيي ينتفع به؟ فمر برجلين يقيان علفاً، إما تبتاً وإما شعيراً، وأحدهما يقول لصاحبه:

لو أن الأمير أسندنا إلى هذا الجبل، فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقاً، وكان الجبل في ظهورنا من أن نؤتى من خلفنا، وكان قتالنا من وجه واحد رجوت أن ينصرنا الله فرجع واجتزأ بها، وكان في ليلة مظلمة، فلما أصبح جمع الناس، ثم قال: إنكم قليل، وإن عدوكم كثير، فلا يهولكم، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين، ارتحلوا من مكانكم هذا، فأسندوا إلى هذا الجبل، فاجعلوه في ظهوركم، واجعلوا النهر بينكم وبين عدوكم، وقاتلوهم من وجه واحد ففعلوا، وقد أعدوا ما يصلحهم، وهو في عشرة آلاف من أهل البصرة وأهل الكوفة نحو منهم وأقبلت الترك ومن أجلبت حتى نزلوا بهم، فكانوا يغادونهم ويروحونهم ويتنحون عنهم بالليل ما شاء الله وطلب الأحنف علم مكانهم بالليل، فخرج ليلة بعد ما علم عنهم، طليعة لأصحابه حتى كان قريباً من عسكر

خَاقَانَ فَوَقَفَ، فَلَمَّا كَانَ فِي وَجْهِ الصُّبْحِ خَرَجَ فَارِسٌ مِنَ التُّرْكِ بِطَوْقِهِ، وَضَرَبَ بِطَبْلِهِ، ثُمَّ وَقَفَ مِنَ الْعَسْكَرِ مَوْقِعًا يَقِفُهُ مِثْلُهُ، حَمَلَ عَلَيْهِ الْأَخْنَفُ، فَاخْتَلَفَا طَعْنَتَيْنِ، فَطَعَنَهُ الْأَخْنَفُ فَقَتَلَهُ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ:

إِنَّ عَلَى كُلِّ رَئِيسٍ حَقًّا ... أَنْ يَخْضِبَ الصَّعْدَةَ أَوْ تَدَقَّا

إِنَّ لَنَا شَيْخًا بِهَا مُلْقَى ... سَيْفُ أَبِي حَفْصِ الَّذِي تَبَقَّى

ثُمَّ وَقَفَ مَوْقِفَ التُّرْكِيِّ وَأَخَذَ طَوْقَهُ، وَخَرَجَ آخَرُ مِنَ التُّرْكِ، فَفَعَلَ

فَعَلَ صَاحِبِهِ الْأَوَّلَ، ثُمَّ وَقَفَ دُونَهُ حَمَلَ عَلَيْهِ الْأَخْنَفُ، فَاخْتَلَفَا طَعْنَتَيْنِ، فَطَعَنَهُ الْأَخْنَفُ فَقَتَلَهُ وَهُوَ يَرْتَجِزُ:

إِنَّ الرِّئِيسَ يَرْتِي وَيَطْلَعُ ... وَيَمْنَعُ الْخِلَاءَ إِمَّا أَرْبَعًا

ثُمَّ وَقَفَ مَوْقِفَ التُّرْكِيِّ الثَّانِي، وَأَخَذَ طَوْقَهُ، ثُمَّ خَرَجَ ثَالِثٌ مِنَ التُّرْكِ، فَفَعَلَ فَعَلَ الرَّجُلَيْنِ، وَوَقَفَ دُونَ الثَّانِي مِنْهُمَا، حَمَلَ عَلَيْهِ

الْأَخْنَفُ، فَاخْتَلَفَا طَعْنَتَيْنِ، فَطَعَنَهُ الْأَخْنَفُ، فَقَتَلَهُ وَهُوَ يَرْتَجِزُ:

جَرِي الشُّمُوسِ نَاجِزًا بِنَاجِزٍ ... مُحْتَفِلًا فِي جَرِيهِ مُشَارِزِ

ثُمَّ انْصَرَفَ الْأَخْنَفُ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِذَلِكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ حَتَّى دَخَلَهُ وَاسْتَعَدَّ وَكَانَ مِنْ شِيْمَةِ التُّرْكِ أَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ حَتَّى يَخْرُجَ

ثَلَاثَةٌ مِنْ فُرْسَانِهِمْ كَهَوْلَاءَ، كُلُّهُمْ يَضْرِبُ بِطَبْلِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ بَعْدَ خُرُوجِ الثَّالِثِ، فَخَرَجَتِ التُّرْكُ لِيَلْتَمِذَ بَعْدَ الثَّالِثِ، فَأَتَوْا عَلَى فُرْسَانِهِمْ

مُقَاتِلِينَ، فَتَشَاءَمَ خَاقَانُ وَتَطَيَّرَ، فَقَالَ: قَدْ طَالَ مَقَامُنَا، وَقَدْ أُصِيبَ هَوْلَاءُ الْقَوْمِ بِمَكَانٍ لَمْ يُصَبْ بِمِثْلِهِ قَطُّ، مَا لَنَا فِي قِتَالِ هَوْلَاءِ الْقَوْمِ

مِنْ خَيْرٍ، فَانْصَرَفُوا بِنَا، فَكَانَ وَجُوهُهُمْ رَاجِعِينَ، وَارْتَفَعَ النَّهَارُ لِلْمُسْلِمِينَ وَلَا يَرُونَ شَيْئًا، وَأَتَاهُمُ الْخَبَرُ بِانْصِرَافِ خَاقَانَ إِلَى بَلَخٍ وَقَدْ كَانَ

يَزْدَجَرْدُ بْنُ شَهْرِيَارِ بْنِ كِسْرَى تَرَكَ خَاقَانَ بِمَرَوْ الرُّودِ، وَخَرَجَ إِلَى مَرَوْ الشَّاهِجَانِ، فَتَحَصَّنَ مِنْهُ حَاتِمُ بْنُ النُّعْمَانِ وَمِنْ مَعِهِ، فَحَصَرَهُمْ

وَاسْتَخْرَجَ خَزَائِنَهُ مِنْ مَوْضِعِهَا، وَخَاقَانُ يَبْلُغُ مَقِيمٌ لَهُ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ لِلْأَخْنَفِ: مَا تَرَى فِي اتِّبَاعِهِمْ؟ فَقَالَ: أَقِيمُوا بِمَكَانِكُمْ وَدَعُوهُمْ

وَلَمَّا جَمَعَ يَزْدَجَرْدُ مَا كَانَ فِي يَدَيْهِ مِمَّا وَضَعَ بِمَرَوْ، فَأَعْجَلَ عَنْهُ، وَارَادَ أَنْ يَسْتَقِلَّ بِهِ مِنْهَا، إِذْ هُوَ أَمْرٌ عَظِيمٌ مِنْ خَزَائِنِ أَهْلِ فَارِسَ، وَارَادَ

الْحَقَاقَ بِخَاقَانَ فَقَالَ لَهُ أَهْلُ فَارِسَ أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ؟ فَقَالَ:

أُرِيدُ الْحَقَاقَ بِخَاقَانَ فَأَكُونُ مَعَهُ أَوْ بِالصِّينِ، فَقَالُوا لَهُ: مَهْلًا، فَإِنَّ هَذَا رَأْيِي سُوءٌ، إِنَّكَ إِنَّمَا تَأْتِي قَوْمًا فِي مَمْلَكَتِهِمْ وَتَدْعُ أَرْضَكَ وَقَوْمَكَ،

وَلَكِنْ أَرْجِعْ

بِنَا إِلَى هَوْلَاءِ الْقَوْمِ فَصَالِحُهُمْ، فَإِنَّهُمْ أَوْفَاءُ وَأَهْلُ دِينٍ، وَهُمْ يَلُون بِلَادَنَا، وَإِنَّ عَدُوًّا يَلِينَا فِي بِلَادِنَا أَحَبُّ إِلَيْنَا مَمْلَكَةً مِنْ عَدُوٍّ يَلِينَا فِي

بِلَادِهِ وَلَا دِينَ لَهُمْ، وَلَا نَدْرِي مَا وَفَاؤُهُمْ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ وَأَبَا عَلَيْهِ، فَقَالُوا: فَدَعْ خَزَائِنًا نُرَدِّهَا إِلَى بِلَادِنَا وَمِنْ يَلِيهَا، وَلَا تَخْرِجْهَا مِنْ

بِلَادِهَا إِلَى غَيْرِهَا، فَأَبَى، فَقَالُوا:

فَإِنَّا لَا نَدْعُكَ، فَاعْتَزَلُوا وَتَرَكَوهُ فِي حَاشِيَتِهِ، فَاقْتَتَلُوا، فَهَزَمُوهُ وَأَخَذُوا الْخَزَائِنَ، وَاسْتَوَلُوا عَلَيْهَا وَنَكَبُوهُ، وَكَتَبُوا إِلَى الْأَخْنَفِ بِالْخَبَرِ،

فَاعْتَرَضَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ بِمَرَوْ يَتَفَنُونَهُ، فَقَاتَلُوهُ وَأَصَابُوهُ فِي آخِرِ الْقَوْمِ، وَأَعْجَلُوهُ عَنِ الْأَثْقَالِ، وَمَضَى مُوَاتِلًا حَتَّى قَطَعَ النَّهْرَ إِلَى

فَرَاغَةَ وَالتُّرْكِ، فَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا زَمَانَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّهُ يَكَاتِبُهُمْ وَيَكَاتِبُونَهُ، أَوْ مِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْهُمْ فَكَفَرَ أَهْلُ خُرَاسَانَ زَمَانَ عُثْمَانَ

وَأَقْبَلَ أَهْلُ فَارِسَ عَلَى الْأَخْنَفِ فَصَالَحُوهُ وَعَاقَدُوهُ، وَدَفَعُوا إِلَيْهِ تِلْكَ الْخَزَائِنَ وَالْأَمْوَالَ، وَتَرَجَعُوا إِلَى بُلْدَانِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ عَلَى أَفْضَلِ مَا

كَانُوا فِي زَمَانِ الْأَكْسَرَةِ، فَكَانُوا كَأَنَّمَا هُمْ فِي مُلْكِهِمْ، إِلَّا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ أَوْفَى لَهُمْ وَأَعْدَلَ عَلَيْهِمْ، فَاعْتَبَطُوا وَغَبَطُوا، وَأَصَابَ الْفَارِسَ

يَوْمَ يَزْدَجَرْدُ كَسَمَهُمُ الْفَارِسَ يَوْمَ الْقَادِسيَّةِ.

وَلَمَّا خَلَعَ أَهْلُ خُرَاسَانَ زَمَانَ عُثْمَانَ أَقْبَلَ يَزْدَجَرْدُ حَتَّى نَزَلَ بِمَرَوْ، فَلَمَّا اخْتَلَفَ هُوَ وَمِنْ مَعَهُ وَأَهْلُ خُرَاسَانَ أَوَى إِلَى طَاخُونَةِ، فَأَتَوْا

عَلَيْهِ يَأْكُلُ مِنْ كَرْدٍ حَوْلَ الرِّحَاءِ، فَتَقْتُلُوهُ ثُمَّ رَمَوْا بِهِ فِي النَّهْرِ.

وَلَمَّا أُصِيبَ يَزْدَجَرْدُ بِمَرَوْ- وَهُوَ يَوْمٌ مَثَلُ مَخْتَلٍ فِي طَاحُونَةٍ يُرِيدُ أَنْ يَطْلُبَ الْحَقَّ بِكَرْمَانَ- فَاحْتَوَى فِيهِهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْأَخْنَفَ، فَسَارَ مِنْ فَوْرِهِ ذَلِكَ فِي النَّاسِ إِلَى بَلَخٍ يُرِيدُ خَاقَانَ، وَيَتَّبِعُ حَاشِيَةَ يَزْدَجَرْدَ وَأَهْلَهُ فِي الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ فَارَسَ، وَخَاقَانَ وَالتَّرْكَ بَلَخَ فَلَمَّا سَمِعَ بِمَا لَقِيَ يَزْدَجَرْدَ وَخُرُوجَ الْمُسْلِمِينَ مَعَ الْأَخْنَفِ مِنْ مَرَوْ الرُّودِ نَحْوَهُ، تَرَكَ بَلَخَ وَعَبَّرَ النَّهْرَ، وَأَقْبَلَ الْأَخْنَفَ حَتَّى نَزَلَ بَلَخَ، وَنَزَلَ أَهْلُ الْكُوفَةِ فِي كُورِهَا الْأَرْبَعِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَرَوْ الرُّودِ فَزَلَّ بِهَا، وَكَتَبَ يَفْتَحُ خَاقَانَ وَيَزْدَجَرْدَ إِلَى عُمَرَ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِالْأَخْمَاسِ، وَوَفَدَ إِلَيْهِ الْوُفُودَ.

قَالُوا: وَلَمَّا عَبَّرَ خَاقَانَ النَّهْرَ، وَعَبَّرَتْ مَعَهُ حَاشِيَةُ آلِ كِسْرَى، أَوْ مِنْ أَخَذَ نَحْوَ بَلَخَ مِنْهُمْ مَعَ يَزْدَجَرْدَ، لَقُوا رَسُولَ يَزْدَجَرْدَ الَّذِي كَانَ بَعَثَ إِلَى مَلِكِ الصِّينِ، وَاهْدَى إِلَيْهِ مَعَهُ هَدَايَا، وَمَعَهُ جَوَابُ كِتَابِهِ مِنْ مَلِكِ الصِّينِ فَسَأَلُوهُ عَمَّا وَرَاءَهُ، فَقَالَ: لَمَّا قَدِمْتُ عَلَيْهِ بِالْكِتَابِ وَالْهَدَايَا كَفَانَا بِمَا تَرَوْنَ- وَأَرَاهُمْ هَدِيَّتَهُ وَأَجَابَ يَزْدَجَرْدَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِهَذَا الْكِتَابِ بَعْدَ مَا كَانَ قَالَ لِي: قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ حَقًّا عَلَى الْمُلُوكِ إِعْجَادُ الْمُلُوكِ عَلَى مَنْ غَلِبَهُمْ، فَصَفَّ لِي صِفَةَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَخْرَجُوكُمْ مِنْ بِلَادِكُمْ، فَإِنِّي أَرَاكَ تَذْكُرُ قَلَّةَ مِنْهُمْ وَكَثْرَةَ مِنْكُمْ، وَلَا يَبْلُغُ أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ الْقَلِيلِ الَّذِينَ تَصِفُ مِنْكُمْ فِيمَا أَسْمَعُ مِنْ كَثَرَتِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ عِنْدَهُمْ وَشَرِّ فَيْكُمْ، فَقُلْتُ: سَلْنِي عَمَّا أَحْبَبْتَ، فَقَالَ: أَيُفُونَ بِالْعَهْدِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: وَمَا يَقُولُونَ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَقَاتِلُوكُمْ؟ قُلْتُ: يَدْعُونَنَا إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْ ثَلَاثٍ: إِمَّا دِينَهُمْ فَإِنْ أَجَبْنَاهُمْ أَجَرُونَا مُجْرَاهُمْ، أَوْ الْجَزْيَةَ وَالْمَنَعَةَ، أَوْ الْمُنَابَذَةَ قَالَ: فَكَيْفَ طَاعَتُهُمْ أَمْرَاءَهُمْ؟ قُلْتُ: أَطُوعُ قَوْمَ لِمُرْشِدِهِمْ، قَالَ: فَمَا يَحِلُّونَ وَمَا يُحَرِّمُونَ؟

فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: أَيُحَرِّمُونَ مَا حَلَّ لَهُمْ، أَوْ يَحِلُّونَ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ؟ قُلْتُ لَا، قَالَ: فَإِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَهْلِكُونَ أَبَدًا حَتَّى يُحِلُّوا حَرَامَهُمْ وَيُحَرِّمُوا حَلَالَهُمْ ثُمَّ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ لِبَاسِهِمْ، فَأَخْبَرْتُهُ، وَعَنْ مَطَايَاهُمْ، فَقُلْتُ: اخْلِيلُ الْعَرَابِ- وَوَصَفْتُهَا- فَقَالَ: نِعْمَتِ الْحُصُونُ هَذِهِ! وَوَصَفْتُ لَهُ الْإِبِلَ وَبُرُوكَهَا وَانْبِعَاطَهَا بِحَمَلِهَا، فَقَالَ: هَذِهِ صِفَةُ دَوَابِّ طَوَالِ الْأَعْنَاقِ.

وَكَتَبَ مَعَهُ إِلَى يَزْدَجَرْدَ كِتَابًا: أَنَّهُ لَمْ يَمْنَعْني أَنْ أَبْعَثَ إِلَيْكَ بِجَيْشٍ أَوَّلُهُ بِمَرَوْ وَآخِرُهُ بِالصِّينِ الْجَهْلَةَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيَّ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ وَصَفَ لِي رَسُولُكَ صِفَتَهُمْ لَوْ يُحَاوِلُونَ الْجِبَالَ لَهْدُوها، وَلَوْ خَلَى سَرَبَهُمْ أَزَالُونِي مَا دَامُوا عَلَى مَا وَصَفَ، فَسَأَلْتُهُمْ وَارِضَ مِنْهُمْ بِالْمَسَاكِنِ، وَلَا تَهْجُمَ مَا لَمْ يُهَيِّجُوكَ وَأَقَامَ يَزْدَجَرْدُ وَآلُ كِسْرَى بِفَرَاغَةٍ، مَعَهُمْ عَهْدٌ مِنْ خَاقَانَ وَلَمَّا وَقَعَ الرَّسُولُ بِالْفَتْحِ وَالْوَفْدِ بِالْخَبَرِ وَمَعَهُمُ الْغَنَائِمُ بِعَمْرٍ مِنَ الْخَطَابِ مِنْ قَبْلِ الْأَخْنَفِ، جَمَعَ النَّاسَ وَخَطَبَهُمْ، وَأَمَرَ بِكِتَابِ الْفَتْحِ فُقِرَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَكَرَ رَسُولَهُ صَ وَمَا بَعَثَهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى، وَوَعَدَ عَلَى أَتْبَاعِهِ مِنْ عَاجِلِ الثَّوَابِ وَآجِلِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَقَالَ: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ جُنْدَهُ أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مَلِكَ الْمَجُوسِيَّةِ، وَفَرَّقَ شَمْلَهُمْ، فَلَيْسُوا يَمْلِكُونَ مِنْ بِلَادِهِمْ شَيْئًا يَضُرُّ بِمُسْلِمٍ أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ، لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ! أَلَا وَإِنَّ الْمِصْرِينَ مِنْ مَسَاحِلِهَا الْيَوْمَ كَأَنَّكُمْ وَالْمِصْرِينَ فِيمَا مَضَى مِنَ الْبُعْدِ، وَقَدْ وَغَلُوا فِي الْبِلَادِ، وَاللَّهُ بَالِغُ أَمْرِهِ، وَمُنْجِزُ وَعْدِهِ، وَمَتَّبِعُ آخِرِ ذَلِكَ أَوَّلُهُ، فَقُومُوا فِي أَمْرِهِ عَلَى رَجُلٍ يُوفِ لَكُمْ بِعَهْدِهِ، وَيُؤْتِكُمْ وَعْدَهُ، وَلَا تَبَدَّلُوا وَلَا تَغْيِرُوا، فَيَسْتَبْدِلَ اللَّهُ بِكُمْ غَيْرَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ تُؤْتَى إِلَّا مِنْ قِبَلِكُمْ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: ثُمَّ إِنَّ أَدْنَى أَهْلَ خُرَاسَانَ وَأَقَاصِيهِ اعْتَرَضُوا زَمَانَ عَثْمَانَ ابْنَ عَفَّانَ لِسَنَتَيْنِ خَلَّتَا مِنْ إِمَارَتِهِ، وَسَنَدُكُ بَقِيَّةَ خَيْرِ انْتِقَاضِهِمْ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَعَ مَقْتَلِ يَزْدَجَرْدَ.

وَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَكَانَتْ عَمَلُهُ عَلَى الْأَمْصَارِ فِيهَا عَمَلُهُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَيْهَا فِي سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ غَيْرَ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ، فَإِنَّ عَمَلَهُ عَلَى الْكُوفَةِ وَعَلَى الْأَحْدَاثِ كَانَ الْمَغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ

٤٠٨ سنه ثلاث وعشرين

٤٠٨٠١ ذكر الخبر عن فتح توج

ثلاث وعشرين

فكان فيها فتح إصطخر في قول أبي معشر، حدثني بذلك أحمد بن ثابت الرازي، قال: حدثنا محدث، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: كانت إصطخر الأولى وهذان سنة ثلاث وعشرين وقال الواقدي مثل ذلك وقال سيف: كان فتح إصطخر بعد توج الآخرة.

ذكر الخبر عن فتح توج

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، وَطَلْحَةَ وَالْمُهَلَّبِ وَعَمْرُو، قَالُوا: خرج أهل البصرة الذين وجهوا إلى فارس أمراء على فارس، ومعهم سارية بن زيم ومن بعث معهم إلى ما وراء ذلك، وأهل فارس مجتمعون بتوج، فلم يصمدوا لجمعهم بجمعهم، ولكن قصد كل أمير كورة منهم قصد إمارته وكورته التي أمر بها، وبلغ ذلك أهل فارس، فافترقوا إلى بلدانهم، كما افترق المسلمون لينعوها، وكانت تلك هزيمتهم وتشتت أمورهم وتفرق جمعهم، فتطير المشركون من ذلك، وكأنما كانوا ينظرون إلى ما صاروا إليه، فقصد مجاشع بن مسعود لسابور وأردشير خرة فيمن معه من المسلمين، فالتقوا بتوج وأهل فارس، فاقتتلوا ما شاء الله ثم إن الله عز وجل هزم أهل توج للمسلمين، وسلط عليهم المسلمين، فقتلوه كل قتلة، وبلغوا منهم ما شاءوا، وغنمهم ما في عسكرهم فخوه، وهذه توج الآخرة، ولم يكن لها بعدها شوكة، والأولى التي تنقذ فيها جنود العلاء أيام طاوس، الواقعة التي اقتتلوا فيها، والوقعتان الأولى والآخرة كلتاها متساجلتان.

ثم دعوا إلى الجزية والذمة، فراجعوا وأقروا، ونحس مجاشع الغنائم، وبعث

٤٠٨٠٢ فتح اصطخر

بها، ووفد وفدا، وقد كانت البشراء والوفود يجازون وتقضى لهم حوائجهم، لسنة جرت بذلك من رسول الله ص كتب إلى السري عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن سوقة، عن عاصم بن كليب، عن أبيه، قال: خرجنا مع مجاشع بن مسعود غازين توج، فحاصرناها، وقتلناهم ما شاء الله، فلما افتتحناها وحوينا نهبا كثيرا، وقتلنا قتلى عظيمة، وكان علي قيص قد تخرق، فأخذت إبرة وسلكا وجعلت أخيط قيصي بها ثم إني نظرت إلى رجل في القتلى عليه قيص فنزعته، فأثبت به الماء، فجعلت أضربه بين حجرين حتى ذهب ما فيه، فلبسته، فلما جمعت الرثة، قام مجاشع خطيبا، فحمد الله، وأثنى عليه، فقال: أيها الناس لا تغلوا، فإنه من غل جاء بما غل يوم القيامة ردوا ولو الخيط فلما سمعت ذلك نزع القميص فألقيته في الأنحاس فتح إصطخر

قال: وقصد عثمان بن أبي العاص لإصطخر، فالتقى هو وأهل إصطخر بجور فاقتتلوا ما شاء الله ثم إن الله عز وجل فتح لهم جور، وفتح المسلمون إصطخر، فقتلوا ما شاء الله، وأصابوا ما شاءوا، وفر من فر ثم إن عثمان دعا الناس إلى الجزاء والذمة، فراسلوه وراسلهم، فأجابته الهربذ وكل من هرب أو تنحى، فتراجعوا وباحوا بالجزاء، وقد كان عثمان لما هزم القوم جمع إليه ما أفاء الله عليهم، فخمسه، وبعث بالخمسة إلى عمر، وقسم أربعة أنحاس المغنم في الناس، وعفت الجند عن النهاب، وأدوا الأمانة، واستدقوا الدنيا لجمعهم عثمان، ثم قام فيهم، وقال: إن هذا الأمر لا يزال مقبلا، ولا يزال أهله معافين مما يكرهون، ما لم يغلوا، فإذا غلوا رأوا ما يتكرون ولم يسد الكثير مسد القليل اليوم

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي سفيان، عن الحسن، قال: قال عثمان بن أبي العاص يوم إصطخر: إن الله إذا أراد بقوم خيراً كفهم، ووفّر أمانتهم، فأحفظوها، فإن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، فإذا فقدتموها جدد لكم في كل يوم فقدان شيء من أموركم.

ثم إن شريك خلع في آخر إمارة عمر وأول إمارة عثمان، ونشط أهل فارس، ودعاهم إلى النقص، فوجه إليه عثمان بن أبي العاص ثانيه، وبعث معه جنود أمد بهم، عليهم عبيد الله بن معمر، وشبل بن معبد البجلي، فالتقوا بفارس، فقال شريك لابنه وهو في المعركة، وبينهم وبين قرية تدعى ريشهر ثلاثة فراسخ، وكان بينهم وبين قرارهم اثنا عشر فرسخاً:

يا بني، إن يكون غداؤنا؟ هاهنا أو ريشهر؟ فقال: يا أبت إن تركونا فلا يكون غداؤنا هاهنا ولا ريشهر، ولا يكون إلا في المنزل، ولكن والله ما أراهم يتركوننا فما فرغاً من كلامهما حتى أنشب المسلمون القتال، فاقتتلوا قتالاً شديداً، قتل فيه شريك وابنه، وقتل الله جل وعزّ منهم مقتلة عظيمة وولي قتل شريك الحكم بن أبي العاص بن بشر بن دهمان، أخو عثمان.

وأما أبو معشر فإنه قال: كانت فارس الأولى وإصطخر الآخرة في سنة ثمان وعشرين قال: وكانت فارس الآخرة وجور سنة تسع وعشرين، حدثني بذلك أحمد بن ثابت الرازي، قال: حدثني من سمع إسحاق بن عيسى، يذكر ذلك عن أبي معشر وحدثني عبد الله بن أحمد بن شويه المروزي، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا سليمان بن صالح، قال: حدثني عبيد الله، قال: أخبرنا عبيد الله بن سليمان، قال: كان عثمان بن أبي العاص أرسل إلى البحرين، فأرسل أخاه الحكم بن أبي العاص في ألفين إلى توج، وكان كسرى قد فر عن المدائن، ولحق بجور من فارس.

قال: لحدثني زياد مولى الحكم بن أبي العاص، عن الحكم بن أبي العاص، قال: قصد إلي شريك - قال عبيد: وكان كسرى أرسله - قال الحكم: فصعد إلي في الجنود فهبطوا من عقبه، عليهم الحديد، فخشيت

أن تعشوا أبصار الناس، فأمرت منادياً، فنادى أن من كان عليه عمامة فليلفها على عينيه، ومن لم يكن عليه عمامة فليغمض بصره، وناديت أن حطوا عن دوابكم فلما رأى شريك ذلك حط أيضاً ثم ناديت: أن اركبوا، فصفنا لهم وركبوا، فجعلت الجارود العبدى على الميمنة وأبا صفرة على الميسرة - يعني أبا المهلب - فحملوا على المسلمين فهزموهم، حتى ما أسمع لهم صوتاً، فقال لي الجارود: أيها الأمير، ذهب الجند، فقلت: إنك ستري أمرك، فما لبثنا أن رجعت خيلهم، ليس عليها فرسانها، والمسلمون يتبعونهم يقتلونهم، فنثرت الرؤوس بين يدي، ومعى بعض ملوكهم - يقال له المكعب، فارق كسرى ولحق بي - فأتيت برأس ضخم، فقال المكعب: هذا رأس الأزدهاق - يعني شريك - فحوصروا في مدينة سابور، فصالحهم - وملكهم أذربيان - فاستعان الحكم بأذربيان على قتال أهل إصطخر، ومات عمر رضي الله عنه، فبعث عثمان عبيد الله بن معمر مكانه، فبلغ عبيد الله أن أذربيان يريد أن يغدر بهم، فقال له: إني أحب أن تتخذ لأصحابي طعاماً، وتذبح لهم بقرة، وتجعل عظامها في الجفنة التي تليني، فإني أحب أن أتمشش العظام ففعل، فجعل يأخذ العظم الذي لا يكسر إلا بالفتوس، فكسره بيده، فيتمخحه - وكان من أشد الناس - فقام الملك، فأخذ برجله، وقال: هذا مقام العائد فأعطاه عهداً، فاصابت عبيد الله منجنيقه، فأوصاهم، فقال: إنكم ستفتحون هذه المدينة إن شاء الله فاقتلوهم بي فيها ساعة ففعلوا فقتلوا منهم بشراً كثيراً.

وكان عثمان بن أبي العاص لحق الحكم، وقد هزم شريك، فكتب إلى عمر: أن بيني وبين الكوفة فرجة أخاف أن يأتييني العدو منها وكتب صاحب الكوفة بمثل ذلك: إن بيني وبين كذا فرجة فاتفق عنده الكتابان، فبعث أبا موسى في سبعمائة، فانزلهم البصرة

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو، قالوا: وقصد ساريه بن زعيم، فسا ودارا مجرد، حتى انتهى إلى عسكرهم، فنزل عليهم وحاصرهم ما شاء الله ثم إنهم استمدوا، فتجمعوا وتجمعت إليهم أكراد فارس، فدهم المسلمين أمر عظيم، وجمع كثير، فرأى عمر في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم في ساعة من النهار، فنادى من الغد: الصلاة جامعة! حتى إذا كان في الساعة التي رأى فيها ما رأى خرج إليهم، وكان أريهم والمسلمون بصحراء، إن أقاموا فيها أحيط بهم، وإن أروا إلى جبل من خلفهم لم يؤثوا إلا من وجه واحد ثم قام فقال:

يأيها الناس، إني رأيت هذين الجمعين - وأخبر بحالهما - ثم قال: يا سارية، الجبل، الجبل! ثم أقبل عليهم، وقال: إن الله جنودا، ولعل بعضها أن يبلغهم، ولما كانت تلك الساعة من ذلك اليوم أجمع سارية والمسلمون على الإسناد إلى الجبل، ففعلوا وقاتلوا القوم من وجه واحد، فهزمهم الله لهم، وكتبوا بذلك إلى عمر واستيلائهم على البلد ودعاء أهله وتسكينهم.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي عُمَرَ دِثَارِ بْنِ أَبِي شَيْبٍ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ وَأَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي مَازِنٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ قَدْ بَعَثَ سَارِيَةَ بْنَ زَيْمٍ الدَّوْلِيَّ إِلَى فِسا وَدَارِ الْجَرْدِ، فَحَاصَرَهُمْ ثُمَّ إِنَّهُمْ تَدَاعَوْا فَأَصْحَرُوا لَهُ، وَكَثُرُوا فَاتَوْهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَقَالَ عُمَرُ وَهُوَ يَخْطُبُ فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ: يَا سَارِيَةَ بْنَ زَيْمٍ، الْجَبَلُ، الْجَبَلُ! وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالِي جَنْبِ الْمُسْلِمِينَ جَبَلٌ، إِنْ لَجَّوْا إِلَيْهِ لَمْ يُؤْثُوا إِلَّا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ، فَلَجَّوْا إِلَى الْجَبَلِ، ثُمَّ قَاتَلُوهُمْ فَهَزَمُوهُمْ، فَأَصَابَ مَغَانِمُهُمْ، وَأَصَابَ فِي الْمَغَانِمِ سَفْطًا فِيهِ جَوْهَرٌ، فَاسْتَوْبَهَ الْمُسْلِمِينَ لِعَمْرٍو، فَوَهَبَهُ لَهُ،

فَبَعَثَ بِهِ مَعَ رَجُلٍ، وَبِالْفَتْحِ وَكَانَ الرُّسُلُ وَالْوَفْدُ يَجَازُونَ وَتَقَضَى لَهُمْ حَوَائِجُهُمْ، فَقَالَ لَهُ سَارِيَةُ: اسْتَقْرِضْ مَا تَبْلُغُ بِهِ وَمَا تُخْلِفُهُ لِأَهْلِكَ عَلَى جَائِزَتِكَ فَقَدِمَ الرَّجُلُ الْبَصْرَةَ، فَفَعَلَ، ثُمَّ خَرَجَ فَقَدِمَ عَلَى عُمَرَ، فَوَجَدَهُ يَطْعُمُ النَّاسَ، وَمَعَهُ عَصَاهُ الَّتِي يَزْجُرُ بِهَا بَعِيرَهُ، فَقَصَدَ لَهُ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِهَا، فَقَالَ: اجْلِسْ، فَجَلَسَ حَتَّى إِذَا أَكَلَ الْقَوْمُ انصَرَفَ عُمَرُ، وَقَامَ فَاتَّبَعَهُ، فَظَنَّ عُمَرُ أَنَّهُ رَجُلٌ لَمْ يَشْبَعْ، فَقَالَ حِينَ انْتَهَى إِلَى بَابِ دَارِهِ: ادْخُلْ - وَقَدْ أَمَرَ الْخَبَّازُ أَنْ يَذْهَبَ بِالْخُوانِ إِلَى مَطْبَخِ الْمُسْلِمِينَ - فَلَمَّا جَلَسَ فِي الْبَيْتِ أَتَى بِغَدَائِهِ خُبْزٌ وَزَيْتٌ وَمِلْحٌ جَرِيشٌ، فَوَضَعَ وَقَالَ:

أَلَا تَخْرُجِينَ يَا هَذِهِ فَتَأْكُلِينَ؟ قَالَتْ: إِنِّي لَأَسْعُ حَسَّ رَجُلٍ، فَقَالَ: أَجَلْ، فَقَالَتْ: لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَبْرَزَ لِلرِّجَالِ اشْتَرَيْتِ لِي غَيْرَ هَذِهِ الْكِسْوَةِ، فَقَالَ:

أَوْ مَا تَرْضِينَ أَنْ يُقَالَ: أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عَلِيٍّ وَامْرَأَةُ عُمَرَ! فَقَالَتْ: مَا أَقَلَّ غِنَاءَ ذَلِكَ عَنِّي! ثُمَّ قَالَ لِلرَّجُلِ: ادْنُ فَكُلْ، فَلَوْ كَانَتْ رَاضِيَةً لَكَانَ أَطْيَبَ مِمَّا تَرَى، فَأَكَلَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ قَالَ: رَسُولُ سَارِيَةَ بْنِ زَيْمٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

فَقَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، ثُمَّ أَدْنَاهُ حَتَّى مَسَّتْ رُكْبَتَهُ رُكْبَتَهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ سَارِيَةَ بْنِ زَيْمٍ، فَخَبَرَهُ، ثُمَّ أَخْبَرَهُ بِقِصَّةِ الدَّرَجِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ صَاحَ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَا وَلَا كَرَامَةٍ حَتَّى تَقْدِمَ عَلَى ذَلِكَ الْجَنْدِ فَتَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ فَطَرَدَهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي قَدْ أَنْصَيْتُ إِبِلِي وَاسْتَقْرِضْتُ فِي جَائِزَتِي، فَأَعْطَنِي مَا أَتَبَلَّغُ بِهِ، فَمَا زَالَ عَنْهُ حَتَّى أَبْدَلَهُ بَعِيرًا بِبَعِيرِهِ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ، وَأَخَذَ بَعِيرَهُ فَأَدْخَلَهُ فِي إِبِلِ الصَّدَقَةِ، وَرَجَعَ الرَّسُولُ مَغْضُوبًا عَلَيْهِ مُحْرَمًا حَتَّى قَدِمَ الْبَصْرَةَ، فَفَعَلَ لَأَمْرِ عُمَرَ، وَقَدْ كَانَ سَأَلَهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَنْ سَارِيَةَ، وَعَنِ الْفَتْحِ وَهَلْ سَمِعُوا شَيْئًا يَوْمَ الْوَقْعَةِ؟ فَقَالَ:

نَعَمْ، سَمِعْنَا: يَا سَارِيَةَ، الْجَبَلُ، وَقَدْ كَدْنَا نَهْلُكُ، فَلَجَّأْنَا إِلَيْهِ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ سَيْفٍ، عَنِ الْمَجَالِدِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، مِثْلَ حَدِيثِ عَمْرٍو

٤٠٨٠٤ ذكر فتح كرمان

٤٠٨٠٥ ذكر فتح سجستان

ذكر فتح كرمان

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَالْمُهَلَّبِ وَعُمَرُو، قَالُوا: وَقَصِدَ سَهِيلُ بْنُ عَدِيٍّ إِلَى كَرْمَانَ، وَلَحِقَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتْبَانَ، وَعَلَى مَقْدَمَةِ سَهِيلِ بْنِ عَدِيٍّ النَّسِيرُ بْنُ عَمْرِو الْعَجَلِي، وَقَدْ حَشَدَ لَهُ أَهْلُ كَرْمَانَ، وَاسْتَعَانُوا بِالْقَفْسِ، فَاقْتَتَلُوا فِي أَدْنَى أَرْضِهِمْ، فَفَضَّهِمُ اللَّهُ، فَأَخَذُوا عَلَيْهِمُ بِالطَّرِيقِ، وَقَتَلَ النَّسِيرُ مَرْزَبَانَهَا، فَدَخَلَ سَهِيلُ مِنْ قَبْلِ طَرِيقِ الْقَرْيَةِ الْيَوْمَ إِلَى جَبْرِفَتْ، وَعَبَدَ اللَّهُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ مَفَازَةِ شِيرٍ، فَأَصَابُوا مَا شَاءُوا مِنْ بَعِيرٍ أَوْ شَاءَ، فَقَوْمُوا الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ فَتَحَاصُّوهُمَا بِالْأَثْمَانِ لِعَظَمِ الْبَحْتِ عَلَى الْعَرَابِ، وَكَرَهُوا أَنْ يَزِيدُوا، وَكَتَبُوا إِلَى عَمْرِو، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ: إِنَّ الْبَعِيرَ الْعَرَبِيَّ إِنَّمَا قَوْمٌ بِتَعْيِيرِ اللَّحْمِ، وَذَلِكَ مِثْلُهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ أَنَّ فِي الْبَحْتِ فَضْلًا فَزِيدُوا فَإِنَّمَا هِيَ مِنْ قِيَمِهِ.

وَأَمَّا الْمَدَائِنِيُّ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ مُجَاهِدٍ أَخْبَرَهُ عَنْ حَنْبَلِ بْنِ أَبِي حَرِيدَةَ - وَكَانَ قَاضِي قَهْستَانِ - عَنْ مَرْزَبَانَ قَهْستَانِ، قَالَ: فَتَحَ كَرْمَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَدِيلِ بْنِ وَرْقَاءٍ الْخَزَاعِيُّ فِي خِلَافَةِ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ، ثُمَّ أَتَى الطَّبْسِينَ مِنْ كَرْمَانَ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَى عَمْرِو، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي افْتَتَحْتُ الطَّبْسِينَ فَأَقْطَعْنِيهِمَا، فَأَرَادَ أَنْ يَفْعَلَ، فَقِيلَ لِعَمْرِو: إِنَّهُمَا رَسْتَاقَانِ عَظِيمَانِ، فَلَمْ يَقْطَعْهُمَا، وَهُمَا بَابَا خِرَاسَانَ.

ذكر فتح سجستان

قَالُوا: وَقَصِدَ عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو لِسَجْستَانِ، وَلَحِقَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو، فَاسْتَقْبَلُوهُمْ فَالْتَقَوْا هُمْ وَأَهْلُ سَجْستَانِ فِي أَدْنَى أَرْضِهِمْ، فَهَزَمُوهُمْ ثُمَّ أَتَبَعُوهُمْ، حَتَّى حَصَرُوهُمْ بِزَرْجِ، وَمَخَرُّوا أَرْضَ سَجْستَانِ مَا شَاءُوا ثُمَّ إِنَّهُمْ طَلَبُوا الصَّلَاحَ عَلَى زَرْجِ وَمَا احْتَازُوا مِنَ الْأَرْضِينَ، فَأَعْطَوْهُ، وَكَانُوا قَدْ اشْتَرَطُوا فِي صَلَاحِهِمْ أَنْ فِدَا فِدَاهَا حَمِي، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِذَا خَرَجُوا تَنَازَرُوا خَشِيَةً

٤٠٨٠٦ فتح مكران

أَنْ يَصِيبُوا مِنْهَا شَيْئًا، فَيَخْفِرُوا فَتَمَّ أَهْلُ سَجْستَانِ عَلَى الْخَرَاجِ وَالْمُسْلِمُونَ عَلَى الْإِعْطَاءِ، فَكَانَتْ سَجْستَانُ أَعْظَمَ مِنْ خِرَاسَانَ، وَأَبْعَدَ فُرُوجًا، يَقَاتِلُونَ الْقَنْدَهَارَ وَالتُّرْكَ وَأَمَّا كَثِيرَةٌ، وَكَانَتْ فِيهَا بَيْنَ السُّنْدِ إِلَى نَهْرِ بَلْخَ بِجِيَالِهِ، فَلَمْ تَزَلْ أَعْظَمَ الْبُلْدِينَ، وَأَصْعَبَ الْفُرْجِينَ، وَأَكْثَرَهُمَا عِدْدًا وَجُنْدًا، حَتَّى زَمَانَ مَعَاوِيَةَ، فَهَرَبَ الشَّاهُ مِنْ أَخِيهِ - وَاسِمُ أَخِي الشَّاهِ يَوْمُئِذٍ رَتْبِيلُ - إِلَى بَلَدٍ فِيهَا يَدْعَى آمَلُ، وَدَانُوا لِسَلْمِ بْنِ زِيَادٍ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ عَلَى سَجْستَانِ، فَفَرَحَ بِذَلِكَ وَعَقَدَ لَهُمْ، وَأَنْزَلَهُمْ بِتِلْكَ الْبِلَادِ، وَكَتَبَ إِلَى مَعَاوِيَةَ بِذَلِكَ يَرِي أَنَّهُ قَدْ فَتَحَ عَلَيْهِ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ: إِنَّ ابْنَ أَخِي لِيَفْرَحَ بِأَمْرِ إِنَّهُ لِيَحْزَنِي وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَحْزَنَهُ، قَالُوا: وَلَمْ يَأْمُرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: لِأَنَّ آمَلَ بَلَدَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَرْجِ صَعُوبَةٌ وَتَضَاقِيْقٌ، وَهَؤُلَاءِ قَوْمٌ نَكَرَ غَدْرُ، فَيُضْطَرُّبُ الْحَبْلُ غَدَاً، فَأَهْوَنُ مَا يَجِيءُ مِنْهُمْ أَنْ يَغْلِبُوا عَلَى بِلَادِ آمَلٍ بِأَسْرَها وَتَمَّ لَهُمْ عَلَى عَهْدِ ابْنِ زِيَادٍ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بَعْدَ مَعَاوِيَةَ كَفَرَ الشَّاهُ، وَغَلَبَ عَلَى آمَلٍ، وَخَافَ رَتْبِيلُ الشَّاهَ فَاعْتَصَمَ مِنْهُ بِمَكَانِهِ الَّذِي هُوَ بِهِ الْيَوْمَ، وَلَمْ يَرْضَهُ ذَلِكَ حِينَ تَشَاغَلَ النَّاسُ عَنْهُ حَتَّى طَمَعَ فِي زَرْجِ، فَغَزَاهَا فَحَصَرَهُمْ حَتَّى أَتَتْهُمْ الْأُمْدَادُ مِنَ الْبَصْرَةِ، فَصَارَ رَتْبِيلُ وَالَّذِينَ جَاءُوا مَعَهُ، فَزَلُّوا تِلْكَ الْبِلَادَ شَجَا لَمْ يَنْتَزِعْ إِلَى الْيَوْمِ، وَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ الْبِلَادُ مَذْلَلَةً إِلَى أَنْ مَاتَ مَعَاوِيَةُ

فتح مكران

قَالُوا: وَقَصِدَ الْحَكَمُ بْنُ عَمْرِو التَّغْلِي لِمَكْرَانَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهَا، وَلَحِقَ بِهِ شَهَابُ بْنُ الْخَارِقِ بْنُ شَهَابٍ، فَانْضَمَّ إِلَيْهِ، وَأَمَدَهُ سَهِيلُ بْنُ عَدِيٍّ، وَعَبَدَ اللَّهُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتْبَانَ بِأَنْفُسِهِمَا، فَانْتَهَوْا إِلَى دَوِينِ النَّهْرِ، وَقَدْ انْفَضَّ أَهْلُ مَكْرَانَ إِلَيْهِ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى شَاطِئِهِ، فَعَسَكُرُوا، وَعَبَّرَ إِلَيْهِمْ رَاسِلُ مَلِكِهِمُ الْمَلِكُ السُّنْدِ، فَازْدَلَفَ بِهِمْ مُسْتَقْبِلَ الْمُسْلِمِينَ.

فَالْتَقَوْا فَاقْتَتَلُوا بِمَكَانٍ مِنْ مَكْرَانَ مِنَ النَّهْرِ عَلَى أَيَّامٍ، بَعْدَ مَا كَانَ

قَدْ انْتَهَى إِلَيْهِ أَوَائِلُهُمْ، وَعَسَكُرُوا بِهِ لِيَلْحَقَ أَخْرَاهُمْ، فَهَزَمَ اللَّهُ رَاسِلَ وَسُلْبَهُ، وَأَبَاحَ الْمُسْلِمِينَ عَسْكَرَهُ، وَقَتَلُوا فِي الْمَعْرَكَةِ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً،

وأتبعوهم يقتلونهم أياما، حتى انتهوا إلى النهر ثم رجعوا فأقاموا بمكران.

وكتب الحكم إلى عمر بالفتح، وبعث بالأحماس مع صحار العبدى، واستأمره في الفيلة، فقدم صحار على عمر بالخبر والمغانم، فسأله عمر عن مكران- وكان لا يأتيه أحد إلا سأله عن الوجه الذي يجيء منه- فقال: يا أمير المؤمنين، أرض سهلها جبل، وماؤها وشل، وتمرها دقل، وعدوها بطل، وخبرها قليل، وشرها طويل، والكثير بها قليل، والقليل بها ضائع، وما وراءها شر منها فقال: أنبجاع أنت أم مخبر؟ قال: لا بل مخبر، قال: لا، والله لا يغزوها جيش لي ما أطعت، وكتب إلى الحكم بن عمرو وإلى سهيل ألا يجوزن مكران أحد من جنودكم، واقتصرا على ما دون النهر، وأمره ببيع الفيلة بأرض الإسلام، وقسم أثمنها على من أفاءها الله عليه.

وقال الحكم بن عمرو في ذلك:

لقد شبع الأرامل غير نخر ... بفيء جاءهم من مكران
أثامهم بعد مسغبة وجهد ... وقد صفر الشتاء من الدخان
فإني لا يذم الجيش فعلي ... ولا سيفي يذم ولا سناني

٤٠٨٧ خبر بيروز من الأهواز

غداة أدفع الأوباش دفعا ... إلى السند العريضة والمداني
ومهران لنا فيما أردنا ... مطيع غير مسترخي العنان
فلولا ما نهى عنه أميري ... قطعناه إلى البدد الزواني

خبر بيروز من الأهواز

قالوا: ولما فصلت الخيول إلى الكور اجتمع بيروز جمع عظيم من الأكراد وغيرهم، وكان عمر قد عهد إلى أبي موسى حين سارت الجنود إلى الكور أن يسير حتى ينتهي إلى ذمة البصرة، كي لا يؤتى المسلمون من خلفهم، وخشي أن يستلحم بعض جنوده أو ينقطع منهم طرف، أو يخلفوا في أعقابهم، فكان الذي حذر من اجتماع أهل بيروز، وقد أبطأ أبو موسى حتى تجمعوا، فخرج أبو موسى حتى ينزل بيروز على الجمع الذي تجمعوا بها في رمضان، فالتقوا بين نهر تيرى ومناذر، وقد توافى إليها أهل النجدات من أهل فارس والأكراد، ليكيدوا المسلمين، وليصيبوا منهم عورة، ولم يشكوا في واحده من اثنتين فقام المهاجرين زياد وقد تحنط واستقتل، فقال لأبي موسى: أقم على كل صائم لما رجع فأفطر فرجع أخوه فيمن رجع لإبرار القسم، وإنما أراد بذلك توجيه أخيه عنه لئلا يمنعه من الاستقتال، وتقدم فقاتل حتى قتل، ووهن الله المشركين حتى تحصنوا في قلة وذلة، وأقبل أخوه الربيع، فقال: هيئ يا والى الدنيا، واشتد جزعه عليه، فرق أبو موسى للربيع للذي رآه دخله من مصاب أخيه، نخلفه عليهم في جند، وخرج أبو موسى حتى بلغ إصبهان، فلقى بها جنود أهل الكوفة محاصري جي، ثم انصرف إلى البصرة، بعد

ظفر الجنود، وقد فتح الله على الربيع بن زياد أهل بيروز من نهر تيرى، وأخذ ما كان معهم من السبي، فتنقى أبو موسى رجالا منهم ممن كان لهم فداء- وقد كان الفداء أرد على المسلمين من أعيانهم وقيمتهم فيما بينهم- ووفد الوفود والأحماس، فقام رجل من عنزة فاستوفده، فأبى، فخرج فسعى به فاستجلبه عمر، وجمع بينهما فوجد أبا موسى أعذر إلا في أمر خادمه، فضعفه فرده إلى عمله، وفجر الآخر، وتقدم إليه في ألا يعود لمثلها.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة والمهلب وعمرو، قالوا: لما رجع أبو موسى عن إصبهان بعد دخول الجنود الكور، وقد هزم الربيع أهل بيروز، وجمع السبي والأموال، فغدا على ستين غلاما من أبناء الدهاقين تنقاهم وعزلهم، وبعث بالفتح إلى عمر، ووفد وفدا لجاءه رجل من عنزة، فقال: اكتبني في الوفد، فقال: قد كتبنا من هو أحق منك، فانطلق مغاضبا مراغما، وكتب أبو موسى إلى عمر: إن رجلا من عنزة يقال له ضبة بن محصن، كان من أمره وقص قصته.

فلما قدم الكتاب والوفد والفتح على عمر قدم العنزي فأتى عمر فسلم عليه، فقال: من أنت؟ فأخبره، فقال: لا مرحبا ولا أهلا! فقال:

أما المرحب فمن الله، وأما الأهل فلا أهل، فاختلف إليه ثلاثا، يقول له هذا ويرد عليه هذا، حتى إذا كان في اليوم الرابع، دخل عليه، فقال: ماذا نعمت على أميرك؟ قال: تنقي ستين غلاما من أبناء الدهاقين لنفسه، وله جارية تدعى عقيلة، تغدى جفنة وتعشى جفنة، وليس منا رجل يقدر على ذلك، وله قفيزان، وله خاتمان، وفوض الى زياد ابن أبي سفيان- وكان زياد يلي أمور البصرة- وأجاز الحطيئة بألف.

فكتب عمر كل ما قال

فبعث إلى أبي موسى، فلما قدم حجه أياما، ثم دعا به، ودعا ضبة بن محصن، ودفع إليه الكتاب، فقال: اقرأ ما كتبت، فقرأ: أخذ ستين غلاما لنفسه فقال أبو موسى: دلت عليهم وكان لهم فداء فقديتهم، فأخذته فقسّمته بين المسلمين، فقال ضبة: والله ما كذب ولا كذبت، وقال: له قفيزان، فقال أبو موسى: قفيز لأهلي أقوتهم، وقفيز للمسلمين في أيديهم، يأخذون به أرزاقهم، فقال ضبة: والله ما كذب ولا كذبت، فلما ذكر عقيلة سكت أبو موسى ولم يعتذر، وعلم أن ضبة قد صدقه قال: وزياذ يلي أمور الناس ولا يعرف هذا ما يلي، قال: وجدت له نبلا ورأيا، فأسندت إليه عملي.

قال: وأجاز الحطيئة بألف، قال: سددت قه بمالي أن يشتني، فقال: قد فعلت ما فعلت فردّه عمر وقال: إذا قدمت فأرسل إلي زيادا وعقيلة، ففعل، فقدمت عقيلة قبل زياد، وقدم زياد فقام بالباب، فخرج عمر وزياذ بالباب قائم، وعليه ثياب بياض كنان، فقال له: ما هذه الثياب؟ فأخبره، فقال: كم أثمانها؟ فأخبره بشيء يسير، وصدقه، فقال له: كم عطاؤك؟ قال ألفان، قال: ما صنعت في أول عطاء خرج لك؟ قال: اشتريت والدتي فأعتقتها، واشتريت في الثاني ربيبي عبدا فأعتقته، فقال: وفقت، وسأله عن الفرائض والسنن والقرآن، فوجده فقيها فردّه، وأمر أمراء البصرة أن يشربوا برأيه، وحبس عقيلة بالمدينة وقال عمر: ألا إن ضبة العنزي غضب على أبي موسى في الحق أن أصابه، وفارقه مراغما أن فاته أمر من أمور الدنيا، فصدق عليه وكذب، فأفسد كذبه صدقه، فإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى النار وكان الحطيئة قد لقيه فأجازه في غزاة بيروذ، وكان أبو موسى قد ابتداء حصارهم وغزاتهم حتى فلهم، ثم جازهم ووكل بهم الربيع، ثم

٤٠٨٠٨ ذكر خبر سلمه بن قيس الأشجعي والأكراد

رجع إليهم بعد الفتح فولي القسم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عمرو، عن الحسن، عن أسيد بن المششم بن أخي الأحنف بن قيس، قال: شهدت مع أبي موسى يوم إصبعان فتح القرى، وعليها عبد الله بن ورقاء الرياحي وعبد الله بن ورقاء الأسدي ثم إن أبا موسى صرف إلى الكوفة، واستعمل على البصرة عمر بن سراقه الخزومي، بدوي.

ثم إن أبا موسى رد على البصرة، فمات عمر وأبو موسى على البصرة على صلاتها، وكان عملها مفترقا غير مجموع، وكان عمر ربما بعث إليه فأمد به بعض الجنود، فيكون مددا لبعض الجيوش

ذكر خبر سلمة بن قيس الأشجعي والأكراد

حدثني عبد الله بن كثير العبدي، قال: حدثنا جعفر بن عون، قال: أخبرنا أبو جناب، قال: حدثنا أبو المحجل الرديني، عن مَخْلَدِ الْبَكْرِيِّ وَعَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بَرِيْدَةَ، أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ إِذَا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَيْشٌ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ أَمَرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَيْشٌ، فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ سَلْمَةَ بْنَ قَيْسٍ الْأَشْجَعِيَّ فَقَالَ: سِرْ بِاسْمِ اللَّهِ، قَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ عَدُوَّكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُوهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: ادْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَاخْتَارُوا دَارَهُمْ فَعَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمُ الزَّكَاةُ، وَلَيْسَ لَهُمْ فِي فِيءِ الْمُسْلِمِينَ نَصِيبٌ، وَإِنْ اخْتَارُوا أَنْ يَكُونُوا مَعَكُمْ فَلَهُمْ مِثْلُ الَّذِي لَكُمْ، وَعَلَيْهِمْ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْكُمْ، فَإِنْ أَبَوْا فَادْعُوهُمْ إِلَى الْخُرَاجِ، فَإِنْ أَقْرَأُوا بِالْخُرَاجِ فَقَاتِلُوا عَدُوَّهُمْ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَفَرِّغُوهُمْ لِحُرَاجِهِمْ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ فَوْقَ طَاقَتِهِمْ، فَإِنْ

أَبَوْا فَقَاتِلُوهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ، فَإِنْ تَحَصَّنُوا مِنْكُمْ فِي حِصْنٍ فَسَأَلُوكُمْ أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَحُكْمِ رَسُولِهِ، فَلَا تَنْزِلُوهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ مَا حُكْمُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِيهِمْ! وَإِنْ سَأَلُوكُمْ أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى ذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ فَلَا تُعْطُوهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَأَعْطُوهُمْ ذِمَّةَ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَلَا تَغْلُوا وَلَا تَغْدُرُوا وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا قَالَ سَلَمَةُ: فَبَرْنَا حَتَّى لَقِينَا عَدُوَّنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَدَعَوْنَاهُمْ إِلَى مَا أَمَرَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَأَبَوْا أَنْ يُسَلِّمُوا، فَدَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْخُرَاجِ فَأَبَوْا أَنْ يَقْرُوا، فَقَاتَلْنَاهُمْ فَفَضَرْنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَقَتَلْنَا الْمُقَاتِلَةَ، وَسَبَيْنَا الذَّرِيَّةَ، وَجَمَعْنَا الرِّثَةَ، فَرَأَى سَلَمَةُ بْنُ قَيْسٍ شَيْئًا مِنْ حَلِيَّةٍ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَا يَبْلُغُ فِيكُمْ شَيْئًا، فَتَطِيبْ أَنْفُسَكُمْ أَنْ نَبْعَثَ بِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ لَهُ بُرْدًا وَمِثْلَهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَدْ طَابَتْ أَنْفُسُنَا قَالَ: فَعَلَّ تِلْكَ الْحَلِيَّةَ فِي سَفَطٍ، ثُمَّ بَعَثَ بِرَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَقَالَ: ارْكَبْ بِهَا، فَإِذَا آتَيْتَ الْبَصْرَةَ فَاشْتَرِ عَلَى جَوَازِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَاكِحَتَيْنِ، فَأَوْقِرْهُمَا زَادًا لَكَ وَلِغَلَامِكَ، ثُمَّ سِرْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: فَفَعَلْتُ، فَأَتَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ يَغْدِي النَّاسَ مُتَّكِّيًا عَلَى عَصَا كَمَا يَصْنَعُ الرَّاعِي وَهُوَ يَدُورُ عَلَى الْقِصَاعِ، يَقُولُ: يَا يَرْفَأُ، زِدْ هَوْلًا لِحِمَا، زِدْ هَوْلًا خُبْرًا، زِدْ هَوْلًا مَرْقَةً، فَلَمَّا دَفَعَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: اجْلِسْ، فَجَلَسْتُ فِي أَدْنَى النَّاسِ، فَإِذَا طَعَامٌ فِيهِ خُشُونَةٌ طَعَامِي، الَّذِي مَعِيَ أَطِيبُ مِنْهُ فَلَمَّا فَرَّغَ النَّاسُ مِنْ قِصَاعِهِمْ قَالَ: يَا يَرْفَأُ، ارْفَعْ قِصَاعَكَ ثُمَّ ادْبِرْ، فَاتَّبَعْتُهُ فَدَخَلَ دَارًا، ثُمَّ دَخَلَ حِجْرَةً، فَاسْتَأْذَنْتُ وَسَلَّمْتُ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى مَسِجٍ مُتَّكِيًا عَلَى وِسَادَتَيْنِ مِنْ أَدَمٍ مَحْشُوتَيْنِ لِيْنَا، فَنَبَذَ إِلَيَّ بِأَحَدَاهُمَا، فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا، وَإِذَا بِهِ فِي صِفَّةٍ فِيهَا بَيْتٌ عَلَيْهِ سَتِيرٌ، فَقَالَ: يَا أُمَّ كُلْثُومُ، غَدَاءَنَا! فَأَخْرَجَتْ إِلَيْهِ خُبْزَةً بَزَيْتٍ فِي عَرَضِهَا مِلْحٌ لَمْ يَدُقْ، فَقَالَ: يَا أُمَّ كُلْثُومُ، أَلَا تَخْرُجِينَ إِلَيْنَا تَأْكُلِينَ مَعَنَا مِنْ هَذَا؟ قَالَتْ: إِنِّي أَسْمَعُ عِنْدَكَ حِسَّ رَجُلٍ،

قَالَ: نَعَمْ وَلَا أَرَاهُ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ- قَالَ: فَذَلِكَ حِينَ عَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْنِي- قَالَتْ: لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَخْرَجَ إِلَى الرِّجَالِ لَكَسَوْتَنِي كَمَا كَسَا ابْنُ جَعْفَرٍ امْرَأَتَهُ، وَكَمَا كَسَا الزُّبَيْرُ امْرَأَتَهُ، وَكَمَا كَسَا طَلْحَةُ امْرَأَتَهُ! قَالَ: أَوْ مَا يَكْفِيكَ أَنْ يَقَالَ: أُمُّ كُلْثُومُ بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَامْرَأَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ! فَقَالَ:

كُلْ، فَلَوْ كَانَتْ رَاضِيَةً لِأَطْعَمَتِكَ أَطِيبَ مِنْ هَذَا قَالَ: فَأَكَلْتُ قَلِيلًا- وَطَعَامِي الَّذِي مَعِيَ أَطِيبُ مِنْهُ- وَأَكَلْ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ أَكْلًا مِنْهُ مَا يَتَلَبَّسُ طَعَامُهُ بِيَدِهِ وَلَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: اسْقُونَا، فَجَاءُوا بِعَسٍّ مِنْ سُلْتٍ فَقَالَ: أَعْطِ الرَّجُلَ، قَالَ: فَشَرِبْتُ قَلِيلًا، سُوَيْقِي الَّذِي مَعِيَ أَطِيبُ مِنْهُ، ثُمَّ أَخَذَهُ فَشَرِبَهُ حَتَّى قَرَعَ الْقَدَحُ جَبْهَتَهُ، وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا فَأَشْبَعَنَا، وَسَقَانَا فَأَرْوَانَا قَالَ: قُلْتُ: قَدْ أَكَلْتُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَشَبِعَ، وَشَرِبْتُ فَرَوَى، حَاجَتِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! قَالَ: وَمَا حَاجَتُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنَا رَسُولُ سَلَمَةَ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: مَرْحَبًا بِسَلَمَةَ بْنِ قَيْسٍ وَرَسُولِهِ، حَدِّثْنِي عَنِ الْمُهَاجِرِينَ كَيْفَ هُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: هُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا تُحِبُّ مِنَ السَّلَامَةِ وَالظَّفَرِ عَلَى عَدُوِّهِمْ قَالَ: كَيْفَ أَسْعَارُهُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ:

أَرْخَصُ أَسْعَارُ قَالَ: كَيْفَ اللَّحْمُ فِيهِمْ فَإِنَّهَا شَجَرَةُ الْعَرَبِ وَلَا تَصْلُحُ الْعَرَبُ إِلَّا بِشَجَرَتِهَا؟ قَالَ: قُلْتُ: الْبَقَرَةُ فِيهِمْ بِكَذَا، وَالشَّاةُ فِيهِمْ بِكَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، سِرْنَا حَتَّى لَقِينَا عَدُوَّنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَدَعَوْنَاهُمْ إِلَى مَا أَمَرْنَا بِهِ مِنَ الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا، فَدَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْخُرَاجِ فَأَبَوْا، فَقَاتَلْنَاهُمْ فَفَضَرْنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَقَتَلْنَا الْمُقَاتِلَةَ، وَسَبَيْنَا الذَّرِيَّةَ، وَجَمَعْنَا الرِّثَةَ، فَرَأَى سَلَمَةُ فِي الرِّثَةِ حَلِيَّةً، فَقَالَ لِلنَّاسِ: إِنَّ هَذَا لَا يَبْلُغُ فِيكُمْ شَيْئًا، فَتَطِيبْ أَنْفُسَكُمْ أَنْ أَبْعَثَ بِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ فَاسْتَخْرَجْتُ سَفَطِي، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى تِلْكَ الْفُصُوصِ مِنْ بَيْنِ أَحْمَرَ وَأَصْفَرَ وَأَخْضَرَ، وَشَبَّ ثُمَّ جَعَلَ يَدُهُ فِي خَاصِرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَا أَشْبَعُ اللَّهَ إِذَا بَطَنَ عُمَرُ! قَالَ: فَظَنَّ النِّسَاءُ أَنِّي أُرِيدُ أَنْ أَغْتَالَهُ، فَخَنَّنَ إِلَى السِّتْرِ، فَقَالَ: كَفَّ مَا جِئْتُ بِهِ، يَا يَرْفَأُ، جَأْ عَنْقَهُ قَالَ: فَأَنَا

أُصْلِحُ سَفَطِي وَهُوَ يَجُؤُ عَنِّي! قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبْذِعْ بِي فَاحْلِنِي، قَالَ: يَا يَرْفَأُ أَعْطَاهُ رَاكِحَتَيْنِ مِنَ الصَّدَقَةِ، فَإِذَا لَقِيتَ أَفْقَرَ إِلَيْهِمَا

مِنْكَ فَادْفَعْهُمَا إِلَيْهِ قُلْتُ: أَفْعَلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ تَفَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ فِي مَشَاتِيهِمْ قَبْلَ أَنْ يُقَسَمَ هَذَا فِيهِمْ لَأَفْعَلَ بِكَ وَبِصَاحِبِكَ الْفَاقِرَةَ.

قَالَ: فَارْتَحَلْتُ حَتَّى أَتَيْتَ سَلَمَةَ، فَقُلْتُ: مَا بَارَكَ اللَّهُ لِي فِيمَا اخْتَصَصْتَنِي بِهِ، أَقْسَمُ هَذَا فِي النَّاسِ قَبْلَ أَنْ تُصَيِّبَنِي وَإِيَّاكَ فَاقِرَةً، فَقَسَمَهُ فِيهِمْ، وَالْقَصُّ يُبَاعُ بِخَمْسَةِ دَرَاهِمٍ وَسِتَّةِ دَرَاهِمٍ، وَهُوَ خَيْرٌ مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا.

وَأَمَّا السَّرِيُّ فَإِنَّهُ ذَكَرَ- فِيمَا كَتَبَ بِهِ إِلَيَّ يَذْكُرُ عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي جَنَابٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بَرِيدَةَ- قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ سَلَمَةَ ابْنَ قَيْسٍ الْأَشْجَعِيَّ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَوْنٍ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ فِي حَدِيثِهِ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ سَيْفٍ: وَأَعْطَوْهُمْ ذِمَّ أَنْفُسِكُمْ قَالَ:

فَلَقِينَا عَدُونَنَا مِنَ الْأَكْرَادِ، فَدَعَوَانَاهُمْ.

وَقَالَ أَيْضًا: وَجَمَعْنَا الرِّثَّةَ، فَوَجَدَ فِيهَا سَلَمَةَ حَقَّتَيْنِ جَوْهَرًا، فَجَعَلَهَا فِي سَفَطٍ.

وَقَالَ أَيْضًا: أَوْ مَا كَفَاكَ أَنْ يُقَالَ: أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمْرَأَةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ! قَالَتْ: إِنَّ ذَلِكَ عَنِّي لَقَلِيلُ الْغَنَاءِ، قَالَ: كُلُّ.

وَقَالَ أَيْضًا: جَاءُوا بِعَسٍّ مِنْ سُلْتٍ، كُلُّهَا حَرَكُوهُ فَارْفُوقَهُ مِمَّا فِيهِ، وَإِذَا تَرَكَوهُ سَكَنَ ثُمَّ قَالَ: اشْرَبْ، فَشَرِبْتُ قَلِيلًا، شَرَابِي الَّذِي مَعِيَ أَطِيبُ مِنْهُ، فَاخَذَ الْقَدَحَ فَضَرَبَ بِهِ جَبْهَتَهُ ثُمَّ قَالَ: إِنَّكَ لَضَعِيفُ الْأَكْلِ، ضَعِيفُ الشُّرْبِ.

وَقَالَ أَيْضًا: قُلْتُ: رَسُولُ سَلَمَةَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِسَلَمَةَ وَبِرَسُولِهِ، وَكَأَنَّمَا خَرَجْتُ مِنْ صَلْبِهِ، حَدَّثَنِي عَنِ الْمُهَاجِرِينَ

٤٠٨٠٩ ذكر الخبر عن وفاه عمر

وَقَالَ أَيْضًا: ثُمَّ قَالَ: لَا أَشْبَعُ اللَّهَ إِذَا بَطَنَ عُمَرُ! قَالَ: وَظَنَّ النِّسَاءُ أَنِّي قَدْ اغْتَلَتُهُ، فَكَشَفْنَ السِّتْرَ، وَقَالَ: يَا يَرْفَأُ، جَأْ عُنُقَهُ، فَوَجَأَ عُنُقِي وَأَنَا أَصِيحُّ، وَقَالَ: النَّجَاءُ، وَأَظْنُكَ سَتَبْطِئُ وَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَئِنْ تَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى مَشَاتِيهِمْ وَسَاءَرِ الْحَدِيثِ نَحْوَ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَثِيرٍ.

وَحَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا شَهَابُ بْنُ خَرَّاشٍ الْحَوْشِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ مَنْصُورِ ابْنِ الْمُعْتَمِرِ، عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الَّذِي جَرَى بَيْنَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَسَلَمَةَ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: نَدَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ النَّاسَ إِلَى سَلَمَةَ بْنِ قَيْسٍ الْأَشْجَعِيِّ بِالْحِيرَةِ، فَقَالَ: انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ جَعْفَرٍ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَحَجَّ عُمَرُ بِأَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَهِيَ آخِرُ حَجَّةٍ جَمَّهَا بِالنَّاسِ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، عَنِ الْوَاقدِ

. ذَكَرَ الْخَبْرَ عَنْ وَفَاةِ عُمَرَ

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ وَفَاتُهُ.

ذَكَرَ الْخَبْرَ عَنْ مَقْتَلِهِ:

حَدَّثَنِي سَلَمُ بْنُ جُنَادَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْمَسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ.

- وَكَانَتْ أُمُّهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَوْفٍ- قَالَ: خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَوْمًا يَطُوفُ فِي السُّوقِ، فَلَقِيَهُ أَبُو لَوْلُؤَةَ غُلَامٌ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، وَكَانَ

نَصْرَانِيًّا، فَقَالَ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعِدْنِي عَلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، فَإِنَّ عَلِيَّ خَرَجًا كَثِيرًا، قَالَ: وَكَمْ خَرَجُكَ؟ قَالَ: دِرْهَمَانِ فِي كُلِّ يَوْمٍ، قَالَ: وَأَيْشِ صِنَاعَتُكَ؟

قَالَ: نَجَارٌ، نَقَاشٌ، حَدَادٌ، قَالَ: فَمَا أَرَى خَرَجَكَ بِكَثِيرٍ عَلَى مَا تَصْنَعُ مِنَ الْأَعْمَالِ، قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ: لَوْ ارِدْتَ أَنْ أَعْمَلَ رَحَا تَطْحَنُ بِالرَّيْحِ فَعَلْتُ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاعْمَلْ لِي رَحَا، قَالَ: لَئِنْ سَلِمْتَ لَا عَمَلَ لَكَ رَحَا يَتَحَدَّثُ بِهَا مَنْ بِالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ عَنْهُ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: لَقَدْ تَوَعَّدَنِي الْعَبْدُ أَنْفًا! قَالَ: ثُمَّ أَنْصَرَفَ عُمَرُ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جَاءَهُ كَعْبُ الْأَخْبَارِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اعْهَدْ، فَإِنَّكَ مَيِّتٌ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، قَالَ: وَمَا يَدْرِيكَ؟ قَالَ:

أَجِدُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ التَّوْرَةَ، قَالَ عُمَرُ: اللَّهُ أَنْكَ لَتَجِدَ عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ فِي التَّوْرَةِ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ لَا، وَلَكِنِّي أَجِدُ صِفَتَكَ وَحَلِيَّتَكَ، وَأَنَّهُ قَدْ فَنِيَ أَجْلُكَ - قَالَ: وَعُمَرُ لَا يُحْسُ وَجَعًا وَلَا أَلَمًا - فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جَاءَهُ كَعْبٌ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ذَهَبَ يَوْمٌ وَبَقِيَ يَوْمَانِ، قَالَ:

ثُمَّ جَاءَهُ مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ: ذَهَبَ يَوْمَانِ وَبَقِيَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَهِيَ لَكَ إِلَى صَبِيحَتِهَا قَالَ: فَلَمَّا كَانَ الصَّبْحُ خَرَجَ عُمَرُ إِلَى الصَّلَاةِ، وَكَانَ يُوكِّلُ بِالصُّفُوفِ رَجَالًا، فَإِذَا اسْتَوَتْ جَاءَ هُوَ فَكَبَّرَ قَالَ: وَدَخَلَ أَبُو لَوْلُؤَةَ فِي النَّاسِ، فِي يَدِهِ خَنْجَرٌ لَهُ رَأْسَانِ نَصَابُهُ فِي وَسْطِهِ، فَضَرَبَ عُمَرَ سِتَّ ضَرْبَاتٍ، إِحْدَاهُنَّ تَحْتَ سُرَّتِهِ، وَهِيَ الَّتِي قَتَلَتْهُ، وَقَتَلَ مَعَهُ كَلِيبُ ابْنِ أَبِي الْبَكَّيْرِ اللَّيْثِيُّ - وَكَانَ خَلْفَهُ - فَلَمَّا وَجَدَ عُمَرُ حَرَّ السَّلَاحِ سَقَطَ، وَقَالَ: أَيُّ النَّاسِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هُوَ ذَا، قَالَ: تَقَدَّمَ فَصَلِّ بِالنَّاسِ، قَالَ: فَصَلَّى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَعُمَرُ طَرِيحٌ، ثُمَّ احْتَمَلَ فَأَدْخَلَ دَارَهُ، فَدَعَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَقَالَ:

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْهَدَ إِلَيْكَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَعَمْ، إِنْ أَشَرْتَ عَلَيَّ قَبِلْتُ مِنْكَ، قَالَ: وَمَا تُرِيدُ؟ قَالَ: أَلْتَشُدُّكَ اللَّهُ، أَلْتَشِيرُ عَلَيَّ بِذَلِكَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ لَا، قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَدْخُلُ فِيهِ أَبَدًا، قَالَ: فَهَبْ لِي صَمْتًا

حتى اعهد الى النفر الذين توفى رسول الله ص وهو عنهم راضٍ ادع لي عليًا وعثمان والزبير وسعدًا قَالَ: وَانْتَظَرُوا أَخَاكُمْ طَلْحَةَ ثَلَاثًا فَإِنْ جَاءَ وَإِلَّا فَاقْضُوا أَمْرَكُمْ، أَلْتَشُدُّكَ اللَّهُ يَا عَلِيُّ إِنْ وَلَيْتَ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ شَيْئًا أَنْ تَحْمِلَ بَنِي هَاشِمٍ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، أَلْتَشُدُّكَ اللَّهُ يَا عُثْمَانُ إِنْ وَلَيْتَ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ شَيْئًا أَنْ تَحْمِلَ بَنِي أَبِي مُعِيْطٍ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، أَلْتَشُدُّكَ اللَّهُ يَا سَعْدُ إِنْ وَلَيْتَ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ شَيْئًا أَنْ تَحْمِلَ أَقَارِبَكَ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، قَوْمُوا فَتَشَاوَرُوا ثُمَّ اقْضُوا أَمْرَكُمْ، وَلِيَصِلَ بِالنَّاسِ صَهْبٌ ثُمَّ دَعَا أَبَا طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيَّ، فَقَالَ: قُمْ عَلَى بَابِهِمْ، فَلَا تَدْعُ أَحَدًا يَدْخُلُ إِلَيْهِمْ، وَأَوْصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالْأَنْصَارِ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ، أَنْ يُحْسِنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَأَنْ يَغْفُو عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَأَوْصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالْعَرَبِ، فَإِنَّهَا مَادَّةُ الْإِسْلَامِ، أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ صَدَقَاتِهِمْ حَقُّهَا فَيُوضَعَ فِي فُقَرَائِهِمْ، وَأَوْصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِذِمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ص أَنْ يُؤْفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ! تَرَكْتُ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي عَلَى أَنْقَى مِنَ الرَّاحَةِ، يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ اخْرُجْ فَانْظُرْ مَنْ قَتَلَنِي؟ فَقَالَ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَتَلَكَ أَبُو لَوْلُؤَةَ غُلَامٌ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مِنِّي بِدَ رَجُلٍ سَجَدَ لِلَّهِ سَجْدَةً وَاحِدَةً، يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، أَذْهَبَ إِلَى عَاشَةَ فَسَلَهَا أَنْ تَأْذَنَ لِي أَنْ أُدْفِنَ مَعَ النَّبِيِّ ص وَأَبِي بَكْرٍ، يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، إِنْ اخْتَلَفَ الْقَوْمُ فَكُنْ مَعَ الْأَكْثَرِ، وَإِنْ كَانُوا ثَلَاثَةً وَثَلَاثَةً فَاتَّبِعِ الْحِزْبَ الَّذِي فِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، يَا عَبْدَ اللَّهِ ائْذَنْ لِلنَّاسِ، قَالَ:

لَجَعَلُ يَدْخُلُ عَلَيْهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ فَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: أَعَنْ مَلَأَ مِنْكُمْ كَانَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: مَعَاذَ اللَّهِ! قَالَ: وَدَخَلَ فِي

النَّاسِ كَعْبٌ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عَمْرٌ أَنْشَأَ يَقُولُ:
 فَأَوْعَدَنِي كَعْبٌ ثَلَاثًا أُعْذُّهَا ... وَلَا شَكَّ أَنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَ لِي كَعْبٌ
 وَمَا بِي حِذَارُ الْمَوْتِ إِنِّي لَمَيْتٌ ... وَلَكِنْ حِذَارُ الذَّنْبِ يَتَّبَعُهُ الذَّنْبُ
 قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ دَعَوْتَ الطَّيِّبَ! قَالَ: فِدُعِي طَيِّبٌ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، فَسَقَاهُ نَبِيذًا نَفَرَ النَّبِيذُ مُشْكَلًا،
 قَالَ: فَاسْقُوهُ لَبْنًا، قَالَ: نَفَرَ اللَّبَنُ مُحْضًا، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اعْهَدْ، قَالَ: قَدْ فَرَّغْتُ.
 قَالَ: ثُمَّ تَوَفَّى لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ لثَلَاثَ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ.
 قَالَ: نَفَرُوا بِهِ بِكَرَّةٍ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، فَدُفِنَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ مَعَ النَّبِيِّ ص وَأَبِي بَكْرٍ قَالَ: وَتَقَدَّمَ صُهَيْبٌ فَصَلَّى عَلَيْهِ، وَتَقَدَّمَ قَبْلَ ذَلِكَ
 رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص: عَلِيٌّ وَعُثْمَانُ، قَالَ: فَتَقَدَّمَ وَاحِدٌ مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ، وَالْآخَرُ مِنْ عِنْدِ رِجْلَيْهِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ:
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَا أَحْرَصَكُمَا عَلَى الْإِمْرَةِ! أَمَا عَلِمْتُمَا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ:
 لِيُصَلَّ بِالنَّاسِ صُهَيْبٌ! فَتَقَدَّمَ صُهَيْبٌ فَصَلَّى عَلَيْهِ قَالَ: وَنَزَلَ فِي قَبْرِهِ الْخَمْسَةُ.
 قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَدْ قِيلَ إِنَّ وَفَاتَهُ كَانَتْ فِي غُرَّةِ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ.
 ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثني الحارث، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ
 قَالَ: طَعَنَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِأَرْبَعِ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ، وَدُفِنَ يَوْمَ الْأَحَدِ صَبَاحَ هَلَالِ
 الْحَرَمِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ، فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ عَشْرَ سِنِينَ وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَوَاحِدَ عِشْرِينَ لَيْلَةً، مِنْ مَتَوَفَى أَبِي بَكْرٍ، عَلَى رَأْسِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ
 سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ عَشْرِ يَوْمًا مِنَ الْهِجْرَةِ وَبُوعٍ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لثَلَاثَ مَضِينَ مِنَ الْحَرَمِ قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُثْمَانَ
 الْأَخْنَسِيِّ، فَقَالَ: مَا أَرَاكَ إِلَّا وَهَلْتَ، تَوَفَّى
 عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لِأَرْبَعِ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَبُوعٍ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ لِلَّيْلَةِ بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، فَاسْتَقْبَلَ بِخِلَافَتِهِ الْحَرَمِ سَنَةَ
 أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ.

وحدثني أحمد بن ثابت الرازي، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ، قَالَ: قَتَلَ عَمْرُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِأَرْبَعِ لَيَالٍ
 بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ تَمَامَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ عَشْرَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَأَرْبَعَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ بُوعٍ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ.
 قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَمَّا الْمَدَائِنِيُّ، فَإِنَّهُ قَالَ فِيمَا حَدَّثَنِي عَمْرُ عَنْهُ، عَنْ شَرِيكَ، عَنْ الْأَعْمَشِ - أَوْ عَنْ جَابِرِ الْجَعْفِيِّ - عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ
 الْأَشْجَعِيِّ وَعَامِرِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ، عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْ قَوْمِهِ، وَعُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ ابْنِي شَهَابِ الزَّهْرِيِّ، قَالُوا: طَعَنَ عَمْرُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ
 لِسَبْعِ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ.
 قَالَ: وَقَالَ غَيْرُهُمْ: لَسْتُ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ.

وَأَمَّا سَيْفٌ، فَإِنَّهُ قَالَ فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ بِهِ السَّرِيُّ يَذْكُرُ أَنَّ شُعَيْبًا حَدَّثَهُ عَنْهُ، عَنْ خَلِيدِ بْنِ ذَفْرَةَ وَمَجَالِدٍ، قَالَ: اسْتَخْلَفَ عُثْمَانُ لثَلَاثَ
 مَضِينَ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ، نَفَرَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ الْعَصْرَ، وَزَادَ: وَوَفَدَ فَاسْتَنَ بِهِ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: اجْتَمَعَ أَهْلُ الشُّوْرِى عَلَى عُثْمَانَ، لثَلَاثَ مَضِينَ مِنَ الْحَرَمِ،
 وَقَدْ دَخَلَ وَقْتُ الْعَصْرِ، وَقَدْ أَذِنَ مُؤَذِّنٌ صُهَيْبٌ، وَاجْتَمَعُوا بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، نَفَرَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ، وَزَادَ النَّاسُ مَائَةً، وَوَفَدَ أَهْلُ
 الْأَمْصَارِ، وَصَنَعَ فِيهِمْ.
 وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ صَنَعَ ذَلِكَ.

وحدثت عن هشام بن محمد، قال: قتل عمر ثلاث ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام

٤٠٨٠١٠ ذكر نسب عمر رضي الله عنه

٤٠٨٠١١ تسميته بالفاروق

ذِكْرُ نَسَبِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

حَدَّثَنَا أَبُو حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ.

وحدثني الحارث، قال: حَدَّثَنَا ابن سعد، عن محمد بن عمر وهشام ابن محمد وحدثني عمر، قال: حَدَّثَنَا علي بن محمد، قالوا جميعا في نسب عمر: هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي وكنيته أبو حفص، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . تسميته بالفاروق

قال أبو جعفر: وكان يقال له الفاروق.

وقد اختلف السلف فيمن سماه بذلك، فقال بعضهم: سماه بذلك رسول الله ص.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحارث، قال: حَدَّثَنَا ابن سعد، قال: أَخْبَرَنَا محمد بن عمر، قال: حَدَّثَنَا أَبُو حَزْرَةَ يَعْقُوبُ بْنُ مُجَاهِدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو ذُكْوَانَ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: مَنْ سَمَّى عُمَرَ الْفَارُوقَ؟ قالت: النبي ص.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَوَّلُ مَنْ سَمَّاهُ بِهَذَا الْأِسْمِ أَهْلُ الْكِتَابِ.

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، قَالَ: قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: بَلَّغْنَا أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ كَانُوا أَوَّلَ مَنْ قَالَ لِعُمَرَ: الْفَارُوقَ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ

٤٠٨٠١٢ ذكر صفته

يَأْتُرُونَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ، وَلَمْ يَبْلُغْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا

. ذكر صفته

حَدَّثَنَا هِنَادُ بْنُ السَّرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سَفْيَانَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ، عَنْ زُرِّ بْنِ حَبِيشٍ، قَالَ: خَرَجَ عُمَرُ فِي يَوْمِ عِيدٍ - أَوْ فِي جَنَازَةِ زَيْنَبَ - آدَمَ طَوَالًا أَصْلَعَ أُعْسِرَ سِرًا، يَمْشِي كَأَنَّهُ رَاكِبٌ. حَدَّثَنَا هِنَادٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زُرِّ، قَالَ:

رَأَيْتُ عُمَرَ يَأْتِي الْعِيدَ مَاشِيًا حَافِيًا عَمْرَ أَيْسَرَ مُتَلَبِّيًا بُرْدًا قَطْرِيًّا، مُشْرِفًا عَلَى النَّاسِ كَأَنَّهُ عَلَى دَابَّةٍ، وَهُوَ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، هَاجِرُوا وَلَا تَهْجُرُوا.

وحدثني الحارث، قال: حَدَّثَنَا ابن سعد، قال: أَخْبَرَنَا محمد بن عمر، قال: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ رَجُلًا أَيْضُ أَمَقٍ، تَعْلُوهُ حَمْرَةٌ، طَوَالًا أَصْلَعٌ.

وحدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا شعيب بن طلحة، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، قال: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَصِفُ عُمَرَ يَقُولُ: رَجُلٌ أَيْضٌ، تَعْلُوهُ حُمْرَةٌ، طَوَالٌ، أَشِيبٌ، أَصْلَعٌ.
وحدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا خالد بن أبي بكر، قال: كَانَ عُمَرُ يَصْفِرُ لِحْيَتَهُ، وَيُرَجِّلُ رَأْسَهُ بِالْحَنَاءِ

٤٠٨٠١٣ ذكر مولده ومبلغ عمره

ذكر مولده ومبلغ عمره

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، يَقُولُ: وَلِدْتُ قَبْلَ الْفَجَارِ الْأَعْظَمِ الْآخِرِ بِأَرْبَعِ سِنِينَ.
قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَاخْتَلَفَ السَّلَفُ فِي مَبْلَغِ سِنِي عُمَرَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ يَوْمَ قُتِلَ ابْنُ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً.

ذكر بعض من قال ذلك:

حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَحْزَمَ الطَّائِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو قَتَيْبَةَ، عَنْ جَرِيرِ ابْنِ حَازِمٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قُتِلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً.

وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا نَعِيمُ ابْنِ حَمَّادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الدَّرَّاورِدِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: تَوَفِّيَ عُمَرُ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً.

وحدثت عن عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن ابن شهاب أن عمر توفي على رأس خمس وخمسين سنة.

وقال آخرون: كان يوم توفي ابن ثلاث وخمسين سنة وأشهر.

ذكر من قال ذلك:

حدثت بذلك عن هشام بن محمد بن الكلبي.

وقال آخرون توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة

٤٠٨٠١٤ ذكر أسماء ولده ونسائه

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: مَاتَ عُمَرُ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِينَ سَنَةً.

وقال آخرون: توفي وهو ابن إحدى وستين سنة.

ذكر من قال ذلك:

حدثت بذلك، عن أبي سلمة التبوذكي، عن أبي هلال، عن قتادة.

وقال آخرون: توفي وهو ابن ستين سنة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

توفي عمر وهو ابن ستين سنة.

قال محمد بن عمر: وهذا أثبت الأقاويل عندنا، وذكر عن المدائني أنه قال: توفي عمر وهو ابن سبع وخمسين سنة

ذكر أسماء ولده ونسائه
حدثني أبو زيد عمر بن شبة، عن علي بن محمد والحارث، عن محمد بن سعد، عن محمد بن عمر وحدثت عن هشام بن محمد - اجتمعت معاني أقوالهم، واختلفت الألفاظ بها - قالوا: تزوج عمر في الجاهلية زينب ابنة مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن الأكبر وحفصة.

وقال علي بن محمد: وتزوج مليكة ابنة جرول الخزاعي في الجاهلية، فولدت له عبيد الله بن عمر، ففارقها في الهدنة، تخلف عليها بعد عمر أبو الجهم بن حذيفة

وأما محمد بن عمر، فإنه قال: زيد الأصغر وعبيد الله الذي قتل يوم صفين مع معاوية، أمهما أم كلثوم بنت جرول بن مالك بن المسيب بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن سلول بن كعب ابن عمرو بن خزاعة، وكان الإسلام فرق بينها وبين عمر. قال علي بن محمد: وتزوج قريية ابنة أبي أمية المخزومي في الجاهلية، ففارقها أيضا في الهدنة، فتزوجها بعده عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق.

قالوا: وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم في الإسلام، فولدت له فاطمة فطلقها قال المدائني:

وقد قيل: لم يطلقها.

وتزوج جميلة أخت عاصم بن ثابت بن أبي الألقح - واسمه قيس بن عصمة بن مالك بن ضبيعة بن زيد بن الأوس من الأنصار في الإسلام - فولدت له عاصما، فطلقها وتزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وأمها فاطمة بنت رسول الله ص، وأصدقها - فيما قيل - أربعين ألفا، فولدت له زيدا ورقية.

وتزوج لهية، امرأة من اليمن، فولدت له عبد الرحمن قال المدائني:

ولدت له عبد الرحمن الأصغر قال: ويقال كانت أم ولد قال الواقدي:

لهية هذه أم ولد وقال أيضا: ولدت له لهية عبد الرحمن الأوسط وقال:

عبد الرحمن الأصغر أمه أم ولد.

وكانت عنده فكية، وهي أم ولد وفي أقوالهم فولدت له زينب وقال الواقدي: هي أصغر ولد عمر.

وتزوج عائكة ابنة زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت قبله عند عبد الله ابن أبي بكر، فلما مات عمر تزوجها الزبير بن العوام.

قال المدائني: وخطب أم كلثوم بنت أبي بكر وهي صغيرة، وأرسل فيها إلى عائشة، فقالت: الأمر إليك، فقالت أم كلثوم: لا حاجة لي

٤٠٨٠١٥ ذكر وقت اسلامه

٤٠٨٠١٦ ذكر بعض سيره

فيه، فقالت لها عائشة: ترغبن عن أمير المؤمنين! قالت: نعم، إنه خشن العيش، شديد على النساء، فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فأخبرته، فقال: أكفيك، فأتى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، بلغني خبر أعيدك بالله منه، قال: وما هو؟ قال: خطبت أم كلثوم بنت أبي بكر! قال: نعم، أفرغبت بي عنها، أم رغبت بها عني؟ قال: لا واحدة، ولكنها حدثت نشأت تحت كنف أم المؤمنين في لين ورفق، وفيك غلظة، ونحن نهابك، وما نقدر أن نردك عن خلق من أخلاقك، فكيف بها إن خالفتك في شيء، فسطوت بها! كنت قد خلفت أبا بكر في ولده بغير ما يحق عليك.

قال: فكيف بعائشة وقد كلمتها؟ قال: أنا لك بها، وأدلك على خير منها، أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، تعلق منها بسبب من رسول الله ص.

قال المدائني: وخطب أم أبان بنت عتبة بن ربيعة، فكرهته، وقالت:

يغلق بابه، ويمنع خيره، ويدخل عابسا، ويخرج عابسا
 . ذكر وقت إسلامه

قال أبو جعفر: ذكر أنه أسلم بعد خمسة وأربعين رجلا وإحدى وعشرين امرأة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني محمد بن عبد الله، عن أبيه، قال: ذكرت له حديث عمر، فقال: أخبرني عبد الله بن ثعلبة بن صعب، قال: أسلم عمر بعد خمسة وأربعين رجلا وإحدى وعشرين امرأة.

. ذكر بعض سيره

حدثني أبو السائب، قال: حدثنا ابن فضيل، عن ضرار، عن

حصين المري، قال: قال عمر: إنما مثل العرب مثل جمل أنف اتبع قائده، فلينظر قائده حيث يقوده، فاما أنا فو رب الكعبة لأحملهم على الطريق.

وحدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن يونس، عن الحسن، قال: قال عمر: إذا كنت في منزلة تسعي وتعجز

عن الناس فوالله ما تلك لي بمنزلة حتى أكون أسوة للناس.

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: حدثنا النضر بن شميل، قال:

أخبرنا قطن، قال: حدثنا أبو يزيد المديني، قال: حدثنا مولى لعثمان ابن عفان، قال: كنت رديفا لعثمان بن عفان، حتى أتى على حظيرة الصدقة في يوم شديد الحر شديد السموم، فإذا رجل عليه إزار ورداء، قد لف رأسه برداء يطرد الإبل يدخلها الحظيرة، حظيرة إبل الصدقة، فقال عثمان: من ترى هذا؟ قال: فانتبهنا إليه، فإذا هو عمر بن الخطاب، فقال: هذا والله القوي الأمين.

حدثني جعفر بن محمد الكوفي وعباس بن أبي طالب، قال: حدثنا أبو زكرياء يحيى بن مصعب الكلبي، قال: حدثنا عمر بن نافع، عن أبي بكر العنسي، قال: دخلت حير الصدقة مع عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، قال: جلس عثمان في الظل يكتب، وقام علي راسه يمل عليه ما يقول عمر، وعمر في الشمس قائم في يوم حار شديد الحر، عليه بردان أسودان، متزرا بواحد، وقد لف على رأسه آخر، يعد إبل الصدقة، يكتب ألوانها وأسنانها، فقال علي لعثمان - وسمعه يقول: نعت بنت شبيب في كتاب الله: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين، ثم أشار علي بيده إلى عمر، فقال: [هذا القوي الأمين!] حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا إسماعيل، عن يونس، عن الحسن، قال: قال عمر: لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولا، فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني، أما عمالهم فلا يرفعونها إلي، وأما هم فلا

يصلون إلي، فأسير إلى الشام، فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين، والله لنعم الحول هذا! حدثني محمد بن عوف، قال: حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج، قال: حدثنا صفوان بن عمرو، قال: حدثني أبو المخارق زهير ابن سالم، أن كعب الأبحار، قال: نزلت على رجل يقال له مالك - وكان جارا لعمر بن الخطاب - فقلت له: كيف بالدخول على أمير المؤمنين؟ فقال: ليس عليه باب ولا حجاب، يصلي الصلاة ثم يقعد فيكلمه من شاء.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: حدثنا سفيان، عن يحيى، قال: أخبرني سالم، عن أسلم، قال: بعثني عمر بإبل من إبل الصدقة إلى الحمي، فوضعت جهازي على ناقة منها، فلما أردت أن أصدرها، قال:

اعْرِضْهَا عَلَيَّ، فَعَرَضْتُهَا عَلَيْهِ، فَرَأَى مَتَاعِي عَلَى نَاقَةٍ مِنْهَا حَسَنَاءُ، فَقَالَ:

لَا أُمَّ لَكَ! عَمَدَتْ إِلَى نَاقَةٍ تُغْنِي أَهْلَ بَيْتِ الْمُسْلِمِينَ! فَهَلَا ابْنُ لَبُونٍ بَوَّالًا، أَوْ نَاقَةٌ شُصُوصًا! حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مَجَالِدٍ الْهَمْدَانِي، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِي حَيَّانَ، عَنْ أَبِي الزِّنْبَاعِ، عَنْ أَبِي الدِّهْقَانَةِ، قَالَ: قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: إِنَّ هَاهُنَا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْأَنْبَارِ لَهُ بَصَرٌ بِالذِّبْيَانِ، لَوْ اتَّخَذَتْهُ كَاتِبًا! فَقَالَ عُمَرُ: لَقَدْ اتَّخَذْتُ إِذَا بَطَانَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ! حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَطَبَ النَّاسَ، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ، لَوْ أَنَّ جَمَلًا هَلَكَ

ضِيَاعًا بِشَطِّ الْفَرَاتِ خَشِيتُ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهُ عَنْهُ آلَ الْخَطَّابِ قَالَ أَبُو زَيْدٍ:

آلَ الْخَطَّابِ يَعْنِي نَفْسَهُ، مَا يَعْنِي غَيْرَهَا.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَبِي مُوسَى: إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ لِلنَّاسِ وَجُوهٌ يَرْفَعُونَ حَوَائِجَهُمْ، فَأَكْرَمَ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ وَجُوهِ النَّاسِ، وَبِحَسَبِ الْمُسْلِمِ الضَّعِيفِ مِنَ الْعَدْلِ، أَنْ يَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ وَفِي الْقِسْمِ. وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، قَالَ: سَمِعْتُ مُطَرِّفًا، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: أَتَى أَعْرَابِيٌّ عُمَرَ، فَقَالَ: إِنَّ بَيْعِيرِي نُقْبًا وَدَبْرًا فَاحْمِلْنِي، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَا بَيْعِيرُكَ نُقْبٌ وَلَا دَبْرٌ، قَالَ: فَوَلَّى وَهُوَ يَقُولُ: أَقْسَمُ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ... مَا مَسَّهَا مِنْ نُقْبٍ وَلَا دَبْرٍ فَاغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ فَجْرٌ.

فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي! ثُمَّ دَعَا الْأَعْرَابِيَّ فَحَمَلَهُ.

وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَيُّوبُ، عَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ: نَبِئْتُ أَنَّ رَجُلًا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُمَرَ قَرَابَةً، فَسَأَلَهُ فَرَبْرَهُ، وَأَخْرَجَهُ فُكْلًا فِيهِ، فَقِيلَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَا تَسْأَلُكَ فَرَبْرَتُهُ وَأَخْرَجَتْهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ سَأَلَنِي مِنْ مَالِ اللَّهِ، فَمَا مَعْدِرَتِي إِنْ لَقِيتُهُ مَلِكًا خَائِنًا! فَلَوْلَا سَأَلَنِي مِنْ مَالِي! قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِعَشْرَةِ آلَافٍ.

وَكَانَ عُمَرُ رَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا بَعَثَ عَامِلًا لَهُ عَلَى عَمَلٍ يَقُولُ- مَا حَدَّثَنَا بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ يَحْيَى بْنِ حُزَيْنٍ، سَمِعَ طَارِقَ بْنَ شِهَابٍ يَقُولُ: قَالَ عُمَرُ فِي عَمَلِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ أَبْعَثْهُمْ لِيَأْخُذُوا أَمْوَالَهُمْ، وَلَا لِيَضْرِبُوا أَبْشَارَهُمْ، مَنْ ظَلَمَهُ أَمِيرُهُ فَلَا إِمْرَةَ عَلَيْهِ دُونِي.

وَحَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ

قَتَادَةَ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ عَلَى أَمْرَاءِ الْأَمْصَارِ إِنِّي إِنَّمَا بَعَثْتُهُمْ لِيَعْلَمُوا النَّاسَ دِينَهُمْ وَسُنَنَهُمْ، وَإِنْ يَقْسِمُوا فِيهِمْ فِيهِمْ، وَأَنْ يَعْدِلُوا، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ رَفَعُوهُ إِلَيَّ.

وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عِيَّاشٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا حُصَيْنٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ إِذَا اسْتَعْمَلَ الْعَمَالَ خَرَجَ مَعَهُمْ يَشِيرُهُمْ، فَيَقُولُ: إِنِّي لَمْ أَسْتَعْمَلْكُمْ عَلَى أَمَةٍ مُحَمَّدٍ صَ عَلَى أَشْعَارِهِمْ، وَلَا عَلَى أَبْشَارِهِمْ، إِنَّمَا اسْتَعْمَلْتُكُمْ عَلَيْهِمْ لِتُقِيمُوا بِهِمُ الصَّلَاةَ، وَتَقْضُوا بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ، وَتَقْسِمُوا بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ، وَإِنِّي لَمْ أُسَلِّطْكُمْ عَلَى أَبْشَارِهِمْ وَلَا عَلَى أَشْعَارِهِمْ، وَلَا تَجْدُوا الْعَرَبَ فَتَذْلُوها، وَلَا تَجْرُوها فَتَفْتِنُوها، وَلَا تَغْفُلُوا عَنْهَا فَتَحْرِمُوها، جَرِدُوا الْقُرْآنَ، وَأَقْلُوا الرِّوَايَةَ عَنْ مُحَمَّدٍ صَ، وَأَنَا شَرِيكُمْ وَكَانَ يَقْتَصِرُ مِنْ عَمَالِهِ، وَإِذَا شَكِيَ إِلَيْهِ عَامِلٌ لَهُ

جَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ شَكَاهُ، فَإِنْ صَحَّ عَلَيْهِ أَمْرٌ يَجِبُ أَخْذُهُ بِهِ وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سَعِيدُ الْجُرَيْرِيُّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي فِرَاسٍ، قَالَ: خَطَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ عَمَلًا لِيُضْرَبُوا أَبْشَارُكُمْ، وَلَا لِيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ، وَلَكِنِّي أُرْسِلُهُمْ إِلَيْكُمْ لِيُعْلَمَ دِينُكُمْ وَسُنَّتُكُمْ، فَمَنْ فَعَلَ بِهِ شَيْءٌ سِوَى ذَلِكَ فَلْيَرْفَعْهُ إِلَى، فَوَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ لَا أُقْصِنُهُ مِنْهُ فَوْثَبَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَمْرَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى رِعِيَّةٍ، فَأَدَبَ بَعْضَ رِعِيَّتِهِ، إِنَّكَ لَتَقْصَهُ مِنْهُ! قَالَ: إِي وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ إِذَا لَا أُقْصِنُهُ مِنْهُ، وَكَيْفَ لَا أُقْصِنُهُ مِنْهُ وَقَدْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقْصُ مِنْ نَفْسِهِ! أَلَا لَا تَضْرِبُوا الْمُسْلِمِينَ فَتَذْلُوهُمْ، وَلَا تَجْرُوهُمْ فَتَفْتِنُوهُمْ، وَلَا تَمْنَعُوهُمْ حُقُوقَهُمْ فَتَكْفُرُوهُمْ، وَلَا تَنْزِلُوهُمْ الْغِيَاضَ فَتَضْيَعُوهُمْ

وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِيمَا ذَكَرَ عَنْهُ - يَعْسُ بِنَفْسِهِ، وَيَرْتَادُ مَنَازِلَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَتَفَقَّدُ أَحْوَالَهُمْ بِيَدِهِ. ذَكَرَ الْخَبَرُ الْوَارِدَ عَنْهُ بِذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا قُرَّةُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيِّ، قَالَ: جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى بَابِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَضَرَبَهُ، فَجَاءَتِ الْمَرْأَةُ فَفَتَحَتْهُ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: لَا تَدْخُلْ حَتَّى أَدْخُلَ الْبَيْتَ وَأَجْلِسَ مَجْلِسِي، فَلَمْ يَدْخُلْ حَتَّى جَلَسْتُ، ثُمَّ قَالَتْ:

أَدْخُلْ، فَدَخَلَ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ مِنْ شَيْءٍ؟ فَأَنْتَهُ بِطَعَامٍ فَأَكَلَ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَقَالَ لَهُ: تَجُوزُ أَيُّهَا الرَّجُلُ، فَسَلَّمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ حِينَئِذٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: رُفْقَةٌ نَزَلَتْ فِي نَاحِيَةِ السُّوقِ خَشِيتُ عَلَيْهِمْ سَرَاقَ الْمَدِينَةِ، فَانْطَلَقْتُ فَلَنَحْرُسُهُمْ، فَانْطَلَقَا قَاتِيَا السُّوقَ، فَقَعَدَا عَلَى نَشْرٍ مِنَ الْأَرْضِ يَتَحَدَّثَانِ، فَرَفَعَ لَهُمَا مَضْبَاحٌ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَمْ أَتِهِ عَنْ الْمَصَابِيحِ بَعْدَ النَّوْمِ! فَانْطَلَقَا، فَإِذَا هُمُ قَوْمٌ عَلَى شَرَابٍ لَهُمْ، فَقَالَ: انْطَلِقْ فَقَدْ عَرَفْتُهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أُرْسِلَ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا فُلَانُ، كُنْتَ وَأَصْحَابُكَ الْبَارِحَةَ عَلَى شَرَابٍ؟ قَالَ: وَمَا عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟

قَالَ: شَيْءٌ شَهِدْتُهُ، فَقَالَ: أَوْ لَمْ يَنْهَكَ اللَّهُ عَنِ التَّجَسُّسِ! قَالَ: فَتَجَاوَزَ عَنْهُ.

قَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيِّ: وَإِنَّمَا نَهَى عُمَرُ عَنِ الْمَصَابِيحِ، لِأَنَّ الْفَأْرَةَ تَأْخُذُ الْفَتِيلَةَ فَتَرْمِي بِهَا فِي سَقْفِ الْبَيْتِ فَيَحْتَرِقُ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ سَقْفُ الْبَيْتِ مِنَ الْجَرِيدِ.

وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ رِبْعَةَ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى حَرَّةٍ وَاقِعَةٍ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِصَرَّارٍ، إِذَا نَارٌ تَوَرَّتْ، فَقَالَ: يَا أَسْلَمُ، إِنِّي أَرَى هَؤُلَاءِ رُجَاً قَصْرَ بَيْتِ اللَّيْلِ وَالْبَرْدِ، انْطَلِقْ بِنَا، نَخْرُجُنَا نَهْرُولُ حَتَّى دَنَوْنَا مِنْهُمْ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مَعَهَا صَبِيَانٌ لَهَا، وَقَدْ مَنُصُوبَةٌ عَلَى النَّارِ، وَصَبِيَانُهَا يَتَضَاغُونَ، فَقَالَ عُمَرُ:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَصْحَابَ الضَّوءِ - وَكَرِهَ أَنْ يَقُولَ: يَا أَصْحَابَ النَّارِ - قَالَتْ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، قَالَ: أَأَدْنُو؟ قَالَتْ: أَدْنُ بِخَيْرٍ أَوْ دَعُ، فَدَنَا فَقَالَ: مَا بِالْكُمْ؟ قَالَتْ: قَصْرَ بَيْتِ اللَّيْلِ وَالْبَرْدِ، قَالَ: فَمَا بَالُ هَؤُلَاءِ الصَّبِيَةِ يَتَضَاغُونَ؟ قَالَتْ: الْجُوعُ، قَالَ: وَأَيُّ شَيْءٍ فِي هَذِهِ الْقِدْرِ؟ قَالَتْ:

مَا أَسْكَنَهُمْ بِهِ حَتَّى يَنَامُوا، اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عُمَرَ! قَالَ: أَيُّ رَحِمَكَ اللَّهُ، مَا يُدْرِي عُمَرَ بِكُمْ! قَالَتْ: يَتَوَلَّى أَمْرَنَا وَيَغْفُلُ عَنَّا! فَأَقْبَلَ عَلَيَّ، فَقَالَ:

انطلق بنا، فخرجنا نهروا، حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عدلا فيه كبه شحم، فقال: احملة على، فقلت: أنا أحملة عنك، قال: احملة علي، مرتين أو ثلاثا، كل ذلك أقول: أنا أحملة عنك، فقال لي في آخر ذلك: أنت تحمل عني وزري يوم القيامة، لا أم لك! فحملته عليه، فانطلق وانطلقت معه نهروا، حتى انتهينا إليها، فالتقى ذلك عندها، وأخرج من الدقيق شيئا، فجعل يقول لها: ذري علي، وأنا أحرك لك، وجعل ينفخ تحت القدر. وكان ذا حية عظيمة. فجعلت أنظر إلى الدخان من خلل لحيته حتى أنضج وأدم القدر ثم أنزلها، وقال: ابغني شيئا، فأنته بصحفة فأفرغها فيها، ثم جعل يقول: أطعمهم، وأنا أسطح لك، فلم يزل حتى شبعوا، ثم خلى عندها فضل ذلك، وقام وقت معه، فجعلت تقول: جزاك الله خيرا! أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين! فيقول: قولي خيرا، إنك إذا جئت أمير المؤمنين وجدتي هناك إن شاء الله ثم تنحى ناحية عنها، ثم استقبلها وربض مريض السبع، فجعلت أقول له:

إن لك شأنا غير هذا، وهو لا يكلمني حتى رأيت الصبية يصطرون ويضحكون ثم ناموا وهدهوا، فقام وهو يحمده الله، ثم أقبل علي فقال: يا أسلم، إن الجوع أسهرهم وأبكاهم، فأحببت ألا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم. وكان عمر إذا أراد أن يأمر المسلمين بشيء أو ينهاهم عن شيء مما فيه صلاحهم بدأ بأهله، وتقدم إليهم بالوعظ لهم، والوعيد على خلافهم أمره.

كأذي حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، قال: حدثنا عبيد الله بن عمر بالمدينة، عن سالم، قال: كان عمر إذا صعد المنبر فنهى الناس عن شيء جمع أهله، فقال: إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير. يعني إلى اللحم. وأقسم بالله لا أجد أحدا منكم فعله إلا أضعت عليه العقوبة. قال أبو جعفر: وكان رضي الله عنه شديدا على أهل الريب، وفي حق الله صليبا حتى يستخرجه، ولينا سهلا فيما يلزمه حتى يؤديه، وبالضعيف رحيمًا رؤوفاً حدثني عبيد الله بن سعيد الزهري، قال: حدثنا عمي، قال:

حدثنا أبي، عن الوليد بن كثير، عن محمد بن عجلان، أن زيد بن أسلم حدثه عن أبيه، أن نفرا من المسلمين كلوا عبد الرحمن بن عوف، فقالوا: كلم عمر بن الخطاب، فإنه قد أخشانا حتى والله ما نستطيع أن نديم إليه أبصارنا.

قال: فذكر ذلك عبد الرحمن بن عوف لعمر، فقال: اوقد قالوا ذلك! فوالله لقد لنت لهم حتى تخوفت الله في ذلك، ولقد اشتدت عليهم حتى خشيت الله في ذلك، وإيم الله لانا أشد منهم فرقا منهم مني! وحدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر، عن عاصم، قال:

استعمل عمر رجلا على مصر، فبينما عمر يوما مارا في طريق من طرق المدينة إذ سمع رجلا وهو يقول: الله يا عمر! تستعمل من يخون وتقول: ليس علي شيء، وعاملك يفعل كذا! قال: فأرسل إليه، فلما جاءه أعطاه عصا وجبة صوف وغنما، فقال: ارعها. واسمه عياض بن غنم. فإن أباك كان راعيا، قال: ثم دعاه، فذكر كلاما، فقال: إن أنا رددتك! فردّه إلى عمله، وقال: لي عليك ألا تلبس رقيقا، ولا تركب بردونا! حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو أسامة، عن عبد الله بن الوليد، عن عاصم، عن ابن خزيمة بن ثابت

الأنصاري، قال: كان عمر إذا استعمل عاملا كتب له عهدا، وأشهد عليه رهطا من المهاجرين والأنصار،

٤٨٠١٧ تسميه عمر رضي الله عنه أمير المؤمنين

واشترط عليه ألا يركب بردونا، ولا يأكل نقيا، ولا يلبس رقيقا، ولا يتخذ بابا دون حاجات الناس.

وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ أَبِرَاهِيمَ، عَنْ سَلَامِ بْنِ مِسْكِينٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِمْرَانُ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ إِذَا احتَاجَ أَتَى صَاحِبَ بَيْتِ الْمَالِ، فَاسْتَقْرَضَهُ، قَالَ: فَرُبَّمَا أَعْسَرَ فَيَأْتِيهِ صَاحِبُ بَيْتِ الْمَالِ يَتَقَضَّاهُ فَيُلْزِمُهُ، فَيَحْتَالُ لَهُ عُمَرُ، وَرُبَّمَا خَرَجَ عَطَاؤُهُ فَقَضَاهُ.

وَعَنْ أَبِي عَامِرٍ الْعَقَدِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ حَفْصٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، عَنْ ابْنِ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ يَوْمًا حَتَّى أَتَى الْمَنَبَرُ، وَقَدْ كَانَ اشْتَكَى شَكْوَى لَهُ، فَبَعَثَ لَهُ الْعَسْلَ، وَفِي بَيْتِ الْمَالِ عَكَّةُ، فَقَالَ: إِنْ أَذِنْتُمْ لِي فِيهَا أَخَذْتُهَا، وَإِلَّا فَهِيَ عَلَيَّ حَرَامٌ. تَسْمِيَةُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: أَوَّلُ مَنْ دُعِيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، ثُمَّ جَرَتْ بِذَلِكَ السُّنَّةُ، وَاسْتَعْمَلَهُ الْخُلَفَاءُ إِلَى الْيَوْمِ. ذَكَرُ الْخَبَرِ بِذَلِكَ:

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أُمُّ عَمْرٍو بِنْتُ حَسَّانِ الْكُوفِيَّةِ، عَنْ أَبِيهَا، قَالَ: لَمَّا وَلِيَ عُمَرُ قَيْلًا: يَا خَلِيفَةَ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَذَا أَمْرٌ يَطُولُ، كُلَّمَا جَاءَ خَلِيفَةٌ قَالُوا: يَا خَلِيفَةَ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ! بَلْ أَنْتُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَنَا أَمِيرُكُمْ، فَسَمِيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ: سَأَلْتُهَا كَمْ أَتَى عَلَيْكَ مِنَ السَّنِينَ؟ قَالَتْ: مِائَةً وَثَلَاثًا وَثَلَاثُونَ سَنَةً.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاصِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا

٤٠٨٠١٨ وضعه التاريخ

٤٠٨٠١٩ حمله الدرة وتدوينه الدواوين

أَبُو حَمْزَةَ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ، قَالَ: خَالَفَ اللَّهُ بِكَ! فَقَالَ: جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ! قَالَ: إِذَا يَهِينُكَ اللَّهُ!

وضعه التاريخ

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ التَّأْرِيخَ وَكُتِبَ - فِيمَا حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ - فِي سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ فِي شَهْرِ ربيعِ الأولِ منها، وَقَدْ مَضَى ذِكْرِي سَبَبُ كُتَابِهِ ذَلِكَ، وَكَيْفَ كَانَ الْأَمْرُ فِيهِ.

وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوَّلُ مَنْ أَرَخَ الْكُتُبَ، وَخَتَمَ بِالطِّينِ.

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ النَّاسَ عَلَى إِمَامٍ يَصْلِي بِهِمُ التَّرَاوِيحَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى الْبُلْدَانِ، وَأَمْرُهُمْ بِهِ، وَذَلِكَ - فِيمَا حَدَّثَنِي بِهِ الْحَارِثُ، قَالَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ - فِي سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ، وَجَعَلَ لِلنَّاسِ قَارِئِينَ: قَارِئًا يَصْلِي بِالرِّجَالِ وَقَارِئًا يَصْلِي بِالنِّسَاءِ حمله الدرة وتدوينه الدواوين

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَمَلَ الدَّرَةَ، وَضَرَبَ بِهَا، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ دَوَّنَ لِلنَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ الدَّوَاوِينَ، وَكُتِبَ النَّاسُ عَلَى قِبَائِلِهِمْ، وَفُرِضَ لَهُمُ الْعَطَاءُ. حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَائِدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَبِي الْخُوَيْرِثِ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ الْخُوَيْرِثِ بْنِ نُقَيْدٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اسْتَشَارَ الْمُسْلِمِينَ فِي تَدْوِينِ الدَّوَاوِينَ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: تَقْسِمُ كُلَّ سَنَةٍ مَا اجْتَمَعَ

إِلَيْكَ مِنْ مَالٍ، فَلَا تُمَسِّكْ مِنْهُ شَيْئًا وَقَالَ عُمَانُ بْنُ عَفَانَ: أَرَى مَا لَا كَثِيرًا يَسْعُ النَّاسَ، وَإِنْ لَمْ يُحْصَوْا حَتَّى تَعْرِفَ مَنْ أَخَذَ مِنْ لَمْ يَأْخُذْ، خَشِيتُ أَنْ يَنْتَشِرَ الْأَمْرُ فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ بْنُ هِشَامٍ بْنِ الْمُغِيرَةِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ جِئْتُ الشَّامَ، فَرَأَيْتُ مُلُوكَهَا قَدْ دَوَّنُوا دِيوَانًا، وَجَنَدُوا جُنْدًا، فَدَوَّنُوا دِيوَانًا، وَجَنَدُوا جُنْدًا فَأَخَذَ بِقَوْلِهِ، فَدَعَا عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَمُحَرَّمَةَ بْنَ نُوْفَلٍ وَجُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ، وَكَانُوا مِنْ نُسَابِ قُرَيْشٍ - فَقَالَ: اكْتُبُوا النَّاسَ عَلَى مَنَازِلِهِمْ، فَكُتِبُوا فَبَدَّوْا بَيْنِي هَاشِمٍ، ثُمَّ اتَّبَعُوهُمْ أَبَا بَكْرٍ وَقَوْمَهُ، ثُمَّ عَمَّرَ وَقَوْمَهُ عَلَى الْخِلَافَةِ، فَلَمَّا نَظَرَ فِيهِ عُمَرُ قَالَ: لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنَّهُ هَكَذَا، وَلَكِنْ أَبَدُوا بِقَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص، الْأَقْرَبُ فَلَا اقْرَبَ، حَتَّى تَضَعُوا عَمْرَ حَيْثُ وَضَعَهُ اللَّهُ حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: رَأَيْتُ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ عُرِضَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، وَبَنُو تَيْمٍ عَلَى أَثَرِ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنُو عَدِيٍّ عَلَى أَثَرِ بَنِي تَيْمٍ، فَاسْمَعَهُ يَقُولُ:

ضَعُوا عَمْرَ مَوْضِعَهُ، وَابْدَءُوا بِالْأَقْرَبِ فَلَا اقْرَبَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، فَجَاءَتْ بَنُو عَدِيٍّ إِلَى عُمَرَ، فَقَالُوا: أَنْتَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ: أَوْ خَلِيفَةُ أَبِي بَكْرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ، قَالُوا: وَذَاكَ، فَلَوْ جَعَلْتَ نَفْسَكَ حَيْثُ جَعَلْتَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ! قَالَ: نَحْجُ نَحْجُ بَنِي عَدِيٍّ! أَرَدْتُمُ الْأَكْلَ عَلَى ظَهْرِي، وَأَنْ أَذْهَبَ حَسَنَاتِي لَكُمْ! لَا وَاللَّهِ حَتَّى تَأْتِيَكُمْ الدَّعْوَةُ، وَأَنْ أَطْبِقَ عَلَيْكُمْ الدَّفْعَ وَلَوْ أَنْ تُكْتُبُوا فِي آخِرِ النَّاسِ، إِنَّ لِي صَاحِبِينَ سَلَكَ طَرِيقًا، فَإِنْ خَالَفْتُمَا خُولَفَ بِي، وَاللَّهِ مَا أَدْرَكَا الْفَضْلَ فِي الدُّنْيَا، وَلَا نَرْجُو مَا نَرْجُو مِنَ الْآخِرَةِ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ عَلَى مَا عَمَلْنَا إِلَّا بِمُحَمَّدٍ ص، فَهُوَ شَرَفُنَا، وَقَوْمُهُ أَشْرَفُ الْعَرَبِ، ثُمَّ الْأَقْرَبُ فَلَا اقْرَبَ، إِنْ الْعَرَبُ شَرَفَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ، وَلَعَلَّ بَعْضَهَا يَلْقَاهُ إِلَى آبَاءٍ كَثِيرَةٍ، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَنْ نَلْقَاهُ إِلَى نَسَبِهِ ثُمَّ لَا نُفَارِقُهُ إِلَى آدَمَ إِلَّا آبَاءٌ بِسِيرَةٍ، مَعَ ذَلِكَ وَاللَّهِ لَئِنْ جَاءَتْ الْأَعَاجِمُ بِالْأَعْمَالِ، وَجِئْنَا بِغَيْرِ عَمَلٍ، فَهُمْ أَوْلَى بِمُحَمَّدٍ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلَا يَنْظُرُ رَجُلٌ إِلَى قَرَابَةٍ، وَلَيَعْمَلُ لِمَا عِنْدَ اللَّهِ، فَإِنَّ مَنْ قَصَرَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يَسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ. حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنِي حِرَامُ بْنُ هِشَامٍ الْكَعْبِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: رَأَيْتُ عَمْرَ ابْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يَجْلِسُ دِيوَانَ خِزَاعَةَ حَتَّى يَنْزِلَ قَدِيدًا،

فَنَاتِيهِ بِقَدِيدٍ، فَلَا يَغِيبُ عَنْهُ امْرَأَةٌ بَكَرٌ وَلَا ثِيَبٌ، فَيُعْطِيهِنَّ فِي أَيْدِيهِنَّ، ثُمَّ يَرْوِحُ فَيَنْزِلُ عَسْفَانَ، فَيَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ أَيْضًا حَتَّى تَوَفِّيَ. حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ الزُّهْرِيُّ وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَمْرَ ابْنَ الْخَطَّابِ، يَقُولُ: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، ثَلَاثًا، مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ فِي هَذَا الْمَالِ حَقٌّ أُعْطِيَهُ أَوْ مَنَعَهُ، وَمَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا عَبْدٌ مَمْلُوكٌ، وَمَا أَنَا فِيهِ إِلَّا كَأَحَدِهِمْ، وَلَكِنَّا عَلَى مَنَازِلِنَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَقَسَمْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَالرَّجُلُ وَبَلَاؤُهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَالرَّجُلُ وَقَدَمُهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَالرَّجُلُ وَغَنَاؤُهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَالرَّجُلُ وَحَاجَتُهُ، وَاللَّهِ لَئِنْ بَقِيَتْ لِبَاتِنِ الرَّاعِي بِجَبَلٍ صَنْعَاءَ حَظَّهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَهُوَ مَكَانُهُ. قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَبِي، فَعَرَفَ الْحَدِيثَ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدٍ، قَالَ: رَأَيْتُ خَيْلًا عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مُوسُومَةً فِي أَخْذِهَا: حَبِيسٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنِي قَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ زَادَانَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، أَنَّ عَمْرَ قَالَ لَهُ: أَمْلِكُ أَنَا أَمْ خَلِيفَةُ؟ فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: إِنْ أَنْتَ جَبِيتَ مِنْ أَرْضِ الْمُسْلِمِينَ دِرْهَمًا أَوْ أَقْلَ أَوْ أَكْثَرَ، ثُمَّ وَضَعْتَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، فَأَنْتَ مَلِكٌ غَيْرُ خَلِيفَةٍ، فَاسْتَعْبَرَ عَمْرُ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي نَافِعُ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ حَنْتَمَةَ! لَقَدْ رَأَيْتُهُ عَامَ الرَّمَادَةِ، وَإِنَّهُ لَيَحْمِلُ عَلَى ظَهْرِهِ جَرَابِينَ وَعُكَّةَ زَيْتٍ فِي يَدِهِ، وَإِنَّهُ لَيَعْتَقِبُ هُوَ وَأَسْلَمُ،

فَلَمَّا رَأَى قَالَ: مَنْ أَيْنَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قُلْتُ: قَرِيبًا، فَأَخَذْتُ أَعْقَبَهُ، فَحَمَلَنَاهُ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى صِرَارٍ، فَإِذَا صِرْمٌ نَحْوَ مِنْ عِشْرِينَ بَيْتًا مِنْ مُحَارِبٍ، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَقْدَمَكُمْ؟ قَالُوا: الْجُهْدُ، وَأَخْرَجُوا لَنَا جِلْدَ الْمَيْتَةِ مَشْوِيًّا كَانُوا يَأْكُلُونَهُ، وَرَمَّةَ الْعِظَامِ مَسْحُوقَةً كَانُوا يَسْتَفُونَهَا، فَرَأَيْتُ عُمَرَ طَرَحَ رِدَاءَهُ، ثُمَّ اتَّزَرَ، فَمَا زَالَ يَطْبُخُ لَهُمْ حَتَّى شَبِعُوا، فَأَرْسَلَ أَسْلَمُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَجَاءَ بِأَبْعَرَةٍ فَحَمَلَهُمْ عَلَيْهَا حَتَّى أَنْزَلَهُمُ الْجَبَانَةَ، ثُمَّ كَسَاهُمْ وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِمْ وَإِلَى غَيْرِهِمْ حَتَّى رَفَعَ اللَّهُ ذَلِكَ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ يَعْقُوبَ، عَنْ عَمِّهِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ خَالِدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يَقُولُ: لَا تَذَرْنَ إِحْدَاكِنَّ الدَّقِيقَ حَتَّى يَسْخَنَ الْمَاءُ ثُمَّ تَذَرَهُ قَلِيلًا قَلِيلًا، وَتَسُوْطُهُ بِمَسُوْطِهَا، فَإِنَّهُ أَرْبَعٌ لَهُ، وَآخَرَى أَلَا يَتَقَرَّدُ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُصْعَبٍ الْقُرْقَسَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَتَى بِمَالٍ، فَجَعَلَ يَقْسِمُهُ بَيْنَ النَّاسِ، فَازْدَحَمُوا عَلَيْهِ، فَأَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ يَزَاحِمُ النَّاسَ، حَتَّى خَلَصَ إِلَيْهِ، فَعَلَاهُ عُمَرُ بِالْدَّرَةِ، وَقَالَ: إِنَّكَ أَقْبَلْتَ لَا تَهَابُ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْلِكَ أَنْ سُلْطَانَ اللَّهِ لَنْ يَهَابَكَ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَتِ الشَّافِئَةُ ابْنَةُ عَبْدِ اللَّهِ - وَرَأَيْتُ فِتْيَانًا يَقْصِدُونَ فِي الْمَشِيِّ، وَيَتَكَلَّمُونَ رَوِيْدًا، فَقَالَتْ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: نُسَّاكُ، فَقَالَتْ: كَانَ وَاللَّهِ عُمَرُ إِذَا تَكَلَّمَ أَسْمَعَ، وَإِذَا مَشَى أَسْرَعَ، وَإِذَا ضَرَبَ أَوْجَعَ، هُوَ وَاللَّهُ النَّاسِكُ حَقًّا.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عَامِرٍ، قَالَ: أَعَانَ عُمَرُ رَجُلًا عَلَى حَمْلِ شَيْءٍ، فَدَعَا لَهُ الرَّجُلُ، وَقَالَ: نَفْعَكَ بَنُوكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَقَالَ: بَلْ أَغْنَانِي اللَّهُ عَنْهُمْ. حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ جُبَاشٍ.

قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: الْقُوَّةُ فِي الْعَمَلِ أَلَّا تُؤَخَّرَ عَمَلُ الْيَوْمِ لِغَدٍ، وَالْأَمَانَةُ أَلَّا تُخَالَفَ سَرِيرَةً عَلَانِيَةً، وَاتَّقُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّمَا التَّقْوَى بِالتَّقْوَى، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَفِهِ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ عَوَانَةَ، عَنْ الشَّعْبِيِّ - وَغَيْرِ عَوَانَةَ زَادَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ - أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ كَانَ يَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَيَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ حَيْثُ أَدْرَكَهُ الْخُصُومُ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ مُوسَى بْنَ عَقْبَةَ يَحْدِثُ أَنَّ رَهْطًا أَتَوْا عُمَرَ، فَقَالُوا: كَثُرَ الْعِيَالُ، وَاشْتَدَّتِ الْمَثُونَةُ، فَزِدْنَا فِي أُعْطِيَاتِنَا، قَالَ: فَعَلَعْتُموها، جَمَعْتُ بَيْنَ الضَّرَائِرِ، وَاتَّخَذْتُمُ الْخَدَمَ فِي مَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ! أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي وَإِيَّاكُمْ فِي سَفِينَةٍ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ، تَذْهَبُ بِنَا شَرْقًا وَغَرْبًا، فَلَنْ يَعْبَزَ النَّاسُ أَنْ يُولُّوا رَجُلًا مِنْهُمْ، فَإِنْ اسْتَقَامَ اتَّبَعُوهُ، وَإِنْ جَنَفَ قَتَلُوهُ، فَقَالَ طَلْحَةُ: وَمَا عَلَيْكَ لَوْ قُلْتَ: إِنْ تَعَوَّجَ عَزْلُوهُ! فَقَالَ: لَا، الْقَتْلُ أَكْثَلُ لِمَنْ بَعْدَهُ، أَحْذَرُوا فَتَى قُرَيْشٍ وَابْنَ كَرِيمِهَا الَّذِي لَا يَنَامُ إِلَّا عَلَى الرِّضَا، وَيَضْحَكُ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَهُوَ يَتَنَاوَلُ مَنْ فَوْقَهُ وَمَنْ تَحْتَهُ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَاوُدَ الْوَاسِطِيِّ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ: كُنَّا نَعُدُّ الْمُقْرِصَ بِحَيْلَا، إِنَّمَا كَانَتْ الْمَوَاسَاةُ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، عَنْ ابْنِ دَأْبٍ، عَنْ أَبِي مَعْبِدٍ الْأَسْلَمِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عُمَرَ قَالَ لِنَاسٍ مِنْ قُرَيْشٍ: بَلَّغْنِي أَنْتُمْ تَتَخَذُونَ مَجَالِسَ، لَا يَجْلِسُ اثْنَانِ مَعًا حَتَّى يَقَالَ: مِنْ صَحَابَةِ فُلَانٍ؟ مِنْ

٤٠٨٠٢٠ ذكر بعض خطبه رضى الله تعالى عنه

جُلَسَاءِ فُلَانٍ؟ حَتَّى تُحَوِّمَتِ الْمَجَالِسُ، وَإِمُّمُ اللَّهِ إِنَّ هَذَا لَسَرِيعٌ فِي دِينِكُمْ، سَرِيعٌ فِي شَرَفِكُمْ، سَرِيعٌ فِي ذَاتِ بَيْنِكُمْ، وَلَكَّأَنِّي بِمَنْ يَأْتِي بَعْدَكُمْ يَقُولُ:

هَذَا رَأْيُ فُلَانٍ، قَدْ قَسَمُوا الْإِسْلَامَ أَقْسَامًا، أَفِيضُوا مَجَالِسَكُمْ بَيْنَكُمْ، وَتَجَالَسُوا مَعًا، فَإِنَّهُ أَدْوَمُ لَأُفْتِكُمْ، وَاهْبِ بُكُمْ فِي النَّاسِ اللَّهُمَّ مَلُونِي وَمِلَّتَهُمْ، وَأَحْسَسْتُ مِنْ نَفْسِي وَأَحْسُوا مِنِّي، وَلَا أَدْرِي بِأَيِّهَا يَكُونُ الْكُونُ، وَقَدْ أَعْلَمُ أَنَّ لَهُمْ قَبِيلًا مِنْهُمْ، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: اتَّخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَيْحَةَ أَفْرَاسًا بِالْمَدِينَةِ، فَفَعَّعَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَكَلَّمَهُ فِي أَنْ يَأْذَنَ لَهُ، قَالَ: لَا أَذِنُ لَهُ، إِلَّا أَنْ يَجِيءَ بِعَلْفِهَا مِنْ غَيْرِ الْمَدِينَةِ فَارْتَبَطَ أَفْرَاسًا، وَكَانَ يَحْمِلُ إِلَيْهَا عِلْفًا مِنْ أَرْضِ لَهُ بِالْبَلَيْنِ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْمَاعِيلَ الْهَمْدَانِيُّ، عَنْ مُجَالِدٍ، قَالَ: بَلَّغْنِي أَنَّ قَوْمًا ذَكَرُوا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَجُلًا، فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَاضِلٌ لَا يَعْرِفُ مِنَ الشَّرِّ شَيْئًا، قَالَ: ذَاكَ أَوْقَعُ لَهُ فِيهِ! ذَكَرَ بَعْضُ خُطْبِهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ، عَنْ ابْنِ الْمُنَكِّدِرِ وَغَيْرِهِ، وَأَبِي مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيِّ عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَيَزِيدَ بْنِ عِيَاضٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَعَلِيِّ بْنِ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عِيَاضٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُوْمَانَ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ خَطَبَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ النَّاسَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ، وَلَوْلَا رَجَاءُ أَنْ أَكُونَ خَيْرَكُمْ لَكُمْ، وَأَقْوَاكُمْ عَلَيْكُمْ، وَأَشَدَّكُمْ اسْتِضْلَاعًا بِمَا يُنُوبُ مِنْ مِهْمِ أُمُورِكُمْ، مَا تَوَلَّيْتُ ذَلِكَ مِنْكُمْ، وَلَكِنِّي عُمَرُ

مَهْمَا مُحْزَنًا أَنْتَظَرُ مُوَافَقَةَ الْحِسَابِ بِأَخْذِ حُقُوقِكُمْ كَيْفَ آخَذُهَا، وَوَضْعِهَا أَيْنَ أَضَعُهَا، وَبِالسَّيْرِ فِيكُمْ كَيْفَ أَسِيرُ! فَرِيَّ الْمُسْتَعَانُ، فَإِنَّ عُمَرَ أَصْبَحَ لَا يَثِقُ بِقُوَّةٍ وَلَا حِيلَةٍ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِرَحْمَتِهِ وَعَوْنِهِ وَتَأْيِيدِهِ. ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَلَانِي أَمْرَكُمْ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنْفَعُ مَا يَحْضُرَتُكُمْ لَكُمْ، وَإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِينَنِي عَلَيْهِ، وَأَنْ يَجْزِيَنِي عِنْدَهُ، كَمَا حَرَسَنِي عِنْدَ غَيْرِهِ، وَأَنْ يُلْهِمَنِي الْعَدْلَ فِي قَسْمِكُمْ كَالَّذِي أَمَرَنِي بِهِ، وَإِنِّي أَمْرُؤُ مُسْلِمٌ وَعَبْدٌ ضَعِيفٌ، إِلَّا مَا أَعَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَنْ يُغَيِّرَ الَّذِي وُلِّيتُ مِنْ خِلَافَتِكُمْ مِنْ خُلُقِي شَيْئًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، إِنَّمَا الْعَظْمَةُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَيْسَ لِلْعِبَادِ مِنْهَا شَيْءٌ، فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ: إِنَّ عُمَرَ تَغَيَّرَ مِنْذُ وَلِيَّيَ أَعْقِلُ الْحَقَّ مِنْ نَفْسِي وَاتَّقَدَّمُ، وَأَبِينَ لَكُمْ أَمْرِي، فَإِنَّمَا رَجُلٌ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ أَوْ ظَلَمَ مَظْلَمَةً، أَوْ عَتَبَ عَلَيْنَا فِي خُلُقٍ، فَلْيُؤْذِنِي، فَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ، فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ، وَحُرْمَاتِكُمْ وَأَعْرَاضِكُمْ، وَأَعْطُوا الْحَقَّ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا يَحْمِلْ

بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَلَى أَنْ تَحَاكُمُوا إِلَيَّ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ هَوَادَةٌ، وَأَنَا حَبِيبٌ إِلَيَّ صَلَاحُكُمْ، عَزِيزٌ عَلَيَّ عِتْبُكُمْ وَأَنْتُمْ أَنَا عَامَّتُكُمْ حَضَرَ فِي بِلَادِ اللَّهِ، وَأَهْلُ بَلَدٍ لَا زَرْعَ فِيهِ وَلَا ضَرْعَ إِلَّا مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِ.

وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَعَدَكُمْ كَرَامَةً كَثِيرَةً، وَأَنَا مَسْئُولٌ عَنْ أَمَانَتِي وَمَا أَنَا فِيهِ، وَمُطَّلَعٌ عَلَى مَا بِحَضْرَتِي بِنَفْسِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَا أَكُلُهُ إِلَى أَحَدٍ، وَلَا أَسْتَطِيعُ مَا بَعْدَ مِنْهُ إِلَّا بِالْأَمْنَاءِ وَأَهْلِ النُّصْحِ مِنْكُمْ لِلْعَامَّةِ، وَلَسْتُ أَجْعَلُ أَمَانَتِي إِلَى أَحَدٍ سِوَاهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وخطب أيضا، فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ص:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنْ بَعْضُ الطَّمَعِ فَقْرٌ، وَإِنْ بَعْضُ الْيَأْسِ غِنًى، وَإِنْكُمْ تَجْعَلُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ، وَتَأْمَلُونَ مَا لَا تَدْرِكُونَ، وَأَنْتُمْ مُؤَجَّلُونَ فِي دَارِ غُرُورٍ كُنْتُمْ عَلَى

عهد رسول الله ص، تُوَخَّدُونَ بِالْوَحْيِ، فَمَنْ أَسَرَّ شَيْئًا أَخَذَ بِسِرِّتِهِ، وَمَنْ أَعْلَنَ شَيْئًا أَخَذَ بِعَلَانِيَتِهِ، فَأَظْهَرُوا لَنَا أَحْسَنَ أَخْلَاقِكُمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالسَّرَائِرِ، فَإِنَّهُ مَنْ أَظْهَرَ شَيْئًا وَزَعَمَ أَنَّ سِرِّتَهُ حَسَنَةٌ لَمْ نَصِدِّقْهُ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا عَلَانِيَةً حَسَنَةً ظَنَّنَا بِهِ حُسْنًا وَعَلِمُوا أَنَّ بَعْضَ الشَّجِّ شُعْبَةٌ مِنَ النِّفَاقِ، فَانْفَقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ، وَمَنْ يُوَقَّ شَيْخٌ نَفْسَهُ فَأَوْلِيكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، أَطِيبُوا مَثْوَاكُمْ، وَأَصْلِحُوا أُمُورَكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَلَا تَلْبَسُوا نِسَاءَ كُرِّ الْقَبَاطِيِّ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَشْفَ فَإِنَّهُ يَصِفُ. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي لَوَدِدْتُ أَنْ أَنْجُو كَفَافًا لَا لِي وَلَا عَلَيَّ، وَإِنِّي لَأَرْجُو إِنْ عَمَرْتُ فِيكُمْ يَسِيرًا أَوْ كَثِيرًا أَنْ أَعْمَلَ بِالْحَقِّ فِيكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالْأَبَقَى أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ كَانَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا آتَاهُ حَقُّهُ وَنَصِيبُهُ مِنْ مَالِ اللَّهِ، وَلَا يَعْمَلُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ، وَلَمْ يَنْصِبْ إِلَيْهِ يَوْمًا وَأَصْلَحُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي رَزَقَكُمْ اللَّهُ، وَلَقِيلَ فِي رَفْعِي خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ فِي عُنْفٍ، وَالْقَتْلُ حَتْفٌ مِنَ الْخُتُوفِ، يُصِيبُ الْبِرَّ وَالْفَاجِرَ، وَالشَّهِيدَ مِنْ أَحْتَسَبَ نَفْسَهُ وَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ بَعِيرًا فَلْيَعْمِدْ إِلَى الطَّوِيلِ الْعَظِيمِ فَلْيَضْرِبْهُ بِعَصَاهُ، فَإِنْ وَجَدَهُ حَدِيدَ الْفَوَادِ فَلْيَشْتَرِهِ قَالُوا: وَخَطَبَ أَيْضًا فَقَالَ:

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ قَدْ اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ الشُّكْرَ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فِيمَا آتَاكُمْ مِنْ كَرَامَةِ الْآخِرَةِ وَالْدُّنْيَا، عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ مِنْكُمْ لَهُ، وَلَا رَغْبَةٍ مِنْكُمْ فِيهِ إِلَيْهِ، خَلَقَكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا لِنَفْسِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَكَانَ قَادِرًا أَنْ يَجْعَلَكُمْ لَأَهْوَنَ خَلْقِهِ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ لَكُمْ عَامَّةَ خَلْقِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْكُمْ لَشَيْءٍ غَيْرِهِ، وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، وَحَمَلَكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

ثُمَّ جَعَلَ لَكُمْ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ نِعَمٌ عَمَّ بِهَا بَنِي آدَمَ، وَمِنْهَا نِعَمٌ اخْتَصَّ بِهَا أَهْلَ دِينِكُمْ، ثُمَّ صَارَتْ تِلْكَ النِّعَمُ خَوَاصُهَا وَعَوَامُهَا فِي دَوْلَتِكُمْ وَزَمَانِكُمْ وَطَبَقَتِكُمْ، وَلَيْسَ مِنْ تِلْكَ النِّعَمِ نِعْمَةٌ وَصَلَتْ إِلَى أَمْرٍ خَاصَّةٍ إِلَّا لَوْ قَسَمَ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْهَا بَيْنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَتَعْبَهُمْ شُكْرُهَا، وَفَدَحَهُمْ حَقُّهَا، إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ مَعَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَانْتُمْ مُسْتَخْلِفُونَ فِي الْأَرْضِ، قَاهِرُونَ لِأَهْلِهَا، قَدْ نَصَرَ اللَّهُ دِينَكُمْ، فَلَمْ تُصْبِحْ أُمَّةٌ مُخَالِفَةٌ لِدِينِكُمْ إِلَّا أُمَّتَانِ، أُمَّةٌ مُسْتَعْبِدَةٌ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، يَجْزُونَ لَكُمْ، يَسْتَصِفُونَ مَعَايِشَهُمْ وَكَدَائِحَهُمْ وَرُشْحَ جَبَاهِهِمْ، عَلَيْهِمُ الْمَثُونَةُ وَلَكُمْ الْمُنْفَعَةُ، وَأُمَّةٌ تَنْتَظِرُ وَقَائِعَ اللَّهِ وَسُطُوتَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، قَدْ مَلَأَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ رُعبًا، فَلَيْسَ لَهُمْ مَعْقِلٌ يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ، وَلَا مَهْرَبٌ يَتَّقُونَ بِهِ، قَدْ دَهَمَتْهُمْ جُنُودُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَزَلَتْ بِسَاحَتِهِمْ، مَعَ رِفَاغَةِ الْعَيْشِ، وَاسْتِفَاضَةِ الْمَالِ، وَتَثَابِجِ الْبُعُوثِ، وَسَدِّ الثُّغُورِ بِإِذْنِ اللَّهِ، مَعَ الْعَافِيَةِ الْجَلِيلَةِ الْعَامَّةِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى أَحْسَنِ مِنْهَا مَذْكَانَ الْإِسْلَامِ، وَاللَّهُ الْمَحْمُودُ، مَعَ الْفَتْوحِ الْعَظَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ فَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَ مَعَ هَذَا شُكْرُ الشَّاكِرِينَ وَذِكْرُ الذَّاكِرِينَ وَاجْتِهَادُ الْمُجْتَهِدِينَ، مَعَ هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي لَا يُحْصَى عَدْدُهَا، وَلَا يَقْدَرُ قَدْرُهَا، وَلَا يَسْتَطَاعُ أَدَاءُ حَقِّهَا إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ! فَتَسْأَلُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي أَبْلَانَا هَذَا، أَنْ يَرْزُقَنَا الْعَمَلَ

بِطَاعَتِهِ، وَالْمُسَارَعَةَ إِلَى مَرْضَاتِهِ.
وَأَذْكُرُوا عِبَادَ اللَّهِ بَلَاءَ اللَّهِ عِنْدَكُمْ، وَاسْتَتِمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَفِي مَجَالِسِكُمْ مَثْنَى وَفَرَادَى، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِمُوسَى: «أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ» وقال لمحمد ص:
«وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعِفُونَ فِي الْأَرْضِ» فَلَوْ كُنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ مُسْتَضْعَفِينَ مُحْرَمِينَ خَيْرَ الدُّنْيَا عَلَى شُعْبَةَ مِنَ الْحَقِّ، تُوْمِنُونَ بِهَا، وَلَسْتَرِيحُونَ إِلَيْهَا، مَعَ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ وَدِينِهِ، وَتَرْجُونَ بِهَا الْخَيْرَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، لَكَانَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ كُنْتُمْ أَشَدَّ النَّاسِ مَعِيشَةً، وَأَثْبَتَهُم بِاللَّهِ جَهَالَةً فَلَوْ كَانَ هَذَا الَّذِي اسْتَشَلَّكُمْ

٤٠٨٠٢١ من ندب عمر ورثاه رضى الله عنه

بِهِ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ حَظٌّ فِي دُنْيَاكُمْ، غَيْرَ أَنَّهُ ثَقَّةٌ لَكُمْ فِي آخِرَتِكُمْ الَّتِي إِلَيْهَا الْمَعَادُ وَالْمُنْقَلَبُ، وَأَنْتُمْ مِنْ جَهْدِ الْمَعِيشَةِ عَلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ أَحْرِيَاءُ أَنْ تَشْحُوا عَلَى نَصِيْبِكُمْ مِنْهُ، وَأَنْ تَظْهَرُوهُ عَلَى غَيْرِهِ، فَبَلَهُ مَا إِنَّهُ قَدْ جُمِعَ لَكُمْ فَضِيلَةُ الدُّنْيَا وَكَرَامَةُ الْآخِرَةِ، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَجْمَعَ لَهُ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَأَذْكُرْكُمْ اللَّهُ الْحَائِلَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ إِلَّا مَا عَرَفْتُمْ حَقَّ اللَّهِ فَعَلِمْتُمْ لَهُ، وَقَسَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ عَلَى طَاعَتِهِ، وَجَمَعْتُمْ مَعَ السُّرُورِ بِالنَّعَمِ خَوْفًا لَهَا وَلَا تَنْقَلِبُهَا، وَوَجَلَا مِنْهَا وَمِنْ تَحْوِيلِهَا، فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَسْلَبَ لِلنَّعْمَةِ مِنْ كُفْرَانِهَا، وَإِنَّ الشُّكْرَ أَمْنٌ لِلْغَيْرِ، وَنَمَاءٌ لِلنَّعْمَةِ، وَاسْتِجَابٌ لِلزِّيَادَةِ، هَذَا لِلَّهِ عَلَى مِنْ أَمْرِكُمْ وَنَهْيِكُمْ وَاجِبٌ .
من ندب عمر ورثاه رضى الله عنه

ذَكَرَ بَعْضُ مَا رُثِيَ بِهِ حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَرْجَمِي، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، أَنَّ بَاكِيَةَ بَكَتْ عَلَى عُمَرَ، فَقَالَتْ: وَاحِرَى عَلَى عُمَرَ! حَرَّانَتْشِرْ، فَلَأُ الْبَشْرَ وَقَالَتْ أُخْرَى: وَاحِرَى عَلَى عُمَرَ! حَرَّانَتْشِرْ، حَتَّى شَاعَ فِي الْبَشْرِ.
حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ دَاوُدَ وَسَعِيدُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: لَمَّا مَاتَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَكَتْهُ ابْنَةُ أَبِي حَثْمَةَ، فَقَالَتْ: وَاحِرَاهُ! أَقَامَ الْأَوْدَ، وَأَبْرَأَ الْعُمَدَ، أَمَاتَ الْفِتَنَ، وَأَحْيَا السُّنَنَ، خَرَجَ نَقِيَّ الثَّوْبِ، بَرِيئًا مِنَ الْعَيْبِ.

قَالَ: وَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ: لَمَّا دُفِنَ عُمَرُ أَتَيْتُ عَلِيًّا وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ مِنْهُ فِي عُمَرٍ شَيْئًا، نَفْرَجَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ وَلِحْيَتَهُ وَقَدْ اغْتَسَلَ، وَهُوَ مُلْتَحِفٌ بِثَوْبٍ، لَا يَشُكُّ أَنَّ الْأَمْرَ يَصِيرُ إِلَيْهِ، [فَقَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ الْخَطَّابِ! لَقَدْ صَدَقَتْ ابْنَةُ أَبِي حَثْمَةَ، لَقَدْ ذَهَبَ بِخَيْرِهَا، وَنَجَا مِنْ شَرِّهَا، أَمَا وَاللَّهِ مَا قَالَتْ، وَلَكِنْ قُوْلَتْ].
وَقَالَتْ عَاتِكَةُ ابْنَةُ زَيْدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٤٠٨٠٢٢ شيء من سيره مما لم يمض ذكره

جَفَعَنِي فَيُورُزُ لَا دَرَّ دَرُهُ ... بِأَبْيَضَ تَالٍ لِلْكِتَابِ مُنِيبٍ
رُءُوفٌ عَلَى الْأَدْنَى غَلِيظٌ عَلَى الْعِدَا ... أَخِي ثِقَّةٌ فِي النَّائِبَاتِ مُجِيبٍ
مَتَى مَا يَقُلْ لَا يَكْذِبُ الْقَوْلَ فِعْلُهُ ... سَرِيعٌ إِلَى الْخَيْرَاتِ غَيْرُ قَطُوبٍ
وَقَالَتْ أَيْضًا:
عَيْنُ جُودِي بِعَبْرَةٍ وَنَحِيبٍ ... لَا تَمَلِّي عَلَى الْإِمَامِ النَّجِيبِ

فجعتني المنون بالفارس المعلم ... يوم الهياج والتليب
عصمه الناس والمعين على الدهر ... وغيث المنتاب والمحروب
قُلْ لأهل السراء والبؤس موتوا ... قَدْ سَقَتُهُ الْمُنُونُ كَأْسَ شُعُوبٍ
وَقَالَتْ أَمْرًا تَبْكِيهِ:

سَيِّئِكَ نِسَاءُ الْحَيِّ ... يَبْكِينَ شَجِيَّاتٍ
وَيَجْشْنَ وُجُوهًا ... كَالْدَّانِيرِ نَقِيَّاتٍ
وَيَلْبَسْنَ ثِيَابَ الْحُزْنِ ... بَعْدَ الْقَصَبِيَّاتِ
شَيْءٌ مِنْ سِيرِهِ مِمَّا لَمْ يَمُضِ ذِكْرُهُ

حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، عن ابن جعدة، عن إسماعيل بن أبي حكيم، عن سعيد بن المسيب، قال: حجَّ عمر، فلما كان بضجنان قال: لا إله إلا الله العظيم العلي، المعطي ما شاء من شاء! كنت أرى إبل الخطاب بهذا الوادي في مدرعة صوف، وكان فظا يتعني إذا عملت، ويضربني إذا قصرت، وقد أمنت وليس بيني وبين الله أحد، ثم تمثل:

لا شيء فيما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويودى المال والولد
لم تغن عن هرمي يوما خزائنه ... وانلحد قد حاولت عاد فمأ خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له ... والإنس والجن فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت نوافلها ... من كل أوب إليها راكب يفد
حوضا هنالك مورودا بلا كذب ... لا بد من ورده يوما كما وردوا

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي، قال: حدثنا أبو الوليد المكي، قال: بينما عمر جالس إذ أقبل رجل أعرج يقود ناقة تطلع، حتى وقف عليه، فقال:

إِنَّكَ مُسْتَرَعَى وَإِنَّا رَعِيَّةٌ ... وَإِنَّكَ مَدْعُوُ بِسِمَاكَ يَا عُمَرُ

إذا يوم شر شره لشراره ... فقد حملتك اليوم أحسابها مضر
فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله. وشكا الرجل ظلع ناقته، فقبض عمر الناقة وحمله على جمل أحمر وزوده، وانصرف ثم خرج عمر في عقب ذلك حاجا، فبينما هو يسير إذ لحق راكبا يقول:

مَا سَأَسْنَا مِثْلَكَ يَا بَنَ الْخَطَابِ ... أَبْرُ بِالْأَقْصَى وَلَا بِالْأَصْحَابِ
بَعْدَ النَّبِيِّ صَاحِبِ الْكُتَابِ.

فخنسه عمر بمخصرة معه، وقال: فأين أبو بكر! حدثني عمر، قال: حدثنا علي بن محمد، عن محمد بن صالح، عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق، قال: استعمل عمر عتبة بن أبي سفيان على كنانة، فقدم معه بمال، فقال: ما هذا يا عتبة؟ قال: مال خرجت به معي وتجرت فيه، قال: ومالك تخرج المال معك في هذا الوجه! فصيره في بيت المال فلما قام عثمان قال لأبي سفيان: إن طلبت ما أخذ عمر من عتبة ردده عليه، فقال أبو سفيان: إنك إن خالفت صاحبك قبلك ساء رأي الناس فيك، إياك أن ترد على من كان قبلك، فيرد عليك من بعدك.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الربيع بن النعمان

وَأَبِي الْمُجَالِدِ جَرَادُ بْنُ عَمْرٍو وَأَبِي عُثْمَانَ وَأَبِي حَارِثَةَ وَأَبِي عَمْرٍو مَوْلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالُوا: إِنَّ هِنْدَ ابْنَةَ عُبَيْةَ قَامَتْ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَاسْتَقْرَضَتْهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ تَجَرُّ فِيهَا وَتَضُمُّهَا، فَأَقْرَضَهَا، فَخَرَجَتْ فِيهَا إِلَى بِلَادِ كَلْبٍ، فَاشْتَرَتْ وَبَاعَتْ، فَبَلَغَهَا أَنْ أَبَا سُفْيَانَ وَعَمْرُو بْنُ أَبِي سُفْيَانَ قَدْ أَتَيَا مُعَاوِيَةَ، فَعَدَلَتْ إِلَيْهِ مِنْ بِلَادِ كَلْبٍ، فَأَتَتْ مُعَاوِيَةَ، وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ قَدْ طَلَّقَهَا، قَالَ:

مَا أَقْدَمَكَ أَيُّ أُمَةٍ؟ قَالَتْ: النَّظَرُ إِلَيْكَ أَيُّ بَنِي، إِنَّهُ عُمَرُ، وَإِنَّمَا يَعْمَلُ لِلَّهِ، وَقَدْ أَتَاكَ أَبُوكَ نَخَشِيتُ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَاهْلُ ذَلِكَ هُوَ، فَلَا يَعْلَمُ النَّاسُ مِنْ أَيْنَ أُعْطِيَتْهُ فَيُؤْنِسُونَكَ وَيُؤْنِيبُكَ عُمَرُ، فَلَا يَسْتَقِيلُهَا أَبَدًا، فَبَعَثَ إِلَى أَبِيهِ وَإِلَى أَخِيهِ بِمِائَةِ دِينَارٍ، وَكَسَاهُمَا وَحَمَلَهُمَا، فَتَعَظَّمَهَا عَمْرُو، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَا تَعْظُمَهَا، فَإِنَّ هَذَا عَطَاءٌ لَمْ تَغِبْ عَنْهُ هِنْدٌ، وَمَشُورَةٌ قَدْ حَضَرَتْهَا هِنْدٌ، وَرَجَعُوا جَمِيعًا، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ لِهِنْدَ: أَرَبِجَتْ؟ فَقَالَتْ:

اللَّهُ أَعْلَمُ، مَعِيَ تِجَارَةٌ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَمَّا أَتَتِ الْمَدِينَةَ وَبَاعَتْ شَكَّتِ الْوَضِيعَةَ، فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: لَوْ كَانَ مَالِي لَتَرَكْتَهُ لَكَ، وَلَكِنَّهُ مَالُ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذِهِ مَشُورَةٌ لَمْ يَغِبْ عَنْهَا أَبُو سُفْيَانَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَبَسَّسَهُ حَتَّى أَوْفَتْهُ، وَقَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ:

يَكُمُ أَجَارُكَ مُعَاوِيَةُ؟ فَقَالَ: بِمِائَةِ دِينَارٍ وَحَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، عَنْ مَسْلَمَةَ بْنِ مِحَارِبٍ، عَنْ خَالِدِ الْحَذَّاءِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ عَنِ الْأَخْنَفِ، قَالَ: أَتَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَيْرٍ عُمَرَ، وَهُوَ يَفْرُضُ لِلنَّاسِ - وَاسْتَشْهَدَ أَبُوهُ يَوْمَ حَنْينَ - فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، افْرِضْ لِي، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، فَخَسَّهُ، فَقَالَ عُمَرُ: حَسَّ! وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَيْرٍ، قَالَ: يَا يَرْفَأُ، أَعْطِهِ سِتَّمِائَةً، فَأَعْطَاهُ خَمْسَمِائَةً، فَلَمْ يَقْبَلْهَا، وَقَالَ: أَمْرٌ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِسِتَّمِائَةٍ، وَرَجَعَ إِلَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا يَرْفَأُ، أَعْطِهِ سِتَّمِائَةً وَحَلَةً، فَأَعْطَاهُ فَلَبَسَ

الْحَلَّةَ الَّتِي كَسَاهُ عُمَرُ، وَرَمَى بِمَا كَانَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا بَنِي، خُذْ ثِيَابَكَ هَذِهِ فَتَكُونَ لِمِهْنَةِ أَهْلِكَ، وَهَذِهِ لِزِينَتِكَ. حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، قَالَ حَدَّثَنَا: أَبُو الْوَلِيدِ الْمَكِّيُّ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ وَلَدِ طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَإِنَّا لَنَسِيرُ لَيْلَةً، وَقَدْ دَنَوْتُ مِنْهُ، إِذْ ضَرَبَ مُقَدِّمَ رَحْلِهِ بِسَوْطِهِ، وَقَالَ:

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ يَقْتُلُ أَحْمَدُ ... وَلَمَّا نَطَاعَنْ دُونَهُ وَنَاضِلُ
وَسُلِّمَهُ حَتَّى نَصَرَ حَوْلَهُ ... وَنَذَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَالِ
ثُمَّ قَالَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، ثُمَّ سَارَ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ قَلِيلًا، ثُمَّ قَالَ:

وَمَا حَمَلْتُ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا ... أَبْرَ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ

وَأَكْسَى لِبُرْدِ الْخَلَالِ قَبْلَ ابْتِدَالِهِ ... وَأَعْطَى لِرَأْسِ السَّابِقِ الْمُتَجَرَّدِ

ثُمَّ قَالَ: اسْتَغْفِرُ اللَّهَ، يَا بَنَ عَبَّاسٍ، مَا مَنَعَ عَلِيًّا مِنَ الْخُرُوجِ مَعَنَا؟

قُلْتُ: لَا أَدْرِي، قَالَ: يَا بَنَ عَبَّاسٍ، ابُوكَ عَمَ رَسُولَ اللَّهِ ص، وَأَنْتَ ابْنُ عَمِّهِ، فَمَا مَنَعَ قَوْمَكُمْ مِنْكُمْ؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي، قَالَ: لَكِنِّي أَدْرِي، يَكْرَهُونَ وَلَا يَتَكَلَّمُونَ لَكُمْ! قُلْتُ: لَمْ، وَنَحْنُ لَكُمْ كَالْخَيْرِ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ غَفْرًا، يَكْرَهُونَ أَنْ تَجْتَمَعَ فِيكُمْ النُّبُوَّةُ وَالْخِلَافَةُ، فَيَكُونُ بِحَا بِحَا، لَعَلَّكُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ فَعَلَ ذَلِكَ، لَا وَاللَّهِ وَلَكِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَتَى أَحْزَمَ مَا حَضَرَهُ، وَلَوْ جَعَلَهَا لَكُمْ مَا نَفَعَكُمْ مَعَ قُرْبِكُمْ، أَلَسَدُنِي لِشَاعِرِ الشُّعْرَاءِ زُهَيْرٍ قَوْلُهُ:

إِذَا ابْتَدَرْتَ قَيْسُ بْنُ عِيلَانَ غَايَةً ... مِنَ الْمَجْدِ مَنْ يَسْبِقُ إِلَيْهَا يُسَوِّدُ
فَأَنشَدْتُهُ وَطَلَعَ الْفَجْرُ، فَقَالَ: اقْرَأِ الْوَاقِعَةَ، فَقَرَأْتُهَا، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، وَقَرَأَ بِالْوَاقِعَةِ.

حَدَّثَنِي ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ،
عَنْ رَجُلٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبَعْضُ أَصْحَابِهِ يَتَذَاكَرُونَ الشَّعْرَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فُلَانٌ أَشْعَرُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ فُلَانٌ أَشْعَرُ، قَالَ: فَأَقْبَلْتُ، فَقَالَ عُمَرُ: قَدْ
جَاءَكُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِهَا، فَقَالَ عُمَرُ: مَنْ شَاعِرُ الشَّعْرَاءِ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ قَالَ: فَقُلْتُ:
زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ، فَقَالَ عُمَرُ: هَلَمْ مِنْ شَعْرِهِ مَا نَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى مَا ذَكَرْتَ، فَقُلْتُ: امْتَدَحَ قَوْمًا مِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَطَفَانَ، فَقَالَ:
لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ ... قَوْمٌ بِأَوْلِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا
قَوْمٌ أَبْوَهُمْ سِنَانٌ حِينَ تَنْسِبُهُمْ ... طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
إِنْسٌ إِذَا أَمِنُوا، جَنُّ إِذَا فَزَعُوا ... مَرَزَعُونَ بِهَا لَيْلٌ إِذَا حَشَدُوا
مُحْسَدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَعَمٍ ... لَا يَنْزِعُ اللَّهُ مِنْهُمْ مَالَهُ حُسِدُوا
فَقَالَ عُمَرُ: أَحْسَنَ، وَمَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَوْلَى بِهَذَا الشَّعْرِ مِنْ هَذَا الْحَيِّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ! لِفَضْلِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَقَرَابَتِهِمْ مِنْهُ، فَقُلْتُ: وَفَقَّتَ يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَمْ تَزَلْ مُوَفَّقًا، فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَتَدْرِي مَا مَنَعَ قَوْمَكُمْ مِنْهُمْ بَعْدَ مُحَمَّدٍ؟ فَكَرِهْتُ أَنْ أَجِيبَهُ، فَقُلْتُ: إِنْ لَمْ أَكُنْ أَدْرِي
فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْرِينِي، فَقَالَ عُمَرُ: كَرِهُوا أَنْ يَجْمَعُوا لَكُمْ النُّبُوَّةَ وَالْخِلَافَةَ، فَتَبَجَّحُوا عَلَى قَوْمِكُمْ بِجَحَاً بِجَحَاً، فَاخْتَارَتْ قُرَيْشٌ لِنَفْسِهَا
فَأَصَابَتْ وَوَفَّقَتْ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ تَأَذَّنَ لِي فِي الْكَلَامِ، وَتَمَطَّ عَنِّي الْعَصَبُ تَكَلَّمْتُ.
فَقَالَ: تَكَلَّمْ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقُلْتُ: أَمَّا قَوْلُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: اخْتَارَتْ قُرَيْشٌ لِنَفْسِهَا فَأَصَابَتْ وَوَفَّقَتْ، فَلَوْ أَنَّ قُرَيْشًا اخْتَارَتْ لِنَفْسِهَا
حَيْثُ اخْتَارَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهَا لَكَانَ الصَّوَابُ بِبَيْدِهَا غَيْرَ مَرْدُودٍ وَلَا مُحْسُودٍ وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّهُمْ كَرِهُوا أَنْ تَكُونَ لَنَا النُّبُوَّةُ وَالْخِلَافَةُ، فَإِنَّ
اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَصَفَ قَوْمًا بِالْكَرَاهِيَةِ فَقَالَ: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ» .
فَقَالَ عُمَرُ: هِيَاتِ وَاللَّهِ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ! قَدْ كَانَتْ تَبْلُغُنِي عَنْكَ أَشْيَاءُ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ أَفْرُكَ عَنْهَا، فَتَزِيلَ مَنْزِلَتَكَ مِنِّي، فَقُلْتُ: وَمَا هِيَ يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟
فَإِنْ كَانَتْ حَقًّا فَمَا يَنْبَغِي أَنْ تُزِيلَ مَنْزِلَتِي مِنْكَ، وَإِنْ كَانَتْ بَاطِلًا فَمَثَلِي أَمَّا طِ الْبَاطِلَ عَنْ نَفْسِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: بَلَّغْنِي أَنَّكَ تَقُولُ: إِنَّمَا
صَرَفُوهَا عَنَّا حَسَدًا وَظُلْمًا! فَقُلْتُ: أَمَّا قَوْلُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: ظُلْمًا، فَقَدْ تَبَيَّنَ لِلْجَاهِلِ وَالْحَلِيمِ، وَأَمَّا قَوْلُكَ: حَسَدًا، فَإِنَّ إِبْلِيسَ حَسَدَ
آدَمَ، فَتَحَنَّنَ وَلَدَهُ الْمُحْسُودُونَ، فَقَالَ عُمَرُ: هِيَاتِ! أَبْتَ وَاللَّهِ قُلُوبَكُمْ يَا بَنِي هَاشِمٍ إِلَّا حَسَدًا مَا يُحَوَّلُ، وَضَعْنَا وَغَشَا مَا يَزُولُ فَقُلْتُ:
مَهْلًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا تَصِفْ قُلُوبَ قَوْمٍ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا بِالْحَسَدِ وَالْغِيْشِ، فَإِنَّ قَلْبَ رَسُولِ اللَّهِ ص مِنْ
قُلُوبِ بَنِي هَاشِمٍ فَقَالَ عُمَرُ: إِلَيْكَ عَنِّي يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقُلْتُ: أَفْعَلُ، فَلَمَّا ذَهَبَتْ لَأَقُومَ اسْتَحْيَا مِنِّي فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَكَانَكَ، فَوَاللَّهِ
إِنِّي لَرَاغٍ لِحَقِّكَ، مُحِبٌّ لِمَا سَرَّكَ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ لِي عَلَيْكَ حَقًّا وَعَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فَمَنْ حَفَظَهُ لِحَفَظَةِ أَصَابِ، وَمَنْ أَضَاعَهُ
فَحَفَظَهُ أَخْطَأَ.
ثُمَّ قَامَ فَضَى.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْخَضْرَمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، عَنْ إِيَّاسِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:
مَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي السُّوقِ وَمَعَهُ الدَّرَّةُ، فَخَفَّفَنِي بِهَا خَفَقَةً، فَأَصَابَ طَرْفَ ثَوْبِي، فَقَالَ: أَمِطْ عَنِ الطَّرِيقِ، فَلَمَّا
كَانَ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ لَقِينِي فَقَالَ: يَا سَلَمَةُ، تُرِيدُ الْحَجَّ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَانْطَلَقَ بِي إِلَى مَنْزِلِهِ فَأَعْطَانِي سِتْمَاتِهِ دِرْهَمًا، وَقَالَ:

اسْتَعْنِ بِهَا عَلَى حَجِّكَ، وَاعْلَمْ أَنَّهَا بِالْخَفَقَةِ الَّتِي خَفَقْتُكَ، قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا ذَكَرْتَهَا! قَالَ: وَأَنَا مَا نَسِيتَهَا. حَدَّثَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَيَانَ، قَالَ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كَهْمِيلٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَيُّهَا الرَّعِيَّةُ: إِنَّ لَنَا عَلَيْكُمْ حَقًّا النَّصِيحَةَ بِالْغَيْبِ، وَالْمُعَاوَنَةَ عَلَى الْخَيْرِ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ حِلْمٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ وَلَا أَعَمَّ نَفْعًا مِنْ حِلْمٍ إِمَامٍ وَرَفَقَةٍ أَيُّهَا الرَّعِيَّةُ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ جَهْلٍ أَبْغَضَ إِلَى اللَّهِ وَلَا أَعَمَّ شَرًّا مِنْ جَهْلٍ إِمَامٍ وَخُرْقِهِ أَيُّهَا الرَّعِيَّةُ، إِنَّهُ مَنْ يَأْخُذُ بِالْعَافِيَةِ لِمَنْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ، يُوَثِّقُ اللَّهُ الْعَافِيَةَ مِنْ فَوْقِهِ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يَزِيدَ بْنِ دَاوُدَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي زَيْدٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ سَوَادَةَ، قَالَ: صَلَّيْتُ الصُّبْحَ مَعَ عُمَرَ، فَقَرَأَ: سُبْحَانَ وَسُورَةَ مَعَهَا، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَفْتُ مَعَهُ، فَقَالَ: أَحَاجَةٌ؟ قُلْتُ:

حَاجَةٌ، قَالَ: فَالْحَقُّ، قَالَ: فَلَحِقْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ أَذِنَ لِي، فَإِذَا هُوَ عَلَى سَرِيرٍ لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، فَقُلْتُ: نَصِيحَةٌ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّاصِحِ غَدَاً وَعَشِيًّا، قُلْتُ: عَابَتْ أُمْتُكَ مِنْكَ أَرْبَعًا، قَالَ: فَوَضَعَ رَأْسَ دِرَّتِهِ فِي ذَقْنِهِ، وَوَضَعَ أَسْفَلَهَا عَلَى خَفِّهِ، ثُمَّ قَالَ: هَاتِ، قُلْتُ: ذَكَرُوا أَنَّكَ حَرَمْتَ الْعُمَرَةَ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ، وَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَلَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهِيَ حَلَالٌ، قَالَ: هِيَ حَلَالٌ، لَوْ أَنَّهُمْ اعْتَمَرُوا فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ رَأَوْهَا مُجْزِيَةً مِنْ جِهَتِهِمْ، فَكَانَتْ قَائِمَةً قُوبَ عَامِهَا، فَفَرَعَ جَهَنَّمَ، وَهُوَ بِهَاءٍ مِنْ بِهَاءِ اللَّهِ، وَقَدْ أَصَبْتُ قُلْتُ: وَذَكَرُوا أَنَّكَ حَرَمْتَ مُتَعَةَ النِّسَاءِ وَقَدْ كَانَتْ رُخْصَةً مِنَ اللَّهِ لَتَسْتَمَعَ بِقَبْضَةٍ وَنِفَارِقُ عَنْ ثَلَاثَ.

قَالَ: إِنْ رَسُولُ اللَّهِ ص أَحَلَّهَا فِي زَمَانٍ ضَرُورَةٍ، ثُمَّ رَجَعَ النَّاسُ إِلَى السَّعَةِ، ثُمَّ لَمْ أَعْلَمْ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَمِلَ بِهَا وَلَا عَادَ إِلَيْهَا، فَلَا أَنْ مِنْ شَاءٍ نَكَحَ بِقَبْضَةٍ وَفَارِقَ عَنْ ثَلَاثَ بِطَلَا، وَقَدْ أَصَبْتُ قَالَ: قُلْتُ:

وَأَعْتَقْتُ الْأَمَةَ أَنْ وَضَعْتَ ذَا بَطْنَهَا بِغَيْرِ عِتَاقَةٍ سَيِّدَهَا، قَالَ: أَلَحَقْتُ حُرْمَةً بِحُرْمَةٍ، وَمَا أَرَدْتُ إِلَّا الْخَيْرَ، وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ قُلْتُ: وَتَشْكُوا مِنْكَ نَهْرَ الرَّعِيَّةِ وَعُنْفَ السِّيَاقِ قَالَ: فَشَرَعَ الدَّرَّةَ، ثُمَّ مَسَحَهَا حَتَّى آتَى عَلَى آخِرِهَا، ثُمَّ قَالَ: أَنَا زَمِيلُ مُحَمَّدٍ - وَكَانَ زَامِلُهُ فِي غَزْوِهِ قَرْقَرَهُ الْكَدَرِ - فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْتَعُ فَأَشْبَعُ، وَأَسْقِي فَأَرْوِي، وَأَنْهَزُ اللَّفُوتَ، وَأَزْجِرُ الْعُرُوضَ، وَأَذُبُ

قَدْرِي، وَأَسْوَقُ خَطْوِي، وَأَضْمُ الْعُنُودَ، وَأُلْحِقُ الْقُطُوفَ، وَأُكْثِرُ الزَّجْرَ، وَأُقِلُّ الضَّرْبَ، وَأُشِيرُ الْعَصَا، وَأَدْفَعُ بِالْيَدِ، لَوْلَا ذَلِكَ لَا غَدَرْتُ. قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: كَانَ وَاللَّهِ عَالِمًا بِرِعَايَتِهِمْ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ: نَبِئْتُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: إِنْ عُمَرُ كَانَ يَمْنَعُ أَهْلَهُ وَأَقْرَبَاءَهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، وَإِنِّي أُعْطِي أَهْلِي وَأَقْرَبَائِي ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، وَلَنْ يَلْقَى مِثْلَ عُمَرَ ثَلَاثَةً.

وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ضَمْرَةُ بْنُ رِبِيعَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ دَارًا مِنْ دُورِهَا، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَيْهِ إِزَارُ قَطْرِي، يَدُهُنَّ إِبِلَ الصَّدَقَةِ بِالْقَطِرَانِ.

وَحَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، لَأَخَذْتُ فَضُولَ أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ، فَفَقَسَمْتُهَا عَلَى فَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ.

وَحَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: كَانَ الْوَفْدُ إِذَا قَدِمُوا عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَهُمْ عَنْ أَمِيرِهِمْ، فَيَقُولُونَ خَيْرًا، فَيَقُولُ: هَلْ يَعُودُ مَرْضَاكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: هَلْ يَعُودُ الْعَبْدُ؟

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: كَيْفَ صَنِيعُهُ بِالضَّعِيفِ؟ هَلْ يَجْلِسُ عَلَى بَابِهِ؟
فَإِنْ قَالُوا لَخِصْلَةٌ مِنْهَا: لَا، عَزَلَهُ

٤٠٨٠٢٣ قصه الشورى

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ بَشِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو، قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ: أَرْبَعٌ مِنْ أَمْرِ الْإِسْلَامِ لَسْتُ مُضِيعُهُنَّ وَلَا تَارِكُهُنَّ لِشَيْءٍ أَبَدًا: الْقُوَّةُ فِي مَالِ اللَّهِ وَجَمْعُهُ حَتَّى إِذَا جَمَعْنَاهُ وَضَعْنَاهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ، وَقَعَدْنَا أَلَّ عَمْرٍ لَيْسَ فِي أَيْدِينَا وَلَا عِنْدَنَا مِنْهُ شَيْءٌ.

وَالْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ، أَلَا يُحْبَسُوا وَلَا يُجْرُوا، وَأَنْ يُوفَرَ فِي اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى عِيَالَتِهِمْ، وَأَكُونُ أَنَا لِلْعِيَالِ حَتَّى يَقْدُمُوا وَالْأَنْصَارُ الَّذِينَ أَعْطَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَصِيبًا، وَقَاتَلُوا النَّاسَ كَافَّةً، أَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَأَنْ يُشَاوِرُوا فِي الْأَمْرِ وَالْأَعْرَابُ الَّذِينَ هُمْ أَصْلُ الْعَرَبِ وَمَادَّةُ الْإِسْلَامِ، أَنْ تُوْخَذَ مِنْهُمْ صَدَقَتُهُمْ عَلَى وَجْهِهَا، وَلَا يُؤْخَذَ مِنْهُمْ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، وَأَنْ يَرُدَّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ وَمَسَاكِينِهِمْ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ: إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ النَّاسَ لَا يَعْدِلُونَ بِهِذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ الَّذِينَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَ يَكُونُ نَجِيًّا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ جَبْرِيلَ يَتَلَبَّغُ عَنْهُ وَيَمْلَأُ عَلَيْهِمَا .
قِصَّةُ الشُّورَى

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ وَكَيْعٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ وَابْنِ مُحَنَّفٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدٍ، عَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ وَمُبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو وَيُونُسَ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لَمَّا طَعِنَ قِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ اسْتَخْلَفْتَ! قَالَ: مَنْ اسْتَخْلَفَ؟ [لَوْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ حَيًّا اسْتَخْلَفْتُهُ، فَإِنْ سَأَلَنِي رَبِّي قُلْتُ: سَمِعْتُ نَبِيَّكَ يَقُولُ: إِنَّهُ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَوْ كَانَ سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ حَيًّا اسْتَخْلَفْتُهُ، فَإِنْ سَأَلَنِي رَبِّي قُلْتُ: سَمِعْتُ نَبِيَّكَ يَقُولُ: إِنَّ سَالِمًا شَدِيدُ الْحُبِّ لِلَّهِ] فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَدُلْكَ عَلَيْهِ؟ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، فَقَالَ: قَاتَلَكُمُ اللَّهُ، وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ اللَّهُ بِهَذَا، وَيْحَكَ! كَيْفَ اسْتَخْلَفْتُ رَجُلًا عَجَزَ عَنْ طَلَاقِ امْرَأَتِهِ! لَا أَرَبَ لَنَا فِي أُمُورِكُمْ، مَا حَدَّثْتَهَا فَأَرْغَبَ فِيهَا لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، إِنْ كَانَ خَيْرًا فَقَدْ أَصَبْنَا مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَشَرَعْنَا

أَلَّ عُمَرَ، بِحَسَبِ آلِ عُمَرَ أَنْ يُحَاسِبَ مِنْهُمْ رَجُلًا وَاحِدًا، وَيَسْأَلَ عَنْ أَمْرِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ، أَمَا لَقَدْ جَهَدْتُ نَفْسِي، وَحَرَمْتُ أَهْلِي، وَإِنْ نَجَوْتُ كَفَافًا لَا وَزَرَ وَلَا أَجْرَ إِنِّي لَسَعِيدٌ، وَأَنْظُرُ فَإِنْ اسْتَخْلَفْتُ فَقَدْ اسْتَخْلَفْتُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، وَإِنْ أَتْرَكْتُ فَقَدْ تَرَكْتُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، وَلَنْ يُضَيِّعَ اللَّهُ دِينَهُ نَفَرًا ثُمَّ رَاحُوا، فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ عَهَدْتَ عَهْدًا! فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَجْمَعْتُ بَعْدَ مَقَالَتِي لَكُمْ أَنْ أَنْظُرَ فَأُولِي رَجُلًا أَمْرَكُمْ، هُوَ أَحْرَأُكُمْ أَنْ يَحْمِلَكُمْ عَلَى الْحَقِّ - وَأَشَارَ إِلَى عَلِيٍّ - وَرَهَقْتَنِي غَشِيَةً، فَارْتَيْتُ رَجُلًا دَخَلَ جَنَّةً قَدْ غَرَسَهَا، فَجَعَلَ يَقْطِفُ

كُلَّ غَضَّةٍ وَيَانِعَةٍ فَيُضْمُهُ إِلَيْهِ وَيُصِيرُهُ تَحْتَهُ، فَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ غَالِبُ أَمْرِهِ، وَمُتَوِّفٍ عُمَرَ، فَمَا أُرِيدُ أَنْ أَتَحَمَّلَهَا حَيًّا وَمَيِّتًا، عَلَيْكُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ الَّذِينَ [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: إِنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ] سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ مِنْهُمْ، وَلَسْتُ مُدْخِلُهُ، وَلَكِنَّ السَّتَةَ: عَلِيٌّ وَعُثْمَانُ ابْنَا عَبْدِ مَنْفٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَسَعْدُ خَالَا رَسُولِ اللَّهِ ص، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَامِ حَوَارِي رَسُولِ اللَّهِ ص وَابْنُ عَمَّتِهِ، وَطَلْحَةُ الْخَيْرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَلْيَخْتَارُوا مِنْهُمْ رَجُلًا، فَإِذَا وَلُوا وَإِلَيَّا فَأَحْسِنُوا مُؤَاوَزَتَهُ وَأَعِينُوهُ، إِنْ أَتَمَّنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ فَلْيُؤَدِّ إِلَيْهِ أَمَانَتَهُ وَخَرَجُوا، فَقَالَ

الْعَبَّاسُ لِعَلِيٍّ: لَا تَدْخُلْ مَعَهُمْ، قَالَ: أَكْرَهُ الْخِلَافَ، قَالَ: إِذَا تَرَى مَا تَكْرَهُ! فَلَمَّا أَصْبَحَ عُمَرُ دَعَا عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَسَعْدًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ، فَقَالَ: إِنِّي نَظَرْتُ فَوَجَدْتُكُمْ رُؤَسَاءَ النَّاسِ وَقَادَتِهِمْ، وَلَا يَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا فِيكُمْ، وَقَدْ قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَهُوَ عَنْكُمْ رَاضٍ، إِنِّي لَا أَخَافُ النَّاسَ عَلَيْكُمْ إِنْ اسْتَقَمْتُمْ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ اخْتِلَافَكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ، فَيَخْتَلِفُ النَّاسُ، فَانْهَضُوا إِلَى جُبَّةِ عَائِشَةَ بِإِذْنِ مِنْهَا، فَتَشَاوَرُوا وَاخْتَارُوا رَجُلًا مِنْكُمْ ثُمَّ قَالَ: لَا تَدْخُلُوا جُبَّةَ عَائِشَةَ، وَلَكِنْ كُونُوا قَرِيبًا، وَوَضِعَ رَأْسَهُ وَقَدْ نَزَفَهُ الدَّمُ.

فَدَخَلُوا فَتَنَاجَوْا، ثُمَّ ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَمُتْ بَعْدُ، فَأَسْمَعُهُ فَانْتَبَهَ فَقَالَ: أَلَا أَعْرِضُوا عَنْ هَذَا أَجْمَعُونَ، فَإِذَا مِتُّ فَتَشَاوَرُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَلِيَصِلَ بِالنَّاسِ صُهَيْبٌ، وَلَا يَأْتِيَنَّ الْيَوْمَ الرَّابِعُ إِلَّا وَعَلَيْكُمْ أَمِيرًا مِنْكُمْ، وَيَحْضُرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ مُشِيرًا، وَلَا شَيْءَ لَهُ مِنْ الْأَمْرِ، وَطَلْحَةُ شَرِيكُكُمْ فِي الْأَمْرِ، فَإِنْ قَدِمَ فِي الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ فَأَحْضِرُوهُ أَمْرَكُمْ، وَإِنْ مَضَتْ الْأَيَّامُ الثَّلَاثَةُ قَبْلَ قُدُومِهِ فَاقْضُوا أَمْرَكُمْ، وَمَنْ لِي بِطَلْحَةَ؟ فَقَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: أَنَا لَكَ بِهِ، وَلَا يُخَالِفُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَقَالَ عُمَرُ: أَرْجُو أَلَّا يُخَالِفَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَمَا أَظُنُّ أَنْ يَلِيَ إِلَّا أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ: عَلِيٌّ أَوْ عُثْمَانُ، فَإِنْ وُلِيَ عُثْمَانُ فَرَجُلٌ فِيهِ لَيْنٌ، وَإِنْ وُلِيَ عَلِيٌّ فَفِيهِ دُعَابَةٌ، وَأَحَرُّ بِهِ أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، وَإِنْ تَوَلَّوْا سَعْدًا فَأَهْلُهَا هُوَ، وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ الْوَالِي، فَإِنِّي لَمْ أَعْرِزْهُ عَنْ خِيَانَةٍ وَلَا ضَعْفٍ، وَنَعِمَ ذُو الرَّأْيِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ! مُسَدِّدٌ رَشِيدٌ، لَهُ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، فَاسْمَعُوا مِنْهُ.

وَقَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ طَالَمَا أَعَزَّ الْإِسْلَامَ بِكُمْ، فَاخْتَرْ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَاسْتَحِثَّ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ حَتَّى يَخْتَارُوا رَجُلًا مِنْهُمْ وَقَالَ لِلْمَقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ: إِذَا وَضَعْتُمُونِي فِي حُفْرَتِي فَاجْمَعْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ فِي بَيْتٍ حَتَّى يَخْتَارُوا رَجُلًا مِنْهُمْ، وَقَالَ لِصُهَيْبٍ:

صَلِّ بِالنَّاسِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَأَدْخِلْ عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَسَعْدًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَطَلْحَةَ إِنْ قَدِمَ، وَأَحْضِرْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ وَلَا شَيْءَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ، وَقُمْ عَلَى رُءُوسِهِمْ، فَإِنْ اجْتَمَعَ خَمْسَةٌ وَرَضُوا رَجُلًا وَأَبَى وَاحِدٌ فَاشْدُخْ رَأْسَهُ - أَوْ اضْرِبْ رَأْسَهُ بِالسَّيْفِ - وَإِنْ اتَّفَقَ أَرْبَعَةٌ فَرَضُوا رَجُلًا مِنْهُمْ وَأَبَى اثْنَانِ، فَاضْرِبْ رُءُوسَهُمَا، فَإِنْ رَضِيَ ثَلَاثَةٌ رَجُلًا مِنْهُمْ وَثَلَاثَةٌ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَحَكِّمُوا عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ عُمَرَ، فَإِنِّي الْقَرِيبَيْنِ حَكَمَ لَهُ فَلْيَخْتَارُوا رَجُلًا مِنْهُمْ، فَإِنْ لَمْ يَرْضُوا بِحُكْمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فَكُونُوا مَعَ الَّذِينَ فِيهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَاقْتُلُوا الْبَاقِينَ إِنْ رَغِبُوا عَمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ.

خَفَرَجُوا، [فَقَالَ عَلِيٌّ لِقَوْمٍ كَانُوا مَعَهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ: إِنْ أَطِيعَ فِيكُمْ قَوْمُكُمْ لَمْ تُؤْمَرُوا أَبَدًا] وَتَلَقَّاهُ الْعَبَّاسُ، فَقَالَ: عَدَلْتَ عَنَّا! فَقَالَ: وَمَا عَلَيْكَ؟

قَالَ: قَرَنَ بِي عُثْمَانُ، وَقَالَ: كُونُوا مَعَ الْأَكْثَرِ، فَإِنْ رَضِيَ رَجُلَانِ رَجُلًا، وَرَجُلَانِ رَجُلًا فَكُونُوا مَعَ الَّذِينَ فِيهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَسَعَدُ لَا يُخَالِفُ ابْنَ عَمِّهِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ صَهرُ عُثْمَانَ، لَا يَخْتَلِفُونَ، فَيُولِيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عُثْمَانُ، أَوْ يُولِيهَا عُثْمَانُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَلَوْ كَانَ الْآخِرَانِ مَعِي لَمْ يَنْفَعَانِي، بَلْ إِنِّي لَا أَرْجُو إِلَّا أَحَدَهُمَا فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: لَمْ أَرْفَعَكَ فِي شَيْءٍ إِلَّا رَجَعْتَ إِلَيَّ مُسْتَأْخِرًا بِمَا أَكْرَهُ، أَشَرْتُ عَلَيْكَ عِنْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ص أَنْ تَسْأَلَهُ فِيمَنْ هَذَا الْأَمْرُ، فَأَبَيْتَ، وَأَشَرْتُ عَلَيْكَ بَعْدَ وَفَاتِهِ أَنْ تَعَاجِلَ الْأَمْرَ فَأَبَيْتَ، وَأَشَرْتُ عَلَيْكَ حِينَ سَمَّاكَ عُمَرُ فِي الشُّورَى أَلَّا تَدْخُلَ مَعَهُمْ فَأَبَيْتَ، أَحْفَظُ عَنِّي وَاحِدَةً، كُلَّمَا عَرَضَ عَلَيْكَ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: لَا، إِلَّا أَنْ يُولُوكَ، وَاحْذَرُ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ، فَإِنَّهُمْ لَا يَبْرَحُونَ يَدْفَعُونَنَا عَنْ هَذَا الْأَمْرِ حَتَّى يَقُومَ لَنَا بِهِ غَيْرُنَا، وَإِمَامُ اللَّهِ لَا يَنَالُهُ إِلَّا بَشَرٌ لَا يَنْفَعُ مَعَهُ خَيْرٌ [فَقَالَ عَلِيٌّ: أَمَّا لَئِنْ بَقِيَ عُثْمَانُ لَأَذْكُرَنَّهُ مَا أَتَى وَلَئِنْ مَاتَ لَيَتَذَكَّرُنَّهَا بَيْنَهُمْ، وَلَئِنْ فَعَلُوا لَيَجِدُنِي حَيْثُ يَكْرَهُونَ،] ثُمَّ تَمَثَّلَ:

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ عَشِيَّةً ... غَدُونَ خِفَافًا فَابْتَدَرْنَ الْمُحَصَّبَا
لِيَخْتَلِينَ رَهْطُ ابْنِ يَعْمَرَ مَارِئًا ... نَحِيحًا بَنُو الشَّدَاخِ وَرَدَا مُصَلَّبَا

وَالْتَفَتَ فَرَأَى أَبَا طَلْحَةَ فَكَّرَهُ مَكَانَهُ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: لَمْ تَرَ أَبَا الْحَسَنِ فَلِمَا مَاتَ عُمَرُ وَأُخْرِجَتْ جَنَازَتُهُ، تَصَدَّى عَلِيٌّ وَعُثْمَانُ: أَيُّهُمَا يُصَلِّي عَلَيْهِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: كَلَّا كَمَا يُحِبُّ الْإِمْرَةُ، لَسْتُ مِمَّنْ هَذَا فِي شَيْءٍ، هَذَا إِلَى صُهَيْبٍ، اسْتَخْلَفَهُ عُمَرُ، يُصَلِّي بِالنَّاسِ ثَلَاثًا حَتَّى يَجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ فَصَلَّى عَلَيْهِ صُهَيْبٌ، فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ جَمَعَ الْمُقَدَّادُ أَهْلَ الشُّورَى فِي بَيْتِ الْمُسَوِّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ - وَيُقَالُ فِي بَيْتِ الْمَالِ، وَيُقَالُ فِي حُجْرَةِ عَائِشَةَ بِإِذْنِهَا - وَهُمْ خَمْسَةٌ، مَعَهُمُ ابْنُ عُمَرَ، وَطَلْحَةُ غَائِبٌ، وَأَمَرُوا أَبَا طَلْحَةَ أَنْ يَحْجِبَهُمْ، وَجَاءَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ جُلُوسًا بِالْبَابِ، فَصَبَّهَ سَعْدٌ وَأَقَامَهُمَا، وَقَالَ: تَرِيدَانِ أَنْ تَقُولَا: حَضَرْنَا وَكُنَّا فِي أَهْلِ الشُّورَى! فَتَنَافَسَ الْقَوْمُ فِي الْأَمْرِ، وَكَثُرَ بَيْنَهُمُ الْكَلَامُ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَنَا كُنْتُ

لَأَنْ تَدْفَعُوهَا أَخَوْفَ مِنِّي لِأَنْ تَنَافَسُوهَا! لَا وَالَّذِي ذَهَبَ بِنَفْسِ عُمَرَ، لَا أُزِيدُكُمْ عَلَى الْآيَّامِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي أَمَرْتُمْ، ثُمَّ أَجْلَسَ فِي بَيْتِي، فَانْظُرْ مَا تَصْنَعُونَ! فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَيُّكُمْ يُخْرِجُ مِنْهَا نَفْسَهُ وَيَتَّقِلُهَا عَلَى أَنْ يُولِيَهَا أَفْضَلُكُمْ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، فَقَالَ: فَأَنَا أَنْخَلِعُ مِنْهَا، فَقَالَ عُثْمَانُ: أَنَا أَوَّلُ مَنْ رَضِيَ، فَاثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا [سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: أَمِينٌ فِي الْأَرْضِ أَمِينٌ فِي السَّمَاءِ] فَقَالَ الْقَوْمُ: قَدْ رَضِينَا - وَعَلِيٌّ سَاكِتٌ - فَقَالَ: مَا تَقُولُ يَا أَبَا الْحَسَنِ؟

قَالَ: أَعْطَيْتَنِي مَوْتًا لَتُؤَثِّرَنَّ الْحَقُّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى، وَلَا تَخْصِ ذَا رَحِمٍ، وَلَا تَالُوا الْأُمَّةَ! فَقَالَ: أَعْطَوْنِي مَوَاقِفَكُمْ عَلَى أَنْ تَكُونُوا مَعِيَ عَلَى مَنْ بَدَلَ وَغَيْرِ، وَأَنْ تَرْضَوْا مَنْ اخْتَرْتُ لَكُمْ، عَلَيَّ مِيثَاقُ اللَّهِ أَلَا أَخُصُّ ذَا رَحِمٍ لِرَحِمِهِ، وَلَا أَلُو الْمُسْلِمِينَ فَأَخَذَ مِنْهُمْ مِيثَاقًا وَأَعْطَاهُمْ مِثْلَهُ، فَقَالَ لِعَلِيٍّ، إِنَّكَ تَقُولُ: إِنِّي أَحَقُّ مَنْ حَضَرَ بِالْأَمْرِ لِقَرَابَتِكَ وَسَابِقَتِكَ وَحُسْنِ أَثَرِكَ فِي الدِّينِ وَلَمْ تُبْعَدْ، وَلَكِنْ أَرَأَيْتَ لَوْ صُرِفَ هَذَا الْأَمْرُ عَنْكَ فَلَمْ تَحْضُرْ، مَنْ كُنْتَ تَرَى مِنْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ أَحَقُّ بِالْأَمْرِ؟ قَالَ: عُثْمَانُ وَخَلَا بِعُثْمَانَ، فَقَالَ: تَقُولُ: شَيْخٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَصَهِرَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَابْنُ عَمِّهِ، لِي سَابِقَةٌ وَفَضْلٌ - لَمْ تُبْعَدْ - فَلَنْ يُصْرَفَ هَذَا الْأَمْرُ عَنِّي، وَلَكِنْ لَوْ لَمْ تَحْضُرْ فَأَيُّ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ تَرَاهُ أَحَقُّ بِهِ؟ قَالَ: عَلِيٌّ ثُمَّ خَلَا بِالزُّبَيْرِ، فَكَلَّمَهُ بِمِثْلِ مَا كَلَّمَ بِهِ عَلِيًّا وَعُثْمَانَ، فَقَالَ: عُثْمَانُ ثُمَّ خَلَا بِسَعْدٍ، فَكَلَّمَهُ، فَقَالَ: عُثْمَانُ فَلَقِيَ عَلِيٌّ سَعْدًا، فَقَالَ: «وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْأَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا»، أَسْأَلُكَ بِرَحِمِ ابْنِي هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَبِرَحِمِ عَمِّي حَمْزَةَ مِنْكَ أَلَا تَكُونُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ لِعُثْمَانَ ظَهِيرًا عَلَيَّ، فَإِنِّي أَذِلُّ بِمَا لَا يُدْلِي بِهِ عُثْمَانُ وَدَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِيَالِيهِ يَلْقَى أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَمَنْ وَافَى الْمَدِينَةَ مِنْ أُمَرَاءِ الْأَجْنَادِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ، يُشَاوِرُهُمْ، وَلَا يَخْلُو بِرَجُلٍ إِلَّا أَمَرَهُ بِعُثْمَانَ، حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي يَسْتَكْمِلُ فِي صَبِيحَتِهَا الْأَجَلَ، أَتَى مَنْزِلَ الْمُسَوِّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ بَعْدَ ابْتِهَارٍ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَيْقَظَهُ فَقَالَ: أَلَا أَرَاكَ نَائِمًا وَلَمْ أَذُقْ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ كَثِيرَ غَمَضٍ! انْطَلِقْ فَادْعُ الزُّبَيْرَ وَسَعْدًا.

فَدَعَاهُمَا فَبَدَأَ بِالزُّبَيْرِ فِي مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ فِي الصُّفَةِ الَّتِي تَلِي دَارَ مَرْوَانَ، فَقَالَ لَهُ: خَلِّ ابْنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَهَذَا الْأَمْرَ، قَالَ: نَصِيْبِي لِعَلِيٍّ، وَقَالَ لِسَعْدٍ: أَنَا وَأَنْتَ كَلَالَةٌ، فَاجْعَلْ نَصِيْبَكَ لِي فَأَخْتَارُ، قَالَ: إِنْ اخْتَرْتَ نَفْسَكَ فَنَعَمْ، وَإِنْ اخْتَرْتَ عُثْمَانَ فَعَلِيٌّ أَحَبُّ إِلَيَّ، أَيُّهَا الرَّجُلُ بَايَعَ لِنَفْسِكَ وَأَرْحَنًا، وَارْفَعْ رُءُوسَنَا، قَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، إِنِّي قَدْ خَلَعْتُ نَفْسِي مِنْهَا عَلَى أَنْ أَخْتَارُ، وَلَوْ لَمْ أَفْعَلْ وَجَعَلُ الْخِيَارُ إِلَيَّ لَمْ أَرُدَّهَا، إِنِّي أَرَيْتُ كَرُوضَةَ خَضْرَاءَ كَثِيرَةَ الْعُشْبِ، فَدَخَلَ حِفْلٌ فَلَمْ أَرْ حِفْلًا قَطُّ أَكْرَمَ مِنْهُ، فَرَّكَانَهُ سَهْمٌ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا فِي الرُّوضَةِ حَتَّى قَطَعَهَا، لَمْ يَعْرِجْ وَدَخَلَ بِعَيْرٍ يَتْلُوهُ فَاتَّبَعَ أَثَرَهُ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الرُّوضَةِ، ثُمَّ دَخَلَ حِفْلٌ عَبَقَرِيٌّ يَجْرُ خِطَامُهُ، يَلْتَفِتُ يَمِينًا

وَشِمَالًا وَيَمْضِي قَصْدَ الْأَوَّلِينَ حَتَّى خَرَجَ، ثُمَّ دَخَلَ بَعِيرٌ رَابِعٌ فَرْتَعَ فِي الرِّوَضَةِ، وَلَا وَاللَّهِ لَا أَكُونُ الرَّابِعَ، وَلَا يَقُومُ مَقَامَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ بَعْدَهُمَا أَحَدٌ فَيَرْضَى النَّاسُ عَنْهُ قَالَ سَعْدٌ: فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ الضَّعْفُ قَدْ أَدْرَكَكَ، فَاْمْضِ لِرَأْيِكَ، فَقَدْ عَرَفْتَ عَهْدَ عُمَرَ. وَانْصَرَفَ الزُّبَيْرُ وَسَعْدٌ، وَأَرْسَلَ الْمُسَوَّرُ بْنُ مَخْرَمَةَ إِلَى عَلِيٍّ، فَنَاجَاهُ طَوِيلًا، وَهُوَ لَا يَشْكُ أَنَّهُ صَاحِبُ الْأَمْرِ، ثُمَّ نَهَضَ، وَأَرْسَلَ الْمُسَوَّرُ إِلَى عُثْمَانَ فَكَانَ فِي نَجِيمٍ، حَتَّى فَرَّقَ بَيْنَهُمَا أَذَانُ الصُّبْحِ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ مَيْمُونٍ: قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: يَا عُمَرُ، مَنْ أَخْبَرَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا كَلَّمَ بِهِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ عَلِيًّا وَعُثْمَانَ فَقَدْ قَالَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَوَقَعَ قَضَاءُ رَبِّكَ عَلَى عُثْمَانَ فَلَمَّا صَلُّوا الصُّبْحَ جَمَعَ الرَّهْطُ، وَبَعَثَ إِلَى مَنْ حَضَرَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَأَهْلِ السَّابِقَةِ وَالْفَضْلِ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَإِلَى أَمْرَاءِ الْأَجْنَادِ، فَاجْتَمَعُوا حَتَّى اتَّجَّ الْمَسْجِدُ بِأَهْلِهِ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَحْبَبُوا أَنْ يَلْحَقَ أَهْلُ الْأَمْصَارِ بِأَمْصَارِهِمْ وَقَدْ عَلِمُوا مِنْ أَمِيرِهِمْ فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ: إِنَّا نَرَاكَ لَهَا أَهْلًا، فَقَالَ: أَشِيرُوا عَلَيَّ بِغَيْرِ هَذَا، فَقَالَ عُمَارٌ: إِنْ أَرَدْتَ أَلَّا يَخْتَلِفَ الْمُسْلِمُونَ فَبَايَعِ عَلِيًّا فَقَالَ الْمُقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ: صَدَقَ عُمَارٌ، إِنْ بَايَعْتَ عَلِيًّا قُلْنَا: سَمِعْنَا

وَأَطَعْنَا قَالَ ابْنُ أَبِي سَرْجٍ: إِنْ أَرَدْتَ أَلَّا يَخْتَلِفَ قُرَيْشٌ فَبَايَعِ عُثْمَانَ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَيْبَعَةَ: صَدَقَ، إِنْ بَايَعْتَ عُثْمَانَ قُلْنَا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا.

فَشَتَّمَ عُمَارُ ابْنَ أَبِي سَرْجٍ، وَقَالَ: مَتَى كُنْتُ تَتَصَحَّحُ الْمُسْلِمِينَ! فَتَكَلَّمَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو أُمَيَّةَ، فَقَالَ عُمَارٌ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَكْرَمَنَا بِنَبِيِّهِ، وَأَعَزَّنَا بِدِينِهِ، فَأَتَى تَصَرُّفُونَ هَذَا الْأَمْرَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ! فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ: لَقَدْ عَدَوْتُ طُورَكَ يَا بَنَ سُمَيَّةَ، وَمَا أَنْتَ وَتَأْمِيرُ قُرَيْشٍ لَانْفُسِهَا! فَقَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، افْرُغْ قَبْلَ أَنْ يَفْتِنَ النَّاسَ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ وَشَاوَرْتُ، فَلَا تَجْعَلَنَّ أَيُّهَا الرَّهْطُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ سَبِيلًا وَدَعَا عَلِيًّا، فَقَالَ: عَلَيْكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ لَتَعْمَلَنَّ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَسِيرَةِ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِهِ؟ قَالَ: أَرْجُو أَنْ أَفْعَلَ وَأَعْمَلَ بِمَبْلَغِ عِلْمِي وَطَاقَتِي، وَدَعَا عُثْمَانَ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِعَلِيٍّ، قَالَ:

نَعَمْ، فَبَايَعَهُ، [فَقَالَ عَلِيٌّ: حَبِوْتُهُ حَبْوَ دَهْرٍ، لَيْسَ هَذَا أَوَّلُ يَوْمٍ تَظَاهَرْتُمْ فِيهِ عَلَيْنَا، فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ، وَاللَّهُ مَا وَلَّيْتَ عُثْمَانَ إِلَّا لِيَرِدَ الْأَمْرَ إِلَيْكَ، وَاللَّهُ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ]، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا عَلِيُّ لَا تَجْعَلْ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا، فَإِنِّي قَدْ نَظَرْتُ وَشَاوَرْتُ النَّاسَ، فَإِذَا هُمْ لَا يَعْدِلُونَ بِعُثْمَانَ نَفْرَجَ عَلِيٌّ وَهُوَ يَقُولُ: سَيَبْلُغُ الْكِتَابُ أَجَلَهُ فَقَالَ الْمُقْدَادُ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَرَكْتَهُ مِنَ الَّذِينَ يَقْضُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ فَقَالَ: يَا مُقْدَادُ، وَاللَّهِ لَقَدْ اجْتَهَدْتُ لِلْمُسْلِمِينَ، قَالَ: إِنْ كُنْتُ أَرَدْتُ بِذَلِكَ اللَّهُ فَأَثَابَكَ اللَّهُ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ فَقَالَ الْمُقْدَادُ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ إِلَى أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ قُرَيْشٍ أَنَّهُمْ تَرَكُوا رَجُلًا مَا أَقُولُ إِنْ أَحَدًا أَعْلَمَ وَلَا أَقْضَى مِنْهُ بِالْعَدْلِ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَجِدُ عَلَيْهِ أَعْوَانًا! فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ:

يَا مُقْدَادُ، اتَّقِ اللَّهَ، فَإِنِّي خَائِفٌ عَلَيْكَ الْفِتْنَةَ، فَقَالَ رَجُلٌ لِلْمُقْدَادِ: رَحِمَكَ اللَّهُ! مَنْ أَهْلُ هَذَا الْبَيْتِ وَمَنْ هَذَا الرَّجُلُ؟ قَالَ: أَهْلُ الْبَيْتِ بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَالرَّجُلُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ [فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ إِلَى قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ تَنْظُرُ إِلَى بَيْتِهَا فَتَقُولُ: إِنْ وَلِيَ عَلَيْكُمْ بَنُو هَاشِمٍ لَمْ تَخْرُجْ مِنْهُمْ أَبَدًا، وَمَا كَانَتْ فِي غَيْرِهِمْ مِنْ قُرَيْشٍ تَدَاوَلَتْهُمَا بَيْنَكُمْ] وَقَدِمَ طَلْحَةُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي بُويعَ

فِيهِ لِعُثْمَانَ، فَقِيلَ لَهُ: بَايَعِ عُثْمَانَ، فَقَالَ: أَكُلُّ قُرَيْشٍ رَاضٍ بِهِ؟ قَالَ:

نَعَمْ، فَأَتَى عُثْمَانَ فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: أَنْتَ عَلَى رَأْسِ أَمْرِكَ، إِنْ أَيْتَ رَدَدْتَهَا، قَالَ:

أَتَرُدُّهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَكُلُّ النَّاسِ بَايَعُوكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قَدْ رَضِيتَ، لَا أَرُغِبُ عَمَّا قَدْ أَجْمَعُوا عَلَيْهِ، وَبَايَعَهُ.

وَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، قَدْ أَصَبْتَ إِذْ بَايَعْتَ عُمَانَ! وَقَالَ لِعُمَانَ: لَوْ بَايَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ غَيْرَكَ مَا رَضِينَا، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ:

كَذَبْتَ يَا أَعُورُ، لَوْ بَايَعْتُ غَيْرَهُ لَبَايَعْتَهُ، وَلَقُلْتُ هَذِهِ الْمَقَالَةُ.

وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ،

صَلَّى صُهَيْبٌ ثَلَاثًا ثُمَّ أَرْسَلَهَا ... عَلَى ابْنِ عَفَانَ مُلْكًا غَيْرَ مَقْصُورٍ

خِلَافَةً مِنْ أَبِي يَكْرِ لِصَاحِبِهِ ... كَانُوا أَخْلَاءَ مَهْدِيٍّ وَمَأْمُورٍ

وَكَانَ الْمِسُورُ بْنُ مَخْرَمَةَ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا بَدَّ قَوْمًا فِيمَا دَخَلُوا فِيهِ بِأَشَدِّ مِمَّا بَدَّهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَمَّا الْمِسُورُ بْنُ مَخْرَمَةَ، فَإِنَّ الرِّوَايَةَ عِنْدَنَا عَنْهُ مَا حَدَّثَنِي سَلَمُ بْنُ جُنَادَةَ أَبُو السَّائِبِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

ابْنِ أَبِي ثَابِتٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْمِسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ-

وَكُنْتُ أُمُّهُ عَاتِكَةَ ابْنَةَ عَوْفٍ- فِي الْخَبَرِ الَّذِي قَدْ مَضَى ذِكْرِي أَوَّلُهُ فِي مَقْتَلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: وَنَزَلَ فِي قَبْرِهِ- يَعْنِي فِي قَبْرِ عُمَرَ-

الْخَمْسَةِ، يَعْنِي أَهْلَ الشُّورَى قَالَ: ثُمَّ خَرَجُوا يَرِيدُونَ بَيْتَهُمْ، فَادَّاهُمُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: إِلَى أَيْنَ؟

هَلُمُّوا! فَتَبِعُوهُ، وَخَرَجَ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَ فَاطِمَةَ ابْنَةِ قَيْسِ الْفَهْرِيَّةِ، أُخْتُ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسِ الْفَهْرِيِّ- قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: بَلْ كَانَتْ

زَوْجَتَهُ، وَكَانَتْ نَجُودًا، يُرِيدُ ذَاتَ رَأْيٍ- قَالَ: فَبَدَأَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِالْكَلَامِ، فَقَالَ: يَا هَؤُلَاءِ، إِنَّ عِنْدِي رَأْيًا، وَإِنَّ لَكُمْ نَظْرًا، فَاسْمَعُوا

تَعْلَمُوا، وَأَجِيبُوا

تَفْقَهُوا، فَإِنَّ حَايَا خَيْرٌ مِنْ زَاهِقِي، وَإِنَّ جَرَعَةً مِنْ شُرُوبٍ بَارِدٍ أَنْفَعُ مِنْ عَذَابٍ مُوَبٍّ، أَنْتُمْ أُمَّةٌ يَهْتَدَى بِكُمْ، وَعُلَمَاءُ يُصَدِّرُ إِلَيْكُمْ، فَلَا

تَفْلُوا الْمَدَى بِالْاِخْتِلَافِ بَيْنَكُمْ، وَلَا تَعْمِدُوا السُّيُوفَ عَنْ أَعْدَائِكُمْ، فَتَوَتَّرُوا ثَارَكُمْ، وَتَوَلَّيْتُمْ أَعْمَالَكُمْ، لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، وَلِكُلِّ بَيْتٍ

إِمَامٌ بِأَمْرِهِ يَقُومُونَ، وَبِنَهْيِهِ يَرْعُونَ. قَالُوا أَمْرُكُمْ وَاحِدًا مِنْكُمْ تَمَشُّوا الْهُوَيْنَى وَتَلَحُّقُوا الطَّلَبَ، لَوْلَا فَتْنَةُ عَمِيَاءَ، وَضَلَالَةُ حَبْرَاءَ، يَقُولُ

أَهْلُهَا مَا يَرُونَ، وَتَحْلَهُمُ الْحَبْرُ كَرَى مَا عَدَتْ نَبَاتُكُمْ مَعْرِفَتَكُمْ، وَلَا أَعْمَالُكُمْ نَبَاتُكُمْ أَحْذَرُوا نَصِيحَةَ الْهُوَى، وَلِسَانَ الْفِرْقَةِ، فَإِنَّ الْحِيلَةَ فِي

الْمَنْطِقِ أَبْلَغُ مِنَ السُّيُوفِ فِي الْكَلِمِ، عَلِقُوا أَمْرُكُمْ رَحْبَ الذِّرَاعِ فِيمَا حَلَّ، مَا مَوْنُ الْغَيْبِ فِيمَا نَزَلَ، رِضًا مِنْكُمْ وَكُلُّكُمْ رِضًا، وَمُقْتَرَعًا

مِنْكُمْ وَكُلُّكُمْ مُنْتَهَى، لَا تُطِيعُوا مُفْسِدًا يَنْتَصِحُ، وَلَا تُخَالِفُوا مُرْشِدًا يَنْتَصِرُ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

ثُمَّ تَكَلَّمَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اتَّخَذَ مُحَمَّدًا نَبِيًّا، وَبَعَثَهُ رَسُولًا، صَدَقَهُ وَعَدَهُ، وَوَهَبَ لَهُ نَصْرَهُ عَلَى كُلِّ مَنْ بَعْدَ نَسَبًا، أَوْ

قَرَبَ رَحْمًا، ص، جَعَلَنَا اللَّهُ لَهُ تَابِعِينَ وَبِأَمْرِهِ مُهْتَدِينَ، فَهُوَ لَنَا نُورٌ، وَنَحْنُ بِأَمْرِهِ نَقُومُ، عِنْدَ تَفَرُّقِ الْأَهْوَاءِ، وَجِدَادَةِ الْأَعْدَاءِ، جَعَلَنَا اللَّهُ

بِفَضْلِهِ أُمَّةً وَبِطَاعَتِهِ أُمَرَاءَ، لَا يَخْرُجُ أَمْرُنَا مِنْهَا، وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْنَا غَيْرُنَا إِلَّا مِنْ سَفْهِ الْحَقِّ، وَنُكِلَ عَنِ الْقَصْدِ، وَاحْرَبَهَا يَا بْنَ عَوْفٍ إِنْ

تَرَكَ، وَاحْذَرِهَا أَنْ تَكُونَ إِنْ خُولِفَ أَمْرُكَ وَتَرَكَ دَعَاؤُكَ، فَأَنَا أَوَّلُ مُجِيبٍ لَكَ، وَدَاعٍ إِلَيْكَ، وَكَفِيلٍ بِمَا أَقُولُ زَعِيمٌ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي

وَلَكُمْ.

ثُمَّ تَكَلَّمَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ بَعْدَهُ، فَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ دَاعِيَ اللَّهِ لَا يَجْهَلُ، وَجُجِيهٌ لَا يُخْذَلُ، عِنْدَ تَفَرُّقِ الْأَهْوَاءِ وَلِيِّ الْأَعْنَاقِ، وَلَنْ يَقْصُرَ

عَمَّا قُلْتُ إِلَّا غَوًى،

وَلَنْ يَتْرَكَ مَا دَعَا إِلَيْهِ إِلَّا شَقِيًّا، لَوْلَا حُدُودُ اللَّهِ فُرِضَتْ، وَفَرَائِضُ اللَّهِ حَدَّتْ، تَرَأَى عَلَى أَهْلِهَا، وَتَحْيَا لَا تَمُوتُ، لَكَانَ الْمَوْتُ مِنَ

الْإِمَارَةِ نَجَاةً، وَالْفِرَارُ مِنَ الْوِلَايَةِ عِصْمَةً، وَلَكِنْ اللَّهُ عَلَيْنَا إِجَابَةَ الدَّعْوَةِ، وَإِظْهَارُ السَّنَةِ، لِثَلَاثَةِ مَوْتٍ مِيتَةً عَمِيَّةً، وَلَا نَعْمَى عَمَى جَاهِلِيَّةً،

فَأَنَا مُجِيبُكَ إِلَى مَا دَعَوْتَ، وَمُعِينُكَ عَلَى مَا أَمَرْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ثُمَّ تَكَلَّمَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ بِدِينًا كَانَ، وَآخِرًا يَعُودُ، أَحْمَدُهُ لِمَا نَجَّانِي مِنَ الضَّلَالَةِ، وَبَصَّرَنِي مِنَ الْغَوَايَةِ، فَبَهَّدَى اللَّهُ فَازَ مَنْ نَجَّى، وَبَرَحَتْهُ أَفْلَحَ مَنْ زَكَا، وَبِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ صِ انَّارَتِ الطَّرِيقُ، وَاسْتَقَامَتِ السَّبِيلُ، وَظَهَرَ كُلُّ حَقٍّ، وَمَاتَ كُلُّ بَاطِلٍ، إِيَّاكُمْ أَيُّهَا النَّفَرُ وَقَوْلَ الزُّورِ، وَأَمْنِيَّةُ أَهْلِ الْغُرُورِ، فَقَدْ سَلَبَتِ الْأَمَانِي قَوْمًا قَبْلَكُمْ وَرَثُوا مَا وَرِثْتُمْ، وَنَالُوا مَا نَلْتُمْ، فَاتَّخَذَهُمُ اللَّهُ عَدُوًّا، وَلَعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ» «كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلُوهُ لِيُتَسَّ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» إِنِّي نَكَبْتُ قَرْنِي فَأَخَذْتُ سَهْمِي الْفَالَجَ، وَأَخَذْتُ لَطْلَحَةَ بَنِ عَبْدِ اللَّهِ مَا ارْتَضَيْتُ لِنَفْسِي، فَأَنَا بِهِ كَفِيلٌ، وَمَا أُعْطِيتُ عَنْهُ زَعِيمٌ، وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ يَا بَنَ عَوْفٍ، بِجَهْدِ النَّفْسِ، وَقَصْدِ النُّصْحِ، وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ، وَإِلَيْهِ الرَّجُوعُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مُخَالَفَتِكُمْ.

ثُمَّ تَكَلَّمَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا مَنَّا نَبِيًّا، وَبَعَثَهُ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَنَحْنُ بَيْتُ النَّبِيِّ، وَمَعْدِنُ الْحِكْمَةِ، وَأَمَانُ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَنَجَاةُ لِمَنْ طَلَبَ، لَنَا حَقٌّ إِنْ نُعْطَهُ نَأْخُذْهُ، وَإِنْ نُمْنَعُهُ نَرْكَبُ أَجْزَالَ الْإِبْلِ وَلَوْ طَالَ السَّرَى، لَوْ عَهْدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صِ عَهْدًا لَأَنْفَذْنَا عَهْدَهُ، وَلَوْ قَالَ لَنَا قَوْلًا لَجَادَلْنَا عَلَيْهِ حَتَّى نَمُوتَ لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةٍ حَقٍّ وَصِلَةٍ رَحِمَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ

اسْمَعُوا كَلَامِي، وَعُوا مَنْطِقِي، عَسَى أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْمَجْمَعِ تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ، وَتُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ، حَتَّى تَكُونُوا جَمَاعَةً، وَيَكُونُ بَعْضُكُمْ أُمَّةً لَأَهْلِ الضَّلَالَةِ، وَشِيعَةً لَأَهْلِ الْجَهَالَةِ، ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ:

فَإِنْ تَكُ جَاسِمٌ هَلَكْتَ فَإِنِّي ... بِمَا فَعَلْتَ بَنُو عَبْدِ بْنِ ضَخْمٍ
مُطِيعٌ فِي الْهَوَاجِرِ كُلِّ عِيٍّ ... بَصِيرٌ بِالنَّوَى مِنْ كُلِّ نَجْمٍ

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَيُّكُمْ يَطِيبُ نَفْسًا أَنْ يُخْرِجَ نَفْسَهُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ وَيُوَلِّيه غَيْرَهُ؟ قَالَ: فَأَمْسِكُوا عَنْهُ، قَالَ: فَإِنِّي أَخْرِجُ نَفْسِي وَأَبْنُ عَمِّي، فَقَلَدَهُ الْقَوْمُ الْأَمْرَ، وَأَحْلَفَهُمْ عِنْدَ الْمَنْبَرِ، حَلَفُوا لِيَبَايَعَنَ مَنْ بَايَعَ، وَإِنْ بَايَعَ بِأَحَدِي يَدَيْهِ الْأُخْرَى فَأَقَامَ ثَلَاثًا فِي دَارِهِ الَّتِي عِنْدَ الْمَسْجِدِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا الْيَوْمَ رَحْبَةُ الْقَضَاءِ- وَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ رَحْبَةُ الْقَضَاءِ- فَأَقَامَ ثَلَاثًا يُصَلِّي بِالنَّاسِ صُيُبًا.

قَالَ: وَبَعَثَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ لَهُ: إِنْ لَمْ أَبَايَعَكَ فَأَشِرْ عَلَيَّ، فَقَالَ: عُثْمَانُ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى عُثْمَانَ، فَقَالَ: إِنْ لَمْ أَبَايَعَكَ، فَمَنْ تُشِيرُ عَلَيَّ؟

قَالَ: عَلِيٌّ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: انصَرِفَا فِدَعَا الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: إِنْ لَمْ أَبَايَعَكَ، فَمَنْ تُشِيرُ عَلَيَّ، قَالَ: عُثْمَانُ، ثُمَّ دَعَا سَعْدًا، فَقَالَ: مَنْ تُشِيرُ عَلَيَّ؟ فَأَمَّا أَنَا وَأَنْتَ فَلَا نُرِيدُهَا، فَمَنْ تُشِيرُ عَلَيَّ؟ قَالَ: عُثْمَانُ فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّلَاثَةُ، قَالَ: يَا مَسُورُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ، قَالَ: إِنَّكَ لَنَا، وَاللَّهِ مَا اسْتَحَلْتُ بِغِمَاضٍ مُنْذُ ثَلَاثٍ أَذْهَبَ فَادْعُ لِي عَلِيًّا وَعُثْمَانَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا خَالُ، بَايَهُمَا أَبَدًا؟ قَالَ: بَايَهُمَا شِئْتُ، قَالَ: نَخْرَجْتُ فَأَتَيْتُ عَلِيًّا- وَكَانَ هَوَايَ فِيهِ- فَقُلْتُ: أَجِبْ خَالِي، فَقَالَ: بَعَثَكَ مَعِيَ إِلَى غَيْرِي؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: إِلَى مَنْ؟ قُلْتُ: إِلَى عُثْمَانَ، قَالَ: فَإِنَّا أَمْرُكَ أَنْ تَبْدَأَ بِهِ؟ قُلْتُ: قَدْ سَأَلْتُهُ فَقَالَ: بَايَهُمَا شِئْتُ، فَبَدَأْتُ بِكَ، وَكَانَ هَوَايَ فِيكَ قَالَ: نَخْرَجَ مَعِيَ حَتَّى أَتَيْنَا الْمَقَاعِدَ، فَجَلَسَ عَلَيْهَا عَلِيٌّ، وَدَخَلْتُ عَلَى عُثْمَانَ فَوَجَدْتُهُ يُوتِرُ مَعَ الْفَجْرِ، فَقُلْتُ: أَجِبْ خَالِي، فَقَالَ: بَعَثَكَ مَعِيَ إِلَى غَيْرِي؟ قُلْتُ: نَعَمْ، إِلَى عَلِيٍّ، قَالَ: بَايِنَا أَمْرُكَ أَنْ تَبْدَأَ؟ قُلْتُ: سَأَلْتُهُ فَقَالَ: بَايَهُمَا شِئْتُ،

وَهَذَا عَلِيٌّ عَلَى الْمَقَاعِدِ، نَخْرَجُ مَعِيَ حَتَّى دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى خَالِي وَهُوَ فِي الْقِبْلَةِ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَانْصَرَفَ لَمَّا رَأَانَا، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ فَقَالَ:

إِنِّي قَدْ سَأَلْتُ عَنْكُمْ وَعَنْ غَيْرِكُمْ، فَلَمْ أَجِدِ النَّاسَ يَعْدِلُونَ بَيْنَكُمْ، هَلْ أَنْتَ يَا عَلِيُّ مُبَايِعِي عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَفِعْلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؟ [فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا، وَلَكِنْ عَلَى جَهْدِي مِنْ ذَلِكَ وَطَاقَتِي] فَالتَفَتَ إِلَى عُثْمَانَ، فَقَالَ: هَلْ أَنْتَ مُبَايِعِي عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَفِعْلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى كِتَابِهِ، وَقَالَ: إِذَا شِئْتُمَا! فَهَضَمْنَا حَتَّى دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ، وَصَاحَ صَاحُ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ- قَالَ عُثْمَانُ: فَتَأَخَّرْتُ وَاللَّهِ حَيَاءً لِمَا رَأَيْتُ مِنْ إِسْرَاعِهِ إِلَيَّ، فَكُنْتُ فِي آخِرِ الْمَسْجِدِ- قَالَ: وَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَعَلَيْهِ عِمَامَتُهُ الَّتِي عَمَّمَهُ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ص، مُتَقَلِّدًا سَيْفَهُ، حَتَّى رَكِبَ الْمَنْبَرَ، فَوَقَفَ وَقُوفًا طَوِيلًا، ثُمَّ دَعَا بِمَا لَمْ يَسْمَعْهُ النَّاسُ.

ثُمَّ تَكَلَّمَ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ سَأَلْتُكُمْ سِرًّا وَجَهْرًا عَنْ إِمَامِكُمْ، فَلَمْ أَجِدْكُمْ تَعْدِلُونَ بِأَحَدٍ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ: إِمَّا عَلِيٌّ وَإِمَّا عُثْمَانُ، فَقُمْ إِلَيَّ يَا عَلِيُّ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ، فَوَقَفَ تَحْتَ الْمَنْبَرِ، فَأَخَذَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِيَدِهِ، فَقَالَ: هَلْ أَنْتَ مُبَايِعِي عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَفِعْلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؟ قَالَ:

اللَّهُمَّ لَا، وَلَكِنْ عَلَى جَهْدِي مِنْ ذَلِكَ وَطَاقَتِي، قَالَ: فَأَرْسَلَ يَدَهُ ثُمَّ نَادَى: قُمْ إِلَيَّ يَا عُثْمَانُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ- وَهُوَ فِي مَوْقِفِ عَلِيٍّ الَّذِي كَانَ فِيهِ- فَقَالَ: هَلْ أَنْتَ مُبَايِعِي عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَفِعْلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى سَقْفِ الْمَسْجِدِ، وَيَدُهُ فِي يَدِ عُثْمَانَ، ثُمَّ قَالَ:

اللَّهُمَّ اسْمَعْ وَاشْهَدْ، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ مَا فِي رِقَبَتِي مِنْ ذَاكَ فِي رِقَبَةِ عُثْمَانَ قَالَ: وَازْدَحَمَ النَّاسُ يُبَايِعُونَ عُثْمَانَ حَتَّى غَشَوْهُ عِنْدَ الْمَنْبَرِ، فَقَعَدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَقْعَدَ النَّبِيِّ ص مِنَ الْمَنْبَرِ، وَأَقْعَدَ عُثْمَانُ عَلَى الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ، لِيَجْعَلَ النَّاسُ يُبَايِعُونَهُ، وَتَلَكَّأَ عَلِيٌّ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ:

«فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْوَتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا»، فَارْجَعَ عَلِيٌّ يَشُقُّ النَّاسَ، حَتَّى بَايَعَ وَهُوَ يَقُولُ: خُدْعَةٌ وَإِنَّمَا خُدْعَةٌ! قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: وَإِنَّمَا سَبَبُ قَوْلِ عَلِيٍّ: خُدْعَةٌ، أَنَّ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ كَانَ قَدْ لَقِيَ عَلِيًّا فِي لَيْالِي الشُّوْرِى، فَقَالَ: إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ رَجُلٌ مُجْتَهِدٌ، وَإِنَّهُ مَتَى أَعْطِيَتْهُ الْعَزِيمَةُ كَانَ أَزْهَدَ لَهُ فِيكَ، وَلَكِنْ الْجُهْدُ وَالطَّاقَةُ، فَإِنَّهُ أَرْغَبُ لَهُ فِيكَ قَالَ: ثُمَّ لَقِيَ عُثْمَانَ، فَقَالَ: إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ رَجُلٌ مُجْتَهِدٌ، وَلَيْسَ وَاللَّهِ يُبَايِعُكَ إِلَّا بِالْعَزِيمَةِ، فَاقْبَلْ، فَلِذَلِكَ قَالَ عَلِيٌّ: خُدْعَةٌ.

قَالَ: ثُمَّ انْصَرَفَ بِعُثْمَانَ إِلَى بَيْتِ فَاطِمَةَ ابْنَةِ قَيْسٍ، فَجَلَسَ وَالنَّاسُ مَعَهُ، فَقَامَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ خَطِيبًا، فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَكَ، وَاللَّهِ مَا كَانَ لَهَا غَيْرُ عُثْمَانَ- وَعَلِيٌّ جَالِسٌ- فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا بَنَ الدَّبَّاعِ، مَا أَنْتَ وَذَاكَ! وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَبَايَعُ أَحَدًا إِلَّا قُلْتُ فِيهِ هَذِهِ الْمَقَالَةَ! قَالَ: ثُمَّ جَلَسَ عُثْمَانُ فِي جَانِبِ الْمَسْجِدِ، وَدَعَا بَعِيدَ اللَّهِ بَنَ عُمَرَ- وَكَانَ مُحْبُوسًا فِي دَارِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَهُوَ الَّذِي نَزَعَ السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ بَعْدَ قَتْلِهِ جَفِينَةَ وَالْمُرْزَانَ وَابْنَةَ أَبِي لَوْثَةَ، وَكَانَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا قُتْلَ رَجُلًا مِمَّنْ شَرِكُ فِي دَمِ أَبِي- يَعْرِضُ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ- فَقَامَ إِلَيْهِ سَعْدٌ، فَزَنَعَ السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ، وَجَذَبَ شَعْرَهُ حَتَّى أَضْجَعَهُ إِلَى الْأَرْضِ، وَحَبَسَهُ فِي دَارِهِ حَتَّى أَخْرَجَهُ عُثْمَانُ إِلَيْهِ، فَقَالَ عُثْمَانُ لِمَجَاعَةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ: أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي هَذَا الَّذِي فَتَقَ فِي الْإِسْلَامِ مَا فَتَقَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَرَى أَنْ تَقْتُلَهُ، فَقَالَ بَعْضُ الْمُهَاجِرِينَ: قُتِلَ عُمَرُ أَمْسَ وَيَقْتُلُ ابْنَهُ الْيَوْمَ! فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَغْفَاكَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْحَدُثُ كَانَ وَلَكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ سُلْطَانٌ، إِنَّمَا كَانَ هَذَا الْحَدُثُ وَلَا سُلْطَانَ لَكَ، قَالَ

عُثْمَانُ: أَنَا وَلِيَهُمْ، وَقَدْ جَعَلْتُهَا دِيَّةً، وَاحْتَمَلْتُهَا فِي مَالِي.

قَالَ: وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الْبَيَاضِيُّ إِذَا رَأَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، قَالَ:

الَا يَا عبيد الله مالك مَهْرَبٌ ... وَلَا مَلْجَأٌ مِنْ ابْنِ أَرْوَى وَلَا خَفَرٍ

أَصَبْتَ دَمًا وَاللَّهِ فِي غَيْرِ حِلِّهِ ... حَرَامًا وَقَتْلُ الْهُرْمُرَانِ لَهُ خَطَرٌ

عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرَ أَنْ قَالَ قَاتِلُ ... اتَّهَمُونَ الْهُرْمُرَانَ عَلَى عُمَرَ

فَقَالَ سَفِيهٌ - وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ ... نَعَمْ أَتَهُمْ قَدْ أَشَارَ وَقَدْ أَمَرَ

وَكَانَ سِلَاحُ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ ... يَقْلِبُهَا وَالْأَمْرُ بِالْأَمْرِ يُعْتَبَرُ

قَالَ: فَشَكَاَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ إِلَى عُثْمَانَ زِيَادَ بْنَ لَبِيدٍ وَشِعْرَهُ، فَدَعَا عُثْمَانُ زِيَادَ بْنَ لَبِيدٍ، فَفَهِاهُ قَالَ: فَأَنْشَأَ زِيَادٌ يَقُولُ فِي عُثْمَانَ:

أَبَا عُمَرُو عبيد الله رَهْنٌ ... فَلَا تَشْكُكَ بِقَتْلِ الْهُرْمُرَانِ

فَإِنَّكَ إِنْ غَفَرْتَ الْجُرْمَ عَنْهُ ... وَأَسْبَابُ الْخَطَا فَرَسًا رِهَانِ

أَتَعْفُو إِذْ عَفَوْتَ بِغَيْرِ حَقٍّ ... فَمَا لَكَ بِالَّذِي تَحْكِي يَدَانِ!

فَدَعَا عُثْمَانُ زِيَادَ بْنَ لَبِيدٍ فَفَهِاهُ وَشَذَّبَهُ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ قَالَ غَدَاةَ طُعْنِ عُمَرَ:

مَرَرْتُ عَلَى أَبِي لَوْلُؤَةَ عَشِيَّ أَمْسٍ، وَمَعَهُ جُفِينَةٌ وَالْهُرْمُرَانُ، وَهُمْ نَجِيُّ، فَلَمَّا رَهَقْتَهُمْ ثَارُوا، وَسَقَطَ مِنْهُمْ خَنْجَرٌ لَهُ رَأْسَانِ، نَصَابُهُ فِي

وَسَطِهِ، فَانْظَرُوا بِأَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ، وَقَدْ تَخَلَّلَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ، وَخَرَجَ فِي طَلَبِهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَرَجَعَ إِلَيْهِمُ التَّمِيمِيُّ، وَقَدْ كَانَ الظُّ بِأَبِي

لَوْلُؤَةَ مُنْصَرَفُهُ عَنْ عُمَرَ، حَتَّى أَخَذَهُ فَقَتَلَهُ، وَجَاءَ بِالْخَنْجَرِ الَّذِي وَصَفَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، فَأَمْسَكَ

حَتَّى مَاتَ عُمَرُ، ثُمَّ اشْتَمَلَ عَلَى السَّيْفِ، فَأَتَى الْهُرْمُرَانَ فَقَتَلَهُ، فَلَمَّا عَصَبَهُ السَّيْفُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَضَى حَتَّى أَتَى جُفِينَةَ - وَكَانَ

نَصْرَانِيًّا مِنْ أَهْلِ الْحَيْرَةِ ظَنًّا لِسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، أَقْدَمَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ لِلصُّلْحِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وَلِيَعْلَمَ بِالْمَدِينَةِ الْكِتَابَةَ - فَلَمَّا عَلَاهُ بِالسَّيْفِ

صَلَبَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَبَلَغَ ذَلِكَ صُهَيْبًا، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عُمَرُو بْنُ الْعَاصِ، فَلَمْ يَزَلْ

٤٨٠٢٤ عمال عمر رضى الله عنه على الأمصار

بِهِ وَعَنْهُ، وَيَقُولُ: السَّيْفُ بِأَبِي وَأُمِّي! حَتَّى نَاولَهُ إِيَّاهُ، وَثَاوَرَهُ سَعْدٌ فَأَخَذَ بِشَعْرِهِ، وَجَاءُوا إِلَى صُهَيْبٍ

عمال عمر رضى الله عنه على الأمصار

وَكَانَ عَامِلَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي السَّنَةِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا، وَهِيَ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ - عَلَى مَكَّةَ نَافِعُ بْنُ عَبْدِ الْحَارِثِ الْخَزَاعِيُّ،

وَعَلَى الطَّائِفِ سُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيُّ، وَعَلَى صَنْعَاءَ يَعْلَى بْنُ مَنِه، حَلِيفُ بَنِي نُوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَعَلَى الْجَنْدِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي

رَبِيعَةَ، وَعَلَى الْكُوفَةِ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، وَعَلَى مِصْرَ عُمَرُو بْنُ الْعَاصِ، وَعَلَى حَمَصَ عَمِيرُ بْنُ سَعْدٍ، وَعَلَى

دِمَشْقَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَعَلَى الْبَحْرَيْنِ وَمَا وَالَاهُمَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيُّ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنَى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ - تَوَفَّى، فِيمَا زَعَمَ الْوَأَقِدِيُّ - قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانَ الظُّفَرِيُّ، وَصَلَّى عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ.

وفيها غزا معاوية الصائفة حتى بلغ عمورية، ومعه من اصحاب رسول الله ص عبادة بن الصامت وأبو أيوب خالد بن زيد وأبو ذر وشداد بن أوس.
وفيها فتح معاوية عسقلان على صلح.
وقيل: كَانَ عَلَى قِضَاءِ الْكُوفَةِ فِي السَّنَةِ الَّتِي تَوَفَّى فِيهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَرِيحًا، وَعَلَى الْبَصْرَةِ كَعْبُ بْنُ سُوْرٍ، وَأَمَّا مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَإِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ رَوَى عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَمْ يَكُنْ لهُمَا قَاضٍ

٤٠٩ سنه اربع وعشرين

٤٠٩.١ ذكر ما كان فيها من الاحداث المشهوره

ثم دخلت

ذكر ما كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَحْدَاثِ الْمَشْهُورَةِ

ففيها بويع لعثمان بن عفان بالخلافة، واختلف في الوقت الَّذِي بُويعَ لَهُ فِيهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ مَا حَدَّثَنِي بِهِ الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَا: بُويعَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِلَّيْلَةِ بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةٌ ثَلَاثٌ وَعَشْرِينَ، فَاسْتَقْبَلَ بِخِلَافَتِهِ الْحَرَمَ سَنَةً أَرْبَعًا وَعَشْرِينَ.
وَقَالَ آخَرُونَ: مَا حَدَّثَنِي بِهِ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ الرَّازِيُّ، عَنْ ذَكَرَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ، قَالَ: بُويعَ لِعُثْمَانَ عَامَ الرِّعَافِ سَنَةً أَرْبَعًا وَعَشْرِينَ، قِيلَ: إِنَّمَا قِيلَ لِهَذِهِ السَّنَةِ عَامَ الرِّعَافِ، لِأَنَّهُ كَثُرَ الرِّعَافُ فِيهَا فِي النَّاسِ.
وَقَالَ آخَرُونَ- فِيمَا كَتَبَ بِهِ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ خَلِيدِ بْنِ ذَفَرَةَ وَمَجَالِدٍ، قَالَا: اسْتَخْلَفَ عُثْمَانُ ثَلَاثَ مَضْيَنٍ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةً أَرْبَعًا وَعَشْرِينَ، فَخَرَجَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ الْعَصْرَ، وَزَادَ: وَوَفَدَ فَاسْتَنَى بِهِ.
وَكَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرِو، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: اجْتَمَعَ أَهْلُ الشُّوْرِى عَلَى عُثْمَانَ ثَلَاثَ مَضْيَنٍ مِنَ الْحَرَمِ، وَقَدْ دَخَلَ وَقْتُ الْعَصْرِ، وَقَدْ أُذِنَ مُؤَذِّنٌ صَهِيْبٌ، وَاجْتَمَعُوا بَيْنَ الْأُذَانِ وَالْإِقَامَةِ، فَخَرَجَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ، وَزَادَ النَّاسُ مَائَةً، وَوَفَدَ أَهْلُ الْأَمْصَارِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ صَنَعَ ذَلِكَ.
وَقَالَ آخَرُونَ- فِيمَا ذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ، عَنْ الْوَاقِدِيِّ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ ابْنِ مَلِيكَةَ، قَالَ: بُويعَ لِعُثْمَانَ لِعَشْرِ مَضْيَنٍ مِنَ الْحَرَمِ، بَعْدَ مَقْتَلِ عَمْرِو ثَلَاثَ لَيَالٍ

٤٠٩.٢ خطبه عثمان رضى الله عنه وقتل عبيد الله بن عمر الهرمزان

خطبة عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَتْلَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو الْهَرَمَزَانِ

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ بَدْرِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: لَمَّا بَايَعَ أَهْلُ الشُّوْرِى عُثْمَانَ، خَرَجَ وَهُوَ أَشَدُّهُمْ كَأَبَةً، فَأَتَى مِنْبَرَ رَسُولِ اللَّهِ ص، نَحَطَبَ النَّاسَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ص، وَقَالَ: إِنَّكُمْ فِي دَارِ قَلْعَةٍ، وَفِي بَقِيَّةِ أَعْمَارٍ، فَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِخَيْرٍ مَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، فَلَقَدْ أُتِيتُمْ، صَبَحْتُمْ أَوْ مَسَيْتُمْ، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا طُوِيَتْ عَلَى الْغُرُورِ، فَلَا تُغْنِيَنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، وَلَا يَغْنِيَنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ* اعْتَبَرُوا بِمَنْ مَضَى، ثُمَّ وَجِدُوا وَلَا تَغْفُلُوا، فَإِنَّهُ لَا يُغْفَلُ عَنْكُمْ أَيْنَ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا وَإِخْوَانُهَا الَّذِينَ أَثَارُوهَا وَعَمَرُوهَا، وَمَتَّعُوا بِهَا طَوِيلًا، أَلَمْ تَلْفِظْهُمْ! ارْمُوا بِالدُّنْيَا حَيْثُ رَمَى اللَّهُ بِهَا، وَاطْلُبُوا الْآخِرَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ ضَرَبَ لَهَا مِثْلًا، وَلِلَّذِي هُوَ خَيْرٌ، فَقَالَ

عَزَّ وَجَلَّ: «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَتَزَلَّاهُ مِنَ السَّمَاءِ» - الى قوله- «أَمَلًا» ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ يُبَايِعُونَهُ.
وكتب إلي السري، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي مَنْصُورٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْقِمَاذِبَانَ يَحْدُثُ عَنْ قَتْلِ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَتْ الْعَجَمُ بِالْمَدِينَةِ
يَسْتَرُوحُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَرَفِيزُورُ بِأَبِي، وَمَعَهُ خَنْجَرٌ لَهُ رَأْسَانِ، فَتَنَاوَلَهُ مِنْهُ، وَقَالَ: مَا تَصْنَعُ بِهَذَا فِي هَذِهِ الْبِلَادِ؟ فَقَالَ: أَنَسَ بِهِ،
فَرَأَاهُ رَجُلٌ، فَلَمَّا أَصِيبَ عَمْرٌ، قَالَ: رَأَيْتَ هَذَا مَعَ الْهَرَمَزَانِ، دَفَعَهُ إِلَى فِرُوزٍ.
فَأَقْبَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَقَتَلَهُ، فَلَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ دَعَانِي فَأَمَكْنِي مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ:
يَا بَنِي، هَذَا قَاتِلُ أَبِيكَ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِهِ مِنَّا، فَاهْذَبْ فَاقْتُلْهُ، فَخَرَجْتُ بِهِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ إِلَّا مَعِي، إِلَّا أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ إِلَيَّ فِيهِ فَقُلْتُ
لَهُمْ: أَلَيْ قَتَلَهُ؟
قَالُوا: نَعَمْ- وَسَبَّوْا عُبَيْدَ اللَّهِ- فَقُلْتُ: أَفَلَا تَمْنَعُونَهُ؟ قَالُوا: لَا، وَسَبَّوْهُ

٤٠٩٠٣ ولاية سعد بن أبي وقاص الكوفة

٤٠٩٠٤ كتب عثمان رضي الله عنه إلى عماله وولاته والعامه

فتركته لله ولهم فاحتملوني، فو الله ما بلغت المنزل إلا على رءوس الرجال وأكفهم
. ولاية سعد بن أبي وقاص الكوفة

وفي هذه السنة عزل عثمان المغيرة بن شعبة عن الكوفة، وولاه سعد بن أبي وقاص- فيما كتب به إلي السري، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ
سَيْفٍ، عَنْ الْمُجَالِدِ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ قَالَ: أَوْصِيَ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي أَنْ يَسْتَعْمَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَإِنِّي لَمْ أَعْزِ لَهُ عَنْ
سُوءٍ، وَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَلْحَقَهُ مِنْ ذَلِكَ وَكَانَ أَوَّلَ عَامِلٍ بَعَثَ بِهِ عُثْمَانُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ عَلَى الْكُوفَةِ، وَعَزَلَ الْمَغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ،
وَالْمَغِيرَةَ يَوْمَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ، فَعَمَلَ عَلَيْهَا سَعْدُ سَنَةً وَبَعْضُ أُخْرَى، وَأَقْرَبَ أَبَا مُوسَى سَنَاتٍ.
وَأَمَّا الْوَاقِدِيُّ فَإِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ بْنَ أَسْلَمَ حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عُمَرَ أَوْصَى أَنْ يَقَرَّ عُمَالُهُ سَنَةً، فَلَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ أَقْرَعَ الْمَغِيرَةَ بْنَ
شُعْبَةَ عَلَى الْكُوفَةِ سَنَةً، ثُمَّ عَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ثُمَّ عَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ الْوَلِيدُ ابْنَ عُقْبَةَ فَإِنْ كَانَ صَحِيحًا مَا رَوَاهُ الْوَاقِدِيُّ
مِنْ ذَلِكَ، فَوَلَايَةُ سَعْدٍ الْكُوفَةَ مِنْ قَبْلِ عُثْمَانَ كَانَتْ سَنَةً خَمْسٍ وَعِشْرِينَ
. كُتِبَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى عُمَالِهِ وَوَلَاتِهِ وَالْعَامَّةِ

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة بإسنادهما، قَالَا: لَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ بَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرٍ إِلَى كَابِلٍ- وَهِيَ
عِمَالَةُ سِجِسْتَانَ- فَبَلَغَ كَابِلَ حَتَّى اسْتَفْرَغَهَا، فَكَانَتْ عِمَالَةُ سِجِسْتَانَ أَكْثَرُ مِنْ خُرَّاسَانَ، حَتَّى مَاتَ مُعَاوِيَةُ، وَامْتَنَعَ أَهْلُ كَابِلٍ.
قَالُوا: وَكَانَ أَوَّلَ كِتَابٍ كَتَبَهُ عُثْمَانُ إِلَى عُمَالِهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْأُمَّةَ أَنْ يَكُونُوا رِعَاءَ، وَلَمْ يَتَقَدَّمْ إِلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا جُبَاءَ، وَإِنْ
صَدَرَ هَذِهِ

الْأُمَّةُ خُلِقُوا رِعَاءَ، لَمْ يَخْلُقُوا جُبَاءَ، وَلْيُشْكَنْ أَمْتُكُمْ أَنْ يَصِيرُوا جُبَاءَ وَلَا يَكُونُوا رِعَاءَ، فَإِذَا عَادُوا كَذَلِكَ انْقَطَعَ الْحَيَاءُ وَالْأَمَانَةُ وَالْوَفَاءُ
إِلَّا وَإِنْ أَعْدَلَ السَّيْرَةَ أَنْ تَنْظُرُوا فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا عَلَيْهِمْ فَتَعْطُوهُمْ مَا لَهُمْ، وَتَأْخُذُوهُمْ بِمَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ تَنْتَوُوا بِالذِّمَّةِ، فَتَعْطُوهُمْ الَّذِي
لَهُمْ، وَتَأْخُذُوهُمْ بِالَّذِي عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ الْعَدُوُّ الَّذِي تَنْتَابُونَ، فَاسْتَفْتَحُوا عَلَيْهِمْ بِالْوَفَاءِ.

قَالُوا: وَكَانَ أَوَّلَ كِتَابٍ كَتَبَهُ إِلَى أُمَرَاءِ الْأَجْنَادِ فِي الْفُرُوجِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكُمْ حُمَاةُ الْمُسْلِمِينَ وَذَادَتُهُمْ، وَقَدْ وَضَعَ لَكُمْ عُمَرُ مَا لَمْ يَغِبْ

عنا، بل كان عن ملامنا، ولا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبدل فيغير الله ما بكم ويستبدل بكم غيركم، فانظروا كيف تكونون، فإنني أنظر فيما ألزمني الله النظر فيه، والقيام عليه.

قالوا: وكان أول كتاب كتبه إلى عمال الخراج: أما بعد، فإن الله خلق الخلق بالحق، فلا يقبل إلا الحق، خذوا الحق وأعطوا الحق به والأمانة الأمانة، قوموا عليها، ولا تكونوا أول من يسلبها، فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم والوفاء الوفاء، لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد، فإن الله خصم لمن ظلمهم.

قالوا: وكان كتابه إلى العامة: أما بعد، فإنكم إنما بلغت ما بلغت بالافتداء والتابع، فلا تفتنكم الدنيا عن أمركم، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم: تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن، فإن رسول الله ص قال: [الكفر في العجمة]، فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عاصم بن سليمان، عن عامر الشعبي، قال: أول خليفة زاد الناس في أعطياتهم مائة عثمان، فجرت.

وكان عمر يجعل لكل نفس منقوسة من أهل الفتي في رمضان درهما في كل يوم، وفرض لزوج رسول الله ص درهمين درهمين، فقيل له:

لو صنعت لهم طعاما جمعتهم عليه! فقال: أشبع الناس في بيوتهم فاقروا

٤٠٩٥ غزوه أذربيجان وأرمينية

عثمان الذي كان صنع عمر، وزاد فوضع طعام رمضان، فقال: للتعب الذي يخلف في المسجد وابن السبيل والمعتري بالناس في رمضان

غزوه أذربيجان وأرمينية

وفي هذه السنة - أعني سنة أربع وعشرين - غزا الوليد بن عقبة أذربيجان وأرمينية، لمنع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أهل الإسلام أيام عمر في رواية أبي مخنف، وأما في رواية غيره فإن ذلك كان في سنة ست وعشرين.

ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمر المسلمين وأمرهم في هذه الغزوة:

ذكر هشام بن محمد، أن أبا مخنف حدثه عن فروة بن لقيط الأزدي، ثم الغامدي، أن مغازي أهل الكوفة كانت الري وأذربيجان، وكان بالثغرين عشرة آلاف مقاتل من أهل الكوفة، ستة آلاف بأذربيجان وأربعة آلاف بالري، وكان بالكوفة إذ ذاك أربعون ألف مقاتل، وكان يغزو هذين الثغرين منهم عشرة آلاف في كل سنة، فكان الرجل يصيبه في كل أربع سنين غزوة، فغزا الوليد بن عقبة في إمارته على الكوفة في سلطان عثمان أذربيجان وأرمينية، فدعا سلمان بن ربيعة الباهلي فبعثه أمامه مقدمة له، وخرج الوليد في جماعة الناس، وهو يريد أن يمعن في أرض أرمينية، ففضى في الناس حتى دخل أذربيجان، فبعث عبد الله بن شبيل بن عوف الأحسي في أربعة آلاف، فأغار على أهل موقان والبر والطيلسان، فأصاب من أموالهم وغنم، وتحرز القوم منه، وسبى منهم سبيليا يسيرا، فأقبل إلى الوليد بن عقبة

ثُمَّ إِنَّ الْوَلِيدَ صَالِحَ أَهْلِ أَذْرَبْجَانِ عَلَى ثَمَانِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَذَلِكَ هُوَ الصَّلْحُ الَّذِي كَانُوا صَالِحُوا عَلَيْهِ حَدِيقَةَ بْنِ الْيَمَانِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ بَعْدَ وَقْعَةِ نَهَاوَنْدَ بِسَنَةِ ثَمَّ إِنَّهُمْ حَبَسُوهَا عِنْدَ وَفَاةِ عَمْرِ، فَلَهَا وَلِي عَثْمَانُ وَوَلِي الْوَلِيدُ ابْنَ عُقْبَةَ الْكُوفَةِ، سَارَ حَتَّى وَطَنَهُمُ بِالْجَيْشِ، فَلَهَا رَأَوْا ذَلِكَ انْقَادُوا لَهُ، وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَتِمَّ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الصَّلْحِ، ففَعَلَ، فَقَبِضَ مِنْهُمْ الْمَالَ، وَبَثَّ فِيهِمْ حَوْلَهُمْ مِنْ أَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْغَارَاتِ، فَلَهَا رَجَعَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَبِيلٍ الْأَحْمَسِيُّ مِنْ غَارَتِهِ تِلْكَ - وَقَدْ سَلِمَ وَغَنِمَ - بَعَثَ سَلْمَانَ بْنَ رَيْبَعَةَ الْبَاهِلِيَّ إِلَى أَرْمِينِيَّةٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ فَسَارَ فِي أَرْضِ أَرْمِينِيَّةٍ فَقَتَلَ وَسَبَى وَغَنِمَ ثُمَّ إِنَّهُ انْصَرَفَ وَقَدْ مَلَأَ يَدَيْهِ حَتَّى أَتَى الْوَلِيدَ فَانْصَرَفَ الْوَلِيدُ وَقَدْ ظَفَرَ وَأَصَابَ حَاجَتَهُ

٠ إجلاب الروم على المسلمين واستمداد المسلمين من بالكوفة

وفي هذه السنة - في رواية أبي مخنف - جاشت الروم، حتى استمد من بالشام من جيوش المسلمين من عثمان مددا. ذكر الخبر عن ذلك:

قَالَ هِشَامٌ: حَدَّثَنِي أَبُو مَخْنَفٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي فَرَوَةُ بْنُ لُقَيْطٍ الْأَزْدِيُّ، قَالَ: لَمَّا أَصَابَ الْوَلِيدُ حَاجَتَهُ مِنْ أَرْمِينِيَّةٍ فِي الْغَزْوَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ تَأْرِخِيهِ، وَدَخَلَ الْمَوْصِلَ فَزَلَ الْحَدِيثَ، أَنَّهُ كَتَبَ مِنْ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ كَتَبَ إِلَيَّ يُخْبِرُنِي أَنَّ الرُّومَ قَدْ أَجْلَبَتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِمُجْمُوعٍ عَظِيمَةٍ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ يَمْدَهُمْ إِخْوَانَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَابْعَثْ رَجُلًا مِمَّنْ تَرْضَى نَجْدَتَهُ وَبَأْسَهُ وَشَجَاعَتَهُ وَإِسْلَامَهُ فِي ثَمَانِيَةِ آلَافٍ أَوْ تِسْعَةِ آلَافٍ أَوْ عَشْرَةِ آلَافٍ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي يَأْتِيكَ فِيهِ رَسُولِي، وَالسَّلَامُ.

فَقَامَ الْوَلِيدُ فِي النَّاسِ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْلَى الْمُسْلِمِينَ فِي هَذَا الْوَجْهِ بَلَاءً حَسَنًا، رَدَّ عَلَيْهِمْ بِلَادَهُمُ الَّتِي كَفَرَتْ، وَفَتَحَ بِلَادًا لَمْ تَكُنْ افْتَتَحَتْ، وَرَدَّ لَهُمْ سَالِمِينَ غَانِمِينَ مَأْجُورِينَ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَقَدْ كَتَبَ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُنِي أَنْ أُنْدَبَ مِنْكُمْ مَا بَيْنَ الْعَشْرَةِ الْآلَافِ إِلَى الثَّمَانِيَةِ الْآلَافِ، تَمْدُونُ إِخْوَانَكُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ جَاشَتْ عَلَيْهِمُ الرُّومُ، وَفِي ذَلِكَ الْأَجْرُ الْعَظِيمُ، وَالْفَضْلُ الْمُبِينُ، فَاتَدَبُّوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ مَعَ سَلْمَانَ بْنِ رَيْبَعَةَ الْبَاهِلِيَّ قَالَ: فَاتَدَبَّ النَّاسُ، فَلَمْ يَمُضِ ثَلَاثَةٌ حَتَّى خَرَجَ ثَمَانِيَةُ آلَافٍ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَمَضَوْا حَتَّى دَخَلُوا مَعَ أَهْلِ الشَّامِ إِلَى أَرْضِ الرُّومِ، وَعَلَى جُنْدِ أَهْلِ الشَّامِ حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ خَالِدِ الْفَهْرِيِّ، وَعَلَى جُنْدِ أَهْلِ الْكُوفَةِ سَلْمَانُ بْنُ رَيْبَعَةَ [الْبَاهِلِيُّ]، فَشَنُوا الْغَارَاتِ عَلَى أَرْضِ الرُّومِ، فَأَصَابَ النَّاسُ مَا شَاءُوا مِنْ سَبْيٍ، وَمَلَأُوا أَيْدِيَهُمْ مِنَ الْمَغْنَمِ، وَافْتَتَحُوا بِهَا حُصُونًا كَثِيرَةً.

وَزَعَمَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ الَّذِي أَمَدَّ حَبِيبَ بْنَ مَسْلَمَةَ بِسَلْمَانَ بْنِ رَيْبَعَةَ كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، وَقَالَ: كَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عَثْمَانَ كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ يَأْمُرُهُ أَنْ يُغْزِيَ حَبِيبَ بْنَ مَسْلَمَةَ فِي أَهْلِ الشَّامِ أَرْمِينِيَّةً، فَوَجَّهَهُ إِلَيْهَا، فَلَبَّغَ حَبِيبًا أَنَّ الْمُورِيَّانَ الرُّومِيَّ قَدْ تَوَجَّهَ نَحْوَهُ فِي ثَمَانِينَ أَلْفًا مِنَ الرُّومِ وَالتُّرْكِ، فَكَتَبَ بِذَلِكَ حَبِيبٌ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ بِهِ إِلَى عَثْمَانَ، فَكَتَبَ عَثْمَانُ، إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ يَأْمُرُهُ بِإِمْدَادِ حَبِيبَ بْنَ مَسْلَمَةَ، فَأَمَدَهُ بِسَلْمَانَ بْنِ رَيْبَعَةَ فِي سِتَّةِ آلَافٍ، وَكَانَ حَبِيبٌ صَاحِبَ كَيْدٍ، فَاجْتَمَعَ عَلَى أَنَّ يُبَيِّتَ الْمُورِيَّانَ، فَسَمِعَتْهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بِنْتُ يَزِيدٍ الْكَلْبِيَّةُ يَذْكُرُ ذَلِكَ، فَقَالَتْ لَهُ: فَأَيْنَ مَوْعِدُكَ؟ قَالَ: سُرَادِقُ الْمُورِيَّانِ أَوِ الْجَنَّةُ، ثُمَّ يَبْتَهُمْ، فَقَتَلَ مَنْ أَشْرَفَ لَهُ، وَأَتَى السُّرَادِقَ فَوَجَدَ امْرَأَتَهُ قَدْ سَبَقَتْ، وَكَانَتْ أَوَّلَ امْرَأَةٍ مِنَ الْعَرَبِ

ضُرِبَ عَلَيْهَا سُرَادِقٌ، وَمَاتَ عَنْهَا حَبِيبٌ، نَخَلَفَ عَلَيْهَا الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ الْفَهْرِيُّ، فَهِيَ أُمُّ وَلَدِهِ.

وَاخْتَلَفَ فِيمَنْ جَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: جَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ بِأَمْرِ عُثْمَانَ، كَذَلِكَ قَالَ أَبُو مَعْشَرٍ وَالْوَاقِدِيُّ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ جَجَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ. وَأَمَّا الْاِخْتِلَافُ فِي الْفَتْوحِ الَّتِي نُسِبَهَا بَعْضُ النَّاسِ إِلَى أَنَّهَا كَانَتْ فِي عَهْدِ عُمَرَ، وَبَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا كَانَتْ فِي إِمَارَةِ عُثْمَانَ، فَقَدْ ذَكَرْتُ قَبْلُ فِيمَا مَضَى مِنْ كِتَابِنَا هَذَا ذِكْرَ اِخْتِلَافِ الْمُخْتَلِفِينَ فِي تَأْرِيخِ كُلِّ فَتْحٍ كَانَ مِنْ ذَلِكَ

٤٠١٠ سنه خمس وعشرين

٤٠١٠١ ذكر الاحداث المشهوره التي كانت فيها

خمس وعشرين

ذكر الأحداث المشهورة التي كانت فيها

فَقَالَ أَبُو مَعْشَرٍ، فِيمَا حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ الرَّازِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى عَنْهُ: كَانَ فَتْحُ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ.

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ نَقَضَتْ الْإِسْكَانْدَرِيَّةُ عَهْدَهَا، فَغَزَاهُمْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَقَتَلَهُمْ، وَقَدْ ذَكَرْنَا خَبَرَهَا قَبْلُ فِيمَا مَضَى، وَمِنْ خَالَفَ أَبَا مَعْشَرٍ وَالْوَاقِدِيَّ فِي تَأْرِيخِ ذَلِكَ.

وَفِيهَا كَانَ أَيْضًا- فِي قَوْلِ الْوَاقِدِيِّ- تَوْجِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ الْخَلِيلِ إِلَى الْمَغْرِبِ.

قَالَ: وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ قَدْ بَعَثَ بَعَثًا قَبْلَ ذَلِكَ إِلَى الْمَغْرِبِ، فَأَصَابُوا غَنَائِمَ، فَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْغَزْوِ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ، فَأُذِنَ لَهُ. قَالَ: وَجَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُثْمَانُ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ.

قَالَ: وَفِيهَا فَتَحَ الْحَصُونَ وَأَمِيرُهُمْ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ.

قَالَ: وَفِيهَا وَلِدَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ.

قَالَ: وَفِيهَا كَانَتْ سَابُورُ الْأُولَى فَتَحَتْ

٤٠١١ سنه ست وعشرين

٤٠١١٠١ ذكر ما كان فيها من الاحداث المشهوره

٤٠١١٠٢ ذكر سبب عزل عثمان عن الكوفه سعدا واستعماله عليها الوليد

سنه ٢٤ ثم دخلت

سنة ست وعشرين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

فَكَانَ فِيهَا- فِي قَوْلِ أَبِي مَعْشَرٍ وَالْوَاقِدِيِّ- فَتْحُ سَابُورَ، وَقَدْ مَضَى ذِكْرُ الْخَبَرِ عَنْهَا فِي قَوْلِ مَنْ خَالَفَهُمَا فِي ذَلِكَ.

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: فِيهَا أَمَرَ عُثْمَانُ بِتَجْدِيدِ أَنْصَابِ الْحَرَمِ وَقَالَ: فِيهَا زَادَ عُثْمَانُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَوَسَّعَهُ وَابْتَاعَ مِنْ قَوْمٍ وَأَبَى آخَرُونَ، فَهَدَمَ عَلَيْهِمْ، وَوَضَعَ الْأَثْمَانَ فِي بَيْتِ الْمَالِ، فَصَيَحُوا بِعُثْمَانَ، فَأَمَرَ بِهِمْ بِالْحَبْسِ، وَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَا جَرَأَ كَمْ عَلَيَّ! مَا جَرَأَ كَمْ عَلَيَّ إِلَّا حَلَمِي،

قَدْ فَعَلَ هَذَا بِكُمْ عَمْرُ فُلَمْ تَصَيِّحُوا بِهِ ثُمَّ كُلُّهُ فَيَهْمُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدِ بْنِ أَسِيدَ، فَأَخْرَجُوا.

قَالَ: وَجَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ.

وفي هذه السنة عزل عثمان سدا عن الكوفة، وولاه الوليد بن عقبة في قول الواقدي، وأما في قول سيف فإنه عزله عنها في سنة خمس وعشرين.

وفيها ولي الوليد عليها، وذلك أنه زعم أنه عزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة حين مات عمر، ووجه سدا إليها عاملاً، فعمل له عليها سنة وأشهرًا

ذكر سبب عزل عثمان عن الكوفة سدا واستعماله عليها الوليد

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو، عن الشعبي، قال: كان أول ما نزع به بين أهل الكوفة - وهو أول مصر نزع الشيطان بينهم في الإسلام - أن سعد بن أبي وقاص استقرض من عبد الله بن مسعود من بيت المال مالا، فأقرضه، فلما تقاضاه لم يتيسر عليه، فارتفع بينهما الكلام حتى استعان عبد الله بأناس من الناس على استخراج المال، واستعان

٤٠١٢ سنه سبع وعشرين

٤٠١٢.١ ذكر الاحداث المشهوره التي كانت فيها

سعد بأناس من الناس على استنظاره، فافترقوا وبعضهم يلوم بعضا، يلوم هؤلاء سدا ويلوم هؤلاء عبد الله. كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: كنت جالسا عند سعد، وعنده ابن أخيه هاشم بن عتبة، فأتى ابن مسعود سعدا، فقال له: أد المال الذي قبلك، فقال له سعد: ما أراك إلا ستلقى شرا! هل أنت إلا ابن مسعود، عبد من هذيل! فقال: أجل، والله إنني لابن مسعود، وإنك لابن حمينة، فقال هاشم: أجل والله انك لصاحب رسول الله ص، ينظر إليك فطرَح سعد عودا كان في يده - وكان رجلا فيه جده - ورفع يديه، وقال: اللهم رب السموات والأرض فقال عبد الله: ويلك! قل خيرا، ولا تلعن، فقال سعد عند ذلك: أما والله لولا اتقاء الله لدعوت عليك دعوة لا تُخطئك فولى عبد الله سريعا حتى خرج.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن القاسم بن الوليد، عن المسيب بن عبد خير، عن عبد الله بن عكيم، قال: لما وقع بين ابن مسعود وسعد الكلام في قرض أقرضه عبد الله إياه، فلم يتيسر على سعد قضاؤه، غضب عليهما عثمان، وانتزعهما من سعد، وعزله وغضب على عبد الله وأقره، واستعمل الوليد بن عقبة - وكان عاملا لعمر على ربيعة بالجزيرة - فقدم الكوفة فلم يتخذ لإداره بابا حتى خرج من الكوفة.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا:

لما بلغ عثمان الذي كان بين عبد الله وسعد فيما كان، غضب عليهما وهم بهما، ثم ترك ذلك، وعزل سعدا، وأخذ ما عليه، وأقر عبد الله، وتقدم إليه، وأمر مكان سعد الوليد بن عقبة - وكان على عرب الجزيرة عاملا لعمر بن الخطاب - فقدم الوليد في السنة الثانية من إمارة عثمان، وقد كان سعد عمل عليها سنة وبعض أخرى، فقدم الكوفة، وكان أحب الناس في الناس وأرفقهم بهم، فكان كذلك خمس سنين وليس على داره باب سبع وعشرين.

ذكر الأحداث المشهورة التي كانت فيها

فما كان فيها من ذلك فتح إفريقية على يد عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كذلك حدثني أحمد بن ثابت الرازي، قال: حدثنا محدث، عن إسحاق ابن عيسى، عن أبي معشر، وهو قول الواقدي أيضا.

ذكر الخبر عن فتحها، وعن سبب ولايه عبد الله بن سعد ابن أبي سرح مصر، وعزل عثمان عمرو بن العاص عنها: كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ.

قَالَا: مات عمر وعلى مصر عمرو بن العاص، وعلى قضائها خارجه بن حذافة السهمي، فولي عثمان، فأقرهما سنتين من إمارته ثم عزل عمرا، واستعمل عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

وَكَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي حَارِثَةَ وَأَبِي عُثْمَانَ، قَالَا: لَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ أَمْرَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ عَلَى عَمَلِهِ، وَكَانَ لَا يَعْزِلُ أَحَدًا إِلَّا عَنْ شَكَاةٍ أَوْ اسْتِعْفَاءٍ مِنْ غَيْرِ شَكَاةٍ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ مِنْ جُنْدِ مِصْرَ، فَأَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ عَلَى جُنْدِهِ، وَرَمَاهُ بِالرِّجَالِ، وَسَرَّحَهُ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ وَسَرَّحَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ بْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ بْنُ الْحَصَنِ الْفَهْرِيِّ، وَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ: إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَمْرٌ وَجَلَ عَلَيْكَ غَدًا إِفْرِيقِيَّةً، فَلَكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ خُمْسُ الْخُمْسِ مِنَ الْغَنِيمَةِ نَفْلًا. وَأَمَرَ الْعَبْدَيْنِ عَلَى الْجُنْدِ، وَرَمَاهُمَا بِالرِّجَالِ، وَسَرَّحَهُمَا إِلَى الْأَنْدَلُسِ، وَأَمَرَهُمَا وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بِالْاجْتِمَاعِ عَلَى الْأَجْلِ، ثُمَّ يُقِيمُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ فِي عَمَلِهِ وَيُسِيرَانِ إِلَى عَمَلِهِمَا

فَخَرَجُوا حَتَّى قَطَعُوا مِصْرَ، فَلَمَّا وَغَلُوا فِي أَرْضِ إِفْرِيقِيَّةَ فَأَمَعُوا انْتَهَوْا إِلَى الْأَجْلِ، وَمَعَهُ الْأَفْنَاءُ، فَاقْتَتَلُوا، فَقُتِلَ الْأَجْلُ، قَتَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ وَفَتَحَ إِفْرِيقِيَّةَ سَهْلًا وَجَبِلَهَا ثُمَّ اجْتَمَعُوا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَحَسَنَتْ طَاعَتُهُمْ، وَقَسَمَ عَبْدُ اللَّهِ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَلَى الْجُنْدِ، وَأَخَذَ خُمْسَ الْخُمْسِ، وَبَعَثَ بِأَرْبَعَةِ أُنْحَاسِهِ إِلَى عُثْمَانَ مَعَ ابْنِ وَثِيمة النَّصْرِيِّ، وَضَرَبَ فُسْطَاطًا فِي مَوْضِعِ الْقَيْرَوَانِ، وَوَفَدَ وَفَدًا، فَشَكَّوْا عَبْدَ اللَّهِ فِيمَا أَخَذَ، فَقَالَ لَهُمْ: أَنَا نَفَلْتُهُ - وَكَذَلِكَ كَانَ يَصْنَعُ - وَقَدْ أَمَرْتُ لَهُ بِذَلِكَ، وَذَلِكَ إِلَيْكُمْ الْآنَ، فَإِنْ رَضِيتُمْ فَقَدْ جَازَ، وَإِنْ سَخِطْتُمْ فَهُوَ رَدٌّ قَالُوا: فَإِنَّا نَسْخِطُهُ، قَالَ: فَهُوَ رَدٌّ، وَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بِرَدِّ ذَلِكَ وَاسْتِصْلَاحِهِمْ، قَالُوا: فَأَعَزَلَهُ عَنَّا، فَإِنَّا لَا نُزِيدُ أَنْ يَتَأَمَّرَ عَلَيْنَا، وَقَدْ وَقَعَ مَا وَقَعَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ اسْتَخْلَفَ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ رَجُلًا مِمَّنْ تَرْضَى وَيَرْضَوْنَ وَأَقْسَمَ الْخُمْسَ الَّذِي كُنْتَ نَفَلْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ سَخَطُوا النَّفْلَ.

فَفَعَلَ، وَرَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ إِلَى مِصْرَ وَقَدْ فَتَحَ إِفْرِيقِيَّةَ، وَقَتَلَ الْأَجْلَ.

فَمَا زَالُوا مِنْ أَسْعَى أَهْلِ الْبُلْدَانِ وَأَطْوَعِهِمْ إِلَى زَمَانِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، أَحْسَنَ أُمَّةً سَلَامًا وَطَاعَةً، حَتَّى دَبَّ إِلَيْهِمْ أَهْلُ الْعِرَاقِ، فَلَمَّا دَبَّ إِلَيْهِمْ دُعَاةُ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَاسْتَثَارُوهُمْ، شَقُّوا عَصَاهُمْ، وَفَرَقُوا بَيْنَهُمْ إِلَى الْيَوْمِ وَكَانَ مِنْ سَبَبِ تَفْرِيقِهِمْ أَنَّهُمْ رَدُّوا عَلَى أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، فَقَالُوا: إِنَّا لَا نَخَالِفُ الْأَئِمَّةَ بِمَا تَجْنِي الْعَمَالُ، وَلَا نَحِلُّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُمْ: إِنَّمَا يَعْمَلُ هَؤُلَاءِ بِأَمْرِ أَوْلِيكَ، فَقَالُوا لَهُمْ: لَا نَقْبَلُ ذَلِكَ حَتَّى نُبَوِّرَهُمْ، فَخَرَجَ مَيْسِرَةٌ فِي بَضْعَةِ عَشْرٍ إِنْسَانًا حَتَّى يَقْدُمَ عَلَى هِشَامٍ، فَطَلَبُوا الْإِذْنَ، فَصَعِبَ عَلَيْهِمْ، فَاتُوا الْأَبْرَشَ، فَقَالُوا: أَبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أَمِيرَنَا يَغْزُو بِنَا وَبِجُنْدِهِ، فَإِذَا أَصَابَ نَفْلَهُمْ دُونَنَا وَقَالَ: هُمْ أَحَقُّ بِهِ، فَقُلْنَا: هُوَ أَخْلَصَ لِلْجِهَادِ، لَأَنَّا لَا نَأْخُذُ مِنْهُ شَيْئًا، إِنْ كَانَ لَنَا فَهْمٌ مِنْهُ فِي حِلٍّ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَنَا لَمْ نَزِدْهُ وَقَالُوا: إِذَا حَاصِرْنَا مَدِينَةَ قَالَ: تَقْدَمُوا وَآخِرَ جُنْدِهِ، فَقُلْنَا: تَقْدَمُوا، فَإِنَّهُ أَرْذِيَادٌ فِي الْجِهَادِ، وَمِثْلُكُمْ كَفَى إِخْوَانَهُ، فَوَقَيْنَاهُمْ بِأَنْفُسِنَا وَكَفَيْنَاهُمْ ثُمَّ إِنَّهُمْ عَمِدُوا إِلَى

مَاشِيَتِنَا، فَجَعَلُوا يَقْرُونَهَا عَلَى السِّخَالِ يَطْلُبُونَ الْفِرَاءَ الْبَيْضَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَقْتُلُونَ أَلْفَ شَاةٍ فِي جُلْدٍ، فَقُلْنَا: مَا أَيْسَرَ هَذَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ! فَاحْتَمَلْنَا ذَلِكَ، وَخَلَيْنَاهُمْ وَذَلِكَ ثُمَّ إِنَّهُمْ سَامُونَا أَنْ يَأْخُذُوا كُلَّ جَمِيلَةٍ مِنْ بَنَاتِنَا فَقُلْنَا: لَمْ نَجِدْ هَذَا فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ، وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ، فَأَحْبَبْنَا أَنْ نَعْلَمَ:

أَعَنْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ أَمْ لَا؟ قَالَ: نَفَعُ، فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِمْ وَنَفَدَتْ نَفَقَاتُهُمْ، كَتَبُوا أَسْمَاءَهُمْ فِي رِقَاعٍ، وَرَفَعُوها إِلَى الْوُزَرَاءِ، وَقَالُوا: هَذِهِ أَسْمَاؤُنَا وَأَسَابُنَا، فَإِنْ سَأَلَكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنَّا فَأَخْبِرُوهُ، ثُمَّ كَانَ وَجْهَهُمْ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ، فَخَرَجُوا عَلَى عَامِلِ هِشَامٍ فَقَتَلُوهُ،

وَاسْتَوْلُوا عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ، وَبَلَغَ هِشَامًا الْخَبْرَ، وَسَأَلَ عَنِ النَّفْرِ، فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ أَسْمَاؤُهُمْ، فَإِذَا هُمْ الَّذِينَ جَاءَ الْخَبْرُ أَنَّهُمْ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا.

وَكَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا: وَأَرْسَلَ عُثْمَانُ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ بْنِ الْحَصِينِ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ بْنِ عَبْدِ الْقَيْسِ مِنْ فَوْرِهِمَا ذَلِكَ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ، فَأَتِيَاهُمَا مِنْ قِبَلِ الْبَحْرِ.

وَكَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَنْ اتَدَبَ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ إِنَّمَا تَفْتَحُ مِنْ قِبَلِ الْأَنْدَلُسِ، وَإِنْ كُنْتُمْ كُنْتُمْ شُرَكَاءَ مَنْ يَفْتَحُهَا فِي الْأَجْرِ، وَالسَّلَامُ وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ: يَعْبُرُ الْبَحْرُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ أَقْوَامٌ يَفْتَتِحُونَهَا، يَعْرِفُونَ بِنُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَكَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا: نَخْرُجُوا وَمَعَهُمُ الْبَربر، فَأَتَوْهَا مِنْ بَرهَا، فَفَتَحَهَا اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَإِفْرِيقَةَ، وَازْدَادُوا فِي سُلْطَانِ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ إِفْرِيقِيَّةَ، فَلَمَّا عَزَلَ عُثْمَانُ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ صَرَفَ إِلَى عَمَلِهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ عَبْدَ الْقَيْسِ، وَكَانَ عَلَيْهِمَا، وَرَجَعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ إِلَى مِصْرَ، وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ الْأَنْدَلُسِ كَأَمْرِ إِفْرِيقِيَّةَ حَتَّى كَانَ زَمَانُ هِشَامَ، فَفُتِحَ الْبَربر أَرْضَهُمْ، وَبَقِيَ فِي الْأَنْدَلُسِ عَلَى حَالِهِ

وَأَمَّا الْوَاقِدِيُّ فَإِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ ابْنَ أَبِي سَبْرَةَ حَدَّثَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حَرْمَلَةَ، عَنْ كُرَيْبٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَعَ عُثْمَانُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَنْ مِصْرَ غَضِبَ عَمْرُو غَضَبًا شَدِيدًا، وَحَقَّدَ عَلَى عُثْمَانَ، فَوَجَّهَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَمْضِيَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ، وَنَدَبَ عُثْمَانَ النَّاسَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ، فَنَجَرَ إِلَيْهَا عَشْرَةَ آلَافٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَحَدَّثَنِي أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ اللَّيْثِيُّ، عَنْ ابْنِ كَعْبٍ، قَالَ:

لَمَّا وَجَّهَ عُثْمَانُ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ، كَانَ الَّذِي صَالَحَهُمْ عَلَيْهِ بِطَرِيقِ إِفْرِيقِيَّةَ جَرَجِيرُ الْفَيِّ أَلْفَ دِينَارٍ وَخَمْسَمِائَةَ أَلْفَ دِينَارٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَبَعَثَ مَلِكَ الرُّومِ رَسُولًا، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُمْ ثَلَاثَمِائَةَ قَنْطَارٍ، كَمَا أَخَذَ مِنْهُمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ، فَجَمَعَ رُؤُسَاءُ إِفْرِيقِيَّةَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمَلِكَ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَخْذَ مِنْكُمْ ثَلَاثَمِائَةَ قَنْطَارٍ ذَهَبٍ مِثْلَ مَا أَخَذَ مِنْكُمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ، فَقَالُوا:

مَا عِنْدَنَا مَالٌ نُعْطِيهِ، فَأَمَّا مَا كَانَ بِأَيْدِينَا فَقَدْ افْتَدَيْنَا بِهِ أَنْفُسَنَا، وَأَمَّا الْمَلِكَ فَإِنَّهُ سَيَدُنَا فَلْيَأْخُذْ مَا كَانَ لَهُ عِنْدَنَا مِنْ جَائِزَةٍ كَمَا كُنَّا نُعْطِيهِ كُلَّ سَنَةٍ.

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَمَرَ بِجَبْسِهِمْ، فَبَعَثُوا إِلَى قَوْمٍ مِنْ أَصْحَابِهِمْ، فَقَدِمُوا عَلَيْهِ، فَكَسَرُوا السِّجْنَ فَنَجَّوْا، وَكَانَ الَّذِي صَالَحَهُمْ عَلَيْهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ ثَلَاثَمِائَةَ قَنْطَارٍ ذَهَبٍ، فَامر بها عُثْمَانُ لَأَلِ الْحَكَمِ قُلْتُ: أَوْ لِمَرَوَانَ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي.

قَالَ ابْنُ عَمْرٍو: وَحَدَّثَنِي أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، قَالَ: نَزَعَ عُثْمَانُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَنْ خَرَاجِ مِصْرَ، وَاسْتَعْمَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ عَلَى الْخَرَاجِ، فَتَبَاغَا، فَكَتَبَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ إِلَى عُثْمَانَ يَقُولُ:

إِنَّ عَمْرًا كَسَرَ الْخَرَاجَ وَكَتَبَ عَمْرُو: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ كَسَرَ عَلَى حِيلَةِ الْحَرْبِ، فَكَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى عَمْرٍو: أَنْصَرِفْ، وَوَلَّى عَبْدَ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ الْخَرَاجَ وَالْجُنْدَ، فَقَدِمَ عَمْرُو مُغْضِبًا، فَدَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ وَعَلَيْهِ جَبَّةٌ يَمَانِيَّةٌ مَحْشُوءَةٌ قُطْنًا، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَا حَشَوُ جَبَّتِكَ؟ قَالَ: عَمْرُو، قَالَ عُثْمَانُ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ حَشَوَهَا عَمْرُو وَلَمْ أَرِدْ هَذَا، إِنَّمَا سَأَلْتُ: أَقْطَنُ هُوَ أَمْ غَيْرُهُ؟

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَحَدَّثَنِي أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ،

٤٠١٣ سنة ثمان وعشرين

٤٠١٣.١ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث المشهورة

ذكر الخبر عن غزوه معاوية إياها:

قَالَ: بَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ إِلَى عُثْمَانَ بِمَالٍ مِنْ مِصْرَ، قَدْ حُشِدَ فِيهِ، فَدَخَلَ عَمْرُو عَلَى عُثْمَانَ، فَقَالَ عُثْمَانُ: يَا عَمْرُو، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ تِلْكَ اللَّقَاحُ دُرَّتْ بَعْدَكَ! فَقَالَ عَمْرُو: إِنَّ فَصَالَهَا هَلَكْتُ. وَجَّهَ النَّاسَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ فَتْحُ إِصْطَخَرَ الثَّانِي عَلَى يَدِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ. قَالَ: وَفِيهَا غَزَا مُعَاوِيَةُ قَنْسَرِينَ ثَمَانٍ وَعَشْرِينَ

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث المشهورة

فَمَا ذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ فِيهَا فَتْحُ قَبْرِسَ، عَلَى يَدِ مُعَاوِيَةَ، غَزَاهَا بِأَمْرِ عُثْمَانَ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِ الْوَاقِدِيِّ.

فَأَمَّا أَبُو مُعَشَرَ فَإِنَّهُ قَالَ: كَانَتْ قَبْرِسَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَنْ حَدَّثِهِ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَتْ قَبْرِسَ سَنَةَ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ، غَزَاهَا- فِيمَا ذَكَرَ- جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص، فِيمَهُمْ أَبُو ذَرٍّ وَعَبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ أُمُّ حَرَامٍ وَالْمُقَدَّادُ وَأَبُو الدَّرْدَاءِ، وَشَدَادُ بْنُ أَوْسٍ.

ذكر الخبر عن غزوة معاوية إياها:

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ النُّعْمَانَ النَّصْرِيِّ وَإِبْنِ الْمُجَالِدِ جَرَادِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيَوَةَ وَإِبْنِ حَارِثَةَ وَإِبْنِ عُثْمَانَ، عَنْ رَجَاءِ وَعَبَادَةَ وَخَالِدٍ: قَالُوا: أَلَحَّ مُعَاوِيَةُ فِي زَمَانِهِ عَلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي غَزْوِ الْبَحْرِ وَقُرْبِ الرُّومِ مِنْ حِمَصَ، وَقَالَ: إِنَّ قَرْيَةً مِنْ قُرَى حِمَصَ لَيَسْمَعُ أَهْلُهَا نُبَاحَ كَلَابِهِمْ وَصِيَاحَ دَجَاجِهِمْ، حَتَّى كَادَ ذَلِكَ يَأْخُذُ بِقَلْبِ عَمْرِو، فَكَتَبَ عَمْرُو إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: صِفْ لِي الْبَحْرَ وَرَاكِبَهُ، فَإِنَّ نَفْسِي تَنَازَعُنِي إِلَيْهِ وَقَالَ عَبَادَةُ وَخَالِدٌ: لَمَّا أَخْبَرَهُ مَا لِلْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ وَمَا عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرُو: إِنِّي رَأَيْتُ خَلْقًا كَبِيرًا يَرْكَبُهُ خَلْقٌ صَغِيرٌ، إِنَّ رَكْنَ خَرَقَ الْقُلُوبَ، وَإِنْ تَحَرَّكَ أَزَاغَ الْعُقُولَ، يَزْدَادُ

فِيهِ الْيَقِينُ قَلَّةً، وَالشَّكُّ كَثْرَةً، هُمْ فِيهِ كَدُودٌ عَلَى عُودٍ، إِنَّ مَالَ غَرِقَ، وَإِنْ نَجَا بَرِقَ

فَلَمَّا قَرَأَهُ عَمْرُو كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ: لَا وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ لَا أَجْمَلُ فِيهِ مُسْلِمًا أَبَدًا.

وَكَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَبَادَةَ بْنِ نُسَيْبٍ، عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ الْأَزْدِيِّ، قَالَ: كَانَ مُعَاوِيَةُ كَتَبَ إِلَى عَمْرِو كِتَابًا فِي غَزْوِ الْبَحْرِ يَرْغَبُهُ فِيهِ، وَيَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ بِالشَّامِ قَرْيَةً يَسْمَعُ أَهْلُهَا نُبَاحَ كَلَابِ الرُّومِ وَصِيَاحَ دُيُوكِهِمْ، وَهُمْ تَلْقَاءُ سَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِ حِمَصَ، فَاتَّهَمَهُ عَمْرُو لِأَنَّهُ الْمَشِيرُ، فَكَتَبَ إِلَى عَمْرٍو: أَنْ صِفْ لِي الْبَحْرَ، ثُمَّ أَكْتُبْ إِلَيَّ بِخَبْرِهِ: فَكَتَبَ إِلَيْهِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي رَأَيْتُ خَلْقًا عَظِيمًا، يَرْكَبُهُ خَلْقٌ صَغِيرٌ، لَيْسَ إِلَّا السَّمَاءُ وَالْمَاءُ، وَإِنَّمَا هُمْ كَدُودٌ عَلَى عُودٍ، إِنَّ مَالَ غَرِقَ، وَإِنْ نَجَا بَرِقَ.

وَكَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ وَإِبْنِ حَارِثَةَ، عَنْ عَبَادَةَ، عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ وَالرَّبِيعِ وَإِبْنِ الْمُجَالِدِ، قَالُوا:

كَتَبَ عَمْرُو إِلَى مُعَاوِيَةَ: إِنَّا سَمِعْنَا أَنَّ بَحْرَ الشَّامِ يُشْرِفُ عَلَى أَطْوَلِ شَيْءٍ عَلَى الْأَرْضِ، يَسْتَأْذِنُ اللَّهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فِي أَنْ يَفِيضَ عَلَى

الأرض فيُغْرِقَهَا، فَكَيْفَ أَحْمِلُ الْجُنُودَ فِي هَذَا الْبَحْرِ الْكَافِرِ الْمُسْتَضْعَبِ، وَتَاللَّهِ لِمُسْلِمٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا حَوَتْ الرُّومُ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَعْرِضَ لِي، وَقَدْ تَقَدَّمْتُ إِلَيْكَ، وَقَدْ عَلِمْتَ مَا لِي بِالْعِلَاءِ مِنِّي، وَلَمْ أَتَقَدَّمْ إِلَيْهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ.

وَقَالُوا: تَرَكَ مَلِكَ الرُّومِ الْغَزْوَ، وَكَاتَبَ عُمَرَ وَقَارِبَهُ، وَسَأَلَهُ عَنْ كَلِمَةٍ يَجْتَمِعُ فِيهَا الْعِلْمُ كُلُّهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: أَحَبُّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَآكَرُهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لَهَا، تَجْتَمِعُ لَكَ الْحِكْمَةُ كُلُّهَا وَاعْتَبِرِ النَّاسَ بِمَا يَلِيكَ، تَجْتَمِعُ لَكَ الْمَعْرِفَةُ كُلُّهَا.

وَكَتَبَ إِلَيْهِ مَلِكَ الرُّومِ - وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِقَارُورَةٍ: أَنْ أَمْلَأَ لِي هَذِهِ الْقَارُورَةَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَأَها مَاءً، وَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنَّ هَذَا كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا

وَكَتَبَ إِلَيْهِ مَلِكَ الرُّومِ: مَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ؟ فَكَتَبَ إِلَيْهِ: أَرْبَعُ أَصَابِعِ الْحَقِّ، فِيمَا يَرَى عَيْنَانَا، وَالْبَاطِلُ كَثِيرًا يُسْتَمْعُ بِهِ فِيمَا لَمْ يُعَيْنَ. وَكَتَبَ إِلَيْهِ مَلِكَ الرُّومِ يَسْأَلُهُ عَمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَبَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: مَسِيرُهُ خَمْسَمِائَةِ عَامٍ لِلْمُسَافِرِ، لَوْ كَانَ طَرِيقًا مَبْسُوطًا.

قَالَ: وَبَعَثْتُ أُمَّ كُثُومٍ بِنْتُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى مَلِكَةِ الرُّومِ بِطَبِيبٍ وَمَشَارِبٍ وَأَحْفَاشٍ مِنْ أَحْفَاشِ النِّسَاءِ، وَدَسَّتهُ إِلَى الْبَرِيدِ، فَأَبْلَغَهُ لَهَا، وَأَخَذَ مِنْهُ وَجَاءَتْ أَمْرَأَةً هَرَقْلَ، وَجَمَعَتْ نِسَاءَهَا، وَقَالَتْ: هَذِهِ هَدِيَّةُ أَمْرَأَةِ مَلِكِ الْعَرَبِ، وَبِنْتُ نَبِيِّهِمْ، وَكَاتَبَتْهَا وَكَفَّاتَهَا، وَأَهْدَتْ لَهَا، وَفِيمَا أَهْدَتْ لَهَا عَقْدٌ فَاحِرٌ فَلَمَّا انْتَهَى بِهِ الْبَرِيدُ إِلَيْهِ أَمَرَهُ بِإِمْسَاكِهِ، وَدَعَا: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَاجْتَمَعُوا، فَصَلَّى بِهِمْ رَكَعَتَيْنِ، وَقَالَ: إِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي أَمْرِ أُبْرَمَ عَنْ غَيْرِ شُورَى مِنْ أُمُورِي، قُولُوا فِي هَدِيَّةٍ أَهْدَتْهَا أُمَّ كُثُومٍ لَأَمْرَأَةِ مَلِكِ الرُّومِ، فَأَهْدَتْ لَهَا أَمْرَأَةً مَلِكِ الرُّومِ، فَقَالَ قَائِلُونَ: هُوَ لَهَا بِالَّذِي لَهَا، وَلَيْسَتْ أَمْرَأَةُ الْمَلِكِ بِذِمَّةٍ فَتَصَانَعُ بِهِ، وَلَا تَحْتَ يَدِكَ فَتَسْتَقِيكَ.

وَقَالَ آخَرُونَ: قَدْ كُنَّا نَهْدِي الثِّيَابَ لِنَسْتَتِيبَ، وَنَبْعَثُ بِهَا لِنَبَاعَ، وَلِنُصِيبَ ثَمَنًا فَقَالَ: وَلَكِنَّ الرُّسُولَ رُسُولَ الْمُسْلِمِينَ، وَالْبَرِيدَ بَرِيدُهُمْ، وَالْمُسْلِمُونَ عَظُمُوها فِي صَدْرِهَا فَأَمَرَ بِرَدِّهَا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ، وَرَدَّ عَلَيْهَا بِقَدْرِ نَفَقَتِهَا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي حَارِثَةَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، قَالَ: أَوَّلُ مَنْ غَزَا فِي الْبَحْرِ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ زَمَانَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَقَدْ كَانَ اسْتَأْذَنَ عُمَرَ فِيهِ فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ، فَلَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ لَمْ يَزَلْ بِهِ مُعَاوِيَةُ، حَتَّى عَزَمَ عُثْمَانُ عَلَى ذَلِكَ بِآخِرَةٍ، وَقَالَ: لَا تَتَخَبَّ النَّاسُ، وَلَا تَقْرَعُ بَيْنَهُمْ، خَيْرُهُمْ، فَمِنْ اخْتَارَ الْغَزْوَ طَائِعًا فَاحْمِلْهُ وَأَعْنَهُ، فَفَعَلَ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْبَحْرِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ الْجَاسِيَّ حَلِيفَ بَنِي فَرَازَةَ، فَغَزَا خَمْسِينَ غَزَاةً مِنْ بَيْنِ شَاتِيَةِ وَصَائِفَةِ فِي الْبَحْرِ، وَلَمْ يَغْرُقْ فِيهِ أَحَدٌ وَلَمْ يَنْكَبْ،

وَكَانَ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الْعَافِيَةَ فِي جُنْدِهِ، وَأَلَّا يَبْتَلِيَهُ بِمَصَابٍ أَحَدٍ مِنْهُمْ، فَفَعَلَ، حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُ وَحْدَهُ، خَرَجَ فِي قَارِبٍ طَلِيعَةٍ، فَانْتَهَى إِلَى الْمَرْقِيِّ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ، وَعَلَيْهِ سُؤَالٌ يَعْتَرُونَ بِذَلِكَ الْمَكَانَ، فَتَصَدَّقَ عَلَيْهِمْ، فَرَجَعَتْ أَمْرَأَةٌ مِنَ السُّؤَالِ إِلَى قَرِيَّتِهَا، فَقَالَتْ لِلرِّجَالِ: هَلْ لَكُمْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ؟ قَالُوا: وَإِنْ هُوَ؟ قَالَتْ: فِي الْمَرْقِيِّ، قَالُوا: أَيُّ عُدُوَّةِ اللَّهِ! وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفِينَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ؟ فَوَبَّخَتْهُمْ، وَقَالَتْ: أَنْتُمْ أَعْزَمُ مَنْ أَنْ يَخْفَى عَبْدَ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ فَتَارُوا إِلَيْهِ، فَهَجَمُوا عَلَيْهِ، فَقَاتَلُوهُ وَقَاتَلَهُمْ، فَأُصِيبَ وَحْدَهُ، وَأَفَلَّتِ الْمَلَاةُ حَتَّى أَتَى أَصْحَابَهُ، فَجَاءُوا حَتَّى أَرَقُوا، وَانْخَلِيفَةُ مِنْهُمْ سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ الْأَزْدِيُّ، فَفَرَّجَ فَقَاتَلَهُمْ، فَضَجَّرَ وَجَعَلَ يَبْعَثُ بِأَصْحَابِهِ وَيُسْتَمِهُمُ، فَقَالَتْ جَارِيَةٌ عَبْدَ اللَّهِ: وَابْدَأْ عَبْدَ اللَّهِ، مَا هَكَذَا كَانَ يَقُولُ حِينَ يَقَاتِلُ! فَقَالَ سُفْيَانُ: وَكَيْفَ كَانَ يَقُولُ؟ قَالَتْ:

الْغَمَرَاتُ ثُمَّ يَنْجِلِينَا.

فَتَرَكَ مَا كَانَ يَقُولُ، وَلَزِمَ: الْغَمَرَاتُ ثُمَّ يَنْجِلِينَا وَأُصِيبَ فِي الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ، وَذَلِكَ آخِرُ زَمَانِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ الْجَاسِيَّ، وَقِيلَ لَتِلْكَ الْمَرْأَةُ بَعْدُ:

بِأَيِّ شَيْءٍ عَرَفْتِيهِ؟ قَالَتْ: بِصَدَقَتِهِ، أُعْطِيَ كَمَا يُعْطِي الْمُلُوكُ، وَلَمْ يَقْبِضْ قَبْضَ التُّجَّارِ. وَكَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي حَارِثَةَ وَأَبِي عُثْمَانَ، قَالَا: قِيلَ لَتِلْكَ الْمَرْأَةِ الَّتِي اسْتَثَارَتِ الرُّومَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ:

كَيْفَ عَرَفْتَهُ؟ قَالَتْ: كَانَ كَالْتَّاجِرِ، فَلَمَّا سَأَلْتَهُ أُعْطَانِي كَالْمَلِكِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ. وَكَتَبَ إِلَيَّ مُعَاوِيَةَ وَالْعَمَالُ: أَمَّا بَعْدُ، فَقَوْمُوا عَلَى مَا فَارَقْتُمْ عَلَيْهِ عَمْرَ، وَلَا تَبَدَّلُوا، وَمَهْمَا أَشْكَلَ عَلَيْكُمُ، فَردوه إلينا نَجْعَ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ، ثُمَّ رَدُّهُ عَلَيْكُمْ، وَإِذَا كُمْ أَنْ تَغْيِرُوا، فَإِنِّي لَسْتُ قَابِلًا مِنْكُمْ إِلَّا مَا كَانَ عَمْرُ يَقْبَلُ.

وَقَدْ كَانَتْ تَنْتَقِضُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاحِ عَمْرٍ وَوَلَايَةِ عُثْمَانَ تِلْكَ النَّاحِيَةُ فَيَبِيعُ إِلَيْهَا الرَّجُلُ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، فَيَحْسَبُ لَهُ ذَلِكَ، وَأَمَّا الْفَتْوحُ فَلَأُولَ مِنْ وَلِيهَا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَلَمَّا غَزَا مُعَاوِيَةَ قَبْرَسَ، صَلَاحَ أَهْلِهَا- فِيمَا حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي كَرِيمَةَ وَاللَيْثُ بْنُ سَعْدٍ وَغَيْرُهُمَا مِنْ مَشِيخَةِ سَاحِلِ دِمَشْقَ، أَنَّ صَلَاحَ قَبْرَسَ وَقَعَ عَلَى جَزِيَةِ سَبْعَةِ آلَافٍ دِينَارٍ يُؤَدُّونَهَا إِلَى الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَيُؤَدُّونَ إِلَى الرُّومِ مِثْلَهَا، لَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَحُولُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ، عَلَى أَلَّا يَغْزَوْهُمْ وَلَا يَقَاتِلُوا مِنْ وَرَاءِهِمْ مَنْ أَرَادَهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يُؤَدُّوا الْمُسْلِمِينَ بِمَسِيرِ عَدُوهِمْ مِنَ الرُّومِ إِلَيْهِمْ، وَعَلَى أَنْ يَبْتَطِقَ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ. وَقَالَ الْوَأَقِدِيُّ: غَزَا مُعَاوِيَةَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ قَبْرَسَ، وَغَزَاهَا أَهْلُ مِصْرَ وَعَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي سَرْحٍ، حَتَّى لَقُوا مُعَاوِيَةَ، فَكَانَ عَلَى النَّاسِ.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ جَبْرِ بْنِ نَفِيرٍ، قَالَ: لَمَّا سَبَيْنَاهُمْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ يَبْكِي، فَقُلْتُ لَهُ: مَا يَبْكِيكَ فِي يَوْمٍ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَأَذَلَّ فِيهِ الْكُفْرَ وَأَهْلَهُ؟ قَالَ: فَضْرَبَ يَدَهُ عَلَى مَنْكِي، وَقَالَ: ثَكَلْتُكَ أُمُّكَ يَا جَبْرِ! مَا أَهْوَنُ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ إِذَا تَرَكَوا أَمْرَهُ! بَيْنَا هِيَ أُمَّةٌ ظَاهِرَةٌ قَاهِرَةٌ لِلنَّاسِ لَهُمُ الْمُلْكُ، إِذَا تَرَكَوا أَمْرَ اللَّهِ، فَصَارُوا إِلَى مَا تَرَى، فَسَلَطَ عَلَيْهِمُ السَّبَاءَ، وَإِذَا سَلَطَ السَّبَاءُ عَلَى قَوْمٍ فَلَيْسَ لِلَّهِ فِيهِمْ حَاجَةٌ.

قَالَ الْوَأَقِدِيُّ: وَحَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ صَلَاحَ أَهْلَ قَبْرَسَ فِي وَلَايَةِ عُثْمَانَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَزَا الرُّومَ، وَفِي الْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ أَلَّا يَتَزَوَّجُوا فِي عَدُوْنَا مِنَ الرُّومِ إِلَّا بِإِذْنِنَا.

قَالَ الْوَأَقِدِيُّ: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا حَبِيبُ بْنُ مُسْلِمَةَ سُورِيَةَ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ.

وَفِيهَا تَزَوَّجَ عُثْمَانُ نَائِلَةَ ابْنَةِ الْفَرَّافِصَةِ الْكَلْبِيَّةِ وَكَانَتْ نَصْرَانِيَّةً، فَتَحَنَّنَتْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا.

قَالَ: وَفِيهَا بَنَى دَارَهُ بِالْمَدِينَةِ، الزُّورَاءَ، وَفَرَّغَ مِنْهَا.

قَالَ: وَفِيهَا كَانَ فَتْحُ فَارَسَ الْأَوَّلِ، وَاصْطَخْرَ الْآخِرَ وَأَمِيرَهَا هِشَامُ بْنُ عَامِرٍ.

قَالَ: وَجَّجَ بِالنَّاسِ عُثْمَانُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ

٤٠١٤ سنة تسع وعشرين

٤٠١٤٠١ ذكر ما كان فيها من الاحداث المشهورة

٤٠١٤٠٢ ذكر الخبر عن سبب عزل عثمان أبا موسى عن البصرة

سنة تسع وعشرين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

ففيها عزل عثمان أبا موسى الأشعري عن البصرة، وكان عامله علياً ست سنين، وولاهها عبد الله بن عامر بن كريز، وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة، فقدمها وقد قيل: إن أبا موسى إنما عمل لعثمان على البصرة ثلاث سنين. وذكر علي بن محمد أن محارباً أخبره، عن عوف الأعرابي، قال:

خرج غيلان بن خرشة الضبي إلى عثمان بن عفان، فقال: أما لكم صغير فتستشبهه فتولوه البصرة! حتى متى يلي هذا الشيخ البصرة! يعني أبا موسى، وكان وليها بعد موت عمر ست سنين.

قال: فعزله عثمان عنها، وبعث عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس، وأمه دجاجة ابنة أسماء السلمي، وهو ابن خال عثمان بن عفان قال مسلمة: فقدم البصرة، وهو ابن خمس وعشرين سنة، سنة تسع وعشرين.

. ذكر الخبر عن سبب عزل عثمان أبا موسى عن البصرة

كتب إلي السري، يذكر أن شعيباً حدثه، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: لما ولي عثمان أبا موسى على البصرة ثلاث سنين، وعزله في الرابعة، وأمر على خراسان عمير بن عثمان بن سعد، وعلى سجستان عبد الله بن عمير الليثي - وهو من كانه - فأئذن فيها إلى كابل، وأئذن عمير في خراسان حتى بلغ فرغانة، فلم يدع دونها كورة إلا أصلحها، وبعث إلى مكران عبيد الله بن معمر التيمي، فأئذن فيها حتى بلغ النهر

وبعث على كرمان عبد الرحمن بن غبيس، وبعث إلى فارس والأهواز نفراً، وضم سواد البصرة إلى الحصين بن أبي الحر، ثم عزل عبد الله بن عمير، واستعمل عبد الله بن عامر فأقره عليها سنة ثم عزله، واستعمل عاصم بن عمرو، وعزل عبد الرحمن بن غبيس، وأعاد عدي بن سهيل بن عدي.

ولما كان في السنة الثالثة كفر أهل إندج والأكراد، فنادى أبو موسى في الناس، وحضهم وندبهم، وذكر من فضل الجهاد في الرحلة، حتى حمل نفر على دوابهم، وأجمعوا على أن يخرجوا رجالاً وقال آخرون: لا والله لا نعمل بشيء حتى ننظر ما صنيعة؟ فإن أشبه قوله فعله فعلنا كما فعل أصحابنا.

فلما كان يوم خرج أخرج ثقله من قصره على أربعين بغلاً، فتعلقوا بعنانه، وقالوا: احملنا على بعض هذه الفضول، وأرغب من الرجل فيما رغبنا فيه، ففتح القوم حتى تركوا دابته ومضى، فأتوا عثمان، فاستغفوه منه، وقالوا: ما كل ما نعلم نحب أن نقوله، فأبدلنا به، فقال: من تحبون؟ فقال غيلان بن خرشة: في كل أحد عوض من هذا العبد الذي قد أكل أرضنا، وأحيا أمر الجاهلية فينا، فلا تنفك من أشعري كان يعظم ملكه عن الأشعريين، ويستصغر ملك البصرة، وإذا أمرت علينا صغيراً كان فيه عوض منه، أو مهتراً كان فيه عوض منه، ومن بين ذلك من جميع الناس خير منه.

فدعا عبد الله بن عامر وأمره على البصرة، وصرف عبيد الله بن معمر إلى فارس، واستعمل على عمير بن عثمان بن سعد فاستعمل على خراسان في سنة أربع أمين بن أحمير اليشكري، واستعمل على سجستان في سنة أربع عمران بن الفضل البرجمي، وعلى كرمان عاصم بن عمرو، فمات بها.

فجاشت فارس، وانتقضت بعبيد الله بن معمر، فاجتمعوا له بإصطخر، فالتقوا على باب إصطخر، فقتل عبيد الله وهزم جنده، وبلغ الخبر عبد الله ابن عامر، فاستنفر أهل البصرة، وخرج معه الناس، وعلى مقدمته عثمان ابن أبي العاص، فالتقوا هم وهم بإصطخر، وقتل منهم مقتلة عظيمة لم يزلوا

منها في ذل، وكتب بذلك إلى عثمان، فكتب إليه بإمرة هرم بن حسان اليشكري، وهزم بن حيان العبدي من عبد القيس، وانخرت

بن راشد من بنى سامه، والمنجَب بن راشد، والترجمان الهجيمي، على كور فارس، وفرق خراسان بين نفر ستة: الأحنف على المروين، وحبيب بن قرة اليربوعي على بلخ. وكانت مما افتتح أهل الكوفة. وخالد بن عبد الله بن زهير على هراة، وأمين بن أحمد اليشكري على طوس، وقيس بن الهيثم السلمي على نيسابور. وهو أول من خرج. وعبد الله بن خازم، وهو ابن عمه ثم إن عثمان جمعها له قبل موته، فمات وقيس على خراسان، واستعمل أمين بن أحرر على سجستان، ثم جعل عليها عبد الرحمن بن سمرة. وهو من آل حبيب ابن عبد شمس، فمات عثمان وهو عليها، ومات عمران على كرمان. وعمر ابن عثمان بن سعد على فارس، وابن كندير القشيري على مكران. وقال علي بن محمد: أخبرنا علي بن مجاهد، عن أشياخه، قال:

قال غيلان بن خرشة لعثمان بن عفان: أما منكم خسيس قترفعوه! أما منكم فقير فتجبروه! يا معشر قريش، حتى متى يأكل هذا الشيخ الأشعري هذه البلاد! فأنبته لها الشيخ، فولاهما عبد الله بن عامر.

قال علي بن محمد: أخبرنا أبو بكر الهذلي، قال: ولي عثمان ابن عامر البصرة، فقال الحسن: قال أبو موسى: يأتكم غلام خراج ولاج كريم الجدات والخالات والعمات، يجمع له الجندان قال: قال الحسن: فقدم ابن عامر، فجمع له جند أبي موسى وجند عثمان بن أبي العاص الثقفي، وكان عثمان بن أبي العاص فيمن عبر من عمان والبحرين.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: وفد قيس بن هيثم عبد الله بن خازم إلى عبد الله بن عامر في زمان عثمان، وكان عبد الله بن خازم على عبد الله بن عامر كريما، فقال له: اكتب لي على خراسان عهدا إن خرج منها قيس بن الهيثم ففعل، فرجع إلى خراسان، فلما قتل عثمان وبلغ الناس الخبر، وجاش العدو لذلك، قال قيس: ما ترى يا عبد الله؟ قال: أرى أن تخلفني ولا تخلف عن المضي حتى تنظر فيما تنظر ففعل

٤٠١٤٠٣ أخبار متفرقة

واستخلفه، فأخرج عبد الله عهد خلافته، وثبت على خراسان إلى أن قام علي رضي الله تعالى عنه، وكانت أم عبد الله علي، فقال قيس: أنا كنت أحق أن أكون ابن علي من عبد الله، وغضب مما صنع به الآخر.

وفي هذه السنة افتتح عبد الله بن عامر فارس في قول الواقدي وفي قول أبي معشر، حدثني بقول أبي معشر أحمد بن ثابت، عمن حدثه، عن إسحاق ابن عيسى، عنه وأما قول سيف فقد ذكرناه قبل

. [أخبار متفرقة]

وفي هذه السنة - أعني سنة تسع وعشرين - زاد عثمان في مسجد رسول الله ص ووسعه، وابتدأ في بنائه في شهر ربيع الأول، وكانت القصة تحمل إلى عثمان من بطن نخل، وبناه بالحجارة المنقوشة، وجعل عمده من حجارة فيها رصاص، وسقفه ساجا، وجعل طوله ستين ومائة ذراع، وعرضه مائة وخمسين ذراعا، وجعل أبوابه على ما كانت عليه على عهد عمر، ستة أبواب.

وج بالناس في هذه السنة عثمان، فضرب بمنى فسطاطا، فكان أول فسطاط ضربه عثمان بمنى، وأتم الصلاة بها وبعرفة. فذكر الواقدي، عن عمر بن صالح بن نافع، عن صالح مولى التوءمة، قال: سمعت ابن عباس يقول: إن أول ما تكلم الناس في عثمان ظاهرا أنه صلى بالناس بمنى في ولايته ركعتين، حتى إذا كانت السنة السادسة أتمها، فعاب ذلك غير واحد من اصحاب النبي ص، وتكلم في ذلك من يريد أن يكثر عليه، [حتى جاءه علي فيمن جاءه، فقال: والله ما حدث أمر ولا قدم عهد، ولقد عهدت نبيك ص يصلي ركعتين ثم أبا بكر، ثم عمر، وأنت صدرا من ولايتك، فما أدري ما ترجع إليه!] فقال: رأي رأيته

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَحَدَّثَنِي دَاوُدُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ أَبِي سُفْيَانَ الثَّقَفِيِّ، عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: صَلَّى عُثْمَانُ بِالنَّاسِ بِنِي أَرْبَعًا، فَأَتَى آتَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي أَخِيكَ؟ قَدْ صَلَّى بِالنَّاسِ أَرْبَعًا! فَصَلَّى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِأَصْحَابِهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ، فَقَالَ لَهُ: أَلَمْ تُصَلِّ فِي هَذَا الْمَكَانِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص رَكْعَتَيْنِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَلَمْ تُصَلِّ مَعَ أَبِي بَكْرٍ رَكْعَتَيْنِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَلَمْ تُصَلِّ مَعَ عُمَرَ رَكْعَتَيْنِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَلَمْ تُصَلِّ صَدْرًا مِنْ خِلَافَتِكَ رَكْعَتَيْنِ؟

قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَاسْمَعْ مِنِّي يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنِّي أَخْبَرْتُ أَنَّ بَعْضَ مَنْ جَاءَ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ وَجَفَاةِ النَّاسِ قَدْ قَالُوا فِي عَامِنَا الْمَاضِي: إِنَّ الصَّلَاةَ لِلْبَقِيْعِ رَكْعَتَانِ، هَذَا إِمَامُكُمْ عُثْمَانُ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَقَدْ اتَّخَذْتُ بِمَكَّةَ أَهْلًا، فَرَأَيْتُ أَنَّ أَصْلِي أَرْبَعًا نَحْوَفٍ مَا أَخَافُ عَلَى النَّاسِ، وَأُخْرَى قَدْ اتَّخَذْتُ بِهَا زَوْجَةً، وَلِي بِالطَّائِفِ مَالٌ، فَرُبَّمَا أَطْلَعْتُهُ فَأَقَّتْ فِيهِ بَعْدَ الصَّدْرِ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: مَا مِنْ هَذَا شَيْءٍ لَكَ فِيهِ عُدْرٌ، أَمَّا قَوْلُكَ: اتَّخَذْتُ أَهْلًا، فَزَوْجَتُكَ بِالْمَدِينَةِ تَخْرُجُ بِهَا إِذَا شِئْتَ وَتَقْدُمُ بِهَا إِذَا شِئْتَ، إِنَّمَا تَسْكُنُ بِسُكَّانِكَ وَأَمَّا قَوْلُكَ: وَلِي مَالٌ بِالطَّائِفِ، فَإِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الطَّائِفِ مَسِيرَةَ ثَلَاثِ لَيَالٍ وَأَنْتَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ وَأَمَّا قَوْلُكَ: يَرْجِعُ مَنْ جَاءَ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ وَغَيْرِهِمْ فَيَقُولُونَ: هَذَا إِمَامُكُمْ عُثْمَانُ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَهُوَ مُقِيمٌ، فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ وَالنَّاسُ يَوْمِنَا الْإِسْلَامُ فِيهِمْ قَلِيلٌ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عُمَرُ، فَضَرَبَ الْإِسْلَامُ بِحِجْرَانِهِ، فَصَلَّى بِهِمْ عُمَرُ حَتَّى مَاتَ رَكْعَتَيْنِ، فَقَالَ عُثْمَانُ: هَذَا رَأْيِي رَأَيْتُهُ. قَالَ: نَخْرُجُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَلَقِي ابْنَ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَبَا مُحَمَّدٍ، غَيْرَ مَا يَعْلَمُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَا أَصْنَعُ؟ قَالَ: اْعْمَلْ أَنْتَ بِمَا تَعْلَمُ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: الْخِلَافُ شَرٌّ، قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ صَلَّى أَرْبَعًا فَصَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي أَرْبَعًا، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ صَلَّى أَرْبَعًا، فَصَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي رَكْعَتَيْنِ، وَأَمَّا الْآنَ فَسَوْفَ يَكُونُ الَّذِي تَقُولُ - يَعْنِي نَصَلِي مَعَهُ أَرْبَعًا.

٤٠١٥ سنه ثلاثين

٤٠١٥.١ ذكر ما كان فيها من الاحداث المشهوره

ذكر الخبر عنه عن غزو سعيد بن العاص طبرستان

سنة ثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

فَمَا كَانَ فِيهَا غَزْوَةُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ طَبْرِسْتَانَ فِي قَوْلِ أَبِي مَعْشَرٍ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، وَفِي قَوْلِ الْوَاقِدِيِّ وَقَوْلِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيِّ: حَدَّثَنِي بِذَلِكَ عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ عَنْهُ.

وَأَمَّا سَيْفُ بْنُ عَمْرِ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ أَصْبَهَذَا صَالِحُ سُيُودِ بْنِ مَقْرَنٍ عَلَى الْأَافِغَزِيَّةِ، عَلَى مَا بَدَلَهُ لَهُ قَدْ مَضَى ذِكْرِي الْخَبْرَ عَنْ ذَلِكَ قَبْلَ فِي أَيَّامِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيِّ، فَإِنَّهُ قَالَ - فِيمَا حَدَّثَنِي بِهِ عَنْهُ عُمَرُ: لَمْ يَغْزَهَا أَحَدٌ حَتَّى قَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَغَزَاهَا سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ سَنَةَ ثَلَاثِينَ.

ذكر الخبر عنه عن غزو سعيد بن العاص طبرستان

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُجَاهِدٍ، عَنْ حَنْشِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: غَزَا سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ مِنَ الْكُوفَةِ سَنَةَ ثَلَاثِينَ يُرِيدُ خِرَاسَانَ، وَمَعَهُ حَذِيفَةُ بْنُ الْيَمَانِ وَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَمَعَهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَعَبْدُ اللَّهِ

ابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير، وخرج عبد الله ابن عامر من البصرة يريد خراسان، فسبق سعيداً ونزل أبرشه، وبلغ نزوله أبرشه سعيداً فنزل سعيد قومس، وهي صلح، صالحهم حذيفة بعد نهاوند، فأتى جرجان، فصالحوه على مائتي ألف، ثم أتى طميسه، وهي كلها من طبرستان جرجان، وهي مدينة على ساحل البحر، وهي في تخوم جرجان، فقاتله أهلها حتى صلى صلاة الخوف، فقال لحذيفة:

كَيْفَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ص؟ فَأَخْبَرَهُ، فَصَلَّى بِهَا سَعِيدٌ صَلَاةَ

الخوف، وهم يقتلون، وضرب يومئذ سعيد رجلاً من المشركين على حبل عاتقه، نخرج السيف من تحت مرفقه، وحاصرهم، فسألوا الأمان، فأعطاهم على ألا يقتل منهم رجلاً واحداً، ففتحوا الحصن، فقتلهم جميعاً إلا رجلاً واحداً، وحوى ما كان في الحصن، فأصاب رجل من بني نهد سقطاً عليه قتل، فظن فيه جوهرًا، وبلغ سعيداً، فبعث إلى النهدي، فأتاه بالسفط، فكسروا قفله، فوجدوا فيه سفطاً، ففتحوه، فإذا فيه خرقة سوداء مدرجة فنشروها، فوجدوا خرقة حمراء فنشروها، فإذا خرقة صفراء، وفيها إیران: كُتِبَتْ وَوَرِدَ، فقال شاعر يهجو بني نهد:

أَبَ الْكِرَامِ بِالسَّبَايَا غَنِيمَةً ... وَفَارَ بَنُو نَهْدٍ بِأَيْرِينَ فِي سَفَطٍ

كُتِبَتْ وَوَرِدَ وَأَفْرِينَ كِلَاهُمَا ... فَظَنُّوهُمَا غَنَمًا فَنَاهِيكَ مِنْ غَلَطٍ!

وَفَتَحَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ نَامِيَةً، وَلَيْسَتْ بِمَدِينَةٍ، هِيَ صَحَارَى.

وحدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: أخبرني علي بن مجاهد، عن حنشل بن مالك التغلبي، قال: غزا سعيد سنة ثلاثين، فأتى جرجان وطبرستان، معه عبد الله بن العباس وعبد الله بن عمر وابن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص، فحدثني علق كان يخدمهم قال: كنت أتيهم بالسفرة، فإذا أكلوا أمروني فنفضتها وعلقتها، فإذا أمسوا أعطوني باقية قال: وهلك مع سعيد بن العاص محمد بن الحكم ابن أبي عقيل الثقفي، جد يوسف بن عمر، فقال يوسف لخدم: يا خدم، أتدري أين مات محمد بن الحكم؟ قال: نعم، استشهد مع سعيد بن العاص بطبرستان، قال: لا، مات بها وهو مع سعيد، ثم قفل سعيد إلى الكوفة، فدحه كعب بن جعيل، فقال:

فَنِعَمَ الْفَتَى إِذَا جَالَ جِيلَانُ دُونَهُ ... وَإِذَا هَبَطُوا مِنْ دَسْتِي ثُمَّ أَبْهَرَا

تَعَلَّمَ سَعِيدُ الْخَيْرِ أَنَّ مَطِيَّتِي ... إِذَا هَبَطْتُ أَشْفَقْتُ مِنْ أَنْ تُعَرَّأَ

كَأَنَّكَ يَوْمَ الشَّعْبِ لَيْثٌ خَفِيَّةٌ ... تَحْرَدُ مِنْ لَيْثِ الْعَرِينِ وَأَصْحَرَا

ذكر السبب في عزل عثمان الوليد عن الكوفة وتوليته سعيداً عليها

تَسُوْسُ الَّذِي مَا سَاسَ قَبْلَكَ وَاحِدًا ... ثَمَانِينَ أَلْفًا دَارِعِينَ وَحُسْرًا

وحدثني عمر، قال: حدثنا علي، عن كليب بن خلف وغيره، أن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان، ثم امتنعوا وكفروا، فلم يأت جرجان بعد سعيد أحد، ومنعوا ذلك الطريق، فلم يكن أحد يسلك طريق خراسان من ناحية قومس إلا على وجل وخوف من أهل جرجان، وكان الطريق إلى خراسان من فارس إلى كرمان، فأول من صير الطريق من قومس قتيبة ابن مسلم حين ولي خراسان.

وحدثني عمر، قال: حدثنا علي، عن كليب بن خلف العمي، عن طفيل بن مرداس العمي وإدريس بن حنظلة العمي، إن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان، وكانوا يحبون أحياناً مائة ألف ويقولون:

هَذَا صَلَاحًا، وَأَحْيَانًا مَائَتِي أَلْفٍ، وَأَحْيَانًا ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ، وَكَانُوا رَبَّمَا أَعْطَوْا ذَلِكَ وَرَبَّمَا مَنَعُوهُ، ثُمَّ امْتَنَعُوا وَكَفَرُوا، فَلَمْ يُعْطُوا خَرَجًا حَتَّى أَتَاهُمْ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ، فَلَمْ يُعَازِرْهُ أَحَدٌ حِينَ قَدِمَهَا، فَلَمَّا صَالَحَ صَوْلًا وَفَتَحَ الْبَحِيرَةَ وَدِهِسْتَانَ صَالَحَ أَهْلَ جُرْجَانَ عَلَى صَلَاحِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنِي سَنَةَ ثَلَاثِينَ - عَزَلَ عُثْمَانُ الْوَلِيدَ بْنِ عُقْبَةَ عَنِ الْكُوفَةِ، وَوَلَاهَا سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ فِي قَوْلِ سَيْفِ بْنِ عُمَرَ . ذَكَرَ السَّبَبُ فِي عَزْلِ عُثْمَانَ الْوَلِيدَ عَنِ الْكُوفَةِ وَتَوَلَّيْتَهُ سَعِيدًا عَلَيْهَِا

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا: لَمَّا بَلَغَ عُثْمَانُ الَّذِي كَانَ بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَسَعْدٍ غَضَبَ عَلَيْهِمَا وَهَمَّ بِهِمَا، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ وَعَزَلَ سَعْدًا، وَأَخَذَ مَا عَلَيْهِ، وَأَقْرَبَ عَبْدَ اللَّهِ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ، وَأَمَرَ مَكَانَ سَعْدِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ - وَكَانَ عَلَى عَرَبِ الْجَزِيرَةِ عَامِلًا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - فَقَدِمَ الْوَلِيدُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ إِمَارَةِ عُثْمَانَ، وَقَدْ كَانَ سَعْدٌ عَمِلَ عَلَيْهَا سَنَةً وَبَعْضُ أُخْرَى، فَقَدِمَ الْكُوفَةَ، وَكَانَ أَحَبَّ النَّاسِ فِي النَّاسِ وَأَرْفَقَهُمْ بِهِمْ، فَكَانَ كَذَلِكَ خَمْسَ سِنِينَ، وَلَيْسَ عَلَى دَارِهِ بَابٌ ثُمَّ إِنَّ شَبَابًا مِنْ شَبَابِ أَهْلِ الْكُوفَةِ نَقَبُوا عَلَى ابْنِ الْحَيْسَمَانِ الْخَزَاعِيِّ، وَكَاثَرُوهُ، فَذَرَبُوا بِهِمْ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ بِالسَّيْفِ، فَلَمَّا رَأَى كَثَرَتَهُمْ اسْتَصْرَخَ، فَقَالُوا لَهُ: اسْكُتْ، فَإِنَّمَا هِيَ ضَرْبَةٌ حَتَّى نُرِيحَكَ مِنْ رَوْعَةِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ - وَأَبُو شُرَيْحٍ الْخَزَاعِيُّ مُشْرِفٌ عَلَيْهِمْ - فَصَاحَ بِهِمْ وَضَرَبُوهُ فَقَتَلُوهُ، وَأَحَاطَ النَّاسُ بِهِمْ فَأَخَذُوهُمْ، وَفِيهِمْ زَهِيرُ بْنُ جَنْدَبٍ الْأَزْدِيُّ وَمُورِعُ بْنُ أَبِي مُورِعٍ الْأَسَدِيُّ، وَشَبِيلُ بْنُ أَبِي الْأَزْدِيِّ، فِي عِدَّةٍ فَشَهِدَ عَلَيْهِمُ أَبُو شُرَيْحٍ وَابْنُهُ أَنَّهُمْ دَخَلُوا عَلَيْهِ، فَمَنَعَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنَ النَّاسِ، فَقَتَلَهُ بَعْضُهُمْ، فَكَتَبَ فِيهِمْ إِلَى عُثْمَانَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ فِي قَتْلِهِمْ، فَقَتَلَهُمْ عَلَى بَابِ الْقَصْرِ فِي الرَّحْبَةِ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ التَّمِيمِيُّ:

لَا تَأْكُلُوا أَبَدًا حَيْرَانَكُمْ سَرَفًا ... أَهْلَ الزَّعَارَةِ فِي مُلْكِ ابْنِ عَفَّانٍ
وَقَالَ أَيْضًا:

إِنَّ ابْنَ عَفَّانَ الَّذِي جَرَبْتُمْ ... فَطَمَ اللَّصُوصَ بِمُحْكَمِ الْفُرْقَانِ
مَا زَالَ يَعْمَلُ بِالْكَأَبِ مَيِّمِنًا ... فِي كُلِّ عُنُقٍ مِنْهُمْ وَبِنَانِ

وَكَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو شُرَيْحٍ الْخَزَاعِيُّ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَتَحَوَّلَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْكُوفَةِ لِيَدْنُو مِنَ الْغَزْوِ، فَبَيْنَا هُوَ لَيْلَةً عَلَى السَّطْحِ، إِذْ اسْتَعَاثَ جَارُهُ، فَأَشْرَفَ فَإِذَا هُوَ بِشَبَابٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَدْ بَيَّتُوا جَارَهُ، وَجَعَلُوا يَقُولُونَ لَهُ: لَا تُصَحَّ، فَإِنَّمَا هِيَ ضَرْبَةٌ حَتَّى نُرِيحَكَ، فَقَتَلُوهُ فَارْتَحَلَ إِلَى عُثْمَانَ، وَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَنَقَلَ أَهْلَهُ، وَلِهَذَا الْحَدِيثِ حِينَ كَثُرَ أُحْدِثَتِ الْقَسَامَةُ، وَأَخَذَ يَقُولُ وَلِيِ الْمَقْتُولِ: لِيَفْطِمَ النَّاسَ عَنِ الْقَتْلِ عَنْ مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ. وَكَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَرِيبٍ، عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قَالَ عُثْمَانُ: الْقَسَامَةُ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ وَعَلَى أَوْلِيَائِهِ، يُحْلِفُ مِنْهُمْ خَمْسُونَ رَجُلًا إِذَا لَمْ تَكُنْ يَدُهُ، فَإِنْ نَقَصَتْ قَسَامَتُهُمْ، أَوْ إِنْ نَكَلَ رَجُلٌ وَاحِدٌ رَدَّتْ قَسَامَتُهُمْ وَوَلِيَّهَا الْمُدَّعُونَ، وَأُحْلِفُوا، فَإِنْ حَلَفَ مِنْهُمْ خَمْسُونَ اسْتَحَقُّوا

وَكَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْغَصَنِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ عُونَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَ مِمَّا أَحْدَثَ عُثْمَانُ بِالْكُوفَةِ إِلَى مَا كَانَ مِنَ الْخَبَرِ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ أَبَا سَمَالٍ الْأَسَدِيَّ فِي نَفَرٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، يَنَادِي مُنَادٍ لَهُمْ إِذَا قَدِمَ الْمِيَارَ: مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ كَلْبٍ أَوْ بَنِي فَلَانٍ لَيْسَ لِقَوْمِهِمْ بِهَا مَنْزِلٌ فَمَنْزِلُهُ عَلَى ابْنِ سَمَالٍ فَاتَّخَذَ مَوْضِعَ دَارِ عَقِيلِ دَارِ الضَّيْفَانِ وَدَارِ ابْنِ هَبَارٍ، وَكَانَ مَنْزِلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي هَذِيلٍ فِي مَوْضِعِ الرَّمَادَةِ، فَتَزَلَ مَوْضِعَ دَارِهِ، وَتَرَكَ دَارَهُ دَارَ الضَّيْفَةِ، وَكَانَ الْأَضْيَافُ يَنْزِلُونَ دَارَهُ فِي هَذِيلٍ إِذَا ضَاقَ

عَلَيْهِمْ مَا حَوْلَ الْمَسْجِدِ وَكَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ مَقْسَمٍ، عَمَّنْ أَدْرَكَ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ، إِنَّ أَبَا سَمَالٍ كَانَ يَنَادِي مُنَادِيَهُ فِي السُّوقِ وَالْكَاسَةِ: مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ بَنِي فُلَانٍ وَفُلَانٍ- لَمْ يَلَسْتَ لَهُ بِهَا خُطَّةٌ- فَتَنَزَلَ عَلَى أَبِي سَمَالٍ، فَاتَّخَذَ عُثْمَانُ لِلْأَضْيَافِ مَنَازِلَ.

وَكَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُوَلَّى لَالِ طَلْحَةَ، عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ مِثْلَهُ وَكَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَدْ اسْتَعْمَلَ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ عَلَى عَرَبِ الْجَزِيرَةِ، فَتَنَزَلَ فِي بَنِي تَغْلِبَ وَكَانَ أَبُو زَيْدٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ فِي بَنِي تَغْلِبَ حَتَّى أَسْلَمَ، وَكَانَتْ بَنُو تَغْلِبَ أَخْوَالَهُ، فَاضْطَهَدَهُ أَخْوَالُهُ دِينًا لَهُ، فَأَخَذَ لَهُ الْوَلِيدُ بِحَقِّهِ، فَشَكَرَهَا لَهُ أَبُو زَيْدٍ، وَانْقَطَعَ إِلَيْهِ، وَغَشِيَهُ بِالْمَدِينَةِ، فَلَهَا وَلِيَ الْوَلِيدُ الْكُوفَةَ أَتَاهُ مُسْلِمًا مُعْظَمًا عَلَى مِثْلِ مَا كَانَ يَأْتِيهِ بِالْجَزِيرَةِ وَالْمَدِينَةِ، فَتَنَزَلَ دَارَ الضَّيْفَانِ، وَآخِرَ قَدَمَةٍ قَدَمًا أَبُو زَيْدٍ عَلَى الْوَلِيدِ، وَقَدْ كَانَ يَنْتَجِعُهُ وَيَرْجِعُ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا قَبْلَ ذَلِكَ، فَلَمْ يَزَلِ الْوَلِيدُ بِهِ وَعَنهُ حَتَّى أَسْلَمَ فِي آخِرِ إِمَارَةِ الْوَلِيدِ، وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ، فَاسْتَدْخَلَهُ الْوَلِيدُ، وَكَانَ عَرَبِيًّا شَاعِرًا حِينَ قَامَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَأَتَى آتَ أَبَا زَيْنَبٍ وَأَبَا مَوْعٍ وَجَنْدَبًا، وَهُمْ يَحْقِدُونَ

لَهُ مَذْقَلُ قَتْلِ أُنْبَاءِهِمْ، وَيَضْعُونَ لَهُ الْعِيُونَ، فَقَالَ لَهُمْ: هَلْ لَكُمْ فِي الْوَلِيدِ يَشَارِبُ أَبَا زَيْدٍ؟ فَتَارَوْا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ أَبُو زَيْنَبٍ وَأَبُو مَوْعٍ وَجَنْدَبُ لَأَنَاسٍ مِنْ وَجْهِ أَهْلِ الْكُوفَةِ: هَذَا أَمِيرُكُمْ وَأَبُو زَيْدٍ خَيْرُتَهُ، وَهُمَا عَاكِفَانِ عَلَى الْخَمْرِ، فَقَامُوا مَعَهُمْ- وَمَنْزِلُ الْوَلِيدِ فِي الرِّحْبَةِ مَعَ عِمَارَةَ بْنِ عُقْبَةَ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ بَابٌ- فَاقْتَحَمُوا عَلَيْهِ مِنَ الْمَسْجِدِ وَبَابَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَلَمْ يَفْجَأْ الْوَلِيدُ إِلَّا بِهِمْ، فَخَسِيئًا، فَأَدْخَلَهُ تَحْتَ السَّرِيرِ، فَأَدْخَلَ بَعْضَهُمْ يَدَهُ فَأَخْرَجَهُ لَا يُؤَامِرُهُ، فَإِذَا طَبَقَ عَلَيْهِ تَفَارِيقُ عُنْبٍ- وَإِنَّمَا نَحَاهُ اسْتِحْيَاءُ أَنْ يَرَوْا طَبَقَهُ لَيْسَ عَلَيْهِ إِلَّا تَفَارِيقُ عُنْبٍ- فَقَامُوا نَفَرَجُوا عَلَى النَّاسِ، فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ، وَسَمِعَ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ يَسُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَهُمْ، وَيَقُولُونَ: أَقْوَامُ غَضِبَ اللَّهُ لَعْمَلَهُ، وَبَعْضُهُمْ أَرْغَمَهُ الْكَأَبُ، فَدَعَاهُمْ ذَلِكَ إِلَى التَّحَسُّسِ وَابْتِحَاسِ، فَسَتَرَ عَلَيْهِمُ الْوَلِيدُ ذَلِكَ، وَطَوَاهُ عَنْ عُثْمَانَ، وَلَمْ يَدْخُلْ بَيْنَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ، وَكَرِهَ أَنْ يَفْسِدَ بَيْنَهُمْ، فَسَكَتَ عَنْ ذَلِكَ وَصَبِرَ.

وَكَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْفَيْضِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: رَأَيْتُ الشَّعْبِيَّ جُلَسَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْوَلِيدِ- يَعْنِي ابْنَ عُقْبَةَ- وَهُوَ خَلِيفَةُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَذَكَرَ مُحَمَّدٌ غَزَا مَسْلَمَةَ، فَقَالَ: كَيْفَ لَوْ أَدْرَكْتُمُ الْوَلِيدَ، غَزَوَهُ وَإِمَارَتَهُ! إِنْ كَانَ لِيغْزُو فَيَنْتَهِي إِلَى كَذَا وَكَذَا، مَا قَصَرَ وَلَا انْتَقَضَ عَلَيْهِ أَحَدٌ حَتَّى عَزَلَ عَنْ عَمَلِهِ، وَعَلَى الْبَابِ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رِبْعَةَ الْبَاهِلِي، وَإِنْ كَانَ مَا زَادَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ النَّاسَ عَلَى يَدِهِ أَنْ رَدَّ عَلَى كُلِّ مَمْلُوكٍ بِالْكُوفَةِ مِنْ فَضُولِ الْأَمْوَالِ ثَلَاثَةَ فِي كُلِّ شَهْرٍ، يَتَسَعُونَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مَوَالِيَهُمْ مِنْ أَرْزَاقِهِمْ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْغَضَنِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: جَاءَ جَنْدَبُ وَرَهْطُ مَعَهُ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالُوا:

الْوَلِيدُ يَعْتَكِفُ عَلَى الْخَمْرِ، وَأَذَاعُوا ذَلِكَ حَتَّى طَرَحَ عَلَى أَلْسِنِ النَّاسِ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: مَنْ اسْتَرَعَ عَنَا بِشَيْءٍ لَمْ نَتَّبِعْ عَوْرَتَهُ، وَلَمْ نَهْتِكْ سِتْرَهُ، فَأَرْسَلُ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ فَأَتَاهُ فَعَاتَبَهُ فِي ذَلِكَ، وَقَالَ: أَيْرِضَى مِنْ مِثْلِكَ بَأَنْ يَجِيبَ قَوْمًا مَوْتُورِينَ بِمَا أَجَبْتَ عَلَيَّ! أَيْ شَيْءٍ اسْتَرَعَ بِهِ! إِنَّمَا يَقَالُ هَذَا لِلْهَرِيبِ، فَتَلَا حَيًّا وَاقْتَرَفَا عَلَى تَغَاظِبٍ، لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ.

وَكَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا: وَأَتَى الْوَلِيدُ بِسَاحِرٍ، فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ يَسْأَلُهُ عَنْ حَدِّهِ، فَقَالَ: وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهُ سَاحِرٌ! قَالَ: زَعَمَ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ- لِنَفَرٍ جَاءُوا بِهِ- أَنَّهُ سَاحِرٌ، قَالَ: وَمَا يُدْرِيكُمْ أَنَّهُ سَاحِرٌ! قَالُوا: يَزْعُمُ ذَاكَ، قَالَ: أَسَاحِرُ أَنْتَ؟

قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَتَدْرِي مَا السِّحْرُ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَثَارَ إِلَى حِمَارٍ، لَجَعَلَ يَرْكَبُهُ مِنْ قَبْلِ ذَنْبِهِ، وَيُرِيهِمْ أَنَّهُ يُخْرِجُ مِنْ فِيهِ وَاسْتَبَاحَ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ:

فَاقْتَلَهُ فَانْطَلَقَ الْوَلِيدُ، فَادَّوَا فِي الْمَسْجِدِ أَنَّ رَجُلًا يَلْعَبُ بِالسِّحْرِ عِنْدَ الْوَلِيدِ، فَأَقْبَلُوا، وَأَقْبَلَ جُنْدُبٌ - وَاعْتَمَهَا - يَقُولُ: أَيْنَ هُوَ؟ أَيْنَ هُوَ؟ حَتَّى أَرَاهُ! فَضَرَبَهُ، فَاجْتَمَعَ عَبْدُ اللَّهِ وَالْوَلِيدُ عَلَى حَبْسِهِ، حَتَّى كَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَجَابَهُمْ عُثْمَانُ أَنْ اسْتَحْلِفُوهُ بِاللَّهِ مَا عَلِمَ بِرَأْيِكُمْ فِيهِ وَإِنَّهُ لَصَادِقٌ يَقُولُهُ فِيمَا ظَنَّ مِنْ تَعْطِيلِ حَدِّهِ وَعَزِّزْ رُوحَهُ، وَخَلُّوا سَبِيلَهُ وَتَقَدَّمْ إِلَى النَّاسِ فِي الْأَيَّامِ بِالظُّنُونِ، وَلَا يُقِيمُوا الْحُدُودَ دُونَ السُّلْطَانِ، فَإِنَّا نَقِيدُ الْمُخْطِئَ، وَنَوَدُّ الْمُصِيبَ فَقَعَلَ ذَلِكَ بِهِ، وَتَرَكَ لِأَنَّهُ أَصَابَ حَدًّا، وَغَضِبَ لَجُنْدُبٍ أَصْحَابَهُ، فَخَرَجُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، فِيمَنْ أَبُو خَشَّةَ الْغَفَارِيُّ وَجَثَامَةُ بْنُ الصَّعْبِ بْنِ جَثَامَةَ وَمَعَهُمْ جُنْدُبٌ، فَاسْتَعْفَوْهُ مِنَ الْوَلِيدِ، فَقَالَ لَهُمْ عُثْمَانُ: تَعْمَلُونَ بِالظُّنُونِ، وَتُخْطِئُونَ فِي الْإِسْلَامِ، وَتَخْرُجُونَ بِغَيْرِ إِذْنٍ، أَرْجِعُوا فَرَدِّهِمْ، فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى الْكُوفَةِ، لَمْ يَبْقَ مُتَوَرِّقٌ فِي نَفْسِهِ إِلَّا أَتَاهُمْ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى رَأْيٍ فَأَصْدَرُوهُ، ثُمَّ تَغَفَّلُوا الْوَلِيدَ - وَكَانَ لَيْسَ عَلَيْهِ حِجَابٌ - فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو زَيْنَبٍ الْأَزْدِيُّ وَأَبُو مُورِجٍ الْأَسَدِيُّ، فَسَلَا خَاتَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَا إِلَى عُثْمَانَ، فَشَهِدَا عَلَيْهِ، وَمَعَهُمَا نَفَرٌ مِمَّنْ يَعْرِفُ مِنْ أَعْوَانِهِمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ، فَلَمَّا قَدِمَ أَمَرَ بِهِ سَعِيدُ ابْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَتَشُدُّكَ اللَّهُ! فَوَاللَّهِ إِنَّهُمَا لَخَصَمَانِ مُتَوَرِّقَانِ

فَقَالَ: لَا يَضُرُّكَ ذَلِكَ، إِنَّمَا نَعْمَلُ بِمَا يَنْتَهِي إِلَيْنَا، فَمَنْ ظَلَمَ فَاللَّهُ وَلِيُّ أَنْتِقَامِهِ، وَمَنْ ظَلَمَ فَاللَّهُ وَلِيُّ جَزَائِهِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي غَسَّانَ سَكَنَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَبِيشٍ، قَالَ: اجْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَعَمِلُوا فِي عَزْلِ الْوَلِيدِ، فَاتُّدِبَ أَبُو زَيْنَبُ بْنُ عَوْفٍ وَأَبُو مُورِجٍ بْنُ فُلَانٍ الْأَسَدِيُّ لِلشَّهَادَةِ عَلَيْهِ، فَغَشَوْا الْوَلِيدَ، وَأَكْبَوْا عَلَيْهِ، فَبَيْنَاهُمَا مَعَهُ يَوْمًا فِي الْبَيْتِ وَلَهُ امْرَأَتَانِ فِي الْمَخْدَعِ، بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ سِتْرٌ، إِحْدَاهُمَا بِنْتُ ذِي النُّجَارِ وَالْأُخْرَى بِنْتُ أَبِي عَقِيلٍ، فَنَامَ الْوَلِيدُ، وَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ عَنْهُ، وَثَبَتَ أَبُو زَيْنَبُ وَأَبُو مُورِجٍ، فَتَنَاولَ أَحَدُهُمَا خَاتَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَا، فَاسْتَيْقِظَ الْوَلِيدُ وَامْرَأَتَاهُ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَلَمْ يَرَ خَاتَمَهُ، فَسَأَلَهُمَا عَنْهُ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمَا مِنْهُ عِلْمًا، قَالَ: فَأَيُّ الْقَوْمِ تَخَلَّفَ عَنْهُمْ؟ قَالَتَا: رَجُلَانِ لَا نَعْرِفُهُمَا، مَا غَشْيَاكَ إِلَّا مِنْ قَرِيبٍ.

قَالَ: حَلِيَاهُمَا، فَقَالَتَا: عَلَى أَحَدِهِمَا خَمِيصَةٌ، وَعَلَى الْآخَرِ مِطْرَفٌ، وَصَاحِبُ الْمِطْرَفِ أَبَعْدُهُمَا مِنْكَ، فَقَالَ: الطُّوَالُ؟ قَالَتَا: نَعَمْ، وَصَاحِبُ الْخَمِيصَةِ أَقْرَبُهُمَا إِلَيْكَ، فَقَالَ: الْقَصِيرُ؟ قَالَتَا: نَعَمْ، وَقَدْ رَأَيْنَا يَدَهُ عَلَى يَدِكَ قَالَ: ذَاكَ أَبُو زَيْنَبُ، وَالْآخَرُ أَبُو مُورِجٍ، وَقَدْ أَرَادَا دَاهِيَةً، فَلَيْتَ شِعْرِي مَاذَا يَرِيدَانِ! فَطَلَبَهُمَا فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِمَا، وَكَانَ وَجْهُمَا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَقَدَمَا عَلَى عُثْمَانَ، وَمَعَهُمَا نَفَرٌ مِمَّنْ يَعْرِفُ عُثْمَانَ، مِمَّنْ قَدْ عَزَلَ الْوَلِيدَ عَنِ الْأَعْمَالِ، فَقَالُوا لَهُ، فَقَالَ: مَنْ يَشْهَدُ؟ قَالُوا: أَبُو زَيْنَبُ وَأَبُو مُورِجٍ، وَكَاعِ الْآخَرَانِ، فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتُمَا؟ قَالَا: كُنَّا مِنْ غَاشِيَتِهِ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَتْبَعُ الْخَمْرَ، فَقَالَ: مَا يَبْقَى الْخَمْرُ إِلَّا شَارِبَهَا فَبَعَثَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ رَأَاهُمَا، فَقَالَ مَتَمَثِّلًا:

مَا إِنْ خَشِيتُ عَلَى أَمْرِ خَلَوْتُ بِهِ ... فَلَمْ أَخْفَكَ عَلَى أَمَثَلِهَا حَارَ

خَلَفَ لَهُ الْوَلِيدُ وَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُمْ، فَقَالَ: نَقِيمُ الْحُدُودِ وَيَبُوءُ شَاهِدَ الزُّورِ بِالنَّارِ، فَاصْبِرْ يَا أَخِي! فَأَمَرَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ بِجَلْدِهِ، فَأُورِثَ ذَلِكَ عِدَاوَةً بَيْنَ وَلَدَيْهِمَا حَتَّى الْيَوْمِ، وَكَانَتْ عَلَى الْوَلِيدِ خَمِيصَةٌ يَوْمَ أَمَرَهُ أَنْ يُجَلَّدَ، فَنَزَعَهَا عَنْهُ عَلَى بَنِي طَالِبٍ ع.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ الطَّنَافِيسِيِّ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْيَادِي، قَالَ: خَرَجَ أَبُو زَيْنَبُ وَأَبُو مُورِجٍ حَتَّى دَخَلَا عَلَى الْوَلِيدِ بَيْتَهُ، وَعِنْدَهُ امْرَأَتَانِ: بِنْتُ ذِي النُّجَارِ وَبِنْتُ أَبِي عَقِيلٍ، وَهُوَ نَائِمٌ، قَالَتَا إِحْدَاهُمَا: فَأَكْبَ عَلَيْهِ أَحَدُهُمَا فَأَخَذَ خَاتَمَهُ، فَسَأَلَهُمَا حِينَ اسْتَيْقِظَ، فَقَالَتَا: مَا أَخَذْنَاهُ، قَالَ: مَنْ بَقِيَ آخِرُ الْقَوْمِ؟ قَالَتَا: رَجُلَانِ، رَجُلٌ قَصِيرٌ عَلَيْهِ خَمِيصَةٌ، وَرَجُلٌ طَوِيلٌ عَلَيْهِ مِطْرَفٌ، وَرَأَيْنَا

صَاحِبَ الْخِمِصَةِ أَكْبَّ عَلَيْكَ، قَالَ: ذَاكَ أَبُو زَيْنَبٍ نَخْرَجَ يَطْلُبُهُمَا، فَإِذَا هُوَ وَجْهُهُمَا عَنْ مَلَأٍ مِنْ أَصْحَابٍ لَهُمَا، وَلَا يَدْرِي الْوَلِيدُ مَا أَرَادَا مِنْ ذَلِكَ فَقَدِمَا عَلَى عُثْمَانَ، فَأَخْبَرَاهُ الْخَبَرَ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْوَلِيدِ، فَقَدِمَ، فَإِذَا هُوَ بِهِمَا وَدَعَا بِهِمَا عُثْمَانُ، فَقَالَ: بِمِ تَشْهَدَانِ؟ أَتَشْهَدَانِ أَنَّكَ رَأَيْتَهُمَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ فَقَالَا: لَا، وَخَافَا، قَالَ: فَكَيْفَ؟ قَالَا: اعْتَصَرْنَا مِنْ لِحْيَتِهِ وَهُوَ يَقِيءُ الْخَمْرَ فَأَمَرَ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ بِخَلْدِهِ، فَأَوْرَثَ ذَلِكَ عَدَاوَةً بَيْنَ أَهْلِيهِمَا.

وَكُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي الْعَرِيفِ وَيزيد الفقعسي، قَالَا: كَانَ النَّاسُ فِي الْوَلِيدِ فِرْقَتَيْنِ: الْعَامَّةُ مَعَهُ وَالْخَاصَّةُ عَلَيْهِ، فَمَا زَالَ عَلَيْهِمْ مِنْ ذَلِكَ خُشُوعٌ حَتَّى كَانَتْ صَفَيْنِ، فَوَلَّى مُعَاوِيَةَ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: عَيْبَ عُثْمَانَ بِالْبَاطِلِ، [فَقَالَ لَهُمْ عَلَى ع:]

إِنَّكُمْ وَمَا تُعِيرُونَ بِهِ عُثْمَانَ كَالطَّاعِنِ نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ رِدْفَهُ، مَا ذَنْبُ عُثْمَانَ فِي رَجُلٍ قَدْ ضَرَبَهُ بِفَعْلِهِ، وَعَزَلَهُ عَنْ عَمَلِهِ! وَمَا ذَنْبُ عُثْمَانَ فِيمَا صَنَعَ عَنْ أَمْرِنَا! وَكُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كُرَيْبٍ، عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قَالَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا جُلِدَ الرَّجُلُ الْحَدَّ ثُمَّ ظَهَرَتْ تَوْبَتُهُ جَازَتْ شَهَادَتُهُ.

وَكُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي كَبْرَانَ، عَنْ مَوْلَا لَهُمْ - وَأَثْنَى عَلَيْهَا خَيْرًا - قَالَتْ: كَانَ الْوَلِيدُ أَدْخَلَ عَلَى النَّاسِ خَيْرًا،

حَتَّى جَعَلَ يَقْسِمُ لِلْوَلَاةِ وَالْعَبِيدِ، وَلَقَدْ تَفَجَّعَ عَلَيْهِ الْأَحْرَارُ وَالْمَمَالِكُ، كَانَ يَسْمَعُ الْوَلَاةِ وَعَلِيَهُنَّ الْحَدَادَ يَقْلُنَ:

يَا وَيْلَتَا قَدْ عَزَلَ الْوَلِيدُ ... وَجَاءَنَا مَجُوعَا سَعِيدٌ

يَنْقُصُ فِي الصَّاعِ وَلَا يَزِيدُ ... فَجُوعَ الْإِمَاءِ وَالْعَبِيدِ

وَكُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْغَضَنِ بْنِ الْقَاسِمِ، قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ حِينَ عَزَلَ الْوَلِيدُ وَأَمَرَ سَعِيدًا:

لَا يَبْعُدُ الْمَلِكُ إِذْ وَلَتْ شِمَائِلُهُ ... وَلَا الرِّيَاسَةُ لِمَا رَأَسَ كِتَابُ

وَكُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ بِإِسْنَادِهِمَا، قَالَا: قَدِمَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ مِنْ إِمَارَةِ عُثْمَانَ، وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ بَقِيَّةَ الْعَاصِ بْنِ أُمِيَّةَ، وَكَانَ أَهْلُهُ كَثِيرًا تَتَابَعُوا، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ الشَّامَ قَدِمَهَا، فَأَقَامَ مَعَ مُعَاوِيَةَ، وَكَانَ يَتِيمًا نَشَأَ فِي جَرِّ عُثْمَانَ، فَتَذَكَّرَ عُمَرَ قَرِيشًا، وَسَأَلَ عَنْهُ فِيمَا يَتَفَقَّدُ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ، فَقِيلَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هُوَ بِدِمَشْقَ، عَهْدَ الْعَاهِدِ بِهِ وَهُوَ مَأْمُومٌ بِالْمَوْتِ فَأَرْسَلَ إِلَى مُعَاوِيَةَ: إِنْ ابْعَثْ لِي سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ فِي مَنْقَلٍ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ وَهُوَ دَنَفٌ، فَمَا بَلَغَ الْمَدِينَةَ حَتَّى أَفَاقَ، فَقَالَ: يَا بَنَ أَخِي، قَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ بَلَاءٌ وَصَلَاحٌ، فَارْزُدْكَ اللَّهُ خَيْرًا وَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ زَوْجَةٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا مَنَعَكَ مِنْ هَذَا الْغُلَامِ أَنْ تَكُونَ زَوْجَتَهُ؟ قَالَ: قَدْ عَرَضْتُ عَلَيْهِ فَأَبَى، نَخْرَجَ يَسِيرُ فِي الْبَرِّ، فَاتَّخَذَ إِلَيَّ مَاءً، فَلَقِيَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ نِسْوَةٍ، فَقُمْنَ لَهُ، فَقَالَ: مَا لَكُنَّ؟ وَمَنْ أَنْتُنَّ؟ فَقُلْنَ: بَنَاتُ سُفْيَانَ بْنِ عُوفٍ - وَمَعَهُنَّ أَمْنٌ - فَقَالَتْ: أَمْنٌ:

هَلَكَ رِجَالُنَا، وَإِذَا هَلَكَ الرِّجَالُ ضَاعَ النِّسَاءُ، فَضَعْنَهُنَّ فِي أَكْفَانِهِنَّ، فَزَوَّجَ سَعِيدًا إِحْدَاهُنَّ وَعَبَدَ الرَّحْمَنُ بْنُ عَوْفٍ الْأُخْرَى، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ الثَّلَاثَةَ، وَأَتَاهُ بَنَاتُ مَسْعُودِ بْنِ نَعِيمٍ النَّهْشَلِيِّ، فَقُلْنَ: قَدْ هَلَكَ رِجَالُنَا، وَبَقِيَ الصِّبْيَانُ، فَضَعْنَاهُ فِي أَكْفَانِنَا، فَزَوَّجَ سَعِيدًا إِحْدَاهُنَّ، وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعَمٍ إِحْدَاهُنَّ، فَشَارَكَ سَعِيدٌ هَوْلَاءَ وَهَوْلَاءَ، وَقَدْ كَانَ عُمُومَتُهُ ذَوِي بَلَاءٍ فِي الْإِسْلَامِ، وَسَابِقَةٌ حَسَنَةٌ، وَقَدِمَتْهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَلَمْ يَمُتْ عُمَرُ حَتَّى كَانَ سَعِيدٌ مِنْ رِجَالِ النَّاسِ

فَقَدِمَ سَعِيدُ الْكُوفَةَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ أَمِيرًا، وَخَرَجَ مَعَهُ مِنْ مَكَّةَ - أَوِ الْمَدِينَةِ - الْأَشْثَرُ وَأَبُو خُشَّةَ الْغِفَارِيُّ وَجُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبُو مُصْعَبُ بْنُ جَثَامَةَ - وَكَانُوا فِيْمَنْ شَخْصَ مَعَ الْوَلِيدِ يَعِيبُونَهُ، فَارْجَعُوا مَعَ هَذَا - فَصَعِدَ سَعِيدُ الْمَنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ

بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ وَإِنِّي لَكَارِهِ، وَلَكِنِّي لَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ أُمِرْتُ أَنْ أَمْرًا إِلَّا أَنَّ الْفِتْنَةَ قَدْ أَطْلَعَتْ خَطْمَهَا وَعَيْنَيْهَا، وَوَاللَّهِ لَا ضَرِيْنَ وَجْهَهَا حَتَّى أَفْعَمَهَا أَوْ تُعَيِّنِي، وَإِنِّي لَرَأَيْدُ نَفْسِي الْيَوْمَ وَنَزَلَ.
وَسَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَأَقِيمَ عَلَى حَالِ أَهْلِهَا.

فَكَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ بِالَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ: إِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ قَدْ اضْطَرَبَ أَمْرُهُمْ، وَغَلَبَ أَهْلُ الشَّرَفِ مِنْهُمْ وَالْبُيُوتَاتِ وَالسَّابِقَةِ وَالْقَدَمَةِ، وَالْعَالِبُ عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ رَوَادِفُ رَدِفَتْ، وَأَعْرَابُ لَحَقَتْ، حَتَّى مَا يُنْظَرُ إِلَى ذِي شَرَفٍ وَلَا بَلَاءٍ مِنْ نَارِزَتِهَا وَلَا نَابِتَتِهَا.
فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ: أَمَّا بَعْدُ، فَفَضَّلَ أَهْلَ السَّابِقَةِ وَالْقَدَمَةِ مِمَّنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ تِلْكَ الْبِلَادَ، وَلِيَكُنْ مِنْ نَزَلِهَا بِسَبَبِهِمْ تَبَعًا لَهُمْ، إِلَّا أَنْ يَكُونُوا نَثَاقُلُوا عَنِ الْحَقِّ، وَتَرَكَوا الْقِيَامَ بِهِ وَقَامَ بِهِ هَوْلًا وَاحْفَظَ لِكُلِّ مَنْزِلَتِهِ، وَأَعْطَاهُمْ جَمِيعًا بِقِسْطِهِمْ مِنَ الْحَقِّ، فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ بِالنَّاسِ بِهَا يُصَابُ الْعَدْلُ.

فَأَرْسَلَ سَعِيدًا إِلَى وَجْهِ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْأَيَّامِ وَالْقَادِسِيَّةِ، فَقَالَ: أَنْتُمْ وَجُوهُ مَنْ وَرَاءَكُمْ، وَالْوَجْهُ يُنْبِئُ عَنِ الْجَسَدِ، فَأَبْلَغُونَا حَاجَةَ ذِي الْحَاجَةِ وَخَلَّةَ ذِي الْخَلَّةِ وَأَدْخَلْ مَعَهُمْ مَنْ يَحْتَمِلُ مِنَ اللَّوَاحِقِ وَالرَّوَادِفِ، وَخَلَصَ بِالْقُرَاءِ وَالْمُتَسَمِّتِينَ فِي سَمَرِهِ، فَكَأَنَّمَا كَانَتْ الْكُوفَةُ يَبْسًا شَمَلَتْهُ نَارٌ، فَانْقَطَعَ إِلَى ذَلِكَ الضَّرْبِ ضَرْبُهُمْ، وَفَشَتِ الْقَالَةُ وَالْإِذَاعَةُ فَكَتَبَ سَعِيدٌ إِلَى عُثْمَانَ بِذَلِكَ، فَغَادَى مُنَادِي عُثْمَانَ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ! فَاجْتَمَعُوا، فَأَخْبَرَهُمْ بِالَّذِي كَتَبَ بِهِ إِلَى سَعِيدٍ، وَبِالَّذِي كَتَبَ بِهِ إِلَيْهِ فِيهِمْ، وَبِالَّذِي جَاءَهُ مِنَ الْقَالَةِ وَالْإِذَاعَةِ، فَقَالُوا: أَصَبْتَ فَلَا تَسْعَفُهُمْ فِي ذَلِكَ، وَلَا تَطْعَمُهُمْ فِيمَا لَيْسُوا لَهُ بِأَهْلٍ، فَإِنَّهُ إِذَا نَهَضَ فِي الْأُمُورِ مِنْ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ لَمْ يَحْتَمِلْهَا وَأَفْسَدَهَا.
فَقَالَ عُثْمَانُ: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ اسْتَعِدُّوا وَاسْتَمْسِكُوا، فَقَدْ دَبَّتْ إِلَيْكُمْ الْفِتْنَةُ.

وَنَزَلَ فَأَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ، وَتَمَثَّلَ مِثْلَهُ وَمَثَلَ هَذَا الضَّرْبِ الَّذِينَ شَرَعُوا فِي الْخِلَافِ:

أَبْنِي عُبَيْدٌ قَدْ أَتَى أَشْيَاعَكُمْ ... عَنْكُمْ مَقَالَتَكُمْ وَشِعْرُ الشَّاعِرِ

فَإِذَا أَنْتُمْ هَذِهِ قَتَلْتُمْ ... إِنَّ الرِّمَاحَ بِصِيرَةٍ بِالْخَاسِرِ

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ أَرَوَى النَّاسِ لِلْبَيْتِ وَالْبَيْتَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ إِلَى الْخَمْسَةِ.
كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجُمَحِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ لِأَبِي: إِنَّ عُثْمَانَ جَمَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ، إِنَّ النَّاسَ يَتَخَضُّونَ بِالْفِتْنَةِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَخْلَصَنَّ لَكُمْ الَّذِي لَكُمْ حَتَّى أَنْقِلَهُ إِلَيْكُمْ إِنْ رَأَيْتُمْ ذَلِكَ، فَهَلْ تَرَوْنَهُ حَتَّى يَأْتِي مَنْ شَهِدَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ الْفُتُوحَ فِيهِ، فَيُقِيمَ مَعَهُ فِي بِلَادِهِ؟

فَقَامَ أُولَئِكَ، وَقَالُوا: كَيْفَ تَنْقِلُ لَنَا مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنَ الْأَرْضَيْنِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟

فَقَالَ: نَبِيعُهَا مِمَّنْ شَاءَ بِمَا كَانَ لَهُ بِالْحِجَازِ فَفَرَحُوا وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِهِ أَمْرًا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِمْ، فَافْتَرَقُوا وَقَدْ فَرَّجَهَا اللَّهُ عَنْهُمْ بِهِ وَكَانَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ قَدْ اسْتَجْمَعَ لَهُ عَامَّةُ سَهْمَانِ خَيْرٍ إِلَى مَا كَانَ لَهُ سِوَى ذَلِكَ، فَاشْتَرَى طَلْحَةُ مِنْهُ مِنْ نَصِيبِ مَنْ شَهِدَ الْقَادِسِيَّةَ وَالْمَدَائِنَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِمَّنْ أَقَامَ وَلَمْ يَهَاجِرْ إِلَى الْعِرَاقِ النَّشَاسْتَجَ بِمَا كَانَ لَهُ بِخَيْرٍ وَغَيْرِهَا مِنْ تِلْكَ الْأَمْوَالِ، وَاشْتَرَى مِنْهُ بَرَّ أَرِيْسَ شَيْئًا كَانَ لِعُثْمَانَ بِالْعِرَاقِ، وَاشْتَرَى مِنْهُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بِمَالٍ كَانَ لَهُ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ عُثْمَانُ نَهْرَ مَرْوَانَ - وَهُوَ يَوْمُئِذٍ أَجْمَةٌ - وَاشْتَرَى مِنْهُ رَجُلًا مِنَ الْقَبَائِلِ بِالْعِرَاقِ بِأَمْوَالٍ كَانَتْ لَهُمْ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالطَّائِفِ وَالْيَمَنِ وَحَضْرَمَوْتَ، فَكَانَ مِمَّا اشْتَرَى مِنْهُ الْأَشْعَثُ بِمَالٍ كَانَ لَهُ فِي حَضْرَمَوْتَ مَا كَانَ لَهُ بِطَبْرِزَنْبَادَ وَكَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى أَهْلِ الْآفَاقِ فِي ذَلِكَ وَبَعْدَهُ جَرْبَانَ الْقِيءِ، وَالْقِيءُ الَّذِي يَتَدَاعَاهُ أَهْلُ الْأَمْصَارِ، فَهُوَ مَا كَانَ لِلْمُلُوكِ نَحْوَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَمَنْ تَابَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ بِلَادِهِمْ فَأَجَلَى

ذكر الخبر عن سبب سقوط الخاتم من يد عثمان في بئر اريس

عنه، فأتاهم شيء عَرَفُوهُ وَأَخَذَ بِقَدْرِ عَدَّةٍ مِنْ شَهْدَاهَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَبَقَدَرٍ نَصِيْبِهِمْ، وَضَمَّ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ، فَبَاعُوهُ بِمَا يَلِيهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالْحِجَازِ وَمَكَّةَ وَالْيَمَنَ وَحَضْرَمَوْتَ، يُرَدُّ عَلَى أَهْلِهَا الَّذِينَ شَهِدُوا الْفَتْوحَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ.

وَكُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُمَا قَالَا: اشْتَرَى هَذَا الضَّرْبُ رِجَالٌ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مَنْ كَانَ لَهُ هُنَاكَ شَيْءٌ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَبْدِلَ بِهِ فِيمَا يَلِيهِ، فَأَخَذُوا، وَجَازَلَهُمْ عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمْ وَمِنَ النَّاسِ وَإِقْرَارٍ بِالْحَقِّ، إِلَّا أَنَّ الَّذِينَ لَا سَابِقَةَ لَهُمْ وَلَا قَدَمَةَ لَا يَبْلُغُونَ مَبْلَغَ أَهْلِ السَّابِقَةِ وَالْقَدَمَةِ فِي الْمَجَالِسِ وَالرِّيَاسَةِ وَالْحِظَّةِ، ثُمَّ كَانُوا يَعْبِيُونَ التَّفْضِيلَ، وَيَجْعَلُونَهُ جَفْوَةً، وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَخْتَفُونَ بِهِ وَلَا يَكَادُونَ يَظْهَرُونَهُ، لِأَنَّهُ لَا حِجَّةَ لَهُمْ وَالنَّاسَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِذَا لَحِقَ بِهِمْ لَاحِقٌ مِنْ نَاشِئٍ أَوْ أَعْرَابِيٍّ أَوْ مُحَرَّرٍ اسْتَحْلَى كَلَامَهُمْ، فَكَانُوا فِي زِيَادَةٍ، وَكَانَ النَّاسُ فِي نَقْصَانٍ حَتَّى غَلَبَ الشَّرُّ.

وَكُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا: صَرَفَ حُذَيْفَةُ عَنْ غَزْوِ الرِّيِّ إِلَى غَزْوِ الْبَابِ مَدَدًا لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رِبْعَةَ، وَخَرَجَ مَعَهُ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، فَبَلَغَ مَعَهُ أَذْرِيْجَانَ - وَكَذَلِكَ كَانُوا يَصْنَعُونَ، يَجْعَلُونَ لِلنَّاسِ رَدًّا - فَأَقَامَ حَتَّى قَفَلَ حُذَيْفَةُ ثُمَّ رَجَعَا.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنَى سَنَةِ ثَلَاثِينَ - سَقَطَ خَاتَمُ رَسُولِ اللَّهِ ص مِنْ يَدِ عُثْمَانَ فِي بئرِ أَرِيسَ وَهِيَ عَلَى مِيلَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ مِنْ أَقْلِ الْأَبَارِ مَاءً، فَمَا أَدْرَكَ حَتَّى السَّاعَةِ قَعَرَهَا

. ذكر الخبر عن سبب سقوط الخاتم من يد عثمان في بئر اريس

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْحَرَشِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو خَلْفٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِيسَى الْخَزَّازُ قَالَ: وَكَانَ شَرِيكَ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ ابْنُ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص

أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الْأَعَاجِمِ كُتُبًا يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَ كِتَابًا إِلَّا مَخْتُومًا، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَنْ يُعْمَلَ لَهُ خَاتَمٌ مِنْ حَدِيدٍ، لَجَعَلَهُ فِي إصْبَعِهِ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ، فَقَالَ لَهُ: انْبِذْهُ مِنْ إصْبَعِكَ، فَنَبَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ أُصْبَعِهِ، وَأَمَرَ بِخَاتَمٍ آخَرَ يُعْمَلُ لَهُ، فَعُمِلَ لَهُ خَاتَمٌ مِنْ نُحَاسٍ، لَجَعَلَهُ فِي إصْبَعِهِ، فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ ع: انْبِذْهُ مِنْ إصْبَعِكَ، فَنَبَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ إصْبَعِهِ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِخَاتَمٍ مِنْ وَرَقٍ، فَصُنِعَ لَهُ خَاتَمٌ مِنْ وَرَقٍ لَجَعَلَهُ فِي أُصْبَعِهِ، فَأَقْرَهُ جَبْرِيلُ، وَأَمَرَ أَنْ يُنْقَشَ عَلَيْهِ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، لَجَعَلَ يَخْتَمُ بِهِ، وَيَكْتُبُ إِلَى مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَعَاجِمِ، وَكَانَ نَقْشُ الْخَاتَمِ ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ فَكُتِبَ كِتَابًا إِلَى كَسْرَى بْنِ هُرْمَزٍ، فَبَعَثَهُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَأَتَى بِهِ عُمَرُ كَسْرَى فَفَرَّقَ الْكِتَابَ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى كِتَابِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ! أَنْتَ عَلَى سَرِيرٍ مَرْمُولٍ بِاللَّيْفِ، وَكَسْرَى بْنُ هُرْمَزٍ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَعَلَيْهِ الدِّيْبَاجُ! [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ!] فَقَالَ: جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ! قَدْ رَضِيتُ.

وَكُتِبَ كِتَابًا آخَرَ، فَبَعَثَ بِهِ مَعَ دَحِيَّةِ بْنِ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ إِلَى هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّومِ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَرَأَهُ وَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَوَضَعَهُ عِنْدَهُ، فَكَانَ الْخَاتَمُ فِي أُصْبَعِ رَسُولِ اللَّهِ ص يَخْتَمُ بِهِ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ اسْتَخْلَفَ أَبُو بَكْرٍ فَخَتَمَ بِهِ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ وَلِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بَعْدَ جَعْلِهِ يَخْتَمُ بِهِ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ، ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ عُثْمَانُ ابْنُ عَفَّانَ، فَخَتَمَ بِهِ سِتَّ سِنِينَ، فَحَفَرَ بئرًا بِالْمَدِينَةِ شَرْبًا لِلْمُسْلِمِينَ، فَقَعَدَ عَلَى رَأْسِ الْبئرِ، لَجَعَلَ يَبْعَثُ بِالْخَاتَمِ، وَيُدِيرُهُ بِأُصْبَعِهِ، فَانْسَلَّ الْخَاتَمُ مِنْ أُصْبَعِهِ فَوَقَعَ فِي الْبئرِ، فَطَلَبُوهُ فِي الْبئرِ، وَنَزَحُوا مَا فِيهَا مِنَ الْمَاءِ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، لَجَعَلَ فِيهِ مَالًا عَظِيمًا لَمْ يَجَأْ بِهِ، وَاعْتَمَّ لِذَلِكَ عَمَّا شَدِيدًا، فَلَمَّا يَبَسَّ مِنَ الْخَاتَمِ أَمَرَ فَصُنِعَ لَهُ خَاتَمٌ آخَرُ مِثْلُهُ، خَلَقَهُ مِنْ فِضَّةٍ، عَلَى مِثَالِهِ

أخبار أبي ذر رحمه الله تعالى

وَشِبْهِهِ، وَنَقِشَ عَلَيْهِ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَعَمِلَهُ فِي أَصْبَعِهِ حَتَّى هَلَكَ، فَلَمَّا قُتِلَ ذَهَبَ الْخَاتَمُ مِنْ يَدِهِ فَلَمْ يُدَرَّ مِنْ أَخْذِهِ
أخبار أبي ذر رحمه الله تعالى

وفي هذه السنة- أعني سنة ثلاثين- كَانَ مَا ذَكَرَ مِنْ أَمْرِ أَبِي ذَرٍّ وَمُعَاوِيَةَ، وَإِشْخَاصِ مُعَاوِيَةَ إِيَّاهُ مِنَ الشَّامِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقَدْ ذَكَرَ فِي
سَبَبِ إِشْخَاصِهِ إِيَّاهُ مِنْهَا إِلَيْهَا أُمُورٌ كَثِيرَةٌ، كَرِهْتُ ذِكْرَ أَكْثَرِهَا.

فَأَمَّا الْعَاذِرُونَ مُعَاوِيَةَ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ ذَكَرُوا فِي ذَلِكَ قِصَّةَ كَتَبَ إِلَيَّ بِهَا السَّرِيُّ، يَذْكُرُ أَنَّ شُعْبِيًّا حَدَّثَهُ عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَطِيَّةٍ، عَنْ يَزِيدِ
الْفَقْعَسِيِّ، قَالَ: لَمَّا وَرَدَ ابْنُ السَّوْدَاءِ الشَّامَ لَقِيَ أَبَا ذَرٍّ، فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، أَلَا تَعْجَبُ إِلَى مُعَاوِيَةَ، يَقُولُ: الْمَالُ مَالُ اللَّهِ! أَلَا إِنَّ كُلَّ
شَيْءٍ لِلَّهِ كَأَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَحْتَجِنَهُ دُونَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَمَحُوَ أَسْمَ الْمُسْلِمِينَ فَأَتَاهُ أَبُو ذَرٍّ، فَقَالَ: مَا يَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تُسَمِّيَ مَالَ الْمُسْلِمِينَ مَالَ اللَّهِ!
قَالَ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ يَا أَبَا ذَرٍّ، أَلَسْنَا عِبَادَ اللَّهِ، وَالْمَالُ مَالُهُ، وَالْخَلْقُ خَلْقُهُ، وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ! قَالَ: فَلَا تَقْلُهُ، قَالَ: فَإِنِّي لَا أَقُولُ: إِنَّهُ لَيْسَ لِلَّهِ،
وَلَكِنْ سَأَقُولُ: مَالُ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ: وَأَتَى ابْنُ السَّوْدَاءِ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ أَطْنُكَ وَاللَّهِ يَهُودِيًّا! فَأَتَى عَبْدَةَ بْنَ الصَّامِتِ فَتَعَلَّقَ بِهِ، فَأَتَى بِهِ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ:
هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي بَعَثَ عَلَيْكَ أَبَا ذَرٍّ، وَقَامَ أَبُو ذَرٍّ بِالشَّامِ وَجَعَلَ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْأَغْنِيَاءِ، وَأَسُوا الْفُقَرَاءَ بِبَشَرِ الَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ
وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَكْوٍ مِنْ نَارٍ تَكْوِي بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجَنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ فَمَا زَالَ حَتَّى وَلَعَ الْفُقَرَاءُ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَأَوْجَبُوهُ
عَلَى الْأَغْنِيَاءِ، وَحَتَّى شَكَ الْأَغْنِيَاءُ مَا يَلْقَوْنَ مِنَ النَّاسِ.

فَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عُثْمَانَ: أَنَّ أَبَا ذَرٍّ قَدْ أَعْضَلَ بِي، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ: أَنَّ الْفِتْنَةَ قَدْ أَخْرَجَتْ
خَطْمَهَا وَعَيْنَهَا،

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تُثَبَّ، فَلَا تَنْكَأَ الْقَرْحَ، وَجَهَّزَ أَبَا ذَرٍّ إِلَيَّ، وَابْعَثْ مَعَهُ دَلِيلًا وَزَوْدَهُ، وَارْفُقْ بِهِ، وَكَفِّفِ النَّاسَ وَنَفْسَكَ مَا اسْتَطَعْتَ،
فَإِنَّمَا تُمْسِكُ مَا اسْتَمْسَكْتَ فَبَعَثَ بِأَبِي ذَرٍّ وَمَعَهُ دَلِيلٌ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَرَأَى الْمَجَالِسَ فِي أَصْلِ سَلْعٍ، قَالَ: بَشِّرْ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِغَارَةِ
شُعْوَاءَ وَحَرْبِ مَذْكَارٍ.

وَدَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا لِأَهْلِ الشَّامِ يَشْكُونَ ذَرْبَكَ! فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ: مَالُ اللَّهِ، وَلَا يَنْبَغِي لِلْأَغْنِيَاءِ أَنْ
يَقْتَنُوا مَالًا.

فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، عَلَيَّ أَنْ أَقْضِيَ مَا عَلَيَّ، وَآخُذْ مَا عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَلَا أَجْبِرْهُمْ عَلَى الزُّهْدِ، وَأَنْ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْاجْتِهَادِ وَالْاِقْتِصَادِ.

قَالَ: فَتَأَذَّنْ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَإِنَّ الْمَدِينَةَ لَيْسَتْ لِي بَدَارٌ؟ فَقَالَ:

أَوْ تَسْتَبْدِلُ بِهَا إِلَّا شَرًّا مِنْهَا! قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ص أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا إِذَا بَلَغَ الْبِنَاءُ سَلْعًا، قَالَ: فَانْفِذْ لِمَا أَمَرَكَ بِهِ قَالَ: نَخْرُجُ حَتَّى
نَزَلَ الرَّبْدَةُ، نَخْطُ بِهَا مَسْجِدًا، وَأَقْطَعُهُ عُثْمَانُ صَرْمَةً مِنَ الْإِبِلِ وَأَعْطَاهُ مَمْلُوكَيْنِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: أَنْ تَعَاهِدَ الْمَدِينَةَ حَتَّى لَا تَرْتَدَّ أَعْرَابِيًّا،
فَفَعَلَ.

وَكَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعْبِيٍّ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَوْنٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ يَخْتَلِفُ مِنَ الرَّبْدَةِ إِلَى
الْمَدِينَةِ مَخَافَةَ الْأَعْرَابِيَّةِ، وَكَانَ يُحِبُّ الْوَحْدَةَ وَالْخُلُوةَ فَدَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ، وَعِنْدَهُ كَعْبُ الْأَخْبَارِ، فَقَالَ لِعُثْمَانَ: لَا تَرْضَوْا مِنَ النَّاسِ
بِكُفِّ الْأَذَى حَتَّى يَبْذُلُوا الْمَعْرُوفَ، وَقَدْ يَنْبَغِي لِلْمُؤَدِّيِ الزَّكَاةَ أَلَّا يَقْتَصِرَ عَلَيْهَا حَتَّى يُحْسِنَ إِلَى الْخَيْرَانِ وَالْإِخْوَانِ، وَيَصِلَ الْقَرَابَاتِ
فَقَالَ كَعْبٌ: مَنْ أَدَّى الْفَرِيضَةَ فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ فَرَفَعَ أَبُو ذَرٍّ مِحْجَنَهُ فَضْرَبَهُ فَشَجَّهُ، فَاسْتَوْهَبَهُ عُثْمَانُ، فَوَهَبَهُ لَهُ، وَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ،

اتَّيَّ اللَّهُ وَاسْتَفْ يَدَكَ وَلِسَانَكَ، وَقَدْ كَانَ قَالَ لَهُ: يَا بَنَ الْيَهُودِيَّةِ، مَا أَنْتَ وَمَا هَاهُنَا! وَاللَّهِ لَتَسْمَعَنَّ مِنِّي أَوْ لَأَدْخُلَ عَلَيْكَ. وَكُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْأَشْعَثِ بْنِ سَوَّارٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: خَرَجَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى الرَّبَذَةِ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ لَمَّا رَأَى

عُثْمَانَ لَا يَنْزِعُ لَهُ، وَأَخْرَجَ مُعَاوِيَةَ أَهْلَهُ مِنْ بَعْدِهِ، نَخَرَجُوا إِلَيْهِ وَمَعَهُمْ جِرَابٌ يَثْقُلُ يَدَ الرَّجُلِ، فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الَّذِي يَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا مَا عِنْدَهُ! فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ: أَمَّا وَاللَّهِ مَا فِيهِ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، وَلَكِنَّا فُلُوسٌ كَانَ إِذَا خَرَجَ عَطَاؤُهُ ابْتِغَاءً مِنْهُ فُلُوسًا لِحَوَائِجِنَا. وَلَمَّا نَزَلَ أَبُو ذَرٍّ الرَّبَذَةَ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، وَعَلَيْهَا رَجُلٌ يَلِي الصَّدَقَةَ، فَقَالَ:

تَقَدَّمَ يَا أَبَا ذَرٍّ، فَقَالَ: لَا، تَقَدَّمِ أَنْتَ، [فَان رَسُولُ اللَّهِ ص قَالَ لِي: اسْمَعْ وَأَطِعْ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْكَ عَبْدٌ مُجْدَعٌ،] فَانْتَ عَبْدٌ وَلَسْتُ بِأَجْدَعٍ - وَكَانَ مِنْ رَقِيقِ الصَّدَقَةِ، وَكَانَ أَسْوَدَ يُقَالُ لَهُ مُجَاشِعٌ.

وَكُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مَبْشَرِ بْنِ الْفَضِيلِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: أَجْرَى عُثْمَانُ عَلَى أَبِي ذَرٍّ كُلَّ يَوْمٍ عَظْمًا، وَعَلَى رَافِعِ بْنِ خَدِجٍ مِثْلَهُ، وَكَانَا قَدْ تَخَيَّا عَنْ الْمَدِينَةِ لَشَيْءٍ سَمِعَاهُ لَمْ يَفْسَرْ لَهُمَا، وَأَبْصَرَا وَقَدْ أَخْطَا.

وَكُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوْقَةَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُبَاتَةَ، قَالَ: خَرَجْنَا مُعْتَمِرِينَ، فَأَتَيْنَا الرَّبَذَةَ، فَطَلَبْنَا أَبَا ذَرٍّ فِي مَنْزِلِهِ، فَلَمْ نَجِدْهُ، وَقَالُوا: ذَهَبَ إِلَى الْمَاءِ.

فَتَنَحَّيْنَا، وَنَزَلْنَا قَرِيبًا مِنْ مَنْزِلِهِ، فَرَوْنَاهُ عَظُمَ جُزُورٍ يَحْمِلُهُ مَعَهُ غُلَامٌ، فَسَلَّمَتْ ثُمَّ مَضَى حَتَّى أَتَى مَنْزِلَهُ، فَلَمْ يَمُكُثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى جَاءَ، فَجَلَسَ إِلَيْنَا وَقَالَ: [إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ لِي: اسْمَعْ وَأَطِعْ وَإِنْ كَانَ عَلَيْكَ حَبَشِيٌّ مُجْدَعٌ،] فَتَزَلْتُ هَذَا الْمَاءَ وَعَلَيْهِ رَقِيقٌ مِنْ رَقِيقِ مَالِ اللَّهِ، وَعَلَيْهِمْ حَبَشِيٌّ - وَلَيْسَ بِأَجْدَعٍ، وَهُوَ مَا عَلِمْتُ، وَأَتْنِي عَلَيْهِ - وَلَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُزُورٌ، وَلِي مِنْهَا عَظُمٌ أَكَلُهُ أَنَا وَعِيَالِي قُلْتُ: مَا لَكَ مِنَ الْمَالِ؟

قَالَ: صِرْمَةٌ مِنَ الْغَنَمِ وَقَطِيعٌ مِنَ الْإِبِلِ، فِي أَحَدِهِمَا غُلَامِي وَفِي الْآخَرِ امْتِي، وَغُلَامِي حُرٌّ إِلَى رَأْسِ السَّنَةِ قَالَ: قُلْتُ: إِنْ أَصْحَابَكَ قَبَلْنَا أَكْثَرَ النَّاسِ مَالًا، قَالَ: أَمَّا إِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ فِي مَالِ اللَّهِ حَقٌّ إِلَّا وَلِي مِثْلُهُ

ذكر هرب يزيدجرد إلى خراسان

وَأَمَّا الْآخَرُونَ، فَإِنَّهُمْ رَوَوْا فِي سَبَبِ ذَلِكَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً، وَأُمُورًا شَنِيعَةً، كَرِهْتُ ذِكْرَهَا .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ، هَرَبَ يَزِيدْجَرْدُ بْنُ شَهْرِيَارٍ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ مِنْ فَارَسٍ إِلَى خُرَاسَانَ.

ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ وَمَا قَالَ فِيهِ:

ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ أَنَّ مُسْلِمَةَ أَخْبَرَهُ عَنْ دَاوُدَ، قَالَ: قَدِمَ ابْنُ عَامِرِ الْبَصْرَةَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى فَارَسٍ فَافْتَتَحَهَا، وَهَرَبَ يَزِيدْجَرْدُ مِنْ جُوزَ - وَهِيَ أَرْدَشِيرُ خَرَةَ - فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ فَوَجَّهَ ابْنُ عَامِرٍ فِي أَثَرِهِ مُجَاشِعُ بْنُ مَسْعُودِ السَّلْبِيِّ، فَاتَّبَعَهُ إِلَى كَرْمَانَ، فَتَزَلَّ مُجَاشِعُ السَّيْرَجَانَ بِالْعَسْكَرِ، وَهَرَبَ يَزِيدْجَرْدُ إِلَى خُرَاسَانَ قَالَ: وَعَبْدُ الْقَيْسِ يَقُولُ: وَجَّهَ ابْنُ عَامِرٍ هَرَمَ ابْنَ حَيَّانَ الْعَبْدِيَّ، وَبَكْرَ بْنَ وَائِلٍ يَقُولُ: وَجَّهَ ابْنُ حَسَّانَ الْيَشْكِرِيَّ قَالَ:

وَأَصَحُّهُ عِنْدَنَا مُجَاشِعٌ.

قَالَ عَلِيٌّ: وَأَخْبَرَنَا سَلَمَةُ بْنُ عُثْمَانَ - وَكَانَ فَاضِلًا - عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ كَرْمَانَ وَالْفَضْلِ الْكَرْمَانِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: اتَّبَعَ مُجَاشِعُ يَزِيدْجَرْدَ نَخْرَجَ مِنَ السَّيْرَجَانَ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الْقَصْرِ فِي بَيْمَنْدَ - وَهُوَ الَّذِي يَقَالُ لَهُ قَصْرُ مُجَاشِعٍ - أَصَابَهُمُ الثَّلْجُ وَالدَّمَقُ، فَوَقَعَ الثَّلْجُ، وَاشْتَدَّ الْبَرْدُ،

وصار الثلج قامة ربح، فهلك الجند، وسلم مجاشع ورجل كانت معه جارية، فشق بطن بعير، فأدخلها فيه وهرب، فلما كان من الغد، جاء فوجدها حية فحملها، فسمي ذلك القصر قصر مجاشع، لأن جيشه هلكوا فيه، وهو على خمسة فرائخ أو ستة من السيرجان.

قال علي: أخبرنا أبو المقدام، عن بعض مشيخته، قال: خرج مجاشع على وفد أهل البصرة من تستر- وفيهم الأحنف- وأخذ في غداة واحدة على لجام واحد خمسين ألفاً، سبق على الصفراء ابنة الغراء ابنة الغبراء، فأخذها منه عمر حين قاسم عماله الأموال.

قال علي: فقلت للنضر بن إسحاق: أن أبا المقدام ذكر هذا الحديث! فقال: صدق، سمعته من عدة من الحلي وغيرهم، وفرسه الصفراء ابنة الغراء ابنة الغبراء وهو مجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن عائد بن وهب بن ربيعة بن يربوع بن شمال بن عوف بن امرئ القيس بن بهشة بن سلم.

ويكنى أبا سليمان.

قال: وفي هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث على الزوراء، وصلى بمنى أربعاً.

وجج بالناس في هذه السنة عثمان رضى الله عنه

٤٠١٦ سنة إحدى وثلاثين

٤٠١٦٠١ غزوه الصواري

إحدى وثلاثين

(ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة) فما كان فيها من ذلك غزوة المسلمين الروم التي يقال لها: غزوة الصواري

في قول الواقدي فاما أبو معشر فإنه قال فيما حدثني أحمد بن ثابت الرازي، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عنه: كانت غزوة الصواري سنة أربع وثلاثين، وقال: كانت في سنة إحدى وثلاثين الأساودة في البحر ووقائع كسرى.

وقال الواقدي: غزوة الصواري والأساودة كلتاها كانتا في سنة إحدى وثلاثين.

(ذكر الخبر عن هاتين الغزوتين:) ذكر الواقدي أن محمد بن صالح حدثه، عن عاصم بن عمر بن قتادة، أن أهل الشام خرجوا، عليهم معاوية بن أبي سفيان، وكانت الشام قد جمع جمعها لمعاوية بن أبي سفيان.

(ذكر السبب في جمعها له:) كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الملك والربيع وأبي مجالد وأبي عثمان وأبي حارثة، قالوا: لما حضر أبو عبيدة استخلف على عمله عياض بن غنم- وهو خاله وابن عمه- وقد كان ولي بالجزيرة عملاً، فعزله عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلحق بأبي عبيدة بالشام، وكان معه، وكان جواداً مشهوراً بالجود، لا يليق شيئاً، ولا يمنع أحداً.

فكلم عمر في ذلك، فقبل له: عزلت خالداً وعتبت عليه العطاء، وعياض أجود العرب وأعطاهم، لا يمنع شيئاً يسأله، فقال عمر: متى سيمه عياض في ماله حتى يخلص إلى ما لنا! وإني مع ذلك لم أكن مغيراً أمراً قضاه أبو عبيدة ومات عياض بن غنم بعد أبي عبيدة، فأمر عمر على عمله سعيد بن حذيم الجمحي، ومات سعيد بعد، فأمر عمر مكانه عمير بن سعد الأنصاري، ومات عمر ومعاوية على دمشق والأردن، وعمير بن سعد على حمص وقنسرين، وإنما مصر قنسرين معاوية بن أبي سفيان لمن لحق به من أهل العراق ومات يزيد بن أبي سفيان، فجعل عمر مكانه معاوية ونعاه لأبي سفيان، فقال: من جعلت على عمله يا أمير المؤمنين؟ فقال:

مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: وَصَلَتْكَ رَحِمٌ، فَاجْتَمَعَتْ لِمُعَاوِيَةَ الْأُرْدُنُّ وَدِمَشْقُ، وَمَاتَ عُمَرُ وَمُعَاوِيَةُ عَلَى دِمَشْقَ وَالْأُرْدُنِّ وَعُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ عَلَى حِمصَ وَقَنْسَرِينَ، وَعَلَقَمَهُ ابْنُ مُجَزَّزٍ عَلَى فِلَسْطِينَ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى مِصْرَ.

وَكُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُبَشِّرٍ، عَنْ سَالِمٍ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ عَامِلٍ اسْتَعْمَلَهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ وَصِيَّةِ عُمَرَ ثُمَّ إِنَّ عُمَيْرَ بْنَ سَعْدٍ طَعِنَ فَأَضْنَى مِنْهَا، فَاسْتَعْفَى عُثْمَانُ وَاسْتَأَذَنَهُ فِي الرَّجُوعِ إِلَى أَهْلِهِ، فَأَذِنَ لَهُ، وَضَمَّ حِمصَ وَقَنْسَرِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ.

وَكُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي حَارِثَةَ وَأَبِي عُثْمَانَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، قَالَ: لَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ أَقْرَعَ عُمَرَ عَلَى الشَّامِ، فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُلَقَمَةَ الْكَلْبِيُّ - وَكَانَ عَلَى فِلَسْطِينَ - ضَمَّ عَمَلَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ، وَمَرَضَ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ فِي إِمَارَةِ عُثْمَانَ مَرَضًا طَالَ بِهِ، فَاسْتَعْفَاهُ وَاسْتَأَذَنَهُ فَأَذِنَ لَهُ، وَضَمَّ عَمَلَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَاجْتَمَعَ الشَّامُ عَلَى مُعَاوِيَةَ لِسِنَتَيْنِ مِنْ إِمَارَةِ عُثْمَانَ وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى مِصْرَ زَمَانَ عُمَرَ، مُجْتَمِعَةً لَهُ، فَأَقْرَعَهُ عُثْمَانُ صَدْرًا مِنْ إِمَارَتِهِ. رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ الْوَأَقْدِيِّ عَنْ خَبَرِ الْغَزَوَتَيْنِ اللَّتَيْنِ ذَكَرْتَهُمَا:

أَنَّ أَهْلَ الشَّامِ خَرَجُوا، عَلَيْهِمُ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَعَلَى أَهْلِ الْبَحْرِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ وَقَالَ: وَخَرَجَ عَامِئذَ قَسْطَنْطِينَ بْنِ هِرْقَلٍ لَمَّا أَصَابَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ بِإِفْرِيقِيَّةٍ، فَخَرَجُوا فِي جَمْعٍ لَمْ يَجْتَمِعْ لِلرُّومِ مِثْلُهُ قَطُّ مِنْذُ كَانَ الْإِسْلَامُ، فَخَرَجُوا فِي خَمْسَمِائَةِ مَرْكَبٍ، فَالْتَقَوْا هُمُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ، فَأَمَّنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى قَرَنُوا بَيْنَ سَفْنِ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الشَّرْكِ بَيْنَ صَوَارِيهَا.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: حَدَّثَنِي عِيسَى بْنُ عُلَقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَوْسٍ بْنِ الْحَدَثَانِ، قَالَ: كُنْتُ مَعَهُمْ، فَالْتَقَيْنَا فِي الْبَحْرِ، فَظَنَرْنَا إِلَى مَرَاقِبِ مَا رَأَيْنَا مِثْلَهَا قَطُّ، وَكَانَتْ الرِّيحُ عَلَيْنَا، فَأَرْسَيْنَا سَاعَةً، وَأَرْسَوْا قَرِيبًا مِنَّا، وَسَكَنَتْ الرِّيحُ عَنَّا، فَقَلْنَا: الْأَمْنُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ قَالُوا: ذَلِكَ لَكُمْ وَلَنَا مِنْكُمْ، ثُمَّ قَلْنَا: إِنْ أَحْبَبْتُمْ فَالسَّاحِلَ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا وَمِنْكُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَالْبَحْرَ قَالَ: فَخَرَجُوا نَخْرَةً وَاحِدَةً، وَقَالُوا: الْمَاءُ، فَدَنَوْنَا مِنْهُمْ، فَرَبَطْنَا السَّفْنَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ حَتَّى كُنَّا يَضْرِبُ بَعْضُنَا بَعْضًا عَلَى سَفْنِنَا وَسَفْنِهِمْ، فَقَاتَلْنَا أَشَدَّ الْقِتَالِ، وَوُثِبَتِ الرِّجَالُ عَلَى الرِّجَالِ يَضْطَرِبُونَ بِالسُّيُوفِ عَلَى السَّفَنِ، وَيَتَوَاجِثُونَ بِالْخَنَاجِرِ، حَتَّى رَجَعَتِ الدَّمَاءُ إِلَى السَّاحِلِ تَضْرِبُهَا الْأَمْوَاجُ، وَطَرَحَتِ الْأَمْوَاجُ جِثَثَ الرِّجَالِ رَكَامًا.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: رَأَيْتُ السَّاحِلَ حَيْثُ تَضْرِبُ الرِّيحُ الْمَوْجَ، وَإِنْ عَلَيْهِ لَمِثْلُ الظُّرْبِ الْعَظِيمِ مِنْ جِثَثِ الرِّجَالِ، وَإِنَّ الدَّمَ لَغَالِبٌ عَلَى

الْمَاءِ، وَلَقَدْ قُتِلَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَشَرٌ كَثِيرٌ، وَقُتِلَ مِنَ الْكُفَّارِ مَا لَا يَحْصَى، وَصَبَرُوا يَوْمَئِذٍ صَبْرًا لَمْ يَصْبِرُوا فِي مَوْطِنٍ قَطُّ مِثْلَهُ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَانْهَزَمَ الْقَسْطَنْطِينُ مَدْبِرًا، فَمَا انْكَشَفَ إِلَّا لَمَّا أَصَابَهُ مِنَ الْقَتْلِ وَالْجِرَاحِ، وَلَقَدْ أَصَابَهُ يَوْمَئِذٍ جِرَاحَاتٌ مَكَثَ مِنْهَا حِينًا جَرِيحًا.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: حَدَّثَنِي سَالِمُ مَوْلَى أُمِّ مُحَمَّدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ، عَنْ حَنْشِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الصَّنْعَانِيِّ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَا سَمِعَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حُذَيْفَةَ حِينَ رَكِبَ النَّاسُ الْبَحْرَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ، لَمَّا صَلَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ بِالنَّاسِ الْعَصَرَ، كَبَّرَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ تَكْبِيرًا وَرَفَعَ صَوْتَهُ حَتَّى فَرَّغَ الْإِمَامُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ، فَلَمَّا انْصَرَفَ سَأَلَ:

مَا هَذَا؟ فَقِيلَ لَهُ: هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ يَكْبِرُ، فَدَعَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ، فَقَالَ لَهُ: مَا هَذِهِ الْبَدْعَةُ وَالْحَدِثُ؟ فَقَالَ لَهُ: مَا هَذِهِ الْبَدْعَةُ وَلَا حَدِثٌ، وَمَا بِالتَّكْبِيرِ بَأْسٌ، قَالَ: لَا تَعُودُنَّ قَالَ: فَاسْكُتْ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ، فَلَمَّا صَلَّى الْمَغْرِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ كَبَّرَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ تَكْبِيرًا أَرْفَعَ مِنَ الْأَوَّلِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: إِنَّكَ غَلَامٌ أَحْمَقُ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي لَا أَدْرِي مَا يُوَافِقُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِقَارَبْتُ بَيْنَ خَطْوِكَ فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ: وَاللَّهِ مَالِكٌ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ، وَلَوْ هَمَمْتُ بِهِ مَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ قَالَ: فَكَفَّ خَيْرَ لَكَ، وَاللَّهُ لَا تَرْكَبُ مَعْنَا، قَالَ:

فأركب مع المسلمين؟ قَالَ: اركب حيث شئت قَالَ: فركب في مركب وحده ما معه إلا القبط، حتى بلغوا ذات الصواري، فلقوا جموع الروم في خمسمائة مركب او ستمائة فيها القسطنطين بن هرقل، فَقَالَ: أشيروا علي، قَالُوا: ننظر الليلة، فباتوا يضربون بالنواقيس، وبات المسلمون يصلون ويدعون الله.

ثُمَّ أَصْبَحُوا وَقَدْ أَجْمَعَ الْقُسْطَنْطِينُ أَنْ يُقَاتِلَ، فَقَرَّبُوا سَفِينَهُمْ، وَقَرَّبَ الْمُسْلِمُونَ فَرِيطُوا بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَصَفَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ الْمُسْلِمِينَ عَلَى

نَوَاحِي السَّفِينِ، وَجَعَلَ يَأْمُرُهُمْ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالصَّبْرِ، وَوُثِّبَتِ الرُّومُ فِي سَفِينِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صُفُوفِهِمْ حَتَّى نَقَضُوهَا، فَكَانُوا يُقَاتِلُونَ عَلَى غَيْرِ صُفُوفٍ.

قَالَ: فَاقْتُلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ نَصَرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً لَمْ يَنْجُ مِنَ الرُّومِ إِلَّا الشَّرِيدُ.

قَالَ: وَأَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بِذَاتِ الصَّوَارِي أَيَّامًا بَعْدَ هَزِيمَةِ الْقَوْمِ، ثُمَّ أَقْبَلَ رَاجِعًا، وَجَعَلَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَرَكْنَا الْجِهَادَ حَقًّا، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: وَأَيُّ جِهَادٍ؟ فَيَقُولُ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا، وَفَعَلَ كَذَا وَكَذَا حَتَّى أَفْسَدَ النَّاسُ فَقَدَمُوا بِلَدِهِمْ وَقَدْ أَفْسَدَهُمْ، وَأَظْهَرُوا مِنَ الْقَوْلِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَنْطِقُونَ بِهِ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: حَدَّثَنِي مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ:

خَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَامَ خُرُوجِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ، فَأَظْهَرَا عَيْبَ عُثْمَانَ وَمَا غَيْرَ وَمَا خَالَفَ بِهِ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَإِنْ دَمَ عُثْمَانُ حَلَالٌ.

وَيَقُولَانِ: اسْتَعْمَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ، رَجُلًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَ أَبَاحَ دَمَهُ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِكُفْرِهِ، وَأَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَ قَوْمًا وَادْخَلَهُمْ، وَنَزَعَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَ وَاسْتَعْمَلَ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرٍ فَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ، فَقَالَ:

لَا تَرْجُبَا مَعْنَا، فَجَبَا فِي مَرْكَبٍ مَا فِيهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَقُوا الْعَدُوَّ، وَكَانَا أَكْلَ الْمُسْلِمِينَ قِتَالًا، فَقِيلَ لهُمَا فِي ذَلِكَ، فَقَالَا: كَيْفَ نَقَاتِلُ مَعَ رَجُلٍ لَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَحْكُمَهُ! عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ اسْتَعْمَلَهُ عُثْمَانُ، وَعُثْمَانُ فَعَلَ وَفَعَلَ، فَأَفْسَدَا أَهْلَ تِلْكَ الْغَزَاةِ، وَعَابَا عُثْمَانَ أَشَدَّ الْعَيْبِ فَأَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ إِلَيْهِمَا يَنْهَاهُمَا أَشَدَّ النَّهْيِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِي لَا أُدْرِي مَا يُوَافِقُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَعَاقَبْتُكُمَا وَحَبَسْتُكُمَا. قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تَوَفَّى أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانَ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنَى سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ - فَتَحَتْ فِي قَوْلِ الْوَاقِدِيِّ أَرْمِينِيَّةَ عَلَى يَدِي حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ الْفَهْرِيِّ

٤٠١٦٠٢ ذكر الخبر عن مقتل يزيد جرد ملك فارس

ذكر الخبر عن مقتل يزيد جرد ملك فارس

وفي هذه السنة قتل يزيد جرد ملك فارس.

ذكر الخبر عن سبب مقتله:

اختلف في سبب مقتله، وكيف كان ذلك، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ:

أَخْبَرَنَا غِيَاثُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: هَرَبَ يَزِيدُ جَرْدٌ مِنْ كَرْمَانَ فِي جَمَاعَةٍ يَسِيرَةُ إِلَى مَرُو، فَسَأَلَ مَرْزَبَانَهَا مَا لَا فَنَعَهُ، نَخَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَأَرْسَلُوا إِلَى التُّرْكِ يَسْتَنْصِرُونَهُمْ عَلَيْهِ، فَأَتَوْهُ فَبَيْتُوهُ، فَقَتَلُوا أَصْحَابَهُ، وَهَرَبَ يَزِيدُ جَرْدٌ حَتَّى أَتَى مَنْزِلَ رَجُلٍ يَنْقُرُ الْأَرْحَاءَ عَلَى شَطِّ الْمَرْغَابِ، فَأَوَى إِلَيْهِ لَيْلًا، فَلَمَّا نَامَ قَتَلَهُ.

قَالَ عَلِيُّ: وَأَخْبَرَنَا الْهَذَلِيُّ، قَالَ: أَتَى يَزِيدُ جَرْدٌ مَرُوًى هَارِبًا مِنْ كَرْمَانَ، فَسَأَلَ مَرْزَبَانَهَا وَأَهْلَهَا مَا لَا، فَنَعَوْهُ وَخَافَوْهُ، فَبَيْتُوهُ وَلَمْ يَسْتَجِيشُوا عَلَيْهِ التُّرْكُ، فَقَتَلُوا أَصْحَابَهُ، وَخَرَجَ هَارِبًا عَلَى رَجْلَيْهِ، مَعَهُ مَنْطَقَتُهُ وَسَيْفُهُ وَتَاجُهُ، حَتَّى أَتَى مَنْزِلَ نَقَارٍ عَلَى شَطِّ الْمَرْغَابِ، فَلَمَّا

غفل يزدرج قتلته النصارى، وأخذ متاعه وألقى جسده في المرغاب، وأصبح أهل مرو فاتبعوا أثره، حتى خفي عليهم عند منزل النصارى، فأخذوه، فأقر لهم بقتله وأخرج متاعه، فقتلوا النصارى وأهل بيته، وأخذوا متاعه ومتاع يزدرج، وأخرجوه من المرغاب فجعلوه في تابوت من خشب.

قال: فزعم بعضهم أنهم حملوه إلى إصطخر فدفن بها في أول سنة إحدى وثلاثين، وسميت مرو خذاه دشمن، وقد كان يزدرج وطيء امرأة بها فولدت له غلاما ذاهب الشق - وذلك بعد ما قتل يزدرج - فسمى المخدج، فولد له أولاد بخراسان، فوجد قتيبة حين افتتح الصغد أو غيرها جارين فقيل له: إنهما من ولد المخدج، فبعث بهما - أو بإحدهما - إلى الحجاج بن يوسف، فبعث بها إلى الوليد بن عبد الملك، فولدت للوليد يزيد بن الوليد الناقص.

قال علي: وأخبرنا روح بن عبد الله، عن خرداذبة الرازي، أن

يزدرج أتى خراسان ومعه خرزادهر، أخو رستم، فقال لماهوية مرزبان مرو: إني قد سلمت إليك الملك ثم أنصرف إلى العراق وأقام يزدرج بمرو، وهم بعزل ماهوية، فكتب ماهويه إلى الترك يخبرهم بانهم يزدرج ويقدمه عليه، وعاهدتهم على مؤازرتهم عليه، وخلي لهم الطريق.

قال: وأقبل الترك إلى مرو، وخرج إليهم يزدرج فيمن معه من أصحابه، فقاتلهم ومعه ماهويه في أساورة مرو، فأثنى يزدرج في الترك، فخشي ماهويه أن ينهزم الترك، فتحول إليهم في أساورة مرو، فانهزم جند يزدرج وقتلوا، وعقر فرس يزدرج عند المساء، ففنى ماشيا هاربا حتى انتهى إلى بيت فيه رجا على شط المرغاب، فمكث فيه ليلتين، فطلبه ماهويه فلم يقدر عليه، فلما أصبح اليوم الثاني دخل صاحب الرجا بيته، فلما رأى هيئة يزدرج قال: ما أنت؟ إنسي أو جني! قال: إنسي، فهل عندك طعام؟ قال: نعم، فأتاه به، فقال: إني مرزم فأتني بما أزمزم به، فذهب الطحان إلى إسوار من الأساورة، فطلب منه ما يزمزم به، قال: وما تصنع به؟ قال: عندي رجل لم أر مثله قط، وقد طلب هذا مني فأدخله على ماهويه، فقال: هذا يزدرج، اذهبوا فجيئوني برأسه، فقال له الموبذ: ليس ذلك لك، قد علمت أن الدين والملك مقترنان لا يستقيم أحدهما إلا بالآخر، ومتى فعلت انتهكت الحرمة التي لا بعدها وتكلم الناس وأعظموا ذلك، فشتهم ماهويه، وقال للأساورة:

من تكلم فاقتلوه وأمر عدة فذهبوا مع الطحان، وأمرهم أن يقتلوا يزدرج، فانطلقوا فلما رأوه كرهوا قتله، وتدافعوا ذلك وقالوا للطحان: ادخل فاقته، فدخل عليه وهو نائم ومعه حجر فشده به رأسه، ثم احتز رأسه، فدفعه إليهم، وألقى جسده في المرغاب ففرج قوم من أهل مرو، فقتلوا الطحان، وهدموا رجا، وخرج أسقف مرو، فأخرج جسد يزدرج من المرغاب، فجعله في تابوت، وحمله إلى إصطخر، فوضعه في ناووس

وقال آخرون في ذلك ما ذكر هشام بن محمد، أنه ذكر له أن يزدرج هرب بعد وقعة نهاوند، وكانت آخر وقعاتهم حتى سقط إلى أرض إصبهان، وبها رجل يقال له مطيار من دهاقينها - وهو المنتدب كان لقتال العرب حين نكلت الأعاجم عنها - فدعاهم إلى نفسه، فقال: إن وليت أموركم وسرت بكم إليهم ما تجعلون لي؟ فقالوا: نقر لك بفضلك فسار بهم، فأصاب من العرب شيئا يسيرا، فحظي به عندهم، ونال به أفضل الدرجات فيهم.

فلما رأى يزدرج أمر إصبهان ونزلها، أتاه مطيار ذات يوم زائرا، فحجبه بوابه، وقال له: قف حتى أستأذن لك عليه، فوثب عليه فشجه أنفة وحمية لحجه إياه، ودخل البواب على يزدرج مدمى، فلما نظر إليه أفضعه ذلك، وركب من ساعته مرتحلا عن إصبهان، وأشير عليه أن يأتي أقصى مملكته فيكون بها، لاشتغال العرب عنه بما هم فيه إلى يوم فسار متوجها إلى ناحية الري، فلما قدمها خرج إليه صاحب طبرستان، وعرض عليه بلاده، وأخبره بحصانتها، وقال له: إن أنت لم تجني يومك هذا ثم أتيتني بعد ذلك لم أقبلك ولم آوك، فأبى عليه يزدرج، وكتب له بالأصبهنية، وكان له فيما خلا عليه درجة أوضع منها.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنْ يَزْدَجِدُ مَضَى مِنْ فُورِهِ ذَلِكَ إِلَى سَجِسْتَانَ، ثُمَّ سَارَ مِنْهَا إِلَى مَرُو فِي أَلْفِ رَجُلٍ مِنَ الْأَسَاوِرَةِ.
وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنْ يَزْدَجِدُ وَقَعَ إِلَى أَرْضِ فَارَسٍ، فَأَقَامَ بِهَا أَرْبَعَ سَنِينَ، ثُمَّ أَتَى أَرْضَ كَرْمَانَ، فَأَقَامَ بِهَا سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ سَنِينَ، فَطَلَبَ إِلَيْهِ دَهْقَانَ كَرْمَانَ أَنْ يَقِيمَ عِنْدَهُ، فَلَمْ يَفْعَلْ، وَطَلَبَ مِنَ الدَّهْقَانِ أَنْ يُعْطِيَهُ رَهِينَةً، فَلَمْ يُعْطِهِ دَهْقَانُ كَرْمَانَ شَيْئًا، فَلَمْ يُعْطِهِ مَا طَلَبَ، فَأَخَذَ بِرِجْلِهِ فَسَجَبَهُ وَطَرَدَهُ عَنْ بِلَادِهِ، فَوَقَعَ مِنْهَا إِلَى سَجِسْتَانَ، فَأَقَامَ بِهَا نَحْوًا مِنْ خَمْسِ سَنِينَ.

ثُمَّ أَجْمَعَ أَنْ يَنْزِلَ خُرَاسَانَ فَيَجْمَعُ الْجُمُوعَ فِيهَا وَيَسِيرَ بِهِمْ إِلَى مَنْ غَلَبَهُ عَلَى مَمْلَكَتِهِ، فَسَارَ بَيْنَ مَعَهُ إِلَى مَرُو، وَمَعَهُ الرِّهْنُ مِنْ أَوْلَادِ الدَّهْقَانِينَ، وَمَعَهُ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ فَرخزَادَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَرُو اسْتَغَاثَ مِنْهُمْ بِالْمُلُوكِ، وَكُتِبَ إِلَيْهِمْ يَسْتَمِدُّهُمْ، وَإِلَى صَاحِبِ الصِّينِ وَمَلِكِ فَرَغَانَةَ وَمَلِكِ كَابُلٍ وَمَلِكِ الْخَزَرِ.

وَالدَّهْقَانُ يَوْمَئِذٍ بَمَرُو مَاهُويَةَ بَنَ مَافَنَاهُ بَنَ فِيدَ أَبُو بَرَّازٍ وَوَكَلَ مَاهُويَةَ ابْنَهُ بَرَّازَ مَدِينَةَ مَرُو- وَكَانَتْ إِلَيْهِ- وَأَرَادَ يَزْدَجِدُ دُخُولَ الْمَدِينَةِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا وَإِلَى قَهْنَدِزَهَا- وَكَانَ مَاهُويَةَ قَدْ تَقَدَّمَ إِلَى ابْنِهِ أَلَا يَفْتَحُهَا لَهُ إِنْ رَامَ دُخُولَهَا تَخَوُّفًا لِمَكْرِهِ وَغَدْرِهِ- فَرَكِبَ يَزْدَجِدُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَرَادَ دُخُولَهَا، فَأَطَافَ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهَا، وَأَرَادَ دُخُولَهَا مِنْهُ صَاحِبُ أَبُو بَرَّازٍ بَرَّازَ: أَنْ يَفْتَحَ- وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَشُدُّ مَنْطِقَتَهُ، وَيَوْمَى إِلَيْهِ أَلَا يَفْعَلُ- وَفُطِنَ لَذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ يَزْدَجِدَ، فَأَعْلَمَهُ ذَلِكَ، وَاسْتَأْذَنَهُ فِي ضَرْبِ عُنُقِ مَاهُويَةَ، وَقَالَ: إِنْ فَعَلْتَ صَفَفْتَ لَكَ الْأُمُورَ بِهَذِهِ النَّاحِيَةِ، فَأَبَى عَلَيْهِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ كَانَ يَزْدَجِدُ وَلَى مَرُو فَرخزَادَ، وَأَمَرَ بَرَّازَ أَنْ يَدْفَعَ الْقَهْنَدِزَ وَالْمَدِينَةَ إِلَيْهِ، فَأَبَى أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَلِكَ، لِأَنَّ مَاهُويَةَ أَبَا بَرَّازٍ تَقْدُمُ إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ، وَقَالَ لَهُمْ: لَيْسَ هَذَا لَكُمْ بِمَلِكٍ، فَقَدْ جَاءَ كَمْ مَقُولًا مَجْرُوحًا، وَمَرُو لَا تَحْتَمِلُ مَا يَحْتَمِلُ غَيْرُهَا مِنَ الْكُورِ، فَإِذَا جِئْتُمْ غَدًا فَلَا تَفْتَحُوا الْبَابَ فَلَمَّا أَتَاهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ، وَانصَرَفَ فَرخزَادَ، فَجُنَّا بَيْنَ يَدَيِ يَزْدَجِدَ، وَقَالَ: اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْكَ مَرُو، وَهَذِهِ الْعَرَبُ قَدْ أَتَيْتُكَ قَالَ:

فَمَا الرَّأْيُ؟ قَالَ: الرَّأْيُ أَنْ نَلْحَقَ بِبِلَادِ التُّرْكِ وَنَقِيمَ بِهَا، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَنَا أَمْرُ الْعَرَبِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَدْعُونَ بِلَدَهُ إِلَّا دُخُلُوهَا قَالَ: لَسْتُ أَفْعَلُ، وَلَكِنِّي أَرْجِعُ عَوْدِي عَلَى بَدْيِي، فَعَصَاهُ وَلَمْ يَقْبَلْ رَأْيَهُ، وَسَارَ يَزْدَجِدُ، فَأَتَى بَرَّازَ دَهْقَانَ مَرُو، وَأَجْمَعَ عَلَى صَرْفِ الدَّهْقَنَةِ إِلَى سَنْجَانَ ابْنِ أَخِيهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مَاهُويَةَ أَبَا بَرَّازٍ، فَعَمِلَ فِي هَلَاكِ يَزْدَجِدَ وَكُتِبَ إِلَى نِزْكَ طَرِخَانَ يُخْبِرُهُ أَنَّ يَزْدَجِدَ وَقَعَ إِلَيْهِ مَقُولًا، وَدَعَاهُ إِلَى الْقُدُومِ عَلَيْهِ لِتَكُونَ أَيْدِيهِمَا مَعًا فِي أَخْذِهِ، وَالْإِسْتِثْقَاءِ مِنْهُ، فَيَقْتُلُوهُ أَوْ يَصَالِحُوا عَلَيْهِ الْعَرَبُ، وَجَعَلَ لَهُ إِنْ هُوَ أَرَاخَهُ مِنْهُ أَنْ يُفِي لَهُ كُلَّ يَوْمٍ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى يَزْدَجِدَ مِمَّا كَرَاهَ لِيُنْحِي عَنْهُ عَامَةً جَنْدَهُ، وَيَحْصِلَ فِي طَائِفَةٍ مِنْ عَسَاكِرِهِ وَخَوَاصِهِ، فَيَكُونُ أَوْضَعُ لِرُكْنِهِ، وَأَهْوَنُ لَشُوكَتِهِ، وَقَالَ: تَعْلَمُهُ فِي كِتَابِكَ إِلَيْهِ الَّذِي عَزَمْتَ عَلَيْهِ، مِنْ مَنَاصِحَتِهِ وَمَعُونَتِهِ عَلَى عَدُوِّهِ مِنَ الْعَرَبِ، حَتَّى يَقْهَرَهُمْ، وَتَطْلُبَ إِلَيْهِ أَنْ يَشْتَقَّ لَكَ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ أَهْلِ الدَّرَجَاتِ بِكُتَابٍ مَحْتَمُومٍ بِالذَّهَبِ، وَتَعْلَمُهُ أَنَّكَ لَسْتَ قَادِمًا عَلَيْهِ حَتَّى يَنْخِي عَنْهُ فَرخزَادَ.

فَكُتِبَ نِزْكَ بِذَلِكَ إِلَى يَزْدَجِدَ، فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُهُ بَعَثَ إِلَى عِظَمَاءِ مَرُو فَاسْتَشَارَهُمْ، فَقَالَ لَهُ سَنْجَانُ: لَسْتُ أَرَى أَنْ تَنْخِي عَنْكَ جَنْدَكَ وَفَرخزَادَ لَشَيْءٍ، وَقَالَ أَبُو بَرَّازٍ: بَلْ أَرَى أَنْ تُتَأَلَّفَ نِزْكَ وَتُجَبِّهَ إِلَى مَا سَأَلَ فَقَبِلَ رَأْيَهُ، وَفَرَّقَ عَنْهُ جَنْدَهُ، وَامْرُ فَرخزَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَجْمَهُ سَرْخَسَ، فَصَاحَ فَرخزَادَ، وَشَقَّ جَبِيهِ، وَتَنَاولَ عُمُودًا بَيْنَ يَدَيْهِ يَرِيدُ ضَرْبَ أَبِي بَرَّازٍ بِهِ، وَقَالَ: يَا قَتْلَةَ الْمُلُوكِ، قَتَلْتُمْ مَلَكَكُمْ، وَأَظُنُّكُمْ قَاتِلِي هَذَا! وَلَمْ يَبْرَحْ فَرخزَادَ حَتَّى كَتَبَ لَهُ يَزْدَجِدُ بِخَطِّ يَدِهِ كِتَابًا: هَذَا كِتَابُ لَفَرخزَادَ، إِنَّكَ قَدْ سَلِمْتَ يَزْدَجِدَ وَأَهْلُهُ وَوَلَدُهُ وَحَاشِيَتُهُ وَمَا مَعَهُ إِلَى مَاهُويَةَ دَهْقَانَ مَرُو وَأَشْهَدُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ.

فَأَقْبَلَ نِزْكَ إِلَى مَوْضِعِ بَيْنِ الْمَرْوِينَ، يُقَالُ لَهُ حَلْسَدَانُ، فَلَمَّا أَجْمَعَ يَزْدَجِدَ عَلَى لِقَائِهِ وَالْمَسِيرِ إِلَيْهِ، أَشَارَ عَلَيْهِ أَبُو بَرَّازٍ أَلَا يَلْقَاهُ فِي السِّلَاحِ فَيَرْتَابُ بِهِ، وَيَنْفِرُ عَنْهُ، وَلَكِنْ يَلْقَاهُ بِالْمِزَامِيرِ وَالْمِلاهِ، فَفَعَلَ فَسَارَ فِيمَنْ أَشَارَ عَلَيْهِ مَاهُويَةَ، وَسَمِيَ لَهُ، وَتَقَاعَسَ عَنْهُ أَبُو بَرَّازٍ، وَكَرَدَسَ نِزْكَ أَصْحَابَهُ كَرَادِيسَ.

فَلَمَّا تَدَانِيَا اسْتَقْبَلَهُ نِزْكَ مَاشِيًا، وَيَزْدَجِدَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَأَمَرَ لِنِزْكَ بِجَنْبِيَةٍ مِنْ جَنْائِهِ فَرَكَبَهَا، فَلَمَّا تَوَسَّطَ عَسَاكِرَهُ تَوَاقَفَا، فَقَالَ لَهُ نِزْكَ

فِيمَا يَقُولُ: زوجني إحدى بناتك وأناصحك، وأقاتل معك عدوك فَقَالَ لَهُ يزدجرد: وعلي تجترئ أيها الكلب! فعلاه نيزك بخفقتة، وصاح يزدجرد: غدر الغادر! وركض منهزماً، ووضع أَصْحَابُ نيزكُ سيوفهم فيهم، فأكثرُوا قَتْلَهمُ وانتهى يزدجرد من هزيمته إلى مكان من أرض مرو، فنزل عن فرسه، ودخل بيت طحان فمكث فيه ثلاثة أيام، فَقَالَ لَهُ الطحان: أيها الشقي، اخرج فاطعم شيئاً، فإنك قد جعت منذ ثلاث، قال: لست

أصل إلى ذلك إلا بزمزمة وكان رجل من زمازمة مرو أخرج حنطة له ليطحنها، فكله الطحان أن يزمزم عنده ليأكل، ففعل ذلك، فلما انصرف سمع أبا براز يذكر يزدجرد، فسألهم عن حليته، فوصفوه له، فأخبرهم أنه رآه في بيت طحان، وهو رجل جعد مقرون حسن الثنايا، مقرط مسور.

فوجه إليه عند ذلك رجلاً من الأساورة، وأمره إن هو ظفر به أن يخنقه بوتر، ثم يطرحه في نهر مرو، فلقوا الطحان، فضر به ليدل عليه فلم يفعل، وحدهم أن يكون يعرف أين توجه فلما أرادوا الانصراف عنه قال لهم رجل منهم: إني أجد ربح المسك، ونظر إلى طرف ثوبه من ديباج في الماء، فاجتذبه إليه، فإذا هو يزدجرد، فسأله ألا يقتله ولا يدل عليه، ويجعل له خاتمه وسواره ومنطقته، قال الآخر: أعطني أربعة دراهم وأخلي عنك، قال يزدجرد: ويحك خاتمي لك، وثنه لا يحصى! فأبى عليه، قال يزدجرد: قد كنت أخبرني سأحتاج إلى أربعة دراهم، وأضطر إلى أن يكون أكلي أكل الهر، فقد عاينت، وجاءني بحقيقته، وانتزع أحد قرطيه فأعطاه الطحان مكافأة له لكتمانته عليه، ودنا منه كأنه يكلمه بشيء، فوصف له موضعه، وأذّر الرجل أصحابه، فأتوه، فطلب إليهم يزدجرد ألا يقتلوه وقال: ويحكم! إنا نجد في كتبنا أن من اجترأ على قتل الملوك عاقبه الله بالحريق في الدنيا، مع ما هو قادم عليه، فلا تقتلوني وآتوني الدهقان أو سرحوني إلى العرب، فإنهم يستحيون مثلي من الملوك، فأخذوا ما كان عليه من الحلي، فجعلوه في جراب، وختموا عليه، ثم خنقوه بوتر، وطرحوه في نهر مرو، فجرى به الماء حتى انتهى إلى فوهة الرزق، فتعلق بعود، فأثاه أسقف مرو، فحمله ولفه في طيلسان ممسك، وجعله في تابوت، وحمله إلى باب أسفل ماجان، فوضعه في عقد كان يكون مجلس الأسقف فيه وردمه، وسأل أبو براز عن أحد القرطين حين افتقده، فأخذ الذي دل عليه فضر به حتى أتى على نفسه، وبعث بما أصيب له إلى الخليفة يومئذ، فأغرم الخليفة الدهقان قيمة القرط المفقود

وقال آخرون: بل سار يزدجرد من كرمان قبل ورود العرب إليها، فأخذ على طريق الطبسين وقهستان، حتى شارف مرو في زهاء أربعة آلاف رجل، ليجمع من أهل خراسان جموعاً، ويكر إلى العرب ويقاثلهم، فتلقاه قائدان متباغضان متحاسدان كانا بمرو، يقال لأحدهما براز والآخر سنجان، ومنحاه الطاعة، وأقام بمرو، وخص براز فحسده ذلك سنجان، وجعل براز يبغى سنجان الغوائل، ويوغل صدر يزدجرد عليه، وسعى بسنجان حتى عزم على قتله، وأفشى ما كان عزم عليه من ذلك إلى امرأة من نسائه كان براز واطأها، فأرسلت إلى براز بنسوة زعمت بإجماع يزدجرد على قتل سنجان، وفشا ما كان عزم عليه يزدجرد من ذلك فنذر سنجان، وأخذ حذره، وجمع جمعا كنعوا أصحاب براز، ومن كان مع يزدجرد من الجند، وتوجه نحو القصر الذي كان يزدجرد نازله وبلغ ذلك براز، فنكص عن سنجان لكثرة جموعه، ورعب جمع سنجان يزدجرد وأخافه، فخرج من قصره متنكراً، ومضى على وجهه راجلاً لينجو بنفسه، فمضى نحواً من فرسخين حتى وقع إلى رحا ما، فدخل بيت الرحا، فجلس فيه كالا لعباً، فرآه صاحب الرحا ذا هيئة وطرة وبزة كريمة، ففرش له، فجلس وأثاه بطعام فطعم، ومكث عنده يوماً وليلة، فسأله صاحب الرحا أن يأمر له بشيء، فبذل له منطقة مكللة بجوهر كانت عليه، فأبى صاحب الرحا أن يقبلها، وقال: إنما كان يرضيني من هذه المنطقة أربعة دراهم كنت أطعم بها وأشرب، فأخبره أنه لا ورق معه، فتملقه صاحب الرحا، حتى إذا غفا قام إليه بفأس له فضر بها هامته فقتله، واحتز رأسه، وأخذ ما كان عليه من ثياب ومنطقة، وألقى جيفته في النهر الذي كان تدور بمائه رحاه، وبقر بطنه، وأدخل فيه أصولاً من أصول طرفاء كانت نابتة في ذلك النهر لتحبس جثته في الموضع الذي ألقاه فيه، فلا يسفل فيعرف ويطلب قاتله وما أخذ من سلبه، وهرب على وجهه.

وبلغ قتل يزدجرد رجلا من أهل الأهواز كَانَ مطرانا عَلَى مرو،

٤٠١٦٠٣ شخص عبد الله بن عامر إلى خراسان وما قام به من فتوح

يقال لَهُ إيلياء، فجمع من كَانَ قبله من النصارى، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ ملك الفرس قَدْ قتل، وَهُوَ ابن شهریار بن كسرى، وإنما شهریار ولد شيرين المؤمنة الَّتِي قَدْ عرفتْ حقها وإحسانها إِلَى أهل ملتها مِنْ غَيْر وجه، ولهذا الملك عنصر في النصرانية مع مَا نال النصارى فِي ملك جده كسرى من الشرف، وقبل ذَلِكَ فِي مملكة ملوك من أسلافه من الخير، حَتَّى بنى لَهُمْ بعض البيع، وسدد لَهُمْ بعض ملتهم، فينبغي لنا أن نخزن لقتل هذا الملك من كرامته بقدر إحسان أسلافه وجدته شيرين، كَانَ إِلَى النصارى، وَقَدْ رأيت أن أبني لَهُ ناووسا، وأحمل جثته فِي كرامة حَتَّى أوارىها فِيهِ.

فَقَالَ النصارى: أمرنا لأمرِك أيها المطران تبع، ونحن لك عَلَى رأيك هذا مواطنون فأمر المطران فبني فِي جوف بستان المطارنة بمرو ناووسا، ومضى بنفسه وَمَعَهُ نصارى مرو حَتَّى استخرج جثة يزدجرد من النهر وكفنها، وجعلها فِي تابوت، وحمله من كَانَ مَعَهُ من النصارى على عواتقهم حتى أتوا به الناووس الذي أمر ببنائه لَهُ وواروه فِيهِ، وردموا بابه، فكان ملك يزدجرد عشرين سنة، منها أربع سنين فِي دعة وست عشرة سنة فِي تعب من محاربة العرب إِيَّاهُ وغلظتهم عَلَيْهِ.

وَكَانَ آخر ملك ملك من آل أردشير بن بابك، وصفا الملك بعده للعرب

. شخص عبد الله بن عامر الى خراسان وما قام به من فتوح

وفي هذه السنة- أعني سنة إحدى وثلاثين- شخص عبد الله بن عامر إِلَى خُرَاسَانَ ففتح ابرشهر وطوس وبيورد ونسا حَتَّى بلغ سرخس، وصالح فِيهَا أهل مرو.

ذكر الخير عن ذَلِكَ:

ذكر أن ابن عامر لما فتح فارس قام إِلَيْهِ أوس بن حبيب التيمي، فَقَالَ:

أصلح الله الأمير! إن الأرض بين يديك، ولم تفتتح من ذَلِكَ إِلَّا القليل، فسر فإن الله ناصرك، قال: او لم نأمر بالمسير! وكره أن يظهر أنه قبل

رأيه، فذكر عَلَى بن مُحَمَّد أن مسلمة بن محارب أخبره عن السكن بن قتادة العريني، قَالَ: فتح ابن عامر فارس ورجع إِلَى البصرة، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى إصطخر شريك بن الأعور الحارثي، فبنى شريك مسجد إصطخر، فدخل عَلَى ابن عامر رجل من بني تميم، قَالَ: كنا نقول: إنه الأحنف- ويقال:

أوس بن جابر الجشمي جشم تميم- فَقَالَ لَهُ: إن عدوك مِنْكَ هارب، وَهُوَ لك هائب، والبلاد واسعة، فسر فإن الله ناصرك، ومعز دينه. فتجهز ابن عامر، وأمر الناس بالجهاز للمسير، واستخلف عَلَى البصرة زيادا، وسار إِلَى كَرْمَانَ، ثُمَّ أَخَذَ إِلَى خُرَاسَانَ، فقوم يقولون: أخذ طريق إصبهان، ثُمَّ سار إِلَى خُرَاسَانَ.

قَالَ علي: أَخْبَرَنَا المفضل الكرماني، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ أشياخ كَرْمَانَ يذكرون أن ابن عامر نزل المعسكر بالسيرجان، ثُمَّ سار إِلَى خُرَاسَانَ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى كَرْمَانَ مجاشع بن مسعود السلمي، وأخذ ابن عامر على مفازة رابر، وَهِيَ ثمانون فرسخا، ثُمَّ سار إِلَى الطبيين يريد أبرشهر، وَهِيَ مدينة نيسابور، وعلى مقدمته الأحنف بن قيس، فأخذ إِلَى قهستان، وخرج إِلَى أبرشهر فلقية الهياطلة، وهم أهل هراة، فقاتلهم الأحنف فهزمهم، ثُمَّ أتى ابن عامر نيسابور قَالَ علي: وأخبرنا أَبُو مخنف، عن غير بن وعلة، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ:

أخذ ابن عامر عَلَى مفازة خبيص، ثُمَّ عَلَى خواست- ويقال: عَلَى يزد- ثُمَّ عَلَى قهستان، فقدم الأحنف فلقية الهياطلة، فقاتلهم فهزمهم، ثُمَّ أتى أبرشهر، فنزلها ابن عامر، وَكَانَ سَعِيد بن العاصِ فِي جند أهل الكوفة، فَأَتَى جُرْجَانَ وَهُوَ يريد خُرَاسَانَ، فلما بلغه نزول ابن عامر

أَبْرَشَهْر، رَجَعَ إِلَى الْكُوفَةِ.

قَالَ عَلِيٌّ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ، قَالَ: نَزَلَ ابْنُ عَامِرٍ عَلَى أَبْرَشَهْرٍ فَغَلَبَ عَلَى نَصْفِهَا عَنُوةً، وَكَانَ النِّصْفُ الْآخِرُ فِي يَدِ كَثَارَى، وَنِصْفُ نَسَا وَطُوسٍ، فَلَمْ يَقْدِرْ ابْنُ عَامِرٍ أَنْ يَجُوزَ إِلَى مَرَوْ، فَصَالِحُ كَثَارَى، فَأَعْطَاهُ ابْنَهُ أَبَا الصَّلْتِ ابْنَ كَثَارَى وَابْنَ أَخِيهِ سَلِيمًا رَهْنًا، وَوَجْهَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ إِلَى هَرَاةٍ

وَحَاتِمِ بْنِ النُّعْمَانِ إِلَى مَرَوْ، فَأَخَذَ ابْنُ عَامِرٍ ابْنَ كَثَارَى، فَصَارَا إِلَى النُّعْمَانِ ابْنِ الْأَفْقَمِ النَّصْرِيِّ فَأَعْتَقَهُمَا. قَالَ عَلِيٌّ: وَأَخْبَرَنَا أَبُو حَفْصٍ الْأَزْدِيُّ، عَنْ إِدْرِيسَ بْنِ حَنْظَلَةَ الْعَمِيِّ، قَالَ: فَتَحَ ابْنُ عَامِرٍ مَدِينَةَ أَبْرَشَهْرٍ عَنُوةً، وَفَتَحَ مَا حَوْلَهَا طُوسَ وَبِيرُودَ وَنَسَا وَحِمْرَانَ، وَذَلِكَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ.

قَالَ عَلِيٌّ: أَخْبَرَنَا أَبُو السَّرِيِّ الْمُرُوزِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ مُوسَى بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ يَقُولُ: أَبِي صَالِحُ أَهْلِ سِرْخَسٍ، بَعَثَهُ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ مِنْ أَبْرَشَهْرٍ وَصَالِحُ ابْنِ عَامِرٍ أَهْلَ أَبْرَشَهْرٍ صِلْحًا، فَأَعْطَوْهُ جَارِيَتَيْنِ مِنْ آلِ كَسْرَى بَابُونَجٍ وَطَهْمِيَجٍ - أَوْ طَهْمِيَجٍ - فَاقْبَلَ بِهِمَا مَعَهُ، وَبَعَثَ أَمِينَ ابْنَ أَحْمَرَ الْيَشْكِرِيَّ، فَفَتَحَ مَا حَوْلَ أَبْرَشَهْرٍ: طُوسَ وَبِيرُودَ وَنَسَا وَحِمْرَانَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى سِرْخَسٍ. قَالَ عَلِيٌّ: وَأَخْبَرَنَا الصَّلْتُ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ:

بَعَثَ ابْنُ عَامِرٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَازِمٍ إِلَى سِرْخَسٍ، فَفَتَحَهَا وَأَصَابَ ابْنَ عَامِرٍ جَارِيَتَيْنِ مِنْ آلِ كَسْرَى، فَأَعْطَى إِحْدَاهُمَا النُّوشْجَانَ، وَمَاتَ بَابُونَجٌ.

قَالَ عَلِيٌّ: وَأَخْبَرَنَا أَبُو الذِّيَالِ زَهِيرُ بْنُ هَنِيْدِ الْعَدَوِيِّ، عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْ أَهْلِ خُرَّاسَانَ، أَنَّ ابْنَ عَامِرٍ سَرَحَ الْأَسُودَ بْنَ كَلْثُومِ الْعَدَوِيِّ - عَدِيَّ الرَّبَابِ - إِلَى بَهَقٍ، وَهُوَ مِنْ أَبْرَشَهْرٍ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَدِينَةِ أَبْرَشَهْرٍ سِتَّةُ عَشَرَ فَرَسَخًا، فَفَتَحَهَا وَقَتَلَ الْأَسُودَ بْنَ كَلْثُومٍ قَالَ: وَكَانَ فَاضِلًا فِي دِينِهِ، كَانَ مِنْ أَصْحَابِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَنْبَرِيِّ وَكَانَ عَامِرٌ يَقُولُ بَعْدَ مَا أُخْرِجَ مِنَ الْبَصْرَةِ: مَا آسَى مِنَ الْعِرَاقِ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا عَلَى مَاءِ الْهَوَاجِرِ، وَتَجَاوِبِ الْمُؤَذِّنِينَ، وَإِخْوَانِ مِثْلِ الْأَسُودِ بْنِ كَلْثُومٍ.

قَالَ عَلِيٌّ: وَأَخْبَرَنَا زَهِيرُ بْنُ هَنِيْدٍ، عَنْ بَعْضِ عُمُومَتِهِ، قَالَ: غَلَبَ ابْنُ عَامِرٍ عَلَى نَيْسَابُورٍ، وَخَرَجَ إِلَى سِرْخَسٍ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَهْلِ مَرَوْ يَطْلُبُ

الْصِّلْحَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ ابْنَ عَامِرٍ حَاتِمُ بْنُ النُّعْمَانِ الْبَاهِلِيُّ، فَصَالِحُ بَرَّازِ مَرْزَبَانَ مَرَوْ عَلَى أَلْفِي أَلْفٍ وَمِائَتِي أَلْفٍ. قَالَ: فَأَخْبَرَنَا مُصْعَبُ بْنُ حِيَانَ عَنْ أَخِيهِ مِقَاتِلِ بْنِ حِيَانَ، قَالَ: صَالِحُهُمْ عَلَى سِتَّةِ آلَافٍ أَلْفٍ وَمِائَتِي أَلْفٍ. وَجَّجَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٤٠١٧ سنه اثنتين وثلاثين

ثم دخلت

سنة اثنتين وثلاثين

(ذَكَرَ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَحْدَاثِ الْمَذْكُورَةِ) فَمِنْ ذَلِكَ غَزْوَةُ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ الْمُضَيِّقِ، مُضَيِّقِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ عَاتِكَةُ ابْنَةُ قَرْطَةَ بْنِ عَبْدِ عَمْرِو بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنْفٍ.

وَقِيلَ: فَاخْتَتَمَتْ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَنْ ذَكَرِهِ، عَنْ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ، وَهُوَ قَوْلُ الْوَاقِدِيِّ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَعْمَلَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ سُلَيْمَانَ بْنَ رَبِيعَةَ عَلَى فَرَجِ بَلَنْجَرٍ، وَأَمَدَ الْجَيْشَ الَّذِي كَانَ بِهِ مَقِيمًا مَعَ حُدَيْفَةَ بِأَهْلِ الشَّامِ، عَلَيْهِمْ حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْفَهْرِيُّ - فِي قَوْلِ سَيْفٍ - فَوَقَعَ فِيهَا اخْتِلَافٌ بَيْنَ سُلَيْمَانَ وَحَبِيبٍ فِي الْأَمْرِ، وَتَنَازَعَ فِي ذَلِكَ أَهْلُ الشَّامِ وَأَهْلُ الْكُوفَةِ.

ذكر الخبر بذلك:

فَمَا كَتَبَ بِهِ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ قَالَا: كَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى سَعِيدٍ: أَنَّ أَغْرَ سُلَيْمَانَ الْبَابَ، وَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَيْبَعَةَ وَهُوَ عَلَى الْبَابِ: أَنَّ الرَّعِيَّةَ قَدْ أَبْطَرَتْ كَثِيرًا مِنْهُمْ الْبُطْنَةُ، فَقَصِّرْ، وَلَا تَقْتَحِمِ بِالْمُسْلِمِينَ، فَإِنِّي خَاشٍ أَنْ يُبْتَلَوْا، فَلَمْ يَزَجِرْ ذَلِكَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ عَنْ غَايَتِهِ، وَكَانَ لَا يَقْصِرُ عَنْ بَلَنْجَرٍ، فَغَزَا سَنَةَ تِسْعٍ مِنْ إِمَارَةِ عُثْمَانَ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَلَنْجَرَ، حَصَرُوهَا وَنَصَبُوا عَلَيْهَا الْمَجَانِيقَ وَالْعَرَادَاتِ، فَجَعَلَ لَا يَدْنُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا أَعْنَتُوهُ أَوْ قَتَلُوهُ، فَأَسْرَعُوا فِي النَّاسِ، وَقَتَلَ مَعْضِدٌ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ.

إِنَّ التُّرْكَ اتَّعَدُوا يَوْمًا، خَفَّجَ أَهْلُ بَلَنْجَرٍ، وَتَوَافَتْ إِلَيْهِمُ التُّرْكَ فَاقْتَتَلُوا، فَأُصِيبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رَيْبَعَةَ - وَكَانَ يُقَالُ لَهُ ذُو الثُّورِ - وَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ فَتَفَرَّقُوا، فَأَمَّا مَنْ أَخَذَ طَرِيقَ سُلَيْمَانَ بْنِ رَيْبَعَةَ فَحَمَاهُ حَتَّى خَرَجَ

مِنَ الْبَابِ، وَأَمَّا مَنْ أَخَذَ طَرِيقَ الْخَزَرِ وَبِلَادِهَا، فَإِنَّهُ خَرَجَ عَلَى جِيلَانَ وَجَرَجَانَ وَفِيهِمْ سُلَيْمَانُ الْفَارِسِيُّ وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَأَخَذَ الْقَوْمُ جَسَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَجَعَلُوهُ فِي سَفْطٍ، فَبَقِيَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَهُمْ يَسْتَسْقُونَ بِهِ إِلَى الْيَوْمِ وَيَسْتَنْصِرُونَ بِهِ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ يَزِيدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: وَاللَّهِ لِسُلَيْمَانَ بْنِ رَيْبَعَةَ كَانَ أَبْصَرَ بِالْمُضَارِبِ مِنَ الْجَازِرِ بِمَفَاصِلِ الْجُزُورِ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ الْغُصَنِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي كَثَّانَةَ، قَالَ: لَمَّا تَنَابَعَتِ الْغَزَاوَاتُ عَلَى الْخَزَرِ، وَتَذَامَرُوا وَتَعَارَبُوا وَقَالُوا: كَمَا أُمَّةٌ لَا يَقْرَنُ لَنَا أَحَدٌ حَتَّى جَاءَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْقَلِيلَةُ، فَصَرْنَا لَا نَقُومُ لَهَا فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنْ هَؤُلَاءِ لَا يَمُوتُونَ، وَلَوْ كَانُوا يَمُوتُونَ لَمَّا اقْتَحَمُوا عَلَيْنَا وَمَا أُصِيبَ فِي غَزَوَاتِهَا أَحَدٌ إِلَّا فِي آخِرِ غَزْوَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقَالُوا: أَفَلَا تَجْرِبُونَ! فَكُنُوا فِي الْغِيَاضِ، فَرِ بَأُولَئِكَ الْكَمِينَ مَرَارَ مِنَ الْجَنْدِ، فَرَمَوْهُمْ مِنْهَا، فَفَقَتَلُوهُمْ، فَوَاعَدُوا رِءُوسَهُمْ، ثُمَّ تَدَاعَوْا إِلَى حَرْبِهِمْ، ثُمَّ اتَّعَدُوا يَوْمًا، فَاقْتَتَلُوا، فَقَتَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَسْرَعَ فِي النَّاسِ فَاقْتَرَقُوا فَرَقَيْنِ، فَرَفَقَ نَحْوَ الْبَابِ فَحَمَاهُمْ سُلَيْمَانُ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ، وَفَرَّقَ أَخَذُوا نَحْوَ الْخَزَرِ، فَطَلَعُوا عَلَى جِيلَانَ وَجَرَجَانَ، فِيهِمْ سُلَيْمَانُ الْفَارِسِيُّ وَأَبُو هُرَيْرَةَ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ الْمُسْتَنِيرِ بْنِ يَزِيدٍ، عَنْ أَخِيهِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ: قَالَ كَانَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَعَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ وَمَعْضِدُ الشَّيْبَانِيِّ وَأَبُو مَفْزَرٍ التَّمِيمِيُّ فِي خَبَاءٍ، وَعَمْرُو بْنُ عَتَبَةَ وَخَالِدُ بْنُ رَيْبَعَةَ وَالْحُلْحُلُحُ بْنُ ذَرِيٍّ وَالْقَرْنَعُ فِي خَبَاءٍ، وَكَانُوا مُتَجَاوِرِينَ فِي عَسْكَرِ بَلَنْجَرٍ، وَكَانَ الْقَرْنَعُ يَقُولُ: مَا أَحْسَنَ لَمَعَ الدَّمَاءِ عَلَى الثِّيَابِ! وَكَانَ عَمْرُو بْنُ عَتَبَةَ يَقُولُ لِقَبَاءٍ عَلَيْهِ أَيْضًا: مَا أَحْسَنَ حِمْرَةَ الدَّمَاءِ فِي بَيَاضِكَ! وَغَزَا أَهْلَ الْكُوفَةِ بَلَنْجَرَ سَنِينَ مِنْ إِمَارَةِ عُثْمَانَ لَمْ تَمْ فِيهِنَّ امْرَأَةٌ، وَلَمْ يَيْتَمِ فِيهِنَّ صَبِيٌّ مِنْ قَتْلِ، حَتَّى كَانَ سَنَةَ تِسْعٍ، فَلَمَّا كَانَ سَنَةَ تِسْعٍ قَبْلَ

الْمَزَاحِفَةِ بَيَوْمِينَ رَأَى يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ أَنَّ غَزَالَ جَاءَ بِهِ إِلَى خَبَائِهِ، لَمْ يَرِ غَزَالَ أَحْسَنَ مِنْهُ حَتَّى لَفَّ فِي مَلْحَفَتِهِ، ثُمَّ أَتَى بِهِ قَبْرَ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَفْرَاقٍ لَمْ يَرِ قَبْرًا أَشَدَّ اسْتِوَاءً مِنْهُ وَلَا أَحْسَنَ مِنْهُ، حَتَّى دَفَنَ فِيهِ، فَلَمَّا تَغَادَى النَّاسُ عَلَى التُّرْكِ رَمَى يَزِيدُ بِحَجَرٍ، فَهَشَمَ رَأْسَهُ، فَكَأَنَّمَا زَيْنُ ثَوْبِهِ بِالْدَّمَاءِ زِينَةً، وَلَيْسَ يَتَلَطَّخُ، فَكَانَ ذَلِكَ الْغَزَالُ الَّذِي رَأَى، وَكَانَ بِذَلِكَ الدَّمُ عَلَى ذَلِكَ الْقَبَاءِ الْحَسَنِ، فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ الْمَزَاحِفَةِ يَوْمَ تَغَادَوْا، فَقَالَ مَعْضِدٌ لَعَلْقَمَةَ: أَعْرَنِي بِرَدِّكَ أَعْصَبَ بِهِ رَأْسِي، فَفَعَلَ، فَأَتَى الْبَرْجَ الَّذِي أُصِيبَ فِيهِ يَزِيدُ، فَرَمَاهُمْ فَقَتَلَ مِنْهُمْ، وَرَمَى بِحَجَرٍ فِي عَرَادَةٍ، فَفَضَخَ هَامَتَهُ، وَاجْتَرَهُ أَصْحَابُهُ فَدَفَنُوهُ إِلَى جَنْبِ يَزِيدٍ، وَأَصَابَ عَمْرُو بْنُ عَتَبَةَ جَرَاخَةٌ، فَرَأَى قَبَاءَهُ كَمَا اشْتَبَى.

وَقَتَلَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْمَزَاحِفَةِ قَاتَلَ الْقَرْنَعُ حَتَّى خَرَقَ بِالْحَرَابِ، فَكَأَنَّمَا كَانَ قَبَاؤُهُ ثَوْبًا أَرْضَهُ بَيْضَاءَ وَوَشِيَهُ أَحْمَرَ، وَمَا زَالَ النَّاسُ ثُبُوتًا حَتَّى أُصِيبَ، وَكَانَتْ هَزِيمَةُ النَّاسِ مَعَ مَقْتَلِهِ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ يَزِيدٍ، قَالَ: كَانَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ النَّخَعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَمْرُو بْنُ عَتَبَةَ وَمَعْضِدُ أَصِيبُوا يَوْمَ بَلَنْجَرٍ، فَأَمَّا مَعْضِدٌ فَإِنَّهُ اعْتَجَرَ بِبَرْدٍ لَعَلْقَمَةَ، فَأَتَاهُ شَطِيطَةٌ مِنْ حَجَرٍ مِنْجَنِيْقٍ فَأَمَّهُ، فَاسْتَصْغَرَهُ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَمَاتَ

فغسل دمه علقمة، فلم يخرج، وَكَانَ يحضر فيه الجمعة، وَقَالَ يحرضني عليه: إن فيه دم معضد فأما عمرو فلبس قباء أبيض، وَقَالَ: مَا أحسن الدم على هذا! فأتاه حجر فقتله، وملاه دماً، وأما يزيد فدلي عليه شيء فقتله، وَقَدْ كَانُوا حَفَرُوا قَبْرًا فَأَعَدُوهُ، فنظر إليه يزيد، فَقَالَ: مَا أحسنه! وأرى فيما يرى النائم أن غزالاً لم ير غزال أحسن منه، جيء به حتى دفن فيه، فكان هو ذلك الغزال وَكَانَ يزيد رقيقاً جميلاً رحمه الله، وبلغ ذلك عثمان، فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون! انتكث أهل الكوفة اللهم تب عليهم وأقبل بهم. كَتَبَ إِلَى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قَالَا: استعمل سعيد على ذلك الفرج سلمان بن ربيعة، واستعمل على الغزو بأهل الكوفة حذيفة بن اليمان، وَكَانَ على ذلك الفرج قبل ذلك عبد الرحمن بن ربيعة، وأمدهم عثمان في سنة عشر بأهل الشام، عليهم حبيب بن مسلمة القرشي، فتأمر عليه سلمان، وأبى عليه حبيب، حتى قَالَ أهل الشام: لقد هممنا بضرب سلمان، فَقَالَ فِي ذَلِكَ الناس: إِذَا وَاللَّهِ نضرب حبيبا ونحبسه، وإن أيتم كثرت القتلى فيكم وفينا. وَقَالَ أوس بن مغراء في ذلك:

إن تضربوا سلمان نضرب حبيبكم ... وإن ترحلوا نحو ابن عفان نرحل

وإن تقسطوا فالثغر ثغر أميرنا ... وهذا أمير في الكائب مقبل

ونحن ولادة الثغر كما حماته ... ليالي نرمي كل ثغر ونكل

فأراد حبيب أن يتأمر على صاحب الباب كما كَانَ يتأمر أمير الجيش إذا جاء من الكوفة، فلما أحس حذيفة أقر وأقروا، فغزاها حذيفة ابن اليمان ثلاث غزوات، فقتل عثمان في الثالثة، ولقيهم مقتل عثمان، فَقَالَ:

اللهم العن قتلة عثمان وغزاة عثمان وشناة عثمان اللهم إنا كنا نعاتبه ويعاتبنا، متى مَا كَانَ من قبله يعاتبنا ونعاتبه! فاتخذوا ذلك سلماً إلى الفتنة، اللهم لا تتمهم إلا بالسيوف وفي هذه السنة مات عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، زعم الواقدي أن عبد الله بن جعفر حدثه بذلك عن يعقوب بن عتبة، وأنه يوم مات كَانَ ابن خمس وسبعين سنة.

قَالَ: وفيها مات العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ ابن ثمان وثمانين سنة، وَكَانَ أَسْن من رَسولِ الله ص بثلاث سنين.

قَالَ: وفيها مات عبد الله بن زيد بن عبد ربه رحمه الله، الذي أرى الأذان

٤٠١٧٠١ ذكر الخبر عن وفاه أبي ذر

قَالَ: وفيها توفي عبد الله بن مسعود بالمدينة، فدفن بالبقيع رحمه الله فَقَالَ قائل: صلى عليه عمار، وَقَالَ قائل: صلى عليه عثمان.

وفيها مات أبو طلحة رحمه الله.

ذكر الخبر عن وفاه أبي ذر

قال: وفيها مات أبو ذر رضي الله عنه في رواية سيف ذكر الخبر عن وفاته:

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية عن يزيد الفقعي، قال: لما حَضَرَتْ أَبَا ذَرٍّ الْوَفَاةَ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ إِمَارَةِ عُثْمَانَ، نَزَلَ بِأَبِي ذَرٍّ، فَلَمَّا أَشْرَفَ قَالَ لِابْنَتِهِ: اسْتَشْرِي يَا بِنْتِي فَاَنْظُرِي هَلْ تَرَيْنَ أَحَدًا! قَالَتْ: لَا، قَالَ: فَمَا جَاءَتْ سَاعَتِي بَعْدُ، ثُمَّ أَمَرَهَا فَدَبَحَتْ شَاةً، ثُمَّ طَبَخَتْهَا، ثُمَّ قَالَ: إِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يَدْفِنُونَ فَقُولِي لَهُمْ: إِنَّ أَبَا ذَرٍّ يُقْسِمُ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَرْكَبُوا حَتَّى تَأْكُلُوا، فَلَمَّا نَضِجَتْ قَدْرَهَا قَالَ لَهَا: اَنْظُرِي هَلْ تَرَيْنَ أَحَدًا؟ قَالَتْ: نَعَمْ، هَؤُلَاءِ رَكْبٌ مُقْبِلُونَ، قَالَ:

اسْتَقْبِلِي بِي الْكَعْبَةَ فَفَعَلَتْ، وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، وَبِاللَّهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ص ثُمَّ خَرَجَتْ ابْنَتُهُ فَتَلَقَتْهُمْ وَقَالَتْ: رَحِمَكُمُ اللَّهُ! اشْهَدُوا أَبَا ذَرٍّ قَالُوا: وَإِنْ هُوَ؟ فَأَشَارَتْ لَهُمْ إِلَيْهِ وَقَدْ مَاتَ - فَادْفَنُوهُ، قَالُوا:

نَعَمْ وَنِعْمَةٌ عَيْنٍ! لَقَدْ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِذَلِكَ، وَإِذَا رَكِبُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فِيهِمْ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَمَلُّوا إِلَيْهِ وَابْنُ مَسْعُودٍ يَبْكِي وَيَقُولُ: [صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ص: يَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيَبْعَثُ وَحْدَهُ،] فَنَسَلُوهُ وَكَفَّنُوهُ وَصَلُّوا عَلَيْهِ وَدَفَنُوهُ، فَلَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَرْتَحِلُوا قَالَتْ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا ذَرٍّ يَقْرَأُ عَلَيْكُمْ السَّلَامَ، وَأَقْسَمَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَرْكَبُوا حَتَّى تَأْكُلُوا، فَفَعَلُوا، وَحَمَلُوهُمْ حَتَّى أَقْدَمُوهُمْ مَكَّةَ، وَنَعَوْهُ إِلَى عُثْمَانَ، فَضَمَّ ابْنَتَهُ إِلَى عِيَالِهِ، وَقَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ، وَيَغْفِرُ لِرَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ سُكُونَهُ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ الصَّلْتِ،

٤٠١٧٠٢ فتح مرو رود والطارقان والفارياب والجوزجان وطخارستان

عَنْ رَجُلٍ، عَنْ كَلْبِ بْنِ الْحَلَّاحِ، عَنِ الْحَلَّاحِ بْنِ ذَرٍّ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ ابْنِ مَسْعُودٍ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَنَحْنُ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ رَاكِبًا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى الرَّبْذَةِ فَإِذَا امْرَأَةٌ قَدْ تَلَقَّتْنَا، فَقَالَتْ: أَشْهَدُوا أَبَا ذَرٍّ وَمَا شَعَرْنَا بِأَمْرِهِ وَلَا بَلَّغْنَا- فَقُلْنَا: وَإِنَّ أَبَا ذَرٍّ فَأُشَارَتْ إِلَى خَبَاءٍ، فَقُلْنَا: مَا لَهُ؟ قَالَتْ: فَارَقَ الْمَدِينَةَ لِأَمْرِ قَدْ بَلَغَهُ فِيهَا، فَفَارَقَهَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: مَا دَعَاهُ إِلَى الْأَعْرَابِ؟ فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ كَرِهَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَقُولُ:

هِيَ بَعْدُ، وَهِيَ مَدِينَةٌ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ إِلَيْهِ وَهُوَ يَبْكِي، فَنَسَلْنَاهُ وَكَفَّنَاهُ، وَإِذَا خَبَاءٌ مَنُضُوحٌ بِمِسْكِ، فَقُلْنَا لِلْمَرْأَةِ: مَا هَذَا؟ فَقَالَتْ: كَانَتْ مِسْكَةً، فَلَمَّا حَضَرَ قَالَ: إِنَّ الْأَمِيَّتَ يَحْضُرُهُ شُهَدَاءُ يَجِدُونَ الرِّيحَ، وَلَا يَأْكُلُونَ، فَدُفِنِي تِلْكَ الْمِسْكَةَ بِمَاءٍ، ثُمَّ رُسِّي بِهَا الْخَبَاءَ فَأَقْرِبِهِمْ رِيحَهَا، وَأَطْبِخِي هَذَا اللَّحْمَ، فَإِنَّهُ سَيَشْهَدُنِي قَوْمٌ صَالِحُونَ يَلُونُ دَفْنِي، فَأَقْرِبِهِمْ، فَلَمَّا دَفَنَاهُ دَعَيْنَا إِلَى الطَّعَامِ فَأَكَلْنَا، وَأَرَدْنَا احْتِمَالَهَا، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَرِيبٌ، نَسْتَأْمِرُهُ، فَقَدِمْنَا مَكَّةَ فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ، وَيَغْفِرُ لَهُ نَزُولَهُ الرَّبْذَةَ! وَلَمَّا صَدَرَ خَرَجَ فَأَخَذَ طَرِيقَ الرَّبْذَةِ، فَضَمَّ عِيَالَهُ إِلَى عِيَالِهِ، وَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْمَدِينَةِ، وَتَوَجَّهْنَا نَحْوَ الْعِرَاقِ، وَعَدَّتْنَا: ابْنُ مَسْعُودٍ وَأَبُو مِفْزَرٍ التِّيمِيُّ، وَبَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التِّيمِيُّ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدٍ النَّخَعِيُّ وَعَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ النَّخَعِيُّ، وَالْحَلَّاحُ ابْنُ ذَرٍّ الضُّبِّيُّ وَالْحَارِثُ بْنُ سُوَيْدٍ التِّيمِيُّ، وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدَةَ بْنِ فَرْقَدٍ السُّلَيْمِيُّ، وَابْنُ رِبِيعَةَ السُّلَيْمِيُّ، وَأَبُو رَافِعٍ الْمُرِّيُّ، وَسُوَيْدُ بْنُ مَثَبَةَ التِّيمِيِّ، وَزِيَادُ بْنُ مُعَاوِيَةَ النَّخَعِيُّ، وَأَخُو الْقَرْنِ الضُّبِّيُّ، وَأَخُو مَعْصَدِ الشَّيْبَانِي

. فتح مرو رود والطارقان والفارياب والجوزجان وطخارستان

وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ فَتَحَ ابْنُ عَامِرٍ مَرُودَ وَالطَّاقَانَ وَالْفَارِيَابَ وَالْجُوزْجَانَ وَطَخَارِسْتَانَ. ذَكَرَ الْخَبَرُ عَنْ ذَلِكَ:

قَالَ عَلِيٌّ: أَخْبَرَنَا سُلَيْمَةُ بْنُ عُثْمَانَ وَغَيْرُهُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ

ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: بَعَثَ ابْنُ عَامِرٍ الْأَحْنَفَ بْنَ قَيْسٍ إِلَى مَرُودَ، فَخَصَرَ أَهْلَهَا، فَخَرَجُوا إِلَيْهِمْ فَقَاتَلُوهُمْ، فَهَزَمَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى اضْطَرُّوهُمْ إِلَى حَصْنِهِمْ، فَأَشْرَفُوا عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ، مَا كُنْتُمْ عِنْدَنَا كَمَا نَرَى، وَلَوْ عَلِمْنَا أَنَّكُمْ كَمَا نَرَى لَكُنْتُمْ لَنَا وَلَكُمْ حَالٌ غَيْرُ هَذِهِ، فَأَمَلُونَا نَنْظُرَ يَوْمَنَا، وَارْجِعُوا إِلَى عَسَاكِرِكُمْ فَرَجَعَ الْأَحْنَفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَادَاهُمْ وَقَدْ أَعْدَدُوا لَهُ الْحَرْبَ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الْعَجَمِ مَعَهُ كِتَابٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: إِنِّي رَسُولُ فَاْمُنُونِي، فَاْمَنُوهُ، فَإِذَا رَسُولٌ مِنْ مَرْزَبَانَ مَرُودَ ابْنِ أَخِيهِ وَتَرْجَمَانِهِ، وَإِذَا كِتَابُ الْمَرْزَبَانَ إِلَى الْأَحْنَفِ، فَقَرَأَ الْكِتَابَ، قَالَ: إِذَا هُوَ: إِلَى أَمِيرِ الْجَيْشِ، إِنَّا نَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي بِيَدِهِ الدُّوَلُ، يَغْيِرُ مَا شَاءَ مِنَ الْمُلْكِ، وَيَرْفَعُ مَنْ شَاءَ بَعْدَ الذَّلَّةِ، وَيَضَعُ مَنْ شَاءَ بَعْدَ الرِّفْعَةِ.

إِنَّهُ دَعَانِي إِلَى مَصَالِحَتِكَ وَمَوَادِعَتِكَ مَا كَانَ مِنْ إِسْلَامِ جَدِّي، وَمَا كَانَ رَأْيِي مِنْ صَاحِبِكُمْ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالْمَنْزِلَةِ، فَرَحِبَا بِكُمْ وَأَبْشَرُوا،

وأنا أدعوكم إلى الصلح فيما بينكم وبيننا، على أن أؤدي إليكم خراجا ستين ألف درهم، وأن تقروا بيدي ما كان ملك الملوك كسرى أقطع جد أبي حيث قتل الحية التي أكلت الناس، وقطعت السبل من الأرضين والقرى بما فيها من الرجال، ولا تأخذوا من أحد من أهل بيتي شيئا من الخراج، ولا تخرج المرزبه من أهل بيتي إلى غيركم، فإن جعلت ذلك لي خرجت إليك، وقد بعثت إليك ابن أخي ماهك ليستوثق منك بما سألت.

قال: فكتب إليه الأحنف: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، من صخر بن قيس أمير الجيش إلى باذان مرزبان مرو رود ومن معه من الأساورة والأعاجم.

سلام على من اتبع الهدى، وآمن واتقى أما بعد، فإن ابن أخيك ماهك قدم علي، فنصح لك جهده، وأبلغ عنك، وقد عرضت ذلك على من معي من المسلمين، وأنا وهم فيما عليك سواء، وقد أجبتك إلى ما سألت وعرضت على أن تؤدي عن أكرتك وفلاحيك والأرضين ستين ألف درهم إلي وإلى الوالي من بعدي من أمراء المسلمين، إلا ما كان من الأرضين التي ذكرت أن كسرى الظالم لنفسه أقطع جد أبيك لما كان من قتله الحية التي أفسدت الأرض وقطعت السبل والأرض لله ولرسوله يورثها من يشاء من عباده، وإن عليك نصرة المسلمين وقتال عدوهم بمن معك من الأساورة، إن أحب المسلمون ذلك وأرادوه، وإن لك على ذلك نصرة المسلمين على من يقاتل من وراءك من أهل ملتك، جار لك بذلك مني كتاب يكون لك بعدي، ولا خراج عليك ولا على أحد من أهل بيتك من ذوي الأرحام، وإن أنت أسلمت واتبعت الرسول كان لك من المسلمين العطاء والمنزلة والرزق وأنت أخوهم، ولك بذلك ذمتي وذمة أبي وذمة المسلمين وذمة آبائهم شهد على ما في هذا الكتاب جزء ابن معاوية- أو معاوية بن جزء السعدي- وحمزة بن الهرماس وحيد بن الخيار المازنيان، وعياض بن ورقاء الأسدي وكتب كيسان مولى بني ثعلبة يوم الأحد من شهر الله المحرم وختم أمير الجيش الأحنف بن قيس ونقش خاتم الأحنف: نعبد الله.

قال علي: أخبرنا مصعب بن حيان، عن أخيه مقاتل بن حيان، قال: صالح ابن عامر أهل مرو، وبعث الأحنف في أربعة آلاف إلى طخارستان فأقبل حتى نزل موضع قصر الأحنف من مرو رود، وجمع له أهل طخارستان، وأهل الجوزجان والطاقان والفارياب، فكانوا ثلاثة زحوف، ثلاثين ألفا. وأتى الأحنف خبرهم وما جمعوا له، فاستشار الناس فاختلقوا، فبين قائل: نرجع إلى مرو، وقائل: نرجع إلى أبرشهر، وقائل: نقيم نستمد، وقائل: نلقاهم فنناجزهم.

قال: فلما أمسى الأحنف خرج يمشي في العسكر، ويستمع حديث الناس، فمر بأهل خباء ورجل يوقد تحت خزيرة أو يعجن، وهم يتحدثون ويذكرون العدو، فقال بعضهم: الرأي للأمير أن يسير إذا أصبح، حتى يلتقى القوم حيث لقيهم- فإنه أربح لهم- فيناجزهم فقال صاحب الخزيرة أو العجين: إن فعل ذلك فقد أخطأ وأخطأتم، تأمرونه أن يلتقى حد العدو مصحرا في بلادهم، فيلقى جمعا كثيرا بعدد قليل، فإن جالوا جولة اصطلمونا! ولكن الرأي له أن ينزل بين المرغاب والجبل، فيجعل المرغاب عن يمينه والجبل عن يساره، فلا يلقاه من عدوه وإن كثروا إلا عدد أصحابه فرجع الأحنف وقد اعتقد ما قال، فضرب عسكره، وأقام فأرسل إليه أهل مرو يعرضون عليه أن يقاتلوه معه، فقال إني أكره أن أستنصر بالمشركون، فأقيموا على ما أعطيناكم، وجعلنا بيننا وبينكم، فإن ظفروا فنحن على ما جعلنا لكم، وإن ظفروا بنا وقاتلوكم فقاتلوا عن أنفسكم.

قال: فوافق المسلمين صلاة العصر، فعاجلهم المشركون فناهضوهم فقاتلوهم، وصبر الفريقان حتى أمسوا والأحنف يتمثل بشعر ابن جؤية الأعرجي:

أحق من لم يكره المنية ... حزور ليست له ذرية

قال علي: أخبرنا أبو الأشهب السعدي، عن أبيه، قال: لقي الأحنف أهل مرو رود والطاقان والفارياب والجوزجان في المسلمين ليلا،

فقاتلهم حتى ذهب عامة الليل، ثم هزمهم الله، فقتلهم المسلمون حتى انتهوا إلى رسكن - وهي على اثني عشر فرسخاً من قصر الأحنف - وكان مرزبان مرو رود، قد تربص بحمل ما كانوا صالحوه عليه، لينظر ما يكون من أمرهم. قال: فلما ظفر الأحنف سرح رجلين إلى المرزبان، وأمرهما ألا يكلماه حتى يقبضاه ففعلا فلم أنهم لم يصنعوا ذاك به إلا وقد ظفروا، فحمل ما كان عليه.

قال علي: وأخبرنا المفضل الضبي، عن أبيه، قال: سار الأقرع بن حابس إلى الجوزجان، بعثه الأحنف في جريدة خيل إلى بقية كانت بقيت

٤٠١٧٠٣ ذكر صلح الأحنف مع اهل بلخ

من الزخوف الذين هزمهم الأحنف، فقاتلهم، فجال المسلمون جولة، فقتل فرسان من فرسانهم، ثم أظفر الله المسلمين بهم فهزموهم وقتلوهم، فقال كثير النشلي:

سقى مزن السحاب إذا استهلت ... مصارع فتية بالجوزجان
إلى القصرين من رستاق خوط ... اقادهم هناك الاقرعان
وهي طويله

ذكر صلح الأحنف مع اهل بلخ

وفي هذه السنة، جرى صلح بين الأحنف وبين أهل بلخ.

ذكر الخبر بذلك:

قال علي: أخبرنا زهير بن الهنيد، عن إياس بن المهلب، قال:

سار الأحنف من مرو الروذ إلى بلخ فحاصروهم، فصالحه أهلها على أربعمئة ألف، فرضي منهم بذلك، واستعمل ابن عمه، وهو أسيد بن المتشمس ليأخذ منهم ما صالحوه عليه، ومضى إلى خارزم، فأقام حتى هجم عليه الشتاء، فقال لأصحابه: ما ترون؟ قال له حصين: قد قال لك عمرو بن معديكر، قال: وما قال؟ قال: قال:

إذا لم تستطع أمراً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

قال: فأمر الأحنف بالرحيل، ثم انصرف إلى بلخ، وقد قبض ابن عمه ما صالحهم عليه، وكان وافق وهو يجيهم المهرجان، فأهدوا إليه هدايا من آنية الذهب والفضة ودنانير ودراهم ومتاع وثياب، فقال ابن عم الأحنف:

هذا ما صالحناكم عليه؟ قالوا: لا، ولكن هذا شيء نصنعه في هذا اليوم بمن ولينا نستعطفه به، قال: وما هذا اليوم؟ قالوا: المهرجان، قال: ما أدري ما هذا؟ وإني لأكره أن أردده، ولعله من حقي، ولكن أقبضه وأعزله

حتى انظر فيه، فقبضه، وقدم الأحنف فأخبره، فسألهم عنه، فقالوا له مثل ما قالوا لابن عمه، فقال: آتي به الأمير، فحمله إلى ابن عامر، فأخبره عنه، فقال: أقبضه يا أبا بحر، فهو لك؟ قال: لا حاجة لي فيه، فقال ابن عامر: ضمه إليك يا مسمار، قال: قال الحسن: فضمه القرشي وكان مضماً.

قال علي: وأخبرنا عمرو بن محمد المري، عن أشياخ من بني مرة، أن الأحنف استعمل على بلخ بشر بن المتشمس.

قال علي: وأخبرنا صدقة بن حميد، عن أبيه، قال: بعث ابن عامر - حين صالح أهل مرو، وصالح الأحنف أهل بلخ - خلود بن عبد الله الحنفي إلى هراة وباذغيس، فافتتحهما، ثم كفروا بعد فكانوا مع قارن.

قال علي: وأخبرنا مسلمة، عن داود، قال: ولما رجع الأحنف إلى ابن عامر قال الناس لابن عامر: ما فتح على أحد ما قد فتح عليك، فارس وكرمان وسجستان وعامة خراسان! قال: لا جرم، لأجعلن شكري لله على ذلك أن أخرج محرمًا معتمراً من موقفي هذا فأحرم

بعمره من نيسابور، فلما قدم على عثمان لأمه على إحرامه من خراسان، وقال: لبتك تضبط ذلك من الوقت الذي يحرم منه الناس! قال علي: أخبرنا مسلمة، عن السكن بن قتادة العريني، قال: استخلف ابن عامر على خراسان قيس بن الهيثم، وخرج ابن عامر منها في سنة اثنتين وثلاثين قال: فجمع قارن جمعا كثيرا من ناحية الطبيين وأهل بادغيس وهرات وقهستان، فأقبل في أربعين ألفا، فقال لعبد الله بن خازم: ما ترى؟

قال: أرى أن تخلي البلاد فإني أميرها، ومعني عهد من ابن عامر، إذا كانت حرب بخراسان فأنا أميرها- وأخرج كتابا قد افتعله عمدا- فكره قيس مشاغبتة، وخلاه والبلاد، وأقبل إلى ابن عامر، فلامه ابن عامر،

وقال: تركت البلاد حربا وأقبلت! قال: جاءني بعهد منك فقالت له أمه: قد نهيتك أن تدعهما في بلد، فإنه يشغب عليه.

قال: فسار ابن خازم إلى قارن في أربعة آلاف، وأمر الناس فحملوا الودك، فلما قرب من عسكره أمر الناس، فقال: ليدرج كل رجل منكم على زج رحمه ما كان معه من خرقة أو قطن أو صوف، ثم أوسعوه من الودك من سمن أو دهن أو زيت أو إهالة ثم سار حتى إذا امسى قدم مقدمته ستمائة، ثم أتبعهم، وأمر الناس فأشعلوا النيران في أطراف الرماح، وجعل يقتبس بعضهم من بعض قال: وانتهت مقدمته إلى عسكر قارن، فأتوهم نصف الليل، ولهم حرس، فناوشوهم، وهاج الناس على دهش، وكانوا آمنين في أنفسهم من البيات، ودنا ابن خازم منهم، فرأوا النيران يمنة ويسرة، وتقدم وتأنخر، وتخفص وترتفع، فلا يرون أحدا فهاهم ذلك، ومقدمة ابن خازم يقاتلونهم، ثم غشيهم ابن خازم بالمسلمين، فقتل قارن، وانهمز العدو فأتبعوهم يقتلونهم كيف شاءوا، وأصابوا سببا كثيرا، فرغم شيخ من بني تميم، قال: كانت أم الصلت بن حريث من سبي قارن، وأم زياد بن الربيع منهم، وأم عون أبي عبد الله بن عون الفقيه منهم.

قال علي: حدثنا مسلمة، قال: أخذ ابن خازم عسكر قارن بما كان فيه، وكتب بالفتح إلى ابن عامر، فرضي وأقره على خراسان، فلبث عليها حتى انقضى أمر الجمل، فأقبل إلى البصرة، فشهد وقعة ابن الحضرمي، وكان معه في دار سبيل.

قال علي: وأخبرنا الحسن بن رشيد، عن سليمان بن كثير العمي الخزاعي، قال: جمع قارن للمسلمين جمعا كثيرا، فضاق المسلمون بامرهم، فقال قيس

ابن الهيثم لعبد الله بن خازم: ما ترى؟ قال: أرى أنك لا تطيق كثرة من قد أتانا، فانخرج بنفسك إلى ابن عامر فتخبره بكثرة من قد جمعوا لنا، ونقيم نحن في هذه الحصون ونطاولهم حتى تقدم ويأتينا مددكم.

قال: نفرج قيس بن الهيثم، فلما أمعن أظهر ابن خازم عهدا، وقال: قد ولاني ابن عامر خراسان، فسار إلى قارن، فظفر به، وكتب بالفتح إلى ابن عامر، فأقره ابن عامر على خراسان، فلم يزل أهل البصرة يغزون من لم يكن صالحا من أهل خراسان، فإذا رجعوا خلفوا أربعة آلاف للعقبة، فكانوا على ذلك حتى كانت الفتنة

٤٠١٨ سنة ثلاث وثلاثين

٤٠١٨٠١ ذكر تسيير من سير من أهل الكوفة إليها

ثم دخلت

سنة ثلاث وثلاثين

ففيها كانت غزوة معاوية حصن المرأة من أرض الروم من ناحية ملطية في قول الواقدي.

وفيها كانت غزوة عبد الله بن سعد بن أبي سرح إفريقية الثانية حين نقض أهلها العهد.

وفيها قدم عبد الله بن عامر الأحنف بن قيس إلى خراسان وقد انتقض أهلها، ففتح المروين: مرو والشاهجان صلحا، ومرو الروذ بعد

قتال شديد، وتبعه عبد الله بن عامر، فنزل أبرشهر، ففتحها صلحا في قول الواقدي.

وأما أبو معشر فإنه قال- فيما حدثني أحمد بن ثابت الرازي، عن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عنه، قال: كانت قبرس سنة ثلاث وثلاثين، وقد ذكرنا قول من خالفه في ذلك، والخبر عن قبرس.

وفيها: كان تسيير عثمان بن عفان من سير من أهل العراق إلى الشام

ذكر تسيير من سير من أهل الكوفة إليها

اختلف أهل السير في ذلك، فأما سيف فإنه ذكر فيما كتب به إلي السري عن شعيب عنه، عن محمد وطلحة، قالا: كان سعيد بن العاص لا يغشاه إلا نازلة أهل الكوفة ووجوه أهل الأيام وأهل القادسية وقرأ أهل البصرة والمتسمتون، وكان هؤلاء دخلته إذا خلا، فأما إذا جلس للناس

فإنه يدخل عليه كل أحد، فجلس للناس يوما، فدخلوا عليه، فبيناهم جلوس يتحدثون قال خنيس بن فلان: ما أجود طلحة بن عبيد الله! فقال سعيد بن العاص: إن من له مثل النشاستج لحقيق أن يكون جوادا، والله لو أن لي مثله لأعاشكم الله عيشا رغدا فقال عبد الرحمن بن خنيس- وهو حدث: والله لوددت أن هذا الملطاط لك- يعني ما كان لآل كسرى على جانب الفرات الذي يلي الكوفة- قالوا: فض الله فاك! والله لقد هممنا بك، فقال: خنيس غلام فلا تجازوه، فقالوا: يتخى له من سوادنا! قال: ويتخى لكم أضعافه، قالوا: لا يتخى لنا ولا له، قال: ما هذا بكم! قالوا:

أنت والله أمرته بها، فثار إليه الأشر وأبن ذي الحبكة وجندب وصعصة وابن الكواء وكميل بن زياد وعمر بن ضائى، فأخذوه فذهب أبوه لينع منه فضربوها حتى غشي عليهما، وجعل سعيد يناشدهم ويأبون، حتى قضا منهما وطرا، فسمعت بذلك بنو أسد، فجاءوا وفيهم طليحة فأحاطوا بالقصر، وركبت القبائل، فعادوا بسعيد، وقالوا: افلتنا وخلصنا.

نفرج سعيد إلى الناس، فقال: أيها الناس، قوم تنازعوا وتهاووا، وقد رزق الله العافية ثم قعدوا وعادوا في حديثهم، وتراجعوا فساءهم وردهم، وأفاق الرجال، فقال: أيكما حياة؟ قالا: قتلنا غاشيتك، قال: لا يغشوني والله أبدا، فأحفظا علي ألسنتكما ولا تجرئا علي الناس ففعلا ولما انقطع رجاء أولئك نفر من ذلك قعدوا في بيوتهم، وأقبلوا على الإذاعة حتى لامه أهل الكوفة في أمرهم، فقال: هذا أميركم وقد نهاني أن أحرك شيئا، فمن أراد منكم أن يحرك شيئا فليحركه.

فكتب أشراف أهل الكوفة وصلحائهم إلى عثمان في إخراجهم، فكتب:

إذا اجتمع ملؤكم على ذلك فألحقوهم بمعاوية فأخرجوهم، فذلوا وانقادوا حتى أتوه- وهم بضعة عشر- فكتبوا بذلك إلى عثمان، وكتب عثمان إلى معاوية:

إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفرا خلقوا للفتنة، فرعهم وقم عليهم،

فإن أنست منهم رشدا فاقبل منهم، وإن أعيوك فارددهم عليهم فلما قدموا على معاوية رحب بهم وانزلهم كنيسة تسمى مريم، وأجرى عليهم بأمر عثمان ما كان يجري عليهم بالعراق، وجعل لا يزال يتعدى ويتعشى معهم، فقال لهم يوما: إنكم قوم من العرب لكم أسنان وآلسة، وقد أدركتم بالإسلام شرفا وغلبتم الأمم وحويتهم مراتبهم ومواريتهم، وقد بلغني أنكم نعمة قريشا، وأن قريشا لو لم تكن عدتم أذلة كما كنتم، إن أمتكم لكم إلى اليوم جنة فلا تشدوا عن جنتكم، وإن أمتكم اليوم يصبرون لكم على الجور، ويحتملون منكم المؤنة، والله لتنتهن أوليبتينكم الله بمن يسومكم، ثم لا يحمدكم على الصبر، ثم تكونون شركاء لهم فيما جررتكم على الرعية في حياتكم وبعد موتكم. فقال رجل من القوم: أما ما ذكرت من قريش فإنها لم تكن أكثر العرب ولا أمتعها في الجاهلية فتخوفنا، وأما ما ذكرت من الجنة

فَإِنَّ الْجَنَّةَ إِذَا اخْتَرَقَتْ خَلَصَ إِلَيْنَا.

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: عَرَفْتُكُمْ الْآنَ، عَلِمْتُ أَنَّ الَّذِي أَغْرَاكُمْ عَلَى هَذَا قَلَّةُ الْعُقُولِ، وَأَنْتَ خَطِيبُ الْقَوْمِ، وَلَا أَرَى لَكَ عَقْلاً، أُعْظِمُ عَلَيْكَ أَمْرَ الْإِسْلَامِ، وَأَذْكُرُكَ بِهِ، وَتَذْكُرُنِي الْجَاهِلِيَّةَ! وَقَدْ وَعَظْتُكَ وَتَزَعُمُ لِمَا يَجْنُكَ أَنَّهُ يُخْتَرَقُ، وَلَا يُنْسَبُ مَا يُخْتَرَقُ إِلَى الْجَنَّةِ، أَخَذَى اللَّهُ أَقْوَامًا أَعْظَمُوا أَمْرَكُمْ، وَرَفَعُوا إِلَى خَلِيفَتِكُمْ! افْقَهُوا- وَلَا أَظُنُّكُمْ تَفْقَهُونَ- أَنَّ قُرَيْشًا لَمْ تَعَزَّ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ إِلَّا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَمْ تَكُنْ بِأَكْثَرِ الْعَرَبِ وَلَا أَشَدَّهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا أَكْرَمَهُمْ أَحْسَابًا، وَأَحْضَهُمْ أَنْسَابًا، وَأَعْظَمَهُمْ أَخْطَارًا، وَأَكْمَلَهُمْ مُرُوءَةً، وَلَمْ يَمْتَنِعُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالنَّاسُ يَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا بِاللَّهِ الَّذِي لَا يُسْتَدَلُّ مِنْ أَعْرَى، وَلَا يُوَضَّعُ مِنْ رَفَعٍ، فَبَوَّاهُمْ حَرَمًا أَمْنًا يُخْتَفِ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ! هَلْ تَعْرِفُونَ عُرْبًا أَوْ عَجَمًا أَوْ سُودًا أَوْ حُمْرًا إِلَّا قَدْ أَصَابَهُ الدَّهْرُ فِي بَلَدِهِ وَحَرَمَتِهِ بِدَوْلَةٍ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ قُرَيْشٍ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرِدْهُمْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ بِكَيْدٍ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ

خَدَّهُ الْأَسْفَلَ، حَتَّى أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْتَقِذَ مِنْ أَكْرَمٍ وَاتَّبَعَ دِينَهُ مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا وَسُوءِ مَرَدِّ الْآخِرَةِ، فَارْتَضَى لَذَلِكَ خَيْرَ خَلْقِهِ، ثُمَّ ارْتَضَى لَهُ أَصْحَابًا فَكَانَ خِيَارُهُمْ قُرَيْشًا، ثُمَّ بَنَى هَذَا الْمُلْكَ عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَ هَذِهِ الْخِلَافَةَ فِيهِمْ، وَلَا يَصْلَحُ ذَلِكَ إِلَّا عَلَيْهِمْ، فَكَانَ اللَّهُ يُحِيطُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ، أَقْرَاهُ لَا يُحِيطُهُمْ وَهُمْ عَلَى دِينِهِ وَقَدْ حَاطَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْمُلُوكِ الَّذِينَ كَانُوا يَدِينُونَكُمْ! أَفَ لَكَ وَلَا أَصْحَابِكَ! وَلَوْ أَنَّ مُتَكَلِّمًا غَيْرَكَ تَكَلَّمَ، وَلَكِنَّكَ ابْتَدَأْتَ فَأَمَّا أَنْتَ يَا صَعْصَعَةٌ فَإِنَّ قُرَيْشَ شَرِّ قُرَى عَرَبِيَّةٍ، أَنْتَهَا نَبْتًا، وَأَعْمَقُهَا وَادِيًا، وَأَعْرَفُهَا بِالشَّرِّ، وَالْأَمَّا حِيرَانًا، لَمْ يَسْكُنْهَا شَرِيفٌ قَطُّ وَلَا وَضِيعٌ إِلَّا سَبَّ بِهَا، وَكَانَتْ عَلَيْهِ هُجْنَةٌ، ثُمَّ كَانُوا أَقْبَحَ الْعَرَبِ الْقَبَائِلَ، وَالْأَمَّةُ أَصْهَارًا، نَزَاعَ الْأُمَمِ، وَأَتَمُّ حِيرَانَ الْخَطِ وَفَعْلَةُ فَارِسٍ، حَتَّى أَصَابَتْكُمْ دَعْوَةُ النَّبِيِّ ص وَنَكَبَتْكَ دَعْوَتُهُ، وَأَنْتَ نَزِيعُ شَطِيرٍ فِي عُمَانَ، لَمْ تَسْكُنِ الْبَحْرَيْنِ فَتَشْرِكْهُمْ فِي دَعْوَةِ النَّبِيِّ ص، فَأَنْتَ شَرُّ قَوْمِكَ، حَتَّى إِذَا أَبْرَزَكَ الْإِسْلَامُ، وَخَلَطَكَ بِالنَّاسِ، وَحَمَلَكَ عَلَى الْأُمَمِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْكَ، أَقْبَلْتَ تَبِغِي دِينَ اللَّهِ عَوْجًا، وَتَنَزَّعَ إِلَى الْآمَةِ وَالذِّلَّةِ وَلَا يَضَعُ ذَلِكَ قُرَيْشًا، وَلَنْ يَضُرَّهُمْ، وَلَنْ يَمْنَعَهُمْ مِنْ تَأْدِيَةِ مَا عَلَيْهِمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ عَنْكُمْ غَيْرُ غَافِلٍ، قَدْ عَرَفَكُمْ بِالشَّرِّ مِنْ بَيْنِ أُمَّتِكُمْ، فَأَغْرَى بِكُمْ النَّاسَ، وَهُوَ صَارِعُكُمْ لَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرُدَّ بِكُمْ قَضَاءَ قَضَاءِ اللَّهِ، وَلَا أَمْرًا أَرَادَهُ اللَّهُ، وَلَا تَذْكُرُونَ بِالشَّرِّ أَمْرًا أَبَدًا إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ شَرًّا مِنْهُ وَأَخْزَى.

ثُمَّ قَامَ وَتَرَكَهُمْ، فَتَدَامَرُوا فَتَقَاصَرَتْ إِلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ أَتَاهُمْ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ أَذْنْتُ لَكُمْ فَادْهَبُوا حَيْثُ شِئْتُمْ، لَا وَاللَّهِ لَا يَنْفَعُ اللَّهُ بِكُمْ أَحَدًا وَلَا يَضُرُّهُ، وَلَا أَنْتُمْ بِرِجَالٍ مَنْفَعَةٍ وَلَا مَضَرَّةٍ، وَلَكِنَّكُمْ رِجَالٌ نَكِيرٌ. وَبَعْدَ، فَإِنْ أَرَدْتُمْ النِّجَاةَ فَالْزَمُوا جَمَاعَتَكُمْ، وَلَيْسَ عَمَّكَ مَا وَسِعَ الدَّهْمَاءُ، وَلَا يَبْطِرُنَكُمْ الْأَنْعَامُ، فَإِنَّ الْبَطَرَ لَا يَعْتَرِي الْخِيَارَ، اذْهَبُوا حَيْثُ شِئْتُمْ، فَلْيَنِي كَاتِبٌ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيكُمْ

فَلَمَّا خَرَجُوا دَعَاهُمْ فَقَالَ: إِنِّي مُعِيدٌ عَلَيْكُمْ إِنْ رَسُلَ اللَّهُ ص كَانَ مَعْصُومًا فَوَلَانِي، وَأَدْخَلَنِي فِي أَمْرِهِ، ثُمَّ اسْتَخْلَفَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَوَلَانِي، ثُمَّ اسْتَخْلَفَ عُمَرُ فَوَلَانِي، فَلَمْ أَلْ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَمْ يُؤَلَّنِي إِلَّا وَهُوَ رَاضٍ عَنِّي، وَإِنَّمَا طَلَبَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِلْأَعْمَالِ أَهْلَ الْجَزَاءِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ وَالْغَنَاءِ، وَلَمْ يَطْلُبْ لَهَا أَهْلَ الْاجْتِهَادِ وَالْجَهْلِ بِهَا وَالضَّعْفِ عَنْهَا، وَإِنَّ اللَّهَ ذُو سَطَوَاتٍ وَنَقَمَاتٍ يَمَكُرُ بِمَنْ مَكَرَ بِهِ، فَلَا تَعْرِضُوا لِأَمْرِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ غَيْرَ مَا تُظْهِرُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ غَيْرُ تَارِكِكُمْ حَتَّى يَخْتَبِرَكُمْ وَيَبْدِيَ لِلنَّاسِ سَرَائِرَكُمْ، وَقَدْ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ:

«الْمُ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» .

وَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عُثْمَانَ: إِنَّهُ قَدِيمٌ عَلَى أَقْوَامٍ لَيْسَتْ لَهُمْ عُقُولٌ وَلَا أَدْيَانٌ، أَتَقْلَهُمُ الْإِسْلَامُ، وَأَضْجَرُهُمُ الْعَدْلُ، لَا يُرِيدُونَ اللَّهَ شَيْئًا،

وَلَا يَتَكَلَّمُونَ بِحُجَّةٍ، إِنَّمَا هُمْ هَؤُلَاءِ فِي الْفِتْنَةِ وَأَمْوَالُ أَهْلِ الذِّمَّةِ، وَاللَّهُ مُبْتَلِيهِمْ وَخَتِّبَهُمْ، ثُمَّ فَاحِصُهُمْ وَمُخْزِيهِمْ، وَلَيْسُوا بِالَّذِينَ يَنْكُونُ أَحَدًا إِلَّا مَعَ غَيْرِهِمْ، فَانْهَ سَعِيدًا وَمَنْ قَبْلَهُ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ لَيْسُوا لَكَ كَثْرًا مِنْ شَيْءٍ أَوْ نَكِيرٍ.

وَخَرَجَ الْقَوْمُ مِنْ دِمَشْقَ فَقَالُوا: لَا تَرْجِعُوا إِلَى الْكُوفَةِ، فَإِنَّهُمْ يَشْتُمُونَ بِكُمْ، وَمِيلُوا بِنَا إِلَى الْجَزِيرَةِ، وَدَعُوا الْعِرَاقَ وَالشَّامَ فَأَوُوا إِلَى الْجَزِيرَةِ، وَسَمِعَ بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ - وَكَانَ مُعَاوِيَةُ قَدْ وَلَاهُ حِمَصَ وَوَلَّى عَامِلَ الْجَزِيرَةِ حَرَّانَ وَالرُّقَّةَ - فَدَعَا بِهِمْ، فَقَالَ: يَا آلَ الشَّيْطَانِ، لَا مَرْحَبًا بِكُمْ وَلَا أَهْلًا! قَدْ رَجَعَ الشَّيْطَانُ مُحْشُورًا وَأَنْتُمْ بَعْدُ نَشَاطُ، خَسَرَ اللَّهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَنْ لَمْ يُوَدِّ بِكُمْ حَتَّى يُحْسِرَ كُرَّ يَا مَعْشَرَ مَنْ لَا أَدْرِي أَعَرَبٌ أَمْ عَجَمٌ، لَكِنِّي لَا تَقُولُوا لِي مَا يَلْغِي أَنْتُمْ تَقُولُونَ لِمُعَاوِيَةَ، أَنَا ابْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، أَنَا ابْنُ مَنْ قَدْ عَجَمْتُهُ الْعَاجِمَاتُ، أَنَا ابْنُ فَاقِي الرَّدَّةِ، وَاللَّهُ لئنْ بَلَغَنِي يَا صَعْصَعَةُ ابْنِ ذُلٍّ أَنْ أَحَدًا مِّنْ مَّعِي دَقَّ أَنْفَكَ ثُمَّ امْصُكْ

لَأَطِيرَنَّ بِكَ طَيْرَةً بَعِيدَةً الْمَهْوَى فَأَقَامَهُمْ أَشْهْرًا كُلَّمَا رَكِبَ أَمْشَاهُمْ، فَإِذَا مَرَّ بِهِ صَعْصَعَةُ قَالَ: يَا بَنَ الْخَطِيئَةِ، أَعْلَيْتَ أَنْ مَنْ لَمْ يُصْلِحْهُ الْخَيْرُ أَصْلَحَهُ الشَّرُّ! مَا لَكَ لَا تَقُولُ كَمَا كَانَ يَلْغِي أَنْتَ تَقُولُ لِسَعِيدٍ وَمُعَاوِيَةَ! فَيَقُولُ وَيَقُولُونَ:

تَتُوبُ إِلَى اللَّهِ، أَقَلْنَا أَقَالَكَ اللَّهُ! فَمَا زَالُوا بِهِ حَتَّى قَالَ: تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ.

وَسَرَّحَ الْأَشْتَرُ إِلَى عُثْمَانَ، وَقَالَ لَهُمْ: مَا شِئْتُمْ، إِنْ شِئْتُمْ فَاخْرُجُوا، وَإِنْ شِئْتُمْ فَأَقِيمُوا وَخَرَجَ الْأَشْتَرُ، فَأَتَى عُثْمَانَ بِالتَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ وَالزُّوْعِ عَنْهُ وَعَنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ:

سَلَّمَ اللَّهُ وَقَدِمَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، فَقَالَ عُثْمَانُ لِلْأَشْتَرِ: احْلُلْ حَيْثُ شِئْتَ، فَقَالَ: مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدٍ؟ وَذَكَرَ مِنْ فَضْلِهِ، فَقَالَ: ذَلِكَ إِلَيْكُمْ، فَرَجَعَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ أَبَا بَكْرَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّ عُثْمَانَ بَعَثَ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ إِلَى الْكُوفَةِ أَمِيرًا عَلَيْهَا، حِينَ شَهِدَ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ بِشُرْبِ الْخَمْرِ مِنْ شَهِدَ عَلَيْهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ الْوَلِيدَ بْنِ عُقْبَةَ قَالَ: قَدِمَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ الْكُوفَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْوَلِيدِ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ قَالَ: فَتَضَجَّعَ أَيَّامًا، فَقَالَ لَهُ: انْطَلِقْ إِلَى أَخِيكَ، فَإِنَّهُ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَبْعَثَكَ إِلَيْهِ، قَالَ: وَمَا صَعِدَ مِنْبَرِ الْكُوفَةِ حَتَّى أَمَرَ بِهِ أَنْ يُغْسَلَ، فَتَأَشَّدَهُ رِجَالُ مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا قَدْ خَرَجُوا مَعَهُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، وَقَالُوا: إِنَّ هَذَا قَبِيحٌ، وَاللَّهِ لَوْ أَرَادَ هَذَا غَيْرُكَ لَكَانَ حَقًّا أَنْ تَذُبَّ عَنْهُ، يَلْزِمُهُ عَارُ هَذَا أَبَدًا قَالَ: فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَفْعَلَ، فَغَسَلَهُ وَأَرْسَلَ إِلَى الْوَلِيدِ أَنْ يَتَحَوَّلَ مِنْ دَارِ الْإِمَارَةِ، فَتَحَوَّلَ مِنْهَا، وَنَزَلَ دَارَ عُمَارَةَ بْنِ عُقْبَةَ، فَقَدِمَ الْوَلِيدُ عَلَى عُثْمَانَ، فَجَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَصَمَائِهِ، فَرَأَى أَنْ يَجْلِدَهُ، فَجَلَدَهُ الْخَدَّ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: حَدَّثَنِي شَيْبَانُ، عَنْ مُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ:

قَدِمَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ الْكُوفَةَ، فَجَعَلَ يَخْتَارُ وَجْهَ النَّاسِ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ وَيَسْمُرُونَ عِنْدَهُ، وَإِنَّهُ سَمَرَ عِنْدَهُ لَيْلَةً وَجْهَ أَهْلِ الْكُوفَةِ، مِنْهُمْ مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ الْأَرْحَبِيُّ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ وَعَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ النَّخَعِيُّ، وَفِيهِمْ مَالِكُ الْأَشْتَرِ فِي رِجَالٍ، فَقَالَ سَعِيدٌ: إِنَّمَا هَذَا السَّوَادُ بُسْتَانُ لِقُرَيْشٍ، فَقَالَ الْأَشْتَرُ:

أَتَزْعُمُ أَنَّ السَّوَادَ الَّذِي أَفَاءَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا بِأَسْيَافِنَا بُسْتَانٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ! وَاللَّهِ مَا يَزِيدُ أَوْفَاكُمْ فِيهِ نَصِيبًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَأَحَدِنَا، وَتَكَلَّمَ مَعَهُ الْقَوْمُ.

قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَسَدِيُّ - وَكَانَ عَلَى شُرْطَةِ سَعِيدٍ:

أَتَرُدُّونَ عَلَى الْأَمِيرِ مَقَالَتَهُ! وَأَغْلَظَ لَهُمْ، فَقَالَ الْأَشْتَرُ: مَنْ هَاهُنَا! لَا يَفُوتُكُمْ الرَّجُلُ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِ فَوَطَّوْهُ وَطَأَ شَدِيدًا، حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَرَّ بِرِجْلِهِ فَأَلْقَاهُ، فَضَحَّ بِمَاءٍ فَأَفَاقَ، فَقَالَ لَهُ سَعِيدٌ: أَبْكَ حَيَاةً؟ فَقَالَ:

قَتَلَنِي مَنْ اتَّخَبْتُ - زَعَمْتُ - لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَسْمُرُ مِنْهُمْ عِنْدِي أَحَدٌ أَبَدًا، فَجَعَلُوا يَجْلِسُونَ فِي مَجَالِسِهِمْ وَيُوتِرُهُمْ يَشْتَمُونَ عُثْمَانَ وَسَعِيدًا، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِمْ، حَتَّى كَثُرَ مَنْ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِمْ فَكَتَبَ سَعِيدٌ إِلَى عُثْمَانَ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ، وَيَقُولُ: إِنَّ رَهْطًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ - سَمَّاهُمْ لَهُ عَشْرَةٌ - يُؤْلَبُونَ وَيَجْتَمِعُونَ عَلَى عَيْبِكَ وَعَيْبِي وَالطَّعْنِ فِي دِينِنَا، وَقَدْ خَشِيتُ أَنْ تُبْتَ أَمْرُهُمْ أَنْ يَكْثُرُوا، فَكَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى سَعِيدٍ: أَنْ سِيرَهُمْ إِلَى مُعَاوِيَةَ - وَمُعَاوِيَةُ يَوْمئِذٍ عَلَى الشَّامِ - فَسِيرَهُمْ - وَهُمْ تِسْعَةٌ نَفَرٍ - إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَبِهِمْ مَالُكَ الْأَشْتَرُ، وَثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ مَنقَعٍ، وَكَمِيلُ بْنُ زِيَادِ النَّخَعِيِّ، وَصَعَصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ.

ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: فَقَالَ صَعَصَعَةُ:

فَانْخَرَقَتْ الْجَنَّةُ، أَفَلَيْسَ يَخْلُصُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تُخْتَرَقُ، فَضَعَّ أَمْرَ قُرَيْشٍ عَلَى أَحْسَنَ مَا يَحْضُرُكَ. وَزَادَ فِيهِ أَيْضًا: إِنَّ مُعَاوِيَةَ لَمَّا عَادَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْقَابِلَةِ وَذَكَرَهُمْ، قَالَ فِيمَا يَقُولُ: وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَمَرُكُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا قَدْ بَدَأْتُ فِيهِ بِنَفْسِي وَأَهْلِ بَيْتِي وَخَاصَّتِي، وَقَدْ عَرَفْتُ قُرَيْشَ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ كَانَ أَكْرَمَهَا وَإِنْ أَكْرَمَهَا، إِلَّا مَا جَعَلَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ نَبِي الرَّحْمَةِ ص، فَإِنَّ اللَّهَ اخْتَبَهُ وَأَكْرَمَهُ، فَلَمْ يَخْلُقْ فِي أَحَدٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ الصَّالِحَةِ شَيْئًا إِلَّا أَصْفَاهُ اللَّهُ بِأَكْرَمَهَا وَأَحْسَنَهَا، وَلَمْ يَخْلُقْ مِنَ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ شَيْئًا فِي أَحَدٍ إِلَّا أَكْرَمَهُ اللَّهُ عَنْهَا وَزَهَّهَ، وَإِنِّي لَأُظُنُّ أَنَّ

أَبَا سُفْيَانَ لَوْ وُلِدَ النَّاسُ لَمْ يَلِدْ إِلَّا حَازِمًا قَالَ صَعَصَعَةُ: كَذَبْتَ! قَدْ وَلَدَهُمْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ، مَنْ خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَهُ، فَكَانَ فِيهِمُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْأَحْمَقُ وَالْكَبِيرُ.

خَفَرَ جِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنْ عِنْدِهِمْ، ثُمَّ أَتَاهُمُ الْقَابِلَةُ، فَتَحَدَّثَ عَنْدهُمْ طَوِيلًا، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا الْقَوْمُ، رُدُّوا عَلَيَّ خَيْرًا أَوْ اسْكُتُوا وَتَفَكَّرُوا وَانْظُرُوا فِيمَا يَنْفَعُكُمْ وَيَنْفَعُ أَهْلِيكُمْ، وَيَنْفَعُ عَشَائِرَكُمْ، وَيَنْفَعُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ، فَاطْلُبُوهُ تَعَبُشُوا وَنَعِشْ بِكُمْ فَقَالَ صَعَصَعَةُ: لَسْتُ بِأَهْلٍ ذَلِكَ، وَلَا كَرَامَةٍ لَكَ أَنْ تُطَاعَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ.

فَقَالَ: أَوْ لَيْسَ مَا ابْتَدَأْتُكُمْ بِهِ أَنْ أَمَرْتُكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ نَبِيِّهِ ص، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا! قَالُوا: بَلْ أَمَرْتَ بِالْفُرْقَةِ وَخِلَافٍ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ص قَالَ: فَإِنِّي أَمَرُكُمْ الْآنَ، إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ فَأَتُوبُ إِلَى اللَّهِ، وَأَمَرُكُمْ بِتَقْوَاهُ وَطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ نَبِيِّهِ ص وَلِزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَكَرَاهَةِ الْفُرْقَةِ، وَأَنْ تَوَقُّرُوا أَمْتَكُمْ وَتَدُلُّوهُمْ عَلَى كُلِّ حَسَنٍ مَا قَدَرْتُمْ، وَتَعْظُوهُمْ فِي لَيْنٍ وَلُطْفٍ فِي شَيْءٍ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ.

فَقَالَ صَعَصَعَةُ: فَإِنَّا نَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ عَمَلُكَ، فَإِنَّ فِي الْمُسْلِمِينَ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْكَ، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: مَنْ كَانَ أَبُوهُ أَحْسَنَ قَدَمًا مِنْ أَيْبِكَ، وَهُوَ بِنَفْسِهِ أَحْسَنَ قَدَمًا مِنْكَ فِي الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَدَمًا، وَلَغَيْرِي كَانَ أَحْسَنَ قَدَمًا مِنِّي، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ فِي زَمَانِي أَحَدٌ أَقْوَى عَلَى مَا أَنَا فِيهِ مِنِّي، وَلَقَدْ رَأَى ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَلَوْ كَانَ غَيْرِي أَقْوَى مِنِّي لَمْ يَكُنْ لِي عِنْدَ عُمَرَ هَوَادَةٌ وَلَا لَغَيْرِي، وَلَمْ أُحْدِثْ مِنَ الْحَدِيثِ مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَعْتَزَلَ عَمَلِي، وَلَوْ رَأَى ذَلِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَجَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ لَكَتَبَ إِلَيَّ بِخَطِّ يَدِهِ فَاعْتَزَلْتُ عَمَلَهُ، وَلَوْ قَضَى اللَّهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ لَرَجَوْتُ أَلَّا يَعِزَّمْ لَهْ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا وَهُوَ خَيْرٌ، فَهَلَا فَإِنَّ فِي ذَلِكَ وَأَشْبَاهِهِ مَا يَتَنَبَّهُ الشَّيْطَانُ وَيَأْمُرُ، وَلَعَمْرِي لَوْ كَانَتْ الْأُمُورُ تُقْضَى عَلَى رَأْيِكُمْ وَأَمَانِكُمْ

مَا اسْتَقَامَتِ الْأُمُورُ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ يَوْمًا وَلَا لَيْلَةً، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَقْضِيهَا وَيُدِيرُهَا، وَهُوَ بِالْخَيْرِ أَمْرُهُ، فَعَاوِدُوا الْخَبَرَ وَقُولُوهُ.

فَقَالُوا: لَسْتُ لِذَلِكَ أَهْلًا، فَقَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ إِنْ لِلَّهِ لَسَطَوَاتٍ وَنَقَمَاتٍ، وَإِنِّي لَخَائِفٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَابَعُوا فِي مُطَاوَعَةِ الشَّيْطَانِ حَتَّى تُحْلِكُمْ مُطَاوَعَةُ الشَّيْطَانِ وَمَعْصِيَةُ الرَّحْمَنِ دَارَ الْهُوَانِ مِنْ نَقِمِ اللَّهِ فِي عَاجِلِ الْأَمْرِ، وَأَنْخِزِي الدَّائِمِ فِي الْآجِلِ.

فَوُثِّبُوا عَلَيْهِ، فَأَخَذُوا بِرَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ، فَقَالَ: مَهْ، إِنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ بِأَرْضِ الْكُوفَةِ، وَاللَّهِ لَوْ رَأَى أَهْلُ الشَّامِ مَا صَنَعْتُمْ بِي وَأَنَا إِمَامُهُمْ مَا

مَلَكَتْ أَنْ أَنَاهُمْ عَنْكُمْ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فَلَعَمْرِي إِنَّ صَنِيعَكُمْ لِيُشَبِّهُ بَعْضُهُ بَعْضًا، ثُمَّ أَقَامَ مِنْ عِنْدِهِمْ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَدْخُلُ عَلَيْكُمْ مَدْخَلًا مَا بَقِيَتْ.

ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لِعَبْدِ اللَّهِ عُثْمَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، أَمَّا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّكَ بَعَثْتَ إِلَيَّ أَقْوَامًا يَتَكَلَّمُونَ بِالسُّنَّةِ الشَّيَاطِينِ وَمَا يَمْلُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَأْتُونَ النَّاسَ - زَعَمُوا - مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ، فَيُشَبِّهُونَ عَلَى النَّاسِ، وَلَيْسَ كُلُّ النَّاسِ يَعْلَمُ مَا يُرِيدُونَ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ فُرْقَةً، وَيَقْرِبُونَ فِتْنَةً، قَدْ أَثْقَلَهُمُ الْإِسْلَامُ وَأَضْجَرَهُمْ، وَتَمَكَّنَتْ رُقَى الشَّيْطَانِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، فَقَدْ أَفْسَدُوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ مِمَّنْ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَلَسْتُ آمِنٌ إِنْ أَقَامُوا وَسَطَ أَهْلِ الشَّامِ أَنْ يُغْرَوْهُمْ بِسِحْرِهِمْ وَجُورِهِمْ، فَارْدُدْهُمْ إِلَى مَصْرِهِمْ، فَلَتَكُنْ دَارُهُمْ فِي مَصْرِهِمُ الَّذِي نَجَّمَ فِيهِ نِفَاقَهُمْ، وَالسَّلَامُ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ يَأْمُرُهُ أَنْ يَرُدَّهُمْ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بِالْكُوفَةِ، فَارْدُدَّهُمْ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَكُونُوا إِلَّا أَطْلَقَ السُّنَّةَ مِنْهُمْ حِينَ رَجَعُوا. وَكَتَبَ سَعِيدٌ إِلَى عُثْمَانَ يَضِجُ مِنْهُمْ، فَكَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى سَعِيدٍ أَنْ سِيرَهُمْ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى حِمَصَ

٤٠١٨٠٢ ذكر الخبر عن تسيير عثمان من سير من اهل البصرة الى الشام

وَكَتَبَ إِلَى الْأَشْثَرِ وَأَصْحَابِهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ سِيرْتُكُمْ إِلَى حِمَصَ، فَإِذَا أَتَاكُمْ كِتَابِي هَذَا فَاخْرُجُوا إِلَيْهَا، فَإِنَّكُمْ لَسْتُمْ تَالُونَ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ شَرًّا وَالسَّلَامُ.

فَلَمَّا قَرَأَ الْأَشْثَرُ الْكِتَابَ، قَالَ: اللَّهُمَّ اسْوَأْنَا نَظْرًا لِلرَّعِيَّةِ وَأَعْمَلْنَا فِيهِمْ بِالْمَعْصِيَةِ، فَعَجَّلْ لَهُ النِّقْمَةَ. فَكَتَبَ بِذَلِكَ سَعِيدٌ إِلَى عُثْمَانَ، وَسَارَ الْأَشْثَرُ وَأَصْحَابُهُ إِلَى حِمَصَ، فَارْتَمَوْهُمُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ السَّاحِلِ، وَأَجْرَى عَلَيْهِمْ رِزْقًا. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: حَدَّثَنِي عَيْسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيِّ، قَالَ: اجْتَمَعَ نَفَرٌ بِالْكُوفَةِ - يَطْعَنُونَ عَلَى عُثْمَانَ - مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الْعِرَاقِ: مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْثَرُ، وَثَابِتُ بْنُ قَيْسِ النَّخَعِيِّ، وَكَيْلُ بْنُ زِيَادِ النَّخَعِيِّ، وَزَيْدُ بْنُ صُوحَانَ الْعَبْدِيِّ، وَجَنْدُبُ بْنُ زَهَيْرِ الْغَامِدِيِّ، وَجَنْدُبُ بْنُ كَعْبِ الْأَزْدِيِّ، وَعُرْوَةُ بْنُ الْجَعْدِ، وَعُمَرُو بْنُ الْحَمِقِ الْخَزَاعِيِّ.

فَكَتَبَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ إِلَى عُثْمَانَ يُخْبِرُهُ بِأَمْرِهِمْ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ سِيرَهُمْ إِلَى الشَّامِ وَأَلْزَمَهُمُ الدَّرُوبَ. ذَكَرَ الْخَبْرَ عَنْ تَسْيِيرِ عُثْمَانَ مِنْ سِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ إِلَى الشَّامِ.

مِمَّا كَتَبَ بِهِ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَطِيَّةٍ، عَنْ يَزِيدِ الْفَقْعَسِيِّ، قَالَ: لَمَّا مَضَى مِنْ إِمَارَةِ ابْنِ عَامِرٍ ثَلَاثَ سِنِينَ، بَلَغَهُ أَنَّ فِي عَبْدِ الْقَيْسِ رَجُلًا نَازِلًا عَلَى حَكِيمِ بْنِ جَبَلَةَ، وَكَانَ حَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ رَجُلًا لَصًّا، إِذَا قُفِلَ الْجِيُوشُ خَنَسَ عَنْهُمْ، فَسَعَى فِي أَرْضِ فَارَسَ، فَيَغِيرُ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ، وَيَتَنَكَّرُ لَهُمْ، وَيُفْسِدُ فِي الْأَرْضِ، وَيُصِيبُ مَا شَاءَ ثُمَّ يَرْجِعُ فَشَكَاهُ أَهْلُ الذِّمَّةِ وَأَهْلُ الْقَبْلَةِ إِلَى عُثْمَانَ فَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ: أَنْ أَحْبَسَهُ، وَمَنْ كَانَ مِثْلَهُ فَلَا يُخْرِجَنَّ مِنَ الْبَصْرَةِ حَتَّى تَأْتُوا مِنْهُ رَشْدًا، فَحَبَسَهُ فَكَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْرِجَ مِنْهَا فَلَمَّا قَدِمَ ابْنُ السُّودَاءِ نَزَلَ عَلَيْهِ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَفَرٌ فَطَرَحَ لَهُمُ ابْنُ السُّودَاءِ وَلَمْ يَصْرَحْ، فَقَبِلُوا مِنْهُ، وَاسْتَعْظَمُوهُ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ابْنُ عَامِرٍ، فَسَأَلَهُ: مَا أَنْتَ؟ فَأَخْبَرَهُ إِنَّهُ رَجُلٌ مِنْ

أَهْلِ الْكِتَابِ، رَغِبَ فِي الْإِسْلَامِ، وَرَغِبَ فِي جَوَارِكِ، فَقَالَ: مَا يَبْلَغُنِي ذَلِكَ، أَخْرَجَ عَنِّي نَخْرَجَ حَتَّى أَتَى الْكُوفَةَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فَاسْتَقَرَّ بِمَصْرَ، وَجَعَلَ يَكْتُبُهُمْ وَيَكْتُبُونَهُ، وَيَخْتَلِفُ الرِّجَالُ بَيْنَهُمْ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا: إِنَّ حُمْرَانَ بْنَ أَبَانَ تَزَوَّجَ امْرَأَةً فِي عَدَّتِهَا، فَكَلَّ بِهِ عُثْمَانُ، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا، وَسَيَّرَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَلَزِمَ ابْنُ عَامِرٍ، فَتَدَاكَّرُوا يَوْمًا الرُّكُوبَ

وَالْمُرُورَ بِعَامِرِ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ - وَكَانَ مُنْقَبِضًا عَنِ النَّاسِ - فَقَالَ حُمْرَانُ: أَلَا أَسْبِقُكُمْ فَأُخْبِرُهُ! فَخَرَجَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَقْرَأُ فِي الْمُصْحَفِ، فَقَالَ: الْأَمِيرُ أَرَادَ أَنْ يَمُرَّ بِكَ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُخْبِرَكَ، فَلَمْ يَقْطَعْ قِرَاءَتَهُ وَلَمْ يَقْبَلْ عَلَيْهِ، فَقَامَ مِنْ عِنْدِهِ خَارِجًا.

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْبَابِ لَقِيَهُ ابْنُ عَامِرٍ، فَقَالَ: جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ امْرِئٍ لَا يَرَى لَالَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ فَضْلًا، وَاسْتَأْذَنَ ابْنُ عَامِرٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ، وَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَأَطْبَقَ عَامِرُ الْمُصْحَفَ، وَحَدَّثَهُ سَاعَةً، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَامِرٍ: أَلَا تَغْشَانَا؟

فَقَالَ: سَعْدُ بْنُ أَبِي الْعَرَجَاءِ يُحِبُّ الشَّرَفَ، فَقَالَ: أَلَا نَسْتَعْمَلُكَ؟ فَقَالَ: حَصِينُ بْنُ أَبِي الْحَرِّ يُحِبُّ الْعَمَلَ، فَقَالَ: أَلَا نَزُوجُكَ! فَقَالَ: رِبْعَةُ بْنُ عَسَلٍ يُعِجِبُهُ النِّسَاءُ، قَالَ: إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّكَ لَا تَرَى لَالَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْكَ فَضْلًا، فَتَصَفِّحُ الْمُصْحَفَ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ وَافْتَتَحَ مِنْهُ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ»، فَلَمَّا رَدَّ حُمْرَانُ تَبِعَ ذَلِكَ مِنْهُ، فَسَعَى بِهِ، وَشَهِدَ لَهُ أَقْوَامٌ فَسَيَّرَهُ إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا عَلِمُوا عَلَيْهِ أَذْنُوا لَهُ فَأَبَى وَلَزِمَ الشَّامَ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، أَنَّ عَثْمَانَ سَيَّرَ حُمْرَانَ بْنَ أَبَانَ، أَنْ تَزُوجَ امْرَأَةً فِي عَدَّتِهَا، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا، وَضَرَبَهُ وَسَيَّرَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَأَتَاهُ عَنْهُ الَّذِي يُحِبُّ، أَذِنَ لَهُ.

فَقَدِمَ عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ، وَقَدِمَ مَعَهُ قَوْمٌ سَعَوْا بِعَامِرِ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ، إِنَّهُ لَا يَرَى التَّزْوِيجَ، وَلَا يَأْكُلُ اللَّحْمَ، وَلَا يَشْهَدُ الْجُمُعَةَ - وَكَانَ مَعَ عَامِرٍ انْقِبَاضَ،

وَكَانَ عَمَلُهُ كُلُّهُ خُفِيَّةً - فَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ بِذَلِكَ، فَالْحَقَهُ بِمُعَاوِيَةَ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ وَافَقَهُ وَعِنْدَهُ ثَرِيدَةٌ فَأَكَلَ أَكْلًا غَرِيًّا، فَعَرَفَ أَنَّ الرَّجُلَ مَكْذُوبٌ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا هَذَا، هَلْ تَدْرِي فِيمَ أُخْرِجْتُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أُلْبِغَ الْخَلِيفَةَ أَنَّكَ لَا تَأْكُلُ اللَّحْمَ، وَرَأَيْتُكَ وَعَرَفْتُ أَنَّكَ كَذَبَ عَلَيْكَ، وَأَنَّكَ لَا تَرَى التَّزْوِيجَ، وَلَا تَشْهَدُ الْجُمُعَةَ، قَالَ: أَمَّا الْجُمُعَةُ فَإِنِّي أَشْهَدُهَا فِي مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ أَرْجِعُ فِي أَوَّلِ النَّاسِ، وَأَمَّا التَّزْوِيجُ فَإِنِّي خَرَجْتُ وَأَنَا يُخْطَبُ عَلَيَّ، وَأَمَّا اللَّحْمُ فَقَدْ رَأَيْتُ، وَلَكِنِّي كُنْتُ امْرَأًا لَا أَكُلُ ذَبَائِحَ الْقَصَائِنِ مِنْذُ رَأَيْتُ قَصَابًا يَجْرُ شَاةً إِلَى مَذْبَحِهَا، ثُمَّ وَضَعَ السِّكِّينَ عَلَى مَذْبَحِهَا، فَمَا زَالَ يَقُولُ: النِّفَاقَ النِّفَاقَ، حَتَّى وَجِبْتُ قَالَ:

فَارْجِعْ، قَالَ: لَا أَرْجِعُ إِلَى بَلَدٍ اسْتَحَلَّ أَهْلُهُ مِنِّي مَا اسْتَحَلُّوا وَلَكِنِّي أَقِيمُ هَذَا الْبَلَدَ الَّذِي اخْتَارَهُ اللَّهُ لِي وَكَانَ يَكُونُ فِي السَّوَاخِلِ، وَكَانَ يَلْقَى مُعَاوِيَةَ، فَيَكْثُرُ مُعَاوِيَةُ أَنْ يَقُولَ: حَاجَتُكَ؟ فَيَقُولُ: لَا حَاجَةَ لِي، فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ، قَالَ: تَرُدُّ عَلَيَّ مِنْ حَرِّ الْبَصْرَةِ لَعَلَّ الصَّوْمَ أَنْ يَشْتَدَّ عَلَيَّ شَيْئًا، فَإِنَّهُ يَخْفَ عَلَيَّ فِي بِلَادِ كُرٍّ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي حَارِثَةَ وَأَبِي عَثْمَانَ، قَالَا: لَمَّا قَدِمَ مَسِيرَةُ أَهْلِ الْكُوفَةِ عَلَى مُعَاوِيَةَ، أَنْزَلَهُمْ دَارًا، ثُمَّ خَلَا بِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ وَقَالُوا لَهُ، فَلَمَّا فَرَّغُوا قَالَ: لَمْ تُؤْتُوا إِلَّا مِنَ الْحَقِّ، وَاللَّهُ مَا أَرَى مِنْطَقًا سَدِيدًا، وَلَا عُذْرًا مُبِينًا، وَلَا حِلْمًا وَلَا قُوَّةً، وَإِنَّكَ يَا صَعْصَعَةُ لَأَحْمَقُهُمْ، اصْنَعُوا وَقُولُوا مَا شِئْتُمْ مَا لَمْ تَدْعُوا شَيْئًا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُحْتَمَلُ لَكُمْ إِلَّا مَعْصِيَتَهُ، فَأَمَّا فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ فَانْتُمْ أُمَرَاءُ أَنْفُسِكُمْ فَرَاهِمُ بَعْدَ وَهُمْ يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، وَيَقِفُونَ مَعَ قَاصِّ الْجَمَاعَةِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ يَوْمًا وَبَعْضُهُمْ يَقْرَأُ بَعْضًا، فَقَالَ: إِنَّ فِي هَذَا خَلْفًا مِمَّا قَدِمْتُمْ بِهِ عَلَيَّ مِنَ النَّزَاعِ إِلَى أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، أَذْهَبُوا حَيْثُ شِئْتُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ لَزِمْتُمْ جَمَاعَتَكُمْ سَعِدْتُمْ بِذَلِكَ دُونَهُمْ، وَإِنْ لَمْ تَلْزَمُوهُمْ شَقِيتُمْ بِذَلِكَ دُونَهُمْ، وَلَمْ تَضُرُّوا أَحَدًا، فَجَزَوْهُ خَيْرًا،

وَاثْنَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا بَنَ الْكُوءِ، أَيُّ رَجُلٍ أَنَا؟ قَالَ: بَعِيدُ الثَّرَى، كَثِيرُ الْمَرْعَى، طَيِّبُ الْبَدِيَّةِ، بَعِيدُ الْغُورِ، الْغَالِبُ عَلَيْكَ الْحِلْمُ، رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، سُدَّتْ بِكَ فُرْجَةٌ مَخُوفَةٌ قَالَ: فَأَخْبَرَنِي عَنْ أَهْلِ الْإِحْدَاثِ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ فَإِنَّكَ أَعْقَلُ أَصْحَابِكَ، قَالَ: كَاتِبَتُهُمْ وَكَاتِبُونِي، وَأَنْكُرُونِي وَعَرَفْتُهُمْ، فَأَمَّا أَهْلُ الْإِحْدَاثِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَهُمْ أَحْرَصُ الْأُمَّةِ عَلَى الشَّرِّ، وَأَعْجَزُهُ عَنْهُ وَأَمَّا أَهْلُ الْإِحْدَاثِ مِنْ

أَهْلُ الْكُوفَةِ فَإِنَّهُمْ أَنْظَرُ النَّاسِ فِي صَغِيرٍ، وَأَرْكَبُهُ لِكَبِيرٍ وَأَمَّا أَهْلُ الْإِحْدَاثِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَإِنَّهُمْ يُرْدُونَ جَمِيعًا، وَيَصْدُرُونَ شَتَّى، وَأَمَّا أَهْلُ الْإِحْدَاثِ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ فَهُمْ أَوْفَى النَّاسِ بَشَرًا، وَأَسْرَعُهُ نَدَامَةً، وَأَمَّا أَهْلُ الْإِحْدَاثِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَاطَّوْعُ النَّاسِ لِمُرْشِدِهِمْ، وَأَعْصَاهُ لِمُغْوِيهِمْ.

وَحَجَّ النَّاسَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُمَانُ.

وَزَعَمَ أَبُو مَعْشَرٍ أَنَّ فَتْحَ قُبْرِسَ كَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَقَدْ ذَكَرْتُ مِنْ خَلْفِهِ فِي ذَلِكَ

۴۰۱۹ سنه اربع و ثلاثين

٤٠١٩٠١ ذکر خبر اجتماع المنحرفين على عثمان

ثم دخلت

(ذكر ما كانَ فيها من الأحداث المذكورة) فرعم أبو معشر أن غزوة الصواري كانتَ فيها، حدَّثني بذلك أحمد، عن حدثه، عن إسحاق، عنه وقد مضى الخبر عن هذه الغزوة وذكر من خالف أبا معشر في وقتها.

وفيهَا كَانَ ردُّ أَهْلِ الْكُوفَةِ سَعِيدَ بنِ الْعَاصِ عَنِ الْكُوفَةِ.

ذکر خبر اجتماع المنحرفین علی عثمان

وفي هذه السنة تكاتب المنحرفون عن عثمان بن عفان للاجتماع لمناظرته فيما كانوا يذكرون أنهم يقوموا عليه.

ذكر الخبير عن صفة اجتماعهم لذلك وخبر الجرعة:

مما كَتَبَ إِلَيَّ بِهِ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ الْمُسْتَنِيرِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ يَزِيدَ النُّخَعِيِّ، قَالَ: لما رَجَعَ مُعَاوِيَةُ الْمُسِيرِينَ، قَالُوا: إِنَّ الْعِرَاقَ وَالشَّامَ لَيْسَا لَنَا بِدَارٍ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجَزِيرَةِ فَأَتَوْهَا اخْتِيَارًا.

فَعَدَا عَلَيْهِمُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدٍ، فَسَاهَمَ الشَّدَّةَ، فَضَرَعُوا لَهُ وَتَابَعُوهُ.

وسرح الأُشترَ إلى عُثْمَانَ، فدعا به، وَقَالَ: اذهب حَيْثُ شِئْتَ، فَقَالَ:

أُرجع إلى عبد الرحمن، فرجع ووفد سعيد بن العاص إلى عثمان في سنة إحدى عشرة من إمارة عثمان وقبل مخرج سعيد بن العاص من الكوفة بسنة وبعض أخرى بعث الأشعث بن قيس على أذربيجان، وسعيد بن قيس على الري، وكان سعيد بن قيس على همدان، فعزل وجعل عليها النسير العجلي، وعلى إصهبان السائب بن الأقرع، وعلى ماه مالك بن حبيب اليربوعي، وعلى الموصل حكيم بن سلامة الحزامي، وجريز بن عبد الله على قرقيسياء، وسلمان

ابن ربيعة على الباب، وعلى الحرب القعقاع بن عمرو، وعلى حلوان عتيبة ابن النحاس، وخلت الكوفة من الرؤساء إلا منزوعاً أو مفتوناً. فخرج يزيد بن قيس وهو يريد خلع عثمان، فدخل المسجد، فجلس فيه، وثاب إليه الذين كان فيه ابن السوداء يكتبهم، فانقض عليه القعقاع، فأخذ يزيد بن قيس، فقال: إنما نستعفي من سعيد، قال: هذا ما لا يعرض لكم فيه، لا تجلس لهذا ولا يجتمعن إليك، واطلب حاجتك، فلعمري لتعطينها فرجع إلى بيته واستأجر رجلاً، وأعطاه دراهم وبغلاً على أن يأتي المسيرين وكتب إليهم: لا تضعوا كتابي من أيديكم حتى تجيئوا، فإن أهل المصر قد جامعونا فانطلق الرجل، فأتى عليهم وقد رجع الأشر، فدفع إليهم الكتاب، فقالوا: ما اسمك؟ قال: بعثر، قالوا: ممن؟ قال: من كلب، قالوا: سبع ذليل يبغثر النفوس، لا حاجة لنا بك وخالفهم الأشر، ورجع عاصياً، فلما خرج قال أصحابه: أخرجنا أخرجه الله، لا نجد بداً مما صنع، إن علم بنا عبد الرحمن لم يصدقنا ولم يستقلها، فاتبعوه فلم يلحقوه، وبلغ عبد الرحمن أنهم قد رحلوا فطلبهم في السواد، فسار الأشر سبعة والقوم عشراً، فلم يفجأ الناس في يوم الجمعة إلا والأشر على باب المسجد

يقول: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ، وَتَرَكْتُ سَعِيدًا يَرِيدُهُ عَلَى نَقْصَانِ نَسَائِكُمْ إِلَى مِائَةِ دِرْهَمٍ وَرَدَ أَهْلُ الْبَلَاءِ مِنْكُمْ إِلَى الْفَيْنِ وَيَقُولُ: مَا بِالْأَشْرَافِ النِّسَاءِ، وَهَذِهِ الْعِلَاقَةُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْعَدْلَيْنِ! وَيَزْعُمُ أَنَّ فِيكُمْ بَسْتَانَ قَرِيشٍ، وَقَدْ سَايَرْتَهُ مَرَحَلَةً، فَمَا زَالَ يَرْجُزُ بِذَلِكَ حَتَّى فَارَقْتَهُ، يَقُولُ:

وَيْلٌ لَأَشْرَافِ النِّسَاءِ مِنِّي ... صَمِّحْ كَأَنِّي مِنْ جَنْ

فَاسْتَخَفَ النَّاسَ، وَجَعَلَ أَهْلَ الْحَيِّ يَنْهَوْنَهُ فَلَا يَسْمَعُ مِنْهُمْ، وَكَانَتْ نَفْجَةٌ، وَفَرَجَ يَزِيدٌ، وَأَمْرٌ مَنَادِيَا يَنَادِي: مَنْ شَاءَ أَنْ يَلْحَقَ بِيَزِيدَ ابْنَ قَيْسٍ لَرْدِ سَعِيدٍ وَطَلَبِ أَمِيرٍ غَيْرِهِ فَلْيَفْعَلْ وَبَقِيَ حُلَمَاءُ النَّاسِ وَأَشْرَافُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ فِي الْمَسْجِدِ، وَذَهَبَ مِنْ سَوَاهِمٍ، وَعَمَرُو بْنُ حَرِيثٍ يَوْمَئِذٍ الْخَلِيفَةُ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا، بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا، فَلَا تَعُودُوا فِي شَرِّ قَدٍ اسْتَنْقَذَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ أَبْعَدَ الْإِسْلَامَ وَهَدِيهِ وَسُنَّتَهُ لَا تَعْرِفُونَ حَقًّا، وَلَا تَصِيبُونَ بَابَهُ! فَقَالَ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو: أَتَرُدُّ السَّيْلَ عَنْ عِبَادِهِ! فَارْدُدِ الْفِرَاتَ عَنْ أَدْرَاجِهِ، هِيَهَاتَ! لَا وَاللَّهِ لَا تَسْكُنُ الْغَوَاةَ إِلَّا الْمَشْرِفِيَّةُ وَيُوشِكُ أَنْ تَنْتَضِيَ، ثُمَّ يَعْجُونَ عَجِيجَ الْعَتَدَانِ وَيَتَمَنُونَ مَا هُمْ فِيهِ فَلَا يَرِدُهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا فَاصْبِرْ، فَقَالَ: أَصْبِرْ، وَتَحَوَّلَ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَخَرَجَ يَزِيدُ ابْنُ قَيْسٍ حَتَّى نَزَلَ الْجَرَعَةَ، وَمَعَهُ الْأَشْتَرُ، وَقَدْ كَانَ سَعِيدٌ تَلَبَّثَ فِي الطَّرِيقِ، فَطَلَعَ عَلَيْهِمْ سَعِيدٌ وَهُمْ مُقِيمُونَ لَهُ مُعْسَكُونَ، فَقَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا بِكَ.

فَقَالَ: فَمَا اخْتَلَفْتُمْ الْآنَ، إِنَّمَا كَانَ كَيْفِيكُمْ أَنْ تَبْعَثُوا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلًا وَتَضَعُوا إِلَيْ رَجُلًا وَهَلْ يَخْرُجُ الْأَلْفُ لَهُمْ عَقُولَ إِلَى رَجُلٍ! ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُمْ وَتَحَسَّوْا بِمَوْلَى لَهُ عَلَى بَعِيرٍ قَدْ حَسَرَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا كَانَ يَنْبَغِي لِسَعِيدٍ أَنْ يَرْجِعَ فَضْرَبَ الْأَشْتَرَ عُنُقَهُ، وَمَضَى سَعِيدٌ حَتَّى قَدَّمَ عَلَى عُثْمَانَ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: مَا يَرِيدُونَ؟ أَخْلَعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ؟ قَالَ: أَظْهَرُوا أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ الْبَدَلَ قَالَ: فَمَنْ يَرِيدُونَ؟ قَالَ: أَبُو مُوسَى، قَالَ: قَدْ أَثْبَتْنَا أَبُو مُوسَى عَلَيْهِمُ، وَوَاللَّهِ لَا نَجْعَلُ لِأَحَدٍ عَذْرًا، وَلَا نَتْرِكُ لَهُمْ حُجَّةً، وَلَنْصَبِرَنَّ كَمَا أَمَرْنَا حَتَّى نَبْلِغَ مَا يَرِيدُونَ وَرَجْعَ مَنْ قَرَّبَ عَمَلَهُ مِنَ الْكُفُوفَةِ، وَرَجْعَ جَرِيرٍ مِنْ قَرَقِيسِيَاءَ وَعَتِيبَةٍ مِنْ حُلَوَانَ وَقَامَ أَبُو مُوسَى فَتَكَلَّمَ بِالْكُفُوفَةِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَفَرَّقُوا فِي مِثْلِ هَذَا، وَلَا تَعُودُوا لِمِثْلِهِ، الزَّمُوا جَمَاعَتَكُمْ وَالطَّاعَةَ، وَإِيَّاكُمْ وَالْعَجَلَةَ، أَصْبِرُوا، فَكَأَنَّكُمْ بِأَمِيرٍ قَالُوا: فَصَلِّ بِنَا، قَالَ لَا، إِلَّا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، قَالُوا: عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِعُثْمَانَ

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَحْمَدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَّادٍ بْنُ طَلْحَةَ وَعَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ بْنُ عِيسَى، قَالَا: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عِيسَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ هَارُونَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ الْعَنْبَرِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: اجْتَمَعَ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَتَذَاكَرُوا أَعْمَالَ عُثْمَانَ وَمَا صَنَعَ، فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَبْعَثُوا إِلَيْهِ رَجُلًا يَكَلِّمُهُ، وَيُخْبِرُهُ بِأَحْدَاثِهِ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ ثُمَّ الْعَنْبَرِيُّ - وَهُوَ الَّذِي يُدْعَى عَامِرُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ - فَأَتَاهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ اجْتَمَعُوا فَنَظَرُوا فِي أَعْمَالِكَ، فَوَجَدُوكَ قَدْ رَكِبْتَ أُمُورًا عَظِيمًا، فَاتَّقِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَتُبْ إِلَيْهِ، وَانْزِعْ عَنْهَا قَالَ لَهُ عُثْمَانُ: انْظُرْ إِلَى هَذَا، فَإِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ قَارِئٌ، ثُمَّ هُوَ يَجِيءُ فَيَكْهِنُنِي فِي الْحَقَرَاتِ، فَوَاللَّهِ مَا يَدْرِي أَيْنَ اللَّهِ! قَالَ عَامِرٌ: أَنَا لَا أَدْرِي أَيْنَ اللَّهِ! قَالَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ مَا تَدْرِي ابْنَ اللَّهِ، قَالَ عَامِرٌ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأَدْرِي أَنَّ اللَّهَ بِالْمُرْصَادِ لَكَ فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَإِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْجٍ، وَإِلَى سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، وَإِلَى عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَاثِلِ السَّهْمِيِّ، وَإِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ، فَجَمَعَهُمْ لِيُشَاوِرَهُمْ فِي أَمْرِهِ وَمَا طَلَبَ إِلَيْهِ، وَمَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا عِنْدَهُ قَالَ لَهُمْ: إِنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ زُرَّاءَ وَنُصَحَاءَ، وَإِنَّكُمْ زُرَّائِي وَنُصَحَائِي وَأَهْلُ ثِقَتِي، وَقَدْ صَنَعَ النَّاسُ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ، وَطَلَبُوا إِلَيَّ أَنْ أَغْرَلَ عَمَّالِي، وَأَنْ أَرْجِعَ عَنْ جَمِيعِ مَا يَكْرَهُونَ إِلَيَّ مَا يُحِبُّونَ، فَاجْتَهِدُوا رَأْيَكُمْ، وَأَشِيرُوا عَلَيَّ.

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ: رَأْيِي لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِجِهَادٍ يَشْغَلُهُمْ عَنْكَ، وَأَنْ تَجَرَّهُمْ فِي الْمَغَازِي حَتَّى يَذِلُّوا لَكَ فَلَا يَكُونُ

هَمَّةٌ أَحَدِهِمْ إِلَّا نَفْسَهُ، وَمَا هُوَ فِيهِ مِنْ دُبْرَةٍ دَابَّتِهِ، وَقِيلَ فَرَّوْهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عُثْمَانُ عَلَى سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ لَهُ: مَا رَأَيْكَ؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ كُنْتَ تَرَى رَأْيَنَا فَاحْسِمِ عَنْكَ الدَّاءَ، واقْطَعْ عَنْكَ الَّذِي تَخَافُ، وَاْعْمَلْ بِرَأْيِي تُصَبِّ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: إِنْ لِكُلِّ قَوْمٍ قَادَةٌ مَتَى تَهْلِكُ يَتَفَرَّقُوا،

وَلَا يَجْتَمِعُ لَهُمْ أَمْرٌ، فَقَالَ عُثْمَانُ: إِنَّ هَذَا الرَّأْيَ لَوْلَا مَا فِيهِ ثُمَّ أَقْبَلَ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: مَا رَأَيْكَ؟ قَالَ: أَرَى لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَرُدَّ عَمَّا لَكَ عَلَى الْكِفَايَةِ لِمَا قَبْلَهُمْ، وَأَنَا ضَامِنٌ لَكَ قَبْلِي.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ، فَقَالَ: مَا رَأَيْكَ؟ قَالَ: أَرَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ النَّاسَ أَهْلُ طَمَعٍ، فَأَعْطَاهُمْ مِنْ هَذَا الْمَالِ تَعَطُّفٌ عَلَيْكَ قُلُوبَهُمْ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ لَهُ: مَا رَأَيْكَ؟ قَالَ: أَرَى أَنَّكَ قَدْ رَكِبْتَ النَّاسَ بِمَا يَكْرَهُونَ، فَأَعْتَزَمَ أَنْ تَعْتَدَلَ، فَإِنْ أَيْتَ فَأَعْتَزَمَ أَنْ تَعْتَدَلَ، فَإِنْ أَيْتَ فَأَعْتَزَمَ عَزْمًا، وَأَمْضِ قُدَمًا، فَقَالَ عُثْمَانُ: مَا لَكَ قِيلَ فَرَّوْكَ؟ أَهَذَا الْجَدُّ مِنْكَ! فَأُسْكِتَ عَنْهُ دَهْرًا، حَتَّى إِذَا تَفَرَّقَ الْقَوْمُ قَالَ عَمْرٍو: لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَأَنْتَ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ سَيَبْلُغُ النَّاسُ قَوْلَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَبْلُغَهُمْ قَوْلِي فَيَتَّقُوا بِي، فَأَقُودُ إِلَيْكَ خَيْرًا، أَوْ أَدْفَعُ عَنْكَ شَرًّا حَدَّثَنِي جَعْفَرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرٍو بْنُ حَمَادٍ وَعَلِي بْنُ حُسَيْنٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمْرٍو بْنِ أَبِي الْمَقْدَامِ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ الزُّهْرِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: جَمَعَ عُثْمَانُ أُمَرَاءَ الْأَجْنَادِ: مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْجٍ، وَعَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ، فَقَالَ: أَشِيرُوا عَلَيَّ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ تَنَمَّرُوا لِي، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: أَشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَأْمُرَ أُمَرَاءَ أَجْنَادِكَ فَيَكْفِيكَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَا قَبْلَهُ، وَأَكْفِيكَ أَنَا أَهْلَ الشَّامِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ:

أَرَى لَكَ أَنْ تَجْرَهُمْ فِي هَذِهِ الْبُعُوثِ حَتَّى يَهْمَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ دُبْرَ دَابَّتِهِ، وَلَتَشْغَلَهُمْ عَنِ الْإِرْجَافِ بِكَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ: أَشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَنْظُرَ مَا أَسْخَطَهُمْ فَتَرْضِيَهُمْ، ثُمَّ تُخْرِجُ لَهُمْ هَذَا الْمَالَ فَيُقَسِّمُ بَيْنَهُمْ.

ثُمَّ قَامَ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ فَقَالَ: يَا عُثْمَانُ، إِنَّكَ قَدْ رَكِبْتَ النَّاسَ بِمِثْلِ بَنِي أُمَيَّةَ، فَقُلْتَ وَقَالُوا، وَزَعْتَ وَزَاغُوا، فَأَعْتَدَلَ أَوْ اعْتَدَلَ، فَإِنْ أَيْتَ فَأَعْتَزَمَ عَزْمًا، وَأَمْضِ قُدَمًا، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَالِكَ قِيلَ فَرَّوْكَ! أَهَذَا الْجَدُّ مِنْكَ! فَأُسْكِتَ عَمْرٍو حَتَّى إِذَا تَفَرَّقُوا قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،

لَأَنْتَ أَكْرَمُ عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ بِالْبَابِ قَوْمًا قَدْ عَلِمُوا أَنَّكَ جَمَعْتَنَا لِنَشِيرَ عَلَيْكَ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَبْلُغَهُمْ قَوْلِي، فَأَقُودُ لَكَ خَيْرًا، أَوْ أَدْفَعُ عَنْكَ شَرًّا فَدَرَّ عُثْمَانُ عَمَالَهُ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَأَمَرَهُمْ بِالتَّضْيِيقِ عَلَى مَنْ قَبْلَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِتَجْمِيرِ النَّاسِ فِي الْبُعُوثِ، وَعَزَمَ عَلَى تَحْرِيمِ أُعْطِيَاتِهِمْ لِيُطِيعُوهُ، وَيَحْتَاجُوا إِلَيْهِ، وَرَدَّ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ أَمِيرًا عَلَى الْكُوفَةِ، فَخَرَجَ أَهْلُ الْكُوفَةِ عَلَيْهِ بِالسَّلَاحِ، فَتَلَقَّوهُ فَرَدُّوهُ، وَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ لَا يَلِي عَلَيْنَا حُكْمًا مَا حَمَلْنَا سِيوفَنَا.

حَدَّثَنِي جَعْفَرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرٍو وَعَلِي بْنُ حُسَيْنٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ هَارُونَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِي يَحْيَى عَمِيرِ بْنِ سَعْدِ النَّخَعِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْأَشْتَرِ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ النَّخَعِيِّ عَلَى وَجْهِهِ الْغَبَارُ، وَهُوَ مُتَقَلِّدُ السِّيفِ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا يَدْخُلُهَا عَلَيْنَا مَا حَمَلْنَا سِيوفَنَا- يَعْنِي سَعِيدًا، وَذَلِكَ يَوْمَ الْجَرَّةِ، وَالْجَرَّةُ مَكَانٌ مَشْرُفٌ قَرِبَ الْقَادِسِيَّةِ- وَهَنَّاكَ تَلْقَاهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ.

حَدَّثَنِي جَعْفَرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرٍو وَعَلِيٌّ، قَالَا: حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ هَارُونَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ عَمْرٍو بْنِ مُرَّةَ الْجَلِّيِّ، عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ الطَّائِيِّ، عَنْ أَبِي ثَوْرٍ الْحَدَّائِيِّ- وَحَدَّثَنَا حِيٌّ مِنْ مُرَادٍ- أَنَّهُ قَالَ:

دَفَعْتُ إِلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَأَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيِّ وَهُمَا فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ يَوْمَ الْجَرَّةِ، حَيْثُ صَنَعَ النَّاسُ بِسَعِيدِ بْنِ

الْعَاصِ مَا صَنَعُوا، وَأَبُو مَسْعُودٍ يُعْظِمُ ذَلِكَ، وَيَقُولُ: مَا أَرَى أَنْ تُرَدَّ عَلَى عَقِبِهَا حَتَّى يَكُونَ فِيهَا دِمَاءٌ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: وَاللَّهِ لَتُرَدَّنَّ عَلَى عَقِبِهَا، وَلَا يَكُونُ فِيهَا مُحْجَمَةٌ مِنْ دَمٍ، وَمَا أَعْلَمُ مِنْهَا الْيَوْمَ شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ عَلِمْتُهُ وَمُحَمَّدٌ صَحِيٌّ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُصْبِحُ عَلَى الْإِسْلَامِ ثُمَّ يَمْسِي وَمَا مَعَهُ مِنْهُ شَيْءٌ، ثُمَّ يَقَاتِلُ أَهْلَ الْقِبْلَةِ وَيَقْتُلُهُ اللَّهُ غَدًا، فَيَنْكُصُ قَلْبُهُ، فَيَقْتُلُوهُ اسْتَهَ فَقُلْتُ لِأَيِّ ثَوْرٍ: فَاعْلَهُ قَدْ كَانَ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا كَانَ فَلَمَّا رَجَعَ

سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ إِلَى عُثْمَانَ مَطْرُودًا، أَرْسَلَ أَبَا مُوسَى أَمِيرًا عَلَى الْكُوفَةِ، فَأَقْرُوهُ عَلَيْهِمَا. كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ وَاكِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَيْرٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: قَامَ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْفِتْنَةِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، اسْكُتُوا، [فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: مَنْ خَرَجَ وَعَلَى النَّاسِ إِمَامٌ - وَاللَّهِ مَا قَالَ: عَادِلٌ - لِيَشَقَّ عَصَاهُمْ، وَيُفَرِّقَ جَمَاعَتَهُمْ، فَاقْتُلُوهُ كَاتِبًا مِنْ كَانَ].

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطْلُحَةَ، قَالَ: لَمَّا اسْتَعْوَى يَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ النَّاسَ عَلَى سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، خَرَجَ مِنْهُ ذِكْرُ عُثْمَانَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرِو حَتَّى أَخَذَهُ، فَقَالَ: مَا تُرِيدُ؟ أَلَاكَ عَلَيْنَا فِي أَنْ نَسْتَعْنِي سَبِيلًا؟ قَالَ: لَا، فَهَلْ إِلَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَاسْتَعْفِ وَاسْتَجَلِبْ يَزِيدُ أَصْحَابَهُ مِنْ حَيْثُ كَانُوا، فَرَدُّوا سَعِيدًا، وَطَلَبُوا أَبَا مُوسَى، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ عُثْمَانُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَمَرْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ اخْتَرْتُمْ، وَأَعْفَيْتُمْ مِنْ سَعِيدٍ، وَاللَّهِ لَا فَرَشَنَّاكُمْ عَرْضِي، وَلَا بَذَلَنَّا لَكُمْ صَبْرِي، وَلَا سَتَصْلِحَنَّكُمْ بِجَهْدِي، فَلَا تَدْعُوا شَيْئًا أَحْبَبْتُمُوهُ لَا يَعْصِي اللَّهَ فِيهِ إِلَّا سَأَلْتُمُوهُ، وَلَا شَيْئًا كَرِهْتُمُوهُ لَا يَعْصِي اللَّهَ فِيهِ إِلَّا اسْتَعْفَيْتُمْ مِنْهُ، أَنْزَلَ فِيهِ عِنْدَ مَا أَحْبَبْتُمْ، حَتَّى لَا يَكُونَ لَكُمْ عَلَى حُجَّةٍ.

وَكَتَبَ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي الْأَمْصَارِ، فَقَدِمَتْ إِمَارَةُ أَبِي مُوسَى وَغَزَوْا حُذَيْفَةَ وَتَأَمَّرَ أَبُو مُوسَى، وَرَجَعَ الْعَمَّالُ إِلَى أَعْمَالِهِمْ، وَمَضَى حُذَيْفَةُ إِلَى الْبَابِ.

وَأَمَّا الْوَاقِدِيُّ فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدٍ حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا كَانَتْ سَنَةٌ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ كَتَبَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ص بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ: أَنْ أَقْدِمُوا، فَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْجِهَادَ فَعِنْدَنَا الْجِهَادُ.

وَكَثُرَ النَّاسُ عَلَى عُثْمَانَ، وَنَالُوا مِنْهُ أَقْبَحَ مَا نِيلَ مِنْ أَحَدٍ، وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ص يَرُونَ وَيَسْمَعُونَ، لَيْسَ فِيهِمْ أَحَدٌ يَنْهَى وَلَا يَذُبُّ إِلَّا نَفِيرًا، مِنْهُمْ: زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فَاجْتَمَعَ النَّاسُ، [وَكَلَّمُوا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ].

فَدَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ، فَقَالَ: النَّاسُ وَرَائِي، وَقَدْ كَلَّمُونِي فِيكَ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ، وَمَا أَعْرِفُ شَيْئًا تَجْهَلُهُ، وَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ، مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَخَبَرَكَ عَنْهُ، وَلَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنَبِلَغَكَ، وَمَا خُصَصْنَا بِأَمْرٍ دُونَكَ، وَقَدْ رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ، وَصَحَّبْتَ رَسُولَ اللَّهِ ص وَنِلْتَ صِهْرَهُ، وَمَا ابْنُ أَبِي خُفَافَةَ بِأَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ، وَلَا ابْنُ الْخَطَّابِ بِأَوْلَى شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ مِنْكَ، وَإِنَّكَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص رَحْمًا، وَلَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ص مَا لَمْ يَنَالَا، وَلَا سَبَقَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَالَلَّهِ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ وَاللَّهِ مَا تُبْصِرُ مِنْ عَمَى، وَلَا تَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ، وَإِنَّ الطَّرِيقَ لَوَاضِحٌ بَيْنَ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ تَعْلَمُ يَا عُثْمَانُ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ، هُدًى وَهَدًى، فَأَقَامَ سَنَةً مَعْلُومَةً، وَأَمَاتَ بَدْعَهُ مَتْرُوكَةً، فَوَاللَّهِ إِنَّ كُلَّ لَبِيبٍ، وَإِنَّ السَّنَنَ لَقَائِمَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ الْبِدْعَ لَقَائِمَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ، ضَلَّ وَضَلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وَأَحْيَا بَدْعًا مَتْرُوكَةً، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص

يقول: يُوْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ، فَيَلْقَى فِي جَهَنَّمَ، فَيَدُورُ فِي جَهَنَّمَ كَمَا تَدُورُ الرَّحَا، ثُمَّ يَرْتَطِمُ فِي غَمْرَةِ جَهَنَّمَ وَإِنِّي أُحَذِّرُكَ اللَّهَ، وَأُحَذِّرُكَ سَطَوْتَهُ وَنَقَمَاتِهِ، فَإِنَّ عَذَابَهُ شَدِيدٌ أَلِيمٌ وَأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُقْتُولِ، فَإِنَّهُ يُقَالُ: يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ، فَيَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَتَلْبَسُ أُمُورُهَا عَلَيْهَا، وَيَتْرَكُهُمْ شَيْعًا، فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ لِعُلُوِّ الْبَاطِلِ، يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجًا، وَيَمْرَجُونَ فِيهَا مَرَجًا]

فَقَالَ عُثْمَانُ: قَدْ وَاللَّهِ عَلِمْتُ، لَيَقُولَنَّ الَّذِي قُلْتَ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ مَكَانِي مَا عَنَفْتُكَ، وَلَا أَسْلَمْتُكَ، وَلَا عَبْتُ عَلَيْكَ، وَلَا جِئْتُ مُنْكَرًا إِنْ وَصَلْتَ رَحْمًا، وَسَدَدْتَ خُلَّةً، وَأَوَيْتَ ضَائِعًا، وَوَلَّيْتَ شَبِيهًا بِمَنْ كَانَ عَمْرِيوِي أَنشُدَكَ اللَّهَ يَا عَلِيُّ، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ لَيْسَ هُنَاكَ! قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَتَعْلَمُ أَنَّ عُمَرَ وَلَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَلِمَ تَلُومُنِي أَنْ وَلَّيْتُ ابْنَ عَامِرٍ فِي رَحِمِهِ وَقَرَابَتِهِ؟ [قَالَ عَلِيُّ: سَأُخْبِرُكَ، إِنْ عَمَرَ ابْنُ الْخَطَّابِ كَانَ كُلُّ مَنْ وَلَّى فَإِنَّمَا يَطَأُ عَلَى صِمَاحِهِ، إِنْ بَلَغَهُ عَنْهُ حَرْفٌ جَلَبَهُ ثُمَّ بَلَغَ بِهِ أَقْصَى الْغَايَةِ، وَأَنْتَ لَا تَفْعَلُ، ضَعُفَتْ وَرَفَقَتْ عَلَى أَقْرَبَائِكَ].

قَالَ عُثْمَانُ: هُمْ أَقْرَبَاؤُكَ أَيضًا [فَقَالَ عَلِيُّ: لَعَمْرِي إِنْ رَحِمَهُمْ مِنِّي لَقَرِيْبَةٌ، وَلَكِنْ الْفَضْلُ فِي غَيْرِهِمْ،] قَالَ عُثْمَانُ: هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُمَرَ وَلَّى مُعَاوِيَةَ خِلَافَتَهُ كُلَّهَا؟ فَقَدْ وَلَّيْتَهُ [فَقَالَ عَلِيُّ: أَنشُدَكَ اللَّهَ هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَانَ أَخَوْفَ مِنْ عُمَرَ مِنْ يَرْفَأُ غُلَامَ عُمَرَ مِنْهُ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ عَلِيُّ: فَإِنَّ مُعَاوِيَةَ يَقْتَطِعُ الْأُمُورَ دُونَكَ وَأَنْتَ تَعْلَمُهَا، فَيَقُولُ لِلنَّاسِ:

هَذَا أَمْرُ عُثْمَانَ، فَيَبْلُغُكَ وَلَا تَغَيِّرْ عَلَى مُعَاوِيَةَ] ثُمَّ خَرَجَ عَلِيٌّ مِنْ عِنْدِهِ، وَخَرَجَ عُثْمَانُ عَلَى أَثَرِهِ، فَجَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ أَفَةً، وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاهَةٌ، وَإِنَّ أَفَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَعَاهَةَ هَذِهِ النَّعْمَةِ، عِيَابُونَ طِعَانُونَ، يَرُونَكُمْ مَا تُحِبُّونَ وَيُسِرُّونَ مَا تَكْرَهُونَ، يَقُولُونَ لَكُمْ وَتَقُولُونَ، أَمْثَالَ النَّعَامِ يَتَّبِعُونَ أَوَّلَ نَاعَتِي، أَحَبُّ مَوَارِدِهَا إِلَيَّ الْبَعِيدُ، لَا يَشْرَبُونَ إِلَّا نَغْصًا وَلَا يَرْدُونَ إِلَّا عِكَرًا، لَا يَقُومُ لَهُمْ رَأْيٌ، وَقَدْ أَعْيَتَهُمُ الْأُمُورُ، وَتَعَذَّرَتْ عَلَيْهِمُ الْمَكَاسِبُ أَلَا فَقَدْ وَاللَّهِ عِثَمٌ عَلَيَّ بِمَا أَقَرَّرْتُمْ لَابْنَ الْخَطَّابِ بِمِثْلِهِ، وَلَكِنَّهُ وَطِئَكُمْ بِرِجْلِهِ، وَضَرَبَكُمْ بِيَدِهِ، وَقَعَّعَكُمْ بِلِسَانِهِ، فَدَنَنْتُمْ لَهُ عَلَى مَا أَحْبَبْتُمْ أَوْ كَرِهْتُمْ، وَلَنْتُمْ لَكُمْ، وَأَوْطَأْتُمْ لَكُمْ كَتِفِي، وَكَفَفْتُ يَدِي وَلِسَانِي عَنْكُمْ، فَاجْتَرَأْتُمْ عَلَيَّ أَمَا وَاللَّهِ لَأَنَا أَعَزُّ نَفَرًا، وَأَقْرَبُ نَاصِرًا

وَأَكْثَرُ عَدَدًا، وَأَقْنُ إِنْ قُلْتُ هَلُمَّ أُنِي إِلَيَّ، وَلَقَدْ أَعَدَدْتُ لَكُمْ أَقْرَانَكُمْ، وَأَفْضَلْتُ عَلَيْكُمْ فُضُولًا، وَكَشَرْتُ لَكُمْ عَنْ نَائِي، وَأَخْرَجْتُ مِنِّي خُلُقًا لَمْ أَكُنْ أَحْسَنُهُ، وَمَنْطِقًا لَمْ أَنْطِقْ بِهِ، فَكُفُّوا عَلَيْكُمْ السِّنْتَكَمُ، وَطَعْنُكُمْ وَعَيْبُكُمْ عَلَى وُلَاتِكُمْ، فَإِنِّي قَدْ كَفَفْتُ عَنْكُمْ مَنْ لَوْ كَانَ هُوَ الَّذِي يَكَلِّمُكُمْ لَرَضِيتُمْ مِنْهُ بِدُونِ مَنْطِقِي هَذَا أَلَا فَمَا تَفْقِدُونَ مِنْ حَقِّكُمْ؟ وَاللَّهِ مَا قَصَّرْتُ فِي بُلُوغِ مَا كَانَ يَبْلُغُ مِنْ كَانَ قَبْلِي، وَمَنْ لَمْ تَكُونُوا تَخْتَلِفُونَ عَلَيْهِ فَضْلَ فَضْلٍ مِنْ مَالٍ، فَمَا لِي لَا أَصْنَعُ فِي الْفَضْلِ مَا أُرِيدُ! فَلَمْ كُنْتُ أَمَامًا! فَقَامَ مِرْوَانُ ابْنُ الْحَكَمِ، فَقَالَ: إِنْ شِئْتُمْ حَكَمْنَا وَاللَّهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ السَّيْفُ، نَحْنُ وَاللَّهِ وَأَنْتُمْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

فَرَشْنَا لَكُمْ أَعْرَاضًا فَنَبَتْ بِكُمْ ... مَعَارِسُكُمْ تَبْنُونَ فِي دِمَنِ الثَّرَى

فَقَالَ عُثْمَانُ: اسْكُتْ لَا سَكْتَ، دَعْنِي وَأَصْحَابِي، مَا مَنْطِقُكَ فِي هَذَا! أَلَمْ أَتَقَدَّمْ إِلَيْكَ أَلَا تَنْتَقِ! فَسَكَتَ مِرْوَانُ، وَنَزَلَ عُثْمَانُ. وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ أَبُو عَبْسٍ بْنُ جَبْرِ بِالْمَدِينَةِ، وَهُوَ بَدْرِيٌّ وَمَاتَ أَيْضًا مِسْطَحُ بْنُ أَثَاثَةَ، وَعَاقِلُ بْنُ أَبِي الْبَكْرِ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ لَيْثٍ، حَلِيفُ لَبْنِي عَدِيٍّ، وَهُمَا بَدْرِيَّانِ.

وَجَّحَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٤٠٢٠ سنه خمس وثلاثين

٤٠٢٠٠١ ذكر مسير من سار إلى ذي خشب من اهل مصر وسبب مسير من سار إلى ذي المروة من اهل العراق

سنة خمس وثلاثين

(ذكر ما كان فيها من الأحداث) فما كان فيها من ذلك نزول أهل مصر ذا خشب، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَنْ حَدَّثِهِ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ، قَالَ: كَانَ ذُو خَشْبٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ، وَكَذَلِكَ قَالَ الْوَاقِدِيُّ.

ذكر مسير من سار إلى ذي خشب من أهل مصر وسبب مسير من سار إلى ذي المروة من أهل العراق فيما كتب به إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي، قال: كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين، يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمدا يرجع، وقد قال الله عز وجل: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ».

فمحمد أحق بالرجوع من عيسى قال: فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة، فتكلموا فيها ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ص، ووثب علي وصي رسول الله ص، وتناول أمر الأمة! ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله ص،

فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدءوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر.

فبث دعائه، وكتب من كان استفسد في الأمصار وكتابه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم، ويكتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم، حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسرون غير ما يبدون، فيقول أهل كل مصر: إنا لنفي عافيه مما ابتلي به هؤلاء، إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار، فقالوا:

إنا لنفي عافيه مما فيه الناس، وجامعه محمد وطلحة من هذا المكان، قالوا: فأتوا عثمان، فقالوا: يا أمير المؤمنين، أيا تيك عن الناس الذي يأتينا؟ قال: لا والله، ما جاءني إلا السلامة، قالوا: فإنا قد أتانا وأخبروه بالذي أسقطوا إليهم، قال: فأنتم شركائي وشهود المؤمنين، فأشيروا علي، قالوا:

نشير عليك أن تبعث رجالا ممن نثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم.

فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة، وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام، وفرق رجالا سواهم، فرجعوا جميعا قبل عمار، فقالوا: أيها الناس، ما أنكرنا شيئا، ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم، وقالوا جميعا: الأمر أمر المسلمين، إلا أن امرأهم يقسطون بينهم، ويقومون عليهم واستبطأ الناس عمارا حتى ظنوا أنه قد اغتيل، فلم

يفجأهم الا كتاب من عبد الله ابن سعد بن أبي سرح يخبرهم أن عمارا قد استماله قوم بمصر، وقد انقطعوا إليه، منهم عبد الله بن السوداء، وخالد بن ملجم، وسودان بن حمران، وكثانة بن بشر

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وعطية، قالوا: كتب عثمان إلى أهل الأمصار: أما بعد، فإني أخذ العمال بموافاتي في كل موسم، وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يرفع علي شيء ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته، وليس لي ولعالي حق قبل الرعية إلا متروك لهم، وقد رفع إلي أهل المدينة أن أقوما يشتمون، وآخرون يضربون، فيأمن ضرب سراً، وشتم سراً، من ادعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم فليأخذ بحقه حيث كان، مني أو من عمالي، أو تصدقوا فان الله يجزي المتصدقين فلما قرئ في الأمصار أبكى الناس، ودعوا لعثمان وقالوا: إن الأمة لتتخض بشراً وبعث إلى عمال الأمصار فقدموا عليه: عبد الله بن عامر، ومعاوية، وعبد الله بن سعد، وأدخل معهم في المشورة سعيداً وعمراً، فقال: ويحكم! ما هذه الشكاية؟ وما هذه الإذاعة؟ إني والله لخائف أن تكونوا مصدوقاً عليكم، وما يعصب هذا إلا بي، فقالوا له: ألم تبعث! ألم نرجع إليك الخبر عن القوم! ألم يرجعوا ولم يشافهم أحد بشيء! لا والله ما صدقوا ولا بروا، ولا نعلم لهذا الأمر أصلاً، وما كنت لتأخذ به أحداً فيقيمك على شيء، وما هي إلا إذاعة لا يحل الأخذ بها، ولا الانتهاء إليها.

قال: فأشيروا علي، فقال سعيد بن العاص: هذا أمر مصنوع يصنع في السر، فيلقى به غير ذي المعرفة، فيخبر به، فيتحدث به في مجالسهم، قال: فما دواء ذلك؟ قال: طلب هؤلاء القوم، ثم قتل هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم. وقال عبد الله بن سعد: خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لهم، فإنه خير من أن تدعهم قال معاوية: قد وليتني فويلت قوما لا يأتيك عنهم إلا الخير، والرجلان أعلم بناحيتهما، قال: فما الرأي؟ قال: حسن الأدب، قال: فما ترى يا عمرو؟ قال: أرى أنك قد نلت لهم، وتراخيت

عنهم، وزدتهم على ما كان يصنع عمر، فأرى أن تلزم طريقة صاحبك، فتشد في موضع الشدة، وتلين في موضع اللين إن الشدة تنبغي لمن لا يألو الناس شراً، واللين لمن يخلف الناس بالنصح، وقد فرشتها جميعاً اللين. وقام عثمان فحمد الله وأثنى عليه وقال: كل ما أشرتم به علي قد سمعت، ولكل أمر باب يؤتى منه، إن هذا الأمر الذي يخاف على هذه الأمة كائن، وإن بابه الذي يغلق عليه فيكفكف به اللين والمواتاة والمتابعة، إلا في حدود الله تعالى ذكره، التي لا يستطيع أحد أن يبادي بعيب أحدها، فإن سده شيء فرفق، فذاك والله ليفتح، وليست لأحد علي حجة حق، وقد علم الله أنني لم آل الناس خيراً، ولا نفسي وو الله إن راحا الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها فكفوا الناس، وهبوا لهم حقوقهم، واغترفوا لهم، وإذا تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا فيها.

فلما نفر عثمان أخص معاوية وعبد الله بن سعد إلى المدينة، ورجع ابن عامر وسعيد معه ولما استقل عثمان رجز الحادي: قد علت ضوامر المطي ... وضامرات عوج القسي
أن الأمير بعده علي ... وفي الزبير خلف رضي
وطلحة الحامي لها ولي.

فقال كعب وهو يسير خلف عثمان: الأمير والله بعده صاحب البغلة - وأشار إلى معاوية.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن بدر بن الحليل بن عثمان بن قطبة الأسدي، عن رجل من بني أسد، قال: ما زال

مُعَاوِيَةَ يَطْمَعُ فِيهَا بَعْدَ مَقْدَمِهِ عَلَى عُثْمَانَ حِينَ جَمْعِهِمْ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ بِالْمَوْسَمِ، ثُمَّ ارْتَحَلَ، لَخْدَا بِهِ الرَّاجِزُ:
أَنَّ الْأَمِيرَ بَعْدَهُ عَلِيٌّ... وَفِي الزُّبَيْرِ خَلْفَ رَضِي

قَالَ كَعْبٌ: كَذَبْتَ! صَاحِبُ الشَّهْبَاءِ بَعْدَهُ- يَعْنِي مُعَاوِيَةَ- فَأَخْبَرَ مُعَاوِيَةَ، فَسَأَلَهُ عَنِ الَّذِي بَلَغَهُ، قَالَ: نَعَمْ، أَنْتَ الْأَمِيرُ بَعْدَهُ، وَلَكِنَّهَا وَاللَّهِ لَا تَصِلُ إِلَيْكَ حَتَّى تَكْذِبَ بِحَدِيثِي هَذَا فَوْقَتَ فِي نَفْسِ مُعَاوِيَةَ.
وَشَارَكَهُمْ فِي هَذَا الْمَكَانِ أَبُو حَارِثَةَ وَأَبُو عُثْمَانَ، عَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيَوَةَ
وغيره قَالُوا: فَلَمَّا وَرَدَ عُثْمَانُ الْمَدِينَةَ رَدَّ الْأَمْرَ إِلَى أَعْمَالِهِمْ، فَضَوُّوا جَمِيعًا، وَأَقَامَ سَعِيدٌ بَعْدَهُمْ، فَلَمَّا وَدَعَ مُعَاوِيَةَ عُثْمَانَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَعَلَيْهِ ثِيَابُ السَّفَرِ مُتَقَلِّدًا سَيْفَهُ، مُتَنَكِّبًا قَوْسَهُ، فَإِذَا هُوَ بَنَفَرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فِيهِمْ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَلِيٌّ، فَقَامَ عَلَيْهِمْ، فَتَوَكَّأَ عَلَى قَوْسِهِ بَعْدَ مَا سَلَّمَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ:

إِنَّمَا قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ كَانَ إِذِ النَّاسُ يَتَغَالَبُونَ إِلَى رِجَالٍ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَفِي فَصِيلَتِهِ مِنْ يَرُؤُسِهِ، وَيَسْتَبِدُّ عَلَيْهِ، وَيَقْطَعُ الْأَمْرَ دُونَهُ، وَلَا يَشْهَدُهُ، وَلَا يُؤَامِرُهُ، حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ نَبِيَّهُ ص، وَأَكْرَمَ بِهِ مَنْ اتَّبَعَهُ، فَكَانُوا يَرُؤُسُونَ مِنْ جَاءٍ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ، يَتَفَاضَلُونَ بِالسَّابِقَةِ وَالْقَدَمَةِ وَالْاجْتِهَادِ، فَإِنْ أَخَذُوا بِذَلِكَ وَقَامُوا عَلَيْهِ كَانَ الْأَمْرُ أَمْرَهُمْ، وَالنَّاسُ تَتَّبِعُ لَهُمْ، وَإِنْ أَصْغَوْا إِلَى الدُّنْيَا وَطَلَبُوهَا بِالتَّغَالُبِ سَلَبُوا ذَلِكَ، وَرَدَّهُ اللَّهُ إِلَى مَنْ كَانَ يَرُؤُسُهُمْ وَإِلَّا فليَحْذَرُوا الْغَيْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَلَى الْبَدَلِ قَادِرٌ، وَلَهُ الْمَشِيئَةُ فِي مَلِكِهِ وَأَمْرِهِ إِنِّي قَدْ خَلَفْتُ فِيكُمْ شَيْخًا فَاسْتَوْصُوا بِهِ خَيْرًا، وَكَانَفُوهُ تَكُونُوا أَسْعَدَ مِنْهُ بِذَلِكَ ثُمَّ وَدَعَهُمْ وَمَضَى، فَقَالَ عَلِيٌّ: مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ فِي هَذَا خَيْرًا، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: لَا وَاللَّهِ، مَا كَانَ قَطُّ أَعْظَمَ فِي صَدْرِكَ وَصَدُورِنَا مِنْهُ الْغَدَاةُ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ شُبَيْهٍ، قَالَ:

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ، قَالَ: أَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى طَلْحَةَ يَدْعُوهُ، فَخَرَجْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ، وَإِذْ عَلِيٌّ وَسَعْدُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعُثْمَانُ وَمُعَاوِيَةُ، فَحَمِدَ اللَّهُ مُعَاوِيَةَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَخَيْرَتُهُ فِي الْأَرْضِ، وَوَلَاةُ أَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، لَا يَطْمَعُ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ غَيْرُكُمْ، اخْتَرْتُمْ صَاحِبَكُمْ عَنْ غَيْرِ غَلْبَةٍ وَلَا طَمَعٍ، وَقَدْ كَبُرَتْ سُنَّتُهُ، وَوَلَّى عُمَرُ، وَلَوْ أَنْتَظَرْتُمْ بِهِ الْهَرَمَ كَانَ قَرِيبًا، مَعَ أَنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَبْلُغَ بِهِ ذَلِكَ، وَقَدْ فَشَتْ قَالَةٌ خَفَتْهَا عَلَيْكُمْ، فَمَا عَتَبْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَهَذِهِ يَدِي لَكُمْ بِهِ، وَلَا تَطْمَعُوا النَّاسَ فِي أَمْرِكُمْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ طَمِعُوا فِي ذَلِكَ لَا رَأَيْتُمْ فِيهَا أَبَدًا إِلَّا ادْبَارًا قَالَ عَلِيٌّ: وَمَالِكَ وَذَلِكَ! وَمَا أَدْرَاكَ لَا أُمَّ لَكَ! قَالَ: دَعِ أُمَّيَ مَكَانَهَا، لَيْسَتْ بِشَرِّ أُمَّهَاتِكُمْ، قَدْ اسْلَمْتُ وَبَايَعْتُ النَّبِيَّ ص

رجع الحديث إلى حديث سيف، عن شيوخه:

، وَأَجْبَنِي فِيمَا أَقُولُ لَكَ فَقَالَ عُثْمَانُ: صَدَقَ ابْنُ أَخِي، إِنِّي أَخْبَرْتُكُمْ عَنِّي وَعَمَّا وَلِيْتُ، إِنَّ صَاحِبِي الَّذِينَ كَانُوا قَبْلِي ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمَا وَمَنْ كَانَ مِنْهُمَا بِسَبِيلِ احْتِسَابٍ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص كَانَ يُعْطِي قَرَابَتَهُ، وَأَنَا فِي رَهْطِ أَهْلِ عَيْلَةٍ، وَقَلَّةٍ مَعَاشٍ، فَبَسَطْتُ يَدِي فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ الْمَالِ، لِمَكَانٍ مَا أَقُومُ بِهِ فِيهِ، وَرَأَيْتُ أَنَّ ذَلِكَ لِي، فَإِنْ رَأَيْتُمْ ذَلِكَ خَطَأً فَرُدُّوهُ، فَأَمْرِي لِأَمْرِكُمْ تَبِعُوا قَالُوا: أَصَبَتْ وَأَحْسَنْتَ، قَالُوا: أَعْطَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ وَمَرْوَانَ- وَكَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ أَعْطَى مَرْوَانَ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا، وَابْنَ أُسَيْدٍ خَمْسِينَ أَلْفًا- فَرُدُّوا مِنْهُمَا ذَلِكَ، فَارْضُوا وَقَبِلُوا، وَخَرَجُوا رَاضِينَ.

رجع الحديث إلى حديث سيف، عن شيوخه:

وَكَانَ مُعَاوِيَةُ قَدْ قَالَ لِعُثْمَانَ غَدَاةً وَدَعَهُ وَخَرَجَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، انْطَلِقْ مَعِيَ إِلَى الشَّامِ قَبْلَ أَنْ يَهْجُمَ عَلَيْكَ مَنْ لَا قَبْلَ لَكَ بِهِ، فَإِنْ

أهل الشام على الأمر لم يزلوا فقال: أنا لا أبيع جوار رسول الله ص بشيء، وإن كان فيه قطع خيط عنقي قال: فأبعث إليك جندا منهم يقيم بين ظهري أهل المدينة لئلا تنابذني أو إياك قال: أنا أقتر على جيران رسول الله ص الأرزاق بجند تساكهم، وأضيق على أهل دار الهجرة والنصرة! قال: والله يا أمير المؤمنين، لتغتلن أو لتغزين، قال: حسبي الله ونعم الوكيل وقال معاوية: يا أيسار الجزور، وأين أيسار الجزور! ثم خرج حتى وقف على النفر، ثم مضى وقد كان أهل مصر كاتبوا أشياعهم من أهل الكوفة وأهل البصرة وجميع من أجابهم أن يثوروا خلاف أمرائهم واتعدوا يوماً حيث شخص أمرائهم، فلم يستقم ذلك لأحد منهم، ولم ينهض إلا أهل الكوفة، فإن يزيد بن قيس الأرحبي ثار فيها، واجتمع إليه أصحابه، وعلى الحرب يومئذ القعقاع بن عمرو، فأتاه فأحاط الناس بهم وناشدوهم، فقال يزيد للقعقاع: ما سبيلك على وعلى هؤلاء! فوالله اني لسامع مطيع، واني للآزم لجماعتي إلا أني أستعفي ومن ترى من إمارة سعيد، فقال: استعفى الخاصة من أمر قد رضيته العامة؟ قال:

فذاك إلى أمير المؤمنين فتركهم والاستعفاء، ولم يستطيعوا أن يظهروا غير ذلك، فاستقبلوا سعيداً، فردوه من الجرعة، واجتمع الناس على أبي موسى، وأقره عثمان رضي الله تعالى عنه ولما رجع الأمراء لم يكن للسبئية سبيل إلى الخروج إلى الأمصار، وكاتبوا أشياعهم من أهل الأمصار أن يتوافوا بالمدينة لينظروا فيما يريدون، وأظهروا أنهم يأملون بالمعروف، ويسألون عثمان عن أشياء لتطير في الناس، ولتحقق عليه، فتوافوا بالمدينة، وأرسل عثمان رجلين:

محزوميا وزهريا، فقال: انظرا ما يريدون، واعلما علمهم - وكنا ممن قد ناله من عثمان أدب، فاصطبرا للحق، ولم يضطغنا - فلما رأوهما باثوهما وأخبروهما بما يريدون، فقالا: من معكم على هذا من أهل المدينة؟ قالوا:

ثلاثة نفر، فقالا: هل إلا؟ قالوا لا! قالوا: فكيف تريدون أن تصنعوا؟ قالوا: نريد أن نذكر له أشياء قد زرناها في قلوب الناس، ثم نرجع إليهم فنزعم لهم أننا قررنا بها، فلم يخرج منها ولم يتب، ثم نخرج كأننا حجاج حتى نقدم فنحيط به فنخلعه، فإن أبي قتلناه وكانت إياها، فرجعا إلى عثمان بالخبر، فضحك وقال: اللهم سلم هؤلاء، فإنك إن لم تسلمهم شقوا.

أما عمار فحمل على عباس بن عتبة بن أبي لهب وعركه وأما محمد بن أبي بكر فإنه أعجب حتى رأى أن الحقوق لا تلزمه، وأما ابن سبلة فإنه يتعرض للبلاء فأرسل إلى الكوفيين والبصريين، ونادى: الصلاة جامعة! وهم عنده في أصل المنبر، فاقبل أصحاب رسول الله ص حتى أحاطوا بهم، فحمد الله وأثنى عليه، وأخبرهم خبر القوم، وقام الرجلان، فقالوا جميعاً: اقتلهم، [فان رسول الله ص قال: من دعا إلى نفسه أو إلى أحد وعلى الناس إمام فعليه لعنة الله فاقتلوه] وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا أحل لكم إلا ما قتلتموه وأنا شريككم.

فقال عثمان: بل نغفو ونقبل ونبصرهم بمجهودنا، ولا نحاد أحداً حتى يركب حداً، أو ييدي كفراً إن هؤلاء ذكروا أمورا قد علموا منها مثل الذي علمتم، إلا أنهم زعموا أنهم يذاكرونها ليوجبوها علي عند من لا يعلم.

وقالوا: أتم الصلاة في السفر، وكانت لا تتم، ألا وإني قدمت بلداً فيه أهلي، فأتممت لهذين الأمرين، أو كذلك؟ قالوا: اللهم نعم.

وقالوا: وحيت حمي، وإني والله ما حميت، حمي قبلي، والله ما حموا شيئاً لأحد ما حموا إلا غلب عليه أهل المدينة، ثم لم يمنعوا من رعية أحداً، واقتصروا لصدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازع، ثم ما منعوا ولا نحووا منها أحداً إلا من ساق درهماً، وما لي من بعير غير راحلتين، وما لي ثاغية ولا راغية، وإني قد وليت، وإني أكثر العرب بعيراً وشاء، فإني اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحمي، أكذاك؟ قالوا: اللهم نعم.

وَقَالُوا: كَانَ الْقُرْآنُ كِتَابًا، فَتَرَكْتَهَا إِلَّا وَاحِدًا أَلَا وَإِنَّ الْقُرْآنَ وَاحِدٌ، جَاءَ مِنْ عِنْدَ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا أَنَا فِي ذَلِكَ تَابِعٌ لِهَؤُلَاءِ، أَكْذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَقِيلَهُمْ.

وَقَالُوا: إِنِّي رَدَدْتُ الْحُكْمَ وَقَدْ سِيرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص.

وَالْحُكْمُ مَكِّي، سِيرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ مَكَّةَ إِلَى الطَّائِفِ، ثُمَّ رَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَرَسُولُ اللَّهِ ص سِيرَهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ص رَدَّهُ، أَكْذَلِكَ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

وَقَالُوا: اسْتَعْمَلْتُ الْأَحْدَاثَ وَلَمْ أُسْتَعْمَلْ إِلَّا مَجْتَمِعًا مُحْتَمَلًا مَرْضِيًا، وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ عَمَلِهِمْ، فَسَلَوْهُمْ عَنْهُ، وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ بَلَدِهِ، وَلَقَدْ وَلى مِنْ قَبْلِي أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَقِيلَ فِي ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص أَشَدُّ مِمَّا قِيلَ لِي فِي اسْتِعْمَالِهِ أُسَامَةَ، أَكْذَلِكَ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، يَعْيَبُونَ لِلنَّاسِ مَا لَا يَفْسُرُونَ.

وَقَالُوا: إِنِّي أُعْطِيتُ ابْنَ أَبِي سَرَحٍ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِنِّي إِذَا نَفَلْتُهُ خَمْسَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْخَمْسِ، فَكَانَ مِائَةَ أَلْفٍ، وَقَدْ أَنْفَذَ مِثْلَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٌ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَزَعَمَ الْجَنْدُ أَنَّهُمْ يَكْرَهُونَ ذَلِكَ، فَردَدْتُهُ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَ ذَاكَ لَهُمْ، أَكْذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ.

وَقَالُوا: إِنِّي أَحِبُّ أَهْلَ بَيْتِي وَأَعْطِيَهُمْ، فَأَمَّا حَبِي فَإِنَّهُ لَمْ يَمَلْ مَعَهُمْ عَلَى جَوْرٍ، بَلْ أَحْمَلُ الْحَقُوقَ عَلَيْهِمْ، وَأَمَّا إِعْطَاؤُهُمْ فَإِنِّي مَا أُعْطِيهِمْ مِنْ مَالِي، وَلَا أُسْتَحِلُّ أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ لِنَفْسِي، وَلَا لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، وَلَقَدْ كُنْتُ

أَعْطِي الْعَطِيَّةَ الْكَبِيرَةَ الرَّغْبِيَّةَ مِنْ صُلْبِ مَالِي أَزْمَانَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ شَيْخٌ حَرِيصٌ، أَخْفَيْنَ أَتَيْتُ عَلَى أَسْنَانِ أَهْلِ بَيْتِي، وَفَنِي عَمْرِي، وَوَدَعْتُ الَّذِي لِي فِي أَهْلِي، قَالَ الْمَلْحَدُونَ مَا قَالُوا! وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا حَمَلْتُ عَلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ فَضْلًا فَيَجُوزُ ذَلِكَ لِمَنْ قَالَ، وَلَقَدْ رَدَدْتُهُ عَلَيْهِمْ، وَمَا قَدِمَ عَلَيَّ إِلَّا الْأَنْحَاسُ، وَلَا يَحِلُّ لِي مِنْهَا شَيْءٌ، فَوَلِي الْمُسْلِمُونَ وَضَعَهَا فِي أَهْلِهَا دُونِي، وَلَا يَتَلَفَتُ مِنْ مَالِ اللَّهِ بَفْلَسَ فَمَا فَوْقَهُ، وَمَا أَتَبَلَّغَ مِنْهُ مَا أَكَلْتُ إِلَّا مَالِي.

وَقَالُوا: أُعْطِيتُ الْأَرْضَ رَجَالًا، وَإِنَّ هَذِهِ الْأَرْضِينَ شَارَكَهُمْ فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ أَيَّامَ افْتِتَحَتْ، فَمَنْ أَقَامَ بِمَكَانٍ مِنْ هَذِهِ الْفَتْوحِ فَهُوَ إِسْوَةٌ أَهْلِهِ، وَمَنْ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ لَمْ يَذْهَبْ ذَلِكَ مَا حَوَى اللَّهُ لَهُ، فَظَنَرْتُ فِي الَّذِي يَصِيبُهُمْ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَبَعَثَهُ لَهُمْ بِأَمْرِهِمْ مِنْ رِجَالِ أَهْلِ عَقَارِ بِلَادِ الْعَرَبِ فَنَقَلْتُ إِلَيْهِمْ نَصِيْبَهُمْ، فَهُوَ فِي أَيْدِيهِمْ دُونِي.

وَكَانَ عُثْمَانُ قَدْ قَسَمَ مَالَهُ وَأَرْضَهُ فِي بَنِي أُمَيَّةَ، وَجَعَلَ وَلَدَهُ كَبْعُضَ مَنْ يُعْطَى، فَبَدَأَ بِبَنِي أَبِي الْعَاصِ، فَأَعْطَى آلَ الْحَكَمِ رِجَالَهُمْ عَشْرَةَ أَلْفٍ، عَشْرَةَ أَلْفٍ، فَأَخَذُوا مِائَةَ أَلْفٍ، وَأَعْطَى بَنِي عُثْمَانَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَقَسَمَ فِي بَنِي الْعَاصِ وَفِي بَنِي الْعَيْصِ وَفِي بَنِي حَرْبٍ، وَلَانَتْ حَاشِيَةُ عُثْمَانَ لِأَوَّلِكَ الطَّوَائِفِ، وَأَبَى الْمُسْلِمُونَ إِلَّا قَتْلَهُمْ، وَأَبَى إِلَّا تَرْكَهُمْ، فَذَهَبُوا وَرَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ عَلَى أَنْ يَغْزَوْهُ مَعَ الْحِجَابِ كَالْحِجَابِ، فَتَكَاتَبُوا وَقَالُوا: مَوْعِدُكُمْ ضَوَاحِي الْمَدِينَةِ فِي شَوَالٍ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ شَوَالٌ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، ضَرَبُوا كَالْحِجَابِ فَتَزَلُّوا قَرِبَ الْمَدِينَةِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَأَبِي حَارِثَةَ وَأَبِي عُثْمَانَ، قَالُوا: لَمَّا كَانَ فِي شَوَالٍ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ خَرَجَ أَهْلُ مِصْرَ فِي أَرْبَعِ رِفَاقٍ عَلَى أَرْبَعَةِ أَمْراءَ: الْمُقَلَّلُ يَقُولُ: سَمَائَةُ، وَالْمَكْثَرُ يَقُولُ: أَلْفٌ عَلَى الرِّفَاقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَدِيسِ الْبَلَوِيِّ، وَكَانَهُ بَشَرٌ التَّجِيبِي، وَعَمْرُوهُ بْنُ شَيْمٍ اللَّيْثِيُّ، وَأَبُو عَمْرٍو بْنُ بَدِيلِ بْنِ وَرْقَاءِ الْخَزَاعِيِّ وَسُودَانُ بْنُ رُومَانَ الْأَصْبَحِيِّ، وَزُرْعُ بْنُ يَشْكُرَ الْيَافَعِيُّ، وَسُودَانُ بْنُ حَمْرَانَ السَّكُونِيُّ، وَقَتِيرَةُ بْنُ فُلَانٍ السَّكُونِيُّ، وَعَلَى الْقَوْمِ جَمِيعًا

الْغَافِقِيُّ بْنُ حَرْبٍ الْعَكِيُّ، وَلَمْ يَجْتَرِئُوا أَنْ يَعْلَمُوا النَّاسَ بِخُرُوجِهِمْ إِلَى الْحَرْبِ، وَإِنَّمَا أَخْرَجُوا كَالْحِجَابِ، وَمَعَهُمُ ابْنُ السُّودَاءِ وَخَرَجَ أَهْلُ الْكُوفَةِ فِي أَرْبَعِ رِفَاقٍ، وَعَلَى الرِّفَاقِ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ الْعَبْدِيُّ، وَالْأَشْثَرُ النَّخَعِيُّ، وَزِيَادُ بْنُ النَّضْرِ الْحَارِثِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَصَمِ، أَحَدُ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، وَعَدَدُهُمْ كَعَدَدِ أَهْلِ مِصْرَ، وَعَلَيْهِمْ جَمِيعًا سَبْعَا عَمْرٍو بْنُ الْأَصَمِ وَخَرَجَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ فِي أَرْبَعِ رِفَاقٍ، وَعَلَى الرِّفَاقِ

حكيم بن جبلة العبدى، وذريح ابن عباد العبدى، وبشر بن شريح الحطم بن ضبيعه القيسى وابن المحرش ابن عبد بن عمرو الحنفي وعددهم كعدد أهل مصر وأميرهم جميعا حرقوص ابن زهير السعدي، سوى من تلاحق بهم من الناس فاما أهل مصر فإنهم كانوا يشتهون علياً، وأما أهل البصرة فإنهم كانوا يشتهون طلحة، وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير فخرجوا وهم على الخروج جميع وفي الناس شتى، لا تشك كل فرقة إلا أن الفلج معها، وأن أمرها سيتم دون الآخرين، فخرجوا حتى إذا كانوا من المدينة على ثلاث تقدم ناس من أهل البصرة فنزلوا ذا خشب، وناس من أهل الكوفة فنزلوا الأعوص، وجاءهم ناس من أهل مصر، وتركوا عامتهم بذي المروة ومشى فيما بين أهل مصر وأهل البصرة زياد بن النضر وعبد الله بن الأصم، وقالوا: لا تعجلوا ولا تعجلونا حتى ندخل لكم المدينة ونرتاد، فإنه بلغنا أنهم قد عسكروا لنا، فوالله إن كان أهل المدينة قد خافونا واستحلوا قتالنا ولم يعلموا علمنا فهم إذا علموا علمنا أشد، وإن أمرنا هذا لباطل، وإن لم يستحلوا قتالنا ووجدنا الذي بلغنا باطلا لرجعنا إليكم بالخبر.

قالوا: اذهبوا، فدخل الرجالان فلقيا أزواج النبي ص وعليا وطلحة والزبير، وقالوا: إنما نأتم هذا البيت، ونستعفي هذا الوالي من بعض عمالنا، ما جئنا إلا لذلك، واستأذناهم للناس بالدخول، فكلهم أبى، ونهى وقال: بيض ما يفرخن، فرجعا إليهم فاجتمع من أهل مصر نفر فأتوا علياً ومن أهل البصرة نفر فأتوا طلحة، ومن أهل الكوفة نفر فأتوا الزبير، وقال كل فريق منهم: إن بايعوا صاحبنا وإلا كدناهم وفرقنا جماعتهم، ثم كررنا حتى نبغتهم، فأتى المصريون علياً وهو في عسكر عند أبحار الزيت، عليه حلة أفواف معتم بشقيقة حمراء يمانية، متقلد السيف، ليس عليه قيص، وقد سرح الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه فالحسن جالس عند عثمان، وعلي عند أبحار الزيت، فسلم عليه المصريون وعرضوا له، فصاح بهم واطردهم، وقال: لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة وذي خشب ملعونون على لسان محمد ص، فارجعوا لا صحبتكم الله! قالوا: نعم، فانصرفوا من عنده على ذلك.

وأتى البصريون طلحة وهو في جماعة أخرى إلى جنب علي، وقد أرسل ابنه إلى عثمان، فسلم البصريون عليه وعرضوا له، فصاح بهم واطردهم، وقال: لقد علم المؤمنون أن جيش ذي المروة وذي خشب والأعوص ملعونون على لسان محمد ص. وأتى الكوفيون الزبير وهو في جماعة أخرى، وقد سرح ابنه عبد الله إلى عثمان، فسلموا عليه وعرضوا له، فصاح بهم واطردهم، وقال: لقد علم المسلمون أن جيش ذي المروة وذي خشب والأعوص ملعونون على لسان محمد ص، فخرج القوم وأروهم أنهم يرجعون، فانفشوا عن ذي خشب والأعوص، حتى انتهوا إلى عساكرهم، وهي ثلاث مراحل، كي يفترق أهل المدينة، ثم يكروا راجعين فافترق أهل المدينة لخروجهم.

فلما بلغ القوم عساكرهم كروا بهم، فبغتهم، فلم يفجأ أهل المدينة إلا والتكبير في نواحي المدينة، فنزلوا في مواضع عساكرهم، وأحاطوا بعثمان، وقالوا: من كف يده فهو آمن. وصلى عثمان بالناس أياماً، ولزم الناس بيوتهم، ولم يمنعوا أحداً من كلام، فأتاهم الناس فكلهمهم، وفيهم علي، فقال: ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟ قالوا: أخذنا مع بريد كذابا يقتلنا، وأتاهم طلحة فقال البصريون مثل ذلك، وأتاهم الزبير فقال الكوفيون مثل ذلك، وقال الكوفيون والبصريون: فنحن ننصر إخواننا ونمنعهم جميعاً، كأنما كانوا على ميعاد.

فقال لهم علي: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر، وقد سرتهم مراحل، ثم طويتم نحونا؟ هذا والله أمر أبرم بالمدينة! قالوا: فضعه على ما شئتم، لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليعتزلنا وهو في ذلك يصلي بهم، وهم يصلون خلفه، ويغشى من شاء عثمان وهم في عينه أدق من التراب، وكانوا لا يمنعون أحداً من الكلام، وكانوا زمرا بالمدينة، يمنعون الناس من الاجتماع. وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمدهم: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن الله عز وجل بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً، فبلغ

عن الله ما أمره به، ثم مضى وقد قضى الذي عليه، وخلف فينا كتابه، فيه حلاله وحرامه، وبيان الأمور التي قدر، فأمضاها على ما أحب العباد وكرهوا، فكان الخليفة أبو بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه، ثم أدخلت في الشورى عن غير علم ولا مسألة عن ملا من الأمة، ثم أجمع أهل الشورى عن ملا منهم ومن الناس علي، على غير طلب مني ولا محبة، فعملت فيهم ما يعرفون ولا ينكرون، تابعا غير مستتب، متبعا غير مبتدع، مقتديا غير متكلف.

فلما انتهت الأمور، وانتكث الشر بأهله، بدت ضغائن وأهواء على غير إجماع ولا ترة فيما مضى إلا إمضاء الكتاب، فطلبوا أمرا وأعلنوا غيره بغير حجة ولا عذر، فعابوا علي أشياء مما كانوا يرضون، وأشياء عن ملا من أهل المدينة لا يصلح غيرها، فصبرت لهم نفسي وكففتها عنهم منذ سنين

وأنا أرى وأسمع، فازدادوا على الله عز وجل جرأة، حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله ص وحرمة وأرض الهجرة، وثابت إليهم الأعراب، فهم كالأحزاب أيام الأحزاب أو من غزانا بأحد إلا ما يظهرون، فن قدر على الخلق بنا فليلحق.

فأتى الكتاب أهل الأمصار، فخرجوا على الصعبة والذلول، فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري، وبعث عبد الله بن سعد معاوية بن حديج السكوني، وخرج من أهل الكوفة القعقاع بن عمرو.

وكان المحضين بالكوفة على إعانة أهل المدينة عقبة بن عمرو وعبد الله ابن أبي أوفى وحنظلة بن الربيع التيمي، في أمثالهم من اصحاب النبي ص وكان المحضين بالكوفة من التابعين أصحاب عبد الله مسروق بن الأجدع، والأسود بن يزيد، وشريح بن الحارث، وعبد الله بن عكيم، في أمثالهم، يسيرون فيها، ويطوفون على مجالسها، يقولون: يا ايها الناس، إن الكلام اليوم وليس به غدا، وإن النظر يحسن اليوم ويقبح غدا، وإن القتال يحل اليوم ويحرم غدا، انهضوا إلى خليفكم، وعصمة أمركم.

وقام بالبصرة عمر بن حصين وأنس بن مالك، وهشام بن عامر في أمثالهم من اصحاب النبي ص يقولون مثل ذلك، ومن التابعين كعب بن سور وهرم بن حيان العبدى، وأشباه لهما يقولون ذلك! وقام بالشام عبادة بن الصامت وأبو الدرداء وأبو أمامة في أمثالهم من اصحاب النبي ص يقولون مثل ذلك، ومن التابعين شريك بن خباشة النخعي، وأبو مسلم الخولاني، وعبد الرحمن بن غنم بمثل ذلك، وقام بمصر خارجة في أشباه له، وقد كان بعض المحضين قد شهد قدومهم، فلما رأوا حالهم انصرفوا إلى أمصارهم بذلك وقاموا فيهم. ولما جاءت الجمعة التي على أثر نزول المصيرين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عثمان فصلى بالناس ثم قام على المنبر فقال: يا هؤلاء

العدى، الله الله! فوالله، إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ص، فامحوا الخطايا بالصواب، فإن الله عز وجل لا يحو السي إلا بالحسن.

فقام محمد بن مسلمة، فقال: أنا أشهد بذلك، فأخذه حكيم بن جبلة فأقعده، فقام زيد بن ثابت فقال: ابغني الكتاب، فنار إليه من ناحية أخرى محمد بن أبي قتيرة فأقعده، وقال فأفطع، وثار القوم بأجمعهم، فخصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد، وحصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشيا عليه، فاحتمل فأدخل داره، وكان المصيريون لا يطمعون في أحد من أهل المدينة أن يساعدهم إلا في ثلاثة نفر، فإنهم كانوا يرأسونهم:

محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، وعمار بن ياسر، وشمر أناس من الناس فاستقتلوا، منهم سعد بن مالك، وأبو هريرة، وزيد بن ثابت، والحسن بن علي، فبعث إليهم عثمان بعزمه لما انصرفوا فانصرفوا، وأقبل علي ع حتى دخل على عثمان، وأقبل طلحة حتى دخل عليه، وأقبل الزبير حتى دخل عليه، يعودونه من صرخته، ويشكون بهم، ثم رجعوا إلى منازلهم.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عمرو، عن الحسن، قال: قلت له: هل شهدت حصر عثمان؟ قال: نعم، وأنا

يَوْمَئِذٍ غَلَامٌ فِي أَتْرَابِ لِي فِي الْمَسْجِدِ، إِذَا كَثُرَ اللَّغَطُ جَثُوتَ عَلَى رَكْبَتِي أَوْ قَتَ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمَ حِينَ أَقْبَلُوا حَتَّى نَزَلُوا الْمَسْجِدَ وَمَا حَوْلَهُ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمْ أَنْاسٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، يَعْظُمُونَ مَا صَنَعُوا وَأَقْبَلُوا عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَتَوَعَّدُونَهُمْ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ فِي لَغَطِهِمْ حَوْلَ الْبَابِ، فَطَلَعَ عُثْمَانُ، فَكَأَنَّمَا كَانَتْ نَارُ طِفْثٍ، فَعَمِدَ إِلَى الْمَنْبَرِ فَصَعِدَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، فَثَارَ رَجُلٌ، فَأَقْعَدَهُ رَجُلٌ، وَقَامَ آخَرُ فَأَقْعَدَهُ آخَرُ، ثُمَّ ثَارَ الْقَوْمُ فَحْصَبُوا عُثْمَانَ حَتَّى صَرَخَ، فَاحْتَمَلَ فَأَدْخَلَ، فَصَلَّى بِهِمْ عَشْرِينَ يَوْمًا، ثُمَّ مَنَعُوهُ مِنَ الصَّلَاةِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَأَبِي حَارِثَةَ وَأَبِي عُثْمَانَ، قَالُوا: صَلَّى عُثْمَانُ بِالنَّاسِ بَعْدَ مَا نَزَلُوا بِهِ فِي الْمَسْجِدِ ثَلَاثِينَ يَوْمًا، ثُمَّ إِنَّهُمْ مَنَعُوهُ الصَّلَاةَ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ أَمِيرَهُمُ الْغَافِقِيَّ، دَانَ لَهُ الْمَصْرِيُّونَ وَالْكَوْفِيُّونَ وَالْبَصْرِيُّونَ، وَتَفَرَّقَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فِي حَيْطَانِهِمْ، وَلَزِمُوا بِيُوتَهُمْ، لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ وَلَا يَجْلِسُ إِلَّا وَعَلَيْهِ سَيْفُهُ يَمْتَنِعُ بِهِ مِنْ رَهَقِ الْقَوْمِ وَكَانَ الْحِصَارُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَفِيهِ كَانَ الْقَتْلُ، وَمَنْ تَعَرَّضَ لَهُمْ وَضَعُوا فِيهِ السِّلَاحَ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا يَكْفُونَ وَأَمَّا غَيْرُ سَيْفٍ فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: كَانَتْ مُنَازَرَةُ الْقَوْمِ عُثْمَانَ وَسَبَبُ حِصَارِهِمْ إِيَّاهُ مَا حَدَّثَنِي بِهِ يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى أَبِي أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: سَمِعَ عُثْمَانَ أَنْ وَفَدَ أَهْلُ مِصْرَ قَدْ أَقْبَلُوا، قَالَ:

فَاسْتَقْبَلَهُمْ، وَكَانَ فِي قَرْيَةٍ لَهُ خَارِجَةٌ مِنَ الْمَدِينَةِ - أَوْ كَمَا قَالَ - فَلَمَّا سَمِعُوا بِهِ، أَقْبَلُوا نَحْوَهُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ فِيهِ - قَالَ: وَكَرِهَ أَنْ يَقْدُمُوا عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ أَوْ نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ - قَالَ: فَأَتَوْهُ، فَقَالُوا لَهُ: ادْعُ بِالْمُصْحَفِ، قَالَ: فَدَعَا بِالْمُصْحَفِ، قَالَ: فَقَالُوا لَهُ: افْتَحِ النَّاسِعَةَ - قَالَ: وَكَانُوا يُسَمُّونَ سُورَةَ يُوسُفَ النَّاسِعَةَ - قَالَ: فَفَرَّأَهَا حَتَّى أَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ لَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ» قَالَ: قَالُوا لَهُ: قِفْ، فَقَالُوا لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا حَمَيْتَ مِنَ الْحِمَى؟ اللَّهُ أَذِنَ لَكَ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرِي! قَالَ: فَقَالَ:

أَمِضْهُ، نَزَلَتْ فِي كَذَا وَكَذَا قَالَ: وَأَمَّا الْحِمَى فَانْصَرَفَ عَمِّي الْحِمَى قَبْلِي لَا بَلَّ الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا وُلِّيتُ زَادَتْ إِبِلُ الصَّدَقَةِ فَزِدْتُ فِي الْحِمَى لَمَّا زَادَ فِي إِبِلِ الصَّدَقَةِ، أَمِضْهُ قَالَ: لَجَعَلُوا يَأْخُذُونَهُ بِالْآيَةِ، فَيَقُولُ: أَمِضْهُ، نَزَلَتْ فِي كَذَا وَكَذَا - قَالَ: وَالَّذِي يَتَوَلَّى كَلَامَ عُثْمَانَ يَوْمَئِذٍ فِي سِنِّكَ، قَالَ:

يَقُولُ أَبُو نَضْرَةَ، يَقُولُ ذَلِكَ لِي أَبُو سَعِيدٍ، قَالَ أَبُو نَضْرَةَ: وَأَنَا فِي سِنِّكَ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: وَلَمْ يَخْرُجْ وَجْهِي يَوْمَئِذٍ، لَا أَدْرِي، وَلَعَلَّهُ قَدْ قَالَ مَرَّةً أُخْرَى: وَأَنَا يَوْمَئِذٍ ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً - ثُمَّ أَخَذُوهُ بِأَشْيَاءَ لَمْ يَكُنْ عَنْدهُ مِنْهَا مَخْرَجٌ قَالَ: فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ: مَا تُرِيدُونَ؟

قَالَ: فَأَخَذُوا مِيثَاقَهُ - قَالَ: وَأَحْسَبُهُ قَالَ: وَكُتِبُوا عَلَيْهِ شَرْطًا - قَالَ: وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ أَلَا يَشُقُّوا عَصًا، وَلَا يُفَارِقُوا جَمَاعَةً مَا قَامَ لَهُمْ بِشَرِّطِهِمْ - أَوْ كَمَا أَخَذُوا عَلَيْهِ - قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ: مَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَلَا يَأْخُذَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَطَاءً، فَإِنَّمَا هَذَا الْمَالُ لِمَنْ قَاتَلَ عَلَيْهِ وَلَهُوْلَاءِ الشُّيُوخِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص قَالَ: فَفَرَضُوا بِذَلِكَ، وَأَقْبَلُوا مَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ رَاضِينَ.

قَالَ: فَقَامَ نَخْطَبَ، فَقَالَ: إِنِّي مَا رَأَيْتُ وَاللَّهِ وَفَدًا فِي الْأَرْضِ هُمْ خَيْرُ حُجُبَاتِي مِنْ هَذَا الْوَفْدِ الَّذِينَ قَدِمُوا عَلَيَّ وَقَدْ قَالَ مَرَّةً أُخْرَى: خَشِيتُ مِنْ هَذَا الْوَفْدِ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، أَلَا مَنْ كَانَ لَهُ زَرْعٌ فَلْيَلْحَقْ بِزَرْعِهِ، وَمَنْ كَانَ لَهُ ضَرْعٌ فَلْيَحْتَلِبْ، إِلَّا إِنَّهُ لَا مَالَ لَكُمْ عِنْدَنَا، إِنَّمَا هَذَا الْمَالُ لِمَنْ قَاتَلَ عَلَيْهِ وَلَهُوْلَاءِ الشُّيُوخِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص قَالَ: فَغَضِبَ النَّاسُ، وَقَالُوا: هَذَا مَكْرُ بَنِي أُمِيَّةَ.

قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ الْوَفْدُ الْمِصْرِيُّونَ رَاضِينَ، فَبَيْنَا هُمْ فِي الطَّرِيقِ إِذَا هُمْ بِرَاكِبٍ يَتَعَرَّضُ لَهُمْ ثُمَّ يَفَارِقُهُمْ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ يَفَارِقُهُمْ وَيَتَبَيَّنُهُمْ

قَالَ: قَالُوا لَهُ: مَا لَكَ؟ إِنَّ لَكَ لَأَمْرًا! مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: فَقَالَ: أَنَا رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَامِلِهِ بِمِصْرَ، فَفَتَّشُوهُ، فَإِذَا هُمْ بِالْكِتَابِ عَلَى لِسَانِ عُثْمَانَ، عَلَيْهِ خَاتَمُهُ إِلَى عَامِلِهِ بِمِصْرَ أَنْ يُصَلِّبَهُمْ أَوْ يَقْتُلَهُمْ أَوْ يَقْطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِنْ خِلَافٍ.
قَالَ: فَأَقْبَلُوا حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، قَالَ: فَأَتَوْا عَلِيًّا، فَقَالُوا: أَلَمْ تَرِ إِلَى عَدُوِّ اللَّهِ! إِنَّهُ كَتَبَ فِينَا بِكَذَا وَكَذَا، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَلَّ دَمَهُ، قُمْ مَعَنَا إِلَيْهِ، قَالَ:

وَاللَّهُ لَا أَقُومُ مَعَكُمْ، إِلَى أَنْ قَالُوا: فَلِمَ كَتَبْتَ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ كِتَابًا قَطُّ، قَالَ: فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:

أَلْهَذَا تُقَاتِلُونَ، أَوْ لِهَذَا تَغْضَبُونَ! قَالَ: فَانْطَلَقَ عَلِيٌّ، فَخَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى قَرْيَةٍ قَالَ: فَانْطَلَقُوا حَتَّى دَخَلُوا عَلَى عُثْمَانَ، فَقَالُوا: كَتَبْتَ فِينَا بِكَذَا وَكَذَا! قَالَ: فَقَالَ: إِنَّمَا هُمَا اثْنَتَانِ: أَنْ تُقِيمُوا عَلَيَّ رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ يَمِينِي بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا كَتَبْتُ وَلَا أَمَلْتُ وَلَا عَلَتُ قَالَ: وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْكِتَابَ يُكْتَبُ عَلَى لِسَانِ الرَّجُلِ، وَقَدْ يُنْقَشُ الْخَاتَمُ عَلَى الْخَاتَمِ قَالَ: فَقَالُوا: فَقَدْ وَاللَّهِ أَحَلَّ اللَّهُ دَمَكَ، وَنَقَضْتَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ قَالَ: فَحَاصِرُوهُ.

وَأَمَّا الْوَاقِدِيُّ فَإِنَّهُ ذَكَرَ فِي سَبَبِ مَسِيرِ الْمَصْرِيِّينَ إِلَى عُثْمَانَ وَنَزُولِهِمْ ذَا خَشَبٍ أُمُورًا كَثِيرَةً، مِنْهَا مَا قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَمِنْهَا مَا أَعْرَضْتُ عَنْ ذِكْرِهِ كَرَاهَةً مِنِّي لِإِسْخَاعِهِ وَمِنْهَا مَا ذَكَرَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي عَوْنٍ مَوْلَى الْمُسَوْرِ، قَالَ: كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى مِصْرَ عَامِلًا لِعُثْمَانَ، فَعَزَلَهُ عَنِ الْخُرَاجِ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى الصَّلَاةِ، وَاسْتَعْمَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدٍ عَلَى الْخُرَاجِ، ثُمَّ جَمَعَهُمَا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ، فَلَمَّا قَدِمَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ الْمَدِينَةَ جَعَلَ يَطْعُنُ عَلَى عُثْمَانَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَوْمًا عُثْمَانُ خَالِيَا بِهِ، فَقَالَ: يَا بَنَ النَّابِغَةِ، مَا أَسْرَعَ مَا قُلَّ جِرْبَانُ جُبْتِكَ! إِنَّمَا عَهْدُكَ بِالْعَمَلِ عَامًا أَوَّلًا.

أَتَطْعُنُ عَلَيَّ وَتَأْتِيَنِي بِوَجْهِهِ وَتَذْهَبُ عَنِّي بِآخِرِهِ! وَاللَّهِ لَوْلَا أَكَلَةُ مَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَالَ: فَقَالَ عَمْرُو: إِنَّ كَثِيرًا مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ وَيَنْقُلُونَ إِلَى وَلَا تَهْمُ بَاطِلٌ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي رَعِيَّتِكَ! فَقَالَ عُثْمَانُ: وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَى ظُلْمِكَ، وَكَثْرَةِ الْقَالَةِ فِيكَ فَقَالَ عَمْرُو: قَدْ كُنْتُ عَامِلًا لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ، فَفَارَقَنِي وَهُوَ عَنِّي رَاضٍ قَالَ: فَقَالَ عُثْمَانُ: وَأَنَا وَاللَّهِ لَوْ أَخَذْتُكَ بِمَا أَخَذَكَ بِهِ عَمْرٌ لَأَسْتَقِمْتَ، وَلَكِنِّي لَنْتُ عَلَيْكَ فَاجْتَرَأْتُ عَلَيَّ، أَمَّا وَاللَّهِ لَأَنَا أَعَزُّ مِنْكَ نَفَرًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَبْلَ أَنْ أَلِيَ هَذَا السُّلْطَانَ فَقَالَ عَمْرُو: دَعْ عَنْكَ هَذَا، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِمُحَمَّدٍ ص وَهَدَانَا بِهِ، قَدْ رَأَيْتُ الْعَاصِيَّ بْنَ وَائِلٍ وَرَأَيْتُ أَبَاكَ عَفَانَ، فَوَاللَّهِ لِلْعَاصِ كَانَ أَشْرَفُ مِنْ أَيْكَ قَالَ: فَانْكَسَرَ عُثْمَانُ، وَقَالَ: مَا لَنَا وَلِذِكْرِ الْجَاهِلِيَّةِ! قَالَ: وَخَرَجَ عَمْرُو وَدَخَلَ مَرْوَانَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ بَلَغَتْ مَبْلَغًا يَذْكُرُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَبَاكَ! فَقَالَ عُثْمَانُ: دَعْ هَذَا عَنْكَ، مِنْ ذِكْرِ آبَاءِ الرِّجَالِ ذَكْرُوا آبَاءَهُ

قَالَ: فَخَرَجَ عَمْرُو مِنْ عِنْدِ عُثْمَانَ وَهُوَ مُحْتَقِدٌ عَلَيْهِ، يَأْتِي عَلِيًّا مَرَّةً فَيُؤَلِّبُهُ عَلَى عُثْمَانَ، وَيَأْتِي الزُّبَيْرَ مَرَّةً فَيُؤَلِّبُهُ عَلَى عُثْمَانَ، وَيَأْتِي طَلْحَةَ مَرَّةً فَيُؤَلِّبُهُ عَلَى عُثْمَانَ، وَيَعْتَزُّ الْحَاجَّ فَيُخْبِرُهُمْ بِمَا أَحْدَثَ عُثْمَانُ، فَلَمَّا كَانَ حَصْرُ عُثْمَانَ الْأَوَّلُ، خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ، حَتَّى أَتَى إِلَى أَرْضٍ لَهُ بِفِلَسْطِينَ يُقَالُ لَهَا السَّبْعُ، فَزَلَّ فِي قَصْرِ لَهُ يُقَالُ لَهُ الْعَجْلَانُ، وَهُوَ يَقُولُ: الْعَجَبُ مَا يَأْتِينَا عَنْ ابْنِ عَفَانَ! قَالَ: فَبَيْنَا هُوَ جَالِسٌ فِي قَصْرِ ذَلِكَ، وَمَعَهُ ابْنَاهُ مُحَمَّدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ، وَسَلَامَةُ ابْنِ رَوْحٍ الْجُدَامِيُّ، إِذْ مَرَّ بِهِمْ رَاكِبٌ، فَناداهُ عَمْرُو: مَنْ أَنْ قَدِمَ الرَّجُلُ؟

فَقَالَ: مِنَ الْمَدِينَةِ، قَالَ: مَا فَعَلَ الرَّجُلُ؟ يَعْنِي عُثْمَانَ، قَالَ: تَرَكْتُهُ مُحْصُورًا شَدِيدَ الْحِصَارِ قَالَ عَمْرُو: أَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، قَدْ يَضْرُطُّ الْعِيرُ وَالْمِكْوَةُ فِي النَّارِ فَلَمْ يَبْرَحْ مَجْلِسُهُ ذَلِكَ حَتَّى مَرَّ بِهِ رَاكِبٌ آخَرُ، فَناداهُ عَمْرُو: مَا فَعَلَ الرَّجُلُ؟ يَعْنِي عُثْمَانَ، قَالَ: قُتِلَ، قَالَ: أَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، إِذَا حَكَمْتُ قَرْحَةً نَكَأْتُهَا، إِنْ كُنْتُ لِأُحْرِضَ عَلَيْهِ، حَتَّى إِنِّي لِأُحْرِضَ عَلَيْهِ الرَّاعِي فِي غَنَمِهِ فِي رَأْسِ الْجَبَلِ فَقَالَ لَهُ سَلَامَةٌ

بْنُ رَوْحٍ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ كَانَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْعَرَبِ بَابٌ وَثِيقٌ فَكَسَرْتُمُوهُ، فَمَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَرَدْنَا أَنْ نُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ حَافِرَةِ الْبَاطِلِ، وَأَنْ يَكُونَ النَّاسُ فِي الْحَقِّ شَرْعًا سَوَاءً وَكَانَتْ عِنْدَ عَمْرٍو أُخْتُ عُثْمَانَ لِأُمِّهِ أُمَّ كُثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَفَارَقَهَا حِينَ عَزَلَهُ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ بِمَصْرَ يُحْرِضَانِ عَلَى عُثْمَانَ، فَقَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَأَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ بِمَصْرَ، فَلَمَّا خَرَجَ الْمَصْرِيُّونَ خَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَدِيسٍ الْبَلَوِي فِي خَمْسَمِائَةٍ، وَأَظْهَرُوا أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْعُمْرَةَ، وَخَرَجُوا فِي رَجَبٍ، وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ رَسُولًا سَارَ إِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً يُخْبِرُ عُثْمَانَ أَنَّ ابْنَ عَدِيسٍ وَأَصْحَابَهُ قَدْ وَجَّهُوا نَحْوَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي حُذَيْفَةَ شَاعَرَهُمْ إِلَى عَجْرُودٍ، ثُمَّ رَجَعَ وَأَظْهَرَ مُحَمَّدٌ إِنْ قَالَ: خَرَجَ الْقَوْمُ عَمَّارًا، وَقَالَ فِي السِّرِّ: خَرَجَ الْقَوْمُ إِلَى إِمَامِهِمْ فَإِنْ نَزَعَ وَإِلَّا قَتَلُوهُ، وَسَارَ

الْقَوْمُ الْمَنَازِلَ لَمْ يَعْدُوها حَتَّى نَزَلُوا ذَا خَشَبٍ وَقَالَ عُثْمَانُ قَبْلَ قُدُومِهِمْ حِينَ جَاءَهُ رَسُولُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ يُرِيدُونَ - بِزَعْمِهِمْ - الْعُمْرَةَ، وَاللَّهِ مَا أَرَاهُمْ يُرِيدُونَهَا، وَلَكِنَّ النَّاسَ قَدْ دَخَلَ بِهِمْ، وَأَسْرَعُوا إِلَى الْفِتْنَةِ، وَطَالَ عَلَيْهِمْ عُمْرِي، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ فَارَقْتَهُمْ لَيَتَمَنَّوْنَ أَنَّ عُمْرِي كَانَ طَالَ عَلَيْهِمْ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ بِسَنَةٍ مِمَّا يَرُونَ مِنَ الدِّمَاءِ الْمُسْفُوكَةِ، وَالْإِحْنِ وَالْآثَرَةِ الظَّاهِرَةِ، وَالْأَحْكَامِ الْمُغَيَّرَةِ قَالَ: فَلَمَّا نَزَلَ الْقَوْمُ ذَا خَشَبٍ جَاءَ الْخَبْرُ أَنَّ الْقَوْمَ يُرِيدُونَ قَتْلَ عُثْمَانَ إِنْ لَمْ يَنْزِعْ، وَأَتَى رَسُولُهُمْ إِلَى عَلِيٍّ لَيْلًا، وَإِلَى طَلْحَةَ، وَإِلَى عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ.

وَكَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ مَعَهُمْ إِلَى عَلِيٍّ كِتَابًا، فَجَاءُوا بِالْكِتَابِ إِلَى عَلِيٍّ، فَلَمْ يَظْهَرْ عَلَى مَا فِيهِ، فَلَمَّا رَأَى عُثْمَانُ مَا رَأَى جَاءَ عَلِيًّا فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَيْتَهُ، فَقَالَ: يَا بَنَ عَمٍّ، إِنَّهُ لَيْسَ لِي مَتْرُكٌ، وَإِنَّ قَرَابَتِي قَرِيبَةً، وَلِي حَقٌّ عَظِيمٌ عَلَيْكَ، وَقَدْ جَاءَ مَا تَرَى مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، وَهُمْ مُصْبِحِي، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ لَكَ عِنْدَ النَّاسِ قَدْرًا، وَأَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ مِنْكَ، فَأَنَا أَحِبُّ أَنْ تَرْكَبَ إِلَيْهِمْ فَتُرَدَّهُمْ عَنِّي، فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَيَّ، فَإِنَّ ذَلِكَ جَرَاءَةٌ مِنْهُمْ عَلَيَّ، وَلَيْسَمَعَ بِذَلِكَ غَيْرُهُمْ فَقَالَ عَلِيٌّ: عَلَامَ أَرَدْتُمْ؟ قَالَ: عَلَى أَنْ أَصِيرَ إِلَى مَا أَشَرْتَ بِهِ عَلَيَّ وَرَأَيْتَهُ لِي، وَلَسْتُ أَخْرُجُ مِنْ يَدَيْكَ، [فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنِّي قَدْ كُنْتُ كَلِمَتِكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، فَكُلُّ ذَلِكَ يُخْرِجُ فَتَكَلَّمْ، وَنَقُولُ وَتَقُولُ، وَذَلِكَ كُلُّهُ فِعْلُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَابْنِ عَامِرٍ وَمُعَاوِيَةَ، أَطْعَمْتُمْ وَعَصَيْتَنِي.]

قَالَ عُثْمَانُ: فَإِنِّي أَغْصِيهِمْ وَأُطِيعُكَ قَالَ: فَأَمَرَ النَّاسَ، فَركَبُوا مَعَهُ: الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ قَالَ: وَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، يَكْلِمُهُ أَنْ يَرْكَبَ مَعَ عَلِيٍّ فَأَبَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ، فَكَلَّمَهُ أَنْ يَأْتِيَ عَمَّارًا فَيَكْلِمُهُ أَنْ يَرْكَبَ مَعَ عَلِيٍّ، قَالَ: نَخْرُجُ سَعْدٌ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَمَّارٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ، أَلَا تَخْرُجُ فِيمَنْ يَخْرُجُ! وَهَذَا عَلِيٌّ يَخْرُجُ فَاخْرُجْ مَعَهُ، وَارْدُدْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَنْ إِمَامِكَ، فَإِنِّي

لَأَحْسِبُ أَنَّكَ لَمْ تَرْكَبْ مَرْبَجًا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ.

قَالَ: وَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى كَثِيرِ بْنِ الصَّلْتِ الْكِنْدِيِّ - وَكَانَ مِنْ أَعْوَانِ عُثْمَانَ - فَقَالَ: انْطَلِقْ فِي إِثْرِ سَعْدٍ فَاسْمَعْ مَا يَقُولُ سَعْدٌ لِعَمَّارٍ، وَمَا يَرُدُّ عَمَّارٌ عَلَى سَعْدٍ، ثُمَّ اثْنِي سَرِيعًا.

قَالَ: نَخْرُجُ كَثِيرٌ حَتَّى يَجِدَ سَعْدًا عِنْدَ عَمَّارٍ مَخْلِيًا بِهِ، فَالْقَمَّ عَيْنُهُ بِحَرِّ الْبَابِ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَمَّارٌ وَلَا يَعْرِفُهُ، وَفِي يَدِهِ قَضِيبٌ، فَأَدْخَلَ الْقَضِيبُ الْخُرَّ الَّذِي أَلْقَمَهُ كَثِيرٌ عَيْنَهُ، فَأَخْرَجَ كَثِيرٌ عَيْنَهُ مِنَ الْخُرِّ، وَوَلَّى مُدْبِرًا مُتَقِنًا نَخْرَجَ عَمَّارٌ فَعَرَفَ أَثَرَهُ، وَنَادَى: يَا قَلِيلُ ابْنَ

أَمَّ قَلِيلٍ! أَعْلَى تَطْلُعُ وَتَسْتَمِعُ حَدِيثِي! وَاللَّهِ لَوْ دَرَيْتُ أَنَّكَ هُوَ لَفَقَأْتُ عَيْنَكَ بِالْقَضِيبِ، فإِنْ رَسُولَ اللَّهِ ص قَدْ أَحَلَّ ذَلِكَ ثُمَّ رَجَعَ عَمَّارٌ إِلَى سَعْدٍ، فَكَلَّمَهُ سَعْدٌ وَجَعَلَ يَفْتَلُهُ بِكُلِّ وَجْهٍ، فَكَانَ آخِرُ ذَلِكَ أَنَّ قَالَ عَمَّارٌ: وَاللَّهِ لَا أَرُدُّهُمْ عَنْهُ أَبَدًا فَرَجَعَ سَعْدٌ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ عَمَّارٍ، فَاتَّهَمَ عُثْمَانُ سَعْدًا أَنْ يَكُونَ لَمْ يَصَحَّحْهُ، فَأَقْسَمَ لَهُ سَعْدٌ بِاللَّهِ، لَقَدْ حَرَضَ فَقَبِلَ مِنْهُ عُثْمَانُ. قَالَ: وَرَكِبَ عَلِيٌّ إِلَى أَهْلِ مِصْرَ، فَدَرَّهُمْ عَنْهُ، فَانْصَرَفُوا رَاجِعِينَ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلُوا ذَا خَشْبٍ، كَلَّمَ عُثْمَانُ عَلِيًّا وَاصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ص أَنْ يَرُدُّوهُمْ عَنْهُ، فَكَرَبَ عَلِيٌّ وَرَكِبَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فِيهِمْ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَأَبُو جَهْمٍ الْعَدَوِيُّ، وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعَمٍ، وَحَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ، وَمُرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ، وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَتَابٍ بْنُ أُسَيْدٍ، وَخَرَجَ مِنَ الْأَنْصَارِ أَبُو أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ وَأَبُو حَمِيدٍ السَّاعِدِيُّ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَحَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَمَعَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ نِيَارُ بْنُ مَكْرَمٍ وَغَيْرُهُمْ ثَلَاثُونَ رَجُلًا، وَكَلَّمَهُمْ عَلِيٌّ وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ - وَهُمَا اللَّذَانِ قَدَمَا - فَسَمِعُوا مَقَالَتَهُمَا، وَرَجَعُوا قَالَ مُحَمَّدٌ: فَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ، قَالَ: مَا بَرَحْنَا مِنْ ذِي خَشْبٍ حَتَّى رَحَلُوا رَاجِعِينَ إِلَى مِصْرَ، وَجَعَلُوا يَسْلُمُونَ عَلِيًّا، فَمَا أَسْنَى قَوْلَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَدِيسٍ:

أَتُوصِينَا يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِحَاجَةٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَتَقِي اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،

وَتَرَدُّ مِنْ قَبْلِكَ عَنْ إِمَامِهِ، فَإِنَّهُ قَدْ وَعَدَنَا أَنْ يَرْجِعَ وَيَنْزِعَ قَالَ ابْنُ عَدِيسٍ: أَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ: فَرَجَعَ الْقَوْمُ إِلَى الْمَدِينَةِ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

لَمَّا رَجَعَ عَلِيٌّ إِلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُمْ قَدْ رَجَعُوا، وَكَلَّمَهُ عَلِيٌّ كَلَامًا فِي نَفْسِهِ، قَالَ لَهُ: أَعْلَمُ أَنِّي قَاتِلُ فَيْكِ أَكْثَرَ مِمَّا قُلْتُ.

قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ إِلَى بَيْتِهِ، قَالَ: فَمَكَثَ عُثْمَانُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ جَاءَهُ مَرْوَانُ، فَقَالَ لَهُ: تَكَلَّمْتَ وَأَعْلِمْتَ النَّاسَ أَنَّ أَهْلَ مِصْرَ قَدْ رَجَعُوا، وَأَنَّ مَا بَلَّغَهُمْ عَنْ إِمَامِهِمْ كَانَ بَاطِلًا، فَإِنْ خُطْبَتُكَ تَسِيرُ فِي الْبِلَادِ قَبْلَ أَنْ يَتَحَلَّبَ النَّاسُ عَلَيْكَ مِنْ أَمْصَارِهِمْ، فَيَأْتِيكَ مَنْ لَا تَسْتَطِيعُ دَفْعَهُ قَالَ:

فَأَبَى عُثْمَانُ أَنْ يَخْرُجَ قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ بِهِ مَرْوَانُ حَتَّى خَرَجَ جُلُوسًا عَلَى الْمَنِيرِ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ كَانَ بَلَّغَهُمْ عَنْ إِمَامِهِمْ أَمْرًا، فَلَبَّاهُ تَقْنُوهَا أَنَّهُ بَاطِلٌ مَا بَلَّغَهُمْ عَنْهُ رَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ قَالَ: فَناداهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ: اتَّقِ اللَّهَ يَا عُثْمَانُ، فَإِنَّكَ قَدْ رَكِبْتَ نَهَائِيرَ وَرَكِبْنَاهَا مَعَكَ، فَتُبَّ إِلَى اللَّهِ تَنْبً.

قَالَ: فَناداهُ عُثْمَانُ، وَأَنَّكَ هُنَاكَ يَا بَنَ النَّابِغَةِ! قُلْتُ وَاللَّهِ جُبْتُكَ مِنْذُ تَرَكْتُكَ مِنَ الْعَمَلِ قَالَ: فَنُودِيَ مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى: تُبَّ إِلَى اللَّهِ وَأَظْهَرَ التَّوْبَةَ يَكْفِ النَّاسُ عَنْكَ قَالَ: فَرَفَعَ عُثْمَانُ يَدَيْهِ مَدًّا وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَقَالَ:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ تَائِبٍ تَابَ إِلَيْكَ وَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ حَتَّى نَزَلَ مَنْزِلَهُ بِفِلَسْطِينَ، فَكَانَ يَقُولُ: وَاللَّهِ إِنِّي كُنْتُ لَأَلْقَى الرَّاعِيَّ فَأُحَرِّضُهُ عَلَيْهِ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا جَاءَ عُثْمَانَ بَعْدَ انْصِرَافِ الْمِصْرِيِّينَ، فَقَالَ لَهُ: تَكَلَّمْتَ كَلَامًا يَسْمَعُهُ النَّاسُ مِنْكَ وَيَشْهَدُونَ عَلَيْهِ، وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِكَ مِنَ التَّزْوِجِ وَالْإِنَابَةِ،

فَإِنَّ الْبِلَادَ قَدْ تَمَخَّضَتْ عَلَيْكَ، فَلَا أَمْنٌ رَجَاءَ آخَرِينَ يَقْدُمُونَ مِنَ الْكُوفَةِ، فَتَقُولُ: يَا عَلِيُّ، ارْكَبْ إِلَيْهِمْ، وَلَا أَقْدِرُ أَنْ أَرْكَبَ إِلَيْهِمْ، وَلَا أَسْمَعُ عَذْرًا.

وَيَقْدُمُ رَكْبٌ آخَرُونَ مِنَ الْبَصْرَةِ، فَتَقُولُ: يَا عَلِيُّ ارْكَبْ إِلَيْهِمْ، فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ رَأَيْتَنِي قَدْ قَطَعْتُ رَحِمَكَ، وَاسْتَخَفَفْتُ بِحَقِّكَ.

قَالَ: نَخْرَجُ عُثْمَانُ نَخْطُبُ الْخُطْبَةَ الَّتِي نَزَعَ فِيهَا، وَأَعْطَى النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ التَّوْبَةَ، فَقَامَ حَمْدُ اللَّهِ، وَاتَّخَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَوَاللَّهِ مَا عَابَ مَنْ عَابَ مِنْكُمْ شَيْئًا أَجْهَلَهُ، وَمَا جُنْتُ شَيْئًا إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُهُ، وَلَكِنِّي مَنَنْتَنِي نَفْسِي وَكَذَّبْتَنِي، وَضَلَّ عَنِّي رُشْدِي، [وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: مَنْ زَلَّ فَلْيَتُبْ، وَمَنْ أَخْطَأَ فَلْيَتُبْ، وَلَا يَتِمَادَ فِي الْهَلَكَةِ، إِنَّ مَنْ تِمَادَى فِي الْجَوْرِ كَانَ أَبْعَدَ مِنَ الطَّرِيقِ]، فَإِنَّا أَوَّلُ مَنْ اتَّعَطَّ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا فَعَلْتُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَمِثْلِي نَزَعَ وَتَابَ، فَإِذَا نَزَلْتُ فَلْيَأْتِنِي أَشْرَافُكُمْ فَلِيرُونِي رَأْيَهُمْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ رَدَّنِي الْحَقُّ عَبْدًا لَأَسْتُنَّ بِسُنَّةِ الْعَبْدِ، وَلَأَذِلَّنَّ ذُلَّ الْعَبْدِ، وَلَا أَكُونَنَّ كَالْمَرْقُوقِ، إِنَّ مَلِكَ صَبَرَ، وَإِنْ عُتِقَ شَكَرَ، وَمَا عَنِ اللَّهِ مَذْهَبٌ إِلَّا إِلَيْهِ، فَلَا يَعْجِزَنَّ عَنْكُمْ خِيَارُكُمْ أَنْ يَدْنُوا إِلَيَّ، لَئِنْ أَبَتْ يَمِينِي لِتَتَابِعَنِي شِمَالِي.

قَالَ: فَرَّقَ النَّاسُ لَهُ يَوْمَئِذٍ، وَبَكَى مِنْ بَكَى مِنْهُمْ، وَقَامَ إِلَيْهِ سَعِيدُ ابْنِ زَيْدٍ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَيْسَ بِوَاصِلٍ لَكَ مِنْ لَيْسَ مَعَكَ، اللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ! فَأَتَمَّمْ عَلَى مَا قُلْتَ فَلَمَّا نَزَلَ عُثْمَانُ وَجَدَ فِي مَنْزِلِهِ مَرْوَانَ وَسَعِيدًا وَنَفَرًا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، وَلَمْ يَكُونُوا شَهِدُوا الْخُطْبَةَ، فَلَمَّا جَلَسَ قَالَ مَرْوَانُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَتَكَلَّمُ أَمْ أَصْمُتُ؟ فَقَالَتْ نَائِلَةُ ابْنَةُ الْفَرَاغِصَةِ، امْرَأَةُ عُثْمَانَ الْكَلْبِيَّةِ:

لَا بَلِ اصْصَمْتُ، فَإِنَّهُمْ وَاللَّهِ قَاتَلُوهُ وَمَوْتُوهُ، إِنَّهُ قَدْ قَالَ مَقَالَةً لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنْزَعَ عَنْهَا فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا مَرْوَانُ، فَقَالَ: مَا أَنْتَ وَذَاكَ! فَوَاللَّهِ لَقَدْ مَاتَ أَبُوكَ وَمَا يُحْسِنُ تَبَوُّضًا، فَقَالَتْ لَهُ: مَهْلًا يَا مَرْوَانُ عَنْ ذِكْرِ الْأَبَاءِ، تُخْبِرُ عَنْ أَبِي وَهُوَ غَائِبٌ تَكْذِبُ عَلَيْهِ! وَإِنَّ أَبَاكَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّهُ عَمَهُ، وَانْهَ يَنَالُهُ عَمُهُ، أَخْبَرْتُكَ عَنْهُ مَا لَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ

قَالَ: فَأَعْرَضَ عَنْهَا مَرْوَانُ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَتَكَلَّمُ أَمْ أَصْمُتُ؟

قَالَ: بَلْ تَكَلَّمْ، فَقَالَ مَرْوَانُ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ مَقَالَتَكَ هَذِهِ كَانَتْ وَأَنْتَ مُتَمَتِّعٌ مُنِيعٌ فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ رَضِيَ بِهَا، وَأَعَانَ عَلَيْهَا، وَلَكِنَّكَ قُلْتَ مَا قُلْتَ حِينَ بَلَغَ الْحِزَامُ الطَّبِيعِينَ، وَخَلَفَ السَّيْلُ الرُّبَى، وَحِينَ أَعْطَى الْخُطْبَةَ الدَّلِيلَ، وَاللَّهِ لِإِقَامَةٍ عَلَى خَطِيئَةٍ تَسْتَغْفِرُ اللَّهُ مِنْهَا أَجَلٌ مِنْ تَوْبَةٍ تَخُوفٌ عَلَيْهَا، وَإِنَّكَ إِنْ شِئْتَ تَقَرَّبْتَ بِالتَّوْبَةِ وَلَمْ تَقَرَّرْ بِالْخُطِيئَةِ، وَقَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْكَ عَلَى الْبَابِ مِثْلُ الْجِبَالِ مِنَ النَّاسِ فَقَالَ عُثْمَانُ: فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ فَكَلَّمَهُمْ، فَانْصَحَى أَنْ أَكَلِمَهُمْ قَالَ: نَخْرَجُ مَرْوَانُ إِلَى الْبَابِ وَالنَّاسُ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ قَدْ اجْتَمَعْتُمْ كَأَنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ لِنَهْبٍ! شَاهَتِ الْوُجُوهُ! كُلُّ إِنْسَانٍ آخِذٌ بِأُذُنِ صَاحِبِهِ إِلَّا مَنْ أُرِيدَ! جِئْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْزِعُوا مُلْكًا مِنْ أَيْدِينَا! اخْرُجُوا عَنَّا، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رُمْتُمُونَا لَيَرَنَّ عَلَيْكُمْ مَنَا أَمْرًا لَا يَسُرُّكُمْ، وَلَا تَحْمَدُوا غِبَّ رَأْيِكُمْ أَرْجِعُوا إِلَى مَنَازِلِكُمْ، فَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَحْنُ مَغْلُوبِينَ عَلَى مَا فِي أَيْدِينَا قَالَ: فَرَجَعَ النَّاسُ وَخَرَجَ بَعْضُهُمْ حَتَّى أَتَى عَلِيًّا فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، [فَجَاءَ عَلِيٌّ ع مُغْضَبًا، حَتَّى دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ، فَقَالَ: أَمَا رَضِيتَ مِنْ مَرْوَانَ وَلَا رَضِيَ مِنْكَ إِلَّا بِتَحْرِفِكَ عَنْ دِينِكَ وَعَنْ عَقْلِكَ، مِثْلُ جَمَلٍ الطَّعِينَةِ يَقَادُ حَيْثُ يَسَارُ بِهِ، وَاللَّهِ مَا مَرْوَانُ بِذِي رَأْيٍ فِي دِينِهِ وَلَا نَفْسِهِ، وَأَيْمُ اللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ سَيُورِدُكَ ثُمَّ لَا يُصْدِرُكَ، وَمَا أَنَا بِعَائِدٍ بَعْدَ مَقَامِي هَذَا لِمُعَابَتِكَ، أَذْهَبَتْ شَرَفُكَ، وَغَلَبَتْ عَلَى أَمْرِكَ] فَلَمَّا خَرَجَ عَلِيٌّ دَخَلَتْ عَلَيْهِ نَائِلَةُ ابْنَةِ الْفَرَاغِصَةِ امْرَأَتُهُ، فَقَالَتْ: أَتَكَلَّمُ أَوْ أَصْمُتُ؟ فَقَالَ: تَكَلِّبِي، فَقَالَتْ: قَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ عَلِيٍّ لَكَ، وَانْه لَيْسَ يَعَاوِدُكَ، وَقَدْ أَطَعْتَ مَرْوَانَ يَقُودُكَ حَيْثُ شَاءَ قَالَ:

فَمَا أَصْنَعُ؟ قَالَتْ: نُبْقِي اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَتَّبِعُ سُنَّةَ صَاحِبَيْكَ مِنْ قَبْلِكَ، فَإِنَّكَ مَتَى أَطَعْتَ مَرْوَانَ قَتَلَكَ، وَمَرْوَانُ لَيْسَ لَهُ عِنْدَ النَّاسِ قَدْرٌ وَلَا هَيْبَةٌ وَلَا حُبَّةٌ، وَإِنَّمَا تَرَكَكَ النَّاسُ لِمَكَانِ مَرْوَانَ، فَأَرْسِلْ إِلَى عَلِيٍّ فَاسْتَصْلِحْهُ،

فَإِنَّ لَهُ قُرَابَةً مِنْكَ، وَهُوَ لَا يُعْصِي قَالَ: فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى عَلِيٍّ، فَأَبَى أَنْ يَأْتِيَهُ، وَقَالَ: قَدْ أَعْلَمْتُهُ أَنِّي لَسْتُ بِعَائِدٍ.

قَالَ: فَلَبَّغَ مَرْوَانَ مَقَالَةً نَائِلَةً فِيهِ، قَالَ: فَبَلَغَ إِلَى عُثْمَانَ جُلُوسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: أَتَكَلَّمُ أَوْ أَصْمُتُ؟ فَقَالَ: تَكَلَّمْ، فَقَالَ: إِنَّ بِنْتَ الْفَرَاغِصَةِ فَقَالَ عُثْمَانُ: لَا تَذْكُرْنَهَا بِحَرْفٍ فَاسْوَى لَكَ وَجْهَكَ، فَبَيَّيْتُ وَاللَّهِ أَنْصَحَ لِي مِنْكَ.

قَالَ: فَكَفَّ مَرْوَانَ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: وَحَدَّثَنِي شَرْحِبِيلُ بْنُ أَبِي عَوْنٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْأَسْوَدِ بْنَ عَبْدِ يَغُوثٍ يَذْكُرُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ، قَالَ: قَبِحَ اللَّهُ مَرْوَانَ! خَرَجَ عُثْمَانُ إِلَى النَّاسِ فَأَعْطَاهُمُ الرِّضَا، وَبَكَى عَلَى الْمَنْبَرِ وَبَكَى النَّاسُ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى لَحْيَةِ عُثْمَانَ مُحْضَلَةً مِنَ الدَّمُوعِ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ! وَاللَّهِ لَئِنْ رَدَّنِي الْحَقُّ إِلَى أَنْ أَكُونَ عَبْدًا قَنًا لَأَرْضِينَ بِهِ، إِذَا دَخَلْتُ مَنْزِلِي فَادْخُلُوا عَلَيَّ، فَوَاللَّهِ لَا احْتَجِبُ مِنْكُمْ، وَلَا أُعْطِيَنَّكُمْ الرِّضَا، وَلَا زِيدَنَّكُمْ عَلَى الرِّضَا، وَلَا نُحِينَ مَرْوَانَ وَذَوِيهِ قَالَ: فَلَمَّا دَخَلَ أَمَرَ بِالْبَابِ فَفُتِحَ، وَدَخَلَ بَيْتَهُ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ مَرْوَانُ، فَلَمْ يَزَلْ يَفْتَلُهُ فِي الذَّرْوَةِ وَالْغَارِبِ حَتَّى فَتَلَهُ عَنْ رَأْيِهِ، وَأَزَالَهُ عَمَّا كَانَ يُرِيدُ، فَلَقَدْ مَكَثَ عُثْمَانُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مَا خَرَجَ اسْتِحْيَاءً مِنَ النَّاسِ، وَخَرَجَ مَرْوَانُ إِلَى النَّاسِ، فَقَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ! أَلَا مَنْ أُرِيدُ! ارْجِعُوا إِلَى مَنَازِلِكُمْ، فَإِنْ يَكُنْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَاجَةٌ بِأَحَدٍ مِنْكُمْ يُرْسَلُ إِلَيْهِ، وَإِلَّا قَرِّ فِي بَيْتِهِ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَجِئْتُ إِلَى عَلِيٍّ فَأَجِدُهُ بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمَنْبَرِ، وَاجِدُ عَنْدهُ عُمَارَ بْنَ يَاسِرٍ وَمُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ وَهُمَا يَقُولَانِ:

صَنَعَ مَرْوَانُ بِالنَّاسِ وَصَنَعَ قَالَ: [فَأَقْبَلَ عَلِيٌّ عَلَيَّ، فَقَالَ: أَحْضَرْتَ خُطْبَةَ عُثْمَانَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَحْضَرْتَ مَقَالَةَ مَرْوَانَ لِلنَّاسِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ عَلِيٌّ: عِيَاذُ اللَّهِ، يَا لِمُسْلِمِينَ! إِنِّي إِنْ قَعَدْتُ فِي بَيْتِي قَالَ لِي: تَرَكْتَنِي وَقَرَابَتِي وَحَقِّي، وَإِنِّي إِنْ تَكَلَّمْتُ لَجَاءَ مَا يُرِيدُ يَلْعَبُ بِهِ مَرْوَانُ، فَصَارَ سَيْقَةً لَهُ يُسَوِّقُهُ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ كِبَرِ السِّنِّ وَصُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص].
قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْأَسْوَدِ: فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى جَاءَ رَسُولُ عُثْمَانَ: اثْنَيْنِ، فَقَالَ عَلِيٌّ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ عَالٍ مُغْضَبٍ: قُلْ لَهُ: مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْكَ وَلَا عَائِدُ.

قَالَ: فَانْصَرَفَ الرَّسُولُ قَالَ: فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بِلَيْلَتَيْنِ خَائِبًا، فَسَأَلْتُ نَاتِلًا غُلَامَهُ: مِنْ أَيْنَ جَاءَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: كَانَ عِنْدَ عَلِيٍّ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْأَسْوَدِ: فَعَدَوْتُ لَجَلَسْتُ مَعَ عَلِيٍّ عَ، فَقَالَ لِي:
جَاءَنِي عُثْمَانُ الْبَارِحَةَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنِّي غَيْرُ عَائِدٍ، وَإِنِّي فَاعِلٌ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: بَعْدَ مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ عَلَى مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَأَعْطَيْتَ مِنْ نَفْسِكَ، ثُمَّ دَخَلْتَ بَيْتَكَ، وَخَرَجَ مَرْوَانُ إِلَى النَّاسِ فَشْتَمَهُمْ عَلَى بَابِكَ وَيُؤْذِيهِمْ! قَالَ: فَرَجَعَ وَهُوَ يَقُولُ: قَطَعْتَ رَحِمِي وَخَذَلْتَنِي، وَجَرَّاتِ النَّاسِ عَلَيَّ.

فَقُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَذُبُ النَّاسَ عَنْكَ، وَلَكِنِّي كَلَّا جِئْتُكَ بِهِنَّ أَظُنُّهَا لَكَ رِضًا جَاءَ بِأُخْرَى، فَسَمِعْتُ قَوْلَ مَرْوَانَ عَلِيٍّ، وَاسْتَدَخَلْتُ مَرْوَانَ.

قَالَ: ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى بَيْتِهِ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْأَسْوَدِ: فَلَمْ أَزَلْ أَرَى عَلِيًّا مُنْجَبًا عَنْهُ لَا يَفْعَلُ مَا كَانَ يَفْعَلُ، إِلَّا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ كَلَّمَ طَلْحَةَ حِينَ حُصِرَ فِي أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ الرَّوَايَا، وَغَضِبَ فِي ذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا، حَتَّى دَخَلَتِ الرَّوَايَا عَلَى عُثْمَانَ.
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَنَّ عُثْمَانَ صَعِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْمَنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: أَقِمْ كِتَابَ اللَّهِ، فَقَالَ عُثْمَانُ: اجْلِسْ، فَجَلَسَ حَتَّى قَامَ ثَلَاثًا، فَأَمَرَ بِهِ عُثْمَانُ فَجَلَسَ، فَتَحَاوَا بِالْخَصْبَاءِ حَتَّى مَا تَرَى السَّمَاءَ، وَسَقَطَ عَنِ الْمَنْبَرِ، وَجُمِلَ فَأُدْخِلَ دَارَهُ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ حِجَابِ عُثْمَانَ، وَمَعَهُ مُصْحَفٌ فِي يَدِهِ وَهُوَ يَنَادِي: «إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ» وَدَخَلَ عَلِيٌّ بْنُ

٤٠٢٠٢ ذكر الخبر عن قتل عثمان رضي الله عنه

أَبِي طَالِبٍ عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَهُوَ مَغْشَى عَلَيْهِ، وَبَنُو أُمَيَّةَ حَوْلَهُ، فَقَالَ: مَالِكُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَأَقْبَلَتْ بَنُو أُمَيَّةَ بِمَنْطِقٍ وَاحِدٍ، فَقَالُوا: يَا عَلِيُّ أَهْلَكْتَنَا وَصَنَعْتَ هَذَا الصَّنِيعَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ! أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ بَلَغْتَ الَّذِي تُرِيدُ لَتَمُرَنَّ عَلَيْكَ الدُّنْيَا فَقَامَ عَلِيُّ مَغْضِبًا

. ذكر الخبر عن قتل عثمان رضي الله عنه

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ذكر الخبر عن قتله وكيف قتل:

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَدْ ذَكَرْنَا كَثِيرًا مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي ذَكَرَ قَاتِلُوهُ أَنَّهُمْ جَعَلُوهَا ذَرِيعَةً إِلَى قَتْلِهِ، فَأَعْرَضْنَا عَنْ ذِكْرِ كَثِيرٍ مِنْهَا لِأَنَّ دَعَا إِلَى الْإِعْرَاضِ عَنْهَا، وَنَذَرْنَا الْآنَ كَيْفَ قُتِلَ، وَمَا كَانَ بَدْءَ ذَلِكَ وَافْتِتَاحَهُ، وَمَنْ كَانَ الْمَبْتَدِئُ بِهِ وَالْمَفْتِتِحُ لِلْجَرَاءِ عَلَيْهِ قَبْلَ قَتْلِهِ. ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ حَدَّثَهُ عَنْ أُمِّ بَكْرٍ بِنْتِ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، عَنْ أَبِيهَا، قَالَ: قَدِمْتُ إِبِلُ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ عَلَى عُثْمَانَ، فَوَهَبَهَا لِبَعْضِ بَنِي الْحَكَمِ، فَلَبِغَ ذَلِكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْمُسَوَّرِ ابْنِ مَخْرَمَةَ وَإِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ فَأَخَذَاهَا، فَتَقَسَّمَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي النَّاسِ وَعُثْمَانُ فِي الدَّارِ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعِ بْنِ نِقَاحَةَ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ الشَّرِيدِ، قَالَ: مَرَّ عُثْمَانُ عَلَى جَبَلَةٍ بَنَ عَمْرُو السَّاعِدِيِّ وَهُوَ بَفَنَاءِ دَارِهِ، وَمَعَهُ جَامِعَةٌ، فَقَالَ: يَا نَعْلُ، وَاللَّهِ لَا قَتْلَنَكَ، وَلَا أَهْلَنَكَ عَلَى قُلُوصِ جَرَبَاءَ، وَلَا أَخْرَجَنَكَ إِلَى حَرَةِ النَّارِ ثُمَّ جَاءَهُ مَرَّةً أُخْرَى وَعُثْمَانُ عَلَى الْمَنْبَرِ فَأَنْزَلَهُ عَنْهُ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ اجْتَرَأَ عَلَى عُثْمَانَ بِالْمَنْطِقِ السَّيِّئِ جَبَلَةُ ابْنِ عَمْرُو السَّاعِدِيِّ، مَرَّ بِهِ عُثْمَانُ وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَدْيِ قَوْمِهِ، وَفِي يَدِهِ جَبَلَةٌ بَنَ عَمْرُو جَامِعَةٌ، فَلَمَّا مَرَّ عُثْمَانُ سَلَّمَ، فَرَدَّ الْقَوْمُ، فَقَالَ جَبَلَةُ: لَمْ تَرُدُّونَ عَلَى رَجُلٍ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا! قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عُثْمَانَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا طَرَحَنَ هَذِهِ الْجَامِعَةَ فِي عُنُقِكَ أَوْ لَتَرَكَنَ بِطَانَتِكَ هَذِهِ قَالَ عُثْمَانُ: أَيْ بَطَانَهُ! فَوَاللَّهِ إِنِّي لَا تُخَيِّرُ النَّاسَ، فَقَالَ: مَرَّ وَأَنْ تُخَيِّرَتَهُ! وَمَعَاوِيَةُ تُخَيِّرَتَهُ! وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ بْنُ كُرَيْزٍ تُخَيِّرَتَهُ! وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ تُخَيِّرَتَهُ! مِنْهُمْ مَنْ نَزَلَ الْقُرْآنَ بِدَمِهِ، وَأَبَاحَ رَسُولُ اللَّهِ صَ دَمَهُ.

قَالَ: فَانْصَرَفَ عُثْمَانُ، فَمَا زَالَ النَّاسُ مُجْتَرِئِينَ عَلَيْهِ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: وَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ أَبِي حَبِيبَةَ، قَالَ: خَطَبَ عُثْمَانُ النَّاسَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّكَ قَدْ رَكِبْتَ نَهَايِرَ وَرَكِبْنَاهَا مَعَكَ، فَتُبُّ نَتَبٌ فَاسْتَقْبَلَ عُثْمَانُ الْقِبْلَةَ وَشَهَرَ يَدَيْهِ - قَالَ أَبُو حَبِيبَةَ: فَلَمْ أَرِ يَوْمًا أَكْثَرَ بَاكِيًا وَلَا بَاكِيًا مِنْ يَوْمِئِذٍ - ثُمَّ لَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ خَطَبَ النَّاسَ، فَقَامَ إِلَيْهِ جَهْجَاهُ الْغَفَارِيُّ، فَصَاحَ: يَا عُثْمَانُ، أَلَا إِنَّ هَذِهِ شَارِفٌ قَدْ جِئْنَا بِهَا، عَلَيْهَا عِبَادَةٌ وَجَامِعَةٌ، فَانْزِلْ فَلْنُدْرِعَكَ الْعِبَادَةَ، وَلْنَطْرَحَكَ فِي الْجَامِعَةِ، وَلْنَحْمِلَكَ عَلَى الشَّارِفِ، ثُمَّ نَطْرَحُكَ فِي جَبَلِ الدُّخَانِ فَقَالَ عُثْمَانُ: قَبْحَكَ اللَّهُ وَقَبِّحَ مَا جِئْتُ بِهِ! قَالَ أَبُو حَبِيبَةَ: وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُ إِلَّا عَنْ مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ، وَقَامَ إِلَى عُثْمَانَ خَيْرَتَهُ وَشَيْعَتَهُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ فَحَمَلُوهُ فَأَدْخَلُوهُ الدَّارَ.

قَالَ أَبُو حَبِيبَةَ: فَكَانَ آخِرُ مَا رَأَيْتُهُ فِيهِ.

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَحَدَّثَنِي أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ اللَّيْثِيُّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ خَاطِبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَنَا أَنْظَرُ إِلَى عُثْمَانَ يَخْطُبُ عَلَى عَصَا النَّبِيِّ صَ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عَلَيْهَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعَمْرُو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ لَهُ جَهْجَاهُ: قُمْ يَا نَعْلُ، فَانْزِلْ عَنْ هَذَا الْمَنْبَرِ، وَأَخَذَ الْعَصَا فَكَسَرَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ الْيُمْنَى، فَدَخَلَتْ شَطِيطَةٌ مِنْهَا فِيهَا، فَبَقِيَ الْجَرْحُ حَتَّى أَصَابَتْهُ الْأَكْلَةُ،

فرايتها تدود، فنزل عثمان وحملوه وأمر بالعصا فشدها، فكانت مضربة، فما خرج بعد ذلك اليوم إلا خرجة أو خرجتين حتى حصر فقتل.

حدثني أحمد بن إبراهيم، قال: حدثنا عبد الله بن إدريس، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، أن جهجاها الغفاري، أخذ عصا كانت في يد عثمان، فكسرها على ركبته، فرمي في ذلك المكان بأكلة حدثني جعفر بن عبد الله المحمدي، قال: حدثنا عمرو، عن محمد بن إسحاق بن يسار المدني، عن عمه عبد الرحمن بن يسار، أنه قال: لما رأى الناس ما صنع عثمان كتب من المدينة من أصحاب النبي ص إلى من بالآفاق منهم - وكانوا قد تفرقوا في الثغور: إنكم إنما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عز وجل، تطلبون دين محمد ص، فإن دين محمد قد أفسد من خلفكم وترك، فلهلوا فأقيموا دين محمد صلى الله عليه وسلم فأقبلوا من كل أفق حتى قتلوه وكتب عثمان إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح عامله على مصر - حين تراجع الناس عنه، وزعم أنه تائب - بكتاب في الذين شخصوا من مصر، وكانوا أشد أهل الأمصار عليه: أما بعد، فانظر فلانا وفلانا فاضرب أعناقهم إذا قدموا عليك، فانظر فلانا وفلانا فعاقيمهم بكذا وكذا - منهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنهم قوم من التابعين - فكان رسوله في ذلك أبو الأعور بن سفيان السلمي، حمله عثمان على جمل له، ثم أمره أن يقبل حتى يدخل مصر قبل أن يدخلها القوم، فلحقهم أبو الأعور ببعض الطريق، فسأله: أين يريد؟ قال: أريد مصر، ومعه رجل من أهل الشام من خولان، فلما رآه على جمل عثمان، قالوا له: هل معك كتاب؟ قال: لا، قالوا: فيم أرسلت؟ قال: لا علم لي، قالوا: ليس معك كتاب ولا علم لك بما أرسلت! إن أمرك لمريب! ففتشوه، فوجدوا معه كتابا في إداوة يابسة، فنظروا في الكتاب، فإذا فيه قتل بعضهم وعقوبة بعضهم في أنفسهم وأموالهم فلما رأوا ذلك رجعوا إلى المدينة، فبلغ الناس رجوعهم، والذي كان من أمرهم فتراجعوا من الآفاق كلها، وثار أهل المدينة

حدثني جعفر، قال: حدثنا عمرو وعلي، قالوا: حدثنا حسين، عن أبيه، عن محمد بن السائب الكلبي، قال: إنما رد أهل مصر إلى عثمان بعد أنصرافهم عنه أنه أدركهم غلام لعثمان على جمل له بصحيفة إلى أمير مصر أن يقتل بعضهم، وأن يصلب بعضهم فلما أتوا عثمان، قالوا: هذا غلامك، قال: غلامي انطلق بغير علي، قالوا: جملك، قال: أخذه من الدار بغير أمري، قالوا: خاتمك، قال: نقش عليه، فقال عبد الرحمن بن عديس التجيبي حين أقبل أهل مصر: أقبل من بلبيس والصعيد ... خوفا كأمثال القسي قود

مستحقات حلق الحديد ... يطلبن حق الله في الوليد

وعند عثمان وفي سعيد ... يا رب فارجعنا بما نريد

فلما رأى عثمان ما قد نزل به، وما قد أبعث عليه من الناس، كتب إلى معاوية بن أبي سفيان وهو بالشام: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة، ونكثوا البيعة، فأبعث إلي من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كل صعب وذلول. فلما جاء معاوية الكتاب تربص به، وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله ص، وقد علم اجتماعهم، فلما أبطأ أمره على عثمان كتب إلى يزيد بن أسد بن كرز، وإلى أهل الشام يستنفرهم ويعظم حقه عليهم، ويذكر الخلفاء وما أمر الله عز وجل به من طاعتهم ومناصحتهم، ووعدهم أن يجدهم جند أو بطانة دون الناس، وذكرهم بلاءه عندهم، وصنيعه إليهم، فإن كان عندكم غياث فاعجل العجل، فإن القوم معاجلي.

فلما قرئ كتابه عليهم قام يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسري، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر عثمان، فعظم حقه، وحضهم على نصره، وأمرهم بالمسير إليه فتابعه ناس كثير، وساروا معه حتى إذا كانوا بوادي القرى، بلغهم قتل عثمان رضي الله عنه، فرجعوا.

وَكَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ، أَنْ ائْتِ أَهْلَ الْبَصْرَةِ، نُسخةً كَتَبَهُ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ
فَجَمَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ النَّاسَ، فَقَرَأَ كِتَابَهُ عَلَيْهِمْ، فَقَامَتِ خُطْبَاءُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَحْضُونَهُ عَلَى نَصْرِ عُثْمَانَ وَالْمَسِيرِ إِلَيْهِ، فِيهِمْ مُجَاشِعُ
بْنُ مَسْعُودٍ السُّلَمِيُّ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ، وَهُوَ يَوْمئِذٍ سَيِّدُ قَيْسٍ بِالْبَصْرَةِ وَقَامَ أَيْضًا قَيْسُ بْنُ الْهَيْثَمِ السُّلَمِيُّ، فَخَطَبَ وَحَضَّ النَّاسَ عَلَى
نَصْرِ عُثْمَانَ، فَسَارَعَ النَّاسُ إِلَى ذَلِكَ، فَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ مُجَاشِعَ بْنَ مَسْعُودٍ فَسَارَ بِهِمْ، حَتَّى إِذَا نَزَلَ النَّاسُ الرَّبَذَةَ،
وَنَزَلَتْ مُقَدِّمَتُهُ عِنْدَ صِرَارٍ- نَاحِيَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ- أَتَاهُمْ قَتْلُ عُثْمَانَ.

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو وَعَلِيٌّ، قَالَا: حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارِ الْمَدَنِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عُبَادٍ بْنِ عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَتَبَ أَهْلُ مِصْرَ بِالسَّقِيَا- أَوْ بِذِي خَشْبٍ- إِلَى عُثْمَانَ بِكُتَابٍ، فَجَاءَ بِهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى دَخَلَ بِهِ عَلَيْهِ، فَلَمْ
يَرِدْ عَلَيْهِ شَيْئًا، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ مِنَ الدَّارِ، وَكَانَ أَهْلُ مِصْرَ الَّذِينَ سَارُوا إِلَى عُثْمَانَ سَمَاءَهُ رَجُلٌ عَلَى أَرْبَعَةِ أَلْوِيَةٍ لَهَا رِءُوسُ أَرْبَعَةٍ، مَعَ
كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ لَوَاءٌ، وَكَانَ جَمَاعُ أَمْرِهِمْ جَمِيعًا إِلَى عَمْرُو بْنِ بَدِيلِ بْنِ وَرْقَاءِ الْخَزَاعِيِّ- وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ص- وَإِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ
بْنِ عَدِيسٍ التَّجِيبِيِّ، فَكَانَ فِيمَا كَتَبُوا إِلَيْهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَمَّا بَعْدُ، فَاعْلَمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّى يَغَيِّرُوا مَا بَانَفْسِهِمْ، فَاللَّهُ
اللَّهُ! ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ! فَإِنَّكَ عَلَى دُنْيَا فَاسْتَمِ إِلَيْهَا مَعَهَا آخِرَةٌ، وَلَا تَلْبَسْ نَصِيْبَكَ مِنَ الْآخِرَةِ، فَلَا تَسُوْغَ لَكَ الدُّنْيَا.

وَاعْلَمْ أَنَا وَاللَّهُ لِلَّهِ نَغْضِبُ، وَفِي اللَّهِ نَرْضَى، وَأَنَا لَنْ نَضَعَ سِيوفَنَا عَنْ عَوَاتِقِنَا حَتَّى تَأْتِنَا مِنْكَ تَوْبَةٌ مَصْرُوحَةً، أَضْلَالَهُ مَجْلُحَةٌ مَبْلُجَةٌ، فَهَذِهِ
مَقَالَتُنَا لَكَ، وَقَضَيْتُنَا إِلَيْكَ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ مِّنْكَ وَالسَّلَامُ.

وَكَتَبَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ إِلَى عُثْمَانَ يَدْعُوهُ إِلَى التَّوْبَةِ، وَيَحْتَجُّونَ وَيَقْسِمُونَ لَهُ بِاللَّهِ لَا يَمْسُكُونَ عَنْهُ أَبَدًا حَتَّى يَقْتُلُوهُ، أَوْ يُعْطِيَهُمْ مَا يُلْزِمُهُ
مِنْ حَقِّ اللَّهِ.

فَلَمَّا خَافَ الْقَتْلَ شَاوَرَ نَصَحَاءَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: قَدْ صَنَعَ الْقَوْمُ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ، فَمَا الْمَخْرَجُ؟ فَأَشَارُوا عَلَيْهِ أَنْ يُرْسَلَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ فَيُطْلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمْ عَنْهُ، وَيُعْطِيَهُمْ مَا يَرْضِيهِمْ لِيُطَاوِلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُ

أَمْدَادُ، فَقَالَ: إِنْ الْقَوْمُ لَنْ يَقْبَلُوا التَّعْلِيلَ، وَهُمْ مُحِلُّو عَهْدَا، وَقَدْ كَانَ مِنِّي فِي قَدَمَتِهِمُ الْأَوَّلَى مَا كَانَ، فَتَى أَعْطَاهُمْ ذَلِكَ يَسْأَلُونِي الْوَفَاءَ
بِهِ! فَقَالَ مَرْوَانَ بْنُ الْحَكَمِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَقَارِبَتُهُمْ حَتَّى تَقْوَى أَمَثَلُ مِنْ مَكَاثِرَتِهِمْ عَلَى الْقَرَبِ، فَأَعْطَاهُمْ مَا سَأَلُوكَ، وَطَاوَلَهُمْ مَا
طَاوَلُوكَ، فَإِنَّمَا هُمْ بَغَاؤُكَ، فَلَا عَهْدَ لَهُمْ.

فَأُرْسِلَ إِلَى عَلِيٍّ فِدَاعُهُ، فَلَمَّا جَاءَهُ قَالَ: يَا أَبَا حَسَنَ، إِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنَ النَّاسِ مَا قَدْ رَأَيْتَ، وَكَانَ مِنِّي مَا قَدْ عَلِمْتَ، وَلَسْتُ آمَنُهُمْ عَلَى
قَتْلِي، فَارْدُدْهُمْ عَنِّي، فَإِنَّ لَهُمُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أَعْطِيَهُمْ مِنْ كُلِّ مَا يَكْرَهُونَ، وَأَنْ أَعْطِيَهُمُ الْحَقَّ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ غَيْرِي، وَإِنْ كَانَ فِي
ذَلِكَ سَفْكَ دَمِي [فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ:]

النَّاسُ إِلَى عَدْلِكَ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إِلَى قَتْلِكَ، وَإِنِّي لَأَرَى قَوْمًا لَا يَرْضُونَ إِلَّا بِالرِّضَا، وَقَدْ كُنْتُ أَعْطَيْتُهُمْ فِي قَدَمَتِهِمُ الْأَوَّلَى عَهْدًا مِنَ اللَّهِ:
لَتَرْجِعَنَّ عَنْ جَمِيعِ مَا نَقَمُوا، فَارْدُدْتَهُمْ عَنْكَ، ثُمَّ لَمْ تَفَعْ لَهُمْ بَشْيَءَ مِنْ ذَلِكَ، فَلَا تَغْرِنِي هَذِهِ الْمَرَّةُ مِنْ شَيْءٍ فَإِنِّي مُعْطِيهِمْ عَلَيْكَ الْحَقَّ
قَالَ: نَعَمْ، فَأَعْطَاهُمْ، فَوَاللَّهِ لَأَفِينَهُمْ [فَخَرَجَ عَلَيَّ إِلَى النَّاسِ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ إِنَّمَا طَلَبْتُمُ الْحَقَّ فَقَدْ أُعْطِيْتُمُوهُ، إِنْ عُثْمَانُ قَدْ
زَعَمَ أَنَّهُ مُنْصَفِّكُمْ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ غَيْرِهِ، وَرَاجِعٌ عَنْ جَمِيعِ مَا تَكْرَهُونَ، فَاقْبَلُوا مِنْهُ وَوَكِدُوا عَلَيْهِ قَالَ النَّاسُ: قَدْ قَبَلْنَا فَاسْتَوْتِ مِنْهُ لَنَا، فَإِنَّا
وَاللَّهِ لَا نَرْضَى بِقَوْلِ دُونَ فَعَلٍ] فَقَالَ لَهُمُ عَلِيٌّ: ذَلِكَ لَكُمْ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ عُثْمَانُ: اضْرِبْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ أَجَلًا يَكُونُ
لِي فِيهِ مَهْلَةٌ، فَإِنِّي لَا أَقْدِرُ عَلَى رَدِّ مَا كَرِهُوا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، قَالَ لَهُ عَلِيٌّ: مَا حُضِرَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وَصُولُ أَمْرِكَ،
قَالَ: نَعَمْ، وَلَكِنْ أَجْلُنِي فِيمَا بِالْمَدِينَةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ قَالَ عَلِيٌّ: نَعَمْ، فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ فَأَخْبَرَهُمْ بِذَلِكَ، وَكَتَبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عُثْمَانَ كِتَابًا أَجَلُهُ

فيه ثلاثا، على أن يرد كل مظلمة، ويعزل كل عامل كرهوه، ثم أخذ عليه في الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد وميثاق، وأشهد عليه ناسا من وجوه المهاجرين والأنصار، فكف المسلمون عنه ورجعوا إلى أن يفي لهم بما أعطاهم من نفسه، فجعل يتأهب للقتال، ويستعد بالسلاح- وقد كان اتخذ جندا عظيما من

رقيق الخمس- فلما مضت الأيام الثلاثة- وهو على حاله لم يغير شيئا مما كرهوه، ولم يعزل عاملا- ثار به الناس وخرج عمرو بن حزم الأنصاري حتى أتى المصريين وهم بذي خشب، فأخبرهم الخبر، وسار معهم حتى قدموا المدينة، فأرسلوا إلى عثمان: ألم نفارقك على أنك زعمت أنك تائب من أحداثك، وراجع عما كرهنا منك، وأعطيتنا على ذلك عهد الله وميثاقه! قال: بلى، أنا على ذلك، قالوا: فما هذا الكتاب الذي وجدنا مع رسولك، وكتبت به إلى عاملك؟

قال: ما فعلت ولا لي علم بما تقولون قالوا: يريدك على جملك، وكتاب كاتبك عليه خاتمك، قال: أما الجمل فمسرور، وقد يشبه الخط الخط، وأما الخاتم فانتقش عليه، قالوا: فإننا لا نجعل عليك، وإن كنا قد اتهمناك، اعزل عنا عمالك الفساق، واستعمل علينا من لا يهتم على دماننا وأموالنا، واردة علينا مظالمنا قال عثمان: ما أراني إذا في شيء إن كنت أستعمل من هو يقيم، وأعزل من كرهتم، الأمر إذا أمركم! قالوا: والله لتفعلن أو لتعزلن أو لتقتلن، فانظر لنفسك اودع فأبى عليهم وقال: لم أكن لأخلع سربالا سربليه الله، فخصروه أربعين ليلة، وطلحة يصلي بالناس حديثي يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن ابن عون، قال: حدثنا الحسن، قال: أنبأني وثاب- قال: وكان فيمن أدركه عتق أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، قال: ورأيت بحلقه أثر طعنتين، كأنهما كتبان طعنهما يومئذ يوم الدار- قال: بعثني عثمان، فدعوت له الأشر، فجاء- قال ابن عون: فأظنه قال: فطرح لأمر المؤمنين وسادة وله وسادة- فقال: يا أشر، ما يريد الناس مني؟ قال: ثلاثا ليس من إحداهن بد، قال: ما هن؟ قال: يخبرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول: هذا أمركم فاختاروا له من شئتم، وبين أن تقص من نفسك، فإن أبيت هاتين فإن القوم قاتلوك فقال: أما من إحداهن بد! قال: ما من إحداهن بد، فقال: أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالا سربليه الله عز وجل- قال: وقال غيره: والله لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من

أن أخلع قيصا قصنيه الله وأترك أمة محمد ص يعد وبعضها على بعض قال ابن عون: وهذا أشبه بكلامه- وأما أن أقص من نفسي، فو الله لقد علمت أن صاحبي بين يدي قد كانا يعاقبان وما يقوم بدني بالقصاص، وإما أن تقتلوني، فو الله لئن قتلتموني لا تتحابون بعدي أبدا، ولا تصلون جميعا بعدي أبدا، ولا تقتلون بعدي عدوا جميعا أبدا قال: فقام الأشر فانطلق، فكثنا أياما قال: ثم جاء رويجل كأنه ذئب، فاطلع من باب، ثم رجع وجاء محمد بن أبي بكر وثلاثة عشر حتى انتهى إلى عثمان، فأخذ بلحيته، فقال بها حتى سمعت وقع أضراسه، وقال: ما أغنى عنك معاوية، ما أغنى عنك ابن عامر، ما أغنت عنك كتبك! قال: أرسل لحيتي يا بن أخي، أرسل لحيتي قال: وأنا رأيته استعدي رجلا من القوم بعينه، فقام إليه بمشقص حتى وجأ به في رأسه قلت: ثم مه، قال: تغاؤوا عليه حتى قتلوه. وذكر الواقدي أن يحيى بن عبد العزيز حدثه عن جعفر بن محمد، عن محمد بن مسلمة، قال: خرجت في نفر من قومي إلى المصريين وكان رؤساؤهم أربعة: عبد الرحمن بن عديس البلوي، وسودان بن حمران المرادي، وعمرو بن الحنق الخزاعي- وقد كان هذا الاسم غلب حتى كان يقال: حبيس بن الحنق- وابن النباع قال: فدخلت عليهم وهم في خباء لهم أربعتهم، ورأيت الناس لهم تبعاء، قال: فعضمت حق عثمان وما في رقابهم من البيعة، وخوفتهم بالفتنة، وأعلمتهم أن في قتله اختلافا وأمر عظيم، فلا تكونوا أول من فتحه، وإنه ينزع عن هذه الخصال التي نقتم منها عليه، وأنا ضامن لذلك قال القوم: فإن لم ينزع؟ قال: قلت: فأمركم إليكم.

قال: فانصرف القوم وهم راضون، فرجعت إلى عثمان، فقلت: أخلي فأخلاني، فقلت: الله الله يا عثمان في نفسك! إن هؤلاء القوم إنما قدموا يريدون دمك، وأنت ترى خذلان أصحابك لك، لا بل هم يقولون عدوك عليك قال: فأعطاني الرضا، وجزاني خيرا قال: ثم

خرجت من عنده، فأقمت ما شاء الله أن أقيم
 قَالَ: وَقَدْ تَكَلَّمَ عُثْمَانُ بِرَجُوعِ الْمَصْرِيِّينَ، وَذَكَرَ أَنَّهُمْ جَاءُوا لِأَمْرِ، فَبَلَّغَهُمْ غَيْرَهُ فَانصَرَفُوا، فَأَرَدْتُ أَنْ آتِيَهُ فَأَعْنَفَهُ بِهِمَا، ثُمَّ سَكَتَ فَإِذَا
 قَائِلٌ يَقُولُ:

قَدْ قَدِمَ الْمَصْرِيُّونَ وَهُمْ بِالسُّوَيْدَاءِ، قَالَ: قُلْتُ: أَحَقُّ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَرْسَلْتُ إِلَى عُثْمَانَ.
 قَالَ: وَإِذَا الْخَبَرُ قَدْ جَاءَهُ، وَقَدْ نَزَلَ الْقَوْمُ مِنْ سَاعَتِهِمْ ذَا خَشَبٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ قَدْ رَجَعُوا، فَمَا الرَّأْيُ فِيهِمْ؟
 قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي، إِلَّا أَنِّي أَظُنُّ أَنَّهُمْ لَمْ يَرْجِعُوا لَخَيْرٍ قَالَ: فَارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَارِدِّدْهُمْ، قَالَ: قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ: وَلَمْ؟
 قَالَ: لِأَنِّي ضَمَنْتُ لَهُمْ أُمُورًا تَنْزِعُ عَنْهَا فَلَمْ تَنْزِعْ عَنْ حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنْهَا قَالَ: فَقَالَ:

اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

قَالَ: وَخَرَجْتُ وَقَدِمَ الْقَوْمُ وَحَلُّوا بِالْأَسْوَافِ، وَحَصَرُوا عُثْمَانَ.
 قَالَ: وَجَاءَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَدِيسٍ وَمَعَهُ سُودَانُ بْنُ حِمْرَانَ وَصَاحِبَاهُ، فَقَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّكَ كَلِمَتُنَا وَرَدَدْتَنَا وَزَعَمْتَ
 أَنْ صَاحِبِنَا نَازَعَ عَمَّا نَكْرَهُ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَإِذَا هُمْ يَخْرُجُونَ إِلَى صَحِيفَةٍ صَغِيرَةٍ.

قَالَ: وَإِذَا قَصْبَةٌ مِنْ رِصَاصٍ، فَإِذَا هُمْ يَقُولُونَ: وَجَدْنَا جَمَلًا مِنْ إِبْلِ الصَّدَقَةِ عَلَيْهِ غَلَامٌ عُثْمَانُ، فَأَخَذْنَا مَتَاعَهُ فَفَتَشْنَاهُ، فَوَجَدْنَا فِيهِ
 هَذَا الْكِتَابَ، فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَدِيسٍ فَاجْلِدْهُ مِائَةَ جَلْدَةٍ، وَاحْلِقْ رَأْسَهُ
 وَلَحِيَّتَهُ، وَأَطْلِ حَبْسَهُ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي، وَعَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ فَافْعَلْ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَسُودَانُ بْنُ حِمْرَانَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَعُرْوَةُ بْنُ النَّبَاعِ اللَّيْثِيُّ
 مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ: فَقُلْتُ: وَمَا يَدْرِيكُمْ أَنَّ عُثْمَانَ كَتَبَ بِهَذَا؟ قَالُوا: فَيَفْتَاتُ مَرْوَانَ عَلَى عُثْمَانَ بِهَذَا! فَهَذَا شَرٌّ، فَيُخْرِجُ نَفْسَهُ مِنْ هَذَا
 الْأَمْرِ ثُمَّ قَالُوا: انْطَلِقْ مَعَنَا إِلَيْهِ، فَقَدْ كَلَمْنَا عَلَيْهِ، وَوَعَدْنَا أَنْ يَكْلِمَهُ إِذَا صَلَّى الظُّهْرَ وَجِئْنَا سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، فَقَالَ: لَا أَدْخُلُ فِي أَمْرِكُمْ
 وَجِئْنَا سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ وَبَنِي عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ فَقَالَ مِثْلَ هَذَا، فَقَالَ مُحَمَّدٌ: فَأَيْنَ وَعَدْتُمْ عَلِيًّا؟ قَالُوا: وَعَدْنَا إِذَا صَلَّى الظُّهْرَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ.
 قَالَ مُحَمَّدٌ: فَصَلَّيْتُ مَعَ عَلِيٍّ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ عَلَيْهِ، فَقُلْنَا:

إِنْ هَؤُلَاءِ الْمَصْرِيِّينَ بِالْبَابِ، فَأَذِنَ لَهُمْ - قَالَ: وَمُرَّوَانُ عَنْده جَالِسٌ - قَالَ:

فَقَالَ مَرْوَانُ: دَعْنِي جَعَلْتَ فِدَاكَ أَكْلَهُمْ! قَالَ: فَقَالَ عُثْمَانُ: فَضَّ اللَّهُ فَاكْ! أَخْرَجَ عَنِّي، وَمَا كَلَامُكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ! قَالَ: نَفَرَجَ
 مَرْوَانَ، قَالَ: وَأَقْبَلَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ - قَالَ: وَقَدْ أَنهى الْمَصْرِيُّونَ إِلَيْهِ مِثْلَ الَّذِي أَنهى إِلَيَّ - قَالَ: فَجَعَلَ عَلِيٌّ يَخْبِرُهُ مَا وَجَدُوا فِي كِتَابِهِمْ قَالَ:
 فَجَعَلَ يَقْسِمُ بِاللَّهِ مَا كَتَبَ وَلَا عِلْمَ وَلَا شُورَ فِيهِ قَالَ: فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ، وَلَكِنْ هَذَا عَمَلُ مَرْوَانَ، فَقَالَ عَلِيٌّ:
 فَأَدْخُلْهُمْ عَلَيْكَ، فَلْيَسْمَعُوا عَذْرَكَ، قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ عُثْمَانَ عَلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ: إِنْ لِي قَرَابَةٌ وَرَحْمَاءُ، وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ فِي هَذِهِ الْحَلْقَةِ لَحَلَلْتُهَا عَنْكَ،
 فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ، فَكَلَمَهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَسْمَعُونَ مِنْكَ قَالَ عَلِيٌّ: وَاللَّهِ مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، وَلَكِنْ أَدْخُلْهُمْ حَتَّى تَعْتَذِرَ إِلَيْهِمْ، قَالَ: فَأَدْخَلُوا.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ: فَدَخَلُوا يَوْمَئِذٍ، فَمَا سَلَمُوا عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ، فَعَرَفَتْ أَنَّهُ الشَّرُّ بَعِينُهُ، قَالُوا: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، فَقُلْنَا: وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ، قَالَ:
 فَتَكَلَّمَ الْقَوْمُ وَقَدْ قَدِمُوا فِي كَلَامِهِمْ ابْنَ عَدِيسٍ، فَذَكَرَ مَا صَنَعَ ابْنُ سَعْدٍ بِمِصْرَ، وَذَكَرَ تَحَامُلًا مِنْهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الذِّمَّةِ، وَذَكَرَ اسْتِثَارًا
 مِنْهُ فِي غَنَائِمِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا قِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، قَالَ: هَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيَّ، ثُمَّ ذَكَرُوا أَشْيَاءَ مِمَّا أَحْدَثَ بِالْمَدِينَةِ، وَمَا خَالَفَ بِهِ
 صَاحِبِيهِ قَالَ: فَارْحَلْنَا مِنْ مِصْرَ وَنَحْنُ لَا نَزِيدُ إِلَّا دَمَكَ أَوْ تَنْزِعَ، فَارْدْنَا عَلِيٍّ وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ، وَضَمْنًا لَنَا مُحَمَّدُ النَّزُوعِ عَنْ كُلِّ مَا تَكَلَّمْنَا
 فِيهِ - ثُمَّ أَقْبَلُوا عَلَى مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ، فَقَالُوا: هَلْ قُلْتَ ذَاكَ لَنَا؟ قَالَ مُحَمَّدٌ: فَقُلْتُ: نَعَمْ - ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى بِلَادِنَا نَسْتَظْهِرُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ
 وَيَكُونُ حِجَّةٌ لَنَا بَعْدَ حِجَّةِ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبُيُوتِ أَخَذْنَا غَلَامَكَ فَأَخَذْنَا كِتَابَكَ وَخَاتَمَكَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ، تَأْمُرُهُ فِيهِ بِجَلْدِ ظَهْرِنَا،
 وَالْمِثْلَ بِنَا فِي أَشْعَارِنَا، وَطُولِ الْحَبْسِ لَنَا، وَهَذَا كِتَابُكَ.

قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهُ عُمَانَ وَاثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا كُتِبَتْ وَلَا أُمِرْتُ، وَلَا شُورْتُ وَلَا عَلِمْتُ قَالَ: فَقُلْتُ وَعَلِيٍّ جَمِيعًا: قَدْ صَدَقَ قَالَ: فَاسْتَرَحَ

إِلَيْهَا عُمَانَ، فَقَالَ الْمِصْرِيُّونَ: فَمَنْ كُتِبَ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، قَالَ: أَفِيحْتَرَأُ عَلَيْكَ فَيَبِيعُ غَلَامَكَ وَجَمَلَ مِنْ صَدَقَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَنْقُشُ عَلَى خَاتَمِكَ، وَيَكْتُبُ إِلَيَّ عَامِلَكَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الْعِظَامِ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ! قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: فَلَيْسَ مِثْلَكَ لِي، اخْلَعْ نَفْسَكَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ كَمَا خَلَعَكَ اللَّهُ مِنْهُ قَالَ:

لَا أَنْزِعُ قَيْصَا أَلْبَسْنِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: وَكَثُرَتِ الْأَصْوَاتُ وَاللَّغَطُ، فَمَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُمْ يَخْرُجُونَ حَتَّى يَوَاسِيُوهُ قَالَ: وَقَامَ عَلِيٌّ نَفْرَجَ، قَالَ: فَلَمَّا قَامَ عَلِيٌّ قَتَّ، قَالَ: وَقَالَ لِلْمِصْرِيِّينَ: اخْرُجُوا، نَفْرَجُوا.

قَالَ: وَرَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي وَرَجَعَ عَلِيٌّ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَمَا بَرَحُوا مُحَاصِرِيهِ حَتَّى قَتَلُوهُ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ الْفَضِيلِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ أَبِي الْعُجَّاءِ، قَالَ: قَدِمَ الْمِصْرِيُّونَ الْقَدِمَةَ الْأُولَى، فَكَلَّمَ عُمَانَ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمَةَ، نَفْرَجَ فِي خَمْسِينَ رَاكِبًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَتَوْهُمْ بِذِي خَشْبٍ فَرَدَّهُمْ، وَرَجَعَ الْقَوْمُ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبُيُوبِ، وَجَدُوا غَلَامًا لِعُمَانَ مَعَهُ كِتَابٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ، فَكُرُوا، فَاتَّبَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقَدْ تَخَلَّفَ بِهَا مِنَ النَّاسِ الْأَشْتَرُ وَحَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ، فَأَتَوْا بِالْكِتَابِ، فَأَنْكَرَ عُمَانُ أَنْ يَكُونَ كُتِبَ، وَقَالَ: هَذَا مَفْتَعَلٌ، قَالُوا: فَالْكِتَابُ كِتَابُ كَاتِبِكَ! قَالَ: أَجَلٌ، وَلَكِنَّهُ كُتِبَ بِغَيْرِ أَمْرِي، قَالُوا: فَإِنَّ الرِّسُولَ الَّذِي وَجَدْنَا مَعَهُ الْكِتَابَ غَلَامَكَ، قَالَ: أَجَلٌ، وَلَكِنَّهُ خَرَجَ بِغَيْرِ إِذْنِي، قَالُوا: فَاجْلِسْ جَمْلَكَ، قَالَ: أَجَلٌ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَ بِغَيْرِ عَلِيٍّ، قَالُوا: مَا أَنْتَ إِلَّا صَادِقٌ أَوْ كَاذِبٌ، فَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَقَدْ اسْتَحَقَّقْتَ الْخُلْعَ لَمَّا أُمِرْتُ بِهِ مِنْ سَفَكِ دِمَائِنَا بِغَيْرِ حَقِّهَا، وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَقَدْ اسْتَحَقَّقْتَ أَنْ تَخْلَعَ لَضَعْفِكَ وَغَفْلَتِكَ وَخُبْثِ بَطَانَتِكَ، لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتْرَكَ عَلَى رِقَابِنَا مِنْ يَقْتَطِعُ مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ دُونَهُ لَضَعْفِهِ وَغَفْلَتِهِ وَقَالُوا لَهُ: إِنَّكَ ضَرَبْتَ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَ وَغَيْرِهِمْ حِينَ يَعْظُونَكَ وَيَأْمُرُونَكَ بِمَرَاجِعِهِ الْحَقِّ عِنْدَ مَا يَسْتَنْكِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكَ، فَاقْدَمْ نَفْسَكَ مِنْ ضَرْبَتِهِ وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ، فَقَالَ: الْإِمَامُ يَخْطِئُ وَيَصِيبُ، فَلَا أَقِيدُ مِنْ نَفْسِي، لِأَنِّي لَوْ أَقَدْتُ كُلَّ مَنْ أَصَبْتُهُ بِخَطِئِي آتَى عَلَى نَفْسِي، قَالُوا: إِنَّكَ قَدْ أَحْدَثْتَ أَحْدَاثًا عَظِيمًا فَاسْتَحَقَّقْتَ بِهَا الْخُلْعَ، فَإِذَا كَلِمَتُ فِيهَا أُعْطِيَتِ التَّوْبَةُ ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهَا وَإِلَى مِثْلِهَا، ثُمَّ قَدِمْنَا عَلَيْكَ فَأَعْطَيْتَنَا التَّوْبَةَ وَالرَّجُوعَ إِلَى الْحَقِّ، وَلَا مَنَّا فِيكَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ، وَضَمِنَ لَنَا مَا حَدَثَ مِنْ أَمْرٍ، فَأَخْفَرْتَهُ فَتَبَّرْنَا مِنْكَ، وَقَالَ:

لَا أَدْخُلُ فِي أَمْرِهِ، فَرَجَعْنَا أَوَّلَ مَرَّةٍ لِنَقْطَعَ حِجَّتَكَ وَنَبْلُغَ أَقْصَى الْأَعْدَارِ إِلَيْكَ، نَسْتَظْهَرُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ، فَلَحَقْنَا كِتَابَ مِنْكَ إِلَى عَامِلِكَ عَلَيْنَا تَأْمُرُهُ فِينَا بِالْقَتْلِ وَالْقَطْعِ وَالصَّلْبِ وَزَعَمْتَ أَنَّهُ كُتِبَ بِغَيْرِ عِلْمِكَ وَهُوَ مَعَ غَلَامِكَ وَعَلَى جَمْلِكَ وَبِخَطِّ كَاتِبِكَ وَعَلَيْهِ خَاتَمُكَ، فَقَدْ وَقَعْتَ عَلَيْكَ بِذَلِكَ التَّهْمَةِ الْقَبِيحَةِ، مَعَ مَا بَلَوْنَا مِنْكَ قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الْجَوْرِ فِي الْحُكْمِ وَالْأَثَرَةِ فِي الْقِسْمِ وَالْعُقُوبَةِ لِلْأَمْرِ بِالتَّبَسُّطِ مِنَ النَّاسِ، وَالْإِظْهَارِ لِلتَّوْبَةِ، ثُمَّ الرَّجُوعِ إِلَى الْخَطِيئَةِ، وَلَقَدْ رَجَعْنَا عَنْكَ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَرْجِعَ حَتَّى نَخْلَعَكَ وَنَسْتَبْدِلَ بِكَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَ مِنْ لَمْ يَحْدِثْ مِثْلَ مَا جَرَبْنَا مِنْكَ، وَلَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ مِنَ التَّهْمَةِ مَا وَقَعَ عَلَيْكَ، فَارْدَدَ خِلَافَتَنَا، وَاعْتَزَلَ أَمْرَنَا، فَإِنْ ذَلِكَ أَسْلَمَ لَنَا مِنْكَ، وَأَسْلَمَ لَكَ مِنْهَا فَقَالَ عُمَانُ: فَرِغْتُمْ مِنْ جَمِيعِ مَا تَرِيدُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ، وَأُؤْمِنُ بِهِ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ* أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكُمْ لَمْ تَعْدِلُوا فِي الْمَنْطِقِ، وَلَمْ تَتَصَفَّوْا فِي الْقَضَاءِ، أَمَا قَوْلُكُمْ: تَخْلَعْ نَفْسَكَ، فَلَا أَنْزِعُ قَيْصَا قَصَصْنِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَكْرَمَنِي بِهِ، وَخَصَّنِي بِهِ عَلَى غَيْرِي، وَلَكِنِّي أَتُوبُ وَأَنْزِعُ وَلَا أَعُودُ لَشَيْءٍ عَابَهُ الْمُسْلِمُونَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ الْخَائِفُ مِنْهُ قَالُوا: إِنْ هَذَا لَوْ كَانَ أَوَّلَ حَدَثٍ أَحْدَثْتَهُ ثُمَّ تَبَّتْ مِنْهُ وَلَمْ تَقُمْ عَلَيْهِ، لَكَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَقْبَلَ مِنْكَ، وَأَنْ نَنْصَرِفَ عَنْكَ، وَلَكِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْكَ مِنَ الْإِحْدَاثِ قَبْلَ هَذَا مَا قَدْ عَلِمْتُ، وَلَقَدْ انْصَرَفْنَا عَنْكَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، وَمَا نَخْشَى أَنْ تَكْتُبَ فِينَا،

وَلَا مِنْ اعْتَلَّتْ بِهِ بِمَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِكَ مَعَ غَلَامِكَ وَكَيْفَ نَقَبَلْ تَوْبَتَكَ وَقَدْ بَلَوْنَا مِنْكَ أَنْكَ لَا تَعْطِي مِنْ نَفْسِكَ التَّوْبَةَ مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا عُدْتُ إِلَيْهِ، فَلَسْنَا مِنْصَرِفِينَ حَتَّى نَعْزَلَكَ وَنُسْتَبْدَلَ بِكَ، فَإِنْ حَالَ مِنْ مَعَكَ مِنْ قَوْمِكَ وَذَوِي رَحْمِكَ وَأَهْلِ الْإِنْقِطَاعِ إِلَيْكَ دُونَكَ بِقِتَالِ قَاتِلَانَهُمْ، حَتَّى نَخْلُصَ إِلَيْكَ فَتَقْتَلَكَ أَوْ تَلْحَقَ أَرْوَاحُنَا بِاللَّهِ فَقَالَ عُثْمَانُ: أَمَا أَنْ أَتَبْرَأَ مِنَ الْإِمَارَةِ، فَأَنْ تَصْلُبُونِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَبْرَأَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَخِلَافَتِهِ وَأَمَّا قَوْلُكُمْ:

تَقَاتِلُونَ مِنْ قَاتِلِ دُونِي، فَإِنِّي لَا أَمْرَ أَحَدًا بِقِتَالِكُمْ، فَمَنْ قَاتَلَ دُونِي فَإِنَّمَا قَاتَلَ بَغِيرَ أَمْرِي، وَلِعَمْرِي لَوْ كُنْتُ أُرِيدُ قِتَالَكُمْ، لَقَدْ كُنْتُ كَتَبْتُ إِلَى الْأَجْنَادِ فَقَادُوا الْجُنُودَ، وَبَعَثُوا الرِّجَالَ، أَوْ لَحَقْتُ بِبَعْضِ أَطْرَافِي بِمِصْرَ أَوْ عِرَاقَ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي أَنْفُسِكُمْ فَأَبْقُوا عَلَيْهَا إِنْ لَمْ تَبْقُوا عَلَيَّ، فَإِنَّكُمْ مَجْتَلِبُونَ بِهَذَا الْأَمْرِ - إِنْ قَتَلْتُمُونِي - دِمَا قَالَ: ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ وَآذَنُوهُ بِالْحَرْبِ، وَأَرْسَلَ إِلَى مُحَمَّدَ بْنِ مَسْلَمَةَ فَكَلَّمَهُ أَنْ يَرُدَّهُمْ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَكْذِبُ اللَّهَ فِي سَنَةِ مَرَّتَيْنِ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ عَقْبَةَ، عَنْ أَبِي حَبِيبَةَ، قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ يَوْمَ قِتْلِ عُثْمَانَ، دَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ يَسْتَرْجِعُ مِمَّا يَرَى عَلَى الْبَابِ، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ:

الْآنَ تَنْدِمُ! أَنْتَ أَشْعَرْتَهُ فَأَسْمَعُ سَعْدًا يَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ النَّاسَ يَجْتَرِثُونَ هَذِهِ الْجُرَاةَ، وَلَا يَطْلُبُونَ دَمَهُ، وَقَدْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ الْآنَ فَتَكَلَّمْتُ بِكَلَامٍ لَمْ تَحْضُرْهُ أَنْتَ وَلَا أَصْحَابُكَ، فَتَزَعَّ عَنْ كُلِّ مَا كَرِهَ مِنْهُ، وَأَعْطَى التَّوْبَةَ، وَقَالَ: لَا أَتَمَادَى فِي الْهَلَكَةِ، إِنَّ مِنْ تَمَادَى فِي الْجَوْرِ كَانَ أَبْعَدَ مِنَ الطَّرِيقِ، فَأَنَا أَتُوبُ وَأَنْزِعُ فَقَالَ مَرْوَانُ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَذُبَّ عَنْهُ، فَعَلَيْكَ بِابْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنَّهُ مُسْتَسَرٌّ وَهُوَ لَا يُجِبُهُ، فَخَرَجَ سَعْدٌ حَتَّى أَتَى عَلِيًّا وَهُوَ بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمِنْبَرِ، فَقَالَ: يَا أَبَا حَسَنِ، قُمْ فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي! جِئْتُكَ وَاللَّهِ بِخَيْرٍ مَا جَاءَ بِهِ أَحَدٌ قَطُّ إِلَى أَحَدٍ، تَصِلُ رَحِمَ ابْنِ عَمِّكَ، وَتَأْخُذُ بِالْفَضْلِ عَلَيْهِ، وَتَحْقِنُ دَمَهُ، وَيَرْجِعُ الْأَمْرُ عَلَى مَا نُحِبُّ، قَدْ أَعْطَى خَلِيفَتَكَ

مِنْ نَفْسِهِ الرِّضَا [فَقَالَ عَلِيٌّ: تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ يَا أَبَا إِسْحَاقَ! وَاللَّهِ مَا زِلْتُ أَذُبُّ عَنْهُ حَتَّى إِنِّي لَأَسْتَحْيِي، وَلَكِنَّ مَرْوَانَ وَمَعَاوِيَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرٍ وَسَعِيدَ ابْنَ الْعَاصِ هُمْ صَنَعُوا بِهِ مَا تَرَى، فَإِذَا نَصَحْتَهُ وَأَمَرْتَهُ أَنْ يَخِيْبَهُمْ اسْتَغْشَيْنِي حَتَّى جَاءَ مَا تَرَى] قَالَ: فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ جَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَسَارَّ عَلِيًّا، فَأَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِي، وَنَهَضَ عَلِيٌّ وَهُوَ يَقُولُ: وَآيُ خَيْرِ تَوْبَتِهِ هَذِهِ! فَوَاللَّهِ مَا بَلَّغْتُ دَارِي حَتَّى سَمِعْتُ الْهَاتِعَةَ، أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ، فَلَمْ نَزَلْ وَاللَّهِ فِي شَرِّ أَيَّامِنَا هَذَا.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: وَحَدَّثَنِي شُرَحْبِيلُ بْنُ أَبِي عَوْنٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، قَالَ: لَمَّا خَرَجَ الْمَصْرِيُّونَ إِلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ رَسُولًا أَسْرَعَ السَّيْرِ يَعْلَمُ عُثْمَانَ بِخَرْجِهِمْ، وَيَخْبِرُهُ أَنَّهُمْ يَظْهَرُونَ أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ الْعِمْرَةَ فَقَدِمَ الرَّسُولُ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ، يَخْبِرُهُمْ فَتَكَلَّمَ عُثْمَانُ، وَبَعَثَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ يَحْذَرُ مِنْ هُنَاكَ هَؤُلَاءِ الْمَصْرِيِّينَ، وَيَخْبِرُهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ طَعَنُوا عَلَى إِمَامِهِمْ ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدٍ خَرَجَ إِلَى عُثْمَانَ فِي آثَارِ الْمَصْرِيِّينَ - وَقَدْ كَانَ كَتَبَ إِلَيْهِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْقُدُومِ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَهُ - فَقَدِمَ ابْنُ سَعْدٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِأَيْلَةٍ بَلَّغَهُ أَنَّ الْمَصْرِيِّينَ قَدْ رَجَعُوا إِلَى عُثْمَانَ، وَأَنَّهُمْ قَدْ حَصَرُوهُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ بِمِصْرَ، فَلَمَّا بَلَغَ مُحَمَّدًا حَصْرَ عُثْمَانَ وَخُرُوجَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ عَنْهُ غَلَبَ عَلَى مِصْرَ، فَاسْتَجَابُوا لَهُ، فَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ يَرِيدُ مِصْرَ، فَنَعَاهُ ابْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ، فَوَجَّهَ إِلَى فَلَسْطِينَ، فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى قَتَلَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَقْبَلَ الْمَصْرِيُّونَ حَتَّى نَزَلُوا بِالْأَسْوَافِ، فَحَصَرُوا عُثْمَانَ، وَقَدِمَ حَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ مِنَ الْبَصْرَةِ فِي رَكْبٍ، وَقَدِمَ الْأَشْثَرُ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَتَوَافَوْا بِالْمَدِينَةِ، فَاعْتَزَلَ الْأَشْثَرُ، فَاعْتَزَلَ حَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ، وَكَانَ ابْنُ عَدِيسٍ وَأَصْحَابُهُ هُمُ الَّذِينَ يَحْصِرُونَ عُثْمَانَ، فَكَانُوا خَمْسَمِائَةَ، فَأَقَامُوا عَلَى حَصَارِهِ سَاعَةً وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا حَتَّى قَتَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ثَمَانِ عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ.

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَحَدَّثَنِي إِبرَاهِيمُ بْنُ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِيَّاشٍ بْنُ أَبِي رَيْعَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى

عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَتَحَدَّثَتْ عَنْهُ سَاعَةً، فَقَالَ: يَا بَنَ عِيَّاشٍ، تَعَالَ.
فَأَخَذَ بِيَدِي، فَأَسْمَعَنِي كَلَامَ مَنْ عَلَى بَابِ عُثْمَانَ، فَسَمِعْنَا كَلَامًا، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: مَا تَنْتَظِرُونَ بِهِ؟ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: انْظُرُوا عَسَى أَنْ يَرَا جَع، فَبَيْنَا أَنَا وَهُوَ وَقَفَانِ إِذْ مَرَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَوَقَفَ فَقَالَ: أَيْنَ ابْنُ عَدِيسٍ؟
فَقِيلَ: هَا هُوَ ذَا، قَالَ: لَجَاءَهُ ابْنُ عَدِيسٍ، فَنَاجَاهُ بِشَيْءٍ، ثُمَّ رَجَعَ ابْنُ عَدِيسٍ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: لَا تَتْرَكُوا أَحَدًا يَدْخُلُ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ، وَلَا يَخْرُجُ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ: فَقَالَ لِي عُثْمَانُ: هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ.
ثُمَّ قَالَ عُثْمَانُ: اللَّهُمَّ اكْفِنِي طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ حَمَلَ عَلَيَّ هَؤُلَاءِ وَالْبَهْمَ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مِنْهَا صِفْرًا، وَأَنْ يُسْفِكَ دَمَهُ، إِنَّهُ انْتَهَكَ مِنِّي مَا لَا يَحِلُّ لَهُ، [سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا فِي إِحْدَى ثَلَاثٍ: رَجُلٍ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ فُقِيتَ، أَوْ رَجُلٍ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ فُيرْجَمَ، أَوْ رَجُلٍ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ،] فَنِيمَ أَقْتُلْ! قَالَ:
ثُمَّ رَجَعَ عُثْمَانُ قَالَ ابْنُ عِيَّاشٍ: فَأَرَدْتُ أَنْ أَخْرَجَ فَنَعُونِي حَتَّى مَرَّ بِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: خَلُّوهُ، خَلُّوْنِي.
قَالَ مُحَمَّدٌ: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي الْمَغِيرَةِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: رَأَيْتُ الْيَوْمَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ عَلَى عُثْمَانَ، فَدَخَلُوا مِنْ دَارِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ خَوْخَةً هُنَاكَ حَتَّى دَخَلُوا الدَّارَ، فَنَافَسُوهُمْ شَيْئًا مِنْ مَنَاوَشِهِ وَدَخَلُوا، فَوَاللَّهِ مَا نَسِينَا أَنْ خَرَجَ سُودَانُ بْنُ حُمَرَانَ، فَأَسْمَعُهُ يَقُولُ: أَيْنَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ؟ قَدْ قَتَلْنَا ابْنَ عَفَّانَ! قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍ: وَحَدَّثَنِي شُرَحْبِيلُ بْنُ أَبِي عَوْنٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي حَفْصَةَ الْيَمَانِيِّ، قَالَ: كُنْتُ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ مِنَ الْعَرَبِ، فَأَعْجَبْتُهُ - يَعْنِي مَرْوَانَ - فَاشْتَرَانِي وَاشْتَرَى امْرَأَتِي وَوَلَدِي فَأَعْتَقَنَا جَمِيعًا، وَكُنْتُ أَكُونُ مَعَهُ، فَلَمَّا حَصَرَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، شَمَرْتُ مَعَهُ بَنُو أُمَيَّةَ، وَدَخَلَ مَعَهُ مَرْوَانَ الدَّارَ قَالَ: فَكُنْتُ مَعَهُ فِي الدَّارِ، قَالَ: فَأَنَا وَاللَّهِ أَنْشَبْتُ الْقِتَالَ بَيْنَ النَّاسِ، رَمَيْتُ مِنْ فَوْقِ الدَّارِ رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ فَقَتَلْتُهُ، وَهُوَ نِيارُ الْأَسْلَمِيِّ، فَنَشِبَ الْقِتَالَ، ثُمَّ نَزَلْتُ، فَاقْتَتَلَ النَّاسُ عَلَى الْبَابِ، وَقَاتَلَ مَرْوَانَ حَتَّى سَقَطَ فَاحْتَمَلْتُهُ، فَأَدْخَلْتُهُ بَيْتَ عَجُوزٍ، وَأَغْلَقْتُ عَلَيْهِ، وَأَلْقَى النَّاسُ النَّيْرَانَ فِي أَبْوَابِ دَارِ عُثْمَانَ، فَاحْتَرَقَ بَعْضُهَا، فَقَالَ عُثْمَانُ: مَا احْتَرَقَ الْبَابُ إِلَّا لَمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، لَا يَحْرُكُنْ رَجُلٌ مِنْكُمْ يَدَهُ، فَوَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ أَقْصَاكُمْ لَتَخْطُوكُمْ حَتَّى يَقْتُلُونِي، وَلَوْ كُنْتُ أَدْنَاكُمْ مَا جَاوَزُونِي إِلَى غَيْرِي، وَإِنِّي لَصَابِرٌ كَمَا عَهْدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ص، لِأَصْرَعَنَّ مَصْرَعِي الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ مَرْوَانَ: وَاللَّهِ لَا تَقْتُلْ وَأَنَا أَسْمَعُ الصَّوْتِ، ثُمَّ خَرَجَ بِالسَّيْفِ عَلَى الْبَابِ يَمْتَثِلُ بِهَذَا الشَّعْرِ:
قَدْ عَلِمْتُ ذَاتَ الْقُرُونِ الْمِيلَ ... وَالْكَفِّ وَالْأَنَامِلِ الطُّفُولِ
أَنِّي أَرُوعُ أَوَّلَ الرِّعِيلِ ... بَفَارِهِ مِثْلَ قَطَا الشَّلِيلِ
قَالَ مُحَمَّدٌ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْفَضِيلِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي حَفْصَةَ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْخَمِيسِ دَلِيتُ حَجْرًا مِنْ فَوْقِ الدَّارِ، فَقَتَلْتُ رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ يُقَالُ لَهُ نِيارٌ، فَأَرْسَلُوا إِلَى عُثْمَانَ: أَنْ أَمْكَا مِنْ قَاتِلِهِ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُ لَهُ قَاتِلًا، فَبَاتُوا يَنْحَرُونَ عَلَيْنَا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِمِثْلِ النَّيْرَانِ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا، فَأُولُ مِنْ طَلَعَ عَلَيْنَا كَنَانَةُ بْنُ عَتَابٍ، فِي يَدِهِ شَعْلَةٌ مِنْ نَارٍ عَلَى ظَهْرِ سَطُوحِنَا، قَدْ فَتَحَ لَهُ مِنْ دَارِ آلِ حَزْمٍ، ثُمَّ دَخَلَتْ الشَّعْلُ عَلَى أَثَرِهِ تَنْضِجُ بِالْغَطِّ، فَقَاتَلْنَاهُمْ سَاعَةً عَلَى الْخَشَبِ، وَقَدْ اضْطَرَمَّ الْخَشَبُ، فَأَسْمَعْتُ عُثْمَانَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: مَا بَعْدَ الْحَرِيقِ شَيْءٌ! قَدْ أَحْتَرَقَ الْخَشَبُ، وَاحْتَرَقَتِ الْأَبْوَابُ، وَمَنْ كَانَتْ لِي عَلَيْهِ طَاعَةٌ فَلْيَمْسِكْ دَارَهُ، فَإِنَّمَا يُرِيدُنِي الْقَوْمُ، وَسَيَنْدَمُونَ عَلَى قَتْلِي، وَاللَّهِ لَوْ تَرَكُونِي لَطَنَنْتُ أَنِّي لَا أَحِبُّ الْحَيَاةَ، وَلَقَدْ تَغَيَّرْتُ حَالِي، وَسَقَطَ أَسْنَانِي، وَرَقَّ عَظْمِي.
قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِمَرْوَانَ: اجْلِسْ فَلَا تَخْرُجْ، فَعَصَاهُ مَرْوَانَ، فَقَالَ:
وَاللَّهِ لَا تَقْتُلْ، وَلَا يَخْلُصْ إِلَيْكَ، وَأَنَا أَسْمَعُ الصَّوْتِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ.

فقلت: ما لمولاي مترك! فخرجت معه أذب عنه، ونحن قليل، فأسمع مروان يتمثل:

قد علمت ذات القرون الميل ... والكف والأنامل الطفول

ثم صاح: من يبارز؟ وقد رفع أسفل درعه، فجعله في منطقته قال:

فيثب إليه ابن النباع فضربه ضربة على رقبته من خلفه فأثبته، حتى سقط، فما ينبض منه عرق، فأدخلته بيت فاطمة ابنة أوس جدة إبراهيم بن العدي قال: فكان عبد الملك وبنو أمية يعرفون ذلك لآل العدي.

حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم، قال: حدثنا عبد الرحمن بن شريك، قال: حدثني أبي، عن محمد بن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة بن الأخنس، عن ابن الحارث بن أبي بكر، عن أبيه أبي بكر بن الحارث بن هشام، قال:

كأنني أنظر إلى عبد الرحمن بن عديس البلوي وهو مسند ظهره إلى مسجد نبي الله ص وعثمان بن عفان رضي الله عنه محصور، فخرج مروان بن الحكم، فقال: من يبارز؟ فقال عبد الرحمن بن عديس لفلان ابن عروة: قم إلى هذا الرجل، فقام إليه غلام شاب طوال، فأخذ رفرف الدرع فغرز في منطقته، فاعور له عن ساقه، فأهوى له مروان وضربه ابن عروة على عنقه، فكأنني أنظر إليه حين استدار وقام إليه عبيد بن رفاعة الزرقى ليدف عليه، قال: فوثبت عليه فاطمة ابنة أوس جده إبراهيم ابن عدي- قال: وكانت أرضعت مروان وأرضعت له- فقالت: إن كنت تريد قتل الرجل فقد قتل، وإن كنت تريد أن تلعب بلحمه فهذا قبيح.

قال: فكف عنه، فما زالوا يشكرونها لها، فاستعملوا ابنها إبراهيم بعد وقال ابن إسحاق: قال عبد الرحمن بن عديس البلوي حين سار إلى المدينة من مصر:

أقبلن من بلبس والصعيد ... مستحقات حلق الحديد

يطلبن حق الله في سعيد ... حتى رجعن بالذي نريد

حدثني جعفر بن عبد الله الحمدي، قال: حدثنا عمرو بن حماد وعلى

ابن حسين، قالوا: حدثنا حسين بن عيسى، عن أبيه، قال: لما مضت أيام التشريق أطافوا بدار عثمان رضي الله عنه، وأبى إلا الإقامة على أمره، وأرسل إلى حشمه وخاصته فجمعهم، فقام رجل من اصحاب النبي ص يقال له نيار بن عياض- وكان شيخا كبيرا- فنادى: يا عثمان، فأشرف عليه من أعلى داره، فناشده الله، وذكره الله لما اعتزلهم! فبينما هو يراجع الكلام إذ رماه رجل من أصحاب عثمان فقتله بسهم، وزعموا أن الذي رماه كثير بن الصلت الكندي، فقالوا لعثمان عند ذلك: ادفع إلينا قاتل نيار بن عياض فلنقتله به، فقال: لم أكن لأقتل رجلا نصرني وأنتم تريدون قتلي، فلما رأوا ذلك ثاروا إلى بابه فأحرقوه، وخرج عليهم مروان بن الحكم من دار عثمان في عصابة، وخرج سعيد بن العاص في عصابة، وخرج المغيرة بن الأخنس بن شريك الثقفي حليف بني زهرة في عصابة، فاقتتلوا قتالا شديدا، وكان الذي حداهم على القتال أنه بلغهم أن مددا من أهل البصرة قد نزلوا صرارا- وهي من المدينة على ليلة- وأن أهل الشام قد توجهوا مقبلين، فقاتلوهم قتالا شديدا على باب الدار، فحمل المغيرة بن الأخنس الثقفي على القوم وهو يقول مرتجزا:

قد علمت جارية عطبول ... لها وشاح ولها جلول

أني بنصل السيف خنثليل.

فحمل عليه عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وهو يقول:

إن تك بالسيف كما تقول ... فاثبت لقرن ماجد يصول

بمشرفي حده مصقول

فضربه عبد الله فقتله، وحمل رفاعة بن رافع الأنصاري ثم الزرقى على مروان بن الحكم، فضربه فصرعه، فنزل عنه وهو يرى انه قتله، وجرح عبد الله بن الزبير جراحات، وانهزم القوم حتى لجئوا إلى القصر، فاعتصموا

ببابه، فاقْتَلَوْا عَلَيْهِ قَتَالًا شَدِيدًا، فَقَتَلَ فِي الْمَعْرَكَةِ عَلَى الْبَابِ زِيَادُ بْنُ نَعِيمٍ الْفَهْرِيُّ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ عُثْمَانَ، فَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ يَقْتَتِلُونَ حَتَّى فَتَحَ عُمَرُو بْنُ حَزْمٍ الْأَنْصَارِيُّ بَابَ دَارِهِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِ دَارِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، ثُمَّ نَادَى النَّاسَ فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ مِنْ دَارِهِ، فَقَاتَلُوهُمْ فِي جَوْفِ الدَّارِ حَتَّى انْهَزَمُوا، وَخَلَّى لَهُمْ عَنْ بَابِ الدَّارِ، فَخَرَجُوا هَرَابًا فِي طَرَقِ الْمَدِينَةِ، وَبَقِيَ عُثْمَانُ فِي أَنْاسٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ فَقَتَلُوا مَعَهُ، وَقَتَلَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى أَبِي أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، قَالَ فَمَا سَمِعَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ رَدَّ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَرِدَ رَجُلٌ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: أَأَشَدُّكُمْ بِاللَّهِ هَلْ عَلِمْتُمْ أَنِّي اشْتَرَيْتُ رُومَةَ مِنْ مَالِي يُسْتَعَذَّبُ بِهَا، فَجَعَلْتُ رِشَائِي مِنْهَا كَرِشَاءِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ! قَالَ: قِيلَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَشْرَبَ مِنْهَا حَتَّى أَفْطَرَ عَلَى مَاءِ الْبَحْرِ! قَالَ: أَأَشَدُّكُمْ بِاللَّهِ هَلْ عَلِمْتُمْ أَنِّي اشْتَرَيْتُ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْأَرْضِ فَزِدْتُهُ فِي الْمَسْجِدِ؟ قِيلَ:

نَعَمْ، قَالَ: فَهَلْ عَلِمْتُمْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ مُنِعَ أَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ قَبْلِي! قَالَ:

أَأَشَدُّكُمْ بِاللَّهِ، هَلْ سَمِعْتُمْ نَبِيَّ اللَّهِ ص يَذْكُرُ كَذَا وَكَذَا، أَشْيَاءَ فِي شَأْنِهِ، وَذَكَرَ اللَّهُ إِيَّاهُ أَيْضًا فِي كِتَابِهِ الْمَفْصَلِ قَالَ: فَفَشَا النَّبِيُّ.

قَالَ: فَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ: مَهْلًا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: وَفَشَا النَّبِيُّ.

قَالَ: وَقَامَ الْأَشْتَرُ- قَالَ: وَلَا أَدْرِي يَوْمَئِذٍ أَوْ فِي يَوْمٍ آخَرَ- فَقَالَ: لَعَلَّهُ قَدْ مَكَّرَ بِهِ وَبَكَّرَ! قَالَ: فَوَطِئَهُ النَّاسُ، حَتَّى لَقِيَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَرَأَيْتُهُ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مَرَّةً أُخْرَى، فَوَعَظَهُمْ وَذَكَرَهُمْ، فَلَمْ تَأْخُذْ فِيهِمْ الْمَوْعِظَةُ.

وَكَانَ النَّاسُ تَأْخُذُ فِيهِمْ الْمَوْعِظَةُ أَوَّلَ مَا يَسْمَعُونَهَا، فَإِذَا أُعِيدَتْ عَلَيْهِمْ لَمْ تَأْخُذْ فِيهِمْ قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ فَتَحَ الْبَابَ وَوَضَعَ الْمُصْحَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ: وَذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى مِنَ اللَّيْلِ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ص يَقُولُ: أَفْطَرَ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ.

قَالَ أَبُو الْمُعْتَمِرِ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ: أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ دَخَلَ عَلَيْهِ

فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ قَالَ: فَقَالَ لَهُ: قَدْ أَخَذْتَ مِنَّا مَا أَخَذْنَا، وَقَعَدْتَ مِنِّي مَقْعَدًا مَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ لِيَقْعُدَهُ أَوْ لِيَأْخُذَهُ قَالَ: نَخْرَجُ وَتَرَكَهُ قَالَ: وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ الْمَوْتُ الْأَسْوَدُ قَالَ: نَخَفْتُهُ ثُمَّ خَفَقْتُهُ قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَلَيْنَ مِنْ حَلْقِهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ خَفَقْتُهُ حَتَّى رَأَيْتُ نَفْسَهُ يَتَرَدَّدُ فِي جَسَدِهِ كَنَفْسِ الْجَانِّ قَالَ: نَخْرَجُ.

قَالَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ: دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ رَجُلٌ، فَقَالَ: بَيْنِي وَبَيْنَكَ كِتَابُ اللَّهِ- قَالَ: وَالْمُصْحَفُ بَيْنَ يَدَيْهِ- قَالَ: فَيَبْوِي لَهُ بِالسَّيْفِ، فَاتَّقَاهُ بِدَيْهِ، فَقَطَّعَهَا، فَقَالَ: لَا أَدْرِي أَبَانَهَا أَمْ قَطَّعَهَا وَلَمْ يَبْنِهَا قَالَ: فَقَالَ:

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّهَا لِأَوَّلُ كَفِّ خَطِّ الْمَفْصَلِ وَقَالَ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ أَبِي سَعِيدٍ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ التَّجِيبِيُّ، فَأَشْعَرَهُ مَشْقَصًا فَاتَّضَحَ الدَّمُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ:

«فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» قَالَ: فَإِنَّهَا فِي الْمُصْحَفِ مَا حُكَّتْ.

قَالَ وَأَخَذَتْ ابْنَةُ الْفُرَافِصَةِ- فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ- حُلِيًّا فَوَضَعَتْهُ فِي جِرْهَا، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ، قَالَ: فَلَمَّا أُشْعِرَ- أَوْ قَالَ: قُتِلَ- نَاحَتْ عَلَيْهِ قَالَ:

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَاتَلَهَا اللَّهُ! مَا أَعْظَمَ عَجِيزَتَهَا! قَالَ: فَعَلِمْتُ أَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ لَمْ يُرِدْ إِلَّا الدُّنْيَا.

وَأَمَّا سَيْفٌ، فَإِنَّهُ قَالَ- فِيمَا كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْهُ: ذَكَرَ عَنْ بَدْرِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: آخِرُ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا عُثْمَانُ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي جَمَاعَةٍ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ الدُّنْيَا لِتَطْلُبُوا بِهَا الْآخِرَةَ، وَلَمْ يُعْطِكُمْوهَا لِتَرْكُنُوا إِلَيْهَا، إِنَّ الدُّنْيَا تَفْنَى، وَالْآخِرَةُ تَبْقَى، فَلَا تَبْطِرَنَّكُمْ الْفَانِيَّةُ، وَلَا تَشْغَلَنَّكُمْ عَنِ الْبَاقِيَّةِ، فَأَثَرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى، فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ، وَإِنَّ الْمَصِيرَ إِلَى اللَّهِ اتَّقُوا اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ، فَإِنَّ تَقْوَاهُ جَنَّةٌ مِنْ بَأْسِهِ، وَوَسِيلَةٌ عِنْدَهُ، وَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ الْغَيْرِ، وَالزُّمُوا جَمَاعَتَكُمْ، لَا تَصِيرُوا أَحْزَابًا، «وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا»

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: لَمَّا قَضَى عُثْمَانُ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ حَاجَاتِهِ وَعَزَمَ وَعَزَمَ لَهُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الصَّبْرِ وَالْإِمْتِنَاعِ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانِ اللَّهِ، قَالَ: اخْرُجُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فَكُونُوا بِالْبَابِ، وَلِيَجَامِعَكُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حُبِسُوا عَنِّي وَأُرْسِلَ إِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَعَلِيٍّ وَعِدَّةٍ: أَنْ اذْنُوا فَاجْتَمِعُوا فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اجْلِسُوا، فَجَلَسُوا جَمِيعًا، الْمُحَارِبُ الطَّارِئُ، وَالْمُسَالِمُ الْمُقِيمُ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ، إِنِّي أَسْتَوْدِعُكُمْ اللَّهَ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُحْسِنَ عَلَيْكُمْ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِي، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَدْخُلُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي قَضَائِهِ، وَلَا دَعْنِ هَؤُلَاءِ وَمَا وَرَاءَ بَابِي غَيْرَ مُعْطِيهِمْ شَيْئًا يَتَّخِذُونَهُ عَلَيْكُمْ دَخَلًا فِي دِينِ اللَّهِ أَوْ دُنْيَا حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الصَّانِعَ فِي ذَلِكَ مَا أَحَبَّ وَأَمَرَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِالرُّجُوعِ وَأَقْسَمَ عَلَيْهِمْ، فَارْجِعُوا إِلَّا الْحَسَنَ وَمُحَمَّدًا وَابْنَ الزُّبَيْرِ وَأَشْبَاهَهُمْ، فَجَلَسُوا بِالْبَابِ عَنْ أَمْرِ آبَائِهِمْ، وَثَابَ إِلَيْهِمْ نَاسٌ كَثِيرٌ، وَلَزِمَ عُثْمَانُ الدَّارَ كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي حَارِثَةَ وَأَبِي عُثْمَانَ وَمُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالُوا: كَانَ الْحَصْرُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَالنُّزُولُ سَبْعِينَ، فَلَهَا مَضَتْ مِنَ الْأَرْبَعِينَ ثَمَانُ عَشْرَةَ، قَدِمَ رَجُلَانِ مِنَ الْوُجُوهِ فَأَخْبَرُوا خَبَرَ مَنْ قَدْ تَهَيَّأَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْآفَاقِ: حَبِيبٌ مِنَ الشَّامِ، وَمَعَاوِيَةُ مِنَ مِصْرَ، وَالْقَعْقَاعُ مِنَ الْكُوفَةِ، وَمَجَاشَعٌ مِنَ الْبَصْرَةِ، فَعِنْدَهَا حَالُوا بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ عُثْمَانَ، وَمَنْعُوهُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْمَاءِ، وَقَدْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الشَّيْءِ مِمَّا يَرِيدُ وَطَلَبُوا الْعِلَّ فَلَمْ تَطْلُعْ عَلَيْهِمْ عِلَّةٌ، فَعَثَرُوا فِي دَارِهِ بِالْحِجَارَةِ لِيَرْمُوا، فَيَقُولُوا: قُوتَلْنَا - وَذَلِكَ لَيْلًا - فَنَادَاهُمْ: أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ! أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ فِي الدَّارِ غَيْرِي! قَالُوا: لَا وَاللَّهِ مَا رَمِينَاكَ.

قَالَ: فَمَنْ رَمَانَا؟ قَالُوا: اللَّهُ، قَالَ: كَذَبْتُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَوْ رَمَانَا لَمْ يَخْطُنَا وَانْتَمَتْ تَخْطُونَنَا وَأَشْرَفَ عُثْمَانُ عَلَى آلِ حِزْمٍ وَهُمْ جِيرَانُهُ، فَسَرَحَ ابْنَا لَعْمَرٍ إِلَى عَلِيٍّ بِأَنَّهُمْ قَدْ مَنَعُوا الْمَاءَ، فَإِنْ قَدَرْتُمْ أَنْ تَرْسِلُوا إِلَيْنَا شَيْئًا مِنَ الْمَاءِ فَافْعَلُوا وَإِلَى الزُّبَيْرِ، وَإِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَزْوَاجِ النَّبِيِّ ص، فَكَانَ أَوَّلُهُمْ إِنْجَادًا لَهُ عَلِيٌّ وَأُمُّ حَبِيبَةَ، جَاءَ عَلَى

فِي الْغُلَسِ، [فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الَّذِي تَصْنَعُونَ لَا يَشْبَهُ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أَمْرَ الْكَافِرِينَ، لَا تَقْطَعُوا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الْمَادَةَ، فَإِنَّ الرُّومَ وَفَارِسَ لَتَأْسِرَ فَتَقْطَعُ وَتَسْقِي، وَمَا تَعْرِضُ لَكُمْ هَذَا الرَّجُلُ، فِيمَ تَسْتَحِلُّونَ حَصْرَهُ وَقْتَهُ!] قَالُوا: لَا وَاللَّهِ وَلَا نِعْمَةَ عَيْنٍ، لَا تَرْكُهُ يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، فَرَمَى بِعِمَامَتِهِ فِي الدَّارِ بِأَنِّي قَدْ نَهَضْتُ فِيمَا أَنْهَضْتَنِي، فَارْجِعْ وَجَاءَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ عَلَى بَغْلَةٍ لَهَا بِرَحَالَةٍ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى إِدَاوَةٍ، فَقِيلَ: أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أُمُّ حَبِيبَةَ، فَضْرَبُوا وَجْهَ بَغْلَتِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ وَصَايَا بَنِي أُمِّيَّةٍ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ، فَأُحْبِبْتُ أَنْ أَلْقَاهُ فَأَسْأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ كَيْلًا تَهْلِكُ أَمْوَالُ أَيْتَامٍ وَأَرَامِلُ قَالُوا: كَاذِبَةٌ، وَأَهْوُوا لَهَا وَقَطَعُوا حَبْلَ الْبَغْلَةِ بِالسَّيْفِ، فَدَنَتْ بِأُمِّ حَبِيبَةَ، فَتَلَقَّاهَا النَّاسُ، وَقَدْ مَالَتْ رِحَالُهَا، فَتَعَلَّقُوا بِهَا وَأَخَذُوهَا وَقَدْ كَادَتْ تَقْتُلُ، فَذَهَبُوا بِهَا إِلَى بَيْتِهَا وَتَجَهَّزَتْ عَائِشَةُ خَارِجَةً إِلَى الْحَجِّ هَارِبَةً، وَاسْتَبْتَعَتْ أَخَاهَا، فَأَبَى، فَقَالَتْ: أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ اسْتَطَعْتُ أَنْ يَحْرِمَهُمُ اللَّهُ مَا يَحَاوِلُونَ لِأَفْعَلَن.

وَجَاءَ حَنْظَلَةُ الْكَاتِبُ حَتَّى قَامَ عَلَى مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، تَسْتَبْعُكُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا تَتَّبِعْهَا، وَتَدْعُوكَ ذُوْبَانَ الْعَرَبِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ فَتَتَّبِعُهَا! فَقَالَ: مَا أَنْتَ وَذَاكَ يَا بَنَ التَّمِيمَةِ! فَقَالَ: يَا بَنَ الْخَثْعَمِيَّةِ، إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ إِنْ صَارَ إِلَى التَّغَالِبِ غَلَبْتُكَ عَلَيْهِ بَنُو عَبْدِ مَنْفٍ، وَانْصَرَفَ وَهُوَ يَقُولُ:

عَجِبْتُ لِمَا يَخْوَضُ النَّاسُ فِيهِ ... يَرُومُونَ الْخِلَافَةَ أَنْ تَزُولَا

ولو زالت لزال الخير عنهم ... ولاقوا بعدها ذلا ذليلا
وكانوا كاليهود أو النصارى ... سواء كلهم ضلوا السبيلا

ولحق بالكوفة وخرجت عائشة وهي ممثلة غيظا على أهل مصر، وجاءها مروان بن الحكم فقال: يا أم المؤمنين، لو أقت كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجل، فقالت: أتريد أن يصنع بي كما صنع بأُم حبيبة، ثم لا أجد من يمنعني! لا والله ولا أعير ولا أدري إلا ما يسلم أمر هؤلاء! وبلغ طلحة

والزبير ما لقي علي وأُم حبيبة، فلزموا بيوتهم، وبقي عثمان يسقيه آل حزم في الغلات، عليهم الرقباء، فأشرف عثمان على الناس، فقال: يا عبد الله ابن عباس- فدعى له- فقال: اذهب فأنت على الموسم- وكان من لزم الباب- فقال: والله يا أمير المؤمنين لجهاد هؤلاء أحب إلي من الحج، فأقسم عليه لينطلقن فانطلق ابن عباس على الموسم تلك السنة، ورمى عثمان إلى الزبير بوصيته، فانصرف بها- وفي الزبير اختلاف: أأدرك مقتله أو خرج قبله- وقال عثمان: «يا قوم لا يجرمكم شقائي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح» الآية، اللهم حل بين الأحزاب وبين ما يأملون كما فعل بأشياهم من قبل.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن محمد، قال: بعثت ليلى ابنة عميس إلى محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر، فقالت:

إن المصباح يأكل نفسه، ويضيء للناس، فلا تأثما في أمر تسوقانه إلى من لا يأثم فيكما، فإن هذا الأمر الذي تحاولون اليوم لغيركم غدا، فاتقوا أن يكون عملكم اليوم حسرة عليكم، فلجا وخرجا مغضبين يقولان: لا ننسى ما صنع بنا عثمان، وتقول: ما صنع بك! ألا الزمكما الله! فلقهما سعيد ابن العاص، وقد كان بين محمد بن أبي بكر وبينه شيء، فأنكره حين لقيه خارجا من عند ليلى، فتمثل له في تلك الحال بيتا:

استبق ودك للصديق ولا تكن ... فينا بعض بخاذل ملجاجا
فأجابه سعيد متمثلا:

ترون إذا ضربا صميما من الذي ... له جانب ناء عن الجرم معور
كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: فلما يبيع الناس جاء السابق فقدم بالسلامة، فأخبرهم من الموسم أنهم يريدون جميعا المصريين وأشياهم، وأنهم يريدون أن يجمعوا ذلك إلى حجه، فلما أتاهم ذلك مع ما بلغهم من نفور أهل الأمصار،

أعلقهم الشيطان، وقالوا: لا يخرجنا مما وقعنا فيه إلا قتل هذا الرجل، فاشتغل بذلك الناس عنا، ولم يبق خصلة يرجون بها النجاة إلا قتله فرأوا الباب، فنعهم من ذلك الحسن وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم وسعيد ابن العاص ومن كان من أبناء الصحابة أقام معهم، واجتلدوا، فناداهم عثمان:

الله الله! أنتم في حل من نصرتي فأبوا، ففتح الباب، وخرج معه الترس والسيف لينهزمهم، فلما رآوه أدير المصريون، وركبهم هؤلاء، ونهزمهم فتراجعوا وعظم على الفريقين، وأقسم على الصحابة ليدخلن، فأبوا أن ينصرفوا، فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين- وقد كان المغيرة بن الأحنس بن شريق فيمن حج، ثم تعجل في نفر حجوا معه، فأدرك عثمان قبل أن يقتل وشهد المناوشة، ودخل الدار فيمن دخل وجلس على الباب من داخل، وقال: ما عذرنا عند الله إن تركناك ونحن نستطيع ألا ندعهم حتى نموت! فالتحق عثمان تلك الأيام القرآن تحبا، يصلي وعنده المصحف، فإذا أعيا جلس فقرا فيه- وكانوا يرون القراءة في المصحف من العبادة- وكان القوم الذين كففهم بينه وبين الباب، فلما بقي المصريون لا يمنهم أحد من الباب ولا يقدرُونَ على الدخول جاءوا بنار، فأحرقوا الباب

وَالسَّقِيفَةَ، فَتَاجَّ الْبَابَ وَالسَّقِيفَةَ، حَتَّى إِذَا احْتَرَقَ الْخَشَبُ خَرَّتِ السَّقِيفَةُ عَلَى الْبَابِ، فَثَارَ أَهْلُ الدَّارِ وَعُثْمَانُ يَصِلِي، حَتَّى مَنَعُوهُمْ الدُّخُولَ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَرَزَ لَهُمُ الْمُغِيرَةُ بْنُ الْأَخْنَسِ، وَهُوَ يَرْجُزُ:

قَدْ عَلِمْتَ جَارِيَةً عَطْبُولَ ذَاتُ وَشَاجٍ وَلَهَا جَدِيلٌ أَنِّي بِنَصْلِ السَّيْفِ خَنْشَلِيلٌ لَأَمْنَعَنَّ مِنْكُمْ خَلِيلِي بِصَارِمٍ لَيْسَ بِي فُلُولٍ.
وَنَجَرَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ وَهُوَ يَقُولُ:

لَا دِينَهُمْ دِينِي وَلَا أَنَا مِنْهُمْ ... حَتَّى أَسِيرُ إِلَى طَمَارِ شَمَامٍ
وَنَجَرَ مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا ابْنُ مَنْ حَامَى عَلَيْهِ بِأَحَدٍ ... وَرَدَّ أَحْزَابًا عَلَى رَغَمٍ مَعَدٍ
وَنَجَرَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَهُوَ يَقُولُ:

صَبَرْنَا غَدَاةَ الدَّارِ وَالْمَوْتُ وَأَقْبُ ... بِأَسْيَافِنَا دُونَ ابْنِ أَرْوَى نُضَارِبُ
وَكُنَّا غَدَاةَ الرَّوْعِ فِي الدَّارِ نَصْرَةً ... نُنَافِهُهُمْ بِالضَّرْبِ وَالْمَوْتُ ثَاقِبُ

فَكَانَ آخِرَ مَنْ خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ، وَأَمَرَهُ عُثْمَانُ أَنْ يَصِيرَ إِلَى أَبِيهِ فِي وَصِيَّةٍ بِمَا أَرَادَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَ الدَّارِ فَيَأْمُرُهُمْ بِالْانْصِرَافِ إِلَى مَنَازِلِهِمْ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ آخِرَهُمْ، فَمَا زَالَ يَدْعِي بِهِمَا، وَيُحَدِّثُ النَّاسَ عَنْ عُثْمَانَ بِآخِرِ مَا مَاتَ عَلَيْهِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَأَبِي حَارِثَةَ وَأَبِي عُثْمَانَ، قَالُوا: وَأَحْرَقُوا الْبَابَ وَعُثْمَانَ فِي الصَّلَاةِ، وَقَدْ افْتَتَحَ «طه. ما أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى» - وَكَانَ سَرِيعَ الْقِرَاءَةِ، فَمَا كَرِهَهُ مَا سَمِعَ، وَمَا يُخْطِئُ وَمَا يَتَتَعَّحُ حَتَّى أَتَى عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ يَصِلُوا إِلَيْهِ - ثُمَّ عَادَ جَلَسَ إِلَى عِنْدِ الْمُصْحَفِ وَقَرَأَ: «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» .

وَأَرْجَزَ الْمُغِيرَةُ بْنُ الْأَخْنَسِ وَهُوَ دُونَ الدَّارِ فِي أَصْحَابِهِ:
قَدْ عَلِمْتَ ذَاتُ الْقُرُونِ الْمِيلِ ... وَالْحُلِيِّ وَالْأَنَامِلِ الطُّفُولِ

لَتَصْدُقَنَّ بَيْعَتِي خَلِيلِي ... بِصَارِمٍ ذِي رَوْنَقٍ مَصْقُولِ
لَا أَسْتَقِيلُ إِنْ أَقُلْتُ قِيلِي.

وَأَقْبَلَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَالنَّاسُ مُجْمَعُونَ عَنِ الدَّارِ إِلَّا أُولَئِكَ الْعُصْبَةَ، فَدَسَرُوا فَاسْتَقْتَلَوْا، فَقَامَ مَعَهُمْ، وَقَالَ: أَنَا أُسَوِّتُكُمْ، وَقَالَ هَذَا يَوْمَ طَابَ امْضَرْبُ - يَعْنِي أَنَّهُ حَلَّ الْقِتَالِ، وَطَابَ وَهَذِهِ لُغَةُ حَمِيرٍ - وَنَادَى: يَا قَوْمَ، مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ! وَبَادَرَ مَرْوَانَ يَوْمَئِذٍ وَنَادَى:

رَجُلٌ رَجُلٌ، فَبَرَزَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثٍ يَدْعَى النَّبَاعَ، فَاخْتَلَفَا، فَضَرَبَهُ

مَرْوَانُ أَسْفَلَ رِجْلَيْهِ، وَضَرَبَهُ الْآخَرَ عَلَى أَصْلِ الْعُنُقِ فَقَلَبَهُ، فَانْكَبَّ مَرْوَانُ، وَاسْتَلَقَى، فَاجْتَرَّ هَذَا أَصْحَابَهُ، وَاجْتَرَّ الْآخَرُ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ الْمَصْرِيُّونَ: أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَكُونُوا حُجَّةً عَلَيْنَا فِي الْأُمَّةِ لَقَدْ قَتَلْنَاكُمْ بَعْدَ تَحْذِيرٍ، فَقَالَ الْمُغِيرَةُ:

مَنْ يَبَارِزُ؟ فَبَرَزَ لَهُ رَجُلٌ فَاجْتَلَدَ، وَهُوَ يَقُولُ:

أَضْرِبْهُمْ بِالْيَاسِ ... ضَرْبَ غُلَامٍ بِأَسِ

مِنْ الْحَيَاةِ آسِ.

فَأَجَابَهُ صَاحِبُهُ وَقَالَ النَّاسُ: قُتِلَ الْمُغِيرَةُ بْنُ الْأَخْنَسِ، فَقَالَ الَّذِي قَتَلَهُ: إِنَّا لِلَّهِ! فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَدِيْسٍ: مَا لَكَ؟ قَالَ: إِنِّي أَتَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ، فَقِيلَ لِي: بِشْرُ قَاتِلِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ بِالنَّارِ، فَأَبْتَلَيْتُ بِهِ، وَقَتَلْتُ قُبَاثُ الْكَلْبِيِّ نِيَارَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسْلَمِيِّ، وَأَقْتَحَمَ النَّاسُ الدَّارَ مِنَ الدُّورِ الَّتِي حَوْلَهَا حَتَّى مَلَأُوهَا وَلَا يَشْعُرُ الَّذِينَ بِالْبَابِ، وَأَقْبَلَتِ الْقَبَائِلُ عَلَى أَبْنَائِهِمْ، فَذَهَبُوا بِهِمْ إِذْ غَلَبُوا عَلَى أَمِيرِهِمْ، وَنَدَبُوا رَجُلًا لِقَتْلِهِ، فَانْتَدَبَ لَهُ رَجُلٌ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْبَيْتَ، فَقَالَ: اخْلَعْهَا وَنَدِّعْكَ، فَقَالَ: وَيْحَكَ! وَاللَّهِ مَا كَشَفْتُ امْرَأَةً فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ، وَلَا تَغْنَيْتُ وَلَا تَمَنَيْتُ، وَلَا وَضَعْتُ يَمِينِي عَلَى عَوْرَتِي مُنْذُ بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص، وَلَسْتُ خَالِعًا قَيْصًا كَسَانِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَا عَلَى مَكَانِي حَتَّى يُكْرِمَ اللَّهُ أَهْلَ السَّعَادَةِ، وَيُهَيِّئَ أَهْلَ الشَّقَاءِ نَفْرَجَ وَقَالُوا: مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: عَلَقْنَا وَاللَّهِ، وَاللَّهِ مَا يُنْجِينَا مِنَ النَّاسِ إِلَّا قَتْلُهُ، وَمَا يَحِلُّ لَنَا قَتْلُهُ، فَأَدْخَلُوا عَلَيْهِ رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ، فَقَالَ:

مِنْ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: لَيْثِي، فَقَالَ: لَسْتُ بِصَاحِبِي، قَالَ: وَكَيْفَ؟ فَقَالَ:

أَلَسْتُ الَّذِي دَعَا لَكَ النَّبِيُّ ص فِي نَفَرٍ أَنْ تَحْفَظُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَلَنْ تُضَيِّعَ، فَرَجَعَ وَفَارَقَ الْقَوْمَ، فَأَدْخَلُوا عَلَيْهِ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: يَا عُثْمَانُ، إِنِّي قَاتِلُكَ، قَالَ: كَلَا يَا فُلَانُ، لَا تَقْتُلْنِي، قَالَ: وَكَيْفَ؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص اسْتَغْفَرَ لَكَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَلَنْ تَقَارِفَ دَمًا حَرَامًا فَاسْتَغْفَرَ وَرَجَعَ، وَفَارَقَ أَصْحَابَهُ

فَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ حَتَّى قَامَ عَلَى بَابِ الدَّارِ يَنَاهُهُمْ عَنْ قَتْلِهِ، وَقَالَ: يَا قَوْمَ لَا تَسْلُؤُوا سَيْفَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، فَوَاللَّهِ إِنْ سَلَّمْتُمُوهُ لَا تَغْدُمُوهُ، وَيَلُكُمُ! إِنَّ سُلْطَانَكُمْ الْيَوْمَ يَقُومُ بِالْدَرَةِ، فَان قَتَلْتُمُوهُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِالسَّيْفِ.

وَيَلُكُمُ! إِنَّ مَدِينَتَكُمْ مَخْشَوَةٌ بِمَلَائِكَةِ اللَّهِ، وَاللَّهُ لئن قَتَلْتُمُوهُ لَتَرْكَنَهَا، فَقَالُوا:

يَا بَنِي الْيَهُودِيَّةِ، وَمَا أَنْتَ وَهَذَا! فَرَجَعَ عَنْهُمْ.

قَالُوا: وَكَانَ آخِرُ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ مِّنْ رَّجَعٍ إِلَى الْقَوْمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: وَيْلَكَ! أَعْلَى اللَّهِ تَغَضُّبُ! هَلْ لِي إِلَيْكَ جَرَمٌ إِلَّا حَقُّهُ أَخَذْتَهُ مِنْكَ! فَكُلَّ وَرَجَعَ.

قَالُوا: فَلَمَّا خَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَعَرَفُوا انْكِسَارَهُ، ثَارَ قَتِيرَةُ وَسُودَانُ ابْنُ حُمْرَانَ السَّكُونِيَّانِ وَالْغَافِقِيُّ، فَضْرَبَهُ الْغَافِقِيُّ بِحَدِيدَةٍ مَعَهُ، وَضْرَبَ الْمُصْحَفُ بِرَجْلِهِ فَاسْتَدَارَ الْمُصْحَفُ، فَاسْتَقَرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَسَالَتْ عَلَيْهِ الدَّمَاءُ، وَجَاءَ سُودَانُ بْنُ حُمْرَانَ لِيَضْرِبَهُ، فَأَنْكَبَتْ عَلَيْهِ نَائِلَةُ ابْنَةُ الْفَرَاغِصَةِ، وَاتَّقَتِ السَّيْفَ بِبَيْدِهَا، فَتَعَمَّدَهَا، وَنَفَحَ أَصَابِعَهَا، فَأُطِنَ أَصَابِعُ يَدِهَا وَوَلَّتْ، فَغَمَزَ أَوْرَاقَهَا، وَقَالَ: إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ الْعَجِيزَةُ، وَضْرَبَ عُثْمَانَ فَقَتَلَهُ، وَدَخَلَ غِلْمَةُ لِعُثْمَانَ مَعَ الْقَوْمِ لِيَنْصُرُوهُ - وَقَدْ كَانَ عُثْمَانُ أَعْتَقَ مِنْ كَفِّ مِنْهُمْ - فَلَمَّا رَأَوْا سُودَانَ قَدْ ضْرَبَهُ، أَهْوَى لَهُ بَعْضُهُمْ فَضْرَبَ عُنُقَهُ فَقَتَلَهُ، وَوَثَبَ قَتِيرَةُ عَلَى الْغُلَامِ فَقَتَلَهُ، وَانْتَهَبُوا مَا فِي الْبَيْتِ، وَأَخْرَجُوا مِنْ فِيهِ، ثُمَّ أَغْلَقُوهُ عَلَى ثَلَاثَةِ قَتْلَى فَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى الدَّارِ، وَثَبَ غُلَامٌ لِعُثْمَانَ آخِرُ عَلَى قَتِيرَةَ فَقَتَلَهُ، وَدَارَ الْقَوْمُ فَأَخَذُوا مَا وَجَدُوا، حَتَّى تَنَاوَلُوا مَا عَلَى النِّسَاءِ، وَأَخَذَ رَجُلٌ مُلَاءَةً نَائِلَةً - وَالرَّجُلُ يُدْعَى كُثُومُ بْنُ تُجَيْبٍ - فَتَنَحَّتْ نَائِلَةُ، فَقَالَ: وَيْحَ أُمِّكَ مِنْ عَجِيزَةٍ مَا أَمُكُ! وَبَصَرَ بِهِ غُلَامٌ لِعُثْمَانَ فَقَتَلَهُ وَقَتْلَ، وَتَنَادَى الْقَوْمُ:

أَبْصُرْ رَجُلٌ مِنْ صَاحِبِهِ، وَتَنَادَوْا فِي الدَّارِ: أَدْرِكُوا بَيْتَ الْمَالِ لَا تُسَبِّقُوا إِلَيْهِ، وَسَمِعَ أَصْحَابُ بَيْتِ الْمَالِ أَصْوَاتَهُمْ، وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا غَرَارَتَانِ، فَقَالُوا:

النِّجَاءُ، فَإِنَّ الْقَوْمَ إِنَّمَا يُحَاوِلُونَ الدُّنْيَا، فَهَرَبُوا وَاتَّوْأَ بَيْتَ الْمَالِ فَانْتَهَبُوهُ، وَمَا جَ:

النَّاسُ فِيهِ، فَالْتَأَنَى يَسْتَرْجِعُ وَيَبْكِي، وَالطَّارِئُ يَفْرَحُ وَنَدِمَ الْقَوْمُ، وَكَانَ الزُّبَيْرُ قَدْ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَأَقَامَ عَلَى طَرِيقِ مَكَّةَ لِكَلَّا يَشْهَدَ مَقْتَلَهُ، فَلَمَّا أَتَاهُ الْخَبَرُ بِمَقْتَلِ عُثْمَانَ وَهُوَ بِحَيْثُ هُوَ، قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! رَحِمَ اللَّهُ عُثْمَانَ وَانْتَصَرَ لَهُ، وَقِيلَ: إِنَّ الْقَوْمَ نَادِمُونَ،

فَقَالَ: دَبِّرُوا دَبِّرُوا، «وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ» الْآيَةَ وَأَتَى الْخَبْرُ طَلْحَةَ، فَقَالَ: رَحِمَ اللَّهُ عُثْمَانَ! وَاتَّصَرَ لَهُ وَالْإِسْلَامُ، وَقِيلَ لَهُ: إِنَّ الْقَوْمَ نَادِمُونَ، فَقَالَ تَبًّا لَهُمْ! وَقَرَأَ: «فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ» وَأَتَى عَلِيٌّ فَقِيلَ: قُتِلَ عُثْمَانُ، فَقَالَ رَحِمَ اللَّهُ عُثْمَانَ، وَخَلَفَ عَلَيْنَا بَخِيرًا! وَقِيلَ: نَدِمَ الْقَوْمُ، فَقَرَأَ: «كَمَثَلَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ»، الْآيَةَ وَطَلَبَ سَعْدٌ، فَإِذَا هُوَ فِي حَاطَةِ، وَقَدْ قَالَ: لَا أَشْهَدُ قَتْلَهُ، فَلَمَّا جَاءَهُ قَتْلُهُ قَالَ: فَرَرْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ تَدْنِينَا، وَقَرَأَ: «الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا» اللَّهُمَّ أَنْدِمِهِمْ ثُمَّ خَذِهِمْ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ الْمُجَالِدِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ الْمُغْبِرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيٍّ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ مَقْتُولٌ، وَإِنَّهُ إِنْ قُتِلَ وَأَنْتَ بِالْمَدِينَةِ اتَّخَذُوا فِيكَ، فَأَخْرَجَ فَكُنْ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ وَكُنْتَ فِي غَارٍ بِأَيِّنٍ طَلَبَكَ النَّاسُ، فَأَبَى وَحَصَرَ عُثْمَانَ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا، ثُمَّ أَحْرَقُوا الْبَابَ، وَفِي الدَّارِ أَنْاسٌ كَثِيرٌ، فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَمَرْوَانُ، فَقَالُوا: ائْذَنْ لَنَا، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ عَهْدَ إِلَيَّ عَهْدًا، فَأَنَا صَابِرٌ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَحْرِقُوا بَابَ الدَّارِ إِلَّا وَهُمْ يَطْلُبُونَ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، فَأُخْرِجُ عَلَى رَجُلٍ يَسْتَقْتِلُ وَيُقَاتِلُ، وَخَرَجَ النَّاسُ كُلُّهُمْ، وَدَعَا بِالمُصْحَفِ يَقْرَأُ فِيهِ وَالْحَسَنُ عِنْدَهُ، فَقَالَ: إِنَّ أَبَاكَ الْآنَ لَفِي أَمْرٍ عَظِيمٍ، فَأَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لَمَّا خَرَجْتَ! وَأَمَرَ عُثْمَانُ أَبَا كَرْبٍ - رَجُلًا مِنْ هَمْدَانَ -

وَأَخْرَجَ مِنَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَقُومَا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمَالِ، وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا غَرَارَتَانِ مِنْ وَرَقٍ، فَلَمَّا أُطْفِئَتِ النَّارُ بَعْدَ مَا نَاشَهُمُ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَمَرْوَانُ، وَتَوَعَّدَ مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَمَرْوَانُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ هَرَبًا وَدَخَلَ مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى عُثْمَانَ، فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، فَقَالَ: أَرْسَلُ لِحْيَتِي، فَلَمْ يَكُنْ أَبُوكَ لِيَتَنَاوَلَهَا فَأَرْسَلَهَا، وَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَهُمْ مِنْ يَجْوَهُ بِنَعْلِ سَيْفِهِ، وَآخِرُ يَلْكِرِهِ، وَجَاءَهُ رَجُلٌ بِمَشَاقِصَ مَعَهُ، فَوَجَّاهُ فِي تَرْقُوَتِهِ، فَسَالَ الدَّمُ عَلَى الْمُصْحَفِ وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَهَابُونَ فِي قَتْلِهِ، وَكَانَ كَبِيرًا، وَغُشِيَ عَلَيْهِ وَدَخَلَ آخِرُونَ فَلَمَّا رَأَوْهُ مَغْشِيًا عَلَيْهِ جَرُّوا بِرِجْلِهِ، فَصَاحَتْ نَائِلَةٌ وَبَنَاتُهُ، وَجَاءَ التَّجِيبِيُّ مُخْتَرِطًا سَيْفَهُ لِيَضَعَهُ فِي بَطْنِهِ، فَوَقَتْهُ نَائِلَةٌ، فَقَطَعَ يَدَهَا، وَاتَّكَأَ بِالسَّيْفِ عَلَيْهِ فِي صَدْرِهِ وَقَتَلَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَنَادَى مُنَادٌ: مَا يَحِلُّ دَمُهُ وَيُخْرِجُ مَالَهُ، فَاتَّبَعُوا كُلُّ شَيْءٍ، ثُمَّ تَبَادَرُوا بَيْتَ الْمَالِ، فَأَلْقَى الرَّجُلَانِ الْمَفَاتِيحَ وَنَجَّوْا، وَقَالُوا: الْهَرَبُ الْهَرَبُ! هَذَا مَا طَلَبَ الْقَوْمُ.

وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ تَسَوَّرَ عَلَى عُثْمَانَ مِنْ دَارِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، وَمَعَهُ كَنَانَةُ بْنُ بَشْرِ بْنِ عَتَّابٍ، وَسُودَانُ بْنُ حُمَرَانَ، وَعَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ، فَوَجَدُوا عُثْمَانَ عِنْدَ امْرَأَتِهِ نَائِلَةً وَهُوَ يَقْرَأُ فِي الْمُصْحَفِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَتَقَدَّمَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَأَخَذَ بِلِحْيَةِ عُثْمَانَ، فَقَالَ: قَدْ أَخْرَاكَ اللَّهُ يَا نَعْلُ! فَقَالَ عُثْمَانُ: لَسْتُ بِنَعْلٍ، وَلَكِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ مُحَمَّدٌ:

مَا أَغْنَى عَنْكَ مُعَاوِيَةُ وَفُلَانُ وَفُلَانُ! فَقَالَ عُثْمَانُ: يَا بَنَ أَخِي، دَعْ عَنْكَ لِحْيَتِي، فَمَا كَانَ أَبُوكَ لِيَقْبِضَ عَلَى مَا قَبِضْتَ عَلَيْهِ فَقَالَ مُحَمَّدٌ: لَوْ رَأَيْتُ أَيْ تَعْمَلُ هَذِهِ الْأَعْمَالُ أَنْكَرَهَا عَلَيْكَ، وَمَا أُرِيدُ بِكَ أَشَدَّ مِنْ قَبْضِي عَلَى لِحْيَتِكَ، قَالَ عُثْمَانُ: أَسْتَنْصِرُ اللَّهَ عَلَيْكَ وَأَسْتَعِينُ بِهِ ثُمَّ طَعَنَ جَانِبَهُ بِمَشَقِصٍ فِي يَدِهِ وَرَفَعَ كَنَانَةُ بْنُ بَشْرِ مَشَاقِصَ كَانَتْ فِي يَدِهِ، فَوَجَّأَ بِهَا فِي أَصْلِ أُذُنِ عُثْمَانَ، فَضَضَتْ حَتَّى دَخَلَتْ فِي حَلْقِهِ، ثُمَّ عَلَاهُ بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: سَمِعْتُ أَبَا عَوْنٍ يَقُولُ: ضَرَبَ كَنَانَةُ بْنُ بَشْرِ جَانِبَهُ وَمَقْدَمَ رَأْسِهِ بِعُمُودٍ حَدِيدٍ، نَحَرَ لِحْيَتِهِ، فَضَرَبَهُ سُودَانُ بْنُ حُمَرَانَ الْمُرَادِيُّ بَعْدَ مَا خَرَّ لِحْيَتَهُ فَقَتَلَهُ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: الَّذِي قَتَلَهُ كَنَانَةُ بْنُ بَشْرِ بْنِ عَتَّابِ التَّجِيبِيُّ

وَكَانَتْ امْرَأَةٌ مَنظُورٌ بِنِ سَيَّارِ الْفَزَارِيِّ تَقُولُ: خَرَجْنَا إِلَى الْحَجِّ، وَمَا عَلِمْنَا لِعُثْمَانَ بِقَتْلِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْعَرَجِ سَمِعْنَا رَجُلًا يَتَغَنَّى تَحْتَ اللَّيْلِ:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ ... قَتِيلِ التَّجِييِ الَّذِي جَاءَ مِنْ مِصْرَ
قَالَ: وَأَمَّا عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ فَوُثِبَ عَلَى عُثْمَانَ، فَجُلِسَ عَلَى صَدْرِهِ وَبِهِ رَمَقٌ، فَطَعَنَهُ تِسْعَ طَعَنَاتٍ قَالَ عَمْرُو: فَمَا ثَلَاثَ مِنْهُمْ فَأَنَّى طَعَنْتَهُنَّ
إِيَّاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا سِتٌّ فَأَنَّى طَعَنْتَهُنَّ إِيَّاهُ لِمَا كَانَ فِي صَدْرِي عَلَيْهِ.
قَالَ مُحَمَّدٌ: وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ، قَالَ: رَأَيْتُ عُرْوَةَ بِنْتُ شَيْمٍ ضَرْبَ مَرْوَانَ يَوْمَ الدَّارِ بِالسَّيْفِ عَلَى رَقَبَتِهِ، فَقَطَعَ
إِحْدَى عُلَاوَيْهِ، فَعَاشَ مَرْوَانُ أَوْقَصَ، وَمَرْوَانُ الَّذِي يَقُولُ:
مَا قُلْتُ يَوْمَ الدَّارِ لِلْقَوْمِ حَاجِرُوا ... رَوِيدًا وَلَا اسْتَبَقُوا الْحَيَاةَ عَلَى الْقَتْلِ
وَلَكِنِّي قَدْ قُلْتُ لِلْقَوْمِ مَا صَبُّوا ... بِأَسْيَافِكُمْ كَيْمَا يَصْلُنَ إِلَى الْكَهْلِ
قَالَ مُحَمَّدٌ الْوَاقِدِيُّ: وَحَدَّثَنِي يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَخْنَسِيِّ، قَالَ: كَانَ حَصْرُ عُثْمَانَ قَبْلَ قُدُومِ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَدِمَ
أَهْلُ مِصْرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَقَتَلُوهُ فِي الْجُمُعَةِ الْآخَرَى.

وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الْمُرُوزِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ:
حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ حَرْمَلَةَ بْنِ عِمْرَانَ، قَالَ:
حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، قَالَ: وَلِيَ قَتَلَ عُثْمَانَ نَهْرَانَ الْأَصْبَحِيِّ، وَكَانَ قَاتِلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَسْرَةَ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ.
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: وَحَدَّثَنِي الْحَكَمُ بْنُ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِي عَوْنٍ مَوْلَى

الْمَسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ، قَالَ: مَا زَالَ الْمَصْرِيُّونَ كَافِينَ عَنْ دَمِهِ وَعَنِ الْقِتَالِ، حَتَّى قَدِمَتْ أُمْدَادُ الْعِرَاقِ مِنَ الْبَصْرَةِ وَمِنَ الْكُوفَةِ وَمِنَ الشَّامِ،
فَلَمَّا جَاءُوا شَجَعُوا الْقَوْمَ، وَبَلَّغَهُمْ أَنَّ الْبَعُوثَ قَدْ فَصَلَتْ مِنَ الْعِرَاقِ وَمِنْ مِصْرَ مِنْ عِنْدِ ابْنِ سَعْدٍ، وَلَمْ يَكُنْ ابْنُ سَعْدٍ بِمِصْرَ قَبْلَ ذَلِكَ،
كَانَ هَارِبًا قَدْ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، فَقَالُوا:

نَعَايِلُهُ قَبْلَ أَنْ تَقْدِمَ الْأُمْدَادُ قَالَ مُحَمَّدٌ: وَحَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: أَشْرَفَ عُثْمَانُ عَلَيْهِمْ وَهُوَ
مَحْصُورٌ، وَقَدْ أَحَاطُوا بِالدَّارِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، فَقَالَ: أَلَسْتُ كُمْ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ دَعَوْتُمُ اللَّهَ عِنْدَ مُصَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يُخَيَّرَ لَكُمْ، وَأَنْ يَجْمَعَكُمْ عَلَى خَيْرِكُمْ! فَمَا ظَنُّكُمْ بِاللَّهِ! أَتَقُولُونَ: لَمْ يَسْتَجِبْ لَكُمْ، وَهَنَمَ عَلَى اللَّهِ
سُبْحَانَهُ، وَأَنْتُمْ يَوْمئِذٍ أَهْلُ حَقِّهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَجَمِيعُ أُمُورِكُمْ لَمْ تَتَفَرَّقْ! أَمْ تَقُولُونَ: هَانَ عَلَى اللَّهِ دِينُهُ فَلَمْ يُبَالِ مِنْ وَلَاهُ، وَالَّذِينَ يَوْمئِذٍ
يَعْبُدُ بِهِ اللَّهُ لَمْ يَتَفَرَّقْ أَهْلُهُ، فَتَوَكَّلُوا أَوْ تَخَذَلُوا، وَتَعَاقَبُوا! أَمْ تَقُولُونَ: لَمْ يَكُنْ أَخِذَ عَنْ مَشُورَةٍ، وَإِنَّمَا كَابَرْتُمْ مُكَابَرَةً، فَوَكَّلَ اللَّهُ الْأُمَّةَ
إِذَا عَصَتْهُ لَمْ تُشَاوِرُوا فِي الْإِمَامِ، وَلَمْ تَجْتَهِدُوا فِي مَوْضِعِ كَرَاهَتِهِ! أَمْ تَقُولُونَ: لَمْ يَدِرِ اللَّهُ مَا عَاقِبَةُ أَمْرِي، فَكُنْتُ فِي بَعْضِ أَمْرِي
مُحْسِنًا، وَلَا أَهْلِي الدِّينَ رِضًا، فَمَا أَحْدَثْتُ بَعْدَ فِي أَمْرِي مَا يَسْخِطُ اللَّهَ، وَتَسْخَطُونَ مِمَّا لَمْ يَعْلَمْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَوْمَ اخْتَارَنِي وَسَرَّبَنِي سِرِّبَالِ
كَرَامَتِهِ! وَأَلَسْتُ كُمْ بِاللَّهِ، هَلْ تَعْلَمُونَ لِي مِنْ سَابِقَةِ خَيْرٍ وَسَلَفٍ خَيْرٍ قَدَّمَهُ اللَّهُ لِي، وَأَشْهَدَنِيهِ مِنْ حَقِّهِ! وَجِهَادِ عَدُوِّهِ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مَنْ
جَاءَ بَعْدِي أَنْ يَعْرِفُوا لِي فَضْلَهَا فَهَلَا، لَا تَقْتُلُونِي، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ إِلَّا قَتْلُ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٌ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ، أَوْ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ، أَوْ قَتَلَ
نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ فَيَقْتُلُ بِهَا، فَإِنَّكُمْ إِنْ قَتَلْتُمُونِي وَضَعْتُمُ السَّيْفَ عَلَى رِقَابِكُمْ، ثُمَّ لَمْ يَرْفَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا تَقْتُلُونِي
فَإِنَّكُمْ إِنْ قَتَلْتُمُونِي لَمْ تَصْلُوا مِنْ بَعْدِي جَمِيعًا أَبَدًا، وَلَمْ تَقْتَسِمُوا بَعْدِي فَيَتَأْخِذُوا جَمِيعًا أَبَدًا، وَلَنْ يَرْفَعَ اللَّهُ عَنْكُمْ الْاِخْتِلَافَ أَبَدًا.

قَالُوا لَهُ: أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ اسْتِخَارَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ النَّاسَ بَعْدَ عُمَرُ رَضِيَ

٤٠٢٠٠٣ ذكر بعض سير عثمان بن عفان رضى الله عنه

اللَّهُ عَنْهُ فِيمَنْ يُولُونَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ وَلَوْكَ بَعْدَ اسْتِخَارَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ كُلَّ مَا صَنَعَ اللَّهُ الْخَيْرَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ أَمْرَكَ بَلِيَّةً ابْتَلَى بِهَا عِبَادَهُ وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ قَدَمِكَ وَسَبْقِكَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَإِنَّكَ قَدْ كُنْتَ ذَا قَدَمٍ وَسَلَفٍ، وَكُنْتَ أَهْلًا لِلْوَلَايَةِ، وَلَكِنْ بَدَلْتَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَأَحْدَثْتَ مَا قَدْ عَلِمْتَ وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِمَّا يُصِيبُنَا إِنْ نَحْنُ قَتَلْنَاكَ مِنَ الْبَلَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي تَرْكُ إِقَامَةِ الْحَقِّ عَلَيْكَ خِيفَةَ الْفِتْنَةِ عَامًا قَابِلًا وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّهُ لَا يَحِلُّ إِلَّا قَتْلُ ثَلَاثَةٍ، فَإِنَّا نَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَتْلُ غَيْرِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ سَمَّيْتَ، قَتْلُ مَنْ سَعَى فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَقَتْلُ مَنْ بَغَى ثُمَّ قَاتَلَ عَلَى بَغْيِهِ، وَقَتْلُ مَنْ حَالَ دُونَ شَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ وَمَنْعَهُ ثُمَّ قَاتَلَ دُونَهُ وَكَابَرَ عَلَيْهِ، وَقَدْ بَغَيْتَ، وَمَنْعْتَ الْحَقَّ، وَحَلَّتْ دُونَهُ، وَكَابَرْتَ عَلَيْهِ، تَأْبَى أَنْ تَقِيدَ مِنْ نَفْسِكَ مَنْ ظَلَمْتَ عَمْدًا، وَتَمَسَّكَتَ بِالْإِمَارَةِ عَلَيْنَا وَقَدْ جُرْتَ فِي حُكْمِكَ وَقَسَمِكَ! فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّكَ لَمْ تَكْبُرْنَا عَلَيْهِ، وَأَنَّ الَّذِينَ قَامُوا دُونَكَ وَمَنْعُوكَ مِنَّا إِنَّمَا يَقَاتِلُونَ بِغَيْرِ أَمْرِكَ، فَإِنَّمَا يَقَاتِلُونَ لِمَتَسَّكَتَ بِالْإِمَارَةِ، فَلَوْ أَنَّكَ خَلَعْتَ نَفْسَكَ لَانْصَرَفُوا عَنِ الْقِتَالِ دُونَكَ

. ذَكَرَ بَعْضُ سِيرِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

حَدَّثَنِي زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، قَالَ: زَعَمَ أَبُو الْمَقْدَامِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا أَنَا بِعُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ مُتَّكِمًا عَلَى رِدَائِهِ، فَاتَّاهُ سَقَاءُ أَنْ يَخْتَصِمَانِ، فَقَضَى بَيْنَهُمَا.

وفيما كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ، عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَدْ حَجَرَ عَلَى أَعْلَامٍ قَرِيشٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْخُرُوجَ فِي الْبِلَادِ إِلَّا بِإِذْنٍ وَأَجَلٍ، فَشَكَوهُ فَبَلَّغَهُ، فَقَامَ فَقَالَ: أَلَا إِنِّي قَدْ سَنَنْتُ الْإِسْلَامَ سَنَ الْبَعِيرِ، يَبْدَأُ فَيَكُونُ جَذَعًا، ثُمَّ ثَنِيًّا، ثُمَّ رُبَاعِيًّا، ثُمَّ سَدِيسًا، ثُمَّ بَازِلًا، أَلَا فَهَلْ يَنْتَظِرُ بِالْبَازِلِ

إِلَّا النُّقْصَانَ! أَلَا فَإِنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ بَزَلَ أَلَا وَإِنَّ قَرِيشًا يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا مَالَ اللَّهِ مَعُونَاتٍ دُونَ عِبَادَةٍ، أَلَا فَأَمَّا وَابْنُ الْخَطَّابِ حَيٌّ فَلَا، إِنِّي قَائِمٌ دُونَ شُعْبِ الْحَرَّةِ، آخِذٌ بِحِلَاقِمِ قَرِيشٍ وَحِجْرُهَا أَنْ يَتَهَافُتُوا فِي النَّارِ.

وَكَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطْلَحَةَ، قَالَا: فَلَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ لَمْ يَأْخُذْهُمْ بِالَّذِي كَانَ يَأْخُذْهُمْ بِهِ عُمَرُ، فَانْسَاحُوا فِي الْبِلَادِ، فَلَمَّا رَأَوْهَا وَرَأَوْا الدُّنْيَا، وَرَأَاهُمُ النَّاسُ، انْقَطَعَ إِلَيْهِمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ طَوْلٌ وَلَا مَزِيَّةٌ فِي الْإِسْلَامِ، فَكَانَ مَغْمُومًا فِي النَّاسِ، وَصَارُوا أَوْزَاعًا إِلَيْهِمْ وَأَمْلُوهُمْ، وَتَقَدَّمُوا فِي ذَلِكَ فَقَالُوا: يَمْلِكُونَ فَكَوْنُ قَدْ عَرَفْنَاهُمْ، وَتَقَدَّمْنَا فِي التَّقَرُّبِ وَالانْقِطَاعِ إِلَيْهِمْ، فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ وَهْنٍ دَخَلَ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَأَوَّلَ فِتْنَةٍ كَانَتْ فِي الْعَامَةِ، لَيْسَ إِلَّا ذَلِكَ.

وَكَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرٍو، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: لَمْ يَمِتْ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى مَلَتْهُ قَرِيشٌ، وَقَدْ كَانَ حَصْرَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، فَامْتَنَعَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: إِنْ أَخُوفُ مَا أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْتَ شَارِكُمْ فِي الْبِلَادِ، فَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيْسَتْ أَذْنُهُ فِي الْغَزْوِ وَهُوَ مَنْ حَبَسَ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَلَمْ يَكُنْ فَعَلَ ذَلِكَ بغيرهم من أهل مكة- فيقول: قَدْ كَانَ فِي غَزْوِكَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص مَا يَبْلُغُكَ، وَخَيْرُ لَكَ مِنَ الْغَزْوِ الْيَوْمَ أَلَا تَرَى الدُّنْيَا وَلَا تَرَكَ، فَلَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ خَلَى عَنْهُمْ، فَاضْطَرَبُوا فِي الْبِلَادِ، وَانْقَطَعَ إِلَيْهِمُ النَّاسُ، فَكَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ عُمَرُ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُبَشَّرِ بْنِ الْفَضِيلِ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ حَجَّ سَنَاتِهِ كُلَّهَا إِلَّا آخِرَ حَجَّةٍ، وَحَجَّ بِأَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ عُمَرُ، فَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي مَوْضِعِهِ، وَجَعَلَ فِي مَوْضِعِ

نفسه سَعِيد بن زَيْدٍ، هَذَا فِي مَوْخِرِ الْقِطَارِ، وَهَذَا فِي مَقْدَمِهِ، وَأَمِنَ النَّاسَ، وَكُتِبَ فِي الْأَمْصَارِ أَنْ يُوَافِيَهُ الْعَمَالُ فِي كُلِّ مَوْسَمٍ وَمَنْ يَشْكُونَهُمْ وَكُتِبَ إِلَى النَّاسِ إِلَى الْأَمْصَارِ، أَنْ أَتَمُّوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَا يَذِلُّ الْمُؤْمِنُ نَفْسَهُ، فَإِنِّي مَعَ الضَّعِيفِ عَلَى الْقَوِيِّ مَا دَامَ مَظْلُومًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَكَانَ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَجَرَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ اتَّخَذَهُ أَقْوَامٌ وَسِيلَةً إِلَى تَفْرِيقِ الْأُمَّةِ.

وَكُتِبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا:
لم تمض سنة من إمارة عثمان حتى اتخذ رجال من قريش أموالاً في الأمصار، وانقطع إليهم الناس، وثبتوا سبع سنين، كل قوم يحبون
أن يلي صاحبهم.

ثُمَّ إِنَّ ابْنَ السَّوْدَاءِ أَسْلَمَ، وَتَكَلَّمَ وَقَدْ فَاضَتْ الدُّنْيَا، وَطَلَعَتِ الْأَحْدَاثُ عَلَى يَدَيْهِ، فَاسْتَطَالُوا عُمَرَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وَكُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حَكِيمِ بْنِ عَبَادِ بْنِ حَنِيفٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَوَّلُ مَنْكَرٍ ظَهَرَ بِالْمَدِينَةِ حِينَ
فَاضَتْ الدُّنْيَا، وَانْتَهَى وَسْعُ النَّاسِ طَيْرَانَ الْحَمَامِ وَالرَّمِيَّ عَلَى الْجَلَاهِقَاتِ، فَاسْتَعْمَلَ عَلِيًّا عُثْمَانَ رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ سَنَةِ ثَمَانٍ، فَقَصَصَهَا
وَكَسَرَ الْجَلَاهِقَاتِ وَكُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، قَالَ أَوَّلُ مَنْ مَنَعَ الْحَمَامَ
الطَّيَارَةَ وَالْجَلَاهِقَاتِ عُثْمَانُ، ظَهَرَتْ بِالْمَدِينَةِ فَأَمَرَ عَلِيًّا رَجُلًا، فَفَنَعَمَهُمْ مِنْهَا.
وَكُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ يُونُسَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ نَحْوًا مِنْهُ، وَزَادَ: وَحَدَّثَ بَيْنَ النَّاسِ
النَّشْوُ.

قَالَ: فَأَرْسَلْ عُثْمَانُ طَائِفًا يَطُوفُ عَلَيْهِم بِالْعَصَا، فَنَعْنَعُهُمْ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ اشْتَدَّ ذَلِكَ فَأَفْشَى الْحُدُودَ، وَنَبَأَ ذَلِكَ عُثْمَانُ، وَشَكَاهُ إِلَى النَّاسِ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَجْلِدُوا فِي النَّبِيدِ، فَأَخَذَ نَفَرٌ مِنْهُمْ جُلْدًا.

وَكُتِبَ إِلَيَّ السَّرِي، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُبَشَّرِ بْنِ الْفَضِيلِ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَمَّا حَدَثَتِ الْأَحْدَاثُ بِالْمَدِينَةِ خَرَجَ مِنْهَا رِجَالٌ إِلَى الْأَمْصَارِ مُجَاهِدِينَ، وَلِيدُنَا مِنَ الْعَرَبِ، فَهُمْ مِنْ أَتَى الْبَصْرَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَتَى الْكُوفَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَتَى الشَّامَ، فَهَجَمُوا جَمِيعًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُهَاجِرِينَ بِالْأَمْصَارِ عَلَى مِثْلِ مَا حَدَثَ فِي أَبْنَاءِ الْمَدِينَةِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الشَّامِ، فَرَجَعُوا جَمِيعًا إِلَى الْمَدِينَةِ إِلَّا مَنْ كَانَ بِالشَّامِ، فَأَخْبَرُوا عَثْمَانَ بِخَبَرِهِمْ، فَقَامَ

عُثْمَانُ فِي النَّاسِ خَطِيئًا، فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ، أَنْتُمْ أَصْلُ الْإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا يَفْسِدُ النَّاسُ بِفَسَادِكُمْ، وَيَصْلَحُونَ بِصَلَاحِكُمْ، وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ لَا يَبْلُغُنِي عَنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ حَدَّثٌ أَحَدُهُ إِلَّا سِيرَتُهُ، أَلَا فَلَا أَعْرِضُ أَحَدًا عَرْضَ دُونَ أَوْلَيْكَ بِكَلَامٍ وَلَا طَلَبٍ، فَإِنْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَتْ تَقْطَعُ أَعْضَاؤُهُمْ دُونَ أَنْ يَتَكَلَّمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِمَا عَلَيْهِ وَلَا لَهُ وَجَعَلَ عُثْمَانُ لَا يَأْخُذُ أَحَدًا مِنْهُمْ عَلَى شَرِّ أَوْ شَرِّ سِلَاحٍ: عَصَا فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا سِيرَهُ، فَضَجَّ آبَاؤُهُمْ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى بَلَغَهُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا أَحْدَثَ التَّسْيِيرُ إِلَّا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص سِيرَ الْحَكَمَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ، فَقَالَ: إِنْ الْحَكَمُ كَانَ مِثْلًا، فَسِيرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْهَا إِلَى الطَّائِفِ، ثُمَّ رَدَّهُ إِلَى بَلَدِهِ، فَرَسُولُ اللَّهِ ص سِيرَهُ بِذَنْبِهِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ص رَدَّهُ بِعَفْوِهِ وَقَدْ سِيرَ الْخَلِيفَةُ مِنْ بَعْدِهِ، وَعَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ بَعْدِ الْخَلِيفَةِ، وَابْنُ اللَّهِ لَا خُذْنَ الْعَفْوَ مِنْ أَخْلَاقِكُمْ، وَلَا بُذِلْنَهُ لَكُمْ مِنْ خَلْقِي، وَقَدْ

دنت أمور، وَلَا أَحِبُّ أَنْ تَحُلَّ بِنَا وَبِكُمْ، وَأَنَا عَلَى وَجَلٍ وَحُذْرٍ، فَاحْذَرُوا وَاعْتَبَرُوا كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ ابْنِ ثَابِتٍ وَيُحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، قَالَا: سَأَلَ سَائِلٌ سَعِيدَ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حُذَيْفَةَ: مَا دَعَاهُ إِلَى الْخُرُوجِ عَلَى عُثْمَانَ؟ فَقَالَ: كَانَ يَتِيمًا فِي جَرِّ عُثْمَانَ، فَكَانَ عُثْمَانُ وَالِي أَيْتَامِ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَمَحْتَمِلٌ كُلِّهِمْ، فَسَأَلَ عُثْمَانُ الْعَمَلَ حِينَ وَلِيَ، فَقَالَ: يَا بَنِي، لَوْ كُنْتُ رَضَا ثُمَّ سَأَلْتَنِي الْعَمَلَ لَأَسْتَعْمَلْتُكَ، وَلَكِنْ لَسْتُ هُنَاكَ! قَالَ: فَأُذِّنُ لِي فَلَا أُخْرِجُ فَلَا أُطْلُبُ مَا يَقُوتُنِي، قَالَ: أَذْهَبَ حَيْثُ شِئْتُ، وَجَهَّزَهُ مِنْ عِنْدِهِ، وَحَمَلَهُ وَأَعْطَاهُ، فَلَمَّا وَقَعَ إِلَى مِصْرَ كَانَ فِيمَنْ تَغْيِيرَ عَلَيْهِ أَنْ مَنَعَهُ الْوَلَايَةَ قِيلَ: فَعِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ؟ قَالَ: كَانَ بَيْنَهُ

وبين عباس بن عتبة بن أبي لهب كلام، فضربهما عثمان، فأورث ذلك بين آل عمار وآل عتبة شرا حتى اليوم، وكفى عما ضربا عليه وفيه.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: فَسَأَلْتُ ابْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ تَقَاضَفَ كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مَبْشَرٍ، قَالَ: سَأَلْتُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ: مَا دَعَاهُ إِلَى رُكُوبِ عُثْمَانَ؟ فَقَالَ:

الغضب والطمع، قلت: مَا الغضب والطمع؟ قَالَ: كَانَ مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْمَكَانِ الَّذِي هُوَ بِهِ، وَغَرَهُ أَقْوَامٌ فَطَمَعُوا وَكَانَتْ لَهُ دَالَّةٌ فَلَزِمَهُ حَقٌّ، فَأَخَذَهُ عُثْمَانُ مِنْ ظَهْرِهِ، وَلَمْ يَدَّهْنِ، فَاجْتَمَعَ هَذَا إِلَى هَذَا، فَصَارَ مَذْمُومًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مُحْمَدًا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مَبْشَرٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ لَنَا لَهُمْ، فَانْتَزَعَ الْحَقُوقَ انْتِزَاعًا، وَلَمْ يَعِطِلْ حَقًّا، فَأَحْبَوْهُ عَلَى لِينِهِ، فَأَسْلَبَهُمْ ذَلِكَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ الْقَاسِمِ، قَالَ: كَانَ مِمَّا أَحْدَثَ عُثْمَانُ فَرَضِي بِهِ مِنْهُ أَنَّهُ ضَرَبَ رَجُلًا فِي مَنَازَعَةٍ اسْتَخَفَّ فِيهَا بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: نَعَمْ، أَيْفَخَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَ عَمَّهُ، وَأَرْخَصَ فِي الْاسْتِخْفَافِ بِهِ! لَقَدْ خَالَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَ مِنْ فَعَلٍ ذَلِكَ، وَمِنْ رِضَا بِهِ مِنْهُ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ رُزَيْقِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيِّ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ، عَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَبَانَ، قَالَ: أَرْسَلَنِي عُثْمَانُ إِلَى الْعَبَّاسِ بَعْدَ مَا بُويعَ، فَدَعَوْتُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا لَكَ تَعَبَّدْتَنِي! قَالَ:

لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَحْجَجَ إِلَيْكَ مِنِّي الْيَوْمَ، قَالَ: الزَّمْ خَمْسًا، لَا تُتَارَعُكَ الْأُمَّةُ خَرَائِمَهَا مَا لَزِمَتْهَا، قَالَ: وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الصَّبْرُ عَنِ الْقَتْلِ، وَالتَّحِبُّ، وَالصَّفْحُ، وَالْمُدَارَاةُ، وَكَيْفَانُ السَّرِّ.

وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمَرِيِّ، قَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا كَانَ مِنْ أَسَنِّ مِنْهُمْ مُوَلَعًا بِأَكْلِ الْخَزِيرَةِ، وَإِنِّي كُنْتُ أَتَعَشَّى مَعَ عُثْمَانَ خَزِيرًا مِنْ طَبَخٍ مِنْ أَجُودٍ مَا رَأَيْتُ قَطُّ، فِيهَا بَطُونُ الْغَنَمِ، وَأُدْمُهُا اللَّبَنُ وَالسَّمْنُ، فَقَالَ عُثْمَانُ: كَيْفَ تَرَى هَذَا الطَّعَامَ؟

فَقُلْتُ: هَذَا أَطْيَبُ مَا أَكَلْتُ قَطُّ، فَقَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ الْخَطَّابِ! أَكَلْتُ مَعَهُ هَذِهِ الْخَزِيرَةَ قَطُّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَكَادَتِ اللَّقْمَةُ تَفْرُثُ فِي يَدِي حِينَ أَهْوَيْ بِهَا إِلَى فَمِي، وَلَيْسَ فِيهَا لَحْمٌ، وَكَانَ أُدْمُهُا السَّمْنُ وَلَا لَبَنٌ فِيهَا.

فَقَالَ عُثْمَانُ: صَدَقْتَ، إِنَّ عَمْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَعَبَ وَاللَّهِ مِنْ تَبِعِ أَثَرِهِ، وَإِنَّهُ كَانَ يَطْلُبُ بِثَنِيهِ عَنْ هَذِهِ الْأُمُورِ ظَلْفًا أَمَا وَاللَّهِ مَا أَكَلَهُ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَكِنِّي أَكَلُهُ مِنْ مَالِي، أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَكْثَرَ قُرَيْشٍ مَالًا، وَأَجَدَّهُمْ فِي التِّجَارَةِ، وَلَمْ أَزَلْ أَكُلْ مِنَ الطَّعَامِ مَا لَا مِنْهُ، وَقَدْ بَلَغْتُ سِنًا فَأَحَبُّ الطَّعَامِ إِلَيَّ أَلِينُهُ، وَلَا أَعْلَمُ لِأَحَدٍ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ تَبَعَةً.

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: كُنْتُ أَفْطَرُ مَعَ عُثْمَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَكَانَ يَأْتِينَا بِطَعَامٍ هُوَ أَلَيْنُ مِنْ طَعَامِ عَمْرِو، قَدْ رَأَيْتُ عَلَى مَائِدَةِ عُثْمَانَ الدَّرْمَكَ الْجَيِّدَ وَصَغَارَ الضَّبَّانِ كُلَّ لَيْلَةٍ، وَمَا رَأَيْتُ عَمْرَ قَطُّ أَكَلَ مِنَ الدَّقِيقِ مَنْخُولًا، وَلَا أَكَلَ مِنَ الْغَنَمِ إِلَّا مَسَانِهَا، فَقُلْتُ لِعُثْمَانَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ عَمْرًا! وَمَنْ يَطِيقُ مَا كَانَ عَمْرُ يَطِيقُ! قَالَ مُحَمَّدٌ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ زَيْدِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، قَالَ: أَوَّلُ فِسْطَاطٍ رَأَيْتُهُ بِمَنَى فِسْطَاطُ لِعُثْمَانَ، وَآخِرُ لَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ كَرِيزٍ، وَأَوَّلُ مَنْ زَادَ النَّدَاءَ الثَّلَاثَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الزُّورَاءِ عُثْمَانَ، وَأَوَّلُ مَنْ نَخَلَ لَهُ الدَّقِيقُ مِنَ الْوَلَاةِ عُثْمَانَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا:

بَلَغَ عُثْمَانُ أَنْ ابْنَ ذِي الْحَبْكَ النُّهْدِي يَعَالِجُ نِيرِنَجًا- قَالَ مُحَمَّدٌ بْنُ سَلَمَةَ: إِنَّمَا هُوَ نِيرَجٌ- فَأَرْسَلَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ لِيَسْأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَإِنْ أَقْرَبَهُ فَأَوْجَعَهُ، فَعَدَا بِهِ فَسْأَلَهُ، فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ رَفَقٌ وَأَمْرٌ يَعِجِبُ مِنْهُ، فَأَمَرَ بِهِ فَعُزِرَ، وَأَخْبَرَ النَّاسَ خَبْرَهُ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ عُثْمَانَ: إِنَّهُ قَدْ جَدَّ بِكُمْ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجَدِّ، وَإِيَّاكُمْ وَالْهَزَالَ، فَكَانَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَتَعَجَّبُوا مِنْ وَقُوفِ عُثْمَانَ

عَلَى مِثْلِ خَبْرِهِ، فَغَضِبَ، فَغَفَرَ فِي الدِّينِ نَفَرُوا، فَضَرَبَ مَعَهُمْ، فَكَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ فِيهِ، فَلَمَّا سِيرَ إِلَى الشَّامِ مِنْ سِيرِ، سِيرَ كَعْبُ بْنُ ذِي الْحَبْكَ وَمَالِكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ- وَكَانَ دِينُهُ كَدِينِهِ- إِلَى دَنْبَاوَنْدَ، لِأَنَّهَا أَرْضُ سَحْرَةٍ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ كَعْبُ بْنُ ذِي الْحَبْكَ لِلْوَلِيدِ:

لَعَمْرِي لَئِنْ طَرَدْتَنِي مَا إِلَى الْآتِي ... طَمَعْتَ بِهَا مِنْ سَقَطَتِي لَسَبِيلِ

رَجُوتَ رَجُوعِي يَا بْنَ أَرُوى وَرَجَعْتِي ... إِلَى الْحَقِّ دَهْرًا غَالِ ذَلِكَ غُولِ

وَإِنْ اغْتَرَايَ فِي الْبِلَادِ وَجَفَوْتِي ... وَشَتِي فِي ذَاتِ الْإِلَهِ قَلِيلِ

وَإِنْ دَعَايَ كُلَّ يَوْمٍ وَلِيلِهِ ... عَلَيْكَ بِدَنْبَاوَنْدَ كَمْ لَطْوِيلِ

فَلَمَّا وَلِيَ سَعِيدَ أَقْفَلَهُ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَاسْتَصْلَحَهُ، فَكَفَرَهُ، فَلَمْ يَزِدْ إِلَّا فُسَادًا وَاسْتَعَارَ ضَابِيَّ بْنَ الْحَارِثِ الْبَرْجَمِيَّ فِي زَمَانِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ مِنْ قَوْمِ مِنَ الْأَنْصَارِ كَلْبًا يَدْعَى قَرْحَانَ، يَصِيدُ الظُّبَاءَ، فَخَبَسَهُ عَنْهُمْ، فَانْفَرَهُ الْأَنْصَارِيُّونَ، وَاسْتَغَاثُوا عَلَيْهِ بِقَوْمِهِ فَكَاثَرُوهُ، فَانْتَزَعُوهُ مِنْهُ وَرَدُّوهُ عَلَى الْأَنْصَارِ، فَهَجَاهُمْ وَقَالَ فِي ذَلِكَ:

تَحْشُمُ دُونِي وَفَدَّ قَرْحَانُ خَطَّةً ... تَضِلُّ لَهَا الْوَجَنَاءُ وَهِيَ حَسِيرِ

فَبَاتُوا شَبَاعًا نَاعِمِينَ كَأَنَّمَا ... حَبَاهُمْ بَيْتُ الْمَرْزَبَانَ أَمِيرِ

فَكَلَبَكُمْ لَا تَتْرَكُوا فَهُوَ أَمَكَم ... فَإِنْ عَقُوقَ الْأُمَهَاتِ كَبِيرِ

فَاسْتَعْدُوا عَلَيْهِ عُثْمَانَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَعَزَّرَهُ وَحَبَسَهُ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ بِالْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَثْقَلَ ذَلِكَ، فَمَا زَالَ فِي الْحَبْسِ حَتَّى مَاتَ فِيهِ وَقَالَ فِي الْفَتَكِ يَعْتَذِرُ إِلَى أَصْحَابِهِ:

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ وَلَيْتَنِي ... فَعَلْتُ وَوَلَيْتَ الْبُكَاءُ حَلَالُهُ

وَقَائِلَةٌ قَدْ مَاتَ فِي السَّجْنِ ضَابِيٌّ ... أَلَا مِنْ لَخْصَمٍ لَمْ يَجِدْ مِنْ يَجَادِلُهُ!

وَقَائِلَةٌ لَا يَبْعُدُ اللَّهُ ضَابِيًّا ... فَنَعَمْ الْفَتَى تَخْلُو بِهِ وَتَحَاوِلُهُ

فَلِذَلِكَ صَارَ عَمِيرُ بْنُ ضَابِيٍّ سَبِيًّا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْمُسْتَنْبِرِ، عَنْ أَخِيهِ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِأَحَدٍ غَزَا عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَا رَكِبَ إِلَيْهِ إِلَّا قَتَلَ، لَقَدْ اجْتَمَعَ بِالْكُوفَةِ نَفَرٌ، فِيهِمُ الْأَشْتَرُ وَزَيْدُ بْنُ صُوحَانَ وَكَعْبُ بْنُ ذِي الْحَبْكَ وَابُو زَيْنَبٍ وَأَبُو مَوْزَعٍ وَكَمِيلُ بْنُ زِيَادٍ وَعَمِيرُ بْنُ ضَابِيٍّ، فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ لَا يَرْفَعُ رَأْسَ مَا دَامَ عُثْمَانُ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ عَمِيرُ بْنُ ضَابِيٍّ وَكَمِيلُ بْنُ زِيَادٍ: نَحْنُ نَقْتُلُهُ فَرُكْبًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَمَّا عَمِيرُ فَإِنَّهُ نَكَلَ عَنْهُ، وَأَمَّا كَمِيلُ بْنُ زِيَادٍ فَإِنَّهُ جَسَرَ وَثَاوَرَهُ، وَكَانَ جَالِسًا يَرصده حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ عُثْمَانُ، فَوَجَأَ عُثْمَانَ وَجْهَهُ، فَوَقَعَ عَلَى اسْتِهِ، وَقَالَ: أَوْجَعْتَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! قَالَ: أَوَلَسْتُ بِفَاتِكَ! قَالَ: لَا وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَخَلَفَ وَقَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَقَالُوا: نَفْتَشُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: لَا، قَدْ رَزَقَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ، وَلَا أَشْتَهِي أَنْ أُطْلَعَ مِنْهُ عَلَى غَيْرِ مَا قَالَ وَقَالَ: إِنْ كَانَ كَمَا قُلْتَ يَا كَمِيلُ فَاقْتَدِ مِنِّي- وَجِثًا- فَوَاللَّهِ مَا حَسْبَتِكَ إِلَّا تَرِيدَنِي، وَقَالَ: إِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَأَجْزِلَ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَأَذِلَّ اللَّهُ وَقَعْدَ لَهُ عَلَى قَدَمِيهِ وَقَالَ:

دُونِكَ! قَالَ: قَدْ تَرَكْتُ فَبَقِيََا حَتَّى أَكْثَرَ النَّاسُ فِي نَجَائِهِمَا، فَلَمَّا قَدِمَ الْحَجَّاجُ قَالَ: مَنْ كَانَ مِنْ بَعْثِ الْمَهْلَبِ فَلْيُؤَافِ مَكْتَبَهُ، وَلَا يَجْعَلْ عَلَى نَفْسِهِ سَبِيلًا.

فَقَامَ إِلَيْهِ عَمِيرٌ، وَقَالَ: إِنِّي شَيْخٌ ضَعِيفٌ، وَلِي ابْنَانِ قَوِيَانِ، فَأُخْرِجْ أَحَدَهُمَا مَكَانِي أَوْ كُلِيَهُمَا، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَمِيرُ بْنُ ضَبَائٍ، فَقَالَ:

وَاللَّهِ لَقَدْ عَصَيْتَ اللَّهَ عِزَّ وَجَلَّ مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَوَاللَّهِ لَا نَكُنُّ بِكَ الْمُسْلِمِينَ، غَضِبْتَ لِسَارِقِ الْكَلْبِ ظُلْمًا، إِنْ أَبَاكَ إِذْ غَلَّ لَهُمْ، وَإِنْكَ هَمَمْتَ وَنَكَلْتَ، وَإِنِّي أَهَمُّ ثُمَّ لَا أَتُكَلِّمُكَ فَضَرَبْتَ عُنُقَهُ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، قَالَ: كَانَ مِنْ حَدِيثِهِ أَنَّهُ كَانَ قَدْ غَزَا عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَنْ غَزَاهُ، فَلَمَّا قَدِمَ الْحِجَابَ وَنَادَى بِمَا نَادَى بِهِ، عَرَضَ رَجُلٌ عَلَيْهِ مَا عَوَّضَ نَفْسَهُ، فَقَبِلَ مِنْهُ، فَلَمَّا وَلِيَ قَالَ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ: لَقَدْ كَانَ شَأْنُ عَمِيرٍ مِمَّا يَهْمُنِي، قَالَ: وَمَنْ عَمِيرٌ؟ قَالَ: هَذَا الشَّيْخُ، قَالَ: ذَكَرْتَنِي الطَّعْنَ وَكُنْتُ نَاسِيًا

أَلَيْسَ فِيمَنْ خَرَجَ إِلَى عُثْمَانَ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ بِالْكُوفَةِ أَحَدٌ غَيْرُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمِيلٌ، قَالَ: عَلِيٌّ بِعَمِيرٍ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ، وَدَعَا بِكَمِيلٍ فَهَرَبَ، فَأَخَذَ النَّخْعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْأَسُودُ بْنُ الْهَيْثَمِ: مَا تَرِيدُ مِنْ شَيْخٍ قَدْ كَفَاكَ الْكِبَرُ! فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَتَحْبَسَنَّ عَنِّي لِسَانُكَ أَوْ لِأَحْسَنَ رَأْسِكَ بِالسَّيْفِ قَالَ: أَفَعَلْ فَلَمَّا رَأَى كَمِيلٌ مَا لَقِيَ قَوْمَهُ مِنَ الْخَوْفِ وَهُمْ أَلْفَا مُقَاتِلًا، قَالَ: الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنَ الْخَوْفِ إِذَا أَخِيفَ أَلْفَانِ مِنْ سَبَبِي وَحَرَمُوا.

نَخْرَجَ حَتَّى أَتَى الْحِجَابَ، فَقَالَ لَهُ الْحِجَابُ: أَنْتَ الَّذِي أَرَدْتَ ثُمَّ لَمْ يَكْشِفْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَمْ تَرْضَ حَتَّى أَقْعَدْتَهُ لِلْقَصَاصِ إِذْ دَفَعَكَ عَنْ نَفْسِهِ؟ فَقَالَ:

عَلَى أَيِّ ذَلِكَ تَقْتُلُنِي! تَقْتُلُنِي عَلَى عَفْوِهِ أَوْ عَلَى عَافِيَتِي؟ قَالَ: يَا أَدْهَمُ بْنُ الْحَرَزِ، اقْتُلْهُ، قَالَ: وَالْأَجْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ أَدْهَمُ: بَلِ الْأَجْرُ لَكَ، وَمَا كَانَ مِنْ إِثْمٍ فَعَلِي وَقَالَ مَالِكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - وَكَانَ مِنَ الْمَسِيرِينَ:

مَضَتْ لَابْنُ أَرُورَى فِي كَمِيلٍ ظَلَامَةٌ ... عَفَاها لَهُ وَالْمُسْتَقِيدُ يَلَامُ

وَقَالَ لَهُ لَا أَقْبِحَ الْيَوْمَ مِثْلَهُ ... عَلَيْكَ أَبَا عَمْرٍو وَأَنْتَ إِمَامُ

رَوَيْدِكَ رَأْسِي وَالَّذِي نَسَكْتَ لَهُ ... قَرِيشُ بَنِي عَلِيٍّ الْكَبِيرِ حَرَامُ

وَلِلْعَفْوِ أَمِنْ يَعْرِفُ النَّاسَ فَضْلُهُ ... وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْقَصَاصِ أَثَامُ

وَلَوْ عَلِمَ الْفَارُوقُ مَا أَنْتَ صَانِعٌ ... نَهَى عَنْكَ نَهْيًا لَيْسَ فِيهِ كَلَامُ

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَحِيمِ بْنِ حَفْصٍ، قَالَ: كَانَ رِبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ شَرِيكَ عُثْمَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ رِبِيعَةَ لِعُثْمَانَ: اكْتُبْ لِي إِلَى ابْنِ عَامِرٍ يَسْلِفُنِي مِائَةَ أَلْفٍ، فَكُتِبَ، فَأَعْطَاهُ مِائَةَ أَلْفٍ وَصَلَهُ بِهَا، وَأَقْطَعَهُ دَارَهُ، دَارَ الْعَبَّاسِ ابْنِ رِبِيعَةَ الْيَوْمِ.

وَحَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ مُوسَى

٤٠٢٠٠٤ ذكر الخبر عن السبب الذي من أجله أمر عثمان رضي الله عنه عبد الله ابن عباس رضي الله عنه ان يحج بالناس في هذه السنة

ابن طَلْحَةَ، قَالَ: كَانَ لِعُثْمَانَ عَلَى طَلْحَةَ خَمْسُونَ أَلْفًا، فَخَرَجَ عُثْمَانُ يَوْمًا إِلَى الْمَسْجِدِ، فَقَالَ لَهُ طَلْحَةُ: قَدْ تَهَيَّأَ مَالُكَ فَاقْبِضْهُ، قَالَ: هُوَ لَكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ مَعُونَةً لَكَ عَلَى مُرُوءَتِكَ.

وَحَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ عَلِيُّ لَطَلْحَةَ: أَنْشُدْكَ اللَّهَ أَلَّا رَدَدْتَ النَّاسَ عَنْ عُثْمَانَ! قَالَ: لَا وَاللَّهِ حَتَّى تُعْطِيَ بَنُو أُمَيَّةَ الْحَقَّ مِنْ أَنْفُسِهِمَا.

وَحَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ الْبَكْرِيُّ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ، عَنْ الْحَسَنِ، أَنَّ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بَاعَ أَرْضًا لَهُ مِنْ عُمَانَ بِسَبْعِمِائَةِ أَلْفٍ، فَحَمَلَهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ طَلْحَةُ: إِنَّ رَجُلًا تَسْقُ هَذِهِ عِنْدَهُ وَفِي بَيْتِهِ لَا يَدْرِي مَا يَطْرُقُهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَغَيْرِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ! فَبَاتَ وَرَسُولُهُ يَخْتَلِفُ بَهَا فِي سَكِّكَ الْمَدِينَةَ يَقْسِمُهَا حَتَّى أَصْبَحَ، فَأَصْبَحَ وَمَا عِنْدَهُ مِنْهَا دِرْهَمٌ قَالَ الْحَسَنُ: وَجَاءَ هَاهُنَا يَطْلُبُ الدِّينَارَ وَالْدِرْهَمَ- أَوْ قَالَ: الصَّفْرَاءَ وَالْبَيْضَاءَ.

وَجَعَ النَّاسُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ- أَعْنَى سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ بِأَمْرِ عُثْمَانَ إِيَّاهُ بِذَلِكَ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ الرَّازِيُّ، عَنْ حَدَّثِهِ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ

. ذَكَرَ الْخَبْرَ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَمَرَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يُجِجَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ. ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حَدَّثَهُ عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحَصِينِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا حَصَرَ عُثْمَانُ الْحَصْرَ الْآخِرَ قَالَ

عِكْرِمَةُ: فَقُلْتُ لَابْنِ عَبَّاسٍ: أَوْ كَانَا حَصْرَيْنِ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَعَمْ، الْحَصْرُ الْأَوَّلُ، حَصْرُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ- وَقَدِمَ الْمَصْرِيُّونَ فَلَقِيَهُمْ عَلِيٌّ بِذِي خَشَبٍ، فَدَرَّهَمَ عَنْهُ، وَقَدْ كَانَ وَاللَّهِ عَلِيٌّ لَهُ صَاحِبٌ صِدْقٍ، حَتَّى أَوْغَرَ نَفْسَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ، جَعَلَ مَرْوَانَ وَسَعِيدٌ وَذَوُوهُمَا يَحْمِلُونَهُ عَلَى عَلِيٍّ فَيَتَحَمَلُ، وَيَقُولُونَ: لَوْ شَاءَ مَا كَلَّمَكُمُ أَحَدٌ، وَذَلِكَ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ يَكْلَهُ وَيَنْصَحُهُ وَيَغْلُظُ عَلَيْهِ فِي الْمَنْطِقِ فِي مَرْوَانَ وَذَوِيهِ، فَيَقُولُونَ لِعُثْمَانَ: هَكَذَا يَسْتَقْبِلُكَ وَأَنْتَ إِمَامُهُ وَسَلَفُهُ وَابْنُ عَمِّهِ وَابْنُ عَمَّتِهِ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَا غَابَ عَنْكَ مِنْهُ! فَلَمْ يَزَالُوا بَعِيًّا حَتَّى أَجْمَعَ أَلَا يَقُومُ دُونَهُ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ الْيَوْمَ الَّذِي خَرَجْتُ فِيهِ إِلَى مَكَّةَ، فَذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ عُثْمَانَ دَعَانِي إِلَى الْخُرُوجِ فَقَالَ لِي: مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ أَنْ يَنْصَحَهُ أَحَدٌ، اتَّخَذَ بَطَانَةَ أَهْلِ غَشٍّ لَيْسَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا قَدْ تَسَبَّبَ بِطَائِفَةٍ مِنَ الْأَرْضِ يَأْكُلُ خَرَاجَهَا وَيَسْتَذِلُّ أَهْلَهَا، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ لَهُ رِجْمًا وَحَقًّا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَقُومَ دُونَهُ فَعَلْتُ، فَإِنَّكَ لَا تُعْذِرُ إِلَّا بِذَلِكَ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي رَأَيْتُ فِيهِ الْإِنْكَسَارَ وَالرِّقَّةَ لِعُثْمَانَ، ثُمَّ إِنِّي لَأَرَاهُ يُؤْتِي إِلَيْهِ عَظِيمٌ ثُمَّ قَالَ عِكْرِمَةُ: وَسَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: قَالَ لِي عُثْمَانُ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَذْهَبَ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ:

يَقْرَأُ عَلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ السَّلَامُ، وَيَقُولُ لَكَ: إِنِّي مُحْصُورٌ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا يَوْمًا، لَا أَشْرَبُ إِلَّا مِنَ الْأُجَاجِ مِنْ دَارِي، وَقَدْ مُنِعْتُ بِثَرًّا اشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلْبِ مَالِي، رُومَةٌ، فَإِنَّمَا يَشْرِبُهَا النَّاسُ وَلَا أَشْرَبُ مِنْهَا شَيْئًا، وَلَا أَكُلُ إِلَّا مِمَّا فِي بَيْتِي، مُنِعْتُ أَنْ أَكُلَ مِمَّا فِي السُّوقِ شَيْئًا وَأَنَا مُحْصُورٌ كَمَا تَرَى، فَأَمَرَهُ وَقُلْتُ لَهُ:

فليحج بالناس، وليس بفاعل، فَإِنْ أَبَى فَاجْجِجِ أَنْتَ بِالنَّاسِ.

فَقَدِمْتُ الْحَجَّ فِي الْعَشْرِ، فَجِئْتُ خَالِدَ بْنَ الْعَاصِ، فَقُلْتُ لَهُ مَا قَالَ لِي عُثْمَانُ، فَقَالَ لِي: هَلْ طَاقَةٌ بِعَادَاةٍ مِنْ تَرَى؟ فَأَبَى أَنْ يُجِجَ وَقَالَ: فَجِجِ أَنْتَ بِالنَّاسِ: فَأَنْتَ ابْنُ عَمِّ الرَّجُلِ، وَهَذَا الْأَمْرُ لَا يُفْضِي إِلَّا إِلَيْهِ- يَعْنِي عَلِيًّا- وَأَنْتَ أَحَقُّ أَنْ تَحْجَلَ لَهُ ذَلِكَ، فَجَجَجْتُ بِالنَّاسِ، ثُمَّ قُلْتُ فِي آخِرِ الشَّهْرِ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَإِذَا عُثْمَانُ قَدْ قُتِلَ، وَإِذَا النَّاسُ يَتَوَاثَبُونَ

عَلَى رَقَبَةِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَلَمَّا رَأَى عَلِيٌّ تَرَكَ النَّاسَ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَاتَّجَنَّا، فَقَالَ: مَا تَرَى فِيمَا وَقَعَ؟ فَإِنَّهُ قَدْ وَقَعَ أَمْرٌ عَظِيمٌ كَمَا تَرَى لَا طَاقَةَ لِأَحَدٍ بِهِ، فَقُلْتُ: أَرَى أَنَّهُ لَا بَدَّ لِلنَّاسِ مِنْكَ الْيَوْمَ، فَأَرَى أَنَّهُ لَا يُبَايِعُ الْيَوْمَ أَحَدًا إِلَّا أَتَاهُمْ بِدَمِ هَذَا الرَّجُلِ، فَأَبَى إِلَّا أَنْ يُبَايَعَ فَأَتَاهُمْ بِدَمِهِ.

قَالَ مُحَمَّدٌ: حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ سُهَيْلٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ لِي عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنِّي قَدْ اسْتَعْمَلْتُ خَالِدَ بْنَ الْعَاصِ بْنِ هِشَامٍ عَلَى مَكَّةَ، وَقَدْ بَلَغَ أَهْلُ مَكَّةَ مَا صَنَعَ النَّاسُ، فَأَنَا خَائِفٌ أَنْ يَمْنَعُوهُ الْمَوْقِفَ فَيَأْبَى، فَيَقَاتِلَهُمْ فِي حَرَمِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَأَمْنُهُ وَإِنْ قَوْمًا جَاءُوا مِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ، فَرَأَيْتُ أَنَّ أَوْلَيْكَ أَمْرَ الْمَوْسِمِ وَكَتَبَ مَعَهُ إِلَى أَهْلِ الْمَوْسِمِ بِكُتَابٍ يَسْأَلُهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا لَهُ بِالْحَقِّ مِمَّنْ حَصَرَهُ نَجْرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَرَبَعَاءُ فِي الصَّلَاحِ، فَقَالَتْ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أُنْشِدْكَ اللَّهَ- فَإِنَّكَ قَدْ أُعْطِيتَ لِسَانًا إِنْزِيلًا- أَنْ تُخْذَلَ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، وَأَنْ تُشَكَّكَ فِيهِ النَّاسُ، فَقَدْ بَانَتْ لَهُمْ بَصَائِرُهُمْ وَأَنْهَجَتْ، وَرَفَعَتْ لَهُمُ الْمَنَارَ، وَتَحَلَّبُوا مِنَ الْبُلْدَانِ لَامِرٍ قَدْ حَمَ، وَقَدْ رَأَيْتُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ قَدْ اتَّخَذَ عَلَى بُيُوتِ الْأَمْوَالِ وَالْخَزَائِنِ مَفَاتِيحَ، فَإِنْ يَلِ يَسْرُ بَسِيرَةَ ابْنِ عَمِّهِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: قُلْتُ يَا أُمُّهُ لَوْ حَدَّثَ بِالرَّجُلِ حَدَّثَ مَا فَرَعَ النَّاسُ إِلَّا إِلَى صَاحِبِنَا.

فَقَالَتْ: إِيهَا عَنْكَ! إِنِّي لَسْتُ أُرِيدُ مُكَابَرَتَكَ وَلَا مُجَادَلَتَكَ.

قَالَ ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ: فَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الْمَجِيدِ بْنُ سُهَيْلٍ، أَنَّهُ انْتَسَخَ رِسَالَةَ عُثْمَانَ الَّتِي كَتَبَ بِهَا مِنْ عِكْرَمَةَ، فَإِذَا فِيهَا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عُثْمَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكُمْ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَا بَعْدُ، فَإِنِّي أَذْكُرُكُمْ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ وَعَلِمَ الْإِسْلَامَ، وَهَدَاكُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَكُمْ مِنَ الْكُفْرِ، وَأَرَاكُمْ الْبَيِّنَاتِ، وَأَوْسَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ

الرِّزْقِ، وَنَصَرَكُمْ عَلَى الْعَدُوِّ، وَاسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ: «وَأَنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصِيهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ» وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» «وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا» إِلَى قَوْلِهِ: «لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» وَقَالَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ: «وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا» وَقَالَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ» إِلَى قَوْلِهِ:

«فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:

«إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا» إِلَى «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» وَقَالَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» إِلَى «فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» وَقَالَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ: «وَلَا تَقْضُوا الْآيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا» إِلَى قَوْلِهِ: «وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» وَقَالَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» إِلَى «وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» وَقَالَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ:

«وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» إِلَى قَوْلِهِ: «وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» وَقَالَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ: «إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ» إِلَى «فَسِيؤَتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا»

أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَضِيَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَحَذَّرَكُمْ الْمَعْصِيَةَ وَالْفِرْقَةَ وَالْاِخْتِلَافَ، وَنَبَأَكُمْ مَا قَدْ فَعَلَهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ فِيهِ لِيَكُونَ لَهُ الْحُجَّةُ عَلَيْكُمْ إِنْ عَصَيْتُمُوهُ، فَاقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاحْذَرُوا عَذَابَهُ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا أُمَّةً هَلَكَتْ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ تَخْتَلَفَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهَا رَأْسٌ يَجْمَعُهَا، وَمَتَى مَا تَفْعَلُوا ذَلِكَ لَا تُقِيمُوا الصَّلَاةَ جَمِيعًا، وَسَلَطَ عَلَيْكُمْ عَدُوُّكُمْ، وَاسْتَحِلَّ بَعْضُكُمْ حَرَمَ بَعْضٍ، وَمَتَى يَفْعَلْ ذَلِكَ لَا يَقُمُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دِينَ، وَتَكُونُوا شَيْعًا، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ لِرَسُولِهِ ص:

«إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» وَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِمَا أَوْصَاكُمْ اللَّهُ، وَأَحْذَرُكُمْ عَذَابَهُ، فَإِنَّ شُعْبَا ص قَالَ لِقَوْمِهِ: «وَيَا قَوْمَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصَيِّبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ» إِلَى قَوْلِهِ:

«رَحِيمٌ وَدُودٌ» .

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَقْوَامًا مِّنْ كَانَ يَقُولُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، أَظْهَرُوا لِلنَّاسِ أَنَّمَا يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْحَقِّ، وَلَا يُرِيدُونَ الدُّنْيَا وَلَا مُنَازَعَةً فِيهَا، فَلَمَّا عُرِضَ عَلَيْهِمُ الْحَقُّ إِذَا النَّاسُ فِي ذَلِكَ شَتَّى، مِنْهُمْ آخِذٌ بِالْحَقِّ، وَنَازِعٌ عَنْهُ حِينَ يُعْطَاهُ، وَمِنْهُمْ تَارِكٌ لِلْحَقِّ وَنَازِلٌ عَنْهُ فِي الْأَمْرِ، يُرِيدُ أَنْ يَبْتَزَّهُ بِغَيْرِ الْحَقِّ، طَالَ عَلَيْهِمْ عُمْرِي، وَرَأَتْ عَلَيْهِمُ الْإِمْرَةُ، فَاسْتَعْجَلُوا الْقَدَرَ، وَقَدْ كَتَبُوا إِلَيْكُمْ أَنَّهُمْ قَدْ رَجَعُوا بِالَّذِي أُعْطِيَتْهُمْ، وَلَا أَعْلَمُ أَنِّي تَرَكْتُ مِنَ الَّذِي عَاهَدْتُمْ عَلَيْهِ شَيْئًا، كَانُوا زَعَمُوا أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ الْخُدُودَ، فَقُلْتُ: أَقِيمُوهَا عَلَى مَنْ عَلِمْتُمْ تَعَدَّاهَا فِي أَحَدٍ، أَقِيمُوهَا عَلَى مَنْ ظَلَمَكُمْ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ.

قَالُوا: كِتَابَ اللَّهِ يُتْلَى، فَقُلْتُ: فَلْيَتْلَهُ مِنْ تِلَاةٍ غَيْرِ غَالٍ فِيهِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْكِتَابِ وَقَالُوا: الْمَحْرُومُ يَرْزُقُ، وَالْمَالُ يُوْفَى لِيُسْتَنَّ فِيهِ السَّنَةُ الْحَسَنَةُ، وَلَا يُعْتَدَى فِي الْخُمْسِ وَلَا فِي الصَّدَقَةِ، وَيُؤْمَرُ ذُو الْقُوَّةِ وَالْأَمَانَةِ،

وَتَرَدُّ مَظَالِمُ النَّاسِ إِلَى أَهْلِهَا، فَضِيتُ بِذَلِكَ وَاصْطَبَرْتُ لَهُ، وَجِئْتُ نَسُوهُ النَّبِيِّ صَ حَتَّى كَلَمْتُهُنَّ، فَقُلْتُ: مَا تَأْمُرْنِي؟ فَقُلْنَ: تَوَمَّرَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ وَتَدَعَّ مُعَاوِيَةَ، فَإِنَّمَا أَمْرُهُ أَمِيرٌ قَبْلَكَ، فَإِنَّهُ مُصْلِحٌ لَأَرْضِهِ، رَاضٍ بِهِ جُنْدُهُ، وَارْدُدْ عُمَرَا، فَإِنَّ جُنْدَهُ رَاضُونَ بِهِ، وَأَمْرُهُ فليُصْلِحْ أَرْضَهُ، فَكُلُّ ذَلِكَ فَعَلْتُ وَإِنَّهُ اعْتَدَى عَلَيَّ بَعْدَ ذَلِكَ، وَعَدَى عَلَى الْحَقِّ.

كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ وَأَصْحَابِي الَّذِينَ زَعَمُوا فِي الْأَمْرِ، اسْتَعْجَلُوا الْقَدَرَ، وَمَنَعُوا مِنِّي الصَّلَاةَ، وَحَالُوا بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ، وَابْتَزُّوا مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ.

كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ كِتَابِي هَذَا، وَهُمْ يُخَيِّرُونَنِي إِحْدَى ثَلَاثَ: إِمَّا يَقِيدُونَنِي بِكُلِّ رَجُلٍ أَصَابَتْهُ خَطَأٌ أَوْ صَوَابًا، غَيْرَ مَتْرُوكٍ مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِمَّا أَعْتَزِلُ الْأَمْرَ فَيُؤَمِّرُونَ آخَرَ غَيْرِي، وَإِمَّا يُرْسِلُونَ إِلَى مَنْ أَطَاعَهُمْ مِنَ الْأَجْنَادِ وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ فَيَتَبَرَّءُونَ مِنَ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فَقُلْتُ لَهُمْ:

أَمَّا إِقَادَتِي مِنْ نَفْسِي فَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِي خُلَفَاءُ تُخْطِئُ وَتُصِيبُ، فَلَمْ يُسْتَقَدْ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّمَا يُرِيدُونَ نَفْسِي، وَأَمَّا أَنْ أَتَبَرَّأَ مِنَ الْإِمَارَةِ فَإِنَّ يَكْلِبُونِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَبَرَّأَ مِنْ عَمَلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَخِلَافَتِهِ وَأَمَّا قَوْلُكُمْ:

يُرْسِلُونَ إِلَى الْأَجْنَادِ وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ فَيَتَبَرَّءُونَ مِنْ طَاعَتِي، فَلَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ، وَلَمْ أَكُنْ اسْتَكْرَهْتُمْ مِنْ قَبْلِ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَلَكِنْ أَتَوْهَا طَائِعِينَ، يَتَّبِعُونَ مَرْضَاةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِصْلَاحَ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَمَنْ يَكُنْ مِنْكُمْ إِنَّمَا يَبْتَغِي الدُّنْيَا فَلَيْسَ بِنَائِلٍ مِنْهَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ، وَمَنْ يَكُنْ إِنَّمَا يُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ وَصَلَاحَ الْأُمَّةِ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالسَّنَةَ الْحَسَنَةَ الَّتِي اسْتَنَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَ وَالْخَلِيفَتَانِ مِنْ بَعْدِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَإِنَّمَا يُجْزِي بِذَلِكَ اللَّهُ، وَلَيْسَ بِيَدِي جَزَاؤُكُمْ، وَلَوْ أُعْطِيَتْكُمْ الدُّنْيَا كُلُّهَا

لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ ثَمَنٌ لِدِينِكُمْ، وَلَمْ يَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاحْتَسِبُوا مَا عِنْدَهُ، فَمَنْ يَرْضَ بِالنُّكْثِ مِنْكُمْ فَإِنِّي لَا أَرْضَاهُ لَهُ، وَلَا يَرْضَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ تَنكُثُوا عَهْدَهُ وَامَا الَّذِي يُخَيِّرُونَنِي فَإِنَّمَا كُلُّهُ النِّزْعُ وَالتَّأْمِيرُ فَلَكُنْتُ نَفْسِي وَمَنْ مَعِيَ، وَنَظَرْتُ حُكْمَ اللَّهِ وَتَغْيِيرَ النِّعْمَةِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَكَرِهْتُ سُنَّةَ السُّوءِ وَشِقَاقَ الْأُمَّةِ وَسَفْكَ الدِّمَاءِ، فَإِنِّي أَشْهُدُكُمْ بِاللَّهِ وَالْإِسْلَامِ أَلَّا تَأْخُذُوا إِلَّا الْحَقَّ وَتُعْطُوهُ مِنِّي وَتَرَكُ الْبَغْيَ عَلَى أَهْلِهِ، وَخُذُوا بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنِّي أَشْهُدُكُمْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ الَّذِي جَعَلَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدَ وَالْمَوَازِينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَالَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ: «وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا»، فَإِنَّ هَذِهِ مَعْدَرَةٌ إِلَى اللَّهِ وَلَعَلَّكُمْ تَذْكُرُونَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لَا أُبْرِي نَفْسِي، «إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ»، وَإِنْ عَاقَبْتُ أَقْوَامًا فَمَا أَبْتَغِي بِذَلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ، وَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ عَمِلْتُهُ، وَأَسْتَغْفِرُ إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا هُوَ، إِنَّ رَحْمَةَ رَبِّي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ*،

إِنَّهُ لَا يَقْنُطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الضَّالُّونَ، وَإِنَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَغْفِرَ لِي وَلَكُمْ، وَأَنْ يُؤَلِّفَ قُلُوبَ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى الْخَيْرِ، وَيُكْرِهَ إِلَيْهَا الْفِسْقَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُسْلِمُونَ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَرَأْتُ هَذَا الْكِتَابَ عَلَيْهِمْ قَبْلَ التَّرْوِيَةِ بِمَكَّةَ يَوْمَ قَالَ: وَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ سُهَيْلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: دَعَانِي عُثْمَانُ، فَاسْتَعْمَلَنِي عَلَى الْحَجِّ قَالَ: نَخَرَجْتُ إِلَى مَكَّةَ، فَأَقَمْتُ لِلنَّاسِ الْحَجَّ، وَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ كِتَابَ عُثْمَانَ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَقَدْ بُويعَ لِعَلِيِّ

٤٠٢٠٥ ذكر الخبر عن الموضع الذي دفن فيه عثمان رضي الله عنه ومن صلى عليه وولى امره بعد ما قتل إلى ان فرغ من امره ودفنه

ذكر الخبر عن الموضع الذي دفن فيه عثمان رضي الله عنه ومن صلى عليه وولى امره بعد ما قتل إلى ان فرغ من امره ودفنه
حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَحْمَدِي، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ وَعَلَى ابْنُ حُسَيْنٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عِيسَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي مَيْمُونَةَ، عَنْ أَبِي بَشِيرٍ الْعَابِدِيِّ، قَالَ: نَبَذَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا يَدْفَنُ، ثُمَّ إِنَّ حَكِيمَ بْنَ حَزَامٍ الْقُرَشِيَّ ثُمَّ أَحَدَ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى، وَجَبْرِ بْنِ مَطْعَمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ نُوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنْفٍ، كَلَّمَا عَلِيًّا فِي دَفْنِهِ، وَطَلَبَا إِلَيْهِ أَنْ يَأْذَنَ لِأَهْلِهِ فِي ذَلِكَ، فَفَعَلَ، وَأَذَنَ لَهُمْ عَلِيٌّ، فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ قَعَدُوا لَهُ فِي الطَّرِيقِ بِالْحِجَارَةِ، وَخَرَجَ بِهِ نَاسٌ يَسِيرُ مِنْ أَهْلِهِ، وَهُمْ يَرِيدُونَ بِهِ حَائِطًا بِالْمَدِينَةِ، يَقَالُ لَهُ: حَشْ كُوكَبُ، كَانَتْ الْيَهُودُ تَدْفِنُ فِيهِ مَوْتَاهُمْ، فَلَمَّا خَرَجَ بِهِ عَلَى النَّاسِ رَجَعُوا سَرِيرَهُ، وَهُمَا بِطَرَحِهِ، فَلَبِغَ ذَلِكَ عَلِيًّا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَعْزِمُ عَلَيْهِمْ لِيَكْفَنَ عَنْهُ، فَفَعَلُوا، فَانْطَلَقَ حَتَّى دَفَنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَشِ كُوكَبُ، فَلَمَّا ظَهَرَ مُعَاوِيَةَ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى النَّاسِ أَمَرَ بِهَدْمِ ذَلِكَ الْحَائِطِ حَتَّى أَفْضَى بِهِ إِلَى الْبَقِيعِ، فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَدْفِنُوا مَوْتَاهُمْ حَوْلَ قَبْرِهِ حَتَّى اتَّصَلَ ذَلِكَ بِمَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ.

وَحَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَحْمَدِي، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ وَهَّابٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عِيسَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الْمُجَالِدِ بْنِ سَعِيدِ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ يَسَارِ بْنِ أَبِي كَرْبٍ، عَنْ أَبِيهِ.

- وَكَانَ أَبُو كَرْبٍ عَامِلًا عَلَى بَيْتِ مَالِ عُثْمَانَ - قَالَ: دَفَنَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعَتَمَةِ، وَلَمْ يَشْهَدْ جَنَازَتَهُ إِلَّا مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ وَثَلَاثَةٌ مِنْ مَوَالِيهِ وَابْنَتُهُ الْخَلَامَسَةُ، فَنَاحَتْ ابْنَتُهُ وَرَفَعَتْ صَوْتَهَا تَدْبَهُ، وَأَخَذَ النَّاسُ الْحِجَارَةَ وَقَالُوا: [نَعْلُ نَعْلُ!] وَكَادَتْ تَرْجُمُ، فَقَالُوا: الْحَائِطُ الْحَائِطُ، فَدَفَنَ فِي حَائِطٍ خَارِجًا

وَأَمَّا الْوَاقِدِيُّ فَإِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ سَعْدَ بْنَ رَاشِدٍ حَدَّثَهُ عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَجُلٌ: يَدْفِنُ بِدِيرِ سُلَيْمٍ مَقْبَرَةَ الْيَهُودِ، فَقَالَ حَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ: وَاللَّهِ لَا يَكُونُ هَذَا أَبَدًا وَأَحَدٌ مِنْ وَلَدِ قُصَيِّ حَيٍّ، حَتَّى كَادَ الشَّرُّ يَلْتَحِمُ، فَقَالَ ابْنُ عَدِيسٍ الْبَلُوي: أَيُّهَا الشَّيْخُ، وَمَا يَضُرُّكَ أَنْ يَدْفَنَ! فَقَالَ حَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ: لَا يَدْفَنُ إِلَّا بِبَقِيعِ الْغُرَقْدِ حَيْثُ دَفَنَ سُلَيْمٌ وَفَرَطُهُ، فَخَرَجَ بِهِ حَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، وَفِيهِمُ الزُّبَيْرُ، فَصَلَّى عَلَيْهِ حَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ قَالَ الْوَاقِدِيُّ: الثَّبَتُ عِنْدَنَا أَنَّهُ صَلَّى عَلَيْهِ جَبْرِ بْنُ مَطْعَمٍ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: وَحَدَّثَنِي الضُّحَّاكُ بْنُ عُثْمَانَ، عَنْ مَخْرَمَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ الْوَالِي، قَالَ: قَتَلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ضَخْوَةَ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى دَفْنِهِ، وَأَرْسَلَتْ نَائِلَةُ ابْنَةِ الْفَرَّافِصَةِ إِلَى حُوَيْطِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى وَجَبْرِ بْنِ مَطْعَمٍ وَأَبِي جَهْمٍ وَحَكِيمِ بْنِ حَزَامٍ وَنِيَارِ الْأَسْلَمِيِّ، فَقَالُوا: إِنَّا لَا نَقْدِرُ أَنْ نَخْرُجَ بِهِ نَهَارًا، وَهَؤُلَاءِ الْمَصْرِيُّونَ عَلَى الْبَابِ، فَأَمَلُوا حَتَّى كَانَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، فَدَخَلَ الْقَوْمُ، فَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، فَقَالَ أَبُو جَهْمٍ:

وَاللَّهُ لَا يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَحَدٌ إِلَّا مَت دُونَهُ، ااحملوه، فحمل إلى البقيع، قَالَ:

وتبعهم نائلة بسراج استسرجته بالبقيع وغلّام عُثْمَانَ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى نُحْلَاتٍ عَلَيْهَا حَائِطٌ، فَدَقُّوا الْجِدَارَ، ثُمَّ قَبَرُوهُ فِي تِلْكَ النُّحْلَاتِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ جَبْرِ بْنُ مَطْعَمٍ، فَذَهَبَتْ نَائِلَةٌ تَرِيدُ أَنْ تُتَكَلَّمَ، فَزَيَّرَهَا الْقَوْمَ، وَقَالُوا: إِنَّا نَخَافُ عَلَيْهِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْغَوَّاءِ أَنْ يَنْبَشُوهُ، فَرَجَعَتْ نَائِلَةٌ إِلَى مَنْزِلِهَا.

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْهَذَلِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَاعِدَةَ، قَالَ: لَبِثَ عُثْمَانُ بَعْدَ مَا قُتِلَ لَيْلَتَيْنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ دَفْنَهُ، ثُمَّ حَمَلَهُ أَرْبَعَةٌ:

حَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ، وَجَبْرِ بْنُ مَطْعَمٍ، وَنِيَّارُ بْنُ مَكْرَمٍ، وَأَبُو جَهْمٍ بْنُ حُذَيْفَةَ، فَلَهَا وَضِعَ لِيُصَلَّى عَلَيْهِ، جَاءَ نَفَرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَمْنَعُونَهُمُ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ، فِيهِمْ أَسْلَمُ بْنُ أَوْسٍ بْنِ بَجْرَةَ السَّاعِدِيِّ، وَأَبُو حَيَّةِ الْمَازِنِيِّ، فِي عِدَّةٍ، وَمَنْعُوهُمْ أَنْ يَدْفِنَ بِالْبَقِيعِ، فَقَالَ أَبُو جَهْمٍ: اَدْفِنُوهُ، فَقَدْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَلَأْتَكُنَّه، فَقَالُوا:

لَا وَاللَّهِ، لَا يَدْفِنُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ أَبَدًا، فَدَفَنُوهُ فِي حَشٍّ كَوَكَبٍ فَلَهَا مَلَكَتْ بَنُو أُمَيَّةٍ أَدْخَلُوا ذَلِكَ الْحَشَّ فِي الْبَقِيعِ، فَهُوَ الْيَوْمَ مَقْبَرَةُ بَنِي أُمَيَّةٍ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى الْخَزْزُومِيُّ، قَالَ: لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَرَادُوا حَزَّ رَأْسِهِ، فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ نَائِلَةٌ وَأُمُ الْبَنِينَ، فَمَنْعَتْهُمْ، وَصَحْنٌ وَضُرِبَ الْوَجْهُ، وَخَرَقْنَ ثِيَابَهُنَّ، فَقَالَ ابْنُ عَدِيْسٍ: ااتْرَكُوهُ، فَأَخْرَجَ عُثْمَانُ وَلَمْ يَغْسَلْ إِلَى الْبَقِيعِ، وَأَرَادُوا أَنْ يَصْلُوا عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِ الْجَنَائِزِ، فَأَبَتِ الْأَنْصَارُ، وَأَقْبَلَ عَمِيرُ بْنُ ضُبَّانٍ وَعُثْمَانُ مَوْضِعَ عَلَى بَابٍ، فَزَا عَلَيْهِ، فَكَسَرَ ضُلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ، وَقَالَ: سَجَنَتْ ضَابْئًا حَتَّى مَاتَ فِي السَّجَنِ.

وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُوَيْسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمُّ جَدِّي الرَّبِيعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنْتُ أَحَدَ حَمَلَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ قُتِلَ: حَمَلْنَاهُ عَلَى بَابٍ، وَإِنْ رَأْسُهُ لَتَقْرَعُ الْبَابَ لِإِسْرَاعِنَا بِهِ، وَإِنْ بَنَّا مِنْ الْخَوْفِ لِأَمْرٍ عَظِيمًا حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي قَبْرِهِ فِي حَشٍّ كَوَكَبٍ.

وَأَمَّا سَيْفٌ، فَإِنَّهُ رَوَى فِيهِمَا كُتِبَ بِهِ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِي حَارِثَةَ وَأَبِي عُثْمَانَ وَمُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، أَنَّ عُثْمَانَ لَمَّا قُتِلَ أَرْسَلَتْ نَائِلَةٌ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَدِيْسٍ، فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّكَ أَمْسَ الْقَوْمَ رَحْمًا، وَأَوَّلَاهُمْ بِأَنْ تَقُومَ بِأَمْرِي، أَغْرَبَ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْأَمْوَاتُ قَالَ: فَشْتَمَهَا وَزَجَرَهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ خَرَجَ مَرْوَانَ حَتَّى أَتَى دَارَ عُثْمَانَ، فَأَتَاهُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهِ وَعَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ وَعَامَّةٌ مِنْ ثَمٍّ مِنْ صَحَابِهِ، فَتَوَافَى إِلَى مَوْضِعِ الْجَنَائِزِ صَبِيَّانِ وَنِسَاءً، فَأَخْرَجُوا عُثْمَانَ فَصَلَّى عَلَيْهِ مَرْوَانَ، ثُمَّ خَرَجُوا بِهِ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْبَقِيعِ، فَدَفَنُوهُ فِيهِ مِمَّا يَلِي حَشَّ كَوَكَبٍ، حَتَّى إِذَا أَصْبَحُوا أَتَوْا أَعْبَدَ عُثْمَانَ الَّذِينَ قَتَلُوا مَعَهُ فَأَخْرَجُوهُمْ فَأَرَأَوْهُمْ فَمَنْعُوهُمْ مِنْ أَنْ يَدْفِنُوا، فَأَدْخَلُوهُمْ حَشَّ كَوَكَبٍ، فَلَهَا أَمْسُوا خَرَجُوا بِعَبْدَيْنِ مِنْهُمْ فَدَفَنُوهُمَا إِلَى جَنْبِ عُثْمَانَ، وَمَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا خَمْسَةُ نَفَرٍ وَامْرَأَةٌ، فَاطِمَةُ أُمُّ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَدِي، ثُمَّ رَجَعُوا فَأَتَوْا كَنَانَةَ بْنَ بَشْرٍ، فَقَالُوا: إِنَّكَ أَمْسَ الْقَوْمَ بَنًا رَحْمًا، فَأَمَرَ بِهَاتَيْنِ الْجَيْفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ فِي الدَّارِ أَنْ تُخْرَجَا، فَكَلَبَهُمْ فِي ذَلِكَ، فَأَبَوْا، فَقَالَ: أَنَا جَارُ لَأَلِ عُثْمَانَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ وَمِنْ لَفٍ لِفَهُمْ، فَأَخْرَجُوهُمَا فَارْمُوا بِهِمَا، فَجَرَا بِأَرْجُلِهِمَا

٤٠٢٠٠٦ ذكر الخبر عن الوقت الذي قتل فيه عثمان رضي الله عنه

فرمى بهما على البلاط، فأكلتهما الكلاب، وَكَانَ الْعَبْدَانِ اللَّذَانِ قَتَلَا يَوْمَ الدَّارِ يُقَالُ لُهُمَا نَجِيحٌ وَصَبِيحٌ، فَكَانَ اسْمَاهُمَا الْغَالِبُ عَلَى الرَّقِيقِ لِفَضْلِهِمَا وَبَلَاءِهِمَا، وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسُ اسْمَ الثَّالِثِ، وَلَمْ يَغْسَلْ عُثْمَانَ، وَكَفَّنَ فِي ثِيَابِهِ وَدُمَائِهِ وَلَا غَسَلَ غُلَامَاهُ.

وَكَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: دَفَنَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ اللَّيْلِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ، وَخَرَجَتْ ابْنَتُهُ تَبْكِي فِي أَثَرِهِ، وَنَائِلَةُ ابْنَةِ الْفَرَّافِصَةِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ . ذَكَرَ الْخَبَرُ عَنِ الْوَقْتِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

اختلف في ذلك بعد إجماع جميعهم على أنه قتل في ذي الحجة، فقال بعضهم: قتل لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين من الهجرة، فقال الجمهور منهم: قتل لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين.

ذكر الرواية بذلك عن بعض من قال إنه قتل في سنة ست وثلاثين: حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَخْنَسِيِّ، قَالَ الْحَارِثُ: وَحَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُتِلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سِتَّةٌ وَثَلَاثِينَ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً غَيْرَ اثْنَيْ عَشْرَ يَوْمًا، وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْبَرَنَا مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قُتِلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سِتَّةٌ وَثَلَاثِينَ بَعْدَ الْعَصْرِ . وَقَالَ آخَرُونَ: قُتِلَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سِتَّةٌ وَثَلَاثِينَ لَثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْهُ . ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ وَعَلِيٌّ، قَالَا: حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الْمُجَالِدِ بْنِ سَعِيدِ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: حَصَرَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الدَّارِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، وَقُتِلَ صَبِيحَهُ لَثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سِتَّةٌ وَخَمْسٌ وَعِشْرِينَ مِنْ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ الرَّازِيُّ، عَنْ حَدَّثِهِ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ، قَالَ: قُتِلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سِتَّةٌ وَخَمْسٌ وَثَلَاثِينَ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً إِلَّا اثْنَيْ عَشْرَ يَوْمًا . وَكَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَأَبِي حَارِثَةَ وَأَبِي عُثْمَانَ، قَالُوا: قُتِلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سِتَّةٌ وَخَمْسٌ وَثَلَاثِينَ عَلَى رَأْسِ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا وَاثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا مِنْ مَقْتَلِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَحَدَّثَ عَنْ زَكْرِيَاءَ بْنِ عَدِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ ابْنِ عَقِيلٍ، قَالَ: قُتِلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سِتَّةٌ وَخَمْسٌ وَثَلَاثِينَ . وَكَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي حَارِثَةَ وَأَبِي عُثْمَانَ وَمُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالُوا: قُتِلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ . وَقَالَ آخَرُونَ: قُتِلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ضُحًى .

٤٠٢٠٧ ذكر الخبر عن قدر مده حياته

ذكر من قال ذلك:

ذكر عن هشام بن الكلبي، أنه قال: قتل عثمان رضي الله عنه صبيحة الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، فكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا ثمانية أيام.

حَدَّثَنَا الْحَارِثُ، عَنِ ابْنِ سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنِي الضَّحَّاكُ بْنُ عُثْمَانَ، عَنْ مَخْرَمَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ الْوَالِيِّ، قَالَ: قَتَلَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ضُخْوَةً لَثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ. وَقَالَ آخَرُونَ: قَتَلَ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زَهِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي أَبُو خَيْثَمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي قَالَ: سَمِعْتُ يُونُسَ بْنَ يَزِيدَ الْأَيْلِي، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: قَتَلَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَرَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُ قَتَلَ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَتَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ

. ذَكَرَ الْخَبَرُ عَنْ قَدَرِ مَدَّةِ حَيَاتِهِ. اِخْتَلَفَ السَّلَفُ قَبْلَنَا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَتْ مَدَّةُ ذَلِكَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَتَلَ وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: وَحَدَّثَنِي الضَّحَّاكُ بْنُ عُثْمَانَ، عَنْ مَخْرَمَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ الْوَالِيِّ، قَالَ: قَتَلَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً

٤٠٢٠٨ ذَكَرَ الْخَبَرُ عَنْ صِفَةِ عُثْمَانَ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَحَدَّثَنِي سَعْدُ بْنُ رَاشِدٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، قَالَ: قَتَلَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَأَشْهُرًا. وَقَالَ آخَرُونَ: قَتَلَ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِينَ أَوْ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَ عَنْ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَى الْأَشْيَبِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هَلَالٍ، عَنْ قَتَادَةَ: أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَتَلَ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِينَ أَوْ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً. وَقَالَ آخَرُونَ: قَتَلَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَذَلِكَ قَوْلُ ذَكَرَ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَتَلَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَهَذَا قَوْلُ نَسَبِهِ سَيْفُ بْنُ عُمَرَ إِلَى جَمَاعَةِ كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، أَنَّ أَبَا حَارِثَةَ وَأَبَا عُثْمَانَ وَمُحَمَّدًا وَطَلْحَةَ، قَالُوا: قَتَلَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً. وَقَالَ آخَرُونَ: قَتَلَ وَهُوَ ابْنُ سِتٍّ وَثَمَانِينَ. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْحَرِثِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ:

حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: قَتَلَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ ابْنُ سِتٍّ وَثَمَانِينَ

ذَكَرَ الْخَبَرُ عَنْ صِفَةِ عُثْمَانَ

حَدَّثَنِي زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، قَالَ: زَعَمَ أَبُو الْمُقْدَامِ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا أَنَا بِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُتَّكًا عَلَى رِدَائِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، وَإِذَا بَوَاجْهُهُ نَكَاتٌ مِنْ جَدْرِي، وَإِذَا شَعْرُهُ قَدْ كَسَا ذِرَاعِيهِ

٤٠٢٠٠٩ ذكر الخبر عن وقت اسلامه وهجرته

٤٠٢٠١٠ ذكر الخبر عما كان يكنى به عثمان بن عفان رضى الله عنه

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: سَأَلْتُ عَمْرُو بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَنبَسَةَ وَعُرْوَةَ بْنَ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرُو بْنَ عُثْمَانَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ صِفَةِ عُثْمَانَ، فَلَمْ أَرِ بَيْنَهُمْ اخْتِلَافًا، قَالُوا: كَانَ رَجُلًا لَيْسَ بِالْقَصِيرِ وَلَا بِالطَّوِيلِ، حَسَنَ الْوَجْهِ، رَقِيقَ الْبَشَرَةِ، كَثَّ اللَّحْيَةُ عَظِيمُهَا، أَسْمَرُ اللَّوْنِ، عَظِيمُ الْكَرَادِيسِ، عَظِيمُ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، كَثِيرُ شَعْرِ الرَّأْسِ، يَصْفَرُ لَحْيَتُهُ. وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زَهِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ بْنُ حَازِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَمِعْتُ يُونُسَ بْنَ يَزِيدِ الْأَيْلِيَّ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ رَجُلًا مَرْبُوعًا، حَسَنَ الشَّعْرِ، حَسَنَ الْوَجْهِ، أَصْلَعُ، أَرْوَحُ الرَّجُلَيْنِ .

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: كَانَ إِسْلَامُ عُثْمَانَ قَدِيمًا قَبْلَ دُخُولِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَارَ الْأَرْقَمِ قَالَ: وَكَانَ مِمَّنْ هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ الْهَجْرَةَ الْأُولَى وَالْهَجْرَةَ الثَّانِيَةَ، وَمَعَهُ فِيهِمَا جَمِيعًا امْرَأَتُهُ رَقِيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ذكر الخبر عما كان يكنى به عثمان بن عفان رضى الله عنه .

حدثني الحارث بن محمد، قال: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَكْنَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَبَا عَمْرُو، فَلَمَّا كَانَ فِي الْإِسْلَامِ وَلَدَ لَهُ مِنْ رَقِيَّةِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُلَامًا فَسَمَاهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَاسْتَنَى بِهِ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، فَلَبِغَ عَبْدُ اللَّهِ سِتَّ سَنِينَ، فَتَقَرَّرَ دِيكَ عَلَى عَيْنِهِ، فَفَرَضَ فَمَاتَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ أَرْبَعٍ مِنْ

٤٠٢٠١١ ذكر نسبه

٤٠٢٠١٢ ذكر اولاده وازواجه

الهجرة، فصلى عليه رسول الله ص، ونزل في حفرته عثمان رضى الله عنه .

وَقَالَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ: كَانَ يَكْنَى أَبَا عَمْرُو .

هو عثمان بن عفان بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وأمه أروى ابنة كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأما أم حكيم بنت عبد المطلب .

ذكر أولاده وأزواجه .

رقية وأم كلثوم ابنتا رسول الله ص، ولدت له رقية عبد الله .

وفاختة ابنة غزوان بن جابر بن نسيب بن وهيب بن زيد بن مالك ابن عبد بن عوف بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ولدت له ابنا فسماه عبد الله، وهو عبد الله الأصغر، هلك .

وأم عمرو بنت جندب بن عمرو بن حممة بن الحارث بن رفاعة بن سعد بن ثعلبة بن لؤي بن عامر بن غنم بن دهمان بن منهب بن دوس، من الأزد، ولدت له عمرا وخالدا وأبانا وعمر ومريم .

وفاطمة ابنة الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ولدت له الوليد وسعيدا وأم سعيد، بني عثمان .

وأم البنين بنت عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، ولدت له عبد الملك بن عثمان، هلك .

ورملة ابنة شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، ولدت له عائشة وأم أبان وأم عمرو، بنات عثمان .

ونائلة ابنة الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن

٤٠٢٠١٣ ذكر أسماء عمال عثمان رضي الله عنه في هذه السنة على البلدان

حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب بن كلب، ولدت له مريم ابنة عثمان.

وقال هشام بن الكلبي: ولدت أم البنين بنت عيينة بن حصن لعثمان عبد الملك وعتبة وقال أيضاً: ولدت نائلة عنيسة.

وزعم الواقيدي أن لعثمان ابنة تدعى أم البنين بنت عثمان من نائلة، قال:

وهي التي كانت عند عبد الله بن يزيد بن أبي سفيان.

وقتل عثمان رضي الله عنه وعنده رملة ابنة شيبه ونائلة وأم البنين بنت عيينة وفاخنة ابنة غزوان، غير أنه - فيما زعم علي بن محمد -

طلق أم البنين وهو محصور.

فهؤلاء أزواجه اللواتي كن له في الجاهلية والإسلام، وأولاده: رجالهم ونسأؤهم

. ذكر أسماء عمال عثمان رضي الله عنه في هذه السنة على البلدان

قال محمد بن عمر: قتل عثمان رضي الله عنه وعماله على الأمصار - فيما حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد - على مكة عبد الله بن الحضرمي،

وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفي، وعلى صنعاء يعلى بن منية، وعلى الجند عبد الله بن أبي ربيعة، وعلى البصرة عبد الله بن عامر بن

كريز - خرج منها فلم يول عليها عثمان أحدا - وعلى الكوفة سعيد بن العاص - أخرج منها فلم يترك يدخلها - وعلى مصر عبد الله بن سعد

بن أبي سرح - قدم على عثمان، وغلب محمد بن أبي حذيفة عليها وكان عبد الله بن سعد استخلف على مصر السائب ابن هشام بن عمرو

العامري، فأخرجه محمد بن أبي حذيفة - وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان.

وفيما كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: مات عثمان رضي الله عنه وعلى الشام معاوية،

وعامل معاوية على حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعلى قنسرين حبيب بن مسلمة، وعلى الأردن أبو الأعور بن سفيان، وعلى

فلسطين علقمة بن حكيم الكاني، وعلى البحر عبد الله بن قيس الفزاري وعلى القضاء أبو الدرداء

٤٠٢٠١٤ ذكر بعض خطب عثمان رضي الله عنه

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، قال: مات عثمان رضي الله عنه وعلى الكوفة، على صلاتها أبو موسى، وعلى

خراج السواد جابر بن عمرو المزني - وهو صاحب المسناة إلى جانب الكوفة - وسماك الأنصاري.

وعلى حربها القعقاع بن عمرو، وعلى قرقيسيا جرير بن عبد الله، وعلى أذربيجان الأشعث بن قيس، وعلى حلوان عتيبة بن النهاس، وعلى

ماه مالك بن حبيب، وعلى همدان النسير، وعلى الري سعيد بن قيس، وعلى إصبيان السائب بن الأقرع، وعلى ماسبذان حبيش، وعلى

بيت المال عقبه ابن عمرو وكان على قضاء عثمان يومئذ زيد بن ثابت

. ذكر بعض خطب عثمان رضي الله عنه

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن القاسم بن محمد، عن عون بن عبد الله بن عتبة، قال: خطب عثمان الناس بعد ما

بويع، فقال:

أما بعد، فإني قد حملت وقد قبلت، ألا وإني متبع ولست بمبتدع، ألا وإن لكم علي بعد كتاب الله عز وجل وسنه نبيه ص ثلاثاً:

اتَّبَعَ مَنْ كَانَ قَبْلِي فِيمَا اجْتَمَعْتُ عَلَيْهِ وَسَنَّتُمْ، وَسَنُّ سُنَّةِ أَهْلِ الْخَيْرِ فِيمَا لَمْ تَسْنُوا عَنْ مَلَأٍ، وَالْكَفُّ عَنْكُمْ إِلَّا فِيمَا اسْتَوْجَبْتُمْ إِلَّا وَإِنَّ الدُّنْيَا خَصْرَةٌ قَدْ شَيَّتْ إِلَى النَّاسِ، وَمَالَ إِلَيْهَا كَثِيرٌ مِنْهُمْ، فَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الدُّنْيَا وَلَا تَتَّقُوا بِهَا، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِثَقَّةٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّهَا غَيْرُ تَارِكَةٍ إِلَّا مَنْ تَرَكَهَا.

وَكُتِبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ بَدْرِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: آخِرُ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي جَمَاعَةٍ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ الدُّنْيَا لِتَطْلُبُوا بِهَا الْآخِرَةَ، وَلَمْ يُعْطِكُمْهَا لِتَرْكَنُوا إِلَيْهَا، إِنَّ الدُّنْيَا تَفْنَى وَالْآخِرَةُ تَبْقَى، فَلَا تَبْطِرَنَّكُمْ الْفَانِيَّةُ، وَلَا تَشْغَلَنَّكُمْ عَنِ الْبَاقِيَةِ، فَاتْرُكُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى، فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ، وَإِنَّ الْمَصِيرَ إِلَى اللَّهِ اتَّقُوا اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ، فَإِنَّ تَقْوَاهُ جَنَّةٌ مِنْ بَأْسِهِ، وَوَسِيلَةٌ عِنْدَهُ، وَاحْذَرُوا

٤٠٢٠١٥ ذكر الخبير عمن كان يصلي بالناس في مسجد رسول الله ص حين حصر عثمان

٤٠٢٠١٦ ذكر ما رثي به من الاشعار

مِنْ اللَّهِ الْغَيْرِ، وَالزُّمُوا جَمَاعَتَكُمْ لَا تَصِيرُوا أَحْزَابًا، «وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا» إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ

. ذَكَرَ الْخَبِيرُ عَمَّنْ كَانَ يَصَلِّي بِالنَّاسِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ص حِينَ حَصَرَ عُثْمَانَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: حَدَّثَنِي رِبِيعَةُ بْنُ عُثْمَانَ: جَاءَ الْمُؤَذِّنُ، سَعْدُ الْقُرْطُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَقَالَ: مَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: نَادِ خَالِدَ بْنَ زَيْدٍ، فَنَادَى خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ - فَإِنَّهُ لَأَوَّلُ يَوْمٍ عَرَفَ أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ - فَكَانَ يُصَلِّي بِهِمْ أَيَّامًا، ثُمَّ صَلَّى عَلَيَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِالنَّاسِ.

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ، قَالَ: جَاءَ الْمُؤَذِّنُ إِلَى عُثْمَانَ فَادَّعَاهُ بِالصَّلَاةِ، فَقَالَ: لَا أُنْزِلُ أَصْلِي، أَذْهَبَ إِلَى مَنْ يُصَلِّي لِحَاجَةِ الْمُؤَذِّنِ إِلَى عَلِيٍّ، فَأَمَرَ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ، فَصَلَّى الْيَوْمَ الَّذِي حَصَرَ فِيهِ عُثْمَانَ الْحَصْرَ الْآخَرَ، وَهُوَ لَيْلَةُ رُئِيَ هَالِلُ ذِي الْحِجَّةِ، فَصَلَّى بِهِمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْعِيدِ صَلَّى عَلَيَّ الْعِيدِ، ثُمَّ صَلَّى بِهِمْ حَتَّى قُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قَالَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: لَمَّا حَصَرَ عُثْمَانَ صَلَّى بِالنَّاسِ أَبُو أَيُّوبَ أَيَّامًا، ثُمَّ صَلَّى بِهِمْ عَلِيٌّ الْجُمُعَةَ وَالْعِيدَ، حَتَّى قُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

ذكر ما رثي به من الأشعار

وتقاول الشعراء بعد مقتله فيه، فمن مَادِحٍ وَهَاجٍ، وَمِنْ نَائِحٍ بَاكِ، وَمِنْ سَارٍ فَرِحٍ، فَكَانَ مِنْ يَمْدَحِهِ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّانِ

وَتَمِيمُ بْنُ أَبِي بَنٍ مَقْبَلٍ فِي آخِرِينَ غَيْرِهِمْ مِمَّا مَدَحَهُ بِهِ وَبَكَاهُ حَسَانُ وَهَاجَ بِهِ قَاتِلَهُ:

أَتَرَكْتُمْ غَزَا الدُّرُوبِ وَرَاءَ كَمْ ... وَغَزَوْتُمُونَا عِنْدَ قَبْرِ مُحَمَّدٍ!

فَلْبِئْسَ هَدْيُ الْمُسْلِمِينَ هَدَيْتُمْ ... وَلِبِئْسَ أَمْرُ الْفَاجِرِ الْمُتَعَمِّدِ!

إِنْ تَقْدَمُوا نَجْعَلْ قَرَى سُرُوتَكُمْ ... حَوْلَ الْمَدِينَةِ كُلِّ لَيْنٍ مَذُودِ

أَوْ تَدْبِرُوا فَلْبِئْسَ مَا سَافَرْتُمْ ... وَلِمِثْلِ أَمْرِ أَمِيرِكُمْ لَمْ يَرْشُدِ

وَكَأَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ عَشِيَّةٌ ... بَدَنَ تَذْبِجٍ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ

أبكي أبا عمرو لحسن بلائه ... أمسى مقيما في بقيع الغرقد.
وَقَالَ أَيُّضًا:

إن تمس دار ابن أروى مِنْهُ خاوية ... باب صريع وباب محرق خرب
فقد يصادف باغي الخير حاجته ... فيها ويهوى إليها الذكر والحسب
يا أيها الناس أبدوا ذات أنفسكم ... لا يستوي الصدق عند الله والكذب
قوموا بحق ملك الناس تعترفوا ... بغارة عصب من خلفها عصب
فيهم حبيب شهاب الموت يقدمهم ... مستلثما قد بدا في وجهه الغضب
وله فيه أشعار كثيرة ... وَقَالَ كعب بن مالك الأنصاري:
يا للرجال للبك المخطوف ... ولدمعك المترقق المنزوف
ويح لأمر قد أتاني رائع ... هد الجبال فأنقضت برجوف
قتل الخليفة كان أمرا مفظعا ... قامت لذاك بلية التخويف
قتل الإمام له النجوم خواضع ... والشمس بازغة له بكسوف
يا لهف نفسي إذ تولوا غدوة ... بالنعش فوق عواتق وكتوف!
لوا ودلوا في الضريح أخاهم ... ماذا أجن ضريحه المسقوف!
من نائل أو سودد وحمالة ... سبقت له في الناس أو معروف
كم من يتيم كان يجبر عظمه ... أمسى بمنزله الضياع يطوف
ما زال يقبلهم ويرأب ظلمهم ... حتى سمعت برنة التلهيف
أمسى مقيما بالبقيع وأصبحوا ... متفرقين قد أجمعوا بخفوف
النار موعدهم بقتل امامهم ... عثمان ظهرا في البلاد، عفيف
جمع الحمالة بعد حلم راجح ... والخير فيه مبين معروف
يا كعب لا تنفك تبكي مالكا ... ما دمت حيا في البلاد تطوف
فابكي أبا عمرو عتيقا واصلا ... ولواءهم إذ كان غير سخيّف
وليبيكه عند الحفاظ لمعظم ... والخيل بين مقانب وصفوف
قتلوك يا عثمان غير مدنس ... قتلا لعمرك واقفا بسقيف
وَقَالَ حسان:

من سره الموت صرفا لا مزاج له ... فليأت مأسدة في دار عثمانا
مستشعري حلق الماذي قد شفعت ... قبل المخاطم بيض زان أبدانا
صبرا فدى لكم أمي وما ولدت ... قد ينفع الصبر في المكروه أحيانا
فقد رضي بنا أهل الشام نافرة ... وبالأمر وبالإخوان إخوانا
إني لمنهم وإن غابوا وإن شهدوا ... ما دمت حيا وما سميت حسانا
لتسمعن وشيكا في ديارهم ... الله أكبر يا ثارات عثمانا
يا ليت شعري وليت الطير تخبرني ... ما كان شأن علي وابن عفانا!
وَقَالَ الْوَلِيد بن عُقْبَةَ بن أبي معيط يحرض عمارة بن عُقْبَةَ:
ألا إن خير الناس بعد ثلاثة ... قتل التَّجِيبي الذي جاء من مصر

فإن يك ظني بآبن أمي صادقا ... عمارة لا يطلب بذحل ولا وتر
 يبيت وأوتار ابن عفان عنده ... مخيمة بين الخورنق والقصر
 فأجابه الفضل بن عباس:
 أطلب ثأرا لست منه ولا له ... وأين ابن ذكوان الصفوري من عمرو!
 كما اتصلت بنت الحمار بأما ... وتنسى أباهما إذ تُسامي أولي الفخر
 ألا إن خير الناس بعد محمد ... وصي النبي المصطفى عند ذي الذكر
 وأول من صلي وصنوني به ... وأول من أردى الغواة لدى بدر
 فلو رأت الأنصار ظلم ابن عمكم ... لكانوا له من ظلمه حاضري النصر
 كفي ذاك عيبا أن يثيروا بقتله ... وأن يسلموه للأحايش من مصر
 وقال الحباب بن يزيد المجاشعي، عم الفرزدق:
 لعمر أبيك فلا تجزعن ... لقد ذهب الخير إلا قليلا
 لقد سفه الناس في دينهم ... وخلى ابن عفان شرا طويلا
 أعاذل كل امرئ هالك ... فسيري إلى الله سيرا جميلا

٤٠٢٠١٧ خلافة امير المؤمنين علي بن ابي طالب

خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
 وفي هذه السنة بويع لعل بن أبي طالب بالمدينة بالخلافة.
 ذكر الخبير عن بيعة من بايعه، والوقت الذي بويع فيه اختلف السلف من أهل السير في ذلك، فقال بعضهم: سأل علياً أصحاب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أن يتقدم لهم وللمسلمين، فأبى عليهم، فلما أبوا عليه، وطلبوا إليه، تقلد ذلك لهم.
 ذكر الرواية بذلك عن رواه:

حدثني جعفر بن عبد الله المحمدي، قال: حدثنا عمرو بن حماد وعلي بن حسين، قالوا: حدثنا حسين عن أبيه، عن عبد الملك بن أبي
 سليمان الفزاري، عن سالم بن أبي الجعد الأشجعي، عن محمد بن الحنفية، قال:
 كنت مع أبي حين قتل عثمان رضي الله عنه، فقام فدخل منزله، فأثاه أصحاب رسول الله ص، فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل، ولا
 بد للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحداً أحق بهذا الأمر منك، لا أقدم سابقه، ولا أقرب من رسول الله ص [فقال: لا تفعلوا، فإني
 أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً، فقالوا: لا، والله ما نحن بفاعلين حتى نبأيك، قال: ففي المسجد، فإن بيعتي لا تكون خفياً، ولا
 تكون إلا عن رضا المسلمين] قال سالم بن أبي الجعد: فقال عبد الله بن عباس: فلقد كرهت أن يأتي المسجد مخافة أن يشغب عليه،
 وأبى هو إلا المسجد، فلما دخل دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه، ثم بايعه الناس.

وحدثني جعفر، قال: حدثنا عمرو وعلي، قالوا: حدثنا حسين، عن أبيه، عن أبي ميمونة، عن أبي بشير العائدي، قال: كنت بالمدينة
 حين قتل عثمان رضي الله عنه، واجتمع المهاجرون والأنصار، فيهم طلحة والزبير، فأتوا علياً فقالوا: يا أبا حسن، هلم نبأيك، فقال:
 لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيتم به، فاختاروا والله فقالوا: ما نختار
 غيرك، قال: فاختلّفوا إليه بعد ما قتل عثمان رضي الله عنه مراراً، ثم أتوه في آخر ذلك، فقالوا له: إنه لا يصلح الناس إلا بإمرة، وقد
 طال الأمر، فقال لهم: إنكم قد اختلفتم إليّ وأتيتكم، وإني قائل لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم، وإلا فلا حاجة لي فيه قالوا: ما قلت

مِنْ شَيْءٍ قَبْلَنَاهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَجَاءَ فَصَّعِدَ الْمَنْبِرَ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ كُنْتُ كَارِهًا لِأَمْرِكُمْ، فَأَيَّتُمْ إِلَّا أَنْ أَكُونَ عَلَيْكُمْ، أَلَا وَإِنَّهُ لَيْسَ لِي أَمْرٌ دُونَكُمْ، إِلَّا أَنْ مَفَاتِيحَ مَالِكُمْ مَعِي، أَلَا وَإِنَّهُ لَيْسَ لِي أَنْ أَخْذَ مِنْهُ دِرْهَمًا دُونَكُمْ، رَضِيتُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ بَايَعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ.

قَالَ أَبُو بَشِيرٍ: وانا يومئذ عند منبر رسول الله ص قَائِمٌ أَسْمَعُ مَا يَقُولُ. وَحَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ الْهَذَلِيُّ، عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ، قَالَ: لما قتل عثمان رضي الله عنه، خَرَجَ عَلِيٌّ إِلَى السُّوقِ، وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ لثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، فَاتَّبَعَهُ النَّاسُ وَبَهَّشُوا فِي وَجْهِهِ، فَدَخَلَ حَائِطَ بَنِي عَمْرِو بْنِ مَبْدُولٍ، وَقَالَ لِأَبِي عَمْرَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَحْصَنٍ: أَغْلِقِ الْبَابَ، فَجَاءَ النَّاسُ فَفَرَعُوا الْبَابَ، فَدَخَلُوا، فِيهِمْ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، فَقَالَا: يَا عَلِيُّ ابْسُطْ يَدَكَ فَبَايَعَهُ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، فَنَظَرَ حَبِيبُ بْنُ ذُوَيْبٍ إِلَى طَلْحَةَ حِينَ بَايَعَ، فَقَالَ: أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْبَيْعَةِ يَدُ شَلَاءٍ، لَا يَتِمُّ هَذَا الْأَمْرُ! وَخَرَجَ عَلِيٌّ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَّعِدَ الْمَنْبِرَ وَعَلَيْهِ إِزَارٌ وَطَاقٌ وَعِمَامَةٌ خَزٌّ، وَنَعْلَاهُ فِي يَدِهِ، مُتَوَكِّئًا عَلَى قَوْسٍ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ وَجَاءُوا بِسَعْدٍ، فَقَالَ عَلِيٌّ: بَايِعْ، قَالَ: لَا أَبَايِعُ حَتَّى يَبَايَعَ النَّاسُ، وَاللَّهِ مَا عَلَيْكَ مِنِّي بَأْسٌ، قَالَ: خَلُّوا سَبِيلَهُ وَجَاءُوا بِابْنِ عُمَرَ، فَقَالَ: بَايِعْ، قَالَ: لَا أَبَايِعُ حَتَّى يَبَايَعَ النَّاسُ، قَالَ: ائْتِنِي بِحَمِيلٍ، قَالَ:

لَا أَرَى حَمِيلًا، قَالَ الْأَشْجَرُ: خَلَّ عَنِّي أَضْرَبُ عُنُقَهُ، قَالَ عَلِيٌّ: دَعُوهُ، [أَنَا حَمِيلُهُ، إِنَّكَ- مَا عَلِمْتَ- لَسَيِّئُ الْخُلُقِ صَغِيرًا وَكَبِيرًا] وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ الْقَزَّازُ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِدْرِيسَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هَشِيمٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا حميد، عن الحسن، قَالَ: رَأَيْتُ الزُّبَيْرَ ابْنَ الْعَوَامِ بَايَعَ عَلِيًّا فِي حَشٍّ مِنْ حَشَانِ الْمَدِينَةِ.

وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ يُونُسَ بْنَ يَزِيدَ الْأَيْلِيَّ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: بَايَعَ النَّاسُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَأَرْسَلَ إِلَى الزُّبَيْرِ وَطَلْحَةَ فَدَعَاهُمَا إِلَى الْبَيْعَةِ، فَتَلَكَّأَ طَلْحَةُ، فَقَامَ مَالِكُ الْأَشْجَرِ وَسَلَّ سَيْفَهُ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَتَبَايَعَنَّ أَوْ لَأَضْرِبَنَّ بِهِ مَا بَيْنَ عَيْنَيْكَ، فَقَالَ طَلْحَةُ: وَأَيْنَ الْمَهْرَبِ عَنْهُ! فَبَايَعَهُ، وَبَايَعَهُ الزُّبَيْرُ وَالنَّاسُ وَسَأَلَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَنْ يُؤْمَرَهُمَا عَلَى الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ، فَقَالَ:

تَكُونَانِ عِنْدِي فَاتَّحِلَّ بِكُمَا، فَإِنِّي وَحْشٌ لِفِرَاقِكُمَا قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّهُ قَالَ لهُمَا: [إِنْ أَحْبَبْتُمَا أَنْ تَبَايَعَا لِي وَإِنْ أَحْبَبْتُمَا بَايَعْتُكُمَا، فَقَالَا: بَلْ نَبَايَعُكَ] وَقَالَا بَعْدَ ذَلِكَ: إِنَّمَا صَنَعْنَا ذَلِكَ خَشْيَةً عَلَى أَنْفُسِنَا، وَقَدْ عَرَفْنَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَبَايَعُنَا فَظَهَرَا إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ.

وَحَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُخَنَفٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ، قَالَ: كُنْتُ أَمْسِي مَعَ أَبِي حِينَ قَتَلَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ، فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَقَالُوا: إِنْ هَذَا الرَّجُلُ قَدْ قَتَلَ، وَلَا بَدَّ مِنْ إِمَامٍ لِلنَّاسِ، قَالَ: أَوْ تَكُونُ شُورَى؟ قَالُوا: أَنْتَ لَنَا رِضَا، قَالَ: فَالْمَسْجِدُ إِذَا يَكُونُ عَنْ رِضَا مِنَ النَّاسِ.

نَفَرَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَبَايَعَهُ مِنْ بَايَعِهِ، وَبَايَعَتِ الْأَنْصَارُ عَلِيًّا إِلَّا نَفِيرًا يَسِيرًا، فَقَالَ طَلْحَةُ: مَا لَنَا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا كَحَسَةِ أَنْفِ الْكَلْبِ. وَحَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شَيْخٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ، قَالَ: لما قتل عثمان رضي الله عنه بايعت الأنصار عليًّا إلا نفيرا يسيرا، منهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك،

ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخدري، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشير، وزيد بن ثابت، ورافع بن خديج، وفضالة بن عبيد، وكعب

بن عجرة، كانوا عثمانية فقال رجل لعبد الله بن حسن: كيف أبي هؤلاء بيعة علي! وكانوا عثمانية قال: أما حسان فكان شاعرا لا يبالي ما يصنع، واما زيد ابن ثابت فولاه عثمان الديوان وبيت المال، فلما حصر عثمان، قال: يا معشر الأنصار، كونوا أنصارا لله مرتين، فقال أبو أيوب: ما تنصره إلا أنه أكثر لك من العضدان فأما كعب بن مالك فاستعمله على صدقة مزينة وترك ما أخذ منهم له.

قال: وحديثي من سمع الزهري يقول: هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم يبايعوا عليا، ولم يبايعه قدامة بن مظعون، وعبد الله بن سلام، والمغيرة ابن شعبة وقال آخرون: إنما بايع طلحة والزبير عليا كرها. وقال بعضهم: لم يبايعه الزبير. ذكر من قال ذلك:

حدثني عبد الله بن أحمد المروزي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله، عن جرير بن حازم، قال: حدثني هشام ابن أبي هشام مولى عثمان بن عفان، عن شيخ من أهل الكوفة، يحدثه عن شيخ آخر، قال: حصر عثمان وعلي بخير، فلما قدم أرسل إليه عثمان بدعوه، فانطلق، فقلت: لأنطلقن معه ولأسمعن مقاتلتهما، فلما دخل عليه كله عثمان، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن لي عليك حقوقا، حق الإسلام، وحق الإخاء- وقد علمت أن رسول الله ص حين آخى بين الصحابة آخى بيني وبينك- وحق القرابة والصهر، وما جعلت لي في عنقك من العهد والميثاق، فوالله لو لم يكن من هذا شيء ثم كنا إنما نحن في جاهلية، لكان مبطأ على بني عبد مناف أن يبتزهم أخو بني تيم ملكهم

[فتكلم علي، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فكل ما ذكرت من حقك علي على ما ذكرت، أما قولك: لو كنا في جاهلية لكان مبطأ على بني عبد مناف أن يبتزهم أخو بني تيم ملكهم فصدقت، وسيأتيك الخبر].

ثم خرج فدخل المسجد فرأى أسامة جالسا، فدعاه، فاعتمد على يده، فخرج يمشي إلى طلحة وتبعته، فدخلنا دار طلحة بن عبید الله وهي دحاس من الناس، فقام إليه، فقال: يا طلحة، ما هذا الأمر الذي وقعت فيه؟

فقال: يا أبا حسن، بعد ما مس الحزام الطيبين! فانصرف علي ولم يحر إليه شيئا حتى أتى بيت المال، فقال: افتحوا هذا الباب، فلم يقدر على المفاتيح، فقال: اكسروه، فكسر باب بيت المال، فقال: أخرجوا المال، فجعل يعطي الناس فبلغ الذين في دار طلحة الذي صنع علي، فجعلوا يتسللون إليه حتى ترك طلحة وحده وبلغ الخبر عثمان، فسر بذلك، ثم أقبل طلحة يمشي عائدا إلى دار عثمان، فقلت: والله لأنظرن ما يقول هذا، فتبعته، فاستأذن على عثمان، فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين، أستغفر الله وأتوب إليه، أردت أمرا فحال الله بيني وبينه، فقال عثمان: إنك والله ما جئت تائبا، ولكنك جئت مغلوبا، الله حسيبك يا طلحة! وحديثي الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، عن سعد، قال: قال طلحة: بايعت والسيف فوق رأسي- فقال سعد: لا أدري والسيف على رأسه أم لا، إلا أنني أعلم أنه بايع كرها- قال: وبايع الناس عليا بالمدينة، وتربص سبعة نفر فلم يبايعوه، منهم:

سعد بن أبي وقاص، ومنهم ابن عمر، وصهيب، وزيد بن ثابت، ومحمد بن مسلمة، وسلمة بن وقش، وأسماء بن زيد، ولم يتخلف أحد من الأنصار إلا بايع فيما نعلم.

وحدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمي مصعب بن عبد الله، قال: حدثني أبي عبد الله بن مصعب، عن موسى بن عقبة، عن أبي حبيبة مولى الزبير، قال: لما قتل الناس عثمان رضي الله عنه

وَبَايَعُوا عَلِيًّا، جَاءَ عَلِيٌّ إِلَى الزُّبَيْرِ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَأَعْلَمَتْهُ بِهِ، فَسَلَّ السَّيْفَ وَوَضَعَهُ تَحْتَ فِرَاشِهِ، ثُمَّ قَالَ: ائْذَنْ لَهٗ، فَأَذِنَتْ لَهٗ، فَدَخَلَ فَسَلَّمَ عَلَى الزُّبَيْرِ وَهُوَ وَقَفَ بِخِرِّهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ الزُّبَيْرُ: لَقَدْ دَخَلَ الْمَرْءَ مَا أَقْصَاهُ، قُمْ فِي مَقَامِهِ فَانْظُرْ هَلْ تَرَى مِنَ السَّيْفِ شَيْئًا؟ فَقُمْتُ فِي مَقَامِهِ فَارَأَيْتُ ذُبَابَ السَّيْفِ، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ذَاكَ أَجَلَ الرَّجُلِ فَلَمَّا خَرَجَ عَلَيَّ سَأَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ: وَجَدْتُ ابْنَ ابْنِ أُخْتٍ وَأَوْصَلَهُ فَظَنَّ النَّاسُ خَيْرًا، فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنَّهُ بَايَعَهُ.

وَمَا كَتَبَ بِهِ إِلَى السَّرِيِّ عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَوَادٍ بْنُ نُورَةَ، وَطَلْحَةُ بْنُ الْأَعْلَمِ، وَأَبُو حَارِثَةَ، وَأَبُو عُثْمَانَ، قَالُوا: بَقِيَتْ الْمَدِينَةُ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَمْسَةَ أَيَّامٍ، وَأَمِيرُهَا الْغَافِقِيُّ بْنُ حَرْبٍ يَلْتَمِسُونَ مَنْ يَجِيهِمْ إِلَى الْقِيَامِ بِالْأَمْرِ فَلَا يَجِدُونَهُ، يَأْتِي الْمَصْرِيُّونَ عَلِيًّا فَيَخْتَبِي مِنْهُمْ وَيَلُودُ بِحِطَانِ الْمَدِينَةِ، إِذَا لَقَوْهُ بَاعَدَهُمْ وَتَبَرَأَ مِنْهُمْ وَمِنْ مَقَاتِلِهِمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَيَطْلُبُ الْكُوفِيُّونَ الزُّبَيْرَ فَلَا يَجِدُونَهُ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ حَيْثُ هُوَ رَسَلًا، فَبَاعَدَهُمْ وَتَبَرَأَ مِنْ مَقَاتِلِهِمْ، وَيَطْلُبُ الْبَصْرِيُّونَ طَلْحَةَ إِذَا لَقِيَهُمْ بَاعَدَهُمْ وَتَبَرَأَ مِنْ مَقَاتِلِهِمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَكَانُوا مُجْتَمِعِينَ عَلَى قَتْلِ عُثْمَانَ مُخْتَلَفِينَ فِيمَنْ يَهُونَ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا مَمَالِكًا وَلَا مَجِيئًا جَمَعَهُمُ الشَّرُّ عَلَى أَوَّلٍ مِنْ أَجَابِهِمْ، وَقَالُوا: لَا نُولِي أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ، فَبَعَثُوا إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ وَقَالُوا: إِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الشُّورَى فَرَأَيْنَا فِيكَ مُجْتَمِعَ، فَاقْدَمْ نَبِيعَكَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ: إِنِّي وَابْنُ عَمْرِ خَرَجْنَا مِنْهَا فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهَا عَلَى حَالٍ، وَتَمَثَّلَ:

لَا تَخْلُطَنَّ خَبِيثَاتٍ بَطِيبَةٍ ... وَاخْلَعْ ثِيَابَكَ مِنْهَا وَانْجِ عَرِيَانَا

ثُمَّ إِنَّهُمْ أَتَوْا ابْنَ عَمْرِ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالُوا: أَنْتَ ابْنُ عَمْرِ فَقَمِ بِهَذَا الْأَمْرِ، فَقَالَ: إِنْ لِهَذَا الْأَمْرِ انتِقَامًا وَاللَّهِ لَا أَتَعْرِضُ لَهٗ، فَالْتَمَسُوا غَيْرِي فَبَقُوا حَيَارَى لَا يَدْرُونَ مَا يَصْنَعُونَ وَالْأَمْرُ أَمْرُهُمْ

وَكُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ يُوسُفَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: كَانُوا إِذَا لَقُوا طَلْحَةَ أَبِي وَقَالَ:

وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ وَالْدَّهْرِ أَنِّي ... بَقِيتُ وَحِيدًا لَا أَمْرَ وَلَا أَهْلِي

فَيَقُولُونَ: إِنَّكَ لَتَوَعِدُنَا فَيَقُومُونَ فَيَتْرَكُونَهُ، إِذَا لَقُوا الزُّبَيْرَ وَأَرَادُوهُ أَبِي وَقَالَ:

مَتَى أَنْتَ عَنْ دَارِ بَفِيحَانَ رَاحِلٌ ... وَبَايَعْتَهَا تَخْنُو عَلَيْكَ الْكَثَائِبُ

فَيَقُولُونَ: إِنَّكَ لَتَوَعِدُنَا! إِذَا لَقُوا عَلِيًّا وَأَرَادُوهُ أَبِي، وَقَالَ:

لَوْ أَنَّ قَوْمِي طَاوَعَتْنِي سَرَاتِهِمْ ... أَمَرْتَهُمْ أَمْرًا يَدِيخُ الْأَعَادِيَا

فَيَقُولُونَ: إِنَّكَ لَتَوَعِدُنَا! فَيَقُومُونَ وَيَتْرَكُونَهُ.

وَحَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُسْلِمَةُ بْنُ مُحَارِبٍ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: لَمَّا قَتَلَ

عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَى النَّاسُ عَلِيًّا وَهُوَ فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ، وَقَالُوا لَهٗ: ابْسُطْ يَدَكَ نَبِيعَكَ، [قَالَ: لَا تَعْمَلُوا فَإِنَّ عَمْرًا كَانَ رَجُلًا مُبَارَكًا،

وَقَدْ أَوْصَى بِهَا شُورَى، فَامْلُؤُوا يَجْتَمِعُ النَّاسُ وَيَتَشَاوَرُونَ] فَارْتَدَّ النَّاسُ عَنْ عَلِيٍّ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنْ رَجَعَ النَّاسُ إِلَى أَمْصَارِهِمْ يَقْتُلُ

عُثْمَانَ وَلَمْ يَقُمْ بَعْدَهُ قَائِمٌ بِهَذَا الْأَمْرِ لَمْ نَأْمَنْ اخْتِلَافَ النَّاسِ وَفَسَادَ الْأُمَّةِ، فَعَادُوا إِلَى عَلِيٍّ، فَأَخَذَ الْأَشْثُرُ بِيَدِهِ فَقَبَضَهَا عَلَيَّ، فَقَالَ:

أَبْعَدَ ثَلَاثَةَ! أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ تَرَكْتَهَا لَتَقْصُرَنَّ عَيْنُكَ عَلَيْهَا حِينًا، فَبَايَعْتَهُ الْعَامَّةُ وَأَهْلُ الْكُوفَةِ يَقُولُونَ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَهُ الْأَشْثُرُ.

وَكُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي حَارِثَةَ وَأَبِي عُثْمَانَ، قَالَا: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ عَلَى رَأْسِ خَمْسَةِ أَيَّامٍ مِنْ مَقْتَلِ

عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جَمَعُوا أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَوَجَدُوا سَعْدًا وَالزُّبَيْرَ خَارَجِينَ، وَوَجَدُوا طَلْحَةَ فِي حَائِطٍ لَهٗ، وَوَجَدُوا بَنِي أُمَيَّةَ قَدْ هَرَبُوا إِلَّا

من لم يطق الهرب، وهرب الوليد وسعيد إلى مكة في أول من خرج، وتبعهم مروان، وتتابع على ذلك من تتابع، فلما اجتمع لهم أهل المدينة قال لهم أهل مصر: أنتم أهل الشورى، وأنتم تعقدون الإمامة، وأمركم عابر على الأمة، فانظروا رجلا تنصبونه، ونحن لكم تبع فقال الجمهور: علي بن أبي طالب نحن به راضون.

وأخبرنا علي بن مسلم، قال: حدثنا جبان بن هلال، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، عن عوف، قال: أما أنا فأشهد أنني سمعت محمد بن سيرين يقول: إن عليا جاء فقال لطلحة: ابسط يدك يا طلحة لأبائعك، فقال طلحة: أنت أحق، وأنت أمير المؤمنين، فأبسط يدك، قال: فبسط علي يده فبايعه.

وكتب إلى السري عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: فقالوا لهم: دونكم يا أهل المدينة فقد أجلاكم يومين، فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غدا عليا وطلحة والزبير وأناسا كثيرا فغشى الناس عليا فقالوا: نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام، وما ابتلينا به من ذوي القربى، [فقال علي: دعوني واتمسوا غيري فإننا مستقبلون أمرا له وجوه وله ألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول فقالوا: ننشدك الله ألا ترى ما نرى! ألا ترى الإسلام! ألا ترى الفتنة! ألا تخاف الله! فقال: قد أجبتكم لما أرى، وأعلموا إن أجبتكم ركبتم بكم ما أعلم، وإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم، إلا أنني أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم] ثم افرقوا على ذلك واتعدوا الغد.

وتشاور الناس فيما بينهم وقالوا: إن دخل طلحة والزبير فقد استقامت فبعث البصريون إلى الزبير بصريا، وقالوا: احذر لاتحاده- وكان رسولهم حكيم بن جلبة العبدى في نفر- فجاءوا به يحدونه بالسيف وإلى طلحة كوفيا وقالوا له: احذر لاتحاده، فبعثوا الأشر في نفر فجاءوا به يحدونه بالسيف وأهل الكوفة وأهل البصرة شامتون بصاحبيهم، وأهل مصر فرحون بما اجتمع عليه أهل المدينة، وقد خشع أهل الكوفة وأهل البصرة أن صاروا أتباعا لأهل مصر وحشوة فيهم، وازدادوا بذلك على طلحة والزبير غيظا، فلما أصبحوا من يوم الجمعة حضر الناس المسجد، وجاء علي حتى صعد المنبر، فقال: يا أيها الناس- عن ملائذ- إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم، وقد افرقنا بالأمس على أمر، فإن شئتم قعدت لكم، وإلا فلا أجد على أحد.

فقالوا: نحن على ما فارقناك عليه بالأمس وجاء القوم بطلحة فقالوا: بايع، فقال: إني إنما أبائع كرها، فبايع- وكان به شلل- أول الناس، وفي الناس رجل يعتاف، فنظر من بعيد، فلما رأى طلحة أول من بايع قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! أول يد بايعت أمير المؤمنين يد شلاء، لا يتم هذا الأمر! ثم جيء بالزبير فقال مثل ذلك وبايع- وفي الزبير اختلاف- ثم جيء بقوم كانوا قد تحلفوا فقالوا: نبايع على إقامة كتاب الله في القريب والبعيد، والعزير والدليل، فبايعهم، ثم قام العامة فبايعوا.

كتب إلى السري عن شعيب، عن سيف، عن أبي زهير الأزدي، عن عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه، قال: لما قتل عثمان رضي الله عنه واجتمع الناس على علي، ذهب الأشر فجاء بطلحة، فقال له: دعني أنظر ما يصنع الناس، فلم يدعه وجاء به يتله تلا عنيقا، وصعد المنبر فبايع.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن قيس، عن الحارث الوالي، قال: جاء حكيم بن جلبة بالزبير حتى بايع، فكان الزبير يقول: جاءني لص من لصوص عبد القيس فبايعت واللج على عني.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: وبايع الناس كلهم.

قال أبو جعفر: وسمح بعد هؤلاء الذين اشتروا الدين جيء بهم، وصار لامر أمر أهل المدينة، وكانوا كما كانوا فيه، وفرقوا إلى منازلهم لولا مكان النزاع والغوغاء فيهم

٤٠٢٠١٨ اتساق الأمر في البيعة لعلي بن ابي طالب ع

اتساق الأمر في البيعة لعلي بن أبي طالب ع

وبويع علي يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة- والناس يحسبون من يوم قتل عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فأول خطبة خطبها علي حين استخلف- فِيمَا كَتَبَ بِهِ إِلَي السَّريِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي الْمُغِيرَةِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ- حمد الله وأثنى عليه، فَقَالَ:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيْنَ فِيهِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، نَخَذُوا بِالْخَيْرِ وَدَعُوا الشَّرَّ الْفَرَانِضَ أَدْوَاهَا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ يُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ إِنْ اللَّهُ حَرَّمَ حَرَمًا غَيْرَ مَجْهُولَةٍ، وَفَضَلَ حَرَمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحَرَمِ كُلِّهَا، وَشَدَّ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ الْمُسْلِمِينَ وَ [المسلم من سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل أذى المسلم إلا بما يجب] [بادروا أمر العامة، وخاصة أحدكم الموت، فإن الناس امامكم، وإن ما خلفكم الساعة تهدوكم تخفّفوا تلحقوا، فإنما ينتظر الناس أخراهم] [اتقوا الله عباده في عباده وبلاده، إنكم مسئولون حتّى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تَعْصُوهُ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ الْخَيْرَ نَخَذُوا بِهِ وَإِذَا رَأَيْتُمْ الشَّرَّ فَدَعُوهُ، «وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ»] .

ولما فرغ علي من خطبته وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ قَالَ الْمَصْرِيُّونَ:

خذها واحذرا أبا حسن ... إنا نمر الأمر إمرار الرسن وإنما الشعر:

خذها إليك واحذرا أبا حسن .

فَقَالَ علي مجيبا:

إني عجزت عجزاً مَا أَعْتَذِرُ ... سوف أكيس بعدها وأستمر

وَكَتَبَ إِلَي السَّريِّ عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا:

ولما أراد علي الذهاب إِلَى بَيْتِهِ قَالَتِ السَّبِيْهَةُ:

خذها إليك واحذرا أبا حسن ... إنا نمر الأمر إمرار الرسن

صَوْلَةُ أَقْوَامٍ كَأَسْدَادِ السَّفَنِ ... بِمَشْرِفَاتِ كَغَدْرَانِ اللَّيْنِ

ونطعن الملك بلين كالشطن ... حتّى يمرن على غير عن

فَقَالَ علي وذكر تركهم العسكر والكيونة على عدة مَا مِنُوا حِينَ غَمَزُوهُمْ وَرَجَعُوا إِلَيْهِمْ، فلم يستطيعوا أن يمتنعوا حتّى .

إني عجزت عجزاً لا أَعْتَذِرُ ... سوف أكيس بعدها وأستمر

أرفع من ذيلي مَا كُنتَ أَجْرُ ... وَأَجْمَعَ الْأَمْرَ الشَّتِيَّتِ الْمُنْتَشِرِ

إِنْ لَمْ يَشَاغِبْنِي الْعَجُولُ الْمُنْتَصِرُ ... أَوْ يَتْرَكُونِي وَالسَّلَاحُ يَبْتَدِرُ

واجتمع إِلَى علي بعد مَا دَخَلَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فِي عِدَّةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقَالُوا:

يَا عَلِي، إِنْ قَدْ اشْتَرَطْنَا إِقَامَةَ الْحُدُودِ، وَإِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ قَدْ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ هَذَا الرَّجُلِ وَأَحْلَوْا بِأَنْفُسِهِمْ فَقَالَ لَهُمْ: يَا إِخْوَتَاهُ، إِنْ لَسْتُ

أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ، وَلَكِنِّي كَيْفَ اصْنَعُ بِقَوْمٍ يَمْلِكُونَنَا وَلَا تَمْلِكُهُمْ! هَا هُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبَادَتُكُمْ، وَثَابَتَ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ، وَهُمْ

خِلَالَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَا شَاءُوا، فَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعًا لِقُدْرَةِ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا تَرِيدُونَ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَلَا وَاللَّهِ لَا أَرَى إِلَّا رَأْيَا تَرَوْنَهُ إِنْ شَاءَ

اللَّهُ، إِنْ هَذَا الْأَمْرُ أَمْرُ جَاهِلِيَّةٍ، وَإِنْ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مَادَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَمْ يَشْرَعْ شَرِيْعَةً قَطُّ فَيَبْرَحَ الْأَرْضَ مِنْ أَخْذِهَا أَبَدًا.

إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ إِنْ حَرَكَ عَلَى أُمُورٍ: فَرَقَةٌ تَرَى مَا تَرُونَ، وَفَرَقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرُونَ، وَفَرَقَةٌ لَا تَرَى هَذَا وَلَا هَذَا حَتَّى يَهْدِيَ النَّاسَ

وَتَقَعَ الْقُلُوبَ مَوَاقِعَهَا وَتَوَخَّذَ الْحَقُوقَ، فَاهْدُوا عَنِّي وَانظُرُوا مَاذَا يَأْتِيَكُمْ، ثُمَّ عُدُّوْا.

واشتد على قريش، وحال بينهم وبين الخروج على حال، وإنما هيجه على ذلك هرب بني أمية وتفرق القوم، وبعضهم يقول: والله لئن ازداد الأمر لا قدرنا على انتصار من هؤلاء الأشرار، لترك هذا إلى ما قال علي أمثل.

وبعضهم يقول: نقضي الذي علينا ولا تؤخره، وو الله إن علينا لمستغن برأيه وأمره عنا، ولا نراه إلا سيكون على قريش أشد من غيره فذكر ذلك لعل

فقام حمد الله وأثنى عليه وذكر فضلهم وحاجته إليهم ونظره لهم وقيامه دونهم، وأنه ليس له من سلطانهم إلا ذلك، والأجر من الله عز وجل عليه، ونادى:

برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه فتدامرت السبئية والأعراب، وقالوا:

لنا غدا مثلها، ولا نستطيع نحتج فيهم بشيء.

وكتب إلى السري عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا:

[خرج علي في اليوم الثالث على الناس، فقال: يا أيها الناس، أخرجوا عنكم الأعراب وقال: يا معشر الأعراب، ألحقوا بمياهم فابت السبئية وأطاعهم الأعراب] ودخل علي بيته ودخل عليه طلحة والزبير وعده من أصحاب النبي ص، فقال: دونكم ثأركم فاقتلوه، فقالوا: عشوا عن ذلك، قال: هم والله بعد اليوم أعشى وأبى وقال:

لو أن قومي طأوعتني سراتهم ... أمرتهم أمراً يديح الأعدايا

وقال طلحة: دعني فلات البصرة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل، فقال:

حتى أنظر في ذلك وقال الزبير: دعني أت الكوفة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل، فقال: حتى أنظر في ذلك، وسمع المغيرة بذلك المجلس فجاء حتى دخل عليه، فقال: إن لك حق الطاعة والنصيحة، وإن الرأي اليوم تحرز به ما في غد، وإن الضياع اليوم تضيع به ما في غد، أقرر معاوية على عمله، وأقرر ابن عامر على عمله، وأقرر العمال على أعمالهم، حتى إذا أئتت طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت أو تركت قال: حتى أنظر.

نخرج من عنده وعاد إليه من الغد، فقال: إني أشرت عليك بالأمس برأيي، وإن الرأي أن تعجلهم بالنزوع، فيعرف السامع من غيره ويستقبل أمرك، ثم خرج وتلقاه ابن عباس خارجاً وهو داخل، فلما انتهى إلى علي قال:

رأيت المغيرة خرج من عندك ففيم جاءك؟ قال: جاءني أمس بذيّة وذية، وجاءني اليوم بذيّة وذية، فقال: أما أمس فقد نصحك، وأما اليوم فقد غشك قال: فما الرأي؟ قال: كان الرأي أن تخرج حين قتل الرجل أو قبل ذلك، فتأتي مكة فتدخل دارك وتغلق عليك بابك، فإن كانت العرب جائلة مضطربة

في أثرك لا تجد غيرك، فأما اليوم فإن في بني أمية من يستحسنون الطلب بأن يلزموك شعبة من هذا الأمر، ويشبهون على الناس، ويطلبون مثل ما طلب أهل المدينة، ولا تقدر على ما يريدون ولا يقدرُونَ عليه، ولو صارت الأمور إليهم حتى يصيروا في ذلك أموت لحقوهم، وأترك لها إلا ما يعجلون من الشبهة وقال المغيرة: نصحته والله، فلما لم يقبل غششته وخرج المغيرة حتى لحق بمكة.

حدثني الحارث، عن ابن سعد، عن الواقدي، قال: حدثني ابن أبي سبرة، عن عبد المجيد بن سهيل، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، قال: دعاني عثمان فاستعملني على الحج، فخرجت إلى مكة فأقمت للناس الحج، وقرأت عليهم كتاب عثمان إليهم، ثم قدمت المدينة وقد بويع لعل، فأتيته في داره فوجدت المغيرة بن شعبة مستخلياً به، فحبسني حتى خرج من عنده، فقلت:

مَاذَا قَالَ لَكَ هَذَا؟ فَقَالَ: قَالَ لِي قَبْلَ مَرَّتِهِ هَذِهِ: أَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ وَإِلَى مُعَاوِيَةَ وَإِلَى عُمَالِ عُثْمَانَ بِعُهُودِهِمْ تُفْرِهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَيُبَايِعُونَ لَكَ النَّاسَ، فَإِنَّهُمْ يَهْدُتُونَ الْبِلَادَ وَيَسْكُنُونَ النَّاسَ، فَأَيَّتُ ذَلِكَ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ وَقُلْتُ: [وَاللَّهِ لَوْ كَانَ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ لَا جَهْدَتْ فِيهَا رَأْيِي، وَلَا وَلَيْتُ هَؤُلَاءِ وَلَا مِثْلَهُمْ يُولَى] قَالَ: ثُمَّ أَنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِي وَأَنَا أَعْرِفُ فِيهِ أَنَّهُ يَرَى أَنِّي مُخْطِئٌ، ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ الْآنَ فَقَالَ: إِنِّي أَشَرْتُ عَلَيْكَ أَوَّلَ مَرَّةٍ بِالَّذِي أَشَرْتُ عَلَيْكَ وَخَالَفْتَنِي فِيهِ، ثُمَّ رَأَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ رَأْيًا، وَأَنَا أَرَى أَنَّ تَصْنَعَ الَّذِي رَأَيْتُ فَتَنْزِعُهُمْ وَتَسْتَعِينُ بِمَنْ ثَقِيَ بِهِ، فَقَدْ كَفَى اللَّهُ، وَهُمْ أَهْوَنُ شَوْكَةً مِمَّا كَانَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

فَقُلْتُ لِعَلِّي: أَمَّا الْمَرَّةُ الْأُولَى فَقَدْ نَصَحْتُكَ، وَأَمَّا الْمَرَّةُ الْآخِرَةُ فَقَدْ غَشَّكَ، قَالَ لَهُ عَلِيٌّ: وَلَمْ نَصَحْنِي؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَأَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابَهُ أَهْلَ دُنْيَا، فَتَيَّ ثَبَتَهُمْ لَا يُبَالُوا بِمَنْ وَلِيَ هَذَا الْأَمْرَ، وَمَتَى تَعَزَّلَهُمْ يَقُولُوا: أَخَذَ هَذَا الْأَمْرَ بِغَيْرِ شُورَى، وَهُوَ قَتَلَ صَاحِبَنَا، وَيُؤْلِبُونَ عَلَيْكَ فَيَنْتَقِضُ عَلَيْكَ أَهْلُ الشَّامِ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ، مَعَ أَنِّي لَا أَمِنْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ أَنْ يَكْرَاهَا عَلَيْكَ

[فَقَالَ عَلِيٌّ: أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ إِقْرَارِهِمْ فَوَاللَّهِ مَا أَشْكُ أَنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا لِإِصْلَاحِهَا، وَأَمَّا الَّذِي يَلْزُمُنِي مِنَ الْحَقِّ وَالْمَعْرِفَةِ بِعَمَالِ عُثْمَانَ فَوَاللَّهِ لَا أُولِي مِنْهُمْ أَحَدًا أَبَدًا، فَإِنْ أَقْبَلُوا فَذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ: وَإِنْ أَدْبَرُوا بِذَلِكَ لَهُمُ السَّيْفُ] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَطِيعْنِي وَادْخُلْ دَارَكَ، وَالْحَقُّ بِمَالِكَ يَنْبَغُ، وَأَغْلِقْ بَابَكَ عَلَيْكَ، فَإِنَّ الْعَرَبَ تَجُولُ جَوْلَةً وَتَضْطَرُّ وَلَا تَجِدُ غَيْرَكَ، فَإِنَّكَ وَاللَّهِ لَتُنْ نَهَضَتْ مَعَ هَؤُلَاءِ الْيَوْمَ لِيُحْمِلَنَّكَ النَّاسُ دَمَ عُثْمَانَ غَدًا فَأَبَى عَلِيٌّ، فَقَالَ لَابْنِ عَبَّاسٍ: سِرْ إِلَى الشَّامِ فَقَدْ وَلَيْتُكَهَا، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا هَذَا بِرَأْيِي، مُعَاوِيَةَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ عُثْمَانَ وَعَامِلُهُ عَلَى الشَّامِ، وَلَسْتُ أَمِنْ أَنْ يَضْرِبَ عُنُقِي لِعُثْمَانَ، أَوْ أَدْنَى مَا هُوَ صَانِعٌ أَنْ يَحْبِسَنِي فَيَتَحَكَّمُ عَلَيَّ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: وَلَمْ؟ قَالَ: لِقَرَابَةِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَإِنَّ كُلَّ مَا حُمِلَ عَلَيْكَ حُمِلَ عَلَيَّ، وَلَكِنْ اكْتُبْ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَنَنْهَ عَنْهُ فَبَايَ عَلِيٌّ وَقَالَ:

وَاللَّهِ لَا كَانَ هَذَا أَبَدًا.

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَحَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِي هِلَالٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ مِنْ مَكَّةَ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِخَمْسَةِ أَيَّامٍ، فَجِئْتُ عَلِيًّا أَدْخُلُ عَلَيْهِ، فَقِيلَ لِي: عِنْدَهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، فَجَلَسْتُ بِالْبَابِ سَاعَةً، فَخَرَجَ الْمُغِيرَةُ فَسَلَّمَ عَلَيَّ فَقَالَ: مَتَى قَدِمْتَ؟ فَقُلْتُ: السَّاعَةَ. فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِي: لَقِيتَ الزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ؟ قَالَ: قُلْتُ:

لَقِيتُهُمَا بِالنَّوَصِفِ قَالَ: مَنْ مَعَهُمَا؟ قُلْتُ: أَبُو سَعِيدٍ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ هِشَامٍ فِي فِتْنَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ عَلِيٌّ: أَمَّا إِنَّهُمْ لَنْ يَدْعُوا أَنْ يُخْرِجُوا يَقُولُونَ:

[نَطْلُبُ بِدَمِ عُثْمَانَ،] وَاللَّهِ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ قَتَلُوا عُثْمَانَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبَرَنِي عَنْ شَأْنِ الْمُغِيرَةِ، وَلَمْ خَلَا بِكَ؟ قَالَ: جَاءَنِي بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ بِيَوْمَيْنِ، فَقَالَ لِي: أَخْلِنِي، فَفَعَلْتُ، فَقَالَ: إِنَّ النَّصْحَ رَخِيسٌ وَأَنْتَ بَقِيَّةُ النَّاسِ، وَإِنِّي لَكَ نَاصِحٌ، وَإِنِّي أَشِيرُ عَلَيْكَ بِرِدِّ عُمَالِ عُثْمَانَ عَامَكَ هَذَا، فَاسْكُتْ إِلَيْهِمْ بِإِثْبَاتِهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فَإِذَا بَايَعُوا لَكَ وَاطْمَأَنَّ الْأَمْرُ لَكَ عَزَلْتُ مَنْ أَحْبَبْتُ وَأَقَرَرْتُ مَنْ أَحْبَبْتُ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَدْهَنُ فِي دِينِي وَلَا أُعْطِي

الدِّيَّ فِي أَمْرِي قَالَ: فَإِنْ كُنْتَ قَدْ آيَيْتَ عَلَيَّ فَانْزِعْ مِنْ شَيْئَتِ وَاتْرُكْ مُعَاوِيَةَ، فَإِنَّ لِمُعَاوِيَةَ جُرْأَةً، وَهُوَ فِي أَهْلِ الشَّامِ يُسْمَعُ مِنْهُ، وَلَكَّ حُجَّةٌ فِي إِثْبَاتِهِ، كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَدْ وَلَاهُ الشَّامَ كُلَّهَا، فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ، لَا أَسْتَعْمِلُ مُعَاوِيَةَ يَوْمَئِذٍ أَبَدًا نَفْرَجَ مِنْ عِنْدِي عَلَى مَا أَشَارَ بِهِ، ثُمَّ عَادَ فَقَالَ لِي: إِنِّي أَشَرْتُ عَلَيْكَ بِمَا أَشَرْتُ بِهِ فَأَيَّتَ عَلَيَّ، ثُمَّ نَظَرْتُ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا أَنْتَ مُصِيبٌ، لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَأْخُذَ أَمْرَكَ بِخُدْعَةٍ، وَلَا يَكُونَ فِي أَمْرِكَ دُلْسَةٌ.

قَالَ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقُلْتُ لِعَلِّي: أَمَّا أَوَّلُ مَا أَشَارَ بِهِ عَلَيْكَ فَقَدْ نَصَحَكَ، وَأَمَّا الْآخِرُ فَعَشَّكَ، وَأَنَا أُشِيرُ عَلَيْكَ بِأَنْ تُثْبِتَ مُعَاوِيَةَ، فَإِنْ بَايَعَ لَكَ فَعَلِيَ أَنْ أَقْلَعَهُ مِنْ مَنْزِلِهِ [قَالَ عَلِيٌّ: لَا وَاللَّهِ، لَا أُعْطِيهِ إِلَّا السَّيْفَ قَالَ]:
ثُمَّ تَمَثَّلَ بِهَذَا الْبَيْتِ:

مَا مِيتَةٌ إِنْ مِتْهَا غَيْرُ عَاجِزٍ ... بَعَارٍ إِذَا مَا غَالَتِ النَّفْسُ غَوْلَهَا

فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْتَ رَجُلٌ شَجَاعٌ لَسْتُ بِأَرْبٍ بِالْحَرْبِ، أَمَا [سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: الْحَرْبُ خَدْعَةٌ!] فَقَالَ عَلِيٌّ: بَلَى، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمَّا وَاللَّهِ لَئِنْ أَطَعْتَنِي لِأَصْدُرَنَّ بِهِمْ بَعْدَ وَرْدٍ، وَلَا تَرْكَنَهُمْ يَنْظُرُونَ فِي دُبُرِ الْأُمُورِ لَا يَعْرِفُونَ مَا كَانَ وَجْهَهَا، فِي غَيْرِ نَقْصَانٍ عَلَيْكَ وَلَا إِثْمٍ لَكَ فَقَالَ: يَا بَنَ عَبَّاسٍ، لَسْتُ مِنْ هَنِيئَاتِكَ وَهَنِيئَاتِ مُعَاوِيَةَ فِي شَيْءٍ، تُشِيرُ عَلَيَّ وَأَرَى، فَإِذَا عَصَيْتُكَ فَأَطِيعَنِي قَالَ: فَقُلْتُ: افْعَلْ، إِنْ أَسِرَ مَالِكَ عِنْدِي الطَّاعَةُ
. مسير قسطنطين ملك الروم يريد المسلمين

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنِي سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ - سَارَ قُسْطَنْطِينُ بْنُ هِرَقْلٍ - فِيمَا ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْغَزَا، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ نَسِيٍّ - فِي أَلْفِ مَرَكَبٍ يَرِيدُ أَرْضَ الْمُسْلِمِينَ، فَسَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَغَرَقَهُمْ، وَنَجَا قُسْطَنْطِينُ بْنُ هِرَقْلٍ، فَأَتَى صَقْلِيَّةَ، فَصَنَعُوا لَهُ حَمَامًا فَدَخَلَهُ فَقَتَلُوهُ فِيهِ، وَقَالُوا: قَتَلَتْ رَجَالَنَا.

٤٠٢١ سنه ست وثلاثين

٤٠٢١٠١ تفريق على عماله على الأمصار

ثم دخلت

تفريق على عماله على الأمصار

وَلَمَّا دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ فَرَّقَ عَلِيُّ عَمَالَهُ، فَمَّا كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا: بَعَثَ عَلِيٌّ عَمَالَهُ عَلَى الْأَمْصَارِ، فَبَعَثَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ عَلَى الْبَصْرَةِ، وَعُمَارَةُ بْنُ شِهَابٍ عَلَى الْكُوفَةِ، وَكَانَتْ لَهُ هِجْرَةٌ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ عَلَى الْيَمَنِ، وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ عَلَى مِصْرَ، وَسَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ عَلَى الشَّامِ، فَأَمَّا سَهْلٌ فَإِنَّهُ خَرَجَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِتَبُوكَ لَقِيَتْهُ خَيْلٌ، فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَمِيرٌ، قَالُوا: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: عَلَى الشَّامِ، قَالُوا: إِنْ كَانَ عُثْمَانُ بِعَثْكَ خَيْلًا بِكَ، وَإِنْ كَانَ بِعَثْكَ غَيْرَهُ فَارْجِعْ! قَالَ: أَوْ مَا سَمِعْتُمْ بِالَّذِي كَانَ؟ قَالُوا: بَلَى، فَارْجِعْ إِلَى عَلِيٍّ وَأَمَّا قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ فَإِنَّهُ لَمَّا انْتَهَى إِلَى أَيْلَةِ لَقِيَتْهُ خَيْلٌ، فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ فَالَةِ عُثْمَانَ، فَأَنَا أَطْلُبُ مَنْ أَوْيَ إِلَيْهِ وَأَنْتَصِرُ بِهِ، قَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ، قَالُوا: أَمْضِ، فَضَى حَتَّى دَخَلَ مِصْرَ، فَافْتَرَقَ أَهْلُ مِصْرَ فَرَقًا، فَرَقَةٌ دَخَلَتْ فِي الْجَمَاعَةِ وَكَانُوا مَعَهُ، وَفَرَقَةٌ وَقَفَتْ وَاعْتَزَلَتْ إِلَى خَرِبَتَا وَقَالُوا: إِنْ قُتِلَ قَتْلَةُ عُثْمَانَ فَنَحْنُ مَعَكُمْ، وَإِلَّا فَنَحْنُ عَلَى

جَدَلْتَنَا حَتَّى نَحْرَكَ أَوْ نُصِيبَ حَاجَتَنَا، وَفِرْقَةً قَالُوا: نَحْنُ مَعَ عَلِيٍّ مَا لَمْ يَقْدِرْ إِخْوَانًا، وَهُمْ فِي ذَلِكَ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَكُتِبَ قَيْسٌ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ وَأَمَّا عُمَانُ بْنُ حَنِيفٍ فَسَارَ فَلَمْ يَرِدْهُ أَحَدٌ عَنْ دُخُولِ الْبَصْرَةِ وَلَمْ يُوَجَدْ فِي ذَلِكَ لِابْنِ عَامِرٍ رَأْيٌ وَلَا حَزْمٌ وَلَا اسْتِقْلَالٌ بِحَرْبٍ وَافْتَرَقَ النَّاسُ بِهَا، فَاتَّبَعْتُ فِرْقَةَ الْقَوْمِ، وَدَخَلْتُ فِرْقَةً فِي الْجَمَاعَةِ، وَفِرْقَةً قَالَتْ: نَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فَتَصْنَعُ كَمَا صَنَعُوا. وَأَمَّا عُمَارَةُ فَأَقْبَلَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِزُبَالَةٍ لَقِيَهُ طَلِيحَةُ بْنُ خُوَيْلِدٍ، وَقَدْ كَانَ حِينَ بَلَغَهُمْ خَبَرُ عُمَانٍ خَرَجَ يَدْعُو إِلَى الطَّلَبِ بِدَمِهِ وَيَقُولُ: لَهْفِي عَلَى أَمْرِ لَمْ يَسْتَفْنِي وَلَمْ أُدْرِكْهُ!

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ... أَكْرَفِيهَا وَأَضَعُ خَرَجَ حِينَ رَجَعَ الْقَعْقَاعُ مِنْ إِغَاثَةِ عُمَانٍ فِيمَنْ أَجَابَهُ حَتَّى دَخَلَ الْكُوفَةَ، فَطَلَعَ عَلَيْهِ عُمَارَةُ قَادِمًا عَلَى الْكُوفَةِ، فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ فَإِنَّ الْقَوْمَ لَا يَرِيدُونَ بِأَمِيرِهِمْ بَدَلًا، وَإِنْ أَيْتَ ضَرَبْتُ عُنُقَكَ فَرَجَعَ عُمَارَةُ وَهُوَ يَقُولُ: احْذَرِ الْخَطَرَ مَا يَمَسُّكَ، الشَّرُّ خَيْرٌ مِنْ شَرِّ مِنْهُ. فَرَجَعَ إِلَى عَلِيٍّ بِالْخَبَرِ وَغَلَبَ عَلَى عُمَارَةَ بْنِ شِهَابٍ هَذَا الْمَثَلُ مِنْ لَدُنِ اعْتَصَمَتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ إِلَى أَنْ مَاتَ وَانْطَلَقَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ إِلَى الْيَمَنِ، فَجَمَعَ يَعْلَى بْنُ أُمَيَّةَ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْجَبَايَةِ وَتَرَكَهُ وَخَرَجَ بِذَلِكَ وَهُوَ سَائِرٌ عَلَى حَامِيَتِهِ إِلَى مَكَّةَ فَقَدِمَهَا بِالْمَالِ وَلَمَّا رَجَعَ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ مِنْ طَرِيقِ الشَّامِ وَاتَّهَى الْأَخْبَارُ وَرَجَعَ مِنْ رَجَعٍ، دَعَا عَلِيٌّ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ، فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي كُنْتُ أُحْدِرُكُمْ قَدْ وَقَعَ يَا قَوْمُ، وَإِنَّ الْأَمْرَ الَّذِي وَقَعَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِإِمَانَتِهِ، وَإِنَّا فَتَنَةُ كَالنَّارِ، كُلُّهَا سَعِرَتْ ازْدَادَتْ وَاسْتَنَارَتْ فَقَالَ لَهُ: فَاذْنُ لَنَا أَنْ نَخْرُجَ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَإِنَّمَا أَنْ نَكْبِرَ وَإِنَّمَا أَنْ تَدْعَنَا، فَقَالَ:

سَأُمْسِكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ، فَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدًّا فَأَخْرُ الدَّوَاءَ الْكَبِيرَ. وَكُتِبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَإِلَى أَبِي مُوسَى وَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُو مُوسَى بِطَاعَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَبِعْتِهِمْ، وَبَيْنَ الْكَارِهِ مِنْهُمْ لِلَّذِي كَانَ، وَالرَّاضِي بِالَّذِي قَدْ كَانَ، وَمَنْ بَيْنَ ذَلِكَ حَتَّى كَانَ عَلِيًّا عَلَى الْمُوَاجَهَةِ مِنْ أَمْرِ أَهْلِ الْكُوفَةِ. وَكَانَ رَسُولُ عَلِيٍّ إِلَى أَبِي مُوسَى مَعْبُدُ الْأَسْلَافِ، وَكَانَ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ سَبْرَةَ الْجَهْنِيِّ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَكُتُبْ مُعَاوِيَةَ بِشَيْءٍ وَلَمْ يَجِبْهُ وَرَدَّ رَسُولُهُ، وَجَعَلَ كُلُّهُمُ تَجَزَّ جَوَابَهُ لَمْ يَزِدْ عَلَى قَوْلِهِ: أَدِمِ إِدَامَةَ حِصْنٍ أَوْ خِذَا بِيَدِي... حَرْبًا ضَرُوسًا تَشُبُّ الْجَزَلَ وَالضَّرَمَا فِي جَارِكُمْ وَأَبْنَكُمْ إِذَا كَانَ مَقْتَلُهُ... شَنْعَاءُ شَيَّبَتِ الْأَصْدَاغَ وَاللَّهْمَا أَعْيَا الْمُسَوِّدُ بِهَا وَالسَّيِّدُونَ فَلَمْ... يُوَجَدْ لَهَا غَيْرُنَا مَوْلَى وَلَا حَكَمًا وَجَعَلَ الْجَهْنِيُّ كُلُّهُمُ تَجَزَّ الْكَتَابَ لَمْ يَزِدْهُ عَلَى هَذِهِ الْآيَاتِ، حَتَّى إِذَا

٤٠٢١٠٢ استئذان طلحه والزبير عليا

كَانَ الشَّهْرُ الثَّلَاثُ مِنْ مَقْتَلِ عُمَانٍ فِي صَفَرٍ، دَعَا مُعَاوِيَةَ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي عَبْسٍ، ثُمَّ أَحَدَ بَنِي رَوَاحَةَ يُدْعَى قَيْصَةَ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ طُومَارًا مَحْتُمًا، عَنْوَانُهُ: مِنْ مُعَاوِيَةَ إِلَى عَلِيٍّ فَقَالَ: إِذَا دَخَلْتَ الْمَدِينَةَ فَأَقْبِضْ عَلَى اسْفَلِ الطُّومَارِ، ثُمَّ أَوْصَاهُ بِمَا يَقُولُ وَسَرَّحَ رَسُولَ عَلَى وَخَرَجَا فَقَدِمَا الْمَدِينَةَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ لِعُزَّتِهِ، فَلَمَّا دَخَلَا الْمَدِينَةَ رَفَعَ الْعَبْسِيُّ الطُّومَارَ كَمَا أَمَرَهُ، وَخَرَجَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَتَفَرَّقُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ مُعَاوِيَةَ مُعْتَرِضٌ، وَمَضَى حَتَّى يَدْخُلَ عَلَى عَلِيٍّ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ الطُّومَارَ، فَفَضَّ خَاتَمَهُ فَلَمْ يَجِدْ فِي جَوْفِهِ كِتَابَةً، فَقَالَ لِلرَّسُولِ:

مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: آمِنُ أَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ الرُّسُلَ آمِنَةٌ لَا تُقْتَلُ، قَالَ: وَرَأَيْتُ أَنِّي تَرَكْتُ قَوْمًا لَا يَرْضَوْنَ إِلَّا بِالْقَوْدِ، قَالَ: مِمَّنْ؟ قَالَ: مِنْ خَيْطِ نَفْسِكَ، وَتَرَكْتُ سِتِّينَ أَلْفَ شَيْخٍ يَبْكِي تَحْتَ قَيْصِ عُثْمَانَ وَهُوَ مَنْصُوبٌ لَهُمْ، قَدْ أَلْبَسُوهُ مِنْبَرِ دِمَشْقَ فَقَالَ: مَنِّي يَطْلُبُونَ دَمَ عُثْمَانَ! أَلَسْتُ مَوْتُورًا كَثْرَةَ عُثْمَانَ! اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، نَجَا وَاللَّهِ قَتَلَهُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ، فَإِنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا أَصَابَهُ، أَخْرَجَ، قَالَ: وَأَنَا آمِنٌ؟ قَالَ: وَأَنْتَ آمِنٌ فَخَرَجَ الْعَبْسِيُّ وَصَاحَتِ السَّبْيَةُ قَالُوا: هَذَا الْكَلْبُ، هَذَا وَافِدُ الْكِلَابِ، اقْتُلُوهُ! فَنَادَى: يَا آلَ مَضَرَ، يَا آلَ قَيْسٍ، الْخَيْلَ وَالنَّبْلَ، إِنِّي أَحْلَفُ بِاللَّهِ جَلَّ اسْمُهُ لِيَرْدِنَهَا عَلَيْكُمْ أَرْبَعَةَ آلَافٍ خَصِي، فَانظُرُوا الْفُحُولَةَ وَالرِّكَابُ! وَتَعَاوُوا عَلَيْهِ وَمَنْعَهُ مَضَرَ، وَجَعَلُوا يَقُولُونَ لَهُ: اسْكُتْ، فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ، لَا يُفْلِحُ هَؤُلَاءِ أَبَدًا، فَلَقَدْ آتَاهُمْ مَا يُوعَدُونَ فَيَقُولُونَ لَهُ: اسْكُتْ، فَيَقُولُ: لَقَدْ حَلَّ بِهِمْ مَا يَحْذَرُونَ، انْتَهتِ أَعْمَالُهُمْ، وَذَهَبَتْ رِيحُهُمْ، فَوَاللَّهِ مَا أَمْسَوْا حَتَّى عُرِفَ الذُّلُ فِيهِمْ . اسْتَبَذَانُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ عَلِيًّا

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا: اسْتَأْذَنَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ عَلِيًّا فِي الْعُمْرَةِ، فَأَذِنَ لَهُمَا، فَلَحِقَا بِمَكَّةَ، وَأَحَبَّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ أَنْ يَعْلَمُوا مَا رَأَى عَلِيٌّ فِي مُعَاوِيَةَ وَانْتِقَاضِهِ، لِيَعْرِفُوا بِذَلِكَ رَأْيَهُ فِي قِتَالِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، أَيْجَسُّ عَلَيْهِ أَوْ يَنْكُلُ عَنْهُ! وَقَدْ بَلَغَهُمْ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ دَخَلَ عَلَيْهِ وَدَعَاهُ إِلَى الْقُعُودِ وَتَرَكَ النَّاسَ، فَدَسُّوا إِلَيْهِ زِيَادَ بْنَ حَنْظَلَةَ التَّمِيمِيِّ - وَكَانَ مُنْقَطِعًا إِلَى عَلِيٍّ - فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَجَلَسَ إِلَيْهِ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ لَهُ عَلِيٌّ: يَا زِيَادُ، تَبَسَّرْ، فَقَالَ: لِأَيِّ شَيْءٍ؟ فَقَالَ: تَغْزُو الشَّامَ، فَقَالَ زِيَادُ: الْآنَاةُ وَالرِّفْقُ أَمْثَلُ، فَقَالَ: وَمَنْ لَا يَصْنَعُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ... يَضُرُّ مِنْ بَأْنِيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْسَمٍ فَتَمَثَّلَ عَلِيٌّ وَكَانَهُ لَا يُرِيدُهُ:

مَتَى تَجْمَعُ الْقَلْبَ الذِّكِّيَّ وَصَارِمًا ... وَأَنَا حَمِيًّا تَجْتَنِبُكَ الْمَظَالِمُ فَخَرَجَ زِيَادُ عَلَى النَّاسِ وَالنَّاسُ يَنْتَظِرُونَهُ، فَقَالُوا: مَا وَرَاءَكَ؟ فَقَالَ: السَّيْفُ يَا قَوْمُ، فَعَرَفُوا مَا هُوَ فَاعِلٌ وَدَعَا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْوَاءَ، وَوَلَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ مِيمَنَتَهُ، وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ - أَوْ عُمَرُ بْنُ سَفِيَانَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ - وَوَلَاهُ مِيسَرَتَهُ، وَدَعَا أَبَا لَيْلَى بْنَ عُمَرَ بْنِ الْجَرَّاحِ، ابْنَ أَخِي أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، فَجَعَلَهُ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ قُثُمَ بْنَ عَبَّاسٍ، وَلَمْ يُولَ مِمَّنْ خَرَجَ عَلَى عُثْمَانَ أَحَدًا، وَكَتَبَ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ أَنْ يَنْدُبَ النَّاسَ إِلَى الشَّامِ، وَإِلَى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ وَإِلَى أَبِي مُوسَى مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَقْبَلَ عَلَى التَّهَيُّوِّ وَالتَّجَهُّزِ، وَخَطَبَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَدَعَاهُمْ إِلَى النُّهْضِ فِي قِتَالِ أَهْلِ الْفُرْقَةِ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ رَسُولًا هَادِيًا مَهْدِيًا بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ وَاضِحٍ، لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ، وَإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ وَالشُّبُهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ إِلَّا مَنْ حَفِظَ اللَّهَ، وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ عِصْمَةَ أَمْرِكُمْ، فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مَلُوءَةٍ وَلَا مُسْتَكْرَهٍ بِهَا، وَاللَّهُ تَفَعَّلَنَ أَوْ لَيَنْفَعَنَّ اللَّهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ ثُمَّ لَا يَنْقَلِبُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا حَتَّى يَأْرِزَ الْأَمْرُ إِلَيْهَا، أَنْهَضُوا إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ يَفْرِقُونَ جَمَاعَتَكُمْ، لَعَلَّ اللَّهَ يُصْلِحَ بِكُمْ مَا أَفْسَدَ أَهْلُ الْآفَاقِ، وَتَقْضُونَ الَّذِي عَلَيْكُمْ فَيَبِينَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ الْخَبْرَ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ بِخَوْفٍ آخَرَ وَتَمَامٍ عَلَى خِلَافٍ، فَقَامَ فِيهِمْ بِذَلِكَ، [فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ لِطَائِفٍ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْعَفْوَ وَالْمَغْفِرَةَ، وَجَعَلَ لِمَنْ لَزِمَ الْأَمْرَ وَاسْتَقَامَ الْقَوْرَ وَالنَّجَاةَ، فَمَنْ لَمْ يَسْعَ الْحَقُّ أَخَذَ بِالْبَاطِلِ أَلَا وَإِنَّ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَأَمَّ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ تَمَلَّثُوا عَلَى سُخْطِ إِمَارَتِي، وَدَعَوْا النَّاسَ إِلَى الْإِصْلَاحِ، وَسَاصَبُوا مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ، وَأَكْفُفُ إِنْ كَفُّوا، وَأَقْتَصِرُ عَلَى مَا بَلَغَنِي عَنْهُمْ] .

ثُمَّ آتَاهُمْ يُرِيدُونَ الْبَصْرَةَ لِمُشَاهَدَةِ النَّاسِ وَالْإِصْلَاحِ، فَتَعَبَى لِلْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ: إِنْ فَعَلُوا هَذَا فَقَدْ انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ وَمَا كَانَ عَلَيْهِمْ فِي الْمَقَامِ فِينَا مَثُونَةٌ وَلَا إِكْرَاهٌ فَاشْتَدَّ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْأَمْرُ، فَتَثَاقَلُوا، فَبَعَثَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ كُتَيْلًا النَّحْيِيَّ، جَاءَهُ بِهِ فَقَالَ: انْهَضْ مَعِي، فَقَالَ:

أَنَا مَعَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْهُمْ وَقَدْ دَخَلُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ فَدَخَلْتُ مَعَهُمْ لَا أَفَارِقُهُمْ، فَإِنْ يَخْرُجُوا أَخْرَجْ وَإِنْ يَقْعُدُوا أَقْعُدْ قَالَ: فَأَعْطِنِي زَعِيمًا بِأَلَا تَخْرُجَ، قَالَ: وَلَا أُعْطِيكَ زَعِيمًا، [قَالَ: لَوْلَا مَا أَعْرِفُ مِنْ سُوءِ خُلُقِكَ صَغِيرًا وَكَبِيرًا لَا تُكْرَتُنِي، دَعُوهُ فَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ] فَرَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا نَدْرِي كَيْفَ نَصْنَعُ، فَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمُسْتَبْهَرٌ عَلَيْنَا، وَنَحْنُ مُقِيمُونَ حَتَّى يُضِيءَ لَنَا وَيُسْفِرَ.

خَرَجَ مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهِ وَأَخْبَرَ أُمَّ كُثُومَ بِنْتَ عَلِيٍّ بِالَّذِي سَمِعَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ مُعْتَمِرًا مُقِيمًا عَلَى طَاعَةِ عَلِيٍّ مَا خَلَا النُّهْضَ، وَكَانَ صَدُوقًا فَاسْتَقَرَّ عِنْدَهَا، وَأَصْبَحَ عَلِيٌّ فَقِيلَ لَهُ: حَدَّثَ الْبَارِحَةَ حَدَّثَ هُوَ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَمُعَاوِيَةَ قَالَ: وَمَا ذَلِكَ؟ قَالَ:

خَرَجَ ابْنُ عُمَرَ إِلَى الشَّامِ، فَأَتَى عَلِيٌّ السُّوقَ وَدَعَا بِالظُّهْرِ فَحَمَلَ الرَّجَالُ وَأَعَدَّ لِكُلِّ طَرِيقٍ طُلَابًا وَمَاجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، وَسَمِعَتْ أُمَّ كُثُومَ بِالَّذِي هُوَ فِيهِ، فَدَعَتْ بِبَغْلَتِهَا فَركَبَتْهَا فِي رَحْلِ ثُمَّ أَتَتْ عَلِيًّا وَهُوَ وَقِفٌ فِي السُّوقِ يَفْرِقُ الرَّجَالَ فِي طَلْبِهِ، فَقَالَتْ: مَا لَكَ لَا تَزْدُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ؟ إِنَّ الْأَمْرَ

عَلَى خِلَافِ مَا بَلَغْتَهُ وَحَدَّثْتَهُ قَالَتْ: أَنَا ضَامِنَةٌ لَهُ، فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَقَالَ: انْصَرِفُوا، لَا وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كَذَبَ، وَإِنَّهُ عِنْدِي ثِقَةٌ فَأَنْصَرِفُوا.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا:

وَلَمَّا رَأَى عَلِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَا رَأَى لَمْ يَرْضَ طَاعَتَهُمْ حَتَّى يَكُونَ مَعَهَا نُصْرَتُهُ، قَامَ فِيهِمْ وَجَعَ إِلَيْهِ وَجُوهَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، [وَقَالَ: إِنْ آخَرَ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِمَا صَلَحَ أَوَّلُهُ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ عَوَاقِبَ قَضَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَنْ مَضَى مِنْكُمْ، فَانْصَرُوا اللَّهُ يَنْصُرُكُمْ وَيُصْلِحُ لَكُمْ أَمْرَكُمْ] فَأَجَابَهُ رَجُلَانِ مِنَ أَعْلَامِ الْأَنْصَارِ، أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ - وَهُوَ بَدْرِيٌّ - وَخَزِيمَةُ بْنُ ثَابِتٍ، وَلَيْسَ بِذِي الشَّهَادَتَيْنِ، مَاتَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ فِي زَمَنِ عِثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ الْحَكَمِ، قَالَ: قِيلَ لَهُ: أَشْهَدُ خَزِيمَةَ بْنَ ثَابِتٍ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ الْجَمْلُ؟

فَقَالَ: لَيْسَ بِهِ، وَلَكِنَّهُ غَيْرُهُ مِنَ الْأَنْصَارِ، مَاتَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ فِي زَمَانِ عِثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، مَا نَهَضَ فِي تِلْكَ الْفِتْنَةِ إِلَّا سِتَّةُ بَدْرِيِّينَ مَا لَهُمْ سَابِعٌ، أَوْ سَبْعَةٌ مَا لَهُمْ ثَامِنٌ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا نَهَضَ فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ إِلَّا سِتَّةُ بَدْرِيِّينَ مَا لَهُمْ سَابِعٌ فَقُلْتُ: اخْتَلَفْتُمَا قَالَ: لَمْ نَخْتَلَفْ، إِنْ الشَّعْبِيُّ شَكَّ فِي أَبِي أَيُّوبَ: أَخْرَجَ حَيْثُ أَرْسَلْتَهُ أَمْ سَلِمَةُ إِلَى عَلِيٍّ بَعْدَ صَفِينٍ، أَمْ لَمْ يَخْرُجْ! إِلَّا أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيْهِ فَضَى إِلَيْهِ، وَعَلِيٌّ يَوْمئِذٍ بِالنَّهْرَوَانِ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ ابْنِ ثَابِتٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: مَا اجْتَمَعَ أَرْبَعَةٌ

مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَفَّازُوا عَلَى النَّاسِ بِخَيْرٍ يَحُوزُونَهُ إِلَّا
وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَحَدُهُمْ.

ثُمَّ إِنَّ زِيَادَ بْنَ حَنْظَلَةَ لَمَّا رَأَى تَنَاقَلَ النَّاسَ عَنْ عَلِيٍّ ابْتَدَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ: مَنْ تَنَاقَلَ عَنْكَ فَإِنَّا نَخِفُّ مَعَكَ وَنُقَاتِلُ دُونَكَ وَبَيْنَمَا عَلِيٌّ يَمْشِي فِي الْمَدِينَةِ إِذْ سَمِعَ زَيْنَبَ ابْنَةَ أَبِي سُفْيَانَ وَهِيَ تَقُولُ: ظَلَامَتُنَا عِنْدَ مُدَمِّمٍ وَعِنْدَ مُكْحَلَةٍ، فَقَالَ: إِنَّهَا لَتَعْلَمُ مَا هُمَا لَهَا بِثَارٍ. كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، أَنَّ عَثْمَانَ قَتَلَ فِي ذِي الْحِجَّةِ ثَمَانِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْهُ، وَكَانَ عَلَى مَكَّةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ الْحَضْرَمِيُّ، وَعَلَى الْمَوْسَمِ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، بَعَثَهُ عَثْمَانُ وَهُوَ مُحْصُورٌ، فَتَعَجَّلَ أَنَسُ فِي يَوْمَيْنِ فَأَدْرَكَوْا مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَقَدِمُوا الْمَدِينَةَ بَعْدَ مَا قُتِلَ وَقَبْلَ أَنْ يَبَايَعَ عَلِيٌّ، وَهَرَبَ بَنُو أُمَيَّةَ فَلَحَقُوا بِمَكَّةَ، وَبَوَّعَ عَلَى الْخَمْسِ بَقِيَّةً مِنْ ذِي الْحِجَّةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَتَسَاقَطَ الْهَرَابُ إِلَى مَكَّةَ، وَعَائِشَةُ مَقِيمَةٌ بِمَكَّةَ تَرِيدُ عَمْرَةَ الْمُحَرَّمِ، فَلَمَّا تَسَاقَطَ إِلَيْهَا الْهَرَابُ اسْتَخْبَرْتَهُمْ فَأَخْبَرُوهَا أَنَّ قَدْ قَتَلَ عَثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَمْ يَجِبْهُمْ إِلَى التَّامِيرِ أَحَدٌ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَلَكِنْ أَيْكَاسٍ، هَذَا غَبَّ مَا كَانَ يَدُورُ بَيْنَكُمْ مِنْ عِتَابِ الْإِسْتِصْلَاحِ، حَتَّى إِذَا قَضَتْ عَمَرَتَهَا وَخَرَجَتْ فَاتَتْهُ إِلَى سَرَفٍ لَقِيَهَا رَجُلٌ مِنْ أَخْوَالِهَا مِنْ بَنِي لَيْثٍ - وَكَانَتْ وَاصِلَةً لَهُمْ، رَفِيقَةٌ عَلَيْهِمْ - يَقَالُ لَهُ عُبَيْدُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَةَ يَعْرِفُ بِأَمْرِ أُمِّ كَلَابٍ، فَقَالَتْ: مَيِّمٌ! فَاصْصِدْ وَدَمْدَمٌ، فَقَالَتْ: وَيْحُكَ! عَلَيْنَا أَوْ لَنَا؟ فَقَالَ: لَا تَدْرِي، قَتَلَ عَثْمَانُ وَبَقُوا ثَمَانِيَا، قَالَتْ: ثُمَّ صَنَعُوا مَاذَا؟ فَقَالَ: أَخَذُوا أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِالْإِجْتِمَاعِ عَلَى عَلِيٍّ، وَالْقَوْمُ الْغَالِبُونَ عَلَى الْمَدِينَةِ فَرَجَعَتْ إِلَى مَكَّةَ وَهِيَ لَا تَقُولُ شَيْئًا وَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا شَيْءٌ، حَتَّى نَزَلَتْ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ وَقَصَدَتْ لِلْحَجَرِ فَسْتَرَتْ فِيهِ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْغَوَاةَ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَأَهْلِ الْمِيَاهِ وَعُبَيْدُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ اجْتَمَعُوا أَنْ عَابَ الْغَوَاةَ عَلَى هَذَا الْمَقْتُولِ بِالْأَمْسِ الْإِرْبَ وَاسْتَعْمَالَ مِنْ حَدَثِ سَنَةٍ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَ أَسْنَانُهُمْ قَبْلَهُ، وَمَوَاضِعُ مِنَ الْحَيِّ حَمَاهَا لَهُمْ، وَهِيَ أُمُورٌ قَدْ سَبَقَ بِهَا لَا يَصْلَحُ غَيْرُهَا، فَتَابِعْهُمْ وَنَزِعْ لَهُمْ عَنْهَا اسْتِصْلَاحًا

لَهُمْ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا حِجَّةَ وَلَا عَذْرًا خَلَجُوا وَبَادُوا بِالْعُدْوَانِ وَبَا فَعَلَهُمْ عَنْ قَوْلِهِمْ، فَسَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ وَاسْتَحَلُّوا الْبِلَدَ الْحَرَامَ وَأَخَذُوا الْمَالَ الْحَرَامَ، وَاسْتَحَلُّوا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَاللَّهُ لِأَصْبَحَ عَثْمَانُ خَيْرٌ مِنْ طَبَاقِ الْأَرْضِ أَمْثَالِهِمْ. فَجَاءَ مِنْ اجْتِمَاعِهِمْ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَنْكَلُ بِهِمْ غَيْرُهُمْ وَيُشْرِدَ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَوَاللَّهُ لَوْ أَنَّ الَّذِي اعْتَدُوا بِهِ عَلَيْهِ كَانَ ذَنْبًا لَخَلَصَ مِنْهُ كَمَا يَخْلُصُ الذَّهَبُ مِنْ خَبْثِهِ أَوْ الثَّوْبُ مِنْ دَرَنِهِ إِذَا مَاصُوهُ كَمَا يَمَاصُ الثَّوْبُ بِالْمَاءِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ الْحَضْرَمِيُّ: هَآنَذَا لَهَا أَوَّلُ طَالِبٍ - وَكَانَ أَوَّلَ مَجِيبٍ وَمُنْتَدِبٍ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُحَيْمٌ مَوْلَى وَبَرَةَ التَّمِيمِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عَمْرٍو الْقُرَشِيِّ، قَالَ: خَرَجَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَثْمَانُ مُحْصُورٌ، فَقَدِمَ عَلَيْهَا مَكَّةَ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ أَخْضَرُ، فَقَالَتْ: مَا صَنَعَ النَّاسُ؟ فَقَالَ: قَتَلَ عَثْمَانُ الْمَصْرِيِّينَ، قَالَتْ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! أَيْقَتُلُ قَوْمًا جَاءُوا يَطْلُبُونَ الْحَقَّ وَيُنْكِرُونَ الظُّلْمَ! وَاللَّهُ لَا نَرْضَى بِهِذَا ثُمَّ قَدِمَ آخَرُ فَقَالَتْ: مَا صَنَعَ النَّاسُ؟ قَالَ: قَتَلَ الْمَصْرِيُّونَ عَثْمَانَ، قَالَتْ: الْعَجَبُ لِأَخْضَرٍ، زَعَمَ أَنَّ الْمَقْتُولَ هُوَ الْقَاتِلُ!

فَكَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ: أَكْذَبُ مِنْ أَخْضَرَ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرٍو بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: خَرَجَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نَحْوَ الْمَدِينَةِ مِنْ مَكَّةَ بَعْدَ مَقْتَلِ عَثْمَانَ، فَلَقِيَهَا رَجُلٌ مِنْ أَخْوَالِهَا، فَقَالَتْ: مَا وَرَاءُكَ؟ قَالَ: قَتَلَ عَثْمَانُ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى عَلِيٍّ، وَالْأَمْرُ أَمْرُ الْغَوَاةِ فَقَالَتْ: مَا أَظُنُّ ذَلِكَ تَامًا، رُدُّونِي فَانْصَرَفْتُ رَاجِعَةً إِلَى مَكَّةَ، حَتَّى إِذَا دَخَلَتْهَا أَتَاهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ الْحَضْرَمِيُّ - وَكَانَ أَمِيرَ عَثْمَانَ عَلَيْهِ - فَقَالَ: مَا رَدُّكَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ؟

قَالَتْ: رَدَّني ان عثمان قتل مظلوما، وان الأمر لا يَسْتَقِيمُ وَلِهَذَا الْغَوَاءُ أَمْرٌ، فَاطْلُبُوا بِدَمِ عُثْمَانَ تَعِزُّوا الْإِسْلَامَ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَجَابَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ

الْحَضْرَمِيُّ، وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بَنُو أُمَيَّةَ بِالْحِجَازِ وَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ، وَقَامَ مَعَهُمْ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ، وَسَائِرُ بَنِي أُمَيَّةَ وَقَدْ قَدِمَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ مِنَ الْبَصْرَةِ، وَيَعْلَى بْنُ أُمَيَّةَ مِنَ الْيَمَنِ، وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَاجْتَمَعَ مَلُؤُهُمْ بَعْدَ نَظَرٍ طَوِيلٍ فِي أَمْرِهِمْ عَلَى الْبَصْرَةِ، وَقَالَتْ:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذَا حَدَثٌ عَظِيمٌ وَأَمْرٌ مُنْكَرٌ، فَانْهَضُوا فِيهِ إِلَى إِخْوَانِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَأَنْكِرُوهُ، فَقَدْ كَفَاكُمْ أَهْلُ الشَّامِ مَا عِنْدَهُمْ، لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَذَرُكَ لِعُثْمَانَ وَلِلْمُسْلِمِينَ بَثْرَهُمْ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا: كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَجَابَ إِلَى ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ وَبَنُو أُمَيَّةَ، وَقَدْ كَانُوا سَقَطُوا إِلَيْهَا بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ، ثُمَّ قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ، ثُمَّ قَدِمَ يَعْلَى بْنُ أُمَيَّةَ، فَاتَّفَقَا بِمَكَّةَ، وَمَعَ يَعْلَى سِتْمَاتُهُ بَعِيرٌ وَسِتْمَاتُهُ أَلْفٌ، فَأَنَاحَ بِالْأَبْطَحِ مُعْسَكراً، وَقَدِمَ مَعَهُمَا طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، فَلَقِيَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَتْ: مَا وَرَاءُكُمْ؟ فَقَالَا: وَرَاءَنَا أَنَا نَحْمَلُنَا بِقَلْبَيْنَا هَرَاباً مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ غَوَاءٍ وَأَعْرَابٍ، وَفَارَقْنَا قَوْماً حَيَارَى لَا يَعْرِفُونَ حَقّاً وَلَا يُنْكِرُونَ بَاطِلاً وَلَا يَمْنَعُونَ أَنْفُسَهُمْ قَالَتْ: فَاتَّبِعُوا أَمْرًا، ثُمَّ انْهَضُوا إِلَى هَذِهِ الْغَوَاءِ.

وتمثلت:

وَلَوْ أَنَّ قَوْمِي طَاوَعَتْنِي سُرَاتُهُمْ ... لَأَنْقَذْتُهُمْ مِنَ الْحِبَالِ أَوْ الْخَبْلِ

وَقَالَ الْقَوْمُ فِيمَا اتَّبَعُوا بِهِ: الشَّامُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ: قَدْ كَفَاكُمْ الشَّامُ مَنْ يَسْتَمِرُّ فِي حَوَازَتِهِ، فَقَالَ لَهُ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ: فَايْنَ؟ قَالَ: الْبَصْرَةَ، فَإِنَّ لِي بِهَا صَنَائِعَ وَلَهُمْ فِي طَلْحَةَ هَوًى، قَالُوا: قَبْحَكَ اللَّهُ! فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ بِالْمُسْلِمِ وَلَا بِالْمُحَارِبِ، فَهَلَا أَقْنَتْ كَمَا أَقَامَ مُعَاوِيَةُ فَتَكْتَفِي بِكَ، وَنَأْتِي الْكُوفَةَ فَتَسُدُّ عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمَذَاهِبَ! فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَهُ جَوَاباً مَقْبُولاً، حَتَّى إِذَا اسْتَقَامَ لَهُمُ الرَّأْيُ عَلَى الْبَصْرَةِ قَالُوا: يَا أُمَ الْمُؤْمِنِينَ، دَعِيَ الْمَدِينَةَ فَإِنَّ مَنْ مَعَنَا لَا يَقْرُنُونَ لَتِلْكَ الْغَوَاءِ الَّتِي بِهَا، وَاشْخَصِي مَعَنَا إِلَى الْبَصْرَةِ، فَإِنَّا نَأْتِي بَلَدًا مُضِيْعًا، وَسَيَحْتَجُونَ عَلَيْنَا فِيهِ بَيْعَةً عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَتَهْضِبُهُمْ كَمَا أَهْضَبَ أَهْلَ مَكَّةَ ثُمَّ تَقْعُدِينَ، فَإِنَّ أَصْلَحَ اللَّهِ الْأَمْرَ كَانَ الَّذِي تُرِيدِينَ، وَإِلَّا احْتَسَبْنَا وَدَفَعْنَا عَنْ هَذَا الْأَمْرِ بِجَهْدِنَا حَتَّى يَقْضَى اللَّهُ مَا أَرَادَ.

فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ لَهَا - وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُسْتَقِيمًا إِلَّا بِهَا - قَالَتْ: نَعَمْ، وَقَدْ كَانَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ص مَعَهَا عَلَى قَصْدِ الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا تَحَوَّلَ رَأْيُهَا إِلَى الْبَصْرَةِ تَرَكْنَ ذَلِكَ، وَانْطَلَقَ الْقَوْمُ بَعْدَهَا إِلَى حَفْصَةَ، فَقَالَتْ:

رَأَيْتُ تَبَعَ لِرَأْيِ عَائِشَةَ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْخُرُوجُ قَالُوا: كَيْفَ نَسْتَقِلُّ وَلَيْسَ مَعَنَا مَالٌ نُجْهِزُ بِهِ النَّاسَ! فَقَالَ يَعْلَى بْنُ أُمَيَّةَ: مَعِيَ سِتْمَاتُهُ أَلْفٌ وَسِتْمَاتُهُ بَعِيرٌ فَارْكَبُوهَا، وَقَالَ ابْنُ عَامِرٍ: مَعِيَ كَذَا وَكَذَا فَتَجَهَّزُوا بِهِ فَنَادَى الْمُنَادِي: أَنَّ أُمَ الْمُؤْمِنِينَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ شَاخِصُونَ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَمَنْ كَانَ يُرِيدُ إِعْزَازَ الْإِسْلَامِ وَقِتَالَ الْمُحِلِّينَ وَالطَّلَبَ بَثْرَ عُثْمَانَ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَرْكَبٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ جِهَازٌ فَهَذَا جِهَازُ وَهَذِهِ نَفَقَةُ، فَحَمَلُوا سِتْمَاتَهُ رَجُلٌ عَلَى سِتْمَاتِهِ نَاقَةً سِوَى مَنْ كَانَ لَهُ مَرْكَبٌ - وَكَانُوا جَمِيعًا أَلْفًا - وَتَجَهَّزُوا بِالْمَالِ، وَنَادَوْا بِالرَّحِيلِ وَاسْتَقَلُّوا ذَاهِبِينَ وَارَادَتْ حَفْصَةُ الْخُرُوجَ فَأَتَاهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَطَلَبَ إِلَيْهَا أَنْ تَقْعُدَ، فَقَعَدَتْ وَبَعَثَتْ إِلَى عَائِشَةَ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ حَالُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْخُرُوجِ، فَقَالَتْ: يَغْفِرُ اللَّهُ لِعَبْدِ اللَّهِ! وَبَعَثَتْ أُمَ الْفَضْلِ بِنْتَ الْحَارِثِ رَجُلًا مِنْ جُهَيْنَةَ يُدْعَى ظَفَرًا، فَاسْتَأْجَرَتْهُ عَلَى أَنْ يَطْوِي وَيَأْتِي عَلِيًّا بِكِتَابِهَا، فَقَدِمَ عَلَى عَلِيٍّ بِكِتَابِ أُمِ الْفَضْلِ بِالْخَبْرِ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، عَنْ أَبِي مُخَنِفٍ، قَالَ:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ أَبُو قَتَادَةَ لِعَلِيٍّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَلَدَنِي هَذَا السَّيْفَ وَقَدْ شَمَتَهُ فَطَالَ شِمُّهُ، وَقَدْ أَتَى تَجْرِيدُهُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ لَمْ يَأْلُوا الْأُمَّةَ غِشًّا، فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تُقَدِّمَنِي، فَقَدِّمَنِي وَقَامَتِ أُمُّ سَلَمَةَ فَقَالَتْ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْلَا أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنَّكَ لَا تَقْبَلُهُ مِنِّي لَخَرَجْتُ مَعَكَ، وَهَذَا ابْنِي عُمَرُ - وَاللَّهِ لَهُوَ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي - يَخْرُجُ مَعَكَ فَيَشْهَدُ

مُشَاهِدَكَ نَخْرَجَ فَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْبَحْرَيْنِ ثُمَّ عَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ النُّعْمَانَ بْنَ عَجْلَانَ الزُّرَقِيَّ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُسْلِمَةُ، عَنْ عَوْفٍ، قَالَ: أَعَانَ يَعْلَى بْنُ أَمِيهِ الزُّبَيْرُ بِأَرْبَعِمِائَةِ أَلْفٍ، وَحَمَلَ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ، وَحَمَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَلَى جَمَلٍ يُقَالُ لَهُ عَسْكَرٌ، أَخَذَهُ بِثَمَانِينَ دِينَارًا، وَخَرَجُوا فَظَنَرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى الْبَيْتِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ بَرَكَةً طَالِبُ خَيْرٍ، وَلَا هَارِبُ مِنْ شَرٍّ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا:

خَرَجَ الْمَغِيرَةُ وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ مَعَهُمْ مَرْحَلَةً مِنْ مَكَّةَ، فَقَالَ سَعِيدٌ لِلْمَغِيرَةِ: مَا الرَّأْيُ؟ قَالَ: الرَّأْيُ وَاللَّهُ الْإِعْتِزَالُ، فَإِنَّهُمْ مَا يُفْلِحُ أَمْرُهُمْ، فَإِنْ أَظْفَرَهُ اللَّهُ أَتَيْنَاهُ، فَقُلْنَا: كَانَ هَوَانًا وَصَغُونًا مَعَكَ، فَاعْتَزَلَا فَجَلَسَا، فَجَاءَ سَعِيدُ مَكَّةَ فَأَقَامَ بِهَا، وَرَجَعَ مَعَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ بْنِ حَازِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ يُونُسَ بْنَ يَزِيدٍ الْأَيْلِيَّ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: ثُمَّ ظَهَرَا - يَعْنِي طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ - إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَابْنِ عَامِرٍ بِهَا يَجْرُ الدُّنْيَا، وَقَدِمَ يَعْلَى بْنُ أُمَيَّةَ مَعَهُ بِمَالٍ كَثِيرٍ، وَزِيَادَةٌ عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ بَعِيرٍ، فَاجْتَمَعُوا فِي بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأَرَادُوا الرَّأْيَ، فَقَالُوا: نَسِيرُ إِلَى عَلِيٍّ فَنُقَاتِلُهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ:

لَيْسَ لَكُمْ طَاقَةٌ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَلَكِنَّا نَسِيرُ حَتَّى نَدْخُلَ الْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ، وَلَطَلْحَةُ بِالْكُوفَةِ شَيْعَةً وَهَوًى، وَلِلزُّبَيْرِ بِالْبَصْرَةِ هَوًى وَمَعُونَةٌ فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَسِيرُوا إِلَى الْبَصْرَةِ وَإِلَى الْكُوفَةِ، فَأَعْطَاهُم عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ مَالًا كَثِيرًا وَإِبِلًا، فَخَرَجُوا فِي سَبْعِمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، وَلَحِقَهُمُ النَّاسُ حَتَّى كَانُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ رَجُلٍ، فَبَلَغَ عَلِيًّا مَسِيرَهُمْ، فَامْرَ عَلَى الْمَدِينَةِ سَهْلَ ابْنِ حَنِيفٍ الْأَنْصَارِيِّ، وَخَرَجَ فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ ذَاقَارَ، وَكَانَ مَسِيرُهُ إِلَيْهَا ثَمَانِ لَيَالٍ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ. حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، قَالَ:

حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ يُونُسَ قَاضِي صَنْعَاءَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَصْعَبٍ بْنِ ثَابِتٍ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ مُوسَى بْنِ عَقْبَةَ، عَنْ عُلْقَمَةَ ابْنِ وَقَاصِ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: لَمَّا خَرَجَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَرَضُوا النَّاسَ بِذَاتِ عَرَقٍ، وَاسْتَصْغَرُوا عُرْوَةَ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَأَبَا بَكْرَ ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ ابْنَ هِشَامٍ فَرَدُوهُمَا.

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو، عَنْ عَتَبَةَ ابْنِ الْمُغِيرَةِ ابْنِ الْأَخْنَسِ، قَالَ: لَقِيَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ مَرْوَانَ ابْنَ الْحَكَمِ وَأَصْحَابَهُ بِذَاتِ عَرَقٍ، فَقَالَ: أَيْنَ تَذْهَبُونَ وَتَأْتُونَ عَلَى أَعْجَازِ الْإِبِلِ! اقْتُلُوهُمْ ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَى مَنَازِلِكُمْ لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ، قَالُوا: بَلْ نَسِيرُ فَلَعَلَّنَا نَقْتُلُ قَتْلَةَ عُثْمَانَ جَمِيعًا نَحْنُ سَعِيدُ بَطْلِحَةَ وَالزُّبَيْرِ، فَقَالَ: إِنْ ظَفَرْتُمَا لِمَنْ تَجْعَلَانِ الْأَمْرَ؟ أَصْدَقَانِي، قَالَا: لَا أَحَدُنَا أَيْنَا اخْتَارَهُ النَّاسُ قَالَ: بَلْ اجْعَلُوهُ لَوْلَا عُثْمَانُ فَإِنَّكُمْ خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ بَدْمَهُ، قَالَا: نَدْعُ شَيْوخَ الْمُهَاجِرِينَ وَنَجْعَلُهَا لِأَبْنَائِهِمْ! قَالَ: أَفَلَا

أراني أسعى لأخرجها من بني عبد مناف فرجع ورجع عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال المغيرة ابن شعبة: الرأي ما رأى سعيد، من كان هاهنا من ثقيف فليرجع، فرجع ومضى القوم، معهم أبان بن عثمان والوليد بن عثمان، فاختلفوا في الطريق فقالوا: من ندعو لهذا الأمر؟ فخلا الزبير بابنه عبد الله، وخلا طلحة بعلمقة بن وقاص الليثي - وكان يؤثره على ولده - فقال أحدهما:

أنت الشام، وقال الآخر: أنت العراق، وحاور كل واحد منهما صاحبه ثم اتفقا على البصرة.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن قيس،

عن الأغر، قال: لما اجتمع إلى مكة بنو أمية ويعلى بن منبه وطلحة والزبير، اتهموا أمرهم، وأجمع ملوهم على الطلب بدم عثمان وقتال السبئية حتى يثاروا وينتقموا، فأمرتهم عائشة رضي الله عنها بالخروج إلى المدينة، واجتمع القوم على البصرة وردوها عن رأيها، وقال لها طلحة والزبير: إنا نأتي أرضا قد أضيعت وصارت إلى علي، وقد أجبرنا علي على بيعته، وهم محتجون علينا بذلك وتاركوا أمرنا إلا أن تخرجي فتأمرني بمثل ما أمرت بمكة، ثم ترجعي فنادى المنادي: إن عائشة تريد البصرة وليس في ستمائه بعير ما تغنون به غوغاء وجلبة الأعراب وعبيدا قد انتشروا واقتربوا أذرعهم مسعدين لأول واعية وبعثت إلى حفصة، فأرادت الخروج، فعزم عليا ابن عمر فأقامت، فخرجت عائشة ومعها طلحة والزبير، وأمرت على الصلاة عبد الرحمن ابن عتاب بن أسيد، فكان يصلي بهم في الطريق وبالبصرة حتى قتل، وخرج معها مروان وسائر بني أمية إلا من خشع، وتيامنت عن اوطاس، وهم ستمائه راكب سوى من كانت له مطية، فتركت الطريق ليلة وتيامنت عنها كأنهم سيارة ونجعة، مساحلين لم يدن من المنكر ولا واسط ولا فليح منهم أحد، حتى أتوا البصرة في عام خصب وتمثلت:

دعي بلاد جموع الظلم إذ صلحت ... فيها المياه وسيري سير مذعور

تخيري النبت فارعي ثم ظاهرة ... وبطن واد من الضمار ممطور

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، عن عمر بن راشد اليمامي، عن أبي كثير السحيمي، عن ابن عباس، قال: خرج أصحاب الجمل في ستمائه، معهم عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن صفوان الجمحي، فلما جاوزا بئر ميمون إذا هم بجزور قد نحرت ونحرها ينثعب، فتطيروا.

وأذن مروان حين فصل من مكة ثم جاء حتى وقف عليهما، فقال:

أيكما أسلم بالإمرة وأوذن بالصلاة؟ فقال عبد الله بن الزبير: على أبي عبد الله، وقال محمد بن طلحة: على أبي محمد فأرسلت عائشة رضي الله

٤٠٢١٠٣ خروج على إلى الربة يريد البصره

عنها إلى مروان فقالت: ما لك؟ أتريد أن تفرق أمرنا! ليصل ابن أخي، فكان يصلي بهم عبد الله بن الزبير حتى قدم البصرة، فكان معاذ بن عبيد الله يقول: والله لو ظفرنا لافتتنا ما خلى الزبير بين طلحة والأمر، ولا خلى طلحة بين الزبير والأمر خروج علي إلى الربة يريد البصرة

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، قال: جاء عليا الخبر عن طلحة والزبير وأم المؤمنين، فأمر على المدينة تمام بن العباس، وبعث إلى مكة قثم بن العباس، وخرج وهو يرجو أن يأخذهم بالطريق، وأراد أن يعترضهم، فاستبان له بالرقة أن قد فاتوه، وجاءه بالخبر عطاء بن رثاب مولى الحارث بن حزن.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا:

بلغ علياً الخبر - وهو بالمدينة - باجتماعهم على الخروج إلى البصرة وبالدّي اجتماع عليه ملوهم، طلحة والزبير وعائشة ومن تبعهم، وبلغه قول عائشة، وخرج علي يباذرهم في تعيته التي كان تعي بها إلى الشام، وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخفين في سبعمائة رجل، وهو يرجو أن يدركهم فيحول بينهم وبين الخروج، فلقه عبد الله بن سلام فأخذ بعنانه، وقال: يا أمير المؤمنين، لا تخرج منها، فوالله لئن خرجت منها لا ترجع إليها ولا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً فسيبوه، فقال: دعوا الرجل، فنعم الرجل من أصحاب محمد ص! وسار حتى انتهى إلى الربرة فبلغه ممرهم، فأقام حين فاتوه يأتمر بالربة.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن خالد بن مهران البجلي، عن مروان بن عبد الرحمن الخميسي، عن طارق بن شهاب، قال: خرجنا من الكوفة معتمرين حين أتنا قتل عثمان رضي الله عنه، فلما انتهينا إلى الربرة - وذلك في وجه الصبح - إذا الرفاق وإذا بعضهم يحدو

٤٠٢١٠٤ شراء الجمل لعائشة رضي الله عنها، وخبر كلاب الحوَاب

بعضاً، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: أمير المؤمنين، فقلت: ما له؟ قالوا:

غلبه طلحة والزبير، فخرج يعترض لهما ليردهما، فبلغه أنهما قد فاتاه، فهو يريد أن يخرج في آثارهما، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون! أتى علياً فأقاتل معه هذين الرجلين وأم المؤمنين أو أخالفه! إن هذا لشديد.

فخرجت فأتيته، فأقيمت الصلاة بغلس، فتقدم فصلى، [فلما انصرف أتاه ابنه الحسن فجلس فقال: قد أمرتك فعصيتني، فتقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك، فقال علي: إنك لا تزال تخن خنين الجارية! وما الذي أمرتني فعصيتك؟

قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل ألا تباع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفساد كان على يدي غيرك، فعصيتني في ذلك كله قال: أي بني، أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به وأما قولك: لا تباع حتى تأتي بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة، وكرهنا أن يضيع هذا الأمر.

وأما قولك حين خرج طلحة والزبير، فإن ذلك كان وهنا على أهل الإسلام، وو الله ما زلت مقهوراً مذوليت، منقوصاً لا أصل إلى شيء مما ينبغي وأما قولك: اجلس في بيتك، فكيف لي بما قد لزمني! أو من تريدني؟ أتريد أن أكون مثل الضبع التي يحاط بها ويقال: دباب دباب! ليست هاهنا حتى يحل عرقوبها ثم تخرج، وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعينني فمن ينظر فيه! فكف عنك أي بني]

. شراء الجمل لعائشة رضي الله عنها، وخبر كلاب الحوَاب

حدثني إسماعيل بن موسى الفزاري، قال: أخبرنا علي بن عابس الأزرق، قال: حدثنا أبو الخطّاب الهجري، عن صفوان بن قبيصة الأحمسي، قال: حدثني العربي صاحب الجمل، قال: بينما أنا أسير

على جمل إذ عرض لي راكب فقال: يا صاحب الجمل، تبّع جملك؟

قلت: نعم، قال: بك؟ قلت: بألف درهم، قال: مجنون أنت! جمل يباع بألف درهم! قال: قلت: نعم، جملي هذا، قال: ومم ذلك؟ قلت: ما طلبت عليه أحداً قط إلا أدركته، ولا طلبي وأنا عليه أحد إلا فته قال: لو تعلم لمن نريده لأحسنّت بيعنا، قال: قلت: ولمن

تَرْيْدُهُ؟ قَالَ: لِأُمِّكَ، قُلْتُ: لَقَدْ تَرَكْتُ أُمِّي فِي بَيْتِهَا قَاعِدَةً مَا تُرِيدُ بَرَّاحًا، قَالَ: إِنَّمَا أُرِيدُهُ لِأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، قُلْتُ: فَهَوَ لَكَ، نَحْنُهُ بَغِيرَ ثَمْنٍ، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَرْجِعْ مَعَنَا إِلَى الرَّحْلِ فَلْنُعْطِكَ نَاقَةً مَهْرِيَّةً وَنَزِيدُكَ دَرَاهِمَ، قَالَ: فَارْجَعْتُ فَأَعْطُونِي نَاقَهُ لَهَا مَهْرِيهِ، وَزَادُونِي أَرْبَعَمِائَةٍ أَوْ سِتِّمِائَةٍ دَرَاهِمَ، فَقَالَ لِي: يَا أَخَا عُرَيْنَةَ، هَلْ لَكَ دَلَالَةٌ بِالطَّرِيقِ؟ قَالَ: قُلْتُ:

نَعَمْ، أَنَا مِنْ أَدْرَكِ النَّاسِ، قَالَ: فَسِرْ مَعَنَا، فَسِرْتُ مَعَهُمْ فَلَا أَمْرٌ عَلَى وَادٍ وَلَا مَاءٌ إِلَّا سَأَلُونِي عَنْهُ، حَتَّى طَرَقْنَا مَاءَ الْحَوَابِ فَنَبَحَتْنَا كِلَابُهَا، قَالُوا: أَيُّ مَاءٍ هَذَا؟ قُلْتُ: مَاءُ الْحَوَابِ، قَالَ: فَصَرَخَتْ عَائِشَةُ بِأَعْلَى صَوْتِهَا، ثُمَّ ضَرَبَتْ عَضْدَ بَعِيرِهَا فَأَنَاحَتْهُ، ثُمَّ قَالَتْ: أَنَا وَاللَّهِ صَاحِبَةُ كِلَابِ الْحَوَابِ طَرُوقًا، رُدُّونِي! تَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثًا فَأَنَاحَتْ وَأَنَاحُوا حَوْلَهَا وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَهِيَ تَأْتِي حَتَّى كَانَتْ السَّاعَةُ الَّتِي أَنَاحُوا فِيهَا مِنَ الْعَدِّ قَالَ: لَجَاءَهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ فَقَالَ: التَّجَاءَ النَّجَاءَ، فَقَدْ أَدْرَكَكُمْ وَاللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ! قَالَ:

فَارْتَحَلُوا وَشَتُّونِي، فَانْصَرَفْتُ، فَمَا سِرْتُ إِلَّا قَلِيلًا وَإِذَا أَنَا بِعَلِيِّ وَرَكِبٍ مَعَهُ نَحْوُ مِنْ ثَلَاثِمِائَةٍ، فَقَالَ لِي عَلَى: يَا أَيُّهَا الرَّكَّابُ! فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ: أَيْنَ أَتَيْتَ الطَّلَعِينَ؟ قُلْتُ: فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا، وَهَذِهِ نَاقَتُهَا، وَبَعْتُهُمْ جَمَلِي، قَالَ: وَقَدْ رَكِبْتَهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، وَسِرْتُ مَعَهُمْ حَتَّى أَتَيْنَا مَاءَ الْحَوَابِ فَنَبَحَتْ عَلَيْهَا كِلَابُهَا، فَقَالَتْ كَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا رَأَيْتُ اخْتِلَاطَ أَمْرِهِمْ انْتَفَلْتُ وَارْتَحَلُوا، فَقَالَ عَلِيُّ: هَلْ لَكَ دَلَالَةٌ بِذِي قَارٍ؟ قُلْتُ: لِعَلِّي أَدُلُّ النَّاسَ، قَالَ: فَسِرْ مَعَنَا، فَسَرْنَا حَتَّى نَزَلْنَا ذَا قَارٍ، فَأَمَرَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِجَوَالِقِينَ فَضَمَّ أَحَدَهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ جِيءَ بِرَحْلٍ فَوُضِعَ عَلَيْهِمَا، ثُمَّ جَاءَ يَمِّشِي حَتَّى صَعِدَ عَلَيْهِ، وَسَدَلَ رَجُلِيهِ مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ حَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى

٤٠٢١٠٥ قول عائشة رضي الله عنها: والله لا طلبن بدم عثمان وخروجها وطلحه والزبير فيمن تبعهم إلى البصرة

عليه، وصلى على محمد ص، ثُمَّ قَالَ: قَدْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ فَقَامَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ فَبَكَى، فَقَالَ لَهُ عَلَى: قَدْ جِئْتُ تَخْنِ خَنِينَ الْجَارِيَةِ! فَقَالَ: أَجَلْ، أَمَرْتُكَ فَعَصَيْتَنِي، فَأَنْتَ الْيَوْمَ تُقْتَلُ بِمُضِيعَةٍ لَا نَاصِرَ لَكَ، قَالَ: حَدِّثِ الْقَوْمَ بِمَا أَمَرْتَنِي بِهِ، قَالَ: أَمَرْتُكَ حِينَ سَارَ النَّاسُ إِلَى عُثْمَانَ أَلَّا تَبْسُطَ يَدَكَ بِبَيْعَةٍ حَتَّى تَجُولَ جَائِلَةً الْعَرَبِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَقْطَعُوا أَمْرًا دُونَكَ، فَأَبَيْتَ عَلِيٍّ، وَأَمَرْتُكَ حِينَ سَارَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ وَصَنَعَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ مَا صَنَعُوا أَنْ تَلْزِمَ الْمَدِينَةَ وَتُرْسَلَ إِلَى مَنْ اسْتَجَابَ لَكَ مِنْ شِيعَتِكَ، قَالَ عَلِيُّ: صَدَقَ وَاللَّهِ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ مَا كُنْتُ لِأَكُونَ كَالضَّبْعِ تَسْتَمِعُ لِلدَّمِ، [إِنَّ النَّبِيَّ ص قَبِضَ وَمَا أَرَى أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنِّي، فَبَايَعَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ، فَبَايَعْتُ كَمَا بَايَعُوا، ثُمَّ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَلَكَ وَمَا أَرَى أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنِّي، فَبَايَعَ النَّاسُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَبَايَعْتُ كَمَا بَايَعُوا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَلَكَ وَمَا أَرَى أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنِّي، فَجَعَلَنِي سَهْمًا مِنْ سِتَّةِ أَهْلِهِمْ، فَبَايَعَ النَّاسُ عُثْمَانَ فَبَايَعْتُ كَمَا بَايَعُوا، ثُمَّ سَارَ النَّاسُ إِلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَتَوْنِي فَبَايَعُونِي طَائِعِينَ غَيْرَ مُكْرَهِينَ، فَأَنَا مُقَاتِلٌ مِنْ خَالِفِي بَيْنَ اتَّبَعِي حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ]

. قول عائشة رضي الله عنها: والله لا طلبن بدم عثمان وخروجها وطلحة والزبير فيمن تبعهم إلى البصرة

كَتَبَ إِلَيَّ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْعَجَلِيُّ أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ نَصْرِ الْعَطَّارَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي نَصْرُ بْنُ مَرْجَمٍ الْعَطَّارُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَيْفُ بْنُ عُمَرَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ نُوَيْرَةَ وَطَلْحَةَ بْنِ الْأَعْلَمِ الْخَنْفِيِّ قَالَ: وَحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أُسَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَمَّنْ أَدْرَكَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، إِنَّ عَائِشَةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمَّا انْتَهَتْ إِلَى سَرَفٍ رَاجِعَةً فِي طَرِيقِهَا إِلَى مَكَّةَ، لَقِيَهَا عَبْدُ بْنُ أُمٍّ كِلَابٍ - وَهُوَ

عَبْدُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، يُنْسَبُ إِلَى أُمِّهِ - فَقَالَتْ لَهُ: مَهْمٌ؟ قَالَ: قَتَلُوا عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَكُفُّوا ثَمَانِيًا، قَالَتْ: ثُمَّ صَنَعُوا مَاذَا؟ قَالَ: أَخَذَهَا

أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِالْاجْتِمَاعِ، فَجَازَتْ بِهِمُ الْأُمُورُ إِلَى خَيْرِ مَجَازٍ، اجْتَمَعُوا عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَيْتَ أَنَّ هَذِهِ انْطَبَقَتْ عَلَى هَذِهِ إِنْ تَمَّ الْأَمْرُ لِصَاحِبِكَ! رُدُونِي رُدُونِي، فَانْصَرَفَتْ إِلَى مَكَّةَ وَهِيَ تَقُولُ: قَتَلَ وَاللَّهِ عُثْمَانُ مَظْلُومًا، وَاللَّهِ لَا أَطْلُبُ بِدَمِهِ، فَقَالَ لَهَا ابْنُ أُمِّ كِلَابٍ: وَلَمْ؟ فَوَاللَّهِ إِنْ أَوَّلَ مَنْ أَمَالَ حَرْفَهُ لَأَنْتِ! وَلَقَدْ كُنْتُ تَقُولِينَ: اقْتُلُوا نَعْتَلًا فَقَدْ كَفَرَ، قَالَتْ: إِنَّهُمْ اسْتَتَابُوهُ ثُمَّ قَتَلُوهُ، وَقَدْ قُلْتُ وَقَالُوا، وَقَوْلِي الْأَخِيرُ خَيْرٌ مِنْ قَوْلِي الْأَوَّلِ، فَقَالَ لَهَا ابْنُ أُمِّ كِلَابٍ:

فُنِكَ الْبَدَاءُ وَمِنْكَ الْغَيْرُ ... وَمِنْكَ الرِّيَّاحُ وَمِنْكَ الْمَطَرُ

وَأَنْتِ أَمَرْتِ بِقَتْلِ الْإِمَامِ ... وَقُلْتُ لَنَا إِنَّهُ قَدْ كَفَرَ

فَهَبْنَا أَطْعَمَكَ فِي قَتْلِهِ ... وَقَاتِلْهُ عِنْدَنَا مِنْ أَمْرٍ

وَلَمْ يَسْقُطِ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِنَا ... وَلَمْ تَتَكَفَّ شَمْسُنَا وَالْقَمَرُ

وَقَدْ بَايَعَ النَّاسُ ذَا تَدْرٍ ... يُزِيلُ الشُّبَا وَيَقِيمُ الصَّعْرَ

وَيَلْبَسُ لِلْحَرْبِ أَثَوَابَهَا ... وَمَا مِنْ وَفَى مِثْلٍ مِنْ قَدْ غَدَرَ

فَانْصَرَفَتْ إِلَى مَكَّةَ فَزَلَّتْ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَصَدَتْ لِلْحِجْرِ، فَسُتِرَتْ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهَا النَّاسُ، فَقَالَتْ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، انْ عُثْمَانُ قَتَلَ مَظْلُومًا، وَوَاللَّهِ لَا أَطْلُبُ بِدَمِهِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا:

كَانَ عَلِيٌّ فِي هَمٍّ مِنْ تَوَجُّهِ الْقَوْمِ لَا يَدْرِي إِلَى أَيْنَ يَأْخُذُونَ! وَكَانَ أَنَّ يَأْتُوا الْبَصْرَةَ أَحَبَّ إِلَيْهِ فَلَمَّا تَيَقَّنَ أَنَّ الْقَوْمَ يُعَارِضُونَ طَرِيقَ الْبَصْرَةِ سَرَّ بِذَلِكَ.

وَقَالَ: الْكُوفَةُ فِيهَا رِجَالُ الْعَرَبِ وَبُيُوتَاتُهُمْ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: انْ الَّذِي يَسْرُكُ مِنْ ذَلِكَ لِيَسُوؤُنِي، إِنَّ الْكُوفَةَ فُسْطَاطٌ فِيهِ أَعْلَامٌ مِنْ أَعْلَامِ الْعَرَبِ، وَلَا يَحْمِلُهُمْ

عُدَّةُ الْقَوْمِ، وَلَا يَزَالُ فِيهِمْ مَنْ يَسْمُو إِلَى أَمْرٍ لَا يَنَالُهُ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ شَغَبَ عَلِيٌّ الَّذِي قَدْ نَالَ حَتَّى يَفْشَاهُ فَيُفْسِدَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ [فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنَّ الْأَمْرَ لَيْشِبُهُ مَا تَقُولُ، وَلَكِنَّ الْأَثَرَةَ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ وَالْحَقِّ بِأَحْسَنِ سَابِقَةٍ وَقَدَمَةٍ، فَإِنْ اسْتَوَوْا أَغْفَيْنَاهُمْ وَاجْتَبَرْنَاهُمْ، فَإِنْ أَقْنَعَهُمْ ذَلِكَ كَانَ خَيْرًا لَهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَقْنَعَهُمْ كَلَّفُونَا إِقَامَتَهُمْ وَكَانَ شَرًّا عَلَى مَنْ هُوَ شَرُّ لَهُ] فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

انْ ذَلِكَ لَامِرٌ لَا يَدْرِكُ إِلَّا بِالْقُنُوعِ كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا:

لَمَّا اجْتَمَعَ الرَّأْيُ مِنْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى السَّيْرِ إِلَى الْبَصْرَةِ وَالْإِنْتِصَارِ مِنْ قَتْلَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَرَجَ الزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ حَتَّى لَقِيَ ابْنَ عُمَرَ وَدَعَاوَاهُ إِلَى الْخُفُوفِ، فَقَالَ: إِنِّي أَمْرُؤٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَإِنْ يَجْتَمِعُوا عَلَى النُّهْضِ أَنْهَضُ، وَإِنْ يَجْتَمِعُوا عَلَى الْقُعُودِ أَقْعُدُ، فَتَرَكَاهُ وَرَجَعَا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: جَمَعَ الزُّبَيْرُ بَنِيهِ حِينَ أَرَادَ الرَّحِيلَ، فَوَدَّعَ بَعْضُهُمْ وَأَخْرَجَ بَعْضُهُمْ، وَأَخْرَجَ ابْنِي أَسْمَاءَ جَمِيعًا، فَقَالَ: يَا فَلَانُ أَقِمْ، يَا عَمْرُو أَقِمْ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، قَالَ: يَا عُرْوَةُ أَقِمِ، وَيَا مُنْذِرُ أَقِمِ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَيْحَكَ! اسْتَصَحِبْ ابْنِي وَاسْتَمْتِعْ مِنْهُمَا، فَقَالَ: إِنْ خَرَجْتُ بِهِمْ جَمِيعًا فَأَخْرَجَ، وَإِنْ خَلَفْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا نَخَلَفَهُمَا وَلَا تُعَرِّضْ أَسْمَاءَ لِلشُّكْلِ مِنْ بَيْنِ نِسَائِكَ فَبَكَى وَتَرَكَهُمَا، فَخَرَجُوا حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا إِلَى جِبَالِ أَوْطَاسٍ تَيَآمَنُوا وَسَلَكُوا طَرِيقًا نَحْوَ الْبَصْرَةِ، وَتَرَكَوا طَرِيقَهَا يَسَارًا، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْهَا فَدَخَلُوهَا رَكِبُوا الْمُنْكَدِرَ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ ابْنِ الشَّهِيدِ، عَنْ أَبِي مَلِيكَةَ، قَالَ: خَرَجَ الزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ ففَصَلَا، ثُمَّ خَرَجَتْ عَائِشَةُ فَبَعَثَهَا أُمّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى ذَاتِ عَرَقٍ، فَلَمْ يَرِ يَوْمَ كَانَ أَكْثَرُ بَاكِيًا عَلَى الْإِسْلَامِ أَوْ بَاكِيًا لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، كَانَ يُسَمَّى يَوْمَ النَحِيبِ وَأُمِرَتْ

٤٠٢١٠٦ دخولهم البصرة والحرب بينهم وبين عثمان بن حنيف

عبد الرحمن بن عتاب، فكان يصلي بالنَّاسِ، وَكَانَ عَدَلًا بَيْنَهُمْ كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَعْنٍ السَّلْمِيِّ، قَالَ: لَمَّا تَيَامَنَ عَسْكَرُهَا عَنْ أُوطَاسٍ أَتَوْا عَلَى مَلِيحِ بْنِ عَوْفٍ السَّلْمِيِّ، وَهُوَ مُطْلَعٌ مَا لَهُ، فَسَلِمَ عَلَى الزُّبَيْرِ، وَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا هَذَا؟ قَالَ: عَدِي عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَتَلَ بِلَا تَرَةٍ وَلَا عَذْرٍ، قَالَ: وَمَنْ؟ قَالَ: الْغَوَاءُ مِنَ الْأَمْصَارِ وَنَزَاعِ الْقَبَائِلِ، وَظَاهَرَهُمُ الْأَعْرَابُ وَالْعَبِيدُ، قَالَ: فَتَرِيدُونَ مَاذَا؟ قَالَ: نَهَضَ النَّاسُ فَيَدْرِكُ بِهَذَا الدَّمِ ثَلَاثًا يَطْلُ، فَإِنْ فِي إِبْطَالِهِ تَوْهِينُ سُلْطَانِ اللَّهِ بَيْنَنَا أَبَدًا، إِذَا لَمْ يَفْطَمِ النَّاسُ عَنْ أَمْثَالِهَا لَمْ يَبْقَ إِمَامٌ إِلَّا قَتَلَهُ هَذَا الضَّرْبُ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنْ تَرَكَ هَذَا لَشَدِيدٍ، وَلَا تَدْرُونَ إِلَى أَيْنَ ذَلِكَ يَسِيرُ! فَوَدَّعَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، وَافْتَرَقَا وَمَضَى النَّاسُ دُخُولَهُمُ الْبَصْرَةَ وَالْحَرْبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عُثْمَانَ بْنِ حَنِيفٍ

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا:

وَمَضَى النَّاسُ حَتَّى إِذَا عَاجُوا عَنِ الطَّرِيقِ وَكَانُوا بَفَنَاءِ الْبَصْرَةِ، لَقِيَهُمْ عُمَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّيْمِيُّ، فَقَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَتَشُدُّكَ بِاللَّهِ أَنْ تَقْدِمِي الْيَوْمَ عَلَى قَوْمٍ تُرَاسِلِي مِنْهُمْ أَحَدًا فَيَكْفِيكَهُمْ! فَقَالَتْ: جِئْتَنِي بِالرَّأْيِ، أَمْرٌ صَالِحٌ، قَالَ: فَجَعَلِي ابْنَ عَامِرٍ فَيَدْخُلُ، فَإِنَّ لَهُ صَنَائِعَ فَلْيَذْهَبْ إِلَى صَنَائِعِهِ فَلْيَلْقُوا النَّاسَ حَتَّى تَقْدِمِي وَيَسْمَعُوا مَا جِئْتُمْ فِيهِ فَأَرْسَلَتْهُ فَأَنْدَسَ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَأَتَى الْقَوْمَ وَكَتَبَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى رَجَالٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَكَتَبَتْ إِلَى الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ وَصَبْرَةَ بْنِ شَيْمَانَ وَأَمْثَلَهُمْ مِنَ الْوُجُوهِ، وَمَضَتْ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بِالْخَفِيرِ انْتَهَرَتْ الْجَوَابَ بِالْخَبَرِ، وَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ أَهْلَ الْبَصْرَةِ دَعَا عُثْمَانُ بْنُ حَنِيفٍ عُمَرَ بْنَ حُصَيْنٍ - وَكَانَ رَجُلٌ عَامَّةٌ - وَالزَّهْرِيَّ الْأَسْوَدَ الدُّؤَلِيَّ - وَكَانَ رَجُلٌ خَاصَّةٌ - فَقَالَ: انْطَلِقَا إِلَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ فَاعْلَمَا عَلَيْهَا وَعِلْمٌ مِنْ مَعَهَا، نَفَرَجَا فَاتَّهَبَا إِلَيْهَا وَإِلَى النَّاسِ وَهُمْ بِالْخَفِيرِ، فَاسْتَأْذَنَّا

فَأَذْنَتْ لَهُمَا، فَسَلَّمَا وَقَالَا: إِنَّ أَمِيرَنَا بَعَثَنَا إِلَيْكَ نَسْأَلُكَ عَنْ مَسِيرِكَ، فَهَلْ أَنْتِ مُخْبِرَتُنَا؟ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا مِثْلِي يَسِيرُ بِالْأَمْرِ الْمَكْتُومِ وَلَا يُعْطَى لِبَنِيهِ الْخَبَرُ إِنْ الْغَوَاءُ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَنَزَاعِ الْقَبَائِلِ غَزَوْا حَرَمَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَأَحْدَثُوا فِيهِ الْأَحْدَاثَ، وَأَوَّوْا فِيهِ الْمُحَدِّثِينَ، وَاسْتَوْجَبُوا فِيهِ لَعْنَةَ اللَّهِ وَلَعْنَةَ رَسُولِهِ، مَعَ مَا نَالُوا مِنْ قَتْلِ إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ بِلَا تَرَةٍ وَلَا عَذْرٍ، فَاسْتَحَلُّوا الدَّمَ الْحَرَامَ فَسَفَكُوهُ، وَانْتَهَبُوا الْمَالَ الْحَرَامَ، وَأَحْلَوْا الْبَلَدَ الْحَرَامَ، وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ، وَمَرَّقُوا الْأَعْرَاضَ وَالْجُلُودَ، وَأَقَامُوا فِي دَارِ قَوْمٍ كَانُوا كَارِهِينَ لِمُقَامِهِمْ ضَارِبِينَ مُضِرِّينَ، غَيْرُ نَافِعِينَ وَلَا مُتَّقِينَ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى امْتِنَاعٍ وَلَا يَأْمَنُونَ، نَفَرَجْتُ فِي الْمُسْلِمِينَ أَعْلَهُمْ مَا أَتَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ وَمَا فِيهِ النَّاسُ وَرَاءَنَا، وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَأْتُوا فِي إِصْلَاحِ هَذَا وَقُرَأَتْ: «لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ» نَهَضَ فِي إِصْلَاحٍ مِمَّنْ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَامَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص، الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ وَالذَّكَرَ وَالْأُنْثَى، فَهَذَا شَأْنُنَا إِلَى مَعْرُوفٍ نَأْمُرُكُمْ بِهِ، وَنَحْضُكُمْ عَلَيْهِ، وَمَنْكُرٍ نَنْهَى عَنْهُ، وَنَحْضُكُمْ عَلَى تَغْيِيرِهِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا:

نَفَرَجَ أَبُو الْأَسْوَدِ وَعُمَرَانُ مِنْ عِنْدِهَا فَاتَّيَا طَلْحَةَ فَقَالَا: مَا أَقْدَمَكَ؟ قَالَ:

الطَّلَبُ بدم عثمان، قَالَا: أَلَمْ تُبَايِعْ عَلِيًّا؟ قَالَ: بَلَى، وَاللَّحُّ عَلَى عُنُقِي، وَمَا أَسْتَقِيلُ عَلِيًّا إِنْ هُوَ لَمْ يَحُلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَتْلَةِ عُثْمَانَ، ثُمَّ أَتَيَا الزَّيْبِرَ فَقَالَا: مَا أَقْدَمَكَ؟ قَالَ: الطَّلَبُ بدم عثمان، قَالَا: أَلَمْ تُبَايِعْ عَلِيًّا؟ قَالَ: بَلَى، وَاللَّحُّ عَلَى عُنُقِي، وَمَا أَسْتَقِيلُ عَلِيًّا إِنْ هُوَ لَمْ يَحُلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَتْلَةِ عُثْمَانَ فَرَجَعَا إِلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فَوَدَّعَاهَا فَوَدَّعَتْ عِمْرَانَ، وَقَالَتْ: يَا أَبَا الْأَسْوَدِ إِيَّاكَ أَنْ يَقُودَكَ الْهَوَى إِلَى النَّارِ، «كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ» الْآيَةَ فَسَرَّحْتَهُمَا، وَنَادَى مُنَادِيهَا بِالرَّحِيلِ، وَمَضَى الرَّجُلَانِ حَتَّى دَخَلَا عَلَى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، فَدَرَا أَبُو الْأَسْوَدِ عِمْرَانَ فَقَالَ:

يَا بْنَ حُنَيْفٍ قَدْ أَتَيْتَ فَانْفِرْ... وَطَاعِنِ الْقَوْمَ وَجَالِدِ وَاصْبِرْ
وَابْرِزْ لَهُمْ مُسْتَلْتَمًا وَشِرًّا.

فَقَالَ عُثْمَانُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ! دَارَتْ رَحَا الْإِسْلَامِ وَرَبَّ الْكُعْبَةِ، فَانْظُرُوا بِأَيِّ زَيْفَانٍ زَيْفٌ! فَقَالَ عِمْرَانُ: إِي وَاللَّهِ لَتَعْرُكَنَّكُمْ عَزَا طَوِيلًا ثُمَّ لَا يُسَاوِي مَا بَقِيَ مِنْكُمْ كَثِيرٌ شَيْءٌ، قَالَ: فَأَشْرَ عَلَيَّ يَا عِمْرَانُ، قَالَ:

إِنِّي قَاعِدٌ فَاقْعُدْ، فَقَالَ عُثْمَانُ: بَلْ أَمْنُهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ، قَالَ عِمْرَانُ: بَلْ يَحْكُمُ اللَّهُ مَا يُرِيدُ، فَانْصَرَفَ إِلَى بَيْتِهِ، وَقَامَ عُثْمَانُ فِي أَمْرِهِ، فَأَتَاهُ هِشَامُ بْنُ عَامِرٍ فَقَالَ: يَا عُثْمَانُ، إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي تَرُومُ يُسَلِّمُ إِلَى شَرٍّ مِمَّا تَكْرَهُ، إِنَّ هَذَا فَتَقٌ لَا يُرْتَقُ، وَصَدْعٌ لَا يُجْبَرُ، فَسَامَحْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرٌ عَلَيَّ وَلَا تَتَّحِدْهُمْ، فَأَبَى وَنَادَى عُثْمَانُ فِي النَّاسِ وَأَمَرَهُمْ بِالتَّهَيُّؤِ، وَلَبَسُوا السِّلَاحَ، وَاجْتَمَعُوا إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، وَأَقْبَلَ عُثْمَانُ عَلَى الْكَيْدِ فَكَادَ النَّاسَ لَيَنْظُرَ مَا عِنْدَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِالتَّهَيُّؤِ، وَأَمَرَ رَجُلًا وَدَسَّهُ إِلَى النَّاسِ خَدْعًا كُوفِيًا قَيْسِيًا، فَقَامَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَنَا قَيْسُ بْنُ الْعُقْدِيَّةِ الْحَمِيسِيِّ، إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ جَاءُواكُمْ إِنْ كَانُوا جَاءُواكُمْ خَائِفِينَ فَقَدْ جَاءُوا مِنْ الْمَكَانِ الَّذِي يَأْمَنُ فِيهِ الطَّيْرُ، وَإِنْ كَانُوا جَاءُوا يَطْلُبُونَ بَدَمَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَمَا نَحْنُ بِقَتْلَةِ عُثْمَانَ أَطِيعُونِي فِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَرُدُّوهُمْ مِنْ حَيْثُ جَاءُوا فَقَامَ الْأَسْوَدُ ابْنُ سَرِيعِ السَّعْدِيِّ، فَقَالَ: أَوْ زَعَمُوا أَنَا قَتَلْتُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ! فَإِنَّمَا فَرَعُوا إِلَيْنَا لِيَسْتَعِينُونَ بِنَا عَلَى قَتْلَةِ عُثْمَانَ مِنَّا وَمِنْ غَيْرِنَا، فَإِنْ كَانَ الْقَوْمُ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ كَمَا زَعَمْتَ، فَمَنْ يَمْنَعُهُمْ مِنْ إخراجِهِمُ الرِّجَالَ أَوْ الْبُلْدَانَ! فَخَصَبَهُ النَّاسُ، فَعَرَفَ عُثْمَانُ أَنَّ لَهُمْ بِالْبَصْرَةِ نَاصِرًا مِمَّنْ يَقُومُ مَعَهُمْ، فَكَسَرَهُ ذَلِكَ وَأَقْبَلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِيمَنْ مَعَهَا، حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا إِلَى الْمَرِيدِ وَدَخَلُوا مِنْ أَعْلَاهُ أَمْسَكُوا وَوَقَفُوا حَتَّى خَرَجَ عُثْمَانُ فِيمَنْ مَعَهُ، وَخَرَجَ إِلَيْهَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهَا وَيَكُونَ مَعَهَا، فَاجْتَمَعُوا بِالْمَرِيدِ وَجَعَلُوا يَثُوبُونَ حَتَّى غَصَّ بِالنَّاسِ.

فَتَكَلَّمَ طَلْحَةُ وَهُوَ فِي مِيمَنَةِ الْمَرِيدِ وَمَعَهُ الزَّيْبِرُ وَعُثْمَانُ فِي مَيْسَرَتِهِ، فَانْصَتُوا

لَهُ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَرَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَفَضْلَهُ وَالْبَلَدَ وَمَا اسْتَحْلَلَ مِنْهُ، وَعَظَّمَ مَا أُتِيَ إِلَيْهِ، وَدَعَا إِلَى الطَّلَبِ بِدَمِهِ، وَقَالَ: إِنَّ فِي ذَلِكَ إِعْزَازَ دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُلْطَانَهُ، وَأَمَّا الطَّلَبُ بِدَمِ الْخَلِيفَةِ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ حَدٌّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، وَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ أَصَبْتُمْ وَعَادَ أَمْرُكُمْ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ تَرَكْتُمْ لَمْ يَقُمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ، وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ نِظَامٌ.

فَتَكَلَّمَ الزَّيْبِرُ بِمِثْلِ ذَلِكَ فَقَالَ مَنْ فِي مِيمَنَةِ الْمَرِيدِ: صَدَقَا وَبَرَا، وَقَالَا الْحَقَّ، وَأَمْرًا بِالْحَقِّ وَقَالَ مَنْ فِي مَيْسَرَتِهِ: جَرَا وَغَدَرَا، وَقَالَا الْبَاطِلَ، وَأَمْرًا بِهِ، قَدْ بَايَعَا ثُمَّ جَاءَا يَقُولَانِ مَا يَقُولَانِ! وَنَحَاثَى النَّاسُ وَتَحَاصَّبُوا وَأَرْجَحُوا فَتَكَلَّمَتْ عَائِشَةُ - وَكَانَتْ جَهْوَرِيَّةً يَعْلُو صَوْتُهَا كَثْرَةً كَأَنَّهُ صَوْتُ امْرَأَةٍ جَلِيلَةٍ - فَحَمَدَتِ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، وَقَالَتْ: كَانَ النَّاسُ يَخْجَنُونَ عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَيَزْرُونَ عَلَى عَمَالِهِ وَيَأْتُونَنَا بِالْمَدِينَةِ فَيَسْتَشِيرُونَنَا فِيمَا يُخْبِرُونَنَا عَنْهُمْ، وَيَرُونَ حُسْنًا مِنْ كَلَامِنَا فِي صَلَاحِ بَيْنِهِمْ، فَنَنْظُرُ فِي ذَلِكَ فَنَجِدُهُ بَرِيًّا تَقِيًّا وَفِيَّا وَنَجِدُهُمْ فَجْرَةً كَذِبَةً يَحَاوِلُونَ غَيْرَ مَا يَظْهَرُونَ فَلَمَّا قَوَّوْا عَلَى الْمَكَثَرَةِ كَاثَرُوهُ فَاقْتَحَمُوا عَلَيْهِ دَارَهُ، وَاسْتَحْلَوْا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَالْمَالَ الْحَرَامَ،

وَالْبَلَدَ الْحَرَامَ، بِلَا تَرَةٍ وَلَا عُدْرٍ، إِلَّا إِنْ مِمَّا يَنْبَغِي لَا يَنْبَغِي لَكُمْ غَيْرُهُ، أَخَذُ قَتْلَةَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَقَامَهُ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بِهِمْ» .

فاقترب أصحاب عثمان ابن حنيف فرقتين، فقالت فرقة: صدقت والله وبرت، وجاءت والله بالمعروف، وقال الآخرون: كذبتم والله ما نعرف ما تقولون، فتحاثوا وتحاصبوا وأرهبوا، فلما رأت ذلك عائشة انحدرت وانحدر أهل الميمنة مفارقين لعثمان حتى وقفوا في المربد في موضع الدباغين، وبقي أصحاب عثمان على حالهم يتدافعون حتى تحاجزوا، ومال بعضهم إلى عائشة، وبقي بعضهم مع عثمان على فم السكة واتي عثمان

ابن حنيف فيمن معه، حتى إذا كانوا على فم السكة، سكة المسجد عن يمين الدباغين استقبلوا الناس فأخذوا عليهم بفمها. وفيما ذكر نصر بن مزاحم، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم ابن محمد، قال: وأقبل جارية بن قدامة السعدي، فقال: يا أم المؤمنين، والله لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرصة للسلح! إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة، فهتكت سترك وأبحت حرمتك، إنه من رأى قتالك فانه يرى قتلك، وان كنت أتيئت طائعة فارجعي إلى منزلك، وإن كنت أتيئت مستكرهة فاستعيني بالناس قال:

نخرج غلام شاب من بني سعد إلى طلحة والزبير، فقال: أما أنت يا زبير فحاربي رسول الله ص، وأما أنت يا طلحة فوقيت رسول الله ص بيدك، وأرى أمكم معكم فهل جئتما بنسائكما؟ قالا:

لا، قال: فما أنا منكما في شيء، واعتزل وقال السعدي في ذلك: صنتم حلائلكم وقدمتم أمكم ... هذا لعمرك قلة الإنصاف

أمرت بجر ذيولها في بيتها ... فهوت تشق البيد بالإيجاف غرضا يقاتل دونها أبناؤها ... بالنبل والخطي والأسياف

هتكت بطلحة والزبير ستورها ... هذا المخبر عنهم والكافي وأقبل غلام من جهينة على محمد بن طلحة- وكان محمد رجلا عابدا- فقال: أخبرني عن قتل عثمان! فقال: نعم، دم عثمان ثلاثة

أثلاث، ثلث على صاحبة الهودج- يعني عائشة- وثلث على صاحب الجمل الأحمر- يعني طلحة- وثلث على علي بن أبي طالب، وصحك الغلام وقال: ألا أراني على ضلال! ولحق بعلي، وقال في ذلك شعرا:

سألت ابن طلحة عن هالك ... بجوف المدينة لم يقبر فقال ثلاثة رهط هم ... أماتوا ابن عفان واستعبر

فثلث على تلك في خدرها ... وثلث على راكب الأحمر وثلث على ابن أبي طالب ... ونحن بدوية قفر

فقلت صدقت على الأولين ... وأخطأت في الثالث الأزهر رجع الحديث إلى حديث سيف عن محمد وطلحة قال: نخرج أبو الأسود وعمران وأقبل حكيم بن جبلة، وقد خرج وهو على الخيل، فأنشب القتال، وأشرع أصحاب عائشة رضي الله عنها رماحهم وأمسكوا ليمسكوا فلم ينته ولم يثن، فقاتلهم وأصحاب عائشة كأفون إلا

ما دافعوا عن أنفسهم، وحكيم يذمر خيله ويركبهم بها، ويقول: إنها قريش ليردينها جنبها والطيش، واقتتلوا على فم السكة، واشرف

أَهْلُ الدُّورِ مِمَّنْ كَانَ لَهُ فِي وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ هَوًى، فَرَمَوْا بَاقِيَ الْآخَرِينَ بِالْحِجَارَةِ، وَأَمَرَتْ عَائِشَةُ أَصْحَابَهَا فَيَتِمُّنَا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى مَقْبَرَةِ بَنِي مَازِنٍ، فَوَقَفُوا بِهَا مَلِيًّا، وَثَارَ إِلَيْهِمُ النَّاسُ، فَحَجَزَ اللَّيْلُ بَيْنَهُمْ فَرَجَعَ عُثْمَانُ إِلَى الْقَصْرِ، وَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى قَبَائِلِهِمْ، وَجَاءَ أَبُو الْجُرْيَاءِ، أَحَدُ بَنِي عُثْمَانَ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ إِلَى عَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ بِأَمَثَلٍ مِنْ مَكَانِهِمْ فَاسْتَنْصَحُوهُ وَتَابَعُوا رَأْيَهُ، فَسَارُوا مِنْ مَقْبَرَةِ بَنِي مَازِنٍ فَأَخَذُوا عَلَى مُسْنَاةِ الْبَصْرَةِ مِنْ قَبْلِ الْجَبَانَةِ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الزَّابُوقَةِ، ثُمَّ اتَّوْا مَقْبَرَةَ بَنِي حِصْنٍ وَهِيَ مُتَنَحِيَّةٌ إِلَى دَارِ الرِّزْقِ، فَبَاتُوا يَتَأَهَّبُونَ، وَبَاتَ النَّاسُ يَسِيرُونَ إِلَيْهِمْ، وَأَصْبَحُوا وَهُمْ عَلَى رَجُلٍ فِي سَاحَةِ دَارِ الرِّقِ، وَأَصْبَحَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ فَعَادَاهُمْ، وَغَدَا حَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ وَهُوَ يَبْرُؤُ فِي يَدِهِ الرُّمْحُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ: مَنْ هَذَا الَّذِي تَسُبُّ وَتَقُولُ لَهُ مَا أَسْمَعُ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، قَالَ: يَا بَنَ الْخَيْثَةِ، أَلَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ تَقُولُ هَذَا! فَوَضَعَ حَكِيمُ السِّنَانِ بَيْنَ تَدْيِيهِ فَقَتَلَهُ ثُمَّ مَرَّ بِامْرَأَةٍ وَهُوَ يَسْبُهَا- يَعْنِي عَائِشَةَ- فَقَالَتْ: مَنْ هَذَا الَّذِي أَلْجَأَكَ إِلَى هَذَا؟

قَالَ: عَائِشَةُ، قَالَتْ: يَا بَنَ الْخَيْثَةِ، أَلَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ تَقُولُ هَذَا! فَطَعَنَهَا بَيْنَ تَدْيِيهَا فَقَتَلَهَا ثُمَّ سَارَ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا وَاقَفُوهُمْ، فَاقْتَتَلُوا بِدَارِ الرِّزْقِ قَتْلًا شَدِيدًا مِنْ حِينَ بَزَغَتِ الشَّمْسُ إِلَى أَنْ زَالَ النَّهَارُ وَقَدْ كَثُرَ الْقَتْلُ فِي أَصْحَابِ ابْنِ حُنَيْفٍ وَفَشَتِ الْجِرَاحَةُ فِي الْفَرِيقَيْنِ، وَمُنَادَى عَائِشَةُ يَنَاشِدُهُمْ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْكَفِّ فَيَأْبُونَ، حَتَّى إِذَا مَسَّهُمُ الشَّرُّ وَعَضَّهِمْ نَادَوْا أَصْحَابَ عَائِشَةَ إِلَى الصُّلْحِ وَالْمَتَاتِ فَأَجَابُوهُمْ وَتَوَاعَدُوا، وَكَتَبُوا بَيْنَهُمْ كِتَابًا عَلَى أَنْ يَبْعَثُوا رَسُولًا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَحَتَّى يَرْجِعَ الرَّسُولُ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَإِنْ كَانَا أَكْرَهَا خَرَجَ عُثْمَانُ عَنْهُمَا وَأَخْلَى لهُمَا الْبَصْرَةَ، وَإِنْ لَمْ يَكُونَا أَكْرَهَا خَرَجَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَمَنْ مَعَهُمَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَعُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ.

إِنَّ عُثْمَانَ يُقِيمُ حَيْثُ أَدْرَكَهُ الصُّلْحُ عَلَى مَا فِي يَدِهِ، وَإِنْ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ يُقِيمَانِ حَيْثُ أَدْرَكَهُمَا الصُّلْحُ عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمَا، حَتَّى يَرْجِعَ أَمِينُ الْفَرِيقَيْنِ وَرَسُولُهُمْ كَعْبُ بْنُ سُوْرٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَلَا يُضَارُّ وَاحِدٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ الْآخَرِ فِي مَسْجِدٍ وَلَا سُوْقٍ وَلَا طَرِيقٍ وَلَا فُرْصَةٍ، بَيْنَهُمْ عَيْبَةٌ مَفْتُوحَةٌ حَتَّى يَرْجِعَ كَعْبُ بِالْخَبَرِ، فَإِنْ رَجَعَ بِأَنَّ الْقَوْمَ أَكْرَهُوا طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ فَلَا أَمْرَ أَمْرُهُمَا، وَإِنْ شَاءَ عُثْمَانُ خَرَجَ حَتَّى يَلْحَقَ بِطَيْبَتِهِ، وَإِنْ شَاءَ دَخَلَ مَعَهُمَا، وَإِنْ رَجَعَ بِأَنَّهُمَا لَمْ يُكْرَهَا فَلَا أَمْرَ أَمْرُ عُثْمَانَ، فَإِنْ شَاءَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَقَامَا عَلَى طَاعَةِ عَلِيٍّ وَإِنْ شَاءَ خَرَجَا حَتَّى يَلْحَقَا بِطَيْبَتِيهِمَا، وَالْمُؤْمِنُونَ أَعْوَانُ الْفَالَجِ مِنْهُمَا.

فَخَرَجَ كَعْبٌ حَتَّى يَقْدَمَ الْمَدِينَةَ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ لِقُدُومِهِ، وَكَانَ قُدُومُهُ يَوْمَ جُمُعَةٍ، فَقَامَ كَعْبٌ فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ، إِنِّي رَسُولُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ إِلَيْكُمْ، أَكْرَهَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ عَلَى بَيْعَةِ عَلِيٍّ، أَمْ أَتَيَْاهَا طَائِعِينَ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، فَإِنَّهُ قَامَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا لَمْ يُبَايَعَا إِلَّا وَهُمَا كَارِهَانِ فَأَمْرٌ بِهِ تَمَامٌ، فَوَائِبُهُ سَهْلٌ بِنِ حُنَيْفٍ وَالنَّاسِ، وَثَارَ صَهْبٌ بِنِ سِنَانٍ وَأَبُو أَيُّوبَ بْنُ زَيْدٍ، فِي عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَبَيْنَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، حِينَ خَافُوا أَنْ يُقَتَلَ أُسَامَةُ، فَقَالَ:

اللَّهُمَّ نَعَمْ، فَانْفَرَجُوا عَنِ الرَّجُلِ، فَانْفَرَجُوا عَنْهُ، وَأَخَذَ صَهْبٌ بِيَدِهِ حَتَّى أَخْرَجَهُ فَأَدْخَلَهُ مَنْزِلَهُ، وَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أُمَّ عَامِرٍ حَامِقَةٌ، أَمَّا وَسِعَكَ

مَا وَسِعَنَا مِنَ السُّكُوتِ! قَالَ: لَا وَاللَّهِ، مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ الْأَمْرَ يَتَرَامَى إِلَى مَا رَأَيْتُ، وَقَدْ ابْسَلْنَا لِعَظِيمِ فَرَجِ كَعْبٍ وَقَدْ اعْتَدَّ طَلْحَةُ

وَالزُّبَيْرُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ بِأَشْيَاءَ كُلِّهَا كَانَتْ مِمَّا يُعْتَدُّ بِهِ، مِنْهَا أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ طَلْحَةَ - وَكَانَ صَاحِبَ صَلَاةٍ - قَامَ مُقَامًا قَرِيبًا مِنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، نَحْشِي بَعْضَ الزُّطِّ وَالسَّيَاحِجَةِ أَنْ يَكُونَ جَاءَ لِغَيْرِ مَا جَاءَ لَهُ، فَنَحْيَاهُ، فَبَعَثَا إِلَى عُثْمَانَ، هَذِهِ وَاحِدَةٌ.

وَبَلَغَ عَلِيًّا الْخَبْرَ الَّذِي كَانَ بِالْمَدِينَةِ مِنْ ذَلِكَ، فَبَادَرَ بِالْكَتَابِ إِلَى عُثْمَانَ يُعْجِزُهُ وَيَقُولُ: وَاللَّهِ مَا أُكْرِهَ إِلَّا كَرِهًا عَلَى فُرْقَةٍ، وَلَقَدْ أُكْرِهَ عَلَى جَمَاعَةٍ وَفَضْلٍ، فَإِنْ كَانَا يُرِيدَانِ الْخُلْعَ فَلَا عُدْرَ لَهُمَا، وَإِنْ كَانَا يُرِيدَانِ غَيْرَ ذَلِكَ نَظَرْنَا وَنَظَرَا فَقَدِمَ الْكَتَابُ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، وَقَدِمَ كَعْبٌ فَأَرْسَلُوا إِلَى عُثْمَانَ أَنْ أَخْرُجْ عَنَّا، فَاحْتَجَّ عُثْمَانُ بِالْكَتَابِ وَقَالَ: هَذَا أَمْرٌ آخَرُ غَيْرُ مَا كُنَّا فِيهِ، فَجَمَعَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ الرَّجَالَ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ بَارِدَةٍ ذَاتِ رِيَاحٍ وَنَدَى، ثُمَّ قَصَدَا الْمَسْجِدَ فَوَافَقَا صَلَاةَ الْعِشَاءِ - وَكَانُوا يُؤْخِرُونَهَا - فَأَبْطَأَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ فَقَدِمَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتَابٍ، فَشَرَّ الزُّطَّ وَالسَّيَاحِجَةَ السِّلَاحَ ثُمَّ وَضَعُوهُ فِيهِمْ، فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ فَاقْتَتَلُوا فِي الْمَسْجِدِ وَصَبَرُوا لَهُمْ، فَأَنَامُوهُمْ وَهُمْ أَرْبَعُونَ، وَأَدْخَلُوا الرَّجَالَ عَلَى عُثْمَانَ لِيُخْرِجُوهُ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمَا تَوَطَّوْهُ وَمَا بَقِيَتْ فِي وَجْهِهِ شَعْرَةٌ، فَاسْتَعْظَمَا ذَلِكَ، وَأَرْسَلَا إِلَى عَائِشَةَ بِالَّذِي كَانَ، وَاسْتَظْلَعَا رَأْيَهَا، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِمَا أَنْ خَلُوا سَبِيلَهُ فَلْيَذْهَبْ حَيْثُ شَاءَ وَلَا تَحْبِسُوهُ، فَأَخْرَجُوا الْحَرَسَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عُثْمَانَ فِي الْقَصْرِ وَدَخَلُوهُ، وَقَدْ كَانُوا يَعْتَقِبُونَ حَرَسَ عُثْمَانَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ أَرْبَعُونَ، فَصَلَّى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنُ عَتَابٍ بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ، وَكَانَ الرَّسُولُ فِيمَا بَيْنَ عَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ هُوَ، أَتَاهَا بِالْخَبَرِ، وَهُوَ رَجَعَ إِلَيْهِمَا بِالْجَوَابِ، فَكَانَ رَسُولَ الْقَوْمِ.

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَنْ أَبِي مَخْنَفٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: لَمَّا أَخَذُوا عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ أَرْسَلُوا أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ إِلَى عَائِشَةَ يَسْتَشِيرُونَهَا فِي أَمْرِهِ، قَالَتْ: اقْتُلُوهُ، فَقَالَتْ لَهَا امْرَأَةٌ: نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي عُثْمَانَ وَصَحْبَتِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! قَالَتْ: رُدُّوهُ أَبَانًا، فَدَرَّوهُ، فَقَالَتْ: احْبِسُوهُ وَلَا تَقْتُلُوهُ، قَالَ: عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! قَالَتْ: رُدُّوهُ أَبَانًا، فَدَرَّوهُ، فَقَالَتْ: احْبِسُوهُ وَلَا تَقْتُلُوهُ، قَالَ: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَدْعِينِي لِهَذَا لَمْ أَرْجِعْ، فَقَالَ لَهُمْ مُجَاشِعُ بْنُ مَسْعُودٍ: اضْرِبُوهُ وَانْتِفُوا شَعْرَ لِحْيَتِهِ، فَضْرِبُوهُ أَرْبَعِينَ سَوْطًا، وَتَقْفُوا شَعْرَ لِحْيَتِهِ وَرَأْسَهُ وَحَاجِبِيهِ وَأَشْفَارَ عَيْنَيْهِ وَحَبَسُوهُ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ بْنُ حَازِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ يُونُسَ بْنَ يَزِيدٍ الْأَيْلِيَّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ:

بَلَغَنِي أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ مَنَزَلَ عَلِيٍّ بِبَيْتِهِ قَارِ أَنْصَرَفُوا إِلَى الْبَصْرَةِ، فَأَخَذُوا عَلَى الْمُنْكَدِرِ، فَسَمِعَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نَبَاحَ الْكِلَابِ، فَقَالَتْ: أَيُّ مَاءٍ هَذَا؟ فَقَالُوا: الْحَوَابُّ، فَقَالَتْ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! إِنِّي لِهَيْه، [قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ وَعِنْدَهُ نِسَاؤُهُ: لَيْتَ شِعْرِي أَيْتَكُنَّ تَنْبَحُهَا كِلَابُ الْحَوَابِّ!] فَأَرَادَتْ الرُّجُوعَ، فَأَتَاهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَرَعِمَ أَنَّهُ قَالَ: كَذَبَ مَنْ قَالَ إِنَّ هَذَا الْحَوَابُّ وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى مَضَتْ، فَقَدِمُوا الْبَصْرَةَ وَعَلِيَّهَا عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ، فَقَالَ لَهُمْ عُثْمَانُ: مَا نَقِمْتُمْ عَلَى صَاحِبِكُمْ؟

فَقَالُوا: لَمْ نَرَهُ أَوَّلَى بِهَا مِنَّا، وَقَدْ صَنَعَ مَا صَنَعَ، قَالَ: فَإِنَّ الرَّجُلَ أَمَرَنِي فَأَكْتُبُ إِلَيْهِ فَأُعْلِمُهُ مَا جِئْتُمْ لَهُ، عَلَى أَنْ أُصَلِّيَ بِالنَّاسِ حَتَّى يَأْتِينَا كِتَابُهُ، فَوْقَفُوا عَلَيْهِ وَكُتِبَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَوْمَيْنِ حَتَّى وَثَبُوا عَلَيْهِ فَقَاتَلُوهُ بِالزَّبُوقَةِ عِنْدَ مَدِينَةِ الرِّزْقِ، فَظَهَرُوا، وَأَخَذُوا عُثْمَانَ فَأَرَادُوا قَتْلَهُ، ثُمَّ خَشُوا غَضَبَ الْأَنْصَارِ، فَنَالُوهُ فِي شَعْرِهِ وَجَسَدِهِ فَقَامَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ خَطِيئِينَ فَقَالَا: يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ، تَوْبَةٌ بِحُوبَةٍ، إِنَّمَا أَرَدْنَا أَنْ يَسْتَعْتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ وَلَمْ نَرِدْ قَتْلَهُ، فَعَلَبَ سَفَهَاءُ النَّاسِ الْخُلَمَاءَ حَتَّى قَتَلُوهُ فَقَالَ النَّاسُ لَطْلَحَةَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، قَدْ كَانَتْ كُتُبُكَ تَأْتِينَا بِغَيْرِ هَذَا، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: فَهَلْ جَاءَ كُتُبِي بِكَ تَابٍ فِي شَأْنِهِ؟ ثُمَّ ذَكَرَ قَتْلَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَا أَتَى إِلَيْهِ، وَأَظْهَرَ عَيْبَ عَلِيٍّ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ فَقَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، أَنْصِتْ حَتَّى تَتَكَلَّمَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ:

وَمَا لَكَ وَلِلْكَلامِ! فَقَالَ الْعَبْدِيُّ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، أَنْتُمْ أَوَّلُ مَنْ أَجَابَ رَسُولَ اللَّهِ ص، فَكَانَ لَكُمْ بِذَلِكَ فَضْلٌ، ثُمَّ دَخَلَ النَّاسُ فِي الْإِسْلَامِ كَمَا دَخَلْتُمْ، فَلَمَّا تَوَقَّى رَسُولُ اللَّهِ ص بَايَعْتُمْ رَجُلًا مِنْكُمْ،

وَاللَّهُ مَا اسْتَأْذَنَ قَوْمًا فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَرضِينَا وَاتَّبَعْنَاكُمْ، لَجَعَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُسْلِمِينَ فِي إِمَارَتِهِ بَرَكَهً، ثُمَّ مَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْكُمْ رَجُلًا مِنْكُمْ، فَلَمْ تَشَاوِرُونَا فِي ذَلِكَ، فَرضِينَا وَسَلَّمْنَا، فَلَمَّا تَوَقَّى الْأَمِيرُ جَعَلَ الْأَمْرَ إِلَى سِتَّةِ نَفَرٍ، فَاخْتَرْتُمْ عُثْمَانَ وَبَايَعْتُمُوهُ عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَّا، ثُمَّ أَنْكَرْتُمْ مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ شَيْئًا، فَقَتَلْتُمُوهُ عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَّا، ثُمَّ بَايَعْتُمْ عَلِيًّا عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَّا، فَمَا الَّذِي نَقَمْتُمْ عَلَيْهِ فَنَقَاتَهُ؟ هَلِ اسْتَأْذَنَ بَنِيَّ، أَوْ عَمِلَ بِغَيْرِ الْحَقِّ؟ أَوْ عَمِلَ شَيْئًا تُكْرَهُونَهُ فَتَكُونُ مَعَكُمْ عَلَيْهِ! وَإِلَّا فَمَا هَذَا! فَهَمُّوا بِقَتْلِ ذَلِكَ الرَّجُلِ، فَقَامَ مِنْ دُونِهِ عَشِيرَتُهُ، فَلَمَّا كَانَ الْعَدُوُّ وَثَبُوا عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ كَانَ مَعَهُ، فَقَتَلُوا سَبْعِينَ رَجُلًا.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ قَالَا: فَأَصْبَحَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَبَيْتُ الْمَالِ وَالْحَرَسُ فِي أَيْدِيهِمَا، وَالنَّاسُ مَعَهُمَا، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمَا مَغْمُورٌ مُسْتَسِرٌّ، وَبَعَثَا حِينَ أَصْبَحَا بِأَنَّ حَكِيمًا فِي الْجَمْعِ، فَبَعَثَتْ:

لَا تَحْبِسَا عُثْمَانَ وَدَعَاهُ فَفَعَلَا، نَفَرَ جَعَلَ عُثْمَانُ قَضَى لَطَلَبَتِهِ، وَأَصْبَحَ حَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ فِي خَيْلِهِ عَلَى رَجُلٍ فِيمَنْ تَبِعَهُ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ وَمَنْ نَزَعَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَقْنَاءِ رِبِيعَةَ، ثُمَّ وَجَّهُوا لِحُودِ دَارِ الرِّزْقِ وَهُوَ يَقُولُ: لَسْتُ بِأَخِيهِ إِنْ لَمْ أَنْصُرْهُ، وَجَعَلَ يَشْتُمُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَسَمِعَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَتْ: يَا بَنَ الْخَيْثَةِ، أَنْتِ أَوْلَى بِذَلِكَ! فَطَعَنَهَا فَقَتَلَهَا، فَغَضِبَتْ عَبْدِ الْقَيْسِ إِلَّا مَنْ كَانَ اغْتَمَرَ مِنْهُمْ، فَقَالُوا: فَعَلْتَ بِالْأَمْسِ وَعَدْتَ لِمِثْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ! وَاللَّهِ لَنَدْعَنَّكَ حَتَّى يَقِيدَكَ اللَّهُ فَرجعوا وَتَرَكَوهُ، وَمَضَى حَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ فِيمَنْ غَزَا مَعَهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَحَصَرَهُ مِنْ نِزَاعِ الْقَبَائِلِ كُلِّهَا، وَعَرَفُوا أَنَّ لَا مَقَامَ لَهُمْ بِالْبَصْرَةِ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَانْتَهَى بِهِمْ إِلَى الزَّبُوقَةِ عِنْدَ دَارِ الرِّزْقِ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ: لَا تَقْتُلُوا إِلَّا مَنْ قَاتَلَكُمْ، وَنَادَوْا مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَتْلَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلْيَكْفُفْ عَنَّا، فَإِنَّا لَا نُزِيدُ إِلَّا قَتْلَةَ عُثْمَانَ وَلَا نَبْدَأُ أَحَدًا، فَأَنْشَبَ حَكِيمُ الْقِتَالَ وَلَمْ يَرَعْ لِلنَّادِي، فَقَالَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَمَعَ لَنَا ثَارَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، اللَّهُمَّ لَا تَبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَأَقْدِمْ مِنْهُمْ الْيَوْمَ فَاقْتُلْهُمْ بِحَادُوهُمُ الْقِتَالَ فَاقْتُلُوا أَشَدَّ

قِتَالَ وَمَعَهُ أَرْبَعَةُ قَوَادٍ، فَكَانَ حَكِيمُ بِحِيَالِ طَلْحَةَ، وَذَرِجُ بِحِيَالِ الزُّبَيْرِ، وَابْنُ الْمُحَرَّشِ بِحِيَالِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتَّابٍ، وَحَرْقُوصُ بْنُ زُهَيْرٍ بِحِيَالِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَزَحَفَ طَلْحَةُ لِحَكِيمٍ وَهُوَ فِي ثَلَاثِ مِائَةِ رَجُلٍ، وَجَعَلَ حَكِيمُ يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَيَقُولُ:

اضْرِبْهُمْ بِالْيَاسِ ... ضَرَبَ غُلَامٌ عَابِسٌ

مِنْ الْحَيَاةِ آيَسٌ ... فِي الْغُرَفَاتِ نَافِسٌ

فَضْرَبَ رَجُلٌ رِجْلَهُ فَقَطَعَهَا، فَحَبَا حَتَّى أَخَذَهَا فَرَمَى بِهَا صَاحِبَهُ، فَأَصَابَ جَسَدَهُ فَصَرَعَهُ، فَأَتَاهُ حَتَّى قَتَلَهُ، ثُمَّ اتَّكَأَ عَلَيْهِ وَقَالَ:

يَا نَخْذُ لَنْ تَرَاعِي إِنْ مَعِيَ ذِرَاعِي أَحْمِي بِهَا كِرَاعِي وَقَالَ وَهُوَ يَرْتَجِزُ:

لَيْسَ عَلَيَّ أَنْ أَمُوتَ عَارًا وَالْعَارُ فِي النَّاسِ هُوَ الْفِرَارُ وَالْمَجْدُ لَا يَفْضُضُهُ الدَّمَارُ.

فَاتَى عَلَيْهِ رَجُلٌ وَهُوَ رَيْثٌ، رَأْسُهُ عَلَى الْآخِرِ، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا حَكِيمُ؟

قَالَ: قَتَلْتُ، قَالَ: مَنْ قَتَلَكَ؟ قَالَ: وَسَادَتِي، فَاحْتَمَلَهُ فَضَمَّهُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَتَكَلَّمَ يَوْمَئِذٍ حَكِيمٌ وَإِنَّهُ لَقَائِمٌ عَلَى رَجُلٍ، وَإِنَّ السُّيُوفَ لَتَأْخُذُهُمْ فَمَا يَتَّبَعُ، وَيَقُولُ: إِنَّا خَلَفْنَا هَذَيْنِ وَقَدْ بَايَعَا عَلِيًّا وَأَعْطِيَاهُ الطَّاعَةَ، ثُمَّ أَقْبَلَا مُخَالَفَيْنِ مُحَارِبَيْنِ يَطْلُبَانِ بِدَمِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَفَرَقَا بَيْنَنَا، وَنَحْنُ أَهْلُ دَارٍ وَجَوَارِ اللَّهِ إِنْهُمَا لَمْ يُرِيدَا عُثْمَانَ فَنَادَى مُنَادٌ: يَا خَيْثُ، جَزَعْتَ حِينَ عَضَّكَ نَكَالُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كَلَامٍ مَنْ نَصَبَكَ وَأَصْحَابَكَ بِمَا رَكِبْتُمْ مِنَ الْإِمَامِ الْمَظْلُومِ، وَفَرَقْتُمْ مِنَ الْجَمَاعَةِ، وَأَصَبْتُمْ مِنَ الدِّمَاءِ، وَنَلْتُمْ مِنَ الدُّنْيَا! فَذُقْ وَبَالَ اللَّهِ

عَزَّ وَجَلَّ وَانْتَقَامَهُ، وَأَقِيمُوا فِيْمَنْ أَنْتُمْ.

وَقَتْلَ ذُرَيْجٍ وَمَنْ مَعَهُ، وَأَقْلَتَ حَرْقُوصَ بْنِ زُهَيْرٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَلَجُّوا

إِلَى قَوْمِهِمْ، وَنَادَى مُنَادِي الزُّبَيْرِ وَطَلْحَةَ بِالْبَصْرَةِ: أَلَا مَنْ كَانَ فِيهِمْ مِنْ قِبَائِلِكُمْ أَحَدٌ مِّنْ غَزَا الْمَدِينَةَ فَلْيَأْتِنَا بِهِمْ بِنَفْسِهِمْ كَمَا يُجَاءُ بِالْكَلَابِ، فَقَتَلُوا فَمَا أَقْلَتَ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ جَمِيعًا إِلَّا حَرْقُوصَ بْنَ زُهَيْرٍ، فَإِنَّ بَنِي سَعْدٍ مَنَعُوهُ، وَكَانَ مِنْ بَنِي سَعْدٍ، فَسَمَّاهُمْ فِي ذَلِكَ أَمْرًا شَدِيدًا، وَضَرَبُوا لَهُمْ فِيهِ أَجَلًا وَخَشَنُوا صُدُورَ بَنِي سَعْدٍ وَإِنَّهُمْ لِعُثْمَانِيَّةٌ حَتَّى قَالُوا: نَعْتَزِلُ، وَغَضِبَتْ عَبْدِ الْقَيْسِ حِينَ غَضِبَتْ سَعْدٌ لِمَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ بَعْدَ الْوَقْعَةِ وَمَنْ كَانَ هَرَبَ إِلَيْهِمْ إِلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ لُزُومِ طَاعَةِ عَلِيٍّ، فَأَمَرَا لِلنَّاسِ بِأَعْطِيَاتِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ وَحُقُوقِهِمْ، وَفَضَّلَا بِالْفَضْلِ أَهْلَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ نَفَرَجَتْ عَبْدِ الْقَيْسِ وَكَثِيرٌ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ حِينَ زَوَّاهُمُ الْفُضُولَ، فَبَادَرُوا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ، وَأَكْبَّ عَلَيْهِمُ النَّاسُ فَأَصَابُوا مِنْهُمْ، وَخَرَجَ الْقَوْمُ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى طَرِيقِ عَلِيٍّ، وَأَقَامَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ لَيْسَ مَعَهُمَا بِالْبَصْرَةِ ثَارًا إِلَّا حَرْقُوصَ، وَكَتَبُوا إِلَى أَهْلِ الشَّامِ بِمَا صَنَعُوا وَصَارُوا إِلَيْهِ: إِنَّا خَرَجْنَا لَوْضِعِ الْحَرْبِ، وَإِقَامَةَ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِإِقَامَةِ حُدُودِهِ فِي الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ وَالكَثِيرِ وَالْقَلِيلِ، حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي يَرُدُّنَا عَنْ ذَلِكَ، فَبَايَعْنَا خِيَارَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَنَجَبَائِهِمْ، وَخَالَفْنَا شِرَارَهُمْ وَنَزَاعَهُمْ، فَرَدُّنَا بِالسَّلَاحِ وَقَالُوا فِيمَا قَالُوا: نَأْخُذُ أَمَ الْمُؤْمِنِينَ رَهِينَةً، أَنْ أَمَرْتَهُمْ بِالْحَقِّ وَحَتَّمْتُمْ عَلَيْهِمْ فَأَعْطَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَنَةَ الْمُسْلِمِينَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ حِجَّةٌ وَلَا عُذْرٌ اسْتَبَسَلَ قَتْلَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَفَرَجُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ فَلَمْ يَفْلِتْ مِنْهُمْ مَخْبِرٌ إِلَّا حَرْقُوصَ بْنَ زُهَيْرٍ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُقِيدُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَكَانُوا كَمَا وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّا نُنَاشِدُكُمْ اللَّهُ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا نَهَضْتُمْ بِمِثْلِ مَا نَهَضْنَا بِهِ، فَلَقِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَتَلَقَّوهُ وَقَدْ أَعْدَرْنَا وَقَضَيْنَا الَّذِي عَلَيْنَا.

وَبَعَثُوا بِهِ مَعَ سَيَارِ الْعَجَلِيِّ، وَكَتَبُوا إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ بِمِثْلِهِ مَعَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ أَسَدٍ يُدْعَى مُظَفَّرَ بْنَ مُعَرِّضٍ وَكَتَبُوا إِلَى أَهْلِ الْيَمَامَةِ وَعَلَيْهَا سَبْرُهُ ابْنُ عَمْرِو الْعَبْرِيِّ مَعَ الْحَارِثِ السَّدُوسِيِّ وَكَتَبُوا إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَعَ ابْنِ قُدَامَةَ الْقَشِيرِيِّ، فَدَسَّهُ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ.

وَكَتَبَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ مَعَ رَسُولِهِمْ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَذْكُرُكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالْإِسْلَامَ، أَقِيمُوا كِتَابَ اللَّهِ بِإِقَامَةِ مَا فِيهِ، اتَّقُوا اللَّهَ

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ، وَكُونُوا مَعَ كِتَابِهِ، فَإِنَّا قَدَمْنَا الْبَصْرَةَ فَدَعَوْنَاهُمْ إِلَى إِقَامَةِ كِتَابِ اللَّهِ بِإِقَامَةِ حُدُودِهِ، فَأَجَابَنَا الصَّالِحُونَ إِلَى ذَلِكَ، وَاسْتَقْبَلْنَا مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ بِالسَّلَاحِ، وَقَالُوا: لَنَتَّبِعَنَّكُمْ عُثْمَانَ، لِيَزِيدُوا الْحُدُودَ تَعْطِيلًا، فَعَانَدُوا فَشَهِدُوا عَلَيْنَا بِالْكُفْرِ وَقَالُوا لَنَا الْمُنْكَرُ، فَقَرَأْنَا عَلَيْهِمْ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ» فَأَذَعَنَ لِي بَعْضُهُمْ، وَاخْتَلَفُوا بَيْنَهُمْ، فَتَرَكَاهُمْ وَذَلِكَ، فَلَمْ يَمْنَعْ ذَلِكَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ عَلَى رَأْيِهِ الْأَوَّلِ مِنْ وَضْعِ السَّلَاحِ فِي أَصْحَابِي، وَعَزَمَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ إِلَّا قَاتَلُونِي حَتَّى مَنَعَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالصَّالِحِينَ، فَدَدَّ كَيْدَهُمْ فِي نُحُورِهِمْ، فَكُنَّا سِتًّا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً نَدْعُوهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَإِقَامَةِ حُدُودِهِ - وَهُوَ حَقُّ الدِّمَاءِ أَنْ تُهْرَاقَ دُونُ مَنْ قَدْ حَلَّ دَمُهُ - فَأَبَاوَا وَاحْتَجُّوا بِأَشْيَاءَ، فَاصْطَلَحْنَا عَلَيْهِمَا، نَخَافُوا وَغَدَرُوا وَخَانُوا، فَجَمَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثَارَهُمْ، فَأَقَادَهُمْ فَلَمْ يَفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلٌ، وَارِدَ أَنَا اللَّهُ، وَمَنَعْنَا مِنْهُمْ بَعْمِيرَ ابْنِ مَرْثَدٍ وَمَرْثَدُ بْنُ قَيْسٍ، وَنَفَرٍ مِنْ قَيْسٍ، وَنَفَرٍ مِنَ الرَّبَابِ وَالْأَزْدِ.

فَالزَّمُوا الرِّضَا إِلَّا عَنْ قَتْلَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ حَقَّهُ، وَلَا تُخَاصِمُوا الْخَائِنِينَ وَلَا تَمْنَعُوهُمْ، وَلَا تَرْضَوْا بِذَوِي حُدُودِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ.

فَكُنْتُ إِلَى رِجَالٍ بِأَسْمَائِهِمْ فَطَبَعُوا النَّاسَ عَنْ مَنَعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَنَصَرَتِهِمْ وَاجْلَسُوا فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَمْ يَرْضُوا بِمَا صَنَعُوا بِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ جَمَاعَةِ الْأُمَّةِ، وَخَالَفُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، حَتَّى شَهِدُوا عَلَيْنَا فِيمَا أَمَرْنَاهُمْ بِهِ، وَحَثَّنَاهُمْ عَلَيْهِ مِنْ إِقَامَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَإِقَامَةِ حُدُودِهِ بِالْكَفْرِ، وَقَالُوا لَنَا الْمُنْكَرُ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ الصَّالِحُونَ وَعَظَّمُوا مَا قَالُوا، وَقَالُوا: مَا رَضِينَا أَنْ قَتَلْتُمُ الْإِمَامَ حَتَّى خَرَجْتُمْ عَلَى زَوْجَةِ نَبِيِّكُمْ ص، أَنْ أَمَرْتُمْ بِالْحَقِّ لَتَقْتُلُوهَا وَأَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّةَ الْمُسْلِمِينَ! فَعَزَمُوا وَعُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ مَعَهُمْ عَلَى مَنْ أَطَاعَهُمْ مِنْ جُهَالِ النَّاسِ وَغَوَايِهِمْ عَلَى زُطِّهِمْ وَسَيَاجِحِهِمْ، فَلَدْنَا مِنْهُمْ بِطَائِفَةٍ مِنَ الْفُسْطَاطِ، فَكَانَ ذَلِكَ الدَّابُّ سِتَّةَ وَعَشْرِينَ يَوْمًا

نَدَعُوهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَالْأَحَقِّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْحَقِّ فَغَدَرُوا وَخَانُوا فَلَمْ نَقْبَلِهِمْ، وَاحْتَجُّوا بِبَيْعَةِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، فَأَبْرَدُوا بِرِيدًا لِحَاجَتِهِمْ بِالْحِجَّةِ فَلَمْ يَعْرِفُوا الْحَقَّ، وَلَمْ يَصْبِرُوا عَلَيْهِ، فَغَادَوْنِي فِي الْغَلَسِ لِيَقْتُلُونِي، وَالَّذِي يُحَارِبُهُمْ غَيْرِي، فَلَمْ يَبْرَحُوا حَتَّى بَلَغُوا سُدَّةَ بَيْتِي وَمَعَهُمْ هَادٍ يَهْدِيهِمْ إِلَيَّ، فَوَجَدُوا نَفْرًا عَلَى بَابِ بَيْتِي، مِنْهُمْ عُمَيْرُ بْنُ مَرْثَدٍ، وَمَرْثَدُ بْنُ قَيْسٍ، وَيَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْثَدٍ، وَنَفَرٌ مِنْ قَيْسٍ، وَنَفَرٌ مِنَ الرَّبَابِ وَالْأَزْدِ، فَدَارَتْ عَلَيْهِمُ الرِّحَا، فَأَطَافَ بِهِمُ الْمُسْلِمُونَ فَفَتَلَوْهُمْ، وَجَمَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَلِمَةَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ عَلَى مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ، فَإِذَا قَتَلْنَا بِثَارِنَا وَسِعْنَا الْعُدْرَ وَكَانَتِ الْوَقْعَةُ لِحَمْسِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَكَتَبَ عُبَيْدُ بْنُ كَعْبٍ فِي جُمَادَى. حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، عَنْ عَامِرِ بْنِ حَفْصٍ، عَنْ أَشْيَاخِهِ، قَالَ: ضَرَبَ عُنُقَ حَكِيمِ بْنِ جَبَلَةَ رَجُلٍ مِنَ الْحَدَانِ يَقَالُ لَهُ ضَخِيمٌ، فَمَالَ رَأْسَهُ، فَتَعَلَّقَ بِجَلَدِهِ، فَصَارَ وَجْهَهُ فِي قَفَاهُ قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى الْحَدَانِي:

الَّذِي قَتَلَ حَكِيمًا يَزِيدُ بْنُ الْأَسْحَمِ الْحَدَانِي، وَجَدَ حَكِيمٌ قَتِيلًا بَيْنَ يَزِيدِ بْنِ الْأَسْحَمِ وَكَعْبِ بْنِ الْأَسْحَمِ، وَهُمَا مَقْتُولَانِ. حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ الْهَذَلِيُّ، عَنْ أَبِي الْمَلِيجِ، قَالَ: لَمَّا قُتِلَ حَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ أَرَادُوا أَنْ يَقْتُلُوا عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ، فَقَالَ: مَا شِئْتُمْ، إِمَّا أَنْ سَهَلَ بْنَ حُنَيْفٍ وَالْإِثْمُ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَإِنْ قَتَلْتُمُونِي انْتَصَرَ سَبِيلُهُ وَاخْتَلَفُوا فِي الصَّلَاةِ، فَأَمَرْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ الزُّبَيْرِ فَصَلَّى بِالنَّاسِ، وَأَرَادَ الزُّبَيْرُ أَنْ يُعْطِيَ النَّاسَ أَرْزَاقَهُمْ وَيَقْسِمَ مَا فِي بَيْتِ الْمَالِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُهُ: إِنْ ارْتَزَقَ النَّاسُ تَفَرَّقُوا وَاصْطَلَحُوا عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، فَصَيَّرُوهُ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ. حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْهَذَلِيِّ، عَنِ الْجَارُودِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ، قَالَ: لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَخَذَ فِيهَا عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَفِي رَحْبَةِ مَدِينَةِ الرِّزْقِ طَعَامَ يَرْتَزِقُهُ النَّاسُ، فَأَرَادَ عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يَرْزُقَهُ أَصْحَابَهُ وَبَلَغَ حَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ مَا صَنَعَ بِعُثْمَانَ، فَقَالَ: لَسْتُ أَخَافُ اللَّهَ إِنْ لَمْ أَنْصُرْهُ،

لَجَاءَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ وَبَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ وَأَكْثَرُهُمْ عَبْدُ الْقَيْسِ، فَأَتَى ابْنُ الزُّبَيْرِ مَدِينَةَ الرِّزْقِ، فَقَالَ: مَالِكُ يَا حَكِيمُ؟ قَالَ: نَزِيدُ أَنْ نَرْتَزِقَ مِنْ هَذَا الطَّعَامِ، وَأَنْ نُخَلُّوا عُثْمَانَ فَيُقِيمَ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ عَلَى مَا كَتَبْتُمْ بَيْنَكُمْ حَتَّى يَقْدَمَ عَلَيَّ، وَاللَّهِ لَوْ أَجِدُ أَعْوَانًا عَلَيْكُمْ أَخْبَطْتُكُمْ بِهِمْ مَا رَضِيتُ بِهِ مِنْكُمْ حَتَّى أَقْتُلَكُمْ مِنْ قَتَلْتُمْ، وَلَقَدْ أَصْبَحْتُمْ وَإِنْ دِمَاءُكُمْ لَنَا لِحَالٍ مِنْ قَتَلْتُمْ مِنْ إِخْوَانِنَا، أَمَا تَخَافُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ! بِمِ تَسْتَحِلُّونَ سَفْكَ الدِّمَاءِ! قَالَ: بَدَمَ عُثْمَانَ ابْنِ عَفَّانَ، قَالَ: فَالَّذِينَ قَتَلْتُمُوهُمْ قَتَلُوا عُثْمَانَ! أَمَا تَخَافُونَ مَقَتَ اللَّهِ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: لَا نَرْزُقُكُمْ مِنْ هَذَا الطَّعَامِ، وَلَا نَخْلِي سَبِيلَ عُثْمَانَ ابْنِ حُنَيْفٍ حَتَّى يَخْلَعَ عَلَيَّ، قَالَ حَكِيمٌ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ حَكَمٌ عَدْلٌ فَاشْهَدْ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِنِّي لَسْتُ فِي شَكٍّ مِنْ قِتَالِ هَؤُلَاءِ، فَمَنْ كَانَ فِي شَكٍّ فَلْيَنْصَرِفْ وَقَاتِلَهُمْ فَاقْتُلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، وَضَرَبَ رَجُلٌ سَاقَ حَكِيمٍ فَأَخَذَ حَكِيمٌ سَاقَهُ فَرَمَاهُ بِهَا، فَأَصَابَ عُنُقَهُ فَصَرَعَهُ وَوَقَدَهُ ثُمَّ حَبَا إِلَيْهِ فَقَتَلَهُ وَاتَّكَأَ عَلَيْهِ، فَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَقَالَ: مَنْ قَتَلَكَ؟ قَالَ: وَسَادَتِي، وَقُتِلَ سَبْعُونَ رَجُلًا مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ قَالَ الْهَذَلِيُّ: قَالَ حَكِيمٌ حِينَ قُطِعَتْ رِجْلُهُ:

أَقُولُ لِمَا جَدَّ بِي زَمَاعِي لِلرَّجُلِي يَا رَجُلِي لَنْ تَرَاعِي إِنْ مَعِيَ مِنْ نَجْدَةٍ ذِرَاعِي.

قَالَ عَامِرٌ وَمَسْلَمَةٌ: قُتِلَ مَعَ حَكِيمِ ابْنَةِ الْأَشْرَفِ وَأَخُوهُ الرَّعْلُ بْنُ جَبَلَةَ حَدَّثَنِي عَمْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَوْفِ الْأَعْرَابِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَهُمَا فِي الْمَسْجِدِ بِالْبَصْرَةِ، فَقَالَ: نَشَدْتُكُمَا بِاللَّهِ فِي مَسِيرِكُمَا! أَعَهْدُ إِلَيْكُمَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَ شَيْئًا! فَقَامَ طَلْحَةُ وَلَمْ يَجِبْهُ، فَنَاشَدَ الزُّبَيْرُ فَقَالَ: لَا، وَلَكِنْ بَلَّغْنَا أَنْ عِنْدَكُمْ دِرَاهِمُ فَجِئْنَا نَشَارِكُكُمْ فِيهَا.

حَدَّثَنِي عَمْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَرْقَمٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي عَمْرَةَ مَوْلَى الزُّبَيْرِ، قَالَ: لَمَّا بَاعَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ الزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ، قَالَ الزُّبَيْرُ: أَلَا أَلْفُ فَارِسٍ أَسِيرُ بِهِمْ إِلَى عَلِيٍّ، فِيمَا بَيْنَهُ وَإِنَّمَا صَبَحْتُهُ، لَعَلِّي أَقْتُلُهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا! فَلَمْ يَجِبْهُ أَحَدٌ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ لَمِيَ الْفَتَنَةِ الَّتِي كُنَّا نَحْدُثُ عَنْهَا، فَقَالَ لَهُ مَوْلَاهُ: اأَسْمِهَا فِتْنَةً وَتَقَاتِلْ فِيهَا! قَالَ: وَبِحُكِّ! إِنَّا نُبْصِرُ وَلَا نُبْصِرُ، مَا كَانَ أَمْرٌ قَطُّ إِلَّا عَلِمْتُ مَوْضِعَ قَدَمِي فِيهِ، غَيْرَ هَذَا الْأَمْرِ فَإِنِّي لَا أَدْرِي أَمُقْبِلٌ أَنَا فِيهِ أَمْ مُدْبِرٌ! حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، قَالَ:

حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ يَوْسُفَ، قَاضِي صَنْعَاءَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَصْعَبٍ بْنِ ثَابِتِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ مُوسَى بْنِ عَقَبَةَ، عَنْ عُلُقَمَةَ بْنِ وَقَاصٍ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: لَمَّا خَرَجَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ رَأَيْتُ طَلْحَةَ وَأَحَبَّ الْمَجَالِسِ إِلَيْهِ أَخْلَاهَا، وَهُوَ ضَارِبٌ بِلِحْيَتِهِ عَلَى زُورِهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، أَرَى أَحَبَّ الْمَجَالِسِ إِلَيْكَ أَخْلَاهَا، وَأَنْتَ ضَارِبٌ بِلِحْيَتِكَ عَلَى زُورِكَ، إِنْ كَرِهْتَ شَيْئًا فَاجْلِسْ قَالَ: فَقَالَ لِي: يَا عُلُقَمَةُ بْنُ وَقَاصٍ، بَيْنَا نَحْنُ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ سَوَانَا، إِذْ صَرْنَا جَبَلَيْنِ مِنْ حَدِيدٍ يَطْلُبُ بَعْضُنَا بَعْضًا، إِنَّهُ كَانَ مِنِّي فِي عُثْمَانَ شَيْءٌ لَيْسَ تَوْبَتِي إِلَّا أَنْ يُسَفِكَ دَمِي فِي طَلَبِ دَمِهِ قَالَ: قُلْتُ: فَرَدَّ مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ فَإِنَّ لَكَ ضَبْعَةً وَعِيَالًا، فَإِنْ يَكُ شَيْءٌ يُخْلِفُكَ، فَقَالَ: مَا أَحَبُّ أَنْ أَرَى أَحَدًا يَخْفُ فِي هَذَا الْأَمْرِ فَأَمْنَعُهُ قَالَ: فَاتَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ طَلْحَةَ فَقُلْتُ لَهُ: لَوْ أَقَمْتَ، فَإِنْ حَدَثَ بِهِ حَدَثٌ كُنْتَ تَخْلُفُهُ فِي عِيَالِهِ وَضَبْعَتِهِ، قَالَ: مَا أَحَبُّ أَنْ أَسْأَلَ الرِّجَالَ عَنْ أَمْرِهِ.

حَدَّثَنِي عَمْرٌ بْنُ شَبَّةٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُخَنَّفٍ، عَنْ مُجَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الْبَصْرَةَ كَتَبَتْ إِلَى زَيْدِ بْنِ صُوحَانَ: مِنْ عَائِشَةَ ابْنَةِ أَبِي بَكْرٍ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ حَبِيبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص إِلَى ابْنِهَا الْخَالِصِ زَيْدِ بْنِ صُوحَانَ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَاقْدَمْ، فَانْصُرْنَا عَلَى أَمْرِنَا هَذَا، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ نَقْدِلِ النَّاسَ عَنْ عَلِيٍّ.

فَكَتَبَ إِلَيْهَا: مِنْ زَيْدِ بْنِ صُوحَانَ إِلَى عَائِشَةَ ابْنَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ

٤٠٢١٠٧ ذكر الخبر عن مسير علي بن أبي طالب نحو البصرة

حَبِيبُهُ رَسُولُ اللَّهِ ص، أَمَّا بَعْدُ: فَأَنَا ابْنُ الْخَالِصِ إِنْ اعْتَزَلْتُ هَذَا الْأَمْرَ وَرَجَعْتُ إِلَى بَيْتِكَ، وَإِلَّا فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ نَابَذَكَ قَالَ: زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ: رَحِمَ اللَّهُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ! أُمِرْتُ أَنْ تَلْزَمَ بَيْتَهَا وَأَمْرُنَا أَنْ نُقَاتِلَ، فَتَرَكْتُ مَا أُمِرْتُ بِهِ وَأَمَرْتُ بِهِ، وَصَنَعْتُ مَا أُمِرْنَا بِهِ وَنَهَيْتُنَا عَنْهُ! ذَكَرَ الْخَبَرَ عَنْ مَسِيرِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ نَحْوَ الْبَصْرَةِ

لَمَّا كَتَبَ بِهِ إِلَى السَّرِيِّ، أَنَّ شُعَيْبًا حَدَّثَهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَيْفٌ، عَنْ عُبَيْدَةَ بْنِ مُعْتَبٍ، عَنْ يَزِيدِ الصَّخَمِيِّ، قَالَ: لَمَّا أَتَى عَلِيًّا الْخَبَرُ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ بِأَمْرِ عَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ أَنَّهُمْ قَدْ تَوَجَّهُوا نَحْوَ الْعِرَاقِ، خَرَجَ يُبَادِرُ وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يُدْرِكَهُمْ وَيُرُدَّهُمْ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الرَّبَذَةِ أَتَاهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ أَمْعَنُوا، فَأَقَامَ بِالرَّبَذَةِ أَيَّامًا، وَأَتَاهُ عَنِ الْقَوْمِ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْبَصْرَةَ، فَسَرِيَ بِذَلِكَ عَنْهُ، وَقَالَ: إِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ أَشَدُّ إِلَيَّ حُبًّا، وَفِيهِمْ رُؤُوسُ الْعَرَبِ وَأَعْلَامُهُمْ فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ: إِنِّي قَدْ اخْتَرْتُكُمْ عَلَى الْأُمُصَارِ وَإِنِّي بِالْأَثَرَةِ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، عَنْ بَشِيرِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَتَبَ عَلِيٌّ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي اخْتَرْتُكُمْ وَالنُّزُولَ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ لِمَا أَعْرِفُ مِنْ مَوَدَّتِكُمْ وَحُبِّكُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ ص، فَمَنْ جَاءَنِي وَنَصَرَنِي فَقَدْ أَجَابَ الْحَقَّ وَقَضَى الَّذِي عَلَيْهِ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ قَالَ: حَدَّثَنَا حَبَّانُ بْنُ مُوسَى، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ الْأَعْلَمِ وَبَشَرَ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

بَعَثَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ إِلَى الْكُوفَةِ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَوْنٍ، جَاءَ النَّاسُ إِلَى أَبِي مُوسَى يَسْتَشِيرُونَهُ فِي الْخُرُوجِ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: أَمَّا سَبِيلُ الْآخِرَةِ فَإِنَّ تَقِيمُوا، وَأَمَّا سَبِيلُ الدُّنْيَا فَإِنَّ تَخْرُجُوا، وَأَنْتُمْ أَعْلَمُ وَبَلَغَ الْمُحَمَّدِينَ قَوْلُ أَبِي مُوسَى، فَبَايَنَاهُ وَأَغْلَظَاهُ، فَقَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ إِنْ بَيْعَةَ عُثْمَانَ فِي عُنُقِي وَعُنُقِ صَاحِبِكُمَا الَّذِي أَرْسَلَكُمَا، إِنْ أَرَدْنَا أَنْ نُقَاتِلَ لَا نُقَاتِلَ حَتَّى لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ قَتَلَةِ

عُثْمَانَ إِلَّا قُتِلَ حَيْثُ كَانَ وَخَرَجَ عَلِيٌّ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي آخِرِ شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ، فَقَالَتْ أُخْتُ عَلِيٍّ بِنْتُ عَدَى مِنْ بَنِي عَبْدِ الْعَزَى ابْنِ عَبْدِ شَمْسٍ:

لَا هُمْ فَاعْقِرْ بَعْلِي جَمْلَهُ ... وَلَا تُبَارِكْ فِي بَعِيرِ حَمَلِهِ

أَلَا عَلِيٌّ بَنُ عَدِيٍّ لَيْسَ لَهُ

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي مُخَنِفٍ، عَنْ نَمِرِ بْنِ وَعَلَةَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَ عَلِيٌّ بِالرَّبَذَةِ اثْنَتَا جَمَاعَةٍ مِنْ طَيْئٍ، فَقِيلَ لَعَلِي: هَذِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ طَيْئٍ قَدْ أَتَيْتُكَ، مِنْهُمْ مَنْ يُرِيدُ الْخُرُوجَ مَعَكَ وَمِنْهُمْ مَنْ يُرِيدُ التَّسْلِيمَ عَلَيْكَ، قَالَ: جَزَى اللَّهُ كُلًّا خَيْرًا وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ثُمَّ دَخَلُوا عَلَيْهِ [فَقَالَ عَلِيٌّ: مَا شَهِدْتُمُونَا بِهِ؟]

قَالُوا: شَهِدْنَاكَ بِكُلِّ مَا تُحِبُّ، قَالَ: جَزَاكُمْ اللَّهُ خَيْرًا! فَقَدْ أَسْلَمْتُمْ طَائِعِينَ وَقَاتَلْتُمُ الْمُرْتَدِينَ وَوَأَفَيْتُمُ بَصَدَقَاتِكُمُ الْمُسْلِمِينَ [فَنَهَضَ سَعِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ الطَّائِيُّ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْبِرُ لِسَانَهُ عَمَّا فِي قَلْبِهِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا كُلُّ مَا أَجِدُ فِي قَلْبِي يُعْبِرُ عَنْهُ لِسَانِي وَسَأَجْهَدُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ، أَمَّا أَنَا فَسَأَنْصَحُ لَكَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَأُقَاتِلُ عَدُوَّكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَأَرَى لَكَ مِنَ الْحَقِّ مَا لَا أَرَاهُ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ زَمَانِكَ لِفَضْلِكَ وَقَرَابَتِكَ قَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ! قَدْ أَدَى لِسَانُكَ عَمَّا يَجْنُ صَمِيرُكَ فَقُتِلَ مَعَهُ بِصَفِيِّنَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا: لَمَّا قَدِمَ عَلِيٌّ الرَّبَذَةَ أَقَامَ بِهَا وَسَرَحَ مِنْهَا إِلَى الْكُوفَةِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، وَكَتَبَ إِلَيْهِمْ: إِنِّي اخْتَرْتُكُمْ عَلَى الْأَمْصَارِ وَفَرَعْتُ إِلَيْكُمْ لِمَا حَدَّثْتُ، فَكُونُوا لِلدِّينِ اللَّهُ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا، وَابْذُوبُوا وَانْهَضُوا إِلَيْنَا فَاِلْإِصْلَاحُ مَا نُزِيدُ، لِنَعُودَ الْأُمَّةَ إِخْوَانًا، وَمَنْ أَحَبَّ ذَلِكَ وَآثَرَهُ فَقَدْ أَحَبَّ الْحَقَّ وَآثَرَهُ، وَمَنْ أَبْغَضَ ذَلِكَ فَقَدْ أَبْغَضَ الْحَقَّ وَغَمَمَهُ.

فَقَضَى الرَّجُلَانِ وَبَقِيَ عَلِيٌّ بِالرَّبَذَةِ يَتَبَّأُ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَحَقَهُ مَا أَرَادَ مِنْ دَابَّةٍ وَسِلَاحٍ، وَأَمْرُهُ وَقَامَ فِي النَّاسِ نَخَطُهُمْ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَعَزَّنَا بِالْإِسْلَامِ وَرَفَعَنَا بِهِ وَجَعَلَنَا بِهِ إِخْوَانًا بَعْدَ ذَلَّةٍ وَقِلَّةٍ وَتَبَاغُضٍ وَتَبَاعُدٍ، فَجَرَى النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ، الْإِسْلَامُ دِينُهُمُ وَالْحَقُّ فِيهِمْ وَالْكِتَابُ إِمَامُهُمْ، حَتَّى أُصِيبَ هَذَا الرَّجُلُ بِأَيْدِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ نَزَعَهُمُ الشَّيْطَانُ لِيَنْزِعَ بَيْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَلَا إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ لَا بُدَّ مُفْتَرَقَةٍ كَمَا افْتَرَقَتِ الْأُمَمُ قَبْلَهُمْ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ مَا هُوَ كَائِنْ ثُمَّ عَادَ ثَانِيَةً، فَقَالَ: إِنَّهُ لَا بُدَّ مِمَّا هُوَ كَائِنْ أَنْ يَكُونَ، أَلَا وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، شَرُّهَا فِرْقَةٌ تَنْتَحِلُنِي

وَلَا تَعْمَلْ بَعْمَلِي، فَقَدْ أَدْرَكْتُمْ وَرَأَيْتُمْ فَالْزُمُوا دِينَكُمْ وَاهْدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ ص، وَاتَّبِعُوا سُنَّتَهُ، وَاعْرِضُوا مَا أَشْكِلَ عَلَيْكُمْ عَلَى الْقُرْآنِ، فَاعْرِفْهُ الْقُرْآنُ فَالْزُمُوهُ وَمَا أَنْكَرَهُ فَرُدُّوهُ، وَارْضُوا بِاللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ ص نَبِيًّا، وَبِالْقُرْآنِ حَكًّا وَإِمَامًا.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا:

لَمَّا أَرَادَ عَلِيٌّ الْخُرُوجَ مِنَ الرَّبَذَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ قَامَ إِلَيْهِ ابْنُ لِرْفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟ وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ بِنَا؟ فَقَالَ: أَمَّا الَّذِي تُرِيدُ وَتَوَيُّوهُ فَلِإِصْلَاحٍ، إِنْ قِيلُوا مِنَّا وَاجَابُونَا إِلَيْهِ، قَالَ: فَاِنْ لَمْ يَجِيبُوا إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَدْعُهُمْ بِعُذْرِهِمْ وَنُعْطِيهِمُ الْحَقَّ وَنَصْبِرُ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَرْضَوْا؟

قَالَ: نَدْعُهُمْ مَا تَرْكُونَا، قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَتْرُكُونَا؟ قَالَ: امْتَنَعْنَا مِنْهُمْ، قَالَ:

فَنَعَمْ إِذَا وَقَامَ الْحَجَّاجُ بْنُ غَزِيَّةَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: لِأَرْضِيْنِكَ بِالْفِعْلِ كَمَا أَرْضَيْتَنِي بِالْقَوْلِ وَقَالَ:

دِرَاكِمَهَا دِرَاكِمَهَا قَبْلَ الْقَوْتِ ... وَانْفِرْ بِنَا وَاسْمُ بِنَا نَحْوَ الصَّوْتِ

لَا وَالَّتِ نَفْسِي إِنْ هَبْتُ الْمَوْتَ.

وَاللَّهُ لَأَنْصُرَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا سَمَّانَا أَنْصَارًا نَخْرُجُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَعَلَى

مُقَدِّمَتِهِ أَبُو لَيْلَى بْنُ عُمَرَ بْنِ الْجَرَّاحِ، وَالرَّايَةَ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ، وَعَلَى الْمَيْمَنَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَعَلَى الْمِيسِرَةِ عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ أَوْ عُمَرُ بْنُ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ، وَخَرَجَ عَلَى وَهُوَ فِي سَبْعِمِائَةٍ وَسِتِّينَ، وَرَاجِعُ عَلِيٍّ يَرْجُزُ بِهِ:

سِيرُوا أَبَابِيلَ وَحُثُوا السَّيْرَ إِذْ عَزِمَ السَّيْرُ وَقُولُوا خَيْرًا حَتَّى يَلْقَاوَا وَتَلْقَاوَا خَيْرًا نَغْزُوا بِهَا طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَهُوَ أَمَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ حُمْرَاءُ يَقُودُ فَرَسًا كَبِيرًا فَتَلْقَاهُمْ بِفَيْدٍ غَلَامٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَامِرٍ يُدْعَى مَرَّةً، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقِيلَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: سُفْرَةٌ فَانِيَةٌ فِيهَا دِمَاءٌ مِنْ نَفُوسٍ فَانِيَةٍ، فَسَمِعَهَا عَلِيٌّ فَدَعَاهُ، فَقَالَ: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: مَرَّةً، قَالَ:

أَمْرُ اللَّهِ عَيْشُكَ، كَاهِنُ سَائِرِ الْيَوْمِ؟ قَالَ: بَلَّ عَائِفٌ، فَلَمَّا نَزَلَ بِفَيْدٍ أَتَتْهُ أَسَدٌ وَطِيئٌ فَعَرَضُوا عَلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ، فَقَالَ: الزُّمُوا قَرَارَكُمْ، فِي الْمُهَاجِرِينَ كِفَايَةً.

وَقَدِمَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَيَدَّ قَبْلَ خُرُوجِ عَلِيٍّ فَقَالَ: مَنْ الرَّجُلُ؟ قَالَ:

عَامِرُ بْنُ مَطَرٍ، قَالَ: اللَّيْثِيُّ؟ قَالَ الشَّيْبَانِيُّ: قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمَّا وَرَاءَكَ، قَالَ:

فَأَخْبَرَهُ حَتَّى سَأَلَهُ عَنْ أَبِي مُوسَى، فَقَالَ: إِنْ أَرَدْتَ الصُّلْحَ فَأَبُو مُوسَى صَاحِبُ ذَلِكَ، وَإِنْ أَرَدْتَ الْقِتَالَ فَأَبُو مُوسَى لَيْسَ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْنَا، قَالَ: قَدْ أَخْبَرْتُكَ الْخَبَرَ، وَسَكَتَ وَسَكَتَ عَلِيٌّ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمِيرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ، قَالَ: قَدِمَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ عَلَى عَلِيٍّ بِالرَّبَذَةِ وَقَدْ تَنَفَّوْا شَعْرَ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ وَحَاجِيَتِهِ، [فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بَعَثَنِي ذَا لِحْيَةٍ وَجِئْتُكَ أَمْرَدًا، قَالَ: أَصَبْتَ أَجْرًا وَخَيْرًا، إِنْ النَّاسُ وَلِيَهُمْ قَبْلِي رَجُلَانِ، فَعَمَلًا بِالْكَتَابِ، ثُمَّ وَلِيَهُمْ ثَالِثٌ، فَقَالُوا وَفَعَلُوا، ثُمَّ بَايَعُونِي، وَبَايَعَنِي طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَكَّأَ بَيْعَتِي، وَالْبَا نَاسٌ عَلَيَّ، وَمِنْ الْعَجَبِ انْقِيَادُهُمَا لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَخِلَافُهُمَا عَلَيَّ، وَاللَّهُ إِنَّهُمَا لَيَعْلَمَانِ أَنِّي لَسْتُ بِدُونِ رَجُلٍ مِمَّنْ قَدْ مَضَى، اللَّهُمَّ فَاحْلِلْ مَا عَقَدَا، وَلَا تُبْرِمْ مَا قَدْ أَحْكَمَا فِي أَنْفُسِهِمَا وَأَرْهَمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا قَدْ عَمَلَا]

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا:

وَمَا نَزَلَ عَلَى الثَّعْلِيَّةِ أَتَاهُ الَّذِي لَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ وَحَرَسَهُ، فَقَامَ وَأَخْبَرَ الْقَوْمَ الْخَبْرَ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ عَافِنِي مِمَّا ابْتَلَيْتَ بِهِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ مِنْ قَتْلِ الْمُسْلِمِينَ، وَسَلَّمْنَا مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ وَمَا أَنْتَ إِلَّا إِلَى الْإِسَادِ أَتَاهُ مَا لَقِيَ حَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ وَقَتْلَةُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، [فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، مَا يُنْجِيَنِي مِنْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ إِذَا أَصَابَا ثَارَهُمَا أَوْ يُنْجِيَنِي! وَقَرَأَ: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا» وَقَالَ:

دَعَا حَكِيمٌ دَعْوَةَ الزَّمَاعِ ... حَلَّ بِهَا مَنْزِلَةَ النِّزَاعِ

[وَمَا أَتَتْهُوَ إِلَى ذِي قَارٍ أَنْتَهَى إِلَيْهِ فِيهَا عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ شَعْرٌ، فَلَمَّا رَأَاهُ عَلِيٌّ نَظَرَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: انْطَلِقْ هَذَا مِنْ عِنْدَنَا وَهُوَ شَيْخٌ، فَرَجَعَ إِلَيْنَا وَهُوَ شَابٌّ فَلَمْ يَزَلْ بِذِي قَارٍ يَتْلُو مُحَمَّدًا وَمُحَمَّدًا، وَأَتَاهُ الْخَبْرُ بِمَا لَقِيََتْ رِبِيعَةُ وَخُرُوجَ عَبْدِ الْقَيْسِ وَزَوُولِهِمْ بِالطَّرِيقِ، فَقَالَ: عَبْدُ الْقَيْسِ خَيْرُ رِبِيعَةٍ، فِي كُلِّ رِبِيعَةٍ خَيْرٌ وَقَالَ: يَا لَهْفِ نَفْسِي عَلَى رِبِيعَةٍ ... رِبِيعَةُ السَّامِعَةِ الْمُطِيعَةِ قَدْ سَبَقْتَنِي فِيهِمُ الْوَقِيعَةُ ... دَعَا عَلِيٌّ دَعْوَةَ سَمِيعَةٍ حُلُّوا بِهَا الْمَنْزِلَةَ الرَّفِيعَةَ.

قَالَ: وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ بَكْرُ بْنُ وَاثِلٍ، فَقَالَ لَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ لَطِئٌ وَأَسَدٌ.

وَمَا قَدِمَ مُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدٌ عَلَى الْكُوفَةِ وَأَتَيَا أَبَا مُوسَى بِكِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَامَا فِي النَّاسِ بَامْرِهِ، لَمْ يُجَابَا إِلَى شَيْءٍ، فَلَمَّا أَمْسَوْا دَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْحِجَى عَلَى أَبِي مُوسَى، فَقَالُوا: مَا تَرَى فِي الْخُرُوجِ؟ فَقَالَ: كَانَ الرَّأْيُ بِالْأَمْسِ لَيْسَ بِالْيَوْمِ، إِنَّ الَّذِي تَهَاوَنْتُمْ بِهِ فِيمَا مَضَى هُوَ الَّذِي جَرَّ عَلَيْكُمْ مَا تَرَوْنَ، وَمَا بَقِيَ إِلَّا هُمَا أَمْرَانِ: الْقَعُودُ سَبِيلُ الْآخِرَةِ وَالْخُرُوجُ سَبِيلُ الدُّنْيَا، فَاخْتَارُوا فَلَمْ يَنْفِرْ إِلَيْهِ أَحَدٌ، فَعَضِبَ الرَّجُلَانِ وَأَغْلَظَا لِأَبِي مُوسَى، فَقَالَ

أَبُو مُوسَى: وَاللَّهِ إِنْ بَعَثَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِقَائِي عُنُقِي وَعُنُقِ صَاحِبِكُمَا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَدٌّ مِنْ قِتَالٍ لَا نُقَاتِلُ أَحَدًا حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ قِتْلَةِ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانُوا فَانْطَلَقَا إِلَى عَلِيٍّ فَوَافِيَاهُ بِذِي قَارٍ وَأَخْبَرَاهُ الْخَبْرَ، وَقَدْ خَرَجَ مَعَ الْأَشْتَرِ وَقَدْ كَانَ يُعْجَلُ إِلَى الْكُوفَةِ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا أَشْتَرُ، أَنْتَ صَاحِبُنَا فِي أَبِي مُوسَى وَالْمُعْتَرِضُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، أَذْهَبَ أَنْتَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ فَأَصْلَحَ مَا أَفْسَدْتَ.

خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَمَعَهُ الْأَشْتَرُ، فَقَدِمَا الْكُوفَةَ وَكَلَّمَا أَبَا مُوسَى وَاسْتَعَانَا عَلَيْهِ بِأَنَاسٍ مِنَ الْكُوفَةِ، فَقَالَ لِلْكُوفِيِّينَ: أَنَا صَاحِبُكُمْ يَوْمَ الْجَرَّةِ وَأَنَا صَاحِبُكُمْ الْيَوْمَ، جَمَعَ النَّاسُ نَفْطَهُمْ وَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَنْ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ صَبَّوهُ فِي الْمَوَاطِنِ أَعْلَمُ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَرَسُولُهُ صَ مِمَّنْ لَمْ يَصْحَبْهُ، وَإِنْ لَكُمْ عَلَيْنَا حَقًّا فَأَنَا مُؤَدِّبُهُ إِلَيْكُمْ.

كَانَ الرَّأْيُ أَلَّا تَسْتَخِفُّوا بِسُلْطَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا تَجْتَرِثُوا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَانَ الرَّأْيُ الثَّانِي أَنْ تَأْخُذُوا مِنْ قَدَمِ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ قَرْدُوهُمْ إِلَيْهَا حَتَّى يَجْتَمِعُوا، وَهُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ تَصْلُحُ لَهُ الْإِمَامَةُ مِنْكُمْ، وَلَا تُكَلِّفُوا الدَّخُولَ فِي هَذَا، فَمَا إِذَا كَانَ مَا كَانَ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ صَمَاءُ، النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ، وَالْيَقْظَانُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَاعِدِ، وَالْقَاعِدُ خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الرَّاكِبِ، فَكُونُوا جُرْثُومَةً مِنْ جَرَائِمِ الْعَرَبِ، فَاعْمِدُوا السُّيُوفَ، وَانْصِلُوا الْأَسِنَّةَ، واقطعوا الأوتارَ، وأووا المظلوم والمضطهدَ حَتَّى يَلْتَمَ هَذَا الْأَمْرُ، وَتَنْجَلِي هَذِهِ الْفِتْنَةُ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا:

وَمَا رَجَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى عَلِيٍّ بِالْخَبْرِ دَعَا الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ فَأَرْسَلَهُ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ عُمَارُ بْنُ يَاسِرٍ، فَقَالَ لَهُ: انْطَلِقْ فَأَصْلَحَ مَا أَفْسَدْتَ،

فَأَقْبَلَا حَتَّى دَخَلَا الْمَسْجِدَ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَتَاهُمَا مَسْرُوقُ بْنُ الْأَجْدَعِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا، وَأَقْبَلَ عَلَى عُمَارٍ فَقَالَ: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ، عَلَامَ قَتَلْتُمْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ قَالَ: عَلَى شَتَمٍ أَعْرَضْنَا وَضَرْبِ آبَائِنَا! فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا عَاقَبْتُمْ بِمِثْلِ مَا عَوَّبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَكَانَ خَيْرًا لِلصَّابِرِينَ نَخْرَجَ أَبُو مُوسَى، فَلَقِيَ الْحَسَنَ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَأَقْبَلَ عَلَى عُمَارٍ فَقَالَ: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ، أَعَدَوْتَ فِيمَنْ عَدَا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَحَلَّتْ نَفْسُكَ مَعَ الْفُجَّارِ! فَقَالَ: لَمْ أَفْعَلْ، وَلَمْ تَسْوَوْنِي؟ [وَقَطَعَ عَلَيْهِمَا الْحَسَنُ، فَأَقْبَلَ عَلَى أَبِي مُوسَى، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، لِمَ تُثَبِّطُ النَّاسَ عَنَّا! فَوَاللَّهِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْإِصْلَاحَ، وَلَا مِثْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَخَافُ عَلَى شَيْءٍ] فَقَالَ: صَدَقْتَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! وَلَكِنَّ الْمُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ، [سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ الرَّكَبِ،] قَدْ جَعَلَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِخْوَانًا، وَحَرَّمَ عَلَيْنَا أَمْوَالَنَا وَدِمَاءَنَا، وَقَالَ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ»، «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» وَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ».

فَغَضِبَ عُمَارُ وَسَاءَهُ وَقَامَ وَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا قَالَ لَهُ خَاصَّةً: أَنْتَ فِيهَا قَاعِدٌ خَيْرٌ مِنْكَ قَائِمٌ وَقَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ لِعُمَارٍ: اسْكُتْ أَيُّهَا الْعَبْدُ، أَنْتَ أَمْسَ مَعَ الْغَوَاةِ وَالْيَوْمَ تُسَافِهُ أَمِيرَنَا، وَثَارَ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ وَطَبَقَتْهُ وَثَارَ النَّاسُ، وَجَعَلَ أَبُو مُوسَى يُكَفِّفُ النَّاسَ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى أَتَى الْمَنْبَرِ، وَسَكَنَ النَّاسُ، وَأَقْبَلَ زَيْدٌ عَلَى حِمَارٍ حَتَّى وَقَفَ بِيَابِ الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ الْكُتُبَانِ مِنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَيْهِ وَإِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَقَدْ كَانَ طَلَبَ كِتَابِ الْعَامَةِ فَضَمَّهُ إِلَى كِتَابِهِ، فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَمَعَهُ كِتَابُ الْخَاصَّةِ وَكِتَابُ الْعَامَةِ: أَمَّا بَعْدُ، فَخَبِطُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَاجْلِسُوا فِي بُيُوتِكُمْ إِلَّا عَنْ قِتْلَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْكُتَابِ قَالَ: أَمَرْتُ بِأَمْرِ وَأَمَرْنَا بِأَمْرٍ، أَمَرْتُ أَنْ تَقَرَّ فِي بَيْتَيْهَا، وَأَمَرْنَا أَنْ نُقَاتِلَ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ، فَأَمَرْنَا بِمَا أَمَرْتُ بِهِ وَرَكِبْتُ مَا أَمَرْنَا بِهِ فَقَامَ إِلَيْهِ شَبْتُ بْنُ رَبِيعٍ فَقَالَ: يَا عُمَانِي- وَزَيْدٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ عُثْمَانُ وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ- سَرَقَتْ بِجُلُولَاءِ فَقَطَعَكَ اللَّهُ، وَعَصَيْتَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَقَتَلَكَ اللَّهُ! مَا أَمَرْتُ إِلَّا بِمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ بِالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، فَقُلْتُ: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَتَهَاوَى النَّاسُ وَقَامَ أَبُو مُوسَى فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَطِيعُونِي تَكُونُوا جُرُومَةً مِنْ جَرَائِمِ الْعَرَبِ يَأْوِي إِلَيْكُمْ الْمَظْلُومُ وَيَأْمَنُ فِيكُمْ الْخَائِفُ، إِنَّا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمُ بِمَا سَمِعْنَا، إِنَّ الْفِتْنَةَ

إِذَا أَقْبَلَتْ شَبِهَتْ وَإِذَا أَدْبَرَتْ بَيَّنَتْ، وَإِنَّ هَذِهِ الْفِتْنَةَ بَاقِرَةٌ كَدَاءُ الْبَطْنِ تَجْرِي بِهَا الشَّمَالُ وَالْجَنُوبُ وَالصَّبَا وَالْدَّبُورُ، فَتَسْكُنُ أحيانًا فَلَا يُدْرَى مِنْ أَيْنَ تَوْتِي، تَذَرُ الْحَلِيمَ كَابْنَ أَمْسٍ، شَيْمُوا سَيُوفَكُمْ وَقَصِّدُوا رِمَاحَكُمْ، وَأَرْسِلُوا سِهَامَكُمْ، واقطعوا أوتاركم، والزموا بيوتكم خلوا قريشا- إذ أَبَوْا إِلَّا الْخُرُوجَ مِنْ دَارِ الْهَجْرَةِ وَفِرَاقَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْإِمْرَةِ- تَرْتَقِي فَتَقْتَحُهَا، وَتُشْعِبُ صَدْعَهَا، فَإِنْ فَعَلَتْ فَلَانْفُسَهَا سَعَتْ، وَإِنْ أَبَتْ فَعَلَى أَنْفُسِهَا مَنَتْ سَمْنَهَا تَهْرِيقُ فِي أَدِيمِهَا، اسْتَنْصَحُونِي وَلَا تَسْتَغْشُونِي، وَأَطِيعُونِي يَسْلَمْ لَكُمْ دِينُكُمْ وَدُنْيَاكُمْ، وَيَشْفَى بَحْرُ هَذِهِ الْفِتْنَةِ مِنْ جَنَاهَا.

فَقَامَ زَيْدٌ فَشَالَ يَدَهُ الْمَقْطُوعَةَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ، رَدَّ الْفُرَاتَ عَنْ دِرَاجِهِ، أَرَدُّهُ مِنْ حَيْثُ يَجِيءُ حَتَّى يَعُودَ كَمَا بَدَأَ، فَإِنْ قَدَرْتَ عَلَى ذَلِكَ فَسَتَقْدِرُ عَلَى مَا تُرِيدُ، فَدَعُ عَنْكَ مَا لَسْتَ مُدْرِكُهُ ثُمَّ قَرَأَ:

«الْم. أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرُكُوا» إِلَى آخِرِ الْآيَتَيْنِ، سِيرُوا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيِّدِ الْمُسْلِمِينَ، وَانْفِرُوا إِلَيْهِ أَجْمَعِينَ تُصِيبُوا الْحَقَّ. فَقَامَ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرِو فَقَالَ: إِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ، وَعَلَيْكُمْ شَفِيقٌ، أَحَبُّ أَنْ تَرْضُدُوا، وَلَا قَوْلَ لَكُمْ قَوْلًا هُوَ الْحَقُّ، أَمَّا مَا قَالَ الْأَمِيرُ فَهُوَ الْأَمْرُ لَوْ أَنَّ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَأَمَّا مَا قَالَ زَيْدٌ فَرِيدٌ فِي الْأَمْرِ فَلَا تَسْتَنْصِحُوهُ فَإِنَّهُ لَا يُنْتَزَعُ أَحَدٌ مِنَ الْفِتْنَةِ طَعَنَ فِيهَا وَجَرَى إِلَيْهَا، وَالْقَوْلُ الَّذِي هُوَ الْقَوْلُ إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ إِمَارَةِ تَنْظِمِ النَّاسِ وَتَرْعِ الظَّالِمِ وَتُعِزُّ الْمَظْلُومَ، وَهَذَا عَلَيَّ بِلِي بِمَا وُلِّيَ، وَقَدْ أَنْصَفَ فِي الدُّعَاءِ وَإِنَّمَا يَدْعُو إِلَى

الإصلاح، فأنفروا وكونوا من هذا الأمر بمرأى ومسمع.
 وَقَالَ سَيْحَانُ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا بُدَّ لِهَذَا الْأَمْرِ وَهَؤُلَاءِ النَّاسِ مِنْ وَالٍ يَدْفَعُ الظَّالِمَ وَيُعِزُّ الْمَظْلُومَ وَيَجْمَعُ النَّاسَ، وَهَذَا وَالِيكُمْ يَدْعُوكُمْ لِنَظَرٍ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِيهِ، وَهُوَ الْمَأْمُونُ عَلَى الْأُمَّةِ، الْفَقِيهُ فِي الدِّينِ، فَمَنْ نَهَضَ إِلَيْهِ فَإِنَّا سَائِرُونَ مَعَهُ وَلَا نَعَمَّارُ بَعْدَ نَزْوَتِهِ الْأُولَى فَلَمَّا فَرَّغَ سَيْحَانُ مِنْ خُطْبَتِهِ، تَكَلَّمَ عَمَّارٌ فَقَالَ: هَذَا ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَ يَسْتَنْفِرُكُمْ إِلَى زَوْجِهِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَإِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهَا زَوْجَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَانظُرُوا ثُمَّ انظُرُوا فِي الْحَقِّ فَقَاتِلُوا مَعَهُ، فَقَالَ رَجُلٌ:
 يَا أَبَا الْيَقْظَانِ، لِمَ مَعَ مَنْ شَهِدْتَ لَهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى مَنْ لَمْ تَشْهَدْ لَهُ فَقَالَ الْحَسَنُ:
 اكْتَفَى عَنَّا يَا عَمَّارُ، فَإِنَّ لِلْإِصْلَاحِ أَهْلًا.
 وقام الحسن بن علي، فقال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَجِيبُوا دَعْوَةَ أَمِيرِكُمْ، وَسِيرُوا إِلَى إِخْوَانِكُمْ، فَإِنَّهُ سَيُوجَدُ لِهَذَا الْأَمْرِ مَنْ يَنْفِرُ إِلَيْهِ، وَاللَّهُ لَأَنْ يَلِيَهُ أَوَّلُو النَّهْيِ أَمْثَلُ فِي الْعَاجِلَةِ وَخَيْرٌ فِي الْعَاقِبَةِ، فَأَجِيبُوا دَعْوَتَنَا وَأَعِينُونَا عَلَى مَا ابْتَلَيْنَا بِهِ وَابْتَلَيْتُمْ.
 فَسَاحَ النَّاسُ وَأَجَابُوا وَرَضُوا بِهِ وَأَتَى قَوْمٌ مِنْ طَيِّئٍ عَدِيًّا فَقَالُوا: مَاذَا تَرَى وَمَاذَا تَأْمُرُ؟ فَقَالَ: نَنْتَظِرُ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ، فَأُخْبِرَ بِقِيَامِ الْحَسَنِ وَكَلَامِهِ مِنْ تَكَلَّمٍ، فَقَالَ: قَدْ بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ، وَقَدْ دَعَانَا إِلَى جَمِيلٍ، وَإِلَى هَذَا الْحَدَثِ الْعَظِيمِ لِنَنْظُرَ فِيهِ، وَنَحْنُ سَائِرُونَ وَنَظَرُونَ.
 وَقَامَ هِنْدُ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ دَعَانَا وَأَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولَهُ حَتَّى جَاءَنَا ابْنُهُ، فَاسْمَعُوا إِلَى قَوْلِهِ، وَاتَّبِعُوا إِلَى أَمْرِهِ، وَأَنْفَرُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ فَانظُرُوا مَعَهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَأَعِينُوهُ بِرَأْيِكُمْ.
 وَقَامَ جُبْرُ بْنُ عَدِيٍّ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ أَجِيبُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْفَرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا مَرُوا، أَنَا أَوَّلُكُمْ، وَقَامَ الْأَشْتَرُ فَذَكَرَ الْجَاهِلِيَّةَ وَشِدَّتَهَا، وَالْإِسْلَامَ وَرِخَاءَهُ، وَذَكَرَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَامَ إِلَيْهِ الْمُقْطَعُ بْنُ الْهَيْثَمِ بْنِ جُبَيْعٍ الْعَامِرِيُّ ثُمَّ الْبَكَّائِيُّ، فَقَالَ: اسْكُتْ قَبْحَكَ اللَّهُ! كَلْبُ خُلِّيٍّ وَالنَّبَاحِ، فَثَارَ النَّاسُ فَأَجْلَسُوهُ.
 وَقَامَ الْمُقْطَعُ، فَقَالَ: إِنَّا وَاللَّهِ لَا نَحْتَمِلُ بَعْدَهَا أَنْ يَبُوءَ أَحَدٌ بِذِكْرِ أَحَدٍ مِنْ أُمَّتِنَا، وَإِنْ عَلَيْنَا عِنْدَنَا لِمُقْنَعٍ، وَاللَّهِ لَنْ يَكُنْ هَذَا الضَّرْبُ لَا يَرْضَى بَعْلِي، فَعَضَّ أَمْرُؤُ عَلَى لِسَانِهِ فِي مَشَاهِدِنَا، فَأَقْبِلُوا عَلَى مَا أَحْتَاكُمْ.
 فَقَالَ الْحَسَنُ: صَدَقَ الشَّيْخُ، وَقَالَ الْحَسَنُ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَنِي غَادَ فَمِنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَخْرُجَ مَعِيَ عَلَى الظَّهْرِ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَخْرُجْ فِي الْمَاءِ فَفَنَفَرَ مَعَهُ تِسْعَةُ آلَافٍ، فَأَخَذَ بَعْضُهُمُ الْبَرَّ، وَأَخَذَ بَعْضُهُمُ الْمَاءَ وَعَلَى كُلِّ سَبْعِ رَجُلٍ، أَخَذَ الْبَرَّ سِتَّةَ آلَافٍ وَمِائَتَانِ، وَأَخَذَ الْمَاءَ الْفَانِ وَثَمَانِئَتَهُ وَفِيمَا ذَكَرَ نَصْرُ بْنُ مِرَاحِمِ الْعَطَّارُ، عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَمَّنْ أَدْرَكَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ عَبْدَ خَيْرِ الْخِيَوَانِيِّ قَامَ إِلَى أَبِي مُوسَى فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، هَلْ كَانَ هَذَانِ الرَّجُلَانِ - يَعْنِي طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ - مِمَّنْ بَايَعَ عَلِيًّا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ أَحْدَثَ حَدَثًا يَحِلُّ بِهِ نَقْضُ بَيْعَتِهِ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، قَالَ: لَا دَرَيْتَ، فَإِنَّا تَارِكُوكَ حَتَّى تَدْرِي! يَا أَبَا مُوسَى هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا خَارِجًا مِنْ هَذِهِ الْفِتْنَةِ الَّتِي تَزْعُمُ إِنَّهَا هِيَ فِتْنَةُ؟ إِنَّمَا بَقِيَ أَرْبَعُ فِرَقٍ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْكُوفِيُّ، وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ بِالْبَصْرَةِ، وَمُعَاوِيَةُ بِالشَّامِ، وَفِرْقَةٌ أُخْرَى بِالْحِجَازِ، لَا يُجِبِي بِهَا فِيَّ، وَلَا يَقَاتِلُ بِهَا عَدُوًّا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى:
 أُولَئِكَ خَيْرُ النَّاسِ، وَهِيَ فِتْنَةٌ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ خَيْرٍ: يَا أَبَا مُوسَى، غَلَبَ عَلَيْكَ غَشْكَ.

قَالَ: وَقَدْ كَانَ الْأَشْتَرُ قَامَ إِلَى عَلِيٍّ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ رَجُلًا قَبْلَ هَذَيْنِ فَلَمْ أَرَهُ أَحْكَمَ شَيْئًا وَلَا قَدَرَ عَلَيْهِ، وَهَذَانِ أَخْلَقُ مَنْ بَعَثْتُ أَنْ يَنْشِبَ بِهِمُ الْأَمْرُ عَلَى مَا تَحِبُّ، وَلَسْتُ أَدْرِي مَا يَكُونُ، فَإِنْ رَأَيْتَ - أَكْرَمَكَ اللَّهُ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَبْعَنِي فِي أَثَرِهِمْ، فَإِنَّ أَهْلَ الْمَصْرِ أَحْسَنُ شَيْءٍ لِي طَاعَةً، وَإِنْ قَدِمْتُ عَلَيْهِمْ رَجَوْتُ أَلَّا يُخَالِفَنِي مِنْهُمْ أَحَدٌ.

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: الْحَقُّ بِهِمْ، فَأَقْبَلَ الْأَشْتَرُ حَتَّى دَخَلَ الْكُوفَةَ وَقَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ، فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِقَبِيلَةٍ يَرَى فِيهَا جَمَاعَةً فِي مَجْلِسٍ أَوْ مَسْجِدٍ إِلَّا دَعَاهُمْ وَيَقُولُ: اتَّبِعُونِي إِلَى الْقَصْرِ، فَاتَّهَى إِلَى الْقَصْرِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ، فَاقْتَحَمَ الْقَصْرَ فَدَخَلَهُ أَبُو مُوسَى قَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ يَخْطُبُ النَّاسَ وَيُثَبِّطُهُمْ، يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذِهِ فِتْنَةٌ عَمِيَاءُ صَمَاءُ تَطَأُ خِطَامَهَا، النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَاعِدِ، وَالْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَالسَّاعِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الرَّكِبِ، إِنَّهَا فِتْنَةٌ بَاقِرَةٌ كَدَاءِ الْبَطْنِ، أَتَتَكُمُ مِنْ قَبْلِ مَا مَنَعَكُمْ، تَدْعُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ كَأَنِّ أُمَسٍ.

إِنَّا معاشر اصحاب محمد ص أعلمُ بِالْفِتْنَةِ، إِنَّهَا إِذَا أَقْبَلَتْ شَبِهَتْ وَإِذَا أَدْبَرَتْ أَسْفَرَتْ وَعَمَّارٌ يُخَاطِبُهُ وَالْحَسَنُ يَقُولُ لَهُ: اعْتَزِلْ عَمَلْنَا لَا أُمَّ لَكَ! وَتَنَحَّ عَنْ مَنِيرِنَا وَقَالَ لَهُ عَمَّارٌ: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص

٤٠٢١٠٨ نزول امير المؤمنين ذا قار

؟ فَقَالَ أَبُو مُوسَى: هَذِهِ يَدَيَّ بِمَا قُلْتُ، فَقَالَ لَهُ عَمَّارٌ: إِنَّمَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ص هَذَا خَاصَّةً، فَقَالَ: أَنْتَ فِيهَا قَاعِدًا خَيْرٌ مِنْكَ قَائِمًا، ثُمَّ قَالَ عَمَّارٌ: غَلَبَ اللَّهُ مَنْ غَالَبَهُ وَجَاحَدَهُ.

قَالَ نَصْرُ بْنُ مَزَاحِمٍ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ، عَنْ نَعِيمٍ، عَنْ أَبِي مَرْيَمَ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَفِي الْمَسْجِدِ يَوْمَئِذٍ وَعَمَّارٌ يُخَاطِبُ أَبَا مُوسَى وَيَقُولُ لَهُ ذَلِكَ الْقَوْلُ، إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا غُلَامَانِ لِأَبِي مُوسَى يَشْتَدُونَ يَنَادُونَ: يَا أَبَا مُوسَى، هَذَا الْأَشْتَرُ قَدْ دَخَلَ الْقَصْرَ فَضْرَبْنَا وَأَخْرَجْنَا، فَنَزَلَ أَبُو مُوسَى، فَدَخَلَ الْقَصْرَ، فَصَاحَ بِهِ الْأَشْتَرُ: أَخْرِجْ مِنْ قَصْرِنَا لَا أُمَّ لَكَ! أَخْرَجَ اللَّهُ نَفْسَكَ، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمَنَافِقِينَ قَدِيمًا، قَالَ: أَجْلَنِي هَذِهِ الْعَشِيَّةُ، فَقَالَ: هِيَ لَكَ، وَلَا تَبَيِّنْ فِي الْقَصْرِ اللَّيْلَةَ وَدَخَلَ النَّاسُ يَنْتَهَبُونَ مَتَاعَ أَبِي مُوسَى، فَفَنَعَهُمُ الْأَشْتَرُ وَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الْقَصْرِ، وَقَالَ: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتَهُ، فَكَفَ النَّاسَ عَنْهُ

نزول أمير المؤمنين ذا قار

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: لَمَّا التَّقَوُا بِذِي قَارٍ تَلَقَّاهُمْ عَلِيٌّ فِي أَنْاسٍ، فِيهِمْ ابْنُ عَبَّاسٍ فَارْحَبَ بِهِمْ، وَقَالَ: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، أَنْتُمْ وَلَيْتُمْ شَوْكَةَ الْعَجَمِ وَمُلُوكِهِمْ، وَفَضَضْتُمْ جُمُوعَهُمْ، حَتَّى صَارَتْ إِلَيْكُمْ مَوَارِيثُهُمْ، فَأَغْنَيْتُمْ حَوَزَتَكُمْ، وَأَعْنَتُمُ النَّاسَ عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَقَدْ دَعَوْتُمْ لَتَشْهَدُوا مَعَنَا إِخْوَانًا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَإِنْ يَرَجِعُوا فَذَلِكَ مَا نُرِيدُ وَإِنْ يَلْجُوا دَاوِيَانَهُمْ بِالرِّفْقِ، وَبَايَنَاهُمْ حَتَّى يَبْدُؤَنَا بِظُلْمٍ، وَلَنْ نَدْعَ أَمْرًا فِيهِ صَلَاحٌ إِلَّا أَثَرْنَاهُ عَلَى مَا فِيهِ الْفَسَادُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

فَاجْتَمَعَ بِذِي قَارٍ سَبْعَةُ آلَافٍ وَمِائَتَانِ، وَعَبْدُ الْقَيْسِ بِأَسْرِهَا فِي الطَّرِيقِ بَيْنَ عَلِيٍّ وَأَهْلِ الْبَصْرَةِ يَنْتَظِرُونَ مُرُورَ عَلِيٍّ بِهِمْ، وَهُمْ آلَافٌ - وَفِي الْمَاءِ الْفَانِ وَأَرْبَعُمِائَةٍ.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة بإسناديهما، قالوا: لما نزل عليٌّ ذا قار أرسل ابن عباس والأشتر بعد محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر، وأرسل الحسن بن عليٍّ وعمارًا بعد ابن عباس والأشتر، نخف في ذلك الأمر جميع من كان نفر فيه، ولم يقدم فيه الوجوه

اتَّبَاعَهُمْ فَكَانُوا خَمْسَةَ آلَافٍ أَخَذَ نِصْفَهُمْ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُمْ فِي الْبَحْرِ، وَخَفَّ مِنْ لَمْ يَنْفِرْ فِيهَا وَلَمْ يَعْمَلْ لَهَا وَكَانَ عَلَى طَاعَتِهِ مُلَازِمًا لِلْجَمَاعَةِ فَكَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ، فَكَانَ رُؤَسَاءُ الْجَمَاعَةِ: الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرِو وَسَعْرُ بْنُ مَالِكٍ وَهَنْدُ بْنُ عَمْرِو وَهَيْثَمُ بْنُ شِهَابٍ، وَكَانَ رُؤَسَاءُ النَّفَارِ: زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ، وَالْأَشْثَرُ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ، وَعَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، وَالْمُسَيَّبُ بْنُ نَجْبَةَ، وَيزِيدُ بْنُ قَيْسٍ وَمَعَهُمْ أَتْبَاعُهُمْ وَأَمْثَالُ لَهُمْ لَيْسُوا دُونَهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يُؤَمَّرُوا، مِنْهُمْ حَجْرُ بْنُ عَدِيٍّ وَابْنُ مَخْدُوجِ الْبَكْرِيِّ، وَأَشْبَاهُ لَهُمَا لَمْ يَكُنْ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ أَحَدٌ عَلَى ذَلِكَ الرَّأْيِ غَيْرُهُمْ فَبَادَرُوا فِي الْوُقُوعَةِ إِلَّا قَلِيلًا، فَلَمَّا نَزَلُوا عَلَى ذِي قَارٍ دَعَا الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرِو فَأَرْسَلَهُ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَقَالَ لَهُ: أَلَيْسَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يَا بَنَ الْخِزْلِيَّةِ- وَكَانَ الْقَعْقَاعُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ص- فَادْعُهُمَا إِلَى الْأُلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَعَظِّمَ عَلَيْهِمَا الْفُرْقَةَ، وَقَالَ لَهُ: كَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ فِيمَا جَاءَكَ مِنْهُمَا بِمَا لَيْسَ عِنْدَكَ فِيهِ وَصَاةٌ مِنِّي؟ فَقَالَ: نَلْقَاهُمْ بِالَّذِي أَمَرْتُ بِهِ، فَإِذَا جَاءَ مِنْهُمَا أَمْرٌ لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْكَ فِيهِ رَأْيٌ اجْتَهَدْنَا الرَّأْيَ وَكَلَّمْنَاهُمْ عَلَى قَدَرٍ مَا نَسْمَعُ وَنَرَى أَنَّهُ يَنْبَغِي.

قَالَ: أَنْتَ لَهَا نَفَرَجَ الْقَعْقَاعُ حَتَّى قَدِمَ الْبَصْرَةَ، فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَسَلَّمَ عَلَيْهَا، وَقَالَ: أَيُّ أُمَّةٍ، مَا أَتَخَصَّصُكَ وَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ الْبَلَدَةَ؟ قَالَتْ:

أَيُّ بَنِي، إِصْلَاحُ بَيْنِ النَّاسِ، قَالَ: فَابْعَثِي إِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ حَتَّى تَسْمَعِي كَلَامِي وَكَلَامَهُمَا، فَبَعَثَتْ إِلَيْهِمَا لَجَاءًا، فَقَالَ: إِنِّي سَأَلْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ:

مَا أَتَخَصَّصَهَا وَأَقْدَمَهَا هَذِهِ الْبِلَادَ؟ فَقَالَتْ: إِصْلَاحُ بَيْنِ النَّاسِ، فَمَا تَقُولَانِ أَتَمًّا؟

أُمْتَابِعَانِ أَمْ مُخَالِفَانِ؟ قَالَا: مُتَابِعَانِ، قَالَ: فَأَخْبِرَانِي مَا وَجَهَ هَذَا الْإِصْلَاحِ؟ فَوَاللَّهِ لَئِنْ عَرَفْنَا لَنُصْلِحَنَّ، وَلَئِنْ أَنْكَرْنَاهُ لَا نُصْلِحُ قَالَا: قَتْلَةُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّ هَذَا إِنْ تَرَكَ كَانَ تَرْكًا لِلْقُرْآنِ، وَإِنْ عَمِلَ بِهِ كَانَ أَحْيَاءً لِلْقُرْآنِ.

فَقَالَ: قَدْ قَتَلْتُمَا قَتْلَةَ عُثْمَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَأَنْتُمْ قَبْلَ قَتْلِهِمْ أَقْرَبُ إِلَى الْإِسْتِقَامَةِ مِنْكُمْ الْيَوْمَ، قَتَلْتُمْ سِتْمَائَةَ إِلَّا رَجُلًا، فَغَضِبَ لَهُمْ سِتَّةُ آلَافٍ، وَاعْتَزَلُوكُمْ

وَخَرَجُوا مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِكُمْ، وَطَلَبْتُمْ ذَلِكَ الَّذِي أَفَلَتْ- يَعْنِي حُرْقُوصَ بْنَ زُهَيْرٍ- فَمَنْعَهُ سِتَّةُ آلَافٍ وَهُمْ عَلَى رَجُلٍ، فَإِنْ تَرَكَتُمُوهُ كُنْتُمْ تَارِكِينَ لِمَا تَقُولُونَ، وَإِنْ قَاتَلْتُمُوهُمْ وَالَّذِينَ اعْتَزَلُوكُمْ فَأَدِيلُوا عَلَيْكُمْ فَالَّذِي حَدَرْتُمْ وَقَرَّبْتُمْ بِهِ هَذَا الْأَمْرَ أَعْظَمُ مِمَّا أَرَاكُمْ تَكْرَهُونَ، وَأَنْتُمْ أَحْمَقُ مَضْرُورِيَّةٍ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ وَخَذْلَانِكُمْ نَصْرَةَ هَؤُلَاءِ كَمَا اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ لِأَهْلِ هَذَا الْحَدَثِ الْعَظِيمِ وَالذَّنْبِ الْكَبِيرِ فَقَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ: فَتَقُولُ أَنْتَ مَاذَا؟ قَالَ: أَقُولُ هَذَا الْأَمْرُ دَوَاؤُهُ التَّسْكِينُ، وَإِذَا سَكَنَ اخْتَلَجُوا، فَإِنْ أَنْتُمْ بَايَعْتُمُونَا فَعَلَامَةٌ خَيْرٌ وَتَبَاشِيرُ رَحْمَةٍ وَدَرْكٌ بِثَارِ هَذَا الرَّجُلِ، وَعَافِيَةٌ وَسَلَامَةٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، وَإِنْ أَنْتُمْ أَبَيْتُمْ إِلَّا مَكَابِرَةَ هَذَا الْأَمْرِ وَاعْتِسَافَهُ، كَانَتْ عَلَامَةٌ شَرٍّ، وَذَهَابَ هَذَا الثَّأْرِ، وَبَعَثَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ هَزَاهُهَا، فَاثَرُوا الْعَافِيَةَ تَرْزُقُوهَا، وَكُونُوا مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ كَمَا كُنْتُمْ تَكُونُونَ، وَلَا تُعْرِضُونَا لِلْبَلَاءِ وَلَا تُعْرِضُوا لَهُ فَيَصْرَعَنَا وَإِيَّاكُمْ.

وَأَيُّمُ اللَّهِ إِنِّي لَأَقُولُ هَذَا وَأَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ وَإِنِّي لَخَائِفٌ أَلَا يَتِمَّ حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَاجَتَهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي قَلَّ مَتَاعُهَا وَنَزَلَ بِهَا مَا نَزَلَ، فَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي حَدَثَ أَمْرٌ لَيْسَ يُقَدَّرُ، وَلَيْسَ كَالْأُمُورِ، وَلَا كَقَتْلِ الرَّجُلِ الرَّجُلِ، وَلَا النَّفْرِ الرَّجُلِ، وَلَا الْقَبِيلَةِ الرَّجُلِ. فَقَالُوا: نَعَمْ، إِذَا قَدْ أَحْسَنْتَ وَأَصَبْتَ الْمَقَالََةَ، فَارْجِعْ فَإِنَّ قَدِمَ عَلَيَّ وَهُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِكَ صَلَحَ هَذَا الْأَمْرُ فَارْجِعْ إِلَى عَلِيٍّ فَأَخْبِرْهُ فَأَعْجِبْهُ ذَلِكَ، وَأَشْرَفَ الْقَوْمُ عَلَى الصُّلْحِ، كَرِهَ ذَلِكَ مَنْ كَرِهَهُ، وَرَضِيَهُ مَنْ رَضِيَهُ.

وَأَقْبَلْتُ وَفُودُ الْبَصْرَةِ نَحْوِي حِينَ نَزَلَ بِذِي قَارٍ، فَجَاءَتْ وَفُودُ تَمِيمٍ وَبَكَرٍ قَبْلَ رَجُوعِ الْقَعْقَاعِ لِيَنْظُرُوا مَا رَأَى إِخْوَانُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَعَلَى أَيِّ حَالٍ نَهَضُوا إِلَيْهِمْ، وَلِيَعْلَمُوهُمْ أَنَّ الَّذِي عَلَيْهِ رَأْيُهُمُ الْإِصْلَاحُ، وَلَا يَخْطُرُ لَهُمْ قِتَالٌ عَلَى بَالٍ فَلَهَا لَقُوا عَشَائِرَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ بِالَّذِي بَعَثَهُمْ فِيهِ عَشَائِرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَقَالَ لَهُمُ الْكُوفِيُّونَ مِثْلَ مَقَالَتِهِمْ، وَأَدْخَلُوهُمْ عَلَى عَلِيٍّ فَأَخْبَرُوهُ خَبَرَهُمْ، سَأَلَ عَلِيٌّ جَرِيرَ بْنَ

شَرَسٍ عَنْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، فَأَخْبَرَهُ عَنْ دَقِيقِ أَمْرِهِمَا وَجَلِيلِهِ حَتَّى تَمَثَّلَ لَهُ:

أَلَا أَبْلَغُ بَنِي بَكْرٍ رَسُولًا ... فَلَيْسَ إِلَى بَنِي كَعْبٍ سَبِيلُ
سِيرَجٍ ظَلَمَكُمْ مِنْكُمْ عَلَيْكُمْ ... طَوِيلُ السَّاعِدِينَ لَهُ فَضُولُ
وَتَمَثَّلَ عَلِيٌّ عِنْدَهَا:

أَلَمْ تَعْلَمْ أَبَا سَمْعَانَ أَنَّنَا ... نَزَدُ الشَّيْخَ مِثْلَكَ ذَا الصَّدَاعِ!
وَيَذْهَلُ عَقْلُهُ بِالْحَرْبِ حَتَّى ... يَقُومُ فَيَسْتَجِيبُ لَغَيْرِ دَاعٍ
فَدَافِعٍ عَنْ خِزَاعَةٍ جَمَعَ بَكْرٌ ... وَمَا بِكَ يَا سَرَّاقَةً مِنْ دِفَاعٍ

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: أَخْرَجَ إِلَيَّ زِيَادُ بْنُ أَيُّوبٍ كِتَابًا فِيهِ أَحَادِيثٌ عَنْ شَيْوْخٍ ذَكَرَ أَنَّهُ سَمِعَهَا مِنْهُمْ، قَرَأَ عَلِيٌّ بَعْضَهَا وَلَمْ يَقْرَأْ عَلِيٌّ بَعْضَهَا، فَمَا لَمْ يَقْرَأْ عَلِيٌّ مِنْ ذَلِكَ فَكَتَبْتَهُ مِنْهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ سَلَامٍ التَّمِيمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَوْقَةَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ كَلِيبٍ الْجَرْمِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ فِي زَمَانِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَنَّ رَجُلًا يَلِي أُمُورَ النَّاسِ مَرِيضًا عَلَى فَرَاشِهِ وَعِنْدَ رَأْسِهِ امْرَأَةٌ، وَالنَّاسُ يَرِيدُونَهُ وَيَهْشُونَ إِلَيْهِ، فَلَوْ نَهْتَهُمُ الْمَرْأَةَ لَانْتَهَوْا، وَلَكِنَهَا لَمْ تَفْعَلْ، فَأَخَذُوهُ فَقَتَلُوهُ فَكَتَبْتُ أَقْصَى رُؤْيَايَ عَلَى النَّاسِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَيَعْبُجُونَ وَلَا يَدْرُونَ مَا تَأْوِيلُهَا! فَلَمَّا قَتَلَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَانَا الْخَبْرَ وَنَحْنُ رَاجِعُونَ مِنْ غَزَاتِنَا، فَقَالَ أَصْحَابُنَا: رُؤْيَاكَ يَا كَلِيبُ.

فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْبَصْرَةِ فَلَمْ نَلْبِثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى قِيلَ: هَذَا طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ مَعَهُمَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، فَرَأَى ذَلِكَ النَّاسُ وَتَعَجَّبُوا، فَإِذَا هُمْ يَزْعُمُونَ لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ إِذَا خَرَجُوا غَضِبَا لِعُثْمَانَ وَتَوْبَةُ مِمَّا صَنَعُوا مِنْ خِذَائِهِ، وَإِنْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ تَقُولُ: غَضِبْنَا لَكُمْ عَلَى عُثْمَانَ فِي ثَلَاثِ: إِمَارَةِ الْفَتَى، وَمَوْقِعِ الْغَمَامَةِ، وَضَرْبَةِ السُّوْطِ وَالْعَصَا، فَمَا أَنْصَفْنَا إِنْ لَمْ نَغْضَبْ لَهُ عَلَيْهِمْ فِي ثَلَاثِ جَرَرْتُمُوهَا إِلَيْهِ: حَرَمَةَ الشَّهْرِ، وَالْبَلَدِ، وَالْأَرْضِ فَقَالَ النَّاسُ: أَفَلَمْ تَبَايَعُوا عَلِيًّا وَتَدْخُلُوا فِي أَمْرِهِ! فَقَالُوا: دَخَلْنَا

وَاللَّجَّ عَلَى أَعْنَاقِنَا وَقِيلَ هَذَا عَلِيٌّ قَدْ أَظْلَمَكُمْ، فَقَالَ قَوْمُنَا لِي وَلِرَجُلَيْنِ مَعِيَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا عَلِيًّا وَأَصْحَابَهُ فَسَلُوهُمْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ اخْتَلَطَ عَلَيْنَا، فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا دَنَوْنَا مِنَ الْعَسْكَرِ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ جَمِيلٌ عَلَى بَغْلَةٍ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي: أَرَأَيْتَ الْمَرْأَةَ الَّتِي كُنْتُ أَحَدُكُمْ عَنْهَا إِنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رَأْسِ الْوَالِي؟ فَإِنَّهَا أَشْبَهَ النَّاسَ بِهَذَا، فَفُطِنَ أَنَا نَحْوُضَ فِيهِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْنَا قَالَ: قَفُوا، مَا الَّذِي قُلْتُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي؟ فَأَبَيْنَا عَلَيْهِ، فَصَاحَ بِنَا وَقَالَ:

وَاللَّهِ لَا تَبْرَحُونَ حَتَّى تَخْبُرُونِي، فَدَخَلْتُنَا مِنْهُ هَيْبَةً، فَأَخْبَرَنَا بِمَا جَاوَزْنَا وَهُوَ يَقُولُ:
وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَبًا، فَقُلْنَا لِأَدْنَى أَهْلِ الْعَسْكَرِ إِلَيْنَا: مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ:

مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَعَرَفْنَا أَنَّ تِلْكَ الْمَرْأَةَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَازْدَدْنَا لَأَمْرِهَا كِرَاهِيَةً، وَانْتَهَيْنَا إِلَى عَلِيٍّ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، ثُمَّ سَأَلْنَاهُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، فَقَالَ:

[عَدَا النَّاسُ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ وَأَنَا مَعْتَزِلٌ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ وَلُونِي وَأَنَا كَارِهٌِ وَلَوْلَا خَشْيَةُ عَلَى الدِّينِ لَمْ أَجِبْهُمْ، ثُمَّ طَفِقَ هَذَانِ فِي النِّكَثِ فَأَخَذَتْ عَلَيْهِمَا وَأَخَذَتْ عَهْدَهُمَا عِنْدَ ذَلِكَ، وَأَذَنْتُ لَهُمَا فِي الْعِمْرَةِ، فَقَدَمَا عَلَى أُمِّهِمَا حَلِيلَةَ رَسُولِ اللَّهِ ص فَرَضِيَا لَهَا مَا رَغِبَا لِنِسَائِهِمَا عَنْهُ،

وعرضها لما لا يحل لهما ولا يصلح، فاتبعتهما لكيلا يفتقوا في الإسلام فتقا، ولا يخرقوا جماعة] .
 ثُمَّ قَالَ أَصْحَابُهُ: وَاللَّهِ مَا نَزِيدُ قِتْلَهُمْ إِلَّا أَنْ يَقَاتِلُوا وَمَا نَخْرُجُنَا إِلَّا لِإِصْلَاحِ فِصْاحِ بَنِي أَصْحَابِ عَلِيٍّ: بَايَعُوا بَايَعُوا، فَبَايَعَ صَاحِبِي، وَأَمَّا أَنَا
 فَأُمْسَكَتُ وَقُلْتُ: بَعَثَنِي قَوْمِي لِأَمْرٍ، فَلَا أُحْدِثُ شَيْئًا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ عَلِيٌّ:

فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا؟ فَقُلْتُ: لَمْ أَفْعَلْ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّهُمْ بَعَثُوا رَائِدًا فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ، فَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلَاءِ وَالْمَاءِ فَخَالُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ وَالْجُدُوبَةِ
 مَا كُنْتَ صَانِعًا؟
 قَالَ: قُلْتُ: كُنْتُ تَارِكُهُمْ وَمُخَالِفُهُمْ إِلَى الْكَلَاءِ وَالْمَاءِ، قَالَ: فَمَدَّ يَدَكَ، فَوَاللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أُمْتَنِعَ، فَسَطَّتْ يَدِي فَبَايَعْتَهُ وَكَانَ يَقُولُ:
 عَلِيٌّ مِنْ أَدْهَى الْعَرَبِ وَقَالَ: مَا سَمِعْتُ مِنْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ؟ فَقُلْتُ: أَمَّا الزُّبَيْرُ فَإِنَّهُ يَقُولُ: بَايَعْنَا كَرَهَا، وَأَمَّا طَلْحَةُ فَقَبِلَ عَلَيَّ أَنْ يَتِمَّ ثَلَاثُ

الْأَشْعَارِ، وَيَقُولُ:
 أَلَا أَبْلُغُ بَنِي بَكْرٍ رَسُولًا ... فَلَيْسَ إِلَى بَنِي كَعْبٍ سَبِيلُ
 سِيرَجُ ظِلْمِكُمْ مِنْكُمْ عَلَيْكُمْ ... طَوِيلُ السَّاعِدِينَ لَهُ فَضُولُ
 فَقَالَ: لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنْ:

أَلَمْ تَعْلَمْ أَبَا سَمْعَانَ أَنَا ... نَصَمَ الشَّيْخُ مِثْلَكَ ذَا الصَّدَاعِ
 وَيَذْهَلُ عَقْلُهُ بِالْحَرْبِ حَتَّى ... يَقُومُ فَيَسْتَجِيبُ لَغَيْرِ دَاعٍ
 ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلَ إِلَى جَانِبِ الْبَصْرَةِ، وَقَدْ خَنَدَقَ طَلِيحَةَ وَالزُّبَيْرِ، فَقَالَ لَنَا أَصْحَابُنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ: مَا سَمِعْتُمْ إِخْوَانَنَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ
 يَرِيدُونَ وَيَقُولُونَ؟

فَقُلْنَا: يَقُولُونَ خَرَجْنَا لِلصِّلَاحِ وَمَا نَزِيدُ قِتْلًا، فَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ لَا يَحْدِثُونَ أَنْفُسَهُمْ بَغِيرَهُ، إِذْ خَرَجَ صَبِيحَانِ الْعَسْكَرِينَ فَتَسَابَوْا ثُمَّ تَرَامَوْا،
 ثُمَّ تَتَابَعَ عِبِيدُ الْعَسْكَرِينَ، ثُمَّ ثَلَاثُ السَّفَهَاءِ، وَنَشِبَتْ الْحَرْبُ، وَأَلْجَأَتْهُمْ إِلَى الْخَنْدَقِ، فَاقْتَتَلُوا عَلَيْهِ حَتَّى اجْلَوْا إِلَى مَوْضِعِ الْقِتَالِ، فَدَخَلَ
 مِنْهُ أَصْحَابُ عَلِيٍّ وَخَرَجَ الْآخَرُونَ.

[وَنَادَى عَلِيٌّ: أَلَا لَا تَتَّبِعُوا مَدْبِرًا، وَلَا تَجْهَرُوا عَلَيَّ جَرِيحًا، وَلَا تَدْخُلُوا الدُّورَ، وَنَهَى النَّاسَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ أَنْ اخْرُجُوا لِلْبَيْعَةِ، فَبَايَعَهُمْ عَلَيٌّ
 الرَّايَاتِ وَقَالَ:

مَنْ عَرَفَ شَيْئًا فَلْيَأْخُذْهُ، حَتَّى مَا بَقِيَ فِي الْعَسْكَرِينَ شَيْءٌ إِلَّا قَبْضُ،] فَانْتَهَى إِلَيْهِ قَوْمٌ مِنْ قَيْسِ شَبَابٍ، نَخَطَبُ خَطِيبِهِمْ، فَقَالَ: أَيْنَ
 أَمْرَاؤُكُمْ؟ فَقَالَ الْخَطِيبُ: أَصَابُوا تَحْتَ نِظَارِ الْجَمَلِ، ثُمَّ أَخَذَ فِي خُطْبَتِهِ، فَقَالَ عَلِيٌّ:

أَمَّا إِنْ هَذَا هُوَ الْخَطِيبُ السَّحْسَحُ وَفَرَّغَ مِنَ الْبَيْعَةِ، وَاسْتَعْمَلَ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ عَبَّاسٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَقِيمَ حَتَّى يَحْكُمَ أَمْرَهَا، فَأَمْرُنِي الْأَشْتَرُ
 أَنْ أَشْتَرِي لَهُ أَثْمَنَ بَعِيرٍ بِالْبَصْرَةِ فَفَعَلْتُ، فَقَالَ: أَتَيْتَ بِهِ عَائِشَةَ، وَأَقْرَأَهَا مِنِّي السَّلَامَ، فَفَعَلْتُ، فَدَعَتْ عَلَيْهِ وَقَالَتْ: ارْجِعْ إِلَيْهِ، فَأَبْلَغْتَهُ،
 فَقَالَ: تَلُمْنِي عَائِشَةَ أَنْ أَفْلَتَ ابْنُ أَخْتِهَا! وَأَتَاهُ الْخَبَرُ بِاسْتِعْمَالِ عَلِيِّ بْنِ عَبَّاسٍ فَغَضِبَ وَقَالَ: عَلَامَ قَتَلْنَا الشَّيْخَ! إِذْ الْيَمَنُ لِعَبِيدِ اللَّهِ،
 وَالْحِجَارُ لِقَوْمِ، وَالْبَصْرَةُ لِعَبْدِ اللَّهِ، وَالْكُوفَةُ لِعَلِيٍّ ثُمَّ دَعَا بِدَابَّتِهِ فَرَكَبَ رَاجِعًا وَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا فَنَادَى: الرَّحِيلُ،

ثُمَّ أَجْدَ السَّيْرَ فَلَحِقَ بِهِ فَلَمْ يَرَهُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَهُ عَنْهُ وَقَالَ: مَا هَذَا السَّيْرُ؟ سَبَقْتُنَا! وَخَشِي أَنْ تَرِكَ وَالْخُرُوجَ أَنْ يَوْقَعَ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ شَرًّا.
 كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا: لَمَّا جَاءَتْ وَفُودُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ وَرَجَعَ الْقَعْقَاعُ مِنْ
 عِنْدِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ بِمِثْلِ رَأْيِهِمْ، جَمَعَ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ قَامَ عَلَى الْغُرَائِرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ص
 وَذَكَرَ الْجَاهِلِيَّةَ وَشَقَاءَهَا وَالْإِسْلَامَ وَالسَّعَادَةَ وَإِنْعَامَ اللَّهِ عَلَى الْأُمَّةِ بِالْجَمَاعَةِ بِالْخَلِيفَةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص، ثُمَّ الدَّيُّ إِلَيْهِ، ثُمَّ حَدَّثَ هَذَا
 الْحَدِيثَ الَّذِي جَرَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَقْوَامٌ طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا، حَسَدُوا مَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى الْفَضِيلَةِ، وَأَرَادُوا رَدَّ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَدْبَارِهَا،
 وَاللَّهُ بِالْغَيْبِ أَمْرُهُ، وَمُصِيبٌ مَا أَرَادَ أَلَا وَإِنِّي رَاحِلٌ غَدًا فَارْتَحِلُوا، أَلَا وَلَا يَرْتَحِلَنَّ غَدًا أَحَدٌ عِوَاذَ عِثْمَانَ بِشَيْءٍ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ

النَّاسِ، وَلِيَعْنِ السُّفَهَاءُ عَنِّي أَنفُسَهُمْ.

فَاجْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْهُمْ عِلْبَاءُ بْنُ الْهَيْثَمِ، وَعَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، وَسَلَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ الْعَبْسِيِّ، وَشُرَيْحُ بْنُ أَوْفَى بْنِ ضُبَيْعَةَ، وَالْأَشْتَرُ، فِي عِدَّةٍ مِّنْ سَارٍ إِلَى عُثْمَانَ.

وَرَضَى بِسِيرِ مَنْ سَارَ، وَجَاءَ مَعَهُمُ الْمَصْرِيُّونَ: ابْنُ السَّودَاءِ وَخَالِدُ بْنُ مُلْجِمٍ وَتَشَاوَرُوا، فَقَالُوا: مَا الرَّأْيُ؟ وَهَذَا وَاللَّهِ عَلِيٌّ، وَهُوَ أَبْصَرُ النَّاسِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَأَقْرَبُ مِمَّنْ يَطْلُبُ قَتْلَةَ عُثْمَانَ وَأَقْرَبُهُمْ إِلَى الْعَمَلِ بِذَلِكَ، وَهُوَ يَقُولُ مَا يَقُولُ، وَلَمْ يَنْفِرْ إِلَيْهِ إِلَّا هُمْ وَالْقَلِيلُ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَكَيْفَ بِهِ إِذَا شَامَ الْقَوْمَ وَشَامُوهُ، وَإِذَا رَأَوْا قَتْلَنَا فِي كَثَرَتِهِمْ! أَنْتُمْ وَاللَّهِ تَرَادُونَ، وَمَا أَنْتُمْ بِأَنْجَى مِنْ شَيْءٍ فَقَالَ الْأَشْتَرُ: أَمَّا طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَقَدْ عَرَفْنَا أَمْرَهُمَا، وَأَمَّا عَلِيٌّ فَلَمْ نَعْرِفْ أَمْرَهُ حَتَّى كَانَ الْيَوْمَ، وَرَأَيْ النَّاسِ فِينَا وَاللَّهِ وَاحِدٌ، وَإِنْ يَصْطَلِحُوا وَعَلِيٌّ فَعَلَى دِمَائِنَا، فَهَلُّوْا فَلْتَوَاتِبَ عَلَى عَلِيٍّ فَلْنَحِقَهُ بِعُثْمَانَ، فَعُدَّوْا فَتَنَةً يَرْضَى مَنَّا فِيهَا بِالسُّكُونِ

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ السَّودَاءِ: بِئْسَ الرَّأْيُ رَأَيْتَ! أَنْتُمْ يَا قَتْلَةَ عُثْمَانَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ بَذَى قَارِ الْفَانِ وَخَمْسَمِائَةِ أَوْ نَحْوِ مَنْ سَمَاتِهِ، وَهَذَا ابْنُ الْخَنْظَلِيَّةِ وَأَصْحَابُهُ فِي خَمْسَةِ آلَافٍ بِالْأَشْوَاقِ إِلَى أَنْ يَجِدُوا إِلَى قِتَالِكُمْ سَبِيلًا، فَأَرْقَأُ عَلَى ظَلْعِكَ. وَقَالَ عِلْبَاءُ بْنُ الْهَيْثَمِ: أَنْصَرِفُوا بِنَا عَنْهُمْ وَدَعُوهُمْ، فَإِنْ قَلُّوا كَانَ أَقْوَى لِعَدُوِّهِمْ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ كَثُرُوا كَانَ آخَرَى أَنْ يَصْطَلِحُوا عَلَيْكُمْ، دَعُوهُمْ وَارْجِعُوا فَتَعَلَّقُوا بِبَلَدٍ مِنَ الْبُلْدَانِ حَتَّى يَأْتِيَكُمْ فِيهِ مَنْ تَتَّقُونَ بِهِ، وَامْتَنَعُوا مِنَ النَّاسِ. فَقَالَ ابْنُ السَّودَاءِ: بِئْسَ مَا رَأَيْتَ! وَدَّ وَاللَّهِ النَّاسُ أَنْكُمْ عَلَى جَدِيلَةٍ، وَلَمْ تَكُونُوا مَعَ أَقْوَامٍ بَرَاءَ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ الَّذِي تَقُولُ لَتَخَطَّفَكُمْ كُلُّ شَيْءٍ.

فَقَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ: وَاللَّهِ مَا رَضِيتُ وَلَا كَرِهْتُ، وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ تَرَدُّدٍ مِنْ تَرَدَّدَ عَنْ قَتْلِهِ فِي خَوْضِ الْحَدِيثِ، فَأَمَّا إِذْ وَقَعَ مَا وَقَعَ وَنَزَلَ مِنَ النَّاسِ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ، فَإِنَّ لَنَا عِتَادًا مِنْ خِيُولٍ وَسِلَاحٍ مَحْمُودًا، فَإِنْ أَقْدَمْتُمْ أَقْدَمْنَا وَإِنْ أَمْسَكْتُمْ أَجْمَعْنَا فَقَالَ ابْنُ السَّودَاءِ: أَحْسَنْتَ! وَقَالَ سَالِمُ بْنُ ثَعْلَبَةَ: مَنْ كَانَ أَرَادَ بِمَا أَتَى الدُّنْيَا فَإِنِّي لَمْ أَرُدْ ذَلِكَ، وَاللَّهِ لَئِنْ لَقِيتُهُمْ غَدًا لَا أَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي، وَلَئِنْ طَالَ بَقَائِي إِذَا أَنَا لَا قِيَتَهُمْ لَا يَزِدُّ عَلَى جَزْرِ جَزْوَرٍ وَأَحْلِفُ بِاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَفَرِّقُونَ السُّيُوفَ فَرَقَ قَوْمٍ لَا تَصِيرُ أُمُورُهُمْ إِلَّا إِلَى السَّيْفِ فَقَالَ ابْنُ السَّودَاءِ: قَدْ قَالَ قَوْلًا.

وَقَالَ شُرَيْحُ بْنُ أَوْفَى: أَبْرِمُوا أُمُورَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجُوا، وَلَا تَوَخَّرُوا أَمْرًا يَنْبَغِي لَكُمْ تَعْجِيلُهُ، وَلَا تَعْجَلُوا أَمْرًا يَنْبَغِي لَكُمْ تَأْخِيرُهُ، فَإِنَّا عِنْدَ النَّاسِ بِشَرِّ الْمَنَازِلِ، فَلَا أَدْرِي مَا النَّاسُ صَانِعُونَ غَدًا إِذَا مَا هُمْ التَّقُوا! وَتَكَلَّمَ ابْنُ السَّودَاءِ فَقَالَ: يَا قَوْمُ، إِنَّ عَزْمَكُمْ فِي خُلُطَةِ النَّاسِ، فَصَانِعُوهُمْ، وَإِذَا التَّقَى النَّاسُ غَدًا فَانْشَبُوا الْقِتَالَ، وَلَا تَفَرِّغُوهُمْ لِلنَّظَرِ، فَإِذَا مِنْ أَنْتُمْ مَعَهُ لَا يَجِدُ بَدًّا مِنْ أَنْ يَمْتَنِعَ، وَيَشْغَلَ اللَّهُ عَلِيًّا وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَمَنْ رَأَى رَأْيَهُمْ عَمَّا تَكْرَهُونَ فَابْصُرُوا الرَّأْيَ، وَتَفَرَّقُوا عَلَيْهِ وَالنَّاسُ لَا يَشْعُرُونَ.

وَأَصْبَحَ عَلِيٌّ عَلَى ظَهْرٍ، فَضَى وَمَضَى النَّاسُ حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَى عَبْدِ الْقَيْسِ نَزَلَ بِهِمْ وَبِمَنْ خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَهُمْ أَمَامَ ذَلِكَ، ثُمَّ ارْتَحَلَ

حَتَّى نَزَلَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ وَهُمْ أَمَامَ ذَلِكَ، وَالنَّاسُ مُتَلَحِّقُونَ بِهِ وَقَدْ قَطَعَهُمْ، وَلَمَّا بَلَغَ أَهْلَ الْبَصَرَةِ رَأَوْهُمْ وَنَزَلَ عَلِيٌّ بِحَيْثُ نَزَلَ، قَامَ أَبُو الْجَرْبَاءِ إِلَى الزُّبَيْرِ ابْنِ الْعَوَّامِ فَقَالَ: إِنَّ الرَّأْيَ أَنْ تَبْعَثَ الْآنَ أَلْفَ فَارِسٍ فَيَمْسُوا هَذَا الرَّجُلَ وَيَصْبَحُوهُ قَبْلَ أَنْ يُوَافِيَ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: يَا أَبَا الْجَرْبَاءِ، إِنَّا لَنَعْرِفُ أُمُورَ الْحَرْبِ، وَلَكِنَّهُمْ أَهْلُ دَعْوَتِنَا، وَهَذَا أَمْرٌ حَدَثَ فِي أَشْيَاءَ لَمْ تَكُنْ قَبْلَ الْيَوْمِ، هَذَا أَمْرٌ لَمْ يَلْقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ بَعْدُزٍ انْقَطَعَ عَذْرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ إِنَّهُ قَدْ فَارَقَنَا وَافِدُهُمْ عَلَى أَمْرٍ، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَتِمَّ لَنَا الصُّلْحُ، فَأَبْشُرُوا

وَاصْبِرُوا وَأَقْبَلْ صَبْرَةً بَنُ شَيْمَانَ فَقَالَ: يَا طَلْحَةُ، يَا زُبَيْرُ، انْتَهَزْنَا هَذَا الرَّجُلَ فَإِنَّ الرَّأْيَ فِي الْحَرْبِ خَيْرٌ مِنَ الشَّدَّةِ فَقَالَا: يَا صَبْرَةُ إِنَّا وَهُمْ مُسْلِمُونَ، وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ قَبْلَ الْيَوْمِ فَيَنْزِلُ فِيهِ قُرْآنٌ، أَوْ يَكُونُ فِيهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص سُنَّةٌ، إِنَّمَا هُوَ حَدَثٌ وَقَدْ زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي تَحْرِيكُهُ الْيَوْمَ.

وَهُمْ عَلَيٌّ وَمَنْ مَعَهُ، فَقُلْنَا: نَحْنُ لَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ تَرْكُهُ الْيَوْمَ وَلَا نُؤَخِّرُهُ فَقَالَ عَلِيٌّ: هَذَا الَّذِي نَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ إِقْرَارِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ شَرٌّ وَهُوَ خَيْرٌ مِنْ شَرِّ مِنْهُ، وَهُوَ كَأَمْرٍ لَا يُدْرِكُ، وَقَدْ كَادَ أَنْ يَبِينَ لَنَا، وَقَدْ جَاءَتْ الْأَحْكَامُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِإِثَارِ أَعْمَهَا مَنْفَعَةٍ وَأَحْوَطَهَا وَأَقْبَلُ كَعْبُ بْنُ سُوْرٍ فَقَالَ: مَا تَنْتَظِرُونَ يَا قَوْمٌ بَعْدَ تَوَرُّدِكُمْ وَأَوَائِلِهِمْ! اقْطَعُوا هَذَا الْعُنُقَ مِنْ هَؤُلَاءِ فَقَالُوا: يَا كَعْبُ، إِنَّ هَذَا أَمْرٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، وَهُوَ أَمْرٌ مُلْتَبَسٌ، لَا وَاللَّهِ مَا أَخَذَ اصْحَابُ مُحَمَّدٍ ص مِنْهُ بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ طَرِيقًا إِلَّا عَلِمُوا أَيْنَ مَوَاقِعُ أَقْدَامِهِمْ، حَتَّى حَدَّثَ هَذَا فَإِنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ أَمَقْبِلُونَ هُمْ أَمْ مُدْبِرُونَ! إِنَّ الشَّيْءَ يَحْسُنُ عِنْدَنَا الْيَوْمَ وَيَقْبَحُ عِنْدَ إِخْوَانِنَا، فَإِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَبِحَ عِنْدَنَا وَحَسُنَ عِنْدَهُمْ، وَإِنَّا لَنَحْتَاجُ عَلَيْهِمْ بِالْحُجَّةِ فَلَا يَرُونَهَا حُجَّةً، ثُمَّ يَحْتَجُونَ بِهَا عَلَى أَمْثَالِهَا، وَنَحْنُ نَرْجُو الصُّلْحَ إِنْ أَجَابُوا إِلَيْهِ وَتَمَّوْا، وَإِلَّا فَإِنَّ آخِرَ الدَّوَاءِ الْكَيُّ.

وَقَامَ إِلَى عَلِيٍّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ أَقْوَامٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَسْأَلُونَهُ عَنْ إِقْدَامِهِمْ عَلَى الْقَوْمِ، فَقَامَ إِلَيْهِ فَيَمْنُ قَامَ الْأَعُورُ بْنُ بَنَانٍ الْمِنْقَرِيُّ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: عَلَى الْإِصْلَاحِ وَإِطْفَاءِ النَّارِ، لَعَلَّ اللَّهَ يَجْمَعُ شَمْلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِنَا وَيَضْعُ حَرْبَهُمْ، وَقَدْ أَجَابُونِي، قَالَ: فَإِنْ لَمْ يُجِيبُونَا؟ قَالَ: تَرَكْنَاهُمْ مَا تَرَكُونَا، قَالَ: فَاِنْ

لَمْ يَتَرَكُونَا؟ قَالَ: دَفَعْنَاهُمْ عَنْ أَنْفُسِنَا، قَالَ: فَهَلْ لَهُمْ مِثْلُ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ وَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو سَلَامَةَ الدَّلَالِيُّ فَقَالَ: أَتَرَى لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ حُجَّةً فِيمَا طَلَبُوا مِنْ هَذَا الدِّمِّ، إِنْ كَانُوا أَرَادُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَتَرَى لَكَ حُجَّةً بِتَأْخِيرِكَ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ الشَّيْءَ إِذَا كَانَ لَا يُدْرِكُ فَالْحُكْمُ فِيهِ أَحْوَطُهُ وَأَعْمَهُ نَفْعًا، قَالَ: فَمَا حَالُنَا وَحَالُكُمْ إِنْ ابْتَلَيْنَا غَدًا؟ قَالَ: إِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا يَقْتَلَ أَحَدٌ نَفْسَ قَلْبِهِ لِلَّهِ مِنَّا وَمِنْهُمْ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ.

وَقَامَ إِلَيْهِ مَالِكُ بْنُ حَبِيبٍ، فَقَالَ: مَا أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا لَقِيتَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ؟ قَالَ: قَدْ بَانَ لَنَا وَلَهُمْ أَنَّ الْإِصْلَاحَ الْكَفُّ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، فَإِنْ بَايَعُونَا فَذَلِكَ، فَإِنْ أَبَوْا وَابْتَلَيْنَا إِلَّا الْقِتَالَ فَصَدْعٌ لَا يَلْتَمُّ، قَالَ: فَإِنْ ابْتَلَيْنَا فَمَا بَالُ قِتَالِنَا؟

قَالَ: مَنْ أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَفْعَهُ ذَلِكَ وَكَانَ نَجَاءَهُ وَقَامَ عَلِيٌّ، نَخَطَبُ النَّاسَ لِحَمْدِ اللَّهِ وَأَثْنِي عَلَيْهِ وَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، امْلِكُوا أَنْفُسَكُمْ، كَفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَالسِّنَتَكُمْ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، فَإِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَاصْبِرُوا عَلَى مَا يَأْتِيكُمْ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَسْبِقُونَا فَإِنَّ الْمَخْصُومَ غَدًا مِنْ خُصْمِ الْيَوْمِ.

ثُمَّ ارْتَحَلَ وَأَقْدَمَ وَدَفَعَ تَعْيِيْتَهُ الَّتِي قَدِمَ فِيهَا حَتَّى إِذَا أَطْلَّ عَلَى الْقَوْمِ بَعَثَ إِلَيْهِمْ حَكِيمَ بْنَ سَلَامَةَ وَمَالِكَ بْنَ حَبِيبٍ: إِنْ كُنْتُمْ عَلَى مَا فَارَقْتُمْ عَلَيْهِ الْقَعْقَاعَ ابْنَ عَمْرٍو فَكُفُّوا وَأَقْرُونَا نَزْلًا وَنَنْظُرِي هَذَا الْأَمْرَ.

خَرَجَ إِلَيْهِ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ وَبَنُو سَعْدٍ مَشْمَرِينَ، قَدْ مَنَعُوا حَرْقُوصَ ابْنِ زُهَيْرٍ، وَلَا يَرُونَ الْقِتَالَ مَعَ عَلِيٍّ بَنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، إِنْ قَوْمَنَا بِالْبَصْرَةِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ إِنْ ظَهَرْتَ عَلَيْهِمْ غَدًا إِنَّكَ تَقْتُلُ رِجَالَهُمْ وَتُسَيِّئُ نِسَاءَهُمْ.

[فَقَالَ: مَا مِثْلِي يُخَافُ هَذَا مِنْهُ، وَهَلْ يَحِلُّ هَذَا إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ» إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ، وَهُمْ قَوْمٌ مُسْلِمُونَ!] هَلْ أَنْتَ مُغْنٍ عَنِّي قَوْمَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ،

وَاخْتَرْتُ مِنِّي وَاحِدَةً مِنْ ثَنَيْنِ، إِمَّا أَنْ أَكُونَ آتِيكَ فَأَكُونَ مَعَكَ بِنَفْسِي، وَإِمَّا أَنْ أَكُفَّ عَنْكَ عَشْرَةَ آلَافٍ سَيْفٍ فَرَجَعَ إِلَى النَّاسِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْقُعُودِ وَقَدْ بَدَأَ فَقَالَ: يَا خَنْدَفُ، فَأَجَابَهُ نَاسٌ، ثُمَّ نَادَى يَا تَمِيمُ! فَأَجَابَهُ نَاسٌ، ثُمَّ نَادَى: يَا سَعْدُ، فَلَمْ يَبْقَ سَعْدِي إِلَّا أَجَابَهُ، فَاعْتَزَلَ بِهِمْ، ثُمَّ نَظَرَ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ، فَلَمَّا وَقَعَ الْقِتَالُ وَظَفَرَ عَلِيٌّ جَاءُوا وَافِرِينَ، فَدَخَلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ.

وَأَمَّا الَّذِي يَرَوِيهِ الْمُحَدِّثُونَ مِنْ أَمْرِ الْأَخْنَفِ، فَغَيْرُ مَا رَوَاهُ سَيْفٌ عَمَّنْ ذَكَرَ مِنْ شُيُوخِهِ وَالَّذِي يَرَوِيهِ الْمُحَدِّثُونَ مِنْ ذَلِكَ مَا حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، قَالَ: سَمِعْتُ حَصِينًا يَذْكُرُ عَنْ عَمْرِو بْنِ جَاوَانَ، عَنْ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَنَحْنُ نُرِيدُ الْحَجَّ، فَإِنَّا لَبَنَازِلْنَا نَضْعُ رِحَالَنَا إِذْ أَتَانَا آتٍ فَقَالَ: قَدْ فَرَعُوا وَقَدْ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ، فَاَنْطَلَقْنَا إِذَا النَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَى نَفَرٍ فِي وَسْطِ الْمَسْجِدِ، وَإِذَا عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ، وَانَا لَكَذَلِكَ إِذْ جَاءَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَقِيلَ: هَذَا عُثْمَانُ قَدْ جَاءَ وَعَلَيْهِ مَلِيَّةٌ لَهُ صَفَرَاءُ قَدْ قَعَّ بِهَا رَأْسُهُ، فَقَالَ:

أَهَاهُنَا عَلِيٌّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَهَاهُنَا الزُّبَيْرُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَهَاهُنَا طَلْحَةُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَشُدُّكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، [أَتَلْبُونَ] إِنْ رَسُلَ اللَّهُ صَ قَالَ: مَنْ يَبْتَغِ مَرْبِدَ بَنِي فَلَانَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، فَابْتَعَتْهُ بَعِثَرِينَ أَوْ بِخَمْسَةِ وَعِشْرِينَ أَلْفًا، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ص فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ ابْتَعْتُهُ، قَالَ: اجْعَلْهُ فِي مَسْجِدِنَا وَأَجِرْهُ لَكَ! قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ مِنْ هَذَا النَّوْعِ قَالَ الْأَخْنَفُ:

فَلَقِيتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ فَقُلْتُ: مَنْ تَأْمُرَانِي بِهِ وَتَرْضِيَانِي لِي؟ فَإِنِّي لَا أَرَى هَذَا الرَّجُلَ إِلَّا مَقْتُولًا، قَالَا: عَلِيٌّ؟ قُلْتُ: أَتَأْمُرَانِي بِهِ وَتَرْضِيَانِي لِي؟ قَالَا: نَعَمْ، فَاَنْطَلَقْتُ حَتَّى قَدِمْتُ مَكَّةَ، فَبَيْنَا نَحْنُ بِهَا إِذْ أَتَانَا قَتْلُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبِهَا عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَلَقِيتُهَا فَقُلْتُ: مَنْ تَأْمُرَانِي أَنْ أَبِيعَ؟ قَالَتْ: عَلِيٌّ، قُلْتُ: تَأْمُرَانِي بِهِ وَتَرْضِيَانِي

لِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَفَرَرْتُ عَلَى عَلِيٍّ بِالْمَدِينَةِ فَبِيعْتُهُ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي بِالْبَصْرَةِ وَلَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا قَدْ اسْتَقَامَ، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ، إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَالَ: هَذِهِ عَائِشَةُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ قَدْ نَزَلُوا جَانِبَ الْخُرَيْبَةِ، فَقُلْتُ: مَا جَاءَ بِهِمْ؟ قَالُوا: أَرْسَلُوا إِلَيْكَ يَدْعُونَكَ يَسْتَنْصِرُونَ بِكَ عَلَى دَمِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَتَانِي أَفْطَعُ أَمْرٍ أَتَانِي قَطُّ! فَقُلْتُ: إِنْ خُذَلَانِي هَؤُلَاءِ وَمَعَهُمْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَحَوَارِي رَسُولِ اللَّهِ ص لَشَدِيدٌ، وَإِنَّ قِتَالِي رَجُلًا ابْنَ عِمٍّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَدْ أَمَرُونِي بِبَيْعَتِهِ لَشَدِيدٌ فَلَمَّا أَتَيْتَهُمْ قَالُوا:

جِئْنَا لِنَسْتَنْصِرَ عَلَى دَمِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قُتِلَ مَظْلُومًا، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَشُدُّكَ بِاللَّهِ أَقُلْتُ لَكَ: مَنْ تَأْمُرَانِي بِهِ؟ فَقُلْتُ: عَلِيٌّ؟ فَقُلْتُ: أَتَأْمُرَانِي بِهِ وَتَرْضِيَانِي لِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنَّهُ بَدَلٌ فَقُلْتُ: يَا زُبَيْرُ يَا حَوَارِي رَسُولِ اللَّهِ ص، يَا طَلْحَةُ، أَشُدُّكَ بِاللَّهِ، أَقُلْتُ لَكَ: مَا تَأْمُرَانِي فَقُلْتُمَا: عَلِيٌّ؟ فَقُلْتُ: أَتَأْمُرَانِي بِهِ وَتَرْضِيَانِي لِي؟ فَقُلْتُمَا نَعَمْ! قَالَا: نَعَمْ، وَلَكِنَّهُ بَدَلٌ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقَاتِلُكُمْ وَمَعَكُمْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَحَوَارِي رَسُولِ اللَّهِ ص وَلَا أَقَاتِلُ رَجُلًا ابْنَ عِمٍّ رَسُولِ اللَّهِ ص، أَمْرُؤُنِي بِبَيْعَتِهِ، اخْتَارُوا مِنِّي وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثِ خِصَالٍ: إِمَّا أَنْ تَفْتَحُوا لِي الْجِسْرَ فَأَلْحَقَ بِأَرْضِ الْأَعَاجِمِ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَمْرِهِ مَا قَضَى، أَوْ أَلْحَقَ بِمَكَّةَ فَأَكُونَ فِيهَا حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَمْرِهِ مَا قَضَى، أَوْ أَعْتَزَلَ فَأَكُونَ قَرِيبًا.

قَالُوا: إِنَّا نَأْتِمُرُ، ثُمَّ نَرْسِلُ إِلَيْكَ فَاتَّمَرُوا فَقَالُوا: نَفْتَحُ لَهُ الْجِسْرَ وَيُخْبِرُهُمْ بِأَخْبَارِكُمْ! لَيْسَ ذَاكُم بَرَاءً، اجْعَلُوهُ هَاهُنَا قَرِيبًا حَيْثُ تَطْئُونَ عَلَى صَاحِبِهِ وَتَنْتَظِرُونَ إِلَيْهِ فَاعْتَزَلَ بِالْجُلَحَاءِ مِنَ الْبَصْرَةِ عَلَى فَرَسَيْنِ، فَاعْتَزَلَ مَعَهُ زُهَاءٌ عَلَى سِتَّةِ آلَافٍ.

ثُمَّ التَقَى الْقَوْمُ فَكَانَ أَوَّلَ قِتَالٍ طَلْحَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَعْبُ بْنُ سُوْرٍ مَعَهُ الْمُصْحَفُ يُذَكِّرُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، حَتَّى قُتِلَ مِنْ قِتْلِ مَنْهُمْ، وَلَحِقَ الزُّبَيْرُ بِسَفَوَانَ، مِنَ الْبَصْرَةِ كَمَا كَانَ الْقَادِسِيَّةَ مِنْكُمْ، فَلَقِيَهُ النَّعْرُ، رَجُلٌ مِنْ مُجَاشِيعٍ، فَقَالَ: إِنْ تَذْهَبُ يَا حَوَارِي رَسُولِ اللَّهِ ص؟

إِلَيَّ فَأَنْتَ فِي ذِمَّتِي لَا يُوصَلُ إِلَيْكَ، فَأَقْبَلَ مَعَهُ، فَأَتَى الْأَخْنَفَ خَبْرَهُ فَقِيلَ: ذَاكَ الزُّبَيْرُ قَدْ لَقِيَ

٤٠٢١٠٩ بعثه علي بن أبي طالب من ذي قار ابنه الحسن وعمار بن ياسر ليستنفرا له أهل الكوفة

بِسَفَوَانٍ فَمَا تَأْمُرُ؟ قَالَ: جَمَعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى ضَرَبَ بَعْضُهُمْ حَوَاجِبَ بَعْضٍ بِالسُّيُوفِ ثُمَّ يَلْحَقُ بَيْتَهُ، فَسَمِعَهُ عُمَيْرُ بْنُ جَرْمُوزٍ وَفَضَالَةُ بْنُ حَاسِبٍ، وَنَفِيعٌ، فَرَكِبُوا فِي طَلَبِهِ، فَلَقَوْهُ مَعَ النَّعْرِ، فَأَتَاهُ عُمَيْرُ بْنُ جَرْمُوزٍ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ ضَعِيفَةٌ، فَطَعَنَهُ طَعْنَةً خَفِيفَةً، وَحَمَلَ عَلَيْهِ الزُّبَيْرُ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ ذُو الْخِمَارِ، حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَاتِلُهُ نَادَى عُمَيْرُ بْنُ جَرْمُوزٍ: يَا نَافِعُ، يَا فَضَالَةُ، حَمَلُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: معتمر بن سليمان، قال: نبالى أبي، عن حصين، قال: حدثنا عمرو بن جأوان، رجل من بني تميم، وَذَاكَ أَنِّي قُلْتُ لَهُ: أَرَأَيْتَ اعْتَرَالَ الْأَخْنَفِ مَا كَانَ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ الْأَخْنَفَ يَقُولُ: أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ وَأَنَا حَاجٌّ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا قَضَى وَحَكَمَ

. بَعَثَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنْ ذِي قَارِ ابْنَهُ الْحَسَنَ وَعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ لِيَسْتَنْفِرَا لَهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: حدثنا بشير ابن عاصم، عن ابن أبي ليلى، عن أبيه، قال: خرج هاشم بن عتبة إلى علي بالربذة، فأخبره بقدوم محمد بن أبي بكر وقول أبي موسى، فقال: لقد أردت عزله، وسألني الأشر أن أقره فرد علي هاشمًا إلى الكوفة وكتب إلى أبي موسى:

إِنِّي وَجَّهْتُ هَاشِمَ بْنَ عُبَيْتَةَ لِنَهْضِ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيَّ، فَأَشْخِصِ النَّاسَ فَإِنِّي لَمْ أُولِكَ الَّذِي أَنْتَ بِهِ إِلَّا لِتَكُونَ مِنْ أَعْوَانِي عَلَى الْحَقِّ فَدَعَا أَبُو مُوسَى السَّائِبَ بْنَ مَالِكٍ الْأَشْعَرِيَّ، فَقَالَ لَهُ: مَا تَرَى؟ قَالَ: أَرَى أَنْ تَتَّبِعَ مَا كَتَبَ بِهِ إِلَيْكَ، قَالَ: لَكِنِّي لَا أَرَى ذَلِكَ فَكَتَبَ هَاشِمٌ إِلَى عَلِيٍّ:

إِنِّي قَدْ قَدِمْتُ عَلَى رَجُلٍ غَالٍ مُشَاقٍّ ظَاهِرِ الْغِلِّ وَالشَّنَانِ وَبَعَثَ بِالْكِتَابِ مَعَ الْمُحَلِّ بْنِ خَلِيفَةَ الطَّائِي فَبَعَثَ عَلِيُّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ لِيَسْتَنْفِرَا لَهُ النَّاسَ، وَبَعَثَ قَرْظَةَ بْنَ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيَّ أَمِيرًا عَلَى الْكُوفَةِ،

٤٠٢١٠١٠ نزول على الزاوية من البصرة

وَكَتَبَ مَعَهُ: إِلَى أَبِي مُوسَى: أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَنَّ بَعْدَكَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ مِنْهُ نَصِيبًا سَيَمْنَعُكَ مِنْ رَدِّ أَمْرِي، وَقَدْ بَعَثْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ لِيَسْتَنْفِرَا النَّاسَ، وَبَعَثْتُ قَرْظَةَ بْنَ كَعْبٍ وَالْيَا عَلَى الْمِصْرِ، فَاعْتَزَلْ عَمَلَنَا مَذْمُومًا مَذْهُورًا، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَإِنِّي قَدْ أَمَرْتُ أَنْ يَنَابِذَكَ، فَإِنْ نَابَذْتَهُ فَظْفَرِي بِكَ أَنْ يَقْطَعَكَ آرَابًا.

فَلَمَّا قَدِمَ الْكِتَابُ عَلَى أَبِي مُوسَى اعْتَزَلَ، وَدَخَلَ الْحَسَنُ وَعَمَّارُ الْمَسْجِدَ فَقَالَا: أَيُّهَا النَّاسُ، [إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ: إِنِّي خَرَجْتُ مَخْرَجِي هَذَا ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، وَإِنِّي أَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَجُلًا رَعَى لِلَّهِ حَقًّا إِلَّا نَفَرَ، فَإِنْ كُنْتُ مَظْلُومًا أَعَانِي، وَإِنْ كُنْتُ ظَالِمًا أَخَذَ مِنِّي، وَاللَّهِ إِنَّ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ لَأَوَّلَ مَنْ بَايَعَنِي، وَأَوَّلَ مَنْ غَدَرَ، فَهَلِ اسْتَأْثَرْتُ بِمَالٍ، أَوْ بَدَلْتُ حُكْمًا! فَانْفِرُوا، فَرُّوا بِمَعْرُوفٍ وَانْهَوْا عَنْ مُنْكَرٍ].

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: حدثنا أبو مخنف، عن جابر، عن الشعبي، عن أبي الطفيل، قال: قال علي: يَأْتِيكُمْ مِنَ الْكُوفَةِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ وَرَجُلٌ، فَقَعَدْتُ عَلَى نَجْفَةِ ذِي قَارٍ، فَأَحْصَيْتُهُمْ فَمَا زَادُوا رَجُلًا، وَلَا نَقَصُوا رَجُلًا.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، عَنْ بَشِيرِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَرَجَ إِلَى عَلِيٍّ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ، وَهُمْ أَصْبَاعُ:

عَلَى قُرَيْشٍ وَكَانَةَ وَأَسَدٍ وَتَمِيمٍ وَالرَّبَابِ وَمَرْيَةَ مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ الرِّيَّاحِيُّ، وَسَبْعُ قَيْسٍ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَسَبْعُ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ وَتَغْلِبَ عَلَيْهِمْ وَعَلَهُ بْنُ مَخْدُوجٍ الذَّهَلِيُّ، وَسَبْعُ مَذْجٍ وَالْأَشْعَرِينَ عَلَيْهِمْ حَجْرُ ابْنِ عَدِيٍّ، وَسَبْعُ بَجِيلَةَ وَأَنْمَارٍ وَخَثْعَمٍ وَالْأَزْدِ عَلَيْهِمْ مَخْنَفُ بْنُ سُلَيْمٍ الْأَزْدِيُّ.

نَزُولُ عَلِيٍّ الزَّائِيَةَ مِنَ الْبَصْرَةِ

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، عَنْ مَسْلَمَةَ بْنِ مَحَارِبٍ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: نَزَلَ عَلِيٌّ الزَّائِيَةَ وَأَقَامَ أَيَّامًا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْأَخْنَفُ: إِنَّ

شِئْتَ أَتَيْتَكَ، وَإِنْ شِئْتَ كَفَفْتُ عَنْكَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ سَيْفٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ: كَيْفَ بِمَا أُعْطِيتَ أَصْحَابَكَ مِنَ الْإِعْتِزَالِ! قَالَ: إِنْ مِنْ الْوَفَاءِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قِتَالَهُمْ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: كُفَّ مِنْ قَدَرْتِ عَلَى كَفِّهِ ثُمَّ سَارَ عَلِيٌّ مِنَ الزَّائِيَةِ، وَسَارَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَائِشَةُ مِنَ الْفُرْصَةِ، فَالْتَقَوْا عِنْدَ مَوْضِعٍ قَصْرٍ عُبَيْدِ اللَّهِ - أَوْ عَبْدِ اللَّهِ - بْنِ زِيَادٍ، فَلَمَّا نَزَلَ النَّاسُ أَرْسَلَ شَقِيقُ بْنُ ثَوْرٍ إِلَى عَمْرِو بْنِ مَرْحُومِ الْعَبْدِيِّ: أَنْ اخْرُجْ، فَإِذَا خَرَجْتَ فَمَلْ بِنَا إِلَى عَسْكَرِ عَلِيٍّ نَحْرَجَا فِي عَبْدِ الْقَيْسِ وَبَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ، فَعَدَلُوا إِلَى عَسْكَرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ النَّاسُ: مَنْ كَانَ هَؤُلَاءِ مَعَهُ غَلَبَ، وَدَفَعَ شَقِيقُ بْنُ ثَوْرٍ رَأْيَهُمْ إِلَى مَوْلَى لَهُ يُقَالُ لَهُ: رَشْرَاشَةُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَعَلَةُ بْنُ مَخْدُوجٍ الذَّهَلِيُّ:

ضَاعَتِ الْأَحْسَابُ، دَفَعْتَ مَكْرَمَةَ قَوْمِكَ إِلَى رَشْرَاشَةَ، فَأَرْسَلَ شَقِيقُ: أَنْ أَغْنِ شَأْنَكَ، فَإِنَّا نَغْنِي شَأْنَنَا فَأَقَامُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَمْ يَكُنْ يَنْهَمُ قِتَالٌ، يُرْسِلُ إِلَيْهِمْ عَلَى، وَيَكْلَهُمْ وَيُرْدِعُهُمْ.

حَدَّثَنَا عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ الْهَذَلِيُّ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: سَارَ عَلِيٌّ مِنَ الزَّائِيَةِ يُرِيدُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَعَائِشَةَ، وَسَارُوا مِنَ الْفُرْصَةِ يُرِيدُونَ عَلَيْهِمَا، فَالْتَقَوْا عِنْدَ مَوْضِعٍ قَصْرٍ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فِي النِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ يَوْمِ الْخَمِيسِ، فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ خَرَجَ الزُّبَيْرُ عَلَى فَرَسٍ عَلَيْهِ سِلَاحٌ، فَقِيلَ لِعَلِيٍّ: هَذَا الزُّبَيْرُ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ أُخْرَى الرَّجُلَيْنِ إِنْ ذُكِرَ بِاللَّهِ أَنْ يَذْكُرَهُ، وَخَرَجَ طَلْحَةُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا عَلِيٌّ، فَدَنَا مِنْهُمَا حَتَّى اخْتَلَفَتْ أَعْنَاقُ دَوَابِّهِمْ، [فَقَالَ عَلِيٌّ: لَعَمْرِي لَقَدْ أَعْدَدْتُمَا سِلَاحًا وَخَيْلًا وَرِجَالًا، إِنْ كُنْتُمَا أَعْدَدْتُمَا عِنْدَ اللَّهِ عُدْرًا فَاتَّقِيَا اللَّهَ سُبْحَانَهُ، وَلَا تَكُونَا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَرْهًا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا أَلَمْ أَكُنْ أَخَاكُمْ فِي دِينِكُمَا، تَحْرِمَانِ دَمِي وَأَحْرِمُ دَمَاءَكُمْ!] فَهَلْ مِنْ حَدَثٍ أَحَلَّ لَكُمْ دَمِي؟ قَالَ:

طَلْحَةُ: أَبَتَ النَّاسُ عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ عَلِيٌّ: «يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ»، يَا طَلْحَةُ تَطَلَّبُ

بِدَمِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ! فَلَعَنَ اللَّهُ قَتْلَةَ عُثْمَانَ [يَا زُبَيْرُ، أَتَذْكُرُ يَوْمَ مَرَرْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي بَنِي غَنَمٍ، فَنَظَرْتُ إِلَيْ فَضْحِكَ وَصَحِكَتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: لَا يَدْعُ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ زَهْوَهُ، فَقَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ص: صَهْ، إِنَّهُ لَيْسَ بِهِ زَهْوٌ، وَلِتَقَاتِلْنَهُ وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ؟] فَقَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، وَلَوْ ذَكَرْتُ مَا سِرْتُ مَسِيرِي هَذَا، وَاللَّهِ لَا أَقَاتِلُكَ أَبَدًا.

فَانْصَرَفَ عَلِيٌّ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَمَّا الزُّبَيْرُ فَقَدْ أُعْطِيَ اللَّهُ عَهْدًا أَلَّا يَقَاتِلَكُمْ، وَرَجَعَ الزُّبَيْرُ إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَ لَهَا: مَا كُنْتُ فِي مَوْطِنٍ مُنْذُ

عَقَلْتُ إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُ فِيهِ أَمْرِي غَيْرَ مَوْطِنِي هَذَا، قَالَتْ: فَمَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ؟

قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَدْعَهُمْ وَأَذْهَبُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ: جَمَعْتَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْغَارِنِ، حَتَّى إِذَا حَدَدَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَرَدْتَ أَنْ تَتْرَكَهُمْ وَتَذْهَبَ! أَحْسَسْتَ رَايَاتِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَلِمْتَ أَنَّهَا تَحْمِلُهَا فَتِيَةُ أَنْجَادٍ، قَالَ: إِنِّي قَدْ حَفَلْتُ أَلَا أَقَاتِلُهُ، وَأَحْفَظُهُ مَا قَالَ لَهُ، فَقَالَ: كَفَّرَ عَنْ يَمِينِكَ، وَقَاتِلْهُ، فَدَعَا بِغُلَامٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ مَكْحُولٌ، فَأَعْتَقَهُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيُّ:

لَمْ أَرْ كَالْيَوْمِ أَخَا إِخْوَانٍ ... أَعْجَبَ مِنْ مُكْفِّرِ الْإِيمَانِ

بِالْعَتَقِ فِي مَعْصِيَةِ الرَّحْمَنِ.

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ شُعْرَائِهِمْ:

يُعْتَقُ مَكْحُولًا لَصَوْنِ دِينِهِ ... كَفَّارَةً لِلَّهِ عَنْ يَمِينِهِ.

وَالْتَكْتُ قَدْ لَاحَ عَلَى جَبِينِهِ

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ سَيْفٍ عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ: فَأَرْسَلَ عِمْرَانُ ابْنَ حُصَيْنٍ فِي النَّاسِ يُخَذِّلُ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا، كَمَا صَنَعَ الْأَحْنَفُ، وَأَرْسَلَ إِلَى بَنِي عَدِيٍّ فِيمَنْ أَرْسَلَ، فَأَقْبَلَ رَسُولُهُ حَتَّى نَادَى عَلَى بَابِ مَسْجِدِهِمْ: أَلَا إِنَّ أَبَا نُجَيْدٍ عِمْرَانَ بْنَ الْحُصَيْنِ يُقَرِّئُكُمُ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكُمْ: وَاللَّهِ لَأَنْ أَكُونَ فِي جَبَلِ حَضْنٍ مَعَ أَعْزِ خُضْرٍ وَضْآنٍ، أَجْزَأُ أَصَوَافَهَا، وَأَشْرَبُ أَلْبَانَهَا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَرْمِيَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَيْنِ الصَّفَيْنِ بِسَهْمٍ، فَقَالَتْ بَنُو عَدِيٍّ جَمِيعًا بِصَوْتٍ وَاحِدٍ: إِنَّا وَاللَّهِ لَا نَدْعُ ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِشَيْءٍ - يَعْنُونَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ.

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نَعَامَةَ الْعَدَوِيُّ، عَنْ حَجَّيرِ بْنِ الرَّبِيعِ، قَالَ: قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ: سِرْ إِلَى قَوْمِكَ أَجْمَعَ مَا يَكُونُونَ، فَمُمْ فِيهِمْ قَائِمًا، فَقُلْ: أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ عِمْرَانُ ابْنُ حُصَيْنٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ص، يَقْرَأُ عَلَيْكُمْ السَّلَامَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ، وَيَحْلِفُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَأَنْ يَكُونَ عَبْدًا حَشِيًّا مَجْدَعًا يَرعى أَعْزَا حَضَنَاتٍ فِي رَأْسِ جَبَلٍ حَتَّى يَدْرِكَهُ الْمَوْتُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرْمِيَ بِسَهْمٍ وَاحِدٍ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، قَالَ: فَرَفَعَ شَيْخُ الْحَيِّ رُءُوسَهُمْ إِلَيْهِ، فَقَالُوا: إِنَّا لَا نَدْعُ ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِشَيْءٍ أَبَدًا.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ سَيْفٍ عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ: وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ فَرَّقُوا: فَرَقَةً مَعَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، وَفَرَقَةً مَعَ عَلِيٍّ، وَفَرَقَةً لَا تَرَى الْقِتَالَ مَعَ أَحَدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَجَاءَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ مَنْزِلِهَا الَّذِي كَانَتْ فِيهِ حَتَّى نَزَلَتْ فِي مَسْجِدِ الْحَدَّانِ فِي الْأَزْدِ، وَكَانَ الْقِتَالُ فِي سَاحَتِهِمْ، وَرَأْسُ الْأَزْدِ يَوْمَئِذٍ صَبْرَةُ بْنُ شَيْمَانَ، فَقَالَ لَهُ كَعْبُ بْنُ سُوْرٍ: إِنَّ الْجُمُوعَ إِذَا تَرَاءَوْا لَمْ تَسْتَطِعْ، وَإِنَّمَا هِيَ بِحُورٍ تَدْفُقُ، فَأَطْعَنِي وَلَا تَشْهَدْهُمْ، وَاعْتَزِلْ بِقَوْمِكَ، فَإِنِّي أَخَافُ أَلَّا يَكُونَ صَلَاحٌ، وَكُنْ وَرَاءَ هَذِهِ النُّطْفَةِ، وَدَعْ هَذَيْنِ الْغَارِنِ مِنْ مُضَرٍّ وَرَبِيعَةٍ، فَهُمَا أَخَوَانُ، فَإِنْ

اصْطَلَحَا فَالْصُلْحُ مَا أَرَدْنَا، وَإِنْ افْتَتَلَا نَكَّمَا حُكَمَا عَلَيْهِمْ غَدًا - وَكَانَ كَعْبٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ نَصْرَانِيًّا - فَقَالَ صَبْرَةُ: أَخْشَى أَنْ يَكُونَ فِيكَ شَيْءٌ مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ، أَتَأْمُرُنِي أَنْ أَغِيبَ عَنْ إِصْلَاحِ بَيْنِ النَّاسِ، وَأَنْ أَخْذُلَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ إِنْ رَدُّوا عَلَيْهِمُ الصُّلْحَ، وَأَدْعَ الطَّلَبَ بِدَمِ عُثْمَانَ! لَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ أَبَدًا، فَأَطْبَقَ أَهْلُ الْيَمَنِ عَلَى الْحُضُورِ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الضَّرِيرِ الْجَلِيِّ، عَنْ ابْنِ يَعْمَرَ، قَالَ: لَمَّا رَجَعَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ عِنْدِ عَلِيٍّ لَقِيَهُ هَلَالُ بْنُ وَكَيْعٍ وَبَنُو مَالِكٍ بَنُو عَمْرٍو، فَقَالَ: مَا رَأَيْكَ؟ قَالَ: الْإِعْتِزَالُ، فَمَا رَأَيْكَ؟

قَالَ: مَكَانِفَةُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أَفْتَدَعْنَا وَأَنْتَ سَيِّدُنَا! قَالَ: إِنَّمَا أَكُونُ سَيِّدُكُمْ غَدًا إِذَا قَتَلْتَ وَبَقَيْتَ، فَقَالَ هَلَالٌ: هَذَا وَأَنْتَ شَيْخُنَا! فَقَالَ: أَنَا الشَّيْخُ الْمَعْصِيُّ، وَأَنْتَ الشَّابُّ الْمَطَاعُ فَاتَّبَعْتُ بَنُو سَعْدِ الْأَحْنَفِ، فَاعْتَزَلَ بِهِمْ إِلَى وَادِي السَّبَاعِ، وَاتَّبَعْتُ بَنُو حَنْظَلَةَ هَلَالًا، وَاتَّبَعْتُ بَنُو عَمْرٍو أَبَا الْجَرْبَاءِ فَقَاتَلُوا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي عُمَانَ، قَالَ: لَمَّا أَقْبَلَ الْأَحْنَفُ نَادَى: يَا لَأَدُّ، اعْتَزَلُوا هَذَا الْأَمْرَ، وَوَلُوا هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ كَيْسَهُ وَعَجْزَهُ، فَقَامَ الْمَنْجَابُ بْنُ رَاشِدٍ فَقَالَ: يَا الرِّبَابُ! لَا تَعْتَزَلُوا، وَاشْهَدُوا هَذَا الْأَمْرَ، وَتَوَلَّوْا كَيْسَهُ، فَفَارَقُوا فَلَمَّا قَالَ:

يَا لِمَ تَمِيمٌ، اعْتَزَلُوا هَذَا الْأَمْرَ وَوَلَّوْا هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ كَيْسَهُ وَعَجْزَهُ، قَامَ أَبُو الْجَرْبَاءِ - وَهُوَ مِنْ بَنِي عُثْمَانَ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ - فَقَالَ: يَا لِمَ عَمْرٍو، لَا تَعْتَزَلُوا هَذَا الْأَمْرَ وَتَوَلَّوْا كَيْسَهُ فَكَانَ أَبُو الْجَرْبَاءِ عَلَى بَنِي عَمْرٍو بْنِ تَمِيمٍ، وَالْمَنْجَابُ بْنُ رَاشِدٍ عَلَى بَنِي ضُبَةَ، فَلَمَّا قَالَ: يَا زَيْدُ مَنَاةَ، اعْتَزَلُوا هَذَا الْأَمْرَ، وَوَلَّوْا هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ كَيْسَهُ وَعَجْزَهُ قَالَ هَلَالُ بْنُ وَكَيْعٍ:

لَا تَعْتَزَلُوا هَذَا الْأَمْرَ، وَنَادَى: يَا لِمَ حَنْظَلَةُ تَوَلَّوْا كَيْسَهُ، فَكَانَ هَلَالٌ عَلَى حَنْظَلَةَ، وَطَاوَعَتْ سَعْدُ الْأَحْنَفِ، وَاعْتَزَلُوا إِلَى وَادِي السَّبَاعِ كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا:

كَانَ عَلَى هَوَازِنَ وَعَلَى بَنِي سَلِيمٍ وَالْأَعْجَازِ مَجَاشِعُ بْنُ مَسْعُودٍ السَّلَمِيُّ، وَعَلَى عَامِرِ زُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ، وَعَلَى غُطْفَانَ أُعْصَرَ بْنِ النُّعْمَانَ الْبَاهِلِي، وَعَلَى بَكْرِ ابْنِ وَائِلٍ مَالِكُ بْنُ مَسْمَعٍ، وَاعْتَزَلَتْ عَبْدِ الْقَيْسِ إِلَى عَلِيٍّ إِلَّا رَجُلًا فَإِنَّهُ أَقَامَ، وَمِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ قِيَامٌ، وَاعْتَزَلَ مِنْهُمْ مِثْلُ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ، عَلَيْهِمْ سَنَانٌ، وَكَانَتْ الْأَزْدُ عَلَى ثَلَاثَةِ رُؤَسَاءَ: صَبْرَةَ بْنُ شَيْمَانَ، وَمَسْعُودٌ، وَزِيَادُ بْنُ عَمْرٍو، وَالشَّوَاذِبُ عَلَيْهِمْ رَجُلَانِ: عَلَى مَضَرَ الْخَرِيتِ بْنِ رَاشِدٍ، وَعَلَى قَضَاعَةَ وَالتَّوَابِعِ الرَّعْبِيِّ الْجَرْمِيِّ - وَهُوَ لَقَبٌ - وَعَلَى سَائِرِ الْيَمَنِ ذُو الْآجَرَةِ الْحَمِيرِيِّ نَخْرَجَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَتَزَلَا بِالنَّاسِ مِنَ الزَّابُوقَةِ، فِي مَوْضِعِ قَرْيَةِ الْأَرْزَاقِ، فَتَزَلَتْ مَضَرُ جَمِيعًا وَهُمْ لَا يَشْكُونَ فِي الصَّلْحِ، وَنَزَلَتْ رِبِيعَةُ فَوْقَهُمْ جَمِيعًا وَهُمْ لَا يَشْكُونَ فِي الصَّلْحِ، وَنَزَلَتْ الْيَمَنِ جَمِيعًا أَسْفَلَ مِنْهُمْ، وَهُمْ لَا يَشْكُونَ فِي الصَّلْحِ، وَعَائِشَةُ فِي الْخُدَانِ، وَالنَّاسُ فِي الزَّابُوقَةِ، عَلَى رُؤَسَائِهِمْ هَؤُلَاءِ وَهُمْ ثَلَاثُونَ أَلْفًا، وَرَدُّوا حَكِيمًا وَمَالِكًا إِلَى عَلِيٍّ، بَأْنَا عَلَى مَا فَارَقْنَا عَلَيْهِ الْقَعْقَاعَ فَاقْدَمَ نَخْرَجًا حَتَّى قَدِمَا عَلَيْهِ بِذَلِكَ، فَارْتَحَلَ حَتَّى نَزَلَ عَلَيْهِمْ بِحِيَالِهِمْ، فَتَزَلَتْ الْقَبَائِلُ إِلَى قَبَائِلِهِمْ، مَضَرٌ إِلَى مَضَرٍ، وَرِبِيعَةُ إِلَى رِبِيعَةٍ، وَالْيَمَنِ إِلَى الْيَمَنِ، وَهُمْ لَا يَشْكُونَ فِي الصَّلْحِ، فَكَانَ بَعْضُهُمْ بِحِيَالِ بَعْضٍ، وَبَعْضُهُمْ يَخْرُجُ إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَذْكُرُونَ وَلَا يَنْوُونَ إِلَّا الصَّلْحَ، وَخَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَنْ مَعَهُ، وَهُمْ عَشْرُونَ أَلْفًا، وَأَهْلُ الْكُوفَةِ عَلَى رُؤَسَائِهِمُ الَّذِينَ قَدِمُوا مَعَهُمْ ذَا قَارَ، وَعَبْدُ الْقَيْسِ عَلَى ثَلَاثَةِ رُؤَسَاءَ: جَذِيمَةُ وَبَكْرُ بْنُ ابْنِ الْجَارُودِ، وَالْعُمُورُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السُّودَاءِ، وَأَهْلُ هَجْرٍ عَلَى ابْنِ الْأَشْجِ، وَبَكْرُ بْنُ وَائِلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ عَلَى ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَهَارٍ، وَعَلَى دَنُورِ بْنِ عَلِيٍّ الزُّطِّ وَالسِّيَابِجَةِ، وَقَدِمَ عَلِيٌّ ذَا قَارَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِ عَشْرَةُ آلَافٍ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، عَنْ بَشِيرِ بْنِ عَاصِمٍ

٤٠٢١١١ امر القتال

عَنْ فَطْرِ بْنِ خَلِيفَةَ، عَنْ مَنْذَرِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ، قَالَ: أَقْبَلْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ بِسَبْعِمِائَةِ رَجُلٍ، وَخَرَجَ إِلَيْنَا مِنَ الْكُوفَةِ سَبْعَةُ آلَافٍ، وَانْضَمَّ إِلَيْنَا مِنْ حَوْلِنَا أَلْفَانِ، أَكْثَرُهُمْ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ، وَيُقَالُ: سِتَّةُ آلَافٍ.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ: قَالَا: فَلَمَّا نَزَلَ النَّاسُ وَاطْمَأَنَّنُوا، خَرَجَ عَلِيٌّ وَخَرَجَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، فَتَوَاقَفُوا، وَتَكَلَّمُوا فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَلَمْ يَجِدُوا أَمْرًا هُوَ أَمْثَلُ مِنَ الصَّلْحِ وَوَضَعَ الْحَرْبَ حِينَ رَأَوْا الْأَمْرَ قَدْ أَخْذَ فِي الْإِنْقِشَاعِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْرِكُ، فَافْتَرَقُوا عَنْ مَوْقِفِهِمْ عَلَى ذَلِكَ، وَرَجَعَ عَلِيٌّ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ إِلَى عَسْكَرِهِمَا .
. أمر القتال

وَكُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا:

وَبَعَثَ عَلِيٌّ مِنَ الْعَشِيِّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ إِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، وَبَعَثَهُمَا مِنَ الْعَشِيِّ مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ إِلَى عَلِيٍّ، وَأَنْ يُكَلِّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابَهُ، فَقَالُوا:

نَعَمْ، فَلَمَّا أَمْسَوْا- وَذَلِكَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ- أَرْسَلَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ إِلَى رُؤَسَاءِ أَصْحَابِهِمَا، وَأَرْسَلَ عَلِيٌّ إِلَى رُؤَسَاءِ أَصْحَابِهِ، مَا خَلَا أُولَئِكَ الَّذِينَ هَضَبُوا عُثْمَانَ، فَبَاتُوا عَلَى الصُّلْحِ، وَبَاتُوا بَلِيلَةً لَمْ يَبْتَئُوا بِمِثْلِهَا لِلْعَافِيَةِ مِنَ الَّذِي أَشْرَفُوا عَلَيْهِ، وَالنُّزُوعَ عَمَّا اشْتَهَى الَّذِينَ اشْتَهَوْا، وَرَكِبُوا مَا رَكِبُوا، وَبَاتَ الَّذِينَ أَثَارُوا أَمْرَ عُثْمَانَ بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتُوهَا قَطُّ، قَدْ أَشْرَفُوا عَلَى الْهَلَكَةِ، وَجَعَلُوا يَتَشَاوَرُونَ لَيْلَتَهُمْ كُلَّهَا، حَتَّى اجْتَمَعُوا عَلَى إِنْشَابِ الْحَرْبِ فِي السَّرِّ، وَاسْتَسَرُّوا بِذَلِكَ خَشْيَةً أَنْ يُفْطَنَ بِمَا حَاوَلُوا مِنَ الشَّرِّ، فَغَدَوْا مَعَ الْغَلَسِ، وَمَا يَشْعُرُ بِهِمْ حَيْرَانُهُمْ، انْسَلُّوا إِلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ انْسِلَالًا، وَعَلَيْهِمْ ظُلْمَةٌ، نَخَرَجَ مُضْرِبُهُمْ إِلَى مُضْرِبِهِمْ، وَرَبْعِيهِمْ إِلَى رَبْعِيهِمْ، وَيَمَانِيَهُمْ إِلَى يَمَانِيَهُمْ، فَوَضَعُوا فِيهِمُ السِّلَاحَ، فَثَارَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ، وَثَارَ كُلُّ قَوْمٍ فِي وَجْهِ أَصْحَابِهِمُ الَّذِينَ بَهَتُوهُمْ،

وَنَخَرَجَ الزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ فِي وَجْهِ النَّاسِ مِنْ مُضْرِبِ بَعْثَا إِلَى الْمِيْمَةِ، وَهُمْ رَبِيعَةٌ يَعْبُوهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، وَإِلَى الْمَيْسِرَةِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَتَابِ بْنِ أُسَيْدٍ، وَثَبَّتَا فِي الْقَلْبِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: طَرَقَنَا أَهْلُ الْكُوفَةِ لَيْلًا، فَقَالَا: قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ عَلِيًّا غَيْرُ مُنْتَهٍ حَتَّى يَسْفِكَ الدِّمَاءَ، وَيَسْتَحِلَّ الْحُرْمَةَ، وَأَنَّهُ لَنْ يُطَاوِعَنَا، ثُمَّ رَجَعَا بِأَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَقَصَفَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ، أُوْلَئِكَ حَتَّى رَدُّوهُمْ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، فَسَمِعَ عَلِيٌّ وَأَهْلُ الْكُوفَةِ الصَّوْتَ، وَقَدْ وَضَعُوا رَجُلًا قَرِيبًا مِنْ عَلِيٍّ لِيُخْبِرَهُ بِمَا يُرِيدُونَ، فَلَمَّا قَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: ذَاكَ الرَّجُلُ مَا فَجِنَا

إِلَّا وَقَوْمٌ مِنْهُمْ يَبْتَئُونَ، فَردَدْنَاهُمْ مِنْ حَيْثُ جَاءُوا، فَوَجَدْنَا الْقَوْمَ عَلَى رَجُلٍ فَرَكِبُونَا، وَثَارَ النَّاسُ، وَقَالَ عَلِيٌّ لِصَاحِبِ مِيْمَتِهِ: ائْتِ الْمِيْمَةَ، وَقَالَ لِصَاحِبِ مَيْسِرَتِهِ: ائْتِ الْمَيْسِرَةَ، وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ غَيْرُ مُنْتَهِيَيْنِ حَتَّى يَسْفِكََا الدِّمَاءَ، وَيَسْتَحِلَّا الْحُرْمَةَ، وَأَنَّهُمَا لَنْ يُطَاوِعَانَا، وَالسَّبِيَّةُ لَا تَفْتَرُ إِِنْشَابًا [وَنَادَى عَلِيٌّ فِي النَّاسِ: أَيُّهَا النَّاسُ، كُفُّوا فَلَا شَيْءَ، فَكَانَ مِنْ رَأْيِهِمْ جَمِيعًا فِي تِلْكَ الْفِتْنَةِ أَلَّا يَقْتَتِلُوا حَتَّى يَبْدُؤُوا، يَطْلُبُونَ بِذَلِكَ الْحُجَّةَ، وَيَسْتَحِقُّونَ عَلَى الْآخَرِينَ، وَلَا يَقْتُلُوا مُدْبِرًا، وَلَا يُجْهَرُوا عَلَى جَرِيحٍ، وَلَا يَتَّبِعُوا] فَكَانَ مِمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْفَرِيقَانِ وَنَادَوْا فِيمَا بَيْنَهُمَا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَأَبِي عَمْرٍو، قَالُوا: وَأَقْبَلَ كَعْبُ بْنُ سُوْرٍ حَتَّى أَتَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: أَدْرِيكَ فَقَدْ أَبَى الْقَوْمُ إِلَّا الْقِتَالَ، لَعَلَّ اللَّهَ يُصْلِحُ بِكَ فَرَكِبْتُ، وَأَلْبَسُوا هَوْدَجَهَا الْأَدْرَاعَ، ثُمَّ بَعَثُوا جَمَلَهَا، وَكَانَ جَمَلُهَا يُدْعَى عَسْكَرًا، حَمَلَهَا عَلَيْهِ يَعْلَى بْنُ أُمِيَّةَ، اشْتَرَاهُ بِمِائَتِي دِينَارٍ، فَلَمَّا بَرَزَتْ مِنَ الْبُيُوتِ- وَكَانَتْ بِحَيْثُ تَسْمَعُ الْغَوَاةَ- وَقَفَتْ، فَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ سَمِعَتْ غَوَاةً شَدِيدَةً، فَقَالَتْ:

مَا هَذَا؟ قَالُوا: ضَجَّةُ الْعَسْكَرِ، قَالَتْ: بِخَيْرٍ أَوْ بِشَرٍّ؟ قَالُوا: بِشَرٍّ قَالَتْ:

فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ كَانَتْ مِنْهُنَّ هَذِهِ الضَّجَّةُ فَهَمُ الْمَهْزُومُونَ وَهِيَ وَاقِفَةٌ، فَوَاللَّهِ مَا فَجَّئَهَا إِلَّا الْهَزِيمَةُ، فَخَضَى الزُّبَيْرُ مِنْ سُنَنِهِ فِي وَجْهِهِ، فَسَلَكَ وَادِي

٤٠٢١٠١٢ خبر وقعه الجمل من روايه اخرى

السَّبَاعِ، وَجَاءَ طَلْحَةُ سَهْمٌ غَرِبٌ يُخَلُّ رُكْبَتَهُ بِصَفْحَةِ الْفَرَسِ، فَلَمَّا امْتَلَأَ مَوْزَجُهُ دَمًا وَثَقُلَ قَالَ لِغُلَامِهِ: أَرْدِفْنِي وَأَمْسِكْنِي، وَابْغِنِي مَكَانًا أَنْزِلُ فِيهِ، فَدَخَلَ الْبَصْرَةَ وَهُوَ يَمِثِلُ مِثْلَهُ وَمِثْلَ الزُّبَيْرِ:

فَإِنْ تَكُنِ الْحَوَادِثُ أَقْصَدَتْنِي ... وَأَخْطَأَهُنَّ سَهْمِي حِينَ أَرْمِي
فَقَدْ ضَيَّعْتُ حِينَ تَبِعْتُ سَهْمًا ... سَفَاهًا مَا سَفِهْتُ وَضَلَّ حَلْبِي
نَدِمْتُ نَدَامَةً الْكَسْبِيِّ لَمَّا ... شَرَيْتُ رِضَا بَنِي سَهْمٍ بِرُغْمِي
أَطْعَمْتُهُمْ بِفُرْقَةٍ آلَ لَايٍّ ... فَأَلْقَوْا لِلسَّبَاعِ دَمِي وَلَحْمِي
خَبَرُ وَقْعَةِ الْجَمَلِ مِنْ رِوَايَةٍ أُخْرَى

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَمَّا غَيْرُ سَيْفٍ فَإِنَّهُ ذَكَرَ مِنْ خَبَرِ هَذِهِ الْوَقْعَةِ وَأَمْرَ الزُّبَيْرِ وَأَنْصَرَفَهُ عَنِ الْمَوْقِفِ الَّذِي كَانَ فِيهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ غَيْرَ الَّذِي ذَكَرَ
سَيْفٌ عَنْ صَاحِبِيهِ، وَالَّذِي ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ مَا حَدَّثَنِيهِ أَحْمَدُ بْنُ زَهِيرٍ، قَالَ:

حَدَّثَنَا أَبِي أَبُو خَيْثَمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ بْنُ حَازِمٍ، قَالَ:
سَمِعْتُ أَبِي قَالَ: سَمِعْتُ يُونُسَ بْنَ يَزِيدَ الْأَيْلِيَّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، فِي قِصَّةِ ذِكْرِهَا مِنْ خَبَرِ عَلِيٍّ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَعَائِشَةَ فِي مَسِيرِهِمُ الَّذِي نَحْنُ
فِي ذِكْرِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ قَالَ: وَبَلَغَ الْخَبْرُ عَلِيًّا - يَعْنِي خَبَرَ السَّبْعِينَ الَّذِينَ قُتِلُوا مَعَ الْعَبْدِيِّ بِالْبَصْرَةِ - فَأَقْبَلَ - يَعْنِي عَلِيًّا - فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا،
فَقَدَّمَ الْبَصْرَةَ، وَجَعَلَ يَقُولُ:

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى رَيْبِهِ ... رَيْبَةَ السَّامِعَةِ الْمُطِيعَةِ
سَنَتَهَا كَانَتْ بِهَا الْوَقِيعَةُ.

فَلَمَّا تَوَاقَفُوا خَرَجَ عَلِيٌّ عَلَى فَرَسِهِ، فَدَعَا الزُّبَيْرَ، فَتَوَاقَفَا، فَقَالَ عَلِيٌّ لِلزُّبَيْرِ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: أَنْتَ، وَلَا أَرَاكَ لِهَذَا الْأَمْرِ أَهْلًا، وَلَا أَوَّلَى بِهِ
مَنَا، [فَقَالَ عَلِيٌّ: لَسْتُ لَهُ أَهْلًا بَعْدَ عُثْمَانَ! قَدْ كُنَّا نَعُدُّكَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّى بَلَغَ ابْنُكَ ابْنَ السُّوءِ فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، وَعَظَّمَ عَلَيْهِ
أَشْيَاءَ، فَذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ص مَرَّ عَلَيْهِمَا فَقَالَ لِعَلِيٍّ: مَا يَقُولُ ابْنُ عَمَّتِكَ؟

لِيُقَاتِلَنَّكَ وَهُوَ لَكَ ظَالِمٌ] فَانْصَرَفَ عَنْهُ الزُّبَيْرُ، وَقَالَ: فَإِنِّي لَا أَقَاتِلُكَ فَارْجِعْ إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ: مَا لِي فِي هَذِهِ الْحَرْبِ بِصِيرَةٍ، فَقَالَ
لَهُ ابْنُهُ: إِنَّكَ قَدْ خَرَجْتَ عَلَى بِصِيرَةٍ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ رَايَاتِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَرَفْتَ أَنَّ تَحْتَهَا الْمَوْتَ، فَجَبُنْتَ فَأَحْفَظْهُ حَتَّى أَرْعُدَ
وَعُضِبَ، وَقَالَ: وَيْحَكَ! إِنِّي قَدْ حَلَفْتُ لَهُ أَلَّا أَقَاتِلَهُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ: كَفَّرَ عَنْ يَمِينِكَ بِعَتَقِ غُلَامِكَ سَرَجَسَ، فَأَعْتَقَهُ، وَقَامَ فِي الصَّفِّ
مَعَهُمْ، [وَكَانَ عَلِيٌّ قَالَ لِلزُّبَيْرِ: أَتَطْلُبُ مِنِّي دَمَ عُثْمَانَ وَأَنْتَ قَتَلْتَهُ! سَلَّطَ اللَّهُ عَلَى أَشَدِّنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ مَا يَكْرَهُ وَقَالَ عَلِيٌّ: يَا طَلْحَةُ، جِئْتُ
بِعَرَسِ رَسُولِ اللَّهِ ص تَقَاتِلُ بِهَا وَخَبَّاتِ عُرْسُكَ فِي الْبَيْتِ! أَمَا بَايَعْتَنِي! قَالَ: بَايَعْتُكَ وَعَلَى عُنُقِي اللَّجْجُ، فَقَالَ عَلِيٌّ لِأَصْحَابِهِ: أَيُّكُمْ
يَعْرِضُ عَلَيْهِمْ هَذَا الْمُصْحَفُ وَمَا فِيهِ، فَإِنْ قُطِعَتْ يَدُهُ أَخَذَهُ بِيَدِهِ الْأُخْرَى، وَإِنْ قُطِعَتْ أَخَذَهُ بِأَسْنَانِهِ؟ قَالَ فَتَى شَابٌّ: أَنَا، فَطَافَ
عَلِيٌّ عَلَى أَصْحَابِهِ يَعْزِضُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَقْبَلْهُ إِلَّا ذَلِكَ الْفَتَى، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: اعْرِضْ عَلَيْهِمْ هَذَا، وَقُلْ: هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى
آخِرِهِ، وَاللَّهُ فِي دِمَائِنَا وَدِمَائِكُمْ] فَحَمَلَ عَلَى الْفَتَى وَفِي يَدِهِ الْمُصْحَفُ، فَقُطِعَتْ يَدَاهُ، فَأَخَذَهُ بِأَسْنَانِهِ حَتَّى قُتِلَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: قَدْ طَابَ
لَكُمْ الضَّرَابُ فَقَاتَلُوهُمْ، فَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ سَبْعُونَ رَجُلًا، كُلُّهُمْ يَأْخُذُ بِخِطَامِ الْجَمَلِ، فَلَمَّا عَقَرَ الْجَمَلُ وَهَزَمَ النَّاسُ، أَصَابَتْ طَلْحَةَ رَمِيَةٌ فَقَتَلَتْهُ،
فَيَزْعُمُونَ أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ رَمَاهُ، وَقَدْ كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَخَذَ بِخِطَامِ جَمَلٍ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: مَنْ هَذَا؟

فَأَخْبَرَهَا، فَقَالَتْ: وَائْتَكُلْ أَسْمَاءُ! فَجَرَحَ، فَالْتَقَى نَفْسُهُ فِي الْجَرْحِ، فَاسْتُخْرِجَ فَبَرَأَ مِنْ جِرَاحَتِهِ، وَاحْتَمَلَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَائِشَةَ، فَضَرَبَ
عَلَيْهَا فُسْطَاطًا، فَوَقَفَ عَلَيَّهَا فَقَالَ: اسْتَفْزَزْتَ النَّاسَ وَقَدْ فَرُّوا، فَأَلَبَّتْ بَيْنَهُمْ، حَتَّى قَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي كَلَامٍ كَثِيرٍ فَقَالَتْ عَائِشَةُ:
يَا بَنِي طَالِبِ،

مَلَكَتْ فَأَنْبَجَ، نَعَمْ مَا أَبْلَيْتِ قَوْمَكَ الْيَوْمَ! فَسَرَحَهَا عَلِيٌّ، وَأَرْسَلَ مَعَهَا جَمَاعَةً مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ، وَجَهَّزَهَا، وَأَمَرَ لَهَا بِأَتْنِي عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الْمَالِ، فَاسْتَقَلَّ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، فَأَخْرَجَ لَهَا مَالًا عَظِيمًا، وَقَالَ: إِنَّ لَمْ يُجْزِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ عَلِيٌّ وَقَتْلَ الزُّبَيْرِ، فَرَعَمُوا أَنَّ ابْنَ جَرْمُوزٍ لَمَّا الَّذِي قَتَلَهُ، وَأَنَّهُ وَقَفَ بَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ لِحَاجِبِهِ: اسْتَأْذِنْ لِقَاتِلِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ عَلِيٌّ: ائْذَنْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُمَارَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، قَالَ:

أَخْبَرَنَا فَضِيلٌ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ قُرَّةَ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ جَوْنِ بْنِ قَتَادَةَ قَالَ قُرَّةُ بْنُ الْحَارِثِ: كُنْتُ مَعَ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ جَوْنُ ابْنِ قَتَادَةَ ابْنُ عَمِّي مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، حَدَّثَنِي جَوْنُ بْنُ قَتَادَةَ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمَّا جَاءَ فَارِسٌ يَسِيرُ وَكَانُوا يُسَلِّمُونَ عَلَى الزُّبَيْرِ بِالْأَمْرِ - فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ، قَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، قَالَ:

هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ قَدْ أَتَوْا مَكَانَ كَذَا وَكَذَا، فَلَمْ أَرَقَوْمًا أَرْتِ سِلَاحًا، وَلَا أَقَلَّ عَدَدًا، وَلَا أَرَعَبَ قُلُوبًا مِنْ قَوْمِ أَتُوكَ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ قَالَ: ثُمَّ جَاءَ فَارِسٌ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ، فَقَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، قَالَ:

جَاءَ الْقَوْمُ حَتَّى أَتَوْا مَكَانَ كَذَا وَكَذَا، فَسَمِعُوا بِمَا جَمَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكُمْ مِنَ الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ وَالْحَدِّ، فَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، فَوَلَّوْا مُدِيرِينَ، قَالَ الزُّبَيْرُ: أَيُّهَا عَنْكَ الْآنَ، فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَجِدْ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَّا الْعَرَجَ لَدَبَّ إِلَيْنَا فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ ثُمَّ جَاءَ فَارِسٌ وَقَدْ كَادَتْ الْخِيُولُ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الرَّحْجِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ، قَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، قَالَ: هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ قَدْ أَتُوكَ، فَلَقِيتُ عِمَارَ فَقُلْتُ لَهُ وَقَالَ لِي، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: إِنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ، فَقَالَ: بَلَى وَاللَّهِ إِنَّهُ لَفِيهِمْ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِمْ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِمْ قَالَ: وَاللَّهِ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِمْ، فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ يَخَالِفُهُ

قَالَ لِبَعْضِ أَهْلِهِ: ارْكَبْ فَانْظُرْ: أَحَقُّ مَا يَقُولُ! فَارْكَبَ مَعَهُ، فَانْطَلَقَا وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِمَا حَتَّى وَقَفَا فِي جَانِبِ الْخَيْلِ قَلِيلًا، ثُمَّ رَجَعَا إِلَيْنَا، فَقَالَ الزُّبَيْرُ لِصَاحِبِهِ: مَا عِنْدَكَ؟ قَالَ: صَدَقَ الرَّجُلُ، قَالَ الزُّبَيْرُ: يَا جَدَعَ أَنْفَاهُ - أَوْ يَا قَطَعَ ظَهْرَاهُ؟ - قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَارَةَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: قَالَ فَضِيلٌ:

لَا أَدْرِي أَيُّهُمَا قَالَ - ثُمَّ أَخَذَهُ أَفْكَلٌ، فَجَعَلَ السِّلَاحُ يَنْتَفِضُ، فَقَالَ جَوْنٌ: ثَكَلَتْنِي أُمِّي، هَذَا الَّذِي كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَمُوتَ مَعَهُ، أَوْ أَعِيشَ مَعَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَخَذَ هَذَا مَا أَرَى إِلَّا لَشِيءٍ قَدْ سَمِعَهُ أَوْ رَأَاهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا تَشَاغَلَ النَّاسُ انْصَرَفَ جَلَسَ عَلَى دَابَّتِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ، فَانْصَرَفَ جَوْنٌ جَلَسَ عَلَى دَابَّتِهِ، فَلَحِقَ بِالْأَخْنَفِ، ثُمَّ جَاءَ فَارِسَانِ حَتَّى أَتَيَا الْأَخْنَفَ وَأَصْحَابَهُ، فَتَزَلَا، فَاتَيَا فَأَجَبَا عَلَيْهِ، فَجَاجِيَاهُ سَاعَةً، ثُمَّ انْصَرَفَا ثُمَّ جَاءَ عَمْرُو بْنُ جَرْمُوزٍ إِلَى الْأَخْنَفِ، فَقَالَ:

أَدْرَكْتُهُ فِي وَادِي السَّبَاعِ فَقَتَلْتُهُ، فَكَانَ يَقُولُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ صَاحِبَ الزُّبَيْرِ الْأَخْنَفَ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا بِشِيرُ بْنُ عَاصِمٍ، عَنْ الْحَجَّاجِ بْنِ أَرْطَاةَ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الدُّهْنِيِّ - حَيٍّ مِنْ أَمْسٍ بِجَيْلَةٍ - قَالَ: أَخَذَ عَلِيٌّ مُصْحَفًا يَوْمَ الْجَمَلِ، فَطَافَ بِهِ فِي أَصْحَابِهِ، وَقَالَ: مَنْ يَأْخُذْ هَذَا الْمُصْحَفَ، يَدْعُوهُمْ إِلَى مَا فِيهِ وَهُوَ مَقْتُولٌ؟

فَقَامَ إِلَيْهِ فَتَى مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ عَلَيْهِ قَبَاءٌ أَيْضٌ مُحْشَوْ، فَقَالَ: أَنَا، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَأْخُذْ هَذَا الْمُصْحَفَ يَدْعُوهُمْ إِلَى مَا فِيهِ وَهُوَ مَقْتُولٌ؟ فَقَالَ الْفَتَى: أَنَا، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ مَقْتُولٌ؟

فَقَالَ الْفَتَى: أَنَا، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَأْخُذْ هَذَا الْمُصْحَفَ يَدْعُوهُمْ إِلَى مَا فِيهِ وَهُوَ مَقْتُولٌ؟ فَقَالَ الْفَتَى: أَنَا، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ،

فَدَعَاهُمْ فَقَطَّعُوا يَدَهُ الْيُمْنَى، فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ الْيُسْرَى، فَدَعَاهُمْ فَقَطَّعُوا يَدَهُ الْيُسْرَى، فَأَخَذَهُ بِصَدْرِهِ وَالدِّمَاءُ تَسِيلُ عَلَى قِبَائِهِ، فَقَتَلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ: الْآنَ حَلَّ قِتَالَهُمْ، فَقَالَتْ أُمُّ الْفَتَى بَعْدَ ذَلِكَ فِيمَا تَرَى: لَا هُمْ إِنْ مُسَلِّمًا دَعَاهُمْ يَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ لَا يَخْشَاهُمْ

وَأَمَّهُمْ قَائِمَةٌ تَرَاهُمْ يَأْتَمِرُونَ الْغِي لَا تَنَاهَهُمْ قَدْ خُضِبَتْ مِنْ عَاقٍ لِحَاهُمْ. حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: حَمَلَتْ مَيْمَنَةُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَيْسَرَةَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَاقْتَتَلُوا، وَلَاذِ النَّاسِ بِعَاشَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَكْثَرُهُمْ ضَبَّةً وَالْأَزْدَ، وَكَانَ قِتَالُهُمْ مِنْ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ إِلَى قَرِيبِ مِنَ الْعَصْرِ، وَيُقَالُ: إِلَى أَنْ زَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ انْهَزَمُوا، فَنادى رجل من الأزد: كروا، فضربه محمد بن علي فقطع يده، فنادى: يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ فَرُوا، وَاسْتَحِرَّ الْقَتْلَ بِالْأَزْدِ، فَنادوا: نَحْنُ عَلَى دِينِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثٍ بَعْدَ ذَلِكَ:

سَائِلُ بَنِي يَوْمٍ لَقِينَا الْأَزْدَ ... وَالْخَيْلُ تَعْدُو أَشْقَرًا وَوَرْدًا

لَمَا قَطَعْنَا كَبِدَهُمْ وَالزَّنْدَا ... سَحَقَا لَهُمْ فِي رَأْيِهِمْ وَبَعْدَا!

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: حَمَلَ عُمَرُ عَلَى الزُّبَيْرِ يَوْمَ الْجَمَلِ، فَجَعَلَ يَحُوزُهُ بِالرُّجْحِ، فَقَالَ: أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي؟ قَالَ: لَا، أَنْصَرِفْ، وَقَالَ عَامِرُ بْنُ حَفْصٍ: أَقْبَلَ عُمَرُ حَتَّى حَازَ الزُّبَيْرَ يَوْمَ الْجَمَلِ بِالرُّجْحِ، فَقَالَ:

أَتَقْتُلَنِي يَا أَبَا الْيَقْظَانِ! قَالَ: لَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ: قَالَا: وَلَمَا انْهَزَمَ النَّاسُ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، نَادَى الزُّبَيْرُ: أَنَا الزُّبَيْرُ، هَلُمُّوا إِلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ، وَمَعَهُ مَوْلَى لَهُ يُنَادِي: أَعْنِ حَوَارِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنْهَزُمُونَ! وَأَنْصَرِفَ الزُّبَيْرُ نَحْوَ وَادِي السَّبَاعِ، وَاتَّبَعَهُ فَرَسَانِ، وَتَشَاغَلَ النَّاسُ عَنْهُ بِالنَّاسِ، فَلَمَّا رَأَى الْفَرَسَانِ تَبِعَهُ عَطْفَ عَلَيْهِمْ، فَفَرَّقَ بَيْنَهُمْ،

فَكَرُوا عَلَيْهِ، فَلَمَّا عَرَفُوهُ قَالُوا: الزُّبَيْرُ! فَدَعَوْهُ، فَلَمَّا نَفَرَ فِيهِمْ عِلْبَاءُ بْنُ الْهَيْثَمِ، وَمَرَّ الْقَعْقَاعُ فِي نَفَرٍ بِطَلْحَةَ وَهُوَ يَقُولُ: إِلَى عِبَادِ اللَّهِ، الصَّبْرُ الصَّبْرُ! قَالَ لَهُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنَّكَ لَجُرْجِجٌ، وَإِنَّكَ عَمَّا تَرِيدُ لَعْلِيلٌ، فَادْخُلِ الْآيَاتِ، فَقَالَ: يَا غَلَامُ، أَدْخِلْنِي وَابْغِي مَكَانًا فَادْخُلِ الْبَصْرَةَ وَمَعَهُ غَلَامٌ وَرَجُلَانِ، فَاقْتَتَلَ النَّاسَ بَعْدَهُ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ فِي هَزِيمَتِهِمْ تَلْكَ وَهُمْ يَرِيدُونَ الْبَصْرَةَ.

فَلَمَّا رَأَوْا الْجَمَلَ أَطَافَتْ بِهِ مَضَرٌ عَادُوا قَلْبًا كَمَا كَانُوا حَيْثُ اتَّقَوْا، وَعَادُوا إِلَى أَمْرِ جَدِيدٍ، وَوَقَفَتْ رِبْعَةَ الْبَصْرَةِ، مِنْهُمْ مَيْمَنَةُ وَمِنْهُمْ مَيْسَرَةُ، وَقَالَتْ عَاشَةُ: خَلْ يَا كَعْبُ عَنِ الْبَعِيرِ، وَتَقَدَّمُ بِكَتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَادْعُهُمْ إِلَيْهِ، وَدَفَعَتْ إِلَيْهِ مَصْحَفًا وَأَقْبَلَ الْقَوْمَ وَأَمَامَهُمُ السَّبْيَةُ يَخَافُونَ أَنْ يَجْرِيَ الصَّلْحُ، فَاسْتَقْبَلَهُمْ كَعْبُ بِالْمَصْحَفِ، وَعَلَى مَنْ خَلْفَهُمْ يَزْعُمُهُمْ وَيَأْبُونَ إِلَّا إِقْدَامًا، فَلَمَّا دَعَاهُمْ كَعْبُ رَشَقُوهُ رَشَقًا وَاحِدًا، فَقَتَلُوهُ، وَرَمَوْا عَاشَةَ فِي هَوْدَجِهَا، فَجَعَلَتْ تَنَادِي: يَا بَنِي، الْبَقِيَّةُ الْبَقِيَّةُ - وَيَعْلُو صَوْتُهَا كَثْرَةً - اللَّهُ اللَّهُ، أَذْكُرُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَالْحِسَابَ، فَيَأْبُونَ إِلَّا إِقْدَامًا، فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ أَحْدَثَهُ حِينَ أَبَا أَنْ قَالَتْ: أَيُّهَا النَّاسُ، الْعُنَا قَتَلَةُ عُثْمَانَ وَأَشْيَاعَهُمْ، وَأَقْبَلَتْ تَدْعُو وَضَجَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ بِالْدَعَاءِ، وَسَمِعَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الدَّعَاءَ فَقَالَ:

مَا هَذِهِ الضَّجَّةُ؟ فَقَالُوا: عَاشَةُ تَدْعُو وَيَدْعُونَ مَعَهَا عَلَى قَتَلَةِ عُثْمَانَ وَأَشْيَاعِهِمْ، فَأَقْبَلَ يَدْعُو وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ الْعَنِ قَتْلَةَ عُثْمَانَ وَأَشْيَاعَهُمْ وَأَرْسَلَتْ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتَابٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ: اثْبَتَا مَكَانَكُمَا، وَذَمَرْتَ النَّاسَ حِينَ رَأَتْ أَنَّ الْقَوْمَ لَا يَرِيدُونَ غَيْرَهَا، وَلَا يَكْفُونَ عَنِ النَّاسِ، فَازْدَلَفَتْ مَضَرَ الْبَصْرَةِ، فَقَصَفَتْ مَضَرَ الْكُوفَةِ حَتَّى زُوْحِمَ عَلِيٌّ، فَخَسَّ عَلِيٌّ قَفَا مُحَمَّدٍ، وَقَالَ: احْمِلْ، فَنَكَلْ، فَاهْوَى عَلَى الرَايَةِ لِأَخْذِهَا مِنْهُ، فَحَمَلَ، فَتَرَكَ الرَايَةَ فِي يَدِهِ، وَحَمَلَتْ مَضَرَ الْكُوفَةِ، فَاجْتَدَلُوا قَدَامَ الْجَمَلِ حَتَّى

ضَرَسُوا، وَالْمَجْنِبَاتُ عَلَى حَالِهَا، لَا تَصْنَعُ شَيْئًا، وَمَعَ عَلِيٍّ أَقْوَامٌ غَيْرُ مَضَرٍ، فَفَنَّهُمْ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ: تَنَحَّ إِلَى قَوْمِكَ، مَا لَكَ وَلِهَذَا الْمَوْقِفُ! أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ مَضَرَ بِحْيَالِكَ، وَأَنَّ الْجَمَلَ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَأَنَّ الْمَوْتَ دُونَهُ! فَقَالَ: الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنَ الْحَيَاةِ، الْمَوْتُ مَا

أريد، فأصيب وأخوه سيحان، وارث صمصعة، واشتدت الحرب فلما رأى ذلك علي بعث إلى اليمن وإلى ربيعة: أن اجتمعوا على من يليكم، فقام رجل من عبد القيس فقال: ندعوكم إلى كتاب الله عز وجل، قالوا: وكيف يدعوننا إلى كتاب الله من لا يقيم حدود الله سبحانه، ومن قتل داعي الله كعب بن سور! فرمته ربيعة رشقا واحدا فقتلوه، وقام مسلم بن عبد الله العجلي مقامه، فرشقوه رشقا واحدا، فقتلوه، ودعت يمن الكوفة يمن البصرة فرشقوهم كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قال: كان القتال الأول يستحر إلى انتصاف النهار، وأصيب فيه طلحة رضي الله عنه، وذهب فيه الزبير، فلما أوا إلى عائشة وأبي أهل الكوفة إلا القتال، ولم يريدوا إلا عائشة، ذمرتهم عائشة، فاقتتلوا حتى تنادوا فتحاجزوا، فرجعوا بعد الظهر فاقتتلوا، وذلك يوم الخميس في جمادى الآخرة، فاقتتلوا صدر النهار مع طلحة والزبير، وفي وسطه مع عائشة، وتزاحف الناس، فهزمت يمن البصرة يمن الكوفة، وربيعه البصرة ربيعة الكوفة، ونهد علي بمضر الكوفة إلى مضر البصرة، [وقال: إن الموت ليس منه فوت، يدرك الهارب، ولا يترك المقيم].

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: حدثنا أبو عبد الله القرشي، عن يونس بن أرقم، عن علي بن عمرو الكندي، عن زيد بن حساس، قال: سمعت محمد بن الحنفية يقول: دفع إلي أبي الراية يوم الجمل، وقال: تقدم، فتقدمت حتى لم أجد متقدما إلا علي ربح، قال:

تقدم لا أم لك! فتكأأت وقلت: لا أجد متقدما إلا علي سنان ربح،

فتناول الراية من يدي متناول لا أدري من هو! فنظرت فإذا أبي بين يدي وهو يقول:

أنت التي غرك مني الحسنى ... يا عيش إن القوم قوم أعدا

الخفض خير من قتال الأبناء.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قال:

اقتلت المجنبتان حين تزاحفتا قتالا شديدا، يشبه ما فيه القلبان، واقتتل أهل اليمن، فقتل على راية أمير المؤمنين من أهل الكوفة عشرة،

كلها أخذها رجل قتل خمسة من همدان وخمسة من سائر اليمن، فلما رأى ذلك يزيد بن قيس أخذها، فثبتت في يده وهو يقول:

قد عشت يا نفس وقد غنيت ... دهرا فقطك اليوم ما بقيت

أطلب طول العمر ما حييت.

وإنما تمثلها وهو قول الشاعر قبله وقال ثمران بن أبي ثمران الهمداني:

جردت سيفي في رجال الأزد أضرب في كهولهم والمرد كل طويل الساعدين نهد.

وأقبلت ربيعة، فقتل على راية المبصرة من أهل الكوفة زيد، وصرع صمصعة، ثم سيحان، ثم عبد الله بن ربيعة بن المغيرة، ثم أبو عبيدة

بن راشد ابن سلمى وهو يقول: اللهم أنت هديتنا من الضلالة، واستنقذتنا من الجهالة، وابتليتنا بالفتنة، فكا في شبهة وعلى ربيعة، حتى

قتل، ثم الحصين ابن معبد بن النعمان، فأعطاها ابنه معبدا، وجعل يقول: يا معبد، قرب لها بوها تحذب، فثبتت في يده.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قال:

لما رأت الكجاة من مضر الكوفة ومضر البصرة الصبر تنادوا في عسكر عائشة وعسكر علي: يا أيها الناس، طرفوا إذا فرغ الصبر، ونزع

النصر فجعلا

يتوجئون الاطراف: الأيدي والارجل، فما رثيت وقعة قط قبلها ولا بعدها، ولا يسمع بها أكثر يدا مقطوعة ورجلا مقطوعة منها، لا

يدري من صاحبها وأصيب يد عبد الرحمن بن عتاب يومئذ قبل قتله، وكان الرجل من هؤلاء هؤلاء إذا أصيب شيء من أطرافه

استقتل إلى أن يقتل.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الصعب بن عطية ابن بلال، عن أبيه، قال: اشتد الأمر حتى أرزت ميمنة الكوفة

إِلَى الْقَلْبِ، حَتَّى لَزَقَتْ بِهِ، وَلَزَقَتْ مَيْسِرَةَ الْبَصْرَةِ بِقَلْبِهِمْ، وَمَنْعُوا مَيْمَنَةَ أَهْلِ الْكُوفَةِ أَنْ يَخْتَلِطُوا بِقَلْبِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا إِلَى جَنْبِهِمْ، وَفَعَلَ
مِثْلَ ذَلِكَ مَيْسِرَةُ الْكُوفَةِ وَمَيْمَنَةُ الْبَصْرَةِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- لِمَنْ عَنْ يَسَارِهَا: مَنْ الْقَوْمُ؟
قَالَ صَبْرَةُ بْنُ شَيْمَانَ: بَنُو الْأَزْدِ، قَالَتْ: يَا آلَ عَسَّانِ! حَافِظُوا الْيَوْمَ جِلَادَ كُرِّ الَّذِي كُنَّا نَسْمَعُ بِهِ، وَتَمَثَّلَتْ:

وَجَالِدٌ مِنْ عَسَّانٍ أَهْلُ حِفَاطِهَا ... وَهَنْبٌ وَأَوْسٌ جَالِدَتْ وَشَبِيبٌ
وَقَالَتْ لِمَنْ عَنْ يَمِينِهَا: مَنْ الْقَوْمُ؟ قَالُوا: بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ، قَالَتْ: لَكُمْ يَقُولُ الْقَائِلُ:

وَجَاءُوا إِلَيْنَا فِي الْحَدِيدِ كَانَهُمْ ... مِنَ الْعِزَّةِ الْقَعَسَاءِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ
إِنَّمَا بِإِزَائِكُمْ عَبْدُ الْقَيْسِ فَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ الْقِتَالِ مِنْ قِتَالِهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ، وَأَقْبَلْتُ عَلَى كَتِيبَةٍ بَيْنَ يَدَيْهَا، فَقَالَتْ: مَنْ الْقَوْمُ؟ قَالُوا: بَنُو نَاجِيَةَ،
قَالَتْ: نَحْ! سَيْوْفٌ أَبْطَحِيَّةٌ، وَسَيْوْفٌ قُرْشِيَّةٌ، فَجَالِدُوا جِلَادًا يُتَفَادَى مِنْهُ ثُمَّ أَطَافَتْ بِهَا بَنُو ضَبَّةٍ، فَقَالَتْ: وَبِهَا جَمْرَةُ الْجَمْرَاتِ! حَتَّى
إِذَا رَقُوا خَالَطَهُمْ بَنُو عَدِيٍّ، وَكَثَرُوا حَوْلَهَا، فَقَالَتْ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا:

بَنُو عَدِيٍّ، خَالَطَنَا إِخْوَانُنَا، فَقَالَتْ: مَا زَالَ رَأْسُ الْجَمَلِ مُعْتَدِلًا حَتَّى قُتِلَتْ بَنُو ضَبَّةٍ حَوِيٍّ، فَأَقَامُوا رَأْسَ الْجَمَلِ، ثُمَّ ضَرَبُوا ضَرْبًا لَيْسَ
بِالتَّعْذِيرِ،

وَلَا يَعْدِلُونَ بِالتَّطْرِيفِ، حَتَّى إِذَا كَثُرَ ذَلِكَ وَظَهَرَ فِي الْعَسْكَرَيْنِ جَمِيعًا.

رَامُوا الْجَمَلَ وَقَالُوا: لَا يَزَالُ الْقَوْمُ أَوْ يَصْرَعُ، وَأَرَزْتُ مَجْنَبَتَا عَلِيٍّ فَصَارَتَا فِي الْقَلْبِ، وَفَعَلَ ذَلِكَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ، وَكَرِهَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا،

وَتَلَاقَوْا جَمِيعًا بِقَلْبِهِمْ، وَأَخَذَ ابْنُ يَثْرِيٍّ بِرَأْسِ الْجَمَلِ وَهُوَ يَرْتَجِزُ، وَادْعَى قَتْلَ عِلْبَاءِ ابْنِ الْهَيْثَمِ وَزَيْدِ بْنِ صُوحَانَ وَهَنْدَ بْنَ عَمْرٍو، فَقَالَ:

أَنَا لِمَنْ يَنْكُرُنِي ابْنُ يَثْرِيٍّ قَاتِلُ عِلْبَاءِ وَهَنْدِ الْجَمَلِيِّ وَابْنِ لَصُوحَانَ عَلَى دِينِ عَلِيٍّ.

فَنَادَاهُ عَمَّارٌ: لَقَدْ لَعَمْرِي لَذْتَ بِحَرِيرِزٍ، وَمَا إِلَيْكَ سَبِيلٌ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَاخْرُجْ مِنْ هَذِهِ الْكَتِيبَةِ إِلَيَّ، فَتَرَكَ الزَّمَامَ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْ
بَنِي عَدِيٍّ حَتَّى كَانَ بَيْنَ أَصْحَابِ عَائِشَةَ وَأَصْحَابِ عَلِيٍّ، فَزَحَمَ النَّاسُ عَمَّارًا حَتَّى أَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَاتَّقَاهُ عَمَّارٌ بِدَرْقَتِهِ، فَضَرَبَهُ فَانْتَشَبَ سَيْفُهُ

فِيهَا، فَعَالَجَهُ فَلَمْ يَخْرُجْ، فَخَرَجَ عَمَّارٌ إِلَيْهِ لَا يَمْلِكُ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا، فَاسْفَ عَمَّارٌ لِرَجْلَيْهِ فَقَطَعَهُمَا، فَوَقَعَ عَلَى اسْتِهِ، وَحَمَلَهُ أَصْحَابُهُ، فَارْتَثَ
بَعْدُ، فَأَتَى بِهِ عَلِيٌّ، فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ وَلَمَّا أُصِيبَ ابْنُ يَثْرِيٍّ تَرَكَ ذَلِكَ الْعَدُوِّيَّ الزَّمَامَ، ثُمَّ خَرَجَ فَنَادَى: مَنْ يَبَارِزُ؟ فَخَنَسَ عَمَّارٌ، وَبَرَزَ
إِلَيْهِ رَيْبَعَةُ الْعَقِيلِيُّ- وَالْعَدُوِّيُّ يَدْعَى عَمْرَةَ بْنَ بَجْرَةَ، أَشَدُّ النَّاسِ صَوْتًا، وَهُوَ يَقُولُ:

يَا أُمَّنَا اعْقِ أَمْ نَعْلَمُ ... وَالَامْ تَغْذُو وَلَدًا وَتَرَحَّمْ

أَلَا تَرَيْنَ كَمْ شُجَاعٍ يَكْلُمُ ... وَتُخْتَلِي مِنْهُ يَدٌ وَمِعْصَمُ!

ثُمَّ اضْطَرَبَا، فَأَتَخَنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، فَمَاتَا.

وَقَالَ عَطِيَّةُ بْنُ بِلَالٍ: وَلَحِقَ بِنَا مِنْ آخِرِ النَّهَارِ رَجُلٌ يُدْعَى الْحَارِثُ، مِنْ بَنِي ضَبَّةٍ، فَقَامَ مَقَامَ الْعَدُوِّيِّ، فَمَا رَأَيْنَا رَجُلًا قَطُّ أَشَدَّ مِنْهُ،
وَجَعَلَ يَقُولُ:

نَحْنُ بَنِي ضَبَّةٍ أَصْحَابُ الْجَمَلِ ... نَنْعَى ابْنَ عَفَانَ بِأَطْرَافِ الْأَسْلِ

الْمَوْتُ أَحْلَى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسَلِ ... رُدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمَّ بَجَلْ

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، عَنْ الْمَفْضَلِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَدِيٍّ بْنِ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ الْعَطَارْدِيِّ، قَالَ: إِنِّي لَأَنْظُرُ
إِلَى رَجُلٍ يَوْمَ الْجَمَلِ وَهُوَ يَقْلِبُ سَيْفًا بِيَدِهِ كَأَنَّهُ مَخْرَاقٌ، وَهُوَ يَقُولُ:

نَحْنُ بَنِي ضَبَّةٍ أَصْحَابُ الْجَمَلِ نَنَازِلُ الْمَوْتَ إِذَا الْمَوْتُ نَزَلَ وَالْمَوْتُ أَشْهَى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسَلِ نَنْعَى ابْنَ عَفَانَ بِأَطْرَافِ الْأَسْلِ رَدُّوا عَلَيْنَا

شيخنا ثم بجل.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، عَنِ الْمُفَضَّلِ الضِّيِّ، قَالَ:

كَانَ الرَّجُلُ وَسِيمٌ بَنُ عَمْرُو بْنِ ضِرَارِ الضِّيِّ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، عَنِ الْهَذَلِيِّ، قَالَ: كَانَ عَمْرُو بْنُ يَثْرِيٍّ يُحْضِضُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ، وَقَدْ تَعَاوَرُوا الْخِطَامَ يَرْتَجِزُونَ:

نَحْنُ بَنِي ضَبَّةَ لَا نَفِرُ حَتَّى نَرَى جَهَاجَهَا تَخْرُجُ مِنْهَا الْعَلَقُ الْمُحْمَرُّ

يَا أُمَّنَا يَا عَيْشَ لَنْ تَرَاعِي ... كُلُّ بَنِيكَ بَطْلُ شِجَاعٍ

يَا أُمَّنَا يَا زَوْجَةَ النَّبِيِّ ... يَا زَوْجَةَ الْمُبَارَكِ الْمَهْدِيِّ

حَتَّى قُتِلَ عَلَى الْخِطَامِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

مَا زَالَ جَمَلِي مُعْتَدِلًا حَتَّى فَقَدْتُ أَصَوَاتَ بَنِي ضَبَّةَ وَقَتْلَ يَوْمِئِذٍ عَمْرُو بْنُ يَثْرِيٍّ عِلْبَاءَ بْنِ الْهَيْثَمِ السَّدُوسِيِّ وَهَنْدَ بْنَ عَمْرِو الْجَمَلِيِّ، وَزَيْدَ بْنَ

صُوحَانَ وَهُوَ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ:

أَضْرِبُهُمْ وَلَا أَرَى أَبَا حَسَنٍ ... كَفَى بِهِذَا حُزْنًا مِنَ الْحُزَنِ

إِنَّا نَمُرُّ الْأَمَرَ إِمْرَارَ الرَّسَنِ.

فَزَعَمَ الْهَذَلِيُّ أَنَّ هَذَا الشَّعْرَ تَمَثَّلَ بِهِ يَوْمَ صَفَيْنَ وَعَرَضَ عَمَارُ لِعَمْرُو بْنِ يَثْرِيٍّ - وَعَمَّارُ يَوْمِئِذٍ ابْنُ تِسْعِينَ سَنَةً، عَلَيْهِ فَرَقٌ قَدْ شَدَّ وَسَطُهُ

بِحَبْلِ مِنْ لَيْفٍ - فَبَدَرَهُ عَمْرُو بْنُ يَثْرِيٍّ فَفَحَى لَهُ دِرْقَتَهُ فَتَشَبَّ سَيْفُهُ فِيهَا، وَرَمَاهُ النَّاسُ حَتَّى صَرَعَ وَهُوَ يَقُولُ:

إِنْ تَقْتُلُونِي فَأَنَا ابْنُ يَثْرِيٍّ ... قَاتِلُ عِلْبَاءَ وَهَنْدَ الْجَمَلِيِّ

ثُمَّ ابْنُ صُوحَانَ عَلَى دِينَ عَلِيٍّ.

وَأَخَذَ أَسِيرًا حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ: اسْتَبْقِنِي فَقَالَ: أَبْعَدَ ثَلَاثَةَ ثُقُلٍ عَلَيْهِمْ بِسَيْفِكَ تَضْرِبُ بِهِ وَجُوهَهُمْ! فَامَرَ بِهِ فُقِتِلَ.

وَحَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَخْنَفٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاشِدٍ، عَنْ عِبَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

مَشَيْتُ يَوْمَ الْجَمَلِ وَبِي سَبْعٌ وَثَلَاثُونَ جِرَاحَةً مِنْ ضَرْبَةِ وَطْعَنَةٍ، وَمَا رَأَيْتُ مِثْلَ يَوْمِ الْجَمَلِ قَطُّ، مَا يَنْهَزُ مِنْ أَحَدٍ، وَمَا نَحْنُ إِلَّا كَالْجَبَلِ

الْأَسْوَدِ، وَمَا يَأْخُذُ بِخِطَامِ الْجَمَلِ أَحَدٌ إِلَّا قُتِلَ، فَأَخَذَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَتَابٍ فُقِتِلَ، فَأَخَذَهُ الْأَسْوَدُ بْنُ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ فَصَرَعَ، وَجِئْتُ

فَأَخَذْتُ بِالْخِطَامِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ قَالَتْ: وَاتَّكَلِ أَسْمَاءُ! وَمَرَّ بِي الْأَشْترُ، فَعَرَفْتُهُ فَعَانَقْتُهُ، فَسَقَطْنَا

جَمِيعًا، وَنَادَيْتُ: اقْتُلُونِي وَمَالِكًا، فَجَاءَ نَاسٌ مِنْهُمْ، فَقَاتَلُوا عَنَّا حَتَّى تَحَاجَرْنَا، وَضَاعَ الْخِطَامُ، [وَنَادَى عَلِيٌّ: اعْقِرُوا الْجَمَلَ، فَإِنَّهُ إِنْ

عُقِرَ تَفَرَّقُوا] فَضْرَبَهُ رَجُلٌ فَسَقَطَ، فَمَا سَمِعْتُ صَوْتًا قَطُّ أَشَدَّ مِنْ عَجِيجِ الْجَمَلِ.

وَأَمَرَ عَلِيُّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ فَضْرَبَ عَلِيًّا قَبَّةً، وَقَالَ: انْظُرْ، هَلْ وَصَلَ إِلَيْهَا شَيْءٌ؟ فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ، فَقَالَتْ: مَنْ أَنْتَ؟ وَيْلَكَ! فَقَالَ: أَبْغِضُ

أَهْلَكَ إِلَيْكَ، قَالَتْ: ابْنُ الْخَنَعَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَاكَ

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَ ابْنَ عِيَّاشٍ يَقُولُ: قَالَ عَلْقَمَةُ: قُلْتُ لِلْأَشْترِ: قَدْ كُنْتَ كَارَهَا لِقَتْلِ

عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَمَا أَخْرَجَكَ بِالْبَصْرَةِ؟

قَالَ: إِنْ هَؤُلَاءِ بَايَعُوهُ، ثُمَّ نَكثُوا - وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ هُوَ الَّذِي أَكْرَهَ عَائِشَةَ عَلَى الْخُرُوجِ - فَكُنْتُ أَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَلْقِيَنِي، فَلَقِيَنِي كَفَّةٌ

لكفة، فما رضيت بشدة ساعدي أن قتت في الركاب فضربته على رأسه فصرعته.

قلنا فهو القاتل: اقتلوني ومالكاً؟ قَالَ: لَا، مَا تَرَكْتَهُ فِي نَفْسِي مِنْهُ شَيْءٌ، ذَاكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتَابِ بْنِ أُسَيْدٍ، لَقِينِي فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ، فَصَرَعَنِي وَصَرَعْتَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ اقْتُلُونِي وَمَالَكَا، وَلَا يَعْلَمُونَ مِنْ مَالِكَ، فَلَوْ يَعْلَمُونَ لَقَتُلُونِي.

ثُمَّ قَالَ أَبُو بَكْرٌ بْنُ عِيَّاشٍ: هَذَا كِتَابُكَ شَاهِدُهُ.

حَدَّثَنِي بِهِ الْمُغِيرَةُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِلْأَشْتَرِ:

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ النَّضْرِ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: وَقَفَ عَلَيْنَا شَابٌّ، فَقَالَ: احْذَرُوا هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، فَذَكَرَهُ - وَعَلَامَةُ الْأَشْتَرِ أَنْ إِحْدَى قَدَمَيْهِ بَادِيَةٌ مِنْ شَيْءٍ يَجِدُّ بِهَا - قَالَ:

لَمَّا التَّقِينَا قَالَ الْأَشْتَرُ: لَمَّا قَصَدَ لِي سَوَى رُحْمِهِ لِرَجُلِي، قُلْتُ: هَذَا أَحَقُّ، وَمَا عَسَى أَنْ يُدْرِكَ مِنِّي لَوْ قَطَعَهَا! أَلَسْتُ قَاتِلَهُ! فَلَمَّا دَنَا مِنِّي جَمَعَ يَدَيْهِ فِي الرَّحْمِ، ثُمَّ اتَّسَسَ بِهِ وَجْهِي، قُلْتُ: أَحَدُ الْأَقْرَانِ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ، عَنْ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُنْدُبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: كَانَ عَمْرُو بْنُ الْأَشْرَفِ أَخَذَ بِخَطَامِ الْجَمَلِ، لَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ إِلَّا خَبَطَهُ بِسَيْفِهِ، إِذْ أَقْبَلَ الْحَارِثُ بْنُ زُهَيْرٍ الْأَزْدِيُّ وَهُوَ يَقُولُ:

يَا أَمْنًا يَا خَيْرٌ أَمْ نَعْلَمُ ... أَمَا تَرَيْنَ كَمْ شُجَاعٍ يَكْلَمُ!

وَتَحْتَلِي هَامَتُهُ وَالْمَعْصَمُ!

فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَرَأَيْتُهُمَا يَفْحَصَانِ الْأَرْضَ بِأَرْجُلَيْهِمَا حَتَّى مَاتَا.

فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَتْ: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ:

رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ، أَسْكُنُ الْكُوفَةَ، قَالَتْ: أَشْهَدُتَنَا يَوْمَ الْجَمَلِ؟ قُلْتُ:

نَعَمْ، قَالَتْ: أَلَنَا أَمْ عَلَيْنَا؟ قُلْتُ: عَلَيْكُمْ، قَالَتْ: أَفَتَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ:

يَا أَمْنًا يَا خَيْرٌ أَمْ نَعْلَمُ.

قُلْتُ: نَعَمْ، ذَاكَ ابْنُ عَمِّي، فَبَكَتْ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهَا لَا تَسْكُتُ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي لَيْلَى، عَنْ دِينَارِ بْنِ الْعِزَّارِ، قَالَ: سَمِعْتُ الْأَشْتَرَ يَقُولُ: لَقِيتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتَابِ بْنِ أُسَيْدٍ، فَلَقِيتُ أَشَدَّ النَّاسِ وَأَرْوَعَهُ، فَعَانَقْتَهُ، فَسَقَطْنَا إِلَى الْأَرْضِ جَمِيعًا، فَنَادَى: اقْتُلُونِي وَمَالَكَا.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي لَيْلَى، عَنْ دِينَارِ بْنِ الْعِزَّارِ، قَالَ: سَمِعْتُ الْأَشْتَرَ يَقُولُ: رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حَزَامٍ مَعَهُ رَايَةُ قَرِيشَ، وَعَدِي بْنُ حَاتِمِ الطَّائِيٍّ وَهُمَا يَتَصَاوِلَانِ كَالْفَحْلَيْنِ، فَتَعَاوَرَنَاهُ فَقَتَلَنَاهُ - يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ - فَطَعَنَ عَبْدَ اللَّهِ عَدِيًا فَفَقَأَ عَيْنَهُ حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ، عَنْ عَمِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عِدَّةٌ مِنْ أَشْيَاحِ الْحَيِّ كُلِّهِمْ شَهِدَ الْجَمَلَ، قَالُوا: كَانَتْ رَايَةُ الْأَزْدِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيمٍ، فَقَتَلَ يَوْمَئِذٍ، فَتَنَاولَ الرَايَةَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ الصَّقْعَبِ وَأَخُوهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَلِيمٍ، فَقَتَلُوهُ، فَأَخَذَهَا الْعَلَاءُ بْنُ عُرْوَةَ، فَكَانَ الْفَتْحُ، وَهِيَ فِي يَدِهِ، وَكَانَتْ رَايَةُ عَبْدِ الْقَيْسِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ مَعَ الْقَاسِمِ بْنِ مُسْلَمٍ، فَقَتَلَ وَقَتَلَ مَعَهُ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ وَسِيحَانُ بْنُ صُوحَانَ، وَأَخَذَ الرَايَةَ عِدَّةٌ مِنْهُمْ فَقَتَلُوا، مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَقَبَةَ،

وَرَأَشِدُ ثُمَّ أَخَذَهَا مَنْقُذُ بْنُ النُّعْمَانِ، فَدَفَعَهَا إِلَى ابْنِهِ مَرَّةً بَنَ مَنْقُذُ، فَانْقَضَى الْأَمْرُ وَهِيَ فِي يَدِهِ، وَكَانَتْ رَايَةُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ مِنْ أَهْلِ

الْكُوفَةَ فِي بَنِي ذَهْلٍ، كَانَتْ مَعَ الْحَارِثِ بْنِ حَسَانَ بْنِ خُوَاطِ الذَّهْلِيِّ، فَقَالَ أَبُو الْعَرْفَاءِ الرَّقَاشِيُّ: أَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ وَقَوْمِكَ، فَأَقْدَمَ وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ لَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَ مِثْلُ مَنْزِلَةِ صَاحِبِكُمْ، فَانْصُرُوهُ، فَأَقْدَمَ، فَقَتَلَ وَقَتَلَ ابْنَهُ وَقَتَلَ خَمْسَةَ إِخْوَةٍ لَهُ، فَقَالَ لَهُ يَوْمَئِذٍ بَشْرُ بْنُ خُوَاطٍ وَهُوَ يَقَاتِلُ:

أَنَا ابْنُ حَسَانَ بْنِ خُوَاطٍ وَأَبِي ... رَسُولُ بَكْرِ كُلِّهَا إِلَى النَّبِيِّ

وَقَالَ ابْنُهُ:

أَنْعَى الرَّئِيسَ الْحَارِثَ بْنَ حَسَانَ ... لَأَلْ ذَهْلٍ وَلَأَلْ شَيْبَانَ

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ ذَهْلٍ:

تَتَعَى لَنَا خَيْرُ أَمْرٍ مِنْ عَدْنَانَ ... عِنْدَ الطَّعَانِ وَنَزَالِ الْأَقْرَانِ

وَقَتَلَ رَجُلًا مِنْ بَنِي مُحَدَّجٍ، وَكَانَتْ الرِّيَاسَةُ لَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَقَتَلَ مِنْ بَنِي ذَهْلٍ خَمْسَةَ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا، فَقَالَ رَجُلٌ لِأَخِيهِ وَهُوَ يَقَاتِلُ: يَا أَخِي، مَا أَحْسَنَ قِتَالَنَا إِنْ كُنَّا عَلَى حَقٍّ! قَالَ: فَإِنَّا عَلَى الْحَقِّ، إِنْ النَّاسُ أَخَذُوا يَمِينَنَا وَشِمَالَنَا، وَإِنَّمَا تَمَسَّكُوا بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِينَا، فَقَاتَلَا حَتَّى قَتَلَا وَكَانَتْ رِيَاسَةُ عَبْدِ الْقَيْسِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ - وَكَانُوا مَعَ عَلِيٍّ - لَعَمْرُؤُا بْنِ مَرْحُومٍ، وَرِيَّاسَةُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ لَشَقِيقِ بْنِ ثَوْرٍ، وَالرِّيَاسَةُ مَعَ رَشْرَاشِهِ مَوْلَاهُ، وَرِيَّاسَةُ الْأَزْدِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ - وَكَانُوا مَعَ عَائِشَةَ - لَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جِشْمِ بْنِ أَبِي حَنِينٍ الْحَمَامِيِّ - فِيمَا حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ حَفْصٍ، وَيُقَالُ لِبَصْرَةَ بْنِ شَيْمَانَ الْحَدَّانِيِّ - وَالرِّيَاسَةُ مَعَ عَمْرُو بْنِ الْأَشْرَفِ الْعَتَكِيِّ، فَقَتَلَ وَقَتَلَ مَعَهُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ. حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو لَيْلَى، عَنْ أَبِي عَكَاشَةَ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ رِفَاعَةَ الْبَجَلِيِّ، عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ الطَّائِيِّ، قَالَ: أَطَافَتْ ضَبَّةُ وَالْأَزْدِ بِعَائِشَةَ يَوْمَ الْجَمَلِ، وَإِذَا رَجُلًا مِنَ الْأَزْدِ يَأْخُذُونَ بِعَرِ الْجَمَلِ فَيَفْتُونَهُ وَيَشْمُونَهُ، وَيَقُولُونَ: بَعْرُ جَمَلٍ أَمْنَا رِيحُهُ رِيحُ الْمَسْكَ، وَرَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ يَقَاتِلُ وَيَقُولُ:

جَرَدْتُ سَيْفِي فِي رِجَالِ الْأَزْدِ ... أَضْرِبُ فِي كَهُولِهِمُ وَالْمَرْدِ

كُلَّ طَوِيلِ السَّاعِدِينَ نَهْدَ.

وَمَاجَ النَّاسَ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَصَرَخَ صَارِخٌ: اعْقَرُوا الْجَمَلَ، فَضْرِبُهُ بِجَبْرِ بْنِ دَلْجَةَ الضَّبِّيِّ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَقِيلَ لَهُ: لَمْ عَقَرْتَهُ؟ فَقَالَ: رَأَيْتُ قَوْمِي يَقْتُلُونَ، نَخَفْتُ أَنْ يَفْنَوْا، وَرَجَوْتُ أَنْ يَبْقَى لَهُمْ بَقِيَّةٌ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الصَّلْتُ بْنُ دِينَارٍ، قَالَ: أَتَانِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَقِيلٍ إِلَى كَعْبِ بْنِ سُوْرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَهُوَ مُقْتَوْلٌ، فَوَضَعَ زَجْرَ رَحِمِهِ فِي عَيْنَيْهِ، ثُمَّ خَضَخَضَهُ، وَقَالَ: مَا رَأَيْتُ مَالًا قَطُّ أَحْكَمَ نَقْدًا مِنْكَ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَوَانَةُ، قَالَ:

اقْتَتَلُوا يَوْمَ الْجَمَلِ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ:

شَفَى السَّيْفُ مِنْ زَيْدٍ وَهَنْدٍ نَفُوسَنَا ... شَفَاءٌ وَمِنْ عَيْنِي عَدِيَّ بْنِ حَاتِمٍ

صَبَرْنَا لَهُمْ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ كُلِّهِ ... بِصَمِّ الْقَنَا وَالْمَرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ

وَقَالَ ابْنُ صَامَتٍ:

يَا ضَبُّ سِيرِي فَإِنَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ ... عَلَى شِمَالِكَ إِنْ الْمَوْتُ بِالْقَاعِ

كَتَبِيَّةُ كَشَعَالِ الشَّمْسِ إِذْ طَلَعَتْ ... لَهَا أَتَى إِذَا مَا سَالَ دِفَاعُ

إِذَا نَقِمَ لَكُمْ فِي كُلِّ مَعْتَرَكٍ ... بِالْمُشْرِفَةِ ضَرْبًا غَيْرَ إِبْدَاعِ

حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا رُوحُ بْنُ عَبَّادَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا رُوحٌ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ، قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا قَدِ اصْطَلَمَتْ أُذُنُهُ، قَلَّتْ:

أَخْلَقَتْ، أَمْ شَيْءٌ أَصَابَكَ؟ قَالَ: أَحَدْتُكَ، بَيْنَا أَنَا أَمْشِي بَيْنَ الْقَتْلَى يَوْمَ الْجَمَلِ، فَإِذَا رَجُلٌ يَفْحَصُ بِرِجْلِهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

لَقَدْ أَوْرَدْتَنَا حَوْمَةَ الْمَوْتِ أَمْنَا ... فَلَمْ نَنْصَرَفْ إِلَّا وَنَحْنُ رَوَاءُ

أطعنا قريشا ضلة من حلومنا ... ونصرتنا أهل الحجاز عناء
قلت: يَا عَبْدَ اللَّهِ، قل لا إله إلا الله، قَالَ: ادن مني، ولقني فإن في أذني وقراء فدنوت منه، فَقَالَ لي: ممن أنت؟ قلت: رجل من الكوفة، فوثب علي، فاصطم أذني كما ترى، ثُمَّ قَالَ: إذا لقيت أمك فأخبرها أن عمير بن الأهلبي الضبي فعل بك هذا.
حَدَّثَنِي عمر، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُفَضَّلُ الرَّائِي وَعَامر بن حفص وعبد المجيد الأسدي، قَالُوا: جرح يوم الجمل عمير بن الأهلبي الضبي، ففريه رجل من أصحاب علي وهو في الجرحى، فَقَالَ لَهُ عمير: ادن مني، فدنا منه، ففقطعه أذنه، وَقَالَ عمير بن الأهلبي: لقد أوردتنا حومة الموت أمنا ... فلم ننصرف إلا ونحن رواء
لقد كَانَ عن نصر ابن ضبة أمه ... وشيعتها مندوحة وغناء
أطعنا بني تميم بن مرة شقوة ... وهل تميم إلا أعبد وإماء!
كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْمُقَدَّامِ الْحَارِثِيِّ، قَالَ: كَانَ مِنَّا رَجُلٌ يَدْعَى هَانِيَّ بْنَ خَطَّابٍ، وَكَانَ مِنْ غَزَا عُثْمَانَ، وَلَمْ يَشْهَدْ الْجَمْلَ، فَلَمَّا سَمِعَ بِهَذَا الرَّجُلِ - يَعْنِي رَجُلَ الْقَاتِلِ:
نحن بني ضبة أصحاب الجمل.
في حديث الناس، نقض عليه وهو بالكوفة:
أبت شيوخ مذج وهمدان ... ألا يردوا نعتلا كما كَانَ
خلقاً جديداً بعد خلق الرحمن
كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الصعب بن عطية، عن أبيه، قال: جعل أبو الجرباء يَوْمَئِذٍ يرتجز ويقول:
أسمع أنت مطيع لعل ... من قبل أن تذوق حد المشرفي
وخاذل في الحق أزواج النبي ... أعرف قوما لست فيه بعني
كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطْلُحَةَ، قَالَا: كَانَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ فِي حَلَقَةٍ مِنْ أَهْلِ النُّجْدَاتِ وَالْبَصَائِرِ مِنْ أَفْنَاءِ مَضَرَ، فَكَانَ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ بِالزَّمَامِ إِلَّا كَانَ يَحْمِلُ الرَايَةَ وَاللَّوَاءَ لَا يَحْسُنُ تَرْكُهَا، وَكَانَ لَا يَأْخُذُهَا إِلَّا مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْمُطِيفِينَ بِالْجَمْلِ فَيَنْتَسِبُ لَهَا:
انا فلان بن فلان، فوالله إن كانوا ليقاتلون عليه، وإنه للموت لا يوصل إليه إلا بطلبة وعنت، وما رامه أحد من أصحاب علي إلا قتل أو أفلت، ثُمَّ لَمْ يَعُدْ وَلَمَّا اخْتَلَطَ النَّاسُ بِالْقَلْبِ جَاءَ عَدِي بن حاتم فحمل عليه، ففقت عينه ونكل، فجاء الأشر فحامله عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وإنه لأقطع منزوف، فاعتنقه، ثُمَّ جلد به الأرض عن دابته، فاضطرب تحته، فأفلت وهو جريض.
كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ لَا يَجِيءُ رَجُلٌ فَيَأْخُذُ بِالزَّمَامِ حَتَّى يَقُولَ: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، فجاء عبد الله بن الزبير، فَقَالَتْ حِينَ لَمْ يَتَكَلَّمْ:
مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ، انا ابن أختك، قالت: وا ثكل أسماء! - تَعْنِي أَخْتَهَا - وَانْتَهَى إِلَى الْجَمْلِ الْأَشْتَرِ وَعَدَى بن حاتم، فخرج عبد الله ابن حكيم بن حزام إلى الأشر، فمشى إليه الأشر، فاختلفا ضربتين، فقتله الأشر، ومشى إليه عبد الله بن الزبير، فضربه الأشر على رأسه، فجرحه جرحاً شديداً، وضرب عبد الله الأشر ضربة خفيفة، واعتنق كل واحد منهما صاحبه، وخرّا إلى الأرض يعتركان، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ:
اقتلوني ومالكاً.
وَكَانَ مَالِكٌ يَقُولُ: مَا أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ قَالَ: وَالْأَشْتَرُ وَأَنَّ لِي حُمُرُ النَّعَمِ وَشَدَّ أَنْاسٌ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ وَأَصْحَابِ عَائِشَةَ فَافْتَرَقَا، وَتَنَقَّدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ صَاحِبَهُ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الصَّعْبِ بْنِ عَطِيَّةٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: وَجَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ فَأَخَذَ بِزِمَامِ الْجَمَلِ، فَقَالَ: يَا أُمَّتَاهُ، مُرِّبِي بِأَمْرِكِ قَالَتْ: أَمْرُكَ أَنْ تَكُونَ نَحِيرَ بَنِي آدَمَ إِنْ تَرَكْتَ.

قَالَ: فَحَمَلُ فَجَعَلَ لَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا حَمَلَ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: حَمَ لَا يُنْصَرُونَ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ نَفَرٌ، فَكَلَّمَهُمْ أَدْعَى قَتْلَهُ: الْمَكْعَبُ الْأَسَدِيُّ، وَالْمَكْعَبُ الضَّيِّي، وَمُعَاوِيَةُ بْنُ شَدَّادِ الْعَبْسِيِّ، وَعَفَّانُ بْنُ الْأَشَقَرِ النَّصْرِيُّ، فَانْفَذَهُ بَعْضُهُم بِالرُّمْحِ، فَبَيَّ ذَلِكَ يَقُولُ قَاتِلَهُ مِنْهُمْ:

وَأَشَعْتُ قَوَامَ بَيَاتِ رَبِّهِ ... قَلِيلُ الْأَذَى فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ مُسْلِمَ

هَنَكَتْ لَهُ بِالرُّمْحِ جَيْبَ قَبِيصِهِ ... نَحَرَ صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ

يَذْكُرُنِي حَمَ وَالرُّمْحُ شَاجِرٌ ... فَهَلَا تَلَا حَمَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ!

عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ تَابِعًا ... عَلِيًّا وَمَنْ لَا يَتَّبِعُ الْحَقَّ يَنْدَمُ

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الصَّعْبِ بْنِ عَطِيَّةٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو لِأَشْتَرِ يَوْمَئِذٍ: هَلْ لَكَ فِي الْعُودِ؟

فَلَمْ يَجِبْهُ فَقَالَ: يَا أَشْتَرُ، بَعْضُنَا أَعْلَمُ بِقِتَالِ بَعْضِ مَنْكَ فَحَمَلُ الْقَعْقَاعُ، وَإِنْ الزَّمَامُ مَعَ زُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ، وَكَانَ آخِرُ مَنْ أَعْقَبَ فِي الزَّمَامِ، فَلَا وَاللَّهِ مَا بَقِيَ مِنْ بَنِي عَامِرٍ يَوْمَئِذٍ شَيْخٌ إِلَّا أَصِيبَ قَدَامُ الْجَمَلِ، فَقُتِلَ فَيَمِنْ قَتْلِ يَوْمَئِذٍ رِبْعَةَ جَدِّ إِسْحَاقَ بْنِ مُسْلِمٍ، وَزُفَرٌ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ: يَا أَمْنَا يَا عَيْشَ لَنْ تَرَاعِي كُلَّ بَنِيكَ بَطْلَ شُجَاعٍ لَيْسَ بِوَهَامٍ وَلَا بِرَاعِي وَقَامَ الْقَعْقَاعُ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ:

إِذَا وَرَدْنَا آجِنَا جَهْرَنَاهُ ... وَلَا يَطَاقُ وَرْدَ مَا مَنَعَنَاهُ

تَمَثَّلَهَا تَمَثَّلًا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ، قَالَا: كَانَ مِنْ آخِرِ مَنْ قَاتَلَ ذَلِكَ الْيَوْمَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ، فَزَحَفَ إِلَيْهِ الْقَعْقَاعُ، فَلَمْ يَبْقَ حَوْلَ الْجَمَلِ عَامِرِي مَكْتَهَلٌ إِلَّا أَصِيبَ، يَتَسَرَّعُونَ إِلَى الْمَوْتِ، وَقَالَ الْقَعْقَاعُ: يَا بَحِيرُ بْنُ دَلْجَةَ، صَحِّ بِقَوْمِكَ فليَعْقِرُوا الْجَمَلَ قَبْلَ أَنْ يَصَابُوا وَتَصَابَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: يَا لُزْبَةَ، يَا عَمْرُؤُ بْنُ دَلْجَةَ، ادْعُ بِي إِلَيْكَ، فِدَاعًا بِهِ، فَقَالَ: أَنَا آمَنُ حَتَّى أَرْجِعَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ:

فَاجْتَنَسَ سَاقَ الْبَعِيرِ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ عَلَى شِقِّهِ وَجَرَّجَ الْبَعِيرَ وَقَالَ الْقَعْقَاعُ لِمَنْ يَلِيهِ: أَتَمَّ آمَنُونَ وَاجْتَمَعَ هُوَ وَزُفَرٌ عَلَى قَطْعِ بَطَانِ الْبَعِيرِ، وَحَمَلَا الْهُودِجَ فَوَضَعَاهُ، ثُمَّ اطَّافَا بِهِ، وَتَفَارَقَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ مِنَ النَّاسِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الصَّعْبِ بْنِ عَطِيَّةٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا أَمْسَى النَّاسُ وَتَقَدَّمَ عَلِيٌّ وَأُحِيطَ بِالْجَمَلِ وَمِنْ حَوْلِهِ، وَعَقَرَهُ بِحِيرُ بْنُ دَلْجَةَ، وَقَالَ: إِنَّكُمْ آمَنُونَ، كَفَّ بَعْضُ النَّاسِ عَنْ بَعْضٍ وَقَالَ عَلِيٌّ فِي ذَلِكَ حِينَ أَمْسَى وَالْخَنَسُ عَنْهُمْ الْقِتَالُ: إِلَيْكَ أَشْكُو عَجْرِي وَبَجْرِي ... وَمَعَشَرًا غَشَوْا عَلِيَّ بِصُرِي

قَتَلْتُ مِنْهُمْ مَضْرًا بِمَضْرِي ... شَفَيْتُ نَفْسِي وَقَتَلْتُ مَعْشَرِي

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ طَلْحَةُ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ أَعْطِ عُثْمَانَ مِنِّي حَتَّى يَرْضَى، فَجَاءَ سَهْمُ غَزَبٍ وَهُوَ وَاقِفٌ، نَحَلَ رُكْبَتَهُ بِالسَّرِجِ، وَثُبَّتَ حَتَّى امْتَلَأَ مَوْزَجُهُ دَمًا، فَلَمَّا ثَقُلَ قَالَ لِمَوْلَاهُ: أَرْدِفْنِي وَابْغِنِي مَكَانًا

لَا أَعْرِفُ فِيهِ، فَلَمَّا أَرَادَ كَالْيَوْمِ شَيْخًا أَضْيَعَ دَمًا مِنِّي فَارْكَبَ مَوْلَاهُ وَأَمْسَكَهُ وَجَعَلَ يَقُولُ: قَدْ لَحِقْنَا الْقَوْمَ، حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى دَارٍ مِنْ دُورِ الْبَصْرَةِ خَرِبَةٍ، وَأَنْزَلَهُ فِي فَيْئِهَا، فَمَاتَ فِي تِلْكَ الْخَرِبَةِ، وَدُفِنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَنِي سَعْدٍ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ الْبَخْتَرِيِّ الْعَبْدِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَتْ رِبْعَةٌ مَعَ عَلِيٍّ يَوْمَ الْجَمَلِ ثَلَاثُ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَنِصْفُ النَّاسِ يَوْمَ الْوَقْعَةِ، وَكَانَتْ تَعْبِيَتُهُمْ مَضْرُومًا، وَرِبْعَةٌ وَرِبْعَةٌ، وَالْيَمَنُ وَالْيَمَنُ، فَقَالَ بَنُو صُوحَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَتَذْنُ لَنَا نَقِفَ عَنْ مَضْرُومٍ، فَفَعَلَ، فَأُتِيَ زَيْدٌ فَقِيلَ لَهُ: مَا يَوْقِفُكَ حِيَالَ الْجَمَلِ وَبِحِيَالِ مَضْرُومٍ! الْمَوْتُ مَعَكَ وَبِإِزَائِكَ، فَاعْتَزَلَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: الْمَوْتُ نُرِيدُ فَأَصِيبُوا يَوْمَئِذٍ، وَأَفْلَتَ صَعَصَعَةٌ مِنْ بَيْنِهِمْ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ الصَّعْبِ بْنِ عَطِيَّةٍ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مَنَا يَدْعَى الْحَارِثَ، فَقَالَ يَوْمَئِذٍ: يَا مَضْرُومَ، عَلَامَ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا! تَبَادُرُونَ لَا نَدْرِي إِلَّا أَنَا إِلَى قَضَاءٍ، وَمَا تَكْفُونَ فِي ذَلِكَ.

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ الْخُرَيْتِ، قَالَ: حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنَ الْحَرَامِينَ يَقَالُ لَهُ أَبُو جَبْرِ، قَالَ: مَرَرْتُ بِكَعْبِ بْنِ سَوْرٍ وَهُوَ آخِذٌ بِخَطَامِ جَمَلٍ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَوْمَ الْجَمَلِ، فَقَالَ: يَا أَبَا جَبْرِ، أَنَا وَاللَّهِ كَمَا قَالَتِ الْقَائِلَةُ:

بَنِي لَا تَبْنَ وَلَا تَقَاتِلُوا.

حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ الْخُرَيْتِ، [قَالَ: مَرَّ بِهِ عَلِيٌّ وَهُوَ قَتِيلٌ، فَقَامَ عَلَيْهِ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّكَ - مَا عَلِمْتَ - كُنْتَ لَصْلِبِيَا فِي الْحَقِّ، قَاضِيَا بِالْعَدْلِ، وَكِيتٌ وَكِيتٌ، فَاتْنِي عَلَيْهِ]

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ ابْنِ صَعَصَعَةَ الْمَزْنِيِّ - أَوْ عَنْ صَعَصَعَةَ - عَنْ عَمْرِو بْنِ جَاوَانَ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ أَشْرَسَ، قَالَ: كَانَ الْقِتَالُ يَوْمَئِذٍ فِي صَدْرِ النَّهَارِ مَعَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، فَانْهَزَمَ النَّاسُ وَعَائِشَةُ تَوَقَّعَ الصَّلْحَ، فَلَمْ يَفْجَأْهَا إِلَّا النَّاسُ، فَأَحَاطَتْ بِهَا مَضْرُومٌ، وَوَقَفَ النَّاسُ لِلْقِتَالِ، فَكَانَ الْقِتَالُ نِصْفَ النَّهَارِ مَعَ عَائِشَةَ وَعَلَى كَعْبِ بْنِ سَوْرٍ أَخَذَ مَصْحَفَ عَائِشَةَ وَعَلَى فَبَدَرَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ يَنَاشِدُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي دِمَائِهِمْ، وَأَعْطَى دَرْعَهُ فَرَمَى بِهَا تَحْتَهُ، وَأُتِيَ بِتَرْسِهِ فَتَنَكَبَهُ، فَرَشَقُوهُ رَشَقًا وَاحِدًا، فَقَتَلُوهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَمْ يَمْلُوهُمْ أَنْ شَدُّوا عَلَيْهِمْ، وَالتَّحَمُّ الْقِتَالِ، فَكَانَ أَوَّلُ مَقْتُولٍ بَيْنَ يَدَيِ عَائِشَةَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مَخْلَدِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَرْسَلْنَا مُسْلِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَدْعُو بَنِي أَبِينَا، فَرَشَقُوهُ - كَمَا صَنَعَ الْقَلْبَ بِكَعْبِ - رَشَقًا وَاحِدًا، فَقَتَلُوهُ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ قَتَلَ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَتْ أُمُّ مُسْلِمَ تَرْتِيهِ: لَا هُمْ إِنْ مَسَلَهَا أَتَاهُمْ مُسْتَسْلِمًا لِلْمَوْتِ إِذْ دَعَاهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لَا يَخْشَاهُمْ فَرَمَلُوهُ مِنْ دَمٍ إِذْ جَاهَهُمْ وَأَمَّهُمْ قَائِمَةٌ تَرَاهُمْ يَأْتُمُونَ الْغِيَّ لَا تَنَاهَاهُمْ كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ الصَّعْبِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ شَرِيكَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: لَمَّا أَنْهَزِمَتْ مُجَنَّبَتَا الْكُوفَةِ عَشِيَّةَ الْجَمَلِ، صَارُوا إِلَى الْقَلْبِ - وَكَانَ ابْنُ يَثْرِبٍ قَاضِيَ الْبَصَرَةِ قَبْلَ كَعْبِ بْنِ سَوْرٍ، فَشَهِدَهُمْ هُوَ وَأَخُوهُ يَوْمَ الْجَمَلِ، وَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ وَعَمْرُو، فَكَانَ وَاقِفًا أَمَامَ الْجَمَلِ عَلَى فَرَسٍ - فَقَالَ عَلِيٌّ: مَنْ رَجُلٌ يَحْمِلُ عَلَى الْجَمَلِ؟ فَانْتَدَبَ لَهُ هِنْدُ بْنُ عَمْرِو الْمُرَادِيِّ، فَاعْتَرَضَهُ ابْنُ يَثْرِبٍ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَقَتَلَهُ ابْنُ يَثْرِبٍ،

ثُمَّ حَمَلَ سَيْحَانُ بْنُ صُوحَانَ، فَاعْتَرَضَهُ ابْنُ يَثْرِبٍ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ فَقَتَلَهُ ابْنُ يَثْرِبٍ، ثُمَّ حَمَلَ عَلْبَاءُ بْنُ الْهَيْثَمِ، فَاعْتَرَضَهُ ابْنُ يَثْرِبٍ، فَقَتَلَهُ، ثُمَّ حَمَلَ صَعَصَعَةُ فَضْرَبَهُ، فَقُتِلَ ثَلَاثَةٌ أُجْهِزَ عَلَيْهِمْ فِي الْمَعْرَكَةِ: عَلْبَاءُ، وَهِنْدُ، وَسَيْحَانُ، وَارْتَثَ صَعَصَعَةُ وَزَيْدٌ، فَاتَتْ أَحَدَهُمَا، وَبَقِيَ الْآخَرُ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: أَخَذَ الْخَطَامُ يَوْمَ الْجَمَلِ سَبْعُونَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ، كُلُّهُمْ يَقْتُلُ وَهُوَ آخِذٌ بِالْخَطَامِ، وَحَمَلَ الْأَشْثَرُ فَاعْتَرَضَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، ضَرَبَهُ الْأَشْثَرُ فَأَمَّهُ، وَوَاتَبَهُ عَبْدُ اللَّهِ، فَاعْتَنَقَهُ نَفْرَ بِهِ، وَجَعَلَ يَقُولُ: اقْتُلُونِي وَمَالَكَا - وَكَانَ النَّاسُ لَا يَعْرِفُونَهُ بِمَالِكَا، وَلَوْ قَالَ:

وَالْأَشْثَرُ، وَكَانَتْ لَهُ أَلْفُ نَفْسٍ مَا نَجَا مِنْهَا شَيْءٌ - وَمَا زَالَ يَضْطَرِبُ فِي يَدَيِ عَبْدِ اللَّهِ حَتَّى أَفْلَتَ، وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا حَمَلَ عَلَى الْجَمَلِ ثُمَّ

نجا لم يعد.

وجرح يَوْمُئِذٍ مَرْوَانَ وعبد الله بن الزبير.

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ وَابْنُ عَوْنٍ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ، قَالَ: قَالَ يَوْمُئِذٍ عَمْرُو بْنُ يَثْرِبِ بْنِ الضَّبِيِّ، وَهُوَ أَخُو عَمِيرَةَ الْقَاضِي.

نحن بنو ضبة أَعْصَابُ الْجَمَلِ نَزَلَ بِالْمَوْتِ إِذَا الْمَوْتُ نَزَلَ وَزَادَ ابْنُ عَوْنٍ - وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي يَعْقُوبَ:

الْقَتْلُ أَحْلَى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسَلِ نَنَعِي ابْنَ عَفَانَ بِأَطْرَافِ الْأَسْلِ رَدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمَّ بَجَل.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هَنْدٍ، عَنْ شَيْخٍ مِنْ بَنِي ضَبَّةٍ، قَالَ: ارْتَجَزَ يَوْمُئِذٍ ابْنُ يَثْرِبِ:

أَنَا لَمَنْ أَنْكَرَنِي ابْنُ يَثْرِبِ قَاتِلَ عِلْبَاءَ وَهَنْدَ الْجَمَلِيِّ

وَابْنُ لَصُوحَانَ عَلَى دِينَ عَلِيٍّ.

وَقَالَ: مَنْ يَبَارِزُ؟ فَبَرَزَ لَهُ رَجُلٌ، فَقَتَلَهُ، ثُمَّ بَرَزَ لَهُ آخَرُ فَقَتَلَهُ، وَارْتَجَزَ وَقَالَ:

أَقْتَلْتُهُمْ وَقَدْ أَرَى عَلِيًّا ... وَلَوْ أَشَاءُ أَوْجَرْتُهُ عَمْرِيَا

فَبَرَزَ لَهُ عِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ، وَإِنَّهُ لَأَضْعَفُ مِنْ بَارِزِهِ، وَإِنَّ النَّاسَ لَيَسْتَرْجِعُونَ حِينَ قَامَ عِمَارٌ، وَأَنَا أَقُولُ لِعِمَارٍ مِنْ ضَعْفِهِ: هَذَا وَاللَّهِ لَأَحَقُّ

بِأَصْحَابِهِ، وَكَانَ قَضِيْفًا، حَمَشَ السَّاقَيْنِ، وَعَلَيْهِ سَيْفٌ حَمَائِلُهُ تَشْفِي عَنْهُ قَرِيبٌ مِنْ إِبْطِهِ، فَيَضْرِبُهُ ابْنُ يَثْرِبِ بِسَيْفِهِ، فَتَنْشَبُ فِي حَجَفَتِهِ،

وَضَرْبُهُ عِمَارَ وَابْنَهُ، وَرَمَى اصْحَابَ عَلِيٍّ ابْنِ يَثْرِبِ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى أَتْخَنُوهُ وَارْتَنُوهُ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ حَمَادِ الْبَرْجَمِيِّ، عَنْ خَارِجَةَ بْنِ الصَّلْتِ، قَالَ: لَمَّا قَالَ الضَّبِيُّ يَوْمَ الْجَمَلِ:

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل ... ننعى ابن عفان بأطراف الأسل

ردوا علينا شيخنا ثم بجل.

قَالَ عَمِيرُ بْنُ أَبِي الْحَارِثِ:

كيف نرد شيخكم وقد قتل ... نحن ضربنا صدره حتى انجفل!

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الصَّعْبِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: عَقَرَ الْجَمَلُ رَجُلًا مِنْ بَنِي ضَبَّةٍ يَقَالُ لَهُ:

ابن دلجة - عَمْرُو أَوْ بِجِيرٍ - وَقَالَ فِي ذَلِكَ الْحَارِثُ بْنُ قَيْسٍ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ عَائِشَةَ:

٤٠٢١٠١٣ شدة القتال يوم الجمل وخبر اعين بن ضبيعة واطلاعه في الهودج

نحن ضربنا ساقه فانجدلا ... من ضربة بالنفر كانت فيصلا

لو لم نكون للرسول ثقلا ... وحرمة لاقتسمونا عجلا

وقد نحل ذلك المثنى بن مخزومة من أصحاب علي

. شدة القتال يوم الجمل وخبر اعين بن ضبيعة واطلاعه في الهودج

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ نَوِيرَةَ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: قَالَ الْقَعْقَاعُ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بِشَيْءٍ مِنْ قِتَالِ

الْقَلْبِ يَوْمَ الْجَمَلِ بِقِتَالِ صَفَيْنَ، لَقَدْ رَأَيْتُنَا نَدَافِعُهُمْ بِأَسْنَتِنَا وَنَتَكَّى عَلَى أَرْجَتِنَا، وَهُمْ مِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى لَوْ أَنَّ الرِّجَالَ مِثَّتْ عَلَيْهَا لَاسْتَقَلَّتْ بِهِمْ.

حَدَّثَنِي عَيْسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُرُوزِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْعُرَيْثِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَعْلَى الْأَسْلَمِيُّ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ

قَرْمٍ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ الْكَاهِلِيِّ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجَمَلِ تَرَامَيْنَا بِالنَّبْلِ حَتَّى فَنَيْتُ، وَتَطَاعَنَّا بِالرِّمَاحِ حَتَّى تَشَبَّكَتْ

فِي صُدُورِنَا وَصُدُورِهِمْ، حَتَّى لَوْ سِيرَتْ عَلَيْهَا الْخَيْلُ لَسَارَتْ، ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ: السُّيُوفُ يَا أَبْنَاءَ الْمُهَاجِرِينَ.
قَالَ الشَّيْخُ: فَمَا دَخَلْتُ دَارَ الْوَلِيدِ إِلَّا ذَكَرْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ.

حَدَّثَنِي عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ وَاصِلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو فَقِيمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا فَطْرٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَشِيرٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ مَوْلَايَ زَمَنِ الْجَمَلِ، فَمَا
مَرَرْتُ بِدَارِ الْوَلِيدِ قَطُّ، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَ الْقَصَارِينَ يَضْرِبُونَ إِلَّا ذَكَرْتُ قِتَالَهُمْ.

حَدَّثَنِي عِيسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُرُوزِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَعْلَى، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُسْلَمٍ، عَنْ عِيسَى
ابْنِ حِطَّانٍ قَالَ: حَاصِ النَّاسِ حَيْصَةً، ثُمَّ رَجَعْنَا وَعَائِشَةُ عَلَى جَمَلٍ
أَحْمَرٍ، فِي هَوْدَجٍ أَحْمَرٍ، مَا شَبَهَتْهُ إِلَّا بِالْقَنْفَذِ مِنَ النَّبْلِ.

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَوْنٍ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ، قَالَ:
ذَكَرُوا يَوْمَ الْجَمَلِ فَقُلْتُ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى خَدْرِ عَائِشَةَ كَأَنَّهُ قَنْفَذٌ مِمَّا رَمِيَ فِيهِ مِنَ النَّبْلِ، فَقُلْتُ لِأَبِي رَجَاءٍ: أَقَاتَلْتَ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ
رَمَيْتُ بِأَسْهَمٍ فَمَا أَدْرِي مَا صَنَعَنَ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ رَاشِدٍ السُّلَمِيِّ، عَنْ مَيْسَرَةَ أَبِي جَمِيلَةَ، إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ
أَتَيَا عَائِشَةَ وَقَدْ عُقِرَ الْجَمَلُ، فَقَطَعَا غَرْصَةَ الرَّحْلِ، وَاحْتَمَلَا الْهُودَجَ، فَتَحْيَاهُ حَتَّى أَمَرَهُمَا عَلِيٌّ فِيهِ أَمْرُهُ بَعْدُ، قَالَ: أَدْخَلَاهَا الْبَصْرَةَ،
فَأَدْخَلَاهَا دَارَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ الْخَزَاعِيِّ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا:

أَمَرَ عَلِيٌّ نَفَرًا بِجَمَلِ الْهُودَجِ مِنْ بَيْنِ الْقَتْلَى، وَقَدْ كَانَ الْقَعْقَاعُ وَزُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ أَنْزَلَاهُ عَنْ ظَهْرِ الْبَعِيرِ، فَوَضَعَاهُ إِلَى جَنْبِ الْبَعِيرِ، فَأَقْبَلَ
مُحَمَّدُ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ إِلَيْهِ وَمَعَهُ نَفَرٌ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ، فَقَالَتْ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ:

أَخُوكَ الْبَرُّ، قَالَتْ: عَقُوقُ قَالَ: عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ: كَيْفَ رَأَيْتَ ضَرْبَ بَنِيكَ الْيَوْمَ يَا أُمُّهُ؟ قَالَتْ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا ابْنُكَ الْبَارُّ عَمَّارُ،
قَالَتْ:

لَسْتُ لَكَ بِأُمٍّ، قَالَ: بَلَى، وَإِنْ كَرِهْتَ قَالَتْ: نَحْرُكُمْ أَنْ ظَفَرْتُمْ، وَأَتَيْتُمْ مِثْلَ مَا نَقِمْتُمْ، هَيَّاتِ، وَاللَّهِ لَنْ يَظْفَرَ مَنْ كَانَ هَذَا دَابَهُ وَأَبْرُزُوهَا
بِهَوْدَجِهَا مِنَ الْقَتْلَى، وَوَضَعُوهَا لَيْسَ قُرْبَهَا أَحَدٌ، وَكَأَنَّ هَوْدَجَهَا فَرَحٌ مَقْصَبٌ مِمَّا فِيهِ مِنَ النَّبْلِ، وَجَاءَ أَعْيُنُ بْنُ ضُبَيْعَةَ الْمُجَاشِعِيُّ حَتَّى
أَطْلَعَ فِي الْهُودَجِ، فَقَالَتْ: إِلَيْكَ لَعْنُكَ اللَّهُ! فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرَى إِلَّا حَمِيرًا، قَالَتْ: هَتَكَ اللَّهُ سِتْرَكَ، وَقَطَعَ يَدَكَ، وَأَبْدَى عَوْرَتَكَ! فَقَتِلَ
بِالْبَصْرَةِ

٤٠٢١٠١٤ مقتل الزبير بن العوام رضى الله عنه

وَسُلِبَ، وَقُطِعَتْ يَدُهُ، وَرُمِيَ بِهِ عُرْيَانًا فِي خَرِبَةٍ مِنْ خَرِبَاتِ الْأَزْدِ، فَانْتَهَى إِلَيْهَا عَلِيٌّ، فَقَالَ: إِي أُمُّهُ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ، قَالَتْ: غَفَرَ
اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الصَّعْبِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ شَرِيكِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: انْتَهَى مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمَعَهُ
عَمَّارٌ، فَقَطَعَ الْأَنْسَاعَ عَنِ الْهُودَجِ، وَاحْتَمَلَاهُ، فَلَمَّا وَضَعَاهُ أَدْخَلَ مُحَمَّدٌ يَدَهُ وَقَالَ: أَخُوكَ مُحَمَّدٌ، فَقَالَتْ: مُدْمَمٌ، قَالَ: يَا أُخِيَّةُ، هَلْ
أَصَابَكَ شَيْءٌ؟

قَالَتْ: مَا أَنْتَ مِنْ ذَاكَ؟ قَالَ: فَنَ إِذَا! الضُّلَالُ؟ قَالَتْ: بَلَى الْهُدَاةُ، وَانْتَهَى إِلَيْهَا عَلِيٌّ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا أُمُّهُ؟ قَالَتْ: بِخَيْرٍ، قَالَ:

يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ قَالَتْ: وَلَكُ.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا:

وَمَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ خَرَجَ مُحَمَّدٌ بِعَائِشَةَ حَتَّى أَدْخَلَهَا الْبَصْرَةَ، فَأَنْزَلَهَا فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفِ الْخَزَاعِيِّ عَلَى صَفِيَّةِ ابْنَةِ الْحَارِثِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ابْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ، وَهِيَ أُمُّ طَلْحَةَ الطَّلِحَاتِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ خَلْفٍ.

وكَانَتِ الْوَقْعَةُ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِعَشْرِ خُلُونٍ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ سِتٍ وَثَلَاثِينَ، فِي قَوْلِ الْوَاقِدِيِّ

مَقْتُلَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا انْهَزَمَ النَّاسُ يَوْمَ الْجَمَلِ عَنْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، وَمَضَى الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى مَرَّ بِعَسْكَرِ الْأَخْنَفِ، فَلَمَّا رَأَاهُ وَأَخْبَرَهُ بِهِ قَالَ: وَاللَّهِ مَا هَذَا بِخِيَارٍ، وَقَالَ لِلنَّاسِ: مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِهِ؟ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ جَرْمُوزٍ لِأَصْحَابِهِ:

٤٠٢١٠١٥ من انهم يوم الجمل فاختنى ومضى في البلاد

أَنَا، فَاتَّبَعَهُ، فَلَمَّا لَحِقَهُ نَظَرَ إِلَيْهِ الزُّبَيْرُ - وَكَانَ شَدِيدَ الْغَضَبِ - قَالَ:

مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَكَ، فَقَالَ غُلَامٌ لِلزُّبَيْرِ يَدْعِي عَطِيَّةً كَانَ مَعَهُ: إِنَّهُ مُعَدٌّ، فَقَالَ: مَا يَهْوُكَ مِنْ رَجُلٍ! وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَقَالَ ابْنُ جَرْمُوزٍ: الصَّلَاةُ، فَقَالَ: الزُّبَيْرُ: الصَّلَاةُ، فَزَلَا، وَاسْتَدْبَرَهُ ابْنُ جَرْمُوزٍ فَطَعَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ فِي جُرْبَانِ دِرْعِهِ، فَقَتَلَهُ، وَأَخَذَ فَرَسَهُ وَخَاتَمَهُ وَسِلَاحَهُ، وَخَلَّى عَنِ الْغُلَامِ، فَدَفَنَهُ بِوَادِي السَّبَاعِ، وَرَجَعَ إِلَى النَّاسِ بِالْخَبَرِ.

فَأَمَّا الْأَخْنَفُ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَحْسَنْتُ أَمْ أَسَأْتُ! ثُمَّ انْحَدَرَ إِلَى عَلِيٍّ وَابْنِ جَرْمُوزٍ مَعَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَأَخْبَرَهُ، [فَدَعَا بِالسَّيْفِ،

فَقَالَ: سَيْفٌ طَالَمَا جَلَّى الْكَرْبَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ص! وَبَعَثَ بِذَلِكَ] إِلَى عَائِشَةَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْأَخْنَفِ فَقَالَ: تَرَبَّصْتُ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ أَرَانِي إِلَّا قَدْ أَحْسَنْتُ، وَبِأَمْرِكَ كَانَ مَا كَانَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَارْفُقْ فَإِنَّ طَرِيقَكَ الَّذِي سَلَكَتَ بَعِيدٌ، وَأَنْتَ إِلَيَّ غَدًا أَحْوَجُ مِنْكَ أَمْسٍ، فَأَعْرِفْ إِحْسَانِي، وَاسْتَصِفْ مَوَدَّتِي لِغَدٍ، وَلَا تَقُولَنَّ مِثْلَ هَذَا، فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ لَكَ نَاصِحًا

. من انهم يوم الجمل فاختنى ومضى في البلاد

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا:

وَمَضَى الزُّبَيْرُ فِي صَدْرِ يَوْمِ الْهَزِيمَةِ رَاجِلًا نَحْوَ الْمَدِينَةِ، فَقَتَلَهُ ابْنُ جَرْمُوزٍ، قَالَا: وَخَرَجَ عَتَبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَيَحْيَى ابْنَا الْحَكَمِ يَوْمَ الْهَزِيمَةِ، قَدْ شَجَّجُوا فِي الْبِلَادِ، فَلَقُوا عَصْمَةَ بْنَ أَبِي الرَّيْثِيِّ، فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ فِي الْجَوَارِ؟ قَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: عَصْمَةُ بْنُ أَبِي الرَّيْثِيِّ، نَعَمْ، قَالَ:

فَأَنْتُمْ فِي جَوَارِي إِلَى الْحَوْلِ، فَضَى بِهِمْ، ثُمَّ حَاهَمُوا وَأَقَامَ عَلَيْهِمْ حَتَّى بَرَّوْا، ثُمَّ قَالَ: اخْتَارُوا أَحَبَّ بِلَدٍ إِلَيْكُمْ أَبْلَغَكُمْوَهُ، قَالُوا: الشَّامُ، نَفَرَجَ بِهِمْ فِي أَرْبَعِمِائَةِ رَاكِبٍ مِنْ تَيْمِ الرِّبَابِ، حَتَّى إِذَا وَغَلُوا فِي بِلَادِ كَلْبٍ بِدُومَةٍ قَالُوا: قَدْ وَفَيْتَ ذِمَّتَكَ وَذَمِّمَهُمْ، وَقَضَيْتَ الَّذِي عَلَيْكَ فَارْجِعْ، فَارْجِعْ.

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

وَفِي ابْنِ أَبِي الرَّيْثِيِّ وَالرَّمَاكِ شَوَارِعُ ... بَالُ أَبِي الْعَاصِي وَفَاءُ مَذَكْرَا

وَأَمَّا ابْنُ عَامِرٍ فَإِنَّهُ خَرَجَ أَيْضًا مُشَجَّجًا، فَتَلَقَّاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي حُرْقُوصٍ يَدْعَى مَرِيَا، فَدَعَاهُ لِلْجَوَارِ، فَقَالَ: نَعَمْ، فَأَجَارَهُ وَأَقَامَ عَلَيْهِ، وَقَالَ:

أي البلدان أحب إليك؟ قَالَ: دمشق، فخرج به في ركب من بني حَرْقُوصَ حَتَّى بَلَّغُوا بِهِ دِمَشْقَ وَقَالَ حَارِثَةُ بْنُ بَدْرٍ - وَكَانَ مَعَ عَائِشَةَ، وَأَصِيبُ فِي الْوَقْعَةِ ابْنُهُ أَوْ أَخُوهُ زَرَّاعٌ:

أَتَانِي مِنَ الْأَنْبَاءِ أَنَّ ابْنَ عَامِرٍ ... أَنَاخَ وَأَلْقَى فِي دِمَشْقِ الْمَرَاثِيَا

وَأَوَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ عَزَّةَ يَوْمَ الْهَزِيمَةِ، فَقَالَ لَهُمْ:

أَعْلَمُوا مَالِكُ بْنُ مَسْمَعٍ بِمَكَانِي، فَأَتُوا مَالِكًا فَأَخْبَرُوهُ بِمَكَانِهِ، فَقَالَ لِأَخِيهِ مِقَاتِلَ: كَيْفَ نَصْنَعُ بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي قَدْ بَعَثَ إِلَيْنَا يَعلُنَا بِمَكَانِهِ؟ قَالَ:

ابْعَثْ ابْنَ أَخِي فَأَجْرُهُ، وَاتَّمَسُوا لَهُ الْأَمَانَ مِنْ عَلِيٍّ، فَإِنْ آمَنَهُ فَذَاكَ الَّذِي نَحْبُ وَإِنْ لَمْ يُؤْمَنْهُ خَرَجْنَا بِهِ وَبَأْسِيَا فَنَا، فَإِنْ عَرَضَ لَهُ جَالِدُنَا دُونَهُ بِأَسِيَا فَنَا، فَإِمَّا إِنْ نَسَلْنَا، وَإِمَّا أَنْ نَهْلِكَ كَرَامًا وَقَدْ اسْتَشَارَ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِهِ مِنْ قَبْلِ فِي الَّذِي اسْتَشَارَ فِيهِ مِقَاتِلًا، فَنَاهَا، فَأَخَذَ بِرَأْيِ أَخِيهِ، وَتَرَكَ رَأْيَهُمْ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأَنْزَلَهُ دَارَهُ، وَعَزَمَ عَلَى مَنْعِهِ إِنْ اضْطُرَّ إِلَى ذَلِكَ، وَقَالَ: الْمَوْتُ دُونَ الْجَوَارِ وَفَاءٌ، وَحَفِظَ لَهُمْ بَنُو مَرْوَانَ ذَلِكَ بَعْدَ، وَانْتَفَعُوا بِهِ عِنْدَهُمْ، وَشَرَفُوهُمْ بِذَلِكَ، وَأَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى دَارِ رَجُلٍ مِنَ الْأَزْدِ يَدْعَى وَزِيرًا، وَقَالَ:

اِنَّتِ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ فَأَعْلَمَهَا بِمَكَانِي، وَإِيَّاكَ أَنْ يَطْلُعَ عَلَى هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَأَتَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأَخْبَرَهَا، فَقَالَتْ: عَلِيٌّ بِمُحَمَّدٍ، فَقَالَ:

يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ قَدْ نَهَانِي أَنْ يَعْلَمَ بِهِ مُحَمَّدٌ، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ فَقَالَتْ:

اذهب مع هذا الرجل حتى تجيئني بآبِ أَخِيكَ، فَانْطَلِقْ مَعَهُ فَدَخَلَ بِالْأَزْدِيِّ

عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: جِئْتُكَ وَاللَّهِ بِمَا كَرِهْتَ، وَأَبَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ وَمُحَمَّدٌ وَهُمَا يَتَشَاتَمَانِ، فَذَكَرَ مُحَمَّدٌ عُثْمَانَ فَشْتَمَهُ وَشْتَمَ عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدًا حَتَّى انْتَهَى إِلَى عَائِشَةَ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ - وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ خَلْفٍ قَبْلَ يَوْمِ الْجَمَلِ مَعَ عَائِشَةَ، وَقَتْلَ عُثْمَانَ أَخُوهُ مَعَ عَلِيٍّ - وَأَرْسَلَتْ عَائِشَةَ فِي طَلَبِ مَنْ كَانَ جَرِيحًا فَضَمَّتْ مِنْهُمْ نَاسًا، وَضَمَّتْ مَرْوَانَ فِيمَنْ ضَمَّتْ، فَكَانُوا فِي بُيُوتِ الدَّارِ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا:

وَعَشِيَّ الْوُجُوهَ عَائِشَةَ وَعَلِيٌّ فِي عَسْكَرِهِ، وَدَخَلَ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرِو عَلَى عَائِشَةَ فِي أَوَّلِ مَنْ دَخَلَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: إِنِّي رَأَيْتُ رَجُلَيْنِ بِالْأَمْسِ اجْتَلَدَا بَيْنَ يَدَيَّ وَارْتَجَزَا بِكَذَا، فَهَلْ تَعْرِفُ كُوفِيكَ مِنْهُمَا؟ قَالَ: نَعَمْ، ذَاكَ الَّذِي قَالَ: أَعَقَّ أُمُّ نَعْلَمُ، وَكَذَبَ وَاللَّهِ، إِنَّكَ لِأَبْرُ أُمِّ نَعْلَمُ، وَلَكِنْ لَمْ تَطَاعِي فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي مِتُّ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ بَعِشْرِينَ سَنَةً وَخَرَجَ فَاتَى عَلِيًّا فَأَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ سَأَلَتْهُ، فَقَالَ: وَيْحَكَ! مِنَ الرَّجُلَانِ؟ قَالَ: ذَلِكَ أَبُو هَالَةَ الَّذِي يَقُولُ:

كَيْمَا أَرَى صَاحِبَهُ عَلِيًّا.

فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي مِتُّ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ بَعِشْرِينَ سَنَةً، فَكَانَ قَوْلُهُمَا وَاحِدًا.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا:

وَتَسَلَّلَ الْجَرَحَى فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَدَخَلَ الْبَصْرَةَ مِنْ كَانَ يُطِيقُ الْأَنْبِعَاثَ مِنْهُمْ، وَسَأَلَتْ عَائِشَةُ يَوْمَئِذٍ عَنْ عِدَّةٍ مِنَ النَّاسِ، مِنْهُمْ مَنْ كَانَ مَعَهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ عَلَيْهَا، وَقَدْ غَشِيَهَا النَّاسُ، وَهِيَ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ، فَكَلَّمَا نَعِي لَهَا مِنْهُمْ وَاحِدًا قَالَتْ: يَرْحَمُهُ اللَّهُ، فَقَالَ لَهَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهَا:

كَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: كَذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: فُلَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَفُلَانٌ فِي الْجَنَّةِ [وَقَالَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَئِذٍ: إِنِّي لِأَرْجُو أَلَا يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ نَقَى قَلْبُهُ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ] كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ [أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: مَا نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ص آيَةٌ أَفْرَحَ لَهُ مِنْ

٤٠٢١٠١٦ توجع على على قتلى الجمل ودفنهم وجمعه ما كان في العسكر والبعث به إلى البصرة

قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ» ، [فقال ص: مَا أَصَابَ الْمُسْلِمَ فِي الدُّنْيَا مِنْ مُصِيبَةٍ فِي نَفْسِهِ فَبَدَنٍ، وَمَا يَعْفُو اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ أَكْثَرُ، وَمَا أَصَابَهُ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَعَفْوٌ مِنْهُ لَا يَعْتَدُّ عَلَيْهِ فِيهِ عَقُوبَةُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا عَفَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا فَقَدْ عَفَا عَنْهُ، وَاللَّهُ أَعْظَمُ مَنْ أَنْ يَعُودَ فِي عَفْوِهِ] .
تَوَجَّعَ عَلِيٌّ عَلَى قَتْلِ الْجَمَلِ وَدَفْنِهِمْ وَجَمْعِهِ مَا كَانَ فِي الْعُسْكَرِ وَابْعَثَ بِهِ إِلَى الْبَصْرَةِ

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا:

وَأَقَامَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي عَسْكَرِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا يَدْخُلُ الْبَصْرَةَ، وَنَدَبَ النَّاسَ إِلَى مَوْتَاهُمْ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِمْ فَدَفَنُوهُمْ، [فَطَافَ عَلِيٌّ مَعَهُمْ فِي الْقَتْلِ، فَلَمَّا أَتَى بِكَعْبِ بْنِ سُورٍ قَالَ: زَعَمْتُ أَنَّمَا خَرَجَ مَعَهُمُ السُّفَهَاءُ، وَهَذَا الْخَبْرُ قَدْ تَرَوْنِ] [وَأَتَى عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتَّابٍ فَقَالَ: هَذَا يَعْسُوبُ الْقَوْمِ- يَقُولُ الَّذِي كَانُوا يُطِيفُونَ بِهِ- يَعْنِي أَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ، وَرَضُوا بِهِ لِصَلَاتِهِمْ] وَجَعَلَ عَلِيٌّ كُلَّ مَرَّةٍ يَرْجُلُ فِيهِ خَيْرٌ قَالَ: زَعَمَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ إِلَيْنَا إِلَّا الْغَوَّاءُ، هَذَا الْعَابِدُ الْمُجْتَهِدُ وَصَلَّى عَلَى قَتْلَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَعَلَى قَتْلَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَصَلَّى عَلَى قُرَيْشٍ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، فَكَانُوا مَدَنِيَّيْنِ وَمَكِّيَّيْنِ، وَدَفَنَ عَلِيٌّ الْأَطْرَافَ فِي قَبْرِ عَظِيمٍ، وَجَمَعَ مَا كَانَ فِي الْعُسْكَرِ مِنْ شَيْءٍ، ثُمَّ بَعَثَ بِهِ إِلَى مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ، أَنْ مَنْ عَرَفَ شَيْئًا فَلْيَأْخُذْهُ، إِلَّا سِلَاحًا كَانَ فِي الْخَزَائِنِ عَلَيْهِ سِمَةُ السُّلْطَانِ، فَإِنَّهُ لَمَّا بَقِيَ لَمْ يُعْرِفْ، خُذُوا مَا أَجْلَبُوا بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ

٤٠٢١٠١٧ عدد قتلى الجمل

٤٠٢١٠١٨ دخول على على عائشة وما امر به من العقوبة فيمن تناولها

مَنْ مَالِ الْمُسْلِمِ الْمُتَوَقَّى شَيْءٍ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ السِّلَاحُ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ غَيْرِ تَفْهِيمٍ مِنَ السُّلْطَانِ .
عدد قتلى الجمل

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا:

كَانَ قَتْلُ الْجَمَلِ حَوْلَ الْجَمَلِ عَشْرَةَ آلَافٍ، وَنُصْفُهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ، وَنُصْفُهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عَائِشَةَ، مِنَ الْأَزْدِ أَلْفَانِ، وَمِنْ سَائِرِ الْيَمَنِ خَمْسَمِائَةٍ، وَمِنْ مَضَرَ الْفَانِ، وَخَمْسَمِائَةٍ مِنْ قَيْسٍ، وَخَمْسَمِائَةٍ مِنْ تَمِيمٍ، وَالْفِ مِنْ بَنِي ضَبَّةٍ، وَخَمْسَمِائَةٍ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَقِيلَ: قَتَلَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فِي الْمَعْرَكَةِ الْأُولَى خَمْسَةَ آلَافٍ، وَقَتَلَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فِي الْمَعْرَكَةِ الثَّانِيَةِ خَمْسَةَ آلَافٍ، فَذَلِكَ عَشْرَةُ آلَافٍ قَتِيلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَمِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ خَمْسَةَ آلَافٍ.

قَالَا: وَقَتَلَ مِنْ بَنِي عَدِي يَوْمَئِذٍ سَبْعُونَ شَيْخًا، كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، سِوَى الشَّبَابِ وَمَنْ لَمْ يَقْرَأِ الْقُرْآنَ.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا زِلْتُ أَرْجُو النَّصْرَ حَتَّى خَفِيتُ أَصْوَاتَ بَنِي عَدِي

. دخول على على عائشة وما أمر به من العقوبة فيمن تناولها

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا:

وَدَخَلَ عَلِيٌّ الْبَصْرَةَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، فَانْتَهَى إِلَى الْمَسْجِدِ، فَصَلَّى فِيهِ، ثُمَّ دَخَلَ الْبَصْرَةَ، فَأَتَاهُ النَّاسُ، ثُمَّ رَاحَ إِلَى عَائِشَةَ عَلَى بَغْلَتِهِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ وَهِيَ أَعْظَمُ دَارٍ بِالْبَصْرَةِ، وَجَدَ النِّسَاءَ يَبْكِينَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ وَعُثْمَانَ ابْنَيْ خَلْفٍ مَعَ عَائِشَةَ، وَصَفِيَّةُ ابْنَةُ الْحَارِثِ مُحْتَمِرَةٌ تَبْكِي، فَلَمَّا

رَأَتْهُ قَالَتْ: يَا عَلِيُّ، يَا قَاتِلَ الْأَحِبَّةِ، يَا مُفَرِّقَ الْجَمْعِ، أَيَتَمَّ اللَّهُ بَنِيكَ مِنْكَ كَمَا أَيَّتَمَّتْ وَلَدَ عَبْدَ اللَّهِ مِنْهُ! فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئًا، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى حَالِهِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهَا، وَقَعَدَ عِنْدَهَا، وَقَالَ لَهَا: جَهَنَّتَا صَفِيَّةُ، أَمَا إِنِّي لَمْ أَرَهَا مُنْذُ كَانَتْ جَارِيَةً حَتَّى الْيَوْمِ، فَلَمَّا خَرَجَ عَلَيَّ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ فَأَعَادَتْ عَلَيْهِ الْكَلَامَ، فَكَفَّ بَغْلَتَهُ وَقَالَ: أَمَا لَهْمَمْتُ- وَأَشَارَ إِلَى الْأَبْوَابِ مِنَ الدَّارِ- أَنْ أَفْتَحَ هَذَا الْبَابَ وَأَقْتُلَ مَنْ فِيهِ، ثُمَّ هَذَا فَأَقْتُلَ مَنْ فِيهِ، ثُمَّ هَذَا فَأَقْتُلَ مَنْ فِيهِ- وَكَانَ أَنْاسٌ مِنَ الْجَرْحَى قَدْ لَجُّوا إِلَى عَائِشَةَ، فَأَخْبَرَ عَلِيٌّ بِمَكَانِهِمْ عِنْدَهَا، فَتَغَالَفَ عَنْهُمْ- فَسَكَتَتْ [نَحْرَجَ عَلِيٌّ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ: وَاللَّهِ لَا تَقْلَتْنَا هَذِهِ الْمَرْأَةُ فَغَضِبَ وَقَالَ: صَه! لَا تَهْتَكَنَّ سِتْرًا، وَلَا تَدْخُلَنَّ دَارًا، وَلَا تَهَيِّجَنَّ امْرَأَةً بِأَذَى، وَإِنْ شِئْنَا أَعْرَاضُكُمْ، وَسَفَهَنَ أُمَرَاءُكُمْ وَصُلَحَاءُكُمْ، فَإِنَّهُمْ ضِعَافٌ، وَلَقَدْ كُنَّا نُوْمِرُ بِالْكَفِّ عَنْهُمْ، وَإِنَّهُمْ لِمُشْرِكَاتٌ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيُكَافِيَ الْمَرْأَةَ وَيَتَنَاوَلَهَا بِالضَّرْبِ فَيُعِيرَ بِهَا عَقِبَهُ مِنْ بَعْدِهِ، فَلَا يَبْلُغُنِي عَنْ أَحَدٍ عَرَضٌ لَامْرَأَةٍ فَأَنْكَلُ بِهِ شِرَارَ النَّاسِ] وَمَضَى عَلِيٌّ، فَلَحِقَ بِهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَامَ رَجُلَانِ مِمَّنْ لَقِيتَ عَلَى الْبَابِ، فَتَنَاوَلَا مَنْ هُوَ أَمْضُ لَكَ شَتِيمَةً مِنْ صَفِيَّةَ قَالَ: وَيْحَكَ! لَعَلَّهَا عَائِشَةُ قَالَ: نَعَمْ، قَامَ رَجُلَانِ مِنْهُمْ عَلَى بَابِ الدَّارِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا:

جَزَيْتَ عَنَا أَمْنَا عَقُوقًا.

وَقَالَ الْآخَرُ:

يَا أَمْنَا تُؤَيِّ فَقَدْ خَطِيتِ.

فَبَعَثَ الْقَعْقَاعَ بْنَ عَمْرٍو إِلَى الْبَابِ، فَأَقْبَلَ بِمَنْ كَانَ عَلَيْهِ، فَأَحَالُوا عَلَى رَجُلَيْنِ، فَقَالَ: أَضْرِبُ أَعْنَاقَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: لِأَنَّهُمَا عَقُوبَةٌ فَضَرَبَهُمَا مِائَةً مِائَةً، وَأَخْرَجَهُمَا مِنْ ثِيَابِهِمَا.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ حَصِيرِهِ، عَنْ أَبِي الْكَنُودِ، قَالَ: هُمَا رَجُلَانِ مِنْ أَزْدِ الْكُوفَةِ يُقَالُ لَهُمَا عَجَلٌ وَسَعْدُ ابْنَا عَبْدِ اللَّهِ

٤٠٢١٠١٩ بيعة اهل البصرة عليا وقسمه ما في بيت المال عليهم

٤٠٢١٠٢٠ سيره علي فيمن قاتل يوم الجمل

٤٠٢١٠٢١ بعثه الاشتر إلى عائشة بجمل اشتراه لها وخروجها من البصرة إلى مكة

بيعة أهل البصرة علياً وقسمه ما في بيت المال عليهم

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا:

بَايَعَ الْأَحْنَفُ مِنَ الْعَشِيِّ لِأَنَّهُ كَانَ خَارِجًا هُوَ وَبَنُو سَعْدٍ، ثُمَّ دَخَلُوا جَمِيعًا الْبَصْرَةَ، فَبَايَعَ أَهْلَ الْبَصْرَةَ عَلَى رَايَاتِهِمْ، وَبَايَعَ عَلِيٌّ أَهْلَ الْبَصْرَةَ حَتَّى الْجَرْحَى وَالْمُسْتَأْمَنَةَ، فَلَمَّا رَجَعَ مَرْوَانَ لَحِقَ بِمَعَاوِيَةَ وَقَالَ قَاتِلُونَ: لَمْ يَبْرَحِ الْمَدِينَةَ حَتَّى فَرَّغَ مِنْ صَفِينِ.

قَالَا: [وَلَمَّا فَرَّغَ عَلِيٌّ مِنْ بَيْعَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ نَظَرَ فِي بَيْتِ الْمَالِ فَإِذَا فِيهِ سِتَمِائَةُ أَلْفٍ وَزِيَادَةٌ، فَقَسَمَهَا عَلَى مَنْ شَهِدَ مَعَهُ الْوَقْعَةَ، فَأَصَابَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ نَحْسَمِائَةَ نَحْسَمِائَةَ، وَقَالَ: لَكُمْ إِنْ أَظْفَرَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالشَّامِ مِثْلَهَا إِلَى أُعْطِيَاتِكُمْ] وَخَاضَ فِي ذَلِكَ السَّبْئَةِ، وَطَعَنُوا عَلَى عَلِيٍّ مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ

. سيرة علي فيمن قاتل يوم الجمل

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ رَاشِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ مِنْ سِيرَةِ عَلِيٍّ أَلَّا يَقْتُلَ مَدْبِرًا وَلَا يَذْفِفَ عَلَى جَرِيحٍ، وَلَا يَكْشِفُ سِتْرًا، وَلَا يَأْخُذُ مَالًا، [فَقَالَ قَوْمٌ يَوْمَئِذٍ: مَا يَحِلُّ لَنَا دِمَاءَهُمْ، وَيَحْرَمُ عَلَيْنَا أَمْوَالَهُمْ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: الْقَوْمُ أَمْثَالُكُمْ، مَنْ

صفح عنا فهو منا، ونحن منه، ومن لج حتى يصاب فقتاله مني على الصدر والنحر، وإن لكم في نحسه لغنى، [فيومئذ تكلمت الخوارج . بعثة الأشر إلى عائشة بجمل اشتراه لها وخروجها من البصرة إلى مكة . حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء، قال: حدثنا يحيى بن آدم، عن أبي بكر بن عياش، عن عاصم بن كليب، عن أبيه، قال: لما فرغوا يوم

٤٠٢١٠٢٢ ما كتب به علي بن أبي طالب من الفتح إلى عامله بالكوفة

الجميل أمرني الأشر فأنطلقت فاشترت له جملًا بسبعمائة درهم من رجل من مبرة، فقال: انطلق به إلى عائشة فقل لها: بعث به إليك الاشر مالك ابن الحارث، وقال: هذا عوض من بعيرك، فأنطلقت به إليها، فقلت: مالك يقرئك السلام ويقول: ان هذا البعير مكان بعيرك، قالت: لاسم الله عليه، إذ قتل يعسوب العرب - يعني ابن طلحة - وصنع بابن أخي ما صنع! قال: فرددته إلى الأشر، وأعلمته، قال: فأخرج ذراعين شعراوين، وقال: أرادوا قتلي فما أصنع! كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا:

قصدت عائشة مكة فكان وجهها من البصرة، وأنصرف مروان والأسود بن أبي البختري إلى المدينة من الطريق، وأقامت عائشة بمكة إلى الحج، ثم رجعت إلى المدينة

. ما كتب به علي بن أبي طالب من الفتح إلى عامله بالكوفة

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا:

وكتب علي بالفتح إلى عامله بالكوفة حين كتب في أمرها وهو يومئذ بمكة:

من عبد الله علي أمير المؤمنين أما بعد، فإننا التقينا في النصف من جمادى الآخرة بالخرية - فناء من أفنية البصرة - فأعطاهم الله عز وجل سنة المسلمين، وقتل منا ومنهم قتلى كثيرة، وأصيب ممن أصيب منا ثمانية بن المثنى، وهند بن عمرو، وعلاء بن الهيثم، وسبحان وزيد ابنا صوحان، ومحدوج.

وكتب عبيد الله بن رافع وكان الرسول زفر بن قيس إلى الكوفة بالبشارة في جمادى الآخرة

٤٠٢١٠٢٣ أخذ على البيعة على الناس وخبر زياد بن أبي سفيان وعبد الرحمن بن أبي بكره

٤٠٢١٠٢٤ تأمير ابن عباس على البصرة وتولييه زياد الخراج

أخذ علي البيعة على الناس وخبر زياد بن أبي سفيان وعبد الرحمن بن أبي بكره

وكان في البيعة: عليك عهد الله وميثاقه بالوفاء لتكون لسلطاننا سلها، ولحربنا حربا، ولتكفن عنا لسانك ويدك وكان زياد بن أبي سفيان ممن اعتزل ولم يشهد المعركة، قعد وكان في بيت نافع بن الحارث، وجاء عبد الرحمن بن أبي بكره في المستأمنين مسلما بعد ما فرغ علي من البيعة، فقال له علي:

وعمك المتربص المقاعد بي! فقال: والله يا أمير المؤمنين، إنه لك لواد، وإنه على مسرتك لحريص، ولكنه بلغني أنه يشتكي، فأعلم لك علمه ثم آتيك.

وكرم عليا مكانه حتى استأمره، فأمره أن يعلمه فأعلمه، فقال علي: امش أمامي فاهدني إليه، ففعل، فلما دخل عليه قال: تقاعدت عني، وتربصت - ووضع يده على صدره، وقال: هذا وجع بين - فاعتذر إليه زياد، فقبل عذره واستشاره وأمره علي على البصرة، فقال:

رجل من أهل بيتك يسكن إليه الناس، فإنه أجدر أن يطمئنوا أو ينقادوا، وسأكفيكه وأشير عليه.
فاfter علي ابن عباس، ورجع علي إلى منزله
. تأمير ابن عباس على البصرة وتولية زياد الخراج

وأمر ابن عباس على البصرة، وولى زياد الخراج وبيت المال، وأمر ابن عباس أن يسمع منه، فكان ابن عباس يقول: استشرته عند هنة
كانت من الناس، فقال: إن كنت تعلم أنك على الحق، وأن من خالفك على الباطل، أشرت عليك بما ينبغي، وإن كنت لا تدري،
أشرت عليك بما ينبغي كذلك.

فقلت: إني على الحق، وإنهم على الباطل، فقال: اضرب بمن أطاعك من عصاك ومن ترك أمرك، فإن كان أعز للإسلام وأصلح له
أن يضرب عنقه فاضرب عنقه فاستكتبته، فلما ولى رأيت ما صنع، وعلمت أنه قد اجتهد لي رأيه، وأعجلت السبئية علياً عن المقام،
وارتحلوا بغير إذنه،

٤٠٢١٠٢٥ تجهيز علي ع عائشة رضي الله عنها من البصرة

فارتحل في آثارهم ليقطع عليهم أمرا إن كانوا أرادوه، وقد كان له فيها مقام.
كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا:

علم أهل المدينة يوم الجمل يوم الخميس قبل أن تغرب الشمس من نسر مر بما حول المدينة، معه شيء متعلقه، فتأمله الناس فوقه،
فإذا كف فيها خاتم، نقشه عبد الرحمن بن عتاب، وجفل من بين مكة والمدينة من أهل البصرة، من قرب من البصرة أو بعد، وقد
علموا بالوقعة مما ينقل إليهم النور من الأيدي والاقدام

تجهيز علي ع عائشة رضي الله عنها من البصرة

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا:

وجهر علي عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع، وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام،
وأختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وقال: تجهز يا محمد، فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه، جاءها حتى
وقف لها، وحضر الناس، فخرجت على الناس وودعوها وودعهم، وقالت: يا بني، تعبت بعضنا على بعض استبطاء واستزادة، فلا
يعتدن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي
على معتب من الاخيار [وقال علي: يا ايها الناس، صدقت والله وبرت، ما كان بيني وبينها الا ذلك، وانها لزوجه نبيكم ص في الدنيا
والآخرة].

وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ست وثلاثين، وشيعها علي أميالا، وسرح بنيه معها يوماً

٤٠٢١٠٢٦ ما روى من كثرة القتل يوم الجمل

٤٠٢١٠٢٧ ما قال عمار بن ياسر لعائشة حين فرغ من الجمل

ما روي من كثرة القتل يوم الجمل

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: حدثنا محمد ابن الفضل بن عطية الخراساني، عن سعيد القطعي، قال: كنا نتحدث أن
قتلى الجمل يزيدون على ستة آلاف.

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ شَبْوَيْه، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ:

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ الْخُرَيْتِ، عَنْ أَبِي لُبَيْدٍ لِمَا زَاةَ بَنَ زِيَادٍ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: لَمْ تَسْبِ عَلِيًّا؟ قَالَ: أَلَا أَسْبِ رَجُلًا قَتَلَ مِنَ الْفَيْنِ وَخَمْسَمِائَةٍ، وَالشَّمْسُ هَاهُنَا! قَالَ جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ: وَسَمِعْتُ ابْنَ أَبِي يَعْقُوبَ يَقُولُ: قَتَلَ عَلِيٌّ بَنَ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَ الْجَمَلِ الْفَيْنِ وَخَمْسَمِائَةٍ، الْفِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَخَمْسُونَ مِنَ الْأَزْدِ وَثَمَانُمِائَةٍ مِنْ بَنِي ضَبَّةَ، وَثَلَاثُمِائَةٍ وَخَمْسُونَ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ.

وَحَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: قَتَلَ الْمَعْرُضُ بْنُ عَلَاطٍ يَوْمَ الْجَمَلِ، فَقَالَ أَخُوهُ الْحَجَّاجُ:

لَمْ أَرِ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ سَاعِيَا ... بِكَفِّ شَمَالٍ فَارَقَتْهَا يَمِينُهَا

قَالَ مَعَاذُ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ جَرِيرٌ: قَتَلَ الْمَعْرُضُ بْنُ عَلَاطٍ يَوْمَ الْجَمَلِ، فَقَالَ أَخُوهُ الْحَجَّاجُ:

لَمْ أَرِ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ سَاعِيَا ... بِكَفِّ شَمَالٍ فَارَقَتْهَا يَمِينُهَا

مَا قَالَ عُمَارُ بْنُ يَاسِرٍ لِعَائِشَةَ حِينَ فَرَّغَ مِنَ الْجَمَلِ

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ سُلَيْمَانَ، قَالَ:

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا يَزِيدَ الْمَدِينِيَّ يَقُولُ:

قَالَ عُمَارُ بْنُ يَاسِرٍ لِعَائِشَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- حِينَ فَرَّغَ الْقَوْمُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، مَا أَبْعَدَ هَذَا الْمَسِيرُ مِنَ الْعَهْدِ الَّذِي عُهِدَ إِلَيْكَ! قَالَتْ: أَبُو الْيَقْظَانِ! قَالَ:

٤٠٢١٠٢٨ آخر حديث الجمل بعثه علي بن ابى طالب قيس بن سعد بن عبادہ أميرا على مصر

نَعَمْ، قَالَتْ: وَاللَّهِ إِنَّكَ- مَا عَلِمْتُ- قَوْلًا بِالْحَقِّ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَضَى لِي عَلَى لِسَانِكَ

. آخر حديث الجمل بعثه علي بن أبي طالب قيس بن سعد بن عبادہ أميرا على مصر

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ- أَعْنِي سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ- قَتَلَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُدَيْفَةَ، وَكَانَ سَبَبَ قَتْلِهِ أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ الْمَصْرِيُّونَ إِلَى عُثْمَانَ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، أَقَامَ بِمِصْرَ، وَأَخْرَجَ عَنْهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ، وَضَبَطَهَا، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا مُقِيمًا حَتَّى قَتَلَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَبَوَّعَ لِعَلِيٍّ، وَأَظْهَرَ مُعَاوِيَةَ الْخُلَافَ، وَبَايَعَهُ عَلَى ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، فَسَارَ مُعَاوِيَةُ وَعَمْرُو إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حُدَيْفَةَ قَبْلَ قُدُومِ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ مِصْرَ، فَعَالَجَا دُخُولَ مِصْرَ، فَلَمْ يَقْدِرَا عَلَى ذَلِكَ، فَلَمْ يَزَالَا يَخْدَعَانِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي حُدَيْفَةَ حَتَّى خَرَجَ إِلَى عَرِيشِ مِصْرَ فِي أَلْفِ رَجُلٍ، فَتَحَصَّنَ بِهَا، وَجَاءَهُ عَمْرُو فَنَصَبَ الْمَنْجَنِقَ عَلَيْهِ حَتَّى نَزَلَ فِي ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَخَذُوا وَقَتَلُوا رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

وَأَمَّا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ فَإِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ لُوطَ بْنَ يَحْيَى بْنَ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يُونُسَ الْآنَصَارِيِّ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، عَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي حُدَيْفَةَ بْنَ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ بْنَ عَبْدِ شَمْسٍ بْنَ عَبْدِ مَنَاةٍ هُوَ الَّذِي كَانَ سَرَبَ الْمَصْرِيِّينَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَإِنَّهُمْ لَمَّا سَارُوا إِلَى عُثْمَانَ فَخَصَرُوهُ وَثَبَّ هُوَ بِمِصْرَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ أَحَدِ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤْيٍ الْقُرَشِيِّ، وَهُوَ عَامِلُ عُثْمَانَ يَوْمَئِذٍ عَلَى مِصْرَ، فَطَرَدَهُ مِنْهَا، وَصَلَّى بِالنَّاسِ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ سَعْدٍ مِنْ مِصْرَ فَتَزَلَّ عَلَى تَحْوِمِ أَرْضِ مِصْرَ مِمَّا بَلَى فِلَسْطِينَ، فَانْتَظَرَ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِ عُثْمَانَ، فَطَلَعَ رَاكِبًا فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَا وَرَاءُكَ؟ خَبَرْنَا بِخَبَرِ النَّاسِ خَلْفَكَ، قَالَ: أَفْعَلُ، قَتَلَ الْمُسْلِمُونَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»، يَا عَبْدَ اللَّهِ، ثُمَّ صَنَعُوا مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ بَايَعُوا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»، قَالَ لَهُ الرَّجُلُ: كَأَنَّ وَلَايَةَ عَلِيٍّ بَنَ أَبِي طَالِبٍ عَدَلَتْ عِنْدَكَ قَتْلَ عُثْمَانَ! قَالَ: أَجَلُ قَالَ:

فَنظَرَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ، فَتَأَمَّلَهُ فَعَرَفَهُ وَقَالَ: كَأَنَّكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ أَمِيرُ مِصْرَ! قَالَ: أَجَلُ، قَالَ لَهُ الرَّجُلُ: فَإِنْ كَانَ لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ فَالْجَاءُ النَّجَاءُ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِيكَ وَفِي أَصْحَابِكَ سَيِّئٌ، إِنْ ظَفَرَ بِكُمْ قَتَلَكُمْ أَوْ نَفَاكُمْ عَنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا بَعْدِي أَمِيرٌ يَقْدُمُ عَلَيْكَ قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: وَمَنْ هَذَا الْأَمِيرُ؟ قَالَ: قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ: أَبَعَدَ اللَّهُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي حُذَيْفَةَ! فَإِنَّهُ بَغَى عَلَى ابْنِ عَمِّهِ، وَسَعَى عَلَيْهِ، وَقَدْ كَانَ كَفَلَهُ وَرَبَاهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، فَأَسَاءَ جَوَارَهُ، وَوَثَبَ عَلَى عَمَالِهِ، وَجَهَزَ الرِّجَالَ إِلَيْهِ حَتَّى قَتَلَ، ثُمَّ وَلَّى عَلَيْهِ مِنْ هُوَ أَبَعَدَ مِنْهُ وَمِنْ عُثْمَانَ، لَمْ يَمْتَعَهُ بِسُلْطَانِ بِلَادِهِ حَوْلًا وَلَا شَهْرًا، وَلَمْ يَرَهُ لَذَلِكَ أَهْلًا، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ:

انْجُ بِنَفْسِكَ، لَا تَقْتُلْ نَفْرَجَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ هَارِبًا حَتَّى قَدِمَ عَلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ دِمَشْقَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: نَخْبَرُ هِشَامَ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ وَلَّى مِصْرَ وَمُحَمَّدَ بْنَ أَبِي حُذَيْفَةَ حَيًّا.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى مِصْرَ قَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا ذَكَرَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيُّ، قَالَ:

حَدَّثَنِي أَبُو مَخْنَفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: [لَمَّا قَتَلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَوَلَّى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْأَمْرَ، دَعَا قَيْسَ بْنَ سَعْدِ الْأَنْصَارِيِّ فَقَالَ لَهُ: سِرْ إِلَى مِصْرَ فَقَدْ وَلَيْتُكُمَا، وَاخْرُجْ إِلَى

رَحْلِكَ، وَاجْمَعْ إِلَيْكَ ثِقَاتَكَ وَمَنْ أَحْبَبْتَ أَنْ يَصْحَبَكَ حَتَّى تَأْتِيَهَا وَمَعَكَ جُنْدٌ، فَإِنْ ذَلِكَ أَرْعَبَ لَعْدُوكَ وَأَعَزَّ لَوْلِيكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدِمْتَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَأَحْسِنْ إِلَى الْحَسَنِ، وَاشْتَدَّ عَلَى الْمَرِيبِ، وَارْفُقْ بِالْعَامَةِ وَالْخَاصَةِ، فَإِنَّ الرِّفْقَ يَمُنُّ].

فَقَالَ لَهُ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَقَدْ فَهَمْتُ مَا قُلْتَ، أَمَا قَوْلُكَ: اخْرُجْ إِلَيْهَا بِجُنْدٍ، فَوَاللَّهِ لَنْ لَمْ أَدْخُلْهَا إِلَّا بِجُنْدٍ أَتَيْتُهَا بِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ لَا أَدْخُلُهَا أَبَدًا، فَأَنَا أَدْعُ ذَلِكَ الْجُنْدَ لَكَ، فَإِنْ أَنْتَ احْتَجَجْتَ إِلَيْهِمْ كَانُوا مِنْكَ قَرِيبًا، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَبْعَهُمْ إِلَى وَجْهِهِ مِنْ وَجْهِكَ كَانُوا عِدَّةً لَكَ، وَأَنَا أَصِيرُ إِلَيْهَا بِنَفْسِي وَأَهْلِي بَيْتِي وَأَمَّا مَا أَوْصَيْتَنِي بِهِ مِنَ الرِّفْقِ وَالْإِحْسَانِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْمُسْتَعَانُ عَلَى ذَلِكَ.

قَالَ: نَفْرَجَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى دَخَلَ مِصْرَ، فَصَعِدَ الْمُنْبَرَ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ، وَأَمَرَ بِكُتَابٍ مَعَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَرَأَ عَلَى أَهْلِ مِصْرَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِحَسَنِ صُنْعِهِ وَتَقْدِيرِهِ وَتَدْبِيرِهِ، اخْتَارَ الْإِسْلَامَ دِينًا لِنَفْسِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرَسُولِهِ، وَبَعَثَ بِهِ الرِّسَالَ إِلَى عِبَادِهِ، وَخَصَّ بِهِ مَنْ انْتَخَبَ مِنْ خَلْقِهِ، فَكَانَ مِمَّا أَكْرَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ، وَخَصَّ بِهِ مِنَ الْفَضِيلَةِ أَنْ بَعَثَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَلِمَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالْفَرَائِضَ وَالسُّنَنَ، لِكَيْمَا يَهْتَدُوا، وَجَمَعَهُمْ لِكَيْمَا لَا يَتَفَرَّقُوا، وَزَكَاهُمْ لِكَيْمَا يَتَطَهَّرُوا، وَرَفَّهُمْ لِكَيْمَا لَا يَجُورُوا، فَلَمَّا قَضَى مِنْ ذَلِكَ مَا عَلَيْهِ قَبْضُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ ثُمَّ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ اسْتَخْلَفُوا بِهِ أَمِيرَيْنِ صَالِحَيْنِ، عَمَلًا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَنَةِ، وَأَحْسَنَا السِّيَرَةَ، وَلَمْ يَعْدُوا السُّنَةَ، ثُمَّ تَوَفَّاهُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثُمَّ وَلَّى بَعْدَهُمَا وَالْأَحَدُثُ أَحْدَاثًا، فَوَجَدَتِ الْأُمَّةُ عَلَيْهِ مَقَالًا فَقَالُوا، ثُمَّ نَقَمُوا عَلَيْهِ فَغَيَّرُوا، ثُمَّ جَاءُونِي فَبَايَعُونِي، فَأَسْتَهْدِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِالْهَدَى، وَاسْتَعِينَهُ عَلَى التَّقْوَى أَلَا وَإِنْ لَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَنِ رَسُولِهِ ص، وَالْقِيَامُ عَلَيْكُمْ بِحَقِّهِ وَالتَّنْفِيزُ لِسُنَّتِهِ، وَالنَّصْحُ لَكُمْ بِالْغَيْبِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ قَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ أَمِيرًا، فَوَازَرُوهُ وَكَانَفُوهُ، وَأَعِينُوهُ عَلَى الْحَقِّ، وَقَدْ أَمَرْتُهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى مُحْسِنِكُمْ، وَالشَّدَّةَ عَلَى مَرِيبِكُمْ، وَالرِّفْقَ بِعَوَامِكُمْ وَخَوَاصِكُمْ، وَهُوَ مَنْ أَرْضَى هَدْيَهُ، وَأَرْجُو صَلَاحَهُ وَنَصِيحَتَهُ أَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَنَا وَلَكُمْ عَمَلًا زَاكِيًا، وَثَوَابًا جَزِيلًا، وَرَحْمَةً وَاسِعَةً، وَالسَّلَامَ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ.

وَكُتِبَ عِنْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ فِي صَفَرِ سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ قَامَ خَطِيبًا، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ ص، وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَاءَ بِالْحَقِّ، وَأَمَاتَ الْبَاطِلَ،

وكتب الظالمين أيها الناس، إنا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمد نبينا ص، فقوموا أيها الناس فبايعوا على كتاب الله عز وجل سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم.

فقام الناس فبايعوا، واستقامت له مصر، وبعث عليها عماله، إلا أن قرية منها يقال لها: خربت فيها أناس قد أعظموا قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وبها رجل من كنانة ثم من بني مدلج يقال له يزيد بن الحارث من بني الحارث بن مدلج فبعث هؤلاء إلى قيس بن سعد: إنا لا نفاتك فابعث عمالك، فالأرض أرضك، ولكن أقرنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس. قال: ووثب مسلمة بن مخلد الأنصاري، ثم من ساعده من رهط قيس ابن سعد، فنعى عثمان بن عفان رضي الله عنه، ودعا إلى الطلب بدمه، فأرسل

إليه قيس بن سعد: ويحك، علي ثب! فوالله ما أحب أن لي ملك الشام إلى مصر وأني قتلتك فبعث إليه مسلمة: إني كاف عنك ما دمت أنت والي مصر.

قال: وكان قيس بن سعد له حزم ورأي، فبعث إلى الذين بخربتا:

إني لا أكرهكم على البيعة، وأنا أدعكم وأكف عنكم فهادنهم وهاذن مسلمة بن مخلد، وجبى الخراج، ليس أحد من الناس ينارعه. قال: وخرج أمير المؤمنين إلى أهل الجمل وهو على مصر، ورجع إلى الكوفة من البصرة وهو بمكانه، فكان أثقل خلق الله على معاوية بن أبي سفيان لقربه من الشام، مخافة أن يقبل إليه علي في أهل العراق، ويقبل إليه قيس بن سعد في أهل مصر، فيقع معاوية بينهما. وكتب معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد - وعلي بن أبي طالب يومئذ بالكوفة قبل أن يسير إلى صفين:

من معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد سلام عليك، أما بعد، فإنكم إن كنتم نقمتم على عثمان بن عفان رضي الله عنه في أثره رأيتموها، أو ضربة سوط ضربها، أو شتمة رجل، أو في تسييره آخر، أو في استعماله الفتى، فإنكم قد علمتم - إن كنتم تعلمون - أن دمه لم يكن يحل لكم، فقد ركبتم عظيما من الأمر، وجئتم شيئا إذا، فتب إلى الله عز وجل يا قيس ابن سعد فإنك كنت في المجليين على عثمان بن عفان - إن كانت التوبة من قتل المؤمن تغني شيئا - فأما صاحبك فإنا استيقنا أنه الذي أغرى به الناس، وحملهم على قتله حتى قتلوه، وأنه لم يسلم من دمه عظم قومك، فإن استطعت يا قيس أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل تابعا على أمرنا، ولك سلطان العراقين إذا ظهرت ما بقيت، ولن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان، وسليني غير هذا مما تحب، فإنك لا تسألني

شيئا إلا أوتيته، واكتب إلي برأيك فيما كتبت به إليك والسلام.

فلما جاءه كتاب معاوية أحب أن يدافعه ولا يبدي له أمره، ولا يتعجل له حربه، فكتب إليه:

أما بعد، فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه من قتل عثمان، وذلك امر لم أقارفه، ولم أطف به وذكرت أن صاحبي هو أغرى الناس بعثمان، ودسهم إليه حتى قتلوه، وهذا ما لم أطلع عليه، وذكرت أن عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان، فأول الناس كان فيه قياما عشيرتي وأما ما سألتني من متابعتك، وعرضت علي من الجزاء به، فقد فهمته، وهذا أمر لي فيه نظر وفكرة، وليس هذا مما يسرع إليه، وأنا كاف عنك، ولن يأتيك من قبلي شيء تكرهه حتى ترى إن شاء الله، والمستجار الله عز وجل، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قال: فلما قرأ معاوية كتابه، لم يره إلا مقاربا مباعدا، ولم يأمن أن يكون له في ذلك مباعدا مكابدا، فكتب إليه معاوية أيضا:

أما بعد، فقد قرأت كتابك، فلم أرك تدنو فأعدك سلها، ولم أرك تباعد فأعدك حربا، أنت فيما هاهنا كحنك الجزور، وليس مثلي يصانع المخادع، ولا ينتزع للمكاييد، ومعه عدد الرجال، ويده أعنة الخيل، والسلام عليك.

فلما قرأ قيس بن سعد كتاب معاوية، ورأى أنه لا يقبل معه المدافعة والمماطلة، أظهر له ذات نفسه، فكتب إليه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من قيس بن سعد، إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْعَجَبَ مِنْ اغْتِرَارِكَ بِي، وَطَمَعِكَ فِي، وَاسْتِسْقَاطِكَ رَأْيِي.

أَتَسْأَلُنِي الْخُرُوجَ مِنْ طَاعَةِ أَوْلَى النَّاسِ بِالْإِمْرَةِ، وَأَقُولُهُمْ لِلْحَقِّ، وَأَهْدَاهُمْ سَبِيلًا، وَأَقْرِبَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص وَسَبِيلَهُ، وَأَتَأْمُرُنِي بِالْخُرُوجِ فِي طَاعَتِكَ، طَاعَةَ أَبْعَدِ النَّاسِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَأَقُولُهُمْ لِلزُّورِ، وَأَضْلَهُمْ سَبِيلًا، وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ ص وَسَبِيلِهِ، وَلِدِ ضَالِّينَ مُضِلِّينَ، طَاغُوتٍ مِنْ طَوَاغِيتِ إبْلِيسَ! وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنِّي مَالِي عَلَيْكَ مِصْرَ خِيَلًا وَرِجَالًا فَوَاللَّهِ إِنْ لَمْ أَشْغَلْكَ بِنَفْسِكَ حَتَّى تَكُونَ نَفْسُكَ أَهْمَ إِلَيْكَ، إِنَّكَ لَذُو جَدٍّ، وَالسَّلَامُ فَلَهَا بَلَّغَ مُعَاوِيَةَ كِتَابَ قَيْسِ أَيْسَ مِنْهُ، وَثَقُلَ عَلَيْهِ مَكَانَهُ.

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الْمُرُوزِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: كَانَتْ مِصْرَ مِنْ حِينَ عَلِيٍّ، عَلَيْهِمَا قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ عِبَادَةَ، وَكَانَ صَاحِبَ رَايَةِ الْإِنصَارِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَكَانَ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ وَالْبَأْسِ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ جَاهِدِينَ عَلَى أَنْ يَخْرِجَاهُ مِنْ مِصْرَ لِيُغْلِبَا عَلَيْهِمَا، فَكَانَ قَدْ امْتَنَعَ فِيهَا بِالْأَهْلِ وَالْمَكَايِدَةِ، فَلَمْ يَقْدِرَا عَلَيْهِ، وَلَا عَلَى أَنْ يَفْتَتِحَا مِصْرَ، حَتَّى كَادَ مُعَاوِيَةُ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ مِنْ قَبْلِ عَلِيٍّ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ يُحَدِّثُ رِجَالًا مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ مِنْ قُرَيْشٍ يَقُولُ: مَا ابْتَدَعْتُ مَكَايِدَةَ قَطُّ كَانَتْ أَعْجَبَ عِنْدِي مِنْ مَكَايِدَةِ كَدَتْ بِهَا قَيْسًا مِنْ قَبْلِ عَلِيٍّ وَهُوَ بِالْعِرَاقِ حِينَ امْتَنَعَ مِنِّي قَيْسٌ. قُلْتُ لِأَهْلِ الشَّامِ لَا: تَسْبُوا قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ، وَلَا تَدْعُوا إِلَى غَزْوِهِ، فَإِنَّهُ لَنَا شِيعَةٌ، يَأْتِينَا كَيْسُ نَصِيحَتِهِ سِرًّا أَلَّا تَرَوْنَ مَا يَفْعَلُ بِإِخْوَانِكُمُ الَّذِينَ عِنْدَهُ مِنْ أَهْلِ خَرْبَتَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ أُعْطِيَتُهُمْ وَأَرْزَاقُهُمْ، وَيُؤْمِنُ سَرِبَهُمْ، وَيُحْسِنُ إِلَى كُلِّ رَاكِبٍ قَدِمَ عَلَيْهِ مِنْكُمْ، لَا يَسْتَنْكِرُونَهُ فِي شَيْءٍ! قَالَ مُعَاوِيَةُ: وَهَمِمْتُ أَنْ أَكْتُبَ بِذَلِكَ إِلَى شِيعَتِي مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَيَسْمَعُ بِذَلِكَ جَوَاسِيسُ عَلِيٍّ عِنْدِي وَبِالْعِرَاقِ فَيُبْلَغُ ذَلِكَ عَلَيْهِمَا، وَنِمَاهُ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَلَهَا بَلَّغَ ذَلِكَ عَلَيْهِمَا قَيْسًا، وَكُتِبَ إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ بِقِتَالِ أَهْلِ خَرْبَتَا- وَأَهْلِ خَرْبَتَا يَوْمَئِذٍ عَشْرَةُ آلَافٍ- فَأَبَى قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ أَنْ يُقَاتِلَهُمْ، وَكُتِبَ إِلَى عَلِيٍّ: إِنَّهُمْ وَجُوهُ أَهْلِ مِصْرَ وَأَشْرَافَهُمْ، وَأَهْلُ الْحِفَافِ مِنْهُمْ، وَقَدْ رَضُوا مِنِّي أَنْ أُوْمِنَ سَرِبَهُمْ، وَأَجْرِي عَلَيْهِمْ أُعْطِيَتُهُمْ وَأَرْزَاقُهُمْ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ هَوَاهُمْ مَعَ مُعَاوِيَةَ، فَلَسْتُ مَكَايِدَهُمْ بِأَمْرٍ أَهْوَنَ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ مِنَ الَّذِي أَفْعَلُ بِهِمْ، وَلَوْ أَنِّي غَزَوْتُهُمْ

كَانُوا لِي قُرْنًا، وَهُمْ أَسْوَدُ الْعَرَبِ، وَمِنْهُمْ بَسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاةَ، وَمُسْلِمَةُ بْنُ مَخْلَدٍ، وَمُعَاوِيَةُ بْنُ خَدِيجٍ، فَذَرْنِي فَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَدَارِي مِنْهُمْ فَأَبَى عَلِيٍّ إِلَّا قِتَالَهُمْ، وَأَبَى قَيْسُ أَنْ يُقَاتِلَهُمْ.

فَكُتِبَ قَيْسُ إِلَى عَلِيٍّ: إِنْ كُنْتَ تَتَهَمُنِي فَاعْزِلْنِي عَنْ عَمَلِكَ، وَابْعَثْ إِلَيْهِ غَيْرِي فَبَعَثَ عَلِيٌّ الْأَشْثَرَ أَمِيرًا إِلَى مِصْرَ، حَتَّى إِذَا صَارَ بِالْقَلْزَمِ شَرِبَ شُرْبَةَ عَسَلٍ كَانَ فِيهَا حَتْفُهُ فَبَلَّغَ حَدِيثَهُمْ مُعَاوِيَةَ وَعَمْرًا، فَقَالَ عَمْرُو: إِنْ لِلَّهِ جُنْدًا مِنْ عَسَلٍ.

فَلَهَا بَلَّغَ عَلَيْهِمَا وَفَاةَ الْأَشْثَرَ بِالْقَلْزَمِ بَعَثَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَمِيرًا عَلَى مِصْرَ فَالزَّهْرِيُّ يَذْكُرُ أَنَّ عَلِيًّا بَعَثَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَمِيرًا عَلَى مِصْرَ بَعْدَ مَهْلِكِ الْأَشْثَرَ بِالْقَلْزَمِ، وَأَمَّا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، فَانْهَ ذَكَرَ فِي خَبَرِهِ أَنَّ عَلِيًّا بَعَثَ بِالْأَشْثَرَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرَ بَعْدَ مَهْلِكِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ هِشَامٍ عَنْ أَبِي مُخَنَفٍ: وَلَمَّا أَيْسَ مُعَاوِيَةَ مِنْ قَيْسٍ أَنْ يَتَابِعَهُ عَلَى أَمْرِهِ، شَقَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ، لَمَّا يَعْرِفُ مِنْ حَزْمِهِ وَبَأْسِهِ، وَأَظْهَرَ لِلنَّاسِ قَبْلَهُ، أَنَّ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَدْ تَابَعَكَمُ، فَادْعُوا اللَّهَ لَهُ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَهُ الَّذِي لَانَ لَهُ فِيهِ وَقَارُهُ قَالَ: وَاخْتَلَقَ مُعَاوِيَةُ كِتَابًا مِنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، فَقَرَأَهُ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لِلْأَمِيرِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ مِنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، سَلَامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لَمَّا نَظَرْتُ رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَسْعُنِي مَظَاهِرُهُ قَوْمٌ قَتَلُوا أَمَامَهُمْ مُسْلِمًا مُحَرَّمًا بِرَأْسِهِ، فَاسْتَغْفَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَذُنُوبِنَا، وَنَسَأَلَهُ الْعَصْمَةَ

لديننا ألا وإني قد ألقيت إليكم بالسلم، وإني أجبك إلى قتال قتله عثمان، إمام الهدى المظلوم، فعول علي فيما أحببت من الأموال والرجال أعجل عليك، والسلام.

فشاع في أهل الشام أن قيس بن سعد قد بايع معاوية بن أبي سفيان، فسرحت عيون علي بن أبي طالب إليه بذلك، فلما أتاه ذلك أعظمه وأكبره،

وتعجب له، ودعا بنيه، ودعا عبد الله بن جعفر فأعلمهم ذلك، فقال:

ما رأيكم؟ فقال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين، دع ما يريك إلى ما لا يريك، اعزل قيسا عن مصر قال لهم علي: إني والله ما أصدق بهذا علي قيس، فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين، اعزله، فوالله لئن كان هذا حقا لا يعتزل لك إن عزله.

فإنهم كذلك إذ جاء كتاب من قيس بن سعد فيه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أما بعد، فإني أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن قبلي رجلا معتزلين قد سألوني أن أكف عنهم، وأن أدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس، فترى ويراو رأيهم، فقد رأيت أن أكف عنهم، وألا أتعجل حربهم، وأن أتألفهم فيما بين ذلك لعل الله عز وجل أن يقبل بقلوبهم، ويفرقهم عن ضلاتهم، إن شاء الله.

فقال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين، ما أخوفني أن يكون هذا مما لأهله، ففره يا أمير المؤمنين بقتالهم، فكتب إليه علي: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أما بعد، فسر إلى القوم الذين ذكرت، فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون وإلا فناجزهم إن شاء الله.

فلما أتى قيس بن سعد الكتاب فقرأه، لم يتمالك أن كتب إلى أمير المؤمنين:

أما بعد يا أمير المؤمنين، فقد عجبت لأمرك، أتأمرني بقتال قوم كافين عنك، مفرغيك لقتال عدوك! وإنك متى حاربهم ساعدوا عليك عدوك، فأطعني يا أمير المؤمنين، واكف عنهم، فإن الرأي تركهم، والسلام.

فلما أتاه هذا الكتاب قال له عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين، ابعث محمد بن أبي بكر على مصر يكفك أمرها، واعزل قيسا، والله لقد بلغني أن قيسا يقول: والله إن سلطانا لا يتم إلا بقتل مسلمة بن مخلد لسلطان سوء، والله ما أحب أن لي ملك الشام إلى مصر وأني قتلت ابن المخلد قال:

٤٠٢١٠٢٩ ولاية محمد بن أبي بكر مصر

وكان عبد الله بن جعفر أخا محمد بن أبي بكر لأمه، فبعث علي محمد بن أبي بكر على مصر، وعزل عنها قيسا

. ولاية محمد بن أبي بكر مصر

قال هشام، عن ابن مخنف: حدثني الحارث بن كعب الوالي - من والبة الأزدي - عن أبيه، أن عليا كتب معه إلى أهل مصر كتابا، فلما قدم به على قيس قال له قيس: ما بال أمير المؤمنين! ما غيره؟ أدخل أحد بيني وبينه؟ قال له: لا، وهذا السلطان سلطانك؟! قال: لا، والله لا أقيم معك ساعة واحدة وغضب حين عزله، فخرج منها مقبلا إلى المدينة، فقدمها، فجاءه حسان بن ثابت شامتا به - وكان حسان عثمانيا - فقال له:

نزعك علي بن أبي طالب، وقد قتلت عثمان فبقي عليك الإثم، ولم يحسن لك الشكر! فقال له قيس بن سعد: يا أعمى القلب والبصر، والله لولا أن ألقى بين رهطي ورهطك حربا لضربت عنقك، اخرج عني.

ثم إن قيسا خرج هو وسهل بن حنيف حتى قدما على علي، فخبره قيس، فصدقه علي ثم إن قيسا وسهلا شهدا مع علي صفين.

وأما الزهري، فإنه قال فيما حدثني به عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال، حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله، عن يونس، عن الزهري، أن محمد بن أبي بكر قدم مصر وخرج قيس فلقق بالمدينة، فأخافه مروان والأسود بن أبي البختري، حتى إذا خاف أن

يؤخذ أو يقتل، ركب راحلته، فظهر إلى علي فبعث معاوية إلى مروان والأسود يتغيظ عليهما، ويقول: أمددتما عليا بقيس بن سعد ورأيه ومكانه، فوالله لو أنكما أمددتما بمائة ألف مقاتل ما كان ذلك بأغيظ لي من إخراجكما قيس بن سعد إلى علي فقدم قيس بن سعد على علي، فلما بائه الحديث وجاءهم قتل محمد بن أبي بكر، عرف أن قيس بن سعد كان يقاسي أمورا عظاما من المكيدة، وأن من كان يهزه على عزل قيس بن سعد لم ينصح له، فأطاع علي قيس بن سعد في الأمر كله

قال هشام: عن أبي مخنف، قال: حدثني الحارث بن كعب الوالي، عن أبيه، قال: كنت مع محمد بن أبي بكر حين قدم مصر، فلما قدم قرأ عليهم عهده:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا عَهَدَ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ حِينَ وُلَاهُ مِصْرَ، وَأَمْرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالطَّاعَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَخَوْفِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْغَيْبِ وَالْمَشْهَدِ، وَبِاللِّينِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَبِالْغُلْظَةِ عَلَى الْفَاجِرِ، وَبِالْعَدْلِ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ، وَبِإِنْصَافِ الْمَظْلُومِ، وَبِالشَّدَةِ عَلَى الظَّالِمِ، وَبِالْعَفْوِ عَنِ النَّاسِ، وَبِالْإِحْسَانِ مَا اسْتَطَاعَ، وَاللَّهُ يَجْزِي الْحَسَنِينَ، وَيُعَذِّبُ الْمَجْرِمِينَ وَأَمْرُهُ أَنْ يَدْعُو مَنْ قَبْلَهُ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْعَاقِبَةِ وَعَظِيمِ الْمَثُوبَةِ مَا لَا يَقْدِرُونَ قَدْرَهُ، وَلَا يَعْرِفُونَ كُنْهَهُ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَجْجِي خِرَاجَ الْأَرْضِ عَلَى مَا كَانَتْ تَجْجِي عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ، لَا يَنْتَقِصُ مِنْهُ وَلَا يَبْتَدِعُ فِيهِ، ثُمَّ يَقْسِمُهُ بَيْنَ أَهْلِهِ عَلَى مَا كَانُوا يَقْسِمُونَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ، وَأَنْ يَلِينَ لَهُمْ جَنَاحَهُ، وَأَنْ يُوَاسِيَ بَيْنَهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَوُجْهِهِ، وَلِيَكُنَ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً وَأَمْرُهُ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ، وَأَنْ يَقُومَ بِالْقِسْطِ، وَلَا يَتَّبِعِ الْهَوَى، وَلَا يَخْشَى فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَوْمَةً لَأْتِيَةً، فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاهُ مَعَ مَنْ اتَّقَى وَآثَرَ طَاعَتَهُ وَأَمْرُهُ عَلَى مَا سِوَاهُ وَكَتَبَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُزَّةٍ شَهْرَ رَمَضَانَ.

قال: ثم إن محمد بن أبي بكر قام خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لو كنا نعرفه لن نكون عليه، وبصرنا وإياكم كثيرا مما عمي عنه الجاهلون ألا إن أمير المؤمنين ولاني أموركم، وعهد إلي ما قد سمعتم، وأوصاني بكثير منه مشافهة، ولن ألوكم خيرا ما استطعت، «وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب»، فإن يكن ما ترون من إمارتي وأعمالي طاعة لله وتقوى، فاحمدوا الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا كَانَ

من ذلك، فإنه هو الهادي، وإن رأيتم عاملا عمل غير الحق زائغا، فارفعوه إلي، وعاتبوني فيه، فإني بذلك أسعد، وأنتم بذلك جديرون وفقنا الله وإياكم لصالح الأعمال برحمته، ثم نزل.

وذكر هشام، عن أبي مخنف، قال: وحدثني يزيد بن ظبيان الهمداني، أن محمد بن أبي بكر كتب إلى معاوية بن أبي سفيان لما ولي، فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهت ذكرها لما فيه مما لا يحتمل سماعها العامة قال: ولم يلبث محمد بن أبي بكر شهرا كاملا حتى بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين كان قيس وادعهم فقال: يا هؤلاء، إما أن تدخلوا في طاعتنا، وإما أن تخرجوا من بلادنا، فبعثوا إليه: إنا لا نفعل، دعنا حتى ننظر إلى ما تصير إليه أمورنا، ولا تعجل بحربنا فأبى عليهم، فامتنعوا منه، وأخذوا حذرهم، فكانت وقعة صفين، وهم لمحمد هائبون، فلما أتاها صبر معاوية وأهل الشام لعل، وأن عليا وأهل العراق قد رجعوا عن معاوية وأهل الشام، وصار أمرهم إلى الحكومة، اجترأوا على محمد بن أبي بكر، وأظهروا له المبارزة، فلما رأى ذلك محمد بعث الحارث بن جهمان الجعفي إلى أهل خربتا، وفيها يزيد بن الحارث من بني كنانة، فقاتلهم، فقتلوه ثم بعث إليهم رجلا من كلب يدعى ابن مضاهم، فقتلوه.

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة فيما قيل: قدم ماهويه مرزبان مرو مقرا بالصلح الذي كان جرى بينه وبين ابن عامر على علي. ذكر من قال ذلك:

قال علي بن محمد المدائني، عن أبي زكرياء العجلاني، عن ابن إسحاق، عن أشياخه، قال: قدم ماهويه أبراز مرزبان مرو على علي بن

أَيُّ طَالِبٍ بَعْدَ الْجَمَلِ مُقَرَّرًا بِالْصُّلْحِ، فَكَتَبَ لَهُ عَلِيٌّ كِتَابًا إِلَى دَهَاقِينَ مَرَوْ وَالْأَسَاوِرَةِ وَالْجَنْدِ سَلَارِينَ وَمَنْ كَانَ فِي مَرَوْ:
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَا هُوَ بِهِ أَرَاكَ مَرْزُبَانَ مَرَوْ جَاءَنِي، وَإِنِّي رَضِيتُ

٤٠٢١٠٣٠ توجيه علي خليف بن طريف إلى خراسان

٤٠٢١٠٣١ ذكر خبر عمرو بن العاص ومبايعته معاوية

عَنْهُ وَكَتَبَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ ثُمَّ إِنَّهُمْ كَفَرُوا وَأَغْلَقُوا أَبْرَشَهْرَ

. توجيه علي خليف بن طريف إلى خراسان

قَالَ عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيِّ: أَخْبَرَنَا أَبُو مَخْنَفٍ، عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ الْأَعْلَمِ، عَنْ مَاهَانَ الْحَنْفِيِّ، عَنْ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ الْمَجَاشِعِيِّ، قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ
خَلِيدَ بْنَ قُرَّةَ الْيَرْبُوعِيِّ - وَيُقَالُ خَلِيدُ بْنُ طَرِيفٍ - إِلَى خُرَاسَانَ

. ذكر خبر عمرو بن العاص ومبايعته معاوية

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنِي سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ - بَايَعَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مُعَاوِيَةَ، وَوَافَقَهُ عَلَى مُحَارَبَةِ عَلِيٍّ، وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا كَتَبَ بِهِ إِلَيَّ
السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطْلُحَةَ وَأَبِي حَارِثَةَ وَأَبِي عُثْمَانَ، قَالُوا:

لَمَّا أَحِيطَ بِعُثْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - خَرَجَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِنَ الْمَدِينَةِ مُتَوَجِّهًا نَحْوَ الشَّامِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ، مَا يَقِيمُ بِهَا أَحَدٌ
فِي دِرْكِهِ قَتْلَ هَذَا الرَّجُلِ إِلَّا ضَرَبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذُلٍّ، مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ نَصْرَهُ فَلْيَهْرَبْ فَسَارَ وَسَارَ مَعَهُ ابْنَاهُ عَبْدُ اللَّهِ وَمُحَمَّدٌ، وَخَرَجَ بَعْدَهُ
حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ، وَتَتَابَعَ عَلَى ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ.

قَالَ سَيْفٌ، عَنْ أَبِي حَارِثَةَ وَأَبِي عُثْمَانَ، قَالَا: بَيْنَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ جَالِسٌ بِعِجْلَانَ وَمَعَهُ ابْنَاهُ، إِذْ مَرَّ بِهِمْ رَاكِبٌ فَقَالُوا: مَنْ أَيْنَ؟
قَالَ: مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ عَمْرُو: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: حَصِيرَةُ قَالَ عَمْرُو: حَصَرَ الرَّجُلَ، قَالَ: فَمَا الْخَبَرُ؟ قَالَ: تَرَكْتُ الرَّجُلَ مُحْصُورًا، قَالَ
عَمْرُو: يَقْتُلُ ثُمَّ مَكَّثُوا أَيَّامًا، فَمَرَّ بِهِمْ رَاكِبٌ، فَقَالُوا: مَنْ أَيْنَ؟ قَالَ: مِنَ الْمَدِينَةِ، قَالَ عَمْرُو: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: قَتَالَ، قَالَ عَمْرُو: قَتَلَ
الرَّجُلَ، فَمَا الْخَبَرُ؟

قَالَ: قَتَلَ الرَّجُلَ قَالَ: ثُمَّ لَمْ يَكُنْ إِلَّا ذَلِكَ إِلَى أَنْ خَرَجْتَ، ثُمَّ مَكَّثُوا أَيَّامًا، فَمَرَّ بِهِمْ رَاكِبٌ، فَقَالُوا: مَنْ أَيْنَ؟ قَالَ: مِنَ الْمَدِينَةِ، قَالَ
عَمْرُو:

مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: حَرْبٌ، قَالَ عَمْرُو: يَكُونُ حَرْبٌ، فَمَا الْخَبَرُ؟ قَالَ: قَتَلَ

عُثْمَانَ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَبَوَّعَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ عَمْرُو:

أَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، تَكُونُ حَرْبٌ مِنْ حَكٍّ فِيهَا قَرْحَةٌ نَكَّاهَا، رَحِمَ اللَّهُ عُثْمَانَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَغَفَرَ لَهُ! فَقَالَ سَلَامَةُ بْنُ زَنْبَاعٍ الْجَذَامِيُّ:
يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ وَاللَّهِ قَدْ كَانَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْعَرَبِ بَابٌ، فَاتَّخَذُوا بَابًا إِذْ كَسَرَ الْبَابَ.

فَقَالَ عَمْرُو: وَذَاكَ الَّذِي نَزِدُ وَلَا يَصْلُحُ الْبَابُ إِلَّا أَشَافَ تَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ حَافِرَةِ الْبَاسِ، وَيَكُونُ النَّاسُ فِي الْعَدْلِ سَوَاءً، ثُمَّ تَمَثَّلَ عَمْرُو
فِي بَعْضِ ذَلِكَ:

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى مَالِكٍ ... وَهَلْ يَصْرِفُ اللَّهْفُ حِفْظَ الْقَدَرِ!

أَنْزَعُ مِنَ الْحَرَاوِدِ بِهِمْ ... فَأَعْذَرُهُمْ أَمْ بِقَوْمِي سَكْرًا!

ثُمَّ ارْتَحَلَ رَاغِلًا يَبْكِي كَمَا تَبْكِي الْمَرْأَةُ، وَيَقُولُ: وَاعِثْمَانَاهُ! أَنْعَى الْحَيَاءَ وَالْدِينَ! حَتَّى قَدِمَ دِمَشْقَ، وَقَدْ كَانَ سَقَطَ إِلَيْهِ مِنَ الَّذِي يَكُونُ
عِلْمًا، فَعَمِلَ عَلَيْهِ.

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَ قَدْ بَعَثَ عَمْرًا إِلَى عُثْمَانَ،

فسمع هنالك من حبر شيئا، فلما رأى مصداقه وهو هناك أرسل إلى ذلك الحبر، فقال: حَدَّثَنِي بوفاه رسول الله ص، وأخبرني من يكون بعده؟ قَالَ: الَّذِي كَتَبَ إِلَيْكَ يَكُونُ بَعْدَهُ، ومدته قصيرة، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ مِثْلُهُ فِي الْمَنْزِلَةِ، قَالَ: فَمَا مَدَّتُهُ؟ قَالَ: طَوِيلَةٌ، ثُمَّ يَقْتُلُ قَالَ: غِيْلُهُ أَمْ عَنْ مَلَأٍ؟ قَالَ: غِيْلُهُ، قَالَ: فَمَنْ يَلِي بَعْدَهُ؟

قَالَ: رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ مِثْلُهُ فِي الْمَنْزِلَةِ، قَالَ: فَمَا مَدَّتُهُ؟ قَالَ: طَوِيلَةٌ، ثُمَّ يَقْتُلُ، قَالَ: أَغِيْلُهُ أَمْ عَنْ مَلَأٍ؟ قَالَ: عَنْ مَلَأٍ قَالَ: ذَلِكَ أَشَدُّ، فَمَنْ يَلِي بَعْدَهُ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ يَنْتَشِرُ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَتَكُونُ عَلَى رَأْسِهِ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ بَيْنَ النَّاسِ، ثُمَّ يَقْتُلُ قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعُوا عَلَيْهِ، قَالَ: أَغِيْلُهُ أَمْ عَنْ مَلَأٍ؟ قَالَ: غِيْلُهُ، ثُمَّ لَا يَرُونَ مِثْلَهُ قَالَ: فَمَنْ يَلِي بَعْدَهُ؟ قَالَ:

أَمِيرُ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَيَطُولُ مُلْكُهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ تِلْكَ الْفِرْقَةِ وَذَلِكَ الْإِنْتِشَارُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَمُوتُ. وَأَمَّا الْوَاقِدِيُّ، فَإِنَّهُ فِيمَا حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ يَعْقُوبَ، عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ عَمْرًا قَتَلَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ، قَتَلْتُهُ وَأَنَا بَوَادِي السَّبَاعِ، مِنْ يَلِي هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ! إِنْ يَلَهُ طَلْحَةُ فَهُوَ فَتَى الْعَرَبِ سَيِّبًا، وَإِنْ يَلَهُ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ فَلَا أَرَاهُ إِلَّا سَيِّسْتَنْظَفَ الْحَقَّ، وَهُوَ أَكْرَهُ مِنْ يَلِيهِ إِلَيَّ قَالَ: فَبَلَغَهُ أَنْ عَلِيًّا قَدْ بَوِيَ لَهٗ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَتَرَبَّصَ أَيَّامًا يَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ، فَبَلَغَهُ مَسِيرُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَعَائِشَةُ وَقَالَ: اسْتَأْنِي وَأَنْظُرْ مَا يَصْنَعُونَ، فَأَتَاهُ الْخَبْرُ أَنَّ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ قَدْ قَتَلَا، فَأَرْجَحُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: إِنْ مُعَاوِيَةَ بِالشَّامِ لَا يَرِيدُ أَنْ يَبِيعَ لَعْلَى، فَلَوْ قَارَبْتَ مُعَاوِيَةَ! فَكَانَ مُعَاوِيَةَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَقِيلَ لَهُ: إِنْ مُعَاوِيَةَ يَعْظُمُ شَأْنَ قَتْلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَيَحْرُضُ عَلَى الطَّلَبِ بَدْمَهُ، فَقَالَ عَمْرُو:

ادْعُوا لِي مُحَمَّدًا وَعَبْدَ اللَّهِ، فَدَعَا لَهُ، فَقَالَ: قَدْ كَانَ مَا قَدْ بَلَغْنَا مِنْ قَتْلِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَبِيعَةِ النَّاسِ لَعْلَى، وَمَا يَرُصِدُ مُعَاوِيَةَ مِنْ مَخَالِفَةِ عَلِيٍّ، وَقَالَ: مَا تَرِيَانِ؟ أَمَا عَلِيٌّ فَلَا خَيْرَ عِنْدَهُ، وَهُوَ رَجُلٌ يَدُلُّ بِسَابِقَتِهِ، وَهُوَ غَيْرُ مُشْرِكِي فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: تَوَفَّى النَّبِيُّ ص وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، وَتَوَفَّى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، وَتَوَفَّى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، أَرَى أَنْ تَكْفُرَ بِدَعَايَاكَ، وَتَجْلِسَ فِي بَيْتِكَ، حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ فَنَبِيعَهُ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو: أَنْتَ نَابٌ مِنْ أُنْيَابِ الْعَرَبِ، فَلَا أَرَى أَنْ يَجْتَمِعَ هَذَا الْأَمْرَ وَلَيْسَ لَكَ فِيهِ صَوْتٌ وَلَا ذِكْرٌ قَالَ عَمْرُو: أَمَا أَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ فَأَمَرْتَنِي بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ لِي فِي آخِرَتِي، وَأَسْلَمَ فِي دِينِي، وَأَمَا أَنْتَ يَا مُحَمَّدَ فَأَمَرْتَنِي بِالَّذِي أَنْبَهُ لِي فِي دُنْيَايَ، وَشَرَّ لِي فِي آخِرَتِي ثُمَّ خَرَجَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَمَعَهُ ابْنَاهُ حَتَّى قَدَّمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَوَجَدَ أَهْلَ الشَّامِ يَحْضُونَ مُعَاوِيَةَ عَلَى الطَّلَبِ بَدْمَ عُثْمَانَ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: أَنْتُمْ عَلَى الْحَقِّ، اطْلُبُوا بَدْمَ الْخُلَيْفَةِ الْمَظْلُومِ - وَمُعَاوِيَةَ

٤٠٢١٣٢ توجيه علي بن ابي طالب جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية يدعوه إلى الدخول في طاعته

لَا يَلْتَفِتُ إِلَى قَوْلِ عَمْرٍو - فَقَالَ ابْنَا عَمْرٍو لِعَمْرٍو: أَلَا تَرَى إِلَى مُعَاوِيَةَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى قَوْلِكَ! انْصَرَفَ إِلَى غَيْرِهِ فَدَخَلَ عَمْرُو عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَعَجَبٌ لَكَ! إِنْ أَرَفَدَكَ بِمَا أَرَفَدَكَ وَأَنْتَ مُعْرِضٌ عَنِّي! أَمَا وَاللَّهِ إِنْ قَاتَلْنَا مَعَكَ نَطْلُبُ بَدْمَ الْخُلَيْفَةِ إِنْ فِي النَّفْسِ مِنْ ذَلِكَ مَا فِيهَا، حَيْثُ نَقَاتِلُ مِنْ تَعْلَمُ سَابِقَتَهُ وَفَضْلَهُ وَقَرَابَتَهُ، وَلَكِنَّا إِنَّمَا أَرَدْنَا هَذِهِ الدُّنْيَا فَصَالِحُهُ مُعَاوِيَةَ وَعُطِفَ عَلَيْهِ

• توجيه علي بن أبي طالب جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية يدعوه إلى الدخول في طاعته

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَجَّهَ عَلِيٌّ عِنْدَ مَنْصَرِفِهِ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الْكُوفَةِ وَفَرَاغَهُ مِنَ الْجَمَلِ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ إِلَى مُعَاوِيَةَ يَدْعُوهُ إِلَى بَيْعَتِهِ، وَكَانَ جَرِيرٌ حِينَ خَرَجَ عَلِيٌّ إِلَى الْبَصْرَةِ لِقَاتِلِ مَنْ قَاتَلَهُ بِهَا بِهَمْدَانٍ عَامِلًا عَلَيْهِ، كَانَ عُثْمَانُ اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهَا، وَكَانَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ عَلَى أَذْرِبَجَانَ عَامِلًا عَلَيْهِ، كَانَ عُثْمَانُ اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهَا، فَلَمَّا قَدَّمَ عَلَى الْكُوفَةِ مَنْصَرِفًا إِلَيْهَا مِنَ الْبَصْرَةِ، كَتَبَ إِلَيْهِمَا بِأَمْرِهِمَا بِأَخْذِ الْبَيْعَةِ لَهُ عَلَى مَنْ قَبْلَهُمَا مِنَ النَّاسِ، وَالْإِنْصِرَافِ إِلَيْهِ فَعَمِلَا ذَلِكَ، وَانْصَرَفَا إِلَيْهِ.

فَلَمَّا أَرَادَ عَلِيٌّ تَوْجِيهَ الرَّسُولِ إِلَى مُعَاوِيَةَ، قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - فِيمَا حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، عَنْ عَوَانَةَ -: اِبْعَثْنِي

إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لِي وَد حَتَّى آتِيَهُ فَأَدْعُوهُ إِلَى الدُّخُولِ فِي طَاعَتِكَ، فَقَالَ اشْتَرِ لَعَلِّي:

لَا تَبْعُهُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُظَنُّ هَوَاهُ مَعَهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ: دَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ مَا الَّذِي يَرْجِعُ بِهِ إِلَيْنَا، فَبَعَثَهُ إِلَيْهِ، وَكَتَبَ مَعَهُ كِتَابًا يَعْلَمُهُ فِيهِ بِاجْتِمَاعِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى بَيْعَتِهِ، وَنَكَثَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ، وَمَا كَانَ مِنْ حَرْبِهِ إِيَّاهُمَا، وَيَدْعُوهُ إِلَى الدُّخُولِ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ مِنْ طَاعَتِهِ، فَشَخَّصَ إِلَيْهِ جَرِيرٌ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ مَاطِلُهُ وَاسْتَنْظَرَهُ، وَدَعَا عُمَرَ فَاسْتَشَارَهُ فِيمَا كَتَبَ بِهِ إِلَيْهِ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ يَرْسَلَ إِلَى وَجْهِ الشَّامِ، وَيَلْزِمَ عَلِيًّا دَمَ عُثْمَانَ، وَيَقَاتِلَهُ

بِهِمْ، فَفَعَلَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةُ، وَكَانَ أَهْلُ الشَّامِ- فِيمَا كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ يَذْكُرُ أَنَّ شُعْبِيًّا حَدَّثَهُ عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ- لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمُ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ بِقَمِيصِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- الَّذِي قُتِلَ فِيهِ مَخْضَبًا بِدَمِهِ وَبِأَصَابِعِ نَائِلَةِ زَوْجَتِهِ مَقْطُوعَةً بِالْبَرَّاجِمِ، إَصْبَعَانِ مِنْهَا وَشَيْءٌ مِنَ الْكَفِّ، وَإَصْبَعَانِ مَقْطُوعَتَانِ مِنْ أَصُولِهِمَا وَنَصْفُ الْإِبْهَامِ- وَضَعَ مُعَاوِيَةُ الْقَمِيصَ عَلَى الْمَنْبَرِ، وَكَتَبَ بِالْخَبَرِ إِلَى الْأَجْنَادِ، وَثَابَ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَبَكُوا سَنَةً وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ وَالْأَصَابِعُ مُعَلَّقَةٌ فِيهِ، وَالْيَ الرَّجَالُ مِنَ أَهْلِ الشَّامِ أَلَّا يَأْتُوا النِّسَاءَ، وَلَا يَمْسَهُنَّ الْمَاءَ لِلْغُسْلِ إِلَّا مِنْ احْتِلَامٍ، وَلَا يَنَامُوا عَلَى الْفُرْشِ حَتَّى يَقْتُلُوا قَتْلَةَ عُثْمَانَ، وَمَنْ عَرَضَ دُونَهُمْ شَيْءٌ أَوْ تَفَنَّى أَرْوَاحَهُمْ فَكَثُّوا حَوْلَ الْقَمِيصِ سَنَةً، وَالْقَمِيصُ يُوضَعُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى الْمَنْبَرِ وَيَجْلِسُ أَحْيَانًا فَيَلْبَسُهُ وَعَلَّقَ فِي أَرْدَانِهِ أَصَابِعَ نَائِلَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَلَمَّا قَدِمَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى عَلِيٍّ- فِيمَا حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شُبَةَ، قَالَ:

حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، عَنْ عَوَانَةَ- فَأَخْبَرَهُ خَبَرَ مُعَاوِيَةَ وَاجْتِمَاعِ أَهْلِ الشَّامِ مَعَهُ عَلَى قَتْلِهِ، وَأَنَّهُمْ يَبْكُونَ عَلَى عُثْمَانَ، وَيَقُولُونَ: إِنْ عَلِيًّا قَتَلَهُ، وَأَوَى قَتْلَتَهُ، وَأَنَّهُمْ لَا يَنْتَهُونَ عَنْهُ حَتَّى يَقْتُلَهُمْ أَوْ يَقْتُلُوهُ فَقَالَ الْأَشْترُ لَعَلِّي:

قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكَ أَنْ تَبْعَ جَرِيرًا، وَأَخْبَرْتُكَ بَعْدَاوَتَهُ وَغَشَهُ، وَلَوْ كُنْتُ بَعَثْتُكَ كَانَ خَيْرًا مِنْ هَذَا الَّذِي أَقَامَ عِنْدَهُ حَتَّى لَمْ يَدْعُ أَبَا يَرْجُو فَتَحَهُ إِلَّا فَتَحَهُ، وَلَا أَبَا يَخَافُ مِنْهُ إِلَّا أَغْلَقَهُ فَقَالَ جَرِيرٌ: لَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَقَتُلُوكَ، لَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّكَ مِنْ قَتْلَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ الْأَشْترُ: لَوْ أَتَيْتَهُمْ وَاللَّهِ يَا جَرِيرُ لَمْ يَعْنِي جَوَابَهُمْ، وَلَحَلَّتْ مُعَاوِيَةُ عَلَى خُطَّةِ أَجَلِهِ فِيهَا عَنِ الْفِكْرِ، وَلَوْ أَطَاعَنِي فِيكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَحَبَسَكَ وَأَشْبَاهَكَ فِي مَحْبَسٍ لَا تَخْرُجُونَ مِنْهُ حَتَّى تَسْتَقِيمَ هَذِهِ الْأُمُورُ.

نَفَرَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى قَرْقِيسِيَاءَ، وَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ وَخَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَعَسَكَرَ بِالنَّخِيلَةِ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ بِمَنْ نَهَضَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ

٤٠٢١٠٣٣ خروج علي بن أبي طالب إلى صفين

خروج علي بن أبي طالب إلى صفين

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الْمُرُوزِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْهَذَلِيِّ، أَنَّ عَلِيًّا لَمَّا اسْتَخْلَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ عَلَى الْبَصْرَةِ سَارَ مِنْهَا إِلَى الْكُوفَةِ، فَتَبَّعَ فِيهَا إِلَى صِفِّينَ، فَاسْتَشَارَ النَّاسَ فِي ذَلِكَ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ قَوْمٌ أَنْ يَبْعَثَ الْجُنُودَ وَيَقِيمَ، وَأَشَارَ آخَرُونَ بِالسَّيْرِ فَأَبَى إِلَّا الْمُبَاشَرَةَ، فَجَهَّزَ النَّاسَ فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ، فَدَعَا عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ فَاسْتَشَارَهُ فَقَالَ: أَمَّا إِذَا بَلَغَكَ أَنَّهُ يَسِيرُ فِيسِرِ بِنَفْسِكَ، وَلَا تَغْبُ عَنْهُ بِرَأْيِكَ وَمَكِيدَتِكَ قَالَ: أَمَّا إِذَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَجَهَّزَ النَّاسَ لِحَاثِ عَمْرٍو فَخَضَّضَ النَّاسَ، وَضَعَّفَ عَلِيًّا وَأَصْحَابَهُ، وَقَالَ: إِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ قَدْ فَرَّقُوا بَيْنَهُمْ، وَأَوْهَنُوا شُوكَتَهُمْ، وَفَلُّوا حَدَّهُمْ.

ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ مَخْلِفُونَ لِعَلِيٍّ، قَدْ وَتَرَهُمْ وَقَتْلَهُمْ، وَقَدْ تَفَانَتْ صُنَادِيدُهُمْ وَصُنَادِيدُ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَوْمَ الْجَمَلِ، وَإِنَّمَا سَارَ فِي شِرْذِمَةٍ قَلِيلَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَتَلَ خَلِيفَتَكُمْ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي حَقِّكُمْ أَنْ تُضَيِّعُوهُ، وَفِي دِمِّكُمْ أَنْ تُبْطِلُوهُ! وَكَتَبَ فِي أَجْنَادِ أَهْلِ الشَّامِ، وَعَقَدَ لَوَاءَهُ لِعَمْرٍو،

فَعَقَدَ لُورْدَانَ غُلَامَهُ فِيمَنْ عَقَدَ، وَلَا بَنِيهِ عَبْدَ اللَّهِ وَمُحَمَّدَ، وَعَقَدَ عَلِيٌّ لِغُلَامِهِ قَنْبَرًا، ثُمَّ قَالَ عَمْرُو:
هَلْ يَغْنِيَنَّ وَرْدَانُ عَنِّي قَنْبَرًا ... وَتَغْنِي السَّكُونُ عَنِّي حَمِيرًا
إِذَا الْكُفَاةُ لَبَسُوا السَّنُورَا.
فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا فَقَالَ:

لَأَصْبِحَنَّ الْعَاصِي ابْنَ الْعَاصِي ... سَبْعِينَ أَلْفًا عَاقِدِي النَّوَاصِي
مُجَنِّبِينَ الْخَيْلَ بِالْقَلَاصِ ... مُسْتَحْقِقِينَ حَلَقَ الدَّلَاصِ
فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ قَالَ: مَا أَرَى ابْنَ أَبِي طَالِبٍ إِلَّا قَدْ وَفَّى لَكَ، فَجَاءَ مُعَاوِيَةَ يَتَأَنَّى فِي مَسِيرِهِ وَكَتَبَ إِلَى كُلِّ مَنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ
يَخَافُ عَلِيًّا

أَوْ طَعَنَ عَلَيْهِ وَمَنْ أَعْظَمَ دَمَ عُثْمَانَ وَاسْتَعَاوَاهُمْ إِلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْوَلِيدُ بَعَثَ إِلَيْهِ يَقُولُ:
أَلَا أَبْلُغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ ... فَإِنَّكَ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ مُلِيمٍ
قَطَعْتَ الدَّهْرَ كَالسَّدَمِ الْمَعْنَى ... تَهْدِرُ فِي دِمَشْقٍ فَمَا تَرِيمُ
وَإِنَّكَ وَالْكَتَّابُ إِلَى عَلِيٍّ ... كَدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلُمَ الْأَدِيمُ

يُمْنِكَ الْإِمَارَةَ كُلُّ رَكْبٍ ... لَأَنْقَاضِ الْعِرَاقِ بِهَا رَسِيمُ
وَلَيْسَ أَخُو التَّرَاتِ بِمَنْ تَوَانَى ... وَلَكِنْ طَالِبُ التَّرَةِ الْغُشُومُ
وَلَوْ كُنْتُ الْقَتِيلَ وَكَانَ حَيًّا ... لَجَرَدَ، لَا أَلْفٌ وَلَا سُوْمُ
وَلَا نَكْلٌ عَنِ الْأَوْتَارِ حَتَّى ... بِيَاءِ بِهَا، وَلَا يَرِمُ جَثُومُ
وَقَوْمُكَ بِالْمَدِينَةِ قَدْ أُبِيرُوا ... فَهُمْ صَرَخَى كَانَهُمُ الْهَشِيمُ
وَقَالَ غَيْرُ أَبِي بَكْرٍ: فَدَعَا مُعَاوِيَةُ شَدَادَ بْنَ قَيْسٍ كَاتِبَهُ وَقَالَ: ابْغِي طُومَارًا، فَأَتَاهُ بِطُومَارٍ، فَأَخَذَ الْقَلَمَ فَكَتَبَ، فَقَالَ: لَا تَعْجَلْ، اكْتُبْ:
وَمُسْتَعَجِبٌ مِمَّا يَرَى مِنْ أَنَاتِنَا ... وَلَوْ زَيْنَتُهُ الْحَرْبُ لَمْ يَتَرَمَّرْ
ثُمَّ قَالَ: اطْوِ الطُّومَارَ، فَأَرْسَلَ بِهِ إِلَى الْوَلِيدِ، فَلَمَّا فَتَحَهُ لَمْ يَجِدْ فِيهِ غَيْرَ هَذَا الْبَيْتِ.
قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْهَذَلِيُّ: وَكَتَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ حَيْثُ سَارَ عَلَى بَن

٤٠٢١٠٣٤ ما امر به علي بن ابي طالب من عمل الجسر على الفرات

أَبِي طَالِبٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ يَتَيْنِ:

أَبْلُغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ... أَخَا الْعِرَاقِ إِذَا أَتَيْتَا
أَنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهَا ... عُنُقُ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتَا

عَادَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ عَوَانَةَ فَبَعَثَ عَلِيٌّ زِيَادَ بْنَ النُّضْرِ الْحَارِثِي طَلِيعَةً فِي ثَمَانِيَةِ آلَافٍ، وَبَعَثَ مَعَهُ شَرِيحَ بْنَ هَانِي فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ،
وَخَرَجَ عَلِيٌّ مِنَ النَخِيلَةِ بِمَنْ مَعَهُ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَدَائِنَ شَخْصَ مَعَهُ مِنْ فِيهَا مِنَ الْمَقَاتِلَةِ، وَوَلَّى عَلَى الْمَدَائِنِ سَعْدُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ عَمَّ الْمُخْتَارِ
بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ، وَوَجَّهَ عَلِيٌّ مِنَ الْمَدَائِنِ مَعْقِلَ بْنَ قَيْسٍ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ عَلَى الْمَوْصِلِ حَتَّى يُوَافِيَهُ
. مَا أَمَرَ بِهِ عَلِيٌّ بَنَ أَبِي طَالِبٍ مِنْ عَمَلِ الْجَسْرِ عَلَى الْفَرَاتِ

فلما انتهى علي إلى الرقة قال فيما حدثت عن هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حَدَّثَنِي الحجاج بن علي، عن عبد الله بن عمار بن عبد يغوث البارقى- لأهل الرقة: اجسروا لي جسرا حتى أعبّر من هذا المكان إلى الشام، فأبوا وقد كانوا ضموا إليهم السفن، فنهض من عندهم ليعبر من جسر منبج، وخلف عليهم الأشر، وذهب ليمضي بالناس كيما يعبر بهم على جسر منبج، فناداهم الأشر، فقال: يا أهل هذا الحصن، ألا إني أقسم لكم بالله عز وجل، لئن مضى أمير المؤمنين ولم تجسروا له عند مدينتكم جسرا حتى يعبر لأجردن فيكم السيف، ثم لأقتلن الرجال ولأخرن الأرض، ولأخذن الأموال قال: فلقني بعضهم بعضا، فقالوا: أليس الأشر يفي بما حلف عليه، أو يأتي بشر منه؟ قالوا: نعم، فبعثوا إليه:

إنا ناصبون لكم جسرا، فأقبلوا، وجاء علي فنصبوا له الجسر، فعبر عليه بالأنقال والرجال ثم أمر علي الأشر فوقف في ثلاثة آلاف فارس، حتى لم يبق من الناس أحد إلا عبر، ثم إنه عبر آخر الناس رجلا.

قال أبو مخنف: حَدَّثَنِي الحجاج بن علي، عن عبد الله بن عمار بن عبد يغوث، أن الخليل حين عبرت زحم بعضها بعضا، فسقطت قلنسوة عبد الله بن أبي الحصين الأزدي، فنزل فأخذها ثم ركب، وسقطت قلنسوة عبد الله بن الحجاج الأزدي، فنزل فأخذها، ثم ركب، وقال لصاحبه:

فإن يك ظن الزاجري الطير صادقا ... كما زعموا أقتل وشيكا وتقتل

فقال له عبد الله بن أبي الحصين: ما شيء أوتاه أحب إلي مما ذكرت، فقتلا جميعا يوم صفين.

قال أبو مخنف: حَدَّثَنِي خالد بن قطن الحارثي، أن عليا لما قطع الفرات دعا زياد بن النضر، وشريح بن هانئ، فسرهما أمامه نحو معاوية على حالهما التي كانا خرجا عليا من الكوفة قال: وقد كانا حيث سرحهما من الكوفة أخذنا على شاطئ الفرات من قبل البر مما يلي الكوفة حتى بلغا عانات، فبلغهما أخذ علي على طريق الجزيرة، وبلغهما أن معاوية قد أقبل من دمشق في جنود أهل الشام لاستقبال علي، فقالا:

لا والله ما هذا لنا برأي، أن نسير وبيننا وبين المسلمين وأمير المؤمنين هذا البحر! وما لنا خير في أن نلقى جنود أهل الشام بقلعة من معنا منقطعين من العدد والممدد فذهبوا ليعبروا من عانات، فمنعهم أهل عانات، وحبسوا عنهم السفن، فأقبلوا راجعين حتى عبروا من هيت، ثم لحقوا عليا بقرية دون قرقيسياء، وقد أرادوا أهل عانات، فتحصنوا وفروا، ولما لحقت المقدمة عليا قال: مقدمتي تأتيني من ورائي فتقدم إليه زياد بن النضر الحارثي وشريح بن هانئ، فأخبراه بالذي رأيا حين بلغهما من الأمر ما بلغهما، فقال: سددتما ثم مضى علي، فلما عبر الفرات قدمها أمامه نحو معاوية، فلما انتهى إلى سور الروم لقيهما أبو الأعور السليبي عمرو بن سفيان في جند من أهل الشام، فأرسلا إلى علي: إنا قد لقينا أبا الأعور السليبي في جند من

أهل الشام، وقد دعوناهم فلم يجبنا منهم أحد، فرنا بأمرك فأرسل علي إلى الأشر، [فقال: يا مالك، إن زيادا وشريحا أرسلا إلي يعلماني أنهما لقيتا أبا الأعور السليبي في جمع من أهل الشام، وأنبأني الرسول أنه تركهم متواقفين، فالنجا إلى أصحابك النجا، فإذا قدمت عليهم فأنت عليهم وإياك أن تبدأ القوم بقتال إلا أن يبدءوك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع، ولا يجرمك شأنهم على قتالهم قبل دعائهم، والإعذار إليهم مرة بعد مرة، واجعل على ميمنتك زيادا، وعلى ميسرتك شريحا، وقف من أصحابك وسطا، ولا تدن منهم دنو من يريد أن ينشب الحرب، ولا تباعد منهم بعد من يهاب البأس حتى أقدم عليك، فإني حثيث السير في أثرك إن شاء الله] قال: وكان الرسول الحارث بن جهمان الجعفي، فكتب علي إلى زياد وشريح:

أما بعد، فإني قد أمرت عليكما مالكا، فاسمعا له وأطيعا، فإنه ممن لا يخاف رقه ولا سقاطه ولا بطؤه عما الإسراع إليه أحزم، ولا الإسراع إلى ما الإبطاء عنه أمثل، وقد أمرته بمثل الذي كنت أمرتكما به ألا يبدأ القوم حتى يلقاهم فيدعوهم ويعذر إليهم.

وخرج الأَشْتَرُ حَتَّى قَدِمَ عَلَى الْقَوْمِ، فَاتَّبَعَ مَا أَمَرَهُ عَلِيٌّ وَكَفَّ عَنِ الْقِتَالِ فَلَمْ يَزَالُوا مُتَوَاقِفِينَ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الْمَسَاءِ حَمَلَ عَلَيْهِمْ أَبُو الْأَعْوَرِ السُّلَمِيُّ، فَثَبَّتُوا لَهُ، وَاضْطَرَبُوا سَاعَةً ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الشَّامِ انْصَرَفُوا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْغَدِ هَاشِمُ بْنُ عَتَبَةَ الزُّهْرِيُّ فِي خَيْلٍ وَرِجَالٍ حَسَنٍ عِدْدُهَا وَعَدَّتْهَا، وَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو الْأَعْوَرِ فَاقْتَتَلُوا يَوْمَهُمْ ذَلِكَ، تَحْمِلُ الْخَيْلُ عَلَى الْخَيْلِ وَالرِّجَالُ عَلَى الرِّجَالِ، وَصَبَرَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، ثُمَّ انْصَرَفُوا، وَحَمَلَ عَلَيْهِمُ الْأَشْتَرُ، فَقَتَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ الْمُنْذِرِ التَّنُوخِيَّ، قَتَلَهُ يَوْمَئِذٍ ظَبْيَانُ بْنُ عِمَارٍ التِّيمِيُّ، وَمَا هُوَ إِلَّا فَتَى حَدَثٌ، وَإِنْ كَانَ التَّنُوخِيُّ لِفَارِسِ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَخَذَ الْأَشْتَرُ يَقُولُ:

وَيَحْكُمُ! أَرُونِي أَبَا الْأَعْوَرِ.

ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْأَعْوَرِ دَعَا النَّاسَ، فَارْجَعُوا نَحْوَهُ، فَوَقَفَ مِنْ وَرَاءِ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَجَاءَ الْأَشْتَرُ حَتَّى صَفَّ أَصْحَابَهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ أَبُو الْأَعْوَرِ، فَقَالَ الْأَشْتَرُ لِسَنَانِ بْنِ مَالِكٍ النَّخَعِيِّ: انْطَلِقْ إِلَى أَبِي الْأَعْوَرِ فَادْعُهُ إِلَى الْمُبَارَزَةِ، فَقَالَ: إِلَى مَبَارَزَتِي أَوْ مَبَارَزَتِكَ؟ فَقَالَ لَهُ الْأَشْتَرُ: لَوْ أَمَرْتُكَ بِمُبَارَزَتِهِ فَعَلْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ لَوْ أَمَرْتَنِي أَنْ أُعْتَرِضَ صَفَّهُمْ بِسَيْفِي مَا رَجَعْتُ أَبَدًا حَتَّى أَضْرِبَ بِسَيْفِي فِي صَفِّهِمْ، قَالَ لَهُ الْأَشْتَرُ: يَا بَنَ أَخِي، أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ! قَدْ وَاللَّهِ أَزْدَدْتُ رَغْبَةً فِيكَ، لَا أَمَرْتُكَ بِمُبَارَزَتِهِ، إِنَّمَا أَمَرْتُكَ أَنْ تَدْعُوهُ إِلَى مَبَارَزَتِي، إِنَّهُ لَا يَبْزُزُ إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِ إِلَّا لَذَوِي الْأَسْنَانِ وَالْكَفَاءَةِ وَالشَّرَفِ، وَأَنْتَ - لِرَبِّكَ الْحَمْدُ - مِنْ أَهْلِ الْكَفَاءَةِ وَالشَّرَفِ، غَيْرَ أَنَّكَ فَتَى حَدَثُ السِّنِّ، فَلَيْسَ بِمُبَارِزِ الْأَحْدَاثِ، وَلَكِنْ ادْعُهُ إِلَى مَبَارَزَتِي فَأَتَاهُ فَنَادَى: آمْنُونِي فَإِنِّي رَسُولُ فَأُومِنَ، فَجَاءَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَبِي الْأَعْوَرِ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي النَّضْرُ بْنُ صَالِحٍ أَبُو زَهْرٍ الْعَبْسِيُّ، قَالَ:

حَدَّثَنِي سَنَانٌ، قَالَ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ: إِنْ الْأَشْتَرُ يَدْعُوكَ إِلَى مَبَارَزَتِهِ.

قَالَ: فَسَكَتَ عَنِّي طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ: إِنْ خُفِيَ الْأَشْتَرُ وَسُوءَ رَأْيِهِ هُوَ حَمَلَهُ عَلَى إِجْلَاءِ عَمَالِ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْعِرَاقِ، وَانْتِزَاؤِهِ عَلَيْهِ يَقْبَحُ مُحَاسِنُهُ، وَمِنْ خُفَاةِ الْأَشْتَرِ وَسُوءَ رَأْيِهِ أَنْ سَارَ إِلَى ابْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي دَارِهِ وَقَرَّارِهِ حَتَّى قَتَلَهُ فِيمَنْ قَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ مُتَبِعًا بِدَمِهِ، إِلَّا لَا حَاجَةَ لِي فِي مَبَارَزَتِهِ.

قَالَ: قُلْتُ: إِنَّكَ قَدْ تَكَلَّمْتَ، فَاسْمَعْ حَتَّى أَجِيبَكَ، فَقَالَ: لَا، لَا حَاجَةَ لِي فِي الْإِسْتِمَاعِ مِنْكَ وَلَا فِي جَوَابِكَ، أَذْهَبَ عَنِّي فَصَاحَ بِي أَصْحَابُهُ فَانْصَرَفَتْ عَنْهُ، وَلَوْ سَمِعَ إِلَيَّ لَأَخْبَرْتَهُ بِعَذْرِ صَاحِبِي وَجِئْتُهُ فَرَجَعْتُ إِلَى الْأَشْتَرِ، فَأَخْبَرْتَهُ أَنَّهُ قَدْ ابْنَى الْمُبَارَزَةَ، فَقَالَ: لِنَفْسِهِ نَظَرٌ، فَوَاقَفْنَاهُمْ حَتَّى حُجِزَ اللَّيْلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، وَبَتْنَا مُتَحَارِسِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا نَظَرْنَا فَإِذَا الْقَوْمُ قَدْ انْصَرَفُوا مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهِمْ، وَيَصْبِحُنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ غَدَوَةٌ فَقَدِمَ الْأَشْتَرُ فِيمَنْ كَانَ مَعَهُ فِي تِلْكَ الْمَقْدَمَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَوَاقَفَهُ، وَجَاءَ عَلِيٌّ فِي أَثَرِهِ فَلَحِقَ بِالْأَشْتَرِ سَرِيعًا، فَوَقَفَ وَتَوَاقَفُوا طَوِيلًا.

ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا طَلَبَ مَوْضِعًا لِعَسْكَرِهِ، فَلَمَّا وَجَدَهُ أَمَرَ النَّاسَ فَوَضَعُوا الْأَثْقَالَ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَهَبَ شَبَابُ النَّاسِ وَغَلَبَتْهُمْ يَسْتَقُونَ، فَنَعِمَهُمْ أَهْلُ الشَّامِ فَاقْتَتَلَ النَّاسُ عَلَى الْمَاءِ، وَقَدْ كَانَ الْأَشْتَرُ قَالَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ: إِنْ الْقَوْمُ قَدْ سَبَقُوا إِلَى الشَّرِيعَةِ وَإِلَى سَهْوَةِ الْأَرْضِ وَسَعَةِ الْمَنْزِلِ، فَإِنْ رَأَيْتَ سَرْنَا نَجُوزَهُمْ

٤٠٢١٣٥ القتال على الماء

إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي خَرَجُوا مِنْهَا، فَإِنَّهُمْ يَشْخَصُونَ فِي أَثَرِنَا، فَإِذَا هُمْ لِحَقُونَا نَزَلْنَا فَكُنَّا نَحْنُ وَهُمْ عَلَى السَّوَاءِ، فَكَرِهَ ذَلِكَ عَلِيٌّ، وَقَالَ: لَيْسَ كُلُّ النَّاسِ يَقْوَى عَلَى الْمَسِيرِ، فَتَزَلُّ بِهِمْ

القتال على الماء

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: وَحَدَّثَنِي تَيْمٌ بْنُ الْحَارِثِ الْأَزْدِيُّ، عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: إِنَّا لَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى مُعَاوِيَةَ وَجَدْنَاهُ قَدْ عَسَكَرَ فِي مَوْضِعٍ

سَهْلٌ أُفِيحٌ قَدْ اخْتَارَهُ قَبْلَ قُدُومِنَا إِلَى جَانِبِ شَرِيعَةٍ فِي الْفُرَاتِ، لَيْسَ فِي ذَلِكَ الصَّقْعِ شَرِيعَةٌ غَيْرُهَا، وَجَعَلَهَا فِي حَيْزِهِ، وَبَعَثَ عَلَيْهَا أَبَا الْأَعْوَرِ يَمْنَعُهَا وَيَحْمِيهَا، فَارْتَفَعْنَا عَلَى الْفُرَاتِ رَجَاءً أَنْ نَجِدَ شَرِيعَةً غَيْرَهَا نَسْتَعْنِي بِهَا عَنْ شَرِيعَتِهِمْ فَلَمْ نَجِدْهَا، فَأَتَيْنَا عَلِيًّا فَأَخْبَرَنَا بِعَطَشِ النَّاسِ، وَأَنَا لَا نَجِدُ غَيْرَ شَرِيعَةِ الْقَوْمِ قَالَ: فَقَاتِلُوهُمْ عَلَيْهَا لِحَاجَةِ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ الْكِنْدِيِّ فَقَالَ: أَنَا أَسِيرُ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: فَسِرْ إِلَيْهِمْ فَسَارَ وَسِرْنَا مَعَهُ، حَتَّى إِذَا دَنَوْنَا مِنَ الْمَاءِ ثَارُوا فِي وُجُوهِنَا يَنْضَحُونَ بِالنَّبْلِ، وَرَشَقْنَاهُمْ وَاللَّهُ بِالنَّبْلِ سَاعَةً، ثُمَّ أَطْعَمَنَا وَاللَّهُ بِالرَّمَاكِ طَوِيلًا، ثُمَّ صِرْنَا آخِرَ ذَلِكَ نَحْنُ وَالْقَوْمُ إِلَى السُّيُوفِ فَاجْتَدَدْنَا بِهَا سَاعَةً ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ أَتَاهُمْ يَزِيدُ بْنُ أَسَدٍ الْبَجَلِيُّ مَدًّا فِي الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ، فَأَقْبَلُوا نَحُونَا، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَبْعَثُ إِلَيْنَا بِمَنْ يُغْنِي عَنْهُ هَؤُلَاءِ، فَذَهَبْتُ فَالْتَفْتُ فَإِذَا عِدَّةُ الْقَوْمِ أَوْ أَكْثَرُ، قَدْ سَرَحَهُمْ إِلَيْنَا لِيُغْنُوا عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَسَدٍ وَأَصْحَابِهِ، عَلَيْهِمْ شَبْتُ بْنُ رَبِيعِ الرِّيَّاحِيِّ فَوَاللَّهِ مَا أَزْدَادَ الْقِتَالَ إِلَّا شِدَّةً وَخَرَجَ إِلَيْنَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِنْ عَسْكَرِ مُعَاوِيَةَ فِي جُنْدٍ كَثِيرٍ، فَأَخَذَ يَمْدُ أَبَا الْأَعْوَرِ وَيَزِيدُ بْنُ أَسَدٍ، وَخَرَجَ الْأَشْعَثُ مِنْ قَبْلِ عَلِيٍّ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ فَلَمَّا رَأَى الْأَشْعَثُ عَمْرُو بْنَ

العاص

يَمْدُ أَبَا الْأَعْوَرِ وَيَزِيدُ بْنُ أَسَدٍ، أَمَدَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ وَشَبْتُ بْنُ رَبِيعٍ، فَاشْتَدَّ قِتَالُنَا وَقِتَالُهُمْ، فَمَا أُنْسَى قَوْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ بْنِ الْأَحْمَرِ الْأَزْدِيِّ:

خَلُّوا لَنَا مَاءَ الْفُرَاتِ الْجَارِي ... أَوْ اثْبُتُوا بِمُحْفَلٍ جَرَّارٍ
لِكُلِّ قَرْمٍ مُسْتَمِيتٍ شَارِي ... مُطَاعِنٌ بِرُحْمِهِ كَرَّارٍ
ضَرَابُ هَامَاتِ الْعَدَا مَغَوَّارٍ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: وَحَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ آلِ خَارِجَةَ بْنِ التَّمِيمِيِّ أَنَّ ظَبْيَانَ ابْنَ عِمَارَةَ جَعَلَ يَوْمَئِذٍ يُقَاتِلُ وَهُوَ يَقُولُ:

هَلْ لَكَ يَا ظَبْيَانُ مِنْ بَقَاءٍ ... فِي سَاكِنِ الْأَرْضِ بَغِيرِ مَاءٍ
لَا وَإِلَهُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ... فَاضْرِبْ وَجْهَهُ الْغَدْرُ الْأَعْدَاءُ
بِالسَّيْفِ عِنْدَ حِمْسِ الْوُغَاءِ ... حَتَّى يَجِيئَكَ إِلَى السَّوَاءِ
قَالَ ظَبْيَانُ: فَضَرَبْنَاهُمْ وَاللَّهُ حَتَّى خَلُّوْنَا وَإِيَّاهُ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: وَحَدَّثَنِي أَبِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ عَمِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ مُخَنَّفٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي مُخَنَّفٍ بْنِ سُلَيْمٍ يَوْمَئِذٍ، وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ عَشْرَةَ سَنَةً، وَلَسْتُ فِي عَطَاءٍ، فَلَمَّا مَنَعَ النَّاسُ الْمَاءَ قَالَ لِي أَبِي: لَا تَبْرَحَنَّ الرَّحْلَ، فَلَمَّا رَأَيْتُ الْمُسْلِمِينَ يَذْهَبُونَ نَحْوَ الْمَاءِ لَمْ أَصْبِرْ، فَأَخَذْتُ سَيْفِي، وَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ فَقَاتَلْتُ، قَالَ: وَإِذَا أَنَا بِغَلَامٍ مَمْلُوكٍ لِبَعْضِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَمَعَهُ قَرَبَةٌ، فَلَمَّا رَأَى أَهْلَ الشَّامِ قَدْ أَفْرَجُوا عَنْ الشَّرِيعَةِ اشْتَدَّ حَتَّى مَلَأَ قَرَبَتَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ، وَشَدَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَيَضْرِبُهُ فَيَصْرَعُهُ، وَسَقَطَتِ الْقَرَبَةُ مِنْهُ قَالَ: وَأَشَدُّ عَلَى الشَّامِيِّ فَاضْرِبْهُ فَاصْرَعَهُ وَاشْتَدَّ أَصْحَابُهُ فَاسْتَنْقَذُوهُ، فَسَمِعْتُهُمْ وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا نَأْمَنُ عَلَيْكَ وَرَجَعْتُ إِلَى الْمَمْلُوكِ فَاحْتَمَلْتُهُ، فَإِذَا هُوَ يَكْلُمُنِي وَبِهِ جَرَحٌ رَغِيبٌ، فَمَا كَانَ أَسْرَعَ مِنْ أَنْ جَاءَهُ مَوْلَاهُ، فَذَهَبَ بِهِ، وَأَخَذَتْ قَرَبَتَهُ وَهِيَ مَمْلُوءَةٌ، وَآتَى بِهَا أَبِي مُخَنَّفًا، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ بِهَا؟ فَقُلْتُ: اشْتَرَيْتُهَا.

وَكَرِهْتُ أَنْ أَخْبِرَهُ الْخَبَرَ، فَيَجِدُ عَلِيًّا - فَقَالَ: اسْقِ الْقَوْمَ، فَسَقَيْتُهُمْ، ثُمَّ شَرِبَ آخِرَهُمْ، وَنَازَعَنِي نَفْسِي وَاللَّهُ إِلَى الْقِتَالِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَتَقَدَّمُ فِيمَنْ يُقَاتِلُ، فَقَاتَلْتَنَاهُمْ سَاعَةً، ثُمَّ أَشْهَدُ أَنَّهُمْ خَلُّوا لَنَا عَنِ الْمَاءِ، فَمَا أَمْسَيْنَا حَتَّى رَأَيْنَا سُقَاتِنَا وَسُقَاتِهِمْ يَزْدَحُونُ عَلَى الشَّرِيعَةِ، وَمَا يُؤْذِي إِنْسَانُ إِنْسَانًا، فَأَقْبَلْتُ رَاجِعًا، فَإِذَا أَنَا بِمَوْلَى صَاحِبِ الْقَرَبَةِ، فَقُلْتُ: هَذِهِ قَرَبَتُكَ عِنْدَنَا، فَأَرْسِلْ مَنْ يَأْخُذُهَا، أَوْ أَعْلِنِي مَكَانَكَ حَتَّى

أَبْعَثَ بِهَا إِلَيْكَ، فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ! عِنْدَنَا مَا نَكْتَفِي بِهِ، فَانْصَرَفْتُ وَذَهَبَ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ مَرٌّ عَلَى أَبِي، فَوَقَفَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَرَأَى إِلَى جَنْبَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا الْفَتَى مِنْكَ؟ قَالَ: ابْنِي، قَالَ: أَرَاكَ اللَّهُ فِيهِ السُّرُورُ، أَنْقَذَ اللَّهُ عَرَّ وَجَلَّ أُمْسٍ غُلَامِي بِهِ مِنَ الْقَتْلِ، حَدَّثَنِي شَبَابُ الْحَيِّ أَنَّهُ كَانَ أُمْسٍ أَشْجَعَ النَّاسِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ أَبِي نَظْرَةً عَرَفْتُ مِنْهَا فِي وَجْهِهِ الْغَضَبَ، فَسَكَتَ حَتَّى إِذَا مَضَى الرَّجُلُ قَالَ: هَذَا مَا تَقَدَّمْتُ إِلَيْكَ فِيهِ! خَلَفَنِي أَلَا أَخْرَجَ إِلَى قِتَالٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَمَا شَهِدْتُ مِنْ قِتَالِهِمْ إِلَّا ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى كَانَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِهِمْ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَحَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبْعِي، عَنْ مَهْرَانَ مَوْلَى يَزِيدَ بْنِ هَانِي، قَالَ: وَاللَّهِ إِنْ مَوْلَايَ يَزِيدُ بْنُ هَانِي لَيُقَاتِلُ عَلَى الْمَاءِ، وَإِنْ الْقُرْبَةَ لَفِي يَدِهِ، فَلَمَّا انْكَشَفَ أَهْلُ الشَّامِ انْكَشَافَةً عَنِ الْمَاءِ، اسْتَدْرَتُ حَتَّى أَسْقِي، وَإِنِّي فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ لَأُقَاتِلُ وَأُرَامِي.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَحَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفِ بْنِ الْأَحْمَرِ، قَالَ: لَمَّا قَدَمْنَا عَلَى مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ بِصَفَيْنَ، وَجَدْنَاهُمْ قَدْ نَزَلُوا مَنْزِلًا اخْتَارُوهُ مَسْتَوِيًا بِسَاطًا وَاسِعًا، أَخَذُوا الشَّرِيعَةَ، فَهِيَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَقَدْ صَفَّ أَبُو الْأَعْوَرِ السَّلْمِيُّ عَلَيْهَا الْخَيْلَ وَالرِّجَالَ، وَقَدْ قَدَّمَ الْمَرَامِيَةَ أَمَامَ مِنْ مَعَهُ، وَصَفَّ صَفًّا مَعَهُمْ مِنَ الرِّمَاحِ وَالْدُرُقِ، وَعَلَى رِءُوسِهِمُ الْبَيْضَ، وَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَمْنَعُوا الْمَاءَ، فَفَزَعْنَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَخَبَرْنَاهُ بِذَلِكَ، فَدَعَا صَعْصَعَةَ ابْنَ صُوحَانَ فَقَالَ لَهُ: ائْتِ مُعَاوِيَةَ وَقُلْ لَهُ: [إِنَّا سَرْنَا مَسِيرَنَا هَذَا إِلَيْكُمْ، وَنَحْنُ نَكْرَهُ قِتَالَكُمْ قَبْلَ الْإِعْذَارِ إِلَيْكُمْ، وَإِنَّكَ قَدِمْتَ إِلَيْنَا خَيْلَكَ وَرِجَالَكَ فَقَاتَلْتَنَا قَبْلَ أَنْ نَقَاتِلَكَ، وَبَدَأْنَا بِالْقِتَالِ، وَنَحْنُ مِنْ رَأْيِنَا الْكُفَّ عَنْكَ حَتَّى نَدْعُوكَ وَنَحْتَجَّ عَلَيْكَ، وَهَذِهِ أُخْرَى قَدْ فَعَلْتُمُوهَا، قَدْ حَلَمْتُ بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ الْمَاءِ، وَالنَّاسُ غَيْرُ مُنْتَهِينَ أَوْ يَشْرَبُوا، فَابْعَثْ إِلَى أَصْحَابِكَ فليُخْلَوْا بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ الْمَاءِ، وَيَكْفُوا حَتَّى نَنْظُرَ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، وَفِيمَا قَدَمْنَا لَهُ وَقَدِمْتُمْ لَهُ، وَإِنْ كَانَ عَجَبٌ إِلَيْكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا جِئْنَا لَهُ، وَنَتْرَكَ النَّاسُ يَقْتَتِلُونَ عَلَى الْمَاءِ حَتَّى يَكُونَ الْغَالِبُ هُوَ الشَّارِبُ] فَعَلْنَا فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِأَصْحَابِهِ: مَا تَرَوْنَ؟ فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ: أَمْنَعُهُمُ الْمَاءَ كَمَا مَنَعُوهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَصَرُوهُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا يَمْنَعُونَهُ بَرْدَ الْمَاءِ، وَلَيْنَ الطَّعَامِ، اقْتُلَهُمْ عَطِشًا، قَتَلَهُمُ اللَّهُ عَطِشًا! فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: خَلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَاءِ، فَإِنَّ الْقَوْمَ لَنْ يَعْطِشُوا وَأَنْتَ رِيَانٌ، وَلَكِنْ بَغِيرَ الْمَاءِ، فَانْظُرْ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ.

فَأَعَادَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ مَقَالَاتِهِ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَرْحٍ: أَمْنَعُهُمُ الْمَاءَ إِلَى اللَّيْلِ، فَإِنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ رَجَعُوا، وَلَوْ قَدْ رَجَعُوا كَانَ رَجُوعُهُمْ فَلَا، أَمْنَعُهُمُ الْمَاءَ مَنَعَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ! فَقَالَ صَعْصَعَةُ: إِنَّمَا يَمْنَعُهُ اللَّهُ عَرَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْكُفْرَةَ الْفُسْقَةَ وَشُرْبَةَ الْخَمْرِ، ضَرْبُكَ وَضَرْبُ هَذَا الْفَاسِقِ - يَعْنِي الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ - قَالَ: فَتَوَاتَبُوا إِلَيْهِ يَشْتُمُونَهُ وَيَتَهَدَّدُونَهُ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: كَفُوا عَنِ الرَّجُلِ فَإِنَّهُ رَسُولٌ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَحَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفِ بْنِ الْأَحْمَرِ، أَنَّ صَعْصَعَةَ رَجَعَ إِلَيْنَا فُخْدَتْنَا عَمَّا قَالَ لِمُعَاوِيَةَ، وَمَا كَانَ مِنْهُ وَمَا رَدَّ، فَقُلْنَا: فَمَا رَدَّ عَلَيْكَ؟ فَقَالَ: لَمَّا أَرَدْتُ الْإِنْصِرَافَ مِنْ عِنْدِهِ قُلْتُ:

مَا تَرُدُّ عَلَيَّ؟ قَالَ مُعَاوِيَةُ: سَيَأْتِيكُمْ رَأْيِي، فَوَاللَّهِ مَا رَاعِنَا إِلَّا تَسْرِيَتَهُ الْخَيْلَ إِلَى أَبِي الْأَعْوَرِ لِيَكْفَهُمُ عَنِ الْمَاءِ قَالَ: فَأَبْرَزْنَا عَلَيَّ إِلَيْهِمْ، فَارْتَمَيْنَا ثُمَّ أَطْعَمْنَا، ثُمَّ اضْطَرَبْنَا بِالسُّيُوفِ، فَفَضَرْنَا عَلَيْهِمْ، فَضَارَ الْمَاءُ فِي أَيْدِينَا، فَقُلْنَا لَا وَاللَّهِ لَا نَسْقِيهِمُوهُ، فَأَرْسَلْنَا إِلَيْنَا عَلِيٌّ: [أَنْ خَذُوا مِنَ الْمَاءِ حَاجَتَكُمْ، وَارْجِعُوا إِلَى عَسْكَرِكُمْ، وَخَلَوْا عَنْهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ عَرَّ وَجَلَّ قَدْ نَصَرَكَمُ عَلَيْهِمْ بِظُلْمِهِمْ وَبَغْيِهِمْ]

٤٠٢١٠٣٦ دعاء على معاوية إلى الطاعة والجماعة

دعاء علي معاوية إلى الطاعة والجماعة

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي حُرَّةَ الْخَنَفِيُّ، أَنَّ عَلِيًّا قَالَ:

هَذَا يَوْمٌ نَصَرْتُمْ فِيهِ بِالْحِمِيَّةِ، وَجَاءَ النَّاسُ حَتَّى أَتَوْا عَسْكَرَهُمْ، فَكَثَّ عَلَيَّ يَوْمِينَ لَا يُرْسَلُ إِلَى مُعَاوِيَةَ أَحَدًا، وَلَا يُرْسَلُ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ [ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا دَعَا بِشِيرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مُحِصَنِ الْأَنْصَارِيِّ، وَسَعِيدَ بْنِ قَيْسِ الْأَمْدَانِيِّ، وَشَبَّثَ بْنَ رَبِيعِ التَّمِيمِيِّ، فَقَالَ: ائْتُوا هَذَا الرَّجُلَ فَادْعُوهُ إِلَى

اللَّهِ وَإِلَى الطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَقَالَ لَهُ شَبْتُ بْنُ رَبِيعٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا تَطْمَعُهُ فِي سُلْطَانٍ تَوَلَّيْهِ إِيَّاهُ، وَمَنْزِلَةٍ يَكُونُ لَهَا بِهَا أَثَرَةٌ عِنْدَكَ إِنْ هُوَ بَايَعَكَ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: ائْتَوْهُ فَالْقُوهُ وَاحْتَجُّوا عَلَيْهِ، وَانْظُرُوا مَا رَأَيْهِ - وَهَذَا فِي أَوَّلِ ذِي الْحِجَّةِ - فَاتَّوَّهُ، وَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ أَبُو عَمْرٍةُ بِشَيْرِ بْنِ عَمْرِو، وَقَالَ: يَا مُعَاوِيَةُ، إِنَّ الدُّنْيَا عَنْكَ زَائِلَةٌ، وَإِنَّكَ رَاجِعٌ إِلَى الْآخِرَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُحَاسِبُكَ بِعَمَلِكَ، وَجَارِيكَ بِمَا قَدِمْتَ يَدَاكَ، وَإِنِّي أَنُشِدُكَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَفْرِقَ جَمَاعَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَنْ تَسْفِكَ دِمَاءَهَا بَيْنَهَا! فَقَطَعَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ، وَقَالَ: هَلَا أَوْصَيْتَ بِذَلِكَ صَاحِبَكَ؟ فَقَالَ أَبُو عَمْرٍة: إِنَّ صَاحِبِي لَيْسَ مِثْلَكَ، صَاحِبِي أَحَقُّ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا بِهَذَا الْأَمْرِ فِي الْفَضْلِ وَالِدِّينِ وَالسَّابِقَةِ فِي الْإِسْلَامِ، وَالْقَرَابَةِ مِنَ الرَّسُولِ ص قَالَ: فَيَقُولُ مَاذَا؟ قَالَ:

يَأْمُرُكَ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِجَابَةِ ابْنِ عَمِّكَ إِلَى مَا يَدْعُوكَ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، فَإِنَّهُ أَسْلَمَ لَكَ فِي دُنْيَاكَ، وَخَبَّرَكَ لَكَ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِكَ قَالَ مُعَاوِيَةُ: وَنَظَلَ دَمَ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ! لَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ أَبَدًا فَذَهَبَ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ يَتَكَلَّمُ، فَبَادَرَهُ شَبْتُ بْنُ رَبِيعٍ، فَتَكَلَّمَ فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُعَاوِيَةُ، إِنِّي قَدْ فَهِمْتُ مَا رَدَدْتَ عَلَيَّ ابْنَ مُحْصَنٍ، إِنَّهُ وَاللَّهِ لَا يَخْفَى عَلَيْنَا مَا تَغْرُو وَمَا تَطْلُبُ، إِنَّكَ لَمْ تَجِدْ شَيْئًا تَسْتَغْوِي بِهِ النَّاسَ وَتَسْتَمِيلُ بِهِ أَهْوَاءَهُمْ، وَتَسْتَخْلِصُ بِهِ طَاعَتَهُمْ، إِلَّا قَوْلَكَ: قَتَلْ إِمَامَكُمْ مَظْلُومًا، فَنَحْنُ نَطْلُبُ بِدَمِهِ، فَاسْتَجَابَ لَهُ سَفَهَاءُ طَغَامٍ، وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ قَدْ أَبْطَأَتْ عَنْهُ بِالنَّصْرِ، وَأَحْبَبَتْ لَهُ الْقَتْلَ، لِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي أَصْبَحَتْ تَطْلُبُ، وَرَبِّ مَتَمْنَى أَمْرٍ وَطَالِيهِ، اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَحُولُ دُونَهُ بِقُدْرَتِهِ، وَرَبَّمَا أُوتِيَ الْمُتَمَنَّى أُمْنِيَّتَهُ وَفَوْقَ أُمْنِيَّتِهِ، وَوَاللَّهِ مَا لَكَ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا خَيْرٌ، لَئِنْ أَخْطَأْتُ مَا تَرْجُو إِنَّكَ لَشَرُّ الْعَرَبِ حَالًا فِي ذَلِكَ، وَلَئِنْ أَصَبْتَ مَا تَمْنَى لَا تُصِيبُهُ حَتَّى تَسْتَحِقَّ مِنْ رَبِّكَ صِلَى النَّارِ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةُ، وَدَعْ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، وَلَا تُتَارِعَ الْأَمْرَ أَهْلُهُ.

فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ أَوَّلُ مَا عَرَفْتُ فِيهِ سَفَهَكَ وَخِفَةَ حَلْبِكَ، قَطَعْتُكَ عَلَى هَذَا الْحَسِبِ الشَّرِيفِ سَيِّدِ قَوْمِهِ مَنْطِقَهُ، ثُمَّ عَنَيْتَ بَعْدَ فِيمَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ، فَقَدْ كَذَبْتَ، وَلَوْ مَتَّيْتُ أَيُّهَا الْأَعْرَابِيُّ الْجُلْفُ الْجَانِي فِي كُلِّ مَا ذَكَرْتَ وَوَصَفْتَ انْصَرَفُوا مِنْ عِنْدِي، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِلَّا السَّيْفُ وَغَضَبٌ، وَخَرَجَ الْقَوْمُ وَشَبْتُ يَقُولُ: أَفَعَلَيْنَا تَهَوُّلَ بِالسَّيْفِ! أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَيُعْجِلَنَّ بِهَا إِلَيْكَ فَاتَّوَّا عَلَيَّا وَأَخْبَرُوهُ بِالَّذِي كَانَ مِنْ قَوْلِهِ، وَذَلِكَ فِي ذِي الْحِجَّةِ، فَأَخَذَ عَلِيٌّ يَأْمُرُ الرَّجُلَ ذَا الشَّرَفِ، فَيُخْرِجُ مَعَهُ جَمَاعَةً، وَيُخْرِجُ إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ آخَرُ مَعَهُ جَمَاعَةٌ، فَيَقْتَتِلَانِ فِي خِيَلِهِمَا وَرَجَالِهِمَا ثُمَّ يَنْصَرِفَانِ، وَأَخَذُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَلْقَوْا بِجَمْعِ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَهْلَ الشَّامِ لَمَّا يَخْشَوْنَ أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْاسْتِصْصَالِ وَالْهَلَاكِ، فَكَانَ عَلِيٌّ يُخْرِجُ مَرَّةً الْأَشْتَرُ، وَمَرَّةً حَجْرَ بْنَ عَدِيٍّ الْكِنْدِيِّ، وَمَرَّةً شَبْتُ بْنُ رَبِيعٍ، وَمَرَّةً خَالِدَ بْنَ الْمُعَمَّرِ، وَمَرَّةً زِيَادَ بْنَ النَّضْرِ الْحَارِثِي، وَمَرَّةً زِيَادَ بْنَ خَصْفَةِ التَّيْمِيِّ، وَمَرَّةً سَعِيدَ بْنَ قَيْسٍ، وَمَرَّةً مَعْقِلَ بْنَ قَيْسٍ الرِّيَّاحِيِّ، وَمَرَّةً قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ وَكَانَ أَكْثَرُ الْقَوْمِ خُرُوجًا إِلَيْهِمُ الْأَشْتَرُ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ يُخْرِجُ إِلَيْهِمُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ خَالِدِ الْمَخْزُومِي، وَأَبَا الْأَعْوَرِ السُّلَمِي، وَمَرَّةً حَبِيبَ ابْنَ مَسْلَمَةَ الْفَهْرِي، وَمَرَّةً ابْنَ ذِي الْكَلَّاحِ الْحَمِيرِي، وَمَرَّةً عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ، وَمَرَّةً شُرَحْبِيلَ بْنَ السَّمِطِ الْكِنْدِيِّ، وَمَرَّةً حَمْزَةَ بْنَ مَالِكِ الْهَمْدَانِي، فَاقْتَتَلُوا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ كُلِّهَا، وَرَبَّمَا اقْتَتَلُوا فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ مَرَّتَيْنِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَاصِمٍ الْفَاشِي، قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ قَوْمِي أَنَّ الْأَشْتَرَ خَرَجَ يَوْمًا يِقَاتِلُ بِصَفِينِ فِي رِجَالٍ مِنَ الْقُرَاءِ، وَرِجَالٍ مِنْ فَرَسَانِ الْعَرَبِ، فَاشْتَدَّ قِتَالُهُمْ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَجُلٌ وَاللَّهِ لَقَلْبَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ هُوَ أَطْوَلُ وَلَا أَعْظَمُ مِنْهُ فِدْعَا إِلَى الْمُبَارَاةِ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا الْأَشْتَرُ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَضْرَبَهُ الْأَشْتَرُ، فَقَتَلَهُ، وَابْنُ اللَّهِ لَقَدْ كُنَّا أَشْفَقْنَا عَلَيْهِ، وَسَأَلْنَاهُ أَلَا يَخْرُجُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَتَلَهُ الْأَشْتَرُ نَادَى مُنَادٌ مِنْ أَصْحَابِهِ:

يَا سَهْمُ سَهْمُ ابْنُ أَبِي الْعِزَّارِ ... يَا خَيْرُ مِنْ نَعْلِهِ مِنْ زَارِ

وزارة: حي من الأزد، وَقَالَ: أَقْسَمُ بِاللَّهِ لأَقْتُلَنَّ قَاتِلَكَ أَوْ لِيَقْتُلَنِي، فخرج فحمل على الاشتراء، وعطف عليه الاشتراء فضربه، فإذا هو بين يدي فرسه، وحمل عليه أصحابه فاستنقذوه جريحا، فَقَالَ أَبُو رَفِيقَةَ الفهمي: هَذَا كَانَ نَارًا، فصادف إصبارا، واقتتل الناس ذا الحجة كله، فلما انقضى ذو الحجة تداعى الناس إلى أن يكف بعضهم عن بعض الحرم، لعل الله أن يجري صلحا أو اجتماعا، فكف بعضهم عن بعض

٤٠٢١٠٣٧ أخبار متفرقة

[أخبار متفرقة]

وجج بالناس في هذه السنة عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بأمر علي إياه بذلك، كذلك حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ الرَّازِي، عن ذكره، عن إسحاق ابن عيسى، عن أبي معشر. وفي هذه السنة مات قدامة بن مظعون، فيما زعم الواقدي. تم الجزء الرابع من تاريخ الطبري ويليهِ الجزء الخامس واوله: ذكر حوادث سنه سبع وثلاثين

٥ الجزء الخامس

٥٠١ سنه سبع وثلاثين

٥٠١٠١ ذكر ما كان فيها من الاحداث وموادعه الحرب بين علي ومعاوية

الجزء الخامس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم

وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث وموادعة الحرب بين علي ومعاوية

فكان في أول شهر منها- وهو الحرم- موادعة الحرب بين علي ومعاوية، قد توادعا على ترك الحرب فيه إلى انقضائه طمعا في الصلح، فذكر هشام ابن محمد، عن أبي مخنف الأزدي، قال: حَدَّثَنِي سَعْدُ بْنُ أَبِي الْمَجَاهِدِ الطَّائِي، عن المحل بن خليفة الطَّائِي، قال: لما توادع علي ومعاوية يوم صفين، اختلف فيما بينهما الرسل رجاء الصلح، فبعث علي عدي بن حاتم ويزيد ابن قيس الأرحبي وشبث بن ربعي وزياد بن خصفة إلى معاوية، فلما دخلوا حمد الله عدي بن حاتم، ثم قال: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا أَتَيْنَاكَ نَدْعُوكَ إِلَى أَمْرٍ يَجْمَعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ كَلِمَتَنَا وَأَمْتَنَا، وَيَحْقِنُ بِهِ الدَّمَاءَ، وَيُؤْمِنُ بِهِ السَّبَلَ، وَيُصْلِحُ بِهِ ذَاتَ الْبَيْنِ إِنَّ ابْنَ عَمِّكَ سَيِّدَ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُهَا سَابِقَةً، وَأَحْسَنُهَا فِي الْإِسْلَامِ أَثَرًا، وَقَدْ اسْتَجْمَعَ لَهُ النَّاسُ، وَقَدْ أُرْشِدَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالَّذِي رَأَوْا، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ غَيْرُكَ وَغَيْرِ مَنْ مَعَكَ، فَانْتَ يَا مُعَاوِيَةَ لَا يَصْبُكُ اللَّهُ وَأَصْحَابُكَ يَوْمَ مِثْلِ يَوْمِ الْجَمَلِ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: كَأَنَّكَ إِنَّمَا جِئْتَ مُتَهَدِّدًا، لَمْ تَأْتِ مُصْلِحًا! هَيْهَاتَ يَا عَدِي، كَلَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَبْنُ حَرْبٍ، مَا يَقَعُّعُ لِي بِالشَّنَانِ، أَمَا وَاللَّهِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُجْلِبِينَ عَلَى ابْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَإِنَّكَ لَمَنْ قَتَلْتَهُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَقْتُلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ هَيْهَاتَ يَا عَدِي ابْنَ حَاتِمٍ! قَدْ حَلَبْتُ بِالسَّاعِدِ الْأَشَدِّ فَقَالَ لَهُ شَبْثُ بْنُ رَبِيعٍ وَزِيَادُ بْنُ خَصْفَةَ- وَتَنَازَعَا جَوَابًا وَاحِدًا: أَتَيْنَاكَ فِيمَا يَصْلِحُنَا وَإِيَّاكَ، فَأَقْبَلْتَ تَضْرِبُ لَنَا الْأَمْثَالَ! دَعِ مَا لَا يَنْتَفِعُ بِهِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَأَجْبِنَا فِيمَا يَعْمُنَا وَإِيَّاكَ نَفْعُهُ وَتَكَلَّمَ يَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ، فَقَالَ: إِنَّا لَمْ نَأْتِكَ إِلَّا لِنَبْلُغَكَ مَا بَعَثْنَا بِهِ إِلَيْكَ، وَلِنُؤَدِّيَ عَنْكَ مَا سَمِعْنَا مِنْكَ، وَنَحْنُ عَلَى ذَلِكَ لَمْ نَدْعُ أَنْ نَنْصَحَ لَكَ، وَأَنْ نَذْكُرَ مَا ظَنَّنَا أَنْ لَنَا عَلَيْكَ بِهِ حِجَّةٌ، وَإِنَّكَ رَاجِعٌ بِهِ إِلَى الْأَلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ

إن صاحبنا من قد عرفت وعرف المسلمون فضله، ولا أظنه يخفى عليك، أن أهل الدين والفضل لن يعدلوا بعلي، ولن يميلوا بينك وبينه، فاتق الله يا معاوية، ولا تخالف علياً، فإننا والله ما رأينا رجلاً قط أعمل بالتقوى، ولا أزهد في الدنيا، ولا أجمع لحصال الخير كلها منه.

حَمِدَ الله معاوية وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنكم دعوتكم إلى الطاعة والجماعة، فأما الجماعة التي دعوتكم إليها فعنا هي، وأما الطاعة لصاحبكم فإننا لا نراها، إن صاحبكم قتل خليفتنا، وفرق جماعتنا، وآوى ثأرنا وقتلتنا، وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله، فنحن لا نرد ذلك عليه، أرأيتم قتلة صاحبنا؟

الستم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم؟ فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به، ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة. فَقَالَ لَهُ شُبْتُ: أيسرك يا معاوية أنك أمكنت من عمار تقتله! فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: وما يمنعني من ذلك! وَاللَّهِ لو أمكنت من ابن سمية ما قتلته بعثمان، ولكن كنت قاتله بناتل مولى عُثْمَانَ فَقَالَ لَهُ شُبْتُ: واله الأرض واله السماء، ما عدلت معتدلاً، لا والذي لا إله إلا هو لا تصل إلى عمار حتى تدر الهام عن كواهل الأقوام، وتضيق الأرض الفضاء عليك برحبها. فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: إنه لو قد كَانَ ذَلِكَ كَانَتِ الأرض عليك أضيق.

وتفرق القوم عن مُعَاوِيَةَ، فلما انصرفوا بعث مُعَاوِيَةَ إِلَى زِيَادِ بْنِ خَصْفَةِ التيمي، فخلاً به، حَمِدَ الله وأثنى عليه، وَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ يَا أَخَا رِبِيعَةَ، فإن علياً قطع أرحامنا، وآوى قتلة صاحبنا، وإني أسألك النصر عليه بأسرتك وعشيرتك، ثم لك عهد الله جلّ وعزّ وميثاقه أن أوليك إذا ظهرت أي المصرين أحببت.

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: حَدَّثَنِي سَعْدُ أَبُو الْمَجَاهِدِ، عن الحل بن خليفة، قَالَ: سمعت زياد بن خصفة يحدث بهذا الحديث، قَالَ: فلما قضى مُعَاوِيَةَ كلامه حمدت الله عزّ وجلّ وأثنت عليه، ثم قلت: أَمَّا بَعْدُ، فإني على بينة من ربي وبما أنعم علي، فلن أكون ظهيراً للمجرمين، ثم قُتِلْتُ.

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ - وَكَانَ إِلَى جَنْبِهِ جَالِسًا: ليس يكلم رجل منا رجلاً منهم فيجيب إلى خير ما لهم غضبهم الله بشراً! ما قلوبهم إلا كقلب رجل واحد.

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ الْأَزْدِيُّ، عن عبد الرحمن ابن عبيد أبي الكنود، أن مُعَاوِيَةَ، بعث إلى علي حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد بن الأخنس، فدخلوا عليه وأنا عنده، حَمِدَ الله حبيب وأثنى عليه، ثم قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فإن عُثْمَانَ بن عفان رضي الله عنه كَانَ خليفة مهدياً، يعمل بكتاب الله عزّ وجلّ، وينيب إلى أمر الله تعالى، فاستثقلت حياته، واستبطأتم وفاته، فعدوتم عليه فقتلتموه، فادفع إلينا قتلة عُثْمَانَ - إن زعمت أنك لم تقتله - نقتلهم به، ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم سُورَى بينهم، يولي الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم.

[فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: وما أنت لا أم لك والعزل وهذا الأمر! اسكت فإنك لست هناك ولا بأهل له! فقام وَقَالَ لَهُ: وَاللَّهِ لتريني بحيث تكره فَقَالَ عَلِيٌّ: وما أنت ولو أجلبت بخيلك ورجلك! لا أبقى الله عليك إن أبقيت علي، أحقرة وسوء! اذهب فصوص وصعد ما بدا لك].

[وَقَالَ شَرْحِبِيلُ بْنُ السَّمْطِ: إني إن كلمتك فلعمري ما كلامي إلا مثل كلام صاحبي قبل، فهل عندك جواب غير الذي أجبت به؟ فَقَالَ عَلِيٌّ:

نعم لك ولصاحبك جواب غير الذي أجبت به حَمِدَ الله وأثنى عليه ثم قَالَ:

أَمَّا بَعْدُ، فإن الله جل ثناؤه بعث محمداً ص بالحق، فأنقذ به من الضلالة، وانتاش به من الهلكة، وجمع به من الفرقة، ثم قبضه الله إليه وَقَدْ أَدَّى مَا عَلَيْهِ ص، ثم استخلف الناس أبا بكر

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واستخلف أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأحسننا السيرة، وعدلنا في الأمة، وَقَدْ وجدنا عليهما أن توليا علينا- ونحن آل رسول الله ص- فغفرنا ذَلِكَ لهما، وولي عُمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فعمل بأشياء عابها الناس عَلَيْهِ، فساروا إِلَيْهِ فقتلوه، ثُمَّ أَتَانِي الناس وأنا معتزل أمورهم، فَقَالُوا لي: بايع، فَأَبَيْت عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا لي: بايع، فَإِن الأمة لا ترضى إِلَّا بك!، وإنا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس، فبايعتهم، فلم يرعني إِلَّا شقاق رجلين قَدْ بايعاني، وخلاف مُعَاوِيَةَ الَّذِي لم يجعل الله عَزَّ وَجَلَّ لَهُ سابقة في الدين، وَلَا سلف صدق في الإسلام، طليق ابن طليق، حزب من هَذِهِ الأحزاب، لم يزل لله عز وجل ولرسوله ص وللمسلمين عدوا هُوَ وأبوه حَتَّى دخلنا في الإسلام كارهين، فلا غرو إِلَّا خلافتكم مَعَهُ، وانقيادكم له، وتدعون آل نبيكم ص الَّذِينَ لا ينبغي لكم شقاقهم وَلَا خلافتهم، وَلَا أن تعدلوا بهم مِنَ النَّاسِ أَحَدًا أَلَا إِنِّي أدعوكم إِلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وسنة نبيه ص وإمامة الباطل، وإحياء معالم الدين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، ولكل مومن ومؤمنة، ومسلم ومسلمه.

فقالا: اشهد أن عُمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتل مظلوما، فَقَالَ لهما: لا أقول إنه قتل مظلوما، وَلَا إنه قتل ظالما، قَالَا: فمن لم يزعم أن عُمَانُ قتل مظلوما فنحن منه براء، ثُمَّ قاما فانصرفا فَقَالَ علي: «إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ» ثُمَّ أَقْبَلَ علي عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: لا يكن هؤلاءِ أُولَى بالجد في ضلالهم مِنْكُمْ بالجد في حقكم وطاعة ربكم].

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ حَذِيفَةَ، مِنْ آلِ عَامِرِ بْنِ جُوَيْنٍ،

أن عائذ بن قيس الحزمري واثب عدي بن حاتم في الراية بصفين- وكانت حزم أكثر من بني عدي رهط حاتم- فوثب عَلَيْهِم عَبْدُ اللَّهِ بن خليفة الطَّائِيّ البولاني عِنْدَ عَلِيٍّ، فَقَالَ: يَا بَنِي حَزْمٍ، عَلَى عَدِي ثَوْتُونَ! وهل فيكم مثل عدي أو في آبائكم مثل أبي عدي! أليس بجاحي القربة ومانع الماء يوم روية؟ أليس ببن ذي المربع وابن جواد العرب؟! أليس ببن المنهب ماله، ومانع جاره؟! أليس من لم يغدر ولم يفجر، ولم يجهل ولم يخل، ولم يمين ولم يجبن؟! هاتوا في آبائكم مثل أبيه، أو هاتوا فيكم مثله.

أو ليس افضلكم في الاسلام! أو ليس وافدكم الى رسول الله ص! أليس برأسكم يوم النخيلة ويوم القادسية ويوم المدائن ويوم جلولاة الواقعة ويوم نهاوند ويوم تستر؟! فما لكم وله! وَاللَّهِ مَا مِنْ قَوْمِكُمْ أَحَدٌ يَطْلُبُ مِثْلَ الَّذِي تَطْلُبُونَ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: حسبك يا بن خليفة، هلم أيها القوم إلي، وعلي بجماعة طيئ، فأتوه جميعا، فَقَالَ علي: مَنْ كَانَ رَأْسُكُمْ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ؟ قَالَتْ لَهُ طَيِّئُ: عَدِي فَقَالَ لَهُ ابْنُ خَلِيفَةَ:

فسلمهم يا امير المؤمنين، اليسوا راضين مسلمين لعدي الرياسة؟ ففعل، فَقَالُوا: نعم، فَقَالَ لَهُمْ: عَدِي أَحَقُّكُمْ بِالرَّايَةِ فسلموها لَهُ، فَقَالَ علي- وضجت بنو الحزم:- إني أراه رأسكم قبل اليوم، وَلَا أَرَى قَوْمَهُ كُلَّهُمْ إِلَّا مُسْلِمِينَ لَهُ غَيْرَكُمْ، فاتبع في ذَلِكَ الكثرة فأخذها عدي، فلما كَانَ أَزْمَانُ جَرَّ بَنَ عَدِي طَلَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَلِيفَةَ لِيَبْعَثَ بِهِ مَعَ حَجْرٍ- وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ- فسير إِلَى الْجَبَلَيْنِ، وَكَانَ عَدِي قَدْ مَنَاهُ أَنْ يَرُدَّهُ، وَأَنْ يَطْلُبَ فِيهِ، فَطَالَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ:

وتسنوني يوم الشريعة والقنا ... بصفين في أَكْثَفِهِمْ قَدْ تَكْسَرَا

٥٠١٠٢ تكتيب الكائب وتعبئه الناس للقتال

جزى ربه عني عدي بن حاتم ... برفضي وخذلاني جزاء موفرا
اتنسى بلائي سادرا يا بن حاتم ... عشية ما أغنت عديك حزمرا
فدافعت عنك القوم حَتَّى تَحَاذَلُوا ... وكنت أنا الخضم الألد العذورا
فولوا وما قاموا مقامي كَأَنَّمَا ... رأوني ليثا بالأبواء مخذرا

نصرتك إذ خام القريب وأعبط البعيد ... وقد افردت نصرا موزرا
فكان جزائي أن أجرد بينكم ... سجيناً، وأن أولى الهوان وأوسرا
وكم عدة لي منك أنك راجعي ... فلم تغن بالميعاد عني حبترا
تكتيب الكائب وتعبئة الناس للقتال

[قَالَ: ومكث الناس حتى إذا دنا السلاح المحرم أمر علي مرثد بن الحارث الجشمي فنادى أهل الشام عند غروب الشمس: ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم: إني قد استدمتكم لتراجعوا الحق وتنبؤوا إليه، واحتججت عليكم بكتاب الله عز وجل، فدعوتكم إليه، فلم تنأوها عن طغيان، ولم تجيبوا إلى حق، وإني قد نبذت إليكم على سواء، إن الله لا يحب الخائنين].

ففرع أهل الشام إلى أمرائهم ورؤسائهم، وخرج معاوية وعمرو بن العاص في الناس يكتبان الكائب ويعبيان الناس، وأوقدوا النيران، وبات علي ليلته كلها يعيي الناس، ويكتب الكائب، ويدور في الناس يحرضهم.

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: [حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي، عن أبيه، أَنَّ عَلِيًّا كَانَ يَأْمُرُنَا فِي كُلِّ مَوْطِنٍ لَقِينَا فِيهِ مَعَهُ عَدَاوَةً فَيَقُولُ: لَا تَقَاتِلُوا الْقَوْمَ

حَتَّى يَبْدَأَوكُمُ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى جَهْدِهِ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَأَوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ، فَإِذَا قَاتَلْتُمُوهُمْ فَهَزَمْتُمُوهُمْ فَلَا تَقَاتِلُوا مُدْبِرًا، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ، وَلَا تَكْشِفُوا عَوْرَةً، وَلَا تُمَثِّلُوا بِقَتِيلٍ، فَإِذَا وَصَلْتُمْ إِلَى رِحَالِ الْقَوْمِ فَلَا تَهْتَكُوا سِتْرًا وَلَا تَدْخُلُوا دَارًا إِلَّا بِإِذْنٍ، وَلَا تَأْخُذُوا شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَا وَجَدْتُمْ فِي عَسْكَرِهِمْ، وَلَا تَهَيِّجُوا امْرَأَةً بِأَذَى، وَإِنْ شَتَمْنَا أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَّيْنَا أَمْرَاءَكُمْ وَصُلَحَاءَكُمْ، فَإِنَّهُمْ ضِعَافُ الْقُوَى وَالْأَنْفُسِ].

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: وَحَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي صَادِقٍ، عَنِ الْخَضْرَاءِ، قَالَ: [سَمِعْتُ عَلِيًّا يُحْرِضُ النَّاسَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ: يُحْرِضُ النَّاسَ يَوْمَ صِفِّينَ، وَيَوْمَ الْجَمَلِ، وَيَوْمَ النَّهْرِ، يَقُولُ: عِبَادَ اللَّهِ، اتَّقُوا اللَّهَ، وَغَضُّوا الْأَبْصَارَ، وَاخْفِضُوا الْأَصْوَاتَ، وَأَقْلُوا الْكَلَامَ، وَوَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الْمَنَازِلِ وَالْمَجَالَةِ وَالْمُبَارَزَةِ وَالْمَنَاضِلَةِ وَالْمُجَادِلَةِ وَالْمُعَانَقَةِ وَالْمُكَادِمَةَ وَالْمُلَازِمَةَ، فَاثْبُتُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ اللَّهُمَّ اأَلْهِمَّهُمُ الصَّبْرَ، وَأَنْزِلْ عَلَيْهِمُ النَّصْرَ، وَأَعْظِمْ لَهُمُ الْأَجْرَ].

فأصبح علي من الغد، فبعث على الميمنة والميسرة والرجالة والخييل قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: حَدَّثَنِي فَضِيلُ بْنُ خَدِيجٍ الْكَنْدِيُّ أَنَّ عَلِيًّا بَعَثَ عَلَى خَيْلِ أَهْلِ الْكُوفَةِ الْأَشْتَرِ، وَعَلَى خَيْلِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ سَهْلَ بْنَ حَنِيفٍ، وَعَلَى رَجَالَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ عِمَارَ بْنَ يَاسِرٍ، وَعَلَى رَجَالَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ وَهَاشِمَ بْنَ عَتَبَةَ وَمَعَهُ رَايَتُهُ، وَمَسْعَرُ بْنُ فَدَكِي التَّمِيمِيِّ عَلَى قَرَاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَصَارَ أَهْلُ الْكُوفَةِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَدِيلٍ وَعِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ.

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرِ الْأَزْدِيِّ، عَنِ الْقَاسِمِ مَوْلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ بَعَثَ عَلَى مَيْمَنَتِهِ ابْنَ ذِي الْكَلَّاعِ الْحَمِيرِيِّ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ حَبِيبَ بْنَ مَسْلَبَةَ الْفَهْرِيِّ، وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ يَوْمَ أَقْبَلَ مِنْ دِمَشْقَ

أَبَا الْأَعْوَرِ السُّلَمِيَّ - وَكَانَ عَلَى خَيْلِ أَهْلِ دِمَشْقَ - وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى خَيْلِ أَهْلِ الشَّامِ كُلِّهَا، وَمُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ الْمُرِّي عَلَى رَجَالَةِ أَهْلِ دِمَشْقَ، وَالضُّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ عَلَى رَجَالَةِ النَّاسِ كُلِّهَا وَبَايَعَ رَجَالُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى الْمَوْتِ، فَعَقَلُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْعِمَائِمِ فَكَانَ الْمَعْقُولُونَ خَمْسَةَ صَفُوفٍ، وَكَانُوا يُخْرِجُونَ وَيَصِفُونَ عَشْرَةَ صَفُوفٍ، وَخَرَجَ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَحَدُ عَشَرَ صَفًا فَخَرَجُوا أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ صَفَيْنِ فَاقْتَتَلُوا وَعَلَى مَنْ خَرَجَ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ الْأَشْتَرِ، وَعَلَى أَهْلِ الشَّامِ حَبِيبُ بْنُ مَسْلَبَةَ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا جُلَّ النَّهَارِ، ثُمَّ تَرَاوَعُوا وَقَدْ انْتَصَفَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، ثُمَّ خَرَجَ هَاشِمُ بْنُ عَتَبَةَ فِي خَيْلٍ وَرَجَالٍ حَسَنَ عَدَدِهَا وَعَدَّتْهَا، وَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو الْأَعْوَرِ، فَاقْتَتَلُوا يَوْمَهُمْ ذَلِكَ، يَحْمِلُ الْخَيْلُ عَلَى الْخَيْلِ، وَالرِّجَالُ عَلَى الرِّجَالِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ صَبَرُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَخَرَجَ الْيَوْمَ الثَّلَاثُ عِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، فَاقْتَتَلَ النَّاسُ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ، وَأَخَذَ عِمَارُ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، أَتُرِيدُونَ أَنْ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ عَادَى

الله ورسوله وجاهدتهما، وبغى على المسلمين، وظاهر المشركين، فلما رأى الله عز وجل يعز دينه ويظهر رسوله أتى النبي ص فأسلم، وهو فيما نرى راهب غير راغب، ثم قبض الله عز وجل رسوله ص! فوالله إن زال بعده معروفًا بعداوة المسلم، وهواة المجرم فائبتوا له وقتلوه فإنه يطفئ نور الله، ويظهر أعداء الله عز وجل.

فكان مع عمار زياد بن النضر على الخيل، فأمره أن يحمل في الخيل، فحمل، وقتله الناس وصبروا له، وشد عمار في الرجال، فأزال عمرو بن العاص عن موقفه وبارز يومئذ زياد بن النضر أخا له لأنه يقال له عمرو بن معاوية بن المنتفق بن عامر بن عقيل - وكانت أمهما امرأة من بني يزيد - فلما التقيا تعارفا فتواقفا، ثم انصرف كل واحد منهما عن صاحبه، وتراجع الناس.

فلما كان من الغد خرج محمد بن علي وعبيد الله بن عمر في جمعين عظيمين، فاقتتلوا كأشد القتال ثم إن عبيد الله بن عمر أرسل إلى ابن الحنفية:

أن أخرج إلي، فقال: نعم، ثم خرج يمشي، فبصر به أمير المؤمنين فقال: من هذان المتبارزان؟ ف قيل: ابن الحنفية وعبيد الله بن عمر، فرك دابته ثم نادى محمدًا، فوقف له، فقال: أمسك دابتي، فأمسكها، ثم مشى إليه علي فقال: أبرز لك، هلم إلي، فقال: ليست لي في مبارزتك حاجة، فقال: بلى، فقال: لا، فرجع ابن عمر فأخذ ابن الحنفية يقول لأبيه:

يا أبت، لم منعني من مبارزته؟ فوالله لو تركتني لرجوت أن أقتله، فقال: لو بارزته لرجوت أن تقتله، وما كنت آمن أن يقتلك، فقال: يا أبت أو تبرز لهذا الفاسق! والله لو أبوه سألك المبارزة لرغبت بك عنه، [فقال علي: يا بني، لا تقل في أبيه إلا خيرا] ثم إن الناس تحاجزوا وتراجعوا.

قال: فلما كان اليوم الخامس خرج عبد الله بن عباس والوليد بن عتبة فاقتتلوا قتالا شديدا، ودنا ابن عباس من الوليد بن عتبة، فأخذ الوليد يسب بني عبد المطلب، وأخذ يقول: يا بن عباس، قطعتم أرحامكم، وقتلتم إمامكم، فكيف رأيتم الله صنع بكم؟! لم تعطوا ما طلبتم، ولم تدركوا ما أملت، والله إن شاء مهلككم وناصر عليكم فأرسل إليه ابن عباس: أن أبرز لي، فأبى.

وقاتل ابن عباس يومئذ قتالا شديدا، وغشي الناس بنفسه.

ثم خرج قيس بن سعد الأنصاري وابن ذي الكلاع الحميري فاقتتلوا قتالا شديدا، ثم انصرفا، وذلك في اليوم السادس.

ثم خرج الأشتر، وعاد إليه حبيب بن مسلمة اليوم السابع، فاقتتلا قتالا شديدا، ثم انصرفا عند الظهر، وكل غير غالب، وذلك يوم الثلاثاء.

قال أبو مخنف: حدثني مالك بن أعين الجهني عن زيد بن وهب، أن عليا قال: حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا! فقام في الناس عشية الثلاثاء، ليلة الأربعاء بعد العصر، فقال: الحمد لله الذي لا يبرم ما نقض، وما أبرم لا ينقضه الناقضون، لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه، ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره، ولا بحمد المفضول ذا الفضل فضله، وقد ساقنا وهؤلاء القوم الأقدار، فلفت بيننا في هذا المكان، فنحن من ربنا بمرأى ومسمع، فلو شاء عجل النعمة، وكان منه التغيير، حتى

يكذب الله الظالم، ويعلم الحق أين مصيره، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة عنده هي دار القرار، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ألا انكم لا قوا القوم غدا، فأطيلوا الليلة القيام، وأكثروا تلاوة القرآن، وسلوا الله عز وجل النصر والصبر، والقوهم بالجد والحزم، وكونوا صادقين ثم انصرف، ووثب الناس إلى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها، ومر بهم كعب بن جعيل التغلبي وهو يقول:

أصبحت الأمة في أمر عجب ... والمملك مجموع غدا لمن غلب
فقلت قولا صادقا غير كذب ... إن غدا تهلك أعلام العرب.

قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ خَرَجَ عَلَيَّ النَّاسُ لَيْلَتَهُ كُلِّهَا، حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ زَحَفَ بِالنَّاسِ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ فِي أَهْلِ الشَّامِ، فَأَخَذَ عَلِيٌّ يَقُولُ:

مِنْ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ؟ وَمِنْ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ؟ فَانْسَبْتَ لَهُ قِبَائِلَ أَهْلِ الشَّامِ، حَتَّى إِذَا عَرَفَهُمْ وَرَأَى مَرَكَزَهُمْ قَالَ لِلأَزْدِ: اكْفُونِي الأَزْدَ، وَقَالَ لَخَثَمِ: اكْفُونِي خَثَمَ] وَأَمَرَ كُلَّ قَبِيلَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَنْ تَكْفِيَهُ أَخْتَهَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ قَبِيلَةً لَيْسَ مِنْهَا بِالشَّامِ أَحَدٌ فَيَصْرِفُهَا إِلَى قَبِيلَةٍ أُخْرَى تَكُونَ بِالشَّامِ، لَيْسَ مِنْهُمْ بِالْعِرَاقِ وَاحِدٌ، مِثْلَ بَجِيلَةٍ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ بِالشَّامِ إِلَّا عَدَدٌ قَلِيلٌ، فَصَرَفَهُمْ إِلَى لَخَمٍ ثُمَّ تَنَاهَضَ النَّاسُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا نَهَارَهُمْ كُلَّهُ، ثُمَّ انْصَرَفُوا عِنْدَ الْمَسَاءِ وَكُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ غَدَاةَ الْخَمِيسِ صَلَّى عَلِيٌّ بَغْلَسَ قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَنْدَبٍ الْأَزْدِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

مَا رَأَيْتُ عَلِيًّا غَلَسَ بِالصَّلَاةِ أَشَدَّ مِنْ تَغْلِيصِهِ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ خَرَجَ بِالنَّاسِ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ فَزَحَفَ إِلَيْهِمْ، فَكَانَ يَبْدُوهُمْ فَيَسِيرُ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا رَأَوْهُ قَدْ زَحَفَ إِلَيْهِمْ اسْتَقْبَلُوهُ بِوُجُوهِهِمْ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَعْيَنَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّ عَلِيًّا خَرَجَ إِلَيْهِمْ غَدَاةَ الْأَرْبَعَاءِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ فَقَالَ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ، الْمَحْفُوظِ الْمَكْفُوفِ، الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضًا لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَجَعَلْتَ

فِيهِ مَجْرَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَمَنَازِلَ النُّجُومِ، وَجَعَلْتَ سَكَانَهُ سَبْطًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَا يَسْأَمُونَ الْعِبَادَةَ وَرَبَّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَارًا لِلْأَنْعَامِ، وَالْهَوَامِ وَالْأَنْعَامِ، وَمَا لَا يَحْصَى مِمَّا لَا يَرَى وَمِمَّا يَرَى مِنْ خَلْقِكَ الْعَظِيمِ وَرَبِّ الْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ، وَرَبِّ السَّحَابِ الْمَسْخَرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَرَبِّ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ مُحِيطًا بِالعَالَمِ، وَرَبِّ الْجِبَالِ الرُّوَاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَادًا، وَلِلْخَلْقِ مَتَاعًا، إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوْنَا لَجَنَابِنَا الْبَغْيِ، وَسَدَدْنَا لِلْحَقِّ، وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنِي الشَّهَادَةَ، وَاعْصِمْ بَقِيَّةَ أَصْحَابِي مِنَ الْفِتْنَةِ.

قَالَ: وَازْدَلَفَ النَّاسُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ فَاقْتَتَلُوا كَأَشَدِّ الْقِتَالِ يَوْمَهُمْ حَتَّى اللَّيْلِ، لَا يَنْصَرِفُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ إِلَّا لِلصَّلَاةِ، وَكَثُرَتِ الْقَتْلَى بَيْنَهُمْ، وَتَحَاجَزُوا عِنْدَ اللَّيْلِ وَكُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، فَأَصْبَحُوا مِنَ الْغَدِ، فَصَلَّى بِهِمْ عَلِيٌّ غَدَاةَ الْخَمِيسِ، فَغَلَسَ بِالصَّلَاةِ أَشَدَّ التَّغْلِيصِ، ثُمَّ بَدَأَ أَهْلَ الشَّامِ بِالْخُرُوجِ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْهِمْ خَرَجُوا إِلَيْهِ بِوُجُوهِهِمْ، وَعَلَى مِيمَنَتِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَدِيلٍ، وَعَلَى مِيسَرَتِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَقَرَأَ أَهْلُ الْعِرَاقِ مَعَ ثَلَاثَةِ نَفَرٍ: مَعَ عِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ، وَمَعَ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، وَمَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَدِيلٍ، وَالنَّاسُ عَلَى رِيَائِهِمْ وَمَرَكَزِهِمْ، وَعَلَى فِي الْقَلْبِ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ بَيْنَ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَأَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَعَظَمَ مِنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْأَنْصَارِ، وَمَعَهُ مِنْ خِزَاعَةِ عَدَدٌ حَسَنٌ، وَمِنْ كَثَاةٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ.

ثُمَّ زَحَفَ إِلَيْهِمْ بِالنَّاسِ، وَرَفَعَ مُعَاوِيَةَ قَبَةَ عَظِيمَةً قَدْ أَتَى عَلَيْهَا الْكَرَائِسُ وَبَايَعَهُ عَظَمُ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى الْمَوْتِ، وَبَعَثَ خَيْلَ أَهْلِ دِمَشْقَ فَاحْتَاطَتْ بِقَبْتِهِ، وَزَحَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَدِيلٍ فِي الْمِيمَنَةِ نَحْوَ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ، فَلَمْ يَزَلْ يَحْزِرُهُ، وَيَكْشِفُ خَيْلَهُ مِنَ الْمِيسَرَةِ حَتَّى اضْطَرَّهُمْ إِلَى قَبَةِ مُعَاوِيَةَ عِنْدَ الظُّهْرِ

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَعْيَنَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّ ابْنَ بَدِيلٍ قَامَ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَلَا إِنَّ مُعَاوِيَةَ ادَّعَى مَا لَيْسَ أَهْلُهُ، وَنَازَعَ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ لَيْسَ مِثْلِهِ، وَجَادَلَ بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضَ بِهِ الْحَقَّ، وَصَالَ عَلَيْكُمْ بِالْأَعْرَابِ وَالْأَحْزَابِ، قَدْ زَيْنَ لَهُمُ الضَّلَالَةَ، وَزَرَعَ فِي قُلُوبِهِمْ حُبَّ الْفِتْنَةِ، وَلَبَسَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرَ، وَزَادَهُمْ رَجْسًا إِلَى رَجْسِهِمْ، وَأَنْتُمْ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَبِرْهَانٍ مَبِينٍ فَقَاتَلُوا الطَّغَاةَ الْجَفَاءَ، وَلَا تَخْشَوْهُمْ، فَكَيْفَ تَخْشَوْنَهُمْ وَفِي أَيْدِيكُمْ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ طَاهِرًا مَبْرُورًا! «أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ»، وَقَدْ قَاتَلْنَاهُمْ مَعَ النَّبِيِّ صَ مَرَّةً، وَهَذِهِ ثَانِيَةٌ، وَاللَّهُ مَا هُمْ فِي هَذِهِ بَاتَقَى وَلَا أَزْكَى وَلَا أَرْشَدُ، قَوْمُوا إِلَى عَدُوِّكُمْ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ! فَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا هُوَ وَأَصْحَابُهُ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ الْأَنْصَارِيُّ، عَنْ أَبِيهِ وَمَوْلَى لَهُ، [أَنَّ عَلِيًّا حَرَضَ النَّاسَ يَوْمَ صَفَيْنَ، فَقَالَ:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ دَلَّكُمْ عَلَى تَجَارَةِ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ، تَشْفَى بِكُمْ عَلَى الْخَيْرِ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبِرَسُولِهِ ص، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ، وَجَعَلَ ثَوَابَهُ مَغْفِرَةَ الذَّنْبِ، وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ثُمَّ أَخْبَرَكُمْ أَنَّهُ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِيَانٍ مَرْصُوصٍ، فَسَوُوا صَفُوفَكُمْ كَالْبَنِيَانِ الْمَرْصُوصِ، وَقَدِّمُوا الدَّارِعَ، وَأَخْرُوا الْحَاسِرَ، وَعَضُوا عَلَى الْأَضْرَاسِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسَّيْفِ عَنِ الْهَامِ، وَالتَّوَّاءِ

٥٠١٣ الجدي في الحرب والقتال

فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ، فَإِنَّهُ أَصُونٌ لِلْأَسْنَةِ وَغَضُوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَاشِ، وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ، وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفِشْلِ، وَأَوَّلَى بِالْوَقَارِ رَايَاتَكُمْ فَلَا تَمِيلُوهَا وَلَا تَزِيلُوهَا، وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ، فَإِنَّ الْمَانِعَ لِلذَّمَارِ، وَالصَّابِرَ عِنْدَ نَزُولِ الْحَقَائِقِ، هُمْ أَهْلُ الْخِفَافِ الَّذِينَ يَخْفُونَ بِرَايَاتِهِمْ وَيَكْنَفُونَهَا، يَضْرِبُونَ حَفَافِهَا خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا، وَلَا يَضْعُونَهَا أَجْزَاءً أَمْرًا وَقَدْ قَرَنَهُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - وَآسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكُلْ قَرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ، فَيَكْسِبُ بِذَلِكَ لَأْمَةً، وَيَأْتِي بِهِ دَنَاءَةً وَأَنِّي لَا يَكُونُ هَذَا هَكَذَا! وَهَذَا يُقَاتِلُ اثْنَيْنِ، وَهَذَا مُمْسِكٌ بِيَدِهِ يَدْخُلُ قَرْنَهُ عَلَى أَخِيهِ هَارِبًا مِنْهُ، أَوْ قَائِمًا يَنْظُرُ إِلَيْهِ! مَنْ يَفْعَلُ هَذَا يَمِقَّتَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَا تَعْرَضُوا لِمَقَّتِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَإِنَّمَا مَرَدُّكُمْ إِلَى اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُتَمَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا» وَإِيمُ اللَّهِ لَنْ يَسْلَمَ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ لَا تَسْلَمُونَ مِنْ سَيْفِ الْآخِرَةِ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّدَقِ وَالصَّبْرِ، فَإِنْ بَعْدَ الصَّبْرِ يَنْزِلُ اللَّهُ النَّصْرَ .

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي أَبُو رَوْحٍ الْهَمْدَانِيُّ، أَنَّ يَزِيدَ بْنَ قَيْسٍ الْأَرْحَبِيَّ حَرَضَ النَّاسَ فَقَالَ: إِنَّ الْمُسْلِمَ السَّلِيمَ مِنْ سَلَمِ دِينِهِ وَرَأْيِهِ، وَإِنْ هُوَ لَا الْقَوْمَ وَاللَّهِ إِنْ يُقَاتِلُونَا

عَلَى إِقَامَةِ دِينِ رَأُونَا ضَيْعَانَهُ، وَإِحْيَاءِ حَقِّ رَأُونَا أَمْتَانَهُ، وَإِنْ يُقَاتِلُونَا إِلَّا عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا لِيَكُونُوا جَبَابِرَةً فِيهَا مَلُوكًا، فَلَوْ ظَهَرُوا عَلَيْكُمْ - لَا أَرَاهُمْ اللَّهُ ظَهُورًا وَلَا سُرُورًا - لَزَمُوكُمْ بِمَثَلِ سَعِيدٍ وَالْوَلِيدِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ السَّفِيهِ الضَّالِّ، يُخْبِرُ أَحَدَهُمْ فِي مَجْلِسِهِ بِمَثَلِ دَيْتِهِ وَدِيَةِ أَبِيهِ وَجَدِهِ، يَقُولُ: هَذَا لِي وَلَا إِثْمَ عَلَيَّ، كَأَنَّمَا أُعْطِيَ تَرَاثُهُ عَنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، وَإِنَّمَا هُوَ مَالُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَفَاءَهُ عَلَيْنَا بِأَسْيَافِنَا وَأَرْمَاحِنَا، فَقَاتِلُوا عِبَادَ اللَّهِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، الْحَاكِمِينَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَلَا يَأْخُذْكُمْ فِي جِهَادِهِمْ لَوْمَ لَا تُؤْمَ، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَفْسُدُوا عَلَيْكُمْ دِينَكُمْ وَدُنْيَاكُمْ، وَهُمْ مِنْ قَدْ عَرَفْتُمْ وَخَبَرْتُمْ، وَإِيمُ اللَّهِ مَا أَزْدَادُوا إِلَى يَوْمِهِمْ هَذَا إِلَّا شَرًّا.

وَقَاتَلَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَدِيلٍ فِي الْمَيْمَنَةِ قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى انْتَهَى إِلَى قُبَّةٍ مُعَاوِيَةً ثُمَّ إِنَّ الَّذِينَ تَبَاعَبُوا عَلَى الْمَوْتِ أَقْبَلُوا إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَصْمُدُوا لَابْنَ بَدِيلٍ فِي الْمَيْمَنَةِ، وَبَعَثَ إِلَى حَبِيبِ بْنِ مُسْلِمَةَ فِي الْمَيْسِرَةِ، فَحَمَلَ بِهِمْ وَبِمَنْ كَانَ مَعَهُ عَلَى مَيْمَنَةِ النَّاسِ فَهَزَمَهُمْ، وَانْكَشَفَ أَهْلُ الْعِرَاقِ مِنْ قَبْلِ الْمَيْمَنَةِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا ابْنُ بَدِيلٍ فِي مَائَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثِمِائَةٍ مِنَ الْقُرَاءِ، قَدْ أَسْنَدَ بَعْضُهُمْ ظَهْرَهُ إِلَى بَعْضٍ، وَانْجَفَلَ النَّاسُ، فَأَمَرَ عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ بْنُ حَنِيفٍ فَاسْتَقْدَمَ فِيمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَاسْتَقْبَلْتَهُمْ جُمُوعٌ لِأَهْلِ الشَّامِ عَظِيمَةً، فَاحْتَمَلْتَهُمْ حَتَّى أَلْحَقْتَهُمْ بِالْمَيْمَنَةِ، وَكَانَ فِي الْمَيْمَنَةِ إِلَى مَوْقِفِ عَلِيٍّ فِي الْقَلْبِ أَهْلُ الْيَمَنِ فَلَمَّا كَشَفُوا انْتَهَتْ الْهَزِيمَةُ إِلَى عَلِيٍّ، فَانْصَرَفَ يَتَمَتَّشِي نَحْوَ الْمَيْسِرَةِ، فَانْكَشَفَتْ عَنْهُ مَضْرُوءُ الْمَيْسِرَةِ، وَثَبَّتَ رِبْعَةً.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَعْيَنِ الْجُهَنِيُّ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ

الْجُهَنِيِّ، قَالَ: مَرَّ عَلِيُّ مَعَهُ بَنُوهُ نَحْوَ الْمَيْسِرَةِ، وَمَعَهُ رِبْعُهُ وَحَدَّاهَا، وَإِنِّي لَأَرَى النَّبْلَ يَمُرُّ بَيْنَ عَاتِقِهِ وَمَنْكَبِهِ، وَمَا مِنْ بَنِيهِ أَحَدٍ إِلَّا يَقِيهِ بِنَفْسِهِ، فَيَكْرِهُ عَلَى ذَلِكَ، فَيَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ، فَيَحُولُ بَيْنَ أَهْلِ الشَّامِ وَبَيْنَهُ، فَيَأْخُذُهُ بِيَدِهِ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَيَلْقِيهِ بَيْنَ يَدَيْهِ أَوْ مِنْ وَرَائِهِ، فَبَصُرَ بِهِ أَحْمَرُ - مَوْلَى أَبِي سُفْيَانَ، أَوْ عُثْمَانُ، أَوْ بَعْضُ بَنِي أُمَيَّةَ - فَقَالَ عَلِيُّ: وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ أَوْ تَقْتُلْنِي! فَأَقْبَلَ نَحْوَهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ كَيْسَانَ مَوْلَى عَلِيٍّ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَقَتَلَهُ مَوْلَى بَنِي أُمَيَّةَ، وَيَنْتَهَرُهُ عَلِيُّ، فَيَقَعُ بِيَدِهِ فِي جَيْبِ دَرْعِهِ، فَيَجْبِذُهُ، ثُمَّ حَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ،

فكأنني أنظر إلى رجليتيه، تختلفان على عنق علي، ثم ضرب به الأرض فكسر منكبه وعضديه، [وشد ابنا علي عليه: حسين ومحمد، فضرباه بأسيا فهما، حتى برد، فكأنني أنظر إلى علي قائما وإلى شبليه يضربان الرجل، حتى إذا قتلاه وأقبلا إلى أبيهما، والحسن قائما قال له: يا بني، ما منعك أن تفعل كما فعل أخواك؟ قال: كفياني يا أمير المؤمنين] ثم إن أهل الشام دنوا منه ووالله ما يزيده قربهم منه سرعة في مشيه، [فقال له الحسن: ما ضرك لو سعت حتى تنتهي إلى هؤلاء الذين قد صبروا لعدوك من أصحابك؟ فقال: يا بني، إن لأبيك يوما لن يعدوه ولا يبطئ به عند السعي، ولا يجعل به إليه المشي، إن أباك والله ما يبالي أوقع على الموت، أو وقع الموت عليه]. قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج الكندي، [عن مولى للأشتر، قال: لما انهزمت ميمنة العراق وأقبل علي نحو الميسرة، مر به الأشتر يركض نحو الفزع قبل الميمنة، فقال له علي: يا مالك، قال: لبيك،

قال: انت هؤلاء القوم فقل لهم: أين فراركم من الموت الذي لن تعجزوه، إلى الحياة التي لن تبقى لكم! ففضى فاستقبل الناس منهزمين، فقال لهم هذه الكلمات التي قالها له علي] وقال: إلي أيها الناس، أنا مالك بن الحارث، أنا مالك بن الحارث، ثم ظن أنه بالأشتر أعرف في الناس، فقال: أنا الأشتر، إلي أيها الناس فأقبلت إليه طائفة، وذهبت عنه طائفة، فنادى:

أيها الناس، عضضتم بهن آبائكم! ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم! أيها الناس، أخلصوا إلي مدججا، فأقبلت إليه مدجج، فقال: عضضتم بصم الجندل! ما أرضيتكم ربكم، ولا نصحتهم له في عدوكم، وكيف بذلك وأنتم أبناء الحروب، وأصحاب الغارات، وفتيان الصباح، وفرسان الطراد، وحتوف الأقران، ومدجج الطعان، الذين لم يكونوا يسبقون بثأرهم، ولا تطل دماؤهم، ولا يعرفون في موطن بخسف، وأنتم حد أهل مصركم، وأعد حي في قومكم، وما تفعلوا في هذا اليوم، فإنه مأثور بعد اليوم، فاتقوا مأثور الأحاديث في غد، واصدقوا عدوكم اللقاء فإن الله مع الصادقين والذي نفس مالك بيده ما من هؤلاء- وأشار بيده إلى أهل الشام- رجل على مثال جناح بعوضة من محمد ص أنتم ما احسنتم القراع، اجلوا سواد وجهي يرجع في وجهي دمي.

عليكم بهذا السواد الأعظم، فإن الله عز وجل لو قد فضه تبعه من بجانيه كما يتبع مؤخر السيل مقدمه قالوا: خذ بنا حيث أحببت وصمد نحو عظمهم فيما يلي الميمنة، فأخذ يزحف إليهم، ويردهم، ويستقبله شباب من همدان- وكانوا ثمانمائة مقاتل يومئذ- وقد انهزموا آخر الناس، وكانوا قد صبروا في الميمنة حتى أصيب منهم ثمانون ومائة رجل، وقتل منهم أحد عشر رئيسا، كلما قتل منهم رجل أخذ الراية آخر، فكان الأول كريب بن شريح، ثم شرحبيل بن شريح، ثم مرثد بن شريح، ثم هبيرة بن شريح، ثم يريم بن شريح، ثم سمير بن شريح، فقتل هؤلاء الإخوة الستة جميعا ثم أخذ الراية سفيان بن زيد، ثم عبد بن زيد، ثم كريب بن زيد، فقتل هؤلاء الإخوة الثلاثة جميعا، ثم أخذ الراية عميرة بن بشير، ثم الحارث بن بشير، فقتلا، ثم أخذ الراية وهب بن كريب أخو القلوص، فأراد أن يستقبل، فقال له رجل من قومه: انصرف بهذه الراية- رحمك الله- فقد قتل أشرف قومك حولها، فلا تقتل نفسك ولا من بقي من قومك، فانصرفوا وهم يقولون: ليت لنا عدتنا من العرب يحالفوننا على الموت، ثم نستقدم نحن وهم فلا ننصرف حتى نقتل أو نظفر فمروا بالأشتر وهم يقولون هذا القول، فقال لهم الأشتر:

إلي أنا أحالفكم وأعاقدكم على ألا نرجع أبدا حتى نظفر أو نهلك فأتوه فوقفوا معه، ففي هذا القول قال كعب بن جعيل التغلبي: وهمدان رزق تبتغي من تحالف

وزحف الأشتر نحو الميمنة، وثاب إليه ناس تراجعوا من أهل الصبر والحياء والوفاء، فأخذ لا يصمد لكتيبة إلا كشفها، ولا جمع إلا حازه ورده، فإنه لذلك إذ مر بزياد بن النضر يحمل إلى العسكر، فقال: من هذا؟ فقيل: زياد بن النضر، استلحم عبد الله بن بديل وأصحابه في الميمنة، فتقدم زياد فرفع لأهل الميمنة رايته، فصبروا، وقاتل حتى صرع، ثم لم يمكثوا إلا كلا شيء حتى مر يزيد بن قيس الأرحبي محمولا نحو العسكر، فقال الأشتر: من هذا؟ فقالوا: يزيد بن قيس، لما صرع زياد ابن النضر رفع لأهل الميمنة رايته، فقاتل

حَتَّى صَرَخَ، فَقَالَ الْأَشْتَرُ: هَذَا وَاللَّهِ الصَّبْرُ الْجَمِيلُ، وَالْفِعْلُ الْكَرِيمُ، أَلَا يَسْتَحْيِي الرَّجُلُ أَنْ يَنْصَرِفَ لَا يَقْتُلَ وَلَا يَقْتُلَ، أَوْ يَشْفِي بِهِ عَلَى الْقَتْلِ! قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي أَبُو جَنْبَابِ الْكَلْبِيِّ، عَنْ الْحَرَبِيِّ الصَّيَّاحِ النَّخَعِيِّ، أَنَّ الْأَشْتَرَ يَوْمَئِذٍ كَانَ يَقَاتِلُ عَلَى فَرَسٍ لَهُ فِي يَدِهِ صَفِيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ، إِذَا طَاطَأَهَا خَلَّتْ فِيهَا مَاءٌ مَنْصَبًا، وَإِذَا رَفَعَهَا كَادَ يَعِشِي الْبَصَرَ شِعَاعَهَا، وَجَعَلَ يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ وَيَقُولُ:

الْغِمَرَاتُ ثُمَّ يَنْجِلِينَا

قَالَ: فَبَصَرَ بِهِ الْحَارِثُ بْنُ جَهْمَانَ الْجَعْفِيَّ وَالْأَشْتَرَ مُتَمَنِّعًا فِي الْحَدِيدِ، فَلَمْ يَعْرِفْهُ، فَدَنَا مِنْهُ فَقَالَ لَهُ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْذُ الْيَوْمِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ! فَعَرَفَهُ الْأَشْتَرَ، فَقَالَ يَا بْنَ جَهْمَانَ، مِثْلَكَ يَتَخَلَّفُ عَنْ مِثْلِ مَوْطِنِي هَذَا الَّذِي أَنَا فِيهِ! فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ جَهْمَانَ فَعَرَفَهُ، فَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الرِّجَالِ وَاطْوَلَهُ - وَكَانَ فِي لَحِيَّتِهِ خَفَةٌ - قَلِيلَهُ - فَقَالَ: جَعَلْتَ فِدَاكَ! لَا وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ بِمَكَانِكَ إِلَّا السَّاعَةَ، وَلَا أَفَارِقُكَ حَتَّى أَمُوتَ قَالَ:

وَرَأَاهُ مَنْقَذٌ وَحَمِيرُ ابْنِ قَيْسِ النَّاعِطِيَّانِ، فَقَالَ مَنْقَذُ لِحَمِيرٍ: مَا فِي الْعَرَبِ مِثْلُ هَذَا، إِنْ كَانَ مَا أَرَى مِنْ قِتَالِهِ عَلَى نَيْتِهِ، فَقَالَ لَهُ حَمِيرٌ: وَهَلِ النِّيَّةُ إِلَّا مَا تَرَاهُ يَصْنَعُ! قَالَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ يَحَاوِلُ مَلَكًا قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي فَضِيلُ بْنُ خَدِيجٍ، عَنْ مَوْلَى الْأَشْتَرِ: إِنَّهُ لَمَّا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ عَظَمَاءُ مَنْ كَانَ أَنْهَزَهُ عَنِ الْمَيْمَنَةِ حَرَضَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: عَضُوا عَلَى النَّوَاجِذِ مِنَ الْأَضْرَاسِ، وَاسْتَقْبِلُوا الْقَوْمَ بِهَامِكُمْ، وَشَدُّوا شِدَّةَ قَوْمٍ مُوتَوْرِينَ ثَارًا بِآبَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ، حَنَاقًا عَلَى عَدُوهِمْ، قَدْ وَطَنُوا عَلَى الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ كَيْلًا يَسْبِقُوا بَوْتَرًا، وَلَا يَلْحَقُوا فِي الدُّنْيَا عَارًا، وَيَأْتِي اللَّهُ مَا وَتَرَ قَوْمٌ قَطُّ شَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يُوتَرُوا دِينَهُمْ، وَإِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَقَاتِلُونَكُمْ إِلَّا عَنْ دِينِكُمْ لِيَمِيتُوا السَّنَةَ، وَيَحْيُوا الْبَدْعَةَ، وَيَعِيدُوكُمْ فِي ضَلَالَةٍ قَدْ أَخْرَجَكُمْ اللَّهُ عَرَّ وَجَلَّ مِنْهَا بِحَسَنِ الْبَصِيرَةِ فَطَبِخُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنْفُسًا بِدُمَائِكُمْ دُونَ دِينِكُمْ، فَإِنْ ثَوَابَكُمْ عَلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ جَنَّاتُ النَّعِيمِ وَإِنْ الْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ فِيهِ السَّلْبُ لِلْعِزِّ، وَالْغَلْبَةُ عَلَى الْفِيءِ، وَذَلَّ الْحَيَا وَمَلَمَاتُ، وَعَارُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَتَّى كَشَفَهُمْ، فَأَلْحَقَهُمْ بِصُفُوفٍ مُعَاوِيَةَ بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَالْمَغْرَبِ، وَانْتَهَى إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَدِيلٍ وَهُوَ فِي عَصْبَةٍ مِنَ الْقُرَاءِ بَيْنَ الْمَائِثِينَ وَالثَّلَاثِينَ، وَقَدْ لَصِقُوا بِالْأَرْضِ كَأَنَّهُمْ جِثَا فَكَشَفَ عَنْهُمْ أَهْلُ الشَّامِ، فَأَبْصَرُوا إِخْوَانَهُمْ قَدْ دَنَوْا مِنْهُمْ، فَقَالُوا: مَا فَعَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالُوا: حَيٌّ صَالِحٌ فِي الْمَيْسَرَةِ، يَقَاتِلُ النَّاسَ أَمَامَهُ، فَقَالُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ، قَدْ كُنَّا ظَنَنَّا أَنْ قَدْ هَلَكَ وَهَلَكْتُمْ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَدِيلٍ لِأَصْحَابِهِ: اسْتَقْدَمُوا بَنَاءً، فَأَرْسَلَ الْأَشْتَرَ إِلَيْهِ: لَا تَفْعَلْ، أَثْبَتَ مَعَ النَّاسِ فَقَاتَلَ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ لَهُمْ وَأَبْقَى لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ فَأَبَى، فَضَيَّ كَمَا هُوَ نَحْوُ مُعَاوِيَةَ، وَحَوْلَهُ كَأَمْثَالِ الْجِبَالِ، وَفِي يَدِهِ سَيْفَانِ، وَقَدْ خَرَجَ فَهُوَ أَمَامُ أَصْحَابِهِ، فَأَخَذَ كُلُّهَا دَنَا مِنْهُ رَجُلٌ ضَرَبَهُ فَقَتَلَهُ، حَتَّى قَتَلَ سَبْعَةً، وَدَنَا مِنْ مُعَاوِيَةَ فَهَضَّ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَأُحِيطَ بِهِ وَبَطَائِفُهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ، وَقَتَلَ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ، وَرَجَعَتْ طَائِفَةٌ قَدْ جَرَحُوا مِنْهَزَمِينَ، فَبَعَثَ الْأَشْتَرَ ابْنَ جَهْمَانَ الْجَعْفِيَّ فَحَمَلَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْ نَجَا مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ بَدِيلٍ حَتَّى نَفَسُوا عَنْهُمْ، وَانْتَهَوْا إِلَى الْأَشْتَرِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَلَمْ يَكُنْ رَأْيِي لَكُمْ خَيْرًا مِنْ رَأْيِكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ! أَلَمْ أَمُرْكُمْ أَنْ تُثَبِّتُوا مَعَ النَّاسِ! وَكَانَ مُعَاوِيَةُ قَالَ لَابْنِ بَدِيلٍ وَهُوَ

يَضْرِبُ قَدَمًا: أَتَرُونَهُ كَبِشَ الْقَوْمِ! فَلَمَّا قَتَلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: انظُرُوا مِنْ هُوَ؟ فَنَظَرَ إِلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَقَالُوا: لَا نَعْرِفُهُ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: بَلَى، هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَدِيلٍ، وَاللَّهِ لَوْ اسْتَطَاعَتْ نِسَاءُ خِزَاعَةٍ أَنْ تَقَاتِلَنَا فَضِلَّا عَلَى رِجَالِهَا لَفَعَلَتْ، مَدَّوهُ، فَقَالَ: هَذَا وَاللَّهِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

أَخُو الْحَرْبِ إِنْ عَضَتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضَهَا ... وَإِنْ شَمَرَتْ يَوْمًا بِهِ الْحَرْبُ شَمَرَا

وَالْبَيْتُ لِحَاتِمِ طَيْئٍ وَإِنَّ الْأَشْتَرَ زَحَفَ إِلَيْهِمْ فَاسْتَقْبَلَهُ مُعَاوِيَةُ بِعُكٍّ وَالْأَشْعَرِينَ، فَقَالَ الْأَشْتَرُ لِمَذْجٍ: اكْفُونَا عَكَ، وَوَقِفْ فِي هَمْدَانَ وَقَالَ لَكِنْدَةَ: اكْفُونَا الْأَشْعَرِينَ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، وَأَخَذَ يُخْرِجُ إِلَى قَوْمِهِ فَيَقُولُ: إِنَّمَا هُمْ عَكَ، فَاحْمَلُوا عَلَيْهِمْ، فَيَجْثُونَ عَلَى الرِّكْبِ وَيَرْتَجِزُونَ:

يَا وَيْلَ أُمِّ مَذْحَجٍ مِنْ عَكَ ... هَاتِيكَ أُمِّ مَذْحَجٍ تَبْكِي

فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى الْمَسَاءِ ثُمَّ إِنَّهُ قَاتَلَهُمْ فِي هَمْدَانَ وَنَاسٍ مِنْ طَوَائِفِ النَّاسِ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ فَأَزَالَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ حَتَّى أَلْحَقَهُمْ بِالصُّفُوفِ الْخَمْسَةِ الْمُعَقَّلَةِ بِالْعِمَائِمِ حَوْلَ مُعَاوِيَةَ، ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِمْ شِدَّةً أُخْرَى فَصَرَعَ الصُّفُوفِ الْأَرْبَعَةَ، - وَكَانُوا مَعْقِلِينَ بِالْعِمَائِمِ - حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْخَامِسِ الَّذِي حَوْلَ مُعَاوِيَةَ، وَدَعَا مُعَاوِيَةَ بِفَرَسٍ فَرَكَبَ - وَكَانَ يَقُولُ: أَرَدْتُ أَنْ أَنْهَزِمَ فَذَكَرْتُ قَوْلَ ابْنِ الْأَطْنَابَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ - كَانَ جَاهِلِيًّا، وَالْأَطْنَابَةُ امْرَأَةٌ مِنْ بَلْقَيْنَ:

أَبْتَ لِي عَفْتِي وَحَيَاءَ نَفْسِي ... وَإِقْدَامِي عَلَى الْبَطْلِ الْمَشِيحِ
وَإِعْطَائِي عَلَى الْمَكْرُوهِ مَالِي ... وَأَخْذِي الْحَمْدَ بِالْثَمَنِ الرِّيحِ
وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَّاتُ وَجَاشَتْ ... مَكَانَكَ تَحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

فَنَعْنِي هَذَا الْقَوْلَ مِنَ الْفِرَارِ

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَعْيَنِ الْجَهَنِّي، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ، أَنَّ عَلِيًّا لَمَّا رَأَى مِیْمَنَتَهُ قَدْ عَادَتْ إِلَى مَوَاقِعِهَا وَمَصَافِهَا وَكَشَفَتْ مِنْ بِلَازِئِهَا مِنْ عَدُوِّهَا حَتَّى ضَارِبُوهُمْ فِي مَوَاقِفِهِمْ وَمَرَكَزِهِمْ، أَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ [فَقَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ وَانْخِيزَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ، يَحُوزُكُمْ الطَّغَاةُ الْجَفَاءُ وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَنْتُمْ لَهَا مِیْمَنَةُ الْعَرَبِ، وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ، وَعِمَارُ اللَّيْلِ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَأَهْلُ دَعْوَةِ الْحَقِّ إِذْ ضَلَّ الْخَاطِئُونَ، فَلَوْلَا إِقْبَالُكُمْ بَعْدَ إِدْبَارِكُمْ، وَكَرْكُكُمْ بَعْدَ انْخِيزَاكُمْ، وَجَبَ عَلَيْكُمْ مَا وَجَبَ عَلَى الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الزَّحْفِ دَبْرَهُ، وَكُنْتُمْ مِنَ الْهَالِكِينَ، وَلَكِنْ هُوَ وَجَدِي، وَشَفَى بَعْضَ أَحْبَابِ نَفْسِي، أَنِّي رَأَيْتُكُمْ بِأَخْرَافِهِمْ حَزَمْتُمْ كَمَا حَازَكُمُ، وَأَزَلْتُمْ عَنْ مَصَافِهِمْ كَمَا أَزَلَكُمُ، تَحْسُونَهُمْ بِالسُّيُوفِ، تَرْكَبُ أَوْلَاهُمْ أَخْرَاهُمْ كَالْإِبِلِ الْمَطْرَدَةِ الْهَيْمِ، فَلَا أَنْ فَاصْبِرُوا، نَزَلَتْ عَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ وَثَبَّتَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْيَقِينِ، لِيَعْلَمَ الْمُنْهَزِمُ أَنَّهُ مَسْخُطٌ رَبَّهُ، وَمُوبِقٌ نَفْسَهُ، إِنْ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةٌ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ، وَالذَّلُّ الْإِزْمَ، وَالْعَارُ الْبَاقِي، وَاعْتَصَارُ الْفِيءِ مِنْ يَدِهِ، وَفَسَادُ الْعَيْشِ عَلَيْهِ وَإِنْ الْفَارِ مِنْهُ لَا يَزِيدُ فِي عَمْرِهِ، وَلَا يَرْضَى رَبَّهُ، فَمُوتِ الْمَرْءُ مُحَقًّا قَبْلَ إِيْتَانِ هَذِهِ الْخِصَالِ، خَيْرٌ مِنَ الرِّضَا بِالتَّائِسِ لَهَا، وَالْإِقْرَارُ عَلَيْهَا] .

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ جَابِرِ الْأَحْمَسِيِّ، أَنَّ رَايَةَ بِجِيلَةَ بَصْفَيْنِ كَانَتْ فِي أَحْمَسَ بْنِ الْغُوْثِ بْنِ أُمِّارٍ مَعَ أَبِي شَدَادٍ - وَهُوَ قَيْسُ بْنُ مَكْشُوحَ بْنِ هَلَالِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو بْنِ جَابِرِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ اسْلَمَ بْنِ أَحْمَسَ بْنِ الْغُوْثِ - وَقَالَتْ لَهُ بِجِيلَةَ: خُذْ رَايَتَنَا، فَقَالَ: غَيْرِي خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي، قَالُوا: مَا نَزِيدُ غَيْرَكَ، قَالَ: وَاللَّهِ لَئِنْ أُعْطِيتُمُونِيهَا لَا أَنْتَهِي بِكُمْ دُونَ صَاحِبِ التَّرْسِ الْمَذْهَبِ قَالُوا: اصْنَعْ مَا شِئْتَ،

فَأَخَذَهَا ثُمَّ زَحَفَ، حَتَّى انْتَهَى بِهِمْ إِلَى صَاحِبِ التَّرْسِ الْمَذْهَبِ - وَكَانَ فِي جَمَاعَةٍ عَظِيمَةٍ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ، وَذَكَرُوا أَنَّهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ الْخَزْرُمِيِّ - فَاقْتَتَلَ النَّاسُ هُنَاكَ قِتَالًا شَدِيدًا، فَشَدَّ بِسَيْفِهِ نَحْوَ صَاحِبِ التَّرْسِ، فَتَعَرَّضَ لَهُ رُومِيٌّ، مُؤَلِّمٌ لِمُعَاوِيَةَ فَيَضْرِبُ قَدَمَ أَبِي شَدَادٍ فَيَقْطَعُهَا، وَيَضْرِبُهُ أَبُو شَدَادٍ فَيَقْتُلُهُ، وَأَشْرَعَتْ إِلَيْهِ الْأَسِنَّةُ فَقَتَلَ، وَأَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ قَلْعِ الْأَحْمَسِيِّ وَهُوَ يَقُولُ:

لَا يَبْعُدُ اللَّهُ أَبَا شَدَادٍ ... حَيْثُ أَجَابَ دَعْوَةَ الْمَنَادِي

وَشَدَّ بِالسَّيْفِ عَلَى الْأَعَادِي ... نَعَمْ الْفَتَى كَانَ لَدَى الطَّرَادِ

وَفِي طَعَانِ الرَّجُلِ وَالْجَلَادِ

فَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ أَخُوهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ قَلْعٍ، فَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَفِيفُ بْنُ إِيَّاسٍ، فَلَمْ تَزَلْ فِي يَدِهِ حَتَّى تَحَاجَزَ النَّاسُ، وَقَتَلَ حَازِمُ بْنُ أَبِي حَازِمِ الْأَحْمَسِيِّ - أَخُو قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ - يَوْمَئِذٍ، وَقَتَلَ نَعِيمُ بْنُ صَهْبٍ بِنِ الْعَلِيَّةِ الْبَجَلِيَّ يَوْمَئِذٍ، فَأَتَى ابْنَ عَمِّهِ وَاسْمُهُ نَعِيمُ بْنُ الْحَارِثِ ابْنِ الْعَلِيَّةِ مُعَاوِيَةَ - وَكَانَ مَعَهُ - فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الْقَتِيلَ ابْنُ عَمِّي، فَهَبْ لِي أَدْفِنَهُ، فَقَالَ: لَا تَدْفِنُهُ فَلَيْسَ لَذَلِكَ أَهْلًا، وَاللَّهِ مَا قَدَرْنَا عَلَى دَفْنِ ابْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَّا سَرًا قَالَ: وَاللَّهِ لَتَأْذَنَ فِي دَفْنِهِ أَوْ لِأَلْحَقَنَ بِهِمْ وَلَا أَدْعُنَكَ.

قَالَ مُعَاوِيَةَ: أَرَى أَشْيَاخَ الْعَرَبِ قَدْ أَحَالَتْهُمْ أُمُورُهُمْ، فَأَنْتَ تَسْأَلُنِي فِي دَفْنِ ابْنِ عَمِّكَ! ادْفِنْهُ إِنْ شِئْتَ أَوْ دَعِ فِدْفِنْهُ.
قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ حَصِيرَةَ الْأَزْدِيِّ، عَنْ أَشْيَاخٍ مِنَ النَّمِرِ مِنَ الْأَزْدِ، أَنَّ مُخَنَفَ بْنَ سَلِيمٍ لَمَّا نَدَبَتْ الْأَزْدُ لِلْأَزْدِ، حَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: إِنْ مِنْ الْخَطِئِ الْجَلِيلِ، وَالْبَلَاءِ الْعَظِيمِ، أَنَا صَرَفْنَا إِلَى قَوْمِنَا وَصَرَفُوا إِلَيْنَا، وَاللَّهُ مَا هِيَ إِلَّا أَيْدِينَا نَقْطَعُهَا بِأَيْدِينَا، وَمَا هِيَ إِلَّا أَجْنَحَتُنَا نَجِدُهَا بِأَسْيَافِنَا، فَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَوْأَسْ جَمَاعَتُنَا، وَلَمْ نَنَاصِحْ صَاحِبِنَا كَفَرْنَا، وَإِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا فَعَرْنَا أَبْجُنَا، وَنَارُنَا أَحْمَدُنَا، فَقَالَ لَهُ جَنْدُبُ بْنُ زُهَيْرٍ: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا آبَاءَهُمْ وَوُلَدَانَهُمْ - أَوْ كُنَّا أَبْنَاءَهُمْ وَوُلَدُونَا - ثُمَّ خَرَجُوا مِنْ جَمَاعَتِنَا، وَطَعَنُوا عَلَى إِمَامِنَا وَإِذَا هُمْ الْحَاكِمُونَ بِالْجُورِ عَلَى أَهْلِ مِلَّتِنَا وَذِمَّتِنَا، مَا اقْتَرَقْنَا بَعْدَ أَنْ اجْتَمَعْنَا حَتَّى يَرْجِعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ، وَيَدْخُلُوا فِيمَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، أَوْ تَكْثُرَ الْقَتْلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ.

فَقَالَ لَهُ مُخَنَفٌ - وَكَانَ ابْنُ خَالَتِهِ: أَعَزَّ اللَّهُ بِكَ النِّبِيَّ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ صَغِيرًا وَكَبِيرًا إِلَّا مَشْتُومًا، وَاللَّهِ مَا مِيلْنَا الرَّأْيَ قَطُّ أَيُّهُمَا نَأْتِي أَوْ أَيُّهُمَا نَدْعُ - فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا بَعْدَ أَنْ أَسْلَمْنَا - إِلَّا اخْتَرْتُ أَعْسَرَهُمَا وَأَنْكَدَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ تَعَاْفَى أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ تَبْتَلِي، فَأَعْطِ كُلَّ امْرَأٍ مِمَّا يَسْأَلُكَ.

وَقَالَ أَبُو بَرِيدَةَ بْنُ عَوْفٍ: اللَّهُمَّ احْكُمْ بَيْنَنَا بِمَا هُوَ أَرْضَى لَكَ يَا قَوْمُ إِنَّكُمْ تَبْصُرُونَ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ، وَإِنْ لَنَا الْأَسُوءَةُ بِمَا عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ إِنْ كُنَّا عَلَى حَقٍّ، وَإِنْ يَكُونُوا صَادِقِينَ فَإِنْ أَسُوءَ فِي الشَّرِّ - وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا - ضَرَرَ فِي الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ وَتَقَدَّمَ جَنْدُبُ بْنُ زُهَيْرٍ، فَبَارَزَ رَأْسَ أَزْدِ الشَّامِ، فَقَتَلَهُ الشَّامِيَّ، وَقَتَلَ مِنْ رَهْطِهِ عَجْلَ وَسَعْدَ ابْنَا عَبْدِ اللَّهِ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ، وَقَتَلَ مَعَ مُخَنَفٍ مِنْ رَهْطِهِ عَبْدِ اللَّهِ وَخَالِدَ ابْنَا نَاجِدٍ، وَعَمْرُو وَعَامِرَ ابْنَا عُوَيْفٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحُجَّاجِ وَجَنْدُبُ بْنُ زُهَيْرٍ، وَأَبُو زَيْنَبٍ بْنُ عَوْفٍ بْنِ الْحَارِثِ، وَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْحَصِينِ الْأَزْدِيُّ فِي الْقَرَاءِ الَّذِينَ مَعَ عِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ فَأَصِيبَ مَعَهُ.
قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ حَصِيرَةَ، عَنْ أَشْيَاخِ النَّمِرِ، أَنَّ عَقْبَةَ بْنَ حَدِيدٍ النَّمِرِيَّ قَالَ يَوْمَ صَفَيْنَ: أَلَا إِنْ مَرَعَى الدُّنْيَا قَدْ أَصْبَحَ هَشِيمًا، وَأَصْبَحَ شَجَرُهَا خَضِيدًا، وَجَدِيدُهَا سَمَلًا، وَحُلُوهَا مَرُّ الْمَذَاقِ.

أَلَا وَإِنِّي أَنْبِئُكُمْ نَبَأَ امْرَأٍ صَادِقٍ: إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ الدُّنْيَا وَعَزَفَتْ نَفْسِي عَنْهَا، وَقَدْ كُنْتُ أَتَمْنَى الشَّهَادَةَ، وَأَتَعَرَّضُ لَهَا فِي كُلِّ جَيْشٍ وَغَارَةٍ، فَأُبَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَنْ يَبْلُغَنِي هَذَا الْيَوْمُ أَلَا وَإِنِّي مُتَعَرِّضٌ لَهَا مِنْ سَاعَتِي هَذِهِ، قَدْ طَمَعْتُ أَلَا أَحْرَمَهَا، فَمَا تَنْتَظِرُونَ عِبَادَ اللَّهِ بِجِهَادٍ مِنْ عَادَى اللَّهِ؟ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ الْقَادِمِ عَلَيْكُمْ، الزَّاهِبِ بِأَنْفُسِكُمْ لَا مُحَالَةَ، أَوْ مِنْ ضَرْبَةِ كَفِّ السَّيْفِ تَسْتَبَدِّلُونَ الدُّنْيَا بِالنَّظَرِ فِي وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمُوَافَقَةِ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي دَارِ الْقَرَارِ! مَا هَذَا بِالرَّأْيِ السَّدِيدِ ثُمَّ مَضَى فَقَالَ:

يَا إِخْوَتِي، قَدْ بَعَثَ هَذِهِ الدَّارَ بِالنِّبِيِّ أَمَامَهَا، وَهَذَا وَجْهِي إِلَيْهَا لَا يَبْرَحُ وَجُوهَكُمْ، وَلَا يَقْطَعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَجَاءَ كَمِ قَتْبَعِهِ إِخْوَتِهِ: عُيَيْدَ اللَّهِ وَعُوفٍ وَمَالِكَ، وَقَالُوا:

لَا نَطْلُبُ رِزْقَ الدُّنْيَا بَعْدَكَ، فَقَبِّحَ اللَّهُ الْعَيْشَ بَعْدَكَ! اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْتَسِبُ أَنْفُسَنَا عِنْدَكَ! فَاسْتَقْدَمُوا فَقَاتَلُوا حَتَّى قَتَلُوا قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي صِلَةُ بْنُ زُهَيْرٍ النَّهْدِيُّ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الضَّبَّائِيِّ، قَالَ: شَهِدْتُ صَفَيْنَ مَعَ الْحِجِيِّ وَمَعَنَا شَمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ الضَّبَّائِيِّ، فَبَارَزَهُ أَدْهَمُ بْنُ مُحَرَّزٍ الْبَاهِلِيُّ، فَضْرَبَ أَدْهَمَ وَجْهَهُ شَمْرٌ بِالسَّيْفِ، وَضْرَبَهُ شَمْرٌ ضَرْبَةً لَمْ تَضُرَّهُ، فَارْجَعَ شَمْرٌ إِلَى رَحْلِهِ فَشَرِبَ شَرْبَةً - وَكَانَ قَدْ ظَمِئَ - ثُمَّ أَخَذَ الرِّمْحَ، فَأَقْبَلَ وَهُوَ يَقُولُ:

إِنِّي زَعِيمٌ لِأَخِي بَاهِلِهِ ... بَطْعَنَةً إِنْ لَمْ أَصِبْ عَاجِلَهُ

أَوْ ضَرْبَةً تَحْتَ الْقَنَا وَالْوُغَى ... شَبِيهَةً بِالْقَتْلِ أَوْ قَاتِلِهِ

ثُمَّ حَمَلَ عَلَى أَدْهَمَ فَصَرَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ بَتْلُكَ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ الْجَشْمِيِّ أَنَّ بَشَرَ بْنَ عَصْمَةَ الْمَزْنِيَّ كَانَ لَحِقَ بِمُعَاوِيَةَ، فَلَمَّا اقْتَتَلَ النَّاسُ بِصَفَيْنَ

بصر

بشر بن عصمة بمالك بن العقديّة - وهو مالك بن الجلاح الجشمي، ولكن العقديّة غلبت عليه - فرآه بشر وهو يفرّ في أهل الشام فريا عجيبا، وكان رجلا مسلما شجاعا، فغاظ بشرا ما رأى منه، فحمل عليه فطعنه فصرعه، ثمّ انصرف، فندم لظعنته إيّاه جبارا، فقال: واني لأرجو من مليكي تجاوزا ... ومن صاحب الموسوم في الصدر هاجس

دلفت له تحت الغبار بطعنة ... على ساعة فيها الطعان تخالس
فبلغت مقالته ابن العقديّة، فقال:

ألا أبلغا بشر بن عصمة أنني ... شغلت وألهاني الذين أمارس
فصادفت مني غرة وأصبتها ... كذلك والأبطال ماض وخالس

ثمّ حمل عبد الله بن الطفيل البكائي على جمع لأهل الشام، فلما انصرف حمل عليه رجل من بني تميم - يقال له قيس بن قرة، ممن لحق بمعاوية من أهل العراق - فيضع الرمح بين كتفي عبد الله بن الطفيل، ويعترضه يزيد ابن معاوية، ابن عم عبد الله بن الطفيل، فيضع الرمح بين كتفي التميمي، فقال: والله لئن طعنته لأطعنك، فقال: عليك عهد الله وميثاقه لئن رفعت السنان على ظهر صاحبك لترفعن سنانك عني! فقال له: نعم، لك بذلك عهد الله، فرفع السنان عن ابن الطفيل، ورفع يزيد السنان عن التميمي، فقال: ممن أنت؟ قال: من بني عامر، فقال له: جعلني الله فداكم! أينما إلفكم إلفكم كراما، وإني لحادي عشر رجلا من أهل بيتي ورهطي قتلتموهم اليوم، وأنا كنت آخرهم فلما رجع الناس إلى الكوفة عتب على يزيد بن الطفيل في بعض ما يعتب فيه الرجل على ابن عمه، فقال له:

ألم ترني حاميت عنك مناصحا ... بصفين إذ خلاك كل حميم
ونهنه عنك الخنظلي وقد أتى ... على ساح ذي ميعه وهزيم!

قال أبو مخنف: حدّثني فضيل بن خديج، قال: خرج رجل من أهل الشام يدعو إلى المبارزة، فخرج إليه عبد الرحمن بن محرز الكندي، ثمّ الطمحي، فتجاولا ساعة ثمّ إن عبد الرحمن حمل على الشامي فطعنه في ثغرة نحره فصرعه، ثمّ نزل إليه فسلبه درعه وسلاحه، فإذا هو حبشي، فقال: إنا لله! لمن أخطرت نفسي! لعبد أسود! وخرج رجل من عك يسأل المبارزة، فخرج إليه قيس بن فهدان الكلاني، ثمّ البدني، فحمل عليه العكي فضربه واحتمله أصحابه فقال قيس بن فهدان:

لقد علمت عك بصفين أنا ... إذا التقت الخيلان نطعنها شزرا
ونحمل رايات الطعان بحقها ... فنوردها بيضا ونصدرها حمرا

قال أبو مخنف: وحدّثني فضيل بن خديج أن قيس بن فهدان كان يحرض أصحابه فيقول: شدوا إذا شددتم جميعا، وإذا انصرفتم فأقبلوا معا، وغضوا الأبصار، وأقلوا اللفظ، واعتوروا الأقران، ولا يؤتتين من قبلكم العرب قال: وقتل نهيك بن عزيز - من بني الحارث بن عدي وعمرو بن يزيد من بني ذهل، وسعيد بن عمرو - وخرج قيس بن يزيد وهو ممن فر إلى معاوية من علي، فدعا إلى المبارزة، فخرج إليه أخوه أبو العمرطة بن يزيد، فتعارفا، فتواقفا وانصرفا إلى الناس، فأخبر كل واحد منهما أنه لقي أخاه.

قال أبو مخنف: حدّثني جعفر بن حذيفة من آل عامر بن جوين الطائي، أن طيئا يوم صفين قاتلت قتالا شديدا، فعبيت لهم جموع كثيرة، فجاءهم حمزة بن مالك الحمداني، فقال: ممن أنتم، لله أنتم! فقال عبد الله ابن خليفة البولاني - وكان شيعيا شاعرا خطيبا: نحن طيئ السهل، وطيئ

الرمل، وطيئ الجبل، الممنوع ذي النخل، نحن حماة الجبلين، إلى ما بين العذيب والعين، نحن طيئ الرماح، وطيئ النطاح، وفرسان الصباح.

فقال حمزة بن مالك: بخ بخ! إنك لحسن الثناء على قومك، فقال: إن كنت لم تشعر بنجدة معشر ... فأقدم علينا ويب غيرك تشعر

ثُمَّ اقْتَتَلَ النَّاسَ أَشَدَّ الْقِتَالِ، فَأَخَذَ يَنَادِيهِمْ وَيَقُولُ: يَا مَعْشَرَ طَيْئٍ، فَدَى لَكُمْ طَارِفِي وَتَالِدِي! قَاتِلُوا عَلَى الْأَحْسَابِ، وَأَخَذَ يَقُولُ:
أَنَا الَّذِي كُنْتُ إِذَا الدَّاعِي دَعَا ... مَصْمَمَا بِالسَّيْفِ نَدَبَا أَرَوْعَا
فَأَنْزَلَ الْمُسْتَلْتَمَ الْمُقْنَعَا ... وَأَقْتَلَ الْمَبَالِطَ السَّمِيدَعَا
وَقَالَ بَشْرُ بْنُ الْعَسُوسِ الطَّائِيُّ ثُمَّ الْمَلْقَطِيُّ:
يَا طَيْئُ السُّهُولِ وَالْأَجْبَالِ ... أَلَا أَنْهَدُوا بِالْبَيْضِ وَالْعَوَالِي
وَبَالْكِمَاةِ مِنْكُمْ الْأَبْطَالَ ... فَقَارَعُوا أُمَّةَ الْجَهَالِ
السَّالِكِينَ سَبِيلَ الضَّلَالِ
فَفَقِئْتُ يَوْمَئِذٍ عَيْنَ ابْنِ الْعَسُوسِ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ:
أَلَا لَيْتَ عَيْنِي هَذِهِ مِثْلَ هَذِهِ ... فَلَمْ أَمْشِ فِي الْآنَاسِ إِلَّا بِقَائِدٍ
وَيَا لَيْتَنِي لَمْ أَتُبْقَ بَعْدَ مَطْرَفٍ ... وَسَعِدَ وَبَعْدَ الْمُسْتَتِيرِ بْنِ خَالِدٍ
فَوَارِسَ لَمْ تَغْذِ الْحَوَاضِنَ مِثْلَهُمْ ... إِذَا الْحَرْبُ أَبَدَتْ عَنْ خَدَامِ الْخِرَائِدِ
وَيَا لَيْتَ رَجُلِي ثُمَّ طُنْتُ بِنَصْفِهَا ... وَيَا لَيْتَ كَفِيَّ ثُمَّ طَاحَتْ بِسَاعِدِي
قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي أَبُو الصَّلْتِ التِّيمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَشْيَاخُ مُحَارِبٍ أَنَّهُ كَانَ مِنْهُمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ خَنْثَرُ بْنُ عُبَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ، وَكَانَ
مِنْ أَشْجَعِ النَّاسِ، فَلَمَّا اقْتَتَلَ النَّاسَ يَوْمَ صَفَيْنَ، جَعَلَ يَرَى أَصْحَابَهُ مِنْهَزِمِينَ، فَأَخَذَ يَنَادِي: يَا مَعْشَرَ قَيْسَ، أَطَاعَةَ الشَّيْطَانِ آثَرُ عِنْدَكُمْ مِنْ
طَاعَةِ الرَّحْمَنِ! الْفِرَارُ فِيهِ مَعْصِيَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَسَخَطُهُ، وَالصَّبْرُ فِيهِ طَاعَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرِضْوَانُهُ، فَتَخْتَارُونَ سَخَطَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى رِضْوَانِهِ،
وَمَعْصِيَتَهُ عَلَى طَاعَتِهِ! فَإِنَّمَا الرَّاحَةُ بَعْدَ الْمَوْتِ لِمَنْ مَاتَ مُحَاسِبًا لِنَفْسِهِ وَقَالَ:
لَا وَاللَّهِ نَفْسُ امْرَأَةٍ وَابْنِ الدَّيْرِ ... أَنَا الَّذِي لَا يَنْثَنِي وَلَا يَفِرُّ
وَلَا يَرَى مَعَ الْمَعَازِيلِ الْغَدْرَ.

فَقَاتَلَ حَتَّى ارْتَثَ: ثُمَّ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ الْخَمْسَمَائَةِ الَّذِينَ كَانُوا اعْتَزَلُوا مَعَ فُرُوءِ بْنِ نُوْفَلٍ الْأَشْجَعِيِّ، فَتَزَلُّوا بِالْأَسْكَرَةِ وَالْبَنْدِجِيِّينَ، فَقَاتَلَتْ النَّخْعُ
يَوْمَئِذٍ قِتَالًا شَدِيدًا، فَأَصِيبَ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ بَكْرُ بْنُ هُوْذَةَ وَحِيَانُ بْنُ هُوْذَةَ وَشُعَيْبُ بْنُ نَعِيمٍ مِنْ بَنِي بَكْرِ النَّخْعِ، وَرَبِيعَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ وَهْبِيلَ،
وَأَبِي بْنُ قَيْسٍ أَخُو عَلْقَمَةَ بْنِ قَيْسِ الْفَقِيهِ، وَقَطَعَتْ رَجُلَ عَلْقَمَةَ يَوْمَئِذٍ، فَكَانَ يَقُولُ: مَا أَحَبُّ أَنْ رَجُلِي أَصْحَحَ مَا كَانَتْ، وَإِنَّمَا لَمَّا أَرْجُو
بِهِ حَسَنَ الثَّوَابِ مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ: لَقَدْ كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ أَرَى فِي نَوْمِي أَخِي أَوْ بَعْضَ إِخْوَانِي، فَرَأَيْتُ أَخِي فِي النَّوْمِ فَقُلْتُ: يَا
أَخِي، مَاذَا قَدِمْتَ عَلَيْهِ؟

فَقَالَ لِي: إِنَّا التَّقِينَا نَحْنُ وَالْقَوْمَ، فَاحْتَجَجْنَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَحَجَّجْنَاهُمْ، فَمَا سَرَرْتَ مِنْذَ عَقَلْتَ سُرُورِي بِتِلْكَ الرَّؤْيَا
قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي سُؤَيْدُ بْنُ حِيَةَ الْأَسَدِيُّ، عَنْ الْحَضَيْنِ ابْنِ الْمَنْذَرِ، [أَنْ أَنَاسَا كَانُوا أَتَوْا عَلِيًّا قَبْلَ الْوَقْعَةِ فَقَالُوا لَهُ: إِنَّا لَا نَرَى خَالِدَ
بْنَ الْمُعَمَّرِ إِلَّا قَدْ كَاتَبَ مُعَاوِيَةَ، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَتَابِعَهُ فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ وَإِلَى رِجَالٍ مِنْ أَشْرَافِنَا، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ
يَا مَعْشَرَ رِبِيعَةَ، فَأَنْتُمْ أَنْصَارِي وَمُجِيبُو دَعْوَتِي وَمَنْ أَوْثَقَ حِيٍّ فِي الْعَرَبِ فِي نَفْسِي، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَدْ كَاتَبَ صَاحِبَكُمْ خَالِدَ بْنَ
الْمُعَمَّرِ، وَقَدْ أَتَيْتُ بِهِ، وَجَمَعْتُمْ لِأَشْهَدَكُمْ عَلَيْهِ وَلِتَسْمَعُوا أَيُّضًا مَا أَقُولُهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا خَالِدُ بْنُ الْمُعَمَّرِ، إِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي حَقًّا فَإِنِّي
أَشْهَدُ اللَّهَ وَمَنْ حَضَرَنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّكَ آمَنَ حَتَّى تَلْحَقَ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ أَوْ الْحِجَازِ أَوْ أَرْضِ لَا سُلْطَانَ لِمُعَاوِيَةَ فِيهَا، وَإِنْ كُنْتَ مَكْذُوبًا
عَلَيْكَ، فَإِنْ صَدُورُنَا تَطْمَئِنُّ إِلَيْكَ لِحُفْلِ اللَّهِ مَا فَعَلَ،] وَقَالَ رِجَالٌ مِنْهُمْ كَثِيرٌ: لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ فَعَلَ أَمَثْلُنَا، فَقَالَ شَقِيقُ بْنُ ثَوْرٍ السَّدُوسِيُّ:
مَا وَفَّقَ خَالِدُ بْنُ الْمُعَمَّرِ أَنْ نَصَرَ مُعَاوِيَةَ وَأَهْلَ الشَّامِ عَلَى عَلِيٍّ وَرِبِيعَةَ، فَقَالَ زِيَادُ بْنُ خَصْفَةِ التِّيمِيِّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اسْتَوْثِقْ مِنْ ابْنِ
الْمُعَمَّرِ بِالْإِيمَانِ لَا يَغْدُرُكَ.

فاستوثق منه، ثم انصرفنا [فلما كان يوم الخميس انهزم الناس من قبل الميمنة، فجاءنا علي حتى انتهى إلينا ومعه بنوه، فنادى بصوت عال جهوري، كغير المكثرت لما فيه الناس: لمن هذه الرايات؟ قلنا: رايات ربيعة، فقال:

بل هي رايات الله عز وجل، عصم الله أهلها، فصبرهم، وثبت أقدامهم. ثم قال لي: يا فتى، ألا تدني رايتك هذه ذراعا؟ قلت: نعم والله عشرة أذرع، فقامت بها فأدنتها، حتى قال: إن حسبك مكانك، فثبت حيث أمرني، واجتمع أصحابي].

قال أبو مخنف: حدثنا أبو الصلت التيمي، قال: سمعت أبا شيخ الحلي من تيم الله بن ثعلبة يقولون: إن راية ربيعة، أهل كوفتها وبصرتها، كانت مع خالد بن المعمر من أهل البصرة قال: وسمعتهم يقولون: إن خالد بن المعمر وسفيان بن ثور السدوسي اصطلاحا على أن وليا راية بكر بن وائل من أهل البصرة الحضيض بن المنذر الذهلي، وتنافسوا في الراية، وقالوا:

هذا فتى منا له حسب، نجعلها له حتى نرى من رأينا. ثم إن عليا ولى خالد بن المعمر بعد راية ربيعة كلها قال: وضرب معاوية لحمير بسهمهم على ثلاث قبائل، لم تكن لأهل العراق قبائل أكثر عددا منها يومئذ: على ربيعة وهمدان ومذحج، فوقع سهم حمير على ربيعة، فقال ذو الكلاع: قبحك الله من سهم! كرهت الضراب! فأقبل ذو الكلاع في حمير ومن تعلقها، ومعهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب في أربعة آلاف من قراء أهل الشام، وعلى ميمنتهم ذو الكلاع، فحملوا على ربيعة، وهم ميسرة أهل العراق، وفيهم ابن عباس، وهو على الميسرة، فحمل عليهم ذو الكلاع وعبيد الله بن عمر حملة شديدة بخيلهم ورجلهم، فتضعضت رايات ربيعة إلا قليلا من الأخيار والأبدال قال: ثم إن أهل الشام انصرفوا، فلم يمشوا إلا قليلا حتى كروا، وعبيد الله بن عمر يقول: يا أهل الشام، إن هذا الحلي من أهل العراق قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأنصار علي بن أبي طالب، وإن هزمت هذه القبيلة أدركتم ثأركم في عثمان وهلك علي بن أبي طالب وأهل العراق، فشدوا على الناس شدة، فثبت لهم ربيعة، وصبروا صبرا حسنا إلا قليلا من الضعفاء والفسلة، وثبت أهل الرايات وأهل الصبر منهم والحفاظ، فلم يزولوا، وقاتلوا قتالا شديدا.

فلما رأى خالد بن المعمر ناسا من قومه انصرفوا انصرف، ولما رأى أصحاب الرايات قد ثبتوا ورأى قومه قد صبروا رجع وصاح بمن انهزم، وأمرهم بالرجوع،

فقال: من أراد من قومه أن يتهمه، أراد الانصراف فلما رأنا قد ثبتنا رجع إلينا وقال هو: لما رأيت رجلا منا انهزموا رأيت أن أستقبلهم وأردهم إليكم، وأقبلت إليكم فيمن أطاعني منهم، فجاء بأمر مشبه قال أبو مخنف: حدثني رجل من بكر بن وائل، عن محرز بن عبد الرحمن العجلي، أن خالدا قال يومئذ: يا معشر ربيعة، إن الله عز وجل قد أتى بكل رجل منكم من منبته ومسقط رأسه، فجمعكم في هذا المكان جمعا لم يجمعكم مثله منذ نشركم في الأرض، فإن تمسكوا بأيديكم، وتشكلوا عن عدوكم، وتزولوا عن مصافكم لا يرض الله فعلكم، ولا تقدموا من الناس صغيرا أو كبيرا إلا يقول: فضحت ربيعة الذمار، وحاصت عن القتال، وأتيت من قبلها العرب، فإياكم أن يتشاءم بكم العرب والمسلمون اليوم وإنكم إن تمضوا مقبلين مقدمين، وتصيروا محتسبين فإن الإقدام لكم عادة، والصبر منكم سجية، واصبروا ونيتم صادقاه أن تؤجروا، فإن ثواب من نوى ما عند الله شرف الدنيا وكرامة الآخرة، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا. فقام رجل من ربيعة فقال: ضاع والله أمر ربيعة حين جعلت إليك أمورها! تأمرنا ألا نزل ولا نحول حتى تقتل أنفسنا، وتسفك دماءنا! ألا ترى الناس قد انصرف جلهم! فقام إليه رجال من قومه فنهروه وتناولوه بالسنتهم فقال لهم خالد: أخرجوا هذا من بينكم، فإن هذا إن بقي فيكم

ضركم، وإن خرج منكم لم ينقصكم، هذا الذي لا ينقص العدد، ولا يملأ البلد، برحك الله من خطيب قوم كرام! كيف جنببت السداد!

واشتد قتال ربيعة وحمير وعبيد الله بن عمر حتى كثرت بينهم القتل، فقتل سمير بن الريان بن الحارث العجلي، وكان من أشد الناس بأسا قال أبو مخنف: حدثني جعفر بن أبي القاسم العبدى، عن يزيد بن علقمة، عن زيد بن بدر العبدى، أن زياد بن خصفة أتى عبد القيس يوم صفين وقد عبيت قبائل حمير مع ذي الكلاع- وفيهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب- لبكر بن وائل، فقتلوا قتالا شديدا، خافوا فيه الهلاك.

فقال زياد بن خصفة: يا عبد القيس، لا بكر بعد اليوم فركبنا الخيول، ثم مضينا فواقفناهم، فابلثنا إلا قليلا حتى أصيب ذو الكلاع، وقتل عبيد الله بن عمر رضي الله عنه، فقالت همدان: قتله هاني بن خطاب الأرحبي، وقالت حضر موت: قتله مالك بن عمرو التنجي، وقالت بكر ابن وائل: قتله محرز بن الصحصح من بني عائش بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة، وأخذ سيفه ذا الوشاح، فأخذ به معاوية بالكوفة بكر بن وائل، فقالوا:

إنما قتله رجل منا من أهل البصرة، يقال له: محرز بن الصحصح، فبعث إليه بالبصرة فأخذ منه السيف، وكان رأس النمر بن قاسط عبد الله بن عمرو من بني تيم الله بن النمر قال هشام بن محمد: الذي قتل عبيد الله بن عمر رضي الله عنه محرز بن الصحصح، وأخذ سيفه ذا الوشاح، سيف عمر، وفي ذلك قول كعب بن جعيل التغلبي:

ألا إنما تبكي العيون لفارس ... بصفين أجلت خيله وهو واقف
يبدل من أسماء أسياف وائل ... وكان فتى لو أخطأته المتالف
تركن عبيد الله بالقاع مسندا ... تمج دم الخرق العروق الذوارف
وهي أكثر من هذا وقتل منهم يومئذ بشر بن مرة بن شرحبيل، والحارث بن شرحبيل، وكانت أسماء ابنة عطارذ بن حاجب التميمي تحت عبيد الله بن عمر، ثم خلف عليها الحسن بن علي.

قال أبو مخنف: حدثني ابن أخي غياث بن لقيط البكري أن عليا حيث انتهى إلى ربيعة، تبارت ربيعة بينها، فقالوا: ان اصيب على فيكم وقد ألبأ إلى رايتكم افتضحتم وقال لهم شقيق بن ثور: يا معشر ربيعة، لا عذر لكم في العرب إن وصل إلى علي فيكم وفيكم رجل حي، وإن منعتموه فجد الحياة اكتسبتموه فقاتلوا قتالا شديدا حين جاءهم علي لم يكونوا قاتلوا مثله، ففي ذلك قال علي:

لمن راية سوداء يخفق ظلها ... إذا قيل قدمها حضين تقدما
يقدمها في الموت حتى يزيها ... حياض المنايا تقطر الموت والدماء
أذقنا ابن حرب طعننا وضربنا ... بأسيافنا حتى تولى وأجمنا
جزى الله قوما صابروا في لقاءهم ... لدى الموت قوما ما اعف وأكرما!

٥١٠٤ مقتل عمار بن ياسر

واطيب اخبارا وأكرم شيمة ... إذا كان أصوات الرجال تغمغما
ربيعة أعني أنهم أهل نجدة ... وبأس إذا لا قوا جسيما عرمرما
مقتل عمار بن ياسر

قال أبو مخنف: حدثني عبد الملك بن أبي حرة الحنفي، أن عمار بن ياسر خرج إلى الناس، فقال: اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته، اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك في أن أضع ظبة سيفي في صدري ثم أنحني عليها حتى تخرج من ظهري لفعلت، وإني لا أعلم اليوم عملا هو أَرْضَى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو أعلم أن عملا من الأعمال هو أَرْضَى لك منه لفعلته.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي الصَّقْعَبُ بْنُ زَهْرٍ الْأَزْدِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَمَارًا يَقُولُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى قَوْمًا لِيُضْرِبَكُمْ ضَرْبًا يَرْتَابُ مِنْهُ الْمَبْطُلُونَ، وَيَأْمُرُ اللَّهُ لَوْ ضَرَبُونَا حَتَّى يَبْلُغُوا بَنَاءَ سَعَفَاتِ هَجْرٍ لَعَلَّمْنَا أَنَا عَلَى الْحَقِّ، وَأَنَّهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ بْنُ مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ، قَالَ:

حَدَّثَنَا مُسْلِمُ الْأَعْمُرِيُّ، عَنْ حَبَّةِ بْنِ جُوَيْنٍ الْعُرَيْنِيِّ، قَالَ: أَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو مَسْعُودٍ إِلَى حَذِيفَةَ بِالدَّائِنِ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكُمَا، مَا خَلَفْتُمَا مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ أَحَدًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكُمَا فَأَسَدْتُهُ إِلَى أَبِي مَسْعُودٍ، فَقُلْنَا:

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، حَدِّثْنَا فَإِنَّا نَخَافُ الْفِتْنَ، فَقَالَ: عَلَيْكُمَا بِالْفِتْنَةِ الَّتِي فِيهَا ابْنُ سَمِيهِ، [إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاطِلَةُ النَّكَبَةُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَإِنَّ آخِرَ رِزْقِهِ ضِيَاحٌ مِنْ لَبَنٍ] قَالَ حَبَّةٌ: فَشَهِدْتُهُ يَوْمَ صِفِّينَ وَهُوَ يَقُولُ: ائْتُونِي بِآخِرِ رِزْقِي لِي مِنَ الدُّنْيَا، فَأَتَانِي بِضِيَاحٍ مِنْ لَبَنٍ فِي قَدَحٍ أَرْوَحَ لَهُ حَلَقَةٌ حُمْرَاءُ، فَمَا أَخْطَأَ حَذِيفَةُ مِقْيَاسَ شَعْرَةٍ، فَقَالَ:

الْيَوْمَ أَلْقَى الْأَحِبَّةَ ... مُحَمَّدًا وَحَزْبَهُ

وَاللَّهُ لَوْ ضَرَبُونَا حَتَّى يَبْلُغُوا بَنَاءَ سَعَفَاتِ هَجْرٍ لَعَلَّمْنَا أَنَا عَلَى الْحَقِّ وَأَنَّهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ، وَجَعَلَ يَقُولُ: الْمَوْتُ تَحْتَ الْأَسَلِ، وَالْجَنَّةُ تَحْتَ الْبَارِقَةِ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ، عَنْ خَلْفٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي نُورٍ، عَنْ أَبِي مُخَنَفٍ وَحَدَّثْتُ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْكَلْبِيِّ، عَنْ أَبِي مُخَنَفٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَعْيَنَ الْجُهَنِيُّ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ يَوْمَئِذٍ: أَيُّنَ مَنْ يَبْتَغِي رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَلَا يَتُوبُ إِلَى مَالٍ وَلَا وَلَدٍ! فَانْتَهَ عِصَابَةُ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَقْصِدُوا بِنَا نَحْوَهُ لَاءِ الَّذِينَ يَبْغُونَ دَمَ ابْنِ عَفَّانَ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ قُتِلَ مَظْلُومًا، وَاللَّهُ مَا طَلَبْتُمْ بِدَمِهِ، وَلَكِنَّ الْقَوْمَ ذَاقُوا الدُّنْيَا فَاسْتَحَبُّوْهَا وَاسْتَمَرُّوْهَا وَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ إِذَا لَزِمَهُمْ حَالٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَتَرَعَّوْنَ فِيهِ مِنْ دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْقَوْمِ سَابِقَةٌ فِي الْإِسْلَامِ يَسْتَحِقُّونَ بِهَا طَاعَةَ النَّاسِ وَالْوِلَايَةَ عَلَيْهِمْ، فَخَدَعُوا أَتْبَاعَهُمْ أَنْ قَالُوا: إِمَامُنَا قُتِلَ مَظْلُومًا، لِيَكُونُوا بِذَلِكَ جَبَابِرَةً مُلُوكًا، وَتِلْكَ مَكِيدَةٌ بَلَّغُوا بِهَا مَا تَرَوْنَ، وَلَوْلَا هِيَ مَا تَبِعَهُمْ مِنَ النَّاسِ رَجُلَانِ اللَّهُمَّ إِنْ تَنْصُرْنَا فَطَالَمَا نَصَرْتَ، وَإِنْ تَجْعَلْ لَهُمُ الْأَمْرَ فَادْخِرْ لَهُمْ بِمَا أَحْدَثُوا فِي عِبَادِكَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ثُمَّ مَضَى، وَمَضَتْ تِلْكَ الْعِصَابَةُ الَّتِي أَجَابَتْهُ حَتَّى دَنَا مِنْ عَمْرٍو فَقَالَ: يَا عَمْرُو، بَعْتَ دِينَكَ بِمَضْرٍ، تَبَّا لَكَ تَبَّا! طَالَمَا بَغَيْتَ فِي الْإِسْلَامِ عَوْجًا وَقَالَ لِعَبِيدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ: صَرَعَكَ اللَّهُ! بَعْتَ دِينَكَ مِنْ عَدُوِّ الْإِسْلَامِ وَأَبْنِ عَدُوِّهِ،

قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَطْلَبُ بِدَمِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لَهُ: أَشْهَدُ عَلَى عِلْيَ بْنِ فَيْكٍ أَنَّكَ لَا تَطْلُبُ بِشَيْءٍ مِنْ فِعْلِكَ وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَقْتُلِ الْيَوْمَ تَمَّتْ غَدَا، فَانْظُرْ إِذَا أُعْطِيَ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ نِيَّاتِهِمْ مَا نِيَّتُكَ.

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَسْرُوقِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، قَالَ:

سَمِعْتُ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ بِصِفِّينَ وَهُوَ يَقُولُ لِعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ: لَقَدْ قَاتَلْتَ صَاحِبَ هَذِهِ الرَّايَةِ ثَلَاثًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَهَذِهِ الرَّايَةُ مَا هِيَ بِأَبْرَ وَلَا أَتَقَى.

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ: كَمَا مَعَ عَلِيٍّ بِصِفِّينَ، فَكَمَا قَدْ وَكَلْنَا بِنَفْسِهِ رَجُلَيْنِ يَحْفَظَانِهِ وَيَمْنَعَانِهِ مِنْ أَنْ يَحْمَلَ، فَكَانَ إِذَا حَانَتْ مِنْهُمَا غَفْلَةٌ يَحْمَلُ فَلَا يَرْجِعُ حَتَّى يَخْضِبَ

سيفه، وإنه حمل ذات يوم فلم يرجع حتى اثنى سيفه، فألقاه إليهم، وقال: لولا أنه اثنى ما رجعت- فقال الأعشى: هذا والله ضرب غير مرتاب، فقال أبو عبد الرحمن:

سمع القوم شيئاً فأدوه وما كانوا بكذابين- قال: ورأيت عماراً لا يأخذ وادياً من أودية صفين إلا تبعه من كان هناك من أصحاب محمد ص، ورايته جاء الى المرقال هاشم بن عتبة وهو صاحب راية علي، فقال:

يا هاشم، أعورا وجبنا! لا خير في أعور لا يغشى البأس، فإذا رجل بين الصفين قال: هذا والله ليخلفن إمامه، وليخذلن جنده، وليصبرن جهده، اركب يا هاشم، فركب، ومضى هاشم يقول:

أعور يبغي أهله محلاً ... قد عالج الحياة حتى ملا

لا بد أن يفلا او يفلا

وعمار يقول: تقدم يا هاشم، الجنة تحت ظلال السيوف، والموت في أطراف الأسل، وقد فتحت أبواب السماء، وتزينت الحور العين. اليوم ألقى الأحبة ... محمداً وحزبه

فلم يرجعاً وقتلاً- قال: يفيد لك علمهما من كان هناك من أصحاب رسول الله ص، أنهما كانا علما- فلما كان الليل قلت: لأدخلن إليهم حتى أعلم: هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا! وكنا إذا توادعنا من القتال تحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم، فركبت فرسي وقد هدأت الرجل، ثم دخلت فإذا أنا بأربعة يتسايرون: معاوية، وأبو الأعور السلمي، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن عمرو- وهو خير الأربعة- فأدخلت فرسي بينهم مخافة أن يفوتني ما يقول أحد الشقين، فقال عبد الله لأبيه: يا أبت، قتلت هذا الرجل في يومكم هذا، [وقد قال فيه رسول الله ص ما قال! قال: وما قال؟

قال: ألم تكن معنا ونحن بنى المسجد، والناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة، وعمار ينقل حجراً حجراً ولبنتين لبنتين، فغشي عليه، فأتاه رسول الله ص، فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: ويحك يا بن سمية! الناس ينقلون حجراً حجراً، ولبنة لبنة، وأنت تنقل حجراً حجراً ولبنتين لبنتين رغبة منك في الأجر! وأنت ويحك مع ذلك تقتلك الفئة الباغية! فدفعت عمرو صدر فرسه، ثم جذب معاوية إليه، فقال: يا معاوية، أما تسمع ما يقول عبد الله! قال: وما يقول؟ فأخبره الخبر، فقال معاوية: إنك شيخ أحمق، ولا تزال تحدث بالحديث وأنت تدحض في بولك! او نحن قتلنا عماراً! إنما قتل عماراً من جاء به نفرج الناس من فساطيطهم وأخبيتهم يقولون: إنما قتل عماراً من جاء به، فلا أدري من كان أعجب؟ هو أو هم! قال أبو جعفر: [وقد ذكر أن عماراً لما قتل قال علي لربيعة وهمدان: أنتم درعي ورمحي،] فانتدب له نحو من اثني عشر ألفاً، وتقدمهم علي على بغلته فحملوا معه حملة رجل واحد، فلم يبق لأهل الشام صف

٥٠١٠٥ خبر هاشم بن عتبة المرقال وذكر ليله الهرير

إلا انتقض، وقتلوا كل من انتهوا إليه، حتى بلغوا معاوية، وعلي يقول:

أضربهم ولا أرى معاوية ... الجاحظ العين العظيم الحاويه

ثم نادى معاوية، [فقال علي: علام يقتل الناس بيننا! هلم أحاكمك إلى الله، فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور، فقال له عمرو: أنصفك الرجل، فقال معاوية: ما أنصف، وإنك لتعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلا قتله، قال له عمرو: وما يجعل بك إلا مبارزته، فقال معاوية: طمعت فيها بعدي] .

قال هشام، عن أبي مخنف: قال: حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن سليمان الحضرمي، قال: قلت لأبي عمرة: ألا تراهم، ما أحسن هيئتهم! يعني أهل الشام، ولا ترانا ما أقيح رعينتا! فقال: عليك نفسك فأصلحها، ودع الناس فإن فيهم ما فيهم

. خبر هاشم بن عتبة المرقال وذكر ليلة الحرير

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: وَحَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ، أَنَّ هَاشِمَ بْنَ عَتَبَةَ الزُّهْرِيَّ دَعَا النَّاسَ عِنْدَ الْمَسَاءِ: أَلَا مِنْ كَانَ يَرِيدُ اللَّهَ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَلِي، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نَاسٌ كَثِيرٌ، فَشَدَّ فِي عَصَابَةِ مَنْ أَصْحَابَهُ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ مَرَارًا، فَلَيْسَ مِنْ وَجْهِ يَحْمِلُ عَلَيْهِ إِلَّا صَبَرَ لَهُ وَقَاتَلَ فِيهِ قِتَالًا شَدِيدًا، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ:

لَا يَهُولُنْكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنْ صَبْرِهِمْ، فَوَ اللَّهِ مَا تَرَوْنَ فِيهِمْ إِلَّا حَمِيَةَ الْعَرَبِ وَصَبْرًا تَحْتَ رَايَاتِهَا، وَعِنْدَ مَرَاكِزِهَا، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى الضَّلَالِ، وَإِنَّكُمْ لَعَلَى الْحَقِّ يَا قَوْمَ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا واجتمعوا، وَاَمْشُوا بِنَا إِلَى عَدُوِّنَا عَلَى تَوَدَّةٍ رَوِيدًا، ثُمَّ اثْبَتُوا وَتَنَاصَرُوا، وَادْكُرُوا اللَّهَ، وَلَا يَسْأَلُ رَجُلٌ أَخَاهُ، وَلَا تَكْثُرُوا الِاتِّفَاتِ، وَاصْمَدُوا صَمْدَهُمْ، وَجَاهِدُوهُمْ مُحْتَسِبِينَ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ.

ثُمَّ إِنَّهُ مَضَى فِي عَصَابَةِ مَعَهُ مِنَ الْقِرَاءِ، فَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا هُوَ وَأَصْحَابُهُ عِنْدَ الْمَسَاءِ حَتَّى رَأَوْا بَعْضَ مَا يَسْرُونَ بِهِ، قَالَ: فَإِنَّهُمْ لَكَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ فَتَى شَابٍ وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا ابْنُ أَرْبَابِ الْمُلُوكِ غَسَّان ... وَالِدَائِنِ الْيَوْمَ بَدِينِ عُثْمَانَ

إِنِّي أَتَانِي خَبَرُ فَأُشْجَان ... أَنْ عَلِيًّا قَتَلَ ابْنَ عَفَانَ

ثُمَّ يَشْدُ فَلَا يَنْثَنِي حَتَّى يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ، ثُمَّ يَشْمُ وَيَلْعَنُ وَيَكْثُرُ الْكَلَامَ، فَقَالَ لَهُ هَاشِمُ بْنُ عَتَبَةَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ، بَعْدَهُ انْخِصَامٌ، وَإِنَّ هَذَا الْقِتَالَ، بَعْدَهُ الْحِسَابُ، فَاتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّكَ رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ فَسَأَلَكَ عَنْ هَذَا الْمَوْقِفِ وَمَا أَرَدْتَ بِهِ قَالَ: فَإِنِّي أَقَاتَلُكُمْ لِأَنْ صَاحِبَكُمْ لَا يَصِلِي كَمَا ذَكَرْتُ لِي، وَأَنْتُمْ لَا تَصِلُونَ أَيُّضًا، وَأَقَاتَلُكُمْ لِأَنْ صَاحِبَكُمْ قَتَلَ خَلِيفَتَنَا، وَأَنْتُمْ أَرَدْتُمُوهُ عَلَى قَتْلِهِ فَقَالَ لَهُ هَاشِمٌ: وَمَا أَنْتَ وَابْنُ عَفَانَ! إِنَّمَا قَتَلَهُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ وَأَبْنَاءُ أَصْحَابِهِ وَقِرَاءُ النَّاسِ، حِينَ أَحْدَثَ الْأَحْدَاثَ، وَخَالَفَ حُكْمَ الْكِتَابِ، وَهُمْ أَهْلُ الدِّينِ، وَأَوَّلَى بِالنَّظَرِ فِي أُمُورِ النَّاسِ مِنْكَ وَمِنْ أَصْحَابِكَ، وَمَا أَظُنُّ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَمْرَ هَذَا الدِّينِ أَهْمَلُ طَرَفَةٍ عَيْنٍ فَقَالَ لَهُ: أَجَلٌ، وَاللَّهِ لَا أَكْذِبُ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ قَالَ: فَإِنَّ أَهْلَ هَذَا الْأَمْرِ أَعْلَمُ بِهِ، نَخْلُهُ وَأَهْلُ الْعِلْمِ بِهِ قَالَ: مَا أَظُنُّكَ وَاللَّهِ إِلَّا نَصَحْتَ لِي، قَالَ: وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنْ صَاحِبَنَا لَا يَصِلِي، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ صَلَّى، مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَأَفْقَهُ خَلَقَ اللَّهُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَأَوَّلَى بِالرَّسُولِ. وَأَمَّا كُلُّ مَنْ تَرَى مَعِيَ فَكُلُّهُمْ قَارِئُ لِكِتَابِ اللَّهِ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ تَهْجِدًا، فَلَا يَغْوِينُكَ عَنْ دِينِكَ هَؤُلَاءِ الْأَشْقِيَاءُ الْمَغْرُورُونَ.

فَقَالَ الْفَتَى: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنِّي أَظُنُّكَ أَمْرًا صَالِحًا، فَتَخْبِرُنِي: هَلْ تَجِدُ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ يَا عَبْدَ اللَّهِ، تَبَّ إِلَى اللَّهِ يَتَبَّ عَلَيْكَ، فَإِنَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ قَالَ: فَجَشَرَ وَاللَّهِ الْفَتَى النَّاسَ رَاجِعًا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ: خَدَعَكَ الْعِرَاقِيُّ، خَدَعَكَ الْعِرَاقِيُّ، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ نَصَحَ لِي وَقَاتَلَ هَاشِمٌ قِتَالًا شَدِيدًا هُوَ وَأَصْحَابُهُ، وَكَانَ هَاشِمٌ يَدْعِي الْمَرْقَالَ، لِأَنَّهُ كَانَ يَرْقُلُ فِي الْحَرْبِ، فَقَاتَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى أَبْرُوا عَلَى مَنْ يَلِيهِمْ، وَحَتَّى رَأَوْا الظَّفَرَ، وَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِمْ عِنْدَ الْمَغْرَبِ كَتِيبَةٌ لَتَنْوُخَ فَشَدُّوا عَلَى النَّاسِ، فَقَاتَلَهُمْ وَهُوَ يَقُولُ:

أَعُورُ يَبْغِي أَهْلَهُ مَحَلًّا ... قَدْ عَالَجَ الْحَيَاةَ حَتَّى مَلَا

يَتْلَهُمْ بِذِي الْكَعُوبِ تَلَا.

فَزَعَمُوا أَنَّهُ قَتَلَ يَوْمَئِذٍ تِسْعَةً أَوْ عَشْرَةَ وَحَمَلَ عَلَيْهِ الْحَارِثُ بْنُ الْمَنْذَرِ التَّنُوخِيَّ فَطَعَنَهُ فَسَقَطَ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ: أَنْ قَدِمَ لَوَاءَكَ، فَقَالَ لِرَسُولِهِ:

انْظُرْ إِلَى بَطْنِي، فَإِذَا هُوَ قَدْ شَقَّ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ الْحُجَّاجُ بْنُ غَزِيَّةٍ:

فَإِنْ تَفَخَّرُوا بِابْنِ الْبَدِيلِ وَهَاشِمٍ ... فَنَحْنُ قَتَلْنَا ذَا الْكَلَاعِ وَحَوْشِبَا

وَنَحْنُ تَرْكًا بَعْدَ مَعْتَرِكِ اللَّقَا ... أَخَاكُمْ عُيَيْدَ اللَّهِ لِمَا مَلَجَا

وَنَحْنُ أَحْطَا بِالْبَعِيرِ وَأَهْلِهِ ... وَنَحْنُ سَقِينَاكُمْ سِمَامًا مَقْشِبَا

هشام، عن أبي مخنف، قال: حدثني مالك بن اعين الجهني، عن زيد ابن وهب الجهني، أن علياً مرَّ على جماعة من أهل الشام فيما الوليد بن عقبة، وهم يشتُمونه، فخرَّ بذلك، فوقف فيمن يليهم من أصحابه فقال: انهذوا إليهم، عليكم السكينة والوقار، وقار الاسلام، وسما الصالحين، فوالله لأقرب قوم من الجهل قائدهم ومؤذَنهم معاوية وابن النابغة، وأبو الأعور السلمي وابن أبي معيط شارب الخمر المجلود حداً في الإسلام، وهم أولى من يقومون فينقصوني ويجذبوني، وقبل اليوم ما قاتلوني، وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام، وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام، الحمد لله، قديما عاداني الفاسقون قعيدهم الله الم يقبحوا! أن هذا هو الخطب الجليل، إن فساقاً كانوا غير مرضيين، وعلى الإسلام وأهله متخوفين، خدعوا شطر هذه الأمة، وأشربوا قلوبهم حب الفتنة، واستمالوا أهواءهم بالإفك والبهتان، قد نصبوا لنا الحرب في إطفاء نور الله عز وجل، اللهم فافضض خدمتهم، وشئت كلمتهم، وأبسلهم بخطاياهم فإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت.

قال أبو مخنف: حدثني ثمر بن علة، عن الشعبي، أن علياً مرَّ بأهل راية فرأهم لا يزولون عن موقفهم، فخرَّص عليهم الناس، وذكر أنهم غسان، [فقال: إن هؤلاء لن يزولوا عن موقفهم دون طعن دراك يخرج منهم النسم، وضرب يفلق منه الهام، ويطيح بالعظام، وتسقط منه المعاصم والأكف، وحتى تصدع جباههم بعمد الحديد، وتنتشر حواجبهم على الصدور والأذقان أين أهل الصبر، وطلاب الأجر! فتأب إليه عصابة من

المسلمين، فدعا ابنه محمدًا، فقال: امش نحو أهل هذه الراية مشياً رويداً على هينتك، حتى إذا أشرعت في صدورهم الرماح، فأمسك حتى يأتيك رأيي].

ففعَلَ، وأعدَّ عليٌّ مثلهم، فلما دنا منهم فأشرع بالرماح في صدورهم أمر علي الذين أعدَّ فشدُّوا عليهم، وأنقض محمدًا بمن معه في وجوهم، فزَلُّوا عن مواقفهم، وأصابوا منهم رجلاً، ثم أقتل الناس بعد المغرب قتلاً شديداً، فما صلى أكثر الناس إلا إيماءً.

قال أبو مخنف: حدثني أبو بكر الكندي، أن عبد الله بن كعب المرادي قتل يوم صفين، فربيه الأسود بن قيس المرادي، فقال: يا أسود، قال:

لبيك! وعرفه وهو باخر رمق، فقال: عز والله على مصرعك، أما والله لو شهدتك لآسيتك، ولدافعت عنك، ولو عرفت الذي أشعرك لأحبت ألا يتزائل حتى أقتله أو ألحق بك ثم نزل إليه فقال: أما والله إن كان جارك ليأمن بوائتلك، وإن كنت لمن الذاكرين الله كثيراً، أوصني رحمك الله! فقال: أوصيك بتقوى الله عز وجل، وأن تناصح أمير المؤمنين، وتقاتل معه المحلين حتى يظهر أو تلحق بالله قال: وأبلغه عني السلام، وقل له: قاتل عن المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك، فإنه من أصبح غداً والمعركة خلف ظهره كان العالي، ثم لم يلبث أن مات، [فأقبل الأسود إلى علي فأخبره، فقال رحمه الله! جاهد فينا عدونا في الحياة، ونصح لنا في الوفاة].

قال أبو مخنف: حدثني محمد بن إسحاق مولى بني المطلب، أن عبد الرحمن ابن حنبل الجمحي، هو الذي أشار على علي بهذا الرأي يوم صفين.

قال هشام: حدثني عوانة، قال: جعل ابن حنبل يقول يومئذ:

إن تقتلوني فأنا ابن حنبل أنا الذي قد قلت فيكم نعل

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف: قال أبو مخنف فاقتل الناس تلك الليلة كلها حتى الصباح، وهي ليلة الهرير، حتى تقصفت الرماح ونفذ النبل، وصار الناس إلى السيوف، وأخذ علي يسير فيما بين الميمنة والميسرة، ويأمر كل كتية من القراء أن تقدم على التي تليها، فلم يزل يفعل ذلك بالناس ويقوم بهم حتى أصبح والمعركة كلها خلف ظهره، والأشتر في ميمنة الناس، وابن عباس في الميسرة، وعلي

في القلب، والناس يقتتلون من كل جانب، وذلك يوم الجمعة، وأخذ الأشر يزحف بالميمنة ويقاتل فيها، وكان قد تولاه عشية الخميس وليلة الجمعة إلى ارتفاع الضحى، وأخذ يقول لأصحابه: ازحفوا قيد هذا الرمح، وهو يزحف بهم نحو أهل الشام، فإذا فعلوا قال: ازحفوا قاذ هذا القوس، فإذا فعلوا سألهم مثل ذلك، حتى مل أكثر الناس الإقدام، فلما رأى ذلك الأشر قال: أعيذك بالله أن ترضعوا الغنم سائر اليوم، ثم دعا بفرسه، وترك رايته مع حيان بن هوزة النخعي، وخرج يسير في الكائب ويقول: من يشتري نفسه من الله عز وجل، ويقاتل مع الأشر، حتى يظهر أو يلحق بالله! فلا يزال رجل من الناس قد خرج إليه، وحيان بن هوزة.

قال أبو مخنف: عن أبي جناب الكلبي، عن عمارة بن ربيعة الجرمي، قال: مر بي والله الأشر فأقبلت معه، واجتمع إليه ناس كثير، فأقبل حتى رجع إلى المكان الذي كان به الميمنة، فقام بأصحابه، فقال: شدوا شدة، - فدى لكم عمي وخالي - ترضون بها الرب، وتعزون بها الدين، إذا شددت فشدوا، ثم نزل فضرب وجه دابته، ثم قال لصاحب رايته: قدم بها، ثم شد على القوم، وشد معه أصحابه، فضرب أهل الشام حتى انتهى بهم إلى عسكرهم، ثم إنهم قاتلوه عند العسكر قتالا شديدا، فقتل صاحب رايته، وأخذ علي - لما رأى من الظفر من قبله - يمدده بالرجال.

حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان

٥١٠٦ ما روى من رفعهم المصاحف ودعائهم إلى الحكومة

قال حدثني عبد الله، عن جويرية، قال: قال عمرو بن العاص يوم صفين لوردان: تدري ما مثلي ومثلك! مثل الأشر إن تقدم عقر، وإن تأخر نحر، لئن تأخرت لأضرب عنقك، أثوني بقيد، فوضعه في رجله فقال: أما والله يا أبا عبد الله لأوردنك حياض الموت، ضع يدك على عاتقي، ثم جعل يتقدم وينظر إليه أحيانا، ويقول: لأوردنك حياض الموت.

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف فلما رأى عمرو بن العاص أن أمر أهل العراق قد اشتد، وخاف في ذلك الهلاك، قال لمعاوية: هل لك في أمر اعرضه عليك لا يزيدنا اجتماعا، ولا يزيدهم إلا فرقة؟ قال: نعم، قال: نرفع المصاحف ثم نقول: ما فيها حكم بيننا وبينكم، فإن أبي بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول: بلى، ينبغي أن نقبل، فتكون فرقة تقع بينهم، وإن قالوا: بلى، نقبل ما فيها، رفعنا هذا القتال عنا وهذه الحرب إلى أجل أو إلى حين فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا: هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم، من لغور أهل الشام بعد أهل الشام! ومن لغور العراق بعد أهل العراق! فلما رأى الناس المصاحف قد رفعت، قالوا: نجيب إلى كتاب الله عز وجل ونبيب إليه

. ما روي من رفعهم المصاحف ودعائهم إلى الحكومة

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي، [عن أبيه أن عليا قال: عباد الله، امضوا على حقكم وصدقكم قتال عدوكم، فإن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح

والضحاك بن قيس، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، قد صحبتهم أطفالا، وصحبهم رجالا، فكانوا شر أطفال وشر رجال، ويحكم! إنهم ما رفعوها، ثم لا يرفعونها ولا يعلمون بما فيها، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهنا ومكيدة، فقالوا له: ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله عز وجل فنأبى أن نقبله، فقال لهم: فإني إنما قاتلتهم ليدنوا بحكم هذا الكتاب، فإنهم قد عصوا الله عز وجل فيما أمرهم ونسوا عهده، ونبدوا كتابه فقال له مسعر بن فديك التيمي وزيد بن حصين الطائي ثم السنبسي، في عصابة معهم من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك: يا علي، أجب إلى كتاب الله عز وجل إذ دعيت إليه، وإلا ندفعك برمتك إلى القوم، أو نفعل كما فعلنا بابن عفان، إنه علينا أن نعمل بما في كتاب الله عز وجل قبلناه، والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك قال: فاحفظوا عني نبيي إياكم، واحفظوا

مقاتلكم لي، أما أنا فإن تطيعوني تقتلوا، وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم! قالوا له: إما لا فابعث إلى الأشر فليأتك].
 قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج الكندي، عن رجل من النخع، أنه رأى إبراهيم بن الأشر دخل على مصعب بن الزبير، قال: كنت عند علي حين أكرهه الناس على الحكومة، وقالوا: ابعث إلى الأشر فليأتك، قال: فأرسل علي إلى الاشتريز بن هاني السبيعي: أن اتني، فأتاه فبلغه، فقال: قل له ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تزيلي فيها عن موقعي، إني قد رجوت أن يفتح لي، فلا تعجلي فرجع يزيد بن هاني إلى علي فأخبره، فما هو إلا أن انتهى إلينا، فارتفع الرهج، وعلت الأصوات من قبل الأشر، فقال له القوم: والله ما نراك إلا أمرته أن يقاتل، قال:

من أين ينبغي أن تروا ذلك! رأيتوني ساررتة؟ اليس انما كلمته على رؤسكم علانية، وأنتم تسمعونني! قالوا: فابعث إليه فليأتك، وإلا والله اعتزلناك.

قال له: ويحك يا يزيد! قل له: أقبل إلي فإن الفتنة قد وقعت، فأبلغه ذلك، فقال له: أرفع المصاحف؟ قال: نعم، قال: أما والله لقد ظننت حين رفعت أنها ستوقع اختلافا وفرقة، إنها مشورة ابن العاهرة، ألا ترى ما صنع الله لنا! أينبغي أن أدع هؤلاء وأنصرف عنهم! وقال يزيد بن هاني:

فقلت له: أتحب أنك ظفرت هاهنا، وأن أمير المؤمنين بمكانه الذي هو به يفرج عنه أو يسلم؟ قال: لا والله، سبحان الله! قال: فإنهم قد قالوا:

لترسلن إلى الأشر فليأتينك أو لنقتلنك كما قتلنا ابن عفان فأقبل حتى انتهى إليهم فقال: يا أهل العراق، يا أهل الذل والوهن، احين علوتم القوم ظهرا، وظنوا أنكم لهم قاهرون، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها! وقد والله تركوا ما أمر الله عز وجل به فيها، وسنه من انزلت عليه ص، فلا تجيبوهم، أمهلوني عدو الفرس، فإني قد طمعت في النصر، قالوا: إذا ندخل معك في خطيئتك، قال: فخذوني عنكم، وقد قتل أمثالكم، وبقي أراذلكم، متى كنتم محقين! أحين كنتم تقتلون وخياركم يقتلون! فأنتم الان إذ أمسكنم عن القتال مبطلون، أم الان أنتم محقون، فقتلكم الذين لا تنكرون فضلهم فكانوا خيرا منكم في النار إذا! قالوا: دعنا منك يا أشر، قاتلناهم في الله عز وجل، وندع قتالهم لله سبحانه، إنا لسنا مطيعيك ولا صاحبك، فاجتنبنا، فقال: خدعتم والله فانخدعتم، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتهم يا أصحاب الجباه السود، كما نظن صلواتكم زهادة في الدنيا وشوقا إلى لقاء الله عز وجل، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت، ألا قبحا يا أشباه النيب الجلالة! وما أنتم برائين بعدها عزا أبدا، فابعدوا كما بعد القوم الظالمون! فسبوه، فسبهم، فضرَبوا وجهه دابته بسياطهم، وأقبل يضرب بسوطه وجوه دوابهم، [وصاح بهم علي

فكفوا، وقال للناس: قد قبلنا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حكما،] فجاء الأشعث بن قيس إلى علي فقال له: ما أرى الناس إلا قد رضوا، وسرهم أن يجيبوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن، فإن شئت أئيت معاوية فسأله ما يريد، فنظرت ما يسأل، قال: ائمه إن شئت فسله، فأتاه فقال: يا معاوية، لأي شيء رفعت هذه المصاحف؟ قال: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله عز وجل به في كتابه، تبعثون منكم رجلا ترضون به، ونبعث منا رجلا، ثم نأخذ عليهما أن يعملما بما في كتاب الله لا يعدوانه، ثم تتبع ما اتفقا عليه، فقال له الأشعث بن قيس: هذا الحق، فأنصرف إلى علي فأخبره بالذي قال معاوية، فقال الناس: فإننا قد رضينا وقبلنا، فقال أهل الشام: فإننا قد اخترنا عمرو بن العاص، فقال الأشعث وأولئك الذين صاروا خوارج بعد: فإننا قد رضينا بأبي موسى الأشعري، [قال علي: فإنكم قد عصيتموني في أول الأمر، فلا تعصوني الآن، إني لا أرى أن أولي أبا موسى].

فقال الأشعث وزيد بن حصين الطائي ومسر بن فديكي: لا نرضى إلا به، فإنه ما كان يحذرنا منه وقعنا فيه، [قال علي: فإنه ليس لي بثقة، قد فارقتني، وخذل الناس عني ثم هرب مني حتى آمنت بعد أشهر، ولكن هذا ابن عباس نوليه ذلك، قالوا: ما نبالي أنت كنت

أم ابن عباس! لا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء، ليس إلى واحد منكما بأدنى منه إلى الآخر، فقال علي: فإني أجعل الأشرار قال أبو مخنف: حدثني أبو جناب الكلبي، أن الأشعث قال: وهل سعر الأرض غير الأشرار؟ قال أبو مخنف، عن عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه: إن الأشعث قال: وهل نحن إلا في حكم الأشرار! قال علي: وما حكمه؟ قال:

حكمه أن يضرب بعضنا بعضاً بالسيوف حتى يكون ما أردت وما أراد، قال:

فقد أيتم إلا أبا موسى! قالوا: نعم، قال: فاصنعوا ما أردتم، فبعثوا إليه

وقد اعتزل القتال، وهو بعرض، فأتاه موسى له، فقال: إن الناس قد اصطلحوا، فقال: الحمد لله رب العالمين! قال: قد جعلوك حكماً؟ قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! وجاء أبو موسى حتى دخل العسكر، وجاء الأشرار حتى أتى علياً فقال: أئزني بعمر بن العاص، فوالله الذي لا إله إلا هو، لئن ملأت عيني منه لأقتلنه، وجاء الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين، إنك قد رميت بحجر الأرض، وبمن حارب الله ورسوله أنف الإسلام، وإني قد عجمت هذا الرجل وحببت أشطره فوجدته كليل الشفرة، قريب القعر، وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يصير في أكفهم، ويبعد حتى يصير بمنزلة النجم منهم، فإن أبيت أن تجعلني حكماً، فاجعلني ثانياً أو ثالثاً، فإنه لن يعقد عقدة إلا حللتها، ولن يحل عقدة أعقدها إلا عقدت لك أخرى أحكم منها [فأبى الناس إلا أبا موسى والرضا بالكاتب، فقال الأحنف: فإن أيتم إلا أبا موسى فأدفتوا ظهره بالرجال فكتبوا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين فقال عمرو:

اكتب اسمه واسم أبيه، هو أميركم فأما أميرنا فلا، وقال له الأحنف:

لا تمح اسم إمارة المؤمنين، فإني أخوف إن محوتها ألا ترجع إليك أبداً، لا تحمها وإن قتل الناس بعضهم بعضاً، فأبى ذلك علي ملياً من النهار، ثم إن الأشعث بن قيس قال: امح هذا الاسم برحه الله! فمحي وقال:

علي: الله أكبر، سنة بسنة، ومثل بمثل، والله إني لكاتب بين يدي رسول الله ص يوم الحديبية إذ قالوا: لست رسول الله، ولا نشهد لك به، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فكتبه، فقال عمرو بن العاص:

سبحان الله! ومثل هذا أن نشبه بالكفار ونحن مؤمنون! فقال علي: يا بن النايغة، ومتى لم تكن للفاسقين ولياً، وللمسلمين عدواً! وهل تشبه إلا أملك التي وضعت بك! فقام فقال: لا يجمع بيني وبينك مجلس أبداً بعد هذا اليوم، فقال له علي: وإني لأرجو أن يطهر الله عز وجل مجلسي منك ومن أشباهك وكتب الكتاب [

حدثني علي بن مسلم الطوسي، قال: حدثنا جبان، قال: حدثنا مبارك، عن الحسن، قال: أخبرني الأحنف، أن معاوية كتب إلى علي أن امح هذا الاسم إن أردت أن يكون صلح، فاستشار - وكانت له قبة يأذن لبني هاشم فيها، ويأذن لي معهم - قال: ما ترون فيما كتب به معاوية أن امح هذا الاسم؟ - قال مبارك: يعني أمير المؤمنين - قال: برحه الله! فإن رسول الله ص حين وأدع أهل مكة كتب: محمد رسول الله، فأبوا ذلك حتى كتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، فقلت له: أيها الرجل مالك وما لرسول الله ص! إنا والله ما حابينك ببيعتنا، وإنا لو علمنا أحداً من الناس أحق بهذا الأمر منك لباعناه، ثم قاتلناك، وإني أقسم بالله لئن محوت هذا الاسم الذي بايعت عليه وقاتلتهم لا يعود إليك أبداً.

قال: وكان والله كما قال قال: قلما وزن رأيه برأي رجل إلا رجع عليه .

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف وكتب الكتاب: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضى علي على أهل الكوفة ومن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معهم

من المؤمنين والمسلمين، إنا نزل عند حكم الله عز وجل وكتابه، ولا يجمع بيننا غيره، وإن كتاب الله عز وجل بيننا من فاتحته إلى خاتمته، نحبي ما أحياء، ونميت ما أمات، فما وجد الحكمان في كتاب الله عز وجل - وهما أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص القرشي - عملا به، وما لم يجدا في كتاب الله عز وجل فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة وأخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين من العهود والميثاق والثقة من الناس، أنهما آمان على أنفسهما وأهلهم، والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كلتيهما عهد الله وميثاقه أنا على

ما في هذه الصحيفة، وأن قد وجبت قضيتهما على المؤمنين، فإن الا من والاستقامة ووضع السلاح بينهم أينما ساروا على أنفسهم وأهلهم وأموالهم، وشاهدتهم وغائبهم، وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة، ولا يرداها في حرب ولا فرقة حتى يعصيا، وأجل القضاء إلى رمضان وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخره على تراض منهما، وإن توفي أحد الحكمين فإن أمير الشيعة يختار مكانه، ولا يألو من أهل المعدلة والقسط، وإن مكان قضيتهما الذي يقضيان فيه مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام، وإن رضيا وأحبا فلا يحضرهما فيه إلا من أَراد، ويأخذ الحكمان من أَراد من الشهود، ثم يكتبان شهادتهما على ما في هذه الصحيفة.

وهم أنصار على من ترك ما في هذه الصحيفة، وأراد فيه إلحادا وظلما لله إننا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة. شهد من أصحاب علي الأشعث بن قيس الكندي، وعبد الله بن عباس، وسعيد بن قيس الهمداني، وورقاء بن سمي البجلي، وعبد الله بن محل العجلي، وحجر بن عدي الكندي، وعبد الله بن الطفيل العامري، وعقبه ابن زياد الحضرمي، ويزيد بن حجية التيمي، ومالك بن كعب الهمداني ومن أصحاب معاوية أبو الأعور السلمي عمرو بن سفيان، وحبيب مسلمة الفهري، والمخارق بن الحارث الزبيدي، وزمل بن عمرو العذري، وحمزة بن مالك الهمداني، وعبد الرحمن بن خالد المخزومي، وسبيع بن يزيد الأنصاري، وعلقمة بن يزيد الأنصاري، وعتبة بن أبي سفيان، ويزيد بن الحر العبسي.

قال أبو مخنف: حدثني أبو جناب الكلبي، عن عمارة بن ربيعة الجرمي، قال: لما كتبت الصحيفة دعي لها الأشعث فقال: لا صحبتني يميني، ولا نفعني بعدها شمالي، إن خط لي في هذه الصحيفة اسم على صلح ولا موادعه أو لست على بينة من ربي، ومن ضلال عدوي! أو لستم قد رأيتم الظفر لو لم تجمعوا على الجور! فقال له الأشعث بن قيس: إنك والله ما رأيتم ظفرا ولا جورا، هلم إلينا فإنه لا رغبة بك عنا، فقال:

بلى والله لرغبة بي عنك في الدنيا للدنيا والآخرة للآخرة، ولقد سفك الله عز وجل بسيفي هذا دماء رجال ما أنت عندي خير منهم، ولا أحرم دما، قال عمارة: فنظرت إلى ذلك الرجل وكأنا قصع على أنفه الحمم - يعني الأشعث.

قال أبو مخنف، عن أبي جناب، قال: خرج الأشعث بذلك الكتاب يقرؤه على الناس، ويعرضه عليهم، فيقرءونه، حتى مر به على طائفة من بني تميم فيهم عروة بن أديه، وهو أخو أبي بلال، فقرأه عليهم، فقال عروة ابن أديه: تحكمون في أمر الله عز وجل الرجال! لا حكم إلا لله، ثم شد بسيفه فضرب به عجز دابته ضربة خفيفة، واندفعت الدابة، وصاح به أصحابه، أن أملك يدك، فرجع، فغضب للأشعث قومه وناس كثير من أهل اليمن، فبشى الأحنف بن قيس السعدي ومعتل بن قيس الرياحي، ومسعر بن فديك، وناس كثير من بني تميم، فتنصلوا إليه واعتذروا، فقبل وصفح.

قال أبو مخنف: حدثني أبو زيد عبد الله الأودي، أن رجلا من أود كان يقال له عمرو بن أوس، قاتل مع علي يوم صفين، فاسره معاوية في أسارى كثيرين، فقال له عمرو بن العاص: اقتلهم، فقال له عمرو بن أوس: إنك خالي، فلا تقتلني، وقامت إليه بنو أود فقالوا: هب لنا أخانا، فقال: دعوه، لعمرى لئن كان صادقا فلنستغنين عن شفاعتكم، ولئن كان كاذبا لتأتين

شفاعتكم من ورائه، فَقَالَ لَهُ: من أين انا خالك! فو الله ما كَانَ بيننا وبين أود مصاهرة، قَالَ: فإن أخبرتك فعرفته فهو أمانى عندك؟ قَالَ: نعم، قَالَ: أَلَسْتُ تعلم أن أم حبيبة ابنه ابى سفيان زوج النبي ص؟

قَالَ: بلى، قَالَ: فانى ابنها، وأنت أخوها، فأنت خالي، فَقَالَ مُعَاوِيَةَ:

لِلَّهِ أَبوك! مَا كَانَ فِي هَؤُلَاءِ واحد يفطن لها غيره ثُمَّ قَالَ لِلأَوْدِيِّينَ:

أُستغني عن شفاعتكم! خلوا سبيله.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي غَيْرُ بْنُ وَعْلَةَ الهمداني، عَنِ الشَّعْبِيِّ، أَنَّ أُسَارَى كَانَ أُسْرَهُمْ عَلِي يَوْمَ صَفِينِ كَثِيرٍ، نَحَلَى سَبِيلَهُمْ، فَأَتَوْا مُعَاوِيَةَ، وَإِنْ عَمْرًا لِيَقُولَ- وَقَدْ أُسِرَ أَيْضًا أُسَارَى كَثِيرَةٌ: أَقْتَلَهُمْ، فَمَا شَعَرُوا إِلَّا بِأَسْرَائِهِمْ قَدْ خَلَى سَبِيلَهُمْ، فَقَالَ مُعَاوِيَةَ: يَا عَمْرُو، لَوْ أَطْعَمْنَاكَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسْرَى وَقَعْنَا فِي قَبِيحٍ مِنَ الْأَمْرِ، أَلَا تَرَى قَدْ خَلَى سَبِيلَ أُسَارَانَا! وَأَمَرَ بِتَخْلِيَةِ سَبِيلٍ مِنْ فِي يَدَيْهِ مِنَ الْأُسَارَى.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ حَمِيدِ بْنِ مُسْلَمٍ، عَنْ جَنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، [أَنَّ عَلِيًّا قَالَ لِلنَّاسِ يَوْمَ صَفِينِ: لَقَدْ فَعَلْتُمْ فَعْلَهُ ضَعُضْتَ قُوَّهُ، وَاسْقَطْتَ مِنْهُ، وَأَوْهَنْتَ وَأَوْرَثْتَ وَهْنًا وَذَلَّةً، وَلَمَّا كُنْتُمْ الْأَعْلَيْنِ، وَخَافَ عِدُوكُمُ الْاجْتِيَا حَ، وَاسْتَحَرَّ بِهِمُ الْقَتْلَ وَوَجَدُوا أَلَمَ الْجِرَاحِ، رَفَعُوا الْمَصَاحِفَ، وَدَعَوْكُمْ إِلَى مَا فِيهَا لِيَفْشُوكُمْ عَنْهُمْ، وَيَقْطَعُوا الْحَرْبَ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ، وَيَتَرَبَّصُوا بِكُمْ رَيْبَ الْمُنُونِ خَدِيعَةً وَمَكِيدَةً، فَأَعْطَيْتُمُوهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَيْتَمَ إِلَّا أَنْ تَدَهْنُوا وَتَجُوزُوا! وَإِيمَ اللَّهُ مَا أَظْنَكُمْ بَعْدَهَا تَوَافِقُونَ رَشْدًا، وَلَا تَصِيبُونَ بَابَ حَزْمٍ].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَكُتِبَ كِتَابُ الْقَضِيَةِ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ- فِيمَا قِيلَ- يَوْمَ

الرَّابِعَاءِ لثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ صَفَرٍ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ، عَلَى أَنَّ يُوَافِي عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ مَوْضِعَ الْحَكَمَيْنِ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَرْبَعُمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: قَالَ صَعْصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ يَوْمَ صَفِينِ حِينَ رَأَى النَّاسَ يَتَبَارَوْنَ: أَلَا اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا، تَعْلَمَنَّ وَاللَّهِ لَئِنْ ظَهَرَ عَلِيٌّ لَيَكُونَنَّ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَإِنْ ظَهَرَ مُعَاوِيَةُ لَا يَقْرُ لِقَائِلٍ يَقُولُ حَقٌّ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَأَصْبَحَ أَهْلُ الشَّامِ قَدْ نَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ، وَدَعَوْا إِلَى مَا فِيهَا، فَهَابَ أَهْلُ الْعِرَاقَيْنِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ حَكَّمُوا الْحَكَمَيْنِ، فَاخْتَارَ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ، وَاخْتَارَ أَهْلُ الشَّامِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، فَتَفَرَّقَ أَهْلُ صَفِينِ حِينَ حَكَّمَ الْحَكَمَانِ، فَاشْتَرَطَا أَنْ يَرَفَعَا مَا رَفَعَ الْقُرْآنُ، وَيَخْفِضَا مَا خَفَضَ الْقُرْآنُ، وَأَنْ يَخْتَارَا لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ص، وَأَنْهُمَا يَجْتَمِعَانِ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ، فَإِنْ لَمْ يَجْتَمِعَا لِذَلِكَ اجْتَمَعَا مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ بِأَذْرَحَ.

فَلَمَّا انصرفت علي خالفت الحورية وخرجت- وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا ظَهَرَ- فَادْنَوْهُ بِالْحَرْبِ، وَرَدُّوا عَلَيْهِ: أَنْ حَكَّمَ بَنِي آدَمَ فِي حَكْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَالُوا:

لَا حَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ! وَقَاتَلُوا، فَلَمَّا اجْتَمَعَ الْحَكَمَانِ بِأَذْرَحَ، وَافَاهُمُ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فِيمَنْ حَضَرَ مِنَ النَّاسِ، فَأَرْسَلَ الْحَكَمَانِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فِي إِقْبَالِهِمْ فِي رِجَالٍ كَثِيرٍ، وَوَافَى مُعَاوِيَةَ بِأَهْلِ الشَّامِ، وَأَبَى عَلِيٌّ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ يُوَافُوا، فَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ لِرِجَالٍ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ مِنْ قُرَيْشٍ: أَتَرُونَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بِرَأْيٍ يَبْتَدِعُهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْلَمَ أَيْجْتَمِعَ الْحَكَمَانِ أَمْ يَتَفَرَّقَانِ؟ قَالُوا: لَا نَرَى أَحَدًا يَعْلَمُ ذَلِكَ، قَالَ: فَوَ اللَّهِ إِنِّي لَا أَظُنُّ أَنِّي سَأَعْلَمُهُ مِنْهُمَا حِينَ أَخْلُو بِهِمَا وَأَرَا جُعْمَهُمَا فَدَخَلَ عَلَى عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ وَبَدَأَ بِهِ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ، كَيْفَ تَرَانَا مَعَشَرَ الْمُعْتَزَلَةِ، فَإِنَّا قَدْ شَكَكْنَا فِي الْأَمْرِ الَّذِي تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ هَذَا الْقِتَالِ، وَرَأَيْنَا

أَنْ نُسْتَأْنِي وَنَتَثَبِتَ حَتَّى تَجْتَمَعَ الْأُمَّةُ! قَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَعَشَرَ الْمُعْتَزَلَةِ خَلْفَ الْأَبْرَارِ، وَأَمَامَ الْفَجَارِ! فَانصرفت الْمُغِيرَةُ وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْ غَيْرِ ذَلِكَ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى أَبِي مُوسَى فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِعَمْرُو، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: أَرَأَيْتُمْ أَثْبَتَ النَّاسِ رَأْيًا، فَيَكُمُ بَقِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ، فَانصرفت الْمُغِيرَةُ

ولم يسأله عن غير ذلك، فلقى الذين قال لهم ما قال من ذوي الرأي من قريش، فقال: لا يجتمع هذان على أمر واحد، فلما اجتمع الحكماء وتكلموا قال عمرو بن العاص: يا أبا موسى، رأيت أول ما تقضي به من الحق أن تقضي لأهل الوفاء بوفائهم، وعلى أهل الغدر بغدرهم، قال أبو موسى: وما ذاك؟ قال: أأست تعلم أن معاوية وأهل الشام قد وفوا، وقدموا للوعد الذي واعدناهم إياه؟ قال: بلى، قال عمرو: اكتبها، فكتبها أبو موسى، قال عمرو: يا أبا موسى، أنت على أن نسمي رجلا يلي أمر هذه الأمة؟ فسمه لي، فإن أقدر على أن أتابعك فلك علي أن أتابعك، وإلا فلي عليك أن تتابعني! قال أبو موسى: أسمي لك عبد الله بن عمر، وكان ابن عمر فيمن اعتزل، قال عمرو: إني أسمي لك معاوية بن أبي سفيان، فلم يبرحاً مجلسهما حتى استبأ، ثم خرجا إلى الناس، فقال أبو موسى: إني وجدت مثل عمرو مثل الذين قال الله عز وجل: «واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها»، فلما سكت أبو موسى تكلم عمرو فقال: ايها الناس وجدت مثل أبي موسى كمثل الذي قال عز وجل: «مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا»، وكتب كل واحد منهما مثله الذي ضرب لصاحبه إلى الأمصار.

قال ابن شهاب: فقام معاوية عشية في الناس، فأثنى على الله جل ثناؤه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فمن كان متكلماً في الأمر فليطلع لنا قرنه، قال ابن عمر: فأطلقت جوتي، فأردت أن أقول قولاً يتكلم فيه رجال قاتلوا أبك على الإسلام، ثم خشيت أن أقول كلمة تفرق الجماعة، أو يسفك فيها دم، أو أحمل فيها على غير رأي، فكان ما وعد الله عز وجل في الجنان أحب إلي من ذلك فلما انصرف إلى المنزل جاءني حبيب بن مسلمة فقال: ما منعك أن تتكلم حين سمعت الرجل يتكلم؟ قلت: أردت ذلك، ثم خشيت أن أقول كلمة تفرق بين جميع، أو يسفك فيها دم، أو أحمل فيها على غير رأي، فكان ما وعد الله عز وجل من الجنان أحب إلي من ذلك قال: قال حبيب: فقد عصمت.

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف: قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج الكندي، [قال: قيل لعلي بعد ما كتبت الصحيفة: إن الأشر لا يقر بما في الصحيفة، ولا يرى إلا قتال القوم، قال علي: وأنا والله ما رضيت ولا أحببت أن ترضوا، فإذا أبيتم إلا أن ترضوا فقد رضيت، فإذا رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا، ولا التبديل بعد الإقرار، إلا أن يعصى الله عز وجل ويتعدى كتابه، فقاتلوا من ترك أمر الله عز وجل].

وأما الذي ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه فليس من أولئك، ولست أخافه على ذلك، يا ليت فيكم مثله اثين! يا ليت فيكم مثله واحدا يرى في عدوي ما أرى، إذا خلفت علي مؤتكم، ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم، وقد نهيتكم عما أبيتم فعصيتموني، وكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت ... غويت وإن ترشد غزية أرشد

فقال طائفة ممن معه: ونحن ما فعلنا يا أمير المؤمنين إلا ما فعلت، قال: نعم، فلم كانت إجابتم إياهم إلى وضع الحرب عنا! وأما القضية فقد استوثقنا لكم فيها، وقد طمعت ألا تضلوا إن شاء الله رب العالمين.

فكان الكتاب في صفر والأجل رمضان إلى ثمانية أشهر، إلى أن يلتقي الحكماء ثم إن الناس دفنوا قتلاهم، وأمر علي الأعور فنادى في الناس بالرحيل

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه، قال: لما انصرفنا من صفين أخذنا غير طريقنا الذي أقبلنا فيه، أخذنا على طريق البر على شاطئ الفرات، حتى انتهينا إلى هيت، ثم أخذنا على صندوداء، فخرج الأنصار بنو سعد بن حرام، فاستقبلوا علينا، فعرضوا عليه النزول، فبات فيهم ثم غدا، وأقبلنا معه، حتى إذا جزنا النخيلة، ورأينا بيوت الكوفة، إذا نحن بشيخ جالس في ظل بيت على وجهه أثر المرض، فأقبل إليه علي ونحن معه حتى سلم عليه وسلمنا معه، فرد ردا حسنا ظننا أن قد عرفه، [قال له علي:

أَرَى وَجْهَكَ مِنْكَفُتًا فَمِنْ مَهْ؟ أَمِنْ مَرَضٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَلَعَلَّكَ كَرِهْتَهُ، قَالَ: مَا أَحَبُّ أَنَّهُ بَغِيرِي، قَالَ أَلَيْسَ احْتِسَابًا لِلْخَيْرِ فِيمَا أَصَابَكَ مِنْهُ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَأَبْشِرْ بِرَحْمَةِ رَبِّكَ وَغُفْرَانِ ذَنْبِكَ مِنْ أَنْتِ يَا عَبْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنَا صَالِحُ بْنُ سَلِيمٍ، قَالَ: مَنْ؟ قَالَ: أَمَّا الْأَصْلُ فَمِنْ سَلَامَانَ طَبِيعِي، وَأَمَّا الْجَوَارِ وَالِدَعْوَةِ فَمِنْ بَنِي سَلِيمٍ بَنِي مَنْصُورٍ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا أَحْسَنَ اسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ وَاسْمَ أَدْعِيَاكَ وَاسْمَ مَنْ اعْتَزَيْتَ إِلَيْهِ! هَلْ شَهِدْتَ مَعَنَا غَزَاتِنَا هَذِهِ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ مَا شَهِدْتُهَا، وَلَقَدْ أَرَدْتُهَا وَلَكِنْ مَا تَرَى مِنْ أَثَرِ لَحَبِ الْحِمَى خَزَلْنِي عَنْهَا، فَقَالَ:

«لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» .

خَبَرَنِي مَا تَقُولُ النَّاسُ فِيمَا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَهْلِ الشَّامِ؟ قَالَ: فِيهِمُ الْمَسْرُورُ فِيمَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ - وَأُولَئِكَ أَغْشَاءُ النَّاسِ - وَفِيهِمُ الْمَكْبُوتُ الْآسَفُ بِمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ - وَأُولَئِكَ نَصَحَاءُ النَّاسِ لَكَ - فَذَهَبَ لِيَنْصَرِفَ فَقَالَ: قَدْ صَدَقْتَ، جَعَلَ اللَّهُ مَا كَانَ مِنْ شَكْوَاكَ حَطًّا لِسَيِّئَاتِكَ، فَإِنَّ الْمَرَضَ لَا أَجْرَ فِيهِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَدْعُ عَلَى الْعَبْدِ ذَنْبًا [إِلَّا] حَطَّهُ، وَإِنَّمَا أَجْرُ فِي الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ وَالْعَمَلِ بِالْيَدِ [وَالرَّجُلِ، وَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاهُ] لِيَدْخُلَ بِصَدَقِ النِّيَّةِ وَالسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ عَالِمًا جَمًّا مِنْ عِبَادَةِ الْجَنَّةِ [قَالَ: ثُمَّ مَضَى عَلِيٌّ غَيْرَ بَعِيدٍ، فَلَقِيَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَدِيعَةَ الْأَنْصَارِيِّ، فَدَنَا مِنْهُ، وَسَلَّمَهُ عَلَيْهِ وَسَايَرَهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا سَمِعْتَ النَّاسَ يَقُولُونَ فِي أَمْرِنَا؟ قَالَ:

مِنْهُمْ الْمَعْجَبُ بِهِ، وَمِنْهُمْ الْكَارِهُ لَهُ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ» فَقَالَ لَهُ: فَمَا قَوْلُ ذَوِي الرَّأْيِ فِيهِ؟ قَالَ: أَمَّا قَوْلُهُمْ فِيهِ فَيَقُولُونَ إِنَّ عَلِيًّا كَانَ لَهُ جَمْعٌ عَظِيمٌ فَفَرَقَهُ، وَكَانَ لَهُ حَصْنٌ حَصِينٌ فَهَدَمَهُ، فَحَتَّى مَتَى يَبْنِي مَا هَدَمَ، وَحَتَّى مَتَى يَجْمَعُ مَا فَرَقَ! فَلَوْ أَنَّهُ كَانَ مَضَى بِمَنْ أَطَاعَهُ - إِذْ عَصَاهُ مِنْ عَصَاهُ - فَقَاتَلَ حَتَّى يَظْفِرَ أَوْ يَهْلِكَ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْحَزْمُ فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا هَدَمْتُ أَمْ هُمْ هَدَمُوا! أَنَا فَرَقْتُ أَمْ هُمْ فَرَقُوا! أَمَّا قَوْلُهُمْ: إِنَّهُ لَوْ كَانَ مَضَى بِمَنْ أَطَاعَهُ إِذْ عَصَاهُ مِنْ عَصَاهُ فَقَاتَلَ حَتَّى يَظْفِرَ أَوْ يَهْلِكَ، إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْحَزْمُ، فَوَاللَّهِ مَا غِيبِي عَنْ رَأْيِي ذَلِكَ، وَإِنْ كُنْتُ لَسَخِيًا بِنَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، طِيبَ النَّفْسِ بِالْمَوْتِ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِالْإِقْدَامِ عَلَى الْقَوْمِ، فَظَنَنْتُ إِلَى هَذَيْنِ قَدْ ابْتَدَرَانِي - يَعْنِي الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ - وَنَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ قَدْ اسْتَقْدَمَانِي - يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرَ وَمُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ - فَطَلَمْتُ أَنْ هَذَيْنِ أَنْ هَلَكَا انْقَطَعَ نَسْلُ مُحَمَّدٍ ص مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَكَرِهْتُ ذَلِكَ، وَأَشْفَقْتُ عَلَى هَذَيْنِ أَنْ يَهْلِكَ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ لَوْلَا مَكَانِي لَمْ يَسْتَقْدَمَا - يَعْنِي مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرَ - وَإِيمَ اللَّهِ لَتُنَّ لَقِيَتَهُمْ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا لِأَلْقِيَهُمْ وَلَيْسُوا مَعِيَ فِي عَسْكَرٍ وَلَا دَارٍ [ثُمَّ مَضَى حَتَّى إِذَا جَزَا بَنِي عَوْفٍ إِذَا نَحْنُ عَنْ أَيْمَانِنَا بِقُبُورِ سَبْعَةٍ أَوْ ثَمَانِيَةٍ، فَقَالَ عَلِيٌّ:

مَا هَذِهِ الْقُبُورُ؟ فَقَالَ قَدَامَةُ بْنُ الْعَجَلَانِ الْأَزْدِيُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ خَبَابَ ابْنِ الْأُرْتِ تَوَفَّى بَعْدَ مَخْرَجِكَ، فَأَوْصَى بِأَنْ يَدْفَنَ فِي الظَّهْرِ، وَكَانَ النَّاسُ إِنَّمَا يَدْفَنُونَ فِي دَوْرِهِمْ وَأَفْنِيَتِهِمْ، فَدَفَنَ بِالظَّهْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَدَفَنَ النَّاسُ [إِلَى جَنْبِهِ، فَقَالَ عَلِيٌّ: رَحِمَ اللَّهُ خَبَابًا، فَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِبًا، وَهَاجِرَ طَائِعًا، وَعَاشَ مُجَاهِدًا، وَابْتَلِيَ فِي جِسْمِهِ أَحْوَالًا! وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرًا* مِنْ أَحْسَنَ عَمَلًا. ثُمَّ جَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمَوْحِشَةِ، وَالْحَالِ الْمَقْفَرَةِ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ أَنْتُمْ لَنَا سَلَفٌ فَارِطٌ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبِعٌ، بِكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ لَأَحْقُونَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ، وَتَجَاوِزْ بَعْفُوكَ عَنَّا وَعَنْهُمْ! وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْهَا خَلْقَكُمْ، وَفِيهَا مَعَادَكُمْ، مِنْهَا يَبْعَثُكُمْ، وَعَلَيْهَا يَحْشُرُكُمْ، طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ، وَعَمِلَ لِلْحَسَابِ، وَقَعَّ بِالْكَفَافِ، وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ! [ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى حَازَى سَكَّةَ الثَّوْرِيِّينَ، ثُمَّ قَالَ: خَشُوا، ادْخُلُوا بَيْنَ هَذِهِ الْأَيَّاتِ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَاصِمٍ الْفَائِشِيُّ، قَالَ: [مَرَّ عَلِيٌّ بِالثَّوْرِيِّينَ، فَسَمِعَ الْبُكَاءَ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ؟ فَقِيلَ لَهُ: هَذَا الْبُكَاءُ عَلَى قَتْلِ صَفِينٍ، فَقَالَ: أَمَا إِنِّي أَشْهَدُ لِمَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ صَابِرًا مُحْتَسِبًا بِالشَّهَادَةِ] ثُمَّ مَرَّ بِالْفَائِشِيِّينَ، فَسَمِعَ الْأَصْوَاتَ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ،

ثُمَّ مَضَى حَتَّى مَرَّ بِالشَّبَامِيِّينَ، فَسَمِعَ رَجُلَةً شَدِيدَةً، فَوَقَفَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَرْبُ بْنُ شُرَحْبِيلَ الشَّبَامِي، [فَقَالَ عَلِيٌّ: أَيُّغْلِبُكُمْ نِسَاؤُكُمْ! أَلَا تَنْهَوْنَهُنَّ عَنْ هَذَا الرِّينِ! فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ كَانَتْ دَارًا أَوْ دَارَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا قَدَرْنَا عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ قَتَلَ مِنْ هَذَا الْحَيِّ ثَمَانُونَ وَمِائَةً قَتِيلًا، فَلَيْسَ دَارٌ إِلَّا وَفِيهَا بَكَاءٌ، فَأَمَّا نَحْنُ مَعْشَرَ الرِّجَالِ فَإِنَّا لَا نَبْكِي، وَلَكِنْ نَفْرَحُ لَهُمْ، أَلَا نَفْرَحُ لَهُمْ بِالشَّهَادَةِ! قَالَ عَلِيٌّ: رَحِمَ اللَّهُ قَتْلَكُمْ وَمَوْتَكُمْ! وَأَقْبَلَ يَمْشِي مَعَهُ وَعَلِيٌّ رَاكِبًا، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: ارْجِعْ، وَوَقَفَ ثُمَّ قَالَ لَهُ: ارْجِعْ، فَإِنْ مَشِي مِثْلَكَ مَعَ مِثْلِي فَتَنَةٌ لِلْوَالِي، وَمِثْلَةٌ لِلْمُؤْمِنِ] ثُمَّ مَضَى حَتَّى مَرَّ بِالنَّاعِطِيِّينَ - وَكَانَ جُلُوسُهُمْ عَشْمَانِيَّةً - فَسَمِعَ رَجُلًا مِنْهُمْ يَقُولُ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ، مِنْ بَنِي عُبَيْدٍ مِنَ النَّاعِطِيِّينَ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا صَنَعَ عَلِيٌّ شَيْئًا، ذَهَبَ ثُمَّ انْصَرَفَ فِي غَيْرِ شَيْءٍ! فَلَهَا نَظَرُوا إِلَى عَلِيٍّ أَبْلَسُوا، فَقَالَ: وَجْهَهُ قَوْمٌ مَا رَأَوْا الشَّامَ

٥٠١٠٧ بعثه علي جعدة بن هبيرة إلى خراسان

العالم ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: قَوْمٌ فَارَقْنَاهُمْ آفًا خَيْرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ، ثُمَّ أُنْشَأَ يَقُولُ:

أَخُوكَ الَّذِي إِنْ أَجْرَضَتْكَ مَلَمَةٌ ... مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَبْرَحْ لِبْنِكَ وَاجِمًا

وَلَيْسَ أَخُوكَ بِالَّذِي إِنْ تَشَعَّبَتْ ... عَلَيْكَ الْأُمُورُ ظِلٌّ يَلْحَاكَ لَا تَمَّا

ثُمَّ مَضَى، فَلَمْ يَزَلْ يَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى دَخَلَ الْقَصْرَ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنَا أَبُو جَنَابٍ الْكَلْبِيُّ، عَنْ عِمَارَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ:

خَرَجُوا مَعَ عَلِيٍّ إِلَى صَفَيْنَ وَهُمْ مُتَوَادُونَ أَحْبَاءَ، فَارْجَعُوا مُتَبَاغِضِينَ أَعْدَاءَ، مَا بَرَحُوا مِنْ عَسْكَرِهِمْ بِصَفَيْنَ حَتَّى فَشَا فِيهِمُ التَّحْكِيمُ، وَلَقَدْ أَقْبَلُوا يَتَدَافَعُونَ الطَّرِيقَ كُلَّهُ وَيَتَشَاتَمُونَ وَيَضْطَرِبُونَ بِالسِّيَاطِ، يَقُولُ الْخَوَارِجُ: يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ، أَدْهَنْتُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحَكَمْتُمْ! وَقَالَ الْآخَرُونَ: فَارَقْتُمْ إِمَامَنَا وَفَرَقْتُمْ جَمَاعَتَنَا فَلَهَا دَخَلَ عَلِيٌّ الْكُوفَةَ لَمْ يَدْخُلُوا مَعَهُ حَتَّى أَتَوْا حُرُورَاءَ، فَزَلَّ بِهِمَا اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، وَنَادَى مُنَادِيهِمْ: إِنَّ أَمِيرَ الْقِتَالِ شَبَثُ بْنُ رَبِيعِ التَّمِيمِيِّ وَأَمِيرُ الصَّلَاةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْكُوءِ الْيَشْكِرِيُّ، وَالْأَمْرُ شُورَى بَعْدَ الْفَتْحِ، وَابْيَعُوا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ

بعثه علي جعدة بن هبيرة إلى خراسان

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بَعَثَ عَلِيٌّ جُعْدَةَ بْنَ هَبِيرَةَ فِيمَا قِيلَ إِلَى خُرَاسَانَ.

ذَكَرَ الْخَبَرُ عَنْ ذَلِكَ:

ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَيْمُونٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شَجِيرَةَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ بَعْدَ مَا رَجَعَ مِنْ صَفَيْنَ

٥٠١٠٨ اعتزال الخوارج عليا واصحابه ورجوعهم بعد ذلك

جُعْدَةَ بْنَ هَبِيرَةَ الْخَزُومِيَّ إِلَى خُرَاسَانَ، فَاتَتْهُ إِلَى أَيْرَشَهْرَ، وَقَدْ كَفَرُوا وَامْتَنَعُوا، فَقَدِمَ عَلَى عَلِيٍّ فَبَعَثَ خَلِيدُ بْنُ قُرَّةَ الْيَرْبُوعِي، فَخَاصِرَ أَهْلَ نَيْسَابُورَ حَتَّى صَالَحُوهُ، وَصَالَحَهُ أَهْلُ مَرُوءَ، وَأَصَابَ جَارِيَتَيْنِ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ نَزَلَتَا بِأَمَانٍ، فَبَعَثَ بِهِمَا إِلَى عَلِيٍّ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الْإِسْلَامَ وَأَنْ يَزُوجَهُمَا، قَالَتَا: زَوْجْنَا ابْنَيْكَ، فَأَبَى، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الدَّهَاقِينَ: ادْفَعِيهِمَا إِلَيَّ، فَإِنَّهُ كَرَامَةٌ تَكْرُمُنِي بِهِمَا، فَدَفَعَهُمَا إِلَيْهِ، فَكَانَتَا عَنْدهُ، يَفْرِشُ لَهُمَا الدِّيَابِجَ، وَيُطْعِمُهُمَا فِي آتِيَةِ الذَّهَبِ، ثُمَّ رَجَعَتَا إِلَى خُرَاسَانَ

. اعتزال الخوارج عليا وأصحابه ورجوعهم بعد ذلك

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ اعْتَزَلَ الْخَوَارِجُ عَلِيًّا وَأَصْحَابَهُ، وَحَكَمُوا، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ عَلِيٌّ فَرَجَعُوا وَدَخَلُوا الْكُوفَةَ.

ذَكَرَ الْخَبَرُ عَنْ اعْتَزَالِهِمْ عَلِيًّا:

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ فِي حَدِيثِهِ عَنْ أَبِي جَنَابٍ، عَنْ عِمَارَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ:

وَمَا قَدِمَ عَلَيَّ الْكُوفَةَ وَفَارَقْتَهُ الْخَوَارِجَ، وَثَبَتَ إِلَيْهِ الشَّيْعَةُ فَقَالُوا: فِي أَعْنَاقِنَا بَيْعَةٌ ثَانِيَةٌ، نَحْنُ أَوْلِيَاءُ مِنَ الْوَلِيَّةِ، وَأَعْدَاءُ مِنَ الْعَادِيَّةِ، فَقَالَتِ الْخَوَارِجُ:

اسْتَبَقْتُمْ أَنْتُمْ وَأَهْلُ الشَّامِ إِلَى الْكُفْرِ كَفَرَسِي رَهَانَ، بَايَعَ أَهْلُ الشَّامِ مُعَاوِيَةَ عَلَى مَا أَحْبَبُوا وَكَرَهُوا، وَبَايَعْتُمْ أَنْتُمْ عَلِيًّا عَلَى أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ مِنَ الْوَلِيَّةِ وَأَعْدَاءُ مِنَ الْعَادِيَّةِ، فَقَالَ لَهُمْ زِيَادُ بْنُ النَّضْرِ: وَاللَّهِ مَا بَسَطَ عَلَيَّ يَدَهُ فَبَايَعَنَاهُ قَطُّ إِلَّا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ص، وَلَكِنْكُمْ لَمَّا خَالَفْتُمُوهُ جَاءَتْهُ شَيْعَتُهُ، فَقَالُوا: نَحْنُ أَوْلِيَاءُ مِنَ الْوَلِيَّةِ، وَأَعْدَاءُ مِنَ الْعَادِيَّةِ، وَنَحْنُ كَذَلِكَ، وَهُوَ عَلَى الْحَقِّ وَالْهَدْيِ، وَمَنْ خَالَفَهُ ضَالٌّ مُضِلٌّ وَبَعَثَ عَلَيَّ ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: لَا تَعْجَلْ إِلَى جَوَابِهِمْ وَخُصُومَتِهِمْ حَتَّى آتِيكَ.

نَفَرَ إِلَى إِلَيْهِمْ حَتَّى أَتَاهُمْ، فَأَقْبَلُوا يَكْلُمُونَهُ، فَلَمْ يَصْبِرْ حَتَّى رَاجِعَهُمْ، فَقَالَ:

مَا نَقَمْتُمْ مِنَ الْحَكَمِينَ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ

اللَّهُ بَيْنَهُمَا»! فَكَيْفَ بَامَهُ مُحَمَّدٌ ص! فَقَالَتِ الْخَوَارِجُ:

قُلْنَا: أَمَّا مَا جَعَلَ حَكْمَهُ إِلَى النَّاسِ، وَأَمْرًا بِالنَّظَرِ فِيهِ وَالْإِصْلَاحَ لَهُ فَهُوَ إِلَيْهِمْ كَمَا أَمَرَ بِهِ، وَمَا حَكَمَ فَأَمْضَاهُ فَلَيْسَ لِلْعِبَادِ أَنْ يَنْظُرُوا فِيهِ، حَكَمَ فِي الزَّانِي مِائَةَ جَلْدَةٍ، وَفِي السَّارِقِ بَقْطَعِ يَدِهِ، فَلَيْسَ لِلْعِبَادِ أَنْ يَنْظُرُوا فِي هَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: «يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ»، فَقَالُوا: أَوْ تَجْعَلِ الْحَكْمَ فِي الصَّيْدِ، وَالْحَدِّثِ يَكُونُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَزَوْجِهَا كَالْحَكْمِ فِي دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ! وَقَالَتِ الْخَوَارِجُ: قُلْنَا لَهُ: فَهَذِهِ الْآيَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، أَعْدَلُ عِنْدَكَ ابْنُ الْعَاصِ وَهُوَ بِالْأَمْسِ يِقَاتِلُنَا وَيَسْفِكُ دِمَاءَنَا! فَإِنْ كَانَ عَدْلًا فَلَسْنَا بِعَدُولٍ وَنَحْنُ أَهْلُ حَرْبٍ وَقَدْ حَكَمْتُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ الرَّجَالَ، وَقَدْ أَمْضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَكْمَهُ فِي مُعَاوِيَةَ وَحَزْبِهِ أَنْ يَقْتُلُوا أَوْ يَرْجِعُوا، وَقَبْلَ ذَلِكَ مَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَبَوْهُ، ثُمَّ كَتَبْتُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ كِتَابًا، وَجَعَلْتُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ الْمَوَادِعَةَ وَالْإِسْتَفَاضَةَ، وَقَدْ قَطَعَ عَزَّ وَجَلَّ الْإِسْتَفَاضَةَ وَالْمَوَادِعَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الْحَرْبِ مِنْذُ نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ، إِلَّا مَنْ أَقْرَبَ بِالْجُزْيَةِ.

وَبَعَثَ عَلِيٌّ زِيَادَ بْنَ النَّضْرِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: انْظُرْ بِأَيِّ رِءُوسِهِمْ هُمْ أَشَدُّ إِطَافَةً، فَنَظَرَ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمْ يَرَهُمْ عِنْدَ رَجُلٍ أَكْثَرَ مِنْهُمْ عِنْدَ زَيْدِ بْنِ قَيْسٍ نَفَرَ عَلَيَّ فِي النَّاسِ حَتَّى دَخَلَ إِلَيْهِمْ، فَأَتَى فُسْطَاطَ زَيْدِ بْنِ قَيْسٍ، فَدَخَلَهُ فِتْوَضًا فِيهِ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، وَأَمَرَهُ عَلَى إِصْبَهَانَ وَالرِّيِّ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ وَهُمْ يَخَاصِمُونَ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ عَنْ كَلَامِهِمْ، أَلَمْ أَنْهَكَ رَحِمَكَ اللَّهُ! ثُمَّ تَكَلَّمَ حَمْدُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ هَذَا مَقَامٌ مِنْ أَفْجَجٍ فِيهِ كَانَ أَوَّلَى بِالْفُلْجِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ نَطَقَ فِيهِ وَأَوْعِثَ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلَّ سَبِيلًا ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: مَنْ زَعِيمُكُمْ؟ قَالُوا: ابْنُ الْكُوءَاءِ.

قَالَ عَلِيٌّ: فَمَا أَخْرَجَكُمْ عَلَيْنَا؟ قَالُوا: حُكْمُكُمْ يَوْمَ صَفِينٍ قَالَ:

أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ حَيْثُ رَفَعُوا الْمَصَاحِفَ فَقُلْتُمْ: نَجِيهِمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ قُلْتُمْ لَكُمْ: إِنِّي أَعْلَمُ بِالْقَوْمِ مِنْكُمْ، إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَصْحَابِ دِينٍ

وَلَا قُرْآنَ، إِنِّي صَحْبَتُهُمْ وَعَرَفْتُهُمْ أَطْفَالًا وَرَجَالًا، فَكَانُوا شَرَّ أَطْفَالٍ وَشَرَّ رَجَالٍ.

أَمْضُوا عَلَى حَقِّكُمْ وَصِدْقِكُمْ، فَإِنَّمَا رَفَعَ الْقَوْمُ هَذِهِ الْمَصَاحِفَ خَدِيعَةً وَدَهْنًا وَمَكِيدَةً فَرَدَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي، وَقُلْتُمْ: لَا، بَلْ نَقْبَلُ مِنْهُمْ فَقُلْتُمْ لَكُمْ:

اذْكُرُوا قَوْلِي لَكُمْ، وَمَعْصِيَتَكُمْ إِيَّايَ، فَلَمَّا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْكُتُبَ اشْتَرَطْتُ عَلَى الْحَكَمِينَ أَنْ يُحْيِيَ مَا أَحْيَا الْقُرْآنَ، وَأَنْ يَمِيتَ مَا أَمَاتَ الْقُرْآنَ، فَإِنْ حَكَمَ بِحَكْمِ الْقُرْآنِ فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَخَالَفَ حَكْمًا يَحْكُمُ بِمَا فِي الْقُرْآنِ، وَإِنْ أَتَى فَنَحْنُ مِنْ حَكْمِهِمَا بِرَاءٌ قَالُوا لَهُ: نَخْبِرُنَا أَتَرَاهُ عَدْلًا تَحْكُمُ الرِّجَالَ فِي الدِّمَاءِ؟

فَقَالَ: إِنَّا لَسْنَا حَكَمْنَا الرِّجَالَ، إِنَّمَا حَكَمْنَا الْقُرْآنَ، وَهَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ دَفْتَيْنِ، لَا يَنْطِقُ، إِنَّمَا يَتَكَلَّمُ بِهِ الرِّجَالُ، قَالُوا:

نخبرنا عن الأجل، لم جعلته فيما بينك وبينهم؟ قال: ليعلم الجاهل، ويتثبت العالم، ولعل الله عَزَّ وَجَلَّ يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة ادخلوا مصركم رحمكم الله! فدخلوا من عند آخرهم].

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي، عن أبيه بمثل هذا. وأما الخوارج فيقولون: قلنا: صدقت، قد كما ذكرت، وفعلنا ما وصفت، ولكن ذلك كان منا كفراً، فقد تبنا إلى الله عَزَّ وَجَلَّ منه، فتب كما تبنا نبايعك، وإلا فنحن مخالفون [فبايعنا علي وقال:]

ادخلوا فلنمكث ستة أشهر حتى يجي المال، ويسمن الكراع، ثم نخرج إلى عدونا ولسنا نأخذ بقولهم، وقد كذبوا]. وقدم معن بن يزيد بن الأخنس السلمي في استبطاء إمضاء الحكومة وقال لعل: إن معاوية قد وفى، فف أنت لا يلفتك عن رأيك أعاريب بكر وتميم فأمر علي بإمضاء الحكومة، وقد كانوا افرقوا من صفين على أن يقدم الحكمان في أربعمئة أربعمئة إلى دومة الجندل. وزعم الواقدي أن سعداً قد شهد مع من شهد الحكمين، وأن ابنه عمر لم يدعه حتى أحضره أذرح، فقدم، فأحرم من بيت المقدس بعمرة

٥١٠٩ اجتماع الحكمين بدومة الجندل

اجتماع الحكمين بدومة الجندل

وفي هذه السنة كان اجتماع الحكمين.

ذكر الخبر عن اجتماعهما:

قال أبو مخنف: حدثني المجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن زياد بن النضر الحارثي، أن علياً بعث أربعمئة رجل، عليهم شريح بن هانئ الحارثي، وبعث معهم عبد الله بن عباس، وهو يصلي بهم، ويلي أمورهم، وأبو موسى الأشعري معهم وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمئة من أهل الشام، حتى توافوا بدومة الجندل بأذرح، قال: فكان معاوية إذا كتب إلى عمرو جاء الرسول وذهب لا يدري بما جاء به، ولا بما رجع به، ولا يسأله أهل الشام عن شيء، وإذا جاء رسول علي جاءوا إلى ابن عباس فسأله: ما كتب به إليك أمير المؤمنين؟ فإن كتبهم ظنوا به الظنون فقالوا: ما نراه كتب إلا بكذا وكذا فقال ابن عباس: أما تعقلون! أما ترون رسول معاوية يجيء لا يعلم بما جاء به، ويرجع ما يعلم ما رجع به، ولا يسمع لهم صياح ولا لفظ، وأنتم عندي كل يوم تظنون الظنون! قال: وشهد جماعتهم تلك عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهري وأبو جهم بن حذيفة العدوي والمغيرة بن شعبة الثقفي، [وخرج عمر بن سعد حتى أتى أباه على ماء لبني سليم بالبادية، فقال: يا أبت، قد بلغك ما كان بين الناس بصفين، وقد حكم الناس أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص، وقد شهدهم نفر من قريش، فاشهدهم فإنك صاحب رسول الله ص وأحد الشورى، ولم تدخل في شيء كرهته هذه الأمة، فاحضر فإنك أحق الناس بالخلافة فقال: لا أفعل، إني سمعت رسول الله ص يقول: انه تكون فتنة، خير الناس فيها الخفي التقي، والله لا أشهد شيئاً من هذا الأمر أبداً]

والتقى الحكمان، فقال عمرو بن العاص: يا أبا موسى، أأنت تعلم أن عثمان رضي الله عنه قتل مظلوماً؟ قال: أشهد، قال: أأنت تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه؟ قال: بلى، قال: فإن الله عَزَّ وَجَلَّ قال:

«وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَاناً فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً»، فما يمنعك من معاوية ولي عثمان يا أبا موسى، وبيته في قريش كما قد علمت؟ فإن تخوفت أن يقول الناس: ولي معاوية وليست له سابقة، فإن لك بذلك حجة، تقول: إني وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه، الحسن السياسة، الحسن التدبير، وهو أخو أم حبيبه زوجه النبي ص، وقد صحبه، فهو أحد الصحابة ثم عرض له بالسلطان، فقال: إن ولي أكرمك كرامة لم يكرمها خليفة فقال أبو موسى:

يَا عَمْرُو، اتق الله عَزَّ وَجَلَّ! فأما مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَرَفٍ مُعَاوِيَةَ فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ عَلَى الشَّرَفِ يُولَاهُ أَهْلُهُ، وَلَوْ كَانَ عَلَى الشَّرَفِ لَكَانَ هَذَا الْأَمْرَ لَأَلَّ أَبْرَهَةَ بْنُ الصَّبَّاحِ، إِنَّمَا هُوَ لِأَهْلِ الدِّينِ وَالْفَضْلِ، مَعَ أَنِّي لَوْ كُنْتُ مُعْطِيَهُ أَفْضَلَ قَرِيشٍ شَرَفًا أَعْطَيْتُهُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنْ مُعَاوِيَةَ وَلَى دِمَ عِثْمَانُ فَوَلَهُ هَذَا الْأَمْرَ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأَوَّلِيهِ مُعَاوِيَةَ وَأَدْعُ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ وَأَمَّا تَعْرِيفُكَ لِي بِالسُّلْطَانِ، فَوَلَّاهُ اللَّهُ لَوْ خَرَجَ لِي مِنْ سُلْطَانِهِ كُلُّهُ مَا وَلَيْتُهُ، وَمَا كُنْتُ لِأَرْثِيهِ فِي حَكْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَكِنَّكَ إِنْ شِئْتَ أَحْيَيْنَا اسْمَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي أَبُو جَنْبَابٍ الْكَلْبِيُّ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ أَبُو مُوسَى: أَمَّا وَاللَّهِ لَئِنْ اسْتَطَعْتُ لِأَحْيَيْنَا اسْمَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: إِنْ كُنْتُ تَحِبُّ بَيْعَةَ ابْنِ عُمَرَ فَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ ابْنِي وَأَنْتَ تَعْرِفُ فَضْلَهُ وَصَلَاحَهُ! فَقَالَ: إِنْ ابْنُكَ رَجُلٌ صَدَقَ، وَلَكِنَّكَ قَدْ غَمَسْتَهُ فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ نَافِعِ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: إِنْ هَذَا الْأَمْرُ لَا يَصْلُحُهُ إِلَّا رَجُلٌ لَهُ ضَرْسٌ يَأْكُلُ وَيَطْعَمُ، وَكَانَتْ فِي ابْنِ عُمَرَ غَفْلَةٌ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ:

إِفْطِنْ، فَانْتَبِهْ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: لَا وَاللَّهِ لَا أَرِشُو عَلَيْهَا شَيْئًا أَبَدًا، وَقَالَ:

يَا بَنَ الْعَاصِ، إِنْ الْعَرَبُ أَسْنَدَتْ إِلَيْكَ أَمْرَهَا بَعْدَ مَا تَقَارَعَتْ بِالسُّيُوفِ، وَتَنَاجَزَتْ بِالرَّمَاكِ، فَلَا تَرُدْنَهُمْ فِي فِتْنَةٍ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي النَّضْرُ بْنُ صَالِحِ الْعَبْسِيِّ، قَالَ: [كُنْتُ مَعَ شَرِيحِ بْنِ هَانِئٍ فِي غَزْوَةِ سَجِسْتَانَ، فَحَدَّثَنِي أَنَّ عَلِيًّا أَوْصَاهُ بِكَلِمَاتٍ إِلَى عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: قُلْ لَهُ إِذَا أَنْتَ لَقَيْتَهُ: إِنْ عَلِيًّا يَقُولُ لَكَ: إِنْ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرِهَهُ، مِنَ الْبَاطِلِ وَإِنْ حَنَّ إِلَيْهِ وَزَادَهُ، يَا عَمْرُو، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَيْنَ مَوْضِعُ الْحَقِّ، فَلَمْ تَجَاهِلْ؟ إِنْ أُوتِيتَ طَمَعًا يَسِيرًا كُنْتُ بِهِ لِلَّهِ وَأَوْلِيَاةً عَدَوًا، فَكُنْ وَاللَّهِ مَا أُوتِيتَ قَدْ زَالَ عَنْكَ، وَيَحْكُ! فَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا، وَلَا لِلظَّالِمِينَ ظَهِيرًا أَمَا إِنِّي أَعْلَمُ بِيَوْمِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ نَادِمٌ، وَهُوَ يَوْمُ وَفَاتِكَ، تَمْنَى أَنَّكَ لَمْ تَظْهَرْ لِمُسْلِمٍ عَدَاوَةً، وَلَمْ تَأْخُذْ عَلَى حَكْمِ رَشْوَةٍ].

قَالَ: فَلَبِغْتَهُ ذَلِكَ، فَتَمَعَّرَ وَجْهَهُ، ثُمَّ قَالَ: مَتَى كُنْتُ أَقْبَلَ مَشُورَةَ عَلِيٍّ أَوْ أَتَيْتُ إِلَى أَمْرِهِ، أَوْ أَعْتَدْتُ بِرَأْيِهِ! فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا يَمْنَعُكَ يَا بَنَ النَّابِغَةِ

تَقْبَلُ مِنْ مَوْلَاكَ وَسَيِّدِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ نَبِيهِمْ مَشُورَتَهُ! فَقَدْ كَانَ مِنْ هُوَ خَيْرٍ مِنْكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يَسْتَشِيرَانِهِ، وَيَعْمَلَانِ بِرَأْيِهِ، فَقَالَ: إِنْ مِثْلِي لَا يَكْلُمُ مِثْلَكَ، فَقُلْتُ لَهُ: وَبِأَيِّ أَوْلِيكَ تَرْغَبُ عَنِّي! بِأَيِّكَ الْوَشِيطُ أَمْ بِأَمْرِكَ النَّابِغَةُ! قَالَ: فَقَامَ عَنْ مَكَانِهِ وَقَدْ مَعَهُ قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي أَبُو جَنْبَابٍ الْكَلْبِيُّ أَنَّ عُمَرَ وَأَبَا مُوسَى حَيْثُ التَّقِيَا بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ، أَخَذَ عَمْرُو يَقْدُمُ أَبَا مُوسَى فِي الْكَلَامِ، يَقُولُ: إِنَّكَ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ص وَأَنْتَ أَسْنُ مَنِي، فَتَكْلُمُ وَأَتَكْلُمُ فَكَانَ عَمْرُو قَدْ عَوْدَ أَبَا مُوسَى أَنْ يَقْدُمَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، اغْتَرَى بِذَلِكَ كُلَّهُ أَنْ يَقْدُمَهُ فَيَبْدَأُ بِخَلْعِ عَلِيٍّ قَالَ: فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِهِمَا وَمَا اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، فَأَرَادَهُ عَمْرُو عَلَى مُعَاوِيَةَ فَأَبَى، وَأَرَادَهُ عَلَى ابْنِهِ فَأَبَى، وَأَرَادَ أَبُو مُوسَى عُمَرَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُمَرَ فَأَبَى عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: خَبَرْنِي مَا رَأَيْتُكَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ أَنْ نَخْلَعَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، وَنَجْعَلَ الْأَمْرَ شُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَخْتَارُ الْمُسْلِمُونَ لَأَنْفُسِهِمْ مَنْ أَحَبُّوا فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: فَإِنَّ الرَّأْيَ مَا رَأَيْتُ، فَأَقْبَلَا إِلَى النَّاسِ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، أَعْلَمُهُمْ بِأَنْ رَأَيْنَا قَدْ اجْتَمَعَ وَاتَّفَقَ، فَتَكْلُمُ أَبُو مُوسَى فَقَالَ: إِنْ رَأَيْتُ وَرَأَيْتُ عَمْرُو: قَدْ اتَّفَقَ عَلَى أَمْرٍ نَرْجُو أَنْ يَصْلَحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَقَالَ عَمْرُو: صَدَقَ وَبَرٌّ، يَا أَبَا مُوسَى، تَقْدِمُ فَتَكْلُمُ فَتَقْدِمُ أَبُو مُوسَى لِيَتَكْلَمَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَيَحْكُ! وَاللَّهِ إِنِّي لَأُظَنُّهُ قَدْ خَدَعَكَ إِنْ كُنْتُمَا قَدْ اتَّفَقْتُمَا عَلَى أَمْرٍ، فَقَدِمَهُ فَلِيَتَكْلَمَ بِذَلِكَ الْأَمْرَ قَبْلَكَ، ثُمَّ تَكْلُمُ أَنْتَ بَعْدَهُ، فَإِنْ عَمَرَ رَجُلٌ غَادَرَ، وَلَا آمَنَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَعْطَاكَ الرِّضَا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِذَا قَتَ فِي النَّاسِ خَالَفَكَ - وَكَانَ أَبُو مُوسَى مَغْفَلًا - فَقَالَ لَهُ: إِنَّا قَدْ اتَّفَقْنَا فَتَقْدِمُ أَبُو مُوسَى فَحَمِدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا قَدْ نَظَرْنَا فِي أَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَلَمْ نَرِ أَصْلَحَ

لأمرها، ولا ألم لشعثها من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه، وهو أن نخلع علياً ومعاوية، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر فيولوا منهم من أحبوا عليهم، وإني قد خلعت علياً ومعاوية، فاستقبلوا أمركم، وولوا عليكم من رأيته لهذا الأمر أهلاً، ثم نخلي وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه، فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية، فانه ولي عثمان بن عفان والطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه فقال أبو موسى: مالك لا وفقك الله، غدرت وفجرت! إنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث قال عمرو: إنما مثلك كمثل الجمار يحمل أسفاراً وحمل شريح بن هاني على عمرو فقتله بالسوط، وحمل على شريح ابن عمرو فضربه بالسوط، وقام الناس فجزوا بينهم وكان شريح بعد ذلك يقول: ما ندمت على شيء دامتني على ضرب عمرو بالسوط ألا أكون ضربته بالسيف آتياً به الدهر ما أتى والتمس أهل الشام أبا موسى، فركب راحلته ولحق بمكة. قال ابن عباس: قبح الله رأي أبي موسى! حذرته وأمرته بالرأي فما عقل.

فكان أبو موسى يقول: حذرني ابن عباس غدرة الفاسق، ولكني اطمأنت إليه، وظننت أنه لن يؤثر شيئاً على نصيحة الأمة ثم انصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية، وسلّموا عليه بالخلافة، ورجع ابن عباس وشريح بن هاني إلى علي، [وكان إذا صلى الغداة يفتت فيقول: اللهم العن معاوية وعمرا وأبا الأور السلمي وحبيبا وعبد الرحمن بن خالد والضحاك بن قيس والوليد].

فبلغ ذلك معاوية، فكان إذا قنت لعن علياً وابن عباس والأشتر وحسنا وحسينا. وزعم الواقدي أن اجتماع الحكمين كان في شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة

٥٠١٠١٠ ذكر ما كان من خبر الخوارج عند توجيهه على الحكم للحكومة وخبر يوم النهر

ذكر ما كان من خبر الخوارج عند توجيهه على الحكم للحكومة وخبر يوم النهر قال أبو مخنف: عن أبي المغفل، عن عون بن أبي جحيفة، [أن علياً لما أراد أن يبعث أبا موسى للحكومة، أتاه رجلان من الخوارج: زرعة بن البرج الطائي وحر قوص بن زهير السعدي، فدخلا عليه، فقالا له: لا حكم إلا لله، فقال علي: لا حكم إلا لله، فقال له حر قوص: تب من خطيئتك، وارجع عن قضيتك، واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا. فقال لهم علي: قد أردتكم على ذلك فعصيتُموني، وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً، وشرطنا شروطاً، وأعطينا علياً عهدنا ومواثيقنا، وقد قال الله عز وجل:

«وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفْضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ» فقال له حر قوص: ذلك ذنب ينبغي أن نتوب منه، فقال علي: ما هو ذنب، ولكنه عجز من الرأي، وضعف من الفعل، وقد تقدمت إليكم فيما كان منه، ونهيتكم عنه فقال له زرعة بن البرج: أما والله يا علي، لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عز وجل قاتلتك، أطلب بذلك وجه الله ورضوانه، فقال له علي: بؤسا لك، ما أشقاك! كأني بك قتيلاً تسفى عليك الريح، قال:

وددت أن قد كان ذلك، فقال له علي: لو كنت محققاً كان في الموت على الحق تعزية عن الدنيا، أن الشيطان قد استهواكم، فاتقوا الله عز وجل، إنه لا خير لكم في دنيا تقاتلون عليها، نفرجا من عنده يحكان].

قال أبو مخنف: فحدثني عبد الملك بن أبي حرة الحنفي، أن علياً خرج ذات يوم يخطب، فإنه لفي خطبته إذ حكمت المحكمة في جوانب المسجد، فقال علي: الله أكبر! كلمة حق يراد بها باطل! إن سكتوا عممناهم، وإن تكلموا حججناهم، وإن خرجوا علينا قاتلناهم فوشب يزيد بن عاصم

المحاربي، فقال: الحمد لله غير مودع ربنا ولا مستغنى عنه اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنيا في ديننا، فإن إعطاء الدنيا في الدين

إدهان في أمر الله عَزَّ وَجَلَّ، وذَل راجع بأهله إلى سخط الله يَا علي، أبالقتل تخوفنا! أما والله إني لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مصفحات، ثُمَّ لتعلمن أينا أولى بها صلياً ثُمَّ خرج بهم هُوَ وإخوة لَهُ ثلاثة هُوَ رابعهم، فأصيبوا مع الخوارج بالنهر، وأصيب أحدهم بعد ذَلِكَ بالنخيلة.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي الْأَجْلَحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كَهِيلٍ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ بَهزٍ الْحَضْرَمِيِّ، قَالَ: قَامَ عَلِيٌّ فِي النَّاسِ يَخْطُبُهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جَانِبِ الْمَسْجِدِ: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَوَالَى عِدَّةٌ رِجَالٌ يَحْكُمُونَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: اللَّهُ أَكْبَرُ، كَلِمَةٌ حَقٌّ يَلْتَمِسُ بِهَا بَاطِلٌ! أَمَا إِنْ لَكُمْ عِنْدَنَا ثَلَاثًا مَا صَحَبْتُمُونَا: لَا نَمْنَعُكُمْ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ تَذْكُرُوا فِيهَا اسْمَهُ، وَلَا نَمْنَعُكُمْ الْفِيءَ مَا دَامَتْ أَيْدِيكُمْ مَعَ أَيْدِينَا، وَلَا نَقَاتِلُكُمْ حَتَّى تَبْدَءُونَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ فِيهِ مِنْ خُطْبَتِهِ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَحَدَّثَنَا عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ الْوَلِيدِ، أَنَّ حَكِيمَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ الْبَكَّائِيِّ كَانَ يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ، فَأَتَى عَلِيًّا ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ يَخْطُبُ، فَقَالَ:

«وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبُطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ»، فَقَالَ عَلِيٌّ: «فَاصْبِرْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَا يَسْتَحْفَنُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ».

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، قَالَ: سَمِعْتُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ سَمِيعٍ الْحَنْفِيَّ، عَنْ أَبِي رَزِينٍ، قَالَ: لَمَّا وَقَعَ التَّحْكِيمُ وَرَجَعَ عَلِيٌّ مِنْ صِفِّينَ رَجَعُوا مُبَايِنِينَ لَهُ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى النَّهْرِ أَقَامُوا بِهِ، فَدَخَلَ عَلِيٌّ فِي النَّاسِ الْكُوفَةِ، وَنَزَلُوا بِحُرُورَاءَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، فَرَجَعَ وَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ فَكَلَّمَهُمْ حَتَّى وَقَعَ الرِّضَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَدَخَلُوا الْكُوفَةَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ تَحَدَّثُوا إِنَّكَ رَجَعْتَ لَهُمْ عَنْ كُفْرِكَ.

خَفِطَ النَّاسُ فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ، فَذَكَرَ أَمْرَهُمْ فَعَابَهُ، فَوَثُوا مِنْ نَوَاحِي الْمَسْجِدِ يَقُولُونَ: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَاسْتَقْبَلَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَاضِعٌ إصْبَعِيهِ فِي أُذُنَيْهِ، فَقَالَ: «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبُطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ»، فَقَالَ عَلِيٌّ: «فَاصْبِرْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَا يَسْتَحْفَنُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ».

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، [قَالَ: سَمِعْتُ لَيْثَ بْنَ أَبِي سَلِيمٍ يَذْكُرُ عَنْ أَصْحَابِهِ، قَالَ: جَعَلَ عَلِيٌّ يَقْلِبُ يَدَيْهِ يَقُولُ يَدِيهِ هَكَذَا وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: حُكْمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَنْتَظِرُ فِيكُمْ مَرَّتَيْنِ، إِنْ لَكُمْ عِنْدَنَا ثَلَاثًا: لَا نَمْنَعُكُمْ صَلَاةً فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، وَلَا نَمْنَعُكُمْ نَصِيبِكُمْ مِنْ هَذَا الْفِيءِ مَا كَانَتْ أَيْدِيكُمْ مَعَ أَيْدِينَا، وَلَا نَقَاتِلُكُمْ حَتَّى تُقَاتِلُونَا].

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي حَرَةَ: إِنْ عَلِيًّا لَمَّا بَعَثَ أَبَا مُوسَى لِنَفَازِ الْحُكُومَةِ لَقِيتَ الْخَوَارِجَ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَاجْتَمَعُوا فِي مَنْزِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهَبِ الرَّاسِيِّ، فَحَمِدَ اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ وَهَبٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَوَاللَّهِ مَا يَنْبَغِي لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ بِالرَّحْمَنِ، وَيَنْبَغِيونَ إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ، أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الدُّنْيَا، الَّتِي الرِّضَا بِهَا وَالرُّكُونُ بِهَا وَالْإِثَارُ إِيَّاهَا عَنَاءٌ وَتَبَارُ، آثَرُ عِنْدَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْقَوْلِ بِالْحَقِّ، وَإِنْ مِنْ وَضُرِّ فَإِنَّهُ مِنْ يَمِينٍ وَيَضُرُّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَإِنْ ثَوَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْخُلُودُ فِي جَنَّتِهِ فَافْرَجُوا بَنَاءَ إِخْوَانِنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلِهَا إِلَى بَعْضِ كُورِ الْجِبَالِ أَوْ إِلَى بَعْضِ هَذِهِ الْمَدَائِنِ، مُنْكَرِينَ لِهَذِهِ الْبِدْعِ الْمُضِلَّةِ.

فَقَالَ لَهُ حُرْقُوصُ بْنُ زَهِيرٍ: إِنْ الْمَنَاعُ بِهَذِهِ الدُّنْيَا قَلِيلٌ، وَإِنْ الْفِرَاقُ لَهَا وَشَيْكٌ، فَلَا تَدْعُونَكُمْ زِينَتَهَا وَبَهْجَتَهَا إِلَى الْمَقَامِ بِهَا، وَلَا تَلْفَتَكُمْ عَنْ طَلَبِ الْحَقِّ، وَإِنْكَارِ الظُّلْمِ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ فَقَالَ حَمَزُهُ

ابْنُ سَنَانِ الْأَسَدِيِّ: يَا قَوْمَ، إِنْ الرَّأْيُ مَا رَأَيْتُمْ، فَوَلُّوا أَمْرَكُمْ رِجَالًا مِنْكُمْ، فَإِنَّهُ لَا بَدَ لَكُمْ مِنْ عِمَادٍ وَسَنَادٍ وَرَايَةٍ تَحْفُونَ بِهَا، وَتَرْجِعُونَ إِلَيْهَا فَعَرَضُوهَا عَلَى زَيْدِ بْنِ حَصِينِ الطَّائِيِّ فَأَبَى، وَعَرَضُوهَا عَلَى حُرْقُوصِ بْنِ زَهِيرٍ فَأَبَى، وَعَلَى حَمْزَةَ بْنِ سَنَانٍ وَشُرَيْحِ بْنِ أَوْفَى الْعَبْسِيِّ

فأبيا، وعرضوها على عبد الله ابن وهب، فقال: هاتوها، أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا، ولا أدعها فرقا من الموت فبايعوه لعشر خلون من شوال- وكان يقال له ذو الثففات- ثم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي، فقال ابن وهب: اشخصوا بنا إلى بلدة نجتمع فيها لإنفاذ حكم الله، فإنكم أهل الحق قال شريح:

نخرج إلى المدائن فنزلها، ونأخذ أبوابها، ونخرج منها سكانها، ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا فقال زيد بن حصين: إنكم إن خرجتم مجتمعين اتبعتم، ولكن اخرجوا وحدانا مستخفين، فأما المدائن فإن بها من يمنعكم، ولكن سيروا حتى تنزلوا جسر النهروان، وتكاتبوا إخوانكم من أهل البصرة قالوا: هذا الرأي.

وكتب عبد الله بن وهب إلى من بالبصرة منهم يعلمهم ما اجتمعوا عليه، ويحثهم على اللحاق بهم، وسير الكتاب إليهم، فأجابوه أنهم على اللحاق به.

فلما عزموا على المسير تعبدوا ليلتهم- وكانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة- وساروا يوم السبت، فخرج شريح بن أوفى العبسي وهو يتلو قول الله تعالى:

«نُفِجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَدِينٌ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ» .

وخرج معهم طرفة بن عدي بن حاتم الطائي، فاتبعه أبوه فلم يقدر عليه، فانتفى إلى المدائن ثم رجع، فلما بلغ ساباط لقيه عبد الله بن وهب الراسي في نحو عشرين فارسا، فأراد عبد الله قتله، فمنعه عمرو بن مالك النبهاني وبشر بن زيد البولاني وأرسل عدي إلى سعد بن مسعود عامل علي على المدائن يحذره

أمرهم، فحذر، وأخذ أبواب المدائن، وخرج في الخيل واستخلف بها ابن أخيه المختار بن أبي عبيد، وسار في طلبهم، فأخبر عبد الله بن وهب خبره فرأبأ طريقه، وسار على بغداد، ولحقهم سعد بن مسعود بالكرخ في خمسمائة فارس عند المساء، فانصرف إليهم عبد الله في ثلاثين فارسا، فاقتتلوا ساعة، وامتنع القوم منهم، وقال أصحاب سعد لسعد: ما تريد من قتال هؤلاء ولم يأتك فيهم أمر! خلهم فليذهبوا، واكتب إلى أمير المؤمنين، فإن أمرك باتباعهم اتبعتم، وإن كفاهم غيرك كان في ذلك عافية لك فأبى عليهم، فلما جن عليهم الليل خرج عبد الله بن وهب فعبر دجلة إلى أرض جوحى، وسار إلى النهروان، فوصل إلى أصحابه وقد أيسوا منه، وقالوا: إن كان هلك ولينا الأمر زيد بن حصين أو حرقوص بن زهير، وسار جماعة من أهل الكوفة يريدون الخوارج ليكونوا معهم، فردهم أهلهم كرها، منهم القعقاع بن قيس الطائي عم الطرماح بن حكيم، وعبد الله بن حكيم بن عبد الرحمن البكائي، وبلغ عليا أن سالم بن ربيعة العبسي يريد الخروج، فأحضره عنده، ونهاه فانتفى.

ولما خرجت الخوارج من الكوفة أتى عليا أصحابه وشيعته فبايعوه وقالوا:

نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت، فشرط لهم فيه سنة رسول الله ص، فجاءه ربيعة بن أبي شداد الخثعمي- وكان شهد معه الجمل وصفين، ومعه راية خثعم- فقال له: بايع على كتاب الله وسنة رسول الله ص، فقال ربيعة: على سنة أبي بكر وعمر، قال له علي: ويلك! لو أن أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنة رسول الله ص لم يكونا على شيء من الحق، فبايعه، فنظر إليه علي وقال:

أما والله لكأني بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت، وكأني بك وقد وطئت الخيل بحوافرها، فقتل يوم النهر مع خوارج البصرة. وأما خوارج البصرة فإنهم اجتمعوا في خمسمائة رجل، وجعلوا عليهم مسعر ابن فدي التيمي، فعلم بهم ابن عباس، فأتبعهم أبا الأسود الدؤلي،

فلحقهم بالجسر الأكبر، فتوافقوا حتى حجز بينهم الليل، وأدلى مسعر بأصحابه، وأقبل يعترض الناس وعلى مقدمته الأشرس بن عوف الشيباني، وسار حتى لحق بعبد الله بن وهب بالنهر فلما خرجت الخوارج وهرب أبو موسى إلى مكة، ورد علي ابن عباس إلى البصرة، قام في الكوفة فخطبهم فقال: الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح، والحدثان الجليل، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول

اللَّهِ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْمَعْصِيَةَ تَوْرَثُ الْحَسْرَةَ، وَتَعْقِبُ النَّدَمَ، وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي، وَنَحَلْتُكُمْ رَأْيِي، لَوْ كَانَ لِقْصِيرٍ أَمْرًا! وَلَكِنْ أَيْتُمْ إِلَّا مَا أَرَدْتُمْ، فَكُنْتُ أَنَا وَأَنْتُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازَنَ:

أَمَرْتَهُمْ أَمْرِي بِمَنْعِ عِجَالِ اللَّوْى ... فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرِّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ

أَلَا إِنَّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ اخْتَرْتُمُوهُمَا حَكَمَيْنِ قَدْ نَبَذَا حُكْمَ الْقُرْآنِ وَرَاءَ ظَهْرِهِمَا، وَأَحْيَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ، وَاتَّبَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ، فَحُكْمًا بِغَيْرِ حُجَّةٍ بَيْنَةٍ، وَلَا سَنَةَ مَاضِيَةٍ، وَاخْتَلَفَا فِي حُكْمِهِمَا، وَكُلَاهُمَا لَمْ يَرْشُدَا، فَبَرِئَ اللَّهُ مِنْهُمَا وَرَسُولُهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ.

اسْتَعْدُوا وَتَأَهَّبُوا لِلْمَسِيرِ إِلَى الشَّامِ، وَأَصْبَحُوا فِي مَعْسِكِرِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ثُمَّ نَزَلَ وَكُتِبَ إِلَى الْخَوَارِجِ بِالنَّهْرِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى زَيْدِ بْنِ حَصِينٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ وَمَنْ مَعَهُمَا مِنَ النَّاسِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ ارْتَضَيْنَا حُكْمَهُمَا قَدْ خَالَفَا كِتَابَ اللَّهِ، وَاتَّبَعَا أَهْوَاءَهُمَا بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ، فَلَمْ يَعْمَلَا بِالسَّنَةِ، وَلَمْ يَنْفِذَا لِلْقُرْآنِ حُكْمًا، فَبَرِئَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْهُمَا وَالْمُؤْمِنُونَ! فَإِذَا بَلَّغْتُكُمْ كِتَابِي هَذَا فَأَقْبِلُوا فَإِنَّا سَائِرُونَ إِلَى عَدُونَا وَعَدُوكُمْ، وَنَحْنُ عَلَى الْأَمْرِ الْأَوَّلِ الَّذِي كُنَّا عِنْدَ

وَكُتِبُوا إِلَيْهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ لَمْ تَغْضَبْ لِرَبِّكَ، إِنَّمَا غَضِبْتَ لِنَفْسِكَ، فَإِنَّ شَهْدَتِي عَلَى نَفْسِكَ بِالْكَفْرِ، وَاسْتَقْبَلْتَ التَّوْبَةَ، نَظَرْنَا فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، وَإِلَّا فَقَدْ نَابَذْنَاكَ عَلَى سِوَاءِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ فَلَهَا قَرَأْتُ كِتَابَهُمْ أَيْسَ مِنْهُمْ، فَرَأَيْتُ أَنْ يَدْعُوهُمْ وَيَمْضِي بِالنَّاسِ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ حَتَّى يَلْقَاهُمْ فَيَنْجِزَهُمْ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ، عَنْ الْمُعَلَّى بْنِ كَلِيبِ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ جَبْرِ بْنِ نَوْفٍ أَبِي الْوَدَاكِ الْهَمْدَانِيِّ: إِنْ عَلِيًّا لَمَا نَزَلَ بِالنَخِيلَةِ وَأَيْسَ مِنَ الْخَوَارِجِ، قَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ مِنْ تَرَكَ الْجِهَادَ فِي اللَّهِ وَأَدْهَنَ فِي أَمْرِهِ كَانَ عَلَى شَفَا هَلَكَةٍ إِلَّا أَنْ يَتَدَارَكَهُ اللَّهُ بِنِعْمَةٍ، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَقَاتِلُوا مَنْ حَادَ اللَّهَ، وَحَاحِلُوا أَنْ يَطْفِئَ نَوْرَ اللَّهِ، قَاتِلُوا الْخَاطِئِينَ الضَّالِّينَ، الْقَاسِطِينَ الْمَجْرِمِينَ، الَّذِينَ لَيْسُوا بِقُرَاءٍ لِلْقُرْآنِ، وَلَا فَهْمَاءَ فِي الدِّينِ، وَلَا عُلَمَاءَ فِي التَّأْوِيلِ، وَلَا لِهَذَا الْأَمْرِ بِأَهْلٍ سَابِقَةٍ فِي الْإِسْلَامِ، وَاللَّهُ لَوْ لَوَلُوا عَلَيْكُمْ لَعَمَلُوا فِيمَكُمْ بِأَعْمَالِ كَسْرَى وَهَرَقْلَ، تَيْسَرُوا وَتَهَيَّئُوا لِلْمَسِيرِ إِلَى عَدُوِّكُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَى إِخْوَانِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ لِيَقْدُمُوا عَلَيْكُمْ، فَإِذَا قَدَّمُوا فَاجْتَمِعْ شَخْصَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَكُتِبَ عَلِيٍّ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ مَعَ عَتَبَةَ بْنِ الْأَخْنَسِ بْنِ قَيْسٍ، مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا قَدْ خَرَجْنَا إِلَى مَعْسِكِرِنَا بِالنَخِيلَةِ، وَقَدْ أَجْمَعْنَا عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى عَدُونَا مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ، فَأَشْخَصَ بِالنَّاسِ حَتَّى يَأْتِيَكُمُ رَسُولِي، وَأَقِمَّ حَتَّى يَأْتِيَكُمُ أَمْرِي وَالسَّلَامُ.

فَلَمَّا قَدَّمَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ قَرَأَهُ عَلَى النَّاسِ، وَامْرَأَتُهُمُ بِالْشَخْصِ مَعَ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، فَشَخَّصَ مَعَهُ مِنْهُمْ أَلْفَ وَخَمْسَمِائَةَ رَجُلًا، فَاسْتَقْلَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، فَقَامَ فِي النَّاسِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ، فَإِنَّهُ جَاءَنِي أَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُنِي بِإِشْخَاصِكُمْ، فَأَمَرْتُكُمْ بِالنَّفِيرِ إِلَيْهِ مَعَ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، وَلَمْ يَشْخَصْ مَعَهُ مِنْكُمْ إِلَّا أَلْفَ وَخَمْسَمِائَةَ،

وَأَنْتُمْ سِتُونَ أَلْفًا سِوَى أَبْنَائِكُمْ وَعِبْدَانِكُمْ وَمَوَالِيَكُمُ! أَلَا انْفَرُوا مَعَ جَارِيَةٍ بَنِي قَدَامَةَ السَّعْدِيِّ، وَلَا يَجْعَلَنَّ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ سَبِيلًا، فَإِنِّي مَوْجِعٌ بِكُلِّ مَنْ وَجَدْتُهُ مُتَخَلِّفًا عَنْ مَكْتَبِهِ، عَاصِيًا لِأَمَامِهِ، وَقَدْ أَمَرْتُ أَبَا الْأَسْوَدَ الدَّوْلِيَّ بِمُحْشَرِكُمْ، فَلَا يَلِمُ رَجُلٌ جَعَلَ السَّبِيلَ عَلَى نَفْسِهِ إِلَّا نَفْسَهُ.

نَفَرَ جَارِيَةُ فَعَسَكَرَ، وَخَرَجَ أَبُو الْأَسْوَدِ فَحْشَرَ النَّاسَ، فَاجْتَمَعَ إِلَى جَارِيَةِ أَلْفٍ وَسَبْعِمِائَةَ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى وَافَاهُ عَلِيٌّ بِالنَخِيلَةِ، فَلَمْ يَزَلْ بِالنَخِيلَةِ حَتَّى وَافَاهُ هَذَانِ الْجَيْشَانِ مِنَ الْبَصْرَةِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَمِائَتَا رَجُلًا، فَجَمَعَ إِلَيْهِ رِءُوسَ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَرِءُوسَ الْأَسْبَاعِ، وَرِءُوسَ الْقِبَالِ، وَوَجَّهَ النَّاسَ.

فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، أَنْتُمْ إِخْوَانِي وَأَنْصَارِي، وَأَعْوَانِي عَلَى الْحَقِّ، وَصَحَابَتِي عَلَى جِهَادِ عَدُوِّي الْمُحِلِّينَ بِكُمْ، أَضْرَبُ

المدير، وأرجو تمام طاعة المقبل، وَقَدْ بعثت إلى أهل البصرة فاستنفرتهم إليكم، فلم يأتني منهم إلا ثلاثة آلاف ومائتا رجل، فأعينوني بمناصحة جلية خلية من الغش، إنكم مخرجنا إلى صفين، بل استجمعوا بأجمعكم، وإني أسألكم أن يكتب لي رئيس كل قوم ما في عشيرته من المقاتلة وأبناء المقاتلة الذين أدركوا القتال وعبدان عشيرته ومواليهم، ثم يرفع ذلك إلينا.

فقام سعيد بن قيس الهمداني، فقال: يا أمير المؤمنين، سمعا وطاعة، وودا ونصيحة، أنا أول الناس جاء بما سألت، وبما طلبت وقام معقل بن قيس الرياحي فقال له نحوا من ذلك، وقام عدي بن حاتم وزباد بن خصفة وحجر بن عدي وأشراف الناس والقبائل فقالوا مثل ذلك.

ثم إن الرؤوس كتبوا من فيهم، ثم رفعوهم إليه، وأمروا أبناءهم وعبيدهم ومواليهم أن يخرجوا معهم، وألا يتخلف منهم عنهم أحد، فرفعوا إليه أربعين ألف مقاتل، وسبعة عشر ألفا من الأبناء ممن أدرك، وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم، وقالوا: يا أمير المؤمنين، أما من عندنا من المقاتلة وأبناء المقاتلة ممن قد بلغ الحلم، وأطاق القتال، فقد رفعنا إليك منهم ذوي القوة والجلد، وأمرناهم بالشخص معنا، ومنهم ضعفاء، وهم في ضياعنا وأشياء مما يصلحنا

وكانت العرب سبعة وخمسين ألفا من أهل الكوفة، ومن مواليهم ومماليكهم ثمانية آلاف، وكان جميع أهل الكوفة خمسة وستين ألفا، وثلاثة آلاف ومائتي رجل من أهل البصرة، وكان جميع من معه ثمانية وستين ألفا ومائتي رجل.

قال أبو مخنف، عن أبي الصلت التيمي: إن عليا كتب إلى سعد ابن مسعود الثقفي - وهو عامله على المدائن: أما بعد، فإني قد بعثت إليك زياد ابن خصفة فأشخص معه من قبلك من مقاتلة أهل الكوفة، وعجل ذلك إن شاء الله ولا قوة إلا بالله.

قال: وبلغ عليا أن الناس يقولون: لو سار بنا إلى هذه الحروية فبدأنا بهم، فإذا فرغنا منهم وجهنا من وجهنا ذلك إلى الحلين! فقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإنه قد بلغني قولكم: لو أن أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت عليه فبدأنا بهم، فإذا فرغنا منهم وجهنا إلى الحلين، وإن غير هذه الخارجة أهم إلينا منهم، فدعوا ذكرهم، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين ملوكا، ويتخذوا عباد الله خولا.

فتنادى الناس من كل جانب: سار بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت قال: فقام إليه صفيني بن فسيل الشيباني فقال: يا أمير المؤمنين، نحن حزبك وأنصارك، نعادي من عاديت، ونشايح من أناب إلى طاعتك، فسر بنا إلى عدوك، من كانوا وأينما كانوا، فإنك إن شاء الله لن تؤتى من قلة عدد، ولا ضعف نية أتباع وقام إليه محرز بن شهاب التيمي من بني سعد فقال: يا أمير المؤمنين، شيعتك كقلب رجل واحد في الإجماع

على نصرتك، والجد في جهاد عدوك، فأبشر بالنصر، وسر بنا إلى أي الفريقين أحببت، فإننا شيعتك الذين نرجو في طاعتك وجهاد من خالفك صالح الثواب، ونخاف في خذلانك والتخلف عنك شدة الوبال.

حدثني يعقوب، قال: حدثني إسماعيل، قال: أخبرنا أيوب، عن حميد بن هلال، عن رجل من عبد القيس كان من الخوارج ثم فارقهم، قال: دخلوا قرية، فخرج عبد الله بن خباب صاحب رسول الله دُعْرًا يجرُ رداءه، فقالوا: لم تُرْع؟ فقال: والله لقد دُعْرْتُمُونِي! قالوا: أنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ص؟ قال: نعم، قالوا:

فهل سمعت من أبيك حديثا يحدث به عن رسول الله ص أنه ذكر فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي؟ قال: فإن أدركتم ذلك فكن يا عبد الله المقتول - قال أيوب: ولا أعلمه إلا قال: ولا تكن يا عبد الله القاتل - قال: نعم، قال:

فقدّموه على ضفة النهر، فضرّبوا عنقه، فسأل دمه كأنه شراك نعل، وبقرّوا بطن أم ولده عما في بطنها.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ عَجْلَانَ، عَنْ حَمِيدِ بْنِ هَالٍ: إِنَّ الْخَارِجَةَ الَّتِي أَقْبَلَتْ مِنَ الْبَصْرَةِ جَاءَتْ حَتَّى دَنَتْ مِنْ إِخْوَانِهَا بِالنَّهْرِ، فَخَرَجَتْ عَصَابَةٌ مِنْهُمْ، فَإِذَا هُمْ بِرَجُلٍ يَسُوقُ بامرأةَ عَلَى حِمَارٍ، فَعَبَرُوا إِلَيْهِ، فَدَعَوْهُ فَتَهَدَدَوْهُ وَأَفْرَعُوهُ، وَقَالُوا لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ خَبَابٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ص، ثُمَّ أَهْوَى إِلَى ثَوْبِهِ يَتَنَاوَلُهُ مِنَ الْأَرْضِ - وَكَانَ سَقَطَ عَنْهُ لَمَّا أَفْرَعُوهُ - فَقَالُوا لَهُ: أَفْرَعْنَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا لَهُ: لَا رَوْعَ عَلَيْكَ! [فَحَدَّثَنَا عَنْ أَبِيكَ بِحَدِيثٍ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ص، لَعَلَّ اللَّهَ يَنْفَعُنَا بِهِ! قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص، أَنَّ فِتْنَةً تَكُونُ، يَمُوتُ فِيهَا قَلْبُ الرَّجُلِ كَمَا يَمُوتُ فِيهَا بَدَنُهُ، يَمْسِي فِيهَا مُؤْمِنًا وَيَصْبِحُ فِيهَا كَافِرًا، وَيَصْبِحُ فِيهَا كَافِرًا وَيَمْسِي فِيهَا مُؤْمِنًا،] فَقَالُوا: لِهَذَا الْحَدِيثِ سَأَلْنَاكَ، فَمَا تَقُولُ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ؟ فَأُثْنِي عَلَيْهِمَا خَيْرًا، قَالُوا: مَا تَقُولُ

فِي عُثْمَانَ فِي أَوَّلِ خِلَافَتِهِ وَفِي آخِرِهَا؟ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ مُحَقِّقًا فِي أَوَّلِهَا وَفِي آخِرِهَا، قَالُوا: فَمَا تَقُولُ فِي عَلِيٍّ قَبْلَ التَّحْكِيمِ وَبَعْدَهُ؟ قَالَ: إِنَّهُ أَعْلَمُ بِاللَّهِ مِنْكُمْ، وَأَشَدُّ تَوَقُّيًا عَلَى دِينِهِ، وَأَنْفَذَ بَصِيرَةً فَقَالُوا: إِنَّكَ تَتَّبِعُ الْهَوَى، وَتَوَالِي الرِّجَالَ عَلَى أَسْمَائِهَا لَا عَلَى أَعْمَالِهَا، وَاللَّهُ لَنَقْتُلَنَّكَ قِتْلَةً مَا قَتَلْنَاهَا أَحَدًا، فَأَخَذُوهُ فَكَتَفُوهُ ثُمَّ أَقْبَلُوا بِهِ وَبامرأته وَهِيَ حَبْلِي مَتَمَّ حَتَّى نَزَلُوا تَحْتَ نَخْلٍ مُوَاقِرٍ، فَسَقَطَتْ مِنْهُ رُطْبَةٌ، فَأَخَذَهَا أَحَدُهُمْ فَقَذَفَ بِهَا فِي فَمِهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: بَغِيرَ حِلْمِهَا، وَبَغِيرَ ثَمَنِ! فَلَفَظَهَا وَأَلْقَاهَا مِنْ فَمِهِ، ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَخَازَ يَمِينَهُ، فَمَرَّ بِهِ خَنْزِيرٌ لِأَهْلِ الذِّمَّةِ فَضْرَبَهُ بِسَيْفِهِ، فَقَالُوا: هَذَا فَسَادٌ فِي الْأَرْضِ، فَأَتَى صَاحِبَ الْخَنْزِيرِ فَأَرْضَاهُ مِنْ خَنْزِيرِهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ ابْنَ خَبَابٍ قَالَ: لَئِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا أَرَى فَمَا عَلَيَّ مِنْكُمْ بَأْسٌ، إِنِّي لِمُسْلِمٌ، مَا أَحْدَثْتُ فِي الْإِسْلَامِ حَدَثًا، وَلَقَدْ أُمْتَمْتُونِي، قَلَمْتُ: لَا رَوْعَ عَلَيْكَ! لَجَاءُوا بِهِ فَأَضْجَعُوهُ فَذَبَحُوهُ، وَسَالَ دَمُهُ فِي الْمَاءِ، وَأَقْبَلُوا إِلَى الْمَرْأَةِ، فَقَالَتْ: إِنِّي إِنَّمَا أَنَا امْرَأَةٌ، أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ! فَبَقَرُوا بَطْنَهَا، وَقَتَلُوا ثَلَاثَ نِسْوَةٍ مِنْ طَيْئٍ، وَقَتَلُوا أُمَّ سِنَانِ الصَّيْدَاوِيَّةِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَتْلِهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَبَابٍ، وَاعْتَرَضَهُمُ النَّاسُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الْحَارِثَ بْنَ مُرَّةَ الْعَبْدِي لِيَأْتِيَهُمْ فَيَنْظُرَ فِيمَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ، وَيَكْتُبَ بِهِ إِلَيْهِ عَلَى وَجْهِهِ، وَلَا يَكْتُمَهُمْ خَرْجَ حَتَّى أَنْتَهِيَ إِلَى النَّهْرِ لِيَسْأَلَهُمْ، فَخَرَجَ الْقَوْمُ إِلَيْهِ فَقَتَلُوهُ، وَأَتَى الْخَبَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالنَّاسِ، فَقَامَ إِلَيْهِ النَّاسُ، فَقَالُوا:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، عَلَامَ تَدْعُ هَؤُلَاءِ وَرَاءَنَا يَخْلَفُونَنَا فِي أَمْوَالِنَا وَعِيَالِنَا! سَرَبْنَا إِلَى الْقَوْمِ إِذَا فَرَّغْنَا مِمَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَرَبْنَا إِلَى عَدُونَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ.

وَقَامَ إِلَيْهِ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ الْكَنْدِيُّ فَكَلَّمَهُ بِمَثَلِ ذَلِكَ وَكَانَ النَّاسُ يَرَوْنَ أَنَّ الْأَشْعَثَ يَرَى رَأْيَهُمْ لِأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ يَوْمَ صَفَيْنَ: أَنْصَفْنَا قَوْمًا يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، فَلَمَّا أَمَرَ عَلِيًّا بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ عَلَّمَ النَّاسَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرَى رَأْيَهُمْ فَأَجْمَعَ عَلَى ذَلِكَ، فَتَدَاى بِالرَّحِيلِ، وَخَرَجَ فَعَبَرَ الْجَسْرَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ بِالْقَنْطَرَةِ، ثُمَّ نَزَلَ دِيرَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، ثُمَّ دِيرَ أَبِي مُوسَى، ثُمَّ أَخَذَ عَلَى قَرْيَةِ شَاهِي، ثُمَّ عَلَى دَبَاهَا، ثُمَّ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ، فَلَقِيَهُ فِي مَسِيرِهِ ذَلِكَ مَنْجَمٌ، أَشَارَ عَلَيْهِ بِسِيرِ وَقْتٍ مِنَ النَّهَارِ، وَقَالَ لَهُ: إِنْ سَرْتِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الْوَقْتِ لَقِيتِ أَنْتِ وَأَصْحَابُكَ ضَرًّا شَدِيدًا خَالَفَهُ، وَسَارَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي نَهَاهُ عَنِ السَّيْرِ فِيهِ، [فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ النَّهْرِ حَمْدَ اللَّهِ وَأُثْنِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: لَوْ سَرَبْنَا فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَمَرْنَا بِهَا الْمَنْجَمَ لَقَالَ الْجَهَالُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ: سَارَ فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَمَرَهُ بِهَا الْمَنْجَمُ فَظَفَرُ].

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: لَمَّا أَرَادَ عَلِيٌّ الْمَسِيرَ إِلَى أَهْلِ النَّهْرِ مِنَ الْأَنْبَارِ، قَدَّمَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بِنَ عِبَادَةٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ الْمَدَائِنَ فَيَنْزِلُهَا حَتَّى يَأْمُرَهُ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ جَاءَ مُقْبِلًا إِلَيْهِمْ، وَوَفَاهُ قَيْسُ وَسَعْدُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ بِالنَّهْرِ، [وَبَعَثَ إِلَى أَهْلِ النَّهْرِ: ادْفَعُوا إِلَيْنَا قِتْلَةَ إِخْوَانِنَا مِنْكُمْ نَقْتُلَهُمْ بِهِمْ، ثُمَّ أَنَا تَارِكُكُمْ وَكَافٍ عَنْكُمْ حَتَّى أَتَى أَهْلَ الشَّامِ، فَلَعَلَّ اللَّهَ يَقْلِبُ قُلُوبَكُمْ، وَيُرْدِكُمْ إِلَى خَيْرٍ مِمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِكُمْ فَبَعَثُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا: كُلْنَا قَتْلَهُمْ، وَكُلْنَا نَسْتَحِلُّ دِمَاءَهُمْ وَدِمَاءَ كَم].

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ حَصِيرَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُبَيْدِ أَبِي الْكَنْدُودِ، أَنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ بِنَ عِبَادَةٍ قَالَ لَهُمْ: عِبَادَ اللَّهِ، أَخْرِجُوا إِلَيْنَا طَلَبَتَنَا مِنْكُمْ، وَادْخُلُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي مِنْهُ خَرَجْتُمْ، وَاعُودُوا بِنَا إِلَى قِتَالِ عَدُونَا وَعَدُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ رَكِبْتُمْ عَظِيمًا مِنَ الْأَمْرِ، تَشْهَدُونَ عَلَيْنَا بِالشَّرْكِ، وَالشَّرْكَ ظُلْمٌ عَظِيمٌ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ، وَتَعْدُونَهُمْ مُشْرِكِينَ! فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَجَرَةَ السَّلْمِيِّ: إِنْ الْحَقَّ قَدْ

أضاء لنا، فلسنا نتابعكم أو تأتونا بمثل عمر، فَقَالَ: مَا نَعْلَهُ فِينَا غَيْرَ صَاحِبِنَا، فَهَلْ تَعْلَمُونَهُ فَيْكُمْ؟ وَقَالَ: نَشَدْتُمْ بِاللَّهِ فِي أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَهْلِكُوهَا، فَإِنِّي لَأَرَى الْفِتْنَةَ قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْكُمْ!

وخطبهم أَبُو أَيُّوبَ خَالِدُ بْنُ زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ، فَقَالَ: عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّا وَإِيَّاكُمْ عَلَى الْحَالِ الْأَوَّلِيِّ الَّتِي كُنَّا عَلَيْهَا، لَيْسَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ فَرْقَةٌ، فَعَلَامَ تَقْتَالُونَنَا؟ فَقَالُوا: إِنَّا لَوِ بَايَعْنَاكُمْ الْيَوْمَ حَكَمْتُمْ غَدًا قَالَ: فَإِنِّي أَشَدُّكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعْجَلُوا فِتْنَةَ الْعَامِ مَخَافَةَ مَا يَأْتِي فِي قَابِلٍ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَعْيَنَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ، أَنَّ عَلِيًّا أَتَى أَهْلَ النَّهْرِ فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: أَيُّهَا الْعَصَابَةُ الَّتِي أَخْرَجْتَهَا عِدَاوَةُ الْمَرَاءِ وَاللِّجَاجَةِ، وَصَدَّهَا عَنِ الْحَقِّ الْهَوَى، وَطَمَحَ بِهَا النَّزَقُ، وَأَصْبَحَتْ فِي اللَّبْسِ وَالخَطْبِ الْعَظِيمِ، إِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تَصْبَحُوا تَلْفِيَكُمْ الْأُمَةُ غَدًا صَرَعِي بِأَثَاءِ هَذَا النَّهْرِ، وَبَأَهْضَامِ هَذَا الْغَائِطِ، بِغَيْرِ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَا بَرَهَانٍ بَيْنَ أَلْمِ تَعْلَمُوا أَنِّي نَهَيْتُكُمْ عَنِ الْحُكُومَةِ، وَأَخْبَرْتُكُمْ أَنْ تَطْلُبَ الْقَوْمَ إِيَّاهَا مِنْكُمْ دَهْنٌ وَمَكِيدَةٌ لَكُمْ! وَنَبَأْتُكُمْ أَنَّ الْقَوْمَ لَيْسُوا بِأَصْحَابِ دِينٍ وَلَا قُرْآنٍ، وَأَنِّي أَعْرِفُ بِهِمْ مِنْكُمْ، عَرَفْتُهُمْ أَطْفَالًا وَرَجَالًا، فَهُمْ أَهْلُ الْمَكْرِ وَالْغَدْرِ، وَأَنْتُمْ إِنْ فَارَقْتُمْ رَأْيِي جَانَبْتُمُ الْحَزْمَ! فَعَصَيْتُمُونِي، حَتَّى أَقَرَّرْتُ بِأَنْ حَكَمْتُ، فَلَمَّا فَعَلْتُ شَرَطْتُ وَاسْتَوْثَقْتُ، فَأَخَذْتُ عَلَى الْحَكَمِينَ أَنْ يَحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنَ، وَأَنْ يَمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنَ، فَاخْتَلَفَا وَخَالَفَا حَكْمَ الْكُتَّابِ وَالسَّنَةِ، فَنَبَذْنَا أَمْرَهُمَا، وَنَحْنُ عَلَى أَمْرِنَا الْأَوَّلِ، فَمَا الَّذِي بَكُمْ؟ وَمَنْ أَيْنَ أَتَيْتُمْ! قَالُوا:

إِنَّا حَكَمْنَا، فَلَمَّا حَكَمْنَا أَثْمَنًا، وَكُنَّا بِذَلِكَ كَافِرِينَ، وَقَدْ تَبْنَا فَإِنْ تَبْتُ كَمَا تَبْنَا فَنَحْنُ مِنْكَ وَمَعَكَ، وَإِنْ أَبَيْتَ فَاعْتَرَلْنَا فَإِنَّا مُنَابِذُونَكَ عَلَى سِوَاءِ إِنْ اللَّهِ لَا يَجِبُ الْخَائِنِينَ فَقَالَ عَلِيٌّ: أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ، وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ وَابِر! [أَبْعَدَ إِيمَانِي بِرَسُولِ اللَّهِ ص وَهَجَرْتِي مَعَهُ، وَجِهَادِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكَفْرِ! لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُمْ].

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي أَبُو سُلَيْمَةَ الزُّهْرِيُّ - وَكَانَتْ أُمُّهُ بِنْتُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - أَنَّ عَلِيًّا قَالَ لِأَهْلِ النَّهْرِ: يَا هَؤُلَاءِ، إِنْ أَنْفُسَكُمْ قَدْ سَوَّلَتْ لَكُمْ فِرَاقَ هَذِهِ الْحُكُومَةِ الَّتِي أَنْتُمْ ابْتَدَأْتُمُوهَا وَسَأَلْتُمُوهَا وَأَنَا لَهَا كَارِهِ، وَأَنْبَأْتُكُمْ أَنَّ الْقَوْمَ سَالُوكُوهَا مَكِيدَةً وَدَهْنًا، فَأَبَيْتُمْ عَلِيَّ إِبَاءَ الْخَالَفِينَ، وَعَدَلْتُمْ عَنِّي عَدُولَ النَّكَدَاءِ الْعَاصِينَ، حَتَّى صَرَفْتُمْ رَأْيِي إِلَى رَأْيِكُمْ، وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مَعَاشِرُ أَخْفَاءِ الْهَامِ، سَفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، فَلَمْ آتِ - لَا أَبَا لَكُمْ - حَرَامًا وَاللَّهِ مَا خَبَلْتُمْ عَنْ أُمُورِكُمْ، وَلَا أَخْفَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ عَنْكُمْ، وَلَا أَوْطَأْتُمْ عَشْوَةً، وَلَا دَنَيْتُمْ لَكُمْ الضَّرَاءَ، وَإِنْ كَانَ أَمْرُنَا لِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ ظَاهِرًا، فَأَجْمَعُ رَأْيِي مِلَّتُكُمْ عَلَى أَنْ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ، فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يَحْكُمَا بِمَا فِي الْقُرْآنِ وَلَا يَعْذِوَاهُ، فَتَاهَا وَتَرَكََا الْحَقَّ وَهَمَّا يَبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا، وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْقَانُهُمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ، وَالصَّدَقَةُ لِحَقِّ سَوْءِ رَأْيِهِمَا، وَجَوْرُ حَكْمِهِمَا وَالثِّقَةُ فِي أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ، وَأَتَيَا بِمَا لَا يَعْرِفُ، فَبَيْنَمَا لَنَا بِمَاذَا تَسْتَحِلُّونَ قِتَالَنَا، وَالْخُرُوجَ مِنْ جَمَاعَتِنَا، إِنْ اخْتَارَ النَّاسُ رَجُلَيْنِ أَنْ تَضَعُوا أَسْيَافَكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ، ثُمَّ تَسْتَعْرِضُوا النَّاسَ، تَضْرِبُونَ رِقَابَهُمْ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَهُمْ! إِنْ هَذَا لَهُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ وَاللَّهُ لَوْ قَتَلْتُمْ عَلَى هَذَا دِجَاجَةً لِعَظُمَ عِنْدَ اللَّهِ قَتْلُهَا، فَكَيْفَ بِنَفْسِ الَّتِي قَتَلَهَا عِنْدَ اللَّهِ حَرَامٌ! فَتَنَادَوْا: لَا تَخَاطِبُوهُمْ، وَلَا تَكَلِّمُوهُمْ، وَتَهَيَّئُوا لِلْقَاءِ الرَّبِّ، الرُّوحَ الرُّوحَ إِلَى الْجَنَّةِ! نَفَرَجَ عَلِيٌّ فَعَبَأَ النَّاسَ، فَجَعَلَ عَلَى مِيمَنَتِهِ حَجْرَ بَنِ عَدِيٍّ، وَعَلَى مِيسَرَتِهِ شَبْتُ بْنُ رَبْعِيٍّ - أَوْ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسِ الرِّيَاحِيِّ - وَعَلَى الْخَلِيلِ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ، وَعَلَى الرَّجَالَةِ أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَعَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ - وَهُمْ سَبْعُمِائَةٍ أَوْ ثَمَانُمِائَةٍ رَجُلٍ - قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ.

قَالَ: وَعَبَأَتْ الْخَوَارِجُ، فَجَعَلُوا عَلَى مِيمَنَتِهِمْ زَيْدُ بْنُ حَصِينِ الطَّائِيِّ، وَعَلَى الْمِيسَرَةِ شَرِيحُ بْنُ أَوْفَى الْعَبْسِيِّ، وَعَلَى خَيْلِهِمْ حَمْزَةُ بْنُ سَنَانِ الْأَسَدِيِّ، وَعَلَى الرَّجَالَةِ حُرْقُوصُ بْنُ زَهِيرِ السَّعْدِيِّ

قَالَ: وَبَعَثَ عَلِيٌّ الْأَسْوَدَ بْنَ يَزِيدَ الْمُرَادِيَّ فِي أَلْفِي فَارِسٍ، حَتَّى أَتَى حَمْزَةَ بْنَ سَنَانٍ وَهُوَ فِي ثَلَاثِمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ خَيْلِهِمْ، وَرَفَعَ عَلِيٌّ رَايَةَ أَمَانَ مَعَ أَبِي أَيُّوبَ، فَتَنَادَاهُمْ أَبُو أَيُّوبَ: مَنْ جَاءَ هَذِهِ الرَّايَةَ مِنْكُمْ مَنْ لَمْ يَقْتُلْ وَلَمْ يَسْتَعْرِضْ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ انْصَرَفَ مِنْكُمْ إِلَى الْكُوفَةِ أَوْ إِلَى الْمَدَائِنِ وَخَرَجَ مِنْ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ فَهُوَ آمِنٌ، إِنَّهُ لَا حَاجَةَ لَنَا بَعْدَ أَنْ نَصِيبَ قِتْلَةَ إِخْوَانِنَا مِنْكُمْ فِي سَفْكِ دِمَائِكُمْ فَقَالَ فِرْوَةُ بْنُ نُوْفَلٍ

الأشجعي: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي عَلَى أَيِّ شَيْءٍ نَقَاتِلَ عَلِيًّا! لَا أَرَى إِلَّا أَنْ أَنْصَرِفَ حَتَّى تَنْفِذَ لِي بِصِيرَتِي فِي قِتَالِهِ أَوْ اتِّبَاعِهِ.

وانصرف في خمسمائة فارس، حتى نزل البندنيين والد سكره، وخرجت طائفة أخرى متفرقين فنزلت الكوفة، وخرج إلى علي منهم نحو من مائة، وكانوا أربعة آلاف، فكان الذين بقوا مع عبد الله بن وهب منهم الفين وثمانمائة، وزحفوا إلى علي، وقدم علي الخيل دون الرجال، وصف الناس وراء الخيل صفين، وصف المرامية أمام الصف الأول، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: كَفُّوا عَنْهُمْ حَتَّى يَبْدَأَ وَكُم، فَإِنَّهُمْ لَوْ قَدْ شَدُّوا عَلَيْكُمْ - وَجَلَّهِمْ رَجَالٌ - لَمْ يَنْتَهُوا إِلَيْكُمْ إِلَّا لَاغِبِينَ وَأَنْتُمْ رَادُونَ حَامُونَ وَأَقْبَلْتَ الْخَوَارِجَ، فَلَهَا أَنْ دَنَوْا مِنَ النَّاسِ نَادَوْا يَزِيدَ بْنَ قَيْسٍ، فَكَانَ يَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالُوا: يَا يَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ، لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، وَإِنْ كَرِهْتَ إِصْبَاهُ! فَنَادَاهُمْ عَبَّاسُ بْنُ شَرِيكَ وَقَبِيصَةُ بْنُ ضَبِيعَةَ الْعَبْسِيَانِ: يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ، الَيْسَ فَيْكُمْ شَرِيحُ ابْنِ أَوْفَى الْمُسْرِفِ عَلَى نَفْسِهِ؟ هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا أَشْبَاهُهُ! قَالُوا: وَمَا جِئْتُمْ عَلَى رَجُلٍ كَانَتْ فِيهِ فِتْنَةٌ، وَفِينَا تَوْبَةٌ! ثُمَّ تَنَادَوْا: الرُّوَّاحُ الرُّوَّاحُ إِلَى الْجَنَّةِ! فَشَدُّوا عَلَى النَّاسِ وَالْخَيْلِ أَمَامَ الرِّجَالِ، فَلَمْ تَثْبُتْ خَيْلُ الْمُسْلِمِينَ لَشِدَّتِهِمْ، وَاقْتَرَقَتِ الْخَيْلُ فَرَقَتَيْنِ: فَرَقَةٌ نَحْوَ الْمَيْمَنَةِ، وَأُخْرَى نَحْوَ الْمِيسَرَةِ، وَأَقْبَلُوا نَحْوَ الرِّجَالِ، فَاسْتَقْبَلَتِ الْمَرَامِيَّةُ وَجُوهَهُمْ بِالنَّبْلِ، وَعَظَفَتْ عَلَيْهِمُ الْخَيْلُ مِنَ الْمَيْمَنَةِ وَالْمِيسَرَةِ، وَنَهَضَ إِلَيْهِمُ الرِّجَالُ بِالرُّمَاحِ وَالسُّيُوفِ، فَوَاللَّهِ مَا لَبِثُوهُمْ أَنْ أَنَامُوهُمْ.

ثُمَّ إِنَّ حَمْزَةَ بْنَ سَنَانَ صَاحِبَ خَيْلِهِمْ لَمَّا رَأَى الْهَلَكَ نَادَى أَصْحَابَهُ أَنْ انْزَلُوا، فَذَهَبُوا لِيَنْزِلُوا فَلَمْ يَتَقَارَوْا حَتَّى حَمَلَ عَلَيْهِمُ الْأَسْوَدُ بْنُ قَيْسٍ الْمُرَادِي، وَجَاءَتْهُمْ الْخَيْلُ مِنْ نَحْوِ عَلِيٍّ، فَأَهْمَدُوا فِي السَّاعَةِ

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ سَلَامٍ بْنُ ثَمَامَةَ الْحَنْفِيُّ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: مَا هُوَ إِلَّا أَنْ لَقِينَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ، فَمَا لَبِثْنَاهُمْ، فَكَأَنَّمَا قِيلَ لَهُمْ: مَوْتُوا، فَاتُوا قَبْلَ أَنْ تَشْتَدَّ شَوْكَتُهُمْ، وَتَعْظُمَ نَكَائَتُهُمْ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي أَبُو جَنَابٍ، أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ أُنِيَ عَلِيًّا، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَتَلْتُ زَيْدَ بْنَ حَصِينٍ، قَالَ: فَمَا قُلْتَ لَهُ وَمَا قَالَ لَكَ؟

قَالَ: طَعَنَتْهُ بِالرَّحِمِ فِي صَدْرِهِ حَتَّى نَجَمَ مِنْ ظَهْرِهِ، قَالَ: وَقُلْتُ لَهُ: أَبْشُرْ يَا عَدُوَّ اللَّهِ بِالنَّارِ! قَالَ: سَتَعْلَمُ أَيْنَا أَوْلَى بِهَا صَلِيَاءًا، فَسَكَتَ عَلِيٌّ عَلَيْهِمَا.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ، عَنْ أَبِي جَنَابٍ: أَنَّ عَلِيًّا قَالَ لَهُ: هُوَ أَوْلَى لَهَا صَلِيَاءًا.

قَالَ: وَجَاءَ عَائِدُ بْنُ حَمَلَةَ التِّيمِيُّ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَتَلْتُ كَلَابًا، قَالَ: أَحْسَنْتَ! أَنْتَ مُحَقٌّ قَتَلْتَ مَبْطُلًا وَجَاءَ هَانِي بْنُ خَطَّابِ الْأَرْحِيِّ وَزِيَادُ بْنُ خَصْفَةَ يَحْتَجَانِ فِي قَتْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبِ الرَّاسِبِيِّ، فَقَالَ لَهُمَا: كَيْفَ صَنَعْتُمَا؟ فَقَالَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَمَّا رَأَيْنَاهُ عَرَفْنَاهُ، وَابْتَدَرْنَاهُ فَطَعْنَاهُ بِرُمَحَيْنَا، فَقَالَ عَلِيٌّ: لَا تَخْتَلَفَا، كَلَاكُمَا قَاتِلٌ وَشَدُّ جَيْشِ بْنِ رَبِيعَةَ أَبُو الْمُعْتَمِرِ الْكَثَّانِيُّ عَلَى حَرْقُوصِ بْنِ زَهِيرٍ فَقَتَلَهُ، وَشَدُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَحْرِ الْخَوْلَانِيُّ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَجَرَةَ السَّلْبِيِّ فَقَتَلَهُ، وَوَقَعَ شَرِيحُ بْنُ أَوْفَى إِلَى جَانِبِ جِدَارٍ، فَقَاتَلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ طَوِيلًا مِنْ نَهَارٍ، وَكَانَ قَتَلَ ثَلَاثَةً مِنْ هَمْدَانَ، فَأَخَذَ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ: قَدْ عَلِمْتُ جَارِيَةَ عَبْسِيَّةَ نَاعِمَةً فِي أَهْلِهَا مَكْفِيَةً أَنِّي سَاحِي ثَلَاثِي الْعَشِيَّةَ فَشَدُّ عَلَيْهِ قَيْسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الدَّهْنِيُّ فَقَطَعَ رَجْلَهُ، فَجَعَلَ يَقَاتِلُهُمْ وَيَقُولُ: الْقَرَمُ يَجِي شَوْلُهُ مَعْقُولًا.

ثُمَّ شَدُّ عَلَيْهِ قَيْسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ النَّاسُ: اقْتَتَلَتْ هَمْدَانُ يَوْمًا وَرَجُلًا اقْتَتَلُوا مِنْ غَدَاةٍ حَتَّى الْأَصْلَ فَفَتَحَ اللَّهُ لِهَمْدَانَ الرَّجُلَ وَقَالَ شَرِيحُ: أَضْرِبْهُمْ وَلَوْ أَرَى أَبَا حَسَنِ ضَرْبَتَهُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَطْمُنَّ وَقَالَ:

أضربهم ولو أرى علياً ألبسته أبيض مشرفياً قال أبو مخنف: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي حَرَّةٍ، [أَنْ عَلِيًّا خَرَجَ فِي طَلَبِ ذِي الثُّدِيَّةِ وَمَعَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ ثَمَامَةَ الْحَنْفِيُّ أَبُو جَبْرَةَ، وَالرِّيَّانُ بْنُ صَبْرَةَ ابْنُ هُوَذَةَ، فَوَجَدَهُ الرِّيَّانُ بْنُ صَبْرَةَ ابْنَ هُوَذَةَ فِي حُفْرَةٍ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ فِي أَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسِينَ قِتِيلًا قَالَ: فَلَمَّا اسْتَخْرَجَ نَظَرَ إِلَى عَضُدِهِ، فَإِذَا لَحْمٌ مَجْتَمِعٌ عَلَى مَنْكَبِهِ كَثْدَى الْمَرْأَةِ، لَهُ حُلْمَةٌ عَلَى شَعْرَاتِ سُودٍ، فَإِذَا مَدَّتْ أَمْتَدَّتْ حَتَّى تَحَاذِي طَوْلَ يَدِهِ الْأُخْرَى، ثُمَّ تَرَكْتُ فَعُودَ إِلَى مَنْكَبِهِ كَثْدَى الْمَرْأَةِ، فَلَمَّا اسْتَخْرَجَ قَالَ عَلِيٌّ: اللَّهُ أَكْبَرُ! وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كَذَبْتَ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَنَكَّلُوا عَنِ الْعَمَلِ، لَأَخْبَرْتُكُمْ بِمَا قَضَى اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَ لَمَنْ قَاتَلَهُمْ مُسْتَبْصِرًا فِي قِتَالِهِمْ، عَارِفًا لِلْحَقِّ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ.

قال: ثُمَّ بَرَّوهُمْ صَرَخَى فَقَالَ: يَوْسَا لَكُمْ! لَقَدْ ضَرَكُم مِّنْ غَرَمِكُمْ، فَقَالُوا:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَن غَرَمَهُمْ؟ قَالَ: الشَّيْطَانُ، وَأَنْفُسُ بِالسُّوءِ أَمَارَةٌ، غَرَّتْهُمْ بِالْأَمَانِيِّ، وَزَيْنَتْ لَهُمُ الْمَعَاصِي، وَنَبَأَتْهُمْ أَنَّهُمْ ظَاهِرُونَ [قَالَ: وَطَلَبَ مِنْ يَدِهِ رَمَقٌ مِنْهُمْ فَوَجَدْنَاهُمْ أَرْبَعَمِائَةَ رَجُلٍ، فَأَمَرَ بِهِمْ عَلِيٌّ فَدَفَعُوهُ إِلَى عَشَائِرِهِمْ، وَقَالَ: احْمِلُوهُمْ مَعَكُمْ فِدَاؤَهُمْ، فَإِذَا بَرُّوا فَوَافُوا بِهِمُ الْكُوفَةَ، وَخَذُوا مَا فِي عَسْكَرِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ.

قَالَ: وَأَمَّا السِّلَاحُ وَالِدَوَابُّ وَمَا شَهِدُوا بِهِ عَلَيْهِ الْحَرْبَ فَقَسَمَهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَّا الْمَتَاعُ وَالْعَبِيدُ وَالْإِمَاءُ فَإِنَّهُ حِينَ قَدِمَ رَدَّهُ عَلَى أَهْلِهِ. وَطَلَبَ عَدِي بْنُ حَاتِمٍ ابْنَهُ طَرْفَةً فَوَجَدَهُ، فَدَفَنَهُ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ابْتَلَانِي بِيَوْمِكَ عَلَى حَاجَتِي إِلَيْكَ وَدَفَنَ رِجَالَ مَنِ النَّاسِ قِتْلَاهُمْ،

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ: ارْتَحِلُوا إِذَا، أَتَقْتُلُونَهُمْ ثُمَّ تَدْفِنُونَهُمْ! فَارْتَحِلِ النَّاسَ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ عَنِ مُجَاهِدٍ، عَنِ الْحُلِّ بْنِ خَلِيفَةَ: أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ مِّنْ بَنِي سَدُوسٍ يُقَالُ لَهُ الْعِزَّارُ بْنُ الْأَخْنَسِ كَانَ يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ، خَرَجَ إِلَيْهِمْ، فَاسْتَقْبَلَ وَرَاءَ الْمَدَائِنِ عَدِي بْنُ حَاتِمٍ وَمَعَهُ الْأَسْوَدُ بْنُ قَيْسٍ وَالْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُرَادِيَّانِ، فَقَالَ لَهُ الْعِزَّارُ حِينَ اسْتَقْبَلَهُ: أَسَاسًا غَانِمٌ، أَمْ ظَالِمٌ أَتَمُّ؟

فَقَالَ عَدِي: لَا، بَلْ سَاسًا غَانِمٌ، فَقَالَ لَهُ الْمُرَادِيَّانِ: مَا قُلْتَ هَذَا إِلَّا لَشَرِّ نَفْسِكَ، وَإِنَّكَ لَنَعْرِفُكَ يَا عِزَّارُ بِرَأْيِ الْقَوْمِ، فَلَا تَفَارِقْنَا حَتَّى نَذْهَبَ بِكَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَنُخْبِرَهُ خَبْرَكَ فَلَمْ يَكُنْ بِأَوْشَكَ أَنْ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَخْبَرَاهُ خَبْرَهُ، وَقَالَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ يَرَى رَأْيَ الْقَوْمِ، قَدْ عَرَفْنَاهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: مَا يَحِلُّ لَنَا دَمُهُ، وَلَكِنَّا نَحْبِسُهُ، فَقَالَ عَدِي بْنُ حَاتِمٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ادْفَعْهُ إِلَى وَا نَا اضْمِنْ الْإِيَّاتِيكَ مِنْ قَبْلِهِ مَكْرُوهَ دَفَعَهُ إِلَيْهِ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي عُمَرَانُ بْنُ حَدِيرٍ، عَنْ أَبِي مَجْلَزٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَنْدَبٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، إِنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ إِلَّا سَبْعَةً. قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ، عَنْ غَمِيرِ بْنِ وَعْلَةَ الْيَنَاعِيِّ، عَنْ أَبِي دَرْدَاءٍ، قَالَ:

كَانَ عَلِيٌّ لَمَّا فَرَّغَ مِنْ أَهْلِ النَّهْرَوَانِ حَمْدَ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ بِكُمْ، وَأَعَزَّ نَصْرَكُمْ، فَتَوَجَّهُوا مِنْ فُورِكُمْ هَذَا إِلَى عَدُوِّكُمْ قَالُوا:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نَفَدَتْ نَبَالُنَا، وَكَلَّتْ سَيُوفُنَا، وَنَصَلَتْ أَسْنَةُ رِمَاحُنَا، وَعَادَ أَكْثَرُهَا قَصْدًا، فَارْجِعْ إِلَى مِصْرُنَا، فَلْنَسْتَعِدَّ بِأَحْسَنِ عِدَّتِنَا، وَلَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ فِي عِدَّتِنَا عَدُوًّا مِنْ هَلَاكِ مَنَا، فَإِنَّهُ أَوْفَى لَنَا عَلَى عَدُونَا وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى ذَلِكَ الْكَلَامَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، فَأَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ النَّخِيلَةَ، فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَلْزَمُوا عَسْكَرَهُمْ، وَيُوطِنُوا عَلَى الْجِهَادِ أَنْفُسَهُمْ، وَأَنْ يَقْلُوا زِيَارَةَ نِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ حَتَّى يَسِيرُوا إِلَى عَدُوِّهِمْ، فَأَقَامُوا فِيهِ أَيَّامًا، ثُمَّ

تَسَلَّلُوا مِنْ مَعَسْكَرِهِمْ، فَدَخَلُوا إِلَّا رَجُلًا مِنْ وَجْهِ النَّاسِ قَلِيلًا، وَتَرَكَ الْعَسْكَرَ خَالِيًا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ دَخَلَ الْكُوفَةَ، وَانْكَسَرَ عَلَيْهِ رَأْيُهُ فِي الْمَسِيرِ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ: أَنَّ عَلِيًّا قَالَ لِلنَّاسِ - وَهُوَ أَوَّلُ كَلَامٍ قَالَهُ لَهُمْ بَعْدَ النَّهْرِ:

أَيُّهَا النَّاسُ، استعدوا للمسير إِلَى عدوِّ فِي جهاده القربة إِلَى اللَّهِ ودرك الوسيلة عنده حيارى فِي الحق، جفاة عن الكآب، نكب عن الدين، يعمهون فِي الطغيان، ويعكسون فِي غمره الضلال، ف أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ، وتوكلوا عَلَى اللَّهِ، وكفى بِاللَّهِ وَكِيلًا، وكفى بِاللَّهِ نصيرًا! قال: فلاهم نفروا وَلَا تيسروا، فتركهم أيامًا حَتَّى إِذَا أَيْسَ مِنْ أَنْ يَفْعَلُوا، دعا رؤساءهم ووجوهم، فسألهم عن رأيهم، وما الَّذِي ينظرهم، فمنهم المعتل، ومنهم المكره، وأقلهم من نشط فقام فِيهم خطيبًا، فَقَالَ:

عباد الله، مَا لَكُمْ إِذَا أُمِرْتُمْ أَنْ تَتَفَرَّوْا اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ! أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ، وبالذل والهوان من العز! أو كلها ندبتكم إِلَى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت فِي سكرة، وكأن قلوبكم مألوسة فأنتم لَا تعقلون! وكأن أبصاركم كمه فأنتم لَا تبصرون لِلَّهِ أَنْتُمْ! مَا أَنْتُمْ إِلَّا أَسْوَدُ الشَّرِّ فِي الدَّعَةِ، وثعالب رواغة حين تدعون إِلَى الْبَاسِ.

مَا أَنْتُمْ لِي بِثَقَّةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي، مَا أَنْتُمْ بِرَكْبٍ يَصَالُ بِكُمْ، وَلَا ذِي عِزٍّ يَعْتَصِمُ إِلَيْهِ لِعَمْرِ اللَّهِ، لبئس حشاش الحرب أَنْتُمْ! إنكم تكادون وَلَا تكيدون، ويتنقص أطرافكم وَلَا تتحاشون، وَلَا ينام عنكم وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ، إن أَخَا الحرب اليقظان ذو عقل، وبات لذل من وادع، وغلب المتجادلون، والمغلوب مقهور ومسلوب ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ لِي عَلَيْكُمْ

حقًا، وَإِنْ لَكُمْ عَلَيَّ حَقًا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى فَالنصيحة لكم مَا صَحَبْتُمْ، وتوفير فيثكم عَلَيْكُمْ، وتعليمكم كيما لَا تجهلوا، وتأديبكم كي تعلموا، وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فالوفاء بالبيعة، والنصح لي فِي الغيب والمشهد، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم، فَإِنْ يَرِدُ اللَّهُ بِكُمْ خَيْرًا انتزعتم عما أَكْرَهَ، وتراجعوا إِلَى مَا أَحَبَّ، تتألموا مَا تطلبون، وتدركون مَا تأملون.

وَكَانَ غَيْرَ أَبِي مُخَنَّفٍ يَقُولُ: كَانَتْ الْوَقْعَةُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَأَهْلِ النَّهْرِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ، وَهَذَا الْقَوْلُ عَلَيْهِ أَكْثَرُ أَهْلِ السَّيْرِ. وَمَا يَصْحَحُهُ أَيْضًا مَا حَدَّثَنِي بِهِ عُمَارَةُ الْأَسَدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا نَعِيمٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو مَرْيَمَ أَنَّ شُبَّانَ بْنَ رَبِيعٍ وَابْنَ الْكُوءِ خَرَجَا مِنَ الْكُوءَةِ إِلَى حُرُورَاءَ، فَأَمَرَ عَلِيٌّ النَّاسَ أَنْ يَخْرُجُوا بِسِلَاحِهِمْ، فَخَرَجُوا إِلَى الْمَسْجِدِ حَتَّى امْتَلَأَ بِهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ: بئس مَا صَنَعْتُمْ حِينَ تَدْخُلُونَ الْمَسْجِدَ بِسِلَاحِكُمْ! اذْهَبُوا إِلَى جَبَانَةِ مَرَادٍ حَتَّى يَأْتِيَكُمُ أَمْرِي.

قَالَ أَبُو مَرْيَمَ: فَانْطَلَقْنَا إِلَى جَبَانَةِ مَرَادٍ فَكُنَّا بِهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ بَلَّغْنَا أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ رَجَعُوا وَهُمْ زَاخِفُونَ قَالَ: فَقُلْتُ: أَنْطَلِقُ أَنَا حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِمْ، فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَتَخَلَّلَ صَفُوفَهُمْ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى شُبَّانَ بْنِ رَبِيعٍ وَابْنَ الْكُوءِ وَهُمَا وَقِفَانِ مَتَوَرِّكَانِ عَلَى دَابَّتَيْهِمَا، وَعِنْدَهُمَا رَسُلٌ عَلَيَّ وَهُمْ يَنَاشِدُونَهُمَا اللَّهَ لَمَّا رَجَعَا بِالنَّاسِ! وَيَقُولُونَ لَهُمْ: نَعِيزُكُمْ بِاللَّهِ أَنْ تَعْبَلُوا بِفِتْنَةِ الْعَامِ خَشِيَةَ عَامٍ قَابِلٍ.

فَقَامَ رَجُلٌ إِلَى بَعْضِ رُسُلِ عَلِيٍّ فَعَقَرَ دَابَّتَهُ، فَزَلَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَسْتَرْجِعُ، فَحَمَلَ سَرَجَهُ، فَانْطَلَقَ بِهِ وَهُمْ يَقُولُونَ: مَا طَلَبْنَا إِلَّا مُنَابَذَتَهُمْ، وَهُمْ يَنَاشِدُونَهُمُ اللَّهَ، فَكُنَّا سَاعَةً، ثُمَّ انْصَرَفُوا إِلَى الْكُوءَةِ كَأَنَّهُ يَوْمَ فَطَرَ أَوْ أَضْحَى.

[قَالَ: وَكَانَ عَلِيٌّ يَحْدِثُنَا قَبْلَ ذَلِكَ أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ، عَلَامَتُهُمْ رَجُلٌ مَخْدُجُ الْبِدَنِ قَالَ: وَسَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْهُ مَرَارًا كَثِيرَةً، قَالَ: وَسَمِعَهُ نَافِعُ الْمَخْدُجِ أَيْضًا- حَتَّى رَأَيْتُهُ يَتَكْرَهُ طَعَامَهُ مِنْ كَثَرَةِ مَا سَمِعَهُ، يَقُولُ: وَكَانَ نَافِعٌ مَعْنَا يَصِلِي فِي الْمَسْجِدِ بِالنَّهَارِ وَيَبِيتُ فِيهِ بِاللَّيْلِ، وَقَدْ كُنْتُ كَسَوْتُهُ بَرْنَسًا، فَلَقِيْتُهُ مِنَ الْغَدِ، فَسَأَلْتُهُ: هَلْ كَانَ

خَرَجَ مَعَ النَّاسِ الَّذِينَ خَرَجُوا إِلَى حُرُورَاءَ؟ فَقَالَ: خَرَجْتُ أُرِيدُهُمْ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ إِلَى بَنِي سَعْدِ، لَقِيْنِي صَبِيَانِ فَزَعَوْا سِلَاحِي، وَتَلْعَبُوا بِي، فَرَجَعْتُ حَتَّى إِذَا كَانَ الْحَوْلُ أَوْ نَحْوُهُ خَرَجَ أَهْلُ النَّهْرِ، وَسَارَ عَلِيٌّ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ أَخْرَجْ مَعَهُ وَخَرَجَ أَخِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: فَأَخْبَرَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عَلِيًّا سَارَ إِلَيْهِمْ حَتَّى إِذَا كَانَ حَذَاءَهُمْ عَلَى شَطِّ النَّهْرِ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَنَاشِدُهُمُ اللَّهَ وَيَأْمُرُهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا، فَلَمْ تَزَلْ رُسُلُهُ تَخْتَلِفُ إِلَيْهِمْ، حَتَّى قَتَلُوا رَسُولَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَهَضَ إِلَيْهِمْ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى فَرَّغَ مِنْهُمْ، [ثُمَّ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَلْتَمِسُوا الْمَخْدُجَ، فَالْتَمَسُوهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَا نَجَدَهُ، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ:

لَا، مَا هُوَ فِيهِمْ ثُمَّ إِنَّهُ جَاءَ رَجُلٌ فَبَشَّرَهُ وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ وَجَدْنَاهُ تَحْتَ قَتِيلَيْنِ فِي سَاقِيَةِ فَقَالَ: اقْطَعُوا يَدَهُ الْمَخْدُجَةَ، وَأَتُونِي بِهَا، فَلَمَّا أَتَى بِهَا أَخَذَهَا ثُمَّ رَفَعَهَا، وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كَذَبْتَ [.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَقَدْ أَنَبَا أَبُو مَرْيَمَ بِقَوْلِهِ: فَرَجَعْتُ حَتَّى إِذَا كَانَ الْحَوْلُ أَوْ نَحْوُهُ، خَرَجَ أَهْلُ النَّهْرِ، أَنَّ الْحَرْبَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ عَلِيٍّ وَأَهْلِ حُرُورَاءَ كَانَتْ فِي السَّنَةِ الَّتِي بَعْدَ السَّنَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا إِنْكَارُ أَهْلِ حُرُورَاءَ عَلَى عَلِيٍّ التَّحْكِيمَ، وَكَانَ ابْتِدَاءُ ذَلِكَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ عَلَى مَا قَدْ ثَبَتَ قَبْلَ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، وَكَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا رَوَيْنَا مِنَ الْخَبَرِ عَنْ أَبِي مَرْيَمَ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ الْوَقْعَةَ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ.

وَذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شَجِيرَةَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ بَعْدَ مَا رَجَعَ مِنْ صَفَيْنَ جَعْدَةَ ابْنِ هَبِيرَةَ الْمَخْزُومِي، وَأُمَّ جَعْدَةَ أُمِّ هَانِئِ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ - إِلَى خُرَاسَانَ، فَاتَّهَى إِلَى أَرْضِهَا وَقَدْ كَفَرُوا وَامْتَنَعُوا، فَقَدِمَ عَلَى عَلِيٍّ، فَبَعَثَ خَلِيدَ بْنَ قُرَّةِ الْيَرْبُوعِي فُخَّاصَ أَهْلِ نَيْسَابُورٍ حَتَّى صَالَحَهُ، وَصَالَحَهُ أَهْلُ مَرُوءَ.

وَجاءَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنَى سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ - عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَكَانَ عَامِلَ عَلِيٍّ عَلَى الْيَمَنِ وَمُخَالِفَهَا وَكَانَ عَلَى مَكَّةَ وَالطَّائِفِ قَتْمَ بْنَ

الْعَبَّاسِ، وَعَلَى الْمَدِينَةِ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ الْأَنْصَارِيُّ، وَقِيلَ: كَانَ عَلَيْهَا تَمَامُ ابْنِ الْعَبَّاسِ وَكَانَ عَلَى الْبَصْرَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ، وَعَلَى قَضَائِهَا أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ، وَعَلَى مِصْرَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَعَلَى خُرَاسَانَ خَلِيدُ بْنُ قُرَّةِ الْيَرْبُوعِي.

وَقِيلَ: إِنْ عَلِيًّا لَمَّا شَتَّصَ إِلَى صَفَيْنَ اسْتَخْلَفَ عَلَى الْكُوفَةِ أَبَا مَسْعُودَ الْأَنْصَارِيَّ، حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، قَالَ: سَمِعْتُ لَيْثًا ذَكَرَ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ عَلِيُّ إِلَى صَفَيْنَ اسْتَخْلَفَ عَلَى الْكُوفَةِ أَبَا مَسْعُودَ الْأَنْصَارِيَّ عُقْبَةَ بْنَ عَمْرِو وَآمَّا الشَّامَ فَكَانَ بِهَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ

٥٠٢ سنه ثمان وثلاثين

٥٠٢٠١ ذكر ما كان فيها من الاحداث

ثم دخلت

سنة ثمان وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فَمَا كَانَ فِيهَا مَقْتَلُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بِمِصْرَ، وَهُوَ عَامِلٌ عَلَيْهَا، وَقَدْ ذَكَرْنَا سَبَبَ تَوَلِيَةِ عَلِيٍّ إِيَّاهُ مِصْرَ، وَعَزَلَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ عَنْهَا، وَذَكَرَ الْآنَ سَبَبَ قَتْلِهِ، وَأَيْنَ قَتَلَ؟ وَكَيْفَ كَانَ أَمْرُهُ؟ وَنَبْدَأُ بِذِكْرِ مَنْ تَمَّتْ حَدِيثُ الزُّهْرِيِّ الَّذِي قَدْ ذَكَرْنَا أَوَّلَهُ قَبْلَ، وَذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: لَمَّا حَدَّثَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بِمَجِيءِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَأَنَّهُ قَادِمٌ عَلَيْهِ أَمِيرًا، تَلَقَّاهُ وَخَلَا بِهِ وَنَاجَاهُ، فَقَالَ: إِنَّكَ جِئْتَ مِنْ عِنْدِ أَمْرٍ لَا رَأْيَ لَهُ، وَلَيْسَ عِزْلُكُمْ إِيَّايَ بِمَنْعِي أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ، وَأَنَا مِنْ أَمْرِكُمْ هَذَا عَلَى بَصِيرَةٍ، وَإِنِّي فِي ذَلِكَ عَلَى الَّذِي كُنْتُ أَكِيدُ بِهِ مُعَاوِيَةَ وَعُمَرَا وَأَهْلَ خُرَبَتَا، فَكَايِدُهُمْ بِهِ، فَإِنَّكَ إِنْ تَكَايِدُهُمْ بِغَيْرِهِ تَهْلِكُ وَوَصَفَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ الْمَكَائِدَةَ الَّتِي كَانَ يَكَايِدُهُمْ بِهَا، وَاغْتَشَى مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَخَالَفَ كُلَّ شَيْءٍ أَمْرُهُ بِهِ فَلَمَّا قَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَخَرَجَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ الْمَدِينَةَ بَعَثَ مُحَمَّدُ أَهْلَ مِصْرَ إِلَى خُرَبَتَا، فَاقْتَتَلُوا، فَهَزَمَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ وَعُمَرَا، فَسَارَا بِأَهْلِ الشَّامِ حَتَّى افْتَتَحَا مِصْرَ، وَقَتَلَا مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، وَلَمْ تَزَلْ فِي حِيزِ مُعَاوِيَةَ، حَتَّى ظَهَرَ وَقَدِمَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ الْمَدِينَةَ، فَأَخَافَهُ مَرْوَانَ وَالْأَسْوَدَ بْنَ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ، حَتَّى إِذَا خَافَ أَنْ يُؤْخَذَ أَوْ يَقْتَلَ رَكِبَ رَاكِلَتَهُ، وَظَهَرَ إِلَى عَلِيٍّ فَكَتَبَ مُعَاوِيَةَ إِلَى مَرْوَانَ وَالْأَسْوَدَ يَتَغَيَّظُ عَلَيْهِمَا وَيَقُولُ: أَمَدَدْتُمَا عَلِيًّا بِقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ وَرَأْيَهُ وَمَكَائِدَتَهُ، فَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّكُمَا أَمَدَدْتُمَا بِمِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ مَا كَانَ بِأَغْيَظَ إِلَيَّ مِنْ إِخْرَاجِكُمَا قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ إِلَى عَلِيٍّ فَقَدِمَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ عَلَى

علي، فلما بائه الحديث، وجاءهم قتل محمد بن أبي بكر، عرف أن قيس بن سعد كان يوازي أموراً عظيماً من المكيدة، وأن من كان يشير عليه بعزل قيس بن سعد لم ينصح له.

وأما ما قال في ابتداء أمر محمد بن أبي بكر في مصيره إلى مصر وولايته

إياها أبو مخنف، فقد تقدم ذكرنا له، ونذكر الآن بقية خبره في روايته ما روي من ذلك عن يزيد بن زبيان الهمداني، قال: ولما قتل أهل خربنا ابن مضاهم الكلبي الذي وجهه إليهم محمد بن أبي بكر، خرج معاوية بن حديج الكندي ثم السكوني، فدعا إلى الطلب بدم عثمان، فأجابه ناس آخرون، وفست مصر على محمد بن أبي بكر، فبلغ علياً وثوب أهل مصر على محمد بن أبي بكر، واعتمادهم إياه، فقال: ما لمصر إلا أحد الرجلين! صاحبنا الذي عزلناه عنها- يعني قيساً- أو مالك بن الحارث- يعني الأشتر قال: وكان علي حين انصرف من صفين رد الأشتر على عمله بالجزيرة، وقد كان قال لقيس بن سعد: أقم معي على شرطى حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة، ثم أخرج إلى أذربيجان، فإن قيساً مقيم مع علي على شرطته فلما انقضى أمر الحكومة كتب علي إلى مالك بن الحارث الأشتر، وهو يومئذ بنصيبين: أما بعد، فإنك ممن استظهرته على إقامة الدين، وأقع به نخوة الأئمة، وأشد به الثغر الخوف وكنت وليت محمد بن أبي بكر مصر، نفرجت عليه بها خوارج، وهو غلام حدث ليس بذي تجربة للحرب، ولا يجرب للأشياء، فاقدم علي لنظر في ذلك فيما ينبغي، واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك والسلام.

[فأقبل مالك إلى علي حتى دخل عليه، فحدثه حديث أهل مصر، وخبره خبر أهلها، وقال: ليس لها غيرك، اخرج رحمك الله! فإني إن لم أوصك اكتفيت برأيك واستعن بالله على ما أهمك، فاخلط الشدة باللين، وارفق ما كان الفرق أبلغ، واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة].

قال: نفرج الأشتر من عند علي فأتى رحله، فتهياً للخروج إلى مصر، وأتت معاوية عيونه، فأخبروه بولاية علي الأشتر، فعظم ذلك عليه، وقد كان طمع في مصر، فعلم أن الاشترا أن قدمها كان أشد عليه من محمد بن أبي بكر، فبعث معاوية إلى الجليستار- رجل من أهل الخراج- فقال له: إن الأشتر قد ولي مصر، فإن أنت كفتيته لم آخذ منك خراجاً ما بقيت، فاحتل له بما قدرت عليه نفرج الجليستار حتى أتى القلزم

وأقام به، وخرج الأشتر من العراق إلى مصر، فلما انتهى إلى القلزم استقبله الجليستار، فقال: هذا منزل، وهذا طعام وعلف، وأنا رجل من أهل الخراج، فنزل به الأشتر، فأناه الدهقان بعلف وطعام، حتى إذا طعم أناه بشربة من عسل قد جعل فيها سما فسقاه إياه، فلما شربها مات وأقبل معاوية يقول لأهل الشام: إن علياً وجه الأشتر إلى مصر، فادعوا الله أن يكفيكموه قال: فكانوا كل يوم يدعون الله على الأشتر، وأقبل الذي سقاه إلى معاوية فأخبره بمهلك الأشتر، فقام معاوية في الناس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد، فإنه كانت لعلي بن أبي طالب يدان يمينان، قطعت إحداها يوم صفين- يعني عمار بن ياسر- وقطعت الأخرى اليوم- يعني الأشتر.

قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج، عن مولى للأشتر، قال:

لما هلك الأشتر وجدنا في ثقله رسالة علي إلى أهل مصر:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أمة المسلمين الذين غضبوا لله حين عصي في الأرض، وضرب الجور بأرواقه على البر والفاجر، فلا حق يستراح إليه، ولا منكر يتناهى عنه سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو [أما بعد فقد بعثت إليكم عبداً من عبيد الله لا ينال أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعادي حذار الدوائر، أشد على الكفار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث أخو مذحج، فاسمعوا له وأطيعوا، فإنه سيف من سيوف الله، لا نابي الضريبة، ولا كليل الحد، فإن أمركم أن تقدموا فأقدموا، وإن أمركم أن تنفروا فانفروا، فإنه لا يقدم ولا يحجم إلا بأمرى، وقد آثرتم به على نفسي لنصحكم لكم، وشدة شكمته على عدوكم،

عصمكم الله بالهدى، وثبتكم على اليقين] والسلام.

قَالَ: ولما بلغ محمد بن أبي بكر أن علياً قد بعث الأشر شق عليه، فكتب علي إلى محمد بن أبي بكر عند مهلك الأشر، وذلك حين بلغه مودة محمد بن أبي بكر لقدوم الأشر عليه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ،

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر، سلام عليك، أما بعد، فقد بلغني موجدتك من تسريحي الأشر إلى عملك، وإني لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهاد، ولا ازدياداً مني لك في الجدد، ولو نزعنا ما تحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو أيسر عليك في المثونة، وأعجب إليك ولاية منه إن الرجل الذي كنت وليته مصر كان لنا نصيحاً، وعلى عدونا شديداً، وقد استكمل أيامه، ولاقى حمامه، ونحن عنه راضون، فرضي الله عنه، وضاعف له الثواب، وأحسن له المآب اصبر لعدوك، وشمر للحرب، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وأكثر ذكر الله، والاستعانة به، والخوف منه، يكفك ما أهمك، ويعنك على ما ولاك، أعاننا الله وإياك على ما لا ينال إلا برحمته والسلام عليك.

فكتب إليه محمد بن أبي بكر جواب كتابه:

بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله علي أمير المؤمنين من محمد بن أبي بكر، سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله غيره، أما بعد، فإني قد انتهت إلى كتاب أمير المؤمنين، ففهمته وعرفت ما فيه، وليس أحد من الناس بأرضى مني برأي أمير المؤمنين، ولا أجهد على عدوه، ولا أرفأ بوليه مني، وقد خرجت فمسكرت، وآمنت الناس إلا من نصب لنا حرباً، وأظهر لنا خلافاً، وأنا متبع أمر أمير المؤمنين وحافظه، وملتجئ إليه، وقائم به، والله المستعان على كل حال، والسلام عليك.

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: حَدَّثَنِي أَبُو جَهْضَمُ الْأَزْدِيُّ - رجل من أهل الشام - عن عبد الله بن حوالة الأزدي، أن أهل الشام لما انصرفوا من صفين كانوا ينتظرون ما يأتي به الحكمان، فلما انصرفا وتفرقا بايع أهل الشام معاوية بالخلافة، ولم يزد إلا قوة، واختلف الناس بالعراق على علي، فما كان لمعاوية هم إلا مصر، وكان لأهلها هائبا خائفاً، لقربهم منه، وشدتهم على من كان على رأي عثمان، وقد كان على ذلك علم أن بها قوماً قد ساءهم قتل عثمان، وخالفوا عليه، وكان معاوية يرجو أن يكون إذا ظهر عليها ظهر على حرب علي، لعظم خراجها قَالَ: فدعا معاوية من كان معه من قريش:

عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَحَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَبِسر بن أبي أُرطاة والضحاك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، ومن غيرهم أبا الأعور عمرو بن سفيان السلمي وحمزة بن مالك الهمداني، وشريح بن السمط الكندي فقال لهم: أتدرون لم دعوتكم؟ إني قد دعوتكم لأمر مهم أحب أن يكون الله قد أعان عليه، فقال القوم كلهم - أو من قال منهم: إن الله لم يطلع على الغيب أحداً، وما يدرينا ما تريد! فقال عمرو بن العاص:

أَرَى وَاللَّهِ أَمْرَ هَذِهِ الْبِلَادِ الْكَثِيرِ خَرَاஜَهَا، وَالْكَثِيرِ عِدْدهَا وَعَدَدَ أَهْلِهَا، أَهْمُكَ أَمْرُهَا، فدعوتنا إذا لتسألنا عن رأينا في ذلك، فإن كنت لذلك دعوتنا، وله جمعتنا، فاعزم وأقدم، ونعم الرأي رأيت! ففي افتتاحها عزك وعز أصحابك، وكبت عدوك، وذل أهل الخلاف عليك قال له معاوية محبياً: أهمك يا بن العاص ما أهمك - وذلك لأن عمرو بن العاص كان صالحاً معاوية حين بايعه على قتال علي بن أبي طالب، على أن له مصر طعمة ما بقي - فأقبل معاوية على أصحابه فقال: إن هذا - يعني عمراً - قد ظن ثم حقق ظنه، قالوا له: لكنا لا ندري، قال معاوية: فإن أبا عبد الله قد أصاب، قال عمرو: وأنا أبو عبد الله، قال: إن أفضل الظنون ما أشبه اليقين.

ثم إن معاوية حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فقد رأيتم كيف صنع الله بكم في حربكم عدوكم، جاءوكم وهم لا يرون إلا أنهم سيقضون ببيضتكم، ويخربون بلادكم، ما كانوا يرون إلا أنكم في أيديهم، فردهم الله بغیظهم لم ينالوا خيراً مما أحبوا، وحاكناهم إلى الله، فحكم لنا عليهم ثم جمع لنا كلمتنا، وأصلح ذات بيننا، وجعلهم أعداء متفرقين يشهد بعضهم على بعض بالكفر، ويسفك بعضهم دم

بعض والله إني لأرجو أن يتم لنا هذا الأمر، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ نَحَاوِلَ أَهْلَ مِصْرَ، فَكَيْفَ تَرَوْنَ ارْتِيَاءَنَا لَهَا! فَقَالَ عُمَرُو: قَدْ أَخْبَرْتُكَ عَمَّا سَأَلْتَنِي عَنْهُ، وَقَدْ أَشْرَتْ عَلَيْكَ بِمَا سَمِعْتُ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: إِنْ عَمَرَا قَدْ عَزَمَ وَصَرَمَ، وَلَمْ يَفْسِرْ، فَكَيْفَ لِي أَنْ أَصْنَعَ! قَالَ لَهُ عُمَرُو: فَإِنِّي أَشِيرُ عَلَيْكَ كَيْفَ تَصْنَعُ، أَرَى أَنْ تَبْعَثَ

جَيْشًا كَثِيفًا، عَلَيْهِمْ رَجُلٌ حَازِمٌ صَارِمٌ تَأْمَنُهُ وَتُثِقَ بِهِ، فَيَأْتِي مِصْرَ حَتَّى يَدْخُلَهَا فَإِنَّهُ سَيَأْتِيهِ مِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِهَا عَلَى رَأْيَانَا فَيُظَاهِرُهُ عَلَى مَنْ بِهِ مِنْ عَدُونَا، فَإِذَا اجْتَمَعَ بِهِ جُنْدُكَ وَمِنْ بِهِ مِنْ شِيعَتِكَ عَلَى مَنْ بِهِ مِنْ أَهْلِ حَرْبِكَ، رَجَوْتُ أَنْ يَعِينُ اللَّهُ بِنَصْرِكَ، وَيُظْهِرَ فَلْجَكَ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ:

هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ دُونَ هَذَا يَعْمَلُ بِهِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ، قَالَ:

يَلِي، فَإِنْ غَيْرَ هَذَا عِنْدِي، أَرَى أَنْ نَكْتُبَ مِنْ بِهِ مِنْ شِيعَتِنَا، وَمِنْ بِهِ مِنْ أَهْلِ عَدُونَا، فَأَمَّا شِيعَتُنَا فَأَمْرُهُمْ بِالثَّبَاتِ عَلَى أَمْرِهِمْ، ثُمَّ أَمْنِيهِمْ قُدُومَنَا عَلَيْهِمْ، وَأَمَّا مَنْ بِهِ مِنْ عَدُونَا فَنَدْعُوهُمْ إِلَى صَلَاحِنَا، وَنَمْنِيهِمْ شُكْرَنَا، وَنُخَوِّفُهُمْ حَرْبَنَا، فَإِنْ صَلَحَ لَنَا مَا قَبْلَهُمْ بَغَيْرِ قِتَالٍ فَذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا، وَالْأَمْرُ كَانَ حَرْبَهُمْ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنْكَ يَا بَنِي الْعَاصِ أَمْرُ بَوْرِكَ لَكَ فِي الْعَجَلَةِ، وَأَنَا أَمْرُ بَوْرِكَ لِي فِي التَّوَوُّدِ، قَالَ: فَاعْمَلْ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ، فَوَاللَّهِ مَا أَرَى أَمْرًا وَأَمْرُهُمْ يَصِيرُ إِلَّا إِلَى الْحَرْبِ الْعَوَانِ قَالَ: فَكُتِبَ مُعَاوِيَةَ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى مُسْلِمَةَ بْنِ مَخْلَدٍ الْأَنْصَارِيِّ وَإِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ خَدِيجٍ الْكِنْدِيِّ - وَكَانَا قَدْ خَالَفَا عَلِيًّا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ ابْتَعْثَكَ لِأَمْرِ عَظِيمٍ أَعْظَمَ بِهِ أَجْرَكَ، وَرَفَعَ بِهِ ذِكْرَكَ، وَزَيَّنَكَ بِهِ فِي الْمُسْلِمِينَ، طَلَبَكَ بَدْمُ الْخَلِيفَةِ الْمَظْلُومِ، وَغَضَبَكَ اللَّهُ إِذْ تَرَكَ حَكْمَ الْكِتَابِ، وَجَاهَدْتَ أَهْلَ الْبَغْيِ وَالْعَدْوَانِ، فَأَبْشُرُوا بِرِضْوَانِ اللَّهِ، وَعَاجِلِ نَصْرِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَالْمُوَاسَاةِ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَسُلْطَانِنَا حَتَّى يَنْتَهِيَ فِي ذَلِكَ مَا يَرْضِيكُمْ، وَنُودِيَ بِهِ حَقًّا إِلَى مَا يَصِيرُ أَمْرُكُمْ إِلَيْهِ فَاصْبِرُوا وَصَابِرُوا عِدْوَكُمْ، وَادْعُوا الْمَدِيرَ إِلَى هَدَاكُمْ وَحِفْظِكُمْ، فَإِنَّ الْجَيْشَ قَدْ أَضَلَّ عَلَيْكُمْ، فَانْقَشَعَ كُلُّ مَا تَكْرَهُانَ، وَكَانَ كُلُّ مَا تَهْوِيَانِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ.

وَكُتِبَ هَذَا الْكِتَابُ وَبُعِثَ بِهِ مَعَ مَوْلَى لَهُ يُقَالُ لَهُ سَبِيعٌ.

فَفَرَجَ الرَّسُولُ بَكَاةَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمَا مِصْرَ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَمِيرُهَا، وَقَدْ نَاصَبَ هَؤُلَاءِ الْحَرْبَ بِهِ، وَهُوَ غَيْرُ مَتَحُونٍ بِهِ يَوْمَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ فَنَفَعَ كِتَابَهُ إِلَى مُسْلِمَةَ بْنِ مَخْلَدٍ وَكِتَابَ مُعَاوِيَةَ بْنِ خَدِيجٍ، فَقَالَ مُسْلِمَةُ: امْضُ بِكِتَابِ مُعَاوِيَةَ إِلَيْهِ حَتَّى يَقْرَأَهُ، ثُمَّ الْقَنِي بِهِ حَتَّى أَجِيبَهُ عَنِّي وَعَنْهُ، فَانْطَلَقَ

الرَّسُولُ بِكِتَابِ مُعَاوِيَةَ بْنِ خَدِيجٍ إِلَيْهِ، فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ، فَلَمَّا قَرَأَهُ قَالَ: إِنْ مُسْلِمَةُ بْنُ مَخْلَدٍ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَرَادَ إِلَيْهِ الْكِتَابَ إِذَا قَرَأْتَهُ لَكَ يَجِيبُ مُعَاوِيَةَ عَنْكَ وَعَنْهُ قَالَ: قُلْ لَهُ فَلْيَفْعَلْ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ الْكِتَابَ، فَأَتَاهُ ثُمَّ كَتَبَ مُسْلِمَةُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ خَدِيجٍ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي بَدَّلْنَا لَهُ نَفْسَنَا، وَاتَّبَعْنَا أَمْرَ اللَّهِ فِيهِ، أَمْرَ نَرْجُو بِهِ ثَوَابَ رَبِّنَا، وَالنَّصْرَ مِنْ خَالِفِنَا، وَتَعْجِيلَ النِّقْمَةِ لِمَنْ سَعَى عَلَى إِمَامِنَا، وَطَاطَأَ الرِّكْضَ فِي جِهَادِنَا، وَنَحْنُ بِهَذَا الْحَيِزِ مِنَ الْأَرْضِ قَدْ نَفِينَا مَنْ كَانَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ، وَأَنْهَضْنَا مَنْ كَانَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْقِسْطِ وَالْعَدْلِ، وَقَدْ ذَكَرْتَ الْمُوَاسَاةَ فِي سُلْطَانِكَ وَدُنْيَاكَ، وَبِاللَّهِ إِنْ ذَلِكَ لِأَمْرٍ مَا لَهُ نَهْضُنَا، وَلَا إِيَّاهُ أَرْدُنَا، فَإِنْ يَجْمَعُ اللَّهُ لَنَا مَا نَطْلُبُ، وَيُؤْتِنَا مَا نَتَمَنَّى، فَإِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقَدْ يُؤْتِيهِمَا اللَّهُ مَعَ عَالَمًا مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ، وَلَا خَلْفَ لِمَوْعِدِهِ، قَالَ: «فَأَتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»، عَجَلَ عَلَيْنَا خَيْلَكَ وَرَجْلَكَ، فَإِنْ عَدُونَا قَدْ كَانَ عَلَيْنَا حَرْبًا، وَكَانَ فِيهِمْ قَلِيلًا، فَقَدْ أَصْبَحُوا لَنَا هَائِبِينَ، وَأَصْبَحْنَا لَهُمْ مُقَرَّنِينَ، فَإِنْ يَأْتِنَا اللَّهُ بِمَدَدٍ مِنْ قَبْلِكَ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ قَالَ: فَجَاءَهُ هَذَا الْكِتَابُ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ بِفِلَسْطِينَ، فَدَعَا النَّفَرَ الَّذِينَ سَمَاهُمْ فِي الْكِتَابِ فَقَالَ: مَاذَا تَرَوْنَ؟ قَالُوا: الرَّأْيُ أَنْ تَبْعَثَ جُنْدًا مِنْ قَبْلِكَ، فَإِنَّكَ تَفْتَتِحُهَا بِإِذْنِ اللَّهِ قَالَ مُعَاوِيَةُ: فَتَجْهَزْ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِلَيْهَا - يَعْنِي عُمَرُو بْنُ الْعَاصِ - قَالَ: فَبَعَثَهُ فِي سِتَّةِ آلَافِ رَجُلٍ، وَخَرَجَ مُعَاوِيَةَ وَوَدَّعَهُ وَقَالَ لَهُ عِنْدَ وَدَاعِهِ إِيَّاهُ: أَوْصِيكَ يَا عُمَرُو بِتَقْوَى اللَّهِ وَالرَّفْقِ فَانْهَ يَمْنًا، وَبِالْمَهْلِ وَالتَّوَوُّدِ،

فإن العجلة من الشَّيْطَان، وبأن تقبل ممن أقبل، وأن تغفو عمن أدبر، فإن قبل فيها ونعمت، وإن أبى فإن السطوة بعد المعذرة أبلغ في المحبة، وأحسن في العاقبة، وادع الناس إلى الصلح والجماعة،

فإذا أنت ظهرت فليكن أنصارك أثر الناس عندك، وكل الناس فأول حسنا قال: نفرج عمرو يسير حتى نزل أداني أرض مصر، فاجتمعت العثمانية إليه، فأقام بهم، وكتب إلى محمد بن أبي بكر:

أما بعد، فتنتح عني بدمك يا بن أبي بكر، فإني لا أحب أن يصيبك مني ظفر، إن الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك، ورفض أمرك، وندموا على اتباعك، فهم مسلهوك لو قد التقت حلقتا البطان، فأخرج منها، فإني لك من الناصحين، والسلام. وبعث إليه عمرو أيضا بكتاب معاوية إليه:

أما بعد، فإن غب البغي والظلم عظيم الوبال، وإن سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النقمة في الدنيا، ومن التبعة الموبقة في الآخرة، وإنا لا نعلم أحدا كان أعظم على عثمان بغيا، ولا أسوأ له عيبا، ولا أشد عليه خلافا منك، سعت عليه في الساعين، وسفكت دمه في السافكين، ثم أنت تظن أني عنك نائم أو ناس لك، حتى تأتي فتأمر على بلاد أنت فيها جاري، وجل أهلها أنصاري، يرون رأيي، ويرقبون قولي، ويستصرخوني عليك.

وقد بعثت إليك قوما حناقا عليك، يستسقون دمك، ويتقربون إلى الله بجهادك، وقد أعطوا الله عهدا ليمثلن بك، ولو لم يكن منهم إليك ما عدا قتلك ما حذرتك ولا أذرتك، ولأحببت أن يقتلوك بظلمك وقطيعتك وعدوك على عثمان يوم يطعن بمشاقصك بين خششائه وأوداجه، ولكن أكره أن أمثل بقرشي، ولن يسلمك الله من القصاص أبدا أينما كنت والسلام.

قال: فطوى محمد كتابيهما، وبعث بهما إلى علي، وكتب معهما:

أما بعد، فإن ابن العاص قد نزل أداني أرض مصر، واجتمع إليه أهل البلد جلهم ممن كان يرى رأيهم، وقد جاء في جيش لجب خراب، وقد رأيت ممن قبلي بعض الفشل، فإن كان لك في أرض مصر حاجة فأمدني بالرجال والأموال، والسلام عليك. فكتب إليه علي:

أما بعد، فقد جاءني كتابك تذكر أن ابن العاص قد نزل بأداني أرض مصر في لجب من جيشه خراب، وأن من كان بها على مثل رأيه قد خرج إليه، وخروج من يرى رأيه إليه خير لك من إقامتهم عندك.

وذكرت أنك قد رأيت في بعض من قبلك فشلا، فلا تفشل، وإن فشلوا فخصن قريتك، واضم إليك شيعتك، واندب إلى القوم كئانة بن بشر المعروف بالنصيحة والنجدة والبأس، فإني نادب إليك الناس على الصعب والذلول، فاصبر لعدوك، وامض على بصيرتك، وقاتلهم على نيتك، وجاهدهم صابرا محتسبا، وإن كانت فتك أقل الفتتين، فإن الله قد يعز القليل، ويخذل الكثير وقد قرأت كتاب الفاجر ابن الفاجر معاوية، والفاجر ابن الكافر عمرو، المتحابين في عمل المعصية، والمتوافقين المرتشيين في الحكومة، المنكرين في الدنيا، قد استمتعوا بخلافهم كما استمتع الذين من قبلهم بخلافهم، فلا يهلك إرعادهما وإبراقهما، وأجبهما إن كنت لم تجبهما بما هما أهله، فإنك تجد مقالا ما شئت، والسلام.

قال أبو مخنف: فحدثني محمد بن يوسف بن ثابت الأنصاري، عن شيخ من أهل المدينة، قال: كتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية بن أبي سفيان جواب كتابه:

أما بعد، فقد أتاني كتابك تذكرني من أمر عثمان أمرا لا أعتذر إليك منه، وتأمرني بالتنحي عنك كأنك لي ناصح، وتخوفني المثلة كأنك شفيق، وأنا أرجو أن تكون لي الدائرة عليهم، فأجتاحكم في الواقعة، وإن توتوا النصر ويكن لكم الأمر في الدنيا، فكم لعمري من ظالم قد نصرتم، وكم من مؤمن قتلتم ومثلتم به! وإلى الله مصيركم ومصيرهم، وإلى الله مرد الأمور، وهو أرحم الراحمين، والله المستعان على

مَا تَصِفُونَ.
وَالسَّلَامُ.

وكتب مُحَمَّدٌ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ فَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِي كِتَابِكَ يَا بَنَ الْعَاصِ، زَعَمْتَ أَنَّكَ تَكْرَهُ أَنْ يَصِيبَنِي مِنْكَ ظَفَرٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مِنَ الْمُبْطِلِينَ وَتَزْعُمُ أَنَّكَ لِي نَصِيحٌ، وَأَقْسَمُ أَنَّكَ عِنْدِي ظَنِينَ، وَتَزْعُمُ أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ قَدْ رَفَضُوا رَأْيِي وَأَمْرِي، وَنَدَمُوا عَلَى اتِّبَاعِي، فَأَوْلَيْكَ لَكَ وَلِلشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَوْلِيَاءَهُ فَخَسِبْنَا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَتَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَالسَّلَامُ.

قَالَ: أَقْبَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ حَتَّى قَصَدَ مِصْرَ، فَقَامَ مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فِي النَّاسِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى رَسُولِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْمُؤَمِّنِينَ، فَإِنَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يَنْتَهَكُونَ الْحَرَمَ، وَيَنْعَشُونَ الضَّلَالَةَ، وَيَشْبُونَ نَارَ الْفِتْنَةِ، وَيَتَسَلَطُونَ بِالْجَبْرِ، قَدْ نَصَبُوا لَكُمْ الْعَدَاوَةَ، وَسَارُوا إِلَيْكُمْ بِالْجُنُودِ عِبَادَ اللَّهِ! فَمَنْ ارَادَ الْجَنَّةَ وَالْمَغْفِرَةَ فَلْيَخْرُجْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَلْيُجَاهِدْهُمْ فِي اللَّهِ، انْتَدَبُوا إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ مَعَ كُنَانِهِ ابْنِ بَشَرٍ.

قَالَ: فَانْتَدَبَ مَعَهُ نَحْوُ مِنْ أَلْفِي رَجُلٍ، وَخَرَجَ مُحَمَّدٌ فِي أَلْفِي رَجُلٍ.

وَاسْتَقْبَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ كُنَانَهُ وَهُوَ عَلَى مَقْدَمَةِ مُحَمَّدٍ، فَأَقْبَلَ عَمْرُو نَحْوُ كُنَانَةٍ، فَلَهَا دَنَا مِنْ كُنَانَةِ سَرَحِ الْكُتَّابِ كُتَيْبَةَ بَعْدَ كُتَيْبَةٍ، فَفَعَلَ كُنَانَةً لَا تَأْتِيهِ كُتَيْبَةُ مِنْ كُتَّابِ أَهْلِ الشَّامِ إِلَّا شَدَّ عَلَيْهِمَا بَيْنَ مَعَهُ، فَيَضْرِبُهَا حَتَّى يَقْرِبَهَا لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَفَعَلَ ذَلِكَ مَرَارًا، فَلَهَا رَأَى ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَدِيحٍ السَّكُونِيَّ، فَأَتَاهُ فِي مِثْلِ الدَّهْمِ، فَأَحَاطَ بِكُنَانَةٍ وَأَصْحَابِهِ، وَاجْتَمَعَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَلَهَا رَأَى ذَلِكَ كُنَانَةُ بْنُ بَشَرَ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ، وَنَزَلَ أَصْحَابُهُ وَكُنَانَةُ يَقُولُ: «وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ» فَصَارَ بِهِمْ بِسِيفِهِ حَتَّى اسْتَشْهَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَقْبَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ نَحْوَ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَقَدْ تَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ لَمَّا بَلَغَهُمْ قَتْلُ كُنَانَةٍ، حَتَّى بَقِيَ وَمَا مَعَهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَلَهَا رَأَى ذَلِكَ مُحَمَّدٌ خَرَجَ يَمْشِي فِي الطَّرِيقِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى خَرَبَةٍ فِي نَاحِيَةِ الطَّرِيقِ، فَأَوَى إِلَيْهَا، وَجَاءَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ حَتَّى دَخَلَ الْفُسْطَاطَ وَخَرَجَ مُعَاوِيَةَ بْنُ حَدِيحٍ فِي

طَلَبَ مُحَمَّدٌ حَتَّى انْتَهَى إِلَى عُلُوجٍ فِي قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، فَسَأَلَهُمْ: هَلْ مَرَّ بِكُمْ أَحَدٌ تَنَكَّرُونَهُ؟ فَقَالَ أَحَدُهُمْ: لَا وَاللَّهِ، إِلَّا أَنِّي دَخَلْتُ تِلْكَ الْخَرَبَةَ، فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ فِيهَا جَالِسٍ، فَقَالَ ابْنُ حَدِيحٍ: هُوَ هُوَ وَرَبُّ الْكُعْبَةِ، فَانْطَلَقُوا يَرْكُضُونَ حَتَّى دَخَلُوا عَلَيْهِ، فَاسْتَخْرَجُوهُ وَقَدْ كَادَ يَمُوتُ عَطْشًا، فَأَقْبَلُوا بِهِ نَحْوَ فُسْطَاطِ مِصْرَ قَالَ: وَوُثِبَ أَخُوهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - وَكَانَ فِي جَنْدِهِ فَقَالَ: أَتَقْتُلُ أَخِي صَبْرًا! ابْعَثْ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ حَدِيحٍ فَانْهَهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ يَأْمُرُهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِمُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: أَكْذَاكَ! قَتَلْتُمْ كُنَانَةَ بْنَ بَشَرَ وَأَخِي أَنَا عَنْ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي بَكْرٍ! هِيَهَاتَ، «أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ».

فَقَالَ لَهُمُ مُحَمَّدٌ: اسْقُونِي مِنَ الْمَاءِ، قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ حَدِيحٍ: لَا سَقَاهُ اللَّهُ إِنْ سَقَاكَ قَطْرَةٌ أَبَدًا! إِنَّكُمْ مَنَعْتُمْ عُثْمَانَ أَنْ يَشْرَبَ الْمَاءَ حَتَّى قَتَلْتُمُوهُ صَائِمًا مُحَرَّمًا، فَتَلْقَاهُ اللَّهُ بِالرَّحِيقِ الْمُخْتَوَمِ، وَاللَّهُ لَا أَقْتُلُنَاكَ يَا ابْنَ أَبِي بَكْرٍ فَيَسْقِيكَ اللَّهُ الْحَمِيمَ وَالْغَسَاقُ! قَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ: يَا ابْنَ الْيَهُودِيَّةِ النَّسَاجَةِ، لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْكَ وَإِلَى مَنْ ذَكَرْتُ، إِنَّمَا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَسْقِي أَوْلِيَاءَهُ، وَيُظْمِئُ أَعْدَاءَهُ، أَنْتَ وَضُرْبَاؤُكَ وَمَنْ تَوَلَّاهُ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ سِيفِي فِي يَدِي مَا بَلَغْتُمْ مِنِّي هَذَا، قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ:

أَتَدْرِي مَا أَصْنَعُ بِكَ؟ أَدْخُلُكَ فِي جَوْفِ حِمَارٍ، ثُمَّ أَحْرِقُهُ عَلَيْكَ بِالنَّارِ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ: إِنْ فَعَلْتُمْ بِي ذَلِكَ، فَطَالَمَا فَعَلَ ذَلِكَ بِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ! وَإِنِّي لَأَرْجُو هَذِهِ النَّارَ الَّتِي تَحْرِقُنِي بِهَا أَنْ يَجْعَلَهَا اللَّهُ عَلَيَّ بَرْدًا وَسَلَامًا كَمَا جَعَلَهَا عَلَى خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ، وَأَنْ يَجْعَلَهَا عَلَيْكَ وَعَلَى أَوْلِيَائِكَ كَمَا جَعَلَهَا عَلَى نَمْرُودَ وَأَوْلِيَائِهِ، إِنَّ اللَّهَ يَحْرِقُكَ وَمَنْ ذَكَرْتَهُ قَبْلَ إِمامِكَ - يَعْنِي مُعَاوِيَةَ، وَهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - بِنَارٍ تَلْظِي عَلَيْكُمْ،

كلما خبت زادها الله سعيراً قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: إِنِّي إِنَّمَا أَقْتُلُكَ بِعَثْمَانَ، قَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ: وَمَا أَنْتَ وَعَثْمَانُ! إِنَّ عَثْمَانَ عَمِلَ بِالْجَوْرِ، وَبَذَلَ حَكْمَ الْقُرْآنِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»، فَتَقَمْنَا ذَلِكَ عَلَيْهِ فَتَقَتْلَانَاهُ، وَحَسَنْتَ

٥٠٢٠٢ قتل محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس

أَنْتَ لَهُ ذَلِكَ وَنَظَرَاؤُكَ، فَقَدْ بَرَأْنَا اللَّهَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَنْبِهِ، وَأَنْتَ شَرِيكُهُ فِي إِثْمِهِ وَعَظَمَ ذَنْبُهُ، وَجَاعَلْتَ عَلَى مِثَالِهِ قَالَ: فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ فَقَدِمَهُ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ أَلْقَاهُ فِي جِيْفَةِ حِمَارٍ، ثُمَّ أَحْرَقَهُ بِالنَّارِ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَائِشَةُ جَزَعَتْ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا، وَقَتَّتْ عَلَيْهِ فِي دُبُرِ الصَّلَاةِ تَدْعُو عَلَى مُعَاوِيَةَ وَعَمْرُو، ثُمَّ قَبَضَتْ عِيَالُ مُحَمَّدٍ إِلَيْهَا، فَكَانَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فِي عِيَالِهَا.

وَأَمَّا الْوَاقِدِيُّ فَإِنَّهُ ذَكَرَ لِي أَنَّ سُوَيْدَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ حَدَّثَهُ عَنْ ثَابِتِ بْنِ عَجْلَانَ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ خَرَجَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، فِيهِمْ مُعَاوِيَةُ بْنُ حَدِيجٍ، وَأَبُو الْأَعْوَرِ السُّلَمِيُّ، فَاتَّقُوا بِالْمُسْنَةِ، فَاقْتُلُوا قَتْلًا شَدِيدًا، حَتَّى قَتَلَ كَنَانَهُ بْنُ بَشَرَ بْنَ عَتَابِ التَّجِيبِيِّ، وَلَمْ يَجِدْ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ مَقَاتِلًا، فَانْهَزَمَ، فَاخْتَبَأَ عِنْدَ جَبَلَةٍ بِنَ مَسْرُوقٍ، فَدَلَّ عَلَيْهِ مُعَاوِيَةُ بْنُ حَدِيجٍ، فَأَحَاطَ بِهِ، فَخَرَجَ مُحَمَّدٌ فَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَكَانَتِ الْمُسْنَةُ فِي صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ، وَأُذِرِحَ فِي شَعْبَانَ مِنْهَا فِي عَامٍ وَاحِدٍ.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ أَبِي مَخْنَفٍ وَكَتَبَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى مُعَاوِيَةَ عِنْدَ قَتْلِهِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ وَكَانَهُ بِنَ بَشَرَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا لَقِينَا مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ وَكَانَهُ بِنَ بَشَرَ فِي جَمُوعِ جَمْعَةٍ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَدَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْهُدَى وَالسُّنَةِ وَحَكْمِ الْكِتَابِ، فَرَفَضُوا الْحَقَّ، وَتَوَرَّكُوا فِي الضَّلَالِ، فَجَاهَدْنَاهُمْ، وَاسْتَنْصَرْنَا اللَّهَ عَلَيْهِمْ، فَضَرَبَ اللَّهُ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ، وَمَنْحُونَا أَكْثَافَهُمْ، فَقَتَلَ اللَّهُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ وَكَانَهُ ابْنُ بَشَرَ وَأَمَاتِلَ الْقَوْمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَفِيهَا

قتل محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس . (ذكر الخبر عن مقتله) :

اختلف أهل السير في وقت مقتله، فَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: قَتَلَ فِي سَنَةِ

سِتْ وَثَلَاثِينَ قَالَ: وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ وَعَمْرُو سَارَا إِلَى اللَّهِ وَهُوَ بِمِصْرَ قَدْ ضَبَطَهَا، فَتَزَلَا بَعَيْنَ شَمْسٍ، فَعَالَجَا الدَّخُولَ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، فَخَدَعَا مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي حَذِيفَةَ عَلَى أَنْ يُخْرِجَ فِي أَلْفِ رَجُلٍ إِلَى الْعَرِيشِ، فَخَرَجَ وَخَلَفَ الْحَكَمُ بْنُ الصَّلْتِ عَلَى مِصْرَ، فَلَمَّا خَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَذِيفَةَ إِلَى الْعَرِيشِ تَحَصَّنَ، وَجَاءَ عَمْرُو فَغَضِبَ الْجَانِيقَ حَتَّى نَزَلَ فِي ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَخَذُوا فَقَتَلُوا قَالَ: وَذَاكَ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ عَلِيٌّ إِلَى مِصْرَ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ.

وَأَمَّا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيُّ فَإِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي حَذِيفَةَ إِذَا أَخَذَ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ وَدَخَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِصْرَ وَغَلَبَ عَلَيْهَا، وَزَعَمَ أَنَّ عَمْرُوًا دَخَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ مِصْرَ أَصَابُوا مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي حَذِيفَةَ، فَبَعَثُوا بِهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَهُوَ بِفِلَسْطِينَ، فَخَبَسَهُ فِي سِجْنٍ لَهُ، فَكُتِبَ فِيهِ غَيْرُ كَثِيرٍ، ثُمَّ إِنَّهُ هَرَبَ مِنَ السِّجْنِ - وَكَانَ ابْنُ خَالِ مُعَاوِيَةَ - فَأَرَى مُعَاوِيَةَ النَّاسَ أَنَّهُ قَدْ كَرِهَ انْفِلَاتِهِ، فَقَالَ لِأَهْلِ الشَّامِ: مَنْ يَطْلُبُهُ؟ قَالَ: وَقَدْ كَانَ مُعَاوِيَةَ يُحِبُّ فِيمَا يَرُونَ أَنْ يُنْجُو، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ خَثْعَمٍ - يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عَمْرُو بْنِ ظَلَامٍ، وَكَانَ رَجُلًا شَجَاعًا، وَكَانَ عَثْمَانِيًا: أَنَا أَطْلُبُهُ فَخَرَجَ فِي حَالَةٍ حَتَّى لَحِقَهُ بِأَرْضِ الْبَلْقَاءِ بِحُورَانَ وَقَدْ دَخَلَ فِي غَارٍ هُنَاكَ، فَجَاءَتْ حِمْرٌ تَدْخُلُهُ، وَقَدْ أَصَابَهَا الْمَطَرُ، فَلَمَّا رَأَتْ الْحِمْرُ الرَّجُلَ فِي الْغَارِ فَرَعَتْ، فَفَنَرَتْ، فَقَالَ حَصَادُونَ كَانُوا قَرِيبًا مِنَ الْغَارِ: وَاللَّهِ إِنْ لَنَفَرُ هَذِهِ الْحِمْرُ مِنَ الْغَارِ لَشَأْنَا فَذَهَبُوا لِيَنْظُرُوا، فَإِذَا هُمْ بِهِ، فَخَرَجُوا، وَیُوَافَقُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرُو بْنِ ظَلَامِ الْخَثْعَمِيُّ، فَسَأَلَهُمْ عَنْهُ، وَوَصَفَهُ لَهُمْ، فَقَالُوا لَهُ: هَا هُوَ ذَا فِي الْغَارِ، قَالَ: فَجَاءَ حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَرْجِعَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَيَخْلِي سَبِيلَهُ فَضَرَبَ عُنُقَهُ قَالَ هِشَامُ، عَنْ أَبِي مَخْنَفٍ: قَالَ: وَحَدَّثَنِي

الحَارِثُ بن كعب بن فقيم، عن جندب، عن عَبْدِ اللَّهِ بن فقيم، عم الحَارِثِ بن كعب يستصرخ من قبل مُحَمَّدٍ بن أَبِي بكرٍ إِلَى عليٍّ - وَمُحَمَّدٌ يَوْمَئِذٍ أَمِيرُهُمْ - فقام عليٌّ فِي

الناس وَقَدْ أَمَرَ فَنُودِيَ: الصَّلَاةُ جامعة! فاجتمع الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على مُحَمَّدٍ ص، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ هَذَا صَرِيحُ مُحَمَّدٍ بن أَبِي بكرٍ وإخوانكم من أهل مصر، قَدْ سَارَ إِلَيْهِمْ ابْنُ النَّابِغَةِ عدو الله، وولى من عادى الله، فلا يكون أهل الضلال إِلَى باطلهم والركون إِلَى سبيل الطاغوت أَشَدَّ اجتماعاً مِنْكُمْ عَلَى حَقِّكُمْ هَذَا، فَإِنَّهُمْ قَدْ بَدَءُوا بِكُمْ وإخوانكم بالغزو، فاعجلوا إِلَيْهِمْ بالمؤاساة والنصر عباد الله، إِنْ مصر أعظم من الشام، أَكْثَرُ خيراً، وخير أهلاً، فلا تغلبوا عَلَى مصر، فَإِنْ بقاء مصر فِي أَيْدِيكُمْ عز لكم، وكبت لعدوكم، اخرجوا إِلَى الجرعة بين الحيرة والكوفة، فوافوني بِهَا هُنَاكَ غدا إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ: فلما كَانَ من الغد خرج يمشي، فزلهَا بكرة، فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى انتصف النهار يومه ذَلِكَ، فلم يوافه مِنْهُمْ رجل واحد، فرجع فلما كَانَ من العشي بعث إِلَى أَشراف الناس، فدخلوا عَلَيْهِ القصر وهو حزين كئيب، [فَقَالَ: الحمد لِلَّهِ عَلَى مَا قَضَى من أَمْرِي، وقدر من فعلي، وابتلاني بكم أيتها الفرقة ممن لا يطيع إِذَا أَمَرْتُ، وَلَا يجب إِذَا دَعَوْتُ، لا أَبَا لغيركم! مَا تنتظرون بصبركم، والجهاد عَلَى حَقِّكُمْ! الموت والذل لكم فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى غير الحق، فوالله لئن جَاءَ الموت - وليأتين - ليفرقن بيني وبينكم، وأنا لصحبكم قَالَ، وبكم غير ضنين، لِلَّهِ أَتَمُّ! لا دين يجمعكم، وَلَا حمية تحميكم، إِذَا أَتَمَّ سمعتم بعدكم يرد بلادكم، ويشن الغارة عليكم او ليس عجا أَن معاوية يدعو الجفأة الطغام فيتبعونه عَلَى غير عطاء وَلَا معونة! ويجيبونه فِي السنة المرتين والثلاث إِلَى أي وجه شاء، وأنا أدعوكم - وَأَنْتُمْ أُولُو النِّبْيِ وَبَقِيَّةُ النَّاسِ - عَلَى المعونة وطائفة مِنْكُمْ عَلَى العطاء، فتقومون عني وتعصوني، وتختلفون علي! فقام إِلَيْهِ مالك بن كعب الهمداني ثُمَّ الأرحبي، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اندب الناس فإنه لا عطر بعد عروس، لمثل هَذَا الْيَوْمِ كنت أدخر نفسي، والأجر لا يَأْتِي إِلَّا بالكثرة اتقوا الله وأجيبوا إمامكم، وانصروا دعوته،

وقاتلوا عدوه، أنا أسير إِلَيْهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: فَأمر علي مناديه سعداً، فنادى فِي الناس: أَلَا انتدبوا إِلَى مصر مع مالك بن كعب. ثُمَّ إِنَّهُ خرج وخرج معه علي، فنظر إِذَا جميع من خرج نحو الفئ رجل، فقال: سر فوالله مَا إِخَالُكَ تدرك القوم حَتَّى ينقضي أمرهم، قَالَ:

نفرج بهم، فسار نحوهم ثُمَّ إِنْ الحجاج بن غزيرة الأنصاري، ثُمَّ النجاري قدم عَلَى علي من مصر، وقدم عبد الرَّحْمَنِ بن شبيب الفزاري، فأما الفزاري فكان عينه بِالشَّامِ، وأما الأنصاري فكان مع مُحَمَّدٍ بن أَبِي بكرٍ، فحدثه الأنصاري بِمَا رَأَى وعين وبهلاك مُحَمَّدٍ، وحدثه الفزاري أَنَّهُ لم يخرج من الشَّامِ حَتَّى قدمت البشراء من قبل عمرو بن العاص تترى، يتبع بعضها بعضاً بفتح مصر وقتل مُحَمَّدٍ بن أَبِي بكرٍ، وحتى أَذن بقتله عَلَى المنبر، وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قلها رأيت قوماً قط أسر، وَلَا سرورا قط أظهر من سرور رأيت بِالشَّامِ حين أتاها هلاك مُحَمَّدٍ بن أَبِي بكرٍ [فَقَالَ علي: أما إِنْ حزننا عَلَيْهِ عَلَى قدر سرورهم بِهِ، لا بل يَزِيدُ أضعافاً] قَالَ: وسرح علي عبد الرَّحْمَنِ بن شريح الشامي إِلَى مالك بن كعب، فردّه من الطريق قَالَ:

وحزن علي عَلَى مُحَمَّدٍ بن أَبِي بكرٍ حتى رَأَى ذَلِكَ فِي وجهه، وتبين فِيهِ، وقام فِي النَّاسِ خَطِيباً، فحمد الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وصلى على رسوله ص، وَقَالَ: أَلَا إِنْ مصر قَدْ افتتحها الفجرة أُولُو الجور والظلم الَّذِينَ صدوا عن سبيل الله، وبغوا الإسلام عوجاً أَلَا إِنْ مُحَمَّدٍ بن أَبِي بكرٍ قَدْ استشهد رحمه الله، فعند الله نحتسبه أما وَاللَّهِ إِنْ كَانَ مَا علمت لمن ينتظر القضاء، ويعمل للجزاء، ويبغض شكل الفاجر، ويحب هدى المؤمن، إني وَاللَّهِ مَا أُلوم نفسي على التقصير، وإني لمقاساه الحرب لجد خبير، وإني لأقدم عَلَى الأمر وأعرف وجه الحزم، وأقوم فيكم بالرأي المصيب، فأستصرخكم معلناً، وأناديكم نداء المستغيث معرباً، فلا تسمعون لي قولاً، وَلَا تطيعون لي أمراً، حَتَّى تصير بي الأمور إِلَى عواقب المساءة، فَأَنْتُمْ القوم لا يدرك بكم الثَّأْرُ، وَلَا تنقض بكم الأوتار، دعوتكم الى غياث إخوانكم

منذ بضع وخمسين ليلة فتجرجرتم جرجرة الجمل الأشدق، وثناقلتم إِلَى الأرض ثناقل من ليس لَهُ نية فِي جهاد العدو، وَلَا اكتساب

الأجر، ثم خرج الى منكم جنيد متذنب كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون.
فأف لكم! ثم نزل وكتب إلى عبد الله بن عباس وهو بالبصرة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عباس، سلام عليك، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو،
أما بعد، فإن مصر قد افتتحت، ومحمد بن أبي بكر قد استشهد، فعند الله نخسبه وندخره، وقد كنت قت في الناس في بدئه، وأمرتهم
بغياته قبل الوقعة، ودعوتهم سرا وجهرا، وعودا وبدءا، ففهم من أتى كارها، ومنهم من اعتل كاذبا، ومنهم القاعد حالا، أسأل الله
أن يجعل لي منهم فرجا ومخرجا، وأن يريحي منهم عاجلا والله لولا طمعي عند لقاء عدوى في الشهادة لأحببت الا أبقى مع هؤلاء
يوما واحدا عزم الله لنا ولك على الرشد، وعلى تقواه وهداه، إنه على كل شيء قدير والسلام.

فكتب إليه ابن عباس:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لعبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، من عبد الله بن عباس سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله
وبركاته، أما بعد، فقد بلغني كتابك تذكر فيه افتتاح مصر، وهلاك محمد بن أبي بكر، فالله المستعان على كل حال، ورحم الله محمد بن
أبي بكر وأجرك يا أمير المؤمنين! وقد سألت الله أن يجعل لك من رعيته التي ابتليت بها فرجا ومخرجا، وأن يعزك بالملائكة عاجلا
بالنصرة، فإن الله صانع لك ذلك، ومعزك ومجيب دعوتك وكأنت عدوك أخبرك يا أمير المؤمنين أن الناس ربما ثاقلوا ثم ينشطون،
فأرفق بهم يا أمير المؤمنين، وداجنهم ومنهم، واستعن بالله عليهم، كفك الله المهم والسلام.
قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج، عن مالك بن الحور،

٥٠٢٣ ذكر الخبر عن امر ابن الحضرمي وزياد وأعين وسبب قتل من قتل منهم

[أن عليا قال رحم الله محمد! كان غلاما حدثا، أما والله لقد كنت على أن أولي المرقال هاشم بن عتبة مصر، أما والله لو أنه وليها
ما خلى لعمر بن العاص وأعوانه الفجرة العرصة، ولما قتل إلا وسيفه في يده، لا بلا دم كمحمد فرحم الله محمدًا، فقد اجتهد نفسه،
وقضى ما عليه].

وفي هذه السنة وجه معاوية بعد مقتل محمد بن أبي بكر عبد الله بن عمرو ابن الحضرمي إلى البصرة للدعاء إلى الإقرار بحكم عمرو بن
العاص فيه.

وفيها قتل أعين بن ضبيعة المجاشعي، وكان علي وجهه لإخراج ابن الحضرمي من البصرة

. ذكر الخبر عن امر ابن الحضرمي وزياد وأعين وسبب قتل من قتل منهم

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني علي بن محمد، قال: حدثنا أبو الذئال، عن أبي نعام، قال: لما قتل محمد بن أبي بكر بمصر، خرج
ابن عباس من البصرة إلى علي بالكوفة، واستخلف زيادا، وقدم ابن الحضرمي من قبل معاوية، فنزل في بني تميم، فأرسل زياد إلى
حُصَيْن بن المنذر ومالك بن مسمع، فقال: أنتم يا معشر بكر بن وائل من أنصار أمير المؤمنين وثقاته، وقد نزل ابن الحضرمي حيث
ترَوْن، وأتاه من أتاه، فامنعوني حتى يأتيني رأي أمير المؤمنين فقال حُصَيْن: نعم، وقال مالك- وكان رايه مائلا إلى بني أمية، وكان
مرَوان لجأ إليه يوم الجمل: هذا أمر لي فيه شركاء، استشير وأنظر فلما رأى زياد ثاقلا مالك خاف أن تختلف ربيعة، فأرسل إلى نافع
أن أشر علي، فأشار عليه نافع بصبرة بن شيمان الحدادي، فأرسل إليه زياد، فقال: الا تجيرني! وبيت مال المسلمين فانه فيكم، وأنا
أمين أمير المؤمنين قال: بلى إن حملته إلي ونزلت داري.

قَالَ: فَإِنِّي حَامِلُهُ، حَمَلُهُ، وَخَرَجَ زِيَادٌ حَتَّى أَتَى الْخُدَّانَ، وَنَزَلَ فِي دَارِ صَبْرَةَ بْنِ شَيْمَانَ، وَحَوْلَ بَيْتِ الْمَالِ وَالْمَنْبَرِ، فَوَضَعَهُ فِي مَسْجِدِ الْخُدَّانَ، وَتَحَوَّلَ مَعَ زِيَادٍ خَمْسُونَ رَجُلًا، مِنْهُمْ أَبُو أَبِي حَاضِرٍ - وَكَانَ زِيَادٌ يُصَلِّي الْجُمُعَةَ فِي مَسْجِدِ الْخُدَّانَ، وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ - فَقَالَ زِيَادٌ لِحَاجِرِ بْنِ وَهْبٍ الرَّاسِيِّ:

يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنِّي لَا أَرَى ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ يَكْفُ، لَا أَرَاهُ إِلَّا سَيِّقَاتُكُمْ، وَلَا أَدْرِي مَا عِنْدَ أَصْحَابِكَ فَأَمْرُهُمْ، وَانْظُرْ مَا عِنْدَهُمْ فَلَمَّا صَلَّى زِيَادٌ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَقَالَ حَاجِرُ بْنُ جَابِرٍ: يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ، تَمِيمٌ تَزْعُمُ أَنَّهُمْ هُمُ النَّاسُ، وَأَنْتُمْ أَصْبَرُ مِنْكُمْ عِنْدَ الْبَاسِ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَسِيرُوا إِلَيْكُمْ حَتَّى يَأْخُذُوا جَارَكُمْ، وَيَخْرِجُوهُ مِنَ الْمَصْرِ قَسْرًا، فَكَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ وَقَدْ أَجْرَمْتُمْ وَبَيْتَ مَالِ الْمُسْلِمِينَ! فَقَالَ صَبْرَةُ بْنُ شَيْمَانَ - وَكَانَ مُفْخَمًا: إِنْ جَاءَ الْأَخْنَفُ جِئْتُ، وَإِنْ جَاءَ الْحُتَاتُ جِئْتُ، وَإِنْ جَاءَ شَبَّانُ فَنِينَا شَبَّانُ فَكَانَ زِيَادٌ يَقُولُ: إِنِّي اسْتَضَحَكْتُ وَنَهَضْتُ، وَمَا كِدْتُ مَكِيدَةً قَطُّ كُنْتُ إِلَى الْفَضِيحَةِ بِهَا أَقْرَبُ مِنِّي لِلْفَضِيحَةِ يَوْمَئِذٍ، لِمَا غَلَبَنِي مِنَ الضَّحِكِ قَالَ: ثُمَّ كَتَبَ زِيَادٌ إِلَى عَلِيٍّ: أَنَّ ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ أَقْبَلَ مِنَ الشَّامِ فَنَزَلَ فِي دَارِ بَنِي تَمِيمٍ، وَنَعَى عُثْمَانَ، وَدَعَا إِلَى الْحَرْبِ، وَبَايَعْتَهُ تَمِيمٌ وَجُلَّ أَهْلُ الْبَصْرَةِ، وَلَمْ يَبْقَ مَعِي مَنْ أَمْتَنَعَ بِهِ، فَاسْتَجَرْتُ لِنَفْسِي وَلِبَيْتِ الْمَالِ صَبْرَةَ بْنُ شَيْمَانَ، وَتَحَوَّلْتُ فَنَزَلْتُ مَعَهُمْ، فَشِيعَةُ عُثْمَانَ يَخْتَلِفُونَ إِلَى ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ، فَوَجَّهَ عَلِيٌّ أَعْيُنَ بَنِ زُبَيْعَةَ الْمُجَاشِعِيِّ لِيُفَرِّقَ قَوْمَهُ عَنِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ، فَانْظُرْ مَا يَكُونُ مِنْهُ، فَإِنْ فَرَّقَ جَمَعَ ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ فَذَلِكَ مَا تُرِيدُ، وَإِنْ تَرَقَّتْ بِهِمُ الْأُمُورُ إِلَى التَّمَادِي فِي الْعِصْيَانِ فَانْهَضْ إِلَيْهِمْ لِحَاجِرِهِمْ، فَإِنْ رَأَيْتَ مِنْ قَبْلِكَ ثَنَاقًا، وَخَفْتَ أَلَّا تَبْلُغَ مَا تُرِيدُ، فَدَارِهِمْ وَطَاوِلْهُمْ، ثُمَّ تَسَمَّعْ وَأَبْصُرْ، فَكَانَ جُنُودُ اللَّهِ قَدْ أَظْلَلَتْكَ، تَقْتُلُ الظَّالِمِينَ فَقَدْ أَمِنَ فَأَتَى زِيَادًا، فَنَزَلَ عِنْدَهُ، ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ، وَجَمَعَ رَجُلًا وَنَهَضَ إِلَى ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ، فَدَعَا لَهُمْ، فَشَتَمُوهُ وَنَاقَشُوهُ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ، فَلَمَّا قَتَلَ ابْنُ زُبَيْعَةَ، أَرَادَ زِيَادٌ قِتَالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ بَنُو تَمِيمٍ إِلَى الْأَزْدِ: إِنَّا لَمْ نَعْرِضْ لِحَاجِرِكُمْ، وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَمَآذَا تُرِيدُونَ إِلَى جَارِنَا وَحَرَبِنَا! فَكَرِهَتْ الْأَزْدُ الْقِتَالَ، وَقَالُوا: إِنْ عَرَضُوا لِحَارِنَا مَنَعْنَاهُمْ، وَإِنْ يَكْفُوا عَنْ جَارِنَا كَفَفْنَا عَنْ جَارِهِمْ فَأَمْسِكُوا وَكُتِبَ زِيَادٌ إِلَى عَلِيٍّ: أَنَّ أَعْيُنَ بَنِ زُبَيْعَةَ

قَدِمَ جَمْعٌ مِنْ أَطَاعَهُ مِنْ عَشِيرَتِهِ، ثُمَّ نَهَضَ بِهِمْ بِجَدٍّ وَصِدْقٍ نِيَّةً إِلَى ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ، فَحَثُّهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ، وَدَعَا لَهُمْ إِلَى الْكَفِّ وَالرُّجُوعِ عَنْ شِقَاقِهِمْ، وَوَأَفَقَّتْهُمْ عَامَّةٌ قَوْمٌ، فَهَالَهُمْ ذَلِكَ، وَتَصَدَّعَ عَنْهُمْ كَثِيرٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُمْ، يَمْنِيهِمْ نَصْرَتَهُ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ مَنَاوَشَةٌ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى أَهْلِهِ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَاعْتَالُوهُ فَأُصِيبَ، رَحِمَ اللَّهُ أَعْيُنَ! فَأَرَدَتْ قِتَالَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَمْ يَخَفْ مَعِي مَنْ أَقْوَى بِهِ عَلَيْهِمْ، وَتَرَأَسَلَ الْحَيَّانَ، فَأَمْسَكَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ.

فَلَمَّا قَرَأَ عَلِيٌّ كِتَابَهُ دَعَا جَارِيَةَ بْنَ قُدَامَةَ السَّعْدِيَّ، فَوَجَّهَهُ فِي خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، وَبَعَثَ مَعَهُ شَرِيكَ بْنَ الْأَعْوَرِ - وَيُقَالُ بَعَثَ جَارِيَةَ خَمْسَمِائَةَ رَجُلٍ - وَكُتِبَ إِلَى زِيَادٍ كِتَابًا يُصَوِّبُ رَأْيَهُ فِيمَا صَنَعَ، وَامْرَهُ بِمَعُونَةِ جَارِيَةَ ابْنِ قُدَامَةَ وَالْإِشَارَةِ عَلَيْهِ، فَقَدِمَ جَارِيَةُ الْبَصْرَةَ، فَأَتَى زِيَادًا فَقَالَ لَهُ: احْتَفِزْ وَاحْذَرْ أَنْ يُصِيبَكَ مَا أَصَابَ صَاحِبَكَ، وَلَا تُثَقِّنْ بِأَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ فَسَارَ جَارِيَةُ إِلَى قَوْمِهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ عَلِيٍّ، وَوَعَدَهُمْ، فَأَجَابَهُ أَكْثَرُهُمْ، فَسَارَ إِلَى ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ فَخَصَرَهُ فِي دَارِ سَنِيْلٍ، ثُمَّ أَحْرَقَ عَلَيْهِ الدَّارَ وَعَلَى مَنْ مَعَهُ، وَكَانَ مَعَهُ سَبْعُونَ رَجُلًا - وَيُقَالُ أَرْبَعُونَ - وَتَفَرَّقَ النَّاسُ، وَرَجَعَ زِيَادٌ إِلَى دَارِ الْإِمَارَةِ، وَكُتِبَ إِلَى عَلِيٍّ مَعَ ظَبْيَانَ بْنِ عُمَارَةَ، وَكَانَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَ جَارِيَةَ وَإِنَّ جَارِيَةَ قَدِمَ عَلَيْنَا فَسَارَ إِلَى ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ فَقَتَلَهُ حَتَّى اضْطَرَّه إِلَى دَارٍ مِنْ دُورِ بَنِي تَمِيمٍ، فِي عِدَّةِ رَجَالٍ مِنْ أَصْحَابِهِ

بَعْدَ الْإِعْذَارِ وَالْإِنْذَارِ، وَالِدُّعَاءِ إِلَى الطَّاعَةِ، فَلَمْ يُنِيبُوا وَلَمْ يَرْجِعُوا، فَأَضْرَمَ عَلَيْهِمُ الدَّارَ فَأَحْرَقَهُمْ فِيهَا، وَهَدِمَتْ عَلَيْهِمْ، فَبَعْدًا لِمَنْ طَغَى وَعَصَى! فَقَالَ عُمَرُو بْنُ الْعُرَنْدَسِ الْعُودِي:

رددنا زيادا إلى داره ... وجار تميم دخانا ذهب
لحى الله قوما شؤوا جارهم ... وللشاء بالدرهمين الشصب

٥٠٢٠٤ الخريت بن راشد واطهاره الخلاف على علي

ينادي الخناق وخمانها ... وَقَدْ سَمَطُوا رَأْسَهُ بِاللَّهَبِ
ونحن أناس لنا عادة ... نحامي عن الجار أن يغتصب
حينها إذ حل أربابنا ... وَلَا يَمْنَعُ الْجَارُ إِلَّا الْحَسَبَ
ولم يعرفوا حرمة للجوار ... إذ أعظم الجار قوم نجب
كفعلهم قبلنا بالزبير ... عشيّة إذ بره يستلب
وَقَالَ جَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةِ بْنِ الْخَطَفِيِّ:

غدرتم بالزبير فما وفيتهم ... وفاء الأزد إذ منعوا زيادا
فأصبح جارهم بنجاة عز ... وجار مجاشع أمسى رمادا
فلو عاقدت جبل أبي سعيد ... لزداد القوم ما حمل النجادا
وأدنى الخيل من رجع المنايا ... واغشاها الأسنّة والصعدا
الخریت بن راشد واطهاره الخلاف على علي

وَمَا كَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنِي سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ - إِظْهَارُ الْخُرَيْتِ بْنِ رَاشِدٍ فِي بَنِي نَاجِيَةِ الْخِلَافِ عَلَى عَلِيٍّ وَفِرَاقِهِ إِيَّاهُ، كَالَّذِي ذَكَرَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي مُخَنَفٍ، عَنْ الْحَارِثِ الْأَزْدِيِّ، عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فُقَيْمٍ، قَالَ: جَاءَ الْخُرَيْتُ بْنُ رَاشِدٍ إِلَى عَلِيٍّ - وَكَانَ مَعَ الْخُرَيْتِ ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي نَاجِيَةِ مُقِيمِينَ مَعَ عَلِيٍّ بِالْكُوفَةِ، قَدِمُوا مَعَهُ مِنَ الْبَصْرَةِ، وَكَانُوا قَدْ خَرَجُوا إِلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَشَهِدُوا مَعَهُ صَفِينَ وَالنَّهْرَوَانَ - فَجَاءَ إِلَى عَلِيٍّ فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَسِيرُ بَيْنَهُمْ حَتَّى قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلِيٌّ، فَقَالَ لَهُ: وَاللَّهِ يَا عَلِيُّ لَا أَطِيعُ أَمْرَكَ، وَلَا أَصْلِي خَلْفَكَ، وَإِنِّي غَدًا لِمُفَارَقِكَ وَذَلِكَ بَعْدَ

تَحْكِيمِ الْحَكَمِينَ [فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: ثَكَلْتُكَ أُمُّكَ! إِذَا تَعَصَى رَبُّكَ، وَتَنَكَّثَ عَهْدُكَ، وَلَا تَضُرُّ إِلَّا نَفْسَكَ خَبَرْنِي لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ؟ قَالَ: لِأَنَّكَ حَكَمْتَ فِي الْكِتَابِ، وَضَعْتَ عَنِ الْحَقِّ إِذَا جَدَّ الْجَدُّ، وَرَكَنْتَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَأَنَا عَلَيْكَ زَارٌ، وَعَلَيْهِمْ نَاقِمٌ، وَلَكُمْ جَمِيعًا مَبَايِنٌ. فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: هَلُمَّ أَدَارِسْكَ الْكِتَابَ، وَأَنَاظِرْكَ فِي السَّنَنِ، وَأَفَاتِحُكَ أُمُورًا مِنَ الْحَقِّ أَنَا أَعْلَمُ بِهَا مِنْكَ، فَلَعَلَّكَ تَعْرِفُ مَا أَنْتَ لَهُ الْآنَ مِنْكَ، وَتَسْتَبْصِرُ مَا أَنْتَ عَنْهُ الْآنَ جَاهِلٌ قَالَ: فَإِنِّي عَائِدٌ إِلَيْكَ، قَالَ: لَا يَسْتَهْوِينُكَ الشَّيْطَانُ، وَلَا يَسْتَخْفِنُكَ الْجَهْلُ، وَوَاللَّهِ لَئِنْ اسْتَرَشَدْتَنِي وَاسْتَنْصَحْتَنِي وَقَبِلْتَ مِنِّي لِأَهْدِيَنَّكَ سَبِيلَ الرِّشَادِ].

فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ مُنْصَرِفًا إِلَى أَهْلِهِ، فَعَجَلَتْ فِي أَثَرِهِ مَسْرَعًا وَكَانَ لِي مِنْ بَنِي عَمِّهِ صَدِيقٌ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَلْقَى ابْنَ عَمِّهِ ذَلِكَ فَأَعْلَمَهُ بِشَأْنِهِ، وَيَأْمُرُهُ بِطَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنَاصِحَتِهِ، وَيُخْبِرُهُ أَنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا وَأَجَلِ الْآخِرَةِ فَخَرَجْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَقَدْ سَبَقَنِي، فَقَمْتُ عِنْدَ بَابِ دَارِهِ، وَفِي دَارِهِ رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِهِ لَمْ يَكُونَا شَهِدَا مَعَهُ دُخُولَهُ عَلَى عَلِيٍّ.

قال: فَوَاللَّهِ مَا جَزَمَ شَيْئًا مِمَّا قَالَ، وَمَا رَدَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: يَا هَؤُلَاءِ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنَّ أَفَارِقَ هَذَا الرَّجُلَ، وَقَدْ فَارَقْتَهُ عَلَى أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْهِ مِنْ غَدٍ، وَلَا أَرَانِي إِلَّا مُفَارِقَهُ مِنْ غَدٍ فَقَالَ لَهُ أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ: لَا تَفْعَلْ حَتَّى تَأْتِيَهُ، فَإِنْ أَتَاكَ بِأَمْرٍ تَعْرِفُهُ قَبْلَ مَنْهُ، وَإِنْ كَانَتْ

الأخرى فما أقدرك على فراقه. فَقَالَ لَهُمْ: فَنَعَمْ مَا رَأَيْتُمْ قَالَ: ثُمَّ إِنِّي اسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ، فَأَذْنُوا لِي، فَدَخَلْتُ فَقُلْتُ: أَنَشُدُكَ اللَّهَ أَنْ تَفَارِقَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ تَجْعَلَ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا، وَأَنْ تَقْتُلَ مَنْ أَرَى مِنْ عَشِيرَتِكَ! أَنْ عَلِيًّا لَعَلَى الْحَقِّ.

قَالَ: فَأَنَا أَغْدُو إِلَيْهِ فَأَسْمَعُ مِنْهُ حُجَّتَهُ، وَأَنْظُرُ مَا يَعْزُضُ عَلَيَّ بِهِ وَيَذْكُرُ، فَإِنْ رَأَيْتُ حَقًّا وَرَشْدًا قَبْلَتْ، وَإِنْ رَأَيْتُ غِيًّا وَجورًا تَرَكْتُ قَالَ: نَفَلْتُ بَابَنَ عَمِّهِ ذَلِكَ- قَالَ: وَكَانَ أَحَدُ نَفَرِهِ الْأَدْنَى، وَهُوَ مَدْرُكُ بْنُ الرِّيَّانِ، وَكَانَ مِنْ رِجَالِ الْعَرَبِ- فَقُلْتُ لَهُ: إِنْ لَكَ عَلَيَّ حَقًّا لِإِخَائِكَ وَوَدِّكَ ذَلِكَ عَلَيَّ

بعد حق المسلم على المسلم إن ابن عمك كَانَ مِنْهُ مَا قَدْ ذَكَرْتُ لَكَ، فَأَجِدُ بِهِ، فَارْدُدْ عَلَيْهِ رَأْيَهُ، وَعَظُمَ عَلَيْهِ مَا أَتَى، فَإِنِّي خَائِفٌ إِنْ فَارَقَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْتُلَهُ نَفْسُهُ وَعَشِيرَتُهُ فَقَالَ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْ أَخٍ! فَقَدْ نَصَحْتُ وَأَشْفَقْتُ، إِنْ أَرَادَ صَاحِبِي فِرَاقَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَارْقَهُ وَخَالَفْتَهُ، وَكُنْتُ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَيْهِ.

وَأَنَا بَعْدُ فَإِنِّي خَالَ بِهٖ، وَمَشِيرَ عَلَيْهِ بِطَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنَاصِحَتِهِ وَالْإِقَامَةَ مَعَهُ، وَفِي ذَلِكَ حَظَّهُ وَرَشْدَهُ. فَقُمْتُ مِنْ عِنْدِهِ، وَأَرَدْتُ الرَّجُوعَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَا عِلْمَهُ بِالَّذِي كَانَ، ثُمَّ أَطْمَأْنَنْتُ إِلَى قَوْلِ صَاحِبِي، فَرَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي فَبِتَ بِهِ ثُمَّ أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ الضُّحَى أَتَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَجَلَسْتُ عِنْدَهُ سَاعَةً وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحْدِثَهُ بِالَّذِي كَانَ مِنْ قَوْلِهِ لِي عَلَى خُلُوعِهِ، فَأُطْلَتِ الْجُلُوسُ، فَلَمْ يَزِدْ النَّاسَ إِلَّا كَثْرَةً، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَجَلَسْتُ وَرَاءَهُ، فَاصْغَى إِلَى بَازِيهِ، فَخَبَّرْتَهُ بِمَا سَمِعْتُ مِنَ الْخُرَيْتِ بْنِ رَاشِدٍ، وَبِمَا قُلْتُ لَهُ، وَبِمَا رَدَّ عَلَيَّ، وَبِمَا كَانَ مِنْ مَقَالَتِي لِابْنِ عَمِّهِ، وَبِمَا رَدَّ عَلَيَّ، فَقَالَ: دَعِهِ، فَإِنْ عَرَفَ الْحَقَّ وَاقْبَلَ إِلَيْهِ عَرَفْنَا ذَلِكَ وَقَبِلْنَا مِنْهُ، وَإِنْ أَبَى طَلَبْنَاهُ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَمْ لَا تَأْخُذْهُ الْآنَ وَتَسْتَوْثِقُ مِنْهُ وَتَحْبِسُهُ؟ فَقَالَ: إِنَّا لَوْ فَعَلْنَا هَذَا بِكُلِّ مَنْ نَتَهَمُهُ مِنَ النَّاسِ مَلَأْنَا سِجْنَنَا مِنْهُمْ، وَلَا أَرَاهُ- يَعْنِي الْوُثُوبَ عَلَى النَّاسِ وَالْحَبْسَ وَالْعُقُوبَةَ- حَتَّى يَظْهَرُوا لَنَا الْخِلَافَ قَالَ: فَسَكَتَ عَنْهُ، وَتَنَحَّيْتُ، فَجَلَسْتُ مَعَ الْقَوْمِ. ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ إِنَّهُ قَالَ: ادْنُ مِنِّي، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقَالَ لِي مُسْرًا: اذْهَبْ إِلَى مَنْزِلِ الرَّجُلِ فَاعْلَمْ لِي مَا فَعَلَ، فَإِنَّهُ كُلُّ يَوْمٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينِي فِيهِ إِلَّا قَبْلَ هَذِهِ السَّاعَةِ فَأَتَيْتُ مَنْزِلَهُ، فَإِذَا لَيْسَ فِي مَنْزِلِهِ مِنْهُمْ دِيَارٌ، فَدَعَوْتُ عَلَى أَبْوَابِ دُورٍ أُخْرَى كَانَ فِيهَا طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَإِذَا لَيْسَ فِيهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ لِي حِينَ رَأَيْتِي: وَطَنُوا فَأَمْنُوا، أَمْ جَنَبُوا فَظَعَنُوا! [فَقُلْتُ: بَلْ ظَعَنُوا فَأَعْلَنُوا، فَقَالَ: قَدْ فَعَلُوا! بَعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودُ! أَمَا لَوْ قَدْ أَشْرَعَتْ لَهُمُ الْأَسْنَةُ وَصَبَبَتْ عَلَى هَامِهِمُ السَّيُوفُ،

لَقَدْ نَدَمُوا أَنْ الشَّيْطَانُ الْيَوْمَ قَدْ اسْتَهْوَاهُمْ وَأَضَلَّهُمْ، وَهُوَ غَدَا مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ، وَمُخْلِ عَنْهُمْ] .

فَقَامَ إِلَيْهِ زِيَادُ بْنُ خَصْفَةَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ مَضْرَةِ هَؤُلَاءِ إِلَّا فِرَاقُهُمْ إِيَّانَا لَمْ يَعْظُمَ فَقْدُهُمْ فَنَأْسَى عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ قَلْبًا يَزِيدُونَ فِي عِدْدِنَا لَوْ أَقَامُوا مَعَنَا، وَقَلْبًا يَنْقُصُونَ مِنْ عِدْدِنَا بِخُرُوجِهِمْ عَنَا، وَلَكِنَّا نَخَافُ أَنْ يَفْسُدُوا عَلَيْنَا جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِمَّنْ يَقْدُمُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِكَ، فَأَذِنَ لِي فِي اتِّبَاعِهِمْ حَتَّى أُرْدَهُمْ عَلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ:

وَهَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَوَجَّهَ الْقَوْمُ؟ فَقَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَخْرَجْتُ فَأَسْأَلُ وَأَتَّبِعُ الْأَثَرَ.

فَقَالَ لَهُ: أَخْرَجَ رَحِمَكَ اللَّهُ حَتَّى تَنْزِلَ دِيرَ أَبِي مُوسَى، ثُمَّ لَا تُتَوَجَّهْ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي، فَإِنَّهُمْ إِنْ كَانُوا خَرَجُوا ظَاهِرِينَ لِلنَّاسِ فِي جَمَاعَةٍ، فَإِنْ عَمَالِي سَتَكْتُبُ إِلَيْكَ بِذَلِكَ، وَإِنْ كَانُوا مُتَفَرِّقِينَ مُسْتَخْفِينَ فَذَلِكَ أَخْفَى لَهُمْ، وَسَأَكْتُبُ إِلَى عَمَالِي فِيهِمْ فَكُتِبَ نَسْخَةٌ وَاحِدَةٌ فَأَخْرَجَهَا إِلَى الْعَمَالِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ رَجَلًا خَرَجُوا هَرَابًا وَنَظَنَّهُمْ وَجْهًا نَحْوَ بِلَادِ الْبَصْرَةِ، فَسَلِّ عَنْهُمْ أَهْلَ بِلَادِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمُ الْعِيُونَ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ أَرْضِكَ، وَاكْتُبْ إِلَيَّ بِمَا يَنْتَهِي إِلَيْكَ عَنْهُمْ، وَالسَّلَامُ.

فَخَرَجَ زِيَادُ بْنُ خَصْفَةَ حَتَّى أَتَى دَارَهُ، وَجَمَعَ أَصْحَابَهُ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ يَا مَعْشَرَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

ندبني لأمر من أمره مهم له، وأمرني بالانكماش فيه، وأنتم شيعته وأنصاره، وأوثق حي من الأحياء في نفسه، فانتدبوا معي الساعة، واجعلوا.

قال: فوالله ما كان إلا ساعة حتى اجتمع له منهم مائة وعشرون رجلاً أو ثلاثون، فقال: اكتفينا، لا نريد أكثر من هذا، فخرجوا حتى قطعوا الجسر، ثم دير أبي موسى، فنزله، فأقام فيه بقية يومه ذلك ينتظر أمر أمير المؤمنين قال أبو مخنف: حَدَّثَنِي أَبُو الصَّلْتِ الْأَعُورُ التِّيمِيُّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْعَقِيلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَائِلٍ التِّيمِيِّ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَعِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا جَاءَهُ فِجْجٌ، كَتَابَ بِيَدِهِ، مِنْ قَبْلِ قَرْظَةِ بْنِ كَعْبِ الْأَنْصَارِيِّ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَخْبَرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ خِيلاً مَرَّتْ بِنَا مِنْ قَبْلِ الْكُوفَةِ مُتَوَجِّهَةً نَحْوَ نَفَرٍ، وَإِنْ رَجُلًا مِنْ دِهَاقِينَ أَسْفَلَ الْفَرَاتِ قَدْ صَلَّى يَقَالُ لَهُ: زَادَانِ فَرُوحٌ، أَقْبَلَ مِنْ قَبْلِ أَخَوَالِهِ بِنَاحِيَةِ نَفَرٍ، فَعَرَضُوا لَهُ، فَقَالُوا: أَمْسَلِمَ أَنْتَ أَمْ كَافِرٌ؟ فَقَالَ: بَلِ أَنَا مُسْلِمٌ، قَالُوا: فَمَا قَوْلُكَ فِي عَلِيٍّ؟ قَالَ: أَقُولُ فِيهِ خَيْرًا، أَقُولُ: إِنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَيِّدُ الْبَشَرِ، فَقَالُوا لَهُ: كَفَرْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ! ثُمَّ حَمَلَتْ عَلَيْهِ عَصَابَةٌ مِنْهُمْ فَقَطَعُوهُ، وَوَجَدُوا مَعَهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَقَالُوا: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، قَالُوا: أَمَا هَذَا فَلَا سَبِيلَ عَلَيْهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْنَا ذَلِكَ الذِّمِّيُّ فَأَخْبَرَنَا هَذَا الْخَبَرَ، وَقَدْ سَأَلْتُ عَنْهُمْ فَلَمْ يَخْبِرْنِي أَحَدٌ عَنْهُمْ بِشَيْءٍ، فَلِيَكْتُبَ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِرَأْيِهِ فِيهِمْ أَنْتَهُ إِلَيْهِ وَالسَّلَامُ.

فَكُتِبَ إِلَيْهِ:

أَمَا بَعْدُ، فَقَدْ فَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْعَصَابَةِ الَّتِي مَرَّتْ بِكَ فَقَتَلْتَ الْبَرَّ الْمُسْلِمَ، وَأَمِنْ عِنْدَهُمُ الْخَالَفُ الْكَافِرُ، وَإِنْ أَوْلَيْتَ قَوْمَ اسْتِهْوَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَضَلُّوا وَكَانُوا كَالَّذِينَ حَسَبُوا إِلَّا تَكُونُ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا، فَاسْمَعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ تَخْبُرُ أَعْمَالَهُمْ وَالزَّمْ عَمَلَكُمْ، وَأَقْبَلَ عَلَى خِرَاجِكُمْ فَإِنَّكَ كَمَا ذَكَرْتَ فِي طَاعَتِكَ وَنَصِيحَتِكَ، وَالسَّلَامُ قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: وَحَدَّثَنِي أَبُو الصَّلْتِ الْأَعُورُ التِّيمِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْعَقِيلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَائِلٍ، قَالَ: كَتَبَ عَلِيٌّ عَ مَعِيَ كِتَابًا إِلَى زِيَادِ بْنِ خَصْفَةَ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ شَابٌ حَدَثٌ:

أَمَا بَعْدُ، فَإِنِّي كُنْتُ أَمْرَتُكَ أَنْ تَنْزِلَ دِيرَ أَبِي مُوسَى حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي وَذَلِكَ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ عَلِمْتُ إِلَى أَيِّ وَجْهِ تَوَجَّهَ الْقَوْمُ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُمْ أَخَذُوا نَحْوَ قَرْيَةٍ يَقَالُ لَهَا نَفَرٌ، فَاتَّبَعَ آثَارَهُمْ، وَسَلَ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ مُصْلِيًّا، فَإِذَا أَنْتَ لِحَقَّتْهُمْ فَارَدَدَهُمْ إِلَيَّ، فَإِنْ أَبَوْا فَتَاجَزَهُمْ، وَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ قَدْ فَارَقُوا الْحَقَّ، وَسَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَخَافُوا السَّبِيلَ وَالسَّلَامَ.

[قَالَ: فَأَخَذْتُ الْكِتَابَ مِنْهُ، فَضَمُّتُ بِهِ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ رَجَعْتُ بِهِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا أَمْضِي مَعَ زِيَادِ بْنِ خَصْفَةَ إِذَا دَفَعْتَ إِلَيْهِ كِتَابَكَ إِلَى عَدُوِّكَ؟ فَقَالَ: يَا بَنَ أَخِي، أَفْعَلْ، فَوَاللَّهِ إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْ أَعْوَانِي عَلَى الْحَقِّ، وَأَنْصَارِي عَلَى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، فَقُلْتُ لَهُ: أَنَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَذَلِكَ وَمِنْ أَوْلِيَّكَ، وَأَنَا حَيْثُ تُحِبُّ.]

قَالَ ابْنُ وَائِلٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِمَقَالَةِ عَلِيٍّ تِلْكَ حِمْرَ النِّعَمِ.

قَالَ: ثُمَّ مَضَيْتُ إِلَى زِيَادِ بْنِ خَصْفَةَ بِكِتَابِ عَلِيٍّ وَأَنَا عَلَى فَرَسٍ لِي رَائِعٍ كَرِيمٍ، وَعَلَى السَّلَاحِ، فَقَالَ لِي زِيَادٌ: يَا بَنَ أَخِي، وَاللَّهِ مَا لِي عَنْكَ مِنْ غِنَاءٍ، وَإِنِّي لِأَحَبُّ أَنْ تَكُونَ مَعِي فِي وَجْهِي هَذَا، فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ اسْتَأْذَنْتُ فِي ذَلِكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَذِنَ لِي، فَسَرَّ بِذَلِكَ.

قَالَ: ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى أَتَيْنَا نَفَرَ، فَسَأَلْنَا عَنْهُمْ، فَقِيلَ لَنَا: قَدْ ارْتَفَعُوا نَحْوَ جَرَجَرَايَا، فَاتَّبَعْنَاهُمْ، فَقِيلَ لَنَا: قَدْ أَخَذُوا نَحْوَ الْمَذَارِ، فَلَحَقْنَاهُمْ وَهُمْ نَزَلُوا بِالْمَذَارِ، وَقَدْ أَقَامُوا بِهِ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَقَدْ اسْتَرَاخُوا وَأَعْلَفُوا وَهُمْ جَامُونَ، فَاتَّبَعْنَاهُمْ وَقَدْ تَقَطَّعْنَا وَلَغَبْنَا وَشَقِينَا وَنَصَبْنَا، فَلَمَّا رَأَوْنَا وَثَبُوا عَلَى خِيولِهِمْ فَاسْتَوَوْا عَلَيْهَا، وَجِئْنَا حَتَّى انْتَبَهْنَا إِلَيْهِمْ، فَوَاقَفْنَاهُمْ، وَنَادَانَا صَاحِبُهُمُ الْخَرِيتُ بْنُ رَاشِدٍ: يَا عَمِيَانُ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ، أَمَعَ اللَّهُ أَنْتُمْ وَكِتَابَهُ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ، أَمْ مَعَ الظَّالِمِينَ؟ فَقَالَ لَهُ زِيَادُ بْنُ خَصْفَةَ: بَلِ نَحْنُ مَعَ اللَّهِ وَمِنْ اللَّهِ وَكِتَابُهُ وَرَسُولُهُ آثَرُ عِنْدَهُ ثَوَابًا مِنْ

الدُّنْيَا منذ خلقت إلى يوم تفتنى، أيها العمي الأبصار، الصم القلوب والأسماع فَقَالَ لَنَا: أخبروني مَا تريدون؟ فَقَالَ لَهُ زِيَاد- وَكَانَ مجرباً رفيقاً: قَدْ ترى مَا بنا من اللغوب والسغوب، والذي جئنا لَهُ لا يصلحه الكلام علانية عَلَى رءوس أَصْحَابِي وَأَصْحَابِكَ، ولكن أنزل وتنزل، ثُمَّ نخلو جميعاً فنتذاكر أمرنا هَذَا جميعاً وننظر، فإن

رَأَيْتَ مَا جِئْنَاكَ فِيهِ حِظاً لِنَفْسِكَ قَبْلَتَهُ، وَإِنْ رَأَيْتَ فِيمَا أَسْمَعُهُ مِنْكَ أَمراً أَرْجُو فِيهِ الْعَافِيَةَ لَنَا وَلَكَ لَمْ أَرُدْهُ عَلَيْكَ قَالَ: فَاَنْزِلْ بِنَا، قَالَ: فَأَقْبَلَ إِلَيْنَا زِيَاد فَقَالَ: اَنْزِلُوا بِنَا عَلَى هَذَا الْمَاءِ، قَالَ: فَأَقْبَلْنَا حَتَّى إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَى الْمَاءِ، نَزَلْنَاهُ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ نَزَلْنَا فَتَفَرَّقْنَا، ثُمَّ تَحَلَّقْنَا مِنْ عَشْرَةِ وَتِسْعَةِ وَثَمَانِيَةِ وَسَبْعَةِ، يَضْعُونَ طَعَامَهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَيَأْكُلُونَ، ثُمَّ يَقُومُونَ إِلَى ذَلِكَ الْمَاءِ فَيَشْرَبُونَ وَقَالَ لَنَا زِيَاد: عَلَقُوا عَلَى خِيُولِكُمْ، فَعَلَقْنَا عَلَيْهَا مَخَالِيهَا، وَوَقَفَ زِيَاد بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ، وَانْطَلَقَ الْقَوْمُ فَتَنَحَوْا نَاحِيَةً، ثُمَّ نَزَلُوا، وَأَقْبَلَ إِلَيْنَا زِيَاد، فَلَمَّا رَأَى تَفَرَّقْنَا وَتَحَلَّقْنَا قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَنْتُمْ هَلْ حَرْبٌ؟ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ جَاءُواكُمْ السَّاعَةَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مَا أَرَادُوا مِنْ غَيْرِكُمْ أَفْضَلَ مِنْ حَالِكُمْ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا.

اَعْجَلُوا، قَوْمُوا إِلَى خِيَلِكُمْ، فَاسْرِعْنَا، فَتَحْشَحْشْنَا فَمَا مِنْ يَتَنَفَضُ، ثُمَّ يَتَوَضَّأُ، وَمِنْهُ مِنْ يَشْرَبُ، وَمِنْهُ مَنْ يَسْقِي فَرَسَهُ، حَتَّى إِذَا فَرَعْنَا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، أَتَانَا زِيَادُ وَفِي يَدِهِ عِرْقُ يَنْهَشِهِ، فَهَشَ مِنْهُ نَهْشَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَأَتَى بِإِدَاوَةٍ فِيهَا مَاءٌ، فَشَرِبَ مِنْهُ، ثُمَّ أَلْقَى الْعِرْقَ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا هَؤُلَاءِ، أَنَا قَدْ لَقِينَا الْقَوْمَ، وَوَاللَّهِ إِنْ عَدْتُمْ كَعَدَّتِهِمْ، وَلَقَدْ حَزَرْتُمْ وَإِيَاهُمْ فَمَا أَظُنُّ أَحَدَ الْفَرِيقَيْنِ يَزِيدُ عَلَى الْآخَرِ بِخَمْسَةِ نَفَرٍ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرَى أَمْرَهُمْ وَأَمْرَكُمْ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَى الْقِتَالِ، فَإِنْ كَانَ إِلَى ذَلِكَ مَا يَصِيرُ بِكُمْ وَبِهِمُ الْأُمُورُ فَلَا تَكُونُوا أُعْجِزَ الْفَرِيقَيْنِ ثُمَّ قَالَ لَنَا: لِيَأْخُذَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ بَعَنَانٍ فَرَسَهُ حَتَّى آدُونُوهُمْ، وَادْعُوا إِلَى صَاحِبِهِمْ فَأَكْلَهُ، فَإِنْ بَايَعَنِي عَلَى مَا أُرِيدُ وَإِلَّا فَاذًا دَعَوْتُمْ فَاسْتَوُوا عَلَى مَتْنِ الْخَيْلِ، ثُمَّ أَقْبَلُوا إِلَيَّ مَعَ غَيْرِ مُتَفَرِّقِينَ.

قَالَ: فَاسْتَقْدَمَ أَمَامَنَا وَأَنَا مَعَهُ، فَاسْمَعَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ يَقُولُ: جَاءَ كُمُ الْقَوْمِ وَهُمْ كَالْوَنِّ مَعِينُونَ، وَأَنْتُمْ جَامُونَ مُسْتَرِيحُونَ، فَتَرَكْتُمُوهُمْ حَتَّى نَزَلُوا وَأَكَلُوا وَشَرَبُوا وَاسْتَرَاخُوا، هَذَا وَاللَّهِ سُوءُ الرَّأْيِ! وَاللَّهِ لَا يَرْجِعُ الْأَمْرُ بِكُمْ وَبِهِمْ إِلَّا إِلَى الْقِتَالِ فَسَكْتُوا، وَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ، فَدَعَا زِيَادُ بْنُ خَصْفَةَ صَاحِبَهُمْ، فَقَالَ:

اَعْتَزَلْ بِنَا فَلْنَنْظُرْ فِي أَمْرِنَا هَذَا، فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَقْبَلَ إِلَيَّ زِيَادُ فِي خَمْسَةِ، فَقُلْتُ لَزِيَادُ: ادْعُ ثَلَاثَةً مِنْ أَصْحَابِنَا حَتَّى نَلْقَاهُمْ فِي عَدَّتِهِمْ، فَقَالَ لِي: ادْعُ مِنْ

أَحْبَبْتِ مِنْهُمْ، فَدَعَوْتُ مِنْ أَصْحَابِنَا ثَلَاثًا، فَكَانَ خَمْسَةً وَخَمْسَةً فَقَالَ لَهُ زِيَادُ: مَا الَّذِي نَقِمْتَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَلَيْنَا إِذْ فَارَقْتَنَا؟ فَقَالَ: لَمْ أَرْضَ صَاحِبَكُمْ إِمَامًا، وَلَمْ أَرْضَ سِيرَتَكُمْ سِيرَةً، فَارَأَيْتَ أَنْ أَعْتَزَلَ وَأَكُونَ مَعَ مَنْ يَدْعُو إِلَى الشُّورَى مِنَ النَّاسِ، إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ لَجَمِيعِ الْأُمَّةِ رِضًا كُنْتَ مَعَ النَّاسِ فَقَالَ لَهُ زِيَادُ: وَيْحَكَ! وَهَلْ يَجْتَمِعُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَانِي صَاحِبُكَ الَّذِي فَارَقْتَهُ عِلْمًا بِاللَّهِ وَبِسُنَنِ اللَّهِ وَكِتَابِهِ، مَعَ قَرَابَتِهِ مِنَ الرَّسُولِ صَ وَسَابِقَتِهِ فِي الْإِسْلَامِ! فَقَالَ لَهُ:

ذَلِكَ مَا أَقُولُ لَكَ، فَقَالَ لَهُ زِيَادُ: فَفِيمَ قَتَلْتَ ذَلِكَ الرَّجُلَ الْمُسْلِمَ؟ قَالَ: مَا أَنَا قَتَلْتُهُ، إِنَّمَا قَتَلْتُهُ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِي، قَالَ: فَادْفَعْنِي إِلَيْنَا، قَالَ: مَا إِلَيَّ ذَلِكَ سَبِيلٌ، قَالَ: كَذَلِكَ أَنْتَ فَاعِلٌ؟ قَالَ: هُوَ مَا تَسْمَعُ، قَالَ: فَدَعُونَا أَصْحَابَنَا وَدَعَا أَصْحَابَهُ، ثُمَّ أَقْبَلْنَا، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا قِتَالًا مِثْلَهُ مِنْذُ خَلَقْنِي رَبِّي، قَالَ: اطْعِنَا وَاللَّهِ بِالرَّمَاخِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي أَيْدِينَا رِمْحٌ، ثُمَّ اضْطَرَبْنَا بِالسُّيُوفِ حَتَّى انْحَنَّتْ وَعَقَرَتْ عَامَةٌ خَيْلُنَا وَخَيْلَهُمْ، وَكَثُرَتْ الْجَرَاحُ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، وَقَتْلُ مَنْ رَجَلَانِ: مَوْلَى زِيَادٍ كَانَتْ مَعَهُ رَايَتُهُ يَدْعَى سُوَيْدًا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْبَاءِ يَدْعَى وَافِدُ بْنُ بَكْرٍ، وَصَرَعْنَا مِنْهُمْ خَمْسَةً، وَجَاءَ اللَّيْلُ يَحْجِزُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، وَقَدْ وَاللَّهِ كَرِهْنَا وَكَرِهْنَاهُمْ، وَقَدْ جَرَحَ زِيَادُ وَجُرَحْتُ.

قَالَ: ثُمَّ إِنْ الْقَوْمُ تَخَوُّوا وَبَتْنَا فِي جَانِبٍ، فَكُثُوا سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ انْهَمُوا ذَهَبُوا وَاتَّبَعْنَاهُمْ حَتَّى أَتَيْنَا الْبَصْرَةَ، وَبَلَّغْنَا أَنَّهُمْ أَتَوْا الْأَهْوَازَ، فَتَزَلُّوا بِجَانِبِهَا، وَتَلَاخَقَ بِهِمْ أَنْاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِمْ نَحْنُ مِنْ مَائِثِينَ كَانُوا مَعَهُمْ بِالْكُوفَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنَ الْقُوَّةِ مَا يَنْهَضُهُمْ مَعَهُمْ حَتَّى نَهَضُوا فَاتَّبَعُوهُمْ فَلَحَقُوهُمْ بِأَرْضِ الْأَهْوَازِ، فَأَقَامُوا مَعَهُمْ وَكُتِبَ زِيَادُ بْنُ خَصْفَةَ إِلَى عَلِيٍّ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا لَقِينَا عَدُوَّ اللَّهِ النَّاجِيَّ بِالْمَذَارِ، فَدَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْهُدَى وَالْحَقِّ وَإِلَى كَلِمَةِ السَّوَاءِ، فَلَمْ يَنْزِلُوا عَلَى الْحَقِّ، وَأَخَذَتْهُمْ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ، وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ، فَقَصَدُوا لَنَا، وَصَدَدْنَا صَدَّهُمْ، فَاقْتَتَلْنَا قِتَالًا شَدِيدًا مَا بَيْنَ قَائِمِ الظَّهِيرَةِ إِلَى دُلُوكِ الشَّمْسِ، فَاسْتَشْهَدَ مِنَّا رَجُلَانِ صَالِحَانِ، وَأَصِيبٌ مِنْهُمْ خَمْسَةُ نَفَرٍ، وَخَلُّوا لَنَا الْمَعْرَكَةَ،

وَقَدْ فَشَتْ فِينَا وَفِيهِمُ الْجِرَاحُ ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ لَمَّا لَبَسَهُمُ اللَّيْلُ خَرَجُوا مِنْ تَحْتِهِ مُتَكَبِّينَ إِلَى أَرْضِ الْأَهْوَازِ، فَبَلَّغْنَا أَنَّهُمْ نَزَلُوا مِنْهَا جَانِبًا وَنَحْنُ بِالْبَصْرَةِ نَدَاوِي جَرَاخًا، وَنَنْتَظِرُ أَمْرَكَ رَحِمَكَ اللَّهُ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ. فَلَمَّا أَتَيْتَهُ بِكُتَابِهِ قَرَأَهُ عَلَى النَّاسِ، فَقَامَ إِلَيْهِ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ، فَقَالَ:

أَصْلَحَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَعَ مَنْ يَطْلُبُ هَؤُلَاءِ مَكَانَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا لَحِقُوهُمْ اسْتَأْصَلُوهُمْ وَقَطَعُوا دَابِرَهُمْ، فَأَمَّا أَنْ يَلْقَاهُمْ أَعْدَادُهُمْ فَلَعَمْرِي لِيَصْبِرْنَ لَهُمْ، هُمْ قَوْمٌ عَرَبٌ، وَالْعِدَّةُ تَصْبِرُ لِلْعِدَّةِ، وَتَنْتَصِفُ مِنْهَا فَقَالَ: تَجْهَزُ يَا مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ إِلَيْهِمْ وَنَدَبَ مَعَهُ أَلْفَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ مِنْهُمْ يَزِيدُ بْنُ الْمَغْفَلِ الْأَزْدِيُّ وَكُتِبَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ: أَمَّا بَعْدُ، فَاثْبُتْ رَجُلًا مِنْ قِبَلِكَ صَلْبِيًّا شَجَاعًا مَعْرُوفًا بِالصَّلَاحِ فِي أَلْفِي رَجُلٍ، فَلْيَتَّبِعْ مَعْقِلًا، فَإِذَا مَرَّ بِلَادِ الْبَصْرَةِ فَهُوَ أَمِيرُ أَصْحَابِهِ حَتَّى يَلْقَى مَعْقِلًا، فَإِذَا لَقِيَ مَعْقِلًا فَمَعْقِلُ أَمِيرِ الْفَرِيقَيْنِ، وَلَيْسَمَعَ مِنْ مَعْقِلٍ وَلِيُطْعِمَهُ، وَلَا يَخَالِفَهُ، وَمَرَّ زِيَادُ بْنُ خَصْفَةَ فَلْيَقْبَلْ، فَنَعَمْ الْمَرْءُ زِيَادٌ، وَنَعَمْ الْقَبِيلُ قَبِيلُهُ! قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَحَدَّثَنِي أَبُو الصَّلْتِ الْأَعُورُ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْعَقِيلِيِّ، قَالَ: كُتِبَ عَلَيَّ زِيَادُ بْنُ خَصْفَةَ:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي كُتَابُكَ، وَفَهَمْتُ مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ النَّاجِيِّ وَإِخْوَانِهِ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، * وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ * فَهُمْ يَعْصُونَ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا،

وَوَصَفْتُ مَا بَلَغَ بِكَ وَبِهِمُ الْأَمْرُ، فَأَمَّا أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ فَلَهُ سَعْيُكُمْ، وَعَلَى اللَّهِ تَعَالَى جَزَائُكُمْ! فَأَبْشُرْ بِثَوَابِ اللَّهِ خَيْرَ مِنَ الدُّنْيَا الَّتِي يَقْتُلُ الْجَاهِلُ أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهَا، فَإِنْ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَأَمَّا عَدُوُّكُمْ الَّذِينَ لَقِيتُمُوهُمْ فَخَسِبُوا بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالِ، وَارْتِكَابِهِمْ فِيهِ، وَرَدَّهُمُ الْحَقُّ، وَلِجَاهِهِمْ فِي الْفِتْنَةِ، فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ، وَدَعَهُمْ فِي طَغْيَانِهِمْ يَعْصُونَ، فَتَسْمَعُ وَتَبْصُرُ، كَأَنَّكَ

بِهِمْ عَنْ قَلِيلٍ بَيْنَ أُسِيرٍ وَقَتِيلٍ أَقْبَلَ إِلَيْنَا أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ مَأْجُورِينَ، فَقَدْ أَطْعَمْتَ وَسَمِعْتَ، وَأَحْسَنْتَ الْبَلَاءَ، وَالسَّلَامُ. وَنَزَلَ النَّاجِيُّ جَانِبًا مِنَ الْأَهْوَازِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ عُلُوجٌ مِنْ أَهْلِهَا كَثِيرٌ أَرَادُوا كَسْرَ الْخُرَاجِ، وَلِصُوصِ كَثِيرَةٍ، وَطَائِفَةٍ أُخْرَى مِنَ الْعَرَبِ تَرَى رَأْيَهُ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُجَاهِدٍ، قَالَ: قَالَ الشَّعْبِيُّ: لَمَّا قَتَلَ عَلَى أَهْلِ التَّهَرَوَانِ، خَالَفَهُ قَوْمٌ كَثِيرٌ، وَاتَّقَضَتْ عَلَيْهِ أَطْرَافُهُ، وَخَالَفَهُ بَنُو نَاجِيَةٍ، وَقَدِمَ ابْنُ الْحَضَرَمِيِّ الْبَصْرَةَ، وَاتَّقَضَ أَهْلُ الْأَهْوَازِ، وَطَمَعَ أَهْلُ الْخُرَاجِ فِي كَسْرِهِ، ثُمَّ أَخْرَجُوا سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ مِنْ فَارِسَ، وَكَانَ عَامِلَ عَلِيِّ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِعَلِيِّ: أَكْفَيْكَ فَارِسَ بَزِيَادٍ، فَأَمَرَهُ عَلِيُّ أَنْ يُوجِّهَهُ إِلَيْهَا، فَقَدِمَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْبَصْرَةَ، وَوَجَّهَهُ إِلَى فَارِسَ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ، فَوَطِئَ بِهِمْ أَهْلُ فَارِسَ، فَأَدَّوْا الْخُرَاجَ.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ أَبِي مُخَنَفٍ قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فُقَيْمٍ الْأَزْدِيِّ، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَأَخِي كَعْبٌ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ مَعَ مَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ، [فَلَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ أَقْبَلَ إِلَى عَلِيٍّ فَوَدَعَهُ فَقَالَ: يَا مَعْقِلُ، اتَّقِ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ، لَا تَبْغِ عَلَى أَهْلِ الْقَبْلَةِ، وَلَا تَظْلِمِ أَهْلَ الذِّمَّةِ، وَلَا تُتَكَبِّرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ فَقَالَ: اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ: خَيْرٌ مُسْتَعَانٌ،] قَالَ: نَفْرَجُ وَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى نَزَلْنَا الْأَهْوَازَ، فَأَقْبَلْنَا نَنْتَظِرُ أَهْلَ الْبَصْرَةِ، وَقَدْ أَبْطَأُوا عَلَيْنَا، فَقَامَ فِينَا مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا قَدْ أَنْتَظَرْنَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ، وَقَدْ أَبْطَأُوا عَلَيْنَا، وَلَيْسَ بِحَمْدِ اللَّهِ بِنَا قَلَّةٌ وَلَا وَحْشَةٌ إِلَى النَّاسِ، فَسَيَرُوا بِنَا إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ الْقَلِيلِ الدَّلِيلِ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَنْصُرَكُمُ اللَّهُ وَأَنْ يَهْلِكَ لَهُمُ

قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ أَخِي كَعْبُ بْنُ فَكِيمٍ، فَقَالَ: أَصَبْتَ - ارشذك الله - رأيك! فَوَاللَّهِ إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَنْصُرَنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانَتْ الْآخَرَى فَإِنَّ فِي الْمَوْتِ عَلَى الْحَقِّ تَعْزِيَةً عَنِ الدُّنْيَا فَقَالَ: سِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ، قَالَ: فَسَرْنَا وَوَاللَّهِ مَا زَالَ مَعْقِلٌ لِي مَكْرَمًا وَادًّا، مَا يَعْدِلُ بِي مِنَ الْجَنْدِ أَحَدًا، قَالَ وَلَا يَزَالُ يَقُولُ: وَكَيْفَ قُلْتَ: إِنَّ فِي الْمَوْتِ عَلَى الْحَقِّ تَعْزِيَةً عَنِ الدُّنْيَا؟

صَدَقْتَ وَاللَّهِ وَاحْسَنْتَ وَوَفَّقْتَ! فَوَاللَّهِ مَا سَرْنَا يَوْمًا حَتَّى أَدْرَكْنَا فَيَجُشُّ بِشِدَّةٍ بِصَحِيفَةٍ فِي يَدِهِ مِنْ عِنْدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ أَدْرَكَكَ رَسُولِي بِالْمَكَانِ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ مَقِيمًا، أَوْ أَدْرَكَكَ وَقَدْ شَخَصَتْ مِنْهُ، فَلَا تَبْرَحِ الْمَكَانَ الَّذِي يَنْتَهِي فِيهِ إِلَيْكَ رَسُولِي، وَابْتِثِّ فِيهِ حَتَّى يَقْدَمَ عَلَيْكَ بَعَثْنَا الَّذِي وَجْهَانَهُ إِلَيْكَ، فَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ خَالِدَ بْنَ مَعْدَانَ الطَّائِيَّ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْإِصْلَاحِ وَالِدِينِ وَالْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ، فَاسْمَعْ مِنْهُ، وَاعْرِفْ ذَلِكَ لَهُ، وَالسَّلَامُ.

فَقَرَأَ مَعْقِلُ الْكِتَابَ عَلَى النَّاسِ، وَحَمْدُ اللَّهِ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الْوَجْهَ هَالِمًا. قَالَ: فَأَقْبْنَا حَتَّى قَدِمَ الطَّائِيُّ عَلَيْنَا، وَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى صَاحِبِنَا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْإِمْرَةِ، وَاجْتَمَعَا جَمِيعًا فِي عَسْكَرٍ وَاحِدٍ قَالَ: ثُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا فَسَرْنَا إِلَيْهِمْ، فَأَخَذُوا يَرْتَفِعُونَ نَحْوَ جِبَالِ رَامِرْمَزٍ يَرِيدُونَ قَلْعَةً بِهَا حَصِينَةٌ وَجَاءَنَا أَهْلُ الْبَلَدِ فَأَخْبَرُونَا بِذَلِكَ، فَخَرَجْنَا فِي آثَارِهِمْ نَتَّبِعُهُمْ، فَلَحَقْنَاهُمْ وَقَدْ دَنَوْا مِنَ الْجَبَلِ، فَصَفَفْنَا لَهُمْ، ثُمَّ أَقْبَلْنَا إِلَيْهِمْ، فَجَعَلَ مَعْقِلٌ عَلَى مِيمَنَتِهِ يَزِيدُ بْنُ الْمَغْفَلِ، وَعَلَى مِيسَرَتِهِ مَنْجَابُ بْنُ رَاشِدٍ الضَّبِّيُّ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَصَفَ الْخَرِيتُ بْنُ رَاشِدٍ النَّاجِيَّ مِنْ مَعَهُ مِنَ الْعَرَبِ، فَكَانُوا مِيمَنَةً، وَجَعَلَ أَهْلُ الْبَلَدِ وَالْعُلُوجُ وَمَنْ أَرَادَ كَسْرَ الْخِرَاجِ وَأَتْبَاعَهُمْ مِنَ الْأَكْرَادِ مِيسَرَةً.

قَالَ: وَسَارَ فِينَا مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ يَحْرُضُنَا وَيَقُولُ لَنَا: عِبَادَ اللَّهِ! لَا تَعْدِلُوا الْقَوْمَ بِأَبْصَارِكُمْ، غَضُوا الْأَبْصَارَ، وَأَقْلَوْا الْكَلَامَ، وَوُطِنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ، وَأَبْشَرُوا فِي قِتَالِهِمْ بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ، إِنَّمَا تَقَاتِلُونَ مَارِقَةً مَرَقَتْ مِنَ الدِّينِ، وَعُلُوجًا مَنَعُوا الْخِرَاجَ وَأَكْرَادًا، انْظُرُونِي فَإِذَا حَمَلْتُ فَشَدُّوا شِدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فِي الصَّفِّ كُلِّهِ يَقُولُ لَهُمْ هَذِهِ الْمَقَالَةُ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِالنَّاسِ كُلِّهِمْ أَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ وَسَطَ الصَّفِّ فِي الْقَلْبِ، وَنَظَرْنَا إِلَيْهِ مَا يَصْنَعُ!

فَحَرَّكَ رَأْيُهُ تَحْرِيكَيْنِ، فَوَاللَّهِ مَا صَبَرُوا لَنَا سَاعَةً حَتَّى وَلَوْ، وَشَدَخْنَا مِنْهُمْ سَبْعِينَ عَرَبِيًّا مِنْ بَنِي نَاجِيَةٍ، وَمِنْ بَعْضِ مَنْ اتَّبَعَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ، وَقَتَلْنَا نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِمِائَةٍ مِنَ الْعُلُوجِ وَالْأَكْرَادِ قَالَ كَعْبُ بْنُ فَكِيمٍ: وَنَظَرْتُ فِيمَنْ قَتَلَ مِنَ الْعَرَبِ، فَإِذَا أَنَا بِصَدِيقِي مَدْرَكُ بْنُ الرِّيَّانِ قَتِيلًا، وَخَرَجَ الْخَرِيتُ بْنُ رَاشِدٍ وَهُوَ مِنْهُمْ حَتَّى لَحِقَ بِأَسْيَافِ الْبَحْرِ، وَبِهَا جَمَاعَةٌ مِنْ قَوْمِهِ كَثِيرٌ، فَمَا زَالَ بِهِمْ يَسِيرُ فِيهِمْ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى خِلَافِ عَلِيٍّ، وَيَبَيِّنُ لَهُمْ فِرَاقَهُ، وَيَخْبِرُهُمْ أَنَّ الْهَدْيَ فِي حَرْبِهِ، حَتَّى اتَّبَعَهُ مِنْهُمْ نَاسٌ كَثِيرٌ، وَأَقَامَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ بِأَرْضِ الْأَهْوَازِ، وَكُتِبَ إِلَى عَلِيٍّ مَعِي بِالْفَتْحِ، وَكُنْتُ أَنَا الَّذِي قَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لَعَبَدَ اللَّهُ عَلِيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ مَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ سَلَامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا لَقِينَا الْمَارِقِينَ، وَقَدْ اسْتَظْهَرُوا عَلَيْنَا بِالْمُشْرِكِينَ، فَقَتَلْنَاهُمْ قَتْلَ عَادٍ وَإِرمَ، مَعَ أَنَا لَمْ نَعُدْ فِيهِمْ سِيرَتَكَ، وَلَمْ نَقْتُلْ مِنَ الْمَارِقِينَ مَدِيرًا وَلَا أَسِيرًا، وَلَمْ نَذْفِفْ مِنْهُمْ عَلَى جَرِيحٍ، وَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ وَالْمُسْلِمِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قَالَ: فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ بِهَذَا الْكِتَابِ، فَقَرَأَهُ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَاسْتَشَارَهُمْ فِي الرَّأْيِ، فَاجْتَمَعَ رَأْيُ عَامَتِهِمْ عَلَى قَوْلٍ وَاحِدٍ، فَقَالُوا لَهُ: نَرَى أَنَّ تَكْتُبُ إِلَى مَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ فَيَتَّبِعَ أَثَرَ الْفَاسِقِ، فَلَا يَزَالُ فِي طَلَبِهِ حَتَّى يَقْتُلَهُ أَوْ يَنْفِيَهُ، فَإِنَّا لَا نَأْمَنُ أَنْ يَفْسِدَ عَلَيْكَ النَّاسُ قَالَ: فَرَدَنِي إِلَيْهِ، وَكُتِبَ مَعِي:

أَمَّا بَعْدُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى تَأْيِيدِ أَوْلِيَائِهِ، وَخِذْلَانِ أَعْدَائِهِ، جَزَاكَ اللَّهُ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، فَقَدْ أَحْسَنْتَ الْبَلَاءَ، وَقَضَيْتُمْ مَا عَلَيْكُمْ، وَسَلَّ عَنْ أَخِي بَنِي نَاجِيَةٍ، فَإِنْ بَلَغَكَ أَنَّهُ قَدْ اسْتَقَرَّ بِلَدٍ مِنَ الْبُلْدَانِ فَسِرْ إِلَيْهِ حَتَّى تَقْتُلَهُ أَوْ تَنْفِيَهُ، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ لِلْمُسْلِمِينَ عَدُوًّا، وَلِلْقَاسِطِينَ وَلِيًّا، مَا بَقِيَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ.

فسأل معقل عن مستقره، والمكان الذي انتهى إليه، فنبئ بمكانه بالأسياف، وأنه قد رد قومه عن طاعة علي، وأفسد من قبله من عبد القيس ومن والاهم من سائر العرب، وكان قومه قد منعوا الصدقة عام صفين ومنعوها

في ذلك العام أيضاً، فكان عليهم عقالان، فسار إليهم معقل بن قيس في ذلك الجيش من أهل الكوفة وأهل البصرة، فأخذ على فارس حتى انتهى إلى أسياف البحر، فلما سمع الخريت بن راشد بمسيره إليه أقبل على من كان معه من أصحابه ممن يرى رأي الخوارج، فأسر لهم: إني أرى رأيكم، فإن علياً لن ينبغي له أن يحكم الرجال في أمر الله وقال للآخرين مندداً لهم:

إن علياً حكم حكماً ورضي به، نفعه حكمه الذي ارتضاه لنفسه، فقد رضيت أنا من قضائه وحكمه ما ارتضاه لنفسه، وهذا كان الرأي الذي خرج عليه من الكوفة وقال سرا لمن يرى رأي عثمان: أنا والله على رأيكم، قد والله قتل عثمان مظلوماً، فأرضى كل صنف منهم، وأراهم أنه معهم، وقال لمن منع الصدقة: شدوا أيديكم على صدقاتكم، وصلوا بها أرحامكم، وعودوا بها إن شئتم على فقرائكم، وقد كان فيهم نصارى كثير قد أسلموا، فلما اختلف الناس بينهم قالوا: والله لدينا الذي خرجنا منه خير وأهدى من دين هؤلاء الذي هم عليه، ما ينههم دينهم عن سفك الدماء، وإخافة السبيل، وأخذ الأموال فرجعوا إلى دينهم، فلقي الخريت أولئك، فقال لهم: ويحكم! أتدرون حكم علي فيمن أسلم من النصارى، ثم رجع إلى نصرانيته؟ لا والله ما يسمع لهم قولاً، ولا يرى لهم عذراً، ولا يقبل منهم توبة ولا يدعوهم إليها، وإن حكمه فيهم لضرب العنق ساعة يستمكن منهم.

فما زال حتى جمعهم وخذعهم، وجاء من كان من بني ناجية ومن كان في تلك الناحية من غيرهم، واجتمع إليهم ناس كثير. فحدثني علي بن الحسن الأزدي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن سليمان، عن عبد الملك بن سعيد بن حاب، عن الحر، عن عمارة الدهني، قال:

حدثني أبو الطفيل، قال: كنت في الجيش الذين بعثهم علي بن أبي طالب إلى بني ناجية، فقال: فأنتهينا إليهم، فوجدناهم على ثلاث فرق، فقال أميرنا لفرقة منهم: ما أنتم؟ قالوا: نحن قوم نصارى، لم نر ديناً أفضل من ديننا، فثبتنا عليه، فقال لهم: اعتزلوا، وقال للفرقة الأخرى: ما أنتم؟

قالوا: نحن نكأ نصارى فأسلمنا، فثبتنا على إسلامنا، فقال لهم: اعتزلوا، ثم قال للفرقة الثالثة: ما أنتم؟ قالوا: نحن قوم نكأ نصارى، فأسلمنا، فلم نر ديناً هو أفضل من ديننا الأول، فقال لهم: أسلموا، فأبوا، فقال لأصحابه: إذا مسح رأسي ثلاث مرات فشدوا عليهم، فاقتلوا المقاتلة، وأسبوا الذرية فجاء بالذرية إلى علي، فجاء مصقلة بن هبيرة، فاشترأهم بمائتي ألف، فجاء بمائة ألف فلم يقبلها علي، فأنطلق بالدرهم، وعمد إليهم مصقلة فاعتقهم ولحق بمعاوية، فقيل لعلي: ألا تأخذ الذرية؟ فقال: لا، فلم يعرض لهم.

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف قال أبو مخنف: وحدثني الحارث ابن كعب، قال: لما رجع إلينا معقل بن قيس قرأ علينا كتاباً من علي:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من يقرأ عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين، والنصارى والمرتدين سلام عليكم وعلى من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وكتابه والبعث بعد الموت وأوفى بعهد الله ولم يكن من الخائنين أما بعد، فإني أدعوكم إلى كتاب الله، وسنة نبيه، والعمل بالحق، وبما أمر الله في الكتاب، فمن رجع إلى أهله منكم وكف يده واعتزل هذا المالك الحارب الذي جاء يحارب الله ورسوله والمسلمين، وسعى في الأرض فساداً، فله الأمان على ماله ودمه، ومن تابعه على حربنا والخروج من طاعتنا، استعنا بالله عليه، وجعلنا الله بيننا وبينه، وكفى بالله نصيراً! وأخرج معقل راية أمان فنصبها، وقال: من أتاها من الناس فهو آمن.

إلا الخريت وأصحابه الذين حاربونا وبدءونا أول مرة ففرق عن الخريت جل من كَانَ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ قَوْمِهِ، وعبأ معقل بن قيس أصحابه، فجعل

على ميمنته يزيد بن المغفل الأزدي، وعلى ميسرته المنجاب بن راشد الضبي، ثُمَّ زحف بهم نحو الخريت، وحضر مَعَهُ قَوْمُهُ مسلّوهم ونصاراهم ومأنة الصدقة مِنْهُمْ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ، عَنْ أَبِي الصَّدِيقِ النَّاجِي، أَنَّ الْخَرِيتَ يَوْمَئِذٍ كَانَ يَقُولُ لِقَوْمِهِ: امْنَعُوا حَرِيمَكُمْ، وَقَاتِلُوا عَنْ نِسَائِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ ظَهَرُوا عَلَيْكُمْ لَيَقْتُلَنَّكُمْ وَلَيَسْبَنَنَّكُمْ.

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ: هَذَا وَاللَّهِ مَا جَنَّتْهُ عَلَيْنَا يَدَاكَ وَلِسَانُكَ.

فَقَالَ: قَاتِلُوا لِلَّهِ أَنْتُمْ! سَبَقَ السِّيفُ الْعَدْلَ، إِيَّهَا وَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَتْ قَوْمِي دَاهِيَةٌ! قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فُقَيْمٍ، قَالَ: سَارَ فِينَا مَعْقِلُ فَرَضِ النَّاسِ فِيمَا بَيْنَ الْمَيْمَنَةِ وَالْمَيْسَرَةِ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ الْمُسْلِمُونَ، مَا تَزِيدُونَ أَفْضَلَ مِمَّا سِيقَ لَكُمْ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ مِنَ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ، إِنْ اللَّهُ سَاقَكُمْ إِلَى قَوْمٍ مَنَعُوا الصَّدَقَةَ، وَارْتَدَوْا عَنِ الْإِسْلَامِ، وَنَكثُوا الْبَيْعَةَ ظُلْماً وَعَدْوَاناً، فَأَشْهَدُ لِمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ بِالْجَنَّةِ، وَمَنْ عَاشَ فَإِنَّ اللَّهَ مَقَرَّ عَيْنِهِ بِالْفَتْحِ وَالْغَنِيمَةِ فَفَعَلَ ذَلِكَ حَتَّى مَرَّ بِالنَّاسِ كُلِّهِمْ ثُمَّ إِنَّهُ جَاءَ حَتَّى وَقَفَ فِي الْقَلْبِ بِرَأْيَتِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ بَعَثَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ الْمَغْفَلِ وَهُوَ فِي الْمَيْمَنَةِ:

أَنْ أَحْمِلَ عَلَيْهِمْ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ، فَتَبَتُوا وَقَاتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً ثُمَّ إِنَّهُ انْصَرَفَ حَتَّى وَقَفَ مَوْقِفَهُ الَّذِي كَانَ بِهِ فِي الْمَيْمَنَةِ، ثُمَّ إِنَّهُ بَعَثَ إِلَى مَنِجَابِ بْنِ رَاشِدِ الضَّبِيِّ وَهُوَ فِي الْمَيْسَرَةِ ثُمَّ إِنَّ مَنِجَاباً حَمَلَ عَلَيْهِمْ فَتَبَتُوا وَقَاتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً طَوِيلًا، ثُمَّ إِنَّهُ رَجَعَ حَتَّى وَقَفَ فِي الْمَيْسَرَةِ، ثُمَّ إِنَّ مَعْقِلًا بَعَثَ إِلَى الْمَيْمَنَةِ وَالْمَيْسَرَةِ: إِذَا حَمَلْتَ فَاحْمِلُوا بِأَجْمَعِكُمْ فَحَرَّكَ رَأْيَتَهُ وَهَزَّهَا، ثُمَّ إِنَّهُ حَمَلَ وَحَمَلَ أَصْحَابَهُ جَمِيعاً، فَصَبَرُوا سَاعَةً لَهُمْ ثُمَّ إِنَّ النَّعْمَانَ بْنَ صَهْبَانَ الرَّاسِيَّ مِنْ جَرَمِ بَصَرٍ بِالْخَرِيتِ بْنِ رَاشِدٍ فَحَمَلَ عَلَيْهِ، فَطَعَنَهُ فَصَرَعَهُ عَنْ دَابَّتِهِ، ثُمَّ نَزَلَ وَقَدْ جَرَحَهُ فَأُتِخِنَتْهُ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَقَتَلَهُ النَّعْمَانُ بْنُ صَهْبَانَ، وَقَتَلَ مَعَهُ فِي الْمَعْرَكَةِ سَبْعُونَ وَمِائَةً، وَذَهَبُوا يَمِينًا وَشِمَالًا، وَبَعَثَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ الْخَلِيلُ إِلَى رَحَالِهِمْ، فَسَبَى مِنْ أَدْرَكَ مِنْهُمْ، فَسَبَى رَجَالًا

كَثِيرًا وَنِسَاءً وَصَبِيَانًا ثُمَّ نَظَرَ فِيهِمْ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ مُسْلِمًا نَفَلَهُ وَأَخَذَ بَيْعَتَهُ وَتَرَكَ لَهُ عِيَالَهُ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ ارْتَدَ فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ فَرَجَعُوا وَخَلَى سَبِيلَهُمْ وَسَبِيلَ عِيَالِهِمْ إِلَّا شَيْخًا مِنْهُمْ نَصْرَانِيًّا يَقَالُ لَهُ: الرَّمَاحُ بْنُ مَنْصُورٍ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ مِنْذُ عَقَلْتُ إِلَّا فِي خُرُوجِي مِنْ دِينِي، دِينَ الصَّدَقِ إِلَى دِينِكُمْ دِينَ السُّوءِ، لَا وَاللَّهِ لَا أَدْعُ دِينِي، وَلَا أَقْرَبُ دِينَكُمْ مَا حَيَّيْتُ فَقَدِمَهُ فَضْرَبَ عُنُقَهُ، وَجَمَعَ مَعْقِلُ النَّاسَ فَقَالَ: أَدُوا مَا عَلَيْكُمْ فِي هَذِهِ السَّنِينَ مِنَ الصَّدَقَةِ فَأَخَذَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَقَالِينَ، وَعَمِدَ إِلَى النَّصَارَى وَعِيَالِهِمْ فَاحْتَمَلَهُمْ مَقْبِلًا بِهِمْ، وَأَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُمْ يَشِيعُونَهُمْ، فَأَمَرَ مَعْقِلُ بِرَدِّهِمْ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا تَصَاخَفُوا وَفَكَّوْا، وَبَكَى الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ: قَالَ: فَأَشْهَدُ أَنِّي رَحِمْتُهُمْ رَحْمَةً مَا رَحِمْتُ أَحَدًا قَبْلَهُمْ وَلَا بَعْدَهُمْ قَالَ: وَكُتِبَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ إِلَى عَلِيٍّ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَخْبَرْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ جَنْدِهِ وَعَدْوِهِ، أَنَا دَفَعْنَا إِلَى عَدُونَا بِالْأَسْيَافِ فَوَجَدْنَا بِهَا قِبَائِلَ ذَاتِ عَدَّةٍ وَحِدَةٍ وَجَدَ، وَقَدْ جَمَعَتْ لَنَا، وَتَحَزَّبَتْ عَلَيْنَا، فَدَعَوْنَاهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَإِلَى حُكْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ، وَقَرَأْنَا عَلَيْهِمْ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَفَعْنَا لَهُمْ رَايَةَ أَمَانٍ، فَالْتَمَسْنَا مِنْهُمْ طَائِفَةً، وَبَقِيَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى مُنَابَذَةً، فَقَبَلْنَا مِنَ الَّتِي أَقْبَلَتْ، وَصَدَدْنَا صَدْدًا لَلَّتِي أَدْبَرَتْ، فَضْرَبَ اللَّهُ وَجُوهَهُمْ وَنَصَرْنَا عَلَيْهِمْ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ مُسْلِمًا فَإِنَّا مَنَّا عَلَيْهِ وَأَخَذْنَا بَيْعَتَهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ الصَّدَقَةَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ، وَأَمَّا مَنْ ارْتَدَ فَإِنَّا عَرَضْنَا عَلَيْهِ الرُّجُوعَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَإِلَّا قَتَلْنَاهُ فَرَجَعُوا غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَقَتَلْنَاهُ، وَأَمَّا النَّصَارَى فَإِنَّا سَبَيْنَاهُمْ، وَقَدْ أَقْبَلْنَا بِهِمْ لِيَكُونُوا نَكَالًا لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، لِكَيْ لَا يَمْنَعُوا الْجَزْيَةَ، وَلِكَيْ لَا يَجْتَرِئُوا عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَهُمْ أَهْلُ الصَّغَارِ وَالذَّلِّ، رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَوْجِبْ لَكَ جَنَاتِ النَّعِيمِ، وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ! ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِمْ حَتَّى مَرَّ بِهِمْ عَلَى مَصْقَلَةِ بْنِ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيِّ، وَهُوَ عَامِلٌ عَلَى أَرْدَشِيرَ خَرَهُ، وَهُمْ خَمْسَمِائَةِ إِنْسَانٍ، فَبَكَى

النساء والصبيان، وصاح

الرجال: يَا أَبَا الْفَضْلِ، يَا حَامِيَ الرِّجَالِ، وَفَكَالِ الْعَنَاةِ، أَمِنَ عَلَيْنَا فَاشْتَرْنَا وَأَعْتَقْنَا، فَقَالَ مَصْقَلُهُ: اقْسِمَ بِاللَّهِ لَا تَصْدُقَنِّ عَلَيْهِمْ، إِنْ اللَّهُ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ فَبَلَّغَهَا عَنْهُ مَعْقِلٌ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ أَنَّهُ قَالَهُ تَوَجَّعَا لَهُمْ، وَزَرَاءَ عَلَيْكُمْ، لَضَرَبْتُ عَنْقَهُ، وَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ تَفَانِي تَمِيمٌ وَبَكْرٌ بَنُ وَائِلٌ ثُمَّ إِنْ مَصْقَلُهُ بَعَثَ ذَهْلَ بْنَ الْحَارِثِ الذَّهْلِيَّ إِلَى مَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ فَقَالَ لَهُ: بَعْنِي بَنِي نَاجِيَةَ، فَقَالَ: نَعَمْ، أَيَبْعُكُمْ بِأَلْفٍ أَلْفٍ، وَدَفْعِهِمْ إِلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: عَجَلْ بِالْمَالِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: أَنَا بَاعْتُ الْآنَ بِصَدْرِي، ثُمَّ أَبْعَثْ بِصَدْرٍ آخَرَ كَذَلِكَ، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَقْبَلَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ: أَحْسَنْتَ وَأَصْبَبْتَ، وَانْتَظَرِ عَلِيٍّ مَصْقَلُهُ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ بِالْمَالِ، وَبَلَّغَ عَلِيًّا أَنَّ مَصْقَلَهُ خَلَى سَبِيلَ الْأَسَارَى وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ أَنْ يَعِينُوهُ فِي فَكَالِ أَنْفُسِهِمْ بِشَيْءٍ، فَقَالَ: مَا أَظُنُّ مَصْقَلَهُ إِلَّا قَدْ تَحْمَلُ حِمَالَةً، أَلَا أَرَأَيْكُمْ سَتَرُونَهُ عَنْ قَرِيبٍ مَلْبَدًا ثُمَّ إِنَّهُ كَتَبَ إِلَيْهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ مِنْ أَعْظَمِ الْخِيَانَةِ خِيَانَةُ الْأُمَةِ، وَأَعْظَمِ الْغَشِّ عَلَى أَهْلِ الْمَصْرِ غَشُّ الْإِمَامِ، وَعِنْدَكَ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِينَ خَمْسَمِائَةِ أَلْفٍ، فَابْعَثْ بِهَا إِلَيَّ سَاعَةً يَأْتِيكَ رَسُولِي، وَإِلَّا فَأَقْبِلْ حِينَ تَنْتَظِرُ فِي كِتَابِي، فَإِنِّي قَدْ تَقَدَّمْتُ إِلَى رَسُولِي إِلَيْكَ أَلَّا يَدْعُكَ أَنْ تَقِيمَ سَاعَةً وَاحِدَةً بَعْدَ قُدُومِهِ عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَبْعَثَ بِالْمَالِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ. وَكَانَ الرَّسُولُ أَبُو جَرَّةَ الْخَنْفِي، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَرَّةَ: إِنْ يَبْعَثُ بِالْمَالِ السَّاعَةَ وَإِلَّا فَاشْخَصْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ أَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ الْبَصْرَةَ، فَكَثَّ بِهَا أَيَّامًا ثُمَّ إِنْ ابْنُ عَبَّاسٍ سَأَلَهُ الْمَالَ، وَكَانَ عَمَالُ الْبَصْرَةِ يَحْمِلُونَ مِنْ كُورِ الْبَصْرَةِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، وَيَكُونُ ابْنُ عَبَّاسٍ هُوَ الَّذِي يَبْعَثُ بِهِ إِلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ، أَنْظِرْنِي أَيَّامًا، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى أَتَى عَلِيًّا فَأَقْرَهُ أَيَّامًا، ثُمَّ سَأَلَهُ الْمَالَ، فَأَدَّى إِلَيْهِ مِائَتِي أَلْفٍ، ثُمَّ إِنَّهُ عَجَزَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: وَحَدَّثَنِي أَبُو الصَّلْتِ الْأَعُورُ، عَنْ ذَهْلِ بْنِ الْحَارِثِ

قَالَ: دَعَانِي مَصْقَلُهُ إِلَى رَحْلِهِ فَقَدِمَ عَشَاؤُهُ، فَطَعَمْنَا مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ إِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُنِي هَذَا الْمَالَ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ مَا مَضَتْ عَلَيْكَ جَمْعَةٌ حَتَّى تَجْمَعَ جَمِيعَ الْمَالِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لِأَحْمِلُهَا قَوْمِي، وَلَا أَطْلُبُ فِيهَا إِلَى أَحَدٍ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ ابْنَ هَنْدٍ هُوَ طَالِبُنِي بِهَا أَوْ ابْنُ عِفَانٍ لَتَرَكْتُهَا لِي، أَلَمْ تَرِ إِلَى ابْنِ عِفَانٍ حَيْثُ أَطْعَمَ الْأَشْعَثَ مِنْ خِرَاجِ أَذْرِيحَانَ مِائَةَ أَلْفٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ! فَقُلْتُ لَهُ: إِنْ هَذَا لَا يَرَى هَذَا الرَّأْيَ، لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِبَازِلٍ شَيْئًا كُنْتُ أَخَذْتُهُ، فَسَكَتَ سَاعَةً، وَسَكَتَ عَنْهُ، [فَلَا وَاللَّهِ مَا مَكَثَ إِلَّا لَيْلَةً وَاحِدَةً بَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ حَتَّى لَحِقَ بِمَعَاوِيَةَ وَبَلَّغَ ذَلِكَ عَلِيًّا فَقَالَ: مَا لَهُ بَرَحَهُ اللَّهُ، فَعَلَ فَعَلَ السَّيِّدَ، وَفَرَّارَ الْعَبْدَ، وَخَانَ خِيَانَةَ الْفَاجِرِ! أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّهُ أَقَامَ فَعَجَزَ مَا زَدْنَا عَلَى حَبْسِهِ، فَإِنْ وَجَدْنَا لَهُ شَيْئًا أَخَذْنَاهُ، وَإِنْ لَمْ نَقْدِرْ عَلَى مَالِ تَرْكَاةٍ] ثُمَّ سَارَ إِلَى دَارِهِ فَتَقَضَّاهَا وَهَدَمَهَا، وَكَانَ أَخُوهُ نَعِيمُ بْنُ هَبِيرَةَ شَيْعِيًّا، وَلَعَلِّي مَنَاصِحًا، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَصْقَلُهُ مِنَ الشَّامِ مَعَ رَجُلٍ مِنَ النَّصَارَى مِنْ بَنِي تَغْلِبَ يَقَالُ لَهُ حُلْوَانُ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي كَلِمَتُ مُعَاوِيَةَ فِيكَ، فَوَعْدُكَ الْإِمَارَةَ، وَمِنَاكَ الْكَرَامَةَ، فَأَقْبَلَ إِلَيَّ سَاعَةً يَلْقَاكَ رَسُولِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالسَّلَامُ.

فَأَخَذَهُ مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ الْأَرْحَبِيُّ، فَسَرَحَ بِهِ إِلَى عَلِيٍّ، فَأَخَذَ كِتَابَهُ فَقَرَأَهُ، فَقَطَعَ يَدَ النَّصْرَانِيِّ، فَمَاتَ، وَكَتَبَ نَعِيمٌ إِلَى أَخِيهِ مَصْقَلُهُ:

لَا تَرْمِيَنَّ هَذَاكَ اللَّهَ مُعْتَرِضًا ... بِالظَّنِّ مِنْكَ فَمَا بَالِي وَحُلْوَانَا!

ذَاكَ الْحَرِيصَ عَلَى مَا نَالَ مِنْ طَمَعٍ ... وَهُوَ الْبَعِيدَ فَلَا يَحْزَنُكَ إِذَا خَانَ

مَاذَا أَرَدْتَ إِلَى إِرسَالِهِ سَفْهًا ... تَرْجُو سَقَاطَ امْرِئٍ لَمْ يَلْفِ وَسَنَانَا

عَرْضَتُهُ لَعَلِّي إِنَّهُ أَسَدٌ ... يَمْشِي الْعَرْضَةَ مِنْ آسَادِ خَفَانَا

قَدْ كُنْتُ فِي مَنْظَرٍ عَنْ ذَا وَمُسْتَمَعٍ ... تَحْمِي الْعِرَاقَ وَتَدْعِي خَيْرَ شَيْبَانَا

حَتَّى تَقْهَمْتَ أَمْرًا كُنْتُ تَكْرَهُهُ ... لِلرَّاكِبِينَ لَهُ سُرًا وَإِعْلَانَا

لَوْ كُنْتُ أَدَيْتُ مَا لِلْقَوْمِ مُصْطَبْرًا ... لِلْحَقِّ أَحْيَيْتُ أَحْيَانًا وَمَوْتَانَا

لكن لحقت باهل الشام ملتصقا ... فضل ابن هند وذاك الرأي أشجنا
فاليوم تفرع سن الغرم من ندم ... ماذا تقول وقد كان الذي كانا!
أصبحت تبغضك الأحياء قاطبة ... لم يرفع الله بالبغضاء إنسانا

فلما وقع الكتاب إليه علم أن رسوله قد هلك، ولم يلبث التغليون إلا قليلا حتى بلغهم هلاك صاحبهم حلوان، فأتوا مصقلة فقالوا: إنك بعثت صاحبنا فأهلكته، فإما أن تحييه وإما أن تديه، فقال: أما أن أحياه فلا أستطيع، ولكن ساديه، فوداه.
قال أبو مخنف: وحديثي عبد الرحمن بن جندب، قال: حدثني أبي، قال: لما بلغ عليا مصاب بني ناجية وقتل صاحبهم قال: هوت أمه! ما كان أنقص عقله، وأجرأه على ربه! فإن جأيا جاءني مرة فقال لي:
في أصحابك رجال قد خشيت أن يفارقوك، فما ترى فيهم؟ فقلت له:

إني لا أخذ على التهمة، ولا أعاقب على الظن، ولا أقاتل إلا من خالفني وناصبني وأظهر لي العداوة، ولست مقاتله حتى أدعوه وأعذر إليه، فإن تاب ورجع إلينا قبلنا منه، وهو أخونا، وإن أبى إلا الاعتزام على حربنا استعنا عليه الله، وناجزناه فكف عني ما شاء الله ثم جاءني مرة أخرى فقال لي: قد خشيت أن يفسد عليك عبد الله بن وهب الراسبي وزيد بن حصين، اني سمعتهما يذكرانك بأشياء لو سمعتهما لم تفارقهما عليهما حتى تقتلهما أو توبقهما، فلا تفارقهما من حبسك أبدا، فقلت: إني مستشيرك فيهما، فإذا تأمرني به؟ قال: فإني أمرك أن تدعو بهما، فتضرب رقابهما، فعلبت أنه لا ورع ولا عاقل، فقلت: والله ما أظنك ورعا ولا عاقلا
نافعا، والله لقد كان ينبغي لك لو أردت قتلهم أن تقول: اتق الله، لم تستحل قتلهم ولم يقتلوا أحدا، ولم يبادوك، ولم يخرجوا من طاعتك! ورج بالناس في هذه السنة قثم بن العباس من قبل علي ع.

حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.
وكان قثم يومئذ عامل علي على مكة، وكان على الين عبدة الله بن العباس، وعلى البصرة عبد الله بن العباس.
واختلف في عامله على خراسان ف قيل: كان خلد بن قرة اليربوعي، وقيل: كان ابن أبزي، وأما الشام ومصر فانه كان بهما معاويه وعماله

٥٠٣ سنة تسع وثلاثين

٥٠٣٠١ تفريق معاويه جيوشه في اطراف علي

سنة تسع وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث فمما كان فيها من الأحداث المذكورة:

تفريق معاوية جيوشه في اطراف علي

فوجه النعمان بن بشير- فيما ذكر علي بن محمد بن عوانة- في ألفي رجل إلى عين التمر، وبها مالك بن كعب مسلحة لعل في ألف رجل، فأذن لهم، فأتوا الكوفة، وأتاه النعمان، ولم يبق معه إلا مائة رجل، فكتب مالك إلى علي يخبره بأمر النعمان ومن معه، فخطب علي الناس، وأمرهم بالخروج، فثاقلوا، وواقع مالك النعمان، والنعمان في ألفي رجل ومالك في مائة رجل، وأمر مالك أصحابه أن يجعلوا جدر القرية في ظهورهم، واقتتلوا.

وكتب إلى مخنف بن سليم يسأله أن يمده وهو قريب منه، فقاتلهم مالك بن كعب في العصابة التي معه كأشد القتال، ووجه إليه مخنف ابنه عبد الرحمن بن خمسين رجلا، فانتهاوا إلى مالك وأصحابه، وقد كسروا جفون سيوفهم، واستقتلوا، فلما رآهم أهل الشام وذلك عند المساء، ظنوا أن لهم مددا وانهمزوا، وتبعهم مالك، فقتل منهم ثلاثة نفر، ومضوا على وجوههم.

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ شَبْوَيْهِ الْمُرُوزِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ:

حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي مُعَاوِيَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ حَسَّانٍ، عَنْ شَيْخٍ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ، قَالَ: بَعَثَ مُعَاوِيَةُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ فِي الْفَيْنِ، فَأَتَوْا عَيْنَ التَّمْرِ، فَأَغَارُوا عَلَيْهِا، وَبِهَا عَامِلٌ لِعَلِيٍّ يُقَالُ لَهُ ابْنُ فُلَانٍ الْأَرْحَبِيُّ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ، فَكَتَبَ إِلَى عَلِيٍّ يَسْتَمِدُّهُ، فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَهْضُبُوا إِلَيْهِ، فَتَنَاقَلُوا، فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَقَدْ سَبَقَنِي بِالتَّشَهُدِ وَهُوَ يَقُولُ:

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، كُلُّهَا سَمِعْتُمْ بِمَنْسَرٍ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَظْلَمَ وَاعْلَقَ بِأَبِيهِ الْأَنْجَحِرَ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْكُمْ فِي بَيْتِهِ الْأَنْجَحَارَ الضَّبَّ فِي جُحْرِهِ وَالضَّبَّ فِي وَجَارِهَا، الْمَغْرُورُ مِنْ غَرَرْتَمُوهُ، وَلَكِنْ فَازَ بِكُمْ فَازَ بِالسَّهْمِ الْأَخِيْبِ.

لَا أحرارَ عِنْدَ النَّدَاءِ، وَلَا إِخْوَانَ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! مَاذَا مُنِيتُ بِهِ مِنْكُمْ! عُمِّي لَا تَبْصُرُونَ، وَبُكُمْ لَا تَنْطِقُونَ، وَصُمْ لَا تَسْتَمِعُونَ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ عَوَانَةَ قَالَ: وَوَجْهَ مُعَاوِيَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ فِي سِتَّةِ آلَافٍ رَجُلٍ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَأْتِيَ هَيْتَ فَيَقْطَعُهَا، وَأَنْ يَغْيِرَ عَلَيْهَا، ثُمَّ يَمْضِي حَتَّى يَأْتِيَ الْأَنْبَارَ وَالْمَدَائِنَ فَيُوقِعُ بِأَهْلِهَا، فَسَارَ حَتَّى أَتَى هَيْتَ فَلَمْ يَجِدْ بِهَا أَحَدًا، ثُمَّ أَتَى الْأَنْبَارَ وَبِهَا مَسْلَحُهُ لَعَلَّ تَكُونُ خَمْسَمِائَةَ رَجُلٍ، وَقَدْ تَفَرَّقُوا فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا مِائَةُ رَجُلٍ، فَقَاتَلَهُمْ، فَصَبَرَ لَهُمْ أَصْحَابُ عَلِيٍّ مَعَ قَلْتِهِمْ، ثُمَّ حَمَلَتْ عَلَيْهِمُ الْخَيْلُ وَالرَّجَالَةُ، فَقَتَلُوا صَاحِبَ الْمَسْلَحَةِ، وَهُوَ أَشْرَسُ بْنُ حَسَّانَ الْبَكْرِيِّ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا، وَاحْتَمَلُوا مَا كَانَ فِي الْأَنْبَارِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَأَمْوَالِ أَهْلِهَا، وَرَجَعُوا إِلَى مُعَاوِيَةَ [وَبَلَغَ الْخَبْرَ عَلِيًّا، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى النُّخَيْلَةَ، فَقَالَ لَهُ النَّاسُ: نَحْنُ نَكْفِيكَ، قَالَ: مَا تَكْفُونِي وَلَا أَنْفُسَكُمْ،] وَسَرَحَ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ فِي أَثَرِ الْقَوْمِ، فَخَرَجَ فِي طَلَبِهِمْ حَتَّى جَازَ هَيْتَ، فَلَمْ يَلْحَقْهُمْ فَرَجَعُ.

قَالَ: وَفِيهَا وَجْهَ مُعَاوِيَةَ أَيْضًا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعَدَةَ الْفَزَارِيُّ فِي الْفِ وَسَبْعِمِائَةَ رَجُلٍ إِلَى تَيْمَاءَ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَصْدُقَ مِنْ مَرِيهِ مِنْ أَهْلِ الْبُؤَادِيِّ، وَأَنْ يَقْتُلَ مَنْ امْتَنَعَ مِنْ عَطَائِهِ صَدَقَةَ مَالِهِ، ثُمَّ يَأْتِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَالْحِجَازَ،

يَفْعَلُ ذَلِكَ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ بَشَرٌ كَثِيرٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا وَجَّهَ الْمُسَيْبُ بْنُ نَجْبَةَ الْفَزَارِيَّ، فَسَارَ حَتَّى لَحِقَ ابْنَ مَسْعَدَةَ بِتَيْمَاءَ، فَاقْتَتَلُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى زَالَتِ الشَّمْسُ قِتَالًا شَدِيدًا، وَحَمَلَ الْمُسَيْبُ عَلَى ابْنِ مَسْعَدَةَ فَضْرَبَهُ ثَلَاثَ ضَرْبَاتٍ، كُلُّ ذَلِكَ لَا يَلْتَمِسُ قَتْلَهُ وَيَقُولُ لَهُ: النَّجَاءُ النَّجَاءُ! فَدَخَلَ ابْنُ مَسْعَدَةَ وَعَامَةً مِنْ مَعَهُ الْحَصْنَ، وَهَرَبَ الْبَاقُونَ نَحْوَ الشَّامِ، وَانْتَهَبَ الْأَعْرَابُ إِبِلَ الصَّدَقَةِ الَّتِي كَانَتْ مَعَ ابْنِ مَسْعَدَةَ، وَحَصَرَهُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ الْمُسَيْبُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ أَلْقَى الْحَطْبَ عَلَى الْبَابِ، وَأَلْقَى النَّيْرَانَ فِيهِ، حَتَّى احْتَرَقَ، فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِالْهَلَاكِ أَشْرَفُوا عَلَى الْمُسَيْبِ فَقَالُوا: يَا مُسَيْبُ، قَوْمُكَ! فَرَّقْ لَهُمْ، وَكَرِهَ هَلَاكَهُمْ، فَأَمَرَ بِالنَّارِ فَأُطْفِئَتْ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: قَدْ جَاءَتْنِي عَيُونَ فَأَخْبَرُونِي أَنَّ جُنْدًا قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ مِنَ الشَّامِ، فَانْضَمُّوا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ فَخَرَجَ ابْنُ مَسْعَدَةَ فِي أَصْحَابِهِ لَيْلًا حَتَّى لَحِقُوا بِالشَّامِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شَبِيبٍ: سَرَبْنَا فِي طَلَبِهِمْ، فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ:

غَشِشْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَدَاهَنْتَ فِي أَمْرِهِمْ وَفِيهَا أَيْضًا وَجْهَ مُعَاوِيَةَ الضُّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَمْرُؤَ بِأَسْفَلِ وَاقِصَّةٍ، وَأَنْ يَغْيِرَ عَلَى كُلِّ مَنْ مَرِيهِ مِمَّنْ هُوَ فِي طَاعَةِ عَلِيٍّ مِنَ الْأَعْرَابِ، وَوَجْهَ مَعَهُ ثَلَاثَةُ آلَافٍ رَجُلٍ، فَسَارَ فَأَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ، وَقَتَلَ مَنْ لَقِيَ مِنَ الْأَعْرَابِ، وَمَرَّ بِالثَّغْلِيَّةِ فَأَغَارَ عَلَى مَسَالِحِ عَلِيٍّ، وَأَخَذَ أَمْتَعَتَهُمْ، وَمَضَى حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْقَطِيقَانَةِ، فَأَتَى عَمْرِو بْنُ عَمِيْسَ بْنِ مَسْعُودٍ، وَكَانَ فِي خَيْلٍ لِعَلِيٍّ وَأَمَامَهُ أَهْلُهُ، وَهُوَ يَرِيدُ الْحِجَّ، فَأَغَارَ عَلَى مَنْ كَانَ مَعَهُ، وَحَبَسَهُ عَنِ الْمَسِيرِ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا سَرَحَ جَرَّ بْنَ عَدِي الْكَنْدِيِّ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، وَأَعْطَاهُمْ خَمْسِينَ خَمْسِينَ، فَلَحِقَ الضُّحَّاكُ بِتَدْمَرٍ فَقَتَلَ مِنْهُمْ تِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، وَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ رَجُلَانِ، وَحَالَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَهَرَبَ الضُّحَّاكُ وَأَصْحَابُهُ، وَرَجَعَ جَرَّ وَمِنْ مَعَهُ

وَفِيهَا سَارَ مُعَاوِيَةُ بِنَفْسِهِ إِلَى دَجَلَةَ حَتَّى شَارَفَهَا، ثُمَّ نَكَصَ رَاجِعًا، ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ جَرِيْجٍ، عَنْ

ابن أبي مليكة قَالَ: لما كَانَتْ سنة تسع وثلاثين أُشْرِفَ عَلَيْهَا مُعَاوِيَةُ.

وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مُعْشَرٍ مِثْلَهُ.

وَاخْتَلَفَ فِيمَنْ حَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: حَجَّ بِالنَّاسِ فِيهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ مِنْ قَبْلِ عَلِيٍّ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: حَجَّ بِهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، فَحَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ عُمَرُ بْنُ شَبَّهٍ، قَالَ: يَقَالُ إِنَّ عَلِيًّا وَجْهَ ابْنِ عَبَّاسٍ لِيَشْهَدَ الْمَوْسِمَ وَيَصِلِي بِالنَّاسِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ، وَبَعَثَ مُعَاوِيَةُ يَزِيدَ ابْنَ شَجَرَةَ الرَّهَاطِيِّ.

قَالَ: وَزَعَمَ أَبُو الْحَسَنِ أَنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ، وَأَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ لَمْ يَشْهَدْ الْمَوْسِمَ فِي عَمَلٍ حَتَّى قُتِلَ عَلَى ع، قَالَ: وَالَّذِي نَازَعَهُ يَزِيدُ بْنُ شَجَرَةَ قَتَمَ ابْنَ الْعَبَّاسِ، حَتَّى أَنَّهُمَا اصْطَلَحَا عَلَى شِيبَةَ بْنِ عُثْمَانَ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ.

وَكَاذِبِي حَكِيَّتْ عَنْ أَبِي زَيْدٍ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ، قَالَ أَبُو مُعْشَرٍ فِي ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ الرَّازِيُّ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى عَنْهُ.

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: بَعَثَ عَلِيٌّ عَلَى الْمَوْسِمِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَبَعَثَ مُعَاوِيَةُ يَزِيدَ بْنَ شَجَرَةَ الرَّهَاطِيِّ لِيَقِيمَ لِلنَّاسِ الْحَجَّ، فَلَمَّا اجْتَمَعَا بِمَكَّةَ تَنَازَعَا، وَأَبَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنْ يَسْلَمَ لِصَاحِبِهِ، فَاصْطَلَحَا عَلَى شِيبَةَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ.

وَكُنْتُ عَمَالَ عَلِيٍّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى الْأَمْصَارِ الَّذِينَ ذَكَرْنَا أَنَّهُمْ كَانُوا عَمَالَهُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ غَيْرَ ابْنِ عَبَّاسٍ، كَانَ شَخْصٌ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَنْ عَمَلِهِ بِالْبَصْرَةِ، وَاسْتَخْلَفَ زِيَادًا - الَّذِي كَانَ يَقَالُ لَهُ: زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ - عَلَى الْخُرَاجِ، وَأَبَا الْأَسْوَدَ الدَّوْلِيَّ عَلَى الْقَضَاءِ ذَكَرَ تَوْجِيهِ ابْنَ عَبَّاسٍ زِيَادًا عَنْ أَمْرِ عَلِيٍّ إِلَى فَارَسٍ وَكُرْمَانَ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَجْهَ ابْنِ عَبَّاسٍ زِيَادًا عَنْ أَمْرِ عَلِيٍّ إِلَى فَارَسٍ وَكُرْمَانَ عِنْدَ مَنْصَرِفِهِ مِنْ عِنْدِ عَلِيٍّ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ.

ذَكَرَ سَبَبَ تَوْجِيهِ إِيَّاهُ إِلَى فَارَسٍ:

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، قَالَ: لَمَّا قُتِلَ ابْنُ الْحَضَرِيِّ وَاخْتَلَفَ النَّاسُ عَلَى عَلِيٍّ، طَمَعَ أَهْلُ فَارَسٍ وَأَهْلُ كُرْمَانَ فِي كَسْرِ الْخُرَاجِ، فَغَلَبَ أَهْلُ كُلِّ نَاحِيَةٍ عَلَى مَا يَلِيهِمْ، وَأَخْرَجُوا عَمَالَهُمْ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ كَثِيرٍ، أَنَّ عَلِيًّا اسْتَشَارَ النَّاسَ فِي رَجُلٍ يُؤَلِّهِ فَارِسَ حِينَ امْتَنَعُوا مِنْ أَدَاءِ الْخُرَاجِ، فَقَالَ لَهُ جَارِيَةٌ بِنْتُ قُدَامَةَ: أَلَا أَدُلُّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى رَجُلٍ صَلِيبِ الرَّأْيِ، عَالِمٍ بِالسِّيَاسَةِ، كَافٍ لِمَا وَُلِّيَ؟ قَالَ: مَنْ هُوَ؟

قَالَ: زِيَادٌ، قَالَ: هُوَ لَهَا، فَوَلَاهُ فَارِسَ وَكُرْمَانَ، وَوَجَّهَهُ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، فَدَوَّخَ تِلْكَ الْبِلَادَ حَتَّى اسْتَقَامُوا.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ مُجَاهِدٍ، قَالَ:

قَالَ الشَّعْبِيُّ: لَمَّا انْتَقَضَ أَهْلُ الْجِبَالِ وَطَمَعَ أَهْلُ الْخُرَاجِ فِي كَسْرِهِ، وَأَخْرَجُوا سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ مِنْ فَارِسَ - وَكَانَ عَامِلًا عَلَيْهَا لِإِلِيِّ - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِإِلِيِّ:

أَكْفِيكَ فَارِسَ، فَقَدِمَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْبَصْرَةَ، وَوَجَّهَ زِيَادًا إِلَى فَارِسَ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ، فَوَطِئَ بِهِمْ أَهْلَ فَارِسَ، فَأَدَّوْا الْخُرَاجَ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ إِصْطَخَرَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: أَدْرَكْتُ زِيَادًا وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى فَارِسَ وَهِيَ تُضْرَمُ نَارًا، فَلَمْ يَزَلْ بِالْمُدَارَاةِ حَتَّى عَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْإِسْتِقَامَةِ، لَمْ يَقِفْ مَوْقِفًا لِلْحَرْبِ، وَكَانَ أَهْلُ فَارِسَ يَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا سِيرَهُ أَشْبَهَ بِسِيرَةِ كَسْرَى أَنْوَ شُرَوَانَ مِنْ سِيرَةِ هَذَا الْعَرَبِيِّ فِي اللَّيْلِ وَالْمُدَارَاةِ وَالْعِلْمِ بِمَا يَأْتِي

قَالَ: وَلَمَّا قَدِمَ زِيَادُ فَارِسَ بَعَثَ إِلَى رُؤَسَائِهَا، فَوَعَدَ مِنْ نَصْرِهِ وَمَنَاهُ، وَخَوْفَ قَوْمًا وَتَوَعَّدَهُمْ، وَضَرَبَ بَعْضَهُمْ بَبَعْضٍ، وَدَلَّ بَعْضُهُمْ

على عورة بعض، وهربت طائفة، وأقامت طائفة، فقتل بعضهم بعضا، وصفت له فارس، فلم يلق فيها جمعا ولا حربا، وفعل مثل ذلك بكرمان، ثم رجع إلى فارس، فسار في كورها ومناهم، فسكن الناس إلى ذلك، فاستقامت له البلاد، وأتى إصطخر فنزلها وحسن قلعة بها ما بين بيضاء إصطخر وإصطخر، فكلت تسمى قلعة زياد، فحمل إليها الأموال، ثم تحصن فيها بعد ذلك منصور البشكري، فهي اليوم تسمى قلعه منصور

٥٠٤ سنه اربعين

سنة أربعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث فما كان فيها من ذلك توجيه معاوية بسر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز. فذكر عن زياد بن عبد الله البكائي، عن عوانة، قال: ارسل معاوية ابن أبي سفيان بعد تحكيم الحكيم بسر بن أبي أرطاة - وهو رجل من بني عامر بن لؤي في جيش - فساروا من الشام حتى قدموا المدينة، وعامل علي على المدينة يومئذ أبو أيوب الأنصاري، ففر منهم أبو أيوب، فأتى عليا بالكوفة، ودخل بسر المدينة، قال: فصعد منبرها ولم يقاتله بها أحد، فنادى على المنبر: يا دينار، ويا نجار، ويا زريق، شيخي شيخي! عهدي به بالأمس، فأين هو! يعني عثمان، ثم قال: يا أهل المدينة، والله لولا ما عهد إلي معاوية ما تركت بها محتلا إلا قتلته ثم بايع أهل المدينة، وأرسل إلى بني سلمة، فقال: والله ما لكم عندي من أمان ولا مبيعة حتى تأتوني بجابر بن عبد الله، فانطلق جابر إلى أم سلمة زوج النبي ص فقال لها: ماذا ترين؟ إني قد خشيت أن أقتل، وهذه بيعه ضلاله، قالت: أرى أن تباع، فإني قد أمرت ابني عمر بن أبي سلمة أن يبايع، وأمرت ختني عبد الله بن زمعة - وكانت ابنتها زينب ابنة أبي سلمة عند عبد الله بن زمعة - فأتاه جابر فبايعه، وهدم بسر دورا بالمدينة، ثم مضى حتى أتى مكة، فخافه أبو موسى أن يقتله، فقال له بسر: ما كنت لأفعل بصاحب رسول الله ص ذلك، نفلى عنه، وكتب أبو موسى قبل ذلك إلى اليمن: أن خيلا مبعوثة من عند معاوية تقتل الناس، تقتل من أبي أن يقر بالحكومة ثم مضى بسر إلى اليمن، وكان عليها عبيد الله بن عباس عاملا لعل، فلما بلغه مسيره فر إلى الكوفة حتى أتى عليا، واستخلف عبد الله بن عبد المدان الحارثي على اليمن، فأتاه بسر

فقتله وقتل ابنه، ولقي بسر ثقل عبيد الله بن عباس وفيه ابنان له صغيران، فذبحهما وقد قال بعض الناس: إنه وجد ابني عبيد الله بن عباس عند رجل من بني كنانة من أهل البادية، فلما أراد قتلها قال الكائي: علام تقتل هذين ولا ذنب لهما! فإن كنت قاتلهما فاقتلني، قال: أفعل، فبدأ بالكائي فقتله، ثم قتلها ثم رجع بسر إلى الشام وقد قيل: إن الكائي قاتل عن الطفلين حتى قتل، وكان اسم أحد الطفلين اللذين قتلها بسر:

عبد الرحمن، والآخر قثم وقتل بسر في مسيره ذلك جماعة كثيرة من شيعة علي باليمن وبلغ عليا خبر بسر، فوجه جارية بن قدامة في ألفين، ووهب بن مسعود في ألفين، فسار جارية حتى أتى نجران فخرق بها، وأخذ ناسا من شيعة عثمان فقتلهم، وهرب بسر وأصحابه منه، واتبعهم حتى بلغ مكة، فقال لهم جارية: بايعونا، فقالوا: قد هلك أمير المؤمنين، فلن نبايع؟ قال: لمن بايع له أصحاب علي، فتثاقلوا، ثم بايعوا ثم سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلي بهم، فهرب منه، فقال جارية:

والله لو أخذت أبا سنور لضربت عنقه، ثم قال لأهل المدينة: بايعوا الحسن بن علي، فبايعوه وأقام يومه، ثم خرج منصرفا إلى الكوفة، وعاد أبو هريرة فصلى بهم.

وفي هذه السنة - فيما ذكر - جرت بين علي وبين معاوية المهادنة - بعد مكاتبات جرت بينهما يطول بذكرها الكتاب - على وضع الحرب بينهما، ويكون لعل العراق ولمعاوية الشام، فلا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو.

قال زياد بن عبد الله، عن أبي إسحاق: لما لم يعط أحد الفريقين صاحبه الطاعة كتب معاوية إلى علي: أما إذا شئت فلك العراق ولي

الشام، وتكف السيف عن هذه الأمة، ولا تهريق دماء المسلمين، ففعل ذلك، وتراضيا على ذلك، فأقام معاوية بالشام بجنوده يجيها وما حولها، وعلى العراق يجيها ويقسمها بين جنوده

٥٤٠١ خروج ابن عباس من البصرة إلى مكة

خروج ابن عباس من البصرة إلى مكة
وفيها خرج عبد الله بن العباس من البصرة ولحق مكة في قول عامة أهل السير، وقد أنكر ذلك بعضهم، وزعم أنه لم يزل بالبصرة عاملا عليها من قبل أمير المؤمنين علي ع حتى قتل، وبعد مقتل علي حتى صالح الحسن معاوية، ثم خرج حينئذ إلى مكة.

ذكر الخبر عن سبب شخوصه إلى مكة وتركه العراق:
حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني جماعة عن أبي مخنف، عن سليمان بن أبي راشد، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود، قال: مرَّ عبد الله بن عباس على أبي الأسود الدؤلي، فقال: لو كنت من البهائم كنت جملا، ولو كنت راعيا ما بلغت من المرعى، ولا أحسنت مهنته في المشي قال: فكتب أبو الأسود إلى علي:

أما بعد، فإن الله جلَّ وعلا جعلك واليا مؤمنا، وراعيا مستويا، وقد بلونك فوجدناك عظيم الأمانة، ناصحا للرعية، توفر لهم فيهم، وتظلف نفسك عن دنياهم، فلا تأكل أموالهم، ولا ترتشي في أحكامهم، وإن ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك، فلم يسعني كتمانك ذلك، فانظر رحمك الله فيما هناك، واكتب إلي برأيك فيما أحببت أنته إليك والسلام.

فكتب إليه علي: أما بعد، فمئذ نصح الإمام والأمة، وأدى الأمانة، ودل على الحق، وقد كتبت إلى صاحبك فيما كتبت إلي فيه من أمره، ولم أعلم أنك كتبت، فلا تدع أعلامي بما يكون بحضرتك مما النظر فيه للأمة صلاح، فإنك بذلك جدير، وهو حق واجب عليك، والسلام.

وكتب إلى ابن عباس في ذلك، فكتب إليه ابن عباس: أما بعد، فإن الذي بلغك باطل، وإني لما تحت يدي ضابط قائم له وله حافظ، فلا تصدق الظنون، والسلام.

قال: فكتب إليه علي: أما بعد، فأعلمني ما أخذت من الجزية، ومن أين أخذت؟ وفيه وضعت؟

قال: فكتب إليه ابن عباس: أما بعد، فقد فهمت تعظيمك مرزاة ما بلغك أنني رزائه من مال أهل هذا البلد، فابعث إلى عمك من أحببت، فإني ظاعن عنه والسلام.

ثم دعا ابن عباس أخواله بني هلال بن عامر، فجاءه الضحاک بن عبد الله وعبد الله بن رزين بن أبي عمرو الهلاليان، ثم اجتمعت معه قيس كلها فحمل مالا.

قال أبو زيد: قال أبو عبيدة: كانت أرزاقا قد اجتمعت، فحمل معه مقدار ما اجتمع له، فبعثت الأحماس كلها، فلحقوه بالطف، فتوافقوا يريدون أخذ المال، فقالت قيس: والله لا يوصل إلى ذلك وفينا عين تطرف.

وقال صبرة بن شيان الحداني: يا معشر الأزد، والله إن قيسا لإخواننا في الإسلام، وجيراننا في الدار، وأعاوننا على العدو، وإن الذي يصيبكم من هذا المال لورد عليكم لقليل، وهم غدا خير لكم من المال قالوا: فما ترى؟ قال: انصرفوا عنهم ودعوهم، فأطاعوه فانصرفوا، فقالت بكر وعبد القيس: نعم الرأي رأي صبرة لقومه، فاعتزلوا أيضا، فقالت بنو تميم:

والله لا نفرقهم، نقاتلهم عليه فقال الأحنف: قد ترك قتالهم من هو أبعد منكم رحما، فقالوا: والله لنقاتلهم، فقال: إذا لا أساعدكم

عليهم، فاعتزلهم، قَالَ: فرأسوا عليهم ابن المجاعة من بني تميم، فقاتلوهم، وحمل الضحاك على ابن المجاعة فطعنه، واعتنقه عبد الله بن رزين، فسقطا إلى الأرض يعتركان، وكثرت الجراح فيهم، ولم يكن بينهم قتيل، فَقَالَتِ الأحماس: مَا صنعنا شيئاً، اعتزلناهم وتركناهم يتحاربون، فضربوا وجوه بعضهم عن بعض، وقالوا لبني تميم: لنحن أسخى منكم أنفساً حين تركنا هذا المال لبني عمكم، وأنتم تقتاتلونهم عليه، إن القوم قد حملوا وحموا، نخلوهم، وإن أحببتهم فانصرفوا ومضى ابن عباس ومعه نحو من عشرين رجلاً حتى قدم مكة

٥٤٠٢ ذكر الخبر عن مقتل علي بن أبي طالب

وَحَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ، قَالَ: زَعَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ - وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنْهُ - أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ لَمْ يَبْرَحْ مِنَ الْبَصْرَةِ حَتَّى قَتَلَ عَلِيَّ ع، فَشَخَّصَ إِلَى الْحَسَنِ، فَشَهِدَ الصُّلْحَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُعَاوِيَةَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَثَقَلَهُ بِهَا، فَحَمَلَهُ وَمَلَا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ قَلِيلاً، وَقَالَ: هِيَ أَرْزَاقِي. قَالَ أَبُو زَيْدٍ: ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَبِي الْحَسَنِ فَأَنْكَرَهُ، وَزَعَمَ أَنَّ عَلِيًّا قَتَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ بِمَكَّةَ، وَأَنَّ الَّذِي شَهِدَ الصُّلْحَ بَيْنَ الْحَسَنِ وَمُعَاوِيَةَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ

ذكر الخبر عن مقتل علي بن أبي طالب

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَتَلَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ع، وَاخْتَلَفَ فِي وَقْتِ قَتْلِهِ، فَقَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ مَا حَدَّثَنِي بِهِ أَحَدٌ مِنْ ثَابِتٍ، قَالَ: حَدَّثَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، قَالَ: قَتَلَ عَلِيٌّ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعِ عَشْرَةِ خَلَّتْ مِنْهُ سَنَةٌ أَرْبَعِينَ، وَكَذَلِكَ قَالَ الْوَاقِدِيُّ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ الْحَارِثُ، عَنْ ابْنِ سَعْدٍ عَنْهُ، وَأَمَّا أَبُو زَيْدٍ فَحَدَّثَنِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ قَالَ: قَتَلَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِالْكُوفَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِأَحَدِي عَشْرَةِ قَالَ: وَيُقَالُ: لثَلَاثِ عَشْرَةِ بَقِيَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةٌ أَرْبَعِينَ قَالَ: وَقَدْ قِيلَ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةٌ أَرْبَعِينَ. ذَكَرَ الْخَبْرَ عَنْ سَبَبِ قَتْلِهِ وَمَقْتَلِهِ:

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَسْرُوقِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْحَرَانِيُّ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ رَاشِدٍ، قَالَ: كَانَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مِلْجَمٍ وَأَصْحَابِهِ أَنَّ ابْنَ مِلْجَمٍ وَالْبُرْكَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَعَمْرُو بْنُ بَكْرِ التَّمِيمِيِّ اجْتَمَعُوا، فَتَذَاكَرُوا أَمْرَ النَّاسِ، وَعَابُوا عَلَى وَلَائِهِمْ، ثُمَّ ذَكَرُوا أَهْلَ النَّهْرِ، فَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: مَا نَصْنَعُ بِالْبَقَاءِ بَعْدَهُمْ شَيْئاً! إِخْوَانُنَا الَّذِينَ كَانُوا دَعَاةَ النَّاسِ لِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ، وَالَّذِينَ كَانُوا لَا يَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَئِيمَةً، فَلَوْ شَرِينَا أَنْفُسَنَا فَأَتَيْنَا أُمَّةَ الضَّلَالَةِ فَاتَمَسْنَا قَتْلَهُمْ، فَأَرْحَنَّا مِنْهُمْ الْبِلَادَ، وَثَارْنَا بِهِمْ إِخْوَانُنَا! فَقَالَ ابْنُ مِلْجَمٍ: أَنَا أَكْفَيْكُمْ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - وَكَانَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ - وَقَالَ الْبُرْكَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَا أَكْفَيْكُمْ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَقَالَ عَمْرُو بْنُ بَكْرِ: أَنَا أَكْفَيْكُمْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَتَعَاهَدُوا وَتَوَاتَقُوا بِاللَّهِ لَا يَنْكُصُ رَجُلٌ مِنْهُمَا عَنْ صَاحِبِهِ الَّذِي تَوَجَّهَ إِلَيْهِ حَتَّى يَقْتُلَهُ أَوْ يَمُوتَ دُونَهُ فَأَخَذُوا أَسْيَافَهُمْ، فَسَمَوْهَا، وَاتَّعَدُوا لِسَبْعِ عَشْرَةِ تَخْلُو مِنْ رَمَضَانَ أَنْ يَثْبُتَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى صَاحِبِهِ الَّذِي تَوَجَّهَ إِلَيْهِ، وَأَقْبَلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَى الْمِصْرِ الَّذِي فِيهِ صَاحِبُهُ الَّذِي يَطْلُبُ.

فَأَمَّا ابْنُ مِلْجَمٍ الْمُرَادِيُّ فَكَانَ عِدَادُهُ فِي كَنْدَةَ، فَخَرَجَ فَلَقِيَ أَصْحَابَهُ بِالْكُوفَةِ، وَكَاتَمَهُمْ أَمْرَهُ كَرَاهَةً أَنْ يَظْهَرُوا شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِ، فَإِنَّهُ رَأَى ذَاتَ يَوْمٍ أَصْحَاباً مِنْ تَيْمِ الرِّبَابِ - وَكَانَ عَلِيٌّ قَتَلَ مِنْهُمْ يَوْمَ النَّهْرِ عَشْرَةَ - فَذَكَرُوا قَتْلَهُمْ، وَلَقِيَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ تَيْمِ الرِّبَابِ يَقَالُ لَهَا: قِطَامُ ابْنَةِ الشَّجْنَةِ - وَقَدْ قَتَلَ أَبَاهَا وَأَخَاهَا يَوْمَ النَّهْرِ، وَكَانَتْ فَائِزَةً بِالْجَمَالِ - فَلَمَّا رَأَاهَا التَّبَسَّتْ بِعَقْلِهِ، وَنَسِيَ حَاجَتَهُ الَّتِي جَاءَ لَهَا، ثُمَّ خَطَبَهَا، فَقَالَتْ:

لَا أَتَزَوَّجُكَ حَتَّى تَشْفِي لِي قَالَ: وَمَا يَشْفِيكَ؟ قَالَتْ: ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَعَبْدٌ وَقِينَةٌ وَقَتْلُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: هُوَ مَهْرُ لَكَ، فَأَمَّا قَتْلُ عَلِيٍّ فَلَا أَرَاكَ ذَكَرْتَهُ لِي وَأَنْتَ تَرِيدِينِي! قَالَتْ: بَلَى، التَّمَسَّ غُرَّتُهُ، فَإِنْ أَصَبْتَ شَفِيتَ نَفْسَكَ وَنَفْسِي، وَيَهْنُوكَ الْعَيْشُ مَعِي، وَإِنْ قَتَلْتَ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَزِينَةُ أَهْلِهَا، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا جَاءَ بِي إِلَى هَذَا الْمِصْرِ إِلَّا قَتْلُ عَلِيٍّ، فَلَمْ تَسْأَلْ قَالَتْ: إِنِّي أَطْلُبُ لَكَ

من يسند ظهره، ويساعدك على أمره، فبعثت إلى رجل من قوما من تيم الرباب يقال له:

وردان فكلمته فأجابها، وأتى ابن ملجم رجلا من أشجع يقال له شبيب بن بجرة فقال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: قتل علي بن أبي طالب، قال: ثكلتك أمك! لقد جئت شيئا إدا، كيف تقدر على علي! قال: أكن له في المسجد، فإذا خرج لصلاة الغداة شد دنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفيينا أنفسنا، وأدركنا ثأرنا، وإن قتلنا فما

عند الله خير من الدنيا وما فيها قال: ويحك! لو كان غير علي لكان أهون علي، قد عرفت بلاءه في الإسلام، وسابقته مع النبي ص وما أجدني أنشرح لقتله قال: أما تعلم أنه قتل أهل النهر العباد الصالحين! قال: بلى، قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا، فأجابه - فجاءوا قطام - وهي في المسجد الأعظم معتكفة - فقالوا لها: قد أجمع رأينا على قتل علي، قالت:

فإذا أردتم ذلك فأتوني، ثم عاد إليها ابن ملجم في ليلة الجمعة التي قتل في صبيحتها علي سنة أربعين - فقال: هذه الليلة التي واعدت فيها صاحبي أن يقتل كل منا صاحبه، فدعت لهم بالحرير فعصبتهم به، وأخذوا أسياهم وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي، فلما خرج ضربه شبيب بالسيف.

فوقع سيفه بعضادة الباب أو الطاق، وضربه ابن ملجم في قرنه بالسيف.

وهرب وردان حتى دخل منزله، فدخل عليه رجل من بني أبيه وهو ينزع الحرير عن صدره، فقال: ما هذا الحرير والسيف؟ فأخبره بما كان وانصرف فجاء بسيفه فعلا به وردان حتى قتله، وخرج شبيب نحو أبواب كندة في الغلس، وصاح الناس، فلحقه رجل من حضرموت يقال له عويمر، وفي يد شبيب السيف، فأخذه، وجثم عليه الحضرمي، فلما رأى الناس قد أقبلوا في طلبه، وسيف شبيب في يده، خشي على نفسه، فتركه، ونجا شبيب في غمار الناس، فشدوا على ابن ملجم فأخذوه، إلا أن رجلا من همدان يكنى أبا أدماء أخذ سيفه فضرب رجله، فصرعه، [وتأخر علي، ورفع في ظهره جعدة بن هبيرة بن أبي وهب، فصلى بالناس الغداة، ثم قال علي:

علي بالرجل، فأدخل عليه، ثم قال: أي عدو الله، ألم أحسن إليك! قال: بلى، قال: فما حملك على هذا؟ قال: شخذه أربعين صباحا، وسألت الله أن يقتل به شر خلقه، فقال ع: لا أراك إلا مقتولا به، ولا أراك إلا من شر خلقه].

وذكروا أن ابن ملجم قال قبل أن يضرب عليا - وكان جالسا في بني بكر ابن وائل إذ مر عليه بجنزة أبحر بن جابر العجلي أبي جابر، وكان نصرانيا،

والنصارى حوله، وأناس مع جابر لمنزلته فيهم يمشون في جانب وفيهم شقيق ابن ثور - فقال ابن ملجم: ما هؤلاء؟ فأخبر الخبر، فأنشأ يقول:

لئن كان جابر بن أبحر مسلما ... لقد بوعدت منه جنازة أبحر

وإن كان جابر بن أبحر كافرا ... فما مثل هذا من كفور بمنكر

أترضون هذا أن قيسا ومسلما ... جميعا لدى نعش، فيا قبح منظر!

فلولا الذي أنوي لفرقت جمعهم ... بأبيض مصقول الدياس مشهر

ولكنني أنوي بذاك وسيلة ... إلى الله أو هذا نفذ ذاك أو ذر

وذكر أن محمد بن الحنفية، قال: كنت والله أني لا صلى تلك الليلة التي ضرب فيها علي في المسجد الأعظم، في رجال كثير من أهل مصر، يصلون قريبا من السدة، ما هم إلا قيام وركوع وسجود، وما يسأمون من أول الليل إلى آخره، إذ خرج علي لصلاة الغداة، فجعل ينادي: أيها الناس، الصلاة الصلاة! فما أدري أخرج من السدة فتكلم بهذه الكلمات أم لا! فنظرت إلى بريق، وسمعت: الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك، فرأيت سيفا، ثم رأيت ثانيا، ثم سمعت عليا يقول: لا يفوتكم الرجل، وشد الناس عليه من كل جانب [قال: فلم أبرح حتى أخذ ابن ملجم وأدخل على علي، فدخلت فيمن دخل من الناس، فسمعت عليا يقول: النفس بالنفس، إن أنا

مت فاقتلوه كما قتلتني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي] وذكر أن الناس دخلوا على الحسن فزعين لما حدث من أمر علي، فبينما هم عنده وابن ملجم مكتوف بين يديه، إذ نادته أم كلثوم بنت علي وهي تبكي: أي عدو الله، لا بأس على أبي، والله مخزيك! قال: فعلى من تبكين؟ والله لقد اشتريته بألف، وسممته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل مصر ما بقي منهم أحد.

[وذكر أن جندب بن عبد الله دخل على علي فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين، إن فقدناك - ولا نفدك - فنباع الحسن؟ فقال: ما أمركم ولا أنهاركم، أنتم أبصر فرد عليه مثلها، فدعا حسنا وحسينا، فقال:

أوصيكم بتقوى الله، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكم، ولا تبكيا على شيء زوي عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، وأغثا الملهوف، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصما، وللمظلوم ناصرا، واعملا بما في الكتاب، ولا تأخذ كما في الله لومة لائم ثم نظر إلى محمد بن الحنفية، فقال: هل حفظت؟ [ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم، قال: فإني أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخويك، لعظيم حقهما عليك، فاتبع أمرهما، ولا تقطع أمرا دونهما.

ثم قال: أوصيكم به، فإنه شقيقكم، وابن أبيكم، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه] [وقال للحسن: أوصيك أي بني بتقوى الله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلها، وحسن الوضوء، فإنه لا صلاة إلا بطهور، ولا تقبل صلاه من مانع زكاه، وأوصيك بغفر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، والتعاهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش].

فلما حضرته الوفاة أوصى، فكانت وصيته: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ*، هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، أَوْصَى أَنَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ* ثُمَّ إِنَّ صَلَاتِي وَلَنْسِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَوْصِيكَ يَا حَسَنُ وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي بِتَقْوَى اللَّهِ رَبِّكُمْ، وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ ص يَقُولُ: [إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام!] [انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليهم الحساب، الله الله في الأيتام، فلا تعنوا أفواههم، ولا يضيعن بحضرتكم.

والله الله في جيرانكم، فإنهم وصية نبيكم ص، ما زال يوصي

به حتى ظننا أنه سيورثه والله الله في القرآن، فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم، والله الله في الصلاة، فإنها عمود دينكم والله الله في بيت ربكم فلا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم يناظر، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، والله الله في الزكاة، فإنها تطفئ غضب الرب، والله الله في ذمة نبيكم، فلا يظلمن بين أظهركم، والله الله في أصحاب نبيكم، فإن رسول الله أوصى بهم، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم، والله الله فيما ملكت أيماكم الصلاة الصلاة لا تخافن في الله لومة لائم، يكفيكم من أرادكم وبغى عليكم وقولوا للناس حسنا كما أمركم الله،] [ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولي الأمر شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم] [وعلیکم بالتواصل والتبادل، وإياكم والتدابير والتقاطع والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيكم أستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله].

ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض رضي الله عنه، وذلك في شهر رمضان سنة أربعين، وغسله ابنه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، وكبر عليه الحسن تسع تكبيرات، ثم ولي الحسن ستة أشهر.

[وقد كان علي نهى الحسن عن المثلة، وقال: يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين، تقولون: قتل أمير المؤمنين، قتل أمير المؤمنين! ألا لا يقتلن الا قاتلي انظر يا حسن، ان انامت من ضربته هذه فاضربه بضربة، ولا تمثل بالرجل،] [فاني

سمعت رسول الله ص: يقول: إياكم والمثلة، ولو أنها بالكلب العقور [فلما قبض ع بعث الحسن إلى ابن ملجم، فقال للحسن: هل لك في خصلة؟ إني والله ما أعطيت الله عهداً إلا وفيت به، إني كنت قد أعطيت الله عهداً عند الحطيم أن أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما، فإن شئت خليت بيني وبينه، ولك الله علي إن لم أقتله - أو قتلته ثم بقيت - أن آتيك حتى أضع يدي في يدك] فقال له الحسن: أما والله حتى تعين النار فلا ثم قدمه فقتله، ثم أخذه الناس فأدرجوه في بواري، ثم أحرقوه بالنار] .

وأما البرك بن عبد الله، فإنه في تلك الليلة التي ضرب فيها علي قعد لمعاوية، فلما خرج ليصلي الغداة شد عليه بسيفه، فوقع السيف في أليته، فأخذ، فقال: إن عندي خيراً أسرك به، فإن أخبرتك فنفعي ذلك عندك؟ قال:

نعم، قال: إن أخا لي قتل علياً في مثل هذه الليلة، قال: فعله لم يقدر على ذلك! قال: بلى، إن علياً يخرج ليس معه من يحرسه، فأمر به معاوية فقتل وبعث معاوية إلى الساعدي - وكان طبيياً - فلما نظر إليه قال:

اختر إحدى خصلتين: إما أن أحمي حديدة فأضعها موضع السيف، وإما أن أسقيك شربة تقطع منك الولد، وتبرأ منها، فإن ضربتك مسمومة، فقال معاوية: أما النار فلا صبر لي علياً، وأما انقطاع الولد فإن في يزيد وعبد الله ما تقر به عيني فسقاه تلك الشربة فبرأ، ولم يولد له بعدها، وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرطه على رأسه إذا سجد.

وأما عمرو بن بكر فجلس لعمرو بن العاص تلك الليلة، فلم يخرج، وكان اشتكى بطنه، فأمر خارجة بن حذافة، وكان صاحب شرطته، وكان من بني عامر بن لؤي، فخرج ليصلي، فشد عليه وهو يرى أنه عمرو، فضربه فقتله، فأخذه الناس، فانطلقوا به إلى عمرو يسلمون عليه بالإمرة، فقال: من هذا؟ قالوا: عمرو، قال: فمن قتلت؟ قالوا:

خارجة بن حذافة، قال: أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك، فقال عمرو: أردتني وأراد الله خارجة، فقدمه عمرو فقتله، فبلغ ذلك معاوية، فكتب إليه:

وقتل وأسباب المنايا كثيرة ... منية شيخ من لوى بن غالب
فيا عمرو مهلاً إنما أنت عمه ... وصاحبه دون الرجال الأقارب
نجوت وقد بل المرادي سيفه ... من ابن أبي شيخ الأباطح طالب
ويضربني بالسيف آخر مثله ... فكانت علينا تلك ضربة لازب
وأنت تنأغي كل يوم وليلة ... بمصر كالبضياء السوارب
ولما انتهى إلى عائشة قتل علي - رضي الله عنه - قالت:

فألقت عصاها واستقرت بها النوى ... كما قرعنا بالإياب المسافر
فمن قتله؟ فقيل: رجل من مراد، فقالت:
فإن يك نائياً فلقد نعاه ... غلام ليس في فيه التراب

فقالت زينب ابنة أبي سلمة: ألعلي تقولين هذا؟ فقالت: إني أنسى، فإذا نسيت فذكروني وكان الذي ذهب بنعيه سفيان بن عبد شمس بن أبي وقاص الزهري: وقال ابن أبي عباس المرادي في قتل علي

ونحن ضربنا يا لك الخير حيدرا ... أبا حسن مأمومة فتفطرا
ونحن خلعنا ملكه من نظامه ... بضربة سيف إذ علا وتجبرا
ونحن كرام في الصباح أعزة ... إذا الموت بالموت ارتدى وتأزرا
وقال أيضاً:

ولم أر مهراً ساقه ذو سماحة ... كمهر قطام من فصيح وأعجم

ثلاثة آلاف وعبد وقينة ... وضرب علي بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من علي وإن غلا ... ولا قتل إلا دون قتل ابن ملجم
وقال أبو الأسود الدؤلي:

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... فلا قرت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعمونا ... بخير الناس طرا أجمعينا!
قتلتم خير من ركب المطايا ... ورحلها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قرأ المثنائي والمبينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين ... رأيت البدر راع الناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت ... بأنك خيرها حسبا ودينا
واختلف في سنة يوم قتل، فقال بعضهم: قتل وهو ابن تسع وخمسين سنة.
[وحدثت عن مضعب بن عبد الله، قال: كان الحسن بن علي يقول:
قتل أبي وهو ابن ثمان وخمسين سنة] .

وحدثنا عن بعضهم، قال: قتل وهو ابن خمس وستين سنة.
وحدثني أبو زيد، قال: حدثني أبو الحسن، قال: حدثني أيوب بن عمر بن أبي عمرو، [عن جعفر بن محمد، قال: قتل علي وهو ابن ثلاث
وستين سنة قال: وذلك أصح ما قيل فيه] حدثني عمر، قال: حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني، قال: حدثنا شريك، عن أبي إسحاق،
قال: قتل علي ع وهو ابن ثلاث وستين سنة.
وقال هشام: ولي على وهو ابن ثمان وخمسين سنة واشهر، وكانت خلافته خمس سنين الا ثلاثة اشهر، ثم قتله ابن ملجم - واسمه عبد
الرحمن ابن عمرو - في رمضان لسبع عشرة مضت منه، وكانت ولايته أربع سنين وتسعة أشهر، وقتل سنة أربعين وهو ابن ثلاث وستين
سنة.
وحدثني الحارث، قال: حدثني ابن سعد، عن محمد بن عمر، قال:
قتل علي ع وهو ابن ثلاث وستين سنة صبيحة ليلة الجمعة لسبع

٥٤٠٣ ذكر الخبر عن قدر مده خلافته

عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربعين، ودفن عند مسجد الجماعة في قصر الإمارة.
وحدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: ضرب علي ع ليلة الجمعة، فكث يوم الجمعة وليلة السبت، وتوفي
ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربعين وهو ابن ثلاث وستين سنة.
وحدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا علي بن عمر وأبو بكر السري، عن عبد الله بن محمد بن
عقيل، قال: سمعت محمد بن الحنفية يقول سنه الجحاف حين دخلت سنة إحدى وثمانين هذه ولي خمس وستون سنة، قد جاوزت سن
أبي، قيل:

وكم كانت سنه يوم قتل؟ قال: قتل وهو ابن ثلاث وستين سنة.
وقال الحارث: قال ابن سعد: قال محمد بن عمر كذلك، وهو الثبت عندنا
. ذكر الخبر عن قدر مدة خلافته

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، قَالَ: حَدَّثَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ، قَالَ: كَانَتْ خِلَافَةُ عَلِيٍّ خَمْسَ سِنِينَ إِلَّا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ. وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: كَانَتْ خِلَافَةُ عَلِيٍّ خَمْسَ سِنِينَ إِلَّا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ

٥٠٤٠٤ ذكر الخبر عن صفته

٥٠٤٠٥ ذكر نسبه ع

٥٠٤٠٦ ذكر الخبر عن أزواجه وأولاده

حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: كَانَتْ وَلَايَةُ عَلِيٍّ أَرْبَعَ سِنِينَ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ، وَيَوْمًا أَوْ غَيْرَ يَوْمٍ. ذَكَرَ الْخَبْرَ عَنْ صِفَتِهِ

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَبْرَةَ، [عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي فَرَوَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ، قُلْتُ: مَا كَانَتْ صِفَةُ عَلِيٍّ ع؟ قَالَ: رَجُلٌ آدَمُ شَدِيدُ الْأَدَمَةِ ثَقِيلُ الْعَيْنَيْنِ عَظِيمُهُمَا، ذُو بَطْنٍ، أَصْلَعٌ، هُوَ إِلَى الْقَصْرِ أَقْرَبَ] ذَكَرَ نَسْبَهُ ع

هُوَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَاسْمُ أَبِي طَالِبٍ عَبْدِ مَنْفٍ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ابْنِ هَاشِمٍ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ، وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ بْنُ هَاشِمٍ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ. ذَكَرَ الْخَبْرَ عَنْ أَزْوَاجِهِ وَأَوْلَادِهِ

فَأُولُ زَوْجَةٍ تَزَوَّجَهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ عَلَيْهَا حَتَّى تُوْفِيَ عِنْدَهُ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ مِنَ الْوَلَدِ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، وَيَذْكُرُ أَنَّهُ كَانَ لَهَا مِنْهُ ابْنٌ آخَرٌ يُسَمَّى مُحَسِّنًا تُوْفِيَ صَغِيرًا، وَزَيْنَبُ الْكُبْرَى، وَأُمُّ كُلثُومِ الْكُبْرَى. ثُمَّ تَزَوَّجَ بَعْدَ أُمِّ الْبَنِينَ بِنْتَ حِزَامٍ - وَهُوَ أَبُو الْمَجْلِ بْنِ خَالِدٍ بْنُ رَبِيعَةَ ابْنِ الْوَحِيدِ بْنِ كَعْبٍ بْنُ عَامِرٍ بْنِ كَلَابٍ - فَوُلِدَ لَهَا مِنْهُ الْعَبَّاسُ، وَجَعْفَرُ، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَعُثْمَانُ، قَتَلُوا مَعَ الْحُسَيْنِ ع بِكَرْبَلَاءَ، وَلَا بَقِيَّةَ لَهُمْ غَيْرَ الْعَبَّاسِ. وَتَزَوَّجَ لَيْلَى ابْنَةَ مَسْعُودِ بْنِ خَالِدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ رَبِيعِ بْنِ سُلَيْمِ بْنِ جَنْدَلٍ

ابْنُ نَهْشَلٍ بْنُ دَارِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنْاةِ بْنِ تَيْمٍ، فَوُلِدَتْ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ وَأَبَا بَكْرٍ فَزَعَمَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَنَّهُمَا قَتَلَا مَعَ الْحُسَيْنِ بِالْطَّفِ وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَلِيٍّ قَتَلَهُ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ بِالْمَذَارِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ لَا بَقِيَّةَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ وَلَا لِأَبِي بَكْرٍ ابْنِي عَلِيٍّ ع.

وَتَزَوَّجَ أَسْمَاءَ ابْنَةَ عَمِيْسِ الْخُثْعَمِيَّةِ، فَوُلِدَتْ لَهُ - فِيمَا حَدَّثَ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ - يَحْيَى وَمُحَمَّدُ الْأَصْغَرُ، وَقَالَ: لَا عَقَبَ لَهُمَا. وَأَمَّا الْوَاقِدِيُّ فَإِنَّهُ قَالَ فِيمَا حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ:

أَخْبَرَنَا الْوَاقِدِيُّ أَنَّ أَسْمَاءَ وَلَدَتْ لِعَلِيٍّ يَحْيَى وَعُونَا ابْنِي عَلِيٍّ وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ:

مُحَمَّدُ الْأَصْغَرُ لَامٌ وَلَدَ، وَكَذَلِكَ قَالَ الْوَاقِدِيُّ فِي ذَلِكَ، وَقَالَ: قَتَلَ مُحَمَّدُ الْأَصْغَرُ مَعَ الْحُسَيْنِ.

وَلَهُ مِنَ الصِّبْيَاءِ - وَهِيَ أُمُّ حَبِيبِ بِنْتُ رَبِيعَةَ بْنِ بَجِيرِ بْنِ الْعَبْدِ بْنِ عَلْقَمَةَ ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَهْرٍ بْنِ جِشْمِ بْنِ بَكْرِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غَنَمِ بْنِ تَغْلِبِ بْنِ وَاثِلٍ، وَهِيَ أُمُّ وَلَدٍ مِنَ السَّبْيِ الَّذِينَ أَصَابَهُمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ حِينَ أَغَارَ عَلَى عَيْنِ التَّمْرِ عَلَى بَنِي تَغْلِبَ بِهَا - عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ، وَرُقِيَّةُ ابْنَةُ عَلِيٍّ، فَعَمَّرَ عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ حَتَّى بَلَغَ خَمْسًا وَثَمَانِينَ سَنَةً، فَحَازَ نِصْفَ مِيرَاثِ عَلِيٍّ ع، وَمَاتَ يَتِيمًا.

وتزوج أُمَامَةُ بنت أبي العاصي بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ابن عبد مناف وأُمَا زَيْنَب بنت رَسُولِ اللَّهِ ص، فولدت لَهُ مُحَمَّدًا الأوسط.

وله مُحَمَّد بن علي الأكبر، الذي يقال له: مُحَمَّد بن الحنفية، أُمُه خولة ابنة جَعْفَر بن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول ابن حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، توفي بالطائف فصلى عَلَيْهِ ابن عَبَّاس.

وتزوج أُم سَعِيد بنت عروة بن مسعود بن معتب بن مالك الثقفي، فولدت لَهُ أُم الحَسَن ورملة الكبرى

٥٠٤٠٧ ذكر ولاته

وَكَانَ لَهُ بَنَاتٌ مِنْ أُمّهَاتٍ شَتَّى لَمْ يَسْمَ لَنَا أَسْمَاءُ أُمّهَاتِهِنَّ، مِنْهُنَّ أُم هَانِي، وَمِيمُونَةُ، وَزَيْنَب الصغرى، ورملة الصغرى، وَأُم كلثوم الصغرى وفاطمة، وَأُمَامَةُ، وَخديجة، وَأُم الكرام، وَأُم سلمة، وَأُم جَعْفَر، وَجَمَانَةُ، وَنَفِيسَةُ بَنَاتِ عَلِي ع، أُمّهَاتِهِنَّ أُمّهَاتُ أَوْلَادِ شَتَّى وَتَزَوَّجَ حَيَاةَ ابْنَةِ أُمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ عَدِي بْنِ أَوْسِ بْنِ جَابِرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَلِيمٍ مِنْ كَلْبٍ، فَوُلِدَتْ لَهُ جَارِيَةٌ، هَلَكَتْ وَهِيَ صَغِيرَةٌ قَالَ الْوَاقِدِيُّ:

كَانَتْ تَخْرُجُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَهِيَ جَارِيَةٌ فَيَقَالُ لَهَا: مِنْ أَخْوَالِكَ؟ فَتَقُولُ وَه، وَه- تعني كلبا.

فجميع ولد علي لصلبه أربعة عشر ذكرا، وسبع عشرة امرأة.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ عَنْ الْوَاقِدِيِّ، قَالَ: كَانَ النُّسْلُ مِنْ وَلَدِ عَلِيٍّ خَمْسَةً: الْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَةِ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ الْكَلَابِيَةِ، وَعُمَرُ بْنُ التَّغْلِبِيَةِ

. ذكر ولاته

وَكَانَ وَالِيَهُ عَلَى الْبَصْرَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا اخْتِلَافَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي ذَلِكَ، وَإِلَيْهِ كَانَتِ الصَّدَقَاتُ وَالْجُنْدُ وَالْمَعَاوَنُ أَيَّامَ وَلَايَتِهِ كُلِّهَا، وَكَانَ يَسْتَخْلِفُ بِهَا إِذَا شَخَّصَ عَنْهَا عَلَى مَا قَدْ بَيَّنْتُ قَبْلَ.

وَكَانَ عَلَى قَضَائِهَا مِنْ قَبْلِ عَلِيٍّ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّوْلِيُّ، وَقَدْ ذَكَرْتُ مَا كَانَ مِنْ تَوَلِيَّتِهِ زِيَادًا عَلَيْهَا، ثُمَّ إِشْتِخَاصَهُ إِيَّاهُ إِلَى فَارِسٍ لِحَرْبِهَا وَخَرَايجِهَا، فَقَتَلَ وَهُوَ بِفَارِسٍ، وَعَلَى مَا كَانَ وَجْهَهُ عَلَيْهِ.

وَكَانَ عَامِلَهُ عَلَى الْبَحْرَيْنِ وَمَا يَلِيهَا وَالْيَمَنَ وَمُخَالِفَهَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ، حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرٍ بِسَرِ بْنِ أَبِي أَرْطَاةٍ مَا قَدْ مَضَى ذِكْرَهُ. وَكَانَ عَامِلَهُ عَلَى الطَّائِفِ وَمَكَّةَ وَمَا اتَّصَلَ بِذَلِكَ بَنُ الْعَبَّاسِ

٥٠٤٠٨ ذكر بعض سيره ع

وَكَانَ عَامِلَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ، وَقِيلَ: سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ، حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِهِ عِنْدَ قُدُومِ بَسْرٍ مَا قَدْ ذَكَرْتُ قَبْلَ.

. ذكر بعض سيره ع

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا وَهْبٌ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي ذَيْبٍ، [عَنْ عَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ ابْنِ أَبِي رَافِعٍ، أَنَّهُ كَانَ خَازِنًا لِعَلِيٍّ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ، قَالَ:

فَدَخَلَ يَوْمًا وَقَدْ زَيْنَتْ ابْنَتُهُ، فَرَأَى عَلَيْهَا لُؤْلُؤَةً مِنْ بَيْتِ الْمَالِ قَدْ كَانَ عَرَفَهَا، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ لَهَا هَذِهِ؟ لِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ أَقْطَعَ يَدَهَا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُ جَدَّهُ فِي ذَلِكَ قُلْتُ: أَنَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَتْ بِهَا ابْنَةُ أَخِي، وَمِنْ أَيْنَ كَانَتْ تَقْدِرُ عَلَيْهَا لَوْ لَمْ أُعْطِهَا! فَسَكَتَ .

حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُوسَى الْقَزَارِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ حَرْبٍ، عَنْ نَاجِيَةِ الْقُرَشِيِّ، عَنْ عَمِّهِ يَزِيدَ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ عُثْمَانَ، [قَالَ: رَأَيْتُ عَلِيًّا عَارِجًا مِنْ هَمْدَانَ، فَرَأَى فِتْنَتَيْنِ يَفْتَتِلَانِ، فَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ مَضَى فَسَمِعَ صَوْتًا يَأْخُذُ بِاللَّهِ! فَخَرَجَ يَحْضُرُ نَحْوَهُ حَتَّى سَمِعْتُ خَفَقَ نَعْلِهِ وَهُوَ يَقُولُ: أَتَاكَ الْغَوْثُ، فَإِذَا رَجُلٌ يَلَازِمُ رَجُلًا، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بَعْتُ هَذَا ثَوْبًا بِتِسْعَةِ دِرَاهِمٍ، وَشَرِطْتُ عَلَيْهِ الْإِ

يُعْطِينِي مَغْمُوزًا وَلَا مَقْطُوعًا- وَكَانَ شَرْطُهُمْ يَوْمَئِذٍ- فَأَتَيْتُهُ بِهِذِهِ الدَّرَاهِمَ لِيَبْدِلَهَا لِي فَأَبَى، فَلَزِمْتُهُ فَلَطَمَنِي، فَقَالَ: أَبْدِلْهُ، فَقَالَ: بَيْنْتُكَ عَلَى اللَّطْمَةِ، فَأَتَاهُ بِالْبَيْتَةِ، فَأَقْعَدَهُ ثُمَّ قَالَ: دُونَكَ فَاقْتَصَصْتُ، فَقَالَ: إِنِّي

قَدْ عَفَوْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَحْتَاطَ فِي حَقِّكَ، ثُمَّ ضَرَبَ الرَّجُلُ تِسْعَ دِرَّاتٍ، وَقَالَ: هَذَا حَقُّ السُّلْطَانِ [. حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُمَارَةَ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَصْبَهَانِيُّ، قَالَ: [حَدَّثَنَا الْمُسْعُودِيُّ، عَنْ نَاجِيَّةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا قِيَامًا عَلَى بَابِ الْقَصْرِ، إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ تَخِينًا عَنْ وَجْهِهِ هَيَّأَ لَهُ، فَلَمَّا جَازَ صِرْنَا خَلْفَهُ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نَادَى رَجُلٌ يَا غَوْثًا بِاللَّهِ! فَإِذَا رَجُلَانِ يَمْتَلِئَانِ، فَلَمَّا صَدَرَ هَذَا وَصَدَرَ هَذَا، ثُمَّ قَالَ لهُمَا:

تَخَيًّا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ هَذَا اشْتَرَى مِنِّي شَاةً، وَقَدْ شَرِطْتُ عَلَيْهِ أَلَّا يُعْطِينِي مَغْمُوزًا وَلَا مُحْدَفًا، فَأَعْطَانِي دِرْهَمًا مَغْمُوزًا، فَرَدَدْتُهُ عَلَيْهِ فَلَطَمَنِي، فَقَالَ لِلْآخَرِ: مَا تَقُولُ؟ قَالَ: صَدَقَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: فَأَعْطَاهُ شَرْطَهُ، ثُمَّ قَالَ لِلْأُخْرَى اجْلِسْ، وَقَالَ لِلْمَلُطُومِ:

اِقْتَصَصْ قَالَ: أَوْ أَعْفُو يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: ذَاكَ إِلَيْكَ، قَالَ: فَلَمَّا جَازَ الرَّجُلُ قَالَ عَلِيٌّ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، خُذُوهُ، قَالَ: فَأَخَذُوهُ، فَحُمِلَ عَلَى ظَهْرِ رَجُلٍ كَمَا يُحْمَلُ صَبِيَانُ الْكُتَّابِ، ثُمَّ ضَرَبَهُ خَمْسَ عَشْرَةَ دِرَّةً، ثُمَّ قَالَ: هَذَا نَكَالٌ لِمَا انْتَهَكْتَ مِنْ حُرْمَتِهِ [. حَدَّثَنِي ابْنُ سِنَانٍ الْقَرَّازُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَكِينُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا حَفْصُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي خَالِدُ بْنُ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: لَمَّا قُتِلَ عَلَى ع وَوَقَدْ قَامَ خَطِيئًا، فَقَالَ:

لَقَدْ قَتَلْتُمُ اللَّيْلَةَ رَجُلًا فِي لَيْلَةٍ فِيهَا نَزَلَ الْقُرْآنُ، وَفِيهَا رَفَعَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ع، وَفِيهَا قُتِلَ يُوْشَعُ بْنُ نُونٍ فَتَى مُوسَى ع وَاللَّهُ مَا سَبَقَهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَهُ، وَلَا يَدْرِكُهُ أَحَدٌ يَكُونُ بَعْدَهُ، وَاللَّهُ إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَيَبْعَثُهُ فِي السَّرِيَّةِ وَجِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِهِ، وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِهِ، وَاللَّهُ مَا تَرَكَ صَفْرَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ إِلَّا ثَمَانِمِائَةً- أَوْ سَبْعِمِائَةً- ارْصَدَهَا لِحَادِمِهِ

٥٠٤٠٩ ذكر بيعه الحسن بن علي

ذكر بيعة الحسن بن علي

وفي هذه السنة- أعني سنة أربعين- بويع للحسن بن علي ع بالخلافة، [وقيل: إن أول من بايعه قيس بن سعد، قَالَ لَهُ: ابْسُطْ يَدَكَ أَبَايُكَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَسنة نبيه، وقتال المحلين، فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسنة نبيه، فَإِنْ ذَلِكَ يَأْتِي مِنْ وَرَاءِ كُلِّ شَرْطٍ، فَبَايَعَهُ وَسَكَتَ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ] .

وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ شَبُوبَةَ الْمُرُوزِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: جَعَلَ عَلِيُّ ع قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ إِلَى قَبْلِ أَذْرَبَجَانَ، وَعَلَى أَرْضِهَا وَشُرْطَةِ الْخَمِيسِ الَّذِي ابْتَدَعَهُ مِنَ الْعَرَبِ، وَكَانُوا أَرْبَعِينَ أَلْفًا، بَايَعُوا عَلِيًّا ع عَلَى الْمَوْتِ، وَلَمْ يَزَلْ قَيْسٌ يَدَارِي ذَلِكَ الْبَعْثَ حَتَّى قُتِلَ عَلَى ع، وَاسْتَخْلَفَ أَهْلُ الْعِرَاقِ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ ع عَلَى الْخِلَافَةِ، وَكَانَ الْحَسَنُ لَا يَرَى الْقِتَالَ، وَلَكِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ لِنَفْسِهِ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ مُعَاوِيَةَ، ثُمَّ يَدْخُلُ فِي الْجَمَاعَةِ، وَعَرَفَ الْحَسَنُ أَنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ لَا يُؤَافِقُهُ عَلَى رَايِهِ، فَزَعَهُ وَامْرُءُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، فَلَمَّا عَلِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ بِالَّذِي يُرِيدُ الْحَسَنُ ع أَنْ يَأْخُذَهُ لِنَفْسِهِ كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ يَسْأَلُهُ الْأَمَانَ، وَاسْتَرْطَ لِنَفْسِهِ عَلَى الْأَمْوَالِ الَّتِي أَصَابَهَا، فَشَرِطَ ذَلِكَ لَهُ مُعَاوِيَةُ

وَحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَسْرُوقِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ أَوْ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَرَّانِيُّ الْخُرَازِيُّ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ رَاشِدٍ، قَالَ: بَايَعَ النَّاسُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ ع بِالْخِلَافَةِ، ثُمَّ خَرَجَ بِالنَّاسِ حَتَّى نَزَلَ الْمَدَائِنَ، وَبَعَثَ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ عَلَى

مُقَدَّمَتِهِ فِي اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا، وَأَقْبَلَ مُعَاوِيَةَ فِي أَهْلِ الشَّامِ حَتَّى نَزَلَ مَسْكِينَ، فَبَيْنَا الْحَسَنُ فِي الْمَدَائِنِ إِذْ نَادَى مُنَادٌ فِي الْعَسْكَرِ: أَلَا إِنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ قَدْ قُتِلَ، فَانْفَرُوا، فَانْفَرُوا وَنَهَبُوا سَرَادِقَ الْحَسَنِ عَ حَتَّى نَارَعَوْهُ بِسَاطًا كَانَ تَحْتَهُ، وَخَرَجَ الْحَسَنُ حَتَّى نَزَلَ الْمُقْصُورَةَ الْبَيْضَاءَ بِالْمَدَائِنِ، وَكَانَ عَمُّ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ عَامِلًا عَلَى الْمَدَائِنِ، وَكَانَ اسْمُهُ سَعْدُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ لَهُ الْمُخْتَارُ وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ: هَلْ لَكَ فِي الْغَنَى وَالشَّرَفِ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟

قَالَ: تَوَثَّقُ الْحَسَنُ، وَتَسْتَأْمِنُ بِهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ، أَثِبْ عَلَى ابْنِ بَنَتِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَأَوْثِقْهُ! بِئْسَ الرَّجُلُ أَنْتَ! فَلَمَّا رَأَى الْحَسَنُ عَ تَفَرَّقَ الْأَمْرُ عَنْهُ بَعَثَ إِلَى مُعَاوِيَةَ يَطْلُبُ الصَّلَاحَ، وَبَعَثَ مُعَاوِيَةُ إِلَيْهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرٍ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ ابْنَ سَمُرَةَ بْنِ حَبِيبٍ ابْنَ عَبْدِ شَمْسٍ، فَقَدْ مَا عَلَى الْحَسَنِ بِالْمَدَائِنِ، فَأَعْطَاهُ مَا أَرَادَ، وَصَالِحَاهُ عَلَى أَنْ يَأْخُذَ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْكُوفَةِ خَمْسَةَ آلَافٍ أَلْفٍ فِي أَشْيَاءَ اشْتَرَطَهَا [ثُمَّ قَامَ الْحَسَنُ فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، إِنَّهُ سَخَى بِنَفْسِي عَنْكُمْ ثَلَاثَ: قَتَلَكُمْ أَبِي، وَطَعَنَكُمْ إِيَّايَ، وَانْتَهَبَكُمْ مَتَاعِي]

وَدَخَلَ النَّاسُ فِي طَاعَةِ مُعَاوِيَةَ، وَدَخَلَ مُعَاوِيَةُ الْكُوفَةَ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ قَالَ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَوَانَةَ، وَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ الْمَسْرُوقِ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ هَذَا، وَزَادَ فِيهِ: وَكَتَبَ الْحَسَنُ إِلَى مُعَاوِيَةَ فِي الصَّلَاحِ، وَطَلَبَ الْأَمَانَ، وَقَالَ الْحَسَنُ لِلْحَسَنِ وَلِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ: إِنِّي قَدْ كَتَبْتُ إِلَى مُعَاوِيَةَ فِي الصَّلَاحِ وَطَلَبِ الْأَمَانِ، فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: نَشِدْتُكَ اللَّهُ أَنْ تَصْدُقَ أَحَدُوهُ مُعَاوِيَةَ، وَتَكْذِبَ أَحَدُوهُ عَلَيَّ! فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: اسْكُتْ، فَأَنَا أَعْلَمُ بِالْأَمْرِ مِنْكَ فَلَمَّا انْتَهَى كِتَابُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى مُعَاوِيَةَ، أُرْسِلَ مُعَاوِيَةُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ، فَقَدْ مَا الْمَدَائِنِ، وَأَعْطَاهَا الْحَسَنُ مَا أَرَادَ، فَكَتَبَ الْحَسَنُ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ وَهُوَ عَلَى مُقَدَّمَتِهِ فِي اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا يَأْمُرُهُ بِالْدُخُولِ فِي طَاعَةِ مُعَاوِيَةَ، فَقَامَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ فِي النَّاسِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اخْتَارُوا الدُّخُولَ فِي طَاعَةِ إِمَامٍ ضَلَالَةٍ، أَوْ الْقِتَالَ مَعَ غَيْرِ إِمَامٍ، قَالُوا: لَا، بَلْ نَخْتَارُ أَنْ نَدْخُلَ فِي طَاعَةِ إِمَامٍ ضَلَالَةٍ.

فَبَايَعُوا لِمُعَاوِيَةَ، وَانصَرَفَ عَنْهُمْ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ، وَقَدْ كَانَ صَالِحُ الْحَسَنِ مُعَاوِيَةَ عَلَى أَنْ جَعَلَ لَهُ مَا فِي بَيْتِ مَالِهِ وَخَرَجَ دَارًا بِجَرْدٍ عَلَى الْإِشْتِمَاعِ عَلَيَّ وَهُوَ يَسْمَعُ فَأَخَذَ مَا فِي بَيْتِ مَالِهِ بِالْكُوفَةِ، وَكَانَ فِيهِ خَمْسَةُ آلَافٍ أَلْفٍ وَحِجٌّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَزَاعِيُّ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ رَاشِدٍ قَالَ: لَمَّا حَضَرَ الْمَوْسِمَ - يَعْنِي فِي الْعَامِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ عَلَى ع - كَتَبَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ كِتَابًا افْتَعَلَهُ عَلَى لِسَانِ مُعَاوِيَةَ، فَأَقَامَ لِلنَّاسِ الْحَجَّ سَنَةَ أَرْبَعِينَ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ عَرَفَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ، وَنَحْرُ يَوْمِ عَرَفَةَ، خَوْفًا أَنْ يَفْطَنَ بِمَكَانِهِ وَقَدْ قِيلَ:

إِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ الْمُغِيرَةُ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عَتَبَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ مَصْبِيحَهُ وَالْيَا عَلَى الْمَوْسِمِ، فَعَجَلَ الْحَجَّ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بَوَّعَ لِمُعَاوِيَةَ بِالْخِلَافَةِ بِإِيلِيَاءَ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ رَاشِدٍ - وَكَانَ قَبْلُ يَدْعَى بِالشَّامِ أَمِيرًا - وَحَدَّثَ عَنْ أَبِي مَسْرُورٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: كَانَ عَلَى عَ يَدْعَى بِالْعِرَاقِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَانَ مُعَاوِيَةَ يَدْعَى بِالشَّامِ أَمِيرًا، فَلَمَّا قُتِلَ عَلَى عَ دَعَى مُعَاوِيَةَ: أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

٥٠٥ سنه احدى واربعين

ثم

سنة احدى وأربعين

(ذَكَرَ الْخَبْرَ عَمَّا كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَحْدَاثِ) فَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ تَسْلِيمِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَدُخُولِ مُعَاوِيَةَ الْكُوفَةَ،

وبيعة أهل الكوفة معاوية بالخلافة.

ذكر الخبر بذلك:

حدثني عبد الله بن أحمد المروزي، قال: أخبرني أبي، قال: حدثنا سليمان، قال: حدثني عبد الله، عن يونس، عن الزهري، قال: بايع أهل العراق الحسن بن علي بالخلافة، فطفق يشترط عليهم الحسن:

إنكم سامعون مطيعون، تسألون من سألتم، وتحاربون من حاربت، فارتأى أهل العراق في أمرهم حين اشترط عليهم هذا الشرط، وقالوا: ما هذا لكم بصاحب، وما يريد هذا القتال، فلم يلبث الحسن ع بعد ما بايعوه إلا قليلاً حتى طعن طعنة أشوته، فآزاد لهم بغضاً، وآزاد منهم ذعراً، فكتب معاوية، وأرسل إليه بشروط، قال: إن أعطيتني هذا فأنا سامع مطيع، وعليك أن تفي لي به ووقعت صحيفة الحسن في يد معاوية، وقد أرسل معاوية قبل هذا إلى الحسن بصحيفة بيضاء، مختوم على أسفلها، وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك.

فلما أتت الحسن اشترط أضعاف الشروط التي سأل معاوية قبل ذلك، وأمسكها عنده، وامسك معاوية صحيفه الحسن ع التي كتب إليه يسأله ما فيها، فلما التقى معاوية والحسن ع، سأله الحسن أن يعطيه الشروط التي شرط في السجل الذي ختم معاوية في أسفلها، فأبى معاوية أن يعطيه ذلك، فقال: لك ما كنت كتبت إلى أو لا تسألني أن أعطيك، فإني قد أعطيتك حين جاءني كتابك قال الحسن ع: وأنا قد

٥٥٥١ ذكر خبر الصلح بين معاوية وقيس بن سعد

اشترطت حين جاءني كتابك، وأعطيني العهد على الوفاء بما فيه فاختلفا في ذلك، فلم ينفذ للحسن ع من الشروط شيئاً، وكان عمرو بن العاص حين اجتمعوا بالكوفة قد كلم معاوية، وأمره أن يأمر الحسن أن يقوم ويخطب الناس، فكره ذلك معاوية، وقال: ما تريد إلي أن يخطب الناس! فقال عمرو: لكنني أريد أن يبدو عيه للناس، فلم يزل عمرو بمعاوية حتى أطاعه، فخرج معاوية فخطب الناس، ثم أمر رجلاً فنادى الحسن بن علي ع، فقال: قم يا حسن فكلّم الناس، فتشهد في بديهة أمر لم يرو فيه، ثم قال: أما بعد، يا أيها الناس، فإن الله قد هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بأخربنا، وإن لهذا الأمر مدة، والدنيا دُول، وإن الله تعالى قال لنبيه ص: «وإن أدري لعله فنة لكم ومتاع إلى حين»، فلما قالوا قال معاوية: اجلس، فلم يزل ضرماً على عمرو، وقال: هذا من رأيك ولحق الحسن ع بالمدينة. حدثني عمر، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: سلم الحسن بن علي ع إلى معاوية الكوفة، ودخلها معاوية لخمس بقين من ربيع الأول، ويقال من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين.

ذكر خبر الصلح بين معاوية وقيس بن سعد

وفي هذه السنة جرى الصلح بين معاوية وقيس بن سعد بعد امتناع قيس من بيعته.

ذكر الخبر بذلك:

حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان ابن الفضل، قال: حدثني عبد الله، عن يونس، عن الزهري، قال: لما كتب عبيد الله بن عباس حين علم ما يريد الحسن من معاوية من طلب الأمان لنفسه إلى معاوية يسأله الأمان، ويشترط لنفسه على الأموال التي قد أصاب،

فشرط ذلك له معاوية، بعث إليه معاوية ابن عامر في خيل عظيمة، فخرج إليهم عبيد الله ليلاً حتى لحق بهم، ونزل وترك جنده الذي

هُوَ عَلَيْهِ لَا أَمِيرَ لَهُمْ، فِيهِمْ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ، وَاشْتَرَطَ الْحَسَنُ لِنَفْسِهِ، ثُمَّ بَايَعَ مُعَاوِيَةَ، وَأَمَرَتْ شُرْطَةُ الْخَمِيسِ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَتَعَاهَدُوا هُوَ وَهُمْ عَلَى قِتَالِ مُعَاوِيَةَ حَتَّى يَشْتَرِطَ لِشِيعَةِ عَلَى عَ وَلَمْ يَنْ كَانِ اتَّبَعَهُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَدِمَائِهِمْ وَمَا أَصَابُوا فِي الْفِتْنَةِ، فَخَلَصَ مُعَاوِيَةَ حِينَ فَرَّغَ مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ عَ إِلَى مُكَايَدَةِ رَجُلٍ هُوَ أَهْمُ النَّاسِ عِنْدَهُ مُكَايَدَةٌ، وَمَعَهُ أَرْبَعُونَ أَلْفًا، وَقَدْ نَزَلَ مُعَاوِيَةُ بِهِمْ وَعَمَرُوا وَأَهْلُ الشَّامِ، وَأَرْسَلَ مُعَاوِيَةُ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ يَذْكُرُهُ اللَّهُ وَيَقُولُ: عَلَى طَاعَةِ مَنْ تُقَاتِلُ، وَقَدْ بَايَعَنِي الَّذِي أَعْطَيْتَهُ طَاعَتَكَ؟ فَأَبَى قَيْسٌ أَنْ يَلِينَ لَهُ، حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ بِسَجَلٍ قَدْ خَتَمَ عَلَيْهِ فِي أَسْفَلِهِ، فَقَالَ: اكْتُبْ فِي هَذَا السَّجَلِ مَا شِئْتَ، فَهُوَ لَكَ.

قَالَ عَمْرُو لِمُعَاوِيَةَ: لَا تُعْطِهِ هَذَا، وَقَاتِلْهُ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: عَلَى رِسْلِكَ! فَنَا لَا نَخْلُصَ إِلَى قَتْلِ هَؤُلَاءِ حَتَّى يَقْتُلُوا أَعْدَادَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَمَا خَيْرُ الْعَيْشِ بَعْدَ ذَلِكَ! وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَقَاتِلُهُ أَبَدًا حَتَّى لَا أَجِدُ مِنْ قِتَالِهِ بَدَأًا فَلَمَّا بَعَثَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ بِذَلِكَ السَّجَلِ اشْتَرَطَ قَيْسٌ فِيهِ لَهُ وَلِشِيعَةِ عَلَى الْأَمَانِ عَلَى مَا أَصَابُوا مِنَ الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ، وَلَمْ يَسْأَلْ مُعَاوِيَةَ فِي سَجَلِهِ ذَلِكَ مَالًا، وَأَعْطَاهُ مُعَاوِيَةُ مَا سَأَلَ، فَدَخَلَ قَيْسٌ وَمَنْ مَعَهُ فِي طَاعَتِهِ، وَكَانُوا يَعِدُونَ دُهَاهَةَ النَّاسِ حِينَ ثَارَتِ الْفِتْنَةُ خَمْسَةَ رَهْطٍ، فَقَالُوا: ذُوو رَأْيٍ الْعَرَبِ وَمَكِيدَتُهُمْ:

مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ، وَمِنْ الْمُهَاجِرِينَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَدِيلٍ الْخَزَاعِيُّ، وَكَانَ قَيْسٌ وَابْنُ بَدِيلٍ مَعَ عَلَى عَ، وَكَانَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ وَعَمْرُو مَعَ مُعَاوِيَةَ، إِلَّا أَنَّ الْمُغِيرَةَ كَانَ مُعْتَزِلًا بِالطَّائِفِ حَتَّى حُكِمَ الْحُكَّانِ، فَاجْتَمَعُوا بِأَذْرَحَ.

وَقِيلَ: إِنَّ الصُّلْحَ تَمَّ بَيْنَ الْحَسَنِ عَ وَمُعَاوِيَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ، وَدَخَلَ مُعَاوِيَةُ الْكُوفَةَ فِي غُرَّةِ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ هَذِهِ

٥٥٥٢ دخول الحسن والحسين المدينة منصرفين من الكوفة

٥٥٥٣ ذكر خروج الخوارج على معاوية

السَّنَةِ، وَقِيلَ: دَخَلَهَا فِي شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ، وَهَذَا قَوْلُ الْوَاقِدِيِّ

. دخول الحسن والحسين المدينة منصرفين من الكوفة

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ دَخَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ابْنَا عَلَى عَ مُنْصَرِفِينَ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ ذَكَرَ الْخَبَرُ بِذَلِكَ:

وَلَمَّا وَقَعَ الصُّلْحُ بَيْنَ الْحَسَنِ عَ وَبَيْنَ مُعَاوِيَةَ بِمَسْكَنٍ، قَامَ - فِيمَا حَدَّثَ عَنْ زِيَادِ الْبَكَّائِيِّ، عَنْ عَوَانَةَ - خَطِيبًا فِي النَّاسِ فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، إِنَّهُ سَخَى بِنَفْسِي عَنْكُمْ ثَلَاثَ: قَتَلَكُمْ أَبِي، وَطَعَنَكُمْ إِيَّايَ، وَاتَّهَبَكُمْ مَتَاعِي قَالَ: ثُمَّ إِنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرَ خَرَجُوا بِحَشَمِهِمْ وَأَثْقَالِهِمْ حَتَّى أَتَوْا الْكُوفَةَ، فَلَمَّا قَدِمَا الْحَسَنَ وَبَرَأ مِنْ جَرَاخَتِهِ، خَرَجَ إِلَى مَسْجِدِ الْكُوفَةِ فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، اتَّقُوا اللَّهَ فِي جِيرَانِكُمْ وَضَيْفَانِكُمْ، وَفِي أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ صَ الَّذِي أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا لِفَعْلِ النَّاسِ يَكُونُ، ثُمَّ تَحَمَّلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ:

وَحَالَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خُرَاجِ دَارِ الْجَرْدِ، وَقَالُوا: فَيَتْنَا، فَلَمَّا خَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ تَلَقَّاهُ نَاسٌ بِالْقَادِسِيَّةِ فَقَالُوا: يَا مَذَلُ الْعَرَبِ!

ذكر خروج الخوارج على معاوية

وفيهما خرجت الخوارج التي اعتزلت أيام علي ع بشهرزور على معاوية.

ذكر خبرهم:

حدثت عن زياد، عن عوانة، قال: قدم معاوية قبل أن يبرح الحسن من الكوفة حتى نزل النخيلة، فقالت الحرورية الخمسمائة التي كانت اعتزلت

بشهرزور مع فروة بن نوفل الأشجعي: قَدْ جَاءَ الْآنَ مَا لَا شَكَّ فِيهِ، فسيروا إِلَى مُعَاوِيَةَ فجاهدوه فأقبلوا وعليهم فروة بن نوفل حَتَّى دخلوا الكُوفَةَ، فأرسل إِلَيْهِمْ مُعَاوِيَةَ خيلاً من خيل أهل الشام، فكشفوا أهل الشام، فَقَالَ مُعَاوِيَةَ لأهل الكُوفَةِ: لَا أَمَانَ لَكُمْ وَاللَّهِ عِنْدِي حَتَّى تكفوا بوائِئكم، فخرج أهل الكُوفَةِ إِلَى الخوارج فقاتلوهم، فَقَالَتْ لَهُمُ الخوارج: وَيْلَكُمْ! مَا تَبْغُونَ مِنَّا! أَلَيْسَ مُعَاوِيَةَ عَدُونَا وَعَدُوَكُمْ! دَعُونَا حَتَّى نقاتله، وَإِنْ أَصْبَنَاهُ كَمَا قَدْ كَفِينَاكُمْ عَدُوَكُمْ، وَإِنْ أَصَابْنَا كُنْتُمْ قَدْ كَفَيْتُمُونَا، قَالُوا: لَا وَاللَّهِ حَتَّى نقاتلكم، فَقَالُوا: رَحِمَ اللَّهُ إِخْوَانَنَا مِنْ أَهْلِ النهر، هُمْ كَانُوا أَعْلَمَ بِكُمْ يَا أَهْلَ الكُوفَةِ وَأَخَذَتْ أَشْجَعُ صَاحِبُهُمْ فُورَةُ بِنُ نُوْفَلٍ - وَكَانَ سَيِّدَ الْقَوْمِ - وَاسْتَعْمَلُوا عَلَيْهِمُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي الْحَرِّ - رَجُلًا مِنْ طَيْئٍ - فقاتلوهم، فقتلوا، وَاسْتَعْمَلَ مُعَاوِيَةَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَلَى الكُوفَةِ، فَأَتَاهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ وَقَالَ لِمُعَاوِيَةَ: اسْتَعْمَلْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو عَلَى الكُوفَةِ وَعَمَرَا عَلَى مِصْرَ، فَتَكُونُ أَنْتَ بَيْنَ لَحْيِي الْأَسَدِ! فَعَزَلَ عَبْدَ اللَّهِ، وَاسْتَعْمَلَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ عَلَى الكُوفَةِ، وَبَلَغَ عَمْرًا مَا قَالَ الْمُغِيرَةُ لِمُعَاوِيَةَ، فَدَخَلَ عَمْرُو عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ:

اسْتَعْمَلْتَ الْمُغِيرَةَ عَلَى الكُوفَةِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: أَجْعَلْتَهُ عَلَى الْخِرَاجِ؟

فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَسْتَعْمَلُ الْمُغِيرَةَ عَلَى الْخِرَاجِ فَيَغْتَالِ الْمَالُ، فَيَذْهَبُ فَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا، اسْتَعْمَلْ عَلَى الْخِرَاجِ مَنْ يَخَافُكَ وَيَهَابُكَ وَيَتَّقِيكَ فَعَزَلَ الْمُغِيرَةَ عَنِ الْخِرَاجِ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى الصَّلَاةِ، فَلَقِيَ الْمُغِيرَةَ عَمْرًا فَقَالَ: أَنْتَ الْمَشِيرُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَشْرَتْ بِهِ فِي عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هَذِهِ بَتْلُكَ، وَلَمْ يَكُنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مَضَى فِيمَا بَلَغَنِي إِلَى الْكُوفَةِ وَلَا أَتَاهَا

٥٥٥٤ ذكر ولاية بسر بن ابى ارطاه على البصرة

ذكر ولاية بسر بن ابى ارطاه على البصرة

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَلَبَ حَمْرَانُ بْنُ أَبَانَ عَلَى الْبَصْرَةِ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ بَسْرًا، أَمْرُهُ بِقَتْلِ بَنِي زِيَادٍ. ذَكَرَ الْخَبَرُ عَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ فِي ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: لَمَّا صَالَحَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ أَوَّلَ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ، وَثَبَ حَمْرَانُ بْنُ أَبَانَ عَلَى الْبَصْرَةِ فَأَخَذَهَا، وَغَلَبَ عَلَيْهَا، فَأَرَادَ مُعَاوِيَةَ أَنْ يَبْعَثَ رَجُلًا مِنْ بَنِي الْقَيْنِ إِلَيْهَا، فَكَلَّمَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ الْإِفْعَلُ وَيَبْعَثُ غَيْرَهُ، فَبَعَثَ بَسْرَ بْنَ أَبِي أَرْطَاةٍ، وَزَعَمَ أَنَّهُ أَمْرُهُ بِقَتْلِ بَنِي زِيَادٍ.

حَدَّثَنِي مُسْلِمَةُ بْنُ مَحَارِبٍ، قَالَ: أَخَذَ بَعْضُ بَنِي زِيَادٍ خُبْسَهُ - وَزِيَادٌ يَوْمَئِذٍ بِفَارِسَ، كَانَ عَلَى عِصْمَتِهِ إِلَيْهَا إِلَى أَكْرَادٍ خَرَجُوا بِهَا، فَظَفَرُوا بِهِمْ زِيَادٌ، وَأَقَامَ بِاصْطَخْرِ - قَالَ: فَرَكَبَ أَبُو بَكْرَةَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَهُوَ بِالْكُوفَةِ، فَاسْتَأْجَلَ بَسْرًا، فَأَجَلَهُ أَسْبُوعًا ذَاهِبًا وَرَاجِعًا، فَسَارَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، فَقَتَلَ تَحْتَهُ دَابَّتَيْنِ، فَكَلَّمَهُ، فَكَتَبَ مُعَاوِيَةَ بِالْكَفِّ عَنْهُمْ.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ عُلَمَائِنَا، أَنَّ أَبَا بَكْرَةَ أَقْبَلَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ وَقَدْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَأَخْرَجَ بَسْرُ بْنُ زِيَادٍ يَنْتَظِرُ بِهِمْ غُرُوبَ الشَّمْسِ لِيَقْتُلَهُمْ إِذَا وَجِبَتْ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ لَذَلِكَ وَأَعْيَنَهُمْ طَامِحَةٌ يَنْتَظِرُونَ أَبَا بَكْرَةَ، إِذْ رَفَعَ عِلْمٌ عَلَى نَجِيبٍ أَوْ بَرْدُونَ يَكْدُو وَيَجْهَدُ، فَقَامَ عَلَيْهِ، فَنَزَلَ عَنْهُ، وَأَلَّاحَ بِثَوْبِهِ، وَكَبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ، فَأَقْبَلَ يَسْعَى عَلَى رَجْلَيْهِ حَتَّى أَدْرَكَ بَسْرًا قَبْلَ أَنْ يَقْتُلَهُمْ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ كِتَابَ مُعَاوِيَةَ، فَأَطْلَقَهُمْ. حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: خَطَبَ بَسْرٌ عَلَى مَنْبَرٍ

الْبَصْرَةِ، فَشَتَمَ عَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: نَشَدْتُ اللَّهَ رَجُلًا عَلِمَ أَنِّي صَادِقٌ إِلَّا صَدَقْتَنِي، أَوْ كَاذِبٌ إِلَّا كَذَبْتَنِي! قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ:

اللَّهُمَّ إِنَّا لَا نَعْلَمُكَ إِلَّا كَاذِبًا، قَالَ: فَأَمَرَ بِهِ نَفْتَقَ، قَالَ: فَقَامَ أَبُو لَوْلُؤَةَ الضُّبِّيُّ فَرَمَى بِنَفْسِهِ عَلَيْهِ، فَنَعَهُ، فَأَقْطَعَهُ أَبُو بَكْرَةَ بَعْدَ ذَلِكَ مِائَةَ جَرِيبٍ.

قَالَ: وَقِيلَ لِأَبِي بَكْرَةَ: مَا أَرَدْتَ إِلَى مَا صَنَعْتَ! قَالَ: أَيْنَا شَدْنَا بِاللَّهِ ثُمَّ لَا نَصْدُقُهُ! قَالَ: فَأَقَامَ بَسْرٌ بِالْبَصْرَةِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ شَخْصَ لَا نَعْلَمُهُ وَلَى شَرْطَتِهِ أَحَدًا.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنِ الْجَارُودِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ، قَالَ: صَالَحَ الْحَسَنُ ع معاويةَ، وَتَخَصَّصَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَبَعَثَ مُعَاوِيَةُ بَسْرَ بْنَ أَبِي أَرْطَاةٍ إِلَى الْبَصْرَةِ فِي رَجَبِ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَزِيَادٌ مُتَحَصِّنٌ بِفَارَسَ، فَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى زِيَادٍ: إِنَّ فِي يَدَيْكَ مَالًا مِنْ مَالِ اللَّهِ، وَقَدْ وُلِّيتَ وَلَايَةً فَأَدِّ مَا عِنْدَكَ مِنَ الْمَالِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ زِيَادٌ: أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ عِنْدِي شَيْءٌ مِنَ الْمَالِ، وَقَدْ صَرَفْتُ مَا كَانَ عِنْدِي فِي وَجْهِهِ، وَاسْتَوْدَعْتُ بَعْضَهُ قَوْمًا لِنَازِلَةٍ إِنْ نَزَلَتْ، وَحَمَلْتُ مَا فَضَّلَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ: أَنْ أَقْبَلَ إِلَيَّ نَظَرُ فِيمَا وُلِّيتَ، وَجَرَى عَلَى يَدَيْكَ، فَإِنْ اسْتَقَامَ بَيْنَنَا أَمْرٌ فَهُوَ ذَاكَ، وَإِلَّا رَجَعْتَ إِلَى مَا مِنْكَ، فَلَمْ يَأْتِهِ زِيَادٌ، فَأَخَذَ بَسْرُ بْنُ زِيَادٍ الْأَكْبَرَ مِنْهُمْ، فَخَبَسَهُمْ: عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَعُبَيْدَ اللَّهِ، وَعَبَّادًا، وَكَتَبَ إِلَى زِيَادٍ: لَتَقْدَمَنَّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ لَا قَتْلَنَ بَنِيكَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ زِيَادٌ: لَسْتُ بَارِحًا مِنْ مَكَانِي الَّذِي أَنَا بِهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ صَاحِبِكَ، فَإِنْ قَتَلْتَ مَنْ فِي يَدَيْكَ مِنْ وَلَدِي فَالْمَصِيرُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَمِنْ وَرَائِهِ وَوَرَاءُكُمْ الْحِسَابُ، «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» فَهَمَّ بِقَتْلِهِمْ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ: أَخَذْتَ وَلَدِي وَوَلَدَ أَخِي غُلَامًا بِلَا ذَنْبٍ، وَقَدْ صَالَحَ الْحَسَنُ مُعَاوِيَةَ عَلَى أَمَانٍ أَصْحَابِ عَلِيٍّ حَيْثُ كَانُوا، فَلَيْسَ

لَكَ عَلَى هَؤُلَاءِ وَلَا عَلَى أَبِيهِمْ سَبِيلٌ، قَالَ: إِنَّ عَلَى أَخِيكَ أَمْوَالًا قَدْ أَخَذَهَا فَامْتَنَعَ مِنْ أَدَائِهَا، قَالَ: مَا عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَانْكُفْ عَنْ بَنِي أَخِي حَتَّى آتِيكَ بِكَأَبٍ مِنْ مُعَاوِيَةَ بِخُلَيْتِهِمْ فَأَجْلَهُ أَيَّامًا، قَالَ لَهُ: إِنْ آتَيْتَنِي بِكَأَبٍ مُعَاوِيَةَ بِخُلَيْتِهِمْ وَإِلَّا قَتَلْتَهُمْ أَوْ يَقْبَلُ زِيَادٌ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: فَأَتَى أَبُو بَكْرَةَ مُعَاوِيَةَ فَكَلَّمَهُ فِي زِيَادٍ وَبَنِيهِ، وَكَتَبَ مُعَاوِيَةَ إِلَى بَسْرٍ بِالْكَفِّ عَنْهُ وَتَخْلِيَةِ سَبِيلِهِمْ، فَخَلَّاهُمْ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي شَيْخٌ مِنْ ثَقِيفٍ، عَنْ بَسْرِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، قَالَ: خَرَجَ أَبُو بَكْرَةَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بِالْكَوْفَةِ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: يَا أَبَا بَكْرَةَ، أَزَارِيَا جِئْتَ أَمْ دَعَتَكَ إِلَيْنَا حَاجَةٌ؟ قَالَ:

لَا أَقُولُ بِاطْلَا، مَا آتَيْتُ إِلَّا فِي حَاجَةٍ! قَالَ: تَشْفَعُ يَا أَبَا بَكْرَةَ وَنَرَى لَكَ بِذَلِكَ فَضْلًا، وَأَنْتَ لَذَلِكَ أَهْلٌ، فَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَوْمَنُ أَخِي زِيَادًا، وَكَتَبْتُ إِلَى بَسْرٍ بِتَخْلِيَةِ وَلَدِهِ وَبِتَرْكِ التَّعَرُّضِ لَهُمْ، فَقَالَ: أَمَّا بَنُو زِيَادٍ فَكَتَبْتُ لَكَ فِيهِمْ مَا سَأَلْتَ، وَأَمَّا زِيَادٌ فَفِي يَدِهِ مَالٌ لِلْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا آدَاهُ فَلَا سَبِيلَ لَنَا عَلَيْهِ، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ يَكُنْ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلَيْسَ يَحْبِسُهُ عَنْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَكَتَبَ مُعَاوِيَةَ لِأَيِّ بَكْرَةَ إِلَى بَسْرٍ أَلَا يَتَعَرَّضُ لِأَحَدٍ مِنْ وَلَدِ زِيَادٍ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِأَيِّ بَكْرَةَ: اتَّعَاهِدْ إِلَيْنَا عَهْدًا يَا أَبَا بَكْرَةَ؟ قَالَ:

نَعَمْ، أَعْهَدُ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَنْظُرَ لِنَفْسِكَ وَرَعِيَّتِكَ، وَتَعْمَلَ صَالِحًا فَإِنَّكَ قَدْ تَقَلَّدْتَ عَظِيمًا، خِلَافَةَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، فَاتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّ لَكَ غَايَةَ لَا تَعْدُوهَا، وَمِنْ وَرَائِكَ طَالِبٌ حَيْثُ، فَأَوْشِكُ أَنْ تَبْلُغَ الْمَدَى، فَيَلْحَقَ الطَّالِبُ، فَتَصِيرَ إِلَى مَنْ يَسْأَلُكَ عَمَّا كُنْتَ فِيهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْكَ، وَإِنَّمَا هِيَ مُحَاسَبَةٌ وَتَوْقِيفٌ، فَلَا تَوْثَرُنَ عَلَى رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُثْمَانَ، قَالَ: كَتَبَ بَسْرُ بْنُ زِيَادٍ: لَنْ لَمْ تَقْدَمْ لِأَصْلَبَ بَنِيكَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنْ تَفَعَّلَ فَأَهْلُ ذَلِكَ أَنْتَ، إِنَّمَا بَعَثَ بِكَ ابْنُ أَكَلَةِ الْأَنْجَادِ فَرَكِبَ أَبُو بَكْرَةَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: يَا مُعَاوِيَةُ، إِنَّ النَّاسَ لَمْ يُعْطُوكَ بَيْعَتَهُمْ عَلَى قَتْلِ الْأَطْفَالِ، قَالَ:

وَمَا ذَاكَ يَا أَبَا بَكْرَةَ؟ قَالَ: بَسْرُ بْنُ زِيَادٍ قَتَلَ أَوْلَادَ زِيَادٍ، فَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى

٥٥٥٥ ولاية عبد الله بن عامر البصره وحرب سجستان وخراسان

بَسْرٍ: أَنْ خَلَّ مِنْ يَدِكَ مَنْ وَلَدَ زِيَادٍ وَكَانَ مُعَاوِيَةُ قَدْ كَتَبَ إِلَى زِيَادٍ بَعْدَ قَتْلِ عَلِيٍّ عِتْوَعْدَهُ.

فَحَدَّثَنِي عَمْرُ بْنُ شُبَّةٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ، عَنْ حَبَّانَ بْنِ مُوسَى، عَنِ الْمُجَالِدِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ حِينَ قُتِلَ عَلِيُّ ع إِلَى زِيَادٍ

يَتَهَدَّدُهُ، فَقَامَ خَطِيْبًا فَقَالَ: الْعَجَبُ مِنْ ابْنِ أَسْكَلَةِ الْأَنْجَادِ، وَكَهْفِ الْفَقَاقِ، وَرَئِيسِ الْأَحْزَابِ، كَتَبَ إِلَيَّ يَتَهَدَّدُنِي وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ ابْنَا عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ص- يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ- فِي تَسْعِينَ أَلْفًا، وَأَضْعَى سِيُوفَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ، لَا يَنْتَنُونَ، لَنْ خَلَصَ إِلَيَّ الْأَمْرُ لِيَجِدُنِي أَحْمَزَ ضَرَابًا بِالسَّيْفِ فَلَمْ يَزَلْ زِيَادُ بَفَارِسَ وَإِلَيَّا حَتَّى صَالَحَ الْحَسَنَ عَ مُعَاوِيَةَ، وَقَدِمَ مُعَاوِيَةُ الْكُوفَةَ، فَتَحَصَّنَ زِيَادُ فِي الْقَلْعَةِ الَّتِي يَقَالُ لَهَا قَلْعُهُ زِيَادُ

• ولأيه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ الْبَصْرَةَ وَحَرْبُ سِجِسْتَانَ وَخُرَاسَانَ
وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلَّى مُعَاوِيَةُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ الْبَصْرَةَ وَحَرْبُ سِجِسْتَانَ وَخُرَاسَانَ.
ذَكَرَ الْخَبَرُ عَنْ سَبَبِ وَلَايَةِ ذَلِكَ وَبَعْضُ الْكَائِنِ فِي أَيَّامِ عَمَلِهِ لِمُعَاوِيَةَ بِهَا:

حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَرَادَ مُعَاوِيَةُ تَوْجِيهَ عَتَبَةٍ.
ابْنُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى الْبَصْرَةِ، فَكَلَّمَهُ ابْنُ عَامِرٍ وَقَالَ: إِنْ لِي بِهَا أَمْوَالًا وَوَدَائِعَ، فَإِنْ لَمْ تَوْجِهْنِي عَلَيْهَا ذَهَبْتُ فَوَلَاهُ الْبَصْرَةَ، فَقَدِمَهَا فِي آخِرِ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَإِلَيْهِ خُرَاسَانَ وَسِجِسْتَانَ، فَأَرَادَ زَيْدُ بْنُ جَبَلَةَ عَلَى وَلَايَةِ شَرْطَتِهِ فَأَبَى، فَوَلَّى حَبِيبُ بْنُ شَهَابٍ الشَّامِي شَرْطَتَهُ- وَقَدْ قِيلَ: قَيْسُ بْنُ الْهَيْثَمِ السُّلَمِيُّ- وَاسْتَقْضَى عَمِيرَةَ بْنَ يَثْرِيٍّ الضَّبِّيَّ، أَخَا عَمْرٍو بْنِ يَثْرِيٍّ الضَّبِّيِّ.

حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: خَرَجَ فِي وَلَايَةِ
ابْنِ عَامِرٍ لِمُعَاوِيَةَ يَزِيدُ مَالِكُ الْبَاهِلِيِّ، وَهُوَ الْخَطِيمُ- وَإِنَّمَا سَمِيَ الْخَطِيمَ لِضَرْبَةِ أَصَابَتِهِ عَلَى وَجْهِهِ- نَفَرَ هُوَ وَسَهْمُ بْنُ غَالِبٍ الْهَجِيمِيُّ فَأَصْبَحُوا عِنْدَ الْجَسْرِ، فَوَجَدُوا عِبَادَةَ بْنَ قُرْصٍ اللَّيْثِيَّ أَحَدَ بَنِي بَجِيرٍ- وَكَانَتْ لَهُ صَحْبَةٌ- يَصِلِي عِنْدَ الْجَسْرِ، فَأَنْكَرُوهُ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ سَأَلُوهُ الْأَمَانَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَأَمَنَهُمْ ابْنُ عَامِرٍ، وَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ: قَدْ جَعَلْتُ لَهُمْ ذِمَّتَكَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ: تِلْكَ ذِمَّةٌ لَوْ أَخْفَرْتَهَا لَا سَأَلْتُ عَنْهَا، فَلَمْ يَزَالُوا آمِنِينَ حَتَّى عَزَلَ ابْنُ عَامِرٍ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلَدَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ- وَقِيلَ: وَلَدَ فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ قَبْلَ أَنْ يَقْتُلَ عَلَى عَ، وَهَذَا قَوْلُ الْوَاقِدِيِّ.
وَجاءَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَتَبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ فِي قَوْلِ أَبِي مَعْشَرٍ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ عَنْ حَدِّثِهِ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْهُ.
وَأَمَّا الْوَاقِدِيُّ فَإِنَّهُ ذَكَرَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: جَاءَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ- أَعْنِي سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ- عَنْبَسَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ

٥٠٦ سنه اثنتين واربعين

٥٠٦٠١ ذكر الخبر عن تحرك الخوارج

ثُمَّ دَخَلْتُ
سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ
(ذَكَرَ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَحْدَاثِ) فَفِيهَا غَزَا الْمُسْلِمُونَ اللَّانَ، وَغَزَوْا أَيْضًا الرُّومَ، فَهَزَمُوهُمْ هَزِيمَةً مُنْكَرَةً- فِيمَا ذَكَرُوا- وَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِنْ بَطَارِقَتِهِمْ.

وَقِيلَ: فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلَدَا الْحَجَّاجُ بْنُ يُونُسَ.

وَوَلَّى مُعَاوِيَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ الْمَدِينَةَ، فَاسْتَقْضَى مَرْوَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ نُوْفَلٍ وَعَلَى مَكَّةَ خَالِدُ بْنُ الْعَاصِ بْنِ هِشَامٍ، وَكَانَ عَلَى الْكُوفَةِ مِنْ قَبْلِهِ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَعَلَى الْقِصَاءِ شَرِيحٌ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ، وَعَلَى قِصَائِهَا عَمْرٌو بْنُ يَثْرِيٍّ، وَعَلَى خُرَاسَانَ قَيْسُ بْنُ الْهَيْثَمِ مِنْ قَبْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ.

وَذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ الْعَبْسِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: بَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ قَيْسَ بْنَ الْهَيْثَمِ عَلَى خُرَاسَانَ حِينَ وَلَاهُ مُعَاوِيَةُ

البصرة وخراسان، فأقام قيس بخراسان سنتين.

وقد قيل في أمر ولاية قيس ما ذكره حمزة بن أبي صالح السلي، عن زياد بن صالح، قال: بعث معاوية حين استقامت له الأمور قيس ابن الهيثم إلى خراسان، ثم ضمها إلى ابن عامر، فترك قيسا عليها. ذكر الخبر عن تحرك الخوارج

وفي هذه السنة تحركت الخوارج الذين انحازوا عن قتل منهم بالنهروان ومن كان ارتث من جرحاهم بالنهروان، فبرءوا، وعفا عنهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ذكر الخبر عما كان منهم في هذه السنة:

ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدثني النضر بن صالح ابن حبيب، عن جرير بن مالك بن زهير بن جذيمة العبسي، عن أبي بن عمارة العبسي، أن حيان بن ظبيان السلي كان يرى رأي الخوارج، وكان ممن ارتث يوم النهروان، فعفا عنه على ع في الاربعمائه الذين كان عفا عنهم من المرتثين يوم النهر، فكان في أهله وعشيرته، فلبث شهرا أو نحوه ثم إنه خرج إلى الري في رجال كانوا يرون ذلك الرأي، فلم يزالوا مقيمين بالري حتى بلغهم قتل علي كرم الله وجهه، فدعا أصحابه أولئك - وكانوا بضعة عشر رجلا، أحدهم سالم بن ربيعة العبسي - فأتوه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الإخوان من المسلمين، إنه قد بلغني أن أخاكم ابن ملجم أخا مراد قعد لقتل علي بن أبي طالب عند أغباش الصبح مقابل السدة التي في المسجد مسجد الجماعة، فلم يبرح راكدا ينتظر خروجه حتى خرج عليه حين أقام المقيم الصلاة صلاة الصبح، فشد عليه فضرب رأسه بالسيف، فلم يبق إلا ليلتين حتى مات، فقال سالم بن ربيعة العبسي: لا يقطع الله يميننا علت قذاله بالسيف، قال: فأخذ القوم يحمدون الله على قتله ع ورضي الله عنه ولا رضي عنهم ولا رحمهم! قال النضر بن صالح: فسألت بعد ذلك سالم بن ربيعة في إمارة مضعب ابن الزبير عن قوله ذلك في علي ع، فأقر لي به، وقال: كنت أرى رأيهم حيناً، ولكن قد تركته، قال: فكان في أنفسنا أنه قد تركه، قال:

فكان إذا ذكروا له ذلك يرمضه قال: ثم إن حيان بن ظبيان قال لأصحابه: إنه والله ما يبقى على الدهر باق، وما تلبث الليالي والأيام والسنون والشهور على ابن آدم حتى تزيقه الموت، فيفارق الإخوان الصالحين، ويدع الدنيا التي لا يبكي عليها إلا العجزة، ولم تزل ضارة لمن كانت

لهما وشجنا، فانصرفوا بنا رحمكم الله إلى مصرنا، فلنأت إخواننا فلندعهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلى جهاد الأحزاب، فإنه لا عذر لنا في القعود، وولاتنا ظلمة، وسنة الهدى متروكة، وثأرنا الذين قتلوا إخواننا في المجالس آمنون، فإن يظفرنا الله بهم نعمد بعد إلى التي هي أهدى وأرضى وأقوم، ويشفي الله بذلك صدور قوم مؤمنين، وإن نقتل فإن في مفارقة الظالمين راحة لنا، ولنا بأسلافنا أسوة فقالوا له: كلنا قائل ما ذكرت، وحامد رأيك الذي رأيت، فرد بنا المصر فإننا معك راضون بهداك وأمرك، ففرج وخرجوا معه مقبلين إلى الكوفة، فذلك حين يقول:

خليلي ما بي من عزاء ولا صبر ... ولا إربة بعد المصابين بالنهر

سوى نهضات في كتائب جمة ... إلى الله ما تدعو وفي الله ما تفري

إذا جاوزت قسطانة الري بغلتي ... فلست بسار نحوها آخر الدهر

ولكنني سار وإن قل ناصري ... قريبا فلا أخزيكما مع من يسري

قال: وأقبل حتى نزل الكوفة، فلم يزل بها حتى قدم معاوية، وبعث المغيرة بن شعبة واليا على الكوفة، فأحب العافية، وأحسن في الناس السيرة، ولم يفتش أهل الأهواء عن أهوائهم، وكان يؤتى فيقال له: إن فلانا يرى رأي الشيعة، وإن فلانا يرى رأي الخوارج

وَكَانَ يَقُولُ: قَضَى اللَّهُ أَلَا تَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، وَسَيَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ فَأَمْنَهُ النَّاسُ، وَكَانَتْ الْخَوَارِجُ يَلْقَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَتَذَكَّرُونَ مَكَانَ إِخْوَانِهِمْ بِالنَّهْرَوَانِ وَيُرُونَ أَنَّ فِي الْإِقَامَةِ الْغَنِّ وَالْوَكْفِ، وَأَنَّ فِي جِهَادِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ الْفَضْلَ وَالْأَجْرَ.
قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي النُّضْرُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ أَبِي بَنْ عَمْرَةَ، أَنَّ الْخَوَارِجَ فِي أَيَّامِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ فَزَعُوا إِلَى ثَلَاثَةِ نَفَرٍ، مِنْهُمْ الْمُسْتَوْدِدُ بْنُ عُلْفَةَ، فَخَرَجَ فِي ثَلَاثَةِ رَجُلٍ مُقْبِلًا نَحْوَ جَرْجَارِيَا عَلَى شَاطِئِ دَجْلَةَ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَحَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ حُذَيْفَةَ الطَّائِيُّ مِنْ آلِ عَامِرِ بْنِ جُوَيْنٍ، عَنْ الْحَلِ بْنِ خَلِيفَةَ، أَنَّ الْخَوَارِجَ فِي أَيَّامِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ فَزَعُوا إِلَى ثَلَاثَةِ نَفَرٍ، مِنْهُمْ الْمُسْتَوْدِدُ بْنُ عُلْفَةَ التَّمِيمِيُّ مِنْ تَيْمِ الرَّبَابِ، وَإِلَى حِيَانَ بْنِ ظَبْيَانَ السَّلَمِيِّ، وَإِلَى مُعَاذِ بْنِ جُوَيْنٍ بْنِ حَصِينِ الطَّائِيِّ السَّنْسَبِيِّ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّ زَيْدِ بْنِ حَصِينٍ، وَكَانَ زَيْدٌ مِمَّنْ قَتَلَهُ عَلَى عِوَمِ النَّهْرَوَانِ، وَكَانَ مُعَاذُ بْنُ جُوَيْنٍ هَذَا فِي الْأَرْبَعِمَائَةِ الَّذِينَ ارْتَثُوا مِنْ قَتْلِ الْخَوَارِجِ، فَعَفَا عَنْهُمْ عَلَى ع- فَاجْتَمَعُوا فِي مَنْزِلِ حِيَانَ بْنِ ظَبْيَانَ السَّلَمِيِّ، فَتَشَاوَرُوا فِيمَنْ يُولُونَ عَلَيْهِمْ قَالُوا: فَقَالَ لَهُمُ الْمُسْتَوْدِدُ: يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ، أَرَأَيْكُمْ مَا تَحِبُّونَ، وَعَزَلْنَا عَنْكُمْ مَا تَكْرَهُونَ، وَلَوْ عَلَيْنَا مِنْ أَحِبِّتُمْ، فَوَالَّذِي يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ مَا أَبَالِي مِنْ كَانَ الْوَالِي عَلَيْنَا مِنْكُمْ! وَمَا شَرَفَ الدُّنْيَا نَزِيدًا، وَمَا إِلَى الْبَقَاءِ فِيهَا مِنْ سَبِيلٍ، وَمَا نَزِيدٌ إِلَّا الْخُلُودَ فِي دَارِ الْخُلُودِ فَقَالَ حِيَانَ بْنُ ظَبْيَانَ: أَمَا أَنَا فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهَا وَأَنَا بِكَ وَبِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ إِخْوَانِي رَاضٍ، فَانظُرُوا مَنْ شِئْتُمْ مِنْكُمْ فَسَمُوهُ، فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَبَايِعُهُ فَقَالَ لَهُمُ مُعَاذُ بْنُ جُوَيْنٍ بْنِ حَصِينٍ: إِذَا قُلْتُمَا أَنْتُمَا هَذَا وَأَنْتُمَا سَيِّدَا الْمُسْلِمِينَ وَذَوَا أَنْسَابِهِمْ فِي صَلَاحِكُمْ وَدِينِكُمْ وَقَدْرِكُمْ، فَمَنْ يَرِئُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَيْسَ كُلُّكُمْ يَصْلَحُ لِهَذَا الْأَمْرِ! وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَلِيَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِذَا كَانُوا سِوَاءَ فِي الْفَضْلِ أَبْصَرَهُمْ بِالْحَرْبِ، وَأَفْقَهُهُمْ فِي الدِّينِ، وَأَشَدَّهُمْ اضْطِلَاعًا بِمَا حَمَلَ، وَأَنْتُمَا بِحَمْدِ اللَّهِ مِمَّنْ يَرْضَى بِهَذَا الْأَمْرِ، فَلْيَتَوَلَّ أَحَدُكُمَا قَالَا:

فَقَوْلُهُ أَنْتَ، فَقَدْ رَضِينَاكَ، فَأَنْتَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَامِلِ فِي دِينِكَ وَرَأْيِكَ، فَقَالَ لَهَا: أَنْتُمَا أَسْنُ مِنِّي، فَلْيَتَوَلَّ أَحَدُكُمَا، فَقَالَ حِينَئِذٍ جَمَاعَةٌ مِنْ حَضَرَهُمَا مِنَ الْخَوَارِجِ: قَدْ رَضِينَا بِكُمْ أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ، فَوَلُّوا أَيْكُم أَحِبِّتُمْ، فَلَيْسَ فِي الثَّلَاثَةِ رَجُلٌ إِلَّا قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَوَلَّهَا أَنْتَ، فَإِنِّي بِكَ رَاضٍ، وَإِنِّي فِيهَا غَيْرُ ذِي رَغْبَةٍ.

فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ قَالَ حِيَانَ بْنُ ظَبْيَانَ، فَإِنْ مُعَاذُ بْنُ جُوَيْنٍ قَالَ: إِنِّي لَا أَلِي عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمَا أَسْنُ مِنِّي، وَأَنَا أَقُولُ لَكَ مِثْلَ مَا قَالَ لِي وَلَكَ، لَا أَلِي عَلَيْكَ وَأَنْتَ أَسْنُ مِنِّي، ابْسُطْ يَدَكَ أَبَايَعُكَ فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعَهُ، ثُمَّ بَايَعَهُ مُعَاذُ بْنُ جُوَيْنٍ، ثُمَّ بَايَعَهُ الْقَوْمُ جَمِيعًا، وَذَلِكَ فِي جَمَادَى الْآخِرَةِ فَاتَّعَدَ الْقَوْمُ أَنْ يَتَجَهَّزُوا وَيَتَسَرَّعُوا وَيَسْتَعْدُوا، ثُمَّ يُخْرِجُوا فِي غَرَّةِ الْهَلَالِ هَلَالًا

٥٠٦٠٢ ذكر قدوم زياد على معاويه

شَعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ، فَكَانُوا فِي جِهَازِهِمْ وَعَدَّتْهُمْ.
وَقِيلَ: فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ بِسَرِ بْنِ أَبِي أَرْطَاةٍ الْعَامِرِيِّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالْيَمَنِ، وَقَتْلَ مِنْ قَتْلِهِ فِي مَسِيرِهِ ذَلِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.
وَذَلِكَ قَوْلُ الْوَاقِدِيِّ، وَقَدْ ذَكَرْتُ مِنْ خَالَفِهِ فِي وَقْتِ مَسِيرِهِ هَذَا السَّيْرَ.
وَزَعَمَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ دَاوُدَ بْنَ حِيَانَ حَدَّثَهُ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مَرْوَانَ، قَالَ: أَقَامَ بِسَرِ بْنِ أَبِي أَرْطَاةٍ بِالْمَدِينَةِ شَهْرًا يَسْتَعْرِضُ النَّاسَ، لَيْسَ أَحَدٌ مِمَّنْ يَقَالُ هَذَا أَعَانَ عَلَى عُثْمَانَ إِلَّا قَتَلَهُ.
وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي مَرْوَانَ: أَخْبَرَنِي حَنْظَلَةُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَسْلَمِيُّ، قَالَ:
وَجَدْتُ قَوْمًا مِنْ بَنِي كَعْبٍ وَغُلَامَانَهُمْ عَلَى بَثَرٍ لَهُمْ فَالْقَاهُمْ فِي الْبَثَرِ
ذَكَرَ قَدُومَ زِيَادٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَدِمَ زِيَادٌ - فِيمَا حَدَّثَنِي عُمَرُ - قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ أَرْقَمٍ، قَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ مِنْ فَارَسٍ، فَصَالَحَهُ عَلَى

مال يحمله إليه.

وَكَانَ سَبَبُ قُدُومِهِ بَعْدَ امْتِنَاعِهِ بِقَلْعَةٍ مِنْ قَلَاعِ فَارَسٍ، مَا حَدَّثَنِي عُمَرُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، عَنْ مُسْلِمَةَ بْنِ مُحَارِبٍ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ يَلِي مَا كَانَ لِزِيَادٍ بِالْبَصْرَةِ، فَبَلَغَ مُعَاوِيَةَ أَنَّ لَزِيَادَ أَمْوَالًا عِنْدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَخَافَ زِيَادٌ عَلَى أَشْيَاءَ كَانَتْ فِي يَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَزِيَادٍ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ بِإِحْرَازِهَا، وَبَعَثَ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ لِيَنْظُرَ فِي أَمْوَالِ زِيَادٍ، فَقَدَّمَ الْمُغِيرَةَ، فَأَخَذَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ: لَيْتَ كَانَ أَسَاءَ إِلَيَّ أَبُوكَ لَقَدْ أَحْسَنَ زِيَادٌ وَكَتَبَ إِلَيَّ مُعَاوِيَةَ: إِنِّي لَمْ أَصِبْ فِي يَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ شَيْئًا يَحِلُّ لِي أَخْذُهُ فَكَتَبَ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْمُغِيرَةِ أَنْ عَذِبَهُ قَالَ: وَقَالَ بَعْضُ الْمَشِيخَةِ:

إِنَّهُ عَذَّبَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ إِذْ كَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ، وَأَرَادَ أَنْ يَعْذِرَ وَيَبْلُغَ مُعَاوِيَةَ ذَلِكَ، فَقَالَ: احْتَفِظْ بِمَا أَمَرَكَ بِهِ عَمَلُكَ، فَأَلْقَى عَلَى وَجْهِهِ حَرِيرَةً وَنَضَحَهَا بِالْمَاءِ، فَكَانَتْ تَلْتَزِقُ بِوَجْهِهِ، فَغَشِيَ عَلَيْهِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ خَلَاهُ، وَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ: إِنِّي عَذَبْتُهُ، فَلَمْ أَصِبْ عِنْدَهُ شَيْئًا، فَحَفِظَ لَزِيَادَ يَدَهُ عِنْدَهُ. حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ، عَنْ أَشْيَاجٍ مِنْ ثَقِيفٍ، قَالُوا: دَخَلَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ حِينَ نَظَرَ إِلَيْهِ:

إِنَّمَا مَوْضِعُ سِرِّ الْمَرْءِ إِنْ ... بَاحَ بِالسِّرِّ أَخُوهُ لِمَنْ تَصَحَّحَ
فَإِذَا بُحِتَ سِرِّ فَالِي ... نَاصِحٌ يَسْتُرُهُ أَوْ لَا تَبِجْ

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ تَسْتَوْدِعُنِي تَسْتَوْدِعُ نَاصِحًا شَفِيقًا وَرِعًا وَثِقًا، فَمَا ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: ذَكَرْتُ زِيَادًا وَاعْتَصَمَهُ بِأَرْضِ فَارَسٍ، وَامْتَنَاعَهُ بِهَا، فَلَمْ أُنَمِّ لَيْلَتِي، فَأَرَادَ الْمُغِيرَةُ أَنْ يُطَاطِئَ مِنْ زِيَادٍ، فَقَالَ: مَا زِيَادُ هُنَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: بئس الوطاء العجز، دَاهِيَةُ الْعَرَبِ مَعَهُ الْأَمْوَالُ، مُتَحَصِّنٌ بِقَلَاعِ فَارَسٍ، يُدْبِرُ وَيَرْبِصُ الْحَيْلَ، مَا يُؤْمِنُنِي أَنْ يُبَايِعَ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ أَعَادَ عَلَيَّ الْحَرْبَ خُدْعَةً.

فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: أَتَأْذَنُ لِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي اتِّبَانِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَاتِهِ وَتَلَطَّفْ لَهُ، فَأَتَى الْمُغِيرَةُ زِيَادًا، فَقَالَ زِيَادٌ حِينَ بَلَغَهُ قُدُومُ الْمُغِيرَةِ: مَا قَدِمَ إِلَّا لِأَمْرٍ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي بَهْوٍ لَهُ مُسْتَقْبِلُ الشَّمْسِ، فَقَالَ زِيَادٌ:

أَفْلَحَ رَأْدًا! فَقَالَ: إِلَيْكَ يَنْتَهِي الْخَبَرُ أَبَا الْمُغِيرَةِ، إِنَّ مُعَاوِيَةَ اسْتَحْفَهُ الْوَجْلُ حَتَّى بَعَثَنِي إِلَيْكَ، وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَحَدًا يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ غَيْرَ الْحَسَنِ، وَقَدْ بَايَعَ مُعَاوِيَةَ، فَخَذَ لِنَفْسِكَ قَبْلَ التَّوطينِ، فَيَسْتَغْنِي عَنْكَ مُعَاوِيَةُ، قَالَ:

أَشْرَ عَلَيَّ، وَارْمِ الْغُرْضَ الْأَقْصَى، وَدَعْ عَنْكَ الْفُضُولَ، فَإِنَّ الْمُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ، فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: فِي مُحَضِّ الرَّاْيِ بَشَاعَةٌ، وَلَا خَيْرَ فِي الْمَذِيقِ، أَرَى أَنْ تَصِلَ حَبْلُكَ بِحَبْلِهِ، وَتَشْخَصَ إِلَيْهِ، قَالَ: أَرَى وَيَقْضِي اللَّهُ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ، عَنْ مُسْلِمَةَ بْنِ مُحَارِبٍ، قَالَ:

أَقَامَ زِيَادٌ فِي الْقَلْعَةِ أَكْثَرَ مِنْ سَنَةٍ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ: عَلَامَ تَهْلِكُ نَفْسُكَ؟

إِلَيَّ فَأَعْلَمْنِي عِلْمَ مَا صَارَ إِلَيْكَ مِمَّا اجْتَبَيْتَ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَمَا خَرَجَ مِنْ يَدَيْكَ، وَمَا بَقِيَ عِنْدَكَ، وَأَنْتَ آمِنٌ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ الْمَقَامَ عِنْدَنَا أَقْبَتُ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى مَا مِنْكَ رَجَعْتَ نَخْرَجَ زِيَادٌ مِنْ فَارَسٍ، وَبَلَغَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ أَنَّ زِيَادًا قَدْ أَجْمَعَ عَلَى إِيْتَانِ مُعَاوِيَةَ، فَشَخَصَ الْمُغِيرَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ قَبْلَ شُغُوصِ زِيَادٍ مِنْ فَارَسٍ، وَأَخَذَ زِيَادٌ مِنْ اصْطِخْرَ إِلَى أَرْجَانٍ، فَاتَى مَاهَ بَهْزَادَانَ، ثُمَّ أَخَذَ طَرِيقَ حُلَوَانَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدَائِنَ، فَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى مُعَاوِيَةَ يُخْبِرُهُ بِقُدُومِ زِيَادٍ، ثُمَّ قَدِمَ زِيَادُ الشَّامَ، وَقَدِمَ الْمُغِيرَةُ بَعْدَ شَهْرٍ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: يَا مُغِيرَةُ، زِيَادٌ أَبْعَدُ مِنْكَ بِمَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَخَرَجْتَ قَبْلَهُ وَسَبَقَكَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الْأَرِيبَ إِذَا كَلَّمَ الْأَرِيبَ أَحْمَهُ،

قَالَ: خُذْ حَذْرَكَ، واطو عني سرك، فقال: ان زيادا قدم يَرْجُو الزَّيَادَةَ، وَقَدِمْتُ أَتَخَوَّفُ التَّقْصَانَ، فَكَانَ سَيْرُنَا عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ، قَالَ: فَسَأَلَ مُعَاوِيَةَ زِيَادًا عَمَّا صَارَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِ فَارِسَ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا حَمَلَ مِنْهَا إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَا أَنْفَقَ مِنْهَا فِي الْوُجُوهِ الَّتِي يَحْتَاجُ فِيهَا إِلَى النَّفَقَةِ، فَصَدَّقَهُ مُعَاوِيَةُ عَلَى مَا أَنْفَقَ، وَمَا بَقِيَ عِنْدَهُ، وَقَبَضَهُ مِنْهُ، وَقَالَ: قَدْ كُنْتَ أَمِينًا خُلَفَاءَنَا.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَصْبَهَانِيُّ وَسَلَمَةُ بْنُ عُثْمَانَ وَشَيْخٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ وَغَيْرُهُمْ مِنْ يَوْثُقَ بِهِمْ، قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى زِيَادٍ وَهُوَ بِفَارِسَ يَسْأَلُهُ الْقُدُومَ عَلَيْهِ، فَخَرَجَ زِيَادٌ مِنْ فَارِسَ مَعَ الْمُنْجَابِ بْنِ رَاشِدِ الضَّبِّيِّ وَحَارِثَةَ بْنِ بَدْرِ الْغُدَانِيِّ، وَسَرَّحَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ فِي جَمَاعَةٍ إِلَى فَارِسَ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ تَلْقَى زِيَادًا فِي طَرِيقِكَ فَتَأْخُذْهُ فَسَارَ ابْنُ خَازِمٍ إِلَى فَارِسَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقِيَهُ إِسْوَاقُ الْأَهْوَاِزِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقِيَهُ بِأَرْجَانِ، فَأَخَذَ ابْنُ خَازِمٍ بَعْنَانَ زِيَادٍ، فَقَالَ: انْزِلْ يَا زِيَادُ، فَصَاحَ بِهِ الْمُنْجَابُ بْنُ رَاشِدٍ: تَمَحَّ يا بنِ سَوْدَاءَ، وَإِلَّا عَلَّقْتُ يَدَكَ بِالْعِنَانِ قَالَ: وَيَقَالُ: انْتَهَى إِلَيْهِمْ ابْنُ خَازِمٍ وَزِيَادٌ جَالِسٌ، فَأَغْلَظَ لَهُ ابْنُ خَازِمٍ، فَشَتَمَ الْمُنْجَابُ بْنُ خَازِمٍ، فَقَالَ لَهُ زِيَادٌ:

مَا تُرِيدُ يَا بنِ خَازِمٍ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ تَجِيءَ إِلَى الْبَصْرَةِ، قَالَ: فَإِنِّي آتِيهَا، فَانْصَرَفَ ابْنُ خَازِمٍ اسْتِحْيَاءً مِنْ زِيَادٍ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: التَقَى زِيَادٌ وَابْنُ خَازِمٍ بِأَرْجَانِ، فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ مُنَازَعَةٌ، فَقَالَ زِيَادٌ لَابْنِ خَازِمٍ قَدْ أَتَانِي أَمَانٌ مُعَاوِيَةَ، فَأَنَا أُرِيدُهُ، وَهَذَا كِتَابُهُ إِلَيَّ.

قَالَ: فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا سَبِيلَ عَلَيْكَ، فَضَى ابْنُ خَازِمٍ إِلَى سَابُورَ، وَمَضَى زِيَادٌ إِلَى مَاهِ بِهَزَادَانَ، وَقَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَمْوَالِ فَارِسَ، فَقَالَ: دَفَعْتُهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَرْزَاقٍ وَأَعْطَيْتُ وَحِمَالَاتٍ، وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ أودعْتُهَا قَوْمًا، فَكُثِرَ بِذَلِكَ يَرُدُّهُ، وَكَتَبَ زِيَادٌ كِتَابًا إِلَى قَوْمٍ مِنْهُمْ شُعْبَةُ بْنُ الْقَلْعَمِ: قَدْ عَلِمْتُ مَا لِي عِنْدَكُمْ مِنَ الْأَمَانَةِ، فَتَدَبَّرُوا كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ» الْآيَةَ، فَاحْتَفَظُوا بِمَا قَبْلَكُمْ وَاسْمِي فِي الْكِتَابِ بِالْمُبْلَغِ الَّذِي أَقْرَبَهُ لِمُعَاوِيَةَ، وَدَسَ الْكِتَابَ مَعَ رَسُولِهِ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَعْزُزَ لِبَعْضٍ مِنْ يَبْلُغُ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ، فَتَعْزُزَ رَسُولُهُ حَتَّى يَنْتَشِرَ ذَلِكَ، وَأَخَذَ فَأَتَى بِهِ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لَزِيَادٍ: لَئِنْ لَمْ تَكُنْ مَكْرَتٌ بِي إِنْ هَذِهِ الْكِتَابُ مِنْ حَاجَتِي فَقَرَأْهَا، فَإِذَا هِيَ بِمِثْلِ مَا أَقْرَبَهُ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: أَخَافُ أَنْ تَكُونَ قَدْ مَكْرَتَ بِي، فَصَالِحِي عَلَى مَا شِئْتُ، فَصَالِحُهُ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا ذَكَرَهُ إِنَّهُ عِنْدَهُ، فَحَمَلَهُ، وَقَالَ زِيَادٌ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ كَانَ لِي مَالٌ قَبْلَ الْوَلَايَةِ، فَوَدِدْتُ أَنْ ذَلِكَ الْمَالُ بَقِيَ، وَذَهَبَ مَا أَخَذْتَ مِنَ الْوَلَايَةِ ثُمَّ سَأَلَ زِيَادٌ مُعَاوِيَةَ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي نَزُولِ الْكُوفَةِ فَأْذَنَ لَهُ، فَشَخَّصَ إِلَى الْكُوفَةِ، فَكَانَ الْمُغِيرَةُ يَكْرَهُهُ وَيَعْظُمُهُ، فَكَتَبَ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْمُغِيرَةِ: خُذْ زِيَادًا وَسُلَيْمَانَ بْنَ صَرْدٍ وَجَرَّ بْنَ عَدِيٍّ وَشَبْثَ بْنَ رَبِيعٍ وَابْنَ الْكُوءِ وَعَمْرُو بْنَ الْحَقِّ بِالصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ، فَكَانُوا يَحْضُرُونَ مَعَهُ فِي الصَّلَاةِ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ أَرْقَمٍ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ زِيَادًا قَدِمَ الْكُوفَةَ، فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَقَالَ لَهُ الْمُغِيرَةُ: تَقْدِمُ فَصَلِّ، فَقَالَ: لَا أَفْعَلُ، أَنْتَ أَحَقُّ مِنِّي بِالصَّلَاةِ فِي سُلْطَانِكَ قَالَ:

وَدَخَلَ عَلَيْهِ زِيَادٌ وَعِنْدَ الْمُغِيرَةِ أُمُّ أَيُّوبَ بِنْتُ عِمَارَةَ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ، فَأَجْلَسَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: لَا تَسْتَرِي مِنْ أَبِي الْمُغِيرَةِ، فَلَمَّا مَاتَ الْمُغِيرَةُ تَزَوَّجَهَا زِيَادٌ وَهِيَ حَدَثَةٌ، فَكَانَ زِيَادٌ يَأْمُرُ بِفِيلٍ كَانَ عِنْدَهُ، فَيُوقِفُ، فَتَنْظُرُ إِلَيْهِ أُمُّ أَيُّوبَ، فَسَمِيَ بِأَبِ الْفِيلِ. وَجَّجَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَنَسَةٌ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ، كَذَلِكَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَنْ ذَكَرَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مَعِشَرٍ

٥٠٧ سنة ثلاث وأربعين

٥٠٧٠١ خبر قتل المستورد بن علفه الخارجي

ثم دخلت

سنة ثلاث وأربعين

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث) فَمِنْ ذَلِكَ غَزْوَةُ بَسْرِ بْنِ أَبِي أُرْطَاةِ الرُّومِ وَمَشْتَاهُ بِأَرْضِهِمْ حَتَّى بَلَغَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ - فِيمَا زَعَمَ الْوَأَقِدِيُّ - وَقَدْ أَنْكَرَ ذَلِكَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْأَخْبَارِ، فَقَالُوا: لَمْ يَكُنْ لِبَسْرِ بِأَرْضِ الرُّومِ مَشْتَى قَطُّ.

وَفِيهَا مَاتَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِمَصْرِ يَوْمَ الْفَطْرِ، وَقَبْلَ كَانَ عَمَلٌ عَلَيْهِ لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَرْبَعُ سَنِينَ، وَلِعَثْمَانُ أَرْبَعُ سَنِينَ إِلَّا شَهْرَيْنِ، وَلِمَعَاوِيَةَ سَنَتَيْنِ إِلَّا شَهْرًا.

وَفِيهَا وَلِيَ مُعَاوِيَةُ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ مِصْرَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ، فَوَلِيَهَا لَهُ - فِيمَا زَعَمَ الْوَأَقِدِيُّ - نَحْوًا مِنْ سَنَتَيْنِ وَفِيهَا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ فِي صَفَرٍ بِالْمَدِينَةِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ.

خبر قتل المستورد بن علفه الخارجي

وَفِيهَا قَتَلَ الْمُسْتَوْدُ بْنُ عُلْفَةَ الْخَارِجِي، فِيمَا زَعَمَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ قَتَلَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ.

ذكر الخبر عن مقتله:

قَدْ ذَكَرْنَا مَا كَانَ مِنْ اجْتِمَاعِ بَقَايَا الْخَوَارِجِ الَّذِينَ كَانُوا ارْتَثُوا يَوْمَ النَّهْرِ، وَمِنْ كَانَ مِنْهُمْ انْحَاذَ إِلَى الرِّيِّ وَغَيْرِهِمْ إِلَى الْغُرَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ سَمِيتَ قَبْلَ، الَّذِينَ أَحَدُهُمُ الْمُسْتَوْدُ بْنُ عُلْفَةَ، وَذَكَرْنَا بَيْعَتَهُمُ الْمُسْتَوْدَ، وَاجْتِمَاعَهُمْ عَلَى الْخُرُوجِ فِي غُرَى هَلَالِ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ.

فَذَكَرَ هِشَامُ، عَنْ أَبِي مُخَنَفٍ، أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ حُذَيْفَةَ الطَّائِي حَدَّثَهُ عَنْ الْحُلِّ بْنِ خَلِيفَةَ، أَنَّ قَبِيصَةَ بْنَ الدَّمُونِ أَتَى الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ - وَكَانَ عَلَى شَرْطَتِهِ - فَقَالَ: إِنَّ شَمْرَ بْنَ جَعُونََةَ الْكَلَابِيَّ جَاءَنِي يُخْبِرُنِي أَنَّ الْخَوَارِجَ قَدْ اجْتَمَعُوا فِي مَنْزِلِ حَيَانَ بْنِ ظَبْيَانَ السُّلَمِيِّ، وَقَدْ اتَّعَدُوا أَنْ يُخْرِجُوا إِلَيْكَ

فِي غُرَى شَعْبَانَ، فَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ لَقَبِيصَةَ بْنَ الدَّمُونِ - وَهُوَ حَلِيفٌ لثَقِيفٍ، وَزَعَمُوا أَنَّ أَصْلَهُ كَانَ مِنْ حَضْرَمَوْتَ مِنَ الصَّدَفِ: سَرَّ بِالشَّرْطَةِ حَتَّى تَحِيطَ بِدَارِ حَيَانَ بْنِ ظَبْيَانَ فَأَتَنِي بِهِ، وَهُمْ لَا يَرُونَ إِلَّا أَنَّهُ أَمِيرُ تِلْكَ الْخَوَارِجِ فَسَارَ قَبِيصَةَ فِي الشَّرْطَةِ وَفِي كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، فَلَمْ يَشْعُرْ حَيَانَ بْنُ ظَبْيَانَ إِلَّا وَالرِّجَالُ مَعَهُ فِي دَارِهِ نِصْفَ النَّهَارِ، وَإِذَا مَعَهُ مَعَاذُ بْنُ جُوَيْنٍ وَنَحْوُ مِنْ عِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِمَا، وَثَارَتْ امْرَأَتُهُ، أُمُّ وَلَدٍ لَهُ، فَأَخَذَتْ سَيْوْفًا كَانَتْ لَهُمْ، فَأَلْقَتْهَا تَحْتَ الْفِرَاشِ، وَفَرَعَ بَعْضُ الْقَوْمِ إِلَى سَيْوْفِهِمْ فَلَمْ يَجِدُوهَا، فَاسْتَسْلَمُوا، فَانْطَلَقَ بِهِمْ إِلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، فَقَالَ لَهُمُ الْمُغِيرَةُ: مَا حَمَلَكُمْ عَلَى مَا أَرَدْتُمْ مِنْ شِقِّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ؟

فَقَالُوا: مَا أَرَدْنَا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، قَالَ: بَلَى، قَدْ بَلَغَنِي ذَلِكَ عَنْكُمْ، ثُمَّ قَدْ صَدَّقَ ذَلِكَ عِنْدِي جَمَاعَتُكُمْ، قَالُوا لَهُ: أَمَا اجْتَمَعْنَا فِي هَذَا الْمَنْزِلِ فَإِنْ حَيَانَ بْنُ ظَبْيَانَ أَقْرَأَنَا الْقُرْآنَ، فَنَحْنُ نَجْتَمِعُ عِنْدَهُ فِي مَنْزِلِهِ فنقرأ القرآن عليه.

فَقَالَ: أَذْهَبُوا بِهِمْ إِلَى السِّجْنِ، فَلَمْ يَزَالُوا فِيهِ نَحْوًا مِنْ سَنَةٍ، وَسَمِعَ إِخْوَانَهُمْ بِأَخْذِهِمْ فَخَذَرُوا، وَخَرَجَ صَاحِبُهُمُ الْمُسْتَوْدُ بْنُ عُلْفَةَ فَنَزَلَ دَارًا بِالْحَيْرَةِ إِلَى جَنْبِ قَصْرِ الْعَدَسِيِّينَ مِنْ كَلْبٍ، فَبَعَثَ إِلَى إِخْوَانِهِ، وَكَانُوا يَخْتَلِفُونَ إِلَيْهِ وَيَتَجَهَّزُونَ، فَلَمَّا كَثُرَ اخْتِلَافُ أَصْحَابِهِ إِلَيْهِ قَالَ لَهُمْ صَاحِبُهُمُ الْمُسْتَوْدُ بْنُ عُلْفَةَ التَّيْمِي:

تَحُولُوا بَنَاءً عَنْ هَذَا الْمَكَانِ، فَإِنِّي لَا أَمِنُ أَنْ يُطَّلَعَ عَلَيْكُمْ فَإِنَّهُمْ فِي ذَلِكَ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَأْتِي مَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: نَأْتِي مَكَانَ كَذَا وَكَذَا، إِذْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ حِجَارُ بْنُ أَبَجْرٍ مِنْ دَارِ كَانَ هُوَ فِيهَا وَطَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَإِذَا هُمْ بِفَارَسِينَ قَدْ أَقْبَلُوا حَتَّى دَخَلُوا تِلْكَ الدَّارَ الَّتِي فِيهَا الْقَوْمُ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ جَاءَ آخَرَانِ فَدَخَلَا، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى جَاءَ آخَرُ فَدَخَلَ، ثُمَّ آخَرُ فَدَخَلَ، وَكَانَ ذَلِكَ يَعْنِيهِ، وَكَانَ خُرُوجُهُمْ قَدْ اقْتَرَبَ، فَقَالَ حِجَارُ لَصَاحِبَةِ الدَّارِ الَّتِي كَانَ فِيهَا نَازِلًا وَهِيَ تَرْضَعُ صَبِيًا لَهَا: وَيْحَكَ! مَا هَذِهِ الْخَيْلُ الَّتِي

أراها تدخل هذه الدار؟ قالت: والله ما أدري ما هم! إلا أن الرجال يختلّفون إلى هذه الدار رجلاً وفساناً لا ينقطعون، ولقد أنكرنا ذلك منذ أيام، ولا ندري من هم! فركب حجار فرسه، وخرج معه غلام له، فأقبل حتى انتهى إلى باب دارهم، فإذا عليه رجل منهم، فكلما أتى إنسان منهم إلى الباب دخل إلى صاحبه فأعلمه، فأذن له، فإن جاءه رجل من معروفهم دخل ولم يستأذن، فلما انتهى إليه حجار لم يعرفه الرجل، فقال: من أنت رحمك الله؟ وما تريد؟ قال:

أردت لقاء صاحبي، قال له: وما اسمك؟ قال له: حجار بن أبجر، قال:

فكما أنت حتى أودنهم بك ثم أخرج إليك فقال له حجار: ادخل راشداً! فدخل الرجل، واتبعه حجار مسرعاً، فأتى باب صفة عظيمة هم فيها، وقد دخل إليهم الرجل فقال: هذا رجل يستأذن عليك أنكرته فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا حجار بن أبجر، فسمعهم يتفرعون ويقولون:

حجار بن أبجر! والله ما جاء حجار بن أبجر بخير فلما سمع القول منهم أراد أن ينصرف ويكتفي بذلك من الاسترابة بأمرهم، ثم أتت نفسه أن ينصرف حتى يعاينهم، فتقدم حتى قام بين سحفي باب الصفة وقال: السلام عليكم، فنظر فإذا هو بجماعة كثيرة، وإذا سلاح ظاهر ودروع، فقال حجار:

اللهم اجمعهم على خير، من أنتم عافاكم الله؟ فعرفه علي بن أبي شمر ابن الحصين، من تيم الرباب- وكان أحد الثمانية الذين انهزموا من الخوارج يوم النهر، وكان من فرسان العرب ولساكنهم وخيارهم- فقال له: يا حجار بن أبجر، إن كنت إنما جاء بك التماس الخبر فقد وجدته، وإن كنت إنما جاء بك أمر غير ذلك فادخل، وأخبرنا ما أتى بك، فقال: لا حاجة لي في الدخول، فانصرف، فقال بعضهم لبعض: أدركوا هذا فاحبسوه، فإنه مؤذن بكم، فخرجت منهم جماعة في إثره- وذلك عند تظليل الشمس للإياب- فأتوا إليه وقد ركب فرسه، فقالوا له: أخبرنا خبرك، وما جاء بك؟ قال: لم آت شيء يروكم ولا يهولكم، فقالوا له: انتظر حتى ندنو منك ونكلمك، أو تدنو منا، أخبرنا فعلك أمرنا، ونذكر حاجتنا، فقال لهم: ما أنا بدان منكم، ولا أريد أن يدنو مني منكم أحد، فقال له

علي بن أبي شمر بن الحصين: أفؤمنا أنت من الإذن بنا هذه الليلة وأنت محسن، فإن لنا قرابة وحقا؟ قال: نعم، أنتم آمنون من قبلي هذه الليلة وليالي الدهر كلها، ثم انطلق حتى دخل الكوفة وأدخل أهله معه وقال الآخرون بعضهم لبعض: إنا لا نأمن أن يؤذن بنا هذا، فأخرجوا بنا من هذا الموضع ساعتنا هذه، قال: فصلوا المغرب، ثم خرجوا من الحيرة متفرقين، فقال لهم صاحبهم: الحقوا بي في دار سليم بن محدود العبدى من بني سلمة، فخرج من الحيرة، فضى حتى أتى عبد القيس، فأتى بني سلمة، فبعث إلى سليم بن محدود- وكان له صهرا- فأتاه، فأدخله وأصحاباً له خمسة أو ستة، ورجع حجار بن أبجر إلى رحله، فأخذوا ينتظرون منه أن يبلغهم منه ذكر لهم عند السلطان أو الناس، فما ذكرهم عند أحد منهم، ولا بلغهم عنه في ذلك شيء يكرهونه فبلغ الخبر المغيرة بن شعبة أن الخوارج خارجة عليه في أيامه تلك، وأنهم قد اجتمعوا على رجل منهم، فقام المغيرة بن شعبة في الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فقد علمتم أيها الناس أني لم أزل أحب لجماعتكم العافية، وأكف عنكم الأذى، وإني والله لقد خشيت أن يكون ذلك أدب سوء لسفهاكم، فأما العلماء الأتقياء فلا، وإيم الله لقد خشيت ألا أجد بدا من أن يعصب الحليم التقى بذنوب السفهاء الجاهل، فكفوا أيها الناس سفهاءكم قبل أن يشمل البلاء عوامكم وقد ذكر لي أن رجلاً منكم يريدون أن يظهروا في المصر بالشقاق والخلاف، وإيم الله لا يخرجون في حي من أحياء العرب في هذا المصر إلا أبدتهم وجعلتهم نكالا لمن بعدهم، فنظر قوم لأنفسهم قبل الندم، فقد قت هذا المقام إرادة الحجة والإعذار.

فقام إليه معقل بن قيس الرياحي فقال: أيها الأمير، هل سمي لك أحد من هؤلاء القوم؟ فإن كانوا سموا لك فأعلمنا من هم؟ فإن كانوا منا كفيناكمهم، وإن كانوا من غيرنا أمرت أهل الطاعة من أهل

مصرنا، فأنتك كل قبيلة بسفهاها، فقال: ما سمي لي أحد منهم، ولكن قد قيل لي: إن جماعة يريدون أن يخرجوا بالمصر، فقال له معقل: أصلحك الله! فإني أسير في قومي، وأكفيك ما هم فيه، فليكنك كل امرئ من الرؤساء قومه فنزل المغيرة بن شعبه، وبعث إلى رؤساء الناس فدعاهم، ثم قال لهم: إنه قد كان من الأمر ما قد علمتم، وقد قلت ما قد سمعتم، فليكني كل امرئ من الرؤساء قومه، والا فوالذي لا اله الا غيره لا تحولن عما كنتم تعرفون إلى ما تتكرون، وعما تحبون إلى ما تكرهون، فلا يلم لائمه إلا نفسه، وقد أعذر من أنذر فخرجت الرؤساء إلى عشائرهم، فناشدوهم الله والإسلام إلا دلوهم على من يرون أنه يريد أن يهيج فتنة، أو يفارق جماعة، وجاء صعصعة بن صوحان فقام في عبد القيس.

قال هشام: قال أبو مخنف: حدثني الأسود بن قيس العبدى، عن مرة بن النعمان، قال: قام فينا صعصعة بن صوحان وقد والله جاءه من الخبر بمنزل التيمي وأصحابه في دار سليم بن محدوج، ولكنه كره على فراقه إياهم وبغضه لرأيهم، أن يؤخذوا في عشيرته، وكره مساء أهل بيت من قومه، فقال: قولوا حسنا، ونحن يومئذ كثير أشرفاء، حسن عددنا، قال:

فقام فينا بعد ما صلى العصر، فقال: يا معشر عباد الله، إن الله - وله الحمد كثيرا - لما قسم الفضل بين المسلمين خصكم منه بأحسن القسم، فأجبتهم إلى دين الله الذي اختاره الله لنفسه، وارتضاه ملائكته ورسله، ثم أقمتم عليه حتى قبض الله رسوله ص، ثم اختلف الناس بعده فثبت طائفة، وارتدت طائفة، وأدھنت طائفة، وتربصت طائفة، فلزمت دين الله إيمانا به وبرسوله، وقاتلت المرتدين حتى قام الدين، وأهلك الله الظالمين، فلم يزل الله يزيدكم بذلك خيرا في كل شيء، وعلى كل حال، حتى اختلفت الأمة بينها، فقالت طائفة: نريد طلحة والزبير وعائشة، وقالت طائفة:

نريد أهل المغرب، وقالت طائفة: نريد عبد الله بن وهب الراسبي، راسب الأزد، وقلتم أنتم: لا نريد إلا أهل البيت الذين ابتدأنا الله من قبلهم بالكرامة، تسديدا من الله لكم وتوفيقا، فلم تزالوا على الحق لازمين له، آخذين به، حتى أهلك الله بكم وبمن كان على مثل هداكم ورأيكم الناكثين يوم الجمل، والمارقين يوم النهر - وسكت عن ذكر أهل الشام، لأن السلطان كان حينئذ سلطانهم - ولا قوم أعدى لله ولكم ولأهل بيت نبيكم وجماعة المسلمين من هذه المارقة الخاطئة، الذين فارقوا إمامنا، واستحلوا دماءنا، وشهدوا علينا بالكفر، فإياكم ان تووهم في دوركم، أو تكتموا عليهم، فإنه ليس ينبغي لحي من أحياء العرب أن يكون أعدى لهذه المارقة منكم، وقد والله ذكر لي أن بعضهم في جانب من الحي، وأنا باحث عن ذلك وسائل، فإن كان حكي لي ذلك حقا تقربت إلى الله تعالى بدمائهم، فإن دماءهم حلال ثم قال: يا معشر عبد القيس، إن ولاتنا هؤلاء هم أعرف شيء بكم وبرأيكم، فلا تجعلوا لهم عليكم سبيلا، فإنهم أسرع شيء إليكم وإلى أمثالكم ثم تنحى فجلس، فكل قومه قال: لعنهم الله! وقال: برئ الله منهم، فلا والله فلا تؤويهم، ولئن علمنا بمكانهم لنطعنك عليهم، غير سليم بن محدوج، فإنه لم يقل شيئا، فرجع إلى قومه كئيبا واجما، يكره أن يخرج أصحابه من منزله فيلوموه، وقد كانت بينهم مصاهرة، وكان لهم ثقة، ويكره أن يطلبوا في داره فيهلكوا ويهلك وجاء فدخل رحله، وأقبل أصحاب المستورد يأتونه، فليس منهم رجل إلا يخبره بما قام به المغيرة بن شعبه في الناس وبما جاءهم رؤسائهم، وقاموا فيهم، وقالوا له:

اخرج بنا، فوالله ما نأمن أن نؤخذ في عشائركم قال: فقال لهم: أما ترون رأس عبد القيس قام فيهم كما قامت رؤساء العشائر في عشائركم؟ قالوا:

بلى والله نرى قال: فإن صاحب منزلي لم يذكر لي شيئا، قالوا: نرى والله انه استحياء منك، فدعاه فأتاه، فقال: يا بن محدوج، إنه قد بلغني أن رؤساء العشائر قاموا اليهم، وتقدموا إليهم في وفي أصحابي، فهل قام فيكم أحد يذكر لكم شيئا من ذلك؟ قال: فقال: نعم، قد قام فينا صعصعة ابن صوحان، فتقدم إلينا في الا تؤوي أحدا من طلبتهم، وقالوا أقاويل كثيرة كرهت أن أذكرها لكم فتحسبوا أنه ثقل على شيء من أمركم، فقال له المستورد: قد أكرمت المثوى، وأحسن الفعل، ونحن إن شاء الله مرتحلون عنك، ثم قال: أما والله لو

أرادوك في رحلي ما وصلوا إليك ولا إلى أحد من أصحابك حتى أموت دونكم، قال: أعاذك الله من ذلك! وبلغ الذين في محبس المغيرة ما أجمع عليه أهل مصر من الرأي في نفي من كان بينهم من الخوارج وأخذهم، فقال معاذ بن جوين بن حصين في ذلك: ألا أيها الشارون قد حان لامرئ ... شرى نفسه لله أن يترحلا أقتم بدار الخاطئين جهالة ... وكل امرئ منكمر يصاد ليقطلا فشدوا على القوم العداة فإنما ... أقامتكم للذبح رأيا مضللا ألا فاقصدوا يا قوم للغاية التي ... إذا ذكرت كانت أبر وأعدلا فيا ليتني فيكم على ظهر سابح ... شديد القصيرى دارعا غير أعزلا ويا ليتني فيكم أعادي عدوكم ... فيسقيني كأس المنية أولا يعز علي أن تخافوا وتطردوا ... ولما أجرد في المحلين منصلا ولما يفرق جمعهم كل ماجد ... إذا قلت قد ولى وأدبر أقبلا مشيحا بنصل السيف في حمس الوغى ... يرى الصبر في بعض المواطن أمثلا وعز علي أن تضاموا وتنقصوا ... وأصبح ذا بث أسيرا مكبلا ولو أنني فيكم وقد قصدوا لكم ... أثرت إذا بين الفريقين قسطلا فيا رب جمع قد فلتت وغارة ... شهدت وقرن قد تركت مجدلا فبعث المستورد إلى أصحابه فقال لهم: اخرجوا من هذه القبيلة لا يصب امرأ مسلما في سبينا بغير علم معرفة وكان فيهم بعض من يرى رأيهم، فاتعدوا سورا، فخرجوا إليها متقطعين من أربعة وخمسة وعشرة، فتناموا بها ثلاثمائة رجل، ثم ساروا إلى الصراة، فباتوا بها ليله. ثم إن المغيرة بن شعبة أخبر خبرهم، فدعا رؤساء الناس، فقال: إن هؤلاء الأشقياء قد أخرجهم الحين وسوء الرأي، فمن ترون أبعث إليهم؟ قال: فقام إليه عدي بن حاتم، فقال: كلنا لهم عدو، ولرأيهم مسفه، وبطاعتك مستمسك، فأينا شئت سار إليهم. فقام معقل بن قيس، فقال: إنك لا تبعث إليهم أحدا ممن ترى حولك من أشراف المصر إلا وجدته سامعا مطيعا، ولهم مفارقا، ولهلاكهم محبا، ولا أرى أصلحك الله أن تبعث إليهم أحدا من الناس أعدى لهم ولا أشد عليهم مني، فابعثني إليهم فإني أكفيكمهم بإذن الله، فقال اخرج على اسم الله، فجهز معه ثلاثة آلاف رجل. وقال المغيرة لقيصة بن الدمون: الصق لي بشيعة علي، فأخرجهم مع معقل بن قيس، فإنه كان من رءوس أصحابه، فإذا بعثت بشيعته الذين كانوا يعرفون فاجتمعوا جميعا، استأنس بعضهم ببعض وتناصحوا، وهم أشد استحلالا لدماء هذه المارقة، وأجرا عليهم من غيرهم، وقد قاتلوا قبل هذه المرة. قال أبو مخنف: حدثني الأسود بن قيس، عن مرة بن منقذ بن النعمان، قال: كنت أنا فيمن ندب معه يومئذ، قال: لقد كان صعصعة ابن صوحان قام بعد معقل بن قيس وقال: ابعثني إليهم أيها الأمير، فأنا والله لدمائهم مستحل، وبحملها مستقل، فقال: اجلس، فإنما أنت خطيب، فكان أحفظه ذلك، وإنما قال ذلك لأنه بلغه أنه يعيب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويكثر ذكر علي ويفضله، وقد كان دعاه، فقال: إياك أن يبلغني عنك أنك تعيب عثمان عند أحد من الناس، وإياك أن يبلغني عنك أنك تظهر شيئا من فضل علي علانية، فإنك لست بذاك من فضل علي شيئا أجهله، بل أنا أعلم بذلك، ولكن هذا السلطان قد ظهر، وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس، فنحن ندع كثيرا مما

أمرنا به، ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بدا، ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقية، فإن كنت ذا كرا فضله فاذكره بينك وبين أصحابك وفي منازلكم سرا، وأما علانية في المسجد فإن هذا لا يحتمله الخليفة لنا، ولا يعذرنا به، فكان يقول له: نعم أفعل، ثم يبلغه أنه قد عاد إلى ما نهاه عنه، فلما قام إليه وقال له:

ابغثني إليهم، وجد المغيرة قد حقد عليه خلافة إياه، فقال: اجلس فإنما أنت خطيب، فأحفظه، فقال له: أو ما أنا إلا خطيب فقط! أجل والله، إني للخطيب الصليب الرئيس، أما والله لو شهدتني تحت راية عبد القيس يوم الجمل حيث اختلفت القنا، فشتون تفرى، وهامة تختلى، لعلبت أني أنا الليث الهزبر، فقال: حسبك الآن، لعمرى لقد أوتيت لسانا فصيحاً، ولم يلبث قبيصة بن الدمون أن أخرج الجيش مع معقل، وهم ثلاثة آلاف نقاوة الشيعة وفرسانهم.

قال أبو مخنف: حدثني النضر بن صالح، عن سالم بن ربيعة، قال: إني جالس عند المغيرة بن شعبة حين أتاه معقل بن قيس يسلم عليه ويودعه، فقال له المغيرة: يا معقل بن قيس، إني قد بعثت معك فرسان أهل مصر، أمرت بهم فانتخبوا انتخاباً، فسر إلى هذه العصابة المارقة الذين فارقوا جماعتنا، وشهدوا عليها بالكفر، فادعهم إلى التوبة، وإلى الدخول في الجماعة، فإن فعلوا فاقبل منهم، واكف عنهم، وإن هم لم يفعلوا فناجزهم، واستعن بالله عليهم.

فقال معقل بن قيس: سندعوهم ونعذر، وإيم الله ما أرى أن يقبلوا، ولئن لم يقبلوا الحق لا نقبل منهم الباطل، هل بلغك - أصلحك الله - أين منزل القوم؟ قال: نعم، كتب إلي سماك بن عبيد العبيسي - وكان عاملاً له على المدائن - يخبرني أنهم ارتحلوا من الصراة، فأقبلوا حتى نزلوا بهرسير، وأنهم أرادوا أن يعبروا إلى المدينة العتيقة التي بها منازل كسرى وأبيض المدائن، فنعمهم سماك أن يجوزوا، فنزلوا بمدينة بهرسير مقيمين، فانخرج إليهم، وانكش في آثارهم حتى تلحقهم، ولا تدعهم والإقامة في بلد ينتهي إليهم فيه أكثر من الساعة التي تدعوهم فيها، فإن قبلوا وإلا فناهضهم، فإنهم لن يقيموا ببلد يومين إلا أفسدوا كل من خالطهم.

فخرج من يومه فبات بسورا، فأمر المغيرة مولاه ورادا، فخرج إلى الناس في مسجد الجماعة، فقال: أيها الناس، إن معقل بن قيس قد سار إلى هذه المارقة، وقد بات الليلة بسورا، فلا يتخلفن عنه أحد من أصحابه.

ألا وأن الأمير يخرج على كل رجل من المسلمين منهم، ويعزم عليهم أن يبيتوا بالكوفة، ألا وأيما رجل من هذا البعث وجدناه بعد يومنا بالكوفة فقد أحل بنفسه.

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب، عن عبد الله بن عتبة الغنوي، قال: كنت فيمن خرج مع المستورد بن علفة، وكنت أحدث رجل فيهم قال: فخرجنا حتى أتينا الصراة، فأقننا بها حتى تئمت جماعتنا، ثم خرجنا حتى انتهينا إلى بهرسير، فدخلناها ونذر بنا سماك بن عبيد العبيسي، وكان في المدينة العتيقة، فلما ذهبنا لنعبر الجسر إليهم قاتلنا عليه، ثم قطع علينا، فأقننا بهرسير قال: فدعاني المستورد بن علفه، فقال: اكتب يا بني أخي؟ قلت: نعم، فدعا لي برق ودواة، وقال: اكتب: من عبد الله.

المستورد أمير المؤمنين إلى سماك بن عبيد، أما بعد، فقد نقمنا على قومنا الجور في الأحكام، وتعطيل الحدود، والاستئثار بالفيء، وإننا ندعوك إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ص، وولاية أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما، والبراءة من عثمان وعلي، لإحداثهما في الدين، وتركهما حكم الكتاب، فإن تقبل فقد أدركت رشك، والا تقبل فقد بالغنا في الإغدار إليك، وقد آذناك بحرب، فنبدنا إليك على سواء، إن الله لا يحب الخائنين قال: فقال المستورد: انطلق إلى سماك بهذا الكتاب فادفعه إليه، واحفظ ما يقول لك، والقي قال: وكنت فتى حدثاً حين أدركت، لم أجرب الأمور، ولا علم لي بكثير منها، فقلت: أصلحك الله! لو أمرتني أن أستعرض دجلة فألقي نفسي فيها ما عصيتك، ولكن تأمن علي سماكاً أن يتعلق بي، فيحبسني عنك، فإذا أنا قد فاتني ما اترجاه من الجهاد! فتبسم وقال: يا بني أخي، إنما أنت رسول، والرسول لا يعرض له، ولو خشيت ذلك عليك لم أبعثك، وما أنت على نفسك بأشفق مني عليك قال: فخرجت

حَتَّىٰ عَبَرْتُ إِلَيْهِمْ فِي مَعْبَرٍ، فَأَتَيْتُ سَمَّاكَ بْنَ عُبَيْدٍ، وَإِذَا النَّاسُ حَوْلَهُ كَثِيرٌ قَالَ: فَلِمَا أَقْبَلْتُ نَحْوَهُمْ أَبْصَارَهُمْ، فَلِمَا دَنَوْتُ مِنْهُمْ ابْتَدَرْنِي نَحْوَ مِنْ عَشْرَةٍ، وَظَنَنْتُ وَاللَّهِ أَنَّ الْقَوْمَ يَرِيدُونَ أَخْذِي، وَأَنَّ الْأَمْرَ عِنْدَهُمْ لَيْسَ كَمَا ذَكَرَ لِي صَاحِبِي، فَانْتَضَيْتُ سَيْفِي، وَقُلْتُ: كَلَّا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَصْلُونِ إِلَيَّ حَتَّىٰ أَعْذِرَ إِلَى اللَّهِ فِيكُمْ، قَالُوا لِي: يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ:

أَنَا رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَوْدِ بْنِ عُلْفَةَ، قَالُوا: فَلِمَ انْتَضَيْتَ سَيْفَكَ؟

قُلْتُ: لَا ابْتِدَارَ لَكُمْ إِلَيَّ، خَفْتُ أَنْ تَوْثِقُونِي وَتَغْدِرُوا بِي قَالُوا: فَأَنْتَ آمِنٌ، وَإِنَّمَا أَتَيْنَاكَ لِنَقُومَ إِلَىٰ جَنْبِكَ، وَنَمْسُكَ بِقَائِمِ سَيْفِكَ، وَنَنْظُرَ مَا جَاءَ لَكَ، وَمَا تَسْأَلُ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ: لَسْتُ آمِنًا حَتَّىٰ تَرُدُونِي إِلَىٰ أَصْحَابِي؟ قَالُوا:

بَلَىٰ، فَشِمْتُ سَيْفِي، ثُمَّ أَتَيْتُ حَتَّىٰ قَتَّ عَلَىٰ رَأْسِ سَمَّاكَ بْنِ عُبَيْدٍ وَاصْحَابِهِ

قَدْ ائْتَشَبُوا بِي، فَفَنَّهُمْ مِمَّا مَسَّكَ بِقَائِمِ سَيْفِي، وَمِنْهُمْ مِمَّا مَسَّكَ بَعْضُ دِي، فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ كِتَابَ صَاحِبِي، فَلَمَّا قَرَأَهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ، فَقَالَ: مَا كَانَ الْمُسْتَوْدُ عِنْدِي خَلِيقًا لَمَّا كُنْتُ أَرَىٰ مِنْ إِخْبَاتِهِ وَتَوَاضَعِهِ أَنْ يُخْرِجَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِسَيْفِهِ، يُعْرِضُ عَلَيَّ الْمُسْتَوْدُ الْبَرَاءَةَ مِنْ عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ، وَيَدْعُونِي إِلَىٰ وَلايَتِهِ! فَبُئْسَ وَاللَّهِ الشَّيْخُ أَنَا إِذَا! قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَقَالَ: يَا بَنِي، اذْهَبْ إِلَىٰ صَاحِبِكَ فَقُلْ لَهُ: اتَّقِ اللَّهَ وَارْجِعْ عَن رَأْيِكَ، وَادْخُلْ فِي جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ أَكْتُبَ لَكَ فِي طَلَبِ الْأَمَانِ إِلَى الْمَغِيرَةِ فَعَلْتُ، فَإِنَّكَ سَتَجِدُهُ سَرِيعًا إِلَى الْإِصْلَاحِ، حُبًّا لِلْعَافِيَةِ: قَالَ: قُلْتُ لَهُ، وَإِنْ لِي فِيهِمْ يَوْمٌ بِصِيرَةٍ، هِيَاتِ! إِنَّمَا طَلَبْنَا بِهَذَا الْأَمْرِ الَّذِي أَخَافُنَا فِيكُمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا الْأَمْنِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ لِي: بؤْسًا لَكَ! كَيْفَ أَرْحَمُكَ! ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ:

إِنَّهُمْ خَلَوْا بِهَذَا ثُمَّ جَعَلُوا يَقْرَءُونَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ وَيَخْضَعُونَ وَيَتَبَاكُونَ، فَظَنَ بِهَذَا أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ، إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ قَوْمًا كَانُوا أَظْهَرَ ضَلَالَةً، وَلَا أَبْيَنَ شَوْمًا، مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَرَوْنَ! قُلْتُ: يَا هَذَا إِنِّي لَمْ أَتِكَ لِأَشَاتَمَكَ وَلَا أَسْمَعُ حَدِيثَكَ وَحَدِيثَ أَصْحَابِكَ، حَدَّثَنِي، أَنْتَ تَجِيبُنِي إِلَى مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ أَمْ لَا تَفْعَلُ فَارْجِعْ إِلَى صَاحِبِي؟ فَنَظَرَ إِلَيَّ ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: أَلَا تَعْجَبُونَ إِلَى هَذَا الصَّبِيِّ! وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَانِي أَكْبَرَ مِنْ أَبِيهِ، وَهُوَ يَقُولُ لِي: أَتَجِيبُنِي إِلَى مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ! انْطَلِقْ يَا بَنِي إِلَى صَاحِبِكَ، إِنَّمَا تَنْدَمُ لَوْ قَدْ اكْتَفَيْتُمْ الْخَلِيلَ، وَأَسْرَعْتَ فِي صَدُورِكُمُ الرِّمَاحَ، هُنَاكَ تَمْنَىٰ لَوْ كُنْتَ فِي بَيْتِ أُمِّكَ! قَالَ: فَانْصَرَفْتُ مِنْ عِنْدِهِ فَعَبَرْتُ إِلَى أَصْحَابِي، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْ صَاحِبِي قَالَ: مَا رَدَّ عَلَيْكَ؟

قُلْتُ: مَا رَدَّ خَيْرًا، قُلْتُ لَهُ: كَذَا وَقَالَ لِي: كَذَا، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، قَالَ: فَقَالَ الْمُسْتَوْدُ: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذَرْتُمْ أَمْ لَمْ تُنْذَرُوا لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ»

قَالَ: فَلَبِثْنَا بِمَكَانِنَا ذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَبَانَ لَنَا مَسِيرُ مَعْقِلِ ابْنِ قَيْسٍ إِلَيْنَا قَالَ: فَجَمَعْنَا الْمُسْتَوْدَ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ هَذَا الْخَرْقَ مَعْقِلُ ابْنِ قَيْسٍ قَدْ وَجَّهَ إِلَيْكُمْ وَهُوَ مِنَ السَّبْئَةِ الْمَفْتَرِينَ الْكَاذِبِينَ، وَهُوَ لِلَّهِ وَلَكُمْ عَدُوٌّ، فَأُشِيرُوا عَلَيَّ بِرَأْيِكُمْ قَالَ: فَقَالَ لَهُ بَعْضُنَا: وَاللَّهِ مَا خَرَجْنَا نَزِيدَ إِلَّا اللَّهَ، وَجِهَادٍ مِنْ عَادِي اللَّهِ، وَقَدْ جَاءُونَا فَأَيْنَ نَذْهَبُ عَنْهُمْ! بَلْ نَقِيمُ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى: بَلْ نَعْتَزِلُ وَنَتَنَحَّى، نَدْعُو النَّاسَ وَنَحْتَجُّ عَلَيْهِمُ بِالْدَعَاءِ.

فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا خَرَجْتُ أَتَمَسَّ الدُّنْيَا وَلَا ذِكْرَهَا وَلَا نَفَرَهَا وَلَا الْبَقَاءَ، وَمَا أَحَبُّ أَنِّي لِي بِحِذَائِهَا، وَأَضْعَافُ مَا يَتَنَافَسُ فِيهِ مِنْهَا بِقَبَالِ نَعْلِي! وَمَا خَرَجْتُ إِلَّا التَّمَّاسَ الشَّهَادَةَ، وَأَنْ يَهْدِيَنِي اللَّهُ إِلَى الْكَرَامَةِ بِهَوَانِ بَعْضِ أَهْلِ الضَّلَالَةِ، وَإِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِيمَا اسْتَشَرْتُمْ فِيهِ فَرَأَيْتُ الْإِقِيمَ لَهُمْ حَتَّى يَقْدَمُوا عَلَيَّ وَهُمْ جَامُونَ مُتَوَافِرُونَ، وَلَكِنْ رَأَيْتُ أَنْ أُسِيرَ حَتَّى أَمْعَنَ، فَإِنَّهُمْ إِذَا بَلَغَهُمْ ذَلِكَ خَرَجُوا فِي طَلَبِنَا، فَتَقَطَّعُوا وَتَبَدَّدُوا، فَعَلَى تِلْكَ الْحَالِ يَنْبَغِي لَنَا قِتَالُهُمْ، فَانْخَرَجُوا بِنَا عَلَى اسْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ: فَخَرَجْنَا فَمَضَيْنَا عَلَى شَاطِئِ دَجَلَةٍ حَتَّىٰ انْتَهَيْنَا إِلَى جَرَجَرِيَا، فَعَبَرْنَا دَجَلَةً، فَمَضَيْنَا كَمَا نَحْنُ فِي أَرْضِ جَوْخَى حَتَّىٰ بَلَّغْنَا الْمَذَارَ، فَأَقْبَضْنَا فِيهَا، وَبَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرٍ مَكَانَنَا الَّذِي كُنَّا فِيهِ، فَسَأَلَ عَنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، كَيْفَ صَنَعَ فِي الْجَيْشِ الَّذِي بَعَثَ إِلَى الْخَوَارِجِ؟ وَكَمْ

عدتهم؟

فأخبر بعدتهم، وقيل له: إن المغيرة نظر إلى رجل شريف رئيس قد كان قاتل الخوارج مع علي ع، وكان من أصحابه، فبعثه وبعث معه شيعة علي لعداوتهم لهم، فقال: أصاب الرأي، فبعث إلى شريك بن الأعور الحارثي- وكان يرى راى علي ع- فقال له: اخرج إلى هذه المارقة فانتخب ثلاثة آلاف رجل من الناس، ثم أتبعهم حتى تخرجهم

من أرض البصرة أو تقتلهم وقال له بينه وبينه: اخرج إلى أعداء الله بمن يستحل قتالهم من أهل البصرة، فظن شريك به انما يعني شيعة علي ع، ولكنه يكره أن يسميهم، فانتخب الناس، وألح على فرسان ربيعة الذين كان رأيهم في الشيعة، وكان تحييه العظماء منهم ثم إنه خرج فيهم مقبلا إلى المستورد بن علفة بالمذار.

قال أبو مخنف: وحديثي حصيرة بن عبد الله بن الحارث، عن أبيه عبد الله بن الحارث، قال: كنت في الذين خرجوا مع معقل بن قيس، فأقبلت معه، فوالله ما فارقه ساعة من نهار منذ خرجت، فكان أول منزل نزلناه سورا.

قال: فكنتنا يوما حتى اجتمع إليه جل أصحابه، ثم خرجنا مسرعين مبادرين لعدونا أن يفوتنا، فبعثنا طليعة، فارتحلنا فنزلنا كوئي، فأقنا بها يوما حتى لحق بنا من تخلف، ثم أدلج بنا من كوئي، وقد مضى من الليل هزيع، فأقبلنا حتى دنونا من المدائن، فاستقبلنا الناس فأخبرونا أنهم قد ارتحلوا، فشق علينا والله ذلك، وأيقنا بالعناء وطول الطلب.

قال: وجاء معقل بن قيس حتى نزل باب مدينة بهرسير، ولم يدخلها، ففرج إليه سماك بن عبيد، فسلم عليه، وأمر غلمانه ومواليه فأتوه بالجزر والشعير وألقت، فجاءوه من ذلك بكل ما كفاه وكفى الجند الذين كانوا معه.

ثم إن معقل بن قيس بعد أن أقام بالمدائن ثلاثا جمع أصحابه فقال:

إن هؤلاء المارقة الضلال إنما خرجوا فذهبوا على وجوههم إرادة أن نتعجلوا في آثارهم، فتقطعوا وتبددوا، ولا تلحقوا بهم إلا وقد تعبتم ونصبتهم، وأنه ليس شيء يدخل عليكم من ذلك إلا وقد يدخل عليهم مثله، فخرج بنا من المدائن، فقدم بين يديه أبو الرواغ الشاكري في ثلاثمائة فارس، فاتبع آثارهم، فخرج معقل في أثره، فاخذ أبو الرواغ يسأل عنهم، ويركب الوجه الذي أخذوا فيه، حتى عبروا جرجايا في آثارهم، ثم سلك الوجه

الذي أخذوا فيه، فاتبعهم، فلم يزل ذلك دأبه حتى لحقهم بالمذار مقيمين، فلما دنا منهم استشار أصحابه في لقاءهم وقتالهم قبل قدوم معقل عليه، فقال له بعضهم: أقدم بنا عليهم فلنقاتلهم، وقال بعضهم: والله ما نرى أن تعجل إلى قتالهم حتى يأتينا أميرنا، ونلقاهم بجماعتنا.

قال أبو مخنف: لحديثي تليد بن زيد بن راشد الفائسي أن أباه كان معه يومئذ قال: فقال لنا أبو الرواغ: إن معقل بن قيس حين سرحني أمامه أمرني أن أتبع آثارهم، فإذا لحقتهم لم أعجل إلى قتالهم حتى يأتيني.

قال: فقال له جميع أصحابه: فالرأي الآن بين، تنح بنا فلنكن قريبا منهم حتى يقدم علينا صاحبنا، فتحنينا- وذلك عند المساء- قال: فبتنا ليلتنا كلها متحارسين حتى أصبحنا، فارتفع الضحى، وخرجوا علينا، قال:

فخرجنا إليهم وعدتهم ثلاثمائة ونحن ثلاثمائة، فلما اقتربوا شدوا علينا، فلا والله ما ثبت لهم منا إنسان، قال: فانهزنا ساعة، ثم إن أبا الرواغ صاح بنا وقال: يا فرسان السوء، قبحكم الله سائر اليوم! الكرة الكرة! قال:

فحملنا معه، حتى إذا دنونا من القوم كر بنا، فانصرفنا وكروا علينا، وكشفونا طويلا، ونحن على خيل معلمة جياد، ولم يصب منا أحد، وقد كانت جراحات يسيرة، فقال لنا أبو الرواغ: ثكلتكم أمهاتكم! انصرفوا بنا فلنكر قريبا منهم، لا نزايهم حتى يقدم علينا أميرنا، فما أقبح بنا أن نرجع إلى الجيش، وقد انهزنا من عدونا ولم نصبر لهم حتى يشتد القتال وتكر القتلى قال: فقال رجل منا يجيبه: إن الله لا يستحيي من الحق، قد والله هزمونا، قال أبو الرواغ: لا أكثر الله فينا ضربك! إنا ما لم ندع المعركة فلم نهزم، وإنا متى عطفنا عليهم

وكنا قريبا منهم فنحن على حال حسنة حتى يقدم علينا الجيش، ولم نرجع عن وجهنا، إنه والله لو كان يقال: انهزم أبو حمران حمير بن بجير الهمداني، ما باليت، أما

يقال: انهزم أبو الرواغ، فقفوا قريبا، فإن أتوكم فعجزتم عن قتالهم فأنحازوا، فإن حملوا عليكم فعجزتم عن قتالهم فتأخروا وأنحازوا إلى حامية، فإذا رجعوا عنكم فاعطفوا عليهم، وكونوا قريبا منهم، فإن الجيش آتيكم إلى ساعة قال: فأخذت الخوارج كلها حملت عليهم أنحازوا وهم كانوا حامية، وإذا أخذوا في الكرة عليهم فتفرق جماعتهم قرب أبو الرواغ وأصحابه على خيلهم في آثارهم، فلما رأوا أنهم لا يفارقونهم، وقد طاردوهم هكذا من ارتفاع الضحى إلى الأولى فلما حضرت صلاة الظهر نزل المستورد للصلاة، واعتزل أبو الرواغ وأصحابه على رأس ميل منهم أو ميلين، ونزل أصحابه فصلوا الظهر، وأقاموا رجلين ريثة، وأقاموا مكانهم حتى صلوا العصر ثم إن فتى جاءهم بكتاب معقل بن قيس إلى ابن الرواغ، وكان أهل القرى وعابر والسبيل يرون عليهم ويرونهم يقتتلون، فن مضى منهم على الطريق نحو الوجه الذي يأتي من قبله معقل استقبال معقلا فأخبره بالتقاء أصحابه والخوارج، فيقول: كيف رأيتموهم يصنعون؟

فيقولون: رأينا الحورية تطرد أصحابك، فيقول: أما رأيتم أصحابي يعطفون عليهم ويقاتلونهم؟ فيقولون: بلى، يعطفون عليهم وينهزمون: فقال: إن كان ظني بأبي الرواغ صادقا لا يقدم عليكم منهزما أبدا ثم وقف عليهم، فدعا محرز بن شهاب بن بجير بن سفيان بن خالد بن منقر التميمي فقال له: تخلف في ضعفة الناس، ثم سر بهم على مهل، حتى تقدم بهم علي، ثم ناد في أهل القوة: ليتعجل كل ذي قوة معي، اعجلوا إلى إخوانكم، فإنهم قد لاقوا عدوهم، وإني لأرجو أن يهلكهم الله قبل أن تصلوا إليهم.

قال: فاستجمع من أهل القوة والشجاعة وأهل الخيل الجياد نحو من سبعمائة، وسار فأسرع، فلما دنا من أبي الرواغ قال أبو الرواغ: هذه

غبرة الخيل، تقدموا بنا إلى عدونا حتى يقدم علينا الجند، ونحن منهم قريب، فلا يرون اننا نخينا عنهم ولا هبناهم قال: فاستقدم أبو الرواغ حتى وقف مقابل المستورد وأصحابه، وغشيه معقل في أصحابه، فلما دنا منهم غربت الشمس، فنزل فصلي بأصحابه، ونزل أبو الرواغ فصلي بأصحابه في جانب آخر، وصلى الخوارج أيضا ثم إن معقل بن قيس أقبل بأصحابه حتى إذا دنا من أبي الرواغ دعاه فأتاه، فقال له: أحسنت أبا الرواغ! هكذا الظن بك، الصبر والمحافظة فقال: أصلحك الله! إن لهم شدات منكرات، فلا تكن أنت تلبها بنفسك، ولكن قدم بين يديك من يقاتلهم، وكن أنت من وراء الناس رداء لهم، فقال: نعم ما رايت! فوالله ما كان إلا ريثا قالحا حتى شدوا عليه وعلى أصحابه، فلما غشوه انجفل عنه عامة أصحابه، وثبت وزل، وقال: الأرض الأرض يا أهل الإسلام! ونزل معه أبو الرواغ الشاكري وناس كثير من الفرسان وأهل الحفاظ نحو مائتي رجل، فلما غشيه المستورد وأصحابه استقبلوهم بالرماح والسيوف، وانجفلت خيل معقل عنه ساعة، ثم ناداهم مسكين بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عدس - وكان يومئذ من أشجع الناس وأشدهم بأسا - فقال: يا أهل الإسلام، أين الفرار، وقد نزل أميركم! ألا تستحيون! أن الفرار مخزاة وعار ولؤم، ثم كر راجعا، ورجعت معه خيل عظيمة، فشدوا عليهم ومعقل بن قيس يضاربهم تحت رايته مع ناس نزلوا معه من أهل الصبر، فضربوهم حتى اضطروهم إلى البيوت، ثم لم يلبثوا إلا قليلا حتى جاءهم محرز بن شهاب فيمن تخلف من الناس، فلما أتوهم أنزلهم ثم صف لهم، وجعل ميمنة وميسرة، فجعل أبا الرواغ على ميمنته ومحرز بن بجير بن سفيان على ميسرته ومسكين بن عامر على الخيل، ثم قال لهم:

لا تبرحوا مصافكم حتى تصبحوا، فإذا أصبحتم ثرنا إليهم فناجزناهم، فوقف الناس مواقفهم على مصافهم.

قال أبو مخنف: وحديثي عبد الرحمن بن جندب، عن عبد الله بن

عقبة الغنوي، قال: لما انتهى إلينا معقل بن قيس قال لنا المستورد: لا تدعوا معقلا حتى يعي لكم الخيل والرجل، شدوا عليهم شدة صادقة، لعل الله يصصره فيها قال: فشددنا عليهم شدة صادقة، فانكشفوا فانفضوا ثم انجفلوا ووثب معقل عن فرسه حين رأى إدبار

أَصْحَابَهُ عَنْهُ، فَرَفَعَ رَأْيَتَهُ، وَنَزَلَ مَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَاتَلُوا طَوِيلًا، فَصَبَرُوا لَنَا، ثُمَّ إِنَّهُمْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا، فَعُطِفُوا عَلَيْنَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَاخْرَجْنَا حَتَّى جَعَلْنَا الْبُيُوتَ فِي ظَهْرِنَا، وَقَدْ قَاتَلْنَاهُمْ طَوِيلًا، وَكَانَتْ بَيْنَنَا جِرَاحَةٌ وَقَتْلٌ يُسِيرُ قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي حَصِيرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عَمِيرَ بْنَ أَبِي أَشْأَةَ الْأَزْدِيِّ قَتَلَ يَوْمَئِذٍ، وَكَانَ فَيَمِّنُ نَزَلَ مَعَ مَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ رَئِيسًا.

قَالَ: وَكَنتُ أَنَا فَيَمِّنُ نَزَلَ مَعَهُ، فَوَاللَّهِ مَا أُنْسَى قَوْلَ عَمِيرِ بْنِ أَبِي أَشْأَةَ وَنَحْنُ نَقْتُلُ وَهُوَ يُضَارِبُهُمْ بِسَيْفِهِ قَدَمَا: قَدْ عَلِمْتُ أَنِي إِذَا مَا أَقْشَعُوا ... عَنِي وَالتَّائِثُ اللَّثَامُ الْوَضْعُ أَحْوَسُ عِنْدَ الرُّوعِ نَدْبُ أَرُوعٍ.

وَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَاتَلَ مِثْلَهُ، فَجَرَحَ رَجُلًا كَثِيرًا، وَقَتَلَ وَمَا أُدْرِي أَنَّهُ قَتَلَ، مَا عَدَا وَاحِدًا وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ اعْتَنَقَهُ، نَفَرَ عَلَى صَدْرِهِ فَذَبَحَهُ، فَمَا حَزَّ رَأْسُهُ حَتَّى حَمَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَطَعَنَهُ بِالرَّحِمِ فِي ثَغْرَةِ نَحْرِهِ، نَفَرَ عَنْ صَدْرِهِ، وَانْجَدَلَ مَيِّتًا، وَشَدَدْنَا عَلَيْهِمْ، وَحَزَنَاهُمْ إِلَى الْقَرْيَةِ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا إِلَى مَعْرَكَتِنَا، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ بِهِ رَمَقٌ، فَإِذَا هُوَ قَدْ فَازَ، فَارْجَعْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَوَقَفْتُ فِيهِمْ قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَنْدَبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُقْبَةَ

الْغَنَوِيِّ، قَالَ: إِنَّا لَمُتَوَاقِفُونَ أَوَّلَ اللَّيْلِ إِذْ أَتَانَا رَجُلٌ كَمَا بَعَثْنَاهُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَكَانَ بَعْضُ مَنْ يَمُرُّ الطَّرِيقَ قَدْ أَخْبَرَنَا أَنَّ جَيْشًا قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْنَا مِنَ الْبَصْرَةِ، فَلَمْ نَكْتَرِثْ، وَقَلْنَا لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَهُ جَعَلًا: اذْهَبْ فَاعْلَمْ هَلْ أَتَانَا مِنْ قَبْلِ الْبَصْرَةِ جَيْشٌ؟ فَجَاءَ وَنَحْنُ مُوَاقِفُو أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَقَالَ لَنَا: نَعَمْ، قَدْ جَاءَ كَمْ شَرِيكَ بْنِ الْأَعُورِ، وَقَدْ اسْتَقْبَلَتْ طَائِفَةٌ عَلَى رَأْسِ فَرَسٍ عِنْدَ الْأُولَى، وَلَا أَرَى الْقَوْمَ إِلَّا نَازِلِينَ بِكُمْ اللَّيْلَةَ، أَوْ مَصْبِحَكُمْ غَدَوْهَ فَأَسْقَطُ فِي أَيْدِينَا.

وَقَالَ الْمُسْتَوْدِدُ لِأَصْحَابِهِ: مَاذَا تَرَوْنَ؟

قُلْنَا: نَرَى مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَإِنِّي لَا أَرَى أَنْ أَقِيمَ لَهُوْلَاءَ جَمِيعًا، وَلَكِنْ نَرْجِعُ إِلَى الْوَجْهِ الَّذِي جِئْنَا مِنْهُ، فَإِنْ أَهْلَ الْبَصْرَةِ لَا يَتَّبِعُونَا إِلَى أَرْضِ الْكُوفَةِ، وَلَا يَتَّبِعُنَا حِينَئِذٍ إِلَّا أَهْلَ مِصْرَنَا، فَقُلْنَا لَهُ: وَلَمْ ذَاكَ؟ فَقَالَ:

قَتَلَ أَهْلَ مِصْرٍ وَاحِدٌ أَهْلًا عَلَيْنَا مِنْ قِتَالِ أَهْلِ الْمِصْرِينَ، قَالُوا: سَرَبْنَا حَيْثُ أَحْبَبْتَ، قَالَ: فَانْزِلُوا عَنْ ظُهُورِ دَوَابِكُمْ فَأَرْبِحُوا سَاعَةً، وَأَقْضِمُوا، ثُمَّ انْظُرُوا مَا أَمْرُكُمْ بِهِ، قَالَ: فَتَزَلْنَا عَنْهَا، فَأَقْضِمْنَاهَا، قَالَ: وَبَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ حِينَئِذٍ سَاعَةٌ قَدْ ارْتَفَعُوا عَنِ الْقَرْيَةِ مَخَافَةَ أَنْ نَبِيتَهُمْ، قَالَ: فَلَمَّا أَرْحَنَاهَا وَأَقْضِمْنَاهَا أَمَرْنَا فَاسْتَوَيْنَا عَلَى مَتْنِهَا، ثُمَّ قَالَ: ادْخُلُوا الْقَرْيَةَ، ثُمَّ اخْرُجُوا مِنْ وَرَائِهَا، وَانْطَلِقُوا مَعَكُمْ بَعْلَجٌ يَأْخُذُ بِكُمْ مِنْ وَرَائِهَا، ثُمَّ يَعُودُ بِكُمْ حَتَّى يَرُدَّكُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الَّذِي مِنْهُ أَقْبَلْتُمْ، وَدَعُوا هَؤُلَاءَ مَكَانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَشْعُرُوا بِكُمْ عَامَةَ اللَّيْلِ، أَوْ حَتَّى تَصْبَحُوا قَالَ: فَدَخَلْنَا الْقَرْيَةَ وَأَخَذْنَا عِلْجًا، ثُمَّ خَرَجْنَا بِهِ أَمَامَنَا، فَقُلْنَا: خُذْ بِنَا مِنْ وَرَاءِ هَذَا الصَّفِّ حَتَّى نَعُودَ إِلَى الطَّرِيقِ الَّذِي مِنْهُ أَقْبَلْنَا فَفَعَلَ ذَلِكَ، فَجَاءَ بِنَا حَتَّى أَقَامَنَا عَلَى الطَّرِيقِ الَّذِي مِنْهُ أَقْبَلْنَا، فَلَزَمْنَاهُ رَاجِعِينَ، ثُمَّ أَقْبَلْنَا حَتَّى نَزَلْنَا جَرَجَرِيَا.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي حَصِيرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: إِنِّي أَوَّلُ مَنْ فَطِنَ لَذَهَابِهِمْ، قَالَ: فَقُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ! لَقَدْ رَأَيْتُ أَمْرَ هَذَا الْعَدُوِّ مِنْذُ سَاعَةٍ طَوِيلَةٍ، إِنَّهُمْ كَانُوا مُوَاقِفِينَ نَرَى سَوَادَهُمْ، ثُمَّ لَقَدْ خَفَنِي عَلَى ذَلِكَ السَّوَادِ مِنْذُ سَاعَةٍ، وَإِنِّي لَخَائِفٌ أَنْ يَكُونُوا زَالُوا مِنْ مَكَانِهِمْ لِيَكِيدُوا النَّاسَ، فَقَالَ: وَمَا تَخَافُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كِيدِهِمْ؟

قُلْتُ: أَخَافُ أَنْ يَبِيتُوا النَّاسَ، قَالَ، وَاللَّهِ مَا آمَنَ ذَلِكَ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: فَاسْتَعِدْ لَذَلِكَ، قَالَ: كَمَا أَنْتَ حَتَّى أَنْظُرَ يَا عَتَابُ، انْطَلِقْ فَيَمِّنُ أَحْبَبْتُ حَتَّى تَدْنُو مِنَ الْقَرْيَةِ فَتَنْظُرَ هَلْ تَرَى مِنْهُمْ أَحَدًا أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رَكْرَأًا! وَسَلْ أَهْلَ الْقَرْيَةِ عَنْهُمْ. فَخَرَجَ فِي خَمْسِ الْغَزَاةِ يَرْكُضُ حَتَّى نَظَرَ الْقَرْيَةَ فَأَخَذَ لَا يَرَى أَحَدًا يَكَلِّمُهُ، وَصَاحَ بِأَهْلِ الْقَرْيَةِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ نَاسٌ، فَسَأَلَهُمْ عَنْهُمْ، فَقَالُوا:

خَرَجُوا فَلَا نَدْرِي كَيْفَ ذَهَبُوا! فَارْجِعْ إِلَيْهِ عَتَابُ فَأَخْبِرْهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ مَعْقِلُ:

لَا آمَنَ الْبَيَاتُ، فَأَيْنَ مُضِرٌّ؟ فَجَاءَتْ مُضِرٌّ فَقَالَ: قَتَلُوا هَاهُنَا، وَقَالَ:

أَيْنَ رَيْبَةٍ؟ لَجْعَلِ رَيْبَةٍ فِي وَجْهِهِ وَتَمِيمَا فِي وَجْهِهِ وَهَمْدَانِ فِي وَجْهِهِ، وَبَقِيَّةُ أَهْلِ الْيَمَنِ فِي وَجْهِهِ آخَرٍ، وَكَانَ كُلُّ رَيْبٍ مِنْ هَؤُلَاءِ فِي وَجْهِهِ وَظَهَرَهُ مِمَّا يَلِي ظَهْرَ الرَّبْعِ الْآخَرِ، وَجَالٍ فِيهِمْ مَعْقِلٌ حَتَّى لَمْ يَدْعُ رُبْعًا إِلَّا وَقَفَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ أَتَوَكُمْ فَبَدَّوْا بِغَيْرِكُمْ فَقَاتَلُوهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا أَنْتُمْ مَكَانَكُمْ أَبَدًا حَتَّى يَأْتِيَكُمْ أَمْرِي، وَلِيغْنِ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ الْوَجْهَ الَّذِي هُوَ فِيهِ، حَتَّى نَصْبَحَ فَنَرَى رَأْيَنَا فَمَكْثُوا مُتَحَارِسِينَ يَخَافُونَ بَيَاتَهُمْ حَتَّى أَصْبَحُوا، فَلَمَّا أَصْبَحُوا نَزَلُوا فَصَلُّوا، وَأَتُوا فَأَخْبَرُوا أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ رَجَعُوا فِي الطَّرِيقِ الَّذِي أَقْبَلُوا مِنْهُ عَوْدَهُمْ عَلَى بَدَنِهِمْ، وَجَاءَ شَرِيكَ بْنِ الْأَعُورِ فِي جَيْشٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ حَتَّى نَزَلُوا بِمَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ فَلَقِيَهُ، فَتَسَاءَلَا سَاعَةً، ثُمَّ إِنَّ مَعْقِلًا قَالَ لَشَرِيكَ: أَنَا مُتَبِعٌ أَثَارَهُمْ حَتَّى أَلْحَقَهُمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَهْلِكَهُمْ، فَإِنِّي لَا أَمْنُ إِنْ قَصُرَتْ فِي طَلَبِهِمْ أَنْ يَكْثُرُوا فَنَقَامُ شَرِيكَ جَمْعَ رَجَالًا مِنْ وَجْهِهِ أَصْحَابَهُ، فِيهِمْ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ الطَّائِيُّ وَبَيْهَسُ بْنُ صَهْبِ الْجَرْمِيِّ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا هَؤُلَاءِ، هَلْ لَكُمْ فِي خَيْرٍ؟ هَلْ لَكُمْ فِي أَنْ تَسِيرُوا مَعَ إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فِي طَلَبِ هَذَا الْعَدُوِّ الَّذِي هُوَ عَدُوُّنَا وَلَهُمْ حَتَّى يَسْتَأْصِلَهُمْ

اللَّهُ ثُمَّ نَرْجِعُ؟ فَقَالَ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ وَبَيْهَسُ الْجَرْمِيُّ: لَا وَاللَّهِ، لَا نَفْعُ، إِنَّمَا أَقْبَلْنَا نَحْنُ لِنَنْفِيَهُمْ عَنْ أَرْضِنَا، وَنَمْنَعَهُمْ مِنْ دُخُولِهَا، فَإِنْ كَفَانَا اللَّهُ مَثَوْنَتَهُمْ فَإِنَّا مَنْصَرِفُونَ إِلَى مِصْرِنَا، وَفِي أَهْلِ الْكُوفَةِ مِنْ يَمْنَعُونَ بِلَادَهُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَكْلَبِ، فَقَالَ لَهُمْ: وَيَحْكُمُ! أَطِيعُونِي فِيهِمْ، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ سَوَاءٌ، لَكُمْ فِي قِتَالِهِمْ أَجْرٌ وَحِظَةٌ عِنْدَ السُّلْطَانِ، فَقَالَ لَهُ بَيْهَسُ الْجَرْمِيُّ: نَحْنُ وَاللَّهِ إِذَا قَالَ أَخُو بَنِي كَثَانَةَ:

كَمْرُضَةٍ أَوْلَادٍ أُخْرَى وَضِيْعَتِ ... بَنِيهَا فَلَمْ تَرْقِعْ بِذَلِكَ مَرْقَعًا

أَمَا بَلَّغْتُكَ أَنَّ الْأَكْرَادَ قَدْ كَفَرُوا بِجِبَالِ فَارَسٍ! قَالَ: قَدْ بَلَّغْتَنِي، قَالَ:

فَتَأْمُرْنَا أَنْ نَنْطَلِقَ مَعَكَ نَحْمِي بِلَادَ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَنُقَاتِلَ عَدُوَّهُمْ، وَنَتْرِكَ بِلَادَنَا، فَقَالَ لَهُ: وَمَا الْأَكْرَادُ! إِنَّمَا يَكْفِيهِمْ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ، فَقَالَ لَهُ: وَهَذَا الْعَدُوُّ الَّذِي تَدْبُنَا إِلَيْهِ إِنَّمَا يَكْفِيهِ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، إِنَّهُمْ لَعَمْرِي لَوْ اضْطَرُّوا إِلَى نَصْرَتِنَا لَكَانَ عَلَيْنَا نَصْرَتَهُمْ، وَلَكِنْهُمْ لَمْ يَحْتَاجُوا إِلَيْنَا بَعْدَ، وَفِي بِلَادِنَا فَتَقَ مِثْلَ الْفَتَقِ الَّذِي فِي بِلَادِهِمْ، فَلَغِنَا مَا قَبْلَهُمْ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَغْنِي مَا قَبْلَنَا، وَلَعَمْرِي لَوْ أَنَا أَطْعَمُكَ فِي اتِّبَاعِهِمْ فَاتَّبَعْتَهُمْ كُنْتُ قَدْ اجْتَرَأْتُ عَلَى أَمِيرِكَ، وَفَعَلْتُ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَطْلُعَ فِيهِ رَأْيَهُ، مَا كَانَ لِيَحْتَمِلَهَا لَكَ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: سِيرُوا فَارْتَحِلُوا، وَجَاءَ حَتَّى لَقِيَ مَعْقِلًا - وَكَانَا مُتَحَابِّينَ عَلَى رَأْيِ الشَّيْعَةِ مُتَوَادِينَ عَلَيْهِ - فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ جَهَدْتُ بَيْنَ مَعِي أَنْ يَتَّبِعُونِي حَتَّى أَسِيرَ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ فَغَلِبُونِي، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلُ:

جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ أَخٍ خَيْرًا! إِنَّا لَمْ نَحْتَاجْ إِلَى ذَلِكَ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي أَرْجُو أَنْ لَوْ قَدْ جَهَدُوا لَا يَفْلَتَ مِنْهُمْ مُخْبِرٌ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي الصَّقْعَبُ بْنُ زَهْرٍ، عَنْ أَبِي إِمَامَةَ عُبَيْدِ اللَّهِ

ابْنِ جُنَادَةَ، عَنْ شَرِيكَ بْنِ الْأَعُورِ، قَالَ: حَدَّثَنَا بِهَذَا الْحَدِيثِ شَرِيكَ ابْنُ الْأَعُورِ قَالَ: فَلَمَّا قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَوْ جَهَدُوا لَا يَفْلَتَ مِنْهُمْ مُخْبِرٌ، كَرِهَتْهَا وَاللَّهِ لَهُ، وَأَشْفَقْتُ عَلَيْهِ، وَحَسِبْتُ أَنْ يَكُونَ شَبَهُ كَلَامِ الْبَغِيِّ، قَالَ: وَإِيمَ اللَّهِ مَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَغِيِّ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي حَصِيرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَزْدِيِّ، قَالَ: لَمَّا أَتَانَا أَنَّ الْمُسْتَوْدِدَ بْنَ عُلْفَةَ وَأَصْحَابَهُ قَدْ رَجَعُوا عَنْ طَرِيقِهِمْ سَرَرْنَا بِذَلِكَ، وَقُلْنَا: نَتَّبِعُهُمْ وَنَسْتَقْبِلُهُمْ بِالْمَدَائِنِ، وَإِنْ دَنَوْا مِنَ الْكُوفَةِ كَانَ أَهْلُهَا لَهُمْ، وَدَعَا مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ أَبَا الرِّوَاغِ فَقَالَ لَهُ:

اتَّبِعْهُ فِي أَصْحَابِكَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَكَ حَتَّى تَحْبِسَهُ عَلَيَّ حَتَّى أَلْحَقَكَ، فَقَالَ لَهُ: زِدْنِي مِنْهُمْ فَإِنَّهُ أَقْوَى لِي عَلَيْهِمْ إِنْ هُمْ أَرَادُوا مُنَاجَزَتِي قَبْلَ قُدُومِكَ، فَإِنَّا كُنَّا قَدْ لَقِينَا مِنْهُمْ بَرَحًا، فَزَادَهُ ثَلَاثُمِائَةٍ، فَاتَّبَعَهُمْ فِي سَمَائِهِ، وَأَقْبَلُوا سَرَاعًا حَتَّى نَزَلُوا جَرَجَرِيَا، وَأَقْبَلَ أَبُو الرِّوَاغِ فِي إِثْرِهِمْ مَسْرَعًا حَتَّى لَحِقَهُمْ بِجَرَجَرِيَا، وَقَدْ نَزَلُوا، فَتَزَلَّ بِهِمْ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِذَا هُمْ بِأَبِي الرِّوَاغِ فِي الْمَقْدَمَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنْ قَاتَلَكُمُ هَؤُلَاءِ أَهْوَنُ مِنْ قِتَالِ مَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ.

قَالَ: فخرجوا إلينا، فأخذوا يخرجون لنا العشرة فرسان منهم والعشرين فارسا، فنخرج لهم مثلهم، فتطارد الخيلان ساعة ينتصف بعضنا من بعض، فلما رأوا ذلك اجتمعوا فشدوا علينا شدة واحدة صدقوا فيها الحملة.
قَالَ: فصرفونا حتى تركناهم العرصة ثم إن أبا الرواغ نادى فيهم، فَقَالَ: يَا فرسان السوء، يَا حماة السوء، بئس ما قاتلتم القوم! إليّ إليّ! فعالج نحوا من مائة فارس، فعطف عليهم، وهو يقول:

إن الفتى كل الفتى من لم يهل ... إذا الجبان حاد عن وقع الأسل.

قَدْ علمت أني إذا البأس نزل ... أروع يوم الهيج مقدم بطل

ثم عطف عليهم فقاتلهم طويلا، ثم عطف أصحابه من كل جانب، فصدقوهم القتال حتى ردوهم إلى مكانهم الذي كانوا فيه، فلما رأى ذلك المستورد وأصحابه ظنوا أن معقلا إن جاءهم على تفئه ذلك لم يكن دون قتله لهم شيء، فمضى هو وأصحابه حتى قطعوا دجلة، ووقعوا في أرض بهر سير، وقطع أبو الرواغ في آثارهم فاتبعهم، وجاء معقل بن قيس فاتبع إثر أبي الرواغ، فقطع في أثره دجلة، ومضى المستورد نحو المدينة العتيقة، وبلغ ذلك سماك بن عبيد، فخرج حتى عبر إليها، ثم خرج بأصحابه وبأهل المدائن، فصف على بابها، وأجلس رجالا رماة على السور، فبلغهم ذلك، فانصرفوا حتى نزلوا ساباط، وأقبل أبو الرواغ في طلب القوم حتى مر بسماك ابن عبيد بالمدائن، فخبره بوجههم الذي أخذوا فيه، فاتبعهم حتى نزل بهم ساباط.

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: حدثني عبد الرحمن بن جندب، عن عبد الله بن عتبة الغنوي، قَالَ: لما نزل بنا أبو الرواغ دعا المستورد أصحابه، فَقَالَ: إن هؤلاء الذين نزلوا بكم مع أبي الرواغ هم حر أصحاب معقل، ولا والله ما قدم إليكم إلا حماته وفرسانه، والله لو أعلم أني إذا بادرت أصحاب هؤلاء إليهم أدركته قبل أن يفارقوه بساعة لبادرتهم إليهم، فليخرج منكم خارج فيسأل عن معقل أين هو؟ وأين بلغ؟ قَالَ: فخرجت أنا فاستقبلت علوجا أقبلوا من المدائن، فقلت لهم: ما بلغكم عن معقل بن قيس؟ قَالُوا: جاء فيج لسماك بن عبيد من قبله كان سرحه ليستقبل معقلا فينظر أين انتهى؟

وَأَيْنَ يريد أن ينزل؟ فجاءه فَقَالَ: تركته نزل ديلبايا- وهي قرية من قرى

إستان بهر سير إلى جانب دجلة، كَانَتْ لقدماء بن العجلان الأزدي- قال: لَهُ: كم بيننا وبينهم من هذا المكان؟ قَالُوا: ثلاثة فراسخ، أو نحو ذلك.

قَالَ: فرجعت إلى صاحبي فأخبرته الخبر، فَقَالَ لأصحابه: اركبوا، فركبوا، فأقبل حتى انتهى بهم إلى جسر ساباط- وهو جسر نهر الملك، وهو من جانبه الذي يلي الكوفة- وأبو الرواغ وأصحابه مما يلي المدائن، قَالَ:

فجئنا حتى وقفنا على الجسر، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لنا: لتنزل طائفة منكم: قَالَ:

فنزل منا نحو من خمسين رجلا، فَقَالَ: اقطعوا هذا الجسر، فنزلنا فقطعناه، قَالَ:

فلما رأونا وقوفا على الخيل ظنوا أننا نريد أن نعبر إليهم، قَالَ: فصفوا لنا، وتعبوا، واشتغلوا بذلك عنا في قطعنا الجسر ثم إننا أخذنا من أهل ساباط دليلا فقلنا لَهُ: احضر بين أيدينا حتى ننهي إلى ديلبايا، فخرج بين أيدينا يسعي، وخرجنا تلعب بنا خيلنا، فكان الخلب والوجيف، فما كان إلا ساعة حتى أطللنا على معقل وأصحابه وهم يتحملون، فما هو إلا أن بصر بنا وقد تفرق أصحابه عنه، ومقدمته ليست عنده، وأصحابه قد استقدم طائفة منهم، وطائفة ترحل، وهم غارون لا يشعرون فلما رأنا نصب رايته، ونزل ونادى: يَا عباد الله، الأرض

الأرض! فنزل معه نحو من مائتي رجل، قَالَ: فأخذنا نحمل عليهم فيستقبلونا بأطراف الرماح جثاة على الركب فلا نقدر عليهم فَقَالَ لنا: المستورد: دعوا هؤلاء إذا نزلوا وشدوا على خيلهم حتى تحولوا بينها وبينهم، فإنكم إن أصبتم خيلهم فإنهم لكم عن ساعة جزر، قَالَ:

فشدنا على خيلهم، فحلنا بينهم وبينها، وقطعنا أعنتها، وقد كانوا قرنوها، فذهبت في كل جانب، قَالَ:

ثم ملنا على الناس المترحلين والمتقدمين، فحملنا عليهم حتى فرقنا

بينهم، ثم أقبلنا إلى معقل بن قيس وأصحابه جثاة على الركب على حالهم التي كانوا عليها، فحملنا عليهم، فلم يتحللوا، ثم حملنا عليهم أخرى، ففعلوا مثلها، فقال لنا المستورد: نازلوهم، لينزل إليهم نصفكم، فنزل نصفنا، وبقي نصفنا معه على الخيل، وكنت في أصحاب الخيل.

قال: فلما نزل إليهم رجالتنا قاتلتهم، وأخذنا نحمل عليهم بالخيال، وطمعنا والله فيهم قال: فوالله إنا لنقاتلهم ونحن نرى أن قد علوناهم إذ طلعت علينا مقدمة أصحاب أبي الرواغ، وهم حر أصحابه وفرسانهم، فلما دنوا منا حملوا علينا، فعند ذلك نزلنا بأجمعنا فقاتلناهم حتى أصيب صاحبنا وصاحبهم قال: فما علمته نجا منهم يومئذ أحد غيري قال: وإني أحدثهم رجلا فيما أرى.

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب، عن عبد الله بن عتبة الغنوي، قال: وحديثنا بهذا الحديث مرتين من الزمن، مرة في إمارة مصعب ابن الزبير بباجميرا، ومرة ونحن مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بدير الجماجم قال: فقتل والله يومئذ بدير الجماجم يوم الهزيمة، وإنه لمقبل عليهم يضاربهم بسيفه وأنا أراه، قال: فقلت له بدير الجماجم:

إنك قد حدثني بهذا الحديث بباجميرا مع مصعب بن الزبير، فلم أسألك كيف نجوت من بين أصحابك؟ قال: أحدثك، والله إن صاحبنا لما أصيب قتل أصحابه إلا خمسة نفر أو ستة، قال: فشددنا على جماعة من أصحابه نحو من عشرين رجلا، فانكشفوا.

قال: وانتهيت إلى فرس واقف عليه سرجه ولجامه، وما أدري ما قصة صاحبه أقتل أم نزل عنه صاحبه يقاتل وتركه! قال: فأقبلت حتى أخذت بلجامه، وأضع رجلي في الركاب وأستوي عليه قال: وشد والله أصحابه علي، فانتهوا إلي، وغمزت في جنب الفرس، فإذا هو والله أجود ما سخر، وركض منهم ناس في أثري فلم يعلقوا بي، فأقبلت

أركض الفرس، وذلك عند المساء، فلما علمت أنني قد فهمت وأمنت، أخذت أسير عليه خبيا وتقريبا ثم إني سرت عليه بذلك من سيره، ولقيت علجا فقلت له: اسع بين يدي حتى تخرجني الطريق الأعظم، طريق الكوفة، ففعل، فوالله ما كانت إلا ساعة حتى انتهيت إلى كوئي، فجئت حتى انتهيت إلى مكان من النهر واسع عريض، فأقمت الفرس فيه، فعبثته، ثم أقبلت عليه حتى أتى دير كعب، فنزلت ففعلت فرسي وأرحته وهومت تهوية، ثم أتى هببت سريعا، فخلت في ظهر الفرس، ثم سرت في قطع من الليل فاتخذت بقية الليل جملا، فصليت الغداة بالمزاحمية على رأس فرسخين من قبين، ثم أقبلت حتى أدخل الكوفة حين متع الضحى، فأتى من ساعتي شريك بن نملة المحاربي، فأخبرته خبري وخبر أصحابه، وسأله أن يلقي المغيرة بن شعبة فيأخذ لي منه أمانا، فقال لي: قد أصبت الأمان إن شاء الله، وقد جئت ببشارة، والله لقد بت الليلة وإن أمر الناس ليمني قال: فخرج شريك بن نملة المحاربي حتى أتى المغيرة مسرعا فاستأذن عليه، فأذن له، فقال: إن عندي بشري، ولي حاجة، فاقض حاجتي حتى أبشرك ببشارتي، فقال له: قضيت حاجتك، فهات بشراك، قال: تؤمن عبد الله بن عتبة الغنوي، فإنه كان مع القوم، قال: قد آمنت، والله لوددت أنك أتيتني بهم كلهم فآمنتهم قال: فأبشر، فإن القوم كلهم قد قتلوا، كان صاحبي مع القوم، ولم ينج منهم فيما حدثني غيره قال:

فما فعل معقل بن قيس؟ قال: أصلحك الله! ليس له بأصحابنا علم قال: فما فرغ من منطقه حتى قدم عليه أبو الرواغ ومسكين بن عامر بن أنيف مبشرين بالفتح، فأخبروا أن معقل بن قيس والمستورد بن علفة مشى كل واحد منهما إلى صاحبه، بيد المستورد الرمح وبيد معقل السيف، فالتقيا، فأشرع المستورد الرمح في صدر معقل حتى خرج السنان من ظهره، فضربه معقل بالسيف على رأسه حتى خالط السيف أم الدماغ، ففرا ميتين.

قال أبو مخنف: حدثني حصيرة بن عبد الله، عن أبيه، قال: لما رأينا المستورد بن علفة وقد نزلنا به سباطا أقبل إلى الجسر فقطعه، كما نظن أنه يريد أن يعبر إلينا قال: فارتفعنا عن مظلم سباطا إلى الصحراء التي بين المدائن وسباطا فتعبأنا وتهيأنا، فطال علينا أن نراهم يخرجون إلينا.

قَالَ: فَقَالَ أَبُو الرَوَاحِ: إِنْ هُوَ لَشَأْنًا، أَلَا رَجُلٌ يَعْلَمُ لَنَا عِلْمَ هَؤُلَاءِ؟

فَقُلْتُ: أَنَا وَوَهَيْبُ بْنُ أَبِي أَشْأَةَ الْأَزْدِيِّ: نَحْنُ نَعْلَمُ لَكَ عِلْمَ ذَلِكَ، وَنَأْتِيكَ بِخَبَرِهِمْ، فَقَرَّبْنَا عَلَى فَرَسَيْنَا إِلَى الْجِسْرِ فَوَجَدْنَاهُ مَقْطُوعًا، فَظَنْنَا الْقَوْمَ لَمْ يَقْطَعُوهُ إِلَّا هَيْبَةً لَنَا وَرَعْبًا مِنَّا، فَرَجَعْنَا نَرْكُضُ سَرَاعًا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى صَاحِبِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ بِمَا رَأَيْنَا، فَقَالَ: مَا ظَنُّكُمْ؟ قَالَ: فَقُلْنَا: لَمْ يَقْطَعُوا الْجِسْرَ إِلَّا لِهَيْبَتِنَا وَلَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الرَّعْبِ مِنَّا.

قَالَ: لِعَمْرِي مَا خَرَجَ الْقَوْمُ وَهُمْ يَرِيدُونَ الْفِرَارَ، وَلَكِنَّ الْقَوْمَ قَدْ كَادُوا، أَتَسْمَعُونَ! وَاللَّهِ مَا أَرَاهُمْ إِلَّا قَالُوا: إِنْ مَعْقِلًا لَمْ يَبْعَثْ إِلَيْكُمْ أَبَا الرَوَاحِ إِلَّا فِي حَرِّ أَصْحَابِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ فَاتْرَكُوا هَؤُلَاءِ بِمَكَانِهِمْ هَذَا، وَوَجِدُوا فِي السَّيْرِ نَحْوَ مَعْقِلِ وَأَصْحَابِهِ، فَإِنَّكُمْ تَجِدُونَهُمْ غَارِينَ آمِنِينَ إِنْ تَأْتَوْهُمْ، فَقَطِّعُوا الْجِسْرَ لِكَيْمَا يَشْغَلُوكُمْ بِهِ عَنْ لِحَاقِكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَأْتُوا أَمِيرَكُمْ عَلَى غَرِّهِ، النَّجَاءُ النَّجَاءُ فِي الطَّلَبِ! قَالَ: فَوَقَعَ فِي أَنْفُسِنَا أَنَّ الَّذِي قَالَ لَنَا كَمَا قَالَ قَالَ:

فَصَحْنَا بِأَهْلِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: خَفَاءُ وَسَرَاعًا: فَقُلْنَا لَهُمْ: عَجَلُوا عَقْدَ الْجِسْرِ، وَاسْتَحْثِّنَاهُمْ فَمَا لَبِثُوا أَنْ فَرَّغُوا مِنْهُ، ثُمَّ عَبَرْنَا عَلَيْهِ، فَاتَّبَعْنَاهُمْ سَرَاعًا مَا نَلَوِي عَلَى شَيْءٍ، فَلَزِمْنَا آثَارَهُمْ، فَوَاللَّهِ مَا زَلْنَا نَسْأَلُ عَنْهُمْ، فَيَقَالُ: هُمُ الْآنَ أَمَامَكُمْ، لِحَقْتُمُوهُمْ، مَا أَقْرَبَكُمْ مِنْهُمْ، فَوَاللَّهِ مَا زَلْنَا فِي طَلَبِهِمْ حِرْصًا عَلَى لِحَاقِهِمْ حَتَّى كَانَ أَوَّلُ مَنْ اسْتَقْبَلَنَا مِنَ النَّاسِ فَهُمْ وَهُمْ مَهْزَمُونَ لَا يَلَوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ فَاسْتَقْبَلَهُمْ أَبُو الرَوَاحِ، ثُمَّ صَاحَ بِالنَّاسِ: إِلَيَّ إِلَيَّ، فَأَقْبَلَ النَّاسَ إِلَيْهِ، فَلَاذُوا بِهِ، فَقَالَ: وَيْلَكُمْ! مَا وَرَاءَكُمْ؟ فَقَالُوا: لَا نَدْرِي، لَمْ يَرَعْنَا إِلَّا وَالْقَوْمَ مَعَنَا فِي عَسْكَرِنَا وَنَحْنُ مَتَفَرِّقُونَ، فَشَدُّوا عَلَيْنَا،

فَفَرَّقُوا بَيْنَنَا، قَالَ: فَمَا فَعَلَ الْأَمِيرُ؟ فَقَائِلُ يَقُولُ: نَزَلَ وَهُوَ يِقَاتِلُ، وَقَائِلُ يَقُولُ: مَا نَرَاهُ إِلَّا قَتَلَ، فَقَالَ لَهُمْ: أَيُّهَا النَّاسُ، ارْجِعُوا مَعِيَ، فَإِنْ نَدَرْتُكُمْ أَمِيرُنَا حَيًّا نَقَاتِلُ مَعَهُ، وَإِنْ نَجَدَهُ قَدْ هَلَكَ قَاتَلْنَاكُمْ، فَحَنُّ فَرَسَانِ أَهْلِ الْمَصْرِ الْمُنْتَحِبُونَ لِهَذَا الْعَدُوِّ، فَلَا يَفْسُدُنْ فِيكُمْ رَأْيُ أَمِيرِكُمْ بِالْمَصْرِ، وَلَا رَأْيُ أَهْلِ الْمَصْرِ، وَإِيمَ اللَّهِ لَا يَنْبَغِي لَكُمْ إِنْ عَايَنْتُمُوهُ وَقَدْ قَتَلُوا مَعْقِلًا أَنْ تَفَارِقُوهُمْ حَتَّى تَبْرُوهُمْ أَوْ تَبَارُوا، سِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ فَسَارُوا وَسَرْنَا، فَأَخَذَ لَا يَسْتَقْبِلُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا صَاحَ بِهِ وَرَدَهُ، وَنَادَى وَجْهَ أَصْحَابِهِ وَقَالَ:

اضْرِبُوا وَجْهَ النَّاسِ وَرُدُّوهُمْ قَالَ: فَأَقْبَلْنَا نَرُدُّ النَّاسَ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الْعَسْكَرِ، إِذَا نَحْنُ بِرَايَةِ مَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ مَنْصُوبَةٍ، إِذَا مَعَهُ مَائَتَا رَجُلٍ أَوْ أَكْثَرَ فَرَسَانِ النَّاسِ وَوُجُوهُهُمْ لَيْسَ فِيهِمْ إِلَّا رَاجِلٌ، وَإِذَا هُمْ يَقْتَتِلُونَ أَشَدَّ قِتَالٍ سَمِعَ النَّاسُ بِهِ، فَلَمَّا طَلَعْنَا عَلَيْهِمْ إِذَا نَحْنُ بِالْخَوَارِجِ قَدْ كَادُوا يَلْعَلُونَ أَصْحَابَنَا، وَإِذَا أَصْحَابُنَا عَلَى ذَلِكَ صَابِرُونَ يَجَادُونَهُمْ، فَلَمَّا رَأَوْا كُرُوا ثُمَّ شَدُّوا عَلَى الْخَوَارِجِ، فَارْتَفَعَتْ الْخَوَارِجُ عَنْهُمْ غَيْرَ بَعِيدٍ، وَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ، فَنَظَرَ أَبُو الرَوَاحِ إِلَى مَعْقِلٍ إِذَا هُوَ مُسْتَقْدِمٌ يَذْمُرُ أَصْحَابَهُ وَيَحْرِضُهُمْ، فَقَالَ لَهُ: أَحْيِ أَنْتَ فِدَاكَ عَمِي وَخَالِي! قَالَ: نَعَمْ، فَشَدَّ الْقَوْمَ، فَنَادَى أَبُو الرَوَاحِ أَصْحَابَهُ: أَلَا تَرَوْنَ أَمِيرَكُمْ حَيًّا! شَدُّوا عَلَى الْقَوْمِ، قَالَ: لِحَمَلٍ وَحَمَلْنَا عَلَى الْقَوْمِ بِأَجْمَعِنَا، قَالَ: فَصَدَّمْنَا خَيْلَهُمْ صَدْمَةً مُنْكَرَةً، وَشَدَّ عَلَيْهِمْ مَعْقِلٌ وَأَصْحَابُهُ، فَتَزَلَّ الْمُسْتَوْدُ، وَصَاحَ بِأَصْحَابِهِ: يَا مَعْشَرَ الشَّرَاةِ، الْأَرْضُ الْأَرْضُ، فَإِنَّهَا وَاللَّهِ الْجَنَّةُ! وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَمَنْ قَتَلَ صَادِقَ النِّيَّةِ فِي جِهَادِ هَؤُلَاءِ الظُّلْمَةِ وَجَلَّاهُمْ، فَتَنَازَلُوا مِنْ عِنْدَ آخِرِهِمْ، فَزَلْنَا مِنْ عِنْدَ آخِرِنَا، ثُمَّ مَضَيْنَا إِلَيْهِ مَنْصَلَتَيْنِ بِالسُّيُوفِ، فَاضْطَرَبْنَا بِهَا طَوِيلًا مِنَ النَّهَارِ كَأَشَدِّ قِتَالٍ اقْتَتَلَهُ النَّاسُ قَطُّ، غَيْرَ أَنَّ الْمُسْتَوْدَ نَادَى مَعْقِلًا

٥٠٧٠٢ ذَكَرَ وَلَايَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ خِرَاسَانِ

فَقَالَ: يَا مَعْقِلُ، ابْرُزْ لِي، نَخْرِجُ إِلَيْهِ مَعْقِلًا، فَقُلْنَا لَهُ: نَنْشُدُكَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَى هَذَا الْكَلْبِ الَّذِي قَدْ آيَسَهُ اللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ! قَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا يَدْعُونِي رَجُلٌ إِلَى مَبَارَزَةٍ أَبَدًا فَأَكُونُ أَنَا النَّاكَلُ، فَشِئْتُ إِلَيْهِ بِالسَّيْفِ، وَخَرَجَ الْآخَرُ إِلَيْهِ بِالرَّحِمِ، فَنَادَيْنَاهُ أَنْ أَلْقِهِ بِرَحِمِ مِثْلِ رَحِمِي، فَأَبَى، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الْمُسْتَوْدَ فَطَعَنَهُ حَتَّى خَرَجَ سَنَانُ الرَّحِمِ مِنْ ظَهْرِهِ، وَضَرَبَهُ مَعْقِلٌ بِالسَّيْفِ حَتَّى خَالَطَ سَيْفُهُ أَمَ الدِّمَاغِ، فَوَقَعَ مَيِّتًا، وَقَتْلُ مَعْقِلٍ، وَقَالَ لَنَا حِينَ بَرَزَ إِلَيْهِ:

إن هلك فأميركم عمرو بن محرز بن شهاب السعدي ثم المنقري: قَالَ: فلما هلك معقل أخذ الراية عمرو بن محرز، وَقَالَ عمرو: إن قتلت فعليكم أبو الرواغ، فإن قتل أبو الرواغ فأميركم مسكين بن عامر بن أنيف، وإنه يومئذ لفتى حدث، ثم شد برايته، وأمر الناس أن يشدوا عليهم، فما لبثوهم أن قتلوهم . ذكر ولاية عبد الله بن خازم خراسان

ومما كان في هذه السنة تولية عبد الله بن عامر عبد الله بن خازم بن ظبيان خراسان وانصراف قيس بن الهيثم عنه، وكان السبب في ذلك - فيما ذكر أبو مخنف عن مقاتل بن حيان - أن ابن عامر استبطأ قيس بن الهيثم بالخراج، فأراد أن يعزله، فقال له ابن خازم: ولني خراسان فأكفيكها وأكفيك قيس بن الهيثم فكتب له عهده أو هم بذلك، فبلغ قيسا أن ابن عامر وجد عليه لاستخفافه به، وإمساكه عن الهدية، وأنه قد ولي ابن خازم، نخاف ابن خازم أن يشاغبه ويحاسبه، فترك خراسان، وأقبل فازداد عليه ابن عامر غضبا، وقال: ضيعت الثغرا! فضربه وحبسه، وبعث رجلا من بني يشكر على خراسان.

قَالَ أبو مخنف: بعث ابن عامر أسلم بن زرعه الكلابي حين عزل قيس ابن الهيثم، قَالَ علي بن محمد: أَخْبَرَنَا أَبُو عبد الرحمن الثقفي، عن أشياخه، أن ابن عامر استعمل قيس بن الهيثم على خراسان أيام معاوية، فَقَالَ له ابن خازم: إنك وجهت إلى خراسان رجلا ضعيفا، وإني أخاف إن لقي حربا أن ينهزم بالناس، فتهلك خراسان، وتفتضح أخوالك.

قَالَ ابن عامر: فما الرأي؟ قَالَ: تكتب لي عهدا: إن هو انصرف عن عدوك قتت مقامه فكتب له، فجاشت جماعه من طخارستان، فشاور قيس ابن الهيثم فأشار عليه ابن خازم أن ينصرف حتى يجتمع إليه أطرافه، فانصرف، فلما سار من مكانه مرحلة أو مرحلتين أخرج ابن خازم عهده، وقام بأمر الناس، ولقي العدو فهزمهم، وبلغ الخبر المصريين والشام فغضب القيسية وقالوا: خدع قيسا وابن عامر، فأكثروا في ذلك حتى شكوا إلى معاوية، فبعث إليه فقدم، فاعتذر مما قيل فيه، فَقَالَ له معاوية: قم فاعتذر إلى الناس غدا، فرجع ابن خازم إلى أصحابه فَقَالَ: إني قد أمرت بالخطبة، ولست بصاحب كلام، فاجلسوا حول المنبر، فإذا تكلمت فصدقوني، فقام من الغد، حَمِدَ الله وَأَثْنَى عليه، ثُمَّ قَالَ: إنما يتكلف الخطبة إمام لا يجد منها بدا، أو أحق يهمر من رأسه لا يبالي ما خرج منه، ولست بواحد منهما، وَقَدْ علم من عرفني أنني بصير بالفرص، وثاب عليا، وقاف عند المهالك، أنفذ بالسرية، وأقسم بالسوية، أَشَدُّكُمْ بالله من كان يعرف ذلك مني لما صدقني! قَالَ أصحابه حول المنبر: صدقت، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إنك ممن نشدت فقل بما تعلم، قَالَ: صدقت.

قَالَ علي: أَخْبَرَنَا شيخ من بني تميم يقال له معمر، عن بعض أهل العلم أن قيس بن الهيثم قدم على ابن عامر من خراسان مراغما لابن خازم، قَالَ: فضربه ابن عامر مائة وحلقه وحبسه، قَالَ: فطلبت إليه أمه، فاخرجه

وجج بالناس في هذه السنة - فيما قيل - مروان بن الحكم، وكان على المدينة، وكان على مكة خالد بن العاص بن هشام، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة، وعلى قضائها شريح، وعلى البصرة وفارس وسجستان وخراسان عبد الله بن عامر، وعلى قضائها عمير بن يثربي

٥٠٨ سنه اربع واربعين

٥٠٨٠١ عزل عبد الله بن عامر عن البصرة

ثم دخلت
سنة أربع وأربعين

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث) فَمَا كَانَ فِيهَا من ذَلِكَ دخول المسلمين مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم ومشتاهم بِهَا، وغزو بسر بن أبي أرتاة البحر.

عزل عبد الله بن عامر عن البصرة

وفي هذه السنة عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة.

ذكر الخبر عن سبب عزله:

كَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ ابْنَ عَامِرٍ كَانَ رَجُلًا لِينًا كَرِيمًا، لَا يَأْخُذُ عَلَى أَيْدِي السُّفَهَاءِ، فَفَسَدَتِ الْبَصْرَةُ بِسَبَبِ ذَلِكَ أَيَّامَ عَمَلِهِ بِهَا لِمُعَاوِيَةَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا يَزِيدُ الْبَاهِلِيُّ، قَالَ: شَكَأَ ابْنُ عَامِرٍ إِلَى زِيَادِ فَسَادِ النَّاسِ وَظُهُورِ الْخُبَثِ، فَقَالَ: جَرَّدَ فِيهِمُ السَّيْفَ، فَقَالَ: إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُصْلِحَهُمْ بِفَسَادِ نَفْسِي.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: كَانَ ابْنُ عَامِرٍ لِينًا سَهْلًا، سَهْلُ الْوَلَايَةِ، لَا يَعَاقِبُ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْطَعُ لَصًا، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ:

أَنَا أَتَأَلَّفُ النَّاسَ، فَكَيْفَ أَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ قَدْ قَطَعْتَ أَبَاهُ وَأَخَاهُ! حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَسْلَمَةُ بْنُ مُحَارِبٍ، قَالَ: وَفَدَّ ابْنُ الْكُوَّاءِ، وَاسْمُ ابْنِ الْكُوَّاءِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَسَأَلَهُ عَنِ النَّاسِ، فَقَالَ ابْنُ الْكُوَّاءِ: أَمَّا أَهْلُ الْبَصْرَةِ فَقَدْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ سُفَهَاؤُهَا، وَعَامِلُهَا ضَعِيفٌ، فَلَبَّغَ ابْنُ عَامِرٍ قَوْلَ ابْنِ الْكُوَّاءِ، فَاسْتَعْمَلَ طِفِيلَ

ابْنِ عَوْفٍ الْيَشْكِرِيِّ عَلَى خُرَاسَانَ، وَكَانَ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ الْكُوَّاءِ مُتَبَاعِدًا، فَقَالَ ابْنُ الْكُوَّاءِ: إِنَّ ابْنَ دَجَاجَةَ لَقَلِيلُ الْعِلْمِ فِيَّ، أَظُنُّ أَنَّ وِلَايَةَ طِفِيلٍ خُرَاسَانَ تَسُوؤُنِي! لَوَدِدْتُ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ يَشْكِرِي إِلَّا عَادَانِي، وَأَنَّهُ وَلَا هُمْ فَعَزَلَ مُعَاوِيَةُ ابْنَ عَامِرٍ، وَبَعَثَ الْحَارِثَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيَّ قَالَ:

وَقَالَ الْقَحْطَمِيُّ: قَالَ ابْنُ عَامِرٍ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ عَدَاوَةً لَابْنِ الْكُوَّاءِ؟ قَالُوا:

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي شَيْخٍ، فَوَلَاهُ خُرَاسَانَ، فَقَالَ ابْنُ الْكُوَّاءِ مَا قَالَ.

وَذَكَرَ عَنْ عُمَرَ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ، عَنْ شَيْخٍ مِنْ ثَقِيفٍ وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَصْبَهَانِيِّ، أَنَّ ابْنَ عَامِرٍ أَوْفَدَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَفْدًا، فَوَافَقُوا عَنْدهُ وَفَدَّ أَهْلُ الْكُوفَةِ، وَفِيهِمْ ابْنُ الْكُوَّاءِ الْيَشْكِرِيُّ، فَسَأَلَهُمْ مُعَاوِيَةُ عَنِ الْعِرَاقِ وَعَنِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ خَاصَّةً، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْكُوَّاءِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ أَكْلَهُمْ سُفَهَاؤُهُمْ، وَضَعُفَ عَنْهُمْ سُلْطَانُهُمْ، وَعَجَزَ ابْنُ عَامِرٍ وَضَعْفُهُ.

فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: تَكَلَّمَ عَنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَهُمْ حُضُورًا! فَلَمَّا انْصَرَفَ الْوَفْدُ إِلَى الْبَصْرَةِ بَلَّغُوا ابْنَ عَامِرٍ ذَلِكَ، فَغَضِبَ، فَقَالَ: أَيُّ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَشَدُّ عَدَاوَةً لَابْنِ الْكُوَّاءِ! فَقِيلَ لَهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي شَيْخٍ الْيَشْكِرِيُّ، فَوَلَاهُ خُرَاسَانَ، وَبَلَّغَ ابْنُ الْكُوَّاءِ ذَلِكَ فَقَالَ مَا قَالَ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ، قَالَ: لَمَّا ضَعُفَ ابْنُ عَامِرٍ عَنْ عَمَلِهِ، وَانْتَشَرَ الْأَمْرُ بِالْبَصْرَةِ عَلَيْهِ، كَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ يُسْتَزِيرُهُ، قَالَ عُمَرُ: حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ، وَأَنَّهُ اسْتَخْلَفَ عَلَى الْبَصْرَةِ قَيْسَ ابْنَ الْهَيْثَمِ، فَقَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَزَدَهُ عَلَى عَمَلِهِ، فَلَمَّا وَدَّعَهُ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: إِنِّي سَأَلْتُكَ ثَلَاثًا، فَقُلْتَ: هُنَّ لَكَ قَالَ: هُنَّ لَكَ وَأَنَا ابْنُ أُمِّ حَكِيمٍ، قَالَ:

تُرَدُّ عَلَيَّ عَمَلِي وَلَا تَغْضَبُ، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، قَالَ: وَتَهَبُ لِي مَالَكَ بِعَرَفَةَ، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ قَالَ: وَتَهَبُ لِي دُورَكَ بِمَكَّةَ، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، قَالَ:

وَصَلَّتْكَ رَحِمُ! قَالَ: فَقَالَ ابْنُ عَامِرٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي سَأَلْتُكَ ثَلَاثًا فَقُلْتَ: هُنَّ لَكَ، قَالَ: هُنَّ لَكَ وَأَنَا ابْنُ هِنْدٍ، قَالَ: تُرَدُّ عَلَيَّ مَالِي

٥٠٨٠٢ استلحاق معاوية نسب زياد ابن سميه بابه

بِعَرَفَةٍ، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، قَالَ: وَلَا تُحَاسِبْ لِي عَامِلًا، وَلَا تَتَّبِعْ لِي أَثَرًا.
قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، قَالَ: وَتَتَكَبَّرُ ابْنَتُكَ هَذَا، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ.

قَالَ: وَيُقَالُ: إِنَّ مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهُ: اخْتَرْ بَيْنَ أَنْ اتَّبَعَ أَثَرُكَ وَأُحَاسِبَكَ بِمَا صَارَ إِلَيْكَ، وَأَرُدَّكَ إِلَى عَمَلِكَ، وَبَيْنَ أَنْ أُسَوِّغَكَ مَا أَصَبْتَ، وَتَعْتَزَلَ، فَاخْتَارَ أَنْ يَسُوِّغَهُ ذَلِكَ وَيَعْتَزَلَ

استلحاق معاوية نسب زياد ابن سميه بابه

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَلْحَقَ مُعَاوِيَةَ نَسَبَ زِيَادِ بْنِ سُمَيَّةَ بِأَبِيهِ أَبِي سُفْيَانَ فِيمَا قِيلَ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ، قَالَ: زَعَمُوا أَنَّ رَجُلًا مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ كَانَ مَعَ زِيَادٍ لَمَّا وَفَدَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَزِيَادٍ: إِنَّ لَابْنَ عَامِرٍ عِنْدِي يَدَّ، فَإِنْ أَذْنَتْ لِي أَيْتُهُ، قَالَ: عَلَى أَنْ تُحَدِّثَنِي مَا يَجْرِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، قَالَ:

نَعَمْ، فَأَذِنَ لَهُ فَأَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَامِرٍ: هَيْهَ هَيْهَ! وَابْنُ سُمَيَّةَ يَقْبَحُ أَثَارِي، وَيَعْرِضُ بِعَمَالِي! لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آتِيَ بِقَسَامَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَحْلِفُونَ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ لَمْ يَرِ سُمَيَّةَ، قَالَ: فَلَمَّا رَجَعَ سَأَلَهُ زِيَادٌ، فَأَبَى أَنْ يُخْبِرَهُ، فَلَمْ يَدْعُهُ حَتَّى أَخْبَرَهُ، فَأَخْبَرَ ذَلِكَ زِيَادٌ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِحَاجِيهِ:

إِذَا جَاءَ ابْنُ عَامِرٍ فَاضْرِبْ وَجْهَ دَابَّتِهِ عَنْ أَقْصَى الْأَبْوَابِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِ، فَأَتَى ابْنُ عَامِرٍ يَزِيدَ، فَشَكَا إِلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ: هَلْ ذَكَرْتَ زِيَادًا؟ قَالَ:

نَعَمْ، فَارْكَبْ مَعَهُ يَزِيدُ حَتَّى أَدْخُلَهُ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ قَامَ فَدَخَلَ، فَقَالَ يَزِيدُ لَابْنِ عَامِرٍ: اجْلِسْ فَكَمْ عَسَى أَنْ تَقْعُدَ فِي الْبَيْتِ عَنْ مَجْلِسِهِ! فَلَمَّا أَطَالَ خَرَجَ مُعَاوِيَةُ وَفِي يَدِهِ قَضِيبٌ يَضْرِبُ بِهِ الْأَبْوَابَ، وَيُمَثِّلُ:

٥٠٩ سنه خمس واربعين

٥٠٩٠١ ذكر الخبر عن ولایه زياد البصره

لَنَا سِيَاقٌ وَلَكُمْ سِيَاقٌ ... قَدْ عَلِمْتَ ذَلِكَ الرِّفَاقُ

ثُمَّ قَعِدَ فَقَالَ: يَا بَنَ عَامِرٍ، أَنْتَ الْقَائِلُ فِي زِيَادٍ مَا قُلْتَ! أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتَ الْعَرَبُ أَنِّي كُنْتُ أَعْرِضُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَزِدْنِي إِلَّا عَرًّا، وَأَنِّي لَمْ أَتَكْثَرْ بِزِيَادٍ مِنْ قِلَّةٍ، وَلَمْ أَتَعَزَّزْ بِهِ مِنْ ذِلَّةٍ، وَلَكِنْ عَرَفْتُ حَقًّا لَهُ فَوَضَعْتُهُ مَوْضِعَهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، تَرْجِعُ إِلَى مَا يُحِبُّ زِيَادٌ، قَالَ:

إِذَا تَرْجِعُ إِلَى مَا تُحِبُّ، نَخْرُجُ ابْنُ عَامِرٍ إِلَى زِيَادٍ فَتَرْضَاهُ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ صَالِحٍ، قَالَ:

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ هَاشِمٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ بَشِيرٍ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، أَنَّ زِيَادًا لَمَّا قَدِمَ الْكُوفَةَ، قَالَ: قَدْ جِئْتُكُمْ فِي أَمْرٍ مَا طَلَبْتَهُ إِلَّا إِلَيْكُمْ، قَالُوا: ادْعُنَا إِلَى مَا شِئْتَ، قَالَ: تُلْحِقُونَ نَسَبِي بِمُعَاوِيَةَ، قَالُوا: أَمَا بِشَهَادَةِ الزُّورِ فَلَا، فَأَتَى الْبَصْرَةَ، فَشَهِدَ لَهُ رَجُلٌ.

وَجَّحَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مُعَاوِيَةَ.

وَفِيهَا عَمَلُ مَرْوَانَ الْمُقْصُورَةَ، وَعَمَلُهَا- أَيْضًا فِيمَا ذَكَرَ- مُعَاوِيَةُ بِالشَّامِ.

وَكَانَتْ الْعُمَالُ فِي الْأَمْصَارِ فِيهَا الْعُمَالُ الَّذِينَ ذَكَرْنَا قَبْلَ أَنَّهُمْ كَانُوا الْعُمَالُ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ

سَنَةَ نَحْمَسٍ وَأَرْبَعِينَ

(ذَكَرُ الْأَحْدَاثِ الْمَذْكُورَةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا) فَمِنْ ذَلِكَ اسْتِعْمَالُ مُعَاوِيَةَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيِّ فِيهَا عَلَى الْبَصْرَةِ. فَحَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: عَزَلَ مُعَاوِيَةَ ابْنَ عَامِرٍ وَوَلَّى الْحَارِثَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيِّ الْبَصْرَةَ فِي أَوَّلِ سَنَةِ نَحْمَسٍ وَأَرْبَعِينَ، فَأَقَامَ بِالْبَصْرَةِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ عَزَلَهُ قَالَ: وَقَدْ قِيلَ: هُوَ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرٍو وَابْنُ عَبْدِ عَمْرٍو، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ عَزَلَ ابْنَ عَامِرٍ لِيُوَلِّي زِيَادًا، فَوَلَّى الْحَارِثَ كَالْفَرَسِ الْمُحَلَّلِ، فَوَلَّى الْحَارِثُ شُرَطَتَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنِ غِيلَانَ الثَّقَفِيِّ، ثُمَّ عَزَلَهُ مُعَاوِيَةُ وَوَلَاهَا زِيَادًا.

ذَكَرَ الْخَبَرُ عَنْ وَلَايَةِ زِيَادِ الْبَصْرَةِ

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ زِيَادًا لَمَّا قَدِمَ الْكُوفَةَ ظَنَّ الْمُغِيرَةَ أَنَّهُ قَدِمَ وَالِيًا عَلَى الْكُوفَةِ، فَأَقَامَ زِيَادٌ فِي دَارِ سَلْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ الْبَاهِلِيِّ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمُغِيرَةُ وَائِلُ بْنُ جَرِّ الْحَضْرَمِيِّ أَبَا هِنْدَةَ، وَقَالَ لَهُ: اْعْلَمْ لِي عَلَيْهِ فَاَتَاهُ فَلَمْ يَقْدِرْ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ يُرِيدُ الْمُغِيرَةَ، وَكَانَ زَاجِرًا، فَرَأَى غُرَابًا يَنْعِقُ، فَارْجَعَ إِلَى زِيَادٍ فَقَالَ: يَا أَبَا الْمُغِيرَةَ، هَذَا الْغُرَابُ يَرْحُكُكَ عَنِ الْكُوفَةِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمُغِيرَةَ، وَقَدِمَ رَسُولُ مُعَاوِيَةَ عَلَى زِيَادٍ مِنْ يَوْمِهِ: أَنَّ سِرَّ إِلَى الْبَصْرَةِ.

وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الْمُرُوزِيُّ فَحَدَّثَنِي، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ:

حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ إِسْحَاقَ - يَعْنِي ابْنَ يَحْيَى -

عَنْ مَعْبُدِ بْنِ خَالِدِ الْجَدَلِيِّ، قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا زِيَادٌ - الَّذِي يُقَالُ لَهُ ابْنُ أَبِي سُفْيَانَ - مِنْ عِنْدِ مُعَاوِيَةَ، فَتَزَلَّ دَارَ سَلْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ الْبَاهِلِيِّ يَنْتَظِرُ أَمْرَ مُعَاوِيَةَ.

قَالَ: فَلَبِغَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ - وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى الْكُوفَةِ - أَنَّ زِيَادًا يَنْتَظِرُ أَنْ تَجِيءَ إِمَارَتُهُ عَلَى الْكُوفَةِ، فَدَعَا قُطْنَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيَّ فَقَالَ: هَلْ فِيكَ مِنْ خَيْرٍ؟

تَكْفِينِي الْكُوفَةَ حَتَّى آتِيكَ مِنْ عِنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: مَا أَنَا بِصَاحِبِ ذَا، فَدَعَا عَتِيبَةَ بْنَ النَّهَّاسِ الْعِجْلِيَّ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ فَقَبِلَ، فَخَرَجَ الْمُغِيرَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ سَأَلَهُ أَنْ يَعَزِلَهُ، وَأَنْ يَقْطَعَ لَهُ مَنَازِلَ بِقَرْقِيسِيَا بَيْنَ ظَهْرِي قَيْسٍ، فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ مُعَاوِيَةَ خَافَ بَائِقَتَهُ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَتَرْجِعَنَّ إِلَى عَمَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَأَبَى عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزِدْهُ ذَلِكَ إِلَّا تِهْمَةً، فَدَرَّهَ إِلَى عَمَلِهِ، فَطَرَقْنَا لَيْلًا، وَإِنِّي لَفَوْقَ الْقَصْرِ أَحْرُسُهُ، فَلَمَّا قَرَعَ الْبَابَ أَتَكْرَنَاهُ، فَلَمَّا خَافَ أَنْ نُدْلِيَ عَلَيْهِ جِجْرًا تَسْمَى لَنَا، فَتَزَلْتُ إِلَيْهِ فَرَحَّبْتُ لَهُ وَسَلَّمْتُ، فَتَمَثَّلَ:

بِمَثْلِي فَافْزَعِي يَا أُمَّ عَمْرٍو ... إِذَا مَا هَاجَنِي السَّفَرُ النَّعُورُ

أَذْهَبَ إِلَى ابْنِ سُمَيَّةَ فَرَحَّلَهُ حَتَّى لَا يُصْبِحَ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ الْجِسْرِ نَخْرَجْنَا فَاتَيْنَا زِيَادًا، فَأَخْرَجَنَا حَتَّى طَرَحَنَا مِنْ وَرَاءِ الْجِسْرِ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ.

فَحَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَسْلَمَةُ وَالْهَدَلِيُّ وَغَيْرُهُمَا أَنَّ مُعَاوِيَةَ اسْتَعْمَلَ زِيَادًا عَلَى الْبَصْرَةِ وَخَرَّاسَانَ وَبِجِسْتَانَ، ثُمَّ جَمَعَ لَهُ الْهِنْدَ وَالْبَحْرَيْنِ وَعُمَانَ، وَقَدِمَ الْبَصْرَةَ فِي آخِرِ شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ - أَوْ غُرَّةِ جُمَادَى الْأُولَى - سَنَةَ نَحْمَسٍ، وَالْفِسْقُ بِالْبَصْرَةِ ظَاهِرٌ، فَاشْ، فَخَطَبَ خُطْبَةً بَرَاءً لَمْ يَمْدَحْ اللَّهَ فِيهَا، وَقِيلَ: بَلْ حَمَدَ اللَّهَ فَقَالَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِفْضَالِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَسَأَلَهُ الْمَزِيدُ مِنْ نِعَمِهِ، اللَّهُمَّ كَمَا رَزَقْتَنَا نِعْمًا، فَأَهْلَمْنَا شُكْرًا عَلَى نِعْمَتِكَ عَلَيْنَا.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْجَهْلَةَ الْجَهْلَاءَ، وَالضَّلَالَةَ الْعَمِيَاءَ، وَالْفُجَرَ الْمُوقِدَ لَأَهْلِ النَّارِ، الْبَاقِي عَلَيْهِمْ سَعِيرَهَا، مَا يَأْتِي سُفَهَاؤُكُمْ، وَيَشْتَمِلُ عَلَيْهِ

أمرني منكم أن يكون من صرعاي.

قال: فقام عبد الله بن الأَهم قال: أشهد أيها الأمير أنك قد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب، فقال: كذبت، ذاك نبي الله داود ع. قال الأحنف: قد قلت فأحسنيت أيها الأمير، والثناء بعد البلاء، والحمد بعد العطاء، وأنا لن نثني حتى نبتلي، فقال زياد: صدقت. فقام أبو بلال مرداس بن أدية يهمس وهو يقول: أنبا الله بغير ما قلت، قال الله عز وجل: «وإبراهيم الذي وفى. ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى»، فأوعدنا الله خيرا مما واعدت يا زياد، فقال زياد: إنا لا نجد إلى ما تريد أنت وأصحابك سبيلا حتى نخوض إليها الدماء.

حدثني عمر، قال: حدثنا خلاد بن يزيد، قال: سمعت من يخبر عن الشعبي، قال: ما سمعت متكلم قط تكلم فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفا أن يسيء إلا زيادا، فإنه كان كلما أكثر كان أجود كلاما.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، عن مسلبة، قال: استعمل زياد على شرطته عبد الله بن حصن، فأهل الناس حتى بلغ الخبر الكوفة، وعاد إليه ووصل الخبر إلى الكوفة، وكان يؤخر العشاء حتى يكون آخر من يصلي ثم يصلي، يأمر رجلا فيقرأ سورة البقرة ومثلها، يترتل القرآن، فإذا فرغ أهل بقدر ما يرى أن إنسانا يبلغ الخربة، ثم يأمر صاحب شرطته بالخروج، فيخرج ولا يرى إنسانا إلا قتله قال: فأخذ ليلة أعرابيا، فأتى به زيادا فقال: هل سمعت النداء؟ قال: لا والله، قدمت محلوبة لي، وغشيني الليل، فاضطرتها إلى موضع، فأقمت لأصبح، ولا علم لي بما كان من الأمير قال: أظنك والله صادقا، ولكن في قتلك صلاح هذه الأمة، ثم أمر به فضربت عنقه.

وكان زياد أول من شد أمر السلطان، وأكد الملك لمعاوية، وألزم الناس الطاعة، وتقدم في العقوبة، وجرّد السيف، وأخذ بالظنة، وعاقب على الشبهة، وخافه الناس في سلطانه خوفا شديدا، حتى أمن الناس بعضهم بعضا، حتى كان الشيء يسقط من الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه، وتبيت المرأة فلا تغلق عليها بابها، وساس الناس سياسة لم ير مثلها، وهابه الناس هيبة لم يهابوها أحدا قبله، وأدر العطاء، وبنى مدينة الرزق.

قال: وسمع زياد جرسا من دار عمير، فقال: ما هذا؟ فقيل:

مخترس قال: فليكيف عن هذا، أنا ضامن لما ذهب له، ما أصاب من إصطخر.

قال: وجعل زياد الشرط أربعة آلاف، عليهم عبد الله بن حصن، أحد بني عبيد بن ثعلبة صاحب مقبرة ابن حصن، والجعد بن قيس

النمري

صاحب طاق الجعد، وكنا جميعا على شرطه، فبينما زياد يوما يسير وهما بين يديه يسيران بحربتين، تنازعا بين يديه، فقال زياد: يا جعد، ألقى الحربة، فألقاها، وثبت ابن حصن على شرطه حتى مات زياد.

وقيل: انه ولى الجعد امر الفساد، وكان يتبعهم، وقيل لزياد: إن السبل مخوفة، فقال: لا أعاني شيئا سوى المصر حتى أغلب على المصر وأصلحه، فإن غلبني المصر فغيره أشد غلبة، فلما ضبط المصر تكلف ما سوى ذلك فأحكمه وكان يقول: لو ضاع جبل بيني وبين خراسان علمت من أخذه.

وكتب خمسمائة من مشيخة أهل البصرة في صحابته، فرزقهم ما بين الثلثمائة الى الخمسمائة، فقال فيه حارثة بن بدر الغداني: ألا من مبلغ عني زيادا ... فنعم أخو الخليفة والأمير!

فَأَنْتَ إِمَامٌ مَعْدِلَةٌ وَقَصِدٌ ... وَحَزَمَ حِينَ تَحْضُرُكَ الْأُمُورُ
أَخُوكَ خَلِيفَةُ اللَّهِ ابْنُ حَرْبٍ ... وَأَنْتَ وَزِيرُهُ، نَعَمْ الْوَزِيرُ!
تُصِيبُ عَلَى الْهَوَى مِنْهُ وَتَأْتِي ... مُحَبَّكَ مَا يَجْنُ لَنَا الضَّمِيرُ
بِأَمْرِ اللَّهِ مَنْصُورٌ مَعَانٌ ... إِذَا جَارَ الرَّعِيَّةَ لَا تَجُورُ
يُدْرِي عَلَى يَدَيْكَ لِمَا أَرَادُوا ... مِنَ الدُّنْيَا لَهُمْ حَلَبٌ غَزِيرُ
وَتَقْسِمُ بِالسَّوَاءِ فَلَا غَنَى ... لِضَمِيرٍ يَشْتَكِيكَ وَلَا فَتِيرُ
وَكُنْتَ حَيًّا وَجِئْتَ عَلَى زَمَانٍ ... خَبِيثٍ، ظَاهِرٍ فِيهِ شُرُورُ
تَقَاسَمَتِ الرِّجَالُ بِهِ هَوَاهَا ... فَمَا تُخْفِي ضَغَائِهَا الصَّدُورُ
وَخَافَ الْحَاضِرُونَ وَكُلُّ بَادٍ ... يُقِيمُ عَلَى الْمَخَافَةِ أَوْ يَسِيرُ
فَلَمَّا قَامَ سَيْفُ اللَّهِ فِيهِمْ ... زِيَادٌ قَامَ أَبْلَجُ مُسْتَنِيرُ
قَوِيٌّ لَا مِنَ الْحَدَثَانِ غَرٌّ ... وَلَا جَزَعٌ وَلَا فَنٌ كَبِيرُ

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: استعان زياد بعدة من أصحاب النبي ص، منهم عمران بن الحصين الخزاعي ولأه قضاة البصرة، والحكم بن عمرو الغفاري ولأه خراسان، وسمرة ابن جندب، وأنس بن مالك، وعبد الرحمن بن سمرة، فاستعفاه عمران فأعفاه واستقضى عبد الله بن فضالة الليثي، ثم أخاه عاصم بن فضالة، ثم زرارة بن أوفى الحرشي، وكانت أخته لبابة عند زياد. وقيل: إن زيادا أول من سير بين يديه بالحرايب، ومشي بين يديه بالعمد، واتخذ الحرس رابطته خمسمائة، واستعمل عليهم شيبان صاحب مقبرة شيبان، من بني سعد، فكانوا لا يرحون المسجد حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: جعل زياد خراسان أرباعا، واستعمل على مرو أمير بن أحمير اليشكري، وعلى أبرشهر خلد بن عبد الله الحنفي، وعلى مرو الروذ والفارياب والطالقان قيس بن الهيثم، وعلى هراة وباز غيس وقادس وبوشنج نافع بن خالد الطاحي.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: حدثنا مسلمة بن محارب وابن أبي عمرو، شيخ من الأزدي، أن زيادا عتب على نافع بن خالد الطاحي، فحبسه، وكتب عليه كتابا بمائة ألف، وقال بعضهم: ثمانمائة ألف، وكان سبب موحدته عليه أنه بعث بخوان بازهر قوائمه منه، فأخذ نافع قائمته، وجعل مكانها قائمته من ذهب، وبعث بالخوان إلى زياد مع غلام له يقال له زيد، كان قيمه على أمره كله، فسعى زيد بنافع، وقال لزياد:

إِنَّهُ قَدْ خَانَكَ، وَأَخَذَ قَائِمَةً مِنْ قَوَائِمِ الْخَوَانِ، وَجَعَلَ مَكَانَهَا قَائِمَةً مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: فَشَى رَجُلًا مِنْ وَجْهِ الْأَزْدِ إِلَى زِيَادٍ، فِيهِمْ سَيْفُ بَنٍ وَهَبٍ الْمُعَوِي، وَكَانَ شَرِيفًا، وَلَهُ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

اعْمِدْ بِسَيْفٍ لِلْسَّمَاحَةِ وَالنَّدَى ... وَاعْمِدْ بِصَبْرَةٍ لِلْفِعَالِ الْأَعْظَمِ
قَالَ: فَدَخَلُوا عَلَى زِيَادٍ وَهُوَ يَسْتَاكُ، فَتَمَثَّلَ زِيَادٌ حِينَ رَأَاهُمْ:

أَذْكُرُ بِنَا مَوْقِفَ أَفْرَاسِنَا ... بِالْخَنُو إِذْ أَنْتَ إِلَيْنَا فَتِيرُ

قَالَ: وَأَمَّا الْأَزْدُ فَيَقُولُونَ: بَلْ تَمَثَّلَ سَيْفُ بَنٍ وَهَبٍ أَبُو طَلْحَةَ الْمُعَوِي بِهَذَا الْبَيْتِ حِينَ دَخَلَ عَلَى زِيَادٍ، فَقَالَ: نَعَمْ قَالَ: وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ أَيَّامُ

أَجَارَهُ صَبْرُهُ، فَدَعَا زِيَادُ بِالْكِتَابِ فَحَاحَهُ بِسَوَاكِهِ وَأَخْرَجَ نَافِعًا.

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي، عن مسلمة، أن زيادا عزل نافع بن خالد الطاحي وخليد بن عبد الله الحنفي وأمير بن أحمر اليشكري، فاستعمل الحكم بن عمرو بن مجدع بن حديم بن الحارث بن نعيمة بن مليك - ونعيمة أخو غفار بن مليك - ولكنهم قليل، فصاروا إلى غفار.

قَالَ مُسْلِمَةُ: أَمَرَ زِيَادُ حَاجِبَهُ فَقَالَ: ادْعَ لِي الْحَكَمَ - وَهُوَ يَرِيدُ الْحَكَمَ ابْنَ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ - فَخَرَجَ الْحَاجِبُ فَرَأَى الْحَكَمَ بِنَ عَمْرِو الْغِفَارِيِّ فَأَدْخَلَهُ، فَقَالَ: زِيَادُ: رَجُلٌ لَهُ شَرَفٌ وَلَهُ صَحْبَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَعَقَدَ لَهُ عَلَى خُرَاسَانَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا أَرَدْتُكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرَادَكَ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثَّقَفِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ زِيَادًا لَمَّا وَلِيَ الْعِرَاقَ اسْتَعْمَلَ الْحَكَمَ بِنَ عَمْرِو الْغِفَارِيِّ عَلَى خُرَاسَانَ، وَجَعَلَ مَعَهُ رَجُلًا عَلَى كُورٍ، وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، فَكَانُوا عَلَى جَبَايَةِ الْخِرَاجِ، وَهُمْ أَسْلَمُ بْنُ زُرْعَةَ، وَخَلِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَنْفِيُّ، وَنَافِعُ بْنُ خَالِدِ الطَّاحِي، وَرَبِيعَةُ بْنُ عَسَلِ الْيَرْبُوعِيِّ، وَأَمِيرُ بْنُ أَحْمَرَ الْيَشْكِرِيِّ، وَحَاتِمُ بْنُ النُّعْمَانِ الْبَاهِلِيِّ، فَتَاتَ الْحَكَمَ بِنَ عَمْرِو، وَكَانَ قَدْ غَزَا طَخَارِسْتَانَ، فَغَنِمَ غَنَائِمَ كَثِيرَةً، وَاسْتَخْلَفَ أُنْسُ بْنُ أَبِي أَنَاسٍ بِنَ زَيْنَمٍ، وَكَانَ كَتَبَ إِلَى زِيَادٍ: أَنِّي قَدْ رَضِيْتَهُ لِلَّهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ وَلَكَ، فَقَالَ زِيَادُ: اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَرْضَاهُ لَدِينِكَ وَلَا لِلْمُسْلِمِينَ وَلَا لِي وَكَتَبَ زِيَادُ إِلَى خَلِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْهَنْفِيِّ بُولَايَةَ خُرَاسَانَ، ثُمَّ بَعَثَ الرَّبِيعَ بِنَ زِيَادِ الْحَارِثِيِّ إِلَى خُرَاسَانَ فِي خَمْسِينَ أَلْفًا، مِنَ الْبَصْرَةِ خَمْسَةَ وَعَشْرِينَ أَلْفًا، وَمِنَ الْكُوفَةِ خَمْسَةَ وَعَشْرِينَ أَلْفًا، عَلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ الرَّبِيعَ، وَعَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ أَبِي عَقِيلٍ، وَعَلَى الْجَمَاعَةِ الرَّبِيعَ بِنَ زِيَادٍ.

وَقِيلَ: جِئَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَرْوَانَ بِنَ الْحَكَمِ وَهُوَ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَتِ الْوَلَاةُ وَالْعَمَالُ عَلَى الْأَمْصَارِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنْ تَقْدِمِ ذِكْرِهِ قَبْلَ، الْمَغِيرَةَ ابْنَ شُعْبَةَ عَلَى الْكُوفَةِ، وَشَرِيحَ عَلَى الْقَضَاءِ بِهَا، وَزِيَادَ عَلَى الْبَصْرَةِ، وَالْعَمَالُ مِنْ قَدْ سَمِيَتْ قَبْلَ. وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ مَشَتْى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بِأَرْضِ الرُّومِ

٥٠١٠ سنة ست وأربعين

٥٠١٠٠١ خبر انصراف عبد الرحمن بن خالد إلى حمص وهلاكه

ثم دخلت

سنة ست وأربعين

(ذَكَرَ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَحْدَاثِ) فَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ مَشَتْى مَالِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِأَرْضِ الرُّومِ، وَقِيلَ:

بَلْ كَانَ ذَلِكَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بِنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَقِيلَ بَلْ كَانَ مَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ السَّكُونِي.

خبر انصراف عبد الرحمن بن خالد إلى حمص وهلاكه

وَفِيهَا انْصَرَفَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بِنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ إِلَى حَمَصَ، فَدَسَ ابْنُ أَثَالِ النَّصْرَانِي إِلَيْهِ شَرْبَةَ مَسْمُومَةٍ - فِيمَا قِيلَ - فَشَرِبَهَا فَقَتَلَتْهُ.

ذكر الخبر عن سبب هلاكه:

وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ مَحَارِبٍ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بِنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ كَانَ قَدْ عَظُمَ شَأْنُهُ بِالشَّامِ، وَمَالَ إِلَيْهِ أَهْلُهَا، لَمَّا كَانَ عَنْدهُمْ مِنْ آثَارِ أَبِيهِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَلَغْنَائِهِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَرْضِ الرُّومِ وَأَسْهَ، حَتَّى خَافَهُ مُعَاوِيَةُ، وَخَشِيَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُ، لَمِيلِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَأَمَرَ ابْنُ أَثَالِ أَنْ يَحْتَالَ فِي قَتْلِهِ، وَضَمِنَ لَهُ إِنْ هُوَ فَعَلَ ذَلِكَ أَنْ يَضَعَ عَنْهُ خِرَاجَهُ مَا عَاشَ، وَأَنْ يُولِيَهُ جَبَايَةَ خِرَاجِ حَمَصَ، فَلَمَّا قَدِمَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بِنَ خَالِدِ حَمَصَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ دَسَ إِلَيْهِ ابْنُ أَثَالِ شَرْبَةَ مَسْمُومَةٍ مَعَ بَعْضِ مَمَالِكِهِ، فَشَرِبَهَا فَتَاتَ بِحَمَصَ، فَوَفَى لَهُ مُعَاوِيَةُ بِمَا ضَمِنَ لَهُ، وَوَلَاهُ خِرَاجَ حَمَصَ، وَوَضَعَ عَنْهُ خِرَاجَهُ.

قَالَ: وَقَدْ خَالَدَ بَنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ الْمَدِينَةَ، فَجَلَسَ يَوْمًا إِلَى عُرْوَةَ بِنِ الزُّبَيْرِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ: مَا فَعَلَ ابْنُ أَثَالٍ؟ فَقَامَ خَالِدٌ مِنْ عِنْدِهِ، وَشَخَصَ مَتَوَجِّهًا إِلَى حِمَصٍ، ثُمَّ رَصَدَ بِهَا

٥٠١٠٢ ذكر خروج سهم والخطيم

ابن أَثَالٍ، فَرَأَاهُ يَوْمًا رَاكِبًا، فَاعْتَرَضَ لَهُ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ، فَقَتَلَهُ، فَرَفَعَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَخَبَسَهُ أَيَّامًا، وَأَغْرَمَهُ دَيْتَهُ، وَلَمْ يَقْدِرْ مِنْهُ وَرَجَعَ خَالِدٌ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهَا أَتَى عُرْوَةَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ: مَا فَعَلَ ابْنُ أَثَالٍ؟ فَقَالَ: قَدْ كَفَيْتُكَ ابْنَ أَثَالٍ، وَلَكِنْ مَا فَعَلَ ابْنُ جَرْمُوزٍ؟ فَسَكَتَ عُرْوَةُ وَقَالَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حِينَ ضَرَبَ ابْنَ أَثَالٍ: أَنَا ابْنُ سَيْفِ اللَّهِ فَاعْرِفُونِي ... لَمْ يَبْقِ إِلَّا حَسْبِي وَدِينِي وَصَارُمُ صَلِّ بِهِ يَمِينِي .
ذكر خروج سهم والخطيم

وَفِيهَا خَرَجَ الْخَطِيمُ وَسَهْمُ بْنُ غَالِبِ الْمُهْجِمِيِّ، فَحُكِمَا، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمَا مَا حَدَّثَنِي بِهِ عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، قَالَ: لَمَّا وَلِيَ زِيَادُ خَافَهُ سَهْمُ بْنُ غَالِبِ الْمُهْجِمِيِّ وَالْخَطِيمُ - وَهُوَ يَزِيدُ بْنُ مَالِكِ الْبَاهِلِيِّ - فَأَمَّا سَهْمٌ فَخَرَجَ إِلَى الْأَهْوَازِ فَأُحْدِثَ وَحُكِمَ، ثُمَّ رَجَعَ فَاخْتَفَى وَطَلَبَ الْأَمَانَ، فَلَمْ يُؤْمِنْهُ زِيَادُ، وَطَلَبَهُ حَتَّى أَخَذَهُ وَقَتْلَهُ وَصَلَبَهُ عَلَى بَابِهِ وَأَمَّا الْخَطِيمُ فَإِنْ زِيَادًا سِيرَهُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُ فَقَدِمَ، فَقَالَ لَهُ: الزَّمْ مِصْرَكَ، وَقَالَ لِمُسْلِمِ بْنِ عَمْرٍو: اضْمَنْهُ، فَأَبَى وَقَالَ: إِنْ بَاتَ عَنْ بَيْتِهِ أَعْلَمْتُكَ ثُمَّ أَتَاهُ مُسْلِمٌ فَقَالَ: لَمْ يَبْتَ الْخَطِيمُ اللَّيْلَةَ فِي بَيْتِهِ، فَأَمَرَ بِهِ فَقَتَلَ، وَأَلْقَى فِي بَاهِلَةٍ.

وَجِجَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَتَبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَكَانَ الْعَمَالُ وَالْوَلَاةُ فِيهَا الْعَمَالُ وَالْوَلَاةُ فِي السَّنَةِ الَّتِي قَبْلَهَا

٥٠١١ سنه سبع وأربعين

٥٠١١.١ ذكر عزل عبد الله بن عمرو عن مصر وولايه ابن حديج

٥٠١١.٢ ذكر غزو الغور

ثُمَّ دَخَلَتْ

سنة سبع وأربعين

(ذَكَرَ الْأَحْدَاثَ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا) فَفِيهَا كَانَ مِشْقَى مَالِكِ بْنِ هُبَيْرَةَ بِأَرْضِ الرُّومِ، وَمِشْقَى أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَيْنِي بِأَنْطَاكِيَّةِ.

ذَكَرَ عَزَلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ مِصْرَ وَوَلَايَةِ ابْنِ حَدِيحٍ

وَفِيهَا عَزَلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بَنَ الْعَاصِ عَنْ مِصْرَ، وَوَلِيَهَا مُعَاوِيَةُ بْنُ حَدِيحٍ، وَسَارَ - فِيمَا ذَكَرَ الْوَأَقِدِيُّ - فِي الْمَغْرِبِ، وَكَانَ عِثْمَانِيَا. قَالَ: وَمَرَّ بِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَقَدْ جَاءَ مِنَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، فَقَالَ لَهُ:

يَا مُعَاوِيَةَ، قَدْ لَعِمْرِي أَخَذْتَ مِنْ مُعَاوِيَةَ جِزَاءً، قَتَلْتَ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ لِأَنَّهُ تَلَى مِصْرَ، فَقَدْ وَلِيَتْهَا قَالَ: مَا قَتَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا بِمَا صَنَعَ بِعِثْمَانَ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَلَوْ كُنْتُ إِنَّمَا تَطْلُبُ بَدْمَ عُثْمَانَ لَمْ تُشْرِكْ مُعَاوِيَةَ فِيمَا صَنَعَ حَيْثُ صَنَعَ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ بِالْأَشْعَرِيِّ مَا صَنَعَ، فَوُثِّبَتْ أُولُ النَّاسِ فَبَايَعْتَهُ

. ذَكَرَ غَزَا الْغُورِ

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ السَّيْرِ: فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَجَّهَ زِيَادُ الْحَكَمِ بْنِ عَمْرِو الْغَفَارِيِّ إِلَى خُرَّاسَانَ أَمِيرًا، فَغَزَا جِبَالَ الْغُورِ وَفَرَاوَنْدَهُ، فَتَمَهَّرَهُمْ بِالسَّيْفِ عَنُودَ فَفَتَحَهَا، وَأَصَابَ فِيهَا مَغَانِمَ كَثِيرَةً وَسِبَايَا، وَسَأَذَكَرُ مِنْ خَالَفَ هَذَا الْقَوْلَ بَعْدَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَذَكَرَ قَائِلُ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّ الْحَكَمَ بْنَ عَمْرِو قُتِلَ مِنْ غَزْوَتِهِ هَذِهِ، فَمَاتَ بِمَرُوءٍ.

وَاخْتَلَفُوا فِيمَنْ جَاءَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، فَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: أَقَامَ الْحَجَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَتَبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَقَالَ غَيْرُهُ: بَلِ الَّذِي جَاءَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَنَبَسَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ. وَكَانَتِ الْوَلَاةُ وَالْعَمَالُ عَلَى الْأُمَصَارِ الَّذِينَ ذَكَرْتُ أَنَّهُمْ كَانُوا الْعَمَالُ وَالْوَلَاةُ فِي السَّنَةِ الَّتِي قَبْلَهَا

٥٠١٢ سنه ثمان واربعين

ثُمَّ دَخَلَتْ

سنة ثمان وأربعين

(ذَكَرَ الْأَحْدَاثُ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا) وَكَانَ فِيهَا مَشَتْهُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَيْنِي أَنْطَاكِيَّةً، وَصَائِفَةُ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ قَيْسِ الْفَزَارِيِّ وَغَزْوَةُ مَالِكِ بْنِ هُبَيْرَةَ السَّكُونِي الْبَحْرِي، وَغَزْوَةُ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرِ الْجَهْنِيِّ بِأَهْلِ مِصْرَ الْبَحْرِ، وَبِأَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَعَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْمُنْذَرِ بْنِ الزَّهِيرِ، وَعَلَى جَمِيعِهِمْ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فِيهَا وَجَّهَ زِيَادُ غَالِبِ بْنِ فَضَالَةَ اللَّيْثِيِّ عَلَى خُرَّاسَانَ، وَكَانَتْ لَهُ صَحْبَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص. وَجَّهَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ فِي قَوْلِ عَامَةِ أَهْلِ السَّيْرِ، وَهُوَ يَتَوَقَّعُ الْعِزْلَ لِمَوْجِدَةٍ كَانَتْ مِنْ مُعَاوِيَةَ عَلَيْهِ، وَارْتِجَاعَهُ مِنْهُ فَدَكَ، وَقَدْ كَانَ وَهَبًا لَهُ.

وَكَانَتِ الْوَلَاةُ الْأُمَصَارُ وَعَمَالُهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ الَّذِينَ كَانُوا فِي السَّنَةِ الَّتِي قَبْلَهَا

٥٠١٣ سنه تسع واربعين

ثُمَّ دَخَلَتْ

سنة تسع وأربعين

(ذَكَرَ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَحْدَاثِ) فَكَانَ فِيهَا مَشَتْهُ مَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ السَّكُونِي بِأَرْضِ الرُّومِ.

وَفِيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدِ جَرَبَةَ، وَشَتَا بِجَرَبَةَ، وَفَتَحَتْ عَلَى يَدَيْهِ، وَأَصَابَ فِيهَا سَبِيًّا كَثِيرًا. وَفِيهَا كَانَتْ صَائِفَةُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ كُرْزِ الْبَجَلِيِّ.

وَفِيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ يَزِيدِ بْنِ شَجَرَةَ الرَّهَاقِيِّ فِي الْبَحْرِ، فَشَتَا بِأَهْلِ الشَّامِ.

وَفِيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ عَقْبَةَ بْنِ نَافِعِ الْبَحْرِ، فَشَتَا بِأَهْلِ مِصْرَ.

وَفِيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ يَزِيدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الرُّومِ حَتَّى بَلَغَ قُسْطَنْطِينِيَّةً، وَمَعَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ عَمْرِو بْنِ الزُّبَيْرِ وَأَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ.

وَفِيهَا عِزْلُ مُعَاوِيَةَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ عَنِ الْمَدِينَةِ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ.

وَأَمْرُ فِيهَا سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ، وَقِيلَ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ.

وَكَانَتِ الْوَلَاةُ مَرْوَانَ كُلِّهَا بِالْمَدِينَةِ لِمُعَاوِيَةَ ثَمَانِ سِنِينَ وَشَهْرَيْنِ.

وَكَانَ عَلَى قِضَاءِ الْمَدِينَةِ لِمَرْوَانَ - فِيمَا زَعَمَ الْوَاقِدِيُّ - حِينَ عِزْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ، فَلَمَّا وَلِيَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ عِزْلَهُ عَنِ الْقِضَاءِ، وَاسْتَقْضَى أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ.

وقيل: في هذه السنة وقع الطاعون بالكوفة، فهرب المغيرة بن شعبة من الطاعون، فلما ارتفع الطاعون قيل له: لو رجعت إلى الكوفة! فقدمها فطعن فمات، وقد قيل: مات المغيرة سنة خمسين، وضم معاوية الكوفة إلى زياد، فكان أول من جمع له الكوفة والبصرة وجمع بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص وكانت الولاة والعمال في هذه السنة الذين كانوا في السنة التي قبلها، إلا عامل الكوفة فإن في تاريخ هلاك المغيرة اختلافا، فقال: بعض أهل السير: كان هلاكه في سنة تسع وأربعين، وقال بعضهم: في سنة خمسين

٥١٤ سنة خمسين

٥١٤٠١ ذكر وفاه المغيرة بن شعبة وولايه زياد الكوفه

ثم دخلت

سنة خمسين

(ذكر ما كان فيها من الأحداث) ففيها كانت غزوة بسر بن أبي أرطاة وسفيان بن عوف الأزدي أرض الروم.

وقيل: كانت فيها غزوة فضالة بن عبيد الأنصاري البحر.

ذكر وفاه المغيرة بن شعبة وولايه زياد الكوفه

وفيهما في قول الواقدي والمدائني - كانت وفاة المغيرة بن شعبة قال محمد بن عمر: حدثني محمد بن أبي موسى الثقفي، عن أبيه، قال: كان المغيرة بن شعبة رجلا طويلا، مصاب العين، أصيب باليرموك، توفي في شعبان سنة خمسين وهو ابن سبعين سنة.

وأما عوانة فإنه قال - فيما حدثت عن هشام بن محمد، عنه:

هلك المغيرة سنة إحدى وخمسين.

وقال بعضهم: بل هلك سنة تسع وأربعين.

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني علي بن محمد، قال: كان زياد على البصرة وأعمالها إلى سنة خمسين، فمات المغيرة بن شعبة بالكوفة وهو أميرها، فكتب معاوية إلى زياد بعده على الكوفة والبصرة، فكان أول من جمع له الكوفة والبصرة، فاستخلف على البصرة سمرة بن جندب، وشخص إلى الكوفة، فكان زياد يقيم ستة أشهر بالكوفة، وستة أشهر بالبصرة.

حدثني عمر، قال: حدثني علي، عن مسلمة بن محارب، قال: لما مات المغيرة جمعت العراق لزياد، فأتى الكوفة فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن هذا الأمر أتانى وأنا بالبصرة، فأردت أن أشخص

إليكم في ألفين من شرطة البصرة، ثم ذكرت أنكم أهل حق، وأن حقكم طالما دفع الباطل، فأيتتكم في أهل بيتي، فالحمد لله الذي رفع مني ما وضع الناس، وحفظ مني ما ضيعوا حتى فرغ من الخطبة، فحصب على المنبر، فجلس حتى أمسكوا، ثم دعا قوما من خاصته، وأمرهم، فأخذوا أبواب المسجد، ثم قال: ليأخذ كل رجل منكم جليسه، ولا يقولن:

لا أدري من جليسي؟ ثم أمر بكرسي فوضع له على باب المسجد، فدعاهم أربعة أربعة يحلفون بالله ما منا من حصبك، فمن حلف خلاه، ومن لم يحلف حبسه وعزله، حتى صار إلى ثلاثين، ويقال: بل كانوا ثمانين، فقطع أيديهم على المكان.

قال الشعبي: فوالله ما تعلقنا عليه بكذبة، وما وعدنا خيرا ولا شرا إلا أنفذه.

حدثني عمر قال: حدثنا علي، عن سلمة بن عثمان، قال: بلغني عن الشعبي أنه قال: أول رجل قتل زياد بالكوفة أوفى بن حصن، بلغه عنه شيء فطلبه فهرب، فعرض الناس زياد، فرببه، فقال: من هذا؟ قالوا:

أوفى بن حصن الطائي، فقال زياد: أئتتك بجائن رجلاه، فقال أوفى:

إن زيادا أبا المغيرة لا ... يجعل والناس فيهم عجلة

خَفْتُكَ وَاللَّهِ فَاعْلَمَنَّ حَلْفِي ... خَوْفَ الْخَفَافِ فِي صَوْلَةِ الْأَصْلَةِ
 فَجِئْتُ إِذْ ضَاغَتِ الْبِلَادُ فَلَمْ ... يَكُنْ عَلَيْهَا لِحَائِفٍ وَاللَّهِ
 قَالَ: مَا رَأَيْكَ فِي عُثْمَانَ؟ قَالَ خَتَنُ رَسُولِ اللَّهِ ص عَلَى ابْنَتَيْهِ، وَلَمْ أَنْكِرْهُ، وَلِي مُحْصُولُ رَأْيِي، قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِي مُعَاوِيَةَ؟ قَالَ:
 جَوَادٌ حَلِيمٌ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِي؟ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّكَ قُلْتَ بِالْبَصْرَةِ: وَاللَّهِ لَا أَخُذَنَّ الْبَرِيءَ بِالسَّقِيمِ، وَالْمُقْبِلَ بِالْمُدْبِرِ، قَالَ: قَدْ قُلْتَ ذَاكَ، قَالَ:
 خَبَطْتُهَا عَشَوَاءً، قَالَ زِيَادٌ: لَيْسَ النِّفَاحُ بِشَرِّ الزُّمَرَةِ، فَقَتَلَهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَمَّامٍ السَّلُولِيُّ:
 خَيْبَ اللَّهِ سَعْيَ أَوْفَى بْنِ حِصْنٍ ... حِينَ أَضْحَى فَرُوحَةَ الرَّقَاءِ
 قَادَهُ الْحَيْنُ وَالشَّقَاءُ إِلَى لَيْثٍ ... عَرِينٍ وَحِيَّةٍ صَمَاءِ
 قَالَ: وَلَمَّا قَدِمَ زِيَادُ الْكُوفَةِ أَتَاهُ عُمَارَةُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَقَالَ:
 إِنَّ عَمْرُو بْنَ الْحَمِقِ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ مِنْ شِيعَةِ أَبِي تَرَابٍ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ: مَا يَدْعُوكَ إِلَى رَفْعِ مَا لَا تَيَقِّنُهُ وَلَا تَدْرِي مَا عَاقِبَتُهُ! فَقَالَ
 زِيَادٌ:
 كَلَّا كَمَا لَمْ يُصَبِّ، أَنْتَ حَيْثُ تُكَلِّمُنِي فِي هَذَا عَلَانِيَةً وَعَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ يَرُدُّكَ عَنْ كَلَامِكَ، قُومًا إِلَى عَمْرُو بْنِ الْحَمِقِ فَقُولَا لَهُ: مَا هَذِهِ الزَّرَافَاتُ
 الَّتِي تَجْتَمِعُ عِنْدَكَ! مَنْ أَرَادَكَ أَوْ أَرَدْتَ كَلَامَهُ فِي الْمَسْجِدِ.
 قَالَ: وَيُقَالُ: إِنَّ الَّذِي رَفَعَ عَلَى عَمْرُو بْنِ الْحَمِقِ وَقَالَ لَهُ: قَدْ أَنْغَلُ الْمِصْرَيْنِ، يَزِيدُ بْنُ رُوَيْمٍ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْحُرَيْثِ: مَا كَانَ قَطُّ أَقْبَلَ
 عَلَى مَا يَنْفَعُهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، فَقَالَ زِيَادٌ لِيَزِيدَ بْنِ رُوَيْمٍ: أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ أَشْطَتْ بِدَمِهِ، وَأَمَّا عَمْرُو فَقَدْ حَقَّنَ دَمَهُ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ مُحَّ سَاقَهُ قَدْ
 سَالَ مِنْ بَغْضِي مَا هَجَّيْتُهُ حَتَّى يَخْرُجَ عَلَيَّ.
 وَاتَّخَذَ زِيَادُ الْمَقْصُورَةَ حِينَ حَصَبَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ.
 وَوَلَّى زِيَادٌ حِينَ شَخَّصَ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الْكُوفَةِ سَمُرَةَ بْنَ جُنْدَبٍ حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِدْرِيسَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ
 سَلِيمٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ سِيرِينَ: هَلْ كَانَ سَمُرَةُ قَتَلَ أَحَدًا؟ قَالَ:

٥٠١٤٠٢ خروج قريب وزحاف

وهل يحصى من قتل سمرة بن جندب! استخلفه زياد على البصرة، وأتى الكوفة، فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس، فقال له: هل
 تخاف أن تكون قد قتلت أحدا بريئا؟ قَالَ: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت - أو كما قَالَ.
 حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا نُوحُ بْنُ قَيْسٍ، عَنْ أَشْعَثِ الْحَدَّانِيِّ، عَنْ أَبِي سَوَّارٍ الْعَدَوِيِّ، قَالَ: قَتَلَ سَمُرَةَ
 مِنْ قَوْمِي فِي غَدَاةٍ سَبْعَةً وَأَرْبَعِينَ رَجُلًا قَدْ جَمَعَ الْقُرْآنَ.
 حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ جَعْفَرِ الصَّدْفِيِّ، عَنْ عَوْفٍ، قَالَ: أَقْبَلَ سَمُرَةُ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ دُورِ بَنِي أَسَدٍ
 خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَعْضِ أَرْقَتِهِمْ، فَتَجَا أَوَائِلَ الْخَيْلِ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَأَوْجَرَهُ الْحَرْبَةَ قَالَ: ثُمَّ مَضَتْ الْخَيْلُ، فَأَتَى عَلَيْهِ سَمُرَةُ
 بْنُ جُنْدَبٍ، وَهُوَ مُتَشَحِّطٌ فِي دَمِهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قِيلَ: أَصَابَتْهُ أَوَائِلُ خَيْلِ الْأَمِيرِ، قَالَ: إِذَا سَمِعْتُمْ بَنَا قَدْ رَكَبْنَا فَاتَّقُوا أَسْنَتَنَا
 خروج قريب وزحاف

حَدَّثَنِي عُمَرُ قَالَ: حَدَّثَنِي زَهِيرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا غَسَّانُ بْنُ مُضَرَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: خَرَجَ
 قَرِيبٌ وَزَحَافٌ، وَزِيَادٌ بِالْكُوفَةِ، وَسَمُرَةُ بِالْبَصْرَةِ، فَخَرَجَا لَيْلًا، فَتَزَلَا بَنِي يَشْكُرَ، وَهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ، فَأَتَوْا بَنِي ضُبَيْعَةَ

وَهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، فَرُّوا بِشَيْخٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ حَكَكٌ، فَقَالَ حِينَ رَأَوْهُمْ: مَرَجَبًا يَا بَنِي الشَّعْثَاءِ! فَرَأَاهُ ابْنُ حُصَيْنٍ فَقَتَلُوهُ، وَتَفَرَّقُوا فِي مَسَاجِدِ الْأَزْدِ، وَأَتَتْ فِرْقَهُ

٥١٤٠٣ ذكر اراده معاويه نقل المنبر من المدينة

مِنْهُمْ رَحْبَةُ بَنِي عَلِيٍّ، وَفِرْقَةُ مَسْجِدِ الْمَعَادِلِ، نَخَّرَجَ عَلَيْهِمْ سَيْفُ بْنُ وَهَبٍ فِي أَصْحَابٍ لَهُ، فَقَتَلَ مَنْ أَتَاهُ، وَخَرَجَ عَلَى قَرِيبٍ وَزَحَافٍ شَبَابٌ مِنْ بَنِي عَلِيٍّ وَشَبَابٌ مِنْ بَنِي رَاسِبٍ، فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ قَالَ قَرِيبٌ: هَلْ فِي الْقَوْمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَوْسٍ الطَّاحِي؟ وَكَانَ يُنَاضِلُهُ، قِيلَ: نَعَمْ، قَالَ: فَهَلُمَّ إِلَى الْبَرَازِ، فَقَتَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ وَجَاءَ بِرَأْسِهِ، وَأَقْبَلَ زِيَادٌ مِنَ الْكُوفَةِ لِفَعْلٍ يُؤْنِبُهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ طَاحِيَةٍ، لَوْلَا أَنْكُمْ أَصَبْتُمْ فِي الْقَوْمِ لَنَفَيْتُكُمْ إِلَى السَّجْنِ قَالَ: وَكَانَ قَرِيبٌ مِنْ إِيَادٍ، وَزَحَافٌ مِنْ طَيْيٍّ، وَكَانَا ابْنَيْ خَالَةٍ، وَكَانَا أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ بَعْدَ أَهْلِ النَّهْرِ. قَالَ غَسَّانٌ: سَمِعْتُ سَعِيدًا يَقُولُ: إِنَّ أَبَا بِلَالٍ قَالَ: قَرِيبٌ لَا قَرَبَهُ اللَّهُ، وَائِمُّ اللَّهِ لِأَنَّ أَقْعَ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَصْنَعَ مَا صَنَعَ - يَعْنِي الِاسْتِعْرَاضَ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي وَهَبٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ زِيَادًا اشْتَدَّ فِي أَمْرِ الْحُرُورَةِ بَعْدَ قَرِيبٍ وَزَحَافٍ، فَقَتَلَهُمْ وَأَمَرَ سَمْرَةَ بِذَلِكَ، وَكَانَ يَسْتَخْلِفُهُ عَلَى الْبَصْرَةِ إِذَا خَرَجَ إِلَى الْكُوفَةِ، فَقَتَلَ سَمْرَةَ مِنْهُمْ بَشَرًا كَثِيرًا. حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ، قَالَ: قَالَ زِيَادٌ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْمَنْبَرِ: يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ، وَاللَّهِ لَتَكْفِنِي هَؤُلَاءِ أَوْ لَا بُدَّأَنْ بِكُمْ، وَاللَّهِ لَئِنْ أَفْلَتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ لَا تَأْخُذُونَ الْعَامَ مِنْ عَطَائِكُمْ دَرَاهِمًا، قَالَ: فَتَارَ النَّاسَ بِهِمْ فَقَتَلُوهُمْ

. ذكر اراده معاويه نقل المنبر من المدينة

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَمَرَ مَعَاوِيَةَ بِمَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ص، أَنْ يَحْمَلَ إِلَى الشَّامِ، فَخَرَكَ، فَكَسَفَتِ الشَّمْسُ حَتَّى رَأَيْتَ النُّجُومَ بَادِيَةً يَوْمَئِذٍ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقَالَ: لَمْ أَرِدْ حَمْلَهُ، إِنَّمَا خِفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَرْضَ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ كَسَاهُ يَوْمَئِذٍ وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ بِذَلِكَ خَالِدُ بْنُ الْقَاسِمِ، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ عَمْرٍو الْأُمَوِيِّ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

قَالَ مَعَاوِيَةُ: إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّ مَنْبَرَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَعَصَاهُ لَا يَتَرَكَانِ بِالْمَدِينَةِ، وَهَمَّ قَتْلَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ وَأَعْدَاؤُهُ، فَلَمَّا قَدِمَ طَلَبَ الْعَصَا وَهِيَ عِنْدَ سَعْدِ الْقُرْظِ، فَجَاءَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نَذَرَكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَفْعَلَ هَذَا، فَإِنْ هَذَا لَا يَصْلَحُ، تَخْرُجُ مَنْبَرَ رَسُولِ اللَّهِ ص مِنْ مَوْضِعٍ وَضَعَهُ، وَتَخْرُجُ عَصَاهُ إِلَى الشَّامِ، فَانْقُلِ الْمَسْجِدَ، فَأَقْصِرْ وَزَادَ فِيهِ سِتُّ دَرَجَاتٍ، فَهُوَ الْيَوْمُ ثَمَانِي دَرَجَاتٍ، وَاعْتَذَرَ إِلَى النَّاسِ مِمَّا صَنَعَ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: وَحَدَّثَنِي سُؤَيْدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَرَوَةَ، عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ ذُوَيْبٍ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَدْ هَمَّ بِالْمَنْبَرِ، فَقَالَ لَهُ قَبِيصَةُ بْنُ ذُوَيْبٍ: أَذْكُرُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَفْعَلَ هَذَا، وَأَنْ تُحَوِّلَهُ! إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَاوِيَةَ حَرَّكَهُ فَكَسَفَتِ الشَّمْسُ، [وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: مَنْ حَلَفَ عَلَى مَنْبَرِي آثِمًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ] فَخَرَجَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَهُوَ مُقَطَّعُ الْحَقُوقِ بَيْنَهُم بِالْمَدِينَةِ! فَأَقْصَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَنْ ذَلِكَ، وَكَفَّ عَنْ أَنْ يَذْكُرَهُ فَلَمَّا كَانَ الْوَلِيدُ وَجَّهَهُمْ بِذَلِكَ وَقَالَ: خَيْرَانِي عَنْهُ، وَمَا أَرَانِي إِلَّا سَافِعًا: فَأَرْسَلَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَقَالَ: كَلِّمْ صَاحِبَكَ يَتَّقِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا يَتَّعِزُّ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَلَسْخَطُهُ، فَكَلَّمَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَأَقْصَرَ وَكَفَّ عَنْ ذِكْرِهِ، فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخْبَرَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِمَا كَانَ الْوَلِيدُ

هَمَّ بِهِ وَإِرْسَالِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ إِلَيْهِ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ: مَا كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ يُذَكَّرَ هَذَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَلَا عَنْ الْوَلِيدِ، هَذَا مُكَابَرَةٌ، وَمَا لَنَا وَهَذَا! أَخَذْنَا الدُّنْيَا فَهِيَ فِي أَيْدِينَا، وَنُرِيدُ أَنْ نَعْمِدَ إِلَى عِلْمٍ مِنْ أَعْلَامِ الْإِسْلَامِ يُوفَدُ إِلَيْهِ، فَنَحْمِلُهُ إِلَى مَا قِيلَ! هَذَا مَا لَا يَصْلُحُ.

وَفِيهَا عَزَلَ مُعَاوِيَةُ بْنُ حَدِيْجٍ عَنْ مِصْرَ وَوَلَّى مُسْلِمَةَ بْنَ مَخْلَدٍ مِصْرَ وَأَفْرِيقِيَّةَ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ قَدْ بَعَثَ قَبْلَ أَنْ يُوَلَّى مُسْلِمَةَ مِصْرَ وَأَفْرِيقِيَّةَ عُقْبَةَ بْنَ نَافِعٍ الْفَهْرِيَّ إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ، فَافْتَتَحَهَا، وَاخْتَطَّ قَيْرَوَانَهَا، وَكَانَ مَوْضِعُهُ غِيْضَةً - فِيمَا زَعَمَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ - لَا تَرَامُ مِنَ السَّبَاعِ وَالْحَيَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدَّوَابِّ فَدَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا خَرَجَ هَارِبًا، حَتَّى أَنَّ السَّبَاعَ كَانَتْ تَحْمِلُ أَوْلَادَهَا.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: نَادَى عَقْبَةَ بْنَ نَافِعٍ:

أَنَا نَازِلُونَ فَاطْعُونَا عَزِينَا.

فَخَرَجَ مِنْ بَحْرَتَيْنِ هَوَارِبَ.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي الْمُفَضَّلُ بْنُ فَضَالَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ جُنْدِ مِصْرَ، قَالَ: قَدِمْنَا مَعَ عَقْبَةَ بْنَ نَافِعٍ، وَهُوَ أَوَّلُ النَّاسِ اخْتَطَهَا وَأَقْطَعَهَا لِلنَّاسِ مَسَاكِينَ وَدُورًا، وَبَنَى مَسْجِدَهَا فَأَقْنَمْنَا مَعَهُ حَتَّى عَزَلَ، وَهُوَ خَيْرُ وَالٍ وَخَيْرُ أَمِيرٍ.

ثُمَّ عَزَلَ مُعَاوِيَةُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنَى سَنَةَ خَمْسِينَ - مُعَاوِيَةُ بْنُ حَدِيْجٍ عَنْ مِصْرَ، وَعَقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ عَنْ أَفْرِيقِيَّةَ، وَوَلَّى مُسْلِمَةَ بْنَ مَخْلَدٍ وَمِصْرَ وَالْمَغْرِبَ كُلَّهُ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ لَهُ الْمَغْرِبَ كُلَّهُ وَمِصْرَ وَبَرْقَةَ وَأَفْرِيقِيَّةَ وَطَرَابُلُسَ، فَوَلَّى مُسْلِمَةَ بْنَ مَخْلَدٍ مَوْلَى لَهُ يُقَالُ لَهُ: أَبُو الْمُهَاجِرِ إِفْرِيقِيَّةَ، وَعَزَلَ عَقْبَةَ ابْنُ نَافِعٍ، وَكَشَفَهُ عَنْ أَشْيَاءَ، فَلَمْ يَزَلْ وَالِيًا عَلَى مِصْرَ وَالْمَغْرِبِ، وَأَبُو الْمُهَاجِرِ عَلَى أَفْرِيقِيَّةَ مِنْ قَبْلِهِ حَتَّى هَلَكَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، وَقَدْ قِيلَ: كَانَتْ وَفَاةُ أَبِي مُوسَى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ.

وَاخْتَلَفَ فِيمَنْ جَاءَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: جَاءَ بِهِمْ مُعَاوِيَةُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلَ جَاءَ بِهِمْ ابْنُ يَزِيدَ، وَكَانَ الْوَالِي فِي هَذِهِ السَّنَةِ

٥٠١٤٠٤ ذَكَرَ هَرَبَ الْفَرَزْدَقِ مِنْ زِيَادَ

عَلَى الْمَدِينَةِ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَالْمَشْرِقِ بِحِجْزِ فَارِسَ وَالسُّنْدِ وَالْهِنْدِ زِيَادُ

. ذَكَرَ هَرَبَ الْفَرَزْدَقِ مِنْ زِيَادَ

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ طَلَبَ زِيَادُ الْفَرَزْدَقَ، وَاسْتَعَدَّتْ عَلَيْهِ بَنُو نَهْشَلٍ وَفَقِيمٌ، فَهَرَبَ مِنْهُ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ - وَهُوَ يَوْمَئِذٍ وَالِي الْمَدِينَةِ - مِنْ قَبْلِ مُعَاوِيَةَ - مُسْتَجِيرًا بِهِ، فَأَجَارَهُ.

ذَكَرَ الْخُبْرَ عَنْ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ وَأَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ وَغَيْرُهُمَا، أَنَّ الْفَرَزْدَقَ لَمَّا هَجَا بَنِي نَهْشَلٍ وَبَنِي فُقَيْمٍ لَمْ يَزِدْ أَبُو زَيْدٍ فِي إِسْنَادِ خَبَرِهِ عَلَى مَا ذَكَرْتُ، وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ فَإِنَّهُ حَدَّثَنِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَعْيُنُ بْنُ لَبْطَةَ بْنُ الْفَرَزْدَقِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا هَاجَتِ الْأَشْهَبُ بْنُ رَمِيلَةَ وَالْبَعِيثُ فَسَقَطَا، اسْتَعَدَّتْ عَلِيٌّ بَنُو نَهْشَلٍ وَبَنُو فُقَيْمٍ زِيَادَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَزَعَمَ غَيْرُهُ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ مَسْعُودَ بْنَ خَالِدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ رَبِيعِ بْنِ سُلَيْمِ بْنِ جَنْدَلِ بْنِ نَهْشَلٍ اسْتَعَدَّى أَيْضًا عَلَيْهِ فَقَالَ أَعْيُنُ: فَلَمْ يَعْرِفْهُ زِيَادُ حَتَّى قِيلَ لَهُ: الْغَلَامُ الْأَعْرَابِيُّ الَّذِي أَنْهَبَ وَرَقَهُ وَأَلْقَى ثِيَابَهُ، فَعَرَفَهُ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَخْبَرَنِي أَعْيُنُ بْنُ لَبْطَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: بَعَثَنِي أَبِي غَالِبٌ فِي عِيرٍ لَهُ وَجَلَبَ ابْنِعَهُ وَامْتَارَ لَهُ وَاشْتَرَى لِأَهْلِهِ كَسَا، فَقَدِمَتِ الْبَصْرَةَ، فَبَعَثَ الْجَلَبَ، فَأَخَذَتْ ثَمَنَهُ فَجَعَلَتْهُ فِي ثَوْبِي أَزْوَاحِهِ، إِذْ عَرَضَ لِي رَجُلٌ أَرَاهُ كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ، فَقَالَ: لَشَدِّ

مَا تَسْتَوْتَقُ مِنْهَا! فَقُلْتُ: وَمَا يَمْنَعُنِي! قَالَ: أَمَا لَوْ كَانَ مَكَانُكَ رَجُلٌ أَعْرَفَهُ مَا صَبَرَ عَلَيْهَا، فَقُلْتُ: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: غَالِبُ بْنُ صَعْصَعَةَ، قَالَ: فَدَعَوْتُ أَهْلَ الْمَرْبِدِ

فَقُلْتُ: دُونَكُمْوَهَا- وَنَثَرْتُهَا عَلَيْهِمْ- فَقَالَ لِي قَائِلٌ: التَّيْ رَدَاكَ يَا بَنَ غَالِبٍ، فَأَلْقَيْتُهُ وَقَالَ آخَرُ: أَلْتَقَى قَيْصُكَ، فَأَلْقَيْتُهُ، وَقَالَ آخَرُ: التَّيْ عِمَامَتُكَ فَأَلْقَيْتَهَا حَتَّى بَقِيَتْ فِي إِزَارٍ، فَقَالُوا: أَلْتَقَى إِزَارُكَ، فَقُلْتُ: لَنْ أَلْقِيَهُ وَأَمْشِي مُجْرَدًا، إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ فَبَلَغَ الْخَبْرُ زِيَادًا، فَأَرْسَلَ خِيَلًا إِلَى الْمَرْبِدِ لِيَأْتُوهُ بِي، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْهَجِيمِ عَلَى فَرَسٍ، قَالَ: أَتَيْتُ فَالنَّجَاءَ! وَأَرَدْتُ أَنْ يَصْنَعَ بِنَا، وَلَمْ نَذْنِبْ ذَنْبًا! فَكُنَّا أَيَّامًا ثُمَّ كَلَّمَ زِيَادُ فِيهِمَا، فَقَالُوا: وَقَدْ سَبَقْتُ، فَأَخَذَ زِيَادُ عَمِينَ لِي: ذَهِيلاً وَالزَّحَافَ ابْنِي صَعْصَعَةَ- وَكَانَا فِي الدِّيْوَانِ عَلَى أَلْفَيْنِ أَلْفَيْنِ، وَكَانَا مَعَهُ- فَخَبَسَهُمَا فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِمَا: إِنْ شِئْتُمَا أَتَيْتُكُمَا، فَبَعَثْنَا إِلَيْ: لَا تَقْرَبْنَا، إِنَّهُ زِيَادُ! وَمَا عَسَى أَنْ يَصْنَعَ بِنَا، وَلَمْ نَذْنِبْ ذَنْبًا! فَكُنَّا أَيَّامًا ثُمَّ كَلَّمَ زِيَادُ فِيهِمَا، فَقَالُوا: شَيْخَانُ سَامِعَانِ مَطِيعَانِ، لَيْسَ لُهُمَا ذَنْبٌ مِمَّا صَنَعَ غَلَامُ أَعْرَابِيٍّ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، نَخْلِي عَنْهُمَا، فَقَالَا لِي: أَخْبَرْنَا بِجَمِيعِ مَا أَمَرَكَ أَبُوكَ مِنْ مِيرَةٍ أَوْ كَسْوَةٍ، فَخَبَرْتُهُمَا بِهِ أَجْمَعُ، فَاشْتَرِيَاهُ وَانْطَلَقْتُ حَتَّى لَحَقْتُ بِغَالِبٍ، وَحَمَلْتُ ذَلِكَ مَعِيَ أَجْمَعُ، فَأَتَيْتُهُ وَقَدْ بَلَغَهُ خَبْرِي، فَسَأَلَنِي: كَيْفَ صَنَعْتَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا كَانَ، قَالَ: وَإِنَّكَ لَتَحْسُنُ مِثْلَ هَذَا! وَمَسَحَ رَأْسِي وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ يَقُولُ الشَّعْرَ، وَإِنَّمَا قَالَ الشَّعْرَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَكَانَتْ فِي نَفْسِ زِيَادٍ عَلَيْهِ.

ثُمَّ وَفَدَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ وَجَارِيَةُ بْنُ قَدَامَةَ، مِنْ بَنِي رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدٍ وَالْجَوْنُ بْنُ قَتَادَةَ الْعَبْشَمِيَّ وَالْحَتَاتُ بْنُ يَزِيدَ أَبُو مَنْزِلٍ، أَحَدُ بَنِي حَوِيٍّ بَنِ سَفْيَانَ بْنِ مَجَاشِعٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَأَعْطَى كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مِائَةَ أَلْفٍ، وَأَعْطَى الْحَتَاتُ سَبْعِينَ أَلْفًا، فَلَمَّا كَانُوا فِي الطَّرِيقِ سَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَأَخْبَرُوهُ بِجَوَائِزِهِمْ، فَكَانَ الْحَتَاتُ أَخَذَ سَبْعِينَ أَلْفًا، فَرَجَعَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: مَا رَدُّكَ يَا أَبَا مَنْزِلٍ؟ قَالَ: فَضَحْتَنِي فِي بَنِي تَمِيمٍ،

أَمَّا حَسْبِي بِصَحِيحٍ! أَوْلَسْتُ ذَا سَنٍ! أَوْلَسْتُ مَطَاعًا فِي عَشِيرَتِي! فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَى، قَالَ: فَمَا بِالْكَ خَسِسْتُ بِي دُونَ الْقَوْمِ! فَقَالَ: إِنِّي اشْتَرَيْتُ مِنَ الْقَوْمِ دِينَهِمْ وَوَكَلْتُكَ إِلَى دِينِكَ وَرَأَيْتُكَ فِي عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ- وَكَانَ عُثْمَانِيَا- فَقَالَ: وَأَنَا فَاشْتَرِ مِنِّي دِينِي، فَأَمْرٌ لَهُ بِتَمَامِ جَائِزَةِ الْقَوْمِ.

وَطَعَنَ فِي جَائِزَتِهِ، فَخَبَسَهَا مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ فِي ذَلِكَ:

أَبُوكَ وَعَمِّي يَا مُعَاوِيَةَ أَوْرَثَا ... تَرَاثَا فَيَحْتَازُ التَّرَاثُ أَقَارِبَهُ

فَمَا بِالْمِيرَاثِ الْحَتَاتُ أَخَذَتْهُ ... وَمِيرَاثُ حَرْبٍ جَامِدٌ لَكَ ذَائِبُهُ!

فَلَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِي جَاهِلِيَّةٍ ... عَلِمْتَ مِنَ الْمَرْءِ الْقَلِيلِ حَلَاثَتَهُ

وَلَوْ كَانَ فِي دِينٍ سِوَى ذَا شَنْتُمْ ... لَنَا حَقُّنَا أَوْ غَصُّ بِالْمَاءِ شَارِبَهُ

وَلَوْ كَانَ إِذْ كُنَّا فِي الْكَفِّ بِسُطَةٍ ... لَصُمِّمَ عَضْبُ فَيْكُ مَاضٍ مُضَارِبَهُ

- وَأَنْشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ فِي الْكَفِّ مَبْسُوطَ-

وَقَدْ رَمَتْ شَيْئًا يَا مُعَاوِيَةَ دُونَهُ ... خِيَاظُفُ عُلُودِ صَعَابِ مَرَاتِبِهِ

وَمَا كُنْتُ أُعْطِيَ النِّصْفَ مِنْ غَيْرِ قُدْرَةٍ ... سِوَاكَ، وَلَوْ مَالَتْ عَلِيٌّ كَتَائِبَهُ

أَلَسْتُ أَغْزَى النَّاسَ قَوْمًا وَأُسْرَةً ... وَأَمْنَعُهُمْ جَارًا إِذَا ضَمَّ جَانِبَهُ

وَمَا وَلَدْتُ بَعْدَ النَّبِيِّ وَآلِهِ ... كَمَثَلِي حِصَانٌ فِي الرِّجَالِ يَقَارِبُهُ

أَبِي غَالِبٍ وَالْمَرْءُ نَاجِيَةُ الَّذِي ... إِلَى صَعْصَعِ بَنِي، فَمَنْ ذَا يَنَاسِبُهُ!

وَيَبْقِي إِلَى جَنْبِ الثَّرِيَا فَنَاؤُهُ ... وَمَنْ دُونَهُ الْبَدْرُ الْمُضِيءُ كَوَاكِبُهُ

أَنَا ابْنُ الْجِبَالِ الصَّمِّ فِي عَدَدِ الْحَصَى ... وَعَرَقُ الثَّرَى عَرَقِي، فَمَنْ ذَا يَحَاسِبُهُ!

أنا ابن الذي أحيا الوئيد وضامن ... على الدهر إذ عزت لدهر مكاسبه
وكم من أب لي يا معاوي لم يزل ... أغر يباري الريح ما ازور جانبه
نمته فروع المالكين ولم يكن ... أبوك الذي من عبد شمس يقاربه
تراه كنصل السيف يهتز للندى ... كرما يلاقي المجد ما طر شاربه
طويل نجاد السيف مذ كان لم يكن ... قصي وعبد الشمس ممن يخاطبه
فرد ثلاثين ألفا على أهله، وكانت أيضا قد أغضبت زيادا عليه.

قال: فلما استعدت عليه نهشل وقيم ازداد عليه غضبا، فطلبه فهرب، فأتى عيسى بن خصيلة بن معتب بن نصر بن خالد البهزي، ثم أحد بني سليم، والحجاج بن علاط بن خالد السلمي.

قال ابن سعد: قال أبو عبيدة: حَدَّثَنِي أَبُو مُوسَى الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى ابْنِ خَصِيلَةَ، قَالَ: لما طرد زياد الفرزدق جاء إلى عمي عيسى بن خصيلة ليلا فقال: يا أبا خصيلة، إن هذا الرجل قد أخافني، وإن صديقي وجميع من كنت أرجو قد لفظوني، وإني قد أتيتك لتغيبني عندك، قال: مرحبا بك! فكان عنده ثلاث ليل، ثم قال: إنه قد بدا لي أن ألحق بالشام، فقال:

ما أحبيت، أن أقت معي ففي الرحب والسعة، وإن شئخص فهذه ناقة أرحبية أمتعك بها قال: فركب بعد ليل، وبعث عيسى معه حتى جاوز البيوت، فأصبح وقد جاوز مسيرة ثلاث ليل، فقال الفرزدق في ذلك:

حباني بها البهزي حملان من أبي ... من الناس والجاني تخاف جرائمه

ومن كان يا عيسى يوجب ضيفه ... فضيفك محبور هني مطاعمه

وقال تعلم أنها أرحبية ... وأن لها الليل الذي أنت جاشمه

فأصبحت والملقى ورأي وحنبل ... وما صدرت حتى علا النجم عاتمه

تزاور عن أهل الحفير كأنها ... ظليم تباري جنح ليل نعائمه

رأت بين عينها دوية وانجلي ... لها الصبح عن صعل أسيل مخاطمه

كأن شراعا فيه مجرى زمامها ... بدجلة إلا خطمه وملاغمه

إذا أنت جاوزت الغرين فاسلمي ... وأعرض من فليج ورأي مخارمه

وقال أيضا:

تداركني أسباب عيسى من الردى ... ومن يك مولاه فليس بواحد

وهي قصيدة طويلة.

قال: وبلغ زيادا أنه قد شئخص، فأرسل علي بن زهدم، أحد بني نولة بن ققيم في طلبه.

قال أعين: فطلبه في بيت نصرانية يقال لها ابنة مرار، من بني قيس ابن ثعلبة تنزل قصيمه كاظمه، قال: فسלתه من كسر بيتها، فلم يقدر عليه، فقال في ذلك الفرزدق:

أتيت ابنة المرار أهبلت تبتغي ... وما يبتغي تحت السوية أمثالي

ولكن بغائي لو أردت لقاءنا ... فضاء الصحاري لا ابتغاء بأدغال

وقيل: إنها ربيعة بنت المرار بن سلامة العجلي أم أبي النجم الراجز.

قال أبو عبيدة: قال مسمع بن عبد الملك: فأتى الروحاء، فنزل في بكر بن وائل، فأمن، فقال يمدحهم:

وقد مثلت أين المسير فلم تجد ... لفورتها كالحي بكر بن وائل

أعف وأوفى ذمة يعقدونها ... إذا وازنت شم الذرا بالكواهل
وهي قصيده طويله ومدحهم بقصائد اخر غيرها.

قَالَ: فكان الفرزدق إذا نزل زياد البصرة نزل الكوفة، وإذا نزل زياد الكوفة نزل الفرزدق البصرة، وكان زياد ينزل البصرة ستة أشهر والكوفة ستة أشهر، فبلغ زيادا اما صنع الفرزدق، فكتب إلى عامله على الكوفة عبد الرحمن ابن عبيد: إنما الفرزدق فحل الوحوش يرعى القفار، فإذا ورد عليه الناس ذعر ففارقهم إلى أرض أخرى فرجع، فاطلبه حتى تظفر به قَالَ الفرزدق:

فطلبت أشد طلب، حتى جعل من كان يؤويني يخرجني من عنده، فضاعت علي الأرض، فيينا أنا ملفف رأسي في كسائي على ظهر الطريق، إذ مر بي الذي جاء في طلي، فلما كان الليل أتيت بعض أحوالي من بني ضبة وعندهم عرس - ولم أكن طعمت قبل ذلك طعاما، فقلت: آتيهم فأصيب من الطعام - قَالَ: فيينا أنا قاعد إذ نظرت إلى هادي فرس وصدر ربح قد جاوز باب الدار داخلا إلينا، فقاموا إلى حائط قصب فرفعوه، فخرجت منه، وألقوا الحائط فعاد مكانه، ثم قالوا: ما رأيناه، وبحثوا ساعة ثم خرجوا، فلما أصبحنا جاءوني فقالوا: أخرج إلى الحجاز عن جوار زياد لا يظفر بك، فلو ظفر بك البارحة أهلكتنا، وجمعوا ثمن راحلتين، وكلهوا لي مقاعسا احد بنى تيم الله ابن ثعلبة - وكان دليلا يسافر للتجار - قَالَ: نخرجنا إلى بانقيا حتى انتهينا إلى بعض القصور التي تنزل، فلم يفتح لنا الباب، فألقينا رحالنا إلى جنب الحائط والليلة مغمرة، فقلت: يا مقاعس، أرايت إن بعث زياد بعد ما نصبح إلى العتيق رجالا، أيقدرون علينا؟ قَالَ: نعم، يرصدوننا - ولم يكونوا جاوزوا العتيق وهو خندق كان للعجم - قَالَ: فقلت: ما تقول العرب؟ قَالَ:

يقولون: أمهله يوما وليلة ثم خذه فارتحل، فقال إني أخاف السباع، فقلت: السباع أهون من زياد، فارتحلنا لا نرى شيئا إلا خلفناه، ولزمنا شخص لا يفارقنا، فقلت: يا مقاعس، أترى هذا الشخص! لم نمر بشيء إلا جاوزناه غيره، فإنه يسايرنا منذ الليلة قَالَ: هذا السبع، قَالَ:

فكانه فهم كلامنا، فتقدم حتى ربض على متن الطريق، فلما رأينا ذلك نزلنا فشدنا أيدي ناقتينا بثنايين وأخذت قوسي وقال مقاعس: يا ثعلب، أترى ممن فرنا إليك؟ من زياد، فأحصب بذنبه حتى غشيناه غباره وغشي ناقتينا، قَالَ: فقلت: أرميه، فقال: لا تهجه، فإنه إذا أصبح ذهب، قَالَ: فجعل يردد ويبرق ويزر، ومقاعس يتوعده حتى انشق الصبح، فلما رآه ولى، وأنشأ الفرزدق يقول:

ما كنت أحسبني جباناً بعد ما ... لاقيت ليلة جانب الأنهار

ليثا كأن على يديه رحالة ... شئن البرائن مؤجد الأظفار

لما سمعت له زمازم أجهشت ... نفسي إلي وقلت أين فراري!

وربطت جروتها وقلت لها اصبري ... وشدت في ضيق المقام إزاري

فلأنت أهون من زياد جانباً ... إذهب إليك مخرم الأسفار

قَالَ ابن سعد: قَالَ أَبُو عبيدة: حَدَّثَنِي أَعِينُ بْنُ لَبْطَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ شَبْثِ بْنِ رَبِيعِ الرِّيَّاحِيِّ، قَالَ: فَأَنْشَدْتُ زِيَاداً هَذِهِ الْآيَاتِ فَكَانَهُ رَقَ لَهُ، وَقَالَ: لَوْ أَتَانِي لَأَمْنَتَهُ وَأَعْطَيْتَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْفَرَزْدَقُ، فَقَالَ:

تذكر هذا القلب من شوقه ذكراً ... تذكر شوقاً ليس ناسيه عصراً

تذكر ظمياء التي ليس ناسياً ... وإن كان أدنى عهداً حجاً عسراً

وما مغزل بالغور غور تهامة ... ترعى أراكا في منابته نصراً

من الادم حواء المدامع ترعوى ... الى رشاء طفل تحال به قترا

أصابت بوادي اللولان حباله ... فما استمسكت حتى حسبن بها نفرا

بأحسن من ظمياء يوم تعرضت ... ولا مزنة راحت غمامتها قصراً

وكم دونها من عاطف في صريمة ... وأعداء قوم يندرون دمي نذراً!

إذا أوعدونني عِنْدَ ظمياء ساءها ... وعيدي وقالت لا تقولوا لَهُ هجرا
دعاني زياد للعطاء ولم أَكُنْ ... لآتيه مَا ساق ذو حسب وفرا
وعند زياد لو يريد عطاءهم ... رجال كثير قَدْ يري بهم فقرا
قعود لدى الأبواب طلاب حاجة ... غوان من الحاجات أو حاجة بكرا
فلها خشيت أن يكون عطاؤه ... أداهم سودا أو مدرجة سمرا
نميت إِلَى حرف أضر بنيا ... سرى الليل واستعراضها البلد الفقرا
تنفس فِي بهو من الجوف واسع ... إذا مد حيزوما شراسيفها الضفرا
تراها إذا صام النهار كأثما ... تسامي فنيقا أو تخالسه خطرا
تحوض إذا صاح الصدى بعد هجعة ... من الليل ملتجا غياطله خضرا
فإن أعرضت زوراء أو شمرت بِهَا ... فلاة ترى منها مخارمها غبرا
تعادين عن صهب الحصى وكأثما ... طحن بِهِ من كل رضاضة جمرا
وكم من عدو كاشح قَدْ تجاوزت ... مخافته حتى تكون لها جسرا
يوم بِهَا المومة من لا يرى لَهُ ... إِلَى ابن أبي سُفْيَان جاها وَلَا عذرا
وَلَا تعجلاني صاحبي فرما ... سبقت بورد الماء غادية كدرا
وحضنين من ظلماء ليل سريته ... بأغيد قَدْ كَانَ النعاس لَهُ سكرًا
رماه الكرى فِي الرأس حَتَّى كَأَنَّهُ ... أُمِيم جلاميد تركن بِهِ وقرا
من السير والإدلاج تحسب أنما ... سقاه الكرى فِي كل منزلة خمرًا
جررنا وفديناه حَتَّى كَأَنَّمَا ... يرى بهوادي الصبح قبلة شقرا
قال: فضينا وقد منا المَدِينَة وسعيد بن العَاصِ بن أُمَيَّةَ عَلَيَّهَا، فكان فِي جنازة، فتبعته فوجدته قاعدا والميت يدفن حَتَّى قُت بين يديه،
فقلت: هذا مقام العائد من رجل لم يصب دما وَلَا مالا! فَقَالَ: قَدْ أَجرت إن لم تكن أصبت دما وَلَا مالا، وَقَالَ: من أنت؟ قلت: أنا همام
بن غالب بن صعصعة، وَقَدْ أَثْنَيْت عَلَى الأمير، فإن رَأَى أن يأذن لي فأسمعه فليفعل، قَالَ: هات، فَأَنشدته:
وكوم تنعم الأضياف عينا ... وتصبح فِي مباركها ثَقَلَا
حَتَّى أَتَيْت إِلَى آخرها، قَالَ: فَقَالَ مَرْوَان:
قعودا ينظرون إِلَى سَعِيد.
قلت: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَقَائِمٌ يَا أَبَا عَبْدِ الْمَلِكِ.
قَالَ: وَقَالَ كعب بن جعيل: هَذِهِ وَاللَّهِ الرُّؤْيَا الَّتِي رَأَيْت البارحة، قَالَ سَعِيد: وما رَأَيْت؟ قَالَ: رَأَيْت كَأَنِّي أَمْشِي فِي سَكَّة من سكك
المدينة، فإذا أنا بَابن قُتْرَةٍ فِي حجر، فكأنه أراد أن يتناولني، فاتقيته، قَالَ: فقام الحطيئة فشق مَا بين رجلين حَتَّى تجاوزَ إِلَيَّ، فَقَالَ: قل
مَا شئت فقد أدركت من مضى، وَلَا يدركك من بقي وَقَالَ لسعيد: هَذَا وَاللَّهِ الشعر، لا يعلل بِهِ منذ الْيَوْم قَالَ: فلم نزل بِالْمَدِينَةِ مرة
وبمكة مرة وَقَالَ الفرزدق فِي ذَلِكَ:

ألا من مبلغ عني زيادا ... مغلغة يخب بِهَا البريد
بأني قَدْ فررت إِلَى سَعِيد ... وَلَا يسطاع مَا يحجي سَعِيد
فررت إليه من ليث هزبر ... تفادى عن فريسته الأسود
فإن شئت انتسبت إِلَى النصارى ... وإن شئت انتسبت إِلَى اليهود

٥٠١٤٠٥ ذكر الخبر عن غزوه الحكم بن عمرو جبل الأشل وسبب هلاكه

وإن شئت انتسبت إلى فقيم ... وناسبني وناسبت القروء
ويروى:

وناسبني وناسبت اليهود ... وأبغضهم إلي بنو فقيم

ولكن سوف آتي ما تريد

وقال أيضاً:

أتاني وعيد من زياد فلم أتم ... وسيل اللوى دوني فهضب التهام

فبت كأني مشعر خيبرية ... سرت في عظامي أو سمام الراقم

زياد بن حرب لن أظنك تاركي ... وذا الضغن قد خشمته غير ظالم

قال: وأنشدنيهم عمرو:

وبالضغن قد خشمتمني غير ظالم ... وقد كاخت مني العراق قصيدة

رجوم مع الماضي رءوس المخارم ... خفيفة أفواه الرواة ثقيلة

على قرنها نزالة بالمواسم

وهي طويلة فلم نزل بين مكة والمدينة حتى هلك زياد.

وفي هذه السنة كانت وفاة الحكم بن عمرو الغفاري بمرور منصرفه من غزوة أهل جبل الأشل

. ذكر الخبر عن غزوة الحكم بن عمرو جبل الأشل وسبب هلاكه

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني حاتم بن قبيصة، قال: حدثنا غالب بن سليمان، عن عبد الرحمن بن صبيح، قال: كنت مع الحكم بن

عمرو بخراسان، فكتب زياد إلى عمرو: أن أهل جبل الأشل سلاحهم

اللُّبْدُ، وأنتهم الذَّهَبُ فغزاهم حتى تَوَسَّطُوا، فَأَخَذُوا بِالشَّعَابِ وَالطُّرُقِ، فَأَحْدَقُوا بِهِ، فَعَيَّ بِالْأَمْرِ، فَوَلَّى الْمُهَلَّبَ الْحَرْبَ، فَلَمْ يَزَلِ

الْمُهَلَّبُ يَحْتَالُ حَتَّى أَخَذَ عَظِماً مِنْ عَظْمَائِهِمْ، فَقَالَ لَهُ: اخْتَرِ بَيْنَ أَنْ أَقْتَلَكَ، وَبَيْنَ أَنْ تُخْرِجَنَا مِنْ هَذَا الْمَضِيقِ، فَقَالَ لَهُ: أَوْقِدِ النَّارَ

حِثَّ الطَّرِيقَ مِنْ هَذِهِ الطُّرُقِ، وَمُرْ بِالْأَثْقَالِ فَلْتَوَجَّهْ نَحْوَهُ، حَتَّى إِذَا ظَنَّ الْقَوْمُ أَنَّكَ قَدْ دَخَلْتَ الطَّرِيقَ لَتَسْلُكُوهُ فَإِنَّهُمْ يَسْتَجْمِعُونَ

لَكُمْ، وَيَعْرِوْنَ مَا سِوَاهُ مِنَ الطُّرُقِ، فَبَادِرْهُمْ إِلَى غَيْرِهِ فَإِنَّهُمْ لَا يُدْرِكُونَكَ حَتَّى تُخْرَجَ مِنْهُ فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَجَا وَغَنِمُوا غَنِيمةً عَظِيمَةً.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: لما قفل الحكم بن عمرو من غزوة جبل الأشل ولي المهلب ساقته، فسلكوا في شعاب

ضيقة، فعارضه الترك فأخذوا عليهم بالطرق، فوجدوا في بعض تلك الشعاب رجالاً يتغنى من وراء حائط بييتين:

تعز بصبر لا وجدك لا ترى ... سنام الحمى أخرى الليالي الغواير

كأن فؤادي من تذكري الحمى ... وأهل الحمى يهفون به ريش طائر

فأتى به الحكم، فسأله عن أمره، فقال: غايرت ابن عم لي، نفرجت ترفعي أرض وتخفضي أخرى، حتى هبطت هذه البلاد فحمله

الحكم إلى زياد بالعراق.

قال: وتخلص الحكم من وجهه حتى أتى هراة، ثم رجع إلى مرو.

حدثني عمر، قال: حدثني حاتم بن قبيصة، قال: حدثنا غالب بن سليمان، عن عبد الرحمن بن صبيح، قال: كتب إليه زياد: والله لئن

بقيت لك لأقطعن منك طابقاً سخناً، وذلك أن زياداً كتب إليه لما ورد بالخبر عليه بما غنم: أن أمير المؤمنين كتب إلي أن أصطفي له

صفراءً وبيضاً والروائع فلا تحركن شيئاً حتى تخرج ذلك

فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْحُكْمُ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ كِتَابَكَ وَرَدَ، تَذَكُّرٌ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كُتِبَ إِلَيَّ أَنْ أَصْطَفِي لَهُ كُلَّ صَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ وَالرَّوَائِعَ، وَلَا تُحَرِّكَنَّ شَيْئًا، فَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَوْ كَانَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ رِتْقًا عَلَى عَبْدٍ اتَّقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُ مَحَرَجًا.

وَقَالَ لِلنَّاسِ: اغْدُوا عَلَى غَنَائِمِكُمْ، فَعَدَا النَّاسُ، وَقَدْ عَزَلَ الْخُمْسَ، فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ تِلْكَ الْغَنَائِمَ، قَالَ: فَقَالَ الْحُكْمُ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ لِي عِنْدَكَ خَيْرٌ فَاقْبِضْنِي، فَمَاتَ بِخُرَاسَانَ بِمَرَوْ.

قَالَ عُمَرُ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ: لَمَّا حَضَرَتِ الْحُكْمَ الْوَفَاةُ بِمَرَوْ، اسْتَخْلَفَ أُنْسُ بْنُ أَبِي أَنَاسٍ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ خَمْسِينَ

٥٠١٥ سنة احدى وخمسين

٥٠١٥٠١ ذكر مقتل حجر بن عدي واصحابه

ثم دخلت

سنة احدى وخمسين

(ذَكَرَ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَحْدَاثِ) فَمَا كَانَ فِيهَا مَشْيُ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ بِأَرْضِ الرُّومِ، وَغَزْوَةُ بَسْرِ بْنِ أَبِي أُرْطَاةِ الصَّائِفَةِ، وَمَقْتَلُ حَجْرِ بْنِ عَدِي وَاصْحَابِهِ.

ذَكَرَ مَقْتَلُ حَجْرِ بْنِ عَدِي وَاصْحَابِهِ

ذَكَرَ سَبَبُ مَقْتَلِهِ:

قَالَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي مَخْنَفٍ، عَنِ الْمَجَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، وَالصَّقْعَبِ ابْنِ زَهِيرٍ، وَفَضِيلِ بْنِ خَدِيجٍ، وَالْحُسَيْنِ بْنِ عُقْبَةَ الْمَرَادِيِّ، قَالَ: كُلُّ قَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ هَذَا الْحَدِيثِ، فَاجْتَمَعَ حَدِيثُهُمْ فِيمَا سَقَتْ مِنْ حَدِيثِ حَجْرِ بْنِ عَدِي الْكَنْدِيِّ وَأَصْحَابِهِ: أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ لَمَّا وَلِيَ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ الْكُوفَةَ فِي جُمَادَى سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ دَعَاهُ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ لِي الْيَوْمَ مَا تَقْرَعُ الْعَصَا، وَقَدْ قَالَ الْمُتَلَمِّسُ:

لِذِي الْحَلَمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تَقْرَعُ الْعَصَا ... وَمَا عِلْمُ الْإِنْسَانِ إِلَّا لِيَعْلَمَا

وَقَدْ يَجْزِي عَنْكَ الْحَكِيمُ بَغِيرَ التَّعْلِيمِ، وَقَدْ أُرِدْتَ إِيْصَاءَكَ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ، فَأَنَا تَارِكُهَا اعْتِمَادًا عَلَى بَصْرِكَ بِمَا يَرْضِيَنِي وَيَسْعِدُ سُلْطَانِي، وَيُصْلِحُ بِهِ رِعْيَتِي، وَلَسْتُ تَارِكًا إِيْصَاءَكَ بِخُصْلَةٍ: لَا تَتَحَمَّ عَنْ شَتْمِ عَلِيٍّ وَذَمِّهِ، وَالتَّرَحُّمِ عَلَى عُثْمَانَ وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُ، وَالْعَيْبِ عَلَى أَصْحَابِ عَلِيٍّ، وَالِإِقْبَاءِ لَهُمْ، وَتَرْكِ الْإِسْتِمَاعِ مِنْهُمْ، وَبِإِطْرَاءِ شِيعَةِ عُثْمَانَ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَالِإِدْنَاءِ لَهُمْ،

وَالِاسْمَاعِ مِنْهُمْ فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: قَدْ جَرَبْتُ وَجَرَبْتُ، وَعَمِلْتُ قَبْلَكَ لَغَيْرِكَ، فَلَمْ يَذُمَّ بِي دَفْعٌ وَلَا رَفْعٌ وَلَا وَضْعٌ، فَسَتَبْلَوْ فَتَحَمْدَ أَوْ تَذَمُّ قَالَ:

بَلْ نَحْمَدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: قَالَ الصَّقْعَبُ بْنُ زَهِيرٍ: سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يَقُولُ: مَا وَلِينَا وَالْأَمْرَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنْ كَانَ لَأَحْقًا بِصَالِحٍ مِنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْعَمَالِ. وَأَقَامَ الْمُغِيرَةُ عَلَى الْكُوفَةِ عَامِلًا لِمُعَاوِيَةَ سَبْعَ سِنِينَ وَأَشْهُرًا، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ شَيْءٍ سِيرَةٍ، وَأَشَدِّهِ حُبًّا لِلْعَافِيَةِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَدَعُ ذَمَّ عَلِيٍّ وَالْوُقُوعَ فِيهِ وَالْعَيْبَ لِقَتْلَةِ عُثْمَانَ، وَاللَّعْنَ لَهُمْ، وَالدَّعَاءَ لِعُثْمَانَ بِالرَّحْمَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُ، وَالتَّزْكِيَةَ لِأَصْحَابِهِ، فَكَانَ حَجْرُ بْنُ عَدِي إِذَا سَمِعَ ذَلِكَ قَالَ: بَلْ إِيَّاكُمْ فَذَمَّ اللَّهُ وَلَعَنَ! ثُمَّ قَامَ فَقَالَ:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: «كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ»، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ مِنْ تَذْمُونٍ وَتَعْيِيرٍ لَأَحَقَّ بِالْفَضْلِ، وَأَنَّ مِنْ تَرْكُونٍ وَتَطْرُونِ أَوْلَى بِالذَّمِّ فَيَقُولُ الْمُغِيرَةُ: يَا حَجْرُ، لَقَدْ رَمَى بِسَهْمِكَ، إِذْ كُنْتَ أَنَا الْوَالِي عَلَيْكَ، يَا حَجْرُ وَيْحَكَ! اتَّقِ السُّلْطَانَ، اتَّقِ غَضَبَهُ وَسُطُوتَهُ، فَإِنَّ غَضَبَةَ السُّلْطَانِ أحيانًا مِمَّا يَهْلِكُ أَمْثَالَكَ كَثِيرًا ثُمَّ يَكْفِ عَنْهُ وَيُصَفِّحُ.

فلم يزل حتى كَانَ فِي آخِرِ إِمَارَتِهِ قَامَ الْمَغِيرَةُ فَقَالَ فِي عَلِيٍّ وَعُثْمَانُ كَمَا كَانَ يَقُولُ، وَكَانَتْ مَقَالَتُهُ: اللَّهُمَّ ارْحَمْ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ وَتَجَاوَزْ عَنْهُ، وَأَجْزِهِ بِأَحْسَنِ عَمَلِهِ، فَإِنَّهُ عَمِلَ بِكُنَاكَ، وَاتَّبَعَ سُنَّةَ نَبِيِّكَ ص، وَجَمَعَ كَلِمَتَنَا، وَحَقَّنَ دِمَاءَنَا، وَقَتَلَ مَظْلُومًا، اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَنْصَارَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ وَمُحِبِّيهِ وَالطَّالِبِينَ بِدَمِهِ! وَيَدْعُو عَلَى قَتْلَتِهِ فَقَامَ جَرُّ بْنُ عَدِيٍّ فَغَرَّ نَعْرَةً بِالْمَغِيرَةِ سَمِعَهَا كُلُّ مَنْ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ وَخَارَجًا مِنْهُ، وَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي بِمَنْ تَوَلَّعَ مِنْ هَرَمِكَ! أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، مَرُّ لَنَا بِأَرْزَاقِنَا وَأَعْطَيْتَنَا، فَإِنَّكَ قَدْ حَبَسْتَنَا عَنْهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لَكَ، وَلَمْ يَكُنْ يَطْمَعُ فِي ذَلِكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَقَدْ أَصْبَحْتَ مَوْلَعًا بِذِمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَقْرِظُ الْمَجْرِمِينَ قَالَ:

فَقَامَ مَعَهُ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِي النَّاسِ يَقُولُونَ: صَدَقَ وَاللَّهِ جَرُّ وَبِرُّ، مَرُّ لَنَا

بِأَرْزَاقِنَا وَأَعْطَيْتَنَا، فَإِنَّا لَا نَنْتَفِعُ بِقَوْلِكَ هَذَا، وَلَا يَجْدِي عَلَيْنَا شَيْئًا، وَأَكْثَرُوا فِي مِثْلِ هَذَا الْقَوْلِ وَنَحْوِهِ فَتَنَزَلَ الْمَغِيرَةُ، فَدَخَلَ وَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ قَوْمَهُ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَقَالُوا: عَلَامَ تَتْرَكَ هَذَا الرَّجُلَ يَقُولُ هَذِهِ الْمَقَالَةَ، وَيَجْتَرِئُ عَلَيْكَ فِي سُلْطَانِكَ هَذِهِ الْجَرَاةُ! إِنَّكَ تَجْمَعُ عَلَى نَفْسِكَ بِهَذَا خَصْلَتَيْنِ: أَمَّا أَوَّلُهُمَا فَتَهْوِينُ سُلْطَانَكَ، وَأَمَّا الْآخَرَى فَإِنَّ ذَلِكَ إِنْ بَلَغَ مُعَاوِيَةَ كَانَ اسْتَخْطَ لَهُ عَلَيْهِ- وَكَانَ أَشَدَّهُمْ لَهُ قَوْلًا فِي أَمْرِ جَرِّ وَالتَّعْظِيمِ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ أَبِي عَقِيلِ الثَّقَفِيِّ- فَقَالَ لَهُمُ الْمَغِيرَةُ: إِنِّي قَدْ قَتَلْتُهُ، إِنَّهُ سَيَأْتِي أَمِيرٌ بَعْدِي فَيَحْسِبُهُ مِثْلِي فَيَصْنَعُ بِهِ شَبِيهَا بِمَا تَرَوْنَهُ يَصْنَعُ بِي، فَيَأْخُذُهُ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ فَيَقْتُلُهُ شَرَّ قَتْلَةٍ، إِنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ أَجَلِي، وَضَعْفَ عَمَلِي، وَلَا أَحَبُّ أَنْ أَبْتَدِئَ أَهْلَ هَذَا الْمَصْرِ بِقَتْلِ خِيَارِهِمْ، وَسَفْكَ دِمَائِهِمْ، فَيَسْعُدُوا بِذَلِكَ وَأَشْقَى، وَيَعِزُّ فِي الدُّنْيَا مُعَاوِيَةَ، وَيَذِلُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَغِيرَةُ، وَلَكِنِّي قَابِلٌ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَعَافٍ عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَحَامِدٌ حَلِيمِهِمْ، وَوَاعِظٌ سَفِيهِهِمْ، حَتَّى يَفْرُقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ الْمَوْتُ، وَسَيَذْكُرُونَنِي لَوْ قَدْ جَرَّبُوا الْعَمَالَ بَعْدِي قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عُقْبَةَ الْكِنْدِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ شَيْخًا لِحِجِّي يَذْكُرُ هَذَا الْحَدِيثَ يَقُولُ: قَدْ وَاللَّهِ جَرَّبْنَاهُمْ فَوَجَدْنَاهُ خَيْرَهُمْ، أَحَدَهُمْ لِلْبَرِّ، وَأَغْفَرَهُمُ لِلْمَسِيءِ، وَأَقْبَلَهُمُ لِلْعَذْرِ.

قَالَ هِشَامٌ: قَالَ عَوَانَةُ: فَوَلِيَ الْمَغِيرَةُ الْكُوفَةَ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ فِي جُمَادَى، وَهَلَكَ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ، فَجُمِعَتِ الْكُوفَةُ وَالْبَصْرَةُ لَزِيَادِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَأَقْبَلَ زِيَادٌ حَتَّى دَخَلَ الْقَصْرَ بِالْكُوفَةِ، ثُمَّ صَعِدَ الْمَنْبَرَ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا قَدْ جَرَّبْنَا وَجَرَّبْنَا، وَسَسْنَا وَسَاسْنَا السَّائِسُونَ، فَوَجَدْنَا هَذَا الْأَمْرَ لَا يَصْلَحُ آخَرُهُ إِلَّا بِمَا صَلَحَ أَوَّلُهُ، بِالطَّاعَةِ لِلْبَيْتِ الْمَشْبُوعِ سِرَّهَا بِعِلَانِيَتِهَا، وَغَيْبِ أَهْلِهَا بِشَاهِدِهِمْ، وَقُلُوبِهِمْ بِالْسُّنْتِهِمْ، وَوَجَدْنَا النَّاسَ لَا يَصْلَحُهُمْ إِلَّا لَيْنٌ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ، وَشِدَّةٌ فِي غَيْرِ عُنْفٍ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَقُومُ فِيكُمْ بِأَمْرٍ إِلَّا أَمْضِيتهُ عَلَى أَذْلَالِهِ، وَلَيْسَ مِنْ كَذِبَةٍ.

الشَّاهِدُ عَلَيْهَا مِنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ أَكْبَرُ مِنْ كَذِبَةِ إِمَامٍ عَلَى الْمَنْبَرِ ثُمَّ ذَكَرَ عُثْمَانَ وَأَصْحَابَهُ فَقَرَضَهُمْ، وَذَكَرَ قَتْلَتَهُ وَلَعَنَهُمْ فَقَامَ جَرُّ ففَعَلَ مِثْلَ الَّذِي كَانَ يَفْعَلُ بِالْمَغِيرَةِ، وَقَدْ كَانَ زِيَادٌ قَدْ رَجَعَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَوَلِيَ الْكُوفَةَ عَمْرُو بْنُ الْحَرِثِ، وَرَجَعَ إِلَى الْبَصْرَةِ فَلَبَّغَهُ أَنْ جَرًّا يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ شِيعَةُ عَلِيٍّ، وَيُظْهِرُونَ لَعْنَ مُعَاوِيَةَ وَالْبَرَاءَةَ مِنْهُ، وَأَنَّهُمْ حَصَبُوا عَمْرُو بْنَ الْحَرِثِ، فَشَخَّصَ إِلَى الْكُوفَةِ حَتَّى دَخَلَهَا، فَأَتَى الْقَصْرَ فَدَخَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ وَعَلَيْهِ قَبَاءُ سُنْدُسٍ وَمَطْرَفٌ خَزْ أَخْضَرُ، قَدْ فَرَّقَ شَعْرَهُ، وَجَرَّ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ حَوْلَهُ أَصْحَابَهُ أَكْثَرُ مَا كَانُوا، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ غَبَّ الْبَغِيُّ وَالْغِي وَخِيمٌ، إِنْ هُوَ لَاءُ جَمْعٍ فَأَشْرَوْا، وَأَمْنُونِي فَاجْتَرَأُوا عَلَيَّ، وَإِيْمَ اللَّهِ لَنْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِأَدَاوِيكُمْ بِدَوَائِكُمْ، وَقَالَ: مَا أَنَا بِشَيْءٍ إِنْ لَمْ أَمْنَعْ بَاحَةَ الْكُوفَةِ مِنْ جَرِّ وَأَدْعُهُ نَكَالًا لِمَنْ بَعْدَهُ! وَيَلْ أَمْكُ يَا جَرُّ! سَقَطَ الْعِشَاءُ بِكَ عَلَى سِرْحَانٍ، ثُمَّ قَالَ:

أَبْلَغُ نَصِيحَةٍ أَنْ رَاعِي إِبْلَاهَا ... سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانٍ

وَأَمَّا غَيْرُ عَوَانَةَ، فَإِنَّهُ قَالَ فِي سَبَبِ أَمْرِ جَرِّ مَا حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حَسَنِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُسْلِمُ الْجَرْمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: خَطَبَ زِيَادٌ يَوْمًا فِي الْجُمُعَةِ فَأَطَالَ الْخُطْبَةَ وَآخَرَ الصَّلَاةَ، فَقَالَ لَهُ جَرُّ بْنُ عَدِيٍّ: الصَّلَاةُ! فَخَضِيَ فِي خُطْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: الصَّلَاةُ! فَخَضِيَ فِي خُطْبَتِهِ، فَلَمَّا خَشِيَ جُرُّ فَوَتْ الصَّلَاةَ ضَرَبَ يَدَهُ إِلَى كَفِّ مِنَ الْحَصَا، وَثَارَ إِلَى الصَّلَاةِ وَثَارَ النَّاسُ مَعَهُ،

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ زِيَادٌ نَزَلَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فِي أَمْرِهِ، وَكَثُرَ عَلَيْهِ.
فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ أَنَّ شِدَّةَ فِي الْحَدِيدِ، ثُمَّ أَحْمَلَهُ إِلَيْهِ فَلَمَّا أَنَّ جَاءَ كِتَابُ مُعَاوِيَةَ أَرَادَ قَوْمُ حَجْرٍ أَنْ يَمْنَعُوهُ، فَقَالَ: لَا، وَلَكِنْ سَمِعْتُ وَطَاعَةً،
فَشَدَّ
فِي الْحَدِيدِ، ثُمَّ حَمَلَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ!
أَمَّا وَاللَّهِ لَا أَقِيلُكَ وَلَا أَسْتَقِيلُكَ، أَخْرِجُوهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَأَخْرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، فَقَالَ حُجْرٌ لِلَّذِينَ يَلُونُ أَمْرَهُ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ،
فَقَالُوا: صَلِّ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفَفَ فِيهِمَا، ثُمَّ قَالَ: لَوْلَا أَنَّ تَطَنُّوا بِي غَيْرَ الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَا حَبِيبَ أَنْ تَكُونُوا أَطْوَلَ مِمَّا كَاتَنَا، وَلَئِنْ لَمْ
يَكُنْ فِيهِمَا مَضَى مِنَ الصَّلَاةِ خَيْرٌ فَمَا فِي هَاتَيْنِ خَيْرٌ، ثُمَّ قَالَ لِمَنْ حَضَرَهُ مِنْ أَهْلِهِ: لَا تُطْلِقُوا عَنِّي حَدِيدًا، وَلَا تَغْسِلُوا عَنِّي دَمًا، فَإِنِّي
أُلَاقِي مُعَاوِيَةَ غَدًا عَلَى الْجَادَّةِ ثُمَّ قَدِمَ فَضْرِبَتْ عُنُقَهُ.

قَالَ مَخْلَدٌ: قَالَ هِشَامٌ: كَانَ مُحَمَّدٌ إِذَا سَثَلَ عَنِ الشَّهِيدِ يَغْسِلُ، حَدَّثَهُمْ حَدِيثُ حَجْرٍ.
قَالَ مُحَمَّدٌ: فَلَقِيتُ عَاشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ- قَالَ مَخْلَدٌ: أَظَنَّهُ بِمَكَّةَ- فَقَالَتْ: يَا مُعَاوِيَةَ، أَيْنَ كَانَ حَلْمُكَ عَنْ حَجْرٍ! فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّ
الْمُؤْمِنِينَ، لَمْ يَحْضُرْنِي رَشِيدٌ! قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: فَبَلَّغْنَا أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ جَعَلَ يَغْرِغُرُ بِالصَّوْتِ وَيَقُولُ:
يَوْمِي مِنْكَ يَا حَجْرُ يَوْمٌ طَوِيلٌ! قَالَ هِشَامٌ، عَنْ أَبِي مَخْنَفٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ نَعِيمٍ التَّمَرِيُّ، عَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْهَمْدَانِيِّ،
قَالَ: كُنْتُ فِي شَرَطِ زِيَادٍ، فَقَالَ زِيَادُ:

لِيَنْطَلِقَ بَعْضُكُمْ إِلَى حَجْرٍ فَلْيَدْعِهِ، قَالَ: فَقَالَ لِي أَمِيرُ الشَّرْطَةِ- وَهُوَ شَدَادُ بْنُ الْهَيْثَمِ الْهَلَالِيُّ: اذْهَبْ إِلَيْهِ فَادْعِهِ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: أَجِبْ
الْأَمِيرَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: لَا يَأْتِيهِ وَلَا كِرَامَةً! قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ، فَأَمَرَ صَاحِبُ الشَّرْطَةِ أَنْ يَبْعَثَ مَعِيَ رَجُلًا، قَالَ: فَبَعَثَ نَفَرًا،
قَالَ: فَأَتَيْنَاهُ فَقُلْنَا: أَجِبْ الْأَمِيرَ، قَالَ: فَسَبَّوْنَا وَشَتَمُونَا، فَرَجَعْنَا إِلَيْهِ فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، قَالَ: فَوُثِبَ زِيَادٌ بِأَشْرَافِ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَقَالَ: يَا
أَهْلَ الْكُوفَةِ، أَتَشْجُونَ بِيَدٍ وَتَأْسُونَ بِأُخْرَى! أَبْدَانُكُمْ مَعِيَ وَأَهْوَاؤُكُمْ مَعَ حَجْرٍ! هَذَا الْهَجْهَاجَةُ الْأَحْمَقُ الْمَذْبُوبُ
أَنْتُمْ مَعِيَ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَعَشَائِرُكُمْ مَعَ حَجْرٍ! هَذَا وَاللَّهِ مِنْ دَحْسِكُمْ وَغَشْمِكُمْ! وَاللَّهِ لَتُظْهَرَنَّ لِي بِرَاءَتُكُمْ أَوْ لَا تَبْنِيَكُمْ بِقَوْمٍ أَقِيمَ بِهِمْ أَوْدُكُمْ
وَصَعْرُكُمْ! فَوُثِبُوا إِلَى زِيَادٍ، فَقَالُوا: مَعَاذَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَنَا فِيهِمَا هَاهُنَا رَأْيٌ إِلَّا طَاعَتُكَ وَطَاعَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَكُلُّ مَا ظَنَنَّا أَنْ
فِيهِ رِضَاكَ، وَمَا يَسْتَبِينَ بِهِ طَاعَتَنَا وَخِلَافُنَا لِحَجْرٍ فَرْنَا بِهِ، قَالَ: فَلْيَقِمْ كُلُّ امْرَأٍ مِنْكُمْ إِلَى هَذِهِ الْجَمَاعَةِ حَوْلَ حَجْرٍ فَلْيَدْعِ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ
أَخَاهُ وَابْنَهُ وَذَا قَرَابَتِهِ وَمَنْ يَطِيعُهُ مِنْ عَشِيرَتِهِ، حَتَّى تَقِيمُوا عَنْهُ كُلٌّ مِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَقِيمُوهُ فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَأَقَامُوا جُلُوسًا مِنْ كَانَ مَعَ حَجْرٍ
بْنِ عَدِيٍّ، فَلَمَّا رَأَى زِيَادٌ أَنَّ جُلُوسًا مَعَ حَجْرٍ أَقِيمَ عَنْهُ، قَالَ لَشَدَادِ بْنِ الْهَيْثَمِ الْهَلَالِيِّ- وَيُقَالُ: هَيْثَمُ بْنُ شَدَادٍ أَمِيرُ شَرْطَتِهِ-: انْطَلِقْ
إِلَى حَجْرٍ، فَإِنْ تَبَعَكَ فَأَتْنِي بِهِ، وَإِلَّا فَرِّ مِنْ مَعَكَ فَلْيَنْتَزِعُوا عَمْدَ السُّوقِ، ثُمَّ يَشْدُوا بِهَا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَأْتُونِي بِهِ وَيَضْرِبُوا مِنْ حَالِ دُونِهِ فَأَتَاهُ
الْهَلَالِيُّ فَقَالَ: أَجِبْ الْأَمِيرَ، قَالَ: فَقَالَ أَصْحَابُ حَجْرٍ: لَا وَلَا نَعْمَةَ عَيْنٍ! لَا نَجِيبُهُ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: شَدُوا عَلَى عَمْدِ السُّوقِ، فَاشْتَدُوا إِلَيْهَا،
فَأَقْبَلُوا بِهَا قَدِ انْتَزَعُوهَا، فَقَالَ عَمِيرُ بْنُ يَزِيدَ الْكَنْدِيُّ مِنْ بَنِي هَنْدٍ- وَهُوَ أَبُو الْعَمْرِ:

إِنَّهُ لَيْسَ مَعَكَ رَجُلٌ مَعَهُ سَيْفٌ غَيْرِي، وَمَا يَغْنِي عَنْكَ! قَالَ: فَمَا تَرَى؟

قَالَ: قَمِ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ فَالْحَقْ بِأَهْلِكَ يَمْنَعُكَ قَوْمُكَ فَقَامَ زِيَادٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَغَسُوا بِالْعَمْدِ، فَضْرِبَ رَجُلٌ مِنَ الْحَمْرَاءِ- يُقَالُ
لَهُ بَكْرُ ابْنِ عَبِيدٍ- رَأْسَ عَمْرُو بْنِ الْحَمِقِ بِعَمُودٍ فَوْقَ، وَأَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ عُوَيْرٍ وَالْعَجْلَانُ بْنُ رَبِيعَةَ- وَهُمَا رَجُلَانِ مِنَ الْأَزْدِ- فَحَمَلَاهُ،
فَأَتَيَا بِهِ دَارَ رَجُلٍ مِنَ الْأَزْدِ- يُقَالُ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مَالِكٍ- نَجَبَاهُ بِهَا، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا مُتَوَارِيًا حَتَّى خَرَجَ مِنْهَا.

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ بْنِ الْأَحْمَرِ، قَالَ: لَمَّا انْصَرَفْنَا مِنْ غَزْوَةِ بَاجِمِيرَا قَبْلَ مَقْتَلِ مُصْعَبِ بَعَامٍ،
فَإِذَا أَنَا بِأَحْمَرِي يُسَايِرُنِي- وَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي ضَرَبَ فِيهِ عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ، وَمَا كُنْتُ أَرَى لَوْ رَأَيْتُهُ أَنْ أَعْرِفَهُ- فَلَمَّا رَأَيْتُهُ
ظَنَنْتُ

أنه هو هو، وذلك حين نظرنا إلى آيات الكوفة، فكرهت أن أسأله: أنت الضارب عمرو بن الحمق؟ فيكبرني، فقلت له: ما رأيك من اليوم الذي ضربت فيه رأس عمرو بن الحمق بالعمود في المسجد إلى يومي هذا، ولقد عرفتكَ الآن حين رأيك، فقال لي: لا تعدم بصرك، ما أثبت نظرك! كان ذلك أمر الشيطان، أما إنه قد بلغني أنه كان امرأ صالحاً، ولقد ندمت على تلك الضربة، فأستغفر الله فقلت له: الا ترى والله لا أفترق أنا وأنت حتى أضربك على رأسك مثل الضربة التي ضربتها عمرو بن الحمق أو أموت أو تموت! فناشدني الله وسألني الله، فأبيت عليه، ودعوت غلاماً لي يدعى رشيداً من سبي أصهبان معه قناة له صلبة، فأخذتها منه، ثم أحمل عليه بها، فنزل عن دابته، وألحقه حين استوت قدماه بالأرض، فأصفع بها هامته، فخر لوجهه، ومضيت وتركته، فبرأ بعد، فلقيته مرتين من الدهر، كل ذلك يقول: الله بيني وبينك! وأقول: الله عز وجل بينك وبين عمرو بن الحمق! ثم رجعت إلى أول الحديث قال: فلما ضرب عمراً تلك الضربة وحمله ذاك الرجلان، انحاز أصحاب حجر إلى أبواب كندة، ويضرب رجل من جذام كان في الشرطة رجلاً يقال له عبد الله بن خليفة الطائي بعمود، فضربه ضربة فصرعه، فقال وهو يرتجز:

قد علمت يوم الهياج خلتي ... أني إذا ما فتيتي تولت

وكثرت عداتها أو قلت ... أني قتال غداة بلت

وضربت يد عائذ بن حملة التميمي وكسرت نابه، فقال:

إن تكسروا نابي وعظم ساعدي ... فإن في سورة المناجد

وبعض شغب البطل المبالد.

وينتزع عموداً من بعض الشرطة، فقاتل به وحماً وأصحابه، حتى خرجوا من تلقاء أبواب كندة، وبغلة حجر موقوفة، فأتى بها أبو العمرطة إليه، ثم قال: اركب لا أب لغيرك! فوالله ما أراك إلا قد قتلت نفسك،

وقتلنا معك، فوضع حجر رجله في الركاب، فلم يستطع أن ينهض، فحمله أبو العمرطة على بغلته، ووثب أبو العمرطة على فرسه، فها هو إلا أن استوى عليه حتى انتهى إليه يزيد بن طريف المسلي - وكان يغمز - فضرب أبا العمرطة بالعمود على نخذه، ويختلط أبو العمرطة سيفه، فضرب به رأس يزيد بن طريف، فخر لوجهه ثم إنه برأ بعد، فله يقول عبد الله بن همام السلولي:

لؤم ابن لؤم ما عدا بك حاسراً ... إلى بطل ذي جراه وشكيم!

معاود ضرب الدار عين بسيفه ... على الهام عند الروع غير لثيم

إلى فارس الغارين يوم تلاقيا ... بصفين قرم خير نجل قروم

حسبت ابن برصاء الحنار قتاله ... قتالك زيدا يوم دار حكيم

وكان ذلك السيف أول سيف ضرب به في الكوفة في الاختلاف بين الناس ومضى حجر وأبو العمرطة حتى انتهيا إلى دار حجر، واجتمع إلى حجر ناس كثير من أصحابه، وخرج قيس بن فهدان الكندي على حمار له يسير في مجالس كندة، يقول:

يا قوم حجر دافعوا وصابولوا ... وعن أخيك ساعة فقاتلوا

لا يلفيا منكم حجر خاذل ... أليس فيكم راحم ونابل

وفارس مستلثم وراجل ... وضارب بالسيف لا يزايل!

فلم يأت من كندة كثير أحد وقال زياد وهو على المنبر: ليقم همدان وتميم وهوازن وأبناء أعصر ومذج وأسد وغطفان فليأتوا جبانة كندة، فليمضوا من ثم إلى حجر فليأتوني به ثم إنه كره أن يسير طائفة من مضر مع طائفة من أهل اليمن فيقع بينهم شغب واختلاف، وتفسد ما بينهم الحمية، فقال: لتقم تميم وهوازن وأبناء أعصر وأسد وغطفان، ولتمض

مذج وهمدان إلى جبانة كندة، ثم لينهضوا إلى حجر فليأتوني به، وليسر سائر أهل اليمن حتى ينزلوا جبانة الصائدين فليمضوا إلى صاحبهم،

فليأتوني به فخرت الأزد وبجيلة وخشم والأنصار وخزاعة وقضاعة، فنزلوا جبانة الصائدين، ولم تخرج حضرموت مع أهل اليمن لمكانهم من كندة، وذلك أن دعوة حضرموت مع كندة، فكروا الخروج في طلب حجر.

قال أبو مخنف: حدثني يحيى بن سعيد بن مخنف، عن محمد بن مخنف، قال: إني لمع أهل اليمن في جبانة الصائدين إذ اجتمع رؤوس أهل اليمن يتشاورون في أمر حجر، فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف: أنا مشير عليكم برأي إن قبلتموه رجوت أن تسلموا من الائمة والإثم، أرى لكم أن تلبثوا قليلا فإن سرعان شباب همدان ومذحج يكفونكم ما تكرهون أن تلوا من مساة قومكم في صاحبكم قال: فأجمع رأيهم على ذلك، قال: فوالله ما كان إلا كلا ولا حتى أتينا، فقليل لنا: إن مذحج وهمدان قد دخلوا فأخذوا كل من وجدوا من بني جبلة قال: فرأى أهل اليمن في نواحي دور كنده معذره، فبلغ ذلك زيادا، فأثنى على مذحج وهمدان وذم سائر أهل اليمن وإن حجرا لما انتهى إلى داره فنظر إلى قلة من معه من قومه، وبلغه أن مذحج وهمدان نزلوا جبانة كندة وسائر أهل اليمن جبانة الصائدين قال لأصحابه: انصرفوا فوالله ما لكم طاقة بمن قد اجتمع عليكم من قومكم، وما أحب أن أعرضكم للهلاك، فذهبوا لينصرفوا، فلحقهم

أوائل خيل مذحج وهمدان فعطف عليهم عمير بن يزيد وقيس بن يزيد وعبيدة بن عمرو البدي وعبد الرحمن بن محرز الطمحي وقيس ابن شمر، فتقاتلوا معهم، فقاتلوا عنه ساعة فجرحوا، وأسرق قيس بن يزيد، وأفلت سائر القوم، فقال لهم حجر: لا أبا لكم! تفرقوا لا تقاتلوا فإني آخذ في بعض السكك ثم آخذ طريقا نحو بني حرب، فسار حتى انتهى إلى دار رجل منهم يقال له سليم بن يزيد، فدخل داره، وجاء القوم في طلبه حتى انتهوا إلى تلك الدار، فأخذ سليم بن يزيد سيفه، ثم ذهب ليخرج إليهم، فبكت بناته، فقال له حجر: ما تريد؟ قال: أريد والله أسألهم أن ينصرفوا عنك، فإن فعلوا وإلا ضاربهم بسيفي هذا ما ثبت قائمه في يدي دونك، فقال حجر: لا أبا لغيرك! بئس ما دخلت به إذا على بناتك! قال: اني والله ما موتهن، ولا رزقهن إلا على الحي الذي لا يموت، ولا أشتري العار بشيء أبدا، ولا تخرج من داري أسيرا أبدا وأنا حي أملك قائم سيفي، فإن قتلت دونك فاصنع ما بدا لك قال حجر: أما في دارك هذه حائط أقتحمه، أو خوخة أخرج منها، عسى أن يسلمني الله عز وجل منهم ويسلمك، فإذا القوم لم يقدروا علي عندك لم يضروك! قال: بلى هذه خوخة تخرجك إلى دور بني العنبر وإلى غيرهم من قومك، فخرج حتى مر ببني ذهل، فقالوا له: مر القوم أنفا في طلبك ينفون أثرك.

فقال: منهم أهرب، قال: فخرج ومعه فتية منهم يتقصون به الطريق، ويسلكون به الأزقة حتى أفضى إلى النخع، فقال لهم عند ذلك: انصرفوا رحمكم الله! فانصرفوا عنه، وأقبل إلى دار عبد الله بن الحارث أخي الأشر فدخلها، فإنه لكذلك قد ألقى له الفرش عبد الله، وبسط له البسط، وتلقاه ببسط الوجه، وحسن البشر، إذ أتى فقيل له: إن الشرط تسأل عنك في النخع - وذلك أن أمة سوداء يقال لها: أدماء، لقيتهم، فقالت: من تطلبون؟

قالوا: نطلب حجرا، قالت: ها هو ذا قد رأيته في النخع، فانصرفوا نحو النخع - فخرج من عند عبد الله متكررا، وركب معه عبد الله بن الحارث ليلا حتى أتى دار ربيعة بن ناجد الأزدي في الأزد، فنزلها يوما وليلة، فلما أعجزهم أن يقدروا عليه دعا زياد بمحمد بن الأشعث فقال له: يا أبا ميثاء، أما والله لتأتيني بحجر أو لا أدع لك نخلة إلا قطعها، ولا دارا إلا هدمتها ثم لا تسلم مني حتى أقطعك إربا إربا، قال: أمهلني حتى أطلبه، قال:

قد أمهلتك ثلاثا، فإن جئت به وإلا عد نفسك مع الهلكى وأخرج محمد نحو السجن منتقع اللون يتل تلاء عنيفا، فقال حجر بن يزيد الكندي لزياد: ضمنه وخل سبيله يطلب صاحبه، فإنه مخلى سربه - أخرى أن يقدر عليه منه إذا كان محبوسا فقال أئضمنه؟ قال: نعم، قال: أما والله لئن حاص عنك لأزيرنك شعوب، وإن كنت الآن علي كريما.

قال: إنه لا يفعل، فخلى سبيله ثم إن حجر بن يزيد كله في قيس بن يزيد، وقد أتى به أسيرا، فقال لهم: ما على قيس بأس، قد عرفنا

رأيه في عثمان، وبلاءه يوم صفين مع أمير المؤمنين، ثم أرسل إليه فأتي به، فقال له: إني قد علمت إنك لم تقا تل مع حجر، أنك ترى رأيه، ولكن قاتلت معه حمية قد غفرتها لك لما أعلم من حسن رأيك، وحسن بلائك، ولكن لن أدعك حتى تأتيني بأخيك عمير، قال: أجيئك به إن شاء الله، قال: فهات من يضمه لي معك، قال: هذا حجر بن يزيد يضمه لك معي، قال حجر بن يزيد:

نعم أضمنه لك، على أن تؤمنه على ماله ودمه، قال: ذلك لك، فانطلقا فأتيا به وهو جريح، فأمر به فأوقر حديدا، ثم أخذته الرجال ترفعه، حتى إذا بلغ سررها ألقوه، فوقع على الأرض، ثم رفعوه وألقوه، ففعلوا به ذلك مرارا، فقام إليه حجر بن يزيد فقال: ألم تؤمنه على ماله ودمه أصلحك الله! قال: بلى، قد آمنت على ماله ودمه، ولست أهرق له دما، ولا آخذ

له مالا قال: أصلحك الله! يشفى به على الموت، ودنا منه وقام من كان عنده من أهل اليمن، فدنا منه وكلوه، فقال: أتضمنونه لي بنفسه، فتي ما أحدث حدثا أتيتموني به؟ قالوا: نعم، قال: وتضمنون لي أرش ضربة المسلي، قالوا: ونضمنا، نخلي سبيله.

ومكث حجر بن عدي في منزل ربيعة بن ناجد الأزدي يوما وليلة، ثم بعث حجر إلى محمد بن الأشعث غلاما له يدعى رشيدا من أهل أصبهان:

إنه قد بلغني ما استقبلك به هذا الجبار العنيد، فلا يهولنك شيء من أمره، فإني خارج إليك، أجمع نفرا من قومك ثم أدخل عليه فأسأله أن يؤمنني حتى يبعث بي إلى معاوية فيرى رأيه.

نفرج ابن الأشعث إلى حجر بن يزيد وإلى جرير بن عبد الله وإلى عبد الله بن الحارث أخي الأشتر، فأتاهم فدخلوا إلى زياد فكلوه وطلبوا إليه أن يؤمنه حتى يبعث به إلى معاوية فيرى فيه رأيه، ففعل، فبعثوا إليه رسوله ذلك يعلمونه أن قد أخذنا الذي تسأل، وأمروه أن يأتي، فأقبل حتى دخل على زياد فقال زياد: مرحبا بك أبا عبد الرحمن! حرب في أيام الحرب، وحرب وقد سالم الناس! على أهلها تجني براقش قال: ما خالعت طاعة، ولا فارقت جماعة، وإني لعل بيعتي، فقال: هيات هيات يا حجر! تشج بيد وتأسو بأخرى، وتريد إذا أمكن الله منك أن نرضى! كلا والله.

قال: ألم تؤمني حتى آتي معاوية فيرى في رأيه! قال: بلى قد فعلنا، انطلقوا به إلى السجن، فلما قفي به من عنده قال زياد: أما والله لولا أمانة ما برح أو يلفظ مهجة نفسه.

قال هشام بن عروة: حدثني عوانة، قال: قال زياد: والله لا حرصن على قطع خيط رقبتة.

قال هشام بن محمد، عن أبي مخنف، وحدثني المجالد بن سعيد، عن

الشعبي وزكرياء بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، أن حجرا لما قفي به من عند زياد نادى بأعلى صوته: اللهم إني على بيعتي، لا أقيلها ولا أستقبلها، سماع الله والناس وكان عليه برنس في غداة باردة، فحبس عشر ليال، وزياد ليس له عمل إلا طلب رؤساء أصحاب حجر، نفرج عمرو بن الحنق ورفاعة بن شداد حتى نزلا المدائن، ثم ارتحلا حتى أتيا أرض الموصل، فأتيا جبلا فكنا فيه، وبلغ عامل ذلك الرستاق أن رجلين قد كنا في جانب الجبل، فاستنكر شأنهما - وهو رجل من همدان يقال له عبد الله بن أبي بلتعة - فسار إليهما في الخليل نحو الجبل ومعه أهل البلد، فلما انتهى إليهما خرجا، فأما عمرو بن الحنق فكان مريضا، وكان بطنه قد سقى، فلم يكن عنده امتناع، وأما رفاعة بن شداد - وكان شابا قويا - فوثب على فرس له جواد، فقال له: أقاتل عنك؟ قال: وما ينفعني أن تقا تل! انج بنفسك إن استطعت، فحمل عليهما، فأفرجوا له، نفرج تنفر به فرسه، وخرجت الخليل في طلبه - وكان راميا - فأخذ لا يلحقه فارس إلا رماه فجرحه أو عقره، فانصرفوا عنه، وأخذ عمرو بن الحنق، فسأله:

من أنت؟ فقال: من إن تركتموه كان أسلم لكم، وإن قتلتموه كان أضر لكم، فسأله: فأبى أن يخبرهم، فبعث به ابن أبي بلتعة إلى عامل الموصل - وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي - فلما رأى عمرو بن الحنق عرفه، وكتب إلى معاوية بخبره، فكتب إليه معاوية: أنه زعم انه طعن عثمان ابن عفان تسع طعنات بمشاقص كانت معه، وإنا لا نريد أن نعتدي عليه، فأطعنه تسع طعنات كما

طعن عثمان، فأخرج فطعن تسع طعنات، فمات في الأولى منهن أو الثانية

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَحَدَّثَنِي الْمُجَالِدُ، عَنِ الشَّعْبِيِّ وَزَكَرِيَاءَ بْنِ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: وَجِهَ زِيَادٌ فِي طَلَبِ أَصْحَابِ حَجْرٍ، فَأَخَذُوا يَهْرَبُونَ مِنْهُ، وَيَأْخُذُ مَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ، فَبَعَثَ إِلَى قَبِيصَةَ بْنِ ضَبِيعَةَ بْنِ حَرْمَلَةَ الْعَبْسِيِّ صَاحِبِ الشَّرْطَةِ - وَهُوَ شَدَادُ بْنُ الْهَيْثَمِ - فَدَعَا قَبِيصَةَ فِي قَوْمِهِ، وَأَخَذَ سَيْفَهُ، فَأَتَاهُ رَبِيعُ بْنُ خَرَّاشَ بْنِ حِشْلِ الْعَبْسِيِّ وَرِجَالُ مَنْ قَوْمُهُ لَيْسُوا بِالْكَثِيرِ، فَارَادَ أَنْ يُقَاتِلَ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ الشَّرْطَةِ: أَنْتَ آمِنٌ عَلَى دَمِكَ وَمَالِكَ، فَلَمْ تَقْتُلْ نَفْسَكَ؟ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: قَدْ أَوْمَنْتَ، فَعَلَامَ تَقْتُلُ نَفْسَكَ وَتَقْتُلُنَا مَعَكَ! قَالَ: وَيَحْكُمُ! إِنْ هَذَا الدَّعِي ابْنُ الْعَاهِرَةِ، وَاللَّهِ لَئِنْ وَقَعَتْ فِي يَدِهِ لَا أَفْلَتَ مِنْهُ أَبَدًا أَوْ يَقْتُلَنِي، قَالُوا: كَلَّا، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي أَيْدِيهِمْ، فَأَقْبَلُوا بِهِ إِلَى زِيَادٍ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ زِيَادٌ: وَحَى عِبْسَ تَعَزَّوْنِي عَلَى الدِّينِ، أَمَا وَاللَّهِ لَا أَجْعَلَنَّ لَكَ شَاغِلًا عَنْ تَلْقِيحِ الْفَتَنِ، وَالتَّوَثُّبِ عَلَى الْأَمْرَاءِ، قَالَ: إِنِّي لَمْ أَتِكَ إِلَّا عَلَى الْأَمَانِ، قَالَ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى السَّجَنِ، وَجَاءَ قَيْسُ بْنُ عَبَادٍ الشَّيْبَانِيُّ إِلَى زِيَادٍ فَقَالَ لَهُ: إِنْ أَمْرًا مَنَا مِنْ بَنِي هَمَامٍ يُقَالُ لَهُ: صَيْفِيُّ بْنُ فَسِيلٍ مِنْ رِءُوسِ أَصْحَابِ حَجْرٍ، وَهُوَ أَشَدُّ النَّاسِ عَلَيْكَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ زِيَادٌ، فَأَتِي بِهِ، فَقَالَ لَهُ زِيَادٌ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ، مَا تَقُولُ فِي أَبِي تَرَابٍ؟ قَالَ: مَا أَعْرِفُ أَبَا تَرَابٍ، قَالَ: مَا أَعْرِفُكَ بِهِ! قَالَ: مَا أَعْرِفُهُ، قَالَ: أَمَا تَعْرِفُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَذَاكَ أَبُو تَرَابٍ، قَالَ: كَلَّا، ذَاكَ أَبُو الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ الشَّرْطَةِ:

يَقُولُ لَكَ الْأَمِيرُ: هُوَ أَبُو تَرَابٍ، وَتَقُولُ أَنْتَ: لَا! قَالَ: وَإِنْ كَذَبَ الْأَمِيرُ أَتُرِيدُ أَنْ أَكْذِبَ وَأَشْهَدَ لَهُ عَلَى بَاطِلٍ كَمَا شَهِدَ! قَالَ لَهُ زِيَادٌ: وَهَذَا أَيْضًا مَعَ ذَنْبِكَ! عَلِيٌّ بِالْعَصَا، فَاتَى بِهَا، فَقَالَ: مَا قَوْلُكَ فِي عَلِيٍّ؟ قَالَ: أَحْسَنُ قَوْلٍ أَنَا قَائِلُهُ فِي عَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَقُولُهُ فِي الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: اضْرِبُوا عَاتِقَهُ بِالْعَصَا

حَتَّى يَلْصُقَ بِالْأَرْضِ، فَضْرَبَ حَتَّى لَزِمَ الْأَرْضَ ثُمَّ قَالَ: اقْلَعُوا عَنْهُ، إِيَّاهُ، مَا قَوْلُكَ فِي عَلِيٍّ؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَوْ شَرَحْتَنِي بِالْمَوَاسِي وَالْمَدَى مَا قُلْتُ إِلَّا مَا سَمِعْتُ مِنِّي، قَالَ لَتَلْعَنَهُ أَوْ لِأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، قَالَ: إِذَا تَضَرَّبَهَا وَاللَّهِ قَبْلَ ذَلِكَ، فَإِنْ أُبَيَّتْ إِلَّا أَنْ تَضَرَّبَهَا رَضِيَتْ بِاللَّهِ، وَشَقِيتَ أَنْتَ، قَالَ: ادْفَعُوا فِي رَقَبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَوْقِرُوهُ حَدِيدًا، وَأَلْقُوهُ فِي السَّجَنِ.

ثُمَّ بَعَثَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلِيفَةَ الطَّائِي - وَكَانَ شَهِدَ مَعَ حَجْرٍ وَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا - فَبَعَثَ إِلَيْهِ زِيَادٌ بِكَبِيرِ بْنِ حَمْرَانَ الْأَحْمَرِيِّ - وَكَانَ تَبِيعَ الْعَمَالِ - فَبَعَثَهُ فِي أَنْاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَقْبَلُوا فِي طَلَبِهِ فَوَجَدُوهُ فِي مَسْجِدِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، فَأَخْرَجُوهُ، فَلَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَذْهَبُوا بِهِ - وَكَانَ عَزِيزَ النَّفْسِ - امْتَنَعَ مِنْهُمْ فَخَارِبَهُمْ وَقَاتَلَهُمْ، فَشَجَّوهُ وَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى سَقَطَ، فَنَادَتْ مِثْلَاءُ أُخْتَهُ:

يَا مَعْشَرَ طَيْئٍ، أَتَسْلَمُونَ ابْنَ خَلِيفَةَ لِسَانَكُمْ وَسِنَانَكُمْ! فَلَمَّا سَمِعَ الْأَحْمَرِيُّ نِدَاءَهَا خَشِيَ أَنْ تَجْتَمَعَ طَيْئٌ فِيهِلُكَ، فَهَرَبَ وَخَرَجَ نِسْوَةً مِنْ طَيْئٍ فَأَدْخَلَنَهَا دَارًا، وَينطلق الْأَحْمَرِيُّ حَتَّى أَتَى زِيَادًا فَقَالَ: إِنْ طَيْئًا اجْتَمَعَتْ إِلَيَّ فَلَمْ أَطْقِهِمْ، فَأَتَيْتُكَ، فَبَعَثَ زِيَادٌ إِلَى عَدِيِّ - وَكَانَ فِي الْمَسْجِدِ - فَخَبَسَهُ وَقَالَ: جِئْنِي بِهِ - وَقَدْ أَخْبَرَ عَدِي بِخَبْرِ عَبْدِ اللَّهِ - فَقَالَ عَدِي:

كَيْفَ آتَيْتُكَ بِرَجُلٍ قَدْ قَتَلَهُ الْقَوْمُ؟ قَالَ: جِئْتَنِي حَتَّى أَرَى أَنْ قَدْ قَتَلْتَهُ، فَاعْتَلَّ لَهُ وَقَالَ: لَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ، وَلَا مَا فَعَلَ! فَخَبَسَهُ، فَلَمْ يَبْقَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَصْرِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ وَرَبِيعَةٍ وَمَضَرَ إِلَّا فَرَعَ لِعَدِيِّ، فَأَتُوا زِيَادًا فَكَلَمُوهُ فِيهِ، وَأَخْرَجَ عَبْدُ اللَّهِ فَتَغَيَّبَ فِي بَحْتَرٍ، فَأُرْسِلَ إِلَى عَدِيِّ: إِنْ شِئْتَ أَنْ أَخْرِجَ حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِكَ فَعَلْتُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَدِي: وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ تَحْتَ قَدَمِي مَا رَفَعْتُهُمَا عَنْكَ فَدَعَا زِيَادٌ عَدِيًّا، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَخْلِي سَبِيلَكَ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ

لِي لَتْنَفِيهِ مِنَ الْكُوفَةِ، وَلِتَسِيرَ بِهِ إِلَى الْجَبَلَيْنِ، قَالَ: نَعَمْ، فَارْجِعْ وَأُرْسِلْ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلِيفَةَ: اخْرُجْ، فَلَوْ قَدْ سَكَنَ غَضَبُهُ لَكَلِمَتُهُ فَيَكُ حَتَّى تَرْجِعَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَخَرَجَ إِلَى الْجَبَلَيْنِ.

وَأَتَى زِيَادٌ بِكَرِيمِ بْنِ عَفِيفٍ الْخُثْعَمِيِّ فَقَالَ: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: أَنَا كَرِيمُ بْنُ عَفِيفٍ، قَالَ: وَيْحَكَ، أَوْ وَيْلَكَ! مَا أَحْسَنَ اسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ،

وأسوأ عملك ورأيك! قَالَ: أما والله إن عهدك برأيي لمنذ قريب، ثُمَّ بعث زياد إلى أصحاب حجر حتى جمع اثني عشر رجلاً في السجن ثُمَّ إنه دعا رؤوس الأرباع، فَقَالَ: اشهدوا على حجر بما رأيتم منه- وَكَانَ رؤوس الأرباع يَوْمَئِذٍ: عمرو بن حريث على ربع أهل المدينة، وخالد بن عرفطة على ربع تميم وهمدان، وقيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة على ربع ربيعة وكندة، وأبو بردة بن أبي موسى على مذبح وأسد- فشهد هؤلاء الأربعة أن حجراً جمع إليهم الجميع، وأظهر شتم الخليفة، ودعا إلى حرب أمير المؤمنين، وزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل أبي طالب، ووثب بالمصر وأخرج عامل أمير المؤمنين، وأظهر عذر أبي تراب والترحم عليه، والبراءة من عدوه وأهل حربه، وأن هؤلاء النفر الذين معه هم رؤوس أصحابه، وعلى مثل رأيه وأمره ثُمَّ أمر بهم ليخرجوا، فأتاه قيس بن الوليد فَقَالَ: إنه قد بلغني أن هؤلاء إذا خرج بهم عرض لهم فبعث زياد إلى الكاسية فابتاع إبلاً صعباً، فشد عليها المحامل، ثُمَّ حملهم عليها في الرحبة أول النهار، حتى إذا كَانَ العشاء قَالَ زياد: من شاء فليعرض، فلم يتحرك من الناس أحد، ونظر زياد في شهادة الشهود فَقَالَ: ما أظن هذه الشهادة قاطعة، وإني لأحب أن يكون الشهود أكثر من أربعة.

قَالَ أَبُو مخنف: حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ حَصِيرَةَ، عَنْ أَبِي الْكَنُودِ- وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُبَيْدٍ- وَأَبُو مَخْنَفٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَنْدَبٍ وَسُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ، عَنْ أَبِي الْكَنُودِ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ الشُّهُودِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا شَهِدَ عَلَيْهِ أَبُو بَرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، شَهِدَ أَنَّ حَجْرَ بْنَ عَدِي خَلَعَ الطَّاعَةَ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَلَعَنَ الْخَلِيفَةَ، وَدَعَا إِلَى الْحَرْبِ وَالْفِتْنَةِ، وَجَمَعَ إِلَيْهِ الْجَمُوعَ يَدْعُوهُمْ إِلَى نَكْثِ الْبَيْعَةِ وَخَلَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ، وَكَفَرَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كُفْرَةَ صَلَافٍ.

فَقَالَ زِيَادٌ: عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الشَّهَادَةِ فَاشْهَدُوا، أَمَا وَاللَّهِ لَأُجْهَدَنَّ عَلَى قَطْعِ خِيَطِ عُنُقِ الْخَائِنِ الْأَحْمَقِ، فَشَهِدَ رُءُوسُ الْأَرْبَاعِ الثَّلَاثَةِ الْآخَرُونَ عَلَى مِثْلِ شَهَادَتِهِ- وَكَانُوا أَرْبَعَةً- ثُمَّ إِنَّ زِيَادًا دَعَا النَّاسَ فَقَالَ: اشهدوا على مثل شهادة رؤوس الأرباع فقرأ عليهم الكتاب، فقام أول الناس عناق بن شُرْحِيلِ بْنِ أَبِي دَهْمٍ التِّمِيمِيِّ تِيمَ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، فَقَالَ: يَبْنُو اسْمِي، فَقَالَ زِيَادٌ: ابدءوا بأَسَامِي قُرَيْشٍ، ثُمَّ اكتبوا اسم عناق في الشهود، ومن نعرفه ويعرفه أمير المؤمنين بالنصيحة والاستقامة.

فَشَهِدَ إِسْحَاقُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَمُوسَى بْنُ طَلْحَةَ، وَاسْمَاعِيلُ بْنُ طَلْحَةَ ابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَالْمَنْذَرُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَعِمَارَةُ بْنُ عَقْبَةَ بْنِ ابْنِ مَعِيْطٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ هِنَادٍ، وَعُمَرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَامِرُ بْنُ مَسْعُودٍ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ، وَمُحْرَزُ بْنُ جَارِيَةَ بْنِ رِبْعَةَ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلَمِ بْنِ شُعْبَةَ الْحَضْرَمِيِّ، وَعِنَاقُ بْنُ شُرْحِيلِ بْنِ أَبِي دَهْمٍ، وَوَائِلُ بْنُ حَجْرٍ الْحَضْرَمِيِّ، وَكَثِيرُ بْنُ شَهَابٍ بْنُ حَصِينِ الْحَارِثِيِّ، وَقُطْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَصِينٍ، وَالسَّرِيُّ بْنُ وَقَّاصِ الْحَارِثِيِّ- وَكَتَبَ شَهَادَتَهُ وَهُوَ غَائِبٌ فِي عَمَلِهِ- وَالسَّائِبُ بْنُ الْأَقْرَعِ الثَّقَفِيُّ، وَشَبْتُ بْنُ رَبْعِيٍّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي عَقِيلِ الثَّقَفِيِّ، وَمَصْقَلَةُ بْنُ هَبِيرَةَ الشَّيْبَانِيِّ، وَالْقَعْقَاعُ بْنُ شُورٍ الدَّهْلِيِّ، وَشَدَادُ بْنُ الْمَنْذَرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ وَعَلَةَ الدَّهْلِيِّ- وَكَانَ يَدْعِي ابْنَ بَرِيعَةَ، فَقَالَ:

مَا لِهَذَا أَبِ يَنْسَبُ إِلَيْهِ! أَلْقُوا هَذَا مِنَ الشُّهُودِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ أَخُو الْحَضْرَمِيِّ، وَهُوَ ابْنُ الْمَنْذَرِ، قَالَ: فَانْسَبُوهُ إِلَى أَبِيهِ، فَانْسَبَ إِلَى أَبِيهِ، فَبَلَغَتْ شَدَادًا، فَقَالَ: وَيْلِي عَلَى ابْنِ الزَّانِيَةِ! أَوْ لَيْسَتْ أُمُّهُ أَعْرَفُ مِنْ أَبِيهِ! وَاللَّهِ

مَا يَنْسَبُ إِلَّا إِلَى أُمِّهِ سَمِيَّةَ وَحَجَّارُ بْنُ أَبَجْرِ الْعَجَلِيِّ فَغَضِبَتْ رِبْعَةُ عَلَى هَؤُلَاءِ الشُّهُودِ الَّذِينَ شَهِدُوا مِنْ رِبْعَةَ وَقَالُوا لَهُمْ: شَهِدْتُمْ عَلَى أَوْلِيَانَا وَحَلَفْنَا! فَقَالُوا:

مَا نَحْنُ إِلَّا مِنَ النَّاسِ، وَقَدْ شَهِدَ عَلَيْهِمْ نَاسٌ مِنْ قَوْمِهِمْ كَثِيرٌ- وَعَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ الزُّبَيْدِيُّ وَلَيْدُ بْنُ عَطَارِدِ التِّمِيمِيِّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمِيرِ بْنِ عَطَارِدِ التِّمِيمِيِّ، وَسُوَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ التِّمِيمِيِّ مِنْ بَنِي سَعْدٍ، وَأَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ الْفَزَارِيِّ- كَانَ يَعْتَذِرُ مِنْ أَمْرِهِ- وَشَمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ الْعَامِرِيِّ، وَشَدَادُ وَمُرْوَانُ ابْنَا الْهَيْثَمِ الْهَلَالِيَانِ، وَمُحْفَزُ بْنُ ثَعْلَبَةَ مِنْ عَائِذَةِ قُرَيْشٍ، وَالْهَيْثَمُ بْنُ الْأَسْوَدِ النَّخْعِيِّ- وَكَانَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِمْ- وَعَبْدُ

الرَّحْمَنُ بْنُ قَيْسِ الْأَسَدِيِّ، وَالْحَارِثُ وَشَدَادُ ابْنِ الْأَزْمَعِ الْهَمْدَانِيَّانِ، ثُمَّ الْوَادِعِيَّانِ، وَكُرَيْبُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ يَزِيدَ الْجَعْفِيِّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ الْجَعْفِيِّ، وَزَحْرُ بْنُ قَيْسِ الْجَعْفِيِّ، وَقَدَامَةُ بْنُ الْعَجْلَانِ الْأَزْدِيُّ وَعِزْرَةُ بْنُ عِزْرَةَ الْأَحْمَسِيِّ - وَدَعَا الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ وَعَمْرُوهُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ لِيَشْهَدُوا عَلَيْهِ، فَرَاغَا - وَعَمْرُ بْنُ قَيْسٍ ذِي الْحَيَّةِ وَهَانِيُّ بْنُ أَبِي حَيَّةِ الْوَادِعِيَّانِ.

فَشَهِدَ عَلَيْهِ سَبْعُونَ رَجُلًا، فَقَالَ زِيَادٌ: أَلْقَوْهُمْ إِلَّا مَنْ قَدْ عَرَفَ بِحَسَبٍ وَصَلَاحٍ فِي دِينِهِ، فَأَلْقَوْا حَتَّى صَيَّرُوا إِلَى هَذِهِ الْعِدَّةِ، وَأَلْقَيْتُ شَهَادَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَجَّاجِ الثُّعْلَبِيِّ، وَكُتِبَتْ شَهَادَةُ هَؤُلَاءِ الشُّهُودِ فِي صَحِيفَةٍ، ثُمَّ دَفَعَهَا إِلَى وَائِلِ بْنِ حَجْرٍ الْحَضْرَمِيِّ وَكَثِيرِ بْنِ شَهَابِ الْحَارِثِيِّ، وَبَعَثَهُمَا عَلَيْهِمَا، وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَخْرُجَا بِهِمَا وَكُتِبَ فِي الشُّهُودِ شَرِيحُ ابْنِ الْحَارِثِ الْقَاضِي وَشَرِيحُ بْنُ هَانِيٍّ الْحَارِثِيِّ، فَأَمَّا شَرِيحٌ فَقَالَ: سَأَلَنِي عَنْهُ، فَأَخْبَرْتَهُ أَنَّهُ كَانَ صَوَامًا قَوَامًا، وَأَمَّا شَرِيحُ بْنُ هَانِيٍّ الْحَارِثِيِّ فَكَانَ يَقُولُ: مَا شَهِدْتُ، وَلَقَدْ بُلَغَنِي أَنَّ قَدْ كُتِبَتْ شَهَادَتِي، فَأَكْذَبْتَهُ وَلَمْتَهُ، وَجَاءَ وَائِلُ بْنُ حَجْرٍ وَكَثِيرُ بْنُ شَهَابٍ فَأَخْرَجَ الْقَوْمَ عَشِيَّةً، وَسَارَ مَعَهُمْ صَاحِبُ الشَّرْطَةِ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنَ الْكُوفَةِ.

فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى جَبَانَةِ عِرْزَمٍ نَظَرَ قَبِيصَةُ بْنُ ضَبِيعَةَ الْعَبْسِيُّ إِلَى دَارِهِ وَهِيَ فِي جَبَانَةِ عِرْزَمٍ، فَإِذَا بَنَاتُهُ مُشْرِفَاتٌ، فَقَالَ لَوَائِلَ وَكَثِيرٍ: ائْذْنَا لِي فَأَوْصِي أَهْلِي، فَأْذْنَا لَهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ وَهَنَ يَبْكِينَ، سَكَتَ عَنْهُمْ سَاعَةً ثُمَّ

٥٠١٥٠٢ تسميه الذين بعث بهم إلى معاوية

قَالَ: اسْكُنْ، فَسَكُنْتَ، فَقَالَ: اتَّقِنِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَاصْبِرْ، فَإِنِّي أَرْجُو مِنْ رَبِّي فِي وَجْهِ هَذَا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ: إِمَّا الشَّهَادَةَ، وَهِيَ السَّعَادَةُ، وَإِمَّا الْإِنْصِرَافَ إِلَيْكَ فِي عَافِيَةٍ، وَإِنَّ الَّذِي كَانَ يَرْزُقُكَ وَيَكْفِيُنِي مَثُونَتَكَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى - وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ - أَرْجُو أَلَّا يَضِيعَ عَنْكَ وَأَنْ يَحْفَظَنِي فَيَكُنْ ثُمَّ أَنْصَرَفَ فَرَبَّقُوهُ، فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَدْعُونَ اللَّهَ لَهُ بِالْعَافِيَةِ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَمَّا يَعْدِلُ عِنْدِي خَطَرٌ مَا أَنَا فِيهِ هَلَاكٌ قَوْمِي يَقُولُ: حَيْثُ لَا يَنْصُرُونِي، وَكَانَ رَجَاءُ أَنْ يَخْلُصُوهُ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي النَّضْرُ بْنُ صَالِحِ الْعَبْسِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَرِّ الْجَعْفِيِّ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَوَاقِفٌ عِنْدَ بَابِ السَّرِيِّ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ حِينَ مَرُّوا بِحَجْرٍ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: أَلَا عَشْرَةٌ رَهَطٌ اسْتَنْقَذَ بِهِمْ هَؤُلَاءِ! أَلَا خَمْسَةٌ! قَالَ: فَجَعَلَ يَتْلَهفُ، قَالَ: فَلَمْ يَجِبْنِي أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، قَالَ:

فَضُّوا بِهِمْ حَتَّى انْتَهَوْا بِهِمْ إِلَى الْغُرَيْنِ، فَلَحَقَهُمْ شَرِيحُ بْنُ هَانِيٍّ مَعَهُ كِتَابٌ، فَقَالَ لِكَثِيرٍ: بَلِّغْ كِتَابِي هَذَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: مَا فِيهِ؟ قَالَ: لَا تَسْأَلَنِي فِيهِ حَاجَتِي، فَأَبَى كَثِيرٌ وَقَالَ: مَا أَحَبُّ أَنْ آتِيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكِتَابٍ لَا أُدْرِي مَا فِيهِ، وَعَسَى أَنْ يَوَافِقَهُ! فَأَتَى بِهِ وَائِلُ بْنُ حَجْرٍ فَقَبِلَهُ مِنْهُ ثُمَّ مَضَوْا بِهِمْ حَتَّى انْتَهَوْا بِهِمْ إِلَى مَرْجِ عَذْرَاءَ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ دِمَشْقَ اثْنَا عَشَرَ مِيلًا.

تسميه الذين بعث بهم إلى معاوية

حَجْرُ بْنُ عَدِيِّ بْنِ جَبَلَةَ الْكَنْدِيِّ، وَالْأَرْقَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَنْدِيُّ مِنْ بَنِي الْأَرْقَمِ، وَشَرِيكُ بْنُ شَدَادٍ الْحَضْرَمِيِّ، وَصَيْفِيُّ بْنُ فَسِيلٍ، وَقَبِيصَةُ بْنُ ضَبِيعَةَ بْنِ حَرْمَلَةَ الْعَبْسِيِّ، وَكُرَيْمُ بْنُ عَفِيفٍ الْخَثْعَمِيُّ، مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ شَهْرَانَ ثُمَّ مِنْ حَقَافَةٍ، وَعَاصِمُ بْنُ عَوْفٍ الْبَجَلِيُّ، وَوَرَقَاءُ بْنُ سَمِيِّ الْبَجَلِيِّ، وَكَدَامُ بْنُ حَيَّانٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانِ الْعَنْزِيَّانِ مِنْ بَنِي هَمِيمٍ، وَمُحَرِّزُ بْنُ شَهَابِ التَّمِيمِيِّ مِنْ بَنِي مَنْقَرٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَوِيَّةِ السَّعْدِيِّ مِنْ

بَنِي تَمِيمٍ، فَضُّوا بِهِمْ حَتَّى نَزَلُوا مَرْجَ عَذْرَاءَ، فَخَبَسُوا بِهَا ثُمَّ انْزَادَا أَتْبَعَهُمْ بَرَجْلَيْنِ آخَرَيْنِ مَعَ عَامِرِ بْنِ الْأَسْوَدِ الْعَجَلِيِّ، بَعْتَبَةُ بْنُ الْأَخْنَسِ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ، وَسَعِيدُ بْنُ نَمْرَانَ الْهَمْدَانِيَّ ثُمَّ النَّاعِطِيَّ، فَتَمَوْا أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَبَعَثَ مُعَاوِيَةَ إِلَى وَائِلِ بْنِ حَجْرٍ وَكَثِيرِ بْنِ شَهَابٍ فَأَدْخَلَهُمَا، وَفَضَّ كِتَابَهُمَا، فَقَرَأَهُ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ، فَإِذَا فِيهِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَعَبَدَ اللَّهُ مُعَاوِيَةَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْبَلَاءَ، فَكَادَ لَهُ عَدُوهُ، وَكَفَاهُ مَوْتُهُ مِنْ بَغْيٍ عَلَيْهِ أَنْ طَوَّاعِيَتْ مِنْ هَذِهِ التَّرَايَةِ السَّبْيَةِ، رَأْسَهُمْ حَجْرُ بْنُ عَدِيِّ خَالِفُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَفَارَقُوا جَمَاعَةَ

المُسْلِمِينَ، ونصبوا لنا الحرب، فأظهرنا الله عليهم، وأمكننا منهم، وَقَدْ دعوت خيار أهل مصر وأشرفهم وذوي السن والدين منهم، فشهدوا عليهم بما رأوا وعملوا، وَقَدْ بعثت بهم إلى أمير المؤمنين، وكتبت شهادة صلحاء أهل مصر وخيارهم في أسفل كتابي هذا. فلما قرأ الكتاب وشهادة الشهود عليهم، قال: ماذا ترون في هؤلاء النفر الذين شهد عليهم قومهم بما تستمعون؟ فقال له يزيد بن أسد البجلي: أرى أن تفرقهم في قرى الشام فيكفيهم طواغيتهم.

ودفع وائل بن حجر كتاب شريح بن هانئ إلى معاوية، فقرأه فإذا فيه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من شريح بن هانئ أما بعد، فإنه بلغني أن زيادا كتب إليك بشهادتي على حجر بن عدي، وأن شهادتي على حجر أنه ممن يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويديم الحج والعمرة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، حرام الدم والمال، فإن شئت فاقتله، وإن شئت فدعه فقرأ كتابه على وائل بن حجر وكثير، فقال: مَا أَرَى هَذَا إِلَّا قَدْ أخرج نفسه من شهادتك فبس القوم بمرج عذراء، وكتب معاوية إلى زياد: أما بعد، فقد فهمت ما اقتصصت به من أمر حجر وأصحابه، وشهادة من قبلك عليهم، فنظرت في ذلك، فأحيانا أرى قتلهم أفضل من تركهم، وأحيانا أرى العفو عنهم أفضل من قتلهم والسلام.

فكتب إليه زياد مع يزيد بن حجة بن ربيعة التيمي: أما بعد، فقد قرأت كتابك، وفهمت رأيك في حجر وأصحابه، فعجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم، وَقَدْ شهد عليهم بما قد سمعت من هو أعلم بهم، فإن كانت لك حاجة في هذا المصر فلا تردن حجرا وأصحابه إلي. فأقبل يزيد بن حجة حتى مر بهم بعذراء فقال: يا هؤلاء، أما والله ما أرى براءتكم، وَلَقَدْ جئت بكتاب فيه الذبح، فروني بما أحببت مما ترون أنه لكم نافع أعمل به لكم وأنطق به فقال حجر: أبلغ معاوية أنا على بيعتنا، لا نستقيها ولا نقيها، وأنه إنما شهد علينا الأعداء والأطناء.

فقدم يزيد بالكتاب إلى معاوية فقرأه، وبلغه يزيد مقالة حجر، فقال معاوية: زياد أصدق عندنا من حجر، فقال عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي - ويقال: عثمان بن عمير الثقفي: جذاذا جذاذا، فقال له معاوية: لا تعن أبرأ فخرج أهل الشام ولا يدرون ما قال معاوية وعبد الرحمن، فأتوا النعمان بن بشير فقالوا له مقالة ابن أم الحكم، فقال النعمان: قتل القوم، وأقبل عامر بن الأسود العجلي وهو بعذراء يريد معاوية ليعلمه علم الرجلين اللذين بعث بهما زياد، فلما ولي ليمضي قام إليه حجر بن عدي يرسف في القيود، فقال: يا عامر، اسمع مني، أبلغ معاوية أن دماءنا عليه حرام، وأخبره أنا قد أومنا وصلحناه، فليقت الله، ولينظر في أمرنا فقال له نحوا من هذا الكلام، فأعاد عليه حجر مرارا، فكان الآخر عرض، فقال قد فهمت لك - أكثرت، فقال له حجر: إني ما سمعت بعيب، وعلى أية تلوم! إنك والله تحب وتعطى، وأن حجرا يقدم ويقتل، فلا أملك أن تستقل كلامي، اذهب عنك، فكأنه استجيا، فقال: لا والله ما ذلك بي، ولا بلغن ولا جهدن، وكأنه يزعم أنه قد فعل، وأن الآخر ابى

فدخل عامر على معاوية فأخبره بأمر الرجلين قال: وقام يزيد بن أسد البجلي فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي ابني عمي - وَقَدْ كَانَ جرير بن عبد الله كتب فيهما: ان امرئين من قومي من أهل الجماعة والرأي الحسن، سعى بهما ساع ظنين إلى زياد، فبعث بهما في نفر الكوفيين الذين وجه بهم زياد إلى أمير المؤمنين وهما ممن لا يحدث حدثا في الإسلام ولا بغيا على الخليفة، فلينفعهما ذلك عند أمير المؤمنين - فلما سألهما يزيد ذكر معاوية كتاب جرير، فقال: قد كتب إلي ابن عمك فيهما جرير، محسنا عليهما الثناء، وهو أهل أن يصدق قوله، وتقبل نصيحته، وَقَدْ سألتني ابني عمك، فهما لك وطلب وائل بن حجر في الأرقم فتركه له، وطلب أبو الأعور السلمي في عتبة بن الأخنس فوهبه له، وطلب حمرة بن مالك الهمداني في سعيد ابن نمران الهمداني فوهبه له، وكلهم حبيب بن مسلمة في ابن حوية، نفلى سبيله.

وقام مالك بن هبيرة السكوني، فَقَالَ لمعاوية: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، دَعِ لِي ابْنَ عَمِّي حِجْرًا، فَقَالَ: إِنَّ ابْنَ ابْنِ عَمِّكَ حِجْرًا رَأْسَ الْقَوْمِ، وَأَخَافُ أَنْ خَلَيْتَ سَبِيلَهُ أَنْ يَفْسِدَ عَلَيَّ مِصْرِي، فَيَضْطَرُّنَا غَدًا إِلَى أَنْ نَشْخَصَكَ وَأَصْحَابَكَ إِلَيْهِ بِالْعِرَاقِ فَقَالَ لَهُ: وَاللَّهِ مَا أَنْصَفْتَنِي يَا مُعَاوِيَةَ، قَاتَلْتَ مَعَكَ ابْنَ عَمِّكَ فَتَلْقَانِي مِنْهُمْ يَوْمَ كَيَوْمِ صَفِينٍ، حَتَّى ظَفَرْتُ كَفْكَ، وَعَلَا كَعْبُكَ وَلَمْ تَخَفِ الدَّوَاءَ، ثُمَّ سَأَلْتُكَ ابْنَ عَمِّي فَسَطَوْتَ وَبَسَطْتَ مِنَ الْقَوْلِ بِمَا لَا أَتَنَفَّعُ بِهِ، وَتَخَوَّفْتَ فِيمَا زَعَمْتَ عَاقِبَةُ الدَّوَاءِ! ثُمَّ أَنْصَرَفَ لِمَجْلِسٍ فِي بَيْتِهِ، فَبَعَثَ مُعَاوِيَةَ هَدْبَةَ بَنِي فَيَاضَ الْقِضَاعِيِّ مِنْ بَنِي سَلَامَانَ بْنِ سَعْدٍ وَالْحَصِينِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكَلَابِيِّ وَأَبَا شَرِيفِ الْبَدِيِّ، فَأَتَوْهُمْ عِنْدَ الْمَسَاءِ، فَقَالَ الْخَثْعَمِيُّ حِينَ رَأَى الْأَعُورَ مُقْبِلًا: يَقْتُلُ نَصَفَنَا وَيَجْعَلُ نَصَفَنَا، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ ثَمَرَانَ:

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِمَّنْ يَنْجُو وَأَنْتَ عَنِّي رَاضٍ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَانَ الْعَنْزِي: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِمَّنْ يَكْرَهُ بَهْوَانَهُمْ وَأَنْتَ عَنِّي رَاضٍ، فَطَلَمَا عَرَضْتُ نَفْسِي لِلْقَتْلِ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا مَا أَرَاهُ! فَجَاءَ رَسُولُ مُعَاوِيَةَ إِلَيْهِمْ بِتَخْلِيَةِ سِتَّةٍ وَبَقِيَتْ ثَمَانِيَّةٌ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ مُعَاوِيَةَ: إِنَّا قَدْ أَمَرْنَا أَنْ نَعْرِضَ عَلَيْكُمْ الْبَرَاءَةَ مِنْ عَلِيٍّ وَاللَّعْنَ لَهُ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ تَرْكًا لَكُمْ، وَإِنْ أَيْتَمَّ قَتْلُنَاكُمْ، وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزْعُمُ أَنْ دِمَاءَكُمْ قَدْ حَلَّتْ لَهُ بِشَهَادَةِ أَهْلِ مِصْرَكم عَلَيْكُمْ، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ عَفَا عَنْ ذَلِكَ، فَابْرَأُوا مِنْ هَذَا الرَّجُلِ نَحْلُ سَبِيلِكُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا لَسْنَا فَاعِلِي ذَلِكَ فَأَمْرٌ بِقُبُورِهِمْ خَفَرْتُ، وَأَدْنَيْتُ أَكْفَانَهُمْ، وَقَامُوا اللَّيْلَ كُلَّهُ يَصْلُونَ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَالَ أَصْحَابُ مُعَاوِيَةَ: يَا هَؤُلَاءِ، لَقَدْ رَأَيْنَاكُمْ الْبَارِحَةَ قَدْ أَطْلَمْتُمُ الصَّلَاةَ، وَأَحْسَنْتُمُ الدُّعَاءَ، فَأَخْبَرُونَا مَا قَوْلُكُمْ فِي عُثْمَانَ؟ قَالُوا: هُوَ أَوَّلُ مَنْ جَارَ فِي الْحُكْمِ، وَعَمِلَ بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَقَالَ أَصْحَابُ مُعَاوِيَةَ: أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ أَعْلَمَ بِكُمْ، ثُمَّ قَامُوا إِلَيْهِمْ فَقَالُوا: تَبْرَأُونَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ! قَالُوا: بَلْ نَتَوَلَّاهُ وَنَتَبَرَّأُ مِنْ تَبْرَأَ مِنْهُ، فَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلًا لِيَقْتُلَهُ، وَوَقَعَ قَبِيصَةُ بْنُ ضَبِيْعَةَ فِي يَدِي أَبِي شَرِيفِ الْبَدِيِّ، فَقَالَ لَهُ قَبِيصَةُ: إِنَّ الشَّرِيَيْنِ قَوْمِي وَقَوْمُكَ أَمِنْ، فَلْيَقْتُلْنِي سَوَاكَ، فَقَالَ لَهُ: بَرْتُكَ رَحِمًا! فَأَخَذَ الْحَضْرَمِيُّ فَقَتَلَهُ، وَقَتَلَ الْقِضَاعِيُّ قَبِيصَةَ بْنَ ضَبِيْعَةَ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّ حِجْرًا قَالَ لَهُمْ: دَعُونِي أَتَوَضَّأُ، قَالُوا لَهُ: تَوَضَّأْ، فَلَمَّا أَنْ تَوَضَّأَ قَالَ لَهُمْ: دَعُونِي أَصَلُّ رَكْعَتَيْنِ فَايْمُنَ اللَّهُ مَا تَوَضَّأْتُ قَطُّ إِلَّا صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، قَالُوا: لَتَصَلِّ، فَصَلَّى، ثُمَّ أَنْصَرَفَ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا صَلَّيْتُ صَلَاةَ قَطُّ أَقْصَرَ مِنْهَا، وَلَوْلَا أَنْ تَرَوْا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ مِنَ الْمَوْتِ لَا أَحْبَبْتُ أَنْ أَسْتَكْثِرَ مِنْهَا ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعْدِيكَ عَلَى أُمَّتِنَا، فَإِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ شَهِدُوا عَلَيْنَا، وَإِنَّ أَهْلَ الشَّامِ يَقْتُلُونَنَا، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ قَتَلْتُمُونِي بِهَا إِنِّي لِأَوَّلُ فَارِسٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ هَلَكَ فِي وَادِيهَا، وَأَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَجَّيْتَهُ كَلَابِهَا فَشَنَى إِلَيْهِ الْأَعُورَ هَدْبَةَ بَنِي فَيَاضَ بِالسَّيْفِ، فَأَرْعَدَتْ خِصَالُهُ، فَقَالَ: كَلَّا، زَعَمْتُ

أَنَّكَ لَا تَجْزِعُ مِنَ الْمَوْتِ، فَأَنَا أَدْعُكَ فَابْرَأْ مِنْ صَاحِبِكَ، فَقَالَ: مَا لِي لَا أَجْزِعُ وَأَنَا أَرَى قَبْرًا مُحْفُورًا، وَكَفْنَا مَنْشُورًا، وَسَيْفًا مَشْهُورًا، وَإِنِّي وَاللَّهِ إِنْ جَزَعْتُ مِنَ الْقَتْلِ لَا أَقُولُ مَا يَسْخَطُ الرَّبَّ فَقَتَلَهُ، وَأَقْبَلُوا يَقْتُلُونَهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا حَتَّى قَتَلُوا سِتَّةً فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَانَ الْعَنْزِي وَكَرِيمُ بْنُ عَفِيفٍ الْخَثْعَمِيُّ: ابْعَثُوا بَنِي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَنَحْنُ نَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مِثْلَ مَقَالَتِهِ، فَبَعَثُوا إِلَى مُعَاوِيَةَ يُخْبِرُونَهُ بِمَقَالَتِهِمَا، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ أَنْ ابْعَثُونِي بِهِمَا.

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ الْخَثْعَمِيُّ: اللَّهُ اللَّهُ يَا مُعَاوِيَةَ، فَإِنَّكَ مَنقُولٌ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ الزَّائِلَةِ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ الدَّائِمَةِ، ثُمَّ مَسْئُولٌ عَمَّا أُرَدْتُ بِقَتْلِنَا، وَفِيمَ سَفَكْتَ دِمَاءَنَا، فَقَالَ مُعَاوِيَةَ: مَا تَقُولُ فِيَّ عَلِيٌّ؟ قَالَ: أَقُولُ فِيهِ قَوْلُكَ، قَالَ: أَتَبْرَأُ مِنْ دِينِ عَلِيٍّ الَّذِي كَانَ يَدِينُ اللَّهُ بِهِ؟ فَسَكَتَ، وَكَرِهَ مُعَاوِيَةَ أَنْ يُجِيبَهُ وَقَامَ شَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ بَنِي خُفَافَةَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَبْ لِي ابْنَ عَمِّي، قَالَ: هُوَ لَكَ، غَيْرَ أَنِّي حَاسِبُهُ شَهْرًا، فَكَانَ يَرْسِلُ إِلَيْهِ بَيْنَ كُلِّ يَوْمَيْنِ فَيَكَلِّمُهُ، وَقَالَ لَهُ: إِنِّي لِأَنْفُسِ بَكَ عَلَى الْعِرَاقِ أَنْ يَكُونَ فِيهِمْ مِثْلُكَ.

ثُمَّ إِنَّ شَمْرًا عَاوَدَهُ فِيهِ الْكَلَامَ، فَقَالَ: نَمْرُكَ عَلَى هَبَةِ ابْنِ عَمِّكَ، فَدَعَاهُ نَحْلُ سَبِيلِهِ عَلَى الْإِلا يَدْخُلُ إِلَى الْكُوفَةِ مَا كَانَ لَهُ سُلْطَانٌ، فَقَالَ: تَخِيرُ أَيُّ بِلَادِ الْعَرَبِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أَسِيرَكَ إِلَيْهَا، فَاخْتَارَ الْمَوْصِلَ، فَكَانَ يَقُولُ:

لَوْ قَدْ مَاتَ مُعَاوِيَةَ قَدِمْتُ الْمِصْرَ، فَمَاتَ قَبْلَ مُعَاوِيَةَ بِشَهْرٍ.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَنْزِيِّ فَقَالَ: إِيه يَا أَخَا رَيْبَعَةَ! مَا قَوْلُكَ فِي عَلِيٍّ؟ قَالَ: دَعْنِي وَلَا تَسْأَلْنِي فَإِنَّهُ خَيْرٌ لَّكَ، قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَدْعُكَ حَتَّى تَخْبِرَنِي عَنْهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَمِنَ الْآمِرِينَ بِالْحَقِّ، وَالْقَائِمِينَ بِالْقِسْطِ، وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ، قَالَ: فَمَا قَوْلُكَ

٥٠١٥٣ تسميه من قتل من اصحاب حجر رحمه الله

٥٠١٥٤ تسميه من نجا منهم

فِي عُثْمَانَ؟ قَالَ: هُوَ أَوَّلُ مَنْ فَتَحَ بَابَ الظُّلْمِ، وَأَرْجَى أَبْوَابِ الْحَقِّ، قَالَ:

قَتَلْتُ نَفْسَكَ، قَالَ: بَلْ إِيَّاكَ قَتَلْتُ، وَلَا رَيْبَعَةَ بِالْوَادِي - يَقُولُ حِينَ كَلَّمَ شَمْرَ الْخَثْعَمِيِّ فِي كَرِيمِ بْنِ عَفِيفٍ الْخَثْعَمِيِّ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ يَكَلِّمُهُ فِيهِ - فَبَعَثَ بِهِ مُعَاوِيَةَ إِلَى زِيَادٍ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ هَذَا الْعَنْزِيَّ شَرٌّ مِنْ بَعَثْتُمْ، فَعَاقِبَهُ عَقُوبَتَهُ الَّتِي هُوَ أَهْلُهَا وَقَتْلَهُ شَرَّ قَتْلَةٍ.

فَلَمَّا قَدِمَ بِهِ عَلَى زِيَادٍ بَعَثَ بِهِ زِيَادٌ إِلَى قَسِ النَّاطِفِ، فَدَفَنَ بِهِ حَيًّا.

قَالَ: وَلَمَّا حَمَلَ الْعَنْزِيَّ وَالْخَثْعَمِيَّ إِلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ الْعَنْزِيُّ لِلْحَجَرِ:

يَا حَجَرُ، لَا يَبْعِدُنكَ اللَّهُ، فَنَعَمْ أَخُو الْإِسْلَامِ كُنْتُ! وَقَالَ الْخَثْعَمِيُّ:

لَا تَبْعُدْ وَلَا تَفْقُدْ، فَقَدْ كُنْتُ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ثُمَّ ذَهَبَ بِهِمَا وَأَتَّبَعَهُمَا بِصَرِهِ، وَقَالَ: كَفَى بِالْمَوْتِ قِطَاعًا لِحَبْلِ الْقَرَأَتَيْنِ!

فَذَهَبَ بَعْتَبَةُ بْنُ الْأَخْنَسِ وَسَعِيدُ بْنُ ثَمَرَانَ بَعْدَ حَجَرٍ بِأَيَّامٍ، نَخَلَى سَبِيلَهُمَا

. تَسْمِيَةُ مَنْ قَتَلَ مِنْ أَصْحَابِ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ

حَجَرُ بْنُ عَدِيٍّ، وَشَرِيكُ بْنُ شَدَادٍ الْحَضْرَمِيِّ، وَصَيْفِيُّ بْنُ فَسِيلٍ الشَّيْبَانِيِّ، وَقَبِيصَةُ بْنُ ضَبِيْعَةَ الْعَبْسِيِّ، وَمُحَرِّزُ بْنُ شَهَابٍ السَّعْدِيِّ ثُمَّ الْمَنْقَرِيُّ، وَكَدَامُ بْنُ حِيَانَ الْعَنْزِيِّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَانَ الْعَنْزِيِّ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَى زِيَادٍ فَدَفَنَ حَيًّا بِقَسِ النَّاطِفِ، فَهُمْ سَبْعَةٌ قَتَلُوا وَكَفَّنُوا وَصَلَّى عَلَيْهِمْ.

[قَالَ: فَرَزَعُوا أَنْ الْحَسَنَ لَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُ حَجَرٍ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ: صَلُّوا عَلَيْهِمْ، وَكَفَّنُوهُمْ، وَاسْتَقْبَلُوا بِهِمُ الْقَبْلَةَ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: حُجُّوهُمْ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ!]

تَسْمِيَةُ مَنْ نَجَا مِنْهُمْ

كَرِيمُ بْنُ عَفِيفٍ الْخَثْعَمِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُوَيْةِ التَّمِيمِيِّ، وَعَاصِمُ بْنُ

عُوفِ الْبَجَلِيِّ، وَوَرَقَاءُ بْنُ سَمِيِّ الْبَجَلِيِّ، وَالْأَرْقَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَنْدِيِّ، وَعَتَبَةُ بْنُ الْأَخْنَسِ، مِنْ بَنِي سَعِيدِ بْنِ بَكْرٍ، وَسَعِيدُ بْنُ ثَمَرَانَ الْهَمْدَانِيُّ فَهُمْ سَبْعَةٌ.

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ السَّكُونِيُّ حِينَ أَبِي مُعَاوِيَةَ أَنْ يَهَبَ لَهُ حَجَرًا وَقَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ قَوْمُهُ مِنْ كَنْدَةَ وَالسَّكُونِ وَنَاسٍ مِنَ الْيَمَنِ كَثِيرًا، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَنَحْنُ أَغْنَى عَنْ مُعَاوِيَةَ مِنْ مُعَاوِيَةَ عَنَّا، وَإِنَّا لَنَجِدُ فِي قَوْمِهِ مِنْهُ بَدَلًا، وَلَا يَجِدُ مِنَّا فِي النَّاسِ خَلْفًا، سِيرُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَلَنَخْلُهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ، فَأَقْبَلُوا يَسِيرُونَ وَلَمْ يَشْكُوا أَنَّهُمْ بَعْدُ رَاءَ لَمْ يَقْتُلُوا، فَاسْتَقْبَلْتَهُمْ قَتَلْتَهُمْ قَدْ خَرَجُوا مِنْهَا، فَلَمَّا رَأَوْهُ فِي النَّاسِ ظَنُّوا إِنَّمَا جَاءَ بِهِمْ لِيُخْلَصَ حَجَرًا مِنْ أَيْدِيهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا وَرَاءَ كَمْ؟ قَالَ: تَابَ الْقَوْمُ، وَجِئْنَا لِنُخْبِرَ مُعَاوِيَةَ.

فَسَكَتَ عَنْهُمْ، وَمَضَى نَحْوَ عِذْرَاءَ، فَاسْتَقْبَلَهُ بَعْضُ مَنْ جَاءَ مِنْهَا فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ قَتَلُوا، فَقَالَ: عَلِيٌّ بِالْقَوْمِ! وَتَبِعْتَهُمُ الْخَلِيلُ وَسَبَقُوهُمْ حَتَّى دَخَلُوا عَلَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرُوهُ خَبَرَ مَا أَتَى لَهُ مَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ: اسْكُنُوا، فَإِنَّمَا هِيَ حَرَارَةٌ يَجِدُهَا فِي نَفْسِهِ، وَكَأَنَّهَا قَدْ طَفَّتْ، وَرَجَعَ مَالِكُ حَتَّى نَزَلَ فِي مَنْزِلِهِ، وَلَمْ يَأْتِ مُعَاوِيَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ فَأَبَى أَنْ يَأْتِيَهُ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ بَعَثَ إِلَيْهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَقَالَ لَهُ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَشْفَعَكَ فِي ابْنِ عَمِّكَ إِلَّا شَفَقَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَصْحَابِكَ أَنْ يَعِيدُوا لَكُمْ

حرباً أخرى، وأن حجر بن عدي لو قد بقي خشيت أن يكلفك وأصحابك الشخوص إليه، وأن يكون ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حجر، فقبلها، وطابت نفسه، وأقبل إليه من غده في جموع قومه حتى دخل عليه ورضي عنه.
قال أبو مخنف: وحديثي عبد الملك بن نوفل بن مساحق، أن عائشة رضي الله عنها بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية في حجر

وأصحابه، فقدم عليه وقد قتلهم، فقال له عبد الرحمن: أين غاب عنك حلم أبي سفيان؟ قال: غاب عني حين غاب عني مثلك من حلما قومي، وحملني ابن سمية فاحتملت.

قال أبو مخنف: قال عبد الملك بن نوفل: كانت عائشة تقول: لولا أنا لم تغير شيئاً إلا آلت بنا الأمور إلى أشد مما كنا فيه لغيرنا قتل حجر، أما والله إن كان ما علمت لمسلها حجاجاً معتمراً قال أبو مخنف: وحديثي عبد الملك بن نوفل، عن سعيد المقبري، أن معاوية حين حج مر على عائشة - رضوان الله عليهما - فاستأذن عليها، فأذنت له، فلما قعد قالت له: يا معاوية، أأمنت أن أخبأ لك من يقتلك؟ قال: بيت الأمن دخلت، قالت: يا معاوية، أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه؟ قال: لست أنا قتلهم، إنما قتلهم من شهد عليهم.
قال أبو مخنف: حديثي زكرياء بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، قال:

أدركت الناس وهم يقولون: إن أول ذل دخل الكوفة موت الحسن بن علي وقتل حجر بن عدي، ودعوة زياد.
قال أبو مخنف: وزعموا أن معاوية قال عند موته: يوم لي من ابن الأدر طويل! ثلاث مرات - يعني حجراً.
قال أبو مخنف: عن الصقعب بن زهير، عن الحسن، قال: أربع خصال كن في معاوية، لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة: انتزأه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعائه زياداً، وقد [قال رسول الله ص: الولد للفراش، وللعاهر الحجر،] وقتله حجراً، ويلاً له من حجراً مرتين.
وقالت هند ابنة زيد بن مخزومة الأنصارية، وكانت تشيع ترثي حجراً:

ترفع أيها القمر المنير ... تبصر هل ترى حجراً يسير
يسير إلى معاوية بن حرب ... ليقتله كما زعم الأمير
تجبرت الجبابر بعد حجر ... وطاب لها الخورنق والسدير
واصبحت البلاد بها محولاً ... كأن لم يحيا مزناً مطير
ألا يا حجر حجر بني عدي ... تلتقتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أوردى عدياً ... وشيخاً في دمشق له زئير
يرى قتل الخيلار عليه حقاً ... له من شر أمته وزير
ألا يا ليت حجراً مات موتاً ... ولم ينخر كما نخر البعير!
فان تهلك فكل زعيم قوم ... من الدنيا إلى هلك يصير
وقالت الكندية ترثي حجراً - ويقال: بل قائلها هذه الأنصارية:
دموع عيني ديمة تقطر ... تبكي على حجر وما تفتقر
لو كانت القوس على أسره ... ما حمل السيف له الأعور
وقال الشاعر يحرض بني هند من بني شيبان على قيس بن عباد حين سعى بصيفي بن فسيل:
دعا ابن فسيل يال مرة دعوة ... ولاقي ذباب السيف كفا ومعصما
فحرض بني هند إذا ما لقيتهم ... وقل لغياث وابنه يتكلمها

لتبك بني هند قتيلة مثل ما ... بكت عرس صيفي وتبعث مأتما
غياث بن عُمَران بن مُرَّة بن الحَارِث بن دب بن مُرَّة بن ذهل بن شيبان، وَكَانَ شريفاً، وقتيلة أخت قيس بن عباد، فعاش قيس بن
عباد حتَّى

قاتل مع ابن الأشعث في موطنه، فَقَالَ حوشب للحجاج بن يُوسُف: إن منا امراً صاحب فتن ووثوب على السلطان، لم تكن فتنة في
العراق قط إلا وثب فيها، وَهُوَ ترابي، يلعن عُثْمَانَ، وَقَدْ خرج مع ابن الأشعث فشهد معه في موطنه كلها، يحرض الناس حتَّى إذا
أهلكهم الله، جَاءَ فجلس في بيته، فبعث إِلَيْهِ الحجاج فضرب عنقه، فَقَالَ بنو أَبِيهِ لآل حوشب: إنما سعيتم بنا سعيًا، فَقَالُوا لَهُمْ: وَأَنْتُمْ
إنما سعيتم بصاحبنا سعيًا.

فَقَالَ أَبُو مخنف: وَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بن خليفة الطَّائِيَّ شهد مع حجر ابن عدي، فطلبه زياد فتواري، فبعث إِلَيْهِ الشرط، وهم أهل الحراء
يَوْمَئِذٍ، فأخذوه، ونفرت أخته النوار فَقَالَتْ: يَا معشر طيئ، أتلهمون سننكم ولسانكم عَبْدُ اللَّهِ بن خليفة! فشد الطائيون على الشرط
فضربوهم وانتزعوا مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بن خليفة، فرجعوا إِلَى زياد، فأخبروه، فوثب على عدي ابن حاتم وَهُوَ في المسجد، فَقَالَ: ائتني بعد
الله بن خليفة، قَالَ: وما لَهُ! فأخبره، قَالَ: فهذا شَيْءٌ كَانَ في الحي لا علم لي بِهِ، قَالَ: وَاللَّهِ لتأتيني بِهِ، قَالَ: لا، وَاللَّهِ لا آتيك بِهِ أبداً،
أجيتك بآبن عمي تقتله! وَاللَّهِ لو كان تحت قدمي مَا رفعتما عنه قَالَ: فَأَمَرَ بِهِ إِلَى السجن، قَالَ: فلم يبق بالكوفة يمانى ولا رباعي إلا
أتاه وكله، وَقَالُوا: تفعل هَذَا بعدي بن حاتم صاحب رَسُولِ اللَّهِ ص! قَالَ: فإني أخرجهُ على شرط، قَالُوا: مَا هُوَ؟ قَالَ: يخرج ابن عمه
عني فلا يدخل الكُوفَةَ مَا دام لي بِهَا سلطان فَأَتَى عدي فأخبر بِذَلِكَ، فَقَالَ: نعم، فبعث عدي الى عبد الله ابن خليفة فقال: يا بن
أخي، إن هَذَا قد لَجَّ في أمرك، وَقَدْ أبى إلا إخراجك عن مصرِكَ مَا دام لَهُ سلطان، فالحق بالجليلين، فخرج، فجعل عبد الله ابن خليفة
يكتب إِلَى عدي، وجعل عدي يمينه، فكتب إِلَيْهِ:

تذكرت لَيْلِي والشبيبة أعصرا ... وذكر الصبا برح على من تذكرنا
وولى الشباب فافتقدت غضونه ... فيا لك من وجد بِهِ حين ادبرا!
فدع عنك تذكُّر الشباب وفقده ... وآثاره إذ بان مِنْكَ فأقصرا
وبك على الخلان لما تحرموا ... ولم يجدوا عن منهل الموت مصدرا
دعتهم منايهم ومن حان يومه ... مِنَ النَّاسِ فاعلم أنه لن يؤخرا
أُولَئِكَ كَانُوا شيعَةَ لي وموئلا ... إذا الْيَوْمُ أَلْفِي ذا احتدام مذكرا
وما كنت أهوى بعدهم متعللا ... بشيء من الدُّنْيَا وَلَا أن أعمرنا
أقول وَلَا وَاللَّهِ أنسى اذكاهم ... سيجيس الليالي أو أموت فأقبرا
على أهل عذراء السلام مضاعفا ... من الله وليسق الغمام الكنهورا
ولاقي بِهَا حجر من الله رحمة ... فقد كَانَ أَرْضَى الله حجر وأعدرا
وَلَا زال تهطال ملث وديمة ... على قبر حجر أو ينادى فيحشرا
فيا حجر من الخيل تدمى نحورها ... وللملك المغزي إذا مَا تغشما
ومن صادق بالحق بعدك ناطق ... بتقوى ومن إن قيل بالجور غيرا
فنعم أخو الإسلام كنت وإنني ... لأطمع أن تؤتَى الخلود وتحبرا
وَقَدْ كنت تعطي السيف في الحرب حقه ... وتعرف معروفًا وتكر منكرا
فيا أخوينا من هميم عصمتما ... ويسرنا للصالحات فأبشرا
ويا أخوي الخندفين أبشرا ... فقد كنتما حييتما أن تبشرا

ويا إخوتنا من حضرموت وغالب ... وشيبان لقيتم حسابا ميسرا
سعدتم فلم أسمع بأصوب منكم ... حجاجا لدى الموت الجليل وأصبرا
سأبكيكم ما لاح نجم وغرد ... الحمام ببطن الوادين وقرقرا
فقلت ولم أظلم أغوث بن طيئ ... متى كنت أخشى بينكم أن أسيرا!
هبلتم ألا قاتلتهم عن أخيك ... وقد ذب حتى مال ثم تجورا
ففرجتم عني فغودرت مسلما ... كأني غريب في إياد وأعصرا
فن لكم مثلي لدى كل غارة ... ومن لكم مثلي إذا البأس أحصرا
ومن لكم مثلي إذا الحرب قلصت ... وأوضع فيها المستमित وشمرا
فها انا ذا داري بأجبال طيئ ... طريدا ولو شاء الإله لغيرا
نفاني عدوي ظلما عن مهاجري ... رضيت بما شاء الإله وقدر
وأسلهني قومي لغير جناية ... كأن لم يكونوا لي قبيلة ومعشرا
فإن ألف في دار بأجبال طيئ ... وكان معانا من عصير ومحضرا
فما كنت أخشى أن أرى متغربا ... لحا الله من لاحي عليه وكثرا
لحا الله قتل الحضرميين واثلا ... ولاقى الفنا من السنان الموفرا
ولاقى الردى القوم الذين تحزبوا ... علينا وقالوا قول زور ومنكرا
فلا يدعني قوم لغوث بن طيئ ... لأن دهرهم أشقى بهم وتغيرا
فلم اغزهم في المعلمين ولم أثر ... عليهم عجاجا بالكويصة أكدرا
فبلغ خليلي أن رحلت مشرقا ... جديلة والحين معنا وبحترا
ونبهان والأفناء من جذم طيئ ... ألم أك فيكم ذا الغناء العشنزرا!
الم تذكروا يوم العذيب أليتي ... امامكم الا أرى الدهر مدبرا!
وكري على مهران والجمع حاسر ... وقتلي الهمام المستमित المسورا
ويوم جلولاء الواقعة لم ألم ... ويوم نهاوند الفتوح وتسترا
وتنسوني يوم الشريعة والقنا ... بصفين في أكثافهم قد تكسرا
جزى ربه عني عدي بن حاتم ... برفضي وخذلاني جزاء موفرا
أتنسى بلائي سادرا يا بن حاتم ... عشية ما أغنت عديك حزمرا!
فدافعت عنك القوم حتى تحاذلوا ... وكنت أنا الخضم الألد العذورا
فولوا وما قاموا مقامي كأثما ... رأوني ليثا بالأبءة مخدرا
نصرتكم إذ خام القريب وأبعط ... البعيد وقد أفردت نصرا مؤزرا
فكان جزائي أن أجرد بينكم ... سجيننا وأن أولى الهوان وأوسرا
وكم عدة لي منك انك راجعي ... فلم تعن بالميعاد عني حبيرا
فأصبحت أرمي النيب طورا وتارة ... أهرهر إن راعي الشويهاة هرهرا
كأني لم أركب جوادا لغارة ... ولم أترك القرن الكمي مقطرا

٥١٥٥ ذكر استعمال الربيع بن زياد على خراسان

ولم أعترض بالسيف خيلاً مغيرة ... إذا النكس مشى القهقري ثم جرجرا
ولم أستحث الركض في إثر عصابة ... ميممة علياً بجاس وأهرا
ولم أذعر الإبلام مني بغارة ... كورد القطا ثم انحدرت مظفرا
ولم أرى في خيل تطاعن بالقنا ... بقزوين أو شروين أو أغز كندرا
فذلك دهر زال عني حميده ... وأصبح لي معروفه قد تنكرا
فلا يبعدن قومي وإن كنت غائبا ... وكنت المضاع فيهم والمكفرا
ولا خير في الدنيا ولا العيش بعدهم ... وإن كنت عنهم نائي الدار محصرا
فمات بالجلبين قبل موت زياد.
وقال عبدة الكندي ثم البدوي، وهو يعير محمد بن الأشعث بخذلانه جرجا:
أسلمت عمك لم تقاتل دونه ... فرقا ولولا أنت كان منيعا
وقتل وافتد آل بيت محمد ... وسلبت أسيافا له ودروعا
لو كنت من أسد عرفت كرامتي ... ورأيت لي بيت الحباب شفيعا
ذكر استعمال الربيع بن زياد على خراسان

وفي هذه السنة وجه زياد الربيع بن زياد الحارثي أميرا على خراسان بعد موت الحكم بن عمرو الغفاري، وكان الحكم قد استخلف على عمله بعد موته أنس بن أبي أناس، وأنس هو الذي صلى على الحكم حين مات فدفن في دار خالد بن عبد الله أخي خلود بن عبد الله الحنفي، وكتب بذلك الحكم إلى زياد، فعزل زياد أنسا، وولى مكانه خلود بن عبد الله الحنفي
فحدثني عمر، قال: حدثني علي بن محمد، قال: لما عزل زياد أنسا وولى مكانه خلود بن عبد الله الحنفي قال أنس:

ألا من مبلغ عني زيادا ... مغلغة يخب بها البريد
أتعزلي وتطعمها خليدا ... لقد لاقت حنيفة ما تريد
عليكم باليامة فاحرثوها ... فأولكم وآخركم عبيد

فولى خليدا شهرا ثم عزله، وولى خراسان ربيع بن زياد الحارثي في أول سنة إحدى وخمسين، فنقل الناس عيالاتهم إلى خراسان، ووطنوا بها، ثم عزل الربيع.

فحدثني عمر، قال: حدثني علي، عن مسلمة بن محارب وعبد الرحمن ابن أبان القرشي، قالا: قدم الربيع خراسان ففتح بلخ صلحا، وكانوا قد أغلقوها بعد ما صالحهم الأحنف بن قيس، وفتح قهستان عنوة، وكانت بناحيها أترأ، فقتلهم وهزمهم، وكان ممن بقي منهم نيزك طرخان، فقتله قتيبة بن مسلم في ولايته.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: غزا الربيع فقطع النهر ومعه غلامه فروخ وجاريتته شريفة، فغنم وسلم، فأعنت فروخا، وكان قد قطع النهر قبله الحكم بن عمرو في ولايته ولم يفتح.

فحدثني عمر، عن علي بن محمد، قال: كان أول المسلمين شرب من النهر مولى للحكم، اغترف بترسه فشرب، ثم ناول الحكم فشرب، وتوضأ وصلى من وراء النهر ركعتين، وكان أول الناس فعل ذلك، ثم قفل.

وجج بالناس في هذه السنة يزيد بن معاوية، حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال

الْوَأْقِدِيُّ.

وَكَانَ الْعَامِلُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى الْمَدِينَةِ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، وَعَلَى الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَالْمَشْرِقِ كُلِّهِ زِيَادُ بْنُ أَبِي رَافٍ، وَعَلَى قَضَاءِ الْبَصْرَةِ عَمِيرَةُ بْنُ يَثْرِبِي.

٥٠١٦ سنه اثنتين وخمسين

ثُمَّ دَخَلْتُ

سنة اثنتين وخمسين

فَرَعِمَ الْوَأْقِدِيُّ أَنَّ فِيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ سُفْيَانَ بْنِ عَوْفٍ الْأَزْدِيِّ، وَمَشْتَاهُ بِأَرْضِ الرُّومِ، وَأَنَّهُ تَوَفَّى بِهَا، وَاسْتَخْلَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعَدَةَ الْفَزَارِي.

وَقَالَ غَيْرُهُ: بَلِ الَّذِي شَتَا بِأَرْضِ الرُّومِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِالنَّاسِ بَسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاةَ، وَمَعَهُ سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ الْأَزْدِيُّ، وَغَزَا الصَّائِفَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيُّ.

وَجَّجَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ فِي قَوْلِ أَبِي مَعْشَرٍ وَالْوَأْقِدِيِّ وَغَيْرِهِمَا. وَكَانَتْ عَمَالُ الْأَمْصَارِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ هُمُ الْعَمَالُ عَلَيْهَا كَانُوا فِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ

٥٠١٧ سنه ثلاث وخمسين

٥٠١٧.١ ذكر سبب مهلك زياد بن سميه

ثُمَّ دَخَلْتُ

سنة ثلاث وخمسين

(ذَكَرَ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَحْدَاثِ) فَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ مَشَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أُمِّ الْحَكَمِ الثَّقَفِيُّ بِأَرْضِ الرُّومِ. وَفِيهَا فَتَحَتْ رُودَسُ، جَزِيرَةٌ فِي الْبَحْرِ، فَفَتَحَهَا جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أَمِيهِ الْأَزْدِيِّ، فَتَزَلُّهَا الْمُسْلِمُونَ - فِيمَا ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ - وَزَرَعُوا وَاتَّخَذُوا بِهَا أَمْوَالًا وَمَوَاشِيًا يَرْعُونَهَا حَوْلَهَا، فَإِذَا أَمْسَوْا أَدْخَلُوهَا الْحَصْنَ، وَلَهُمْ نَاطُورٌ يَحْذَرُهُمْ مَا فِي الْبَحْرِ مِمَّنْ يَرِيدُهُمْ بِكَيْدٍ، فَكَانُوا عَلَى حَذَرٍ مِنْهُمْ، وَكَانُوا أَشَدَّ شَيْءٍ عَلَى الرُّومِ، فَيَعْتَرِضُونَهُمْ فِي الْبَحْرِ فَيَقْطَعُونَ سَفْنَهُمْ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ يَدْرُلُهُمُ الْأَرْزَاقُ وَالْعَطَاءُ، وَكَانَ الْعَدُوُّ قَدْ خَافَهُمْ، فَلَمَّا مَاتَ مُعَاوِيَةُ أَقْفَلَهُمْ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ.

وَفِيهَا كَانَتْ وَفَاةُ زِيَادِ بْنِ سَمِيَةَ، حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ فَيْلٍ مَوْلَى زِيَادٍ، قَالَ: مَلَكَ زِيَادُ الْعِرَاقَ نَحْمَسَ سِنِينَ، ثُمَّ مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَ زِيَادٌ عَلَى الْعِرَاقِ بَقِيَ إِلَى سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ، ثُمَّ مَاتَ بِالْكُوفَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَخَلِيفَتُهُ عَلَى الْبَصْرَةِ سَمِرَةُ بْنُ جَنْدَبٍ.

ذَكَرَ سَبَبَ مَهْلِكِ زِيَادِ بْنِ سَمِيَةَ

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الْمُرُوزِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَوْذَبٍ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ زِيَادٍ، أَنَّ زِيَادًا كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ: إِنِّي ضَبَطْتُ الْعِرَاقَ بِشِمَالِي،

وَبِمِجَنِّي فَارِعَةً فَضَمَّ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ الْعُرُوضَ - وَهِيَ الْيَمَامَةُ وَمَا يَلِيهَا - فَدَعَا عَلَيْهِ ابْنُ عُمَرَ، فَطَعَنَ وَمَاتَ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ حِينَ بَلَغَهُ الْخَبَرُ: أَذْهَبَ إِلَيْكَ ابْنُ سَمِيَةَ، فَلَا الدُّنْيَا بَقِيَتْ لَكَ، وَلَا الْآخِرَةُ أَذْرَكَتَ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: كَتَبَ زِيَادٌ إِلَى مُعَاوِيَةَ:

قَدْ ضَبَطْتُ لَكَ الْعِرَاقَ بِشِمَالِي وَيَمِينِي فَارِغَةً، فَاشْغَلْهَا بِالْحِجَازِ، وَبَعَثَ فِي ذَلِكَ الْهَيْثَمُ بْنُ الْأَسْوَدِ النَّحْيِيَّ، وَكَتَبَ لَهُ عَهْدَهُ مَعَ الْهَيْثَمِ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ أَهْلَ الْحِجَازِ أَتَى نَفَرٌ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: ادْعُوا اللَّهَ عَلَيْهِ يَكْفِيكُمْوهُ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَاسْتَقْبَلُوهَا فَدَعَوْا وَدَعَا، فَخَرَجَتْ طَاعُونَةٌ عَلَى أَصْبَعِهِ، فَأَرْسَلَ إِلَى شُرَيْحٍ - وَكَانَ قَاضِيهِ - فَقَالَ:

حَدَّثَ بِي مَا تَرَى، وَقَدْ أُمِرْتُ بِقَطْعِهَا، فَأَشْرَ عَلَيَّ، فَقَالَ لَهُ شُرَيْحٌ:

إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُونَ الْجِرَاحُ عَلَى يَدِكَ، وَالْأَلَمُ عَلَى قَلْبِكَ، وَأَنْ يَكُونَ الْأَجَلُ قَدْ دَنَا، فَتَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَجْذَمَ، وَقَدْ قَطَعْتَ يَدَكَ كَرَاهِيَةً لِلْقَائِهِ، أَوْ أَنْ يَكُونَ فِي الْأَجَلِ تَأْخِيرٌ وَقَدْ قَطَعْتَ يَدَكَ فَتَعِيشُ أَجْذَمَ وَتَعِيرُ وَلَدَكَ.

فَتَرَكَهَا، وَخَرَجَ شُرَيْحٌ فَسَأَلُوهُ، فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا أَشَارَ بِهِ، فَلَامُوهُ وَقَالُوا:

هَلَا أَشَرْتَ عَلَيْهِ بِقَطْعِهَا! [فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ].

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الْمُرُوزِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: سَمِعْتُ بَعْضَ مَنْ يُحَدِّثُ أَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى شُرَيْحٍ يَسْتَشِيرُهُ فِي قَطْعِ يَدِهِ، فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ، إِنَّكَ إِنْ عِشْتَ صِرْتَ أَجْذَمَ، وَإِنْ هَلَكَتْ إِيَّاكَ جَانِبًا عَلَى نَفْسِكَ، قَالَ: أَنَا وَالطَّاعُونَ فِي لِحَافٍ! فَعَزَمَ أَنْ يَفْعَلَ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى النَّارِ وَالْمَكَاوِي جَزَعَ وَتَرَكَ ذَلِكَ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ قَرِيبٍ الْأَصْمَعِيُّ، قَالَ:

حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي زِيَادٍ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ زِيَادَا الْوفاةَ قَالَ لَهُ ابْنُهُ: يَا أَبَتُ، قَدْ هَيَّأتُ لَكَ سَتِينَ ثَوْبًا أَكْفِنُكَ فِيهَا، قَالَ: يَا بَنِي، قَدْ دَنَا مِنْ أَبِيكَ

لباس خير من لباسه هذا، أو سلب سريع، فمات فدفن بالثوية إلى جانب الكوفة، وقد توجه يزيد إلى الحجاز واليا عليها، فقال مسكين بن عامر بن شريح بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم:

رَأَيْتُ زِيَادَةَ الْإِسْلَامِ وَلْتَ ... جَهَارًا حِينَ وَدَعْنَا زِيَادَ

وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ لِمَسْكِينٍ - وَلَمْ يَكُنْ هَجَا زِيَادًا حَتَّى مَاتَ:

أَمْسَكِينَ أَبْكَى اللَّهَ عَيْنَكَ إِنَّمَا ... جَرَى فِي ضَلَالٍ دَمْعُهَا فَتَحَدَّرَا

بَكَيْتَ امْرَأً مِنْ آلِ مَيْسَانَ كَافِرًا ... كَكَسْرَى عَلَى عِدَانِهِ أَوْ كَقَيْصِرَا

أَقُولُ لَهُ لَمَّا أَتَانِي نَعِيهِ ... بِهِ لَا بَظْيِي بِالصَّرِيمَةِ أَعْفَرَا

فَأَجَابَهُ مَسْكِينٌ، فَقَالَ:

أَلَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الَّذِي لَسْتَ نَاطِقًا ... وَلَا قَاعِدًا فِي الْقَوْمِ إِلَّا ابْنِي لِيَا

فَجَنَنِي بَعْمَ مِثْلِ عَمِّي أَوْ أَبٍ ... كَمِثْلِ أَبِي أَوْ خَالَ صَدَقَ تَخَالِيَا

كَعَمْرُو بْنِ عَمْرٍو أَوْ زُرَّارَةَ الْوَالِدَا ... أَوْ الْبَشَرَ مِنْ كُلِّ فِرْعَتِ الرُّوَايَا

وَمَا زَالَ بِي مِثْلُ الْقَنَازَةِ وَسَابِحٍ ... وَخَطَارَةِ غَبِّ السَّرَى مِنْ عِيَالِيَا

فَهَذَا لِأَيَّامِ الْحِفَافِ وَهَذِهِ ... لِرَحْلِي وَهَذَا عِدَّةٌ لَارْتِحَالِيَا!

وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ:

أَبْلَغَ زِيَادًا إِذَا لَاقَيْتَ مَصْرِعَهُ ... أَنَّ الْحَمَامَةَ قَدْ طَارَتْ مِنَ الْحَرَمِ

طَارَتْ فَمَا زَالَ يَنْهِيهَا قَوَادِمُهَا ... حَتَّى اسْتَغَاثَتْ إِلَى الْأَنْهَارِ وَالْأَجَمِ

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ سُلَيْمَانَ، قَالَ:

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: رَأَيْتُ زِيَادًا فِيهِ حُمْرَةٌ، فِي عَيْنِهِ الْيَمْنَى انْكِسَارٌ، أَيْضُ الْحَيَّةِ مَخْرُوطُهَا،

عَلَيْهِ قَيْصٌ مَرْقُوعٌ، وَهُوَ عَلَى بَغْلَةٍ عَلَيْهَا لَجَامُهَا قَدْ أَرْسَنَهَا

٥٠١٧٠٢ ذكر الخبر عن وفاه الربيع بن زياد الحارثي

ذكر الخبر عن وفاه الربيع بن زياد الحارثي

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ وَفَاةُ الرَّبِيعِ بْنِ زِيَادِ الْحَارِثِيِّ، وَهُوَ عَامِلُ زِيَادٍ عَلَى خُرَاسَانَ.

(ذكر الخبر عن سبب وفاته): حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: وَلِيَ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ خُرَاسَانَ سَنَتَيْنِ وَأَشْهُرًا، وَمَاتَ فِي الْعَامِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ زِيَادٌ، وَاسْتَخْلَفَ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَوَلِيَ شَهْرَيْنِ، ثُمَّ مَاتَ عَبْدَ اللَّهِ قَالَ: فَقَدِمَ عَهْدَهُ مِنْ قَبْلِ زِيَادٍ عَلَى خُرَاسَانَ وَهُوَ يَدْفَنُ، وَاسْتَخْلَفَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ عَلَى خُرَاسَانَ خَلِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَنْفِيُّ.

قَالَ عَلِيٌّ: وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ الرَّبِيعَ ابْنَ زِيَادٍ ذَكَرَ يَوْمًا بِخُرَاسَانَ حَجْرَ بْنَ عَدِيٍّ، فَقَالَ: لَا تَزَالُ الْعَرَبُ تَقْتُلُ صَبْرًا بَعْدَهُ، وَلَوْ نَفَرْتُ عِنْدَ قَتْلِهِ لَمْ يَقْتُلْ رَجُلٌ مِنْهُمْ صَبْرًا، وَلَكِنَّا أَقْرَتُ فَذَلْتُ، فَكُثِرَ بَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ جَمْعَةٌ، ثُمَّ خَرَجَ فِي ثِيَابٍ بَيَاضٍ فِي يَوْمٍ جَمْعَةٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ مَلَّتُ الْحَيَاةَ، وَإِنِّي دَاعٍ بِدَعْوَةٍ فَأَمْنُوا ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ لِي عِنْدَكَ خَيْرٌ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ عَاجِلًا وَأَمِنْ النَّاسِ نَفْرَجَ، فَمَا تَوَارَتْ ثِيَابُهُ حَتَّى سَقَطَ فَحُمِلَ إِلَى بَيْتِهِ، وَاسْتَخْلَفَ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ، ثُمَّ مَاتَ ابْنُهُ، فَاسْتَخْلَفَ خَلِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَنْفِيُّ، فَأَقْرَهُ زِيَادٌ، فَمَاتَ زِيَادٌ وَخَلِيدٌ عَلَى خُرَاسَانَ، وَهَلَكَ زِيَادٌ وَقَدْ اسْتَخْلَفَ عَلَى عَمَلِهِ عَلَى الْكُوفَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ سَمُرَةُ بْنُ جَنْدَبٍ الْفَزَارِيُّ.

فَحَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيٌّ، قَالَ: مَاتَ زِيَادٌ وَعَلَى الْبَصْرَةِ سَمُرَةُ بْنُ جَنْدَبٍ خَلِيفَةً لَهُ، وَعَلَى الْكُوفَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ، فَأَقْرَ سَمُرَةُ عَلَى الْبَصْرَةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا.

قَالَ عُمَرُ: وَبَلَغَنِي عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الضَّبْعِيِّ، قَالَ: أَقْرَ مُعَاوِيَةُ سَمُرَةَ بَعْدَ زِيَادٍ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ عَزَلَهُ، فَقَالَ سَمُرَةُ: لَعَنَ اللَّهُ مُعَاوِيَةَ! وَاللَّهِ لَوْ أَطْعَمَ اللَّهُ كَمَا أَطْعَمَ مُعَاوِيَةُ مَا عَذَّبَنِي أَبَدًا.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ مُسْلِمٍ الْعَجَلِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: مَرَرْتُ بِالْمَسْجِدِ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى سَمُرَةَ فَأَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ فَجَعَلَ يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَضَرَبَ عُنُقَهُ، فَإِذَا رَأْسُهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَبَدَنُهُ نَاحِيَةً، فَمَرَّ أَبُو بَكْرَةَ، فَقَالَ: يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى». وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى، قَالَ أَبِي: فَشَهِدْتُ ذَلِكَ، فَمَا مَاتَ سَمُرَةُ حَتَّى أَخَذَهُ الزَّمْهَرِيُّ، فَمَاتَ شَرًّا مَيِّتَةً، قَالَ: وَشَهِدْتُهُ وَأَتَيْتُ بَنَاسٍ كَثِيرٍ وَأَنَا سَبِينُ يَدِيهِ فَيَقُولُ لِلرَّجُلِ:

مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنِّي بَرِيءٌ مِنَ الْخُرُورِيَّةِ، فَيَقْدَمُ فَيَضْرِبُ عُنُقَهُ حَتَّى مَرَّ بِضَعَةٍ وَعَشْرُونَ.

وَجَحَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ فِي قَوْلِ أَبِي مَعْشَرٍ وَالْوَاقِدِيِّ وَغَيْرِهِمَا.

وَكَانَ الْعَامِلُ فِيهَا عَلَى الْمَدِينَةِ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، وَعَلَى الْكُوفَةِ بَعْدَ مَوْتِ زِيَادِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ بَعْدَ مَوْتِ زِيَادِ سَمُرَةَ بْنِ جَنْدَبٍ، وَعَلَى خُرَاسَانَ خَلِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَنْفِيُّ.

٥٠١٨ سنه اربع وخمسين

٥٠١٨٠١ ذكر عزل سعيد بن العاص عن المدينة واستعمال مروان

ثم دخلت

سنة أربع وخمسين

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث) ففيها كَانَ مَشَى مُحَمَّد بن مالك أرض الروم، وصائفة معن بن يزيد السلمي.

وفيها- فيما زعم الواقدي- فتح جنادة بن أبي أمية جزيرة في البحر قريبة من قسطنطينية يقال لها أرواد.

وذكر محمد بن عمر أن المسلمين أقاموا بها دهرا، فيما يقال سبع سنين، وكان فيها مجاهد بن جبر قال: وقال تبيع ابن امرأة كعب: ترون هذه الدرجة؟ إذا انقلعت جاءت قفلتنا قال: فهاجت ريح شديدة فقلعت الدرجة، وجاء نعي معاوية وكتاب يزيد بالقفل فقلنا، فلم تعمر بعد ذلك وخربت، وامن الروم.

ذكر عزل سعيد بن العاص عن المدينة واستعمال مروان

وفيها عزل معاوية سعيد بن العاص عن المدينة، واستعمل عليا مروان بن الحكم.

(ذكر سبب عزل معاوية سعيدا واستعمال مروان): حدثني عمر، قال: حدثنا علي بن محمد، عن جوية بن أسماء، عن أشياخه، أن معاوية كان يغري بين مروان وسعيد بن العاص، فكتب إلى سعيد بن العاص وهو على المدينة: أهدم دار مروان، فلم يهدمها، فأعاد عليه الكتاب يهدمها، فلم يفعل، فعزله وولى مروان.

وأما محمد بن عمر، فإنه ذكر أن معاوية كتب إلى سعيد بن العاص يأمره بقبض أموال مروان كلها فيجعلها صافية، ويقبض فذك منه- وكان

وهبا له، فراجع سعيد بن العاص في ذلك، وقال: قرابته قريبة فكتب إليه ثانية يأمره باصطفاء أموال مروان، فأبى، وأخذ سعيد بن العاص الكتابين فوضعهما عند جارية، فلما عزل سعيد عن المدينة فوليا مروان، كتب معاوية إلى مروان بن الحكم يأمره بقبض أموال سعيد بن العاص بالحجار، وأرسل إليه بالكتاب مع ابنه عبد الملك، فخره أنه لو كان شيئا غير كتاب أمير المؤمنين لتجافيت، فدعا سعيد بن العاص بالكتابين اللذين كتب بهما معاوية إليه في أموال مروان يأمره فيهما بقبض أمواله، فذهب بهما إلى مروان، فقال: هو كان أوصل لنا منا له! وكف عن قبض أموال سعيد.

وكتب سعيد بن العاص إلى معاوية: العجب مما صنع أمير المؤمنين بنا في قرابتنا، أن يضغن بعضنا على بعض! فأمر المؤمنين في حله وصبره على ما يكره من الأجنيين، وعفوه وإدخاله القطيعة بيننا والشحناء، وتوارث الأولاد ذلك، فوالله لو لم تكن بني أب واحد إلا بما جمعنا الله عليه من نصر الخليفة المظلوم، واجتماع كلمتنا، لكان حقا علينا أن نرعى ذلك، والذي أدركنا به خير فكتب إليه يتصل من ذلك، وأنه عائد إلى أحسن ما يعهده.

عاد الحديث إلى حديث عمر، عن علي بن محمد، قال: فلما ولى مروان كتب إليه: أهدم دار سعيد، فأرسل الفعلة، وركب ليهدها، فقال له سعيد: يا أبا عبد الملك، أتهدم داري! قال: نعم، كتب إلي أمير المؤمنين، ولو كتب في هدم داري لفعلت، قال: ما كنت لأفعل، قال: بلى، والله لو كتب إليك لهدمتها، قال: كلا أبا عبد الملك وقال لغلामه: انطلق فجئت بكتاب معاوية، فجاء بكتاب معاوية إلى سعيد بن العاص في هدم دار مروان بن الحكم، قال: مروان كتب إليك يا أبا عثمان في هدم داري، فلم تهدم ولم تعلمني قال: ما كنت لأهدم دارك، ولا أمن، عليك، وإنما أراد معاوية أن يحرص بيننا، فقال

٥٠١٨٠٢ ذكر توليه معاوية عبيد الله بن زياد على خراسان

مروان: فذاك ابني وأمي! أنت والله أكثر منا ريشا وعقبا ورجع مروان ولم يهدم دار سعيد.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: حدثنا أبو محمد بن ذكوان القرشي، قال: قدم سعيد بن العاص على معاوية، فقال له: يا أبا عثمان، كيف تركت أبا عبد الملك؟ قال: تركته ضابطا لعملك، منقذا لأمرك قال: إنه كصاحب الخبزة كفي نضجها فأكلها، قال: كلا،

وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ لَمَعَ قَوْمٌ لَا يَحِلُّ بِهِمُ السَّوْطُ، وَلَا يَحِلُّ لَهُمُ السَّيْفُ، يَتَهَادُونَ كَوَفْعَ النَّبْلِ، سَهْمٌ لَكَ وَسَهْمٌ عَلَيْكَ، قَالَ: مَا بَاعَدَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؟

قَالَ: خَافَنِي عَلَى شَرَفِهِ، وَخَفْتُهُ عَلَى شَرَفِي، قَالَ: فَمَاذَا لَهُ عِنْدَكَ؟

قَالَ: أُسِرَ غَائِبًا، وَأُسِرَ شَاهِدًا، قَالَ: تَرَكْتَنَا يَا أَبَا عَثْمَانَ فِي هَذِهِ الْهَنَاتِ، قَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَحَمَّلْتُ الثَّقْلَ، وَكُفَيْتُ الْحَزْمَ، وَكُنْتُ قَرِيبًا لَوْ دَعَوْتُ أُجِبْتُ، وَلَوْ ذَهَبْتُ رُفِعْتُ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ عَزْلُ مُعَاوِيَةَ سَمْرَةَ بْنِ جَنْدَبٍ عَنِ الْبَصْرَةِ، وَاسْتَعْمَلَ عَلِيًّا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ غِيلَانَ حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: عَزَلَ مُعَاوِيَةُ سَمْرَةَ وَوَلَّى عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ غِيلَانَ، فَأَقَرَّهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فَوَلَّى عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو شَرْطَتَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ حَصْنٍ

. ذَكَرَ تَوَلَّيَهُ مُعَاوِيَةَ عبيد الله بن زياد على خراسان
وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلَّى مُعَاوِيَةَ عبيد الله بن زياد خُرَاسَانَ.

(ذَكَرُ سَبَبِ وَلَايَةِ ذَلِكَ):

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَسْلَمَةُ بْنُ مُحَارِبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبَانَ الْقُرَشِيُّ، قَالَا: لَمَّا مَاتَ زِيَادٌ وَفَدَّ عبيد الله إلى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ لَهُ: مَنْ اسْتَخْلَفَ أَخِي عَلَى عَمَلِهِ بِالْكُوفَةِ؟ قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدٍ

ابن أُسَيْدٍ، قَالَ: فَمَنْ اسْتَخْلَفَ عَلَى الْبَصْرَةِ؟ قَالَ: سَمْرَةُ بْنُ جَنْدَبٍ الْفَزَارِيُّ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: لَوْ اسْتَخْلَفْتُكَ أَبُوكَ اسْتَخْلَفْتُكَ، فَقَالَ لَهُ عبيد الله:

أَشْذُكَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَهَا إِلَيَّ أَحَدٌ بَعْدَكَ: لَوْ وَلَاكَ أَبُوكَ وَعَمُّكَ لَوَلَيْتُكَ! قَالَا: وَكَانَ مُعَاوِيَةُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوَلِّيَ رَجُلًا مِنْ بَنِي حَرْبٍ وَلَاهُ الطَّائِفَ، فَإِنْ رَأَى مِنْهُ خَيْرًا وَمَا يُعْجِبُهُ وَلَاهُ مَكَّةَ مَعَهَا، فَإِنْ أَحْسَنَ الْوَلَايَةَ وَقَامَ بِمَا وَلَّى قِيَامًا حَسَنًا جَمَعَ لَهُ مَعَهُمَا الْمَدِينَةَ، فَكَانَ إِذَا وَلَّى الطَّائِفَ رَجُلًا قِيلَ:

هُوَ فِي أَبِي جَادٍ، فَإِذَا وَلَاهُ مَكَّةَ قِيلَ: هُوَ فِي الثُّرَّانِ، فَإِذَا وَلَاهُ الْمَدِينَةَ قِيلَ: هُوَ قَدْ حَقَّقَ.

قَالَا: فَلَمَّا قَالَ عبيد الله مَا قَالَ وَلَاهُ خُرَاسَانَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ حِينَ وَلَاهُ:

إِنِّي قَدْ عَهَدْتُ إِلَيْكَ مِثْلَ عَهْدِي إِلَى عُمَالِي، ثُمَّ أُوصِيكَ وَصِيَّةَ الْقَرَابَةِ لِحَاصَتِكَ عِنْدِي: لَا تَبِيعَنَّ كَثِيرًا بِقَلِيلٍ، وَخُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسِكَ، وَاسْتَكْفِ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ بِالْوَفَاءِ تَخَفْ عَلَيْكَ الْمُثُونَةَ وَعَلَيْنَا مِنْكَ، وَافْتَحْ بَابَكَ لِلنَّاسِ تَكُنْ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ أَنْتَ وَهُمْ سَوَاءٌ، وَإِذَا عَزَمْتَ عَلَى أَمْرٍ فَأَخْرِجْهُ إِلَى النَّاسِ، وَلَا يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيهِ مَطْمَعٌ، وَلَا يَرْجِعَنَّ عَلَيْكَ وَأَنْتَ تَسْتَطِيعُ، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ فَغَلْبُوكَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ فَلَا يَغْلِبُوكَ عَلَى بَطْنِهَا، وَإِنْ احتاج أصحابك إلى أن تؤاسيهم بِنَفْسِكَ فَأُسِّمُهم.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: اسْتَخْلَفَ مُعَاوِيَةَ عبيد الله بن زيادٍ وَقَالَ: اسْمُكَ الْفَسْفَاسُ إِنْ لَمْ يَقْطَعْ.

وَقَالَ لَهُ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُؤْثِرَنَّ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ شَيْئًا، فَإِنْ فِي تَقْوَاهُ عَوْضًا، وَفِي عَرْضِكَ مِنْ أَنْ تُدَسَّسَهُ، وَإِذَا أُعْطِيتَ عَهْدًا فَفِ بِهِ، وَلَا تَبِيعَنَّ كَثِيرًا بِقَلِيلٍ، وَلَا تُخْرِجَنَّ مِنْكَ أَمْرًا حَتَّى تَبْرِمَهُ، فَإِذَا خَرَجَ فَلَا يُرَدَّنْ عَلَيْكَ، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ فَكُنْ أَكْثَرَ مِنْ مَعِكَ، وَقَاسِمِهِمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ،

وَلَا تُطْمِعَنَّ أَحَدًا فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَلَا تُؤَيِّسَنَّ أَحَدًا مِنْ حَقِّ لَهُ ثُمَّ وَدَّعَهُ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُسْلِمَةُ، قَالَ: سَارَ عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى خُرَاسَانَ فِي آخِرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ سَنَةً مِنَ الشَّامِ وَقَدِمَ إِلَى خُرَاسَانَ اسْلَمَ بَنُ زُرْعَةَ الْكَلَابِي، نَفْرَجَ، نَفْرَجَ مَعَهُ مِنَ الشَّامِ الْجَعْدُ بْنُ قَيْسِ النَّفْرِيِّ يَرْجُزُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِمِرْثِيَةِ زِيَادٍ يَقُولُ فِيهَا:

وَحَدَّثَنِي عُمَرُ مَرَّةً أُخْرَى فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَاهُ كِتَابُ أَخْبَارِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ: لَمَّا عَقَدَ مُعَاوِيَةُ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ عَلَى خُرَاسَانَ خُرُجَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ - وَكَانَ وَضِيئًا - وَالْجَعْدُ بْنُ قَيْسٍ يَنْشُدُهُ مِرْثِيَةَ زِيَادٍ:

أَبَقَ عَلِيٌّ عَاذِلِي مِنَ اللُّومِ ... فِيمَا أُرِيتَ نَعْمَتِي قَبْلَ الْيَوْمِ
قَدْ ذَهَبَ الْكَرِيمُ وَالظِّلُّ الدُّومُ ... وَالنَّعْمُ الْمُؤْتَلُ الدُّثْرُ الْحُومِ
وَالْمَاشِيَاتُ مَشِيَّةٌ بَعْدَ النَّوْمِ ... لَيْتَ الْجِيَادُ كُلُّهَا مَعَ الْقَوْمِ
سَقَيْنَ سَمَ سَاعَةً قَبْلَ الْيَوْمِ ... لِأَرْبَعِ مَضِينَ مِنْ شَهْرِ الصُّومِ
وَمِنْهَا:

يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ الَّذِي كَانَ مَضَى ... يَوْمَ قَضَى فِيهِ الْمَلِيكَ مَا قَضَى
وَفَاتَهُ بِرَ مَا جَدَّ جِلْدُ الْقَوَى ... حَرْبُهُ نَوَالُ جَعْدٍ وَالتَّظَى

كَانَ زِيَادُ جَبَلًا صَعْبَ الذَّرَى ... شَهْمَا إِذَا شَتَّمَ نَقِصَاتِ أَبِي
لَا يَبْعِدُ اللَّهُ زِيَادًا إِذْ ثَوَى.

وَبَكَى عُبَيْدُ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ حَتَّى سَقَطَتْ عِمَامَتُهُ عَنْ رَأْسِهِ، قَالَ: وَقَدِمَ عُبَيْدُ اللَّهِ خُرَاسَانَ ثُمَّ قَطَعَ النَّهْرَ إِلَى جِبَالِ بَخَارَى عَلَى الْإِبِلِ، فَكَانَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ قَطَعَ إِلَيْهِمْ جِبَالِ بَخَارَى فِي جَنْدٍ، فَفَتَحَ رَامِيثَنَ وَنَصَفَ بِيكَنْدَ - وَهُمَا مِنْ بَخَارَى - فَنُتِمَّ أَصَابُ الْبَخَارِيَّةِ.

قَالَ عَلِيٌّ: أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ رَشِيدٍ، عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: لَقِيَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنَ

زِيَادَ التُّرْكَ بِبَخَارَى وَمَعَ مَلِكِهِمْ امْرَأَتُهُ قَبِجَ خَاتُونٍ، فَلَمَّا هَزَمَهُمُ اللَّهُ أَعْجَلُوها عَنْ لِبْسِ خَفِيَّهَا، فَلَبَسَتْ أَحَدَهُمَا وَبَقِيَ الْآخَرُ، فَأَصَابَهُ الْمُسْلِمُونَ، فَتَقَوَّمُ الْجَوْرُ بِمَائَتِي أَلْفِ دِرْهَمٍ.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَفْصٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ بْنِ مَعْمَرٍ، عَنْ عِبَادَةَ بْنِ حَصْنٍ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ بَأْسًا مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، لَقِينَا زَحْفَ مِنَ التُّرْكَ بِخُرَاسَانَ، فَرَأَيْتُهُ يِقَاتِلُ فَيَحْمِلُ عَلَيْهِمْ فَيُطْعِنُ فِيهِمْ وَيَغِيبُ عَنَّا، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْيَتَهُ تَقْطُرُ دَمًا.

قَالَ عَلِيٌّ: وَأَخْبَرَنَا مُسْلِمَةُ أَنَّ الْبَخَارِيَّةَ الَّذِينَ قَدِمَ بِهِمْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادِ الْبَصْرَةَ أَلْفَانًا، كُلُّهُمْ جَيِّدُ الرِّمِيِّ بِالنَّشَابِ قَالَ مُسْلِمَةُ: كَانَ زَحْفَ التُّرْكَ بِبَخَارَى أَيَّامَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ مِنْ زَحُوفِ خُرَاسَانَ الَّتِي تَعْدُ، قَالَ: وَأَخْبَرَنَا الْهَذَلِيُّ، قَالَ: كَانَتْ زَحُوفُ خُرَاسَانَ خَمْسَةً: أَرْبَعَةً لَقِيَهَا الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ، الَّذِي لَقِيَهُ بَيْنَ قَهْصَتَانَ وَأَبْرِشَهْرٍ، وَالزَّحُوفُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي لَقِيَهَا بِالْمَرْغَابِ، وَالزَّحُوفُ الْخَامِسُ زَحْفَ قَارَنَ، فَضَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ.

قَالَ عَلِيٌّ: قَالَ مُسْلِمَةُ: أَقَامَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ بِخُرَاسَانَ سَنَتَيْنِ.

وَجاءَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ، كَذَلِكَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَنْ عَمِّهِ حَدَّثَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ، وَكَذَلِكَ قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَكَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ، وَعَلَى الْكُوفَةِ عَبْدُ اللَّهِ خَالِدُ بْنُ أَسِيدٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ عَلِيًّا الضُّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ غِيلَانَ

٥٠١٩ سنة خمس وخمسين

٥٠١٩.١ ذكر الخبر عن سبب عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن غيلان وتوليته عبيد الله البصرة

ثم دخلت

سنة خمس وخمسين

(ذكر الخبر عن الكائن فيها من الأحداث) فما كان فيها من ذلك مشق سفيان بن عوف الأزدي بأرض الروم في قول الواقدي.

وقال بعضهم: بل الذي كان شتا بأرض الروم في هذه السنة عمرو بن محرز.

وقال بعضهم: بل الذي شتا بها عبد الله بن قيس الفزاري.

وقال بعضهم: بل ذلك مالك بن عبد الله.

وفيها عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن غيلان عن البصرة وولاه عبيد الله بن زياد.

ذكر الخبر عن سبب عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن غيلان وتوليته عبيد الله البصرة

حدثني عمر، قال: حدثنا الوليد بن هشام وعلي بن محمد - قال: واختلفا في بعض الحديث - قالوا: خطب عبد الله بن عمرو بن غيلان على

منبر البصرة، فحصبه رجل من بني ضبة - قال عمر: قال أبو الحسن: يدعى جبير بن الضحاك أحد بني ضرار - فأمر به فقطعت يده،

فقال:

السمع والطاعة والتسليم ... خير وأعفى لبي تميم

فأنته بنو ضبة، فقالوا: إن صاحبنا جنى ما جنى على نفسه، وقد بالغ الأمير في عقوبته، ونحن لا نأمن أن يبلغ خبره أمير المؤمنين،

فيأتي من قبله عقوبة تخص أو تعم، فإن رأى الأمير أن يكتب لنا كتاباً يخرج

به أحدنا إلى أمير المؤمنين يخبره أنه قطعه على شبهة وأمر لم يضح، فكتب لهم بعد ذلك إلى معاوية، فأمسكوا الكتاب حتى بلغ رأس

السنة - وقال أبو الحسن: لم يزد على ستة أشهر - فوجه إلى معاوية، ووافاه الضبيون، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنه قطع صاحبنا ظلماً،

وهذا كتابه إليك، وقرأ الكتاب، فقال: أما القود من عمالي فلا يضح، ولا سبيل إليه، ولكن إن شئتم وديت صاحبكم، قالوا: فده،

فوداه من بيت المال، وعزل عبد الله، وقال لهم: اختاروا من تحبون أن أولي بلدكم، قالوا: يتخير لنا أمير المؤمنين، وقد علم رأي أهل

البصرة في ابن عامر، فقال: هل لكم في ابن عامر؟ فهو من قد عرفتم في شرفه وعفافه وطهارته، قالوا: أمير المؤمنين أعلم، فجعل يردد

ذلك عليهم ليسرهم، ثم قال: قد وليت عليكم ابن أخي عبيد الله بن زياد.

قال عمر: حدثني علي بن محمد، قال: عزل معاوية عبد الله بن عمرو وولى عبيد الله بن زياد البصرة في سنة خمس وخمسين وولى عبيد

الله اسلم ابن زرعة خراسان فلم يغز ولم يفتح بها شيئاً، وولى شرطة عبد الله بن حصن، والقضاء زارة بن أوفى ثم عزله، وولى القضاء

ابن أذينة العبدى.

وفي هذه السنة عزل معاوية عبد الله بن خالد بن أسيد عن الكوفة وولاه الضحاك بن قيس الفهري.

وجع بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم، حدثني بذلك أحمد ابن ثابت، عن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.

٥٠٢٠ سنة ست وخمسين

٥٠٢٠.١ ذكر خبر البيعة ليزيد بولاية العهد

ثم دخلت

سنة ست وخمسين

(ذكر ما كَانَ فِيهَا من الأحداث) ففيها كَانَ مشى جُنَادَةُ بن أَبِي أُمَيَّةَ بِأَرْضِ الرُّومِ، وَقِيلَ: عبد الرحمن ابن مسعود.

وقيل غزا فِيهَا فِي البحرِيزِيد بن شجره الرهاوى، وفي البر عياض ابن الحَارِث.

وَجِجَ بِالنَّاسِ - فِيمَا حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بنُ ثَابِت عمن حدثه، عن إِسْحَاقَ ابنِ عِيسَى، عن أَبِي معشر - الْوَلِيد بن عتبة بن أَبِي سُفْيَانَ.

وفيها اعتمر مُعَاوِيَةُ فِي رَجَب.

ذَكَرَ خبر البيعة ليزيد بولاية العهد

وفيها دعا مُعَاوِيَةُ النَّاسَ إِلَى بيعته ابنة يزيد من بعده، وجعله ولي العهد.

ذَكَرَ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْمَاعِيلَ الهمداني وعلي بن مجاهد، قَالَا: قَالَ الشَّعْبِيُّ: قدم المُغِيرَةُ عَلَى مُعَاوِيَةَ

واستغفاه وشكا إِلَيْهِ الضعف، فأعفاه، وأراد أن يولي سَعِيدَ بنِ الْعَاصِ، وبلغ كاتب المُغِيرَةِ ذَلِكَ، فَأَتَى سَعِيدَ بنِ الْعَاصِ فأخبره وعنده

رجل من أهل الْكُوفَةِ يقال لَهُ رِبِيعَةُ - أو الربيع - من خزاعة، فَأَتَى المُغِيرَةَ فَقَالَ: يَا مُغِيرَةُ، مَا أَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا قَدْ قَلَكَ، رَأَيْتَ

ابن خنيس كاتبك عند سعيد ابن الْعَاصِ يخبره أن أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُولِيهِ الْكُوفَةَ، قَالَ المُغِيرَةُ: أَفَلَا يَقُولُ كَمَا قَالَ الْأَعَشِيُّ:

أَمْ غَابَ رَبُّكَ فَاعْتَرَتْكَ خِصَاصَةٌ ... وَلَعَلَّ رَبُّكَ أَنْ يَعُودَ مُؤِيدَا

رويدا! أَدْخَلَ عَلَى يَزِيدَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَعَرَضَ لَهُ بِالْبَيْعَةِ، فَأَدَّى ذَلِكَ يَزِيدَ إِلَى أَبِيهِ، فَردَ مُعَاوِيَةُ المُغِيرَةَ إِلَى الْكُوفَةِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَعْمَلَ فِي

بَيْعَةِ يَزِيدَ، فَشَخَّصَ المُغِيرَةَ إِلَى الْكُوفَةِ، فَأَتَاهُ كَاتِبُهُ ابن خنيس، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا غَشَّشْتُكَ وَلَا خَنْتُكَ، وَلَا كَرِهْتُ وَلَايَتَكَ، وَلَكِنْ

سَعِيدَا كَانَتْ لَهُ عِنْدِي يَدٌ وَبَلَاءٌ، فَشَكَرْتَ ذَلِكَ لَهُ، فَرضي عنه وأعادته إِلَى كِتَابَتِهِ، وعمل المُغِيرَةُ فِي بَيْعَةِ يَزِيدَ، وَأَوْفَدَ فِي ذَلِكَ وَافِدَا

إِلَى مُعَاوِيَةَ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ، عن مسلمة، قَالَ: لما أَرَادَ مُعَاوِيَةُ أَنْ يَبِيعَ ليزيد كتب إِلَى زياد يستشيره، فبعث زياد إِلَى عبيد بن

كعب النخعي، فَقَالَ: إن لكل مستشير ثقة، ولكل سر مستودع، وإن الناس قَدْ أَبَدَتْ بِهِمْ خَصْلَتَانِ: إِذَاعَةُ السِّرِّ، وَإِخْرَاجُ النَّصِيحَةِ

إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا، وليس موضع السر إِلَّا أحد رجلين: رجل آخره يَرْجُو ثَوَابًا، ورجل دنيا لَهُ شَرَفٌ فِي نَفْسِهِ وعقل يصون حسبه، وَقَدْ

عَجَمْتُهُمَا مِنْكَ، فَأَحْدَثَ الَّذِي قَبْلَكَ، وَقَدْ دَعَوْتُكَ لِأَمْرِ اتَّهَمْتَ عَلَيْهِ بِطَوْنِ الصَّحْفِ، إن أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كتب إِلَيَّ يزعم أنه قَدْ عَزَمَ عَلَى

بَيْعَةِ يَزِيدَ، وَهُوَ يَخْوَفُ نَفَرَةَ النَّاسِ، وَيَرْجُو مَطَابَقَتَهُمْ، ويستشيرني، وعلاقة أمر الإسلام وضمانه عظيم، ويزيد صاحب رسالة وتهاون،

مع مَا قَدْ أُولِعَ بِهِ مِنَ الصِّيدِ، فَالْقَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُؤِيدَا عَنِّي، فأخبره عن فعلات يَزِيدَ، فَقَالَ لَهُ: رويدك بالأمر، فَأَقْنِ أَنْ يَتِمَّ لَكَ مَا

تريد، وَلَا تَعْجَلْ فَإِنْ دَرَكَا فِي تَأْخِيرِ خَيْرٍ مِنْ تَعْجِيلِ عَاقِبَتِهِ الْفُوتُ فَقَالَ عبيد لَهُ: أَفَلَا غَيْرَ هَذَا! قَالَ: مَا هُوَ؟

قَالَ: لَا تَفْسُدْ عَلَى مُعَاوِيَةَ رَأْيَهُ، وَلَا تَمُتْ إِلَيْهِ ابْنَهُ، وَأَلْقِ أَنَا يَزِيدَ سِرًّا مِنْ مُعَاوِيَةَ فَأخبره عنك أن أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كتب إِلَيْكَ يستشيرك

فِي بَيْعَتِهِ،

وَأَنَّكَ تَخْوَفُ خِلَافَ النَّاسِ لَهْنَاتٍ يَنْقُمُونَهَا عَلَيْهِ، وَأَنَّكَ تَرَى لَهُ تَرْكَ مَا يَنْقُمُ عَلَيْهِ، فيستحكم لأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْحِجَّةُ عَلَى النَّاسِ، ويسهل

لَكَ مَا تَرِيدُ، فتكون قَدْ نَصَحْتَ يَزِيدَ وَأَرْضَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فسلمت مما تخاف من علاقة أمر الأمة فَقَالَ زياد: لقد رميت الأمر

بِحَجَرِهِ، اشخص عَلَى بركة الله، فإن أَصَبْتَ فَمَا لَا يَنْكُرُ، وإن يكن خطأ فغير مستغش وأبعد بك إن شاء الله من الخطأ، قَالَ: تقول بما

تَرَى، ويقضي الله بغيب مَا يَعْلَمُ فَقدم عَلَى يَزِيدَ فذاكره ذَلِكَ وكتب زياد إِلَى مُعَاوِيَةَ يأمره بالتؤدة، والّا يعجل، فقبل ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ،

وكف يَزِيدَ عن كثير مما كَانَ يصنع، ثُمَّ قدم عبيد عَلَى زياد فأقطعه قطيعه.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ، قَالَ: لما مات زياد دعا مُعَاوِيَةَ بِكُتَّابِ فَقَرَأَهُ عَلَى النَّاسِ باستخلاف يَزِيدَ، أن حدث بِهِ حدث

الموت فيزيد ولي عهد، فاستوسق له الناس على البيعة ليزيد غير خمسة نفر.
حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ بِخُلَّةٍ، قَالَ: بَايَعَ النَّاسُ لِيَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ غَيْرَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَابْنَ الزُّبَيْرِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَابْنَ عَبَّاسٍ، فَلَمَّا قَدِمَ مُعَاوِيَةُ أَرْسَلَ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَقَالَ: يَا بَنَ أَخِي، قَدْ اسْتَوْسَقَ النَّاسُ لِهَذَا الْأَمْرِ غَيْرَ خَمْسَةِ نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ أَنْتَ تَقُودُهُمْ، يَا بَنَ أَخِي، فَمَا إِرْبِكَ إِلَى الْخِلَافِ؟ قَالَ: أَنَا أَقُودُهُمْ! قَالَ: نَعَمْ، أَنْتَ تَقُودُهُمْ، قَالَ: فَأَرْسَلُ إِلَيْهِمْ، فَإِنْ بَايَعُوا كُنْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ، وَإِلَّا لَمْ تَكُنْ عَجَلْتُ عَلَيَّ بِأَمْرٍ، قَالَ: وَتَفْعَلُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاخْذْ عَلَيْهِ الْإِخْبَارَ بِحَدِيثِهِمْ أَحَدًا قَالَ: فَالتَوَى عَلَيْهِ، ثُمَّ أَعْطَاهُ ذَلِكَ، فَفَرَجَ وَقَدْ أَقْعَدَ لَهُ ابْنَ الزُّبَيْرِ

٥٠٢٠٢ ذكر عزل ابن زياد عن خراسان واستعمال سعيد بن عثمان

رجلا بالطريق قَالَ: يَقُولُ لَكَ أَخُوكَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: مَا كَانَ؟ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى اسْتَخْرَجَ مِنْهُ شَيْئًا.

ثُمَّ أَرْسَلَ بَعْدَهُ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ لَهُ: قَدْ اسْتَوْسَقَ النَّاسُ لِهَذَا الْأَمْرِ غَيْرَ خَمْسَةِ نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ أَنْتَ تَقُودُهُمْ، يَا بَنَ أَخِي! فَمَا إِرْبِكَ إِلَى الْخِلَافِ؟ قَالَ: أَنَا أَقُودُهُمْ! قَالَ: نَعَمْ، أَنْتَ تَقُودُهُمْ، قَالَ: فَأَرْسَلُ إِلَيْهِمْ فَإِنْ بَايَعُوا كُنْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ، وَإِلَّا لَمْ تَكُنْ عَجَلْتُ عَلَيَّ بِأَمْرٍ، قَالَ: وَتَفْعَلُ؟ قَالَ:

نَعَمْ، قَالَ: فَاخْذْ عَلَيْهِ الْإِخْبَارَ بِحَدِيثِهِمْ أَحَدًا، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نَحْنُ فِي حَرَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَهْدُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ثَقِيلٌ، فَأَبَى عَلَيْهِ، وَخَرَجَ.

ثُمَّ أَرْسَلَ بَعْدَهُ إِلَى ابْنِ عُمَرَ فَكَلَّمَهُ بِكَلَامٍ هُوَ أَلَيْنَ مِنْ كَلَامِ صَاحِبِهِ، فَقَالَ: إِنِّي أُرْهَبُ أَنْ أَدْعَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ بَعْدِي كَالضَّأْنِ لَا رَاعِيَ لَهَا، وَقَدْ اسْتَوْسَقَ النَّاسُ لِهَذَا الْأَمْرِ غَيْرَ خَمْسَةِ نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ أَنْتَ تَقُودُهُمْ، فَمَا إِرْبِكَ إِلَى الْخِلَافِ؟ قَالَ: هَلْ لَكَ فِي أَمْرٍ يَذْهَبُ الدَّمُ، وَيَحْقِنُ الدَّمُ، وَتَدْرِكُ بِهِ حَاجَتَكَ؟ قَالَ: وَدَدْتُ! قَالَ: تَبْرُزُ سِرِيرَكَ، ثُمَّ أَجِيءُ فَأُبَايِعُكَ، عَلَى أَنِّي أَدْخُلُ بَعْدَكَ فِيمَا تَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ، فَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْأُمَّةَ اجْتَمَعَتْ بَعْدَكَ عَلَى عَبْدِ حَبْشِي لَدَخَلْتُ فِيمَا تَدْخُلُ فِيهِ الْأُمَّةُ، قَالَ: وَتَفْعَلُ؟ قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ خَرَجَ فَأَتَى مَنْزِلَهُ فَأَطْبَقَ بَابَهُ، وَجَعَلَ النَّاسُ يَجِئُونَ فَلَا يَأْذَنُ لَهُمْ.

فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا بَنَ أَبِي بَكْرٍ، بَأْيَةٌ يَدُ أَوْ رَجُلٍ تَقْدُمُ عَلَيَّ مَعْصِيَتِي! قَالَ: أَرْجُو أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ خَيْرًا لِي، فَقَالَ:

وَاللَّهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَقْتَلَكَ، قَالَ: لَوْ فَعَلْتُ لِأَتْبِعَكَ اللَّهَ بِعُنَاةٍ فِي الدُّنْيَا، وَأَدْخُلَكَ فِي الْآخِرَةِ النَّارِ.

قال: ولم يذكر ابن عباس

. ذكر عزل ابن زياد عن خراسان واستعمال سعيد بن عثمان

وَكَانَ الْعَامِلُ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ، وَعَلَى الْكُوفَةِ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ، وَعَلَى خُرَاسَانَ سَعِيدُ ابْنِ عُثْمَانَ

وَكَانَ سَبَبُ وَلَايَتِهِ خُرَاسَانَ مَا حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيٌّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَفْصٍ، قَالَ: سَأَلَ سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ مُعَاوِيَةَ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُ عَلَى خُرَاسَانَ، فَقَالَ: إِنَّ بَهَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ، فَقَالَ: أَمَا لَقَدْ اصْطَنَعَكَ أَبِي وَرَفَاكَ حَتَّى بَلَغْتَ بِاصْطِنَاعِهِ الْمَدَى الَّذِي لَا يَجَارِي إِلَيْهِ وَلَا يَسَامِي، فَمَا شَكَرْتَ بِلَاؤِهِ، وَلَا جَازَيْتَهُ بِآلَائِهِ، وَقَدِمْتَ عَلَيَّ هَذَا- يَعْنِي يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ- وَبَايَعْتَ لَهُ، وَوَالَّاهُ لَنَا خَيْرَ مَنْهُ أَبَا وَامَا وَنَفْسًا، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ:

أَمَا بِلَاءُ أَبِيكَ فَقَدْ يَحِقُّ عَلَيَّ الْجَزَاءُ بِهِ، وَقَدْ كَانَ مِنْ شُكْرِي لَذَلِكَ أَنِّي طَلَبْتُ بَدْمَهُ حَتَّى تَكْشَفْتَ الْأُمُورَ، وَلَسْتُ بِلَاثِمٍ لِنَفْسِي فِي التَّشْمِيرِ، وَأَمَا فَضْلُ أَبِيكَ عَلَى أَبِيهِ فَأَبُوكَ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنِّي وَاقْرَبُ بِرَسُولِ اللَّهِ ص، وَأَمَا فَضْلُ أُمِّكَ عَلَى أُمِّهِ فَمَا يَنْكَرُ، امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ

خير من امرأة من كلب، وأما فضلك عليه فوالله ما أحب أن الغوطة دحست ليزيد رجالا مثلك. فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ابْنُ عَمِّكَ، وَأَنْتَ أَحَقُّ مِنْ نَظَرِي فِي أَمْرِهِ، وَقَدْ عَتَبَ عَلَيْكَ فَأَعْتَبَهُ، قَالَ: فَوَلَاهُ حَرْبَ خُرَّاسَانَ، وَوَلَّى إِسْحَاقَ ابْنَ طَلْحَةَ خَرَجَاهَا، وَكَانَ إِسْحَاقُ ابْنَ خَالَةِ مُعَاوِيَةَ، أُمُّهُ أُمُّ ابْنِ ابْنِهِ عَتَبَةُ ابْنُ رَبِيعَةَ، فَلَهَا صَارَ بِالرِّيِّ مَاتَ إِسْحَاقُ ابْنَ طَلْحَةَ فَوَلَّى سَعِيدَ خَرَجَ خُرَّاسَانَ وَحَرْبَهَا.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيٌّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُسْلِمَةُ، قَالَ: خَرَجَ سَعِيدٌ إِلَى خُرَّاسَانَ وَخَرَجَ مَعَهُ أَوْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ التِّيمِي صَاحِبَ قَصْرِ أَوْسٍ، وَطَلَحَهُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ الْخَزَاعِي وَالْمَهْلَبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ وَرَبِيعَةُ بْنُ عَسَلٍ أَحَدُ بَنِي عَمْرٍو بْنِ يَرْبُوعٍ، قَالَ: وَكَانَ قَوْمٌ مِنَ الْأَعْرَابِ يَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ عَلَى الْحَاجِّ بِبَطْنِ فُلَجٍ، فَقِيلَ لِسَعِيدٍ: إِنْ هَاهُنَا قَوْمًا يَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ عَلَى الْحَاجِّ وَيَخِيفُونَ السَّبِيلَ، فَلَوْ أَخْرَجْتَهُمْ مَعَكَ! قَالَ: فَأَخْرَجَ قَوْمًا مِنْ بَنِي تَيْمٍ، مِنْهُمْ مَالِكُ بْنُ الرَّيْبِ الْمَازَنِيُّ فِي فِتْيَانٍ كَانُوا مَعَهُ، وَفِيهِمْ يَقُولُ الرَّاجِزُ:

أَللهُ أَنْجَاكَ مِنَ الْقَصِيمِ ... وَمِنْ أَبِي حَرْدَبَةَ الْأَثِيمِ

وَمِنْ غُوَيْثٍ فَاتِحِ الْعُكُومِ ... وَمَالِكِ وَسَيْفِهِ الْمُسُومِ

قَالَ عَلِيٌّ: قَالَ مُسْلِمَةُ: قَدِمَ سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ، فَقَطَعَ النَّهْرَ إِلَى سَمَرْقَنْدٍ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُ الصَّغْدِ، فَتَوَاقَفُوا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ ثُمَّ انْصَرَفُوا مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ، فَقَالَ مَالِكُ بْنُ الرَّيْبِ يَذِمُّ سَعِيدًا:

مَا زِلْتُ يَوْمَ الصَّغْدِ تَرَعْدُ وَاقِفًا ... مِنَ الْجَبَنِ حَتَّى خَفْتُ أَنْ تَنْتَصِرَا

وَمَا كَانَ فِي عُثْمَانَ شَيْءٌ عَلِمْتَهُ ... سِوَى نَسْلِهِ فِي رَهْطِهِ حِينَ أَدْبَرَا

وَلَوْلَا بَنُو حَرْبٍ لَظَلَّتْ دِمَاؤُكُمْ ... بِطُونِ الْعِظَايَا مِنْ كَسِيرٍ وَأَعُورَا

قَالَ: فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ خَرَجَ إِلَيْهِمْ سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ، وَنَاهَضَهُ الصَّغْدُ، فَقَاتَلَهُمْ فَهَزَمَهُمْ وَحَصَرَهُمْ فِي مَدِينَتِهِمْ، فَصَالَحُوهُ وَأَعْطَوْهُ رَهْنًا مِنْهُمْ خَمْسِينَ غَلَامًا يَكُونُونَ فِي يَدِهِ مِنْ أَبْنَاءِ عِظَمَائِهِمْ، وَعَبَّرَ فَأَقَامَ بِالْتَرَمِذِ، وَلَمْ يَفِ لَهُمْ، وَجَاءَ بِالْغُلَبَانِ الرَّهْنِ مَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ.

قَالَ: وَقَدِمَ سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ خُرَّاسَانَ وَأَسْلَمَ بَنُ زُرْعَةَ الْكَلَابِيِّ بِهَا مِنْ قَبْلِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، فَلَمْ يَزَلْ أَسْلَمُ بَنُ زُرْعَةَ بِهَا مُقِيمًا حَتَّى كَتَبَ إِلَيْهِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ بَعْدَهُ عَلَى خُرَّاسَانَ الثَّانِيَةَ، فَلَمَّا قَدِمَ كَتَّابُ عُبَيْدِ اللَّهِ عَلَى أَسْلَمَ طَرَقَ سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ لَيْلًا، فَأَسْقَطَتْ جَارِيَةٌ لَهُ غَلَامًا، فَكَانَ سَعِيدُ

يَقُولُ: لَا قَتْلَ بِي رَجُلًا مِنْ بَنِي حَرْبٍ، وَقَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَشَكَأَ أَسْلَمَ إِلَيْهِ، وَغَضِبَتْ الْقَيْسِيَّةُ، قَالَ: فَدَخَلَ هَمَامُ بْنُ قَبِيصَةَ النَّمِرِيُّ فَنَظَرَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ مَحْمَرِ الْعَيْنَيْنِ، فَقَالَ: يَا هَمَامُ، إِنْ عَيْنُكَ لِحَمْرَتَانِ، قَالَ هَمَامُ: كَانَتَا يَوْمَ صَفَيْنَ أَشَدَّ حُمْرَةً، فَغَمَّ مُعَاوِيَةَ ذَلِكَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ سَعِيدُ كَفَّ عَنْ أَسْلَمَ، فَأَقَامَ أَسْلَمُ بَنُ زُرْعَةَ عَلَى خُرَّاسَانَ وَالْيَا لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ سَنَتَيْنِ

٥٠٢١ سنه سبع وخمسين

ثُمَّ دَخَلْتُ

سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ

وَكَانَ فِيهَا مَشَتْى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ بِأَرْضِ الرُّومِ.

وَفِيهَا صَرَفَ مَرْوَانَ عَنِ الْمَدِينَةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ فِي قَوْلِ الْوَاقِدِيِّ، وَقَالَ غَيْرُهُ: كَانَ مَرْوَانُ إِلَيْهِ الْمَدِينَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ.

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: اسْتَعْمَلَ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْمَدِينَةِ حِينَ صَرَفَ عَنْهَا مَرْوَانَ الْوَلِيدُ بْنُ عَتَبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

وَكَالَّذِي قَالَ الْوَاقِدِيُّ قَالَ أَبُو مَعْشَرٍ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ الرَّازِيُّ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْهُ.

وَكَانَ الْعَامِلَ عَلَى الْكُوفَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ، وَعَلَى خُرَّاسَانَ سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ.

٥٠٢٢ سنه ثمان وخمسين

٥٠٢٢٠١ عزل الضحّاك عن الكوفة واستعمال عبد الرحمن بن أم الحكم

ثم دخلت

سنة ثمان وخمسين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) ففيها نزع معاوية مروان عن المدينة في ذي القعدة في قول أبي معشر، وأمر الوليد بن عتبة بن أبي سفيان عليها، حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عنه. وفيها غزا مالك بن عبد الله الخثعمي أرض الروم.

وفيها قتل يزيد بن شجرة في البحر في السفن في قول الواقدي قال:

ويقال عمرو بن يزيد الجهني، وكان الذي شتا بأرض الروم، وقد قيل:

إن الذي غزا في البحر في هذه السنة جنادة بن أبي أمية.

وجاء بالناس في هذه السنة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، كذلك حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال الواقدي وغيره.

عزل الضحّاك عن الكوفة واستعمال عبد الرحمن بن أم الحكم

وفي هذه السنة ولي معاوية الكوفة عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الله بن عثمان بن ربيعة الثقفي، وهو ابن أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان، وعزل عنها الضحّاك بن قيس، ففي عمله في هذه السنة خرجت الطائفة الذين كان المغيرة بن شعبة حبسهم في السجن من الخوارج الذين كانوا يبيعوا المستورد بن علفه، فظفر بهم فاستودعهم السجن، فلما مات المغيرة خرجوا من السجن.

فذكر هشام بن محمد أن أبا مخنف، حدثه عن عبد الرحمن بن جندب، عن عبد الله بن عقبة الغنوي أن حيان بن ظبيان السلمي جمع إليه أصحابه، ثم إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال لهم: أما بعد، فإن الله عز

وجل كتب علينا الجهاد، فمنا من قضى نحبه، ومنا من ينتظر، وأولئك الأبرار الفائزون بفضلهم، ومن يكن منا من ينتظر فهو من سلفنا القاضين نحبهم، السابقين بإحسان، فمن كان منكم يريد الله وثوابه فليسلك سبيل أصحابه وإخوانه يؤته الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله مع المحسنين.

قال معاذ بن جوين الطائي: يا أهل الإسلام، إنا والله لو علمنا أننا إذا تركنا جهاد الظلمة وإنكار الجور، كان لنا به عند الله عذر، لكان تركه أيسر علينا، وأخف من ركوبه، ولكنا قد علمنا واستيقنا أنه لا عذر لنا، وقد جعل لنا القلوب والأسماع حتى نذكر الظلم، ونغير الجور، ونجاهد الظالمين، ثم قال: أبسط يدك نبايعك، فبايعه وبايعه القوم، فضرَبوا على يد حيان بن ظبيان، فبايعوه، وذلك في إمارة عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي، وهو ابن أم الحكم، وكان على شرطته زائدة بن قدامة الثقفي.

ثم إن القوم اجتمعوا بعد ذلك بأيام إلى منزل معاذ بن جوين بن حصين الطائي فقال لهم حيان بن ظبيان: عباد الله، أشيروا برأيكم، أين تأمروني أن أخرج؟ فقال له معاذ: إني أرى أن تسير بنا إلى حلوان حتى ننزلها، فإنها كورة بين السهل والجبل، وبين مصر والثغر. يعني بالثغر الري. فمن كان يرى رأينا من أهل مصر والثغر والجبال والسواد لحق بنا فقال له حيان: عدوك معاجلك قبل اجتماع الناس إليك، لعمرى لا يتركونكم حتى يجتمعوا إليكم، ولكن قد رأيت أن أخرج معكم في جانب الكوفة والسبخة أو زرارة والحيرة، ثم نقاتلهم

حَتَّى نَلْحَقَ بِرَبَّنَا، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ وَأَنْتُمْ دُونَ الْمِائَةِ رَجُلٍ أَنْ تَهْزِمُوا عَدُوَّكُمْ، وَلَا أَنْ تَشْتَدَّ نَكَائِكُمْ فِيهِمْ، وَلَكِنْ مَتَى عَلَّمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ قَدْ أَجْهَدْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ وَعَدُوَّكُمْ كَانَ لَكُمْ بِهِ الْعُذْرُ، وَخَرَجْتُمْ مِنَ الْإِثْمِ قَالُوا: رَأَيْنَا رَأْيَكَ، فَقَالَ لَهُمْ عَتْرِيسُ بْنُ عَرْقُوبٍ أَبُو سُلَيْمَانَ الشَّيْبَانِي: وَلَكِنْ لَا أَرَى رَأْيَ جَمَاعَتِكُمْ، فَانْظُرُوا فِي رَأْيِ لَكُمْ، إِنِّي لَا إِخَالَكُمْ تَجْهَلُونَ مَعْرِفَتِي بِالْحَرْبِ، وَتَجْرِبَتِي بِالْأُمُورِ، فَقَالُوا لَهُ: أَجَلٌ، أَنْتَ كَمَا ذَكَرْتَ، فَمَا رَأْيُكَ؟ قَالَ: مَا أَرَى أَنْ تَخْرُجُوا عَلَى النَّاسِ بِالْمِصْرِ، إِنَّكُمْ قَلِيلٌ فِي كَثِيرٍ، وَاللَّهِ مَا تَزِيدُونَ عَلَى أَنْ تَجْزُرُوهُمْ أَنْفُسَكُمْ، وَتَقْرُوا أَعْيُنَهُمْ بِقَتْلِكُمْ، وَلَيْسَ هَكَذَا تَكُونُ الْمَكَائِدَةُ إِذَا أَثَرْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا عَلَى قَوْمِكُمْ، فَكِيدُوا عَدُوَّكُمْ مَا يَضُرُّهُمْ، قَالُوا: فَمَا الرَّأْيُ؟ قَالَ:

تَسِيرُونَ إِلَى الْكُوفَةِ الَّتِي أَشَارَ بِنَزُولِهَا مَعَاذُ بْنُ جُوَيْنَ بْنِ حَصِينٍ - يَعْنِي حُلَوَانَ - أَوْ تَسِيرُونَ بِنَا إِلَى عَيْنِ التَّمْرِ فَتَقِيمُ بِهَا، فَإِذَا سَمِعَ بِنَا إِخْوَانَنَا أَتُونَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَأَوْبُ، فَقَالَ لَهُ حَيَّانُ بْنُ ظَبْيَانَ: إِنَّكَ وَاللَّهِ لَوْ سَرْتَ بِنَا أَنْتَ وَجَمِيعُ أَصْحَابِكَ نَحْوُ أَحَدِ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ مَا أَطْمَأْنَنْتُمْ بِهِ حَتَّى يَلْحَقَ بِكُمْ خِيُولُ أَهْلِ الْمِصْرِ، فَأَنَّى تَشْفُونَ أَنْفُسَكُمْ! فَوَاللَّهِ مَا عَدْتُكُمْ بِالْكَثِيرَةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَطْمَعُوا مَعَهَا بِالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا عَلَى الظَّالِمِينَ الْمُعْتَدِينَ، فَاخْرُجُوا بِجَانِبٍ مِنْ مِصْرِكُمْ هَذَا فَقَاتِلُوا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ مِنْ خَالَفَ طَاعَةَ اللَّهِ، وَلَا تَرْبِصُوا وَلَا تَنْتَظِرُوا فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا تَبَادِرُونَ بِذَلِكَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَتَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ بِذَلِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ قَالُوا: أَمَا إِذَا كَانَ لَا بَدَ لَنَا فَإِنَّا لَنُخَالِفُكَ، فَاخْرُجْ حَيْثُ أَحْبَبْتَ.

فَكُتَّ حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرَ سَنَةٍ مِنْ سَنَةِ ابْنِ أُمِّ الْحَكَمِ فِي أَوَّلِ السَّنَةِ - وَهُوَ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ - اجْتَمَعَ أَصْحَابُ حَيَّانَ بْنِ ظَبْيَانَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَمَعَ لَكُمْ خَيْرٌ وَعَلَى خَيْرٍ، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا سَرَرْتُ بِشَيْءٍ قَطُّ فِي الدُّنْيَا بَعْدَ مَا أَسْلَمْتُ سُرُورِي لِمُخْرَجِي هَذَا عَلَى الظُّلْمَةِ الْإِثْمِ، فَوَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ الدُّنْيَا بِحُذَافِيرِهَا لِي وَأَنْ اللَّهَ حَرَمَنِي فِي مُخْرَجِي هَذَا الشَّهَادَةَ وَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ نَخْرُجَ حَتَّى نَنْزِلَ جَانِبَ دَارِ جَرِيرٍ، فَإِذَا خَرَجَ إِلَيْكُمْ الْأَحْزَابُ نَاجِزْتُمُوهُمْ فَقَالَ عَتْرِيسُ بْنُ عَرْقُوبٍ الْبَكْرِيُّ: أَمَا إِنْ نَقَاتَلَهُمْ فِي جَوْفِ الْمِصْرِ فَإِنَّهُ يِقَاتِلُنَا الرِّجَالُ، وَتَصْعَدُ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ وَالْإِمَاءُ فَيَرْمُونَنَا بِالْحِجَارَةِ، فَقَالَ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْهُمْ: انْزِلُوا بِنَا إِذَا مِنْ وَرَاءِ الْمِصْرِ الْجِسْرِ - وَهُوَ مَوْضِعُ زَرَارَةِ، وَإِنَّمَا بَنِيَتْ زَرَارَةُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا أَبْيَاتًا يَسِيرَةً كَانَتْ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ - فَقَالَ لَهُمْ مَعَاذُ بْنُ جُوَيْنَ بْنِ حَصِينِ الطَّائِي: لَا، بَلْ سِيرُوا بِنَا فَلْنَنْزِلْ بَانِقِيَا فَمَا أَسْرَعَ مَا يَأْتِيكُمْ عَدُوَّكُمْ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ اسْتَقْبَلْنَا الْقَوْمَ بِوُجُوهِنَا، وَجَعَلْنَا الْبُيُوتَ فِي ظَهْرِنَا، فَقَاتَلْنَاهُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ نَخْرُجُوا، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ، فَقَتَلُوا جَمِيعًا

٥٠٢٢٠٢ ذكر قتل عروه بن اديه وغيره من الخوارج

ثُمَّ إِنَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أُمِّ الْحَكَمِ طَرَدَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ، فَحَدَّثَ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: اسْتَعْمَلَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أُمِّ الْحَكَمِ عَلَى الْكُوفَةِ فَأَسَاءَ السَّيْرَةَ فِيهِمْ، فَطَرَدُوهُ، فَلَحِقَ بِمُعَاوِيَةَ وَهُوَ خَالُهُ، فَقَالَ لَهُ: أَوْلَيْكَ خَيْرًا مِنْهَا، مِصْرَ، قَالَ: فَوَلَاهُ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا، وَبَلَغَ مُعَاوِيَةَ بْنُ حُدَيْجٍ السَّكُونِي الْخَبَرَ، فَخَرَجَ فَاسْتَقْبَلَهُ عَلَى مَرَحَلَتَيْنِ مِنْ مِصْرَ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى خَالِكَ فَلَعَمْرِي لَا تَسِيرُ فِينَا سِيرَتَكَ فِي إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ.

قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى مُعَاوِيَةَ، وَأَقْبَلْ مُعَاوِيَةَ بْنُ حُدَيْجٍ وَافِدًا، قَالَ: وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَلَسْتُ لَهُ الطَّرِيقَ - يَعْنِي ضَرَبْتُ لَهُ قَبَابَ الرِّيحَانِ - قَالَ: فَدَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْحَكَمِ، فَقَالَتْ: مَنْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ:

يَحْيَى! هَذَا مُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ، قَالَتْ: لَا مَرْحَبًا بِهِ! تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِي خَيْرٍ مِنْ أَنْ تَرَاهُ، فَقَالَ: عَلَى رِسْلِكَ يَا أُمُّ الْحَكَمِ! أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَزَوَّجْتَ فَمَا أَكْرَمْتَ، وَوُلِدْتَ فَمَا أَنْجَبْتَ، أَرَدْتُ أَنْ يَلِيَ ابْنُكَ الْفَاسِقُ عَلَيْنَا فَيَسِيرُ فِينَا كَمَا سَارَ فِي إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، مَا كَانَ اللَّهُ لِيُرِيَهُ ذَلِكَ، وَلَوْ فَعَلَ ذَلِكَ لَضَرَبْنَاهُ ضَرْبًا يَطْأُ مِنْهُ، وَإِنْ كَرِهَ ذَلِكَ الْجَالِسُ فَالْتَفَتَ إِلَيْهَا مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: كَفَى .

ذكر قتل عروه بن اديه وغيره من الخوارج

• وفي هذه السنة اشتد عبيد الله بن زياد على الخوارج، فقتل منهم صبرا جماعة كثيرة، وفي الحرب جماعة أخرى، ومن قتل منهم صبرا عروة بن أدية، أخو أبي بلال مرداس بن أدية.

(ذكر سبب قتله إياهم): حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي عِيسَى بْنُ عَاصِمٍ الْأَسَدِيُّ، أَنَّ ابْنَ زِيَادٍ خَرَجَ فِي رَهَانٍ لَهُ، فَلَمَّا جَلَسَ يَنْتَظِرُ الْخَيْلَ اجْتَمَعَ النَّاسُ وَفِيهِمْ عُرْوَةُ بْنُ أُدِيَّةٍ أَخُو أَبِي بِلَالٍ، فَأَقْبَلَ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ فَقَالَ: نَحْسُ كُنَّ

فِي الْأُمَمِ قَبْلَنَا، فَقَدْ صَرَنَ فِينَا: «أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ» وَخَصَلْتَيْنِ أُخْرَيْنِ لَمْ يَحْفَظْهُمَا جَرِيرٌ فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ ظَنَّ ابْنُ زِيَادٍ أَنَّهُ لَمْ يَجْتَرِئْ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَامَ وَرَكِبَ وَتَرَكَ رِهَانَهُ، فَقِيلَ لِعُرْوَةَ:

مَا صَنَعْتَ! تَعْلَنَ وَاللَّهِ لَيَقْتُلَنَّكَ قَالَ: فَتَوَارَى، فَطَلَبَهُ ابْنُ زِيَادٍ، فَأَتَى الْكُوفَةَ، فَأَخَذَ بِهَا، فَقَدِمَ بِهِ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُطِعَتْ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ، ثُمَّ دَعَا بِهِ فَقَالَ: كَيْفَ تَرَى؟ قَالَ: أَرَى أَنَّكَ أَفْسَدْتَ دُنْيَايَ وَأَفْسَدْتَ آخِرَتَكَ، فَقَتَلَهُ، وَأَرْسَلَ إِلَى ابْنَتِهِ فَقَتَلَهَا. وَأَمَّا مِرْدَاسُ بْنُ أُدِيَّةٍ فَإِنَّهُ خَرَجَ بِالْأَهْوَازِ وَقَدْ كَانَ ابْنُ زِيَادٍ قَبْلَ ذَلِكَ حَبْسَهُ - فِيمَا حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنِي خَلَادُ بْنُ يَزِيدَ الْبَاهِلِيُّ، قَالَ:-

حَبَسَ ابْنُ زِيَادٍ - فِيمَنْ حَبَسَ - مِرْدَاسُ بْنُ أُدِيَّةٍ، فَكَانَ السَّجَّانُ يَرَى عِبَادَتَهُ وَاجْتِهَادَهُ، وَكَانَ يَأْذُنُ لَهُ فِي اللَّيْلِ، فَيَنْصَرِفُ، فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ أَتَاهُ حَتَّى يَدْخُلَ السَّجْنَ، وَكَانَ صَدِيقُ مِرْدَاسٍ يُسَامِرُ ابْنَ زِيَادٍ، فَذَكَرَ ابْنُ زِيَادٍ الْخَوَارِجَ لَيْلَةً فَعَزَمَ عَلَى قَتْلِهِمْ إِذَا أَصْبَحَ، فَانْطَلَقَ صَدِيقُ مِرْدَاسٍ إِلَى مَنْزِلِ مِرْدَاسٍ فَأَخْبَرَهُمْ، وَقَالَ: أَرْسِلُوا إِلَى أَبِي بِلَالٍ فِي السَّجَنِ فَلْيَعْهَدْ فَإِنَّهُ مَقْتُولٌ، فَسَمِعَ ذَلِكَ مِرْدَاسُ، وَبَلَغَ الْخَبْرَ صَاحِبَ السَّجَنِ، فَبَاتَ بَلِيلَةً سُوءٍ إِشْفَاقًا مِنْ أَنْ يَعْلَمَ الْخَبْرَ مِرْدَاسُ فَلَا يَرْجِعُ، فَلَمَّا كَانَ الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يَرْجِعُ فِيهِ إِذَا بِهِ قَدْ طَلَعَ، فَقَالَ لَهُ السَّجَّانُ: هَلْ بَلَغَكَ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ الْأَمِيرُ؟ قَالَ:

نَعَمْ، قَالَ: ثُمَّ غَدَوْتُ! قَالَ: نَعَمْ، وَلَمْ يَكُنْ جَزَاؤُكَ مَعَ إِحْسَانِكَ أَنْ تَعَاقِبَ بَسِي، وَأَصْبَحَ عُبَيْدُ اللَّهِ جَعَلَ يَقْتُلُ الْخَوَارِجَ، ثُمَّ دَعَا بِمِرْدَاسٍ، فَلَمَّا حَضَرَ وَثَبَ السَّجَّانُ - وَكَانَ ظَنًّا لِعُبَيْدِ اللَّهِ - فَأَخَذَ بِقَدَمِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَبْ هَذَا، وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ، فَوَهَبَهُ لَهُ وَأَطْلَقَهُ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ، قَالَ: خَرَجَ مِرْدَاسُ أَبُو بِلَالٍ - وَهُوَ مِنْ بَنِي رِبْعَةَ بْنِ حَنْظَلَةَ - فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا إِلَى الْأَهْوَازِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ ابْنُ زِيَادٍ جَيْشًا عَلَيْهِمْ ابْنُ حِصْنِ التَّيْمِيِّ، فَقَتَلُوا فِي أَصْحَابِهِ وَهَزَمُوهُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمٍ اللَّهُ بْنُ ثَعْلَبَةَ:

أَلْفَا مُؤْمِنٍ مِنْكُمْ زَعَمْتُمْ ... وَيَقْتُلُهُمْ بِأَسْكَ أَرْبَعُونَ

كَذَبْتُمْ لَيْسَ ذَاكَ كَمَا زَعَمْتُمْ ... وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَ

هِيَ الْفِتَّةُ الْقَلِيلَةُ قَدْ عَلِمْتُمْ ... عَلَى الْفِتَّةِ الْكَثِيرَةِ يُنْصَرُونَ

قَالَ عُمَرُ: الْبَيْتُ الْأَخِيرُ لَيْسَ فِي الْحَدِيثِ، أَشَدُّنِيهِ خَلَادُ بْنُ يَزِيدَ الْبَاهِلِيُّ.

وَقِيلَ: مَاتَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُمَيْرَةُ بْنُ يَثْرِيٍّ قَاضِي الْبَصْرَةِ، وَاسْتَقْضَى مَكَانَهُ عَلَيْهِا هِشَامُ بْنُ هُبَيْرَةَ.

وَكَانَ عَلَى الْكُوفَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أُمِّ الْحَكَمِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

كَانَ عَلَيْهَا الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ الْفَهْرِيُّ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ، وَعَلَى قِصَاةِ الْكُوفَةِ شُرَيْحٌ.

وَجَّ بِالنَّاسِ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، كَذَلِكَ قَالَ أَبُو مَعْشَرٍ وَالْوَاقِدِيُّ

٥٠٢٣ سنة تسع وخمسين

٥٠٢٣.١ ذكر ولاية عبد الرحمن بن زياد خراسان

ثم دخلت

سنة تسع وخمسين

(ذكر ما كان فيها من الأحداث) ففيها كان مشى عمرو بن مرة الجهني أرض الروم في البر، قال الواقدي: لم يكن عامئذ غزو في البحر وقال غيره: بل غزا في البحر جنادة بن أبي أمية.

وفيها عزل عبد الرحمن بن أم الحكم عن الكوفة، واستعمل علياً النعمان بن بشير الأنصاري، وقد ذكرنا قبل سبب عزل ابن أم الحكم عن الكوفة.

ذكر ولاية عبد الرحمن بن زياد خراسان

وفي هذه السنة ولي معاوية عبد الرحمن بن زياد بن سمية خراسان.

ذكر سبب استعمال معاوية إياه على خراسان:

حدثني الحارث بن محمد، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: حدثنا أبو عمرو، قال: سمعت أسيادنا يقولون: قدم عبد الرحمن بن زياد وأفدا على معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، أما لنا حق؟ قال: بلى، قال:

فماذا توليني؟ قال: بالكوفة النعمان رشيد، وهو رجل من أصحاب النبي ص، وعبيد الله بن زياد على البصرة وخراسان، وعباد بن زياد على سجستان، ولست أرى عملاً يشبهك إلا أن أشركك في عمل أخيك عبيد الله، قال أشركني، فإن عمله واسع يحتمل الشراكة، فولاه خراسان.

قال علي: وذكر أبو حفص الأزدي، قال: حدثني عمر، قال: قدم علينا قيس بن الهيثم السلمي، وقد وجهه عبد الرحمن بن زياد، فأخذ اسلم بن

٥٠٢٣.٢ ذكر وفود عبيد الله بن زياد على معاوية

زرعة فحبسه، ثم قدم عبد الرحمن، فأغرم اسلم بن زرعه ثلاثمائة ألف درهم.

قال: وذكر مصعب بن حيان، عن أخيه مقاتل بن حيان، قال:

قدم عبد الرحمن بن زياد خراسان، فقدم رجل سخي حريص ضعيف لم يغز غزوة واحدة، وقد أقام بخراسان سنتين.

قال علي: قال عوانة: قدم عبد الرحمن بن زياد على يزيد بن معاوية من خراسان بعد قتل الحسين ع، واستخلف على خراسان قيس ابن الهيثم.

قال: وحدثني مسلم بن محارب وأبو حفص، قالا: قال يزيد لعبد الرحمن ابن زياد: كم قدمت به معك من المال من خراسان؟ قال: عشرين ألف درهم، قال: إن شئت حاسبناك وقبضناها منك، ورددناك على عملك، وإن شئت سوغناك وعزلناك، وتعطي عبد الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم، قال: بل تسوغني ما قلت، ويستعمل عليها غيري وبعث عبد الرحمن بن زياد إلى عبد الله بن جعفر بألف الف درهم، وقال: خمسمائة الف من قبل أمير المؤمنين، وخمسمائة الف من قبلي

٣. ذكر وفود عبيد الله بن زياد على معاوية
وفي هذه السنة وفد عبيد الله بن زياد على معاوية في أشرف أهل البصرة، فعزله عن البصرة، ثم رده عليها وجدد له الولاية.
ذكر من قال ذلك:

حدثني عمر، قال: حدثني علي، قال: وفد عبيد الله بن زياد في أهل العراق إلى معاوية فقال له: ائذن لوفدك على منازلهم وشرفهم، فأذن لهم،

٥٢٣.٣ ذكر هجاء يزيد بن مفرغ الحميري بن زياد

ودخل الأحنف في آخرهم، وكان سيئ المنزلة من عبيد الله، فلما نظر إليه معاوية رحب به، وأجلسه معه على سريرة، ثم تكلم القوم فأحسنوا الثناء على عبيد الله، والأحنف ساكت، فقال: ما لك يا أبا بحر لا تتكلم! قال: إن تكلمت خالفت القوم فقال: انهضوا فقد عزلته عنكم، واطلبوا واليا ترضونه، فلم يبق في القوم أحد إلا أتى رجلا من بني أمية أو من أشرف أهل الشام، كلهم يطلب، وقعد الأحنف في منزله، فلم يأت أحدا، فلبثوا أياما، ثم بعث إليهم معاوية فجمعهم، فلما دخلوا عليه قال: من اخترتم؟ فاختلفت كلمتهم، وسمى كل فريق منهم رجلا والأحنف ساكت، فقال له معاوية: ما لك يا أبا بحر لا تتكلم! قال: إن وليت علينا أحدا من أهل بيتك لم نعدل بعبيد الله أحدا، وإن وليت من غيرهم فانظر في ذلك، قال معاوية: فإني قد أعدته عليكم، ثم أوصاه بالأحنف، وقبح رأيه في مبادئه، فلما هاجت الفتنة لم يف لعبيد الله غير الأحنف.

ذكر هجاء يزيد بن مفرغ الحميري بن زياد

وفي هذه السنة كان ما كان من أمر يزيد بن مفرغ الحميري وعباد بن زياد وهجاء يزيد بن زياد.
ذكر سبب ذلك:

حدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري كان مع عباد بن زياد بسجستان، فاشتغل عنه بحرب الترك، فاستبطأه، فأصاب الجند مع عباد ضيق في إعلاف دوابهم، فقال ابن مفرغ:

ألا ليت اللحي عادت حشيشا ... فعلفها خيول المسلمين!

وكان عباد بن زياد عظيم اللحية، فأتهى شعره إلى عباد، وقيل:

ما أراد غيرك، فطلبه عباد، فهرب منه، وهجاه بقصائد كثيرة، فكان مما هجاه به قوله:

إذا أودى معاوية بن حرب ... فبشر شعب قعبك بانصداع

فأشهد أن أمك لم تباشر ... أبا سفيان واضعة القناع

ولكن كان أمرا فيه لبس ... على وجل شديد وارتياح

وقوله:

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... مغلغة من الرجل اليماني

أتغضب أن يقال أبوك عف ... وترضى أن يقال أبوك زان!

فأشهد أن رحمك من زياد ... كرحم الفيل من ولد الأتان

حدثني أبو زيد، قال: لما هجا ابن المفرغ عبادا فارقه مقبلا إلى البصرة، وعبيد الله يومئذ وافد على معاوية، فكتب عباد إلى عبيد الله ببعض ما هجاه به، فلما قرأ عبيد الله الشعر دخل على معاوية فأشده إياه، واستأذنه في قتل ابن مفرغ، فأبى عليه أن يقتله، وقال: أدبه ولا تبلغ به القتل، وقدم ابن مفرغ البصرة، فاستجار بالأحنف بن قيس، فقال: إنا لا نجير على ابن سمية، فإن شئت كفيتك شعراء

بني تميم، قَالَ: ذاك مَا لَا أَبَالِي أَنْ أَكْفَاهُ، فَأَتَى خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَوَعَدَهُ، وَأَتَى أُمَيَّةَ فَوَعَدَهُ، ثُمَّ أَتَى عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ فَوَعَدَهُ، ثُمَّ أَتَى الْمُنْذِرَ بْنَ الْجَارُودِ فَأَجَارَهُ، وَأَدْخَلَهُ دَارَهُ، وَكَانَتْ بِحَرِيَّةِ بِنْتُ الْمُنْذِرِ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ، فَلَمَّا قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ الْبَصْرَةَ أَخْبَرَ بِمَكَانِ ابْنِ مَفْرُغٍ عِنْدَ الْمُنْذِرِ، وَأَتَى الْمُنْذِرَ عَبْدُ اللَّهِ مُسَلِّمًا، فَأَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ الشَّرْطَ إِلَى دَارِ الْمُنْذِرِ، فَأَخَذُوا ابْنَ مَفْرُغٍ، فَلَمْ يَشْعُرِ الْمُنْذِرُ وَهُوَ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ إِلَّا بِابْنِ مَفْرُغٍ قَدْ أَقِيمَ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَامَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ وَقَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنِّي قَدْ أَجْرَتُهُ، قَالَ: وَاللَّهِ يَا مُنْذِرُ لِيَدْحَنَكَ وَأَبَاكَ وَيَهْجُونِي أَنَا وَأَبِي، ثُمَّ تَجَرَّهَ عَلَيَّ! فَأَمَرَ بِهِ فَسَقَى دَوَاءً، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى حِمَارٍ عَلَيْهِ إِكَافٌ فَفَعَلَ يَطَافُ بِهِ وَهُوَ يَسْلُحُ فِي ثِيَابِهِ، فَيَمُرُّ بِهِ فِي الْأَسْوَاقِ، فَمُرِّهِ فَارِسِي فَرَاهُ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالَ: ابْنُ جَيْسْتٍ؟ فَفَهَمَهَا ابْنُ مَفْرُغٍ، فَقَالَ:

أَبَ اسْتَنْبِذَ اسْت ... عَصَارَاتُ زَيْبِ اسْت
سَمِيهِ رُو سَيْبِ اسْت
ثُمَّ هَجَا الْمُنْذِرَ بْنَ الْجَارُودِ:

تَرَكْتُ قَرِيضًا أَنْ أَجَاوِرَ فِيهِمْ ... وَجَاوَرْتُ عَبْدَ الْقَيْسِ أَهْلَ الْمَشْقَرِ
أَنَاسَ أَجَارُونَا فَكَانَ جَوَارِهِمْ ... أَعَاصِيرُ مِنْ فُسُو الْعِرَاقِ الْمُبْذَرِ
فَأَصْبَحَ جَارِي مِنْ جَذِيمَةٍ نَائِمًا ... وَلَا يَمْنَعُ الْجِيرَانُ غَيْرَ الْمَشْمَرِ
وَقَالَ لِعَبِيدِ اللَّهِ:

يَغْسِلُ الْمَاءُ مَا صَنَعْتُ وَقَوْلِي ... رَاسِخٌ مِنْكَ فِي الْعِظَامِ الْبَوَالِي
ثُمَّ حَمَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى عِبَادِ بَسْجِسْتَانَ، فَكَلِمَتِ الْيَمَانِيَةِ فِيهِ بِالشَّامِ مُعَاوِيَةَ، فَأَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى عِبَادٍ، فَحَمَلَ ابْنَ مَفْرُغٍ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى قَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ فِي طَرِيقِهِ:

عَدَسٌ مَا لِعِبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ ... نَجُوتُ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ
لِعَمْرِي لَقَدْ نَجَاكَ مِنْ هَوَا الرَّدَى ... إِمَامٌ وَحِبْلٌ لِلْأَنَامِ وَثِيقُ
سَأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ نِعْمَةٍ ... وَمِثْلِي بِشُكْرِ الْمُنْعَمِينَ حَقِيقُ

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ بَكَى، وَقَالَ: رَكِبْ مِنِّي مَا لَمْ يَرْكَبْ مِنْ مُسْلِمٍ عَلَى غَيْرِ حَدَثٍ وَلَا جَرِيرَةٍ! قَالَ: أَوْلَسْتُ الْقَاتِلَ:
أَلَا أَبْلُغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ ... مَغْلَغَلَةً مِنَ الرَّجُلِ الْيَمَانِيِّ!
الْقَصِيدَةُ- قَالَ: لَا وَالَّذِي عَظُمَ حَقُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا قُلْتُ هَذَا، قَالَ:
أَفَلَمْ تَقُلْ:

فَأَشْهَدُ أَنْ أَمْلَكَ لَمْ تَبَاشِرْ ... أَبَا سُفْيَانَ وَاضْعَةَ الْقِنَاعِ

فِي أَشْعَارِ كَثِيرَةٍ هَجُوتُ بِهَا ابْنَ زِيَادٍ! أَذْهَبَ فَقَدْ عَفَوْنَا لَكَ عَنْ جَرْمِكَ، أَمَا لَوْ إِيَانَا تَعَامَلُ لَمْ يَكُنْ مِمَّا كَانَ شَيْءٌ، فَاَنْطَلِقْ، وَفِي أَيِّ أَرْضٍ شِئْتَ فَانْزِلْ.

فَنَزَلَ الْمَوْصِلَ، ثُمَّ إِنَّهُ ارْتَاحَ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَقَدِمَهَا، وَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ فَآمَنَهُ.

وَأَمَّا أَبُو عُبَيْدَةَ فَإِنَّهُ قَالَ فِي نَزْوِلِ ابْنِ مَفْرُغٍ الْمَوْصِلَ عَنِ الَّذِي أَخْبَرَنِي بِهِ أَبُو زَيْدٍ، قَالَ: ذَكَرْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ لَمَّا قَالَ لَهُ: أَلَسْتُ الْقَاتِلَ:

أَلَا أَبْلُغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ ... مَغْلَغَلَةً مِنَ الرَّجُلِ الْيَمَانِيِّ

الْأَبْيَاتُ، حَلَفَ ابْنُ مَفْرُغٍ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْهُ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا قَالَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أُمِّ الْحَكَمِ أَخُو مَرْوَانَ، وَاتَّخَذَنِي ذَرِيعَةً إِلَى هِجَاءِ زِيَادٍ، وَكَانَ عَتَبَ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ، فَغَضِبَ مُعَاوِيَةَ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أُمِّ الْحَكَمِ وَحَرَمَهُ عَطَاءَهُ، حَتَّى اضْرَبَهُ، فَكَلِمَ فِيهِ، فَقَالَ: لَا أَرْضَى عَنْهُ حَتَّى يَرْضَى عَبْدُ اللَّهِ، فَقَدِمَ الْعِرَاقَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لَهُ:

لَأَنْتَ زِيَادَةٌ فِي آلِ حَرْبٍ ... أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِحْدَى بَنَاتِي

أراك أخا وعمّا وابن عم ... ولا أدري بغيب ما تراني
فَقَالَ: أراك والله شاعر سوء! فرضي عنه، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لابن مفرغ:
ألست القاتل:

فأشهد أن أمك لم تباشر ... أبا سُفْيَانَ واضعة القناع
الآيات! لا تعودن إلي مثلها، عفونا عنك فأقبل حتى نزل الموصل، فتزوج امرأة، فلما كَانَ فِي لَيْلَةٍ بناها خرج حين أصبح إلى الصيد،
فلقي دهانا أو عطارا على حمار له، فَقَالَ لَهُ ابن مفرغ: من أين أقبلت؟ قَالَ:
من الأهواز، قَالَ: وما فعل ماء مسرقان؟ قَالَ: عَلَى حاله، قَالَ: نفرج ابن مفرغ فتوجه قبل الْبَصْرَةِ، ولم يعلم أهله بمسيره، ومضى حتى
قدم عَلَى عُبيدِ اللَّهِ بن زياد بِالْبَصْرَةِ، فدخل عَلَيْهِ فآمنه، ومكث عنده حتى استأذنه فِي الخروج إِلَى كَرْمَانَ، فأذن لَهُ فِي ذَلِكَ، وكتب
إلى عامله هنالك بالوصاية والإكرام لَهُ، نفرج إِلَيْهَا وَكَانَ عامل عُبيدِ اللَّهِ يومئذ على كرمَان شريك ابن الأعور الحارثي.
وجع بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُثْمَانُ بن مُحَمَّدٍ بن أَبِي سُفْيَانَ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بن ثَابِت، عمن حدثه، عن إِسْحَاقَ بن عِيسَى، عن أَبِي
معشر، وكذلك قَالَ الْوَاقِدِيُّ وغيره.

وَكَانَ الْوَالِي عَلَى الْمَدِينَةِ الْوَلِيدُ بن عتبة بن أَبِي سُفْيَانَ، وعلى الْكُوفَةِ التُّعْمَانُ بن بشير، وعلى قضاها شريح، وعلى البصرة عبيد الله بن
زياد، وعلى قضاها هشام بن هبيرة، وعلى خراسان عبد الرحمن بن زياد، وعلى سجستان عبايد بن زياد، وعلى كَرْمَانَ شريك بن الأعور
من قبل عُبيدِ اللَّهِ بن زياد

٥٠٢٤ سنه ستين

٥٠٢٤٠١ ذكر عهد معاويه لابنه يزيد

ثم دخلت
سنة ستين

(ذكر ما كَانَ فِيهَا من الأحداث) ففي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ غَزْوَةُ مَالِكِ بن عَبْدِ اللَّهِ سُورِيَّةً ودخول جناده ابن ابى اميه رودس، وهدمه
مدينتها، فِي قول الواقدي.

ذكر عهد معاويه لابنه يزيد

وفيها كَانَ أَخَذَ مُعَاوِيَةُ عَلَى الْوَفْدِ الَّذِينَ وَفَدُوا إِلَيْهِ مع عُبيدِ اللَّهِ بن زياد البيعة لابنه يزيد، وعهد إِلَى ابنه يزيد حين مرض فِيهَا مَا عهد
إِلَيْهِ فِي النِّفَرِ الَّذِينَ امْتَنَعُوا من البيعة ليزيد حين دعاهم إِلَى البيعة.

وَكَانَ عَهْدُهُ الَّذِي عهد، مَا ذكر هِشَامُ بن مُحَمَّدٍ، عن أَبِي مخنف، قَالَ:

حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بن نوفل بن مساحق بن عَبْدِ اللَّهِ بن مخرمة، أَن مُعَاوِيَةَ لما مرض مرضته أَلَّتِي هَلَكَ فِيهَا دعا يزيد ابنه، فَقَالَ: يَا
بني، إِنِّي قَدْ كَفَيْتُكَ الرِّحْلَةَ وَالتَّرْحَالَ، وَوَطَأْتُ لَكَ الْأَشْيَاءَ، وَذَلَّتْ لَكَ الْأَعْدَاءُ، وَأَخْضَعْتَ لَكَ أَعْنَاقَ الْعَرَبِ، وَجَمَعْتَ لَكَ من

جمع واحد، وَإِنِّي لَا أَتَخَوَّفُ أَن يَنَازِعَكَ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي اسْتَتَبَ لَكَ إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ من قُرَيْشٍ:

الْحُسَيْنُ بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزُّبَيْرِ، وعبد الرَّحْمَنِ بن أَبِي بَكْرٍ، فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بن عُمَرُ فَرَجُلٌ قَدْ وَقَدَتْهُ الْعِبَادَةُ، وَإِذَا
لم يبقَ أَحَدٌ غَيْرُهُ بَايَعُكَ، وَأَمَّا الْحُسَيْنُ بن علي فَإِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ لَنْ يَدْعُوهُ حَتَّى يَخْرُجُوهُ، فَإِنْ خَرَجَ عَلَيْكَ فَظَفَرْتَ بِهِ فَاصْفَحْ عَنْهُ فَإِنَّ
لَهُ رَحِمًا مَاسَةً وَحَقًّا عَظِيمًا، وَأَمَّا ابْنُ أَبِي بَكْرٍ فَرَجُلٌ إِنْ رَأَى أَصْحَابَهُ صَنَعُوا شَيْئًا صَنَعَ مِثْلَهُمْ، لَيْسَ لَهُ هِمَّةٌ إِلَّا فِي النِّسَاءِ وَاللَّهْوِ، وَأَمَّا
الَّذِي يَجْتُمُّ لَكَ جُثُومُ الْأَسَدِ، وَيَرَاوُغُكَ مَرَاوِغَةُ

٥٠٢٤٠٢ ذكر وفاه معاوية بن أبي سفيان

الثعلب، فإذا أمكنته فرصة وثب، فذاك ابن الزبير، فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه إربا إربا. قال هشام: قال عوانة: قد سمعنا في حديث آخر أن معاوية لما حضره الموت - وذلك في سنة ستين - وكان يزيد غائبا، فدعا بالضحاك بن قيس الفهري - وكان صاحب شرطته - ومسلم بن عقبة المري، فأوصى إليهما فقال: بلغا يزيد وصيتي، أنظر أهل الحجاز فإنهم أصلك، فأكرم من قدم عليك منهم، وتعاهد من غاب، وأنظر أهل العراق، فإن سألك أن تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل، فإن عزل عامل أحب إلي من أن تشهر عليك مائة ألف سيف، وأنظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإن نابك شيء من عدوك فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم، وإني لست أخاف من قریش إلا ثلاثة: حسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله ابن الزبير، فأما ابن عمر فرجل قد وقده الدين، فليس ملتصقا شيئا قبلك، وأما الحسين بن علي فإنه رجل خفيف، وأرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه، وخذل أخاه، وإن له رحما ماسة، وحقا عظيما، وقربة من محمد ص، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه، فإن قدرت عليه فاصفح عنه، فإني لو أني صاحبه عفوت عنه، وأما ابن الزبير فإنه خب صب، فإذا شخص لك فألبد له، إلا أن يلتمس منك صلحا، فإن فعل فاقبل، واحقن دماء قومك ما استطعت.

ذكر وفاه معاوية بن أبي سفيان

وفي هذه السنة هلك معاوية بن أبي سفيان بدمشق، فاختلف في وقت وفاته بعد إجماع جميعهم على أن هلكه كان في سنة ستين من الهجرة،

٥٠٢٤٠٣ ذكر الخبر عن مدة ملكه

وفي رجب منها، فقال هشام بن محمد: مات معاوية لهلال رجب من سنة ستين. وقال الواقدي: مات معاوية للنصف من رجب. وقال علي بن محمد: مات معاوية بدمشق سنة ستين يوم الخميس لثمان بقين من رجب، حدثني بذلك الحارث عنه.

ذكر الخبر عن مدة ملكه

حدثني أحمد بن ثابت الرازي، قال: حدثني من سمع إسحاق بن عيسى يذكر عن أبي معشر، قال: بويع لمعاوية بأذرح، بايعه الحسن بن علي في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين، وتوفي معاوية في رجب سنة ستين، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر. وحدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني يحيى بن سعيد بن دينار السعدي، عن أبيه، قالوا: توفي معاوية ليلة الخميس للنصف من رجب سنة ستين، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوما.

وحدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: بايع أهل الشام معاوية بالخلافة في سنة سبع وثلاثين في ذي القعدة حين تفرق الحكمان، وكانوا قبل بايعوه على الطلب بدم عثمان، ثم صالحه الحسن بن علي، وسلم له الأمر سنة إحدى وأربعين، لخمس بقين من شهر ربيع الأول، فبايع الناس جميعا معاوية، فقيل: عام الجماعة، ومات بدمشق سنة ستين، يوم الخميس لثمان بقين من رجب وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوما.

قال: ويقال: كان بين موت علي ع وموت معاوية تسع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاث ليال

٥٠٢٤٠٤ ذكر مده عمره

وَقَالَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ: بَوِيَ لِمَعَاوِيَةَ بِالْخِلَافَةِ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةً إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ، فَوَلَّى تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ إِلَّا أَيَّامًا، ثُمَّ مَاتَ لَهْلَالِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ سِتِينَ
 ذكر مده عمره

واختلفوا في مدة عمره، وكم عاش؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَاتَ يَوْمَ مَاتَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً.
 ذكر من قال ذلك:

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ الْوَلِيدِ، قَالَ: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ: سَأَلَنِي الْوَلِيدُ عَنْ أَعْمَارِ الْخُلَفَاءِ، فَأَخْبَرْتَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ مَاتَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، فَقَالَ: نَحْ نَحْ! إِنَّ هَذَا لَعُمْرُ.
 وَقَالَ آخَرُونَ: مَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

ذكر من قال ذلك:

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زَهِيرٍ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ:
 مَاتَ مُعَاوِيَةُ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، قَالَ: وَيُقَالُ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً.
 وَقَالَ آخَرُونَ: تَوَفَّى وَهُوَ ابْنُ ثَمَانَ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

ذكر من قال ذلك:

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: تَوَفَّى مُعَاوِيَةُ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانَ وَسَبْعِينَ سَنَةً.
 وَقَالَ آخَرُونَ: تَوَفَّى وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، حَدَّثْتُ بِذَلِكَ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُهُ عَنْ أَبِيهِ

٥٠٢٤٠٥ ذكر العله التي كانت فيها وفاته

ذكر العلة التي كانت فيها وفاته

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي يَعْقُوبَ الثَّقَفِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ مُعَاوِيَةُ وَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، قَالَ لِأَهْلِهِ: احْشُوا عَيْنِي إِثْمَدًا، وَأَوْسِعُوا رَأْسِي دُهْنًا، فَفَعَلُوا، وَبَرَقُوا وَجْهَهُ بِالذَّهْنِ، ثُمَّ مَهَّدَ لَهُ، فَجَلَسَ وَقَالَ:

أَسْنِدُونِي، ثُمَّ قَالَ: ائْذَنُوا لِلنَّاسِ فَلْيَسْلُوهَا قِيَامًا، وَلَا يَجْلِسُ أَحَدٌ، فَعَلَّ الرَّجُلُ يَدْخُلُ فَيَسْلِمُ قَائِمًا فَيَرَاهُ مُكْتَحِلًا مَدَهِنًا فَيَقُولُ: يَقُولُ النَّاسُ: هُوَ لِمَابِهِ، وَهُوَ أَصَحُّ النَّاسِ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ قَالَ مُعَاوِيَةُ:

وَجَلَدِي لِلشَّامَتِينَ أَرْبَعِينَ... أَنِّي لَرَيْبٍ الدَّهْرُ لَا أَتَضَعُّعُ
 وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَشْبَتْ أَظْفَارَهَا... أَلْفَيْتُ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

قَالَ: وَكَانَ بِهِ النُّفَاثَاتُ، فَتَاتَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زَهِيرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مِينَاسٍ الْكَلْبِيِّ، قَالَ: قَالَ مُعَاوِيَةُ، لَا بَنْتِيهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَهَمَا تَقْلِبَانَهُ: تَقْلِبَانٌ حَوْلًا قَلْبًا، جَمَعَ الْمَالُ مِنْ شَبِّ إِيَّايَ دَبَّ إِنْ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ، ثُمَّ تَمَثَّلَ:

لَقَدْ سَعَيْتُ لَكُمْ مِنْ سَعْيٍ ذِي نَصَبٍ... وَقَدْ كَفَيْتُكُمْ التَّطَوُّافَ وَالرَّحْلَا
 ويقال: مَنْ جَمَعَ ذِي حَسَبٍ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ وَعَلِيِّ بْنِ مُجَاهِدٍ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَالَ فِي

٥٢٤٦ ذكر الخبر عن علي معاوية حين مات

مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص كَسَانِي قَبِيصًا فَرَفَعْتُهُ. وَقَلَّمْ أَظْفَارَهُ يَوْمًا، فَأَخَذْتُ قَلَامَتَهُ جَعَلْتُهَا فِي قَارُورَةٍ، فَإِذَا مِتُّ فَأَلْبِسُونِي ذَلِكَ الْقَمِيصَ، وَقَطِّعُوا تِلْكَ الْقَلَامَةَ، وَاسْحَقُوا وَذَرُوهَا فِي عَيْنِي، وَفِيَّ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَنِي بِرَحْمَتِهِ! ثُمَّ قَالَ مُتَمَثِّلًا بِشَعْرِ الْأَشْهَبِ بْنِ رُمَيْلَةَ النَّهْشَلِيِّ يَمْدَحُ بِهِ الْقُبَاعَ: إِذَا مِتَّ مَاتَ الْجُودُ وَانْقَطَعَ النَّدَى ... مِنَ النَّاسِ إِلَّا مِنْ قَلِيلٍ مُصَرَّدٍ وَرَدَّتْ أَكْفُ السَّائِلِينَ وَأَمْسَكُوا ... مِنَ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا يَخْلَفُ مُجَدِّدٌ فَقَالَتْ إِحْدَى بَنَاتِهِ - أَوْ غَيْرُهَا: كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ يَدْفَعُ اللَّهُ عَنْكَ، فَقَالَ مُتَمَثِّلًا: وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَشْبَتْ أَظْفَارَهَا ... أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: لِمَنْ حَضَرَهُ مِنْ أَهْلِهِ: اتَّقُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقِي مَنْ اتَّقَاهُ، وَلَا وَاقِيَ لِمَنْ لَا يَتَّقِي اللَّهَ، ثُمَّ قَضَى.

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ عَمْرِو حَدَّثَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ لَمَّا حَضَرَ أَوْصَى بِنِصْفِ مَالِهِ أَنْ يَرُدَّ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ، كَانَ أَرَادَ أَنْ يَطِيبَ لَهُ الْبَاقِي، لِأَنَّ عَمْرًا قَاسَمَ عَمَّالَهُ

. ذكر الخبر عن علي معاوية حين مات

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: صَلَّى عَلَى مُعَاوِيَةَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ الْفَهْرِيِّ، وَكَانَ يَزِيدُ غَائِبًا حِينَ مَاتَ مُعَاوِيَةَ. وَحَدَّثَ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي مُخَنَفٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ نُوْفَلٍ بْنُ مَسَاحِقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَخْرَمَةَ، قَالَ: لَمَّا مَاتَ مُعَاوِيَةَ خَرَجَ

٥٢٤٧ ذكر الخبر عن نسبه وكنيته

الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ حَتَّى صَعِدَ الْمَنْبَرَ وَأَكْفَانُ مُعَاوِيَةَ عَلَى يَدَيْهِ تَلُوحُ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مُعَاوِيَةَ كَانَ عَوْدَ الْعَرَبِ، وَحَدَّ الْعَرَبِ، قَطَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ الْفِتْنَةَ، وَمَلَكَ عَلَى الْعِبَادِ، وَفَتَحَ بِهِ الْبِلَادَ أَلَّا إِنَّهُ قَدْ مَاتَ، فَهَذِهِ أَكْفَانُهُ، فَحَنَ مَدْرَجُوهُ فِيهَا، وَمَدْخَلُوهُ قَبْرَهُ، وَمَخْلُونٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمَلِهِ، ثُمَّ هُوَ الْبَرْزَخُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ أَنْ يَشْهَدَهُ فَلْيَحْضُرْ عِنْدَ الْأُولَى وَبَعَثَ الْبَرِيدَ إِلَى يَزِيدَ بِوَجْعِ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ يَزِيدُ فِي ذَلِكَ:

جَاءَ الْبَرِيدُ بِقَرطاسٍ يَخْبُ بِهِ ... فَأَوْجَسَ الْقَلْبُ مِنْ قَرطاسِهِ فزعا
قلنا: لك الويل ماذا في كتابكم؟ ... قَالُوا: الْخَلِيفَةُ أَمْسَى مَثْبُتًا وَجَعًا
فَادَتْ الْأَرْضُ أَوْ كَادَتْ تَمِيدُ بِنَا ... كَأَنَّ أَغْبَرَ مِنْ أَرْكَانِهَا انْقَطَعَا
مَنْ لَا تَزِلُ نَفْسُهُ تَوَفَّى عَلَى شَرَفٍ ... تَوْشِكُ مَقَالِيدَ تِلْكَ النَّفْسِ أَنْ تَقْعَا
لَمَّا انْتَهَيْنَا وَبَابَ الدَّارِ مَنْصَفَقٍ ... وَصَوْتُ رَمْلَةٍ رِيحِ الْقَلْبِ فَانْصَدَعَا

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ خَلِيدٍ، عَنْ خَلِيدِ بْنِ عَجْلَانَ مَوْلَى عِبَادٍ، قَالَ: مَاتَ مُعَاوِيَةَ وَيَزِيدُ بِحَوَارِينَ، وَكَانُوا كَتَبُوا إِلَيْهِ حِينَ مَرَضَ، فَأَقْبَلَ وَقَدْ دَفِنَ، فَأَتَى قَبْرَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ، فَقَالَ: جَاءَ الْبَرِيدُ بِقَرطاسِ الْأَبْيَاتِ

. ذكر الخبر عن نسبه وكنيته

أما نسبه فإنه ابن أبي سُفْيَانَ، واسم أبي سُفْيَانَ صخر بن حرب بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، وأمه هند بنت عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وكنيته أبو عبد الرحمن

٥٠٢٤٠٨ ذكر نسائه وولده

٥٠٢٤٠٩ ذكر بعض ما حضرنا من ذكر أخباره وسيره

ذكر نسائه وولده

من نسائه ميسون بنت بحدل بن أنيف بن ولجة بن قنافة بن عدى ابن زهير بن حارثة بن جناب الكلبي، ولدت له يزيد بن معاوية قال علي:

ولدت ميسون لمعاوية مع يزيد أمة - رب المشارق - فماتت صغيرة، ولم يذكرها هشام في أولاد معاوية.

ومنهن فاختة ابنة قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف ولدت له عبد الرحمن وعبد الله بن معاوية، وكان عبد الله محققاً ضعيفاً، وكان يكنى أبا الخير حدثني أحمد، عن علي بن محمد، قال: مر عبد الله بن معاوية يوماً بطحان قد شد بغله في الرحا للطحن، وجعل في عنقه جلاجل، فقال له:

لم جعلت في عنق بغلك هذه الجلاجل؟ فقال الطحان: جعلتها في عنقه لأعلم إن قد قام فلم تدر الرحا، فقال له: أرايت إن هو قام وحرك راسه كيف تعلم انه لا يدير الرحا؟ فقال له الطحان: إن بغلي هذا - أصلح الله الأمير - ليس له عقل مثل عقل الأمير! وأما عبد الرحمن فإنه مات صغيراً.

ومنهن نائلة بنت عمارة الكلبيّة، تزوجها، حدثني أحمد، عن علي قال: لما تزوج معاوية نائلة قال لميسون: انطلقني فانظري إلى ابنة عمك، فنظرت إليها، فقال: كيف رأيته؟ فقالت: جميلة كاملة، ولكن رأيت تحت سرتها خالاً ليوضع رأس زوجها في حجرها، فطلقها معاوية، فتزوجها حبيب بن مسلمة الفهري، ثم خلف علياً بعد حبيب النعمان بن بشير الأنصاري، فقتل، ووضع رأسه في حجرها.

ومنهن كتوة بنت قرظله اخت فاخته، فغزا قبرس وهي معه، فماتت هنالك

ذكر بعض ما حضرنا من ذكر أخباره وسيره

حدثني أحمد بن زهير، عن علي، قال: لما بويع لمعاوية بالخلافة صير

علي شرطته قيس بن حمزة الهمداني، ثم عزله، واستعمل زميل بن عمرو العذري - ويقال السكسكي وكان كاتبه وصاحب امره سر جون بن منصور الرومي، وعلى حرسه رجل من الموالي يقال له المختار، وقيل: رجل يقال له مالك، ويكنى أبا المخارق، مولى لمخير وكان أول من اتخذ الحرس وكان على حجابته سعد مولاة، وعلى القضاء فضالة بن عبيد الأنصاري، فمات فاستقضى أبا إدريس عائد الله بن عبد الله الخولاني الى هاهنا حديث أحمد، عن علي.

وقال غير علي: وكان على ديوان الخاتم عبد الله بن محصن الحميري، وكان أول من اتخذ ديوان الخاتم قال: وكان سبب ذلك أن معاوية أمر لعمر بن الزبير في معونته وقضاء دينه بمائة ألف درهم، وكتب بذلك إلى زياد بن سمية وهو على العراق، ففرض عمرو الكتاب وصير المائة مائتين، فلما رفع زياد حسابه أنكرها معاوية، فأخذ عمرها بردها وحبسه، فأداها عنه أخوه عبد الله بن الزبير، فأحدث معاوية عند ذلك ديوان الخاتم وخزم الكتب، ولم تكن تخزم.

حدثني عبد الله بن أحمد بن شويه، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله بن المبارك، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، قال: قال عمر بن الخطاب: تذكرون كسرى وقيصر ودهاء هما وعندكم معاوية! حدثني عبد الله بن أحمد، قال:

حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ فُلَيْحٍ، قَالَ: أَخْبَرْتُ أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ وَفَدَّ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَمَعَهُ أَهْلُ مِصْرَ، فَقَالَ لَهُمْ عَمْرُو: انظُرُوا، إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى ابْنِ هَنْدٍ فَلَا تُسَلِّمُوا عَلَيْهِ بِاخْلَافَةٍ، فَإِنَّهُ اعْظَمَ لَكُمْ فِي عَيْنِهِ، وَصَغُرُوهُ وَقَدْ صَغَرَ أَمْرِي عِنْدَ الْقَوْمِ، فَانظُرُوا إِذَا دَخَلَ الْوَفْدُ فَتَعْتَعُوهُمْ أَشَدَّ تَعْتَعَةٍ

تَقْدِرُونَ عَلَيْهَا، فَلَا يَبْلُغُنِي رَجُلٌ مِنْهُمْ إِلَّا وَقَدْ هَمَّتْهُ نَفْسُهُ بِالتَّلَفِ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْخِطَاطِ، فَدَخَلَ وَقَدْ تَعْتَعَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَتَتَابَعَ الْقَوْمُ عَلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا خَرَجُوا قَالَ لَهُمْ عَمْرُو: لَعَنَكُمُ اللَّهُ! نَهَيْتُكُمْ أَنْ تُسَلِّمُوا عَلَيْهِ بِالْإِمَارَةِ، فَسَلِّمْتُمْ عَلَيْهِ بِالنُّبُوَّةِ! قَالَ: وَلَيْسَ مُعَاوِيَةُ يَوْمًا عِمَامَتُهُ الْخُرْقَانِيَّةُ وَاكْتَحَلَ، وَكَانَ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ شَكََّ عَبْدُ اللَّهِ فِيهِ سَمْعَهُ أَوْ لَمْ يَسْمَعْهُ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْأُمَوِيُّ، قَالَ: خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى الشَّامِ، فَرَأَى مُعَاوِيَةَ فِي مَوْكِبٍ يَتَلَقَّاهُ، وَرَاحَ إِلَيْهِ فِي مَوْكِبٍ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: يَا مُعَاوِيَةُ، تَرُوحُ فِي مَوْكِبٍ وَتَعْدُو فِي مِثْلِهِ، وَبَلَغَنِي أَنَّكَ تَصْبِحُ فِي مَنْزِلِكَ وَذَوُو الْحَاجَاتِ يَبَايُكَ! قَالَ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الْعَدُوَّ بِهَا قَرِيبٌ مِنَّا، وَلَهُمْ عِيُونَ وَجَوَاسِيسُ، فَأَرَدْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَرَوْا لِلْإِسْلَامِ عِزًّا، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: إِنَّ هَذَا لَكَيْدُ رَجُلٍ لَبِيبٍ، أَوْ خُدْعَةُ رَجُلٍ أَرِيبٍ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مُرْنِي بِمَا شِئْتَ أَصْرُ إِلَيْهِ، قَالَ: وَيْحَكَ! مَا نَظَرْتُكَ فِي أَمْرِ أَعِيبُ عَلَيْكَ فِيهِ إِلَّا تَرَكْتَنِي مَا أَدْرِي أَمْرُكَ أَمْ أَنْهَاكَ! حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ، أَنَّ الْمُغِيرَةَ كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ كَبُرْتُ سِنِّي، وَدَقَّ عَظْمِي، وَشَفِنْتُ لِي قُرَيْشٌ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَعَزَّلَنِي فَاعْزَلْنِي.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ: جَاءَنِي كِتَابُكَ تَذَكُّرٌ فِيهِ أَنَّهُ كَبُرَتْ سِنُّكَ، فَلَعَمْرِي مَا أَكَلَ عُمْرُكَ غَيْرَكَ، وَتَذَكُّرٌ أَنَّ قُرَيْشًا شَفِنَتْ لَكَ، وَلَعَمْرِي مَا أَصَبْتَ خَيْرًا إِلَّا مِنْهُمْ وَتَسَاءَلَنِي أَنْ أَعَزِّلَكَ، فَقَدْ فَعَلْتُ، فَإِنْ تَكُ صَادِقًا فَقَدْ شَفَعْتُكَ، وَإِنْ تَكُ مُخَادِعًا فَقَدْ خَدَعْتُكَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُجَاهِدٍ، قَالَ: قَالَ مُعَاوِيَةُ: إِذَا لَمْ يَكُنِ الْأُمَوِيُّ مُصْلِحًا لِمَا لَهُ، حَلِيمًا، لَمْ يُشَبَّهِ مِنْهُ هُوَ مِنْهُ، وَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْهَاشِمِيُّ سَخِيًّا جَوَادًا لَمْ يُشَبَّهِ مِنْهُ هُوَ مِنْهُ، وَلَا يَقْدُمُكَ مِنَ الْهَاشِمِيِّ اللَّسَانُ وَالسَّخَاءُ وَالشَّجَاعَةُ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ عَوَانَةَ وَخَلَادِ بْنِ عُبَيْدَةَ، قَالَ: تَغَدَّى مُعَاوِيَةُ يَوْمًا وَعِنْدَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، وَمَعَهُ ابْنُهُ بَشِيرٌ - وَيُقَالُ: غَيْرُ بَشِيرٍ - فَأَكْثَرَ مِنَ الْأَكْلِ، فَلَحَظَهُ مُعَاوِيَةُ، وَفُطِنَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، فَأَرَادَ أَنْ يَغْمَزَ ابْنَهُ، فَلَمْ يُمْكِنَهُ، وَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ حَتَّى فَرَغَ، فَلَمَّا خَرَجَ لَمْ يَلَمْزْهُ عَلَى مَا صَنَعَ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ وَلَيْسَ مَعَهُ ابْنُهُ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: مَا فَعَلَ ابْنُكَ التَّلَاقُمَةُ؟ قَالَ: اشْتَكَى، فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَكْلَهُ سَيُورِثُهُ دَاءٌ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ جُوَيْرِيَةَ بْنِ أَسْمَاءَ، قَالَ: قَدِمَ أَبُو مُوسَى عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِي بُرْنَسٍ أَسْوَدَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِينَ اللَّهِ، قَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ مُعَاوِيَةُ: قَدِمَ الشَّيْخُ لِأَوْلِيهِ، وَلَا وَاللَّهِ لَا أُولِيهِ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو صَالِحٍ سُلَيْمَانُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ حَمِيدِ بْنِ هَلَالٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ حَيْثُ أَصَابَتْهُ قَرْحَتُهُ، فَقَالَ: هَلُمَّ يَا بَنَ أَخِي، نَحْوِي فَنَنْظُرُ، فَظَنَرْتُ فَإِذَا هِيَ قَدْ سُبِرَتْ، فَقُلْتُ:

لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَدَخَلَ يَزِيدُ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: إِنَّ وَلِيَّتَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ شَيْئًا فَاسْتَوْصِ بِهِذَا، فَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ لِي خَلِيلًا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ فِي الْقِتَالِ مَا لَمْ يَرَهُ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ شَهَابِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: أَذِنَ مُعَاوِيَةُ لِلْأَخْنَفِ وَكَانَ يَبْدَأُ بِإِذْنِهِ، ثُمَّ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ

الْأَشْعَثُ جَلَسَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَالْأَخْنَفِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: إِنَّا لَمْ نَأْذَنْ لَكَ قَبْلَكَ فَتَكُونُ دُونَهُ، وَقَدْ فَعَلْتَ فَعَالَ مِنْ أَحْسَنِ مِنْ نَفْسِهِ ذُلًا، إِنَّا كَمَا نَمْلِكُ أُمُورَكُمْ

نَمْلِكُ إِذْنَكُمْ، فَأَرِيدُوا مِنَّا مَا نُرِيدُ مِنْكُمْ، فَإِنَّهُ أَبْقَى لَكُمْ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ سَحْمِ بْنِ حَفْصٍ، قَالَ: خَطَبَ رِبْعَةُ بْنُ عِيسَى الْيَرْبُوعِيُّ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: اسْقُوهُ سَوِيْقًا، وَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: يَا رِبْعَةُ، كَيْفَ النَّاسُ عِنْدَكُمْ؟ قَالَ: مُخْتَلِفُونَ عَلَى كَذَا وَكَذَا فِرْقَةً، قَالَ: فَمِنْ أَهْلِهِمْ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: أَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مِمَّا قُلْتَ، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعِنِّي فِي بِنَاءِ دَارِي بِأَثْنِي عَشَرَ أَلْفَ جَدْعٍ، قَالَ مُعَاوِيَةُ: أَيْنَ دَارُكَ؟ قَالَ بِالْبَصْرَةِ، وَهِيَ أَكْثَرُ مِنْ فَرَسَيْنِ فِي فَرَسَيْنِ، قَالَ: فَدَارُكَ فِي الْبَصْرَةِ، أَوِ الْبَصْرَةُ فِي دَارُكَ! فَدَخَلَ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِهِ عَلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! أَنَا ابْنُ سَيِّدِ قَوْمِهِ، خَطَبَ أَبِي إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ لِسَلَمِ بْنِ قُتَيْبَةَ: مَا يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا ابْنُ أَحَقِّ قَوْمِهِ، قَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ: هَلْ زَوْجُ أَبَاكَ مُعَاوِيَةُ؟

قَالَ: لَا، قَالَ: فَلَا أَرَى أَبَاكَ صَنَعَ شَيْئًا.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ ذَكْوَانَ الْقُرَشِيِّ، قَالَ:

تَنَازَعَ عَتَبَةُ وَعَنْبَسَةُ ابْنَا أَبِي سُفْيَانَ - وَأُمُّ عَتَبَةَ هِنْدٌ وَأُمُّ عَنْبَسَةَ ابْنَةُ أَبِي أَزْهَرَ الدَّوْسِيِّ - فَأَغْلَظَ مُعَاوِيَةُ لِعَنْبَسَةَ، وَقَالَ عَنْبَسَةُ: وَأَنْتَ أَيْضًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَقَالَ: يَا عَنْبَسَةُ، إِنَّ عَتَبَةَ ابْنِ هِنْدٍ، فَقَالَ عَنْبَسَةُ:

كَمَا خَيَّرَ صَالِحًا ذَاتَ بَيْنِنَا ... قَدِيمًا فَأَمَسَتْ فَرَقَتْ بَيْنِنَا هِنْدٌ

فَإِنْ تَكْ هِنْدٌ لَمْ تَلِدْنِي فَإِنِّي ... لِبَيْضَاءٍ يَنْهِيهَا غَطَارِفَةُ نَجْدٍ

أَبُوهَا أَبُو الْأَضْيَافِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ ... وَمَأْوَى ضِعَافٍ لَا تَنْوُءُ مِنَ الْجَهْدِ

جَفِينَاتُهُ مَا إِنْ تَزَالَ مُقِيمَةً ... لِمَنْ خَافَ مِنْ غَوْرِي تِهَامَةً أَوْ نَجْدٍ

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: لَا أُعِيدُهَا عَلَيْكَ أَبَدًا.

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ حَرْمَلَةَ بْنِ عِمْرَانَ، قَالَ: أَتَى مُعَاوِيَةَ فِي لَيْلَةٍ أَنْ

قِصْرَ قَصْدٍ لَهُ فِي النَّاسِ، وَأَنْ نَاتِلَ بَنَ قَيْسَ الْجَذَامِي غَلَبَ فِلَسْطِينَ وَأَخَذَ بَيْتَ مَالِهَا، وَإِنَّ الْمَصْرِيِّينَ الَّذِينَ كَانَ سَجَنَهُمْ هَرَبُوا، وَأَنْ عَلِيٌّ بَنَ أَبِي طَالِبٍ قَصْدٌ لَهُ فِي النَّاسِ، فَقَالَ لِمُؤَذَنِهِ: أَذِنَ هَذِهِ السَّاعَةِ - وَذَلِكَ نِصْفُ اللَّيْلِ - لِفَجَاءِهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، فَقَالَ: لَمْ أُرْسَلْتُ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنَا مَا أُرْسَلْتُ إِلَيْكَ، قَالَ: مَا أَذِنَ الْمُؤَذِّنُ هَذِهِ السَّاعَةَ إِلَّا مِنْ أَجْلِي، قَالَ: رَمَيْتَ بِالْقَسِيِّ الْأَرْبَعِ، قَالَ عَمْرُو: أَمَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ سَجْنِكَ، فَإِنَّهُمْ إِنْ خَرَجُوا مِنْ سَجْنِكَ فَهُمْ فِي سَجْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُمْ قَوْمٌ شَرَاءُ لَا رَحْلَةَ بِهِمْ، فَاجْعَلْ لِمَنْ أَتَاكَ بِرَجُلٍ مِنْهُمْ أَوْ بِرَأْسِهِ دَيْتَهُ، فَإِنَّكَ سَتَوْتِي بِهِمْ، وَانْظُرْ قِصْرَ فَوَادِعِهِ، وَأَعْطِهِ مَا لَا وَحْلًا مِنْ حَلَلٍ مِصْرَ، فَإِنَّهُ سِيرَضِي مِنْكَ بِذَلِكَ، وَانْظُرْ نَاتِلَ ابْنَ قَيْسٍ، فَلَعَمْرِي مَا أَغْضَبَهُ الدِّينَ، وَلَا أَرَادَ إِلَّا مَا أَصَابَ، فَاصْبِرْ إِلَيْهِ، وَهَبْ لَهُ ذَلِكَ، وَهَنْتُهُ إِيَّاهُ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ قُدْرَةٌ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ، وَاجْعَلْ حَدَكَ وَحَدِيدَكَ لِهَذَا الَّذِي عِنْدَهُ دَمُ ابْنِ عَمِكَ.

قَالَ: وَكَانَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ خَرَجُوا مِنْ سَجْنِهِ غَيْرَ أَبْرَهَةَ بْنِ الصَّبَاحِ، قَالَ مُعَاوِيَةُ: مَا مَنَعَكَ مِنْ أَنْ تَخْرُجَ مَعَ أَصْحَابِكَ؟ قَالَ: مَا مَنَعَنِي مِنْهُ بَغْضُ لِعَلِيٍّ، وَلَا حُبُّ لَكَ، وَلَكِنِّي لَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ، نَفْخِي سَبِيلَهُ.

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، قَالَ:

حدثني عبد الله بن المبارك، عن جرير بن حازم، قال: سمعتُ محمد بن الزبير يحدث، قال: حدثني عبد الله بن مسعدة بن حكمة الفزاري من بني آل بدر، قال: انتقل معاوية من بعض كور الشام إلى بعض عمله، فنزل منزلاً بالشام، فبسط له على ظهر أجارٍ مشرف على الطريق، فأذن لي، فعدت معه، فرت القطرات والرحائل والجواري والخيول، فقال:

يا بن مسعدة، رحم الله أبا بكر! لم يرد الدنيا ولم ترده الدنيا، وأما عمر - أو قال: ابن حنمة - فأرادته الدنيا ولم يردّها، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصاب منه، وأما نحن فتمرغنا فيها، ثم كأنه ندم فقال: والله إنه لملك آتانا الله إياه حدثني أحمد، عن علي بن محمد، عن علي بن عبيد الله، قال:

كتب عمرو بن العاص إلى معاوية يسأله لابنه عبد الله بن عمرو ما كان أعطاه أباه من مصر، فقال معاوية: أراد أبو عبد الله أن يكتب فهدر، أشهدكم أنني إن بقيت بعده فقد خلعت عهده قال: وقال عمرو بن العاص:

ما رأيت معاوية متكاً قط وأضعا إحدى رجليه على الأخرى كاسراً عينه يقول لرجل: تكلم، إلا رحمته قال أحمد: قال علي بن محمد: قال عمرو بن العاص لمعاوية:

يا أمير المؤمنين، ألتست أنصح الناس لك؟ قال: بذلك نلت ما نلت.

قال أحمد: قال علي: عن جويرية بن أسماء، أن بسر بن أبي أرطاة نال من علي عند معاوية وزيد بن عمرو بن الخطاب جالس، فعلاه بعضاً فشجّه، فقال معاوية لزيد: عمدت إلى شيخ من قرين سيد أهل الشام فضربت! وأقبل على بسر فقال: تشم علياً وهو جده وابن الفاروق على رؤوس الناس، أو كنت ترى أنه يصبر على ذلك! ثم أرضاهما جميعاً.

قال: وقال معاوية: إني لأرفع نفسي من أن يكون ذنب أعظم من عفوي، وجهل أكثر من حلي، أو عورة لا أوارىها بستري، أو إساءة أكثر من إحساني قال: وقال معاوية: زين الشريف العفاف، قال: وقال معاوية:

ما من شيء أحب إلي من عين خراة، في أرض خوارة، فقال عمرو بن العاص: ما من شيء أحب إلي من أن أبيت عروساً بعيلة من عقائل العرب، فقال وردان مولى عمرو بن العاص: ما من شيء أحب إلي من الإفضال على الإخوان، فقال معاوية: أنا أحق بهذا منك، قال: ما تحب فافعل.

حدثني أحمد، عن علي، عن محمد بن إبراهيم، عن أبيه، قال:

كان عامل معاوية على المدينة إذا أراد أن يبرد بريداً إلى معاوية أمر مناديه فنادى: من له حاجة يكتب إلى أمير المؤمنين، فكتب زر بن حبیش - أو أيمن بن خريم - كتاباً لطيفاً ورمى به في الكتب، وفيه:

إذا الرجال ولدت أولادها ... واضطربت من كبر أعضادها
وجعلت أسقامها تعتادها ... فهي زروع قد دنا حصادها
فلما وردت الكتب عليه فقرأ هذا الكتاب، قال: نعي إلي نفسي.

قال: وقال معاوية: ما من شيء ألد عندي من غيظ أجرة.

قال: وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص: يا بن أخي، إنك قد لهجت بالشعر، فإياك والتشبيب بالنساء فتعر الشريفة، والهياء فتعر كريما، وتستثير لثيما، والمدح، فإنه طعمة الوقاح، ولكن انخر بمفاخر قومك، وقل من الأمثال ما تزين به نفسك، وتؤدب به غيرك.

حدثني أحمد، عن علي، قال: قال الحسن بن حماد: نظر معاوية إلى الثما في عباءة، فازدراه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن العباءة لا

تكلمك، وإنما يكلمك من فيها.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ سُلَيْمَانَ، قَالَ: قَالَ مُعَاوِيَةُ: رَجُلَانِ إِنْ مَاتَا لَمْ يَمُوتَا، وَرَجُلٌ إِنْ مَاتَ مَاتَ، أَنَا إِنْ مِتُّ خَلَفَنِي ابْنِي، وَسَعِيدُ إِنْ مَاتَ خَلَفَهُ عَمْرُو، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ إِنْ مَاتَ مَاتَ، فَلَبَّغَ مَرْوَانَ، فَقَالَ:

أَمَا ذَكَرَ ابْنِي عَبْدَ الْمَلِكِ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: مَا أُحِبُّ أَنْ لِي بِابْنِي ابْنَهُمَا.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، قَالَ:

قَالَ رَجُلٌ لِمُعَاوِيَةَ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَشَدُّهُمْ لِي تَحِيُّبًا إِلَى النَّاسِ قَالَ: وَقَالَ مُعَاوِيَةُ: الْعَقْلُ وَالْحِلْمُ أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ الْعَبْدُ، فَإِذَا ذُكِرَ ذَكَرٌ، وَإِذَا أُعْطِيَ شُكْرٌ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبْرٌ، وَإِذَا غَضِبَ كَظَمٌ، وَإِذَا قَدَّرَ غَفْرٌ، وَإِذَا أَسَاءَ اسْتَغْفَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَنْجَزَ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، وَهَشَامِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمِيرٍ، قَالَ: أَغْلَظَ رَجُلٌ لِمُعَاوِيَةَ فَأَكْثَرَ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَحْلُمُ عَنْ

هَذَا؟

فَقَالَ: إِنِّي لَا أَحُولُ بَيْنَ النَّاسِ وَالسُّنَنَةِ مَا لَمْ يَحُولُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَلَكِنَا.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: لَمْ يَمُوتْ مُعَاوِيَةُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ عَلَى الْغِنَاءِ، فَدَخَلَ يَوْمًا عَلَى مُعَاوِيَةَ وَمَعَهُ بَدِيحٌ، وَمُعَاوِيَةُ

وَأَضَعُ رِجْلًا عَلَى رِجْلٍ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِبَدِيحٍ: إِيهَا يَا بَدِيحُ! فَتَغْنَى،

فَحَرَّكَ مُعَاوِيَةُ رِجْلَهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: مَهْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَقَالَ مُعَاوِيَةُ:

إِنَّ الْكَرِيمَ طُرِبُ.

قَالَ: وَقَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَمَعَهُ سَائِبُ خَاثِرٍ - وَكَانَ مَوْلَى لِبْنِي لَيْثٍ، وَكَانَ فَاجِرًا - فَقَالَ لَهُ: ارْفَعْ حَوَائِجَكَ، فَفَعَلَ،

وَرَفَعَ فِيهَا حَاجَةً سَائِبِ خَاثِرٍ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: مَنْ هَذَا؟ فَخَبَّرَهُ، فَقَالَ: أَدْخِلْهُ، فَلَمَّا قَامَ عَلَى بَابِ الْمَجْلِسِ غَنَى:

لَمَنِ الدِّيَارُ رُسُومَهَا قَفَرٌ ... لَعَبْتُ بِهَا الْأَرْوَاحَ وَالْقَطَرُ!

وَخَلَاهُمَا مِنْ بَعْدِ سَاكِنِهَا ... حَجَّجَ خُلُوفَ ثَمَانٍ أَوْ عَشْرُ

وَالزَّعْفَرَانُ عَلَى تَرَائِبِهَا ... شَرَقَا بِهِ اللَّبَاتُ وَالنَّحْرُ

فَقَالَ أَحْسَنْتَ، وَقَضَى حَوَائِجَهُ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ مَعْمَرٍ،

عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَخْلَقَ لِلْمَلِكِ مِنْ مُعَاوِيَةَ، إِنْ كَانَ لَيُرِيدُ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى أَرْجَاءٍ وَادٍ

رَحْبٍ، وَلَمْ يَكُنْ كَالضَّيْقِ الْخَضِخِضِ، الْحَصَرِ - يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ.

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، قَالَ:

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَيِّنَةَ، عَنْ مُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ جَابِرِ الْأَسَدِيِّ قَالَ: أَلَا أَخْبَرَكُمْ مِنْ صَحْبَتِ؟ صَحَبْتُ عُمَرَ

بْنَ الْخَطَّابِ فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَفْقَهُ فَقَهَا، وَلَا أَحْسَنَ مَدَارِسَةَ مِنْهُ، ثُمَّ صَحَبْتُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَعْطَى لِلْجَزِيلِ مِنْ غَيْرِ

مَسْأَلَةٍ مِنْهُ، ثُمَّ صَحَبْتُ مُعَاوِيَةَ فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَحَبَّ رَفِيقًا، وَلَا أَشْبَهَ سَرِيرَةً بَعْلَانِيَةً مِنْهُ، وَلَوْ أَنَّ الْمُغِيرَةَ جَعَلَ فِي مَدِينَةٍ لَا يَخْرُجُ مِنْ

أَبْوَابِهَا كُلِّهَا إِلَّا بِالْغَدْرِ لَخَرَجَ مِنْهَا.

٥٠٢٤٠١٠ خلافة يزيد بن معاوية

خلافة يزيد بن معاوية

وفي هذه السنة بويح ليزيد بن معاوية بالخلافة بعد وفاة أبيه، للنصف من رجب في قول بعضهم، وفي قول بعض: لثمان بقين منه- على ما ذكرنا قبل من وفاة والده معاوية- فأقر عبيد الله بن زياد على البصرة، والنعمان بن بشير على الكوفة.

وقال هشام بن محمد، عن أبي مخنف، ولي يزيد في هلال رجب سنة ستين، وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وأمير الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري، وأمير البصرة عبيد الله بن زياد، وأمير مكة عمرو بن سعيد بن العاص، ولم يكن ليزيد همة حين ولي إلا بيعه النفر الذين أبوا على معاوية الإجابة إلى بيعة يزيد حين دعا الناس إلى بيعته، وأنه ولي عهده بعده، والفراغ من أمرهم، فكتب إلى الوليد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أما بعد، فإن معاوية كان عبدا من عباد الله، أكرمه الله واستخلفه، وخوله، ومكن له، فعاش بقدر، ومات بأجل، فرحمه الله، فقد عاش محمودا، ومات برا تقيا، والسلام. وكتب إليه في صحيفة كأنها أذن فأرة:

أما بعد، فخذ حسينا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذا شديدا ليست فيه رخصة حتى يبايعوا، والسلام. فلما أتاه نعي معاوية فظع به، وكبر عليه، فبعث إلى مروان بن الحكم فدعاه إليه- وكان الوليد يوم قدم المدينة قدمها مروان متكارها- فلما رأى ذلك الوليد منه شتمه عند جلسائه، فبلغ ذلك مروان، فجلس عنه وصرمه، فلم يزل كذلك حتى جاء نعي معاوية إلى الوليد، فلما عظم على الوليد هلاك معاوية وما أمر به من أخذ هؤلاء الرهط بالبيعة، فزع عند ذلك إلى مروان، ودعاه، فلما قرأ عليه كتاب يزيد، استرجع وترحم عليه، واستشاره

الوليد في الأمر وقال: كيف ترى أن نصنع؟ قال: فإني أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة، فإن فعلوا قبلت منهم، وكففت عنهم، وإن أبوا قدمتهم فضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية، فإنهم إن علموا بموت معاوية وثب كل امرئ منهم في جانب، وأظهر الخلاف والمنازعة، ودعا إلى نفسه لا أدري، أما ابن عمر فإني لا أراه يرى القتال، ولا يحب أنه يولى على الناس، إلا أن يدفع إليه هذا الأمر عفوا فأرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان- وهو إذ ذاك غلام حدث- إليهما يدعوهما، فوجدهما في المسجد وهما جالسان، فأتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس، ولا يأتيانه في مثلها، فقال: أجبيا، الأمير يدعوكما، فقال له: انصرف، الآن نأتيه ثم أقبل أحدهما على الآخر، فقال عبد الله بن الزبير للحسين: ظن فيما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها! فقال حسين: قد ظننت، أرى طاغيتهم قد هلك، فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفسدوا في الناس الخبر، فقال: وأنا ما أظن غيره قال: فما تريد أن نصنع؟ قال: أجمع فتياي الساعة، ثم أمشي إليه، فإذا بلغت الباب احتبستهم عليه، ثم دخلت عليه. قال: فإني أخافه عليك إذا دخلت، قال: لا آتيه إلا وأنا على الامتناع قادر فقام فجمع إليه مواليه وأهل بيته، ثم أقبل يمشي حتى انتهى إلى باب الوليد وقال لأصحابه: إني داخل، فإن دعوتكم أو سمعتم صوته قد علا فاقحموا علي بأجمعكم، وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم، فدخل فسلم عليه بالإمرة ومروان جالس عنده، فقال حسين، كأنه لا يظن ما يظن من موت معاوية: الصلة خير من القطيعة، أصلح الله ذات بينكما! فلم يجيباه في هذا بشيء، وجاء حتى جلس، فأقرأه الوليد الكتاب، ونعى له معاوية، ودعاه إلى البيعة، [فقال حسين: إنا لله وإنا إليه راجعون! ورحم الله معاوية، وعظم لك الأجر! أما ما سألتني من البيعة فإن مثلي لا يعطي بيعته سرا،

ولا أراك تجتزئ بها مني سرا دون أن نظهرها على رءوس الناس علانية، قال: أجل،] قال: فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمرا واحدا، فقال له الوليد- وكان يحب العافية: فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس، فقال له مروان: والله لئن فارقت الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبدا حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل، ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه، فوثب عند ذلك الحسين، [فقال: يا بن الزرقاء، أنت تقتلني أم هو! كذبت والله وأثمت،] ثم

خرج فمر بأصحابه، فخرجوا معه حتى أتى منزله فقال مروان للوليد:

عصيتني، لا والله لا يمكنك من مثلها من نفسه أبدا، قال الوليد: وبخ غيرك يا مروان، إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني، والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها، وأني قتلت حسينا، سبحان الله! أقتل حسينا إن قال: لا أبايع! والله إني لا أظن امرأ يحاسب بدم حسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة فقال له مروان: فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت فيما صنعت، يقول هذا له وهو غير الحامد له على رأيه.

وأما ابن الزبير، فقال: الآن آتيكم، ثم أتى داره فكن فيها، فبعث الوليد إليه فوجده مجتمعاً في أصحابه متحرزا، فألح عليه بكثرة الرسل والرجال في إثر الرجال، فأما حسين فقال: كف حتى تنتظر ونظر، وترى ونرى، وأما ابن الزبير فقال: لا تعجلوني فإني آتيكم، أمهلوني، فألحوا عليهما عشيتهما تلك كلها وأول ليلهما، وكانوا على حسين أشد إبقاء، وبعث الوليد إلى ابن الزبير موالى له فشموه وصاحوا به: يا بن الكاهلية، والله لتأتين الأمير أو ليقتنك، فلبث بذلك نهاره كله وأول ليله يقول: الآن أجيء، فإذا استحثوه قال: والله لقد استربت بكثرة الإرسال، وبتابع هذه الرجال، فلا تعجلوني حتى أبعث إلى الأمير من يأتيني برأيه وأمره، فبعث إليه أخاه جعفر بن الزبير فقال: رحمك الله! كف عن عبد الله فإنك قد أفرعته وذعرت بكثرة رسلك، وهو آتيك غدا إن شاء الله، فمر رسلك فلينصرفوا عنا فبعث إليهم فأنصرفوا، وخرج ابن الزبير من تحت الليل فأخذ طريق

الفرع هو وأخوه جعفر، ليس معهما ثالث، وتجنب الطريق الأعظم مخافة الطلب، وتوجه نحو مكة، فلما أصبح بعث إليه الوليد فوجده قد خرج، فقال مروان: والله إن أخطأ مكة فسرحت في إثره الرجال، فبعث راجبا من موالى بني أمية في ثمانين راجبا، فطلبوه فلم يقدروا عليه، فرجعوا، فتشاغلوا عن حسين بطلب عبد الله يومهم ذلك حتى أمسوا، ثم بعث الرجال إلى حسين عند المساء فقال: أصبحوا ثم ترون ونرى، فكفوا عنه تلك الليلة، ولم يلحوا عليه، فخرج حسين من تحت ليلته، وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب سنة ستين. وكان مخرج ابن الزبير قبله بليلة، خرج ليلة السبت فأخذ طريق الفرع، فبينما عبد الله بن الزبير يسير أخاه جعفرا إذ تمثل جعفر بقول صبرة الحنظلي:

وكل بني أم سيمسون ليلة ... ولم يبق من أعقابهم غير واحد

فقال عبد الله! سبحان الله، ما أردت إلى ما أسمع يا أخي! قال: والله يا أخي ما أردت به شيئا مما تكره، فقال: فذاك والله أكره إلى أن يكون جاء على لسانك من غير تعمد - قال: وكأنه تطير منه - وأما الحسين فإنه خرج ببنيه وإخوته وبني أخيه وجل أهل بيته، إلا محمد بن الحنفية فإنه قال له: يا أخي، أنت أحب الناس إلي، وأعزهم علي، ولست أدخر النصيحة لأحد من الخلق أحق بها منك، تنح بتبعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت، ثم ابعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك فإن بايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك، إني أخاف أن تدخل مصرا من هذه الأمصار وتأتي جماعة من الناس، فيختلفون بينهم، فمنهم طائفة معك، وأخرى عليك، فيقتلون فتكون لأول الأُسنة، فإذا خير هذه الأمة كلها نفسا وأبا، وأما أضياعها دما وأذلها أهلا، قال

له الحسين: فإني ذاهب يا أخي، قال: فانزل مكة فإن اطمانت بك الدار فسبيل ذلك، وإن نبت بك لحقت بالرمال، وشعف الجبال، وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنتظر إلى ما يصير أمر الناس، وتعرف عند ذلك الرأي، فإنك اصوب ما تكون رأيا وأحزمه عملا حين تستقبل الأمور استقبالا، ولا تكون الأمور عليك أبدا أشكل منها حين تستديرها استدبارا، [قال:

يا أخي، قد نصحت فأشفقت، فأرجو أن يكون رأيك سديدا موقفا] .

قال أبو مخنف: وحديثي عبد الملك بن نوفل بن مساحق، عن أبي سعد المقبري، قال: نظرت إلى الحسين داخلًا مسجد المدينة وإنه

ليمشي وهو معتمد على رجلين، يعتمد على هذا مرة وعلى هذا مرة، وهو يمثل بقول ابن مفرغ:
لا ذعرت السوام في فلق الصبح ... مغبرا ولا دعيت يزيدا
يوم أعطى من المهابة ضيما ... والمنايا يرصدني أن أحيدا

قال: فقلت في نفسي: والله ما تمثل بهذين البيتين إلا لشيء يريد، قال: فما مكث إلا يومين حتى بلغني أنه سار إلى مكة.
ثم إن الوليد بعث إلى عبد الله بن عمر فقال: بايع ليزيد، فقال: إذا بايع الناس بايعت، فقال رجل: ما يمنعك أن تباع؟ إنما تريد أن
يختلف الناس فيقتلوا ويتفانوا، فإذا جهدهم ذلك قالوا: عليكم بعد الله بن عمر، لم يبق غيره، بايعوه! قال عبد الله: ما أحب أن يقتلوا
ولا يختلفوا ولا يتفانوا، ولكن إذا بايع الناس ولم يبق غيري بايعت، قال: فتركوه وكانوا لا يتخوفونه

٥٢٤٠١١ ذكر عزل الوليد عن المدينة وولايه عمر بن سعيد

قال: ومضى ابن الزبير حتى أتى مكة وعليها عمرو بن سعيد، فلما دخل مكة قال: إنما أنا عائد، ولم يكن يصلي بصلاتهم، ولا يفيض
بإفاضتهم، كان يقف هو وأصحابه ناحية، ثم يفيض بهم وحده، ويصلي بهم وحده، قال: [فلما سار الحسين نحو مكة، قال: «نخرج منها
خائفاً يترقب» قال رب نجني من القوم الظالمين] فلما دخل مكة قال:
«ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل»

ذكر عزل الوليد عن المدينة وولايه عمر بن سعيد
وفي هذه السنة عزل يزيد الوليد بن عتبة عن المدينة، عزله في شهر رمضان، فأقر عليها عمرو بن سعيد الأشدق.
وفيها قدم عمرو بن سعيد بن العاص المدينة في رمضان، فزعم الواقدي أن ابن عمر لم يكن بالمدينة حين ورد نعي معاوية وبيعة يزيد
على الوليد، وأن ابن الزبير والحسين لما دعيا إلى البيعة ليزيد أبيا وخرجا من ليلتهما إلى مكة، فلقيهما ابن عباس وابن عمر جائئين من
مكة، فسألاه، ما وراءكما؟

قالا: موت معاوية والبيعة ليزيد، فقال لهما ابن عمر: اتقيا الله ولا تفرقا جماعة المسلمين، وأما ابن عمر فقدم فأقام أياما، فانتظر حتى
جاءت البيعة من البلدان، فتقدم إلى الوليد بن عتبة فبايعه، وبايعه ابن عباس.

وفي هذه السنة وجه عمرو بن سعيد عمرو بن الزبير إلى أخيه عبد الله بن الزبير لحربه.
(ذكر الخبر عن ذلك: ذكر محمد بن عمر أن عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق قدم المدينة في رمضان سنة ستين فدخل عليه أهل
المدينة، فدخلوا على رجل عظيم الكبر مفوه

قال محمد بن عمر: حدثنا هشام بن سعيد، عن شيبه بن نصاب، قال:

كانت الرسل تجري بين يزيد بن معاوية وابن الزبير في البيعة، خلف يزيد إلا يقبل منه حتى يؤتى به في جامعة، وكان الحارث بن خالد
الخزومي على الصلاة، فمنعه ابن الزبير، فلما منعه كتب يزيد إلى عمرو بن سعيد، أن ابعث جيشا إلى ابن الزبير، وكان عمرو بن سعيد
لما قدم المدينة ولي شرطته عمرو بن الزبير، لما كان يعلم ما بينه وبين عبد الله بن الزبير من البغضاء، فأرسل إلى نفر من أهل المدينة
فضربهم ضربا شديدا.

قال محمد بن عمر: حدثني شريح بن أبي عون، عن أبيه، قال: نظر إلى كل من كان يهوى هوى ابن الزبير فضربه، وكان ممن ضرب
المنذر ابن الزبير، وابنه محمد بن المنذر، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، وخبيب بن
عبد الله بن الزبير، ومحمد بن عمار بن ياسر، فضربهم الأربعين إلى الخمسين إلى الستين، وفر منه عبد الرحمن بن عثمان وعبد الرحمن بن
عمرو بن سهل في أناس إلى مكة، فقال عمرو بن سعيد لعمرو بن الزبير: من رجل نوجه إلى أخيك؟ قال:

لا توجه إليه رجلاً أبداً أنكأ له مني، فأخرج لأهل الديوان عشرات، وخرج من موالي أهل المدينة ناس كثير، وتوجه معه أنيس بن عمرو الأسلمي في سبعمائة، فوجهه في مقدمته، فعسكر بالجرف، فجاء مروان بن الحكم إلى عمرو بن سعيد فقال: لا تغز مكة، واتق الله، ولا تحل حرمة البيت، وخلوا ابن الزبير فقد كبر، هذا له بضع وستون سنة، وهو رجل لجوج، والله لئن لم تقتلوه ليموتن، فقال عمرو بن الزبير والله لنقاتلنه ولنغزونه في جوف الكعبة على رغم أنف من رغم، فقال مروان: والله إن ذلك ليسوءني، فسار أنيس بن عمرو الأسلمي حتى نزل بذي طوى، وسار عمرو بن الزبير حتى نزل بالأبطح، فأرسل عمرو بن الزبير إلى أخيه: برمين الخليفة، واجعل في عنقك جامعة من فضة لا ترى، لا يضرب الناس بعضهم بعضاً، واتق الله فإنك في بلد حرام.

قال ابن الزبير: موعذك المسجد، فأرسل ابن الزبير عبد الله بن صفوان الجمحي إلى أنيس بن عمرو من قبل ذي طوى، وكان قد ضوى إلى عبد الله بن صفوان قوم ممن نزل حول مكة، فقاتلوا أنيس بن عمرو، فهزم أنيس ابن عمرو اقبح هزيمة، وتفرق عن عمرو جماعة أصحابه، فدخل دار علقمة، فأتاه عبيدة بن الزبير فأجاره، ثم جاء إلى عبد الله بن الزبير فقال:

إني قد أجزته، فقال: أتجير من حقوق الناس! هذا ما لا يصلح.

قال محمد بن عمر: حدثت هذا الحديث محمد بن عبيد بن عمير فقال: أخبرني عمرو بن دينار، قال: كتب يزيد بن معاوية إلى عمرو بن سعيد: أن استعمل عمرو بن الزبير على جيش، وابعثه إلى ابن الزبير، وابعث معه أنيس بن عمرو، قال: فسار عمرو بن الزبير حتى نزل في داره عند الصفا، ونزل أنيس بن عمرو بذي طوى، فكان عمرو بن الزبير يصلي بالناس، ويصلي خلفه عبد الله بن الزبير، فإذا انصرف شبك أصابعه في أصابعه، ولم يبق أحد من قريش إلا أتى عمرو بن الزبير، وقعد عبد الله بن صفوان فقال: ما لي لا أرى عبد الله بن صفوان! أما والله لئن سرت إليه ليعلمن أن بني جمح ومن ضوى إليه من غيرهم قليل، فبلغ عبد الله بن صفوان كلمته هذه، فخرته، فقال لعبد الله بن الزبير: إني أراك كأنك تريد البقاء على أخيك، فقال عبد الله: أنا أبقى عليه يا أبا صفوان! والله لو قدرت على عون الذر عليه لاستعنت بها عليه، فقال ابن صفوان: فأنا أكفيك أنيس بن عمرو، فاكفني أخاك، قال ابن الزبير: نعم، فسار عبد الله بن صفوان إلى أنيس بن عمرو وهو بذي طوى، فلاقاه في جمع كثير من أهل مكة وغيرهم من الأعوان، فهزم أنيس بن عمرو ومن معه، وقتلوا مدبرهم، واجهزوا على جريحهم، وسار معصب بن عبد الرحمن إلى عمرو، وتفرق عنه أصحابه حتى تخلص إلى عمرو بن الزبير، فقال عبيدة بن الزبير لعمرو:

تعال أنا أجيرك فجاء عبد الله بن الزبير، فقال: قد أجزت عمرا، فأجره لي، فأبى أن يجيره، وضربه بكل من كان ضرب بالمدينة، وحبسه بسجن عارم

قال الواقدي: قد اختلفوا علينا في حديث عمرو بن الزبير، وكتبت كل ذلك.

حدثني خالد بن إلياس، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم، قال:

لما قدم عمرو بن سعيد المدينة واليا، قدم في ذي القعدة سنة ستين، فولى عمرو ابن الزبير شرطته، وقال: قد أقسم أمير المؤمنين ألا يقبل بيعة ابن الزبير إلا أن يؤتى به في جامعة، فليبر يمين أمير المؤمنين، فإني أجعل جامعة خفيفة من ورق أو ذهب، ويلبس علياً برنسا، ولا ترى إلا أن يسمع صوتها، وقال:

خذها فليست للعزير بخطئة ... وفيها مقال لامرئ متذل

أعامر إن القوم ساموك خطئة ... ومالك في الجيران عدل معذل

قال محمد: وحدثني رياح بن مسلم، عن أبيه، قال: بعث إلى عبد الله بن الزبير عمرو بن سعيد، فقال له أبو شريح: [لا تغز مكة فإني

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: إِنَّمَا أَمَرَ اللَّهُ لِي فِي الْقِتَالِ بِمَكَّةَ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ كَحُرْمَتِهَا، فَأَبَى عَمْرُو أَنْ يَسْمَعَ قَوْلَهُ، وَقَالَ: نَحْنُ أَعْلَمُ بِحُرْمَتِهَا مِنْكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ، فَبَعَثَ عَمْرُو جَيْشًا مَعَ عَمْرُو وَمَعَهُ أَنِيسُ بْنُ عَمْرُو الْأَسْلَمِيُّ، وَزَيْدٌ غُلَامٌ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، - وَكَانُوا نَحْوَ الْفَيْنِ - فَقَاتَلَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ، فَقُتِلَ أَنِيسُ بْنُ عَمْرُو وَالْمُهَاجِرُ مَوْلَى الْقَلْبَسِ فِي نَاسٍ كَثِيرٍ، وَهَزِمَ جَيْشُ عَمْرُو، فَجَاءَ عُبَيْدَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ لِأَخِيهِ عَمْرُو: أَنْتَ فِي ذِمَّتِي، وَأَنَا لَكَ جَارٌ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ: مَا هَذَا الدَّمُ الَّذِي فِي وَجْهِكَ يَا خَبِيثُ! فَقَالَ عَمْرُو: لَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمِي كُلُّوْنَا ... وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدَّمَاءُ فَخَبَسَهُ وَأَخْفَرَ عُبَيْدَةَ، وَقَالَ: أَمَرْتُكَ أَنْ تُجِيرَ هَذَا الْفَاسِقَ الْمُسْتَحِلَّ لِحُرْمَاتِ اللَّهِ، ثُمَّ أَقَادَ عَمْرُو مِنْ كُلِّ مَنْ ضَرَبَهُ إِلَّا الْمُنْذِرَ وَابْنَهِ، فَإِنَّهُمَا أَبَا

٥٠٢٤٠١٢ ذكر الخبر عن مراسله الكوفيين الحسين ع للمصير إلى ما قبلهم وأمر مسلم بن عقيل رضي الله عنه

أَنْ يَسْتَفِيدَا، وَمَاتَ تَحْتَ السَّيَاطِ قَالَ: وَإِنَّمَا سُمِّيَ سِجْنُ عَارِمٍ لِعَبْدٍ كَانَ يُقَالُ لَهُ: زَيْدٌ عَارِمٍ، فَسَمِيَ السِّجْنُ بِهِ، وَحَبَسَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَخَاهُ عَمْرًا فِيهِ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي يَحْيَى، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ مَعَ أَنِيسٍ بْنُ عَمْرُو أَلْفَانِ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَجَّهَ أَهْلَ الْكُوفَةِ الرِّسْلَ إِلَى الْحُسَيْنِ ع وَهُوَ بِمَكَّةَ يَدْعُوهُ إِلَى الْقُدُومِ عَلَيْهِمْ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ ابْنُ عَمِّهِ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

. ذَكَرَ الْخَبَرُ عَنْ مَرَاثِلِهِ الْكُوفِيِّينَ الْحُسَيْنِ عَ لِلْمَصِيرِ إِلَى مَا قَبْلَهُمْ وَأَمَرَ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

حَدَّثَنِي زَكَرِيَّا بْنُ يُحْيَى الضَّرِيرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ جَنَابٍ الْمَصِصِيُّ - وَيَكْنَى أَبُو الْوَلِيدِ - قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ أَسَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُسْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِمَارُ الدَّهْنِيُّ، قَالَ: [قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ:

حَدَّثَنِي بِمَقْتَلِ الْحُسَيْنِ حَتَّى كَانِي حَضَرْتَهُ، قَالَ: مَاتَ مُعَاوِيَةُ وَالْوَلِيدُ بْنُ عَتَبَةَ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ، فَأُرْسِلَ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ لِيَأْخُذَ بَيْعَتَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَخْرَنِي وَارْفُقْ، فَأَخْرَهُ، فَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ، فَأَتَاهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَرَسَلَهُمْ:

إِنَّا قَدْ حَبَسْنَا أَنْفُسَنَا عَلَيْكَ، وَلَسْنَا نَحْضُرُ الْجُمُعَةَ مَعَ الْوَالِي، فَأَقْدَمَ عَلَيْنَا - وَكَانَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيُّ عَلَى الْكُوفَةِ، قَالَ: فَبَعَثَ الْحُسَيْنُ إِلَى مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبِ ابْنِ عَمِّهِ فَقَالَ لَهُ: سِرْ إِلَى الْكُوفَةِ فَانْظُرْ مَا كَتَبُوا بِهِ إِلَيَّ، فَإِنْ كَانَ حَقًّا خَرَجْنَا إِلَيْهِمْ فَخَرَجَ مُسْلِمٌ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ، فَأَخَذَ مِنْهَا دَلِيلَيْنِ، فَمَرَّ بِهِ فِي الْبَرِيَّةِ، فَأَصَابَهُمْ عَطَشٌ، فَاتَّأَحَدَ الدَّلِيلَيْنِ، وَكَتَبَ مُسْلِمٌ إِلَى الْحُسَيْنِ يَسْتَعْفِيهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ: أَنْ أَمْضُ إِلَى الْكُوفَةِ].

فَخَرَجَ حَتَّى قَدِمَهَا، وَنَزَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِهَا يُقَالُ لَهُ ابْنُ عَوْسَجَةَ، قَالَ: فَلَمَّا تَحَدَّثَ أَهْلُ الْكُوفَةِ بِمَقْدَمِهِ دَبَا إِلَيْهِ فَبَايَعُوهُ، فَبَايَعَهُ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ يَهُوَى يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ إِلَى النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ ضَعِيفٌ أَوْ مُتَضَعِّفٌ، قَدْ فَسَدَ الْبِلَادُ! فَقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ: أَنْ أَكُونَ ضَعِيفًا وَأَنَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ قَوِيًّا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَمَا كُنْتُ لِأَهْتِكُ سِتْرَ سِتْرِ اللَّهِ. فَكَتَبَ يَقُولُ النُّعْمَانُ إِلَى يَزِيدَ، فَدَعَا مَوْلَى لَهُ يُقَالُ لَهُ: سَرَجُونُ، - وَكَانَ يَسْتَشِيرُهُ - فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ لَهُ: أَكُنْتُ قَابِلًا مِنْ مُعَاوِيَةَ لَوْ كَانَ حَيًّا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاقْبَلْ مِنِّي، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْكُوفَةِ إِلَّا عُبَيْدُ اللَّهِ ابْنُ زِيَادٍ، فَوَلَّاهَا إِيَّاهُ - وَكَانَ يَزِيدُ عَلَيْهِ سَاخِطًا، وَكَانَ هُمْ بَعْزِلُهُ عَنِ الْبَصْرَةِ - فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِرِضَائِهِ، وَأَنَّهُ قَدْ وَلَّاهُ الْكُوفَةَ مَعَ الْبَصْرَةِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَطْلُبَ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ فَيَقْتُلَهُ إِنْ وَجَدَهُ.

قَالَ: فَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ فِي وَجْهِهِ أَهْلَ الْبَصْرَةِ حَتَّى قَدَّمَ الْكُوفَةَ مِثْلَهُمَا، وَلَا يَمُرُّ عَلَى مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِهِمْ فَيَسْلَمُ إِلَّا قَالُوا: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ - وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ - حَتَّى نَزَلَ الْقَصْرَ، فَدَعَا مَوْلَى لَهُ فَأَعْطَاهُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ، وَقَالَ لَهُ: اذْهَبْ حَتَّى تَسْأَلَ عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي يَبِيعُ لَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ فَأَعْلَمُهُ أَنَّكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ حِمصٍ جِئْتَ لِهَذَا الْأَمْرِ، وَهَذَا مَالٌ تَدْفَعُهُ إِلَيْهِ لِيَتَقَوَّى فَلَمْ يَزَلْ يَتَلَطَّفُ وَيُرْفِقُ بِهِ حَتَّى دَلَّ عَلَى شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَبِيعُ الْبَيْعَةَ، فَلَقِيَهُ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: لَقَدْ سَرِنِي لِقَاؤُكَ إِيَّايَ، وَقَدْ سَاءَ نِي، فَأَمَّا مَا سَرِنِي مِنْ ذَلِكَ فَمَا هَذَاكَ اللَّهُ لَهُ، وَأَمَّا مَا سَاءَ نِي فَإِنْ أَمَرْنَا لَمْ يَسْتَحْكَمْ بَعْدَ فَأَدْخَلَهُ إِلَيْهِ، فَأَخَذَ مِنْهُ الْمَالَ وَبَايَعَهُ، وَرَجَعَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَأَخْبَرَهُ.

فَتَحُولُ مُسْلِمٌ حِينَ قَدَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ مِنَ الدَّارِ الَّتِي كَانَ فِيهَا إِلَى مَنْزِلِ هَانِي بْنِ عُرْوَةَ الْمُرَادِيِّ، وَكَتَبَ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ يَخْبِرُهُ بِبَيْعَةِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَيَأْمُرُهُ بِالْقُدُومِ. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لَوْجُوهُ أَهْلِ الْكُوفَةِ: مَا لِي أَرَى هَانِيَّ بْنَ عُرْوَةَ لَمْ يَأْتِنِي فِيمَنْ أَتَانِي! قَالَ: نَفَرَ جِئْتُ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ فِي نَاسٍ مِنْ قَوْمِهِ وَهُوَ عَلَى بَابٍ

دَارِهِ، فَقَالُوا: إِنْ الْأَمِيرُ قَدْ ذَكَرَكَ وَاسْتَبْطَأَكَ، فَانْطَلِقْ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى رَكِبَ مَعَهُمْ وَسَارَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ وَعِنْدَهُ شَرِيحُ الْقَاضِي، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ قَالَ لَشَرِيحٍ: أَتَيْتُكَ بِحَائِنٍ رَجُلَاهُ، فَلَمَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ قَالَ: يَا هَانِي، أَيْنَ مُسْلِمٌ؟ قَالَ: مَا أَدْرِي، فَأَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ مَوْلَاهُ صَاحِبَ الدِّرَاهِمِ نَفَرَ جِئْتُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَطَعَ بِهِ، فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! وَاللَّهِ مَا دَعَوْتُهُ إِلَى مَنْزِلِي وَلَكِنَّهُ جَاءَ فَطَرَحَ نَفْسَهُ عَلَيَّ، قَالَ: ائْتِنِي بِهِ، قَالَ: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ تَحْتَ قَدَمِي مَا رَفَعْتُهُمَا عَنْهُ، قَالَ: أَدْنُوهُ إِلَيَّ، فَأَدْنَيْ فَضْرَبَهُ عَلَى حَاجِبِهِ فَشَجَّهُ، قَالَ: وَأَهْوَى هَانِيَّ إِلَى سَيْفٍ شَرَطِي لَيْسَلُهُ، فَدَفَعَ عَنْ ذَلِكَ، وَقَالَ:

قَدْ أَحْلَى اللَّهُ دَمَكُ، فَأَمَرَ بِهِ فَخُبِسَ فِي جَانِبِ الْقَصْرِ.

وَقَالَ غَيْرُ أَبِي جَعْفَرٍ: الَّذِي جَاءَ بِهِانِيَّ بْنَ عُرْوَةَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ الزُّبَيْدِيُّ: ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو قَتَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ الْعِزَّارِ بْنِ حُرَيْثٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِمَارَةُ بْنُ عَقْبَةَ ابْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَجَلَسَ فِي مَجْلِسِ ابْنِ زِيَادٍ حَدَّثَ، قَالَ: طَرَدْتُ الْيَوْمَ حُمْرًا فَأَصَبْتُ مِنْهَا حِمَارًا فَعَقَرْتُهُ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ الزُّبَيْدِيُّ: إِنَّ حِمَارًا تَعَقَرَهُ أَنْتَ لِحِمَارٍ حَائِنٍ، فَقَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحْيَيْنَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ! رَجُلٌ جِيءَ بِأَيِّهِ كَافِرًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يَضْرَبَ عَنْقَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَمَنْ لِلصَّبِيَّةِ؟ قَالَ: النَّارُ، فَأَنْتَ مِنَ الصَّبِيَّةِ، وَأَنْتَ فِي النَّارِ، قَالَ: فَضَحِكَ ابْنُ زِيَادٍ رَجَعَ الْحَدِيثَ إِلَى حَدِيثِ عِمَارِ الدَّهْنِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ: فَبَيْنَا هُوَ

كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ الْخَبْرُ إِلَى مَذْجٍ، إِذَا عَلَى بَابِ الْقَصْرِ جُلِبَةُ سَمْعَهَا عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: مَذْجٌ، فَقَالَ لَشَرِيحٍ: أَخْرِجْ إِلَيْهِمْ فَأَعْلَمَهُمْ أَنِّي إِذَا حَبَسْتُهُ لَأَسْأَلُهُ، وَبَعَثَ عَيْنًا عَلَيْهِ مِنْ مَوَالِيهِ يَسْمَعُ مَا يَقُولُ، فَرَبَّاهَانِيَّ بْنَ عُرْوَةَ، فَقَالَ لَهُ هَانِي: اتَّقِ اللَّهَ يَا شَرِيحُ، فَإِنَّهُ قَاتِلِي، نَفَرَ جِئْتُ حَتَّى قَامَ عَلَى بَابِ الْقَصْرِ، فَقَالَ: لَا بَأْسَ عَلَيْهِ، إِذَا حَبَسَهُ الْأَمِيرُ لِيَسْأَلُهُ، فَقَالُوا: صَدَقَ، لَيْسَ عَلَى صَاحِبِكُمْ بَأْسٌ، فَتَفَرَّقُوا، فَأَتَى مُسْلِمًا الْخَبْرَ، فَنَادَى بِشِعَارِهِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَقَدَّمَ مَقْدَمَتَهُ، وَعَبَّى مِمْنَتَهُ وَمِيسَرَتَهُ، وَسَارَ فِي الْقَلْبِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ، وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى وَجْهِهِ أَهْلَ الْكُوفَةِ فَجَمَعَهُمْ عِنْدَهُ فِي الْقَصْرِ، فَلَمَّا سَارَ إِلَيْهِ مُسْلِمٌ فَاتَتْهُ إِلَى بَابِ الْقَصْرِ أَشْرَفُوا عَلَى عَشَائِرِهِمْ فَجَعَلُوا يَكْلُمُونَهُمْ وَيُرَدُّونَهُمْ، فَجَعَلَ أَصْحَابُ مُسْلِمٍ يَتَسَلَّلُونَ حَتَّى أَمْسَى فِي خَمْسَمِائَةٍ، فَلَمَّا اخْتَلَطَ الظَّلَامُ ذَهَبَ أُولَئِكَ أَيْضًا. فَلَمَّا رَأَى مُسْلِمٌ أَنَّهُ قَدْ بَقِيَ وَحْدَهُ يَتَرَدَّدُ فِي الطَّرِيقِ أَتَى أَبَا فَرْزَلٍ عَلَيْهِ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ، فَقَالَ لَهَا: اسْقِينِي، فَسَقَتْهُ، ثُمَّ دَخَلَتْ فَكَشَتْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ خَرَجَتْ إِذَا هُوَ عَلَى الْبَابِ، قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنْ مَجْلِسُكَ مَجْلِسُ رِيَّةٍ، فَقَمِ، قَالَ: إِنِّي أَنَا مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ، فَهَلْ عِنْدَكَ

مأوى؟ قالت: نعم، ادخل، وكان ابنها مولى لمحمد بن الأشعث، فلما علم به الغلام انطلق إلى محمد فأخبره، فانطلق محمد إلى عبيد الله فأخبره، فبعث عبيد الله عمرو بن حريث المخزومي - وكان صاحب شرطه - إليه، ومعه عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث، فلم يعلم مسلم حتى أحيط بالدار، فلما رأى ذلك مسلم خرج إليهم بسيفه فقاتلهم، فأعطاه عبد الرحمن الأمان، فأمكن من يده، فجاء به إلى عبيد الله، فأمر به فأصعد إلى أعلى القصر فضربت عنقه، وألقي جثته إلى الناس، وأمر بهانيء فسحب إلى الكأسة، فصلب هنالك، وقال شاعرهم في ذلك:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري ... إلى هانيء في السوق وابن عقيل
أصابهما أمر الإمام فأصبحا ... أحاديث من يسعى بكل سبيل
أركب أسماء الهماليج آمنا ... وقد طلبته مذجج بذحول!

وأما أبو مخنف فإنه ذكر من قصة مسلم بن عقيل وشخصه إلى الكوفة ومقتله قصة هي أشبع وأتم من خبر عمار الدهني عن أبي جعفر الذي ذكرناه، ما حدث عن هشام بن محمد، عنه، قال: حدثني عبد الرحمن بن جندب، قال: حدثني عقبة بن سمعان مولى الرباب ابنة امرئ القيس الكلبي امرأة حسين - وكانت مع سكينه ابنة حسين، وهو مولى لأبيها، وهي إذ ذاك صغيرة - قال: خرجنا فلزمتنا الطريق الأعظم، [فقال للحسين أهل بيته: لو تنكبت الطريق الأعظم كما فعل ابن الزبير لا يلحقك الطلب، قال: لا، والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو أحب إليه، قال:

فاستقبلنا عبد الله بن مطيع فقال للحسين: جعلت فداك! أين تريد؟ قال:

أما الآن فإني أريد مكة، وأما بعدها فإني أستخير الله،] قال: خار الله لك، وجعلنا فداك، فإذا أنت أتيت مكة فإياك أن تقرب الكوفة، فإنها بلدة مشنومة، بها قتل أبوك، وخذل أخوك، واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه، الزم الحرم، فإنك سيد العرب، لا يعدل بك والله أهل الحجاز أهدأ، ويتداعى إليك الناس من كل جانب، لا تفارق الحرم فداك عمي وخالي، فوالله لئن هلكت لنسترقن بعدك فأقبل حتى نزل مكة، فأقبل أهلها يختلفون إليه ويأتونه ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق، وابن الزبير بها قد لزم الكعبة، فهو قائم يصلي عندها عامة النهار ويطوف، ويأتي حسيناً فيمن يأتيه، فيأتيه اليومين المتواليين، ويأتيه بين كل يومين مرة، ولا يزال يشير عليه بالرأي وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير، قد عرف أن أهل الحجاز لا يبايعونه ولا يتابعونه أبداً ما دام حسين بالبلد، وإن حسيناً أعظم في أعينهم وأنفسهم منه، وأطوع في الناس منه.

فلما بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية أرجف أهل العراق بيزيد، وقالوا: قد امتنع حسين وابن الزبير، ولحقا بمكة، فكتب أهل الكوفة إلى حسين، وعليهم النعمان بن بشير.

قال أبو مخنف: حدثني الحجاج بن علي، عن محمد بن بشر الهمداني، قال: اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد، فذكرنا هلاك معاوية، فحمدنا الله عليه، فقال لنا سليمان بن صرد: إن معاوية قد هلك، وإن حسيناً قد تقبض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه، وإن خفتهم الوهل والفشل فلا تغروا الرجل من نفسه، قالوا: لا، بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه، قال: فاكتبوا إليه، فكتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم لحسين بن علي من سليمان بن صرد والمسيب ابن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة سلام عليك، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها، وغصبها فيئها، وتأمر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة

بين جابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود! إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والنعمان ابن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجنه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله، والسلام ورحمة الله عليك.

قال: ثم سرحنا بالكتاب مع عبد الله بن سبع الهمداني وعبد الله بن وال، وأمرناهما بالنجاء، فخرج الرجلان مسرعين حتى قدما على حسين لعشر ماضين من شهر رمضان بمكة، ثم لبثنا يومين، ثم سرحنا إليه هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي، وكتبنا معهما: الأرحي وعمار بن عبيد السلوي، فحملوا معهم نحواً من ثلاثة وخمسين صحيفة، الصحيفة من الرجل والاثنين والأربعة قال: ثم لبثنا يومين آخرين، ثم سرحنا إليه هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي، وكتبنا معهما:

بسم الله الرحمن الرحيم لحسين بن علي من شيعته من المؤمنين والمسلمين، أما بعد، فخيلاً، فإن الناس ينتظرونك، ولا رأي لهم في غيرك، فاعجل العجل، والسلام عليك.

وكتب شعث بن ربي وجار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم وعزرة بن قيس وعمرو بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن عمير التيمي:

أما بعد، فقد اخضر الجنب، وأينعت الثمار، وطمت الجمام، فإذا شئت فاقدم على جند لك مجند، والسلام عليك. وتلاقت الرسل كلها عنده، فقرأ الكتب، وسأل الرسل عن أمر الناس، ثم كتب مع هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي، وكانا آخر الرسل:

بسم الله الرحمن الرحيم من حسين بن علي إلى الملا من المؤمنين والمسلمين، أما بعد، فإن هانئاً وسعيداً قدما علي بكتبكم، وكانا آخر من قدم علي من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلکم: إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إلي بجالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إلي أنه قد أجمع رأي ملتكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت علي به رسلكم، وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله والسلام.

قال أبو مخنف: وذكر أبو المخارق الراسبي، قال: اجتمع ناس من الشيعة بالبصرة في منزل امرأة من عبد القيس يقال لها مارية ابنة سعد - أو منقذ - أياما، وكانت تشيع، وكان منزلها لهم مألفا يتحدثون فيه، وقد بلغ ابن زياد إقبال الحسين، فكتب إلى عامله بالبصرة أن يضع المناظر ويأخذ

قال: فأجمع يزيد بن نبيط الخروج - وهو من عبد القيس - إلى الحسين، وكان له بنون عشرة، فقال: أيكم يخرج معي؟ فانتدب معه ابنان له: عبد الله وعبيد الله، فقال لأصحابه في بيت تلك المرأة: إني قد أزمعت على الخروج، وأنا خارج، فقالوا له: إنا نخاف عليك أصحاب ابن زياد، فقال: اني والله لو قد استوت اخفافهما بالجدد لهان علي طلب من طلبني.

قال: ثم خرج فتقدى في الطريق حتى انتهى إلى حسين ع، فدخل في رحله بالأبطح، وبلغ الحسين مجيئه، فجعل يطلبه، وجاء الرجل إلى رحل الحسين، فقيل له: قد خرج إلى منزلك، فأقبل في أثره، ولما لم يجده الحسين جلس في رحله ينتظره، وجاء البصري فوجده في رحله جالسا، فقال: «بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا» قال: فسلم عليه، وجلس إليه، فخبّره بالذي جاء له، فدعا له بخير، ثم أقبل معه حتى أتى فقاتل معه، فقتل معه هو وابناه ثم دعا مسلم بن عقيل فسرّحه مع قيس بن مسهر الصيداي وعمار بن عبيد السلوي وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحي، فأمره بتقوى الله وكتمان أمره، واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجل إليه بذلك.

فأقبل مسلم حتى أتى المدينة فصلى في مسجد رسول الله ص، وودع من أحب من أهله، ثم استأجر دليلين من قيس، فأقبلا به،

فضلاً الطريق وجاراً، وأصابهم عطش شديد، وَقَالَ الدليلان: هَذَا الطريق حتى تنتهي إِلَى الماء، وَقَدْ كَادُوا أَنْ يَمُوتُوا عطشاً فكتب مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيدائي إِلَى حُسَيْن، وَذَلِكَ بالمضيق من بطن الخبيث:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَقْبَلْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ مَعِيَ دِلِيلَانِ لِي، فَجَارَا عَنِ الطَّرِيقِ وَضَلَا، وَاشْتَدَّ عَلَيْنَا الْعَطَشُ، فَلَمْ يَلْبَثَا أَنْ مَاتَا، وَأَقْبَلْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الْمَاءِ، فَلَمْ نَجِدْ إِلَّا بِحْشَاشَةً أَنْفَسْنَا، وَذَلِكَ الْمَاءُ بِمَكَانٍ يَدْعَى الْمَضِيقَ مِنْ بَطْنِ الْخَبِيثِ، وَقَدْ تَطَيَّرَتْ مِنْ وَجْهِهِ هَذَا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَغْفَيْتَنِي مِنْهُ، وَبَعَثْتَ غَيْرِي، وَالسَّلَامُ
فَكُتِبَ إِلَيْهِ حُسَيْنُ:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ خَشِيتُ أَلَّا يَكُونَ حَمْلُكَ عَلَى الْكَتَابِ إِلَيَّ فِي الْإِسْتِعْفَاءِ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي وَجَّهْتُكَ لَهُ إِلَّا الْجَبْنَ، فَاْمُضْ لَوَجْهَكَ الَّذِي وَجَّهْتُكَ لَهُ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ.

فَقَالَ مُسْلِمٌ لِمَنْ قَرَأَ الْكَتَابَ: هَذَا مَا لَسْتُ أَتَخَوَّفُهُ عَلَى نَفْسِي، فَأَقْبَلَ كَمَا هُوَ حَتَّى مَرَّ بِمَاءٍ لَطِيفٍ، فَزَلَّ بِهِمْ، ثُمَّ ارْتَحَلَ مِنْهُ، فَإِذَا رَجُلٌ يَرْمِي الصَّيْدَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ قَدْ رَمَى ظُلُمًا حِينَ أَشْرَفَ لَهُ، فَصَرَعَهُ، فَقَالَ مُسْلِمٌ:

يَقْتُلُ عَدُوْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ مُسْلِمٌ حَتَّى دَخَلَ الْكُوفَةَ، فَزَلَّ دَارَ الْمُخْتَارِ ابْنِ أَبِي عُبَيْدٍ - وَهِيَ الَّتِي تَدْعَى الْيَوْمَ دَارَ مُسْلِمِ بْنِ الْمُسَيْبِ - وَأَقْبَلَتِ الشَّيْعَةُ تَخْتَلِفُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ قَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ حُسَيْنٍ، فَأَخَذُوا يَبْكُونَ.

فَقَامَ عَابِسُ بْنُ أَبِي شَبِيبٍ الشَّامِرِيُّ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ:
أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لَا أَخْبِرُكَ عَنِ النَّاسِ، وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِهِمْ، وَمَا أَغْرَكَ مِنْهُمْ، وَاللَّهِ لِأَحْدَثِكَ عَمَّا أَنَا مُوْطِنُ نَفْسِي عَلَيْهِ، وَاللَّهِ لِأَجِينَكُمْ إِذَا دَعَوْتُمْ، وَلَا أَقَاتِلُنَّ مَعَكُمْ عَدُوَكُمْ، وَلَا أَضْرِبُنَّ بِسَيْفِي دُونَكُمْ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ، لَا أُرِيدُ بِذَلِكَ إِلَّا مَا عِنْدَ اللَّهِ.

فَقَامَ حَبِيبُ بْنُ مَظَاهِرِ الْفَقْعَسِيِّ، فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ! قَدْ قَضَيْتَ مَا فِي نَفْسِكَ، بَوَاجِزٍ مِنْ قَوْلِكَ، ثُمَّ قَالَ: وَأَنَا وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَى مِثْلِ مَا هَذَا عَلَيْهِ.

ثُمَّ قَالَ الْحَنْفِيُّ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ الْحِجَابِيُّ بْنُ عَلِيٍّ: فَقُلْتُ لِمُحَمَّدِ بْنِ بَشَرٍ: فَهَلْ كَانَ مِنْكَ أَنْتَ قَوْلٌ؟ فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ لِأَحِبُّ أَنْ يَعِزَّ اللَّهُ أَصْحَابِي بِالظَّفَرِ، وَمَا كُنْتُ لِأَحِبُّ أَنْ أَقْتَلَ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَكْذِبَ.

وَاخْتَلَفَتِ الشَّيْعَةُ إِلَيْهِ حَتَّى عَلِمَ مَكَانَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ.
قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي ثُمَيْلُ بْنُ وَعْلَةَ، عَنْ أَبِي الْوَدَّاءِ، قَالَ:

خَرَجَ إِلَيْنَا النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ:
أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَلَا تَسَارِعُوا إِلَى الْفِتْنَةِ وَالْفِرْقَةِ، فَإِنْ فِيهِمَا يَهْلِكُ

الرِّجَالُ، وَتُسْفَكُ الدِّمَاءُ، وَتَغْصَبُ الْأَمْوَالُ - وَكَانَ حَلِيمًا نَاسِكًا يَحِبُّ الْعَافِيَةَ - قَالَ: إِنِّي لَمْ أَقَاتِلْ مِنْ لَمْ يَقَاتِلْنِي، وَلَا أَثْبَعَ عَلَى مَنْ لَا يَثْبَعُ عَلَيَّ، وَلَا أَشَاتِمُكُمْ، وَلَا أَتَحْرِشُ بِكُمْ، وَلَا أَخْذُ بِالْقَرْفِ وَلَا الظَّنَّةِ وَلَا التَّهْمَةِ، وَلَكِنْكُمْ إِنْ أَبَدْتُمْ صَفْحَتَكُمْ لِي، وَنَكُتُمْ بَيْعَتَكُمْ، وَخَالَفْتُمْ إِمَامَكُمْ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لِأَضْرِبَنَّكُمْ بِسَيْفِي مَا ثَبَتَ قَائِمُهُ فِي يَدِي، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِي مِنْكُمْ نَاصِرٌ أَمَا إِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ مِنْ يَعْرِفُ الْحَقَّ مِنْكُمْ أَكْثَرُ مَنْ يَرِيدُهُ الْبَاطِلُ.

قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ سَعِيدِ الْحَضْرَمِيِّ حَلِيفُ بَنِي أُمَيَّةٍ فَقَالَ:
إِنَّهُ لَا يَصْلَحُ مَا تَرَى إِلَّا الْغَشْمُ، إِنَّ هَذَا الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ رَأْيُ الْمُسْتَظْعِفِينَ، فَقَالَ: أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْتَظْعِفِينَ

فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْأَعْزِينَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، ثُمَّ نَزَلَ.
وَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ، وَكُتِبَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ قَدْ قَدَّمَ الْكُوفَةَ فَبَايَعْتَهُ الشَّيْعَةُ لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ فَإِنْ

كَانَ لَكَ بِالْكُوفَةِ حَاجَةٌ فَابْعَثْ إِلَيْهَا رَجُلًا قَوِيًّا يَنْفِذَ أَمْرَكَ، وَيَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِكَ فِي عَدُوِّكَ، فَإِنَّ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَجُلٌ ضَعِيفٌ، أَوْ هُوَ يَتَضَعَفُ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ إِلَيْهِ.

ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ عِمَارَةُ بْنُ عُقْبَةَ بَخُوٍّ مِنْ كِتَابِهِ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ بِمِثْلِ ذَلِكَ. قَالَ هِشَامُ: قَالَ عَوَانَةُ: فَلَمَّا اجْتَمَعَتِ الْكُتُبُ عِنْدَ يَزِيدَ لَيْسَ بَيْنَ كُتُبِهِمْ إِلَّا يَوْمَانُ، دَعَا يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ سَرَجُونَ مَوْلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: مَا رَأَيْكَ؟

فَإِنْ حَسِينًا قَدْ تَوَجَّهَ نَحْوَ الْكُوفَةِ، وَمُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ بِالْكُوفَةِ يَبِيعُ لِلْحُسَيْنِ، وَقَدْ بَلَغَنِي عَنِ النُّعْمَانَ ضَعْفٌ وَقَوْلٌ سَيِّئٌ - وَأَقْرَأَهُ كُتُبَهُمْ - فَمَا تَرَى مِنْ أَسْتَعْمَلَ عَلَى الْكُوفَةِ؟ وَكَانَ يَزِيدُ عَاتِبًا عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، فَقَالَ سَرَجُونُ: أَرَأَيْتَ مُعَاوِيَةَ لَوْ نَشَرْنَا لَكَ، أَكُنْتَ آخِذًا بِرَأْيِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَخْرَجَ عَهْدَ عُبَيْدِ اللَّهِ عَلَى الْكُوفَةِ فَقَالَ: هَذَا رَأْيُ مُعَاوِيَةَ، وَمَاتَ وَقَدْ أَمَرَ بِهَذَا الْكِتَابِ فَأَخَذَ بِرَأْيِهِ وَضَمَّ الْمَصْرِينَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بَعْدَهُ عَلَى الْكُوفَةِ

ثُمَّ دَعَا مُسْلِمُ بْنُ عَمْرٍو الْبَاهِلِيَّ - وَكَانَ عِنْدَهُ - فَبَعَثَهُ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بِعَهْدِهِ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ مَعَهُ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ كَتَبَ إِلَيَّ شَيْعَتِي مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَخْبِرُونَنِي أَنَّ ابْنَ عَقِيلٍ بِالْكُوفَةِ يَجْمَعُ الْجَمْعَ لَشِقِّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، فَسَرَّحْتُ قَرَأَ كِتَابِي هَذَا حَتَّى تَأْتِيَ أَهْلَ الْكُوفَةِ فَتَطْلُبُ ابْنَ عَقِيلٍ كَطَلَبِ الْحَرْزِ حَتَّى تُثَقِّفَهُ فَتَوَثِّقَهُ أَوْ تَقْتُلَهُ أَوْ تَنْفِيهِ، وَالسَّلَامُ.

فَأَقْبَلَ مُسْلِمُ بْنُ عَمْرٍو حَتَّى قَدَّمَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بِالْبَصْرَةِ، فَأَمَرَ عُبَيْدُ اللَّهِ بِالْجَهَازِ وَالتَّهْيِئَةِ وَالْمَسِيرِ إِلَى الْكُوفَةِ مِنَ الْغَدِ. وَقَدْ كَانَ حُسَيْنٌ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ كِتَابًا، قَالَ هِشَامُ: قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ:

حَدَّثَنِي الصَّقْعَبُ بْنُ زَهِيرٍ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، قَالَ: كَتَبَ حُسَيْنٌ مَعَ مَوْلَى لَهُمْ يَقَالُ لَهُ: سُلَيْمَانُ، وَكَتَبَ بِنَسْخَةٍ إِلَى رِءُوسِ الْأَنْحَاسِ بِالْبَصْرَةِ وَإِلَى الْأَشْرَافِ، فَكَتَبَ إِلَى مَالِكِ بْنِ مَسْعُودٍ الْبَكْرِيِّ، وَإِلَى الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، وَإِلَى الْمُنْذَرِ بْنِ الْجَارُودِ، وَإِلَى مَسْعُودِ بْنِ عَمْرٍو، وَإِلَى قَيْسِ بْنِ الْهَيْثَمِ، وَإِلَى عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ، فَجَاءَتْ مِنْهُ نَسْخَةٌ وَاحِدَةٌ إِلَى جَمِيعِ أَشْرَافِهَا: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مُحَمَّدًا صَ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَكْرَمَهُ بِنَبُوَّتِهِ، وَاخْتَارَهُ لِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَقَدْ نَصَحَ لِعِبَادِهِ، وَبَلَغَ مَا أَرْسَلَ بِهِ صَ، وَكَانَ أَهْلُهُ وَأَوْلِيَائِهِ وَأَوْصِيَائِهِ وَوَرِثَتُهُ وَأَحَقُّ النَّاسِ بِمَقَامِهِ فِي النَّاسِ، فَاسْتَأْثَرَ عَلَيْنَا قَوْمَنَا بِذَلِكَ، فَضَرَبْنَا وَكَرِهْنَا الْفِرْقَةَ، وَأَحْبَبْنَا الْعَافِيَةَ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّا أَحَقُّ بِذَلِكَ الْحَقِّ الْمُسْتَحَقِّ عَلَيْنَا مِنْ تَوَلَّاهُ، وَقَدْ أَحْسَنُوا وَأَصْلَحُوا، وَتَحَرَّوْا الْحَقَّ، فَرَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَغَفَرَ لَنَا وَلَهُمْ.

وَقَدْ بَعَثْتُ رَسُولِي إِلَيْكُمْ بِهَذَا الْكِتَابِ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَنِ نَبِيِّهِ صَ، فَإِنَّ السَّنَةَ قَدْ أَمِيتَتْ، وَإِنَّ الْبِدْعَةَ قَدْ أَحْيَيْتْ، وَإِنْ تَسْمَعُوا قَوْلِي وَتَطِيعُوا أَمْرِي أَهْدَكُمْ سَبِيلَ الرِّشَادِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

فَكُلٌّ مِنْ قَرَأَ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ كَتَمَهُ، غَيْرَ الْمُنْذَرِ بْنِ الْجَارُودِ، فَإِنَّهُ خَشِيَ بِزَعْمِهِ أَنْ يَكُونَ دَسِيسًا مِنْ قَبْلِ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَجَاءَهُ بِالرَّسُولِ مِنَ الْعَشِيَةِ

الَّتِي يَرِيدُ صَبِيحَتَهَا أَنْ يَسْبِقَ إِلَى الْكُوفَةِ، وَأَقْرَأَهُ كِتَابَهُ، فَقَدَّمَ الرَّسُولَ فَضْرَبَ عُنُقَهُ وَصَعَدَ عُبَيْدُ اللَّهِ مِنْبَرَ الْبَصْرَةِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ:

أَمَّا بَعْدُ، فَوَاللَّهِ مَا تَقَرَّنَ بِي الصَّعْبَةُ، وَلَا يَقَعُّعُ لِي بِالشَّنَانِ، وَإِنِّي لَنُكْلٍ لِمَنْ عَادَانِي، وَسَمِّ لِمَنْ حَارَبَنِي، أَنْصَفَ الْقَارَةَ مِنْ رَامَاهَا يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ، إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا نِي الْكُوفَةِ وَأَنَا غَادٌ إِلَيْهَا الْغَدَاةَ، وَقَدْ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ عُثْمَانَ بْنَ زِيَادٍ بِنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَإِيَّاكُمْ وَالْخِلَافَ وَالْأَرْجَافَ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَئِنْ بَلَغَنِي عَنْ رَجُلٍ مِنْكُمْ خِلَافَ لَأَقْتُلَنَّهُ وَعَرِيفَهُ وَوَلِيَّهُ، وَلَا أَخْذَنُ الْأَدْنَى بِالْأَقْصَى حَتَّى تَسْتَمْعُوا لِي، وَلَا يَكُونُ فِيكُمْ مَخَالَفٌ وَلَا مَشَاقٌ، أَنَا ابْنُ زِيَادٍ، أَشْبَهْتُهُ مِنْ بَيْنِ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى وَلَمْ يَنْتَزِعْنِي شَبْهَ خَالٍ وَلَا ابْنِ عَمٍّ.

ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَصْرَةِ وَاسْتَخْلَفَ أَخَاهُ عُثْمَانَ بْنَ زِيَادٍ، وَأَقْبَلَ إِلَى الْكُوفَةِ وَمَعَهُ مُسْلِمُ بْنُ عَمْرٍو الْبَاهِلِيُّ، وَشَرِيكَ بْنُ الْأَعْوَرِ الْحَارِثِيُّ وَحُشْمَةُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ، حَتَّى دَخَلَ الْكُوفَةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةُ سُودَاءَ، وَهُوَ مِثْلُ النَّاسِ قَدْ بَلَغَهُمْ إِقْبَالُ حُسَيْنٍ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ يَنْتَظِرُونَ قُدُومَهُ،

فظنوا حين قدم عبيد الله أنه الحسين، فأخذ لا يمر على جماعة من الناس إلا سلموا عليه، وقالوا: مرحبا بك يا بن رسول الله! قدمت خير مقدم، فرأى من تبشيرهم بالحسين ع ما ساءه، فقال مسلم بن عمرو لما أكثروا: تأخروا، هذا الأمير عبيد الله بن زياد، فأخذ حين أقبل على الظهر، وإنما معه بضعة عشر رجلا، فلما دخل القصر وعلم الناس أنه عبيد الله بن زياد دخلهم من ذلك كآبة وحزن شديد، وغاز عبيد الله ما سمع منهم، وقال: ألا أرى هؤلاء كما أرى.

قال هشام: قال أبو مخنف: حَدَّثَنِي المَعْلَى بن كليب، عن أبي وداك، قال: لما نزل القصر نودي: الصلاة جامعة، قال: فاجتمع الناس، فخرج إلينا فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن أمير المؤمنين أصلحه الله ولاني مصركم وثرغكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، وإعطاء محرومكم، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدّة على مريبكم وعاصيكم، وأنا متبع فيكم أمره، ومنفذ فيكم عهده، فأنا لمحسنتكم ومطيعكم كالوالد البر، وسوطي وسيفي على من ترك أمري، وخالف عهدي، فليبق امرؤ على نفسه.

الصدق ينبي عنك لا الوعيد، ثم نزل فأخذ العرفاء والناس أخذًا شديدًا، فقال: اكتبوا إلي الغرباء، ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق، فن كتبهم لنا فبرئ، ومن لم يكتب لنا أحدًا، فيضمن لنا ما في عرافته إلا يخالفنا منهم مخالف، ولا ينبغي علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة، وحلال لنا ماله وسفك دمه، وأيا عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره، والقيت تلك العرافة من العطاء، وسير إلى موضع بعمان الزارة.

وأما عيسى بن يزيد الكاظمي فإنه قال- فيما ذكر عمر بن شبة، عن هارون بن مسلم، عن علي بن صالح، عنه- قال: لما جاء كتاب يزيد إلى عبيد الله بن زياد، انتخب من أهل البصرة نحسمائة، فيهم عبد الله بن الحارث بن نوفل، وشريك بن الأعور- وكان شيعه لعلي، فكان أول من سقط بالناس شريك، فيقال: إنه تساقط غمرة ومعه ناس- ثم سقط عبد الله بن الحارث وسقط معه ناس، ورجوا أن يلوي عليهم عبيد الله ويسبقه الحسين إلى الكوفة، فجعل لا يلتفت إلى من سقط، ويمضي حتى ورد القادسية، وسقط مهران مولاه، فقال: أيا مهران، على هذه الحال، إن أمسكت عنك حتى تنظر إلى القصر فلك مائة ألف، قال: لا، والله ما أستطيع فنزل عبيد الله فأخرج ثيابا مقطعة من مقطعات الين، ثم اعتجر بمعجرة يمانية، فركب بغلته، ثم انحدر راجلا وحده، فجعل يمر بالحراس فكلما نظروا إليه لم يشكوا أنه الحسين، فيقولون: مرحبا بك يا بن رسول الله! وجعل لا يكلمهم، وخرج إليه الناس من دورهم وبيوتهم، وسمع بهم النعمان بن بشير فغلق عليه وعلى خاصته، وانتهى إليه عبيد الله وهو لا يشك أنه الحسين، ومعه الخلق يضجون، فكله النعمان، فقال: أنشدك الله ألا تخيت عني! ما أنا بمسلم إليك أمانتي، وما لي في قتلك من أرب، فجعل لا يكلمه ثم إنه دنا وتدلّى الآخر بين شرفين، فجعل يكلمه فقال: افتح لا فتحت، فقد طال ليلك، فسمعها إنسان خلفه، فتكفى إلى القوم، فقال: أي قوم، ابن مرجانة، والذي لا إله غيره! فقالوا:

ويحك! إنما هو الحسين، ففتح له النعمان، فدخل، وضربوا الباب في وجوه الناس، فانفضوا، وأصبح فجلس على المنبر فقال: أيها الناس، إني لأعلم أنه قد سار معي، وأظهر الطاعة لي من هو عدو للحسين حين ظن أن الحسين قد دخل البلد وغلب عليه، والله ما عرفت منكم أحدا، ثم نزل وأخبر أن مسلم بن عقيل قدم قبله بليلة، وأنه بناحية الكوفة، فدعا مولى لبني تميم فأعطاه مالا، وقال: انتحل هذا الأمر، وأعنه بالمال، واقصد لهائي ومسلم وانزل عليه، فجاء هائنا فأخبره أنه شيعه، وأن معه مالا وقدم شريك بن الأعور شاكيا، فقال لهائي: مر مسلما يكن عندي، فإن عبيد الله يعودني، وقال شريك لمسلم: رأيته إن أمكنتك من عبيد الله أضاربه أنت بالسيف؟ قال: نعم والله وجاء عبيد الله شريكا يعبده في منزل هائي- وقد قال شريك لمسلم: إذا سمعني أقول: اسقوني ماء فاخرج عليه

فاضربه - وجلس عبيد الله على فراش شريك، وقام على رأسه مهران، فقال: اسقوني ماء، فخرجت جارية بقدرح، فرأت مسلماً، فزالت، فقال شريك: اسقوني ماء، ثم قال الثالثة: ويلكم تحموني الماء! اسقونييه ولو كانت فيه نفسي، ففطن مهران فغمز عبيد الله، فوثب، فقال شريك: أيها الأمير، إني أريد أن أوصي إليك، قال: أعود إليك، فجعل مهران يطرد به، وقال: أراد والله قتلك، قال: وكيف مع إكرامي شريكاً وفي بيت هاني ويد أبي عنده يد! فرجع فأرسل إلى أسماء بن خارجة ومحمد بن الأشعث فقال: اثبتاني بهاني، فقالا له: إنه لا يأتي إلا بالأمان، قال: وما له ولالأمان! وهل أحدث حدثاً! انطلقا فإن لم يأت إلا بأمان فأمناه، فأتياه فدعواه، فقال: إنه إن أخذني قتلي، فلم يزالا به حتى جاء به وعبيد الله يخطب يوم الجمعة، فجلس في المسجد، وقد رجل هاني غديرته، فلما صلى عبيد الله، قال: يا هاني، فتبعه، ودخل فسلم، فقال عبيد الله: يا هاني، أما تعلم أن أبي قدم هذا البلد فلم يترك أحداً من هذه الشيعة إلا قتله غير أبيك وغير جبر، وكان من جبر ما قد علمت، ثم لم يزل يحسن صحبتك، ثم كتب إلي أمير الكوفة: إن حاجتي قبلك هاني؟ قال: نعم، قال: فكان جزائي أن خبأت في بيتك رجلاً ليقتلني! قال: ما فعلت، فأخرج التميمي الذي كان عينا عليهم، فلما رآه هاني علم أن قد أخبره الخبر، فقال: أيها الأمير، قد كان الذي بلغك، ولن أضيع يدك عني، فأنت آمن وأهلك، فسر حيث شئت.

فبكى عبيد الله عندها، ومهران قائم على رأسه في يده معكزة، فقال:

وا ذلاه! هذا العبد الحائك يؤمنك في سلطانك! فقال: خذه، فطرح المعكزة، وأخذ بضفيري هاني، ثم أقنع بوجهه، ثم أخذ عبيد الله المعكزة فضرب بها وجه هاني، ونذر الزج، فارتز في الجدار، ثم ضرب وجهه حتى كسر أنفه وجبينه، وسمع الناس الهيعة، وبلغ الخبر مدجج، فأقبلوا، فأطافوا بالدار، وأمر عبيد الله بهاني فألقي في بيت، وصيح المذجيون، وأمر عبيد الله مهران أن يدخل عليه شريحاً، فخرج، فأدخله عليه، ودخلت الشرط معه، فقال: يا شريح، قد ترى ما يصنع بي! قال: أراك حياً، قال: وحي أنا مع ما ترى! أخبر قومي أنهم إن انصرفوا قتلي، فخرج إلى عبيد الله فقال: قد رأيته حياً، ورأيت أثراً سيئاً، قال: وتنكر أن يعاقب الوالي رعيته! أخرج إلى هؤلاء فأخبرهم، فخرج، وأمر عبيد الله الرجل فخرج معه، فقال لهم شريح: ما هذه الرعة السيئة! الرجل حي، وقد عاتبه سلطانه بضرب لم يبلغ نفسه، فانصرفوا ولا تحلوا بأنفسكم ولا بصاحبكم. فانصرفوا.

وذكر هشام، عن أبي مخنف، عن المعلى بن كليب، عن أبي الوداك، قال: نزل شريك بن الأعور على هاني بن عروة المرادي، وكان شريك شيعياً، وقد شهد صفين مع عمار

وسمع مسلم بن عقيل بجيء عبيد الله ومقاتله التي قالها، وما أخذ به العرفاء والناس، فخرج من دار المختار - وقد علم به - حتى انتهى إلى دار هاني بن عروة المرادي، فدخل بابه، وأرسل إليه أن اخرج، فخرج إليه هاني، فكره هاني مكانه حين رآه، فقال له مسلم: أتيك لتجبرني وتضيفني، فقال: رحمك الله! لقد كلفتني شططا، ولولا دخولك داري وثقتك لأحببتك ولسألتك أن تخرج عني، غير أنه يأخذني من ذلك ذمام، وليس مردود مثلي على مثلك عن جهل، أدخل.

فأواه، وأخذت الشيعة تختلف إليه في دار هاني بن عروة، ودعا ابن زياد مولى له يُقال له معقل، فقال له: خذ ثلاثة آلاف درهم، ثم اطلب مسلم ابن عقيل، واطلب لنا أصحابه، ثم أعطهم هذه الثلاثة آلاف، فقل لهم:

استعينوا بها على حرب عدوكم، وأعلمهم أنك منهم، فإنك لو قد أعطيتها إياهم اطمأنوا إليك، ووثقوا بك، ولم يكتموك شيئاً من أخبارهم، ثم اغد عليهم ورح ففعل ذلك، فجاء حتى أتى إلى مسلم بن عوسجة الأسدي من بني سعد بن ثعلبة في المسجد الأعظم وهو يصلي، وسمع الناس يقولون:

إن هذا يبيع للحسين، فجاء فجلس حتى فرغ من صلاته ثم قال: يا عبد الله، إني امرؤ من أهل الشام، مولى لذي الكلاع، أنعم الله علي

بحب أهل هذا البيت وحب من أحبهم، فهذه ثلاثة آلاف درهم أردت بها لقاء رجل منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبائع لابن بنت رسول الله ص، وكنت أريد لقاءه فلم أجد أحدا يدلني عليه ولا يعرف مكانه، فإني لجالس آنفا في المسجد إذ سمعت نفرا من المسلمين يقولون: هذا رجل له علم بأهل هذا البيت، وإني أتيتك لتقبض هذا المال وتدخلني على صاحبك فأبأبعه، وإن شئت أخذت بيعتي له قبل لقاءه، فقال: أحمد الله على لقاءك إياي، فقد سرني ذلك لتتال ما تحب، ولينصر الله بك أهل بيت نبيه، ولقد ساءني معرفتك إياي بهذا الأمر من قبل أن ينني مخافة هذا الطاغية وسطوته.

فأخذ بيعته قبل أن يبرح، وأخذ عليه المواثيق المغلظة ليناصح

وليكتمن، فأعطاه من ذلك ما رضي به، ثم قال له: اختلف إلي أياما في منزلي، فأنا طالب لك الإذن على صاحبك فأخذ يختلف مع الناس، فطلب له الإذن فرض هاني بن عروة، فجاء عبيد الله عائدا له، فقال له عمارة بن عبيد السلوي: إنما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية، فقد أمكنك الله منه فاقتله، قال هاني: ما أحب أن يقتل في داري، فخرج فما مكث إلا جمعة حتى مرض شريك بن الأعور- وكان كريما على ابن زياد وعلى غيره من الأمراء، وكان شديد التشيع- فأرسل إليه عبيد الله:

أني رائج إليك العشيّة، فقال لمسلم: إن هذا الفاجر عائدي العشيّة، فإذا جلس فخرج إليه فاقتله، ثم أقعد في القصر، ليس أحد يحول بينك وبينه، فإن برئت من وجعي هذا أيامي هذه سرت إلى البصرة وكفيتك أمرها.

فلما كان من العشي أقبل عبيد الله لعيادة شريك، فقام مسلم بن عقيل ليدخل، وقال له شريك: لا يفوتك إذا جلس، فقام هاني بن عروة إليه فقال: إني لا أحب أن يقتل في داري- كأنه استقبح ذلك- فجاء عبيد الله ابن زياد فدخل فجلس، فسأل شريكا عن وجعه، وقال: ما الذي تجد؟

ومتى أشكيت؟ فلما طال سؤاله إياه، ورأى أن الآخر لا يخرج، خشي أن يفوته، فأخذ يقول:

ما تنتظرون بسلي أن تحيوها

أسقنيها وإن كانت فيها نفسي، فقال ذلك مرتين أو ثلاثا، فقال عبيد الله، ولا يفتن ما شأنه: أترونها يهجر؟ فقال له هاني: نعم أصلحك الله! ما زال هذا ديدنه قبيل عمية الصبح حتى ساعته هذه ثم إنه قام فانصرف، فخرج مسلم، فقال له شريك: ما منعك من قتله؟ فقال:

خصلتان: أما إحداها فكرهه هاني أن يقتل في داره، [وأما الأخرى فحديث حدثه الناس عن النبي ص: أن الإيمان قيد الفتك، ولا يفتك مؤمن،] فقال هاني: أما والله لو قتله لقتلت فاسقا فاجرا كافرا غادرا، ولكن كرهت أن يقتل في داري ولبت شريك بن الأعور بعد

ذلك ثلاثا ثم مات، فخرج ابن زياد فصلى عليه، وبلغ عبيد الله بعد ما قتل مسلما وهائلا أن ذلك الذي كنت سمعت من شريك في مرضه إنما كان يحرض مسلما، ويأمره بالخروج إليك ليقتلك، فقال عبيد الله: والله لا أصلي على جنازة رجل من أهل العراق أبدا، وو الله لولا أن قبر زياد فيهم لنبشت شريكا.

ثم إن معقلا مولى ابن زياد الذي دسه بالمال إلى ابن عقيل وأصحابه، اختلف إلى مسلم بن عويجة أياما ليدخله على ابن عقيل، فأقبل به حتى أدخله عليه بعد موت شريك بن الأعور، فأخبره خبره كله، فأخذ ابن عقيل بيعته، وأمر أبا ثمامة الصائدي، فقبض ماله الذي جاء به- وهو الذي كان يقبض أموالهم، وما يعين به بعضهم بعضا، يشتري لهم السلاح، وكان به بصيرا، وكان من فرسان العرب ووجوه الشيعة- وأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم، فهو أول داخل وآخر خارج، يسمع أخبارهم، ويعلم أسرارهم، ثم ينطلق بها حتى يقرها في أذن ابن زياد قال: وكان هاني يغدو ويروح إلى عبيد الله، فلما نزل به مسلم انقطع من الاختلاف وتمارض، فجعل لا يخرج، فقال ابن زياد لجلسائه: ما لي لا أرى هائلا! فقالوا: هو شك، فقال: لو علمت بمرضه لعدته! قال أبو مخنف: فحدثني المجالد بن سعيد،

قَالَ: دَعَا عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ الْأَشْعَثِ وَأَسْمَاءَ بْنَ خَارِجَةَ.
قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عُقْبَةَ الْمُرَادِي أَنَّهُ بَعَثَ مَعَهُمَا عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ الزَّيْدِي.
قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: وَحَدَّثَنِي نُمَيْرُ بْنُ وَعْلَةَ، عَنْ أَبِي الْوَدَّاعِ، قَالَ: كَانَتْ رُوعَةُ أُخْتُ عَمْرُو بْنِ الْحَجَّاجِ تَحْتَ هَانِيَّ بْنِ عُرْوَةَ، وَهِيَ أُمُّ يَحْيَى
بْنَ هَانِيٍّ فَقَالَ لَهُمْ: مَا يَمْنَعُ هَانِيَّ بْنَ عُرْوَةَ مِنْ إِتْيَانِنَا؟ قَالُوا: مَا نَدْرِي أَصْلَحَكَ اللَّهُ!

وَإِنَّهُ لَيَتَشَكَّى، قَالَ: قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ قَدْ بَرَأَ، وَهُوَ يَجْلِسُ عَلَى بَابِ دَارِهِ، فَالْقَوَاهُ، فَرُوهَ الْإِدْعَ مَا عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَقِّ، فَإِنِّي لَا أَحِبُّ
أَنْ يَفْسُدَ عِنْدِي مِثْلُهُ مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَأَتُوهُ حَتَّى وَقَفُوا عَلَيْهِ عَشِيَّةً وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى بَابِهِ، فَقَالُوا: مَا يَمْنَعُكَ مِنْ لِقَاءِ الْأَمِيرِ، فَإِنَّهُ
قَدْ ذَكَرَكَ، وَقَدْ قَالَ: لَوْ أَعْلَمُ أَنَّهُ شَاكَ لَعَدْتُهُ؟ فَقَالَ لَهُمْ: الشُّكْوَى تَمْنَعُنِي، فَقَالُوا لَهُ: يَبْلُغُهُ أَنَّكَ تَجْلِسُ كُلَّ عَشِيَّةٍ عَلَى بَابِ دَارِكَ، وَقَدْ
اسْتَبْطَأَكَ، وَالْإِبْطَاءُ وَالْجَفَاءُ لَا يَحْتَمِلُهُ السُّلْطَانُ، أَقْسَمْنَا عَلَيْكَ لَمَّا رَكِبْتَ مَعَنَا! فِدَعَا بَنِيَابَهُ فَلَبَسَهَا، ثُمَّ دَعَا بِبَغْلَةٍ فَرَكَبَهَا حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ
الْقَصْرِ، كَانَ نَفْسُهُ أَحْسَنَ بَعْضِ الَّذِي كَانَ، فَقَالَ لِحَسَّانِ بْنِ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ: يَا بَنَ أَخِي، إِنِّي وَاللَّهِ لَهَذَا الرَّجُلِ لَخَائِفٌ، فَمَا تَرَى؟
قَالَ: أَيُّ عَمٍّ، وَاللَّهِ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكَ شَيْئًا، وَلَمْ تَجْعَلْ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا وَأَنْتَ بَرِيءٌ؟ وَزَعَمُوا أَنَّ أَسْمَاءَ لَمْ يَعْلَمْ فِي أَيِّ شَيْءٍ بَعَثَ إِلَيْهِ
عُبَيْدُ اللَّهِ، فَأَمَّا مُحَمَّدٌ فَقَدْ عَلِمَ بِهِ، فَدَخَلَ الْقَوْمُ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ، وَدَخَلَ مَعَهُمْ، فَلَمَّا طَلَعَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَتُنْكَ بِحَاجِنَ رَجُلَاهُ! وَقَدْ عَرَسَ
عُبَيْدُ اللَّهِ إِذْ ذَاكَ بِأَمِّ نَافِعِ ابْنَةِ عِمَارَةَ بْنِ عُقْبَةَ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ ابْنِ زِيَادٍ وَعِنْدَهُ شَرِيحُ الْقَاضِي التَّفْتِ نَحْوَهُ، فَقَالَ:

أُرِيدُ حَبَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي ... عَزِيرُكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مَرَادٍ

وَقَدْ كَانَ لَهُ أَوَّلُ مَا قَدَّمَ مَكْرَمًا مَلُطْفًا، فَقَالَ لَهُ هَانِيٌّ: وَمَا ذَاكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ؟ قَالَ: إِلَيْهِ يَا هَانِيٌّ بْنُ عُرْوَةَ! مَا هَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي تَرْبِصُ فِي
دَوْرِكَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَامَةِ الْمُسْلِمِينَ! جِئْتُ بِمُسْلِمٍ بِنَ عَقِيلٍ فَأَدْخَلْتَهُ دَارَكَ، وَجَمَعْتُ لَهُ السَّلَاحَ وَالرِّجَالُ فِي الدَّوْرِ حَوْلَكَ، وَظَنَنْتُ
أَنَّ ذَلِكَ يَخْفَى عَلَيَّ لَكَ! قَالَ: مَا فَعَلْتُ، وَمَا مَسْلَمٌ عِنْدِي، قَالَ: بَلَى قَدْ فَعَلْتُ، قَالَ: مَا فَعَلْتُ، قَالَ:

بَلَى، فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ بَيْنَهُمَا، وَأَبَى هَانِيٌّ إِلَّا بِمُجَاحَدَتِهِ وَمُنَازَعَتِهِ، دَعَا ابْنَ زِيَادٍ مَعْقِلًا ذَلِكَ الْعَيْنَ، لَجَاءَ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: أَتَعْرِفُ
هَذَا؟

قَالَ: نَعَمْ، وَعَلِمَ هَانِيٌّ عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ عَيْنًا عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُ قَدْ أَتَاهُ بِأَخْبَارِهِمْ،

فَسَقَطَ فِي خَلْدِهِ سَاعَةٌ ثُمَّ إِنَّ نَفْسَهُ رَاجَعَتْهُ، فَقَالَ لَهُ: أَسْمَعْ مِنِّي، وَصَدِّقْ مَقَالَتِي، فَوَاللَّهِ لَا أَكْذِبُكَ، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا دَعَوْتُهُ
إِلَى مَنْزِلِي، وَلَا عَلِمْتُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ، حَتَّى رَأَيْتُهُ جَالِسًا عَلَى بَابِي، فَسَأَلَنِي النَّزُولَ عَلَيَّ، فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَدِّهِ، وَدَخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ ذِمَامٌ،
فَأَدْخَلْتُهُ دَارِي وَضَفْتُهُ وَأَوَيْتُهُ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ الَّذِي بَلَغَكَ، فَإِنْ شِئْتَ أُعْطِيتَ الْآنَ مَوْثِقًا مَغْلُظًا وَمَا تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ إِلَّا أَبْغِيكَ سُوءًا،
وَإِنْ شِئْتَ أُعْطِيتُكَ رَهْنَةً تَكُونُ فِي يَدِكَ حَتَّى آتِيكَ، وَأَنْطَلِقُ إِلَيْهِ فَأَمْرُهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ دَارِي إِلَى حَيْثُ شَاءَ مِنَ الْأَرْضِ، فَأَخْرَجَ مِنْ
ذِمَامِهِ وَجَوَارِهِ، فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا تَفَارِقْنِي أَبَدًا حَتَّى تَأْتِيَنِي بِهِ، فَقَالَ: لَا، وَاللَّهِ لَا أَجِيئُكَ أَبَدًا، أَنَا أَجِيئُكَ بِضَيْفِي تَقْتُلُهُ! قَالَ: وَاللَّهِ
لَتَأْتِيَنِي بِهِ، قَالَ: وَاللَّهِ لَا آتِيكَ بِهِ.

فَلَمَّا كَثُرَ الْكَلَامُ بَيْنَهُمَا قَامَ مُسْلِمُ بْنُ عَمْرٍو الْبَاهِلِيُّ - وَلَيْسَ بِالْكَوْفَةِ شَامِي وَلَا بِصَرِي غَيْرِهِ - فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! خَلَنِي وَإِيَّاهُ حَتَّى
أَكْلَهُ، لَمَّا رَأَى لِحَاجَتِهِ وَتَأْيِيَهُ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ مُسْلِمًا، فَقَالَ لَهُنَا: قُمْ إِلَى هَاهُنَا حَتَّى أَكْلَهُكَ، فَقَامَ نَخْلًا بِهِ نَاحِيَةً مِنْ ابْنِ
زِيَادٍ، وَهَمَّا مِنْهُ عَلَى ذَلِكَ قَرِيبٌ حَيْثُ يَرَاهُمَا، إِذَا رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا سَمِعَ مَا يَقُولَانِ، وَإِذَا خَفَضَا خَفِيَ عَلَيْهِ مَا يَقُولَانِ، فَقَالَ لَهُ مُسْلِمٌ: يَا
هَانِيٌّ، إِنِّي أَشَدُّكَ اللَّهُ أَنْ تَقْتُلَ نَفْسَكَ، وَتَدْخُلَ الْبَلَاءُ عَلَى قَوْمِكَ وَعَشِيرَتِكَ! فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَنْفُسُ بَكَ عَنِ الْقَتْلِ، وَهُوَ يَرَى أَنَّ عَشِيرَتَهُ
سَتَحْرُكُ فِي شَأْنِهِ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ ابْنَ عَمِّ الْقَوْمِ، وَلَيْسُوا قَاتِلِيهِ وَلَا ضَائِرِيهِ، فَادْفَعْهُ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ بِذَلِكَ مَخْزَاةٌ وَلَا مَنْقِصَةٌ، إِنَّمَا
تَدْفَعُهُ إِلَى السُّلْطَانِ، قَالَ: بَلَى، وَاللَّهِ إِنْ عَلِيَ فِي ذَلِكَ لِلْخَزِيِّ وَالْعَارِ، أَنَا أَدْفَعُ جَارِي وَضَيْفِي وَأَنَا حَيٌّ صَحِيحٌ أَسْمَعُ وَأَرَى، شَدِيدُ السَّاعِدِ،
كَثِيرُ الْأَعْوَانِ! وَاللَّهِ لَوْ لَمْ أَكُنْ إِلَّا وَاحِدًا لَيْسَ لِي نَاصِرٌ لَمْ أَدْفَعْهُ حَتَّى أَمُوتَ دُونَهُ.

فأخذ يناشده وهو يقول: وَاللَّهِ لَا أَدْفَعُهُ إِلَيْهِ أَبَدًا، فسمع ابن زياد ذَلِكَ، فَقَالَ: أدنوه مني، فأدنوه منه، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَتَأْتِيَنِي بِهِ أَوْ لِأُضْرِبَنَّ عُنُقَكَ،

قَالَ: إِذَا تَكَثَّرَ الْبَارِقَةُ حَوْلَ دَارِكَ، فَقَالَ: والها عليك! أبا لبارقه تخوفني! وهو يظن أن عشيرته سيمنعونه، فَقَالَ ابن زياد: أدنوه مني، فأدني، فاستعرض وجهه بالقضيب، فلم يزل يضرب أنفه وجبينه وخده حَتَّى كَسَرَ أَنْفَهُ، وسيل الدماء عَلَى ثيابه، ونثر لحم خديه وجبينه عَلَى لحيته حَتَّى كَسَرَ الْقَضِيبَ، وضرب هانئ بيده إِلَى قائم سيف شرطي من تِلْكَ الرِّجَالِ، وجابذه الرجل ومنع، فقال عبيد الله: احروري سائر الْيَوْمِ! أحللت بنفسك، قَدْ حَلَّ لَنَا قَتْلُكَ، خذوه فألقوه فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الدَّارِ، وأغلقوا عَلَيْهِ بابه، واجعلوا عَلَيْهِ حرسًا، ففعل ذلك به، فقام إليه أسماء ابن خارجة فَقَالَ: أرسل غدر سائر الْيَوْمِ! أمرتنا أن نجيبك بالرجل حَتَّى إِذَا جِئْنَاكَ بِهِ وَأَدْخَلْنَاهُ عَلَيْكَ هَشَمْتَ وَجْهَهُ، وسيلت دمه عَلَى لحيته، وزعمت أنك تقتله! فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ: وانك لها هنا! فأمر بِهِ فلهز وتعتع بِهِ، ثُمَّ تَرَكَ خَبَسَ.

وأما مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ فَقَالَ: قَدْ رَضِينَا بِمَا رَأَى الْأَمِيرُ، لَنَا كَانَ أَمَ عَلَيْنَا، إِنَّمَا الْأَمِيرُ مُؤَدَّبٌ وَبَلَغَ عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ أَنَّ هَانئًا قَدْ قُتِلَ، فَأَقْبَلَ فِي مَذْجٍ حَتَّى أَحَاطَ بِالْقَصْرِ وَمَعَهُ جَمْعٌ عَظِيمٌ، ثُمَّ نَادَى: أَنَا عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ، هَذِهِ فِرْسَانٌ مَذْجٌ وَوُجُوهُهَا، لَمْ تَخْلَعْ طَاعَهُ، وَلَمْ تَفَارِقْ جَمَاعَةً، وَقَدْ بَلَغَهُمْ أَنَّ صَاحِبَهُمْ يَقْتُلُ، فَأَعْظَمُوا ذَلِكَ، فَقِيلَ لِعَبِيدِ اللَّهِ: هَذِهِ مَذْجٌ بِالْبَابِ، فَقَالَ لِشَرِيحِ الْقَاضِي: ادْخُلْ عَلَى صَاحِبِهِمْ فَانْظُرْ إِلَيْهِ، ثُمَّ اخْرُجْ فَأَعْلِمَهُمْ أَنَّهُ حَيٌّ لَمْ يَقْتُلْ، وَأَنْكَ قَدْ رَأَيْتَهُ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ شَرِيحٌ فَنَظَرَ إِلَيْهِ.

فَقَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي الصَّقْعَبُ بْنُ زُهَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شَرِيحٍ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَحْدُثُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ طَلْحَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى هَانئٍ، فَلَمَّا رَأَى قَالَ: يَا لِلَّهِ يَا لِلْمُسْلِمِينَ! اهلكت عشيرتي؟ فأين أهل الدين! وأين أهل المصر! تفادوا! يخلوني، وعدوهم وابن عدوهم! والدماء تسيل عَلَى لحيته، إِذْ سَمِعَ الرِّجَّةَ عَلَى بَابِ الْقَصْرِ، وَخَرَجَتْ وَاتَّبَعَنِي، فَقَالَ:

يَا شَرِيحُ، إِنِّي لِأُظَنُّهَا أَصَوَاتُ مَذْجٍ وَشِيعَتِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، إِنْ دَخَلَ عَلَيَّ عَشْرَةُ نَفَرٍ أَنْقَذُونِي، قَالَ: نَخَرَجْتَ إِلَيْهِمْ وَمَعِيَ حَمِيدُ بْنُ بَكِيرٍ الْأَحْمَرِيُّ - أَرْسَلَهُ مَعِيَ ابْنُ زِيَادٍ، وَكَانَ مِنْ شَرْطِهِ مِمَّنْ يَقُومُ عَلَى رَأْسِهِ - وَابْنُ اللَّهِ لَوْلَا مَكَانُهُ مَعِيَ لَكُنْتُ أَبْلَغْتُ أَصْحَابَهُ مَا أَمَرَنِي بِهِ، فَلَمَّا خَرَجْتَ إِلَيْهِمْ قُلْتَ:

إِنَّ الْأَمِيرَ لَمَّا بَلَغَهُ مَكَانُكُمْ وَمَقَالَتُكُمْ فِي صَاحِبِكُمْ أَمَرَنِي بِالْدُخُولِ إِلَيْهِ، فَأَتَيْتُهُ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَلْقَاكُمْ، وَأَنْ أَعْلِمَكُمْ أَنَّهُ حَيٌّ، وَأَنْ الَّذِي بَلَغَكُمْ مِنْ قَتْلِهِ كَانَ بَاطِلًا فَقَالَ عَمْرُو وَاصْحَابُهُ: فَمَا إِذْ لَمْ يَقْتُلْ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ انصرفوا.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي الْحَجَّاجُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَشْرِ الْهَمْدَانِيِّ، قَالَ: لَمَّا ضَرَبَ عُبَيْدُ اللَّهِ هَانئًا وَحَبَسَهُ خَشِيَ أَنْ يَثْبُتَ النَّاسُ بِهِ، فَخَرَجَ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَمَعَهُ أَشْرَافُ النَّاسِ وَشَرْطُهُ وَحَشَمُهُ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَاعْتَصِمُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ أَمْتِكُمْ، وَلَا تَخْتَلِفُوا وَلَا تَفْرُقُوا فَتَهْلِكُوا وَتَذَلُّوا وَتَقْتُلُوا وَتَجْفُوا وَتَحْرَمُوا، إِنْ أَخَاكَ مِنْ صَدَقِكَ، وَقَدْ أَعْذَرَ مِنْ أَنْذَرَ قَالَ: ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنْزِلَ، فَمِنْ نَزْلِ عَنِ الْمِنْبَرِ حَتَّى دَخَلَتِ النَّظَارَةُ الْمَسْجِدَ مِنْ قَبْلِ التَّمَارِينَ يَشْتَدُونَ وَيَقُولُونَ: قَدْ جَاءَ ابْنُ عَقِيلٍ! قَدْ جَاءَ ابْنُ عَقِيلٍ! فَدَخَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ الْقَصْرَ مُسْرِعًا، وَأَغْلَقَ أَبْوَابَهُ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ، قَالَ:

أَنَا وَاللَّهِ رَسُولُ ابْنِ عَقِيلٍ إِلَى الْقَصْرِ لِأَنْظُرَ إِلَى مَا صَارَ أَمْرُ هَانئٍ، قَالَ:

فَلَمَّا ضَرَبَ وَحَبَسَ رَكْبَتَ فَرَسِي وَكُنْتُ أَوَّلَ أَهْلِ الدَّارِ دَخَلَ عَلَى مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ بِالْخَبَرِ، وَإِذَا نِسْوَةٌ لِمُرَادِ مَجْتَمَعَاتٍ يَنَادِينَ: يَا عَثْرَتَاهُ! يَا ثَكْلَاهُ! فَدَخَلْتُ عَلَى مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ بِالْخَبَرِ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَنْادِيَ فِي أَصْحَابِهِ وَقَدْ مَلَأَ مِنْهُمْ الدَّوْرَ حَوْلَهُ، وَقَدْ بَايَعَهُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفًا، وَفِي الدَّوْرِ أَرْبَعَةَ أَلْفٍ رَجُلًا، فَقَالَ لِي:

نَادِ: يَا مَنْصُورُ أُمَّتٍ، فَنَادَيْتُ: يَا مَنْصُورُ أُمَّتٍ، وَتَنَادَى أَهْلُ الْكُوفَةِ

فاجتمعوا إِلَيْهِ، فَعَقَدَ مُسْلِمٌ لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَزِيزِ الْكَنْدِيِّ عَلَى رِيعِ كَنْدَةَ وَرَبِيعَةَ، وَقَالَ: سِرُّ أُمَامِي فِي الْخَلِيلِ، ثُمَّ عَقَدَ لِمُسْلِمِ بْنِ عَوْسَجَةَ الْأَسَدِيِّ عَلَى رِيعِ مَذْحَجٍ وَأَسَدٍ، وَقَالَ: أَنْزِلْ فِي الرِّجَالِ فَأَنْتَ عَلَيْهِمْ، وَعَقَدَ لِأَبِي ثَمَامَةَ الصَّائِدِيِّ عَلَى رِيعِ تَمِيمٍ وَهَمْدَانَ، وَعَقَدَ لِعَبَّاسِ بْنِ جَعْدَةَ الْجَدَلِيِّ عَلَى رِيعِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَ الْقَصْرِ، فَلَمَّا بَلَغَ ابْنُ زِيَادٍ إِقْبَالَهُ تَحَرَّزَ فِي الْقَصْرِ، وَغَلَقَ الْأَبْوَابَ قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَحَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَبَّاسِ الْجَدَلِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ ابْنِ عَقِيلٍ أَرْبَعَةَ آلَافٍ، فَمَا بَلَّغْنَا الْقَصْرَ إِلَّا وَنَحْنُ ثَلَاثُمِائَةٍ. قَالَ: وَأَقْبَلَ مُسْلِمٌ يَسِيرُ فِي النَّاسِ مِنْ مَرَادٍ حَتَّى أَحَاطَ بِالْقَصْرِ، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ تَدَاعَوْا إِلَيْنَا وَاجْتَمَعُوا، فَوَاللَّهِ مَا لَبِثْنَا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدَ مِنَ النَّاسِ وَالسُّوقَ، وَمَا زَالُوا يَثُوبُونَ حَتَّى الْمَسَاءَ، فَضَاقَ بِعَبِيدِ اللَّهِ ذَرْعُهُ، وَكَانَ كَبْرُ أَمْرِهِ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِبَابِ الْقَصْرِ، وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا ثَلَاثُونَ رَجُلًا مِنَ الشَّرْطِ وَعَشْرُونَ رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَمَوَالِيهِ، وَأَقْبَلَ أَشْرَافُ النَّاسِ يَأْتُونَ ابْنَ زِيَادٍ مِنْ قَبْلِ الْبَابِ الَّذِي يَلِي دَارَ الرُّومِيِّينَ، وَجَعَلَ مِنَ بِالْقَصْرِ مَعَ ابْنِ زِيَادٍ يَشْرَفُونَ عَلَيْهِمْ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ فَيَتَقُونَ أَنْ يَرْمَوْهُمْ بِالْحِجَارَةِ، وَأَنْ يَشْتَمُوهُمْ وَهُمْ لَا يَفْتَرُونَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ وَعَلَى أَبِيهِ وَدَعَا عُبَيْدُ اللَّهِ كَثِيرَ بْنَ شَهَابِ بْنِ الْحَصِينِ الْحَارِثِيِّ فَأَمْرُهُ أَنْ يُخْرِجَ فَيَمْنُ أَطَاعَهُ مِنْ مَذْحَجٍ، فَيَسِيرُ بِالْكُوفَةِ، وَيَخْذُلُ النَّاسَ عَنْ ابْنِ عَقِيلٍ وَيَخُوفُهُمُ الْحَرْبَ، وَيَحْذَرُهُمْ عَقُوبَةُ السُّلْطَانِ، وَأَمْرُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَشْعَثِ أَنْ يُخْرِجَ فَيَمْنُ أَطَاعَهُ مِنْ كَنْدَةَ وَحَضْرَمُوتَ، فَيَرْفَعُ رَايَةَ أَمَانَ لِمَنْ جَاءَهُ مِنَ النَّاسِ، وَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ لِلْقَعْقَاعِ بْنِ شُورٍ الذَّهْلِيِّ وَشَبْثَ بْنَ رَبِيعِ التَّمِيمِيِّ وَجَارَ بْنَ أَبَجْرِ الْعَجَلِيِّ وَشُمَرَ بْنَ ذِي الْجَوْشَنِ الْعَامِرِيِّ، وَحَبَسَ سَائِرَ وَجُوهِ النَّاسِ عِنْدَهُ اسْتِيحَاشًا إِلَيْهِمْ لِقَلَّةِ عَدَدٍ مِنْ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ، وَخَرَجَ كَثِيرُ بْنُ شَهَابٍ يَخْذُلُ النَّاسَ عَنْ ابْنِ عَقِيلٍ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي أَبُو جَنْبَابٍ الْكَلْبِيُّ أَنَّ كَثِيرًا أَلْفَى رَجُلًا مِنْ

كَلْبٍ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ يَزِيدَ، قَدْ لَبَسَ سِلَاحَهُ يَرِيدُ ابْنَ عَقِيلٍ فِي بَنِي فُتَيْانَ، فَأَخَذَهُ حَتَّى أَدْخَلَهُ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ، فَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُ، فَقَالَ لَابْنِ زِيَادٍ:

إِنَّمَا أَرَدْتُكَ، قَالَ: وَكُنْتُ وَعَدْتَنِي ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَأَمَرَ بِهِ فُحْبَسَ، وَخَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ حَتَّى وَقَفَ عِنْدَ دُورِ بَنِي عِمَارَةَ، وَجَاءَهُ عِمَارَةُ بْنُ صُلَيْخِ الْأَزْدِيِّ وَهُوَ يَرِيدُ ابْنَ عَقِيلٍ، عَلَيْهِ سِلَاحُهُ، فَأَخَذَهُ فَبَعَثَ بِهِ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ فُحْبَسَهُ، فَبَعَثَ ابْنَ عَقِيلٍ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ مِنَ الْمَسْجِدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شَرِيحِ الشَّبَامِيِّ، فَلَمَّا رَأَى مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ كَثْرَةَ مَنْ أَتَاهُ، أَخَذَ يَتَنَحَّى وَيَتَأَخَّرُ، وَأَرْسَلَ الْقَعْقَاعَ بْنَ شُورٍ الذَّهْلِيِّ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ: قَدْ جَلَّتْ عَلَى ابْنِ عَقِيلٍ مِنَ الْعَرَارِ، فَتَأَخَّرَ عَنْ مَوْقِفِهِ، فَأَقْبَلَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ مِنْ قَبْلِ دَارِ الرُّومِيِّينَ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ عِنْدَ عُبَيْدِ اللَّهِ كَثِيرُ بْنُ شَهَابٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْقَعْقَاعِ فَيَمْنُ أَطَاعَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، قَالَ لَهُ كَثِيرٌ - وَكَانُوا مَنَاصِحِينَ لِابْنِ زِيَادٍ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ! مَعَكَ فِي الْقَصْرِ نَاسٌ كَثِيرٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ وَمِنْ شَرَطِكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ وَمَوَالِيكَ، فَاخْرُجْ بِنَا إِلَيْهِمْ، فَأَبَى عُبَيْدُ اللَّهِ، وَعَقَدَ لَشَبْثَ بْنِ رَبِيعِ لُؤَاءَ، فَأَخْرَجَهُ، وَأَقَامَ النَّاسَ مَعَ ابْنِ عَقِيلٍ يَكْبُرُونَ وَيَثُوبُونَ حَتَّى الْمَسَاءَ، وَأَمْرُهُمْ شَدِيدٌ، فَبَعَثَ عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى الْأَشْرَافِ لِيَجْمَعَهُمْ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَشْرَفُوا عَلَى النَّاسِ فَانُوا أَهْلَ الطَّاعَةِ الزِّيَادَةَ وَالْكَرَامَةَ، وَخُوفُوا أَهْلَ الْمَعْصِيَةِ الْحَرَمَانَ وَالْعَقُوبَةَ، وَأَعْلَمُوهُمْ فَصُولَ الْجُنُودِ مِنَ الشَّامِ إِلَيْهِمْ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمِ الْكُثَيْرِيِّ مِنَ الْأَزْدِ، مِنْ بَنِي كَثِيرٍ، قَالَ: أَشْرَفَ عَلَيْنَا الْأَشْرَافُ، فَتَكَلَّمَ كَثِيرُ بْنُ شَهَابٍ أَوَّلَ النَّاسِ حَتَّى كَادَتْ الشَّمْسُ أَنْ تَجِبَ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، الْحَقُّوْا بِأَهَالِيكُمْ، وَلَا تَعْجَلُوا الشَّرَّ، وَلَا تَعْرِضُوا أَنْفُسَكُمْ لِلْقَتْلِ، فَإِنَّ هَذِهِ جُنُودَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ الْأَمِيرَ عَهْدًا:

لَنْ أَتِمَّتُمْ عَلَى حَرْبِهِ وَلَمْ تَنْصَرَفُوا مِنْ عَشِيَّتِكُمْ أَنْ يَحْرِمَ ذَرِيَّتَكُمْ الْعَطَاءَ، وَيَفْرُقَ مَقَاتِلَتَكُمْ فِي مَغَازِي أَهْلِ الشَّامِ عَلَى غَيْرِ طَمَعٍ، وَأَنْ يَأْخُذَ الْبَرِيُّ بِالسَّقِيمِ، وَالشَّاهِدُ بِالْغَائِبِ، حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُ فِيكُمْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ إِلَّا أَذَاقَهَا وَبَالَ مَا جَرَتْ أَيْدِيهَا، وَتَكَلَّمَ الْأَشْرَافُ بِنَحْوِ مِنْ كَلَامِ هَذَا، فَلَمَّا سَمِعَ مَقَاتِلَتَهُمُ النَّاسَ أَخَذُوا يَتَفَرَّقُونَ، وَأَخَذُوا يَنْصَرِفُونَ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي الْمُجَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ، أَنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ تَأْتِي ابْنَهَا أَوْ أَخَاهَا فَتَقُولُ: انصرف، الناس يكفونك، ويحيي الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول: غدا يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشر! انصرف فيذهب به، فما زالوا ينفرون ويتصدعون حتى أُمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفسا فلما رأى إنه قد أُمسى وليس معه إلا أولئك النفوس خرج متوجها نحو أبواب كندة، وبلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثم خرج من الباب وإذا ليس معه إنسان، والتفت فإذا هو لا يحس أحدا يدلّه على الطريق، ولا يدلّه على منزل ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدو، ففضى على وجهه يتلدد في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب! حتى خرج إلى دور بني جبلة من كندة، فمشى حتى انتهى إلى باب امرأة يقال لها طوعة- أم ولد كانت للأشعث بن قيس، فأعتقها، فتزوجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالا، وكان بلال، قد خرج مع الناس وأمه قائمة تنتظره- فسلم عليهما ابن عقيل، فردت عليه، فقال لها: يَا أُمّة الله، اسقيني ماء، فدخلت فسقته، فجلس وأدخلت الإناء، ثم خرجت فقالت: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَلَمْ تَشْرَبْ! قَالَ: بلى، قالت: فاذهب إلى أهلِكَ، فسكت، ثم عادت فقالت مثل ذلك، فسكت، ثم قالت له: في الله، سبحان الله يَا عَبْدَ اللَّهِ! فمر إلى أهلِكَ عافاك الله، فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي، ولا أحله لك، فقام فقال: يَا أُمّة الله، مَا لِي فِي هَذَا الْمَصْرِ مَنْزِلٌ وَلَا عَشِيرَةٌ، فهل لك إلى أجر ومعروف، ولعلي مكافئك به بعد اليوم! فقالت: يَا عَبْدَ اللَّهِ، وما ذاك؟ قَالَ:

أَنَا مُسْلِمٌ بَنَ عَقِيلٌ، كَذَبَنِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَغَرُونِي، قالت: أَنْتَ مُسْلِمٌ! قَالَ: نَعَمْ قالت: ادخل، فأدخلته بيتا في دارها غير البيت الذي تكون فيه، وفرشت له، وعرضت عليه العشاء فلم يتعش، ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فرآها تكثر الدخول في البيت والخروج منه، فقال: وَاللَّهِ إِنَّهُ

لِيرَبِّنِي كَثْرَةُ دُخُولِكَ هَذَا الْبَيْتِ مِنْذُ اللَّيْلَةِ وَخُرُوجِكَ مِنْهُ! إِنْ لَكَ لَشَأْنًا، قالت: يَا بَنِي، إله عن هذا، قَالَ لها: وَاللَّهِ لَتُخْبِرَنِي: قالت: أَقْبَلْ عَلَى شَأْنِكَ وَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ، فَأُلِحَّ عَلَيْهَا، فقالت: يَا بَنِي، لَا تَحْدِثْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بِمَا أَخْبَرْتُكَ بِهِ، وَأَخَذَتْ عَلَيْهِ الْإِيمَانَ، فحلف لها، فأخبرته، فاضطجع وسكت- وزعموا أنه قد كَانَ شَرِيدًا مِنَ النَّاسِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ يَشْرَبُ مَعَ أَصْحَابٍ لَهُ- وَلَمَّا طَالَ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ، وَأَخَذَ لَا يَسْمَعُ لِأَصْحَابِ ابْنِ عَقِيلٍ صَوْتًا كَمَا كَانَ يَسْمَعُهُ قَبْلَ ذَلِكَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: أَشْرَفُوا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ مِنْهُمْ أَحَدًا! فَأَشْرَفُوا فَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا، قَالَ: فَاَنْظُرُوا لَهُمْ تَحْتَ الظَّلَالِ قَدْ كُنُوا لَكُمْ، ففزعوا بحاج المسجد، وجعلوا يخفضون شعل النار في أيديهم، ثم ينظرون: هل في الظلال أحد؟ وكانت أحيانا تضيء لهم، وأحيانا لا تضيء لهم كما يريدون، فدلوا القناديل وأنصاف الطنان تشد بالحبال، ثم تجعل فيها النيران، ثم تدلى، حتى تنتهي إلى الأرض ففعلوا ذَلِكَ فِي أَقْصَى الظَّلَالِ وَأَدْنَاهَا وَأَوْسَطُهَا حَتَّى فَعَلُوا ذَلِكَ بِالظُّلَّةِ الَّتِي فِيهَا الْمَنْبَرُ، فَلَمَّا لَمْ يَرَوْا شَيْئًا أَعْلَمُوا ابْنَ زِيَادٍ، فَفَتَحَ بَابَ السِّدَّةِ الَّتِي فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ خَرَجَ فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ، وَخَرَجَ أَصْحَابُهُ مَعَهُ، فَأَمَرَهُمْ فجلسوا حوله قبيل العتمة، وأمر عمرو بن نافع فنادى: أَلَا بُرِئَ الذِّمَّةُ مِنْ رَجُلٍ مِنَ الشَّرْطَةِ وَالْعُرَفَاءِ أَوْ الْمَنَاقِبِ أَوْ الْمُقَاتِلَةِ صَلَّى الْعِتْمَةَ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا سَاعَةٌ حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ مِنَ النَّاسِ، ثُمَّ أَمَرَ مَنَادِيَهُ فَأَقَامَ الصَّلَاةَ، فَقَالَ الْحَصِينُ بْنُ تَمِيمٍ: إِنْ شِئْتُ صَلَّيْتُ بِالنَّاسِ، أَوْ يَصِلِي بِهِمْ غَيْرُكَ، وَدَخَلْتُ أَنْتَ فَصَلَّيْتُ فِي الْقَصْرِ، فَإِنِّي لَا أَمْنُ أَنْ يَغْتَالِكَ بَعْضُ أَعْدَائِكَ! فَقَالَ: مَرَّ حَرْسِي فَلْيَقُومُوا وَرَائِي كَمَا كُنُوا يَقِفُونَ، وَدَرِّفِيهِمْ فَإِنِّي لَسْتُ بِدَاخِلٍ إِذَا.

فصلي بالناس، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ابْنَ عَقِيلٍ السَّفِيهَ الْجَاهِلَ، قَدْ أَتَى مَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنَ الْخِلَافِ وَالشَّقَاقِ، فَبُرِئَ ذِمَّةُ اللَّهِ مِنْ رَجُلٍ وَجَدْنَاهُ فِي دَارِهِ، وَمَنْ جَاءَ بِهِ فَلَهُ دِيْنُهُ اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَالزَّمُوا طَاعَتَكُمْ وَبِيعَتَكُمْ، وَلَا تَجْعَلُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ سَبِيلًا يَا حَصِينُ

ابن تميم، ثكلتك أمك إن صاح باب سكة من سكك الكوفة، أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصدة على أفواه السكك، وأصبح غدا واستبر الدور وجس خلالها حتى تأتيني بهذا الرجل- وكان الحصين على شرطه، وهو

من بني تميم - ثُمَّ نزل ابن زياد فدخل وَقَدْ عقد لعمر بن حريث راية وأمره عَلَى الناس، فلما أصبح جلس مجلسه وأذن لِلنَّاسِ فدخلوا عَلَيْهِ، وَأَقْبَلَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ فَقَالَ: مرحبا بمن لا يستغش ولا يتهيم! ثُمَّ أَقْعَدَهُ إِلَى جنبه، وَأَصْبَحَ ابْنُ تَلَكَّ الْعَجُوزُ وَهُوَ بِلَالُ بْنُ أُسَيْدِ الدَّيْلِ آوَتْ أُمُّهُ ابْنَ عَقِيلٍ، فغدا إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ فَأَخْبَرَهُ بِمَكَانِ ابْنِ عَقِيلٍ عِنْدَ أُمِّهِ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَتَّى أَتَى أَبَاهُ وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ زِيَادٍ، فَسَارَهُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ: مَا قَالَ لَكَ؟

قَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَّ ابْنَ عَقِيلٍ فِي دَارٍ مِنْ دُورِنَا، فَنَخَسُ بِالْقَضِيبِ فِي جنبه ثُمَّ قَالَ: قم فَأْتِنِي بِهِ السَّاعَةَ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي قِدَامَةُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ زَائِدَةَ بْنِ قِدَامَةَ الثَّقَفِيِّ، أَنَّ ابْنَ الْأَشْعَثِ حِينَ قَامَ لِأَيَّتِهِ بِابْنِ عَقِيلٍ بَعَثَ إِلَى عَمْرِو بْنِ حَرِثٍ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ خَلِيفَتُهُ عَلَى النَّاسِ، أَنْ ابْعَثْ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ سَتِينَ أَوْ سَبْعِينَ رَجُلًا كُلَّهُمْ مِنْ قَيْسٍ - وَإِنَّمَا كَرِهَ أَنْ يَبْعَثَ مَعَهُ قَوْمَهُ لِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّ كُلَّ قَوْمٍ يَكْرَهُونَ أَنْ يَصَادَفَ فِيهِمْ مِثْلُ ابْنِ عَقِيلٍ - فَبَعَثَ مَعَهُ عَمْرُو بْنُ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسِ السَّلْمِيِّ فِي سَتِينَ أَوْ سَبْعِينَ مِنْ قَيْسٍ، حَتَّى أَتَوْا الدَّارَ الَّتِي فِيهَا ابْنُ عَقِيلٍ، فَلَمَّا سَمِعَ وَقَعَ حَوَافِرِ الْخَيْلِ وَأَصْوَاتِ الرِّجَالِ عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ أَتَى، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بِسَيْفِهِ، وَاقْتَحَمُوا عَلَيْهِ الدَّارَ، فَشَدَّ عَلَيْهِمْ يَضْرِبُهُمْ بِسَيْفِهِ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنَ الدَّارِ، ثُمَّ عَادُوا إِلَيْهِ، فَشَدَّ عَلَيْهِمْ كَذَلِكَ، فَاخْتَلَفَ هُوَ وَبُكَيْرُ بْنُ حَمْرَانَ الْأَحْمَرِيُّ ضَرْبَتَيْنِ، فَضْرَبَ بُكَيْرٌ فَمُسلمَ فَقَطَعَ شَفَتَهُ الْعُلْيَا، وَأَشْرَعَ السَّيْفُ فِي السَّفْلَى، وَنَصَلَتْ لَهَا ثَنِيَّتَاهُ، فَضْرَبَهُ مُسلمُ ضَرْبَةً فِي رَأْسِهِ مِنْكَرَةً، وَثَنَى بِأُخْرَى عَلَى حَبْلِ الْعَاتِقِ كَادَتْ تَطْلُعُ عَلَى جَوْفِهِ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ أَشْرَفُوا عَلَيْهِ مِنْ فَوْقِ ظَهْرِ الْبَيْتِ، فَأَخَذُوا يَرْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ، وَيَلْهَوْنَ النَّارَ فِي أَطْنَانَ الْقَصَبِ، ثُمَّ يَقْلِبُونَهَا عَلَيْهِ مِنْ فَوْقِ

الْبَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ خَرَجَ عَلَيْهِمْ مَصْلَتَا سَيْفِهِ فِي السَّكَةِ فَقَاتَلَهُمْ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ فَقَالَ: يَا فَتَى، لَكَ الْأَمَانُ، لَا تَقْتُلْ نَفْسَكَ، فَأَقْبَلَ يِقَاتِلُهُمْ، وَهُوَ يَقُولُ:

أَفْسَمْتُ لَا أَقْتُلُ إِلَّا حَرًا ... وَإِنْ رَأَيْتَ الْمَوْتَ شَيْئًا نَكَرًا

كُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا مَلَاقٍ شَرًا ... وَيَخْلُطُ الْبَارِدُ سَخْنًا مَرَا
رَدَّ شُعَاعُ الشَّمْسِ فَاسْتَقَرَّ ... أَخَافُ أَنْ أَكْذِبَ أَوْ أَغْرَا

فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ: إِنَّكَ لَا تَكْذِبُ وَلَا تَخْذَعُ وَلَا تَغْرُ، إِنَّ الْقَوْمَ بَنُو عَمِّكَ، وَلَيْسُوا بِقَاتِلِكَ وَلَا ضَارِبِكَ، وَقَدْ أَتَخَنَ بِالْحِجَارَةِ، وَعَجَزَ عَنِ الْقِتَالِ وَانْبَهَرَ، فَاسْتَدَّ ظَهْرَهُ إِلَى جَنْبِ تِلْكَ الدَّارِ، فَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ فَقَالَ: لَكَ الْأَمَانُ، فَقَالَ: آمَنَ أَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، وَقَالَ الْقَوْمُ:

أَنْتَ آمَنَ، غَيْرَ عَمْرُو بْنِ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسِ السَّلْمِيِّ فَإِنَّهُ قَالَ:

لَا نَاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلَا جَمْلَ، وَتَنْحَى.

وَقَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: أَمَا لَوْ لَمْ تُؤْمِنُونِي مَا وَضَعْتَ يَدِي فِي أَيْدِيكُمْ وَأَتَى بِبَغْلَةٍ فَحَمَلَ عَلَيْهَا، وَاجْتَمَعُوا حَوْلَهُ، وَانْتَزَعُوا سَيْفَهُ مِنْ عُنُقِهِ، فَكَانَهُ عِنْدَ ذَلِكَ آيَسٌ مِنْ نَفْسِهِ، فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ: أَرْجُوا لَا يَكُونُ عَلَيْكَ بَأْسٌ، قَالَ: مَا هُوَ إِلَّا الرَّجَاءُ، أَيْنَ أَمَانُكُمْ! إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! وَبَكَى، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: إِنْ مِنْ يَطْلُبُ مِثْلَ الَّذِي تَطْلُبُ إِذَا نَزَلَ بِهِ مِثْلَ الَّذِي نَزَلَ بِكَ لَمْ يَبْكْ، قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا لِنَفْسِي أَبْكِي، وَلَا لَهَا مِنَ الْقَتْلِ أَرْثِي، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَحِبْ لَهَا طَرْفَةَ عَيْنٍ تَلْفَا، وَلَكِنْ أَبْكِي لِأَهْلِ الْمَقْبَلِينَ إِلَيَّ، أَبْكِي لِحُسَيْنٍ وَآلِ حُسَيْنٍ! ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنِّي أَرَاكَ وَاللَّهِ سَتَعْجِزُ عَنْ أَمَانِي، فَهَلْ عِنْدَكَ خَيْرٌ! تَسْتَطِيعُ أَنْ تَبْعَثَ مِنْ عِنْدِكَ رَجُلًا عَلَى لِسَانِي يَبْلُغُ حُسَيْنًا، فَإِنِّي لَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ خَرَجَ إِلَيْكُمْ الْيَوْمَ مُقْبِلًا، أَوْ هُوَ خَرَجَ غَدًا هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ، وَإِنْ مَا تَرَى مِنْ جَزْعِي لَذَلِكَ،

فَيَقُولُ: إِنَّ ابْنَ عَقِيلٍ بَعَثَنِي إِلَيْكَ، وَهُوَ فِي أَيْدِي الْقَوْمِ أَسِيرٌ لَا يَرَى أَنْ تَمْشِيَ حَتَّى تَقْتُلَ، وَهُوَ يَقُولُ: ارْجِعْ بِأَهْلِ بَيْتِكَ، وَلَا يَغْرُكَ أَهْلُ الْكُوفَةِ فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ أَبِيكَ الَّذِي كَانَ يَتَنَّى فِرَاقَهُمْ بِالْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ، إِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ قَدْ كَذَبُوكَ وَكَذَّبُونِي، وَلَيْسَ لِمَكْذِبٍ رَأْيٌ،

فَقَالَ ابْنُ الْأَشْعَثِ: وَاللَّهِ لَأَفْعَلَنَّ، وَلَأَعْلَمَنَّ ابْنُ زِيَادٍ أَنِّي قَدْ أَمْتَكْتُكَ قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ حُذَيْفَةَ الطَّائِي- وَقَدْ عَرَفَ سَعِيدُ ابْنِ شَيْبَانَ الْحَدِيثَ- قَالَ: دَعَا مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ إِيَّاسَ بْنَ الْعَثَلِ الطَّائِيَّ مِنْ بَنِي مَالِكِ ابْنِ عَمْرٍو بْنِ ثَمَامَةَ، وَكَانَ شَاعِرًا، وَكَانَ مُحَمَّدٌ زَوَّارًا، فَقَالَ لَهُ: الْقَى حُسَيْنًا فَأَبْلَغَهُ هَذَا الْكِتَابَ، وَكَتَبَ فِيهِ الَّذِي أَمَرَهُ ابْنُ عَقِيلٍ، وَقَالَ لَهُ: هَذَا زَادُكَ وَجَهَارُكَ، وَمَتْعَةُ لَعِيَالِكَ، فَقَالَ: مَنْ أَيْنَ لِي بِرَاحِلَةٍ، فَإِنْ رَاحِلَتِي قَدْ أَنْضَيْتَهَا؟ قَالَ: هَذِهِ رَاحِلَةٌ فَارْكَبْهَا بِرَحْلِهَا ثُمَّ خَرَجَ فَاسْتَقْبَلَهُ بِزَبَالَةٍ لِأَرْبَعِ لَيَالٍ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، وَبَلَّغَهُ الرِّسَالَةَ، [فَقَالَ لَهُ حُسَيْنٌ: كُلْ مَا حَمَّ نَازِلٌ، وَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُ أَنْفُسَنَا وَفَسَادَ أَمْتِنَا] .

وَقَدْ كَانَ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ حَيْثُ تَحَوَّلَ إِلَى دَارِ هَانِئِ بْنِ عُرْوَةَ وَبَايَعَهُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفًا، قَدِمَ كِتَابًا إِلَى حُسَيْنٍ مَعَ عَبَّاسِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ الشَّكْرِيِّ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَقَدْ بَايَعَنِي مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفًا، فَجَعَلَ الْإِقْبَالَ حِينَ يَأْتِيكَ كِتَابِي، فَإِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ مَعَكَ، لَيْسَ لَهُمْ فِي آلِ مُعَاوِيَةَ رَأْيٌ وَلَا هَوًى، وَالسَّلَامُ.

وَأَقْبَلَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ ابْنَ عَقِيلٍ إِلَى بَابِ الْقَصْرِ، فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ، فَأَخْبَرَ عُبَيْدَ اللَّهِ خَبَرَ ابْنِ عَقِيلٍ وَضَرْبَ بَكِيرِ إِيَّاهُ، فَقَالَ: بَعْدًا لَهُ! فَأَخْبَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ بِمَا كَانَ مِنْهُ وَمَا كَانَ مِنْ أَمَانَةِ إِيَّاهُ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: مَا أَنْتَ وَالْأَمَانُ! كَأَنَّا أَرْسَلْنَاكَ تَوْمَنَةً! إِنَّمَا أَرْسَلْنَاكَ لِتَأْتِنَا بِهِ، فَسَكَتَ وَانْتَهَى ابْنُ عَقِيلٍ إِلَى بَابِ الْقَصْرِ وَهُوَ عَطْشَانٌ، وَعَلَى بَابِ الْقَصْرِ نَاسٌ جُلُوسٌ يَنْتَظِرُونَ الْإِذْنَ، مِنْهُمْ عِمَارَةُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَعَمْرُو بْنُ حَرِيثٍ، وَمُسْلِمُ بْنُ عَمْرٍو، وَكَثِيرُ بْنُ شِهَابٍ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي قَدَامَةُ بْنُ سَعْدٍ أَنَّ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ حِينَ انْتَهَى إِلَى بَابِ الْقَصْرِ إِذَا قَلَّةٌ بَارِدَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى الْبَابِ، فَقَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: اسْقُونِي مِنْ هَذَا الْمَاءِ، فَقَالَ لَهُ مُسْلِمُ بْنُ عَمْرٍو: أَتَرَاهَا مَا أَبْرَدَهَا! لَا وَاللَّهِ لَا تَذُوقُ مِنْهَا قَطْرَةً أَبَدًا حَتَّى تَذُوقَ الْحَمِيمَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ! قَالَ لَهُ ابْنُ عَقِيلٍ:

وَيَحْكُ! مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا ابْنُ مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ إِذَا أَنْكَرْتَهُ، وَنَصَحَ لِإِمَامِهِ إِذَا غَشِشْتَهُ، وَسَمِعَ وَأَطَاعَ إِذَا عَصَيْتَهُ وَخَالَفْتَهُ، أَنَا مُسْلِمُ بْنُ عَمْرٍو الْبَاهِلِيُّ، فَقَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: لَأَمْكُ الثَّكُلَ! مَا أَجْفَاكَ، وَمَا أَفْظَكَ، وَأَقْسَى قَلْبِكَ وَاعْلَظْكَ! أَنْتَ يَا بَنَ بَاهِلَةٍ أَوْلَى بِالْحَمِيمِ وَالْخُلُودِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ مِنِّي، ثُمَّ جَلَسَ مُتَسَانِدًا إِلَى حَائِطٍ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي قَدَامَةُ بْنُ سَعْدٍ أَنَّ عَمْرُو بْنَ حَرِيثٍ بَعَثَ غُلَامًا يَدْعَى سُلَيْمَانَ، فُجَاءَهُ بِمَاءٍ فِي قَلَّةٍ فَسَقَاهُ. قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ مَدْرِكُ بْنُ عِمَارَةَ، أَنَّ عِمَارَةَ بْنَ عُقْبَةَ بَعَثَ غُلَامًا لَهُ يَدْعَى قَيْسًا، فُجَاءَهُ بِقَلَّةٍ عَلَيْهَِا مَنَدِيلٌ وَمَعَهُ قَدَحٌ فَصَبَّ فِيهِ مَاءً، ثُمَّ سَقَاهُ، فَأَخَذَ كُلُّهُمَا شَرَبَ امْتِلَاءً الْقَدَحِ دَمًا، فَلَمَّا مَلَأَ الْقَدَحَ الْمَرَّةَ الثَّلَاثَةَ ذَهَبَ لِيَشْرَبَ فَسَقَطَتْ ثَنِيَّتَاهُ فِيهِ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ! لَوْ كَانَ لِي مِنَ الرِّزْقِ الْمَقْسُومِ شَرْبَتُهُ وَأَدْخَلَ مُسْلِمٌ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ فَلَمْ يَسْلَمْ عَلَيْهِ بِالْأَمْرَةِ، فَقَالَ لَهُ الْحَرْسِيُّ: أَلَا تَسْلَمُ عَلَى الْأَمِيرِ! فَقَالَ لَهُ: إِنْ كَانَ يُرِيدُ قَتْلِي فَمَا سَلَامِي عَلَيْهِ! وَإِنْ كَانَ لَا يُرِيدُ قَتْلِي فَلِعَمْرِي لِيَكْثُرَنَّ سَلَامِي عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ: لِعَمْرِي لَتَقْتُلَنَّ، قَالَ: كَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:

فَدَعَنِي أَوْصَ إِلَى بَعْضِ قَوْمِي، فَنَظَرْتُ إِلَى جُلَسَاءِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَفِيهِمْ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ، فَقَالَ: يَا عَمْرُ، إِنْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَرَابَةٌ، وَلِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ، وَقَدْ يَجِبُ لِي عَلَيْكَ نَجْحٌ حَاجَتِي، وَهُوَ سِرٌّ، فَأَبَى أَنْ يُمْكِنَهُ مِنْ ذِكْرِهَا، فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ:

لَا تَمْتَنِعْ أَنْ تَنْظُرَ فِي حَاجَةِ ابْنِ عَمِّكَ، فَقَامَ مَعَهُ فَجَلَسَ حَيْثُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ابْنُ زِيَادٍ، فَقَالَ لَهُ: إِنْ عَلِيَ بِالْكُوفَةِ دِينَا اسْتَدْنْتَهُ مِنْذُ قَدِمْتَ الْكُوفَةَ، سَبْعِمِائَةَ دِرْهَمٍ، فَاقْضِهَا عَنِّي، وَانْظُرْ جَثِي فَاسْتَوْهَبِهَا مِنْ ابْنِ زِيَادٍ، فَوَارَهَا، وَابْعَثْ إِلَى حُسَيْنٍ مَنْ يَرُدُّهُ، فَإِنِّي قَدْ كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَعْلَمُهُ أَنَّ النَّاسَ مَعَهُ، وَلَا

أَرَاهُ إِلَّا مُقْبِلًا، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ زِيَادٍ: أَتَدْرِي مَا قَالَ لِي؟ إِنَّهُ ذَكَرَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ: إِنَّهُ لَا يَخُونُكَ الْأَمِينُ، وَلَكِنْ قَدْ يُوْتَمَنُّ

الخائن، أما مالك فهو لك، ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت، وأما حسين فإنه إن لم يردنا لم نرده، وإن أردنا لم نكف عنه، وأما جثته فإننا لن نشفعك فيها، إنه ليس بأهل منا لذلك، قد جاهدنا وخالفنا، وجهد على هلاكنا.

وزعموا أنه قال: أما جثته فانا لا نبالي إذ قتلناه ما صنع بها ثم إن ابن زياد قال: ايه يا بن عقيل! أتيت الناس وأمرهم جميع، وكلمتهم واحدة، لتشتتهم، وتفرق كلمتهم، وتحمل بعضهم على بعض! قال: كلا، لست أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم، وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقىصر، فأتيانهم لأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب، قال: وما أنت وذاك يا فاسق! أو لم نكن نعمل بذاك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر! قال: أنا أشرب الخمر! والله إن الله ليعلم أنك غير صادق، وأنت قلت بغير علم، وأني لست كما ذكرت وإن أحق بشرب الخمر مني وأولى بها من يلغ في دماء المسلمين ولغا، فيقتل النفس التي حرم الله قتلها، ويقتل النفس بغير النفس، ويسفك الدم الحرام، ويقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً فقال له ابن زياد: يا فاسق، إن نفسك تمنيك ما حال الله دونه، ولم يرك أهله، قال: فمن أهله يا بن زياد؟ قال: أمير المؤمنين يزيد فقال: الحمد لله على كل حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم، قال:

كأنك تظن أن لكم في الأمر شيئاً! قال: والله ما هو بالظن، ولكنه اليقين، قال: قتلي الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام! قال: أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، أما إنك لا تدع سوء القتلة، وقبح المثلة، وخبث السيرة، ولؤم الغلبة، ولا أحد من الناس أحق بها منك وأقبل ابن سمية يشتمه ويشتم حسيناً وعلياً وعقيلاً، وأخذ مسلم لا يكلمه وزعم أهل العلم أن عبداً لله أمر له بماء فسقي بخزفة، ثم قال له: إنه لم يمنعنا أن نسقيك فيها إلا كراهة أن تحرم بالشرب فيها،

ثم نقتلك، ولذلك سقيناك في هذا، ثم قال: اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه، ثم اتبعوا جسده راسه، فقال: يا بن الأشعث، أما والله لولا أنك آمنتني ما استسلمت، قم بسيفك دوني فقد أخفرت ذمتك، ثم قال:

يا بن زياد، أما والله لو كانت بيني وبينك قرابة ما قتلتي، ثم قال ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف وعاتقه؟ فدعي، فقال:

اصعد فكن أنت الذي تضرب عنقه، فصعد به وهو يكبر ويستغفر ويصلي على ملائكة الله ورسله وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا وأذلونا وأشرف به على موضع الجزارين اليوم، فضربت عنقه، وأتبع جسده رأسه.

قال أبو مخنف: حدثني الصقعب بن زهير، عن عون بن أبي جحيفة قال: نزل الأحمري بكير بن حمران الذي قتل مسلماً، فقال له ابن زياد:

قتله؟ قال: نعم، قال: نعم، قال: فما كان يقول وأنتم تصعدون به؟ قال: كان يكبر ويسبح ويستغفر، فلما أدنيت له لأقتله قال: اللهم احكم بيننا وبين قوم كذبونا وغرونا وخذلونا وقتلونا، فقلت له: ادن مني، الحمد لله الذي أقادني منك، فضربته ضربة لم تغن شيئاً، فقال أما ترى في خدش تخدشني وفاء من دمك أيها العبد! فقال ابن زياد: أو نفرا عند الموت! قال: ثم ضربته الثانية فقتلته.

قال: وقام محمد بن الأشعث إلى عبداً لله بن زياد فكلمه في هاني بن عروة، وقال: إنك قد عرفت منزلة هاني بن عروة في مصر، وبيته في العشيرة، وقد علم قومه أنني وصاحبي سقناه إليك، فأشدك الله لما وهبته لي، فإني أكره عداوة قومه، هم أعز أهل مصر، وعدد أهل اليمن! قال: فوعده أن يفعل، فلما كان من أمر مسلم بن عقيل ما كان، بدا له فيه، وأبى أن يفني له بما قال.

قال: فامر بهاني بن عروة حين قتل مسلم بن عقيل فقال: اخرجوا إلى السوق فاضربوا عنقه، قال: فخرج بهاني حتى انتهى إلى مكان من

السوق كان يباع فيه الغنم وهو مكتوف، فجعل يقول: وا مدحج! ولا مدحج لي اليوم! وا مدحجاه، وأين مني مدحج! فلما رأى أن أحداً لا ينصره جذب يده فزرعها من الكثاف، ثم قال: أما من عصا أو سكين أو حجر أو عظم يجاحش به رجل عن نفسه! قال: ووثبوا

إِلَيْهِ فُشِدُوهُ وَثَاقًا، ثُمَّ قِيلَ لَهُ: امدد عنقك، فَقَالَ:

مَا أَنَا بِهَا بِمَجْدٍ سَخِي، وَمَا أَنَا بِمَعِينِكُمْ عَلَى نَفْسِي.

قَالَ: فَضْرِبَهُ مَوْلَى لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ - تَرْكِي يَقَالُ لَهُ رَشِيدٌ - بِالسَّيْفِ، فَلَمْ يَصْنَعْ سَيْفَهُ شَيْئًا، فَقَالَ هَانِي: إِلَى اللَّهِ الْمَعَادِ! اللَّهُمَّ إِلَى رَحْمَتِكَ وَرِضْوَانِكَ! ثُمَّ ضْرِبَهُ أُخْرَى فَقَتَلَهُ.

قَالَ: فَبَصُرَ بِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَصِينِ الْمُرَادِيُّ بِخَازِرٍ، وَهُوَ مَعَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، فَقَالَ النَّاسُ: هَذَا قَاتِلُ هَانِي بْنِ عُرْوَةَ، فَقَالَ ابْنُ الْحَصِينِ: قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْهُ أَوْ أَقْتُلْ دُونَهُ! فَحَمَلَ عَلَيْهِ بِالرَّحِمِ فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ ثُمَّ إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ لَمَّا قَتَلَ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ وَهَانِيَّ بْنَ عُرْوَةَ دَعَا بَعْدَ الْأَعْلَى الْكَلْبِيِّ الَّذِي كَانَ أَخَذَهُ كَثِيرُ بْنُ شَهَابٍ فِي بَنِي فُتَيْانٍ، فَأَتَى بِهِ، فَقَالَ لَهُ:

أَخْبَرَنِي بِأَمْرِكَ، فَقَالَ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ! خَرَجْتَ لِأَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ، فَأَخَذَنِي كَثِيرُ بْنُ شَهَابٍ، فَقَالَ لَهُ: فَعَلَيْكَ وَعَلَيْكَ، مِنْ الْإِيمَانِ الْمَغْلُظَةِ، إِنْ كَانَ أَخْرَجَكَ إِلَّا مَا زَعَمْتَ! فَأَبَى أَنْ يَحْلِفَ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: انْطَلِقُوا بِهَذَا إِلَى جَبَانَةِ السَّبِيْعِ فَاضْرِبُوا عَنْقَهُ بِهَا، قَالَ: فَانْطَلَقَ بِهِ فَضْرَبَتْ عَنْقَهُ، قَالَ: وَأَخْرَجَ عِمَارَةَ بْنَ صُلْخَبِ الْأَزْدِيِّ - وَكَانَ مِمَّنْ يَرِيدُ أَنْ يَأْتِيَ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ بِالنَّصْرَةِ لِيَنْصُرَهُ - فَأَتَى بِهِ أَيْضًا عُبَيْدَ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنَ الْأَزْدِ.

قَالَ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى قَوْمِهِ، فَضْرَبَتْ عَنْقَهُ فِيهِمْ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْأَسَدِيُّ فِي قَتْلَةِ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ وَهَانِيَّ بْنَ عُرْوَةَ الْمُرَادِي - وَيُقَالُ: قَالَهُ الْفَرَزْدَقُ:

أَنْ كُنْتُ لَا تَدْرِيْنَ مَا الْمَوْتُ فَانْظُرِي ... إِلَى هَانِيٍّ فِي السُّوقِ وَابْنِ عَقِيلٍ

إِلَى بَطْلٍ قَدْ هَشَمَ السَّيْفُ وَجْهَهُ ... وَآخِرِيْهَوِيْ مِنْ طَمَارٍ قَتِيلٍ

أَصَابَهُمَا أَمْرُ الْأَمِيرِ فَأَصْبَحَا ... أَحَادِيثُ مِنْ يَسْرِيْ بِكُلِّ سَبِيلٍ

تَرَى جَسَدًا قَدْ غَيَّرَ الْمَوْتُ لَوْنَهُ ... وَنَضَحَ دَمٌ قَدْ سَالَ كُلُّ مَسِيلٍ

فَتَى هُوَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيَّيَّةٍ ... وَأَقْطَعَ مِنْ ذِي شَفْرَتَيْنِ صَقِيلٍ

أَيْرُكِبُ أَسْمَاءُ الْهَمَالِيْجِ آمَنًا ... وَقَدْ طَلَبْتَهُ مَذْحِجٌ بِذُحُولٍ!

تَطْيِيفُ حَوَالِيهِ مُرَادٌ وَكُلُّهُمْ ... عَلَى رَقَبِهِ مِنْ سَائِلٍ وَمَسُولٍ

فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَثَارَوْا بِأَخِيْكُمْ ... فَكُونُوا بَغَايَا أَرْضِيْتِ بِقَلِيلٍ

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: عَنْ أَبِي جَنْبَابِ يَحْيَى بْنِ أَبِي حِيَةَ الْكَلْبِيِّ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ لَمَّا قَتَلَ مُسْلِمًا وَهَانِيًّا بَعَثَ بَرَاءَ وَسَهْمًا مَعَ هَانِيَّ بْنِ أَبِي حِيَةَ الْوَادِعِيِّ وَالزُّبَيْرِ بْنِ الْأُرُوحِ التَّمِيمِيِّ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَأَمَرَ كَاتِبَهُ عَمْرُو بْنُ نَافِعٍ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بِمَا كَانَ مِنْ مُسْلِمٍ وَهَانِيٍّ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ تَكَاثُفًا أَطَالَ فِيهِ - وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ أَطَالَ فِي الْكِتَابِ - فَلَمَّا نَظَرَ فِيهِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ كَرِهَهُ، وَقَالَ: مَا هَذَا التَّطْوِيلُ وَهَذِهِ الْفُضُولُ؟ أَكْتُبُ:

أَمَّا بَعْدُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخَذَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِحَقِّهِ، وَكَفَاهُ مَوْئِدَةً عُدُوهُ أَخْبَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْرَمَهُ اللَّهُ أَنْ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ لَجَأَ إِلَى دَارِ هَانِيَّ بْنِ عُرْوَةَ الْمُرَادِيِّ، وَأَنِّي جَعَلْتُ عَلَيْهِمَا الْعْيُونَ، وَدَسَسْتُ إِلَيْهِمَا الرِّجَالَ، وَكَدَّتُهُمَا حَتَّى اسْتَخْرَجْتُهُمَا، وَأَمَكَنَّ اللَّهُ مِنْهُمَا، فَقَدَمْتُهُمَا فَضْرَبْتُ أَعْنَاقَهُمَا، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بَرَاءَ وَسَهْمًا مَعَ هَانِيَّ بْنِ أَبِي حِيَةَ الْهَمْدَانِيِّ وَالزُّبَيْرِ بْنِ الْأُرُوحِ التَّمِيمِيِّ - وَهُمَا مِنْ أَهْلِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ - فَلْيَسْأَلْهُمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَمَّا أَحَبَّ مِنْ أَمْرِ، فَإِنَّ عِنْدَهُمَا عِلْمًا وَصَدَقًا، وَفَهْمًا وَوَرَعًا، وَالسَّلَامَ.

فَكُتِبَ إِلَيْهِ يَزِيدُ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ لَمْ تَعُدْ أَنْ كُنْتُ كَمَا أَحَبَّ، عَمِلْتَ عَمَلَ الْخَازِمِ، وَصَلْتَ صَوْلَةَ الشُّجَاعِ الرَّابِطِ الْجَاشِ، فَقَدْ أَغْنَيْتَ وَكَفَيْتَ، وَصَدَقْتَ ظَنِّي بِكَ، وَرَأَيْتُ فِيكَ، وَقَدْ دَعَوْتُ رَسُولِيكَ فَسَأَلْتُهُمَا، وَنَاجَيْتُهُمَا

فَوَجَدْتُهُمَا فِي رَأْيِهِمَا وَفَضْلِهِمَا كَمَا ذَكَرْتَ، فَاسْتَوْصَ بِهِمَا خَيْرًا، وَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ قَدْ تَوَجَّهَ نَحْوَ الْعِرَاقِ، فَضَعَّ الْمَنَاظِرَ

والمسالح، واحترس على الظن، وخذ على التهمة، غير الا تقتل إلا من قاتلك، واكتب إلي في كل ما يحدث من الخبر، والسلام عليك ورحمة الله.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي الصَّقْعَبُ بْنُ زُهَيْرٍ، عَنْ عُونَ بْنِ أَبِي جَحِيْفَةَ، قَالَ: كَانَ مَخْرَجُ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ بِالكُوفَةِ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ثَمَانِ لَيَالٍ مُضَيْنٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سِتِينَ - وَيُقَالُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِسَبْعِ مُضَيْنٍ سِتِينَ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ بَعْدَ مَخْرَجِ الْحُسَيْنِ مِنْ مَكَّةَ مُقْبِلًا إِلَى الْكُوفَةِ يَوْمًا - قَالَ: وَكَانَ مَخْرَجُ الْحُسَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ يَوْمَ الْأَحَدِ لِلْيَلَتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ رَجَبِ سِتِينَ، وَدَخَلَ مَكَّةَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ثَلَاثَ مُضَيْنٍ مِنْ شَعْبَانَ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ شَعْبَانَ وَشَهْرَ رَمَضَانَ وَشَوَالًا وَذَا الْقَعْدَةِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا ثَمَانِ مُضَيْنٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي خَرَجَ فِيهِ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ.

وَذَكَرَ هَارُونُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ عِيْسَى بْنِ يَزِيدَ، أَنَّ الْمُخْتَارَ بْنَ أَبِي عُبَيْدٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَارِثِ بْنَ نُوْفَلٍ كَانَا خَرَجَا مَعَ مُسْلِمٍ، خَرَجَ الْمُخْتَارُ بِرَايَةِ خُضْرَاءَ، وَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بِرَايَةِ حُمْرَاءَ، وَعَلَيْهِ ثِيَابُ حُمْرٍ، وَجَاءَ الْمُخْتَارُ بِرَايَتِهِ فَرَكَّهَا عَلَى بَابِ عَمْرٍو بْنِ حَرِثٍ، وَقَالَ: إِنَّمَا خَرَجْتُ لِأَمْنِ عَمْرٍو، وَإِنْ ابْنُ الْأَشْعَثِ وَالْقَعْقَاعُ بْنُ شُورٍ وَشُبَّانُ بْنُ رُبْعٍ قَاتَلُوا مُسْلِمًا وَأَصْحَابَهُ عَشِيَّةَ سَارِ مُسْلِمٍ إِلَى قَصْرِ ابْنِ زِيَادٍ قَتَلَا شَدِيدًا، وَأَنْ شُبَّانًا جَعَلَ يَقُولُ: انْتَظِرُوا بِهِمُ اللَّيْلَ يَتَفَرَّقُوا، فَقَالَ لَهُ الْقَعْقَاعُ: إِنَّكَ قَدْ سَدَدْتَ عَلَى النَّاسِ وَجْهَ مُصِيرِهِمْ، فَافْرَجْ لَهُمْ يَنْسَرِبُوا، وَإِنْ عُبَيْدُ اللَّهِ أَمَرَ أَنْ يُطْلَبَ الْمُخْتَارُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ، وَجَعَلَ فِيهِمَا جَعَلًا، فَاتَى بِهِمَا لُحْبَسَا.

٥٠٢٤٠١٣ ذكر مسير الحسين إلى الكوفة

ذكر مسير الحسين إلى الكوفة

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ خُرُوجُ الْحُسَيْنِ عَ مِنْ مَكَّةَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْكُوفَةِ.

ذَكَرَ الْخُبَرُ عَنْ مُسِيرِهِ إِلَيْهَا وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ فِي مُسِيرِهِ ذَلِكَ:

قَالَ هِشَامُ عَنْ أَبِي مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي الصَّقْعَبُ بْنُ زُهَيْرٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ الْخَزَوِيِّ، قَالَ: لَمَّا قَدِمْتُ كَتَبَ أَهْلُ الْعِرَاقِ إِلَى الْحُسَيْنِ وَتَبَيُّهُ لِلْمَسِيرِ إِلَى الْعِرَاقِ، أَتَيْتُهُ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ بِمَكَّةَ، فَحَمَدْتُ اللَّهَ وَأَثْنَيْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَتَيْتُكَ يَا بَنَ عَمِّ لِحَاجَةٍ أُرِيدُ ذِكْرَهَا لَكَ نَصِيحَةً، فَإِنْ كُنْتَ تَرَى أَنَّكَ تَسْتَنْصِحُنِي وَإِلَّا كَفَفْتُ عَمَّا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ، فَقَالَ: قُلْ، فَوَاللَّهِ مَا أَظُنُّكَ بِسَيِّئِ الرَّأْيِ، وَلَا هُوَ لِلْقَبِيحِ مِنَ الْأَمْرِ وَالْفِعْلِ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَرِيدُ الْمَسِيرَ إِلَى الْعِرَاقِ، وَإِنِّي مُشْفِقٌ عَلَيْكَ مِنْ مُسِيرِكَ، إِنَّكَ تَأْتِي بِلَدَا فِيهِ عَمَالُهُ وَأَمْرَاؤُهُ، وَمَعَهُمْ بِيُوتُ الْأَمْوَالِ، وَإِنَّمَا النَّاسُ عُبِيدٌ لِهَذَا الدَّرْهِمِ وَالْدِينَارِ، وَلَا آمَنَ عَلَيْكَ أَنْ يَقَاتِلَكَ مِنْ وَعْدِكَ نَصْرَهُ، وَمَنْ أَنْتَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِمَّنْ يَقَاتِلُكَ مَعَهُ، [فَقَالَ الْحُسَيْنُ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا يَا بَنَ عَمِّ، فَقَدْ وَاللَّهِ عَلِمْتُ أَنَّكَ مُشِيتٌ بِنَصِيحِي، وَتَكَلَّمْتُ بِعَقْلِ، وَمَهْمَا يَقْضُ مِنْ أَمْرٍ يَكُنْ، أَخَذْتُ بِرَأْيِكَ أَوْ تَرَكْتُهُ، فَأَنْتَ عِنْدِي أَحْمَدُ مُشِيرٍ، وَأَنْصَحُ نَاصِحًا].

قَالَ: فَانْصَرَفْتُ مِنْ عِنْدِهِ فَدَخَلْتُ عَلَى الْحَارِثِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ هِشَامٍ، فَسَأَلَنِي: هَلْ لَقِيتَ حُسَيْنًا؟ فَقُلْتُ لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا قَالَ لَكَ، وَمَا قُلْتَ لَهُ؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: قُلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَقَالَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ:

نَصَحْتُهُ وَرَبُّ الْمُرُوءَةِ الشُّبَّاءُ، أَمَّا وَرَبُّ الْبَنِيَّةِ إِنْ الرَّأْيِ لَمَّا رَأَيْتَهُ، قَبْلَهُ أَوْ تَرَكْتَهُ، ثُمَّ قَالَ: رَبُّ مُسْتَنْصَحٍ يَغْشَى وَيُرْدِي ... وَظَنَيْنِ بِالْغَيْبِ يَلْفِي نَصِيحًا

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ الْوَالِيزِيُّ، عَنْ عَقْبَةَ بْنِ سَمْعَانَ، أَنَّ حُسَيْنًا لَمَّا أَجْمَعَ الْمَسِيرَ إِلَى الْكُوفَةِ أَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: يَا بَنَ عَمِّ، إِنَّكَ قَدْ أَرْجَفَ النَّاسَ إِنَّكَ سَائِرٌ إِلَى الْعِرَاقِ، فَبَيْنَ لِي مَا أَنْتَ صَانِعٌ؟ قَالَ:

إِنِّي قَدْ أَجْمَعْتُ الْمَسِيرَ فِي أَحَدِ يَوْمِي هَذَيْنِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَإِنِّي أَعِيدُكَ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، أَخْبَرَنِي رَحِمَكَ اللَّهُ! أَتَسِيرُ إِلَى قَوْمٍ قَدْ قَتَلُوا أَمِيرَهُمْ، وَضَبَطُوا بِلَادَهُمْ، وَنَفَوْا عَدُوَّهُمْ؟ فَإِنْ كَانُوا قَدْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَسِرْ إِلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانُوا إِنَّمَا دَعَوْكَ إِلَيْهِمْ وَأَمِيرَهُمْ

عَلَيْهِمْ قَاهِرٌ لَهُمْ، وَعَمَالُهُ تَجِي بِلَادِهِمْ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا دَعَوْكَ إِلَى الْحَرْبِ وَالْقِتَالِ، وَلَا آمَنَ عَلَيْكَ أَنْ يَغْرُوكَ وَيَكْذِبُوكَ، وَيَخَالِفُوكَ وَيَخْذُلُوكَ، وَأَنْ يَسْتَنْفِرُوا إِلَيْكَ فَيَكُونُوا أَشَدَّ النَّاسِ عَلَيْكَ، [فَقَالَ لَهُ حُسَيْنٌ: وَإِنِّي أَسْتَخِيرُ اللَّهَ وَأَنْظُرُ مَا يَكُونُ] .

قَالَ: نَخْرُجُ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنْ عِنْدِهِ، وَأَتَاهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ لِحَدِيثِهِ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: مَا أَدْرِي مَا تَرَكْنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ وَكَفْنَا عَنْهُمْ، وَنَحْنُ أَبْنَاءُ الْمُهَاجِرِينَ، وَوَلَاةُ هَذَا الْأَمْرِ دُونَهُمْ! خَبَرْنِي مَا تَرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ؟ [فَقَالَ الْحُسَيْنُ: وَاللَّهِ لَقَدْ حَدَّثْتُ نَفْسِي بِإِتْيَانِ الْكُوفَةِ، وَلَقَدْ كَتَبْتُ إِلَيْ شِيعَتِي بِهَا وَأَشْرَافِ أَهْلِهَا، وَأَسْتَخِيرُ اللَّهَ،] فَقَالَ لَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ: أَمَا لَوْ كَانَ لِي بِهَا مِثْلُ شِيعَتِكَ مَا عَدَلْتُ بِهَا، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ خَشِيَ أَنْ يَتَهَمَهُ فَقَالَ: أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَقَمْتَ بِالْحِجَازِ ثُمَّ أَرَدْتَ هَذَا الْأَمْرَ هَاهُنَا مَا خُولِفَ عَلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ قَامَ نَخْرُجُ مِنْ عِنْدِهِ، [فَقَالَ الْحُسَيْنُ: هَا إِنْ هَذَا لَيْسَ شَيْءٌ يُوْتَاهُ مِنَ الدُّنْيَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ أَخْرَجَ مِنَ الْحِجَازِ إِلَى الْعِرَاقِ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ مَعِيَ شَيْءٌ، وَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْدِلُوهُ بِي، فَوَدَّ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا لِتَخْلُوَ لَهُ] .

قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعِشِيِّ أَوْ مِنَ الْغَدِ، أَتَى الْحُسَيْنُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ: يَا بَنَ عَمٍّ إِنِّي أَتَصَبَّرُ وَلَا أَصْبِرُ، إِنِّي أَتَخَوِّفُ عَلَيْكَ فِي هَذَا الْوَجْهِ الْهَلَاكَ وَالِاسْتِئْصَالَ، إِنْ أَهْلَ الْعِرَاقِ قَوْمٌ غَدَرُوا، فَلَا تَقْرَبُهُمْ، أَقِمْ بِهَذَا الْبَلَدِ فَإِنَّكَ سَيِّدُ أَهْلِ الْحِجَازِ، فَإِنْ كَانَ أَهْلُ الْعِرَاقِ يَرِيدُونَكَ كَمَا زَعَمُوا فَارْتَحِلْ إِلَيْهِمْ فَيَنْفِرُوا عَدُوَّهُمْ، ثُمَّ أَقْدَمَ عَلَيْهِمْ، فَإِنْ أَبَيْتَ إِلَّا أَنَّهُ تَخْرُجُ فَسِرْ إِلَى الْيَمَنِ

فَإِنْ بِهَا حَصُونًا وَشُعَابًا، وَهِيَ أَرْضٌ عَرِيضَةٌ طَوِيلَةٌ، وَلَأَيُّكَ بِهَا شِيعَةٌ، وَأَنْتَ عَنِ النَّاسِ فِي عَزَلَةٍ، فَتَكْتُبُ إِلَى النَّاسِ وَتُرْسِلُ، وَتَبْتَ دَعَاكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَأْتِيكَ عِنْدَ ذَلِكَ الَّذِي تَحِبُّ فِي عَافِيَةٍ، [فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: يَا بَنَ عَمٍّ، إِنِّي وَاللَّهِ لَأَعْلَمُ أَنَّكَ نَاصِحٌ مُشْفِقٌ، وَلَكِنِّي قَدْ أَزْمَعْتُ وَأَجْمَعْتُ عَلَى الْمَسِيرِ،] فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَإِنْ كُنْتَ سَائِرًا فَلَا تَسِرْ بِنِسَائِكَ وَصَبِيَّتِكَ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَخَائِفٌ أَنْ تَقْتُلَ كَمَا قَتَلَ عُثْمَانُ وَنِسَائُهُ وَوَلَدُهُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَقَدْ أَقْرَرْتُ عَيْنَ ابْنِ الزُّبَيْرِ بِتَخْلِيَّتِكَ إِيَّاهُ وَالْحِجَازَ وَالْخُرُوجَ مِنْهَا، وَهُوَ الْيَوْمَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ أَحَدٌ مَعَكَ، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَوْ أَعْلَمَ أَنَّكَ إِذَا أَخَذْتَ بِشَعْرِكَ وَنَاصِيَّتِكَ حَتَّى يَجْتَمَعَ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ النَّاسُ أَطْعَمَنِي لَفَعَلْتُ ذَلِكَ قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَرُبِعَ بَعْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: قَرَّتْ عَيْنُكَ يَا بَنَ الزُّبَيْرِ! ثُمَّ قَالَ: يَا لَكَ مِنْ قَبْرِهِ بِمَعْمَرٍ ... خَلَا لَكَ الْجَوْ فَبِضِي وَاصْفِرِي

وَنَقْرِي مَا شِئْتَ أَنْ تَنْقَرِي.

هَذَا حُسَيْنٌ يَخْرُجُ إِلَى الْعِرَاقِ، وَعَلَيْكَ بِالْحِجَازِ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: قَالَ أَبُو جَنْابٍ يَحْيَى بْنُ أَبِي حَيَّةٍ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَرْمَلَةَ الْأَسَدِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلِيمٍ وَالْمَذَرِيِّ بْنِ الْمَشْمَعْلِ الْأَسَدِيِّ قَالَا:

خَرَجْنَا حَاجِينَ مِنَ الْكُوفَةِ حَتَّى قَدَمْنَا مَكَّةَ، فَدَخَلْنَا يَوْمَ التَّرْوِيَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالْحُسَيْنِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَائِمِينَ عِنْدَ ارْتِفَاعِ الضُّحَى فِيمَا بَيْنَ الْحَجَرِ وَالْبَابِ، قَالَا: فَتَقَرَّبْنَا مِنْهُمَا، فَسَمِعْنَا ابْنَ الزُّبَيْرِ وَهُوَ يَقُولُ لِلْحُسَيْنِ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَقِيمَ أَقَمْتُ فَوَلِيتَ هَذَا الْأَمْرَ، فَآزَرْنَاكَ وَسَاعَدْنَاكَ، وَنَصَحْنَاكَ وَبَايَعْنَاكَ، [فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: إِنْ أَبِي حَدَّثَنِي أَنَّ بِهَا كِبْشًا يَسْتَحِلُّ حَرَمَتَهَا، فَمَا أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْكِبْشَ،] فَقَالَ لَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ: فَأَقِمْ إِنْ شِئْتَ وَتَوَلَّيْنِي أَنَا الْأَمْرَ فَتَطَاعَ وَلَا تَعْصِي، فَقَالَ: وَمَا أُرِيدُ هَذَا أَيُّضًا، قَالَا: ثُمَّ إِنَّهُمَا أَخْفَا

كَلَامَهُمَا دُونَنَا، فَمَا زَالَا يَتَنَاجِيَانِ حَتَّى سَمِعْنَا دَعَاءَ النَّاسِ رَاغِبِينَ مَتَوَجِّهِينَ إِلَى مَنَى عِنْدَ الظُّهْرِ، قَالَا: فَطَافَ الْحُسَيْنُ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصِّفَا وَالْمُرُوءَةِ، وَقَصَّ مِنْ شَعْرِهِ، وَحَلَّ مِنْ عَمْرَتِهِ، ثُمَّ تَوَجَّهَ نَحْوَ الْكُوفَةِ، وَتَوَجَّهْنَا نَحْوَ النَّاسِ إِلَى مَنَى.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَقِيصِي، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، [قَالَ:

سَمِعْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ وَهُوَ بِمَكَّةَ وَهُوَ وَقَفَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى يَا بَنَ فَاطِمَةَ، فَأَصْغَى إِلَيْهِ، فَسَارَهُ، قَالَ: ثُمَّ التَفْتُ إِلَيْنَا الْحُسَيْنُ فَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ ابْنُ الزُّبَيْرِ؟ فَقُلْنَا: لَا نَدْرِي، جَعَلَنَا اللَّهُ فِدَاكَ! فَقَالَ: قَالَ: أَقِمْ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ أَجْمَعْ لَكَ

الناس، ثُمَّ قَالَ الْحُسَيْنُ:

وَاللَّهِ لَأَنْ أَقْتُلَ خَارِجًا مِنْهَا بِشِيرِ أَحَبِّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَ دَاخِلًا مِنْهَا بِشِيرِ، وَإِيْمَ اللَّهِ لَوْ كُنْتُ فِي جَرِّ هَامَةِ مِنْ هَذِهِ الْهُوَامِ لَأَسْتَخْرِجُونِي حَتَّى يَقْضُوا فِي حَاجَتِهِمْ، وَوَاللَّهِ لَيَعْتَدُنَّ عَلَيَّ كَمَا اعْتَدَتْ الْيَهُودُ فِي السَّبْتِ] .

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ الْوَالِيزِيُّ، عَنْ عَقْبَةَ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: لَمَّا خَرَجَ الْحُسَيْنُ مِنْ مَكَّةَ اعْتَرَضَهُ رَسُلُ عَمْرٍو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، عَلَيْهِمُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، فَقَالُوا لَهُ: انْصَرَفْ، أَيْنَ تَذْهَبُ! فَأَبَى عَلَيْهِمْ وَمَضَى، وَتَدَافَعُ الْفَرِيقَانِ، فَاضْطَرَبُوا بِالسَّيَاطِ ثُمَّ إِنَّ الْحُسَيْنَ وَاصْحَابَهُ امْتَنَعُوا امْتِنَاعًا قَوِيًّا، وَمَضَى الْحُسَيْنُ عَلَى وَجْهِهِ، فَنادوه:

يَا حُسَيْنُ، أَلَا نَتَّقِي اللَّهَ! تَخْرُجُ مِنَ الْجَمَاعَةِ، وَتَفْرُقُ بَيْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ! [فَتَأُولُ حُسَيْنٍ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بِرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ»] .

قَالَ: ثُمَّ إِنَّ الْحُسَيْنَ أَقْبَلَ حَتَّى مَرَّ بِالتَّنْعِيمِ، فَلَقِيَ بِهَا عَيْرًا قَدْ أَقْبَلَ بِهَا مِنَ الْيَمَنِ، بَعَثَ بِهَا بِحَيْرِ بْنِ رَيْسَانَ الْحَمِيرِي إِلَى يَزِيدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، - وَكَانَ عَامِلُهُ عَلَى الْيَمَنِ - وَعَلَى الْعَمِيرِ الْوَرَسِ وَالْحَلَلِ يَنْطَلِقُ بِهَا إِلَى يَزِيدٍ

فَأَخَذَهَا الْحُسَيْنُ، فَانْطَلَقَ بِهَا، [ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِ الْإِبِلِ: لَا أَكْرَهُكُمْ، مِنْ أَحَبِّ أَنْ يَمْضِيَ مَعَنَا إِلَى الْعِرَاقِ أَوْفِينَا كِرَاءً وَأَحْسِنَا صَحْبَةً، وَمَنْ أَحَبُّ أَنْ يَفَارِقَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا أُعْطِيَنَاهُ مِنَ الْكِرَاءِ عَلَى قَدَرِ مَا قَطَعَ مِنَ الْأَرْضِ، قَالَ: فَمَنْ فَارَقَهُ مِنْهُمْ حَوْسَبَ فَأَوْفَى حَقَّهُ، وَمَنْ مَضَى مِنْهُمْ مَعَهُ أُعْطَاهُ كِرَاءً وَكِسَاهًا] .

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ، عَنْ أَبِي جَنَابٍ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَرْمَلَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلِيمٍ وَالْمَذَرِيِّ قَالَا: [أَقْبَلْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الصَّفَاحِ، فَلَقِينَا الْفَرَزْدَقَ بْنَ غَالِبٍ الشَّاعِرَ، فَوَاقَفَ حُسَيْنًا فَقَالَ لَهُ: أُعْطَاكَ اللَّهُ سُؤْلَكَ وَأَمْلَكَ فِيمَا تَحِبُّ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: بَيْنَ لَنَا نَبَأُ النَّاسِ خَلْفَكَ، فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ: مِنَ الْخَبِيرِ سَأَلْتُ، قُلُوبَ النَّاسِ مَعَكَ، وَسَيُفْهَمُ مَعَ بَنِي أُمَيَّةَ، وَالْقَضَاءُ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، * فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: صَدَقْتَ، لِلَّهِ الْأَمْرُ، وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَكُلُّ يَوْمٍ رَبَّنَا فِي شَأْنٍ، أَنْ نَزَلَ الْقَضَاءُ بِمَا نَحِبُ فَنَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى نِعَمَائِهِ، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ عَلَى أَدَاءِ الشُّكْرِ، وَإِنْ حَالَ الْقَضَاءُ دُونَ الرِّجَاءِ، فَلَمْ يَعْتَدِ مَنْ كَانَ الْحَقُّ نِيَّتَهُ، وَالتَّقْوَى سِرِيرَتَهُ، ثُمَّ حَرَّكَ الْحُسَيْنُ رَاكِلَتَهُ فَقَالَ:

السَّلَامُ عَلَيْكَ، ثُمَّ أَفْتَرَقَا] .

قَالَ هِشَامُ، عَنْ عَوَانَةَ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ لَبْطَةَ بْنِ الْفَرَزْدَقِ بْنِ غَالِبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: حَجَّجْتُ بِأُمِّي، فَأَنَا أُسُوقُ بِعَيْرِهَا حِينَ دَخَلْتُ الْحَرَمَ فِي أَيَّامِ الْحَجِّ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ سِتِينَ، إِذْ لَقِيتُ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ خَارِجًا مِنْ مَكَّةَ مَعَهُ أَسْيَافُهُ وَتِرَاسُهُ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَطَارُ؟ فَقِيلَ: لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا أَبَا أُمِّي يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ! مَا أَجْعَلُكَ عَنِ الْحَجِّ؟ فَقَالَ: لَوْ لَمْ أَجْعَلْ لَأَخَذْتُ، قَالَ: ثُمَّ سَأَلَنِي: مَنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ لَهُ: امْرُؤٌ مِنَ الْعِرَاقِ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا فَتَشَنِي عَنْ أَكْثَرِ مَنْ ذَلِكَ، وَاسْتَفْنَى بِهَا مِنِّي، [فَقَالَ:

أَخْبَرَنِي عَنْ النَّاسِ خَلْفَكَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: الْقُلُوبُ مَعَكَ، وَالسُّيُوفُ مَعَ بَنِي أُمَيَّةَ، وَالْقَضَاءُ بِيَدِ اللَّهِ، قَالَ: فَقَالَ لِي: صَدَقْتَ،] قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ أَشْيَاءَ، فَأَخْبَرَنِي بِهَا مِنْ نَذُورٍ وَمَنَاسِكَ، قَالَ: وَإِذَا هُوَ ثَقِيلُ اللِّسَانِ مِنْ

بِرْسَامِ أَصَابِهِ بِالْعِرَاقِ، قَالَ: ثُمَّ مَضَيْتُ إِذَا بِفُسْطَاطٍ مَضْرُوبٍ فِي الْحَرَمِ، وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ، فَأَتَيْتُهُ إِذَا هُوَ لَعِبَ اللَّهَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، فَسَأَلَنِي، فَأَخْبَرْتَهُ بِلِقَاءِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَقَالَ لِي: وَيْلَكَ! فَهَلَا اتَّبَعْتَهُ، فَوَاللَّهِ لَيَمْلِكُنَّ، وَلَا يَجُوزُ السَّلَاحُ فِيهِ وَلَا فِي أَصْحَابِهِ، قَالَ: فَهَمِمْتُ وَاللَّهِ أَنْ أَلْحِقَ بِهِ، وَوَقَعَ فِي قَلْبِي مَقَالَتُهُ، ثُمَّ ذَكَرْتُ الْأَنْبِيَاءَ وَقَتْلَهُمْ، فَصَدَّنِي ذَلِكَ عَنِ الْمُلَاقَاةِ بِهِمْ، فَقَدِمْتُ عَلَى أَهْلِ بَعْسَفَانَ، قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنِّي لَعَنَهُمْ إِذْ أَقْبَلْتُ عَيْرَ قَدْ امْتَارَتْ مِنَ الْكُوفَةِ، فَلَمَّا سَمِعْتُ بِهِمْ خَرَجْتُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى إِذَا أَسْمَعْتُهُمُ الصَّوْتَ وَجَلَّتْ عَنْ إِيْتَانِهِمْ صَرَخْتُ بِهِمْ: أَلَا مَا فَعَلَ الْحُسَيْنُ ابْنَ عَلِيٍّ؟ قَالَ: فَارْجِعُوا عَلَيَّ: أَلَا قَدْ قُتِلَ، قَالَ: فَانْصَرَفْتُ وَأَنَا أَلْعَنُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ

الْعَاصِ، قَالَ: وَكَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ يَقُولُونَ ذَلِكَ الْأَمْرَ، وَيَنْتَظِرُونَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو يَقُولُ: لَا تَبْلُغِ الشَّجَرَةَ وَلَا النَّخْلَةَ وَلَا الصَّغِيرَ حَتَّى يَظْهَرَ هَذَا الْأَمْرُ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَبِيعَ الْوَهْطَ؟ قَالَ: فَقَالَ لِي: لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى فُلَانٍ - يَعْنِي مُعَاوِيَةَ - وَعَلَيْكَ، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا، بَلْ عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ، قَالَ: فَزَادَنِي مِنَ اللَّعْنِ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنْ حَشْمِهِ أَحَدٌ فَأَلْقَى مِنْهُمْ شَرًّا، قَالَ: نَفَرَجْتُ وَهُوَ لَا يَعْرِفُنِي - وَالْوَهْطُ حَائِطٌ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بِالطَّائِفِ، قَالَ: وَكَانَ مُعَاوِيَةُ قَدْ سَاوَمَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، وَأَعْطَاهُ بِهِ مَالًا كَثِيرًا، فَأَبَى أَنْ يَبِيعَهُ بِشَيْءٍ - قَالَ: وَأَقْبَلَ الْحُسَيْنُ مَغْذًا لَا يُلَوِي عَلَى شَيْءٍ حَتَّى نَزَلَ ذَاتَ عَرَقٍ. قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ الْوَالِيزِيُّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: لَمَّا خَرَجْنَا مِنْ مَكَّةَ كَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ مَعَ ابْنِهِ: عَوْنٌ وَمُحَمَّدٌ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ لَمَّا انْصَرَفْتَ حِينَ تَنْتَظِرُ فِي كِتَابِي، فَإِنِّي مُشْفِقٌ عَلَيْكَ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي تُوْجَّهَ لَهُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ هَلَاكُكَ وَاسْتِئْصَالُ أَهْلِ بَيْتِكَ، إِنْ هَلَكْتَ الْيَوْمَ طَفَى نَوْرُ الْأَرْضِ، فَإِنَّكَ عِلْمُ الْمُهْتَدِينَ، وَرَجَاءُ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَا تَعْجَلْ بِالسَّيْرِ فَإِنِّي فِي أَثَرِ الْكِتَابِ، وَالسَّلَامُ.

قَالَ: وَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ إِلَى عَمْرٍو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَكَلَّمَهُ.

وَقَالَ: اكْتُبْ إِلَى الْحُسَيْنِ كِتَابًا تَجْعَلُ لَهُ فِيهِ الْأَمَانَ، وَتَمْنِيهِ فِيهِ الْبَرَّ وَالصَّلَاةَ، وَتَوَثَّقَ لَهُ فِي كِتَابِكَ، وَتَسْأَلَهُ الرَّجُوعَ لَعْلَهُ يَطْمَئِنُّ إِلَى ذَلِكَ فِيرْجِعَ، فَقَالَ عَمْرٍو بْنُ سَعِيدٍ: اكْتُبْ مَا شِئْتُ وَأَتْنِي بِهِ حَتَّى أَخْتَمَهُ، فَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ الْكِتَابَ، ثُمَّ أَتَى بِهِ عَمْرٍو بْنَ سَعِيدٍ فَقَالَ لَهُ: اخْتَمَهُ، وَابْعَثْ بِهِ مَعَ أَخِيكَ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ تَطْمَئِنُّ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ الْجَدُّ مِنْكَ، فَفَعَلَ، وَكَانَ عَمْرٍو بْنُ سَعِيدٍ عَامِلَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَلَى مَكَّةَ، قَالَ: فَلَحَقَهُ يَحْيَى وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، ثُمَّ انْصَرَفَا بَعْدَ أَنْ أَقْرَأَهُ يَحْيَى الْكِتَابَ، فَقَالَا: أَقْرَأَاهُ الْكِتَابَ، وَجَهَدْنَا بِهِ، وَكَانَ مِمَّا اعْتَذَرَ بِهِ إِلَيْنَا أَنْ قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ص، وَأَمَرْتُ فِيهَا بِأَمْرٍ أَنَا مَاضٍ لَهُ، عَلِيٌّ كَانَ أَوَّلِي، فَقَالَا لَهُ: فَمَا تِلْكَ الرُّؤْيَا؟ قَالَ: مَا حَدَّثْتُ أَحَدًا بِهَا، وَمَا أَنَا مُحَدِّثُ بِهَا حَتَّى أَلْقَى رَبِّي.

قَالَ: وَكَانَ كِتَابُ عَمْرٍو بْنِ سَعِيدٍ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عَمْرٍو بْنِ سَعِيدٍ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَصْرِفَكَ عَمَّا يُؤَبِّقُكَ، وَأَنْ يَهْدِيكَ لِمَا يَرْشُدُكَ، بَلْغَنِي أَنْكَ قَدْ تَوَجَّهْتَ إِلَى الْعِرَاقِ، وَإِنِّي أَعِيدُكَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّقَاقِ، فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ فِيهِ الْهَلَاكَ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ وَيَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ، فَأَقْبَلْ إِلَيَّ مَعَهُمَا، فَإِنَّ لَكَ عِنْدِي الْأَمَانَ وَالصَّلَاةَ وَالْبَرَّ وَحَسَنَ الْجَوَارِ لَكَ، اللَّهُ عَلِيٌّ بِذَلِكَ شَهِيدٌ وَكَفِيلٌ، وَمِرَاعٌ وَوَكِيلٌ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ.

قَالَ: وَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَمَلٍ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ دَعَوْتُ إِلَى الْأَمَانِ وَالْبَرِّ وَالصَّلَاةِ، نَفِيرَ الْأَمَانِ أَمَانَ اللَّهِ، وَلَنْ يُؤْمِنَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ لَمْ يَخْفَ فِي الدُّنْيَا، فَتَسْأَلُ اللَّهَ مَخَافَةً فِي الدُّنْيَا تَوْجِبَ لَنَا أَمَانَةً يَوْمَ

الْقِيَامَةِ، فَإِنْ كُنْتَ نَوَيْتَ بِالْكِتَابِ صَلَى وَبِرِي، فَخَزَيْتَ خَيْرًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالسَّلَامُ.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ عِمَارِ الدَّهْنِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ حَدَّثَنِي زَكْرِيَاءُ بْنُ يَحْيَى الضَّرِيرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ جَنَابٍ الْمَصِصِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ قَالَ: [حَدَّثَنَا عِمَارُ الدَّهْنِيِّ قَالَ:

قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ: حَدَّثَنِي عَنْ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ حَتَّى كَأَنِّي حَضَرْتُهُ، قَالَ: فَأَقْبَلَ حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بِكِتَابٍ مُسَلَّمٍ بَنَ عَقِيلَ كَانَ إِلَيْهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَادِسِيَّةِ ثَلَاثَةَ أَمْيَالٍ، لَقِيَهِ الْحَرُّ بْنُ يَزِيدَ التَّمِيمِيِّ، فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ تَرِيدُ؟

قَالَ: أُرِيدُ هَذَا الْمَصْرَ، قَالَ لَهُ: ارْجِعْ فَإِنِّي لَمْ أَدْعُ لَكَ خَلْفِي خَيْرًا أَرْجُوهُ، فَهَمُّ أَنْ يَرْجِعَ، وَكَانَ مَعَهُ إِخْوَةُ مُسَلَّمَ بْنِ عَقِيلَ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّى نَصِيبَ بَثْرَانًا أَوْ نَقْتَلَ، فَقَالَ: لَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَكُمْ! فَسَارَ فَلَقِيْتَهُ أَوَائِلَ خَيْلِ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَدَلَ إِلَى

كربلاء فأسند ظهره إلى قصباء وخلا كيلا يقاتل إلا من وجه واحد، فنزل وضرب أبنيته، وَكَانَ أَصْحَابَهُ خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ فَارْسًا وَمِائَةً رَاجِلًا، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ قَدْ وُلَاهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ الرِّيَّاءَ وَعَهْدَ إِلَيْهِ عَهْدُهُ فَقَالَ: اكْفِنِي هَذَا الرَّجُلَ، قَالَ: أَغْفِي، فَأَبَى أَنْ يَغْفِيَهُ، قَالَ: فَأَنْظِرْنِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْرَهُ، فَنَظَرَ فِي أَمْرِهِ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَيْهِ رَاضِيًا بِمَا أَمَرَ بِهِ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ، فَلَمَّا أَتَاهُ قَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: اخْتَرِ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تَدْعُوَنِي فَأَنْصَرَفَ مِنْ حَيْثُ جِئْتُ، وَإِمَّا أَنْ تَدْعُوَنِي فَأَذْهَبَ إِلَى يَزِيدٍ، وَإِمَّا أَنْ تَدْعُوَنِي فَأَلْحُقَ بِالثُّغُورِ، فَقَبِلَ ذَلِكَ عُمَرُ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُبَيْدُ اللَّهِ: لَا وَلَا كَرَامَةً حَتَّى يَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِي! [فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ أَبَدًا]، فَقَاتَلَهُ فَقَتَلَ أَصْحَابَ الْحُسَيْنِ كُلَّهُمْ، وَفِيهِمْ بَضْعَةُ عَشْرِ شَبَابٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَجَاءَ سَهْمٌ فَأَصَابَ ابْنًا لَهُ مَعَهُ فِي جِرْهِ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ احْكُم بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ دَعَوْنَا لِنُصْرِمَهُمْ فَقَتَلُونَا، ثُمَّ أَمَرَ بِجَبْرَةِ فَشَقَّقَهَا، ثُمَّ

لَبَسَهَا وَخَرَجَ بِسَيْفِهِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ صَ، قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْ مَذْحِجٍ وَحَزَّ رَأْسَهُ، وَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ وَقَالَ: أَوْقِرْ رِكَابِي فَضَّةً وَذَهَبًا ... فَقَدْ قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحْجَبَا

قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أَمَّا وَأَبَا ... وَخَيْرَهُمْ إِذْ يَنْسُبُونَ نَسْبًا

وَأَوْفَدَهُ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَمَعَهُ الرَّأْسُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعِنْدَهُ أَبُو بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيُّ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِالْقَضِيبِ عَلَى فِيهِ وَيَقُولُ: يَفْلُقُنْ هَامًا مِنْ رِجَالِ أَعْرَ ... عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعْتَقَ وَأَظْلَمَا

فَقَالَ لَهُ أَبُو بَرَزَةَ: ارْفَعْ قَضِيبَكَ، فَوَاللَّهِ لَرُبَّمَا رَأَيْتَ فَارِسًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَ عَلَى فِيهِ يَلْثَمُهُ! وَسَرَحَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ بِجِرْمِهِ وَعِيَالَهُ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ، وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَّا غُلَامٌ كَانَ مَرِيضًا مَعَ النِّسَاءِ، فَأَمَرَ بِهِ عُبَيْدُ اللَّهِ لِيُقْتَلَ، فَطَرَحَتْ زَيْنَبُ نَفْسَهَا عَلَيْهِ وَقَالَتْ:

وَاللَّهِ لَا يَقْتُلُ حَتَّى تَقْتُلُونِي! فَفَرَّقَ لَهَا، فَتَرَكَهَ وَكَفَّ عَنْهُ قَالَ: فَجَهَزَهُمْ وَحَمَلَهُمْ إِلَى يَزِيدٍ، فَلَمَّا قَدَمُوا عَلَيْهِ جَمَعَ مِنْ كَانَ بِحَضْرَتِهِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، ثُمَّ أَدْخَلُوهُمْ، فَهَنَئُوهُ بِالْفَتْحِ، قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَزْرَقَ أَحْمَرَ وَنَظَرَ إِلَى وَصِيفَةٍ مِنْ بَنَاتِهِمْ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَبْ لِي هَذِهِ، فَقَالَتْ زَيْنَبُ: لَا وَاللَّهِ وَلَا كَرَامَةً لَكَ وَلَا لَهُ إِلَّا أَنْ يُخْرِجَ مِنْ دِينِ اللَّهِ، قَالَ:

فَأَعَادَهَا الْأَزْرَقُ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدٌ: كَفَّ عَنْ هَذَا، ثُمَّ أَدْخَلَهُمْ عَلَى عِيَالِهِ، فَجَهَزَهُمْ وَحَمَلَهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا دَخَلُوهَا خَرَجَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ نَاشِرَةً شَعْرَهَا، وَاضِعَةً كَهْمَا عَلَى رَأْسِهَا تَلْقَاهُمَ وَهِيَ تَبْكِي وَتَقُولُ:

مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ ... مَاذَا فَعَلْتُمْ وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ!

بَعَثَنِي وَبِأَهْلِي بَعْدَ مَفْتَقْدِي ... مِنْهُمْ أَسَارَى وَقَتْلَى ضَرَجُوا بِدَمٍ

مَا كَانَ هَذَا جَزَائِي إِذْ نَصَحْتُ لَكُمْ ... أَنْ تَخْلَفُونِي بِسُوءٍ فِي ذَوِي رَحْمِي

[!]

حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ نَصْرِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو رَيْعَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّ الْحُسَيْنَ ع. وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمَّارٍ الرَّازِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبَادُ بْنُ الْعَوَّامِ قَالَ: حَدَّثَنَا حُصَيْنٌ، أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ ع. كَتَبَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْكُوفَةِ: إِنَّهُ مَعَكُمْ مِائَةُ أَلْفٍ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ، فَقَدِمَ الْكُوفَةَ، فَزَلَّ دَارَ هَانِيٍّ بْنِ عُرْوَةَ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ، فَأَخْبَرَ ابْنَ زِيَادٍ بِذَلِكَ زَادَ الْحُسَيْنُ بْنُ نَصْرِ فِي حَدِيثِهِ: فَأَرْسَلَ إِلَى هَانِيٍّ فَاتَاهُ، فَقَالَ: أَلَمْ أُوقِرْكَ! أَلَمْ أُكْرِمْكَ! أَلَمْ أَفْعَلْ بِكَ! قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَمَا جَزَاءُ ذَلِكَ؟

قَالَ: جَزَاؤُهُ أَنْ أَمْنَعَكَ، قَالَ: تَمْنَعْنِي! قَالَ: فَأَخَذَ قَضِييًّا مَكَانَهُ فَضْرَبَهُ بِهِ، وَأَمَرَ فَكُتِفَ ثُمَّ ضَرَبَ عُنُقَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ، فَخَرَجَ وَمَعَهُ نَاسٌ كَثِيرٌ، فَبَلَغَ ابْنَ زِيَادٍ ذَلِكَ، فَأَمَرَ بِبَابِ الْقَصْرِ فَأُغْلِقَ، وَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى: يَا خَيْلَ اللَّهِ أَرَكِبِي، فَلَا أَحَدٌ يُجِيبُهُ،

فَظَنَّ أَنَّهُ فِي مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ.

قَالَ حَصِينٌ: حَدَّثَنِي هَالِلُ بْنُ إِسَافٍ قَالَ: لَقِيتَهُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ مَسْجِدِ الْأَنْصَارِ، فَلَمْ يَكُونُوا يَمْرُونَ فِي طَرِيقٍ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا إِلَّا وَذَهَبَتْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ، الثَّلَاثُونَ وَالْأَرْبَعُونَ، وَنَحْوُ ذَلِكَ قَالَ: فَلَمَّا بَلَغَ السُّوقَ، وَهِيَ لَيْلَةٌ مَظْلَمَةٌ، وَدَخَلُوا الْمَسْجِدَ، قِيلَ لَابْنِ زِيَادٍ: وَاللَّهِ مَا نَرَى كَثِيرَ أَحَدٍ، وَلَا نَسْمَعُ أَصْوَاتَ كَثِيرٍ أَحَدٍ، فَأَمَرَ بِسَقْفِ الْمَسْجِدِ فَقُلِعَ، ثُمَّ أَمَرَ بِحِرَادِي فِيهَا النَّيْرَانَ، فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ، فَإِذَا قَرِيبَ خَمْسِينَ رَجُلًا.

قَالَ: فَنَزَلَ فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ وَقَالَ لِلنَّاسِ: تَمَيَّزُوا أَرْبَاعًا أَرْبَاعًا، فَانْطَلِقْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى رَأْسِ رِبْعِهِمْ، فَهَضْزِ إِلَيْهِمْ قَوْمٌ يَقَاتِلُونَهُمْ، فَفَرَّحَ مُسْلِمٌ جَرَاخَةً ثَقِيلَةً، وَقَتَلَ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ، وَانْهَزَمُوا، فَفَرَّجَ مُسْلِمٌ فَدَخَلَ دَارًا مِنْ دُورِ كَنْدَةَ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ وَهُوَ جَالِسٌ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ، فَسَارَهُ، فَقَالَ لَهُ: إِنْ مُسْلِمًا فِي دَارِ فُلَانٍ، فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ: مَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ:

إِنْ مُسْلِمًا فِي دَارِ فُلَانٍ، قَالَ ابْنُ زِيَادٍ لِرَجُلَيْنِ: انْطَلِقَا فَاتَيَانِي بِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ عِنْدَ امْرَأَةٍ قَدْ أَوْقَدَتْ لَهُ النَّارَ، فَهُوَ يَغْسِلُ عَنْهُ الدَّمَاءَ، فَقَالَ:

لَهُ: انْطَلِقْ، الْأَمِيرُ يَدْعُوكَ، فَقَالَ: اعْقِدَا لِي عَقْدًا، فَقَالَا: مَا نَمْلِكُ ذَلِكَ، فَانْطَلَقَ مَعَهُمَا حَتَّى أَتَاهُ فَأَمَرَ بِهِ فَكَتَفَ ثُمَّ قَالَ: هِيَ هِيَ يَا بَنَ خَلِيهِ - قَالَ الْحُسَيْنُ فِي حَدِيثِهِ: يَا بَنَ كَذَا - جِئْتَ لَتَنْزَعَ سُلْطَانِي! ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَضَرَبَتْ عُنُقَهُ قَالَ حَصِينٌ: حَدَّثَنِي هَالِلُ بْنُ إِسَافٍ أَنَّ ابْنَ زِيَادٍ أَمَرَ بِأَخْذِ مَا بَيْنَ وَاقِصَةِ إِلَى طَرِيقِ الشَّامِ إِلَى طَرِيقِ الْبَصْرَةِ، فَلَا يَدْعُونَ أَحَدًا يَلِجُ وَلَا أَحَدًا يَخْرُجُ، فَأَقْبَلَ الْحُسَيْنَ وَلَا يَشْعُرُ بِشَيْءٍ حَتَّى لَقِيَ الْأَعْرَابَ، فَسَأَلَهُمْ، فَقَالُوا:

لَا وَاللَّهِ مَا نَدْرِي، غَيْرَ أَنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَلِجَ وَلَا نَخْرُجَ، قَالَ: فَانْطَلِقْ يَسِيرْ نَحْوَ طَرِيقِ الشَّامِ نَحْوَ يَزِيدٍ، فَلَقِيْتَهُ الْخِيُولَ بِكَرْبَلَاءَ، فَنَزَلَ يَنَاشِدُهُمُ اللَّهُ وَالْإِسْلَامَ، قَالَ: وَكَانَ بَعَثَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ وَشَمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ وَحَصِينُ بْنُ نَعِيمٍ، فَنَاشَدَهُمُ الْحُسَيْنُ اللَّهُ وَالْإِسْلَامَ أَنْ يَسِيرُوهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَضَعُ يَدَهُ فِي يَدِهِ، فَقَالُوا: لَا، إِلَّا عَلَى حَكْمِ ابْنِ زِيَادٍ، وَكَانَ فِيمَنْ بَعَثَ إِلَيْهِ الْحَرَبُ بْنُ يَزِيدَ الْحَنْظَلِيَّ ثُمَّ النَّهْشَلِيَّ عَلَى خَيْلٍ، فَلَمَّا سَمِعَ مَا يَقُولُ الْحُسَيْنُ قَالَ لَهُمْ: أَلَا تَقْبَلُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ مَا يَعْرِضُونَ عَلَيْكُمْ! وَاللَّهِ لَوْ سَأَلَكُمْ هَذَا التَّرْكُ وَالِدَيْكُمْ مَا حَلَّ لَكُمْ أَنْ تَرُدُّوهُ! فَأَبَوْا إِلَّا عَلَى حَكْمِ ابْنِ زِيَادٍ، فَصَرَفَ الْحَرْجَ وَجْهَ فَرَسِهِ، وَانْطَلَقَ إِلَى الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ، فَظَنُّوا أَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ لِيَقَاتِلَهُمْ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ قَلْبَ تَرْسِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ كَرَّ عَلَى أَصْحَابِ ابْنِ زِيَادٍ فَقَاتَلَهُمْ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلَيْنِ، ثُمَّ قَتَلَ رَحِمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذَكَرَ أَنَّ زَهِيرَ بْنَ الْقَيْنِ الْبَجَلِيَّ لَقِيَ الْحُسَيْنَ وَكَانَ حَاجًا، فَأَقْبَلَ مَعَهُ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ ابْنُ أَبِي بَحْرِيَةَ الْمُرَادِيُّ وَرَجُلَانِ آخَرَانِ وَعُمَرُ بْنُ الْحَجَّاجِ وَمَعْنُ السُّلَمِيُّ، قَالَ الْحَصِينُ: وَقَدْ رَأَيْتُهُمَا.

قَالَ الْحَصِينُ: وَحَدَّثَنِي سَعْدُ بْنُ عُبَيْدَةَ، قَالَ: إِنْ أَشْيَاخًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لَوْ قُوفَ عَلَى التَّلِّ يَبْكُونَ وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ أَنْزِلْ نَصْرَكَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ، أَلَا تَنْزِلُونَ فَتَنْصُرُونَهُ! قَالَ: فَأَقْبَلَ الْحُسَيْنُ يَكْلُمُ مِنْ بَعَثَ إِلَيْهِ ابْنُ زِيَادٍ، قَالَ: وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ وَعَلَيْهِ جَبَّةٌ مِنْ بَرُودٍ، فَلَمَّا كَلَّمَهُمْ انْصَرَفَ، فَرَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يَقَالُ لَهُ: عُمَرُ الطُّهَوِيُّ بِسَهْمٍ، فَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى السَّهْمِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ مُتَعَلِّقًا فِي جَبَّتِهِ، فَلَمَّا أَبَا عَلَيْهِ رَجَعَ إِلَى مَصَافِهِ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِمْ،

وَأَنَّهُمْ لَقَرِيبٌ مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ، فِيمَهُمْ لَصْلَبٌ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ عَ خَمْسَةِ، وَمِنْ بَنِي هَاشِمٍ سِتَّةَ عَشَرَ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ حَلِيفٌ لَهُمْ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي كَنْانَةَ حَلِيفٌ لَهُمْ، وَابْنُ عُمَرَ بْنِ زِيَادٍ.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي سَعْدُ بْنُ عُبَيْدَةَ، قَالَ: إِنَّا لَمُسْتَنْقِعُونَ فِي الْمَاءِ مَعَ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَسَارَهُ وَقَالَ لَهُ: قَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ ابْنُ زِيَادٍ جَوِيرِيَّةً بَنَ بَدْرَ التِّيمِيِّ، وَأَمَرَهُ أَنْ لَمْ تَقَاتِلِ الْقَوْمَ أَنْ يَضْرِبَ عُنُقَكَ، قَالَ: فَوُثِبَ إِلَى فَرَسِهِ فَرَكِبَهُ، ثُمَّ دَعَا سِلَاحَهُ فَلَبَسَهُ، وَإِنَّهُ عَلَى فَرَسِهِ، فَهَضْزَ بِالنَّاسِ إِلَيْهِمْ فَقَاتَلُوهُمْ، فَجِيءَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ، فَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِقَضِييْبِهِ، وَيَقُولُ: إِنْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ قَدْ كَانَ شَمَطًا، قَالَ: وَجِيءَ بِنَسَائِهِ وَبَنَاتِهِ وَأَهْلِهِ، وَكَانَ أَحْسَنَ شَيْءٍ صَنَعَهُ أَنْ أَمَرَ لَهَا بِمَنْزِلٍ فِي مَكَانٍ مُعْتَزَلٍ، وَأَجْرَى عَلَيْهِمْ رِزْقًا، وَأَمَرَ

لهن بنفقة وكسوة قَالَ: فانطلق غلامان مِنْهُم لعبد الله بن جَعْفَر- أو ابن ابن جَعْفَر- فأتيا رجلا من طيئ فلجأ إِلَيْهِ، فضرب أعناقهما، وجاء برءوسهما حتَّى وضعهما بين يدي ابن زياد، قَالَ: فهم بضرب عنقه، وأمر بداره فهدمت.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي مولى معاوية بن أَبِي سُفْيَانَ قَالَ: لما أتى يزيد برأس الحُسَيْن فوضع بين يديه، قَالَ: رأيته يبكي، وَقَالَ: لو كَانَ بينه وبينه رحم مَا فعل هَذَا.

قَالَ حصين: فلما قتل الحُسَيْن لبثوا شهرين أو ثلاثة، كأَنما تلتطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتَّى ترتفع.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي العلاء بن أَبِي عاتة قَالَ: حَدَّثَنِي رَأْس الجالوت، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَا مررت بكرِلاء إِلَّا وأنا أركض دابتي حتَّى أخلف المكان، قَالَ: قلت: لم؟ قَالَ: كَمَا نتحدث أَن ولد نبي مقتول فِي ذَلِكَ المكان، قَالَ: وكنت أخاف أَن أكون أنا، فلما قتل الحُسَيْن قلنا: هَذَا الَّذِي كَمَا نتحدث قَالَ: وكنت بعد ذَلِكَ إِذَا مررت بِذَلِكَ المكان أسير وَلَا أركض.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قال: حدثني علي بن محمد،

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الضَّبْعِيِّ قَالَ: [قَالَ الحُسَيْنُ: وَاللَّهِ لَا يَدْعُونِي حتَّى يَسْتَخْرِجُوا هَذِهِ الْعَلَقَةَ مِنْ جَوْفِي، فَإِذَا فَعَلُوا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَن يُذَلِّمُهُمْ حتَّى يَكُونُوا أَذَلَّ مَن فَرَمَ الْإِمَامَ،] فقدم للعراق فقتل بِنينوى يَوْمَ عَاشُورَاءَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ.

قَالَ الْحَارِثُ: قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ:

قتل الحُسَيْنُ بن علي ع فِي صَفَرِ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَهُوَ يَوْمُ مَثَدِ ابْنِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ.

حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَفْلَحُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ ابْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ، قَالَ الْحَارِثُ:

حدثنا ابن سعد، قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ، قَالَ: قتل الحُسَيْنُ لعشر خلون من المحرم قَالَ الْوَاقِدِيُّ: هَذَا أَثْبَت.

قَالَ الْحَارِثُ: قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قال: أَخْبَرَنَا عطاء ابن مسلم، عمن أَخْبَرَهُ، عَنْ عاصم بن أَبِي النجود، عَنْ زُرِّ بْنِ حَبِيشٍ، قَالَ: أول رَأْسَ رَفَعَ عَلَى خَشْبَةٍ، رَأْسَ الحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رُوحِهِ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: عَنْ هِشَامِ بْنِ الْوَلِيدِ، عمن شهد ذَلِكَ، قال: أقبل الحسين ابن علي باهله من مكة ومحمد بن الحنفية بِالْمَدِينَةِ، قَالَ: فبلغه خبره وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فِي طُسْتٍ، قَالَ: فبَكَى حتَّى سَمِعْتَ وَكف دموعه فِي الطُستِ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي يونس بن أَبِي إِسْحَاقَ السَّيِّعِي، قَالَ: ولما بلغ عبيدُ اللَّهِ إقبالَ الحُسَيْنِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْكُوفَةِ، بعث الحصين بن تميم صاحب شرطه حتَّى نزل القادسية ونظم الخليل مَا بين القادسية إِلَى خَفَانَ، وما بين القادسية إِلَى القطقانة وَإِلَى لُلع، وَقَالَ الناس:

هَذَا الحُسَيْنُ يريد العراق.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ قَيْسٍ أَن الحُسَيْنَ أَقْبَلَ حتَّى إِذَا بلغ الحاجر من بطن الرمة بعث قيس بن مسهر الصيداوي إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، وكتب معه إِلَيْهِم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، من الحُسَيْنِ بن علي إِلَى إِخْوَانِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، سلام عَلَيْكُمْ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِن كُتِبَ مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فِيهِ بحسن رأيكم، واجتماع ملئكم عَلَى نصرنا، والطلب بحقنا، فسألت الله أَن يحسن لنا الصنع، وَأَن يثيبكم عَلَى ذَلِكَ أعظم الأجر، وَقَدْ شَخَّصْتُ إِلَيْكُمْ مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ثَمَانِ مَضِينَ من ذِي الْحِجَّةِ يَوْمَ التَّروِيَةِ، فَإِذَا قدم عليكم رسولي فاكشوا امركم ووجدوا، فَإِنِّي قادم عَلَيْكُمْ فِي أَيَّامِي هَذِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، والسلام عَلَيْكُمْ وَرحمة الله وبركاته.

وكان مسلم ابن عقيل قد كَانَ كتب إِلَى الحُسَيْنِ قبل أَن يقتل لسبع وعشرين ليلة: أَمَّا بَعْدُ، فَإِن الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، إِن جمع أَهْلُ الْكُوفَةِ معك، فأقبل حين تقرأ كتابي، والسلام عَلَيْكَ.

قَالَ: فأقبل الحُسَيْنُ بالصبيان والنساء معه لَا يلوي عَلَى شَيْءٍ، وأقبل قيس بن مسهر الصيداوي إِلَى الْكُوفَةِ بِكُتَابِ الحُسَيْنِ، حتَّى إِذَا

انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن تميم فبعث به إلى عبيد الله بن زياد، فقال له عبيد الله: اصعد إلى القصر فسب الكذاب ابن الكذاب، فصعد ثم قال: أيها الناس، إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله، ابن فاطمة بنت رسول الله، وأنا رسوله إليكم، وقد فارقت به بالحجر، فأجيبوه، ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه، واستغفر لعلي بن أبي طالب قال: فامر به عبيد الله ابن زياد أن يرمى به من فوق القصر، فرمي به، فتقطع فمات ثم أقبل الحسين سيرا إلى الكوفة، فانتفى إلى ماء من مياه العرب، فإذا عليه عبد الله بن مطيع العدو، وهو نازل هاهنا، فلما رأى الحسين قام إليه، فقال: بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله! ما أقدمك! واحتمله فأنزله، [فقال له الحسين: كان من موت معاوية ما قد بلغك، فكتب إلي أهل العراق يدعونني إلى أنفسهم،] فقال له عبد الله بن مطيع: اذكرك الله يا بن رسول الله وحرمة الإسلام أن تنتهك! أنشدك الله في حرمة رسول الله ص! أنشدك الله في حرمة العرب! فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحدا أبدا والله إنها لحرمة الإسلام تنتهك، وحرمة قريش

وحرمة العرب، فلا تفعل، ولا تأت الكوفة، ولا تعرض لبني أمية، قال: فأبى إلا أن يمضي، قال: فاقبل الحسين حتى كان بالماء فوق

زروذ. قال أبو مخنف: حدثني السدي، عن رجل من بني فزارة قال: لما كان زمن الحجاج بن يوسف كذا في دار الحارث بن أبي ربيعة التي في التمارين، التي أقطعت بعد زهير بن القين، من بني عمرو بن يشكر من بجملة، وكان أهل الشام لا يدخلونها، فكانا مختبئين فيها، قال: فقلت للفراري:

حدثني عنكم حين أقبلتم مع الحسين بن علي، قال: كنا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل، فإذا سار الحسين تخلف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين تقدم زهير، حتى نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بدا من أن ننازله فيه، فنزل الحسين في جانب، ونزلنا في جانب، فبينما نحن جلوس نتغدى من طعام لنا، إذ أقبل رسول الحسين حتى سلم، ثم دخل فقال: يا زهير بن القين، إن أبا عبد الله الحسين بن علي بعثني إليك لتأتيه، قال: فطرح كل إنسان ما في يده حتى كأننا على رؤوسنا الطير.

قال أبو مخنف: حدثني دهم بنت عمرو امرأة زهير بن القين، قالت: فقلت له: أبعث إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه! سبحان الله! لو أتيتهم فسمعت من كلامه! ثم انصرفت، قالت: فأتاه زهير بن القين، فابلث أن جاء مستبشرا قد أسفر وجهه، قالت: فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقدم، وحمل إلى الحسين، ثم قال لامرأته: أنت طالق، الحق بأهلك، فإني لا أحب أن يصيبك من سببي إلا خيرا، ثم قال لأصحابه: من أحب منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد، إني سأحدثكم حديثا، غزونا بطنجر، ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الباهلي: أفرحتم بما فتح الله عليكم، وأصبتم من الغنائم! فقلنا: نعم، فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمد فكونوا أشد فرحا بقتالكم معهم منكم بما أصبتم من الغنائم، فأما

أنا فإني أستودعكم الله، قال: ثم والله ما زال في أول القوم حتى قتل.

قال أبو مخنف: حدثني أبو جناب الكلبي، عن عدي بن حرملة الأسدي، عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين قالا: لما قضينا حجة لم يكن لنا همة إلا اللحاق بالحسين في الطريق لننظر ما يكون من أمره وشأنه، فأقبلنا ترقل بنا ناقتان مسرعين حتى لحقناه بزروذ، فلما دنونا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين، قالا: فوقف الحسين كأنه يريد، ثم تركه، ومضى ومضينا نحوه، فقال أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا فلنسأله، فإن كان عنده خبر الكوفة علمناه، فمضينا حتى انتهينا إليه، فقلنا: السلام عليك، قال: وعليكم السلام ورحمة الله، ثم قلنا: فمن الرجل؟ قال: أسدي: فقلنا: فنحن أسديان فمن أنت؟ قال: أنا بكير بن المثعبة، فانتسبنا له، ثم قلنا: أخبرنا عن الناس وراءك، قال: نعم، لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، فرأيتهما يجران بأرجلهما في السوق، قالا: فأقبلنا حتى لحقنا بالحسين، فسايرناه حتى نزل الثعلبية ممسيا، فجئناه حين نزل،

فسلمنا عليه فرد علينا، فقلنا له: يرحمك الله، إن عندنا خبراً، فإن شئت حدثنا علانية، وإن شئت سرا، [قال: فنظر إلى أصحابه وقال: ما دون هؤلاء سر،] فقلنا له: رأيت الراكب الذي استقبلك عشاء أمس؟ قال: نعم، وقد أردت مسألته، فقلنا: قد استبرأنا لك خبره، وكفيناك مسألته، وهو امرؤ من أسد منا، ذو رأي وصدق، وفضل وعقل، وإنه حدثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، وحتى رآهما يجران في السوق بأرجلهما، [فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! رحمة الله عليهما، فردد ذلك مراراً،] فقلنا: نشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوف أن تكون عليك! قال: فوثب عند ذلك بنو عقيل بن أبي طالب.

قال أبو مخنف: حدثني عمر بن خالد، عن زيد بن علي بن حسين، وعن داود بن علي بن عبد الله بن عباس، أن بني عقيل قالوا: لا والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا، أو نذوق ما ذاق أخونا

قال أبو مخنف: عن أبي جناب الكلبي، عن عدي بن حرمة، [عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشعل الأسديين، قالوا: فنظر إلينا الحسين فقال: لا خير في العيش بعد هؤلاء،] قالوا: فعلنا أنه قد عزم له رأيه على المسير، قالوا: فقلنا: خار الله لك! قالوا: فقال: رحمكم الله! قالوا:

فقال له بعض أصحابه: إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع، [قال الأسديان: ثم انتظر حتى إذا كان السحر قال لفتياناه وغلماؤه: أكثروا من الماء فاستقوا وأكثروا، ثم ارتحلوا وساروا حتى انتهوا إلى زباله] قال أبو مخنف: حدثني أبو علي الأنصاري، عن بكر بن مصعب المزني، قال: كان الحسين لا يمر بأهل ماء إلا اتبعوه حتى إذا انتهى إلى زباله سقط إليه مقتل أخيه من الرضاعة، مقتل عبد الله بن بقطر، وكان سرحه إلى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يدري أنه قد أصيب، فتلقيه خيل الحصين بن تميم بالقادسية، فسرح به إلى عبيد الله بن زياد، فقال: اصعد فوق القصر فالعن الكذاب ابن الكذاب، ثم انزل حتى أرى فيك رأيي! قال: فصعد، فلما أشرف على الناس قال: أيها الناس، إني رسول الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله ص لتنصروه وتوازره على ابن مرجانة ابن سمية الدعي فأمر به عبيد الله فألقي من فوق القصر إلى الأرض، فكسرت عظامه، وبقي به رمق، فأتاه رجل يقال له عبد الملك بن عمير اللخمي فذبجه، فلما عيب ذلك عليه قال: إنما أردت أن أريحه.

قال هشام: حدثنا أبو بكر بن عياش عن أخيه، قال: والله ما هو عبد الملك بن عمير الذي قام إليه فذبجه، ولكنه قام إليه رجل جعد طوال يشبه عبد الملك بن عمير قال: فأتي ذلك الخبر حسينا وهو بزباله، فأخرج للناس كتاباً، فقرأ عليهم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمَّا بَعْدُ، فإنه قد أتانا خبر فطيع، قتل مسلم ابن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله بن بقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمن

أحب منكم الانصراف فليصرف، ليس عليه منا ذمام.

قال: فتفرق الناس عنه تفرقاً، فأخذوا يمينا وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة، وإنما فعل ذلك لأنه ظن أنما اتبعه الأعراب، لأنهم ظنوا أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون علام يقدمون، وقد علم أنهم إذا بين لهم لم يصحبه إلا من يريد مواساته والموت معه قال: فلما كان من السحر أمر فتياناه فاستقوا الماء وأكثروا، ثم سار حتى مر ببطن العقبة، فنزل بها قال أبو مخنف: حدثني لوزان أحد بني عكرمة إن أحد عمومته سأل الحسين ع أين تريد؟ فحدثه، فقال له: إني أنشدك الله لما انصرفت، فوالله لا تقدم إلا على الأسنه وحد السيوف، فإن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال، ووطئوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً، فأما على هذه الحال التي تذكرها فإني لا أرى لك أن تفعل.

قال: [فقال له: يا عبد الله، إنه ليس يخفى علي، الرأي ما رأيت، ولكن الله لا يغلب على أمره، ثم ارتحل منها].

ونزع يزيد بن معاوية في هذه السنة الوليد بن عتبة عن مكة، وولاهما عمرو بن سعيد بن العاص، وذلك في شهر رمضان منها، فخرج بالناس عمرو بن سعيد في هذه السنة، حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر. وكان عامله على مكة والمدينة في هذه السنة بعد ما عزل الوليد بن عتبة عمرو بن سعيد، وعلى الكوفة والبصرة وأعمالهما عبيد الله بن زياد، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة

٥٠٢٥ سنة إحدى وستين

٥٠٢٥١ مقتل الحسين رضوان الله عليه،

ثم دخلت

سنة إحدى وستين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فمن ذلك

مقتل الحسين رضوان الله عليه،

قتل فيها في الحرم لعشر خلون منه، كذلك حدثني أحمد بن ثابت، قال: حدثني محدث، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وهشام بن الكلبي، وقد ذكرنا ابتداء أمر الحسين في مسيره نحو العراق وما كان منه في سنة ستين، ونذكر الآن ما كان من أمره في سنة إحدى وستين وكيف كان مقتله.

حدثت عن هشام، عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو جناب، عن عدي بن حرملة، عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين قالاً:

أقبل الحسين ع حتى نزل شراف، فلما كان في السحر أمر فتية فاستقوا من الماء فأكثرُوا، ثم سارُوا منها، فرسموا صدر يومهم حتى انتصف النهار [ثم إن رجلاً قال: الله أكبر! فقال الحسين: الله أكبر ما كبرت؟

قال: رأيت النخل، فقال له الأسديان: إن هذا المكان ما رأينا به نخلة قط، قالاً: فقال لنا الحسين: فما تريانه رأى؟ قلنا: نراه رأى هوادي الخيل، فقال: وأنا والله أرى ذلك، فقال الحسين: أما لنا ملجأ نلجأ إليه، نجعله في ظهورنا، ونستقبل القوم من وجه واحد؟ فقلنا له: بلى، هذا ذو حسم إلى جنبك، تميل إليه عن يسارك، فإن سبقت القوم إليه فهو كما تريد، قالاً:

فاخذ اليه ذات اليسار، قالاً: وملنا معه فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هوادي الخيل، فتبيناهما، وعدنا، فلما رأونا وقد عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا كأن أسنهم اليعاسيب، وكان رأياتهم أجنحة الطير، قال: فاستبقنا إلى ذي حسم، فسبقناهم إليه، فنزل الحسين، فأمر بأبنيتهم فضربت، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التيمي اليربوعي حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين في حر الظهيرة، والحسين وأصحابه معتمون متقلدو أسياهم، [فقال

الحسين لفتيانه: اسقوا القوم وأرووهم من الماء ورشفوا الخيل ترشيفاً، فقام فتية فرشفوا الخيل ترشيفاً، فقام فتية وسقوا القوم من الماء حتى أرووهم، وأقبلوا يملئون القصاع والأثوار والطساس من الماء ثم يدنونها من الفرس، فإذا عب فيه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه، وسقوا آخر حتى سقوا الخيل كلها.

قال هشام: حدثني لقيط، عن علي بن الطعان المحاربي: كنت مع الحر بن يزيد، فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلما رأى الحسين ما بي وبفرسي من العطش قال: أنخ الراوية- والراوية عندي السقاء- ثم قال:

يا بن أخ، أنخ الجمل، فأنخته، فقال: اشرب، فجعلت كلها شربت سال الماء من السقاء، فقال الحسين: اخنث السقاء- أي اعطفه- قال:

فَجَعَلْتُ لَا أُدْرِي كَيْفَ أَفْعَلُ! قَالَ: فَقَامَ الْحُسَيْنُ نَفْثَهُ، فَشَرِبَتْ وَسَقَيْتُ فَرَسِي قَالَ: وَكَانَ مَجِيءَ الْحَرْبِ بَيْنَ يَزِيدَ وَمُسِيرِهِ إِلَى الْحُسَيْنِ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ لَمَّا بَلَغَهُ أَقْبَالَ الْحُسَيْنِ بَعَثَ الْحَصِينَ ابْنَ تَمِيمِ التَّمِيمِيِّ - وَكَانَ عَلَى شَرْطِهِ - فَأَمَرَهُ أَنْ يَنْزِلَ الْقَادِسِيَّةَ، وَأَنْ يَضَعَ الْمَسَاحَ فَيَنْظُمَ مَا بَيْنَ الْقَطِيقَانَةِ إِلَى خَفَانَ، وَقَدِمَ الْحَرْبُ بَيْنَ يَزِيدَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي هَذِهِ الْأَلْفِ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ، فَيَسْتَقْبِلُ حُسَيْنًا قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ مُوَافِقًا حُسَيْنًا حَتَّى حَضَرَتْ الصَّلَاةُ صَلَاةَ الظُّهْرِ، فَأَمَرَ الْحُسَيْنُ الْحَجَّاجَ بْنَ مَسْرُوقٍ الْجَعْفَنِيَّ أَنْ يُؤْذِنَ، فَأُذِنَ، فَلَمَّا حَضَرَتْ الْإِقَامَةُ خَرَجَ الْحُسَيْنُ فِي إِزَارٍ وَرْدَاءٍ وَنَعْلَيْنِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهَا مَعْدَرَةٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَيْكُمْ، إِنِّي لَمْ أَتِكُمْ حَتَّى أَتْنِي كِتَابَكُمْ، وَقَدِمْتُ عَلَى رَسُولِكُمْ: أَنْ أَقْدِمَ عَلَيْنَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَنَا إِمَامٌ، لَعَلَّ اللَّهَ يَجْمَعُنَا بِكَ عَلَى الْهُدَى، فَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ جِئْتُمْ، فَإِنْ تَعْطُونِي مَا أَطْمَآنُ إِلَيْهِ مِنْ عَهْدِكُمْ وَمَوَاقِفِكُمْ أَقْدَمَ مَصْرَكُمْ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَكُنْتُمْ لِمَقْدَمِي كَارِهِينَ أَنْصَرَفْتُ عَنْكُمْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَقْبَلْتُ مِنْهُ إِلَيْكُمْ قَالَ: فَسَكْتُوا عَنْهُ وَقَالُوا لِلْمُؤَذِّنِ: أَقِمِ، فَأَقَامَ الصَّلَاةَ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ عَ لِحَرْ: أَتُرِيدُ أَنْ تَصِلِيَ بِأَصْحَابِكَ؟ قَالَ: لَا، بَلْ

تَصِلِي أَنْتِ وَنَصِلِي بِصَلَاتِكَ، قَالَ: فَصَلَّى بِهِمُ الْحُسَيْنُ، ثُمَّ إِنَّهُ دَخَلَ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ، وَأَنْصَرَفَ الْحَرْبُ إِلَى مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ بِهِ، فَدَخَلَ خِيْمَةً قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَعَادَ أَصْحَابُهُ إِلَى صَفِهِمُ الَّذِي كَانُوا فِيهِ، فَأَعَادُوهُ، ثُمَّ أَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بَعَنَانًا دَابَّتَهُ وَجَلَسَ فِي ظِلِّهَا، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ أَمَرَ الْحُسَيْنُ أَنْ يَتَهَيَّأُوا لِلرَّحِيلِ ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ فَأَمَرَ مُنَادِيَهُ فَنَادَى بِالْعَصْرِ، وَأَقَامَ فَاسْتَقْدَمَ الْحُسَيْنُ فَصَلَّى بِالْقَوْمِ ثُمَّ سَلَّمَ، وَأَنْصَرَفَ إِلَى الْقَوْمِ بِوَجْهِهِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّكُمْ إِنْ تَتَّقُوا وَتَعْرِفُوا الْحَقَّ لِأَهْلِهِ يَكُنْ أَرْضَى لِلَّهِ، وَنَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ أَوْلَى بِبُلَايَةِ هَذَا الْأَمْرِ عَلَيْكُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُدْعِينَ مَا لَيْسَ لَهُمْ، وَالسَّائِرِينَ فِيكُمْ بِالْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ، وَإِنْ أَنْتُمْ كَرِهْتُمُونَا، وَجَهَلْتُمْ حَقَّنَا، وَكَانَ رَأْيَكُمْ غَيْرَ مَا أَتْنِي كِتَابَكُمْ، وَقَدِمْتُ بِهِ عَلَى رَسُولِكُمْ، أَنْصَرَفْتُ عَنْكُمْ، فَقَالَ لَهُ الْحَرْبُ بَيْنَ يَزِيدَ: إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَدْرِي مَا هَذِهِ الْكُتُبُ الَّتِي تَذْكُرُ! فَقَالَ الْحُسَيْنُ: يَا عَقَبَةُ بْنُ سَمْعَانَ، أَخْرِجِ الْخُرَجِينَ الَّذِينَ فِيهِمَا كِتَابُهُمْ إِلَيَّ، فَأَخْرَجَ خُرَجِينَ مَمْلُوءِينَ صَحْفًا، فَنَشَرَهَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، فَقَالَ الْحَرْبُ: فَإِنَّا لَسْنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَتَبُوا إِلَيْكَ، وَقَدْ أَمَرْنَا إِذَا نَحْنُ لَقِينَاكَ الْإِنْفَارَكَ حَتَّى نَقْدَمَكَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، [فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: الْمَوْتُ أَدْنَى إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ]، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: قَوْمُوا فَارْكَبُوا، فَارْكَبُوا وَانْتَظَرُوا حَتَّى رَكِبَتْ نِسَاؤُهُمْ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: أَنْصَرَفُوا بَنَاءً، فَلَمَّا ذَهَبُوا لِيَنْصَرَفُوا حَالَ الْقَوْمِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْأَنْصَرَفِ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ لِلْحَرْبِ: تُكَلِّتُكَ أَمْلَكَ! مَا تُرِيدُ؟ قَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ غَيْرَكَ مِنَ الْعَرَبِ يَقُولُهَا لِي وَهُوَ عَلَى مِثْلِ الْحَالِ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا مَا تَرَكْتُ ذِكْرَ أُمِّهِ بِالْثَكْلِ أَنْ أَقُولَهُ كَأَنَّا مِنْ كَانٍ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا لِي إِلَى ذِكْرِ أَمْلَكَ مِنْ سَبِيلٍ إِلَّا بِأَحْسَنَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: فَمَا تُرِيدُ؟ قَالَ الْحَرْبُ: أُرِيدُ وَاللَّهِ أَنْ أَنْطَلِقَ بِكَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، قَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: إِذْنٌ وَاللَّهِ لَا أَتْبِعُكَ، فَقَالَ لَهُ الْحَرْبُ:

إِذْنٌ وَاللَّهِ لَا أَدْعُكَ، فَتَرَادَا الْقَوْلَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلَمَّا كَثُرَ الْكَلَامُ بَيْنَهُمَا قَالَ لَهُ الْحَرْبُ: إِنِّي لَمْ أَوْمَرْ بِقِتَالِكَ، وَإِنَّمَا أَمَرْتُ الْإِنْفَارَكَ حَتَّى أَقْدِمَكَ الْكُوفَةَ، فَإِذَا أُبَيَّتْ نَفْذُ طَرِيقًا لَا تَدْخُلُ الْكُوفَةَ، وَلَا تَرُدُّكَ إِلَى الْمَدِينَةِ،

تَكُونُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ نَصْفًا حَتَّى أَكْتُبَ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ، وَتَكْتُبَ أَنْتِ إِلَى يَزِيدَ ابْنِ مُعَاوِيَةَ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيْهِ، أَوْ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ إِنْ شِئْتَ، فَفَعَلَ اللَّهُ إِلَى ذَلِكَ أَنْ يَأْتِيَ بِأَمْرِ يَرْزُقُنِي فِيهِ الْعَافِيَةَ مِنْ أَنْ أَبْتُلَى بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِكَ، قَالَ: نَفْذُ هَاهُنَا فَتِيَّاسِرَ عَنْ طَرِيقِ الْعَذِيبِ وَالْقَادِسِيَّةِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَذِيبِ ثَمَانِيَّةٌ وَثَلَاثُونَ مِيلًا ثُمَّ إِنَّ الْحُسَيْنَ سَارَ فِي أَصْحَابِهِ وَالْحَرِيسِيَّةِ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: عَنْ عَقَبَةَ بْنِ أَبِي الْعِزَّارِ، إِنَّ الْحُسَيْنَ خَطَبَ أَصْحَابَهُ وَأَصْحَابَ الْحَرِّ بِالْبَيْضَةِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ: [مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا لِحَرَمِ اللَّهِ، نَاجًا لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، يَعْمَلُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَلَمْ يُغَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مُدْخَلَهُ] أَلَا وَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ، وَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ، وَعَطَلُوا الْحُدُودَ، وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفِيءِ، وَأَحْلَوْا حَرَامَ اللَّهِ، وَحَرَمُوا حَلَالَهُ، وَأَنَا أَحَقُّ مِنْ غَيْرٍ، قَدْ أَتْنِي كِتَابُكُمْ،

وَقَدِمْتُ عَلَى رَسُولِكُمْ بَيْعَتِكُمْ، أَنْكُمْ لَا تَسْلُبُونِي وَلَا تَحْدِلُونِي، فَإِنْ تَمَّتْ عَلَى بَيْعَتِكُمْ تُصِيبُوا رُشْدَكُمْ، فَأَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، وَابْنُ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ص، نَفْسِي مَعَ أَنْفُسِكُمْ، وَأَهْلِي مَعَ أَهْلِكُمْ، فَلَكُمْ فِي أَسْوَةِ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَنَقَضْتُمْ عَهْدَكُمْ، وَخَلَعْتُمْ بَيْعَتِي مِنْ أَعْنَاقِكُمْ، فَلَعَمْرِي مَا هِيَ لَكُمْ بِنُكْرٍ، لَقَدْ فَعَلْتُمُوهَا بِأَبِي وَأَخِي وَابْنَ عَمِّي مُسْلِمٍ، وَالْمَغْرُورُ مِنْ اغْتَرَبَكُمْ، فَحَظَّكُمْ أَخْطَأْتُمْ، وَنَصِيبُكُمْ ضِيعْتُمْ، وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَسَيُغْنِي اللَّهُ عَنْكُمْ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَقَالَ عَقَبَةُ بْنُ أَبِي الْعِزَارِ: قَامَ حُسَيْنٌ عَ بَنِي حَسَمٍ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ تَرَوْنَ، وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ، وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُهَا وَاسْتَمَرَّتْ جَدًّا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صَبَابُهُ.

كَصَبَابَةِ الْإِنَاءِ، وَخُسَيْسُ عَيْشٍ كَلِمَرَعَى الْوَبِيلِ أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لَا يَعْمَلُ بِهِ، وَأَنَّ الْبَاطِلَ لَا يَتَنَاهَى عَنْهُ! لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ مُحَقًّا، [فَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا شَهَادَةً، وَلَا الْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرْمًا].

قَالَ: فَقَامَ زَهِيرُ بْنُ الْقَيْنِ الْبَجَلِيُّ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: تَكَلِّمُونِ أَمْ أَتَكَلِّمُ؟ قَالُوا: لَا، بَلْ تَكَلِّمْ، فَحَمِدَ اللَّهَ فَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: قَدْ سَمِعْنَا هَذَاكَ اللَّهُ يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَقَالَتَكَ، وَاللَّهِ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا لَنَا بَاقِيَةً، وَكُنَّا فِيهَا مَخْلُودِينَ، إِلَّا أَنْ فَرَّاقَهَا فِي نَصْرِكَ وَمَوَاسَاتِكَ، لَأَثَرْنَا الْخُرُوجَ مَعَكَ عَلَى الْإِقَامَةِ فِيهَا.

قَالَ: فَدَعَا لَهُ الْحُسَيْنُ ثُمَّ قَالَ لَهُ خَيْرًا، وَأَقْبَلَ الْحَرِيسَايِرَ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ: يَا حُسَيْنُ، إِنِّي أَذْكُرُكَ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ، فَإِنِّي أَشْهَدُ لَنْ قَاتِلْتُمْ لَتَقْتُلُنَّ، وَلَنْ قَاتِلْتُمْ لَتَهْلِكُنَّ فِيمَا أَرَى، [فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: أَفَبَالَمُوتِ تَخُوفُنِي! وَهَلْ يَعْذُوبُكُمْ الْخَطْبُ أَنْ تَقْتُلُونِي! مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ! وَلَكِنْ أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخُو الْأَوْسِ لَابْنِ عَمِّهِ، وَلَقِيَهُ وَهُوَ يَرِيدُ نَصْرَةَ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَقَالَ لَهُ:

أَيْنَ تَذْهَبُ؟ فَإِنَّكَ مَقْتُولٌ، فَقَالَ:

سَأَمْضِي وَمَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى ... إِذَا مَا نَوَى حَقًّا وَجَاهِدَ مُسْلِمًا

وَأَسَى الرِّجَالِ الصَّالِحِينَ بِنَفْسِهِ ... وَفَارَقَ مَشُورًا يَغْشَى وَبِرْغَمًا

[قَالَ: فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهُ الْحَرْتَنخِيُّ عَنْهُ، وَكَانَ يَسِيرُ بِأَصْحَابِهِ فِي نَاحِيَةِ وَحْسِينَ فِي نَاحِيَةِ أُخْرَى، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى عَذِيبِ الْمَهْجَانَاتِ، وَكَانَ

بِهَا هَجَائِنُ النُّعْمَانِ تَرعى هُنَاكَ، إِذَا هُمْ بِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ قَدْ أَقْبَلُوا مِنَ الْكُوفَةِ عَلَى رَوَاحِلِهِمْ، يَجْنُبُونَ فَرَسًا لِنَافِعِ بْنِ هَلَالٍ يَقَالُ لَهُ الْكَامِلُ،

وَمَعَهُمْ دَلِيلُهُمُ الطَّرِمَاحُ بْنُ عَدِيِّ عَلَى فَرَسِهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

يَا نَاقَتِي لَا تَذْعُرِي مِنْ زَجْرِي ... وَشِمْرِي قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ

بِخَيْرِ رِكَابٍ وَخَيْرِ سَفَرٍ ... حَتَّى تَحْلِيَ بِكَرِيمِ النَّجْرِ

الْمَاجِدِ الْحَرِّ رَحِيبِ الصَّدْرِ ... أَتَى بِهِ اللَّهُ لَخِيرَ أَمْرِ

ثُمَّ أَقْبَاهُ بَقَاءَ الدَّهْرِ.

قَالَ: فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى الْحُسَيْنِ أَنْشَدُوهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ، [فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَيْرًا مَا أَرَادَ اللَّهُ بِنَا، قَتَلْنَا أَمْ ظَفَرْنَا،] قَالَ:

وَأَقْبَلَ إِلَيْهِمُ الْحَرَبِيُّ يَزِيدُ فَقَالَ: إِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ الَّذِينَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لَيْسُوا مِنْ أَقْبَلِ مَعَكَ، وَأَنَا حَابِسُهُمْ أَوْ رَادُّهُمْ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ:

لَا مَنَعَهُمْ مِمَّا أَمْنَعُ مِنْهُ نَفْسِي، إِنَّمَا هَؤُلَاءِ أَنْصَارِي وَأَعْوَانِي، وَقَدْ كُنْتُ أَعْطَيْتُنِي إِلَّا تَعَرَّضَ لِي بِشَيْءٍ حَتَّى يَأْتِيكَ كِتَابٌ مِنْ ابْنِ زِيَادٍ،

فَقَالَ: أَجَلٌ، لَكِنْ لَمْ يَأْتُوا مَعَكَ، قَالَ: هُمْ أَصْحَابِي، وَهُمْ بِمَنْزِلَةٍ مِنْ جَاءَ مَعِي، فَإِنْ تَمَّتْ عَلَى مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَإِلَّا نَاجَزْتُكَ، قَالَ:

فَكَفَّ عَنْهُمْ الْحَرَّ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لَهُمُ الْحُسَيْنُ:

أَخْبِرُونِي خَبَرَ النَّاسِ وَرَاءَكُمْ، فَقَالَ لَهُ مُجْمَعُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَائِذِيُّ، وَهُوَ أَحَدُ النَّفَرِ الْأَرْبَعَةِ الَّذِينَ جَاءُوا: أَمَّا أَشْرَافُ النَّاسِ فَقَدْ أَعْظَمْتَ

رِشْوَتَهُمْ، وَمَلَأْتَ غَرَائِرَهُمْ، يَسْتَمَالُ وَدَهُمْ، وَيَسْتَخْلَصُ بِهِ نَصِيحَتَهُمْ، فَهَمُّ أَلْبٍ وَاحِدٍ عَلَيْكَ، وَأَمَّا سَائِرُ النَّاسِ بَعْدَ، فَإِنْ أَفْتَدْتَهُمْ تَهْوِي

إليك، وسيوفهم غدا مشهورة عليك، قَالَ: أخبروني، فهل لكم برسولي إليكم؟ قَالُوا: من هو؟ قَالَ: قيس بن مسهر الصيدائي، فَقَالُوا: نعم، أخذه الحصين ابن تميم فبعث به إلى ابن زياد، فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك، فصلى عليك وعلى أبيك، ولعن ابن زياد وأباه، ودعا إلى نصرتك، وأخبرهم بقدمك، فأمر به ابن زياد فألقي من طمار القصر، [فترقت عينا حسين ع ولم يملك دمه، ثم قال: «مِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» اللَّهُمَّ اجعل لنا ولهم الجنة نزلا، وأجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك، ورغائب مذكور ثوابك!]

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: حَدَّثَنِي جَمِيلُ بْنُ مَرْثَدٍ مِنْ بَنِي مَعْنٍ، عَنْ الطَّرْمَاحِ بْنِ عَدِيٍّ، أَنَّهُ دَنَا مِنَ الْحُسَيْنِ فَقَالَ لَهُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَنْظُرُ فَمَا أَرَى مَعَكَ أَحَدًا، وَلَوْ لَمْ يِقَاتِلْكَ إِلَّا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَرَاهُمْ مَلَا زَمِيكَ لَكَانَ كَفِيَّ بِهِمْ، وَقَدْ رَأَيْتَ قَبْلَ خُرُوجِي مِنَ الْكُوفَةِ إِلَيْكَ يَوْمَ ظَهَرَ الْكُوفَةَ وَفِيهِ مِنَ النَّاسِ مَا لَمْ تَرَ عَيْنَايَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ جَمْعًا أَكْثَرَ مِنْهُ، فَسَأَلْتُ عَنْهُمْ، فَقِيلَ: اجْتَمَعُوا لِيَعْرَضُوا، ثُمَّ يَسْرَحُونَ إِلَى الْحُسَيْنِ، فَأَنْشَدَكَ اللَّهُ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى الْإِتْقَانِ عَلَيْهِمْ شَبْرًا إِلَّا فَعَلْتَ! فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَنْزِلَ بِلَدَا يَمْنَعُكَ اللَّهُ بِهِ حَتَّى تَرَى مِنْ رَأْيِكَ، وَيَسْتَبِينَ لَكَ مَا أَنْتَ صَانِعٌ، فَسَرَّ حَتَّى أَنْزَلَكَ مَنَاعَ جَبَلِنَا الَّذِي يَدْعَى أَجَا، امْتَنَعْنَا وَاللَّهُ بِهِ مِنْ مَلُوكِ غَسَانَ وَحَمِيرٍ وَمِنْ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ، وَمِنْ الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ، وَاللَّهُ إِنْ دَخَلَ عَلَيْنَا ذَلْ قَطٍ، فَأَسِيرَ مَعَكَ حَتَّى أَنْزَلَكَ الْقَرْيَةَ، ثُمَّ نَبَعَثَ إِلَى الرِّجَالِ مَنْ بَأْجَا وَسَلَّى مِنْ طِيٍّ، فَوَاللَّهِ لَا يَأْتِي عَلَيْكَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ حَتَّى تَأْتِيكَ طِيٌّ رَجَالًا وَرِكَبَانًا، ثُمَّ أَقِمْ فِينَا مَا بَدَا لَكَ، فَإِنْ هَاجَكَ هَيْجٌ فَأَنَا زَعِيمٌ لَكَ بِعَشْرِينَ أَلْفَ طَائِيٍّ يُضْرِبُونَ بَيْنَ يَدَيْكَ بِأَسْيَافِهِمْ، وَاللَّهُ لَا يُوَصِّلُ إِلَيْكَ أَبَدًا وَمِنْهُمْ عَيْنٌ تَطْرَفُ، [فَقَالَ لَهُ:]

جَزَاكَ اللَّهُ وَقَوْمَكَ خَيْرًا! إِنَّهُ قَدْ كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ قَوْلٌ لَنَا نَقْدَرُ مَعَهُ عَلَى الْإِنْصِرَافِ، وَلَا نَدْرِي عِلَامَ تَنْصَرِفُ بِنَا وَبِهِمْ الْأُمُورُ فِي عَاقِبِهِ! قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: حَدَّثَنِي جَمِيلُ بْنُ مَرْثَدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي الطَّرْمَاحُ بْنُ عَدِيٍّ، قَالَ: فَوَدَعْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ: دَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ شَرَّ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ، إِنِّي قَدْ امْتَرْتُ لِأَهْلِي مِنَ الْكُوفَةِ مِيرَةً، وَمَعِيَ نَفَقَةٌ لَهُمْ، فَاتِيهِمْ فَأُضِعْ ذَلِكَ فِيهِمْ، ثُمَّ أَقْبِلْ إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَإِنْ هَاجَكَ فَوَاللَّهِ لَا أَكُونُ مِنْ أَنْصَارِكَ، قَالَ: فَإِنْ كُنْتَ فَاعِلًا فَعَجَلَ رَحِمَكَ اللَّهُ، قَالَ: فَعَلِمْتُ أَنَّهُ مُسْتَوْحِشٌ إِلَى الرِّجَالِ حَتَّى يَسْأَلَنِي التَّعْجِيلَ، قَالَ: فَلَمَّا بَلَغْتَ أَهْلِي وَضَعْتَ عَنْدَهُمْ مَا يَصْلَحُهُمْ، وَأَوْصَيْتَ، فَأَخَذَ أَهْلِي يَقُولُونَ: إِنَّكَ لَتَصْنَعُ مَرْتَكَ هَذِهِ شَيْئًا مَا كُنْتَ تَصْنَعُهُ قَبْلَ الْيَوْمِ، فَأَخْبَرْتَهُمْ بِمَا أُرِيدُ، وَأَقْبَلْتُ فِي طَرِيقِ بَنِي ثَعْلٍ حَتَّى إِذَا دَنَوْتُ مِنْ عَذِيبِ الْمُهَاجَنَاتِ، اسْتَقْبَلَنِي سَمَاعَةُ بْنُ بَدْرٍ، فَنَعَاهُ إِلَى، فَارْجَعْتَ، قَالَ: وَمَضَى الْحُسَيْنُ عَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَصْرِ بَنِي مُقَاتِلٍ، فَزَلَّ بِهِ، فَإِذَا هُوَ بِفَسْطَاطٍ مُضْرُوبٍ.

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: حَدَّثَنِي الْمُجَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ، أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لِمَنْ هَذَا الْفَسْطَاطُ؟ فَقِيلَ: لِعَبِيدِ اللَّهِ ابْنِ الْحَرِّ الْجَعْفِيِّ، قَالَ: ادْعُوهُ لِي، وَبَعَثَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا أَتَاهُ الرَّسُولُ، قَالَ:

هَذَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ يَدْعُوكَ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَرِّ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! وَاللَّهِ مَا خَرَجْتَ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَّا كَرَاهَةً أَنْ يَدْخُلَهَا الْحُسَيْنُ وَأَنَا بِهَا، وَاللَّهِ مَا أُرِيدُ أَنْ أَرَاهُ وَلَا يَرَانِي، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَأَخْبَرَهُ، فَأَخَذَ الْحُسَيْنُ نَعْلَيْهِ فَانْتَعَلَ، ثُمَّ قَامَ فَجَاءَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ وَجَلَسَ، ثُمَّ دَعَاهُ إِلَى الْخُرُوجِ مَعَهُ، فَأَعَادَ إِلَيْهِ ابْنُ الْحَرِّ تِلْكَ الْمَقَالَةَ، [فَقَالَ: فَلَا تَنْصَرُنَا فَاتَّقِ اللَّهَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يِقَاتِلُنَا، فَوَاللَّهِ لَا يَسْمَعُ وَاعَيْنَا أَحَدٌ ثُمَّ لَا يَنْصَرُنَا إِلَّا هَلَكٌ،] قَالَ: أَمَا هَذَا فَلَا يَكُونُ أَبَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ قَامَ الْحُسَيْنُ عَ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى دَخَلَ رَحْلَهُ.

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَنْدَبٍ، عَنْ عَقْبَةَ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: لَمَّا كَانَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ أَمَرَ الْحُسَيْنُ بِالِاسْتِقَاءِ مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ أَمَرْنَا بِالرَّحِيلِ، فَفَعَلْنَا، قَالَ: فَلَمَّا ارْتَحَلْنَا مِنْ قَصْرِ بَنِي مُقَاتِلٍ وَسَرْنَا سَاعَةً خَفِقَ الْحُسَيْنُ بِرَأْسِهِ خَفَقَةً ثُمَّ انْتَبَهَ وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: فَفَعَلَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ: فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ ابْنُ عَلِيٍّ بَنُ الْحُسَيْنِ عَلَى فَرَسٍ لَهُ فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَا أَبَتِ، جَعَلْتَ فِدَاكَ! مِمَّ حَمَدْتَ اللَّهَ وَاسْتَرْجَعْتَ؟ قَالَ: يَا بَنِي، إِنِّي خَفَقْتُ بِرَأْسِي خَفَقَةً فَعَنَ لِي فَارِسٌ عَلَى فَرَسٍ فَقَالَ: الْقَوْمُ يَسِيرُونَ وَالْمَنَايَا تَسْرِي إِلَيْهِمْ، فَعَلِمْتُ أَنَّهَا أَنْفَسْنَا نَعِيتَ إِلَيْنَا، قَالَ لَهُ: يَا أَبَتِ،

لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحق! [قَالَ: بلى والذي إِلَيْهِ مرجع العباد، قَالَ: يَا أَبَتُ، إِذَا لَا نَبَالِي، نَمُوتُ مُحَقِّقِينَ، فَقَالَ لَهُ: جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ خَيْرٍ مَّا جَزَى وَلَدًا عَنْ وَالِدِهِ،] قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ نَزَلَ فَصَلَّى الْغَدَاةَ، ثُمَّ عَجَلَ الرُّكُوبَ، فَأَخَذَ يَتَاسَرُ بِأَصْحَابِهِ يَرِيدُ أَنْ يَفْرُقَهُمْ، فَيَأْتِيَهُ الْحَرُّ بْنُ يَزِيدَ فَيُرْدُهُمْ فَيُرْدُهُ، فَجَعَلَ إِذَا رَدَّهُمْ إِلَى الْكُوفَةِ رَدًّا شَدِيدًا امْتَنَعُوا عَلَيْهِ فَارْتَفَعُوا، فَلَمْ يَزَالُوا يَتَسَايَرُونَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى نَيْنَوَى، الْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْحُسَيْنُ، قَالَ: فَإِذَا رَاكَ عَلَى نَجِيبٍ لَهُ وَعَلَيْهِ السِّلَاحُ مَتَنَكِبَ قَوْسًا مَقْبَلٍ مِنَ الْكُوفَةِ، فَوَقَفُوا جَمِيعًا يَنْتَظِرُونَهُ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَى الْحَرِّ بْنِ يَزِيدَ وَأَصْحَابِهِ، وَلَمْ يَسَلِّمْ عَلَى الْحُسَيْنِ عَ وَأَصْحَابِهِ، فَدَفَعَ إِلَى الْحَرِّ كِتَابًا مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ابْنِ زِيَادٍ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَجَمْعَ بِالْحُسَيْنِ حِينَ يَبْلُغُكَ كِتَابِي، وَيَقْدُمُ عَلَيْكَ رَسُولِي، فَلَا تَنْزِلْهُ إِلَّا بِالْعَرَاءِ فِي غَيْرِ حَصْنٍ وَعَلَى غَيْرِ مَاءٍ، وَقَدْ أَمَرْتُ رَسُولِي أَنْ يَلْزِمَكَ وَلَا يَفَارِقَكَ حَتَّى يَأْتِيَنِي بِإِنْفَاذِكَ أَمْرِي، وَالسَّلَامُ.

قَالَ: فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ قَالَ لَهُمُ الْحَرُّ: هَذَا كِتَابُ الْأَمِيرِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ يَأْمُرُنِي فِيهِ أَنْ أَجْجَعُ بِكُمْ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَأْتِيَنِي فِيهِ كِتَابُهُ، وَهَذَا رَسُولُهُ، وَقَدْ أَمَرَهُ أَنْ يَفَارِقَنِي حَتَّى أَنْفِذَ رَأْيَهُ وَأَمْرَهُ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ عُبَيْدِ اللَّهِ يَزِيدَ ابْنِ زِيَادٍ بِنِ الْمَهَاصِرِ أَبُو الشَّعْثَاءِ الْكَنْدِيُّ ثُمَّ الْبَهْدَلِيُّ فَعَنَ لَهُ، فَقَالَ:

أَمَّا لَكَ بِنِ النَّسِيرِ الْبَدِيِّ؟ قَالَ: نَعَمْ - وَكَانَ أَحَدُ كُنْدَةٍ - فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ ابْنُ زِيَادٍ: ثَكَلْتُكَ أُمُّكَ! مَاذَا جِئْتَ فِيهِ؟ قَالَ: وَمَا جِئْتُ فِيهِ! أَطَعْتُ إِمَامِي، وَوَفَيْتُ بَبَيْعَتِي، فَقَالَ لَهُ أَبُو الشَّعْثَاءِ: عَصَيْتَ رَبَّكَ، وَأَطَعْتَ إِمَامَكَ فِي هَلَاكِ نَفْسِكَ، كَسَبْتَ الْعَارَ وَالنَّارَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

«وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ»، فَهُوَ إِمَامُكَ قَالَ: وَأَخَذَ الْحَرُّ بْنُ يَزِيدَ الْقَوْمَ بِالْزُّوْلِ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ وَلَا فِي قَرْيَةٍ، فَقَالُوا: دَعْنَا نَنْزِلَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، يَعْنُونَ نَيْنَوَى -

أَوْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ - يَعْنُونَ الْغَاضِرِيَّةَ - أَوْ هَذِهِ الْآخَرَى - يَعْنُونَ شَفِيهَ.

فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا أَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، هَذَا رَجُلٌ قَدْ بَعَثَ إِلَيَّ عَيْنًا، فَقَالَ لَهُ زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنْ قَتَلَ هَؤُلَاءِ أَهْوَنَ مِنْ قِتَالِ مَنْ يَأْتِيْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ، فَلَعَمْرِي لِيَأْتِيْنَا مِنْ بَعْدِ مَنْ تَرَى مَا لَا قَبْلَ لَنَا بِهِ، [فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: مَا كُنْتُ لِأَبْدَأَهُمْ بِالْقِتَالِ،] فَقَالَ لَهُ زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ: سَرَبْنَا إِلَى هَذِهِ الْقَرْيَةِ حَتَّى تَنْزِلَهَا فَإِنَّهَا حَصِينَةٌ، وَهِيَ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ، فَإِنْ مَنَعُونَا قَاتِلَتْنَاهُمْ، فَقَاتَلَهُمْ أَهْوَنَ عَلَيْنَا مِنْ قِتَالِ مَنْ يَجِيءُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: وَأَيَّةُ قَرْيَةٍ هِيَ؟ قَالَ: هِيَ الْعَقْرُ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَقْرِ، ثُمَّ نَزَلَ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الثَّانِي مِنَ الْحَرَمِ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِينَ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَدِمَ عَلَيْهِمْ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ بِنِ أَبِي وَقَّاصٍ مِنَ الْكُوفَةِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ قَالَ: وَكَانَ سَبَبُ خُرُوجِ ابْنِ سَعْدٍ إِلَى الْحُسَيْنِ عَ أَنْ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ بَعَثَهُ عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَسِيرُ بِهِمْ إِلَى دَسْتَبِ، وَكَانَتْ الدَّيْلَمُ قَدْ خَرَجُوا إِلَيْهَا وَغَلَبُوا عَلَيْهَا، فَكُتِبَ إِلَيْهِ ابْنُ زِيَادٍ عَهْدُهُ عَلَى الرِّيِّ، وَأَمْرُهُ بِالْخُرُوجِ.

خَفَرَ مَعْسَكًا بِالنَّاسِ بِحِمَامٍ أَعَيْنَ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحُسَيْنِ مَا كَانَ وَأَقْبَلَ إِلَى الْكُوفَةِ دَعَا ابْنَ زِيَادٍ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ، فَقَالَ: سِرْ إِلَى الْحُسَيْنِ، فَإِذَا فَرَّغْنَا مِمَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سَرْتَ إِلَى عَمَلِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ: إِنْ رَأَيْتَ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنْ تَعْفِيَنِي فَاغْلُظْ، فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ: نَعَمْ، عَلَى أَنْ تَرُدَّ لَنَا عَهْدَنَا، قَالَ:

فَلَمَّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ قَالَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ: أَهْلِي الْيَوْمَ حَتَّى أَنْظُرَ، قَالَ: فَانصَرَفَ عُمَرُ يَسْتَشِيرُ نَصَحَاءَهُ، فَلَمْ يَكُنْ يَسْتَشِيرُ أَحَدًا إِلَّا نَهَاهُ، قَالَ: وَجَاءَ حَمْزَةُ ابْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ - وَهُوَ ابْنُ أُخْتِهِ - فَقَالَ: أَنْشُدَكَ اللَّهَ يَا خَالَ أَنْ تَسِيرَ إِلَى الْحُسَيْنِ فَتَأْتِيَهُ بِرَبِّكَ، وَتَقْطَعَ رَحِمَكَ! فَوَاللَّهِ لَأَنْ تَخْرُجَ مِنْ دُنْيَاكَ وَمَالِكَ وَسُلْطَانِ الْأَرْضِ كُلِّهَا لَوْ كَانَ لَكَ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ بِدَمِ الْحُسَيْنِ! فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ: فَإِنِّي أَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

قَالَ هِشَامُ: حَدَّثَنِي عَوَانَةُ بْنُ الْحَكَمِ، عَنْ عِمَارِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَسَارٍ

الجهني، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: دخلت على عمر بن سعد، وقد أمر بالمسير إلى الحسين، فقال لي: إن الأمير أمرني بالمسير إلى الحسين، فأبيت ذلك عليه، فقلت له: أصاب الله بك، أرشدك الله، أحل فلا تفعل ولا تسر إليه.

قَالَ: فخرجت من عنده، فأتاني آت وقال: هذا عمر بن سعد يندب الناس إلى الحسين، قَالَ: فأتيته فإذا هو جالس، فلما رأيته أعرض بوجهه فعرفت أنه قد عزم على المسير إليه، فخرجت من عنده، قَالَ: فاقبل عمر ابن سعد إلى ابن زياد فقال: أصلحك الله! إنك وليتني هذا العمل، وكتبت لي العهد، وسمع به الناس، فإن رأيت أن تنفذ لي ذلك فافعل وابعث إلى الحسين في هذا الجيش من أشرف الكوفة من لست بأغني ولا أجزأ عنك في الحرب منه، فسمى له أناساً، فقال له ابن زياد: لا تعلمني بأشرف أهل الكوفة، ولست أستأمرك فيمن أريد أن أبعث إن سرت بجندنا، وإلا فابعث إلينا بعهداً، فلما رآه قد لج قال: فإني سائر، قَالَ: فأقبل في أربعة آلاف حتى نزل بالحسين من الغد من يوم نزل الحسين نينوى.

قَالَ: فبعث عمر بن سعد إلى الحسين ع عزره بن قيس الأحسي، فقال: ائمه فسله ما الذي جاء به؟ وماذا يريد؟ وكان عزرة ممن كتب إلى الحسين فاستحيا منه أن يأتيه قَالَ: فعرض ذلك على الرؤساء الذين كاتبوه، فكلهم أبى وكرهه قَالَ: وقام إليه كثير بن عبد الله الشعمي - وكان فارساً شجاعاً ليس يرد وجهه شيء - فقال: أنا أذهب إليه، والله لئن شئت لأفتكن به، فقال له عمر بن سعد: ما أريد أن يفتك به، ولكن ائمه فسله ما الذي جاء به؟ قَالَ: فأقبل إليه، فلما رآه أبو ثمامة الصائدي قال للحسين:

أصلحك الله أبا عبد الله! قد جاءك شر أهل الأرض وأجرؤه على دم وأفتكه، فقام إليه، فقال: ضع سيفك، قَالَ: لا والله ولا كرامة، إنما أنا رسول، فإن سمعتم مني أبلغتكم ما أرسلت به إليكم، وإن أبيتم أنصرف عنكم، فقال له: فإني آخذ بقائم سيفك، ثم تكلم بحاجتك، قَالَ: لا والله، لا تمسه فقال له: أخبرني ما جئت به وأنا أبلغه عنك، ولا أدعك تدنو منه، فإنك فاجر، قَالَ: فاستبأ، ثم أنصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر، قَالَ:

فدعا عمر قرة بن قيس الحنظلي فقال له: ويحك يا قرة! التقي حسيناً فسله ما جاء به؟ وماذا يريد؟ قَالَ: فأتاه قرة بن قيس، فلما رآه الحسين مقبلاً قَالَ: أتعرفون هذا؟ فقال حبيب بن مظاهر: نعم، هذا رجل من حنظلة تميمي، وهو ابن أختنا، ولقد كنت أعرفه بحسن الرأي، وما كنت أراه يشهد هذا المشهد، قَالَ: فجاء حتى سلم على الحسين، وأبلغه رساله عمر بن سعد إليه له، [فقال الحسين: كتب إلي أهل مصركم هذا إن أقدم، فاما إذ كرهوني فأنا أنصرف عنهم]، قَالَ: ثم قال له حبيب بن مظاهر: ويحك يا قرة ابن قيس! أنى ترجع إلى القوم الظالمين! انصر هذا الرجل الذي بآبائه أيدك الله بالكرامة وإيانا معك، فقال له قرة: ارجع إلى صاحبي بجواب رسالته، وأرى رأيي، قَالَ: فانصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر، فقال له عمر بن سعد: إني لأرجو أن يعافيني الله من حربه وقتاله.

قَالَ هِشَامُ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي النضر بن صالح بن حبيب ابن زهير العبسي، عن حسان بن فائد بن بكير العبسي، قَالَ: أشهد أن كتاب عمر بن سعد جاء إلى عبيد الله بن زياد وأنا عنده فإذا فيه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي حَيْثُ نَزَلْتُ بِالْحُسَيْنِ بَعَثْتُ إِلَيْهِ رَسُولِي، فَسَأَلْتُهُ عَمَّا أَقْدَمَهُ، وَمَاذَا يَطْلُبُ وَيَسْأَلُ، فَقَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ وَأَتَتْنِي بِهِ رِسَالُهُمْ، فَسَأَلُونِي الْقُدُومَ فَفَعَلْتُ، فَمَا إِذْ كَرِهُونِي فَبَدَا لَهُمْ غَيْرَ مَا أَتَتْنِي بِهِ رِسَالُهُمْ فَأَنَا مَنْصَرِفٌ عَنْهُمْ، فَلَمَّا قَرَأْتُ الْكِتَابَ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ قَالَ:

الآن إذ علقت محالبنا به... يرجو النجاة ولات حين مناص!

قَالَ: وكتب إلى عمر بن سعد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ، وَفَهَمْتُ مَا ذَكَرْتَ، فَاعْرِضْ عَلَى الْحُسَيْنِ أَنْ يَبَايَعَ لِيَزِيدَ بِنَ مُعَاوِيَةَ هُوَ وَجَمِيعُ أَصْحَابِهِ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ رَأَيْنَا رَأَيْنَا، وَالسَّلَامُ

قَالَ: فَلَمَّا أَتَى عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ الْكَأْبَ، قَالَ: قَدْ حَسِبْتُ الْإِقْبَالَ ابْنَ زِيَادٍ الْعَافِيَةَ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ، عَنْ حَمِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ الْأَزْدِيِّ، قَالَ: جَاءَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ كُتَابٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ: أَمَّا بَعْدُ، فَمِنْ بَيْنِ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ وَبَيْنَ الْمَاءِ، وَلَا يَذُوقُوا مِنْهُ قَطْرَةً، كَمَا صَنَعَ بِالتَّقِيِّ الزُّكِّيِّ الْمَظْلُومِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: فَبِعِثْ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ عَلَى خَمْسَمِائَةِ فَارَسٍ، فَنَزَلُوا عَلَى الشَّرِيعَةِ، وَحَالُوا بَيْنَ حُسَيْنٍ وَأَصْحَابِهِ وَبَيْنَ الْمَاءِ أَنْ يَسْقُوا مِنْهُ قَطْرَةً، وَذَلِكَ قَبْلَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ بِثَلَاثٍ.

قَالَ: وَنَازَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حَصِينٍ الْأَزْدِيُّ - وَعَدَّاهُ فِي بَجِيلَةٍ - فَقَالَ:

يَا حُسَيْنُ، أَلَا تَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ كَأَنَّهُ كَبِدُ السَّمَاءِ! وَاللَّهِ لَا تَذُوقُ مِنْهُ قَطْرَةً حَتَّى تَمُوتَ عَطْشًا، فَقَالَ حُسَيْنٌ: اللَّهُمَّ اقْتُلْهُ عَطْشًا، وَلَا تَغْفِرْ لَهُ أَبَدًا.

قَالَ حَمِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ: وَاللَّهِ لَعَدْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَرَضِهِ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَشْرَبُ حَتَّى يَبْغُرَ، ثُمَّ يَقِيءُ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَبْغُرَ فَيُورِي، فَمَا زَالَ ذَلِكَ دَابَهُ حَتَّى لَفِظَ عَصْبَهُ يَعْنِي نَفْسَهُ - قَالَ: وَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَى الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ الْعَطْشُ دَعَا الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخَاهُ، فَبَعَثَهُ فِي ثَلَاثِينَ فَارَسًا وَعِشْرِينَ رَاجِلًا، وَبَعَثَ مَعَهُمْ بَعْشَرِينَ قَرَبَةً، فَجَاءُوا حَتَّى دَنَوْا مِنَ الْمَاءِ لَيْلًا وَاسْتَقْدَمَ أَمَامَهُمُ بِاللَّوَاءِ نَافِعُ بْنُ هَلَالٍ الْجُمَلِيُّ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ الزُّبَيْدِيُّ: مِنَ الرَّجُلِ؟ فَنَجَّى فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: جِئْنَا نَشْرَبُ مِنْ هَذَا الْمَاءِ الَّذِي حَلَّأْتُمُونَا عَنْهُ، قَالَ: فَاشْرَبْ هُنَا، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، لَا أَشْرَبُ مِنْهُ قَطْرَةً وَحُسَيْنٌ عَطْشَانٌ وَمَنْ تَرَى مِنْ أَصْحَابِهِ، فَطَلَعُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ: لَا سَبِيلَ إِلَى سَقِي هَؤُلَاءِ، إِنَّمَا وَضَعْنَا هَذَا الْمَكَانَ لِنَمْنَعَهُمُ الْمَاءَ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ أَصْحَابُهُ قَالَ لِرَجَالِهِ: امْلُثُوا قَرَبَكُمْ، فَشَدَّ الرِّجَالُ فَلَمَّثُوا قَرَبَهُمْ، وَثَارَ إِلَيْهِمْ عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ وَأَصْحَابُهُ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ وَنَافِعُ بْنُ هَلَالٍ فَكَفَوْهُمْ، ثُمَّ انْصَرَفُوا إِلَى رَحَالِهِمْ، فَقَالُوا: امْضُوا، وَوَقَفُوا دُونَهُمْ، فَعَطَفَ

عَلَيْهِمْ عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ وَأَصْحَابُهُ وَاطْرَدُوا قَلِيلًا ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنْ صَدَاءِ طَعْنٍ مِنْ أَصْحَابِ عَمْرُو بْنِ الْحَجَّاجِ، طَعَنَهُ نَافِعُ بْنُ هَلَالٍ، فَظَنَّ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِشَيْءٍ، ثُمَّ إِنَّهَا انْتَفَضَتْ بَعْدَ ذَلِكَ، فَمَاتَ مِنْهَا، وَجَاءَ أَصْحَابُ حُسَيْنٍ بِالْقَرَبِ فَأَدْخَلُوهَا عَلَيْهِ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي أَبُو جَنَابٍ، عَنْ هَانِئِ بْنِ ثَبِيْتِ الْحَضْرَمِيِّ - وَكَانَ قَدْ شَهِدَ قَتْلَ الْحُسَيْنِ، قَالَ: بَعَثَ الْحُسَيْنُ عِ إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ عَمْرُو بْنُ قَرْظَةَ بْنِ كَعْبِ الْأَنْصَارِيِّ: إِنْ الْقَتْنَى اللَّيْلُ بَيْنَ عَسْكَرِي وَعَسْكَرِكَ.

قَالَ: فَخَرَجَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ فِي نَحْوِ مِنْ عِشْرِينَ فَارَسًا، وَأَقْبَلَ حُسَيْنٌ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، فَلَمَّا اتَّقَوْا أَمَرَ حُسَيْنٌ أَصْحَابَهُ أَنْ يَتَنَحَّوْا عَنْهُ، وَأَمَرَ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ أَصْحَابَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ، قَالَ: فَانْكَشَفْنَا عَنْهُمَا بِحَيْثُ لَا نَسْمَعُ أَصْوَاتَهُمَا وَلَا كَلَامَهُمَا، فَتَكَلَّمَا فَأَطَالَا حَتَّى ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ هَزِيعٌ، ثُمَّ انْصَرَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى عَسْكَرِهِ بِأَصْحَابِهِ، وَتَحَدَّثَ النَّاسُ فِيمَا بَيْنَهُمَا، ظَنَّا يَظُنُّونَهُ أَنْ حُسَيْنًا قَالَ لِعَمْرِ بْنِ سَعْدٍ: أَخْرِجْ مَعِيَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَنَدِّعِ الْعَسْكَرَيْنِ، قَالَ عَمْرُ بْنُ سَعْدٍ: إِنْ تَهْدِمُ دَارِي، قَالَ: أَنَا أَبْنِيهَا لَكَ، قَالَ: إِذَنْ تَوْخِذْ ضِيَاعِي، قَالَ: إِذَنْ أُعْطِيكَ خَيْرًا مِنْهَا مِنْ مَالِي بِالْحِجَازِ قَالَ: فَتَكَرَّهُ ذَلِكَ عَمْرُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: فَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِذَلِكَ، وَشَاعَ فِيهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا سَمِعُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا وَلَا عِلْمَهُ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: وَأَمَّا مَا حَدَّثَنَا بِهِ الْمُجَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ وَالصَّقْعَبُ بْنُ زَهَيْرٍ الْأَزْدِيُّ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْمُحَدِّثِينَ، فَهُوَ مَا عَلَيْهِ جَمَاعَةُ الْمُحَدِّثِينَ، قَالُوا: إِنَّهُ قَالَ:

اخْتَارُوا مِنِّي خَصَالًا ثَلَاثًا: إِمَّا أَنْ أَرْجِعَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَقْبَلْتُ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ أَضَعَ يَدِي فِي يَدِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَيَرَى فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ رَأْيَهُ، وَإِمَّا أَنْ تَسِيرُونِي إِلَى أَيِّ ثَغَرٍ مِنْ ثُغُورِ الْمُسْلِمِينَ شِئْتُمْ، فَأَكُونُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِهِ، لِي مَا لَهُمْ وَعَلَيَّ مَا عَلَيْهِمْ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: فَأَمَّا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَنْدَبٍ لِحَدَّثَنِي عَنْ عَقْبَةَ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: صَحِبْتُ حُسَيْنًا فَخَرَجْتُ مَعَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ، وَمِنْ مَكَّةَ إِلَى

الْعِرَاقَ، وَلَمْ أَفَارِقْهُ حَتَّى قُتِلَ، وَلَيْسَ مِنْ مَخَاطَبَتِهِ النَّاسَ كَلِمَةً بِالْمَدِينَةِ وَلَا بِمَكَّةَ وَلَا فِي الطَّرِيقِ وَلَا بِالْعِرَاقِ وَلَا فِي عَسْكَرٍ إِلَى يَوْمِ مَقْتَلِهِ

أَنْتُمْ يَا بَنِي أَخِي آمَنُونَ، قَالَ لَهُ الْفَتِيَّةُ: لَعْنُكَ اللَّهُ وَلَعْنُ أَمَانِكَ! لِئِنْ كُنْتَ خَالِنَا أَتَوْمُنَا وَابْنُ رَسُولِ اللَّهِ لَا أَمَانَ لَهُ! قَالَ: ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ نَادَى:

يَا خَيْلَ اللَّهِ أَرْكَبِي وَأَبْشِرِي فَرَكَبَ فِي النَّاسِ، ثُمَّ زَحَفَ نَحْوَهُمْ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، وَحُسَيْنٌ جَالِسٌ أَمَامَ بَيْتِهِ مُحْتَبِيًا بِسَيْفِهِ، إِذْ خَفَقَ بِرَأْسِهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَسَمِعَتْ أُخْتَهُ زَيْنَبُ الصَّيْحَةَ فَدَنَتْ مِنْ أَخِيهَا، فَقَالَتْ: يَا أَخِي، أَمَا تَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ قَدْ اقْتَرَبْتَ! قَالَ: [فَرَفَعَ الْحُسَيْنُ رَأْسَهُ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص فِي الْمَنَامِ فَقَالَ لِي: إِنَّكَ تَرُوحُ إِلَيْنَا، قَالَ:]

فَلَطَمَتْ أُخْتَهُ وَجْهَهَا وَقَالَتْ: يَا وَيْلَتَا! فَقَالَ: لَيْسَ لَكَ الْوَيْلُ يَا أُخِيَّةُ، اسْكِنِي رَحْمَتِ الرَّحْمَنِ! وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ: يَا أَخِي، أَتَاكَ الْقَوْمُ، قَالَ: فَهَضْ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَبَّاسُ، أَرْكَبْ بِنَفْسِي أَنْتَ يَا أَخِي حَتَّى تَلْقَاهُمْ فَتَقُولَ لَهُمْ: مَا لَكُمْ؟ وَمَا بَدَأَ لَكُمْ؟ وَتَسْأَلُهُمْ عَمَّا جَاءَ بِهِمْ؟ فَأَتَاهُمُ الْعَبَّاسُ، فَاسْتَقْبَلَهُمْ فِي نَحْوِ مِنْ عَشْرِينَ فَارِسًا فِيمَ زَهْرٍ بْنِ الْقَيْنِ وَحَبِيبِ بْنِ مَظَاهِرٍ، فَقَالَ لَهُمُ الْعَبَّاسُ: مَا بَدَأَ لَكُمْ؟ وَمَا تَرِيدُونَ؟ قَالُوا: جَاءَ أَمْرُ الْأَمِيرِ بِأَنْ نَعْرُضَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِهِ أَوْ نَنْزِلَ لَكُمْ، قَالَ: فَلَا تَعْجَلُوا.

حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فَأَعْرُضَ عَلَيْهِ مَا ذَكَرْتُمْ، قَالَ: فَوَقَفُوا ثُمَّ قَالُوا:

الْقَهْ فَأَعْلَمَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ الْقَنَا بِمَا يَقُولُ، قَالَ: فَانصَرَفَ الْعَبَّاسُ رَاجِعًا يَرْكُضُ إِلَى الْحُسَيْنِ يُخْبِرُهُ بِالْخَبَرِ، وَوَقَفَ أَصْحَابُهُ يُخَاطَبُونَ الْقَوْمَ، فَقَالَ حَبِيبُ بْنُ مَظَاهِرٍ لَزَهْرٍ بْنِ الْقَيْنِ: كُلُّ الْقَوْمِ إِنْ شِئْتَ وَإِنْ شِئْتَ كَلِمَتُهُمْ، فَقَالَ لَهُ زَهْرٍ: أَنْتَ بَدَأْتَ بِهَذَا، فَكُنْ أَنْتَ تَكَلِّمُهُمْ، فَقَالَ لَهُ حَبِيبُ بْنُ مَظَاهِرٍ:

أَمَّا وَاللَّهِ لَبِئْسَ الْقَوْمُ عِنْدَ اللَّهِ غَدَا قَوْمٌ يَقْدُمُونَ عَلَيْهِ قَدْ قَتَلُوا ذُرِّيَّةَ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَتَرَتَهُ وَاهْلَ بَيْتِهِ ص وَعِبَادَ أَهْلِ هَذَا الْمَصْرِ الْمُجْتَهِدِينَ بِالْأَسْحَارِ، وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا، فَقَالَ لَهُ عَزْرَةُ بْنُ قَيْسٍ: أَنْكَ لَتَزَكِي

نَفْسُكَ مَا اسْتَطَعْتَ، فَقَالَ لَهُ زَهْرٍ: يَا عَزْرَةُ، إِنْ اللَّهُ قَدْ زَكَاها وَهَدَاها، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عَزْرَةُ فَإِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ، أَشَدُّكَ اللَّهُ يَا عَزْرَةُ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَعِينُ الضَّلَالَةَ عَلَى قَتْلِ النُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ! قَالَ: يَا زَهْرٍ، مَا كُنْتُ عِنْدَنَا مِنْ شِيعَةِ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ، إِنَّمَا كُنْتُ عِثْمَانِيَا، قَالَ: أَفَلَسْتَ تَسْتَدِلُّ بِمَوْقِفِي هَذَا أَنِّي مِنْهُمْ! أَمَا وَاللَّهِ مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِ كِتَابًا قَطُّ، وَلَا أُرْسِلْتُ إِلَيْهِ رَسُولًا قَطُّ، وَلَا وَعَدْتُهُ نَصْرَتِي قَطُّ، وَلَكِنْ الطَّرِيقُ جَمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ ذَكَرْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ص وَمَكَانَهُ مِنْهُ، وَعَرَفْتُ مَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ مِنْ عَدُوِّهِ وَحُزْبِهِمْ، فَرَأَيْتُ أَنْ أَنْصُرَهُ، وَأَنْ أَكُونَ فِي حَزْبِهِ، وَأَنْ أَجْعَلَ نَفْسِي دُونَ نَفْسِهِ، حَفَظًا لِمَا ضَعِيعَتُمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ ع قَالَ: وَأَقْبَلَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ يَرْكُضُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: يَا هَؤُلَاءِ، إِنْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَسْأَلُكُمْ أَنْ تَنْصَرَفُوا هَذِهِ الْعِشِيَّةَ حَتَّى يَنْظُرَ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَإِنْ هَذَا أَمْرٌ لَمْ يَجْرَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ فِيهِ مَنْطِقٌ، فَإِذَا أَصْبَحْنَا التَّقِينَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَإِمَّا رَضِينَاهُ فَأَتَيْنَا بِالْأَمْرِ الَّذِي تَسْأَلُونَهُ وَتَسُومُونَهُ، أَوْ كَرِهْنَا فَرَدَدْنَاهُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يَرُدَّهُمْ عَنْ تِلْكَ الْعِشِيَّةِ حَتَّى يَأْمُرَ بِأَمْرِهِ، وَيُوصِي أَهْلَهُ، فَلَمَّا أَتَاهُمُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ بِذَلِكَ قَالَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ: مَا تَرَى يَا شَمْرًا؟ قَالَ: مَا تَرَى أَنْتَ، أَنْتَ الْأَمِيرُ وَالرَّأْيُ رَأْيُكَ، قَالَ: قَدْ أَرَدْتُ إِلَّا أَكُونَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ:

مَاذَا تَرُونَ؟ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ سَلْمَةَ الزُّبَيْدِيِّ: سُبْحَانَ اللَّهِ! وَاللَّهِ لَوْ كَانُوا مِنَ الدَّيْلَمِ ثُمَّ سَأَلُوكَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ لَكَانَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَجِيبَهُمْ إِلَيْهَا، وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ: أَجِبْهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوكَ، فَلَعُمْرِي لِيَصْبِحَنَّكَ بِالْقِتَالِ غَدَوَةٌ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمْتُ أَنْ يَفْعَلُوا مَا أَخْرَجْتَهُمُ الْعِشِيَّةَ، قَالَ: وَكَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ حِينَ أَتَى حُسَيْنًا بِمَا عَرَضَ عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ [قَالَ: أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُؤَخِّرَهُمْ إِلَى غَدَوَةٍ وَتَدْفَعَهُمْ عِنْدَ الْعِشِيَّةِ لَعَلَّنَا نَصْلِي لِرَبِّنَا اللَّيْلَةَ وَنَدْعُوهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، فَهُوَ يَعْلَمُ أَنِّي قَدْ كُنْتُ أَحَبَّ الصَّلَاةَ لَهُ وَتِلَاوَةَ كِتَابِهِ وَكَثْرَةَ الدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ!] قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ حَصِيرَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَرِيكَ

الْعَامِرِيِّ، [عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ: أَتَانَا رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ فَقَامَ مِثْلَ حَيْثُ يَسْمَعُ الصَّوْتَ فَقَالَ: إِنَّا قَدْ أَجْلَنَّاكُمْ إِلَى غَدٍ، فَإِنْ اسْتَسْلَمْتُمْ سَرَحْنَا بِكُمْ إِلَى أَمِيرِنَا عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَسْنَا تَارِكِيكُمْ].

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَاصِمٍ الْفَائِشِيُّ، عَنْ الضَّحَّاكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَشْرِقِيِّ - بَطْنٍ مِنْ هَمْدَانَ - أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ جَمَعَ

أَصْحَابَهُ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: وَحَدَّثَنِي أَيْضًا الْحَارِثُ بْنُ حَصِيرَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَرِيكَ الْعَامِرِيِّ، [عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، قَالَا: جَمَعَ الْحُسَيْنُ أَصْحَابَهُ بَعْدَ مَا رَجَعَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ، وَذَلِكَ عِنْدَ قَرَبِ الْمَسَاءِ، قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: فَدَنُوتُ مِنْهُ لِأَسْمَعَ وَأَنَا مَرِيضٌ، فَسَمِعْتُ أَبِي وَهُوَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: أَتُنِي عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحْسَنَ الثَّنَاءِ، وَأَحْمَدَهُ عَلَى السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى أَنْ أَكْرَمْتَنَا بِالنَّبُوءَةِ، وَعَلِمْتَنَا الْقُرْآنَ، وَفَقَهْتَنَا فِي الدِّينِ، وَجَعَلْتَ لَنَا أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً، وَلَمْ تَجْعَلْنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَابًا أَوْلَى وَلَا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِي، وَلَا أَهْلَ بَيْتِ أَبِي وَلَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَجَزَاكَمُ اللَّهُ عَنِّي جَمِيعًا خَيْرًا، أَلَا وَإِنِّي أَظُنُّ يَوْمَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ غَدًا، أَلَا وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ لَكُمْ فَاَنْطَلِقُوا جَمِيعًا فِي حُلٍّ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنِّي ذِمَامٌ، هَذَا لَيْلٌ قَدْ غَشِيَكُمْ، فَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا].

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَاصِمٍ الْفَائِشِيُّ - بَطْنٌ مِنْ هَمْدَانَ - عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَشْرِقِيِّ، قَالَ: قَدِمْتُ وَمَالِكُ بْنُ النُّضَرِ الْأَرْحَبِيُّ عَلَى الْحُسَيْنِ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، ثُمَّ جَلَسْنَا إِلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْنَا، وَرَحَّبَ بِنَا، وَسَأَلَنَا عَمَّا جِئْنَا لَهُ، فَقُلْنَا: جِئْنَا لِنَسْلِمَ عَلَيْكَ، وَنَدْعُو اللَّهَ لَكَ بِالْعَافِيَةِ، وَنُحَدِّثُكَ بِكَ عَهْدًا، وَنُخْبِرُكَ خَيْرَ النَّاسِ، وَإِنَّا نَحْدِثُكَ أَنَّهُمْ قَدْ جَمَعُوا عَلَى حَرْبِكَ فَرَأَيْكَ [فَقَالَ الْحُسَيْنُ ع: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ!] قَالَ: فَتَذَمُّنَا وَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، وَدَعَوْنَا اللَّهَ لَهُ، قَالَ: فَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ نَصْرَتِي؟ فَقَالَ مَالِكُ بْنُ النُّضَرِ: عَلِيٌّ دِينَ، وَلِي عِيَالٌ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنْ عَلِيٌّ دِينًا، وَإِنْ لِي لَعِيَالًا، وَلَكِنَّكَ إِنْ جَعَلْتَنِي فِي حُلٍّ مِنَ الْإِنْصِرَافِ إِذَا لَمْ أَجِدْ مَقَاتِلًا قَاتَلْتُ

عَنْكَ مَا كَانَ لَكَ نَافِعًا، وَعَنْكَ دَافِعًا! قَالَ: قَالَ: فَأَنْتَ فِي حُلٍّ، فَأَقِمْ مَعَهُ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ قَالَ: [هَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ، فَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا، ثُمَّ لِيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِيَدِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، تَفَرَّقُوا فِي سَوَادِكُمْ وَمَدَائِكُمْ حَتَّى يَفْرَجَ اللَّهُ، فَإِنْ الْقَوْمُ إِنَّمَا يَطْلُبُونِي، وَلَوْ قَدْ أَصَابُونِي لَهَا عَنْ طَلَبٍ غَيْرِي،] فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ وَأَبْنَاؤُهُ وَبَنُو أَخِيهِ وَابْنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ: لَمْ نَفْعَلْ لِنَبْقَى بِعَدِّكَ، لَا أَرَانَا اللَّهَ ذَلِكَ أَبَدًا، بَدَأَهُمْ بِهَذَا الْقَوْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ ثُمَّ إِنَّهُمْ تَكَلَّمُوا بِهَذَا وَنَحْوِهِ، [فَقَالَ الْحُسَيْنُ ع: يَا بَنِي عَقِيلٍ، حَسْبُكُمْ مِنَ الْقَتْلِ بِمُسْلِمٍ،] أَذْهَبُوا قَدْ أَذْنَتْ لَكُمْ، قَالُوا: فَمَا يَقُولُ النَّاسُ! يَقُولُونَ إِنَّا تَرَكْنَا شَيْخَنَا وَسَيِّدَنَا وَبَنِي عَمُّومَتِنَا خَيْرَ الْأَعْمَامِ، وَلَمْ نَزِمْ مَعَهُمْ بِسَهْمٍ، وَلَمْ نَطْعَنْ مَعَهُمْ بِرُمْحٍ، وَلَمْ نَضْرِبْ مَعَهُمْ بِسَيْفٍ، وَلَا نَدْرِي مَا صَنَعُوا! لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعَلُ، وَلَكِنْ تَغْدِيكَ أَنْفُسُنَا وَأَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا، وَنُقَاتِلُ مَعَكَ حَتَّى نَرُدَّ مَوْرَدَكَ، فَتَقْبَحَ اللَّهُ الْعَيْشَ بِعَدِّكَ! قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَاصِمٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَشْرِقِيِّ، قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ مُسْلِمُ بْنُ عَوْصَجَةَ الْأَسَدِيُّ فَقَالَ: أَنَحْنُ نَخْلِي عَنْكَ وَلَمَّا نَعُذِرْ إِلَى اللَّهِ فِي أَدَاءِ حَقِّكَ! أَمَّا وَاللَّهِ حَتَّى أَكْسِرَ فِي صَدُورِهِمْ رُحْمِي، وَأُضْرِبَهُمْ بِسَيْفِي مَا ثَبَتَ قَائِمُهُ فِي يَدِي، وَلَا أَفَارِقُكَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَعِيَ سِلَاحٌ أَقَاتِلُهُمْ بِهِ لَقَدْ فَتَمْتُ بِالْحِجَارَةِ دُونَكَ حَتَّى أَمُوتَ مَعَكَ.

قَالَ: وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَنْفِيُّ: وَاللَّهِ لَا نَخْلِيكَ حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ أَنَا حَفِظْنَا غِيْبَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَ فَيْكَ، وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنِّي أَقْتُلُ ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أَحْرَقُ حَيًّا ثُمَّ أَذْرُ، يَفْعَلُ ذَلِكَ بِي سَبْعِينَ مَرَّةً مَا فَارَقْتُكَ حَتَّى أَلْقَى حَمَامِي دُونَكَ، فَكَيْفَ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ! وَإِنَّمَا هِيَ قِتْلَةٌ وَاحِدَةٌ، ثُمَّ هِيَ الْكَرَامَةُ الَّتِي لَا انْقِضَاءَ لَهَا أَبَدًا.

قَالَ: وَقَالَ زَهِيرُ بْنُ الْقَيْنِ: وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي قَتَلْتُ ثُمَّ نَشَرْتُ ثُمَّ قَتَلْتُ حَتَّى أَقْتُلَ كَذَا أَلْفَ قِتْلَةٍ، وَأَنْ اللَّهَ يَدْفَعُ بِذَلِكَ الْقَتْلَ عَنْ نَفْسِكَ وَعَنْ أَنْفُسِ

هَؤُلَاءِ الْفَتِيَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ قَالَ: وَتَكَلَّمَ جَمَاعَةٌ أَصْحَابَهُ بِكَلَامٍ يُشَبِّهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي وَجْهِ وَاحِدٍ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَا نَفَارِقُكَ، وَلَكِنْ أَنْفُسُنَا لَكَ الْفِدَاءَ، نَقِيكَ بِخَوْرِنَا وَجَبَاهُنَا وَأَيْدِينَا، فَإِذَا نَحْنُ قَتَلْنَا كَمَا وَفِينَا، وَقَضَيْنَا مَا عَلَيْنَا.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ وَابُو الضَّحَّاكِ، [عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: إِنِّي جَالِسٌ فِي تِلْكَ الْعَشِيَةِ الَّتِي قُتِلَ أَبِي صَبِيحَتَهَا، وَعَمَّتِي زَيْنَبٌ عِنْدِي تَمْرُضُنِي، إِذْ اعْتَزَلَ أَبِي بِأَصْحَابِهِ فِي خَبَاءٍ لَهُ، وَعِنْدَهُ حَوِيٌّ، مَوْلَى أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ، وَهُوَ يَعَالِجُ سَيْفَهُ وَيَصْلَحُهُ وَأَبِي يَقُولُ:

يَا دهر أف لك من خليل ... كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيل ... والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل ... وكل حي سالك السبيل

قال: فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتها، فعرفت ما أراد، فخنقتني عبرتي، فرددت دمعي ولزمت السكون، فعلمت أن البلاء قد نزل، [فأما عمتي فإنها سمعت ما سمعت، وهي امرأة، وفي النساء الرقة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبتت تجر ثوبها، وانها لحاسره حتى انتهت إليه، فقالت:

وا ثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! اليوم ماتت فاطمة أمي وعلي أبي وحسن أخي، يا خليفة الماضي، وثمان الباقي، قال: فنظر إليّ الحُسَيْن ع فقال: يا أخية، لا يذهبن حلك الشيطان،] قالت: بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله! استقتلت نفسي فداك، فرد غصته، وترقرقت عيناه، وقال: لو ترك القطا ليلاً لنام، قالت: يا ويلتي، افتغصب نفسك اغتصاباً، فذلك أقرح لقلبي، وأشد على نفسي! ولطمت وجهها، وأهوت إلى جيبها وشقته، وخرت مغشياً عليّ، فقام إليّ الحُسَيْن فصب على وجهها الماء، [وقال لها: يا أخية، اتقي الله وتعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأن أهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالكٌ

إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده، أبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة، قال: فعزاها بهذا ونحوه، وقال لها: يا أخية، إني أقسم عليك فأبري قسمي، لا تشقي علي جيباً، ولا تخشي علي وجهاً، ولا تدعي علي بالويل والثبور إذا أنا هلكت،] قال: ثم جاء بها حتى أجلسها عندي، وخرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقربوا بعض بيوتهم من بعض، وأن يدخلوا الأطناب بعضها في بعض، وأن يكونوا هم بين البيوت إلا الوجه الذي يأتيهم منه عدوهم. قال أبو مخنف: عن عبد الله بن عاصم، عن الضحاك بن عبد الله المشرقي، قال: فلما أمسى حُسَيْن وأصحابه قاموا الليل كله يصلون ويستغفرون، ويدعون ويتضرعون، قال: فتمر بنا خيل لهم تحرسنا، وإن حسينا ليقروا: «ولا يحسن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب» فسمعها رجل من تلك الخيل التي كانت تحرسنا، فقال: نحن ورب الكعبة الطيبون، ميزنا منكم.

قال: فعرفته فقلت لبرير بن حضير: تدري من هذا؟ قال: لا، قلت هذا أبو حرب السبيعي عبد الله بن شهر- وكان مضحكا بطالاً، وكان شريفاً شجاعاً فاتكاً، وكان سعيد بن قيس ربما حبسه في جناية- فقال له برير بن حضير: يا فاسق، أنت يجعلك الله في الطيبين! فقال له: من أنت؟ قال: أنا برير بن حضير، قال: إنا لله! عز علي! هلكت والله، هلكت والله يا برير! قال: يا أبا حرب، هل لك أن تنوب إلى الله من ذنوبك العظام! فوالله إنا لنحن الطيبون، ولكنكم لأنتم الخبيثون، قال: وأنا على ذلك من الشاهدين، قلت: ويحك! أفلا ينفعك معرفتك! قال: جعلت فداك! فمن ينادم يزيد بن عذرة العنزي من عنز بن وائل! قال: ها هو ذا معي، قال: قبح الله رأيك على كل حال! أنت سفيه قال: ثم انصرف

عنا، وكان الذي يحرسنا بالليل في الخيل عزرة بن قيس الأحمسي، وكان على الخيل، قال: فلما صلى عمر بن سعد الغداة يوم السبت- وقد بلغنا أيضاً أنه كان يوم الجمعة، وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء- خرج فيمن معه من الناس.

قال: وعباً الحُسَيْن أصحابه، وصلى بهم صلاة الغداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون رجلاً، فجعل زهير بن القين في ميمنة أصحابه، وحبيب بن مظاهر في ميسرة أصحابه، وأعطى رايته العباس بن علي أخاه، وجعلوا البيوت في ظهورهم، وأمر بحطب وقصب كان من وراء البيوت يحرق بالنار مخافة أن يأتوهم من ورائهم قال: وكان الحُسَيْن ع أتى بقصب وحطب إلى مكان من ورائهم منخفض كأنه ساقية، فحفروه في ساعة من الليل، فجعلوه كالخندق، ثم ألقوا فيه ذلك الحطب والقصب، وقالوا: إذا عدوا علينا فقاتلونا ألقينا فيه النار كيلاً نؤتي من ورائنا، وقاتلنا القوم من وجه واحد ففعلوا، وكان لهم نافعاً.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي فَضِيلُ بْنُ خَدِيجٍ الْكَنْدِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَشْرٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَضْرَمِيِّ، قَالَ: لما خرج عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ بِالنَّاسِ كَانَ عَلَى رِجْلِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَهْرٍ بْنُ سَلِيمٍ الْأَزْدِيُّ، وَعَلَى رِجْلِ مَذْحِجٍ وَأَسَدُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ الْجَعْفِيُّ، وَعَلَى رِجْلِ رَيْبَعَةَ وَكَندَةَ قَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ، وَعَلَى رِجْلِ تَيْمٍ وَهَمْدَانَ الْحَرَبِ بْنِ يَزِيدَ الرِّيَّاحِيِّ، فَشَهِدَ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مَقْتَلَ الْحُسَيْنِ إِلَّا الْحَرَبِ بْنِ يَزِيدَ فَإِنَّهُ عَدَلَ إِلَى الْحُسَيْنِ، وَقَتَلَ مَعَهُ وَجَعَلَ عَمْرٌ عَلَى مِيمَنَتِهِ وَعَمْرُو بْنُ الْحِجَابِ الزُّبَيْدِيُّ، وَعَلَى مِيسَرَتِهِ شَمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ بْنِ شَرْحِبِيلَ بْنِ الْأَعُورِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُعَاوِيَةَ - وَهُوَ الضُّبَابُ بْنُ كَلَابٍ - وَعَلَى الْخَيْلِ عِزْرَةُ بْنُ قَيْسٍ الْأَحْمَسِيِّ، وَعَلَى الرِّجَالِ شُبْتُ بْنُ رَبِيعِ الرِّيَّاحِيِّ، وَأَعْطَى الرَّايَةَ ذُوَيْدًا مَوْلَاهُ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ الْجَمَلِيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ الْخَنْفِيِّ،

عَنْ غُلَامٍ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: كنت مع مولاي، فلما حضر الناس وأقبلوا إِلَى الْحُسَيْنِ، أَمَرَ الْحُسَيْنُ بِفَسْطَاطٍ فَضَرَبَ، ثُمَّ أَمَرَ بِمَسْكٍ فِثْ فِي جَفْنَةٍ عَظِيمَةٍ أَوْ صَفْحَةٍ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلَ الْحُسَيْنُ ذَلِكَ الْفَسْطَاطَ فَتَطَلَّى بِالنُّورَةِ قَالَ: ومولاي عبد الرحمن بن عبد ربِّهِ وَبَرِيرُ بْنُ حَضِيرِ الْهَمْدَانِيِّ عَلَى بَابِ الْفَسْطَاطِ تَحْتِكَ مَنَاكِبَهُمَا، فَازْدَحَمَا أَيُّهُمَا يَطْلِي عَلَى أَثَرِهِ، فَجَعَلَ بَرِيرٌ يَهَازِلُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ:

دَعْنَا، فَوَاللَّهِ مَا هَذِهِ بِسَاعَةٍ بَاطِلٍ، فَقَالَ لَهُ بَرِيرٌ: وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنِّي مَا أَحْبَبْتُ الْبَاطِلَ شَابًا وَلَا كَهْلًا، وَلَكِنْ وَاللَّهِ إِنِّي لَمُسْتَبْشِرٌ بِمَا نَحْنُ لَاقُونَ، وَاللَّهِ إِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْحُورِ الْعَيْنِ إِلَّا أَنْ يَمِيلَ هَؤُلَاءِ عَلَيْنَا بِأَسْيَافِهِمْ، وَلَوْ دِدْتُ أَنَّهُمْ قَدْ مَالُوا عَلَيْنَا بِأَسْيَافِهِمْ قَالَ: فلما فرغ الْحُسَيْنُ دَخَلْنَا فَاطِلِينَ، قَالَ:

ثُمَّ إِنْ الْحُسَيْنُ رَكِبَ دَابَّتَهُ وَدَعَا بِمَصْحَفٍ فَوَضَعَهُ أَمَامَهُ، قَالَ: فَاقْتَتَلَ أَصْحَابَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ قِتَالًا شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَيْتِ الْقَوْمَ قَدْ صَرَعُوا أَفْلَتَ وَتَرَكْتَهُمْ قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْكَاهِلِيِّ، قَالَ:

لَمَّا صَبَحَتِ الْخَيْلُ الْحُسَيْنَ رَفَعَ الْحُسَيْنُ يَدَيْهِ، فَقَالَ: [اللَّهُمَّ أَنْتَ ثَقَتِي فِي كُلِّ كَرْبٍ، وَرَجَائِي فِي كُلِّ شِدَّةٍ، وَأَنْتَ لِي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزْلٌ بِي ثِقَةٌ وَعُدَّةٌ، كَمْ مِنْهُمْ يَضْعَفُ فِيهِ الْفُؤَادُ، وَتَقِلُّ فِيهِ الْحِيلَةُ، وَيَخْذَلُ فِيهِ الصَّدِيقُ، وَيَشْمَتُ فِيهِ الْعَدُوُّ، أَنْزَلْتَهُ بِكَ، وَشَكُوته إِلَيْكَ، رَغْبَةً مِنْي إِلَيْكَ عَمَّنْ سِوَاكَ، فَفَرَجْتَهُ وَكَشَفْتَهُ، فَأَنْتَ وَلِيَّ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَصَاحِبُ كُلِّ حَسَنَةٍ، وَمُنْتَهَى كُلِّ رَغْبَةٍ].

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي الضُّحَّاكُ الْمَشْرِقِيُّ، قَالَ: لما أقبلوا نحونا فنظروا إِلَى النَّارِ تَضَطَّرُّمٌ فِي الْحَطَبِ وَالْقَصَبِ الَّذِي كَانَا أَهْلُنَا فِيهِ النَّارِ مِنْ وَرَائِنَا لَثَلَا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا، إِذْ أَقْبَلَ إِلَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلٌ يَرْكُضُ عَلَى فَرَسٍ كَامِلِ الْأَدَاةِ، فَلَمْ يَكُنْ يَكُنْ حَتَّى مَرَّ عَلَى أَيْبَاتِنَا، فَنَظَرَ إِلَى أَيْبَاتِنَا فَإِذَا هُوَ لَا يَرَى إِلَّا حَطْبًا تَلْتَهَبُ النَّارُ فِيهِ، فَجَرَعَ رَاجِعًا، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا حُسَيْنُ، اسْتَعْجَلْتَ النَّارَ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ! [فَقَالَ]

الْحُسَيْنُ: مَنْ هَذَا؟ كَأَنَّهُ شَمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ! فَقَالُوا: نَعَمْ، أَصْلَحَكَ اللَّهُ! هُوَ هُوَ، فَقَالَ: يَا بَنَ رَاعِيَةِ الْمَعْرَى، أَنْتَ أَوَّلُ يَهَا صَلِيَاءٍ، فَقَالَ لَهُ مُسْلِمُ بْنُ عَوْسَجَةَ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، جَعَلْتَ فِدَاكَ! أَلَا أَرَمِيهِمْ بِسَهْمٍ! فَإِنَّهُ قَدْ أَمَكَّنِي، وَلَيْسَ يَسْقُطُ مِنْي سَهْمٌ، فَالْفَاسِقُ مِنْ أَعْظَمِ الْجَبَّارِينَ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: لَا تَرَمَهُ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَهُمْ، وَكَانَ مَعَ الْحُسَيْنِ فَرَسٌ لَهُ يُدْعَى لِاحِقًا حَمَلٌ عَلَيْهِ ابْنُهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: فلما دنا منه القوم عاد براحتله فركبها، ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ دَعَاءً يَسْمَعُ جُلُ النَّاسِ:

أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا قَوْلِي، وَلَا تَعْجَلُونِي حَتَّى أَعْظِمَ بِمَا لَحِقَ لَكُمْ عَلَيَّ، وَحَتَّى أَعْتَذَرَ إِلَيْكُمْ مِنْ مَقْدَمِي عَلَيْكُمْ، فَإِنْ قَبِلْتُمْ عَذْرِي، وَصَدَقْتُمْ قَوْلِي، وَأَعْطَيْتُمُونِي النِّصْفَ، كُنْتُمْ بِذَلِكَ أَسْعَدُ، وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَلَيَّ سَبِيلٌ، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلُوا مِنْي الْعَذْرَ، وَلَمْ تَعْطُوا النِّصْفَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ «فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ»، «إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ» قَالَ: فلما سمع أخواته كلامه هذا صحن وبكين، وبكى بناته فارفعت أصواتهن، فأرسل إليهن أخاه العباس ابن علي وعليهما

ابنه، وَقَالَ لهما: أَسْكَاھن، فلعمری لیكثرن بكاؤھن، قَالَ: فلما ذہبا لیسكَاھن قَالَ: لا یبعد ابن عَبَّاس، قَالَ: فظننا أنه إنما قالها حين سمع بكاءھن، لأنه قَدْ كَانَ نہاء أن یخرج بہن، فلما سكتن حمد الله وأثنى علیہ، وذكر الله بِمَا هو اھله، وصلى على محمد ص وعلى ملائكتہ وأنبیائہ، فذكر من ذَلِكَ مَا الله أعلم وما لا یحصى ذكرہ.

قَالَ: فو الله مَا سمعت متكلمًا قط قبلہ ولا بعده أبلغ فی منطقٍ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ:

أَمَّا بَعْدُ، فانسبونی فانظروا من أنا، ثُمَّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا، هل یحل لكم قتلی وانتہاك حرمتی؟ ألسنت ابن بنت نبیکم ص وابن وصیہ وابن عمہ، وأول المؤمنین بالله والمصدق لِرسولِهِ بِمَا جَاءَ بِهِ من عِنْد ربِّه! أو لیس حمزة سید الشهداء عم أبي! أو لیس جَعْفَرُ الشہید الطیار

ذو الجناحین عمی! [أو لم یبلغكم قول مستفیض فیكم: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ لی ولأخي: هَذَا نِ سیدا شباب أهل الجنة!] فَإِنْ صدقتمونی بِمَا أَقول- وهو الحق- فو الله مَا تعمدت كذبا مذ علمت أن الله یمت علیہ اھله، ویضر به من اختلقه، وإن كذبتونی فَإِنْ فیكم من إن سألتموه عن ذَلِكَ أخبركم، سلوا جابر بن عبدِ الله الأنصاري، أو أبا سَعِيد الخدری، أو سَهْل بن سَعْد الساعدي، أو زَيْد بن أَرْقَم، أو أنس بن مالك، یخبروكم أَنَّهُم سمعوا هذه المقالة من رسولِ الله ص لی ولأخي.

أفما فی هَذَا حاجز لكم عن سفك دمی! فَقَالَ لَهُ شمر بن ذي الجوشن:

هُوَ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ إِنْ كَانَ یدری مَا یقول! فَقَالَ لَهُ حبيب بن مظاهر:

وَاللَّهِ إِنِّي لأراك تعبد الله على سبعین حرفا، وأنا أشهد أنك صادق مَا تدری مَا یقول، قَدْ طبع الله على قلبك، ثُمَّ قَالَ لَهُمُ الْحُسَيْن: فَإِنْ كنتم فی شك من هَذَا القول أفتشكون أثرا مَا أَنی ابن بنت نبیکم! فو الله مَا بین المشرق والمغرب ابن بنت نبي غیري مِنْكُمْ وَلَا من غیركم، أنا ابن بنت نبیکم خاصة.

أخبرونی، أطلبونی بقتیل مِنْكُمْ قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص من جراحة؟ قَالَ: فأخذوا لا یكلهونه، قَالَ: فنادی: یا شُبَّانِ بن ربیع، ویا حجار بن أبجر، ویا قیس بن الأشعث، ویا یزید بن الحارث، ألم تكتبوا إلی أن قَدْ أینعت الثمار، واخضر الجناوب، وطمت الجمام، وإنما تقدم على جند لك مجند، فأقبل! قَالُوا لَهُ: لم نفعل، فَقَالَ: سبحان الله! بلی وَاللَّهِ، لقد فعلتم، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِذِ كرهتمونی فدعونی أنصرف عنكم إلى مأمني من الأرض، قَالَ: فَقَالَ لَهُ قیس بن الأشعث:

أو لا تنزل على حکم بني عمك، فإنهم لن یروك إلا مَا تحب، ولن یصل إلیك منهم مكروه؟ فقال الحُسَيْن: أنت أخو أخیک، أترید أن یطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقیل، [لا وَاللَّهِ لا أعطيهم بیدي إعطاء الذلیل، ولا أقر إقرار العبیذ عباد الله، إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُون]

أعوذ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا یؤمن بیوم الحساب، قَالَ: ثُمَّ إِنَّه أَنَاخ راحلته، وأمر عقبة بن سمعان فعلقها، وأقبلوا یزحفون نحوه. قَالَ أَبُو مخنف: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حَنْظَلَةَ بن أسعد الشامي، عن رجل من قومه شهد مقتل الحُسَيْن حين قتل یقال لَهُ كثير بن عبدِ الله الشَّعْبِي، قَالَ: لما زحفنا قبل الحسین خرج إلینا زهير بن قین على فرس لَهُ ذنوب، شاك فی السلاح، فَقَالَ: یا أَهْلَ الْكُوفَةِ، نذار لكم من عذاب الله نذار! إِنْ حقا على المسلم نصيحة أخیه المسلم، ونحن حتَّى الآن إخوة، وعلى دین واحد وملة واحدة، مَا لم یقع بیننا وبینكم السیف، وَأَنْتُمْ للنصیحة منا أهل، فإذا وقع السیف انقطعت العصمة، وكنا أمة وَأَنْتُمْ أمة، إِنْ الله قَدْ ابتلانا وإياكم بذریة نبیه محمد ص لینظر مَا نحن وَأَنْتُمْ عاملون، إنا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغیة عُبَیدِ اللَّهِ بن زیاد، فَإِنْكم لا تدركون منهما إلا بسوء عمر سلطانهما كله، لیسملان أعینكم، ویقطعان أیدیكم وأرجلكم، ویمثلان بكم، ویرفعانكم على جذوع النخل، ویقتلان أمثالكم وقراءكم، أمثال حجر بن عدي وأصحابه، وهانی بن عروة وأشباهه، قَالَ:

فسبوه، وأثنوا على عبید الله بن زياد، ودعوا له، وقالوا: والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه، أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عبید الله سلمه، فقال لهم: عباد الله، إن ولد فاطمة رضوان الله عليها أحق بالود والنصر من ابن سمية، فإن لم تنصروهم فأعیدكم بالله أن تقتلوهم، نخلوا بين الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية، فلعمري إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، قال: فرماه شمر بن ذي الجوشن بسهم وقال: اسكت أسكت الله نأمتك، أبرمتنا بكثرة كلامك! فقال له زهير: يا بن البوال على عقبه، ما إياك أخاطب، إنما أنت بهيمة، والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين، فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم، فقال له شمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة، قال: أفالموت تخوفني!

فو الله للموت معه أحب إلي من الخلد معكم، قال: ثم أقبل على الناس رافعا صوته، فقال: عباد الله، لا يغرنكم من دينكم هذا الجلف الجاني وأشباهه، فو الله لا تنال شفاعه محمد ص قوما هراقوا دماء ذريته وأهل بيته، وقتلوا من نصرهم وذبح عن حريمهم، قال: فناداه رجل فقال له: إن أبا عبد الله يقول لك: أقبل، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء، لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ! قال أبو مخنف: عن أبي جناب الكلبي، عن عدي بن حرملة، قال: ثم إن الحر بن يزيد لما زحف عمر بن سعد قال له: أصلحك الله! مقاتل أنت هذا الرجل؟ قال: إي والله قتالا أسره أن تسقط الرءوس وتطيح الأيدي، قال: أفما لكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضا؟

قال عمر بن سعد: أما والله لو كان الأمر إلي لفعلت، ولكن أميرك قد أبى ذلك، قال: فأقبل حتى وقف من الناس موقفا، ومعه رجل من قومه يقال له قرة بن قيس، فقال: يا قرة، هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا، قال: إنما تريد أن تسقيه؟ قال: فظننت والله أنه يريد أن يتنحى فلا يشهد القتال، وكره أن أراه حين يصنع ذلك، فيخاف أن أرفعه عليه، فقلت له: لم أسقه، وأنا منطلق فساقه، قال: فاعتزلت ذلك المكان الذي كان فيه، قال: فو الله لو أنه أطلعني على الذي يريد لخرجت معه إلى الحسين، قال:

فأخذ يدنو من حسين قليلا قليلا، فقال له رجل من قومه يقال له المهاجر ابن أوس: ما تريد يا بن يزيد؟ أتريد أن تحمل؟ فسكت وأخذه مثل العرواء، فقال له يا بن يزيد؟ أتريد أن تحمل؟ فسكت وأخذه مثل العرواء، فقال له يا بن يزيد، والله إن أمرك لمريب، والله ما رأيت منك في موقف قط مثل شيء أراه الآن، ولو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة رجلا ما عدوتك، فها هذا الذي أرى منك! قال: إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار، وو الله لا أختار على الجنة شيئا ولو قطعت وحرقت، ثم ضرب فرسه فلحق بحسين ع، فقال له: جعلني الله فداك يا بن رسول الله! أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسأيرتك في الطريق،

وجعجت بك في هذا المكان، والله الذي لا إله إلا هو ما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبدا، ولا يبلغون منك هذه المنزلة فقلت في نفسي: لا أبالي أن أطيع القوم في بعض أمرهم، ولا يرون أنني خرجت من طاعتهم وأما هم فسيقبلون من حسين هذه الخصال التي يعرض عليهم، وو الله لو ظننت أنهم لا يقبلونها منك ما ركبته منك، وإني قد جئتكم تائبا مما كان مني إلى ربي، ومواسيا لك بنفسي حتى أموت بين يديك، أفترى ذلك لي توبة؟

قال: نعم، يتوب الله عليك، ويغفر لك، ما اسمك؟ قال: أنا الحر بن يزيد، [قال: أنت الحر كما سمتك أمك، أنت الحر إن شاء الله في الدنيا والآخرة، انزل، قال: أنا لك فارسا خير مني راجلا، أقاتلهم على فرسي ساعة، وإلى النزول ما يصير آخر أمري قال الحسين: فاصنع يرحمك الله ما بدا لك] فاستقدم أمام أصحابه ثم قال: أيها القوم، ألا تقبلون من حسين خصلة من هذه الخصال التي عرض عليكم فيعافيك الله من حربه وقتاله؟ قالوا: هذا الأمير عمر بن سعد فكله، فكله بمثل ما كلمه به قبل، وبمثل ما كلم به أصحابه، قال عمر: قد حرصت، لو وجدت إلى ذلك سبيلا فعلت، فقال: يا أهل الكوفة، لأمكم الهبل والعبر إذ دعوتوه حتى إذا أتاكم اسلمتموه،

وزعمتم انكم قاتلو أنفسكم دونه، ثُمَّ عدوتم عَلَيْهِ لتقتلوه، أمسكتم بنفسه، وأخذتم بكظمه، وأحطتم بِهِ من كل جانب، فنعمتموه التوجه في بلاد الله العريضة حَتَّى يَأْمَنَ ويَأْمَنَ أَهْلُ بَيْتِهِ، وأصبح في أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعا، وَلَا يدفع ضرا، وحلأتموه ونساءه وأصبيته وأصحابه عن ماء الفرات الجاري الَّذِي يشربه اليهودي والمجوسي والنصراني، وتمرغ فِيهِ خنازير السواد وكلابه، وها هم أولاء قَدْ صرعوهم العطش، بئسما خلفتم مُحَمَّدًا فِي ذريته! لا سقاكم الله يوم الظلِّ! إن لم تثوبوا وتنزعوا عما أنتم عَلَيْهِ من يومكم هَذَا فِي ساعتكم هَذِهِ فحملت عَلَيْهِ رجالة لَّهُمْ ترميه بالنبل، فأقبل حَتَّى وقف أمام الحُسَيْنِ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ، عن الصقعب بن زهير وسُلَيْمَانَ بن أَبِي راشد، عن حميد بن مسلم، قَالَ: وزحف عُمَرُ بن سَعْدٍ نحوهم، ثم نادى: يا ذويد، أدن رأيتك، قَالَ: فأدناها ثُمَّ وضع سهمه فِي كبد قوسه، ثُمَّ رمى فَقَالَ: اشهدوا أَنِّي أول من رمى.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي أَبُو جَنَابٍ، قَالَ: كَانَ مِنَّا رَجُلٌ يدعى عَبْدُ اللَّهِ بن عمير، من بني عليم، كَانَ قَدْ نَزَلَ الْكُوفَةَ، واتخذَ عِنْدَ بَثْرِ الجعد من همدان دارا، وكانت مَعَهُ امرأه له من النمر بن قاسط يقال لها أم وهب بنت عبد، فرأى القوم بالنخيلة يعرضون ليسرحوا إِلَى الحُسَيْنِ، قَالَ:

فسأل عَنْهُمْ، فقتل لَهُ: يسرحون إِلَى حُسَيْنِ بن فاطمة بنت رسول الله ص، فَقَالَ: وَاللَّهِ لقد كنت عَلَى جهاد أهل الشرك حريصا، وإني لأرجو ألا يكون جهاد هؤلاء الَّذِينَ يغزون ابن بنت نبيهم أيسر ثوبا عِنْدَ اللَّهِ من ثوبه إِيَّاي فِي جهاد المشركين، فدخل إِلَى امرأته فأخبرها بِمَا سمع، وأعلمها بِمَا يريد، فَقَالَتْ: أصبت أصاب الله بك أرشد أمورك، افعل وأخرجني معك، قَالَ: نخرج بِهَا ليلا حَتَّى أَتِي حُسَيْنًا، فأقام مَعَهُ، فلما دنا مِنْهُ عُمَرُ بن سَعْدٍ ورمى بِسهم ارتمى الناس، فلما ارتموا خرج يسار مولى زياد بن أَبِي سُفْيَانَ وسالم مولى عُبَيْدِ اللَّهِ بن زياد، فقالا: من يبارز؟ ليخرج إلينا بعضكم، قَالَ: فوثب حبيب بن مظاهر وبرير بن حضير، فَقَالَ لهما حُسَيْنٌ: اجلسا، فقام عَبْدُ اللَّهِ بن عمير الكلبي فَقَالَ: أبا عَبْدَ اللَّهِ، رحمك الله! ائذن لي فلأخرج إليهما، فرأى حُسَيْنٌ رجلا آدم طويلا شديد الساعدین بعيد ما بين المنكبين، فَقَالَ حُسَيْنٌ: إني لأحسبه للأقران قتالا، اخرج إن شئت، قَالَ: نخرج إليهما، فقالا لَهُ: من أنت؟ فانتسب لهما، فقالا: لا نعرفك، ليخرج إلينا زهير بن القين أو حبيب بن مظاهر أو برير بن حضير، ويسار مستتيل أمام سالم، فَقَالَ لَهُ الكلبي: يا بن الزانية، وبك رغبة عن مبارزة أحد من النَّاسِ، وما يخرج إليك أحد من النَّاسِ الا وهو

خير منك، ثُمَّ شد عَلَيْهِ فضربه بسيفه حَتَّى برد، فإنه لمشتغل بِهِ يضربه بسيفه إذ شد عَلَيْهِ سَلَامٌ، فصاح بِهِ: قَدْ رَهَقَكَ الْعَبْدُ، قَالَ: فلم يَأْبَهُ لَهُ حَتَّى غَشِيَهُ فبدره الضربة، فاتقاه الكلبي بيده اليسرى، فأطار أصابع كفه اليسرى، ثُمَّ مال عَلَيْهِ الكلبي فضربه حَتَّى قتله، وأقبل الكلبي مرتجزا وهو يقول، وَقَدْ قَتَلْتُمَا جَمِيعًا:

إن تتكروني فانا ابن كلب حسي يتي في عليم حسي اني امرو ذو مرة وعصب ولست بالخواار عِنْدَ النكب إني زعيم لك أم وهب بالطنع فِيهِمْ مقدما والضرب ضرب غلام مؤمن بالرب.

فأخذت أم وهب امرأته عمودا، ثُمَّ أقبلت نحو زوجها تقول لَهُ: فداك أبي وأمي! قاتل دون الطيبين ذرية مُحَمَّدٍ، فأقبل إِلَيْهَا يردّها نحو النساء فأخذت تجاذب ثوبه، ثُمَّ قالت: إني لن أدعك دون أن أموت معك، [فناداها حُسَيْنٌ، فَقَالَ: جزيم من أهل بيت خيرا، ارجعي رحمك الله إِلَى النساء فاجلسي معهن، فإنه ليس عَلَى النساء قتال، فانصرفت إِلَيْهِنَّ].

قَالَ: وحمل عَمْرُو بن الحجاج وهو عَلَى ميمنة الناس فِي الميمنة، فلما أن دنا من حُسَيْنٍ جثوا لَهُ عَلَى الركب، وأشرعوا الرماح نحوهم، فلم تقدم خيلهم عَلَى الرماح، فذهبت الخيل لترجع، فرشقوهم بالنبل، فصرعوا مِنْهُمْ رجالا، وجرحوا مِنْهُمْ آخرين.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي حُسَيْنٌ أَبُو جَعْفَرٍ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ - يَقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَوْزَةَ - جَاءَ حَتَّى وَقَفَ أَمَامَ الْحُسَيْنِ، فَقَالَ:

يَا حُسَيْنُ، يَا حُسَيْنُ! فَقَالَ حُسَيْنٌ: مَا تَشَاءُ؟ قَالَ: أَبْشِرْ بِالنَّارِ، [قَالَ: كَلَّا، إِنِّي أَقْدَمُ عَلَى رَبِّ رَحِيمٍ، وَشَفِيعٌ مَطَاعٌ، مِنْ هَذَا؟ قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: هَذَا ابْنُ حَوْزَةَ، قَالَ: رَبُّ حَزْهَ إِلَى النَّارِ،] قَالَ: فَاضْطَرَبَ بِهِ فَرَسُهُ فِي

جَدُولٍ فَوْقَ فَوْقٍ فِيهِ، وَتَعَلَّقَتْ رِجْلُهُ بِالرَّكَابِ، وَوَقَعَ رَأْسُهُ فِي الْأَرْضِ، وَنَفَرَ الْفَرَسُ، فَاخْذَمَ بِهِ فَيَضْرِبُ بِرَأْسِهِ كُلَّ حَجَرٍ وَكُلِّ شَجَرَةٍ حَتَّى مَاتَ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَأَمَّا سُؤِيدُ بْنُ حِيَةَ، فَرَعِمَ لِي أَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَوْزَةَ حِينَ وَقَعَ فَرَسُهُ بِقَيْتِ رِجْلِهِ الْيَسْرَى فِي الرَّكَابِ، وَارْتَفَعَتِ الْيَمْنَى فَطَارَتْ، وَعَدَا بِهِ فَرَسُهُ يَضْرِبُ رَأْسَهُ كُلَّ حَجَرٍ وَأَصْلَ شَجَرَةٍ حَتَّى مَاتَ قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ وَائِلٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ أَخِيهِ مَسْرُوقِ بْنِ وَائِلٍ، قَالَ: كُنْتُ فِي أَوَائِلِ الْخَيْلِ مِنْ سَارِ إِلَى الْحُسَيْنِ، فَقُلْتُ: أَكُونُ فِي أَوَائِلِهَا لَعَلِّي أَصِيبُ رَأْسَ الْحُسَيْنِ، فَأَصِيبُ بِهِ مَنَازِلَةً عِنْدَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، قَالَ: فَلَمَّا اتَّهَيْنَا إِلَى حُسَيْنٍ تَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ يَقَالُ لَهُ ابْنُ حَوْزَةَ، فَقَالَ: أَفِيكُمْ حُسَيْنٌ؟ قَالَ: فَسَكَتَ حُسَيْنٌ، فَقَالَهَا ثَانِيَةً، فَأَسَكَتَ حَتَّى إِذَا كَانَتِ الثَّلَاثَةُ قَالَ: قُولُوا لَهُ: نَعَمْ، هَذَا حُسَيْنٌ، فَمَا حَاجَتُكَ؟

قَالَ: يَا حُسَيْنُ، أَبْشِرْ بِالنَّارِ، قَالَ: كَذَبْتَ، [بَلْ أَقْدَمُ عَلَى رَبِّ غَفُورٌ وَشَفِيعٌ مَطَاعٌ، فَمَنْ أَنْتَ؟] قَالَ: ابْنُ حَوْزَةَ، قَالَ، فَرَفَعَ الْحُسَيْنُ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا بَيَاضَ إِبْطِيهِ مِنْ فَوْقِ الثِّيَابِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ حَزْهَ إِلَى النَّارِ، قَالَ:

فَغَضِبَ ابْنُ حَوْزَةَ، فَذَهَبَ لِيَقْحَمَ إِلَيْهِ الْفَرَسَ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهُ نَهْرٌ، قَالَ: فَعَلَقْتُ قَدَمَهُ بِالرَّكَابِ، وَجَالَتْ بِهِ الْفَرَسُ فَسَقَطَ عَنْهَا، قَالَ: فَانْقَطَعَتْ قَدَمُهُ وَسَاقُهُ وَخَذَهُ، وَبَقِيَ جَانِبُهُ الْآخَرُ مُتَعَلِّقًا بِالرَّكَابِ قَالَ: فَرَجَعَ مَسْرُوقٌ وَتَرَكَ الْخَيْلَ مِنْ وَرَائِهِ، قَالَ: فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ شَيْئًا لَا أَقَاتِلُهُمْ أَبَدًا، قَالَ: وَنَشِبَ الْقِتَالُ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَحَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدٍ، عَنْ عَفِيفِ بْنِ زَهْرٍ بْنِ أَبِي الْأَخْنَسِ - وَكَانَ قَدْ شَهِدَ مَقْتَلَ الْحُسَيْنِ - قَالَ: وَخَرَجَ يَزِيدُ بْنُ مَعْقِلٍ مِنْ بَنِي عَمِيرَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَهُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي سَلِيمَةَ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، فَقَالَ: يَا بَرِيرُ ابْنُ حَضِيرٍ، كَيْفَ تَرَى اللَّهَ صَنَعَ بِكَ! قَالَ: صَنَعَ اللَّهُ وَاللَّهِ بِي خَيْرًا،

وَصَنَعَ اللَّهُ بِكَ شَرًّا، قَالَ: كَذَبْتَ، وَقَبْلَ الْيَوْمِ مَا كُنْتُ كَذَابًا، هَلْ تَذْكُرُ وَأَنَا أَمَاشِيكَ فِي بَنِي لُؤْذَانَ وَأَنْتَ تَقُولُ: إِنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ كَانَ عَلَى نَفْسِهِ مَسْرَفًا، وَإِنْ مُعَاوِيَةَ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ضَالٌ مُضِلٌّ، وَإِنْ إِمَامُ الْهُدَى وَالْحَقِّ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟ فَقَالَ لَهُ بَرِيرٌ: أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا رَأْيِي وَقَوْلِي، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ بْنُ مَعْقِلٍ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ مِنَ الضَّالِّينَ، فَقَالَ لَهُ بَرِيرُ بْنُ حَضِيرٍ:

هَلْ لَكَ فَلَا بَاهِلَكَ، وَلِنَدْعُ اللَّهَ أَنْ يَلْعَنَ الْكَاذِبَ وَأَنْ يَقْتُلَ الْمُبْطِلَ، ثُمَّ أَخْرَجَ فَلَا بَارِزَكَ، قَالَ: نَخْرُجَا فَرَفَعَا أَيْدِيَهُمَا إِلَى اللَّهِ يَدْعُوَانِهِ أَنْ يَلْعَنَ الْكَاذِبَ، وَأَنْ يَقْتُلَ الْحَقَّ الْمُبْطِلَ، ثُمَّ بَرَزَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَضْرَبَ يَزِيدُ بْنُ مَعْقِلٍ بَرِيرَ بْنَ حَضِيرٍ ضَرْبَةً خَفِيفَةً لَمْ تَضَرْهُ شَيْئًا، وَضَرَبَهُ بَرِيرُ بْنُ حَضِيرٍ ضَرْبَةً قَدَّتْ الْمَغْفِرَ، وَبَلَّغَتْ الدَّمَاعَ، نَخَرَا كَأَنَّمَا هَوَى مِنْ حَالِقٍ، وَانْصَبَ ابْنُ حَضِيرٍ لَثَابَتِ فِي رَأْسِهِ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَنْضَضُهُ مِنْ رَأْسِهِ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ رَضِي بْنُ مَنَقْدٍ الْعَبْدِيُّ فَاعْتَنَقَ بَرِيرًا، فَاعْتَرَكَا سَاعَةً ثُمَّ إِنَّ بَرِيرًا قَعَدَ عَلَى صَدْرِهِ فَقَالَ رَضِي: أَيْنَ أَهْلُ الْمَصَاعِ وَالِدَفَاعِ؟ قَالَ: فَذَهَبَ كَعْبُ بْنُ جَابِرٍ بْنُ عَمْرٍو الْأَزْدِيُّ لِيَحْمِلَ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا بَرِيرُ بْنُ حَضِيرٍ الْقَارِي الَّذِي كَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي الْمَسْجِدِ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ بِالرَّحِ حَتَّى وَضَعَهُ فِي ظَهْرِهِ، فَلَمَّا وَجَدَ مَسَ الرَّحِّ بَرَكَ عَلَيْهِ فَعَضَ بَوَاجِهُهُ، وَقَطَعَ طَرَفَ أَنْفِهِ، فَطَعَنَهُ كَعْبُ بْنُ جَابِرٍ حَتَّى أَلْقَاهُ عَنْهُ، وَقَدْ غِيبَ السِّنَانُ فِي ظَهْرِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ يَضْرِبُهُ بِسَيْفِهِ حَتَّى قَتَلَهُ، قَالَ عَفِيفٌ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْعَبْدِيِّ الصَّرِيعِ قَامَ يَنْفُضُ التَّرَابَ عَنْ قَبَائِهِ، وَيَقُولُ: أَنْعَمْتَ عَلَيَّ يَا أَخَا الْأَزْدِ نِعْمَةً لَنْ أَنْسَاهَا أَبَدًا، قَالَ: فَقُلْتُ: أَنْتَ رَأَيْتَ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، رَأَيْتُ عَيْنِي وَسَمِعْتُ أُذُنِي.

فلما رجع كعب بن جابر قالت له امرأته، أو أخته النوار بنت جابر: أعنت على ابن فاطمة، وقتلت سيد القراء، لقد أتيت عظيما من الأمر، والله لا أكلحك من رأسي كلمة أبدا. وقال كعب بن جابر:

سلي تخبري عني وأنت ذميمة ... غداة حسين والرماح شوارع
ألم آت أقصى ما كرهت ولم يخل ... علي غداة الروح ما أنا صانع
معي يزني لم تحنه كعوبه ... وأبيض مخشوب الغرارين قاطع
فجردته في عصبة ليس دينهم ... بديني وإني بابت حرب لقانع
ولم تر عيني مثلهم في زمانهم ... ولا قبلهم في الناس إذ أنا يافع
أشد قراعا بالسيوف لدى الوغى ... ألا كل من يحمي الذمار مقارع
وقد صبروا للطعن والضرب حسرا ... وقد نازلوا لو أن ذلك نافع
فأبلغ عبيد الله إما لقيته ... بأني مطيع للخليفة سامع
قتلت برياً ثم حملت نعمة ... أبا منقذ لما دعا: من يماصع؟

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب، قال: سمعته في إمارة مصعب بن الزبير، وهو يقول: يا رب إنا قد وفينا، فلا تجعلنا يا رب كمن قد غدر، فقال له أبي: صدق، ولقد وفي وكرم، وكسبت لنفسك شرا، قال: كلا، إني لم أكسب لنفسي شرا، ولكني كسبت لها خيرا.

قال: وزعموا أن رضي بن منقذ العبدى رد بعد على كعب بن جابر جواب قوله، فقال:

لو شاء ربي ما شهدت قتالهم ... ولا جعل النعماء عندي ابن جابر
لقد كان ذاك اليوم عارا وسبة ... يعيره الأبناء بعد المعاشر
فيا ليت أني كنت من قبل قتله ... ويوم حسين كنت في رمس قابر
قال: وخرج عمرو بن قرظة الأنصاري يقاتل دون حسين وهو يقول:
قد علمت كتيبة الأنصار ... أني سأحيي حوزة الذمار

ضرب غلام غير نكس شاري ... دون حسين مهجتي وداري

قال أبو مخنف: عن ثابت بن هبيرة، فقتل عمرو بن قرظة بن كعب، وكان مع الحسين، وكان علي أخوه مع عمرو بن سعد، فنادى على بن قريظة:

يا حسين، يا كذاب ابن الكذاب، أضللت أخي وغررته حتى قتله [قال]:

إن الله لم يضل أخاك، ولكنه هدى أخاك وأضلك، [قال: قتلني الله إن لم أقتلك أو أموت دونك، فحمل عليه، فاعترضه نافع بن هلال المرادي، فطعنه فصرعه، فحمله أصحابه فاستنقذوه، فدووي بعد فبراً.

قال أبو مخنف: حدثني النضر بن صالح أبو زهير العبسي أن الحر بن يزيد لما لحق بحسين قال رجل من بني تميم من بني شقرة وهم بنو الحارث بن تميم، يقال له يزيد بن سفيان: أما والله لو أني رأيت الحر بن يزيد حين خرج لأتبعته السنان، قال: فبينما الناس يتجاولون ويقتتلون والحر بن يزيد يحمل على القوم مقدما ويمثل قول عنترة:

ما زلت أرميهم بثغرة نحره ... ولبانه حتى تسربل بالدم

قال: وإن فرسه لمضروب على أذنيه وحاجبه، وإن دمائه لتسيل، فقال الحصين بن تميم - وكان على شرطة عبيد الله، فبعثه إلى الحسين، وكان مع عمرو بن سعد، فولاه عمر مع الشرطة المحففة - ليزيد بن سفيان: هذا الحر بن يزيد الذي كنت تتقي، قال: نعم نخرج إليه فقال

له: هل لك يا حر بن يزيد في المبارزة؟ قَالَ: نعم قَدْ شئت، فبرز له، قَالَ: فأنا سمعت الحصين بن تميم يقول: وَاللَّهِ لأبرز له، فكأنما كَانَتْ نفسه في يده،

فما لبثه الحر حين خرج إِلَيْهِ أَنْ قَتَلَهُ.

قال هشام بن مُحَمَّد، عن أَبِي مخنف، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ هَانِئٍ بن عروة، أَنَّ نافع بن هلال كَانَ يقاتل يَوْمَئِذٍ وَهُوَ يقول: أَنَا الْجَمَلِيُّ، أَنَا عَلَى دين علي.

قَالَ: فخرج إِلَيْهِ رجل يقال لَهُ مزاحم بن حريث، فَقَالَ: أَنَا عَلَى دين عُثْمَانَ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ عَلَى دين شيطان، ثُمَّ حمل عليه فقتله، فصاح عمرو بن الحجاج بِالنَّاسِ: يَا حَقِّي، أَتَدْرُونَ من تقاتلون! فرسان مصر، قوما مستميتين، لا يبرزن لَكُمْ مِنْكُمْ أَحَدٌ، فَإِنَّهُمْ قَلِيلٌ، وَقَلْبُهُمْ يَقْبِضُونَ، وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَرْمُوهُمْ إِلَّا بِالْحِجَارَةِ لَقَتَلْتُمُوهُمْ، فَقَالَ عُمَرُ بن سَعْدٍ: صدقت، الرَّأْيُ مَا رَأَيْتَ، وَأَرْسَلْ إِلَى النَّاسِ يَعِزُّهُمْ عَلَيْهِمُ إِلَّا يَبَارِزُ رَجُلٌ مِنْكُمْ رَجُلًا مِنْهُمْ.

قَالَ أَبُو مخنف: حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بن عُقْبَةَ المرادي، قَالَ: الزبيدي:

إِنَّهُ سَمِعَ عَمْرُو بن الحجاج حين دنا من أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ يقول: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، الزموا طاعتكم وجماعتكم، وَلَا تَرْتَابُوا فِي قَتْلِ مَنْ مَرَقَ مِنَ الدِّينِ، وَخَالَفَ الْإِمَامَ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: يَا عَمْرُو بن الحجاج، أَعَلِي تَحْرُضُ النَّاسَ؟ أَنَحْنُ مَرَقْنَا وَأَنْتُمْ تُبْتِمُ عَلَيْهِ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَتَعْلَمَنَّ لَوْ قَدْ قَبِضْتَ أَرْوَاحَكُمْ، وَمَتَّمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، أَنَا مَرَقَ مِنَ الدِّينِ، وَمَنْ هُوَ أَوْلَى بِصُلَى النَّارِ! قَالَ: ثُمَّ إِنَّ عَمْرُو بن الحجاج حمل عَلَى الْحُسَيْنِ فِي مِمْنَةِ عُمَرَ بن سَعْدٍ من نحو الفرات، فاضطربوا ساعة، فصرع مسلم بن عوسجة الأَسَدِي أولَ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ، ثُمَّ انصرف عَمْرُو بن الحجاج وَأَصْحَابُهُ، وَارْتَفَعَتِ الْغُبَرَةُ، فَإِذَا هُمْ بِهِ صَرِيعٌ، فَشَى إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ فَإِذَا بِهِ رَمَقٌ، [فَقَالَ: رَحِمَكَ رَبُّكَ يَا مُسْلِمَ بن عَوْسَجَةَ، «فَنُهِمُ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا»].

ودنا مِنْهُ حَبِيب بن مظاهر فَقَالَ: عز علي مصرعك يا مسلم، أبشر بالجنة، فَقَالَ لَهُ مُسْلِمٌ قولاً ضعيفاً: بشرك الله بخير! فَقَالَ لَهُ حَبِيبٌ: لولا أَنِي

أَعْلَمُ أَنِي فِي أَثْرِكَ لَأَحِقُّ بِكَ من سَاعَتِي هَذِهِ لَأَحْبَبْتُ أَنْ تَوْصِيَنِي بِكُلِّ مَا أَهْمُكَ حَتَّى أَحْفَظَكَ فِي كُلِّ ذَلِكَ بِمَا أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ فِي الْقَرَابَةِ وَالدين، قَالَ:

بل أَنَا أَوْصِيكَ بهذا رَحِمَكَ اللَّهُ - وأهوى بيده إِلَى الْحُسَيْنِ - أَنْ تَمُوتَ دُونَهُ، قَالَ: أَفَعَلَ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: فَمَا كَانَ بِأَسْرَعٍ من أَنْ مَاتَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَصَاحَتْ جَارِيَةٌ لَهُ فَقَالَتْ: يَا بَنَ عَوْسَجَتَاهُ! يَا سَيِّدَاهُ! فَتَنَادَى أَصْحَابُ عَمْرُو بن الحجاج: قَتَلْنَا مُسْلِمَ بن عَوْسَجَةَ الْأَسَدِي، فَقَالَ شَبْتُ لِبَعْضٍ من حَوْلِهِ من أَصْحَابِهِ: ثَكَلْتُمْ أَهْمَاتِكُمْ! إِنَّمَا تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ بِأَيْدِيكُمْ، وَتَدْلُونَ أَنْفُسَكُمْ لِغَيْرِكُمْ، تَفْرَحُونَ أَنْ يَقْتُلَ مِثْلَ مُسْلِمَ بن عَوْسَجَةَ! أَمَا وَالَّذِي أَسْلَمْتُ لَهُ لَرُبِّ مَوْقِفٍ لَهُ قَدْ رَأَيْتُهُ فِي الْمُسْلِمِينَ كَرِيمٍ! لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَوْمَ سَلَقَ أَذْرِيحَانَ قَتَلَ سِتَّةَ من الْمُشْرِكِينَ قَبْلَ نِثَامِ خِيُولِ الْمُسْلِمِينَ، أَفَيَقْتُلُ مِنْكُمْ مِثْلَهُ وَتَفْرَحُونَ! قَالَ: وَكَانَ الَّذِي قَتَلَ مُسْلِمَ بن عَوْسَجَةَ مُسْلِمَ بن عَبْدِ اللَّهِ الضَّبَّابِي وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بن أَبِي خَشْكَاةَ الْبَجَلِي قَالَ: وَحَمَلُ شَمْرِ بن ذِي الْجَوْشَنِ فِي الْمَيْسِرَةِ عَلَى أَهْلِ الْمَيْسِرَةِ فَنَبَتُوا لَهُ، فَطَاعَنُوهُ وَأَصْحَابُهُ، وَحَمَلُ عَلَى حُسَيْنٍ وَأَصْحَابِهِ من كُلِّ جَانِبٍ، فَقَتَلَ الْكَلْبِي وَقَدْ قَتَلَ رَجُلَيْنِ بَعْدَ الرَّجُلَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ، وَقَاتَلَ قِتَالاً شَدِيداً، فَحَمَلُ عَلَيْهِ هَانِئُ بن ثُبَيْتِ الْحَضْرَمِيِّ وَبَكِيرُ ابْنِ حِي التَّيْمِيِّ من تَيْمِ اللَّهِ بن ثَعْلَبَةَ، فَقَتَلَاهُ، وَكَانَ الْقَتِيلُ الثَّانِي من أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ، وَقَاتَلَهُمْ أَصْحَابُ الْحُسَيْنِ قِتَالاً شَدِيداً، وَأَخَذَتْ خِيَلُهُمْ تَحْمِلُ وَإِنَّمَا هُمْ اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ فَارِسَاءً، وَأَخَذَتْ لَا تَحْمِلُ عَلَى جَانِبٍ من خِيَلِ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَّا كَشَفَتْهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَزْرَةُ بن قَيْسٍ - وَهُوَ عَلَى خِيَلِ أَهْلِ الْكُوفَةِ - أَنْ خِيَلَهُ تَنْكَشِفُ من كُلِّ جَانِبٍ، بَعَثَ إِلَى عُمَرَ بن سَعْدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابنِ حِصْنٍ، فَقَالَ: أَمَا تَرَى مَا تَلْقَى خِيَلِي مَذِ الْيَوْمِ من هَذِهِ الْعِدَةِ الْيَسِيرَةِ! أُبْعَثُ إِلَيْهِمُ الرِّجَالَ وَالرِّمَاءَ، فَقَالَ لَشَبْتُ بن رَبِيعٍ: أَلَا تَقْدُمُ إِلَيْهِمْ! فَقَالَ: سَبْحَانَ اللَّهِ!

أتعمد الى شيخ مضر وأهل المصر عامة تبعته في الرماة! لم تجد من تدب لهذا ويجزى عنك غيري! قَالَ: وما زالوا يرون من شبت الكراهة لقتاله قَالَ: وَقَالَ أَبُو زهير العبسي: فأنا سمعته في إمارة مصعب

يقول: لا يعطي الله أهل هذا المصر خيرا أبداً، ولا يسددهم لرشد، ألا تعجبون أنا قاتلنا مع عَلِيَّ بن أَبِي طالب ومع ابنه من بعده آل أبي سُفْيَانَ خمس سنين، ثُمَّ عدونا عَلَى ابنه وَهُوَ خير أهل الأرض نقاتله مع آل مُعَاوِيَةَ وابن سمية الزانية! ضلال يا لك من ضلال! قَالَ: ودعا عُمَرُ بن سَعْدَ الحصين بن تميم فبعث معه المجففة وخمسائة من المرامية، فَأَقْبَلُوا حَتَّى إِذَا دنوا من الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ رشقوهم بالنبل، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم، وصاروا رجالاً كلهم.

قَالَ أَبُو مخنف: حَدَّثَنِي نَمِر بن وعلة أن أيوب بن مشرح الخيواني كَانَ يقول: أنا وَاللَّهِ عقرت بالحر بن يَزِيدَ فرسه، حشأته سهماً، فما لبث أن أَرعد الفرس واضطرب وكجا، فوثب عنه الحر كأنه ليث والسيوف في يده وَهُوَ يقول: إن تعقروا بي فأنا ابن الحر ... أشجع من ذي لبد هزبر

قَالَ: فما رأيت أحداً قط يفري فريه، قَالَ: فَقَالَ لَهُ أَشِيَاخ من الحي:

أنت قتلت؟ قال: لا والله ما أنا قتلت، ولكن قتله غيري، وما أحب أني قتلت، فَقَالَ لَهُ أَبُو الوداك: ولم؟ قَالَ: إنه كَانَ زعموا من الصالحين، فو الله لئن كَانَ ذَلِكَ إِثْمًا لَأَن أَلْقَى الله بِإِثْمِ الجراحة والموقف أحب إلي من أن أَلْقَاهُ بِإِثْمِ قتل أحدٍ مِنْهُمْ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الوداك: مَا أراك إِلَّا ستلقى الله بِإِثْمِ قتلهم أجمعين، رأيت لو أنك رميت ذا فعقرت ذا، ورميت آخر، ووقفت موقفاً، وكررت عَلَيْهِمْ، وحرضت أَصْحَابَكَ، وكثرت أَصْحَابَكَ، وحمل عَلَيْكَ فكرهت أن تفر، وفعل آخر من أَصْحَابِكَ كفعلك، وآخر وآخر، كَانَ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يقتلون! أنتم شركاء كلكم في دمائهم، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الوداك، إنك لتتقنننا من رحمة الله، إن كنت ولي حسابنا يوم الْقِيَامَةِ فلا غفر الله لك إن غفرت لنا! قَالَ: هُوَ مَا أَقول لك، قَالَ: وقاتلوهم حَتَّى انتصف

النهار أشد قتال خلقه الله، وأخذوا لا يقدرُونَ عَلَى أن يأتوهم إِلَّا من وجه واحد لاجتماع أبنيتهم وتقارب بعضها من بعض قَالَ: فلما رَأَى ذَلِكَ عُمَرُ بن سَعْدَ أرسل رجالاً يقوضونها عن أيمانهم وعن شمائلهم ليحيطوا بهم، قَالَ: فأخذ الثلاثة والأربعة من أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ يتخللون البيوت فيشدون عَلَى الرجل وَهُوَ يقوض وينتهب فيقتلونه ويرمونه من قريب ويعقرونه فأمر بِهَا عُمَرُ بن سَعْدَ عِنْدَ ذَلِكَ فَقَالَ: أحرقوها بالنار، وَلَا تدخلوا بيتاً وَلَا تقوضوه، فجاءوا بالنار، فأخذوا يحرقون، فَقَالَ حُسَيْنٌ:

دعوهم فليحرقوها، فإنهم لو قَدْ حرقوها لم يستطيعوا أن يجوزوا إِلَيْكُمْ منها، وَكَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وأخذوا لا يقاتلونهم إِلَّا من وجه واحد قَالَ: وخرجت امرأة الكلبي تمشي إِلَى زوجها حَتَّى جلست عِنْدَ رَأْسِهِ تمسح عنه التراب وتقول:

هنيئاً لك الجنة! فَقَالَ شمر بن ذي الجوشن لغلाम يسمى رستم: اضرب رأسها بالعمود، فضرب رأسها فشده، فماتت مكانها، قَالَ: وحمل شمر بن ذي الجوشن حَتَّى طعن فسطاط الْحُسَيْنِ برمح، ونادى: علي بالنار حَتَّى أحرق هَذَا البيت عَلَى أهلِهِ، قَالَ: فصاح النساء وخرجن من الفسطاط، قَالَ: [وصاح به الحسين: يا بن ذي الجوشن، أنت تدعو بالنار لتحرق بيتي عَلَى أهلي، حرقك الله بالنار!] قَالَ أَبُو مخنف: حَدَّثَنِي سُلَيْمَان بن أَبِي راشد، عن حميد بن مسلم، قَالَ: قلت لشمر بن ذي الجوشن: سبحان الله! إن هَذَا لا يصلح لك، أتريد أن تجمع عَلَى نفسك خصلتين تعذب بعذاب الله، وتقتل الولدان والنساء! وَاللَّهِ إِنْ فِي قتلِكَ الرجال لما ترضي بِهِ أميرك، قَالَ: فَقَالَ: من أنت؟ قَالَ:

قلت: لا أخبرك من أنا، قَالَ: وخشيت وَاللَّهِ أن لو عرفني أن يضرنني عِنْدَ السلطان، قَالَ: فجاءه رجل كَانَ أطوع لَهُ مِنِّي، شبت بن ربيعي فَقَالَ:

مَا رأيت مقالا أسوأ من قولك، وَلَا موقفاً أقبح من موقفك، أمرعاً للنساء صرت! قَالَ: فأشهد أنه استحيا، فذهب لينصرف وحمل عَلَيْهِ زهير ابن القين فِي رجال من أَصْحَابِهِ عشرة، فشد عَلَى شمر بن ذي الجوشن

وأصحابه، فكشفهم عن البيوت حتى ارتفعوا عنها، فصرعوا أبا عزة الضبابي فقتلوه، فكان من أصحاب شمر، وتعطف الناس عليهم فكثروهم، فلا يزال الرجل من أصحاب الحسين قد قتل، فإذا قتل منهم الرجل والرجلان تبين فيهم، وأولئك كثير لا يتبين فيهم ما يقتل منهم، قال: فلما رأى ذلك أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائدي قال للحسين: يا أبا عبد الله، نفسي لك الفداء! إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك إن شاء الله، وأحب أن ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة التي دنا وقتها، قال: [فرغ الحسين رأسه ثم قال: ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلين الذاكرين! نعم، هذا أول وقتها، ثم قال: سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي،] فقال لهم الحصين بن تميم: إنها لا تقبل، فقال له حبيب بن مظاهر: لا تقبل زعمت! الصلاة من آل رسول الله ص لا تقبل وتقبل منك يا حمار! قال: فحمل عليهم حصين بن تميم، وخرج إليه حبيب بن مظاهر، فضرب وجه فرسه بالسيف، فشب ووقع عنه، وحمله أصحابه فاستنقذوه، وأخذ حبيب يقول:

أقسم لو كنا لكم أعدادا أو شطركم وليتم أكتادا يا شر قوم حسبا وآدا.

قال: وجعل يقول يومئذ:

أنا حبيب وأبي مظاهر فارس هيجاء وحرب تسعر أنتم أعد عدة وأكثر ونحن أوفى منكم وأصبر ونحن أعلى حجة وأظهر حقا وأتقى منكم وأعذر وقاتل قتالا شديدا، فحمل عليه رجل من بني تميم فضربه بالسيف على رأسه فقتله - وكان يقال له: بديل بن صريم من بني عققان - وحمل

عليه آخر من بني تميم قطعنه فوق، فذهب ليقوم، فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف، فوق، ونزل إليه التميمي فاحتز رأسه، فقال له الحصين:

إني لشريكك في قتله، فقال الآخر: والله ما قتله غيري، فقال الحصين:

أعطينه أعلقه في عنق فرسي كيما يرى الناس ويعلموا أنني شركت في قتله، ثم خذه أنت بعد فامض به إلى عبيد الله بن زياد، فلا حاجة لي فيما تعطاه على قتلك إياه قال: فأبى عليه، فأصلح قومه فيما بينهما على هذا، فدفع إليه رأس حبيب بن مظاهر، فجأل به في العسكر قد علقه في عنق فرسه، ثم دفعه بعد ذلك إليه، فلما رجعوا إلى الكوفة أخذ الآخر رأس حبيب فعلقه في لبان فرسه، ثم أقبل به إلى ابن زياد في القصر فصر به ابنه القاسم بن حبيب، وهو يومئذ قد راهق، فأقبل مع الفارس لا يفارقه، كلما دخل القصر دخل معه، وإذا خرج خرج معه، فارتاب به، فقال: ما لك يا بني تبغي! قال: لا شيء، قال: بلى، يا بني أخبرني، قال له: إن هذا الرأس الذي معك رأس أبي، أفتعطينيه حتى أدفنه؟ قال: يا بني، لا يرضى الأمير أن يدفن، وأنا أريد أن يثبني الأمير على قتله ثوبا حسنا، قال له الغلام:

لكن الله لا يثيبك على ذلك إلا أسوأ الثواب، أما والله لقد قتلت خيرا منك، وبكى فكث الغلام حتى إذا أدرك لم يكن له همة إلا اتباع أثر قاتل أبيه ليجد منه غرة فيقتله بأبيه، فلما كان زمان مصعب بن الزبير وغزا مصعب باجميرا دخل عسكر مصعب فإذا قاتل أبيه في فسطاطه، فأقبل يختلف في طلبه والتماس غرته، فدخل عليه وهو قاتل نصف النهار فضربه بسيفه حتى برد.

قال أبو مخنف: حدثني محمد بن قيس، قال: [لما قتل حبيب بن مظاهر هد ذلك حسينا وقال عند ذلك: أحسب نفسي وحماة أصحابي،] قال: فأخذ الحرير تجز ويقول:

أليت لا أقتل حتى أقتلا ولن أصاب اليوم الا مقبلا

أضربهم بالسيف ضربا مقصلا لا ناكلا عنهم ولا مهلا وأخذ يقول أيضا:

أضرب في أعراضهم بالسيف عن خير من حل مني وانخيف فقاتل هو وزهير بن القين قتالا شديدا، فكان إذا شد أحدهما، فإن استلحم شد الآخر حتى يخلصه، ففعلا ذلك ساعة ثم إن رجالة شدت على الحر بن يزيد فقتل، وقتل أبو ثمامة الصائدي ابن عم له

كَانَ عَدُوًّا لَهُ، ثُمَّ صَلُّوا الظُّهْرَ، صَلَّى بِهِمُ الْحُسَيْنُ صَلَاةَ الْخَوْفِ، ثُمَّ اقْتَتَلُوا بَعْدَ الظُّهْرِ فَاشْتَدَّ قِتَالُهُمْ، وَوَصَلَ إِلَى الْحُسَيْنِ، فَاسْتَقْدَمَ الْحَنَفِي أَمَامَهُ، فَاسْتَهْدَفَ لَهُمْ يَرْمُونَهُ بِالنَّبْلِ يَمِينًا وَشِمَالًا قَائِمًا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَمَا زَالَ يَرْمِي حَتَّى سَقَطَ وَقَاتَلَ زَهِيرُ بْنُ الْقَيْنِ قِتَالًا شَدِيدًا، وَأَخَذَ يَقُولُ: أَنَا زَهِيرٌ وَأَنَا ابْنُ الْقَيْنِ أَذُودُهُمْ بِالسَّيْفِ عَنْ حُسَيْنٍ قَالَ: وَأَخَذَ يَضْرِبُ عَلَى مَنْكَبِ حُسَيْنٍ وَيَقُولُ:

أَقْدَمَ هَدِيَّتَ هَادِيَا مَهْدِيَا فَالْيَوْمَ تَلْقَى جَدَّكَ النَّبِيَا وَحَسَنًا وَالْمُرْتَضَى عَلِيًّا وَذَا الْجَنَاحَيْنِ الْفَتَى الْكَمِيَا وَأَسَدَ اللَّهِ الشَّهِيدَ الْحَيَا. قَالَ: فَشَدَّ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ الشَّعْبِيِّ وَمُهَاجِرِ بْنِ أَوْسٍ فَقَتَلَاهُ، قَالَ: وَكَانَ نَافِعُ بْنُ هَلَالٍ الْجَمَلِيُّ قَدْ كَتَبَ اسْمَهُ عَلَى أَفْوَاقِ نَبْلِهِ، فَجَعَلَ يَرْمِي بِهَا مَسُومَةً وَهُوَ يَقُولُ: أَنَا الْجَمَلِيُّ، أَنَا عَلَى دِينِ عَلِيٍّ.

فَقَتَلَ اثْنَيْ عَشَرَ مِنْ أَصْحَابِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ سِوَى مَنْ جَرَحَ، قَالَ: فَضْرَبَ حَتَّى كَسَرَتْ عِضْدَاهُ وَأَخَذَ أُسِيرًا، قَالَ: فَأَخَذَهُ شَمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ وَمَعَهُ أَصْحَابٌ لَهُ يُسَوِّقُونَ نَافِعًا حَتَّى أَتَى بِهِ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ: وَيْحَكَ يَا نَافِعُ! مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ بِنَفْسِكَ! قَالَ: إِنَّ رَبِّي يَعْلَمُ مَا أَرَدْتُ، قَالَ: وَالِدُمَاءُ تَسِيلُ عَلَى لَحْيَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَقَدْ قَتَلْتَ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ سِوَى مَنْ جَرَحْتَ، وَمَا أُلُومُ نَفْسِي عَلَى الْجَهْدِ، وَلَوْ بَقِيتَ لِي عِضْدٌ وَسَاعِدٌ مَا أَسْرَمْتُونِي، فَقَالَ لَهُ شَمْرٌ: اقْتُلْهُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ! قَالَ: أَنْتَ جِئْتَ بِهِ، فَإِنْ شِئْتَ فَاقْتُلْهُ، قَالَ: فَانْتَضَى شَمْرُ سَيْفَهُ، فَقَالَ لَهُ نَافِعُ:

أَمَّا وَاللَّهِ إِنْ لَوْ كُنْتُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَعِظَمَ عَلَيْكَ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ بِدُمَائِنَا، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مَنَايِنَا عَلَى يَدِي شَرَارَ خَلْقِهِ، فَقَتَلَهُ. قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ شَمْرٌ يَحْمِلُ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَقُولُ:

خَلَوْا عِدَاةَ اللَّهِ خَلَوْا عَنْ شَمْرِ يَضْرِبُهُمْ بِسَيْفِهِ وَلَا يَفِرُّ وَهُوَ لَكُمْ صَابٌ وَسَمٌ وَمَقْرٌ.

قَالَ: فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُ الْحُسَيْنِ أَنَّهُمْ قَدْ كَثُرُوا، وَأَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَمْنَعُوا حُسَيْنًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ، تَنَافَسُوا فِي أَنْ يَقْتُلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَجَاءَهُ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنَا عِزَّةِ الْغَفَارِيَانِ، فَقَالَا: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، عَلَيْكَ السَّلَامُ، حَازَنَا الْعَدُوُّ إِلَيْكَ، فَأَحْبَبْنَا أَنْ نَقْتُلَ بَيْنَ يَدَيْكَ، نَمْنَعُكَ وَنُدْفِعُ عَنْكَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِكُمَا! ادْنُوا مِنِّي، فَدَنَوْا مِنْهُ، فَجَعَلَا يَقَاتِلَانِ قَرِيبًا مِنْهُ، وَأَحَدُهُمَا يَقُولُ:

قَدْ عَلِمْتُ حَقًّا بَنُو غَفَارٍ وَخُنْدَفٍ بَعْدَ بَنِي نِزَارٍ لَنْضَرْبِ مَعْشَرِ الْفَجَارِ بِكُلِّ عِضْبٍ صَارِمٍ بَتَارٍ يَا قَوْمَ ذُودُوا عَنِ بَنِي الْأَحْرَارِ بِالْمَشْرِفِ وَالْقَنَا الْخَطَارَ قَالَ: وَجَاءَ الْفَتَيَانِ الْجَابِرِيَانِ: سَيْفُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ سَرِيعٍ، وَمَالِكُ بْنُ عَبْدِ بْنِ سَرِيعٍ، وَهُمَا ابْنَا عَمٍّ، وَأَخْوَانٌ لِأُمٍّ، فَأَتِيَا حُسَيْنًا فَدَنَوْا مِنْهُ وَهُمَا

يَبْكِيَانِ، فَقَالَ: أَيُّ ابْنِي أَخِي، مَا يَبْكِيَا؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَا عَنْ سَاعَةِ قَرِيرِي عَيْنٍ، قَالَا: جَعَلَنَا اللَّهُ فِدَاكَ! لَا وَاللَّهِ مَا عَلَى أَنْفُسِنَا نَبْكِي، وَلَكِنَّا نَبْكِي عَلَيْكَ، نَرَاكَ قَدْ أَحِيطَ بِكَ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى أَنْ نَمْنَعَكَ، فَقَالَ: جَزَاكَمُ اللَّهُ يَا بَنِي أَخِي بُوْحَدَاكَ مِنْ ذَلِكَ وَمَوَاسَاتَاكَ إِيَّايَ بِأَنْفُسِكُمَا أَحْسَنَ جَزَاءِ الْمُتَّقِينَ، قَالَ: وَجَاءَ حَنْظَلَةُ بْنُ أَسْعَدِ الشَّامِيِّ فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْ حُسَيْنٍ، فَأَخَذَ يَنَادِي: «يَا قَوْمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ».

مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ وَيَا قَوْمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ» يَا قَوْمَ تَقَاتَلُوا حُسَيْنًا فَيَسْحَتَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ «وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى» [فَقَالَ لَهُ حُسَيْنٌ: يَا بَنِي أَسْعَدٍ، رَحِمَكَ اللَّهُ، إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَوْجَبُوا الْعَذَابَ حِينَ رَدُّوا عَلَيْكَ مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، وَنَهَضُوا إِلَيْكَ لِيَسْتَبِيحُوكَ وَأَصْحَابُكَ، فَكَيْفَ بِهِمُ الْآنَ وَقَدْ قَتَلُوا إِخْوَانَكَ الصَّالِحِينَ! قَالَ: صَدَقْتَ، جَعَلْتَ فِدَاكَ! أَنْتَ أَفْقَهُ مِنِّي وَأَحَقُّ بِذَلِكَ، أَفَلَا نَزُوحُ إِلَى الْآخِرَةِ وَنَلْحَقُ بِإِخْوَانِنَا؟ فَقَالَ: رَحِمَ إِلَى خَيْرٍ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَإِلَى مَلِكٍ لَا يَبْلَى، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ، وَعَرَفَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ فِي جَنَّتِهِ، فَقَالَ: آمِينَ آمِينَ، فَاسْتَقْدَمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ].

قَالَ: ثُمَّ اسْتَقْدَمَ الْفَتَيَانِ الْجَابِرِيَانِ يَلْتَفَتَانِ إِلَى حُسَيْنٍ وَيَقُولَانِ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ: وَعَلَيْكُمَا السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَقَاتَلَا حَتَّى قَتَلَا، قَالَ: وَجَاءَ عَابِسُ بْنُ أَبِي شَبِيبٍ الشَّاكِرِيُّ وَمَعَهُ شَوْذِبُ مَوْلَى شَاكِرٍ، فَقَالَ: يَا شَوْذِبُ، مَا فِي نَفْسِكَ أَنْ تَصْنَعَ؟ قَالَ: مَا أَصْنَعُ! أَقَاتِلُ مَعَكَ دُونَ ابْنِ بَنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَ حَتَّى أَقْتُلَ، قَالَ: ذَلِكَ الظَّنُّ بِكَ، إِمَّا لَا فَتَقْدَمُ بَيْنَ يَدَيِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ حَتَّى يَحْتَسِبَكَ كَمَا احْتَسَبَ غَيْرُكَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَحَتَّى احْتَسِبَكَ أَنَا، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مَعِيَ السَّاعَةُ أَحَدٌ أَنَا أَوَّلُ

بِهِ مِنِّي بِكَ لَسَرَنِي أَنْ يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيِ حَتَّى احْتَسِبَهُ، فَإِنْ هَذَا يَوْمٌ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَطْلُبَ الْأَجْرَ فِيهِ بِكُلِّ مَا قَدَرْنَا عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا عَمَلَ بَعْدَ الْيَوْمِ، وَإِنَّمَا هُوَ الْحِسَابُ، قَالَ: فَتَقْدَمُ فَسَلِّمْ عَلَى الْحُسَيْنِ، ثُمَّ مَضَى فَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ ثُمَّ قَالَ عَابِسُ بْنُ أَبِي شَبِيبٍ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَمَا وَاللَّهِ مَا أَمْسَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ قَرِيبٌ وَلَا بَعِيدٌ أَعَزَّ عَلَيَّ وَلَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ، وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى أَنْ أَدْفَعَ عَنْكَ الضِّيمَ وَالْقَتْلَ بِشَيْءٍ أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَدَمِي لَفَعَلْتَهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَشْهَدُ اللَّهَ أَنِّي عَلَى هَدْيِكَ وَهَدْيِ أَبِيكَ، ثُمَّ مَشَى بِالسَّيْفِ مُصَلِّيًا نَحْوَهُمْ وَبِهِ ضَرْبَةٌ عَلَى جَبِينِهِ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي نُمَيْرُ بْنُ وَعَلَةَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنْ هَمْدَانٌ يَقَالُ لَهُ رُبِيعُ بْنُ تَمِيمٍ شَهِدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ، قَالَ: لَمَّا رَأَيْتُهُ مُقْبِلًا عَرَفْتُهُ وَقَدْ شَاهَدْتُهُ فِي الْمَغَازِي، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا الْأَسَدُ الْأَسْوَدُ، هَذَا ابْنُ أَبِي شَبِيبٍ، لَا يَخْرُجَنَّ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْكُمْ، فَأَخَذَ يَنَادِي:

أَلَا رَجُلٌ لِرَجُلٍ! فَقَالَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ: أَرْضَخُوهُ بِالْحَجَارَةِ، قَالَ: فَرَمِي بِالْحَجَارَةِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَلْقَى دَرْعَهُ وَمَغْفِرَهُ، ثُمَّ شَدَّ عَلَى النَّاسِ، فَوَاللَّهِ لَرَأَيْتُهُ يَكْرُدُ أَكْثَرَ مِنْ مَائَتَيْنِ مِنَ النَّاسِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ تَعَطَّفُوا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَقَتَلَ، قَالَ: فَرَأَيْتُ رَأْسَهُ فِي أَيْدِي رِجَالِ ذَوِي عُدَّةٍ، هَذَا يَقُولُ: أَنَا قَتَلْتُهُ، وَهَذَا يَقُولُ: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَأَتَوْا عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ فَقَالَ:

لَا تَحْتَصِمُوا، هَذَا لَمْ يَقْتُلْهُ سِنَانٌ وَاحِدٌ، فَفَرَّقَ بَيْنَهُمْ بِهَذَا الْقَوْلِ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَاصِمٍ، عَنْ الضَّحَّاكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَشْرِقِيِّ، قَالَ: لَمَّا رَأَيْتُ أَصْحَابَ الْحُسَيْنِ قَدْ أَصْبَيُوا، وَقَدْ خَلَصَ إِلَيْهِ وَإِلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ غَيْرُ سُوَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ أَبِي الْمَطَاعِ الْخَثْعَمِيِّ وَبَشِيرِ بْنِ عَمْرٍو الْحَضْرَمِيِّ، قُلْتُ لَهُ: يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْتَ مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، قُلْتَ لَكَ: أَقَاتِلُ عَنْكَ مَا رَأَيْتُ مُقَاتِلًا، فَإِذَا لَمْ أَرِ مُقَاتِلًا فَأَنَا فِي حُلٍّ مِنَ الْإِنْصِرَافِ، فَقُلْتُ لِي: نَعَمْ، قَالَ: فَقَالَ: صَدَقْتَ، وَكَيْفَ لَكَ

بِالتَّجَاةِ! إِنْ قَدَرْتُ عَلَى ذَلِكَ فَأَنْتَ فِي حُلٍّ، قَالَ: فَأَقْبَلْتُ إِلَى فَرْسِي وَقَدْ كُنْتُ حَيْثُ رَأَيْتُ خَيْلَ أَصْحَابِنَا تَعْقُرُ، أَقْبَلْتُ بِهَا حَتَّى أَدْخَلْتُهَا فِسْطَاطًا لِأَصْحَابِنَا بَيْنَ الْبُيُوتِ، وَأَقْبَلْتُ أَقَاتِلُ مَعَهُمْ رَاجِلًا، [فَقَتَلْتُ يَوْمَئِذٍ بَيْنَ يَدَيِ الْحُسَيْنِ رَجُلَيْنِ، وَقَطَعْتُ يَدَ آخَرَ، وَقَالَ لِي الْحُسَيْنُ يَوْمَئِذٍ مَرَارًا: لَا تَشَلَّ، لَا يَقْطَعُ اللَّهُ يَدَكَ، جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ ص!] فَلَمَّا أَذِنَ لِي اسْتَخْرَجْتُ الْفَرَسَ مِنَ الْفِسْطَاطِ، ثُمَّ اسْتَوَيْتُ عَلَى مَتْنِهَا، ثُمَّ ضَرَبْتُهَا حَتَّى إِذَا قَامَتْ عَلَى السَّنَابِكِ رَمَيْتُ بِهَا عَرْضَ الْقَوْمِ، فَأَفْرَجُوا لِي، وَاتَّبَعَنِي مِنْهُمْ خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى شَفِيَةِ، قَرْيَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ شَاطِئِ الْفَرَاتِ، فَلَمَّا لَحَقُونِي عَطَفَتْ عَلَيْهِمْ، فَعَرَفَنِي كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الشَّعْبِيُّ وَأَيُّوبُ بْنُ مَشْرِحِ الْخَلَوَانِيِّ وَقَيْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّائِدِيِّ، فَقَالُوا:

هَذَا الضَّحَّاكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَشْرِقِيِّ، هَذَا ابْنُ عَمْنَا، نَشْدُكُمْ اللَّهَ لَمَّا كَفَفْتُمْ عَنْهُ! فَقَالَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ كَانُوا مَعَهُمْ: بَلَى وَاللَّهِ لَنَجِيبَنَّ إِخْوَانَنَا وَأَهْلَ دَعْوَتِنَا إِلَى مَا أَحْبَبُوا مِنَ الْكَفِّ عَنْ صَاحِبِهِمْ، قَالَ: فَلَمَّا تَابَعَ التَّمِيمِيُّونَ أَصْحَابِي كَفَّ الْآخَرُونَ، قَالَ: فَجَنَانِي اللَّهُ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي فَضِيلُ بْنُ خَدِيجٍ الْكَنْدِيُّ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ زِيَادٍ، وَهُوَ أَبُو الشَّعْثَاءِ الْكَنْدِيُّ مِنْ بَنِي بَهْدَلَةَ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيِ الْحُسَيْنِ، فَرَمَى بِمِائَةِ سَهْمٍ مَا سَقَطَ مِنْهَا خَمْسَةُ أَسْهَمٍ، وَكَانَ رَامِيًا، فَكَانَ كُلُّهَا رَمَى قَالَ:

أَنَا ابْنُ بَهْدَلَةَ، فَرَسَانُ الْعَرَجَلَةِ، وَيَقُولُ حُسَيْنٌ: [اللَّهُمَّ سَدِّدْ رَمِيَّتَهُ، وَاجْعَلْ ثَوَابَهُ الْجَنَّةَ، فَلَمَّا رَمَى] بِهَا قَامَ فَقَالَ: مَا سَقَطَ مِنْهَا إِلَّا خَمْسَةُ

أَسْمَهُمْ، وَلَقَدْ تَبَيَّنَ لِي أَنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَحْمَةَ نَفَرٍ، وَكَانَ فِي أَوَّلِ مَنْ قَتَلَ، وَكَانَ رَجْزُهُ يَوْمَئِذٍ:
أَنَا يَزِيدُ وَأَبِي مَهَاسِرُ أَشْجَعُ مِنْ لَيْثِ بَغِيلِ خَادِرٍ يَا رَبِّ إِنِّي لِلْحُسَيْنِ نَاصِرٌ وَلَا بَنَ سَعْدٍ تَارِكٌ وَهَاجِرٌ وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ بْنُ الْمَهَاسِرِ مِمَّنْ
خَرَجَ مَعَ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ إِلَى الْحُسَيْنِ،

فَلَمَّا رَدُّوا الشُّرُوطَ عَلَى الْحُسَيْنِ مَالَ إِلَيْهِ فَقَاتَلَ مَعَهُ حَتَّى قَتَلَ، فَأَمَّا الصَّيْدَاوِيُّ عُمَرُ بْنُ خَالِدٍ، وَجَابِرُ بْنُ الْحَارِثِ السُّلَمَانِيُّ، وَسَعْدُ مَوْلَى
عُمَرَ بْنِ خَالِدٍ، وَمَجْمَعُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَائِذِيُّ، فَإِنَّهُمْ قَاتَلُوا فِي أَوَّلِ الْقِتَالِ، فَشَدُّوا مُقَدِّمِينَ بِأَسْيَافِهِمْ عَلَى النَّاسِ، فَلَمَّا وَغَلُّوا عَطْفَ عَلَيْهِمُ
النَّاسِ فَأَخَذُوا يَحْزُونُهُمْ، وَقَطَعُوهُمْ مِنْ أَصْحَابِهِمْ غَيْرَ بَعِيدٍ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ فَاسْتَنْقَذَهُمْ، فُجَاءُوا قَدْ جَرَحُوا، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ
عَدُوَّهُمْ شَدُّوا بِأَسْيَافِهِمْ فَقَاتَلُوا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ حَتَّى قَتَلُوا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زُهَيْرِ الْخَثْعَمِيِّ،
قَالَ:

كَانَ آخِرُ مَنْ بَقِيَ مَعَ الْحُسَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ سُؤَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ أَبِي الْمَطَاعِ الْخَثْعَمِيِّ، قَالَ: وَكَانَ أَوَّلُ قَتِيلٍ مِنْ بَنِي أَبِي طَالِبٍ يَوْمَئِذٍ عَلِيُّ
الْأَكْبَرُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَأُمُّهُ لَيْلَى ابْنَةُ أَبِي مَرْوَةَ بْنِ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَخَذَ يَشُدُّ عَلَى النَّاسِ وَهُوَ يَقُولُ:
أَنَا عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ بْنِ عَلِيٍّ... نَحْنُ وَرَبُّ الْبَيْتِ أَوْلَى بِالْبَيْتِ
تَاللَّهِ لَا يَحْكُمُ فِينَا ابْنُ الدَّعِيِّ.

قَالَ: فَفَعَلَ ذَلِكَ مَرَارًا، فَبَصُرَ بِهِ مَرَّةً بَنَ مُنْقِذُ بْنُ النُّعْمَانِ الْعَبْدِيُّ ثُمَّ اللَّيْثِيُّ، فَقَالَ: عَلِيُّ آثَامُ الْعَرَبِ إِنْ مَرَّ بِي يَفْعَلُ مِثْلَ مَا كَانَ يَفْعَلُ
إِنْ لَمْ أَتَكَلِّهْ أَبَاهُ، فَرِيشِدُ عَلَى النَّاسِ بِسَيْفِهِ، فَاعْتَرَضَهُ مَرَّةً بَنَ مُنْقِذٍ، فَطَعَنَهُ فَصَرَ، وَاحْتَوْلَهُ النَّاسُ فَقَطَعُوهُ بِأَسْيَافِهِمْ.
قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ، عَنْ حَمِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ الْأَزْدِيِّ، قَالَ: [سَمِعْتُ أُذُنِي يَوْمَئِذٍ مِنَ الْحُسَيْنِ يَقُولُ: قَتَلَ اللَّهُ قَوْمًا
قَتَلُواكَ يَا بَنِي! مَا أَجْرَاهُمْ عَلَى الرَّحْمَنِ، وَعَلَى انْتِهَاكَ حُرْمَةَ الرَّسُولِ! عَلَى الدُّنْيَا بَعْدَكَ الْعَفَاءُ].
قَالَ: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ خَرَجَتْ مُسْرِعَةً كَأَنَّهَا الشَّمْسُ الطَّالِعَةُ تَنَادَى:

يَا أَخِيَاهُ! وَيَا بَنَ أَخِيَاهُ! قَالَ: فَسَأَلْتُ عَلَيْهَا، فَقِيلَ: هَذِهِ زَيْنَبُ ابْنَةُ رَسُولِ اللَّهِ ص، فُجَاءَتْ حَتَّى أَكَبَتْ عَلَيْهِ، فُجَاءَهَا
الْحُسَيْنُ فَأَخَذَ بِيَدِهَا فَفَرَدَهَا إِلَى الْفُسْطَاطِ، [وَأَقْبَلَ الْحُسَيْنُ إِلَى ابْنِهِ، وَأَقْبَلَ فَتَيَانَهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: احْمِلُوا أَخَاكُمْ،] فَحَمَلُوهُ مِنْ مَصْرَعِهِ حَتَّى
وَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيِ الْفُسْطَاطِ الَّذِي كَانُوا يَقَاتِلُونَ أَمَامَهُ قَالَ: ثُمَّ إِنْ عَمْرٍو بْنُ صَبِيحٍ الصَّدَائِيُّ رَمَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ بَنَ عَقِيلٍ بِسَهْمٍ فَوَضَعَ
كَفَّهُ عَلَى جَبْهَتِهِ، فَأَخَذَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْرُكَ كَفَّهُ، ثُمَّ انْتَحَى لَهُ بِسَهْمٍ آخَرَ فَفَلَقَ قَلْبَهُ، فَاعْتَوَرَهُمُ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَحَمَلَ عَبْدُ اللَّهِ
بَنَ قُطَيْبَةَ الطَّائِيَّ ثُمَّ النَّبَاهِيَّ عَلَى عَوْنِ بَنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ جَعْفَرٍ بَنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَتَلَهُ، وَحَمَلَ عَامِرُ بْنُ نَهْشَلٍ التِّيمِيُّ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
بَنِ جَعْفَرٍ بَنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَتَلَهُ، قَالَ: وَشَدَّ عُثْمَانُ بْنُ خَالِدِ بْنِ أَسِيرِ الْجُهَيْنِيِّ، وَبِشْرُ بْنُ سُوَيْطِ الْهَمْدَانِيِّ ثُمَّ الْقَابِضِيُّ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ
عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَتَلَاهُ، وَرَمَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَزْرَةَ الْخَثْعَمِيَّ جَعْفَرَ ابْنَ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَتَلَهُ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ، عَنْ حَمِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا غَلَامٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ شَقَّةُ قُرٍّ، فِي يَدِهِ السَّيْفُ، عَلَيْهِ
قَيْصٌ وَإِزَارٌ وَنَعْلَانٌ قَدْ انْقَطَعَ شَعْرُ أَحَدِهِمَا، مَا أُنْسَى أَنَّهَا الْيَسْرِيُّ، فَقَالَ لِي عَمْرٍو ابْنُ سَعْدٍ بَنَ نَفِيلِ الْأَزْدِيِّ: وَاللَّهِ لَا أَشُدُّنَ عَلَيْهِ،
فَقَتَلْتُ لَهُ: سَبْحَانَ اللَّهِ! وَمَا تَرِيدُ إِلَى ذَلِكَ! يَكْفِيكَ قَتْلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَرَاهُمْ قَدْ احْتَوْلَهُمْ، قَالَ: فَقَالَ:

وَاللَّهِ لَا أَشُدُّنَ عَلَيْهِ، فَشَدَّ عَلَيْهِ فَمَا وَلَّى حَتَّى ضَرَبَ رَأْسَهُ بِالسَّيْفِ، فَوَقَعَ الْغَلَامُ لَوَجْهِهِ، فَقَالَ: يَا عَمَاهُ! قَالَ: فَجَلَّى الْحُسَيْنُ كَمَا يَجْلَى
الصَّقَرُ، ثُمَّ شَدَّ شَدَّهُ لَيْثَ غَضَبٍ، فَضَرَبَ عَمْرًا بِالسَّيْفِ، فَاتَّقَاهُ بِالسَّاعِدِ، فَأَطْنَهَا مِنْ لَدُنِ الْمَرْفُقِ، فَصَاحَ، ثُمَّ تَنَحَّى عَنْهُ، وَحَمَلَتْ خَيْلُ
لِأَهْلِ الْكُوفَةِ لِيَسْتَنْقِذُوا عَمْرًا مِنْ حُسَيْنٍ، فَاسْتَقْبَلَتْ عَمْرًا بِصُدُورِهَا، فَحَرَكَتْ حَوَافِرَهَا وَجَالَتْ الْخَيْلُ بِفَرَسَانِهَا عَلَيْهِ، فَوُطِئَتْ حَتَّى مَاتَ،
وَانْجَلَتْ الْغُبَرَةُ، [فَإِذَا أَنَا بِالْحُسَيْنِ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ الْغَلَامِ، وَالْغَلَامُ يَفْحَصُ بِرَجْلَيْهِ، وَحُسَيْنٌ يَقُولُ: بَعْدًا لِقَوْمِ قَتَلُواكَ، وَمِنْ خَصْمِهِمْ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ فِيكَ جَدِّكَ! ثُمَّ قَالَ: عَزَّ وَاللَّهِ عَلَى عَمَلِكَ أَنْ تَدْعُوهُ فَلَا يُجِيبُكَ، أَوْ يُجِيبُكَ ثُمَّ لَا يَنْفَعُكَ! صَوْتُ وَاللَّهِ كَثُرَ وَاتَرَهُ، وَقُلْ نَاصِرَهُ [ثُمَّ أَحْتَمِلْهُ فَكُنِّي أَنْظُرْ إِلَى رَجُلِي الْغَلَامِ يَخْطَانُ فِي الْأَرْضِ،

وَقَدْ وَضَعَ حُسَيْنٌ صَدْرَهُ عَلَى صَدْرِهِ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا يَصْنَعُ بِهِ! لَجَأَ بِهِ حَتَّى أَلْقَاهُ مَعَ ابْنِهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَقَتْلَى قَدْ قَتَلَتْ حَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَسَأَلْتُ عَنِ الْغَلَامِ، فَقِيلَ: هُوَ الْقَاسِمُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

قَالَ: وَمَكَثَ الْحُسَيْنُ طَوِيلًا مِنَ النَّهَارِ كُلِّهِ إِلَى رَجُلٍ مِنَ النَّاسِ انْصَرَفَ عَنْهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَتَوَلَّى قَتْلَهُ وَعَظِيمَ إِثْمِهِ عَلَيْهِ، قَالَ: [وَإِنْ رَجُلًا مِنْ كِنْدَةَ يُقَالُ لَهُ مَالِكُ بْنُ النَّسِيرِ مِنْ بَنِي بَدَاءَ، أَتَاهُ فَضْرِبَهُ عَلَى رَأْسِهِ بِالسَّيْفِ، وَعَلَيْهِ بَرْنَسٌ لَهُ، فَقَطَعَ الْبَرْنَسَ، وَأَصَابَ السَّيْفُ رَأْسَهُ، فَأَدْمَى رَأْسَهُ، فَامْتَلَأَ الْبَرْنَسُ دَمًا، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: لَا أَكَلْتُ بِهَا وَلَا شَرِبْتُ، وَحَشَرَكَ اللَّهُ مَعَ الظَّالِمِينَ! قَالَ:] فَأَلْقَى ذَلِكَ الْبَرْنَسَ، ثُمَّ دَعَا بِقُلَنْسُوَةِ فَلَبَسَهَا، وَاعْتَمَ، وَقَدْ أَصْبَحَ وَبَلَدٌ، وَجَاءَ الْكَنْدِيُّ حَتَّى أَخَذَ الْبَرْنَسَ - وَكَانَ مِنْ خَزْ - فَلَهَا قَدَمٌ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى امْرَأَتِهِ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَةِ الْحَرِّ أَخْتِ حُسَيْنَ بْنِ الْحَرِّ الْبَدِيِّ، أَقْبَلَ يَغْسِلُ الْبَرْنَسَ مِنَ الدَّمِ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَسْلَبَ ابْنُ بَنَتِ رَسُولِ اللَّهِ ص تَدْخُلُ بَيْتِي! أَخْرَجَهُ عَنِّي، فَذَكَرَ أَصْحَابَهُ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ فَقِيرًا بَشَرًا حَتَّى مَاتَ قَالَ: وَلَمَّا قَعَدَ الْحُسَيْنُ أَتَى بِصَبِيٍّ لَهُ فَأَجْلَسَهُ فِي جِجْرِهِ زَعَمُوا أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: قَالَ عَقَبَةُ بْنُ بَشِيرٍ الْأَسَدِيُّ: [قَالَ لِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ: إِنْ لَنَا فِيكُمْ يَا بَنِي أَسَدٍ دَمًا، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا ذَنْبِي أَنَا فِي ذَلِكَ رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا جَعْفَرٍ! وَمَا ذَلِكَ؟ قَالَ: أَتَى الْحُسَيْنُ بِصَبِيٍّ لَهُ، فَهُوَ فِي جِجْرِهِ، إِذْ رَمَاهُ أَحَدُكُمْ يَا بَنِي أَسَدٍ بِسَهْمٍ فَذَبَحَهُ، فَتَلَقَّى الْحُسَيْنُ دَمَهُ، فَلَهَا مَلَأَ كَفِيهِ صَبَهُ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ: رَبِّ إِنْ تَكْ حَبَسْتَ عَنَّا النَّصْرَ مِنَ السَّمَاءِ فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَنَا هَوًى خَيْرًا، وَانْتَقِمْ لَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ،] قَالَ:

وَرَمَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُقْبَةَ الْغَنَوِيَّ أَبَا بَكْرَ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ، فَلِذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ، وَهُوَ ابْنُ أَبِي عَقَبٍ: وَعِنْدَ غَنِيٍّ قَطْرَةٌ مِنْ دَمَانَا ... وَفِي أَسَدٍ أُخْرَى تَعْدُ وَتَذَكُرُ

قَالَ: وَزَعَمُوا أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَلِيٍّ قَالَ لِأَخَوْتِهِ مِنْ أُمِّهِ: عَبْدُ اللَّهِ، وَجَعْفَرُ وَعُثْمَانُ: يَا بَنِي أُمِّي، تَقْدِمُوا حَتَّى أَرِثَكُمْ، فَإِنَّهُ لَا وَلَدَ لَكُمْ، فَفَعَلُوا، فَقَتَلُوا. وَشَدَّ هَانِيُّ بْنُ ثُبَيْتٍ الْحَضْرَمِيُّ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ شَدَّ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ فَقَتَلَهُ وَجَاءَ بِرَأْسِهِ، وَرَمَى خَوْلِيَّ بْنَ يَزِيدَ الْأَصْبَحِيَّ عُثْمَانَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِسَهْمٍ، ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَبَانَ بْنِ دَارِمٍ فَقَتَلَهُ، وَجَاءَ بِرَأْسِهِ، وَرَمَى رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَبَانَ بْنِ دَارِمٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَتَلَهُ وَجَاءَ بِرَأْسِهِ.

قَالَ هِشَامُ: حَدَّثَنِي أَبُو الْهَذِيلِ - رَجُلٌ مِنَ السَّكُونِ - عَنْ هَانِيٍّ بْنِ ثُبَيْتٍ الْحَضْرَمِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُهُ جَالِسًا فِي مَجْلِسِ الْحَضْرَمِيِّينَ فِي زَمَانِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ، قَالَ: فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: كُنْتُ مِمَّنْ شَهِدَ قَتْلَ الْحُسَيْنِ، قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنِّي لَوَاقِفٌ عَاشِرَ عَشْرَةِ لَيْسَ مِنَّا رَجُلٌ إِلَّا عَلَى فَرَسٍ، وَقَدْ جَالَتْ الْخَلِيلُ وَتَصَعَّصَتْ، إِذْ خَرَجَ غَلَامٌ مِنْ آلِ الْحُسَيْنِ وَهُوَ مَسْكٌ بَعُودٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْنِيَةِ، عَلَيْهِ إِزَارٌ وَقَيْصٌ، وَهُوَ مَذْعُورٌ، يَتَلَفَّتْ يَمِينَا وَشِمَالَا، فَكُنِّي أَنْظُرَ إِلَى دَرَتَيْنِ فِي أُذُنَيْهِ تَذْبَذْبَانِ كُلُّهُمَا التَّفْتُ، إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ يَرْكُضُ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُ مَالٌ عَنْ فَرَسِهِ، ثُمَّ اقْتَصَدَ الْغَلَامُ فَقَطَعَهُ بِالسَّيْفِ.

قَالَ هِشَامُ: قَالَ السَّكُونِيُّ: هَانِيُّ بْنُ ثُبَيْتٍ هُوَ صَاحِبُ الْغَلَامِ، فَلَهَا عَتَبَ عَلَيْهِ كُنِّي عَنْ نَفْسِهِ.

قَالَ هِشَامُ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ شَمْرٍ، عَنْ جَابِرِ الْجَعْفِيِّ، قَالَ: عَطَشَ الْحُسَيْنُ حَتَّى اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَدَنَا لِيَشْرَبَ مِنَ الْمَاءِ، فَرَمَاهُ حَصِينُ بْنُ تَمِيمٍ بِسَهْمٍ، فَوَقَعَ فِي فَهٍ، فَجَعَلَ يَتَلَقَّى الدَّمَ مِنْ فَهٍ، وَيَرْمِي بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ حَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ جَمَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عِدَدًا، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا، وَلَا تَذَرِ عَلَى الْأَرْضِ مِنْهُمْ أَحَدًا.

قَالَ هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نَبَاتِهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ شَهِدَ الْحُسَيْنَ فِي عَسْكَرِهِ أَنْ حَسِينًا حِينَ غَلَبَ عَلَى عَسْكَرِهِ رَكِبَ الْمَسْنَاةَ يَرِيدُ الْفَرَاتَ، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِبَانِ بْنِ دَارِمٍ: وَيْلَكُمْ! حَوْلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ لَا نَتَامُ إِلَيْهِ شِيعَتُهُ، قَالَ: وَضُرِبَ

فَرَسُهُ، وَاتَّبَعَهُ النَّاسُ حَتَّى حَالُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفَرَاتِ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ: اللَّهُمَّ أَظْمِهِ، قَالَ: وَيَنْتَزِعِ الْأَبَانِي بِسَهْمٍ، فَأَثْبَتَهُ فِي حَنْكِ الْحُسَيْنِ، قَالَ:

[فَانْتَزَعَ الْحُسَيْنُ السَّهْمَ، ثُمَّ بَسَطَ كَفَيْهِ فَاثْمَلَأَتْ دَمًا، ثُمَّ قَالَ الْحُسَيْنُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ مَا يَفْعَلُ بَابُنْ بِنْتُ نَبِيكَ، قَالَ:] فَوَاللَّهِ إِنْ مَكَثَ الرَّجُلُ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى صَبَّ اللَّهُ عَلَيْهِ الظَّمَاءَ، فَجَعَلَ لَا يَرُوءِي.

قَالَ الْقَاسِمُ بْنُ الْأَصْبَغِ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِيمَنْ يَرُوحُ عَنْهُ وَالْمَاءُ يَبْرُدُ لَهُ فِيهِ السَّكْرُ وَعَسَاسُ فِيهَا اللَّبَنُ، وَقَلَالٌ فِيهَا الْمَاءُ، وَإِنَّهُ لَيَقُولُ: وَيْلَكُمْ! اسْقُونِي قَتْلِي الظَّمَاءَ، فَيُعْطَى الْقَلَّةَ أَوْ الْعَسَّ كَانَ مَرُوبَا أَهْلِ الْبَيْتِ فَيَشْرِبُهُ، فَإِذَا نَزَعَهُ مِنْ فِيهِ اضْطَجَعَ الْهَنِيئَةُ ثُمَّ يَقُولُ: وَيْلَكُمْ! اسْقُونِي قَتْلِي الظَّمَاءَ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا لَبِثْتُ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى انْقَدَ بَطْنُهُ انْقِدَادَ بَطْنِ الْبَعِيرِ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ فِي حَدِيثِهِ: ثُمَّ إِنْ شَمَرَ بَنُ ذِي الْجَوْشَنِ أَقْبَلَ فِي نَفَرٍ نَحْنُ مِنْ عَشْرَةِ مِنْ رَجَالَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَبْلَ مَنْزِلِ الْحُسَيْنِ الَّذِي فِيهِ ثَقْلُهُ وَعِيَالُهُ، فَشَى نَحْوَهُ، فَحَالُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَحْلِهِ، [فَقَالَ الْحُسَيْنُ: وَيْلَكُمْ! إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ، وَكُنْتُمْ لَا تَخَافُونَ يَوْمَ الْمَعَادِ، فَكُونُوا فِي أَمْرٍ دُنْيَاكُمْ أَحْرَارًا ذَوِي أَحْسَابٍ، ائْتَمِعُوا رَحْلِي وَأَهْلِي مِنْ طَعَامِكُمْ وَجَهَالِكُمْ، فَقَالَ ابْنُ ذِي الْجَوْشَنِ:]

ذَلِكَ لَكَ يَا بَنَ فَاطِمَةَ، قَالَ: وَأَقْدَمَ عَلَيْهِ بِالرَّجَالَةِ، مِنْهُمْ أَبُو الْجَنْبِ - وَاسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْجَعْفِيُّ - وَالْقَشْعَمُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ يَزِيدَ الْجَعْفِيِّ، وَصَالِحُ بْنُ وَهْبٍ الْيَزَنِيُّ، وَسَنَانُ بْنُ أَنْسٍ النَّخَعِيُّ، وَخَوْلِيُّ بْنُ يَزِيدٍ الْأَصْبَحِيُّ، فَجَعَلَ شَمَرَ ابْنَ ذِي الْجَوْشَنِ يَحْرُضُهُمْ، فَرَبَّأَى الْجَنْبِ وَهُوَ شَاكٍ فِي السَّلَاحِ فَقَالَ لَهُ:

أَقْدَمَ عَلَيْهِ، قَالَ: وَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَقْدَمَ عَلَيْهِ أَنْتَ! فَقَالَ لَهُ شَمَرٌ: أَلَيْ تَقُولُ ذَا! قَالَ: وَأَنْتَ لِي تَقُولُ ذَا! فَاسْتَبَا، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْجَنْبِ - وَكَانَ شَجَاعًا:

وَاللَّهِ لَهْمَمْتُ أَنْ أَخْضِخُضَ السَّنَانَ فِي عَيْنِكَ، قَالَ: فَانْصَرَفَ عَنْهُ شَمَرٌ وَقَالَ:

وَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرْتُ عَلَى أَنْ أَضْرَكَ لِأَضْرَكَ قَالَ: ثُمَّ إِنْ شَمَرَ بَنُ ذِي الْجَوْشَنِ أَقْبَلَ فِي الرَّجَالَةِ نَحْوَ الْحُسَيْنِ، فَأَخَذَ الْحُسَيْنُ يَشُدُّ عَلَيْهِمْ فَيَنْكَشِفُونَ عَنْهُ.

ثُمَّ إِنَّهُمْ أَحَاطُوا بِهِ إِحَاطَةً، وَأَقْبَلَ إِلَى الْحُسَيْنِ غَلَامٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَأَخَذَتْهُ أخته

زَيْنَبُ ابْنَةُ عَلِيٍّ لِتَحْبِسَهُ، [فَقَالَ لَهَا الْحُسَيْنُ: احْبِسِيهِ، فَأَبَى الْغَلَامُ، وَجَاءَ يَشْتَدُّ إِلَى الْحُسَيْنِ، فَقَامَ إِلَى جَنْبِهِ، قَالَ: وَقَدْ أَهْوَى بَحْرُ بْنُ كَعْبٍ بَنَ عَبِيدِ اللَّهِ - مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّهِ بَنَ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَكَبَةَ - إِلَى الْحُسَيْنِ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ الْغَلَامُ:

يَا بَنَ الْخَبِيثَةِ، أَتَقْتُلُ عَمِي! فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ، فَاتَّقَاهُ الْغَلَامُ بِيَدِهِ فَأَطْنَهَا إِلَّا الْجِلْدَةَ، فَإِذَا يَدُهُ مَعْلُوقَةٌ، فَنادى الْغَلَامُ: يَا أُمَّتَاهُ! فَأَخَذَهُ الْحُسَيْنُ فَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: يَا بَنَ أَخِي، اصْبِرْ عَلَى مَا نَزَلَ بِكَ، وَاحْتَسِبْ فِي ذَلِكَ الْخَيْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ يُلْحِقُكَ بِآبَائِكَ الصَّالِحِينَ، بِرَسُولِ اللَّهِ صَ وَعَلِيٍّ بَنِ أَبِي طَالِبٍ وَحَمْزَةَ وَجَعْفَرَ وَالْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ].

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ، عَنْ حَمِيدِ بْنِ مُسْلَمٍ، قَالَ:

سَمِعْتُ الْحُسَيْنَ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ يَقُولُ: [اللَّهُمَّ أَمْسِكْ عَنْهُمْ قَطْرَ السَّمَاءِ، وَامْنَعِهِمْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ، اللَّهُمَّ إِنْ مَتَعْتَهُمْ إِلَى حِينٍ فَفَرِّقْهُمْ فَرَقًا، وَاجْعَلْهُمْ طَرَائِقَ قَدَدَا، وَلَا تَرْضَ عَنْهُمْ الْوَلَاةَ أَبَدًا، فَإِنَّهُمْ دَعَوْنَا لِنَنْصُرُونَا، فَعَدُّوا عَلَيْنَا فَقَتَلُونَا] قَالَ: وَضَارَبَ الرَّجَالَةَ حَتَّى انْكَشَفُوا عَنْهُ، [قَالَ: وَلَمَّا بَقِيَ الْحُسَيْنُ فِي ثَلَاثَةِ رَهْطٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ، دَعَا بِسَرَاوِيلٍ مُحَقَّقَةٍ يَلْبَعُ فِيهَا الْبَصْرَ، يَمَانِي مُحَقَّقٍ، فَفَزَرَهُ وَنَكَّثَهُ لِكَيْلَا يَسْلُبَهُ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ:

لو لبست تحته تبا! قَالَ: ذَلِكَ ثوب مذلة، وَلَا ينبغي لي أَنْ ألبسه، [قَالَ: فلما قتل أقبال بحر بن كعب فسلبه إِيَّاهُ فتركه مجردا. قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ يَدِي بَحْرَ بْنَ كَعْبٍ كَانَتَا فِي الشَّتَاءِ تَنْضَحَانِ الْمَاءَ، وَفِي الصَّيْفِ تَيْبَسَانِ كَأَنَّهُمَا عُودٌ.]

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: عَنْ الْحَجَّاجِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَارٍ بْنِ عَبْدِ يَغُوثِ الْبَارِقِيِّ، وَعَبَّ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَارٍ بَعْدَ ذَلِكَ مُشَاهِدَهُ قَتْلَ الْحُسَيْنِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمَارٍ: إِنَّ لِي عِنْدَ بَنِي هَاشِمٍ لِيَدَا، قُلْنَا لَهُ: وَمَا يَدُكَ عِنْدَهُمْ؟ قَالَ:

حَمَلْتُ عَلَى حُسَيْنٍ بِالرَّحِمِ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، فَوَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ لَطَعْتُهُ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ عَنْهُ غَيْرَ بَعِيدٍ، وَقُلْتُ: مَا أَصْنَعُ بِأَنْ أَتَوَلَّى قَتْلَهُ! يَقْتُلُهُ غَيْرِي قَالَ: فَشَدَّ عَلَيْهِ رَجَالُهُ مِمَّنْ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَحَمَلَ عَلَى مَنْ عَنْ يَمِينِهِ حَتَّى ابْذَعَرُوا، وَعَلَى مَنْ عَنْ شِمَالِهِ حَتَّى ابْذَعَرُوا، وَعَلَيْهِ قَيْصٌ لَهُ مِنْ خَزٍّ وَهُوَ مَعْتَمٌ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مَكْسُورًا قَطُّ قَدْ قُتِلَ وَلَدُهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَأَصْحَابُهُ أَرْبَطَ جَأْشًا، وَلَا أَمْضَى جَنَانًا وَلَا أَجْرَأَ مَقْدَمًا مِنْهُ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ، إِنْ كَانَتْ الرِّجَالُ لَتَنْكَشِفُ مِنْ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ انْكَشَافَ الْمَعْرَى إِذَا شَدَّ فِيهَا الذَّنْبُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَكَذَلِكَ إِذْ خَرَجَتْ زَيْنَبُ ابْنَةُ فَاطِمَةَ أُخْتُهُ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قَرْطِهَا يَجُولُ بَيْنَ أُذُنَيْهَا وَعَاتِقِهَا وَهِيَ تَقُولُ: لَيْتَ السَّمَاءُ تَطَابَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ! وَقَدْ دَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ مِنْ حُسَيْنٍ، فَقَالَتْ: يَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ، أَيْقُتِلْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ! قَالَ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى دَمُوعِ عُمَرَ وَهِيَ تَسِيلُ عَلَى خَدَيْهِ وَلَحْيَتِهِ، قَالَ: وَصَرَفَ بَوَجهَهُ عَنْهَا.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي الصَّقْعَبِيُّ بْنُ زَهِيرٍ، عَنْ حَمِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: كَانَتْ عَلَيْهِ جَبَّةٌ مِنْ خَزٍّ، وَكَانَ مَعْتَمًا، وَكَانَ مَخْضُوبًا بِالْوَسْمَةِ، قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَقْتُلَ، وَهُوَ يَقَاتِلُ عَلَى رَجُلَيْهِ قِتَالَ الْفَارَسِ الشَّجَاعِ يَتَّقِي الرَّمِيَةَ، وَيَفْتَرِضُ الْعُورَةَ، وَيَشُدُّ عَلَى الْخَيْلِ، [وَهُوَ يَقُولُ: أَعْلَى قَتْلِي تَحَاثُونَ! أَمَا وَاللَّهِ لَا تَقْتُلُونِ بَعْدِي عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ اللَّهُ أَنْخَطَ عَلَيْكُمْ لِقَتْلِهِ مِنِّي، وَإِيْمَ اللَّهِ إِنِّي لَا أَرْجُو أَنْ يَكْرُمَنِي اللَّهُ بِهَوَانِكُمْ، ثُمَّ يَنْتَقِمَ لِي مِنْكُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُونَ، أَمَا وَاللَّهِ أَنْ لَوْ قَدْ قَتَلْتُمُونِي لَقَدْ أَلْقَى اللَّهُ بِأَسْكُمْ بَيْنَكُمْ، وَسَفَكَ دِمَاءَكُمْ، ثُمَّ لَا يَرْضَى لَكُمْ حَتَّى يَضَاعِفَ لَكُمْ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ] قَالَ: وَلَقَدْ مَكَثَ طَوِيلًا مِنَ النَّهَارِ وَلَوْ شَاءَ النَّاسُ أَنْ يَقْتُلُوهُ لَفَعَلُوا، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَتَّقِي بَعْضَهُمْ بَعْضًا، وَيَحِبُّ هَؤُلَاءِ أَنْ يَكْفِيَهُمْ هَؤُلَاءِ، قَالَ:

فَنَادَى شَمْرًا فِي النَّاسِ: وَيَحْكُمُ، مَاذَا تَنْظُرُونَ بِالرَّجُلِ! اقْتُلُوهُ ثَكَلْتُمْ أُمَهَاتَكُمْ! قَالَ: فَحَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَضْرَبَتْ كَفَّهُ الْيَسْرَى ضَرْبَةً، فَضْرَبَهَا زُرْعَةُ بْنُ شَرِيكَ التَّمِيمِيِّ، وَضْرَبَ عَلَى عَاتِقِهِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَهُوَ يَنْوِي وَيَكْبُو، قَالَ: وَحَمَلَ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ سَنَانُ بْنُ أُنْسٍ بَنَ عَمْرُو النَّخْعِيِّ فَطَعَنَهُ بِالرَّحِمِ فَوَقَعَ، ثُمَّ قَالَ لَخَوْلِي بْنِ يَزِيدَ الْأَصْبَحِيِّ: احْتَزْ رَأْسَهُ، فَأَرَادَ أَنْ يَفْعَلَ، فَضَعَفَ فَأَرْعَدَ، فَقَالَ لَهُ سَنَانُ بْنُ أُنْسٍ: فَتِ اللَّهُ عَضْدِيكَ، وَأَبَانَ يَدِيكَ! فَزَلَّ إِلَيْهِ فَذَبَحَهُ وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَى خَوْلِي بْنِ يَزِيدَ، وَقَدْ ضْرَبَ قَبْلَ ذَلِكَ بِالسَّيْفِ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ، [عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: وَجَدَ بِالْحُسَيْنِ عَ حِينَ قَتَلَ ثَلَاثَ وَثَلَاثُونَ طَعْنَةً وَأَرْبَعَ وَثَلَاثُونَ ضَرْبَةً،] قَالَ: وَجَعَلَ سَنَانُ بْنُ أُنْسٍ لَا يَدْنُو أَحَدًا مِنَ الْحُسَيْنِ إِلَّا شَدَّ عَلَيْهِ مَخَافَةً أَنْ يَغْلِبَ عَلَى رَأْسِهِ، حَتَّى أَخَذَ رَأْسَ الْحُسَيْنِ فَدَفَعَهُ إِلَى خَوْلِي، قَالَ: وَسَلَبَ الْحُسَيْنَ مَا كَانَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَ سِرَاوِيلَهُ بِحَرِّ بْنِ كَعْبٍ، وَأَخَذَ قَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ قَطِيفَتَهُ - وَكَانَتْ مِنْ خَزٍّ، وَكَانَ يُسَمَّى بَعْدَ قَيْسِ قَطِيفَةً - وَأَخَذَ نَعْلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَوْدَ يُقَالُ لَهُ الْأَسْوَدُ، وَأَخَذَ سَيْفَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ بَنِ دَارِمٍ، فَوَقَعَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ حَبِيبِ بْنِ بَدِيلٍ، قَالَ: وَمَالَ النَّاسِ عَلَى الْوَرَسِ وَالْحُلِّ وَالْإِبِلِ وَانْتَبَهَوْهَا، قَالَ: وَمَالَ النَّاسِ عَلَى نِسَاءِ الْحُسَيْنِ وَثَقْلِهِ وَمَتَاعِهِ، فَإِنْ كَانَتْ الْمَرْأَةُ لَتَنَازَعَ ثَوْبَهَا عَنْ ظَهْرِهَا حَتَّى تَغْلِبَ عَلَيْهِ فَيَذْهَبَ بِهِ مِنْهَا.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي زَهِيرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَثْعَمِيُّ، أَنَّ سُوَيْدَ بْنَ عَمْرُو بْنِ أَبِي الْمَطَاعِ كَانَ صَرَعَ فَأُتِخِنَ، فَوَقَعَ بَيْنَ الْقَتْلَى مِثْخَنًا، فَسَمِعَهُمْ يَقُولُونَ: قَتَلَ الْحُسَيْنَ، فَوَجَدَ إِفَاقَةً، فَإِذَا مَعَهُ سَكِينٌ وَقَدْ أَخَذَ سَيْفَهُ، فَقَاتَلَهُمْ بِسَكِينِهِ سَاعَةً، ثُمَّ إِنَّهُ قَتَلَ، قَتْلَهُ عُرْوَةُ بْنُ بَطَارٍ التَّغْلِبِيُّ، وَزَيْدُ بْنُ رِقَادٍ الْجَنْبِيُّ، وَكَانَ آخِرَ قَتِيلٍ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ، عَنْ حَمِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ،
قَالَ، انْتَهَيْتُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْأَصْغَرِ وَهُوَ مُنْبَسِطٌ عَلَى فِرَاشٍ لَهُ، وَهُوَ مَرِيضٌ، وَإِذَا شَمَرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ فِي رَجَالَةٍ مَعَهُ
يَقُولُونَ: أَلَا نَقْتُلْ هَذَا؟ قَالَ: فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! أَنْقِطِلِ الصَّبِيَّانِ! إِنَّمَا هَذَا صَبِيٌّ، قَالَ: فَمَا زَالَ ذَلِكَ دَائِي أَدْفَعُ عَنْهُ كُلَّ مَنْ جَاءَ حَتَّى
جَاءَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ، فَقَالَ:

أَلَا لَا يَدْخُلُنْ بَيْتَ هَؤُلَاءِ النِّسْوَةِ أَحَدٌ، وَلَا يَعْرِضُنْ لِهَذَا الْغُلَامِ الْمَرِيضِ، وَمَنْ أَخَذَ مِنْ مَتَاعِهِمْ شَيْئًا فَلْيَرِدْهُ عَلَيْهِمْ قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ
أَحَدٌ شَيْئًا، قَالَ: [فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: جَزَيْتُ مِنْ رَجُلٍ خَيْرًا! فَوَاللَّهِ لَقَدْ دَفَعَ اللَّهُ عَنِّي بِمَقَالَتِكَ شَرًّا] قَالَ: فَقَالَ النَّاسُ لِسَنَانِ بْنِ
أَنْسٍ: قَتَلْتَ حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ وَابْنَ فَاطِمَةَ ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ ص، قَتَلْتَ أَكْثَرَ الْعَرَبِ خَطَرًا، جَاءَ إِلَى هَؤُلَاءِ يَرِيدُ أَنْ يَزِيلَهُمْ عَنْ مَلِكِهِمْ،
فَأَتَى أَمْرَاءَكَ فَاطْلُبُ ثَوَابِكَ مِنْهُمْ، لَوْ أَعْطَوكَ بَيُوتَ أَمْوَالِهِمْ فِي قَتْلِ الْحُسَيْنِ كَانَ قَلِيلًا، فَأَقْبَلَ عَلَى فَرَسِهِ، وَكَانَ شَجَاعًا شَاعِرًا، وَكَانَتْ
بِهِ لَوْثَةٌ، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ فُسْطَاطِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ، ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ:

أَوْقِرْ رُكَابِي فَضَّةً وَذَهَبًا... أَنَا قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحْجِبَا

قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أَمَّا وَأَبَا... وَخَيْرَهُمْ إِذْ يَنْسُبُونَ نَسْبَا

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ: أَشْهَدُ إِنَّكَ لِمَجْنُونٌ مَا صَحَّحْتَ قَطُّ، أَدْخُلْهُ عَلَيَّ، فَلَمَّا أَدْخَلَ حَذَفَهُ بِالْقَضِيبِ ثُمَّ قَالَ: يَا مَجْنُونُ، أَتُنْكَلِمُ بِهَذَا الْكَلَامِ!
أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ سَمِعْتُكَ ابْنَ زِيَادٍ لَضَرْبَ عُنُقِكَ، قَالَ: وَأَخَذَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَقْبَةَ بَنِ سَعْمَانَ - وَكَانَ مَوْلَى لِلرَّبَابِ بِنْتِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ الْكَلْبِيَّةِ،
وَهِيَ أُمُّ سَكِينَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ - فَقَالَ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَبْدٌ مَمْلُوكٌ، نَفْلِي سَبِيلَهُ، فَلَمْ يَنْجِ مِنْهُمْ أَحَدٌ غَيْرَهُ، إِلَّا أَنْ الْمَرْقَعَ بْنَ ثَمَامَةَ
الْأَسَدِيَّ كَانَ قَدْ نَثَرَ نَبْلَهُ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَاتَلَ، فَجَاءَهُ نَفَرٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَقَالُوا لَهُ: أَنْتَ آمِنٌ، أَخْرِجْ إِلَيْنَا، نَفْرَجُ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا قَدَّمَ بِهِمْ
عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ وَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُ سَيَّرَهُ إِلَى الزَّرَارَةِ قَالَ: ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ نَادَى فِي أَصْحَابِهِ: مَنْ يَنْتَدِبُ لِلْحُسَيْنِ وَيُوطِئُهُ فَرَسَهُ؟
فَانْتَدَبَ عَشْرَةٌ: مِنْهُمْ إِسْحَاقُ بْنُ حَيَوَةَ الْحَضْرَمِيُّ،

وَهُوَ الَّذِي سَلَبَ قَيْصُ الْحُسَيْنِ - فَبَرَصَ بَعْدَ - وَاحْبِشُ بْنُ مَرْثَدٍ بْنُ عُلْقَمَةَ ابْنِ سَلَامَةَ الْحَضْرَمِيُّ، فَأَتَوْا فَدَاسُوا الْحُسَيْنَ بِخَيْولِهِمْ حَتَّى
رَضُوا ظَهْرَهُ وَصَدْرَهُ، فَبَلَغْنِي أَنْ أَحْبِشُ بْنُ مَرْثَدٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِزَمَانٍ أَتَاهُ سَهْمٌ غَرْبٌ، وَهُوَ وَاقِفٌ فِي قِتَالٍ فَفَلَقَ قَلْبَهُ، فَتَاتَ، قَالَ: فَقَتَلَ
مِنْ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ عِشْرَتَيْنِ وَسَبْعِينَ رَجُلًا، وَدَفَنَ الْحُسَيْنَ وَأَصْحَابَهُ أَهْلَ الْغَاضِرِيَّةِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ بَعْدَ مَا قَتَلُوا يَوْمَ، وَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِ
عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ ثَمَانِيَةَ وَثَمَانُونَ رَجُلًا سِوَى الْجَرْحِيِّ، فَصَلَّى عَلَيْهِمْ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ وَدَفَنَهُمْ، قَالَ: وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَتَلَ الْحُسَيْنَ، فَسَرَحَ بِرَأْسِهِ
مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ مَعَ خَوْلِي بْنِ يَزِيدَ وَحَمِيدِ بْنِ مُسْلِمِ الْأَزْدِيِّ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، فَأَقْبَلَ بِهِ خَوْلِي فَأَرَادَ الْقَصْرَ، فَوَجَدَ بَابَ الْقَصْرِ
مُغْلَقًا، فَأَتَى مَنْزِلَهُ فَوَضَعَهُ تَحْتَ إِجَانَةِ فِي مَنْزِلِهِ، وَلَهُ امْرَأَتَانِ: امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، وَالْأُخْرَى مِنَ الْحَضْرَمِيِّينَ يُقَالُ لَهَا النَّوَارُ ابْنَةُ مَالِكِ
بْنِ عَقْرَبٍ، وَكَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ لَيْلَةَ الْحَضْرَمِيَّةِ قَالَ هِشَامُ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنِ النَّوَارِ بِنْتِ مَالِكٍ، قَالَتْ: أَقْبَلَ خَوْلِي بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ فَوَضَعَهُ
تَحْتَ إِجَانَةِ فِي الدَّارِ، ثُمَّ دَخَلَ الْبَيْتَ، فَأَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا الْخَبَرُ؟ مَا عِنْدَكَ؟ قَالَ: جِئْتُكَ بِغَنَى الدَّهْرِ، هَذَا رَأْسُ الْحُسَيْنِ
مَعَكَ فِي الدَّارِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَيْلَكَ - جَاءَ النَّاسُ بِالذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ وَجِئْتُ بِرَأْسِ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ ص! لَا وَاللَّهِ لَا يَجْمَعُ رَأْسِي وَرَأْسَكَ
بَيْتَ أَبَدًا، قَالَتْ: فَقَمْتُ مِنْ فِرَاشِي، نَفَرْتُ إِلَى الدَّارِ، فَدَعَا الْأَسَدِيَّةُ فَأَدْخَلَهَا إِلَيْهِ، وَجَلَسْتُ أَنْظُرُ، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ أَنْظُرُ إِلَى
نَوْرِ يَسْطَعُ مِثْلَ الْعُمُودِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْإِجَانَةِ، وَرَأَيْتُ طَيْرًا بَيْضًا تَرْفُفُ حَوْلَهَا.

قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا بِالرَّأْسِ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، وَأَقَامَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ يَوْمَهُ ذَلِكَ وَالْغَدَ، ثُمَّ أَمَرَ حَمِيدَ بْنَ بَكِيرٍ الْأَحْمَرِيَّ فَأَذَنَ فِي النَّاسِ
بِالرَّحِيلِ إِلَى الْكُوفَةِ، وَحَمَلَ مَعَهُ بَنَاتِ الْحُسَيْنِ وَأَخَوَاتَهُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الصَّبِيَّانِ، وَعَلَى ابْنِ الْحُسَيْنِ مَرِيضٌ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي أَبُو زَهْرٍ الْعَبْسِيُّ، عَنْ قُرَّةِ بِنْتِ قَيْسِ التَّمِيمِيِّ،

قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى تِلْكَ النِّسْوَةِ لَمَّا مَرَرْنَ بِحُسَيْنٍ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ صَحْنٌ وَلَطْمُنٌ وَجُوهُهُنَّ قَالَتْ: فَاعْتَرَضْتُهُنَّ عَلَى فَرَسٍ، فَمَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا مِنْ

نسوة قط كَانَ أَحْسَنَ مِنْ مَنْظَرِ رَأْيَتِهِ مِنْهُنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَاللَّهُ لَهْنُ أَحْسَنَ مِنْ مَهَابِيرِنَ.

قال: فما نسيت من الأشياء لا انس قول زينب ابنة فاطمة حين مرت بأخيها الحُسينَ صريعاً وهي تقول: يَا مُحَمَّدَاهُ، يَا مُحَمَّدَاهُ! صلي عَلَيْكَ ملائكة السماء، هَذَا الحُسينُ بالعراء، مرمِل بالدماء، مقطَع الأعضاء، يَا مُحَمَّدَاهُ! وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة، تسفي عَلَيْهَا الصبا قال: فأبكت وَاللَّهِ كل عدو وصديق، قَالَ: وقطف رءوس الباقين، فسرح باثنين وسبعين رأساً مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وعزرة بن قيس، فأقبلوا حتَّى قدموا بِهَا عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ، عَنْ حَمِيدِ بْنِ مُسْلَمٍ، قَالَ: دَعَانِي عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ فَسَرَحَنِي إِلَى أَهْلِهِ لِأَبْشَرِهِمْ بَفَتْحِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَبِعَافِيَتِهِ، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى أَتَيْتُ أَهْلَهُ، فَأَعْلَمْتُهُمْ ذَلِكَ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ حَتَّى أَدْخَلَ فَأَجَدَ ابْنَ زِيَادٍ قَدْ جَلَسَ لِلنَّاسِ، وَأَجَدَ الْوَفْدَ قَدْ قَدَمُوا عَلَيْهِ، فَأَدْخَلَهُمْ، وَأَذِنَ لِلنَّاسِ، فَدَخَلْتُ فِيمَنْ دَخَلَ، فَإِذَا رَأْسُ الْحُسَيْنِ مَوْضُوعٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَإِذَا هُوَ يَنْكُتُ بِقَضِيبٍ بَيْنَ ثَنِيَّتَيْهِ سَاعَةً، فَلَمَّا رَأَى زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ: لَا يَجْمَعُ عَنْ نَكَتِهِ بِالْقَضِيبِ، قَالَ لَهُ: اأَعْلَ بِهَذَا الْقَضِيبِ عَنْ هَاتَيْنِ الثَّنِيَّتَيْنِ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَقَدْ رَأَيْتُ شَفَاقِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى عَلَى هَاتَيْنِ الشَّفَتَيْنِ يَقْبِلُهُمَا، ثُمَّ انْفَضَّ الشَّيْخُ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ: أَبْكِي اللَّهُ عَيْنُكَ! فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّكَ شَيْخٌ قَدْ خَرَفْتَ وَذَهَبَ عَقْلُكَ لَضَرَبْتُ عَنْقَكَ، قَالَ: فَهَضْ نَفْرَجْ، فَلَمَّا خَرَجَ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ: وَاللَّهِ لَقَدْ قَالَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ قَوْلًا لَوْ سَمِعَهُ ابْنُ زِيَادٍ لَقَتَلَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ: مَا قَالَ؟ قَالُوا: مَرَبْنَا وَهُوَ يَقُولُ: مَلِكٌ عَبْدُ عَبْدِ اللَّهِ، فَاتَّخَذَهُمْ تَلْدًا، أَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ الْعَبِيدُ بَعْدَ الْيَوْمِ، قَتَلْتُمْ ابْنَ فَاطِمَةَ، وَأَمَرْتُمْ ابْنَ مَرْجَانَةَ، فَهُوَ يَقْتُلُ خِيَارَكُمْ، وَيَسْتَعْبِدُ شَرَارَكُمْ، فَرَضِيتُمْ بِالذِّلِّ، فَبَعْدًا لِمَنْ رَضِيَ بِالذِّلِّ!

قَالَ: فَلَمَّا دَخَلَ بِرَأْسِ حُسَيْنٍ وَصَبِيَانِهِ وَأَخَوَاتِهِ وَنِسَائِهِ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ لَبَسَتْ زَيْنَبُ ابْنَةُ فَاطِمَةَ أُرْدَلْ ثِيَابَهَا، وَتَنَكَّرَتْ، وَحَفَّتْ بِهَا إِمَائُوهَا، فَلَمَّا دَخَلَتْ جَلَسَتْ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ: مِنْ هَذِهِ الْجَالِسةِ؟ فَلَمْ تَكَلِّمْهُ، فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ لَا تَكَلِّمْهُ، فَقَالَ بَعْضُ إِمَائِهَا: هَذِهِ زَيْنَبُ ابْنَةُ فَاطِمَةَ، قَالَ: فَقَالَ لَهَا عُبَيْدُ اللَّهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَحَكُمْ وَقَتْلَكُمْ وَأَكْذَبَ أَحَدُوكُمْ! فَقَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِمُحَمَّدٍ ص وَطَهَرَنَا تَطْهِيرًا، لَا كَمَا تَقُولُ أَنْتَ، إِنَّمَا يَفْضُحُ الْفَاسِقُ، وَيَكْذِبُ الْفَاجِرُ، قَالَ: فَكَيْفَ رَأَيْتَ صَنَعَ اللَّهِ بِأَهْلِ بَيْتِكَ! قَالَتْ: كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ، فَبَرَزُوا إِلَى مُضَاجِعِهِمْ، وَسِجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، فَتَحَاجُونَ إِلَيْهِ، وَتَخَاصِمُونَ عَنْدهُ، قَالَ: فَغَضِبَ ابْنُ زِيَادٍ وَاسْتَشْطَاطَ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ حَرِيثٍ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! إِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ، وَهَلْ تَوَاضَعُ الْمَرْأَةُ بِشَيْءٍ مِنْ مَنْطِقِهَا! إِنَّهَا لَا تَوَاضَعُ بِقَوْلٍ، وَلَا تَلَامُ عَلَى خَطْلٍ، فَقَالَ لَهَا ابْنُ زِيَادٍ:

قَدْ أَشْفَى اللَّهُ نَفْسِي مِنْ طَاغِيَتِكَ، وَالْعَصَاةِ الْمُرْدَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، قَالَ:

فَبَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ: لِعَمْرِي لَقَدْ قَتَلْتَ كَهْلِي، وَأَبْرَتَ أَهْلِي، وَقَطَعْتَ فَرْعِي، وَاجْتَثَثْتَ أَصْلِي، فَإِنْ يَشْفُكَ هَذَا فَقَدْ اسْتَفْنَيْتَ، فَقَالَ لَهَا عُبَيْدُ اللَّهِ:

اللَّهُ:

هَذِهِ شَجَاعَةٌ، قَدْ لِعَمْرِي كَانَ أَبُوكَ شَاعِرًا شَجَاعًا، قَالَتْ: مَا لِلْمَرْأَةِ وَالشَّجَاعَةِ! إِنْ لِي عَنِ الشَّجَاعَةِ لَشَغْلًا، وَلَكِنْ نَفْسِي مَا أَقُولُ. قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ، عَنِ الْمُجَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ: إِنْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ لَمَّا نَظَرَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ لَشَرَطِي: انْظُرْ هَلْ أَدْرُكَ مَا يَدْرُكَ الرِّجَالُ؟ فَكَشَطَ إِزَارَهُ عَنْهُ، فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ انْطَلِقُوا بِهِ فَاضْرِبُوا عَنْقَهُ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: إِنْ كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ النَّسوةِ قَرَابَةٌ فَابْعَثْ مَعَهُمْ رَجُلًا يَحْفَظُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ: تَعَالِ أَنْتَ، فَبَعَثَهُ مَعَهُمْ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَأَمَّا سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ، فَحَدَّثَنِي عَنْ حَمِيدِ بْنِ مُسْلَمٍ

[قَالَ: إِنِّي لِقَائِمٌ عِنْدَ ابْنِ زِيَادٍ حِينَ عَرَضَ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ فَقَالَ لَهُ:

مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: أَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: أَوَلَمْ يَقْتُلِ اللَّهُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ! فَسَكَتَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ: مَا لَكَ لَا تَكَلِّمْ! قَالَ: قَدْ كَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَيْضًا عَلِيٌّ، فَقَتَلَهُ النَّاسُ، قَالَ: إِنْ اللَّهُ قَدْ قَتَلَهُ، قَالَ: فَسَكَتَ عَلِيٌّ، فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ لَا تَكَلِّمْ! قَالَ: «اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا» «وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ»، قَالَ: أَنْتَ وَاللَّهُ مِنْهُمْ، وَيَحْكُ! انْظُرُوا هَلْ أَدْرُكَ؟ وَاللَّهُ إِنِّي لِأَحْسِبُهُ رَجُلًا،

قَالَ: فَكَشَفَ عَنْهُ مَرِيَّ بْنَ مَعَاذِ الْأَحْمَرِيِّ، فَقَالَ: نَعَمْ قَدْ أَدْرَكَ، فَقَالَ: اقْتُلْهُ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ:

مَنْ تَوَكَّلَ بِهَؤُلَاءِ النِّسْوَةِ؟ وَتَعَلَّقَتْ بِهِ زَيْنَبُ عَمَّتُهُ فَقَالَتْ: يَا بَنَ زِيَادٍ، حَسْبُكَ مَنَا، أَمَا رَوَيْتَ مِنْ دِمَائِنَا! وَهَلْ أَبْقَيْتَ مَنَا أَحَدًا! قَالَ: فَاعْتَنَقَتْهُ فَقَالَتْ: أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ إِنْ كُنْتُ مُؤْمِنًا إِنْ قَتَلْتَهُ لَمَا قَتَلْتَنِي مَعَهُ! قَالَ: وَنَادَاهُ عَلِيٌّ فَقَالَ: يَا بَنَ زِيَادٍ، إِنْ كَانَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُنَّ قَرَابَةٌ فَاذْهَبْ مَعَهُنَّ رَجُلًا تَقِيًّا يَصْحَبُهُنَّ بِصُحْبَةِ الْإِسْلَامِ، [قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهَا سَاعَةً، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْقَوْمِ فَقَالَ: عَجَبًا لِلرَّحْمَنِ! وَاللَّهِ إِنِّي لِأُظْهِرُكَ وَدَتَّ لَوْ أَنِّي قَتَلْتُهُ أَنِّي قَتَلْتُهَا مَعَهُ، دَعُوا الْغُلَامَ، انْطَلِقْ مَعَ نِسَائِكَ.

قَالَ حَمِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ: لَمَّا دَخَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ الْقَصْرَ وَدَخَلَ النَّاسَ، نُوْدِي:

الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ! فَاجْتَمَعَ النَّاسُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ، فَصَعِدَ الْمُنْبَرُ ابْنُ زِيَادٍ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ، وَنَصَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ وَحَزْبَهُ، وَقَتَلَ الْكَذَّابَ ابْنَ الْكَذَّابِ، الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ وَشِيعَتَهُ، فَلَمْ يَفْرِغْ ابْنُ زِيَادٍ مِنْ مَقَاتِلِهِ حَتَّى وَثَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَفِيْفٍ الْأَزْدِيُّ ثُمَّ الْغَامِدي، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي وَابِلَةَ - وَكَانَ مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، وَكَانَتْ عَيْنُهُ الْيَسْرَى ذَهَبَتْ يَوْمَ الْجَمَلِ مَعَ عَلِيٍّ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ صَفِينَ ضَرَبَ عَلَى رَأْسِهِ ضَرْبَةً، وَأُخْرَى عَلَى حَاجِبِهِ، فَذَهَبَتْ عَيْنُهُ الْأُخْرَى، فَكَانَ لَا يَكَادُ يَفَارِقُ الْمَسْجِدَ الْأَعْظَمَ يَصْلِي فِيهِ إِلَى اللَّيْلِ ثُمَّ يَنْصَرِفُ - قَالَ: فَلَمَّا سَمِعَ مَقَالَهُ ابْنُ زِيَادٍ، قَالَ:

يَا بَنَ مَرْجَانَةَ، إِنْ الْكَذَّابَ ابْنَ الْكَذَّابِ أَنْتَ وَأَبُوكَ وَالَّذِي وَلَاكَ وَأَبُوهُ، يَا بَنَ مَرْجَانَةَ، أَتَقْتُلُونَ أَبْنَاءَ النَّبِيِّينَ، وَتَكْلَهُونَ بِكَلَامِ الصِّدِّيقِينَ! فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ: عَلِيٌّ بِهِ، قَالَ: فَوُثِّبَ عَلَيْهِ الْجَلَاوِزَةُ فَأُخْذُوهُ، قَالَ: فَنَادَى بِشُعَارِ الْأَزْدِ: يَا مَبْرُورَ - قَالَ: وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَخْنَفٍ الْأَزْدِيُّ جَالِسٌ - فَقَالَ:

وَيْحَ غَيْرِكَ! أَهْلَكَ نَفْسُكَ، وَأَهْلَكَ قَوْمُكَ، قَالَ: وَحَاضِرُ الْكُوفَةِ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْأَزْدِ سَبْعُمِائَةِ مَقَاتِلٍ، قَالَ: فَوُثِّبَ إِلَيْهِ فَتِيَةٌ مِنَ الْأَزْدِ فَانْتَزَعُوهُ فَأَتَوْا بِهِ أَهْلَهُ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ مِنْ أَتَاهُ بِهِ، فَقَتَلَهُ وَأَمَرَ بِصَلْبِهِ فِي السَّبْخَةِ، فَصَلَبَ هُنَالِكَ.

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: ثُمَّ إِنْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ نَصَبَ رَأْسَ الْحُسَيْنِ بِالْكُوفَةِ، فَجَعَلَ يَدَارِيهِ فِي الْكُوفَةِ، ثُمَّ دَعَا زَحْرَ بْنَ قَيْسٍ فَسَرَحَ مَعَهُ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ وَرِءُوسَ أَصْحَابِهِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَكَانَ مَعَ زَحْرَ أَبُو بَرْدَةَ بْنُ عَوْفٍ الْأَزْدِيُّ وَطَارِقُ بْنُ أَبِي ظَبْيَانَ الْأَزْدِيُّ، فَخَرَجُوا حَتَّى قَدَمُوا بِهَا الشَّامَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ.

قَالَ هِشَامُ: فَخَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ بْنُ رُوْحِ بْنِ زُبَيْعِ الْجُدَامِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْغَازِ بْنِ رَبِيعَةَ الْجَرَشِيِّ، مِنْ حَمِيرٍ، قَالَ: وَاللَّهِ أَنَا لَعِنْدَ يَزِيدَ ابْنِ مُعَاوِيَةَ بِدِمَشْقَ إِذَا أَقْبَلَ زَحْرَ بْنَ قَيْسٍ حَتَّى دَخَلَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ: وَيْلَكَ! مَا وَرَاءَكَ؟ وَمَا عِنْدَكَ؟ فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِفَتْحِ اللَّهِ وَنَصْرِهِ، وَرَدِّ عَلَيْنَا الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ فِي ثَمَانِيَةِ عَشَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَسِتِينَ مِنْ شِيعَتِهِ، فَسَرْنَا إِلَيْهِمْ، فَسَأَلْنَاهُمْ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا وَيَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ الْأَمِيرِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ أَوْ الْقِتَالِ، فَاخْتَارُوا الْقِتَالَ عَلَى الْإِسْتِسْلَامِ، فَعَدُونَا عَلَيْهِمْ مَعَ شُرُوقِ الشَّمْسِ، فَأَحْطَنَّا بِهِمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ السُّيُوفُ مَأْخِذَهَا مِنْ هَامِ الْقَوْمِ، يَهْرَبُونَ إِلَى غَيْرِ وَزَرٍ، وَيُلَوِّذُونَ مَنَا بِالْأَكَامِ وَالْحُفْرِ، لَوْ إِذَا كَمَا لَاذَ الْحَمَائِمُ مِنْ صَقَرٍ، فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ إِلَّا جَزْرٌ

جَزُورٌ أَوْ نَوْمَةٌ قَاتِلٌ حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى آخِرِهِمْ، فَهَاتَيْكَ أَجْسَادُهُمْ مَجْرَدَةٌ، وَثِيَابُهُمْ مَرْمَلَةٌ، وَخُدُودُهُمْ مَعْفَرَةٌ، تَصْهَرُهُمُ الشَّمْسُ، وَتَسْفَى عَلَيْهِمُ الرِّيحُ، زَوَارَهُمُ الْعُقْبَانُ وَالرَّحْمُ بَقِي سَبَسْبَ قَالَ: فَدَمَعَتْ عَيْنُ يَزِيدَ، وَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَرْضَى مِنْ طَاعَتِكُمْ بِدُونِ قَتْلِ الْحُسَيْنِ، لَعَنَ اللَّهُ ابْنَ سَمِيَّةٍ! أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي صَاحِبُهُ لَعَفُوتُ عَنْهُ، فَرَحِمَ اللَّهُ الْحُسَيْنَ! وَلَمْ يَصْلِهِ بِشَيْءٍ.

قَالَ: ثُمَّ إِنْ عُبَيْدُ اللَّهِ أَمَرَ بِنِسَاءِ الْحُسَيْنِ وَصَبْيَانِهِ فَجَهَزَنَ، وَأَمَرَ بَعْلَى ابْنَ الْحُسَيْنِ فَعَلَ بِغُلٍّ إِلَى عُنُقِهِ، ثُمَّ سَرَحَ بِهِمْ مَعَ مُحَفِّزِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْعَائِدي، عَائِدَةً قَرِيشَ وَمَعَ شَمْرِ بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ، فَانْطَلَقُوا بِهِمْ حَتَّى قَدَمُوا عَلَى يَزِيدَ، فَلَمْ يَكُنْ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ يَكْلِمُ أَحَدًا مِنْهُمَا فِي الطَّرِيقِ كَلِمَةً حَتَّى بَلَغُوا، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى بَابِ يَزِيدَ رَفَعَ مُحَفِّزُ بْنُ ثَعْلَبَةَ صَوْتَهُ، فَقَالَ: هَذَا مُحَفِّزُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّثَامِ الْفَجْرَةَ، قَالَ:

فأجابه يزيد بن معاوية: ما ولدت أم محفز شر والأم.
 قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي الصَّقْعَبُ بْنُ زَهِيرٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَوْلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: لَمَّا وَضَعْتَ الرُّعُوسَ بَيْنَ يَدَيِ يَزِيدَ-
 رَأْسَ الْحُسَيْنِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ- قَالَ يَزِيدُ:
 يَفْلُقْنِ هَامًا مِنْ رِجَالِ أَعْزَةِ... عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعْتَقُوا وَأَظْلَمُوا
 أَمَا وَاللَّهِ يَا حُسَيْنُ، لَوْ أَنَا صَاحِبُكَ مَا قَتَلْتُكَ.
 قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ الْعَبْسِيُّ، عَنْ أَبِي عِمَارَةَ الْعَبْسِيِّ، قَالَ:
 فَقَالَ يَحْيَى بْنُ الْحَكَمِ أَخُو مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ:
 لَهَامُ بِجَنْبِ الطِّفْلِ أَدْنَى قَرَابَةٍ... مِنْ ابْنِ زِيَادِ الْعَبْدِ ذِي الْحَسَبِ الْوُغْلِ
 سَمِيَّةُ أُمِّسَى نَسْلُهَا عَدَدُ الْحَصَى... وَبِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهَا نَسْلٌ
 قَالَ: فَضْرَبَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ فِي صَدْرِ يَحْيَى بْنِ الْحَكَمِ وَقَالَ: اسْكُتْ.
 [قَالَ: وَلَمَّا جَلَسَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ دَعَا أَشْرَافَ أَهْلِ الشَّامِ فَأَجْلَسَهُمْ حَوْلَهُ، ثُمَّ دَعَا بَعْلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ وَصَبِيَّانَ الْحُسَيْنِ وَنِسَاءَهُ، فَأَدْخَلُوا
 عَلَيْهِ وَالنَّاسَ يَنْظُرُونَ، فَقَالَ يَزِيدُ لَعَلِّي: يَا عَلِيُّ، أَبُوكَ الَّذِي قَطَعَ رَحْمِي، وَجَهْلَ حَقِّي، وَنَازَعَنِي سُلْطَانِي، فَصَنَعَ اللَّهُ بِهِ مَا قَدْ رَأَيْتَ!
 قَالَ: فَقَالَ عَلِيُّ:
 «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا»، فَقَالَ يَزِيدُ لَابْنِهِ خَالِدًا: ارْجِعْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَمَا دَرَى
 خَالِدٌ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ: قُلْ: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ»، ثُمَّ سَكَتَ عَنْهُ،] قَالَ: ثُمَّ دَعَا
 بِالنِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ فَأَجْلَسُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَرَأَى هَيْئَةً قَبِيحَةً، فَقَالَ: قَبِيحَ اللَّهُ ابْنُ مَرْجَانَةٍ! لَوْ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَكُمْ رَحِمٌ أَوْ قَرَابَةٌ مَا فَعَلَ هَذَا
 بِكُمْ، وَلَا بَعَثَ بِكُمْ هَكَذَا.
 قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ عَلِيٍّ، قَالَتْ:
 لَمَّا أَجْلَسْنَا بَيْنَ يَدَيِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ رَقَ لَنَا، وَأَمَرَ لَنَا بِشَيْءٍ، وَأَلْطَفْنَا، قَالَتْ: ثُمَّ إِنْ رَجَلَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ أَحْمَرُ قَامَ إِلَى يَزِيدَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ، هَبْ لِي هَذِهِ- يَعْنِينِي، وَكُنْتُ جَارِيَةً وَضِيئَةً- فَأَرَعَدْتُ وَفَرَقْتُ، وَظَنَنْتُ أَنَّ ذَلِكَ جَائِزٌ لَهُمْ، وَأَخَذَتْ بَثِيَابَ أُخْتِي زَيْنَبَ،
 قَالَتْ: وَكَانَتْ أُخْتِي زَيْنَبُ أَكْبَرَ مِنِّي وَأَعْقَلَ، وَكَانَتْ تَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ، فَقَالَتْ:
 كَذَبْتَ وَاللَّهِ وَلَوْ مِتُّ! مَا ذَلِكَ لَكَ وَلَهُ، فَغَضِبَ يَزِيدُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ، إِنْ ذَلِكَ لِي، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَفْعَلَهُ لَفَعَلْتُ، قَالَتْ: كَلَّا وَاللَّهِ،
 مَا جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لَكَ إِلَّا أَنْ تَخْرُجَ مِنْ مِلَّتِنَا، وَتَدِينُ بغيرِ دِينِنَا، قَالَتْ: فَغَضِبَ يَزِيدُ وَاسْتَطَارَ، ثُمَّ قَالَ: إِيَّايَ تَسْتَقْبِلِينَ بِهَذَا! إِنَّمَا خَرَجَ
 مِنَ الدِّينِ أَبُوكَ
 وَأَخَوُكَ، فَقَالَتْ زَيْنَبُ: بَدِينِ اللَّهُ وَدِينِ أَبِي وَدِينِ أَخِي وَجَدِي اهْتَدَيْتِ أَنْتِ وَأَبُوكَ وَجَدُكَ، قَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّةَ اللَّهِ، قَالَتْ: أَنْتِ
 أَمِيرُ مُسْلَطٍ، تَشْتُمُ ظَالِمًا، وَتَقْهَرُ بِسُلْطَانِكَ، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّهُ اسْتَحْيَا، فَسَكَتَ، ثُمَّ عَادَ الشَّامِي فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَبْ لِي هَذِهِ
 الْجَارِيَةَ، قَالَ: اعْزَبْ، وَهَبِ اللَّهُ لَكَ حَتْفًا قَاضِيًا! قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ: يَا نَعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ:
 جَهِّزْهُمْ بِمَا يَصْلَحُهُمْ، وَابْعَثْ مَعَهُمْ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ أَمِينًا صَالِحًا، وَابْعَثْ مَعَهُ خِيَلًا وَأَعْوَانًا فَيَسِيرُ بِهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ أَمَرَ بِالنِّسَاءِ
 أَنْ يَنْزِلْنَ فِي دَارٍ عَلَى حِدَةٍ، مَعَهُنَّ مَا يَصْلَحُهُنَّ، وَأَخُوهُنَّ مَعَهُنَّ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، فِي الدَّارِ الَّتِي هُنَّ فِيهَا قَالَ: نَفْرَجْنَ حَتَّى دَخَلْنَ دَارَ
 يَزِيدَ فَلَمْ تَبْقَ مِنْ آلِ مُعَاوِيَةَ امْرَأَةٌ إِلَّا اسْتَقْبَلَتْهُنَّ تَبْكِي وَتَتَوَحَّى عَلَى الْحُسَيْنِ، فَأَقَامُوا عَلَيْهِ الْمُنَاحَةَ ثَلَاثًا، وَكَانَ يَزِيدُ لَا يَتَغَدَّى وَلَا يَتَعَشَّى
 إِلَّا دَعَا عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ إِلَيْهِ، قَالَ: فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ، وَدَعَا عُمَرَ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ، فَقَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْحُسَيْنِ: أَتَقَاتِلُ هَذَا
 الْفَتَى؟ يَعْنِي خَالِدًا ابْنَهُ، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَعْطَيْتَنِي سَكِينًا وَأَعْطَاهُ سَكِينًا، ثُمَّ أَقَاتَلَهُ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ، وَأَخَذَهُ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: شَنْشَنَةُ

أعرفها من أخزم، هل تلد الحية إلا حية! قَالَ: ولما أرادوا أن يخرجوا دعا يزيد علي بن الحسين ثم قَالَ: لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو أني صاحبه ما سألتني خصلة أبدا إلا أعطيتها إياه، ولدفت الحنف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن الله قضى ما رأيته، كاتبني وأنه كل حاجة تكون لك، قَالَ: وكساهم وأوصى بهم ذلك الرسول، قَالَ: نفرج بهم وكان يسايرهم بالليل فيكونون أمامه حيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تخي عنهم وتفرق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم، وينزل منهم بحيث إذا أراد إنسان منهم وضوء أو قضاء حاجة لم يحتشم، فلم يزل ينازلهم في الطريق هكذا، ويسألهم عن حوائجهم، ويلطفهم حتى دخلوا المدينة. وَقَالَ الحارث بن كعب: فَقَالَ لي فاطمة بنت علي: قلت لأختي زينب: يا أختي، لقد أحسن هذا الرجل الشامي إلينا في صحبتنا، فهل لك أن نصله؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا معنا شيء نصله به إلا حلينا، قالت

لها: فنعطيه حلينا، قالت: فأخذت سوارى ودملجي وأخذت أختي سوارها ودملجها، فبعثنا بذلك إليه، واعتذرنا إليه، وقلنا له: هذا جزاؤك بصحبتك إيانا بالحسن من الفعل، قَالَ: فَقَالَ: لو كان الذي صنعت إنما هو للدنيا كان في حليكن ما يرضيني ودونه، ولكن والله ما فعلته إلا لله، ولقرايتكم من رسول الله ص قَالَ هِشَام: وأما عوانة بن الحكم الكلبي فإنه قَالَ: لما قتل الحسين وجيء بالأثقال والأسارى حتى وردوا بهم الكوفة إلى عبيد الله، فبينما القوم محتسبون إذ وقع حجر في السجن، معه كتاب مربوط، وفي الكتاب خرج البريد بأمرهم في يوم كذا وكذا إلى يزيد بن معاوية، وهو سائر كذا وكذا يوما، وراجع في كذا وكذا، فإن سمعتم التكبير فأيقنوا بالقتل، وإن لم تسمعوا تكبيرا فهو الأمان إن شاء الله، قَالَ: فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد ألقى في السجن، ومعه كتاب مربوط وموسى، وفي الكتاب: أوصوا واعهدوا فإنما ينتظر البريد يوم كذا وكذا فجاء البريد ولم يسمع التكبير، وجاء كتاب بأن سرح الأسارى إلي قَالَ: فدعا عبيد الله ابن زياد محفز بن ثعلبة وشم بن ذي الجوشن، فَقَالَ: انطلقوا بالثقل والرأس إلى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، قَالَ: نفرجوا حتى قدموا على يزيد، فقام محفز بن ثعلبة فنادى بأعلى صوته: جئنا برأس أحق الناس والأهم، فَقَالَ يزيد: ما ولدت أم محفز ألام وأحق، ولكنه قاطع ظالم، قَالَ: فلما نظر يزيد إلى رأس الحسين، قَالَ:

يفلن هاما من رجال أعزة... علينا وهم كانوا أعتق وأظلموا

ثم قَالَ: أتدرون من أين أتى هذا؟ قَالَ: أبي علي خير من أبيه، وأمي فاطمة خير من أمه، وجدي رسول الله خير من جده، وأنا خير منه وأحق

بهذا الأمر منه، فأما قوله: أبوه خير من أبي، فقد حاج أبي أباه، وعلم الناس أيهما حكم له، وأما قوله: أمي خير من أمه، فلعمري فاطمة ابنة رسول الله ص خير من أمي، وأما قوله: جدي خير من جده، فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عدلا ولا ندا، ولكنه إنما أتى من قبل فقهاء، ولم يقرأ: «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ثم أدخل نساء الحسين على يزيد، فصاح نساء آل يزيد وبنات معاوية وأهله وولولن.

ثم إنهن أدخلن على يزيد، فَقَالَ فاطمة بنت الحسين- وكانت أكبر من سكينه: أبنات رسول الله سبايا يا يزيد! فَقَالَ يزيد: يا ابنة أخي، أنا لهذا كنت أكره، قالت: وَاللَّهِ مَا ترك لنا خرص، قَالَ: يا ابنه أخي ما آت إليك أعظم مما أخذ منك، ثم أخرجنا فأدخلن دار يزيد بن معاوية، فلم تبق امرأة من آل يزيد إلا أتتهن، وأقن المأتم، وأرسل يزيد إلى كل امرأة: ماذا أخذ لك؟ وليس منهن امرأة تدعي شيئا بالغا ما بلغ إلا قد أضعفه لها، فكانت سكينه تقول: ما رأيته رجلا كافرا بالله خيرا من يزيد ابن معاوية [ثم أدخل الأسارى إليه وفيهم علي بن الحسين، فَقَالَ له يزيد:

إيه يا علي! فَقَالَ علي: «ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير»

لَيْكَلَا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» فَقَالَ يَزِيدُ: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ» ثُمَّ جَهَّزَهُ وَأَعْطَاهُ مَالًا، وَسَرَحَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ

قَالَ هِشَامُ، عَنْ أَبِي مَخْنَفٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو حَمْزَةَ الثَّمَالِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الثَّمَالِيِّ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ بَخْتِ، قَالَ: لَمَّا أَقْبَلَ وَفَدَ أَهْلَ الْكُوفَةِ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ دَخَلُوا مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَقَالَ لَهُمْ مَرْوَانَ بْنُ الْحَكَمِ: كَيْفَ صَنَعْتُمْ؟

قَالُوا: وَرَدَ عَلَيْنَا مِنْهُمْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَتَيْنَا وَاللَّهِ عَلَى آخِرِهِمْ، وَهَذِهِ الرُّعُوسُ وَالسَّبَايَا، فَوَثَبَ مَرْوَانَ فَانْصَرَفَ، وَأَتَاهُمْ أَخُوهُ يَحْيَى بْنُ الْحَكَمِ، فَقَالَ:

مَا صَنَعْتُمْ؟ فَأَعَادُوا عَلَيْهِ الْكَلَامَ، فَقَالَ: جِئْتُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَنْ أَجَامِعَكُمْ عَلَى أَمْرٍ أَبَدًا ثُمَّ قَامَ فَانْصَرَفَ، وَدَخَلُوا عَلَى يَزِيدَ فَوَضَعُوا الرَّأْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَحَدَّثُوهُ الْحَدِيثَ قَالَ: فَسَمِعْتُ دُورَ الْحَدِيثِ هِنْدَ بِنْتَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَامِرِ بْنِ كَرِيزٍ- وَكَانَتْ تَحْتَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ- فَتَقَنَعَتْ بِثَوْبِهَا، وَخَرَجَتْ فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَرَأْسَ الْحُسَيْنِ بْنِ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ! قَالَ: نَعَمْ فَأَعُولِي عَلَيْهِ، وَحَدَّثَنِي عَلَى ابْنِ بَنِي رَسُولِ اللَّهِ ص وَصَرِيحَةُ قَرِيشَ، عَجَلُ عَلَيْهِ ابْنُ زِيَادٍ فَقَتَلَهُ قَتْلَهُ اللَّهِ! ثُمَّ أَذِنَ لِلنَّاسِ فَدَخَلُوا وَالرَّأْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَعَ يَزِيدَ قَضِيبٌ فَهُوَ يَنْكُتُ بِهِ فِي ثَغْرِهِ، ثُمَّ قَالَ:

إِنْ هَذَا وَإِيَانَا كَمَا قَالَ الْحَصِينُ بْنُ الْحَمَامِ الْمَرِي:

يَفْلُقْنَ هَامًا مِنْ رَجَالٍ أَحَبَّةٍ ... إِلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعْقَ وَأَظْلَمَا

قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص يَقَالُ لَهُ أَبُو بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيُّ: أَتَمَكْتُ بِقَضِيبِكَ فِي ثَغْرِ الْحُسَيْنِ! أَمَا لَقَدْ أَخَذَ قَضِيبَكَ مِنْ ثَغْرِهِ مَأْخِذًا، لَرُبَّمَا رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ص يَرْشِفُهُ، أَمَا إِنَّكَ يَا يَزِيدُ تَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَابْنُ زِيَادٍ شَفِيعُكَ، وَيَجِيءُ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمُحَمَّدٌ ص شَفِيعُهُ، ثُمَّ قَامَ فَوَلَّى.

قَالَ هِشَامُ: حَدَّثَنِي عَوَانَةُ بْنُ الْحَكَمِ، قَالَ: لَمَّا قَتَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ وَجِيءَ بِرَأْسِهِ إِلَيْهِ، دَعَا عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ أَبِي الْخَارِثِ السَّلْمِيَّ فَقَالَ: انْطَلِقْ حَتَّى تَقْدُمَ الْمَدِينَةَ عَلَى عَمْرٍو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَبَشِّرْهُ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ- وَكَانَ عَمْرٍو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ أَمِيرَ الْمَدِينَةِ يَوْمَئِذٍ- قَالَ: فَذَهَبَ

لِيَعْتَلَّ لَهُ، فَزَجَرَهُ- وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ لَا يَصْطَلِي بِنَارِهِ- فَقَالَ: انْطَلِقْ حَتَّى تَأْتِيَ الْمَدِينَةَ، وَلَا يَسْبِقُكَ الْخَبَرُ، وَأَعْطَاهُ دَنَانِيرَ، وَقَالَ: لَا تَعْتَلْ، وَإِنْ قَامَتْ بِكَ رَاغِبَتُكَ فَاشْتَرِ رَاغِلَةً، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَلَقِينِي رَجُلٌ مِنْ قَرِيشَ، فَقَالَ: مَا الْخَبَرُ؟ فَقُلْتُ: الْخَبَرُ عِنْدَ الْأَمِيرِ، فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! قَتَلَ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ، فَدَخَلَتْ عَلَى عَمْرٍو بْنِ سَعِيدٍ فَقَالَ:

مَا وَرَاءُكَ؟ فَقُلْتُ: مَا سَرُّ الْأَمِيرِ، قَتَلَ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ، فَقَالَ: نَادِ بِقَتْلِهِ، فَنَادَيْتُ بِقَتْلِهِ، فَلَمْ أَسْمَعْ وَاللَّهِ وَاعِيَةً قَطْ مِثْلَ وَاعِيَةِ نِسَاءِ بَنِي هَاشِمٍ فِي دُورِهِنَّ عَلَى الْحُسَيْنِ، فَقَالَ عَمْرٍو بْنُ سَعِيدٍ وَضَحَكُ:

عَجْتُ نِسَاءَ بَنِي زِيَادٍ عَجَّةً ... كَعَجِيجِ نِسْوَتِنَا غَدَاةَ الْأَرْبِ

وَالْأَرْبُ: وَقْعَةٌ كَانَتْ لِبَنِي زِيَادٍ مِنْ بَنِي الْخَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، مِنْ رَهْطِ عَبْدِ الْمَدَانِ، وَهَذَا الْبَيْتُ لِعَمْرٍو بْنِ مَعْدِيكَرْبَ، ثُمَّ قَالَ عَمْرٍو:

هَذِهِ وَاعِيَةٌ بِوَاعِيَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَأَعْلَمَ النَّاسَ قَتْلَهُ.

قَالَ هِشَامُ، عَنْ أَبِي مَخْنَفٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُبَيْدِ أَبِي الْكَنُودِ، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مَقْتَلَ ابْنِهِ مَعَ الْحُسَيْنِ، دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ مَوَالِيهِ وَالنَّاسُ يَعِزُّونَهُ- قَالَ: وَلَا أَظُنُّ مَوْلَاهُ ذَلِكَ إِلَّا أَبَا السَّلَاسِ- فَقَالَ: هَذَا مَا لَقِينَا وَدَخَلَ عَلَيْنَا مِنَ الْحُسَيْنِ! قَالَ: لَخَذَفَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ بِنَعْلِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا بَنَ الْخَنَاءِ، أَلْحُسَيْنِ تَقُولُ هَذَا! وَاللَّهِ لَوْ شَهِدْتَهُ لَأَحْبَبْتُ

الا أفارقه حتى أقتل معه، والله إنه لما يسخر بنفسي عنهما، ويهون علي المصاب بهما، أنهما أصيبا مع أخي وابن عمي مواسين له، صابرين معه ثم أقبل على جلسائه فقال: الحمد لله عز وجل على مصرع الحسين، الا تكن آست حسينا يدي، فقد آسأه ولدي قال: ولما أتى أهل المدينة مقتل الحسين خرجت ابنة عقيل بن أبي طالب ومعها نساؤها وهي حاسرة تلوي بثوبها وهي تقول:

ذكر أسماء من قتل من بني هاشم مع الحسين ع وعدد من قتل من كل قبيلة من القبائل التي قاتلته

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي ... منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم!

قال هشام: عن عوانة، قال: قال عبيد الله بن زياد لعمر بن سعد بعد قتله الحسين: يا عمر، أين الكتاب الذي كتبت به إليك في قتل الحسين؟

قال: مضيت لأمرك وضاع الكتاب، قال: لتجئن به، قال: ضاع، قال: والله لتجئنني به، قال: ترك والله يقرأ على عجائز قريش اعتذارا إليهن بالمدينة، أما والله لقد نصحتك في حسين نصيحة لو نصحتها ابني سعد ابن أبي وقاص كنت قد أديت حقه، قال عثمان بن زياد أخو عبيد الله:

صدق والله، لوددت أنه ليس من بني زياد رجل إلا وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة وان حسينا لم يقتل، قال: فوالله ما أنكر ذلك عليه عبيد الله.

قال هشام: حدثني بعض أصحابنا، عن عمرو بن أبي المقدم، قال:

حدثني عمرو بن عكرمة، قال: أصبحنا صبيحة قتل الحسين بالمدينة، فإذا مولى لنا يحدثنا، قال: سمعت البارحة مناديا ينادي وهو يقول:

أيها القاتلون جهلا حسينا ... أبشروا بالعذاب والتنكيل

كل أهل السماء يدعو عليكم ... من نبي وملاك وقبيل

قد لعنتم على لسان ابن داود ... وموسى وحامل الإنجيل

قال هشام: حدثني عمر بن حيزوم الكلبي، عن أبيه، قال: سمعت هذا الصوت.

ذكر أسماء من قتل من بني هاشم مع الحسين ع وعدد من قتل من كل قبيلة من القبائل التي قاتلته

قال هشام: قال أبو مخنف: ولما قتل الحسين بن علي ع جيء

برءوس من قتل معه من أهل بيته وشيعته وأنصاره إلى عبيد الله بن زياد، فجاءت كندة بثلاثة عشر رأسا، وصاحبهم قيس بن الأشعث، وجاءت هوازن بعشرين رأسا وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن، وجاءت تميم بسبعة عشر رأسا، وجاءت بنو أسد بستة رؤوس، وجاءت مذحج بسبعة رؤوس، وجاء سائر الجيش بسبعة رؤوس، فذلك سبعون رأسا.

قال: وقتل الحسين - وأمه فاطمة بنت رسول الله ص قتله سنان بن أنس النخعي ثم الأصبحي وجاء برأسه خولي بن يزيد، وقتل العباس بن علي بن أبي طالب - وأمه أم البنين ابنة حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد، قتله زيد بن رقاد الجنبي - وحكيم بن الطفيل السبسي، وقتل جعفر بن علي بن أبي طالب - وأمه أم البنين أيضا - وقتل عبد الله بن علي ابن أبي طالب - وأمه أم البنين أيضا - وقتل عثمان بن علي بن أبي طالب - وأمه أم البنين أيضا - رماه خولي بن يزيد بسهم فقتله، وقتل محمد بن علي بن أبي طالب - وأمه أم ولد - قتله رجل من بني أبان بن دارم، وقتل أبو بكر بن علي بن أبي طالب - وأمه ليل ابنة مسعود بن خالد بن مالك بن ربيعي بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم، وقد شك في قتله - وقتل على ابن الحسين بن علي - وأمه ليل ابنة أبي مرة بن عروة بن مسعود بن معتب الثقفي، وأما

مَيْمُونَةَ ابنة أَبِي سُفْيَانَ بن حرب - قتله مرة بن منقذ بن النُّعْمَانِ العبدِي، وقتل عَبْدُ اللَّهِ بن الْحُسَيْنِ بن علي - وأمه الرباب ابنة إمرئ القيس ابن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم من كلب - قتله هانئ ابن ثبيت الحضرمي، واستصغر عَلِيَّ بن الْحُسَيْنِ بن علي فلم يقتل، وقتل أَبُو بَكْر بن الْحَسَن بن عَلِيَّ بن أَبِي طَالِبٍ - وأمه أم ولد - قتله عَبْدُ اللَّهِ بن عُقْبَةَ الغنوي، وقتل عَبْدُ اللَّهِ بن الْحَسَن بن عَلِيَّ بن أَبِي طَالِبٍ - وأمه أم ولد - قتله حرملة بن الكاهن، رماه بسهم، وقتل الْقَاسِم بن الْحَسَن بن علي - وأمه أم ولد - قتله سعد بن عَمْرُو بن نفيل الأزدي، وقتل عون بن عبد الله

ابن جَعْفَر بن أَبِي طَالِبٍ - وأمه جمانة ابنة المسيب بن نجبة بن ربيعة بن رياح من بني فزارة - قتله عَبْدُ اللَّهِ بن قطبة الطائي ثم النباني، وقتل محمد ابن عَبْدِ اللَّهِ بن جَعْفَر بن أَبِي طَالِبٍ - وأمه الخوصاء ابنة خصفة بن ثقيف بن ربيعة بن عائذ بن الْحَارِث بن تيم الله بن ثعلبة من بكر بن وائل - قتله عامر ابن نهشل التيمي، وقتل جَعْفَر بن عقيل بن أَبِي طَالِبٍ - وأمه أم البنين ابنة الشقر بن الهضاب - قتله بشر بن حوط الهمداني، وقتل عبد الرحمن ابن عقيل - وأمه أم ولد - قتله عُمَان بن خَالِد بن أسير الجهمي، وقتل عَبْدُ اللَّهِ بن عقيل بن أَبِي طالب - وأمه أم ولد - رماه عَمْرُو بن صبيح الصدائي فقتله، وقتل مسلم بن عقيل بن أَبِي طَالِبٍ - وأمه أم ولد، ولد بالكوفة - وقتل عَبْدُ اللَّهِ بن مسلم بن عقيل بن أَبِي طَالِبٍ - وأمه رقية ابنة عَلِيَّ بن أَبِي طَالِبٍ وأما أم ولد - قتله عَمْرُو بن صبيح الصدائي، وقيل: قتله اسيد بن مالك الحضرمي، وقتل مُحَمَّد بن أَبِي سَعِيد بن عقيل - وأمه أم ولد - قتله لقيط بن ياسر الجهمي، واستصغر الْحَسَن بن الْحَسَن بن علي، وأمه خولة ابنة منظور بن زبان بن سيار الفزاري، واستصغر عمر بن الحسن بن علي فقتل - وأمه أم ولد - وقتل من الموالي سُلَيْمَان مولى الْحُسَيْن بن علي، قتله سُلَيْمَان بن عوف الحضرمي، وقتل منجج مولى الْحُسَيْن بن علي، وقتل عَبْدُ اللَّهِ بن بقطر رضيع الْحُسَيْن بن علي.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن جندب الأزدي، أن عُبَيْدَ اللَّهِ بن زياد بعد قتل الْحُسَيْن تفقد أشراف أهل الْكُوفَةِ، فلم ير عُبَيْدَ اللَّهِ بن الحر، ثُمَّ جَاءَهُ بعد أيام حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ، فقال: اين كنت يا بن الحر؟ قَالَ: كنت مريضاً، قَالَ: مريض القلب، أو مريض البدن! قَالَ: أما قلبي فلم يمرض، وأما بدني فقد من الله علي بالعافية، فَقَالَ لَهُ ابن زياد: كذبت، ولكنك كنت مع عدونا، قَالَ: لو كنت مع عدوك لرأى مكاني، وما كَانَ مثل مكاني يخفى، قَالَ: وغفل عنه ابن زياد غفلة، فخرج ابن الحر فقعد

٥٠٢٥٠٢ ذكر خبر مقتل مرداس بن عمرو بن حدير

عَلَى فرسه، فَقَالَ ابن زياد: أين ابن الحر؟ قَالُوا: خرج الساعة، قَالَ: علي به، فأحضرت الشرط فقالوا له: أجب الأمير، فدفع فرسه ثُمَّ قَالَ: أبلغوه أنني لا آتية واللَّهِ طائعا أبدا، ثُمَّ خرج حَتَّى أَتَى منزل أحمربن زياد الطَّائِي فاجتمع إِلَيْهِ فِي منزله أَصْحَابُهُ، ثُمَّ خرج حَتَّى أَتَى كربلاء فنظر إلى مصارع القوم، فاستغفر لَهُمْ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، ثُمَّ مضى حَتَّى نزل المدائن، وَقَالَ فِي ذَلِكَ: يقول أمير غادر حق غادر: ... ألا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمه!

فيا ندمي ألا أكون نصرته ... ألا كل نفس لا تسدد نادمه
وإني لأنني لم أكن من حماه ... لذو حسرة ما إن تفارق لازمه
سقى الله أرواح الَّذِينَ تَأْزَرُوا ... عَلَى نصره سقيا من الغيث دائمه
وقفت على أجدائهم ومجالهم ... فكاد الحشا ينفض والعين ساجمه
لعمري لقد كَانُوا مصاليت في الوغى ... سراعاً إِلَى الهيجا حماة خضارمه

تأسوا على نصر ابن بنت نبيهم ... بأسيا فهم آساد غيل ضراغمه
فإن يقتلوا فكل نفس تقية ... على الأرض قد أضحيت لذلك واجمه
وما إن رأى الرءاؤون أفضل منهم ... لدى الموت سادات وزهرا قماقه
أقتلهم ظلها وترجو ودادنا ... فدع خطة ليست لنا بملائمه!
لعمري لقد راغمتونا بقتلهم ... فكم ناقم منا عليكم وناقه
أهم مرارا أن أسير بجحفل ... إلى فئة زاعت عن الحق ظالمه
فكفوا وإلا ذدتكم في كتاب ... أشد عليكم من زحوف الديلمة.
ذكر خبر مقتل مرداس بن عمرو بن حدير
وفي هذه السنة قتل أبو بلال مرداس بن عمرو بن حدير، من ربيعة بن حنظله

٥٠٢٥٣ ذكر خبر ولاية سلم بن زياد على خراسان وسجستان

ذكر سبب مقتله:
قال أبو جعفر الطبري: قد تقدم ذكر سبب خروجه، وما كان من توجيه عبيد الله بن زياد إليه أسلم بن زرعة الكلابي في ألفي رجل،
والتقاءهم بأسك وهزيمة أسلم وجيشه منه ومن أصحابه فيما مضى من كتابنا هذا.
ولما هزم مرداس أبو بلال أسلم بن زرعة، وبلغ عبيد الله بن زياد، سرح إليه - فيما حدثت عن هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال:
حدثني أبو المخارق الراسي - ثلاثة آلاف، عليهم عباد بن الأخضر التميمي، فأتبعه عباد يطلبه حتى لحقه بتوج، فصف له، فحمل عليهم
أبو بلال وأصحابه، فثبتوا وتعطف الناس عليهم فلم يكونوا شيئاً وقال أبو بلال لأصحابه: من كان منكم إنما خرج للدنيا فليذهب، ومن
كان منكم إنما أراد الآخرة ولقاء ربه فقد سبق ذلك إليه، وقرأ: «من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث
الدنيا نؤثمه منها وما له في الآخرة من نصيب»، فنزل ونزل أصحابه معه لم يفارقه منهم إنسان، فقتلوا من عند آخرهم، ورجع عباد بن
الأخضر، وذلك الجيش الذي كان معه إلى البصرة، وأقبل عبيدة بن هلال معه ثلاثة نفر هو رابعهم، فرصد عباد بن الأخضر، فأقبل
يريد قصر الإمارة وهو مردف ابناً له غلاماً، صغيراً، فقالوا: يا عبد الله، قف حتى نستفتيك، فوقف، فقالوا: نحن إخوة أربعة، قتل
أخونا، فما ترى؟ قال: استعدوا الأمير، قالوا: قد استعديناه فلم يعدنا، قال: فاقتلوه، قتله الله! فوشوا عليه فكموا، والقي ابنه فقتلوه
. ذكر خبر ولاية سلم بن زياد على خراسان وسجستان

وفي هذه السنة ولي يزيد بن معاوية سلم بن زياد سجستان وخراسان.

ذكر سبب توليته إياه:

حدثني عمر، قال: حدثني علي بن محمد، قال: حدثنا مسلمة بن
محارب بن سلم بن زياد، قال: وفد سلم بن زياد على يزيد بن معاوية وهو ابن أربع وعشرين سنة، فقال له يزيد: يا أبا حرب، أوليك
عمل أخويك: عبد الرحمن وعباد؟ فقال: ما أحب أمير المؤمنين، فولاه خراسان وسجستان، فوجه سلم الحارث بن معاوية الحارثي
جد عيسى بن شبيب من الشام إلى خراسان، وقدم سلم البصرة، فتجهز وسار إلى خراسان، فأخذ الحارث بن قيس بن الهيثم السلمي
خجسته، وضرب ابنه شبيباً، وأقامه في سراويل، ووجه أخاه يزيد بن زياد إلى سجستان فكتب عبيد الله بن زياد إلى عباد أخيه - وكان
له صديقاً - يخبره بولاية سلم، فقسم عباد ما في بيت المال في عيده، وفضل فضل فنادى مناديه: من أراد سلفاً فليأخذ، فأسلف

كُلِّ مَنْ أَتَاهُ، وَخَرَجَ عَبْدٌ عَنْ سِجِسْتَانَ فَلَمَّا كَانَ بِمَجِيرُفَتَ بَلْعَهُ مَكَانَ سَلَمٍ - وَكَانَ بَيْنَهُمَا جَبَلٌ - فَعَدَلَ عَنْهُ، فَذَهَبَ لِعِبَادِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَلْفُ مَمْلُوكٍ، أَقْلٌ مَا مَعَ أَحَدِهِمْ عَشْرَةُ آلَافٍ قَالَ: فَأَخَذَ عَبْدٌ عَلَى فَارِسٍ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَى يَزِيدَ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ: أَيْنَ الْمَالُ؟ قَالَ كُنْتُ صَاحِبَ ثَغْرِ، فَقَسَمْتُ مَا أَصَبْتُ بَيْنَ النَّاسِ قَالَ: وَلَمَّا شَخَّصَ سَلَمٌ إِلَى خُرَاسَانَ شَخَّصَ مَعَهُ عِمْرَانُ بْنُ الْفَصِيلِ الْبَرْجَمِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَارِزَمِ السُّلَمِيُّ، وَطَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفِ الْخَزَاعِيِّ وَالْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ، وَحَنْظَلَةُ بْنُ عَرَادَةَ، وَابُو حَزَابَةَ الْوَلِيدُ بْنُ نَهْيَكٍ أَحَدُ بَنِي رِبِيعَةَ بْنِ حَنْظَلَةَ، وَيَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ الْعَدَوَانِيُّ حَلِيفُ هَذِيلٍ، وَخَلَقُ كَثِيرٌ مِنْ فَرَسَانَ الْبَصْرَةِ وَأَشْرَافِهِمْ، فَقَدِمَ سَلَمٌ بْنُ زِيَادٍ بِكُتَابٍ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ بِخُبْرَةِ أَلْفِي رَجُلٍ يَنْتَخِبُهُمْ - وَقَالَ غَيْرُهُ: بَلْ نَخْبَةُ سِتَّةِ آلَافٍ - قَالَ: فَكَانَ سَلَمٌ يَنْتَخِبُ الْوُجُوهَ وَالْفَرَسَانَ وَرَغِبَ قَوْمٌ فِي الْجِهَادِ فَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يُخْرِجَهُمْ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ أَخْرَجَهُ سَلَمٌ حَنْظَلَةُ بْنُ عَرَادَةَ، فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ: دَعْنِي، قَالَ: هُوَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، فَإِنْ اخْتَارَكَ فَهُوَ لَكَ، وَإِنْ اخْتَارَنِي فَهُوَ لِي، قَالَ: فَاخْتَارَ سَلَمًا، وَكَانَ النَّاسُ يَكْمُونَ سَلَمًا وَيَطْلُبُونَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْتُمَهُمْ مَعَهُ، وَكَانَ صَلَافُ بْنُ أَشِيمِ الْعَدَوِيِّ يَأْتِي الدِّيَوَانَ فَيَقُولُ لَهُ الْكَاتِبُ: يَا أَبَا الصَّهْبَاءِ، أَلَا أُثْبِتُ اسْمَكَ، فَانْهَ وَجْهَ فِيهِ جِهَادَ وَفَضْلَ؟ فَيَقُولُ لَهُ: اسْتَخِيرُ اللَّهَ وَأَنْظُرُ، فَلَمْ يَزَلْ يَدَافِعُ حَتَّى

فَرَّغَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ مُعَاذَةُ ابْنَةُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَدَوِيَّةُ: أَلَا تَكْتُبُ نَفْسَكَ؟ قَالَ: حَتَّى أَنْظُرَ، ثُمَّ صَلَّى وَاسْتَخَارَ اللَّهَ، قَالَ: فَرَأَى فِي مَنَامِهِ آتِيًا أَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ: أَخْرِجْ فَإِنَّكَ تَرْجُحُ وَتَفْلُحُ وَتَنْجُحُ، فَأَتَى الْكَاتِبَ فَقَالَ لَهُ: أَثْبِتْنِي، قَالَ: قَدْ فَرَعْنَا وَلَنْ أَدْعَكَ، فَأَثْبَتَهُ وَابْنَهُ، فَخَرَجَ سَلَمٌ فَصِيرَهُ سَلَمٌ مَعَ يَزِيدَ بْنِ زِيَادٍ فَسَارَ إِلَى سِجِسْتَانَ.

قَالَ: وَخَرَجَ سَلَمٌ وَأَخْرَجَ مَعَهُ أُمُّ مُحَمَّدٍ ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ، وَهِيَ أَوَّلُ امْرَأَةٍ مِنَ الْعَرَبِ قُطِعَ بِهَا النَّهْرُ. قَالَ: وَذَكَرَ مُسْلِمَةُ بْنُ مُحَارِبٍ وَأَبُو حَفْصٍ الْأَزْدِيُّ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حَفْصِ الْكَرْمَانِيِّ أَنَّ عَمَّالَ خُرَاسَانَ كَانُوا يَغْزُونَ، فَإِذَا دَخَلَ الشِّتَاءُ قَتَلُوا مِنْ مَغَازِيهِمْ إِلَى مَرْوِ الشَّاهِجَانِ، فَإِذَا انْصَرَفَ الْمُسْلِمُونَ اجْتَمَعَ مَمْلُوكُ خُرَاسَانَ فِي مَدِينَةٍ مِنْ مَدَائِنِ خُرَاسَانَ مِمَّا يَلِي خَارِزَمَ، فَيَتَعَاقِدُونَ الِا يَغْزُو بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلَا يَهْجِ أَحَدٌ أَحَدًا، وَيَتَشَاوَرُونَ فِي أُمُورِهِمْ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَطْلُبُونَ إِلَى أُمَرَائِهِمْ فِي غَزْوِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ فَيَأْبُونَ عَلَيْهِمْ فَلَمَّا قَدِمَ خُرَاسَانَ غَزَا فِشْتَا فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، قَالَ: فَأَلَحَّ عَلَيْهِ الْمُهَلَّبُ، وَسَأَلَهُ أَنْ يُوجِّهَهُ إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ، فَوَجَّهَهُ فِي سِتَّةِ آلَافٍ - وَيُقَالُ أَرْبَعَةُ آلَافٍ - فَحَاصَرَهُمْ، فَسَأَلَهُمْ أَنْ يَدْعُوا لَهُ بِالطَّاعَةِ، فَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يُصَالِحَهُمْ عَلَى أَنْ يَقْدُوا أَنْفُسَهُمْ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، فَصَالَحَهُ عَلَى نِيفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ أَلْفٍ، قَالَ: وَكَانَ فِي صَلَاحِهِمْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُمْ عُرُوضًا، فَكَانَ يَأْخُذُ الرَّأْسَ بِنِصْفِ ثَمَنِهِ، وَالدَّابَّةَ بِنِصْفِ ثَمَنِهَا، وَالْكَيْمَنَةَ بِنِصْفِ ثَمَنِهِ، فَلَبِغَتْ قِيمَةُ مَا أَخَذَ مِنْهُمْ خَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفٍ، فَخَطِيَ بِهَا الْمُهَلَّبُ عِنْدَ سَلَمٍ، وَاصْطَفَى سَلَمٌ مِنْ ذَلِكَ مَا أَعْجَبَهُ، وَبَعَثَ بِهِ إِلَى يَزِيدَ مَعَ مَرْزُبَانَ مَرْوَ، وَأَوْفَدَ فِي ذَلِكَ وَفْدًا.

قَالَ مُسْلِمَةُ وَإِسْحَاقُ بْنُ أَيُّوبَ: غَزَا سَلَمٌ سَمَرْقَنْدَ بِامْرَأَتِهِ أُمِّ مُحَمَّدٍ ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ، فَوَلَدَتْ لِسَلَمٍ ابْنًا، فَسَمَّاهُ صُغْدِي. قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ: ذَكَرَ الْحَسَنُ بْنُ رُشَيْدٍ الْجُوزْجَانِيُّ، عَنْ شَيْخٍ مِنْ خُرَاعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: غَزَوْتُ مَعَ سَلَمٍ بْنُ زِيَادٍ خُورَزْمَ،

٥٠٢٥٤ ذكر سبب عزل يزيد عمرو بن سعيد عن المدينة وتوليته عليها الوليد بن عتبة

فَصَالَحَهُ عَلَى مَالٍ كَثِيرٍ، ثُمَّ عَبَرَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ فَصَالَحَهُ أَهْلُهَا، وَكَانَتْ مَعَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ مُحَمَّدٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ فِي غَزَاتِهِ تِلْكَ ابْنًا، وَأَرْسَلَتْ إِلَى امْرَأَةِ صَاحِبِ الصُّغْدِ تَسْتَعِيرُ مِنْهَا حَلِيًّا، فَبَعَثَتْ إِلَيْهَا بِتَاجِهَا، وَقَفَلُوا، فَذَهَبَتْ بِالتَّاجِ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ يَزِيدُ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ عَنِ الْمَدِينَةِ وَوَلَاهَا الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَنْ حَدَّثِهِ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ

عيسى، عن أبي معشر، قال: نزع يزيد بن معاوية عمرو بن سعيد، لهلal ذي الحجة، وأمر الوليد بن عتبة على المدينة، فحج بالناس حجتين سنة إحدى وستين.

وسنة اثنتين وستين.

وكان عامل يزيد بن معاوية في هذه السنة على البصرة والكوفة عبيد الله بن زياد، وعلى المدينة في آخرها الوليد بن عتبة، وعلى خراسان وبجستان سلم بن زياد، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة، وعلى قضاء الكوفة شريح.

وفيها أظهر ابن الزبير الخلاف على يزيد وخلعه وفيها بويع له

. ذكر سبب عزل يزيد عمرو بن سعيد عن المدينة وتوليته عليها الوليد بن عتبة

وكان السبب في ذلك وسبب إظهار عبد الله بن الزبير الدعاء إلى نفسه - فيما ذكر هشام، عن أبي مخنف، عن عبد الملك بن نوفل - قال: حدثني أبي، ٤ قال: لما قتل الحسين ع قام ابن الزبير في أهل مكة وعظم مقتله، وعاب على أهل الكوفة خاصة، ولأم أهل العراق عامة، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ص: إن أهل العراق غدر فجر إلا قليلا، وإن أهل الكوفة شرار أهل العراق، وإنهم دعوا حسيننا لينصروه ويولوه عليهم، فلما قدم عليهم ثاروا إليه، فقالوا له: إما أن تضع يدك في أيدينا فنبعث بك إلى ابن زياد بن سمية سلما فيمضي فيك حكمه، وإما أن تحارب، فرأى والله أنه هو وأصحابه قليل في كثير، وإن

كان الله عز وجل لم يطلع على الغيب أحدا أنه مقتول، ولكنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة، فرحم الله حسيننا، وأخرى قاتل حسين! لعمري لقد كان من خلافهم إياه وعصيانهم ما كان في مثله واعظ وناه عنهم، ولكنه ما حم نازل، وإذا أراد الله أمرا لن يدفع أبعد الحسين نظمنا إلى هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهدا! لا، ولا نراهم لذلك أهلا، أما والله لقد قتله طويلا بالليل قيامه، كثيرا في النهار صيامه، أحق بما هم فيه منهم وأولى به في الدين والفضل، أما والله ما كان يبدل بالقرآن الغناء، ولا بالبكاء من خشية الله الحداء، ولا بالصيام شرب الحرام، ولا بالجلال في حلق الذكر الركض في تطلاب الصيد - يعرض بيزيد - فسوف يلقون غيا.

فثار إليه أصحابه فقالوا له: أيها الرجل أظهر بيعتك، فإنه لم يبق أحد إذ هلك حسين ينازعك هذا الأمر وقد كان يبايع الناس سرا، ويظهر أنه عائد بالبيت، فقال لهم: لا تعجلوا - وعمرو بن سعيد بن العاص يومئذ عامل مكة، وقد كان أشد شيء عليه وعلى أصحابه، وكان مع شدته عليهم يداري ويرفق - فلما استقر عند يزيد بن معاوية ما قد جمع ابن الزبير من الجموع بمكة، أعطى الله عهدا ليوثقنه في سلسلة، فبعث بسلسلة من فضة، فربها البريد على مروان بن الحكم بالمدينة، فاخبر خبر ما قدم له وبالسلسلة التي معه، فقال مروان: خذها فليست للعزير بخطة ... وفيها مقال لامرئ متضعف

ثم مضى من عنده حتى قدم على ابن الزبير، فأتى ابن الزبير فأخبره بممر البريد على مروان، وتمثل مروان بهذا البيت، فقال ابن الزبير: لا والله لا أكون أنا ذلك المتضعف، ورد ذلك البريد ردا رقيقا.

وعلا أمر ابن الزبير بمكة، وكتبه أهل المدينة، وقال الناس: أما إذ هلك الحسين ع فليس أحد ينازع ابن الزبير حدثنا نوح بن حبيب القومسي، قال: حدثنا هشام بن يوسف، وحدثنا عبيد الله بن عبد الكريم، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر المديني قال: حدثنا هشام بن يوسف - واللفظ لحدث عبيد الله - قال: أخبرني عبد الله بن مصعب، قال: أخبرني موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عبد العزيز بن مروان، قال: لما بعث يزيد بن معاوية بن عضاء الأشعري ومسعدة وأصحابهما إلى عبد الله بن الزبير بمكة ليؤتي به في جامعة لثبر يمين يزيد، بعث معهم بجامعة من ورق وبرنس خز، فأرسلني أبي وأخي معهم وقال: إذا بلغته رسل يزيد الرسالة فتعرضا له، ثم ليتمثل أحداكم:

فخذها فليست للعزير بخطة ... وفيها مقال لامرئ متذل

أعمر إن القوم ساموك خطّة ... وذلك في الجيران غزل بمغزل
أراك إذا ما كنت للقوم ناصحاً ... يقال له بالدلو أدبر وأقبل
قال: فلما بلغته الرسل الرسالة تعرضنا، فقال لي أخي: اكفنيها، فسمعتني، فقال: أي ابن مرّوان، قد سمعت ما قلتما، وعلمت ما
ستقولانه، فأخيراً أبأكم:

إني لمن نبعة صم مكاسرها ... إذا تناوحت القصباء والعشر
فلا ألين لغير الحق أسأله ... حتى يلين لضرر الماضع الحجر
قال: فما أدري أيهما كان أعجب! زاد عبد الله في حديثه، عن أبي علي، قال: فذاكرت بهذا الحديث مصعب بن عبد الله بن مصعب

بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، فقال:
قد سمعته من أبي علي نحو الذي ذكرت له، ولم أحفظ إسناده.

قال هشام، عن خالد بن سعيد، عن أبيه سعيد بن عمرو بن سعيد: أن عمرو بن سعيد لما رأى الناس قد اشربوا إلى ابن الزبير ومدّوا
إليه أعناقهم، ظن أن تلك الأمور تامة له، فبعث إلى عبد الله بن عمرو بن العاص-

وكانت له حبة، وكان مع أبيه بمصر، وكان قد قرأ كتب دانيال هنالك، وكانت قریش إذ ذاك تعدّه عالماً- فقال له عمرو بن سعيد:
أخبرني عن هذا الرجل، أترى ما يطلب تاماً له؟ وأخبرني عن صاحبي إلى ما ترى أمره صائراً إليه؟ فقال: لا أرى صاحبك إلا أحد
الملوك الذين تتم لهم أمورهم حتى يموتوا وهم ملوك فلم يزد عند ذاك إلا شدة على ابن الزبير وأصحابه، مع الرفق بهم، والمداراة لهم.
ثم إن الوليد بن عتبة وناساً معه من بني أمية قالوا ليزيد بن معاوية:

لو شاء عمرو بن سعيد لأخذ ابن الزبير وبعث به إليك، فسرّح الوليد بن عتبة على الحجاز أميراً، وعزل عمرًا.
وكان عزل يزيد عمرًا عن الحجاز وتأثيره عليها الوليد بن عتبة في هذه السنة- أعني سنة إحدى وستين، قال أبو جعفر: حدثت عن محمد
بن عمر قال: نزع يزيد عمرو بن سعيد بن العاص للال ذي الحجة سنة إحدى وستين وولى الوليد بن عتبة، فأقام الحجة سنة إحدى
وستين بالناس، وأعاد ابن ربيعة العامري على قضائه.

وحدثني أحمد بن ثابت، قال: حدثت عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: حج بالناس في سنة إحدى وستين الوليد بن عتبة،
وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل السير.

وكان الوالي في هذه السنة على الكوفة والبصرة عبيد الله بن زياد، وعلى قضاء الكوفة شريح، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة، وعلى
خراسان سلم بن زياد.

٥٠٢٦ سنه اثنتين وستين

ثم دخلت

سنة اثنتين وستين

(ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث) فمن ذلك مقدم وفد أهل المدينة على يزيد بن معاوية.

ذكر الخبر عن سبب مقدمهم عليه:

وكان السبب في ذلك- فيما ذكر لوط بن يحيى، عن عبد الملك بن نوفل ابن مساحق، عن عبد الله بن عروة- أن يزيد بن معاوية لما
سرح الوليد بن عتبة على الحجاز أميراً، وعزل عمرو بن سعيد، قدم الوليد المدينة فأخذ غلماناً كثيراً لعمرو وموالي له، فحبسهم، فكلبه

فِيهِمْ عَمْرُو، فَأَبَى أَنْ يَخْلِيَهُمْ، وَقَالَ لَهُ: لَا تَجْزَعْ يَا عَمْرُو، فَقَالَ أَخُوهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ: أَعْمُرُو يَجْزَعْ! وَاللَّهِ لَوْ قَبَضْتُمْ عَلَى الْجَمْرِ وَقَبَضَ عَلَيْهِ مَا تَرَكَهَ حَتَّى تَتْرُكَوهُ، وَخَرَجَ عَمْرُو سَائِرًا حَتَّى نَزَلَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى لَيْلَتَيْنِ، وَكُتِبَ إِلَى غُلَامَانِهِ وَمَوَالِيهِ وَهُمْ نَحْوُ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ: أَنِّي بَاعْتُ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ جَمَلًا وَحَقِيقَةً وَأَدَاتَهُ، وَتَنَاخَ لَكُمْ الْإِبِلُ فِي السُّوقِ، فَإِذَا أَتَاكُمْ رَسُولِي فَاكْسُرُوا بَابَ السِّجْنِ، ثُمَّ لِيَقُمْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ إِلَى جَمَلِهِ فَلْيَرْكَبْهُ، ثُمَّ أَقْبِلُوا عَلَيَّ حَتَّى تَأْتُونِي، فَجَاءَ رَسُولُهُ حَتَّى اشْتَرَى الْإِبِلَ، ثُمَّ جَهَّزَهَا بِمَا يَنْبَغِي لَهَا، ثُمَّ أَنَاخَهَا فِي السُّوقِ، ثُمَّ أَتَاهُمْ حَتَّى أَعْلَمَهُمْ ذَلِكَ، فَكْسُرُوا بَابَ السِّجْنِ، ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى الْإِبِلِ فَاسْتَوُوا عَلَيْهَا، ثُمَّ أَقْبِلُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى عَمْرُو بْنِ سَعِيدٍ فَوَجَدُوهُ حِينَ قَدِمَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَلَهَا دَخَلَ عَلَيْهِ رَحِبٌ بِهِ وَأَدْنَى مَجْلِسِهِ.

ثُمَّ إِنَّهُ عَاتَبَهُ فِي تَقْصِيرِهِ فِي أَشْيَاءَ كَانَ يَأْمُرُهُ بِهَا فِي ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَلَا يَنْفِذُ مِنْهَا إِلَّا مَا أَرَادَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، الشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ، وَإِنْ جَلَّ أَهْلُ مَكَّةَ وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ قَدْ كَانُوا مَالُوا إِلَيْهِ وَهُوَ وَأَعْطَوْهُ الرِّضَا، وَدَعَا بَعْضَهُمْ سِرًّا وَعِلَانِيَةً، وَلَمْ يَكُنْ مَعِيَ جُنْدٌ أَقْوَى بِهِمْ عَلَيْهِ لَوْ نَاهَضْتَهُ، وَقَدْ كَانَ يَحْذَرُنِي وَيَتَحَرَّزُونِي، وَكُنْتُ أَرْفُقُ بِهِ وَأَدَارِيهِ.

لَأَسْتَمَكِرَ مِنْهُ فَأُتْبِعَ عَلَيْهِ، مَعَ أَنِّي قَدْ ضَيَّقْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْعْتُهُ مِنْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ لَوْ تَرَكَتُهُ وَإِيَّاهَا مَا كَانَتْ لَهُ إِلَّا مَعُونَةٌ، وَجَعَلْتُ عَلَى مَكَّةَ وَطَرَقَهَا وَشَعَابَهَا رَجَالًا لَا يَدْعُونَ أَحَدًا يَدْخُلُهَا حَتَّى يَكْتُبُوا إِلَيَّ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ، وَمَنْ أَى بِلَادِ اللَّهِ هُوَ، وَمَا جَاءَ بِهِ وَمَا يَرِيدُ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَوْ مِنْ أَرَى أَنَّهُ يَرِيدُهُ رَدَّدْتُهُ صَاحِرًا، وَإِنْ كَانَ مِنْ لَا أَتَمُّهُمْ، خَلَيْتُ سَبِيلَهُ وَقَدْ بَعَثْتُ الْوَلِيدَ، وَسَيَّأْتِيكَ مِنْ عَمَلِهِ وَأَثَرِهِ مَا لَعَلَّكَ تَعْرِفُ بِهِ فَضْلَ مِبَالِغَتِي فِي أَمْرِكَ، وَمَنَاصِحَتِي لَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَاللَّهُ يَصْنَعُ لَكَ، وَيَكْتُبُ عَدُوَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

فَقَالَ لَهُ يَزِيدٌ: أَنْتَ أَصْدَقُ مَنْ رَقِيَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ عَنْكَ، وَحَمَلَنِي بِهَا عَلَيْكَ، وَأَنْتَ مَنْ أَتَقَى بِهِ، وَأَرْجُو مَعُونَتَهُ، وَأَدْخِرْهُ لِرَأْبِ الصَّدْعِ، وَكَفَايَةِ الْمُهْمِ، وَكَشَفِ نَوَازِلَ الْأُمُورِ الْعَظَامِ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: وَمَا أَرَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَحَدًا أَوْلَى بِالْقِيَامِ بِتَشْدِيدِ سُلْطَانِكَ، وَتَوْهِينِ عَدُوِّكَ، وَالشَّدَةِ عَلَى مَنْ نَابَذَكَ مِنِّي وَأَقَامَ الْوَلِيدُ بْنُ عَتْبَةَ يَرِيدُ ابْنَ الزُّبَيْرِ فَلَا يَجِدُهُ إِلَّا مُتَحَذِرًا مَتَمَنِّعًا، وَثَارَ نَجْدَةُ بْنُ عَامِرٍ الْحَنْفِيَّ بِالْإِمَامَةِ حِينَ قَتَلَ الْحُسَيْنَ ٤، وَثَارَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، فَكَانَ الْوَلِيدُ يَفِيضُ مِنَ الْمَعْرِفِ، وَتَفِيضُ مَعَهُ عَامَةُ النَّاسِ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ وَاقِفٌ وَأَصْحَابُهُ، وَنَجْدَةُ وَاقِفٌ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ يَفِيضُ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِأَصْحَابِهِ وَنَجْدَةُ بِأَصْحَابِهِ، لَا يَفِيضُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِإِفَاضَةِ صَاحِبِهِ.

وَكَانَ نَجْدَةُ يَلْقَى ابْنَ الزُّبَيْرِ فَيَكْثُرُ حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ سَيَبَايِعُهُ ثُمَّ إِنْ ابْنُ الزُّبَيْرِ عَمِلَ بِالْمَكْرِ فِي أَمْرِ الْوَلِيدِ بْنِ عَتْبَةَ، فَكُتِبَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ:

إِنَّكَ بَعَثْتَ إِلَيْنَا رَجُلًا أُخْرَقَ، لَا يَتَجَهَّزُ لِأَمْرِ رَشْدٍ، وَلَا يَرْعَوِي لِعِظَةِ الْحَكِيمِ، وَلَوْ بَعَثْتَ إِلَيْنَا رَجُلًا سَهْلَ الْخُلُقِ، لَيْنَ الْكَتِفِ، رَجَوْتُ أَنْ يَسْهَلَ مِنَ الْأُمُورِ مَا اسْتَوْعَرَ مِنْهَا، وَأَنْ يَجْتَمَعَ مَا تَفَرَّقَ، فَاظْطَرَّ فِي ذَلِكَ، فَإِنْ فِيهِ صَلَاحٌ خَوَاصِنَا وَعَوَامِنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالسَّلَامُ.

فَبَعَثَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْوَلِيدِ فَعَزَلَهُ وَبَعَثَ عُثْمَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ - فِيمَا ذَكَرَ أَبُو مُخَنَفٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ نَوْفَلٍ بْنِ مَسَاحِقٍ، عَنْ حَمِيدِ بْنِ حَمْزَةَ، مَوْلَى لَبْنِي أُمِيَّةَ - قَالَ: فَقَدِمَ فَتَى غَرَّ حَدَثَ غَمْرٌ لَمْ يَجْرِبْ

الْأُمُورَ، وَلَمْ يَحْنِكْهُ السِّنُّ، وَلَمْ تَضْرُسْهُ التَّجَارِبُ، وَكَانَ لَا يَكَادُ يَنْظُرُ فِي شَيْءٍ مِنْ سُلْطَانِهِ وَلَا عَمَلِهِ، وَبَعَثَ إِلَى يَزِيدَ وَفَدَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْظَلَةَ الْغَسِيلِ الْأَنْصَارِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي عَمْرُو بْنِ حَفْصِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْخَزَوِيُّ، وَالْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَرَجَالًا كَثِيرًا مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَقَدِمُوا عَلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَأَكْرَمَهُمْ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ، وَأَعْظَمَ جَوَائِزَهُمْ ثُمَّ انْصَرَفُوا مِنْ عِنْدِهِ، وَقَدِمُوا الْمَدِينَةَ كُلُّهُمْ إِلَّا الْمُنْذِرَ ابْنَ الزُّبَيْرِ فَإِنَّهُ قَدِمَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ بِالْبَصْرَةِ - وَكَانَ يَزِيدُ قَدْ أَجَازَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ - فَلَمَّا قَدِمَ أُولَئِكَ النَّفَرُ الْوَفْدَ الْمَدِينَةَ قَامُوا فِيهِمْ فَأَظْهَرُوا شَتْمَ يَزِيدَ وَعَتْبَةَ، وَقَالُوا: إِنَّا قَدِمْنَا مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ لَيْسَ لَهُ دِينٌ، يَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَيَعْرِضُ بِالطَّنَابِيرِ، وَيَضْرِبُ عِنْدَهُ الْقِيَانَ، وَيَلْعَبُ بِالْكَلَابِ، وَيَسَامِرُ الْخِرَابَ وَالْفَتِيَانَ، وَإِنَّا نَشْهَدُكَ أَنَّا قَدْ خَلَعْنَاهُ، فَتَابِعَهُمُ النَّاسُ.

قَالَ لُوطُ بْنُ يَحْيَى: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ نُوْفَلٍ بْنُ مَسَاحِقٍ، أَنَّ النَّاسَ أَتَوْا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَنْظَلَةَ الْغَسِيلِ فَبَايَعُوهُ وَوَلَوْهُ عَلَيْهِمْ.
قَالَ لُوطُ: وَحَدَّثَنِي أَيْضًا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ:

وَرَجَعَ الْمُنْذَرُ مِنْ عِنْدِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَقَدِمَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادِ الْبَصْرَةَ، فَأَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ ضَيْفَاتِهِ، وَكَانَ لَزِيَادَ صَدِيقًا، إِذْ سَقَطَ إِلَيْهِ كِتَابُ مَنْ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ حَيْثُ بَلَغَهُ أَمْرُ أَصْحَابِهِ بِالْمَدِينَةِ أَنْ أَوْثِقَ الْمُنْذَرُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَاحْبَسَهُ عِنْدَكَ حَتَّى يَأْتِيكَ فِيهِ أَمْرِي، فَكَرِهَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ زِيَادَ لِأَنَّهُ ضَيْفَهُ، فَدَعَاهُ فَأَخْبَرَهُ بِالْكِتَابِ وَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ، وَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ كُنْتَ لَزِيَادَ وَدَا وَقَدْ أَصْبَحْتَ لِي ضَيْفًا، وَقَدْ آتَيْتَ إِلَيْكَ مَعْرُوفًا، فَأَنَا أَحَبُّ أَنْ أُسَدِيَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِإِحْسَانٍ، فَإِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدِي فَقُمْ فَقُلْ:

إِذْنُ لِي فَلْأَنْصَرِفْ إِلَى بِلَادِي، فَإِذَا قُلْتَ: لَا بَلْ أَقُمْ عِنْدِي فَإِنَّ لَكَ الْكَرَامَةَ وَالْمَوَاسَاةَ وَالْأَثَرَةَ، فَقُلْ: لِي ضَيْعَةٌ وَشُغْلٌ، لَا أَجِدُ مِنَ الْإِنْصِرَافِ بَدَا فَأُذِنُ لِي، فَإِنِّي أَذِنُ لَكَ عِنْدَ ذَلِكَ، فَالْحَقْ بِأَهْلِكَ.

فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ قَامَ إِلَيْهِ فَاسْتَأْذَنَهُ فَقَالَ: لَا بَلْ أَقُمْ عِنْدِي فَإِنِّي مَكْرَمُكُمْ وَمَوَاسِيكُكُمْ وَمُؤَثْرُكُمْ، فَقَالَ لَهُ: إِنْ لِي ضَيْعَةٌ وَشُغْلًا،

وَلَا أَجِدُ مِنَ الْإِنْصِرَافِ بَدَا فَأُذِنُ لِي، فَأُذِنَ لَهُ فَانْطَلَقَ حَتَّى لَحِقَ بِالْحِجَازِ، فَأَتَى أَهْلَ الْمَدِينَةِ، فَكَانَ فِيمَنْ يَحْرُضُ النَّاسَ عَلَى يَزِيدَ، وَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ يَوْمَئِذٍ: إِنْ يَزِيدُ وَاللَّهِ لَقَدْ أَجَازَنِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَإِنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي مَا صَنَعَ إِلَيَّ أَنْ أَخْبِرَكُمْ خَبْرَهُ، وَأَصْدَقَكُمْ عَنْهُ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لِيَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَإِنَّهُ لَيَسْكُرُ حَتَّى يَدْعَ الصَّلَاةَ، وَعَابَهُ بِمِثْلِ مَا عَابَهُ بِهِ أَصْحَابُهُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ وَأَشْدَّ، فَكَانَ سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو يَحْدِثُ بِالْكُوفَةِ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ بَلَغَهُ قَوْلُهُ فِيهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَثَرْتُهُ وَأَكْرَمْتُهُ، فَفَعَلَ مَا قَدْ رَأَيْتَ، فَادْكُرْهُ بِالْكَذِبِ وَالْقَطِيعَةِ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ أَبُو الْمُثَلَّمِ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ بَعَثَ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيَّ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ النَّاسَ وَقَوْمَكَ فَافْتَأْهُمْ عَمَّا يَرِيدُونَ، فَإِنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَنْهَضُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ لَمْ يَجْتَرِئِ النَّاسُ عَلَى خِلَافِي، وَبِهَا مِنْ عَشِيرَتِي مَنْ لَا أَحَبُّ أَنْ يَنْهَضَ فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ فِيهِلَكَ فَأَقْبَلَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ فَأَتَى قَوْمَهُ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ عَامَةً، وَأَمَرَهُمْ بِالطَّاعَةِ وَلِزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَخَوْفِهِمُ الْفِتْنَةَ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِأَهْلِ الشَّامِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَطِيعٍ الْعَدَوِيُّ: مَا يَحْمِلُكَ يَا نَعْمَانَ عَلَى تَفْرِيقِ جَمَاعَتِنَا، وَفَسَادِ مَا أَصْلَحَ اللَّهُ مِنْ أَمْرِنَا! فَقَالَ النُّعْمَانُ: أَمَا وَاللَّهِ لَأَكُنِّي بِكَ لَوْ قَدْ نَزَلَتْ تِلْكَ الَّتِي تَدْعُو إِلَيْهَا، وَقَامَتِ الرِّجَالُ عَلَى الرِّكْبِ تَضْرِبُ مَفَارِقَ الْقَوْمِ وَجَبَاهُمْ بِالسُّيُوفِ، وَدَارَتِ رِحَا الْمَوْتِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ قَدْ هَرَبَتْ عَلَى بَغْلَتِكَ تَضْرِبُ جَنْبَهَا إِلَى مَكَّةَ، وَقَدْ خَلَفَتْ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينَ - يَعْنِي الْأَنْصَارَ - يَقْتُلُونَ فِي سَكْكَهِمْ وَمَسَاجِدِهِمْ، وَعَلَى أَبْوَابِ دُورِهِمْ! فَعَصَاهُ النَّاسَ، فَانْصَرَفَ وَكَانَ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ.

وَجَّجَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْوَلِيدُ بْنُ عَتَبَةَ وَكَانَتْ الْعَمَالُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى الْعِرَاقِ وَخِرَاسَانَ الْعَمَالِ الَّذِينَ ذَكَرْتُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِينَ. وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلِدَ - فِيمَا ذَكَرَ - مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ

٥٠٢٧ سنه ثلاث وستين

ثم دخلت

سنة ثلاث وستين

(ذَكَرَ الْخَبْرَ عَنِ الْأَحْدَاثِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا) فَمِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ إِخْرَاجِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَامِلَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ عُثْمَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَإِظْهَارِهِمْ خَلْعَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَحَصَارَهُمْ مِنْ كَانَ بِهَا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، ذَكَرَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي مُخَنَّفٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ نُوْفَلٍ بْنِ مَسَاحِقٍ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ كَرَةَ، أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَمَّا بَايَعُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَنْظَلَةَ الْغَسِيلِ عَلَى خَلْعِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَثَبُوا عَلَى عُثْمَانَ ابْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَمِنْ الْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَمَوَالِيهِمْ وَمَنْ رَأَى رَأْيَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ، فَكَانُوا نَحْوًا مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ، نَفَرُوا بِجَمَاعَتِهِمْ حَتَّى نَزَلُوا دَارَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَحَاصَرَهُمُ النَّاسُ فِيهَا حَصَارًا ضَعِيفًا قَالَ: فَدَعَتِ بَنُو أُمَيَّةَ حَبِيبَ بْنَ كَرَةَ، وَكَانَ

الَّذِي بَعَثَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَعَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ، وَكَانَ مَرْوَانُ هُوَ يَدِيرُ أَمْرَهُمْ فَأَمَّا عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ فَإِنَّمَا كَانَ غُلَامًا حَدَّثًا لَمْ يَكُنْ لَهُ رَأْيٌ قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ نُوْفَلٍ: حَدَّثَنِي حَبِيبُ بْنُ كِرَةَ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ مَرْوَانَ، فَكُتِبَ مَعِيَ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ كُتَابًا إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَأَخَذَ الْكَتَابَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ حَتَّى خَرَجَ مَعِيَ إِلَى ثَنِيَةِ الْوَدَاعِ، فَدَفَعَ إِلَيَّ الْكَتَابَ وَقَالَ: قَدْ أَجَلْتُكَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً ذَاهِبًا وَاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً مُقْبِلًا، فَوَافِنِي لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً فِي هَذَا الْمَكَانِ تَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ جَالِسًا أُنْتَظِرُكَ وَكَانَ الْكَتَابُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ حَصَرْنَا فِي دَارِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، وَمَنْعَنَا الْعَذْبَ، وَرَمَيْنَا بِالْجُبُوبِ، فَيَا غُوْثَاهُ يَا غُوْثَاهُ! قَالَ: فَأَخَذْتُ الْكَتَابَ وَمَضَيْتُ بِهِ حَتَّى قَدَمْتُ عَلَى يَزِيدَ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ، وَاضَعَ قَدَمَيْهِ فِي مَاءٍ طُسْتُ مِنْ وَجَعٍ كَانَ يَجِدُهُ فِيهِمَا. وَيُقَالُ: كَانَ بِهِ النَّقْرَسُ - فَقَرَأَهُ ثُمَّ قَالَ فِيمَا بَلَّغْنَا مَتَمَثَلًا:

لَقَدْ بَدَلُوا الْحِلْمَ الَّذِي مِنْ سَجِيَّتِي ... فَبَدَلْتُ قَوْمِي غِلْظَةَ بِلْيَانٍ

ثُمَّ قَالَ: أَمَا يَكُونُ بَنُو أُمَيَّةَ وَمَوَالِيَهُمْ أَلْفَ رَجُلٍ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ:

قُلْتُ: بَلَى، وَاللَّهِ وَأَكْثَرُ، قَالَ: فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَقَاتِلُوا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ! قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَجْمَعَ النَّاسُ كُلَّهُمْ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمْعُ النَّاسِ طَاقَةً، قَالَ: فَبَعَثْتُ إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ فَأَقْرَأَهُ الْكَتَابَ، وَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسِيرَ إِلَيْهِمْ فِي النَّاسِ، فَقَالَ لَهُ: قَدْ كُنْتُ ضَبَطْتُ لَكَ الْبِلَادَ، وَأَحْكَمْتُ لَكَ الْأُمُورَ، فَأَمَّا الْآنَ إِذْ صَارَتْ إِنَّمَا هِيَ دِمَاءُ قَرِيْشٍ تَهْرَاقُ بِالصَّعِيدِ، فَلَا أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ أَنَا أَتَوَلَّى ذَلِكَ، يَتَوَلَّاهَا مِنْهُمْ مَنْ هُوَ أَبْعَدُ مِنْهُمْ مِنِّي قَالَ: فَبَعَثَنِي بِذَلِكَ الْكَتَابَ إِلَى مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ الْمُرِّي - وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ضَعِيفٌ مَرِيضٌ - فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ الْكَتَابَ، فَقَرَأَهُ، وَسَأَلَنِي عَنِ الْخَبَرِ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ لِي مِثْلَ مَقَالَةِ يَزِيدَ: أَمَا يَكُونُ بَنُو أُمَيَّةَ وَمَوَالِيَهُمْ وَأَنْصَارُهُمْ بِالْمَدِينَةِ أَلْفَ رَجُلٍ! قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَكُونُونَ، قَالَ: فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَقَاتِلُوا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ! لَيْسَ هَؤُلَاءِ بِأَهْلٍ أَنْ يَنْصُرُوا حَتَّى يَجْهَدُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَعَزَّ سُلْطَانُهُمْ، ثُمَّ جَاءَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى يَزِيدَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا تَنْصُرْ هَؤُلَاءِ فَإِنَّهُمْ الْأَذْلَاءُ، أَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَقَاتِلُوا يَوْمًا وَاحِدًا أَوْ شَطْرَهُ أَوْ سَاعَةً مِنْهُ! دَعَهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يَجْهَدُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَعَزَّ سُلْطَانَهُمْ، وَيَسْتَبِينَ لَكَ مِنْ يِقَاتِلُ مِنْهُمْ عَلَى طَاعَتِكَ، وَيَصْبِرُ عَلَيْهَا أَوْ يَسْتَسْلِمَ، قَالَ: وَيَحْكُ! إِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ، فَخَرَجَ فَأَنْبَثَنِي نَبَأُكَ، وَسَرَّ بِالنَّاسِ، فَخَرَجَ مُنَادِيَهُ فَنَادَى: أَنْ سِيرُوا إِلَى الْحِجَازِ عَلَى أَخْذِ أُعْطِيَاتِكُمْ كَمَلًا وَمَعُونَةٍ مَائَةِ دِينَارٍ تَوْضَعُ فِي يَدِ الرَّجُلِ مِنْ سَاعَتِهِ، فَانْتَدَبَ لِذَلِكَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَغِيرَةَ، قَالَ: كُتِبَ يَزِيدَ إِلَى ابْنِ مَرْجَانَةَ: أَنْ اغْزِ ابْنَ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: لَا أَجْمَعُهُمَا لِلْفَاسِقِ أَبَدًا،

اقْتُلْ ابْنَ بَنَتِ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَاغْزِ الْبَيْتَ! قَالَ: وَكَانَتْ مَرْجَانَةُ امْرَأَةً صَدَقَ، فَقَالَتْ لِعَبِيدِ اللَّهِ حِينَ قَتَلَ الْحُسَيْنَ ع: وَيْلَكَ! مَاذَا صَنَعْتَ! وَمَاذَا رَكَبْتَ! رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ حَبِيبِ بْنِ كِرَةَ قَالَ: فَأَقْبَلْتُ حَتَّى أَوْفَيْتُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ أَوْ بَعِيدَهَا شَيْئًا.

قَالَ: فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا مُتَقَنِعًا تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي كَانَ، فَسَرَّ بِهِ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى دَخَلْنَا دَارَ مَرْوَانَ عَلَى جَمَاعَةِ بَنِي أُمَيَّةَ، فَنَبَأَتْهُمْ بِالَّذِي قَدَمْتُ بِهِ، فَحَمَدُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ نُوْفَلٍ: حَدَّثَنِي حَبِيبٌ، أَنَّهُ بَلَغَهُ فِي عَشْرَةِ قَالَ: فَلَمْ أُبْرَحْ حَتَّى رَأَيْتُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ خَرَجَ إِلَى الْخَلِيلِ يَتَصَفَّحُهَا وَيَنْظُرُ إِلَيْهَا، قَالَ: فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ سَيْفًا، مُتَنَكِّبٌ قَوْسًا عَرَبِيَّةً:

أَبْلَغُ أَبَا بَكْرٍ إِذَا اللَّيْلُ سَرَى ... وَهَبَطَ الْقَوْمُ عَلَى وَادِي الْقُرَى
عَشْرُونَ أَلْفًا بَيْنَ كَهْلٍ وَفَتًى ... أَجْمَعَ سَكْرَانٍ مِنَ الْقَوْمِ تَرَى!

أم جمع يقظان نفى عنه الكرى! ... يا عجا من ملحد يا عجا!
مخادع في الدين يقفو بالعرى

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ نُوْفَلٍ: وَفَصَلَ ذَلِكَ الْجَيْشَ مِنْ عِنْدَ يَزِيدَ وَعَلَيْهِمْ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ، وَقَالَ لَهُ: إِنْ حَدَثَ بِكَ حَدَثٌ فَاسْتَخْلَفْ عَلَى الْجَيْشِ حَصِينَ بْنُ غَمِيرِ السَّكُونِيِّ، وَقَالَ لَهُ: ادْعِ الْقَوْمَ ثَلَاثًا، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ وَإِلَّا فَقَاتِلْهُمْ، فَإِذَا أَظْهَرْتَ عَلَيْهِمْ فَأَبْجِهَا ثَلَاثًا، فَمَا فِيهَا مِنْ مَالٍ أَوْ رَقَةٍ أَوْ سِلَاحٍ أَوْ طَعَامٍ فَهُوَ لِلْجَنْدِ، فَإِذَا مَضَتْ الثَّلَاثُ فَاكْفِفْ عَنِ النَّاسِ، وَأَنْظِرْ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ، فَاكْفِفْ عَنْهُ، وَاسْتَوْصِ بِهِ خَيْرًا،

وَأَدْنِ مَجْلِسَهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فِي شَيْءٍ مِمَّا دَخَلُوا فِيهِ، وَقَدْ أَتَانِي كِتَابُهُ وَعَلِيٌّ لَا يَعْلَمُ بِشَيْءٍ مِمَّا أَوْصَى بِهِ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ، وَقَدْ كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ لَمَّا خَرَجَ بَنُو أُمَيَّةَ نَحْوَ الشَّامِ أَوْى إِلَيْهِ ثَقُلَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ، وَامْرَأَتُهُ عَائِشَةُ بِنْتُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَهِيَ أُمُّ أَبَانَ بْنِ مَرْوَانَ.

وَقَدْ حَدَّثَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: لَمَّا أَخْرَجَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ عُثْمَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، كَلَّمَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ ابْنَ عُمَرَ أَنْ يَغِيبَ أَهْلَهُ عَنْهُ، فَأَبَى ابْنُ عُمَرَ أَنْ يَفْعَلَ، وَكَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ، وَقَالَ:

يَا أَبَا الْحَسَنِ، إِنْ لِي رَحْمَاءٌ وَحَرَمِي تَكُونُ مَعَ حَرَمِكَ، فَقَالَ: أَفْعَلْ، فَبَعَثَ بِحَرَمِهِ إِلَى عَلِيَّ بْنِ الْحُسَيْنِ، فَخَرَجَ بِحَرَمِهِ وَحَرَمَ مَرْوَانَ حَتَّى وَضَعَهُمْ بَيْنَهُ، وَكَانَ مَرْوَانُ شَاكِرًا لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، مَعَ صَدَاقَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمَا قَدِيمَةً.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ أَبِي مَخْنَفٍ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ نُوْفَلٍ، قَالَ:

وَأَقْبَلَ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ بِالْجَيْشِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِقْبَالَهُ وَثَبُوا عَلَى مَنْ مَعَهُمْ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، فَخَصَرُوهُمْ فِي دَارِ مَرْوَانَ، وَقَالُوا: وَاللَّهِ لَا نَكْفِ عَنْكُمْ حَتَّى نَسْتَنْزِلَكُمْ وَنَضْرِبَ أَعْنَاقَكُمْ، أَوْ تَعْطُونَا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَا تَبْغُونَا غَائِلَةً، وَلَا تَدُلُّونَا عَلَى عَوْرَةٍ، وَلَا تَظَاهَرُوا عَلَيْنَا عَدَوًا، فَكَفَّ عَنْكُمْ وَنَخَرَجَكُمْ عَنْهَا، فَأَعْطَوْهُمْ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَا نَبْغِيكُمْ غَائِلَةً، وَلَا نَدُلُّكُمْ عَلَى عَوْرَةٍ، فَأَخْرَجُوهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَخَرَجَتْ بَنُو أُمَيَّةَ بِأَتْقَالِهِمْ حَتَّى لَقُوا مُسْلِمَ بْنَ عُقْبَةَ بِوَادِي الْقَرْيِ، وَخَرَجَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ إِلَى الطَّائِفِ، فَتَمَرَّ بَعْلِي بْنُ حُسَيْنٍ وَهُوَ بِمَالٍ لَهُ إِلَى جَنْبِ الْمَدِينَةِ قَدْ اعْتَزَلَهَا كَرَاهِيَةً أَنْ يَشْهَدَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِمْ، فَقَالَ لَهَا: احْمِلِي ابْنِي عَبْدَ اللَّهِ مَعَكَ إِلَى الطَّائِفِ، فَحَمَلَتْهُ إِلَى الطَّائِفِ حَتَّى نَقَضَتْ أُمُورَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ.

وَلَمَّا قَدِمَتْ بَنُو أُمَيَّةَ عَلَى مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ بِوَادِي الْقَرْيِ دَعَا بِعَمْرٍو بْنِ

عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَوَّلَ النَّاسِ فَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْنِي خَيْرَ مَا وَرَاءَكَ، وَأَشْرَ عَلَيَّ، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخْبِرَكَ، أَخَذَ عَلَيْنَا الْعَهْدَ وَالْمَوَاقِيقَ أَلَّا نَدُلَّ عَلَى عَوْرَةٍ، وَلَا نَظَاهِرَ عَدَوًا، فَانْتَهَرَهُ ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْكَ ابْنُ عُثْمَانَ لَضَرَبْتَ عُنُقَكَ، وَابْنُ اللَّهِ لَا أَقِيلُهَا قَرَشِيًّا بَعْدَكَ فَخَرَجَ بِمَا لَقِيَ مِنْ عِنْدِهِ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ لِابْنِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ: ادْخُلْ قَبْلِي لَعَلَّهُ يَجْتَزِي بِكَ عَنِّي، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ، فَقَالَ: هَاتِ مَا عِنْدَكَ، أَخْبِرْنِي خَيْرَ النَّاسِ، وَكَيْفَ تَرَى؟ فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ أَرَى أَنْ تَسِيرَ بَيْنَ مَعَكَ، فَتَنْكَبَ هَذَا الطَّرِيقَ إِلَى الْمَدِينَةِ، حَتَّى إِذَا انْتَهَيْتَ إِلَى أَدْنَى نَخْلٍ بِهَا نَزَلْتَ، فَاسْتَظِلَّ النَّاسُ فِي ظِلِّهِ، وَأَكَلُوا مِنْ صَقَرِهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ أَذْكَيتَ الْحَرَسَ اللَّيْلَ كُلَّهُ عَقْبًا بَيْنَ أَهْلِ الْعَسْكَرِ، حَتَّى إِذَا أَصْبَحَتْ صَلَبَتْ بِالنَّاسِ الْغَدَاةَ، ثُمَّ مَضَيْتْ بِهِمْ وَتَرَكْتَ الْمَدِينَةَ ذَاتَ الْيَسَارِ، ثُمَّ أَدْرَتَ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى تَأْتِيَهُمْ مِنْ قَبْلِ الْحَرَةِ مَشْرِقًا، ثُمَّ تَسْتَقْبِلُ الْقَوْمَ، فَإِذَا اسْتَقْبَلْتَهُمْ وَقَدْ أَشْرَقَتْ عَلَيْهِمْ وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ طَلَعَتْ بَيْنَ أَكْثَفِ أَصْحَابِكَ، فَلَا تُؤْذِيهِمْ، وَتَقَعُ فِي وَجُوهِهِمْ فَيُؤْذِيهِمْ حَرُّهَا، وَيَصِيبُهُمْ أَذَاهَا، وَيُرُونَ مَا دَمَتْ مَشْرِقِينَ مِنْ ائْتِلَاقِ بَيْضِكُمْ وَحِرَابِكُمْ، وَأَسْنَةِ رِمَاحِكُمْ وَسُيُوفِكُمْ وَدُرُوعِكُمْ وَسَوَاعِدِكُمْ مَا لَا تَرُونَهُ أَنْتُمْ لِشَيْءٍ مِنْ سِلَاحِهِمْ مَا دَامُوا مَغْرِبِينَ، ثُمَّ قَاتَلْتَهُمْ وَاسْتَعْنَى بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُكَ، إِذَا خَالَفُوا الْإِمَامَ، وَخَرَجُوا مِنَ الْجَمَاعَةِ فَقَالَ لَهُ مُسْلِمُ: لِلَّهِ أَبُوكَ! أَيُّ امْرِئٍ وَلَدٌ إِذَا وَلَدَكَ! لَقَدْ رَأَى بِكَ خَلْفًا ثُمَّ إِنَّ مَرْوَانَ دَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: إِيه! قَالَ:

أليس قد دخل عليك عبد الملك! قال: بلى، وأي رجل عبد الملك! قلما كلمت من رجال قريش رجلا به شبيها، فقال له مروان: إذا لقيت عبد الملك فقد لقيتني، قال: أجل، ثم ارتحل من مكانه ذلك، وارتحل الناس معه حتى نزل المنزل الذي أمره به عبد الملك، فصنع فيه ما أمره به، ثم مضى في الحرة حتى نزلها، فأتاهم من قبل المشرق ثم دعاهم مسلم بن عقبة، فقال: يا أهل المدينة، إن أمير المؤمنين

يزيد بن معاوية يزعم أنكم الأصل، وأنا أكره هراقة دمائكم، وأناي أو جلتم ثلاثا، فمن ارعوى وراجع الحق قبلنا منه، وانصرفت عنكم، وسرت إلى هذا الملحد الذي بمكة، وإن أبيتم كما قد أعدرنا إليكم- وذلك في ذي الحجة من سنة أربع وستين، هكذا وجدته في كتابي، وهو خطأ، لأن يزيد هلك في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين، وكانت وقعة الحرة في ذي الحجة من سنة ثلاث وستين يوم الأربعاء لليلتين بقيتا منه ولما مضت الأيام الثلاثة قال: يا أهل المدينة، قد مضت الأيام الثلاثة، فما تصنعون؟ أتسلمون أم تحاربون؟ فقالوا: بل نحارب، فقال لهم:

لا تفعلوا، بل ادخلوا في الطاعة، ونجعل حدنا وشوكتنا على هذا الملحد الذي قد جمع إليه المارق والفساق من كل أوب فقالوا لهم: يا أعداء الله، والله لو أردتم أن تجوزوا إليهم ما تركناكم حتى نقاتلكم، نحن ندعكم أن تأتوا بيت الله الحرام، وتخيفوا أهله، وتلحدوا فيه، وتستحلوا حرمة! لا والله لا نفعل.

وقد كان أهل المدينة اتخذوا خندقا في جانب المدينة، ونزله جمع منهم عظيم، وكان عليهم عبد الرحمن بن زهير بن عبد عوف ابن عم عبد الرحمن ابن عوف الزهري، وكان عبد الله بن مطيع على ريع آخر في جانب المدينة، وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري، في أعظم تلك الأرباع وأكثرها عددا. قال هشام: وأما عوانة بن الحكم الكلبي، فذكر أن عبد الله بن مطيع كان على قريش من أهل المدينة، وعبد الله بن حنظلة الغسيل على الأنصار، ومعقل بن سنان على المهاجرين.

قال هشام، عن أبي مخنف: قال عبد الملك بن نوفل: وصمد مسلم ابن عقبة بجميع من معه، فأقبل من قبل الحرة حتى ضرب فسطاطه على

طريق الكوفة، ثم وجه الخيل نحو ابن الغسيل، فحمل ابن الغسيل على الخيل في الرجال الذين معه حتى كشف الخيل، حتى انتهوا إلى مسلم بن عقبة، فنهض في وجوههم بالرجال، وصاح بهم، فانصرفوا فقاتلوا قتالا شديدا.

ثم إن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب جاء إلى عبد الله ابن حنظلة الغسيل فقاتل في نحو من عشرين فارسا قتالا شديدا حسنا، ثم قال لعبد الله: مر من معك فارسا فليأتني فليقف معي، فإذا حملت فليحملوا، فوالله لا أنتهي حتى أبلغ مسلما، فإما أن أقتله، وإما أن أقتل دونه فقال عبد الله بن حنظلة لعبد الله بن الضحاك من بني عبد الأشهل من الأنصار: ناد في الخيل فلتتقف مع الفضل بن العباس، فنادى فيهم فجمعهم إلى الفضل، فلما اجتمعت الخيل إليه حمل على أهل الشام فانكشفوا، فقال لأصحابه: ألا ترونهم كشفوا لثاما! احملاوا أخرى جعلت فداكم! فوالله لئن عاينت أميرهم، لأقتلنه أو لأقتلن دونه، إن صبر ساعه معقب سرور أبد، إنه ليس بعد لصبرنا إلا النصر ثم حمل وحمل أصحابه معه، فانفرجت خيل أهل الشام عن مسلم بن عقبة في نحو من خمسمائة راجل جثاة على الركب، مشرعي الأسنة نحو القوم، ومضى كما هو نحو رايته حتى يضرب رأس صاحب الراية، وإن عليه لمغفرا، فقط المغفر، وفاق هامته نفر ميتا، فقال: خذها مني وأنا ابن عبد المطلب! فظن أنه قتل مسلما، فقال: قتلت طاغية القوم ورب الكعبة، فقال مسلم: أخطأت استك الحفرة! وإنما كان ذلك غلاما له، يقال له: رومي، وكان شجاعا.

فأخذ مسلم رايته ونادى: يا أهل الشام، أهدا القتال قتال قوم يريدون أن يدفعا به عن دينهم، وأن يعزوا به نصر إمامهم! قبح الله

قتالكم منذ اليوم! ما أوجعه لقلبي، وأغيظه لنفسي! أما والله ما جزاؤكم عليه إلا أن تحرموا العطاء، وأن تجمروا في أقاصي الثغور شدوا مع هذه الراية، ترح الله وجوهكم إن لم تعتبوا! فشئى برايته، وشدت تلك الرجال أمام الراية، فصرع الفضل بن عباس، فقتل وما بينه وبين أطناب مسلم بن عقبة إلا نحو

من عشر أذرع، وقتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف، وقتل معه إبراهيم ابن نعيم العدوي، في رجال من أهل المدينة كثير. قال هشام، عن عوانة: وقد بلغنا في حديث آخر أن مسلم بن عقبة كان مريضاً يوم القتال، وأنه أمر بسرير وكسي فوضع بين الصفين، ثم قال:

يا أهل الشام، قاتلوا عن أميركم أو دعوا ثم زحفوا نحوهم فأخذوا لا يصمدون لربع من تلك الأرباع إلا هزموه، ولا يقاتلون إلا قليلاً حتى تولوا.

ثم إنه أقبل إلى عبد الله بن حنظلة فقاتله أشد القتال، واجتمع من أراد القتال من تلك الأرباع إلى عبد الله بن حنظلة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فحمل الفضل بن العباس بن ربيعة في جماعه من وجوه الناس وفرسانهم يريد مسلم بن عقبة، ومسلم على سريره مريض، فقال: احمولني فضعوني في الصف، فوضعه بعد ما حملوه أمام فسطاطه في الصف، وحمل الفضل بن العباس هو وأصحابه أولئك حتى انتهى إلى السرير، وكان الفضل أحمر، فلما رفع السيف ليضربه صاح بأصحابه: إن العبد الأحمر قتلي، فأين أنتم يا بني الحراثر! اشجروه بالرماح، فوثبوا إليه فطعنوه حتى سقط.

قال هشام: قال أبو مخنف: ثم إن خيل مسلم ورجاله أقبلت نحو عبد الله بن حنظلة الغسيل ورجاله بعده - كما حدثني عبد الله بن منقذ - حتى دنوا منه، وركب مسلم بن عقبة فرساً له، فأخذ يسير في أهل الشام ويحرضهم ويقول: يا أهل الشام، إنكم لستم بأفضل العرب في أحسابها ولا أنسابها، ولا أكثرها عدداً، ولا أوسعها بلداً، ولم يخصصكم الله بالذي خصكم به من النصر على عدوكم، وحسن المنزلة عند أئمتكم، إلا بطاعتكم واستقامتكم، وإن هؤلاء القوم وأشباههم من العرب غيروا غير الله بهم، فتموا على أحسن ما كنتم عليه من الطاعة يتم الله لكم أحسن ما ينيلكم من النصر والفلاح ثم جاء حتى انتهى إلى مكانه الذي كان فيه، وأمر الخيل أن تقدم على ابن الغسيل وأصحابه، فأخذت الخيل إذا أقدمت على الرجال فثاروا في وجوهها بالرماح

والسيوف نفرت وابدعرت وأجمت، فنادى فيهم مسلم بن عقبة: يا أهل الشام، ما جعلهم الله أولى بالأرض منكم، يا حصين بن نمير، انزل في جندك، فنزل في أهل حمص، فشئى إليهم، فلما رآهم قد أقبلوا يمشون تحت راياتهم نحو ابن الغسيل قام في أصحابه فقال: يا هؤلاء، إن عدوكم قد أصابوا وجه القتال الذي كان ينبغي أن تقتلوه به، وإني قد ظننت ألا تلبثوا إلا ساعة حتى يفصل الله بينكم وبينهم إما لكم وإما عليكم أما إنكم أهل البصرة ودار الهجرة، والله ما أظن ربكم أصبح عن أهل بلد من بلدان المسلمين بأرضي منه عنكم، ولا على أهل بلد من بلدان العرب بأخط منه على هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم إن لكل امرئ منكم ميتة هو ميت بها، والله ما من ميتة بأفضل من ميتة الشهادة، وقد ساقها الله إليكم فاغتنموها، فوالله ما كل ما أردتموها وجدتموها ثم مشى برايته غير بعيد، ثم وقف، وجاء ابن نمير برايته حتى أدناها، وأمر مسلم بن عقبة عبد الله بن عضاء الأشعري فشئى في خمسمائة مرام حتى دنوا من ابن الغسيل وأصحابه، فأخذوا ينضحونهم بالنبل، فقال ابن الغسيل: علام تستهدفون لهم! من أراد التعجل إلى الجنة فليلزم هذه الراية، فقام إليه كل مستميت، فقال: الغدو إلى ربكم، فوالله إني لأرجو أن تكونوا عن ساعة قريري عين، فنهض القوم بعضهم إلى بعض فاقتتلوا أشد قتال رئي في ذلك الزمان ساعة من نهار، وأخذ يقدم بنيه أمامه واحداً واحداً حتى قتلوا بين يديه، وابن الغسيل يضرب بسيفه، ويقول:

بعدا لمن رام الفساد وطغى... وجانب الحق وآيات الهدى
لا يبعد الرحمن إلا من عصى.

فقتل، وقتل معه أخوه لأمه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس، استقدم فقاتل حتى قتل، وقال: ما أحب أن الديلم قتلوني مكان هؤلاء القوم، ثم قاتل حتى قتل وقتل معه محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، فر عليه مروان ابن الحكم وكأنه برطيل من فضة، فقال: رحمك الله! فرب سارية قد رأيتك تطيل القيام في الصلاة إلى جنبها. قال هشام: حدثني عوانة، قال: فبلغنا أن مسلم بن عقبة كان يجلس على كرسي ويحمله الرجال وهو يقاتل ابن الغسيل يوم الحرة وهو يقول:

أحيا أباه هاشم بن حرملة ... يوم الهباتين ويوم العمله
كل الملوك عنده مغربله ... ورمحه للوالدات مثكله

لا يلبث القتل حتى يجدله ... يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له
قال هشام، عن أبي مخنف: وخرج محمد بن سعد بن أبي وقاص يومئذ يقاتل، فلما انهزم الناس مال عليهم يضربهم بسيفه حتى غلبته الهزيمة، فذهب فيمن ذهب من الناس وأباح مسلم المدينة ثلاثا يقتلون الناس ويأخذون الأموال، فأفزع ذلك من كان بها من الصحابة، فخرج أبو سعيد الخدري حتى دخل في كهف في الجبل، فصر به رجل من أهل الشام، فجاء حتى اقتحم عليه الغار. قال أبو مخنف: حدثني الحسن بن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، قال: دخل إلى الشامي يمشي بسيفه، قال: فانتضيت سيفي فمشيت إليه لأرعبه لعله ينصرف عني، فأبى إلا الإقدام علي، فلما رأيت أن قد جد شمت سيفي، ثم قلت له: «لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بإسبط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين»، فقال لي: من أنت لله أبوك! فقلت: أنا أبو سعيد الخدري، قال: صاحب رسول الله ص؟ قلت: نعم، فانصرف عني.

قال هشام: حدثني عوانة، قال: دعا الناس مسلم بن عقبة بقاء إلى البيعة، وطلب الأمان لرجلين من قريش: ليزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ومحمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي ولمعقل ابن سنان الأشجعي، فأتي بهما بعد الوقعة بيوم فقال: بايعا، فقال القرشيان:

نبايعك على كتاب الله وسنة نبيه، فقال: لا والله لا أقبلكم هذا أبدا، فقد مهما فضرب أعناقهما، فقال له مروان: سبحان الله! أتقتل رجلين من قريش أتيا ليؤمنا فضربت أعناقهما! فنخس بالقضيب في خاصرته ثم قال:

وأنت والله لو قلت بمقاتلتهما ما رأيت السماء إلا برقة.

قال هشام: قال أبو مخنف: وجاء معقل بن سنان، فجلس مع القوم، فدعا بشراب ليسقي، فقال له مسلم: أي الشراب أحب إليك؟ قال: العسل، قال: اسقوه، فشرب حتى ارتوى، فقال له: أفضيت ريك من شرابك؟ قال: نعم، قال: لا والله لا تشرب بعده شرابا أبدا إلا الحميم في نار جهنم، أتذكر مقاتلك لأمر المؤمنين: سرت شهرا، ورجعت شهرا، وأصبحت صفرا، اللهم غير- تعني يزيد! فقدمه فضرب عنقه.

قال هشام: وأما عوانة بن الحكم فذكر أن مسلم بن عقبة بعث عمرو بن محرز الأشجعي فأتاه بمعقل بن سنان فقال له مسلم: مرحبا بأبي محمد! أراك عطشان! قال: أجل، قال: شوبوا له عسلا بالثلج الذي حملتموه معنا- وكان له صديقا قبل ذلك- فشابوه له، فلما شرب معقل قال له:

سقاك الله من شراب الجنة، فقال له مسلم: أما والله لا تشرب بعدها شرابا أبدا حتى تشرب من شراب الحميم، قال: أنشدك الله والرحيم! فقال له مسلم: أنت الذي لقيتني بطبرية ليلة خرجت من عند يزيد، فقلت: سرنا شهرا ورجعنا من عند يزيد صفرا، نرجع إلى المدينة فنخلع هذا الفاسق، ونبايع لرجل من أبناء المهاجرين! فيم غطفان وأشجع من الخلع والخلافة! إني آليت بيمين لا ألقاك في حرب أقدر فيه على ضرب عنقك إلا فعلت،

ثُمَّ أَمْرٌ بِهِ فُقْتُلَ.

قَالَ هِشَامُ: قَالَ عَوَانَةُ: وَاتَى يَزِيدُ بْنُ وَهَبٍ بْنُ زَمْعَةَ، فَقَالَ: بَايِعْ، قَالَ:

أَبَايَعُكَ عَلَى سَنَةِ عَمْرِ، قَالَ: اقْتُلُوهُ، قَالَ: أَنَا أَبَايَعُ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أَقْبِلُكَ عِثْرَتَكَ، فَكَلِمَةُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ - لَصِيرَ كَانَ بَيْنَهُمَا - فَأَمْرَ بِمَرْوَانَ فَوَجَّثَ عُنُقَهُ، ثُمَّ قَالَ: بَايَعُوا عَلَى أَنْكُمْ خَوْلَ لِيَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، ثُمَّ أَمْرٌ بِهِ فُقْتُلَ.

قَالَ هِشَامُ: قَالَ عَوَانَةُ، عَنْ أَبِي مُخَنَفٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ نُوْفَلٍ ابْنُ مَسَاحِقٍ: ثُمَّ إِنْ مَرْوَانَ أَتَى بَعْلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ، وَقَدْ كَانَ عَلَى بَنِي الْحُسَيْنِ حِينَ أُخْرِجَتْ بَنُو أُمَيَّةَ مَنَعَ ثَقْلَ مَرْوَانَ وَامْرَأَتَهُ وَأَوَاهَا، ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى الطَّائِفِ، فَهِيَ أُمُّ أَبَانَ ابْنَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَبَعَثَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَعَهَا، فَشَكَرَ ذَلِكَ لَهُ مَرْوَانَ - وَأَقْبَلَ عَلَى بَنِي الْحُسَيْنِ يَمْشِي بَيْنَ مَرْوَانَ وَعَبْدِ الْمَلِكِ يَلْتَمِسُ بَهُمَا عِنْدَ مُسْلِمِ الْأَمَانِ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ عِنْدَهُ بَيْنَهُمَا، فَدَعَا مَرْوَانَ بِشَرَابٍ لِيَتَحَرَّمَ بِذَلِكَ مِنْ مُسْلِمٍ، فَأَتَى لَهُ بِشَرَابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ مَرْوَانَ شَيْئًا يَسِيرًا، ثُمَّ نَاولَهُ عَلِيًّا، فَلَمَّا وَقَعَ فِي يَدِهِ قَالَ لَهُ مُسْلِمٌ: لَا تَشْرَبْ مِنْ شَرَابِنَا، فَأَرَعَدَتْ كَفَّهُ، وَلَمْ يَأْمَنْهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَأَمْسَكَ الْقَدَحَ بِكَفِّهِ لَا يَشْرَبُهُ وَلَا يَضَعُهُ، فَقَالَ: إِنَّكَ إِذَا جِئْتَ تَمْشِي بَيْنَ هَؤُلَاءِ لِتَأْمَنَ عِنْدِي، وَاللَّهِ لَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ إِلَيْهِمَا لَقَتَلْتَكِ، وَلَكِنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَوْصَانِي بِكَ، وَأَخْبِرْنِي أَنَّكَ كَاتِبَتُهُ، فَذَلِكَ نَافِعُكَ عِنْدِي، فَإِنْ شِئْتَ فَاشْرَبْ شَرَابَكَ الَّذِي فِي يَدِكَ، وَإِنْ شِئْتَ دَعُونَا بَغِيرَهُ، فَقَالَ: هَذِهِ الَّتِي فِي كَفِّي أَرِيدُ، قَالَ: اشْرَبْهَا، ثُمَّ قَالَ:

إِلَى هَاهُنَا، فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ.

قَالَ هِشَامُ: وَقَالَ عَوَانَةُ بْنُ الْحَكَمِ: لَمَّا أَتَى بَعْلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ إِلَى مُسْلِمٍ، قَالَ: مِنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا عَلَى بَنِي الْحُسَيْنِ، قَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، ثُمَّ أَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ وَالطَّنْفَسَةِ، ثُمَّ قَالَ: إِنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَوْصَانِي بِكَ قَبْلًا، وَهُوَ يَقُولُ: إِنْ هَؤُلَاءِ الْخُبَاءُ شَغَلُونِي عَنْكَ وَعَنْ وَصَلَتِكَ، ثُمَّ قَالَ:

لَعَلِّي: لَعَلَّ أَهْلَكَ فَرَعُوا! قَالَ: إِي وَاللَّهِ، فَأَمْرٌ بِدَابَتِهِ فَأَسْرَجَتْ، ثُمَّ حَمَلَهُ فَرَدَهُ عَلَيْهَا.

قَالَ هِشَامُ: وَذَكَرَ عَوَانَةُ أَنَّ عَمْرُو بْنَ عُثْمَانَ لَمْ يَكُنْ فِيمَنْ خَرَجَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، وَأَنَّهُ أَتَى بِهِ يَوْمَئِذٍ إِلَى مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ فَقَالَ: يَا أَهْلَ الشَّامِ، تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: هَذَا الْخَبِيثُ ابْنُ الطَّيِّبِ، هَذَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، هِيَ يَا عَمْرُو! إِذَا ظَهَرَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قُلْتُ: أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ، وَإِنْ ظَهَرَ أَهْلُ الشَّامِ قُلْتُ: أَنَا ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَأَمْرٌ بِهِ فَتَنَتْ لَحِيَّتَهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَهْلَ الشَّامِ، إِنْ أَمْ هَذَا كَانَتْ تَدْخُلُ الْجَعْلُ فِي فِيهَا ثُمَّ تَقُولُ: يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَاجَتِكَ، مَا فِي فِي؟ وَفِي فِيهَا مَا سَاءَ هَا وَنَاءَ هَا، نَخْلِي سَبِيلَهُ، وَكَانَتْ أُمُّهُ مِنْ دُوسٍ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ حُدَّثِي، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مَعِشَرٍ وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ، قَالَا: كَانَتْ وَقْعَةُ الْحَرَّةِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِلْيَلْتَنِ بَقِيَّتَا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِينَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ثَلَاثَ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْهُ.

وَجَّجَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ ابْنِ عَوْفٍ، قَالَ: حَجَّ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِالنَّاسِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِينَ، وَكَانَ يُسَمَّى يَوْمَئِذٍ الْعَانَدَ، وَيُرُونَ الْأَمْرَ شُورَى قَالَ: فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ هَلَالِ الْحَرَمِ وَنَحْنُ فِي مَنْزِلِنَا إِذْ قَدِمَ عَلَيْنَا سَعِيدُ مَوْلَى الْمَسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ، فَخَبَرَنَا بِمَا أَوْقَعَ مُسْلِمٌ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَا نَبِلَ مِنْهُمْ، فَجَاءَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ، فَارِيتُ الْقَوْمَ شَهْرًا وَوَجَدُوا وَأَعْدَوْا وَعَرَفُوا أَنَّهُ نَازِلٌ بِهِمْ وَقَدْ ذَكَرَ مِنْ أَمْرِ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ وَمَقْتَلِ ابْنِ الْغَسِيلِ أَمْرٌ غَيْرَ الَّذِي رَوَى عَنْ أَبِي مُخَنَفٍ، عَنْ الَّذِينَ رَوَى ذَلِكَ عَنْهُمْ، وَذَلِكَ مَا حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَشْيَاخَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يُحَدِّثُونَ

أَنَّ مُعَاوِيَةَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَعَا يَزِيدَ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ لَكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا يَوْمًا، فَإِنْ فَعَلُوا فَرَمِهِمْ بِمُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ قَدْ عَرَفْتُ نَصِيحَتَهُ فَلَمَّا هَلَكَ مُعَاوِيَةُ وَفَدَ إِلَيْهِ وَفَدَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ مِّنْ وَفَدَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْظَلَةَ بْنُ أَبِي عَامِرٍ، وَكَانَ شَرِيفًا فَاضِلًا سَيِّدًا عَابِدًا، مَعَهُ ثَمَانِيَةُ بَنِينَ لَهُ، فَأَعْطَاهُ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ، وَأَعْطَى بَنِيهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَشْرَةَ أَلْفٍ سِوَى كِسْوَتِهِمْ وَحِمْلَانِهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْظَلَةَ أَتَاهُ النَّاسُ فَقَالُوا: مَا وَرَاءُكَ؟ قَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ وَاللَّهِ لَوْ لَمْ أَجِدْ إِلَّا بَنِي هَؤُلَاءِ لَجَاهَدْتُهُ بِهِمْ، قَالُوا: قَدْ بَلَّغْنَا أَنَّهُ أَجْدَاكَ وَأَعْطَاكَ وَأَكْرَمَكَ، قَالَ: قَدْ فَعَلَ، وَمَا قِيلَتْ مِنْهُ إِلَّا لَأَتَقَوَّى بِهِ، وَحَضَّضَ النَّاسُ فَبَايَعُوهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ يَزِيدَ، فَبَعَثَ مُسْلِمَ بْنَ عُقْبَةَ إِلَيْهِمْ، وَقَدْ بَعَثَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ إِلَى كُلِّ مَاءٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الشَّامِ، فَصَبُّوا فِيهِ زُقًّا مِنْ قِطْرَانٍ، وَعُورٍ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَسْتَقُوا بِدَلْوٍ حَتَّى وَرَدُوا الْمَدِينَةَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، بِجُمُوعٍ كَثِيرَةٍ، وَهَيْئَةً لَمْ يَرِ مِثْلَهَا فَلَمَّا رَأَاهُمْ أَهْلُ الشَّامِ هَابُوهُمْ وَكِرَهُوا قِتَالَهُمْ، وَمُسْلِمٌ شَدِيدُ الْوَجَعِ، فَبَيْنَمَا النَّاسُ فِي قِتَالِهِمْ إِذْ سَمِعُوا التَّكْبِيرَ مِنْ خَلْفِهِمْ فِي جَوْفِ الْمَدِينَةِ، وَأَحْمَمَ عَلَيْهِمْ بَنُو حَارِثَةَ أَهْلَ الشَّامِ، وَهُمْ عَلَى الْجِدِّ، فَانْهَزَمَ النَّاسُ، فَكَانَ مَنْ أُصِيبَ فِي الْخَنْدَقِ أَكْثَرَ مِمَّنْ قُتِلَ مِنَ النَّاسِ، فَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ، وَهَزَمَ النَّاسُ وَعَبَدُ اللَّهِ بْنُ حَنْظَلَةَ مُسْتَنِدٌ إِلَى أَحَدِ بَنِيهِ يَغُطُّ نَوْمًا، فَفَنَّهُ ابْنُهُ، فَلَمَّا فَتَحَ عَيْنَيْهِ فَرَأَى مَا صَنَعَ النَّاسُ أَمَرَ أَكْبَرَ بَنِيهِ، فَتَقَدَّمَ حَتَّى قُتِلَ، فَدَخَلَ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ الْمَدِينَةَ، فَدَعَا النَّاسَ لِلْبَيْعَةِ عَلَى أَنَّهُمْ خَوْلُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، يَحْكُمُ فِي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ مَا شَاءَ.

٥٠٢٨ سنه اربع وستين

٥٠٢٨٠١ ذكر موت مسلم بن عقبة ورمى الكعبة وإحراقها

ثم دخلت

سنة أربع وستين

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَحْدَاثِ) قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَمِنْ ذَلِكَ مَسِيرُ أَهْلِ الشَّامِ إِلَى مَكَّةَ لِحَرْبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَمَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِهِ فِي الْاِمْتِنَاعِ عَلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ.

ولما فرغ مسلم بن عُقْبَةَ مِنْ قِتَالِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَإِنْهَابِ جُنْدِهِ أَمْوَالَهُمْ ثَلَاثًا، شَخَصَ بَيْنَ مَعَهُ مِنَ الْجُنْدِ مَتَوَجِّهًا إِلَى مَكَّةَ، كَالَّذِي ذَكَرَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي مُخَنَفٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ نُوْفَلٍ، أَنَّ مُسْلِمًا خَرَجَ بِالنَّاسِ إِلَى مَكَّةَ يُرِيدُ ابْنَ الزُّبَيْرِ، وَخَلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ رُوحَ بْنَ زُبَيْعٍ الْجُدَامِي.

وَأَمَّا الْوَاقِدِيُّ فَإِنَّهُ قَالَ: خَلَفَ عَلَيْهِمَا عَمْرُو بْنُ مُحَرَّرِ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ:

وَيُقَالُ: خَلَفَ عَلَيْهِمَا رُوحُ بْنُ زُبَيْعٍ الْجُدَامِي.

ذكر موت مسلم بن عُقْبَةَ وَرَمَى الْكَعْبَةَ وَإِحْرَاقَهَا

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى أَبِي مُخَنَفٍ قَالَ: حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَى الْمَشَلِّ - وَيُقَالُ:

إِلَى قِفَا الْمَشَلِّ - نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، وَذَلِكَ فِي آخِرِ الْحَرَمِ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ، فَدَعَا حَصِينَ بْنَ نَمِيرِ السَّكُونِي فَقَالَ لَهُ: يَا بْنَ بَرْدَةَ الْحِمَارِ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ إِلَيَّ مَا وَلَيْتُكَ هَذَا الْجَنْدَ، وَلَكِنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَاكَ بَعْدِي، وَلَيْسَ لِأَمْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَرَدٌ، خَذْ عَنِّي أَرْبَعًا: أَسْرَعَ السَّيْرِ، وَجَلَّ الْوَقَاعِ، وَعَمَّ الْأَخْبَارَ، وَلَا تَمُكِّنْ قَرَشِيًّا مِنْ أُذُنِكَ ثُمَّ إِنَّهُ مَاتَ، فَدُفِنَ بِقِفَا الْمَشَلِّ.

قَالَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيُّ: وَذَكَرَ عَوَانَةَ أَنَّ مُسْلِمَ بْنَ عُقْبَةَ شَخَصَ يُرِيدُ ابْنَ الزُّبَيْرِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ ثَنِيَّةَ هَرِشَا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَبَعَثَ إِلَى رِءُوسِ الْأَجْنَادِ، فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَهْدَ إِلَيَّ إِنْ حَدَثَ بِي حَدَثُ الْمَوْتِ أَنْ أُسْتَخْلَفَ عَلَيْكُمْ حَصِينَ بْنُ نَمِيرِ السَّكُونِي، وَاللَّهِ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ

إلي ما فعلت،

ولكن أكره معصية أمر أمير المؤمنين عند الموت، ثم دعا به فقال: انظر يا برذعة الحمار فاحفظ ما أوصيك به، عم الأخبار، ولا ترع سمعك قريشا أبدا، ولا تردن أهل الشام، عن عدوهم، ولا تقيمن إلا ثلاثا حتى تنجز ابن الزبير الفاسق، ثم قال: اللهم إني لم أعمل عملا قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أحب إلي من قتلي أهل المدينة، ولا أرجي عندي في الآخرة ثم قال لبني مرة: زراعتي التي بحوران صدقة على مرة، وما أغلقت عليه فلانة بابها فهو لها- يعني أم ولده- ثم مات.

ولما مات خرج حصين بن نمير بالناس، فقدم على ابن الزبير مكة وقد بايعه أهلها وأهل الحجاز. قال هشام: قال عوانة: قال مسلم قبل الوصية: إن ابني يزعم أن أم ولدي هذه سقتني السم، وهو كاذب، هذا داء يصيبنا في بطوننا أهل البيت قال: وقدم عليه- يعني ابن الزبير- كل أهل المدينة، وقد قدم عليه نجدة بن عامر الحنفي في أناس من الخوارج يمنعون البيت، فقال لأخيه المنذر: ما لهذا الأمر ولدفع هؤلاء القوم غيري وغيرك- وأخوه المنذر ممن شهد الحرة، ثم لحق به- فجرد إليهم أخاه في الناس، فقاتلهم ساعة قتالا شديدا.

ثم إن رجلا من أهل الشام دعا المنذر إلى المبارزة- قال: والشامي على بغلة له- فخرج إليه المنذر، فضرب كل واحد منهما صاحبه ضربة خسر صاحبه لها ميتا، فجثا عبد الله بن الزبير على ركبتيه وهوى يقول: يا رب أبرها من أصلها ولا تشدها، وهوى يدعو على الذي بارز أخاه ثم إن أهل الشام شدوا عليهم شدة منكرا، وانكشف أصحابه انكشافة، وعثرت بغلته فقال: تعسا! ثم نزل وصاح بأصحابه: إلي، فأقبل إليه المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، ومصعب بن عبد الرحمن ابن عوف الزهري، فقاتلوا حتى قتلوا جميعا وصابرهم ابن الزبير يجالدهم

٥٠٢٨٠٢ ذكر الخبر عن حرق الكعبة

حتى الليل، ثم انصرفوا عنه، وهذا في الحصار الأول ثم إنهم أقاموا عليه يقاتلونه بقية المحرم وصفر كله، حتى إذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأول يوم السبت سنة أربع وستين قذفوا البيت بالمجانيق، وحرقوه بالنار، وأخذوا يرتجزون ويقولون: خطارة مثل الفنيق المزبد ... نرجمي بها أعواد هذا المسجد
قال هشام: قال أبو عوانة: جعل عمرو بن حوط السدوسي يقول:
كيف ترى صنيع أم فروه ... تأخذهم بين الصفا والمروه
يعني بأم فروة المنجنيق.

وقال الواقدي: سار الحصين بن نمير حين دفن مسلم بن عقبة بالمشلل لسبع بقين من المحرم، وقدم مكة لأربع بقين من المحرم، فحاصر ابن الزبير أربعا وستين يوما حتى جاءهم نعي يزيد بن معاوية لهلال ربيع الآخر .
ذكر الخبر عن حرق الكعبة
وفي هذه السنة حرقت الكعبة.
ذكر السبب في إحراقها:

قال محمد بن عمر: احترقت الكعبة يوم السبت لثلاث ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين قبل أن يأتي نعي يزيد بن معاوية بتسعة وعشرين يوما، وجاء نعيه لهلال ربيع الآخر ليلة الثلاثاء.
قال محمد بن عمر: حدثنا رياح بن مسلم، عن أبيه، قال: كانوا يوقدون حول الكعبة، فأقبلت شررة هبت بها الريح، فاحترقت ثياب الكعبة، واحترق خشب البيت يوم السبت لثلاث ليال خلون من ربيع الأول.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ

٥٠٢٨٠٣ ذكر خبر وفاه يزيد بن معاوية

أَذِينَةَ، قَالَ: قَدِمْتُ مَكَّةَ مَعَ أُمِّي يَوْمَ احْتَرَقَتِ الْكَعْبَةُ قَدْ خَلَصَتْ إِلَيْهَا النَّارُ، وَرَأَيْتُهَا مَجْرَدَةً مِنَ الْحَرِيرِ، وَرَأَيْتُ الرُّكْنَ قَدْ اسْوَدَّ وَانْصَدَعَ فِي ثَلَاثَةِ أَمْكَنَةٍ، فَقُلْتُ: مَا أَصَابَ الْكَعْبَةَ؟ فَأَشَارُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالُوا: هَذَا احْتَرَقَتْ بِسَبَبِهِ، أَخَذَ قَبْسًا فِي رَأْسِ رِمَحٍ لَهُ فَطَيَّرَ الرِّيحَ بِهِ، فَضَرَبَتْ أَسْتَارَ الْكَعْبَةِ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ وَالْأَسْوَدِ .

ذكر خبر وفاه يزيد بن معاوية وفيها هلك يزيد بن معاوية، وكانت وفاته بقرية من قرى حمص يقال لها حوارين من أرض الشام، لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين وهو ابن ثمان وثلاثين سنة في قول بعضهم.

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْوَلِيدِ الْخَزَوِيِّ، أَنَّ الزُّهْرِيَّ، كَتَبَ لَجَدِّهِ أَسْنَانَ الْخُلَفَاءِ، فَكَانَ فِيهَا كِتَابٌ مِنْ ذَلِكَ: وَمَاتَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ ابْنُ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ، وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ ثَلَاثَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ، وَيُقَالُ: ثَمَانِيَةُ أَشْهُرٍ. وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ عَنْ حَدِّثِهِ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ ثَلَاثَ سِنِينَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثِينَ لَيْلًا، وَصَلَّى عَلَى يَزِيدَ ابْنِهِ مُعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ.

وَأَمَّا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيُّ فَإِنَّهُ قَالَ فِي سَنَةِ يَزِيدَ خِلَافَ الَّذِي ذَكَرَهُ الزُّهْرِيُّ، وَالَّذِي قَالَ هِشَامُ فِي ذَلِكَ- فِيمَا حَدَّثَنَا عَنْهُ-: اسْتَخْلَفَ أَبُو خَالِدٍ يَزِيدَ ابْنَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَأَشْهُرٍ فِي هِلَالِ رَجَبِ سَنَةِ سِتِينَ، وَوَلِيَ سَنَتَيْنِ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، وَتُوفِيَ لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ خَلَّتْ مِنْ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِينَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ، وَأُمُّهُ مَيْسُونُ بِنْتُ بَحْدَلِ بْنِ أَنَيْفِ بْنِ وَلَجَةَ بْنِ قَنَافَةَ بْنِ عَدِيِّ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ حَارِثَةَ الْكَلْبِيِّ

ذَكَرَ عَدَدَ وَلَدِهِ فَمِنْهُمْ مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، يَكْنَى أَبُو لَيْلَى، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ:

إِنِّي أَرَى فِتْنَةً قَدْ حَانَ أَوَّلُهَا ... وَالْمَلِكُ بَعْدَ أَبِي لَيْلَى لِمَنْ غَلَبَا

وَخَالِدُ بْنُ يَزِيدَ- وَكَانَ يَكْنَى أَبُو هَاشِمٍ، وَكَانَ يُقَالُ: إِنَّهُ أَصَابَ عَمَلَ الْكَيْمِيَاءِ- وَأَبُو سُفْيَانَ، وَأُمُّهُمَا أُمُّ هَاشِمِ بِنْتُ أَبِي هَاشِمِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، تَزَوَّجَهَا بَعْدَ يَزِيدَ مَرْوَانَ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ لَهَا الشَّاعِرُ:

انْعَمِي أُمُّ خَالِدٍ ... رَبِّ سَاعٍ لِقَاعِ

وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ، قِيلَ: إِنَّهُ مِنْ أَرْمَى الْعَرَبِ فِي زَمَانِهِ، وَأُمُّهُ أُمُّ كَلْثُومِ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ، وَهُوَ الْأَسْوَارُ، وَلَهُ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

زَعَمَ النَّاسُ أَنَّ خَيْرَ قَرِيشٍ ... كُلُّهُمْ حِينَ يَذْكُرُ الْأَسْوَارَ

وَعَبْدُ اللَّهِ الْأَصْغَرُ، وَعُمَرُ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَتَبَةُ، وَحَرْبٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَالرَّبِيعُ، وَمُحَمَّدٌ، لِأُمّهَاتِ أَوْلَادِ شَتَّى

٥٠٢٨٠٤ خلافة معاوية بن يزيد

خلافة معاوية بن يزيد

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بَوَّعَ لِمُعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ بِالشَّامِ بِاخِلَافَةِ، وَلِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِالْحِجَازِ.

وَلَمَّا هَلَكَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ مَكَثَ الْحَصِينُ بْنُ نُمَيْرٍ وَأَهْلُ الشَّامِ يَقَاتِلُونَ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَأَصْحَابَهُ بِمَكَّةَ- فِيمَا ذَكَرَ هِشَامُ عَنْ عَوَانَةَ- أَرْبَعِينَ يَوْمًا، قَدْ حَصَرُوهُمْ حَصَارًا شَدِيدًا، وَضَيَّقُوا عَلَيْهِمْ ثُمَّ بَلَغَ مَوْتَهُ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَأَصْحَابَهُ، وَلَمْ يَبْلُغِ الْحَصِينُ بْنُ نُمَيْرٍ وَأَصْحَابَهُ، فَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ خَالِدِ بْنِ رُسْتَمِ الصَّنَعَانِيِّ أَبُو مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ جَبَلٍ، قَالَ: بَيْنَا حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ يَقَاتِلُ ابْنَ

الزبير، إذ جاء موت يزيد، فصاح بهم ابن الزبير، فقال: إن طاعيتكم قد هلك، فمن شاء منكم أن يدخل فيما دخل فيه الناس فليفعل، فمن كرهه فليحسب بشأمة، فغدوا عليه يقتلونه.

قال: فقال ابن الزبير للحصين بن نمير: أدن مني أحدثك، فدنا منه فحدثه، فجعل فرس أحدهما يجفل - والجفل: الروث - فجاء حمام الحرم يلتقط من الجفل، فكف الحصين فرسه عنهن، فقال له ابن الزبير: ما لك؟ قال: أخاف أن يقتل فرسي حمام الحرم، فقال له ابن الزبير: اتخرج من هذا وتريد أن تقتل المسلمين! فقال له: لا أقاتلك، فأذن لنا نطف بالبيت، وتنصرف عنك، ففعل فانصرفوا وأما عوانة بن الحكم فإنه قال - فيما ذكر هشام، عنه - قال: لما بلغ ابن الزبير موت يزيد - وأهل الشام لا يعلمون بذلك، قد حصروه حصاراً شديداً وضيقوا عليه - أخذ يناديهم هو وأهل مكة: علام تقتلون؟ قد هلك طاعيتكم، وأخذوا لا يصدقونه حتى قدم ثابت بن قيس بن المنيع النخعي من أهل الكوفة في رؤوس أهل العراق، فر بالحصين بن نمير - وكان له صديقاً، وكان بينهما صهر، وكان يراه عند معاوية، فكان يعرف فضله

وإسلامه وشرفه - فسأل عن الخبر، فأخبره بهلاك يزيد، فبعث الحصين ابن نمير إلى عبد الله بن الزبير، فقال: موعده ما بيننا وبينك الليلة الأبطح، فالتقيا، فقال له الحصين: إن يك هذا الرجل قد هلك فانت أحق الناس بهذا الأمر، هلم فلنباعك، ثم أخرج معي إلى الشام، فإن هذا الجند الذين معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم، فوالله لا يختلف عليك اثنان، وتؤمن الناس وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك، والتي كانت بيننا وبين أهل الحرة، فكان سعيد بن عمرو يقول: ما منعه أن يبايعهم ويخرج إلى الشام إلا تطير، لأن مكة التي منعه الله بها، وكان ذلك من جند مروان، وإن عبد الله والله لو سار معهم حتى يدخل الشام ما اختلف عليه منهم اثنان فرغم بعض قريش أنه قال: أنا أهدر تلك الدماء! أما والله لا أرضى أن أقتل بكل رجل منهم عشرة، وأخذ الحصين يكلبه سرا، وهو يجهر جهراً، وأخذ يقول: لا والله لا أفعل، فقال له الحصين بن نمير:

قبح الله من يعدك بعد هذه داهياً قط أو أديباً! قد كنت أظن أن لك رأياً ألا أراني أكلبك سراً وتكلمني جهراً، وأدعوك إلى الخلاف، وتعدني القتل والهلكة! ثم قام فخرج وصاح في الناس، فأقبل فيهم نحو المدينة، وندم ابن الزبير على الذي صنع، فأرسل إليه: أما أن أسير إلى الشام فلست فاعلاً، وأكره الخروج من مكة، ولكن بايعوا لي هنالك فإني مؤمنكم وعادل فيكم.

فقال له الحصين: أرايت إن لم تقدم بنفسك، ووجدت هنالك أناساً كثيراً من أهل هذا البيت يطلبونها يجيهم الناس، فما أنا صانع؟ فأقبل بأصحابه ومن معه نحو المدينة، فاستقبله علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ومعه قت وشعير، وهو على راحلة له، فسلم على الحصين، فلم يكذب يلتفت

إليه، ومع الحصين بن نمير فرس له عتيق، وقد فني قته وشعيره، فهو غرض، وهو يسب غلامه ويقول: من أين نجد هنا لدابتنا علفاً! فقال له علي بن الحسين: هذا علف عندنا، فاعلف منه دابتك، فأقبل على علي عند ذلك بوجهه، فأمر له بما كان عنده من علف، واجترأ أهل المدينة وأهل الحجاز على أهل الشام فذلوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلا أخذ بلجام دابته ثم نكس عنها، فكانوا يجتمعون في معسكرهم فلا يفرقون.

وقالت لهم بنو أمية: لا تبرحوا حتى نحملونا معكم إلى الشام، ففعلوا، ومضى ذلك الجيش حتى دخل الشام، وقد أوصى يزيد بن معاوية بالبيعة لابنه معاوية ابن يزيد، فلم يلبث إلا ثلاثة أشهر حتى مات.

وقال عوانة: استخلف يزيد بن معاوية ابنه معاوية بن يزيد، فلم يمكث إلا أربعين يوماً حتى مات.

وَحَدَّثَنِي عُمَرُ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: لَمَّا اسْتَخْلَفَ مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ وَجَمَعَ عَمَالَ أَبِيهِ، وَبَوَّعَ لَهُ بِدَمَشَقٍ، هَلَكَ بِهَا بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا مِنْ وَلَايَتِهِ.

وَيَكْنَى أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَهُوَ أَبُو لَيْلَى، وَأُمُّهُ أُمُّ هَاشِمٍ بِنْتُ أَبِي هَاشِمٍ ابْنِ عَتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَتُوفِيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةٍ وَثَمَانِيَةِ عَشْرِ يَوْمًا.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بَايَعَ أَهْلَ الْبَصْرَةِ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، عَلَى أَنْ يَقُومَ لَهُمْ بِأَمْرِهِمْ حَتَّى يَصْطَلِحَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ يَرْضَوْنَهُ لَأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ أَرْسَلَ عُبَيْدَ اللَّهِ رَسُولًا إِلَى الْكُوفَةِ يَدْعُوهُمْ إِلَى مِثْلِ الَّذِي فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ، وَحَصَبُوا الْوَالِي الَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ خَالَفَهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ أَيْضًا، فَهَاجَتْ بِالْبَصْرَةِ فِتْنَةٌ، وَلَحِقَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ بِالشَّامِ.

٥٠٢٨٠٥ ذكر الخبر عما كان من امر عبيد الله بن زياد وامر اهل البصرة معه بها بعد موت يزيد

ذَكَرَ الْخَبْرَ عَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ وَأَمْرِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مَعَهُ بِهَا بَعْدَ مَوْتِ يَزِيدَ وَحَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ الْحَسَنِ، قَالَ: كَتَبَ الضَّحَّاكُ ابْنَ قَيْسٍ إِلَى قَيْسِ بْنِ الْهَيْثَمِ حِينَ مَاتَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ: سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ قَدْ مَاتَ، وَأَنْتُمْ إِخْوَانُنَا، فَلَا تَسْبِقُونَا بِشَيْءٍ حَتَّى نَخْتَارَ لَأَنْفُسِنَا.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا زَهْرِبْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ حَمَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَيْنَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي شَهْرُكَ، قَالَ: شَهِدْتُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ حِينَ مَاتَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ قَامَ خَطِيبًا، حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ:

يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ، انْسُبُونِي، فَوَاللَّهِ لَتَجِدَنَّ مَهَاجِرَ وَالِدِي وَمَوْلَدِي فِيكُمْ، وَدَارِي، وَلَقَدْ وَلَيْتَكُمْ وَمَا أَحْصَى دِيْوَانَ مَقَاتِلِكُمْ إِلَّا سَبْعِينَ أَلْفَ مَقَاتِلٍ وَلَقَدْ أَحْصَى الْيَوْمَ دِيْوَانَ مَقَاتِلِكُمْ ثَمَانِينَ أَلْفًا، وَمَا أَحْصَى دِيْوَانَ عَمَالِكُمْ إِلَّا تَسْعِينَ أَلْفًا، وَلَقَدْ أَحْصَى الْيَوْمَ مَائَةَ أَرْبَعِينَ أَلْفًا، وَمَا تَرَكْتُ لَكُمْ ذَا ظَنَّةٍ أَخَافُهُ عَلَيْكُمْ إِلَّا وَهُوَ فِي سَجْنِكُمْ هَذَا وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ قَدْ تُوْفِيَ، وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ الشَّامِ، وَأَنْتُمْ الْيَوْمَ أَكْثَرُ النَّاسِ عَدَدًا، وَأَعْرَضَهُ فَنَاءً، وَأَغْنَاهُ عَنِ النَّاسِ، وَأَوْسَعَهُ بِلَادًا، فَاخْتَارُوا لَأَنْفُسِكُمْ رَجُلًا تَرْضَوْنَهُ لَدِينِكُمْ وَجَمَاعَتِكُمْ، فَأَنَا أَوَّلُ رَاضٍ مِنْ رَضِيْتُمُوهُ وَتَابِعٍ، فَإِنْ اجْتَمَعَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى رَجُلٍ تَرْضَوْنَهُ، دَخَلْتُمْ فِيْمَا دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ ذَلِكَ كُنْتُمْ عَلَى جَدِيلَتِكُمْ حَتَّى تَعْطُوا حَاجَتَكُمْ، فَمَا بَكُمْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ حَاجَةً، وَمَا يَسْتَغْنِي النَّاسُ عَنْكُمْ

فَقَامَتْ خُطْبَاءُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَقَالُوا: قَدْ سَمِعْنَا مَقَاتِلَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا أَقْوَى عَلَيْهَا مِنْكَ، فَهَلُمْ فَلِنَبَايَعَكَ، فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ، فَاخْتَارُوا لَأَنْفُسِكُمْ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ، وَأَبَى عَلَيْهِمْ، حَتَّى كَرَرُوا ذَلِكَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، فَلَمَّا أَبَوْا بِسَطِّ يَدِهِ فَبَايَعُوهُ، ثُمَّ انْصَرَفُوا بَعْدَ الْبَيْعَةِ وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا يَظُنُّ ابْنُ مَرْجَانَةَ أَنَا نَسْتَقْدَادُ لَهُ فِي الْجَمَاعَةِ وَالْفِرْقَةِ، كَذَبَ وَاللَّهِ! ثُمَّ وَثَبُوا عَلَيْهِ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ زَهْرِبْنُ: قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبٌ، قَالَ وَحَدَّثَنَا الْأَسْوَدُ ابْنُ شَيْبَانَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ سَمِيرٍ، أَنَّ شَقِيقَ بْنَ ثَوْرٍ وَمَالِكَ بْنَ مَسْمَعٍ وَحُضَيْنَ ابْنَ الْمُنْذَرِ أَتَوْا عُبَيْدَ اللَّهِ لَيْلًا وَهُوَ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَجُلًا مِنَ الْحَيِّ مِنْ بَنِي سَدُوسٍ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ فَلَزِمْتُ دَارَ الْإِمَارَةِ، فَلَبِثْتُ مَعَهُ حَتَّى مَضَى عَلَيْهِ اللَّيْلُ، ثُمَّ خَرَجُوا وَمَعَهُمْ بَغْلٌ مَوْقَرٌ مَالًا، قَالَ: فَأَتَيْتُ حُضَيْنًا فَقُلْتُ: مَرِّ لِي مِنْ هَذَا الْمَالِ بِشَيْءٍ، فَقَالَ: عَلَيْكَ بِنِي عَمِّكَ، فَأَتَيْتُ شَقِيقًا فَقُلْتُ: مَرِّ لِي مِنْ هَذَا الْمَالِ بِشَيْءٍ - قَالَ: وَعَلَى الْمَالِ مَوْلَى لَهُ يُقَالُ لَهُ: أَيُّوبُ - فَقَالَ: يَا أَيُّوبُ، أَعْطَاهُ مِائَةَ دِرْهَمٍ، قُلْتُ: أَمَّا مِائَةُ دِرْهَمٍ وَاللَّهِ لَا أَقْبَلُهَا، فَسَكَتَ عَنِّي سَاعَةً، وَسَارَ هَنِيئَةً، فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ:

مَرِّ لِي مِنْ هَذَا الْمَالِ بِشَيْءٍ، فَقَالَ: يَا أَيُّوبُ، أَعْطَاهُ مِائَتِي دِرْهَمٍ، قُلْتُ:

لَا أَقْبَلُ وَاللَّهِ مِائَتَيْنِ، ثُمَّ امْرُؤٌ بِثَلَاثِ مِائَةٍ ثُمَّ أَرْبَعِ مِائَةٍ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى الطَّفَاوَةِ قُلْتُ:

مَرِّ لِي بِشَيْءٍ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أَفْعَلْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ؟ قُلْتُ: أَنْطَلِقُ وَاللَّهِ حَتَّى إِذَا تَوَسَّطْتُ دَوْرَ الْحَيِّ وَضَعْتَ إصْبِعِي فِي أُذُنِي، ثُمَّ

صرخت بأعلى صوتي: يا معشر بكر بن وائل، هذا شقيق بن ثور وحضين بن المنذر ومالك بن المسمع، قد انطلقوا إلى ابن زياد، فاختلّفوا في دمائكم، قال:

مَا لَهُ فَعَلَ اللَّهُ بِهِ وَفَعَلَ! وِيلَكَ أَعْطَهُ خَمْسَمِائَةَ دِرْهَمًا، قَالَ: فَأَخَذْتُهَا ثُمَّ صَبَحْتُ غَادِيَا عَلَى مَالِكٍ - قَالَ وَهَب: فلم أحفظ مَا أَمَرَ لَهُ بِهِ مَالِكٌ - قَالَ:

ثُمَّ رَأَيْتُ حَضِينَا فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا صَنَعَ ابْنُ عَمِّكَ؟ فَأَخْبَرْتَهُ وَقُلْتُ:

أَعْطَنِي مِنْ هَذَا الْمَالِ، فَقَالَ: إِنَّا قَدْ أَخَذْنَا هَذَا الْمَالَ وَنَجَوْنَا بِهِ، فَلَنْ نَخْشَى مِنَ النَّاسِ شَيْئًا، فلم يعطيني شيئًا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَحَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى أَنَّ يُونُسَ بْنَ حَبِيبٍ الْجَرَمِيَّ حَدَّثَهُ، قَالَ: لما قَتَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ وَبَنِي أَبِيهِ، بَعَثَ بَرَاءَ وَهُمْ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَسَرَّ بِقَتْلِهِمْ أَوَّلًا، وَحَسَنَتْ بِذَلِكَ مَنْزِلَةُ عُبَيْدِ اللَّهِ عِنْدَهُ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى نَدِمَ عَلَى قَتْلِ الْحُسَيْنِ، فَكَانَ يَقُولُ: وَمَا كَانَ عَلَيَّ لَوْ احْتَمَلْتُ الْأَذَى وَأَنْزَلْتُهُ مَعِيَ فِي دَارِي، وَحَكَمْتُهُ فِيمَا يَرِيدُ، وَإِنْ كَانَ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ وَكَفَّ وَوَهَنَ فِي سُلْطَانِي، حَفَظًا لِرَسُولِ اللَّهِ ص وَرِعَايَةً لِحَقِّهِ وَقَرَابَتِهِ! لعن الله ابن مرجانة، فإنه أخرجه واضطره، وَقَدْ كَانَ سَأَلَهُ أَنْ يَخْلِيَ سَبِيلَهُ وَيَرْجِعَ فَلَمْ يَفْعَلْ، أَوْ يَضَعُ يَدَهُ فِي يَدِي، أَوْ يَلْحَقَ بِثَغْرِ مَنْ تُغَوِّرُ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَتَوَفَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، فَأَبَى ذَلِكَ وَرَدَّهُ عَلَيْهِ وَقَتْلَهُ، فَبَغَضَنِي بِقَتْلِهِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَزَرَعَ لِي فِي قُلُوبِهِمُ الْعِدَاوَةَ، فَبَغَضَنِي الْبَرَّ وَالْفَاجِرَ، بِمَا اسْتَعْظَمَ النَّاسُ مِنْ قَتْلِي حَسِينًا، مَا لِي وَلَا ابْنَ مَرْجَانَةَ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ! ثُمَّ إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بَعَثَ مَوْلَى يَقَالَ لَهُ أَيُّوبُ بْنُ حِمْرَانَ إِلَى الشَّامِ لِيَأْتِيَهُ بِخَبَرِ يَزِيدَ، فَركب عُبَيْدُ اللَّهِ ذَاتَ يَوْمٍ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي رَحْبَةِ الْقَصَابِينَ، إِذَا هُوَ بِأَيُّوبَ بْنِ حِمْرَانَ قَدْ قَدِمَ، فَلَحَقَهُ فَأَسْرَإِلَيْهِ مَوْتَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَرجع عُبَيْدُ اللَّهِ مِنْ مَسِيرِهِ ذَلِكَ فَأَتَى مَنْزِلَهُ، وَأَمَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَصْنٍ أَحَدَ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوعَ فَنَادَى: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَأَمَّا عَمِيرُ بْنُ مَعْنٍ الْكَاتِبُ، فَحَدَّثَنِي قَالَ: الَّذِي بَعَثَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ، حِمْرَانُ مَوْلَاهُ، فَعَادَ عُبَيْدُ اللَّهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ نَافِعٍ أَخِي زِيَادٍ لِأَمِهِ، ثُمَّ خَرَجَ عُبَيْدُ اللَّهِ مَاشِيًا مِنْ خَوْخَةٍ كَانَتْ فِي دَارِ نَافِعٍ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا كَانَ فِي صَحْنِهِ إِذَا هُوَ بِمَوْلَاهُ حِمْرَانَ أَدْنَى ظِلْمَةٍ عِنْدَ الْمَسَاءِ - وَكَانَ حِمْرَانُ رَسُولَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ حَيَاتِهِ وَإِلَى يَزِيدَ - فَلَمَّا رَأَاهُ وَلَمْ يَكُنْ أَنْ

لَهُ أَنْ يَقْدَمَ - قَالَ: مَهْمٌ! قَالَ: خَيْرٌ، قَالَ: وَمَا وَرَاءُكَ؟ قَالَ: أَدْنُو مِنْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ - وَأَسْرَإِلَيْهِ مَوْتَ يَزِيدَ وَاخْتِلَافَ أَمْرِ النَّاسِ بِالشَّامِ، وَكَانَ يَزِيدُ مَاتَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِلنَّصَفِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ - فَأَقْبَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ مِنْ فُورِهِ، فَأَمَرَ مَنَادِيَا فَنَادَى: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ صَعِدَ الْمُنْبَرُ فَنَعِيَ يَزِيدَ، وَعَرَضَ بِثَلْبِهِ لِقَصْدِ يَزِيدَ إِيَّاهُ قَبْلَ مَوْتِهِ حَتَّى يَخَافَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ لِعُبَيْدِ اللَّهِ: إِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِيَزِيدَ فِي أَعْنَاقِنَا بَيْعَةٌ، وَكَانَ يَقَالُ: أَعْرَضَ عَنْ ذِي فَنَنْ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ قَامَ عُبَيْدُ اللَّهِ يَذْكُرُ اخْتِلَافَ أَهْلِ الشَّامِ، وَقَالَ: إِنِّي قَدْ وَلَيْتُكُمْ ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ شُبَّةَ، عَنْ زُهَيْرِ بْنِ حَرْبٍ إِلَى: فَبَايَعُوهُ عَنْ رِضَا مِنْهُمْ وَمَشُورَةٍ.

ثُمَّ قَالَ: فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ جَعَلُوا يَمْسَحُونَ أَكْفَهُمْ بِبَابِ الدَّارِ وَحَيْطَانِهِ، وَيَقُولُونَ: ظَنَّ ابْنُ مَرْجَانَةَ أَنَا نَوَلِيهِ أَمْرُنَا فِي الْفِرْقَةِ! قَالَ: فَأَقَامَ عُبَيْدُ اللَّهِ أَمِيرًا غَيْرَ كَثِيرٍ حَتَّى جَعَلَ سُلْطَانَهُ يَضْعَفُ، وَيَأْمُرُنَا بِالْأَمْرِ فَلَا يَقْضَى، وَيَرَى الرَّأْيَ فَيُرَدِّدُ عَلَيْهِ، وَيَأْمُرُ بِجَبْسِ الْخَطِئِ فَيَحَالُ بَيْنَ أَعْوَانِهِ وَبَيْنَهُ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: فَسَمِعْتُ غِيلَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ يُحَدِّثُ عَنْ عُثْمَانَ الْبَتِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَوْشَنَ، قَالَ: تَبِعْتُ جَنَازَةَ فَلَمَّا كَانَ فِي سَوَاقِ الْإِبِلِ إِذَا رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ شَبَّاءَ مُتَقَنَّعٌ بِسِلَاحٍ وَفِي يَدِهِ لَوَاءٌ، وَهُوَ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمُّوا إِلَيَّ أَدْعُكُمْ إِلَى مَا لَمْ يَدْعُكُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ، أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَائِدِ بِالْحَرَمِ - يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ قَالَ: فَتَجَمَّعَ إِلَيْهِ نَوَاسُ، فَجَعَلُوا يَصْفَقُونَ عَلَى يَدَيْهِ، وَمَضَيْنَا حَتَّى صَلَيْنَا عَلَى الْجَنَازَةِ، فَلَمَّا رَجَعْنَا إِذَا هُوَ قَدْ انْضَمَّ إِلَيْهِ أَكْثَرُ مِنَ الْأَوَّلِينَ، ثُمَّ أَخَذَ بَيْنَ دَارِ قَيْسِ بْنِ الْهَيْثَمِ بْنِ أَسْمَاءَ بْنِ الصَّلْتِ السَّلْبِيِّ وَدَارِ الْحَارِثِيِّينَ قَبْلَ بَنِي تَمِيمٍ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي يَأْخُذُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَلَا مِنْ أَرَادَنِي فَأَنَا سَلَمَةُ بْنُ ذُوَيْبٍ - وَهُوَ سَلَمَةُ بْنُ ذُوَيْبٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحْكَمٍ بْنِ زَيْدِ بْنِ رِيَّاحِ بْنِ يَرْبُوعَ بْنِ حَنْظَلَةَ - قَالَ: فَلَقِينِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بَكْرٍ عِنْدَ الرَّحْبَةِ،

فأخبرته بخبر سلمة بعد رجوعي، فأتى عبد الرحمن عبيد الله فحدثه بالحديث عني، فبعث إلي، فأتيته، فقال: ما هذا الذي خبر به عنك أبو بحر؟

قال: فاقصصت عليه القصة حتى أثبت على آخرها، فأمر فنودي على المكان:

الصلاة جامعة، فجتمع الناس، فأنشأ عبيد الله يقص أمره وأمرهم، وما قد كان دعاهم إلى من يرتضونه، فيبايعه معهم، وإنكم أيتم غيري، وإنه بلغني أنكم مسحتم أكفكم بالحيطان وباب الدار، وقلتم ما قلتم، وإني أمر بالأمر فلا ينفذ، ويرد علي رأيي، وتحول القبائل بين أعواني وطلبتي، ثم هذا سلمة بن ذؤيب يدعو إلى الخلاف عليكم، إرادة أن يفرق جماعتكم، ويضرب بعضكم جباه بعض بالسيف فقال الأحنف صخر بن قيس ابن معاوية بن حصين بن عباد بن النزال بن مرة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، والناس جميعا: نحن نأتيك بسلمة، فأتوا سلمة، فإذا جمعه قد كثف، وإذا الفتق قد اتسع على الراتق، وامتنع عليهم، فلما رأوا ذلك قعدوا عن عبيد الله بن زياد فلم يأتوه.

قال أبو عبيدة: فحدثني غير واحد، عن سبرة بن الجارود الهذلي، عن أبيه الجارود، قال: وقال عبيد الله في خطبته: يا أهل البصرة، والله لقد لبسنا الخنز واليمنة واللين من الثياب حتى لقد أبحنا ذلك وأجمته جلودنا، فما بنا إلى أن نعقبها الحديد! يا أهل البصرة، والله لو اجتمعتم على ذنب عير لتكسروه ما كسرتوه قال الجارود: فوالله ما رمي بجماح حتى هرب، فتوارى عند مسعود فلما قتل مسعود لحق بالشام.

قال يونس: وكان في بيت مال عبيد الله يوم خطب الناس قبل خروج سلمة ثمانية آلاف ألف أو أقل - وقال علي بن محمد: تسعة عشر ألف

الف - فقال للناس: ان هذا فيئكم، فخذوا أعطياتكم وأرزاق ذرايكم منه، وأمر الكتبة بتحصيل الناس وتخريج الأسماء، واستعجل الكتاب في ذلك حتى وكل بهم من يحبسهم بالليل في الديوان، وأسرجوا بالشمع.

قال: فلما صنعوا ما صنعوا وقعدوا عنه، وكان من خلاف سلمة عليه ما كان، كف عن ذلك، ونقلها حين هرب، فهي إلى اليوم تردد في آل زياد، فيكون فيهم العرس أو المأتم فلا يرى في قريش مثلهم، ولا في قريش أحسن منهم في الغضارة والكسوة فدعا عبيد الله رؤساء خاصة السلطان، فأرادهم أن يقاتلوا معه، فقالوا: إن أمرنا قوادنا قاتلنا معك، فقال إخوة عبيد الله لعبيد الله: والله ما من خليفة فتقاتل عنه فإن هزمت فتت إليه وإن استمدته أمدك، وقد علمت أن الحرب دول، فلا ندري لعلها تدول عليك، وقد اتخذنا بين أظهر هؤلاء القوم أموالا، فإن ظفروا أهلكونا وأهلكوها، فلم تبق لك باقية وقال له أخوه عبد الله لأبيه وأمه مرجانة: والله لئن قاتلت القوم لأعتمدن على ظبة السيف حتى يخرج من صليبي فلما رأى ذلك عبيد الله أرسل إلى حارث بن قيس بن صهبان بن عون بن علاج بن مازن بن أسود بن جهضم بن جذيمة بن مالك بن فهم، فقال له: يا حار، إن أبي كان أوصاني إن احتجت إلى الحرب يوما أن اختاركم، وإن نفسي تأبى غيركم، فقال الحارث: قد أبلوك في أبيك ما قد علمت، وابلوه فلم يجدوا عنده ولا عندك مكافأة، وما لك مرد إذا اخترتنا، وما أدري كيف أتاني لك إن أخرجتك نهرا! إني أخاف ألا أصل بك إلى قومي حتى تقتل وأقتل، ولكني أقيم معك حتى إذا وارى دمس دمساً وهدأت القدم، ردت خلفي لثلا تعرف، ثم أخذتك على أخوالي بني ناجية،

قال عبيد الله: نعم ما رأيت، فأقام حتى إذا قيل: أخوك أم الذئب، حمله خلفه، وقد نقل تلك الأموال فأحرزها، ثم انطلق به يمر به على الناس، وكانوا يتحارسون مخافة الحرورية فيسأل عبيد الله أين نحن؟ فيخبره، فلما كانوا في بني سليم قال عبيد الله: أين نحن؟ قال: في بني سليم، قال:

سلمنا إن شاء الله، فلما أتى بني ناجية قال: أين نحن؟ قال: في بني ناجية، قال: نجونا إن شاء الله، فقال بنو ناجية: من أنت؟ قال:

الحَارِثُ بن قيس، قالوا: ابن أختكم، وعرف رجل منهم عبيد الله فقال: ابن مرجانة! فأرسل سهما فوقع في عمامته، ومضى به الحَارِثُ حتى ينزله دار نفسه في الجهاضم، ثم مضى إلى مسعود بن عمرو بن عدي بن محارب بن صنم بن مليح بن شرطان بن معن بن مالك بن فهم، فقالت الأزد ومحمد بن أبي عيينة، فلما رآه مسعود قال: يا حار، قد كان يتعوذ من سوء طوارق الليل، فتعوذ بالله من شر ما طرقتنا به، قال الحَارِثُ: لم أطرقك إلا بخير، وقد علمت أن قومك قد أنجوا زيادا فوفوا له، فصارت لهم مكربة في العرب يفتخرون بها عليهم، وقد بايعتم عبيد الله بيعة الرضا، رضا عن مشورة، وبيعة أخرى قد كانت في أعناقكم قبل البيعة- يعني بيعة الجماعة- فقال له مسعود:

يا حار، أترى لنا أن نعادي أهل مصرنا في عبيد الله، وقد أبلينا في أبيه ما أبلينا، ثم لم نكافأ عليه، ولم نشكر! ما كنت أحسب أن هذا من رأيك، قال الحَارِثُ: إنه لا يعاديك أحد على الوفاء ببيعتك حتى تبغيه مأمنه.

قال أبو جعفر: وأما عمر لحدثني قال: حدثني زهير بن حرب، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا أبي، عن الزبير بن الخريت، عن أبي ليبد الجهمي، عن الحَارِثُ بن قيس، قال: عرض نفسه- يعني عبيد الله بن زياد- علي، فقال: أما والله إني لأعرف سوء رأي كان في قومك، قال: فوقفت له، فأردفته على بغلي- وذلك ليلا- فأخذت على بني سليم، فقال: من هؤلاء؟ قلت: بنو سليم، قال: سلمنا إن شاء الله، ثم مررنا ببني ناجية وهم جلوس ومعهم السلاح- وكان الناس

يتحارسون إذ ذاك في مجالسهم- فقالوا: من هذا؟ قلت: الحَارِثُ بن قيس، قالوا: امض راشدا، فلما مضينا قال رجل منهم: هذا والله ابن مرجانة خلفه، فرماه بسهم، فوضعه في كور عمامته، فقال: يا أبا محمد، من هؤلاء؟ قال: الذين كنت تزعم أنهم من قريش، هؤلاء بنو ناجية، قال: نجونا إن شاء الله، ثم قال: يا حارث، إنك قد أحسنت وأجملت، فهل أنت صانع ما أشير عليك؟ قد علمت منزلة مسعود بن عمرو في قومه وشرفه وسنه وطاعة قومه له، فهل لك أن تذهب بي إليه فأكون في داره، فهي وسط الأزد، فإنك إن لم تفعل صدع عليك أمر قومك، قلت: نعم، فانطلقت به، فاشعر مسعود بشيء حتى دخلنا عليه وهو جالس ليلئذ يوقد بقضيب على لبنة، وهو يعالج خفيه قد خلع أحدهما وبقي الآخر، فلما نظرت في وجوهنا عرفنا وقال: إنه كان يتعوذ من طوارق السوء، فقلت له: أفتخرجه بعد ما دخل عليك بيتك! قال: فأمره فدخل بيت عبد الغافر بن مسعود- وامرأة عبد الغافر يومئذ خيرة بنت خفاف بن عمرو- قال: ثم ركب مسعود من ليلته ومعه الحَارِثُ وجماعة من قومه، فطافوا في الأزد ومجالسهم، فقالوا: إن ابن زياد قد فقد، وإنا لا نأمن أن تلتخوا به، فأصبحوا في السلاح، وفقد الناس ابن زياد فقالوا: أين توجه؟ فقالوا: ما هو إلا في الأزد.

قال وهب: لحدثنا أبو بكر بن الفضل، عن قبيصة بن مروان أنهم جعلوا يقولون: أين ترونه توجه؟ فقالت عجوز من بني عقيل: أين ترونه توجه! اندحس والله في أجمة أبيه.

وكانت وفاة يزيد حين جاءت ابن زياد وفي بيوت مال البصرة ستة عشر ألف ألف، ففرق ابن زياد طائفة منها في بني أبيه، وحمل الباقي معه، وقد كان دعا البخارية إلى القتال معه، ودعا بني زياد إلى ذلك فأبوا عليه.

حدثني عمر، قال: حدثني زهير بن حرب، قال: حدثنا الأسود بن شيبان، عن عبد الله بن جرير المازني، قال: بعث إلي شقيق بن ثور فقال لي: إنه قد بلغني أن ابن منجوف هذا وابن مسمع يدلمان بالليل إلى دار

مسعود ليردا ابن زياد إلى الدار ليصلوا بين هذين الغارين، فيهربوا دماءكم، ويعزوا أنفسهم، ولقد هممت أن أبعث إلى ابن منجوف فأشده وثاقا، وأخرجه عني، فاذهب إلى مسعود فاقرأه مني، وقل له: إن ابن منجوف وابن مسمع يفعلان كذا وكذا، فأخرج هذين الرجلين عنك قال:

وكان معه عبيد الله وعبد الله ابنا زياد قال: فدخلت على مسعود وابنا زياد عنده: أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، فقلت: السلام عليك أبا قيس، قال: وعليك السلام، قلت: بعثني إليك شقيق بن ثور يقرأ عليك السلام ويقول لك: إنه بلغني، فرد الكلام بعينه إلي

فأخرجهما عنك، قال مسعود: والله فعلت ذاك، فقال عبید الله: كيف أبا ثور- ونسي كنيته، إنما كان يكنى أبا الفضل- فقال أخوه عبد الله: إنا والله لا نخرج عنكم، قد أجزمتونا، وعقدتم لنا ذمتكم، فلا نخرج حتى نقتل بين أظهركم، فيكون عارا عليكم إلى يوم القيامة. قال وهب: حدثنا الزبير بن الخريت، عن أبي ليبيد، أن أهل البصرة اجتمعوا فقتلوا أمرهم النعمان بن صهبان الراسي ورجلا من مضر ليختارا لهم رجلا فيولوه عليهم، وقالوا: من رضيتما لنا فقد رضيناه وقال غير أبي ليبيد: الرجل المضري قيس بن الهيثم السلمي قال أبو ليبيد: ورأي المضري في بني أمية، ورأي النعمان في بني هاشم، فقال النعمان: ما أرى أحدا أحق بهذا الأمر من فلان- لرجل من بني أمية- قال: وذلك رأيك؟

قال: نعم، قال: قد قلدتك أمري، ورضيت من رضيت ثم خرجا إلى الناس، فقال المضري: قد رضيت من رضي النعمان، فمن سمى لكم فأنا به راض، فقالوا للنعمان: ما تقول! فقال: ما أرى أحدا غير عبد الله ابن الحارث- وهو ببة- فقال المضري: ما هذا الذي سميت لي؟ قال:

لي، لعمرى إنه لهو، فرضي الناس بعبد الله وبايعوه.

قال أصحابنا: دعت مضر إلى العباس بن الأسود بن عوف الزهري، ابن أخي عبد الرحمن بن عوف، ودعت اليمن إلى عبد الله بن الحارث بن نوفل، فتراضى الناس إن حكموا قيس بن الهيثم والنعمان بن صهبان الراسي لينظرا في أمر الرجلين، فاتفق رأيهما على أن يوليا المضري الهاشمي إلى أن يجتمع أمر الناس على إمام، فقبل في ذلك: نزعنا وولينا وبكر بن وائل ... تجر خصاها تبتغي من تحالف فلها أمروا ببة على البصرة ولى شرطته هميان بن عدي السدوسي.

قال أبو جعفر: وأما أبو عبيدة فإنه- فيما حدثني محمد بن علي، عن أبي سعدان، عنه- قص من خبر مسعود وعبيد الله بن زياد وأخيه غير القصة التي قصها وهب بن جرير، عمن روى عنهم خبرهم، قال: حدثني مسله ابن محارب بن سلم بن زياد وغيره من آل زياد، عمن أدرك ذلك منهم ومن مواليدهم والقوم أعلم بحدثهم، أن الحارث بن قيس لم يكلم مسعودا، ولكنه آمن عبید الله، فحمل معه مائة ألف درهم، ثم أتى بها إلى أم بسطام امرأة مسعود، وهي بنت عمه، ومعه عبید الله وعبد الله ابنا زياد، فاستأذن عليهما، فأذنت له، فقال لها الحارث: قد أتيتك بأمر تسودين به نساءك وتتمين به شرف قومك، وتعجلين غنى ودنيا لك خاصة، هذه مائة ألف درهم فاقبضيهما، فهي لك، وضمي عبید الله قالت، إني أخاف ألا يرضى مسعود بذلك ولا يقبله، فقال الحارث: ألبسني ثوبا من أثوابي، وأدخله بيتك، وخلي بيننا وبين مسعود، فقبضت المال، وفعلت، فلما جاء مسعود أخبرته، فأخذ برأسها، فخرج عبید الله والحارث من حجلتها عليه، فقال عبید الله: قد أجارتني ابنة عمك عليك، وهذا ثوبك علي، وطعامك في بطني، وقد التف علي بيتك، وشهد له على ذلك الحارث، وتلفا له حتى رضي.

قال أبو عبيدة: وأعطى عبید الله الحارث نحوًا من خمسين ألفا، فلم يزل عبید الله في بيت مسعود حتى قتل مسعود، قال أبو عبيدة: حدثني يزيد بن سمير الجرمي، عن سوار بن عبد الله بن سعيد الجرمي، قال: فلما هرب عبید الله عن أهل البصرة بغير أمير، فاختلفوا فيمن يؤمرون عليهم، ثم تراضوا برجلين يختاران لهم خيرة، فيرضون بها إذا اجتمعا عليهما، فتراضوا بقیس بن الهيثم السلمي، وبنعمان بن سفيان الراسي- راسب بن جرم

ابن ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة- أن يختارا من يرضيان لهم، فذكرا عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب- وأمه هند بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية- وكان يلقب ببه، وهو جد سليمان ابن عبد الله بن الحارث، وذكرا عبد الله بن الأسود الزهري فلما أطبقا عليهما اتعدا المريد، وواعدا الناس أن تجتمع آراؤهم على أحد هذين.

قَالَ: فحضر الناس، وحضرت معهم قارعه المربد، اى اعلاه، فجاء قيس ابن الهيثم، ثُمَّ جَاءَ النُّعْمَانُ بعد، فتجاول قيس والنعمان، فأرى النُّعْمَانُ قيساً أن هواه في ابن الأسود، ثُمَّ قَالَ: إنا لا نستطيع أن نتكلم معاً، وأراد أن يجعل الكلام إِلَيْهِ، ففعل قيس وَقَدْ اعتقد أحدهما عَلَى الآخر، فأخذ النُّعْمَانُ عَلَى الناس عهداً ليرضون بِمَا يختار قَالَ: ثُمَّ أَتَى النُّعْمَانُ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ الْأَسْوَدِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ، وجعل يشترط عَلَيْهِ شرائطَ حَتَّى ظَنَ الناس أنه مبايعه، ثُمَّ تركه، وأخذ بيدَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ الْحَارِثِ، فاشترطَ عَلَيْهِ مثلَ ذَلِكَ، ثُمَّ حمدَ الله تعالى واثني عليه، وذكر النبي ص وحق أهل بيته وقرابته، ثُمَّ قَالَ: يا أيها الناس، مَا تنقمون من رجل من بنى عم نبيكم ص، وأمه هند بنت أبي سفيان! فَإِنْ كَانَ فِيهِمْ فَهُوَ ابْنُ أَخْتِكُمْ، ثُمَّ صفقَ عَلَى يَدِهِ وَقَالَ: أَلَا إِنِّي قَدْ رَضِيتُ لَكُمْ بِهِ، فنادوا: قَدْ رَضِينَا، فَأَقْبَلُوا بِعَبْدِ اللَّهِ بنِ الْحَارِثِ إِلَى دارِ الإمارة حَتَّى نزلها، وَذَلِكَ فِي أولِ جمادى الآخرة سنة أربع وستين، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى شرطته هيمان بن عدي السدوسي، ونادى فِي الناس: أَنْ احضروا البيعة، فحضروا فبايعوه، فَقَالَ الفرزدق حين بايعه:

وبايعت أقواما وفيت بعهدهم ... وبَّةٌ قَدْ بايعته غير نادم

قَالَ أَبُو عبيدة: حَدَّثَنِي زهير بن هنيذ، عن عمرو بن عيسى، قَالَ: كَانَ منزل مالك بن مسمع المجذري فِي الباطنة عِنْدَ بَابِ عَبْدِ اللَّهِ الإصهباني فِي خط بني جحدر، الَّذِي عِنْدَ مسجد الجامع، فكان مالك يحضر المسجد، فبينما هُوَ قاعد فِيهِ - وَذَلِكَ بعد يسير من أمر بية - وافى الحلقة

رجل من ولد عَبْدِ اللَّهِ عَامِر بن كريز القرشي يريد بية، وَمَعَهُ رسالة من عبد الله ابن خازم، وبيعته بهراة، فتنازعوا، فأغلظ القرشي لملك، فلطم رجل من بكر بن وائل القرشي، فتهايج من ثُمَّ من مضر وربيعة، وكثرتهم ربيعة الَّذِينَ فِي الحلقة، فنادى رجل: يال تميم! فسمعت الدعوة عصبه من ضبة ابن أد - كَانُوا عِنْدَ القاضي - فأخذوا رماح حرس من المسجد وترستهم، ثُمَّ شَدُّوا عَلَى الرَبِيعِينَ فهزموهم، وبلغ ذَلِكَ شقيق بن ثور السدوسي - وَهُوَ يَوْمُئِذٍ رئيس بكر بن وائل - فأقبل إِلَى الْمَسْجِدِ فَقَالَ: لا تجدن مضرباً إِلَّا قتلتموه، فبلغ ذَلِكَ مالك بن مسمع، فأقبل متفضلاً يسكن الناس، فكف بعضهم عن بعض، فكث الناس شهراً أو أقل، وَكَانَ رجل من بني يشكر يجالس رجلاً من بني ضبة فِي المسجد، فتذاكرا لطمة البكري القرشي، ففخر اليشكري قال: ثُمَّ قال: ذهبت ظلفاً فأحفظ الضبي بِذَلِكَ، فوجأ عنقه، فوقذه الناس فِي الجمعة، فحمل إِلَى أهله ميتاً - أعني اليشكري - فثارت بكر إِلَى رأسهم أشيم بن شقيق، فَقَالُوا: سر بنا، فَقَالَ: بل أبعث إِلَيْهِمْ رسولا، فَإِنْ سَيَبُوا لَنَا حَقْنَا وَإِلَّا سَرْنَا إِلَيْهِمْ، فَأَبَتْ ذَلِكَ بكر، فَأَتُوا مالك بن مسمع - وَقَدْ كَانَ قبل ذَلِكَ مملكا عليهم قبل أشيم، فغلب أشيم على الرياسة حين شخص أشيم إِلَى يزيد بن معاوية، فكتب لَهُ إِلَى عبيد الله بن زياد أن ردوا الرياسة إِلَى أشيم، فَأَبَتْ للهازم، وهم بنو قيس بن ثعلبة وحلفاؤهم عنزة وشيع اللات وحلفاؤها عجل حتى توافوهم وآل ذهل بن شيبان وحلفاؤها يشكر، وذهل بن ثعلبة وحلفاؤها ضبيعة بن ربيعة بن نزار، أربع قبائل وأربع قبائل، وَكَانَ هَذَا الحلف فِي أهل الدير فِي الجاهلية، فكانت حنيفة بقيت من قبائل بكر لم تكن دخلت فِي الجاهلية فِي هَذَا الحلف، لأنهم أهل مدر، فدخلوا فِي الإسلام مع أخيهام عجل، فصاروا لهزمة، ثُمَّ تراضوا بحكمِ عُمَرَ بن عَصَامِ العنزي أحد بني هيم، وردها إِلَى أشيم، فلما كَانَتْ هَذِهِ الْفِتْنَةُ استخفت بكر مالك بن مسمع، نخف وجمع وأعد، فطلب إِلَى الأزْدِ أَنْ يجددوا الحلف الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ قبل ذَلِكَ فِي الجماعة عَلَى يزيد بن معاوية، فَقَالَ حَارِثَةُ بن بدر فِي ذَلِكَ:

نزعنا وأمرنا وبكر بن وائل ... تجر خصاها تبتغي من تحالف

وما بات بكري من الدهر ليلة ... فيصبح إِلا وَهُوَ للذل عارف

قَالَ: فبلغ عبيد الله الخبر - وَهُوَ فِي رحل مسعود - من تباعد مَا بين بكر وقيم، فَقَالَ لمسعود: الق مالكا فجدد الحلف الأول، فلقيه، فترادا ذَلِكَ، وتأبى عليهما نفر من هُوَلَاءِ وَأَوْلَئِكَ، فبعث عبيد الله أخاه عبد الله مع مسعود، فأعطاه جزيلاً من المال، حَتَّى أنفق فِي ذَلِكَ أَكْثَرَ من مائتي ألف درهم عَلَى أَنْ يبايعوهما، وَقَالَ عبيد الله لأخيه: استوثق من القوم لأهل اليمن، فجددوا الحلف وكتبوا بينهم

كُتِبَا سِوَى الْكَاتِبِينَ الَّذِينَ كَانَا كُتِبَا بَيْنَهُمَا فِي الْجَمَاعَةِ، فَوَضَعُوا كُتِبَا عِنْدَ مَسْعُودِ بْنِ عَمْرٍو.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: حَدَّثَنِي بَعْضُ وَلَدِ مَسْعُودٍ، أَنَّ أَوَّلَ تَسْمِيَةٍ مِنْ فِيهِ، الصَّلْتُ بْنُ حَرِثِ بْنِ جَابِرِ الْخَنْفِيِّ، وَوَضَعُوا كُتِبَا عِنْدَ الصَّلْتُ بْنِ حَرِثِ أَوَّلَ تَسْمِيَةٍ ابْنِ رَجَاءِ الْعُذْيِ، مِنْ عُوذِ بْنِ سُوْدٍ، وَقَدْ كَانَ بَيْنَهُمْ قَبْلَ هَذَا حَلْفٌ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَزَعَمَ مُحَمَّدُ بْنُ حَفْصٍ وَيُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ وَهَبِيرَةُ بْنُ حَدِيرٍ وَزُهَيْرُ بْنُ هَنْدٍ، أَنَّ مَضَرَ كَانَتْ تَكْثُرُ رِبْعَةَ بِالْبَصْرَةِ، وَكَانَتْ جَمَاعَةُ الْأَزْدِ آخِرَ مَنْ نَزَلَ بِالْبَصْرَةِ، كَانُوا حَيْثُ مَصْرَتِ الْبَصْرَةِ، فَحَوْلَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ تَنُوحٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَأَقَامَتْ جَمَاعَةُ الْأَزْدِ لَمْ يَتَحَوَّلُوا، ثُمَّ لَحِقُوا بِالْبَصْرَةِ بَعْدَ ذَلِكَ فِي آخِرِ خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ، وَأَوَّلِ خِلَافَةِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَلَمَّا قَدَمُوا قَالَتْ بَنُو تَمِيمٍ لِلْأَحْنَفِ: بَادِرْ إِلَى هَؤُلَاءِ قَبْلَ أَنْ تَسْبِقَنَا إِلَيْهِمْ رِبْعَةَ، وَقَالَ الْأَحْنَفُ: إِنْ أَتَوْكُمْ فَاقْبَلُوهُمْ، وَإِلَّا لَا تَأْتَوْهُمْ فَإِنَّكُمْ إِنْ أَتَيْتُمُوهُمْ صَرْتُمْ لَهُمْ أَتْبَاعًا فَاتَّاهُمْ مَالِكُ بْنُ مَسْمَعٍ وَرِئِيسُ الْأَزْدِ يَوْمَئِذٍ مَسْعُودُ بْنُ عَمْرٍو الْمَعْنِي، فَقَالَ مَالِكُ: جَدَدُوا حَلْفَنَا وَحَلَفَ كَنْدَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَحَلَفَ بَنِي ذَهْلٍ بَنِي ثَعْلَبَةَ فِي طَيْئِ بْنِ أَدَدٍ مِنْ ثَعْلٍ،

فَقَالَ الْأَحْنَفُ: أَمَا إِذَا أَتَوْهُمْ فَلَنْ يَزَالُوا لَهُمْ أَتْبَاعًا أَذْنَابًا.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: حَدَّثَنِي هَبِيرَةُ بْنُ حَدِيرٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ:

فَلَمَّا أَنْ جَرَتْ بَكْرٌ إِلَى نَصْرِ الْأَزْدِ عَلَى مَضَرَ، وَجَدَدُوا الْحَلْفَ الْأَوَّلَ، وَأَرَادُوا أَنْ يَسِيرُوا، قَالَتِ الْأَزْدُ: لَا نَسِيرُ مَعَكُمْ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الرَّئِيسُ مِنَّا، فَرَأَسُوا مَسْعُودًا عَلَيْهِمْ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: حَدَّثَنِي مُسْلِمَةُ بْنُ مَحَارِبٍ، قَالَ: قَالَ مَسْعُودٌ لِعَبِيدِ اللَّهِ:

سِرْ مَعَنَا حَتَّى نَعِيدَكَ فِي الدَّارِ، فَقَالَ: مَا أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، امْضِ أَنْتَ، وَأَمْرُ بَرَوَاحِلِهِ فَشَدُّوا عَلَيْهِمْ أَدْوَاتِهَا وَسَوَادَهَا، وَتَزَمَّلَ فِي أَهْبَةِ السَّفَرِ، وَأَلْقَوْا لَهُ كُرْسِيًا عَلَى بَابِ مَسْعُودٍ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ، وَسَارَ مَسْعُودٌ، وَبَعَثَ عُبَيْدُ اللَّهِ غُلَامًا لَهُ عَلَى الْخَلِيلِ مَعَ مَسْعُودٍ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي لَا أَدْرِي مَا يَحْدُثُ فَأَقُولُ: إِذَا كَانَ كَذَا، فليأتني بَعْضُكُمْ بِالْخَبَرِ، وَلَكِنْ لَا يَحْدُثُ خَيْرٌ وَلَا شَرٌّ إِلَّا أَتَانِي بَعْضُكُمْ بِهِ، فَجَعَلَ مَسْعُودٌ لَا يَأْتِي عَلَى سَكَّةٍ، وَلَا يَتَجَاوَزُ قَبِيلَةَ إِلَّا أَتَى بَعْضُ أَوْلِيَّكَ الْغُلَامِ بِخَبَرِ ذَلِكَ، وَقَدِمَ مَسْعُودُ رِبْعَةَ، وَعَلَيْهِمْ مَالِكُ بْنُ مَسْمَعٍ، فَأَخَذُوا جَمِيعًا سَكَّةَ الْمَرْبَدِ، فَجَاءَ مَسْعُودٌ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَصَعَدَ الْمِنْبَرَ، وَعَبَدَ اللَّهُ بْنُ الْحَارِثِ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنْ مَسْعُودًا وَأَهْلَ الْيَمَنِ وَرِبْعَةَ قَدْ سَارُوا، وَسَيَبْجُ بَيْنَ النَّاسِ شَرٌّ، فَلَوْ أَصْلَحْتَ بَيْنَهُمْ أَوْ رَكَبْتَ فِي بَنِي تَمِيمٍ عَلَيْهِمْ! فَقَالَ: أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ! لَا وَاللَّهِ لَا أَفْسَدْتُ نَفْسِي فِي إِصْلَاحِهِمْ، وَجَعَلَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ مَسْعُودٍ يَقُولُ:

لَأَنْكَحَنَّ بِهِ ... جَارِيَةً فِي قَبِهِ

تَمَشُّطُ رَأْسٍ لِعَبِهِ.

فَهَذَا قَوْلُ الْأَزْدِ وَرِبْعَةَ، فَأَمَّا مَضَرَ فَيَقُولُونَ: إِنْ أُمُّهُ هَنْدُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ كَانَتْ تَرْقُصُهُ وَتَقُولُ هَذَا، فَلَمَّا لَمْ يَحِلَّ أَحَدٌ بَيْنَ مَسْعُودٍ وَبَيْنَ مَسْعُودِ الْمُنْبَرِ، خَرَجَ مَالِكُ بْنُ مَسْمَعٍ فِي كَتِيبَتِهِ حَتَّى عَلَا الْجَبَانَ مِنْ سَكَّةِ الْمَرْبَدِ، ثُمَّ جَعَلَ يَمُرُّ بِعَدَادِ دُورِ بَنِي تَمِيمٍ حَتَّى دَخَلَ سَكَّةَ بَنِي الْعُدُويَّةِ مِنْ قَبْلِ الْجَبَانَ، فَجَعَلَ يَحْرِقُ دُورَهُمْ لِلشَّحْنَاءِ الَّتِي فِي صُدُورِهِمْ، لِقَتْلِ الضَّيِّبِيِّ الْيَشْكِرِيِّ، وَلَا سَتَرَاضَ ابْنَ خَازِمٍ رِبْعَةَ بَهْرَةَ، قَالَ: فَبَيْنَا هُوَ فِي ذَلِكَ إِذْ أَتَوْهُ فَقَالُوا: قَتَلُوا

مَسْعُودًا، وَقَالُوا: سَارَتْ بَنُو تَمِيمٍ إِلَى مَسْعُودٍ، فَاقْبَلْ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ مَسْجِدِ بَنِي قَيْسٍ فِي سَكَّةِ الْمَرْبَدِ، وَبَلَغَهُ قَتْلُ مَسْعُودٍ، وَقَفَ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ هَنْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ - أَوْ الْوَضَّاحُ بْنُ خَيْثَمَةَ أَحَدِ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمٍ - قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ، قَالَ: ذَهَبَتْ فِي الشَّبَابِ الَّذِينَ ذَهَبُوا إِلَى الْأَحْنَفِ يَنْظُرُونَ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ وَأَتَتْهُ بَنُو تَمِيمٍ، فَقَالُوا: إِنْ مَسْعُودًا قَدْ دَخَلَ الدَّارَ وَأَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ:

لَسْتُ بِسَيِّدِكُمْ، إِنَّمَا سَيِّدُكُمْ الشَّيْطَانُ.

وأما هبيرة بن حدير، حَدَّثَنِي عن إسحاق بن سويد العدوي، قال: أتيت منزل الأحنف في النظارة، فأتوا الأحنف فقالوا: يا أبا بحر، وإن ربيعة والأزد قد دخلوا الرحبة، فقال: لستم بأحق بالمسجد منهم، ثم أتوه فقالوا: قد دخلوا الدار، فقال: لستم بأحق بالدار منهم، فتسرع سلمة بن ذؤيب الرياحي، فقال: إلي يا معشر الفتیان، فإنما هذا جبس لا خير لكم عنده، فبدرت ذؤبان بنی تميم فانتدب معه خمسمائة، وهم مع ماه أفریدون، فقال لهم سلمة: أين تريدون؟ قالوا: إياكم أردنا، قال: فتقدموا.

قال أبو عبيدة: حَدَّثَنِي زهير بن هنيد، عن أبي نعامة، عن ناشب ابن الحسحاس وحيد بن هلال، قالوا: أتينا منزل الأحنف بحضرة المسجد، قالوا: فكنا فيمن ينظر، فأتته امرأة بمجمر فقالت: ما لك وللرئاسة! تجمر فإنما أنت امرأة، فقال: است المرأة أحق بالمجمر، فأتوه فقالوا:

إن علي بن بنت ناجية الرياحي - وهي أخت مطر، وقال آخرون: عزة بنت الحر الرياحية - قد سلبت خلايلها من ساقها، وكان منزلها شارعا في رحبة بني تميم على الميضاة، وقالوا: قتلوا الصباغ الذي على طريقك، وقتلوا المقعد الذي كان على باب المسجد، وقالوا: إن مالك بن مسمع قد دخل سكة بني العدوية من قبل الجبان، فخرق دورا، فقال الأحنف: أقيموا البينة على هذا، ففي دون هذا ما يحل قتالهم، فشهدوا عنده على ذلك،

فقال الأحنف: أجا عباد؟ وهو عباد بن حصين بن يزيد بن عمرو بن أوس بن سيف بن عزم بن حلزة بن بيان بن سعد بن الحارث الحبط بن عمرو بن تميم، قالوا: لا، ثم مكث غير طويل، فقال: أجا عباد؟ قالوا: لا، قال: فهل هاهنا عبس بن طلق بن ربيعة بن عامر بن بسطام بن الحكم ابن ظالم بن صريم بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد؟ فقالوا: نعم، فدعاه، فانتزع معجرا في رأسه، ثم جثا على ركبتيه، ففعله في ربح ثم دفعه إليه، فقال: سر قالوا: فلما ولي قال: اللهم لا تخزها اليوم، فإنك لم تخزها فيما مضى وصاح الناس: هاجت زبراء - وزبراء أمة للأحنف، وإنما كنوا بها عنه - قالوا: فلما سار عبس جاء عباد في ستين فارسا فسأل، ما صنع الناس؟ فقالوا: ساروا، قال: ومن عليهم؟ قالوا: عبس بن طلق الصريمي، فقال عباد: أنا أسير تحت لواء عبس! فرجع والفرسان إلى أهلهم.

حَدَّثَنِي زهير، قال: حدثنا أبو ریحانة العريني، قال: كنت يوم قتل مسعود تحت بطن فرس الزرد بن عبد الله السعدي أعدو حتى بلغنا شريعة القديم.

قال إسحاق بن سويد: فأقبلوا، فلما بلغوا أفواه السكك وقفوا، فقال لهم ماه أفریدون بالفارسية: ما لكم يا معشر الفتیان؟ قالوا: تلقونا بأسنة الرماح، فقال لهم بالفارسية: صكوهم بالفنجان - أي بخمس نشابات في رميه، بالفارسية - والأساورة أربعمائة، فصكوهم بألفي نشابة في دفعة، فأجلوا عن أبواب السكك، وقاموا على باب المسجد، ودلفت التيمية إليهم، فلما بلغوا الأبواب وقفوا، فسألهم ماه أفریدون: ما لكم؟ قالوا: أسندوا إلينا أطراف رماحهم، قال: ارموهم أيضا، فرموهم بألفي نشابة، فأجلوهم عن الأبواب، فدخلوا المسجد، فأقبلوا ومسعود يخطب على المنبر ويحضر، فجعل غطفان بن أنيف بن يزيد بن فهدة، أحد بني كعب بن عمرو بن تميم، وكان يزيد بن فهدة فارسا في الجاهلية يقاتل ويحضر قومه ويرتجز:

يال تميم إنها مذكوره ... إن فات مسعود بها مشهوره

فاستسكوا بجانب المقصوره.

أي لا يهرب فيفوت.

قال إسحاق بن يزيد: فأتوا مسعودا وهو على المنبر يحضر، فاستنزلوه فقتلوه، وذلك في أول شوال سنة أربع وستين، فلم يكن القوم شيئا، فانهزموا.

وبادر أشيم بن شقيق القوم بباب المقصورة هاربا، فطعنه أحدهم، فنجأ بها، ففي ذلك يقول الفرزدق:

لو أن أشيم لم يسبق أسنتنا ... وأخطأ الباب إذ نيراننا تقد

إذا لصاحب مسعودا وصاحبه ... وقد تهاقت الأعفاج والكبد

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: حَدَّثَنِي سَلَامُ بْنُ أَبِي خَيْرَةَ، وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا مِنْ أَبِي الْخُنَسَاءِ كَسِيبِ الْعَنْبَرِيِّ يَحْدُثُ فِي حَلْقِهِ يُونُسَ، قَالَ: سَمِعْنَا الْحَسَنَ ابْنَ أَبِي الْحَسَنِ يَقُولُ فِي مَجْلِسِهِ فِي مَسْجِدِ الْأَمِيرِ: فَاقْبَلْ مَسْعُودَ مِنْ هَاهُنَا- وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْأَزْدِ فِي أَمْثَالِ الطَّيْرِ- مَعْلَمًا بِقَبَاءِ دِيبَاجِ أَصْفَرٍ مُغِيرٍ بِسَوَادٍ، يَأْمُرُ النَّاسَ بِالسَّنَةِ، وَيَنْهَى عَنِ الْفِتْنَةِ: أَلَا إِنَّ مِنَ السَّنَةِ أَنْ تَأْخُذَ فَوْقَ يَدَيْكَ، وَهُمْ يَقُولُونَ: الْقَمَرُ الْقَمَرُ، فَوَ اللَّهُ مَا لَبِثُوا إِلَّا سَاعَةً حَتَّى صَارَ قَمَرُهُمْ قَمِيرًا، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ عَنِ الْمَنْبَرِ وَهُوَ عَلَيْهِ- قَدْ عَلِمَ اللَّهُ- فَقَتَلُوهُ.

قَالَ سَلَامٌ فِي حَدِيثِهِ: قَالَ الْحَسَنُ: وَجَاءَ النَّاسُ مِنْ هَاهُنَا- وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى دُورِ بَنِي تَمِيمٍ
قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: حَدَّثَنِي مُسْلِمَةُ بْنُ مُحَارِبٍ، قَالَ: فَأَتُوا عُبَيْدَ اللَّهِ فَقَالُوا: قَدْ صَعِدَ مَسْعُودُ الْمَنْبَرِ، وَلَمْ يَرَمْ دُونَ الدَّارِ بِكُتَابٍ، فَبَيْنَاهُ فِي ذَلِكَ يَتِيًّا لِيَجِيءَ إِلَى الدَّارِ، إِذْ جَاءُوا فَقَالُوا: قَدْ قَتَلَ مَسْعُودٌ، فَاعْتَرَزَ فِي رُكْبِهِ فَلَحَقَ بِالشَّامِ، وَذَلِكَ فِي شَوَالِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: حَدَّثَنِي رَوَادُ الْكَعْبِيِّ، قَالَ: فَأَتَى مَالِكُ بْنُ مَسْمَعٍ أَنَسَ بْنَ مَضَرَ، فَخَصَرُوهُ فِي دَارِهِ، وَحَرَقُوا، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ غُطْفَانُ بْنُ أُنَيْفٍ الْكَعْبِيُّ فِي أَرْجُوزَةٍ:

وَأَصْبَحَ ابْنُ مَسْمَعٍ مُحْصُورًا ... يَبْغِي قَصُورًا دُونَهُ وَدُورًا
حَتَّى شَبَبْنَا حَوْلَهُ السَّعِيرَا.

وَلَمَّا هَرَبَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ اتَّبَعُوهُ، فَأَعْجَزَ الطَّلَبُ، فَاتَّبَعُوهُ مَا وَجَدُوا لَهُ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ وَافِدُ بْنُ خَلِيفَةَ بْنِ أَسْمَاءَ، أَحَدُ بَنِي صَخْرِ بْنِ مَنقَرٍ بَنِ عُبَيْدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدٍ:
يَا رَبِّ جَبَّارٍ شَدِيدٍ كَلْبُهُ ... قَدْ صَارَ فِينَا تَاجَهُ وَسُلْبُهُ
مِنْهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ حِينَ نَسْلَبُهُ ... جِيَادُهُ وَبَزَهُ وَنَهَبُهُ
يَوْمَ اتَّقَى مَقْنَبِنَا وَمَقْنَبُهُ ... لَوْ لَمْ يَنْجِ ابْنُ زِيَادٍ هَرَبُهُ
وَقَالَ جَرَاهُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، أَحَدُ بَنِي الْعَدُوِيَّةِ فِي قَتْلِ مَسْعُودٍ فِي كَلِمَةٍ طَوِيلَةٍ:

وَمَسْعُودُ بْنُ عَمْرِو إِذْ أَتَانَا ... صَبَحْنَا حَدَّ مَطْرُورٍ سَنِينَا
رَجَا التَّأْمِيرَ مَسْعُودٌ فَأَضْحَى ... صَرِيحًا قَدْ أَرْزَانَاهُ الْمُنُونَا

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ: وَأَمَّا عَمْرٌ، فَإِنَّهُ حَدَّثَنِي فِي أَمْرِ خُرُوجِ عُبَيْدِ اللَّهِ إِلَى الشَّامِ، قَالَ: حَدَّثَنِي زُهَيْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ الْخُرَيْتِ، قَالَ: بَعَثَ مَسْعُودٌ مَعَ ابْنِ زِيَادٍ مِائَةَ مِنَ الْأَزْدِ، عَلَيْهِمْ قَرَّةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ، حَتَّى قَدَمُوا بِهِ الشَّامَ.

وَحَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ النَّبِيلُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الزُّبَيْرِ وَخَلَادِ بْنِ يَزِيدَ الْبَاهِلِيِّ وَالْوَلِيدِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ عَمِهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ هُبَيْرَةَ، عَنْ إِسَافِ بْنِ شَرِيحٍ الْيَشْكِرِيِّ، قَالَ، وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ- قَدْ اخْتَلَفُوا فِرَادَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ- إِنَّ ابْنَ زِيَادٍ خَرَجَ مِنَ الْبَصْرَةِ، فَقَالَ ذَاتَ لَيْلَةٍ: إِنَّهُ قَدْ ثَقَلَ عَلَيَّ رُكُوبُ الْإِبِلِ، فَوَطَّئُوا لِي عَلَى ذِي حَافِرٍ، قَالَ: فَأَلْقَيْتُ لَهُ قَطِيفَةً عَلَى حِمَارٍ، فَرَكِبَهُ وَإِنْ رَجُلِي لَتَكَادَانِ فِي الْأَرْضِ قَالَ الْيَشْكِرِيُّ: فَإِنَّهُ لَيْسَ بِأَمَامِي إِذْ سَكَتَ سَكْتَةً فَأَطَالَهَا، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذَا عُبَيْدُ اللَّهِ أَمِيرُ الْعِرَاقِ أَمْسَ نَائِمٌ السَّاعَةَ عَلَى حِمَارٍ، لَوْ قَدْ سَقَطَ مِنْهُ أَعْنَتُهُ، ثُمَّ قُلْتُ: وَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَائِمًا لَأَنْغَصَنَّ عَلَيْهِ نَوْمَهُ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقُلْتُ: أَنَا نَائِمٌ أَنْتَ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَمَا أَسْكَنْتَكَ؟

قَالَ: كُنْتُ أَحْدِثُ نَفْسِي، قُلْتُ: أَفَلَا أَحْدَثْتُكَ مَا كُنْتُ تَحْدُثُ بِهِ نَفْسُكَ؟ قَالَ: هَاتِ، فَوَاللَّهِ مَا أَرَاكَ تَكِيْسَ وَلَا تَصِيْبَ، قَالَ: قُلْتُ: كُنْتُ تَقُولُ: لِيَتْنِي لَمْ أَقْتُلِ الْحُسَيْنَ، قَالَ: وَمَاذَا؟ قُلْتُ: تَقُولُ: لِيَتْنِي لَمْ أَكُنْ قَتَلْتُ مَنْ قَتَلْتُ، قَالَ: وَمَاذَا؟ قُلْتُ: كُنْتُ تَقُولُ: لِيَتْنِي لَمْ أَكُنْ بَنِيْتُ الْبَيْضَاءِ، قَالَ: وَمَاذَا؟ قُلْتُ: تَقُولُ: لِيَتْنِي لَمْ أَكُنْ اسْتَعْمَلْتُ الدِّهَاقِينَ، قَالَ: وَمَاذَا؟

قُلْتُ: تَقُولُ: لِيَتْنِي كُنْتُ أَصْنَى مِمَّا كُنْتُ، قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا نَطَقْتُ بِصَوَابٍ، وَلَا سَكَتَ عَنْ خَطِيئَةٍ، أَمَّا الْحُسَيْنُ فَإِنَّهُ سَارَ إِلَيَّ يَرِيدُ

قتلي، فاخترت قتله على أن يقتلني، وأما البيضاء فإني اشتريتها من عبد الله بن عثمان الثقفي، وأرسل يزيد بألف ألف فأنفقتها عليها، فإن بقيت فلاهلي، وإن هلكت لم آس عليها مما لم أعنف فيه، وأما استعمال الدهاقين فإن عبد الرحمن بن أبي بكره وزاذان فروخ وقعا في عند معاوية حتى ذكرا قشور الأرز، فبلغا بخراج العراق مائه الف الف، فخيرني معاوية بين الضمان والعزل، فكرهت العزل،

٥٢٨٠٦ ذكر الخبر عن عزلهم عمرو بن حريث وتأخيرهم عامرا

فكنت إذا استعملت الرجل من العرب فكسر الخراج، فتقدمت إليه أو أغرمت صدور قومه، أو أغرمت عشيرته أضرت بهم، وإن تركته تركت مال الله وأنا أعرف مكانه، فوجدت الدهاقين أبصر بالجباية، وأوفى بالأمانة، وأهون في المطالبة منكم، مع اني قد جعلتكم أمناء عليهم لثلا يظلموا أحدا وأما قولك في السخاء، فوالله ما كان لي مال فأجود به عليكم، ولو شئت لأخذت بعض مالكم ففصصت به بعضكم دون بعض، فيقولون:

مَا أَسْخَاهُ! ولكني عمتكم، وَكَانَ عِنْدِي أَنْفَعَ لَكُمْ وَأَمَّا قَوْلُكَ: لِيَتَنِي لَمْ أَكُنْ قَتَلْتُ مِنْ قَتَلْتُ، فَمَا عَمَلْتُ بَعْدَ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ عَمَلًا هُوَ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ عِنْدِي مِنْ قَتَلِي مِنْ قَتَلْتُ مِنَ الْخَوَارِجِ، وَلَكِنِّي سَأَخْبِرُكَ بِمَا حَدَّثْتُ بِهِ نَفْسِي، قُلْتُ: لِيَتَنِي كُنْتُ قَاتِلْتُ أَهْلَ الْبَصْرَةِ، فَإِنَّهُمْ بَايَعُونِي طَائِعِينَ غَيْرَ مَكْرَهِينَ، وَابِمِ اللَّهِ لَقَدْ حَرَصْتُ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ بَنِي زِيَادٍ أَتَوْنِي فَقَالُوا:

إِنَّكَ إِذَا قَاتَلْتَهُمْ فَظَهَرُوا عَلَيْكَ لَمْ يَبْقُوا مِنْ أَحَدٍ، وَإِنْ تَرَكْتَهُمْ تَغَيَّبَ الرَّجُلُ مِنْهَا عِنْدَ أَخْوَالِهِ وَأَصْهَارِهِ، فَفَرَّقَتْ لَهُمْ فَلَمْ أَقَاتِلْ وَكُنْتُ أَقُولُ: لِيَتَنِي كُنْتُ أَخْرَجْتُ أَهْلَ السَّجَنِ فَضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ، فَمَا إِذْ فَاتَتْ هَاتَانِ فَلِيَتَنِي كُنْتُ أَقْدِمُ الشَّامَ وَلَمْ يَبْرَمُوا أَمْرًا.

قَالَ بَعْضُهُمْ: فَقَدِمَ الشَّامَ وَلَمْ يَبْرَمُوا أَمْرًا، فَكَأَنَّمَا كَانُوا مَعَهُ صَبِيانًا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدِمَ الشَّامَ وَقَدْ أَبْرَمُوا، فَفَقَضَ مَا أَبْرَمُوا إِلَى رَأْيِهِ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ طَرَدَ أَهْلَ الْكُوفَةِ عَمْرُو بْنُ حَرِيثٍ وَعَزَلُوهُ عَنْهُمْ، وَاجْتَمَعُوا عَلَى عَامِرِ بْنِ مَسْعُودٍ

. ذَكَرَ الْخَبْرَ عَنْ عَزْلِهِمْ عَمْرُو بْنُ حَرِيثٍ وَتَأْمِيرِهِمْ عَامِرًا

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: ذَكَرَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عِيَّاشٍ، قَالَ:

كَانَ أَوَّلُ مَنْ جُمِعَ لَهُ الْمَصْرَانِ: الْكُوفَةُ وَالْبَصْرَةُ زِيَادًا وَابْنَهُ، فَقَتَلَا مِنْ الْخَوَارِجِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفًا، وَحَبَسَ عُبَيْدُ اللَّهِ مِنْهُمْ أَرْبَعَةَ أَلْفٍ، فَلَمَّا هَلَكَ يَزِيدٌ قَامَ خَطِيبًا، فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي كُنَّا نَقَاتِلُ عَنْ طَاعَتِهِ قَدْ مَاتَ، فَإِنْ أَمَرْتُمُونِي جَبِيتُ فِيكُمْ، وَقَاتَلْتُ عَدُوَكُمْ وَبَعَثُ بِذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ مُقَاتِلَ ابْنِ مَسْمَعٍ وَسَعِيدَ بْنِ قُرْحَا، أَحَدَ بَنِي مَازَنَ، وَخَلِيفَتَهُ عَلَى الْكُوفَةِ عَمْرُو بْنُ حَرِيثٍ، فَقَامَا بِذَلِكَ، فَقَامَ يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رُوَيْمٍ الشَّيْبَانِي فَقَالَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرَاخُنَا مِنْ ابْنِ سَمِيَّةٍ، لَا وَلَا كَرَامَةً! فَأَمْرٌ بِهِ عَمْرُو فَلَبَّ وَمَضَى بِهِ إِلَى السَّجَنِ، فَخَالَتْ بَكْرُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، فَاَنْطَلَقَ يَزِيدٌ إِلَى أَهْلِهِ خَائِفًا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ: أَنْكَ عَلَى رَأْيِكَ، وَتَتَابَعْتَ عَلَيْهِ الرِّسْلَ بِذَلِكَ، وَصَعِدَ عَمْرُو الْمَنْبَرِ فَخَصْبُوهُ، فَدَخَلَ دَارَهُ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالُوا: نَوْمَرُ رَجُلًا إِلَى أَنْ يَجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى خَلِيفَتِهِ، فَاجْمَعُوا عَلَى عَمْرِ بْنِ سَعْدٍ، فَجَاءَتْ نِسَاءُ هَمْدَانَ يَبْكِينَ حَسِينًا، وَرَجَالُهُمْ مُتَقَلِّدُو السُّيُوفِ، فَأَطَافُوا بِالْمَنْبَرِ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ: جَاءَ أَمْرٌ غَيْرُ مَا كُنَّا فِيهِ، وَكَانَتْ كُنْدُهُ تَقُومُ بِأَمْرِ عَمْرِ بْنِ سَعْدٍ لِأَنَّهُمْ أَخْوَالُهُ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى عَامِرِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَكُتِبُوا بِذَلِكَ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَأَقْرَهُ.

وَأَمَّا عَوَانَةُ بْنُ الْحَكَمِ، فَإِنَّهُ قَالَ فِيمَا ذَكَرَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْهُ: لَمَّا بَايَعَ أَهْلَ الْبَصْرَةِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ بَعَثَ وَافِدِينَ مِنْ قَبْلِهِ إِلَى الْكُوفَةِ: عَمْرُو بْنُ مَسْمَعٍ، وَسَعْدُ بْنُ الْقُرْحَا التِّمِيمِي، لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْكُوفَةِ مَا صَنَعَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ، وَيَسْأَلَانَهُمُ الْبَيْعَةَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، حَتَّى يَصْطَلِحَ النَّاسُ، فَجُمِعَ النَّاسُ عَمْرُو بْنُ حَرِيثٍ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: إِنْ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ قَدْ أَتَيَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَمِيرِكُمْ يَدْعَوَانَكُمْ إِلَى أَمْرٍ يَجْمَعُ اللَّهُ بِهِ كَلِمَتَكُمْ، وَيَصْلِحُ بِهِ ذَاتَ بَيْنِكُمْ، فَاسْمَعُوا مِنْهُمَا، وَاقْبَلُوا عَنْهُمَا، فَإِنَّهُمَا بِرِشْدٍ مَا أَتَيَاكُمْ.

فقام عمرو بن مسمع، حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وذكر أهل البصرة واجتماع رأيهم على تأمير عبيد الله بن زياد حتى يرى الناس رأيهم فيمن يولون عليهم، وَقَدْ جئناكم لنجمع أمرنا وأمركم فيكون أميرنا وأميركم واحدا، فإنما الكوفة من البصرة والبصرة من الكوفة، وقام ابن القرحة فتكلم نحو من كلام صاحبه.

قال: فقام يزيد بن الحارث بن يزيد الشيباني - وهو ابن رويم - فخصبهما أول الناس، ثُمَّ حصبهما الناس بعد، ثُمَّ قَالَ: أنحن نباع لابن مرجانة! لا ولا كرامة، فشرفت تلك الفعلة يزيد في المصر ورفعته، ورجع الوفد إلى البصرة فأعلم الناس الخبر فقالوا: أهل الكوفة يخلعون، وأنتم تولونه وتبايعونه! فوثب به الناس، وَقَالَ: مَا كَانَ فِي ابن زياد وصمة إلا استجارته بالأزد.

قال: فلما نابذه الناس استجار بمسعود بن عمرو الأزدي، فأجاره ومنعه، فكث تسعين يوماً بعد موت يزيد، ثُمَّ خرج إلى الشام، وبعث الأزد وبكر بن وائل رجلاً منهم معه حتى أوردوه الشام، فاستخلف حين توجه إلى الشام مسعود بن عمرو على البصرة، فَقَالَتْ بنو تميم وقيس: لا نرضى ولا نجيز ولا نولي إلا رجلاً ترضاه جماعتنا، فَقَالَ مسعود: فقد استخلفني فلا أدع ذلك أبداً، نفرج في قومه حتى انتهى إلى القصر فدخله، واجتمعت تميم إلى الأحنف بن قيس فقالوا له: إن الأزد قد دخلوا المسجد، قَالَ: ودخل المسجد فيه! إنما هو لكم ولهم، وأنتم تدخلونه، قالوا: فإنه قد دخل القصر، فصعد المنبر وكانت خوارج قد خرجوا، فزلوا بنهر الأساورة حين خرج عبيد الله بن زياد إلى الشام، فرغم الناس أن الأحنف بعث إليهم إن هذا الرجل الذي قد دخل القصر لنا ولكم عدو، فما يمنعكم من أن تبدؤوا به! فجاءت عصابة منهم حتى دخلوا المسجد، ومسعود بن عمرو على المنبر يباع من أتاه، فيرميه عالج يقال له: مسلم من أهل فارس، دخل البصرة فأسلم ثُمَّ دخل في الخوارج، فأصاب قلبه فقتله وخرج، وجال الناس بعضهم في بعض فقالوا: قتل مسعود بن عمرو، قتله الخوارج، نفرجت الأزد إلى تلك الخوارج فقتلوا منهم وجرحوا، وطردوهم عن البصرة، ودفنوا مسعوداً، فجاءهم الناس فقالوا لهم: تعلمون أن بني تميم يزعمون أنهم قتلوا مسعود بن عمرو، فبعث الأزد تسأل عن ذلك، فإذا أناس منهم يقولونه، فاجتمعت الأزد عند ذلك فرأسوا عليهم زياد بن عمرو العتيكي، ثُمَّ ازدلفوا إلى بني تميم

وخرجت مع بني تميم قيس، وخرج مع الأزد مالك بن مسمع وبكر بن وائل فأقبلوا نحو بني تميم وأقبلت تميم إلى الأحنف يقولون: قد جاء القوم، اخرج وهو متمكث، إذ جاءته امرأة من قومه بحجر فقالت: يا أحنف اجلس على هذا، أي إنما أنت امرأة، فَقَالَ: استك أحق بها، فما سمع منه بعد كلمه كانت رافث منها، وَكَانَ يعرف بالحلم ثُمَّ إنه دعا برايته فَقَالَ: اللهم انصرها ولا تذللها، وإن نصرتها ألا يظهر بها ولا يظهر عليها، اللهم احقن دماءنا، وأصلح ذات بيننا ثُمَّ سار وسار ابن أخيه إياس بن معاوية بين يديه، فالتقى القوم فاقتتلوا أشد القتال، فقتل من الفريقين قتلى كثيرة، فَقَالَتْ لهم بنو تميم: الله الله يا معشر الأزد في دماءنا ودمائكم! بيننا وبينكم القرآن ومن شئتم من أهل الإسلام، فإن كانت لكم علينا بينة أنا قتلنا صاحبكم، فاخترنا أفضل رجل فينا فاقتلوه بصاحبكم، وإن لم تكن لكم بينة فانا نلحف بالله ما قتلنا ولا أمرنا، ولا نعلم لصاحبكم قاتلاً، وإن لم تريدوا ذلك فنحن ندي صاحبكم بمائة ألف درهم فاصطلحوا، فَأَتَاهُم الأحنف بن قيس في وجوه مضر إلى زياد بن عمرو العتيكي، فَقَالَ:

يا معشر الأزد، أنتم جئتم في الدار، وإخوتنا عند القتال، وَقَدْ آتيناكم في رحالكم لإطفاء حشيشتكم، وسل سخيمتكم، ولكم الحكم مرسلاً، فقولوا على أحلامنا وأموالنا، فإنه لا يتعاضمنا ذهاب شيء من أموالنا كان فيه صلاح بيننا، فقالوا: أئدون صاحبنا عشر ديات؟ قَالَ: هي لكم، فانصرف الناس واصطلحوا، فَقَالَ الهيثم بن الأسود:

أعلى بمسعود الناعي فقلت له ... نعم اليماني تجروا على الناعي
أوفى ثمانين ما يستطيعه أحد ... فتى دعاه لرأس العده الداعي

أوى ابن حرب وَقَدْ سَدَّتْ مَذَاهِبُهُ ... فَأَوْسَعَ السَّرْبَ مِنْهُ أَيَّ إِسْوَاعٍ
حَتَّى تَوَارَتْ بِهِ أَرْضٌ وَعَامَرَهَا ... وَكَانَ ذَا نَاصِرٍ فِيهَا وَأَشْيَاعٍ
وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَرْثِ:

مَا زِلْتُ أَرْجُو الْأَزْدَ حَتَّى رَأَيْتَهَا ... تَقْصُرُ عَنْ بَنِيَانِهَا الْمَتَطَاوِلِ
أَيَقْتُلُ مَسْعُودٌ وَلَمْ يَثَارُوا بِهِ ... وَصَارَتْ سَيُوفُ الْأَزْدِ مِثْلَ الْمَنَاجِلِ
وَمَا خَيْرَ عَقْلٍ أَوْرَثَ الْأَزْدَ ذِلَّةً ... تَسْبُ بِهِ أَحْيَاؤُهُمْ فِي الْمَحَافِلِ
عَلَى أَنَّهُمْ شَمَطُ كَأَنَّ لِحَاهِمُ ... ثَعَالِبُ فِي أَغْنَاقِهَا كَالْجَلَالِ

وَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ أَمِيرًا يَصْلِي بِهِمْ حَتَّى يَجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ، فَجَعَلُوا عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَامِرٍ
شَهْرًا، ثُمَّ جَعَلُوا بِنَةَ - وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ - فَصَلَّى بِهِمْ شَهْرَيْنِ، ثُمَّ قَدَّمَ عَلَيْهِمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ مِنْ قَبْلِ ابْنِ
الزُّبَيْرِ، فَكَثَّ شَهْرًا، ثُمَّ قَدَّمَ الْحَارِثَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْخَزَوِيَّ بِعَزْلِهِ، فَوَلَّيَهَا الْحَارِثَ وَهُوَ الْقَبَاعُ.
قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَمَّا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ، فَإِنَّهُ حَدَّثَنِي فِي أَمْرِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ كَرِيزٍ وَأَمْرِ بِنَةِ وَمَسْعُودٍ وَقَتْلِهِ، وَأَمْرٍ عُمَرَ بْنَ
عُبَيْدِ اللَّهِ غَيْرَ مَا قَالَ هِشَامُ عَنْ عَوَانَةَ وَالَّذِي حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ:

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي مَقْرَنٍ عُبَيْدُ اللَّهِ الدَّهْنِي، قَالَ: لَمَّا بَايَعَ النَّاسُ بِنَةَ وَلِيَّ بِنَةِ شَرْطَتِهِ هَمِيَانَ بْنَ عَدِيٍّ، وَقَدَّمَ عَلَى بِنَةِ بَعْضِ
أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَأَمْرَ هَمِيَانَ بْنَ عَدِيٍّ بِإِزَالِهِ قَرِيبًا مِنْهُ، فَأَتَى هَمِيَانَ دَارًا لِلْفِيلِ مَوْلَى زِيَادِ بْنِ أَبِي سَلِيمٍ وَهُمْ بِتَفْرِيعِهَا لِيَنْزِلَهَا إِيَّاهُ، وَقَدْ
كَانَ هَرَبَ وَأَقْفَلَ أَبْوَابَهُ، فَنَعَتَ بَنُو سَلِيمٍ هَمِيَانَ حَتَّى قَاتَلُوهُ، وَاسْتَصْرَحُوا عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَامِرٍ بْنِ كَرِيزٍ، فَأَرْسَلَ بِخَارِيَّتِهِ
وَمَوَالِيهِ فِي السِّلَاحِ حَتَّى طَرَدُوا هَمِيَانَ وَمَنْعُوهُ الدَّارَ، وَغَدَا عَبْدُ الْمَلِكِ مِنَ الْغَدِ إِلَى دَارِ الْإِمَارَةِ لِيَسْلُمَ عَلَى بِنَةِ، فَلَقِيَهُ عَلَى الْبَابِ رَجُلٌ
مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، فَقَالَ: أَنْتَ الْمَعِينُ عَلَيْنَا بِالْأَمْسِ! فَرَفَعَ يَدَهُ فَلَطَمَهُ، فَضْرَبَ قَوْمٌ مِنَ الْبَخَارِيَّةِ يَدَ الْقَيْسِيِّ فَأَطَارَهَا، وَيُقَالُ: بَلَ
سَلَمَ الْقَيْسِيِّ، وَغَضِبَ ابْنُ عَامِرٍ فَرَجَعَ، وَغَضِبَتْ لَهُ مُضَرٌ فَاجْتَمَعَتْ وَأَتَتْ بِكَرْبَنَ

وَإِثْلَ أَشِيمَ بْنَ شَقِيقٍ بْنِ ثَوْرٍ فَاسْتَصْرَحُوهُ، فَأَقْبَلَ وَمَعَهُ مَالِكُ بْنُ مَسْمَعٍ حَتَّى صَعِدَ الْمُنْبَرَ فَقَالَ: أَيُّ مُضَرٍّ وَجَدْتُمُوهُ فَاسْلُبُوهُ وَزَعِمَ
بَنُو مَسْمَعٍ أَنَّ مَالِكًا جَاءَ يَوْمَئِذٍ مُتَفَضِّلًا فِي غَيْرِ سِلَاحٍ لِيَرِدَ أَشِيمَ عَنْ رَأْيِهِ ثُمَّ انْصَرَفَتْ بِكَرْبَنَ وَقَدْ تَحَاجَزُوا هُمُ وَالْمُضَرِّيَّةُ، وَاجْتَمَعَتْ الْأَزْدُ
ذَلِكَ، فَخَالَفُوا بِكَرْبَنَ، وَأَقْبَلُوا مَعَ مَسْعُودٍ إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، وَفَزَعَتْ تَيْمٌ إِلَى الْأَحْنَفِ، فَعَقَدَ عِمَامَتَهُ عَلَى قَنَازَةٍ، وَدَفَعَهَا إِلَى سَلْمَةَ بْنِ
ذُوَيْبِ الرِّيَاحِيِّ، فَأَقْبَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْأَسَاوِرَةَ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَمَسْعُودٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَنْزَلُوهُ فَقَتَلُوهُ، وَزَعِمَتْ الْأَزْدُ أَنَّ الْأَزَارِقَةَ قَتَلُوهُ،
فَكَانَتْ الْفِتْنَةُ، وَسَفَرُ بَيْنَهُمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ حَتَّى رَضِيَتْ الْأَزْدُ مِنْ مَسْعُودٍ بِعَشْرِ دِيَّاتٍ،
وَلَزِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بَيْتَهُ، وَكَانَ يَتَدِينُ، وَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَصْلَحِ النَّاسِ بِفَسَادِ نَفْسِي.

قَالَ عُمَرُ: قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: فَكُتِبَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَكُتِبَ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بِأَمْرِهِ بِالصَّلَاةِ بِالنَّاسِ، فَصَلَّى بِهِمْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا.
حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: كُتِبَ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ التَّيْمِيِّ بِعَهْدِهِ عَلَى الْبَصْرَةِ، وَوَجْهُهُ بِهِ إِلَيْهِ،
فَوَافَقَهُ وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ يَرِيدُ الْعُمَرَةَ، فَكُتِبَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بِأَمْرِهِ أَنْ يَصْلِيَ بِالنَّاسِ، فَصَلَّى بِهِمْ حَتَّى قَدَّمَ عُمَرَ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الزُّبَيْرِ، قَالَ: كَانَ النَّاسُ
اصْطَلَحُوا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ الْهَاشِمِيِّ، فَوَلَّى أَمْرَهُمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَخَرَجَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ إِلَى الْأَهْوَازِ، فَقَالَ النَّاسُ لِعَبْدِ اللَّهِ: إِنْ
النَّاسُ قَدْ أَكَلُوا بَعْضُهُمْ بَعْضًا، تَوَخَّذْ الْمَرْأَةَ مِنَ الطَّرِيقِ فَلَا يَمْنَعُهَا أَحَدٌ حَتَّى تَفْضُحَ، قَالَ: فَتَرِيدُونَ مَاذَا؟

قَالُوا: تَضَعُ سَيْفَكَ، وَتَشُدُّ عَلَى النَّاسِ، قَالَ: مَا كُنْتُ لِأَصْلَحِهِمْ بِفَسَادِ نَفْسِي، يَا غَلَامُ، نَاوِلْنِي نَعْلِي، فَانْتَعَلَ ثُمَّ لَحَقَ بِأَهْلِهِ، وَأَمَرَ النَّاسَ

عَلَيْهِمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ التَّمِيمِيِّ، قَالَ أَبِي، عَنْ الصَّعْبِ بْنِ زَيْدٍ:

٥٠٢٨٠٧ ذكر الخبر عن ولاية عامر بن مسعود على الكوفة

أَنَّ الْجَارِفَ وَقَعَ وَعَبْدُ اللَّهِ عَلَى الْبَصْرَةِ، فَاتَتْ أُمُّهُ فِي الْجَارِفِ، فَمَا وَجَدُوا لَهَا مِنْ يَحْمِلُهَا حَتَّى اسْتَأْجَرُوا لَهَا أَرْبَعَةَ أَعْلَاجٍ لِيَحْمِلُوهَا إِلَى حَفْرَتِهَا، وَهُوَ الْأَمِيرُ يَوْمَئِذٍ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: كَانَ بَنَةً قَدْ تَنَاطَلَ فِي عَمَلِهِ عَلَى الْبَصْرَةِ أَرْبَعِينَ أَلْفًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، فَاسْتَوْدَعَهَا رَجُلًا، فَلَمَّا قَدِمَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرًا أَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ فُجْبَسَهُ، وَعَذَّبَ مَوْلَى لَهُ فِي ذَلِكَ الْمَالِ حَتَّى أَغْرَمَهُ إِيَّاهُ.

حَدَّثَنِي عُمَرُ قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْقَافِلَانِي، عَنْ يَزِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ، قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ: رَأَيْتُكَ زَمَانَ اسْتَعْمَلْتَ عَلَيْنَا أَصَبْتَ مِنَ الْمَالِ، وَاتَّقَيْتَ الدَّمَ، فَقَالَ: إِنْ تَبَعَهُ الْمَالُ أَهْوَنَ مِنْ تَبَعَةِ الدَّمِ .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلِيَ أَهْلَ الْكُوفَةِ عَامِرُ بْنُ مَسْعُودٍ أَمْرَهُمْ، فَذَكَرَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيِّ، عَنْ عَوَانَةَ بْنِ الْحَكَمِ، أَنَّهُمْ لَمَّا رَدُّوا وَافِدِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ اجْتَمَعَ أَشْرَافُ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَاصْطَلَحُوا عَلَى أَنْ يُصَلِّيَ بِهِمْ عَامِرُ بْنُ مَسْعُودٍ - وَهُوَ عَامِرُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ خَلْفِ الْقُرَشِيِّ، وَهُوَ دَحْرُوجَةُ الْجَعْلِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَمَامٍ السَّلُولِيُّ:

اشْدُدْ يَدَيْكَ بِزَيْدٍ إِنْ ظَفَرْتَ بِهِ ... وَاشْفِ الْأَرَامِلَ مِنْ دَحْرُوجَةِ الْجَعْلِ
وَكَانَ قَصِيرًا - حَتَّى يَرَى النَّاسَ رَأْيَهُمْ، فَكَثَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ مِنْ مَهْلِكِ يَزِيدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيِّ ثُمَّ الْخَطْمِيُّ عَلَى الصَّلَاةِ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الْخُرَاجِ، فَاجْتَمَعَ

٥٠٢٨٠٨ خلافة مروان بن الحكم

لَاِبْنَ الزُّبَيْرِ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَأَهْلَ الْبَصْرَةِ وَمَنْ بِالْقَبْلَةِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَهْلَ الشَّامِ، وَأَهْلَ الْجَزِيرَةِ إِلَّا أَهْلَ الْأُرْدُنِ. خلافة مروان بن الحكم

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بُويعَ لِمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بِالْخِلَافَةِ بِالشَّامِ. ذكر السبب في البيعة له:

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ:

لَمَّا بُويعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَلِيَ الْمَدِينَةَ عُبَيْدَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَحْدَمٍ الْفَهْرِيُّ مِصْرَ، وَأَخْرَجَ بَنِي أُمَيَّةَ وَمَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ إِلَى الشَّامِ - وَعَبْدُ الْمَلِكِ يَوْمَئِذٍ ابْنُ ثَمَانَ وَعِشْرِينَ - فَلَمَّا قَدِمَ حُصَيْنُ بْنُ ثَمِيمٍ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى الشَّامِ أَخْبَرَ مَرْوَانَ بِمَا خَلَفَ عَلَيْهِ ابْنُ الزُّبَيْرِ، وَأَنَّهُ دَعَاهُ إِلَى الْبَيْعَةِ، فَأَبَى فَقَالَ لَهُ وَلَبْنِي أُمِيهِ: نَرَاكَ فِي اخْتِلَاطٍ شَدِيدٍ، فَأَقِيمُوا أَمْرَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْكُمْ شَامَكُمْ، فَتَكُونَ فِتْنَةً عَمِيَاءَ صَمَاءَ، فَكَانَ مِنْ رَأْيِ مَرْوَانَ أَنْ يَرْحَلَ فَيَنْطَلِقَ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ فَيُبَايِعَهُ، فَقَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ وَاجْتَمَعَتْ عِنْدَهُ بَنُو أُمَيَّةَ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَ عَبْدُ اللَّهِ مَا يُرِيدُ مَرْوَانَ، فَقَالَ لَهُ: اسْتَحْيَيْتُ لَكَ مِمَّا تُرِيدُ! أَنْتَ كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَسَيِّدُهَا، تَصْنَعُ مَا تَصْنَعُهُ! فَقَالَ: مَا فَاتَ شَيْءٌ بَعْدُ، فَقَامَ مَعَهُ بَنُو أُمَيَّةَ وَمَوَالِيَهُمْ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَنِ، فَسَارَ وَهُوَ يَقُولُ: مَا فَاتَ شَيْءٌ بَعْدُ، فَقَدِمَ دِمَشْقُ وَمَنْ مَعَهُ، وَالضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ الْفَهْرِيُّ قَدْ بَايَعَهُ أَهْلُ دِمَشْقَ عَلَى أَنْ يُصَلِّيَ بِهِمْ، وَيُقِيمَ لَهُمْ أَمْرَهُمْ حَتَّى يَجْتَمَعَ أَمْرُ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ.

وَأَمَّا عَوَانَةُ فَإِنَّهُ قَالَ - فِيمَا ذَكَرَ هِشَامٌ عَنْهُ - إِنَّ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ لَمَّا مَاتَ وَابْنُهُ مُعَاوِيَةُ مِنْ بَعْدِهِ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ - فِيمَا بَلَغَنِي - أَمَرَ بَعْدَ وَلايَتِهِ فُؤَدِي بِالشَّامِ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ! فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي أَمْرِكُمْ فَضَعُفْتُ عَنْهُ، فَابْتَغَيْتُ لَكُمْ رَجُلًا مِثْلَ عُمَرَ بْنِ

الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ حِينَ فَرَعَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ أَجِدْهُ، فَابْتَغَيْتُ لَكُمْ سِتَّةً فِي الشُّوَرَى مِثْلَ سِتَّةِ عُمَرَ، فَلَمْ أَجِدْهَا، فَانْتَمَ أَوَّلَى بِأَمْرِكُمْ، فَاخْتَارُوا لَهُ مِنْ أَحِبَّتِهِمْ ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى النَّاسِ، وَتَغَيَّبَ حَتَّى مَاتَ فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: دُسَّ إِلَيْهِ فَسُقِيَ سُمًّا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: طُعِنَ.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ عَوَانَةَ ثُمَّ قَدِمَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ دِمَشْقَ وَعَلَيْهَا الضَّحَّاكُ ابْنُ قَيْسٍ الْفَهْرِيُّ، فَثَارَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكَلَابِيُّ بِقَنْسَرِينَ يُبَايِعُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَبَايَعَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيُّ بِمُحَصَّ لَابْنِ الزُّبَيْرِ، وَكَانَ حَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ بَحْدَلٍ الْكَلْبِيُّ بِفِلَسْطِينَ عَامِلًا لِمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ، ثُمَّ لِيَزِيدَ ابْنِ مُعَاوِيَةَ بَعْدَهُ، وَكَانَ يَهُوَى هَوَى بَنِي أُمَيَّةَ، وَكَانَ سَيِّدَ أَهْلِ فِلَسْطِينَ، فَدَعَا حَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ بَحْدَلٍ الْكَلْبِيُّ رُوحَ بْنَ زَنْبَاعِ الْجُدَامِيِّ، فَقَالَ: إِنِّي مُسْتَخْلِفُكَ عَلَى فِلَسْطِينَ، وَأَدْخُلْ هَذَا الْحَيَّ مِنْ نَحْمٍ وَجُدَامٍ، وَلَسْتَ بِدُونِ رَجُلٍ إِذْ كُنْتَ عَيْنَهُمْ قَاتِلَتُ بِمَنْ مَعَكَ مِنْ قَوْمِكَ وَخَرَجَ حَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى الْأُرْدُنِّ وَاسْتَخْلَفَ رُوحَ بْنَ زَنْبَاعِ عَلَى فِلَسْطِينَ، فَثَارَ نَاتِلُ بْنُ قَيْسٍ بَرُوحَ بْنَ زَنْبَاعِ فَأَخْرَجَهُ، فَاسْتَوَى عَلَى فِلَسْطِينَ، وَبَايَعَ لَابْنَ الزُّبَيْرِ، وَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ كَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ بِالْمَدِينَةِ أَنْ يَنْفِيَ بَنِي أُمَيَّةَ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَنَفَوْا بِعِيَالَتِهِمْ وَنِسَائِهِمْ إِلَى الشَّامِ، فَقَدِمَتْ بَنُو أُمَيَّةَ دِمَشْقَ وَفِيهَا مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ، فَكَانَ النَّاسُ فَرِيقَيْنِ: حَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ بِالْأُرْدُنِّ يَهُوَى هَوَى بَنِي أُمَيَّةَ، وَيَدْعُو إِلَيْهِمْ، وَالضَّحَّاكُ ابْنُ قَيْسٍ الْفَهْرِيُّ بِدِمَشْقَ يَهُوَى هَوَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ.

قَالَ: فَقَامَ حَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ بِالْأُرْدُنِّ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْأُرْدُنِّ، مَا شَهِدْتُكُمْ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ وَعَلَى أَهْلِ الْحَرَّةِ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ مُنَافِقٌ وَأَنَّ قَتْلَ أَهْلِ الْحَرَّةِ فِي النَّارِ، قَالَ: فَمَا شَهِدْتُكُمْ عَلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَقَتْلَاكُمْ بِالْحَرَّةِ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّ يَزِيدَ عَلَى الْحَقِّ، وَأَنَّ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: وَأَنَا أَشْهَدُ لَنْ كَانَ دِينَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ حَيٌّ حَقًّا يَوْمَئِذٍ إِنَّهُ الْيَوْمَ وَشِيعَتُهُ عَلَى حَقٍّ، وَإِنْ كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمَئِذٍ وَشِيعَتُهُ عَلَى بَاطِلٍ إِنَّهُ الْيَوْمَ عَلَى بَاطِلٍ وَشِيعَتُهُ، قَالُوا لَهُ: قَدْ صَدَقْتَ، نَحْنُ نُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ نَقَاتِلَ مَنْ

خَالَفَكَ مِنَ النَّاسِ، وَأَطَاعَ ابْنَ الزُّبَيْرِ، عَلَى أَنْ تُجَنِّبَنَا هَذَيْنِ الْغُلَامَيْنِ، فَإِنَّا نَكْرَهُ ذَلِكَ - يَعْنُونَ ابْنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَبْدَ اللَّهِ وَخَالِدًا - فَإِنَّهُمَا حَدِيثَةُ أَسْنَانِهِمَا، وَنَحْنُ نَكْرَهُ أَنْ يَأْتِنَا النَّاسُ بِشَيْخٍ وَنَاتِيهِمْ بِصَبِيٍّ وَقَدْ كَانَ الضَّحَّاكُ ابْنُ قَيْسٍ بِدِمَشْقَ يَهُوَى هَوَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَكَانَ يَمْنَعُهُ مِنْ إِظْهَارِ ذَلِكَ أَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ كَانُوا بِحَضْرَتِهِ، وَكَانَ يَعْمَلُ فِي ذَلِكَ سِرًّا، فَلَبِغَ ذَلِكَ حَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ ابْنُ بَحْدَلٍ، فَكَتَبَ إِلَى الضَّحَّاكِ كِتَابًا يَعْظُمُ فِيهِ حَقَّ بَنِي أُمَيَّةَ، وَيَذْكُرُ الطَّاعَةَ وَالْجَمَاعَةَ وَحُسْنَ بِلَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ عِنْدَهُ وَصَنِيعَهُمْ إِلَيْهِ، وَيَدْعُوهُ إِلَى طَاعَتِهِمْ، وَيَذْكُرُ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَيَقَعُ فِيهِ وَيُسْتَمِهُ، وَيَذْكُرُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ، قَدْ خَلَعَ خَلِيفَتَيْنِ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَقْرَأَ كِتَابَهُ عَلَى النَّاسِ وَدَعَا رَجُلًا مِنْ كَلْبٍ يُدْعَى نَاغِضَةً فَسَرَحَ بِالْكِتَابِ مَعَهُ إِلَى الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ، وَكَتَبَ حَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ نُسْخَةَ ذَلِكَ الْكِتَابِ، وَدَفَعَهُ إِلَى نَاغِضَةٍ، وَقَالَ: إِنْ قَرَأَ الضَّحَّاكُ كِتَابِي عَلَى النَّاسِ وَإِلَّا فَقُمْ فَأَقْرَأْ هَذَا الْكِتَابَ عَلَى النَّاسِ، وَكَتَبَ حَسَّانُ إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ يَأْمُرُهُمْ أَنْ يَحْضُرُوا ذَلِكَ، فَقَدِمَ نَاغِضَةُ بِالْكِتَابِ عَلَى الضَّحَّاكِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ وَدَفَعَ كِتَابَ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ صَعِدَ الضَّحَّاكُ الْمِنْبَرَ فَقَامَ إِلَيْهِ نَاغِضَةُ، فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! ادْعُ بِكِتَابِ حَسَّانٍ فَأَقْرَأْهُ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ لَهُ الضَّحَّاكُ: اجْلِسْ، فَجَلَسَ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ الثَّانِيَةَ فَقَالَ لَهُ:

اجلس، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ الثَّالِثَةُ فَقَالَ لَهُ: اجلس، فَلَمَّا رَأَاهُ نَاعِضَةً لَا يَفْعَلُ أَخْرَجَ الْكَتَابَ الَّذِي مَعَهُ فَقَرَأَهُ عَلَى النَّاسِ، فَقَامَ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَصَدَّقَ حَسَنًا وَكَذَّبَ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَشَتَمَهُ، وَقَامَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي النَّمَسِ الْغَسَّانِيُّ، فَصَدَّقَ مَقَالََةَ حَسَنًا وَكَتَبَهُ، وَشَتَمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ، وَقَامَ سُفْيَانُ بْنُ الْأَبَرْدِ الْكَلْبِيُّ فَصَدَّقَ مَقَالََةَ حَسَنًا وَكَتَبَهُ، وَشَتَمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ.

وَقَامَ عَمْرُو بْنُ يَزِيدَ الْحَكَمِيُّ فَشَتَمَ حَسَنًا وَأَثْنَى عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَاضْطَرَبَ النَّاسُ تَبَعًا لَهُمْ، ثُمَّ أَمَرَ الضَّحَّاكُ بِالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ وَيَزِيدَ ابْنِ النَّمَسِ وَسُفْيَانَ

ابْنَ الْأَبَرْدِ الَّذِينَ كَانُوا صَدَقُوا مَقَالََةَ حَسَنًا وَشَتَمُوا ابْنَ الزُّبَيْرِ فَخَبَسُوا، وَجَالَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، وَوُثِّتَ كَلْبٌ عَلَى عَمْرُو بْنِ يَزِيدَ الْحَكَمِيِّ فَضْرَبُوهُ وَحَرَقُوهُ بِالنَّارِ، وَخَرَقُوا ثِيَابَهُ.

وَقَامَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَصَعِدَ مِرْقَاتَيْنِ مِنَ الْمَنِيرِ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ غُلَامٌ، وَالضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ عَلَى الْمَنِيرِ، فَتَكَلَّمَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بِكَلَامٍ أَوْجَزَ فِيهِ لَمْ يُسْمَعْ مِثْلُهُ، وَسَكَنَ النَّاسُ وَنَزَلَ الضَّحَّاكُ فَصَلَّى بِالنَّاسِ الْجُمُعَةَ، ثُمَّ دَخَلَ فَجَاءَتْ كَلْبٌ فَأَخْرَجُوا سُفْيَانَ بْنَ الْأَبَرْدِ، وَجَاءَتْ غَسَّانٌ فَأَخْرَجُوا يَزِيدَ بْنَ أَبِي النَّمَسِ، فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ: لَوْ كُنْتُ مِنْ كَلْبٍ أَوْ غَسَّانٍ أُخْرِجْتُ.

قَالَ: فَجَاءَ ابْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ: خَالِدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ، مَعَهُمَا أَخَوَاهُمَا مِنْ كَلْبٍ فَأَخْرَجُوهُ مِنَ السِّجْنِ، فَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ يُسَمِّيهِ أَهْلُ الشَّامِ يَوْمَ جَيْرُونَ الْأَوَّلِ.

وَأَقَامَ النَّاسُ بِدِمَشْقَ، وَخَرَجَ الضَّحَّاكُ إِلَى مَسْجِدِ دِمَشْقَ، فَجَلَسَ فِيهِ فَذَكَرَ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ، فَوَقَعَ فِيهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ شَابٌّ مِنْ كَلْبٍ بَعْضًا مَعَهُ فَضْرَبَهُ بِهَا، وَالنَّاسُ جُلُوسٌ فِي الْحَلْقِ مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، فَقَامَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَاقْتَتَلُوا، قَيْسٌ تَدْعُو إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ وَنُصْرَةَ الضَّحَّاكِ، وَكَلْبٌ تَدْعُو إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ ثُمَّ إِلَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، وَيَتَعَصَّبُونَ لِيَزِيدَ، وَدَخَلَ الضَّحَّاكُ دَارَ الْإِمَارَةِ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَكَانَ مِنَ الْأَجْنَادِ نَاسٌ يَهُوُونَ هَوَى بَنِي أُمَيَّةَ، وَنَاسٌ يَهُوُونَ هَوَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَبَعَثَ الضَّحَّاكُ إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ مِنَ الْغَدِ، فَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِمْ، وَذَكَرَ حَسَنَ بِلَايِهِمْ عِنْدَ مَوَالِيهِ وَعِنْدَهُ، وَأَنَّهُ لَيْسَ يَرِيدُ شَيْئًا يَكْرَهُونَهُ.

قَالَ: فَتَكْتَبُونَ إِلَى حَسَنٍ وَنَكْتُبُ، فَيَسِيرُ مِنَ الْأُرْدُنِّ حَتَّى يَنْزِلَ الْجَلَابِيَّةَ، وَلَيَسِيرُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ حَتَّى نُوَافِيَهُ بِهَا، فَنَبَايِعَ لِرَجُلٍ مِنْكُمْ، فَرَضِيَتْ بِذَلِكَ بَنُو أُمَيَّةَ، وَكَتَبُوا إِلَى حَسَنٍ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ الضَّحَّاكُ، وَخَرَجَ النَّاسُ وَخَرَجَتْ بَنُو أُمَيَّةَ وَاسْتَقْبَلَتِ الرِّيَّاتُ، وَتَوَجَّهُوا بِرِيدُونَ الْجَلَابِيَّةَ، فَجَاءَ ثَوْرُ بْنُ مَعْنٍ ابْنُ يَزِيدَ ابْنِ الْأَخْنَسِ السُّلَمِيُّ إِلَى الضَّحَّاكِ، فَقَالَ: دَعَوْتَنَا إِلَى طَاعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَبَايَعْنَاكَ

عَلَى ذَلِكَ، وَأَنْتَ تَسِيرُ إِلَى هَذَا الْأَعْرَابِيِّ مِنْ كَلْبٍ تَسْتَخْلِفُ ابْنَ أَخِيهِ خَالِدَ ابْنِ يَزِيدَ! فَقَالَ لَهُ الضَّحَّاكُ: فَمَا الرَّأْيُ؟ قَالَ: الرَّأْيُ أَنَّ نَظَاهِرَ مَا كُنَّا نُسِرُّ وَنَدْعُو إِلَى طَاعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَنَقَاتِلُ عَلَيْهِ، فَمَالَ الضَّحَّاكُ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ فَعَطَفَهُمْ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَسِيرُ حَتَّى نَزَلَ بِمَرْجٍ رَاهِطٍ.

وَاخْتَلَفَ فِي الْوَقْعَةِ الَّتِي كَانَتْ بِمَرْجٍ رَاهِطٍ بَيْنَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ وَمَرْوَانَ ابْنِ الْحَكَمِ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ: بُويعَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ فِي الْمَحْرَمِ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ، وَكَانَ مَرْوَانُ بِالشَّامِ لَا يَحْدِثُ نَفْسَهُ بِهَذَا الْأَمْرِ حَتَّى أَطْمَعَهُ فِيهِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِرَاقِ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَرَأْسُهَا، بَلِيَّ عَلَيْكَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ! فَذَلِكَ حِينَ كَانَ مَا كَانَ، فَخَرَجَ إِلَى الضَّحَّاكِ فِي جَيْشٍ، فَقَتَلَهُمْ مَرْوَانُ وَالضَّحَّاكُ يَوْمَئِذٍ فِي طَاعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَقَتَلَتْ قَيْسُ بِمَرْجٍ رَاهِطٍ مَقْتَلَةً لَمْ يَقْتُلْ مِثْلَهَا فِي مَوْطِنٍ قَطُّ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، قَالَ:

قتل الضحكا يوم مرج راهط على أنه يدعو إلى عبد الله بن الزبير، وكتب به إلى عبد الله لما ذكر عنه من طاعته وحسن رأيه.

وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ: كَانَتْ الْوَقْعَةُ بِمَرْجٍ رَاهِطٍ بَيْنَ الضَّحَاكِ وَمَرْوَانَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ.
وَقَدْ حَدَّثَ عَنْ ابْنِ سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ يَعْقُوبَ، عَنْ أَبِي الْحَوِيثِ، قَالَ: قَالَ أَهْلُ الْأُرْدُنِّ وَغَيْرُهُمْ لِمَرْوَانَ: أَنْتَ شَيْخٌ كَبِيرٌ، وَابْنُ يَزِيدٍ غَلَامٌ وَابْنُ الزُّبَيْرِ كَهْلٌ، وَإِنَّمَا يَقْرَعُ الْحَدِيدَ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَلَا تَبَارِهِ بِهَذَا الْغَلَامِ، وَارْمِ بِخَرْكِ فِي نَحْرِهِ، وَنَحْنُ نَبَايِعُكَ، ابْسُطْ يَدَكَ، فَبَسَطَهَا، فَبَايَعُوهُ بِالْجَلَابِيَةِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لثَلَاثَ خُلُوفٍ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ.
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: وَحَدَّثَنِي مُصْعَبُ بْنُ ثَابِتٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ الضَّحَاكَ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ مَرْوَانَ قَدْ بَايَعَهُ مِنْ بَايَعِهِ عَلَى الْخِلَافَةِ، بَايَعَ مِنْ مَعَهُ

٥٠٢٨٠٩ ذكر الخبر عن الوقعة بمرج راهط بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم وتماخى الخبر عن الكائن من جليل الاخبار والاحداث في سنه اربع وستين

لَا بَنَ الزُّبَيْرِ، ثُمَّ سَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَقَتَلَ الضَّحَاكَ وَأَصْحَابَهُ.
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: وَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا وَلِيَ الْمَدِينَةَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الضَّحَاكَ كَانَ فَتًى شَابًا، فَقَالَ: إِنْ الضَّحَاكَ ابْنُ قَيْسٍ قَدْ كَانَ دَعَا قَيْسًا وَغَيْرَهَا إِلَى الْبَيْعَةِ لِنَفْسِهِ، فَبَايَعَهُمْ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْخِلَافَةِ، فَقَالَ لَهُ زُفَرُ بْنُ عَقِيلٍ الْفَهْرِيُّ: هَذَا الَّذِي كُنَّا نَعْرِفُ وَنَسْمَعُ، وَإِنْ بَنِي الزُّبَيْرِ يَقُولُونَ: إِنَّمَا كَانَ بَايَعَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَخَرَجَ فِي طَاعَتِهِ حَتَّى قَتَلَ، الْبَاطِلَ وَاللَّهُ يَقُولُونَ، كَانَ أَوَّلَ ذَلِكَ أَنْ قَرِيشًا دَعَتْهُ إِلَيْهَا، فَأَبَى عَلَيْهَا حَتَّى دَخَلَ فِيهَا كَارَهَا.
• ذكر الخبر عن الوقعة بمرج راهط بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم وتماخى الخبر عن الكائن من جليل الأخبار والأحداث في سنة أربع وستين

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: حَدَّثَنَا نُوحُ بْنُ حَبِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَوَانَةَ بْنِ الْحَكَمِ الْكَلْبِيِّ، قَالَ: مَالَ الضَّحَاكَ بْنُ قَيْسٍ بَيْنَ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ حِينَ سَارَ يَرِيدُ الْجَلَابِيَةِ لِلِقَاءِ حَسَانَ بْنِ مَالِكٍ، فَعَطَفَهُمْ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَسِيرُ حَتَّى نَزَلَ بِمَرْجٍ رَاهِطٍ، وَأَظْهَرَ الْبَيْعَةَ لِبَنِي الزُّبَيْرِ وَخَلَعَ بَنِي أُمَيَّةَ، وَبَايَعَهُ عَلَى ذَلِكَ جُلُ أَهْلِ دِمَشْقَ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ وَغَيْرِهِمْ.

قَالَ: وَسَارَتْ بَنُو أُمَيَّةَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ حَتَّى وَافَوْا حَسَانَ بِالْجَلَابِيَةِ، فَصَلَّى بِهِمْ حَسَانُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَالنَّاسُ يَتَشَاوَرُونَ، وَكُتِبَ الضَّحَاكَ إِلَى النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ وَهُوَ عَلَى حِمصَ، وَإِلَى زُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ وَهُوَ عَلَى قَنْسَرِينَ، وَإِلَى نَاتِلِ بْنِ قَيْسٍ وَهُوَ عَلَى فِلَسْطِينَ يَسْتَمِدُّهُمْ، وَكَانُوا عَلَى طَاعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَأَمَدَهُ النُّعْمَانُ بِشُرْحَبِيلِ بْنِ ذِي الْكَلَّاعِ، وَأَمَدَهُ زُفَرُ بِأَهْلِ قَنْسَرِينَ، وَأَمَدَهُ نَاتِلُ بِأَهْلِ فِلَسْطِينَ، فَاجْتَمَعَتِ الْأَجْنَادُ إِلَى الضَّحَاكَ بِالْمَرْجِ.

وَكَانَ النَّاسُ بِالْجَلَابِيَةِ لَهُمْ أَهْوَاءٌ مُخْتَلِفَةٌ، فَأَمَّا مَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ السَّكُونِيُّ فَكَانَ يَهُودِيٌّ هَوَى بَنِي يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَيَحِبُّ أَنْ تَكُونَ الْخِلَافَةُ فِيهِمْ، وَأَمَّا الْحَصِينُ بْنُ نَمِيرٍ السَّكُونِيُّ فَكَانَ يَهُودِيٌّ هَوَى أَنْ تَكُونَ الْخِلَافَةُ لِمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَقَالَ مَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ لِحَصِينِ بْنِ نَمِيرٍ: هَلْ فَلَنْبَايَعَ لِهَذَا الْغَلَامِ الَّذِي نَحْنُ وَلَدْنَا أَبَاهُ، وَهُوَ ابْنُ أَخْتِنَا، فَقَدْ عَرَفْتَ مَنَزَلَتَنَا كَانَتْ مِنْ أَبِيهِ، فَإِنَّهُ يَحْمِلُنَا عَلَى رِقَابِ الْعَرَبِ غَدًا- يَعْنِي خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ- فَقَالَ الْحَصِينُ: لَا، لِعَمْرِ اللَّهِ، لَا تَأْتِينَا الْعَرَبُ بِشَيْخٍ وَنَأْتِيهِمْ بِصَبِيٍّ، فَقَالَ مَالِكُ: هَذَا وَلَمْ تَرُدِّي تَهَامَهُ وَلَمَّا يَبْلُغِ الْحَزَامَ الطَّبِيبِينَ، فَقَالُوا: مَهْلًا يَا أَبَا سُلَيْمَانَ! فَقَالَ لَهُ مَالِكُ:

وَاللَّهِ لَئِنْ اسْتَخْلَفْتَ مَرْوَانَ وَآلَ مَرْوَانَ لِيَحْسَدَنَّكَ عَلَى سَوَاطِكِ وَشِرَاكِ نَعْلِكَ وَظِلِّ شَجَرَةٍ تَسْتَظِلُّ بِهَا، إِنْ مَرْوَانَ أَبُو عَشِيرَةٍ، وَأَخُو عَشِيرَةٍ، وَعَمُّ عَشِيرَةٍ، فَإِنْ بَايَعْتُمُوهُ كُنْتُمْ عِبِيدًا لَهُمْ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِابْنِ أَخْتِكُمْ خَالِدٍ، فَقَالَ حَصِينُ:

إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ قَنْدِيلًا مَعْلَقًا مِنَ السَّمَاءِ، وَإِنْ مِنْ يَمَدِ عُنُقِهِ إِلَى الْخِلَافَةِ تَتَاوَلَهُ فَلَمْ يَنْلَهُ، وَتَتَاوَلَهُ مَرْوَانَ فَنَالَهُ، وَاللَّهِ لَنَسْتَخْلِفَنَّهُ، فَقَالَ لَهُ مَالِكُ:

ويحك يا حصين! أتباع مروان وآل مروان وأنت تعلم أنهم أهل بيت من قيس! فلما اجتمع رأيهم للبيعة لمروان بن الحكم قام روح بن زنباع الجذامي، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنكم تذكرون عبد الله بن عمر ابن الخطاب وصحبته من رسول الله ص، وقدمه في الإسلام، وهو كما تذكرون، ولكن ابن عمر رجل ضعيف، وليس بصاحب أمة محمد الضعيف، وأما ما يذكر الناس من عبد الله بن الزبير ويدعون إليه من أمره فهو والله كما يذكرون بأنه لابن الزبير حوارى رسول الله ص وابن أسماء ابنة أبي بكر الصديق ذات النطاقين، وهو بعد كما تذكرون في قدمه وفضله، ولكن ابن الزبير منافق، قد خلع خليفتين: يزيد وابنه معاوية ابن يزيد، وسفك الدماء، وشق عصا المسلمين، وليس صاحب امر أمه محمد ص المنافق، وأما مروان بن الحكم، فوالله ما كان في الإسلام صدع قط إلا كان مروان ممن يشعب ذلك الصدع، وهو الذي قاتل عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان يوم الدار، والذي قاتل علي بن أبي طالب يوم الجمل، وأنا نرى للناس أن يبايعوا الكبير ويستشبهوا الصغير-

يعني بالكبير مروان بن الحكم، وبالصغير خالد بن يزيد بن معاوية قال:

فأجمع رأي الناس على البيعة لمروان، ثم لخالد بن يزيد من بعده، ثم لعمر بن سعيد بن العاص من بعد خالد، على أن اماره دمشق لعمر بن سعيد ابن العاص، وإمارة حمص لخالد بن يزيد بن معاوية قال: فدعا حسان ابن مالك بن بحدل خالد بن يزيد فقال: أبني أختي، إن الناس قد أبوك لحدائث سنك، وإني والله ما أريد هذا الأمر إلا لك ولأهل بيتك، وما أبايع مروان إلا نظرا لكم، فقال له خالد بن يزيد: بل عجزت عنا، قال: لا والله ما عجزت عنك، ولكن الرأي لك ما رأيت ثم دعا حسان بمروان فقال:

يا مروان، إن الناس والله ما كلهم يرضى بك، فقال له مروان: إن يرد الله أن يعطينيها لا يمنعي إياها أحد من خلقه، وإن يرد أن يمنعيها لا يعطينيها أحد من خلقه قال: فقال له حسان: صدقت، وصعد حسان المنبر يوم الاثنين، فقال: يا أيها الناس، إنا نستخلف يوم الخميس إن شاء الله، فلما كان يوم الخميس بايع لمروان، وبايع الناس له، وسار مروان إلى الجابية في الناس حتى نزل مرج راهط على الضحاك في أهل الأردن من كلب، وأنته السكاسك والسكون وغسان، وربع حسان بن مالك بن بحدل إلى الأردن.

قال: وعلى ميمنته- أعني مروان- عمرو بن سعيد بن العاص، وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد، وعلى ميمنة الضحاك زياد بن عمرو بن معاوية العقيلي وعلى ميسرته رجل آخر لم أحفظ اسمه، وكان يزيد بن أبي النخس الغساني لم يشهد الجابية، وكان مختبئا بدمشق، فلما نزل مروان مرج راهط ثار يزيد ابن أبي نخس بأهل دمشق في عبيدها، فغلب عليها، وأخرج عامل الضحاك منها، وغلب على الخزائن وبيت المال، وبايع لمروان وأمدته بالأموال والرجال والسلاح، فكان أول فتح فتح على بني أمية قال: وقاتل مروان الضحاك عشرين ليلة كان، ثم هزم أهل المرج، وقتلوا وقتل الضحاك، وقتل يومئذ من أشرف الناس من أهل الشام ممن كان مع الضحاك ثمانون رجلا كلهم كان يأخذ القطيفة، والذي كان يأخذ القطيفة يأخذ ألفين في العطاء، وقتل أهل الشام يومئذ مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها قط من القبائل كلها، وقتل مع الضحاك

يومئذ رجل من كلب من بني عليم يقال له مالك بن يزيد بن مالك بن كعب، وقتل يومئذ صاحب لواء قضاة حيث دخلت قضاة الشام، وهو جد مدلج ابن المقدام بن زمل بن عمرو بن ربيعة بن عمرو الجرشي، وقتل ثور بن معن بن يزيد السلمي، وهو الذي كان رد الضحاك عن رأيه قال: وجاء برأس الضحاك رجل من كلب، وذكروا أن مروان حين أتى برأسه ساءه ذلك وقال: الآن حين كبرت سني ودق عظمي وصرت في مثل ظمء الحمار، أقبلت بالكائب أضرب بعضها ببعض! قال: وذكروا أنه مر يومئذ برجل قاتل فقال:

وما ضرهم غير حين النفوس ... أي أمير قريش غلب

وقال مروان حين بوع له ودعا إلى نفسه:

لما رأيت الأمر أمرا نهبا ... سيرت غسان لهم وكلبا

والسكسكيين رجالا غلبا ... وطيطا تأباه إلا ضربا
والقن تمشي في الحديد نكبا ... ومن تنوخ مشمخرا صعبا

لا تأخذون الملك إلا غصبا ... وإن دنت قيس فقل لا قربا

قَالَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ: حَدَّثَنِي أَبُو مَخْنَفٍ لُوطُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ وَدٍّ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مِنْ شَهِدَ مَقْتَلَ الضَّحَّاكِ ابْنَ قَيْسٍ، قَالَ: مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ يُقَالُ لَهُ زُحْنَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، كَأَنَّمَا يَرْمِي بِالرِّجَالِ الْجِدَاءَ، مَا يَطْعَنُ رَجُلًا إِلَّا صَرَعَهُ، وَلَا يَضْرِبُ رَجُلًا إِلَّا قَتَلَهُ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرَ إِلَيْهِ أُعْجِبُ مِنْ فِعْلِهِ وَمِنْ قَتْلِهِ الرِّجَالَ، إِذْ حَمَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَصَرَعَهُ زُحْنَةُ وَتَرَكَهُ، فَأَتَيْتُهُ فَتَنَظَّرْتُ إِلَى الْمَقْتُولِ فَإِذَا هُوَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ، فَأَخَذْتُ رَأْسَهُ فَأَتَيْتُ بِهِ إِلَى مَرْوَانَ، فَقَالَ: أَنْتَ قَتَلْتَهُ؟ فَقُلْتُ: لَا، وَلَكِنْ قَتَلَهُ زُحْنَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَلْبِيِّ، فَاعْجَبَهُ صَدَقِي إِيَّاهُ، وَتَرَكِي ادْعَاءَهُ، فَأَمَرَنِي بِمَعْرُوفٍ، وَأَحْسَنَ إِلَى زُحْنَةَ

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ نُوْفَلٍ عَنْ مَسَاحِقٍ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ كَرَةَ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَرْوَانَ يَوْمَئِذٍ لَمَعِي، وَإِنَّهُ لَيَدْفَعُ بِنَعْلِ سَيْفِهِ فِي ظَهْرِي، وَقَالَ: ادْنِ بَرَايَتِكَ لَا أَبَا لَكَ! إِنْ هَؤُلَاءِ لَوْ قَدْ وَجَدُوا لَهْمَ حَدِّ السَّيُوفِ انْفَرَجُوا انْفِرَاجَ الرَّأْسِ، وَانْفِرَاجَ الْغَمِّ عَنْ رَاعِيهَا قَالَ: وَكَانَ مَرْوَانُ فِي سِتَّةِ آلَافٍ، وَكَانَ عَلَى خِيَلِهِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ، وَكَانَ عَلَى الرِّجَالِ مَالِكُ ابْنِ هُبَيْرَةَ، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ نُوْفَلٍ: وَذَكَرُوا أَنَّ بَشَرَ بْنَ مَرْوَانَ كَانَتْ مَعَهُ يَوْمَئِذٍ رَايَةٌ يَقَاتِلُ بِهَا وَهُوَ يَقُولُ:

إِنْ عَلَى الرَّئِيسِ حَقًّا حَقًّا ... أَنْ يَخْضِبَ الصَّعْدَةَ أَوْ تَنْدَقَا

قَالَ: وَصَرَاعُ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ، قَالَ: وَمَرَّ مَرْوَانُ يَوْمَئِذٍ بِرَجُلٍ مِنْ مُحَارِبٍ وَهُوَ فِي نَفَرٍ سِيرَ تَحْتَ رَايَةٍ يَقَاتِلُ عَنْ مَرْوَانَ، فَقَالَ مَرْوَانُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ! لَوْ أَنَّكَ انْضَمَمْتَ بِأَصْحَابِكَ، فَإِنِّي أَرَاكَ فِي قَلَةٍ! فَقَالَ: إِنْ مَعْنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَدَدَا أَعْضَافَ مِنْ تَأْمَرْنَا نَنْضَمُّ إِلَيْهِ، قَالَ: فَسَرَّ بِذَلِكَ مَرْوَانُ وَضَحَّكَ، وَضَمَّ أَنَا سَا إِلَيْهِ مِنْ كَانَ حَوْلَهُ، قَالَ: وَخَرَجَ النَّاسُ مِنْهُمْ مِنْ الْمَرْجِ إِلَى أَجْنَادِهِمْ، فَاتَتْهُ أَهْلُ حِمصَ إِلَى حِمصَ وَالنُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ عَلَيْهِمَا، فَلَمَّا بَلَغَ النُّعْمَانُ الْخَبَرَ خَرَجَ هَارِبًا لَيْلًا وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ نَائِلَةُ بِنْتُ عِمَارَةَ الْكَلْبِيَّةِ، وَمَعَهُ ثِقْلُهُ وَوَلَدُهُ، فَتَحِيرَ لَيْلَتَهُ كُلَّهَا، وَأَصْبَحَ أَهْلُ حِمصَ فَطَلَبُوهُ، وَكَانَ الَّذِي طَلَبَهُ رَجُلٌ مِنَ الْكَلَاعِيِّينَ يُقَالُ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْخَلِيِّ فَقَتَلَهُ، وَأَقْبَلَ بِرَأْسِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ وَبَنَائِلَةِ امْرَأَتِهِ وَوَلَدِهَا، فَأَلْقَى الرَّأْسَ فِي جَرٍّ أَمْ أَبَانَ ابْنَةَ النُّعْمَانِ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ الْحِجَابِ بْنِ يُوسُفَ بَعْدَ.

قَالَ: فَقَالَتْ نَائِلَةُ: أَلْقُوا الرَّأْسَ إِلَيَّ فَإِنَّا أَحَقُّ بِهِ مِنْهَا، فَأَلْقَى الرَّأْسَ فِي جَرِّهَا، ثُمَّ أَقْبَلُوا بِهِمْ وَبِالرَّأْسِ حَتَّى انْتَهَوْا بِهِمْ إِلَى حِمصَ، فَجَاءَتْ كَلْبٌ مِنْ أَهْلِ حِمصَ فَأَخَذُوا نَائِلَةَ وَوَلَدَهَا، قَالَ: وَخَرَجَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ مِنْ قَسْرِينَ هَارِبًا فَلَحِقَ بِقَرْيَسِيَا، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهَا وَعَلَيْهَا عِيَاضُ الْجَرَشِيِّ وَهُوَ ابْنُ أَسْلَمَ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ لُغْزِ بْنِ أَسُودَ بْنِ كَعْبِ بْنِ

حَدَسَ بْنِ أَسْلَمَ - وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَوَلَاهُ قَرْيَسِيَا، فَخَالَ عِيَاضُ بَيْنَ زُفَرٍ وَبَيْنَ دُخُولِ قَرْيَسِيَا، فَقَالَ لَهُ زُفَرٌ: أَوْثَقْ لَكَ بِالطَّلَاقِ وَالْعِتَاقِ إِذَا أَنَا دَخَلْتُ حَمَامَهَا أَنْ أُخْرِجَ مِنْهَا، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهَا وَدَخَلَهَا لَمْ يَدْخُلْ حَمَامَهَا وَأَقَامَ بِهَا، وَأَخْرَجَ عِيَاضًا مِنْهَا، وَتَحَصَّنَ زُفَرُ بِهَا وَثَابَتَ إِلَيْهِ قَيْسٌ.

قَالَ: وَخَرَجَ نَائِلَةُ بْنُ قَيْسِ الْجَذَامِيِّ صَاحِبِ فَلَسْطِينَ هَارِبًا، فَلَحِقَ بِابْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ، وَأَطْبَقَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى مَرْوَانَ، وَاسْتَوْثَقُوا لَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا عَمَالَهُ.

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ وَدٍّ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ - يَعْنِي الشَّرْقِي - قَالَ: وَخَرَجَ مَرْوَانُ حَتَّى أَتَى مِصْرَ بَعْدَ مَا اجْتَمَعَ لَهُ أَمْرُ الشَّامِ، فَقَدِمَ مِصْرَ وَعَلَيْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَحْدَمِ الْقُرَشِيِّ يَدْعُو إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي فَهْرٍ، وَبَعَثَ مَرْوَانَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ الْأَشْدَقِ مِنْ وَرَائِهِ حَتَّى دَخَلَ مِصْرَ، وَقَامَ عَلَى مَنْبَرِهَا يَخْطُبُ النَّاسَ، وَقِيلَ لَهُمْ: قَدْ دَخَلَ عَمْرُو مِصْرَ، فَارْجِعُوا، وَأَمَرَ النَّاسَ مَرْوَانَ وَبَايَعُوهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ رَاجِعًا نَحْوَ دِمَشْقَ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهَا بَلَغَهُ أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ قَدْ بَعَثَ أَخَاهُ مُصْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ نَحْوَ فَلَسْطِينَ، فَسَرَحَ إِلَيْهِ مَرْوَانَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فِي جَيْشٍ، وَاسْتَقْبَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ الشَّامَ، فَقَاتَلَهُ فَهَزَمَ أَصْحَابَ مُصْعَبٍ، وَكَانَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ

بني عذرة يقال له مُحَمَّد بن حريث بن سليم، وَهُوَ خال بني الأشدق، فَقَالَ:

وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ مُضْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَجُلًا قَطُّ أَشَدَّ قِتَالًا فَارِسًا وَرَاجِلًا، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي الطَّرِيقِ يَتَرَجَّلُ فَيَطْرُدُ بِأَصْحَابِهِ، وَيَشُدُّ عَلَى رَجُلَيْهِ، حَتَّى رَأَيْتُهُمَا قَدْ دَمِيئَا قَالَ: وَانصرفت مَرْوَانَ حَتَّى اسْتَقَرْتُ بِهِ دِمَشْقَ، وَرَجَعْتُ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ.

قَالَ: وَيَقَالُ: إِنَّهُ لَمَّا قَدِمَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ مِنَ الْعِرَاقِ، فَنَزَلَ الشَّامَ أَصَابَ بَنِي أُمَيَّةَ بِتَدْمُرَ، قَدْ نَفَاهُمُ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، وَمَنِ الْحِجَازِ كُلِّهِ، فَنَزَلُوا بِتَدْمُرَ، وَأَصَابُوا الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ أَمِيرًا عَلَى الشَّامِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَدِمَ ابْنُ زِيَادٍ حِينَ قَدِمَ وَمَرْوَانُ يَرِيدُ أَنْ يَرْكَبَ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ فَيُبَايِعَهُ بِالْخِلَافَةِ، فَيَأْخُذُ مِنْهُ الْأَمَانُ لِبَنِي أُمَيَّةَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ: أُنْشِدْكَ اللَّهُ

تَفْعُلَ، لَيْسَ هَذَا بِرَأْيٍ أَنْ تَنْتَلِقَ وَأَنْتَ شَيْخُ قُرَيْشٍ إِلَى أَبِي خَبِيبٍ بِالْخِلَافَةِ، وَلَكِنْ ادْعِ أَهْلَ تَدْمُرَ فَيُبَايِعُهُمْ، ثُمَّ سِرَّ بِهِمْ وَبَيْنَ مَعَكَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَى الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ حَتَّى تَخْرُجَهُ مِنَ الشَّامِ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْعَاصِ:

صَدَقَ وَاللَّهِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ، ثُمَّ أَنْتَ سَيِّدُ قُرَيْشٍ وَفِرْعَوْنُهَا، وَأَنْتَ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْقِيَامِ بِهَذَا الْأَمْرِ، إِنَّمَا يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَى هَذَا الْغَلَامِ- يَعْنِي خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ- فَتَزُوجُ أُمَّهُ فَيَكُونُ فِي حِجْرِكَ، قَالَ: فَفَعَلَ مَرْوَانُ ذَلِكَ، فَتَزُوجُ أُمَّ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ، وَهِيَ فَاخْتَتَمَتْ ابْنَةَ أَبِي هَاشِمٍ بِنْتُ عَتَبَةَ بِنْتُ رَبِيعَةَ بِنْتُ عَبْدِ شَمْسٍ ثُمَّ جَمَعَ بَنِي أُمَيَّةَ فَبَايَعُوهُ بِالْإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ، وَبَايَعَهُ أَهْلُ تَدْمُرَ ثُمَّ سَارَ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ إِلَى الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بِدِمَشْقَ، فَلَمَّا بَلَغَ الضَّحَّاكَ مَا صَنَعَ بَنُو أُمَيَّةَ وَمَسِيرَتَهُمْ إِلَيْهِ، خَرَجَ بِمَنْ تَبِعَهُ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ وَغَيْرِهِمْ، فَيَهْمُ زَفَرُ بْنُ الْحَارِثِ، فَالْتَقَوْا بِمَرْجٍ رَاهِطٍ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا فَقَتَلَ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ الْفَهْرِيَّ وَعَامَةَ أَصْحَابَهُ، وَانْهَزَمَ بِقِيَتِهِمْ، فَتَفَرَّقُوا، وَأَخَذَ زَفَرُ بْنُ الْحَارِثِ وَجْهًا مِنْ تِلْكَ الْوُجُوهِ، هُوَ وَشَابَانُ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ لَفَجَاءَتْ خَيْلُ مَرْوَانَ تَطْلُبُهُمْ، فَلَمَّا خَافَ السُّلَيْمَانُ أَنْ تَلْحَقَهُمْ خَيْلُ مَرْوَانَ قَالَا لَزَفَرٍ: يَا هَذَا، انْجِ بِنَفْسِكَ، فَأَمَّا نَحْنُ فَمَقْتُولَانِ، فَضَى زَفَرٌ وَتَرَكَهُمَا حَتَّى أَتَى قَرْقِيسِيَا، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قَيْسُ، فَرَأَسُوهُ عَلَيْهِمْ، فَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ زَفَرُ بْنُ الْحَارِثِ:

أَرَيْنِي سِلَاحِي لَا أَبَا لَكَ إِنِّي ... أَرَى الْحَرْبَ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا

أَتَانِي عَنْ مَرْوَانَ بِالْغَيْبِ أَنَّهُ ... مَقِيدٌ دَمِي أَوْ قَاطِعٌ مِنْ لِسَانِيَا

فَفِي الْعَيْسِ مَنَاجَاةٌ وَفِي الْأَرْضِ مَهْرَبٌ ... إِذَا نَحْنُ رَفَعْنَا لَهْنَ الْمَثَانِيَا

فَلَا تَحْسَبُونِي إِنْ تَغَيَّبْتَ غَافِلًا ... وَلَا تَفْرَحُوا إِنْ جِئْتُمْ بِلِقَائِيَا

فَقَدْ يَنْبَغُ الْمَرْعَى عَلَى دَمَنِ الثَّرَى ... وَتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَا

أَتَذْهَبُ كَلْبٌ لَمْ تَنْلُهَا رَمَاحَنَا ... وَتَتْرَكَ قَتْلِي رَاهِطٌ هِيَ مَا هِيَا!

لَعَمْرِي لَقَدْ أَبَقْتُ وَقِيعَةُ رَاهِطٍ ... لِحَسَانِ صَدْعَا بَيْنَا مَتْنَانِيَا

أَبْعَدُ ابْنِ عَمْرُو وَابْنِ مَعْنٍ تَتَابَعَا ... وَمَقْتَلُ هَمَامٍ أَمْنِي الْأَمَانِيَا!

فَلَمْ تَرْنِي نَبُوءَةً قَبْلَ هَذِهِ ... فَرَارِي وَتَرْكِي صَاحِبِي وَرَائِيَا

عَشِيَّةٌ أَعْدُو بِالْقِرَانِ فَلَا أَرَى ... مِنَ النَّاسِ إِلَّا مِنْ عَلِيٍّ وَلَا لِيَا

أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِنْ أَسَأتَهُ ... بِصَالِحِ أَيَّامِي وَحَسَنِ بَلَائِيَا!

فَلَا صَلَاحَ حَتَّى تَنْحَطَ الْخَلِيلُ بِالْقَنَا ... وَتُثَارَ مِنْ نِسْوَانِ كَلْبِ نَسَائِيَا

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَصَيِّبُ غَارَتِي ... تَنْوُخَا وَحِيَّ طِيئٍ مِنْ شَفَائِيَا

فَأَجَابَهُ جَوَاسُ بْنُ قَعَطَلٍ:

لَعَمْرِي لَقَدْ أَبَقْتُ وَقِيعَةُ رَاهِطٍ ... عَلَى زَفَرٍ دَاءٍ مِنَ الدَّاءِ بَاقِيَا

مَقِيمًا ثَوِيَّ بَيْنَ الضُّلُوعِ مَحَلِّهِ ... وَبَيْنَ الْحَشَا أَعْيَا الطَّيِّبِ الْمَدَاوِيَا

تبكي عَلَى قَتْلِي سليم وعامر ... وذيان معذورا وتبكي البواكيا
دعا بسلاح ثُمَّ أَجْمَ إِذْ رَأَى ... سيوف جناب والطوال المذاكيا
عَلَيْهَا كَأَسَدِ الْغَابِ فِتْيَانُ نَجْدَةٍ ... إِذَا شَرَعُوا نَحْوَ الطَّعَانِ الْعَوَالِيَا
فَأَجَابَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَلَّالَةِ الْكَلْبِيِّ مِنْ تَيْمِ اللَّاتِ بْنِ رَفِيدَةَ، فَقَالَ:
بَكَى زُفَرُ الْقَيْسِيِّ مِنْ هَلَكِ قَوْمِهِ ... بِعَبْرَةِ عَيْنٍ مَا يَجِفُّ سَجُومُهَا
يَبْكِي عَلَى قَتْلِي أَصِيبَتْ بِرَاهِطٍ ... تَجَاوَبَهُ هَامُ الْقَفَارِ وَبَوْمُهَا
أُبْحِنَا حَمَى لِحْيِي قَيْسٍ بِرَاهِطٍ ... وَوَلَتْ شَلَالًا وَاسْتَبِيحَ حَرِيمُهَا
يَبْكِيهِمْ حِرَانُ تَجْرِي دُمُوعُهُ ... يَرْجِي نَزَارًا أَنْ تُثَوِّبَ حُلُومُهَا
فَمَتَّ كَمَا أَوْ عَشٍ ذَلِيلًا مَهْضُمًا ... بِحَسْرَةِ نَفْسٍ لَا تَنَامُ هُمُومُهَا
إِذَا خَطَرَتْ حَوْلِي قَضَاعَةٌ بِالْقَنَا ... تَخْطُ فَعَلَ الْمَصْعَبَاتِ قُرُومُهَا
خَبَطَتْ بِهِمْ مِنْ كَادِنِي مِنْ قَبِيلَةٍ ... فَمَنْ ذَا إِذَا عَزَّ الْخَطُوبُ يَرُومُهَا
وَقَالَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ أَيْضًا:

إِنِّي اللَّهُ أَمَا بِجَدَلٍ وَابْنُ بِجَدَلٍ ... فِيحْيَا وَأَمَّا ابْنُ الزُّبَيْرِ فَيَقْتُلُ!
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ لَا تَقْتُلُونَهُ ... وَلَمَّا يَكُنْ يَوْمُ أَغْرِ مُحْجَلٍ
وَلَمَّا يَكُنْ لِلْمَشْرِفَةِ فَوْقَكُمْ ... شِعَاعُ كَقَرْنِ الشَّمْسِ حِينَ تَرَجُلُ
فَأَجَابَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكَمِ، أَخُو مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَقَالَ:
أَتَذْهَبُ كَلْبٌ قَدْ حَمَتَهَا رِمَاحُهَا ... وَتَتْرَكَ قَتْلِي رَاهِطٌ مَا أَجْنَتْ!
لِخَالِ اللَّهِ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ إِنِّهَا ... أَضَاعَتْ ثَغُورَ الْمُسْلِمِينَ وَوَلَتْ
فِيهِ بَقَيْسٌ فِي الرِّخَاءِ وَلَا تَكُنْ ... أَخَاهَا إِذَا مَا الْمَشْرِفَةُ سَلَتْ

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَلَمَّا بَايَعَ حَصِينَ بْنُ نَمِيرٍ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَعَصَا مَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ فِيمَا أَشَارَ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ بَيْعَةِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَاسْتَقَرَّ لِمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ الْمُلْكُ، وَقَدْ كَانَ الْحَصِينَ بْنُ نَمِيرٍ اشْتَرَطَ عَلَى مَرْوَانَ أَنْ يَنْزِلَ الْبَلْقَاءُ مِنْ كَانَ بِالشَّامِ مِنْ كَنْدَةَ، وَأَنْ يَجْعَلَهَا لَهُمْ مَأْكَلَةً، فَأَعْطَاهُ ذَلِكَ، وَإِنْ بَنِي الْحَكَمِ لَمَّا اسْتَوْثَقَ الْأَمْرَ لِمَرْوَانَ، وَقَدْ كَانُوا اشْتَرَطُوا لَخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ شُرُوطًا، قَالَ مَرْوَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسِهِ وَمَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ جَالِسٌ عِنْدَهُ: إِنْ قَوْمًا يَدْعُونَ شُرُوطًا مِنْهُمْ عَطَارَةً مَكْحَلَةً- يَعْنِي مَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ وَكَانَ رَجُلًا يَتَطَيَّبُ وَيَكْتَحِلُ- فَقَالَ مَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ: هَذَا وَلَمَّا تَرَدَّى تَهَامَةً، وَلَمَّا يَبْلُغُ الْحَزَامَ الطَّبِيبِينَ، فَقَالَ مَرْوَانَ: مَهْلًا يَا أَبَا سُلَيْمَانَ، إِنَّمَا دَاعِبْنَاكَ، فَقَالَ مَالِكُ: هُوَ ذَاكَ وَقَالَ عُوَيْجُ الطَّائِيٍّ يَمْتَدِحُ كَلْبًا وَحَمِيدَ بْنَ بِجَدَلٍ:

لَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ وَقَعَ ابْنُ بِجَدَلٍ ... وَأُخْرَى عَلَيْهِمْ إِنْ بَقِيَ سَعِيدُهَا
يَقُودُونَ أَوْلَادَ الْوَجِيهِ وَلَا حَقَّ ... مِنَ الرِّيفِ شَهْرًا مَا يَنْبِي مِنْ يَقُودِهَا
فَهَذَا لِهَذَا ثُمَّ إِنِّي لِنَافِضٍ ... عَلَى النَّاسِ أَقْوَامًا كَثِيرًا حُدُودِهَا
فَلَوْلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِأَصْبَحَتْ ... قَضَاعَةُ أَرْبَابَا وَقَيْسَ عَيْدِهَا

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بَايَعَ جَنْدُ خُرَّاسَانَ لِسَلْمِ بْنِ زِيَادٍ بَعْدَ مَوْتِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَلَى أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِهِمْ حَتَّى يَجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى خَلِيفِهِ

٥٠٢٨٠١٠ ذكر الخبر عن فتنه عبد الله بن خازم وبيعه سلم بن زياد

ذكر الخبر عن فتنه عبد الله بن خازم وبيعه سلم بن زياد

وفيهَا كَانَتْ فِتْنَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ بِخُرَاسَانَ.

ذَكَرَ الْخَبَرُ عَنْ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُسْلِمُهُ ابْنُ مُحَارِبٍ، قَالَ: بَعَثَ سَلْمُ بْنُ زِيَادٍ بِمَا أَصَابَ مِنْ هَدَايَا سَمِرْقَنْدٍ وَخَوَارِزْمٍ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ، وَأَقَامَ سَلْمٌ وَالْيَا عَلَى خُرَاسَانَ حَتَّى مَاتَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدٍ، فَلَبِغَ سَلْمًا مَوْتَهُ، وَأَتَاهُ مُقْتَلُ يَزِيدَ بْنِ زِيَادٍ فِي بَجِسْتَانَ وَأَسْرَأَيْ عُبَيْدَةَ بْنُ زِيَادٍ، وَكَتَمَ الْخَبَرَ سَلْمٌ، فَقَالَ ابْنُ عِرَادَةَ:

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَغْلُوقُ بَابِهِ ... حَدِثْتُ أُمُورَ شَأْنِهِنَّ عَظِيمَ

قَتْلِي بِجَنْزَةِ وَالَّذِينَ بِكَابِلٍ ... وَيَزِيدُ أَعْلَنَ شَأْنَهُ الْمَكْتُومَ

أَبْنَى أُمِّيَّةً إِنْ آخَرَ مَلِكُكُمْ ... جَسَدَ بِحَوَارِينَ ثُمَّ مَقِيمَ

طَرَقَتْ مَنِيَّتُهُ وَعِنْدَ وَسَادِهِ ... كُوبَ وَزَقَ رَاعِفَ مَرْتُومَ

وَمَرْنَةَ تَبْكِي عَلَى نَشْوَانِهِ ... بِالصَّنَجِ تَقْعُدُ تَارَةً وَتَقُومُ

قَالَ مُسْلِمَةٌ: فَلَمَّا ظَهَرَ شَعْرُ ابْنِ عِرَادَةَ أَظْهَرَ سَلْمٌ مَوْتَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَمُعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدٍ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ عَلَى الرِّضَا حَتَّى يَسْتَقِيمَ أَمْرُ النَّاسِ عَلَى خَلِيفَةٍ، فَبَايَعُوهُ، ثُمَّ مَكَثُوا بِذَلِكَ شَهْرَيْنِ، ثُمَّ نَكثُوا بِهِ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ: وَحَدَّثَنَا شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ، قَالَ: لَمْ يَحِبْ أَهْلُ خُرَاسَانَ أَمِيرًا قَطُّ حَبَهُمْ سَلْمُ بْنُ زِيَادٍ، فَسَمِيَ فِي تِلْكَ السَّنِينَ الَّتِي كَانَ بِهَا سَلْمٌ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ أَلْفَ مُوَلُودٍ بِسَلْمٍ، مِنْ حَبِهِمْ سَلْمًا

قَالَ: وَأَخْبَرَنَا أَبُو حَفْصٍ الْأَزْدِيُّ، عَنْ عَمِّهِ قَالَ: لَمَّا اخْتَلَفَ النَّاسُ بِخُرَاسَانَ وَنَكثُوا بَيْعَةَ سَلْمٍ، خَرَجَ سَلْمٌ عَنْ خُرَاسَانَ وَخَلَفَ عَلَيْهِ الْمَهْلَبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ، فَلَمَّا كَانَ بِسَرْخُسَ لَقِيَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ مَرْثَدٍ أَحَدُ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ خَلَفْتَ عَلَى خُرَاسَانَ؟ قَالَ: الْمَهْلَبُ، فَقَالَ: ضَاقَتْ عَلَيْكَ نَزَارُ حَتَّى وَلَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ! فَوَلَاهُ مَرُورُودَ وَالْقَارِيَابَ وَالطَّالِقَانَ وَالْجُوزْجَانَ، وَوَلَّى أَوْسَ بْنَ ثَعْلَبَةَ بْنُ زَفَرَ - وَهُوَ صَاحِبُ قَصْرِ أَوْسَ بِالْبَصْرَةِ - هَرَاةَ، وَمَضَى فَلَمَّا صَارَ بَنِيْسَابُورَ لَقِيَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ فَقَالَ: مَنْ وَلَيْتَ خُرَاسَانَ؟ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: أَمَا وَجَدْتَ فِي مَضَرِّ رَجُلًا تَسْتَعْمَلُهُ حَتَّى فَرَقْتَ خُرَاسَانَ بَيْنَ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ وَمَرْزُونِ عَمَانَ! وَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ لِي عَهْدًا عَلَى خُرَاسَانَ، قَالَ: أَوْلَايَ خُرَاسَانَ أَنَا! قَالَ: اكْتُبْ لِي عَهْدًا وَخَلَائِكَ ذِمَّ.

قَالَ: فَكُتِبَ لَهُ عَهْدًا عَلَى خُرَاسَانَ، قَالَ: فَأَعْنِي الْآنَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَأَمْرُ لَهُ بِهَا، وَأَقْبَلَ إِلَى مَرُورٍ، وَبَلَغَ الْخَبَرَ الْمَهْلَبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ، فَأَقْبَلَ وَاسْتَخْلَفَ رَجُلًا مِنْ بَنِي جِشْمَ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاةَ بْنَ تَمِيمٍ.

قَالَ: وَأَخْبَرَنَا الْمُفَضَّلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الضَّبِّيُّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا صَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ إِلَى مَرُورٍ بَعْدَ سَلْمِ بْنِ زِيَادٍ، مَنَعَهُ الْجَشْمِيُّ، فَكَانَتْ بَيْنَهُمَا مَنَاوِشَةٌ، فَأَصَابَتْ الْجَشْمِيَّ رَمِيَّةٌ بِحَجَرٍ فِي جَبْهَتِهِ، وَتَحَاجَزُوا وَخَلَى الْجَشْمِيُّ بَيْنَ مَرُورٍ وَبَيْنِهِ، فَدَخَلَ ابْنُ خَازِمٍ، وَمَاتَ الْجَشْمِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ بِيَوْمَيْنِ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيُّ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ رَشِيدِ الْجُوزْجَانِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا مَاتَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدٍ وَثَبَ أَهْلُ خُرَاسَانَ بِعَمَالِهِمْ فَأَخْرَجُوهُمْ، وَغَلَبَ كُلُّ قَوْمٍ عَلَى نَاحِيَةٍ، وَوَقَعَتِ الْفِتْنَةُ، وَغَلَبَ ابْنُ خَازِمٍ عَلَى خُرَاسَانَ، وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَخْبَرَنَا أَبُو الذِّيَالِ زَهِيرُ بْنُ هَنِيدٍ، عَنْ أَبِي نَعَامَةَ، قَالَ:

أَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ فَغَلَبَ عَلَى مَرُورٍ، ثُمَّ سَارَ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ مَرْثَدٍ فَلَقِيَهُ

بِمَرُورٍ، فَقَاتَلَهُ أَيَّامًا، فَقَتَلَ سُلَيْمَانُ بْنُ مَرْثَدٍ، ثُمَّ سَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ إِلَى عَمْرٍو بْنِ مَرْثَدٍ وَهُوَ بِالطَّالِقَانَ فِي سَبْعِمِائَةٍ، وَبَلَغَ عَمْرُو إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ إِلَيْهِ وَقَتْلَهُ أَخَاهُ سُلَيْمَانَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَالْتَقُوا عَلَى نَهْرِ قَبْلَ أَنْ يَتَوَافَى إِلَى ابْنِ خَازِمٍ أَصْحَابَهُ، فَأَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ مَنْ كَانَ مَعَهُ فَنَزَلُوا، فَتَزَلَّ وَسَالَ عَنْ زَهِيرِ بْنِ ذُوَيْبِ الْعَدَوِيِّ، فَقَالُوا: لَمْ يَجِيءْ حَتَّى أَقْبَلَ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ، فَلَمَّا أَقْبَلَ قِيلَ لَهُ: هَذَا زَهِيرٌ قَدْ جَاءَ، فَقَالَ

لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: تَقْدِم، فَالْتَقُوا فَاقْتُلُوا طَوِيلًا، فَقَتَلَ عَمْرُو بْنُ مَرْتَدٍ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ، فَلَحَقُوا بِهَرَاةَ بِأَوْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، وَرَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ خَازِمٍ إِلَى مَرُو قَالَ: وَكَانَ الَّذِي وَلِيَ قَتَلَ عَمْرُو بْنُ مَرْتَدٍ زَهِيرُ بْنُ حِيَانَ الْعَدَوَى فِيمَا يَرَوْنَ فَقَالَ الشَّاعِرُ:

أَتَذْهَبُ أَيَّامَ الْحُرُوبِ وَلَمْ تَجِ ... زَهِيرُ بْنُ حِيَانَ بِعَمْرُو بْنِ مَرْتَدٍ!

قَالَ: وَحَدَّثَنَا أَبُو السَّرِيِّ الْخُرَاسَانِيُّ - وَكَانَ مِنْ أَهْلِ هَرَاةَ - قَالَ: قَتَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ سُلَيْمَانَ وَعَمْرًا ابْنِي مَرْتَدٍ الْمُرْتَدِيَيْنِ مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَرُو، وَهَرَبَ مِنْ كَانَ بِمَرُو الرُّوذَ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ إِلَى هَرَاةَ، وَانْضَمَّ إِلَيْهَا مِنْ كَانَ بِكُورِ خُرَاسَانَ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، فَكَانَ لَهُمْ بِهَا جَمْعٌ كَثِيرٌ عَلَيْهِمْ أَوْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ، قَالَ: فَقَالُوا لَهُ نَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ تَسِيرَ إِلَى ابْنِ خَازِمٍ، وَتَخْرُجَ مَضْرُ مِنْ خُرَاسَانَ كُلِّهَا، فَقَالَ لَهُمْ: هَذَا بَغْيٌ، وَأَهْلُ الْبَغْيِ مَخْذُولُونَ، أَقِيمُوا مَكَانَكُمْ هَذَا، فَإِنْ تَرَكَمُ ابْنُ خَازِمٍ - وَمَا أَرَاهُ يَفْعَلُ - فَارْضُوا بِهَذِهِ النَّاحِيَةِ، وَخَلَوْهُ وَمَا هُوَ فِيهِ، فَقَالَ بَنُو صَهْبٍ - وَهُمْ مَوَالِيُ بَنِي جَحْدَرٍ: لَا وَاللَّهِ لَا نَرْضَى أَنْ نَكُونَ نَحْنُ وَمَضْرُ فِي بَلَدٍ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنِي مَرْتَدٍ، فَإِنْ أَجَبْتَنَا إِلَى هَذَا إِلَّا أَمَرْنَا عَلَيْنَا غَيْرَكَ، قَالَ: إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ، فَبَايَعُوهُ، وَسَارَ إِلَيْهِمْ ابْنُ خَازِمٍ، وَاسْتَخْلَفَ ابْنَهُ مُوسَى، وَأَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى وَادٍ بَيْنَ عَسْكَرِهِ وَبَيْنَ هَرَاةَ، قَالَ: فَقَالَ الْبَكْرِيُّونَ لِأَوْسٍ: أَخْرِجْ نَفْخُذُكَ خَنْدَقًا دُونَ الْمَدِينَةِ فَقَاتِلْهُمْ فِيهِ، وَتَكُونَ الْمَدِينَةَ مِنْ وَرَائِنَا، فَقَالَ لَهُمْ أَوْسٌ: الزَّمُوا الْمَدِينَةَ فَإِنَّهَا حَصِينَةٌ، وَخَلَا ابْنُ خَازِمٍ وَمَنْزِلُهُ الَّذِي هُوَ فِيهِ، فَإِنَّهُ إِنْ طَالَ مَقَامُهُ ضَجَرَ فَأَعْطَاكُمْ مَا تَرْضَوْنَ

بِهِ، فَإِنْ اضْطَرَرْتُمْ إِلَى الْقِتَالِ قَاتِلْتُمْ، فَأَبُوا وَخَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ نَفْخُذُكَ خَنْدَقًا دُونَهَا، فَقَاتَلَهُمْ ابْنُ خَازِمٍ نَحْوًا مِنْ سَنَةٍ.

قَالَ وَزَعَمَ الْأَحْنَفُ بْنُ الْأَشْهَبِ الضَّبِّيُّ، وَأَخْبَرَنَا أَبُو الدِّيَالِ زَهِيرُ بْنُ الْهَنْدِ، سَارَ ابْنُ خَازِمٍ إِلَى هَرَاةَ وَفِيهَا جَمْعٌ كَثِيرٌ لِبَكْرِ بْنِ وَائِلٍ قَدْ خَنْدَقُوا عَلَيْهِمْ، وَتَعَاقدُوا عَلَى إِخْرَاجِ مَضْرٍ إِنْ ظَفَرُوا بِخُرَاسَانَ، فَنَزَلَ بِهِمْ ابْنُ خَازِمٍ، فَقَالَ لَهُ هَلَالَ الضَّبِّيُّ أَحَدُ بَنِي ذَهْلٍ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي أَوْسٍ: إِنَّمَا تَقَاتِلُ إِخْوَتَكَ مِنْ بَنِي أَبِيكَ، وَاللَّهِ إِنْ نَلْتُ مِنْهُمْ فَمَا تَرِيدُ مَا فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ مِنْ خَيْرٍ، وَقَدْ قَتَلْتَ بِمَرُو الرُّوذَ مِنْهُمْ مَنْ قَتَلْتَ، فَلَوْ أُعْطِيتُمْ شَيْئًا يَرْضَوْنَ بِهِ، أَوْ أَصْلَحْتَ هَذَا الْأَمْرَ! قَالَ: وَاللَّهِ لَوْ خَرَجْتَ لَهُمْ عَنْ خُرَاسَانَ مَا رَضُوا بِهِ، وَلَوْ اسْتَطَاعُوا أَنْ يَخْرِجُوكُمْ مِنَ الدُّنْيَا لَأَخْرَجُوكُمْ، قَالَ لَا، وَاللَّهِ لَا أُرْمِي مَعَكَ بِهِمْ، وَلَا رَجُلٌ يَطِيعُنِي مِنْ خَنْدَفٍ حَتَّى تَعْذُرَ إِلَيْهِمْ، قَالَ: فَأَنْتَ رَسُولِي إِلَيْهِمْ فَأَرْضَهُمْ، فَأَتَى هَلَالَ إِلَى أَوْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ فَنَاشَدَهُ اللَّهُ وَالْقَرَابَةَ، وَقَالَ: أَذْكَرُكَ اللَّهُ فِي نَزَارٍ أَنْ تَسْفِكَ دِمَاءَهَا، وَتَضْرِبَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ! قَالَ: لَقِيتُ بَنِي صَهْبٍ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، قَالَ: فَالْقَهْمُ، نَفْرَجَ فَلَقِيَ أَرْقَمَ بْنَ مَطْرَفِ الْحَنْفِيِّ، وَضَمَّضَ بَنِي يَزِيدَ - أَوْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ضَمْضَمَ بَنِي يَزِيدَ - وَعَاصِمَ بْنَ الصَّلْتِ بْنَ الْحَرِثِ الْحَنْفِيِّ، وَجَمَاعَةً مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَكُلِّهِمْ بِمَثَلٍ مَا كَلَّمَ بِهِ أَوْسًا، فَقَالُوا: هَلْ لَقِيتُ بَنِي صَهْبٍ؟ فَقَالَ: لَقَدْ عَظَّمَ اللَّهُ أَمْرَ بَنِي صَهْبٍ عِنْدَكُمْ، لَا لَمْ أَلْقَهُمْ، قَالُوا: الْقَهْمُ، فَأَتَى بَنِي صَهْبٍ فَكُلِّهِمْ، فَقَالُوا: لَوْلَا أَنْكَ رَسُولُ لَقَتْنَاكَ، قَالَ: أَفَمَا يَرْضِيكُمْ شَيْءٌ؟

قَالُوا: وَاحِدَةً مِنْ اثْنَتَيْنِ، إِمَّا أَنْ تَخْرُجُوا عَنْ خُرَاسَانَ وَلَا يَدْعُو فِيهَا لِمَضْرٍ دَاعٍ، وَإِمَّا أَنْ تَقِيمُوا وَتَنْزِلُوا لَنَا عَنْ كُلِّ كِرَاعٍ وَسِلَاحٍ وَذَهَبٍ وَفُضَّةٍ، قَالَ:

أَفَمَا شَيْءٌ غَيْرَ هَاتَيْنِ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ! فَجَعَلَ إِلَى ابْنِ خَازِمٍ، فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ؟ قَالَ: وَجَدْتُ إِخْوَتَنَا قَطْعًا لِلرَّحِمِ، قَالَ:

قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّ رَبِيعَةَ لَمْ تَزَلْ غَضَابًا عَلَى رَبِّهَا مِنْذُ بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ ص مِنْ مَضْرٍ

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ مُجَالِدٍ الضَّبِّيُّ، قَالَ: أَغَارَتِ التُّرُكُ عَلَى قَصْرِ إِسْفَادَ وَابْنِ خَازِمٍ بِهَرَاةَ، فَخَصَرُوا أَهْلَهُ، وَفِيهِ نَاسٌ مِنَ الْأَزْدِ هُمْ أَكْثَرُ مِنْ فِيهِ، فَهَزَمْتَهُمْ، فَبِعَثُوا إِلَى مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَزْدِ بِجَاءُوا لِيَنْصُرُوهُمْ فَهَزَمْتَهُمُ التُّرُكُ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ خَازِمٍ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ زَهِيرُ بْنُ حِيَانَ فِي بَنِي تَمِيمٍ وَقَالَ لَهُ: إِيَّاكَ وَمِشَاوَلَةَ التُّرُكِ، إِذَا رَأَيْتَهُمْ فَاحْمِلُوا عَلَيْهِمْ، فَأَقْبَلَ فَوَافَهُمْ فِي يَوْمٍ بَارِدٍ، قَالَ: فَلَمَّا التَّقُوا شَدُّوا عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَثْبُتُوا لَهُمْ، وَانْهَزَمَتِ التُّرُكُ وَاتَّبَعُوهُمْ حَتَّى مَضَى عَامَةُ اللَّيْلِ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى قَصْرِ فِي الْمَفَازَةِ، فَأَقَامَتِ الْجَمَاعَةُ وَمَضَى زَهِيرُ

فِي فِوَارِسٍ يَتَّبِعُهُمْ، وَكَانَ عَالِمًا بِالطَّرِيقِ، ثُمَّ رَجَعَ فِي نِصْفِ اللَّيْلِ، وَقَدْ يَبَسَتْ يَدُهُ عَلَى رِمْحِهِ مِنَ الْبَرْدِ، فَدَعَا غُلَامَهُ كَعْبًا، فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَأَدْخَلَهُ، وَجَعَلَ يَسْخِنُ لَهُ الشَّحْمَ فَيَضَعُهُ عَلَى يَدِهِ، وَدَهْنُوهُ وَأَوْقَدُوا لَهُ نَارًا حَتَّى لَانَ وَدَفَى، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى هَرَاةَ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ كَعْبُ بْنُ مَعْدَانَ الْأَشْقَرِي:

أَتَاكَ أَتَاكَ الْغَوْثُ فِي بَرْقٍ عَارِضٍ ... دُرُوعٌ وَبَيْضُ حَشْوَيْهِ تَمِيمٌ
أَبَا أَنْ يَضْمُوا حَشْوُ مَا تَجْمَعُ الْقَرْىَ ... فَضْمَهُمْ يَوْمَ الْلِقَاءِ صَمِيمٌ
وَرَزَقَهُمْ مِنْ رَائِحَاتٍ تَزِينُهَا ... ضُرُوعٌ عَرِيضَاتُ الْخَوَاصِرِ كُومٌ
وَقَالَ ثَابِتٌ قَطَنَةً:

فَدَتِ نَفْسِي فِوَارِسَ مِنْ تَمِيمٍ ... عَلَى مَا كَانَ مِنْ ضَنْكِ الْمَقَامِ
بِقَصْرِ الْبَاهِلِيِّ وَقَدْ أَرَانِي ... أَحَامِي حِينَ قُلْتُ بِهِ الْحَامِي
بِسَيْفِي بَعْدَ كَسْرِ الرِّمْحِ فِيهِمْ ... أَذُودُهُمْ بِذِي شَطْبِ حَسَامِ
أَكْرَ عَلَيْهِمُ الْيَحْمُومَ كَرَا ... كَكَرَ الشَّرْبُ آتِيَةَ الْمَدَامِ
فَلَوْلَا اللَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ ... وَضُرْبِي قَوْسُ الْمَلِكِ الْهَمَامِ
إِذَا فَاطَتْ نِسَاءَ بَنِي دُثَارٍ ... أَمَامَ التَّرْكِ بَادِيَةَ الْخُدَامِ

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَحَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْخُرَاسَانِيُّ، عَنْ أَبِي حَمَادٍ السَّلَاسِيِّ قَالَ: أَقَامَ ابْنُ خَازِمٍ بِهَرَاةَ يُقَاتِلُ أَوْسَ بْنَ ثَعْلَبَةَ أَكْثَرَ مِنْ سَنَةٍ، فَقَالَ يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ: قَدْ طَالَ مَقَامُنَا عَلَى هَؤُلَاءِ، فَنَادَوْهُمْ: يَا مَعْشَرَ رِبِيعَةَ، إِنَّكُمْ قَدْ اعْتَصَمْتُمْ بِخَنْدَقِكُمْ، أَفَرَضَيْتُمْ مِنْ خُرَاسَانَ بِهَذَا الْخَنْدَقِ! فَأَحْفَظْهُمْ ذَلِكَ، فَتَنَادَى النَّاسُ لِلْقِتَالِ، فَقَالَ لَهُمْ أَوْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ: الزَّمُوا خَنْدَقَكُمْ وَقَاتِلُوهُمْ كَمَا كُنْتُمْ تَقَاتِلُونَهُمْ، وَلَا تَخْرُجُوا إِلَيْهِمْ بِجَمَاعَتِكُمْ، قَالَ: فَعَصَوْهُ وَخَرَجُوا إِلَيْهِمْ، فَالْتَقَى النَّاسُ، فَقَالَ ابْنُ خَازِمٍ لِأَصْحَابِهِ: اجْعَلُوهُ يَوْمَكُمْ فَيَكُونَ الْمَلِكُ لِمَنْ غَلَبَ، فَإِنْ قَتَلْتُ فَأَمِيرَكُمْ شِمَاسُ بْنُ دُثَارٍ الْعَطَارْدِيُّ، فَإِنْ قَتَلَ فَأَمِيرَكُمْ بَكِيرُ بْنُ وَشَاحِ الثَّقَفِيِّ.

قَالَ عَلِيٌّ: وَحَدَّثَنَا أَبُو الدِّيَالِ زَهِيرُ بْنُ هَنِيْدٍ، عَنْ أَبِي نَعَامَةَ الْعَدَوِيِّ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ نَقِيدٍ، عَنْ إِيَّاسِ بْنِ زَهِيرِ بْنِ حِيَّانٍ: لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي هَرَبَ فِيهِ أَوْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ وَظَفَرُ ابْنِ خَازِمٍ بِبَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، قَالَ ابْنُ خَازِمٍ لِأَصْحَابِهِ حِينَ التَّقْوَا: إِنِّي قَلْعٌ، فَشَدُّوْنِي عَلَى السَّرْجِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ عَلِيَّ مِنَ السَّلَاحِ مَا لَا أَقْتُلُ قَدْرَ جَزْرٍ جَزُورِينَ، فَإِنْ قَتَلْتُ فَلَا تَصْدُقُوا.

قَالَ: وَكَانَتْ رَايَةُ بَنِي عَدِيٍّ مَعَ أَبِي وَأَنَا عَلَى فَرَسٍ مُحْرَمٍ، وَقَدْ قَالَ لَنَا ابْنُ خَازِمٍ: إِذَا لَقِيتُمُ الْخَلِيلَ فَاطْعُونَهَا فِي مَنَاخِرِهَا، فَإِنَّهُ لَنْ يَطْعَنَ فَرَسٌ فِي نَخْرَتِهِ إِلَّا أَدْبَرَ أَوْ رَمَى بِصَاحِبِهِ، فَلَمَّا سَمِعَ فَرَسِي قَعْقَعَةَ السَّلَاحِ وَثَبَ بِي وَادِيَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، قَالَ: فَتَلَقَانِي رَجُلٌ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ فَطَعَنَتْ فَرَسَهُ فِي نَخْرَتِهِ، فَصْرَعَهُ، وَحَمَلَ أَبِي بَيْنِي عَدِيٍّ، وَأَتْبَعْتُهُ بَنُو تَمِيمٍ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، فَاقْتَتَلُوا سَاعَةً، فَانْهَزَمَتْ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى خَنْدَقِهِمْ

٥٠٢٨٠١١ ذكر الخبر عن تحرك الشيعة للطلب بدم الحسين

وَأَخَذُوا يَمِينَنَا وَشِمَالَنَا، وَسَقَطَ نَاسٌ فِي الْخَنْدَقِ فَقَتَلُوا قَتْلًا ذَرِيعًا، وَهَرَبَ أَوْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ وَبِهِ جَرَاحَاتٌ، وَحَلَفَ ابْنُ خَازِمٍ لَا يُؤْتِي بِأَسِيرٍ إِلَّا قَتَلَهُ حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ، فَكَانَ آخِرُ مَنْ أَتَى بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ مُحْمِيَةٌ فَقَالُوا لِابْنِ خَازِمٍ: قَدْ غَابَتِ الشَّمْسُ، قَالَ: وَفُوا بِهِ الْقَتْلَى، فَقَتَلَ.

قَالَ: فَأَخْبَرَنِي شَيْخٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاةَ أَنَّ أَوْسَ بْنَ ثَعْلَبَةَ هَرَبَ وَبِهِ جَرَاحَاتٌ إِلَى سَجِسْتَانَ، فَلَمَّا صَارَ بِهَا أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا مَاتَ. وَفِي مَقْتَلِ ابْنِ مَرْتَدٍ وَأَمْرٍ أَوْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ يَقُولُ الْمُغِيرَةُ بْنُ حَبْنَاءَ، أَحَدُ بَنِي رِبِيعَةَ بْنِ حَنْظَلَةَ:

وفي الحرب كنتم في خراسان كلها ... قتيلا ومسجوناً بها ومسيرا
ويوم احتواكم في الحفير ابن خازم ... فلم تجدوا إلا الخنادق مقبرا
ويوم تركتم في الغبار ابن مرثد ... وأوسا تركتم حيث سار وعسكرا
قال: وأخبرني أبو الذبيل زهير بن هنيد، عن جده أبي أمه، قال:
قتل من بكر بن وائل يومئذ ثمانية آلاف.

قال: وحديثنا التيمي، رجل من أهل خراسان، عن مولى لابن خازم، قال: قاتل ابن خازم أوس بن ثعلبة وبكر بن وائل، فظفر بهراة،
وهرب أوس وغلبه ابن خازم على هراة، واستعمل عليها ابنه محمدًا، وضم إليه شماس بن دثار العطاردي، وجعل بكير بن وشاح على
شرطته، وقال لهما:

رياه فإنه ابن أختكما، فكانت أمه من بني سعد يقال لها صفية، وقال له:

لا تخالفهما، ورجع ابن خازم إلى مرو

. ذكر الخبر عن تحرك الشيعة للطلب بدم الحسين

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة تحرك الشيعة بالكوفة، واتعدوا الاجتماع بالنخيلة في سنة خمس وستين للمسير إلى أهل الشام للطلب
بدم الحسين بن علي، وتكاتبوا في ذلك
ذكر الخبر عن مبدأ أمرهم في ذلك:

قال هشام بن محمد: حدثنا أبو مخنف، قال: حدثني يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي، قال: لما قتل الحسين
بن علي ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة، فدخل الكوفة، تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم، ورأت أنها قد أخطأت خطأ كبيرا
بدعائهم الحسين إلى النصره وتركهم إجابته، ومقتله إلى جانبهم لم ينصروه، ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عنهم في مقتله إلا بقتل
من قتله، أو القتل فيه، ففزعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رءوس الشيعة إلى سليمان بن صرد الخزاعي، وكانت له صحبة مع النبي
ص، وإلى المسيب بن نجيبة الفزاري، وكان من أصحاب علي وخيارهم، وإلى عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وإلى عبد الله بن وال
التيمي، وإلى رفاعه بن شداد البجلي.

ثم إن هؤلاء النفر الخمسة اجتمعوا في منزل سليمان بن صرد، وكانوا من خيار أصحاب علي، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم
ووجوهم.

قال: فلما اجتمعوا إلى منزل سليمان بن صرد بدأ المسيب بن نجيبة القوم بالكلام، فتكلم حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ص ثم قال:
أما بعد، فإننا قد ابتلينا بطول العمر، والتعرض لأنواع الفتن فزغب إلى ربنا ألا يجعلنا ممن يقول له غدا: «أولم نعوذكم ما يتذكر فيه
من تذكر وجاءكم النذير»، فإن أمير المؤمنين قال: [العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة، وليس] فينا رجل إلا وقد بلغه،
وقد كنا مغرمين بتزكية أنفسنا، وتقريظ شيعتنا، حتى بلا الله أخيارنا فوجدنا كاذبين في موطنين من مواطن ابن ابنه نبينا ص، وقد
بلغتنا قبل ذلك كتبه، وقدمت علينا رسله، وأعذر إلينا يسألنا نصره عودا

وبدءا، وعلانية وسرا، فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قتل إلى جانبنا، لا نحن نصرناه بأيدينا، ولا جادلنا عنه بألسنتنا، ولا قويناه بأموالنا، ولا
طلبنا له النصره إلى عشائرننا، فما عذرنا إلى ربنا وعند لقاء نبينا ص وقد قتل فينا ولده وحيبيه، وذريته ونسله! لا والله، لا عذر دون
أن تقتلوا قاتله والموالين عليه، أو تقتلوا في طلب ذلك، فعسى ربنا أن يرضى عنا عند ذلك، وما أنا بعد لقائه لعقوبته بآمن أيها القوم،
ولوا عليكم رجلا منكم فإنه لا بد لكم من أمير تفزعون إليه، وراية تحفون بها، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

قال: فبدر القوم رفاعه بن شداد بعد المسيب الكلام، حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ص ثم قال: أما بعد، فإن الله قد هداك

لأصوب القول، ودعوت إلى أرشد الأمور، بدأت بحمد الله والثناء عليه، والصلاة على نبيه ص، ودعوت إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم، فسموع منك، مستجاب لك، مقبول قولك، قلت: ولوا أمركم رجالاً منكم تفرعون إليه، وتحفون برايته، وذلك رأي قد رأينا مثل الذي رأيت، فإن تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضياً، وفينا متنصحا، وفي جماعتنا محباً، وإن رأيت رأي أصحابنا ذلك ولينا هذا الأمر شيخ الشيعة صاحب رسول الله ص، وذا السابقة والقدم سليمان ابن صرد الحمود في بأسه ودينه، والموثوق بحزمه أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

قال: ثم تكلم عبد الله بن وال وعبد الله بن سعد، فحمدا ربهما وأثنيا عليه، وتكلما بنحو من كلام رفاعه بن شداد، فذكر المسيب بن نجبة بفضله، وذكر سليمان بن صرد بسابقتها، ورضاهما بتوليته، فقال المسيب بن نجبة: أصبتم ووقفتم، وأنا أرى مثل الذي رأيتم، فولوا أمرهم سليمان بن صرد

قال أبو مخنف: فحدثت سليمان بن أبي راشد بهذا الحديث، فقال:

حدثني حميد بن مسلم، قال: والله إني لشاهد بهذا اليوم، يوم ولوا سليمان بن صرد، وأنا يومئذ لأكثر من مائة رجل من فرسان الشيعة ووجههم في داره.

قال: فتكلم سليمان بن صرد فشد، وما زال يردد ذلك القول في كل جمعة حتى حفظته، بدأ فقال: أثني على الله خيراً، وأحمد آلاءه وبلاءه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسوله، أما بعد، فإني والله لخائف ألا يكون آخرنا إلى هذا الدهر الذي نكدت فيه المعيشة، وعظمت فيه الرزية وشمل فيه الجور أولي الفضل من هذه الشيعة لما هو خير، أنا كما نمد أعناقنا إلى قدوم آل نبينا، وغميم النصر، ونحشم على القدوم، فلها قدموا ونبينا وعجزنا، وأدهنا، وتربصنا، وانتظرنا ما يكون حتى قتل فينا ولد نبينا وسلالته وعصارتة وبضعة من لحمه ودمه، إذ جعل يستصرخ فلا يصرخ، ويسأل النصف فلا يعطاه، اتخذ الفاسقون غرضاً للنبل، ودرية للرماح حتى أقصدوه، وعدوا عليه فسلبوه ألا انهضوا فقد سخط ربكم، ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله، والله ما أظنه راضياً دون أن تنجزوا من قتله، أو تهربوا ألا لا تهابوا الموت فوالله ما هابه امرؤ قط إلا ذل، كونوا كالأولى من بني إسرائيل إذ قال لهم نبيهم: «إنكم ظلمتم أنفسكم بإتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم»، فما فعل القوم؟ جثوا على الركب والله، ومدوا الأعناق ورضوا بالقضاء حتى حين علموا أنه لا ينجيهم من عظيم الذنب إلا الصبر على القتل، فكيف بكم لو قد دعيت إلى مثل ما دعي القوم إليه! اشخذوا السيوف، وركبوا الأسنة، «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل»، حتى تدعوا حين تدعون وتستنفرون

قال: فقام خالد بن سعد بن نفيل، فقال: أما أنا فوالله لو أعلم أن قتلي نفسي يخرجني من ذنبي ويرضي ربي لقتلتها، ولكن هذا أمر به قوم كانوا قبلنا ونهينا عنه، فأشهد الله ومن حضر من المسلمين أن كل ما أصبحت أملكه سوى سلاحي الذي أقاتل به عدوي صدقة على المسلمين، أقويهم به على قتال القاسطين وقام أبو المعتمر حنش بن ربيعة الكاظمي فقال: وأنا أشهدكم على مثل ذلك.

فقال سليمان بن صرد: حسبكم، من أراد من هذا شيئاً فليأت بماله عبد الله بن وال التيمي تيم بكر بن وائل، فإذا اجتمع عنده كل ما تريدون إخراجه من أموالكم جهزنا به ذوي الخلة والمسكنة من أشياكم.

قال أبو مخنف لوط بن يحيى، عن سليمان بن أبي راشد، قال: فحدثنا حميد بن مسلم الأزدي أن سليمان بن صرد قال لخالد بن سعد بن نفيل حين قال له: والله لو علمت أن قتلي نفسي يخرجني من ذنبي ويرضي عني ربي لقتلتها، ولكن هذا أمر به قوم غيرنا كانوا من قبلنا ونهينا عنه، قال: أحوكم هذا غدا فريس أول الأسنة، قال: فلها تصدق بماله على المسلمين قال له: أبشر بجزيل ثواب الله للذين لأنفسهم يمهدون.

قال أبو مخنف: حدثني الحصين بن يزيد بن عبد الله بن سعد بن نفيل قال: أخذت كتاباً كان سليمان بن صرد كتب به إلى سعد بن

حُذِيفَةُ بْنُ الْيَمَانِ بِالْمَدَائِنِ، فَقَرَأَتْهُ زَمَانٌ وَلِي سُلَيْمَانَ، قَالَ: فَلَمَّا قَرَأَتْهُ أُعْجِبَنِي، فَتَعَلَّمْتُهُ فَمَا نَسِيتُهُ، كَتَبَ إِلَيْهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صَرْدٍ إِلَى سَعْدِ بْنِ حُذِيفَةَ وَمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ قَدْ أَدْبَرَ مِنْهَا مَا كَانَ مَعْرُوفًا، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مَنكَرًا، وَأَصْبَحَتْ قَدْ تَشَنَّتْ إِلَى ذَوِي الْأَلْبَابِ، وَأَزْمَعَ بِالْتَّرْحَالِ مِنْهَا عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارَ، وَبَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا

لَا يَبْقَى بِجَزِيلٍ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ لَا تَفْنَى إِنْ أَوْلِيَاءُ مِنْ إِخْوَانِكُمْ، وَشِيعَةُ آلِ نَبِيِّكُمْ نَظَرُوا لَأَنْفُسِهِمْ فِيمَا ابْتَلَوْا بِهِ مِنْ أَمْرِ ابْنِ بَنْتِ نَبِيِّهِمُ الَّذِي دَعَى فَأَجَابَ، وَدَعَا فَلَمْ يَجِبْ، وَأَرَادَ الرُّجْعَةَ فَخَبَسَ، وَسَأَلَ الْأَمَانَ فَنَعِيَ، وَتَرَكَ النَّاسَ فَلَمْ يَتْرَكُوهُ، وَعَدُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ سَلَبُوهُ وَجَرَدُوهُ ظُلْمًا وَعَدُونَا وَغَرَّةً بِاللَّهِ وَجَهْلًا، وَبَعَيْنَ اللَّهِ مَا يَعْمَلُونَ، وَإِلَى اللَّهِ مَا يَرْجِعُونَ، «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ»، فَلَمَّا نَظَرُوا إِخْوَانَكُمْ وَتَدَبَّرُوا عَوَاقِبَ مَا اسْتَقْبَلُوا رَأَوْا أَنَّ قَدْ خَطِئُوا بِخِذْلَانِ الزُّكِيِّ الطَّيِّبِ وَإِسْلَامِهِ وَتَرَكَ مَوَاسَاتِهِ، وَالنَّصْرَ لَهُ خَطَأً كَبِيرًا لَيْسَ لَهُمْ مِنْهُ مَخْرَجٌ وَلَا تَوْبَةٌ، دُونَ قَتْلِ قَاتِلِيهِ أَوْ قَتْلِهِمْ حَتَّى تَفْنَى عَلَى ذَلِكَ أَرْوَاحُهُمْ، فَقَدْ جَدَّ إِخْوَانَكُمْ بِجَدْوَاءٍ، وَأَعْدُوا وَاسْتَعْدُوا، وَقَدْ ضَرَبْنَا لِإِخْوَانِنَا أَجْلًا يَوَافُونَنَا إِلَيْهِ، وَمَوْطِنًا يَلْقُونَنَا فِيهِ، فَأَمَّا الْأَجَلُ فَغَرَّةٌ شَهْرُ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ، وَأَمَّا الْمَوْطِنُ الَّذِي يَلْقُونَا فِيهِ فَالْخَيْلَةُ.

أَنْتُمْ الَّذِينَ لَمْ تَزَالُوا لَنَا شِيعَةً وَإِخْوَانًا، وَإِلَّا وَقَدْ رَأَيْنَا أَنَّ نَدْعُوكُمْ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ بِهِ إِخْوَانَكُمْ فِيمَا يَزْعُمُونَ، وَيُظْهِرُونَ لَنَا أَنَّهُمْ يَتَوَبُّونَ، وَإِنَّكُمْ جَدَرَاءُ بِتَطْلَابِ الْفَضْلِ، وَالتَّمَاسِ الْأَجْرَ، وَالتَّوْبَةَ إِلَى رَبِّكُمْ مِنَ الذَّنْبِ، وَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ حِزُّ الرِّقَابِ، وَقَتْلُ الْأَوْلَادِ، وَاسْتِيفَاءُ الْأَمْوَالِ، وَهَلَاكُ الْعَشَائِرِ، مَا ضَرَّ أَهْلَ عَذَرَاءِ الَّذِينَ قَتَلُوا أَلَّا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ، شُهَدَاءُ قَدْ لَقُوا اللَّهَ صَابِرِينَ مُحْتَسِبِينَ، فَأَثَابَهُمْ ثَوَابَ الصَّابِرِينَ - يَعْنِي حِجْرًا وَاصْحَابَهُ - وَمَا ضَرَّ إِخْوَانَكُمْ الْمَقْتُلِينَ صَبْرًا، الْمَصْلُبِينَ ظُلْمًا، وَالْمِثْلَ بِهِمْ، الْمُعْتَدِي عَلَيْهِمْ، أَلَّا يَكُونُوا أَحْيَاءَ مُبْتَلِينَ بِخَطَايَاكُمْ، قَدْ خَيْرَ لَهُمْ فَلَقُوا رَبَّهُمْ، وَوَفَّاهُمُ اللَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَجْرَهُمْ، فَاصْبِرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ عَلَى الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ، وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ عَنْ قَرِيبٍ، فَوَ اللَّهُ أَنْتُمْ لِأَحْرِيَاءَ إِنْ يَكُونُ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِكُمْ صَبَرَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْبَلَاءِ إِرَادَةً ثَوَابِهِ إِلَّا صَبَرْتُمْ التَّمَاسِ الْأَجْرَ فِيهِ عَلَى مِثْلِهِ، وَلَا يَطْلُبُ رِضَاءَ اللَّهِ طَالِبُ بَشْيءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَلَوْ أَنَّهُ الْقَتْلُ إِلَّا طَلَبْتُمْ رِضَاءَ اللَّهِ بِهِ إِنْ التَّقْوَى أَفْضَلُ الزَّادِ فِي الدُّنْيَا، وَمَا سِوَى ذَلِكَ يَبُورُ وَيَفْنَى، فَلْتَعَزَّزْ عَنْهَا أَنْفُسَكُمْ، وَلْتَكُنْ رَغْبَتُكُمْ فِي دَارِ عَافِيَتِكُمْ، وَجِهَادُ عَدُوِّ اللَّهِ وَعَدُوكُمْ، وَعَدُوُّ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ

حَتَّى تَقْدُمُوا عَلَى اللَّهِ تَائِبِينَ رَاغِبِينَ، أَحْيَانًا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ حَيَاةً طَيِّبَةً، وَأَجَارِنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ النَّارِ، وَجَعَلْ مَنَابِنَا قِتْلًا فِي سَبِيلِهِ عَلَى يَدِي أَبْغَضِ خَلْقِهِ إِلَيْهِ وَأَشَدِّهِمْ عَدَاوَةً لَهُ، إِنَّهُ الْقَدِيرُ عَلَى مَا يَشَاءُ، وَالصَّانِعُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي الْأَشْيَاءِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ.

قَالَ: وَكَتَبَ ابْنُ صَرْدٍ الْكِتَابَ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى سَعْدِ بْنِ حُذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ الطَّائِيِّ، فَبَعَثَ بِهِ سَعْدٌ حِينَ قَرَأَ كِتَابَهُ إِلَى مَنْ كَانَ بِالْمَدَائِنِ مِنَ الشَّيْعَةِ، وَكَانَ بِهَا أَقْوَامٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَدْ أُعْجِبَتْهُمْ فَأَوْطَنُوهَا وَهُمْ يَقْدُمُونَ الْكُوفَةَ فِي كُلِّ حِينٍ عَطَاءَ وَرِزْقٍ، فَيَأْخُذُونَ حَقُوقَهُمْ، وَيَنْصَرِفُونَ إِلَى أَوْطَانِهِمْ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سَعْدٌ كِتَابَ سُلَيْمَانَ بْنِ صَرْدٍ ثُمَّ إِنَّهُ حَمْدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكُمْ قَدْ كُنْتُمْ مَجْتَمِعِينَ مَزْمَعِينَ عَلَى نَصْرِ الْحُسَيْنِ وَقِتَالِ عَدُوِّهِ، فَلَمْ يَفْجَأْكُمْ أَوَّلُ مَنْ قَتَلَهُ، وَاللَّهُ مُثِيبُكُمْ عَلَى حَسَنِ النِّيَّةِ وَمَا أَجْمَعْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ النَّصْرِ أَحْسَنَ الْمَثُوبَةِ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكُمْ إِخْوَانَكُمْ يَسْتَجِدُّونَكُمْ وَيَسْتَمْدُونَكُمْ، وَيَدْعُونَكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى مَا تَرْجُونَ لَكُمْ بِهِ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلَ الْأَجْرِ وَالْحِظِّ، فَمَاذَا تَرَوْنَ؟ وَمَاذَا تَقُولُونَ؟ فَقَالَ الْقَوْمُ بِأَجْمَعِهِمْ: نَجِيبُهُمْ وَنَقَاتِلُ مَعَهُمْ، وَرَأَيْنَا فِي ذَلِكَ مِثْلَ رَأْيِهِمْ.

فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَنْظَلِ الطَّائِيُّ ثُمَّ الْحَزْمَرِيُّ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا قَدْ أَجَبْنَا إِخْوَانَنَا إِلَى مَا دَعُونَا إِلَيْهِ، وَقَدْ رَأَيْنَا مِثْلَ الَّذِي قَدْ رَأَوْا، فَسَرَحْنِي إِلَيْهِمْ فِي الْخَلِيلِ، فَقَالَ لَهُ: رَوِيدًا، لَا تَعْجَلْ، اسْتَعْدُوا لِلْعَدُوِّ، وَأَعْدُوا لَهُ الْحَرْبَ، ثُمَّ نَسِيرُ وَتَسِيرُونَ. وَكَتَبَ سَعْدُ بْنُ حُذِيفَةَ بْنُ الْيَمَانِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ صَرْدٍ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ الطَّائِيِّ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ صَرْدٍ، مِنْ سَعْدِ بْنِ حُذَيْفَةَ وَمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ قَرَأْنَا كِتَابَكُمْ، وَفَهَمْنَا الَّذِي دَعَوْتَنَا إِلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي عَلَيْهِ رَأَى الْمَلَأُ مِنْ إِخْوَانِكَ، فَقَدْ هَدَيْتَ لِحُظِّكَ، وَبَسَرْتَ لِرُشْدِكَ، وَنَحْنُ جَادُونَ مُجَدُونَ، مُعَدُونَ مُسَرَجُونَ مُلْجَمُونَ نَنْتَظِرُ الْأَمْرَ، وَنَسْتَمِعُ الدَّاعِيَ، فَإِذَا جَاءَ الصَّرِيحُ أَقْبَلْنَا وَلَمْ نَعْرِجْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالسَّلَامُ فَلَهَا قَرَأَ كِتَابَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ صَرْدٍ قَرَأَهُ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَسَرُوا بِذَلِكَ.

قَالُوا: وَكُتِبَ إِلَى الْمُثَنَّى بْنِ مَخْرَبَةَ الْعَبْدِيِّ نَسْخَةُ الْكِتَابِ الَّذِي كَانَ كُتِبَ بِهِ إِلَى سَعْدِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَبُعِثَ بِهِ مَعَ ظَبْيَانَ بْنِ عِمَارَةَ التَّمِيمِيِّ مِنْ بَنِي سَعْدٍ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْمُثَنَّى: أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ قَرَأْتَ كِتَابَكُمْ، وَأَقْرَأْتَهُ إِخْوَانَكُمْ، فَحَمَدُوا رَأْيَكُمْ، وَاسْتَجَابُوا لَكُمْ، فَحَنَنْ مُوَافُوكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِلْأَجْلِ الَّذِي ضَرَبْتَ فِي الْمَوْطِنِ الَّذِي ذَكَرْتَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَكُتِبَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ:

تَبَصَّرَ كَأَنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ مَعْلَمَا ... عَلَى أَتْلُعُ الْهَادِي أَجْشَ هَزِيمٍ
طَوِيلُ الْقِرَاءَةِ نَهْدُ الشَّوَاهِ مُقْلَصٌ ... مَلَحَ عَلَى فَأْسِ الْجَلَامِ أَزُومُ
بِكُلِّ فَتَى لَا يَمْلَأُ الرُّوْعَ نَحْرُهُ ... مُحَسَّسُ لَعُضِّ الْحَرْبِ غَيْرُ سَوْمِ
أَخِي ثِقَّةُ يَنْوِي الْإِلَهَ بِسَعِيهِ ... ضُرُوبُ بِنَصْلِ السَّيْفِ غَيْرُ أَثِمِ

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ لُوطُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ حَصِيرَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ نَفِيلٍ، قَالَ: كَانَ أَوَّلُ مَا ابْتَدَعُوا بِهِ مِنْ أَمْرِهِمْ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِينَ، وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا الْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمْ يَزَلِ الْقَوْمُ فِي جَمْعِ آلَةِ الْحَرْبِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِلْقِتَالِ، وَدَعَاءِ النَّاسِ فِي السَّرِّ مِنَ الشَّيْعَةِ وَغَيْرِهَا إِلَى الطَّلَبِ بِدَمِ الْحُسَيْنِ، فَكَانَ يُجِيبُهُمُ الْقَوْمُ بَعْدَ الْقَوْمِ، وَالنَّفَرُ بَعْدَ النَّفَرِ.

فَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ فِي ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ أَرْبَعِ وَسِتِينَ، وَكَانَ بَيْنَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ وَهَلَاكِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ثَلَاثَ سِنِينَ وَشَهْرَانِ وَأَرْبَعَةَ أَيَّامٍ، وَهَلَكَ يَزِيدُ وَأَمِيرُ الْعِرَاقِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ، وَهُوَ بِالْبَصْرَةِ، وَخَلِيفَتُهُ بِالْكُوفَةِ عَمْرُو بْنُ حَرِثٍ الْمَخْزُومِيُّ، فَجَاءَ إِلَى سُلَيْمَانَ أَصْحَابُهُ مِنَ الشَّيْعَةِ، فَقَالُوا: قَدْ مَاتَ هَذَا الطَّاغِيَةُ، وَالْأَمْرُ الْآنَ ضَعِيفٌ، فَإِنْ شِئْتَ وَثَبْنَا عَلَى عَمْرُو بْنِ حَرِثٍ فَأَخْرَجْنَاهُ مِنَ الْقَصْرِ، ثُمَّ أَظْهَرْنَا الطَّلَبَ بِدَمِ الْحُسَيْنِ، وَتَبَعْنَا قَتْلَتَهُ، وَدَعَوْنَا النَّاسَ إِلَى أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ الْمُسْتَأْثَرِ عَلَيْهِمُ، الْمُدْفُوعِينَ عَنْ حَقِّهِمْ، فَقَالُوا فِي ذَلِكَ فَأَكْثَرُوا، فَقَالَ لَهُمْ سُلَيْمَانُ بْنُ صَرْدٍ: رَوِيدَا، لَا تَعْجَلُوا، إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِيمَا تَذْكُرُونَ، فَرَأَيْتُ أَنَّ قَتْلَةَ الْحُسَيْنِ هُمْ أَشْرَافُ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَفَرَسَانُ الْعَرَبِ وَهُمْ الْمُطَالِبُونَ بِدَمِهِ، وَمَتَى عَلِمُوا مَا تَرِيدُونَ، وَعَلِمُوا أَنَّهُمُ الْمُطَالِبُونَ، كَانُوا

أَشَدَّ عَلَيْكُمْ وَنَظَرْتُ فِيمَنْ تَبَعْنِي مِنْكُمْ فَعَلِمْتُ أَنَّهُمْ لَوْ خَرَجُوا لَمْ يَدْرِكُوا ثَارَهُمْ، وَلَمْ يَشْفُوا أَنْفُسَهُمْ، وَلَمْ يَنْكُوا فِي عَدُوهِمْ، وَكَانُوا لَهُمْ جُزْأً، وَلَكِنْ بَثُوا دَعَايَكُمْ فِي الْمَصْرِ، فَادْعُوا إِلَى أَمْرِكُمْ هَذَا، شِيعَتَكُمْ وَغَيْرَ شِيعَتِكُمْ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ النَّاسُ الْيَوْمَ حَيْثُ هَلَكَ هَذَا الطَّاغِيَةُ أَسْرَعَ إِلَى أَمْرِكُمْ اسْتِجَابَةً مِنْهُمْ قَبْلَ هَلَاكِهِمْ فَفَعَلُوا، وَخَرَجَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ دَعَاةٌ يَدْعُونَ النَّاسَ، فَاسْتَجَابَ لَهُمْ نَاسٌ كَثِيرٌ بَعْدَ هَلَاكِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ أَضْعَافَ مَنْ كَانَ اسْتِجَابَ لَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ.

قَالَ هِشَامُ: قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: وَحَدَّثَنَا الْحَصِينُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ مَزِينَةَ قَالَ: مَا رَأَيْتُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدًا كَانَ أَبْلَغَ مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرِّي فِي مَنْطِقٍ وَلَا عِظَةٍ، وَكَانَ مِنْ دَعَاةِ أَهْلِ الْمَصْرِ زَمَانَ سُلَيْمَانَ بْنِ صَرْدٍ، وَكَانَ إِذَا اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ فَوَعِظَهُمْ بِدَمِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، ثُمَّ يَقُولُ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مُحَمَّدًا ص عَلَى خَلْقِهِ بِنَبِيِّتِهِ، وَخَصَّهِ بِالْفَضْلِ كُلِّهِ، وَأَعَزَّكُمْ بِاتِّبَاعِهِ وَأَكْرَمَكُمْ بِالْإِيمَانِ بِهِ، فَخَفَّنَ بِهِ دِمَاءَ كَمِ الْمُسْفُوكَةِ، وَأَمَّنَ بِهِ سَبْلَكُمْ مِنَ الْخَوْفَةِ، «وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» فَهَلْ خَلَقَ رَبُّكُمْ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ أَعْظَمَ حَقًّا عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ نَبِيِّهَا؟ وَهَلْ ذَرِيَّةُ أَحَدٍ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ أَوْ غَيْرِهِمْ أَعْظَمَ حَقًّا عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ ذَرِيَّةِ رَسُولِهَا؟ لَا وَاللَّهِ، مَا كَانَ وَلَا يَكُونُ لِلَّهِ أَنْتُمْ! أَلَمْ

تروا ويبلغكم ما اجترم إلى ابن بنت نبيكم! أما رأيتم إلى انتهاك القوم حرمة، واستضعافهم وحدته، وترميلهم إياه بالدم، وتجراهموه على الأرض! لم يرقبوا فيه ربهم ولا قرابته من الرسول ص، اتخذوه للنبل غرضاً، وغادروه للضباع جزراً، فله عينا من رأى مثله! والله حسين بن علي، ماذا غادروا به ذا صدق وصبر، وذا أمانة ونجدة وحزم! ابن أول المسلمين إسلاماً، وابن بنت رسول رب العالمين، قلت حماته، وكثرت عداته حوله، فقتله عدوه، وخذله وليه فويل للقاتل، وملامة للخاذل! إن الله لم يجعل لقاتله حجة، ولا لخاذله معذرة، إلا أن ينصح لله في التوبة، فيجاهد القاتلين، وينابذ القاسطين، فعسى الله عند ذلك أن يقبل التوبة، ويقل العثرة، إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، والطلب بدماء أهل بيته، وإلى جهاد الحلين والمارقين، فإن قتلنا فما عند الله خير للأبرار، وإن ظهرنا رددنا هذا الأمر إلى أهل بيت نبينا.

قَالَ: وَكَانَ يَعِيدُ هَذَا الْكَلَامَ عَلَيْنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ حَتَّى حَفَظَهُ عَامَتَنَا.

قَالَ: وَوُثِبَ النَّاسُ عَلَى عَمْرٍو بْنِ حَرْيْثٍ عِنْدَ هَلَاكِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَأُخْرِجُوهُ مِنَ الْقَصْرِ، وَاصْطَلَحُوا عَلَى عَامِرِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفِ الْجُمُحِيِّ.

وَهُوَ دَحْرُوجَةُ الْجَعْلِ الَّذِي قَالَ لَهُ ابْنُ هَمَامٍ السُّلُولِي:

اشدد يدك يزيد إن ظفرت به... واشف الأرامل من دحروجة الجعل
وَكَانَ كَأَنَّهُ إِهَامُ قَصْرًا، وَزَيْدٌ مَوْلَاهُ وَخَازِنُهُ، فَكَانَ يَصْلِي بِالنَّاسِ.

وباع لابن الزبير، ولم يزل أصحاب سليمان بن صرد يدعون شيعتهم وغيرهم من أهل مصرهم حتى كثر تبعهم، وكان الناس إلى اتباعهم بعد هلاك يزيد ابن معاوية أسرع منهم قبل ذلك، فلما مضت سته اشهر من هلاك يزيد ابن معاوية، قدم المختار بن أبي عبيد الكوفة، فقدم في النصف من شهر رمضان يوم الجمعة قال: وقدم عبد الله بن يزيد الأنصاري ثم الخطمي من قبل عبد الله بن الزبير أميراً على الكوفة على حربها وثغرها، وقدم معه من قبل ابن الزبير إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله الأعرج أميراً على خراج الكوفة، وكان قدوم عبد الله بن يزيد الأنصاري ثم الخطمي يوم الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان سنة أربع وستين.

قَالَ: وقدم المختار قبل عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بثمانية أيام، ودخل المختار الكوفة، وقد اجتمعت رؤوس الشيعة ووجوهها مع سليمان بن صرد فليس يعدلونه به، فكان المختار إذا دعاهم إلى نفسه وإلى الطلب بدم الحسين قالت له الشيعة: هذا سليمان بن صرد شيخ الشيعة، قد انقادوا له واجتمعوا

عليه، فأخذ يقول للشيعة: إني قد جئكم من قبل المهدي محمد بن علي ابن الحنفية مؤتمناً مأموناً، منتجباً ووزيراً، فوالله ما زال بالشيعة حتى انشعبت إليه طائفة تعظمه وتجييه، وتنتظر أمره، وعظم الشيعة مع سليمان ابن صرد، فسليمان أثقل خلق الله على المختار. وكان المختار يقول لأصحابه: أتدرون ما يريد هذا؟ يعني سليمان بن صرد- إنما يريد أن يخرج فيقتل نفسه ويقتلكم، ليس له بصر بالحروب، ولا له علم بها.

قَالَ: وأتى يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم الشيباني عبد الله بن يزيد الأنصاري فقال: إن الناس يتحدثون أن هذه الشيعة خارجة عليك مع ابن صرد، ومنهم طائفة أخرى مع المختار، وهي أقل الطائفتين عدداً، والمختار فيما يذكر الناس لا يريد أن يخرج حتى ينظر إلى ما يصير إليه أمر سليمان بن صرد، وقد اجتمع له أمره، وهو خارج من أيامه هذه، فإن رأيت أن تجمع الشرط والمقاتلة ووجوه الناس، ثم تنهض إليهم، وتنهض معك، فإذا دفعت إلى منزله دعوته، فإن أجابك فحسبه، وإن قاتلك قاتلته، وقد جمعت له وعبأت وهو معتز، فإني أخاف عليك إن هو بدأك وأقرته حتى يخرج عليك أن تشد شوكته، وأن يتفاقم أمره.

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ: اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، إِنْ هُمْ قَاتَلُونَا قَتَلْنَاهُمْ، وَإِنْ تَرَكُونَا لَمْ نَطْلُبْهُمْ، حَدِّثْنِي مَا يَرِيدُ النَّاسُ؟ قَالَ: يَذْكُرُ النَّاسُ أَنَّهُمْ

يطلبون بدم الحسين بن علي، قال: فأنا قتلت الحسين! لعن الله قاتل الحسين! قال: وكان سليمان بن صرد وأصحابه يريدون أن يثبوا بالكوفة، فخرج عبد الله بن يزيد حتى صعد المنبر، ثم قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فقد بلغني أن طائفة من أهل هذا المصر أرادوا أن يخرجوا علينا، فسألت عن الذي دعاهم إلى ذلك ما هو؟ فقل لي: زعموا أنهم يطلبون بدم الحسين بن علي، فرحم الله هؤلاء القوم، قد والله دلت على أماكهم، وامرت بأخذهم، وقيل: ابداهم قبل أن يبدؤوك، فأبيت ذلك، فقلت: إن قاتلوني قاتلتهم، وإن تركوني لم أطلبهم، وعلام يقاتلونني! فو الله ما أنا قتلت حسينا، ولا أنا ممن قاتله، ولقد أصبت بمقتله رحمة الله عليه! فإن هؤلاء القوم آمنون، فليخرجوا ولينتشروا ظاهرين ليسيروا إلى من قاتل الحسين، فقد أقبل إليهم، وأنا لهم على قاتله ظهير، هذا ابن زياد قاتل الحسين، وقاتل خياركم وأماثلكم، قد توجه إليكم، عهد العاهد به على مسيرة ليلة من جسر منبج، فقاتله والاستعداد له أولى وأرشد من أن تجعلوا بأسكم بينكم، فيقتل بعضكم بعضا، ويسفك بعضكم دماء بعض، فيلقاكم ذلك العدو غدا وقد رقتكم، وتلك والله أمنية عدوكم، وإنه قد أقبل إليكم أعدى خلق الله لكم، من ولي عليكم هو وأبوه سبع سنين، لا يقلعان عن قتل أهل العفاف والدين، هو الذي قتلكم، ومن قبله أيتيم، والذي قتل من نثارون بدمه، قد جاءكم فاستقبلوه بحكم وشوكتكم، واجعلوها به، ولا تجعلوها بأنفسكم، إني لم ألكم نصحا، جمع الله لنا كلمتنا، وأصلح لنا أئمتنا! قال: فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة: أيها الناس، لا يغرنكم من السيف والغشم مقالة هذا المداهن الموادع، والله لئن خرج علينا خارج لنقتله، ولئن استقيننا أن قوما يريدون الخروج علينا لنأخذن الوالد بولده، والمولود بوالده، ولنأخذن الحميم بالحميم، والعريف بما في عرافته حتى يدينوا للحق، ويدلوا للطاعة فوثب إليه المسيب بن نجبة فقطع عليه منطقه ثم قال: يا بن الناكثين، أنت تهددنا بسيفك وغشمك! أنت والله أذل من ذلك، إنا لا نلومك على بغضنا، وقد قتلنا أباك وجدك، والله إني لأرجو ألا يخرجك الله من بين ظهرائي أهل هذا المصر حتى يثبوا بك جدك وأباك، وأما أنت أيها الأمير فقد قلت قولا سديدا، وإني والله لأظن من يريد هذا الأمر مستنصحا لك، وقابلا قولك. فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة: إي والله، ليقتلن وقد أدهن ثم أعلن

٥٠٢٨٠١٢ ذكر الخبر عن فراق الخوارج عبد الله بن الزبير

فقام إليه عبد الله بن وال التيمي، فقال: ما اعتراضك يا أخا بني تيم بن مره فيما بيننا وبين أميرنا! فو الله ما أنت علينا بأمر، ولا لك علينا سلطان، إنما أنت أمير الجزية، فأقبل على خراجك، فلعمر الله لئن كنت مفسدا ما أفسد أمر هذه الأمة إلا والدك وجدك الناكثان، فكانت بهما اليدان، وكانت عليهما دائرة السوء قال: ثم أقبل مسيب بن نجبة وعبد الله بن وال على عبد الله بن يزيد فقالا: أما رأيك أيها الأمير فو الله إنا لندرجو أن تكون به عند العامة محمودا وأن تكون عند الذي عنيت واعتريت مقبولا فغضب أناس من عمال إبراهيم بن محمد بن طلحة وجماعة ممن كان معه، فتشائموا دونه، فشتهم الناس وخصموهم. فلما سمع ذلك عبد الله بن يزيد نزل ودخل، وانطلق إبراهيم بن محمد وهو يقول: قد داهن عبد الله بن يزيد أهل الكوفة، والله لأكتبن بذلك إلى عبد الله بن الزبير، فأتى شبيب بن ربيعي التيمي عبد الله بن يزيد فأخبره بذلك، فركب به وبيزید بن الحارث بن رويم حتى دخل على إبراهيم بن محمد بن طلحة، فحلف له بالله ما أردت بالقول الذي سمعت إلا العافية وصلاح ذات البين، إنما أتاني يزيد بن الحارث بكذا وكذا، فرأيت أن أقوم فيهم بما سمعت اراده الا تختلف الكلمة، ولا تنفرق الألفة، وألا يقع بأس هؤلاء القوم بينهم فعذره وقبل منه.

قال: ثم إن أصحاب سليمان بن صرد خرجوا ينشرون السلاح ظاهرين، ويتجهزون يجاهرون بجهازهم وما يصلحهم. ذكر الخبر عن فراق الخوارج عبد الله بن الزبير

وفي هذه السنة فارق عبد الله بن الزبير الخوارج الذين كانوا قدموا عليه مكة، فقاتلوا معه حصين بن نمير السكوني، فصاروا إلى البصرة، ثم افرقت كلمتهم فصاروا أحزابا

ذكر الخبر عن فراقهم ابن الزبير والسبب الذي من أجله فارقه والذي من أجله افرقت كلمتهم:

حدث عن هشام بن محمد الكلبي، عن أبي مخنف لوط بن يحيى قال: حدثني أبو المخارق الراسي، قال: لما ركب ابن زياد من الخوارج بعد قتل أبي بلال ما ركب، وقد كان قبل ذلك لا يكف عنهم ولا يستبقيهم غير أنه بعد قتل أبي بلال تجرد لاستئصالهم وهلاكهم، واجتمعت الخوارج حين ثار ابن الزبير بمكة، وسار اليه أهل الشام، فتذاكروا أتى إليهم، فقال لهم نافع بن الأزرق: إن الله قد أنزل عليكم الكتاب، وفرض عليكم فيه الجهاد، واحتج عليكم بالبيان، وقد جرد فيكم السيوف أهل الظلم وأولو العدا والغشم، وهذا من قد ثار بمكة، فخرجوا بنا نأت البيت ونلق هذا الرجل، فإن يكن على رأينا جاهدنا معه العدو، وإن يكن على غير رأينا دافعنا عن البيت ما استطعنا، ونظرنا بعد ذلك في أمورنا فخرجوا حتى قدموا على عبد الله ابن الزبير، فسر بمقدمهم، ونبأهم أنه على رأيهم، وأعطاهم الرضا من غير توقف ولا تفتيش، فقاتلوا معه حتى مات يزيد بن معاوية، وانصرف أهل الشام عن مكة ثم إن القوم لقي بعضهم بعضا، فقالوا: إن هذا الذي صنعتم أمس بغير رأي ولا صواب من الأمر، تقاتلون مع رجل لا تدرون لعله ليس على رأيكم، إنما كان أمس يقاتلكم هو وأبوه ينادي: يال ثارات عثمان! فأتوه وسلوه عن عثمان، فإن برئ منه كان وليكم، وإن أبي كان عدوكم. فمشوا نحوه فقالوا له: أيها الإنسان، إنا قد قاتلنا معك، ولم نفتشك عن رأيك حتى نعلم أمانا أنت أم من عدونا! خبرنا ما مقاتلك في عثمان؟ فنظر فإذا من حوله من أصحابه قليل، فقال لهم: إنكم أتيتوني فصادفتموني حين أردت القيام، ولكن روحوا إلي العشية حتى أعلمكم من ذلك الذي تريدون.

فانصرفوا، وبعث إلى أصحابه فقال: البسوا السلاح، وأحضروني بأجمعكم العشية، ففعلوا، وجاءت الخوارج، وقد أقام أصحابه حوله سباطين عليهم

السلاح، وقامت جماعة منهم عظيمة على رأسه بأيديهم الأعمدة، فقال ابن الأزرق لأصحابه: خشي الرجل غائلتكم، وقد أزمع بخلافكم واستعد لكم، ما ترون؟

فدنا منه ابن الأزرق، فقال له: يا بن الزبير، اتق الله ربك، وأبغض الخائن المستأثر، وعاد أول من سن الضلالة، وأحدث الأحداث، وخالف حكم الكتاب، فإنك إن تفعل ذلك ترض ربك، وتنج من العذاب الأليم نفسك، وإن تركت ذلك فأنت من الذين استمتعوا بخلافهم، وأذهبوا في الحياة الدنيا طياتهم.

يا عبدة بن هلال، صف لهذا الإنسان ومن معه أمرنا الذي نحن عليه، والذي ندعو الناس إليه، فتقدم عبدة بن هلال. قال هشام: قال أبو مخنف: وحدثني أبو علقمة الخثعمي، عن قبيصة بن عبد الرحمن القحافي، من خثعم، قال: أنا والله شاهد عبدة بن هلال، إذ تقدم فتكلم، فما سمعت ناطقا قط ينطق كان أبلغ ولا أصوب قولا منه، وكان يرى رأي الخوارج.

قال: وإن كان ليجمع القول الكثير، في المعنى الخطير، في اللفظ اليسير.

قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن الله بعث محمدا ص يدعو إلى عبادة الله، وإخلاص الدين، فدعا إلى ذلك، فأجابه المسلمون، فعمل فيهم بكتاب الله وامره، حتى قبضه الله إليه ص، واستخلف الناس أبا بكر، واستخلف أبو بكر عمر، فكلاهما عمل بالكتاب وسنة رسول الله، فالحمد لله رب العالمين ثم إن الناس استخلفوا عثمان بن عفان، فحوى الاحماء، وآثر القربى، واستعمل الفتى ورفع الدرة، ووضع السوط، ومزق الكتاب، وحقر المسلم

وضرب منكري الجور، وآوى طريد الرسول ص، وضرب السابقين بالفضل، وسيرهم وحرهم ثم أخذ فيء الله الذي أفاء عليهم فقسمه

بين فساق قريش، ومجان العرب، فسارت إليه طائفة من المسلمين أخذ الله ميثاقهم على طاعته، لا يبالون في الله لومة لائم، فقتلوه، فحن لهم أولياء، ومن ابن عفان وأوليائه برآء، فما تقول أنت يا بن الزبير؟ قال: حمد الله ابن الزبير وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فقد فهمت الذي ذكرت، وذكرت به النبي ص، فهو كما قلت صلى الله عليه وفوق ما وصفته، وفهمت ما ذكرت به أبا بكر وعمر، وقد وفقت وأصبت، وقد فهمت الذي ذكرت به عثمان بن عفان رحمة الله عليه، وإني لا أعلم مكان أحد من خلق الله اليوم أعلم بابن عفان وأمره مني، كنت معه حيث نقم القوم عليه، واستعبوه فلم يدع شيئاً استعبه القوم فيه إلا أعتبهم منه ثم إنهم رجعوا إليه بكتاب له يزعمون أنه كتبه فيهم، يأمر فيه بقتلهم فقال لهم: ما كتبته، فإن شتم فهايتوا بينتكم، فإن لم تكن حلفت لكم، فوالله ما جاءوه ببينة، ولا استحلوه ووثبوا عليه فقتلوه، وقد سمعت ما عبته به، فليس كذلك، بل هو لكل خير أهل، وأنا أشهدكم ومن حضر أني ولي لابن عفان في الدنيا والآخرة، وولي أوليائه، وعدو أعدائه، قالوا: فبرئ الله منك يا عدو الله، قال: فبرئ الله منكم يا أعداء الله.

وتفرق القوم، فأقبل نافع بن الأزرق الحنظلي، وعبد الله بن صفار السعدي من بني صريم بن مقاعس، وعبد الله بن إباح أيضاً من بني صريم، وحنظلة بن بيهس، وبنو الماحوز: عبد الله، وعبيد الله، والزبير، من بني سليط ابن يربوع، حتى أتوا البصرة، وانطلق أبو طالوت من بني زمان بن مالك بن صعب بن علي بن مالك بن بكر بن وائل وعبد الله بن ثور أبو فديك من بني قيس بن ثعلبة وعطية بن الأسود اليشكري إلى اليمامة، فوثبوا باليمامة مع أبي طالوت، ثم أجمعوا بعد ذلك على نجدة ابن عامر الحنفي، فأما البصريون منهم فإنهم قدموا البصرة وهم مجمعون على رأي أبي بلال.

قال هشام: قال أبو مخنف لوط بن يحيى: حدثني أبو المثنى، عن رجل من إخوانه من أهل البصرة، أنهم اجتمعوا فقالت العامة منهم: لو خرج منا خارجون في سبيل الله، فقد كانت منا فترة منذ خرج أصحابنا، فيقوم علمائنا في الأرض فيكونون مصاييح الناس يدعونهم إلى الدين، ويخرج أهل الورع والاجتهاد فيلحقون بالرب، فيكونون شهداء مرزوقين عند الله أحياء.

فاتتدب لها نافع بن الأزرق، فاعتقد على ثلاثمائة رجل، نفرج، وذلك عند وثوب الناس بعبيد الله بن زياد، وكسر الخوارج أبواب السجون وخروجهم منها، واشتغل الناس بقتال الأزدي وربيعه وبني تميم وقيس في دم مسعود بن عمرو، فاغتنمت الخوارج اشتغال الناس بعضهم ببعض، فتهيئوا واجتمعوا، فلما خرج نافع بن الأزرق تبعوه، واصطلح أهل البصرة على عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب يصلي بهم، وخرج ابن زياد إلى الشام، واصطلحت الأزدي وبنو تميم، فتجرد الناس للخوارج، فأتبعوهم وأخافوهم حتى خرج من بقي منهم بالبصرة، فلحق بابن الأزرق، إلا قليلاً منهم ممن لم يكن أراد الخروج يومه ذلك، منهم عبد الله بن صفار، وعبد الله بن إباح، ورجال معهم على رأيهم ونظر نافع بن الأزرق ورأى أن ولاية من تخلف عنه لا تنبغي، وأن من تخلف عنه لا نجاة له، فقال لأصحابه: إن الله قد أكرمكم بخروجكم، وبصركم ما عمي عنه غيركم، ألسن تعلمون أنكم إنما خرجتم تطلبون شريعته وأمره! فأمره لكم قائد، والكتاب لكم إمام، وإنما تتبعون سننه وأثره، فقالوا: بلى، فقال: أليس حكمكم في وليكم حكم النبي ص في وليه، وحكمكم في عدوكم حكم النبي ص في عدوه، وعدوكم اليوم عدو الله وعدو النبي ص، كما أن عدو النبي ص يومئذ هو عدو الله وعدوكم اليوم! فقالوا: نعم، قال: فقد أنزل الله تبارك وتعالى:

«بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»

وقال: «وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمَنَّ»، فقد حرم الله ولايتهم، والمقام بين أظهرهم، وإجازة شهادتهم، وأكل ذبائحهم وقبول علم الدين عنهم، ومناحتهم، ومواريتهم، وقد احتج الله علينا بمعرفة هذا، وحق علينا أن نعلم هذا الدين الذين خرجنا من عندهم، ولا نكتم ما أنزل الله، والله عز وجل يقول: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ»

اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ» ، فاستجاب لَهُ إِلَى هَذَا الرَّأْيِ جَمِيعُ أَصْحَابِهِ.

فكتب: من عبيد الله نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن صفار وعبد الله ابن إباح ومن قبلهما من الناس سلام على أهل طاعة الله من عباد الله، فإن من الأمر كيت وكيت، فقص هذه القصة، ووصف هذه الصفة، ثُمَّ بَعَثَ بِالْكَتَابِ إِلَيْهِمَا فَأَتِيَا بِهِ، فَقَرَأَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفَارٍ، فَأَخَذَهُ فَوَضَعَهُ خَلْفَهُ، فَلَمْ يَقْرَأْهُ عَلَى النَّاسِ خَشْيَةً أَنْ يَتَفَرَّقُوا وَيَخْتَلَفُوا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبَاحٍ: مَا لَكَ لِلَّهِ أَبُوكَ! أَيُّ شَيْءٍ أَصَبْتَ! إِنْ قَدْ أَصِيبَ إِخْوَانُنَا، أَوْ أُسِرَ بَعْضُهُمْ! فَدَفَعَ الْكِتَابَ إِلَيْهِ، فَقَرَأَهُ، فَقَالَ: قَاتِلْهُ اللَّهُ!، أَيُّ رَأْيٍ رَأَى! صَدَقَ نَافِعُ ابْنُ الْأَزْرَقِ، لَوْ كَانَ الْقَوْمُ مُشْرِكِينَ كَانَ أَصُوبَ النَّاسِ رَأْيًا وَحَكْمًا فِيمَا يَشِيرُ بِهِ، وَكَانَتْ سِيرَتُهُ كَسِيرَةِ النَّبِيِّ ص فِي الْمَشْرِكِينَ، وَلَكِنَّهُ قَدْ كَذَبَ وَكَذَبْنَا فِيمَا يَقُولُ، إِنْ الْقَوْمُ كَفَرُوا بِالنَّعَمِ وَالْأَحْكَامِ، وَهُمْ بَرَاءٌ مِنَ الشَّرْكِ، وَلَا تَحِلُّ لَنَا إِلَّا دِمَاؤُهُمْ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَهُوَ عَلَيْنَا حَرَامٌ، فَقَالَ ابْنُ صَفَارٍ: بَرِئَ اللَّهُ مِنْكَ، فَقَدْ قَصَرْتَ، وَبَرِئَ اللَّهُ مِنْ ابْنِ الْأَزْرَقِ فَقَدْ غَلَا، بَرِئَ اللَّهُ مِنْكُمَا جَمِيعًا، وَقَالَ الْآخَرُ: فَبَرِئَ اللَّهُ مِنْكَ وَمِنْهُ.

وتفرق القوم، واشتدت شوكة ابن الأزرق، وكثرت جموعه، وأقبل

٥٠٢٨٠١٣ ذكر الخبر عن مقدم المختار بن أبي عبيد الكوفة

نحو البصرة حتى دنا من الجسر، فبعث إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ مُسْلِمُ بْنُ عَيْسَى بْنِ كَرِيزَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مناف في أهل البصرة

. ذكر الخبر عن مقدم المختار بن أبي عبيد الكوفة

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فِي النِّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ مُقَدِّمُ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدِ الْكُوفَةِ.

ذكر الخبر عن سبب مقدمه إِلَيْهَا:

قَالَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيُّ: قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: قَالَ النَّضْرُ بْنُ صَالِحٍ:

كَانَتْ الشَّيْعَةُ تَشْتُمُ الْمُخْتَارَ وَتَعْتَبُهُ لَمَّا كَانَ مِنْهُ فِي أَمْرِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ يَوْمَ طَعَنَ فِي مُظْلَمٍ سَابِطٍ، فَحُمِلَ إِلَى أَبِيضِ الْمَدَائِنِ، حَتَّى إِذَا كَانَ زَمَنُ الْحُسَيْنِ، وَبَعَثَ الْحُسَيْنُ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ إِلَى الْكُوفَةِ، نَزَلَ دَارَ الْمُخْتَارِ، وَهِيَ الْيَوْمَ دَارُ سَلَمِ بْنِ الْمُسَيْبِ، فَبَايَعَهُ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ فِيمَنْ بَايَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَنَاصَحَهُ وَدَعَا إِلَيْهِ مِنْ أَطَاعِهِ، حَتَّى خَرَجَ ابْنُ عَقِيلٍ يَوْمَ خَرَجَ وَالْمُخْتَارُ فِي قَرْيَةٍ لَهُ بِخَطَرْنِيَّةٍ تَدْعَى لَقْفَا، فَجَاءَهُ خَبَرُ ابْنِ عَقِيلٍ عِنْدَ الظُّهْرِ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ بِالْكُوفَةِ، فَلَمْ يَكُنْ خُرُوجُهُ يَوْمَ خَرَجَ عَلَى مِيعَادِ مِنْ أَصْحَابِهِ، إِنَّمَا خَرَجَ حِينَ قِيلَ لَهُ: إِنْ هَانَى بْنُ عُرْوَةَ الْمُرَادِيُّ قَدْ ضُرِبَ وَحُبِسَ، فَأَقْبَلَ الْمُخْتَارُ فِي مَوَالٍ لَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَابِ الْفِيلِ بَعْدَ الْغُرُوبِ، وَقَدْ عَقَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ لِعَمْرُو بْنِ حَرِثٍ رَايَةً عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْعُدَ لَهُمْ فِي الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا كَانَ الْمُخْتَارُ وَقَفَ عَلَى بَابِ الْفِيلِ مَرَّ بِهِ هَانَى بْنُ أَبِي حِيَةَ الْوَادِعِيُّ، فَقَالَ لِلْمُخْتَارِ: مَا وَقُوفُكَ هَاهُنَا! لَا أَنْتَ مَعَ النَّاسِ، وَلَا

أَنْتَ فِي رَحْلِكَ، قَالَ: أَصْبَحَ رَأْيِي مَرْتَجًا لِعَظَمِ خَطِيئَتِكُمْ، فَقَالَ لَهُ: أَظُنُّكَ وَاللَّهِ قَاتِلًا لِنَفْسِكَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى عَمْرُو بْنِ حَرِثٍ فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ لِلْمُخْتَارِ وَمَا رَدَّ عَلَيْهِ الْمُخْتَارُ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: فَأَخْبَرَنِي النَّضْرُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمِيرٍ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عَمْرُو بْنِ حَرِثٍ حِينَ بَلَغَهُ هَانَى بْنُ أَبِي حِيَةَ عَنِ الْمُخْتَارِ هَذِهِ الْمَقَالَةَ، فَقَالَ لِي: قُمْ إِلَى ابْنِ عَمِّكَ فَأَخْبِرْهُ أَنَّ صَاحِبَهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ هُوَ! فَلَا يَجْعَلَنَّ عَلَى نَفْسِهِ سَبِيلًا، فَقُمْتُ لِأَتِيَهُ، وَوُثِبَ إِلَيْهِ زَائِدَةُ بْنُ قَدَامَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ لَهُ: يَا بَيْتُكَ عَلَى أَنَّهُ آمِنٌ؟ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ حَرِثٍ:

أَمَّا مَنِي فَهُوَ آمِنٌ، وَإِنْ رَقِيَ إِلَى الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ أَقْتَمْتُ لَهُ بِمُحَضَّرَةِ الشَّهَادَةِ، وَشَفَعْتُ لَهُ أَحْسَنَ الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ لَهُ زَائِدَةُ بْنُ قَدَامَةَ:

لَا يَكُونُ مَعَ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَّا خَيْرٌ.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: نَفَرْتُ، وَخَرَجَ مَعِيَ زَائِدَةُ إِلَى الْمُخْتَارِ، فَأَخْبَرَنَاهُ بِمَقَالَةِ ابْنِ أَبِي حِيَةَ وَبِمَقَالَةِ عَمْرِو بْنِ حَرِيثٍ، وَنَاشَدَنَاهُ بِاللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ عَلَى نَفْسِهِ سَبِيلًا، فَنَزَلَ إِلَى ابْنِ حَرِيثٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَجَلَسَ تَحْتَ رَأْيَتِهِ حَتَّى أَصْبَحَ، وَتَذَاكُرَ النَّاسُ أَمْرَ الْمُخْتَارِ وَفَعْلَهُ، فَشَى عِمَارَةَ بَنِ عُقْبَةَ بَنِ أَبِي مَعِيْطٍ بِذَلِكَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، فَذَكَرَ لَهُ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ فَتَحَ بَابَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ وَأَذِنَ لِلنَّاسِ، فَدَخَلَ الْمُخْتَارُ فِيمَنْ دَخَلَ، فَدَعَاهُ عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ الْمُقْبِلُ فِي الْجُمُوعِ لِنَصْرِ ابْنِ عَقِيلٍ! فَقَالَ لَهُ: لَمْ أَفْعَلْ، وَلَكِنِّي أَقْبَلْتُ وَنَزَلْتُ تَحْتَ رَايَةِ عَمْرِو بْنِ حَرِيثٍ، وَبِتَ مَعَهُ وَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: صَدَقَ أَصْلَحُكَ اللَّهُ! قَالَ: فَرَفَعَ الْقَضِيبَ، فَاعْتَرَضَ بِهِ وَجْهَ الْمُخْتَارِ فَخَبَطَ بِهِ عَيْنَهُ فَشَتَرَهَا وَقَالَ: أَوْلَى لَكَ! أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا شَهَادَةُ عَمْرُو لَكَ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ، انْطَلَقُوا بِهِ إِلَى السِّجْنِ فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى الْخَبَسِ فِيهِ فَلَمْ يَزَلْ فِي السِّجْنِ حَتَّى قَتَلَ الْحُسَيْنَ ثُمَّ إِنَّ الْمُخْتَارَ بَعَثَ إِلَى زَائِدَةَ بَنِ قَدَامَةَ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُسِيرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بِالْمَدِينَةِ فَيَسْأَلَهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَيَكْتُبَ

إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ بِتَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ، فَركبَ زَائِدَةُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فَقَدِمَ عَلَيْهِ، فَبَلَغَهُ رِسَالَةُ الْمُخْتَارِ، وَعَلِمَتْ صَفِيَّةُ أُخْتُ الْمُخْتَارِ بِمَحْبَسِ أَخِيهَا وَهِيَ تَحْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، فَبَكَتْ وَجَزَعَتْ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ كَتَبَ مَعَ زَائِدَةَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ حَبَسَ الْمُخْتَارَ، وَهُوَ صَهْرِي، وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ يَعَافَى وَيَصْلَحَ مِنْ حَالِهِ، فَإِنْ رَأَيْتَ رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ فَتَأْمِرَهُ بِتَخْلِيَتِهِ فَعَلْتُ. والسلام عليك.

فَضَى زَائِدَةُ عَلَى رَوَاحِلِهِ بِالْكَأَبِ حَتَّى قَدِمَ بِهِ عَلَى يَزِيدَ بِالسَّامِ، فَلَمَّا قَرَأَهُ ضَحِكَ ثُمَّ قَالَ: يَشْفَعُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَأَهْلُ ذَلِكَ هُوَ فَكُتِبَ لَهُ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ: أَمَّا بَعْدُ، نَحْلُ سَبِيلَ الْمُخْتَارِ بَنِ أَبِي عُبَيْدٍ حِينَ تَنْظُرُ فِي كِتَابِي، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ. فَأَقْبَلَ بِهِ زَائِدَةُ حَتَّى دَفَعَهُ، فَدَعَا ابْنَ زِيَادَ بِالْمُخْتَارِ، فَأَخْرَجَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ قَدْ أَجَلْتُكَ ثَلَاثًا، فَإِنْ أَدْرَكْتُكَ بِالْكُوفَةِ بَعْدَهَا قَدْ بَرَأْتُ مِنْكَ الذِّمَّةَ.

فَفَرَجَ إِلَى رَحْلِهِ وَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ: وَاللَّهِ لَقَدْ اجْتَرَأَ عَلَيَّ زَائِدَةُ حِينَ يَرِحُلُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يَأْتِيَنِي بِالْكَأَبِ فِي تَخْلِيَةِ رَجُلٍ قَدْ كَانَ مِنْ شَأْنِي أَنْ أُطِيلَ حَبْسَهُ، عَلَيَّ بِهِ فَرِيحُهُ عَمْرُو بْنُ نَافِعٍ أَبُو عُثْمَانَ - كَاتِبَ لَابْنِ زِيَادٍ - وَهُوَ يَطْلُبُ، وَقَالَ لَهُ: النِّجَاءُ بِنَفْسِكَ، وَادْكُرْهَا يَدَايَ عِنْدَكَ.

قَالَ: نَفَرَجَ زَائِدَةُ، فَتَوَارَى يَوْمَهُ ذَلِكَ ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ فِي أَنْاسٍ مِنْ قَوْمِهِ حَتَّى أَتَى الْقَعْقَاعَ بَنَ شُورٍ الذَّهْلِيَّ، وَمَسَلَمَ بَنَ عَمْرُو الْبَاهِلِيَّ، فَأَخَذَا لَهُ مِنْ ابْنِ زِيَادٍ الْأَمَانَ.

قَالَ هِشَامُ: قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثُ خَرَجَ الْمُخْتَارُ إِلَى الْحِجَازِ، قَالَ: لِحَدَّثَنِي الصَّقْعَبُ بْنُ زَهِيرٍ، عَنْ ابْنِ الْعِرْقِ، مَوْلَى لَثْقِيفٍ. قَالَ: أَقْبَلْتُ مِنَ الْحِجَازِ حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالْبَسِيطَةِ مِنْ وَرَاءِ وَاقِصَةِ اسْتَقْبَلْتُ الْمُخْتَارَ بَنَ أَبِي عُبَيْدٍ خَارِجًا يَرِيدُ الْحِجَازَ حِينَ خَلَى سَبِيلَهُ ابْنُ زِيَادٍ، فَلَمَّا اسْتَقْبَلْتَهُ رَحِبَتْ بِهِ، وَعَظَفَتْ إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَيْتَ شَرَّ عَيْنِهِ اسْتَرْجَعْتُ لَهُ، وَقُلْتُ لَهُ بَعْدَ مَا تَوَجَّعْتُ لَهُ: مَا بَالُ عَيْنِكَ، صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ السُّوءَ!

فَقَالَ: خَبَطَ عَيْنِي ابْنُ الزَّانِيَةِ بِالْقَضِيبِ خَبْطَةً صَارَتْ إِلَيَّ مَا تَرَى فَقُلْتُ لَهُ: مَا لَهُ شَلَتْ أَنْامِلَهُ! فَقَالَ الْمُخْتَارُ: قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْطَعْ أَنْامِلَهُ وَابْأَجَلِهِ وَأَعْضَائِهِ إِرْبًا إِرْبًا، قَالَ: فَعَجِبْتُ لِمَقَالَتِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا عَلَيْكَ بِذَلِكَ رَحِمَكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ لِي: مَا أَقُولُ لَكَ فَاحْفَظْهُ عَنِّي حَتَّى تَرَى مَصْدَاقَهُ.

قَالَ: ثُمَّ طَفِقَ يَسْأَلُنِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَقُلْتُ لَهُ: لَجَأُ إِلَى الْبَيْتِ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَنَا عَائِدُ بَرِّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ، وَالنَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّهُ يَبَايِعُ سَرًا، وَلَا أَرَاهُ إِلَّا لَوْ قَدْ اشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُ وَاسْتَكْتَفَى مِنَ الرِّجَالِ إِلَّا سَيَظْهَرُ الْخِلَافُ، قَالَ: أَجَلٌ، لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ، أَمَّا إِنَّهُ رَجُلٌ الْعَرَبُ الْيَوْمَ، أَمَّا إِنَّهُ إِنْ يَخْطِطُ فِي أَثَرِي، وَيَسْمَعُ قَوْلِي أَكْفَهُ أَمْرَ النَّاسِ، وَإِلَّا يَفْعَلُ فَوَاللَّهِ مَا أَنَا بِدُونَ أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ، يَا بَنَ الْعِرْقِ، إِنْ الْفِتْنَةُ قَدْ أَرْعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ، وَكَأَنَّ قَدْ انْبَعَثَ فَوُطِئَتْ فِي خَطَامِهَا، فَإِذَا رَأَيْتَ ذَلِكَ وَسَمِعْتَ بِهِ بِمَكَانٍ قَدْ ظَهَرَتْ فِيهِ فَقُلْ: إِنَّ الْمُخْتَارَ

فِي عَصَائِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَطْلُبُ بَدَمَ الْمَظْلُومِ الشَّهِيدِ الْمَقْتُولِ بِالطَّفِّ، سَيِّدَ الْمُسْلِمِينَ، وَابْنَ سَيِّدِهَا، الْحُسَيْنَ ابْنَ عَلِيٍّ، فَوَرَبِّكَ لَا قَتْلَنَ بِقَتْلِهِ عِدَّةَ الْقَتْلِ الَّتِي قَتَلْتَ عَلَى دَمِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا ع، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! وَهَذِهِ أَعْجُوبَةٌ مَعَ الْأَحْدَوِثَةِ الْأُولَى، فَقَالَ: هُوَ مَا أَقُولُ لَكَ فَاحْفَظْهُ عَنِّي حَتَّى تَرَى مُصَدِّقَهُ.

ثُمَّ حَرَكَ رَاِحِلَتَهُ، فَضَى وَمَضَى مَعَهُ سَاعَةً أَدْعُو اللَّهَ لَهُ بِالسَّلَامَةِ، وَحَسَنَ الصَّحَابَةِ قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ وَقَفَ فَأَقْسَمَ عَلَيَّ لَمَّا انصرفت، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ! فَوَدَعْتَهُ، وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَانصرفت عنه، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ لِي هَذَا الْإِنْسَانَ، - يَعْنِي الْمُخْتَارَ - مِمَّا يَزْعُمُ أَنَّهُ كَائِنٌ، أَشْيَاءٌ حَدَثَ بِهِ نَفْسُهُ! فَوَاللَّهِ مَا أَطْلَعَ اللَّهَ عَلَى الْغَيْبِ أَحَدًا، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَتَمَنَّا فَيَرَى أَنَّهُ كَائِنٌ، فَهُوَ يُوجِبُ رَايَهُ، فَهَذَا وَاللَّهُ الرَّأْيُ الشَّعَاعُ، فَوَاللَّهِ مَا كُلُّ مَا يَرَى الْإِنْسَانُ أَنَّهُ كَائِنٌ يَكُونُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا مِتَ حَتَّى رَأَيْتَ كُلَّ مَا قَالَهُ قَالَ: فَوَاللَّهُ لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ أَلْقَى إِلَيْهِ لَقَدْ أَثْبَتَ لَهُ، وَلَئِنْ كَانَ ذَلِكَ رَأْيَا رَأَاهُ، وَشَيْئًا تَمَنَّا، لَقَدْ كَانَ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي الصَّقْعَبِيُّ بْنُ زُهَيْرٍ، عَنْ ابْنِ الْعِرْقِ، قَالَ:

خَدِثْتُ هَذَا الْحَدِيثَ الْحُجَّاجُ بْنُ يُونُسَ، فَضَحَكَ ثُمَّ قَالَ لِي: إِنَّهُ كَانَ يَقُولُ أَيْضًا:
وَرَأَفَهُ ذَيْلُهَا ... وَدَاعِيَةً وَدَيْلَهَا

بِدَجَلَةٍ أَوْ حَوْلَهَا

فَقُلْتُ لَهُ: أَتَرَى هَذَا شَيْئًا كَانَ يَخْتَرِعُهُ، وَتَخَرُّصًا يَخْرُصُهُ، أَمْ هُوَ مِنْ عِلْمِ كَانَ أُوتِيَهُ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هَذَا الَّذِي تَسْأَلُنِي عَنْهُ، وَلَكِنَّ لِلَّهِ دَرَهُ! أَيُّ رَجُلٍ دِينًا، وَمُسْعَرٍ حَرْبًا، وَمُقَارِعٍ أَعْدَاءَ كَانَ! قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي أَبُو سَيْفٍ الْأَنْصَارِيُّ مِنْ بَنِي الْخَزَرَجِ، عَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَدِمَ الْمُخْتَارُ عَلَيْنَا مَكَّةَ، فَجَاءَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَأَنَا جَالِسٌ عِنْدَهُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَفَرَّدَ عَلَيْهِ ابْنُ الزُّبَيْرِ، وَرَحِبَ بِهِ، وَأَوْسَعَ لَهُ، ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَنْ حَالِ النَّاسِ بِالْكُوفَةِ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، قَالَ:

هَمُّ لِسُلْطَانِهِمْ فِي الْعِلَاقَةِ أَوْلِيَاءُ، وَفِي السَّرِّ أَعْدَاءُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ: هَذِهِ صِفَةُ عَبِيدِ السُّوءِ، إِذَا رَأَوْا أَرْبَابَهُمْ خَدَمُوهُمْ وَأَطَاعُوهُمْ، فَإِذَا غَابُوا عَنْهُمْ شَتَمُوهُمْ وَلَعَنُوهُمْ، قَالَ: لَجَلَسَ مَعَنَا سَاعَةً، ثُمَّ إِنَّهُ مَالَ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ كَأَنَّهُ يَسَارُهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا تَنْتَظِرُ! ابْسُطْ يَدَكَ أَبَايَعُكَ، وَأَعْطِنَا مَا يَرْضِينَا، وَثَبَّ عَلَى الْحُجَّازِ فَإِنَّ أَهْلَ الْحُجَّازِ كُلَّهُمْ مَعَكَ وَقَامَ الْمُخْتَارُ نَفْرَجًا، فَلَمْ يَرِ حَوْلًا، ثُمَّ إِنِّي بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ إِذْ قَالَ لِي ابْنُ الزُّبَيْرِ: مَتَى عَهْدُكَ بِالْمُخْتَارِ ابْنِ أَبِي عُبَيْدٍ؟ فَقُلْتُ لَهُ: مَا لِي بِهِ عَهْدٌ مِنْذُ رَأَيْتُهُ عِنْدَكَ عَامًا أَوَّلًا، فَقَالَ: أَيْنَ تَرَاهُ ذَهَبَ! لَوْ كَانَ بِمَكَّةَ، لَقَدْ رَأَيْتُ بِهِا بَعْدَ، فَقُلْتُ لَهُ:

إِنِّي انصرفت إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ إِذْ رَأَيْتُهُ عِنْدَكَ بِشَهْرٍ أَوْ شَهْرَيْنِ، فَلَبِثْتُ بِالْمَدِينَةِ أَشْهُرًا، ثُمَّ إِنِّي قَدِمْتُ عَلَيْكَ، فَسَمِعْتُ نَفْرًا مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ جَاءُوا مُعْتَمِرِينَ

يَزْعُمُونَ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيْهِمُ الطَّائِفَ، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ صَاحِبُ الْغَضَبِ، وَمُبِيرُ الْجَبَارِينَ، قَالَ: قَاتَلَهُ اللَّهُ! لَقَدْ انبَعَثَ كَذَابًا مَتَكْهَنًا، إِنْ اللَّهَ إِنْ يَهْلِكُ الْجَبَارِينَ يَكُنِ الْمُخْتَارُ أَحَدَهُمْ فَوَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَّا رِيثُ فَرَاغِنَا مِنْ مَنْطِقِنَا حَتَّى عَنْ لَنَا فِي جَانِبِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: أَذْكَرُ غَائِبًا تَرَاهُ، أَيْنَ تَظُنُّهُ يَهُوِي؟ فَقُلْتُ: أَظُنُّهُ يَرِيدُ الْبَيْتَ، فَأَتَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْحَجْرَ، ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ أَسْبُوعًا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْحَجْرِ، ثُمَّ جَلَسَ، فَمَا لَبِثَ أَنْ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ مَعَارِفِهِ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْحُجَّازِ، فَجَلَسُوا إِلَيْهِ، وَاسْتَبْطَأَ ابْنُ الزُّبَيْرِ قِيَامَهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا تَرَى شَأْنَهُ لَا يَأْتِينَا! قُلْتُ: لَا أَدْرِي، وَسَاعِلُ لَكَ عِلْمُهُ، فَقَالَ: مَا شِئْتُ، وَكَأَنَّ ذَلِكَ أَعْجَبَهُ.

قَالَ: فَقَمِمْتُ فَرَرْتُ بِهِ كَأَنِّي أُرِيدُ الْخُرُوجَ مِنَ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ التَفْتُ إِلَيْهِ، فَأَقْبَلْتُ نَحْوَهُ ثُمَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَيْهِ، وَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَقُلْتُ لَهُ:

إِن كُنْتُ؟ وَإِنْ بَلَغْتَ بَعْدِي؟ أَبَا لَطَائِفٍ كُنْتُ؟ فَقَالَ لِي: كُنْتُ بِالطَّائِفِ وَغَيْرِ الطَّائِفِ، وَعَمَسَ عَلَيَّ أَمْرَهُ، فَلَمَّ إِلَيْهِ، فَجَانِحِيَّتُهُ، فَقُلْتُ لَهُ: مِثْلُكَ يَغِيبُ عَنْ مِثْلِ مَا قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الشَّرَفِ وَبُيُوتَاتُ الْعَرَبِ مِنْ قَرِيشٍ وَالْأَنْصَارِ وَثَقِيفٍ! لَمْ يَبْقَ أَهْلُ بَيْتٍ وَلَا قَبِيلَةٍ

إِلَّا وَقَدْ جَاءَ زَعِيمُهُمْ وَعَمِيدُهُمْ فَبَايَعَ هَذَا الرَّجُلَ، فَعَجَبَا لَكَ وَلِرَأْيِكَ أَلَا تَكُونُ أَتَيْتَهُ فَبَايَعْتَهُ، وَأَخَذْتَ بِحِظِّكَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ! فَقَالَ لِي: وَمَا رَأَيْتَنِي؟ أَتَيْتَهُ الْعَامَ الْمَاضِي، فَأَشْرْتُ عَلَيْهِ بِالرَّأْيِ، فَطَوَى أَمْرَهُ دُونِي، وَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتَهُ اسْتَغْنَى عَنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أَرِيهِ أَنِّي مُسْتَغْنٍ عَنْهُ، إِنَّهُ وَاللَّهِ لَهُوَ أَحْوَجُ إِلَيَّ مِنِّي إِلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّكَ كَلِمَتُهُ بِالَّذِي كَلِمَتُهُ وَهُوَ ظَاهِرٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَهَذَا الْكَلَامُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ إِلَّا وَالسُّتُورُ دُونَهُ مَرْخَاةً وَالْأَبْوَابُ دُونَهُ مَغْلَقَةً، الْقَهْ اللَّيْلَةَ إِنْ شِئْتُ وَأَنَا مَعَكَ، فَقَالَ لِي: فَانِي فَاعِلٌ إِذَا صَلَّيْنَا الْعَتَمَةَ أَتَيْنَاهُ، وَاتَعَدْنَا الْحَجْرَ.

قَالَ: فَهَضَبْتُ مِنْ عِنْدِهِ، فَخَرَجْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَأَخْبَرْتَهُ بِمَا كَانَ مِنْ قَوْلِي وَقَوْلِهِ، فَسَرَّ بِذَلِكَ، فَلَمَّا صَلَّيْنَا الْعَتَمَةَ، التَّقِينَا بِالْحَجْرِ، ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى أَتَيْنَا مَنْزَلَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَاسْتَأْذَنَّا عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَنَا، فَقُلْتُ:

أَخْلِيكَ؟ فَقَالَا جَمِيعًا: لَا سِرَّ دُونَكَ، فَجَلَسْتُ، فَإِذَا ابْنُ الزُّبَيْرِ قَدْ أَخَذَ بِيَدِهِ، فَصَافَحَهُ وَرَحَّبَ بِهِ، فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَسَكَنَاتِهِ جَمِيعًا غَيْرَ طَوِيلٍ.

فَقَالَ لَهُ الْمُخْتَارُ وَأَنَا أَسْمَعُ بَعْدَ أَنْ تَبَدَّأَ فِي أَوَّلِ مَنْطِقِهِ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْإِكْثَارِ مِنَ الْمَنْطِقِ، وَلَا فِي التَّقْصِيرِ عَنْ الْحَاجَةِ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكَ لِأَبَايَعِكَ عَلَى أَلَا تَقْضِي الْأُمُورَ دُونِي، وَعَلَى أَنْ أَكُونَ فِي أَوَّلِ مَنْ تَأْذِنُ لَهُ، وَإِذَا ظَهَرَتْ اسْتَعْنَتْ بِي عَلَى أَفْضَلِ عَمَلِكَ فَقَالَ لَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ: أَبَايَعُكَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا لِي فِي هَذَا الْأَمْرِ مِنَ الْحِظِّ مَا لَيْسَ لِأَقْصَى الْخَلْقِ مِنْكَ، لَا وَاللَّهِ لَا أَبَايَعُكَ أَبَدًا إِلَّا عَلَى هَذِهِ الْخُصَالِ.

قَالَ عَبَّاسُ بْنُ سَهْلٍ: فَالْتَقَمْتُ أُذُنَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَقُلْتُ لَهُ: اشْتَرِ مِنْهُ دِينَهُ حَتَّى تَرَى مِنْ رَأْيِكَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ: فَإِنْ لَكَ مَا سَأَلْتَهُ، فَبَسْطَ يَدَهُ فَبَايَعَهُ، وَمَكَثَ مَعَهُ حَتَّى شَاهَدَ الْحَصَارَ الْأَوَّلَ حِينَ قَدِمَ الْحَصِينُ بْنُ نُمَيْرٍ السَّكُونِيَّ مَكَّةَ، فَقَاتَلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بِلَاءً، وَأَعْظَمَهُمْ غَنَاءً فَلَمَّا قَتَلَ الْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَالْمَسُورُ بْنُ مَخْرَمَةَ وَمُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنَ عَوْفٍ الزُّهْرِيَّ، نَادَى الْمُخْتَارُ: يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، إِلَى أَيْنَ! إِنْ أَبَى عُبَيْدُ بْنُ مَسْعُودٍ، وَأَنَا ابْنُ الْكَرَارِ لَا الْفِرَارِ، أَنَا ابْنُ الْمَقْدَمِينَ غَيْرَ الْمُحْجَمِينَ، إِلَى يَا أَهْلَ الْخِفَافِ وَحِمَاةَ الْأُوتَارِ فَحْمَى النَّاسَ يَوْمَئِذٍ، وَأَبْلَى وَقَاتَلَ قِتَالًا حَسَنًا

ثُمَّ أَقَامَ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ فِي ذَلِكَ الْحَصَارِ حَتَّى كَانَ يَوْمَ أَحْرَقَ الْبَيْتَ، فَإِنَّهُ أَحْرَقَ يَوْمَ السَّبْتِ لثَلَاثَ مَضِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ، فَقَاتَلَ الْمُخْتَارُ يَوْمَئِذٍ فِي عَصَابِهِ مَعَهُ نَحْوُ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ أَحْسَنَ قِتَالِ قَاتِلِهِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، إِنْ كَانَ لِيُقَاتَلَ حَتَّى يَتَبَدَّلَ، ثُمَّ يَجْلِسُ وَيَحِيطُ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَإِذَا اسْتَرَاخَ نَهَضَ فَقَاتَلَ، فَمَا كَانَ يَتَوَجَّهُ نَحْوَ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ إِلَّا ضَارِبَهُمْ حَتَّى يَكْشِفَهُمْ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي أَبُو يُوسُفَ مُحَمَّدُ بْنُ ثَابِطٍ، عَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: تَوَلَّى قِتَالَ أَهْلِ الشَّامِ يَوْمَ تَحْرِيقِ الْكَعْبَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَطِيحٍ وَأَنَا وَالْمُخْتَارُ، قَالَ: فَمَا كَانَ فِينَا يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ أَحْسَنَ بِلَاءً مِنَ الْمُخْتَارِ.

قَالَ: وَقَاتَلَ قَبْلَ أَنْ يَطْلُعَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى مَوْتِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ يَوْمَ قِتَالِهِ شَدِيدًا، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَحَدِ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ، وَكَانَ أَهْلُ الشَّامِ قَدْ رَجَوْا أَنْ يَظْفَرُوا بِنَا، وَأَخَذُوا عَلَيْنَا سَكَّ مَكَّةَ.

قَالَ: وَخَرَجَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، فَبَايَعَهُ رِجَالُ كَثِيرٍ عَلَى الْمَوْتِ، قَالَ:

فَخَرَجْتُ فِي عَصَابَةٍ مَعِيَ أَقَاتَلُ فِي جَانِبِ، وَالْمُخْتَارُ فِي عَصَابَةٍ أُخْرَى يَقَاتِلُ فِي جَمِيعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَامَةِ فِي جَانِبِ، وَهُمْ خَوَارِجٌ، وَإِنَّمَا قَاتَلُوا لِيَدْفَعُوا عَنِ الْبَيْتِ، فَهُمْ فِي جَانِبِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَطِيحِ فِي جَانِبِ.

قَالَ: فَشَدَّ أَهْلُ الشَّامِ عَلَيَّ، فَخَارُونِي فِي أَصْحَابِي حَتَّى اجْتَمَعَتْ أَنَا وَالْمُخْتَارُ وَأَصْحَابُهُ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، فَلَمْ أَكُنْ أَصْنَعُ شَيْئًا إِلَّا صَنَعَ مِثْلَهُ، وَلَا يَصْنَعُ شَيْئًا إِلَّا تَكَلَّفْتُ أَنْ أَصْنَعَ مِثْلَهُ، فَمَا رَأَيْتُ أَشَدَّ مِنْهُ قَطُّ، قَالَ: فَإِنَّا لَنُقَاتِلُ إِذْ شَدَّتْ عَلَيْنَا رِجَالُ وَخَيْلٌ مِنْ خَيْلِ أَهْلِ الشَّامِ، فَاضْطَرُونِي وَإِيَّاهُ فِي نَحْوِ مِنْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الصَّبْرِ إِلَى جَانِبِ دَارٍ مِنْ دُورِ أَهْلِ مَكَّةَ، فَقَاتَلَهُمُ الْمُخْتَارُ يَوْمَئِذٍ، وَأَخَذَ يَقُولُ رَجُلٌ لِرَجُلٍ:

لا وألت نفس امرئ يفر.

قَالَ: نَفَرَجَ الْمُخْتَارَ، وَخَرَجَتْ مَعَهُ، فَقُلْتُ: لِيُخْرِجَ مِنْكُمْ إِلَيَّ رَجُلًا

نَفَرَجَ إِلَيَّ رَجُلًا وَإِلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ، فَشِيتُ إِلَيَّ صَاحِبِي فَأَقْتَلَهُ، وَمَشَى الْمُخْتَارُ إِلَى صَاحِبِهِ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ صَحْنَا بِصَحَابِنَا، وَشَدَدْنَا عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَضَرْبَانَهُمْ حَتَّى أَخْرَجْنَاهُمْ مِنَ السَّكِّ كُلِّهَا، ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى صَاحِبِينَا الَّذِينَ قَتَلْنَا قَالَ:

فَإِذَا الَّذِي قَتَلْتَ رَجُلًا أَحْمَرَ شَدِيدَ الْحَمْرَةِ كَأَنَّهُ رُومِي، وَإِذَا الَّذِي قَتَلَ الْمُخْتَارَ رَجُلًا أَسْوَدَ شَدِيدَ السَّوَادِ، فَقَالَ لِي الْمُخْتَارُ: تَعْلَمُ وَاللَّهِ أَنِّي لَا أَظُنُّ قَتِيلَيْنَا هَذَيْنِ عَبْدَيْنِ، وَلَوْ أَنَّ هَذَيْنِ قَتَلَانَا لَفَجَعَ بَنَا عَشَائِرُنَا وَمَنْ يَرْجُونَا، وَمَا هَذَانِ وَكَلْبَانِ مِنَ الْكَلَابِ عِنْدِي إِلَّا سُوءٌ، وَلَا أَخْرَجَ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا لِرَجُلٍ أَبَدًا إِلَّا لِرَجُلٍ أَعْرَفَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: وَأَنَا وَاللَّهِ لَا أَخْرَجُ إِلَّا لِرَجُلٍ أَعْرَفَهُ.

وَأَقَامَ الْمُخْتَارُ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ حَتَّى هَلَكَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، وَانْقَضَى الْحَصَارُ، وَرَجَعَ أَهْلُ الشَّامِ إِلَى الشَّامِ، وَاصْطَلَحَ أَهْلُ الْكُوفَةِ عَلَى عَامِرِ بْنِ مَسْعُودٍ، بَعْدَ مَا هَلَكَ يَزِيدُ يَصْلِي بِهِمْ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ يَرْضُونَهُ، فَلَمْ يَلْبَثْ عَامِرٌ إِلَّا شَهْرًا حَتَّى بَعَثَ بِبَيْعَتِهِ وَبَيْعَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَأَقَامَ الْمُخْتَارُ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ بَعْدَ مَهْلِكِ يَزِيدٍ وَأَيَّامًا.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ نُوْفَلٍ بْنُ مَسَاحِقٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَمَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَمَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ، وَنَحْنُ نَطُوفُ بِالْبَيْتِ، إِذْ نَظَرَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فَإِذَا هُوَ بِالْمُخْتَارِ، فَقَالَ لَابْنَ صَفْوَانَ: انْظُرْ إِلَيْهِ، فَوَاللَّهِ لهُوَ أَحْذَرُ مِنْ ذَنْبٍ قَدْ أَطَافَتْ بِهِ السَّبَاعُ، قَالَ: فَضَى وَمُضِينَا مَعَهُ، فَلَمَّا قَضَيْنَا طَوَافَنَا وَصَلَيْنَا الرُّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الطَّوَافِ لَحَقْنَا الْمُخْتَارَ، فَقَالَ لَابْنَ صَفْوَانَ: مَا الَّذِي ذَكَرَنِي بِهِ ابْنُ الزُّبَيْرِ؟ قَالَ: فَكْتَمْتُهُ، وَقَالَ: لَمْ يَذْكُرْ إِلَّا بِخَيْرٍ، قَالَ: بَلَى وَرَبُّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ إِنْ كُنْتُ لِمَنْ شَأْنِكُمْ، أَمَا وَاللَّهِ لِيَخْطُنَ فِي أَثَرِي أَوْ لِأَقْدِنَهَا عَلَيْهِ سَعْرًا فَأَقَامَ مَعَهُ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ، فَلَمَّا رَأَاهُ لَا يَسْتَعْمَلُهُ جَعَلَ لَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَّا سَأَلَهُ عَنْ حَالِ النَّاسِ وَهَيْئَتِهِمْ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي عَطِيَّةُ بْنُ الْحَارِثِ أَبُو رَوْحٍ الْهَمْدَانِي، أَنَّ هَانِيَّ بْنَ أَبِي حِيَةَ الْوَادِعِيَّ قَدِمَ مَكَّةَ يَرِيدُ عِمْرَةَ رَمَضَانَ، فَسَأَلَهُ الْمُخْتَارَ عَنْ حَالِهِ

وَحَالِ النَّاسِ بِالْكُوفَةِ وَهَيْئَتِهِمْ، فَأَخْبَرَهُ عَنْهُمْ بِصَلَاحٍ وَاتِّسَاقٍ عَلَى طَاعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، إِلَّا أَنَّ طَائِفَةً مِنَ النَّاسِ إِلَيْهِمْ عَدَدُ أَهْلِ الْمَصْرِ لَوْ كَانَ لَهُمْ رَجُلٌ يَجْمَعُهُمْ عَلَى رَأْيِهِمْ أَكَلُوا بِهِمُ الْأَرْضَ إِلَى يَوْمٍ مَا، فَقَالَ لَهُ الْمُخْتَارُ: أَنَا أَبُو إِسْحَاقَ أَنَا وَاللَّهِ لَهُمْ! أَنَا أَجْمَعُهُمْ عَلَى مَرِّ الْحَقِّ، وَأَنْفِي بِهِمْ رِجَالُ الْبَاطِلِ، وَأَقْتُلُ بِهِمْ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، فَقَالَ لَهُ هَانِيٌّ بْنُ أَبِي حِيَةَ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ أَبِي عُبَيْدٍ! إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَّا تَوَضَّعَ فِي الضَّلَالِ لِيَكُنْ صَاحِبُهُمْ غَيْرُكَ، فَإِنْ صَاحِبُ الْفِتْنَةِ أَقْرَبُ شَيْءٍ أَجْلًا، وَأَسْوَأُ النَّاسِ عَمَلًا، فَقَالَ لَهُ الْمُخْتَارُ: إِنِّي لَا أَدْعُو إِلَى الْفِتْنَةِ إِنَّمَا أَدْعُو إِلَى الْهُدَى وَالْجَمَاعَةِ، ثُمَّ وَثَبَ نَفَرَجَ وَرَكِبَ رَوَاحِلَهُ، فَأَقْبَلَ نَحْوَ الْكُوفَةِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْقِرْعَاءِ لَقِيَهُ سَلْمَةُ بْنُ مَرْثَدٍ أَخُو بَنْتِ مَرْثَدٍ الْقَابِضِي مِنْ هَمْدَانَ - وَكَانَ مِنْ أَشْجَعِ الْعَرَبِ، وَكَانَ نَاسِكًا - فَلَمَّا التَّقِيَا تَصَالَفَا وَتَسَاءَلَا، نَفَرَ الْمُخْتَارُ، ثُمَّ قَالَ لِسَلْمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ: حَدَّثَنِي عَنْ النَّاسِ بِالْكُوفَةِ، قَالَ: هُمْ كَغَمِّ ضَلِّ رَاعِيهَا، فَقَالَ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ: أَنَا الَّذِي أَحْسَنَ رِعَايَتَهَا، وَأَبْلَغَ نَهَايَتَهَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَةُ: اتَّقِ اللَّهَ وَاعْلَمْ أَنَّكَ مَيِّتٌ وَمُبْعُوثٌ، وَمَحَاسِبٌ وَمُجْزِي بِعَمَلِكَ إِنْ خَيْرًا نَفِيرًا وَإِنْ شَرًّا فُشْرًا، ثُمَّ افْتَرَقَا وَأَقْبَلَ الْمُخْتَارُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَحْرِ الْحِيرَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَتَزَلَّ فَاتَّغَسَلَ فِيهِ، وَادَّهَنَ دِهْنًا يَسِيرًا، وَلَبَسَ ثِيَابَهُ وَاعْتَمَ، وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَمَرَّ بِمَسْجِدِ السُّكُونِ وَجِبَانَةِ كَنْدَةَ، لَا يَمُرُّ بِمَجْلِسٍ إِلَّا سَلَّمَ عَلَى أَهْلِهِ، وَقَالَ: أَبْشُرُوا بِالنَّصْرِ وَالْفَلَجِ، أَتَاكُمْ مَا تَحْبُونَ، وَأَقْبَلَ حَتَّى مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي ذَهْلٍ وَبَنِي جَجْرٍ، فَلَمْ يَجِدْ ثُمَّ أَحَدًا، وَوَجَدَ النَّاسَ قَدْ رَاحُوا إِلَى الْجُمُعَةِ، فَأَقْبَلَ حَتَّى مَرَّ بِبَنِي بَدَاءٍ، فَوَجَدَ عُبَيْدَةَ بْنَ عَمْرٍو الْبَدِيَّ مِنْ كَنْدَةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَبْشُرُوا بِالنَّصْرِ وَالْيَسْرِ وَالْفَلَجِ، إِنَّكَ أَبَا عَمْرٍو عَلَى رَأْيٍ حَسَنٍ، لَنْ يَدَعَ اللَّهُ لَكَ مَعَهُ مَأْمَأًا إِلَّا غَفْرَهُ، وَلَا ذَنْبًا إِلَّا سِتْرَهُ - قَالَ: وَكَانَ عُبَيْدَةُ مِنْ أَشْجَعِ النَّاسِ وَأَشْعَرِهِمْ، وَأَشَدَّهُمْ حُبًّا لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ لَا يَصْبِرُ عَنِ الشَّرَابِ - فَلَمَّا قَالَ لَهُ الْمُخْتَارُ هَذَا الْقَوْلَ قَالَ لَهُ عُبَيْدَةُ:

بشرك الله بخير

إنك قد بشرتنا، فهل أنت مفسر لنا؟ قَالَ: نعم، فالقني في الرحل الليلة ثم مضى.

قَالَ أَبُو مخنف: حَدَّثَنِي فضيل بن خديج، عن عبيدة بن عمرو قَالَ: قَالَ لي المختار هذه المقالة، ثُمَّ قَالَ لي: القني في الرحل، وبلغ أهل مسجدكم هذا عنى أنهم قوم أخذ الله ميثاقهم على طاعته، يقتلون المحلين، ويطلبون بدماء أولاد النبيين، ويهديهم للنور المبين، ثُمَّ مضى فَقَالَ لي:

كيف الطريق إلى بني هند؟ فقلت له: أنظرنى أدلك، فدعوت بفريسي وقد أسرج لي فركبته، قَالَ: ومضيت معه إلى بني هند، فَقَالَ: دلتني على منزل إسماعيل بن كثير قَالَ: فضضيت به إلى منزله، فاستخرجته، فحياه ورحب به، وصافحه وبشره، وَقَالَ له: القني أنت وأخوك الليلة وأبو عمرو فأني قد أتيتكم بكل ما تحبون، قَالَ: ثُمَّ مضى ومضينا معه حتى مر بمسجد جهينة الباطنة، ثُمَّ مضى إلى باب الفيل، فأناخ راحلته، ثُمَّ دخل المسجد واستشرف له الناس، وَقَالُوا: هذا المختار قد قدم، فقام المختار إلى جنب سارية من سواري المسجد، فصلى عندها حتى أقيمت الصلاة، فصلى مع الناس ثُمَّ ركد إلى سارية أخرى فصلى ما بين الجمعة والعصر، فلما صلى العصر مع الناس انصرف.

قَالَ أَبُو مخنف: حَدَّثَنِي الْمُجَالِد بن سَعِيد، عن عَامِر الشَّعْبِي، أن المختار مر على حلقة همدان وعليه ثياب السفر، فَقَالَ: أبشروا، فأني قد قدمت عليكم بما يسركم، ومضى حتى نزل داره، وَهِيَ الدار التي تدعى دار سلم ابن المسيب، وكانت الشيعة تختلف إليها وإليه فيها. قَالَ أَبُو مخنف: حَدَّثَنِي فضيل بن خديج، عن عبيد بن عمرو، وإسماعيل بن كثير من بني هند، قَالَا: أتينا من الليل كما وعدنا، فلما دخلنا عليه وجلسنا ساءلنا عن أمر الناس وعن حال الشيعة، فقلنا له: إن الشيعة قد اجتمعت لسليمان بن صرد الخزاعي، وإنه لن يلبث إلا يسيرا حتى يخرج، قَالَ: حَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وصلى على النبي ص ثم قال:

أما بعد، فإن المهدي ابن الوصي، مُحَمَّد بن علي، بعثني إليكم أُمِينًا ووزيرًا ومنتخبًا وأميرًا، وأمرني بقتال الملحدين، والطلب بدماء أهل بيته والدفع عن الضعفاء.

قَالَ أَبُو مخنف: قَالَ فضيل بن خديج: حَدَّثَنِي عبيدة بن عمرو وإسماعيل بن كثير، أنهما كانا أول خلق الله إجابة وضربا على يده، وبإيعاه.

قَالَ: وأقبل المختار يبعث إلى الشيعة وقد اجتمعت عند سليمان بن صرد، فيقول لهم: إني قد جئتكم من قبل ولي الأمر، ومعدن الفضل، ووصي الوصي والإمام المهدي، بأمر فيه الشفاء، وكشف الغطاء، وقتل الأعداء، وتمام النعماء، أن سليمان بن صرد يرحنا الله وإياه إنما هو عشمة من العشم وحفش بال، ليس بذي تجربة للأمر، ولا له علم بالحروب، إنما يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم إني إنما أعمل على مثال قد مثل لي، وأمر قد بين لي، فيه عز وليكم، وقتل عدوكم، وشفاء صدوركم، فاسمعوا مني قولي، وأطيعوا أمري، ثُمَّ أبشروا وتباشروا، فأني لكم بكل ما تأملون خير زعيم.

قال: فو الله ما زال بهذا القول ونحوه حتى استمال طائفة من الشيعة، وكانوا يختلفون إليه ويعظمونه، وينظرون أمره، وعظم الشيعة يومئذ ورؤسائهم مع سليمان بن صرد، وهو شيخ الشيعة وأسئمتهم، فليس يعدلون به أحدا، إلا أن المختار قد استمال منهم طائفة ليسوا بالكثير، فسليمان بن صرد أثقل خلق الله على المختار، وقد اجتمع لابن صرد يومئذ أمره، وهو يريد الخروج والمختار لا يريد أن يتحرك، ولا أن يهيج أمرا حتى ينظر إلى ما يصير إليه أمر سليمان، رجاء أن يستجمع له أمر الشيعة، فيكون أقوى له على درك ما يطلب، فلما خرج سليمان بن صرد ومضى نحو الجزيرة قَالَ عمر بن سعد بن أبي وقاص وشبث بن ربعي ويزيد بن الحارث بن رويم لعبد الله ابن يزيد الخطمي وإبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله: إن المختار أشد

عليكم من سليمان بن صرد، إن سليمان إنما خرج يقاتل عدوكم، ويدلهم لكم، وقد خرج عن بلادكم، وإن المختار إنما يريد أن يشب

عَلَيْكُمْ فِي مَصْرِكُمْ، فسيروا إِلَيْهِ فَأوثقوه فِي الْحَدِيدِ، وَخَلَدُوهُ فِي السَّجْنِ حَتَّى يَسْتَقِيمَ أَمْرُ النَّاسِ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ فِي النَّاسِ، فَمَا شَعَرَ بِشَيْءٍ حَتَّى أَحَاطُوا بِهِ وَبَدَّارَهُ فَاسْتَخْرَجُوهُ، فَلَمَّا رَأَى جَمَاعَتَهُمْ قَالَ: مَا بِالْكُمْ! فَوَاللَّهِ بَعْدَ مَا ظَفَرْتُ أَكْفَكُم! قَالَ: فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ طَلْحَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ: شَدَّه سَكَّافًا، وَمَشَهُ حَافِيًا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا كُنْتُ لِأَمْشِيهِ وَلَا لِأَحْفِيهِ وَلَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ هَذَا بِرَجُلٍ لَمْ يَظْهَرْ لَنَا عِدَاوَةٌ وَلَا حَرْبًا، وَإِنَّمَا أَخَذْنَاهُ عَلَى الظَّنِّ فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ: لَيْسَ بِعَشْكَ فَادْرَجِي، مَا أَنْتَ وَمَا يَبْلُغُنَا عَنْكَ يَا ابْنُ أَبِي عُبَيْدٍ! فَقَالَ لَهُ: مَا الَّذِي بَلَغَكَ عَنِّي إِلَّا بَاطِلٌ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَشٍّ كَغَشِّ ابْنِكَ وَجَدَّكَ! قَالَ: قَالَ فَضِيلٌ: فَوَاللَّهِ إِنِّي لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ حِينَ أُخْرَجَ وَأَسْمَعَ هَذَا الْقَوْلَ حِينَ قَالَ لَهُ، غَيْرَ أَنِّي لَا أُدْرِي أَسْمَعُهُ مِنْهُ إِبْرَاهِيمُ أَمْ لَمْ يَسْمَعْهُ، فَسَكَتَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: وَأَتَى الْمُخْتَارَ بِبَغْلَةٍ دَهْمَاءَ يَرْكَبُهَا، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ: أَلَا تَشُدُّ عَلَيْهِ الْقِيُودَ؟ فَقَالَ: كَفَى لَهُ بِالسَّجْنِ قِيدًا.

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: وَأَمَّا يَحْيَى بْنُ أَبِي عَيْسَى فَحَدَّثَنِي أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ إِلَيْهِ مَعَ حَمِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ الْأَزْدِيِّ نَزُورَهُ وَتَتَعَاهَدُهُ، فَرَأَيْتُهُ مُقِيدًا، قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: أَمَّا وَرَبُّ الْبَحَارِ، وَالنَّخِيلِ وَالْأَشْجَارِ، وَالْمَهَامَةِ وَالْقَفَّارِ، وَالْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ، وَالْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ، لِأَقْتُلَنَّ كُلَّ جَبَّارٍ، بِكُلِّ لَدُنْ خَطَارٍ، وَمَهْنَدٍ بَتَارٍ، فِي جُمُوعٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، لَيْسُوا بِمِثْلِ أَغْمَارٍ، وَلَا بِعِزْلِ أَشْرَارٍ، حَتَّى إِذَا أَقْبَتَ عُمُودُ الدِّينِ، وَرَأَيْتُ شَعْبَ صَدْعِ الْمُسْلِمِينَ، وَشَفِيتُ

٥٠٢٨٠١٤ ذكر الخبر عن هدم ابن الزبير الكعبة

غَلِيلُ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَدْرَكَتْ بَثَارُ النَّبِيِّينَ، وَلَمْ يَكْبُرْ عَلَيَّ زَوَالُ الدُّنْيَا وَلَمْ أَحْفَلْ بِالمَوْتِ إِذَا أَتَى. قَالَ: فَكَانَ إِذَا أَتَيْنَاهُ وَهُوَ فِي السَّجْنِ رَدَدَ عَلَيْنَا هَذَا الْقَوْلَ حَتَّى خَرَجَ مِنْهُ، قَالَ: وَكَانَ يَتَشَجَعُ لِأَصْحَابِهِ بَعْدَ مَا خَرَجَ ابْنُ صَرْدٍ. ذكر الخبر عن هدم ابن الزبير الكعبة

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ هَدَمَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْكُعْبَةَ، وَكَانَتْ قَدْ مَالَ حَيْطَانُهَا مِمَّا رَمَيْتَ بِهِ مِنْ حِجَارَةِ الْمَجَانِيقِ، فَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُوسَى حَدَّثَهُ عَنْ عِكْرَمَةَ بْنِ خَالِدٍ، قَالَ: هَدَمَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْبَيْتَ حَتَّى سَوَاهُ بِالْأَرْضِ، وَحَفَرَ أَسَاسَهُ وَأَدْخَلَ الْحَجَرَ فِيهِ، وَكَانَ النَّاسُ يَطُوفُونَ مِنْ وَرَاءِ الْأَسَاسِ، وَيَصْلُونَ إِلَى مَوْضِعِهِ، وَجَعَلَ الرُّكْنَ الْأَسْوَدَ عِنْدَهُ فِي تَابُوتٍ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، وَجَعَلَ مَا كَانَ مِنْ حِلْيَةِ الْبَيْتِ وَمَا وَجَدَ فِيهِ مِنْ ثِيَابٍ أَوْ طِيبٍ عِنْدَ الْحِجَابَةِ فِي خِزَانَةِ الْبَيْتِ، حَتَّى أَعَادَهَا لَمَّا أَعَادَ بِنَاءَهُ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: وَحَدَّثَنِي مَعْقِلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: رَأَيْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ هَدَمَ الْبَيْتَ كُلَّهُ حَتَّى وَضَعَهُ بِالْأَرْضِ. وَجَّجَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ.

وَكَانَ عَامِلَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ فِيهَا أَخُوهُ عُبَيْدَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَعَلَى الْكُوفَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْخَطْمِيُّ، وَعَلَى قَضَائِهَا سَعِيدُ بْنُ ثَمَرَانَ. وَأَبَى شَرِيحٌ أَنْ يَقْضِيَ فِيهَا، وَقَالَ فِيمَا ذَكَرَ عَنْهُ: أَنَا لَا أَقْضِي فِي الْفِتْنَةِ.

وَعَلَى الْبَصْرَةِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ التَّيْمِيِّ، وَعَلَى قَضَائِهَا هِشَامُ بْنُ هَبِيرَةَ، وَعَلَى خُرَاسَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ

٥٠٢٩ سنة خمس وستين

سنة خمس وستين

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَحْدَاثِ الْجَلِيلَةِ) فَهَذَا ذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ التَّوَابِينَ وَشُخُوصِهِمْ لِلطَّلَبِ بِدَمِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ.

قَالَ هِشَامُ: قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: حَدَّثَنِي أَبُو يُونُسَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ الْأَحْمَرِيِّ، قَالَ: بَعَثَ سُلَيْمَانُ بْنُ صَرْدٍ إِلَى وَجْهِ أَصْحَابِهِ حِينَ

أراد الشخصوص وذلك في سنة خمس وستين، فأتوه، فلما استهل الهلال هلال شهر ربيع الآخر، خرج في وجوه أصحابه، وقد كان واعد أصحابه عامة للخروج في تلك الليلة للمعسكر بالنخيلة فخرج حتى أتى عسكره، فدار في الناس ووجوه أصحابه، فلم يعجبه عدة الناس، فبعث حكيم بن منقذ الكندي في خيل، وبعث الوليد بن غصين الكاثي في خيل، وقال: اذهبا حتى تدخلا الكوفة فناديا: يا لثارات الحسين! وابلغا المسجد الأعظم فناديا بذلك، فخرجا، وكانا أول خلق الله دعوا: يا لثارات الحسين! قال: فأقبل حكيم بن منقذ الكندي في خيل والوليد بن غصين في خيل، حتى مرا بيني كثير، وأن رجلا من بني كثير من الأزد يقال له عبد الله بن خازم مع امرأته سهلة بنت سبرة بن عمرو من بني كثير، وكانت من أجمل الناس وأحبهم إليه، سمع الصوت: يا لثارات الحسين! وما هو ممن كان يأتيهم، ولا استجاب لهم فوثب إلى ثيابه فلبسها، ودعا بسلاحه، وأمر بإسراج فرسه، فقالت له امرأته: ويحك! أجننت! قال: لا والله، ولكني سمعت داعي الله، فأنا مجيبه، أنا طالب بدم هذا الرجل حتى أموت، أو يقضي الله من أمري ما هو أحب إليه، فقالت له: إلى من تدع بنيك هذا؟ قال: إلى الله وحده لا شريك له، اللهم إني أستودعك أهلي وولدي،

اللهم احفظني فيهم، وكان ابنه ذلك يدعى عزرة، فبقي حتى قتل بعد مع مصعب بن الزبير، وخرج حتى لحق بهم، فقعدت امرأته تبكيه واجتمع إليها نساؤها، ومضى مع القوم، وطافت تلك الليلة الخيل بالكوفة، حتى جاءوا المسجد بعد العتمة، وفيه ناس كثير يصلون، فنادوا: يا لثارات الحسين! وفيهم أبو عزرة القابضي وركب بن نمران يصلي، فقال:

يا لثارات الحسين! أين جماعة القوم؟ قيل: بالنخيلة، فخرج حتى أتى أهله، فأخذ سلاحه، ودعا بفرسه ليركبه، فجاءته ابنته الرواع- وكانت تحت ثبيت بن مرثد القابضي، فقالت: يا أبت، ما لي أراك قد تقلدت سيفك، ولبست سلاحك! فقال لها: يا بنية، إن أباك يفر من ذنبه إلى ربه، فأخذت تنتحب وتبكي، وجاءه أصهاره وبنو عمه، فودعهم، ثم خرج فلحق بالقوم، قال: فلم يصبح سليمان بن صرد حتى أتاها نحو ممن كان في عسكره حين دخله، قال: ثم دعا بديوانه لينظر فيه إلى عدة من بايعه حين أصبح، فوجدهم ستة عشر ألفا، فقال: سبحان الله! ما وافانا إلا أربعة آلاف من ستة عشر ألفا.

قال أبو مخنف: عن عطية بن الحارث، عن حميد بن مسلم، قال: قلت لسليمان بن صرد: إن المختار والله يثبط الناس عنك، إني كنت عنده أول ثلاث، فسمعت نفرا من أصحابه يقولون: قد كملنا ألفي رجل، فقال:

وهب أن ذلك كان، فأقام عنا عشرة آلاف، أما هؤلاء بمؤمنين! أما يخافون الله! أما يذكرون الله، وما أعطونا من أنفسهم من العهود والمواثيق ليجاهدن ولينصرن! فأقام بالنخيلة ثلاثا يبعث ثقاته من أصحابه إلى من تخلف عنه يذكروهم الله وما أعطوه من أنفسهم، فخرج إليه نحو من ألف رجل، فقام المسيب بن نجبة إلى سليمان بن صرد، فقال: رحمك

الله، إنه لا ينفك الكاره، ولا يقاتل معك الا من اخرجته النية، فلا تنتظرن أحدا، واكش في أمرك قال: فإنك والله لنعما رأيت! فقام سليمان بن صرد في الناس متوكئا على قوس له عربية فقال: أيها الناس، من كان إنما أخرجته إرادة وجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه، فرحمة الله عليه حيا وميتا، ومن كان إنما يريد الدنيا وحرثها فوالله ما تأتي فينا نستفيثه، ولا غنيمة نغنيها، ما خلا رضوان الله رب العالمين، وما معنا من ذهب ولا فضة، ولا خز ولا حرير وما هي إلا سيوفنا في عواتقنا، ورماحنا في أكفنا، وزاد قدر البلغة إلى لقاء عدونا، فمن كان غير هذا ينوي فلا يصحبنا.

فقام صخير بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني، فقال: آتاك الله رشدا، ولقاك حجتك، والله الذي لا إله غيره ما لنا خير في صحبة من الدنيا همته ونيتة أيها الناس، إنما أخرجتنا التوبة من ذنبا، والطلب بدم من نبينا، ص ليس معنا دينار ولا درهم، إنما نقدم على حد السيوف وأطراف الرماح، فتنادي الناس من كل جانب: إنا لا نطلب الدنيا، وليس لها خرجنا.

قال أبو مخنف: عن إسماعيل بن يزيد الأزدي، عن السري بن كعب الأزدي، قال: أتينا صاحبنا عبد الله بن سعد بن نفيل نودعه،

قَالَ: فقام فقمنا معه، فدخل على سُلَيْمَانَ ودخلنا معه، وَقَدْ أَجْمَعَ سُلَيْمَانُ بِالْمَسِيرِ، فَأشارَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بْنُ نَفِيلٍ أَنْ يَسِيرَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، فَقَالَ هُوَ وَرِئُوسُ أَصْحَابِهِ: الرَّأْيُ مَا أَشارَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بْنُ نَفِيلٍ أَنْ يَسِيرَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ قَاتِلِ صَاحِبِنَا، وَمِنْ قَبْلِهِ أَتَيْنَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ وَعِنْدَهُ رِئُوسُ أَصْحَابِهِ جُلُوسَ حَوْلِهِ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا إِنْ يَكُنْ صَوَابًا فَاللَّهُ وَفَقَ، وَأَنْ يَكُنْ لَيْسَ بِصَوَابٍ فَمِنْ قَبْلِي، فَإِنِّي مَا أَلُوكُم وَنَفْسِي نَصَحًا، خَطَأً كَانَ أَمْ صَوَابًا، إِنَّمَا خَرَجْنَا نَطْلُبُ بَدْمَ الْحُسَيْنِ، وَقَتْلَةَ الْحُسَيْنِ كُلَّهُم بِالْكُوفَةِ، مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَرِئُوسُ الْأَرْبَاعِ وَأَشْرَافُ الْقَبَائِلِ، فَإِنِّي نَذِيبُ هَاهُنَا وَنَدْعُ الْأَقْتَالَ وَالْأَوْتَارَ! فَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ صَرْدٍ:

فَإِذَا تَرَوْنَ؟ فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ بِرَأْيٍ، وَإِنْ مَا ذَكَرْ لَكُمَا ذَكَرَ، وَاللَّهُ مَا نَلْقَى مِنْ قَتْلَةِ الْحُسَيْنِ إِنْ نَحْنُ مُضِينَ نَحْوَ الشَّامِ غَيْرَ ابْنِ زِيَادٍ، وَمَا طَلَبْنَا إِلَّا هَاهُنَا بِالصَّامِرِ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ صَرْدٍ: لَكِنْ أَنَا مَا أَرَى ذَلِكَ لَكُمْ، إِنْ الَّذِي قَتَلَ صَاحِبَكُمْ، وَعَبَا الْجُنُودَ إِلَيْهِ، وَقَالَ: لَا أَمَانُ لَهُ عِنْدِي دُونَ أَنْ يَسْتَسْلِمَ فَأَمْضِيَ فِيهِ حَكْمِي هَذَا الْفَاسِقُ ابْنُ الْفَاسِقِ ابْنُ مَرْجَانَةَ، عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ، فَسَيُورُوا إِلَى عَدُوِّكُمْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ، فَإِنْ يَظْهَرَكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ رَجُونَا أَنْ يَكُونَ مِنْ بَعْدِهِ أَهْوَنُ شَوْكَةً مِنْهُ، وَرَجُونَا أَنْ يَدِينَ لَكُمْ مِنْ وَرَاءِ كَمِ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ كَمِ فِي عَافِيَةٍ، فَتَنْتَظِرُونَ إِلَى كُلِّ مَنْ شَرَكُ فِي دَمِ الْحُسَيْنِ فَتَقَاتِلُونَهُ وَلَا تَغْشَمُوا، وَإِنْ تَسْتَشْهَدُوا فَإِنَّمَا قَاتَلْتُمُ الْحَلِينَ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ وَالصَّادِقِينَ، إِنِّي لِأَحِبُّ أَنْ تَجْعَلُوا حَدَكُمْ وَشَوْكَتَكُمْ بِأَوَّلِ الْحَلِينَ الْقَاسِطِينَ وَاللَّهُ لَوْ قَاتَلْتُمْ غَدَا أَهْلَ مِصْرَ كَمِ مَا عَدِمَ رَجُلٌ أَنْ يَرَى رَجُلًا قَدْ قَتَلَ أَخَاهُ وَأَبَاهُ وَحَمِيمَهُ، أَوْ رَجُلًا لَمْ يَكُنْ يَرِيدُ قَتْلَهُ، فَاسْتَخِيرُوا اللَّهَ وَسَيُورُوا فَتَهْبِئُوا النَّاسَ لِلشَّخْصِ قَالَ: وَبَلَغَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِنَ طَلْحَةَ خُرُوجَ ابْنِ صَرْدٍ وَأَصْحَابِهِ، فَنَظَرَا فِي أَمْرِهِمَا، فَرَأَيَا أَنْ يَأْتِيَاهُمَا فَيَعْرِضَا عَلَيْهِمَ الْإِقَامَةَ، وَأَنْ تَكُونَ أَيْدِيَهُمَا وَاحِدَةً، فَإِنْ أَبَوْا إِلَّا الشَّخْصَ سَأَلُوهُمُ النَّظْرَةَ حَتَّى يَعْجَبُوا مَعَهُمْ جَيْشًا فَيَقَاتِلُوا عَدُوَّهُمْ بِكَشْفٍ وَاحِدٍ، فَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِنَ طَلْحَةَ سُوَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ صَرْدٍ، فَقَالَ لَهُ: إِنْ عَبْدُ اللَّهِ وَإِبْرَاهِيمُ يَقُولَانِ: إِنَّا نَزِيدُ أَنْ نَجِثُكَ

الآن لِأَمْرِ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا وَلَكَ فِيهِ صِلَاحًا، فَقَالَ: قُلْ لِهَما فليأتينا، وَقَالَ سُلَيْمَانُ لِرِفَاعَةَ بْنِ شَدَادِ الْبَجَلِيِّ: قُمْ أَنْتَ فَأَحْسِنِ تَعْبِئَةَ النَّاسِ، فَإِنْ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ قَدْ بَعَثَا بِكِتَابِكِ وَكِتِ، فَدَعَا رِئُوسَ أَصْحَابِهِ لِيَجْلُوسُوا حَوْلَهُ فَلَمْ يَمْكُثُوا إِلَّا سَاعَةً حَتَّى جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ فِي أَشْرَافِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالشَّرْطِ وَكَثِيرٍ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِنَ طَلْحَةَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ لِكُلِّ رَجُلٍ مَعْرُوفٍ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ شَرَكُ فِي دَمِ الْحُسَيْنِ:

لَا تَصْحَبْنِي إِلَيْهِمْ مَخَافَةَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَيْهِ فَيَعِدُوا عَلَيْهِ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ تِلْكَ الْأَيَّامَ الَّتِي كَانَ سُلَيْمَانُ مَعْسُكِرًا فِيهَا بِالنَّخِيلَةِ لَا يَبِيتُ إِلَّا فِي قِصْرِ الْإِمَارَةِ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ مَخَافَةَ أَنْ يَأْتِيَهُ الْقَوْمُ فِي دَارِهِ، وَيَذْمُرُوا عَلَيْهِ فِي بَيْتِهِ وَهُوَ فَاعِلٌ لَا يَعْلَمُ فَيَقْتُلُ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ: يَا عَمْرُو بْنُ حَرِثٍ، إِنْ أَنَا أَبْطَأْتُ عَنْكَ فَصَلِّ بِالنَّاسِ الظَّهْرَ.

فَلَمَّا انْتَهَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ صَرْدٍ دَخَلَا عَلَيْهِ، فَحَمَدَ اللَّهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: إِنْ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَخُونُهُ، وَلَا يَغْشَاهُ، وَأَنْتُمْ إِخْوَانُنَا، وَأَهْلُ بَلَدُنَا، وَأَحِبُّ أَهْلَ مِصْرَ خَلَقَهُ اللَّهُ إِلَيْنَا، فَلَا تَفْجَعُونَا بِأَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَسْتَبْدُوا عَلَيْنَا بِرَأْيِكُمْ، وَلَا تَنْقُصُوا عِدَدَنَا بِخُرُوجِكُمْ مِنْ جَمَاعَتِنَا، أَقِيمُوا مَعَنَا حَتَّى نَتَيْسَرَ وَنَهْبِئًا، فَإِذَا عَلِمْنَا أَنَّ عِدَدَنَا قَدْ شَارَفَ بَلَدَنَا خَرَجْنَا إِلَيْهِمْ بِجَمَاعَتِنَا فَقَاتَلْنَاهُمْ وَتَكَلَّمَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِنَحْوِ هَذَا الْكَلَامِ قَالَ: فَحَمَدَ اللَّهُ سُلَيْمَانَ بْنَ صَرْدٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لِهَما: إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ قَدْ مُحَضَّتُمَا فِي النَّصِيحَةِ، وَاجْتَهَدْتُمَا فِي الْمَشُورَةِ، فَحَنَّا بِاللَّهِ وَلَهُ، وَقَدْ خَرَجْنَا لِأَمْرٍ، وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ وَالتَّسَدِيدِ لِأَصُوبِهِ، وَلَا نَرَانَا إِلَّا شَاخِصِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ.

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ: فَأَقِيمُوا حَتَّى نَعْبِيَّ مَعَكُمْ جَيْشًا كَثِيفًا، فَتَلْقُوا عَدُوَّكُمْ بِكَثْفٍ وَجَمْعٍ وَاحِدٍ فَقَالَ سُلَيْمَانُ: تَنْصَرِفُونَ، وَنَرَى فِيمَا بَيْنَنَا، وَسَيَأْتِيَكُمُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ رَأْيِي

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: عَنْ عَبْدِ الْجَبَّارِ- يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ الْهَمْدَانِي- عَنْ عَوْنِ ابْنِ أَبِي جَحِيْفَةَ السَّوَّائِي، قَالَ: ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدٍ ابْنَ طَلْحَةَ عَرْضَا عَلَى سُلَيْمَانَ أَنْ يَقِيمَ مَعَهُمَا حَتَّى يَلْقُوا جَمْعَ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى أَنْ يَخْصَاهُ وَأَصْحَابَهُ بِخَرَاكِ جَوْخِي خَاصَّةً لَهُمْ دُونَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهُمَا سُلَيْمَانُ: إِنَّا لَيْسَ لِلدُّنْيَا خَرَجْنَا، وَإِنَّمَا فَعَلْنَا ذَلِكَ لِمَا قَدْ كَانَ بَلْغُهُمَا مِنْ إِقْبَالِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ نَحْوِ الْعِرَاقِ وَانْصَرَفَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ إِلَى الْكُوفَةِ، وَأَجْمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الشَّخْصِ وَاسْتَقْبَلَ ابْنَ زِيَادٍ، وَنَظَرُوا فَإِذَا شِيعَتُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ لَمْ يُوَافِهِمْ لِمُعَادِهِمْ وَلَا أَهْلَ الْمَدَائِنِ، فَأَقْبَلَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يُلْزِمُونَهُمْ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ: لَا تَلْزِمُوهُمْ فَإِنِّي لَا أُرَاهُمْ إِلَّا سَيَسْرِعُونَ إِلَيْكُمْ، لَوْ قَدْ انْتَهَى إِلَيْهِمْ خَبَرُكُمْ وَحِينَ مَسِيرِكُمْ، وَلَا أُرَاهُمْ خَلْفَهُمْ وَلَا أَقْعَدَهُمْ إِلَّا قَلَّةٌ الْفَقَّةُ وَسُوءُ الْعُدَّةِ، فَأَقِيمُوا لِيَتَسَرَّعُوا وَيَتَجَهَّزُوا وَيَلْحَقُوا بِكُمْ وَبِهِمْ قُوَّةٌ، وَمَا أَسْرَعَ الْقَوْمُ فِي آثَارِكُمْ قَالَ: ثُمَّ إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ صَرْدٍ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيْبًا، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَ مَا تَتَوَنَّنُونَ، وَمَا خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ، وَإِنَّا لِلدُّنْيَا تَجَارًا، وَلِلْآخِرَةِ تَجَارًا، فَأَمَّا تَاجِرُ الْآخِرَةِ فَسَاعِدٌ إِلَيْهَا، مُتَنَصِّبٌ بِتَطْلُبِهَا، لَا يَشْتَرِي بِهَا ثَمَنًا، لَا يَرَى إِلَّا قَائِمًا وَقَاعِدًا، وَرَاكِعًا وَسَاجِدًا، لَا يَطْلُبُ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً، وَلَا دُنْيَا وَلَا لَذَّةً، وَأَمَّا تَاجِرُ الدُّنْيَا فَمَكْبُوعٌ عَلَيْهَا، رَاتِعٌ فِيهَا، لَا يَبْتَغِي بِهَا بَدَلًا، فَعَلَيْكُمْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ فِي وَجْهِكُمْ هَذَا بَطُولُ الصَّلَاةِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَبِذِكْرِ اللَّهِ كَثِيرًا عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَتَقَرُّبُوا إِلَى اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ بِكُلِّ خَيْرٍ قَدَرْتُمْ عَلَيْهِ، حَتَّى تَلْقُوا هَذَا الْعَدُوَّ وَالْحُلَّ الْقَاسِطَ فَتَجَاهِدُوهُ، فَإِنْ تَوَسَّلُوا إِلَى رَبِّكُمْ بِشَيْءٍ هُوَ أَعْظَمُ عِنْدَهُ ثَوَابًا مِنَ الْجِهَادِ وَالصَّلَاةِ، فَإِنَّ الْجِهَادَ سَنَامُ الْعَمَلِ جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْعِبَادِ الصَّالِحِينَ، الْمُجَاهِدِينَ الصَّابِرِينَ عَلَى الْأَوَاءِ! وَإِنَّا مَدْلُجُونَ اللَّيْلَةَ مِنْ مَنَازِلِنَا هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَادْلُجُوا.

فَادْلُجْ عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ لَخْمَسٍ مُضِيِّنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ لِلْهِجْرَةِ

قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ سُلَيْمَانُ وَأَصْحَابُهُ مِنَ النَّخِيلَةِ دَعَا سُلَيْمَانُ بْنَ صَرْدٍ حَكِيمَ ابْنَ مَنَقْدٍ فَنَادَى فِي النَّاسِ: أَلَا لَا يَبِيتُنَ رَجُلٌ مِنْكُمْ دُونَ دِيرِ الْأَعُورِ.

فَبَاتَ النَّاسُ بِدِيرِ الْأَعُورِ، وَتَخَلَّفَ عَنْهُ نَاسٌ كَثِيرٌ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلَ الْأَقْسَاسَ، أَقْسَاسُ مَالِكٍ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ، فَعَرَضَ النَّاسُ، فَسَقَطَ مِنْهُمْ نَحْوُ مِنْ أَلْفٍ رَجُلًا، فَقَالَ ابْنُ صَرْدٍ: مَا أَحَبُّ أَنْ مِنْ تَخَلَّفَ عَنْكُمْ مَعَكُمْ، وَلَوْ خَرَجُوا مَعَكُمْ مَا زَادَكُمْ إِلَّا خَبَالًا، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَرِهَ انْبِعَاشَهُمْ فَتَبَطَّطَهُمْ، وَخَصَّكُمْ بِفَضْلِ ذَلِكَ، فَاحْمَدُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ مَنَازِلِهِ ذَلِكَ دَلْجَةً، فَصَبَحُوا قَبْرَ الْحُسَيْنِ، فَأَقَامُوا بِهِ لَيْلَةً وَيَوْمًا يَصْلُونَ عَلَيْهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ، قَالَ: فَلَمَّا انْتَهَى النَّاسُ إِلَى قَبْرِ الْحُسَيْنِ صَاحُوا صَبِيحَةً وَاحِدَةً، وَبَكَوْا، فَمَا رَأَى يَوْمَ كَانَ أَكْثَرُ بَاكِيًا مِنْهُ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَقَدْ حَدَّثَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَنْدَبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَزِيَّةٍ، قَالَ: لَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى قَبْرِ الْحُسَيْنِ عَ بَكَى النَّاسُ بِأَجْمَعِهِمْ، وَسَمِعْتُ جُلَّ النَّاسِ يَقْتَنُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَصِيبُوا مَعَهُ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ: اللَّهُمَّ ارْحَمْ حَسِينَ الشَّهِيدِ ابْنَ الشَّهِيدِ، الْمَهْدِيَّ ابْنَ الْمَهْدِيِّ، الصَّدِيقَ ابْنَ الصَّدِيقِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْهَدُكَ أَنَا عَلَى دِينِهِمْ وَسَبِيلِهِمْ، وَأَعْدَاءُ قَاتِلِهِمْ، وَأَوْلِيَاءُ مُحِبِّهِمْ ثُمَّ انْصَرَفَ وَنَزَلَ، وَنَزَلَ أَصْحَابُهُ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ كَهِيلٍ، عَنْ أَبِي صَادِقٍ، قَالَ: لَمَّا انْتَهَى سُلَيْمَانُ بْنُ صَرْدٍ وَأَصْحَابُهُ إِلَى قَبْرِ الْحُسَيْنِ نَادَوْا صَبِيحَةً وَاحِدَةً: يَا رَبُّ إِنَّا قَدْ خَذَلْنَا ابْنَ بَنَاتِ نَبِيِّنَا، فَاعْفِرْ لَنَا مَا مَضَى مِنَّا، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ، وَارْحَمْ حَسِينَ وَأَصْحَابَهُ الشَّهَدَاءَ الصَّدِيقِينَ، وَإِنَّا نَشْهَدُكَ يَا رَبُّ أَنَا عَلَى مِثْلِ مَا قَتَلُوا عَلَيْهِ، فَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ، قَالَ: فَأَقَامُوا عِنْدَهُ يَوْمًا وَلَيْلَةً يَصْلُونَ عَلَيْهِ وَيَبْكُونَ وَيَتَضَرَّعُونَ، فَمَا انْفَكَ النَّاسُ مِنْ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ يَتَرَحَّمُونَ عَلَيْهِ وَعَلَى

أَصْحَابِهِ، حَتَّى صَلُّوا الْغَدَاةَ مِنَ الْغَدِ عِنْدَ قَبْرِهِ، وَزَادَهُمْ ذَلِكَ حَنَقًا ثُمَّ رَكَبُوا، فَأَمَرَ سُلَيْمَانُ النَّاسَ بِالْمَسِيرِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ لَا يَمِضِي حَتَّى يَأْتِيَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ فَيَقُومُ عَلَيْهِ، فَيَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ لَرَأَيْتُهُمْ ازْدَحَمُوا عَلَى قَبْرِهِ أَكْثَرَ مِنْ ازْدِحَامِ النَّاسِ عَلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ قَالَ: وَوَقَفَ سُلَيْمَانُ عِنْدَ قَبْرِهِ، فَكَلَّمَهَا دَعَا لَهُ قَوْمٌ وَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ الْمَسِيبُ بْنُ نُجْبَةَ وَسُلَيْمَانُ بْنُ صَرْدٍ: الْحَقُّوْا بِإِخْوَانِكُمْ رَحِمَكُمُ اللَّهُ!

فما زال كذلك حتى بقي نحو من ثلاثين من أصحابه، فأحاط سُلَيْمَانُ بالقبر هو وأصحابه، فَقَالَ سُلَيْمَانُ: الحمد لله الذي لو شاء أكرمنا بالشهادة مع الحسين، اللهم إزدحمتها معه فلا تحرمناها فيه بعده وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بن وال: أما والله إني لأظن حسينا وأباه وأخاه أفضل أمه محمد ص وسيلة عند الله يوم القيامة، أفما عجبتم لما ابتليت به هذه الأمة منهم! إِنَّهُمْ قَتَلُوا اثْنَيْنِ، وَأَشْفُوا بِالثَّالثِ عَلَى الْقَتْلِ، قَالَ: يقول المسيب بن نجبة: فأنا من قتلهم ومن كان على رأيهم بريء، إياهم أعادي وأقاتل قَالَ: فأحسن الرؤوس كلهم المنطق، وَكَانَ الْمُثَنَّى بن مخزبه صاحب أحد الرؤوس والأشراف، فسأني حيث لم أسمعته تكلم مع القوم بنحو ما تكلموا به، قال: فوالله ما لبث إن تكلم بكلمات ما كن بدون كلام أحد من القوم، فَقَالَ: إن الله جعل هؤلاء الذين ذكركم بمكانهم من نبيهم ص أفضل ممن هو دون نبيهم، وَقَدْ قَتَلَهُمْ قَوْمٌ نَحْنُ لَهُمْ أَعْدَاءُ، وَمِنْهُمْ بَرَاءٌ، وَقَدْ خَرَجْنَا مِنَ الدِّيارِ والأهلين والأموال إرادة استئصال من قتلهم، فوالله لو أن القتال فيهم بمغرب الشمس أو بمنقطع التراب يحق علينا طلبه حتى نناله، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الْغَنَمُ، وَهِيَ الشَّهَادَةُ الَّتِي ثَوَابُهَا الْجَنَّةُ، فَقُلْنَا لَهُ: صدقت وأصببت ووفقت.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّ سُلَيْمَانَ بن صرد سار من موضع قبر الحسين وسرنا معه، فَأَخَذْنَا عَلَى الْحِصَاةِ، ثُمَّ عَلَى الْأَنْبَارِ، ثُمَّ عَلَى الصَّدُودِ، ثُمَّ عَلَى الْقِيَارَةِ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: عن الحارث بن حصيرة وغيره: أن سُلَيْمَانَ بعث على

مقدمته كُرَيْبَ بن يَزِيدَ الحِميري.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي الْحَصِينُ بن يَزِيدَ، عن السري بن كعب، قَالَ: خرجنا مع رجال الحي نشيعهم، فلما انتهينا إلى قبر الحسين وانصرف سُلَيْمَانُ بن صرد وأصحابه عن القبر، ولزموا الطريق، استقدمهم عبد الله ابن عوف بن الأحمر على فرس له مهلوب كميث مربوع، يتأكل تأكلاً، وهو يرتجز ويقول:

خرجن يلعن بنا أرسالا ... عوايسا يحملنا أبطالا

نريد أن نلقى به الأقتالا ... القاسطين الغدر الضلالا

وَقَدْ رَفَضْنَا الْأَهْلَ والأموالا ... وانخفرت البيض والحجالا

نرضي به ذا النعم المفضالا.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: عن سعد بن مجاهد الطائي، عن المحل بن خليفة الطائي، أن عبد الله بن يَزِيدَ كتب إلى سُلَيْمَانَ بن صرد، أحسبه قَالَ: بعثني به، فلحقته بالقيارة، واستقدم أصحابه حتى ظن أن قد سبقهم، قَالَ:

فوقف وأشار إلى الناس، فوقفوا عليه، ثُمَّ أَقْرَأَهُمْ كِتَابَهُ، فَإِذَا فِيهِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من عبد الله بن يَزِيدَ إلى سُلَيْمَانَ بن صرد ومن معه من المسلمين سلام عليكم، أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ كِتَابِي هَذَا إِلَيْكُمْ كِتَابٌ ناصح ذي إرعاء، وكم من ناصح مستغش، وكم من غاش مستنصح محب، إنه بلغني أنكم تريدون المسير بالعدد اليسير إلى الجمع الكثير، وإنه من يرد أن ينقل الجبال عن مراتبها تكل معاولة، وينزع وهو مذموم العقل والفعل.

يَا قَوْمُنَا لَا تَطْمَعُوا عِدْوَكُمْ فِي أَهْلِ بِلَادِكُمْ، فَإِنَّكُمْ خِيَارُ كَلِمِكُمْ، وَمَتَى مَا يَصِبْكُمْ عِدْوُكُمْ يَعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَعْلَامُ مِصْرِكُمْ، فَيَطْمَعُكُمْ ذَلِكَ فِيمَنْ وَرَاءَكُمْ

يَا قَوْمُنَا، «إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعْدُوْكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا»، يَا قَوْمُ، إِنْ أَيْدِينَا وَأَيْدِيكُمْ الْيَوْمَ وَاحِدَةٌ، وَإِنْ عِدُونَا وَعِدْوُكُمْ وَاحِدٌ، وَمَتَى تَجْتَمِعُ كُلُّمْنَا نَظْهَرُ عَلَى عِدُونَا، وَمَتَى تَخْتَلِفُ تَهْنُ شَوْكُنَا عَلَى مَنْ خَالَفَنَا، يَا قَوْمُنَا لَا تَسْتَغْشُوا نَصْحِي، وَلَا تَخَالَفُوا أَمْرِي، وَأَقْبَلُوا حِينَ يَقْرَأُ عَلَيْكُمْ كِتَابِي، أَقْبَلِ اللَّهُ بِكُمْ إِلَى طَاعَتِهِ، وَأَدْبِرْ بِكُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَالسَّلَامُ.

قَالَ: فلما قرئ الكتاب على ابن صرد وأصحابه قَالَ لِلنَّاسِ: مَا تَرَوْنَ؟

قَالُوا: ماذا ترى؟ قَدْ أَبَيْنَا هَذَا عَلَيْكُمْ وَعَلَيْهِمْ، وَنَحْنُ فِي مِصْرِنَا وَأَهْلِنَا، فَلَا أَنْ خَرَجْنَا وَوَطْنَا أَنْفُسَنَا عَلَى الْجِهَادِ، وَدُنُونَا مِنْ أَرْضِ عِدُونَا!

مَا هَذَا بَرَأَيْ ثُمَّ نَادَوْهُ أَنْ أَخْبِرْنَا بِرَأْيِكَ، قَالَ: رَأَيْي وَاللَّهِ أَنْكُمْ لَمْ تَكُونُوا قَطُّ أَقْرَبَ مِنْ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ مِنْكُمْ يَوْمَكُمْ هَذَا، الشَّهَادَةُ وَالْفَتْحُ، وَلَا أَرَى أَنْ تَتَصَرَّفُوا عَمَّا جَمَعَكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، وَأُرَدِّمُ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ، أَنَا وَهَؤُلَاءِ مُخْتَلِفُونَ، إِنْ هَؤُلَاءِ لَوْ ظَهَرُوا دَعَوْنَا إِلَى الْجِهَادِ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَلَا أَرَى الْجِهَادَ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ إِلَّا ضَلَالًا، وَإِنَّا إِنْ نَحْنُ ظَهَرْنَا رَدَدْنَا هَذَا الْأَمْرَ إِلَى أَهْلِهِ، وَإِنْ أَصَبْنَا فَعَلَى نِيَاتِنَا، تَائِبِينَ مِنْ ذُنُوبِنَا، إِنْ لَنَا شَكْلًا، وَإِنْ لَابْنِ الزُّبَيْرِ شَكْلًا، إِنَّا وَإِيَاهُمْ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي كَثَانَةَ:

أَرَى لَكَ شَكْلًا غَيْرَ شَكْلِي فَأَقْصِرِي ... عَنْ اللُّومِ إِذْ بَدَلْتَ وَاخْتَلَفَ الشَّكْلُ
قَالَ: فَانْصَرَفَ النَّاسُ مَعَهُ حَتَّى نَزَلَ هَيْتَ، فَكَتَبَ سُلَيْمَانُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لِلْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ، مِنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صَرْدٍ وَمِنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَا بَعْدُ، فَقَدْ قَرَأْنَا كِتَابَكَ، وَفَهَمْنَا مَا نَوَيْتَ، فَنَعَمْ وَاللَّهِ الْوَالِي، وَنَعَمْ الْأَمِيرُ، وَنَعَمْ أَخُو الْعَشِيرَةِ، أَنْتَ وَاللَّهُ مِنْ تَأْمَنِهِ بِالْغَيْبِ، وَنَسْتَنْصَحُهُ فِي الْمَشُورَةِ، وَنَحْمَدُهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، إِنَّا سَمِعْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ» - إِلَى قَوْلِهِ: «وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» إِنْ الْقَوْمَ قَدْ اسْتَبَشَرُوا بَبَيْعَتِهِمْ

الَّتِي بَايَعُوا، أَنَّهُمْ قَدْ تَابُوا مِنْ عَظِيمِ جُرْمِهِمْ، وَقَدْ تَوَجَّهُوا إِلَى اللَّهِ، وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ وَرَضُوا بِمَا قَضَى اللَّهُ، «رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ فَلَمَّا أَتَاهَا هَذَا الْكِتَابُ قَالَ: اسْتَمَاتَ الْقَوْمُ، أَوَّلَ خَبَرِ يَأْتِيكَ عَنْهُمْ قَتْلَهُمْ، وَإِيمَ اللَّهِ لَيَقْتُلُنَّ كَرَامًا مُسْلِمِينَ، وَلَا وَالَّذِي هُوَ رَبُّهُمْ لَا يَقْتُلُهُمْ عَدُوَّهُمْ حَتَّى تَشْتَدَّ شَوْكَتُهُمْ، وَتَكْثُرَ الْقَتْلَى فِيمَا بَيْنَهُمْ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ بْنِ الْأَحْمَرِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَنْدَبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَزِيَّةٍ، قَالَا: خَرَجْنَا مِنْ هَيْتَ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى قَرْقِيسِيَا، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهَا وَقَفَ سُلَيْمَانُ بْنُ صَرْدٍ فَعَبَانَا تَعْبَةً حَسَنَةً حَتَّى مَرَرْنَا بِجَانِبِ قَرْقِيسِيَا، فَزَلْنَا قَرِيبًا مِنْهَا، وَبِهَا زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكَلَابِيِّ قَدْ تَحَصَّنَ بِهَا مِنَ الْقَوْمِ، وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ، فَبَعَثَ سُلَيْمَانُ الْمَسِيبَ بْنَ نَجْبَةَ، فَقَالَ: ائْتِ ابْنَ عَمِّكَ هَذَا فَقُلْ لَهُ: فَلْيَخْرُجْ إِلَيْنَا سَوْقًا، فَإِنَّا لَسْنَا بِإِيَّاهُ نَزِيدَ، إِنَّمَا صَمَدُنَا لَهُؤُلَاءِ الْمُحْلِينَ نَخْرُجُ الْمَسِيبَ بْنَ نَجْبَةَ حَتَّى اتَّهَى إِلَى بَابِ قَرْقِيسِيَا، فَقَالَ: افْتَحُوا، مِمَّنْ تَحْصِنُونَ؟ فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟

قَالَ: أَنَا الْمَسِيبُ بْنُ نَجْبَةَ، فَأَتَى الْهَذِيلُ بْنُ زُفَرٍ أَبَاهُ فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ، يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ، وَسَأَلَنَاهُ مَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: الْمَسِيبُ بْنُ نَجْبَةَ - قَالَ:

وَأَنَا إِذْ ذَاكَ لَا عِلْمَ لِي بِالنَّاسِ، وَلَا أَعْلَمُ أَيُّ النَّاسِ هُوَ - فَقَالَ لِي أَبِي: أَمَا تَدْرِي أَيُّ بَنِي مِنْ هَذَا؟ هَذَا فَارِسٌ مُضِرُّ الْحِمَاءِ كُلِّهَا، وَإِذَا عَدُ مِنْ أَشْرَافِهَا عَشْرَةٌ كَانَ أَحَدُهُمْ، وَهُوَ بَعْدَ رَجُلٍ نَاسِكَ لَهُ دِينَ، ائْذَنْ لَهُ فَأَذْنَتْ لَهُ، فَأَجْلَسَهُ أَبِي إِلَى جَانِبِهِ، وَسَاءَ لَهُ وَالْطُّفَةُ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَقَالَ الْمَسِيبُ بْنُ نَجْبَةَ: مِمَّنْ تَحْصِنُ؟ إِنَّا وَاللَّهِ مَا إِيَّاكُمْ نَزِيدَ، وَمَا اعْتَرَيْنَا إِلَى شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَعِينَنَا عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الظَّالِمَةِ الْمُحْلِينَ، فَأَخْرَجَ لَنَا سَوْقًا، فَإِنَّا لَا نَقِيمُ بِسَاحَتِكُمْ إِلَّا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، فَقَالَ لَهُ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ: إِنَّا لَمْ نَغْلُقْ أَبْوَابَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ إِلَّا لَنَعْلَمَ إِيَّانَا اعْتَرَيْتُمْ أَمْ غَيْرُنَا! إِنَّا وَاللَّهِ مَا بَنَّا عَجْزَ عَنِ النَّاسِ مَا لَمْ تَدْهَمْنَا حِيلَةً، وَمَا نَحْبُ أَنَا بَلِينَا بِقِتَالِكُمْ، وَقَدْ بَلَّغْنَا عَنْكُمْ صَلَاحَ، وَسِيرَةَ حَسَنَةً جَمِيلَةً.

ثُمَّ دَعَا ابْنَهُ فَأَمَرَهُ أَنْ يَضَعَ لَهُمْ سَوْقًا، وَأَمَرَ لِلْمَسِيبِ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ وَفَرَسٍ، فَقَالَ لَهُ الْمَسِيبُ: أَمَا الْمَالُ فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ، وَاللَّهِ مَا لَهُ خَرَجْنَا، وَلَا إِيَّاهُ طَلَبْنَا، وَأَمَا الْفَرَسُ فَإِنِّي أَقْبَلُهُ لِعَلِّي أَحْتَاجُ إِلَيْهِ إِنْ ظَلَعَ فَرَسِي، أَوْ غَمَزْتُ تَحْتِي نَخْرُجُ بِهِ حَتَّى أَتَى أَصْحَابَهُ وَأَخْرَجَتْ لَهُمُ السُّوقَ، فَتَسَوَّقُوا، وَبَعَثَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ إِلَى الْمَسِيبِ بْنِ نَجْبَةَ بَعْدَ إِخْرَاجِ الْأَسْوَاقِ وَالْأَعْلَافِ وَالطَّعَامِ الْكَثِيرِ بِعَشْرِينَ جُزُورًا، وَبَعَثَ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ صَرْدٍ مِثْلَ ذَلِكَ، وَقَدْ كَانَ زُفَرُ بْنُ زُفَرٍ ابْنَهُ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ وَجْهِ أَهْلِ الْعَسْكَرِ، فَسَمِيَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ نَفِيلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَالٍ وَرِفَاعَةُ بْنُ شَدَادٍ، وَسَمِيَ لَهُ أَمْرَاءُ الْأَرْبَاعِ.

فَبَعَثَ إِلَى هَؤُلَاءِ الرُّءُوسِ الثَّلَاثَةِ بِعَشْرِ جُزَائِرٍ عَشْرَ جُزَائِرٍ، وَعَلَفَ كَثِيرَ وَطْعَامٍ، وَأَخْرَجَ لِلْعَسْكَرِ عِيرًا عَظِيمَةً وَشَعِيرًا كَثِيرًا، فَقَالَ غُلَبَانُ

زفر: هَذِهِ عِيرُ فَاجْتَزَرُوا مِنْهَا مَا أَحْبَبْتُمْ، وَهَذَا شَعِيرٌ فَاحْتَمَلُوا مِنْهُ مَا أَرَدْتُمْ، وَهَذَا دَقِيقٌ فَتَزَوَّدُوا مِنْهُ مَا أَطَقْتُمْ، فَظَلَّ الْقَوْمُ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ مُخَصِّبِينَ لَمْ يَحْتَاجُوا إِلَى شَرَاءِ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَسْوَاقِ الَّتِي وَضَعْتُ، وَقَدْ كَفَوْا اللَّحْمَ وَالْدَقِيقَ وَالشَّعِيرَ إِلَّا أَنْ يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ ثَوْبًا أَوْ سَوْطًا ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنَ الْعَدُوِّ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ زَفَرٌ: إِنِّي خَارِجٌ إِلَيْكُمْ فَشِيعَكُمْ، فَأَتَاهُمْ وَقَدْ خَرَجُوا عَلَى تَعَبَةٍ حَسَنَةٍ، فَسَايَرَهُمْ، فَقَالَ زَفَرٌ لِسُلَيْمَانَ: إِنَّهُ قَدْ بَعَثَ نَحْمَسَةَ أَمْراءَ قَدْ فَصَلُوا مِنَ الرِّقَّةِ فِيهِمُ الْحَصِينَ بْنِ غَيْرِ السَّكُونِيِّ، وَشَرْحَبِيلَ بْنَ ذِي كَلَّاعٍ، وَأُدْهَمَ بْنَ مُحَرَّزِ الْبَاهِلِيِّ وَأَبُو مَالِكِ بْنِ أُدْهَمٍ، وَرَبِيعَةَ بْنَ الْمُخَارِقِ الْغَنَوِيِّ، وَجَبَلَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْخَثْعَمِيِّ، وَقَدْ جَاءَكُمْ فِي مِثْلِ الشُّوكِ وَالشَّجَرِ، أَتَاكُمْ عَدَدٌ كَثِيرٌ، وَحَدَّ حَدِيدٌ، وَابْتِغَى اللَّهُ لِقْلَ مَا رَأَيْتَ رَجُلًا هُمْ أَحْسَنُ هَيْئَةً وَلَا عُدَّةً، وَلَا أَخْلَقَ لِكُلِّ خَيْرٍ مِنْ رَجُلٍ أَرَاهُمْ مَعَكُمْ، وَلَكِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ عِدَّةٌ لَا تَحْصَى، فَقَالَ ابْنُ صَرْدٍ: عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا، وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ، ثُمَّ قَالَ زَفَرٌ: فَهَلْ لَكُمْ فِي أَمْرِ أُعْرَضَهُ عَلَيْكُمْ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا وَلَكُمْ فِيهِ خَيْرًا؟ إِنْ شِئْتُمْ فَتَحْنَا لَكُمْ مَدِينَتَنَا فَدَخَلْتُمُوهَا فَكَانَ أَمْرُنَا وَاحِدًا وَأَيُّدُنَا وَاحِدَةً، وَإِنْ شِئْتُمْ نَزَلْتُمْ عَلَى بَابِ مَدِينَتَنَا، وَخَرَجْنَا فَعَسَكْرُنَا إِلَى جَانِبِكُمْ، فَإِذَا جَاءَنَا هَذَا الْعَدُوُّ

قَاتَلْتُمَاهُمْ جَمِيعًا فَقَالَ سُلَيْمَانُ لَزَفَرٍ: قَدْ أَرَادْنَا أَهْلَ مِصْرَ عَلَى مِثْلِ مَا أَرَدْنَا عَلَيْهِ، وَذَكَرُوا مِثْلَ الَّذِي ذَكَرْتُ، وَكُتِبُوا إِلَيْنَا بِهِ بَعْدَ مَا فَصَلْنَا، فَلَمْ يُوَافِقْنَا ذَلِكَ، فَلَسْنَا فَاعِلِينَ، فَقَالَ زَفَرٌ: فَانْظُرُوا مَا أَشِيرُ بِهِ عَلَيْكُمْ فَاقْبَلُوهُ، وَخَذُوا بِهِ، فَإِنِّي لِلْقَوْمِ عَدُوٌّ، وَأَحَبُّ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الدَّائِرَةَ، وَأَنَا لَكُمْ وَادٌّ، أَحَبُّ أَنْ يَحْوَطَكُمْ اللَّهُ بِالْعَافِيَةِ، إِنْ الْقَوْمُ قَدْ فَصَلُوا مِنَ الرِّقَّةِ، فَبادِرُوهُمْ إِلَى عَيْنِ الْوَرْدَةِ، فَاجْعَلُوا الْمَدِينَةَ فِي ظَهْرِكُمْ، وَيَكُونَ الرِّسْتَاقُ وَالْمَاءُ وَالْمَادُّ فِي أَيْدِيكُمْ، وَمَا بَيْنَ مَدِينَتِنَا وَمَدِينَتِكُمْ فَانْتُمْ لَهُ آمِنُونَ، وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ خِيُولِي كَرَجَالِي لِأَمَدَدْتَكُمْ، أَطَوُوا الْمَنَازِلَ السَّاعَةَ إِلَى عَيْنِ الْوَرْدَةِ، فَإِنَّ الْقَوْمَ يَسِيرُونَ سِيرَ الْعَسَاكِرِ، وَأَنْتُمْ عَلَى خِيُولٍ، وَاللَّهُ لِقْلَ مَا رَأَيْتَ جَمَاعَةَ خَيْلٍ قَطُّ أَكْرَمَ مِنْهَا، تَأْهَبُوا لَهَا مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَسْبِقُوهُمْ إِلَيْهَا، وَإِنْ بَدَرْتُمُوهُمْ إِلَى عَيْنِ الْوَرْدَةِ فَلَا تَقَاتِلُوهُمْ فِي فِضَاءِ تَرَامُونِهِمْ وَتَطَاعُنُونَهُمْ، فَأَنْهَمُ أَكْثَرَ مِنْكُمْ فَلَا آمَنَ أَنْ يَحِيطُوا بِكُمْ، فَلَا تَقْفُوا لَهُمْ تَرَامُونَهُمْ وَتَطَاعُنُونَهُمْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ مِثْلُ عَدَدِهِمْ، فَإِنْ اسْتَهْدَفْتُمْ لَهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ يَصْرَعُواكُمْ، وَلَا تَصْنَفُوا لَهُمْ حِينَ تَلْقَوْنَهُمْ، فَإِنِّي لَا أَرَى مَعَكُمْ رَجَالَهُ، وَلَا أَرَأَاكُمْ كَلِمَةً إِلَّا فَرَسَانًا، وَالْقَوْمُ لَأَقْوَمُ بِالرِّجَالِ وَالْفَرَسَانِ، فَالْفَرَسَانُ تَحْمِي رَجَالُهَا، وَالرِّجَالُ تَحْمِي فَرَسَانَهَا، وَأَنْتُمْ لَيْسَ لَكُمْ رَجَالُ تَحْمِي فَرَسَانَكُمْ، فَالْقَوْمُ فِي الْكُتَّابِ وَالْمِقَاتِبِ، ثُمَّ بَثُّهَا مَا بَيْنَ مِيمَتِهِمْ وَمِيسَرَتِهِمْ، وَاجْعَلُوا مَعَ كُلِّ كِتَابَةٍ كِتَابَةً إِلَى جَانِبِهَا فَإِنْ حَمَلَ عَلَى إِحْدَى الْكِتَابَتَيْنِ تَرَجَلَتِ الْآخَرَى فَانْفَسَتْ عَنْهَا الْخَيْلُ وَالرِّجَالُ، وَمَتَى مَا شَاءَتْ كِتَابَتُهُ ارْتَفَعَتْ، وَمَتَى مَا شَاءَتْ كِتَابَتُهُ انْحَطَّتْ، وَلَوْ كُنْتُمْ فِي صَفٍّ وَاحِدٍ فَزَحَفَتْ إِلَيْكُمْ الرِّجَالُ فَدَفَعْتُمْ عَنْ الصَّفِّ انْتَقَضَتْ وَكَانَتْ الْهَزِيمَةَ، ثُمَّ وَقَفَ فَوَدَّعَهُمْ، وَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَصْحَبَهُمْ وَيَنْصُرَهُمْ فَأَثْنَى النَّاسُ عَلَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ صَرْدٍ: نَعَمْ الْمَنْزُولُ بِهِ أَنْتَ! أَكْرَمْتَ النَّزُولَ، وَأَحْسَنْتَ الضِّيَافَةَ، وَنَصَحْتَ فِي الْمَشُورَةِ ثُمَّ ان الْقَوْمَ وَجَدُوا فِي الْمَسِيرِ، فَجَعَلُوا يَجْعَلُونَ كُلَّ مَرَحِلَتَيْنِ مَرَحَلَةً، قَالَ: فَرَرْنَا بِالْمَدَنِ حَتَّى

بَلَّغْنَا سَاعًا ثُمَّ إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ صَرْدٍ عَمِيَ الْكُتَّابَ كَمَا أَمَرَهُ زَفَرٌ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى عَيْنِ الْوَرْدَةِ فَانْزَلَ فِي غَرَبِهَا، وَسَبَقَ الْقَوْمَ إِلَيْهَا، فَعَسَكُرُوا، وَأَقَامَ بِهَا نَحْمَسًا لَا يَبْرَحُ، وَاسْتَرَا حُوا وَاطْمَأَنَّنَا، وَأَرَا حُوا خَيْلَهُمْ.

قَالَ هِشَامٌ: قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ، عَنْ عَطِيَّةِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَزِيَّةٍ، قَالَ: أَقْبَلَ أَهْلُ الشَّامِ فِي عَسَاكِرِهِمْ حَتَّى كَانُوا مِنْ عَيْنِ الْوَرْدَةِ عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ غَزِيَّةٍ: فَقَامَ فِينَا سُلَيْمَانُ فَحَمَدَ اللَّهَ فَأَطَالَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَأُطِنِبَ، ثُمَّ ذَكَرَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، وَالْجِبَالَ وَالْبَحَارَ وَمَا فِيهِنَ مِنَ الْآيَاتِ، وَذَكَرَ آلاءَ اللَّهِ وَنِعْمَهُ، وَذَكَرَ الدُّنْيَا فَزَهَّدَ فِيهَا، وَذَكَرَ الْآخِرَةَ فَرَغِبَ فِيهَا، فَذَكَرَ مِنْ هَذَا مَا لَمْ أَحْصِهِ، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى حِفْظِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَاكُمْ اللَّهُ بَعْدُكُمْ الَّذِي دَابْتُمْ فِي الْمَسِيرِ إِلَيْهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، تَرِيدُونَ فِيمَا تَظْهَرُونَ التَّوْبَةَ النَّصُوحَ، وَلِقَاءَ اللَّهِ مُعْذِرِينَ، فَقَدْ جَاءَكُمْ بَلٌّ جِئْتُمُوهُمْ أَنْتُمْ فِي دَارِهِمْ وَحِيزِهِمْ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْدُقُوهُمْ، وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ، وَلَا يُولِيهِمْ أَمْرًا دَبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ: لَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ، وَلَا تَقْتُلُوا أَسِيرًا مِنْ أَهْلِ

دعوتكم، إلا أن يقاتلكم بعد أن تأسروه، أو يكون من قتلة إخواننا بالطف رحمة الله عليهم، فإن هذه كانت سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في أهل هذه الدعوة ثم قال سليمان: إن أنا قتلت فأمير الناس المسيب بن نجبة فإن أصيب المسيب فأمير الناس عبد الله بن سعد بن نفيل، فإن قتل عبد الله بن سعد فأمير الناس عبد الله بن وال، فإن قتل عبد الله بن وال فأمير الناس رفاعه بن شداد، رحم الله امرأ صدق ما عاهد الله عليه! ثم بعث المسيب ابن نجبة في أربعمئة فارس، ثم قال: سر حتى تلقى أول عسكر من عساكرهم فشن فيهم الغارة، فإذا رأيت ما تحبه وإلا انصرفت إلي في أصحابك، وإياك أن تنزل أو تدع أحدا من أصحابك أن ينزل، أو يستقبل آخر ذلك، حتى لا تجد منه بدا

قال ابو مخنف: فحدثني أبي عن حميد بن مسلم أنه قال: أشهد اني في خيل المسيب بن نجبة تلك، إذ أقبلنا نسير آخر يومنا كله وليتنا، حتى إذا كان في آخر السحر نزلنا فعلقنا على دوابنا مخاليها، ثم هومنا تهويمة بمقدار تكون مقدار قضمها ثم ركبناها، حتى إذا انبلج لنا الصبح نزلنا فصلينا، ثم ركب فركبنا فبعث أبا الجويرية العبدى بن الأحمر في مائة من أصحابه، وعبد الله بن عوف بن الأحمر في مائة وعشرين، وحش بن ربيعة أبا المعتمر الكثاني في مثلها، وبقي هو في مائة، ثم قال: انظروا أول من تلقون فأتوني به، فكان أول من لقينا أعرابي يطرد أحمره وهو يقول:

يا مال لا تعجل إلى صهي ... واسرح فإنك آمن السرب

قال: يقول عبد الله بن عوف بن الأحمر: يا حميد بن مسلم، أبشر بشري ورب الكعبة، فقال له ابن عوف بن الأحمر: ممن أنت يا أعرابي؟

قال: أنا من بني تغلب، قال: غلبتم ورب الكعبة إن شاء الله فاتى إلينا المسيب بن نجبة، فأخبرناه بالذي سمعنا من الأعرابي وأتينا به، فقال المسيب ابن نجبة أما لقد سررت بقولك: أبشر، وبقولك: يا حميد بن مسلم، وإني لأرجو أن تبشروا بما يسركم، وإنما سرکم أن تجحدوا أمرکم، وأن تسلموا من عدوكم، وإن هذا الفأل هو الفأل الحسن، وقد كان رسول الله ص يعجبه الفأل ثم قال المسيب بن نجبة للأعرابي: كم بيننا وبين أدنى هؤلاء القوم منا؟ قال: أدنى عسكر من عساكرهم منك عسكر ابن ذي الكلاع، وكان بينه وبين الحصين اختلاف، ادعى الحصين أنه على جماعة الناس، وقال ابن ذي الكلاع: ما كنت لتولى علي، وقد تكاتبنا إلى عبيد الله بن زياد، فهما ينتظران أمره، فهذا عسكر ابن ذي الكلاع منكم على رأس ميل، قال: فتركنا الرجل، فخرجنا نحوهم مسرعين، فوالله ما شعروا حتى أشرفنا عليهم وهم غارون، فحملنا في جانب عسكرهم فوالله ما قاتلوا كثير قتال حتى انهزموا، فأصبنا منهم رجالا، وجرحنا فيهم فأكثرنا الجراح، وأصبنا لهم دواب، وخرجوا عن عسكرهم وخلوه لنا، فأخذنا منه ما خف علينا، فصاح المسيب فينا: الرجعة، إنكم قد نصرتم، وغنمتم وسلمتم، فانصرفوا، فانصرفنا حتى أتينا سليمان.

قال: فأتى الخبر عبيد الله بن زياد، فسرح إلينا الحصين بن نمير مسرعا حتى نزل في اثني عشر ألفا، فخرجنا إليهم يوم الأربعاء ثمان بقين من جمادى الأولى، فجعل سليمان بن صرد عبد الله بن سعد بن نفيل على ميمنته، وعلى ميسرته المسيب بن نجبة، ووقف هو في القلب، وجاء حصين بن نمير وقد عبأ لنا جنده، فجعل على ميمنته جبلة بن عبد الله، وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغنوي ثم زحفوا إلينا، فلما دنوا دعونا إلى الجماعة على عبد الملك بن مروان وإلى الدخول في طاعته، ودعوناهم إلى أن يدفعوا إلينا عبيد الله بن زياد فنقتله ببعض من قتل من إخواننا، وأن يخلعوا عبد الملك بن مروان، وإلى أن يخرج من بلادنا من آل ابن الزبير، ثم نرد هذا الأمر إلى أهل بيت نبينا الذين آتانا الله من قبلهم بالنعمة والكرامة، فأبى القوم وأبينا.

قال حميد بن مسلم: فحملت ميمنتنا على ميسرتهم وهزمتهم، وحملت ميسرتنا على ميمنتهم، وحمل سليمان في القلب على جماعتهم، فهزمناهم حتى اضطرناهم إلى عسكرهم، فما زال الظفر لنا عليهم حتى حجز الليل بيننا وبينهم، ثم انصرفنا عنهم وقد حجزناهم في

عسكرهم، فلما كَانَ الغد صبحهم ابن ذي الكلاع فِي ثمانية آلاف، أمدهم بهم عبيد الله ابن زياد، وبعث إِلَيْهِ يشتمه، ويقع فِيهِ، ويقول: إنما عملت عمل الأغمار، تضيع عسكرك ومسالحك! سر إِلَى الحصين بن نعيم حَتَّى توافيه وَهُوَ عَلَى الناس، فجاءه، فغدوا علينا وغاديناهم، فقاتلناهم قتالا لم ير الشيب والمرد مثله قط يومنا كله، لا يحجز بيننا وبين القتال إِلَّا الصَّلَاة حَتَّى أَمْسِينَا فتحاجزنا، وَقَدْ وَاللَّهِ أَكْثَرُوا فِيْنَا الجراح، وَأَفْشَيْنَاهَا فِيْهِمْ، قَالَ: وَكَانَ فِيْنَا قُصَّاصُ ثَلَاثَةِ: رِفَاعَةَ بن شَدَاد البجلي، وصحير بن حُذَيْفَةَ بن هلال بن مالك المري، وأبو الجويرية العبدى، فكان رِفَاعَةُ يقص ويحضض الناس فِي الميمنه، لا يبرحها، وجرح أَبُو الجويرية الْيَوْمَ الثَّانِي فِي أول النهار، فلزم الرحال، وَكَانَ صحير ليلته كلها يدور

فينا ويقول: أَبْشَرُوا عباد الله بكرامة الله ورضوانه، فحق وَاللَّهِ لمن ليس بينه وبين لقاء الأُحِبَّة ودخول الجنة والراحة من إِبْرَام الدُّنْيَا وأذاها إِلَّا فراق هَذِهِ النفس الأُمَارَةَ بالسوء أَن يكون بفراقها سَخِيًّا، وبلقاء ربه مسرورا، فكثنا كذلك حَتَّى أَصْبَحْنَا، وَأَصْبَحَ ابن نعيم وأدهم بن محرز الباهلي فِي نحو من عشرة آلاف، فخرجوا إلينا، فاقتلنا الْيَوْمَ الثَّالِث يوم الجمعة قتالا شديدا إِلَى ارتفاع الضحى ثُمَّ إِن أَهْل الشَّام كَثُرُوا وتعطفوا علينا من كل جانب، ورأى سُلَيْمَان بن صرد مَا لَقِيَ أَصْحَابَهُ، فنزل فنادى:

عباد الله، من أَرَادَ الْبُكُورَ إِلَى ربه، والتوبة من ذنبه، والوفاء بعهدده، فإِلَيَّ، ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ، ونزل مَعَهُ ناس كثير، فكسروا جفون سيوفهم، ومشوا مَعَهُ، وانزوت خيلهم حَتَّى اختلطت مع الرجال، فقاتلوهم حَتَّى نزلت الرجال تشد مصلته بالسيف، وَقَدْ كَسَرُوا الجفون، فحمل الفرسان عَلَى الخيل وَلَا يَثْبُتُونَ، فقاتلوهم وقتلوا من أَهْل الشَّام مقتلة عظيمة، وجرحوا فِيْهِمْ فَأَكْثَرُوا الجراح فلما رَأَى الحصين بن نعيم صبر القوم وبأسهم، بعث الرجال ترميم بالنبل، واكتفتهم الخيل والرجال، فقتل سُلَيْمَان بن صرد رحمه الله، رماه يَزِيد بن الحصين بسهم فوق، ثُمَّ وثب ثُمَّ وقع، قَالَ: فلما قتل سُلَيْمَان بن صرد أخذ الراية المسيب بن نجبة، وَقَالَ لسُلَيْمَان بن صرد: رحمك الله يَا أَخِي! فقد صدقت ووفيت بِمَا عَلَيْكَ، وبقي مَا علينا، ثُمَّ أخذ الراية فشد بِهَا، فقاتل ساعة ثُمَّ رجع، ثُمَّ شد بِهَا فقاتل ثُمَّ رجع، ففعل ذَلِكَ مرارا يشدُّ ثُمَّ يرجع، ثُمَّ قتل رحمه الله.

قَالَ أَبُو مخنف: وَحَدَّثَنَا فروة بن لقيط، عن مولى للمسيب بن نجبة الفزاري، قَالَ: لقيته بالمدائن وَهُوَ مع شبيب بن يَزِيد الخارجي، فجرى الحديث حَتَّى ذكروا أَهْل عين الورد.

قَالَ هِشَام عن أَبِي مخنف، قَالَ: حَدَّثَنَا هَذَا الشَّيْخ، عن المسيب بن نجبة، قَالَ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَشْجَعَ مِنْهُ إِنْسَانًا قط، وَلَا من العصابة الَّتِي كَانَ فِيْهِمْ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يوم عين الورد يقاتل قتالا شديدا، مَا ظَنَنْتُ أَن

رجلا واحدا يقدر أَن يبلى مثل مَا أبلى، وَلَا ينكأ فِي عدوه مثل مَا نكأ، لقد قتل رجالا، قَالَ: وسمعتة يقول قبل أَن يقتل وَهُوَ يقاتلهم: قَدْ علمت ميالة الذوائب ... وإضحة اللبات والترائب
أني غداة الروح والتغالب ... أشجع من ذي لبد موائب
قطاع أقران مخوف الجانب.

قَالَ أَبُو مخنف: حَدَّثَنِي أَبِي وخالي، عن حميد بن مسلم وعبد الله بن غزيرة قَالَ أَبُو مخنف: وَحَدَّثَنِي يُونُسُ بن يَزِيد، عن عبد الله بن عوف، قَالَ: لما قتل المسيب بن نجبة أخذ الراية عبد الله بن سَعْدِ بن نفيل، ثُمَّ قَالَ رحمه الله: أَخوي مِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا وأقبل بمن كَانَ مَعَهُ من الأزد، فحفوا برايته، فو الله إِنَّا لَكَذَلِكَ إِذْ جَاءَنَا فرسان ثَلَاثَةِ: عبد الله بن الخضل الطائي، وكثير بن عمرو المزني، وسعر بن أبي سعر الحنفي، كَانُوا خرجوا مع سعد بن حُذَيْفَةَ بن الْيَمَان فِي سبعين ومائة من أَهْل المدائن، فسرحهم يوم خرج فِي آثارنا عَلَى خيول مقلبة مقدحة، فَقَالَ لَهُمْ: اطووا المنازل حَتَّى تلحقوا بإخواننا فتبشروهم بخروجنا إِلَيْهِمْ لتشد بِذَلِكَ ظهورهم، وتخبروهم بحجيء أَهْل الْبَصْرَةِ أَيضًا، كَانَ الْمُثَنَّى بن مخربه العبدى اقبل فِي ثَلَاثِمِائَةٍ من أَهْل الْبَصْرَةِ، فجَاءَ حَتَّى نزل

مدينة بهرسير بعد خروج سعد بن حذيفة من المدائن لخمس ليال، وكان خروجه من البصرة قبل ذلك قد بلغ سعد بن حذيفة قبل أن يخرج من المدائن، فلما انتهوا إلينا قالوا: أبشروا فقد جاءكم إخوانكم من أهل المدائن وأهل البصرة، فقال عبد الله بن سعد بن نفيل: ذلك لو جاءونا ونحن أحياء، قال: فنظروا إلينا، فلما رأوا مصارع إخوانهم وما بنا من الجراح، بكى القوم وقالوا: وقد بلغ منكم ما نرى! إنا لله وإنا إليه راجعون! قال: فنظروا والله

إلى ما ساء أعينهم، فقال لهم عبد الله بن نفيل: إنا لهذا خرجنا، ثم اقتتلنا فما اضطربنا إلا ساعة حتى قتل المزي، وطعن الحنفي فوقه بين القتلى، ثم ارتث بعد ذلك فنجأ، وطعن الطائي فجزم أنفه، فقاتل قتالا شديدا، وكان فارسا شاعرا، فأخذ يقول: قد علمت ذات القوام الرود... أن لست بالواني ولا الرعيد يوما ولا بالفرق الحيود.

قال: فحمل علينا ربيعة بن المخارق حملة منكرا، فاقتتلنا قتالا شديدا. ثم إنه اختلف هو وعبد الله بن سعد بن نفيل ضربتين، فلم يصنع سيفهما شيئا، واعتنق كل واحد منهما صاحبه، فوقعا إلى الأرض، ثم قاما فاضطربا، ويحمل ابن أخي ربيعة بن المخارق على عبد الله بن سعد، فطعنه في ثغرة نحره، فقتله، ويحمل عبد الله بن عوف بن الأحمر على ربيعة بن المخارق، فطعنه فصرعه فلم يصب مقتلا، فقام فكر عليه الثانية، فطعنه أصحاب ربيعة فصرعوه، ثم إن أصحابه استنقذوه وقال خالد بن سعد بن نفيل: أروني قاتل أخي، فأريناه ابن أخي ربيعة بن المخارق، فحمل عليه فقتله بالسيف واعتنقه الآخر فخر إلى الأرض، فحمل أصحابه وحملنا، وكانوا أكثر منا فاستنقذوا صاحبهم، وقتلوا صاحبنا، وبقيت الراية ليس عندها أحد.

قال: فنادينا عبد الله بن وال بعد قتلهم فرساننا، فإذا هو قد استلحم في عصابة معه إلى جانبنا، فحمل عليه رفاعه بن شداد، فكشفهم عنه، ثم أقبل إلى رايته وقد أمسكها عبد الله بن خازم الكثيري، فقال لابن وال:

أمسك عني رايتك، قال: أمسكها عني رحمك الله، فإني بي مثل حالك فقال له: أمسك عني رايتك، فإني أريد أن أجاهد، قال: فإن هذا الذي أنت فيه جهاد وأجر، قال: فصحننا: يا أبا عزة، أطع أميرك يرحمك الله! قال: فأمسكها قليلا، ثم إن ابن وال أخذها منه. قال أبو مخنف: قال أبو الصلت التيمي الأعور: حدثني شيخ للحج

كان معه يومئذ، قال: قال لنا ابن وال: من أراد الحياة التي ليس بعدها موت، والراحة التي ليس بعدها نصب، والسرور الذي ليس بعده حزن، فليقترب إلى ربه بجهاد هؤلاء المحلين، والرواح إلى الجنة رحمكم الله! وذلك عند العصر، فشد عليهم، وشدونا معه، فأصبنا والله منهم رجالا، وكشفناهم طويلا، ثم إنهم بعد ذلك تعطفوا علينا من كل جانب، فحازونا حتى بلغوا بنا المكان الذي كنا فيه، وكنا بمكان لا يقدر أن يأتونا فيه إلا من وجه واحد، وولي قاتلنا عند المساء أدهم بن محرز الباهلي، فشد علينا في خيله ورجاله، فقتل عبد الله بن وال التيمي.

قال أبو مخنف، عن فروة بن لقيط، قال: سمعت أدهم بن محرز الباهلي في إمارة الحجاج بن يوسف وهو يحدث ناسا من أهل الشام، قال:

دفعت إلى أحد أمراء العراق، رجل منهم يقولون له عبد الله بن وال وهو يقول: «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون»

فرحين»، الآيات الثلاث، قال: فغاطني، فقلت في نفسي:

هؤلاء يعدوننا بمنزلة أهل الشرك، يرون أن من قتلنا منهم كان شهيدا.

فحملت عليه أضرب يده اليسرى فأطنتها، وتخت قريبا، فقلت له:

أما إني أراك وددت أنك في أهلك، فقال: بشما رأيت! أما والله ما أحب أنها يدك الآن إلا أن يكون لي فيها من الأجر مثل ما في

يدي، قَالَ: فقلت له:

لم؟ قَالَ: لكيما يجعل الله عليك وزرها، ويعظم لي أجرها، قَالَ: فغاطني فجمعت خيلي ورجالي، ثُمَّ حملنا عليه وعلى أصحابه، فدفعت إليه فطعنته فقتلته، وإنه لمقبل إلي ما يزول، فزعموا بعد أنه كَانَ من فقهاء أهل العراق الَّذِينَ كَانُوا يكثرُونَ الصوم والصلاة ويفتون الناس.

قَالَ أَبُو مخنف: وَحَدَّثَنِي الثقة، عن حميد بن مسلم وعبد الله بن غزيرة

قَالَ: لما هلك عَبْدُ اللَّهِ بن وال نظرنا، فإذا عبد الله بن خازم قتيل إلى جنبه، ونحن نرى أنه رفاعه بن شداد البجلي، فقال له رجل من بني كنانة يقال له الْوَلِيد بن غضين: أمسك رايتك، قَالَ: لا أريدها، فقلت له: إنا لله! ما لك! فَقَالَ: ارجعوا بنا لعل الله يجمعنا ليوم شر لهم، فوثب عَبْدُ اللَّهِ بن عوف بن الأحمر إليه، فَقَالَ: أهلكتنا، والله لئن انصرفت ليركبن أكتافنا فلا نبلغ فرسخاً حتى نهلك من عند آخرنا، فإن نجا منا ناج أخذه الأعراب وأهل القرى، فتقربوا إليهم به فيقتل صبرا، أنشدك الله أن تفعل، هذه الشمس قد طفت للمغيب، وهذا الليل قد غشيننا، فنقاتلهم على خيلنا هذه فإننا الآن ممتنعون، فإذا غسق الليل ركبنا خيولنا أول الليل فرمينا بها، فكان ذلك الشأن حتى أصبح ونسير ونحن على مهل، فيحمل الرجل منا جريحه وينتظر صاحبه، وتسير العشرة والعشرون معاً، ويعرف الناس الوجه الذي يأخذون، فيتبع فيه بعضهم بعضاً، ولو كَانَ الذي ذكرت لم تقف أم على ولدها، ولم يعرف رجل وجهه، ولا أين يسقط، ولا أين يذهب! ولم نصبح إلا ونحن بين مقتول ومأسور فَقَالَ له رفاعه بن شداد: فإنك نعم ما رأيت، قَالَ: ثُمَّ أقبل رفاعه على الكاكي فَقَالَ له: أتمسكها أم أخذها منك؟ فَقَالَ له الكاكي: إني لا أريد ما تريد، إني أريد لقاء ربي، والحق بإخواني، والخروج من الدنيا إلى الآخرة، وأنت تريد ورق الدنيا، وتهوى البقاء، وتكره فراق الدنيا، أما والله اني لاحب لك أن ترشد، ثُمَّ دفع إليه الراية، وذهب ليستقدم فَقَالَ له ابن الأحمر: قاتل معنا ساعة رحمك الله ولا تلق بيدك إلى التهلكة، فما زال به يناشده حتى احتبس عليه، وأخذ أهل الشام يتنادون: إن الله قد أهلكهم، فأقدموا عليهم فافرغوا منهم قبل الليل فأخذوا يقدمون عليهم، فيقدمون على شوكة شديدة، ويقاتلون فرسانا شجعاناً ليس فيهم سقط رجل، وليسوا لهم بمضجرين فيتمكنوا منهم، فقاتلوهم حتى العشاء قتالا شديداً، وقتل الكاكي قبل المساء، وخرج عَبْدُ اللَّهِ بن عزيز الكندي ومعه ابنه مُحَمَّدٌ غلام صغير، فَقَالَ: يا أهل الشام، هل فيكم أحد من كندة؟ نفرج إليه منهم رجال، فَقَالُوا: نعم، نحن هؤلاء،

فَقَالَ لهم: دونكم أخوكم فابعثوا به إلى قومكم بالكوفة، فأنا عَبْدُ اللَّهِ بن عزيز الكندي، فَقَالُوا له: أنت ابن عمنا، فإنك آمن، فَقَالَ لهم: والله لا أرغب عن مصارع إخواني الَّذِينَ كَانُوا للبلاد نورا، وللأرض أوتادا، وبمثلهم كَانَ الله يذكر، قَالَ: فأخذ ابنه بيكي في أثر أبيه، فَقَالَ: يا بني، لو أن شيئاً كَانَ أثر عندي من طاعة ربي إذا لكنت أنت، وناشده قومه الشاميون لما رأوا من جزع ابنه وبكائه في أثره، وأروا الشاميون له ولابنه رقة شديدة حتى جزعوا وبكوا، ثُمَّ اعتزل الجانب الذي خرج إليه منه قومه، فشد على صفهم عند المساء، فقاتل حتى قتل قَالَ أَبُو مخنف: حَدَّثَنِي فضيل بن خديج، قَالَ: حَدَّثَنِي مسلم بن زحر الخولاني، أن كُرَيْب بن زيد الحميري مشى إليهم عند المساء ومعه راية بلقاء في جماعة، قلها تنقص من مائة رجل إن نقصت، وَقَدْ كَانُوا تحدثوا بما يريد رفاعه أن يصنع إذا أمسى، فقام لهم الحميري وجمع إليه رجلاً من حمير وهدمان، فَقَالَ: عباد الله! روحوا إلى ربكم، والله ما في شيء من الدنيا خلف من رضا الله والتوبة إليه، إنه قد بلغني أن طائفة منكم يريدون أن يرجعوا إلى ما خرجوا منه إلى دنياهم، وإن هم ركنوا إلى دنياهم رجعوا إلى خطاياهم، فاما أنا فوالله لا أولي هذا العدو ظهري حتى أرد موارد إخواني، فأجابوه وَقَالُوا: رأينا مثل رأيك ومضى برايته حتى دنا من القوم، فَقَالَ ابن ذي الكلاع: والله إني لأرى هذه الراية حميرية أو همدانية، فدنا منهم فسألهم، فأخبروه، فَقَالَ لهم: إنكم آمنون، فَقَالَ له صاحبهم: إنا قد كُنا آمنين في الدنيا، وإنما خرجنا نطلب أمان الآخرة، فقاتلوا القوم حتى قتلوا، ومشى صخير بن حذيفة بن هلال بن

مالك المزني في ثلاثين من مزيته، فَقَالَ لَهُمْ: لا تهابوا الموت في الله، فإنه لافيكم، ولا ترجعوا إلى الدنيا التي خرجتم منها إلى الله فإنها لا تبقى لكم، ولا تزهّدوا فيما رغبتم فيه من ثواب الله فإن ما عند الله خير لكم، ثُمَّ مضوا فقاتلوا حتّى قتلوا، فلما أمسى الناس ورجع أهل الشام إلى معسكرهم، نظر رفاعه إلى كل رجل قد عقربه، وإلى

كل جريح لا يعين على نفسه، فدفعه إلى قومه، ثُمَّ سار بالناس ليلته كلها حتّى أصبح بالتينير فعبر الخابور، وقطع المعابر، ثُمَّ مضى لا يمر بمعبر إلا قطعه، وأصبح الحصين بن نمير فبعث فوجدهم قد ذهبوا، فلم يبعث في آثارهم أحدا، وسار بالناس فأسرع، وخلف رفاعه وراءهم أبا الجويرية العبدى في سبعين فارسا يسترون الناس، فإذا مروا برجل قد سقط حمله، أو بمتاع قد سقط قبضه حتّى يعرفه، فإن طلب أو ابتغى بعث إليه فاعمله، فلم يزلوا كذلك حتّى مروا بقرقيسيا من جانب البر، فبعث إليهم زفر من الطعام والعلف مثل ما كان بعث إليهم في المرة الأولى، وأرسل إليهم الأطباء وقال: أقيموا عندنا ما أحببتكم، فإن لكم الكرامة والمواساة، فأقاموا ثلاثا، ثُمَّ زود كل امرئ منهم ما أحب من الطعام والعلف، قال: وجاء سعد بن حذيفة بن اليمان حتّى انتهى إلى هيت، فاستقبله الأعراب فأخبروه بما لقي الناس، فانصرف، فتلقي المثنى بن مخزبة العبدى بصندوداء، فأخبره، فأقاموا حتّى جاءهم الخبر: أن رفاعه قد أظلمكم، فخرجوا حين دنا من القرية، فاستقبلوه فسلم الناس بعضهم على بعض، وبكى بعضهم إلى بعض، وتناعوا إخوانهم فأقاموا بها يوما وليلة، فانصرف أهل المدائن إلى المدائن، وأهل البصرة إلى البصرة، وأقبل أهل الكوفة إلى الكوفة، فإذا المختار محبوس.

قال هشام: قال أبو مخنف، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن أدهم بن محرز الباهلي، أنه أتى عبد الملك بن مروان ببشارة الفتح، قال:

فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثُمَّ قال: أما بعد، فإن الله قد أهلك من رؤوس أهل العراق ملقح فتنة، ورأس ضلالة، سليمان بن صرد، ألا وإن السيوف تركت رأس المسيب بن نجبة خذاريف، ألا وقد قتل الله من رؤوسهم رأسين عظيمين ضالين مضلين: عبد الله بن سعد أخا الأزدي، وعبد الله بن وال أخا بكر بن وائل، فلم يبق بعد هؤلاء أحد عنده دفاع ولا امتناع.

قال هشام، عن أبي مخنف: وحدث أن المختار مكث نحو من خمس عشرة ليلة ثُمَّ قال لأصحابه: عدوا لغازيكم هذا أكثر من عشر، ودون الشهر، ثُمَّ يحييكم نبأ هتر، من طعن نتر، وضرب هبر، وقتل جم، وأمر رجم.

فمن لها؟ أنا لها، لا تكذب، أنا لها.

قال أبو مخنف: حدثنا الحصين بن يزيد، عن أبان بن الوليد، قال:

كتب المختار وهو في السجن إلى رفاعه بن شداد حين قدم من عين الوردية:

أما بعد، فمرحبا بالعصب الذين أعظم الله لهم الأجر حين انصرفوا، ورضي انصرافهم حين قفلوا أما ورب البنية التي بنى ما خطا خاط منكم خطوة، ولا رتا رتوة، إلا كان ثواب الله له أعظم من ملك الدنيا إن سليمان قد قضى ما عليه، وتوفاه الله فجعل روحه مع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ولم يكن بصاحبكم الذي به تنصرون، إني أنا الأمير المأمور، والأمين المأمون، وأمير الجيش، وقاتل الجبارين، والمنتقم من أعداء الدين، والمقيد من الأوتار، فأعدوا واستعدوا، وأبشروا واستبشروا، أدعوكم إلى كتاب الله، وسنة نبيه ص، وإلى الطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء، وجهاد المخلين، والسلام.

قال أبو مخنف: وحدثني أبو زهير العبسي، أن الناس تحدثوا بهذا من أمر المختار، فبلغ ذلك عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد، فخرجوا في الناس حتّى أتيا المختار، فأخذه.

قال أبو مخنف: فحدثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم قال: لما تهيأنا للانصراف قام عبد الله بن غزية ووقف على القتلى

فَقَالَ:

يرحمكم الله، فقد صدقتم وصبرتم، وكذبنا وفررنا، قَالَ: فلما سرنا وأصبحنا إذا عبد الله بن غزيرة في نحو من عشرين قد أرادوا الرجوع إلى العدو والاستقتال، فجاء رفاعه وعبد الله بن عوف بن الأحمر وجماعة الناس فقالوا لهم: نشدكم الله ألا تزيدونا فلولا ونقصانا، فإننا لا نزال بخير ما كان فينا مثلكم من ذوي النيات، فلم يزالوا بهم كذلك يناشدونهم حتى ردوهم غير رجل من مزينة يقال له عبيدة بن سُفْيَان، رحل مع الناس، حتى إذا غفل عنه انصرف حتى لقي أهل الشام، فشد بسيفه يضاربهم حتى قتل.

قَالَ أَبُو مخنف: حَدَّثَنِي الحِصْنِ بن يَزِيدَ الأَزْدِيّ، عَنْ حميد بن مسلم الأَزْدِيّ، قَالَ: كَانَ ذَلِكَ المِزْنِي صديقاً لي، فلما ذهب لينصرف ناشدته الله، فَقَالَ: أما إنك لم تكن لتسألني شيئاً من الدنيا إلا رأيت لك من الحق علي إيتاء كه، وهذا الذي تسألني أريد الله به، قَالَ: ففارقني حتى لقي القوم فقتل، قال: فوالله ما كان شيء بأحب إلي من أن ألقى إنساناً يحدثني عنه كيف صنع حين لقي القوم! قَالَ: فلقيت عبد الملك بن جزء بن الحدرجان الأَزْدِيّ بمكة، فخرى حديث بيننا، جرى ذكر ذلك اليوم، فَقَالَ: أعجب ما رأيت يوم عين الورد بعد هلاك القوم أن رجلاً أقبل حتى شد علي بسيفه، فخرجنا نحوه، قَالَ: فاتته إلى وقْدَ عقريه وهو يقول:

إني من الله إلى الله أفر ... رضوانك اللهم أبدي وأسر

قَالَ: فقلنا له: ممن أنت؟ قَالَ: من بني آدم، قَالَ: فقلنا: ممن؟

قَالَ: لا أحب أن أعرفكم ولا أن تعرفوني يا مخربي البيت الحرام، قال:

فقرئ إليه سُلَيْمَان بن عمرو بن محصن الأَزْدِيّ من بني الخيار، قَالَ: وهو يومئذ من أشد الناس، قَالَ: فكلاهما أثنى صاحبه، قَالَ: وشد الناس عليه من كل جانب، فقتلوه، قال: فوالله ما رأيت واحداً قط هو أشد منه، قَالَ: فلما ذكر لي، وكنت أحب أن أعلم عليه، دمت عينا، فَقَالَ:

أبينك وبينه قرابة؟ فقلت له: لا، ذَلِكَ رجل من مضر كان لي ودا وأخا، فَقَالَ لي: لا أرقأ الله دمك، أتبيكي على رجل من مضر قتل على ضلالة! قَالَ: قلت: لا، وَاللَّهِ مَا قُتِلَ عَلَى ضَلَالَةٍ، ولكنه قتل على بينة من ربه وهدى، فَقَالَ لي: أدخلك الله مدخله، قلت: آمين، وأدخلك الله مدخل حصين بن نمير، ثُمَّ لا أرقأ الله لك عليه دمعا، ثُمَّ قُتِلَ وقام.

وكان مما قيل من الشعر في ذَلِكَ قول أعشى همدان، وهي إحدى المكتلمات، كن يكتمن في ذَلِكَ الزمان:

ألم خيال منك يا أم غالب ... خفيت عنا من حبيب مجانب

وما زلت لي شجوا وما زلت مقصدا ... لهم عراني من فراقك ناصب

فما أنس لا أنس انفتالك في الضحى ... إلينا مع البيض الوسام الخراعب

ترأت لنا هيفاء مهضومة الحشا ... لطيفة طي الكشح ريا الحقائق

مبتلة غراء، رود شبابها ... كشمس الضحى تنكل بين السحاب

فلما تغشاها السحاب وحوله ... بدا حاجب منها وضنت بحاجب

فتلك الهوى وهي الجوى لي والمنى ... فأحجب بها من خلة لم تصاقب

ولا يبعد الله الشباب وذكره ... وحب تصافي المعصرات الكواعب

ويزداد ما أحبيته من عتابنا ... لعبا وسقيا للخدين المقارب

فإني وإن لم أنهن لذاكر ... رزية مخجات كريم المناصب

توسل بالتقوى إلى الله صادقا ... وتقوى الإله خير تكساب كاسب

وخلى عن الدنيا فلم يلبس بها ... وتاب إلى الله الرفيع المراتب

تخلى عن الدنيا وَقَالَ أَطْرَحْتُهَا ... فلست إِلَيْهَا مَا حَيَّتْ بَأَيِّب
وما أنا فِيمَا يَكْبُرُ النَّاسُ فَقَدَهُ ... وَيَسْعَى لَهُ السَّاعُونَ فِيهَا بِرَاغِب
فَوَجَّهَهُ نَحْوَ الثُّوِيَّةِ سَائِرًا ... إِلَى ابْنِ زِيَادٍ فِي الْجُمُوعِ الْكَجَاكِبِ
بِقَوْمِ هُمُ أَهْلُ التَّقِيَّةِ وَالنَّهْيِ ... مَصَالِيْتُ أَنْجَادٍ سِرَاقَةِ مَنَاجِبِ
مَضُوءِ تَارِكِي رَأْيِ ابْنِ طَلْحَةَ حَسْبِهِ ... وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِلْأَمِيرِ الْمُخَاطَبِ
فَسَارُوا وَهُمْ مِنْ بَيْنِ مَلْتَمَسِ التَّقَى ... وَآخِرُ مَا جَرَّ بِالْأَمْسِ تَائِبِ
فَلَاقُوا بَعِينَ الْوَرْدَةِ الْجَيْشِ فَاصِلًا ... إِلَيْهِمْ لِحُسُوهِمْ بَيِّضُ قَوَاضِبِ
يَمَانِيهِ تَذَرِي الْأَكْفِ وَتَارَةً ... بِخَيْلِ عَتَاقٍ مَقْرَبَاتِ سِلَاحِ
فَجَاءَهُمْ جَمْعٌ مِنَ الشَّامِ بَعْدَهُ ... جَمُوعُ كَمْوَاجِ الْبَحْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
فَمَا يَرْحُوا حَتَّى أُبَيِّدَتْ سِرَاتُهُمْ ... فَلَمْ يَبْجَعْ مِنْهُمْ ثُمَّ غَيْرَ عَصَائِبِ
وَعُودِ أَهْلِ الصَّبْرِ صَرَغِي فَأَصْبَحُوا ... تَعَاوَرَهُمْ رِيحُ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ
فَاضْحَى الْخِزَاعِيُّ الرَّئِيسُ مَجْدَلًا ... كَأَنَّ لَمْ يَقَاتِلْ مَرَّةً وَيَحَارِبِ
وَرَأْسَ بَنِي شَمَخٍ وَفَارَسَ قَوْمَهُ ... شَنْوَهُ وَالتَّيْمِيَّ هَادِي الْكُتَّابِ
وَعُمُرُو بْنُ بَشْرٍ وَالْوَلِيدُ وَخَالِدٌ ... وَزَيْدُ بْنُ بَكْرٍ وَالْحَلِيسُ بْنُ غَالِبِ
وَضَارِبُ مَنْ هَمْدَانَ كُلِّ مَشِيعٍ ... إِذَا شَدَّ لَمْ يَنْكَلِ كَرِيمُ الْمَكَاسِبِ
وَمَنْ كُلِّ قَوْمٍ قَدْ أُصِيبَ زَعِيمُهُمْ ... وَذُو حَسْبٍ فِي ذُرْوَةِ الْمَجْدِ ثَاقِبِ
أَبُو غَيْرٍ ضَرْبُ يَفْلَقِ الْهَامَ وَقَعَهُ ... وَطَعْنَ بِأَطْرَافِ الْأَسْنَةِ صَائِبِ
وَإِنْ سَعِيدًا يَوْمَ يَدْمُرُ عَامِرًا ... لِأَشْبَعٍ مِنْ لَيْثٍ بَدْرُنِي مُوَاثِبِ
فِيَا خَيْرَ جَيْشٍ لِلْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ ... سَقِيتُمْ رَوَايَا كُلِّ أُسْحَمٍ سَاكِبِ
فَلَا يَبْعَدُنَ فِرْسَانُنَا وَحِمَاتُنَا ... إِذَا الْبَيْضُ أَبَدَتْ عَنْ خَدَامِ الْكَوَاعِبِ
فَإِنْ يَقْتُلُوا فَالْقَتْلُ أَكْرَمُ مَيِّتَةٍ ... وَكُلُّ فَتَى يَوْمًا لِأَحْدَى الشُّوَاعِبِ
وَمَا قَتَلُوا حَتَّى أَثَارُوا عَصَابَةَ ... مُحَلِّينَ ثُورًا كَاللِّيُوثِ الضُّوَارِبِ
وَقَتْلَ سُلَيْمَانَ بْنِ صَرْدٍ وَمَنْ قَتَلَ مَعَهُ بَعِينَ الْوَرْدَةِ مِنَ التَّوَابِينِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ

٥٢٩٠١ ذكر الخبر عن بيعه عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان

٥٢٩٠٢ ذكر الخبر عن موت مروان بن الحكم

ذكر الخبر عن بيعه عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان
وفي هذه السنة أمر مروان بن الحكم أهل الشام بالبيعة من بعده لابنيه عبد الملك وعبد العزيز، وجعلهما ولي العهد.
ذكر الخبر عن سبب عقد مروان ذلك لها:

قَالَ هِشَامُ، عَنْ عَوَانَةَ قَالَ: لَمَّا هَزَمَ عُمَرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ الْأَشْدُقِ مُضْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ حِينَ وَجَّهَهُ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى فِلَسْطِينَ
وَانصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى مَرْوَانَ، وَمَرْوَانُ يَوْمَئِذٍ بِدِمَشْقَ، قَدْ غَلَبَ عَلَى الشَّامِ كُلِّهَا وَمِصْرَ، وَبَلَغَ مَرْوَانَ أَنَّ عُمَرَ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لِي
مِنْ بَعْدِ مَرْوَانَ، وَيَدْعِي أَنَّهُ قَدْ كَانَ وَعْدُهُ وَعَدًا، فَدَعَا مَرْوَانَ حَسَانَ بْنَ مَالِكٍ بْنِ بَحْدَلٍ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَبَايَعَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ وَعَبْدِ
الْعَزِيزِ ابْنَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا بَلَغَهُ عَنْ عُمَرُو بْنِ سَعِيدٍ، فَقَالَ: أَنَا أَكْفِيكَ عَمْرًا، فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَ مَرْوَانَ عَشِيَ قَامَ ابْنُ بَحْدَلٍ
فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ بَلَغْنَا أَنَّ رَجُلًا يَتَمَنَّى أُمَانِي، قَوْمُوا فَبَايَعُوا لِعَبْدِ الْمَلِكِ وَلِعَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ بَعْدِهِ، فَقَامَ النَّاسُ، فَبَايَعُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ

. ذكر الخبر عن موت مروان بن الحكم

وفي هذه السنة مات مروان بن الحكم بدمشق مستهل شهر رمضان.

ذكر الخبر عن سبب هلاكه:

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني موسى بن يعقوب، عن أبي الحويرث، قال: لما حضرت معاوية ابن يزيد أبا ليلى الوفاة، أبي أن يستخلف أحدا، وكان حسان بن مالك بن بحدل يريد أن يجعل الأمر بعد معاوية بن يزيد لأخيه خالد بن يزيد بن معاوية، وكان صغيرا، وهو خال أبيه يزيد بن معاوية، فبايع مروان، وهو يريد أن يجعل الأمر بعده لخالد بن يزيد، فلما بايع مروان وبايعه معه أهل الشام قيل لمروان: تزوج أم خالد- وأمه أم خالد ابنة أبي هشام بن عتبة حتى تصغر

٥٢٩٠٣ ذكر خبر مقتل حبيش بن دلجة

شأنه، فلا يطلب الخلافة، فتزوجها، فدخل خالد يوما على مروان وعنده جماعة كثيرة، وهو يمشي بين الصفيين، فقال: إنه والله ما علمت لاحق، تعال يا بن الرطبة الاست- يقصر به ليسقطه من أعين أهل الشام- فرجع إلى أمه فأخبرها، فقالت له أمه: لا يعرفن ذلك منك، واسكت فإني أكفيك، فدخل عليها مروان، فقال لها: هل قال لك خالد في شيئا؟ فقالت: وخالد يقول فيك شيئا! خالد أشد لك إعظاما من أن يقول فيك شيئا، فصدقها، ثم مكثت أياما، ثم إن مروان نام عندها، فغطته بالوسادة حتى قتله.

قال أبو جعفر: وكان هلاك مروان في شهر رمضان بدمشق، وهو ابن ثلاث وستين سنة في قول الواقدي، وأما هشام بن محمد الكلبي فإنه قال:

كان يوم هلك ابن إحدى وستين سنة، وقيل: توفي وهو ابن إحدى وسبعين سنة، وقيل: ابن إحدى وثمانين سنة، وكان يكنى أبا عبد الملك، وهو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، وأمه آمنة بنت علقمة ابن صفوان بن أمية الكاظمي، وعاش بعد أن بويح له بالخلافة تسعة أشهر، وقيل: عاش بعد أن بويح له بالخلافة عشرة أشهر إلا ثلاث ليال، وكان قبل هلاكه قد بعث بعثين: أحدهما إلى المدينة، عليهم حبيش بن دلجة القيني، والآخر منهما إلى العراق، عليهم عبيد الله بن زياد، فأما عبيد الله بن زياد فسار حتى نزل الجزيرة، فأتاه الخبر بها بموت مروان، وخرج إليه التوابون من أهل الكوفة طالبين بدم الحسين، فكان من أمرهم ما قد مضى ذكره، وسنذكر إن شاء الله باقي خبره إلى أن قتل

. ذكر خبر مقتل حبيش بن دلجة

وفي هذه السنة قتل حبيش بن دلجة وأما حبيش بن دلجة، فإنه سار حتى انتهى- فيما ذكر عن هشام، عن عوانة بن الحكم- إلى المدينة، وعليهم جابر ابن الأسود بن عوف، ابن أخي عبد الرحمن بن عوف، من قبل عبد الله بن

٥٢٩٠٤ ذكر خبر حدوث الطاعون الجارف

الزبير، فهرب جابر من حبيش ثم إن الحارث بن أبي ربيعة- وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة- وجه جيشا من البصرة، وكان عبد الله بن الزبير قد ولاه البصرة، عليهم الحنيف بن السجف التيمي لحرب حبيش ابن دلجة، فلما سمع حبيش بن دلجة سار إليهم من المدينة، وسرح عبد الله ابن الزبير عباس بن سهل بن سعد الأنصاري على المدينة، وأمره أن يسير في طلب حبيش بن دلجة حتى يوافي الجند من أهل البصرة الذين جاءوا ينصرون ابن الزبير، عليهم الحنيف، واقتبل عباس في آثارهم مسرعا حتى لحقهم بالربذة، وقد قال أصحاب ابن دلجة له: دعهم، لا تعجل إلى قتلهم، فقال: لا أنزل حتى آكل من مقندهم، - يعني السوق الذي فيه القند- فجاءه

سهم غرب فقتله، وقتل معه المنذر بن قيس الجذامي، وابو عتاب مولى أبي سفيان، وكان معه يومئذ يوسف بن الحكم، والحجاج بن يوسف، وما نجوا يومئذ إلا على جمل واحد، وتحرز منهم نحو من خمسمائة في عمود المدينة، فقال لهم عباس: انزلوا على حكمي، فنزلوا على حكمه فضرب أعناقهم، ورجع فل حبيش إلى الشام.

حدثني أحمد بن زهير، عن علي بن محمد انه قال: الذي قتل حبيش ابن دلجة يوم الرَبْدَةِ يزيد بن سياه الأسواري، رماه بنشابة فقتله، فلما دخلوا المدينة وقف يزيد بن سياه على بردون أشهب وعليه ثياب بياض، فلما لبث أن اسودت ثيابه، ورايته مما مسح الناس به ومما صبوا عليه من الطيب ذكر خبر حدوث الطاعون الجارف

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة وقع بالبصرة الطاعون الذي يقال له الطاعون الجارف، فهلك به خلق كثير من أهل البصرة. حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني زهير بن حرب، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثني أبي، عن المصعب بن زيد، ان الجارف وقع وعبيد الله بن

٥٠٢٩٠٥ مقتل نافع بن الأزرق واشتداد امر الخوارج

معمربن علي البصرة، فمات أمه في الجارف، فاجدوا لها من يحملها حتى استأجروا لها أربعة عروج فحملوها إلى حفرتها وهو الأمير يومئذ . مقتل نافع بن الأزرق واشتداد امر الخوارج وفي هذه السنة اشتدت شوكة الخوارج بالبصرة، وقتل فيها نافع بن الأزرق. ذكر الخبر عن مقتله:

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا زهير بن حرب، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا أبي، عن محمد بن الزبير، أن عبيد الله بن عبيد الله بن معمر بعث أخاه عثمان بن عبيد الله إلى نافع بن الأزرق في جيش، فلقاهم بدولاب، فقتل عثمان وهزم جيشه. قال عمر: قال زهير: قال وهب: وحدثنا محمد بن أبي عيينة، عن سبرة بن نخف، أن ابن معمر عبيد الله بعث أخاه عثمان إلى ابن الأزرق، فهزم جنده وقتل، قال وهب: فحدثنا أبي أن أهل البصرة بعثوا جيشا عليهم حارثة بن بدر، فلقاهم، فقال لأصحابه: كرنوا ودولبوا... وحيث شتم فاذهبوا

حدثنا عمر، قال: حدثنا زهير، قال: حدثنا وهب، قال: حدثنا أبي ومحمد بن أبي عيينة، قالوا: حدثنا معاوية بن قرة، قال: خرجنا مع ابن عبيس فلقيناهم، فقتل ابن الأزرق وابنان أو ثلاثة للماحوز، وقتل ابن عبيس.

قال أبو جعفر: وأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن أبي مخنف، عن أبي المخارق الراسبي من قصة ابن الأزرق، وبني الماحوز قصة هي غير ما ذكره عمر، عن زهير بن حرب، عن وهب بن جرير، والذي ذكر من خبرهم أن نافع بن الأزرق اشتدت شوكته باشتغال أهل البصرة بالاختلاف الذي كان بين الأزرق وربيعة وتميم بسبب مسعود بن عمرو، وكثرت جموعه، فأقبل نحو البصرة حتى دنا من الجسر، فبعث إليه عبد الله بن الحارث مسلم بن عبيس بن كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف في أهل

البصرة، فخرج إليه، فأخذ يحوزه عن البصرة، ويدفعه عن أرضها، حتى بلغ مكانا من أرض الأهواز يقال له: دولاب، فتهبأ الناس بعضهم لبعض وتراحفوا، فجعل مسلم بن عبيس على ميمنته الحجاج بن باب الحميري، وعلى ميسرته حارثة بن بدر التميمي، ثم الغداني، وجعل ابن الأزرق على ميمنته عبيد بن هلال البشكري، وعلى ميسرته الزبير بن الماحوز التميمي، ثم التقوا فاضطربوا، فاقتتل الناس قتالا لم يرق قتال قط أشد منه، فقتل مسلم بن عبيس أمير أهل البصرة، وقتل نافع بن الأزرق رأس الخوارج، وأمر أهل البصرة عليهم الحجاج بن باب الحميري، وأمرت الأزارقة عليهم عبد الله بن الماحوز، ثم عادوا فاقتتلوا أشد قتال، فقتل الحجاج بن باب الحميري أمير

أهل البصرة، وقتل عبد الله بن الماحوز أمير الأزارقة ثم إن أهل البصرة أمروا عليهم ربيعة الأجدم التيمي، وأمرت الخوارج عليهم عبيد الله بن الماحوز، ثم عادوا فاقتتلوا حتى أمسوا، وقد كره بعضهم بعضاً، وملوا القتال، فإنهم لموافقون متحاجزون حتى جاءت الخوارج سرية لهم جامعة لم تكن شهدت القتال، فحملت على الناس من قبل عبد القيس، فانهزم الناس، وقاتل أمير البصرة ربيعة الأجدم، فقتل، وأخذ راية أهل البصرة حارثة بن بدر، فقاتل ساعة وقد ذهب الناس عنه، فقاتل من وراء الناس في حماهم، وأهل الصبر منهم، ثم أقبل بالناس حتى نزل بهم منزلاً بالأهواز ففي ذلك يقول الشاعر من الخوارج:

يا كبدا من غير جوع ولا ظما ... ويا كبدي من حب أم حكيم
ولو: شهدتني يوم دولاب أبصرت ... طعان امرئ في الحرب غير لئيم
غداة طفت في الماء بكر بن وائل ... وعجنا صدور الخليل نحو تميم
وكان لعبد القيس أول حدنا ... وذلت شيوخ الأزد وهي تعوم

وبلغ ذلك أهل البصرة، فهاهم وأفرعهم، وبعث ابن الزبير الحارث ابن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي على تلك الحره، فقدم، وعزل عبد الله ابن الحارث، فأقبلت الخوارج نحو البصرة، وقدم المهلب بن أبي صفرة على تلك من حال الناس من قبل عبد الله بن الزبير، معه عهده على خراسان، فقال الأحنف للحارث بن أبي ربيعة وللناس عامة: لا والله، ما لهذا الأمر الا المهلب بن أبي صفرة، نخرج أشراف الناس، فكلهمه أن يتولى قتال الخوارج، فقال: لا أفعل، هذا عهد أمير المؤمنين معي على خراسان، فلم أكن لأدع عهده وأمره، فدعاه ابن أبي ربيعة فكله في ذلك، فقال له مثل ذلك، فاتفق رأي ابن أبي ربيعة ورأي أهل البصرة على أن كتبوا على لسان ابن الزبير:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن الزبير إلى المهلب بن أبي صفرة، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإن الحارث بن عبد الله كتب إلي أن الأزارقة المارقة أصابوا جنداً للمسلمين كان عددهم كثيراً، وأشرافهم كثيراً، وذكر أنهم قد أقبلوا نحو البصرة، وقد كنت وجهتك إلى خراسان، وكتبت لك علياً عهداً، وقد رايت حيث ذكر هذه الخوارج أن تكون أنت تلي قتالهم، فقد رجوت أن يكون ميمونا طائرك، مباركا على أهل مصرك، والأجر في ذلك أفضل من المسير إلى خراسان، فسر إليهم راشداً، فقاتل عدو الله وعدوك، ودافع عن حقك وحقوق أهل مصرك، فإنه لن يفوتك من سلطاننا خراسان ولا غير خراسان إن شاء الله، والسلام عليك ورحمة الله فأتي بذلك الكتاب، فلما قرأه قال: فإني والله لا أسير إليهم إلا أن تجعلوا لي ما غلبت عليه، وتعطوني من بيت المال ما أقوي به من معي، وأنتخب من فرسان الناس ووجوهم وذوي الشرف من أحببت، فقال جميع أهل البصرة: ذلك لك، قال: فاكتبوا لي على الأحماس بذلك كتاباً ففعلوا، إلا ما كان من مالك بن مسمع وطائفة من بكر بن وائل، فاضطغنها عليهم المهلب، وقال الأحنف وعبيد الله بن زياد بن ظبيان وأشراف أهل البصرة للمهلب: وما عليك الا يكتب لك مالك بن مسمع ولا من تابعه من أصحابه، إذا أعطاك الذي أردت من ذلك جميع أهل البصرة! ويستطيع مالك خلاف جماعه الناس اوله ذلك! انكمش أيها الرجل، واعزم على أمرك، وسر إلى عدوك، ففعل ذلك المهلب، وأمر على الأحماس، فأمر عبيد الله بن زياد بن ظبيان على خمس بكر بن وائل، وأمر الحريش ابن هلال السعدي على خمس بني تميم، وجاءت الخوارج حتى انتهت إلى الجسر الأصغر، عليهم عبيد الله بن الماحوز، فخرج إليهم في أشراف الناس وفرسانهم ووجوهم، فخازهم عن الجسر، ودفعهم عنه، فكان أول شيء دفعهم عنه أهل البصرة، ولم يكن بقي لهم إلا أن يدخلوا، فارتفعوا إلى الجسر الأكبر ثم انه عبا لهم، فسار إليهم في الخيل والرجال، فلما أن رأوا أن قد أظل عليهم، وانتهى إليهم، ارتفعوا فوق ذلك مرحلة أخرى، فلم يزل يحوزهم ويرفعهم مرحلة بعد مرحلة، ومنزلة بعد منزلة، حتى انتهوا إلى منزل

من منازل الأهواز يقال له سلى وسلبرى، فأقاموا به، ولما بلغ حارثة بن بدر الغداني أن المهلب قد أمر على قتال الأزارقة، قال لمن معه من الناس:

كربوا ودولبوا ... وحيث شئتم فاذهبوا

قد أمر المهلب.

فأقبل من كان معه نحو البصرة، فصرفهم الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة إلى المهلب، ولما نزل المهلب بالقوم خندق عليه، ووضع المساح، وأذكى العيون، وأقام الأحراس، ولم يزل الجند على مصافهم، والناس على راياتهم وأحاسهم، وأبواب الخنادق عليها رجال موكلون بها، فكانت الخوارج إذا أرادوا إبيات المهلب ووجدوا أمرا محكما، فرجعوا، فلم يقاتلهم إنسان قط كان أشد عليهم ولا أغبط لقلوبهم منه.

قال أبو مخنف: حدثني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر، أن رجلا كان في تلك الخوارج حدثه أن الخوارج بعثت عبيده ابن هلال والزبير بن الماحوز في خيلين عظيمين ليلا إلى عسكر المهلب، فجاء الزبير من جانبه الأيمن، وجاء عبيدة من جانبه الأيسر، ثم كبروا وصاحوا بالناس، فوجدوهم على تعبيتهم ومصافهم حذرين مغذين، فلم يصيبوا للقوم غرة، ولم يظفروا منهم بشيء، فلما ذهبوا ليرجعوا ناداهم عبيد الله بن زياد بن ظبيان فقال:

وجدتمونا وقرا أنجادا ... لا كشفنا خورا ولا أوغادا

هيات! إنا إذا صبح بنا أتيننا، يا أهل النار، ألا ابكروا إليها غدا، فإنها مأواكم ومثواكم، قالوا: يا فاسق، وهل تدخر النار إلا لك ولأشباهك! إنها أعدت للكافرين وأنت منهم، قال: أسمعون! كل مملوك لي حر

إن دخلتم أنتم الجنة إن بقي فيما بين سفوان إلى أقصى حجر من أرض خراسان مجوسي ينكح أمه وابنته وأخته إلا دخلها، قال له عبيدة: اسكت يا فاسق فإنما أنت عبد للجبّار العنيد، ووزير للظالم الكفور، قال: يا فاسق، وأنت عدو المؤمن التقي، ووزير الشيطان الرجيم، فقال الناس لابن ظبيان: وفقك الله يا بن ظبيان، فقد والله أجبت الفاسق بجوابه، وصدقته فلما أصبح الناس أخرجهم المهلب على تعبيتهم وأحاسهم، وموافقهم الأزدي، وتميم ميمنة الناس، وبكر بن وائل وعبد القيس ميسرة الناس، وأهل العالية في القلب وسط الناس.

وخرجت الخوارج على ميمنتهم عبيدة بن هلال الشكري، وعلى ميسرتهم الزبير بن الماحوز، وجاءوا وهم أحسن عدة، وأكرم خيولا، وأكثر سلاحا من أهل البصرة، وذلك لأنهم مخروا الأرض وجردوها، وأكلوا ما بين كرمّان إلى الأهواز، فجاءوا عليهم مغاير تضرب إلى صدورهم، وعليهم دروع يسحبونها، وسوق من زرد يشدون بها بكلايب الحديد إلى مناطقهم، فالتقى الناس فاقتتلوا كأشد القتال، فصر بعضهم عامة النهار ثم إن الخوارج شدت على الناس بأجمعها شدة منكرة، فأجفل الناس وانصاعوا منهزمين لا تلوى أم على ولد حتى بلغ البصرة هزيمة الناس، وخافوا السباء، وأسرع المهلب حتى سبقهم إلى مكان يفاد في جانب عن سنن المنهزمين.

ثم إنه نادى الناس: إلي إلي عباد الله، فتاب إليه جماعة من قومه، وثابت إليه سرية عمان فاجتمع إليه منهم نحو من ثلاثة آلاف، فلما نظر إلى من قد اجتمع رضي جماعتهم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد، فإن الله ربما يكل الجمع الكثير إلى أنفسهم فيهمون، وينزل النصر على الجمع اليسير فيظهرون، ولعمري ما بكم الآن من قلة، إني لجماعتكم لراض، وإنكم لأنتم أهل الصبر، وفرسان أهل المصر، وما أحب أن أحدا ممن انهزم معكم، فإنهم لو كانوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا عزمت على كل امرئ منكم لما أخذ عشرة أجار معه، ثم امشوا بنا نحو

عسكرهم، فإنهم الآن آمنون، وقد خرجت خيلهم في طلب إخوانكم، فوالله أني لأرجو ألا ترجع إليهم خيلهم حتى تستبيحوا عسكرهم، وتقتلوا أميرهم ففعلوا، ثم أقبل بهم راجعا، فلا والله ما شعرت الخوارج إلا بالمهلب يضاربهم بالمسلمين في جانب عسكرهم ثم استقبلوا

عبيد الله بن الماحوز وأصحابه، وعليهم الدروع والسلاح كاملاً، فأخذ الرجل من أصحاب المهلب يستقبل الرجل منهم، فيستعرض وجهه بالحجارة فيرميه حتى يثخنه، ثم يطعنه بعد ذلك برمح، أو يضربه بسيفه، فلم يقاتلهم إلا ساعة حتى قتل عبيد الله ابن الماحوز، وضرب الله وجوه أصحابه، وأخذ المهلب عسكر القوم وما فيه، وقتل الأزارقة قتلاً ذريعاً، وأقبل من كان في طلب أهل البصرة منهم راجعاً، وقد وضع لهم المهلب خيلاً ورجالاً في الطريق تخطفهم وتقتلهم، فانكفئوا راجعين مفلولين، مقتولين محروبين، مغلوبين، فارتفعوا إلى كرمان وجانب أصفهان، وأقام المهلب بالأهواز، ففي ذلك اليوم يقول الصلتان العبدى:

بسلى وسلبرى مصارع فتية ... كرام وقتلى لم توسد خدودها

وانصرفت الخوارج حين انصرفت، وإن أصحاب النيران الخمس والست ليجمعون على النار الواحدة من الفلول وقلة العدد، حتى جاءتهم مادة لهم من قبل البحرين، فخرجوا نحو كرمان وأصبهان، فأقام المهلب بالأهواز فلم يزل ذلك مكانه حتى جاء مصعب البصرة، وعزل الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة عنها ولما ظهر المهلب على الأزارقة كتب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لِلْأَمِيرِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، مِنَ الْمُهَلْبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ سَلامَ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَصَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَزَمَ الْفَاسِقِينَ، وَأَنْزَلَ بِهِمْ نَقْمَتَهُ، وَقَتْلَهُمْ كُلَّ قَتْلَةٍ، وَشَرَّدَهُمْ كُلَّ مَشْرَدٍ أَخْبَرَ الْأَمِيرَ أَصْلَحَهُ اللَّهُ أَنَا لَقِينَا الْأَزَارِقَةَ

بأرض من أرض الأهواز يقال لها سلى وسلبرى، فزحفنا إليهم ثم ناهضناهم، فاقتتلنا كأشد القتال ملياً من النهار ثم إن كتاب الأزارقة اجتمع بعضها إلى بعض، ثم حملوا على طائفة من المسلمين فهزموهم، وكانت في المسلمين جولة قد كنت أشفقت أن تكون هي الاصرى منهم فلما رأيت ذلك عمدت إلى مكان يفاع فعلوته، ثم دعوت إلى عشيرتي خاصة والمسلمين عامة، فثاب إلي أقوام شروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله من أهل الدين والصبر والصدق والوفاء، فقصدت بهم إلى عسكر القوم، وفيه جماعتهم وحدهم وأميرهم قد أطاف به أولو فضلهم فيهم، وذوو النيات منهم، فاقتتلنا ساعة رمياً بالنبل، وطعنا بالرمح.

ثم خلاص الفريقان إلى السيوف، فكان الجلال بها ساعة من النهار مبالطة ومبالدة ثم إن الله عز وجل أنزل نصره على المؤمنين، وضرب وجوه الكافرين ونزل طاغيتهم في رجال كثير من حماهم وذوي نياتهم، فقتلهم الله في المعركة.

ثم اتبعت الخليل شرادهم فقتلوا في الطريق والآخاذ والقري، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليك ورحمة الله.

فلما أتى هذا الكتاب الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة بعث به إلى الزبير فقرأ على الناس بمكة.

وكتب الحارث بن أبي ربيعة إلى المهلب:

أما بعد، فقد بلغني كتابك، تذكر فيه نصر الله إليك، وظفر المسلمين، فهنيئاً لك يا أبا الأزد بشرف الدنيا وعزها، وثواب الآخرة وفضلها، والسلام عليك ورحمة الله.

فلما قرأ المهلب كتابه ضحك ثم قال: أما تظنونه يعرفني إلا بأخي الأزد! ما أهل مكة إلا أعراب.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو المخارق الراسبي أن أبا علقمة اليمامي قاتل يوم سلى وسلبرى قتالاً لم يقاتله أحد من الناس، وأنه أخذ ينادي في

شباب الأزد وفتيان اليمام: أعيرونا جماجمكم ساعة من نهار، فأخذ فتیان منهم يكرون، فيقاتلون ثم يرجعون إليه، يضحكون ويقولون: يا أبا علقمة، القدر تستعار! فلما ظهر المهلب ورأى من بلائه ما رأى وفاه مائة ألف وقد قيل: إن أهل البصرة قد كانوا سألوا الأحنف قبل المهلب أن يقاتل الأزارقة، وأشار عليهم بالمهلب، وقال: هو أقوى على حربهم مني، وإن المهلب إذ أجابهم إلى قتالهم شرط على أهل البصرة أن ما غلب عليه من الأرض فهو له ولن خف معه من قومه وغيرهم ثلاث سنين، وإنه ليس لمن تخلف عنه منه شيء فأجابوه إلى ذلك، وكتب بذلك عليهم كتاباً، وأوفدوا بذلك وفداً إلى ابن الزبير.

وإن ابن الزبير أمضى تلك الشروط كلها للمهلب وأجازها له، وإن المهلب لما أجيب إلى ما سال وجه ابنه حبيبا في ستمائه فارس إلى عمرو القنا، وهو معسكر خلف الجسر الأصغر في ستمائه فارس، فأمر المهلب بعقد الجسر الأصغر، ففقط حبيب الجسر إلى عمرو ومن معه، فقاتلهم حتى نفاهم عما بين الجسر، وانهزموا حتى صاروا من ناحية الفرات، وتجهز المهلب فيمن خف من قومه معه، وهم اثنا عشر ألف رجل، ومن سائر الناس سبعون رجلا، وسار المهلب حتى نزل الجسر الأكبر، وعمرو القنا بازائه في ستمائه. فبعث المغيرة بن المهلب في الخيل والرجالة، فهزمتهم الرجالة بالنبل، واتبعتهم الخيل، وأمر المهلب بالجسر فعقد، فغير هو وأصحابه، فلحق عمرو القنا حينئذ بابن الماحوز وأصحابه، وهو بالفتح، فأخبروهم الخبر، فساروا فعمسكروا دون الأهواز بثمانية فرائخ، وأقام المهلب بقية سنته، فجى كور دجلة، ورزق أصحابه، وأتاه المدد من أهل البصرة لما بلغهم ذلك، فأثبتهم في الديوان وأعطاهم حتى صاروا ثلاثين ألفا قال أبو جعفر: فعلى قول هؤلاء كانت الوقعة التي كانت فيها هزيمة الأزارقة وارتحلهم عن نواحي البصرة والأهواز إلى ناحية أصبهان وكرمان في

٥٠٢٩٠٦ ذكر خبر بناء عبد الله بن الزبير البيت الحرام

سنه ست وستين وقيل: انهم ارتحلوا عن الأهواز وهم ثلاثة آلاف، وإنه قتل منهم في الوقعة التي كانت بينهم وبين المهلب بسلى وسلبرى سبعة آلاف.

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة وجه مروان بن الحكم قبل مهلكه ابنه محمدا إلى الجزيرة، وذلك قبل مسيره إلى مصر. وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير عبد الله بن يزيد عن الكوفة، وولاه عبد الله بن مطيع، ونزع عن المدينة أخاه عبيدة بن الزبير، وولاه أخاه مصعب بن الزبير، وكان سبب عزله أخاه عبيدة عنها أنه - فيما ذكر الواقدي - خطب الناس فقال لهم: قد رأيتم ما صنع بقوم في ناقه قيمتها خمسمائة درهم، فسمي مقوم الناقة، وبلغ ذلك ابن الزبير فقال: ان هذا هو التكلف. ذكر خبر بناء عبد الله بن الزبير البيت الحرام

وفي هذه السنة بنى عبد الله بن الزبير البيت الحرام، فأدخل الحجر فيه. أخبرنا إسحاق بن أبي إسرائيل، قال: حدثني عبد العزيز بن خالد بن رستم الصنعاني أبو محمد، قال: حدثني زياد بن جيل أنه كان بمكة يوم غلب ابن الزبير، فسمعه يقول: إن أمي أسماء بنت أبي بكر حدثتني ان رسول الله ص قال لعائشة: [لولا حداثة عهد قومك بالكفر رددت الكعبة على أساس إبراهيم، فأزيد في الكعبة من الحجر فأمر به ابن الزبير فحفر، فوجدوا قلاعا أمثال الإبل، فحرقوا منها صخرة، فبرقت بارقة فقال: أقرؤها على أساسها، فبناها ابن الزبير، وجعل لها بابين: يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر. قال أبو جعفر: وجج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير، وكان على المدينة أخوه مصعب بن الزبير، وعلى الكوفة في آخر السنة عبد الله بن مطيع، وعلى البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، وهو الذي

٥٠٢٩٠٧ خروج بني تميم بخراسان على عبد الله بن خازم

يقال له القباغ وعلى قضائها هشام بن هبيرة، وعلى خراسان عبد الله بن خازم

• خروج بني تميم بخراسان على عبد الله بن خازم

٤ وفي هذه السنة خالف من كان بخراسان من بني تميم عبد الله بن خازم حتى وقعت بينهم حروب. ذكر الخبر عن سبب ذلك:

وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ - فِيمَا ذَكَرَ - أَنْ مِنْ كَانَ بِخُرَاسَانَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ أَعَانُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَازِمٍ عَلَى مَنْ كَانَ مِنْهَا مِنْ رِبْعَةٍ، وَعَلَى حَرْبِ أَوْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ حَتَّى قَتَلَ مِنْ قَتْلِ مَنْهُمْ، وَظَفَرِيهِ، وَصَفَا لَهُ خُرَاسَانَ، فَلَهَا صَفَا لَهُ وَلَمْ يَنَازِعْهُ بِهِ أَحَدٌ جَفَاهُمْ وَكَانَ قَدْ ضَمَّ هَرَاةَ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهَا، وَجَعَلَ بِكَيْرِ بْنِ وَشَّاحٍ عَلَى شَرْطَتِهِ، وَضَمَّ إِلَيْهِ شِمَاسَ بْنَ دِثَارِ الْعَطَارْدِيِّ، وَكَانَتْ أُمُّ ابْنِ مُحَمَّدٍ امْرَأَةً مِنْ تَمِيمٍ تَدْعَى صَفِيَّةً، فَلَهَا جَفَا ابْنُ خَازِمٍ بَنِي تَمِيمٍ أَتَوْا ابْنَ مُحَمَّدٍ بِهَرَاةَ، فَكَتَبَ ابْنُ خَازِمٍ إِلَى بِكَيْرٍ وَشِمَاسٍ يَأْمُرُهُمَا بِمَنْعِ بَنِي تَمِيمٍ مِنْ دُخُولِ هَرَاةَ، فَأَمَّا شِمَاسُ بْنُ دِثَارٍ فَأَبَى ذَلِكَ، وَخَرَجَ مِنْ هَرَاةَ، فَصَارَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، وَأَمَّا بِكَيْرٌ فَمَنْعَهُمْ مِنَ الدُّخُولِ.

فَذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ أَنَّ زَهِيرَ بْنَ الْهَنْدِ حَدَّثَهُ أَنَّ بِكَيْرَ بْنَ وَشَّاحٍ لَمَّا مَنَعَ بَنِي تَمِيمٍ مِنْ دُخُولِ هَرَاةَ أَقَامُوا بِبِلَادِ هَرَاةَ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ شِمَاسُ بْنُ دِثَارٍ فَأَرْسَلَ بِكَيْرٌ إِلَى شِمَاسٍ: إِنِّي أَعْطَيْكَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَأَعْطِي كُلَّ رَجُلٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ أَلْفًا عَلَى أَنْ يَنْصَرَفُوا، فَأَبَوْا، فَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ، وَقَتَلُوا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ خَازِمٍ قَالَ عَلِيُّ: فَأَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ رَشِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَزِيزِ الْكَنْدِيِّ قَالَ: خَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ خَازِمٍ يَتَصِيدُ بِهَرَاةَ، وَقَدْ مَنَعَ بَنِي تَمِيمٍ مِنْ دُخُولِهَا، فَصَدَّوهُ، فَأَخَذُوهُ فَشَدُّوهُ وَثَاقًا، وَشَرَبُوا لَيْلَتَهُمْ، وَجَعَلَ كُلُّهَا أَرَادَ رَجُلٌ مِنْهُمْ الْبُولَ بِأَلِّهِ، فَقَالَ لَهُمْ شِمَاسُ بْنُ دِثَارٍ: أَمَا إِذْ بَلَّغْتُمْ هَذَا مِنْهُ فَأَقْتُلُوهُ بِصَاحِبَيْكُمَا الَّذِينَ قَتَلْتُمَا بِالسَّيَاطِ قَالَ: وَقَدْ كَانَ أَخَذَ قَبِيلَ ذَلِكَ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَضَرَبَهُمَا بِالسَّيَاطِ حَتَّى مَاتَا قَالَ: فَقَتَلُوهُ، قَالَ:

فَزَعَمَ لَنَا عَنْ شَهِدٍ قَتَلَهُ مِنْ شَبَوَخِهِمْ أَنَّ جَبِيهَانَ بْنَ مَشْجَعَةَ الضَّبِّيِّ نَهَاهُمْ عَنْ قَتْلِهِ، وَأَلْقَى نَفْسَهُ عَلَيْهِ، فَشَكَرَ لَهُ ابْنُ خَازِمٍ ذَلِكَ، فَلَمْ يَقْتُلْهُ فَيَمُنْ قَتَلَ يَوْمَ فَرْتَنَا قَالَ: فَزَعَمَ عَامِرُ بْنُ أَبِي عَمْرٍأَنَّهُ سَمِعَ أَشْيَاحَهُمْ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يَزْعُمُونَ أَنَّ الَّذِي وَلَّى قَتَلَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ خَازِمٍ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ سَعْدٍ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: عَجَلَةٌ، وَلِلْآخَرِ كَسِيبٌ فَقَالَ ابْنُ خَازِمٍ: بئسَ مَا اكْتَسَبَ كَسِيبٌ لِقَوْمِهِ، وَلَقَدْ عَجَلَ عَجَلَةً لِقَوْمِهِ شَرًّا.

قَالَ عَلِيُّ: وَحَدَّثَنَا أَبُو الذِّيَالِ زَهِيرُ بْنُ هَنْدٍ الْعَدَوِيُّ، قَالَ: لَمَّا قَتَلَ بَنُو تَمِيمٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ خَازِمٍ انْصَرَفُوا إِلَى مَرَوْ، فَطَلَبَهُمْ بِكَيْرُ بْنُ وَشَّاحٍ فَأَدْرَكَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَطَارْدٍ يُقَالُ لَهُ شَمِخٌ، فَقَتَلَهُ، وَأَقْبَلَ شِمَاسُ وَأَصْحَابُهُ إِلَى مَرَوْ، فَقَالُوا لَبْنِي سَعْدٍ: قَدْ أَدْرَكْنَا لَكُمْ بَأْرَكُمْ، قَتَلْنَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ خَازِمٍ بِالْجَشْمِيِّ الَّذِي أَصِيبَ بِمَرَوْ، فَأَجْمَعُوا عَلَى قِتَالِ ابْنِ خَازِمٍ، وَوَلَوْ عَلَيْهِمُ الْحَرِيشُ بْنُ هَلَالٍ الْقَرِيعِيُّ. قَالَ: فَأَخْبَرَنِي أَبُو الْفَوَارِسِ عَنْ طَفِيلِ بْنِ مَرْدَاسٍ، قَالَ: أَجْمَعَ أَكْثَرُ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى قِتَالِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ خَازِمٍ، قَالَ: وَكَانَ مَعَ الْحَرِيشُ فَرَسَانِ لَمْ يَدْرِكْ مِثْلَهُمْ، إِذَا الرُّجُلُ مِنْهُمْ كَتَبِيَّةٌ، مِنْهُمْ شِمَاسُ بْنُ دِثَارٍ، وَبَحِيرُ بْنُ وَرْقَاءَ الصَّرِيمِيِّ، وَشُعْبَةُ بْنُ ظَهِيرِ النَّهْشَلِيِّ، وَوَرْدُ بْنُ الْفَلَاقِ الْعَنْبَرِيِّ، وَالْحِجَاجُ بْنُ نَاشِبِ الْعَدَوِيِّ - وَكَانَ مِنْ أَرْمَى النَّاسِ - وَعَاصِمُ بْنُ حَبِيبِ الْعَدَوِيِّ، فَقَاتَلَ الْحَرِيشُ بْنُ هَلَالٍ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ خَازِمٍ سَنَتَيْنِ.

قَالَ: فَلَمَّا طَالَتِ الْحَرْبُ وَالشَّرُّ بَيْنَهُمْ ضَجُّوا، قَالَ: نَفْرَجُ الْحَرِيشُ فَنَادَى ابْنُ خَازِمٍ، نَفْرَجْ إِلَيْهِ فَقَالَ: قَدْ طَالَتِ الْحَرْبُ بَيْنَنَا، فَعَلَامَ تَقْتُلُ قَوْمِي وَقَوْمَكَ! ابْرِزْ لِي، فَأَيْنَا قَتَلَ صَاحِبَهُ صَارَتْ الْأَرْضُ لَهُ، فَقَالَ ابْنُ خَازِمٍ:

وَأَبِيكَ لَقَدْ أَنْصَفْتَنِي، فَبَرَزَ لَهُ، فَتَصَاوَلَا فَتَصَاوَلَا فَتَصَاوَلَا فَتَصَاوَلَا، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْهُمَا عَلَى مَا يَرِيدُ وَتَغَفَّلَ ابْنُ خَازِمٍ غَفْلَةً، وَضَرَبَهُ الْحَرِيشُ عَلَى رَأْسِهِ، فَرَمَى بِرُفُوءِ رَأْسِهِ عَلَى وَجْهِهِ، وَانْقَطَعَ رُكْبَا الْحَرِيشِ، وَانْتَرَعَ السَّيْفُ قَالَ:

فَلَزِمَ ابْنُ خَازِمٍ عُنُقَ فَرَسِهِ رَاجِعًا إِلَى أَصْحَابِهِ وَبِهِ ضَرْبَةٌ قَدْ أَخَذَتْ مِنْ رَأْسِهِ، ثُمَّ غَادَاهُمْ الْقِتَالُ، فَكَثُرُوا بِذَلِكَ بَعْدَ الضَّرْبَةِ أَيَّامًا، ثُمَّ مَلَ الْفَرِيقَانِ فَتَفَرَّقُوا ثَلَاثَ فُرُقٍ، فَضَى بِحِيرُ بْنُ وَرْقَاءَ إِلَى أَبَرْشَهْرِ فِي جَمَاعَةٍ، وَتَوَجَّهَ شِمَاسُ بْنُ دِثَارِ الْعَطَارْدِيِّ نَاحِيَةَ أُخْرَى، وَقِيلَ: أَتَى سَجِسْتَانَ، وَأَخَذَ عُثْمَانُ بْنُ بَشْرِ بْنِ الْمُحْتَفِزِ إِلَى فَرْتَنَا، فَنَزَلَ قَصْرًا بِهَا، وَمَضَى الْحَرِيشُ إِلَى نَاحِيَةِ مَرَوْ الرُّوذِ، فَاتَّبَعَهُ ابْنُ خَازِمٍ، فَلَحَقَهُ بِقَرْيَةٍ مِنْ قَرَاهَا يُقَالُ لَهَا قَرْيَةُ الْمَلْحَمَةِ - أَوْ قَصْرُ الْمَلْحَمَةِ - وَالْحَرِيشُ بْنُ هَلَالٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، وَقَدْ تَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، فَهَمَّ فِي خَرَبَةٍ، وَقَدْ نَصَبَ رَمَاحًا كَانَتْ مَعَهُ وَتَرَسَةً.

قَالَ: وَاَنْتَهَى إِلَيْهِ ابْنُ خَازِمٍ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فِي أَصْحَابِهِ، وَمَعَ ابْنُ خَازِمٍ مَوْلَى لَهُ شَدِيدُ الْبَأْسِ، فَحَمَلَ عَلَى الْحَرِيشِ فَضْرَبَهُ فَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي ضَبَّةٍ لِلْحَرِيشِ: أَمَا تَرَى مَا يَصْنَعُ الْعَبْدُ! فَقَالَ لَهُ الْحَرِيشُ: عَلَيْهِ سِلَاحٌ كَثِيرٌ، وَسَيْفِي لَا يَعْمَلُ فِي سِلَاحِهِ، وَلَكِنْ أَنْظِرْ لِي خَشْبَةً ثَقِيلَةً، فَقَطَعَ لَهُ عُودًا ثَقِيلًا مِنْ عَنَابٍ - وَيُقَالُ: أَصَابَهُ فِي الْقَصْرِ - فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَحَمَلَ بِهِ عَلَى مَوْلَى ابْنِ خَازِمٍ، فَضْرَبَهُ فَسَقَطَ وَقِيذاً ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِ خَازِمٍ، فَقَالَ:

مَا تَرِيدُ إِلَيَّ وَقَدْ خَلَيْتُكَ وَالْبِلَادَ! قَالَ: إِنَّكَ تَعُودُ إِلَيْهَا، قَالَ: فَإِنِّي لَا أَعُودُ، فَصَالَحَهُ عَلَى أَنْ يُخْرِجَ لَهُ مِنْ خُرَاسَانَ وَلَا يَعُودَ إِلَى قِتَالِهِ، فَوَصَلَهُ ابْنُ خَازِمٍ بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا قَالَ: وَفَتَحَ لَهُ الْحَرِيشُ بَابَ الْقَصْرِ، فَدَخَلَ ابْنُ خَازِمٍ، فَوَصَلَهُ وَضَمَّنَ لَهُ قِضَاءَ دِينِهِ، وَتَحَدَّثَا طَوِيلًا قَالَ: وَطَارَتْ قُطْنَةٌ كَانَتْ عَلَى رَأْسِ ابْنِ خَازِمٍ مَلْصُوقَةً عَلَى الضَّرْبَةِ الَّتِي كَانَ الْحَرِيشُ ضْرَبَهُ، فَقَامَ الْحَرِيشُ فَتَنَاوَلَهَا، فَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ خَازِمٍ: مَسَكَ الْيَوْمَ يَا أَبَا قَدَامَةَ أَلَيْنَ مِنْ مَسَكَ أَمْسٍ، قَالَ: مَعْذَرَةٌ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكَ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ رَكَابِي انْقَطَعَا لَخَالَطَ السَّيْفُ أَضْرَاسَكَ فَضَحَكَ ابْنُ خَازِمٍ، وَانصَرَفَ عَنْهُ، وَتَفَرَّقَ جَمْعُ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ بَعْضُ شُعْرَاءِ بَنِي تَمِيمٍ:

فَلَوْ كُنْتُمْ مِثْلَ الْحَرِيشِ صَبَرْتُمْ ... وَكُنْتُمْ بِقَصْرِ الْمَلْحِ خَيْرَ فَوَارِسٍ
إِذَا لَسَقْتُمْ بِالْعَوَالِي ابْنَ خَازِمٍ ... سَجَالُ دَمٍ يورِثُنْ طُولَ وَسَاوَسٍ

قَالَ: وَكَانَ الْأَشْعَثُ بْنُ ذُوَيْبٍ أَخُو زُهَيْرِ بْنِ ذُوَيْبٍ الْعَدَوِيِّ قَتَلَ فِي تِلْكَ الْحَرْبِ، فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ زُهَيْرٌ وَبِهِ رَمَقٌ: مَنْ قَتَلَكَ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، طَعَنَنِي رَجُلٌ عَلَى بَرْدُونَ أَصْفَرٍ، قَالَ: فَكَانَ زُهَيْرٌ لَا يَرَى أَحَدًا عَلَى بَرْدُونَ أَصْفَرٍ إِلَّا حَمَلَ عَلَيْهِ، فَهُمْ مِنْ يَقْتُلُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَهْرَبُ، فَتَحَامَى أَهْلُ الْعَسْكَرِ الْبَرَاذِينَ الصَّفْرَ، فَكَانَتْ مَخْلَافَةً فِي الْعَسْكَرِ لَا يَرْكَبُهَا أَحَدٌ وَقَالَ الْحَرِيشُ فِي قِتَالِهِ ابْنَ خَازِمٍ: أَرَاكَ عَظِيمَ يَمِينِي عَنْ مَرْكَبِهِ ... حَمَلُ الرِّدْنِيِّ فِي الْإِدْلَاجِ وَالسَّحَرِ
حَوْلِينَ مَا اغْتَمَضْتَ عَيْنِي بِمَنْزِلَةٍ ... إِلَّا وَكُفِّي وَسَادَ لِي عَلَى حَجَرٍ
بِزِي الْحَدِيدِ وَسِرْبَالِي إِذَا هَجَعَتْ ... عَنَى الْعَيُونَ مَحَالُ الْقَارِحِ الذِّكْرِ
تَمَّ الْجُزْءُ الْخَامِسُ مِنْ تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ وَبِهِ الْجُزْءُ السَّادِسُ، وَآوَلُهُ: ذِكْرُ حَوَادِثِ سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّينَ.

٦ الجزء السادس

٦٠١ سنة ست وستين

٦٠١٠١ ذكر الخبر عما كان من أمرهما في ذلك وظهور المختار للدعوة إلى ما دعا إليه الشيعة بالكوفة:

الجزء السادس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثُمَّ دَخَلْتُ

سنة ست وستين

(ذكر الخبر عن الكائن الذي كَانَ فِيهَا مِنَ الْأُمُورِ الْجَلِيلَةِ) فَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ وَثُوبُ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ بِالْكُوفَةِ طَالِبًا بِدَمِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَإِخْرَاجَهُ مِنْهَا عَامِلُ ابْنِ الزُّبَيْرِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَطِيحٍ الْعَدَوِيِّ.

ذكر الخبر عما كَانَ مِنْ أَمْرِهِمَا فِي ذَلِكَ وظهور المختار للدعوة إلى ما دعا إليه الشيعة بالكوفة:

ذَكَرَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي مَخْنَفٍ، أَنَّ فَضِيلَ بْنَ خَدِيجٍ، حَدَّثَهُ عَنْ عُبَيْدَةَ بْنِ عَمْرٍو وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ كَثِيرٍ مِنْ بَنِي هَنْدٍ أَنَّ أَصْحَابَ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ لَمَّا قَدِمُوا كَتَبَ إِلَيْهِمُ الْمُخْتَارُ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ أَعْظَمَ لَكُمْ الْأَجْرَ، وَحَطَّ عَنْكُمْ الْوِزْرَ، بِمُفَارَقَةِ الْقَاسِطِينَ، وَجِهَادِ الْمُحِلِّينَ، إِنَّكُمْ لَمْ تَنْفَقُوا نَفَقَةً، وَلَمْ تَقْطَعُوا عُقْبَةً، وَلَمْ تَخْطُوا خُطْوَةً إِلَّا رَفَعَ اللَّهُ لَكُمْ بِهَا دَرَجَةً، وَكُتِبَ لَكُمْ بِهَا حَسَنَةٌ، إِلَى مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ مِنَ التَّضْعِيفِ، فَأَبْشُرُوا فَإِنِّي لَوْ قَدْ خَرَجْتُ إِلَيْكُمْ قَدْ جَرَدْتُ فِيمَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فِي عَدُوِّكُمْ السَّيْفِ بِإِذْنِ اللَّهِ، لَجَعَلْتُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ رُكَّامًا، وَقَتَلْتُمْ قَدْأً وَتَوَّامًا، فَرَحَّبَ اللَّهُ بَيْنَ قَارِبٍ مِنْكُمْ وَاهْتَدَى، وَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ إِلَّا مَنْ عَصَى وَأَبَى، وَالسَّلَامُ يَا أَهْلَ الْهُدَى.

فَجَاءَهُمْ بِهَذَا الْكِتَابِ سَيْحَانُ بْنُ عَمْرٍو، مِنْ بَنِي لَيْثٍ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ قَدْ أَدْخَلَهُ فِي قُلُسُوتِهِ فِيمَا بَيْنَ الظَّهَارَةِ وَالْبِطَانَةِ، فَأَتَى بِالْكِتَابِ رِفَاعَةَ بْنَ شَدَّادٍ

وَالْمُثَنَّى بْنَ مَخْرَبَةَ الْعَبْدِيِّ وَسَعْدَ بْنَ حُذَيْفَةَ بْنَ أَيْمَانَ وَيَزِيدَ بْنَ أَنَسٍ وَأَحْمَرَ بْنَ شُمَيْطٍ الْأَحْمَسِيِّ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ شَدَّادِ الْبَجَلِيِّ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَامِلٍ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ ابْنَ كَامِلٍ، فَقَالُوا: قُلْ لَهُ: قَدْ قَرَأْنَا الْكِتَابَ، وَنَحْنُ حَيْثُ يَسُرُّكَ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ نَأْتِيكَ حَتَّى نُخْرِجَكَ فَعَلْنَا.

فَأَتَاهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ السَّجْنَ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا أُرْسِلَ إِلَيْهِ بِهِ، فَسَرَّ بِاجْتِمَاعِ الشَّيْعَةِ لَهُ، وَقَالَ لَهُمْ: لَا تَرِيدُوا هَذَا، فَإِنِّي أَخْرَجُ فِي أَيَّامِي هَذِهِ. قَالَ: وَكَانَ الْمُخْتَارُ قَدْ بَعَثَ غُلَامًا يَدْعَى زُرَيْبًا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ابْنِ الْخَطَّابِ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي قَدْ حَبَسْتُ مَظْلُومًا، وَظَنُّ بِي الْوَلَاةُ ظُنُونًا كَاذِبَةً، فَانْكُتِبْ فِي رَحْمَتِكَ اللَّهُ إِلَى هَذَيْنِ الظَّالِمَيْنِ كِتَابًا لَطِيفًا، عَسَى اللَّهُ أَنْ يُخَلِّصَنِي مِنْ أَيْدِيهِمَا بِلُطْفِكَ وَبِرِكَتِكَ وَبِمَنِّكَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ.

فَكُتِبَ إِلَيْهِمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ عَلِمْتُمَا الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ مِنَ الصَّهْرِ، وَالَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْوَدِّ، فَأَقْسَمْتُ عَلَيْكُمَا بِحَقِّ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ لَمَّا خَلَيْتُمَا سَبِيلَهُ حِينَ تَتَّظَرَانِ فِي كِتَابِي هَذَا، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

فَلَمَّا أَتَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ طَلْحَةَ كِتَابُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرٍو دَعَا لِلْمُخْتَارِ بِكُفْلَاءٍ يَضْمَنُونَهُ بِنَفْسِهِ، فَأَتَاهُ أَنَسُ مِنْ أَصْحَابِهِ كَثِيرٌ، فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ رُوَيْمٍ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ: مَا تَصْنَعُ بِضَمَانِ هَؤُلَاءِ كُلِّهِمْ! ضَمِنَهُ عَشْرَةٌ مِنْهُمْ أَشْرَافًا مَعْرُوفِينَ، وَدَعَا سَائِرَهُمْ.

فَفَعَلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا ضَمِنُوهُ، دَعَا بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ طَلْحَةَ خُلَفَاءُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لَا يَبْغِيهِمَا غَائِلَةٌ، وَلَا يَخْرُجُ عَلَيْهِمَا مَا كَانَ لهُمَا سُلْطَانٌ، فَإِنْ هُوَ فَعَلَ فَعَلَيْهِ أَلْفُ بَدَنَةٍ

يُخْرِهَا لَدَى رَتَاجِ الْكَعْبَةِ، وَمَمَالِيكِهِمْ كُلُّهُمْ ذَكَرُهُمْ وَأَنْتَاهُمْ أَحْرَارٌ خُلَفَ لهُمَا بِذَلِكَ، ثُمَّ خَرَجَ جَاءَ دَارَهُ فَنَزَلَهَا.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: لَحْدَثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي عَيْسَى، عَنْ حَمِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْمُخْتَارَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: قَاتِلَهُمُ اللَّهُ! مَا أَحَقَّهُمْ حِينَ يَرُونَ أَنِّي أَنِي لَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ هَذِهِ! أَمَّا حَلْفِي لَهُمْ بِاللَّهِ، فَإِنَّهُ يَنْبَغِي لِي إِذَا حَلَفْتُ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتُ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا أَنْ أَدْعَ مَا حَلَفْتُ عَلَيْهِ وَأَتِيَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَأَكْفَرُ يَمِينِي، وَخُرُوجِي عَلَيْهِمْ خَيْرٌ مِنْ كُفْيِ عَنْهُمْ، وَكَفَرِ يَمِينِي، وَأَمَّا هَذِي أَلْفُ بَدَنَةٍ فَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ بَصَقَةٍ، وَمَا تُنْ أَلْفُ بَدَنَةٍ فَيَهْوِي! وَأَمَّا عَتَقَ مَمَالِيكِي فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّهُ قَدْ اسْتَتَبَّ لِي أَمْرِي، ثُمَّ لَمْ أَمْلِكْ مَمْلُوكًا أَبَدًا.

قَالَ: وَلَمَّا نَزَلَ الْمُخْتَارُ دَارَهُ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنَ السَّجَنِ، اخْتَلَفَ إِلَيْهِ الشَّيْعَةُ وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ، وَاتَّفَقَ رَأْيُهَا عَلَى الرِّضَا بِهِ، وَكَانَ الَّذِي يُبَايِعُ لَهُ النَّاسَ وَهُوَ فِي السَّجَنِ خَمْسَةَ نَفَرٍ: السَّائِبُ بْنُ مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ، وَيَزِيدُ بْنُ أَنَسٍ، وَأَحْمَرُ بْنُ شُمَيْطٍ، وَرِفَاعَةُ بْنُ شَدَّادِ الْفَتَيَانِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادِ الْجَشْمِيِّ.

قال: فلم تزل أصحابه يكثرُونَ، وأمره يقوى ويستند حتى عزل ابن الزبير عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة، وبعث عبد الله بن مطيع على عملهما إلى الكوفة.

قال أبو مخنف: فحدثني الصَّعْبُ بنُ زهيرٍ، عن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، قال: دعا ابن الزبير عبد الله بن مطيع أخا بني عدي ابن كعب والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، فبعث عبد الله بن مطيع على الكوفة، وبعث الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على البصرة قال:

فبلغ ذلك بحير بن ريسان الحميري، فلقيهما، فقال لهما: يا هذان، إن القمر الليلة بالناطح، فلا تسيرا فأما ابن أبي ربيعة، فأطاعه، فأقام يسيرا ثم شخَصَ إلى عمله فسلم، وأما عبد الله بن مطيع فقال له: وهل نطلب إلا النطح! قال: فلقني والله نطحاً وبطحاً، قال: يقول عمر: والبلاء موكلاً بالقول.

قال عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: بلغ عبد الملك بن مروان أن ابن الزبير بعث عمالاً على البلاد، فقال: من بعث على البصرة؟

فقيل بعث عليها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، قال: لا حربوادي عوف، بعث عوفاً وجلس! ثم قال: من بعث على الكوفة؟ قالوا: عبد الله بن مطيع، قال: حازم وكثيراً ما يسقط، وشجاع وما يكره أن يفر، قال: من بعث على المدينة؟ قالوا: بعث أخاه مصعب بن الزبير، قال: ذاك الليث النهد، وهو رجل أهل بيته.

قال هشام: قال أبو مخنف: وقدم عبد الله بن مطيع الكوفة في رمضان سنة خمس وستين يوم الخميس لخمس بقين من شهر رمضان، فقال لعبد الله بن يزيد: إن أحببت أن تقيم معي أحسنت صحبتك، وأكرمت مثواك، وإن لحقت بأمر المؤمنين عبد الله بن الزبير فبك عليه كرامة، وعلى من قبله من المسلمين وقال لإبراهيم بن محمد بن طلحة: الحق بأمر المؤمنين، فخرج إبراهيم حتى قدم المدينة، وكسر على ابن الزبير الخراج، وقال: إنما كانت فتنة، فكف عنه ابن الزبير.

قال: وأقام ابن مطيع على الكوفة على الصلاة والخراج، وبعث على شرطته إياس بن مضارب العجلي، وأمره أن يحسن السيرة والشدة على المريب.

قال أبو مخنف: فحدثني حصيرة بن عبد الله بن الحارث بن دريد الأزدي- وكان قد أدرك ذلك الزمان، وشهد قتل مصعب بن الزبير- قال:

إني لشاهد المسجد حيث قدم عبد الله بن مطيع، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أما بعد، فإن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثني على مصركم وثغوركم، وأمرني بجباية فيكم، والا أحمل فضل فيكم عنكم إلا برضا منكم، ووصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته، وبسيره عثمان ابن عفان التي سار بها في المسلمين، فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا، وخذوا

على أيدي سفهائكم، وإلا تفعلوا فلو موات أنفسكم ولا تلوموني، فو الله لا وقعت بالسقيم العاصي، ولأقيم درء الأصعر المرتاب فقام إليه السائب بن مالك الأشعري، فقال: أما أمر ابن الزبير إياك الا تحمل فضل فينا عنا إلا برضانا فإننا نشهدك أنا لا نرضى أن تحمل فضل فينا عنا، والا يقسم إلا فينا، وألا يسار فينا إلا بسيرة علي بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتى هلك رحمة الله عليه، ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فينا ولا في أنفسنا، فإنها إنما كانت أثره وهوى، ولا في سيرة عمر بن الخطاب في فينا، وإن كانت أهون السيرتين علينا ضراً، وقد كان لا يألو الناس خيراً فقال يزيد ابن أنس: صدق السائب بن مالك وبر، رأينا مثل رأيه، وقلنا مثل قوله. فقال ابن مطيع: نسير فيكم بكل سيره أحببتموها وهو يتوها ثم نزل فقال:

يزيد بن أنس الأسدي: ذهبت بفضلها يا سائب، لا يعدمك المسلمون! أما والله لقد قتت وإني لأريد أن أقوم فأقول له نحوا من مقاتلتك، وما أحب أن الله ولى الرد عليه رجلاً من أهل المصر ليس من شيعتنا.

وجاء إياس بن مضارب إلى ابن مطيع، فقال له: إن السائب بن مالك من رءوس أصحاب المختار، ولست آمن المختار، فابعث إليه

فليأتك، فإذا جاءك فاحبسه في سجنك حتى يستقيم أمر الناس، فإن عيوني قد أمتني فخبرتني أن أمره قد استجمع له، وكأنه قد وثب بالمصر قال: فبعث إليه ابن مطيع زائدة بن قدامة وحسين بن عبد الله البرسمي من همدان، فدخلوا عليه، فقالا: أجب الأمير، فدعا ثيابه وأمر بأسراج دابته وتحشش للذهاب معهما، فلما رأى زائدة بن قدامة ذلك قرأ قول الله تبارك وتعالى:

«وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» ، ففهمها المختار، فجلس ثم ألقى ثيابه عنه، ثم قال: ألقوا علي القطيفة، ما أراني إلا قد وعكت، إني لأجد قففة

شديدة، ثم تمثل قول عبد العزى بن صهل الأزدي:

إذا ما معشر تركوا ندامهم ... ولم يأتوا الكريهة لم يهابوا

ارجعنا إلى ابن مطيع، فأعلمناه حالي التي أنا عليها فقال له زائدة بن قدامة: أما أنا ففاعل، فقال: وأنت يا أخا همدان فاعذرني عنده فإنه خير لك.

قال أبو مخنف: فحدثني إسماعيل بن نعيم الهمداني، عن حسين بن عبد الله، قال: قلت في نفسي: والله إن أنا لم أبلغ عن هذا ما يرضيه ما أنا بآمن من أن يظهر غدا فيهلكني قال: فقلت له، نعم، أنا أضع عند ابن مطيع عذرک، وأبلغه كل ما تحب، فخرجنا من عنده، فإذا أصحابه على بابه، وفي داره منهم جماعة كثيرة قال: فأقبلنا نحو ابن مطيع، فقلت لزائدة بن قدامة: أما إني قد فهمت قولك حين قرأت تلك الآية، وعلمت ما أردت بها، وقد علمت أنها هي ثبوتها عن الخروج معنا بعد ما كان قد لبس ثيابه، وأسرج دابته، وعلمت حين تمثل البيت الذي تمثل إنما أراد يخبرك أنه قد فهم عنك ما أردت أن تفهمه، وأنه لن يأتيه قال: فإحذني أن يكون أراد شيئا من ذلك، فقلت له: لا تحلف، فوالله ما كنت لأبلغ عنك ولا عنه شيئا تكرهانه، ولقد علمت أنك مشفق عليه، تجد له ما يجد المرء لابن عمه فأقبلنا إلى ابن مطيع، فأخبرناه بعلته وشكواه، فصدقنا ولها عنه.

قال: وبعث المختار إلى أصحابه، فأخذ يجمعهم في الدور حوله، وأراد أن يثب بالكوفة في المحرم، فجاء رجل من أصحابه من شبام- وكان عظيم الشرف يقال له عبد الرحمن بن شريح- فلقني سعيد بن منقذ الثوري وسعر ابن أبي سعر الحنفي والأسود بن جراد الكندي وقدامة بن مالك الجشمي، فاجتمعوا في منزل سعر الحنفي، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد، فإن المختار يريد أن يخرج بنا، وقد بايعناه ولا ندري أرسله إلينا ابن الحنفية أم لا، فانهضوا بنا إلى ابن الحنفية فلنخبره بما قدم علينا به

وبما دعانا إليه، فإن رخص لنا في اتباعه اتبعناه، وإن نهانا عنه اجتنبناه، فوالله ما ينبغي أن يكون شيء من أمر الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا.

فقالوا له: أرشدك الله! فقد أصبت ووفقت، اخرج بنا إذا شئت.

فاجمع رأيهم على أن يخرجوا من أيامهم، فخرجوا، فلحقوا بابن الحنفية، وكان أمامهم عبد الرحمن بن شريح، فلما قدموا عليه سألهم عن حال الناس فخبروه عن حالهم وما هم عليه قال أبو مخنف: فحدثني خليفة بن ورقاء، عن الأسود بن جراد الكندي قال: قلنا لابن الحنفية، إن لنا إليك حاجة، قال: فسر هي أم علانية؟

قال: قلنا: لا، بل سر، قال: فرويدا إذا، قال: فمكث قليلا، ثم تنحى جانبا فدعانا فقمنا إليه، فبدأ عبد الرحمن بن شريح، فتكلم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنكم أهل بيت خصكم الله بالفضيلة، وشرفكم بالنبوة، وعظم حقكم على هذه الأمة، فلا يجهل حقكم إلا مغبون الرأي، مخسوس النصيب، قد أصبتم بحسين رحمه الله عليه عظمت مصيبه اختصصتم بها، بعد ما عم بها المسلمون وقد قدم علينا المختار بن أبي عبيد يزعم لنا أنه قد جاءنا من تلقائكم، وقد دعانا إلى كتاب الله وسنه نبيه ص، والطلب بدماء أهل البيت، والدفع عن الضعفاء، فبايعناه على ذلك ثم إنا رأينا أن نأتيك فنذكر لك ما دعانا إليه، وندبنا له، فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه، وإن نهيتنا عنه اجتنبناه. ثم تكلمنا واحدا واحدا بنحو مما تكلم به صاحبنا، وهو يسمع، حتى إذا فرغنا حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ص، ثم قال:

أما بعد، فأما ما ذكرتم مما خصصنا الله به من فضل، فإن الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، فله الحمد! وأما ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين، فإن ذلك كان في الذكر الحكيم

وهي ملحمة كتبت عليه، وكرامة أهداها الله له، رفع بما كان منها درجات قوم عنده، ووضع بها آخرين، وكان أمرُ الله مفعولاً، وكان أمرُ الله قَدَرًا مَقْدُورًا.

وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا، فوالله لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

قال: فخرجنا من عنده، ونحن نقول: قد أذن لنا، قد قال: لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه، ولو كره لقال: لا تفعلوا.

قال: فجئنا وأناس من الشيعة ينتظرون مقدمنا ممن كُنا قد أعلنناه بخرجنا وأطلعناه على ذات أنفسنا، ممن كان على رأينا من إخواننا، وقد كان بلغ المختار مخرجنا، فشق ذلك عليه، وخشي أن تأتيه بأمر يخلد الشيعة عنه، فكان قد أرادهم على أن ينهض بهم قبل قدومنا، فلم يتهيأ ذلك له، فكان المختار يقول: إن نفيرا منكم ارتابوا وتحيروا وخابوا، فإن هم أصابوا أقبلا وأنابوا، وإن هم كبوا وهابوا، واعترضوا وانجابوا، فقد ثبروا وخابوا، فلم يكن إلا شهرا وزياده شيء، حتى أقبل القوم على رواحلهم، حتى دخلوا على المختار قبل دخولهم إلى رحالهم، فقال لهم: ما وراءكم؟ فقد فتنتم وارتبتم، فقالوا له: قد أمرنا بنصرتك فقال: الله أكبر! أنا أبو إسحاق، اجمعوا إلي الشيعة، فجمع له منهم من كان منه قريبا فقال: يا معشر الشيعة، إن نفرا منكم أحبوا أن يعلموا مصداق ما جئت به، فرحلوا إلى إمام الهدى، والنقيب المرتضى ابن خير من طشي ومشي، حاشا النبي المجتبي، فسألوه عما قدمت به عليكم، فنبأهم أني وزيره وظهيره، ورسوله وخليله، وأمرهم باتباعي وطاعتي فيما دعوتكم إليه من قتال المحلين، والطلب بدماء أهل بيت نبيكم المصطفين.

فقام عبد الرحمن بن شريح، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد يا معشر الشيعة، فإننا قد كُنا أحببنا أن نستثبت لأنفسنا خاصة ولجميع إخواننا عامة، فقدمنا على المهدي بن علي، فسلأناه عن حربنا هذه، وعما دعانا إليه المختار منها، فأمرنا بمظاهرتة ومؤازرتة وإجابته إلى ما دعانا إليه،

فأقبلنا طيبة أنفسنا، منشحة صدورنا، قد أذهب الله منها الشك والغل والريب، واستقامت لنا بصيرتنا في قتال عدونا، فليبلغ ذلك شاهدكم، غائبكم، واستعدوا وتأهبوا ثم جلس وقنا رجلا فرجلا، فتكلمنا بنحو من كلامه، فاستجمعت له الشيعة وحديث عليه. قال أبو مخنف: فحدثني غمير بن وعلة والمشرقي، عن عامر الشعبي، قال: كنت أنا وأبي أول من أجاب المختار قال: فلما تهيأ أمره ودنا خروجه، قال له أحمر بن شميظ ويزيد بن أنس وعبد الله بن كامل وعبد الله بن شداد: إن أشرف أهل الكوفة مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع، فإن جامعنا على أمرنا إبراهيم بن الأشتر رجونا بإذن الله القوه على عدونا، والا يضربنا خلاف من خالفنا، فإنه فتى بئيس، وابن رجل شريف بعيد الصيت، وله عشيرة ذات عز وعدد قال لهم المختار: فألقوه فادعوه، وأعلموه الذي أمرنا به من الطلب بدم الحسين وأهل بيته.

قال الشعبي: فخرجوا إليه وأنا فيهم، وأبي، فتكلم يزيد بن أنس، فقال له: إنا قد أتيناك في أمر نعرضه عليك، ندعوك إليه، فإن قبلته كان خيرا لك، وإن تركته فقد أدينا إليك فيه النصيحة، ونحن نحب أن يكون عندك مستورا.

فقال لهم إبراهيم بن الأشتر: وإن مثلي لا تخاف غائلته ولا سعايته، ولا التقرب إلى سلطانه باغتيال الناس، إنما أولئك الصغار الأخطار الدقاق همما.

فقال له: إنما ندعوك إلى أمر قد أجمع عليه رأي الملا من الشيعة، إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه، والطلب بدماء أهل البيت، وقتال المحلين، والدفع عن الضعفاء قال: ثم تكلم أحمر بن شميظ، فقال له: إني لك ناصح، ولحظك محب وإن أباك قد هلك وهو سيد الناس وفيك منه إن رعيت حق الله خلف، قد دعوناك إلى أمر إن أجبتنا إليه عادت لك منزلة أبيك في الناس، وأحييت من ذلك أمرا قد مات، إنما يكفي مثلك اليسير حتى تبلغ الغاية التي لا مذهب وراءها، إنه قد بنى لك أولك مفتخرا وأقبل القوم

كلهم عليه يدعونه إلى أمرهم ويرغبونه فيه فقال لهم إبراهيم بن الأشتر:

فإني قد أجبتمكم إلى ما دعوتوني إليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته، على أن تولوني الأمر، فقالوا: أنت لذلك أهل، ولكن ليس إلى ذلك سبيل، هذا المختار قد جاءنا من قبل المهدي، وهو الرسول والمأمور بالقتال، وقد أمرنا بطاعته فسكت عنهم ابن الأشتر ولم يجيبهم فانصرفنا من عنده إلى المختار فأخبرناه بما رد علينا، قال: فغير ثلاثا، ثم إن المختار دعا بضعة عشر رجلا من وجوه أصحابه - قال الشعبي: أنا وأبي فيهم - قال: فسار بنا ومضى أمامنا يقدر بنا بيوت الكوفة قدا لا ندري أين يريد، حتى وقف على باب إبراهيم بن الأشتر، فاستأذنا عليه فأذن لنا، وألقيت لنا وسائد، فجلسنا عليها وجلس المختار معه على فراشه، فقال المختار:

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وصلى الله على محمد، والسلام عليه، أما بعد، فإن هذا كتاب إليك من المهدي محمد بن أمير المؤمنين الوصي، وهو خير أهل الأرض اليوم، وابن خير أهل الأرض كلها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله، وهو يسألك أن تنصرنا وتؤازرنا، فإن فعلت اغتبطت، وإن لم تفعل فهذا الكتاب حجة عليك، وسيغني الله المهدي محمدًا وأوليائه عنك. قال الشعبي: وكان المختار قد دفع الكتاب إلي حين خرج من منزله، فلما قضى كلامه قال لي: ادفع الكتاب إليه، فدفعته إليه، فدعا بالمصباح وفض خاتمه، وقرأه فإذا هو:

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد المهدي إلى إبراهيم بن مالك الأشتر، سلام عليك، إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد إني قد بعثت إليكم بوزيري وأميني ونجبي الذي ارتضيته لنفسه، وقد أمرته بقتال عدوي والطلب بدماء أهل بيتي، فانفض معه بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك، فإنك إن نصرته وأجبت دعوتي وساعدت وزيري كانت لك عندي بذلك فضيلة، ولك بذلك أعنة الخيل وكل جيش غاز، وكل مصر ومنبر وثمر ظهرك عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد أهل الشام، على الوفاء بذلك علي عهد الله، فإن فعلت ذلك نلت به عند الله أفضل الكرامة، وإن أبيت هلكت هلاكًا لا تستقيله أبدًا، والسلام عليك.

فلما قضى إبراهيم قراءة الكتاب، قال: لقد كتب إلي ابن الحنفية، وقد كتبت إليه قبل اليوم، فما كان يكتب إلي إلا باسمه واسم أبيه، قال له ٢ المختار: إن ذلك زمان وهذا زمان، قال إبراهيم: فمن يعلم أن هذا كتاب ابن الحنفية إلي؟ فقال له: يزيد بن أنس وأحمر بن شميظ وعبد الله بن كامل وجماعتهم - قال الشعبي: إلا أنا وأبي - فقالوا: نشهد أن هذا كتاب محمد بن علي إليك، فتأخر إبراهيم عند ذلك عن صدر الفراش فأجلس المختار عليه، فقال: ابسط يدك أبيعك، فبسط المختار يده فبايعه إبراهيم، ودعا لنا بفاكهة، فأصبنا منها، ودعا لنا بشراب من عسل فشربنا ثم نهضنا، وخرج معنا ابن الأشتر، فركب مع المختار حتى دخل رحله، فلما رجع إبراهيم منصرفا أخذ بيدي، فقال: انصرف بنا يا شعبي، قال: فانصرفت معه ومضى بي حتى دخل بي رحله، فقال: يا شعبي، إني قد حفظت أنك لم تشهد أنت ولا أبوك، أفترى هؤلاء شهدوا على حق؟ قال: قلت له: قد شهدوا على ما رأيت وهم سادة القراء ومشيوخة المصر وفرسان العرب، ولا أرى مثل هؤلاء يقولون إلا حقا قال: فقلت له هذه المقالة، وأنا والله لهم على شهادتهم متهم، غير أنني يعجبني الخروج وأنا أرى رأي القوم، وأحب تمام ذلك الأمر، فلم أطلع على ما في نفسي من ذلك، فقال لي ابن الأشتر: اكتب لي أسماءهم إني ليس كلهم أعرف ودعا بصحيفة ودواة، وكتب فيها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا شَهِدَ عَلَيْهِ السَّائِبُ بْنُ مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ، وَيَزِيدُ بْنُ أَنْسِ الْأَسَدِيِّ وَأَحْمَرُ بْنُ شَمِيظٍ الْأَحْمَسِيِّ وَمَالِكُ بْنُ عَمْرِو النَّهْدِيِّ، حَتَّى أَتَى عَلَى أَسْمَاءِ الْقَوْمِ، ثُمَّ كَتَبَ: شَهِدُوا أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ كَتَبَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْثَرِ بِأَمْرِهِ بِمَوَازَرَةِ الْمُخْتَارِ وَمُظَاهَرَتِهِ عَلَى قِتَالِ الْحُلَيْنِ، وَالطَّلَبِ بِدِمَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَشَهِدَ عَلَى هَؤُلَاءِ النَّفَرِ الَّذِينَ شَهِدُوا عَلَى هَذِهِ الشَّهَادَةِ شَرَا حِيلَ ابْنِ عَبْدِ - وَهُوَ أَبُو عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ الْفَقِيه - وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّخْعِي،

وعامر بن شراحيل الشعبي فقلت له: ما تصنع بهذا رحمك الله؟ فقال:

دعه يكون قال: ودعا إبراهيم عشيرته وإخوانه ومن أطاعه، وأقبل يختلف إلى المختار.

قال هشام بن محمد: قال أبو مخنف: حدثني يحيى بن أبي عيسى الأزدي، قال: كان حميد بن مسلم الأسدي صديقا لإبراهيم بن الأشتر، وكان يختلف إليه، ويذهب به معه، وكان إبراهيم يروح في كل عشية عند المساء، فيأتي المختار، فيمكث عنده حتى تصوب النجوم ثم ينصرف، فكثوا بذلك يدبرون أمورهم، حتى اجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأول سنة ست وستين ووطن على ذلك شيعتهم ومن أجابهم فلما كان عند غروب الشمس، قام إبراهيم بن الأشتر، فأذن، ثم إنه استقدم، فصلى بنا المغرب، ثم خرج بنا بعد المغرب حين قلت: أخوك أو الذئب - وهو يريد المختار، - فأقبلنا علينا السلاح، وقد أتى إياس بن مضارب عبد الله بن مطيع فقال: إن المختار خارج عليك إحدى الليلتين، قال:

نفرج إياس في الشرط، فبعث ابنه راشدا إلى الكاسية، وأقبل يسير حول السوق في الشرط ثم إن إياس بن مضارب دخل على ابن مطيع، فقال له: إني قد بعثت ابني إلى الكاسية، فلو بعثت في كل جبانة بالكوفة عظيمة رجلا من أصحابك في جماعة من أهل الطاعة، هاب المريب الخروج عليك قال:

فبعث ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس إلى جبانة السبيع، وقال:

اكفني قومك، لا أوتين من قبلك، وأحكم أمر الجبانة التي وجهتك إليها، لا يحدثن بها حدث، فأوليك العجز والوهن وبعث كعب بن أبي كعب الخثعمي إلى جبانة بشر، وبعث زحر بن قيس إلى جبانة كندة، وبعث شمر بن ذي الجوشن إلى جبانة سالم، وبعث عبد الرحمن بن مخنف بن سليم إلى جبانة الصائدين، وبعث يزيد بن الحارث بن رؤيم أبا حوشب إلى جبانة مراد

واوصى كل رجل أن يكفيه قومه، والا يؤتى من قبله، وأن يحكم الوجه الذي وجهه فيه، وبعث شعث بن ربيعي إلى السبخة، وقال: إذا سمعت صوت القوم فوجه نحوهم، فكان هؤلاء قد خرجوا يوم الاثنين، فنزلوا هذه الجبابين، وخرج إبراهيم بن الأشتر من رحله بعد المغرب يريد إتيان المختار، وقد بلغه أن الجبابين قد حشيت رجالا، وأن الشرط قد أحاطت بالسوق والقصر.

قال أبو مخنف: فحدثني يحيى بن أبي عيسى، عن حميد بن مسلم، قال: خرجت مع إبراهيم من منزله بعد المغرب ليلة الثلاثاء حتى مررنا بدار عمرو بن حريث، ونحن مع ابن الأشتر كتيبة نحو من مائة، علينا الدروع، قد كفرنا عليها بالاقبيه، ونحو متقلد والسيوف، ليس معنا سلاح إلا السيوف في عواتقنا، والدروع قد سترناها بأقيبتنا، فلما مررنا بدار سعيد بن قيس فجزناها إلى دار أسامة، قلنا: مر بنا على دار خالد بن عرفطة، ثم امض بنا إلى بجيلة، فلنمر في دورهم حتى نخرج إلى دار المختار - وكان إبراهيم فتى حدثا شجاعا، فكان لا يكره أن يلقيهم - فقال: والله لأمرن على دار عمرو بن حريث إلى جانب القصر وسط السوق، ولأرعبن به عدونا ولأرينهم هوانهم علينا قال: فأخذنا على باب الفيل على دار ابن هبار، ثم أخذ ذات اليمين على دار عمرو بن حريث، حتى إذا جاوزها ألقينا إياس بن مضارب في الشرط مظهرين السلاح، فقال لنا: من أنتم؟ ما أنتم؟

فقال له إبراهيم: أنا إبراهيم بن الأشتر، فقال له ابن مضارب: ما هذا الجمع معك؟

وما تريد؟ والله إن أمرك لمريب! وقد بلغني أنك تمر كل عشية هاهنا، وما أنا بتاركك حتى آتي بك الأمير فيرى فيك رأيته فقال إبراهيم: لا أبا لغيرك! خل سبيلنا، فقال: كلا والله لا أفعل - ومع إياس بن مضارب رجل من همدان، يقال له أبو قطن، كان يكون مع إمرة الشرطة فهم يكرمونه ويؤثرونه، وكان لابن الأشتر صديقا - فقال له ابن الأشتر: يا أبا قطن، ادن مني - ومع أبي قطن رح له طويل -، فدنا منه أبو قطن، ومعه الرح،

وهو يرى أن ابن الأشتر يطلب إليه أن يشفع له إلى ابن مضارب ليخلي سبيله، فقال إبراهيم - وتناول الرح من يده: إن رمحك هذا لطويل، فحمل به إبراهيم على ابن مضارب، فطعنه في ثغرة نحره فصرعه، وقال لرجل من قومه: انزل عليه، فاحتز رأسه، فنزل إليه فاحتز رأسه، وتفرق أصحابه ورجعوا إلى ابن مطيع فبعث ابن مطيع ابنه راشد بن إياس مكان أبيه على الشرطة، وبعث مكان راشد بن إياس إلى الكاسية تلك الليلة سويد بن عبد الرحمن المنقري أبا القعقاع بن سويد وأقبل إبراهيم بن الأشتر إلى المختار ليلة الأربعاء،

فدخل عليه فقال له إبراهيم: إنا اتعدنا للخروج للمقابلة ليلة الخميس، وقد حدث أمر لا بد من الخروج الليلة، قال المختار: ما هو؟ قال: عرض لي إياس بن مضارب في الطريق ليحبسني بزعمه، فقتلته، وهذا رأسه مع أصحابي على الباب فقال المختار: فبشرك الله بخير!

فهذا طير صالح، وهذا أول الفتح ان شاء الله ثم قال المختار: قم يا سعيد بن منقذ، فأشعل في الهرادي النيران ثم ارفعها للمسلمين، وقم أنت يا عبد الله بن شداد، فناد: يا منصور أمت، وقم أنت يا سفيان بن ليل، وأنت يا قدامه ابن مالك، فناد: يا لثارات الحسين! ثم قال المختار: علي بدرعي وسلاحي، فأتي به، فأخذ يلبس سلاحه ويقول: قد علمت بيضاء حسناء الطلل ... واضحة الخدين عجزاء الكفل أني غداة الروح مقدم بطل.

ثم إن إبراهيم قال للمختار: إن هؤلاء الرءوس الذين وضعهم ابن مطيع في الجبابين يمنعون إخواننا أن يأتونا، ويضيّقون عليهم، فلو أني خرجت بمن معي من أصحابي حتى آتي قومي، فيأتيني كل من قد بايعني من قومي، ثم سرت بهم في نواحي الكوفة، ودعوت بشعارنا، نخرج إلي من أراد الخروج إلينا، ومن قدر على إتيانك من الناس، فمن أتاك حبسته عندك إلى من معك ولم تفرقهم، فإن عوجلت فأيتت كان معك من تمتنع به، وأنا لو قد فرغت من هذا الأمر عجّلت إليك في الخيل والرجال قال له إما لا فاعجل وإياك أن تسير إلى أميرهم تقاتله، ولا تقاتل أحدا وأنت تستطيع الا تقاتل، واحفظ ما أوصيتك به إلا أن يبدأك أحد بقتال نخرج إبراهيم بن الأشتر من عنده في الكتيبة التي أقبل فيها، حتى أتى قومه، واجتمع إليه جل من كان بايعه وأجابه ثم إنه سار بهم في سكك الكوفة طويلا من الليل، وهو في ذلك يتجنب السكك التي فيها الأمراء، فجاء إلى الذين معهم الجماعات الذين وضع ابن مطيع في الجبابين وأفواه الطرق العظام، حتى انتهى إلى مسجد السكون، وعجلت إليه خيل من خيل زحر بن قيس الجعفي ليس لهم قائد ولا عليهم أمير فشد عليهم إبراهيم بن اشتر وأصحابه، فكشفوهم حتى دخلوا جبانة كندة، فقال إبراهيم: من صاحب الخيل في ٢ جبانة كندة فشد إبراهيم وأصحابه عليهم، وهو يقول: اللهم إنك تعلم أنا غضبنا لأهل بيت نبيك، وثرنا لهم، فانصرنا عليهم، وتتم لنا دعوتنا، حتى انتهى إليهم هو وأصحابه، فخالطوهم وكشفوهم فقبل له: زحر بن قيس، فقال: انصرفوا بنا عنهم، فركب بعضهم بعضا كلما لقيم زقاق دخل منهم طائفة، فانصرفوا يسرون.

ثم خرج إبراهيم يسير حتى انتهى إلى جبانة أثير، فوقف فيها طويلا، ونادى أصحابه بشعارهم، فبلغ سويد بن عبد الرحمن المنقري مكانهم في جبانة أثير، فرجا أن يصيبهم فيحظى بذلك عند ابن مطيع، فلم يشعر ابن الأشتر إلا وهم معه في الجبانة، فلما رأى ذلك ابن الأشتر قال لأصحابه:

يا شرطة الله، انزلوا فإنكم أولى بالنصر من الله من هؤلاء الفساق الذين خاضوا دماء أهل بيت رسول الله ص فنزلوا ثم شد عليهم إبراهيم، فضرهم حتى أخرجهم من الصحراء، وولوا منهزمين يركب بعضهم بعضا، وهم يتلاومون، فقال قائل منهم: إن هذا الأمر يراد، ما يلقون لنا جماعة

إلا هزموهم! فلم يزل يهزمهم حتى أدخلهم الكاسية وقال أصحاب إبراهيم لإبراهيم: أتبعهم واغتم ما قد دخلهم من الرعب، فقد علم الله إلى من ندعو وما نطلب، وإلى من يدعون وما يطلبون! قال: لا، ولكن سيروا بنا إلى صاحبنا حتى يؤمن الله بنا وحشته، ونكون من أمره على علم، ويعلم هو أيضا ما كان من عنائنا، فيزداد هو وأصحابه قوة وبصيرة إلى قواهم وبصيرتهم، مع أني لا آمن أن يكون قد اتى.

فاقبل إبراهيم في أصحابه حتى مر بمسجد الأشعث، فوقف به ساعة، ثم مضى حتى أتى دار المختار، فوجد الأصوات عالية، والقوم يقتتلون، وقد جاء شبت بن ربيعي من قبل السبخة، فعجى له المختار يزيد بن أنس، وجاء حجار بن أبجر العجلي، فجعل المختار في وجهه في وجهه أحمر بن شميطة، فالناس يقتتلون، وجاء إبراهيم من قبل القصر، فبلغ حجارا وأصحابه أن إبراهيم قد جاءهم من ورائهم، فتنفروا قبل أن يأتيم إبراهيم، وذهبوا في الأزقة والسكك، وجاء قيس بن طهفة في قريب من مائة رجل من بني نهد من أصحاب المختار، فحمل على شبت بن ربيعي وهو يقاتل يزيد بن أنس، نفلى لهم الطريق حتى اجتمعوا جميعا ثم إن شبت بن ربيعي ترك لهم السكة، وأقبل حتى لقي ابن مطيع، فقال: ابعث إلى أمراء الجبابين فمرهم فليأتوك، فاجمع إليك جميع الناس، ثم انهد إلى هؤلاء القوم فقاتلهم وابعث إليهم من ثقتك به فليكفك قتالهم، فإن أمر القوم قد قوي، وقد خرج المختار وظهر، واجتمع له أمره فلما بلغ ذلك المختار من مشورة

شبت بن ربيعي على ابن مطيع خرج المختار في جماعة من أصحابه حتى نزل في ظهر دير هند مما يلي بستان زائدة في السبخة. قال: وخرج أبو عثمان النهدي فنأدى في شاكر وهم مجتمعون في دورهم، يخافون أن يظهروا في الميدان لقرب كعب بن أبي كعب الخثعمي منهم، وكان كعب في جبانة بشر، فلما بلغه أن شاكرًا تخرج جاء يسير حتى نزل بالميدان، وأخذ عليهم بأفواه سككهم وطرقهم قال: فلما أتاهم أبو عثمان النهدي

في عصابة من أصحابه، نادى: يا لثارات الحسين! يا منصور أمت! يا أيها الحي المهتدون، ألا إن أمير آل محمد ووزيرهم قد خرج فنزل دير هند، وبعثني إليكم داعيا ومبشرا، فخرجوا إليه يرحمكم الله! قال:

فخرجوا من الدور يتداعون: يا لثارات الحسين! ثم ضاربوا كعب بن أبي كعب حتى خلى لهم الطريق، فأقبلوا إلى المختار حتى نزلوا معه في عسكره، وخرج عبد الله بن قراد الخثعمي في جماعة من خثعم نحو المائتين حتى لحق بالمختار، فنزلوا معه في عسكره، وقد كان عرض له كعب بن أبي كعب فصافه، فلما عرفهم ورأى أنهم قومه خلى عنهم ولم يقاتلهم.

وخرجت شبام من آخر ليلتهم فاجتمعوا إلى جبانة مراد، فلما بلغ ذلك عبد الرحمن بن سعيد بن قيس بعث إليهم: إن كنتم تريدون للحاق بالمختار فلا تمروا على جبانة السبيع، فلاحقوا بالمختار، فتوافى إلى المختار ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثني عشر ألفا كانوا يابعوه، فاستجمعوا له قبل انفجار الفجر، فأصبح قد فرغ من تعبته.

قال أبو مخنف: فحدثني الوالي قال: خرجت أنا وحميد بن مسلم، والنعمان بن أبي الجعد إلى المختار ليلة خرج، فأتيناه في داره وخرجنا معه إلى معسكره، قال: فوالله ما انفجر الفجر حتى فرغ من تعبته، فلما ٢ أصبح استقدم، فصلى بنا الغداة بغلس، ثم قرأ والنَّازِعَاتِ وَعَبَسَ وَتَوَلَّى، قال: فما سمعنا إماما أم قوما أفصح لهجة منه.

قال أبو مخنف: حدثني حصيرة بن عبد الله، أن ابن مطيع بعث إلى أهل الجباين، فأمرهم أن ينضموا إلى المسجد، وقال لراشد بن إياس بن مضارب: ناد في الناس فليأتوا المسجد، فنأدى المنادي: ألا برئت الذمة من رجل لم يحضر المسجد الليلة! فتوافى الناس في المسجد، فلما اجتمعوا بعث ابن مطيع شبت بن ربيعي في نحو من ثلاثة آلاف إلى المختار، وبعث راشد بن إياس في أربعة آلاف من الشرط.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو الصلت التيمي عن أبي سعيد الصيقل

قال: لما صلى المختار الغداة ثم انصرف سمعنا أصواتا مرتفعة فيما بين بني سليم وسكة البريد، فقال المختار: من يعلم لنا علم هؤلاء ما هم؟ فقلت له: أنا أصلحك الله! فقال المختار: أما لا فألق سلاحك وانطلق حتى تدخل فيهم كأنك نظار، ثم تأتيني بخبرهم قال: ففعلت، فلما دنوت منهم إذا مؤذنه يقيم، فجئت حتى دنوت منهم فإذا شبت بن ربيعي معه خيل عظيمة، وعلى خيله شبان بن حريث الضبي، وهو في الرجالة معه منهم كثرة، فلما أقام مؤذنه تقدم فصلى بأصحابه، فقرأ: «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا»، فقلت في نفسي: أما والله إني لأرجو أن يزلزل الله بكم، وقرأ: «وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا»، فقال أناس من أصحابه: لو كنت قرأت سورتين هما أطول من هاتين شيئا! فقال شبت: ترون الديلم قد نزلت بساحتكم، وأنتم تقولون: لو قرأت سورة البقرة وآل عمران! قال: وكانوا ثلاثة آلاف، قال: فأقبلت سريعا حتى أتيت المختار فأخبرته بخبر شبت وأصحابه، وأتاه معي ساعة أتيته سعر بن أبي سعر الحنفي يركض من قبل مراد، وكان ممن بايع المختار فلم يقدر على الخروج معه ليلة خرج مخافة الحرس، فلما أصبح أقبل على فرسه، فمر بجبانة مراد، وفيها راشد بن إياس، فقالوا: كما أنت! ومن أنت؟ فراكضهم حتى جاء المختار، فأخبره خبر راشد، وأخبرته أنا خبر شبت، قال: فسرح إبراهيم بن الأشتر قبل راشد بن إياس في تسعمائة - ويقال ستمائة فارس وستمئة راجل - وبعث نعيم بن هبيرة أخا مصقلة بن هبيرة في ثلاثمائة فارس وستمئة راجل، وقال لهما: امضيا حتى تلقيا عدوكم، فإذا لقيتماهم فانزلا في الرجال وعجلا الفراغ وابدءاهم بالاقدام، ولا تستهد فاهم، فإنهم أكثر منكم، ولا ترجعا إلي حتى تظهرا أو تقتلا فتوجه إبراهيم إلى راشد، وقدم المختار يزيد بن أنس في موضع مسجد شبت في تسعمائة أمامه. وتوجه نعيم بن هبيرة قبل شبت قال أبو مخنف: قال أبو سعيد الصيقل: كنت أنا فيمن توجه مع نعيم

ابن هبيرة إلى شبت ومعي شعر بن أبي شعر الحنفي، فلما انتهينا إليه قاتلناه قتالا شديداً، فجعل نعيم بن هبيرة شعر بن أبي شعر الحنفي على الخيل، ومشى هو في الرجال فقاتلهم حتى أشرقت الشمس وانبسطت، فضر بناهم حتى أدخلناهم البيوت، ثم إن شبت بن ربي ناداهم: يا حماة السوء! بئس فرسان الحقائق أنتم! أمن عبيدكم تهربون! قال: فثابت إليه منهم جماعة فشد علينا وقد تفرقنا فهزمننا، وصبر نعيم بن هبيرة فقتل، ونزل شعر فأسر وأسرت أنا وخليد مولى حسان بن محدوج، فقال شبت لخليد- وكان وسيما جسيما: من أنت؟ فقال: خليد مولى حسان بن محدوج الذهلي، فقال له شبت:

يا بن المتكأ، تركت بيع الصحناء بالكاسية وكان جزاء من أعتقك أن تعدو عليه بسيفك تضرب رقابه! اضربوا عنقه، فقتل، ورأى شعرا الحنفي فعرفه، فقال: أخو بني حنيفة؟ فقال له: نعم، فقال: ويحك! ما أردت إلى اتباع هذه السبئية! قبح الله رأيك، دعوا ذا فقلت في نفسي: قتل المولى وترك العربي، إن علم والله إني مولى قتلي فلما عرضت عليه قال: من أنت؟ فقلت: من بني تيم الله، قال: أعربي أنت أو مولى؟

فقلت: لا بل عربي، أنا من آل زياد بن خصفة، فقال: بخ بخ! ذكرت الشريف المعروف، الحق بأهلك قال: فأقبلت حتى انتهيت إلى الحمراء، وكانت لي في قتال القوم بصيرة، فجئت حتى انتهيت إلى المختار، وقلت في نفسي: والله لأتين أصحابي فلا واسينهم بنفسي، فقبض الله العيش بعدهم! قال: فأتيتهم وقد سبقني إليهم شعر الحنفي، وأقبلت إليه خيل شبت، وجاءه قتل نعيم بن هبيرة، فدخل من ذلك أصحاب المختار أمر كبير، قال: فدنوت من المختار، فأخبرته بالذي كان من أمري، فقال لي: اسكت، فليس هذا بمكان الحديث وجاء شبت حتى أحاط بالمختار ويزيد بن أنس

وبعث ابن مطيع يزيد بن الحارث بن رؤيم في ألفين من قبل سكة لحام جرير، فوقفوا في أفواه تلك السكك، وولى المختار يزيد بن أنس خيله، وخرج هو في الرحالة.

قال أبو مخنف: فحدثني الحارث بن كعب الوالي، والبة الأزدي، قال:

حملت علينا خيل شبت بن ربي حملتين، فما يزول منا رجل من مكانه، فقال يزيد بن أنس لنا: يا معشر الشيعة، قد كنتم تقتلون وتقطع أيديكم وأرجلكم، وتسمل أعينكم، وترفعون على جذوع النخل في حب أهل بيت نبيكم، وأنتم مقيمون في بيوتكم، وطاعة عدوكم، فما ظنكم بهؤلاء القوم إن ظهروا عليكم اليوم! إذا والله لا يدعون منكم عينا تطرف، وليقتلنكم صبرا، ولترون منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خير منه، والله لا ينجيكم منهم إلا الصدق والصبر، والظعن الصائب في أعينهم، والضرب الدراك على هامهم فتيسروا للشدة، وتهيئوا للحملة، فإذا حركت رايتي مرتين فاحملوا قال الحارث: فتهيأنا وتيسرنا، وجثونا على الركب، وانتظرنا أمره.

قال أبو مخنف: وحديثي فضيل بن خديج الكندي أن إبراهيم بن الأشتر كان حين توجه إلى راشد بن إياس، مضى حتى لقمه في مراد، فإذا معه أربعة آلاف، فقال إبراهيم لأصحابه: لا يهولنكم كثرة هؤلاء، فوالله لرب رجل خير من عشرة، ولرب فئة قليلة قد غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين، ثم قال يا خزيمة بن نصر، سر إليهم في الخيل، ونزل هو يمشي في الرجال، ورايته مع مزاحم بن طفيل، فأخذ إبراهيم يقول له: ازدلف برايتك، امض بها قد ما قد ما واقتل الناس، فاشتد قتالهم، وبصر خزيمة بن نصر العبسي براشد بن إياس، فحمل عليه

فقطعنه، فقتله، ثم نادى: قتل راشد ورب الكعبة وانهمز أصحاب راشد، وأقبل إبراهيم بن الأشتر وخزيمة بن نصر ومن كان معهم بعد قتل راشد نحو المختار، وبعث النعمان بن أبي الجعد يبشر المختار بالفتح عليه وبقتل راشد، فلما أن جاءهم البشير بذلك كبروا، واشتدت أنفسهم ودخل أصحاب ابن مطيع الفشل، وسرح ابن مطيع حسان بن فائد بن بكير العبسي في جيش كثيف نحو من ألفين فاعترض إبراهيم بن الأشتر فويق الحمراء ليرده عن في السبخة من أصحاب ابن مطيع، فقدم إبراهيم خزيمة بن نصر إلى حسان بن فائد في الخيل، ومشى إبراهيم نحوه في الرجال.

فقال:

والله ما أطعنا برمح، ولا اضطربنا بسيف حتى انهزموا وتحلف حسان بن فائد في أخريات الناس يحميمهم وحمل عليه خزيمة بن نصر، فلما

رآه عرفه فقال له: يا حسان بن فائد أما والله لولا القرابة لعرفت أنني سألتبس قتلك بمجهدي، ولكن النجاء فعثر بحسان فرسه فوقه. فقال: تعسا لك، أبا عبد الله! وابتدره الناس فأحاطوا به فضاربهم ساعة بسيفه، فناداه خزيمة بن نصر قال: إنك آمن يا أبا عبد الله لا تقتل نفسك وجاء حتى وقف عليه ونهته الناس عنه ومر به إبراهيم، فقال له خزيمة: هذا ابن عمي وقد آمنتته، فقال له إبراهيم: أحسنت، فأمر خزيمة بطلب فرسه حتى أتى به، فحمله عليه، وقال: الحق بأهلك.

قال: وأقبل إبراهيم نحو المختار، وشبث محيط بالمختار ويزيد بن أنس.

فلما رآه يزيد بن الحارث وهو على أفواه سكك الكوفة التي تلي السبخة.

وإبراهيم مقبل نحو شبث، أقبل نحوه ليصده عن شبث وأصحابه، فبعث إبراهيم طائفة من أصحابه مع خزيمة بن نصر، فقال: أغن عنا يزيد بن الحارث، وصمد هو في بقية أصحابه نحو شبث بن ربعي.

قال أبو مخنف: فحدثني الحارث بن كعب أن إبراهيم لما أقبل نحونا رأينا شبثا وأصحابه ينكصون وراءهم رويدا رويدا، فلما دنا إبراهيم من شبث وأصحابه، حمل عليهم، وأمرنا يزيد بن أنس بالحملة عليهم،

فحملنا عليهم، فانكشفوا حتى انتهوا إلى أبيات الكوفة، وحمل خزيمة ابن نصر على يزيد بن الحارث بن رؤيم فهزمه، وازدحموا على أفواه السكك، وقد كان يزيد بن الحارث وضع رامية على أفواه السكك فوق البيوت، وأقبل المختار في جماعة الناس إلى يزيد بن الحارث، فلما انتهى، أصحاب المختار إلى أفواه السكك رمته تلك الرامية بالنبل، فصدوهم عن دخول الكوفة من ذلك الوجه، ورجع الناس من السبخة منهزمين إلى ابن مطيع، وجاءه قتل راشد بن إلياس، فأسقط في يده.

قال أبو مخنف: فحدثني يحيى بن هاني، قال: قال عمرو بن الحجاج الزبيدي لابن مطيع: أيها الرجل لا يسقط في خلدك، ولا تلق بيدك، اخرج إلى الناس فاندبهم إلى عدوك فاغزهم، فإن الناس كثير عددهم، وكلهم معك إلا هذه الطاغية التي خرجت على الناس، والله مخزيتها ومهلكها، وأنا أول منتدب، فاندب معي طائفة، ومع غيري طائفة، قال: فخرج ابن مطيع، فقام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن من أعجب العجب عجزكم عن عصبة منكم قليل عددها، خبيث دينها، ضالة مضلة، اخرجوا إليهم فامنعوا منهم حريمكم وقتلوهم عن مصركم، وامنعوا منهم فيئكم، وإلا والله ليشارككم في فيئكم من لا حق له فيه والله لقد بلغني أن فيهم خمسمائة رجل من محريكم عليهم أمير منهم وإنما ذهاب عزكم وسلطانكم وتغير دينكم حين يكثر منكم ثم نزل.

قال: ومنعهم يزيد بن الحارث أن يدخلوا الكوفة قال: ومضى المختار من السبخة حتى ظهر على الجبابة، ثم ارتفع إلى البيوت، بيوت مزينة وأحس وبارق، فنزل عند مسجددهم وبيوتهم، وبيوتهم شاذة منفردة من بيوت أهل الكوفة، فاستقبلوه بالماء، فسقى أصحابه، وأبى المختار أن يشرب قال: فظن أصحابه أنه صائم، وقال أحمر بن هديج من همدان

لابن كامل: اترى الأمير الأمير صائما؟ فقال له: نعم، هو صائم، فقال له: فلو أنه كان في هذا اليوم مفطرا كان أقوى له، فقال له: إنه معصوم، وهو أعلم بما يصنع، فقال له: صدقت، أستغفر الله وقال المختار: نعم مكان المقاتل هذا، فقال له: إبراهيم بن الأشتر: قد هزمهم الله وفلهم وأدخل الرعب قلوبهم، وتنزل هاهنا! سربنا، فوالله ما دون القصر أحد يمنع.

ولا يمتنع كبير امتناع، فقال المختار: ليقم هاهنا كل شيخ ضعيف وذئ علة، وضعوا ما كان لكم من ثقل ومتاع بهذا الموضع حتى تسيروا إلى عدونا ففعلوا، فاستخلف المختار عليهم أبا عثمان النهدي، وقدم إبراهيم بن الأشتر أمامه، وعي أصحابه على الحال التي كانوا عليها في السبخة.

قال: وبعث عبد الله بن مطيع عمرو بن الحجاج في ألفي رجل.

فخرج عليهم من سكة الثوريين، فبعث المختار إلى إبراهيم أن اطوه ولا تقم عليه فطواه إبراهيم، ودعا المختار يزيد بن أنس، فأمره أن يصمد لعمرو بن الحجاج، ففضى نحوه، وذهب المختار في أثر إبراهيم، ففضوا جميعا حتى إذا انتهى المختار إلى موضع مصلى خالد بن عبد الله وقف، وأمر إبراهيم أن يمضي على وجهه حتى يدخل الكوفة من قبل الكاسية، ففضى، فخرج إليه من سكة ابن محرز، وأقبل شمر

بن ذي الجوشن في ألفين، فسرّح المختار إليه سعيد بن منقذ الهمداني فواقعه، وبعث إلى إبراهيم أن اطوه، وامض على وجهك فضى حتى انتهى إلى سكة شبت، وإذا نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخزّمة في نحو من ألفين - أو قال: خمسة آلاف. وهو الصحيح - وقد أمر ابن مطيع سويد بن عبد الرحمن فنادى في الناس:

أن الحقوا بابن مساحق قال: واستخلف شبت بن ربيعي على القصر، وخرج ابن مطيع حتى وقف بالكّاسة. قال أبو مخنف: حدّثني حصيرة بن عبد الله، قال: إني لأنظر إلى ابن الأشتر حين أقبل في أصحابه، حتى إذا دنا منهم قال لهم: انزلوا، فنزلوا، فقال:

قربوا خيولكم بعضها إلى بعض، ثم امشوا إليهم مصلتين بالسيوف، ولا يهولنكم أن يقال: جاءكم شبت بن ربيعي وآل عتيبة بن النّهاس وآل الأشعث وآل فلان وآل يزيد بن الحارث قال: فسمى بيوتات من بيوتات أهل الكوفة، ثم قال: إن هؤلاء لو قد ووجدوا لهم حر السيوف قد انصفقوا عن ابن مطيع انصفاق المعزى عن الذّئب، قال حصيرة: فإني لأنظر إليه وإلى أصحابه حين قربوا خيولهم وحين أخذ ابن الأشتر أسفل قبائه فرفعه فأدخله في منطقة له حمراء من حواشي البرود، وقد شد بها على القباء، وقد كفر بالقباء على الدرع، ثم قال لأصحابه: شدوا عليهم فدى لكم عمي وخالي! قال: فوالله ما لبثهم أن هزمهم، فركب بعضهم بعضاً على فم السكة وازدحموا، وانتهى ابن الأشتر إلى ابن مساحق، فأخذ بلجام دابته، ورفع السيوف عليه، فقال له ابن مساحق: يا ابن الأشتر، أنشدك الله، أطلبني بثأراً هل بيني وبينك من إحنة! نفخى ابن الأشتر سبيله، وقال له: اذكرها، فكان بعد ذلك ابن مساحق يذكرها لابن الأشتر، وأقبلوا يسرون حتى دخلوا الكّاسة في آثار القوم حتى دخلوا السوق والمسجد، وحصروا ابن مطيع ثلاثاً.

قال أبو مخنف: وحدّثني النضر بن صالح أن ابن مطيع مكث ثلاثاً، يرزق أصحابه في القصر حيث حصر الدقيق، ومعه أشراف الناس، إلا ما كان من عمرو بن حريث، فإنه أتى داره ولم يلزم نفسه الحصار، ثم خرج حتى نزل البر وجاء المختار حتى نزل جانب السوق، وولى حصار القصر إبراهيم بن الأشتر، ويزيد بن أنس، وأحمر بن شميطة، فكان ابن الأشتر مما يلي المسجد وباب القصر، ويزيد بن أنس مما يلي بني حذيفة وسكة دار الروميين، وأحمر بن شميطة مما يلي دار عمارة ودار أبي موسى.

فلما اشتد الحصار على ابن مطيع وأصحابه كله الأشراف، فقام إليه شبت فقال: أصلح الله الأمير انظر لنفسك ولمن معك، فوالله ما عندهم غناء عنك ولا عن أنفسهم قال ابن مطيع: هاتوا، أشيروا علي برأيكم،

قال شبت: الرأي أن تأخذ لنفسك من هذا الرجل أماناً ولنا، وتخرج ولا تهلك نفسك ومن معك قال ابن مطيع: والله إني لأكره أن آخذ منه أماناً والأمر مستقيمة لأمر المؤمنين بالحجاز كله وبأرض البصرة، قال:

فتخرج لا يشعر بك أحد حتى تنزل منزلاً بالكوفة عند من تستنصحه وتثق به، ولا يعلم بمكانك حتى تخرج فتلق بصاحبك، فقال لأسماء بن خارجة وعبد الرحمن بن مخنف وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس وأشراف أهل الكوفة:

ما ترون في هذا الرأي الذي أشار به علي شبت؟ فقالوا: ما نرى الرأي إلا ما أشار به عليك، قال: فرويدا حتى أمسي قال أبو مخنف: فحدّثني أبو المغلس الليثي، أن عبد الله بن عبد الله الليثي أشرف على أصحاب المختار من القصر من العشي يشتمهم، وينتحي له مالك بن عمرو أبو ثمران النهدي بسهم، فيمر بحلقه، فقطع جلدة من حلقه فمال فوقه، قال: ثم إنه قام وبرأ بعد، وقال النهدي حين أصابه: خذها من مالك، من فاعل كذا.

قال أبو مخنف: وحدّثني النضر بن صالح، عن حسان بن فائد بن بكير، قال: لما أُمسينا في القصر في اليوم الثالث، دعانا ابن مطيع، فذكر الله بما هو أهله، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلّم وقال: أما بعد، فقد علمت الذين صنعوا هذا منكم من هم، وقد علمت أنما هم أراذلكم وسفهاؤكم وطغامكم وأخسائكم، ما عدا الرجل أو الرجلين، وأن أشرافكم وأهل الفضل منكم لم يزلوا سامعين مطيعين مناصحين، وأنا مبلغ ذلك صاحب، ومعلمه طاعتكم وجهادكم عدوه، حتى كان الله الغالب على أمره، وقد كان من رأيكم وما أشرتكم به علي ما قد علمتم، وقد رأيت أن أخرج الساعة فقال له شبت: جزاك الله من أمير خيراً! فقد والله عفت عن أموالنا، وأكرمت أشرافنا، ونصحت لصاحبك، وقضيت الذي عليك، والله ما كنا لنفارقك أبداً إلا ونحن منك في إذن، فقال: جزاكم الله خيراً، أخذ امرؤ حيث أحب،

ثم خرج من نحو دروب الروميين حتى أتى دار أبي موسى، وخلي القصر، وفتح أصحابه الباب، فقالوا: يا بن الأشر، آمنون نحن؟ قال: أنتم آمنون، فخرجوا فبايعوا المختار.

قال أبو مخنف: فحدثني موسى بن عامر العدوي، من عدي جهينة- وهو أبو الأشعر- أن المختار جاء حتى دخل القصر، فبات به، وأصبح أشرف الناس في المسجد وعلى باب القصر، وخرج المختار فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، فقال: الحمد لله الذي وعد وليه النصر، وعدوه الخسر، وجعله فيه إلى آخر الدهر، وعدا مفعولا، وقضاء مقضيا، وقد خاب من افترى أيها الناس، إنه رفعت لنا راية، ومدت لنا غاية، فقبل لنا في الارية: أن ارفعوها ولا تضعوها، وفي الغاية: أن اجروا إليها ولا تعدوها، في معنا دعوة الداعي، ومقالة الواعي، فكم من ناع وناعية، لقتلى في الواعية! وبعدا لمن طغى وأدبر، وعصى وكذب وتولى، ألا فادخلوا أيها الناس فبايعوا بيعة هدى، فلا والذي جعل السماء سقفا مكفوفا، والأرض فجاجا سبلا، ما بايعتم بعد بيعة علي بن أبي طالب وآل علي أهدى منها.

ثم نزل فدخل، ودخلنا عليه وأشرف الناس، فبسط يده، وابتدره الناس فبايعوه، وجعل يقول: تبايعوني على كتاب الله وسنة نبيه، والطلب بدماء أهل البيت، وجهاد المحلين، والدفع عن الضعفاء، وقتال من قاتلنا، وسلم من سالمنا، والوفاء ببيعتنا، لا نقيلكم ولا نستقيلكم، فإذا قال الرجل:

نعم بايعه قال: فكأنني والله أنظر إلى المنذر بن حسان بن ضرار الضبي إذ أتاه حتى سلم عليه بالإمرة، ثم بايعه وانصرف عنه، فلما خرج من القصر استقبل سعيد بن منقذ الثوري في عصابة من الشيعة واقفا عند المصطبة، فلما رأوه ومعه ابنه حيان بن المنذر، قال رجل من سفهائهم: هذا والله من رءوس الجبارين، فشدوا عليه وعلى ابنه، فقتلوهما، فصاح بهم سعيد بن منقذ: لا تعجلوا، لا تعجلوا حتى ننظر ما رأي أميركم فيه قال: وبلغ المختار ذلك، فكرهه حتى رأى ذلك في وجهه، وأقبل المختار يميني الناس، ويستجر مودتهم ومودة الأشراف، ويحسن السيرة جهده

قال: وجاءه ابن كامل فقال للمختار، أعلمت أن ابن مطيع في دار أبي موسى؟ فلم يجبه بشيء، فأعادها عليه ثلاث مرات فلم يجبه، ثم أعادها فلم يجبه، فظن ابن كامل أن ذلك لا يوافقه، وكان ابن مطيع قبل للمختار صديقا، فلما أمسى بعث إلى ابن مطيع بمائة ألف درهم، فقال له: تجهز بهذه واخرج، فإني قد شعرت بمكانك، وقد ظننت أنه لم يمنعك من الخروج إلا أنه ليس في يديك ما يقويك على الخروج وأصاب ٢ المختار تسعة آلاف ألف في بيت مال الكوفة، فأعطى أصحابه الذين قاتل بهم حين حصر ابن مطيع في القصر- وهم ثلاثة آلاف وثمانمائة رجل- كل رجل خمسمائة درهم وخمسمائة درهم، وأعطى ستة آلاف من أصحابه أتوه بعد ما أحاط بالقصر، فأقاموا معه تلك الليلة وتلك الثلاثة الأيام حتى دخل القصر مائتين مائتين، واستقبل الناس بخير، ومناهم العدل وحسن السيرة، وأدنى الأشراف، فكانوا جلساء وحدائه، واستعمل على شرطته عبد الله بن كامل الشاكري، وعلى حرسه كيسان أبا عمرة مولى عرينة، فقام ذات يوم على رأسه، فرأى الأشراف يحدثونه، ورآه قد أقبل بوجهه وحديثه عليهم، فقال لأبي عمرة بعض أصحابه من الموالي: أما ترى أبا إسحاق قد أقبل على العرب ما ينظر إلينا! فدعاه المختار فقال له: ما يقول لك أولئك الذين رأيتم يكلمونك؟ فقال له- وأسر إليه: شق عليهم أصلحك الله صرفك وجهك عنهم إلى العرب، فقال له: قل لهم: لا يشقن ذلك عليكم، فأنتم مني وأنا منكم ثم سكت طويلا، ثم قرأ:

«إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ» قال: فحدثني أبو الأشعر موسى بن عامر قال: ما هو إلا أن سمعها الموالي منه، فقال بعضهم لبعض: أبشروا، كأنكم والله به قد قتلهم.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي حَصْبِرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيُّ وَفُضَيْلُ بْنُ خَدِيجٍ الْكَنْدِيُّ وَالنَّضْرُ بْنُ صَالِحِ الْعَبْسِيِّ، قَالُوا: أَوَّلُ رَجُلٍ عَقَدَ لَهُ الْمَخْتَارُ

رَايَةً عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو الْأَشْثَرِ، عَقَدَ لَهُ عَلَى أَرْمِينِيَّةٍ، وَبَعَثَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمِيرٍ بْنُ عَطَّارٍ عَلَى أَذْرِيحَانَ، وَبَعَثَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ عَلَى الْمَوْصِلِ، وَبَعَثَ إِسْحَاقُ بْنُ مَسْعُودٍ عَلَى الْمَدَائِنِ وَأَرْضِ جَوْخَى، وَبَعَثَ قَدَامَةَ بْنُ أَبِي عَيْسَى بْنِ رَيْبَعَةَ النَّصْرِيِّ، وَهُوَ حَلِيفٌ لثَقِيفٍ عَلَى بَهْقَبَازِ الْأَعْلَى، وَبَعَثَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ بْنُ قَرْظَةَ عَلَى بَهْقَبَازِ الْأَوْسَطِ، وَبَعَثَ حَبِيبُ بْنُ مَنْقَذِ الثَّوْرِيِّ عَلَى بَهْقَبَازِ الْأَسْفَلِ،

وبعث سعد بن حذيفة بن اليمان على حلوان، وكان مع سعد بن حذيفة ألفا فارس بحلوان قال: ورزقه ألف درهم في كل شهر، وأمره بقتال الأكراد، وبإقامة الطرق، وكتب إلى عماله على الجبال يأمرهم أن يحملوا أموال كورهم إلى سعد بن حذيفة بحلوان، وكان عبد الله بن الزبير قد بعث محمد بن الأشعث بن قيس على الموصل، وأمره بمكاتبة ابن مطيع وبالسمع له والطاعة، غير أن ابن مطيع لا يقدر على عزله إلا بأمر ابن الزبير، وكان قبل ذلك في إمارة عبد الله بن يزيد، وإبراهيم بن محمد منقطعا بإمارة الموصل، لا يكتب أحدا دون ابن الزبير.

فلما قدم عليه عبد الرحمن بن سعيد بن قيس من قبل المختار أميرا تنحى له عن الموصل، وأقبل حتى نزل تكريت، وأقام بها مع أناس من أشراف قومه وغيرهم، وهو معتزل ينظر ما يصنع الناس، وإلى ما يصير أمرهم، ثم شتخص إلى المختار فبايع له، ودخل فيما دخل فيه أهل بلده.

قال أبو مخنف: وحدثني صلة بن زهير النهدي، عن مسلم بن عبد الله الضبائي، قال: لما ظهر المختار واستمكن، ونفى ابن مطيع وبعث عماله، أقبل يجلس للناس غدوة وعشية، فيقضي بين الخصمين، ثم قال:

والله إن لي فيما أراول وأحاول لشغلا عن القضاء بين الناس، قال: فأجلس للناس شريحا، وقضى بين الناس، ثم انه خافهم فارض، وكانوا يقولون:

إنه عثمانى، وإنه ممن شهد على حجر بن عدي، وإنه لم يبلغ عن هانئ ابن عروة ما أرسله به- وقد كان علي بن أبي طالب عزله عن القضاء- فلما

أن سمع بذلك ورآهم يذمون ويسندون إليه مثل هذا القول تمارض، وجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ثم إن عبد الله مرض، فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائي قاضيا.

قال مسلم بن عبد الله: وكان عبد الله بن همام سمع أبا عمرة يذكر الشيعة وينال من عثمان بن عفان، فقنعه بالسوط، فلما ظهر المختار كان معتزلا حتى استأمن له عبد الله بن شداد، فجاء إلى المختار ذات يوم فقال:

ألا انتسأت بالود عنك وأدبرت ... معالنة بالهجر أم سريع
وحملها واش سعى غير مؤتل ... فأبت بهم في الفؤاد جميع
نفض عليك الشأن لا يردك الهوى ... فليس انتقال خلة بديع
وفي ليلة المختار ما يذهل الفتى ... ويلهيه عن رؤد الشباب شموع
دعا يا لثارات الحسين فأقبلت ... كتائب من همدان بعد هزيع
ومن مذحج جاء الرئيس ابن مالك ... يقود جموعا عببت بجموع
ومن أسد وافي يزيد لنصره ... بكل فتى حامي الذمار منيع
وجاء نعيم خير شبان كلها ... بأمر لدى الهيجا أحد جميع
وما ابن شميظ إذ يحرض قومه ... هناك بمخدول ولا بمضيع
ولا قيس نهد لا ولا ابن هوازن ... وكل أخو إخبانة وخشوع
وسار أبو النعمان لله سعيه ... إلى ابن إياس مصحرا لوقوع
بخيل عليها يوم هيجا دروعها ... وأخرى حسورا غير ذات دروع
فكر الخيول كرة ثقفتهم ... وشد بأولاها على ابن مطيع
فولى بضرب يشدخ الهام وقعه ... وطعن غداة السكتين وجيع
فحوصر في دار الإمارة بائيا ... بذل وإرغام له وخضوع
فمن وزير ابن الوصي عليهم ... وكان لهم في الناس خير شفيع
وآب الهدى حقا إلى مستقره ... خير إياب آبه ورجوع

إلى الهاشمي المهتدي المهتدي به ... فنحن له من سامع ومطيع
قال: فلما أنشدتها المختار قال المختار لأصحابه: قد أثنى عليكم كما تسمعون، وقد أحسن الثناء عليكم، فأحسنوا له الجزاء ثم قام المختار،
فدخل وقال لأصحابه: لا تبرحوا حتى أخرج إليكم، قال: وقال عبد الله ابن شداد الجشمي: يا بن همام: إن لك عندي فرسا ومطرفا،
وقال قيس بن طهفة النهدي- وكانت عنده الرباب بنت الأشعث: فإن لك عندي ٦ فرسا ومطرفا، واستحيا أن يعطيه صاحبه شيئا
لا يعطي مثله، فقال ليزيد بن أنس: فما تعطيه؟ فقال يزيد: إن كان ثواب الله أراد بقوله فما عند الله خير له، وإن كان انما اعترى بهذا
القول أموالنا، فوالله ما في أموالنا ما يسعه، قد كانت بقيت من عطائي بقية فقويت بها إخواني، فقال أحمر بن شميظ مبادرا لهم قبل
أن يكلموه: يا بن همام، إن كنت أردت بهذا القول وجه الله فاطلب ثوابك من الله، وإن كنت إنما اعتريت به رضا الناس وطلب
أموالهم، فأكدم الجندل، فوالله ما من قال قولاً لغير الله وفي غير ذات الله بأهل أن ينخل، ولا يوصل، فقال له: عضضت بأير أبيك!
فرفع يزيد بن أنس السوط وقال لابن همام: تقول هذا القول يا فاسق! وقال لابن شميظ: اضربه بالسيف، فرفع ابن شميظ عليه السيف
ووثب ووثب أصحابهما يتفلقون على ابن همام وأخذ بيده إبراهيم بن الأشتر فألقاه وراءه، وقال: أنا له جار، لم تأتون إليه ما أرى! فوالله
إنه لو اصل الولاية، راض بما نحن عليه، حسن الثناء، فإن أنتم لم تكافئوه بحسن ثنائه، فلا تشتموا عرضه، ولا تسفكوا دمه ووثبت
مذبح فحالت دونه، وقالوا:

أجاره ابن الأشتر، لا والله لا يوصل إليه قال: وسمع لغطهم المختار، فخرج إليهم، وأوماً بيده إليهم، أن اجلسوا، فجلسوا، فقال لهم:
إذا قيل لكم خير فاقبلوه، وإن قدرتم على مكافأة فافعلوا، وإن لم تقدروا
على مكافأة فتنصلوا، واتقوا لسان الشاعر، فإن شره حاضر، وقوله فاجر، وسعيه بائر، وهو بكم غدا غادر فقالوا: أفلا نقتله؟ قال: إنا قد
آمنه وأجرناه، وقد أجاره أخوكم إبراهيم بن الأشتر، فجلس مع الناس قال: ثم إن إبراهيم قام فانصرف إلى منزله فأعطاه ألفا وفرسا
ومطرفا فرجع بها وقال: لا والله، لا جاورت هؤلاء أبدا وأقبلت هوازن وغضبت واجتمعت في المسجد غضبا لابن همام، فبعث إليهم
المختار فسألهم أن يصفحوا عما اجتمعوا له، ففعلوا، وقال ابن همام لابن الأشتر يمدحه:

أطفأ عني نار كلبين ألبا ... علي الكلاب ذو الفعالي ابن مالك
فتى حين يلتقي الخليل يفرق بينها ... بطعن دراك أو بضرب مواشك
وقد غضبت لي من هوازن عصبه ... طوال الذرا فيها عراض المبارك
إذا ابن شميظ أو يزيد تعرضا ... لها وقعا في مستحار المهالك
وثبت علينا يا موالى طيئ ... مع ابن شميظ شر ماش وراتك
وأعظم ديّار على الله فرية ... وما مفتر طاع كآخر ناسك
فيا عجبا من أحسن ابنة أحسن ... توثب حولي بالقتنا والنيازك
كأنكم في العز قيس وخشم ... وهل أنتم إلا لثام عوارك
وأقبل عبد الله بن شداد من الغد فجلس في المسجد يقول: علينا توثب بنو أسد وأحسن! والله لا نرضى بهذا أبدا فبلغ ذلك المختار،
فبعث إليه فدعاه، ودعا بيزيد بن أنس وبابن شميظ، فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا بن شداد، إن الذي فعلت نزغة من نزغات الشيطان،
فتب إلى الله، قال: قد تبت، وقال: إن هذين أخواك، فأقبل إليهما، وأقبل منهما، وهب لي هذا الأمر، قال: فهو لك، وكان ابن همام
قد قال قصيدة

٦٠١٠٢ ذكر الخبر عن امر المختار مع قتله الحسين بالكوفة

أخرى في أمر المختار، فقال:
أضحت سليمي بعد طول عتاب ... وتجرم ونفاد غرب شباب
قد ازمنت بصريمتي وتجنبي ... وتهوك مذ ذاك في إعتاب

لما رأيت القصر أغلق بابه ... وتوكلت همدان بالأسباب
ورأيت أصحاب الدقيق كأنهم ... حول البيوت ثعالب الأسراب
ورأيت أبواب الأزقة حولنا ... دربت بكل هراوة وذباب
أيقنت أن خيول شيعة راشد ... لم يبق منها فيش أير ذباب
ذكر الخبر عن امر المختار مع قتله الحسين بالكوفة

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة وثب المختار بمن كان بالكوفة من قتلة الحسين والمشايعين على قتله، فقتل من قدر عليه منهم، وهرب من الكوفة بعضهم، فلم يقدر عليه.

ذكر الخبر عن سبب وثوبه بهم وتسمية من قتل منهم ومن هرب فلم يقدر عليه منهم:

وكان سبب ذلك - فيما ذكره هشام بن محمد، عن عوانة بن الحكم - أن مروان بن الحكم لما استوسقت له الشام بالطاعة، بعث جيشين أحدهما إلى الحجاز عليه حبيش بن دلجة القيني - وقد ذكرنا أمره وخبر مهلكه قبل - والآخر منهما إلى العراق عليهم عبيد الله بن زياد - وقد ذكرنا ما كان من أمره وأمر التوابين من الشيعة بعين الوردية - وكان مروان جعل لعبيد الله بن زياد إذ وجهه إلى العراق ما غلب عليه، وأمره أن ينهب الكوفة إذا هو ظفر بأهلها ثلاثاً.

قال عوانة: فر بأرض الجزيرة فاحتبس بها وبها قيس عيلان على

طاعة ابن الزبير، وقد كان مروان أصاب قيساً يوم مرج راهط وهم مع الضحاك بن قيس مخالفين على مروان، وعلى ابنه عبد الملك من بعده، فلم يزل عبيد الله مشتغلاً بهم عن العراق نحواً من سنة ثم إنه أقبل إلى الموصل، فكتب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس عامل المختار على الموصل إلى المختار: أما بعد، فإني أخبرك أيها الأمير أن عبيد الله بن زياد قد دخل أرض الموصل، وقد وجه قبلي خيله ورجاله، وإني انحزت إلى تكريت حتى يأتيني رأيك وأمرك، والسلام عليك.

فكتب إليه المختار: أما بعد، فقد بلغني كتابك، وفهمت كل ما ذكرت فيه، فقد أصبت بانحيازك إلى تكريت، فلا تبرحن مكانك الذي أنت به حتى يأتيك أمري إن شاء الله، والسلام عليك.

قال هشام، عن أبي مخنف: حدثني موسى بن عامر، أن كتاب عبد الرحمن بن سعيد لما ورد على المختار بعث إلى يزيد بن أنس فدعاه، فقال له: يا يزيد بن أنس، إن العالم ليس كالجاهل، وإن الحق ليس كالباطل، وإني أخبرك خبر من لم يكذب ولم يكذب، ولم يخالف ولم يرتب، وأنا المؤمنون الميامين، الغالبون المساليم، وإنك صاحب الخيل التي تجر جعابها، وتضفر أذنانها، حتى توردها منابت الزيتون، غائرة عيونها، لاحقة بطونها أخرج إلى الموصل حتى تنزل أدانيها، فإني بمدك بالرجال بعد الرجال فقال له يزيد بن أنس: سرح معي ثلاثة آلاف فارس ٢ أنتخبهم، وخلي والفرج الذي توجهنا إليه، فإن احتجت إلى الرجال فسأكتب إليك، قال له المختار: فأخرج فانتخب على اسم الله من أحببت.

فخرج فانتخب ثلاثة آلاف فارس، فجعل على ربع المدينة النعمان بن عوف بن أبي جابر الأزدي، وعلى ربع تميم وحمدان عاصم بن قيس بن حبيب الهمداني، وعلى مدحج وأسد ورقاء بن عازب الأسدي، وعلى ربع ربيعة وكندة شعر بن أبي شعر الحنفي.

ثم إنه فصل من الكوفة، فخرج معه المختار والناس يشيعونه، فلما

بلغ دير أبي موسى ودعه المختار وانصرف، ثم قال له: إذا لقيت عدوك فلا تناظرهم، وإذا أمكنتك الفرصة فلا تؤخرها، وليكن خبرك في كل يوم عندي، وإن احتجت إلى مدد فاكتب إلي، مع أي مددك ولو لم تستمدد، فإنه أشد لعضدك، وأعز لجندك، وأرعب لعدوك فقال له يزيد بن أنس: لا تمدني إلا بدعائك، فكفى به مدداً وقال له الناس:

صحبك الله وأداك وأيدك، وودعوه: فقال لهم يزيد: سلوا الله لي الشهادة، وإيم الله لئن لقيتهم فقاتني النصر لا تفتني الشهادة إن شاء الله فكتب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس: أما بعد، نخل بين يزيد وبين البلاد إن شاء الله، والسلام عليك فخرج يزيد بن أنس بالناس حتى بات بسورا، ثم غدا بهم سائراً حتى بات بهم بالمدائن، فشكا الناس إليه ما دخلهم من شدة السير عليهم، فأقام بها يوماً

وليلة ثم إنه اعترض بهم أرض جوحى حتى خرج بهم في الراذانات، حتى قطع بهم الى ارض الموصل، فنزلت بنات تلي، وبلغ مكانه ومنزله الذي نزل به عبيد الله بن زياد، فسأل عن عدتهم، فأخبرته عيونه أنه خرج معه من الكوفة ثلاثة آلاف فارس، فقال عبيد الله: فأنا أبعث إلى كل ألف ألفين ودعا ربيعة بن المخارق الغنوي وعبد الله بن حمله الخثعمي، فبعثهما في ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف، وبعث ربيعة بن المخارق أولا، ثم مكث يوما، ثم بعث خلفه عبد الله بن حملة، ثم كتب إليهما: أيكما سبق فهو أمير على صاحبه، وإن انتهيتما جميعا فأكبر كما سنا أمير على صاحبه والجماعة قال: فسبق ربيعة بن المخارق فنزل بيزيد بن أنس وهو بنات تلي، فخرج إليه يزيد بن أنس وهو مريض مضنى.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو الصلت، عن أبي سعيد الصيقل، قال:

خرج علينا يزيد بن أنس وهو مريض على حمار يمشي معه الرجال يمسكونه عن يمينه وعن شماله، بفخذيه وعضديه وجنبه، فجعل يقف على الأربع:

ربع ربع ويقول: يا شرطة الله، اصبروا تؤجروا، وصابروا عدوكم تظفروا، وقاتلوا أولياء الشيطان، إن كيد الشيطان كان ضعيفا، إن هلكت فأمركم ورقاء بن عازب الأسدي، فإن هلك فأمركم عبد الله بن ضمرة العذري، فإن هلك فأمركم سعد بن أبي سعد الحنفي قال: وأنا والله فيمن يمشي معه ويمسك بعضده ويده، وإني لأعرف في وجهه أن الموت قد نزل به قال: فجعل يزيد بن أنس عبد الله بن ضمرة العذري على ميمنته، وسعد بن أبي سعد على يسارته، وجعل ورقاء بن عازب الأسدي على الخيل، ونزل هو فوضع بين الرجال على السرير، ثم قال لهم:

ابرزوا لهم بالعراء، وقدموني في الرجال، ثم إن شتم فقاتلوا عن أميركم، وإن شتم ففروا عنه قال: فأخرجناه في ذي الحجة يوم عرفة سنة ست وستين، فأخذنا نمسك أحيانا بظهره فيقول: اصنعوا كذا، اصنعوا كذا، وافعلوا كذا، فإمر بأمره، ثم لا يكون بأسرع من أن يغلبه الوجع فيوضع هنية ويقتل الناس، وذلك عند شفق الصبح قبل شروق الشمس قال: فحملت يسارته على ميمنتنا، فاشتد قتالهم، وتحمل يسارتنا على ميمنتهم فتهزمها، ويحمل ورقاء بن عازب الأسدي في الخيل فهزمهم، فلم يرتفع الضحى حتى هزمناهم، وحوينا عسكرهم.

قال أبو مخنف: وحدثني موسى بن عامر العدوي، قال: انتهينا الى ربيعة ابن المخارق صاحبهم، وقد انهزم عنه أصحابه وهو نازل ينادي: يا أولياء الحق، ويا أهل السمع والطاعة، إلي أنا ابن المخارق، قال موسى: فأما أنا فكنت غلاما حدثا، فهبته ووقفت، ويحمل عليه عبد الله بن ورقاء الأسدي وعبد الله بن ضمرة العذري، فقتلاه.

قال أبو مخنف: وحدثني عمرو بن مالك أبو كبشة القيني، قال:

كنت غلاما حين راهقت مع أحد عمومتي في ذلك العسكر، فلما نزلنا بعسكر الكوفيين عبانا ربيعة بن المخارق فاحسن التعبئه، وجعل على ميمنته ابن

أخيه، وعلى يسارته عبد ربه السلمي، وخرج هو في الخيل والرجال وقال:

يا أهل الشام، إنكم إنما تقاتلون العبيد الأباقي، وقوما قد تركوا الإسلام وخرجوا منه، ليست لهم تقيه، ولا ينطقون بالعربية، قال: فوالله إن كنت لأحسب أن ذلك كذلك حتى قاتلناهم، قال: فوالله ما هو إلا أن اقتتل الناس إذا رجل من أهل العراق يعترض الناس بسيفه وهو يقول:

برئت من دين المحكمينا... وذاك فينا شر دين دينا

ثم إن قاتلنا وقتلهم اشتد ساعة من النهار، ثم إنهم هزمونا حين ارتفع الضحى فقتلوا صاحبنا، وحووا عسكرنا، فخرجنا منهزمين حتى تلقانا عبد الله بن حملة على مسيرة ساعة من تلك القرية التي يقال لها بنات تلي، فردنا، فأقبلنا معه حتى نزل بيزيد بن أنس، فبتنا متحارسين حتى أصبحنا فصلينا الغداة، ثم خرجنا على تعبته حسنة، فجعل على ميمنته الزبير بن خزيمة، من خثعم، وعلى يسارته ابن أقيصر القحافي من خثعم، وتقدم في الخيل والرجال، وذلك يوم الأضحى، فاقتلنا قتالا شديدا، ثم إنهم هزمونا هزيمة قبيحة، وقتلونا قتالا ذريعا، وحووا عسكرنا، وأقبلنا حتى انتهينا إلى عبيد الله بن زياد فحدثناه بما لقينا.

قال أبو مخنف: وحدثني موسى بن عامر، قال: أقبل إلينا عبد الله بن حملة الخثعمي، فاستقبل فل ربيعة بن المخارق الغنوي فردهم، ثم جاء حتى نزل بينات تلي، فلما أصبح غادوا وغادينا، فتطاردت الخيلان من أول النهار، ثم انصرفوا وانصرفنا، حتى إذا صلينا الظهر خرجنا فاقتلنا، ثم هزمناهم.

قال: ونزل عبد الله بن حملة فأخذ ينادي أصحابه: الكرة بعد الفرة، يا أهل السمع والطاعة، فحمل عليه عبد الله بن قراد الخثعمي فقتله، وحوينا عسكرهم وما فيه، وأتي يزيد بن أنس بثلاثمائة أسير وهو في السوق، فأخذ يومئذ بيده أن اضربوا أعناقهم، فقتلوا من عند آخرهم.

وقال يزيد بن أنس: إن هلكت فأمرهم ورقاء بن عازب الأسدي، فما أمسى حتى مات، فصلى عليه ورقاء بن عازب ودفنه، فلما رأى ذلك أصحابه أسقط في أيديهم، وكسر موته قلوب أصحابه، وأخذوا في دفنه،

فقال لهم ورقاء: يا قوم، ماذا ترون؟ إنه قد بلغني أن عبيد الله بن زياد قد أقبل إلينا في ثمانين ألفاً من أهل الشام، فأخذوا يتسللون ويرجعون ثم إن ورقاء دعا رؤوس الأرباع وفرسان أصحابه فقال لهم: يا هؤلاء، ماذا ترون فيما أخبرتكم؟ إنما أنا رجل منكم، ولست بأفضلكم رأياً، فأشيروا علي، فإن ابن زياد قد جاءكم في جند أهل الشام الأعظم، وبجلتهم وفرسانهم وأشرفهم، ولا أرى لنا ولكم بهم طاقة على هذه الحال، وقد هلك يزيد بن أنس أميرنا، وتفرقت عنا طائفة منا، فلو انصرفنا اليوم من تلقاء أنفسنا قبل أن نلقاهم وقبل أن نبغهم، فيعلموا أننا ردنا عنهم هلاك صاحبنا، فلا يزالوا لنا هائبين لقتلنا منهم أميرهم! ولأننا إنما نعتل لانصرافنا بموت صاحبنا وإنا إن لقيناهم اليوم كما مخاطرنا، فإن هزمنا اليوم لم تنفعنا هزيمتنا إياهم من قبل اليوم قالوا: فإنك نعماً رأيت، انصرف رحمك الله فانصرف، فبلغ منصرفهم ذلك المختار وأهل الكوفة، فأرجف الناس، ولم يعلموا كيف كان الأمر أن يزيد بن أنس هلك، وأن الناس هزموا، فبعث إلى المختار عامله على المدائن عيناً له من أنباط السواد فأخبره الخبر، فدعا المختار إبراهيم بن الأشتر فعقد له على سبعة آلاف رجل، ثم قال له: سر حتى إذا أنت لقيت جيش ابن أنس فارددهم معك، ثم سر حتى تلقى عدوك فتناجزهم نفرج إبراهيم فوضع عسكره بحمام أعين قال أبو مخنف: فحدثني أبو زهير النضر بن صالح، قال: لما مات يزيد أنس التقى أشرف الناس بالكوفة فأرجفوا بالمختار وقالوا: قتل يزيد بن أنس، ولم يصدقوا أنه مات، وأخذوا يقولون: والله لقد تأمر علينا هذا الرجل بغير رضا منا، ولقد أدنى موالينا، فحملهم على الدواب، وأعطاهم وأطعمهم فيئنا، ولقد عصبتنا عبيدنا، فحرب بذلك أيتامنا وأراملنا فاتعدوا منزل شبت بن ربيعي وقالوا: نجتمع في منزل شيخنا- وكان شبت جاهلياً إسلامياً- فاجتمعوا فأتوا منزله، فصلى بأصحابه، ثم تذاكروا هذا النحو من الحديث قال: ولم يكن فيما أحدث المختار عليهم شيء هو أعظم من أن جعل للموالي

الفيء نصيباً- فقال لهم شبت: دعوني حتى ألقاه، فذهب فلقيه، فلم يدع شيئاً مما أنكره أصحابه إلا وقد ذكره إياه، فأخذ لا يذكر خصلة إلا قال له المختار: أرضيهم في هذه الخصلة، وأتي كل شيء أحبوا، قال:

فذكر المماليك، قال: فأنا أرد عليهم عبيدهم، فذكر له الموالي، فقال:

عمدت إلى موالينا، وهم فيء أفاءه الله علينا وهذه البلاد جميعاً فأعتقنا رقابهم، نأمل الأجر في ذلك والثواب والشكر، فلم ترض لهم بذلك حتى جعلتهم شركاءنا في فيئنا، فقال لهم المختار: إن أنا تركت لكم مواليكم، وجعلت فيئكم فيكم، أتقاتلون معي بني أمية وابن الزبير، وتعطون على الوفاء بذلك عهد الله وميثاقه، وما أطمئن إليه من الإيمان؟ فقال شبت ما أدري حتى أخرج إلى أصحابي فأذاكرهم ذلك، نفرج فلم يرجع إلى المختار.

قال: وأجمع رأي أشرف أهل الكوفة على قتال المختار.

قال أبو مخنف: فحدثني قدامة بن حوشب، قال: جاء شبت ابن ربيعي وشمير بن ذي الجوشن ومحمد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس حتى دخلوا على كعب بن أبي كعب الخثعمي، فتكلم شبت، فحمد الله وأثنى عليه، ثم أخبره باجتماع رأيهم على قتال المختار، وسأله أن يجيبهم إلى ذلك، وقال فيما يعيب به المختار: إنه تأمر علينا بغير رضا منا، وزعم أن ابن الحنفية بعثه إلينا، وقد علمنا أن ابن

الحنفية لم يفعل، واطعم موالينا فيثنا، وأخذ عبيدنا، فحرب بهم يتامانا وأراملنا، وأظهر هو وسبئته البراءة من أسلافنا الصالحين قال: فرحب بهم كعب بن أبي كعب، وأجابهم إلى ما دعوه إليه.

قال أبو مخنف: حدثني أبي يحيى بن سعيد أن أشراف أهل الكوفة قد كانوا دخلوا على عبد الرحمن بن مخنف، فدعوه إلى أن يجيبهم إلى قتال المختار، فقال لهم: يا هؤلاء، إنكم إن أبيتم إلا أن تخرجوا لم أخذ لكم، وإن أنتم أطعتموني لم تخرجوا فقالوا: لم؟ قال: لأنني أخاف أن تفرقوا وتختلفوا وتتخاذلوا، ومع الرجل والله شجعاؤكم وفرسانكم من أنفسكم، اليس معه فلان وفلان! ثم معه عبيدكم ومواليكم، وكلمة هؤلاء واحدة، وعبيدكم ومواليكم أشد حنقا عليكم من عدوكم، فهو مقاتلكم بشجاعة العرب، وعداوة العجم، وإن انتظرتموه قليلا كفيتموه بقدوم أهل الشام أو بجي، أهل البصرة، فتكونوا قد كفيتموه بغيركم، ولم تجعلوا بأسكم بينكم، قالوا:

نشذك الله أن تخالفنا، وأن تفسد علينا رأينا وما قد اجتمعت عليه جماعتنا قال: فأنا رجل منكم، فإذا شتم فاجرجوا، فسار بعضهم إلى بعض وقالوا: انتظروا حتى يذهب عنه إبراهيم بن الأشتر، قال: فأملوا حتى إذا بلغ ابن الأشتر ساباط، وثبوا بالمختار قال: فخرج عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس الهمداني في همدان في جبانة السبيع، وخرج زحر بن قيس الجعفي وإسحاق بن محمد بن الأشعث في جبانة كندة.

قال هشام: فحدثني سليمان بن محمد الحضرمي، قال: خرج إليهما جبير الحضرمي فقال لهما: اخرجوا عن جبانتنا، فإننا نكره أن نعرى بشر، فقال له إسحاق بن محمد: وجباتكم هي؟ قال: نعم، فانصرفوا عنه، وخرج كعب بن أبي كعب الخثعمي في جبانة بشر، وسار بشير بن جرير بن عبد الله إليهم في بجيلة، وخرج عبد الرحمن بن مخنف في جبانة مخنف، وسار إسحاق بن محمد وزحر بن قيس إلى عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس بجبانة السبيع، وسارت بجيلة وخثعم إلى عبد الرحمن ابن مخنف وهو بالأزد وبلغ الذين في جبانة السبيع أن المختار قد عبا لهم خيلا ليسير إليهم فبعثوا الرسل يتلو بعضها بعضا إلى الأزد وبجيلة وخثعم، يسألونهم بالله والرحم لما عجلوا إليهم فساروا إليهم واجتمعوا جميعا في جبانة السبيع، ولما أن بلغ ذلك المختار سره اجتماعهم في مكان واحد، وخرج شمر بن ذي الجوشن حتى نزل بجبانة بني سلول في قيس، ونزل شعث بن ربيعي وحسان بن فائد العبسي وربيعة بن ثروان الضبي في مضر بالكاسية، ونزل حجار بن أبحر ويزيد بن الحارث بن رؤيم في ربيعة فيما بين التمارين والسبخة، ونزل عمرو بن الحجاج الزبيدي في جبانة مراد بمن تبعه من مذحج، فبعث إليه أهل اليمن أن ائتنا، فأبى أن يأتيهم

وقال لهم: وجدوا، فكأنني قد أتيتم قال: وبعث المختار رسولا من يومه يقال له عمرو بن توبة بالركض إلى إبراهيم بن الأشتر وهو بساباط الا تضع كتابي من يدك حتى تقبل بجميع من معك إلي قال: وبعث إليهم المختار في ذلك اليوم: أخبروني ما تريدون؟ فإني صانع كل ما أحببتهم، فقالوا:

فإننا نريد أن تعزلنا، فإنك زعمت أن ابن الحنفية بعثك ولم يبعثك. فأرسل إليهم المختار أن ابعثوا إليه من قبلكم وفدا، وابعث إليه من قبلي وفدا، ثم انظروا في ذلك حتى تتبينوه، وهو يريد أن يريهم بهذه المقالة ليقدم عليه إبراهيم بن الأشتر، وقد أمر أصحابه فكفوا أيديهم، وقد أخذ أهل الكوفة عليهم بأفواه السكك، فليس شيء يصل إلى المختار ولا إلى أصحابه من الماء إلا القليل الوثج، يحيطهم إذا غفلوا عنه قال: وخرج عبد الله بن سبيع في الميدان، فقاتله شاكر قتالا شديدا، فجاءه عقبة بن طارق الجشمي فقاتل معه ساعة حتى رد عاديته عنه، ثم أقبل على حاميتهما يسيران حتى نزل عقبة بن طارق مع قيس في جبانة بني سلول، وجاء عبد الله بن سبيع حتى نزل مع أهل اليمن في جبانة السبيع.

قال أبو مخنف: حدثني يونس بن أبي إسحاق، أن شمر بن ذي الجوشن أتى أهل اليمن فقال لهم: إن اجتمعتم في مكان نجعل فيه مجنبتين ونقاتل من وجه واحد فأنا صاحبكم، وإلا فلا، والله لا أقاتل في مثل هذا المكان في سكك ضيقة، ونقاتل من غير وجه فانصرف إلى جماعة قومه في جبانة بني سلول قال: ولما خرج رسول المختار إلى ابن الأشتر بلغه من يومه عشية، فنادى في الناس: أن ارجعوا إلى

الكوفة، فسار بقية عشيته تلك، ثم نزل حين أمسى، فتعشى أصحابه، وأراحوا الدواب شيئا كلاً شيء، ثم نادى في الناس، فسار ليلته كلها، ثم صلى الغداة بسورا، ثم سار من يومه فصلى العصر على باب الجسر من الغد، ثم إنه جاء حتى بات ليلته في المسجد ومعه من أصحابه أهل القوة والجلد، حتى إذا كان صبيحة اليوم الثالث من مخرجهم على المختار، خرج المختار إلى المنبر فصعد.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي أَبُو جَنَابِ الْكَلْبِيِّ أَنَّ شَيْثَ بْنَ رَبِيعٍ بَعَثَ إِلَيْهِ ابْنَهُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ: إِنَّمَا نَحْنُ عَشِيرَتُكَ، وَكَفَّ يَمِينُكَ، لَا وَاللَّهِ لَا نَقَاتِلُكَ، فَتَقِ بِذَلِكَ مِنَّا، وَكَانَ رَأْيُهُ قِتَالَهُ، وَلَكِنَّهُ كَادَهُ وَلَمَّا أَنَّ اجْتَمَعَ أَهْلُ الْيَمَنِ بِجَبَانَةِ السَّبِيْعِ حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَكَرِهَ كُلُّ رَأْسٍ مِنْ رِءُوسِ أَهْلِ الْيَمَنِ أَنْ يَتَقَدَّمَ صَاحِبَهُ، فَقَالَ لَهُمْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ مُخَنَفٍ: هَذَا أَوَّلُ الْإِخْتِلَافِ، قَدِمُوا الرِّضَا فَيَكُمُ، فَإِنَّ فِي عَشِيرَتِكُمْ سَيِّدَ قَرَاءِ أَهْلِ الْمَصْرِ، فَلْيَصِلْ بِكُمْ رِفَاعَةُ بْنُ شَدَادٍ الْفَتَيَانِي مِنْ بَجِيلَةٍ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ يَزَلْ يَصِلِي بِهِمْ حَتَّى كَانَتْ الْوَقْعَةُ قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَحَدَّثَنِي وَازِعُ بْنُ السَّرِيِّ أَنَّ أَنَسَ بْنَ عَمْرٍو الْأَزْدِيَّ انْطَلَقَ فَدَخَلَ فِي أَهْلِ الْيَمَنِ، وَسَمِعَهُمْ وَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ سَارَ الْمُخْتَارَ إِلَى إِخْوَانِنَا مِنْ مَضَرَ سَرْنَا إِلَيْهِمْ، وَإِنْ سَارَ إِلَيْنَا سَارُوا إِلَيْنَا، فَسَمِعَهَا مِنْهُمْ رَجُلٌ، وَأَقْبَلَ جَوَادًا حَتَّى صَعَدَ إِلَى الْمُخْتَارِ عَلَى الْمُنْبَرِ، فَأَخْبَرَهُ بِمَقَالَتِهِمْ، فَقَالَ: أَمَّا هُمْ فَنُفْلِقُ لَوْ سَرَتْ إِلَى مَضَرَ أَنْ يَسِيرُوا إِلَيْهِمْ، وَأَمَّا أَهْلُ الْيَمَنِ فَأَشْهَدُ لَنْ سَرَتْ إِلَيْهِمْ لَا تَسِيرُ إِلَيْهِمْ مَضَرَ، فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَدْعُو ذَلِكَ الرَّجُلَ وَيَكْرَهُهُ ثُمَّ أَنَّ الْمُخْتَارَ نَزَلَ فَعَبَا أَصْحَابَهُ فِي السُّوقِ - وَالسُّوقُ إِذْ ذَاكَ لَيْسَ فِيهَا هَذَا الْبِنَاءُ - فَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْتَرِ: إِلَى أَيِّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تَسِيرَ؟ فَقَالَ: إِلَى أَيِّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَبِّتَ، فَنَظَرَ الْمُخْتَارُ - وَكَانَ ذَا رَأْيٍ، فَكَرِهَ أَنْ يَسِيرَ إِلَى قَوْمِهِ فَلَا يَبَالِغُ فِي قِتَالِهِمْ - فَقَالَ: سِرْ إِلَى مَضَرَ بِالْكَاسَةِ وَعَلَيْهِمْ شَيْثُ بْنُ رَبِيعٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمِيرٍ بَنَ عَطَارِدَ، وَأَنَا أَسِيرُ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ.

قَالَ: وَلَمْ يَزَلْ الْمُخْتَارُ يَعْرِفُ بِشِدَّةِ النَّفْسِ، وَقِلَّةِ الْبَقِيَّةِ عَلَى أَهْلِ الْيَمَنِ وَغَيْرِهِمْ إِذَا ظَفَرَ، فَسَارَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ إِلَى الْكَاسَةِ، وَسَارَ الْمُخْتَارُ إِلَى جَبَانَةِ السَّبِيْعِ، فَوَقَفَ الْمُخْتَارُ عِنْدَ دَارِ عَمْرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ، وَسَرَحَ بَيْنَ أَيْدِيهِ أَحْمَرَ بْنَ شَمِيْطٍ الْبَجَلِيَّ ثُمَّ الْأَحْمَسِيَّ، وَسَرَحَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ كَامِلَ الشَّاكِرِيَّ، وَقَالَ لَابْنَ شَمِيْطٍ: الزَّمْ هَذِهِ السَّكَّةَ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى أَهْلِ

جَبَانَةِ السَّبِيْعِ مِنْ بَيْنِ دُورِ قَوْمِكَ وَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَامِلٍ: الزَّمْ هَذِهِ السَّكَّةَ حَتَّى تَخْرُجَ عَلَى جَبَانَةِ السَّبِيْعِ مِنْ دَارِ آلِ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقٍ، وَدَعَاهُمَا فَأَسْرَ إِلَيْهِمَا أَنْ شَبَابًا قَدْ بَعَثَتْ تَخْبِرُنِي أَنَّهُمْ قَدْ أَتَوْا الْقَوْمَ مِنْ وَرَائِهِمْ، فَضِيَا فَسَلَكَا الطَّرِيقَيْنِ اللَّذَيْنِ أَمْرُهُمَا بِهِمَا، وَبَلَغَ أَهْلُ الْيَمَنِ مَسِيرَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْهِمْ، فَاقْتَسَمُوا تَيْنَكَ السَّكَّتَيْنِ، فَأَمَّا السَّكَّةُ الَّتِي فِي دِيرِ مَسْجِدِ أَحْمَسَ فَإِنَّهُ وَقَفَ فِيهَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ قَيْسِ الْهَمْدَانِيِّ وَإِسْحَاقُ بْنُ الْأَشْعَثِ وَزَحْرُ بْنُ قَيْسٍ، وَأَمَّا السَّكَّةُ الَّتِي تَلِي الْفَرَاتَ فَإِنَّهُ وَقَفَ فِيهَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ مُخَنَفٍ، وَبَشِيرُ بْنُ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَكَعْبُ بْنُ أَبِي كَعْبٍ ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اقْتَتَلُوا كَأَشَدِّ قِتَالٍ اقْتَتَلَهُ قَوْمٌ ثُمَّ إِنَّ أَصْحَابَ أَحْمَرَ بْنَ شَمِيْطٍ انْكَشَفُوا وَأَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَامِلٍ أَيْضًا، فَلَمْ يَرِيعِ الْمُخْتَارُ إِلَّا وَقَدْ جَاءَهُ الْفُلُّ قَدْ أَقْبَلَ، فَقَالَ: مَا وَرَاءَ كَمْ؟ قَالُوا: هَزَمْنَا، قَالَ: فَمَا فَعَلَ أَحْمَرَ بْنَ شَمِيْطٍ؟ قَالُوا: تَرَكْنَاهُ قَدْ نَزَلَ عِنْدَ مَسْجِدِ الْقَصَاصِ - يَعْنُونَ مَسْجِدَ أَبِي دَاوُدَ فِي وَادِعَةٍ، وَكَانَ يَعْتَادُهُ رَجَالُ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ يَقْصُونَ فِيهِ، وَقَدْ نَزَلَ مَعَهُ أَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ - وَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ: مَا نَدْرِي مَا فَعَلَ ابْنُ كَامِلٍ! فَصَاحَ بِهِمْ: أَنْ انْصَرَفُوا ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِمْ حَتَّى انْتَهَى إِلَى دَارِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيِّ، وَبَعَثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ قُرَادٍ الْخَثْعَمِيَّ - وَكَانَ عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ - فَقَالَ: سِرْ فِي أَصْحَابِكَ إِلَى ابْنِ كَامِلٍ، فَإِنْ يَكْ هَلَكَ فَأَنْتَ مَكَانُهُ، فَقَاتَلَ الْقَوْمَ بِأَصْحَابِكَ وَأَصْحَابَهُ، وَإِنْ تَجَدَّ حَيَا صَالِحًا فَسِرْ فِي مِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِكَ كُلَّهُمْ فَارْسَ، وَادْفَعْ إِلَيْهِ بَقِيَّةَ أَصْحَابِكَ، وَمَرَّ بِالْجَدِّ مَعَهُ وَالْمُنَاصِحَةَ لَهُ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَنَاصِحُونَنِي، وَمَنْ نَاصَحَنِي فَلْيَبْشِرْ، ثُمَّ امْضُ فِي الْمِائَةِ حَتَّى تَأْتِيَ أَهْلَ جَبَانَةِ السَّبِيْعِ مِمَّا يَلِي حِمَامَ قُطْنِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَضَى فَوْجِدَ ابْنِ كَامِلٍ وَاقِفًا عِنْدَ حِمَامِ عَمْرٍو بْنِ حَرِيْثٍ

مَعَهُ أَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ صَبَرُوا، وَهُوَ يَقَاتِلُ الْقَوْمَ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ ثَلَاثُمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ثُمَّ مَضَى حَتَّى نَزَلَ إِلَى جَبَانَةِ السَّبِيْعِ. ثُمَّ أَخَذَ فِي تِلْكَ السَّكَّةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَسْجِدِ عَبْدِ الْقَيْسِ، فَوَقَفَ عِنْدَهُ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: مَا تَرَوْنَ؟ قَالُوا: أَمَرْنَا لِأَمْرِكَ تَبِعْ وَكُلْ مِنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ حَاشِدٍ مِنْ قَوْمِهِ وَهُمْ مِائَةٌ، فَقَالَ لَهُمْ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحِبُّ أَنْ يَظْهَرَ الْمُخْتَارُ، وَوَاللَّهِ إِنِّي لَكَارِهٌ أَنْ يَهْلِكَ أَشْرَافُ عَشِيرَتِي الْيَوْمَ، وَوَاللَّهِ لَأَنْ أَمُوتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَحِلَّ بِهِمُ الْهَلَاكُ عَلَى يَدَيَّ، وَلَكِنْ قَفُوا قَلِيلًا فَإِنِّي قَدْ سَمِعْتُ شَبَابًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ سَيَأْتُونَهُمْ

من ورائهم، فلعل شباما تكون هي تفعل ذلك، ونعافى نحن منه قال له أصحابه: فأريك فثبت كما هو عند مسجد عبد القيس وبعث المختار مالك بن عمرو النهدي في مائتي رجل - وكان من أشد الناس بأسا - وبعث عبد الله بن شريك النهدي في مائتي فارس إلى أحر بن شमित، وثبت مكانه، فانتهوا إليه وقد علاه القوم وكثروه، فاقتتلوا عند ذلك كأشد القتال، ومضى ابن الأشر حتى لقي شبت بن ربعي وأنا سامعه من مضر كثيرا، وفيهم حسان بن فائد العبسي، فقال لهم إبراهيم:

ويحكم! انصرفوا، فوالله ما أحب أن يصاب أحد من مضر على يدي، فلا تهلكوا أنفسكم، فأبوا، فقاتلوه فهزمهم، واحتمل حسان بن فائد إلى أهله، فمات حين أدخل إليهم، وقد كان وهو على فراشه قبل موته أفاق إفاقة فقال: أما والله ما كنت أحب أن أعيش من جراحتي هذه، وما كنت أحب أن تكون منيتي إلا بطعنة رمح، أو بضربة بالسيف، فلم يتكلم بعدها كلمة حتى مات وجاءت البشرية إلى المختار من قبل إبراهيم بهزيمة مضر، فبعث المختار البشرية من قبله إلى أحر بن شमित وإلى ابن كامل، فالناس على أحوالهم كل أهل سكة منهم قد أغنت ما يليها.

قال: فاجتمعت شبام وقد رأسوا عليهم أبا القلوص، وقد أجمعوا واجتمعوا بأن يأتوا أهل اليمن من ورائهم، فقال بعضهم لبعض: أما والله لو جعلتم جدكم هذا على من خالفكم من غيركم لكان أصوب، فسيروا إلى مضر أو إلى ربيعة فقاتلوهم - وشيخهم أبو القلوص ساكت لا يتكلم - فقالوا: يا أبا القلوص، ما رأيك؟ فقال: قال الله جل ثناؤه:

«قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً» قوموا، فقاموا، ففشى بهم قيس رحمين أو ثلاثة ثم قال لهم: اجلسوا فجلسوا، ثم مشى بهم أنفس من ذلك شيئا، ثم قعد بهم، ثم قال لهم: قوموا، ثم مشى بهم الثالثة أنفس من ذلك شيئا، ثم قعد بهم، فقالوا له: يا أبا القلوص، والله إنك عندنا لأشجع العرب، فما يملكك على الذي تصنع! قال: إن الجرب ليس كمن لم يجرب، إني أردت أن ترجع إليكم أفقدتكم، وأن توطنوا على القتال أنفسكم، وكرهت أن أحكمكم على القتال وأتم على حال دهش، قالوا: أنت أبصر بما صنعت فلما خرجوا إلى جبانة السبيع استقبلهم على فم السكة الأعسر الشاكري، فحمل عليه الجندعي وأبو الزبير بن كريب فصرعاه، ودخلا الجبانة، ودخل الناس الجبانة في آثارهم، وهم ينادون: يا لثارات الحسين! فأجابهم أصحاب ابن شमित يا لثارات الحسين! فسمعها يزيد بن عمير بن ذي مران من همدان فقال: يا لثارات عثمان! فقال لهم رفاعه بن شداد: ما لنا ولعثمان! لا أقاتل مع قوم ييغون دم عثمان، فقال له أناس من قومه: جئت بنا وأطعنك، حتى إذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف قلت: انصرفوا ودعوهم! فعطف عليهم وهو يقول:

أنا ابن شداد على دين علي ... لست لعثمان بن أروى بولي

لأصلين اليوم فيمن يصطلي ... بحر نار الحرب غير مؤتل

فقاتل حتى قتل، وقتل يزيد بن عمير بن ذي مران، وقتل النعمان ابن صهبان الجرمي ثم الراسبي - وكان ناسكا - ورفاعة بن شداد بن عويجة الفتياني عند حمام المهيدان الذي بالسبخة - وكان ناسكا - وقتل الفرات ابن زحر بن قيس الجعفي، وارث زحر بن قيس، وقتل عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس، وقتل عمر بن مخنف، وقتل عبد الرحمن بن مخنف حتى ارتث، وحملته الرجال على أيديها وما يشعر، وقتل حوله رجال من الأزد، فقال حميد بن مسلم:

لأضربن عن أبي حكيم ... مفارق الأعبد والصميم

وقال سراقة بن مرداس البارقي:

يا نفس إلا تصبري تليمي ... لا تنولي عن ابى حكيم

واستخرج من دور الوداعيين خمسمائة أسير، فأتي بهم المختار مكثفين، فأخذ رجل من بني نهد وهو من رؤساء أصحاب المختار يقال له: عبد الله ابن شريك، لا يخلو بعربي إلا خلى سبيله، فرفع ذلك إلى المختار درهم مولى لبني نهد، فقال له المختار: اعرضوهم علي، وانظروا كل من شهد منهم قتل الحسين فأعلموني به، فأخذوا لا يمر عليه برجل قد شهد قتل الحسين إلا قيل له: هذا ممن شهد قتله،

فيقدمه فيضرب عنقه، حتى قتل منهم قبل أن يخرج مائتين وثمانية وأربعين قتيلا، وأخذ أصحابه كلما رأوا رجلا قد كان يؤذيهم أو يماريهم أو يضرهم خلوا به فقتلوه حتى قتل ناس كثير منهم وما يشعر بهم المختار، فأخبر بذلك المختار بعد، فدعا بمن بقي من الأسارى فأعتقهم، وأخذ عليهم المواثيق الا يجامعوا عليه عدوا، ولا يبعوه ولا أصحابه غائلة، إلا سراقه بن مرداس البارقي، فإنه أمر به أن يساق معه إلى المسجد قال: ونادى منادي المختار: إنه من أغلق بابه فهو آمن، إلا رجلا شرك في دم آل محمد ص قال أبو مخنف: حدثني المجالد بن سعيد، عن عامر الشعبي، أن يزيد ابن الحارث بن يزيد بن رؤيم وجار بن أبحر بعثا رسلا لهما، فقالا لهم:

كونوا من أهل اليمن قريبا، فإن رأيتموهم قد ظهروا فأيكم سبق إلينا فليقل صرفان، وإن كانوا هزموا فليقل جمران، فلما هزم أهل اليمن أتتهم رسلهم، فقال لهم أول من انتهى إليهم: جمران، فقام الرجلان فقالا لقومهما:

انصرفوا إلى بيوتكم، فانصرفوا، وخرج عمرو بن الحجاج الزبيدي- وكان ممن شهد قتل الحسين- فركب راحلته، ثم ذهب عليها، فأخذ طريق شراف وواقصة، فلم ير حتى الساعة، ولا يدرى أرض بخسته، أم سماء حصبته! وأما فرات بن زحر بن قيس فإنه لما قتل بعثت عائشة بنت خليفة بن عبد الله الجعفية- وكانت امرأة الحسين بن علي- إلى المختار تسأله أن يأذن لها أن توارى جسده، ففعل، فدفتته. وبعث المختار غلاما له يدعى زربيا في طلب شمر بن ذي الجوشن.

قال أبو مخنف: فحدثني يونس بن أبي إسحاق، عن مسلم بن عبد الله الضبابي، قال: تبعنا زربي غلام المختار، فلحقنا وقد خرجنا من الكوفة على خيول لنا ضم، فأقبل يتطر به فرسه، فلما دنا منا قال لنا شمر: اركضوا وتباعدوا عني لعل العبد يطمع في، قال: فركضنا، فأمعنا، وطمع العبد في شمر، وأخذ شمر ما يستطرد له، حتى إذا انقطع من أصحابه حمل عليه شمر فذق ظهره، وأتى المختار فأخبر بذلك، فقال: بؤسا لزربي، أما لو استشيرني ما أمرته أن يخرج لأبي السابعة.

قال أبو مخنف: حدثني أبو محمد الهمداني، عن مسلم بن عبد الله الضبابي، قال: لما خرج شمر بن ذي الجوشن وأنا معه حين هزمنا المختار، وقتل أهل اليمن بجبانة السبيع، ووجه غلامه زربيا في طلب شمر، وكان من قتل شمر إياه ما كان، مضى شمر حتى ينزل ساتيدا، ثم مضى حتى ينزل إلى جانب قرية يقال لها الكلتانية على شاطئ نهر، إلى جانب تل،

ثم أرسل إلى تلك القرية فأخذ منها علجا فضربه، ثم قال: النجاء بكائي هذا إلى المصعب بن الزبير وكتب عنوانه: للأمير المصعب بن الزبير من شمر بن ذي الجوشن قال: فضى العليج حتى يدخل قرية فيها بيوت، وفيها أبو عمرة، وقد كان المختار بعثه في تلك الأيام إلى تلك القرية لتكون مسلحة فيما بينه وبين أهل البصرة، فلقي ذلك العليج علجا من تلك القرية، فأقبل يشكو إليه ما لقي من شمر، فإنه لقائم معه يكلمه إذ مر به رجل من أصحاب أبي عمرة، فرأى الكتاب مع العليج، وعنوانه: لمصعب من شمر، فسألوا العليج عن مكانه الذي هو به، فأخبرهم، فإذا ليس بينهم وبينه إلا ثلاثة فراسخ قال: فأقبلوا يسيرون إليه.

قال أبو مخنف: فحدثني مسلم بن عبد الله، قال: وأنا والله مع شمر تلك الليلة، فقلنا: لو أنك ارتحلت بنا من هذا المكان فإننا نتخوف به! فقال: أو كل هذا فرقا من الكذاب! والله لا أتحوّل منه ثلاثة أيام، ملأ الله قلوبكم رعبا! قال: وكان بذلك المكان الذي كما فيه دبي كثير، فوالله إني لبين اليقظان والنائم، إذ سمعت وقع حوافر الخيل، فقلت في نفسي: هذا صوت الدبي، ثم إني سمعته أشد من ذلك، فانتبهت ومسحت عيني، وقلت: لا والله، ما هذا بالدبي قال: وذهبت لأقوم، فإذا أنا بهم قد أشرفوا علينا من التل، فكبروا، ثم أحاطوا بأياتنا، وخرجنا نشد على أرجلنا، وتركنا خيلنا قال: فأمر على شمر، وإنه لمتزير يبرد محقق- وكان أبرص- فكأنني أنظر إلى بياض كشحيه من فوق البرد، فإنه ليطاعنهم بالرمح، قد أعجلوه أن يلبس سلاحه وثيابه، فضينا وتركاه قال: فما هو إلا أن أمعنت ساعة، إذ سمعت: الله أكبر، قتل الله الخبيث! قال أبو مخنف: حدثني المشرقي، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود، قال: أنا والله صاحب الكتاب الذي رأيته مع العليج، وأتيت به أبا عمرة وأنا قتل شمر، قال: قلت: هل سمعته يقول شيئا ليلتئذ؟ قال: نعم،

خرج علينا فطاعنا برمح ساعة، ثم ألقى رمحه، ثم دخل بيته فأخذ سيفه، ثم خرج علينا وهو يقول:

نبتهم ليث عرين ... جهما يحياه يدق الكاهلا

لم يريوما عن عدونا كلاً ... إلا كذا مقاتلاً أو قاتلاً
يبرحهم ضرباً ويروي العاملاً.

قال أبو مخنف، عن يونس بن أبي إسحاق: ولما خرج المختار من جبانة السبيع، وأقبل إلى القصر، أخذ سراقاً بن مرداس يناديه بأعلى صوته:

امنن علي اليوم يا خير معد ... وخير من حل بشحر والجند
وخير من حيا ولي وسجد.

فبعث به المختار إلى السجن، فحبسه ليلة، ثم أرسل إليه من الغد فأخرجه، فدعا سراقاً، فأقبل إلى المختار وهو يقول:

ألا أبلغ أبا إسحاق أنا ... نزونا نزوة كانت علينا
خرجنا لا نرى الضعفاء شيئاً ... وكان خروجنا بطراً وحيناً
نراهم في مصافهم قليلاً ... هم مثل الدبى حين التقينا
برزنا إذ رأيناهم فلما ... رأينا القوم قد برزوا إلينا
لقينا منهم ضرباً طلعفا ... وطعنا صائباً حتى انثنينا
نصرت على عدوك كل يوم ... بكل كتيبة تنعى حسينا
كنصر محمد في يوم بدر ... ويوم الشعب إذ لاقى حيناً
فأصبح إذ ملكت فلو ملكاً ... لجرنا في الحكومة واعتدينا
تقبل توبة مني فإني ... سأشكر إن جعلت النقد دينا

قال: فلما انتهى إلى المختار، قال له: اصلحك الله ايها الأمير! سراقه ابن مرداس يحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد رأى الملائكة تقاتل على الخيول البلق بين السماء والأرض، فقال له المختار: فاصعد المنبر فأعلم ذلك المسلمين، فصعد فأخبرهم بذلك ثم نزل، فخلا به المختار، فقال:

إني قد علمت أنك لم تر الملائكة، وإنما اردت ما قد عرفت الا أقتلك، ٢ فاذهب عني حيث أحببت، لا تفسد علي أصحابي.
قال أبو مخنف: حَدَّثَنِي الحجاج بن علي البارقي عن سراقه بن مرداس، قال: ما كنت في أيمان حلفت بها قط أشد اجتهاداً ولا مبالغة في الكذب مني في أيماني هذه التي حلفت لهم بها أي قد رأيت الملائكة معهم تقاتل نخلوا سبيله فهرب، فلحق بعبد الرحمن بن مخنف عند المصعب بن الزبير بالبصرة، وخرج أشراف أهل الكوفة والوجه فلاحقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة، وخرج سراقه بن مرداس من الكوفة وهو يقول:

ألا أبلغ أبا إسحاق أي ... رأيت البلق دهما مصممتات
كفرت بوحكم وجعلت نذراً ... علي قتالكم حتى الممات
أري عيني ما لم تبصره ... كلانا عالم بالترهات
إذا قالوا أقول لهم كذبتم ... وإن خرجوا لبست لهم أداتي

حدثني أبو السائب سلم بن جنادة، قال: حدثنا محمد بن براد، من ولد أبي موسى الأشعري، عن شيخ، قال: لما أسر سراقه البارقي، قال: وأنتم أسرتموني! ما أسرني إلا قوم على دواب بلق، عليهم ثياب بيض قال:

فقال المختار: أولئك الملائكة، فأطلقه، فقال:

ألا أبلغ أبا إسحاق أي ... رأيت البلق دهما مصممتات
أري عيني ما لم ترأياه ... كلانا عالم بالترهات

قال أبو مخنف: حدثني عمير بن زياد أن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني قال يوم جبانة السبيع: ويحكم! من هؤلاء الذين أتونا من وراءنا؟ قيل له: شبام، فقال: يا عجباً! يقاتلني بقومي من لا قوم له.

قال أبو مخنف: وحدثني أبو روق أن شرجيل بن ذي بقلان من الناعطين قتل يومئذ، وكان من بيوتات همدان، فقال يومئذ قبل أن

يقتل: يا لها قتلة، ما أضل مقتولها! قتال مع غير إمام، وقاتل على غير نية، وتعجيل فراق الأحبة، ولو قتلناهم إذا لم نسلم منهم، إنا لله وإنا إليه راجعون! أما والله ما خرجت الا مواسيا لقومي بنفسي مخافة أن يضطهدوا، وإيم الله ما نجوت من ذلك ولا أنجوا، ولا أغنيت عنهم ولا أغنوا قال: ويرميه رجل من الفأسيين من همدان يقال له أحر بن هديج بسهم فيقتله.

قال: واختصم في عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني نفر ثلاثة: سعر ابن أبي سعر الحنفي، وأبو الزبير الشامي: ورجل آخر، فقال سعر: طعنته طعنة، وقال أبو الزبير: لكن ضربته أنا عشر ضربات أو أكثر، وقال لي ابنه: يا أبا الزبير، أقتل عبد الرحمن بن سعيد سيد قومك! فقلت:

«لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ.» فقال المختار: كلكم محسن وانجلت الواقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلًا من قومه.

قال أبو مخنف: حدثني النضر بن صالح أن القتل إذ ذاك كان استحر في أهل اليمن، وأن مضر أصيب منهم بالكاسية بضعة عشر رجلا، ثم مضوا حتى مروا بريعة، فرجع جبار بن أبجر، ويزيد بن الحارث بن رؤيم وشداد بن المنذر- أخو حضين- وعكرمة بن ربيعي، فانصرف جميع هؤلاء إلى رحالهم، وعطف عليهم عكرمة فقاتلهم قتالا شديدا، ثم انصرف عنهم وقد خرج، فجاء حتى دخل منزله، فقبل له: قد مرت خيل في

ناحية الحي، فخرج فأراد أن يثب من حائط داره إلى دار أخرى إلى جانبه فلم يستطع حتى حمله غلام له وكانت وقعة جبانة السبيع يوم الأربعاء لست ليال بقين من ذي الحجة سنة ست وستين.

قال: وخرج أشراف الناس فلحقوا بالبصرة، وتجرد المختار لقتلة الحسين فقال: ما من ديننا ترك قوم قتلوا الحسين يمشون أحياء في الدنيا آمنين، بئس ناصر آل محمد أنا إذا في الدنيا! أنا إذا الكذاب كما سموني، فاني بالله استعين عليهم، الحمد لله الذي جعلني سيفاً ضربهم به، ورمحا طعنهم به، وطالب وترهم، والقائم بحقهم، إنه كان حقا على الله أن يقتل من قتلهم، وأن يذل من جهل حقهم، فسموهم لي ثم اتبعوهم حتى تفنؤهم.

قال أبو مخنف: لحدثني موسى بن عامر أن المختار قال لهم: اطلبوا لي قتلة الحسين، فإنه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أظهر الأرض منهم، وانفى المصر منهم قال أبو مخنف: وحدثني مالك بن أعين الجهني أن عبد الله بن دباس، وهو الذي قتل محمد بن عمار بن ياسر الذي قال الشاعر:

قتيل ابن دباس أصاب قذاله.

هو الذي دل المختار على نفر ممن قتل الحسين، منهم عبد الله بن أسيد بن النزال الجهني من حرقة، ومالك بن النسير البدي، وحمل بن مالك الحاربي، فبعث اليهم المختار أبا ثمران مالك بن عمرو النهدي- وكان من رؤساء أصحاب المختار- فأتاهم وهم بالقادسية، فأخذهم فأقبل بهم حتى أدخلهم عليه عشاء، فقال لهم المختار: يا أعداء الله وأعداء كتابه وأعداء رسوله وآل رسوله، أين الحسين بن علي؟ أدوا إلي الحسين، قتلتم من أمرتم بالصلاة عليه في الصلاة، فقالوا: رحمك الله! بعثنا ونحن كارهون، فامنن علينا واستبقنا، قال المختار: فهلا منتم على الحسين ابن بنت

نبيكم واستبقيتموه وسقيتموه! ثم قال المختار للبدي: أنت صاحب برنسه؟

فقال له عبد الله بن كامل: نعم، هو هو، فقال المختار، اقطعوا يدي هذا ورجليه، ودعوه فليضطرب حتى يموت، ففعل ذلك به وترك، فلم يزل ينزف الدم حتى مات، وأمر بالآخرين فقدها، فقتل عبد الله بن كامل عبد الله الجهني، وقتل سعر بن أبي سعر حمل بن مالك الحاربي.

قال أبو مخنف: وحدثني أبو الصلت التيمي، قال: حدثني أبو سعيد الصيقل أن المختار دل على رجال من قتلة الحسين، دله عليهم سعر الحنفي، قال: فبعث المختار عبد الله بن كامل، فخرجنا معه حتى مر ببني ضبيعة، فأخذ منهم رجلا يقال له زياد بن مالك، قال: ثم مضى إلى عزة فأخذ منهم رجلا يقال له عمران بن خالد قال: ثم بعثني في رجال معه يقال لهم الدبابة إلى دار في الحمراء، فيها عبد

الرحمن بن أبي خشكارة البجلي وعبد الله بن قيس الخولاني، فحُتْنَا بهم حتى أدخلناهم عليه، فقال لهم: يا قتلة الصالحين، وقتلة سيد شباب أهل الجنة، ألا ترون الله قد أقاد منكم اليوم! لقد جاءكم الورد، بيوم نحس - وكانوا قد أصابوا من الورد الذي كان مع الحسين - أخرجوهم إلى السوق فضربوا رقابهم ففعل ذلك بهم، فهؤلاء أربعة نفر.

قال أبو مخنف: وحدثني سُلَيْمَان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: جاءنا السائب بن مالك الأشعري في خيل المختار، فخرجت نحو عبد القيس، وخرج عبد الله وعبد الرحمن ابنا صلح في أثري، وشغلوا بالاحتباس عليهما عني، فنجوت وأخذوهما، ثم مضوا بهما حتى مروا على منزل رجل يقال له عبد الله بن وهب بن عمرو ابن عم أعشى همدان من بني عبد، فأخذوه، فانتهوا بهم إلى المختار، فأمر بهم فقتلوا في السوق، فهؤلاء ثلاثة فقال حميد بن مسلم في ذلك حيث نجا منهم:

ألم ترني على دهش نجوت ولم أكد انجو

رجاء الله أنقذني ولم أك غيره أرجو

قال أبو مخنف: حدثني موسى بن عامر العدوي من جهينة - وقد عرف ذلك الحديث شهم بن عبد الرحمن الجهني - قال: بعث المختار عبد الله ابن كامل إلى عثمان بن خالد بن أسير الدهماني من جهينة، وإلى أبي أسماء بشر بن سوط القابضي - وكانا ممن شهدا قتل الحسين، وكانا اشتراكا في دم عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب وفي سلبه - فأحاط عبد الله بن كامل عند العصر بمسجد بني دهمان، ثم قال: علي مثل خطايا بني دهمان منذ يوم خلقوا إلى يوم يبعثون إن لم أوت بعثمان بن خالد بن أسير، إن لم أضرب أعناقكم من عند آخركم فقلنا له: أمهلنا نطلبه، فخرجوا مع الخليل في طلبه، فوجدوهما جالسين في الجبانة - وكانا يريدان أن يخرجوا إلى الجزيرة - فأتى بهما عبد الله بن كامل، فقال: الحمد لله الذي كفى المؤمنين القتال، لو لم يجدوا هذا مع هذا عنانا إلى منزله في طلبه، فالحمد لله الذي حينك حتى أمكن منك فخرج بهما حتى إذا كان في موضع بئر الجعد ضرب أعناقهما، ثم رجع فأخبر المختار خبرهما، فأمره أن يرجع إليهما فيحرقهما بالنار، وقال:

لا يدفنان حتى يحرقا فهذان رجلا، فقال أعشى همدان يرثي عثمان الجهني:

يا عين بكّي فتي الفتيان عثمان لا يبعدن الفتى من آل دهمانا واذكر فتى ماجدا حلوا شمائله ما مثله فارس في آل همدانا قال موسى بن عامر: وبعث معاذ بن هاني بن عدي الكندي ابن أخي حجر، وبعث أبا عمرة صاحب حرسه، فساروا حتى أحاطوا بدار خولي بن يزيد الأصبحي وهو صاحب راس الحسين الذي جاء به، فاخبا في مخرجه، فأمر معاذ أبا عمرة أن يطلبه في الدار، فخرجت امرأته إليهم، فقالوا لها: أين زوجك؟ فقالت: لا أدري أين هو - وأشارت بيدها إلى المخرج، فدخلوا فوجدوه قد وضع على رأسه قوصرة، فأخرجوه، وكان المختار يسير

بالكوفة ثم إنه أقبل في أثر أصحابه وقد بعث أبو عمرة إليه رسولا، فاستقبل المختار الرسول عند دار بلال، ومعه ابن كامل، فأخبره الخبر، فأقبل المختار نحوهم، فاستقبل به، فردده حتى قتله إلى جانب أهله، ثم دعا بنار فحرقه بها، ثم لم يبرح حتى عاد رمادا، ثم انصرف عنه وكانت امرأته من حضرموت يقال لها العيوف بنت مالك بن نهار بن عقرب، وكانت نصبت له العداوة حين جاء برأس الحسين. قال أبو مخنف: وحدثني موسى بن عامر أبو الأشعر أن المختار قال ذات يوم وهو يتحدث جلساءه: لأقتلن غدا رجلا عظيم القدمين، غائر العينين، مشرف الحاجبين يسر مقتله المؤمنين والملائكة المقربين قال: وكان الهيثم بن الأسود النخعي عند المختار حين سمع هذه المقالة، فوقع في نفسه أن الذي يريد عمر بن سعد بن أبي وقاص، فلما رجع إلى منزله دعا ابنه العريان فقال: التقي ابن سعد الليلة فخبره بكذا وكذا، وقل له: خذ حذر، فإنه لا يريد غيرك قال: فأثاه فاستخلاها، ثم حدثه الحديث، فقال له عمر بن سعد: جزى الله أباك والإخاء خيرا! كيف يريد هذا بي بعد الذي أعطاني من العهود والمواثيق! وكان المختار أول ما ظهر أحسن شيء سيرة وتألفا للناس، وكان عبد الله بن جعدة بن هبيرة أكرم خلق الله على المختار لقربته بعلي، فكلّم عمر بن سعد عبد الله بن جعدة وقال له: إني لا آمن هذا الرجل - يعني المختار - فخذ لي منه أمانا، ففعل، قال: فانا رايت أمانه وقراته وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمان من المختار بن أبي عبيد لعمر بن سعد ابن أبي وقاص، إنك آمن بأمان الله على نفسك ومالك وأهلك

وأهل بيتك وولدك، لا تؤاخذ بحدث كان منك قديما ما سمعت وأطعت ولزمت رحلك وأهلك ومصرك، فمن لقي عمر بن سعد من شرطة الله وشيعة آل محمد

ومن غيرهم من الناس، فلا يعرض له إلا بخير شهد السائب بن مالك وأحمر بن شميطة وعبد الله بن شداد وعبد الله بن كامل وجعل المختار على نفسه عهد الله وميثاقه ليفين لعمر بن سعد بما أعطاه من الأمان، إلا أن يحدث حدثا، وأشهد الله على نفسه، وكفى بالله شهيدا* قال: فكان أبو جعفر محمد بن علي يقول: أما أمان المختار لعمر بن سعد: إلا أن يحدث حدثا، فإنه كان يريد به إذا دخل الخلاء فأحدث.

قال: فلما جاءه العريان بهذا خرج من تحت ليلته حتى أتى حمامه، ثم قال في نفسه: انزل داري، فرجع فعبر الروحاء، ثم أتى داره غدوة، وقد أتى حمامه، فأخبر مولى له بما كان من أمانه وبما أريد به، فقال له مولاه: وأي حدث أعظم مما صنعت! إنك تركت رحلك وأهلك واقلت الى هاهنا، ارجع إلى رحلك، لا تجعل للرجل عليك سبيلا فرجع إلى منزله، وأتى المختار بانطلاقه، فقال: كلا إن في عنقه سلسلة سترده، لو جهد أن ينطلق ما استطاع قال: وأصبح المختار فبعث إليه أبا عمرة، وأمره أن يأتيه به، فجاءه حتى دخل عليه فقال: أجب الأمير، فقام عمر: فعثر في جبة له، ويضربه أبو عمرة بسيفه، فقتله، وجاء برأسه في أسفل قبائه حتى وضعه بين يدي المختار، فقال المختار لابنه حفص بن عمر بن سعد وهو جالس عنده: أتعرف هذا الرأس؟ فاسترجع وقال: نعم، ولا خير في العيش بعده، قال له المختار: صدقت، فإنك لا تعيش بعده، فأمر به فقتل، وإذا رأسه مع رأس أبيه ثم إن المختار قال: هذا بحسين وهذا بعلي بن حسين، ولا سواء، والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أئمة من أنامله، فقالت حميدة بنت عمر بن سعد تبكي أباها:

لو كان غير أخي قسي غره أو غير ذي يمن وغير الأعجم سخي بنفسي ذاك شيئا فاعلموا عنه وما البطريق مثل الألام أعطى ابن سعد في الصحيفة وابنه عهدا يلين له جناح الأرقم
فلما قتل المختار عمر بن سعد وابنه بعث برأسيهما مع مسافر بن سعيد ابن ثمران الناعطي وطيبيان بن عمارة التيمي، حتى قدما بهما على محمد ابن الحنفية، وكتب إلى ابن الحنفية في ذلك بكتاب.

قال أبو مخنف: وحدثني موسى بن عامر، قال: إنما كان هيج المختار على قتل عمر بن سعد أن يزيد بن شراحيل الأنصاري أتى محمد بن الحنفية، فسلم عليه، فخرى الحديث إلى أن تذكروا المختار وخروجه وما يدعوا إليه من الطلب بدماء أهل البيت، فقال محمد بن الحنفية: على أهون رسله يزعم أنه لنا شيعة، وقتلة الحسين جلساؤه على الكراسي يحدثونه! قال: فوعاها الآخر منه، فلما قدم الكوفة أتاه فسلم عليه، فسأله المختار: هل لقيت المهدي؟ فقال له: نعم، فقال: ما قال لك وماذا كرك؟ قال: نخبه الخبر قال: فما لبث المختار عمر بن سعد وابنه أن قتلتهما، ثم بعث برأسيهما إلى ابن الحنفية مع الرسولين اللذين سمينا، وكتب معهما إلى ابن الحنفية:

بسم الله الرحمن الرحيم للمهدي محمد بن علي من المختار بن أبي عبيد سلام عليك يا أيها المهدي، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن الله بعثني نقمة على أعدائكم، فهم بين قتيل وأسير، وطريد وشريد، فالحمد لله الذي قتل قاتلكم، ونصر مؤازريك.

وقد بعثت إليك برأس عمر بن سعد وابنه، وقد قتلنا من شرك في دم الحسين وأهل بيته - رحمة الله عليهم - كل من قدرنا عليه، ولن يعجز الله من بقي، ولست بمنجم عنهم حتى لا يبلغني أن على أديم الأرض منهم أرميا.

فاكتب إلي أيها المهدي برأيك أتبعه وأكون عليه، والسلام عليك أيها المهدي ورحمة الله وبركاته.

ثم إن المختار بعث عبد الله بن كامل إلى حكيم بن طفيل الطائي السنبسي - وقد كان أصاب صلب العباس بن علي، ورمى حسيناً بسهم، فكان يقول: تعلق سهمي بسر باله وما ضره - فأتاه عبد الله ابن كامل، فأخذه ثم أقبل به، وذهب أهله فاستغاثوا بعدي بن حاتم، فلحقهم في الطريق، فكلم عبد الله بن كامل فيه، فقال: ما إلي من أمره شيء، إنما ذلك إلى الأمير المختار قال: فإني آتيه، قال: فأتته راشدا ففضى عدي نحو المختار، وكان المختار قد شفعه في نفر من قومه أصابهم يوم جبانة السبيع، لم يكونوا نطقوا بشيء من

أمر الحسين ولا أهل بيته، فقالت الشيعة لابن كامل: إنا نخاف أن يشفع الأمير عدي بن حاتم في هذا الخبيث، وله من الذنب ما قد علمت، فدعنا نقتله قال: شأنكم به، فلما انتهوا به إلى دار العنزيين وهو مكتوف نصبوه غرضاً، ثم قالوا له: سلبت ابن علي ثيابه، والله لنسلمن ثيابك وأنت حي تنظر! فزعوا ثيابه، ثم قالوا له: رميت حسينا، واتخذته غرضاً لنبلك، وقلت:

تعلق سهمي بسر باله ولم يضره، وإيم الله لرمينك كما رميته بنبال ما تعلق بك منها أجزاك قال: فرموه رشقاً واحداً، فوقعت به منهم نبال كثيرة فخر ميتاً.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو الجارود، عن رآه قتيلاً كأنه قنفذ لما فيه من كثرة النبل: ودخل عدي بن حاتم على المختار فأجلسه معه على مجلسه، فأخبره عدي عما جاء له، فقال له المختار: أئتسلح يا أبا طريف أن تطلب في قتلة الحسين! قال: إنه مكذوب عليه أصلحك الله! قال: إذا ندعه لك قال: فلم يكن بأسرع من أن دخل ابن كامل فقال له المختار:

ما فعل الرجل؟ قال: قتلته الشيعة: قال: وما أعجلك إلى قتله قبل أن تأتيني به وهو لا يسره أنه لم يقتله - وهذا عدي قد جاء فيه، وهو أهل أن يشفع ويؤتي ما سره! قال: غلبتني والله الشيعة، قال له عدي: كذبت يا عدو الله، ولكن ظننت أن من هو خير منك سيشفعني فيه، فبادرتني

فقتلته، ولم يكن خطر يدفعك عما صنعت قال: فاستخف إليه ابن كامل بالشيعة، فوضع المختار أصبعه على فيه، يأمر ابن كامل بالسكوت والكف عن عدي، فقام عدي راضياً عن المختار ساخطاً على ابن كامل، يشكوه عند من لقي من قومه وبعث المختار إلى قاتل علي بن الحسين عبد الله ابن كامل، وهو رجل من عبد القيس يقال له مرة بن منقذ بن النعمان العبدي وكان شجاعاً، فأثاه ابن كامل فأحاط بداره، فخرج إليهم ويده الرمح، وهو على فرس جواد، فطعن عبيد الله بن ناجية الشامي، فصرعه ولم يضره قال: ويضره ابن كامل بالسيف فيتقيه بيده اليسرى، فأسرع فيها السيف، وتمطرت به الفرس، فأفلت ولحق بمصعب، وشلت يده بعد ذلك قال: وبعث المختار أيضاً عبد الله الشاكري إلى رجل من جنب يقال له زيد بن رقاد، كان يقول: لقد رميت فتى منهم بسهم وإنه لواضع كفه على جبهته يتقي النبل فأثبت كفه في جبهته، فما استطاع أن يزيل كفه عن جبهته قال أبو مخنف: فحدثني أبو عبد الأعلى الزبيدي أن ذلك الفتى عبد الله ابن مسلم بن عقيل، وأنه قال حيث أثبت كفه في جبهته: اللهم إنهم استقلونا واستدلونا، اللهم فاقتلهم كما قتلونا، وأذلهم كما استدلونا ثم إنه رمى الغلام بسهم آخر فقتله، فكان يقول: جثته ميتاً فنزعت سهمي الذي قتلته به من جوفه، فلم أزل أنضض السهم من جبهته حتى نزعته، وبقي النصل في جبهته مثبتاً ما قدرت على نزعه.

قال: فلما أتى ابن كامل داره أحاط بها، واقتحم الرجال عليه، فخرج مصلاً بسيفه - وكان شجاعاً - فقال ابن كامل: لا تضربوه بسيف، ولا تطعنوه برمح، ولكن ارموه بالنبل، وارجموه بالحجارة، ففعلوا ذلك به، فسقط، فقال ابن كامل: إن كان به رمق فأخرجوه، فاخرجوه وبه

رمق، فدعا بنار فخرقه بها وهو حي لم تخرج روحه، وطلب المختار سنان ابن أنس الذي كان يدعي قتل الحسين، فوجده قد هرب إلى البصرة، فهدم داره وطلب المختار عبد الله بن عقبة الغنوي فوجده قد هرب، ولحق بالجزيرة، فهدم داره، وكان ذلك الغنوي قد قتل منهم غلاماً، وقتل رجل آخر من بني أسد يقال له حرملة بن كاهل رجلاً من آل الحسين، ففيهما يقول ابن أبي عقبة الليثي:

وعند غني قطرة من دمائنا ... وفي أسد أخرى تعد وتذكر

وطلب رجلاً من خثعم يقال له عبد الله بن عروة الخثعمي - كان يقول:

رميت فيهم باثني عشر سهماً ضيعة - ففاته ولحق بمصعب، فهدم داره، وطلب رجلاً من صداة يقال له عمرو بن صبيح، وكان يقول: لقد طعنت بعضهم وجرحتهم فيهم وما قتلت منهم أحداً، فأتي ليلاً وهو على سطحه وهو لا يشعر بعد ما هدأت العيون، وسيفه تحت رأسه، فأخذوه أخذاء، وأخذوا سيفه، فقال: قبحك الله سيفاً، ما أقربك وأبعدك! فجيء به إلى المختار، فخبسه معه في القصر، فلما أن أصبح أذن لأصحابه، وقيل: ليدخل من شاء أن يدخل، ودخل الناس، وجيء به مقيداً، فقال:

أما والله يا معشر الكفرة الفجرة إن لو بيدي سيفي لعلمتم أي بنصل السيف غير رعش ولا رعديد ما يسرني إذ كانت منيتي فتلاً أنه

قتلني من الخلق أحد غيركم لقد علمت أنكم شرار خلق الله، غير أنني وددت أن بيدي سيفاً أضرب به فيكم ساعة، ثم رفع يده فلطم عين ابن كامل وهو إلى جنبه، فضحك ابن كامل، ثم أخذ بيده وأمسكها، ثم قال: إنه يزعم أنه قد جرح في آل محمد وطعن، فمرنا بأمرك فيه، فقال المختار:

علي بالرماح، فأتي بها، فقال: اطعنوه حتى يموت، فطعن بالرماح حتى مات.
قال أبو مخنف: حدثني هشام بن عبد الرحمن وابنه الحكم بن هشام

٦٠١٣ ذكر الخبر عن البيعة للمختار بالبصرة

أن أصحاب المختار مروا بدار بني أبي زرة بن مسعود، فرموهم من فوقها، فأقبلوا حتى دخلوا الدار، فقتلوا الهبياط بن عثمان بن أبي زرة الثقفي وعبد الرحمن بن عثمان بن أبي زرة الثقفي، وأفلتهم عبد الملك بن أبي زرة بضربة في رأسه، فجاء يشتد حتى دخل على المختار، فأمر امرأته أم ثابت ابنة سمرة بن جندب، فداوت شجته، ثم دعاها، فقال: لا ذنب لي، أنكم رميتم القوم فأغضبتموهم وكان محمد بن الأشعث بن قيس في قرية الأشعث إلى جنب القادسية، فبعث المختار إليه حوشبا سادن الكرسي في مائة، فقال: انطلق إليه فإنك تجده لاهيا متصيذا، أو قائما متلبدا، أو خائفا متلدا، أو كامنا متغمدًا، فإن قدرت عليه فأتني برأسه نخرج حتى أتي قصره فأحاط به، وخرج منه محمد بن الأشعث فلحق بمصعب، وأقاموا على القصر وهم يرون أنه فيه، ثم دخلوا فعلوه أنه قد فاتهم، فانصرفوا إلى المختار، فبعث إلى داره فهدمها، وبني بلبنها وطينها دار حجر بن عدي الكندي، وكان زياد بن سميه قد هدمها
ذكر الخبر عن البيعة للمختار بالبصرة

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة دعا المثنى بن مخزبة العبدى إلى البيعة للمختار بالبصرة أهلها، فحدثني أحمد بن زهير، عن علي بن محمد، عن عبد الله بن عطية الليثي وعامر بن الأسود، أن المثنى بن مخزبة العبدى كان ممن شهد عين الوردية مع سليمان بن صرد، ثم رجع مع من رجع ممن بقي من التوابين إلى الكوفة، والمختار محبوس، فأقام حتى خرج المختار من السجن، فبايعه المثنى سرا، وقال له المختار: الحق ببلدك بالبصرة فارح الناس، وأسر أمرك، فقدم البصرة فدعا، فأجابته رجال من قومه وغيرهم فلما أخرج المختار ابن مطيع من الكوفة ومنع عمر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام من الكوفة خرج المثنى بن مخزبة فاتخذ مسجدا، واجتمع إليه قومه، ودعا إلى المختار، ثم أتى مدينة الرزق فعسكر عندها، وجمعوا الطعام في المدينة، ونحروا الجزر، فوجه إليهم القبايع عباد بن حصين وهو على شرطته، وقيس بن الهيثم في الشرط والمقاتلة، فأخذوا في سكة الموالي حتى خرجوا إلى السبخة، فوقفوا، ولزم الناس دورهم، فلم يخرج أحد، فجعل عباد ينظر هل يرى أحدا يسأله! فلم ير أحدا، فقال: أما هاهنا رجل من بني تميم؟ فقال خليفة الأعور مولى بني عدي، عدي الرباب: هذه دار وراة مولى بني عبد شمس، قال: دق الباب، فدقه، ففرج إليه وراة، فشتمه عباد وقال: ويحك! أنا واقف هاهنا، لم لم تخرج إلي! قال: لم أدر ما يوافقك، قال: شد عليك سلاحك واركب، ففعل، ووقفوا، وأقبل أصحاب المثنى فوافقوهم، فقال عباد لوراد: قف مكانك مع قيس، فوقف قيس بن الهيثم ووراد، ورجع عباد فأخذ في طريق الذباحين، والناس وقوف في السبخة، حتى أتى الكلا، ولمدينة الرزق أربعة أبواب:

باب مما يلي البصرة، وباب إلى الخلالين، وباب إلى المسجد، وباب إلى مهب الشمال، فأتى الباب الذي يلي النهر مما يلي أصحاب السقط، وهو باب صغير، فوقف ودعا بسلم فوضعه مع حائط المدينة، فصعد ثلاثون رجلا، وقال لهم: الزموا السطح، فإذا سمعتم التكبير فكبروا على السطح، ورجع عباد إلى قيس بن الهيثم وقال لوراد: حرش القوم، فطاردهم وراة، ثم التبس القتال فقتل أربعون رجلا من أصحاب المثنى، وقتل رجل من أصحاب عباد، وسمع الذين على السطح في دار الرزق الضجة والتكبير، فكبروا، فهرب من كان في المدينة، وسمع المثنى وأصحابه التكبير من ورائهم، فانهزموا، وأمر عباد وقيس بن الهيثم الناس بالكف عن اتباعهم وأخذوا مدينة الرزق وما كان فيها، وأتى المثنى وأصحابه عبد القيس ورجع عباد وقيس ومن معهما إلى القبايع فوجهما إلى عبد القيس، فأخذ قيس بن الهيثم من ناحية الجسر، وأتاهم عباد من طريق المربد، فالتقوا فأقبل زياد بن عمرو العتيكي إلى القبايع وهو في المسجد جالس على المنبر،

فدخل زياد المسجد على فرسه، فقال: أيها الرجل، لتردن خيلك عن إخواننا أو لنقاتلنها فأرسل القباع الأحنف بن قيس وعمر بن عبد الرحمن المخزومي ليصلحا أمر الناس، فأتيا عبد القيس، فقال الأحنف ل بكر والأزد وللعمامة: أستم على بيعه ابن الزبير! قالوا: بلى، ولكنا لا نسلم إخواننا.

قال: ففروهم فليخرجوا إلى أي بلاد أحبوا، ولا يفسدوا هذا المصر على أهله، وهم آمنون فليخرجوا حيث شاءوا فمضى مالك بن مسمع وزياد بن عمرو ووجه أصحابهم إلى المثنى، فقالوا له ولأصحابه: إنا والله ما نحن على رأيكم، ولكنا كرهنا أن تضاموا، فالحقوا بصاحبكم، فإن من أجابكم إلى رأيكم قليل، وأنتم آمنون فقبل المثنى قولهما وما أشارا به، وانصرف.

ورجع الأحنف وقال: ما غبت رأيي إلا يومي هذا، إني أتيت هؤلاء القوم وخلفت بكر والأزد ورأيي، ورجع عباد وقيس إلى القباع، وشخص المثنى إلى المختار بالكوفة في نفر يسير من أصحابه، وأصيب في تلك الحرب سويد بن رثاب الشني، وعقبة بن عشيرة الشني، قتله رجل من بني تميم وقتل التيمي فولغ أخوه عقبة بن عشيرة في دم التيمي، وقال: ثأري وأخبر المثنى المختار حين قدم عليه بما كان من أمر مالك بن مسمع وزياد بن عمرو ومسيرهما إليه، وذبحهما عنه حتى شخص عن البصرة، فطمع المختار فيهما، فكتب إليهما: أما بعد، فاسمعا وأطيعا أوتكما من الدنيا ما شئتما، وأضمن لكما الجنة فقال، مالك لزياد: يا أبا المغيرة، قد أكثر لنا أبو إسحاق إعطاءنا الدنيا والآخرة! فقال زياد للمالك مازحا: يا أبا غسان، أما أنا فلا أقاتل نسيئة من أعطانا الدراهم قاتلنا معه وكتب المختار إلى الأحنف بن قيس:

من المختار إلى الأحنف ومن قبله فسلم أنتم، أما بعد، فويل أم ربيعة من مضر، فإن الأحنف مورد قومه سقر، حيث لا يستطيع لهم الصدر، وإني لا أملك ما خط في القدر، وقد بلغني أنكم تسموني كذابا، وقد كذب الأنبياء من قبلي، ولست بخير من كثير منهم.

وكتب إلى الأحنف:

إذا اشتريت فرسا من مالكا ... ثم أخذت الجوب في شمالكا
فاجعل مصاعا حذما من بالكا.

حدثني أبو السائب سلم بن جنادة، قال: حدثنا الحسن بن حماد، عن حبان بن علي، عن المجالد، عن الشعبي، قال: دخلت البصرة فقعدت إلى حلقة فيها الأحنف بن قيس، فقال لي بعض القوم: من أنت؟ قلت: رجل من أهل الكوفة، قال: أنتم موال لنا، قلت: وكيف؟

قال: قد أنقذناكم من أيدي عبيدكم من أصحاب المختار، قلت: تدري ما قال شيخ همدان فينا وفيكم؟ فقال الأحنف بن قيس: وما قال؟ قلت: قال:

أنخرتم إن قتلتم أعبدا ... وهزتم مرة آل عزل

وإذا فاخرتمونا فاذكروا ... ما فعلنا بكم يوم الجمل

بين شيخ خاضب عثونه ... وفقى أبيض وضاح رفل

جاءنا يهدج في سابعة ... فذبجناه ضحى ذبح الجمل

وعفونا فنسيتم عفونا ... وكفرتكم نعمة الله الأجل

وقتلتم خشبيين بهم ... بدلا من قومكم شر بدل

فغضب الأحنف، فقال: يا غلام، هات تلك الصحيفة، فأتي بصحيفة فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس، أما بعد، فويل أم ربيعة ومضر، فإن الأحنف مورد قومه سقر، حيث لا يقدر على الصدر، وقد بلغني أنكم تكذبوني، وإن كذبت

فقد كذب رسل من قبلي، ولست أنا خيرا منهم فقال: هذا منا أو منكم! وقال هشام بن محمد عن أبي مخنف، قال: حدثني منيع بن العلاء السعدي أن مسكين بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عدس كان فيمن قاتل المختار، فلما هزم الناس لحق بأذريجان

بمحمّد بن عمير بن عطار، وقال:
عجبت دختنوس لما رأيتني ... قد علاني من المشيب نمار
فأهلت بصوتها وأرنت ... لا تهالي قد شاب مني العذار
إن تريني قد بان غرب شبابي ... وأتى دون مولدي أعصار
فابن عامين وابن خمسين عاما ... أي دهر إلا له أدهار!
ليت سيفي لها وجوبتها لي ... يوم قالت ألا كريم يغار!
ليتنا قبل ذلك اليوم متنا ... أو فعلنا ما تفعل الأحرار
فعل قوم تقاذف الخير عنهم ... لم نقاتل وقاتل العيزار
وتوليت عنهم وأصيبوا ... ونفاني عنهم شنار وعار
لهف نفسي على شهاب قریش ... يوم يؤتى برأسه المختار!
وقال المتوكل:

قتلوا حسينا ثم هم ينعونه ... إن الزمان بأهله أطوار
لا تبعدن بالطف قتلى ضيعت ... وسقى مساكن هامها الأمطار
ما شرطة الدجال تحت لوائه ... بأضل ممن غره المختار
أبني قسي أوثقوا دجالكم ... يجل الغبار وأنتم أحرار
لو كان علم الغيب عند أخيكم ... لتوطأت لكم به الأحبار
ولكان أمرا بينا فيما مضى ... تأتي به الأنباء والخبار

٦٠١٠٤ ذكر الخبر عن بعث المختار جيشه للمكر بآبن الزبير

إني لأرجو أن يكذب وحيكم ... طعن يشق عصاكم وحصار
ويجيئكم قوم كأن سيوفهم ... بأكفهم تحت العجاجة نار
لا ينشون إذا هم لا قوم ... الا وهام كآتم اعشار
ذكر الخبر عن بعث المختار جيشه للمكر بآبن الزبير

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة بعث المختار جيشا إلى المدينة للمكر بآبن الزبير، وهو مظهر له أنه وجههم معونة له لحرب الجيش الذي كان عبد الملك بن مروان وجهه إليه لحروبه، فنزلوا وادي القرى.

ذكر الخبر عن السبب الداعي كان للمختار إلى توجيه ذلك الجيش وإلى ما صار أمرهم:

قال هشام بن محمد: قال أبو مخنف: حدثني موسى بن عامر، قال:

لما اخرج المختار ابن مطيع من الكوفة لحق بالبصرة وكره أن يقدم ابن الزبير بمكة وهو مهزوم مفلول، فكان بالبصرة مقيما حتى قدم عليه عمر بن عبد الرحمن بن هشام، فصارا جميعا بالبصرة وكان سبب قدوم عمر بالبصرة أن المختار حين ظهر بالكوفة واستجمع له الأمر وهو عند الشيعة إنما يدعو إلى ابن الحنفية والطلب بدماء أهل البيت، أخذ يخادع ابن الزبير ويكتب إليه، فكتب إليه: أما بعد، فقد عرفت مناصحتي إياك وجهدي على أهل عداوتك، وما كنت أعطيتني إذا أنا فعلت ذلك من نفسك فلما وفيت لك، وقضيت الذي كان لك علي، خست بي، ولم تف بما عاهدتني عليه، ورأيت مني ما قد رأيت، فإن ترد مراجعتي أراجعك، وإن ترد مناصحتي أنصح لك وهو يريد بذلك كفه عنه، حتى يستجمع له الأمر، وهو لا يطلع الشيعة على شيء من هذا الأمر، وإذا بلغهم شيء منه أراهم أنه أبعد الناس عن ذلك قال: فأراد ابن الزبير أن يعلم أسلم هو أم حرب! فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي فقال له: تجهز إلى الكوفة فقد وليناكها، فقال: كيف وبها المختار! قال:

إنه يزعم أنه سامع مطيع قال: فتجهز بما بين الثلاثين ألف درهم إلى الأربعين ألفاً، ثم خرج مقبلاً إلى الكوفة قال: ويحيى عين المختار من مكة حتى أخبره الخبر، فقال له: بكم تجهز؟ قال: بما بين الثلاثين ألفاً إلى الأربعين ألفاً قال: فدعا المختار زائدة بن قدامة وقال له: احمل معك سبعين ألف درهم ضعف ما أنفق هذا في مسيره إلينا وتلقه في المفاوز، وأخرج معك مسافر بن سعيد بن ثمران الناعطي في خمسمائة فارس دارع راحج، عليهم البيض، ثم قل له: خذ هذه النفقة فإنها ضعف نفقتك، فإنه قد بلغنا أنك تجهزت وتكلفت قدر ذلك، فكرهنا أن تغرم، نخذها وانصرف، فإن فعل وإلا فأره الخيل وقل له: إن وراء هؤلاء مثلهم مائة كتيبة.

قال: فأخذ زائدة المال، وأخرج معه الخيل، وتلقاه بالمفاوز، وعرض عليه المال، وأمره بالانصراف، فقال له: إن أمير المؤمنين قد ولاني الكوفة ولا بد من إنفاذ أمره فدعا زائدة بالخيل وقد أكرمها في جانب، فلما رآها قد أقبلت قال: هذا الآن أعذري وأجمل بي، هات المال، فقال له زائدة: أما إنه لم يبعث به إليك إلا لما بينك وبينه، فدفعه إليه فأخذه، ثم مضى راجعاً نحو البصرة، فاجتمع بها هو وابن مطيع في إمارة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وذلك قبل وثوب المثني بن مخربة العبدى بالبصرة قال أبو مخنف: فحدثني إسماعيل بن نعيم أن المختار أخبر أن أهل الشام قد أقبلوا نحو العراق، فعرف أنه به يبدأ، فخشي أن يأتيه أهل الشام من قبل المغرب، ويأتيه مصعب بن الزبير من قبل البصرة، فودع ابن الزبير وداراه وكايد، وكان عبد الملك بن مروان قد بعث عبد الملك ابن الحارث بن الحكم بن أبي العاص إلى وادي القرى، والمختار لابن الزبير مكاييد موادع، فكتب المختار إلى ابن الزبير: أما بعد، فقد بلغني أن عبد الملك بن مروان قد بعث إليك جيشاً، فإن أحبيت أن أمدك بمدد أمددتك.

فكتب إليه عبد الله بن الزبير:

أما بعد، فإن كنت على طاعتي فلست أكره أن تبعث الجيش إلى بلادي وتبايع لي الناس قبلك، فإذا أتني بيعتك صدقت مقاتلتك، وكففت جنودي عن بلادك، وعجل علي بتسريح الجيش الذي أنت باعته، ومرهم فليسيروا إلى من بوادي القرى من جند ابن مروان فليقاتلوهم.
والسلام.

فدعا المختار شرحبيل بن ورس من همدان، فسرحه في ثلاثة آلاف أكثرهم الموالي، ليس فيهم من العرب إلا سبعمائة رجل، فقال له: سر حتى تدخل المدينة، فإذا دخلتها فاكتب إلي بذلك حتى يأتيك أمري، وهو يريد إذا دخلوا المدينة أن يبعث عليهم أميراً من قبله، ويأمر ابن ورس أن يمضي إلى مكة حتى يحاصر ابن الزبير ويقاتله بمكة، فخرج الآخر يسير قبل المدينة، وخشي ابن الزبير أن يكون المختار إنما يكيد، فبعث من مكة إلى المدينة عباس بن سهل بن سعد في ألفين، وأمره أن يستنفر الأعراب، وقال له ابن الزبير: إن رأيت القوم في طاعتي فاقبل منهم، وإلا فكايدهم حتى تهلكهم ففعلوا، وأقبل عباس بن سهل حتى لقي ابن ورس بالرقيم، وقد عي ابن ورس أصحابه، فجعل على ميمنته سلمان ابن حمير الثوري من همدان، وعلى ميسرته عياش بن جعدة الجدي، وكانت خيله كلها في الميمنة والميسرة، فدنا فسلم عليه، ونزل هو يمشي في الرجالة، وجاء عباس في أصحابه وهم منقطعون على غير تعبئة، فيجد ابن ورس على الماء قد عي أصحابه تعبئة القتال، فدنا منهم فسلم عليهم، ثم قال:

اخل معي هاهنا، نخلاً به، فقال له: رحمك الله! ألتست في طاعة ابن الزبير! فقال له ابن ورس: بلى، قال: فسر بنا إلى عدوه هذا الذي بوادي القرى، فإن ابن الزبير حدثني أنه إنما أشخصكم صاحبكم إليهم، قال ابن ورس: ما أمرت بطاعتك، إنما أمرت أن أسير حتى آتي المدينة، فإذا نزلتها رأيت رأيي قال له عباس بن سهل: فإن كنت في طاعة ابن الزبير فقد

أمرني أن أسير بك وبأصحابك إلى عدونا الذين بوادي القرى، فقال له ابن ورس: ما أمرت بطاعتك، وما أنا بمتبعك دون أن أدخل المدينة، ثم أكتب إلى صاحبي فيأمرني بأمره فلما رأى عباس بن سهل لجأجته عرف خلافه، فكره أن يعلمه أنه قد فطن له، فقال: فرأيك أفضل، اعمل بما بدا لك، فأما أنا فإني سائر إلى وادي القرى ثم جاء عباس بن سهل فنزل بالماء، وبعث إلى ابن ورس بجزائر كانت معه، فأهداها له، وبعث إليه بدقيق وغنم مسلخة - وكان ابن ورس وأصحابه قد هلكوا جوعاً - فبعث عباس بن سهل إلى كل عشرة منهم شاة، فذبحوها واشتغلوا بها، واختلطوا على الماء، وترك القوم تعبيتهم، وأمن بعضهم بعضاً، فلما رأى عباس بن سهل ما

هم فيه من الشغل جمع من أصحابه نحو من ألف رجل من ذوي البأس والنجدة ثم أقبل نحو فسطاط شرحبيل بن ورس، فلما رآهم ابن ورس مقبلين إليه نادى في أصحابه، فلم يتواف إليه مائة رجل حتى انتهى إليه عباس بن سهل وهو يقول: يا شرطة الله، إلي إلي! قاتلوا المحلين، أولياء الشيطان الرجيم، فإنكم على الحق والهدى، قد غدروا وفجروا.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو يوسف أن عباسا انتهى إليهم، وهو يقول:

أنا ابن سهل فارس غير وكل ... أروع مقدام إذا الكبش نكل
وأعتلي رأس الطرماح البطل ... بالسيف يوم الروع حتى ينخزل

قال: فوالله ما اقتتلنا إلا شيئا ليس بشيء حتى قتل ابن ورس في سبعين من أهل الحفاظ، ورفع عباس بن سهل راية أمان لأصحاب ابن ورس، فأتوها إلا نحو من ثلاثمائة رجل انصرفوا مع سلمان بن حمير الهمداني وعياش بن جعدة الجدلي، فلما وقعوا في يد عباس بن سهل أمر بهم فقتلوا إلا نحو من مائتي رجل، كره ناس من الناس ممن دفعوا إليهم قتلهم، نخلوا سبيلهم، فرجعوا، فمات أكثرهم في الطريق، فلما

٦٠١٠٥ ذكر الخبر عن قدوم الخشبية مكة وموافاتهم الحج

بلغ المختار أمرهم، ورجع من رجع منهم، قام خطيبا فقال: ألا إن الفجار الأشرار، قتلوا الأبرار الأخيار إلا إنه كان أمرا مأتيا، وقضاء مقضيا وكتب المختار إلى ابن الحنفية مع صالح بن مسعود الخثعمي:

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإني كنت بعثت إليك جندا ليدلوك الأعداء، وليحوزوا لك البلاد، فساروا إليك حتى إذا أظلموا على طيبة، لقيهم جند الملحد، فخدعوههم بالله، وغروهم بعهد الله، فلما اطمأنوا إليهم، ووثقوا بذلك منهم، وثبوا عليهم فقتلوهم، فإن رأيت أن أبعث إلى أهل المدينة من قبلي جيشا كثيفا، وتبعث إليهم من قبلك رسلا، حتى يعلم أهل المدينة أنني في طاعتك، وإنما بعثت الجند إليهم عن أمرك، فافعل، فإنك ستجد عظمهم بحقكم أعرف، وبكم أهل البيت أراف لهم بآل الزبير الظلمة الملحدن، والسلام عليك. فكتب إليه ابن الحنفية: أما بعد، فإن كتابك لما بلغني قرأته، وفهمت تعظيمك لحقي، وما تنوي به من سروري وإن أحب الأمور كلها إلي ما أطيع الله فيه، فأطع الله ما استطعت فيما أعلنت وأسرت، واعلم أنني لو اردت لوجدت الناس إلي سراعا، والأعوان لي كثيرا، ولكنني أعتزلهم، وأصبر حتى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين.

فأقبل صالح بن مسعود إلى ابن الحنفية فودعه وسَلَّم عليه، وأعطاه الكتاب وقال له: قل للمختار فليتنق الله، وليكفف عن الدماء، قال: فقلت له: أصلحك الله! أو لم تكتب بهذا إليه! قال له ابن الحنفية:

قد أمرته بطاعة الله، وطاعة الله تجمع الخير كله، وتنتهي عن الشر كله فلما قدم كتابه على المختار أظهر للناس أنني قد أمرت بأمر يجمع البر واليسر، ويضرح الكفر والغدر

. ذكر الخبر عن قدوم الخشبية مكة وموافاتهم الحج

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة قدمت الخشبية مكة، ووافوا الحج وأميرهم أبو عبد الله الجدلي.

ذكر الخبر عن سبب قدومهم مكة:

وكان السبب في ذلك - فيما ذكر هشام، عن أبي مخنف وعلي بن محمد،

عن مسلمة ابن محارب - أن عبد الله بن الزبير حبس محمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته وسبعة عشر رجلا من وجوه أهل الكوفة بزمزم، وكرهوا البيعة لمن لم تجتمع عليه الأمة، وهربوا إلى الحرم، وتوعدهم بالقتل والإحراق، وأعطى الله عهدا إن لم يبيعوا أن ينفذ فيهم ما توعدهم به، وضرب لهم في ذلك أجلا، فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه أن يبعث إلى المختار وإلى من بالكوفة رسولا يعلمهم حالهم وحال من معهم، وما توعدهم به ابن الزبير فوجه ثلاثة نفر من أهل الكوفة حين نام الحرس على باب بزمزم،

وكتب معهم إلى المختار وأهل الكوفة يعلمهم حاله وحال من معه، وما توعدهم به ابن الزبير من القتل والتحريق بالنار، ويسألهم ألا يخذلوه كما خذلوا الحسين وأهل بيته فقدموا على المختار، فدفعوا إليه الكتاب فنأدى في الناس وقرأ عليهم الكتاب وقال: هذا كتاب مهديكم وصریح أهل بیت نبیکم وقد ترکوا محظورا علیهم كما يحظر على الغنم ينتظرون القتل والتحريق بالنار في آناء الليل وتارات النهار، ولست أبا إسحاق إن لم أنصرهم نصرا مؤزرا، وإن لم أسرب إليهم الخيل في أثر الخيل، كالسيل يتلوه السيل، حتى يحل بابن الكاهلية الويل. ووجه أبا عبد الله الجدلي في سبعين راجبا من أهل القوه، ووجه ظبيان ابن عماره أخا بني تميم ومعه أربعمائة، وأبا المعتمر في مائة، وهاني بن قيس في مائة، وعمير بن طارق في أربعين، ويونس بن عمران في أربعين، وكتب إلى محمد بن علي مع الطفيل بن عامر ومحمد بن قيس بتوجيه الجنود إليه، فخرج الناس بعضهم في أثر بعض، وجاء أبو عبد الله حتى نزل ذات عرق في سبعين راجبا، ثم لحقه عمير بن طارق في أربعين راجبا، ويونس بن عمران في أربعين راجبا، فتموا خمسين ومائة، فسار بهم حتى دخلوا المسجد الحرام، ومعهم الكافر كوبات، وهم ينادون: يا لثارات الحسين! حتى انتهوا إلى زمزم، وقد أعد ابن الزبير الحطب ليحرقهم، وكان قد

٦.١.٦ ذكر الخبر عن حصار بني تميم بخراسان

بقي من الأجل يومان، فطردوا الحرس، وكسروا أعواد زمزم، ودخلوا على ابن الحنفية، فقالوا له: خل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير، فقال لهم:

إني لا أستحل القتال في حرم الله فقال ابن الزبير: أتخسبون أني مغل سبيلهم دون أن يبايع ويبايعوا! فقال أبو عبد الله الجدلي: أي ورب الركن والمقام، ورب الحل والحرام، لتخلين سبيله أو لنجالدنك بأسيا فنادا يرتاب منه المبطلون فقال ابن الزبير: والله ما هؤلاء إلا أكلة رأس، والله لو أذنت لأصحابي ما مضت ساعة حتى تقطف رءوسهم، فقال له قيس بن مالك: أما والله إني لأرجو إن رمت ذلك أن يوصل إليك قبل أن ترى فينا ما تحب فكف ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة، ثم قدم أبو المعتمر في مائة، وهاني بن قيس في مائة، وظبيان بن عماره في مائتين، ومعه مال حتى دخلوا المسجد، فكبروا: يا لثارات الحسين! فلما رآهم ابن الزبير خافهم، فخرج محمد بن الحنفية ومن معه إلى شعب علي وهم يسبون ابن الزبير، ويستأذنون ابن الحنفية فيه، فيأبى عليهم، فاجتمع مع محمد ابن علي في الشعب أربعة آلاف رجل، فقسم بينهم ذلك المال.

ذكر الخبر عن حصار بني تميم بخراسان

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة كان حصار عبد الله بن خازم من كان بخراسان من رجال بني تميم بسبب قتل من قتل منهم ابنه محمد. قال علي بن محمد: حدثنا الحسن بن رشيد الجوزجاني عن الطفيل ابن مرداس العمي، قال: لما تفرقت بنو تميم بخراسان أيام ابن خازم، أتى قصر فرتنا عدة من فرسانهم ما بين السبعين إلى الثمانين، فولوا أمرهم عثمان بن بشر بن المحتفز المزني، ومعه شعبة بن ظهير النهشلي، وورد بن الفلق العنبري وزهير بن ذؤيب العدوي، وجيهان بن مشجعة الضبي، والحجاج بن ناشب العدوي، ورقبة بن الحر في فرسان بني تميم، قال: فأتاهم ابن خازم، فحصرهم وخندق خندقا حصينا قال: وكانوا يخرجون إليه

فيقاتلونه، ثم يرجعون إلى القصر قال: فخرج ابن خازم يوما على تعبئة من خندقه في ستة آلاف، وخرج أهل القصر إليه، فقال لهم عثمان بن بشر بن المحتفز: انصرفوا اليوم عن ابن خازم، فلا أظن لكم به طاقة، فقال زهير بن ذؤيب العدوي: امرأته طالق إن رجع حتى ينقض صفوفهم - وإلى جنبهم نهر يدخله الماء في الشتاء، ولم يكن يومئذ فيه ماء، فاستبطنه زهير، فسار فيه، فلم يشعر به أصحاب ابن خازم حتى حمل عليهم، فحطم أولهم على آخرهم، واستداروا وكر راجعا، واتبعوه على جنبتي النهر يصيحون به:

لا ينزل إليه أحد، حتى انتهى إلى الموضع الذي انحدر فيه، فخرج فحمل عليهم، فأفروا له حتى رجع، قال: فقال ابن خازم لأصحابه: إذا طاعنتم زهيرا فاجعلوا في رماحكم كلاليب فأعلقوها في أذاته إن قدرتم عليه، فخرج إليهم يوما وفي رماحهم كلاليب قد هيئوها له، فطاعنوه، فأعلقوا في درعه أربعة أرماع، فالتفت إليهم ليحمل عليهم، فاضطربت أيديهم، فغاء يجر أربعة أرماع حتى

دخل القصر، قال: فأرسل ابن خازم غزوان بن جزء العدوي إلى زهير فقال:

قل له: أرايتك إن آمنتك وأعطيتك مائة ألف، وجعلت لك باسار طعمة تناصحيني، فقال زهير لغزوان: ويحك! كيف اناصح قوما قتلوا الاشعث ابن ذؤيب! فأسقط بها غزوان عند موسى بن عبد الله بن خازم.

قال: فلما طال عليهم الحصار أرسلوا إلى ابن خازم أن خلنا نخرج فنتفرق، فقال: لا إلا أن تنزلوا على حكمي، قالوا: فإننا ننزل على حكمك، فقال لهم زهير: ثكلتكم أمهاتكم! والله ليقتلنكم عن آخركم، فإن طبتم بالموت أنفسا فوتوا كراما، اخرجوا بنا جميعا فإما أن تموتوا جميعا وإما أن ينجو بعضكم ويهلك بعضكم، وإيم الله لئن شددتم عليهم

شدة صادقة ليفرجن لكم عن مثل طريق المربد، فإن شئتم كنت أمامكم، وإن شئتم كنت خلفكم قال: فأبوا عليه، فقال: أما إني سأريكم، ثم خرج هو ورقبة بن الحروم و رقة غلام له تركي وشعبة بن ظهير قال:

خفموا على القوم حملة منكرة، فأفروا لهم، فمضوا، فأما زهير فرجع إلى أصحابه حتى دخل القصر فقال لأصحابه: قد رأيتم فأطيعوني، ومضى رقة وغلامه وشعبة، قالوا: إن فينا من يضعف عن هذا ويطمع في الحياة، قال: أبعدكم الله! أتخلون عن أصحابكم! والله لا أكون أجزعكم عند الموت قال: ففتحو القصر ونزلوا، فأرسل فقيدهم، ثم حملوا إليه رجلا رجلا، فأراد أن يمن عليهم، فأبى ابنه موسى، وقال: والله لئن عفوت عنهم لأتكنن على سيفي حتى يخرج من ظهري، فقال له عبد الله: أما والله إني لأعلم أن الغي فيما تأمرني به، ثم قتلهم جميعا إلا ثلاثة، قال: أحدهم الحاج بن ناشب العدوي- وكان رمى ابن خازم وهو محاصره فكسر ضرسه، خلف لئن ظفر به ليقتلنه أو ليقطعن يده، وكان حدثا، فكله فيه رجال من بني تميم كانوا معتزلين، من عمرو بن حنظلة، فقال رجل منهم: ابن عمي وهو غلام حدث جاهل، هبه لي، قال: فوهبه له، وقال: النجاء! لا أرينك.

قال: وجيهان بن مشجعة الضبي الذي ألقى نفسه على ابنه محمد يوم قتل، فقال ابن خازم: خلوا عن هذا البغل الدارج، ورجل من بني سعد، وهو الذي قال يوم لحقوا ابن خازم: انصرفوا عن فارس مضر قال:

وجاءوا بزهير بن ذؤيب فأرادوا حمله وهو مقيد، فأبى وأقبل يحجل حتى جلس بين يديه، فقام له ابن خازم: كيف شكرت ان اطلقتك وجعلت لك باسار طعمة؟ قال: لو لم تصنع بي إلا حقن دمي لشكرتك، فقام ابنه موسى فقال: تقتل الضبع وتترك الذئب! تقتل اللبؤة وتترك الليث! قال: ويحك! نقتل مثل زهير! من لقتال عدو المسلمين! من لنساء العرب! قال: والله لو شركت في دم أخي أنت لقتلتك، فقام رجل من بني

سليم إلى ابن خازم، فقال: أذكرك الله في زهير! فقال له موسى: اتخذ خفلا لبناتك، فغضب ابن خازم، فأمر بقتله، فقال له زهير: إن لي حاجة، قال: وما هي؟ قال: تقتلني على حدة، ولا تخلط دمي بدماء هؤلاء اللثام، فقد نهيتهم عما صنعوا وأمرتهم أن يموتوا كراما، وأن يخرجوا عليكم مصلتين، وإيم الله أن لو فعلوا لذعروا بنيك هذا، وشغلوه بنفسه عن طلب الثأر بأخيه فأبوا، ولو فعلوا ما قتل منهم رجل حتى يقتل رجلا.

فأمر به فنحي ناحية فقتل.

قال مسلمة بن محارب: فكان الأحنف بن قيس إذا ذكرهم قال:

قبح الله ابن خازم! قتل رجلا من بني تميم بآبائه، صبي وغدا أحق لا يساوي علقا، ولو قتل منهم رجلا به لكان وفي.

قال: وزعمت بنو عدي أنهم لما أرادوا حمل زهير بن ذؤيب أبي واعتمد على رحمه وجمع رجله فوثب الخندق، فلما بلغ الحريش بن هلال قتلهم قال:

أعاذل إني لم ألم في قتالهم ... وقد عض سيفي كبشهم ثم صمما

أعاذل ما وليت حتى تبددت ... رجال وحتى لم أجد متقدما

أعاذل أفناني السلاح ومن يطل ... مقارعة الأبطال يرجع مكلا

أعيني إن أنزفتما الدمع فاسكبا ... دما لازما لي دون أن تسكبا الدما

أبعد زهير وابن بشر ثابعا ... وورد أرجي في خراسان مغنما
أعاذل كم من يوم حرب شهدته ... أكر إذا ما فارس السوء أعجما

يعني بقوله: أبعد زهير، زهير بن ذؤيب، وابن بشر، عثمان بن بشر المحتفز المازني، وورد بن الفلق العنبري، قتلوا يومئذ، وقتل سليمان بن المحتفز أخو بشر.

قال أبو جعفر: وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير، وكان على المدينة مصعب بن الزبير من قبل أخيه عبد الله، وعلى البصرة الحارث

٦٠١٠٧ شخص ابراهيم بن الاشر لحرب عبيد الله بن زياد

ابن عبد الله بن أبي ربيعة، وعلى قضائها هشام بن هبيرة، وكانت الكوفة بها المختار غالبا عليها، وبخراسان عبد الله بن خازم. شخص ابراهيم بن الاشر لحرب عبيد الله بن زياد

وفي هذه السنة شخص ابراهيم بن الاشر متوجها الى عبيد الله ابن زياد لحربه، وذلك لثمان بقين من ذي الحجة. قال هشام بن محمد: حدثني أبو مخنف، قال: حدثني النضر بن صالح- وكان قد أدرك ذلك- قال: حدثني فضيل بن خديج- وكان قد شهد ذلك- وغيرهما، قالوا: ما هو إلا أن فرغ المختار من أهل السبيع وأهل الكاسة، فما نزل ابراهيم بن الاشر إلا يومين حتى أشخصه إلى الوجه الذي كان وجهه له لقتال أهل الشام، فخرج يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة سنة ست وستين، وأخرج المختار معه من وجوه أصحابه وفرسانهم وذوي البصائر منهم: ممن قد شهد الحرب وجربها، وخرج معه قيس بن طهفة النهدي على ربع أهل المدينة، وأمر عبد الله بن حية الأسدي على ربع مذج وأسد، وبعث الأسود بن جراد الكندي على ربع كندة وربيعه، وبعث حبيب بن منقذ الثوري من همدان على ربع تميم وهمدان، وخرج معه المختار يشيعه حتى إذا بلغ دير عبد الرحمن بن أم الحكم، إذا أصحاب المختار قد استقبلوه قد حملوا الكرسي على بغل أشهب كانوا يحملونه عليه، فوقفوا به على القنطرة، وصاحب امر الكرسي حوشب البرسي، وهو يقول: يا رب عمرنا في طاعتك، وانصرنا على الأعداء، واذكرنا ولا تنسنا واسترنا، قال: وأصحابه يقولون: آمين آمين، قال فضيل: فأنا سمعت ابن نوف الهمداني يقول: قال المختار:

أما ورب الرسائل عرفا ... لنقتلن بعد صف صفا

وبعد ألف قاسطين ألفا.

قال: فلما انتهى إليهم المختار وابن الاشر ازدحموا ازدحاما شديدا

٦٠١٠٨ ذكر امر الكرسي الذي كان المختار يستنصر به!

٦٠١٠٩ ذكر الخبر عن سبب كرسي المختار الذي يستنصر به هو واصحابه:

على القنطرة، ومضى المختار مع ابراهيم إلى قناطر رأس الجالوت- وهي إلى جنب دير عبد الرحمن- فإذا أصحاب الكرسي قد وقفوا على قناطر رأس الجالوت يستنصرون، فلما صار المختار بين قنطرة دير عبد الرحمن وقناطر رأس الجالوت وقف، وذلك حين أراد أن ينصرف، فقال لابن الاشر: خذ عني ثلاثا: خف الله في سر أمرك وعلايته، وعجل السير، وإذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم، وإن لقيتهم ليلا فاستطعت الا تصبح حتى تناجزهم، وإن لقيتهم نهارا فلا تنتظر بهم الليل حتى تحاكمهم إلى الله، ثم قال: هل حفظت ما أوصيتك به؟ قال: نعم، قال: صحبتك الله، ثم انصرف وكان موضع عسكري ابراهيم بموضع حمام أعين، ومنه شخص بعسكره . ذكر امر الكرسي الذي كان المختار يستنصر به!

قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج قال: لما انصرف المختار مضى ابراهيم ومعه أصحابه حتى انتهى إلى أصحاب الكرسي وقد عكفوا

حوله وهم رافعوا أيديهم إلى السماء يستنصرون، فقال إبراهيم: اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء- سنة بني إسرائيل، والذي نفسي بيده إذ عكفوا على عجلهم- فلما جاز القنطرة إبراهيم وأصحابه انصرف أصحاب الكرسي. ذكر الخبر عن سبب كرسي المختار الذي يستنصر به هو وأصحابه:

قال أبو جعفر: وكان بدء سببه ما حدثني به عبد الله بن أحمد بن شبيه، قال: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَان، قَالَ: حَدَّثَنِي عبد الله ابن المبارك، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة، قال: حدثني معبد بن خالد، قال: حدثني طفيل بن جعدة بن هبيرة، قال: أعدمت مره من الورق، فإني لكذلك إذا خرجت يوما فإذا زيات جاري، له كرسي قد ركبته وسخ شديد، فخطر على بالي أن لو قلب للمختار في هذا! فرجعت فأرسلت إلى

الزيات: أرسل إلي بالكرسي، فأرسل إلي به، فأتيت المختار، فقلت: إني كنت أكتمك شيئا لم أستحل ذلك، فقد بدا لي أن أذكره لك، قال:

وما هو؟ قلت: كرسي كان جعدة بن هبيرة يجلس عليه كأنه يرى أن فيه أثره من علم، قال: سبحان الله! فأخرت هذا إلى اليوم! ابعث إليه، ابعث إليه، قال: وقد غسل وخرج عود نضار، وقد تشرب الزيت، فخرج يبص، فجيء به وقد غشي، فأمر لي باثني عشر ألفا، ثم دعا: الصلاة جامعة.

فحدثني معبد بن خالد الجدلي قال: انطلق بي وبإسماعيل بن طلحة ابن عبيد الله وشبث بن ربعي والناس يجرؤون إلى المسجد، فقال المختار: إنه لم يكن في الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن في هذه الأمة مثله، وإنه كان في بني إسرائيل التابوت فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون، وإن هذا فينا مثل التابوت، اكشفوا عنه، فكشفوا عنه أثوابه، وقامت السبئية فرفعوا أيديهم، وكبروا ثلاثا، فقام شبث بن ربعي وقال: يا معشر مضر، لا تكفرون، فحنوه فذبوه وصدوه واخرجوه، قال إسحاق: فوالله إني لأرجو أنها لشبث، ثم لم يلبث أن قيل: هذا عبيد الله بن زياد قد نزل باهل الشام باجميرا، فخرج بالكرسي على بغل وقد غشي، يمسكه عن يمينه سبعة وعن يساره سبعة، فقتل أهل الشام مقتلة لم يقتلوا مثله، فزادهم ذلك فتنة، فارتفعوا فيه حتى تعاطوا الكفر، فقلت: إنا لله! وندمت على ما صنعت، فتكلم الناس في ذلك، فغيب، فلم أره بعد.

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: قال أبو صالح: فقال في ذلك أعشى همدان كما حدثني غير عبد الله:

شهدت عليكم انكم سبئية ... وإني بكم يا شرطة الشرك عارف

وأقسم ما كرسيكم بسكينة ... وإن كان قد لفت عليه اللفائف

وأن ليس كالتابوت فينا وإن سعت ... شبام حواله ونهد وخارف

وإني امرؤ أحببت آل محمد ... وتابعت وحيا ضمنته المصاحف

وتابعت عبد الله لما تابعت ... عليه قريش: شمتها والغطارف

وقال المتوكل الليثي:

أبلغ أبا إسحاق إن جئت ... أني بكرسيكم كافر

تنزو شبام حول أعواده ... وتحمل الوحي له شاكر

محرم أعينهم حوله ... كأنهن الحمص الحادر

فأما أبو مخنف: فإنه ذكر عن بعض شيوخه قصة هذا الكرسي غير الذي ذكره عبد الله بن أحمد بالإسناد الذي حدثنا به، عن طفيل بن جعدة والذي ذكر من ذلك ما حدثنا به، عن هشام بن محمد، عنه، قال: حدثنا هشام بن عبد الرحمن وابنه الحكم بن هشام، أن المختار قال لآل جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي- وكانت أم جعدة أم هانئ بنت أبي طالب أخت علي بن أبي طالب ع لأبيه وأمه: ائتوني بكرسي علي بن أبي طالب، فقالوا: لا والله ما هو عندنا، وما ندري من أين نجى به! قال: لا تكونن حمقى، اذهبوا فأتوني به، قال: فظن القوم عند ذلك أنهم لا يأتون بكرسي، فيقولون: هو هذا إلا قبله منهم، فجاءوا بكرسي فقالوا: هو هذا فقبله، قال: فخرجت

شيام وشاكر ورءوس أصحاب المختار وقد عصبوه بالحرير والديباغ.

قال أبو مخنف، عن موسى بن عامر أبي الأشعر الجهني: إن الكرسي لما بلغ ابن الزبير أمره قال: أين بعض جنادة الأزدي عنه! قال أبو الأشعر: لما جيء بالكرسي كان أول من سدنه موسى بن أبي موسى الأشعري، وكان يأتي المختار أول ما جاء ويحلف به، لأن أمه أم كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب ثم إنه بعد ذلك عتب عليه فاستحيا منه، فدفعه إلى حوشب البرسمي، فكان صاحبه حتى هلك المختار قال: وكان أحد عمومة الأعشى رجلا يكنى أبا أمامة يأتي مجلس أصحابه فيقول: قد وضع لنا اليوم وحي ما سمع الناس بمثله، فيه نبأ ما يكون من شيء..

قال أبو مخنف: حدثنا موسى بن عامر أنه إنما كان يصنع ذلك لهم عبد الله بن نوف، ويقول: المختار أمرني به، ويتبرأ المختار منه

٦٠٢ سنة سبع وستين

ثم دخلت

سنة سبع وستين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فما كان فيها من ذلك مقتل عبيد الله بن زياد ومن كان معه من أهل الشام. ذكر الخبر عن صفة مقتله:

ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو الصلت، عن أبي سعيد الصيقل، قال: مضينا مع إبراهيم بن الأشتر ونحن نريد عبيد الله بن زياد ومن معه من أهل الشام، فخرجنا مسرعين لانتثنى، نريد أن نلقاه قبل أن يدخل أرض العراق قال: فسبقناه إلى تخوم أرض العراق سبقا بعيدا، ووصلنا في أرض الموصل، فتعجلنا إليه، وأسرعنا السير، فنلقاه بخازر إلى جنب قرية يقال لها باربيثا، بينها وبين مدينة الموصل خمسة فراسخ، وقد كان ابن الأشتر جعل على مقدمته الطفيل بن لقيط، من وهبيل من النخع رجلا من قومه، وكان شجاعا بئيسا، فلما أن دنا من ابن زياد ضم حميد بن حريث إليه، وأخذ ابن الأشتر لا يسير الا على تعبئة، وضم أصحابه كلهم إليه بخيله ورجاله، فأخذ يسير بهم جميعا لا يفرقهم، إلا أنه يبعث الطفيل بن لقيط في الطلائع حتى نزل تلك القرية.

قال: وجاء عبيد الله بن زياد حتى نزل قريبا منهم على شاطئ خازر.

وأرسل عمير بن الحباب السلمي إلى ابن الأشتر: إني معك، وأنا أريد الليلة لقاءك، فأرسل إليه ابن الأشتر: أن القني إذا شئت، وكانت قيس كلها بالجزيرة، فهم أهل خلاف لمروان وآل مروان، وجند مروان يومئذ كلب وصاحبهم ابن بحدل فأتاه عمير ليلا فبايعه، وأخبره أنه على ميسرة صاحبه، وواعده أن ينهزم بالناس، وقال ابن الأشتر: ما رأيك؟

أخندق علي وأتولم يومين أو ثلاثة؟ قال عمير بن الحباب: لا تفعل، انا

لله! هل يريد القوم إلا هذه! إن طاولوك وماطوك فهو خير لهم، هم كثير أضعافكم، وليس يطيق القليل الكثير في المطاولة، ولكن ناجز القوم فإنهم قد ملئوا منكم رعبا، فأتهم فإنهم إن شاموا أصحابك وقتلوهم يوما بعد يوم، ومرة بعد مرة أنسوا بهم، واجترأوا عليهم، قال إبراهيم: الآن علمت أنك لي مناصح، صدقت، الرأي ما رأيته، أما إن صاحبي بهذا أوصاني، وبهذا الرأي أمرني قال عمير: فلا تعدون رأيي، فإن الشيخ قد ضرسته الحروب، وقاسى منها ما لم تقاس، أصبح فناهض الرجل.

ثم إن عميرا انصرف، وأذكى ابن الأشتر حرسه تلك الليلة الليل كله، ولم يدخل عينه غمض، حتى إذا كان في السحر الأول عبي أصحابه، وكتب كتائبه، وأمر أمراءه فبعث سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي على ميمنته، وعلي بن مالك الجشمي على ميسرته، وهو أخو أبي الأحوص.

وبعث عبد الرحمن بن عبد الله - وهو أخو إبراهيم بن الأشتر لأمه - على الخليل، وكانت خيله قليلة، فضمها إليه، وكانت في الميمنة والقلب، وجعل على رجالته الطفيل بن لقيط، وكانت رايته مع مزاحم بن مالك قال: فلما انفجر الفجر صلى بهم الغداة بغلس، ثم خرج بهم فصفهم، ووضع أمراء الأرباع في مواضعهم، وألحق أمير الميمنة بالميمنة، وأمير الميسرة بالميسرة، وأمير الرجالة بالرجالة، وضم

الخليل إليه، وعليها أخوه لأمه عبد الرحمن بن عبد الله، فكانت وسطا من الناس، ونزل إبراهيم يمشي، وقال للناس: ازحفوا، فزحف الناس معه على رسلهم رويدا رويدا حتى أشرف على تل عظيم مشرف على القوم، فجلس عليه، وإذا أولئك لم يتحرك منهم أحد بعد- فصرح عبد الله بن زهير السلولي وهو على فرس له يتأكل تأكلا، فقال:

قرب علي فرسك حتى تأتيني بخبر هؤلاء، فانطلق، فلم يلبث إلا يسيرا حتى جاء، فقال: قد خرج القوم على دهش وفشل، لقيني رجل منهم فما كان له هجيري إلا يا شيعة أبي تراب، يا شيعة المختار الكذاب! فقلت: ما بيننا وبينكم أجل من الشتم، فقال لي: يا عدو الله، الام

تدعوننا! أنتم تقاتلون مع غير إمام، فقلت له: بل يا لثارات الحسين، ابن رسول الله! ادفعوا إلينا عبيد الله بن زياد، فإنه قتل ابن رسول الله وسيد شباب أهل الجنة حتى نقتله ببعض موالينا الذين قتلهم مع الحسين، فانا لا نراه الحسين ندا فنرضى أن يكون منه قودا، وإذا دفعتموه إلينا فقتلناه ببعض موالينا الذين قتلهم جعلنا بيننا وبينكم كتاب الله، أو أي صالح من المسلمين شتم حكما، فقال لي: قد جربناكم مرة أخرى في مثل هذا- يعني الحكيم- فغدرتم، فقلت له: وما هو؟ فقال: قد جعلنا بيننا وبينكم حكمين فلم ترضوا بحكمهما، فقلت له: ما جئت بحجة، إنما كان صلحنا على أنهما إذا اجتمعا على رجل تبعنا حكمهما، ورضينا به وبايعناه، فلم يجتمعا على واحد، وتفرقا، فكلاهما لم يوفقه الله لخير ولم يسدده، فقال: من أنت؟ فأخبرته، فقلت له: من أنت؟ فقال:

عديس- بلغته يزجرها- فقلت له: ما أنصفتني، هذا أول غدرك! قال: ودعا ابن الأشتر بفرس له فركبه، ثم مر بأصحاب الرايات كلها، فكلما مر على راية وقف عليها، ثم قال: يا أنصار الدين، وشيعة الحق، وشرطة الله، هذا عبيد الله بن مرجانة قاتل الحسين بن علي، ابن فاطمة بنت رسول الله، حال بينه وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن يشربوا منه، وهم ينظرون إليه، ومنعه أن يأتي ابن عمه فيصلحه، ومنعه أن ينصرف إلى رحله وأهله، ومنعه الذهاب في الأرض العريضة حتى قتله وقتل أهل بيته، فو الله ما عمل فرعون بنجباء بني إسرائيل ما عمل ابن مرجانة بأهل بيت رسول الله ص الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قد جاءكم الله به، وجاءه بكم، فو الله اني لأرجو الا يكون الله جمع بينكم في هذا الموطن وبينه إلا ليشفي صدوركم بسفك دمه على أيديكم، فقد علم الله أنكم خرجتم غضبا لأهل بيت نبيكم فسار فيما بين الميمنة والميسرة، وسار في الناس كلهم فرغبتهم في الجهاد، وحرصهم على القتال، ثم رجع حتى نزل تحت رايته، وزحف القوم إليه، وقد جعل ابن زياد على

ميمنته الحصين بن نمير السكوني، وعلى ميسرته عمير بن الحباب السلمي، وشر حبيل بن ذي الكلاع على الخليل وهو يمشي في الرجال، فلما تدانى الصفان حمل الحصين بن نمير في ميمنة أهل الشام على ميسرة أهل الكوفة، وعليها علي بن مالك الجشمي، فثبت له هو بنفسه فقتل، ثم أخذ رايته قره بن علي، فقتل أيضا من في رجال من أهل الحفاظ قتلوا وانهمزت الميسرة، فأخذ راية علي بن مالك الجشمي عبد الله بن ورقاء بن جنادة السلولي ابن أخي حبشي بن جنادة صاحب رسول الله ص، فاستقبل أهل الميسرة حين انهزموا، فقال: إلي يا شرطة الله، فأقبل إليه جلهم، فقال: هذا أميركم يقاتل، سيروا بنا إليه، فأقبل حتى أتاه وإذا هو كاشف عن رأسه ينادي: يا شرطة الله، إلي أنا ابن الأشتر! إن خير فراركم كراكم، ليس مسيئا من أعتب فثاب إليه أصحابه، وأرسل إلى صاحب الميمنة: احمل على ميسرتهم- وهو يرجو حينئذ ان ينهزم لهم عمير ابن الحباب كما زعم، فحمل عليهم صاحب الميمنة، وهو سفيان بن يزيد ابن المغفل، فثبت له عمير بن الحباب وقاتله قتالا شديدا، فلما رأى إبراهيم ذلك قال لأصحابه: أموا هذا السواد الأعظم، فو الله لو قد فضضناه لا نجفل من ترون منهم يمينة وميسرة انجفال طير ذعرتها فطارت.

قال أبو مخنف: فحدثني إبراهيم بن عبد الرحمن الأنصاري، عن ورقاء بن عازب، قال: مشينا إليهم حتى إذا دنونا منهم أطعنا بالرماح قليلا، ثم صرنا إلى السيوف والعمد، فاضطر بنا بها مليا من النهار، فو الله ما شبت ما سمعت بيننا وبينهم من وقع الحديد على الحديد إلا مياجن قصاري دار الوليد بن عقبة بن أبي معيط قال: فكان ذلك كذلك، ثم إن الله هزمهم، ومنحنا أكثافهم.

قال أبو مخنف: وحدثني الحارث بن حصيرة، عن أبي صادق أن إبراهيم بن الأشتر كان يقول لصاحب رايته: انغمس برايتك فيهم،

فيقول له: إنه- جعلت فداك- ليس لي متقدم، فيقول: بلى، فإن أصحابك

يقاتلون، وإن هؤلاء لا يهربون إن شاء الله، فإذا تقدم صاحب رايته برأيه شد إبراهيم بسيفه فلا يضرب به رجلا إلا صرعه وكرد إبراهيم الرجال من بين يديه كأنهم الحملان، وإذا حمل برأيه شد أصحابه شدة رجل واحد.

قال أبو مخنف: حدثني المشرقي أنه كان مع عبيد الله بن زياد يومئذ حديدة لا تليق شيئا مرت به، وأنه لما هزم أصحابه حمل عيينة ابن أسماء أخته هند بنت أسماء- وكانت امرأة عبيد الله بن زياد- فذهب بها وأخذ يرتجز ويقول: إن تصرمي حبالنا فرما أرديت في الهيجا الكمي المعلما قال أبو مخنف: وحديثي فضيل بن خديج أن إبراهيم لما شد على ابن زياد وأصحابه انهزموا بعد قتال شديد وقتل كثيرة بين الفريقين، وإن عمير بن الحباب لما رأى أصحاب إبراهيم قد هزموا أصحاب عبيد الله بعث إليه: أجيئك الآن؟ فقال: لا تأتيني حتى تسكن فورة شرطة الله، فإني أخاف عليك عاد يتهم.

وقال ابن الأثير: قتل رجلا وجدت منه رائحة المسك، شرقت يدها وغربت رجلاه، تحت راية منفردة، على شاطئ نهر خازر فالتمسوه فإذا هو عبيد الله بن زياد قتيلا، ضربه ففقد بنصفين، فذهبت رجلاه في المشرق، ويداه في المغرب وحمل شريك بن جدير التغلبي على الحصين بن نمير السكوني وهو يحسبه عبيد الله بن زياد، فاعتنق كل واحد منهما صاحبه، ونادى التغلبي: اقتلوني وابن الزانية، فقتل ابن نمير.

وحدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله بن المبارك، قال: حدثني الحسن بن كثير، قال: كان شريك بن جدير التغلبي مع علي ع، أصيبت عينه معه، فلما انقضت حرب علي لحق ببيت المقدس، فكان به، فلما جاءه قتل الحسين، قال: أعاهد الله أن قدرت على كذا وكذا- يطلب بدم الحسين- لأقتل ابن مرجانة أو لأموتن دونه فلما بلغه أن المختار خرج يطلب بدم الحسين أقبل إليه قال: فكان وجهه مع إبراهيم بن الأثير، وجعل على خيل ربيعة، فقال لأصحابه: إني عاهدت الله على كذا وكذا، فبايعه ثلاثمائة على الموت، فلما التقوا حمل فجعل يهتكها صفا صفا مع أصحابه حتى وصلوا إليه، وثار الرهج فلا يسمع إلا وقع الحديد والسيوف، فانفرجت عن الناس وهما قتيلان ليس بينهما احد، التغلبي وعبيد الله ابن زياد، قال: وهو الذي يقول: كل عيش قد أراه قدرا ... غير ركز الرمح في ظل الفرس

قال هشام: قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج، قال: قتل شرحبيل بن ذي الكلاع، فادعى قتله ثلاثة: سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي، وورقاء بن عازب الأسدي، وعبيد الله بن زهير السلي قال:

ولما هزم أصحاب عبيد الله تبعهم أصحاب إبراهيم بن الأثير، فكان من غرق أكثر ممن قتل، وأصابوا عسكرهم فيه من كل شيء، وبلغ المختار وهو يقول لأصحابه: يأتيكم الفتح أحد اليومين إن شاء الله من قبل إبراهيم ابن الأثير وأصحابه، قد هزموا أصحاب عبيد الله بن مرجانة قال: نفرج المختار من الكوفة، واستخلف عليها السائب بن مالك الأشعري، وخرج بالناس، ونزل ساباط.

قال أبو مخنف: حدثني المشرقي، عن الشعبي، قال: كنت أنا وأبي ممن خرج معه، قال: فلما جزنا ساباط قال للناس: أبشروا فإن شرطة الله قد حسوهم بالسيوف يوما إلى الليل بنصيبين أو قريبا من نصيبين، ودوين منازلهم، إلا أن جلهم محصور بنصيبين قال: ودخلنا المدائن، واجتمعنا إليه، فصعد المنبر، فوالله إنه ليخطبنا ويأمرنا بالجد وحسن

الرأي والاجتهاد والثبات على الطاعة، والطلب بدماء أهل البيت ع، إذ جاءت البشرية ترى يتبع بعضها بعضا بقتل عبيد الله بن زياد وهزيمة أصحابه، وأخذ عسكره، وقتل أشراف أهل الشام، فقال المختار: يا شرطة الله، ألم أبشركم بهذا قبل أن يكون! قالوا: بلى والله لقد قلت ذلك، قال:

فيقول لي رجل من بعض جيراننا من الحمدانيين: اتؤمن الآن يا شعبي؟

قال: قلت بأي شيء أؤمن؟ أؤمن بأن المختار يعلم الغيب! لا أؤمن بذلك أبدا قال: او لم يقل لنا: إنهم قد هزموا! فقلت له: إنما زعم لنا أنهم هزموا بنصيبين من أرض الجزيرة، وإنما هو بخازر من أرض الموصل، فقال: والله لا تؤمن يا شعبي حتى ترى العذاب الأليم، فقلت له: من هذا الحمداني الذي يقول لك هذا؟ فقال: رجل لعمرى كان شجاعا- قتل مع المختار بعد ذلك يوم حروراء- يقال

له: سلمان بن حمير من الثوريين من همدان، قال: وانصرف المختار إلى الكوفة، ومضى ابن الأشر من عسكره إلى الموصل، وبعث عماله عليها، فبعث أخاه عبد الرحمن بن عبد الله على نصيبين، وغلب على سنجار ودارا، وما والاها من أرض الجزيرة، وخرج أهل الكوفة الذين كان المختار قاتلهم فهزمهم، فلحقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة وكان فيمن قدم على مصعب شبت بن ربيعي، فقال سراقه ابن مرداس البارقي يمدح إبراهيم بن الأشر وأصحابه في قتل عبيد الله ابن زياد:

أتاكم غلام من عرانيين مذج ... جري على الأعداء غير نكول
فيا بن زياد بؤ بأعظم مالك ... وذق حد ماضي الشفرتين صقيل
ضربناك بالعضب الحسام بحدة ... إذا ما أبانا قاتلا بقتيل
جزى الله خيرا شرطة الله إنهم ... شفوا من عبيد الله أمس غليل

٦٠٢٠١ ذكر الخبر عن عزل القباع عن البصرة

٦٠٢٠٢ ذكر خبر قتل مصعب المختار بن أبي عبيد

ذكر الخبر عن عزل القباع عن البصرة

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير القباع عن البصرة، وبعث عليها أخاه مصعب بن الزبير، فحدثني عمر بن شبة، قال: حدثني علي بن محمد، قال: حدثنا الشعبي، قال: حدثني وafd بن أبي ياسر، قال:

كان عمرو بن سرح مولى الزبير يأتينا فيحدثنا، قال: كنت والله في الرهط الذين قدموا مع المصعب بن الزبير من مكة إلى البصرة، قال: فقدم متلثما حتى أناخ على باب المسجد، ثم دخل فصعد المنبر، فقال الناس:

أمير أمير قال: وجاء الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة - وهو أميرها قبله - فسفر المصعب فعرّفوه، وقالوا: مصعب بن الزبير! فقال: للحارث:

أظهر أظهر، فصعد حتى جلس تحته من المنبر درجة، قال: ثم قام المصعب فحمد الله وأثنى عليه قال: فو الله ما أكثر الكلام، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم: «طسم تلك آيات الكتاب المبين تتلوا عليك من نبي موسى» إلى قوله: «إنه كان من المفسدين» - وأشار بيده نحو الشام - «ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين» - وأشار بيده نحو الحجاز - «ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون» - وأشار بيده نحو الشام.

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني علي بن محمد، عن عوانة، قال:

لما قدم مصعب البصرة خطبهم فقال: يا أهل البصرة، بلغني أنكم تلقبون أمراءكم، وقد سميت نفسي الجزار

. ذكر خبر قتل مصعب المختار بن أبي عبيد

وفي هذه السنة سار مصعب بن الزبير إلى المختار فقتله.

ذكر الخبر عن سبب مسير مصعب إليه والخبر عن مقتل المختار:

قال هشام بن محمد، عن أبي مخنف، حدثني حبيب بن بديل، قال:

لما قدم شبت على مصعب بن الزبير البصرة وتحت بغلته له قد قطع ذنبها، وقطع طرف أذنهما وشق قباهه، وهو ينادي: يا غوثاه يا غوثاه! فأتى مصعب، فقيل له: إن بالبواب رجلا ينادي: يا غوثاه يا غوثاه! مشقوق القباه، من صفته كذا وكذا، فقال لهم: نعم، هذا شبت بن ربيعي لم يكن ليفعل هذا غيره، فأدخلوه، فأدخل عليه، وجاءه أشراف الناس من أهل الكوفة فدخلوا عليه، فأخبروه بما اجتمعوا له، وبما أصيبوا به ووثوب عبيدهم ومواليهم عليهم، وشكوا إليه، وسألوه النصر لهم، والمسير إلى المختار معهم وقدم عليهم محمد بن الأشعث بن قيس - ولم يكن شهد وقعة الكوفة، كان في قصر له مما يلي القادسية بطيزناباد - فلما بلغه هزيمة الناس تهايا الشخصوس، وسأل عنه المختار، فأخبر بمكانه، فشرح إليه عبد الله بن قراد الخثعمي في مائة، فلما ساروا إليه، وبلغه أن قد دنوا منه، خرج في البرية

نحو المصعب حتى لحق به، فلما قدم على المصعب استحثه بالخروج، وأدناه مصعب وأكرمه لشرفه قال: وبعث المختار إلى دار محمد بن الأشعث فهدمها قال أبو مخنف: فحدثني أبو يوسف بن يزيد أن المصعب لما أراد المسير إلى الكوفة حين أكثر الناس عليه، قال لمحمد بن الأشعث: إني لا أسير حتى يأتيني المهلب بن أبي صفرة فكتب المصعب إلى المهلب - وهو عامله على فارس: أن أقبل إلينا لتشهد أمرنا، فإننا نريد المسير إلى الكوفة فأبطأ عليه المهلب وأصحابه، واعتل بشيء من الخراج، لكرهه الخروج، فأمر مصعب محمد بن الأشعث في بعض ما يستحثه أن يأتي المهلب فيقبل به، وأعلمه أنه لا يشخص دون أن يأتي المهلب، فذهب محمد بن الأشعث بكتاب المصعب إلى المهلب، فلما قرأه قال له: مثلك يا محمد يأتي بريدا! أما وجد المصعب بريدا غيرك! قال محمد: إني والله ما أنا ببريد أحد، غير أن نساءنا وأبناءنا وحرمانا غلبنا عليهم عبداننا وموالينا نخرج المهلب،

وأقبل بمجموع كثيرة وأموال عظيمة معه في جموع وهيئة ليس بها أحد من أهل البصرة ولما دخل المهلب البصرة أتى باب المصعب ليدخل عليه وقد أذن للناس، فحجبه الحاجب وهو لا يعرفه، فرفع المهلب يده فكسر أنفه، فدخل إلى المصعب وأنفه يسيل دما، فقال له: مالك؟ فقال: ضربني رجل ما أعرفه، ودخل المهلب فلما رآه الحاجب قال: هو ذا، قال له المصعب: عد إلى مكانك، وأمر المصعب الناس بالمعسكر عند الجسر الأكبر، ودعا عبد الرحمن بن مخنف فقال له: انت الكوفة فأخرج إلي جميع من قدرت عليه أن تخرجه، وادعهم إلى بيعتي سرا، وخذل أصحاب المختار، فأنسل من عنده حتى جلس في بيته مستترا لا يظهر، وخرج المصعب فقدم أمامه عباد بن الحصين الحبطي من بني تميم على مقدمته، وبعث عمر بن عبيد الله بن معمر على ميمنته، وبعث المهلب بن أبي صفرة على ميسرته، وجعل مالك بن مسمع على خمس بكر بن وائل، ومالك بن المنذر على خمس عبد القيس، والأحنف بن قيس على خمس تميم وزباد بن عمرو الأزدي على خمس الأزدي، وقيس بن الهيثم على خمس أهل العالية، وبلغ ذلك المختار، فقام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، يَا أَهْلَ الدِّينِ، وَأَعْوَانُ الْحَقِّ، وَأَنْصَارُ الضَّعِيفِ، وَشِيعَةُ الرَّسُولِ، وَآلُ الرَّسُولِ، إِنْ فَرَّارِكُمُ الَّذِينَ بَغَا عَلَيْكُمْ أَتُوا أَشْبَاهَهُمْ مِنَ الْفَاسِقِينَ فَاسْتَغْوَوْهُمْ عَلَيْكُمْ لِيَصْحَ الْحَقُّ، وَيَنْتَعِشَ الْبَاطِلُ، وَيَقْتُلَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ، وَاللَّهُ لَوْ تَهْلِكُونَ مَا عَبْدَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِالْفَرِيِّ عَلَى اللَّهِ وَاللَّعْنُ لِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ اتَّبَعُوا مَعَ أَحْمَرَ بْنِ شَمِيطٍ فَإِنَّكُمْ لَوْ قَدْ لَقِيتُمُوهُمْ لَقَدْ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَتَلَ عَادَ وَإِرمَ.

نُفِرَ أَحْمَرُ بْنُ شَمِيطٍ، فَعَسَكَرَ بِحِمَامٍ أَعْيُنَ، وَدَعَا الْمُخْتَارَ رِءُوسَ الْأَرْبَاعِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ ابْنِ الْأَشْتَرِ، فَبَعَثَهُمْ مَعَ أَحْمَرَ بْنِ شَمِيطٍ، كَمَا كَانُوا مَعَ ابْنِ الْأَشْتَرِ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا فَارَقُوا ابْنَ الْأَشْتَرِ، لِأَنَّهُمْ رَأَوْهُ كَالْمُتَهَاوِنِ بِأَمْرِ الْمُخْتَارِ، فَانْصَرَفُوا عَنْهُ، وَبَعَثَهُمُ الْمُخْتَارَ مَعَ ابْنِ شَمِيطٍ، وَبَعَثَ مَعَهُ جَيْشًا كَثِيفًا،

نُفِرَ ابْنُ شَمِيطٍ، فَبَعَثَ عَلَى مَقْدَمَتِهِ ابْنَ كَامِلِ الشَّاكِرِيِّ، وَسَارَ أَحْمَرُ بْنُ شَمِيطٍ حَتَّى وَرَدَ الْمَذَارَ، وَجَاءَ الْمَصْعَبُ حَتَّى عَسَكَرَ مِنْهُ قَرِيبًا. ثُمَّ إِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَجَى جَنْدَهُ، ثُمَّ تَزَاحَفَا، فَجَعَلَ أَحْمَرُ بْنُ شَمِيطٍ عَلَى مِيمَنَتِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَامِلِ الشَّاكِرِيِّ، وَعَلَى مِيسَرَتِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبِ بْنِ نَضْلَةَ الْجَشْمِيِّ، وَعَلَى الْخَلِيلِ رَزِينَ عَبْدُ السَّلُولِيِّ، وَعَلَى الرَّجَالَةِ كَثِيرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْكَنْدِيِّ - وَكَانَ يَوْمَ خَازَرَ مَعَ ابْنِ الْأَشْتَرِ - وَجَعَلَ كَيْسَانَ أَبَا عَمْرَةَ - وَكَانَ مَوْلَى لَعْرِيْنَةَ - عَلَى الْمَوَالِي، فَجَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبِ بْنِ أَنْسِ الْجَشْمِيِّ إِلَى ابْنِ شَمِيطٍ وَقَدْ جَعَلَهُ عَلَى مِيسَرَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: إِنْ الْمَوَالِي وَالْعَبِيدَ آلُ خُورٍ عِنْدَ الْمَصْدُوقَةِ، وَإِنْ مَعَهُمْ رَجَالًا كَثِيرًا عَلَى الْخَلِيلِ، وَأَنْتَ تَمْشِي، فَهُمْ فَلْيَنْزِلُوا مَعَكَ، فَإِنْ لَهُمْ بِكَ أَسُوءَ، فَإِنِّي أَنْخُوفُ أَنْ طُورِدُوا سَاعَهُ، وَطُوعُنَا وَضُورُبَا أَنْ يَطِيرُوا عَلَى مَتُونِهَا وَيَسْلَمُوكَ، وَإِنَّكَ إِنْ أَرْجَلْتَهُمْ لَمْ يَجِدُوا مِنَ الصَّبْرِ بَدَا، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا مِنْهُ غِشًا لِلْمَوَالِي وَالْعَبِيدِ، لَمَّا كَانُوا لَقُوا مِنْهُمْ بِالْكُوفَةِ، فَأَحْبَبَ إِنْ كَانَتْ عَلَيْهِمُ الدَّبْرَةُ أَنْ يَكُونُوا رَجَالًا لَا يَنْجُو مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَلَمْ يَتَّهَمْهُ ابْنُ شَمِيطٍ، وَظَنَّ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ نَصْحَهُ لِيَصْبِرُوا وَيُقَاتِلُوا، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمَوَالِي، انْزِلُوا مَعِيَ فَقَاتِلُوا، فَزَلُّوا مَعَهُ، ثُمَّ مَشُوا بَيْنَ يَدَيْهِ وَبَيْنَ يَدَيْ رَايَتِهِ، وَجَاءَ مَصْعَبُ بْنُ الزَّيْبَرِ وَقَدْ جَعَلَ عِبَادَ ٧٢؟ ٢٢ ابْنَ الْحَصِينِ عَلَى الْخَلِيلِ، فَجَاءَ عِبَادُ حَتَّى دَنَا مِنْ ابْنِ شَمِيطٍ وَأَصْحَابِهِ فَقَالَ:

إِنَّمَا نَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَإِلَى بَيْعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبَرِ، وَقَالَ الْآخَرُونَ: إِنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَإِلَى بَيْعَةِ الْأَمِيرِ الْمُخْتَارِ، وَإِلَى أَنْ نَجْعَلَ هَذَا الْأَمْرَ شُورَى فِي آلِ الرَّسُولِ، فَمِنْ زَعَمَ مِنَ النَّاسِ أَنْ أَحَدًا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَوَلَّى عَلَيْهِمُ

برثنا منه وجاهدناه.

فانصرف عباد إلى المصعب فأخبره، فقال له: ارجع فاحمل عليهم، فرجع فحمل على ابن شميظ وأصحابه فلم يزل منهم أحد، ثم انصرف إلى موقفه وحمل المهلب على ابن كامل، فجال أصحابه بعضهم في بعض، فنزل ابن كامل، ثم انصرف عنه المهلب، فقام مكانه، فوقفوا ساعة

ثم قال المهلب لأصحابه: كروا كرة صادقة، فإن القوم قد أطمعوكم، وذلك بجولتهم التي جالوا، فحمل عليهم حملة منكرة فولوا، وصبر ابن كامل في رجال من همدان، فأخذ المهلب يسمع شعار القوم:

أنا الغلام الشاكري، أنا الغلام الشامي، أنا الغلام الثوري، فما كان إلا ساعة حتى هزموا، وحمل عمر بن عبيد الله بن معمر على عبد الله ابن أنس، فقاتل ساعة ثم انصرف، وحمل الناس جميعا على ابن شميظ، فقاتل حتى قتل، وتنادوا: يا معشر بجيلة وخثعم، الصبر الصبر! فناداهم المهلب: الفرار الفرار! اليوم أنجي لكم، علام تقتلون أنفسكم مع هذه العبدان، أضل الله سعيكم ثم نظر إلى أصحابه فقال: والله ما أرى استحرار القتل اليوم إلا في قومي ومالت الخليل على رجالة ابن شميظ، فافترقت فانهمزمت وأخذت الصحراء، فبعث المصعب عباد بن الحصين على الخليل، فقال: أيما أسير أخذته فاضرب عنقه.

وسرح محمد بن الأشعث في خيل عظيمه أهل الكوفة ممن كان المختار طردهم، فقال: دونكم ثأركم! فكانوا حيث انهزموا أشد عليهم من أهل البصرة، لا يدركون منهزما إلا قتلوه، ولا يأخذون أسيرا فيعفون عنه قال: فلم ينبج من ذلك الجيش إلا طائفة من أصحاب الخليل، وأما رجالهم فأبيدوا إلا قليلا.

قال أبو مخنف: حدثني ابن عياش المنتوف، عن معاوية بن قرة المزني، قال: انتهيت إلى رجل منهم، فأدخلت سنان الرمح في عينه، فأخذت أخضخض عينه بسنان رمحي، فقلت له: وفعلت به هذا؟ قال:

نعم، إنهم كانوا أحل عندنا دماء من الترك والديلم، وكان معاوية بن قرة قاضيا لأهل البصرة، ففي ذلك يقول الأعشى:

الأهل اتاك والأنباء تنى ... بما لاقت بجيلة بالمدار
اتيج لهم بها ضرب طلحف ... وطعن صائب وجه النهار
كأن سخابة صعقت عليهم ... فعمتهم هنالك بالدمار
فبشر شيعة المختار إما ... مررت على الكوفة بالصغار
أقر العين صرعاهم وفل ... لهم جم يقتل بالصحاري
وما إن سرنى إهلاك قومي ... وإن كانوا وجدك في خيار
ولكني سررت بما يلاقي ... أبو إسحاق من خزي وعار

وأقبل المصعب حتى قطع من تلقاء واسط القصب، ولم تك واسط هذه بنيت حينئذ بعد، فأخذ في كسرك، ثم حمل الرجال وأثقالهم وضعفاء الناس في السفن، فأخذوا في نهريقال له: نهري خرشاذ، ثم خرجوا من ذلك النهر إلى نهريقال له قوسان، ثم أخرجهم من ذلك النهر إلى الفرات.

قال أبو مخنف: وحدثني فضيل بن خديج الكندي، إن أهل البصرة كانوا يخرجون سفنهم ويقولون:

عودنا المصعب جر القلس ... والزنبريات الطوال القعس

قال: فلها بلغ من مع المختار من تلك الأعاجم ما لقي إخوانهم مع ابن شميظ قالوا بالفارسية: أين بار دروغ كفت، يقولون: هذه المرة كذب.

قال أبو مخنف: وحدثني هشام بن عبد الرحمن الثقفي، عن عبد الرحمن بن أبي عمير الثقفي، قال: والله إني لجالس عند المختار حين أتاه هزيمة القوم وما لقوا، قال: فأصغى إلي، فقال: قتلت والله العبيد قتلة ما سمعت بمثلها قط ثم قال: وقتل ابن شميظ وابن كامل وفلان وفلان، فسمى رجالا من العرب أصيبوا، كان الرجل منهم في الحرب خيرا من فئام من الناس قال: فقلت له: فهذه والله مصيبة، فقال لي: ما من الموت بد، وما من ميتة أموتها أحب إلي من مثل ميتة ابن

شميظ، حبذا مصارع الكرام! قال: فعلمت أن الرجل قد حدث نفسه إن لم يصب حاجته أن يقاتل حتى يموت.

ولما بلغ المختار أنهم قد أقبلوا إليه في البحر، وعلى الظهر، سار حتى نزل بهم السيلحين، ونظر إلى مجتمع الأنهار نهر الحيرة ونهر السيلحين ونهر القادسية، ونهر يوسف، فسكرو الفرات على مجتمع الأنهار، فذهب ماء الفرات كله في هذه الأنهار، وبقيت سفن أهل البصرة في الطين، فلما رأوا ذلك خرجوا من السفن يمشون، وأقبلت خيلهم تركض حتى أتوا ذلك السكر، فكسروه وصمدوا صمد الكوفة، فلما رأى ذلك المختار أقبل إليهم حتى نزل حر وراء، وحال بينهم وبين الكوفة، قد كان حصن قصره والمسجد، وأدخل في قصره عدة الحصار، وجاء المصعب يسير إليه وهو بحر وراء وقد استعمل على الكوفة عبد الله ابن شداد، وخرج إليه المختار وقد جعل على ميمنته سليم بن يزيد الكندي، وجعل على ميسرته سعيد بن منقذ الهمداني ثم الثوري، وكان على شرطته يومئذ عبد الله بن قراد الخثعمي، وبعث على الخيل عمر بن عبد الله النهدي، وعلى الرجال مالك بن عمرو النهدي، وجعل مصعب على ميمنته المهلب بن أبي صفرة، وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وعلى الخيل عباد بن الحصين الحبطي، على الرجال مقاتل بن مسمع البكري، ونزل هو يمشي متنبكا قوسا له.

قال: وجعل على أهل الكوفة محمد بن الأشعث، فجاء محمد حتى نزل بين المصعب والمختار مغربا ميامنا قال: فلما رأى ذلك المختار بعث إلى كل خمس من أخماس أهل البصرة رجلا من أصحابه، فبعث إلى بكر ابن وائل سعيد بن منقذ صاحب ميسرته، وعليهم مالك بن مسمع البكري، وبعث إلى عبد القيس وعليهم مالك بن المنذر عبد الرحمن بن

شريح الشامي، وكان على بيت ماله، وبعث إلى أهل العالية وعليهم قيس ابن الهيثم السلمي عبد الله بن جعدة القرشي، ثم الخزومي، وبعث إلى الأزدي وعليهم زياد بن عمرو العتكي مسافر بن سعيد بن ثمران الناعطي، وبعث إلى بني تميم وعليهم الأحنف بن قيس سليم بن يزيد الكندي، وكان صاحب ميمنته، وبعث إلى محمد بن الأشعث السائب بن مالك الأشعري، ووقف في بقية أصحابه، وتزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض، ويحمل سعيد بن منقذ وعبد الرحمن بن شريح على بكر بن وائل، وعبد القيس، وهم في الميسرة وعليهم عمر بن عبيد الله بن معمر، فقاتلتهم ربيعة قتالا شديدا، وصبروا لهم، وأخذ سعيد بن منقذ وعبد الرحمن بن شريح لا يقلعان، إذا حمل واحد فانصرف حمل الآخر، وربما حملا جميعا، قال: فبعث المصعب إلى المهلب: ما تنتظر أن تحمل على من بإزائك! ألا ترى ما يلقي هذان الخمسان منذ اليوم! احمل بأصحابك، فقال: أي لعمرى ما كنت لأجزر الأزدي وتيما خشية أهل الكوفة حتى أرى فرصتي قال: وبعث المختار إلى عبد الله بن جعدة أن احمل على من بإزائك، فحمل على أهل العالية فكشفهم حتى انتهوا إلى المصعب، فجثا المصعب على ركبته - ولم يكن فرارا - فرمى بأسهمه.

ونزل الناس عنده فقاتلوا ساعة، ثم تحاجزوا قال: وبعث المصعب إلى المهلب وهو في خمسين جامين كثيري العدد والفرسان: لا أبا لك! ما تنتظر أن تحمل على القوم! فكث غير بعيد، ثم إنه قال لأصحابه:

قد قاتل الناس منذ اليوم وأنتم وقوف، وقد أحسنوا، وقد بقي ما عليكم، احموا واستعينوا بالله واصبروا، فحمل على من يليه حملة منكرة، فحطموا أصحاب المختار حطمة منكرة، فكشفوهم وقال عبد الله ابن عمرو النهدي - وكان من أصحاب صفين: اللهم إني على ما كنت عليه ليلة الخيبر بصفين، اللهم إني أبرأ إليك من فعل هؤلاء لأصحابه حين انهزموا، وأبرأ إليك من أنفس هؤلاء - يعني أصحاب المصعب - ثم جالد بسيفه حتى قتل، وأتى مالك بن عمرو أبو ثمران النهدي وهو

على الرجال بفرسه، وانقص أصحاب المختار انقصا شديدة كأنهم أجمعة فيها حريق، فقال مالك حين ركب: ما اصنع بالركوب! والله لان اقتل هاهنا أحب إلي من أن أقتل في بيتي، أين أهل البصائر؟ أين أهل الصبر؟ فثاب إليه نحو من خمسين رجلا، وذلك عند المساء، فكر على أصحاب محمد بن الأشعث، فقتل محمد بن الأشعث إلى جانبه هو وعامة أصحابه، فبعض الناس يقول: هو قتل محمد بن الأشعث، ووجد أبو ثمران قتيلا إلى جانبه - وكندة تزعم أن عبد الملك بن أشاء الكندي هو الذي قتله - فلما مر المختار في أصحابه على محمد بن الأشعث قتيلا قال:

يا معشر الأنصار، كروا على الثعالب الرواغة، فحملوا عليهم، فقتل، خثعم تزعم أن عبد الله بن قراد هو الذي قتله قال أبو مخنف: وسمعت عوف بن عمرو الجشمي يزعم أن مولى لهم قتله، فادعى قتله أربعة نفر، كلهم يزعم أنه قتله، وانكشف أصحاب سعيد بن منقذ،

فقاتل في عصابة من قومه نحو من سبعين رجلا فقتلوا، وقاتل سليم بن يزيد الكندي في تسعين رجلا من قومه، وغيرهم ضارب حتى قتل، وقاتل المختار على فم سكه شبت، ونزل وهو يريد الا يبرح، فقاتل عامة ليلته حتى انصرف عنه القوم، وقتل معه ليلتئذ رجال من أصحابه من أهل الحفاظ، منهم عاصم بن عبد الله الأزدي، وعياش بن خازم الهمداني، ثم الثوري، وأحمر بن هديج الهمداني ثم الفايثي.

قال أبو مخنف: حدثنا أبو الزبير أن همدان تنادوا ليلتئذ: يا معشر همدان، سيفوهم فقاتلوهم أشد القتال، فلما أن تفرقوا عن المختار قال له أصحابه: أيها الأمير، قد ذهب القوم فانصرف إلى منزلك إلى القصر، فقال المختار: أما والله ما نزلت وأنا أريد أن آتي القصر، فاما إذا انصرفوا فاركبوا بنا على اسم الله، فجاء حتى دخل القصر فقال الأعشى في قتل محمد بن الأشعث:

تأوب عينك عوارها ... وعاد لنفسك تذاكرها
واحدى لياليك راجعتها ... اركت ولوم سمارها
وما ذاق العين طعم الرقاد ... حتى تبليج إسفارها
وقام نعاة أبي قاسم ... فأسبل بالدمع تحدارها
فحق العيون على ابن الأشج ... الا يفتر تقطارها
والأ تزال تبكي له ... وتبتل بالدمع أسفارها
عليك محمد لما ثويت ... تبكي البلاد وأشجارها
وما يذكرونك إلا بكوا ... إذا ذمة خانها جارها
وعارية من ليالي الشتاء ... لا يتمنح أسارها
ولا ينح الكلب فيها العقور ... إلا الهرير وتختارها
ولا ينفع الثوب فيها الفتى ... ولا ربة الخدر تحدارها
فأنت محمد في مثلها ... مهن الجزائر نحارها
تظل جفانك موضوعة ... تسيل من الشحم أصبارها
وما في سقائك مستنطف ... إذا الشول روح أغبارها
فيا واهب الوصفاء الصباح ... ان شبرت تم إشبارها
ويا واهب الجرد مثل القداح ... قد يعجب الصف شوارها
ويا واهب البكرات الهجان ... عودا تجاوب أبكارها
وكنت كدجلة إذ ترتقي ... فيقذف في البحر تيارها
وكنت جليدا وذا مرة ... إذا يبتغي منك إمرارها
وكنت إذا بلدة أصفقت ... وأذن بالحرب جبارها
بعثت عليها ذواكي العيون ... حتى تواصل أخبارها
بإذن من الله وانخيل قد ... أعد لذلك مضمارها
وقد تطعم انخيل منك الوجيف ... حتى تنبذ أمهارها
وقد تعلم البازل العيسجور ... أنك بانخبت حसारها
فيا أسفي يوم لاقيتهم ... وخانت رجالك فرارها
واقبلت انخيل مهزومه ... عثارا تضرب أدبارها
بشط حروراء واستجمعت ... عليك الموالي وسحارها
فأخطرت نفسك من دونهم ... فخاز الرزية أخطارها

فلا تبعدن أبا قاسم ... فقد يبلغ النفس مقدارها

وأفنى الحوادث ساداتنا ... ومر الليالي وتكرارها

قال هشام: قال أبي: كان السائب أتى مع مصعب بن الزبير، فقتله ورقاء النخعي من وهيبيل، فقال ورقاء:.

من مبلغ عني عبيدا بأبني ... علوت أخاه بالحسام المهند

فإن كنت تبغي العلم عنه فإنه ... صريع لدى الديرين غير موسد

وعمدا علوت الرأس منه بصارم ... فأثكلته سفیان بعد مُحَمَّد

قَالَ هِشَامُ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي حَصِيرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ هِنْدًا بِنْتَ الْمُتَكَلِّفَةِ النَّاعِطِيَّةِ كَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهَا كُلُّ غَالٍ مِنَ الشَّيْعَةِ فَيَتَحَدَّثُ فِي بَيْتِهَا وَفِي بَيْتِ لَيْلَى بِنْتِ قَامَةَ الْمَزْنِيَّةِ، وَكَانَ أَخُوهَا رِفَاعَةُ بْنُ قَامَةَ مِنْ شَيْعَةِ عَلِيٍّ، وَكَانَ مُقْتَصِدًا، فَكَانَتْ لَا تَحْبُهُ، فَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيُّ وَيَزِيدُ بْنُ شَرَاهِيلَ قَدْ أَخْبَرَا ابْنَ الْخَنْفِيَّةِ خَبَرَ هَاتَيْنِ الْمَرَاتَيْنِ وَغُلُوهُمَا وَخَبَرَ أَبِي الْأَحْرَاسِ الْمُرَادِيَّ وَالْبَطِينِ اللَّيْثِيَّ وَأَبِي الْحَارِثِ الْكَنْدِيِّ.

قَالَ هِشَامُ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي عَيْسَى، قَالَ: فَكَانَ ابْنُ الْخَنْفِيَّةِ قَدْ كَتَبَ مَعَ يَزِيدُ بْنُ شَرَاهِيلَ إِلَى الشَّيْعَةِ بِالْكُوفَةِ يَحْذَرُهُمْ هَؤُلَاءِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ:

مِنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى مِنَ الْكُوفَةِ مِنْ شَيْعَتِنَا أَمَا بَعْدُ، فَانْخَرُجُوا إِلَى الْمَجَالِسِ وَالْمَسَاجِدِ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِلَانِيَةً وَسِرًّا وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ

بَطَانَةً، فَإِنْ خَشِيتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوا عَلَى دِينِكُمُ الْكَذَابِينَ، وَأَكْثَرُوا الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالِدُعَاءَ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ يَمْلِكُ لِأَحَدٍ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَكُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ،

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، * وَاللَّهُ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، فَاعْمَلُوا صَالِحًا، وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ حَسَنًا، وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْغَافِلِينَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ.

قال أبو مخنف: فحدثني حصيرة بن عبد الله، أن عبد الله بن نوف خرج من بيت هند بنت المتكلفة حين خرج الناس إلى حروراء وهو يقول: يوم الأربعاء، ترفعت السماء، ونزل القضاء، بهزيمة الأعداء، فانخرجوا على اسم الله إلى حروراء نفرج، فلها التقى الناس للقتال ضرب على وجهه ضربة، ورجع الناس منهزمين، ولقيه عبد الله بن شريك النهدي، وقد سمع مقالته، فقال له: ألم تزعم لنا يا بن نوف أنا سنهزمهم! قال: أو ما قرأت في كتاب الله: «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»! قال: فلما أصبح المصعب أقبل يسير بمن معه من أهل البصرة ومن خرج إليه من أهل الكوفة، فأخذ بهم نحو السبخة، فمر بالمهلب، فقال له المهلب: يا له فتحا ما أهنأه لو لم يكن مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ قَتَلَ! قال: صدقت، فرحم الله مُحَمَّدًا ثُمَّ سَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ قَالَ:

يا مهلب، قال: لبيك أيها الأمير، قال: هل علمت أن عبید الله بن علي بن أبي طالب قد قتل! قال: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»، قال: المصعب: إما أنه كان ممن أحب أن يرى هذا الفتح، ثم لا نجعل أنفسنا أحق بشيء مما نحن فيه منه، أتدري من قتله؟ قال: لا، قال: إنما قتله من يزعم أنه لأبيه شيعة، أما إنهم قد قتلوه وهم يعرفونه.

قال: ثم مضى حتى نزل السبخة فقطع عنهم الماء والمادة، وبعث عبد الرحمن بن مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ فَنَزَلَ الْكَاسَةَ، وَبَعَثَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ابْنَ مُحَمَّدٍ إِلَى جَبَانَةِ السَّبِيحِ، وَقَدْ كَانَ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ:

ما كنت صنعت فيما كنت وكلتك به؟ قال: أصلحك الله! وجدت

الناس صنفين، أما من كان له فيك هوى نفرج إليك، وأما من كان يرى رأي المختار، فلم يكن ليدعه، ولا ليؤثر أحدا عليه، فلم أبرح بيتي حتى قدمت، قال: صدقت، وبعث عباد بن الحصين إلى جبانة كندة، فكل هؤلاء كان يقطع عن المختار وأصحابه الماء والمادة، وهم في قصر المختار، وبعث زحر بن قيس إلى جبانة مراد، وبعث عبید الله بن الحر إلى جبانة الصائدين.

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: وَحَدَّثَنِي فَضِيلُ بْنُ خَدِيجٍ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ الْحَرِّ، وَإِنَّهُ لِيُطَارِدُ أَصْحَابَ خَيْلِ الْمُخْتَارِ، يُقَاتِلُهُمْ فِي جَبَانَةٍ الصَّائِدِينَ وَلِرَبِّمَا رَأَيْتُ خَيْلَهُمْ تَطْرُدُ خَيْلَهُ، وَإِنَّهُ لَوَرَاءَ خَيْلِهِ يَحْمِيهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى دَارِ عِكْرَمَةَ، ثُمَّ يَكُرُّ رَاجِعًا هُوَ وَخَيْلُهُ، فَيَطْرُدُهُمْ حَتَّى يَلْحَقَهُمْ بِجَبَانَةِ الصَّائِدِينَ، وَلِرَبِّمَا رَأَيْتُ خَيْلَ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ أَخَذَتِ السَّقَاءَ وَالسَّقَاءِينَ فَيَضْرِبُونَ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَأْتُونَهُمْ بِالْمَاءِ إِنَّهُمْ كَانُوا يَعْطُونَهُمْ بِالرَّاءِيَةِ الدِّينَارِ وَالدِّينَارِينَ لَمَّا أَصَابَهُمْ مِنَ الْجَهْدِ وَكَانَ الْمُخْتَارُ رُبَّمَا خَرَجَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَقَاتَلُوا قِتَالًا ضَعِيفًا، وَلَا نَكَايَةَ لَهُمْ، وَكَانَتْ لَا تَخْرُجُ لَهُ خَيْلٌ إِلَّا رَمَيْتُ بِالْمِجَارَةِ مِنْ فَوْقِ الْبُيُوتِ، وَيَصُبُّ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ الْقَدْرَ.

وَاجْتَرَأَ عَلَيْهِمُ النَّاسُ، فَكَانَتْ مَعَالِيَشُهُمْ أَفْضَلُهَا مِنْ نِسَائِهِمْ، فَكَانَتْ الْمَرْأَةُ تَخْرُجُ مِنْ مَنْزِلِهَا مَعَهَا الطَّعَامُ وَاللِّطْفُ وَالْمَاءُ، قَدْ التَّحَفَتْ عَلَيْهِ، فَتَخْرُجُ كَأَنَّمَا تَرِيدُ الْمَسْجِدَ الْأَعْظَمَ لِلصَّلَاةِ، وَكَأَنَّمَا تَأْتِي أَهْلَهَا وَتَزُورُ ذَاتَ قَرَابَةٍ لَهَا، فَإِذَا دَنَتْ مِنَ الْقَصْرِ فَتَحُّ لَهَا، فَدَخَلَتْ عَلَى زَوْجِهَا وَحَمِيمِهَا بِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَلُطْفِهِ وَإِنْ ذَلِكَ بَلَغَ الْمَصْعَبَ وَأَصْحَابَهُ، فَقَالَ لَهُ الْمَهْلَبُ - وَكَانَ مَجْرَبًا: اجْعَلْ عَلَيْهِمْ دُرُوبًا حَتَّى تَمْنَعَ مِنْ يَأْتِيهِمْ مِنْ أَهْلِيهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ، وَتَدْعُهُمْ فِي حَصْنِهِمْ حَتَّى يَمُوتُوا فِيهِ وَكَانَ الْقَوْمُ إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْعَطَشُ فِي قَصْرِهِمْ اسْتَقَوْا مِنْ مَاءِ الْبُئْرِ ثُمَّ أَمَرَ لَهُمُ الْمُخْتَارُ بِعَسَلِ فَصَبَّ فِيهِ لِيُغَيِّرَ طَعْمَهُ فَيَشْرَبُوا مِنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ أَيْضًا مِمَّا يَرُوي أَكْثَرُهُمْ ثُمَّ إِنْ مَصْعَبًا أَمَرَ أَصْحَابَهُ فَاقْتَرَبُوا مِنَ الْقَصْرِ، فَجَاءَ عِبَادُ بْنُ الْحَصِينِ الْحَبْطِيُّ حَتَّى نَزَلَ عِنْدَ مَسْجِدِ جَهْنَةَ، وَكَانَ رُبَّمَا تَقْدُمُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى مَسْجِدِ

بَنِي مَخْزُومٍ، وَحَتَّى يَرْمِيَ أَصْحَابَهُ مِنْ أَشْرَفِ عَلَيْهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الْمُخْتَارِ مِنَ الْقَصْرِ، وَكَانَ لَا يَلْقَى امْرَأَةً قَرِيبًا مِنَ الْقَصْرِ إِلَّا قَالَ لَهَا: مَنْ أَنْتِ؟

وَمِنْ أَيْنَ جِئْتِ؟ وَمَا تَرِيدِينَ؟ فَأَخَذَ فِي يَوْمٍ ثَلَاثَ نِسْوَةٍ لِلشَّابَمِيِّينَ وَشَاكَرَ اثْنَيْنِ أَزْوَاجَهُنَّ فِي الْقَصْرِ، فَبَعَثَ بِهِنَّ إِلَى مَصْعَبٍ، وَإِنَّ الطَّعَامَ لَمَعْنَهُ، فَرُدَّهُنَّ مَصْعَبٌ وَلَمْ يَعْرِضْ لَهُنَّ، وَبَعَثَ زَحْرَ بْنَ قَيْسٍ، فَنَزَلَ عِنْدَ الْحَدَّادِينَ حَيْثُ تَكْرَى الدَّوَابُّ، وَبَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ الْحَرِّ فَكَانَ مَوْقِفُهُ عِنْدَ دَارِ بَلَالٍ، وَبَعَثَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ فَكَانَ مَوْقِفُهُ عِنْدَ دَارِ أَبِيهِ، وَبَعَثَ حَوْشَبُ بْنُ يَزِيدَ فَوْقَ عِنْدَ زَقَاقِ الْبَصْرِيِّينَ عِنْدَ فَمِ سَكَّةَ بَنِي جَذِيمَةَ بْنِ مَالِكٍ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ، وَجَاءَ الْمَهْلَبُ يَسِيرُ حَتَّى نَزَلَ چَهَارِ سَوْجِ خَنْبَسٍ، وَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَخْنَفٍ مِنْ قَبْلِ دَارِ السَّقَايَةِ، وَابْتَدَرَ السُّوقَ أَنَاسٌ مِنْ شَبَابِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَأَهْلِ الْبَصْرَةِ، أَغْمَارُ لَيْسَ لَهُمْ عِلْمٌ بِالْحَرْبِ، فَأَخَذُوا يَصِيحُونَ - وَلَيْسَ لَهُمْ أَمِيرٌ:

يَا بَنَ دُومَةٍ، يَا بَنَ دُومَةٍ! فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمُ الْمُخْتَارُ فَقَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الَّذِي يَعْبِرُنِي بِدُومَةٍ كَانَ مِنَ الْقَرِيبَتَيْنِ عَظِيمًا مَا عَبَرُنِي بِهَا وَبَصَرَ بِهِمْ وَبَتَفَرَّقَهُمْ وَهَيَّئْتُهُمْ وَانْتَشَارَهُمْ، فَطَمَعُ فِيهِمْ، فَقَالَ لَطَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: أَخْرِجُوا مَعِيَ، نَخْرُجُ مَعَهُ مِنْهُمْ نَحْوُ مِنْ مَائَتِي رَجُلًا، فَكَّرَ عَلَيْهِمْ، فَشَدَّخَ نَحْوًا مِنْ مَائَةٍ، وَهَزَمَهُمْ، فَرَكِبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَأَخَذُوا عَلَى دَارِ فَرَاتِ بْنِ حِيَانَ الْعَجَلِيَّ ثُمَّ إِنْ رَجُلًا مِنْ بَنِي ضُبَّةَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَقَالُ لَهُ يَحْيَى بْنُ ضَمْضَمٍ، كَانَتْ رَجُلَاهُ تَكَادَانِ تَخْطَانِ الْأَرْضَ إِذَا رَكِبَ مِنْ طَوْلِهِ، وَكَانَ أَقْتَلُ شَيْءٍ لِلرَّجَالِ وَأَهْيَبُهُمْ عِنْدَهُمْ إِذَا رَأَوْهُ، فَأَخَذَ يَحْمِلُ عَلَى أَصْحَابِ الْمُخْتَارِ فَلَا يَثْبُتُ لَهُ رَجُلٌ صَمَدٌ صَمَدُهُ، وَبَصَرَ بِهِ الْمُخْتَارُ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ فَضْرَبَهُ ضَرْبَةً عَلَى جَبْهَتِهِ فَأَطَارَ جَبْهَتَهُ وَخَفَّ رَأْسُهُ، وَخَرَّ مَيِّتًا ثُمَّ إِنْ تِلْكَ الْأَمْراءُ وَتِلْكَ الرِّءُوسُ أَقْبَلُوا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَلَمْ تَكُنْ لِأَصْحَابِهِ بِهِمْ طَاقَةٌ، فَدَخَلُوا الْقَصْرَ، فَكَانُوا فِيهِ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْحَصَارُ فَقَالَ لَهُمُ الْمُخْتَارُ: وَيَحْكُمُ! إِنْ الْحَصَارُ لَا يَزِيدُكُمْ إِلَّا ضَعْفًا، انْزِلُوا بَنَاءَ فَلْنَقَاتِلْ حَتَّى نَقْتُلَ كَرَامًا إِنْ نَحْنُ قَتَلْنَا، وَاللَّهِ مَا أَنَا بِأَيَسَ إِنْ صَدَقْتُمُوهُمْ

أَنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ، فَضَعُفُوا وَعَجَزُوا، فَقَالَ لَهُمُ الْمُخْتَارُ: أَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ لَا أُعْطِي بِيَدِي وَلَا أُحْكِمُهُمْ فِي نَفْسِي وَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْدَةَ بْنَ هُبَيْرَةَ ابْنَ أَبِي وَهَبٍ مَا يَرِيدُ الْمُخْتَارُ تَدْلَى مِنَ الْقَصْرِ بِحَبْلِ، فَلَحَقَ بِأَنَاسٍ مِنْ إِخْوَانِهِ، فَاخْتَبَأَ عِنْدَهُمْ ثُمَّ إِنْ الْمُخْتَارُ أَرْمَعَ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْقَوْمِ حِينَ رَأَى مِنْ أَصْحَابِهِ الضَّعْفَ، وَرَأَى مَا بِأَصْحَابِهِ مِنَ الْفَشْلِ، فَأَرْسَلَ إِلَى امْرَأَتِهِ أُمِّ ثَابِتِ بِنْتِ سَمُرَةَ بْنِ جَنْدَبِ الْفَزَارِيِّ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ بِطَبِيبٍ كَثِيرٍ، فَاغْتَسَلَ وَنَحْنَطَ، ثُمَّ وَضَعَ ذَلِكَ الطَّبِيبُ عَلَى رَأْسِهِ وَلَحِيَّتِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فِي تِسْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا، فِيهِمُ السَّائِبُ بْنُ مَالِكِ الْأَشْعَرِيُّ - وَكَانَ خَلِيفَتُهُ عَلَى الْكُوفَةِ إِذَا خَرَجَ إِلَى الْمَدَائِنِ - وَكَانَتْ تَحْتَهُ عِمْرَةُ بِنْتُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، فَوَلَدَتْ لَهُ غَلَامًا، فَسَمَاهُ مُحَمَّدًا، فَكَانَ مَعَ أَبِيهِ فِي الْقَصْرِ، فَلَمَّا قَتَلَ أَبُوهُ وَأَخَذَ مِنْ فِي الْقَصْرِ وَجَدَ صَبِيًا فَتَرَكَ، وَلَمَّا خَرَجَ الْمُخْتَارُ مِنَ الْقَصْرِ قَالَ لِلْسَّائِبِ: مَاذَا تَرَى؟ قَالَ: الرَّأْيُ لَكَ، فَمَاذَا تَرَى؟ قَالَ: أَنَا أَرَى أُمَّ اللَّهِ يَرَى! قَالَ: اللَّهُ يَرَى، قَالَ: وَيَحْكُمُ! أَحَقُّ أَنْتَ! إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ رَأَيْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ انْتَزَى

على الحجاز، ورأيت نجدة انتزى على اليمامة، ومروان على الشام، فلم أكن دون أحد من رجال العرب، فأخذت هذه البلاد، فكنت كأحدهم، إلا أنني قد طلبت بثأر أهل بيت النبي ص إذ نامت عنه العرب، فقتلت من شرك في دمائهم، وبالغت في ذلك إلى يومي هذا، فقاتل على حسبك إن لم تكن لك نية، فقال: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»، وما كنت أصنع أن أقاتل على حسبي! فقال المختار عند ذلك يمثّل بقول غيلان بن سلمة بن معتب الثقفي:

ولو يراني أبو غيلان إذ حسرت ... عني الهموم بأمر ما له طبق
لقال رهبا ورعبا يجعلان معا ... غم الحياة وهول النفس والشفق

إما تسف على مجد ومكرمة ... أو أسوة لك فيمن تهلك الورق
نفرج في تسعة عشر رجلا فقال لهم: أتؤمنوني وأخرج إليكم؟ فقالوا:

لا، إلا على الحكم، فقال: لا أحكمكم في نفسي أبدا، فضارب بسيفه حتى قتل، وقد كان قال لأصحابه حين أبوا أن يتابعوه على الخروج معه: إذا أنا خرجت إليهم فقتلت لم تزدادوا إلا ضعفا وذلا، فإن نزلتم على حكمهم وثب أعداؤكم الذين قد وترتموهم، فقال كل رجل منهم لبعضكم: هذا عنده ثأري فيقتل، وبعضكم ينظر إلى مصارع بعض فيقولون: يا ليتنا أطعنا المختار وعملنا برأيه! ولو أنكم خرجتم معي كنتم إن أخطأتم الظفر متم كراما، وإن هرب منكم هارب فدخل في عشيرته اشتملت عليه عشيرته، أنتم غدا هذه الساعة أذل من على ظهر الأرض، فكان كما قال قال: وزعم الناس أن المختار قتل عند موضع الزياتين اليوم، قتله رجلان من بني حنيفة أخوان يدعى أحدهما طرفة والآخر طرافا، ابنا عبد الله بن دجاجة من بني حنيفة ولما كان من الغد من قتل المختار قال بجير بن عبد الله المسلي: يا قوم، قد كان صاحبكم أمس أشار عليكم بالرأي لو أطعتموه يا قوم، إنكم إن نزلتم على حكم القوم ذبحتكم كما تذبح الغنم، اخرجوا بأسيا فكم فقاتلوا حتى تموتوا كراما فعصوه وقالوا: لقد أمرنا بهذا من كان أطوع عندنا وأنصح لنا منك، فعصيناه، أفنحن نطيعك! فأمكن القوم من أنفسهم، ونزلوا على الحكم فبعث إليهم مصعب عباد بن الحصين الحبطي فكان هو يخرجهم مكتفين، وأوصى عبد الله بن شداد الجشمي إلى عباد بن الحصين، وطلب عبد الله ابن قراد عصا أو حديدة أو شيئا يقاتل به فلم يجده، وذلك أن الندامة أدركته بعد ما دخلوا عليه، فأخذوا سيفه، وأخرجوه مكتوفا، فرب به عبد الرحمن وهو يقول:

ما كنت أخشى أن أرى أسيرا ... إن الذين خالفوا الأميرا
قد رغموا وتبروا تبيرا.

فقال عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث: علي بذا، قدموه إلي أضرب عنقه، فقال له: أما إني على دين جدك الذي آمن ثم كفر، إن لم أكن ضربت أباك بسيفي حتى فاظ فنزل ثم قال: أدنوه مني، فأدنوه منه،

فقتله، فغضب عباد، فقال: قتلته ولم تؤمر بقتله! ومر بعبد الله بن شداد الجشمي وكان شريفا، فطلب عبد الرحمن إلى عباد أن يحبسه حتى يكلم فيه الأمير، فأتى مصعبا، فقال: إني أحب أن تدفع إلي عبد الله بن شداد فأقتله، فإنه من الثأر، فأمر له به، فلما جاءه أخذه فضرب عنقه، فكان عباد يقول: أما والله لو علمت أنك إنما تريد قتله لدفعته إلى غيرك فقتله، ولكني حسبت أنك تكلمه فيه فتخلي سبيله وأتي بابن عبد الله بن شداد، وإذا اسمه شداد، وهو رجل محتلم، وقد اطل بنورة، فقال: اكشفوا عنه هل أدرك! فقالوا: لا، إنما هو غلام، نفلوا سبيله، وكان الأسود بن سعيد قد طلب إلى مصعب يعرض على أخيه الأمان، فإن نزل تركه له، فأتاه فعرض عليه الأمان، فأبى أن ينزل، وقال: أموت مع أصحابي أحب إلي من حياة معكم، وكان يقال له قيس، فأخرج فقتل فيمن قتل، وقال بجير بن عبد الله المسلي - ويقال: كان مولى لهم حين أتى به مصعب ومعه منهم ناس كثير - فقال له المسلي: الحمد لله الذي ابتلانا بالإسار، وابتلاك بأن تعفو عنا، وهما منزلتان إحداهما رضا الله، والأخرى سخطه، من عفا عفا الله عنه، وزاده عزاء، ومن عاقب لم يامن القصاص يا بن الزبير، نحن أهل قبلتكم، وعلى ملتكم، ولسنا تركا ولا ديلها، فإن خالفنا إخواننا من أهل مصرنا فإما أن نكون أصبنا وأخطئوا، وإما أن نكون أخطأنا وأصابوا، فاقتلنا كما اقتتل أهل الشام بينهم، فقد اختلفوا واقتتلوا ثم اجتمعوا، وكما اقتتل أهل

البصرة بينهم فقد اختلفوا واقتتلوا ثم اصطالحوا واجتمعوا، وقد ملكتم فأصبحوا، وقد قدرتم فاعفوا فما زال بهذا القول ونحوه حتى رق لهم الناس، ورق لهم مصعب، وأراد أن يخلي سبيلهم، فقام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال: تخلي سبيلهم! اخترنا يا بن الزبير أو اخترهم ووثب محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني

فقال: قتل ابني وخمسائة من همدان وأشراف العشيرة وأهل المصر ثم تخلي سبيلهم، ودماؤنا ترقق في أجوافهم! اخترنا أو اخترهم ووثب كل قوم وأهل بيت كان أصيب منهم رجل فقالوا نحوا من هذا القول.

فلما رأى مصعب بن الزبير ذلك امر بقتلهم، فنادوه باجمعهم: يا بن الزبير، لا تقتلنا، اجعلنا مقدمتك إلى أهل الشام غدا، فوالله ما بك ولا بأصحابك عنا غدا غنى، إذا لقيتم عدوكم فإن قتلنا لم نقتل حتى نرقيم لكم، وإن ظفرنا بهم كان ذلك لك ولمن معك فأبى عليهم وتبع رضا العامة، فقال بجير المسي: إن حاجتي إليك الا اقتل مع هؤلاء القوم إني أمرتهم أن يخرجوا بأسيا فها هم فيقاتلون حتى يموتوا كراما فعصوني، فقدم فقتل.

قال أبو مخنف: وحدثني أبي، قال: حدثني أبو روق أن مسافر بن سعيد بن ثمران قال لمصعب بن الزبير: يا بن الزبير، ما تقول لله إذا قدمت عليه وقد قتلت أمة من المسلمين صبرا! حكموك في دماهم، فكان الحق في دماهم الا تقتل نفسا مسلمة بغير نفس مسلمة، فإن كنا قتلنا عدة رجال منكم فاقتلوا عدة من قتلنا منكم، وخلوا سبيل بقيتنا، وفيما الآن رجال كثير لم يشهدوا موطننا من حربنا وحربكم يوما واحدا، كانوا في الجبال والسواد يجيئون الخراج، ويؤمنون السبيل، فلم يستمع له، فقال: قبح الله قوما أمرتهم أن يخرجوا ليلا على حرس سكة من هذه السكك فنطردهم، ثم نلحق بعشائنا، فعصوني حتى حملوني على أن أعطيت التي هي أنقص وأدنى وأوضع، وأبوا أن يموتوا إلا ميتة العبيد، فانا اسالك الا تخلط دمي بدماهم فقدم فقتل ناحية.

ثم إن المصعب أمر بكف المختار فقطعت ثم سمرت بمسمار حديد إلى جنب المسجد، فلم يزل على ذلك حتى قدم الحجاج بن يوسف، فنظر إليها فقال: ما هذه؟ قالوا: كف المختار، فأمر بنزعها وبعث مصعب عماله على الجبال والسواد، ثم إنه كتب إلى ابن الأشتر يدعوه إلى طاعته، ويقول له: إن أنت أجبتني ودخلت في طاعتي فلك الشام وأعنة الخيل، وما غلبت عليه من أرض المغرب ما دام لآل الزبير سلطان وكتب عبد الملك بن مروان من الشام إليه يدعوه إلى طاعته، ويقول: إن أنت أجبتني ودخلت في طاعتي فلك العراق فدعا إبراهيم أصحابه فقال: ما ترون؟ فقال بعضهم:

تدخل في طاعة عبد الملك، وقال بعضهم: تدخل مع ابن الزبير في طاعته، فقال ابن الأشتر: ذاك لو لم أكن أصبت عبيد الله بن زياد ولا رؤساء أهل الشام تبعت عبد الملك، مع أنني لا أحب أن أختار على أهل مصري مصر، ولا على عشيرتي عشيرة فكتب إلى مصعب، فكتب إليه مصعب أن أقبل، فأقبل إليه بالطاعة.

قال أبو مخنف: حدثني أبو جناب الكلبي أن كتاب مصعب قدم على ابن الأشتر وفيه:

أما بعد، فإن الله قد قتل المختار الكذاب وشيعته الذين دانوا بالكفر، وكادوا بالسحر، وإننا ندعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه، وإلى بيعة أمير المؤمنين، فإن أجبت إلى ذلك فأقبل إلي، فإن لك أرض الجزيرة وأرض المغرب كلها ما بقيت وبقي سلطان آل الزبير، لك بذلك عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ الله على النبيين من عهد أو عقد، والسلام.

وكتب إليه عبد الملك بن مروان:

أما بعد، فإن آل الزبير انتزوا على أئمة الهدى، ونازعوا الأمر أهلهم، وألحدوا في بيت الله الحرام والله ممكن منهم، وجاعل دائرة السوء عليهم، وإننا ادعوك إلى الله وإلى سنة نبيه، فإن قبلت وأجبت فلك سلطان العراق ما بقيت وبقيت، علي بالوفاء بذلك عهد الله وميثاقه. قال: فدعا أصحابه فأقرأهم الكتاب، واستشارهم في الرأي، فقائل

يقول عبد الملك، وقائل يقول: ابن الزبير، فقال لهم: ورأيي اتباع أهل الشام، ولكن كيف لي بذلك، وليس قبيلة تسكن الشام إلا وقد وترتها، ولست بتارك عشيرتي وأهل مصري! فأقبل إلى مصعب، فلما بلغ مصعبا إقباله بعث المهلب إلى عمله، وهي السنة التي نزل فيها المهلب على الفرات.

قال أبو مخنف: حدثني أبو علقمة الخثعمي أن المصعب بعث إلى أم ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار وإلى عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري- وهي امرأة المختار- فقال لهما: ما تقولان في المختار؟ فقالت أم ثابت: ما عسينا أن نقول! ما نقول فيه إلا ما تقولون فيه أنتم، فقالوا لها: اذهبي، وأما عمرة فقالت: رحمة الله عليه، إنه كان عبدا من عباد الله الصالحين، فرفعها مصعب إلى السجن، وكتب فيها إلى عبد الله بن الزبير أنها تزعم أنه نبي، فكتب إليه أن أخرجها فاقتلها.

فأخرجها بين الحيرة والكوفة بعد العتمة، فضربها مطر ثلاث ضربات بالسيف- ومطر تابع لآل قتل من بني تيم الله بن ثعلبة، كان يكون مع الشرط- فقالت: يا أبتاه، يا أهلاه، يا عشيرتاه! فسمع بها بعض الأنصار، وهو أبان بن النعمان بن بشير، فأتاه فطمه وقال له: يا بن الزانية، قطعت نفسها قطع الله يمينك! فلزمه حتى رفعه إلى مصعب، فقال:

إن أُمي مسلمة، وادعى شهادة بني قتل، فلم يشهد له أحد، فقال مصعب: خلوا سبيل الفتى فإنه رأى أمرا فظيعا، فقال عمر بن أبي ربيعة القرشي في قتل مصعب عمرة بنت النعمان بن بشير:

إن من أعجب العجائب عندي ... قتل بيضاء حرة عطبول

قتلت هكذا على غير جرم ... إن الله درها من قتيل

كتب القتل والقتال علينا ... وعلى المحصنات جر الذبول

قال أبو مخنف: حدثني محمد بن يوسف، أن مصعبا لقي عبد الله بن

عمر فسلم عليه، وقال له: أنا ابن أخيك مصعب، فقال له ابن عمر:

نعم، أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة! عش ما استطعت! فقال مصعب: إنهم كانوا كفرة سحرة، فقال ابن عمر:

والله لو قتلت عدتهم غنما من تراث أبيك لكان ذلك سرفا، فقال سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ فِي ذَلِكَ:

أتى راكب بالأمر ذي النبل العجب ... بقتل ابنة النعمان ذي الدين والحسب

بقتل فتاة ذات دل ستيرة ... مهذبة الأخلاق والخيم والنسب

مطهرة من نسل قوم أكارم ... من المؤثرين الخير في سالف الحقب

خليل النبي المصطفى ونصيره ... وصاحبه في الحرب والنكب والكرب

أتاني بأن الملحدين توافقوا ... على قتلها لاجنبوا القتل والسلب

فلا هنأت آل الزبير معيشة ... وذاقوا لباس الذل والخوف والحرب

كأنهم إذ أبرزوها وقطعت ... بأسيا فهم فازوا بمملكة العرب

ألم تعجب الأقوام من قتل حرة ... من المحصنات الدين محمودة الأدب

من الغافلات المؤمنات، بريئة ... من الذم والبهتان والشك والكذب

علينا كآب القتل والبأس واجب ... وهن العفاف في المجال وفي الحجب

على دين أجداد لها وأبوة ... كرام مضت لم تخز أهلا ولم ترب

من الخفريات لا خروج بذي ... ملائمه تبغي على جارها الجنب

ولا الجار ذي القربى ولم تدر ما انلنا ... ولم تزدلف يوما بسوء ولم تحب

عجبت لها إذ كفتت وهي حية ... ألا إن هذا الخطب من أعجب العجب

حدثت عن علي بن حرب الموصلي، قال: حدثني إبراهيم بن سُلَيْمَانَ الحنفي، ابن أخي أبي الأحوص، قال: حدثنا محمد بن أبان، عن

علقمة بن مرثد، عن سويد بن غفلة، قال: بينا أنا أسير بظهر النجف إذ لحقني رجل فطعنني بخصرة من خلفي، فالتفت إليه، فقال:

ما قولك في الشيخ؟ قلت: أي الشيخ؟ قال: علي بن أبي طالب، قلت: إني أشهد أني أحبه بسمعي وبصري وقلبي ولساني، قال: وأنا

أشهدك أني أبغضه بسمعي وبصري وقلبي ولساني فسرنا حتى دخلنا الكوفة، فافترقنا، فكث بعد ذلك سنين- أو قال: زمانا- قال:

ثم إني لفي المسجد الأعظم إذ دخل رجل معتم يتصفح وجوه الخلق، فلم يزل ينظر فلم ير لحى أحق من لحى همدان، فجلس إليهم، فتحوت فجلست معهم، فقالوا: من أين أقبلت؟ قال: من عند أهل بيت نبيكم، قالوا:

فإذا جئنا به؟ قال: ليس هذا موضع ذلك، فوعدهم من الغد موعداً، فغدا وغدوت، فإذا قد أخرج كتاباً معه في أسفله طابع من رصاص، فدفعه إلى غلام، فقال له: يا غلام، اقرأه- وكان أمياً لا يكتب- فقال الغلام: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب المختار بن أبي عبيد كتبه له وصي آل محمد، أما بعد فكذا وكذا فاستفرغ القوم البكاء، فقال: يا غلام، ارفع كتابك حتى يفيق القوم، قلت: معاشر همدان، أنا أشهد بالله لقد أدركني هذا بظهر النجف، فقصصت عليهم قصته، فقالوا: أبيت والله إلا تثبيطاً عن آل محمد، وتزيينا لنعل شقاق المصاحف قال: قلت:

معاشر همدان، لا أحدثكم إلا ما سمعته أذناي، ووعاه قلبي من علي بن أبي طالب ع، سمعته يقول: [لا تسموا عثمان شقاق المصاحف، فوالله ما شققها إلا عن ملائنا أصحاب محمد، ولو وليتها لعملت فيها مثل الذي عمل،] قالوا: الله أنت سمعت هذا من علي؟ قلت:

والله لأنا سمعته منه، قال: فتفرقوا عنه، فعند ذلك مال إلى العبيد، واستعان بهم، وصنع ما صنع قال أبو جعفر: واقتصص الواقدي من خبر المختار بن أبي عبيد بعض ما ذكرنا، نخالف فيه من ذكرنا خبره، فزعم أن المختار إنما أظهر الخلاف لابن الزبير عند قدوم مصعب البصرة، وأن مصعباً لما

سار إليه فبلغه مسيره إليه بعث إليه امرئ بن شميظ البجلي، وأمره أن يوقعه بالمذار، وقال: إن الفتح بالمذار، قال: وإنما قال ذلك المختار لأنه قيل: إن رجلاً من ثقيف يفتح عليه بالمذار فتح عظيم، فظن أنه هو، وإنما كان ذلك للحجاج بن يوسف في قتله عبد الرحمن بن الأشعث وأمر مصعب صاحب مقدمته عباد الحبطي أن يسير إلى جمع المختار فتقدم وتقدم معه عبيد الله بن علي بن أبي طالب، ونزل مصعب، نهر البصريين على شط الفرات، وحفر هنالك نهراً فسمي نهر البصريين من أجل ذلك قال: وخرج المختار في عشرين ألفاً حتى وقف بإزائهم وزحف مصعب ومن معه، فوافوه مع الليل على تعبئة، فأرسل إلى أصحابه حين أمسى: لا يبرحن أحد منكم موقفه حتى يسمع منادياً ينادي: يا محمد، فإذا سمعتموه فاحملوا فقال رجل من القوم من أصحاب المختار: هذا والله كذا.

على الله، وانحاز ومن معه إلى المصعب، فأهل المختار حتى إذا طلع القمر أمر منادياً، فنادى: يا محمد، ثم حملوا على مصعب وأصحابه فهزموهم، فأدخلوه عسكره، فلم يزالوا يقتلونهم حتى أصبحوا وأصبح المختار وليس عنده أحد، وإذا أصحابه قد غلوا في أصحاب مصعب، فانصرف المختار منهزماً حتى دخل قصر الكوفة، فجاء أصحاب المختار حين أصبحوا، فوقفوا ملياً، فلم يروا المختار، فقالوا: قد قتل، فهرب منهم من أطاق الهرب، واختفوا في دور الكوفة، وتوجه منهم نحو القصر ثمانية آلاف لم يجدوا من يقاتل بهم، ووجدوا المختار في القصر، فدخلوا معه، وكان أصحاب المختار، قتلوا في تلك الليلة من أصحاب مصعب بشراً كثيراً، فيهم محمد بن الأشعث، وأقبل مصعب حين أصبح حتى أحاط بالقصر، فأقام مصعب يحاصره أربعة أشهر يخرج إليهم في كل يوم فيقاتلهم في سوق الكوفة من وجه واحد، ولا يقدر عليه حتى قتل المختار، فلما قتل المختار بعث من في القصر يطلب الأمان، فأبى مصعب حتى نزلوا على حكمه، فلما نزلوا على حكمه قتل من العرب سبعمائة أو نحو ذلك، وسأئهم

من العجم، قال: فلما خرجوا أراد مصعب أن يقتل العجم ويترك العرب، فكله من معه، فقالوا: أي دين هذا؟ وكيف ترجو النصر وأنت تقتل العجم وتترك العرب ودينهم واحداً! فقد هم فضرب أعناقهم قال أبو جعفر: وحديثي عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: لما قتل المختار شاور مصعب أصحابه في المحصورين الذين نزلوا على حكمه، فقال عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ومحمد بن عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس وأشباههم ممن وترهم المختار: اقتلهم، وضجت ضبة، وقالوا: دم منذر بن حسان، فقال عبيد الله بن الحر: أيها الأمير، ادفع كل رجل في يدك إلى عشيرته تمن عليهم بهم، فإنهم إن كانوا قتلونا فقد قتلناهم، ولا غنى بنا عنهم في ثغورنا، وادفع عبيدنا الذين في يدك إلى مواليهم فإنهم لأيتامنا وأراملنا وضعفائنا، يردونهم إلى أعمالهم، واقتل هؤلاء الموالي، فإنهم قد بدا كفرهم، وعظم كبرهم، وقل شكرهم.

فضحك مصعب وقال للأحنف: ما ترى يا أبا بحر؟ قال: قد أرادني زياد فعصيته- يعرض بهم- فأمر مصعب بالقوم جميعا فقتلوا، وكانوا ستة آلاف، فقال عقبة الأسدي:

قتلتم ستة الآلاف صبرا ... مع العهد الموثق مكتفينا
جعلتم ذمة الحبطي جسرا ... ذلولا ظهره للواطئنا

وما كانوا غداة دعوا فغروا ... بعهدهم بأول خائننا

وكنتم أمرتهم لو طاعوني ... بضرب في الأزقة مصلتنا

وقتل المختار- فيما قيل - وهو ابن سبع وستين سنة، لأربع عشرة خلت من شهر رمضان في سنة سبع وستين فلما فرغ مصعب من أمر المختار وأصحابه، وصار إليه ابراهيم ابن الأشتر وجه المهلب بن أبي صفرة على الموصل والجزيرة وآذربيجان وأرمينية واقام بالكوفة

٦٠٢٣ خبر عزل عبد الله بن الزبير أخاه المصعب

خبر عزل عبد الله بن الزبير أخاه المصعب

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير عن البصرة، وبعث إليه بابنه حمزة بن عبد الله إليها، فاختلف في سبب عزله إياه عنها، وكيف كان الأمر في ذلك فقال بعضهم في ذلك ما حَدَّثَنِي بِهِ عمر، قال: حَدَّثَنِي علي بن مُحَمَّدٍ قال: لم يزل المصعب على البصرة حتى سار منها إلى المختار، واستخلف على البصرة عبيد الله بن معمر، فقتل المختار، ثم وفد إلى عبد الله بن الزبير فعزله وحبسه عنده، واعتذر إليه من عزله، وقال: والله إني لأعلم أنك أخرى وأكفى من حمزة، ولكني رأيت فيه رأي عثمان في عبد الله بن عامر حين عزل أبا موسى الأشعري وولاه وحدثني عمر، قال: حَدَّثَنِي علي بن مُحَمَّدٍ، قال: قدم حمزة البصرة واليا، وكان جوادا سخيا مخلطا، يجود أحيانا حتى لا يدع شيئا يملكه، ويمنع أحيانا ما لا يمنع مثله، فظهرت منه بالبصرة خفة وضعف، فيقال: إنه ركب يوما إلى فيض البصرة، فلما رآه قال: إن هذا الغدير إن رفقوا به ليكفينهم صيفهم، فلما كان بعد ذلك ركب إليه فوافقه جازرا، فقال: قد رأيت هذا ذات يوم، وظننت أن لن يكفينهم، فقال له الأحنف: إن هذا ماء يأتينا ثم يغيب عنا وشخص إلى الأهواز، فلما رأى جبلها قال: هذا قيعقان- لموضع بمكة- فسمي الجبل قيعقان، وبعث إلى مرد انشاه فاستحثه بالخراج، فأبطأ به، فقام إليه بسيفه فضربه فقتله، فقال الأحنف: ما أحد سيف الأمير! حَدَّثَنِي عمر، قال: حَدَّثَنِي علي بن مُحَمَّدٍ، قال: لما خلط حمزة بالبصرة وظهر منه ما ظهر، وهم بعد العزيز بن بشر أن يضربه، كتب الأحنف إلى ابن الزبير بذلك، وسأله أن يعيد مصعبا قال:

وحمزة الذي عقد لعبد الله بن عمير الليثي على قتال النجدية بالبحرين

حَدَّثَنِي عمر، قال: حَدَّثَنَا علي بن مُحَمَّدٍ، قال: لما عزل ابن الزبير حمزة احتمل مالا كثيرا من مال البصرة، فعرض له مالك بن مسمع، فقال: لا ندعك تخرج باعطيائنا فضمن له عبيد الله بن عبيد بن معمر العطاء، فكف، وشخص حمزة بالمال، فترك أباه وأتى المدينة، فأودع ذلك المال رجالا، فذهبوا به إلا يهوديا كان أودعه فوفى له، وعلم ابن الزبير بما صنع، فقال: أبعد الله! أردت أن أباهي به بني مروان فنكص وأما هشام بن مُحَمَّدٍ فإنه ذكر عن أبي مخنف في أمر مصعب وعزل أخيه إياه عن البصرة ورده إياه إليها غير هذه القصة، والذي ذكر من ذلك عنه في سياق خبر حدثت به عنه، عن أبي المخارق الراسبي، أن مصعبا لما ظهر على الكوفة أقام بها سنة معزولا عن البصرة، عزله عنها عبد الله، وبعث ابنه حمزة، فمكث بذلك سنة، ثم إنه وفد على أخيه عبد الله بمكة، فردّه على البصرة وقيل: إن مصعبا لما فرغ من أمر المختار انصرف إلى البصرة وولى الكوفة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة قال: وقال مُحَمَّد بن عمر: لما قتل مصعب المختار ملك الكوفة والبصرة وجج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عامله على الكوفة مصعب، وقد ذكرت اختلاف أهل السير في العامل على البصرة وكان على قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة بن مسعود، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة، وبالشام عبد الملك بن مروان وكان على خراسان عبد الله بن خازم السلمي

٦٠٣ سنة ثمان وستين.

٦٠٣.١ ذكر الخبر عن رجوع الأزارقة من فارس إلى العراق

ثم دخلت

سنة ثمان وستين.

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأمور الجليلة) فمن ذلك ما كان من رد عبد الله أخاه مصعبا إلى العراق أميرا، وقد ذكرنا السبب في رد عبد الله أخاه مصعبا إلى العراق أميرا بعد عزله إياه، ولما رده عليها أميرا بعث مصعب الحارث بن أبي ربيعة على الكوفة أميرا، وذلك أنه بدأ بالبصرة مرجعه إلى العراق أميرا بعد العزل، فصار إليها.

ذكر الخبر عن رجوع الأزارقة من فارس إلى العراق

وفي هذه السنة كان مرجع الأزارقة من فارس إلى العراق حتى صاروا إلى قرب الكوفة، ودخلوا المدائن.

ذكر الخبر عن أمرهم ومسيرهم ومرجعهم إلى العراق:

ذكر هشام، عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو المخارق الراسبي، أن مصعبا وجه عمر بن عبيد الله بن معمر على فارس أميرا، وكانت الأزارقة لحقت بفارس وكرمان ونواحي أصبهان بعد ما أوقع بهم المهلب بالأهواز، فلما شتخص المهلب عن ذلك الوجه ووجه إلى الموصل ونواحيها عاملا عليها، وعمر بن عبيد الله بن معمر على فارس، انخطت الأزارقة مع الزبير بن الماحوز على عمر بن عبيد الله بفارس، فلقبهم بسابور، فقاتلهم قتالا شديدا، ثم إنه ظفر بهم ظفرا بينا، غير أنه لم يكن بينهم كثير قتلى، وذهبوا كأنهم على حامية، وقد تركوا على ذلك المعركة.

قال أبو مخنف: فحدثني شيخ لي بالبصرة، قال: إني لأسمع قراءة كتاب عمر بن عبيد الله:

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإني اخبر الأمير اصلحه الله ابى لقيت الأزارقة التي مرقت من الدين واتبعت أهواءها بغير هدى من الله، فقاتلتهم بالمسلمين ساعة من النهار أشد القتال ثم إن الله ضرب وجوههم وأدبارهم، ومنحنا أكتافهم، فقتل الله منهم من خاب وخسر، وكل إلى خسران فكتبت إلى الأمير كتابي هذا وأنا على ظهر فرسي في طلب القوم، أرجو أن يجدهم الله إن شاء الله، والسلام. ثم إنه تبعهم ومضوا من فورهم ذلك حتى نزلوا إصطخر، فسار إليهم حتى لقيهم على قطرة طمستان، فقاتلهم قتالا شديدا، وقتل ابنه. ثم إنه ظفر بهم، فقطعوا قطرة طمستان، وارتفعوا إلى نحو من أصبهان وكرمان، فأقاموا بها حتى اجتبروا وقوا، واستعدوا وكثروا، ثم أقبلوا حتى مروا بفارس وبها عمر بن عبيد الله بن معمر، فقطعوا أرضه من غير الوجه الذي كان فيه أخذوا على سابور، ثم خرجوا على أرجان، فلما رأى عمر بن عبيد الله أن قد قطعت الخوارج أرضه متوجهه إلى البصرة خشي ألا يحتملها له مصعب بن الزبير، فشمري في آثارهم مسرعا حتى أتى أرجان، فوجدهم حين خرجوا منها متوجهين قبل الأهواز، وبلغ مصعبا إقبالهم، فخرج فعسكر بالناس بالجسر الأكبر، وقال: والله ما أدري ما الذي أغنى عني أن وضعت عمر بن عبيد الله بفارس، وجعلت معه جندا أجري عليهم أرزاقهم في كل شهر، وأوفيتهم أعطياتهم في كل سنة، وأمر لهم من المعاون في كل سنة بمثل الأعطيات، تقطع أرضه الخوارج إلي! وقد قطعت علقته فأمددته بالرجال وقويتهم، والله لو قاتلهم ثم فر كان أعذر له عندي، وإن كان الفار غير مقبول العذر، ولا كريم الفعل.

وأقبلت الخوارج وعليهم الزبير بن الماحوز حتى نزلوا الأهواز، فأنتهم عيونهم أن عمر بن عبيد الله في أثرهم، وأن مصعب بن الزبير قد خرج من البصرة إليهم، فقام فيهم الزبير فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن

من سوء الرأي والحيرة وقوعكم فيما بين هاتين الشوكتين، وانهضوا بنا إلى عدونا نلقهم من وجه واحد فسار بهم حتى قطع بهم أرض جوخي، ثم أخذ على النهر وانات، ثم لزم شاطئ دجلة حتى خرج على المدائن وبها كردم بن مرثد بن نجبة الفزاري، فشنوا الغارة على أهل المدائن، يقتلون الولدان والنساء والرجال، ويقررون الحبلى، وهرب كردم، فأقبلوا إلى ساباط فوضعوا أسيافهم في الناس، فقتلوا أم ولد لربيعة ابن ماجد، وقتلوا بنانة ابنة أبي يزيد بن عاصم الأزدي، وكانت قد قرأت القرآن، وكانت من أجمل الناس، فلما غشوها بالسيف قالت:

ويحكم! هل سمعتم بأن الرجال كانوا يقتلون النساء! ويحكم! تقتلون من لا يبسط إليكم يدا، ولا يريد بكم ضرا، ولا يملك لنفسه نفعا! أقتلون من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين! فقال بعضهم: اقتلوه، وقال رجل منهم: لو أنكم تركتموها! فقال بعضهم: أعجبك جمالها يا عدو الله! قد كفرت وافتتنت، فانصرف الآخر عنهم وتركهم، فظننا أنه فارقه، وحملوا عليها فقتلوه، فقالت ريطة بنت يزيد: سبحان الله! أترون الله يرضى بما تصنعون! تقتلون النساء والصبيان ومن لم يذنب إليكم ذنبا! ثم انصرفت وحملوا عليها وبين يديها الرواع بنت إياس بن شريح الهمداني، وهي ابنة أخيها لأمها، فحملوا عليها فضربوها على رأسها، بالسيف، ويصيب ذباب السيف رأس الرواع فسقطتا جميعا إلى الأرض، وقتلهم إياس بن شريح ساعة، ثم صرع فوق بين القتلى، فزغوا عنه وهم يرون أنهم قد قتلوه، وصرع منهم رجل من بكر ابن وائل يقال له رزين بن المتوكل.

فلما انصرفوا عنهم لم يمت غير بنانة بنت ابى يزيد، وأم ولد ربيعة ابن ناجد، وأفاق سائرهم، فسقى بعضهم بعضا من الماء، وعصبوا جراحاتهم ثم استأجروا دواب، ثم أقبلوا نحو الكوفة.

قال أبو مخنف: فحدثني الرواع ابنة إياس، قالت: ما رأيت

رجلا قط كان أجبن من رجل كان معنا وكانت معه ابنته، فلما غشنا ألقاها إلينا وهرب عنها وعنا ولا رأينا رجلا قط كان أكرم من رجل كان معنا، ما نعرفه ولا يعرفنا، لما غشنا قاتل دوننا حتى صرع بيننا، وهو رزين بن المتوكل البكري وكان بعد ذلك يزورنا ويواصلنا ثم إنه هلك في إمارة الحجاج، فكانت ورثته الأعراب، وكان من العباد الصالحين.

قال هشام بن محمد- وذكره عن أبي مخنف- قال: حدثني أبي، عن عمه أن مصعب بن الزبير كان بعث أبا بكر بن مخنف على إستان العال، فلما قدم الحارث بن أبي ربيعة أقصاه، ثم أقره بعد ذلك على عمله السنة الثانية، فلما قدمت الخوارج المدائن سرحوا إليه عصابة منهم، عليها صالح بن مخراق، فلقية بالكرخ فقاتله ساعة، ثم تنازلا فنزل أبو بكر ونزلت الخوارج، فقتل أبو بكر ويسار مولاه وعبد الرحمن بن أبي جعال، ورجل من قومه، وانهزم سائر أصحابه، فقال سراقة بن مرداس البارقي في بطن من الأزد:

ألا يا لقومي للهموم الطوارق ... وللحدث الجائي بإحدى الصفائق

ومقتل غطريف كريم نجاره ... من المقدمين الذائدين الأصادق

أتاني دوين الخليف قتل ابن مخنف ... وقد غورت أولى النجوم الخوافق

فقلت: تلقاك الإله برحمة ... وصلى عليك الله رب المشارق

لحا الله قوما عردوا عنك بكرة ... ولم يصبروا للامعات البوارق

تولوا فأجلوا بالضحي عن زعيمنا ... وسيدنا في المأزق المتضايق

فأنت متى ما جئتنا في بيوتنا ... سمعت عويلا من عوان وعاتق

يبكين محمود الضريبة ماجدا ... صبورا لدى الهيحاء عند الحقائق

لقد أصبحت نفسي لذلك حزينة ... وشابت لما حملت منه مفارقي

قال أبو مخنف: فحدثني حذرة بن عبد الله الأزدي، والنضر ابن صالح العبسي، وفضيل بن خديج، كلهم أخبرني أن الحارث بن ابى ربيعة الملقب بالقباع أتاه أهل الكوفة، فصاحوا إليه وقالوا له:

اخرج فإن هذا عدو لنا قد أظلم علينا ليست له بقية، فخرج وهو يكد كذا حتى نزل النخيلة فأقام بها أياما، فوثب إليه إبراهيم بن الأشتر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإنه سار إلينا عدو ليست له تقية، يقتل الرجل والمرأة والمولود، ويخيف السبيل، ويخرب البلاد، فانقض بنا إليه، فأمر بالرحيل فخرج فنزل دير عبد الرحمن، فأقام فيه حتى دخل إليه شبت بن ربيعي، فكلمه بنحو مما كلمه به ابن الأشتر، فارتحل ولم يكد، فلما رأى الناس بطء سيره رجزوا به فقالوا:

سار بنا القباع سيرا نكرا ... يسير يوما ويقيم شهرا

فأشخصوه من ذلك المكان، فكلما نزل بهم منزلا أقام بهم حتى يضج الناس به من ذلك، ويصيحوه به حول فسطاطه، فلم يبلغ الصراة إلا في بضعة عشر يوما، فأتى الصراة وقد انتهى إليها طلائع العدو وأوائل الخيول، فلما أتتهم العيون بأنه قد أتاهم جماعة أهل المصر

قطعوا الجسر بينهم وبين الناس، وأخذ الناس يرتجزون:

إن القبايع سار سيرا ملسا بين ديبري ودباها نحسا قَالَ أَبُو مخنف: وَحَدَّثَنِي يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، أن رجلا من السبيع كان به لم، وكان بقرية يقال لها جوبر عند الخراة،

وكان يدعى سماك بن يزيد، فأنت الخوارج قريته فأخذوه وأخذوا ابنته، فقدموا ابنته فقتلوها، وزعم لي أبو الربيع السلولي أن اسم ابنته أم يزيد، وأنها كانت تقول لهم: يا أهل الإسلام، إن أبي مصاب فلا تقتلوه، وأما أنا فإنما أنا جارية، والله ما أتيت فاحشة قط، ولا أذيت جارة لي قط، ولا تطلعت ولا تشرفت قط فقدموها ليقتلوها، فأخذت تنادي: ما ذنبي ما ذنبي! ثم سقطت مغشيا عليها أو ميتة، ثم قطعوها، بأسيا فهم قال أبو الربيع: حدثني بهذا الحديث ظئر لها نصرانية من أهل الخورنق كانت معها حين قتلت.

قَالَ أَبُو مخنف: حَدَّثَنِي يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، أن الأزارقة جاءت بسماك بن يزيد معهم حتى أشرفوا على الصراة قال: فاستقبل عسكرنا، فرأى جماعة الناس وكثرتهم، فأخذ ينادينا ويرفع صوته: اعبروا إليهم فإنهم فل خبيث، فضربوا عند ذلك عنقه وصلبوه ونحن ننظر إليه قال: فلما كان الليل عبرت إليه وأنا رجل من الحي.

فأنزلناه فدفناه قال أبو مخنف: حدثني أبي أن إبراهيم بن الأشر قال للحارث بن أبي ربيعة: اندب معي الناس حتى أعب إلى هؤلاء الأكلب، فأجيتك برءوسهم الساعة، فقال شبت بن ربي وأسماء بن خارجة ويزيد ابن الحارث ومحمد بن الحارث ومحمد بن عمير: أصلح الله الأمير! دعهم فليذهبوا، لا تبدأهم، قال: وكأنهم حسدوا إبراهيم ابن الأشر.

قَالَ أَبُو مخنف: وَحَدَّثَنِي حصيرة بن عبد الله وأبو زهير العبسي أن الأزارقة لما انتهوا إلى جسر الصراة فرأوا أن جماعة أهل المصر قد خرجوا إليهم قطعوا الجسر، واغتم ذلك الحارث، فتحبس ثم إنه جلس للناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن أول القتال الرمية بالنبل، ثم أشراع الرماح، ثم الطعن بها شزرا، ثم السلة آخر ذلك كله

قال: فقام إليه رجل فقال، قد أحسن الأمير أصلحه الله الصفة، ولكن حتام نصنع هذا وهذا البحر بيننا وبين عدونا! مر بهذا الجسر فليعد كما كان، ثم اعب بنا إليهم، فإن الله سيريك فيهم ما تحبه، فأمر بالجسر فأعيد، ثم عبر الناس إليهم فطاروا حتى انتهوا إلى المدائن، وجاء المسلمون حتى انتهوا إلى المدائن، وجاءت خيل لهم فطاردت خيلا للمسلمين طردا ضعيفا عند الجسر ثم إنهم خرجوا منها فأتبعهم الحارث بن أبي ربيعة عبد الرحمن بن مخنف في ستة آلاف ليخرجهم من أرض الكوفة، فإذا وقعوا في أرض البصرة خلاهم فأتبعهم حتى إذا خرجوا من أرض الكوفة ووقعوا إلى أصبهان انصرف عنهم ولم يقاتلهم، ولم يكن بينه وبينهم قتال، ومضوا حتى نزلوا بعتاب بن ورقاء بحى، فأقاموا عليه وحاصروه، فخرج إليهم فقاتلهم فلم يقطعهم، وشدوا على أصحابه حتى دخلوا المدينة، وكانت أصبهان يومئذ طعمة لإسماعيل بن طلحة من مصعب بن الزبير، فبعث عليها عتابا، فصبر لهم عتاب، وأخذ يخرج إليهم في كل أيام فيقاتلهم على باب المدينة، ويرمون من السور بالنبل والنشاب والحجارة، وكان مع عتاب رجل من حضرموت يقال له أبو هريرة بن شريح، فكان يخرج مع عتاب، وكان شجاعا، فكان يحمل عليهم ويقول:

كيف ترون يا كلاب النار شد أبي هريرة الهرايركم بالليل والنهار يا بن أبي الماحوز والأشرار كيف ترى جي على المضمار. فلما طال ذلك على الخوارج من قوله كمن له رجل من الخوارج يظنون أنه عبدة بن هلال، فخرج ذات يوم فصنع كما كان يصنع، ويقول كما كان يقول، إذ حمل عليه عبدة بن هلال فضربه بالسيف ضربة على جبل عاتقه فصرعه، وحمل أصحابه عليه فاحتملوه فأدخلوه

وداوه، وأخذت الأزارقة بعد ذلك تناديهم يقولون: يا أعداء الله، ما فعل أبو هريرة الهراير؟ فينادونهم: يا أعداء الله، والله ما عليه من بأس، ولم يلبث أبو هريرة أن برئ، ثم خرج عليهم بعد، فأخذوا يقولون:

يا عدو الله، أما والله لقد رجونا أن نكون قد أزرناك أمك، فقال لهم: يا فساد، ما ذكركم أعي! فأخذوا يقولون: إنه ليغضب لأمه، وهو آتيا عاجلا فقال له أصحابه: ويحك! إنما يعنون النار، ففطن فقال: يا أعداء الله، ما أعقكم بأكم حين تنتفون منها! إنما تلك أمكم، وإليها

مصيركم.

ثم إن الخوارج أقامت عليهم أشهراً حتى هلك كراعهم، ونفذت أطعمتهم، واشتد عليهم الحصار، وأصابهم الجهد الشديد، فدعاهم عتاب بن ورقاء فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإنه قد أصابكم من الجهد ما قد ترون، فوالله إن بقي إلا أن يموت أحدكم على فراشه فيجيء أخوه فيدفنه إن استطاع، وبالحري أن يضعف عن ذلك، ثم يموت هو فلا يجد من يدفنه، ولا يصلي عليه، فاتقوا الله، فوالله ما أنتم بالقليل الذين تهون شوكتهم على عدوهم، وإن فيكم لفرسان أهل مصر، وإنكم لصلحاء من أنتم منه! اخرجوا بنا إلى هؤلاء القوم وبكم حياه وقوه قبل الا يستطيع رجل منكم أن يمشي إلى عدوه من الجهد، وقبل الا يستطيع رجل أن يمتنع من امرأة لو جاءتة، فقاتل رجل عن نفسه وصبر وصدق، فوالله اني لأرجو ان صدقتموه أن يظفركم الله بهم، وأن يظهركم عليهم فناداه الناس من كل جانب: وفقت وأصبت، اخرج بنا إليهم، فجمع إليه الناس من الليل، فأمر لهم بعشاء كثير، فعشي الناس عنده، ثم إنه خرج بهم حين أصبح على راياتهم، فصبحهم في عسكرهم وهم آمنون من أن يؤتوا في عسكرهم، فشدوا عليهم في جانبه، فضاربوهم فاخلوا عن وجه العسكر حتى انتهوا إلى الزبير بن الماحوز، فنزل في عصابة من أصحابه فقاتل حتى قتل، وانحازت الأزارقة إلى قطري، فبايعوه، وجاء عتاب حتى دخل مدينته، وقد أصاب من عسكرهم ما شاء، وجاء قطري في أثره كأنه يريد أن يقاتله، فجاء حتى نزل في عسكر الزبير بن الماحوز، فترجم الخوارج أن عينا لقطري جاءه فقال: سمعت عتاباً يقول: إن هؤلاء القوم إن ركبوا بنات شحاج، وقادوا بنات صهال، ونزلوا اليوم أرضاً وغداً أخرى، فبالحري أن يبقوا، فلما بلغ ذلك قطرياً خرج فذهب وخلاهم.

قال أبو مخنف: قال أبو زهير العبسي وكان معهم: خرجنا إلى قطري من الغد مشاة مصلتين بالسيوف، قال: فارتحلوا والله فكان آخر العهد بهم قال: ثم ذهب قطري حتى أتى ناحية كرمان فأقام بها حتى اجتمعت إليه جموع كثيرة، وأكل الأرض واجتبي المال وقوي، ثم أقبل حتى أخذ في أرض أصبهان ثم إنه خرج من شعب ناشط إلى إيذج، فأقام بأرض الأهواز والحارث بن أبي ربيعة عامل المصعب بن الزبير على البصرة، فكتب إلى مصعب يخبره أن الخوارج قد تحدرت إلى الأهواز، وأنه ليس لهم إلا المهلب، فبعث إلى المهلب وهو على الموصل والجزيرة.

فأمره بقتال الخوارج والمسير إليهم، وبعث إلى عمله إبراهيم بن الأشتر، وجاء المهلب حتى قدم البصرة، وانتخب الناس، وسار بمن أحب، ثم توجه نحو الخوارج، وأقبلوا إليه حتى التقوا بسولاف، فاقتتلوا بها ثمانية أشهر أشد قتال رآه الناس، لا ينقع بعضهم لبعض. من الطعن والضرب ما يصد بعضهم عن بعض قال أبو جعفر: وفي هذه السنة كان القحط الشديد بالشام حتى لم يقدر من شدته على الغزو.

وفيهما عسكر عبد الملك بن مروان ببطنان حبيب من أرض قنسرين، ففطروا بها، فكثرت الوحل فسموها بطنان الطين، وشتا بها عبد الملك، ثم انصرف منها إلى دمشق.

وفيهما قتل عبيد الله بن الحر

٦٠٣٠٢ ذكر الخبر عن مقتل عبد الله بن الحر

ذكر الخبر عن مقتل عبد الله بن الحر
ذكر الخبر عن مقتله والسبب الذي جر ذلك عليه:

روى أحمد بن زهير، عن علي بن محمد، عن علي بن مجاهد، أن عبيد الله بن الحر كان رجلاً من خيار قومه صلاحاً وفضلاً، وصلاة واجتهاداً، فلما قتل عثمان وهاج الهيج بين علي ومعاوية، قال: أما إن الله ليعلم أني أحب عثمان، ولأنصرنه ميتاً نخرج إلى الشام، فكان مع معاوية، وخرج مالك بن مسمع إلى معاوية على مثل ذلك الرأي في العثمانية، فأقام عبيد الله عند معاوية، وشهد معه صفين، ولم يزل معه حتى قتل علي ع، فلما قتل علي قدم الكوفة فأتى إخوانه ومن قد خف في الفتنة، فقال لهم: يا هؤلاء، ما أرى أحداً ينفعه اعتزاله، كما بالشام، فكان من أمر معاوية كيت وكيت فقال له القوم: وكان من أمر علي كيت وكيت، فقال: يا هؤلاء، إن تمكنا

الأشياء فاخلعوا عذرکم، واملکوا أمرکم، قالوا: سنلتقي، فكانوا يلتقون على ذلك فلما مات معاوية هاج ذلك الهيج في فتنة ابن الزبير، قال: ما أرى قريشاً تنصف، أين أبناء الحرائر! فأتاه خلیع کل قبيلة، فكان معه سبعمائة فارس، فقالوا: مرنا بأمرک، فلما هرب عبيد الله بن زياد ومات يزيد بن معاوية، قال عبيد الله بن الحر لفتيانہ: قد بین الصبح لذي عينين، فإذا شتم! نخرج إلى المدائن فلم يدع مالا قدم من الجبل للسلطان إلا أخذه، فأخذ منه عطاءه وأعطية أصحابه، ثم قال: إن لکم شركاء بالكوفة في هذا المال قد استوجبوه، ولكن تعجلوا عطاء قابل سلفا، ثم كتب لصاحب المال براءة بما قبض من المال، ثم جعل يتقصى الكور على مثل ذلك قال: قلت: فهل كان يتناول أموال الناس والتجار؟ قال لي: إنك لغير عالم بأبي الأشرس، والله ما كان في الأرض

عربي غير عن حرة ولا أكف عن قبيح وعن شراب منه، ولكن إنما وضعه عند الناس شعره، وهو من أشعر الفتيان فلم يزل على ذلك من الأمر حتى ظهر المختار، وبلغه ما يصنع بالسواد، فأمر بامرأته أم سلمة الجعفية فحبست، وقال: والله لأقتلنه أو لأقتلن أصحابه، فلما بلغ ذلك عبيد الله بن الحر أقبل في فتیانہ حتى دخل الكوفة ليلاً، فكسر باب السجن، وأخرج امرأته وكل امرأة ورجل كان فيه، فبعث إليه المختار من يقاتله، فقاتلهم حتى خرج من المصر، فقال حين أخرج امرأته من السجن:

ألم تعلمي يا أم توبة أنني ... أنا الفارس الحامي حقائق مدحج
وأني صبحت السجن في سوره الضحى ... بكل فتى حامي الذمار مدحج
فما إن برحن السجن حتى بدا لنا ... جبين كقرن الشمس غير مشنج
وخذ أسيل عن فتاه حيه ... إلينا سقاها كل دان مشجج
فما العيش إلا أن أزورك آمنا ... كعادتنا من قبل حربي ومخرجي
وما أنت إلا همة النفس والهوى ... عليك السلام من خليط مسحج
وما زلت محبوباً لحبسك واجماً ... وإني بما تلقين من بعده شج
فبالله هل أبصرت مثلي فارساً ... وقد ولجوا في السجن من كل موج!
ومثلي يحامي دون مثلك إنني ... أشد إذا ما غمرة لم تفرج
أضاربهم بالسيف عنك لترجي ... إلى الأمن والعيش الرفيع المخرج
إذا ما أحاطوا بي كررت عليهم ... ككر أبي شبلين في الخليس محرج
دعوت إلي الشاكري ابن كامل ... فولى حثيثاً ركضه لم يعرج
وإن هتفوا باسمي عطفتم عليهم ... خيول كرام الضرب أكثرها الوجي
فلا غرو إلا قول سلمى ظعني: ... اما أنت يا بن الحر بالمتخرج!
دع القوم لا تقتلهم وإنج سالماً ... وشمر هداك الله بالخيول فخرج
وإني لأرجو يا ابنة الخير أن أرى ... على خير أحوال المؤمل فارتجي
ألا حبذا قولي لأحمر طيء ... ولا بن خبيب قد دنا الصبح فادج
وقولي لهذا سر وقولي لذا ارتحل ... وقولي لذا من بعد ذلك اسرج

وجعل يعث بعمال المختار وأصحابه، ووثبت همدان مع المختار فأحرقوا داره، وانتهبوا ضيعته بالجبة والبداء، فلما بلغه ذلك سار إلى ماه إلى ضياع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس، فأنهبها وأنهب ما كان لهمدان بها، ثم أقبل إلى السواد فلم يدع مالا لهمداني إلا أخذه، ففي ذلك يقول:

وما ترك الكذاب من جل مالنا ... ولا الزرق من همدان غير شريد
أني الحق أن ينهب ضياعي شاكر ... وتأمين عندي ضيعة ابن سعيد!
ألم تعلمي يا أم توبة أنني ... على حدثان الدهر غير بليد
أشد حيازيمي لكل كريمة ... وإني على ما ناب جد جليد

فإن لم أصبح شاكرًا بكتيبة ... فعالجت بالكفين غل حديد
هم هدموا داري وقادوا حليلتي ... إلى سجنهم والمسلمون شهودي
وهم أعجلوها أن تشد نحرها ... فيا عجا هل الزمان مقيدي!
فما أنا بـابن الحر إن لم أرعهم ... بخيل تعادى بالكماة أسود
وما جنت خيلي ولكن حملتها ... على جحفل ذي عدة وعديد
وهي طويلة قال: وكان يأتي المدائن فيمر بعمال جوحى فيأخذ ما معهم من الأموال، ثم يميل إلى الجبل، فلم يزل على ذلك حتى قتل
المختار، فلما قتل المختار قال الناس لمصعب في ولايته الثانية: إن ابن الحر شاق ابن زياد والمختار، ولا نأمنه أن يثب بالسواد كما كان
يفعل، فحبسه مصعب فقال ابن الحر:
من مبلغ الفتیان أن أخاهم ... أتى دونه باب شديد وحاجبه
بمنزلة ما كان يرضى بمثلها ... إذا قام عنته كبول تجاوبه
على الساق فوق الكعب أسود صامت ... شديد يداني خطوه ويقاربه
وما كان ذا من عظم جرم جنيته ... ولكن سعى الساعي بما هو كاذبه
وقد كان في الأرض العريضة مسلك ... وأي امرئ ضاقت عليه مذاهبه!
وفي الدهر والأيام للمرء عبرة ... وفيما مضى إن ناب يوما نوابه
فكلم عبيد الله قوما من مذحج أن يأتوا مصعبا في أمره، وأرسل إلى وجوهم، فقال: ائتوا مصعبا فكلوه في أمري ذاته، فإنه حبسني
على غير جرم، سعى بي قوم كذبة وخوفوه ما لم أكن لأفعله، وما لم يكن من شأني وأرسل إلى فتیان من مذحج وقال: البسوا السلاح،
وخذوا عدة القتال، فقد أرسلت قوما إلى مصعب يكلمونه في أمري، فأقيموا بالباب، فإن خرج القوم وقد شفّعهم فلا تعرضوا لأحد،
وليكن سلاحكم مكفرا بالثياب، فجاء قوم من مذحج فدخلوا على مصعب فكلوه، فشفّعهم، فأطلقه وكان ابن الحر قال لأصحابه: إن
خرجوا ولم يشفّعهم فكابروا السجن فإني أعينكم من داخل، فلما خرج ابن الحر قال لهم: أظهروا السلاح، فأظهروه، ومضى لم يعرض
له أحد، فأتى منزله، وندم مصعب على إخراجها، فأظهر ابن الحر الخلاف، وأتاه الناس يهتئون، فقال:
هذا الأمر لا يصلح إلا لمثل خلفائكم الماضين، وما نرى لهم فينا ندا ولا شيئا فنلقي إليه أزمنا، ونحضره نصيحتنا، فإن كان إنما هو من
عزب، فعلام: نعقد لهم في أعناقنا بيعة، وليسوا بأشجع منا لقاء، ولا اعظم منا غناء! [وقد عهد إلينا رسول الله ص:
ألا طاعة لمخلوق في معصية الخالق،] وما رأينا بعد الأربعة الماضين إماما صالحا، ولا وزيرا تقيًا، كلهم عاص مخالف، قوي الدنيا،
ضعيف
الآخرة، فعلا م تستحل حرمتنا، ونحن أصحاب النخيلة والقادسية وجلولاء ونهاوند! نلقى الأسنة بخورنا والسيوف بجباهنا، ثم لا يعرف
لنا حقنا وفضلنا، فقاتلوا عن حريمكم، فأى الأمر ما كان فلكم فيه الفضل، وإني قد قلبت ظهر المجن، وأظهرت لهم العداوة، ولا قوة
إلا بالله وحاربهم فأغار فأرسل إليه مصعب سيف بن هانئ المرادي، فقال له: إن مصعبا يعطيك خراج بادوريا على أن تباع وتدخل
في طاعته، قال: أوليس لي خراج بادوريا وغيرها! لست قابلا شيئا، ولا آمنهم على شيء، ولكني أراك يا فتى - وسيف يومئذ حدث -
حدثا، فهل لك أن تبعني وأمولك! فأبى عليه، فقال ابن الحر حين خرج من الحبس:
لا كوفة أُمي ولا بصرة أبي ... ولا أنا يثني عن الرحلة الكسل
- قال أبو الحسن: يروي هذا البيت لسحيم بن وثيل الرياحي -
فلا تحسبني ابن الزبير كعاس ... إذا حل أغفى أو يقال له ارتحل
فإن لم أزرك الخيل تردي عوابسا ... بفرسانها لا أدع بالحازم البطل
وإن لم تر الغارات من كل جانب ... عليك فتندم عاجلا أيها الرجل
فلا وضعت عندي حصان قناعها ... ولا عشت إلا بالأمان والعلل

وهي طويلة.

فبعث إليه مصعب الأبرد بن قرة الرياحي في نفر، فقاتله فهزمه ابن الحر، وضربه ضربة على وجهه، فبعث إليه مصعب حريث ابن زيد- أويزيد- فبارزه، فقتله عبيد الله بن الحر، فبعث إليه مصعب الحجاج بن جاريه الخثعمي ومسلم بن عمرو، فلقياه بنهر صرصر، فقاتلهم فهزمهم، فأرسل إليه مصعب قوما يدعونه إلى أن يؤمنه ويصله، ويؤليه أي بلد شاء، فلم يقبل، وأتى نرسى ففر دهقانها ظيز جشنس بمال الفلوجة، فتنعه ابن الحر حتى مر بعين التمر وعليها بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني، فتعوز بهم الدهقان، فخرجوا إليه فقاتلوه- وكانت خيل بسطام خمسين ومائة فارس- فقال يونس بن

هاعان الهمداني من خيوان، ودعاه ابن الحر إلى المبارزة: شر دهر آخره، ما كنت أحسبني أعيش حتى يدعوني إنسان إلى المبارزة! فبارزه فضربه ابن الحر ضربة أثنته، ثم اعتنقا نفرا جميعا عن فرسيهما، وأخذ ابن الحر عمامة يونس وكتفه بها ثم ركب، ووافاهم الحجاج بن حارثة الخثعمي، فحمل عليه الحجاج فأسره أيضا عبيد الله، وبارز بسطام بن مصقلة المجشر، فاضطربا حتى كره كل واحد منهما صاحبه، وعلاه بسطام، فلما رأى ذلك ابن الحر حمل على بسطام واعتنقه بسطام، فسقطا إلى الأرض، وسقط ابن الحر على صدر بسطام فأسره، وأسر يومئذ ناسا كثيرا، فكان الرجل يقول: أنا صاحبك يوم كذا، ويقول الآخر: أنا نازل فيكم، ويمت كل واحد منهم بما يرى إنه ينفعه، فيخلي سبيله، وبعث فوارس من أصحابه عليهم دلهم المرادي يطلبون الدهقان، فأصابوه، فأخذوا المال قبل القتال، فقال ابن الحر:

لو أن لي مثل جرير أربعه ... صبحت بيت المال حتى أجمعه
ولم يهليني مصعب ومن معه ... نعم الفتى ذلكم ابن مشجعه

ثم إن عبيد الله أتى تكريت، فهرب عامل المهلب عن تكريت، فأقام عبيد الله يجبي الخراج، فوجه إليه مصعب الأبرد بن قرة الرياحي والجون بن كعب الهمداني في ألف، وأمدهما المهلب بيزيد بن المغفل في خمسمائة، فقال رجل من جعفي لعبيد الله: قد أتاك عدد كثير، فلا تقاتلهم، فقال:

يخوفني بالقتل قومي وإنما ... أموت إذا جاء الكتاب المؤجل
لعل القنا تدني بأطرافها الغنى ... فتحيا كراما أو نكر فنقتل

فقال للمجشر ودفع إليه رايته، وقدم معه دلهما المرادي، فقاتلهم يومين وهو في ثلاثمائة، فخرج جرير بن كريب، وقتل عمرو بن جندب الأزدي وفرسان كثير من فرسانه، وتحاجزوا عند المساء،

وخرج عبيد الله من تكريت فقال لأصحابه: اني سائر بكم الى عبد الملك ابن مروان، فتهيئوا، وقال: إني أخاف أن أفارق الحياة ولم أذعر مصعبا وأصحابه، فارجعوا بنا إلى الكوفة قال: فسار إلى كسكر فنفي عاملها، وأخذ بيت ما لها، ثم أتى الكوفة فنزل لحام جرير، فبعث إليه مصعب عمر بن عبيد الله بن معمر، فقاتله، فخرج إلى دير الأعور، فبعث إليه مصعب حجار بن أبجر، فانهزم حجار، فشتمه مصعب وردده، وضم إليه الجون بن كعب الهمداني وعمر بن عبيد الله بن معمر، فقاتلوه بأجمعهم، وكثرت الجراحات في أصحاب ابن الحر وعقرت خيولهم، وجرح المجشر، وكان معه لواء ابن الحر، فدفعه إلى أحمر طيء، فانهزم حجار بن أبجر ثم كره، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى أمسوا، فقال ابن الحر:

لو أن لي مثل الفتى المجشر ... ثلاثة بيتهم لا أمتري

ساعدني ليلة دير الأعور ... بالطنن والضرب وعند المعبر
لطاح فيها عمر بن معمر.

وخرج ابن الحر من الكوفة، فكتب مصعب إلى يزيد بن الحارث بن رؤيم الشيباني- وهو بالمدائن- يأمره بقتال ابن الحر، فقدم ابنه حوشبا فلقه بباجسري، فهزمه عبيد الله وقتل فيهم، وأقبل ابن الحر فدخل المدائن، فتحصنوا، فخرج عبيد الله فوجه إليه الجون بن كعب الهمداني وبشر بن عبد الله الأسدي، فنزل الجون حولايا، وقدم بشر إلى تامرا فلقى ابن الحر، فقتله ابن الحر، وهزم أصحابه، ثم لقي الجون بن كعب بحولايا، فخرج إليه عبد الرحمن بن عبد الله، فحمل عليه ابن الحر فطعنه فقتله وهزم أصحابه، وتبعهم، فخرج إليه

بشير بن عبد الرحمن بن بشير العجلي، فالتقوا بسورا فاقتتلوا قتالا شديدا، فأنحاز بشير عنه، فرجع إلى عمله، وقال: قد هزمت ابن الحر، فبلغ قوله مصعبا، فقال: هذا من الذين يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا وأقام عبيد الله في السواد يغير ويحجي الخراج، فقال ابن الحر في ذلك:

سلوا ابن رؤيم عن جلادي وموقفي ... بإيوان كسرى لا أوليهم ظهري
أكر عليهم معلما وتراهم ... كمعزى تحنى خشية الذئب بالصخر
وبيتهم في حصن كسرى بن هرمز ... بمشحوذة بيض وخطية سمر
فاجزيتهم طعنا وضربا تراهم ... يلوذون منا موهنا بذرا القصر
يلوذون متى رهبة ومخافة ... لوذا كما لا ذ الحمايم من صقر

ثم إن عبيد الله بن الحر- فيما ذكر- لحق بعبد الملك بن مروان، فلما صار إليه وجهه في عشرة نفر نحو الكوفة، وأمره بالمسير نحوها حتى تلحقه الجنود، فسار بهم، فلما بلغ الأنبار وجهه إلى الكوفة من يخبر أصحابه بقدومه، ويسألهم أن يخرجوا إليه، فبلغ ذلك القيسية، فأتوا الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة عامل ابن الزبير على الكوفة، فسأله أن يبعث معهم جيشا، فوجه معهم، فلما لقوا عبيد الله قاتلهم ساعة، ثم غرقت فرسه، وركب معبرا فوثب عليه رجل من الأنباط فأخذ بعضديه وضربه الباقون بالمرادي، وصاحوا: إن هذا طلبة أمير المؤمنين، فاعتنقا فغرقا، ثم استخرجوه فجزوا رأسه، فبعثوا به إلى الكوفة ثم إلى البصرة.

قال أبو جعفر: وقد قيل في مقتله غير ذلك من القول، قيل: كان سبب مقتل عبيد الله ابن الحر أنه كان يغشى بالكوفة مصعبا، فرآه يقدم عليه أهل البصرة، فكتب إلى عبد الله بن الزبير- فيما ذكر- قصيدة يعاتب بها مصعبا ويخوفه مسيره إلى عبد الملك بن مروان، يقول فيها:

ابغ أمير المؤمنين رسالة ... فلست على رأي قبيح أواربه
أني الحق أن أجنى ويجعل مصعب ... وزيريه من قد كنت فيه أحاربه!
فكيف وقد أبلتكم حق بيعتي ... وحقي يلوى عندكم واطالبه
وابليتكم مالا يضيّع مثله ... وآسيتكم والأمر صعب مراتبه
فلما استنار الملك وانقادت العدا ... وأدرك من مال العراق رغائبه
جفا مصعب عني ولو كان غيره ... لأصبح فيما بيننا لا أعاتبه
لقد رابني من مصعب أن مصعبا ... أرى كل ذي غش لنا هو صاحبه
وما أنا إن حلا تموني بوارد ... على كدر قد غص بالصفو شاربه
وما لا مرى إلا الذي الله سائق ... إليه وما قد خط في الزبر كاتبه
إذا قت عند الباب أدخل مسلم ... ويمعني أن أدخل الباب حاجبه
وهي طويلة.

وقال لمصعب وهو في حبسه، وكان قد حبس معه عطية بن عمرو البكري، فخرج عطية، فقال عبيد الله:

أقول له صبرا عطى فإنما ... هو السجن حتى يجعل الله مخرجا
أرى الدهر لي يومين يوما مطردا ... شريدا ويوما في الملوك متوجا
أتطعن في ديني غداة أتيتكم ... وللدين تدنى الباهلي وحشرجا!
ألم تر أن الملك قد شين وجهه ... ونبع بلاد الله قد صار عويجا!
وهي طويلة.

وقال أيضا يعاتب مصعبا في ذلك، ويذكر له تقريره سويد ابن منجوف، وكان سويد خفيف اللحية:
بأي بلاء أم بأية نعمة ... تقدم قبلي مسلم والمهلب

ويدعى ابن منجوف أمامي كأنه ... خصي أتى للماء والعير يسرب
 وشيخ تميم كالثغامه رأسه ... وعيلان عنا خائف مترقب
 جعلت قصور الأزد ما بين منبج ... إلى الغاف من وادي عمان تصوب
 بلاد نفى عنها العدو سيوفنا ... وصفره عنها نازح الدار أجنب
 وقال قصيدة يهجو فيها قيس عيلان، يقول فيها:
 أنا ابن بني قيس فإن كنت سائلا ... بقيس تجدهم ذروة في القبائل
 ألم تر قيسا قيس عيلان برقعت ... لحاها وباعت نبلها بالمغازل!
 وما زلت أرجو الأزد حتى رأيتها ... تقصر عن بنيانها المتطاول
 فكتب زفر بن الحارث إلى مصعب: قد كفيتك قتال ابن الزرقاء وابن الحريهجو قيسا ثم إن نفرا من بني سليم أخذوا ابن الحر فأسروه،
 فقال: إني إنما قلت:

ألم تر قيسا قيس عيلان أقبلت ... إلينا وسارت بالقنا والقنابل
 فقتله رجل منهم يقال له عياش فقال زفر بن الحارث:
 لما رأيت الناس أولاد علة ... وأغرق فينا نزغة كل قائل
 تكلم عنا مشينا بسيوفنا ... إلى الموت واستنشاط جبل المراكل
 فلو يسأل ابن الحر أخبر أنها ... يمانية لا تشتري بالمغازل
 وأخبر أنا ذات علم سيوفنا ... بأعناق ما بين الطلى والكواهل
 وقال عبد الله بن همام:

ترنمت يا بن الحر وحدك خاليا ... بقول امرئ نشوان أو قول ساقط
 أتذكر قوما أوجعتك رماحهم ... وذبوا عن الأحساب عند المآقط
 وتبكي لما لاقت ربيعة منهم ... وما أنت في أحساب بكر بواسط!
 فهلا بجعني طلبت ذحولها ... ورهطك دنيا في السنين الفوارط!
 تركناهم يوم الثري أذلة يلودون ... من أسيافنا بالعراطف
 وخالطكم يوم النخيل بجمعه ... عمير فما استبشرتم بالخالط
 ويوم شراحيل جدعنا أنوفكم ... وليس علينا يوم ذاك بقاسط
 ضربنا بحد السيف مفرق رأسه ... وكان حديثا عهده بالمواشط
 فإن رغمت من ذاك أنف مذجج ... فرغما وسخطا للأنوف السواخط

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة وافت عرفات أربعة ألوية، قال محمد بن عمر: حدثني شربيل بن أبي عون، عن أبيه، قال: وقفت في
 سنة ثمان وستين بعرفات أربعة ألوية: ابن الحنفية في أصحابه في لواء قام عند جبل المشاة، وابن الزبير في لواء، فقام مقام الإمام اليوم،
 ثم تقدم ابن الحنفية بأصحابه حتى وقفوا حذاء ابن الزبير، ونجدة الحروري خلفهما، ولواء بني أمية عن يسارهما، فكان أول لواء انفض
 لواء محمد ابن الحنفية، ثم تبعه نجدة، ثم لواء بني أمية، ثم لواء ابن الزبير، واتبعه الناس.

قال محمد: حدثني ابن نافع، عن أبيه، قال: كان ابن عمر لم يدفع تلك العشية إلا بدفعه ابن الزبير، فلما أبطأ ابن الزبير وقد مضى ابن
 الحنفية ونجدة وبني أمية - قال ابن عمر: ينتظر ابن الزبير أمر الجاهلية - ثم دفع، فدفع ابن الزبير على أثره.

قال محمد: حدثني هشام بن عمار، عن سعيد بن محمد بن جبير، عن أبيه، قال: خفت الفتنة، فشيت إليهم جميعا، فجئت محمد بن علي
 في الشعب، فقلت: يا أبا القاسم، اتق الله فإننا في مشعر حرام، وبلد حرام، والناس وفد الله إلى هذا البيت، فلا تفسد عليهم حجهم،

فقال: والله ما أريد ذلك، وما أحول بين أحد وبين هذا البيت، ولا يؤتى أحد من الحاج من قبلي، ولكني رجل أدفع عن نفسي من ابن الزبير، وما يروم مني، وما أطلب هذا الأمر إلا لا يختلف علي فيه اثنان! ولكن ات ابن الزبير فكله، وعليك بنجدة، قال محمد: جئت ابن الزبير فكلته بنحو ما كلمت به ابن الحنفية، فقال:

أنا رجل قد اجتمع علي الناس وبايعوني، وهؤلاء أهل خلاف، فقلت:

أرى خيرا لك الكف، قال: أفعل، ثم جئت نجدة الحروري فأجده في أصحابه، وأجد عكرمة غلام ابن عباس عنده، فقلت له: استأذن لي على صاحبك، قال: فدخل، فلم ينشب أن أذن لي، فدخلت فعظمت عليه، وكلمته كما كلمت الرجلين، فقال: اما ان ابتدى أحدا بقتال فلا، ولكن من بدأ بقتال قاتلته، قلت: فإني رأيت الرجلين لا يريدان قتالك، ثم جئت شيعة بني أمية فكلتهم بنحو ما كلمت به القوم، فقالوا: نحن على الا نقاتل أحدا إلا أن يقاتلنا، فلم أر في تلك الأولوية قوما أسكن ولا أسلم دفعة من ابن الحنفية. قال أبو جعفر: وكان العامل لابن الزبير في هذه السنة على المدينة جابر ابن الأسود بن عوف الزهري، وعلى البصرة والكوفة أخوه مصعب، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة، وعلى قضاء الكوفة عبد الله بن عقبة بن مسعود، وعلى خراسان عبد الله بن خازم السلمي، وبالشام عبد الملك ابن مروان.

٦٠٤ سنه تسع وستين

٦٠٤٠١ ذكر خبر قتل عبد الملك سعيد بن عمرو

ثم دخلت

سنه تسع وستين

ذكر خبر قتل عبد الملك سعيد بن عمرو

ففيها كان خروج عبد الملك بن مروان- فيما زعم الواقدي- إلى عين وردة، واستخلف عمرو بن سعيد بن العاص على دمشق فتحصن بها، فبلغ ذلك عبد الملك، فرجع إلى دمشق، فحاصره- قال: ويقال:

خرج معه- فلما كان ببطنان حبيب، رجع إلى دمشق فتحصن فيها، ورجع عبد الملك إلى دمشق.

وأما عوانة بن الحكم فإنه قال- فيما ذكر هشام بن محمد عنه: - إن عبد الملك بن مروان لما رجع من بطنان حبيب إلى دمشق مكث بدمشق ما شاء الله، ثم سار يريد قرقيسيا، وفيها زفر بن الحارث الكلابي ومعه عمرو بن سعيد، حتى إذا كان ببطنان حبيب فتك عمرو بن سعيد، فرجع ليلا ومعه حميد بن حريث بن بحدل الكلبي وزهير بن الأبرد الكلبي، حتى أتى دمشق وعليها عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفي قد استخلفه عبد الملك، فلما بلغه رجوع عمرو ابن سعيد هرب وترك عمله، ودخلها عمرو فغلب عليها وعلى خزائنها.

وقال غيرهما: كانت هذه القصة في سنة سبعين وقال: كان مسير عبد الملك من دمشق نحو العراق يريد مصعب بن الزبير، فقال له عمرو بن سعيد بن العاص: إنك تخرج إلى العراق، وقد كان أبوك وعدني هذا الأمر من بعده، وعلى ذلك جاهدت معه، وقد كان من بلائي معه ما لم يخف عليك، فاجعل لي هذا الأمر من بعدك، فلم يجبه عبد الملك إلى شيء، فانصرف عنه عمرو راجعا إلى دمشق، فرجع عبد الملك في أثره حتى انتهى إلى دمشق

رجع الحديث إلى حديث هشام، عن عوانة، قال: ولما غلب عمرو على دمشق طلب عبد الرحمن بن أم الحكم فلم يصبه، فأمر بداره فهدمت واجتمع الناس، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، إنه لم يبق أحد من قريش قبلي على هذا المنبر إلا زعم أن له جنة ونارا، يدخل الجنة من أطاعه، والنار من عصاه، وإني أخبركم أن الجنة والنار بيد الله، وإنه ليس إلي من ذلك شيء، غير أن لكم علي حسن المؤاساة والعطية ونزل.

وأصبح عبد الملك، ففقد عمرو وسعيد، فسأل عنه، فأخبر خبره، فرجع عبد الملك إلى دمشق، فإذا عمرو قد جلى دمشق المسوح فقاتله بها أياما، وكان عمرو بن سعيد إذا أخرج حميد بن حريث الكلبي على الخيل أخرج إليه عبد الملك سفيان بن الأبرد الكلبي، وإذا أخرج

عمرو بن سعيد زهير بن الأبرد الكلبي أخرج إليه عبد الملك حسان بن مالك بن بحدل الكلبي.

قال هشام حدثني عوانة، أن الخليلين تواقفتا ذات يوم، وكان مع عمرو بن سعيد رجل من كلب يقال له رجاء بن سراج، فقال رجاء: يا عبد الرحمن بن سليم، ابرز- وكان عبد الرحمن مع عبد الملك- فقال عبد الرحمن: قد أنصف القارة من راماهما، وبرز له، فاطعنا وانقطع ركاب عبد الرحمن، فنجنا منه ابن سراج، فقال عبد الرحمن:

والله لولا انقطاع الركاب لرميت بما في بطنك من تبن، وما اصططح عمرو وعبد الملك أبدا، فلما طال قتالهم جاء نساء كلب وصبيانهم فبكين وقلن لسفیان بن الأبرد ولابن بحدل الكلبي: علام تقتلون أنفسكم لسلطان قريش! خلف كل واحد منهما الا يرجع حتى يرجع صاحبه، فلما أجمعوا على الرجوع نظروا فوجدوا سفیان أكبر من حريث، فطلبوا إلى حريث، فرجع ثم إن عبد الملك وعمرا اصططحا، وكتبا بينهما كتابا، وآمنه عبد الملك وذلك عشية الخميس.

قال هشام: فحدثني عوانة أن عمرو بن سعيد خرج في الخليل

متقلدا قوسا سوداء، فأقبل حتى أوطأ فرسه أطناب سراق عبد الملك، فانقطعت الأطناب وسقط السراق، ونزل عمرو فجلس وعبد الملك مغضب، فقال لعمرو: يا أبا أمية، كأنك تشبه بتقلدك هذه القوس بهذا الحي من قيس! قال: لا، ولكنني أشبه بمن هو خير منهم، العاص بن أمية.

ثم قام مغضبا والخليل معه حتى دخل دمشق، ودخل عبد الملك دمشق يوم الخميس، فبعث إلى عمرو أن أعط الناس أرزاقهم، فأرسل إليه عمرو:

أن هذا لك ليس ببلد فاشخص عنه فلما كان يوم الاثنين وذلك بعد دخول عبد الملك دمشق بأربع بعث إلى عمرو أن ائتني- وهو عند امرأته الكلبيّة، وقد كان عبد الملك دعا كريب بن أبرهة بن الصباح الحميري فاستشاره في أمر عمرو بن سعيد، فقال له: في هذا هلك حدير، لا أرى لك ذلك، لا ناقتي في ذا ولا جملي- فلما أتى رسول عبد الملك عمرا يدعو صادق الرسول عبد الله بن يزيد بن معاوية عند عمرو، فقال عبد الله لعمرو بن سعيد: يا أبا أمية، والله لأنت أحب إلي من سمعي وبصري، وقد أرى هذا الرجل قد بعث إليك أن تأتية، وأنا أرى لك الا تفعل، فقال له عمرو: ولم؟ قال: لأن تبيع ابن امرأة كعب الأحمار.

قال: إن عظيما من عظماء ولد إسماعيل يرجع فيغلق أبواب دمشق، ثم يخرج منها، فلا يلبث أن يقتل، فقال له عمرو: والله لو كنت نائما ما تخوفت أن ينهني ابن الزرقاء، ولا كان لي جترئ على ذلك مني، مع أن عثمان بن عفان أتاني البارحة في المنام فألبسني قبيصه- وكان عبد الله بن يزيد زوج أم موسى بنت عمرو بن سعيد- فقال عمرو للرسول: أبلغه السلام، وقل له: أنا راح إليك العشيّة إن شاء الله فلما كان العشي لبس عمرو درعا حصينة بين قباء قوهي وقبيص قوهي، وتقلد سيفه وعنده امرأته الكلبيّة، وحميد بن حريث بن بحدل الكلبي، فلما نهض متوجها، عثر بالبساط، فقال له حميد: أما والله لئن أطعنتي لم تأته، وقالت له امرأته تلك المقالة، فلم يلتفت إلى قولهم، ومضى في مائة رجل من مواليه، وقد بعث عبد الملك إلى بني مروان فاجتمعوا عنده، فلما بلغ عبد الملك

أنه بالباب أمر أن يحبس من كان معه، وأذن له فدخل، ولم تزل أصحابه يحبسون عند كل باب حتى دخل عمرو قاعة الدار، وما معه إلا وصيف له، فرمى عمرو ببصره نحو عبد الملك، فإذا حوله بنو مروان، وفيهم حسان ابن مالك بن بحدل الكلبي وقبيصة بن ذؤيب الخزازي، فلما رأى جماعتهم أحس بالشر، فالتفت إلى وصيفه فقال: انطلق ويحك إلى يحيى بن سعيد، فقل له يأتيني فقال له الوصيف ولم يفهم ما قال له: لبيك! فقال له: اغرب عني في حرق الله وناره وقال عبد الملك لحسان وقبيصة: إذا شئتما فقوموا فالتقيا وعمرا في الدار، فقال عبد الملك لهما كالمأزح ليظمن عمرو بن سعيد: أيكما أطول؟ فقال حسان: قبيصة يا أمير المؤمنين أطول مني بالإمرة، وكان قبيصة على الخاتم ثم التفت عمرو إلى وصيفه فقال: انطلق إلى يحيى فاره أن يأتيني، فقال له: لبيك، ولم يفهم عنه، فقال له عمرو: اغرب عني، فلما خرج حسان وقبيصة أمر بالأبواب فغلقت، ودخل عمرو فرحب به عبد الملك، وقال: هاهنا يا أبا أمية، يرحمك الله! فأجلسه معه على السرير، وجعل يحدثه طويلا، ثم قال:

يا غلام، خذ السيف عنه، فقال عمرو: إنا لله يا أمير المؤمنين! فقال عبد الملك: أو تطمع أن تجلس معي متقلدا سيفك! فأخذ السيف

عنه، ثم تحدثا ما شاء الله، ثم قال له عبد الملك: يا أبا أمية، قال: لبيك يا أمير المؤمنين، فقال: إنك حيث خلعتني آليت بيمين إن أنا ملأت عيني منك وأنا مالك لك أن أجمعك في جامعة، فقال له بنو مروان: ثم تطلقه يا أمير المؤمنين؟ قال: ثم أطلقه، وما عسيت أن أصنع بأبي أمية! فقال بنو مروان: أبر قسم أمير المؤمنين، فقال عمرو:

قد أبر الله قسمك يا أمير المؤمنين، فأخرج من تحت فراشه جامعة فطرحها إليه، ثم قال: يا غلام، قم فاجمعه فيها، فقام الغلام فجمعه فيها، فقال عمرو: أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تخرجني فيها على رءوس الناس! فقال عبد الملك: أمكرا أبا أمية عند الموت! لاها الله إذا! ما كنا

لنخرجك في جامعة على رءوس الناس، ولما نخرجها منك إلا صعدا.

ثم اجتبه اجتباذة أصاب فيه السرير فكسر ثنيته، فقال عمرو:

أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن يدعوك إلى كسر عظم مني أن تركب ما هو أعظم من ذلك فقال له عبد الملك: والله لو أعلم أنك تبقي علي إن أبقي عليك وتصلح قریش لأطلقتك، ولكن ما اجتمع رجلان قط في بلدة على مثل ما نحن عليه إلا أخرج أحدهما صاحبه فلما رأى عمرو أن ثنيته قد اندقت وعرف الذي يريد عبد الملك، قال: أغدرا يا بن الزرقاء! وقيل: إن عبد الملك لما جذب عمرا فسقطت ثنيته جعل عمرو يمسه، فقال عبد الملك له: أرى ثنيتك قد وقعت منك موقعا لا تطيب نفسك بعدها فأمر به فضرب عنقه.

رجع الحديث إلى حديث عوانة وأذن المؤذن العصر، فخرج عبد الملك يصلي بالناس، وأمر عبد العزيز بن مروان أن يقتله، فقام إليه عبد العزيز بالسيف، فقال له عمرو: أذكرك الله والرحم أن تلي أنت قتلي، وليتول ذلك من هو أبعد رحما منك! فألقى عبد العزيز السيف وجلس، وصلى عبد الملك صلاة خفيفة، ودخل، وغلقت الأبواب ورأى الناس عبد الملك حيث خرج وليس عمرو معه، فذكروا ذلك ليحيى بن سعيد فأقبل في الناس حتى حل بباب عبد الملك ومعه ألف عبد لعمرو، وأناس بعد من أصحابه كثير، فجعل من كان معه يصيحون: أسمعنا صوتك يا أبا أمية! وأقبل مع يحيى بن سعيد حميد بن حريث وزهير بن الأبرد فكسروا باب المقصورة، وضربوا الناس بالسيف، وضرب عبد لعمرو بن سعيد يقال له مصقلة الوليد بن عبد الملك ضربة على رأسه، واحتمله إبراهيم ابن عربي صاحب

الديوان فأدخله بيت القراطيس، ودخل عبد الملك حين صلى فوجد عمرا حيا، فقال لعبد العزيز: ما منعك من أن تقتله! قال: منعي أنه ناشدني الله والرحم فرققت له فقال له عبد الملك: أنزى الله أمك البوالة على عقبها، فإنك لم تشبه غيرها- وأم عبد الملك عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، وكانت أم عبد العزيز ليلي، وذلك قول ابن الرقيات:

ذاك ابن ليلي عبد العزيز ... ببابلون تغدو جفانه رذما

ثم إن عبد الملك قال: يا غلام، اتتني بالحربة فأتاه بالحربة فهزها، ثم طعنه بها فلم تجز، ثم ثنى فلم تجز، فضرب يده إلى عضد عمرو، فوجد مس الدرع، فضحك، ثم قال: ودارع أيضا يا أبا أمية! إن كنت لمعدا! يا غلام، اتتني بالصمصامة، فأتاه بسيفه، ثم أمر بعمرو فصرع، وجلس على صدره فذبحه وهو يقول:

يا عمرو إن لا تدع شمتي ومنقصتي ... أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

وانتفض عبد الملك رعدة- وكذلك الرجل زعموا يصيبه إذا قتل ذا قرابة له- فحمل عبد الملك عن صدره فوضع على سريره، فقال: ما رأيت مثل هذا قط، قتله صاحب دنيا ولا طالب آخره ودخل يحيى بن سعيد ومن معه على بني مروان الدار فجرحوهم ومن كان معهم من موالهم، فقاتلوا يحيى وأصحابه، وجاء عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي فدفع إليه الرأس، فألقاه إلى الناس، وقام عبد العزيز بن مروان فأخذ المال في البدور، فجعل يلقيها إلى الناس، فلما نظر الناس إلى الأموال ورأوا الرأس انتهوا الأموال وتفرقوا وقد قيل: إن عبد الملك ابن مروان لما خرج إلى الصلاة أمر غلامه أبا الزعيزعة بقتل عمرو، فقتله وألقى رأسه إلى الناس وإلى أصحابه.

قال هشام: قال عوانة: فحدث أن عبد الملك أمر بتلك الأموال التي طرحت إلى الناس فجبيت حتى عادت كلها إلى بيت المال، ورمي

يحيى بن سعيد يومئذ في رأسه بصخرة، وأمر عبد الملك بسريره فأبرز إلى

المسجد، وخرج فجلس عليه، وفقد الوليد بن عبد الملك فجعل يقول:

ويحكم! أين الوليد؟ وأبيهم لئن كانوا قتلوه لقد أدركوا ثأرهم، فأتاه إبراهيم بن عربي الكفائي فقال: هذا الوليد عندي، قد أصابته جراحة،

وليس عليه بأس، فأتي عبد الملك يحيى بن سعيد، فأمر به أن يقتل، فقام إليه عبد العزيز، فقال: جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين! أترك قاتلا بني أمية في يوم واحد! فأمر يحيى فحبس، ثم أتى بعنبة بن سعيد، فأمر به أن يقتل، فقام إليه عبد العزيز فقال: أذكرك الله يا أمير المؤمنين في استئصال بني أمية وهلاكها! فأمر بعنبة فحبس، ثم أتى بعنبة بن سعيد فأمر به أن يقتل، فقام إليه عبد العزيز بن مروان، فقال: اذكرك لك الله يا أمير المؤمنين في استئصال بني أمية وهلاكها! فأمر بعنبة فحبس، ثم أتى بعامر بن الأسود الكلبي فضرب رأسه عبد الملك بقضيب خيزران كان معه، ثم قال: أتقاتلني مع عمرو وتكون معه علي! قال: نعم، لأن عمرا أكرمني وأهنتني، وأدنانني وأقصيتني، وقربني وأبعدتني، وأحسن إلي وأسأت إلي، فكنت معه عليك فأمر به عبد الملك أن يقتل، فقام عبد العزيز فقال: أذكرك الله يا أمير المؤمنين في خالي! فوهبه له وأمر ببني سعيد فحبسوا، ومكث يحيى في الحبس شهرا أو أكثر ثم إن عبد الملك صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم استشار الناس في قتله، فقام بعض خطباء الناس فقال: يا أمير المؤمنين، هل تلد الحية إلا حية! نرى والله أن تقتله فإنه منافق عدو ثم قام عبد الله بن مسعدة الفزاري، فقال: يا أمير المؤمنين، إن يحيى ابن عمك، وقرابته ما قد علمت، وقد صنعوا ما صنعوا، وصنعت بهم ما قد صنعت، ولست لهم بآمن، ولا أرى لك قتلهم، ولكن سيرهم إلى عدوك، فإن هم قتلوا كنت قد كفيت أمرهم بيد غيرك، وإن هم سلخوا ورجعوا رأيت فيهم رأيك.

فأخذ برأيه، وأخرج آل سعيد فألحقهم بمصعب بن الزبير، فلما قدموا عليه دخل يحيى بن سعيد، فقال له ابن الزبير: انفلت وانخص الذنب، فقال: والله إن الذنب لبهلبه ثم إن عبد الملك بعث إلى امرأة عمرو الكلبيّة: ابعتي إلي بالصلح الذي كنت كتبتة لعمرو، فقالت لرسوله: ارجع إليه فأعلمه أنني قد لففت ذلك الصلح معه في أكفانه ليخاصمك به عند ربه، وكان عمرو بن سعيد وعبد الملك يلتقيان في النسب إلى أمية، وكانت أم عمرو أم البنين ابنة الحكم ابن أبي العاص عمّة عبد الملك قال هشام: فحدثنا عوانة أن الذي كان بين عبد الملك وعمرو كان شرا قديما، وكان ابنا سعيد أمهما أم البنين، وكان عبد الملك ومعاوية ابني مروان، فكانوا وهم غلمان لا يزالون يأتون أم مروان بن الحكم الكنانية يتحدثون عندها، فكان ينطلق مع عبد الملك ومعاوية غلام لهم أسود، وكانت أم مروان إذا أتوها هيأت لهم طعاما، ثم تأتيم به فتضع بين يدي كل رجل صحيفة على حدة، وكانت لا تزال تؤرش بين معاوية ابن مروان ومحمد بن سعيد، وبين عبد الملك وعمرو بن سعيد، فيقتلون ويتصارمون الحين، لا يكلم بعضهم بعضا، وكانت تقول: إن لم يكن عند هذين عقل فعند هذين، فكان ذلك دأبها كلها أتوها حتى أثبتت الشحنة في صدورهم.

وذكر أن عبد الله بن يزيد القسري أبا خالد كان مع يحيى ابن سعيد حيث دخل المسجد فكسر باب المقصورة، فقاتل بني مروان، فلما قتل عمرو وأخرج رأسه إلى الناس ركب عبد الله وأخوه خالد فلحقوا بالعراق، فأقام مع ولد سعيد وهم مع مصعب حتى اجتمعت الجماعة على عبد الملك، وقد كانت عين عبد الله بن يزيد فقتت يوم المرج، وكان مع ابن الزبير يقاتل بني أمية، وإنه دخل على عبد الملك بعد الجماعة، فقال: كيف أنتم آل يزيد؟ فقال عبد الله: حرباء حرباء، فقال عبد الملك: ذلك بما قدّمت أيديكم*، وما الله بظلام للعبيد*.

قال هشام عن عوانة: إن ولد عمرو بن سعيد دخلوا على عبد الملك بعد الجماعة وهم أربعة: أمية، وسعيد، وإسماعيل، ومحمد، فلما نظر إليهم عبد الملك قال لهم: إنكم أهل بيت لم تزالوا ترون لكم على جميع قومكم فضلا لم يجعله الله لكم، وإن الذي كان بيني وبين أيكم لم يكن حديثا، بل كان قديما في أنفس أوليكم على أولينا في الجاهلية.

فأقطع بأمية بن عمرو- وكان أكبرهم- فلم يقدر أن يتكلم، وكان أنبلهم وأعقلهم، فقام سعيد بن عمرو وكان الأوسط فقال: يا أمير المؤمنين، ما تنعي علينا أمرا كان في الجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام فهدم ذلك، فوعدنا جنة، وحذرنا نارًا! وأما الذي كان بينك وبين عمرو فان عمرا ابن عمك، وأنت أعلم وما صنعت، وقد وصل عمرو إلى الله، وكفى بالله حسيبا، ولعمري لئن أخذتنا بما كان بينك وبينه لبطن الأرض خير لنا من ظهرها فرق لهم عبد الملك رقة شديدة، وقال: إن أباكم خيرني بين أن يقتلني أو أقتله، فاخترت قتله على قتلي، وأما أنتم فما أرغبني فيكم، وأوصلني لقرابتكم، وأرعاني لحقكم! فأحسن جائزتهم، ووصلهم وقرّبهم.

وذكر أن خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك ذات يوم: عجب منك ومن عمرو بن سعيد، كيف أصبت غرته فقتلته! فقال عبد الملك:

دانيتني مني ليسكن روعه ... فأصول صولة حازم مستمكن

غضبا ومحمية لديني أنه ... ليس المسيء سبيله كالحسن

قال عوانة: لقي رجل سعيد بن عمرو بن سعيد بمكة، فقال له: ورب هذه البنية، ما كان في القوم مثل أهلك، ولكنه نازع القوم ما في أيديهم فعطب.

وكان الواقدي يقول: إنما كان في سنة تسع وستين بين عبد الملك ابن مروان وعمرو بن سعيد الحصار، وذلك أن عمرو بن سعيد تحصن بدمشق فرجع عبد الملك إليه من بطنان حبيب، فحاصره فيها، وأما قتله إياه فإنه كان في سنة سبعين.

وفي هذه السنة حكم محكم من الخوارج بالخيف من منى فقتل عند الجمرة، ذكر محمد بن عمر أن يحيى بن سعيد بن دينار حدثه عن أبيه، قال: رأيته عند الجمرة سل سيفه، وكانوا جماعة فأمسك الله بأيديهم، وبدر هو من بينهم، فحكم، قال الناس عليه فقتلوه.

وأقام الحج للناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير.

وكان عامله فيها على المصريين: الكوفة والبصرة أخوه مصعب بن الزبير وكان على قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة، وعلى خراسان عبد الله بن خازم.

٦٠٥ سنه سبعين

ثم دخلت

سنه سبعين

(ذكر ما كان فيها من الأحداث) ففي هذه السنة ثارت الروم، واستجاشوا على من بالشام من ذلك من المسلمين، فصالح عبد الملك ملك الروم، على أن يؤدي إليه في كل جمعة ألف دينار خوفا منه على المسلمين.

وفيه شخص - فيما ذكر محمد بن عمر - مصعب بن الزبير إلى مكة فقدمها بأموال عظيمة، فقسمها في قومه وغيرهم، وقدم بدواب كثيرة وظهر وأثقال، فأرسل إلى عبد الله بن صفوان وجبير بن شيبه، وعبد الله بن مطيع مالا كثيرا، ونحر بدنا كثيرة.

وجج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير.

وكان عماله على الأمصار في هذه السنة عماله في السنة التي قبلها على معاون والقضاء.

٦٠٦ سنه احدى وسبعين

٦٠٦٠١ مسير عبد الملك بن مروان فيها إلى العراق لحرب مصعب بن الزبير،

ثم دخلت

سنه احدى وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث فن ذلك

مسير عبد الملك بن مروان فيها إلى العراق لحرب مصعب بن الزبير،

وكان عبد الملك - فيما قيل - لا يزال يقرب من مصعب، حتى يبلغ بطنان حبيب، ويخرج مصعب إلى باجميرا، ثم تهجم الشتاء فيرجع كل واحد منهما إلى موضعه، ثم يعودان، فقال عدي بن زيد بن عدي بن الرقاع العاملي:

لعمري لقد أصحرت خيلنا ... بأكاف دجلة للمصعب

إذا ما منافق أهل العراق ... عوتب ثمت لم يعتب

دلفنا إليه بذي تدرا ... قليل التفقد للغيب

يهزون كل طويل القناة ... ملتئم النصل والثعلب

كأن وعاهم إذا ما غدوا ... ضجيج قطا بلد مخصب
فقد منا واضح وجهه ... كريم الضرائب والمنصب
أعين بنا ونصرنا به ... ومن ينصر الله لم يغلب

فحدثني عمر بن شبة، قال: حدثني علي بن محمد، قال: أقبل عبد الملك من الشام يريد مصعبا- وذلك قبل هذه السنة، في سنة سبعين- ومعه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال خالد لعبد الملك: إن وجهتي إلى البصرة وأتبعني خيلا يسيرة رجوت أن أغلب لك عليها، فوجهه عبد الملك، فقدمها مستخفيا في موابله وخاصة، حتى نزل على عمرو بن أسمع الباهلي.

قال عمر: قال أبو الحسن: قال مسلمة بن محارب: أجار عمرو بن أسمع خالدا، وأرسل إلى عباد بن الحصين وهو على شرطة ابن معمر- وكان مصعب إذا شخص عن البصرة استخلف عليها عبيد الله بن عبيد الله بن معمر- ورجا عمرو بن أسمع أن يبايعه عباد بن الحصين- باقى قد اجرت خالدا فأحببت أن تعلم ذلك لتكون لي ظهرا فوافاه رسوله حين نزل عن فرسه، فقال له عباد: قل له: والله لا أضع لبد فرسي حتى آتيك في الخيل فقال عمرو لخالد: إني لا أغرك، هذا عباد يأتينا الساعة، ولا والله ما أقدر على منعك، ولكن عليك بمالك بن مسمع قال أبو زيد: قال أبو الحسن: ويقال إنه نزل على علي بن أسمع، فبلغ ذلك عبادا فأرسل إليه عباد: أني سائر إليك.

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني علي بن محمد، عن مسلمة وعوانة أن خالدا خرج من عند ابن أسمع يركض، عليه قيص قوهي رقيق، قد حسره عن نخذه، وأخرج رجله من الركاب، حتى أتى مالكا، فقال: إني قد اضطررت إليك، فأجرتني، قال: نعم، وخرج هو وابنه، وأرسل إلى بكر بن وائل والأزد، فكانت أول راية أئته راية بني يشكر وأقبل عباد في الخيل، فتواقفوا، ولم يكن بينهم، فلما كان من الغد غدوا إلى حفره نافع بن الحارث التي نسبت بعد إلى خالد، ومع خالد رجال من بني تميم قد أتوه، منهم صمصعة بن معاوية، وعبد العزيز بن

بشر، ومرة بن محكان، في عدد منهم، وكان أصحاب خالد جفريه ينسبون إلى الجفرة، وأصحاب ابن معمر زبيرية، فكان من الجفريه عبيد الله بن أبي بكره وحران والمغيرة بن المهلب، ومن الزبيرية قيس بن الهيثم السلمي، وكان يستأجر الرجال يقاتلون معه، فتقاضاه رجل أجرة فقال: غدا أعطيكها، فقال غطفان بن أنيف، أحد بن كعب بن عمرو:

لبئس ما حكمت يا جلاجل ... النقد دين والطعان عاجل
وأنت بالباب سمر آجل.

وكان قيس يعلق في عنق فرسه جلاجل، وكان على خيل بني حنظله عمرو بن وبرة القحيفي، وكان له عبيد يؤاجرهم بثلاثين ثلاثين كل يوم، فيعطهم عشرة عشرة، فقليل له:

لبئس ما حكمت يا بن وبرة ... تعطى ثلاثين وتعطي عشرة

ووجه المصعب زحر بن قيس الجعفي مددا لابن معمر في ألف، ووجه عبد الملك عبيد الله بن زياد بن ظبيان مددا لخالد، فكره أن يدخل البصرة، وأرسل مطر بن التوءم فرجع إليه فأخبره بتفرق الناس، فلحق بعبد الملك.

قال أبو زيد: قال أبو الحسن: فحدثني شيخ من بني عرين، عن السكن بن قتادة، قال: اقتتلوا أربعة عشرين يوما، وأصيب عين مالك، فضجر من الحرب، ومشت السفراء، بينهم يوسف بن عبد الله بن عثمان بن أبي العاص، فصالحه، على أن يخرج خالدا وهو آمن، فأخرج خالدا من البصرة، وخاف الا يجيز المصعب أمان عبيد الله، فلحق مالك بثأج، فقال الفرزدق يذكر مالكا ولحق التيمية به وبخالد:

عجبت لأقوام تميم أبوهم ... وهم في بني سعد عظام المبارك

وكانوا أعز الناس قبل مسيرهم ... إلى الأزد مصفرا لحاها ومالك

فما ظنكم بابن الحواري مصعب ... إذا افتقر عن أنيابه غير ضاحك

ونحن نفينا مالكا عن بلاده ... ونحن فقأنا عينه بالنيازك

قال أبو زيد: قال أبو الحسن: حدثني مسلمة أن المصعب لما انصرف عبد الملك إلى دمشق لم يكن له همة إلا البصرة، وطمع أن يدرك بها خالدا، فوجده قد خرج، وأمن ابن معمر الناس، فأقام أكثرهم، وخاف بعضهم مصعبا فشخص، فغضب مصعب على ابن معمر، وحلف الا يوليه، وأرسل إلى الجفرية فسيبهم وأنهم.

قال أبو زيد: فزعم المدائني وغيره من رواة أهل البصرة أنه أرسل إليهم فأتي بهم، فأقبل على عبيد الله بن أبي بكر، فقال: يا بن مسروح، إنما أنت ابن كلبة تعاورها الكلاب، فجاءت بأحمر وأسود وأصفر من كل كلب بما يشبهه، وإنما كان أبوك عبدا نزل إلى رسول الله ص من حصن الطائف، ثم أقمت البينة تدعون أن أبا سفيان زنى بأمكم، أما والله لئن بقيت لألحقنكم بنسبكم ثم دعا بجران فقال: يا بن اليهودية، إنما أنت عالج نبطي سبيت من عين التمر ثم قال للحكم بن المنذر بن الجارود: يا بن الخبيث، أتدري من أنت ومن الجارود! إنما كان الجارود علجا بجزيرة ابن كاوان فارسيا، فقطع إلى ساحل البحر، فانتفى إلى عبد القيس، ولا والله ما أعرف حيا أكثر اشتمالا على سوءة منهم ثم أنكح أخته المكعبر الفارسي فلم يصب شرفا قط أعظم منه، فهؤلاء ولدها يا بن قباز ثم أتى بعبد الله بن فضالة الزهراني فقال: ألسنت من أهل هجر ثم من أهل سمهيج! أما والله لأردنك إلى نسبك ثم أتى بعلي بن أصمع، فقال: أعبد لبي تميم مرة وعزي من باهلة! ثم أتى بعبد العزيز بن بشر بن حناط فقال: يا بن المشتور، ألم يسرق عمك عنزا في عهد عمر، فأمر به فسير ليقطعه! أما والله ما أعنت إلا

من ينكح أختك- وكانت أخته تحت مقاتل بن مسمع- ثم أتى بأبي حاضر الأسدي فقال: يا بن الإصطخرية، ما أنت والأشراف! وإنما أنت من أهل قطر دعي في بني أسد، ليس لك فيهم قريب ولا نسب ثم أتى بزياد بن عمرو فقال: يا بن الكرمان، إنما أنت عالج من أهل كرمان قطعت إلى فارس فصرت ملاحا، مالك وللحرب! لأنت بجر القلس أهدق ثم أتى بعبد الله بن عثمان بن أبي العاص فقال: أعلي تكثر وأنت عالج من أهل هجر، لحق أبوك بالطائف وهم يضمون من تأشب إليهم يتعززون به! أما والله لأردنك إلى أصلك ثم أتى بشيخ بن النعمان فقال: يا بن الخبيث، إنما أنت عالج من أهل زند ورد، هربت أمك وقتل أبوك، فتزوج أخته رجل من بني يشكر، فجاءت بغلامين، فألحقناك بنسبهما، ثم ضربهم مائة مائة، وحلق رءوسهم ولحاهم، وهدم دورهم، وصهرهم في الشمس ثلاثا، وحملهم على طلاق نسائهم، وجر أولادهم في البعوث، وطاف بهم في أقطار البصرة، وأحلفهم ألا ينكحوا الحرائر وبعث مصعب خدش بن يزيد الأسدي في طلب من هرب من أصحاب خالد، فأدرك مرة بن محكان فأخذه، فقال مرة:

بني أسد إن تقتلونني تحاربوا ... تميما إذا الحرب العوان اشتملت

بني أسد هل فيكم من هواة ... فتعفون إن كانت بي النعل زلت

فلا تحسب الأعداء إذ غبت عنهم ... وأوريت معنا أن حربي كلت

تمشى خدش في الأسكة آمنا ... وقد نهلت مني الرماح وعلت

فقربه خدش فقتله- وكان خدش على شرطة مصعب يومئذ- وأمر مصعب سنان بن ذهل أحد بني عمرو بن مرثد بدار مالك بن مسمع فهدمها، وأخذ مصعب ما كان في دار مالك، فكان فيما أخذ جارية ولدت له عمر بن مصعب قال: وأقام مصعب بالبصرة حتى شخص إلى الكوفة، ثم لم يزل بالكوفة حتى خرج لحرب عبد الملك، ونزل عبد الملك مسكن، وكتب عبد الملك إلى المروانية من أهل العراق، فأجابه كلهم وشرط عليه ولاية أصبهان، فأنعم بها لهم كلهم، منهم حجار ابن أبجر، والغضبان بن القبعثري، وعتاب بن ورقاء، وقطن بن عبد الله الحارثي، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس، وزحر بن قيس، ومحمد بن عمير، وعلى مقدمته محمد بن مروان، وعلى ميمنته عبد الله بن يزيد بن معاوية، وعلى ميسرته خالد بن يزيد، وسار إليه مصعب وقد خذله أهل الكوفة. قال عروة بن المغيرة بن شعبة: نفرج يسير متكئا على معرفة دابته، ثم تصفح الناس يمينا وشمالا فوقع عينه علي، فقال: يا عروة، إلي، فدنوت منه، فقال: أخبرني عن الحسين بن علي، كيف صنع بإبائه النزول على حكم ابن زياد وعزمه على الحرب؟ فقال:

إن الألى بالطف من آل هاشم ... تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

قال: فعلت أنه لا يريم حتى يقتل، وكان عبد الملك- فيما ذكر محمد بن عمر عن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي قره، عن إسحاق ابن عبد الله بن أبي فروة، عن رجاء بن حيوة- قال: لما قتل عمرو بن سعيد وضع السيف فقتل من خالفه، فلما أجمع بالمسير إلى مصعب وقد صفت له الشام وأهلها خطب الناس وأمرهم بالتهيؤ إلى مصعب، فاختلف عليه رؤساء أهل الشام من غير خلاف لما يريده، ولكنهم أحبوا أن يقيم ويقدم الجيوش، فإن ظفروا فذاك، وإن لم يظفروا أمدهم بالجيوش خشية على الناس إن أصيب في لقائه مصعبا لم يكن وراءه ملك، فقالوا: يا أمير المؤمنين، لو أقت مكانك وبعثت على هؤلاء الجيوش رجلا من أهل بيتك، ثم سرحته إلى مصعب! فقال عبد الملك: إنه لا يقوم بهذا الأمر إلا قرشي له رأي، ولعلي أبعث من له شجاعة ولا رأي له، وإني أجد في نفسي أني بصير بالحرب، شجاع بالسيف إن ألجئت إلى ذلك ومصعب في بيت شجاعة، أبوه أشجع قریش، وهو شجاع ولا علم له بالحرب يحب الخفض، ومعه من يخالفه ومعني من ينصح لي فسار عبد الملك حتى نزل مسكن، وسار مصعب إلى باجميرا، وكتب عبد الملك إلى شيعته من أهل العراق، فأقبل إبراهيم بن الأشتر بكتاب عبد الملك محتوما لم يقرأه، فدفعه إلى مصعب، فقال: ما فيه؟ فقال: ما قرأته، فقرأه مصعب فإذا هو يدعوه إلى نفسه، ويجعل له ولاية العراق، فقال لمصعب: إنه والله ما كان من أحد آيس منه مني، ولقد كتب إلى أصحابك كلهم بمثل الذي كتب إلي، فأطعني فيهم فاضرب أعناقهم قال: إذا لا تناصحننا عشائهم قال: فأوقرهم حديدا وابعث بهم إلى أبيض كسرى فاحبسهم هنالك، ووكّل بهم من إن غلبت ضرب أعنقهم، وإن غلبت مننت بهم على عشائهم فقال: يا أبا النعمان، إني لفي شغل عن ذلك، يرحم الله أبا بجر، إن كان ليحذرني غدر أهل العراق، كأنه كان ينظر إلى ما نحن فيه! حدثني عمر، قال: حدثنا محمد بن سلام، عن عبد القاهر بن السري، قال: هم أهل العراق بالغدر بمصعب، فقال قيس بن الهيثم: ويحكم! لا تدخلوا أهل الشام عليكم، فوالله لئن تطعموا بعيشكم ليصفين عليكم منازلكم، والله لقد رأيت سيد أهل الشام على باب الخليفة يفرح إن أرسله في حاجة، ولقد رأيتنا في الصوائف وأحدنا على ألف بعير، وإن الرجل من وجوههم ليغزو على فرسه وزاده خلفه. قال: ولما تدانى العسكران بدير الجاثليق من مسكن، تقدم إبراهيم بن الأشتر فحمل على محمد بن مروان فأزاله عن موضعه، فوجه عبد الملك بن مروان عبد الله بن يزيد بن معاوية، ففقر من محمد بن مروان والتقى القوم فقتل مسلم بن عمرو الباهلي، وقتل يحيى ابن مبشر، أحد بني ثعلبة بن يربوع، وقتل إبراهيم بن الأشتر، فهرب عتاب ابن ورقاء- وكان على الخليل مع مصعب- فقال مصعب لقطن بن عبد الله الحارثي: أبا عثمان، قدم خيلك، قال: ما أرى ذلك، قال: ولم؟ قال: أكره أن تقتل مذحج في غير شيء، فقال لمحجار بن أبجر: أبا أسيد، قدم رايتك، قال: إلى هذه العذرة! قال: ما تأخر إليه والله أنتن وألأم، فقال لمحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس مثل ذلك، فقال: ما أرى أحدا فعل ذلك فأفعله، فقال مصعب: يا إبراهيم ولا إبراهيم لي اليوم! حدثني أبو زيد، قال: حدثني محمد بن سلام، قال: أخبر ابن خازم بمسير مصعب إلى عبد الملك، فقال: أمعه عمر بن عبيد الله بن معمر؟ قيل: لا، استعمله على فارس، قال: أفعه المهلب بن أبي صفرة؟ قيل: لا، استعمله على الموصل، قال: أفعه عباد بن الحصين؟ قيل: لا، استخلفه على البصرة، فقال: وأنا بخراسان! خذيني فخريني جعار وإشري ... بلحم امرى لم يشهد اليوم ناصره فقال مصعب لابنه عيسى بن مصعب: يا بني، اركب أنت ومن معك إلى عمك بمكة فأخبره ما صنع أهل العراق، ودعني فإني مقتول. فقال ابنه: والله لا أخبر قریشا عنك أبدا، ولكن إن أردت ذلك فالحق بالبصرة فهم على الجماعة، أو الحق بأمر المؤمنين قال مصعب: والله لا تتحدث قریش أني فررت بما صنعت ربعة من خذلانها حتى أدخل الحرم منهزما، ولكن أقاتل، فإن قتلت فلعمري ما السيف بعار، وما الفرار لي بعادة ولا خلق، ولكن إن أردت أن ترجع فارجع فقاتل فرجع فقاتل حتى قتل.

قال علي بن محمد عن يحيى بن إسماعيل بن أبي المهاجر، عن أبيه

أن عبد الملك أرسل إلى مصعب مع أخيه محمد بن مروان: أن ابن عمك يعطيك الأمان، فقال مصعب: إن مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف إلا غالبا أو مغلوبا.
وقال الهيثم بن عدي: حدثنا عبد الله بن عياش، عن أبيه، قال:

إنا لوقوف مع عبد الملك بن مروان وهو يحارب مصعبا إذ دنا زياد بن عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين، إن إسماعيل بن طلحة كان لي جار صدق، قلما أرادني مصعب بسوء إلا دفعه عني، فإن رأيت أن تؤمنه على جرمه! قال: هو آمن، ففضي زياد- وكان ضخما على ضخم- حتى صار بين الصفين، فصاح: أين أبو البخثري إسماعيل بن طلحة؟ فخرج إليه، فقال: إني أريد أن أذكر لك شيئا، فدنا حتى اختلفت أعناق دوابهما- وكان الناس ينتطقون بالخواشي المحشوة- فوضع زياد يده في منطقة إسماعيل، ثم اقتلعه عن سرجه- وكان نحيفا- فقال: أنشدك الله يا أبا المغيرة، إن هذا ليس بالوفاء لمصعب، فقال: هذا أحب إلى من أن أراك غدا مقتولا.

ولما أبى مصعب قبول الأمان نادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب وقال له: يا بن أخي، لا تقتل نفسك، لك الأمان، فقال له مصعب:

قد آمنك عمك فامض إليه، قال: لا تتحدث نساء قريش أني أسلمتكم للقتل، قال: فتقدم بين يدي أحسبك، فقاتل بين يديه حتى قتل، وأنخن مصعب بالرمي، ونظر إليه زائدة بن قدامة فشد عليه فطعنه، وقال: يا لثارات المختار! فصرعه، ونزل إليه عبيد الله بن زياد بن ظبيان، فاحتر رأسه، وقال: إنه قتل أخي النابئ بن زياد فأتي به عبد الملك بن مروان فأثابه ألف دينار، فأبى أن يأخذها، وقال: إني لم أقتله على طاعتك، إنما قتلته على وتر صنعه بي، ولا آخذ في حمل رأس مالا فتركه عند عبد الملك.

وكان الوتر الذي ذكره عبيد الله بن زياد بن ظبيان أنه قتل عليه مصعبا أن مصعبا كان ولي في بعض ولايته شرطه مطرف بن سيدان الباهلي ثم أحد بني جأوة

فحدثني عمر بن شبة، قال: حدثني أبو الحسن المدائني ومحمد بن يحيى بن حاضر، أن مطرفا أتى بالنابئ بن زياد بن ظبيان ورجل من بني نمير قد قطع الطريق، فقتل النابئ، وضرب النميري بالسياط فتركه، فجمع له عبيد الله بن زياد بن ظبيان جمعا بعد أن عزله مصعب عن البصرة وولاه الأهواز، فخرج يريده، فالتقيا فتواقفا وبينهما نهر، فعبر مطرف إليه النهر، وعاجله ابن ظبيان فطعنه فقتله، فعبث مصعب مكرم بن مطرف في طلب ابن ظبيان، فسار حتى بلغ عسكر مكرم، فنسب إليه، ولم يلق ابن ظبيان ولحق ابن ظبيان بعبد الملك لما قتل أخوه، فقال البعيث الإشكري بعد قتل مصعب يذكر ذلك:

ولما رأينا الأمر نكسا صدوره ... وهم الهوادي أن تكن تواليا

صبرنا لأمر الله حتى يقيمه ... ولم نرض إلا من أمية واليا

ونحن قتلنا مصعبا وابن مصعب ... أخا أسد والنخعي اليمانيا

ومرت عقاب الموت منا بمسلم ... فأهوت له نابا فأصبح ثاويا

سقيننا ابن سيدان بكأس روية ... كفتنا، وخير الأمر ما كان كافيا

حدثني أبو زيد، قال: حدثني علي بن محمد، قال: مر ابن ظبيان بابنة مطرف بالبصرة، فقيل لها: هذا قاتل أبيك، فقالت: في سبيل الله أبي، فقال ابن ظبيان:

فلا في سبيل الله لاقى حمامه ... أبوك ولكن في سبيل الدراهم

فلما قتل مصعب دعا عبد الملك بن مروان أهل العراق إلى البيعة، فبايعوه، وكان مصعب قتل على نهر يقال له الدجيل عند دير الجاثليق فلما قتل أمر به عبد الملك وبابنه عيسى فدفنا ذكر الواقدي عن عثمان بن محمد، عن أبي بكر بن عمر، عن عروة قال: قال عبد الملك حين قتل مصعب: واروه فقد والله كانت الحرمة بيننا وبينه قديمة، ولكن هذا الملك عقيم.

قال أبو زيد: وحدثني أبو نعيم، قال: حدثني عبد الله بن الزبير أبو أبي أحمد، عن عبد الله بن شريك العامري، قال: إني لواقف إلى جنب مصعب بن الزبير فأخرجت له كتابا من قبائي، فقلت له: هذا كتاب عبد الملك، فقال: ما شئت، قال: ثم جاء رجل من أهل الشام فدخل عسكره، فأخرج جاريه فصاحت: وا ذلاه! فنظر إليها مصعب، ثم أعرض عنها.

قال: وأتى عبد الملك برأس مصعب، فنظر إليه فقال: متى تغدو قريش مثلك! وكنا يتحدثان إلى حبي، وهما بالمدينة، فقيل لها: قتل مصعب، فقالت: تعس قاتله، قيل: قتله عبد الملك بن مروان، قالت: بأبي القاتل والمقتول! قال: وجع عبد الملك بعد ذلك، فدخلت عليه حبي، فقالت:

أُقتلت أخاك مصعباً؟ فقال:

من يذق الحرب يجد طعمها ... مرا وتتركه بجمع جاع
وقال ابن قيس الرقيات:

لقد أورث المصريين خزياً وذلة ... قتيل بدير الجاثليق مقيم
فما نصحت لله بكر بن وائل ... ولا صبرت عند اللقاء تميم
ولو كان بكر يا تعطف حوله ... كئائب يغلي حميها ويدوم
ولكنه ضاع الذمام ولم يكن ... بها مضري يوم ذاك كريم
جزى الله كوفياً هناك ملامة ... وبصريهم إن المليم ملیم
وإن بني العلات أخلوا ظهورنا ... ونحن صرّح بينهم وصميم

٦٠٦٠٢ ذكر الخبر عن دخول عبد الملك بن مروان الكوفة

فان نفن لا يبقوا ولا يك بعدنا ... لذي حرمة في المسلمين حريم
قال أبو جعفر: وقد قيل: إن ما ذكرت من مقتل مصعب والحرب التي جرت بينه وبين عبد الملك كانت في سنة اثنتين وستين، وإن امر خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ومصييره إلى البصرة من قبل عبد الملك كان في سنة إحدى وسبعين، وقتل مصعب في جمادى الآخرة

. ذكر الخبر عن دخول عبد الملك بن مروان الكوفة
وفي هذه السنة دخل عبد الملك بن مروان الكوفة وفرق أعمال العراق والمصريين الكوفة والبصرة على عماله في قول الواقدي، وأما أبو الحسن فإنه ذكر أن ذلك في سنة اثنتين وسبعين.

وحدثني عمر، قال: حدثني علي بن محمد، قال: قتل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى أو الآخرة سنة اثنتين وسبعين.

ولما أتى عبد الملك الكوفة - فيما ذكر - نزل النخيلة، ثم دعا الناس إلى البيعة، فجاءت قضاة، فرأى قلة، فقال: يا معشر قضاة، كيف سلمتم من مضر مع قتلكم! فقال: عبد الله بن يعلى النهدي:

نحن أعز منهم وأمنع، قال: بمن؟ قال: بمن معك منا يا امير المؤمنين.

ثم جاءت مذبح وهمدان فقال: ما أرى لأحد مع هؤلاء بالكوفة شيئاً ثم جاءت جعفي، فلما نظر إليهم عبد الملك قال: يا معشر جعفي، اشمتم على ابن أختكم، وواريتوه؟ يعني يحيى بن سعيد بن العاص - قالوا: نعم، قال: فهاتوه، قالوا: وهو آمن؟ قال: وتشترون أيضاً! فقال رجل منهم: إنا والله ما نشترط جهلاً بحقك، ولكننا نتسحب عليه تسحب الولد على والده، فقال: أما والله لنعم الحي أنتم، إن كنتم لفرسانا في الجاهلية والاسلام، هو آمن، فجاءوا به وكان يكنى أبا أيوب، فلما نظر إليه عبد الملك قال أبا قبيح، بأي وجه تنظر إلى ربك وقد

خلعتني! قال: بالوجه الذي خلقه، فبايع ثم ولى فنظر عبد الملك في قفاه فقال: لله دره! أي ابن زوملة هو! يعني غريبة.

وقال علي بن محمد: حدثني القاسم بن معن وغيره أن معبد بن خالد الجدلي قال: ثم تقدمنا إليه معشر عدوان، قال: فقدمنا رجلاً وسيماً

جميلاً، وتأخرت - وكان معبد دميماً - فقال عبد الملك: من؟

فقال الكاتب: عدوان، فقال عبد الملك:

عذير الحي من عدوان ... كانوا حية الأرض

بغى بعضهم بعضا ... فلم يراعوا على بعض
وممنهم كانت السادات ... والموفون بالقرض
ثم أقبل على الجميل فقال: إيه! فقال: لا أدري، فقلت من خلفه:
وممنهم حكم يقضي ... فلا ينقض ما يقضي
وممنهم من يميز ... الحج بالسنة والفرض
وهم مذ ولدوا شبوا ... بسر النسب المحض
قال: فتركني عبد الملك، ثم أقبل على الجميل فقال: من هو؟ قال:
لا أدري، فقلت من خلفه: ذو الإصبع، قال: فأقبل على الجميل فقال:
ولم سمى ذا الإصبع؟ فقال: لا أدري، فقلت من خلفه: لأن حية عضت إصبعه فقطعتها، فأقبل على الجميل فقال: ما كان اسمه؟
فقال: لا أدري، فقلت من خلفه: حرثان بن الحارث، فأقبل على الجميل، فقال: من أيكم كان؟ قال: لا أدري، فقلت من خلفه: من
بني ناج، فقال:
أبعد بني ناج وسعيك بينهم ... فلا تتبع عينيكم ما كان هالكا
إذا قلت معروفا لأصلح بينهم ... يقول وهيب: لا أصلح ذلكا
فأضحي كظهر العير جب سنامه ... تطيف به الولدان أحذب باركا
ثم أقبل على الجميل، فقال: كم عطاؤك؟ قال: سبعمائة، فقال لي:
في كم أنت؟ قلت: في ثلاثمائة، فأقبل على الكاتبين، فقال: حطا من عطاء هذا أربعمائة، وزيداهما في عطاء هذا، فرجعت وأنا في
سبعمائة، وهو في ثلاثمائة ثم جاءت كندة فنظر إلي عبد الله بن إسحاق بن الأشعث، فأوصى به بشرا أخاه، وقال: اجعله في صحابتك
وأقبل داود بن قحذم في مائتين من بكر بن وائل، عليهم الأقبية الداودية، وبه سميت، فجلس مع عبد الملك على سريرته، فأقبل عليه
عبد الملك، ثم نهض ونهضوا معه فأتبعهم عبد الملك بصره، فقال: هؤلاء الفساق، والله لولا أن صاحبهم جاءني ما أعطاني أحد منهم
طاعة.
ثم إنه ولي - فيما قيل - قطن بن عبد الله الحارثي الكوفة أربعين يوما ثم عزله، وولى بشر بن مروان وصعد منبر الكوفة فخطب فقال:
إن عبد الله بن الزبير لو كان خليفة كما يزعم لنخرج فآسى بنفسه، ولم يغرز ذنبه في الحرم ثم قال: إني قد استعملت عليكم بشر بن مروان،
وأمرته بالإحسان إلى أهل الطاعة، والشدة على أهل المعصية، فاسمعوا له وأطيعوا.
٨١٧ واستعمل محمد بن عمير على همدان، ويزيد بن رؤيم على الري، وفرق العمال، ولم يف لأحد شرط عليه ولاية أصبهان، ثم قال:
علي هؤلاء الفساق الذين انغلوا الشام، وأفسدوا العراق، فقتل:
قد أجارهم رؤساء عشائهم، فقال: وهل يجير علي أحدا! وكان عبد الله بن يزيد بن أسد لجأ إلى علي بن عبد الله بن عباس، ولجأ
إليه أيضا يحيى بن معيوف الهمداني، ولجأ الهذيل بن زفر بن الحارث وعمرو بن زيد الحكمي إلى خالد بن يزيد بن معاوية، فأمنهم عبد
الملك، فظهروا

٦٠٦٣ ذكر خبر ولايه خالد بن عبد الله على البصرة

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة تنازع الرياسة بالبصرة عبيد الله بن أبي بكرة وحران بن أبان، فحدثني عمر بن شبة قال: حدثني علي بن
محمد قال: لما قتل المصعب وثب حران بن أبان وعبيد الله بن أبي بكرة فتنازعا في ولاية البصرة، فقال ابن أبي بكرة: أنا أعظم غناء
منك، أنا كنت أنفق على أصحاب خالد يوم الجفرة فليل لحران: إنك لا تقوى على ابن أبي بكرة، فاستعن بعبد الله بن الأهم، فإنه إن
أعانك لم يقو عليك ابن أبي بكرة، ففعل، وغلب حران على البصرة وابن الأهم على شرطها.

وكان لحران منزلة عند بني أمية، حدثني أبو زيد قال: حدثني أبو عاصم النبيل قال: أخبرني رجل قال: قدم شيخ أعرابي فرأى حران فقال: من هذا؟ فقالوا: حران، فقال: لقد رأيت هذا وقد مال رداؤه عن عاتقه فابتدره مروان وسعيد بن العاص أيهما يسويه قال أبو زيد:

قال أبو عاصم: فحدثت بذلك رجلا من ولد عبد الله بن عامر، فقال:

حدثني أبي أن حران مد رجله فابتدر معاوية وعبد الله بن عامر أيهما يغمزها

. ذكر خبر ولاية خالد بن عبد الله على البصرة

وفي هذه السنة بعث عبد الملك خالد بن عبد الله على البصرة واليا، حدثني عمر، قال: حدثني علي بن محمد، قال: مكث حران على البصرة يسيرا، وخرج ابن أبي بكرة حتى قدم على عبد الملك الكوفة بعد مقتل مصعب، فولى عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة وأعمالها، فوجه خالد عبيد الله بن أبي بكرة خليفته على البصرة، فلما قدم على حران، قال: أقدم جئت لا جئت! فكان ابن أبي بكرة على البصرة حتى قدم خالد.

وفي هذه السنة رجع عبد الملك - فيما زعم الواقدي - إلى الشام

٦٠٦٠٤ خطبه عبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب

قال: وفيها نزع ابن الزبير جابر بن الأسود بن عوف عن المدينة، واستعمل عليها طلحة بن عبد الله بن عوف قال: وهو آخر وال لابن الزبير على المدينة، حتى قدم عليها طارق بن عمرو مولى عثمان، فهرب طلحة، وأقام طارق بالمدينة حتى كتب إليه عبد الملك.

وجج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير في قول الواقدي

. خطبه عبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب

وذكر أبو زيد عن أبي غسان محمد بن يحيى، قال: حدثني مصعب ابن عثمان، قال: لما انتهى إلى عبد الله بن الزبير قتل مصعب قام في الناس فقال:

الحمد لله الذي له الخلق والأمر، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء ألا وإنه لم يذل الله من كان الحق معه، وإن كان فردا، ولم يعزز من كان وليه الشيطان وحزبه وإن كان معه الأنام طرا ألا وإنه قد أتاننا من العراق خبر حزنا وأفرحنا، أتاننا قتل مصعب رحمة الله عليه، فأما الذي أفرحنا فعلنا أن قتله له شهادة، وأما الذي حزنا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة، ثم يرعوي من بعدها ذو الرأي إلى جميل الصبر وكريم العزاء، ولئن أصبت بمصعب لقد أصبت بالزبير قبله، وما أنا من عثمان بخلو مصيبة، وما مصعب إلا عبد من عبيد الله وعون من أعواني إلا أن أهل العراق أهل الغدر والنفاق، أسلبوه وباعوه بأقل الثمن، فإن يقتل فإننا والله ما نموت على مضاجعنا كما تموت بنو أبي العاص، والله ما قتل منهم رجل في زحف في الجاهلية ولا الإسلام، وما نموت إلا قعصا بالرماح، وموتا تحت ظلال السيوف ألا انما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه، ولا

يبعد ملكه، فإن تقبل لا آخذها أخذ الأشر البطر، وإن تدبر لا أبك عليها بكاء الحرق المهين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وذكر أن عبد الملك لما قتل مصعبا ودخل الكوفة أمر بطعام كثير فصنع، وأمر به إلى الخورتق، وأذن إذنا عاما، فدخل الناس فأخذوا مجالسهم، فدخل عمرو بن حريث الخزومي فقال: إلي وعلى سريري، فأجلسه معه، ثم قال: أي الطعام أكلت أحب إليك وأشهى عندك؟ قال:

عناق حمراء قد أجيد تمليحها، وأحكم نضجها، قال:

ما صنعت شيئا، فأين أنت من عمروس راضع قد أجيد سمطه، وأحكم نضجه، اختلجت إليك رجله، فأتبعها يده، غذي بشريجين من لبن وسمن ثم جاءت الموائد فأكلوا، فقال عبد الملك بن مروان: ما ألد عيشنا لو أن شيئا يدوم! ولكنا كما قال الأول:

وكل جديد يا أميم إلى بلى ... وكل امرئ يوما يصير إلى كان

فلما فرغ من الطعام طاف عبد الملك في القصر يقول لعمر بن حريث: لمن هذا البيت؟ ومن بنى هذا البيت؟ وعمر ويخبره، فقال عبد الملك:

وكل جديد يا أميم إلى بلى ... وكل امرئ يوما يصير إلى كان
ثم أتى مجلسه فاستلقى، وقال:

اعمل على مهل فإنك ميت ... واكده لنفسك أيها الإنسان
فكان ما قد كان لم يك إذ مضى ... وكان ما هو كائن قد كان
وفي هذه السنة افتتح عبد الملك - في قول الواقدي - قيساريه.

٦٠٧ سنه اثنتين وسبعين

ثم دخلت

سنة اثنتين وسبعين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة) قال أبو جعفر: فمن ذلك ما كان من امر الخوارج وامر المهلب بن أبي صفرة وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد.

ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف أن حصيرة بن عبد الله وأبا زهير العبسي حدثاه أن الأزارقة والمهلب بعد ما اقتتلوا بسولاف ثمانية أشهر أشد القتال، أتاهم أن مصعب بن الزبير قد قتل، فبلغ ذلك الخوارج قبل أن يبلغ المهلب وأصحابه، فناداهم الخوارج: ألا تخبرونا ما قولكم في مصعب؟ قالوا: إمام هدى، قالوا: فهو وليكم في الدنيا والآخرة؟ قالوا:

نعم، قالوا: وأنتم أولياؤه أحياء وأمواتا؟ قالوا: ونحن أولياؤه أحياء وأمواتا، قالوا: فما قولكم في عبد الملك بن مروان؟ قالوا: ذلك ابن اللعين، نحن إلى الله منه براء، هو عندنا أحل دما منكم، قالوا: فأنتم منه براء في الدنيا والآخرة؟ قالوا: نعم كبراءتنا منكم، قالوا: وأنتم له أعداء أحياء وأمواتا؟

قالوا: نعم نحن له أعداء كعداوتنا لكم، قالوا: فإن إمامكم مصعبا قد قتله عبد الملك بن مروان، وراكم ستجعلون غدا عبد الملك إمامكم، وأنتم الآن تبترون منه، وتلعنون أباه! قالوا: كذبتم يا أعداء الله فلما كان من الغد تبين لهم قتل مصعب، فباع المهلب الناس لعبد الملك بن مروان فأتتهم الخوارج فقالوا: ما تقولون في مصعب؟ قالوا: يا أعداء الله، لا نخبركم ما قولنا فيه، وكرهوا أن يكذبوا أنفسهم عندهم، قالوا:

فقد أخبرتمونا أمس أنه وليكم في الدنيا والآخرة، وأنكم أولياؤه أحياء وأمواتا، فأخبرونا ما قولكم في عبد الملك؟ قالوا: ذاك إمامنا وخليفتنا - ولم يجدوا إذ بايعوه بدا من أن يقولوا هذا القول - قالت لهم الأزارقة: يا أعداء الله، أنتم أمس تبترون منه في الدنيا والآخرة، وتزعمون انكم له أعداء أحياء وأمواتا، وهو اليوم إمامكم وخليفتمكم، وقد قتل إمامكم الذي كنتم

تولونه! فأيهما الحق، وأيهما المهتدي، وأيهما الضال! قالوا لهم: يا أعداء الله، رضينا بذلك إذ كان ولي أمورنا، ونرضى بهذا كما رضينا بذلك، قالوا:

لا والله ولكنكم إخوان الشياطين، وأولياء الظالمين، وعبيد الدنيا وبعث عبد الملك بن مروان بشر بن مروان على الكوفة، وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة فلما قدم خالد أثبت المهلب على خراج الأهواز ومعونتها، وبعث عامر بن مسمع على سابور، ومقاتل بن مسمع على أردشير خرة، ومسمع بن مالك بن مسمع على فسا ودراجبرد، والمغيرة بن المهلب على إصطخر.

ثم إنه بعث إلى مقاتل فبعثه على جيش، وألحقه بناحية عبد العزيز فخرج يطلب الأزارقة، فانخطوا عليه من قبل كرمان حتى أتوا درابجرد، فسار نحوهم وبعث قطري مع صالح بن مخراق تسعمائة فارس، فأقبل يسير بهم حتى استقبل عبد العزيز وهو يسير بالناس ليلا، يجرون على غير تعبئة، فهزم الناس، ونزل مقاتل بن مسمع فقاتل حتى قتل، وانهزم عبد العزيز بن عبد الله وأخذت امرأته ابنة المنذر بن الجارود، فأقيمت فيمن يزيد، فبلغت مائة ألف - وكانت جميلة - فغار رجل من قومها كان من رءوس الخوارج يقال له: أبو الحديد الشني، فقال:

تنحوا هكذا، ما أرى هذه المشركة إلا قد فتنتكم، فضرب عنقها ثم زعموا أنه لحق بالبصرة، فرآه آل منذر فقالوا: والله ما ندري أنحمدك أم نذمك! فكان يقول: ما فعلته إلا غيرة وحمة وجاء عبد العزيز حتى انتهى إلى رامهرمز، وأتى المهلب فأخبر به، فبعث إليه شيخا من أشياخ قومه كان أحد فرسانه، فقال: ائمه فإن كان منهنما فعزه وأخبره أنه لم يفعل شيئا لم يفعله الناس قبله، وأخبره أن الجنود تأتيه عاجلا، ثم يعزه الله وينصره فأتاه ذلك الرجل، فوجدوه نازلا في نحو من ثلاثين رجلا كثيبا حزينا، فسلم عليه الأزدي، وأخبره أنه رسول المهلب، وبلغه ما أمره به، وعرض عليه أن يذكر له ما كانت له من حاجة ثم انصرف إلى المهلب فأخبره الخبر، فقال له المهلب: الحق الآن بخالد بالبصرة فأخبره الخبر، فقال: أنا آتيه أخبره أن أخاه هزم! والله لا آتيه، فقال المهلب: لا والله لا يأتيه غيرك، أنت الذي عاينته ورأيت، وأنت كنت رسولي إليه، قال:

هو إذا بهديك يا مهلب إن ذهب إليه العام، ثم خرج قال المهلب: أما أنت والله فإنك لي آمن، أما والله لو أنك مع غيري، ثم أرسلك على رجلك خرجت تشتد! قال له وأقبل عليه: كأنك إنما تمن علينا بجلحك! فنحن والله نكافئك بل نزيد، أما تعلم أنا نعرض أنفسنا للقتل دونك، ونحميك من عدوك! ولو كنا والله مع من يجهل علينا، ويبيعنا في حاجاته على أرجلنا، ثم احتاج إلى قتالنا ونصرتنا جعلناه بيننا وبين عدونا، ووقينا به أنفسنا قال له المهلب: صدقت صدقت ثم دعا فتى من الأزدي كان معه فسرجه إلى خالد يخبره خبر أخيه، فأتاه الفتى الأزدي وحوله الناس، وعليه جبة خضراء ومطرف أخضر، فسلم عليه، فرد عليه، فقال: ما جاء بك؟ قال: أصلحك الله! أرسلني إليك المهلب لأخبرك خبر ما عاينته، قال: وما عاينت؟ قال: رأيت عبد العزيز برامهرمز مهزوما، قال: كذبت، قال: لا، والله ما كذبت، وما قلت لك إلا الحق، فإن كنت كاذبا فاضرب عنقي، وإن كنت صادقا فأعطني أصلحك الله جبتك ومطرفك قال: ويحك! ما أيسر ما سألت، ولقد رضيت مع الخطر العظيم إن كنت كاذبا بالخطر الصغير إن كنت صادقا.

فحبسه وأمر بالإحسان إليه حتى تبينت له هزيمة القوم، فكتب إلى عبد الملك: أما بعد، فإني أخبر أمير المؤمنين أكرمهم الله أني بعثت عبد العزيز بن عبد الله في طلب الخوارج، وأنهم لقوه بفارس، فاقتتلوا قتالا شديدا، فانهزم عبد العزيز لما انهزم عنه الناس، وقتل مقاتل بن مسمع، وقدم الفل إلى الأهواز أحببت أن أعلم أمير المؤمنين ذلك ليأتييني رأيه وأمره أنزل عنده إن شاء الله، والسلام عليك ورحمة الله فكتب إليه:

أما بعد، فقد قدم رسولك في كتابك، تعلني فيه بعثت أخاك على قتال الخوارج، وبهزيمة من هزم، وقتل من قتل، وسألت رسولك عن مكان المهلب، فحدثني أنه عامل لك على الأهواز، فقبح الله رأيك حين تبعث أخاك أعرابيا من أهل مكة على القتال، وتدع المهلب إلى جنبك يجبي الخراج، وهو الميمون النقيبة، الحسن السياسة، البصير بالحرب، المقاسي لها، ابنها وابن أبنائها! انظر ان تنهض بالناس حتى تستقبلهم بالأهواز ومن وراء الأهواز وقد بعثت إلى بشر أن يمدك بجيش من أهل الكوفة، فإذا أنت لقيت عدوك فلا تعمل فيهم برأي حتى تحضره المهلب، وتستشيره فيه إن شاء الله والسلام عليك ورحمة الله فشق عليه انه فيل رأيه في بعثة أخيه وترك المهلب، وفي أنه لم يرض رأيه خالصا حتى قال: أحضره المهلب واستشره فيه وكتب عبد الملك إلى بشر بن مروان: أما بعد، فإني قد كتبت إلى خالد بن عبد الله.

أمره بالنهوض إلى الخوارج، فسرح إليه خمسة آلاف رجل، وبعث عليهم رجلا من قبلك ترضاه، فإذا قضوا غزاتهم تلك صرفهم إلى الري فقاتلوا عدوهم، وكانوا في مسالحهم، وجبوا فيهم حتى تأتي أيام عقبيهم فتعقبهم وتبعث آخرين مكانهم.

فقطع على أهل الكوفة خمسة آلاف، وبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وقال: إذا قضيت غزاتك هذه فانصرف إلى الري.

وكتب له عليها عهدا وخرج خالد بأهل البصرة حتى قدم الأهواز، وجاء عبد الرحمن بن محمد ببعث أهل الكوفة حتى وافاهم بالأهواز، وجاءت الأزارقة حتى دنوا من مدينة الأهواز ومن معسكر القوم، وقال المهلب لخالد بن عبد الله: اني ارى هاهنا سفنا كثيره، فضمها

إليك، فوالله ما أظن القوم إلا محرقيا فما لبث إلا ساعة حتى ارتفعت خيل من خيلهم إليها فخرقتها وبعث خالد بن عبد الله على ميمنته المهلب، وعلى ميسرته داود بن قحذم من بني قيس بن ثعلبة، ومر المهلب على عبد الرحمن بن محمد ولم يخذق، فقال: يا بن أخي، ما يمنعك من الخندق! فقال: والله لهم أهون علي من ضرورة الجمل، قال: فلا يهونوا عليك يا بن أخي، فإنهم سباع العرب، لا أبرح أو تضرب عليك خندقا، ففعل وبلغ الخوارج قول عبد الرحمن بن محمد لهم: أهون علي من ضرورة الجمل، فقال شاعرهم:

يا طالب الحق لا تستهوا بالأمل ... فإن من دون ما تهوى مدى الأجل
واعمل لربك واسأله مثنوبته ... فإن تقواه فاعلم أفضل العمل

واغز الخنايث في الماضي معلمة ... كيما تصبح غدوا ضرورة الجمل

فأقاموا نحو من عشرين ليلة ثم إن خالدا زحف إليهم بالناس، فأروا أمرا هالهم من عدد الناس وعدتهم، فأخذوا يخازنون، واجترأ عليهم الناس، فكرت عليهم الخيل، وزحف إليهم فانصرفوا كأنهم على حامية وهم مولون لا يرون لهم طاقة بقتال جماعة الناس، واتبعهم خالد بن عبد الله داود بن قحذم في جيش من أهل البصرة، وانصرف خالد إلى البصرة، وانصرف عبد الرحمن بن محمد إلى الري وأقام المهلب بالأهواز، فكتب خالد بن عبد الله إلى عبد الملك: أما بعد، فإني أخبر أمير المؤمنين أصلحه الله أني خرجت إلى الأزارقة الذين مرقوا من الدين، وخرجوا من ولاية المسلمين، فالتقينا بمدينة الأهواز

فتناهضنا فاقتلنا كأشد قتال كان في الناس ثم إن الله أنزل نصره على المؤمنين والمسلمين، وضرب الله وجوه أعدائه، فأتبعهم المسلمون يقتلونهم، ولا يمتنعون ولا يمتنعون، وأفاء الله ما في عسكرهم على المسلمين، ثم أتبعهم داود بن قحذم، والله ان شاء مهلكهم ومستأصلهم، والسلام عليك.

فلما قدم هذا الكتاب على عبد الملك كتب عبد الملك الى بشر بن مروان:

أما بعد، فابعث من قبلك رجلا شجاعا بصيرا بالحرب في أربعة آلاف فارس، فليسيروا إلى فارس في طلب المارقة، فإن خالدا كتب إلي يخبرني أنه قد بعث في طلبهم داود بن قحذم، فرصاحبك الذي تبعث الا يخالف داود بن قحذم إذا ما التقيا، فإن اختلاف القوم بينهم عون لعدوهم عليهم والسلام عليك.

فبعث بشر بن مروان عتاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة، فخرجوا حتى التقوا هم وداود بن قحذم بأرض فارس، ثم اتبعوا القوم يطلبونهم حتى نفقت خيول عامتهم، وأصابهم الجهد والجوع، ورجع عامة ذينك الجيشين مشاة إلى الأهواز، فقال ابن قيس الرقيات- من بني مخزوم- في هزيمة عبد العزيز وفراره عن امرأته:

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم ... وتركتم صرعى بكل سبيل

من بين ذي عطش يجود بنفسه ... وملح بين الرجال قتيل

هلا صبرت مع الشهيد مقاتلا ... إذ رحت منتكث القوى بأصيل

وتركت جيشك لا أمير عليهم ... فارجع بعار في الحياه طويل

نسيت عرسك إذ تقاد سبية ... تبكي العيون برنة وعويل

٦٠٧٠١ خروج ابى فديك الخارجي وغلبته على البحرين

٦٠٧٠٢ خبر توجيه عبد الملك الحجاج لقتال ابن الزبير

خروج ابى فديك الخارجي وغلبته على البحرين

وفي هذه السنة كان خروج أبي فديك الخارجي، وهو من بني قيس ابن ثعلبة، فغلب على البحرين، وقتل نجدة بن عامر الحنفي، فاجتمع على خالد بن عبد الله نزول قطري الأهواز وأمر أبي فديك، فبعث أخاه أمية بن عبد الله على جند كثيف إلى أبي فديك، فهزمه أبو فديك، وأخذ جارية له فاتخذها لنفسه، وسار أمية على فرس له حتى دخل البصرة في ثلاثة أيام، فكتب خالد إلى عبد الملك بحاله وحال الأزارقة

. خبر توجيه عبد الملك الحجاج لقتال ابن الزبير

وفي هذه السنة وجه عبد الملك الحجاج بن يوسف إلى مكة لقتال عبد الله ابن الزبير، وكان السبب في توجيهه الحجاج إليه دون غيره- فيما ذكر- أن عبد الملك لما أراد الرجوع إلى الشام، قام إليه الحجاج بن يوسف فقال.

يا أمير المؤمنين، إني رأيت في منامي أنني أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته، فابعثني إليه، وولني قتاله فبعثه في جيش كثيف من أهل الشام، فسار حتى قدم مكة، وقد كتب إليهم عبد الملك بالأمان إن دخلوا في طاعته.

فحدثني الحارث، قال: حدثني محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا مصعب بن ثابت، عن أبي الأسود، عن عباد بن عبد الله بن الزبير، قال: بعث عبد الملك بن مروان حين قتل مصعب ابن الزبير الحجاج بن يوسف إلى ابن الزبير بمكة، فخرج في ألفين من جند أهل الشام في جمادى من سنة اثنتين وسبعين، فلم يعرض للمدينة، وسلك طريق العراق، فنزل بالطائف، فكان يبعث البعوث إلى عرفة في الخيل، ويبعث ابن الزبير بعثا فيقتلون هنالك، فكل ذلك تهزم خيل ابن الزبير وترجع خيل الحجاج بالظفر ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في حصار ابن الزبير ودخول الحرم عليه، ويخبره أن

شوكته قد كلت، وتفرق عنه عامة أصحابه، ويسأله أن يمدّه برجال، فجاءه كتاب عبد الملك، وكتب عبد الملك إلى طارق بن عمرو يأمره أن يلحق بمن معه من الجند بالحجاج، فسار في خمسة آلاف من أصحابه حتى لحق بالحجاج وكان قدوم الحجاج الطائف في شعبان سنة اثنتين وسبعين فلما دخل ذو القعدة رحل الحجاج من الطائف حتى نزل بئر ميمون وحصر ابن الزبير.

وجج الحجاج بالناس في هذه السنة، وابن الزبير محصور، وكان قدوم طارق مكة لهلال ذي الحجة، ولم يطف بالبيت، ولم يصل إليه وهو محرم، وكان يلبس السلاح، ولا يقرب النساء ولا الطيب إلى أن قتل عبد الله بن الزبير ونحر ابن الزبير بدنا بمكة يوم النحر، ولم يحج ذلك العام ولا أصحابه لأنهم لم يقفوا بعرفة.

قال محمد بن عمر: حدثني سعيد بن مسلم بن بابك، عن أبيه، قال: حججت في سنة اثنتين وسبعين فقدمنا مكة، فدخلناها من أعلاها، فوجد أصحاب الحجاج وطارق فيما بين المحجون إلى بئر ميمون، فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة، ثم حج بالناس الحجاج، فرأيتهم واقفا بالهضبات من عرفة على فرس، وعليه الدرع والمغفر، ثم صدر فرأيتهم عدل إلى بئر ميمون، ولم يطف بالبيت وأصحابه متسلحون، ورأيت الطعام عندهم كثيرا، ورأيت العير تأتي من الشام تحمل الطعام، الكعك والسويق والدقيق، فرأيت أصحابه مخاصيب، ولقد ابتعنا من بعضهم كعكا بدرهم، فكفانا إلى أن بلغنا الجحفة وأنا لثلاثة نفر.

قال محمد بن عمر: حدثني مصعب بن ثابت، عن نافع مولى بني أسد، قال- وكان عالما بفتنة ابن الزبير- قال: حصر ابن الزبير ليلة هلال ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين

٦٠٧٠٣ امر عبد الله بن خازم السلمي مع عبد الملك

امر عبد الله بن خازم السلمي مع عبد الملك

وفي هذه السنة كتب عبد الملك إلى عبد الله بن خازم السلمي يدعوه إلى بيعته ويطعمه خراسان سبع سنين، فذكر علي بن محمد أن الفضل بن محمد ويحيى بن طفيل وزهير بن هنيذ حدثوه- قال: وفي خبر بعضهم زيادة على خبر بعض- أن مصعب بن الزبير قتل سنة اثنتين وسبعين وعبد الله بن خازم بأبرشهر يقاتل بحير بن ورقاء الصريمي صريم بن الحارث، فكتب عبد الملك بن مروان إلى ابن خازم مع سوره بن أشيم النيمري: أن لك خراسان سبع سنين على أن تباع لي فقال ابن خازم لسورة: لولا أن أضرب بين بني سليم وبني عامر لقتلتك ولكن كل هذه الصحيفة، فأكلها قال: وقال أبو بكر بن محمد بن واسع: بل قدم بعهد عبد الله بن خازم سودة بن عبيد الله النيمري وقال بعضهم: بعث عبد الملك إلى.

ابن خازم سنان بن مكل الغنوي، وكتب إليه: أن خراسان طعمة لك، فقال له ابن خازم: إنما بعثك أبو الذبان لأنك من غني، وقد علم أنني لا أقتل رجلا من قيس، ولكن كل كتابه.

قال: وكتب عبد الملك إلى بكير بن وشاح أحد بني عوف بن سعد- وكان خليفة ابن خازم على مرو- بعهدده على خراسان ووعدده ومنه، نفل بكير بن وشاح عبد الله بن الزبير، ودعا إلى عبد الملك بن مروان، فأجابه أهل مرو، وبلغ ابن خازم نخاف أن يأتيه بكير بأهل مرو، فيجتمع عليه أهل مرو وأهل أبرشهر، فترك بحيرا، وأقبل إلى مرو يريد أن يأتي ابنه بالترمد، فأتبعه بحير، فلحقه بقرية يقال لها بالفارسية: شاهميغد، بينها وبين مرو ثمانية فراسخ.

قال: فقاتله ابن خازم، فقال مولى لبني ليث: كنت قريبا من معترك

القوم في منزل، فلما طلعت الشمس تهايج العسكران، فجعلت أسمع وقع السيوف، فلما ارتفع النهار خفيت الأصوات، فقلت: هذا لارتفاع النهار، فلما صليت الظهر- أو قبل الظهر- خرجت، فتلقاني رجل من بني تميم، فقلت: ما الخبر؟ قال: قتلت عدو الله ابن خازم وها هو ذا، وإذا هو محمول على بغل، وقد شدوا في مذاكيره جبلا وحجرا وعدلوه به على البغل.

قال: وكان الذي قتله وكيع بن عميرة القريني وهو ابن الدورقية. اعتور عليه بحير بن ورقاء وعمار بن عبد العزيز الجشمي ووكيع، فطعنوه فصرعوه، فقعد وكيع على صدره فقتله، فقال بعض الولاة لو كيع:

كيف قتلت ابن خازم؟ قال: غلبته بفضل القنا، فلما صرع قعدت على صدره، فحاول القيام فلم يقدر عليه، وقلت: يا لثارات دويلة! ودويلة أخ لو كيع لأمه، قتل قبل ذلك في غير تلك الأيام.

قال وكيع: فتنخم في وجهي وقال: لعنك الله! تقتل كبش مضر، بأخيك عالج لا يساوي كفا من نوى- أو قال: من تراب- فما رأيت أحدا أكثر ريقا منه على تلك الحال عند الموت.

قال: فذكر ابن هبيرة يوما هذا الحديث فقال: هذه والله البسالة.

قال: وبعث بحير ساعة قتل ابن خازم رجلا من بني غدانة إلى عبد الملك ابن مروان يخبره بقتل ابن خازم، ولم يبعث بالرأس، وأقبل بكير بن وشاح في أهل مرو فوافاهم حين قتل ابن خازم، فأراد أخذ رأس ابن خازم، فمنعه بحير، فضربه بكير بعمود، وأخذ الرأس وقيد بحيرا وحبسه، وبعث بكير بالرأس إلى عبد الملك، وكتب إليه يخبره أنه هو الذي قتله، فلما قدم بالرأس على عبد الملك دعا الغداني رسول بحير وقال: ما هذا؟ قال: لا أدري، وما فارقت القوم حتى قتل، فقال رجل من بني سليم:

أليتنا بنيسابور ردي ... علي الصبح ويحك أو أنيري

كواكبها زواحف لا غبات ... كأن سماءها بيدي مدير

٦٠٧٠٤ فصل نذكر فيه الكتاب من بدء امر الاسلام

تلوم على الحوادث أم زيد ... وهل لك في الحوادث من نكير!

جهلن كرامتي وصددن عني ... إلى أجل من الدنيا قصير

فلو شهد الفوارس من سليم ... غداة يطاف بالأسد العقير

لنازل حوله قوم كرام ... فعز الوتر في طلب الوتر

فقد بقيت كلاب نابحات ... وما في الأرض بعدك من زئير

فولي الحج بالناس في هذه السنة الحجاج بن يوسف.

وكان العامل على المدينة طارق مولى عثمان من قبل عبد الملك، وعلى الكوفة بشر بن مروان، وعلى قضائها عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود.

وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى قضائها هشام ابن هبيرة وعلى خراسان في قول بعضهم عبد الله بن خازم السلمي، في قول بعض: بكير بن وشاح وزعم من قال: كان على خراسان في سنة اثنتين وسبعين عبد الله بن خازم أن عبد الله بن خازم إنما قتل بعد ما قتل عبد الله بن الزبير، وأن عبد الملك إنما كتب إلى عبد الله بن خازم يدعوه إلى الدخول في طاعته على أن يطعمه

خراسان عشر سنين بعد ما قتل عبد الله بن الزبير، وبعث برأسه إليه، وأن عبد الله بن خازم حلف لما ورد عليه رأس عبد الله بن الزبير الا يعطيه طاعة أبداً، وأنه دعا بطست فغسل رأس ابن الزبير، وحنطه وكفنه، وصلى عليه، وبعث به إلى أهل عبد الله بن الزبير بالمدينة، وأطعم الرسول الكتاب، وقال: لولا أنك رسول لضربت عنقك وقال بعضهم: قطع يديه ورجليه وضرب عنقه

. فصل نذكر فيه الكتاب من بدء أمر الإسلام

روى هشام وغيره أن أول من كتب من العرب حرب بن أمية بن عبد شمس بالعربية، وأن أول من كتب بالفارسية بيوراسب، وكان في زمان إدريس وكان أول من صنف طبقات الكتاب وبين منازلهم لهراسب ابن كاوغان بن كيموس

٦٠٧٠٥ أسماء من كتب للنبي ص

٦٠٧٠٦ أسماء من كان يكتب للخلفاء والولاه

وحكي أن أبريز قال لكتابه: إنما الكلام أربعة أقسام:

سؤالك الشيء، وسؤالك عن الشيء، وأمرك بالشيء، وخبرك عن الشيء، فهذه دعائم المقالات إن التمس لها خامس لم يوجد، وإن نقص منها رابع لم تتم، فإذا طلبت فأبجح، وإذا سألت فأوضح، وإذا أمرت فأحتم، وإذا أخبرت فحقق.

وقال أبو موسى الأشعري: أول من قال: أما بعد داود، وهي فصل الخطاب الذي ذكره الله عنه.

وقال الهيثم بن عدي: أول من قال: أما بعد قس بن ساعدة الإيادي

. أسماء من كتب للنبي ص

على بن ابى طالب ع وعثمان بن عفان، كانا يكتبان الوحي، فإن غابا كتبه أبي بن كعب وزيد بن ثابت.

وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين يديه في حوائجه.

وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث والعلاء بن عقبة يكتبان بين القوم في حوائجهم، وكان عبد الله بن الأرقم ربما كتب إلى الملوكة عن النبي ص

. أسماء من كان يكتب للخلفاء والولاه

وكتب لأبي بكر عثمان، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن الأرقم وعبد الله بن خلف الخزاعي، وحنظلة بن الربيع.

وكتب لعمر بن الخطاب زيد بن ثابت، وعبد الله بن الأرقم، وعبد الله بن خلف الخزاعي أبو طلحة الطلحات على ديوان البصرة،

وكتب له على ديوان الكوفة أبو جبيرة الأنصاري.

وقال عمر بن الخطاب لكتابه وعماله: ان القوه على العمل الا

تؤخروا عمل اليوم لغد، فإنكم إذا فعلتم ذلك تذابت عليكم الأعمال، فلا تدرون بأيها تبدءون، وأيها تأخذون وهو أول من دون الدواوين في العرب في الإسلام.

وكان يكتب لعثمان مروان بن الحكم، وكان عبد الملك يكتب له على ديوان المدينة، وأبو جبيرة الأنصاري على ديوان الكوفة، وكان

أبو غطفان ابن عوف بن سعد بن دينار من بني دهمان من قيس عيلان يكتب له، وكان يكتب له أهيب مولاة، وحرمان مولاة.

وكان يكتب لعلى ع سعيد بن ثمران الهمداني، ثم ولي قضاء الكوفة لابن الزبير وكان يكتب له عبد الله بن مسعود، وروي أن عبد الله

بن جبير كتب له وكان عبيد الله بن أبي رافع يكتب له واختلف في اسم أبي رافع، فقيل: اسمه إبراهيم، وقيل: أسلم، وقيل: سنان،

وقيل:

عبد الرحمن وكان يكتب لمعاوية على الرسائل عبيد بن أوس الغساني.

وكان يكتب له على ديوان الخراج سرجون بن منصور الرومي وكتب له عبد الرحمن بن دراج، وهو مولى معاوية، وكتب على بعض

دواوينه عبيد الله بن نصر بن الحجاج بن علاء السلمي.

وكان يكتب لمعاوية بن يزيد الريان بن مسلم، ويكتب له على الديوان سرجون ويروى أنه كتب له أبو الزعيزعة.
وكتب لعبد الملك بن مروان قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي، ويكنى أبا إسحاق وكتب على ديوان الرسائل أبو الزعيزعة موله.
وكان يكتب للوليد القعقاع بن خالد- أو خليل العبسي، وكتب له على ديوان الخراج سُلَيْمَان بن سعد الخشني، وعلى ديوان الخاتم شعيب العماني موله، وعلى ديوان الرسائل جناح موله، وعلى المستغلات نفيح ابن ذؤيب موله.
وكان يكتب لسُلَيْمَان بن نعيم الحميري.

وكان يكتب لمسلمة سميع موله، وعلى ديوان الرسائل الليث بن أبي رقية مولى أم الحكم بنت أبي سفيان، وعلى ديوان الخراج سُلَيْمَان بن سعد الخشني، وعلى ديوان الخاتم نعيم بن سلامة مولى لأهل اليمن من فلسطين، وقيل: بل رجاء بن حيوة كان يتقلد الخاتم.
وكان يكتب ليزيد بن المهلب المغيرة بن أبي فروة.

وكان يكتب لعمر بن عبد العزيز الليث بن أبي رقية مولى أم الحكم بنت أبي سفيان، ورجاء بن حيوة وكتب له إسماعيل بن أبي حكيم مولى الزبير، وعلى ديوان الخراج سُلَيْمَان بن سعد الخشني، وقلد مكانه صالح بن جبير الغساني- وقيل: الغداني- وعدي بن الصباح بن المثنى، ذكر الهيثم بن عدي أنه كان من جلة كتّابه.

وكتب ليزيد بن عبد الملك قبل الخلافة رجل يقال له يزيد بن عبد الله، ثم استكتب أسامة بن يزيد السليحي.
وكتب لهشام سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الكلبي الأبرش، ويكنى أبا مخاشع، وكان نصر بن سيار يتقلد ديوان خراج خراسان لهشام وكان من كتّابه بالرصافة شعيب بن دينار.

وكان يكتب للوليد بن يزيد بكير بن الشماخ، وعلى ديوان الرسائل سالم مولى سعيد بن عبد الملك، ومن كتّابه عبد الله بن أبي عمرو، ويقال:

عبد الأعلى بن أبي عمرو، وكتب له على الحضرة عمرو بن عتبة وكتب ليزيد بن الوليد الناقص عبد الله بن نعيم، وكان عمرو ابن الحارث مولى بني جمح يتولى له ديوان الخاتم، وكان يتقلد له ديوان

الرسائل ثابت بن سُلَيْمَان بن سعد الخشني- ويقال الربيع بن عرعر الخشني- وكان يتقلد له الخراج والديوان الذي للخاتم الصغير النضر بن عمرو من أهل اليمن.

وكتب لإبراهيم بن الوليد ابن أبي جمعة، وكان يتقلد له الديوان بفلسطين، وبائع الناس إبراهيم- أعني ابن الوليد- سوى أهل حمص، فإنهم بايعوا مروان بن مُحَمَّد الجعدي وكتب لمروان عبد الحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب العامري، ومصعب بن الربيع الخثعمي، وزباد بن أبي الورد وعلى ديوان الرسائل عثمان بن قيس مولى خالد القسري وكان من كتّابه مخلد بن مُحَمَّد بن الحارث- ويكنى أبا هاشم- ومن كتّابه مصعب بن الربيع الخثعمي، ويكنى أبا موسى وكان عبد الحميد بن يحيى من البلاغة في مكان مكنين، ومما اختير له من الشعر:

ترحل ما ليس بالقافل ... وأعقب ما ليس بالزائل
فلهفي على الخلف النازل ... ولهفي على السلف الراحل
أبكي على ذا وأبكي لذا ... بكاء مولهة ثاكل

تبكي من ابن لها قاطع ... وتبكي على ابن لها واصل
فليست تفتقر عن عبرة ... لها في الضمير ومن هامل
تقضت غوايات سكر الصبي ... ورد التقى عن الباطل

وكتب لأبي العباس خالد بن برمك، ودفع أبو العباس ابنته ريطة إلى خالد بن برمك حتى أرضعتها زوجته أم خالد بنت يزيد بلبان بنت لخالد تدعى أم يحيى، وأرضعت أم سلمة زوجة أبي العباس أم يحيى بنت خالد بلبان ابنتها ريطة وقلد ديوان الرسائل صالح بن الهيثم مولى ريطة بنت أبي العباس

وكتب لأبي جعفر المنصور عبد الملك بن حميد مولى حاتم بن النعمان الباهلي من أهل خراسان، وكتب له هاشم بن سعيد الجعفي وعبد

الأعلى بن أبي طلحة من بني تميم بواسطة وروي أن سُلَيْمَانَ بن مخلد كان يكتب لأبي جعفر، ومما كان يتمثل به أبو جعفر المنصور:
وما إن شفى نفساً كأمر صريمة ... إذا حاجة في النفس طال اعتراضها
وكتب له الربيع وكان عمارة بن حمزة من نبلاء الرجال، وله:
لا تشكون دهرًا صحت به ... إن الغنى في صحة الجسم
هيك الإمام أكنت منتفعا ... بغضارة الدنيا مع السقم!
وكان يتمثل بقول عبد بني الحسحاس:
أمن أمية دمع العين مذروف ... لو أن ذا منك قبل اليوم معروف
لا تبك عينك إن الدهر ذو غير ... فيه تفرق ذو إلف ومألوف
وكتب للمهدي أبو عبيد الله وأبان بن صدقة على ديوان رسائله، ومحمد بن حميد الكاتب على ديوان جنده ويعقوب بن داود، وكان
اتخذه على وزارته وأمره، وله:
عجبا لتصريف الأمور ... محبة وكراهية
والدهر يلعب بالرجال ... له دوائر جارية
ولابنه عبد الله بن يعقوب - وكان له محمد ويعقوب، كلاهما شاعر مجيد:
وزع المشيب شراستي وغرامى ... ومرى الجفون بمسبل سجام
ولقد حرصت بأن أو أرى شخصه ... عن مقلتي فرمت غير مرام
وصبغت ما صبغ الزمان فلم يدم ... صبغي ودامت صبغة الأيام
لا تبعدن شيبه ذبالة ... فارتقا في سالف الأعوام
ما كان ما استصحت من أيامها ... إلا كبعض طوارق الأحلام
ولأبيه:
طلق الدنيا ثلاثا ... واتخذ زوجا سواها
إنها زوجة سوء ... لا تبالي من أتاها
واستوزر بعده الفيض بن أبي صالح، وكان جوادا.
وكتب للمهدي موسى عبيد الله بن زياد بن أبي ليلى ومحمد بن حميد.
وسأل المهدي يوما أبا عبيد الله عن أشعار العرب، فصنفها له، فقال:
أحكمها قول طرفة بن العبد:
أرى قبر نحام بخيل بماله ... كقبر غوي في البطالة مفسد
ترى جثوتين من تراب عليهما ... صفائح صم من صفيح مصمد
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي ... عقيلة مال الفاحش المتشدد
أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة ... وما تنقص الأيام والدهر ينفد
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى ... لكالطول المرخى وثنياه باليد
وقوله:
وقد أرانا كلانا هم صاحبه ... لو أن شيئا إذا ما فاتنا رجعا
وكان شيء إلى شيء ففرقه ... دهر يكر على تفريق ما جمعا
وقول لبيد:
ألا تسألان المرء ماذا يحاول ... أنحب فيقضى أم ضلال وباطل
ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم ... بلى كل ذي رأي إلى الله واسل

وكقول النابغة الجعدي:
وقد طال عهدي بالشباب وأهله ... ولاقيت روعات تشيب النواصيا
فلم أجد الإخوان إلا صحابة ... ولم أجد الأهلين إلا مثاويا
ألم تعلمي أن قد رزئت محاربا ... فما لك منه اليوم شيء ولا ليا
وكقول هذبة بن خشرم:
ولست بمفراح إذا الدهر سرني ... ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أتبعي الشر والشر تاركي ... ولكن متى أحمل على الشر أركب
وما يعرف الأقوام للدهر حقه ... وما الدهر مما يكرهون بمعتب
وللدهر في أهل الفتى وتلاذه ... نصيب كحز الجازر المتشعب
وكقول زيادة بن زيد، وتمثل به عبد الملك بن مروان:
تذكر عن شحط أميمة فارعوى ... لها بعد إكثار وطول نحيب
وإن امرأ قد جرب الدهر لم يخف ... تقلب عصره لغير لبيب
هل الدهر والأيام إلا كما ترى ... رزينة مال أو فراق حبيب
وكل الذي يأتي فأنت نسيه ... ولست لشيء ذاهب بنسيب
وليس بعيد ما يبجيء كمقبل ... ولا ما مضى من مفرح بقريب
وكقول ابن مقبل:
لما رأت بدل الشباب بكت له ... والشيب أزدل هذه الأبدال
والناس همهم الحياة ولا أرى ... طول الحياة يزيد غير خبال
وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ... ذخرا يكون كصالح الأعمال
ووزر له يحيى بن خالد ووزر للرشيد ابنه جعفر بن يحيى بن خالد، فمن مليح كلامه: انخط سمة الحكمة، به تفصل شذورها، وينظم
منثورها قال ثمامة: قلت لجعفر بن يحيى: ما البيان؟ فقال: أن يكون الاسم محيطا بمعناك، مخبرا عن مغزاك، مخرجا من الشركة، غير
مستعان عليه بالفكرة قال الأصمعي: سمعت يحيى بن خالد يقول:
الدنيا دول، والمال عارية، ولنا بمن قبلنا أسوة، وفينا لمن بعدنا عبرة.
ونأتي بتسمية باقي كتاب خلفاء بني العباس إذا انتهينا إلى الدولة العباسية ان شاء الله تعالى.

٦٠٨ سنه ثلاث وسبعين

٦٠٨٠١ مقتل عبد الله بن الزبير.

ثم دخلت

سنة ثلاث وسبعين

ذكر الكائن الذي كان فيها من الأمور الجليلة فمن ذلك

مقتل عبد الله بن الزبير.

ذكر الخبر عن صفة ذلك:

حدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمرو.

قال: حدثني إسحاق بن يحيى، عن عبيد الله بن القبطية، قال: كانت الحرب بين ابن الزبير والحجاج ببطن مكة ستة أشهر وسبع عشرة ليلة.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: وَحَدَّثَنِي مُصْعَبُ بْنُ ثَابِتٍ، عَنْ نَافِعِ مَوْلَى بَنِي أَسَدٍ - وَكَانَ عَالِمًا بِفِتْنَةِ ابْنِ الزَّيْبِرِ - قَالَ: حَصَرَ ابْنُ الزَّيْبِرِ لَيْلَةَ هِلَالِ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَقَتْلَ لِسَبْعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، وَكَانَ حَصْرُ الْحَجَّاجِ لِابْنِ الزَّيْبِرِ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَسَبْعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً.

حَدَّثَنَا الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ يُونُسَ بْنِ مَاهُكٍ، قَالَ: رَأَيْتُ الْمُنْجَنِّقَ يَرْمِي بِهِ، فَرَعَدَتِ السَّمَاءُ وَبَرَقَتْ، وَعَلَا صَوْتُ الرُّعْدِ وَالْبَرْقِ عَلَى الْحَجَّارَةِ، فَاشْتَمَلَ عَلَيْهَا، فَأَعْظَمَ ذَلِكَ أَهْلَ الشَّامِ، فَأَمْسَكُوا بِأَيْدِيهِمْ، فَرَفَعَ الْحَجَّاجُ بَرَكَةَ قَبَائِهِ فَغَرَزَهَا فِي مَنْطِقَتِهِ، وَرَفَعَ جَرَّ الْمُنْجَنِّقِ فَوَضَعَهُ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: أَرْمُوا، وَرَمَى مَعَهُمْ قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحُوا، فَجَاءَتْ صَاعِقَةٌ تَتَّبَعُهَا أُخْرَى، فَقَتَلَتْ مِنْ أَصْحَابِهِ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَانْكَسَرَ أَهْلُ الشَّامِ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ: يَا أَهْلَ الشَّامِ، لَا تَنْكُرُوا هَذَا فَإِنَّ ابْنَ تَهَامَةَ، هَذِهِ صَوَاقِقُ تَهَامَةَ، هَذَا الْفَتْحُ قَدْ حَضَرَ فَأَبْشُرُوا، إِنَّ الْقَوْمَ يَصِيبُهُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَكُمْ، فَصَعَقَتْ مِنَ الْغَدِ فَأَصِيبُ مَنْ أَصْحَابُ ابْنِ الزَّيْبِرِ عِدَّةٌ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ: أَلَا تَرَوْنَ أَنَّهُمْ يَصَابُونَ وَأَنْتُمْ عَلَى الطَّاعَةِ، وَهُمْ عَلَى خِلَافِ الطَّاعَةِ! فَلَمْ تَزَلِ الْحَرْبُ بَيْنَ ابْنِ الزَّيْبِرِ وَالْحَجَّاجِ حَتَّى كَانَ قَبِيلُ مَقْتَلِهِ وَقَدْ تَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَخَرَجَ عَامَّةُ أَهْلِ مَكَّةَ إِلَى الْحَجَّاجِ فِي الْأَمَانِ. حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ الْمُنْذَرِ بْنِ جَهْمِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ ابْنَ الزَّيْبِرِ يَوْمَ قَتْلِهِ وَقَدْ تَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَخَذَلَهُ مِنْ مَعِهِ خَذَلَانَا شَدِيدًا، وَجَعَلُوا يَخْرُجُونَ إِلَى الْحَجَّاجِ حَتَّى خَرَجَ إِلَيْهِ نَحْوُ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ.

وَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ فَارِقِهِ وَخَرَجَ إِلَى الْحَجَّاجِ ابْنَاهُ حَمْزَةُ وَخَبِيبٌ، فَأَخَذَا مِنْهُ لَأَنْفُسَهُمَا أَمَانًا، فَدَخَلَ عَلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ - كَمَا ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ مَخْرَمَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ الْوَالِيِّ، قَالَ: دَخَلَ ابْنُ الزَّيْبِرِ عَلَى أُمِّهِ حِينَ رَأَى مِنَ النَّاسِ مَا رَأَى مِنْ خَذَلَانِهِمْ، فَقَالَ: يَا أُمُّهُ، خَذَلَنِي النَّاسَ حَتَّى وَلَدِي وَأَهْلِي، فَلَمْ يَبْقَ مَعِيَ إِلَّا الْيَسِيرُ مِنْ لَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ الدَّفْعِ أَكْثَرَ مِنْ صَبْرِ سَاعَةٍ، وَالْقَوْمُ يَعْطُونَنِي مَا أُرَدْتُ مِنَ الدُّنْيَا، فَمَا رَأَيْكَ؟ فَقَالَتْ: أَنْتَ وَاللَّهِ يَا بَنِي أَعْلَمَ بِنَفْسِكَ، إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ عَلَى حَقٍّ وَإِلَيْهِ تَدْعُو فَاْمُضْ لَهُ، فَقَدْ قَتَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُكَ، وَلَا تَمَكِّنْ مِنْ رَقَبَتِكَ يَتَلَعَّبُ بِهَا غُلَامَانِ أُمِّيَّةٌ، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا أُرَدْتَ الدُّنْيَا فَبُئْسَ الْعَبْدُ أَنْتَ! أَهْلَكَتَ نَفْسَكَ، وَأَهْلَكَتَ مَنْ قَتَلَ مَعَكَ، وَإِنْ قُلْتَ: كُنْتُ عَلَى حَقٍّ فَلَهَا وَهْنُ أَصْحَابِي ضَعُفَتْ، فَهَذَا لَيْسَ فِعْلُ الْأَحْرَارِ وَلَا أَهْلُ الدِّينِ، وَكَمْ خُلُودُكَ فِي الدُّنْيَا! الْقَتْلُ أَحْسَنُ فَدَنَا ابْنُ الزَّيْبِرِ فَقَبِلَ رَأْسَهَا وَقَالَ: هَذَا وَاللَّهِ رَأْيِي، وَالَّذِي قَتَلَ بِهِ دَاعِيَا إِلَى يَوْمِي هَذَا مَا رَكَنْتُ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَا أَحْبَبْتُ الْحَيَاةَ فِيهَا، وَمَا دَعَانِي إِلَى الْخُرُوجِ إِلَّا الْغَضَبُ لِلَّهِ أَنْ تَسْتَحِلَّ حَرَمَهُ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أَعْلَمَ رَأْيَكَ، فَزِدْتَنِي، بِصِيرَةٍ مَعَ بَصِيرَتِي.

فَانْظُرِي يَا أُمُّهُ فَإِنَّهُ مَقْتُولٌ مِنْ يَوْمِي هَذَا، فَلَا يَشْتَدُ حَزْنُكَ، وَسَلِّهِ الْأَمْرَ لِلَّهِ، فَإِنَّ ابْنَكَ لَمْ يَتَعَمَّدْ إِيْتَانِ مَنْكَرٍ، وَلَا عَمَلًا بِفَاحِشَةٍ، وَلَمْ يَجْرِ فِي

حُكْمِ اللَّهِ، وَلَمْ يَغْدِرْ فِي أَمَانٍ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ ظُلْمَ مُسْلِمٍ وَلَا مُعَاهِدٍ، وَلَمْ يَبْلُغْنِي ظُلْمٌ عَنْ عَمَلِي فَرَضِيَّتَ بِهِ بَلْ أَنْكَرْتَهُ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ آثَرَ عِنْدِي مِنْ رِضَا رَبِّي اللَّهُ إِنْ لَا أَقُولُ هَذَا تَزْكِيَةً لِنَفْسِي، أَنْتَ أَعْلَمُ بِي، وَلَكِنْ أَقُولُهُ تَعَزِيَةً لَأُمِّي لِتَسْلُو عَنِّي فَقَالَتْ أُمُّهُ: إِنِّي لِأَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ عَزَائِي فِيكَ حَسَنًا إِنْ تَقَدَّمْتَنِي، وَإِنْ تَقَدَّمْتِكَ فَفِي نَفْسِي، أَخْرَجَ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى مَا يَصِيرُ أَمْرُكَ قَالَ: جَزَاكَ اللَّهُ يَا أُمُّهُ خَيْرًا، فَلَا تَدْعِي الدَّعَاءَ لِي قَبْلَ وَبَعْدَ فَقَالَتْ: لَا أَدْعُهُ أَبَدًا، فَمَنْ قَتَلَ عَلَى بَاطِلٍ فَقَدْ قَتَلَ عَلَى حَقٍّ ثُمَّ قَالَتْ: اللَّهُمَّ ارْحَمْ طَوْلَ ذَلِكَ الْقِيَامِ فِي اللَّيْلِ الطَّوِيلِ، وَذَلِكَ النَّحِيبِ وَالظُّمَأِ فِي هَوَاجِرِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، وَبِرِهِ بِأَيِّهِ وَبِي اللَّهُمَّ قَدْ سَلَّمْتَهُ لَأَمْرِكَ فِيهِ، وَرَضِيَّتَ بِمَا قَضَيْتَ، فَأَثْبَنِي فِي عَبْدِ اللَّهِ ثَوَابَ الصَّابِرِينَ الشَّاكِرِينَ.

قَالَ مُصْعَبُ بْنُ ثَابِتٍ: فَمَا مَكَّثَتْ بَعْدَهُ إِلَّا عَشْرًا، وَيُقَالُ: خَمْسَةُ أَيَّامٍ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَمِّهِ قَالَ: دَخَلَ ابْنُ الزَّيْبِرِ عَلَى أُمِّهِ وَعَلَيْهِ الدَّرْعُ وَالْمَغْفَرُ، فَوَقَفَ فَسَلَّمَ، ثُمَّ دَنَا فَتَنَاوَلَ يَدَهَا فَقَبَّلَهَا فَقَالَتْ: هَذَا وَدَاعٍ فَلَا تَبْعُدْ، قَالَ ابْنُ الزَّيْبِرِ:

جِئْتُ مُودَعًا، إِنِّي لِأَرَى هَذَا آخِرَ يَوْمٍ مِنَ الدُّنْيَا يَمُرُّ بِي، وَأَعْلَمِي يَا أُمُّهُ أَنِّي إِنْ قَتَلْتُ فَإِنَّمَا أَنَا لَحْمٌ لَا يَضُرُّنِي مَا صَنَعَ بِي، قَالَتْ: صَدَقْتَ

يا بني، أتمم على بصيرتك، ولا تمكن ابن أبي عقيل منك، وادن مني أودعك، فدنا منها فقبلها وعانقها، وقالت حيث مست الدرع: ما هذا صنيع من يريد ما تريد! قال: ما لبست هذا الدرع إلا لأشد منك، قالت العجوز: فإنه لا يشد مني، فزعهما ثم أدرج كميته، وشد أسفل قميصه، وجبة خز تحت القميص فأدخل أسفلها في المنطقة، وأمه تقول: البس ثيابك مشمره ثم انصرف ابن الزبير وهو يقول:

إني إذا أعرف يومي أصبر ... إذ بعضهم يعرف ثم ينكر

فسمعت العجوز قوله، فقالت: تصبر والله إن شاء الله، أبوك أبو بكر والزبير، وأمك صفية بنت عبد المطلب. حدثني الحارث، قال: حدثني ابن سعد، قال: أخبرني محمد بن عمر، قال: أخبرنا ثور بن يزيد، عن شيخ من أهل حمص شهد وقعة ابن الزبير مع أهل الشام، قال: رأيته يوم الثلاثاء وأنا لنطلع عليه أهل حمص خمسمائة خمسمائة من باب لنا ندخله، لا يدخله غيرنا، فيخرج إلينا وحده في أثرنا، ونحن منهزمون منه، فما أنسى أرجوزة له:

إني إذا أعرف يومي أصبر وإنما يعرف يوميه الحر إذ بعضهم يعرف ثم ينكر.

فأقول: أنت والله الحر الشريف، فلقد رأيته يقف في الأبطح ما يدنو منه أحد حتى ظننا أنه لا يقتل.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا مصعب بن ثابت، عن نافع مولى بني أسد، قال: رأيت الأبواب قد شخنت من أهل الشام يوم الثلاثاء، وأسلم أصحاب ابن الزبير المحارس، وكثرهم القوم فأقاموا على كل باب رجالا وقائدا وأهل بلد، فكان لأهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة، ولأهل دمشق باب بني شيبه، ولأهل الأردن باب الصفا، ولأهل فلسطين باب بني جمح، ولأهل قنسرين باب بني سهم، وكان الحجاج وطارق بن عمرو جميعا في ناحية الأبطح إلى المروة، فمرة يحمل ابن الزبير في هذه الناحية، ومرة في هذه الناحية فلكانه أسد في أجمة ما يقدم عليه الرجال، فيعدو في أثر القوم وهم على الباب حتى يخرجهم وهو يرتجز:

إني إذا أعرف يومي أصبر وإنما يعرف يوميه الحر ثم يصيح: يا أبا صفوان، ويل أمه فتحا لو كان له رجال! لو كان قرني واحدا كفيته.

قال ابن صفوان: إي والله وألف.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: لحدثني ابن أبي الزناد وأبو بكر بن عبد الله بن مصعب، عن أبي المنذر، وحدثنا نافع مولى بني أسد، قال: لما كان يوم الثلاثاء صبيحة سبع عشرة من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وقد أخذ الحجاج على ابن الزبير بالأبواب، بات ابن الزبير يصلي عامة الليل، ثم احتبى بجمائل سيفه فأغفى، ثم انتبه بالفجر فقال: أذن يا سعد، فأذن عند المقام، وتوضأ ابن الزبير، وركع ركعتي الفجر، ثم تقدم، وأقام المؤذن فصلى بأصحابه، فقرأ «ن وَالْقَلَمِ» حرفا حرفا، ثم سلم، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

اكشفوا وجوهكم حتى أنظر، وعليهم المغافر والعمائم، فكشفوا وجوههم فقال: يا آل الزبير، لو طبتم لي نفسا عن أنفسكم كذا أهل بيت من العرب اصطلمنا في الله لم تصبنا زباء بته أما بعد يا آل الزبير، فلا يرعكم وقع السيوف، فإني لم أحضر موطننا قط الا ارتثت فيه من القتل، وما أجد من أدواء جراحها أشد مما أجد من ألم وقعها صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم، لا أعلم امرأ كسر سيفه، واستبقى نفسه، فإن الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل، غضوا أبصاركم عن البارقه، وليشغل كل امرئ قرنه، ولا يلهينكم السؤال عني، ولا تقولن: أين عبد الله بن الزبير؟ ألا من كان سائلا عني فإني في الرعي الأول.

إني لابن سلمى أنه غير خالد ... ملاقي المنايا أي صرف تيمما
فلست بمبتاع الحياة بسبة ... ولا مرتق من خشية الموت سلما

احملوا على بركة الله.

ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجون، فرمي بأجرة فأصابته في وجهه فأرعرش لها، ودمى وجهه، فلما وجد سخونة الدم يسيل على وجهه ولحيته قال:

فلسنا على الأعقاب تَدْمَى كُلُّوْمُنَا ... وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا
وتغاووا عليه.

قالا: وصاحت مولاه لنا مجنونه: وا امير المؤمنين! قالوا: وقد رآته حيث هوى، فأشارت لهم إليه، فقتل وإن عليه ثياب خز وجاء
الخبر إلى الحجاج، فسجد وسار حتى وقف عليه وطارق بن عمرو، فقال طارق:

ما ولدت النساء أذكر من هذا، فقال الحجاج: تمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين! قال: نعم، هو أعذر لنا، ولولا هذا ما كان لنا عذر،
أنا محاصروه وهو في غير خندق ولا حصن ولا منعة منذ سبعة أشهر ينتصف منا، بل يفضل علينا في كل ما التقينا نحن وهو، فبلغ
كلامهما عبد الملك، فصوب طارقا.

حدثنا عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، عن رجاله، قال: كأني أنظر إلى الزبير وقد قتل غلاما أسود، ضربه فعرقبه، وهو يمر في حملته عليه
ويقول: صبرا يا بن حام، ففي مثل هذه المواطن تصبر الكرام! حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمرو، قال:
حدثني عبد الجبار بن عمار، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، قال: بعث الحجاج برأس ابن الزبير ورأس عبد الله بن
صفوان ورأس عمار بن عمرو بن حزم إلى المدينة فنصبت بها، ثم ذهب بها إلى عبد الملك بن مروان، ثم دخل الحجاج

٦٠٨٠٢ أخبار متفرقة

مكة، فبايع من بها من قريش لعبد الملك بن مروان

[أخبار متفرقة]

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة ولى عبد الملك طارقا مولى عثمان المدينة فوليا خمسة أشهر.

وفي هذه السنة توفي بشر بن مروان في قول الواقدي، وأما غيره فإنه قال: كانت وفاته في سنة أربع وسبعين.

وفيها أيضا وجه- فيما ذكر- عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر لقتال أبي فديك، وأمره أن يندب معه من أحب من أهل
المصريين، فقدم الكوفة فندب أهلها، فانتدب معه عشرة آلاف، ثم قدم البصرة فندب أهلها، فانتدب معه عشرة آلاف، فأخرج لهم
أرزاقهم وأعطياتهم، فأعطوها ثم سار بهم عمر بن عبيد الله، فجعل أهل الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة، وجعل
أهل البصرة على الميسرة وعليهم ابن أخيه عمر بن موسى بن عبيد الله، وجعل خيله في القلب، حتى انتهوا إلى البحرين، فصف عمر بن
عبيد الله أصحابه، وقدم الرجال في أيديهم الرماح قد ألزموها الأرض، واستتروا بالبراذع فحمل أبو فديك وأصحابه حملة رجل واحد،
فكشفوا ميسرة عمر بن عبيد الله حتى ذهبوا في الأرض إلا المغيرة بن المهلب ومعن بن المغيرة ومجاعة ابن عبد الرحمن وفرسان الناس
فإنهم مالوا إلى صف أهل الكوفة وهم ثابتون، وارث عمر بن موسى بن عبيد الله، فهو في القتلى قد أثنى جراحة.

فلما رأى أهل البصرة أهل الكوفة لم ينهزموا تدموا ورجعوا وقاتلوا وما عليهم أمير حتى مروا بعمر بن موسى بن عبيد الله جريحا فحملوه
حتى أدخلوه عسكر الخوارج وفيه تبين كثير فأحرقوه، ومالت عليهم الرياح، وحمل أهل الكوفة وأهل البصرة حتى استباحوا عسكرهم
وقتلوا أبا فديك، وحصروهم في المشقر، فنزلوا على الحكم، فقتل عمر بن عبيد الله منهم- فيما ذكر- نحو من ستة آلاف، واسر ثمانمائة،
وأصابوا جاريه اميه بن عبد الله حبل من أبي فديك وانصرفوا إلى البصرة

وفي هذه السنة عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وولاه أخاه بشر بن مروان، فصارت ولايتها وولاية الكوفة إليه،
فشخص بشر لما ولي مع الكوفة البصرة إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث.

وفيها غزا محمد بن مروان الصائفة، فهزم الروم وقيل: إنه كان في هذه السنة وقعة عثمان بن الوليد بالروم في ناحية أرمينية وهو في
أربعة آلاف والروم في ستين ألفا، فهزمهم وأكثر القتل فيهم.

وأقام الحج في هذه السنة للناس الحجاج بن يوسف وهو على مكة واليمن واليمامة، وعلى الكوفة والبصرة- في قول الواقدي- بشر بن
مروان، وفي قول غيره على الكوفة بشر بن مروان، وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى قضاء الكوفة شريح بن

الحَارِث، وعلى قضاء البصره هشام ابن هبيرة، وعلى خراسان بكير بن وشاح

٦٠٩ سنه اربع وسبعين

٦٠٩٠١ ذكر الخبر عن حرب المهلب للأزارقه

ثم دخلت

سنة أربع وسبعين

(ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة) قال أبو جعفر: فما كان فيها من ذلك عزل عبد الملك طارق بن عمرو عن المدينة، واستعماله عليها الحجاج بن يوسف، فقدمها- فيما ذكر- فأقام بها شهرا ثم خرج معتمرا.

وفيهما كان- فيما ذكر- نقض الحجاج بن يوسف بنيان الكعبة الذي كان ابن الزبير بناه، وكان إذ بناه أدخل في الكعبة الحجر، وجعل لها بابين، فأعادها الحجاج على بنائها الأول في هذه السنة، ثم انصرف إلى المدينة في صفر، فأقام بها ثلاثة أشهر يتبعث بأهل المدينة ويتعنتهم، وبني بها مسجدا في بني سلمة، فهو ينسب إليه.

واستخف فيها باصحاب رسول الله ص، نفختم في أعناقهم، فذكر محمد بن عمران بن أبي ذئب، حدثه عن رأي جابر بن عبد الله محتوما في يده.

وعن ابن أبي ذئب، عن إسحاق بن يزيد، أنه رأى أنس بن مالك محتوما في عنقه، يريد أن يذله بذلك.

قال ابن عمر: وَحَدَّثَنِي شُرَحْبِيلُ بْنُ أَبِي عَوْنٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: رَأَيْتُ الْحَجَّاجَ أَرْسَلَ إِلَى سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ فِدْعَاهُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَنْصُرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ! قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ قَالَ: كَذَبْتَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ نَفْخَ فِي عُنُقِهِ بِرِصَاصٍ.

وفيهما استقضى عبد الملك أبا إدريس الخولاني- فيما ذكر الواقدي.

وفي هذه السنة شخص في قول بعضهم بشر بن مروان من الكوفة إلى البصرة واليا عليها.

ذكر الخبر عن حرب المهلب للأزارقه

وفي هذه السنة ولي المهلب حرب الأزارقة من قبل عبد الملك

ذكر الخبر عن أمره وأمرهم فيها:

ولما صار بشر بالبصرة كتب عبد الملك إليه- فيما ذكر هشام عن أبي مخنف، عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه:

أما بعد، فابعث المهلب في أهل مصره إلى الأزارقة، وليتخب من أهل مصره وجوهمهم وفرسانهم وأولي الفضل والتجربة منهم، فإنه أعرف بهم، وخله ورأيه في الحرب، فإني أوثق شيء بتجربته ونصيحته للمسلمين، وابعث من أهل الكوفة بعثا كثيفا، وابعث عليهم رجلا معروفا شريفا، حسيبا صليبا، يعرف بالأس والنجدة والتجربة للحرب، ثم أنهض إليهم أهل المصرين فليتبعوهم أي وجه ما توجهوا حتى يبيدهم الله ويستأصلهم والسلام عليك.

فدعا بشر المهلب فأقرأه الكتاب، وأمره أن ينتخب من شاء، فبعث بجديع بن سعيد بن قبيصة بن سراق الأزدي- وهو خال يزيد ابنه- فأمره أن يأتي الديوان فينتخب الناس، وشق على بشر أن امرأة المهلب جاءت من قبل عبد الملك، فلا يستطيع أن يبعث غيره، فأوغرت صدره عليه حتى كأنه كان له إليه ذنب ودعا بشر بن مروان عبد الرحمن بن مخنف فبعثه على أهل الكوفة، وأمره أن ينتخب فرسان الناس ووجوهمهم وأولي الفضل منهم والنجدة.

قال أبو مخنف: فحدثني أشياخ الحلي، عن عبد الرحمن بن مخنف قال: دعاني بشر بن مروان فقال لي: انك قد عرفت منزلتك مني، واثرتك عندي، وقد رأيت أن أوليك هذا الجيش للذي عرفت من جزئك وغنائك وشرفك وبأسك، فكن عند أحسن ظني بك أنظر هذا الكذا كذا- يقع في المهلب- فاستبد عليه بالأمر، ولا تقبلن له مشورة ولا رأيا، وتنقصه وقصر به.

قال: فترك أن يوصيني بالجند، وقتال العدو، والنظر لأهل

الإسلام، وأقبل يغريني بآبن عمي كأني من السفهاء أو ممن يستصبي ويستجهل، ما رأيت شيئا مثلي في مثل هيئتي ومنزلي طمع منه في مثل ما طمع فيه هذا الغلام مني، شب عمرو عن الطوق.

قال: ولما رأى أنني لست بالنشيط إلى جوابه قال لي: مالك؟ قلت:

أصلحك الله! وهل يسعني إلا إنفاذ أمرك في كل ما أحببت وكهرت! قال: امض راشدا قال: فودعته وخرجت من عنده، وخرج المهلب بأهل البصرة حتى نزل رام مهران فلقني بها الخوارج، فخذق عليه، وأقبل عبد الرحمن بن مخنف بأهل الكوفة على ربع أهل المدينة معه بشر بن جرير، وعلى ربع تميم وهمدان محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس، وعلى ربع كندة وربيعة إسحاق بن محمد بن الأشعث، وعلى ربع مذحج، وأسد زحر بن قيس فأقبل عبد الرحمن حتى نزل من المهلب على ميل أو ميل ونصف حيث تراءى العسكران برام مهران، فلم يلبث الناس إلا عشرا حتى أتاها نعي بشر بن مروان، وتوفي بالبصرة، فرفض ناس كثير من أهل البصرة وأهل الكوفة، واستخلف بشر خالد بن عبد الله ابن أسيد، وكان خليفته على الكوفة عمرو بن حريث، وكان الذين انصرفوا من أهل الكوفة زحر بن قيس وإسحاق بن محمد بن الأشعث ومحمد بن ابن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس، فبعث عبد الرحمن بن مخنف ابنه جعفر في آثارهم، فرد إسحاق ومحمد، وفاته زحر بن قيس، فحبسهما يومين، ثم أخذ عليهما الا يفارقاه، فلم يلبثا إلا يوما حتى انصرفا، فأخذوا غير الطريق، وطلبا فلم يخلقا، وأقبلا حتى لحقا زحر بن قيس بالأهواز، فاجتمع بها ناس كثير ممن يريد البصرة، فبلغ ذلك خالد بن عبد الله، فكتب إلى الناس كتابا وبعث رسولا يضرب وجوه الناس ويردهم، فقدم بكتابه مولى له، فقرأ الكتاب على الناس، وقد جمعوا له:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، إِلَى مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، فَإِنِّي أَحَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى عِبَادِهِ الْجِهَادَ، وَفَرَضَ طَاعَةَ وَلَاةِ الْأَمْرِ، فَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يَجَاهِدُ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ تَرَكَ الْجِهَادَ فِي اللَّهِ كَانَ اللَّهُ عَنْهُ أَغْنَى، وَمَنْ عَصَى وَلَاةَ الْأَمْرِ وَالْقَوَامَ بِالْحَقِّ أَسْخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَكَانَ قَدْ اسْتَحَقَّ الْعُقُوبَةَ فِي بَشَرِهِ، وَعَرَضَ نَفْسَهُ لَاسْتِفَاءَ مَالِهِ وَإِقَاءَ عَطَائِهِ، وَالتَّسْيِيرَ إِلَى أَبْعَدِ الْأَرْضِ وَشَرِّ الْبُلْدَانِ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اعْلَمُوا عَلَى مَنْ اجْتَرَأْتُمْ وَمَنْ عَصَيْتُمْ! إِنَّهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِي لَيْسَتْ فِيهِ غَمِيزَةٌ، وَلَا لِأَهْلِ الْمَعْصِيَةِ عِنْدَهُ رَخْصَةٌ، سَوَّطَهُ عَلَى مَنْ عَصَى، وَعَلَى مَنْ خَالَفَ سَيْفَهُ، فَلَا تَجْعَلُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ سَبِيلًا، فَإِنِّي لَمْ آلِكُمْ نَصِيحَةَ عِبَادِ اللَّهِ، أَرْجِعُوا إِلَى مَكْتَبِكُمْ وَطَاعَةِ خَلِيفَتِكُمْ، وَلَا تَرْجِعُوا عَاصِينَ مُخَالِفِينَ فَيَأْتِيَكُمْ مَا تَكْرَهُونَ أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَا أَتَقَفُ عَاصِيًا بَعْدَ كِتَابِي هَذَا إِلَّا قَتَلْتُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

والسلام عليكم ورحمة الله وأخذ كلما قرأ عليهم سطرا أو سطرين قال له زحر: أوجز، فيقول له مولى خالد: والله إني لأسمع كلام رجل ما يريد أن يفهم ما يسمع أشهد لا يعي، بشيء مما في هذا الكتاب فقال له: اقرأ أيها العبد الأحمر ما أمرت به، ثم ارجع إلى أهلِكَ، فإنك لا تدري ما في أنفسنا فلما فرغ من قراءته لم يلتفت الناس إلى ما في كتابه، وأقبل زحر وإسحاق بن محمد ومحمد بن عبد الرحمن حتى نزلوا قرية لآل الأشعث إلى جانب الكوفة، وكتبوا إلى عمرو بن حريث:

أما بعد، فإن الناس لما بلغهم وفاة الأمير رحمة الله عليه تفرقوا فلم يبق معنا أحد، فأقبلنا إلى الأمير وإلى مصرنا، وأحببنا إلا ندخل الكوفة إلا بإذن الأمير وعلمه

٦٠٩٠٢ عزل بكير بن وشاح عن خراسان وولايه اميه بن عبد الله عليها

فكتب إليهم:

أما بعد، فإنكم تركتم مكاتبكم وأقبلتم عاصين مخالفين، فليس لكم عندنا إذن ولا أمان.

فلما أتاها ذلك انتظروا حتى إذا كان الليل دخلوا إلى رحالهم، فلم يزالوا مقيمين حتى قدم الحاجب بن يوسف

. عزل بكير بن وشاح عن خراسان وولايه اميه بن عبد الله عليها

وفي هذه السنة عزل عبد الملك بكير بن وشاح عن خراسان وولاه أمة بن عبد الله بن خالد بن أسيد. ذكر الخبر عن سبب عزل بكير وولاية أمة:

وكانت ولاية بكير بن وشاح خراسان إلى حين قدم أمة عليها واليا سنتين في قول أبي الحسن، وذلك أن ابن خازم قتل سنة ثلاث وسبعين وقدم أمة سنة أربع وسبعين.

وكان سبب عزل بكير عن خراسان أن بحيرا- فيما ذكر علي عن المفضل- حبسه بكير بن وشاح لما كان منه فيما ذكرت في رأس ابن خازم حين قتله، فلم يزل محبوسا عنده حتى استعمل عبد الملك أمة بن عبد الله ابن خالد بن أسيد، فلما بلغ ذلك بكيرا أرسل إلى بحير ليصلحه، فأبى عليه وقال: ظن بكير أن خراسان تبقى له في الجماعة! فشت السفراء بينهم، فأبى بحير، فدخل عليه ضرار بن حصين الضبي، فقال: ألا أراك مائتا! يرسل إليك ابن عمك يعتذر إليك وأنت أسيره، والمشرقي في يده- ولو قتلك ما حقت فيك عنز- ولا تقبل منه! ما أنت بموفق قبل الصلح، واخرج وأنت على أمرك فقبل مشورته، وصالح بكيرا، فأرسل إليه بكير بأربعين ألفا، وأخذ على بحير الا يقاتله وكانت تميم قد اختلفت بخراسان، فصارت مقاعس والبطون يتعصبون له، نخاف أهل خراسان أن تعود الحرب وتفسد البلاد، ويقهرهم عدوهم من المشركين، فكتبوا إلى

عبد الملك بن مروان: أن خراسان لا تصلح بعد الفتنة إلا على رجل من قريش لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه، فقال عبد الملك: خراسان ثغر المشرق، وقد كان به من الشر ما كان، وعليه هذا التيمي، وقد تعصب الناس وخافوا أن يصيروا إلى ما كانوا عليه، فيهلك الثغر ومن فيه، وقد سألوا أن أولي أمرهم رجلا من قريش فيسمعوا له ويطيعوا، فقال أمة بن عبد الله: يا أمير المؤمنين، تداركهم برجل منك، قال: لولا انخيازك عن أبي فديك كنت ذلك الرجل قال: يا أمير المؤمنين، والله ما انخزت حتى لم أجد مقاتلا، وخذلني الناس، فرأيت أن انخيازي إلى فئة أفضل من تعريضي عصبة بقيت من المسلمين للهلكة، وقد علم ذلك مرار بن عبد الرحمن بن أبي بكرة، وكتب إليك خالد بن عبد الله بما بلغه من عذري- قال: وكان خالد كتب إليه بعذره، ويخبره أن الناس قد خذلوه- فقال مرار: صدق أمة يا أمير المؤمنين، لقد صبر حتى لم يجد مقاتلا، وخذله الناس.

فولاه خراسان، وكان عبد الملك يحب أمة، ويقول: نتيجتي، أي لدتي، فقال الناس: ما رأينا أحدا عوض من هزيمة ما عوض أمة، فر من أبي فديك فاستعمل على خراسان، فقال رجل من بكر بن وائل في محبس بكير بن وشاح:

أنتك العيس تنفخ في براها ... تكشف عن مناكبها القطوع

كأن مواقع الأكوار منها ... حمام كئاس بقع وقوع

بأبيض من أمة مضرحي ... كأن جبينه سيف صنيع

وبحير يومئذ بالسج يسأل عن مسير أمة، فلما بلغه انه قد قارب أبرشهر قال الرجل من عجم أهل مرو يقال له رزين- أو زرين: دلني

٦٠٩٣ أخبار متفرقة

على طريق قريب لألقى الأمير قبل قدومه، ولك كذا وكذا، وأجزل لك العطية، وكان عالما بالطريق، فخرج به فसार من السنج إلى أرض سرخس في ليلة، ثم مضى به إلى نيسابور فوافى أمة حين قدم أبرشهر، فلقية فأخبره عن خراسان وما يصلح أهلها وتحسن به طاعتهم، ويخف على الوالي ثمتهم، ورفع على بكير أموالا أصابها، وحذره غدره.

قال: وسار معه حتى قدم مرو، وكان أمة سيدا كريما، فلم يعرض لبكير ولا لعماله، وعرض عليه أن يوليه شرطته، فأبى بكير، فولاه بحير بن ورقاء، فلام بكيرا رجال من قومه، فقالوا: أبيت أن تلي، فولى بحيرا وقد عرفت ما بينكما! قال: كنت أمس والي خراسان تحمل الحراب بين يدي، فأصير اليوم على الشرطة أحمل الحربة! وقال أمة لبكير: اختر ما شئت من عمل خراسان، قال:

طخارستان، قال: هي لك قال: فتجهز بكير وأنفق مالا كثيرا، فقال بحير لأمة: إن أتى بكير طخارستان خلعتك، فلم يزل يحذره حتى حذر، فأمره بالمقام عنده

[أخبار متفرقة]

وجج بالناس في هذه السنة الحجاج بن يوسف وكان ولي قضاء المدينة عبد الله بن قيس بن مخزومة قبل شخوصه إلى المدينة كذلك، ذكر ذلك عن محمد بن عمر.

وكان على المدينة ومكة الحجاج بن يوسف، وعلى الكوفة والبصرة بشر بن مروان، وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة، وقد ذكر أن عبد الملك بن مروان اعتمر في هذه السنة، ولا نعلم صحة ذلك.

٦٠١٠ سنه خمس وسبعين

٦٠١٠٠١ ولاية الحجاج على الكوفة وخطبته في أهلها

ثم دخلت

سنة خمس وسبعين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فمن ذلك غزوة محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قبل مرعش.

وفي هذه السنة ولى عبد الملك يحيى بن الحكم بن أبي العاص المدينة.

وفي هذه السنة ولى عبد الملك الحجاج بن يوسف العراق دون خراسان وسجستان. سنه ٧٥

ولاية الحجاج على الكوفة وخطبته في أهلها

وفيه قدم الحجاج الكوفة فحدثني أبو زيد، قال: حدثني محمد ابن يحيى أبو غسان، عن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار ابن ياسر، قال: خرج الحجاج بن يوسف من المدينة حين أتاه كتاب عبد الملك بن مروان بولاية العراق بعد وفاة بشر بن مروان في اثني عشر راجبا على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار فجاءه، وقد كان بشر بعث المهلب إلى الحرورية، فبدأ بالمسجد فدخله، ثم صعد المنبر وهو متلثم بعمامة خر حمراء، فقال: علي بالناس، فحسبوه وأصحابه خارجة، فهموا به، حتى إذا اجتمع إليه الناس قام فكشف عن وجهه وقال:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامه تعرفوني

أما والله انى لأحمل الشر محمله، واخذوه بنعله، وأجزيه بمثله، وإني لأرى رءوسا قد أينعت وحن قطافها، وإني لأنظر إلى الدماء بين العمام والمحي.

قد شمرت عن ساقها تشميرا. ... هذا أوان الشد فاشتدي زيم

قد لفها الليل بسواق حطم ... ليس براعي إبل ولا غنم

ولا بجزار على ظهر وضم ... قد لفها الليل بعصلي

أروع خراج من الدوي ... مهاجر ليس بأعرابي.

ليس أوان يكره الخلاط ... جاءت به والقلص الأعلاط

تهوي هوي سابق الغطاءط.

وإني والله يا أهل العراق ما أغمز كتغماز التين، ولا يققع لي بالشنان ولقد فررت عن ذكاء، وجريت إلى الغاية القصوى إن أمير المؤمنين، عبد الملك نشر كتابه ثم عجم عيدانها فوجدني أمرها عودا، وأصلبها مكسرا، فوجهني إليكم، فإنكم طالما أوضعتم في الفتن، وسنتم سنن الغي أما والله لألحونكم لحو العود، ولأعصبنكم عصب السلمة،

ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل إني والله لا أعد إلا وفيت، ولا أخلق إلا فريت فإياي وهذه الجماعات وقيل وقالوا، وما يقول، وفيم أنتم وذاك؟ والله لتسقيمن على سبل الحق اولاد عن لكل رجل منكم شغلا في جسده من وجدت بعد ثلاثة من بعث المهلب سفكت دمه، وأنهيته ماله.

ثم دخل منزله ولم يزد على ذلك.

قال: ويقال: إنه لما طال سكوته تناول محمد بن عمير حصي فأراد أن يحصبه بها، وقال: قاتله الله! ما أعياه وأدمه! والله إني لأحسب خبره كروائه فلما تكلم الحجاج جعل الحصى ينتثر من يده ولا يعقل به، وأن الحجاج قال في خطبته:

شاهت الوجوه! إن الله ضرب «مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ، فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ»، وأنتم أولئك واشباه أولئك، فاستوثقوا واستقيموا فوالله لأذيقنكم الهوان حتى تدرؤا، ولأعصبنكم عصب السلابة حتى تتقادوا، أقسم بالله لتقبلن على الإنصاف، ولتدعن الأرجاف، وكان وكان، وأخبرني فلان عن فلان، والهبر وما الهبر! أو لأهبرنكم؟ ٨٦٦ بالسيف هبرا يدع النساء أيامى، والولدان يتامى، وحتى تمشوا السَّمَّى، وتقلعوا عن هاوها إياي وهذه الزرافات، لا يركبن الرجل منكم إلا وحده الا انه لوساخ لأهل المعصية معصيتهم ما جبي فيء ولا قوتل عدو، ولعطلت الثغور، ولولا أنهم يغزون كرها ما غزوا طوعا، وقد بلغني رفضكم المهلب، وإقبالكم على مصركم عصاة مخالفين، وإني أقسم لكم بالله لا أجد أحدا بعد ثلاثة إلا ضربت عنقه

ثم دعا العرفاء فقال: ألقوا الناس بالمهلب، وأتوني بالبراءات بموافاتهم ولا تغلقن أبواب الجسر ليلا ولا نهارا حتى تنقضي هذه المدة. تفسير الخطبة: قوله: أنا ابن جلا، فابن جلا الصبح لأنه يجلو الظلمة والثنايا: ما صغر من الجبال وتنا وأينع الثمر: بلغ إدراكه. وقوله: فاشتدي زيم، فهي اسم للحرب والحطم: الذي يحطم كل شيء يمر به والوضم: ما وقى به اللحم من الأرض والعصلي: الشديد والدوية: الأرض الفضاء التي يسمع فيها دوي أخفاف الإبل.

والأعلاط: الإبل التي لا أرسان عليها، أنشد أبو زيد الأصمعي:

واعرورت العلط العرضي تركضه ... أم الفوارس بالدياء والرבע
والشنان، جمع شنة: القربة البالية اليابسة، قال الشاعر:

كأنك من جمال بني أقيش ... يقعقع خلف رجله بشن

وقوله: فجعم عيدانها، أي عضها، والعجم بفتح الجيم: حب الزبيب، قال الأعشى:
وملفوظها كلقيط العجم.

وقوله: أمرها عودا، أي أصلها، يقال: حبل ممر، إذا كان شديد القتل وقوله: لأعصبنكم عصب السلابة، فالعصب القطع، والسلابة، شجرة من العضاة وقوله: لا أخلق إلا فريت، فالحلق:

التقدير، قال الله تعالى: «مِنْ مَّضْغَةٍ مُخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ»، أي مقدره وغير مقدره، يعني ما يتم وما يكون سقطا، قال الكمي يصف قربة:

لم تجشم الخالقات فريتها ... ولم يفيض من نطاقها السرب

وإنما وصف حواصل الطير، يقول: ليست كهذه وصخرة خلقاء، أي ملساء، قال الشاعر:

وبهو هواء فوق مور كأنه ... من الصخرة الخلقاء زحلق ملعب

ويقال: فريت الأديم إذا أصلحته، وأفريت، بالألف إذا أنت أفسدته والسمهى: الباطل، قال أبو عمرو الشيباني: وأصله ما تسميه العامة مخاط الشيطان، وهو لعاب الشمس عند الظهيرة، قال أبو النجم العجلي:

وذاب للشمس لعاب فنزل ... وقام ميزان الزمان فاعتدل

والزرافات: الجماعات تم التفسير.

قال أبو جعفر: قال عمر: لخدثني محمد بن يحيى، عن عبد الله بن أبي عبيدة، قال: فلما كان اليوم الثالث سمع تكبيرا في السوق، فخرج حتى جلس على المنبر، فقال:

يا أهل العراق وأهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، إني سمعت تكبيرا ليس بالتكبير الذي يراد الله به في الترغيب، ولكنه التكبير الذي يراد به الترهيب، وقد عرفت أنها عجاجة تحتها قصف يا بني اللكيعة وعبيد العصا، وأبناء الأيامى، ألا يربع رجل منكم

على ظلمه، ويحسن حقن دمه، ويبصر موضع قدمه! فأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم وقعة تكون نكالا لما قبلها، وأدبا لما بعدها. قوله: تحتها قصف، فهو شدة الريح واللكماء: الورهاء، وهي الحمقاء من الإماء والطلع: الضعف والوهن من شدة السير وقوله: تهوى هوي سابق الغطاء، فالغطاط بضم الغين: ضرب من الطير.

قال الأصمعي: الغطاء بفتح الغين: ضرب من الطير، واشد الحسان ابن ثابت:

يغشون حتى ما تهر كلاهم ... لا يسألون عن الغطاء المقبل

بفتح الغين قال: والغطاط بضم الغين: اختلاط الضوء بالظلمة من آخر الليل، قال الراجز:

قام إلى آدماء في الغطاء ... يمشي بمثل قائم الفسطاط

تم التفسير.

قال: فقام إليه عمير بن ضابئ التميمي ثم الحنظلي فقال: أصلح الله الأمير! أنا في هذا البعث، وأنا شيخ كبير عليل، وهذا ابني، وهو أشب مني، قال: ومن أنت؟ قال: عمير بن ضابئ التميمي، قال:

أسمعت كلامنا بالأمس؟ قال: نعم، قال: أأست الذي غزا أمير المؤمنين عثمان؟ قال: بلى، قال: وما حملك على ذلك؟ قال: كان حبس أبي، وكان شيخا كبيرا، قال: أو ليس يقول:

هممت ولم أفعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله

إني لأحسب في قتلك صلاح المصيرين، قم إليه يا حربي فاضرب عنقه، فقام إليه رجل فاضرب عنقه، وأنهب ماله.

ويقال: إن عنبة بن سعيد قال للحجاج: أتعرف هذا؟ قال:

لا، قال: هذا أحد قتلة أمير المؤمنين عثمان، فقال الحجاج: يا عدو الله، أفلا إلى أمير المؤمنين بعثت بديلا! ثم أمر بضرب عنقه، وأمر مناديا فنادى: ألا إن عمير بن ضابئ أتى بعد ثلاثة، وقد كان سمع النداء، فأمرنا بقتله ألا فإن ذمة الله بريئة ممن بات الليلة من جند المهلب.

نفرج الناس فازدحموا على الجسر، وخرجت العرفاء إلى المهلب وهو يرامرمر فأخذوا كتبه بالموافاة، فقال المهلب: قدم العراق اليوم رجل ذكر: اليوم قوتل العدو.

قال ابن أبي عبيدة في حديثه: فعبر الجسر تلك الليلة أربعة آلاف من مذبح، فقال المهلب: قدم العراق رجل ذكر

قال عمر عن أبي الحسن، قال: لما قرأ عليهم كتاب عبد الملك قال القارئ: أما بعد، سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله فقال له:

اقطع، يا عبيد العصا، أسلم عليكم أمير المؤمنين فلا يرد راد منكم السلام! هذا أدب ابن نهيبة، أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب، أبدأ بالكتاب، فلما بلغ إلى قوله: أما بعد، سلام عليكم، لم يبق منهم أحد إلا قال: وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله قال عمر: حدثني عبد الملك بن شيبان بن عبد الملك بن مسمع، قال: حدثني عمرو بن سعيد، قال: لما قدم الحجاج الكوفة خطبهم فقال: إنكم قد أخلثتم بعسكر المهلب، فلا يصبحن بعد ثلاثة من جنده أحد، فلما كان بعد ثلاثة أتى رجل يستدعي، فقال: من بك؟ قال: عمير بن ضابئ البرجمي، أمرته بالخروج إلى معسكره فضر بني- وكذب عليه فأرسل الحجاج إلى عمير بن ضابئ، فأتي به شيخا كبيرا، فقال له:

ما خلفك عن معسكرك؟ قال: أنا شيخ كبير لا حراك بي، فأرسلت ابني بديلا فهو أجلد مني جلدا، وأحدث مني سنا، فسل عما أقول لك، فإن كنت صادقا وإلا فعاقبني قال: فقال عنبة بن سعيد: هذا الذي أتى عثمان قتيلا، فلطم وجهه ووشب عليه فكسر ضلعين من أضلاعه، فأمر به الحجاج فضربت عنقه، قال عمرو بن سعيد: فوالله.

إني لأسير بين الكوفة والحيرة إذ سمعت رجزا مضريا، فعدلت إليهم فقلت: ما الخبر؟

فقالوا: قدم علينا رجل من شر أحياء العرب من هذا الحي من ثمود، أسقف الساقين، ممسوح الجاعرتين أخفش العينين، فقدم سيد الحي عمير بن ضابئ فاضرب عنقه

ولما قتل الحجاج عمير بن ضابئ لقي إبراهيم بن عامر أحد بني غاضرة من بني أسد عبد الله بن الزبير في السوق فسأله عن الخبر، فقال ابن الزبير:

أقول لإبراهيم لما لقيته ... أرى الأمر أمسى منصبا متشعبا
تجهز وأسرع والحق الجيش لا أرى ... سوى الجيش إلا في المهالك مذهبا
تخير فإما أن تزور ابن ضابئ ... عميرا وإما أن تزور المهلبا
هما خطتا كره نجاؤك منهما ... ركوبك حوليا من الثلج أشهبا
فحال ولو كانت خراسان دونه ... رآها مكان السوق أو هي اقربا
فكائن ترى من مكروه العدو مسمن ... تحمم حنو السرج حتى تحنبا

وكان قدوم الحجاج الكوفة- فيما قيل- في شهر رمضان من هذه السنة، فوجه الحكم بن أيوب الثقفي، على البصرة أميرا، وأمره أن يشتد على خالد بن عبد الله، فلما بلغ خالدا الخبر خرج من البصرة قبل أن يدخلها الحكم، فنزل الجلحاء وشيعة أهل البصرة، فلم يبرح مصلا حتى قسم فيهم ألف ألف ورجع بالناس في هذه السنة عبد الملك بن مروان، حدثني بذلك أحمد ابن ثابت عمن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر ووفد يحيى بن الحكم في هذه السنة على عبد الملك بن مروان، واستخلف على عمله بالمدينة أبان بن عثمان، وأمر عبد الملك يحيى بن الحكم أن يقر على عمله على ما كان عليه بالمدينة وعلى الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف وعلى خراسان

٦٠١٠٠٢ ذكر الخبر عن ثوره الناس بالحجاج بالبصرة

أمية بن عبد الله وعلى قضاء الكوفة شريح، وعلى قضاء البصرة زراره ابن أوفى.
وفي هذه السنة خرج الحجاج من الكوفة إلى البصرة، واستخلف على الكوفة أبا يعفور عروة بن المغيرة بن شعبة، فلم يزل عليها حتى رجع إليها بعد وقعة رستقباد.

ذكر الخبر عن ثوره الناس بالحجاج بالبصرة
وفي هذه السنة ثار الناس بالحجاج بالبصرة.

ذكر الخبر عن سبب وثوبهم به:

ذكر هشام، عن أبي مخنف، عن أبي زهير العبسي، قال: خرج الحجاج بن يوسف من الكوفة بعد ما قدمها، وقتل ابن ضابئ من فوره ذلك حتى قدم البصرة، فقام فيها بخطبة مثل الذي قام بها في أهل الكوفة، وتوعدهم مثل وعيده إياهم، فأتي برجل من بني يشكر فقبل:

هذا عاص، فقال: إن بي فتقا، وقد رآه بشر فعذرني، وهذا عطائي مردود في بيت المال، فلم يقبل منه وقتله، ففزع لذلك أهل البصرة، فخرجوا حتى تداكثوا على العارض بقنطرة رامهرمز، فقال المهلب: جاء الناس رجل ذكر.

ونخرج الحجاج حتى نزل رستقباد في أول شعبان سنة خمس وسبعين فثار الناس بالحجاج، عليهم عبد الله بن الجارود، فقتل عبد الله بن الجارود، وبعث بثمانية عشر رأسا فنصبت برامهرمز للناس، فاشتدت ظهور المسلمين، وساء ذلك الخوارج، وقد كانوا رجوا أن يكون من الناس فرقة واختلاف، فانصرف الحجاج إلى البصرة.

وكان سبب أمر عبد الله بن الجارود أن الحجاج لما نذب الناس إلى

٦٠١٠٠٣ نفى المهلب وابن مخنف الازارقه عن رامهرمز

اللاحق بالمهلب بالبصرة فشحصوا سار الحجاج حتى نزل رستقباد قريبا من دستوى في آخر شعبان ومعه وجوه أهل البصرة، وكان بينه وبين المهلب ثمانية عشر فرسخا، فقام في الناس، فقال: إن الزيادة التي زادكم ابن الزبير في أعطياتكم زيادة فاسق منافق، ولست أجزئها فقام إليه عبد الله بن الجارود العبدي فقال: إنها ليست بزيادة فاسق منافق، ولكنها زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أثبتنا لنا فكذبه وتوعده، ففرج ابن الجارود على الحجاج وتابعه وجوه الناس، فاقتتلوا قتالا شديدا، فقتل ابن الجارود وجماعة من أصحابه، وبعث برأسه

ورءوس عشرة من أصحابه إلى المهلب، وانصرف إلى البصرة، وكتب إلى المهلب وإلى عبد الرحمن بن مخنف: أما بعد، إذا أتاكم كتابي هذا فناهضوا الخوارج، والسلام

. نفى المهلب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز

وفي هذه السنة نفى المهلب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز.

ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهم في هذه السنة: ذكر هشام عن أبي مخنف، عن أبي زهير العبسي، قال: ناهض المهلب وابن مخنف الأزارقة برامهرمز بكتاب الحجاج إليهما لعشر بقين من شعبان يوم الاثنين سنة خمس وسبعين، فأجلوهم عن رامهرمز من غير قتال شديد، ولكنهم زحفوا إليهم حتى أزالوهم، وخرج القوم كأنهم على حامية، حتى نزلوا سابور بأرض منها يقال لها كازرون، وسار المهلب وعبد الرحمن بن مخنف حتى نزلوا بهم في أول رمضان، فخذق المهلب عليه، فذكر أهل البصرة أن المهلب قال لعبد الرحمن بن مخنف: إن رأيت أن تخذق عليك فافعل، وإن أصحاب عبد الرحمن أبوا عليه وقالوا: إنما خندقنا سيوفنا وإن الخوارج زحفوا إلى المهلب ليلا ليبيتوه، فوجدوه قد أخذ حذره، فقالوا نحو عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه لم يخذق،

فقاتلوه، فانهزم عنه أصحابه، فنزل فقاتل في أناس من أصحابه فقتل، وقتلوا حوله، فقال شاعرهم:

لن العسكر المكمل بالصرعى ... فهم بين ميت وقتيل

قراهم تسفي الرياح عليهم ... حاصب الرمل بعد جر الذبول

وأما أهل الكوفة فإنهم ذكروا أن كتاب الحجاج بن يوسف أتى المهلب وعبد الرحمن بن مخنف، أن ناهضا الخوارج حين يأتيكما كتابي فناهضاهم يوم الأربعاء لعشر بقين من رمضان سنة خمس وسبعين واقتتلوا قتالا شديدا لم يكن بينهم فيما مضى قتال كان أشد منه، وذلك بعد الظهر، فالت الخوارج بحدّها على المهلب بن أبي صفرة فاضطروه إلى عسكره، فسرّح إلى عبد الرحمن رجالا من صلحاء الناس، فأتوه، فقالوا: إن المهلب يقول لك: إنما عدونا واحد، وقد ترى ما قد لقي المسلمون، فأمد إخوانك يرحمك الله فأخذ يمدّه بالخليل بعد الخليل، والرجال بعد الرجال، فلما كان بعد العصر ورأت الخوارج ما يجيء من عسكر عبد الرحمن من الخليل والرجال إلى عسكر المهلب ظنوا أنه قد خف أصحابه، فجعلوا خمس كتاب أو ستا تجاه عسكر المهلب، وانصرفوا بجدهم وجمعهم إلى عبد الرحمن بن مخنف، فلما رأهم قد صمدوا له نزل ونزل معه القراء، عليهم أبو الأحوص صاحب عبد الله بن مسعود، وخزيمة بن نصر أبو نصر ابن خزيمة العبسي الذي قتل مع زيد بن علي وصلب معه بالكوفة، ونزل معه من خاصة قومه أحد وسبعون رجلا، وحملت عليهم الخوارج فقاتلهم قتالا شديدا ثم إن الناس انكشفوا عنه، فبقي في عصابة من أهل الصبر ثبتوا معه، وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمن بعثه إلى المهلب، فنادى في الناس ليتبعوه إلى أبيه، فلم يتبعه إلا ناس قليل، فجاء حتى إذا دنا من أبيه حالت الخوارج بينه وبين أبيه، فقاتل حتى ارتثته الخوارج، وقاتل عبد الرحمن بن مخنف ومن معه على تل مشرف حتى ذهب نحو من ثلثي الليل، ثم قتل في تلك العصابة، فلما أصبحوا جاء المهلب حتى

أتاه، فدفعه وصلى عليه، وكتب بمصابه إلى الحجاج، فكتب بذلك الحجاج إلى عبد الملك بن مروان، فنعى عبد الرحمن بمنى، وذم أهل الكوفة، وبعث الحجاج على عسكر عبد الرحمن بن مخنف عتاب بن ورقاء، وأمره إذا ضمتما الحرب أن يسمع للمهلب ويطيع، فسأه ذلك، فلم يجد بدا من طاعة الحجاج ولم يقدر على مراجعته، فجاء حتى أقام في ذلك العسكر، وقاتل الخوارج وأمره إلى المهلب، وهو في ذلك يقضي أموره، ولا يكاد يستشير المهلب في شيء فلما رأى ذلك المهلب اصطنع رجالا من أهل الكوفة فيهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة، فأغراهم بعتاب.

قال أبو مخنف عن يوسف بن يزيد: إن عتابا أتى المهلب يسأله أن يرزق أصحابه، فأجلسه المهلب معه على مجلسه، قال: فسأله أن يرزق أصحابه سؤالا فيه غلظه وتجهم، قال: فقال له المهلب: وانك لها هنا بآب الخناء! فبنو تميم يزعمون أنه رد عليه، وأما يوسف بن يزيد وغيره فيزعمون أنه قال: والله إنها لمعمة مخولة، ولوددت أن الله فرق بيني وبينك قال: فجرى بينهما الكلام حتى ذهب المهلب ليرفع القضيب عليه، فوثب عليه ابنه المغيرة، فقبض على القضيب وقال: أصلىح الله الأمير! شيخ من أشياخ العرب، وشريف من أشرافهم، إن سمعت

منه بعض ما تكرهه فاحتمله له، فإنه لذلك منك أهل، ففعل وقام عتاب فرجع من عنده، واستقبله بسطام بن مصقلة يشتمه، ويقع فيه.

فلما رأى ذلك كتب إلى الحجاج يشكو إليه المهلب ويخبره أنه قد أغرى به سفهاء أهل مصر، ويسأله أن يضمه إليه، فوافق ذلك من الحجاج حاجة إليه فيما لقي أشراف الكوفة من شبيب، فبعث إليه أن أقدم واركب أمر ذلك الجيش إلى المهلب، فبعث المهلب عليه حبيب بن المهلب.

وقال حميد بن مسلم يرثي عبد الرحمن بن مخنف:

إن يقتلوك أبا حكيم غدوة ... فلقد تشد وتقتل الأبطالاً

أو يثكلونا سيداً لمسود ... سمح الخليفة ماجداً مفضلاً

فلنل قتلك هد قومك كلهم ... من كان يحمل عنهم الأثقالاً

من كان يكشف غرهم وقتلهم ... يوماً إذا كان القتال نزالاً!

أقسمت ما نيلت مقاتل نفسه ... حتى تدرع من دم سربالاً

وتناجز الأبطال تحت لوائه ... بالمشرفية في الأكف نصالاً

يوماً طويلاً ثم آخر ليلهم ... حين استبانوا في السماء هلالاً

وتكشفت عنه الصفوف وخيله ... فهناك نالته الرماح فلالاً

وقال سراقه بن مرداس البارق:

أعيني جوداً بالدموع السواكب ... وكونا كواهي شنة مع راكب

على الأزد لما أن أصيب سراتهم ... فنوحا لعيش بعد ذلك خائب

نرجى الخلود بعدهم وتعوفا ... عوائق موت أو قراع الكائب

وكنا بخير قبل قتل ابن مخنف ... وكل امرئ يوماً لبعض المذاهب

أمار دموع الشيب من أهل مصره ... وعجل في الشبان شيب الذوائب

وقاتل حتى مات أكرم ميتة ... وخر على خد كريم وحاجب

وضارب عنه المارقين عصابة ... من الأزد تمشي بالسيوف القواضب

فلا ولدت أنثى ولا آب غائب ... إلى أهله إن كان ليس بآيب

فيا عين بكى مخنفاً وابن مخنف ... وفرسان قومي قصرة وأقاربي

وقال سراقه أيضاً يرثي عبد الرحمن بن مخنف:

ثوى سيد الأزدين أزد شنوءة ... وأزد عمان رهن رمس بكازر

وضارب حتى مات أكرم ميتة ... بابيض صاف كالعقيقة باتر

وصرع حول التل تحت لوائه ... كرام المساعي من كرام المعاشر

٦٠١٠٠٤ ذكر الخبر عن تحرك صالح للخروج وما كان منه في هذه السنة

قضى نخبه يوم اللقاء ابن مخنف ... وأدير عنه كل ألوث دائر

أمد فلم يمدد فراح مشمراً ... إلى الله لم يذهب بأثواب غادر

وأقام المهلب بسابور يقاتلهم نحواً من سنة.

وفي هذه السنة تحرك صالح بن مسرح أحد بني امرئ القيس، وكان يرى رأي الصفرية وقيل: إنه أول من خرج من الصفرية

. ذكر الخبر عن تحرك صالح للخروج وما كان منه في هذه السنة

ذكر أن صالح بن مسرح أحد بني امرئ القيس حج سنة خمس وسبعين ومعه شبيب بن يزيد وسويد والبطين وأشباههم وحج في هذه السنة عبد الملك بن مروان، فهم شبيب بالفتك به، وبلغه ذرة من خبرهم، فكتب إلى الحجاج بعد انصرافه يأمره بطلبهم، وكان صالح يأتي الكوفة فيقيم بها الشهر ونحوه فيلقى أصحابه ليعدهم، فنتب بصالح الكوفة لما طلبه الحجاج، فتنكبها

٦٠١١ سنة ست وسبعين

٦٠١١.١ ذكر الخبر عن خروج صالح بن مسرح وعن سبب خروجه

ثم دخلت

سنة ست وسبعين

(ذكر الكائن من الأحداث فيها) فمن ذلك خروج صالح بن مسرح.

ذكر الخبر عن خروج صالح بن مسرح وعن سبب خروجه

وكان سبب خروجه- فيما ذكر هشام، عن أبي مخنف، عن عبد الله ابن علقمة، عن قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمي- أن صالح بن مسرح التيمي كان رجلاً ناسكاً مخبئاً مصفر الوجه، صاحب عبادة، وأنه كان بداراً وأرض الموصل والجزيرة له أصحاب يقرئهم القرآن ويفقههم ويقص عليهم، فكان قبيصة بن عبد الرحمن حدث أصحابنا أن قصص صالح بن مسرح عنده، وكان ممن يرى رأيهم، فسأله أن يبعث بالكتاب إليهم، ففعل.

وكان قصصه: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ» اللهم إنا لا نعدل بك، ولا نحقد إلا إليك، ولا نعبد إلا إياك، لك الخلق والأمر، ومنك النفع والضرر، وإليك المصير ونشهد أن محمداً عبدك الذي اصطفتيه، ورسولك الذي اخترته وارتضيته لتبليغ رسالاتك، ونصيحة عبادك، ونشهد أنه قد بلغ الرسالة، ونصح للأمة، ودعا إلى الحق، وقام بالقسط، ونصر الدين، وجاهد المشركين، حتى توفاه الله صلى الله عليه وسلم.

أوصيكم بتقوى الله والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، وكثرة ذكر الموت، وفراق الفاسقين، وحب المؤمنين، فإن الزهادة في الدنيا ترغب العبد فيما

عند الله، وتفرغ بدنه لطاعة الله، وإن كثرة ذكر الموت يخيف العبد من ربه حتى يجأ إليه، ويستكين له، وإن فراق الفاسقين حق على المؤمنين، قال الله في كتابه: «وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ».

« وإن حب المؤمنين للسبب الذي تنال به كرامة الله ورحمته وجنته، جعلنا الله وإياكم من الصادقين الصابرين ألا إن من نعمة الله على المؤمنين أن بعث فيهم رسولا من أنفسهم، فعلمهم الكتاب والحكمة وزكاهم وطهرهم ووفقهم في دينهم، وكان بالمؤمنين رءوفاً رحيمًا، حتى قبضه الله، صلوات الله عليه، ثم ولي الأمر من بعده التقي الصديق على الرضا من المسلمين، فاقتدى بهديه، واستن بسنته، حتى لحق بالله- رحمه الله- واستخلف عمر، فولاه الله أمر هذه الرعية، فعمل بكتاب الله، وأحيا سنة رسول الله، ولم يخنق في الحق على جرت، ولم يخف في الله لومة لائم، حتى لحق به رحمة الله عليه، وولي المسلمين من بعده عثمان، فاستأثر بالقيء، وعطل الحدود، وجار في الحكم، واستذل المؤمن، وعزز المجرم، فسار إليه المسلمون فقتلوه، فبرئ الله منه ورسوله وصالح المؤمنين، وولي أمر الناس من بعده علي بن أبي طالب، فلم ينشب أن حكم في أمر الله الرجال، وشك في أهل الضلال، وركن وأدهن، فنحن من علي وأشياعه برآء، فتيسروا رحمكم الله لجهاد هذه الأحزاب المتحزبة، وأئمة الضلال الظلمة وللخروج من دار الفناء إلى دار البقاء، والحق بإخواننا المؤمنين الموقنين الذين باعوا الدنيا بالآخرة، وأنفقوا أموالهم التماس رضوان الله في العاقبة، ولا تجزعوا من القتل في الله، فإن القتل أيسر من الموت، والموت نازل بكم غير ما ترجم الظنون، ففرق بينكم وبين آبائكم وأبنائكم، وحلائلكم ودنياكم، وإن اشتد لذلك كرهكم وجزعكم ألا فيبعوا الله أنفسكم

طائعين وأموالك تدخلوا الجنة آمنين، وتعانقوا الحور العين، جعلنا الله وإياكم من الشاكرين الزاكرين، الذين يهدون بالحق وبه يعدلون.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُلْقَمَةَ، قَالَ: بَيْنَا أَصْحَابُ صَالِحٍ يَخْتَلِفُونَ إِلَيْهِ إِذْ قَالَ لَهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ: مَا أَدْرَى مَا تَنْتَظِرُونَ! حَتَّى مَتَى أَنْتُمْ مَقِيمُونَ! هَذَا الْجُورُ قَدْ فَشَا، وَهَذَا الْعَدْلُ قَدْ عَفَا، وَلَا تَزِدَادُ هَذِهِ الْوَلَاةُ عَلَى النَّاسِ إِلَّا غُلُوعًا وَتَبَاعُدًا عَنِ الْحَقِّ، وَجَرَاءً عَلَى الرَّبِّ، فَاسْتَعِدُّوا وَابْعَثُوا إِلَى إِخْوَانِكُمُ الَّذِينَ يَرِيدُونَ مِنْ إِنْكَارِ الْبَاطِلِ وَالِدَّعَاءِ إِلَى الْحَقِّ مِثْلَ الَّذِي تَرِيدُونَ، فَيَأْتُوَكُمْ فَتَلْتَقُوا وَنَنْظُرَ فِيمَا نَحْنُ صَانِعُونَ، وَفِي أَيِّ وَقْتٍ إِنْ خَرَجْنَا نَحْنُ خَارِجُونَ.

قَالَ: فَتَرَاوَسَ أَصْحَابُ صَالِحٍ، وَتَلَاوَعُوا فِي ذَلِكَ، فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ إِذْ قَدِمَ عَلَيْهِمُ الْحَلَلُ بْنُ وَائِلٍ الْيَشْكِرِيُّ بِكُتَّابٍ مِنْ شَبِيبٍ إِلَى صَالِحِ بْنِ مَسْرَحٍ: أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ كُنْتَ أَرَدْتَ الشَّخْصَ، وَقَدْ كُنْتَ دَعَوْتَنِي إِلَى ذَلِكَ فَاسْتَجَبْتُ لَكَ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْ شَأْنِكَ فَأَنْتَ شَيْخُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَنْ نَعْدَلَ بِكَ مِنْ أَحَدٍ، وَإِنْ أَرَدْتَ تَأْخِيرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَعْلَمْتَنِي، فَإِنَّ الْآجَالَ غَادِيَةٌ وَرَائِحَةٌ، وَلَا أَمَانَ أَنْ تَخْتَرِمَنِي الْمَنِيَّةَ وَلَمَّا أَجَاهَدُ الظَّالِمِينَ.

فِيَا لَهُ غَبْنًا، وَيَا لَهُ فَضْلًا مَتْرُوكًا! جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مَنْ يَرِيدُ بِعَمَلِهِ اللَّهُ وَرِضْوَانَهُ، وَالنَّظَرَ إِلَى وَجْهِهِ، وَمُرَافَقَةَ الصَّالِحِينَ فِي دَارِ السَّلَامِ، وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ.

قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى صَالِحِ الْحَلَلِ بْنِ وَائِلٍ بِذَلِكَ الْكُتَّابِ مِنْ شَبِيبٍ كُتِبَ إِلَيْهِ صَالِحٌ: أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ كَانَ كُتَّابُكَ وَخَبْرُكَ أَبْطَأَ عَنِّي حَتَّى أَهْمَنِي ذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّ أَمْرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَبَأَنِي بِنَبِيِّ مَخْرَجِكَ وَمَقْدَمِكَ، فَتَحَمَّدَ اللَّهُ عَلَى قَضَاءِ رَبِّنَا وَقَدْ قَدِمَ عَلَيَّ رَسُولُكَ بِكُتَّابِكَ، فَكُلُّ مَا فِيهِ قَدْ فَهَمْتُهُ، وَنَحْنُ فِي جِهَازٍ وَاسْتِعْدَادٍ لِلْخُرُوجِ، وَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَّا ائْتِظَارُكَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْنَا، ثُمَّ أَخْرَجَ بِنَا مَتَى مَا أَحْبَبْتَ، فَإِنَّكَ مِنْ لَا يَسْتَغْنَى عَنْ رَأْيِهِ، وَلَا تَقْضَى دُونَهُ الْأُمُورَ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ.

فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى شَبِيبٍ كُتَّابَهُ بَعَثَ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَجَمَعَهُمْ إِلَيْهِ، مِنْهُمْ أَخُوهُ مَصَادُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ نَعِيمٍ، وَالْحَلَلُ بْنُ وَائِلٍ الْيَشْكِرِيُّ، وَالصَّقَرُ بْنُ حَاتِمٍ مِنْ بَنِي تَيْمٍ، وَبَنِي شَيْبَانَ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ جَرَّ أَبَا الصَّقِيرِ مِنْ بَنِي حُلَمٍ، وَالْفَضْلُ بْنُ عَامِرٍ مِنْ بَنِي ذَهْلٍ، وَبَنِي شَيْبَانَ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى صَالِحِ بْنِ مَسْرَحٍ بَدَارًا، فَلَمَّا لَقِيَهُ قَالَ: أَخْرَجَ بِنَا رَحِمَكَ اللَّهُ! فَوَاللَّهِ مَا تَزِدَادُ السَّنَةَ إِلَّا دُرُوسًا، وَلَا يَزِدَادُ الْمَجْرُمُونَ إِلَّا طَغْيَانًا فَبَثَّ صَالِحٌ رِسْلَهُ فِي أَصْحَابِهِ، وَوَاعَدَهُمُ الْخُرُوجَ فِي هَلَالِ صَفَرٍ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِينَ فَاجْتَمَعَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَتَهَيَّأُوا، وَتَيَسَّرُوا لِلْخُرُوجِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَاجْتَمَعُوا جَمِيعًا عِنْدَهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ لِمِيعَادِهِ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: فَحَدَّثَنِي فُرُوعُ بْنُ لَقِيطٍ الْأَزْدِيُّ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَمَعَ شَبِيبٌ بِالْمَدَائِنِ إِذْ حَدَّثَنَا عَنْ مَخْرَجِهِمْ، قَالَ: لَمَّا هَمَمْنَا بِالْخُرُوجِ اجْتَمَعْنَا إِلَى صَالِحِ بْنِ مَسْرَحٍ لَيْلَةَ خُرُوجِهِ، فَكَانَ رَأْيِي اسْتِعْرَاضَ النَّاسِ لَمَّا رَأَيْتُ مِنَ الْمُنْكَرِ وَالْعُدْوَانِ وَالْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ، فَقَمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، كَيْفَ تَرَى فِي السَّيْرِ فِي هَؤُلَاءِ الظُّلَمَةِ؟ أَنْقَتْلَهُمْ قَبْلَ الدَّعَاءِ، أَمْ نَدْعُوهُمْ قَبْلَ الْقِتَالِ؟ وَسَأَخْبِرُكَ بِرَأْيِي فِيهِمْ قَبْلَ أَنْ تَخْبِرَنِي فِيهِمْ بِرَأْيِكَ، أَمَّا أَنَا فَأَرَى أَنْ نَقْتُلَ كُلَّ مَنْ لَا يَرَى رَأْيَنَا قَرِيبًا كَانَ أَوْ بَعِيدًا، فَإِنَّا نَخْرُجُ عَلَى قَوْمٍ غَاوِينَ طَاغِينَ بَاغِينَ قَدْ تَرَكُوا أَمْرَ اللَّهِ، وَاسْتَحَوْذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَقَالَ: لَا بَلْ نَدْعُوهُمْ، فَلَعْمَرِي لَا يَجِيبُكَ إِلَّا مَنْ يَرَى رَأْيَكَ وَلِيقَاتِلَنَّكَ مِنْ يَزْرِي عَلَيْكَ، وَالِدَّعَاءِ أَقْطَعَ لِحْجَتَهُمْ، وَأَبْلَغَ فِي الْحِجَّةِ عَلَيْهِمْ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: فَكَيْفَ تَرَى فِيمَنْ قَاتَلْنَا فَظَفَرْنَا بِهِ؟ مَا تَقُولُ فِي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ؟ فَقَالَ: إِنْ قَتَلْنَا وَغَنَمْنَا فَلَنَا، وَإِنْ تَجَاوَزْنَا وَعَفَوْنَا فَمَوْسِعٌ عَلَيْنَا وَلَنَا قَالَ: فَأَحْسَنُ الْقَوْلِ وَأَصَابُ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْنَا قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: فَحَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي حُلَمٍ أَنَّ صَالِحَ بْنَ مَسْرَحٍ

قَالَ لِأَصْحَابِهِ لَيْلَةَ خُرُوجِهِ: اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَلَا تَعْجَلُوا إِلَى قِتَالِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا قَوْمًا يَرِيدُونَكُمْ، وَيَنْصِبُونَ لَكُمْ، فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا خَرَجْتُمْ غَضَبًا لِلَّهِ حَيْثُ انْتَهَكْتُمْ مَحَارِمَهُ، وَعَصَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ، فَسَفَكَتُمُ الدَّمَاءَ بِغَيْرِ حِلِّهَا، وَأَخَذْتُمُ الْأَمْوَالَ بِغَيْرِ حَقِّهَا، فَلَا تَعْيَبُوا عَلَى قَوْمٍ أَعْمَالًا ثُمَّ تَعْمَلُوا بِهَا، فَإِنْ كُلُّ مَا أَنْتُمْ عَامِلُونَ أَنْتُمْ عَنْهُ مَسْئُولُونَ، وَإِنْ عَظَمْتُمْ رَجَالَهُ، وَهَذِهِ دَوَابُ مُحَمَّدَ بْنِ مَرْوَانَ فِي هَذَا الرِّسْتَاقِ، فَابْدُءُوا بِهَا، فَشَدُّوا عَلَيْهَا، فَاحْمَلُوا أَرَاجِلَكُمْ، وَتَقَوُّوا بِهَا عَلَى عَدُوِّكُمْ فَخَرَجُوا فَأَخَذُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ الدَّوَابَّ فَحَمَلُوا رَجَالَهُمْ عَلَيْهَا، وَصَارَتْ رَجَالَتُهَا فَرَسَانًا، وَأَقَامُوا بِأَرْضِ دَارِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَتَحَصَّنَ مِنْهُمْ أَهْلُ دَارِ وَأَهْلُ نَصِيبِينَ وَأَهْلُ سَنْجَارٍ، وَخَرَجَ صَالِحٌ لَيْلَةَ خُرُوجِهِ

في مائة وعشرين - وقيل في مائة وعشرة - قال: وبلغ مخرجهم محمد بن مروان وهو يومئذ أمير الجزيرة، فاستخف بأمرهم، وبعث إليهم عدي بن عدي بن عميرة من بني الحارث بن معاوية بن ثور في خمسمائة، فقال له: أصلح الله الأمير! أتبعني إلى رأس الخوارج منذ عشرين سنة! قد خرج معه رجال من ربيعة قد سموا لي، كانوا يعازوننا، الرجل منهم خير من مائة فارس في خمسمائة رجل قال له: فاني أزيدك خمسمائة أخرى، فسر إليهم في ألف، فسار من حران في ألف رجل، فكان أول جيش سار إلى صالح وسار إليه عدي، وكأنا يساق إلى الموت، وكان عدي رجلا يتنسك، فأقبل حتى إذا نزل دوغان نزل بالناس وسرح إلى صالح بن مسرح رجلا دسه إليه من بني خالد من بني الورثة، يقال له: زياد بن عبد الله، فقال: إن عديا بعثني إليك يسألك أن تخرج من هذا البلد وتأتي بلدا آخر فتقاتل أهله، فإن عديا للقائك كاره، فقال له صالح: ارجع إليه، فقل له: إن كنت ترى رأينا فأرنا من ذلك ما نعرف، ثم نحن مدلجون عنك من هذا البلد إلى غيره، وإن كنت على رأي الجبابرة وأئمة السوء رأينا رأينا، فان شئنا

بدأنا بك، وإن شئنا رحلنا إلى غيرك فانصرف إليه الرسول فأبلغه ما أرسل به، فقال له: ارجع إليه فقل له: إني والله ما أنا على رأيك، ولكني أكره قتالك وقتال غيرك، فقاتل غيري، فقال صالح لأصحابه: اركبوا، فركبوا وحبس الرجل عنده حتى خرجوا، ثم تركه ومضى بأصحابه حتى يأتي عدي بن عميرة في سوق دوغان وهو قائم يصلي الضحى، فلم يشعر إلا وانخليل طالعة عليهم، فلما بصروا بها تنادوا، وجعل صالح شبيا في كتيبة في ميمنة أصحابه، وبعث سويد بن سليم الهندي من بني شيبان في كتيبة في ميسرة أصحابه، ووقف هو في كتيبة في القلب، فلما دنا منهم رآهم على غير تعبئة، وبعضهم يجول في بعض، فأمر شبيا فحمل عليهم، ثم حمل سويد عليهم فكانت هزيمتهم ولم يقاتلوا، وأتى عدي بن عدي بدابته وهو يصلي فركبها ومضى على وجهه، وجاء صالح ابن مسرح حتى نزل عسكره وحوى ما فيه، وذهب فل عدي وأوائل أصحابه حتى دخلوا على محمد بن مروان، فغضب، ثم دعا خالد بن جزء السليبي فبعثه في ألف وخمسمائة، ودعا الحارث بن جعونة من بني ربيعة بن عامر بن صعصعة فبعثه في ألف وخمسمائة، ودعاهما، فقال:

أخرجنا إلى هذه الخارجة القليلة الخبيثة، وعجلا الخروج، وأغذا السير، فأيكما سبق فهو الأمير على صاحبه، فخرجا من عنده فأغذا السير، وجعلا يسألان عن صالح بن مسرح فيقال لهما: إنه توجه نحو آمد، فأتبعاه حتى انتهيا إليه، وقد نزل على أهل آمد فنزلا ليلا، فخذقا وانتهيا إليه وهما متساندان كل واحد منهما في أصحابه على حدته، فوجه صالح شبيا إلى الحارث بن جعونة العامري في شطر أصحابه، وتوجه هو نحو خالد بن جزء البسلي قال أبو مخنف: فحدثني المحلي، قال: انتهوا إلينا في أول وقت العصر، فصلى بنا صالح العصر، ثم عابنا لهم فاقتلنا كأشد قتال اقتله قوم قط، وجعلنا والله نرى الظفر يحمل الرجل منا على العشرة منهم فيهمهم، وعلى العشرين فكذلك، وجعلت خيلهم لا تثبت لخيلا

فلما رأى أميرهم ذلك ترجلا وأمرأ جل من معهما فترجل، فعند ذلك جعلنا لا نقدر منهم على الذي نريد، إذا حملنا عليهم استقبلتنا رجالهم بالرماح، ونضحتنا رماهم بالنبل، وخيلهم تطاردنا في خلال ذلك، فقاتلناهم إلى المساء حتى حال الليل بيننا وبينهم، وقد أفشوا فينا الجراحه، وافشيناهم فيهم، وقد قتلوا منا نحو من ثلاثين رجلا، وقتلنا منهم أكثر من سبعين، ووالله ما أمسينا حتى كرهناهم وكرهونا، فوقفنا مقابلهم ما يقدمون علينا.

وما نقدم عليهم، فلما أمسوا رجعوا إلى عسكرهم، ورجعنا إلى عسكرنا فصلينا وتروحنا وأكلنا من الكسر ثم إن صالحا دعا شبيا وورءوس أصحابه فقال: يا أخلائي، ماذا ترون؟ فقال شبيب: أرى أنا قد لقينا هؤلاء القوم فقاتلناهم، وقد اعتصموا بخندقهم، فلا أرى أن نقيم عليهم، فقال صالح: وأنا أرى ذلك، فخرجوا من تحت ليلتهم سائرين، ففضوا حتى قطعوا أرض الجزيرة، ثم دخلوا أرض الموصل فساروا فيها حتى قطعوها ومضوا حتى قطعوا الدسكرة.

فلما بلغ ذلك الحجاج سرح إليهم الحارث بن عميرة بن ذي المشعار الحمداني في ثلاثة آلاف رجل من أهل الكوفة، ألف من المقاتلة الأولى، وألفين من الفرض الذي فرض لهم الحجاج فسار حتى إذا دنا من الدسكرة خرج صالح بن مسرح نحو جلولاء وخانقين، واتبعه الحارث ابن عميرة حتى انتهى إلى قرية يقال لها المدبج من أرض الموصل على تخوم ما بينها وبين أرض جوحى، وصالح يومئذ في تسعين رجلا، فعبى الحارث ابن عميرة يومئذ أصحابه، وجعل على ميمنته أبا الرواغ الشاكري، وعلى ميسرته الزبير بن الأرواح التميمي، ثم شد

عليهم- وذلك بعد العصر- وقد جعل أصحابه ثلاثة كراديس، فهو في كردوس، وشبيب في كردوس في ميمنته، وسويد بن سليم في كردوس في الميسرة، في كل كردوس منهم ثلاثون رجلا.

فلما شد عليهم الحارث بن عميرة في جماعة أصحابه انكشف سويد ابن سليم، وثبت صالح بن مسرح فقتل، وضارب شبيب حتى صرع، فوقع في رجالة، فشد عليهم فانكشفوا، فجاء حتى انتهى الى موقف صالح ابن مسرح فأصابه قتيلا، فنأى: إلي يا معشر المسلمين، فلاذوا به، فقال لأصحابه: ليعجل كل واحد منكم ظهره إلى ظهر صاحبه، وليطاعن عدوه إذا أقدم عليه حتى ندخل هذا الحصن، ونرى رأينا، ففعلوا ذلك حتى دخلوا الحصن وهم سبعون رجلا بشبيب، وأحاط بهم الحارث بن عميرة ممسيا، وقال لأصحابه: أحرقوا الباب، فإذا صار جمرًا فدعوه فإنهم لا يقدرّون على أن يخرجوا منه حتى نصبهم فقتلهم ففعلوا ذلك بالباب، ثم انصرفوا إلى عسكرهم، فأشرف شبيب عليهم وطائفة من أصحابه، فقال بعض أولئك الفرض: يا بني الزواني، ألم يخزكم الله! فقالوا:

يا فساق، نعم تقاتلوننا لقتالنا إياكم إذ أعماكم الله عن الحق الذي نحن عليه، فما عذرکم عند الله في الفري على أمهاتنا! فقال لهم حلماءهم: إنما هذا من قول شباب فينا سفهاء، والله ما يعجبنا قولهم ولا نستحله.

وقال شبيب لأصحابه: يا هؤلاء، ما تنتظرون! فوالله لئن صبحكم هؤلاء غدوة إنه لهلاككم، فقالوا له: مرنا بأمرک، فقال لهم: إن الليل أخفى للويل، بايعوني ومن شئت منكم، ثم اخرجوا بنا حتى نشد عليهم في عسكرهم، فإنهم لذلك منكم آمنون، وأنا أرجو أن ينصرکم الله عليهم قالوا: فابسط يدك فلنبايعك، فبايعوه، ثم جاءوا ليخرجوا، وقد صار باهم جمرًا، فأتوا بالبلود فبلوها بالماء، ثم ألقوها على الجمر، ثم قطعوا عليها، فلم يشعر الحارث بن عميرة ولا أهل العسكر إلا وشبيب وأصحابه يضربونهم بالسيوف في جوف عسكرهم، فضارب الحارث حتى صرع، واحتمله أصحابه وانهزموا، وخلوا لهم العسكر وما فيه، ومضوا حتى نزلوا المدائن، فكان ذلك الجيش أول جيش هزمه شبيب، وأصيب صالح بن مسرح يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الأولى من سنة

٦٠١١٠٢ خبر دخول شبيب الكوفة وما كان من امره مع الحجاج

خبر دخول شبيب الكوفة وما كان من امره مع الحجاج
وفي هذه السنة دخل شبيب الكوفة ومعه زوجته غزالة.

ذكر الخبر عن دخوله الكوفة وما كان من أمره وأمر الحجاج بها والسبب الذي دعا شبيبا إلى ذلك:

وكان السبب في ذلك- فيمَا ذكر هِشَام، عن أبي مخنف، عن عبد الله ابن علقمة، عن قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمي- أن شبيبا لما قتل صالح بن مسرح بالمديج وبايعه أصحاب صالح، ارتفع إلى أرض الموصل فلقى سلامة بن سيار بن المضاء التيمي تيم شيبان، فدعاه إلى الخروج معه، وكان يعرفه قبل ذلك إذ كانا في الديوان والمغازي، فاشترط عليه سلامة أن ينتخب ثلاثين فارسا، ثم لا يغيب عنه إلا ثلاث ليال عددا.

ففعل، فانتخب ثلاثين فارسا، فانطلق بهم نحو عنزة، وإنما أرادهم ليشفى نفسه منهم لقتلهم أخاه فضالة، وذلك أن فضالة كان خرج قبل ذلك في ثمانية عشر نفسا حتى نزل ماء يقال له الشجرة من أرض الجبال، عليه أثلة عظيمة، وعليه عنزة، فلما رآته عنزه قال بعضهم لبعض:

نقتلهم ثم نغدو بهم إلى الأمير فنعطى ونحى، فأجمعوا على ذلك فقالت بنو نصر أخواله: لعمر الله لا نساعدكم على قتل ولدنا فهضت عنزة إليهم فقاتلوهم فقتلوهم، وأتوا برءوسهم عبد الملك بن مروان، فلذلك أنزلهم بانقيا، وفرض لهم، ولم تكن لهم فرائض قبل ذلك إلا قليلة، فقال سلامة بن سيار، أخو فضالة يذكر قتل أخيه وخذلان أخواله إياه:

وما خلت أخوال الفتى يسلمونه... لوقع السلاح قبل ما فعلت نصر
قال: وكان خروج أخيه فضالة قبل خروج صالح بن مسرح وشبيب

فلما بايع سلامة شبيبا اشترط عليه هذا الشرط، فخرج في ثلاثين فارسا حتى انتهى إلى عزة، فجعل يقتل المحلة منهم بعد المحلة حتى انتهى إلى فريق منهم فيهم خالته، وقد أكبت على ابن لها وهو غلام حين احتلم، فقالت وأخرجت ثديها إليه: أنشدك برحم هذا يا سلامة! فقال: لا والله، ما رأيت فضالة مذ أناخ بعمر الشجرة- يعني أخاه- لتقومن عنه، أو لأجمعن حافتك بالرحم، فقامت عن ابنها عند ذلك فقتله قال أبو مخنف: فحدثني المفضل بن بكر من بني تيم بن شيبان أن شبيبا أقبل في أصحابه نحو راذان، فلما سمعت به طائفة من بني تيم ابن شيبان خرجوا هربا منه، ومعهم ناس من غيرهم قليل، فأقبلوا حتى نزلوا دير خرزاد إلى جنب حولايا، وهم نحو من ثلاثة آلاف، وشبيب في نحو من سبعين رجلا أو يزيدون قليلا، فنزل بهم، فهابوه وتحصنوا منه.

ثم إن شبيبا سرى في اثني عشر فارسا من أصحابه إلى أمه، وكانت في سفح سائيدا نازلة في مظلة من مظال الأعراب: فقال: لآتين بأمي فلاجعلنها في عسكري فلا تفارقني أبدا حتى أموت أو تموت وخرج رجالان من بني تيم بن شيبان تخوفا على أنفسهما فنزلا من الدير، فلحقا بجماعه من قومهما وهم نزول بالحال منهم على مسيرة ساعة من النهار، وخرج شبيب، في أولئك الرهط في أولهم وهم اثنا عشر، يريد أمه بالسفح، فإذا هو بجماعة من بني تيم بن شيبان غارين في أموالهم مقيمين، لا يرون أن شبيبا يمر بهم لمكانهم الذي هم به، ولا يشعر بهم، فحمل عليهم في فرسانه تلك، فقتل منهم ثلاثين شيخا، فيهم حوثة بن أسد ووبرة بن عاصم اللذان كانا نزلا من الدير، فلحقا بالجبال، ومضى شبيب إلى أمه فحملها من السفح، فأقبل بها، وأشرف رجل من أصحاب الدير من بكر بن وائل على أصحاب شبيب، وقد استخلف شبيب أخاه على أصحابه مصاد بن يزيد، ويقال لذلك الرجل الذي أشرف عليهم سلام بن حيان، فقال لهم: يا قوم، القرآن بيننا وبينكم، ألم تسمعوا قول الله: «وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ»،

قالوا: بلى، قال لهم: فكفوا عنا حتى نصبح، ثم نخرج إليكم على أمان لنا منكم، لكيلا تعرضوا لنا بشيء نكرهه حتى تعرضوا علينا أمركم هذا، فإن نحن قبلناه حرمت عليكم أموالنا ودمائنا، وكنا لكم إخوانا، وإن نحن لم نقبله رددتمونا إلى مأمنا، ثم رأيتم رأيكم فيما بيننا وبينكم، قالوا لهم: فهذا لكم فلما أصبحوا خرجوا إليهم، فعرض عليهم أصحاب شبيب قوتهم، ووصفوا لهم أمرهم، فقبلوا ذلك كله، وخالطوهم، ونزلوا إليهم، فدخل بعضهم إلى بعض، وجاء شبيب وقد اصطالحوا، فأخبره أصحابه خبرهم، فقال: أصبتم ووفقتم وأحسنتم.

ثم إن شبيبا ارتحل فخرجت معه طائفة وأقامت طائفة جانحة، وخرج يومئذ معه إبراهيم بن حجر المحلي أبو الصقير كان مع بني تيم بن شيبان نازلا فيهم، ومضى شبيب في أداني أرض الموصل وتخوم أرض جوحى، ثم ارتفع نحو أذريجان، وأقبل سفيان بن أبي العالقة الخثعمي في خيل قد كان أمر أن يدخل بها طبرستان، فأمر بالقفول، فأقبل راجعا في نحو من ألف فارس، فصالح صاحب طبرستان. قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُلْقَمَةَ عَنْ سَفْيَانَ بْنِ أَبِي الْعَالِقَةِ الْخَثْعَمِيِّ أَنَّ كِتَابَ الْحَجَّاجِ أَتَاهُ: أَمَا بَعْدَ، فَسَرَّحَ حَتَّى تَنْزِلَ الدَّسَكْرَةُ فَيَمْنُ مَعَكَ، ثُمَّ أَقِمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ جَيْشُ الْحَارِثِ بْنِ عَمِيرَةَ الْهَمْدَانِيِّ بْنِ ذِي الْمَشْعَارِ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ صَالِحَ بْنَ مَسْرَحٍ وَخَيْلَ الْمَنَاظِرِ، ثُمَّ سَرَّحَ إِلَى شَبِيبٍ حَتَّى تَنْجِزَهُ فَلَمَّا أَتَاهُ الْكَتَّابُ أَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ الدَّسَكْرَةَ، وَنَوْدِيَ فِي جَيْشِ الْحَارِثِ بْنِ عَمِيرَةَ بِالْكُوفَةِ وَالْمَدَائِنِ: أَنَّ بَرِئَ الذِّمَّةِ مِنْ رَجُلٍ مِنْ جَيْشِ الْحَارِثِ بْنِ عَمِيرَةَ لَمْ يُوَافِ سَفْيَانَ بْنِ أَبِي الْعَالِقَةِ بِالْدَّسَكْرَةِ.

قال: فخرجوا حتى أتوه، وأتته خيل المناظر، وكانوا خمسمائة، عليهم سوره بن أبجر التميمي من بني أبان بن دارم، فوافوه إلا نحو من خمسين رجلا تخلفوا عنه، وبعث إلى سفيان بن أبي العالقة الا تبرح العسكر حتى آتاك فبعجل سفيان فارتحل في طلب شبيب، فلحقه بخانقين في سفح جبل على ميمنته خازم بن سفيان الخثعمي من بني عمرو بن شهران، وعلى ميسرته عدي بن عميرة الشيباني، وأصح لهم شبيب، ثم ارتفع عنهم حتى كأنه يكره لقاءه، وقد أكن له أخاه مصادا معه خمسون في هزم من الأرض.

فلما رأوه جمع أصحابه ثم مضى في سفح الجبل مشرقا فقالوا:

هرب عدو الله فاتبعوه، فقال لهم عدي بن عميرة الشيباني: أيها الناس، لا تعجلوا عليهم حتى تضرب في الأرض ونسير بها، فإن يكونوا قد أكنوا لنا كمينًا كما قد حذرناه، وإلا فإن طلبهم لن يفوتنا فلم يسمع منه الناس، وأسرعوا في آثارهم فلما رأى شبيب أنهم قد جازوا

الكمين عطف عليهم.

ولما رأى الكمين أن قد جاوزوهم خرجوا إليهم، فحمل عليهم شبيب من أمامهم، وصاح بهم الكمين من ورائهم، فلم يقاتلهم أحد، وكانت الهزيمة، فثبت ابن أبي العالية في نحو من مائتي رجل، فقاتلهم قتالا شديدا حسنا، حتى ظن أنه انتصف من شبيب وأصحابه فقال سويد بن سليم لأصحابه: أمنكم أحد يعرف أمير القوم ابن أبي العاليه؟ فوالله لئن عرفته لأجهدن نفسي في قتله، فقال شبيب: أنا من أعرف الناس به، أما ترى صاحب الفرس الأغر الذي دونه المرامية! فإنه ذلك، فإن كنت تريد فأمهله قليلا ثم قال: يا قعنب، اخرج في عشرين فأتهم من ورائهم، فخرج قعنب في عشرين فارتفع عليهم.

فلما رأوه يريد أن يأتهم من ورائهم جعلوا يتنقضون ويتسللون، وحمل سويد بن سليم على سفيان بن أبي العالية فطاعنه، فلم تصنع رمحاهما شيئا، ثم اضطربا بسيفيهما ثم اعتنق كل منهما صاحبه، فوقعا إلى الأرض يعتركان، ثم تحاجزوا وحمل عليهم شبيب فانكشفوا، وأتى سفيان غلام له يقال له غزوان، فنزل عن برذونه، وقال: اركب يا مولاي، فركب سفيان، وأحاط به أصحاب شبيب، فقاتل دونه غزوان فقتل، وكانت معه رايته وأقبل سفيان بن أبي العاليه حتى انتهى إلى بابل مهروذ، فنزل بها، وكتب إلى الحجاج:

أما بعد، فإني أخبر الأمير أصلحه الله أني اتبعت هذه المارقة حتى لحقتهم بخانقين فقاتلتهم، فضرب الله وجوههم، ونصرنا عليهم، فبينما نحن كذلك إذ أتاهم قوم كانوا غيبا عنهم، فحملوا على الناس فهزموهم، فنزلت في رجال من أهل الدين والصبر فقاتلتهم، حتى خرت بين القتلى، فحملت مرثئا، فأتى بي بابل مهروذ، فها أنا بها والجند الذين وجههم إلي الأمير وافوا إلا سورة بن أبجر فإنه لم يأتني ولم يشهد معي حتى إذا ما نزلت بابل مهروذ أتاني يقول ما لا أعرف، ويعتذر بغير العذر والسلام فلما قرأ الحجاج الكتاب قال: من صنع كما صنع هذا، وأبلى كما أبلى فقد أحسن ثم كتب إليه:

أما بعد، فقد أحسنت البلاء، وقضيت الذي عليك، فإذا خف عنك الوجل فأقبل مأجورا إلى أهلِكَ والسلام.

وكتب إلى سورة بن أبجر:

أما بعد فيابن أم سورة، ما كنت خليقا أن تجترئ على ترك عهدي وخذلان جندي، فإذا أتاك كتابي فابعث رجلا ممن معك صليبا إلى الخليل التي بالمدائن، فلينتخب منهم خمسمائة رجل، ثم ليقدم بهم عليك، ثم سر بهم حتى تلقى هذه المارقة، واحزم في أمرك، وكعدوك، فإن أفضل أمر الحرب حسن المكيدة والسلام.

فلما أتى سورة كتاب الحجاج بعث عدي بن عميرة إلى المدائن، وكان بها ألف فارس، فانتخب منهم خمسمائة، ثم دخل على عبد الله بن أبي عصفير - وهو أمير المدائن في إمارته الأولى - فسلم عليه، فأجازه بألف درهم، وحمله على فرس، وكساه أثوابا ثم إنه خرج من عنده، فأقبل بأصحابه حتى قدم بهم على سورة بن أبجر ببابل مهروذ، فخرج في طلب شبيب، وشبيب

يجول في جوحى وسورة في طلبه، فجاء شبيب حتى انتهى إلى المدائن، فتحصن منه أهل المدائن وتحزوا، وهى أبنية المدائن الأولى، فدخل المدائن، فأصاب بها دواب جند كثيرة، فقتل من ظهر له ولم يدخلوا البيوت، فأتي فقيلا له: هذا سورة بن أبجر قد أقبل إليك، فخرج في أصحابه حتى انتهى إلى النهروان، فنزلوا به وتوضئوا وصلوا، ثم أتوا مصارع إخوانهم الذين قتلهم علي بن أبي طالب ع، فاستغفروا لإخوانهم، وتبرءوا من علي وأصحابه، وبكوا فأطالوا البكاء، ثم خرجوا فقطعوا جسر النهروان، فنزلوا من جانبه الشرقي، وجاء سورة حتى نزل بقطرثاء، وجاءته عيونه فأخبرته بمنزل شبيب بالنهروان، فدعا رءوس أصحابه فقال: إنهم قلما يلقون مصحرين أو على ظهر إلا انتصفوا منكم، وظهروا عليكم، وقد حدثت أنهم لا يزيدون على مائه رجل الا قليلا، وقد رايت أن انتخبكم فاسير في ثلاثمائة رجل منكم من أقويائكم وشجعانكم فأتهم الآن إذ هم آمنون لبياتكم، فوالله إني لأرجو أن يصرعهم الله مصارع إخوانهم الذين صرعوا منهم بالنهروان من قبل فقالوا: اصنع ما أحببت فاستعمل على عسكره حازم بن قدامه الخثعمي، وانتخب من أصحابه ثلاثمائة رجل من أهل القوة والجلد والشجاعة، ثم أقبل بهم نحو النهروان، وبات شبيب وقد أذكى الحرس، فلما دنا أصحاب سورة منهم نذروا بهم، فاستووا على خيولهم وتعبوا تعبيتهم.

فلما انتهى إليهم سورة وأصحابه أصابوهم قد حذروا واستعدوا، فحمل عليهم سورة وأصحابه فثبتوا لهم، وضاربوهم حتى صد عنهم سورة وأصحابه، ثم صاح شبيب بأصحابه، فحمل عليهم حتى تركوا له العرصة، وحملوا عليهم معه، وجعل شبيب يضرب ويقول: من ينك العير ينك نياكا ... جندلتان اصطكا اصطكا

فرجع سورة إلى عسكره وقد هزم الفرسان وأهل القوة، فتحمل بهم حتى أقبل بهم نحو المدائن، فدفع إليهم وقد تحمل وتعدى الطريق الذي

فيه شبيب، واتبعه شبيب وهو يرجو أن يلحقه فيصيب عسكره، ويصيب بهزيمته أهل العسكر، فأغذ السير في طلبهم، فانتبهوا إلى المدائن فدخلوها، وجاء شبيب حتى انتهى إلى بيوت المدائن، فدفع إليهم وقد دخل الناس، وخرج ابن أبي عصفير في أهل المدائن، فرماهم الناس بالنبل، ورموا من فوق البيوت بالحجارة، فارتفع شبيب بأصحابه عن المدائن، فر على كلوذا فأصاب بها دواب كثيرة للحجاج فأخذها، ثم خرج يسير في أرض جوحى، ثم مضى نحو تكريت، فبينا ذلك الجند في المدائن إذ أرحف الناس بينهم، فقالوا: هذا شبيب قد دنا، وهو يريد أن يبيت أهل المدائن الليلة، فارتحل عامة الجند فلاحقوا بالكوفة.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُلْقَمَةَ الْخَثْعَمِيُّ، قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ هَرَبُوا مِنَ الْمَدَائِنِ وَقَالُوا: نَبِيتَ اللَّيْلَةَ، وَإِنْ شَبِيبًا لِبَتَكَبْرِيتِ، قَالَ: وَلَمَّا قَدِمَ الْفُلُّ عَلَى الْحِجَابِ سَرَحَ الْجَزَلَ بْنَ سَعِيدٍ بْنُ شَرْحِبِيلَ بْنِ عَمْرِو الْكَنْدِيِّ.

قال أبو مخنف: حدثنا النضر بن صالح العبسي وفضيل بن خديج الكندي أن الحجاج لما أتاه الفل قال: قبح الله سورة! ضيع العسكر والجند، وخرج يبيت الخوارج، أما والله لأسوأه، وكان بعد قد حبسه ثم عفا عنه.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَحَدَّثَنِي فَضِيلُ بْنُ خَدِيجٍ أَنَّ الْحِجَابَ دَعَا الْجَزَلَ - وَهُوَ عَثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ - فَقَالَ لَهُ: تَيْسِرُ لِلْخُرُوجِ إِلَى هَذِهِ الْمَارِقَةِ، فَإِذَا لَقَيْتَهُمْ فَلَا تَعْجَلْ عَجَلَةَ الْخُرْقِ، وَلَا تَحْجُمَ إِحْجَامَ الْوَانِي الْفَرْقِ، هَلْ فَهَمْتَ؟ لِلَّهِ أَنْتَ يَا أَخَا بَنِي عَمْرِو بْنِ مُعَاوِيَةَ! فَقَالَ: نَعَمْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ قَدْ فَهَمْتُ، قَالَ لَهُ: فَاخْرُجْ فَعَسَاكَ بِدِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَتَّى يُخْرِجَ إِلَيْكَ النَّاسَ، فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! لَا تَبْعَثْ مَعِيَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ هَذَا الْجَنْدِ الْمَفْلُولِ الْمَهْزُومِ، فَإِنَّ الرَّعْبَ قَدْ دَخَلَ قُلُوبَهُمْ، وَقَدْ خَشِيتُ الْإِنْفِئْعَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، قَالَ لَهُ: فَإِنَّ ذَلِكَ لَكَ، وَلَا أَرَاكَ إِلَّا قَدْ أَحْسَنْتَ الرَّأْيَ وَوَفَّقْتَ ثُمَّ دَعَا أَصْحَابَ الدَّوَاوِينِ فَقَالَ: اضْرَبُوا عَلَى

الناس البعث، فأخرجوا أربعة آلاف من الناس، من كل ربع ألف رجل، وعجلوا ذلك، فجمعت العرفاء، وجلس أصحاب الدواوين، وضربوا البعث فأخرجوا أربعة آلاف فأمرهم بالعسكر فعسكروا، ثم نودي فيهم بالرحيل، ثم ارتحلوا ونادى منادي الحجاج: أن برئت الذمة من رجل أصبناه من هذا البعث متخلفا، قال: فضى الجزل بن سعيد، وقد قدم بين يديه عياض بن أبي لينة الكندي على مقدمته، فخرج حتى أتى المدائن، فأقام بها ثلاثا، وبعث إليه ابن أبي عصفير بفرس وبرذون وبغليين وألفي درهم، ووضع للناس من الجزر والعلف ما كفاهم ثلاثة أيام حتى ارتحلوا، فأصاب الناس ما شاءوا من تلك الجزر والعلف الذي وضع لهم ابن أبي عصفير ثم إن الجزل بن سعيد خرج بالناس في أثر شبيب، فطلبه في أرض جوحى، فجعل شبيب يريه الهيبة، فيخرج من رستاق إلى رستاق، ومن طسوج إلى طسوج، ولا يقيم له إرادة أن يفرق الجزل أصحابه، ويتعجل إليه فيلقاه في يسير من الناس على غير تعبئة فعجل الجزل لا يسير إلا على تعبئة، ولا ينزل إلا خندق على نفسه خندقا، فلما طال ذلك على شبيب أمر أصحابه ذات ليلة فسروا.

قال أبو مخنف: فحدثني فروة بن لقيط أن شبيباً دعانا ونحن بدير بيرما ستون ومائة رجل، فجعل على كل أربعين من أصحابه رجلاً، وهو في أربعين، وجعل أخاه مصادا في أربعين، وبعث سويد بن سليم في أربعين، وبعث المحلل بن وائل في أربعين، وقد أثنى عيونه فأخبرته أن الجزل بن سعيد قد نزل دير يزجرد، قال: فدعانا عند ذلك فعبانا هذه التعبئة، وأمرنا فعلقنا على دوابنا، وقال لنا: تيسروا فإذا قضمت دوابكم فاركبوا، وليسر كل امرئ منكم مع أميره الذي أمرناه عليه، ولينظر كل امرئ منكم ما يأمره أميره فليتبعه ودعا أمراءنا فقال لهم: إني أريد أن أبيت هذا العسكر الليلة، ثم قال لأخيه مصاد: ايتهم فارتفع من فوقهم حتى تأتيهم من ورائهم من قبل حلوان، وسأتيهم أنا من أمامي من قبل الكوفة، وأتتهم أنت يا سويد من قبل المشرق، وأتتهم أنت يا محلل من قبل المغرب، وليلج

كل امرئ منكم على الجانب الذي يحمل عليه، ولا تقلعوا عنهم، تحملون وتكرون عليهم، وتصيحون بهم حتى يأتيكم أمرى فلم نزل على

تلك التعبئة، وكنت أنا في الأربعين الذين كانوا معه، حتى إذا قضمت دوابنا- وذلك أول الليل أول ما هدأت العيون- خرجنا حتى انتهينا إلى دير الخوارة، فإذا للقوم مسلحة، عليهم عياض بن أبي لينة، فما هو إلا أن انتهينا إليهم، فحمل عليهم مصاد أخو شبيب في أربعين رجلا، وكان أمام شبيب، وقد كان أراد أن يسبق شبيبا حتى يرتفع عليهم ويأتيهم من ورائهم كما أمره، فلما لقي هؤلاء قاتلهم فصبروا ساعة، وقتلوه ثم إنا دفعنا إليهم جميعا، فحملنا عليهم فهزمناهم، وأخذوا الطريق الأعظم، وليس بينهم وبين عسكرهم بدير يزدجرد إلا قريب من ميل.

فقال لنا شبيب: اركبوا معاشر المسلمين أكثافهم حتى تدخلوا معهم عسكرهم إن استطعتم، فأتبعناهم والله ملطين بهم، ملحين عليهم، ما نرفه عنهم وهم منهزمون، ما لهم همة إلا عسكرهم، فانتهاوا إلى عسكرهم، ومنعهم أصحابهم أن يدخلوا عليهم، ورشقونا بالنبل، وكانت عيونهم قد أتهم فأخبرتهم بمكاننا، وكان الجزل قد خندق عليه، وتحوز ووضع هذه المسلحة الذين لقيناهم بدير الخوارة، ووضع مسلحة أخرى مما يلي حلوان على الطريق، فلما أن دفعنا إلى هذه المسلحة التي كانت بدير الخوارة فالحقناهم بعسكر جماعتهم ورجعت المسالح الأخرى حتى اجتمعت، ومنعها أهل العسكر دخول العسكر وقالوا لهم: قاتلوا، وانضحوا عنكم بالنبل قال أبو مخنف: وحدثني جرير بن الحسين الكندي، قال: كان على المسلحتين الآخرين عاصم بن حجر على التي تلي حلوان، وواصل ابن الحارث السكوني على الأخرى فلما أن اجتمعت المسالح جعل شبيب يحمل عليها حتى اضطرها إلى الخندق، ورشقهم أهل العسكر بالنبل حتى ردوهم عنهم فلما رأى شبيب أنه لا يصل إليهم قال لأصحابه سيروا ودعوهم، ففضى على الطريق نحو حلوان حتى إذا كان قريبا

من موضع قباب حسين بن زفر من بني بدر بن فزارة- وإنما كانت قباب حسين بن زفر بعد ذلك- قال: لأصحابه: انزلوا فأقضموا وأصلحوا نبلكم وتروحوا وصلوا ركعتين، ثم اركبوا، فنزلوا ففعلوا ذلك ثم إنه أقبل بهم راجعا إلى عسكر أهل الكوفة أيضا، وقال: سيروا على تعبيتكم التي عبأتم عليها بدير بيرما أول الليل، ثم أطيئوا بعسكرهم كما أمرتكم، فأقبلوا قال: فأقبلنا معه وقد أدخل أهل العسكر مسالحهم إليهم، وقد أمنونا فما شعروا حتى سمعوا وقع حوافر خيولنا قريبا منهم، فانتبهنا إليهم قبيل الصبح فأحطنا بعسكرهم، ثم صيحنا بهم من كل جانب، فإذا هم يقاتلوننا من كل جانب، ويرموننا بالنبل ثم إن شبيبا بعث إلى أخيه مصاد وهو يقاتلهم من نحو الكوفة أن أقبل إلينا واخل لهم سبيل الطريق إلى الكوفة فاقبل إليه، وترك ذلك الوجه، وجعلنا نقاتلهم من تلك الوجوه الثلاثة حتى أصبحنا، فأصبحنا ولم تستفل منهم شيئا، فسرنا وتركناهم فجعلوا يصيحون بنا: أين يا كلاب النار! أين أيتها العصابة المارقة! أصبحوا نخرج إليكم، فارتفعنا عنهم نحو من ميل ونصف، ثم نزلنا فصلينا الغداة، ثم أخذنا الطريق على براز الروذ، ثم مضينا إلى جرجايا وما يليها، فأقبلوا في طلبنا.

قال أبو مخنف: فحدثني مولى لنا يدعى غاضرة أو قيصر، قال: كنت مع الناس تاجرا وهم في طلب الحورية وعلينا الجزل بن سعيد، فجعل يتبعهم فلا يسير إلا على تعبئة، ولا ينزل إلا على خندق، وكان شبيب يدعه ويضرب في أرض جوخي وغيرها يكسر الخراج، وطال ذلك على الحجاج، فكتب إليه كتابا، فقرأ على الناس:

أما بعد، فإني بعثتك في فرسان أهل مصر ووجوه الناس، وأمرتك باتباع هذه المارقة الضالة المضلة حتى تلقاها، فلا تقلع عنها حتى تقتلها وتفنئها، فوجدت التعريس في القرى والتخيم في الخنادق أهون عليك من المضي لما أمرتك به من مناهضتهم ومناجرتهم والسلام. فقرأ الكتاب علينا ونحن بقطراثا ودير أبي مريم، فشق ذلك على

الجزل، وأمر الناس بالسير، فخرجوا في طلب الخوارج جادين، وأرجفنا بأمرنا وقلنا: يعزل.

قال أبو مخنف: فحدثني إسماعيل بن نعيم الهمداني ثم البرسي أن الحجاج بعث سعيد بن المجالد على ذلك الجيش، وعهد إليه إن لقيت المارقة فازحف إليهم ولا تناظرهم ولا تطاولهم وواقفهم واستعن بالله عليهم، ولا تصنع صنيع الجزل، واطلبهم طلب السبع، وحد عنهم حيدان الضبع واقتل بجزل في طلب شبيب حتى انتهوا إلى النهروان فأدركوه فلزم عسكره، وخندق عليه وجاء إليه سعيد بن المجالد حتى دخل عسكر أهل الكوفة أميرا، فقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

يا أهل الكوفة، إنكم قد عجزتم ووهنتم وأغضبتكم عليكم أميركم.

أنتم في طلب هذه الأعراب العجف منذ شهرين، وهم قد خربوا بلادكم، وكسروا خراجكم، وأنتم حاذرون في جوف هذه الخنادق لا تزالونها إلا أن يبلغكم أنهم قد ارتحلوا عنكم، ونزلوا بلدا سوى بلدكم، فخرجوا على اسم الله إليهم.

نفرج وأخرج الناس معه، وجمع إليه خيول أهل العسكر، فقال له الجزل: ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد أن أقدم على شبيب في هذه الخليل، فقال له الجزل: أقم أنت في جماعه الجيش، فارسهم وراجلهم، واصحر له، فوالله ليقدمن عليك، فلا تفرق أصحابك، فإن ذلك شر لهم وخير لك فقال له: قف أنت في الصف، فقال: يا سعيد بن مجالد، ليس لي فيما صنعت رأي، أنا بريء من رأيك هذا، سمع الله ومن حضر من المسلمين فقال: هو رأيي إن أصبت، فالله وفقني له، وإن يكن غير صواب فأنتم منه برآء، قال: فوقف الجزل في صف أهل الكوفة وقد أخرجهم من الخندق، وجعل على ميمتهم عياض بن أبي لينة الكندي، وعلى ميسرتهم عبد الرحمن بن عوف أبا حميد الرواسي، ووقف الجزل في جماعتهم

واستقدم سعيد بن مجالد، ونفرج وأخرج الناس معه، وقد أخذ شبيب إلى براز الروز، فنزل قطيطيا، وأمر دهقانها أن يشتري لهم ما يصلحهم، ويتخذ لهم غداء، ففعل، ودخل مدينة قطيطيا وأمر بالباب فأغلق، فلم يفرغ من الغداء حتى أتاه سعيد بن مجالد في أهل ذلك.

العسكر، فصعد الدهقان السور فنظر إلى الجند مقبلين قد دنوا من حصنه، فنزل وقد تغير لونه، فقال له شبيب: ما لي أراك متغير اللون! فقال له الدهقان: قد جاءتك الجنود من كل ناحية، قال: لا بأس، هل أدرك غداؤنا؟ قال: نعم، قال: فقربه، وقد أغلق الباب، وأتى بالغداء، فتغدى وتوضأ وصلى ركعتين، ثم دعا ببغل له فركبه.

ثم إنهم اجتمعوا على باب المدينة، فأمر بالباب ففتح، ثم خرج على بغله فحمل عليهم وقال: لا حكم إلا للحكم الحكيم، أنا أبو مدله، اثبتوا إن شئتم وجعل سعيد يجمع قومه وخيله، ويزلفها في أثره، ويقول:

ما هؤلاء! إنما هم أكلة رأس، فلما رآهم شبيب قد تقطعوا وانتشروا لف خيله كلها، ثم جمعها، ثم قال: استعرضوهم استعراضا، وانظروا إلى أميرهم، فوالله لأقتله أو يقتلني وحمل عليهم مستعرضا لهم، فهزمهم وثبت سعيد بن المجالد، ثم نادى أصحابه: إلي إلي، أنا ابن ذي مران! وأخذ قلنسوته فوضعها على قربوس سرجه، وحمل عليه شبيب فعممه السيف، فخالط دماغه، نحر ميتا، وانهزم ذلك الجيش، وقتلوا كل قتلة، حتى انتهوا إلى الجزل، ونزل الجزل ونادى: أيها الناس، إلي.

وناداهم عياض بن أبي لينة: أيها الناس، إن كان أميركم القادم قد هلك فأمركم الميمون النقيبة المبارك حي لم يمت، فقاتل الجزل قتالا شديدا حتى حمل من بين القتلى، فحمل إلى المدائن مرثا، وقدم فل أهل ذلك العسكر الكوفة، وكان من أشد الناس بلاء يومئذ خالد بن

نهيك من بني ذهل بن معاوية وعياض بن أبي لينة، حتى استنقذاه وهو مرثث هذا حديث طائفة من الناس، والحديث الآخر قتالهم فيما بين دير أبي مريم إلى براز الروز ثم إن الجزل كتب إلى الحجاج.

قال: وأقبل شبيب حتى قطع دجلة عند الكرخ، وبعث إلى سوق بغداد فأمنهم، وذلك اليوم يوم سوقهم، وكان بلغه أنهم يخافونه، فأحب أن يؤمنهم، وكان أصحابه يريدون أن يشتروا من السوق دواب وثيابا وأشياء ليس لهم منها بد، ثم أخذ بهم نحو الكوفة، وساروا أول الليل حتى نزلوا عقر الملك الذي يلي قصر ابن هبيرة ثم أغذ السير من الغد، فبات بين حمام عمر بن سعد وبين قبين فلما بلغ الحجاج مكانه بعث إلى سويد بن عبد الرحمن السعدي، فبعثه في ألفي فارس نقاوة، وقال له:

اخرج إلى شبيب فאלقه، واجعل ميمنة وميسرة، ثم انزل إليه في الرجال فإن استطرد ذلك فدعه ولا تتبعه نفرج فعسكر بالسبخة، فبلغه أن شبيب قد أقبل، فأقبل نحوه وكأنا يساقون إلى الموت، وأمر الحجاج عثمان بن قطن فعسكر بالناس بالسبخة، ونادى: ألا برئت الذمة من رجل من هذا الجند بات الليلة بالكوفة لم يخرج إلى عثمان بن قطن بالسبخة! وأمر سويد بن عبد الرحمن أن يسير في الألفين اللذين معه حتى يلقي شبيباً فعبر بأصحابه إلى زراراة وهو يعيهم ويحرضهم إذ قيل له: قد غشيك شبيب، فنزل ونزل معه جل أصحابه، وقدم رايته ومضى إلى أقصى زراراة، فأخبر أن شبيباً قد أخبر بمكانك فتركك، ووجد مخاضة فعبر الفرات وهو يريد الكوفة من غير الوجه الذي أنت به ثم قيل له: أما تراه! فنادى:

في أصحابه، فركبوا في آثارهم.

وإن شبيباً أتى دار الرزق، فزله، فقيل: إن أهل الكوفة بأجمعهم معسكرون بالسبخة، فلما بلغهم مكان شبيب صاح بعضهم ببعض وجالوا، وهموا أن يدخلوا الكوفة حتى قيل لهم: إن سويد بن عبد الرحمن في آثارهم قد لحقهم وهو يقاتلهم في الخيل.

قال هشام: وأخبرني عمر بن بشير، قال: لما نزل شبيب الدير أمر بغنم تبيعاً له، فصعد الدهقان، ثم نزل وقد تغير لونه، فقال: مالك! قال: قد والله جاءك جمع كثير، قال: أبلغ الشواء بعد؟ قال: لا، قال: دعه.

قال: ثم أشرف إشرافة أخرى، فقال: قد والله أحاطوا بالجوسق، قال:

هات شواءك، فجعل يأكل غير مكترث لهم، فلما فرغ توضأ وصلى بأصحابه الأولى، ثم تقلد سيفين بعد ما لبس درعه، وأخذ عمود حديد ثم قال: أسرجوا لي البغلة، فقال أخوه مصاد: أفي هذا اليوم تسرج بغلة! قال: نعم أسرجوها، فركبها، ثم قال: يا فلان، أنت على الميمنة وأنت يا فلان على الميسرة، وقال لمصاد: أنت في القلب، وأمر الدهقان ففتح الباب في وجوههم قال: نخرج إليهم وهو يحكم، فجعل سعيد وأصحابه يرجعون القهقري حتى صار بينهم وبين الدير نحو من ميل.

قال: وجعل سعيد يقول: يا معشر همدان، أنا ابن ذي مران، إلي إلي ووجه سرباً مع ابنه وقد أحس أنها تكون عليه، فنظر شبيب إلى.

مصاد فقال: أثكنيك الله إن لم أكله ولده قال: ثم علاه بالعمود، فسقط ميتاً، وانهزم أصحابه وما قتل بينهم يومئذ إلا قتيل واحد قال: وانكشف أصحاب سعيد بن مجالد حتى أتوا الجزل، فناداهم الجزل: أيها الناس، إلي إلي وناداهم عياض بن أبي لينة: أيها الناس، إن يكن أميركم هذا القادم قد هلك فهذا أميركم الميمون النقيية، أقبلوا إليه، وقاتلوا معه، ففهم من أقبل إليه، ومنهم من ركب رأسه منهزماً، وقاتل الجزل قتالاً شديداً حتى صرع، وقاتل عنه خالد بن نهيك وعياض ابن أبي لينة حتى استنقذه وهو مرث، وأقبل الناس منهزمين حتى دخلوا الكوفة، فأتي بالجزل حتى أدخل المدائن، وكتب إلى الحجاج بن يوسف.

قال أبو مخنف: حدثني بذلك ثابت مولى زهير:

أما بعد، فإني أخبر الأمير أصلحه الله أنني خرجت فيمن قبلي من الجند الذي وجهني إلى عدوه، وقد كنت حفظت عهد الأمير إلي فيهم ورأيه، فكنت أخرج إليهم إذا رأيت الفرصة، وأحبس الناس عنهم إذا خشيت الورطة، فلم أزل كذلك، ولقد أرادني العدو بكل ريده فلم يصب مني غرة، حتى قدم علي سعيد بن مجالد رحمة الله عليه، ولقد امرته بالتؤدة، ونهيته عن العجلة، وامرته ألا يقاتلهم إلا في جماعة الناس عامة ففصاني، وتعجل إليهم في الخيل، فأشهدت عليه أهل المصرين أنني بريء من رأيه الذي رأى، وأني لا أهوى ما صنع فضي فأصيب تجاوز الله عنه، ودفع الناس إلي، فزلت ودعوتهم إلي، ورفعت لهم رايتي، وقاتلت حتى صرعت، فحملني أصحابي من بين القتلى، فما أفقت إلا وأنا على أيديهم على رأس ميل من المعركة، فأنا اليوم بالمدائن في جراحة قد يموت الرجل من دونها ويعافى من مثلها فليسأل الأمير أصلحه الله عن نصيحتي له ولجنده، وعن مكايدي عدوه، وعن موقعي يوم البأس، فإنه يستبين له عند ذلك أنني قد صدقته ونصحت له والسلام.

فكتب إليه الحجاج:

أما بعد، فقد أتاني كتابك وقرأته، وفهمت كل ما ذكرت فيه، وقد صدقتك في كل ما وصفت به نفسك من نصيحتك لأميرك، وحيطتك على أهل مصرك، وشدتك على عدوك، وقد فهمت ما ذكرت من أمر سعيد وعجلته إلى عدوه، فقد رضيت عجلته وتؤدتك، فأما عجلته فإنها أفضت به إلى الجنة، وأما تؤدتك فإنها لم تدع الفرصة إذا أمكنت، وترك الفرصة إذا لم تمكن حزم، وقد أصبت وأحسن البلاء، وأجرت، وأنت عندي من أهل السمع والطاعة والنصيحة، وقد اشخصت إليك حيان

ابن أبجر ليداويك ويعالج جراحتك، وبعثت إليك بألفي درهم فأنفقها في حاجتك وما ينوبك والسلام.

فقدم عليه حيان بن أبجر الكثاني من بني فراس - وهم يعالجون الكي وغيره - فكان يداويه، وبعث إليه عبد الله بن أبي عصفير بألف درهم، وكان يعوده ويتعاهده باللفظ والهدية قال: وأقبل شبيب نحو المدائن، فعلم أنه لا سبيل له إلى أهلها مع المدينة، فأقبل حتى

انتهى إلى الكرخ، فعبر دجلة إليه، وبعث إلى أهل سوق بغداد وهو بالكرخ أن اثبتوا في سوقكم فلا بأس عليكم- وكان ذلك يوم سوقهم- وقد كان بلغه أنهم يخافونه قال: ويخرج سويد حتى جعل بيوت مزينة وبني سليم في ظهره وظهور أصحابه، وحمل عليهم شبيب حملة منكرة، وذلك عند المساء، فلم يقدر منهم على شيء، فأخذ على بيوت الكوفة نحو الحيرة، وأتبعه سويد لا يفارقه حتى قطع بيوت الكوفة كلها إلى الحيرة، وأتبعه سويد حتى انتهى إلى الحيرة، فيجده قد قطع قنطرة الحيرة ذاهبا، فتركه وأقام حتى أصبح، وبعث إليه الحاج أن أتبعه فأتبعه، ومضى شبيب حتى أغار في أسفل الفرات على من وجد من قومه، وارتفع في البر من وراء خفان في أرض يقال لها الغلظة، فيصيب رجلا من بني الورثة، فحمل عليهم، فاضطربهم إلى جدد من الأرض، فجعلوا يرمونه وأصحابه بالحجارة من حجارة الأرحاء كانت حولهم، فلما نفذت وصل إليهم فقتل منهم ثلاثة عشر رجلا، منهم حنظلة بن مالك ومالك بن حنظلة وحمزان بن مالك، كلهم من بني الورثة.

قال أبو مخنف: حدثني بذلك عطاء بن عرجة بن زياد بن عبد الله الورثي ومضى شبيب حتى يأتي بني أبيه على اللصف ماء لرهطه وعلى ذلك الماء الفزر بن الأسود، وهو أحد بني الصلت، وهو الذي كان ينهى شبيبا عن رأيه، وأن يفسد بني عمه وقومه، فكان شبيب يقول: والله لئن ملكت سبعة أعنة لأغزون الفزر فلما غشيهم شبيب

في الخيل سأل عن الفزر فاتقاه الفزر، فخرج على فرس لا تجارى من وراء البيوت، فذهب عليها في الأرض، وهرب منه الرجال، ورجع وقد أخاف أهل البادية حتى أخذ على القطقطانة، ثم على قصر مقاتل، ثم أخذ على شاطئ الفرات حتى أخذ على الحصاصة، ثم على الأنبار، ثم مضى حتى دخل دقواء، ثم ارتفع إلى أداني أذربيجان فتركه الحاج وخرج إلى البصرة، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة، فاشعر الناس بشيء حتى جاء كتاب من ماذرواسب دهقان بابل مهروذ وعظيمها إلى عروة بن المغيرة بن شعبة أن تاجرا من تجار الأنبار من أهل بلادي أتاني فذكر أن شبيبا يريد أن يدخل الكوفة في أول هذا الشهر المستقبل، أحبت إعلامك ذلك لترى رأيك، ثم لم ألبث إلا ساعة حتى جاءني جابيان من جباتي فحدثاني أنه قد نزل خاتيجار فأخذ عروة كتابه فأدرجه وسرح به إلى الحاج بالبصرة، فلما قرأه الحاج أقبل جوادا إلى الكوفة، وأقبل شبيب يسير حتى انتهى إلى قرية يقال لها حربى على شاطئ دجلة فعبر منها، فقال: ما اسم هذه القرية؟ فقالوا: حربى، فقال: حرب يصلى بها عدوكم، وحرب تدخلونه بيوتهم، إنما يتطير من يقوف ويعيف، ثم ضرب رايته وقال لأصحابه: سيروا، فأقبل حتى نزل عقرقوفا، فقال له سويد بن سليم: يا أمير المؤمنين، لو تحولت بنا من هذه القرية المشئومة الاسم، قال.

وقد تطيرت أيضا! والله لا أتحول عنها حتى أسير إلى عدوي منها، إنما شئوها إن شاء الله على عدوكم تحلون عليهم فيها، فالعقر لهم ثم قال لأصحابه: يا هؤلاء، إن الحاج ليس بالكوفة، وليس دون الكوفة إن شاء الله شيء، فسيروا بنا فخرج يبادر الحاج إلى الكوفة، وكتب عروة إلى الحاج أن شبيبا قد أقبل مسرعا يريد الكوفة، فالجعل العجل فطوى الحاج المنازل، واستبقا إلى الكوفة، ونزلها الحاج صلاة الظهر، ونزل شبيب السبخة صلاة المغرب، فصلى المغرب والعشاء، ثم أصاب هو وأصحابه من الطعام شيئا يسيرا، ثم ركبوا خيولهم فدخلوا الكوفة، فجاء شبيب حتى انتهى إلى السوق، ثم شد حتى ضرب باب القصر بعموده

قال أبو المنذر: رأيت ضربة شبيب بباب القصر قد أثرت أثرا عظيما، ثم أقبل حتى وقف عند المصطبة، ثم قال:

وكان حافرها بكل نحيلة ... كيل يكيل به شيخ معدم

عبد دعى من ثم أصله ... لا بل يقال أبو أبيهم يقدم

ثم اقتحموا المسجد الأعظم وكان كبيرا لا يفارقه قوم يصلون فيه، فقتل عقيل بن مصعب الوادعى وعدي بن عمرو الثقفي وأبا ليث بن أبي سليم مولى عنبسة بن أبي سفيان، وقتلوا أزهر بن عبد الله العامري، ومروا بدار حوشب وهو على الشرط فوققوا على بابه وقالوا: إن الأمير يدعو حوشبا، فأخرج ميمون غلامه برذون حوشب ليركبه حوشب، فكأنه أنكرهم فظنوا أنه قد اتهمهم، فأراد أن يدخل، فقالوا له: كما أنت، حتى يخرج صاحبك فسمع حوشب الكلام، فأنكر القوم، فخرج إليهم، فلما رأى جماعتهم أنكرهم، وذهب لينصرف، ففعلوا نحوه، ودخل وأغلق الباب، وقتلوا غلامه ميمونا، وأخذوا برذونه ومضوا حتى مروا بالحجاف ابن نبيط الشيباني من

رهط حوشب، فقال له سويد: انزل إلينا، فقال له: ما تصنع بنزولي! قال له سويد: أقضيك ثمن البكرة التي كنت ابتعت منك بالبادية، فقال له الحجاج: بئس ساعة القضاء هذه الساعة، وبئس قضاء الدين هذا المكان! أما ذكرت أماتك إلا والليل مظلم، وأنت على ظهر فرسك! قبح الله يا سويد دينا لا يصلح ولا يتم إلا بقتل ذوي القرابة وسفك دماء هذه الأمة.

قال: ثم مضوا فمروا بمسجد بني ذهل فلقوا ذهل بن الحارث، وكان يصلي في مسجد قومه فيطيل الصلاة، فصادفوه منصرفا إلى منزله، فشدوا عليه ليقتلوه، فقال: اللهم إني أشكو إليك هؤلاء وظلمهم وجهلهم.

اللهم إني عنهم ضعيف، فانتصر لي منهم! فضر به حتى قتله، ثم مضوا حتى خرجوا من الكوفة متوجهين نحو المردمة

قال هشام: قال أبو بكر بن عياش: واستقبله النضر بن قعقاع ابن شور الذهلي، وأمه ناجية بنت هانئ بن قبيصة بن هانئ الشيباني فأبطره حين نظر إليه - قال: يعني بقوله: أبطره أفزعه - فقال: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله، قال له سويد مبادرا: أمير المؤمنين، ويلك! فقال: أمير المؤمنين حتى خرجوا من الكوفة متوجهين نحو المردمة، وأمر الحجاج المنادي فنادى: يا خيل الله اركبي وأبشري، وهو فوق باب القصر، وثم مصباح مع غلام له قائم، فكان أول من جاء إليه من الناس عثمان بن قطن بن عبد الله بن الحصين ذي الغصة، ومعه مواليه، وناس من أهله، فقال: أنا عثمان بن قطن، أعلموا الأمير مكاني فليأمر بأمره، فقال له ذلك الغلام: قف مكانك حتى يأتيك أمر الأمير، وجاء الناس من كل جانب، وبات عثمان فيمن اجتمع إليه من الناس حتى أصبح.

ثم ان الحجاج بعث بسر بن غالب الأسدي من بني والبة في ألفي رجل، وزائدة بن قدامة الثقفي في ألفي رجل، وأبا الضريس مولى بني تميم في ألف من الموالى، وأعين - صاحب حمام أعين مولى بشر بن مروان - في ألف رجل، وكان عبد الملك بن مروان قد بعث محمد بن موسى بن طلحة على سجستان، وكتب له عليها عهده، وكتب إلى الحجاج: أما بعد، فإذا قدم عليك محمد بن موسى فجهز معه ألفي رجل إلى سجستان، وعجل سراحه وأمر عبد الملك محمد بن موسى بمكاتبة الحجاج، فلما قدم محمد ابن موسى جعل يتجسس في الجهاز، فقال له نصحاؤه: تعجل أيها الأمير إلى عملك، فإنك لا تدري ما يكون من أمر الحجاج! وما يبدو له فأقام على حاله، وحدث من أمر شبيب ما حدث، فقال الحجاج لمحمد ابن موسى بن طلحة بن عبيد الله: تلقى شبيباً وهذه الخارجة فتجاهدهم ثم تمضي إلى عملك، وبعث الحجاج مع هؤلاء الأمراء أيضا عبد الأعلى بن

عبد الله بن عامر بن كريز القرشي وزباد بن عمرو العتكي، وخرج شبيب حيث خرج من الكوفة، فأتى المردمة وبها رجل من حضرموت على العشور يقال له ناجية بن مرثد الحضرمي، فدخل الحمام ودخل عليه شبيب فاستخرجه فضر به عنقه، واستقبل شبيب النضر بن القعقاع بن شور - وكان مع الحجاج حين أقبل من البصرة، فلما طوى الحجاج المنازل خلفه وراءه - فلما رآه شبيب ومعه أصحابه عرفه، فقال له شبيب: يا نضر بن القعقاع، لا حكم إلا لله* - وإنما أراد شبيب بمقاتلته له تلقينه، فلم يفهم النضر - فقال: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» ، فقال أصحاب شبيب: يا أمير المؤمنين، كأنك إنما تريد بمقاتلتك أن تلقنه فشدوا على نضر فقتلوه.

قال: واجتمعت تلك الأمراء في أسفل الفرات، فترك شبيب الوجه الذي فيه جماعة أولئك القواد، وأخذ نحو القادسية، ووجه الحجاج زحر بن قيس في جريدة خيل نقاوه ألف وثمانمائة فارس، وقال له: اتبع شبيباً حتى تواقعه حيثما أدركته، إلا أن يكون منطلقاً ذاهباً فاتركه ما لم يعطف عليك أو ينزل فيقيم لك، فلا تبرح إن هو أقام حتى تواقعه، ففرج زحر حتى انتهى إلى السيلحين، وبلغ شبيباً مسيره إليه، فأقبل نحوه فالتقيا، فجعل زحر على ميمنته عبد الله بن كاز النهدي، وكان شجاعاً، وعلى ميسرته عدى بن عدى بن عميرة الكندي الشيباني، وجمع شبيب خيله كلها كبكة واحدة، ثم اعترض بها الصف، فوجف وجيفا، واضطرب حتى انتهى إلى زحر بن قيس، فنزل زحر بن قيس، فقاتل زحر حتى صرع، وانهمز أصحابه، وظن القوم أنهم قد قتلوه، فلما كان في السحر وأصابه البرد قام يتمشى حتى دخل قرية فبات بها، وحمل منها إلى الكوفة وبوجهه ورأسه بضعة عشر جراحة ما بين ضربة وطعنة، فكث أياماً، ثم أتى الحجاج وعلى وجهه وجراحه القطن، فأجلسه الحجاج معه على السرير، وقال لمن حوله: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة يمشي بين الناس وهو

شهيد فلينظر إلى هذا وقال أصحاب شبيب لشبيب وهم يظنون أنهم قد قتلوا زحراً: قد هزمنا لهم جنداً، وقتلنا لهم أميراً من أمراءهم

عظيما، انصرف بنا الآن وافرين، فقال لهم: إن قتلنا هذا الرجل، وهزيمتنا هذا الجند، قد أرعبت هذه الأمراء والجنود التي بعثت في طلبكم، فاقصدوا بنا قصدهم، فوالله لئن نحن قتلناهم ما دون الحجاج من شيء وأخذ الكوفة إن شاء الله فقالوا: نحن لرأيك سمع تبع، ونحن طوع يديك.

قال: فانقض بهم جوادا حتى يأتي نجران- وهي نجران الكوفة ناحية عين التمر-، ثم سأل عن جماعة القوم نخبر باجتماعهم بروذبار في أسفل الفرات في بهقباذ الأسفل، على رأس أربعة وعشرين فرسخا من الكوفة فبلغ الحجاج مسيره إليهم، فبعث إليهم عبد الرحمن بن الغرق مولى ابن أبي عقيل- وكان على الحجاج كريما- فقال له: الحق بجماعتهم- يعني جماعة الأمراء- فأعلمهم بمسير المارقة إليهم، وقل لهم: إن جمعكم قتال فأمر الناس زائدة بن قدامة، فأتاهم ابن الغرق فأعلمهم ذلك، وانصرف عنهم.

قال أبو مخنف: فحدثني عبد الرحمن بن جندب قال: انتهى إلينا شبيب وفينا سبعة أمراء على جماعتهم زائدة بن قدامة، وقد عي كل أمير أصحابه على حدة، ففي ميمنتنا زياد بن عمرو العتكي، وفي ميسرتنا بشر بن غالب الأسدي، وكل أمير واقف في أصحابه فأقبل شبيب حتى وقف على تل، فأشرف على الناس وهو على فرس له كمت أغر، فنظر إلى تعييتهم، ثم رجع إلى أصحابه، فأقبل في ثلاث كتائب يوجفون، حتى إذا دنا من الناس مضت كتيبة فيها سويد بن سليم، فتقف في ميمنتنا، ومضت كتيبة فيها مصاد أخو شبيب، فوقفت على ميسرتنا، وجاء شبيب في كتيبه حتى وقف مقابل القلب قال: وخرج زائده ابن قدامة يسير في الناس فيما بين ميمنتهم إلى ميسرتهم يحرض الناس ويقول:

يا عباد الله، أنتم الكثيرون الطيبون، وقد نزل بكم القليلون الخبيثون، فاصبروا- جعلت لكم الفداء- لكرتين أو ثلاث تكرون عليهم، ثم هو النصر ليس بينه حاجز ولا دونه شيء ألا ترون إليهم والله ما يكونون مائتي رجل، إنما هم أكلة رأس، إنما هم السراق المراق، إنما جاءكم ليهريقوا دماءكم، ويأخذوا فيكم، فلا يكونوا على أخذه أقوى منكم على منعه، وهم قليل وأنتم كثير، وهم أهل فرقة وأنتم أهل جماعة، غضوا الأبصار، واستقبلوهم بالأسنة، ولا تحملوا عليهم حتى أمركم، ثم انصرف إلى موقفه.

قال: ويحمل سويد بن سليم على زياد بن عمرو، فانكشف صفهم، وثبت زياد في نحو من نصف أصحابه، ثم ارتفع عنهم سويد قليلا، ثم كر عليهم ثانية، ثم اطعنوا ساعة.

قال أبو مخنف: فحدثني فروة بن لقيط، قال: أنا والله فيهم يومئذ، قال: اطعنا ساعة وصبروا لنا حتى ظننت أنهم لن يزولوا، وقاتل زياد بن عمرو قتالا شديدا، وجعل ينادي: يا خيلي، ويشد بالسيف فيقاتل قتالا شديدا، فلقد رأيت سويد بن سليم يومئذ وأنه لأشجع العرب وأشدّه قتالا، وما يعرض له قال: ثم أنا ارتفعنا عنهم آخر إذا هم يتقوضون، فقال له أصحابه: ألا تراهم يتقوضون! احمل عليهم، فقال لهم شبيب: خلوهم حتى يخفوا، فتركوهم قليلا، ثم حمل عليهم الثالثة فانهزموا فنظرت إلى زياد بن عمرو وأنه ليضرب بالسيف وما من سيف يضرب به إلا نبا عنه وهو مجفف، ولقد رأيته اعتوره أكثر من عشرين سيفاً فما ضره من ذلك شيء ثم إنه انهزم وقد جرح جراحة يسيرة، وذلك عند المساء.

قال: ثم شددنا على عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر فهزمناه، وما قاتلنا كثير قتال، وقد ضارب ساعة، وقد بلغني أنه كان جرح ثم

لحق بزياد بن عمرو، فمضينا منهنّ حتى انتهينا إلى محمد بن موسى بن طلحة عند المغرب، فقاتلنا قتالا شديدا وصبر لنا ذكر هشام عن أبي مخنف، قال: حدثني عبد الرحمن بن جندب وفروة بن لقيط، أن أخا شبيب مصادا حمل على بشر بن غالب وهو في الميسرة، فأبلى وكرم والله وصبر، فنزل ونزل معه رجال من أهل الصبر نحو من خمسين، فضاربوا بأسيا فمهم حتى قتلوا عن آخرهم، وكان فيهم عروة بن زهير بن ناجذ الأزدي، وأمه زرارة امرأة ولدت في الأزدي، فيقال لهم بنو زرارة، فلما قتلوه وانهزم أصحابه مالوا فشدوا على أبي الضريس مولى بني تميم، وهو يلي بشر بن غالب، فهزموه حتى انتهى إلى موقف أعين، ثم شدوا عليه وعلى أعين جميعا فهزموهما حتى انتهوا بهما إلى زائدة بن قدامة، فلما انتهوا إليه نزل ونادى: يا أهل الاسلام، والارض الأرض، إلي إلي! لا يكونوا على كفرهم أصبر منكم على إيمانكم، فقاتلهم عامة الليل حتى كان السحر ثم إن شبيباً شد عليه في جماعة من أصحابه فقتله وأصحابه وتركهم ربضة حوله من أهل الحفاظ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَنْدَبٍ قَالَ: سَمِعْتُ زَائِدَ بْنَ قَدَامَةَ لَيْلَتُنْذُ رَافِعًا صَوْتَهُ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اصْبَرُوا وَصَابِرُوا، «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ».

«ثُمَّ وَاللَّهِ مَا بَرِحَ يِقَاتِلُهُمْ مَقْبَلًا غَيْرَ مَدِيرٍ حَتَّى قَتَلَ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: وَحَدَّثَنِي فُروهِ بْنُ لَقِيطٍ أَنَّ أَبَا الصَّقِيرِ الشَّيْبَانِي ذَكَرَ أَنَّهُ قَتَلَ زَائِدَةَ بْنَ قَدَامَةَ، وَقَدْ حَاجَهُ فِي ذَلِكَ آخِرُ يَقَالُ لَهُ الْفَضْلُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ: وَلَمَّا قَتَلَ شَيْبِيبُ زَائِدَةَ بْنَ قَدَامَةَ دَخَلَ أَبُو الضَّرِيرِ وَأَعْيَنَ جَوْسِقًا عَظِيمًا، وَقَالَ شَيْبِيبُ لِأَصْحَابِهِ: ارْفَعُوا السِّيفَ عَنِ النَّاسِ وَادْعُوهُمْ إِلَى الْبَيْعَةِ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى الْبَيْعَةِ عِنْدَ الْفَجْرِ.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَنْدَبٍ: فَكَنتُ فِيمَنْ قَدِمَ إِلَيْهِ فَبَايَعَهُ وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى فَرَسٍ وَخِيَلَهُ وَاقِفَةٌ دُونَهُ، فَكَلَّ مِنْ جَاءِ لِبَايَعِهِ نَزَعَ سَيْفَهُ عَنْ عَاتِقِهِ، وَأَخَذَ سِلَاحَهُ مِنْهُ، ثُمَّ يَدْنَى مِنْ شَيْبِيبٍ فَيَسْلُمُ عَلَيْهِ بِأَمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ يَخْلِي سَبِيلَهُ قَالَ: وَإِنَّا لَكَذَلِكَ إِذَا انْفَجَرَ الْفَجْرُ وَمُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي أَقْصَى الْعَسْكَرِ، مَعَهُ عَصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ صَبَرُوا، فَلَمَّا انْفَجَرَ الْفَجْرُ أَمَرَ مُؤَذِّنُهُ فَأَذَّنَ، فَلَمَّا سَمِعَ شَيْبِيبُ الْأَذَانَ قَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ لَمْ يَبْرَحْ، فَقَالَ: قَدْ ظَنَنْتُ أَنَّ حَقَّهُ وَخِيَلَاءَهُ سَيَحْمِلُهُ عَلَى هَذَا، نَحْنُ هَؤُلَاءِ عَنَا وَانْزَلُوا بَنَاءَ فَلَنْصِلَ قَالَ: فَزَلْ فَأَذَّنَ هُوَ، ثُمَّ اسْتَقْدَمَ فَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ، فَقَرَأَ:

«وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ»، وَ «أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ»، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ رَكِبُوا فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ فَانْكَشَفَتْ طَائِفَةٌ.

مِنْ أَصْحَابِهِ، وَثَبَّتْ طَائِفَةٌ قَالَ فُروهِ: فَمَا أُنْسَى قَوْلَهُ وَقَدْ غَشِيَنَاهُ وَهُوَ يِقَاتِلُ بِسَيْفِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ» قَالَ: وَضَارِبٌ حَتَّى قَتَلَ قَالَ: فَسَمِعْتُ أَصْحَابِي يَقُولُونَ: إِنْ شَبِيهَا هُوَ الَّذِي قَتَلَهُ ثُمَّ إِنَّا نَزَلْنَا فَأَخَذْنَا مَا كَانَ فِي الْعَسْكَرِ مِنْ شَيْءٍ، وَهَرَبَ الَّذِينَ كَانُوا بَايَعُوا شَبِيهَا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

وَقَدْ ذَكَرَ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ غَيْرَ أَبِي مُخَنَّفٍ أَمْرًا غَيْرَ الَّذِي ذَكَرْتَهُ عَنْهُ، وَالَّذِي ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ كَانَ وَلِيَّ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ سَجِسْتَانَ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْحِجَابُ: أَنَّكَ عَامِلٌ كُلِّ بَلَدٍ مَرَرْتَ بِهِ، وَهَذَا شَيْبِيبُ فِي طَرِيقِكَ فَعَدِلْ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ، فَأَرْسَلْ إِلَيْهِ شَيْبِيبَ: إِنَّكَ أَمْرٌ مُخْدَعٌ، قَدْ اتَّقَى بِكَ الْحِجَابُ، وَأَنْتَ جَارٌ لَكَ حَقٌّ، فَانْطَلِقْ لَمَّا أَمَرْتُ بِهِ وَلَكَ اللَّهُ لَا آذِيتُكَ، فَأَبَى إِلَّا مُحَارَبَتَهُ، فَوَاقَفَهُ شَيْبِيبُ، وَأَعَادَ إِلَيْهِ الرَّسُولَ، فَأَبَى إِلَّا قِتَالَهُ، فَدَعَا إِلَى الْبَرَارِ، فَبَرَزَ إِلَيْهِ الْبَطِينُ ثُمَّ قَعَبَ ثُمَّ سَوِيدٌ، فَأَبَى إِلَّا شَبِيهَا، فَقَالُوا لِشَيْبِيبَ: قَدْ رَغِبَ عَنَّا إِلَيْكَ، قَالَ: فَمَا ظَنُّكُمْ هَذِهِ الْأَشْرَافُ! فَبَرَزَ إِلَيْهِ شَيْبِيبُ، وَقَالَ: إِنِّي أَنْشَدُكَ اللَّهَ فِي دَمِكَ، فَإِنْ لَكَ جَوَارًا فَأَبَى إِلَّا قِتَالَهُ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ شَيْبِيبُ فَضْرَبَهُ بَعْضًا حَدِيدٍ

فِيهَا اثْنَا عَشَرَ رَطْلًا بِالشَّامِيِّ، فَهَشَمَ بِهَا بَيْضَةً عَلَيْهِ وَرَأْسَهُ فَسَقَطَ، ثُمَّ كَفَنَهُ وَدَفَنَهُ، وَابْتِاعَ مَا غَنَمُوا مِنْ عَسْكَرِهِ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَى أَهْلِهِ، وَاعْتَذَرَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَقَالَ: هُوَ جَارِي بِالْكُوفَةِ، وَلِي أَنْ أَهْبَ مَا غَنِمْتُ لِأَهْلِ الرَّدَةِ.

قَالَ عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى مَعَ عُمَرَ ابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ بِفَارِسَ، وَشَهِدَ مَعَهُ قِتَالَ أَبِي فَدِيكَ وَكَانَ عَلَى مِيمَنَتِهِ، وَشَهِدَ بِالْجَدَةِ وَشَدَّةِ الْبَأْسِ وَزَوْجَهُ عُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ ابْنَتَهُ أُمُّ عَثْمَانَ وَكَانَتْ أُخْتَهُ تَحْتَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ- فَوَلَاهُ سَجِسْتَانَ، فَرَفَعَ بِالْكُوفَةِ وَبِهَا الْحِجَابُ بْنُ يَوْسُفَ، فَقِيلَ لِلْحِجَابِ: إِنْ صَارَ هَذَا إِلَى سَجِسْتَانَ مَعَ نَجْدَتِهِ وَصَهْرِهِ لَعَبْدَ الْمَلِكِ فَلَجَأَ إِلَيْهِ أَحَدُ مِمَّنْ تَطْلُبُ، مَنَعَكَ مِنْهُ، قَالَ: فَمَا الْحِيلَةُ؟ قِيلَ: تَأْتِيهِ وَتَسْلُمُ عَلَيْهِ، وَتَذْكُرُ نَجْدَتَهُ وَبَأْسَهُ وَأَنْ شَبِيهَا فِي طَرِيقِهِ، وَأَنْهُ قَدْ أَعْيَاكَ، وَأَنْكَ تَرْجُو أَنْ يَرْجِعَ اللَّهُ مِنْهُ عَلَى يَدِهِ، فَيَكُونُ لَهُ ذِكْرُ ذَلِكَ وَشَهْرَتُهُ فَعْمَلٌ، فَعَدِلْ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَوَاقَفَهُ شَيْبِيبُ، فَقَالَ لَهُ شَيْبِيبُ: إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ خِدَاعَ الْحِجَابِ، وَإِنَّمَا اعْتَرَكُ وَوَقَى بِكَ نَفْسَهُ، وَكَأَنِّي بِأَصْحَابِكَ لَوْ قَدْ التَقْتُ حَلَقَتَا الْبَطَانِ قَدْ أَسْلَمُوكَ، فَصَرَعْتُ مَصْرَعَ أَصْحَابِكَ، فَأَطْعَنِي وَانْطَلِقْ لَشَأْنِكَ، فَإِنِّي أَنْفَسُ بِكَ عَنِ الْمَوْتِ، فَأَبَى مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى، فَبَارَزَهُ شَيْبِيبُ فَقَتَلَهُ رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ أَبِي مُخَنَّفٍ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ بَايَعَهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ أَبُو بَرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِي، فَلَمَّا بَايَعَهُ قَالَ لَهُ شَيْبِيبُ: أَلَسْتَ أَبَا بَرْدَةَ! قَالَ: بَلَى، قَالَ شَيْبِيبُ لِأَصْحَابِهِ: يَا أَخْلَائِي، أَبُو هَذَا أَحَدُ الْحَكَمِيِّينَ، فَقَالُوا: لَا نَقْتُلُ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنْ هَذَا لَا ذَنْبَ لَهُ فِيمَا صَنَعَ

أبوه، قالوا: أجل قال: وأصبح شبيب: فأتى مقبلا نحو القصر الذي فيه أبو الضريس وأعين فرموه بالنبل، وتحصنا منه، فأقام ذلك اليوم عليهم، ثم شخص عنهم، فقال له أصحابه: ما دون الكوفة أحد يمنعنا، فنظر فإذا أصحابه قد جرحوا، فقال لهم: ما عليكم أكثر مما قد فعلتم، نخرج بهم على نفر، ثم على الصراة، ثم على بغداد، ثم خرج إلى خانيجار فأقام بها. قال: ولما بلغ الحجاج أن شبيباً قد أخذ نحو نفر ظن أنه يريد المدائن - وهي باب الكوفة، ومن أخذ المدائن كان ما في يده من أرض الكوفة أكثر - فهال ذلك الحجاج، وبعث إلى عثمان بن قطن، ودعاه وسرحه إلى المدائن، وولاه منبرها والصلاة ومعونة جونى كلها وخراج الأستان.

نفرج مسرعا حتى نزل المدائن، وعزل الحجاج عبد الله بن أبي عصفير، وكان بها الجزل مقيما أشهراً يداوي جراحته، وكان ابن أبي عصفير يعوده ويكرمه، فلما قدم عثمان بن قطن المدائن لم يعده، ولم يكن يتعاهده ولا يلطفه بشيء، فقال الجزل: اللهم زد ابن عصفير جودا وكرما وفضلا، وزد عثمان بن قطن ضيقا وبخلا قال: ثم إن الحجاج دعا عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال: انتخب الناس، وانخرج في طلب هذا العدو، فأمره بخبة ستة آلاف، فانتخب فرسان الناس ووجوههم، وانخرج من قومه ستمائة من كندة وحضرموت، واستحثه الحجاج بالعسكر، فعسكر بدير عبد الرحمن، فلما أراد الحجاج إخصاصهم كتب إليهم:

أما بعد، فقد اعتدتم عادة الأذلاء، ووليتم الدبر يوم الزحف، وذلك دأب الكافرين، وإني قد صفحت عنكم مرة بعد مرة، ومرة بعد مرة وإني أقسم لكم بالله قسما صادقا لئن عدتم لذلك لأوقعن بكم إيقاعا أشد عليكم من هذا العدو الذي تهربون منه في بطون الأودية والشعاب، وتستترون منه بأثناء الأنهار وألواز الجبال، نخاف من له معقول على نفسه، ولم يجعل عليها سبيلا، وقد أعذر من أئذر

وقد أسمعت لو ناديت حيا ... ولكن لا حياة لمن تنادي والسلام عليكم.

قال: ثم سرح ابن الأصم مؤذنه، فأتى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عند طلوع الشمس، فقال له: ارتحل الساعة وناد في الناس: أن برئت الذمة عن رجل من هذا البعث وجدناه متخلفا نفرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في الناس حتى مر بالمدائن فنزل يوما وليلة، وتشرى أصحابه حوائجهم، ثم نادى في الناس بالرحيل، فارتحلوا، ثم أقبلوا حتى دخل على عثمان بن قطن، ثم أتى الجزل فسأله عن جراحته، وسأله ساعة وحده ثم ان الجزل قال له: يا بن عم: إنك تسير إلى فرسان العرب وأبناء الحرب، وأحلاس الخيل، والله لكأنا خلقوا من ضلوعها، ثم بنوا على ظهورها، ثم هم أسد الأجم، الفارس منهم أشد من مائة، إن لم تبدأ به بدأ، وإن هججهج أقدم، فإني قد قاتلتهم وبلوتهم، فإذا أصحرت لهم انتصفوا مني، وكان لهم الفضل علي، وإذا خندقت علي وقاتلتهم في مضيق نلت منهم بعض ما أحب، وكان لي عليهم الظفر، فلا تلقهم وأنت تستطيع إلا في تعبئة أو في خندق ثم إنه ودعه، فقال له الجزل: هذه فرسي الفسيفساء، خذها فإنها لا تجاري فأخذها ثم خرج بالناس نحو شبيب، فلما دنا منه ارتفع عنه شبيب إلى دقوقاء وشهرزور، نفرج عبد الرحمن في طلبه، حتى إذا كان على التخوم أقام، وقال: إنما هو في أرض الموصل، فليقاتلوا عن بلادهم أوليدعوه، فكتب إليه الحجاج بن يوسف: أما بعد، فاطلب شبيباً واسلك في أثره أين سلك حتى تدركه فتقتله أو تنفيه، فإنما السلطان سلطان أمير المؤمنين والجند جنده - والسلام. نفرج عبد الرحمن حين قرأ كتاب الحجاج في طلب شبيب، فكان شبيب يدعه حتى إذا دنا منه بيته، فيجده قد خندق على نفسه وحذر، فيمضي ويدعه، فيتبعه عبد الرحمن، فإذا بلغه أنه قد تحمل وأنه يسير أقبل في الخيل، فإذا انتهى إليه وجده قد صف الخيل والرجال وادنى المرامية، فلا يصيب له غرة ولا له علة، فيمضي ويدعه.

قال: ولما رأى شبيب أنه لا يصيب لعبد الرحمن غرة ولا يصل إليه، جعل يخرج إذا دنا منه عبد الرحمن في خيله، فينزل على مسيرة عشرين فرسخا، ثم يقيم في أرض غليظه حزنه، فيجيء عبد الرحمن، فإذا دنا من شبيب ارتحل شبيب فسار خمسة عشر أو عشرين فرسخا، فنزل منزلا غليظا خشنا، ثم يقيم حتى يدنو عبد الرحمن.

قال أبو مخنف: فحدثني عبد الرحمن بن جندب أن شبيباً كان قد عذب ذلك العسكر وشق عليهم، وأحفى دوابهم، ولقوا منه كل بلاء،

فلم يزل عبد الرحمن يتبعه حتى مر به على خانقين ثم على جلولاء ثم على تامرا، ثم أقبل حتى نزل البت- قرية من قرى الموصل على تخوم الموصل، ليس بينها وبين سواد الكوفة إلا نهر يسمى حولايا- قال:

وجاء عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث حتى نزل في نهر حولايا وفي راذان الأعلى من أرض جوخي، ونزل عواقل من النهر، ونزلها عبد الرحمن حيث نزلها وهي تعجبه، يرى أنها مثل الخندق والحصن قال:

وأرسل شبيب إلى عبد الرحمن: أن هذه الأيام أيام عيد لنا ولكم، فان رايتم ان تواد عونا حتى تمضي هذه الأيام فافعلوا فقال له عبد الرحمن:

نعم، ولم يكن شيء أحب إلى عبد الرحمن من المطاولة والمواعدة قال:

وكتب عثمان بن قطن إلى الحجاج:

أما بعد، فإني أخبر الأمير أصلحه الله أن عبد الرحمن بن محمد قد حفر جوخي كلها خندقا واحدا، وخلي شيبيا وكسر خراجها وهو يأكل أهلها والسلام.

فكتب إليه الحجاج:

أما بعد، فقد فهمت ما ذكرت لي عن عبد الرحمن، وقد لعمرى فعل

ما ذكرت، فسر إلى الناس فأنت أميرهم، وعاجل المارقة حتى تلقاهم، فإن الله إن شاء الله ناصرهم عليهم والسلام.

قال: وبعث الحجاج إلى المدائن مطرف بن المغيرة بن شعبة، وخرج عثمان حتى قدم على عبد الرحمن بن محمد ومن معه من أهل الكوفة وهم معسكرون على نهر حولايا قريبا من البت، عشية الثلاثاء، وذلك يوم التروية، فنادى الناس وهو على بغلة: أيها الناس، اخرجوا إلى عدوكم فوثب إليه الناس، فقالوا: نشدك الله، هذا المساء قد غشنا، والناس لم يوطنوا أنفسهم على القتال، فبت الليلة ثم اخرج بالناس على تعبئة.

فجعل يقول: لانا جزئهم، ولتكونن الفرصة لي اولهم فأتاهم عبد الرحمن فأخذ بعنان دابته، وناشده الله لما نزل، وقال له عقيل بن شداد السلولي:

إن الذي تريد من مناجزتهم الساعة أنت فاعله غدا، وهو غدا خير لك وللناس إن هذه ساعة ريح وغبرة، وقد أمسيت فانزل، ثم أبكر بنا إليهم غدوة فنزل، فسفت عليه الريح، وشق عليه الغبار، ودعا صاحب الخراج العلوج فبنوا له قبة فبات فيها، ثم أصبح يوم الأربعاء، فجاء أهل البت إلى شبيب- وكان قد نزل ببيعتهم- فقالوا: أصلحك الله! أنت ترحم الضعفاء وأهل الجزية، ويكلمك من تلي عليه، ويشكون إليك ما نزل بهم فتتظر لهم، وتكف عنهم، وإن هؤلاء القوم جابرة لا يكلمون ولا يقبلون العذر، والله لئن بلغهم أنك مقيم في بيعتنا ليقتلنا إن قضي لك أن ترتحل عنا، فإن رأيت فانزل جانب القرية ولا تجعل لهم علينا مقالا، قال: فإني أفعل ذلك بكم، ثم خرج فنزل جانب القرية قال: فبات عثمان ليلته كلها يحرضهم، فلما أصبح- وذلك يوم الأربعاء- خرج بالناس فاستقبلتهم ريح شديدة وغبرة، فصاح الناس إليه، فقالوا: نشدك الله أن تخرج بنا في هذا اليوم، فإن الريح علينا! فأقام بهم ذلك اليوم، وأراد شبيب قتالهم، وخرج أصحابه، فلما رآهم لم يخرجوا إليه أقام، فلما كان

ليلة الخميس خرج عثمان فعبى الناس على أرباعهم، فجعل كل ربع في جانب العسكر، وقال لهم: اخرجوا على هذه التعبئة، وسألهم: من كان على ميمنتكم؟ قالوا: خالد بن نبيك بن قيس الكندي، وكان على ميسرتنا عقيل بن شداد السلولي، فدعاها فقال لهما: قفا مواقفكما التي كنتم بها، فقد وليتكما المجنتين، فاثبتا ولا تفرا، فوالله لا أزول حتى يزول نخل راذان عن أصوله فقالا: ونحن والله الذي لا إله إلا هو لا نفر حتى نظفر أو نقتل، فقال لهما: جزاكما الله خيرا ثم أقام حتى صلى بالناس الغداة، ثم خرج فجعل ربع أهل المدينة تميم وهمدان نحو نهر حولايا في الميسرة، وجعل ربع كندة وربيعة ومذج وأسد في الميمنة، ونزل يمشي في الرجال، وخرج شبيب وهو يومئذ في مائة وأحد وثمانين رجلا، فقطع إليهم النهر فكان هو في ميمنة أصحابه، وجعل على ميسرته سويد بن سليم، وجعل في القلب مصاد بن يزيد أخاه، وزحفوا وسما بعضهم لبعض.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي النَّضْرُ بْنُ صَالِحِ الْعَبْسِيِّ أَنَّ عَثْمَانَ كَانَ يَقُولُ فِيكَثْرٍ: «لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا» أَيْنَ الْمُحَافِظُونَ عَلَى دِينِهِمْ، الْمُحَامُونَ عَنْ فِيئِهِمْ! فَقَالَ عَقِيلُ بْنُ شَدَادِ بْنِ حَبْشِيِّ السُّلُولِيِّ: لَعَلِّي أَنْ أَكُونَ أَحَدَهُمْ، قَتَلَ أَوْلَئِكَ يَوْمَ رَوْذِبَارِ ثُمَّ قَالَ شَبِيبٌ لِأَصْحَابِهِ: إِنِّي حَامِلٌ عَلَى مَيْسَرَتِهِمْ مِمَّا يَلِي النُّهْرَ، فَإِذَا هَزَمْتَهَا فليَحْمِلْ صَاحِبُ مَيْسَرَتِي عَلَى مَيْمَنَتِهِمْ، وَلَا يَبْرَحُ صَاحِبُ الْقَلْبِ حَتَّى يَأْتِيَهُ أَمْرِي وَحَمِلَ فِي مَيْمَنَةِ أَصْحَابِهِ مِمَّا يَلِي النُّهْرَ عَلَى مَيْسَرَةِ عَثْمَانَ بْنِ قُطْنٍ فَانْهَزَمُوا، وَنَزَلَ عَقِيلُ بْنُ شَدَادٍ فَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ، وَقَتَلَ يَوْمَئِذٍ مَالِكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَمْدَانِيُّ ثُمَّ الْمَرْهَبِيُّ، عَمَّ عِيَّاشُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشِ الْمَنْتَوْفِ، وَجَعَلَ يَوْمَئِذٍ عَقِيلُ بْنُ شَدَادٍ يَقُولُ وَهُوَ يَجَالِدُهُمْ:

لَأُضْرِبَنَّ بِالْحَسَامِ الْبَاتِرَ ضَرْبَ غَلَامٍ مِنْ سُلُولِ صَابِرٍ

وَدَخَلَ شَبِيبٌ عَسْكَرَهُمْ، وَحَمِلَ سُوَيْدُ بْنُ سَلِيمٍ فِي مَيْسَرَةِ شَبِيبٍ عَلَى مَيْمَنَةِ عَثْمَانَ بْنِ قُطْنٍ فَهَزَمَهَا، وَعَلَيْهَا خَالِدُ بْنُ نَهْيَكٍ بْنُ قَيْسِ الْكَنْدِيِّ، فَنَزَلَ خَالِدٌ فَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا، وَحَمِلَ عَلَيْهِ شَبِيبٌ مِنْ وَرَائِهِ وَهُوَ عَلَى رُبْعِ كَنْدَةٍ وَرَبِيعَةٍ يَوْمَئِذٍ، وَهُوَ صَاحِبُ الْمَيْمَنَةِ، فَلَمْ يَنْثُرْ شَبِيبٌ حَتَّى عَلَاهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ، وَمَضَى عَثْمَانُ بْنُ قُطْنٍ وَقَدْ نَزَلَتْ مَعَهُ الْعُرَفَاءُ وَأَشْرَافُ النَّاسِ وَالْفَرَسَانُ نَحْوَ الْقَلْبِ، وَفِيهِ أَخُو شَبِيبٍ فِي نَحْوِ مِنْ سِتِينَ رَاجِلًا، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ عَثْمَانُ بْنُ قُطْنٍ شَدَّ عَلَيْهِمْ فِي الْأَشْرَافِ وَأَهْلِ الصَّبْرِ فَضَارَبُوهُمْ حَتَّى فَرَقُوا بَيْنَهُمْ، وَحَمِلَ شَبِيبٌ بِالنَّخِيلِ مِنْ وَرَائِهِمْ، فَمَا شَعَرُوا إِلَّا وَالرَّمَاخُ فِي أَكْتَافِهِمْ تَكْبَهُمْ لَوُجُوهِهِمْ، وَعَطَفَ عَلَيْهِمْ سُوَيْدُ بْنُ سَلِيمٍ أَيْضًا فِي خِيَلِهِ، وَرَجَعَ مَصَادًا وَأَصْحَابَهُ، وَقَدْ كَانَ شَبِيبٌ رَجُلَهُمْ، فَاضْطَرَبُوا سَاعَةً، وَقَاتَلَ عَثْمَانُ بْنُ قُطْنٍ فَأَحْسَنَ الْقِتَالَ ثُمَّ إِنَّهُمْ شَدُّوا عَلَيْهِمْ فَأَحَاطُوا بِهِ، وَحَمِلَ عَلَيْهِ مَصَادُ أَخُو شَبِيبٍ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ اسْتِدَارَ لَهَا، ثُمَّ قَالَ: «وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا*» ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ قَتَلُوهُ، وَقَتَلَ يَوْمَئِذٍ الْأَبْرَدُ بْنُ رَبِيعَةَ الْكَنْدِيِّ، وَكَانَ عَلَى تَلٍّ، فَأَلْقَى سِلَاحَهُ إِلَى غَلَامِهِ وَأَعْطَاهُ فَرَسَهُ، وَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ وَوَقَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَرَّاهُ ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ الْجَعْفِيُّ وَهُوَ عَلَى بَغْلَةٍ فَعَرَفَهُ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ فَنَاولَهُ الرِّمْحَ وَقَالَ لَهُ: ارْكَبْ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ مُحَمَّدٍ: أَيْنَا الرِّدْفُ؟ قَالَ: ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ: سَبْحَانَ اللَّهِ! أَنْتَ الْأَمِيرُ تَكُونُ الْمَقْدَمَ، فَارْكَبْ وَقَالَ لَابْنُ أَبِي سَبْرَةَ: نَادِ فِي النَّاسِ: الْحَقُّوْا بِدِيرِ أَبِي مَرْيَمَ، فَنَادَى، ثُمَّ انْطَلَقَا ذَاهِبِينَ، وَرَأَى وَاصِلُ بْنُ الْحَارِثِ السَّكُونِيُّ فَرَسَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الَّذِي حَمَلَهُ عَلَيْهِ الْجَزْلُ يَجُولُ فِي الْعَسْكَرِ، فَأَخَذَهَا بَعْضُ أَصْحَابِ شَبِيبٍ، فَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ، فَطَلَبَهُ فِي الْقَتْلِ فَلَمْ يَجِدْهُ، وَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ: قَدْ رَأَيْنَا رَجُلًا قَدْ نَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ فَحَمَلَهُ عَلَيْهَا، فَمَا أَخْلَقَهُ أَنْ يَكُونَ إِيَّاهُ، وَقَدْ أَخَذَ هَاهُنَا أَنْفًا فَأَتْبَعَهُ وَاصِلُ بْنُ الْحَارِثِ عَلَى بَرْدُونِهِ وَمَعَ وَاصِلِ غَلَامِهِ عَلَى بَغْلٍ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي سَبْرَةَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ:

قَدْ وَاللَّهِ لَحِقَ بِنَا فَارِسَانُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَهَلْ

غَيْرَ اثْنَيْنِ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَلَا يَعْبُزُ اثْنَانِ عَنْ اثْنَيْنِ:

قَالَ: وَجَعَلَ يَحْدِثُ ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ كَأَنَّهُ لَا يَكْتَرِثُ بِهِمَا، حَتَّى لَحِقَهُمَا الرِّجْلَانِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ: رَحِمَكَ اللَّهُ! قَدْ لَحِقْنَا الرِّجْلَانِ، فَقَالَ لَهُ: فَانْزِلْ بِنَا، فَتَنَزَّلَا فَاتَنَاضِيَا سَيْفَيْهِمَا، ثُمَّ مَضِيَا إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَأَاهُمَا وَاصِلٌ عَرَفَهُمَا، فَقَالَ لهُمَا: إِنَّكُمَا قَدْ تَرَكْتُمَا النُّزُولَ فِي مَوْضِعِهِ، فَلَا تَنْزِلَا الْآنَ، ثُمَّ حَسَرَ الْعِمَامَةَ عَنْ وَجْهِهِ، فَعَرَفَاهُ فَرَحِبَا بِهِ، وَقَالَ لَابْنُ الْأَشْعَثِ:

إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ فَرَسَكَ يَجُولُ فِي الْعَسْكَرِ ظَنَنْتُكَ رَاجِلًا، فَأَتَيْتُكَ بِبَرْدُونِي هَذَا لِتَرْكِبَهُ، فَتَرَكَ لَابْنُ أَبِي سَبْرَةَ بَغْلَتَهُ، وَرَكِبَ الْبَرْدُونَ، وَانْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْأَشْعَثِ حَتَّى نَزَلَ دِيرَ الْيَعَارِ، وَأَمَرَ شَبِيبٌ أَصْحَابَهُ فَرَفَعُوا عَنِ النَّاسِ السَّيْفَ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْبَيْعَةِ، فَأَتَاهُ مِنْ بَقِيٍّ مِنَ الرِّجَالَةِ فَبَايَعُوهُ، وَقَالَ لَهُ أَبُو الصَّقِيرِ الْحَلَبِيُّ: قَتَلْتُ مِنَ الْكُوفِيِّينَ سَبْعَةَ فِي جَوْفِ النَّهْرِ كَانَ آخِرُهُمْ رَجُلًا تَعْلُقُ بِثَوْبِي وَصَاحَ، وَرَهْبَنِي حَتَّى رَهَبْتَهُ، ثُمَّ إِنِّي أَقْدَمْتُ عَلَيْهِ فَقَتَلْتُهُ وَقَتَلَ مِنْ كَنْدَةٍ مَائَةً وَعِشْرُونَ يَوْمَئِذٍ وَالْفُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَوْ سَمَائِهِ، وَقَتَلَ عَظَمَ الْعُرَفَاءِ يَوْمَئِذٍ قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي قِدَامَةُ بْنُ حَازِمِ بْنِ سَفْيَانَ الْخَثْعَمِيُّ أَنَّهُ قَتَلَ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ جَمَاعَةً، وَبَاتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ تِلْكَ اللَّيْلَةَ بِدِيرِ الْيَعَارِ، فَأَتَاهُ فَارِسَانُ فَصَعَدَا إِلَيْهِ فَوْقَ الْبَيْتِ، وَقَامَ آخَرُ قَرِيبًا مِنْهُمَا نَخْلًا أَحَدُهُمَا بَعْدَ الرَّحْمَنِ طَوِيلًا يَنَاجِيهِ، ثُمَّ نَزَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، وَقَدْ كَانَ النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ شَبِيبًا، وَأَنَّهُ قَدْ كَانَ كَاتِبَهُ، ثُمَّ خَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ آخِرَ اللَّيْلِ فَسَارَ حَتَّى أَتَى دِيرَ أَبِي مَرْيَمَ، فَإِذَا هُوَ بِأَصْحَابِ الْخَلِيلِ قَدْ وَضَعَ لَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي سَبْرَةَ صَبْرَ الشَّعِيرِ وَالْقَتْلَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ كَأَنَّهُ الْقُصُورُ، وَنَحَرَ لَهُمْ مِنَ الْجَزْرِ مَا شَاءُوا، فَأَكَلُوا يَوْمَئِذٍ، وَعَلَفُوا دَوَابَّهُمْ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَشْعَثِ فَقَالُوا لَهُ: إِنْ سَمِعَ شَبِيبٌ بِمَكَانِكَ أَتَاكَ

وكننت له غنيمة، قد ذهب الناس وتفرقوا وقتل خيارهم فالحق أيها الرجل بالكوفة فخرج إلى الكوفة ورجع الناس أيضا، وجاء

٦٠١١٠٣ نقش الدنانير والدراهم بأمر عبد الملك بن مروان

٦٠١١٠٤ أخبار متفرقة

فاختبأ من الحجاج حتى أخذ الأمان بعد ذلك

. نقش الدنانير والدراهم بأمر عبد الملك بن مروان

وفي هذه السنة أمر عبد الملك بن مروان بنقش الدنانير والدراهم.

ذكر الواقدي: أن سعد بن راشد حدثه عن صالح بن كيسان بذلك.

قال: وحدثني ابن أبي الزناد، عن أبيه، أن عبد الملك ضرب الدراهم والدنانير عامئذ، وهو أول من أحدث ضربها.

قال: وحدثني خالد بن أبي ربيعة، عن أبي هلال، عن أبيه، قال: كانت مثاقيل الجاهلية التي ضرب عليها عبد الملك اثنين وعشرين قيراطا إلا حبة، وكان العشرة وزن سبعة.

قال: وحدثني عبد الرحمن بن جرير الليثي عن هلال بن أسامة قال:

سألت سعيد بن المسيب في كم تجب الزكاة من الدنانير؟ قال: في كل عشرين مثقالا بالشامي نصف مثقال، قلت: ما بال الشامي من المصري؟

قال: هو الذي تضرب عليه الدنانير وكان ذلك وزن الدنانير قبل أن تضرب الدنانير، كانت اثنين وعشرين قيراطا إلا حبة، قال سعيد قد عرفته، قد أرسلت بدنانير الى دمشق فضربت على ذلك.

[أخبار متفرقة]

وفي هذه السنة: وفد يحيى بن الحكم على عبد الملك بن مروان وولي أبان بن عثمان المدينة في رجب.

وفيها استقضي أبان بن نوفل بن مساحق بن عمرو بن خدّاش من بني عامر بن لؤي.

وفيها ولد مروان بن محمد بن مروان وأقام الحج للناس في هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير على المدينة، حدّثني بذلك أحمد بن ثابت،

عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال الواقدي وكان على الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف، وعلى خراسان

أمية بن عبد الله بن خالد، وعلى قضاء الكوفة شريح، وعلى قضاء البصرة زرارة بن أوفى

٦٠١٢ سنة سبع وسبعين

٦٠١٢٠١ محاربه شبيب عتاب بن ورقاء وزهره بن حوية وقتلها

ثم دخلت

سنة سبع وسبعين

محاربه شبيب عتاب بن ورقاء وزهره بن حوية وقتلها

ففي هذه السنة قتل شبيب عتاب بن ورقاء الرياحي وزهره بن حوية ذكر الخبر عن سبب مقتلهما:

وكان سبب ذلك فيما ذكر هشام عن أبي مخنف، عن عبد الرحمن ابن جندب وفروة بن لقيط، أن شبيباً لما هزم الجيش الذي كان

الحجاج وجهه مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إليه، وقتل عثمان ابن قطن، وذلك في صيف وحر شديد، اشتد الحر عليه وعلى

أصحابه، فأتي ماه بهزاذان فتصيف بها ثلاثة أشهر، وأتاه ناس كثير ممن يطلب الدنيا فلاحقوا به، وناس ممن كان الحجاج يطلبهم بمال

أو تباعات، كان منهم رجل من الحي يقال له الحر بن عبد الله بن عوف، وكان دهقانان من أهل نهر درقيط قد أساءا إليه وضيقا

عليه، فشد عليهما فقتلها، ثم لحق بشبيب فكان معه بماء، وشهد معه موطنه حتى قتل، فلما آمن الحجاج كل من كان خرج إلى شبيب

من أصحاب المال والتباعات - وذلك بعد يوم السبخة - خرج إليه الحر فيمن خرج، فجاء أهل الدهقانين يستعدون عليه الحجاج، فأتي به

فدخل، وقد أوصى ويئس من نفسه، فقال له الحجاج يا عدو الله، قتلت رجلين من أهل الخراج! فقال له: قد كان أصلحك الله ما هو أعظم من هذا، فقال:

وما هو؟ قال: خروجي من الطاعة وفراق الجماعة، ثم آمنت كل من خرج إليك، فهذا أمانى وكتابك لي فقال له الحجاج: أولى لك! قد لعمرى فعلت، وخلى سبيله قال: ولما انفسخ الحر عن شبيب خرج من ماه في نحو من ثمانمائة رجل، فأقبل نحو المدائن وعليها مطرف بن المغيرة بن شعبة، فجاء حتى نزل قناطر حذيفة بن اليمان، فكتب ماذرواسب عظيم بابل مهروذ إلى الحجاج:

أما بعد: فإني أخبر الأمير أصلحه الله أن شبيباً قد أقبل حتى نزل قناطر حذيفة، ولا أدري أين يريد! فلما قرأ الحجاج كتابه قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس، والله لتقاتلن عن بلادكم وعن فيئكم أو لأبعثن إلى قوم هم أطوع وأسمع وأصبر على اللأواء والغیظ منكم، فيقاتلون عدوكم، ويأكلون فيئكم فقام إليه الناس من كل جانب، فقالوا: نحن نقاتلهم ونعتب الأمير، فليندبنا الأمير إليهم فإننا حيث سره وقام إليه زهرة بن حوية وهو شيخ كبير لا يستتم قائماً حتى يؤخذ بيده فقال له: أصلح الله الأمير! إنك إنما تبعث إليهم الناس متقطعين، فاستنفر الناس إليهم كافة فلينفروا إليهم كافة، وابعث عليهم رجلاً ثباتاً شجاعاً مجرباً للحرب ممن يرى الفرار هضماً وعاراً والصبر مجداً وكرماً فقال الحجاج: فأنت ذاك فاخرج، فقال: أصلح الله الأمير! إنما يصلح للناس في هذا رجل يحمل الرمح والدرع، ويهز السيف، ويثبت على متن الفرس، وأنا لا أطيق من هذا شيئاً، وقد ضعف بصري وضعفت، ولكن أخرجني في الناس مع الأمير، فإني إنما أثبت على الراحلة فأكون مع الأمير في عسكره وأشير عليه برأيي فقال له الحجاج: جزاك الله عن الإسلام وأهله في أول الإسلام خيراً، وجزاك الله عن الإسلام في آخر الإسلام خيراً، فقد نصحت وصدقت، أنا مخرج الناس كافة ألا فسيروا أيها الناس فانصرف الناس فجعلوا يسيرون وليس يدرون من أميرهم! وكتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان.

أما بعد، فإني أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن شبيباً قد شارف المدائن وإنما يريد الكوفة، وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة، في كلها يقتل أمراءهم، ويفل جنودهم، فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إلى أهل الشام فيقاتلوا عدوهم ويأكلوا بلادهم فليفعل، والسلام.

فلما أتى عبد الملك كتابه بعث إليه سفيان بن الأبرد في أربعة آلاف، وبعث إليه حبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مذج في ألفين فسرّحهم حين أتاه الكتاب إلى الحجاج، وجعل أهل الكوفة يتجهزون إلى شبيب ولا يدرون من أميرهم! وهم يقولون: يبعث فلاناً أو فلاناً، وقد بعث الحجاج إلى عتاب بن ورقاء ليأتيه وهو على خيل الكوفة مع المهلب، وقد كان ذلك الجيش من أهل الكوفة هم الذين كان بشر بن مروان بعث عبد الرحمن بن مخنف عليهم إلى قطري، فلم يلبث عبد الرحمن بن مخنف إلا نحواً من شهرين حتى قدم الحجاج على العراق، فلم يلبث عليهم عبد الرحمن بن مخنف بعد قدوم الحجاج إلا رجب وشعبان.

وقتل قطري عبد الرحمن في آخر رمضان فبعث الحجاج عتاب بن ورقاء على ذلك الجيش من أهل الكوفة الذين أصيب فيهم عبد الرحمن ابن مخنف، وأمر الحجاج عتاباً بطاعة المهلب فكان ذلك قد كبر على عتاب، ووقع بينه وبين المهلب شر، حتى كتب عتاب إلى الحجاج يستعفيه من ذلك الجيش ويضمه إليه، فلما أن جاءه كتاب الحجاج بإتيانه سر بذلك.

قال: ودعا الحجاج أشراف أهل الكوفة، فيهم زهرة بن حوية السعدي من بني الأعرج، وقبيصة بن والى التغلبي، فقال لهم: من ترون أن أبعث على هذا الجيش؟ فقالوا: رأيك أيها الأمير أفضل، قال:

فإني قد بعثت إلى عتاب بن ورقاء، وهو قادم عليكم الليلة أو القابلة، فيكون هو الذي يسير في الناس، قال زهرة بن حوية: أصلح الله الأمير! رمتهم بحجرهم، لا والله لا يرجع إليك حتى يظفر أو يقتل.

وقال له قبيصة بن والى: انى مشير عليك برأيي، فإني يكن خطأ فبعد

اجتهادي في النصيحة لأمر المؤمنين ولأمر ولعامة المسلمين، وإن يك صوابا فالله سددني له، إنا قد تحدثنا وتحدث الناس أن جيشا قد فصل إليك من قبل الشام، وأن أهل الكوفة قد هزموا وفلوا واستخفوا بالصبر، وهان عليهم عار الفرار فقلوبهم كأنها ليست فيهم، كأنما هي في قوم آخرين، فإن رأيت أن تبعث إلى جيشك الذي أمددت به من أهل الشام فيأخذوا حذرهم، ولا يبيتوا إلا وهم يرون أنهم مبيتون فعلت، فإنك تحارب حولا قلبا، طعنا رحالا، وقد جهزت إليه أهل الكوفة ولست واثقا بهم كل الثقة، وإنما إخوانهم هؤلاء القوم الذين بعثوا إليك من الشام.

أن شيبيا بينا هو في أرض إذ هو في أخرى، ولا آمن أن يأتيهم وهم غارون فإن يهلكوا نهلك ويهلك العراق فقال: لله أنت! ما أحسن ما رأيت! وما أحسن ما أشرت به علي! قال: فبعث عبد الرحمن بن الغرق مولى عقيل إلى من أقبل من أهل الشام، فأتاهم وقد نزلوا هيت بكتاب من الحجاج:

أما بعد، فإذا حاذيتم هيت فدعوا طريق الفرات والأنبار، وخذوا على عين التمر حتى تقدموا الكوفة إن شاء الله، وخذوا حذرهم، وعجلوا السير والسلام.

فأقبل القوم سراعا قال: وقدم عتاب بن ورقاء في الليلة التي قال الحجاج إنه قادم عليكم فيها، فأمره الحجاج نفرج بالناس فحسروهم بمحام أعين، وأقبل شبيب حتى انتهى إلى كلواذا فقطع منها دجلة، ثم أقبل حتى نزل مدينة بهرسير الدنيا، فصار بينه وبين مطرف بن المغيرة ابن شعبة جسر دجلة.

فلما نزل شبيب مدينة بهرسير قطع مطرف الجسر، وبعث إلى شبيب: أن ابعث إلي رجلا من وجوه أصحابك أدار سهم القرآن، وأنظر فيما تدعو إليه فبعث إليه شبيب رجلا من وجوه أصحابه، فيهم قعنب وسويد والمحلل، فلما أرادوا أن ينزلوا في السفينة بعث إليهم شبيب إلا تدخلوا السفينة حتى يرجع إلي رسولي من عند مطرف، فرجع الرسول.

وبعث إلى مطرف أن ابعث إلي من أصحابك بعدد أصحابي يكونوا رهنا في يدي حتى ترد علي أصحابي فقال مطرف لرسوله: ألقه وقل له: كيف آمنك أنا على أصحابي إذا أنا بعثتهم الآن إليك، وأنت لا تأمنني على أصحابك! فرجع الرسول إلى شبيب فأبلغه، فأرسل إليه شبيب: إنك قد علمت أنا لا نستحل الغدر في ديننا، وأنتم تفعلونه وتستحلونه، فبعث إليه مطرف الربيع بن يزيد الأسدي وسليمان بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني ويزيد بن أبي زياد مولاة وصاحب حرسه، فلما صاروا في يدي شبيب سرح إليه أصحابه، فأتوا مطرفا فكثروا أربعة أيام يتراسلون، ثم لم يتفقوا على شيء، فلما تبين لشبيب أن مطرفا غير تابعه ولا داخل معه تهيأ للمسير إلى عتاب بن ورقاء وإلى أهل الشام قال أبو مخنف: فحدثني فروة بن لقيط أن شيبيا دعا رؤوس أصحابه فقال لهم: إنه لم يثبطني على رأيي قد كنت رأيته إلا هذا الثقيفي منذ أربعة أيام، قد كنت حدثت نفسي أن أخرج في جريدة خيل حتى ألقى هذا الجيش المقبل من الشام رجاء أن أصادف غرتهم أو يحذروا فلا أبالي كنت ألقاهم منقطعين من مصر، ليس عليهم أمير كاللحاج يستندون إليه ولا مصر كالكوفة يعتصمون به، وقد جاءني عيوني اليوم فخبروني أن أوائلهم قد دخلوا عين التمر، فهم الآن قد شارفوا الكوفة، وجاءني عيوني من نحو عتاب بن ورقاء فحدثوني أنه قد نزل بجماعة أهل الكوفة الصراة، فما أقرب ما بيننا وبينهم! فتيسروا بنا للمسير إلى عتاب بن ورقاء.

قال: وخاف مطرف أن يبلغ خبره وما كان من إرساله إلى شبيب الحجاج، نفرج نحو الجبال، وقد كان أراد أن يقيم حتى ينظر ما يكون بين شبيب وعتاب، فأرسل إليه شبيب: أما إذ لم تبايعني فقد نبذت إليك على سواء، فقال مطرف لأصحابه: اخرجوا بنا وافرين فإن الحجاج سيقاقلنا، فيقاتلنا وبنا قوة أمثل نفرج ونزل المدائن، فعقد شبيب الجسر،

وبعث إلى المدائن أخاه مصادا، وأقبل إليه عتاب حتى نزل بسوق حكمة، وقد أخرج الحجاج جماعة أهل الكوفة مقاتلتهم، ومن نشط إلى الخروج من شبابهم، وكانت مقاتلتهم أربعين ألفا سوى الشباب، ووافى مع عتاب يومئذ أربعون ألفا من المقاتلة وعشرة آلاف من الشباب بسوق حكمة، فكانوا خمسين ألفا، ولم يدع الحجاج قرشيا ولا رجلا من بيوتات العرب إلا أخرجهم.

قال أبو مخنف: فحدثني عبد الرحمن بن جندب، قال: سمعت الحجاج وهو على المنبر حين وجه عتابا إلى شبيب في الناس وهو يقول: يا أهل الكوفة، اخرجوا مع عتاب بن ورقاء بأجمعكم، لا أرخص لأحد من الناس في الإقامة إلا رجلا قد وليناه من أعمالنا ألا إن

للبصائر المجاهد الكرامة والأثرة، ألا وإن للناكل الهارب الهوان والجفوة.

والذي لا إله غيره لئن فعلتم في هذا الوطن كفعلكم في المواطن التي كانت لأولينكم كنفا خشنا، ولأعركنكم بكل كل ثقل ثم نزل، وتوافى الناس مع عتاب بسوق حكمة قال أبو مخنف: فخذني فروة بن لقيط، قال: عرضنا شبيب بالمدائن فكا ألف رجل، فقام فينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

يا معشر المسلمين، إن الله قد كان ينصركم عليهم وأنتم مائة ومائتان وأكثر من ذلك قليلا، وأنقص منه قليلا، فأنتم اليوم مئون ومئون، إلا أني مصلى الظهر ثم سائر بكم فصلى الظهر ثم نودي في الناس: يا خيل الله اركبي وأبشري، فخرج في أصحابه، فأخذوا يتخلفون ويتأخرون، فلما جاوزنا ساباط ونزلنا معه قص علينا وذكرنا بأيام الله، وزهدنا في الدنيا، ورغبنا في الآخرة ساعة طويلة، ثم أمر مؤذنه فأذن، ثم تقدم فصلى بنا العصر، ثم أقبل حتى أشرف بنا على عتاب بن ورقاء وأصحابه، فلما أن رآهم من ساعته نزل وأمر مؤذنه فأذن، ثم تقدم فصلى بنا المغرب،

وكان مؤذنه سلام بن سيار الشيباني، وكانت عيون عتاب بن ورقاء قد جاءوه فأخبروه أنه قد أقبل إليه، فخرج بالناس كلهم فبعأهم، وكان قد خندق أول يوم نزل، وكان يظهر كل يوم أنه يريد أن يسير إلى شبيب بالمدائن، فبلغ ذلك شيبيا، فقال: أسير إليه أحب إلي من أن يسير إلي، فأتاه، فلما صف عتاب الناس بعث على ميمنته محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس، وقال: يا بن أخي، إنك شريف فاصبر وصابر، فقال: أما أنا فوالله لأقاتلن ما ثبت معي إنسان وقال لقبصة بن والقي - وكان يومئذ على ثلث بني تغلب: أكفني الميسرة، فقال: أنا شيخ كبير، كثير مني ان اثبت تحت رايقي، قد انبت مني القيام، ما أستطيع القيام إلا أن أقام، ولكن هذا عبيد الله بن الحليس ونعيم بن عليم التغليان - وكان كل واحد منهما على ثلث من أثلاث تغلب - فقال: ابعث أيهما أحببت، فأيهما بعثت فلتبعن ذا حزم وعزم وغناء.

فبعث نعيم بن عليم على ميسرته، وبعث حنظلة بن الحارث اليربوعي - وهو ابن عم عتاب شيخ أهل بيته - على الرجال، وصفهم ثلاثة صفوف:

صف فيهم الرجال معهم السيوف، وصف وهم أصحاب الرماح، وصف فيه المرامية، ثم سار فيما بين الميمنة إلى الميسرة يمر بأهل راية راية، فيحثهم على تقوى الله، ويأمرهم بالصبر ويقص عليهم.

قال أبو مخنف: فخذني حصيرة بن عبد الله أن تميم بن الحارث الأزدي قال: وقف علينا فقص علينا قصصا كثيرا، كان مما حفظت منه ثلاث كلمات، قال: يا أهل الإسلام، إن أعظم الناس نصيبا في الجنة الشهداء، وليس الله لأحد من خلقه بأحمد منه للصابرين، ألا ترون أنه يقول: «وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ»! فمن حمد الله فعله فما أعظم

درجته، وليس الله لأحد أمقت منه لأهل البغي، ألا ترون أن عدوكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه، لا يرون إلا أن ذلك لهم قرينة عند الله! فهم شرار أهل الأرض وكلاب أهل النار، أين القصاص؟ قال ذلك فلم يجبه والله أحد منا، فلما رأى ذلك، قال: أين من يروي شعر عنتر؟ قال: فلا والله ما رد عليه إنسان كلمة فقال: إنا لله! كأني بكم قد فرتم عن عتاب بن ورقاء وتركتموه تسفي في استه الرمح.

ثم أقبل حتى جلس في القلب معه زهرة بن حوية جالس وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وأبو بكر بن محمد بن أبي جهم العدوي وأقبل شبيب وهو في ستمائه وقد تخلف عنه من الناس أربعمائة، فقال: لقد تخلف عنا من لا أحب أن يرى فينا فبعث سويد بن سليم في مائتين إلى الميسرة، وبعث المحلل بن وائل في مائتين إلى القلب، ومضى هو في مائتين إلى الميمنة بين المغرب والعشاء الآخرة حين أضاء القمر، فناداهم: لمن هذه الرايات؟

قالوا: رايات ربيعة فقال: شبيب: رايات طالما نصرت الحق، وطالما نصرت الباطل، لها في كل نصيب، والله لأجاهدنكم محتسبا للخير في جهادكم، أنتم ربيعة وأنا شبيب، أنا أبو المدلة، لا حكم إلا للحكم، اثبتوا إن شئتم ثم حمل عليهم وهو على مسنة أمام الخندق ففضهم،

فثبت أصحاب رايات قبضة بن والقي وعبيد بن الحليس ونعيم بن عليم، فقتلوا، وانهزمت الميسرة كلها وتنادى أناس من بني تغلب: قتل قبضة بن والقي فقال شبيب: قتلتم قبضة بن والقي التغلبي يا معشر المسلمين! قال الله:

«وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ»، هذا مثل ابن عمكم قبضة بن والقي، اتى رسول الله ص فأسلم، ثم جاء يقاتلكم مع الكافرين! ثم وقف عليه فقال: ويحك! لو ثبت على إسلامك الأول سعدت، ثم حمل من الميسرة على عتاب بن ورقاء، وحمل سويد بن سليم على الميمنة وعليها محمد بن عبد الرحمن،

فقاتل في الميمنة في رجال من بني تميم وهمدان، فأحسنوا القتال، فما زالوا كذلك حتى أتوا فقيلاً لهم: قتل عتاب بن ورقاء، فانفضوا، ولم يزل عتاب جالساً على طنفسة في القلب وزهرة بن حوية معه، إذ غشيهم شبيب، فقال له عتاب: يا زهرة بن حوية، هذا يوم كثر فيه العدد، وقل فيه الغناء، والهفي على خمسمائة فارس من نحو رجال تميم معي من جميع الناس! ألا صابر لعدوه! ألا مؤاس بنفسه! فانفضوا عنه وتركوه، فقال له زهرة: أحسنت يا عتاب، فعلت فعل مثلك، والله والله لو منحتهم كتفك ما كان بقاؤك إلا قليلاً، أبشر فإني أرجو أن يكون الله قد أهدى إلينا الشهادة عند فناء أعمارنا، فقال له: جزاك الله خيراً ما جرى أمراً بمعروف وحثاً على تقوى. فلما دنا منه شبيب وثب في عصابة صبرت معه قليلة، وقد ذهب الناس يميناً وشمالاً، فقال له عمار بن يزيد الكلبي من بني المدينة: أصلحك الله! إن عبد الرحمن بن محمد قد هرب عنك فانصق معه أناس كثير، فقال له: قد فر قبل اليوم، وما رأيت ذلك الفتى يبالي ما صنع، ثم قاتلهم ساعة وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط موطناً لم أبتل بمثله قط أقل مقاتلاً ولا أكثر هارباً خاذلاً، فرآه رجل من بني تغلب من أصحاب شبيب من بني زيد بن عمرو يقال له عامر بن عمرو بن عبد عمرو، وكان قد أصاب دماً في قومه، فلحق بشبيب، وكان من الفرسان، فقال لشبيب: والله إني لأظن هذا المتكلم عتاب بن ورقاء! فحمل عليه فطعنه، فوقع فكان هو ولي قتله ووطئت الخيل زهرة بن حوية، فأخذ يذب بسيفه وهو شيخ كبير لا يستطيع أن يقوم، فجاء الفضل بن عامر الشيباني فقتله، فأنتهى إليه شبيب فوجده صريعاً فعرفه، فقال: من قتل هذا؟

فقال الفضل: أنا قتلته، فقال شبيب: هذا زهره حوية، أما والله لئن كنت قتلت على ضلالة لرب يوم من أيام المسلمين قد حسن فيه بلاؤك، وعظم فيه غناؤك! ولرب خيل للمشركين قد هزمتها، وسرية لهم قد

ذعرتها وقرية من قراهم جم أهلها قد افتتحتها، ثم كان في علم الله أن تقتل ناصراً للظالمين! قال أبو مخنف: فحدثني فروة بن لقيط قال: رأينا والله توجع له، فقال رجل من شبان بكر بن وائل: والله إن أمير المؤمنين منذ الليلة ليتوجع لرجل من الكافرين! قال: إنك لست بأعرف بضلاتهم مني، ولكنني أعرف من قديم أمرهم ما لا تعرف، ما لو ثبتوا عليه كانوا إخواناً وقتل في المعركة عمار بن يزيد الكلبي، وقتل أبو خيثمة بن عبد الله يومئذ، واستمكن شبيب من أهل العسكر والناس، فقال: ارفعوا عنهم السيف، ودعوا إلى البيعة، فبايعه الناس من ساعتهم، وهربوا من تحت ليلتهم، وأخذ شبيب يبايعهم، ويقول: إلى ساعة يهربون وحوى شبيب على ما في العسكر، وبعث إلى أخيه، فأتاه من المدائن، فلما وافاه بالعسكر أقبل إلى الكوفة وقد أقام بعسكره ببيت قره يومين، ثم توجه نحو وجه أهل الكوفة وقد دخل سفيان بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مذحج فيمن معهما من أهل الشام الكوفة، فشدوا للحجاج ظهره، فاستغنى بهما عن أهل الكوفة، فقام على منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد يا أهل الكوفة، فلا أعز الله من أراد بكم العز، ولا نصر من أراد بكم النصر، اخرجوا عنا، ولا تشهدوا معنا قتال عدونا، الحقوا بالحيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى، ولا تقاتلوا معنا إلا من كان لنا عاملاً، ومن لم يكن شهد قتال عتاب بن ورقاء.

قال أبو مخنف: فحدثني فروة بن لقيط، قال: والله لخرجنا تتبع آثار الناس، فأنتهى إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني، وهما يمشيان كأني أنظر إلى رأس عبد الرحمن قد امتلاً طيناً، فصددت عنهما، وكرهت أن أذعرهما، ولو أنني أودن بهما أصحاب شبيب لقتلا مكانهما، وقلت في نفسي: لئن سقت إلى مثلكما من قومي القتل ما أنا برشيد الرأي، وأقبل شبيب حتى نزل الصراة

٦٠١٢٠٢ ذكر الخبر عن دخول شبيب الكوفة مره ثانية

قال أبو مخنف: فحدثني موسى بن سوار أن شبيباً خرج يريد الكوفة، فانتفى إلى سورا، فندب الناس، فقال: أيكم يأتيني برأس عامل سورا؟ فانتدب له بطين وقعن وبسويد ورجلان من أصحابه، فساروا مغذين حتى انتهوا إلى دار الخراج والعمال في سمرجة فدخلوا الدار وقد كادوا الناس بأن قالوا: أجيئوا الأمير، فقالوا: أي الأمراء؟

قالوا: أمير خرج من قبل الحجاج يريد هذا الفاسق شبيباً، فاعتر بذلك العامل منهم ثم إنهم شهبوا السيوف وحكموا حين وصلوا إليه فضربوا عنقه، وقبضوا على ما كان من مال، ولحقوا بشبيب، فلما انتهوا إليه قال: ما الذي أتيتمونا به؟ قالوا: جئناك برأس الفاسق وما وجدنا من مال، والمال على دابة في بدوره، فقال شبيب: أتيتمونا بفتنة للمسلمين، هلم الحربة يا غلام، نفخر بها البدور، وأمر فنخس بالدابة والمال يتناثر من بدوره حتى وردت الصراة، فقال: إن كان بقي شيء فاقدفه في الماء ثم خرج إليه سفيان بن الأبرد مع الحجاج، وكان أتاه قبل خروجه معه، فقال:

ابعتني أستقبله قبل أن يأتيك، فقال: ما أحب أن نفترق حتى ألقاه في جماعتكم والكوفة في ظهورنا والحصن في أيدينا

. ذكر الخبر عن دخول شبيب الكوفة مره ثانية

وفي هذه السنة دخل شبيب الكوفة دخلته الثانية.

ذكر الخبر عن ذلك وما كان من حربته بها الحجاج:

قال هشام: حدثني أبو مخنف، عن موسى بن سوار، قال: قدم سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف من الدسكرة الكوفة بعد ما قدم جيش الشام الكوفة، وكان مطرف بن المغيرة كتب إلى الحجاج: أن شبيباً قد أطل علي، فابعث إلي المدائن بعثاً فبعث إليه سبرة بن عبد الرحمن ابن مخنف في مائتي فارس، فلما خرج مطرف يريد الجبل خرج بأصحابه

معه وقد أعلمهم ما يريد، وكتم ذلك سبرة، فلما انتهى إلى دسكرة الملك دعا سبرة فأعلمه ما يريد، ودعاه إلى أمره، فقال له: نعم أنا معك، فلما خرج من عنده بعث إلى أصحابه فجمعهم، وأقبل بهم فصادف عتاب ابن ورقاء قد قتل وشبيباً قد مضى إلى الكوفة، فأقبل حتى انتهى إلى قرية يقال لها بيطري، وقد نزل شبيب حمام عمر، ففرج سبرة حتى يعبر الفرات في معبر قرية شاهي، ثم أخذ الظهر حتى قدم على الحجاج، فوجد أهل الكوفة مسخوطاً عليهم، فدخل على سفيان بن الأبرد فقص قصته عليه وأخبره بطاعته وفراقه مطرفاً، وأنه لم يشهد عتاباً ولم يشهد هزيمة في موطن من مواطن أهل الكوفة، ولم أزل للأمير عاملاً، ومعني مائتا رجل لم يشهدوا معي هزيمة قط، وهم على طاعتهم ولم يدخلوا في فتنة.

فدخل سفيان إلى الحجاج فخبره بخبر ما قص عليه سبرة بن عبد الرحمن، فقال: صدق وبراً قل له: فليشهد معنا لقاء عدونا، ففرج إليه فأعلمه ذلك وأقبل شبيب حتى نزل موضع حمام أعين، ودعا الحجاج الحارث بن معاوية بن أبي زرعة بن مسعود الثقفي فوجهه في ناس من الشرط لم يكونوا شهدوا يوم عتاب، ورجالا كانوا عمالا في نحو من مائتي رجل من أهل الشام، ففرج في نحو من ألف، فنزل زرارة، وبلغ ذلك شبيباً، فتعجل إليه في أصحابه، فلما انتهى إليه حمل عليه فقتله، وهزم أصحابه، وجاءت المنهزمة فدخلوا الكوفة وجاء شبيب حتى قطع الجسر، وعسكر دونه إلى الكوفة، وأقام شبيب في عسكره ثلاثة أيام، فلم يكن في أول يوم إلا قتل الحارث بن معاوية، فلما كان في اليوم الثاني أخرج الحجاج مواليه وغلهمانه عليهم السلاح، فأخذوا بأفواه السكك مما يلي الكوفة، وخرج أهل الكوفة فأخذوا بأفواه سككهم، وخشوا إن لم يخرجوا موجدة الحجاج وعبد الملك بن مروان وجاء شبيب

حتى ابتنى مسجداً في أقصى السبخة مما يلي موقف أصحاب القت عند الإيوان، وهو قائم حتى الساعة، فلما كان اليوم الثالث أخرج الحجاج أبا الورد مولى له عليه تجفاف، وأخرج مجففة كثيرة وغلهمانا له، وقالوا:

هذا الحجاج، فحمل عليه شبيب فقتله، وقال: إن كان هذا الحجاج فقد أرحتمك منه.

ثم إن الحجاج أخرج له غلامه طهمان في مثل تلك العدة على مثل تلك الهيئة، فحمل عليه شبيب فقتله، وقال: إن كان هذا الحجاج فقد أرحتمك منه.

ثم إن الحجاج خرج ارتفاع النهار من القصر فقال: ائتموني ببغل أركبه ما بيني وبين السبخة، فأتي ببغل محجل، فقيل له: إن الأعاجم أصلحك الله تطير أن تركب في مثل هذا اليوم مثل هذا البغل، فقال:

ادنوه مني، فإن اليوم يوم أغر محجل، فركبه ثم خرج في أهل الشام حتى أخذ في سكة البريد، ثم خرج في أعلى السبخة، فلما نظر الحجاج إلى شبيب وأصحابه نزل، وكان شبيب في ستمائه فارس، فلما رأى الحجاج قد خرج إليه أقبل بأصحابه، وجاء سبرة بن عبد الرحمن إلى الحجاج فقال: أين يأمرني الأمير أن أقف؟ فقال: قف على أفواه السكك، فإن جاءوكم فكان فيكم قتال فقاتلوا، فانطلق حتى وقف في جماعة الناس، ودعا الحجاج بكرسي له فقعده عليه، ثم نادى: يا أهل الشام، أنتم أهل السمع والطاعة والصبر واليقين، لا يغلبن باطل هؤلاء الأرجاس حقكم، غضوا الأبصار، واجثوا على الركب، واستقبلوا القوم بأطراف الأسنة، فجثوا على الركب، وأشرعوا الرماح، وكأنهم حرة سوداء، وأقبل إليهم شبيب حتى إذا دنا منهم عبي أصحابه ثلاثة كراديس، كتيبة معه، وكتيبة مع سويد بن سليم، وكتيبة مع المحلل بن وائل، فقال لسويد:

احمل عليهم في خيلك، فحمل عليهم، فثبتوا له، حتى إذا غشي أطراف الأسنة وثبوا في وجهه ووجوه أصحابه، فطعنوهم قدما حتى انصرف،

وصاح الحجاج: يا أهل السمع والطاعة، هكذا فافعلوا قدم كرسي يا غلام، وأمر شبيب المحلل فحمل عليهم، ففعلوا به مثل ما فعلوا بسويد، فناداهم الحجاج: يا أهل السمع والطاعة، هكذا فافعلوا، قدم كرسي يا غلام ثم إن شبيباً حمل عليهم في كتيبته فثبتوا له، حتى إذا غشي أطراف الرماح وثبوا في وجهه، فقاتلهم طويلاً ثم إن أهل الشام طعنوه قدما حتى ألحقوه بأصحابه، فلما رأى صبرهم نادى: يا سويد، احمل في خيلك على أهل هذه السكة- يعني سكة لحام جرير- لعلك تزيل أهلها عنها، فتأتي الحجاج من ورائه، ونحمل نحن عليه من أمامه فانفرد سويد بن سليم فحمل على أهل تلك السكة، فرمى من فوق البيوت وأفواه السكك، فانصرف، وقد كان الحجاج جعل عروة بن المغيرة بن شعبة في نحو من ثلاثمائة رجل من أهل الشام رداء له ولأصحابه لئلا يؤتوا من ورائه قال أبو مخنف: فحدثني فروة بن لقيط: أن شبيباً قال لنا يومئذ: يا أهل الإسلام إنما شرينا لله، ومن شري لله لم يكبر عليه ما أصابه من الأذى والألم في جنب الله الصبر الصبر، شدة كشداتكم في مواطنكم الكريمة.

ثم جمع أصحابه، فلما ظن الحجاج أنه حامل عليهم قال لأصحابه:

يا أهل السمع والطاعة، اصبروا لهذه الشدة الواحدة، ثم ورب السماء ما شيء دون الفتح فجثوا على الركب، وحمل عليهم شبيب بجميع أصحابه، فلما غشيه نادى الحجاج بجماعة الناس، فوثبوا في وجهه، فما زالوا يطعنون ويضربون قدما ويدفعون شبيباً وأصحابه وهو يقاتلهم حتى بلغوا موضع بستان زائدة، فلما بلغ ذلك المكان نادى شبيب أصحابه: يا أولياء الله، الأرض الأرض، ثم نزل وأمر أصحابه فنزل نصفهم وترك نصفهم مع سويد بن سليم، وجاء الحجاج حتى انتهى إلى مسجد شبيب، ثم قال: يا أهل الشام، يا أهل السمع والطاعة، هذا

أول الفتح والذي نفس الحجاج بيده! وصعد المسجد معه نحو من عشرين رجلاً معهم النبل، فقال: إن دنوا منا فارشقوهم، فاقتلوا عامة النهار من أشد قتال في الأرض، حتى أقر كل واحد من الفريقين لصاحبه ثم إن خالد بن عتاب قال للحجاج: ائذن لي في قتالهم فإني موتور، وأنا ممن لا يهتم في نصيحة، قال: فإني قد أذنت لك، قال: فإني آتيهم من ورائهم حتى أغير على عسكرهم، فقال له: افعل ما بدا لك، قال:

نفرج معه بعصابة من أهل الكوفة حتى دخل عسكرهم من ورائهم، فقتل مصابداً أخا شبيب، وقتل غزاة امرأته، قتلها فروة بن الدفان الكلبي، وحرق في عسكره، وأتى ذلك الخبر الحجاج وشبيباً، فأما الحجاج وأصحابه فكبروا تكبيرة واحدة، وأما شبيب فوثب هو وكل راجل معه على خيولهم، وقال الحجاج لأهل الشام: شدوا عليهم فإنه قد أتاهم ما أرعب قلوبهم فشدوا عليهم فهزموهم، وتخلف شبيب في حامية الناس.

قال هشام: فحدثني أصغر الخارجي، قال: حدثني من كان مع شبيب قال: لما انهزم الناس نفرج من الجسر تبعه خيل الحجاج، قال: فجعل يخفق برأسه، فقلت: يا أمير المؤمنين، التفت فانظر من خلفك، قال: فالتفت غير مكترث، ثم أكب يخفق برأسه، قال: ودنوا

منا، فقلنا: يا أمير المؤمنين، قد دنوا منك، قال: فالتفت والله غير مكترث، ثم جعل يخفق برأسه قال: فبعث الحجاج إلى خيله أن دعوه في حرق الله وناره، فتركوه ورجعوا.

قَالَ هِشَامُ: قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي أَبُو عَمْرٍو الْعَدْرِيُّ، قَالَ:

قَطَعَ شُبَيْبُ الْجَسْرِ حِينَ عَبَرَ قَالَ: وَقَالَ لِي فُرُوءٌ: كُنْتُ مَعَهُ حِينَ انْهَزَمْنَا فَمَا حَرَكَ الْجَسْرَ، وَلَا اتَّبَعُونَا حَتَّى قَطَعْنَا الْجَسْرَ وَدَخَلَ الْحَجَّاجُ الْكُوفَةَ، ثُمَّ صَعِدَ الْمَنْبِرَ فَحَمَدَ اللَّهَ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا قُوتِلَ شُبَيْبٌ قَبْلُهَا، وَلِيَ وَاللَّهُ هَارِبًا، وَتَرَكَ امْرَأَتَهُ يَكْسِرُ فِي اسْتِهَا الْقَصَبِ.

وَقَدْ قِيلَ فِي قِتَالِ الْحَجَّاجِ شُبَيْبًا بِالْكُوفَةِ مَا ذَكَرَهُ عُمَرُ بْنُ شُبَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَغِيرَةِ بْنُ عَطِيَّةٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا مَزَاحِمُ بْنُ زُفَرٍ بْنُ جَسَّاسِ التِّيمِيِّ، قَالَ: لَمَّا فَضَّ شُبَيْبٌ كَتَّابُ الْحَجَّاجِ أَذْنَ لَنَا فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي يَبِيتُ فِيهِ وَهُوَ عَلَى سُرِيرٍ عَلَيْهِ لِحَافٌ، فَقَالَ: إِنِّي دَعَوْتُكُمْ لِأَمْرِ فِيهِ أَمَانٌ وَنَظَرٌ، فَأَشِيرُوا عَلَيَّ، إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ تَجَبَّحَ بِمُجُوحَتِكُمْ، وَدَخَلَ حَرِيمَكُمْ، وَقَتَلَ مَقَاتِلَكُمْ، فَأَشِيرُوا عَلَيَّ، فَأُطْرَقُوا وَفَصَلَ رَجُلٌ مِنَ الصَّفِّ بِكَرْسِيهِ فَقَالَ: إِنَّ أَذْنَ لِي الْأَمِيرِ تَكَلَّمَتْ، فَقَالَ، تَكَلَّمْ، فَقَالَ: إِنَّ الْأَمِيرَ وَاللَّهُ مَا رَاقِبَ اللَّهَ، وَلَا حَفِظَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا نَصَحَ لِلرَّعِيَّةِ، ثُمَّ جَلَسَ بِكَرْسِيهِ فِي الصَّفِّ.

قَالَ: وَإِذَا هُوَ قَتِيْبَةٌ، قَالَ: فَغَضِبَ الْحَجَّاجُ وَأَلْقَى اللَّحَافَ، وَدَلَّى قَدَمِيهِ مِنَ السَّرِيرِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمَا، فَقَالَ: مِنَ الْمُتَكَلِّمِ؟ قَالَ: نَفَرَ جُفْرَجُ قَتِيْبَةٌ بِكَرْسِيهِ مِنَ الصَّفِّ فَأَعَادَ الْكَلَامَ، قَالَ: فَمَا الرَّأْيُ؟ قَالَ: أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ فَتُحَاكِمَهُ، قَالَ: فَارْتَدَّ لِي مَعْسَكْرًا ثُمَّ اغْدَ إِلَيَّ، قَالَ:

نَفَرَ جُنَا نَلْعَنُ عُنْبَسَةَ بْنَ سَعِيدٍ، وَكَانَ كَلَمَ الْحَجَّاجِ فِي قَتِيْبَةٍ، فَجَعَلَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا وَقَدْ أُوصِينَا جَمِيعًا، غَدَوْنَا فِي السَّلَاحِ، فَصَلَّى الْحَجَّاجُ الصُّبْحَ ثُمَّ دَخَلَ، فَجَعَلَ رَسُولُهُ يَخْرُجُ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ فَيَقُولُ:

أَجَاءَ بَعْدُ؟ أَجَاءَ بَعْدُ؟ وَلَا نَدْرِي مِنْ يَرِيدٍ! وَقَدْ أَفْعَمَتِ الْمُقْصُورَةُ بِالنَّاسِ، نَفَرَ الرَّسُولُ فَقَالَ: أَجَاءَ بَعْدُ؟ وَإِذَا قَتِيْبَةٌ يَمْشِي فِي الْمَسْجِدِ عَلَيْهِ قَبَاءٌ هَرُويٌّ أَصْفَرٌ، وَعِمَامَةٌ خَزْ أَحْمَرٌ، مُتَقَلِّدًا سَيْفًا عَرِيضًا قَصِيرَ الْحَمَائِلِ كَأَنَّهُ فِي إِبْطِهِ، قَدْ أَدْخَلَ بَرَكَةَ قَبَائِهِ فِي مَنْطِقَتِهِ، وَالْدَرْعُ يَصْفُقُ سَاقِيهِ فَفَتَحَ لَهُ الْبَابَ فَدَخَلَ وَلَمْ يَحْجُبْ، فَلَبِثَ طَوِيلًا ثُمَّ خَرَجَ، وَأَخْرَجَ مَعَهُ لُؤَاءَ مَنْشُورًا، فَصَلَّى الْحَجَّاجُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَامَ فَتَكَلَّمَ، وَأَخْرَجَ اللَّؤَاءَ مِنْ بَابِ الْفِيلِ، وَخَرَجَ الْحَجَّاجُ يَتَّبِعُهُ، فَإِذَا بِالْبَابِ بَغْلَةً شَقْرَاءَ غَرَاءَ مَحْجَلَةً فَرَكِبَهَا، وَعَارَضَهُ الْوَصَفَاءُ بِالْذَوَابِ، فَأَبَى غَيْرَهَا، وَرَكِبَ النَّاسَ،

وَرَكِبَ قَتِيْبَةٌ فَرَسًا أَغْرَ مَحْجَلًا كَمِيتًا كَأَنَّهُ فِي سَرَجِهِ رِمَانَةٌ مِنْ عَظْمِ السَّرَجِ، فَأَخَذَ فِي طَرِيقِ دَارِ السَّقَايَةِ حَتَّى خَرَجَ إِلَى السَّبْخَةِ وَبِهَا عَسْكَرُ شُبَيْبٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ فَتَوَاقَفُوا، ثُمَّ غَدَا يَوْمَ الْخَمِيسِ لِلْقِتَالِ، ثُمَّ غَادَوْهُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الصَّلَاةِ انْهَزَمَتِ الْخَوَارِجُ قَالَ أَبُو زَيْدٍ: حَدَّثَنِي خِلَادُ بْنُ يَزِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ بْنُ قَتِيْبَةٍ، قَالَ: جَاءَ شُبَيْبٌ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ أَمِيرًا فَقَتَلَهُ، ثُمَّ آخَرَ فَقَتَلَهُ، أَحَدُهُمَا أَعَيْنَ صَاحِبَ حَمَامٍ أَعَيْنَ، قَالَ: فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ الْكُوفَةَ وَمَعَهُ غَزَالَةٌ، وَقَدْ كَانَتْ نَذَرَتْ أَنْ تَصِلِيَ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ رَكْعَتَيْنِ تَقْرَأُ فِيهِمَا الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ قَالَ: فَفَعَلْتُ قَالَ: وَاتَّخَذَ شُبَيْبٌ فِي عَسْكَرِهِ أَخْصَاصًا، فَقَامَ الْحَجَّاجُ فَقَالَ: لَا أَرَاكُمْ تَنَاصِحُونَ فِي قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ! وَأَنَا كَاتِبٌ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَمْدِنِي بِأَهْلِ الشَّامِ قَالَ:

فَقَامَ قَتِيْبَةٌ فَقَالَ: إِنَّكَ لَمْ تَنْصَحْ لِلَّهِ وَلَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي قِتَالِهِمْ.

قَالَ عُمَرُ بْنُ شُبَةَ: قَالَ خِلَادٌ: فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَفْصِ بْنِ مُوسَى ابْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ بْنِ عَثْمَانَ التِّيمِيِّ أَنَّ الْحَجَّاجَ خَنَقَ قَتِيْبَةً بِعِمَامَتِهِ خَنْقًا شَدِيدًا.

ثُمَّ رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ الْحَجَّاجِ وَقَتِيْبَةٍ قَالَ: فَقَالَ:

وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: تَبَعْتُ الرَّجُلَ الشَّرِيفَ وَتَبَعْتُ مَعَهُ رِعَاعًا مِنَ النَّاسِ فَيَنْهَزُمُونَ عَنْهُ، وَيَسْتَحْيِي فَيُقَاتِلُ حَتَّى يَقْتُلَ، قَالَ:

فَمَا الرَّأْيُ؟ قَالَ: أَنْ تَخْرُجَ بِنَفْسِكَ وَيَخْرُجَ مَعَكَ نَظْرَاؤُكَ فَيُؤَاسُونَكَ بِنَفْسِهِمْ قَالَ: فَلَعَنَهُ مِنْ ثُمَّ وَقَالَ الْحَجَّاجُ: وَاللَّهِ لَا بُرْزَنَ لَهُ غَدَا، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ حَضَرَ النَّاسَ، فَقَالَ قَتِيْبَةٌ: أَذْكَرَ يَمِينُكَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! فَلَعَنُوهُ أَيْضًا وَقَالَ الْحَجَّاجُ: أَخْرَجَ فَارْتَدَّ لِي مَعْسَكْرًا، فَذَهَبَ وَتَهَيَّأَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ نَفَرَ جَوًّا، فَأَتَى عَلَى مَوْضِعٍ فِيهِ بَعْضُ الْقَدَرِ، مَوْضِعَ كَنَاسِهِ،

فقال: القوا لي هاهنا قليل: إن الموضع قدر، فقال: ما تدعونني إليه أقدر، الأرض تحته طيبة، والسماء فوقه طيبة قال: فنزل وصف الناس وخالد بن عتاب بن ورقاء مسخوط عليه فليس في القوم، وجاء شبيب وأصحابه فقتلوا دوابهم، وخرجوا يمشون، فقال لهم شبيب: الهوا عن رميكم، ودبوا تحت تراسكم، حتى إذا كانت أسنتهم فوقها، فأزلقوها صعدا، ثم ادخلوا تحتها لتستقلوا فتقطعوا أقدامهم، وهي الهزيمة بإذن الله فأقبلوا يدبون إليهم وجاء خالد بن عتاب في شاكريته، فدار من وراء عسكرهم، فأضرم أخصاصهم بالنار، فلما رأوا ضوء النار وسمعوا معممها التفتوا فرأوها في بيوتهم، فولوا إلى خيلهم وتبعهم الناس، وكانت الهزيمة ورضي الحجاج عن خالد، وعقد له على قتالهم.

قال: ولما قتل شبيب عتابا أراد دخول الكوفة ثانية، فأقبل حتى شارفها فوجه إليه الحجاج سيف بن هانئ ورجلا معه ليأتياه بخبر شبيب، فأتيا عسكره، ففطن بهما، فقتل الرجل، وأفلت سيف، وتبعه رجل من الخوارج، فأوثب سيف فرسه ساقية، ثم سأل الرجل الأمان على أن يصدقته، فأمنه، فأخبره أن الحجاج بعثه وصاحبه ليأتياه بخبر شبيب.

قال: فأخبره أنا نأتيه يوم الاثنين فأتى سيف الحجاج فأخبره، فقال:

كذب وماق، فلما كان يوم الاثنين توجهوا يريدون الكوفة، فوجه إليهم الحجاج الحارث بن معاوية الثقفي، فلقى شبيب بزرارة فقتله، وهزم أصحابه ودنا من الكوفة فبعث البطين في عشرة فوارس يرتاد له منزلا على شاطئ الفرات في دار الرزق، فأقبل البطين وقد وجه الحجاج حوشب بن يزيد في جمع من أهل الكوفة، فأخذوا بأفواه السكك، فقاتلهم البطين فلم يبق عليهم، فبعث إلى شبيب فأمدته بفوارس، فعقروا فرس حوشب وهزموه ونجا، ومضى البطين إلى دار الرزق، وعسكر على شاطئ الفرات، وأقبل شبيب فنزل دون الجسر، فلم يوجه إليه الحجاج أحدا، فضى فنزل

السبخة بين الكوفة والفرات، فأقام ثلاثا لا يوجه إليه الحجاج أحدا، فأشير على الحجاج أن يخرج بنفسه، فوجه قتيبة بن مسلم، فهيأ له عسكرا ثم رجع، فقال: وجدت المأتي سهلا، فسر على الطائر الميمون، فنادى في أهل الكوفة فخرجوا، وخرج معه الوجوه حتى نزلوا في ذلك العسكر وتواقفوا، وعلى ميمنة شبيب البطين، وعلى ميسرته قعنب مولى بني أبي ربيعة بن ذهل، وهو في زهاء مائتين، وجعل الحجاج على ميمنته مطر بن ناجية الرياحي، وعلى ميسرته خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي في زهاء أربعة آلاف، وقيل له: لا تعرفه موضعك، فتكر وأخفى مكانه، وشبه له أبا الورد مولا، فنظر إليه شبيب، فحمل عليه، فضره بعمود وزنه خمسة عشر رطلا فقتله، وشبه له أعين صاحب حمام أعين بالكوفة، وهو مولى لبكر بن وائل فقتله، فركب الحجاج بغلة غراء محجلة، وقال: إن الدين أغر محجل، وقال لأبي كعب: قدم لواءك، أنا ابن أبي عقيل وحمل شبيب على خالد بن عتاب وأصحابه، فبلغ بهم الرحبة، وحملوا على مطر بن ناجية فكشفوه، فنزل عند ذلك الحجاج وأمر أصحابه فنزلوا، فجلس على عباءة ومعه عبسة بن سعيد، فإنهم على ذلك إذ تناول مصقلة بن مهلهل الضبي للجام شبيب، فقال: ما تقول في صالح بن مسرح؟ وبم تشهد عليه؟ قال: أعلى هذه الحال، وفي هذه الحزة! والحجاج ينظر، قال: فبرئ من صالح، فقال مصقلة: برئ الله منك، وفارقوه إلا أربعين فارسا هم أشد أصحابه، وانحاز الآخرون إلى دار الرزق، وقال الحجاج: قد اختلفوا، وأرسل إلى خالد بن عتاب فأتاهم فقاتلهم، فقتلت غزالة، ومر برأسها إلى الحجاج فارس فعرفه شبيب، فأمر علوان فشد على الفارس فقتله وجاء بالرأس، فأمر به فغسل ودفنه وقال: هي أقرب إليكم رحما- يعني غزالة.

ومضى القوم على حاميتهم، ورجع خالد إلى الحجاج فأخبره بانصراف القوم، فأمره أن يحمل على شبيب فحمل عليهم، وأتبعه ثمانية، منهم قعنب والبطين وعلوان وعيسى والمهذب وابن عويمر وسانان، حتى بلغوا به الرحبة، وأتى شبيب في موقفه بخط بن عمير السدوسي، فقال له شبيب: يا خوط، لا حكم إلا لله، * فقال: لا حكم إلا لله، * فقال شبيب: خوط من أصحابكم، ولكنه كان يخاف، فأطلقه وأتى بعمير بن القعقاع فقال له: لا حكم إلا لله * يا عمير، فجعل لا يفقه عنه، ويقول:

في سبيل الله شبابي، فردد عليه شبيب: لا حكم إلا لله * ليتخلصه، فلم يفقه فأمر بقتله، وقتل مصاد أخو شبيب، وجعل شبيب ينتظر النفر الذين تبعوا خالدا فأبطأوا، ونعس شبيب فأيقظه حبيب بن خدره، وجعل أصحاب الحجاج لا يقدمون عليه هيبة له، وسار إلى دار

الرزق، فجمع رثة من قتل من أصحابه، وأقبل الثمانية إلى موضع شبيب فلم يجدوه، فظنوا أنهم قتلوه، ورجع مطر وخالد إلى الحجاج فامرهما فأتبعاه الرهط الثمانية، وأتبع الرهط شبيبا، فضوا جميعا حتى قطعوا جسر المدائن، فدخلوا ديرا هنالك وخالد يقفهم، فحصرهم في الدير، فخرجوا عليه فهزموه نحو من فرسخين حتى ألقوا أنفسهم في دجلة بخيلهم، وألقى خالد نفسه بفرسه فربه ولواؤه في يده، فقال شبيب: قاتله الله فارسا وفرسه! هذا أشد الناس، وفرسه أقوى فرس في الأرض، فقليل له: هذا خالد بن عتاب، فقال: معرق له في الشجاعة، والله لو علمت لأقمت خلفه ولو دخل النار رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف عن أبي عمرو العذري، أن الحجاج دخل الكوفة حين انهزم شبيب، ثم صعد المنبر، فقال: والله ما قوتل شبيب قط قبلها مثلها، ولي والله هاربا، وترك امرأته يكسر في استها القصب ثم دعا حبيب بن

عبد الرحمن الحكمي فبعثه في أثره في ثلاثة آلاف من أهل الشام، فقال له الحجاج: احذر بياته، وحيثما لقيته فنازله، فإن الله قد فلحده، وقصم نابه فخرج حبيب بن عبد الرحمن في أثر شبيب حتى نزل الأنبار، وبعث الحجاج إلى العمال أن دسوا إلى أصحاب شبيب أن من جاءنا منهم فهو آمن، فكان كل من ليست له تلك البصيرة ممن قد هذه القتال يجيء فيؤمن، وقبل ذلك ما قد نادى فيهم الحجاج يوم هزموا: أن من جاءنا منكم فهو آمن، فتفرق عنه ناس كثير من أصحابه، وبلغ شبيبا منزل حبيب بن عبد الرحمن الأنبار، فأقبل بأصحابه حتى إذا دنا من عسكرهم نزل فصلى بهم المغرب.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو يزيد السكسكي، قال: أنا والله في أهل الشام ليلة جاءنا شبيب فبيتنا قال: فلها أمسينا جمعنا حبيب بن عبد الرحمن فجعلنا أرباعا، وقال لكل ربع منا: ليجزى كل ربع منكم جانبه، فإن قاتل هذا الربع فلا يغتهم هذا الربع الآخر، فإنه قد بلغني أن هذه الخوارج منا قريب، فوطنوا أنفسهم على أنكم مبيتون ومقاتلون، فما زلنا على تعبيتنا حتى جاءنا شبيب فبيتنا، فشد على ربع منا، عليهم عثمان بن سعيد العذري فضاربهم طويلا، فما زالت قدم إنسان منهم، ثم تركهم وأقبل على الربع الآخر، وقد جعل عليهم سعد بن بجل العامري فقاتلهم، فما زالت قدم إنسان منهم، ثم تركهم وأقبل على الربع الآخر وعليهم النعمان بن سعد الحميري فما قدر منهم على شيء، ثم أقبل على الربع الآخر وعليهم ابن أقيصر الخثعمي فقاتلهم طويلا، فلم يظفر بشيء، ثم أطاف بنا يحمل علينا حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل، وألز بنا حتى قلنا، لا يفارقنا، ثم نازلنا راجلا طويلا، فسقطت والله بيننا وبينهم الأيدي، وفقت الأعين، وكثرت القتلى، قتلنا منهم نحو من ثلاثين، وقتلوا منا نحو من مائة، والله لو كانوا فيما نرى يزيدون على مائة رجل لأهلكونا، وإيم الله على ذلك ما فارقونا حتى مللناهم وملونا، وكرهونا وكرهناهم،

ولقد رأيت الرجل منا يضرب بسيفه الرجل منهم فما يضره شيء من الأعياء والضعف، ولقد رايت الرجل منا يقاتل جالسا ينفخ بسيفه ما يستطيع أن يقوم من الإعياء، فلها يئسوا منا ركب شبيب ثم قال لمن كان نزل من أصحابه: اركبوا، فلها استوا على متون خيولهم وجه منصرفا عنا.

قال أبو مخنف: حدثني فروة بن لقيط، عن شبيب، قال: لما انصرفنا عنهم وبنا كآبة شديدة، وجراحة ظاهرة، قال لنا: ما أشد هذا الذي بنا لو كنا إنما نطلب الدنيا! وما أيسر هذا في ثواب الله! فقال أصحابه:

صدقت يا أمير المؤمنين، قال: فما أنسى منه إقباله على سويد بن سليم ولا مقالته له: قتلت منهم أمس رجلين: أحدهما أشجع الناس، والآخر أجبن الناس، خرجت عشية أمس طليعة لكم فلقيت منهم ثلاثة نفر دخلوا قرية يشترون منها حوائجهم، فاشترى أحدهم حاجته، ثم خرج قبل أصحابه وخرجت معه، فقال: كأنك لم تشتري علفا، فقلت:

إن لي رفقاء قد كفوني ذلك، فقلت له: أين ترى عدونا هذا نزل؟

قال: بلغني أنه قد نزل منا قريبا، وإيم الله لوددت أني قد لقيت شبيبهم هذا، قلت: فتحب ذلك؟ قال: نعم، قلت له: نخذ حذرنا، فأنا والله شبيب، وانتضيت سيفي، فخر والله ميتا، فقلت له: ارتفع ويحك! وذبحت أنظر فإذا هو قد مات، فانصرفت راجعا، فأستقبل الآخر خارجا من القرية، فقال: أين تذهب هذه الساعة؟ وإنما يرجع الناس إلى عسكرهم! فلم أكلمه، ومضيت يقرب بي فرسي، وأتبعني حتى لحقني، فقطعت عليه فقلت له: مالك؟ فقال: أنت والله من عدونا؟ فقلت: أجل والله، فقال: والله لا تبرح حتى تقتلني أو أقتلك،

خملت عليه وحمل علي، فاضطربنا بسيفينا ساعه، فو الله ما فضلته في شدة نفس ولا إقدام إلا أن سيفي كان أقطع من سيفه، فقتلته، قال: فضينا حتى قطعنا دجلة، ثم أخذنا في أرض جوحى حتى قطعنا دجلة مرة أخرى من

٦٠١٢٠٣ ذكر الخبر عن مهلك شبيب

عند واسط، ثم أخذنا إلى الأهواز ثم إلى فارس، ثم ارتفعنا إلى كرمان. ١
 . ذكر الخبر عن مهلك شبيب

وفي هذه السنة هلك شبيب في قول هشام بن محمد، وفي قول غيره كان هلاكه سنة ثمان وسبعين.
 ذكر سبب هلاكه:

قَالَ هِشَامٌ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ: قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو يَزِيدَ السَّكْسَكِيُّ، قَالَ: أَقْفَلْنَا الْحِجَابَ إِلَيْهِ - يَعْنِي إِلَى شَبِيبٍ - فَقَسَمَ فِينَا مَا لَا عَظِيمَا، وَأَعْطَى كُلَّ جَرِيحٍ مِنَّا وَكُلَّ ذِي بَلَاءٍ، ثُمَّ أَمَرَ سَفِيَانَ بْنَ الْأَبْرَدِ أَنْ يَسِيرَ إِلَى شَبِيبٍ، فَتَجَهَّزَ سَفِيَانُ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَكَمِيِّ، وَقَالَ: تَبِعْتُ سَفِيَانَ إِلَى رَجُلٍ قَدْ فَالَتْهُ وَقَتْلَتْ فَرَسَانِ أَصْحَابَهُ! فَأَمْضَى سَفِيَانُ بَعْدَ شَهْرَيْنِ، وَأَقَامَ شَبِيبُ بِكَرْمَانَ، حَتَّى إِذَا انْجَبَرَ وَاسْتَرَاشَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ أَقْبَلَ رَاجِعًا، فَيَسْتَقْبِلُهُ سَفِيَانُ بِجَسَرِ دَجِيلِ الْأَهْوَازِ، وَقَدْ كَانَ الْحِجَابُ كَتَبَ إِلَى الْحَكَمِ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ، وَهُوَ زَوْجُ ابْنَةِ الْحِجَابِ وَعَامِلُهُ عَلَى الْبَصْرَةِ.

أما بعد، فابعث رجلاً شجاعاً شريفاً من أهل البصرة في أربعة آلاف إلى شبيب، ومره فليلحق بسفيان بن الأبرد، وليسمع له وليطع. فبعث إليه زياد بن عمرو العتكي في أربعة آلاف، فلم ينته إلى سفيان حتى التقى سفيان وشبيب، ولما أن التقيا بجسر دجيل عبر شبيب إلى سفيان فوجد سفيان قد نزل في الرجال، وبعث مهاصر بن صيفي العذري على الخيل، وبعث على ميمته بشر بن حسان الفهري، وبعث على ميسرته عمر بن هبيرة الفزاري، فأقبل شبيب في ثلاثة كراديس من أصحابه، هو في كتيبة وسويد في كتيبة، وقعب المحلي في كتيبة، وخلف المحلل بن وائل في عسكره قال: فلما حمل سويد وهو في ميمته على ميسرة سفيان، وقعب وهو في ميسرته على ميمته حمل هو على سفيان، فاضطربنا طويلاً من النهار، حتى انحازوا فرجعوا إلى المكان الذي كانوا فيه، فكر علينا هو وأصحابه أكثر من ثلاثين كرة، كل ذلك لا نزول من صفنا وقال لنا سفيان بن الأبرد: لا تفرقوا، ولكن لتزحف الرجال إليهم زحفاً، فو الله ما زلنا نطاعنهم ونضاربهم حتى اضطربناهم إلى الجسر، فلما انتهى شبيب إلى الجسر نزل ونزل معه نحو من مائة رجل، فقاتلناهم حتى المساء أشد قتال قاتله قوم قط، فما هو إلا أن نزلوا فأوقعوا لنا من الطعن والضرب شيئاً ما رأينا مثله من قوم قط فلما رأى سفيان أنه لا يقدر عليهم، ولا يأمن مع ذلك ظفرهم، دعا الرماة فقال:

ارشقوهم بالنبل، وذلك عند المساء، وكان التقاؤهم نصف النهار، فرماهم أصحاب النبل بالنبل، عند المساء، وقد صفهم سفيان بن الأبرد على حدة، وبعث على المرامية رجلاً، فلما رشقوهم بالنبل ساعة شدوا عليهم، فلما شدوا على رماتنا شددنا عليهم، فشغلناهم عنهم، فلما رموا بالنبل ساعة ركب شبيب وأصحابه ثم كروا على أصحاب النبل كرة صرع منهم أكثر من ثلاثين رجلاً، ثم عطف بخيله علينا، فبشى عامداً نحونا، فطاعناه حتى اختلط الظلام، ثم انصرف عنا، فقال سفيان لأصحابه:

أيها الناس، دعوهم لا تتبعوهم حتى نصبحهم غدوة قال: فكففنا عنهم وليس شيء أحب إلينا من أن ينصرفوا عنا.

قال أبو مخنف: فحدثني فروة بن لقيط، قال: فما هو إلا أن انتهينا إلى الجسر، فقال: عبروا معاشر المسلمين، فإذا أصبحنا باكرناهم إن شاء الله، فعبنا أمامه، وتخلف في أخرنا، فأقبل على فرسه، وكانت بين يديه فرس أنثى ماذيانية، فنزا فرسه عليها وهو على الجسر فاضطربت الماذيانية، ونزل حافر رجل فرس شبيب على حرف السفينة، فسقط في الماء، فلما سقط قال: «لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا*» فارتطمس في الماء، ثم ارتفع فقال: «ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ*»

قال أبو مخنف: فحدثني أبو يزيد السكسكي بهذا الحديث - وكان ممن يقاتله من أهل الشام، وحدثني فروة بن لقيط، وكان ممن شهد موطنه - فأما رجل من رهطه من بني مرة بن همام فإنه حدثني أنه كان معه قوم يقاتلون من عشيرته، ولم يكن لهم تلك البصيرة

النافذة، وكان قد قتل من عشائريهم رجالا كثيرا، فكأن ذلك قد أوجع قلوبهم، وأوغر صدورهم، وكان رجل يقال له مقاتل من بني تيم بن شيبان من أصحاب شبيب، فلما قتل شبيب رجالا من بني تيم بن شيبان أغار هو على بني مرة بن همام فأصاب منهم رجلا، فقال له شبيب: ما حملك على قتلهم بغير أمري! فقال له: أصلحك الله! قتلت كفار قومي، وقتلت كفار قومك، قال: وأنت الوالي علي حتى تقطع الأمور دوني! فقال: أصلحك الله! أليس من ديننا قتل من كان على غير رأينا، منا كان أو من غيرنا! قال: بلى، قال: فإنما فعلت ما كان ينبغي، ولا والله يا أمير المؤمنين ما أصبت من رهطك عشر ما أصبت من رهطي، وما يحل لك يا أمير المؤمنين أن تجد من قتل الكافرين، قال: إني لا أجد من ذلك وكان معه رجال كثير قد أصاب من عشائريهم، فزعموا أنه لما تخلف في أخريات أصحابه قال بعضهم لبعض: هل لكم أن نقطع به الجسر فندرك ثأرنا الساعة! فقطعوا الجسر، فالت السفن، ففزع الفرس ونفر، ووقع في الماء فغرق قال أبو مخنف: فحدثني ذلك المري بهذا الحديث، وناس من رهط شبيب يذكرون هذا أيضا، وأما حديث العامة فالحديث الأول.

قال أبو مخنف: وحدثني أبو يزيد السكسكي، قال: إنا والله لنتبأ للانصراف إذ جاء صاحب الجسر فقال: أين أميركم؟ قلنا: هو هذا، فجاء فقال: أصلحك الله! إن رجلا منهم وقع في الماء، فتنادوا بينهم: غرق أمير المؤمنين! ثم إنهم انصرفوا راجعين، وتركوا عسكرهم ليس فيه أحد، فكبر سفيان وكبرنا، ثم أقبل حتى انتهى إلى الجسر، وبعث ماهر بن صيفي فعبر إلى عسكرهم، فإذا ليس فيه منهم صافر ولا أثر فنزل فيه، فإذا أكثر عسكر خلق الله خيرا، وأصبحنا فطلبنا شيبيا حتى استخرجناه وعليه الدرع، فسمعت الناس يزعمون أنه شق بطنه فأخرج قلبه، فكان مجتمعاً صلباً كأنه صخرة، وإنه كان يضرب به الأرض فيثب قائمة إنسان، فقال سفيان: احمدا الله الذي أعانكم فأصبح عسكرهم في أيدينا.

قال أبو زيد عمر بن شبة: حدثني خلاد بن يزيد الأرقط، قال:

كان شبيب ينعى لأمه فيقال: قتل فلا تقبل قال: فقيل لها: إنه غرق، فقبلت، وقالت: إني رأيت حين ولدته أنه خرج مني شهاب نار، فعلمت أنه لا يطفئه إلا الماء.

قال هشام عن أبي مخنف: حدثني فروه بن لقيط الأزدي ثم الغامري أن يزيد بن نعيم أبا شبيب كان ممن دخل في جيش سلمان بن ربيعة إذ بعث به وبمن معه الوليد بن عقبة عن أمر عثمان إياه بذلك مددا لأهل الشام أرض الروم، فلما قفل المسلمون اقيم السبي للبيع، فرأى يزيد ابن نعيم أبو شبيب جارية حمراء، لا شهلاء ولا زرقاء طويلة جميلة تأخذها العين، فابتاعها ثم أقبل بها، وذلك سنة خمس وعشرين أول السنة، فلما أدخلها الكوفة قال: أسلمي، فأبت عليه فضر بها فلم تزد إلا عصيانا، فلما رأى ذلك أمر بها فأصلحت، ثم دعا بها فأدخلت عليه، فلما تغشاها تلقت منه بحمل فولدت شيبيا، وذلك سنة خمس وعشرين في ذي الحجة في يوم النحر يوم السبت وأحبت مولاهما حبا شديدا- وكانت حدث- وقالت: إن شئت أجبك إلى ما سألتني من الاسلام، فقال لها: شئت، فأسلمت، وولدت شيبيا وهي مسلمة، وقالت: إني رأيت فيما يرى النائم أنه خرج من قبلي شهاب فثقب يسطع حتى بلغ السماء وبلغ الآفاق كلها، فينا هو كذلك إذ وقع في ماء كثير جار نجبا، وقد ولدته في يومكم هذا الذي تهريقون فيه الدماء، وإني

قد أولت رؤياي هذه أني أرى ولدي هذا غلاما، أراه سيكون صاحب دماء يهريقها، وإني أرى أمره سيعلو ويعظم سريعا قال: فكان أبوه يختلف به وبأمه إلى البادية إلى أرض قومه على ماء يدعى للصف.

قال أبو مخنف: وحدثني موسى بن أبي سويد بن رادي أن جند أهل الشام الذين جاءوا حملوا معهم الحجر فقالوا: لا نفر من شبيب حتى يفر هذا الحجر، فبلغ شيبيا أمرهم، فأراد أن يكيدهم، فدعا بأفراس أربعة، فربط في أذنانها ترسة في ذنب كل فرس ترسين، ثم ندب معه ثمانية نفر من أصحابه، ومعه غلام له يقال له حيان، وأمره أن يحمل معه إداوة من ماء، ثم سار حتى يأتي ناحية من العسكر، فأمر أصحابه أن يكونوا في نواحي العسكر، وأن يجعلوا مع كل رجلين فرسا، ثم يمسوها الحديد حتى تجد حرة ويخلوها في العسكر، وواعدتهم تلعة قريبة من العسكر، فقال: من نجا منكم فإن موعدة هذه التلعة، وكره أصحابه الإقدام على ما أمرهم به، فنزل حيث رأى ذلك منهم

حتى صنع بالخليل مثل الذي أمرهم، ثم وعلت في العسكر، ودخل يتلوها محكما فضرب الناس بعضهم بعضا، فقام صاحبهم الذي كان عليهم، وهو حبيب بن عبد الرحمن الحكمي، فنادى: أيها الناس، إن هذه مكيدة، فالزموا الأرض حتى يتبين لكم الأمر، ففعلوا وبقي شبيب في عسكرهم، فلزم الأرض حيث رأيهم قد سكنوا، وقد أصابته ضربة عمود أوهنته، فلما أن هدأ الناس ورجعوا إلى أبينتهم خرج في غمارهم حتى أتى التلعة، فإذا هو بحيان، فقال: أفرغ يا حيان على رأسي من الماء، فلما مد رأسه ليصب عليه من الماء هم حيان أن يضرب عنقه، فقال لنفسه: لا أجد لي مكرمة ولا ذكرا أرفع من قتلي هذا، وهو أمانى عند الحجاج، فاستقبلته الرعدة حيث هم بما هم به، فلما أبطأ بجل الإداوة قال: ما يبطنك بجلها! فتناول السكين من موزجه فخرقها به، ثم ناولها إياه، فأفرغ عليه من الماء فقال حيان: منعني والله الجبن وما أخذني من

٦٠١٢٠٤ خروج مطرف بن المغيرة على الحجاج وعبد الملك

الرعدة أن أضرب عنقه بعد ما هممت به ثم لحق شبيب بأصحابه في عسكره.
خروج مطرف بن المغيرة على الحجاج وعبد الملك

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة خرج مطرف بن المغيرة بن شعبة على الحجاج، وخلع عبد الملك بن مروان ولحق بالجلال فقتل.
ذكر السبب الذي كان عند خروجه وخلعه عبد الملك بن مروان:

قَالَ هِشَامُ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَوْسُفُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ بَكْرِ الْأَزْدِيِّ أَنَّ بَنِي الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ كَانُوا صَلَحَاءَ نَبَلَاءَ، أَشْرَافًا بِأَبْدَانِهِمْ سَوَى شَرَفِ آبِيهِمْ وَمَنْزِلَتِهِمْ فِي قَوْمِهِمْ قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ الْحَجَّاجُ فَلَقُوهُ وَشَافَهُمْ عِلْمَ أَنَّهُمْ رِجَالُ قَوْمِهِ وَبَنُو أَبِيهِ، فَاسْتَعْمَلَ عُرْوَةَ بْنَ الْمَغِيرَةِ عَلَى الْكُوفَةِ، وَمَطْرَفَ بْنَ الْمَغِيرَةِ عَلَى الْمَدَائِنِ، وَحَمْزَةَ بْنَ الْمَغِيرَةِ عَلَى هَمْدَانَ.

قال أبو مخنف: فحدثني الحصين بن يزيد بن عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، قال: قدم علينا مطرف بن المغيرة بن شعبة المدائن فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن الأمير الحجاج أصلحه الله قد ولاني عليكم، وأمرني بالحكم بالحق، والعدل في السيرة، فإن عملت بما أمرني به فأنا أسعد الناس، وإن لم أفعل فنفسي أو بقت، وحظ نفسي ضيعة، ألا إني جالس لكم العصرين، فارفعوا إلي حوائجكم، وأشيروا علي بما يصلحكم ويصلح بلادكم، فإني لن آلوكم خيرا ما استطعت ثم نزل.

وكان بالمدائن إذ ذاك رجال من أشرف أهل مصر وبيوتات الناس، وبها مقاتلة لا تسعها عدة، إن كان كون بأرض جوني أو بأرض الأنبار فأقبل مطرف حين نزل حتى جلس للناس في الإيوان، وجاء حكيم بن الحارث الأزدي يمشي نحوه، وكان من وجوه الأزدي وأشرافهم، وكان الحجاج قد

استعمله بعد ذلك على بيت المال - فقال له: أصلحك الله! إني كنت منك نائيا حين تكلمت، وإني أقبلت نحوك لأجيبك، فوافق ذلك نزولك، إنا قد فهمنا ما ذكرت لنا، أنه عهد إليك، فأرشد الله العاهد والمعهود إليه، وقد منيت من نفسك العدل، وسألت المعونة على الحق، فأعانك الله على ما نويت، إنك تشبه أباك في سيرته برضا الله والناس، فقال له مطرف: هاهنا إلي، فأوسع له مجلس إلى جنبه.

قال أبو مخنف: فحدثني الحصين بن يزيد أنه كان من خير عامل قدم عليهم قط، أقعده لمريب، وأشدّه إنكارا للظلم، فقدم عليه بشر بن الأجدع الهمداني، ثم الثوري، وكان شاعرا فقال:

أتى كلفت بخود غير فاحشة ... غراء وهناة حسانة الجيد

كأنها الشمس يوم الدجن إذ برزت ... تمشي مع الآنس الهيف الأماليد

سل الهوى بعنداة مذكرة ... عنها إلى المجتدي ذي العرف والجود

إلى الفتى الماجد الفياض نعرفه ... في الناس ساعة يحل كل مردود

من الأكارم أنسابا إذا نسوا ... والحامل الثقل يوم المغرم الصيد

إني أعيدك بالرحمن من نفر ... حمر السبال كأسد الغابة السود

فرسان شيبان لم نسمع بمثلهم ... أبناء كل كريم النجل صنديد
شدوا على ابن حصين في كتيبته ... فغادروه صريعا ليلة العيد
وابن المجالد أردته رماحهم ... كأثما زل عن خوصاء صيخود
وكل جمع يروذابار كان لهم ... قد فض بالطعن بين النخل والبيد

فقال له: ويحك! ما جئت الا لترغبنا وقد كان شبيب أقبل من سائديما، فكتب مطرف إلى الحاج:

أما بعد، فإني أخبر الأمير أكرمه الله أن شيبيا قد أقبل نحونا، فإن رأى الأمير أن يمدني برجال أضبط بهم المدائن فعل، فإن المدائن باب الكوفة وحصنها

فبعث إليه الحاج بن يوسف سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف في مائتين وعبد الله بن كاز في مائتين، وجاء شبيب فاقبل حتى نزل قناطر حذيفة، ثم جاء حتى انتهى إلى كلواذا، فعبر منها دجلة، ثم أقبل حتى نزل مدينة بهرسير ومطرف بن المغيرة في المدينة العتيقة التي فيها منزل كسرى والقصر الأبيض، فلما نزل شبيب بهرسير قطع مطرف الجسر فيما بينه وبين شبيب، وبعث إلى شبيب أن ابعث إلي رجالا من صلحاء أصحابك ادارسهم القرآن، وأنظر ما تدعون إليه، فبعث إليه رجالا، منهم سويد بن سليم وقعب والحلل بن وائل، فلما أدنى منهم المعبر وأرادوا أن ينزلوا فيه ارسل اليهم شبيب الا تدخلوا السفينة حتى يرجع إلي رسولي من عند مطرف، وبعث إلى مطرف: أن ابعث إلي بعدة من أصحابك حتى ترد علي أصحابي، فقال لرسوله: القه فقل له: فكيف آمنك على أصحابي إذا بعثتهم الآن إليك، وأنت لا تأمنني على أصحابك! فأرسل إليه شبيب: إنك قد علمت أنا لا نستحل في ديننا الغدر، وأنتم تفعلونه وتهونونه فسرح إليه مطرف الربيع بن يزيد الأسدي، وسليمان بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني، ويزيد بن أبي زياد مولى المغيرة- وكان على حرس مطرف- فلما وقعوا في يديه بعث أصحابه إليه.

قال أبو مخنف:

حدثني النضر بن صالح، قال: كنت عند مطرف ابن المغيرة بن شعبة فآدري أقال: أني كنت في الجند الذين كانوا معه، أو قال: كنت بإزائه حيث دخلت عليه رسل شبيب! وكان لي ولأخي ودا مكرما، ولم يكن ليستر منا شيئا، فدخلوا عليه وما عنده أحد من الناس غيري وغير أخي حلام بن صالح، وهم ستة ونحن ثلاثة، وهم شاكون في السلاح، ونحن ليس علينا إلا سيوفنا، فلما دنوا قال سويد: السلام على من خاف مقام ربه وعرف الهدى وأهله، فقال له مطرف: أجل، فسلم الله على أولئك، ثم جلس القوم، فقال لهم مطرف: قصوا علي أمركم، وخبروني ما الذي تطلبون؟ والام تدعون؟

فحمد الله سويد بن سليم وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن الذي ندعو اليه كتاب الله وسنه محمد ص، وإن الذي نقمنا على قومنا الاستئثار بالفيء وتعطيل الحدود والتسلط بالجبرية فقال لهم مطرف: ما دعوتكم إلا إلى حق، ولا نقمتكم إلا جورا ظاهرا، أنا لكم على هذا متابع، فابعوني إلى ما أدعوكم إليه ليجمع أمري وأمركم، وتكون يدي وأيديكم واحدة، فقالوا: هات، اذكر ما تريد أن تذكر، فإن يكن ما تدعوننا إليه حقا نجيبك، قال: فإني أدعوكم إلى أن نقاتل هؤلاء الظلمة العاصين على إحداثهم الذي أحدثوا، وأن ندعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه، وأن يكون هذا الأمر شورى بين المسلمين، يؤمرون عليهم من يرضون لأنفسهم على مثل الحال التي تركهم عليها عمر بن الخطاب، فإن العرب إذا علمت أن ما يراد بالشورى الرضا من قريش رضوا، وكثر تبعكم منهم وأعوانكم على عدوكم، وتم لكم هذا الأمر الذي تريدون.

قال: فوثبوا من عنده، وقالوا: هذا ما لا نجيبك إليه أبدا، فلما مضوا فكادوا أن يخرجوا من صفة البيت التفت إليه سويد بن سليم، فقال:

يا بن المغيرة، لو كان القوم عداة غدرا كنت قد أمكنتهم من نفسك، ففزع لها مطرف، وقال: صدقت وإله موسى وعيسى.

قال: ورجعوا إلى شبيب فأخبروه بمقاتلته، فطمع فيه، وقال لهم:

ان أصبحتم فليأته أحدكم، فلما أصبحوا بعث إليه سويد وأمره بأمره، فجاء سويد حتى انتهى إلى باب مطرف، فكنت أنا المستأذن له، فلما دخل وجلس أردت أن أنصرف، فقال لي مطرف: اجلس فليس دونك ستر، فجلست وأنا يومئذ شاب أعيد، فقال له سويد:

من هذا الذي ليس لك دونه ستر؟ فقال له: هذا الشريف الحسيب، هذا ابن مالك بن زهير بن جذيمة، فقال له: بخ أكرمت فارتبط، إن كان دينه على

قدر حسبه فهو الكامل، ثم أقبل عليه فقال: إنا لقينا أمير المؤمنين بالذي ذكرت لنا، فقال لنا: القوه فقولوا له: أأست تعلم أن اختيار المسلمين منهم خيرهم لهم فيما يرون رأي رشيد! فقد مضت به السنة بعد الرسول ص، فإذا قال لكم: نعم، فقولوا له: إنا قد اخترنا لأنفسنا أرضانا فينا، وأشدنا اضطلاعا لما حمل، فما لم يغير ولم يبدل فهو ولي أمرنا وقال لنا: قولوا له فيما ذكرت لنا من الشورى حين قلت: أن العرب إذا علت أنكم إنما تريدون بهذا الأمر قريشا كان أكثر لتبعكم منهم، فإن أهل الحق لا ينقصهم عند الله أن يقولوا، ولا يزيد الظالمين خيرا أن يكثرُوا، وإن تركنا حقنا الذي خرجنا له، ودخولنا فيما دعوتنا إليه من الشورى خطيئة وعجز ورخصة إلى نصر الظالمين ووهن، لأننا لا نرى أن قريشا أحق بهذا الأمر من غيرها من العرب وقال: فإن زعم أنهم أحق بهذا الأمر من غيرها من العرب فقولوا له: ولم ذاك؟ فان قال:

لقربه محمد ص بهم فقولوا له: فوالله ما كان ينبغي إذا لأسلافنا الصالحين من المهاجرين الأولين أن يتولوا على أسرة محمد، ولا على ولد أبي هب لو لم يبق غيرهم، ولولا أنهم علموا أن خير الناس عند الله أتقاهاهم، وأن أولاهم بهذا الأمر أتقاهاهم وأفضلهم فيهم، وأشدهم اضطلاعا بحمل أمورهم ما تولوا أمور الناس، ونحن أول من أنكر الظلم وغير الجور وقاتل الأحزاب، فإن اتبعنا فله ما لنا وعليه ما علينا، وهو رجل من المسلمين، وإلا يفعل فهو كبعض من نعادي ونقاتل من المشركين. فقال له مطرف: قد فهمت ما ذكرت، ارجع يومك هذا حتى تنظر في أمرنا.

فرجع، ودعا مطرف رجالا من أهل ثقافته وأهل نصائحه، منهم سُلَيْمَان بن حذيفة المزني والربيع بن يزيد الأسدي قال النضر بن صالح: وكنت أنا ويزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبة قائمين على

رأسه بالسيف، وكان على حرسه، فقال لهم مطرف: يا هؤلاء، إنكم نصحاوي وأهل مودتي ومن أثق بصلاحه وحسن رأيه، والله ما زلت لأعمال هؤلاء الظلمة كارها، أنكرها بقلبي، وأغيرها ما استطعت بفعلي وأمري، فلما عظمت خطيئتهم، ومر بي هؤلاء القوم يجاهدونهم، لم أر أنه يسعني إلا مناهضتهم وخلافهم إن وجدت أعوانا عليهم، وإني دعوت هؤلاء القوم فقلت لهم كيت وكيت، وقالوا لي كيت وكيت، فلست أرى القتال معهم، ولو تابعتوني على رأيي وعلى ما وصفت لهم نخلعت عبد الملك والحجاج، ولسرت إليهم أجاهدكم فقال له المزني: إنهم لن يتابعوك، وإنك لن تتابعهم فأخف هذا الكلام ولا تظهره لأحد، وقال له الأسدي مثل ذلك، فجثا مولاه ابن أبي زياد على ركبتيه ثم قال: والله لا يخفى مما كان بينك وبينهم على الحجاج كلمة واحدة، وليزادن على كل كلمة عشرة أمثالها، والله إن لو كنت في السحاب هاربا من الحجاج ليلتمسن أن يصل إليك حتى يهلكك أنت ومن معك، فالنجا النجا من مكانك هذا، فإن أهل المدائن من هذا الجانب ومن ذاك الجانب، وأهل عسكر شبيب يتحدثون بما كان بينك وبين شبيب، ولا تمس من يومك هذا حتى يبلغ الخبر الحجاج، فاطلب دارا غير المدائن فقال له صاحبه: ما نرى الرأي إلا كما ذكر لك، قال لهما مطرف: فما عندكما؟ قالوا: الإجابة إلى ما دعوتنا إليه والمؤاسة لك بأنفسنا على الحجاج وغيره قال: ثم نظر إلي، فقال: ما عندك؟ فقلت: قتال عدوك، والصبر معك ما صبرت، فقال لي: ذاك الظن بك.

قال: ومكث حتى إذا كان في اليوم الثالث أتاه قعنب فقال له:

إن تابعتنا فأنت منا، وإن أبيت فقد نابذناك، فقال: لا تعجلوا اليوم فإنا ننظر.

قال: وبعث إلى أصحابه أن ارحلوا الليلة من عند آخركم حتى توفوا الدسكرة معي لحدث حدث هنالك

ثم أخرج أصحابه معه حتى مر بدير يزدجرد فنزله، فلقية قبيصة بن عبد الرحمن القحافي من خثعم، فدعاه إلى صحبتته، فصحبه فكساه وحمله، وأمر له بنفقة، ثم سار حتى نزل الدسكرة، فلما أراد أن يرتحل منها لم يجد بدا من أن يعلم أصحابه ما يريد، فجمع إليه رءوس أصحابه، فذكر الله بما هو أهله وصلى على رسوله، ثم قال لهم: أمّا بعد، فإن الله كتب الجهاد على خلقه، وأمر بالعدل والإحسان، وقال

فيما أنزل علينا: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» وإني أشهد الله أنني قد خلعت عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف، فمن أحب منكم صحبتي وكان على مثل رأيي فليتابعني، فإن له الأسوة وحسن الصحبة، ومن أبى فليذهب حيث شاء، فأني لست أحب أن يتبعني من ليست له نية في جهاد أهل الجور، أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وإلى قتال الظلمة، فإذا جمع الله لنا أمرنا كان هذا الأمر شورى بين المسلمين يرتضون لأنفسهم من أحبوا قال: فوثب إليه أصحابه فبايعوه، ثم إنه دخل رحله وبعث إلى سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف وإلى عبد الله بن كئاز النهدي فاستخلاهما، ودعاهما إلى مثل ما دعا إليه عامة أصحابه، فأعطياه الرضا، فلما ارتحل انصرفا بمن معهما من أصحابه حتى أتيا الحجاج فوجداه قد نازل شبيبا، فشهدا معه وقعة شبيب قال: وخرج مطرف بأصحابه من الدسكرة موجه نحو حلوان، وقد كان الحجاج بعث في تلك السنة سويد بن عبد الرحمن السعدي على حلوان وماسبذان، فلما بلغه أن مطرف بن المغيرة قد أقبل نحو أرضه عرف أنه إن رفق في أمره أو داهن لا يقبل ذلك منه الحجاج، فجمع له سويد أهل البلد والأكراد، فأما الأكراد فأخذوا عليه ثنية حلوان، وخرج إليه سويد وهو يحب أن يسلم من قتاله، وأن يعافى من الحجاج، فكان خروجه كالتعذير.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُلْقَمَةَ الْخُثْعَمِيُّ أَنَّ

الحجاج بن جارية الخثعمي حين سمع بخروج مطرف من المدائن نحو الجبل أتبعه في نحو من ثلاثين رجلا من قومه وغيرهم قال: وكنت فيهم فلحقناه بجلوان، ففكنا ممن شهد معه قتال سويد بن عبد الرحمن.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: وَحَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَيْضَا النَّضْرُ قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُلْقَمَةَ قَالَ: مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدَمْنَا عَلَى مَطْرِفِ بْنِ الْمَغِيرَةِ فَسَرَّ بِمَقْدَمِنَا عَلَيْهِ، وَاجْلَسَ الْحَجَّاجُ ابْنَ جَارِيَةَ مَعَهُ عَلَى مَجْلِسِهِ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: وَحَدَّثَنِي النَّضْرُ بْنُ صَالِحٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُلْقَمَةَ، أَنَّ سَوِيدًا لَمَّا خَرَجَ إِلَيْهِمْ بِمَنْ مَعَهُ وَقَفَ فِي الرِّجَالِ وَلَمْ يُخْرِجْ بِهِمْ مِنَ الْبُيُوتِ، وَقَدَّمَ ابْنَهُ الْقَعْقَاعَ فِي الْخَيْلِ، وَمَا خَيْلُهُ يَوْمَئِذٍ بِكَثِيرٍ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: قَالَ النَّضْرُ بْنُ صَالِحٍ: أَرَاهُمْ كَانُوا مَائِثِينَ، وَقَالَ ابْنُ ابْنِ عُلْقَمَةَ: أَرَاهُمْ كَانُوا يَنْقُصُونَ عَنِ الثَّلَاثِمِائَةِ قَالَ: فَدَعَا مَطْرِفُ الْحَجَّاجُ ابْنَ جَارِيَةَ فَسَرَّحَهُ إِلَيْهِمْ فِي نَحْوِ مَنْ عَدَّتْهُمْ، فَأَقْبَلُوا نَحْوَ الْقَعْقَاعِ وَهُمْ جَادُونَ فِي قِتَالِهِ، وَهُمْ فَرَسَانُ مُتَعَلِّمُونَ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ سَوِيدٌ قَدْ تَيْسَرُوا نَحْوَ ابْنِهِ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ غَلَامًا لَهُ يَقَالُ لَهُ رَسَمٌ - قَتَلَ مَعَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِدِيرِ الْجَمَاجِمِ - وَفِي يَدِهِ رَايَةُ بَنِي سَعْدٍ، فَانْطَلَقَ غَلَامُهُ حَتَّى أَتَى إِلَى الْحَجَّاجِ ابْنَ جَارِيَةَ، فَأَسْرَأَ إِلَيْهِ: إِنْ كُنْتُمْ تَرِيدُونَ الْخُرُوجَ مِنْ بِلَادِنَا هَذِهِ إِلَى غَيْرِهَا فَانْخَرُجُوا عَنَّا، فَإِنَّا لَا نَزِيدُ قِتَالَكُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ إِيَّانَا تَرِيدُونَ فَلَا بَدَّ مِنْ مَنَعٍ مَا فِي أَيْدِينَا فَلَمَّا جَاءَهُ بِذَلِكَ قَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ ابْنَ جَارِيَةَ: أَنْتَ أَمِيرُنَا فَاذْكُرْ لَهُ مَا ذَكَرْتُ لِي، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى مَطْرِفًا فَذَكَرَ لَهُ مِثْلَ الَّذِي ذَكَرَ لِلْحَجَّاجِ ابْنَ جَارِيَةَ، فَقَالَ لَهُ مَطْرِفُ:

مَا أُرِيدُكُمْ وَلَا بِلَادَكُمْ، فَقَالَ لَهُ: فَالْزِمْ هَذَا الطَّرِيقَ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ بِلَادِنَا، فَإِنَّا لَا نَجِدُ بَدَا مِنْ أَنْ يَرَى النَّاسُ وَتَسْمَعَ بِذَلِكَ إِنَّا قَدْ خَرَجْنَا إِلَيْكَ قَالَ: فَبَعَثَ مَطْرِفُ إِلَى الْحَجَّاجِ فَأَتَاهُ، وَلَزِمُوا الطَّرِيقَ حَتَّى مَرُّوا بِالثَّنِيَةِ إِذَا الْأَكْرَادُ بِهَا، فَنَزَلَ مَطْرِفُ وَنَزَلَ مَعَهُ عَامَةُ أَصْحَابِهِ وَصَعِدَ إِلَيْهِمْ فِي الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ الْحَجَّاجُ ابْنَ جَارِيَةَ، وَفِي الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ سُلَيْمَانُ بْنُ حَذِيفَةَ، فَهَزَمَاهُمْ وَقَتْلَاهُمْ، وَسَلَّمَ مَطْرِفُ وَأَصْحَابَهُ فَمَضَوْا حَتَّى دَنَوْا مِنْ هَمْدَانَ، فَتَرَكُوهَا وَأَخَذَ ذَاتَ الْيَسَارِ إِلَى مَاهِ دِينَارٍ، وَكَانَ أَخُوهُ حَمْزَةُ بْنُ الْمَغِيرَةِ عَلَى هَمْدَانَ، فَكَرِهَ أَنْ يَدْخُلَهَا فَيَتِمُّ أَخُوهُ عِنْدَ الْحَجَّاجِ، فَلَمَّا دَخَلَ مَطْرِفُ أَرْضَ مَاهِ دِينَارٍ كَتَبَ إِلَى أَخِيهِ حَمْزَةَ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ النِّفْقَةَ قَدْ كَثُرَتْ وَالْمُؤَنَةَ قَدْ اشْتَدَّتْ، فَأَمُدُّ أَخَاكَ بِمَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مِنْ مَالٍ وَسِلَاحٍ.

وَبَعَثَ إِلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ مَوْلَى الْمَغِيرَةِ ابْنَ شُعْبَةَ، فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى حَمْزَةَ بِكَبَابِ مَطْرِفِ لَيْلًا، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ لَهُ: ثُكُلْتُكَ أَمْلُكُ! أَنْتَ قَتَلْتَ مَطْرِفًا؟ فَقَالَ لَهُ: مَا أَنَا قَتَلْتُهُ جَعَلْتُ فِدَاكَ! وَلَكِنْ مَطْرِفًا قَتَلَ نَفْسَهُ وَقَتْلَنِي، وَلَيْتَهُ لَا يَقْتُلُكَ، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ! مَنْ سَوَّلَ لَهُ هَذَا الْأَمْرَ! فَقَالَ: نَفْسُهُ سَوَّلَتْ هَذَا لَهُ ثُمَّ جَلَسَ إِلَيْهِ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ، وَأَخْبَرَهُ بِالْخَبَرِ، وَدَفَعَ كِتَابَ مَطْرِفِ إِلَيْهِ، فَقَرَأَهُ ثُمَّ قَالَ:

نَعَمْ، وَأَنَا بَاعْتُ إِلَيْهِ بِمَالٍ وَسِلَاحٍ، وَلَكِنْ أَخْبَرَنِي تَرَى ذَلِكَ يَخْفَى لِي؟

قَالَ: مَا أَظُنُّ أَنْ يَخْفَى، فَقَالَ لَهُ حَمْزَةُ: فَوَاللَّهِ لَئِنْ أَنَا خَذَلْتُهُ فِي أَنْفَعِ النَّصْرِينَ لَهُ نَصْرُ الْعَلَانِيَةِ، لَا أَخْذَلُهُ فِي أَيْسَرِ النَّصْرِينَ نَصْرُ السَّرِيرَةِ.

قال: فسرّح إليه مع يزيد بن أبي زياد بمال وسلاح، فأقبل به حتى أتى مطرفاً ونحن نزول في رستاق من رساتيق ماه دينار، يقال له: سامان متاخم ارض أصبهان، وهو رستاق كانت الحمراء تنزله.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي النَّضْرُ بْنُ صَالِحٍ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ مَضَى يَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ، فَسَمِعْتُ أَهْلَ الْعَسْكَرِ يَتَخَذُونَ أَنَّ الْأَمِيرَ بَعَثَ إِلَى أَخِيهِ يَسْأَلُهُ النِّفْقَةَ وَالسَّلَاحَ، فَأَتَيْتُ مَطْرَفًا فَخَدِثْتُهُ بِذَلِكَ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! قَالَ الْأَوَّلُ: مَا يَخْفَى إِلَّا مَا لَا يَكُونُ،

قال: وما هو إلا أن قدم يزيد بن أبي زياد علينا، فسار مطرف بأصحابه حتى نزل قم وقاشان وأصبهان.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُلْقَمَةَ أَنَّ مَطْرَفًا حِينَ نَزَلَ قِمَّ وَقَاشَانَ وَاطْمَأَنَّ، دَعَا الْحِجَاجَ بْنَ جَارِيَةَ فَقَالَ لَهُ: حَدَّثَنِي عَنْ هَزِيمَةَ شَيْبٍ يَوْمَ السَّبْخَةِ أَكُنْتَ وَأَنْتَ شَاهِدُهَا، أَمْ كُنْتَ خَرَجْتَ قَبْلَ الْوَقْعَةِ؟

قال: لا، بل شهدتها، قال: حَدَّثَنِي حَدِيثُهُمْ كَيْفَ كَانَ؟ فَخَدِثْتُهُ، فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ يَظْفَرَ شَيْبٌ وَإِنْ كَانَ ضَالًّا.

فَيَقْتُلُ ضَالًّا قَالَ: فَظَنَنْتُ أَنَّهُ تَمَنَّى ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَتِمَّ لَهُ الَّذِي يَطْلُبُ لَوْ هَلَكَ الْحِجَاجُ قَالَ: ثُمَّ إِنْ مَطْرَفًا بَعَثَ عَمَالَهُ.

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: حَدَّثَنِي النَّضْرُ بْنُ صَالِحٍ أَنَّ مَطْرَفًا عَمِلَ عَمَلًا حَازِمًا لَوْلَا أَنَّ الْأَقْدَارَ غَالِبَةٌ قَالَ: كَتَبَ مَعَ الرَّبِيعِ بْنِ يَزِيدٍ إِلَى سُؤَيْدِ ابْنِ سِرْحَانَ الثَّقَفِيِّ، وَإِلَى بَكْرِ بْنِ هَارُونَ الْبَجَلِيِّ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، وَإِلَى جِهَادٍ مِنْ عِنْدِ الْحَقِّ، وَاسْتَأْثَرْنَا بِالْفِيءِ، وَتَرَكْنَا حَكْمَ الْكِتَابِ، فَإِذَا ظَهَرَ الْحَقُّ وَدَمَغَ الْبَاطِلُ، وَكَانَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، جَعَلْنَا هَذَا الْأَمْرَ شُورَى بَيْنَ الْأُمَّةِ يَرْضِي الْمُسْلِمُونَ لَأَنْفُسِهِمُ الرِّضَا، فَمَنْ قَبْلَ هَذَا مَنَا كَانَ أَخَانًا فِي دِينِنَا، وَوَلِينًا فِي مَحْيَانَا وَمَمَاتِنَا، وَمَنْ رَدَّ ذَلِكَ عَلَيْنَا جَاهِدْنَاهُ وَاسْتَنْصَرْنَا اللَّهَ عَلَيْهِ فَكَفَى بِنَا عَلَيْهِ حِجَّةٌ، وَكَفَى بِتَرْكِهِ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ غُبْنًا، وَبِمَدَاهِنَةِ الظَّالِمِينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَهَذَا! إِنْ اللَّهُ كَتَبَ الْقِتَالَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَسَمَاهُ كَرَاهًا، وَلَنْ يَنَالَ رِضْوَانُ اللَّهِ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، وَجِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ، فَأَجِيبُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى الْحَقِّ، وَادْعُوا إِلَيْهِ مِنْ تَرْجُونِ اجَابَتَهُ، وَعَرَفُوهُ مَا لَا يَعْرِفُهُ، وَلِيَقْبَلَ إِلَيْنَا كُلُّ مَنْ رَأَى رَأْيَانَا، وَأَجَابَ دَعْوَتَنَا، وَرَأَى عَدُوهُ عَدُونًا.

أَرْشَدَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ، وَتَابَ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ وَالسَّلَامُ

فَلَمَّا قَدَّمَ الْكِتَابَ عَلَى ذِيكَ الرَّجُلَيْنِ دَبَا فِي رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الرِّيِّ وَدَعَا مِنْ تَابِعِهِمَا، ثُمَّ خَرَجَا فِي نَحْوِ مِائَةٍ مِنْ أَهْلِ الرِّيِّ سِرًّا لَا يَفْطَنُ بِهِمْ، فَجَاءُوا حَتَّى وَافَوْا مَطْرَفًا وَكَتَبَ الْبَرَاءُ بْنُ قَبِيصَةَ، وَهُوَ عَامِلُ الْحِجَاجِ عَلَى أَصْبَهَانَ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ كَانَ لِلْأَمِيرِ أَصْلَحُهُ اللَّهُ حَاجَةٌ فِي أَصْبَهَانَ فَلْيَبْعَثْ إِلَى مَطْرَفٍ جَيْشًا كَثِيفًا يَسْتَأْصِلُهُ وَمَنْ مَعَهُ، فَإِنَّهُ لَا تَزَالُ عَصَابَةُ قَدْ انْتَفَحَتْ لَهُ مِنْ بَلَدَةِ الْبُلْدَانِ حَتَّى تَوَافِيَهُ بِمَكَانِهِ الَّذِي هُوَ بِهِ، فَإِنَّهُ قَدْ اسْتَكْتَفَى وَكَثُرَ تَبَعُهُ، وَالسَّلَامُ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحِجَاجُ:

أَمَّا بَعْدُ، إِذَا أَتَاكَ رَسُولِي فَعَسْكَرُ بَيْنَ مَعَكَ، فَإِذَا مَرَّ بِكَ عَدَى ابْنُ وَتَادٍ فَاخْرُجْ مَعَهُ فِي أَصْحَابِكَ، وَاسْمَعْ لَهُ وَأَطِعْ وَالسَّلَامُ.

فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ خَرَجَ فَعَسْكَرُ، وَجَعَلَ الْحِجَاجُ بْنُ يَوْسُفٍ يَسْرَحُ إِلَى الْبَرَاءِ بْنِ قَبِيصَةَ الرِّجَالَ عَلَى دَوَابِّ الْبَرِيدِ عَشْرِينَ عَشْرِينَ، وَخَمْسَةَ عَشَرَ خَمْسَةَ عَشَرَ، وَعَشْرَةَ عَشْرَةَ، حَتَّى سَرَحَ إِلَيْهِ نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةٍ، وَكَانَ فِي أَلْفَيْنِ.

وَكَانَ الْأَسْوَدُ بْنُ سَعْدِ الْهَمْدَانِيِّ أَتَى الرِّيَّ فِي فَتْحِ اللَّهِ عَلَى الْحِجَاجِ يَوْمَ لَقِيَ شَيْبًا بِالسَّبْخَةِ، فَرَبَهْمَذَانَ وَالْجِبَالَ، وَدَخَلَ عَلَى حِمَزَةٍ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ الْأَسْوَدُ: فَأَبْلَغْتَ الْحِجَاجَ عَنْ حِمَزَةٍ، فَقَالَ: قَدْ بَلَغْنِي ذَاكَ، وَأَرَادَ عَزْلَهُ، نَخْشِي أَنْ يَمْكُرَ بِهِ، وَأَنْ يَمْتَنِعَ مِنْهُ، فَبَعَثَ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدِ الْعَجَلِيِّ - وَهُوَ يَوْمُئِذٍ عَلَى شَرْطَةِ حِمَزَةِ بْنِ الْمَغِيرَةِ وَلَبْنِي عَجَلٍ وَرَبِيعَةَ عَدَدِ بَهْمَذَانَ - فَبَعَثَ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ بِعَهْدِهِ عَلَى هَمْدَانَ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ أَوْثِقَ حِمَزَةَ ابْنَ الْمَغِيرَةِ فِي الْحَدِيدِ، وَاحْبِسْهُ قَبْلَكَ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي.

فَلَمَّا أَتَاهُ عَهْدُهُ وَأَمْرُهُ أَقْبَلَ وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ عَشِيرَتِهِ كَثِيرٌ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَافَقَ الْإِقَامَةَ لَصَلَاةِ الْعَصْرِ، فَصَلَّى حِمَزَةً، فَلَمَّا انْصَرَفَ حِمَزَةً انْصَرَفَ مَعَهُ

قَيْسُ بْنُ سَعْدِ الْعَجَلِيِّ صَاحِبُ شَرْطِهِ، فَأَقْرَأَهُ كِتَابَ الْحِجَاجِ إِلَيْهِ، وَأَرَاهُ عَهْدَهُ، فَقَالَ حِمَزَةُ سَمِعَا وَطَاعَةً، فَأَوْثَقَهُ وَحَبَسَهُ فِي السِّجْنِ، وَتَوَلَّى أَمْرَ هَمْدَانَ، وَبَعَثَ عَمَالَهُ عَلَيْهَا، وَجَعَلَ عَمَالَهُ كُلَّهُمْ مِنْ قَوْمِهِ، وَكَتَبَ إِلَى الْحِجَاجِ:

أما بعد، فإني أخبر الأمير أصلحه الله، أني قد شددت حمزة بن المغيرة في الحديد، وحبسته في السجن، وبعثت عمالي على الخراج، ووضعت يدي في الجباية، فإن رأى الأمير أبقاه الله أن يأذن لي في المسير إلى مطرف أذن لي حتى أجاهده في قومي، ومن أطاعني من أهل بلاددي، فإني أرجو أن يكون الجهاد أعظم أجرا من جباية الخراج والسلام.

فلما قرأ الحجاج كتابه ضحك ثم قال: هذا جانب آثرا ما قد أمناه.

وقد كان حمزة بهمدان أثقل ما خلق الله على الحجاج مخافة أن يمد أخاه بالسلاح والمال، ولا يدري لعله يبدو له فيعق، فلم يزل يكيده حتى عزله، فاطمان وقصد قصد مطرف.

قال أبو مخنف: فحدثني مطرف بن عامر بن واثلة أن الحجاج لما قرأ كتاب قيس بن سعد العجلي وسمع قوله: إن أحب الأمير سرت إليه حتى أجاهده في قومي، قال: ما أبغض إلي أن تكثر العرب في أرض الخراج.

قال: فقال لي ابن الغرق: ما هو إلا أن سمعتها من الحجاج فعلت أنه لو قد فرغ له قد عزله.

قال: وحدثني النضر بن صالح أن الحجاج كتب إلى عدي بن وتاد الإيادي وهو على الري يأمره بالمسير إلى مطرف بن المغيرة وبالممر على البراء ابن قبيصة، فإذا اجتمعوا فهو أمير الناس.

قال أبو مخنف: وحدثني أبي عن عبد الله بن زهير، عن عبد الله بن سليم الأزدي قال: إني لجالس مع عدي بن وتاد على مجلسه بالري إذ أتاه كتاب الحجاج، فقرأه ثم دفعه إلي، فقرأته فإذا فيه:

أما بعد، فإذا قرأت كتابي هذا فانفض بثلاثة أرباع من معك من أهل الري، ثم أقبل حتى تمر بالبراء بن قبيصة بجي، ثم سيرا جميعا، فإذا

لقيتهما فانت أمير الناس حتى يقتل الله مطرفا، فإذا كفى الله المؤمنين مؤنته فانصرف إلى عملك في كنف من الله وكلاءته وستره فلما قرأته قال لي: قم وتجهز.

قال: وخرج فعسكر، ودعا الكتاب فضربوا البعث على ثلاثة أرباع الناس، فما مضت جمعة حتى سرنا فانتبهنا إلى جي، ويوافينا بها قبيصة القحافي في تسعمائة من أهل الشام، فيهم عمر بن هبيرة، قال: ولم نلبث بجي إلا يومين حتى نهض عدي بن وتاد بمن أطاعه من الناس ومعه ثلاثة آلاف مقاتل من أهل الري وألف مقاتل مع البراء بن قبيصة بعثهم إليه الحجاج من الكوفة، وسبعمائة من أهل الشام، ونحو ألف رجل من أهل أصبهان والأكراد، فكان في قريب من ستة آلاف مقاتل، ثم أقبل حتى دخل على مطرف بن المغيرة.

قال أبو مخنف: فحدثني النضر بن صالح، عن عبد الله بن علقمة، أن مطرفا لما بلغه مسيرهم إليه خندق على أصحابه خندقا، فلم يزالوا فيه حتى قدموا عليه.

قال أبو مخنف: وحدثني يزيد مولى عبد الله بن زهير، قال: كنت مع مولاي إذ ذاك، قال: خرج عدي بن وتاد فعبى الناس، فجعل على ميمنته عبد الله بن زهير، ثم قال للبراء بن قبيصة: قم في الميسرة، فغضب البراء، وقال: تأمرني بالوقوف في الميسرة وأنا أمير مثلك! تلك خيلي في الميسرة، وقد بعثت عليها فارس مضر الطفيل بن عامر بن واثلة، قال: فأني ذلك إلى عدي بن وتاد، فقال لابن أقيصر الخثعمي: انطلق فأنت على الخيل، وانطلق إلى البراء بن قبيصة فقل له: إنك قد أمرت بطاعتي، ولست من الميمنة والميسرة والخيل والرجالة في شيء، إنما عليك أن تؤمر فتطيع، ولا تعرض لي في شيء أكرهه فأتنكر لك - وقد كان له مكرما.

ثم إن عديا بعث على الميسرة عمر بن هبيرة، وبعثه في مائة من أهل الشام، فجاء حتى وقف برايته، فقال رجل من أصحابه للطفيل بن عامر:

خل رايتك وتتح عنا، فإنما نحن أصحاب هذا الموقف، فقال الطفيل:

إني لا أخاصمكم، إنما عقد لي هذه الراية البراء بن قبيصة، وهو أميرنا، وقد علمنا أن صاحبكم على جماعة الناس، فإن كان قد عقد لصاحبكم هذا فبارك الله له، ما أسمعنا وأطوعنا! فقال لهم عمر بن هبيرة: مهلا، كفوا عن أخيك وابن عمكم، رايتنا رايتك، فإن شئت آثرناك بها قال: فما رأينا رجلين كانا أحلم منهما في موقفهما ذلك قال: ونزل عدي بن وتاد ثم زحف نحو مطرف قال أبو مخنف:

خَدَّثَنِي النضر بن صالح وعبد الله بن علقمة أن مطرفاً بعث على ميمنته الحجاج بن جارية، وعلى ميسرته الربيع بن يزيد الأسدي، وعلى الحامية سليمان بن صخر المزني، ونزل هو يمشي في الرجال، ورايته مع يزيد بن أبي زياد مولى أبيه المغيرة بن شعبة قال: فلما زحف القوم بعضهم إلى بعض وتدانوا قال لبكير بن هارون البجلي: اخرج إليهم فادعهم إلى كتاب الله وسنة نبيه، وبكتهم بأعمالهم الخبيثة فخرج إليهم بكبير بن هارون على فرس له أدهم أقرح ذنوب عليه الدرع والمغفر والساعدان، في يده الرمح، وقد شد درعه بعصابة حمراء من حواشي البرود، فنادى بصوت له عال رفيع: يا أهل قبلتنا، وأهل ملتنا، وأهل دعوتنا، إنا نسألكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي عليه بما تسرون مثل عليه بما تعلنون لما أنصفتموننا وصدقتموننا، وكانت نصيحتكم لله لا لخلقه، وكنتم شهداء لله على عباده بما يعلمه الله من عباده خبروني عن عبد الملك بن مروان، وعن الحجاج بن يوسف، ألسن تعلمونهما جبارين مستأثرين يتبعان الهوى، فيأخذان بالظنة، ويقتلان على الغضب قال: فتنادوا من كل جانب:

يا عدو الله كذبت، ليسا كذلك، فقال لهم: وَيَلَكُمْ «لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى» ويلكم، أوتعلمون من الله ما لا يعلم، إني قد استشهدتكم وقد قال الله في الشهادة: «وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ أَثِمٌ قَلْبُهُ»، فخرج إليهم صارم مولى عدي بن وتاد وصاحب رايته، فحمل على بكبير ابن هارون البجلي، فاضطربا بسيفيهما، فلم تعمل ضربة مولى عدي شيئاً، وضربه بكبير بالسيف فقتله، ثم استقدم، فقال: فارس لفارس، فلم يخرج إليه أحد، فجعل يقول:

صارم قد لاقيت سيفاً صارماً... وأسداً ذا لبده ضارماً
قال: ثم إن الحجاج بن جارية حمل وهو في الميمنة على عمر بن هبيرة وهو في الميسرة، وفيها الطفيل بن عامر بن وائله، فالتقى هو والطفيل - وكنا صديقين متوآخين - فتعارفاً، وقد رفع كل واحد منهما السيف على صاحبه، فكفأ أيديهما، واقتتلوا طويلاً ثم إن ميسرة عدي بن وتاد زالت غير بعيد، وانصرف الحجاج بن جارية إلى موقفه ثم إن الربيع بن يزيد حمل على عبد الله بن زهير، فاقتتلوا طويلاً، ثم إن جماعة الناس حملت على الأسدي فقتلته، وانكشفت ميسره مطرف ابن المغيرة حتى انتهت إليه ثم إن عمر بن هبيرة حمل على الحجاج بن جارية وأصحابه فقاتله قتالاً طويلاً، ثم إنه حذره حتى انتهى إلى مطرف، وحمل ابن أقيصر الخثعمي في الخيل على سليمان بن صخر المزني فقتله، وانكشفت خيلهم، حتى انتهى إلى مطرف، فثم اقتتل الفرسان أشد قتال رآه الناس قط، ثم إنه وصل إلى مطرف قال أبو مخنف: خَدَّثَنِي النضر بن صالح أنه جعل يناديهم يومئذ:

«يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ».

قال: ولم يزل يقاتل حتى قتل، واحتز رأسه عمر بن هبيرة، وذكر أنه قتله، وقد كان أسرع إليه غير واحد، غير أن ابن هبيرة احتز رأسه وأوفده

به عدي بن وتاد وحظي به، وقاتل عمر بن هبيرة يومئذ وأبلى بلاء حسناً.
قال أبو مخنف: وقد حدثني حكيم بن أبي سفیان الأزدي أنه قتل يزيد بن زياد مولى المغيرة بن شعبة، وكان صاحب راية مطرف قال: ودخلوا عسكر مطرف، وكان مطرف قد جعل على عسكره عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف الأزدي، فقتل، وكان صالحاً ناسكاً عفيفاً.

أبو مخنف: حدثني زيد مولاهم أنه رأى رأسه مع ابن أقيصر الخثعمي فما ملكت نفسي أن قلت له: أما والله لقد قتلته من المصلين العابدين الذاكرين الله كثيراً قال: فأقبل نحوي وقال: من أنت؟ فقال له مولاي: هذا غلامي ما له؟ قال: فأخبره بمقاتلي، فقال: إنه ضعيف العقل، قال: ثم انصرفنا إلى الري مع عدي بن وتاد قال: وبعث رجالاً من أهل البلاء إلى الحجاج، فأكرمهم وأحسن إليهم قال: ولما رجع إلى الري جاءت بجيلة إلى عدي بن وتاد فطلبوا لبكير بن هارون الأمان فأمنه، وطلبت ثقيف لسويد بن سرحان الثقفي الأمان فأمنه، وطلبت في كل رجل كان مع مطرف عشيرته، فأمنهم وأحسن في ذلك، وقد كان رجال من أصحاب مطرف أحيط بهم في عسكر مطرف، فنادوا: يا براء، خذ لنا الأمان، يا براء، اشفع لنا.

فشفع لهم، فتركوا، وأسر عدي ناسا كثيرا نخلى عنهم.
قال أبو مخنف: وحدثني النضر بن صالح أنه أقبل حتى قدم على سويد بن عبد الرحمن بجلوان، فأكرمه وأحسن إليه، ثم إنه انصرف بعد ذلك إلى الكوفة.
قال أبو مخنف: وحدثني عبد الله بن علقمة أن الحجاج بن جارية الخثعمي أتى الري وكان مكتبه بها، فطلب إلى عدي فيه، فقال: هذا رجل مشهور قد شهر مع صاحبه، وهذا كتاب الحجاج إلي فيه.
قال أبو مخنف: فحدثني أبي عن عبد الله بن زهير قال كنت فيمن كلمه في الحجاج بن جارية، فأخرج إلينا كتاب الحجاج بن يوسف:

٦٠١٢٠٥ ذكر الخبر عن وقوع الخلاف بين الازارقه

أما بعد: فإن كان الله قتل الحجاج بن جارية فبعدا له فذاك ما أهوى وأحب، وإن كان حيا فاطلبه قبلك حتى توثقه، ثم سرح به إلى إن شاء الله والسلام.

قال: فقال لنا: قد كتب إلي فيه، ولا بد من السمع والطاعة، ولو لم يكتب إلي فيه آمنته لكم، وكففت عنه فلم أطلبه وقتنا من عنده.
قال: فلم يزل الحجاج بن جارية خائفا حتى عزل عدي بن وتاد، وقدم خالد ابن عتاب بن ورقاء، فبشيت إليه فيه، فكلمته فأمنه وقال حبيب بن خدره مولى لبني هلال بن عامر:

هل أتى فائد عن أيسارنا ... إذ خشينا من عدو خرقا
إذ أتانا الخوف من مأمنا ... فطوينا في سواد أفقا
وسلي هدية يوما هل رأيت ... بشرا أكرم منا خلقا!
وسليها أعلى العهد لنا ... أو يصرون علينا حنقا!
ولكم من خلة من قبلها ... قد صرنا جملها فانطلقا
قد أصبنا العيش عيشا ناعما ... وأصبنا العيش عيشا رنقا
وأصببت الدهر دهرا أشتي ... طبقا منه وألوي طبقا
وشهدت الخليل في ملهومة ... ما ترى منهن إلا الحدقا
يتساقون بأطراف القنا ... من نجيع الموت كأسا دهقا
فطراد الخليل قد يؤنقني ... ويرد اللهو عني الأنقا
بمشيح البيض حتى يتركوا ... لسيوف الهند فيها طرقا
فكأنني من غد وافقتها ... مثل ما وافق شن طبقا
ذكر الخبر عن وقوع الخلاف بين الازارقه

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين الازارقة أصحاب

قطري بن الفجاءة، فخالفه بعضهم واعتزله، وبايع عبد ربه الكبير، وأقام بعضهم على بيعة قطري.

ذكر الخبر عن ذلك، وعن السبب الذي من أجله حدث الاختلاف بينهم حتى صار أمرهم إلى الهلاك:

ذكر هشام عن أبي مخنف، عن يوسف بن يزيد، أن المهلب أقام بسابور فقاتل قطريا وأصحابه من الازارقة بعد ما صرف الحجاج عتاب بن ورقاء عن عسكره نحو من سنة ثم إنه زاحفهم يوم البستان فقاتلهم قتالا شديدا، وكانت كرمان في أيدي الخوارج، وفارس في يد المهلب، فكان قد ضاق عليهم مكانهم الذي هم به، لا يأتيهم من فارس مادة، وبعدت ديارهم عنهم، فخرجوا حتى أتوا كرمان وتبعهم المهلب حتى نزل بجيرفت - وجيرفت مدينة كرمان - فقاتلهم بها أكثر من سنة قتالا شديدا، وحازهم عن فارس كلها، فلما صارت فارس كلها في يدي المهلب بعث الحجاج عليها عماله وأخذها من المهلب، فبلغ ذلك عبد الملك، فكتب إلى الحجاج:

أما بعد، فدع بيد المهلب خراج جبال فارس، فإنه لا بد للجيش من قوة، ولصاحب الجيش من معونة، ودع له كورة فسا ودراجرد، وكورة إصطخر.

فتركها للمهلب، فبعث المهلب عليها عماله، فكانت له قوة على عدوه وما يصلحه، ففي ذلك يقول شاعر الأزد وهو يعاتب المهلب: نقاتل عن قصور دراجرد ... ونجبي للمغيرة والرقاد

وكان الرقاد بن زياد بن همام- رجل من العتيك- كريما على المهلب، وبعث الحجاج إلى المهلب البراء بن قبيصة، وكتب إلى المهلب: أما بعد، فإنك والله لو شئت فيما أرى لقد اصطبلت هذه انخارجة المارقة، ولكنك تحب طول بقائهم لتأكل الأرض حولك، وقد بعثت إليك البراء بن

قبيصة لينهضك إليهم، فانهم إذا قدم عليك بجميع المسلمين، ثم جاهدتهم أشد الجهاد، وإياك والعلل والأباطيل، والأمور التي ليست لك عندي بسائغة ولا جائزة، والسلام.

فأخرج المهلب بينه، كل ابن له في كتيبة، وأخرج الناس على راياتهم ومصافهم وانحاسهم، وجاء البراء بن قبيصة فوقف على تل قريب منهم حيث يراهم فأخذت الكائب تحمل على الكائب، والرجال على الرجال، فيقتلون أشد قتال رآه الناس من صلاة الغداة إلى انتصاف النهار، ثم انصرفوا.

فجاء البراء بن قبيصة إلى المهلب فقال له: لا والله ما رأيت كبنيك فرسانا قط، ولا كفرسانك من العرب فرسانا قط، ولا رأيت مثل قوم يقاتلونك قط أصبر ولا أبأس، أنت والله المعذور فرجع بالناس المهلب، حتى إذا كان عند العصر خرج إليهم بالناس وبنيه في كائبهم، فقاتلوه كقتالهم في أول مرة.

قال أبو مخنف: وحدثني أبو المغلس الكافي، عن عمه أبي طلحة، قال: خرجت كتيبة من كائبهم لكتيبة من كائبنا، فاشتد بينهما القتال، فأخذت كل واحدة منهما لا تصد عن الأخرى، فاقتلتا حتى حجز الليل بينهما، فقالت إحداها للأخرى: ممن أنتم؟ فقال هؤلاء: نحن من بني تميم، وقال هؤلاء: نحن من بني تميم، فانصرفوا عند المساء، قال المهلب للبراء:

كيف رأيت؟ قال: رأيت قوما والله ما يعينك عليهم إلا الله فأحسن إلى البراء بن قبيصة وأجازه، وحمله وكساه، وأمر له بعشرة آلاف درهم، ثم انصرف إلى الحجاج فأثاه بعذر المهلب، وأخبره بما رأى، وكتب المهلب إلى الحجاج:

أما بعد، فقد أتاني كتاب الأمير أصلحه الله، واتهامه إياي في هذه انخارجة المارقة، وأمرني الأمير بالنهوض إليهم، وإشهاد رسوله ذلك، وقد فعلت، فليسأله عما رأى، فاما انا فوالله لو كنت أقدر على استئصالهم وإزالتهم عن مكانهم ثم أمسكت عن ذلك لقد غششت المسلمين، وما وفيت

لأمير المؤمنين، ولا نصحت للأمير- أصلحه الله- فعاذ الله أن يكون هذا من رأيي، ولا مما أدين الله به، والسلام.

ثم إن المهلب قاتلهم بها ثمانية عشر شهرا لا يستقل منهم شيئا، ولا يرى في موطن ينقعون له ولمن معه من أهل العراق من الطعن والضرب ما يرد عونهم به ويكفونهم عنهم ثم إن رجلا منهم كان عاملا لقطري على ناحية من كرمان خرج في سرية لهم يدعى المقعطر من بني ضبة، فقتل رجلا قد كان ذا بأس من الخوارج، ودخل منهم في ولاية، فقتله المقعطر، فوثبت الخوارج إلى قطري، فذكروا له ذلك، وقالوا: أمكنا من الضبي نقتله بصاحبنا، فقال لهم:

ما أرى أن أفعل، رجل تأول فأخطأ في التأويل ما أرى أن تقتلوه، وهو من ذوي الفضل منكم، والسابقة فيكم، قالوا: بلى، قال لهم: لا، فوقع الاختلاف بينهم، فولوا عبد رب الكبير، وخلعوا قطريا، وباع قطريا منهم عصابة نحو من ربعهم أو خمسهم، فقاتلهم نحو من شهر غدوة وعشية.

فكتب بذلك المهلب إلى الحجاج:

أما بعد، فإن الله قد ألقى بأس الخوارج بينهم، فخلع عظمهم قطريا وبايعوا عبد رب، وبقيت عصابة منهم مع قطري، فهم يقاتل بعضهم بعضا غدو وعشيا، وقد رجوت أن يكون ذلك من أمرهم سبب هلاكهم إن شاء الله، والسلام.

فكتب إليه:

أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه اختلاف الخوارج بينها، فإذا أتاك كتابي هذا فناهضهم على حال اختلافهم وافتراقهم قبل أن يجتمعوا،

فتكون مئونتهم عليك أشد، والسلام فكتب إليه:

أما بعد، فقد بلغني كتاب الأمير، وكل ما فيه قد فهمت، ولست أرى أن أقاتلهم ما داموا يقتل بعضهم بعضاً، وينقص بعضهم عدد بعض، فإن تموا على ذلك فهو الذي نريد وفيه هلاكهم، وإن اجتمعوا لم يجتمعوا إلا وقد رقق بعضهم بعضاً، فأناهمضهم على تفيئة ذلك، وهم أهون ما كانوا وأضعفه شوكة، إن شاء الله، والسلام. فكف عنه الحجاج، وتركهم المهلب يقتلون شهراً لا يحركهم.

ثم إن قطريا خرج بمن اتبعه نحو طبرستان، وبايع عامتهم عبد ربه الكبير، فنهض إليهم المهلب، فقاتلوه قتالا شديدا ثم إن الله قتلهم فلم ينج منهم إلا قليل، وأخذ عسكرهم وما فيه وسبوا، لأنهم كانوا يسبون المسلمين وقال كعب الأشقري - والأشقر بطن من الأزدي - يذكر يوم راهرمز، وأيام سابور، وأيام جيرفت.

يا حفص إني عداني عنكم السفر ... وقد أرقّت فأذى عيني السهر
علقت يا كعب بعد الشيب غانية ... والشيب فيه عن الأهواء مزدجر
أمسك أنت عنها بالذي عهدت ... أم حبلها إذ نأتك اليوم منبر
علقت خودا بأعلى الطف منزلها ... في غرفة دونها الأبواب والحجر
درما مناكبها ريا ما كمها ... تكاد إذ نهضت للشبي تنبر
وقد تركت بشط الزابين لها ... دارا بها يسعد البادون والحضر
واخترت دارا بها حي أسر بهم ... ما زال فيهم لمن نختارهم خير
لما نبت بي بلادي سرت متجعا ... وطالب الخير مرتاد ومنتظر
أبا سعيد فإني جئت متجعا ... أرجو نوالك لما مسني الضر
لولا المهلب ما زرنا بلادهم ... ما دامت الأرض فيها الماء والشجر
فما من الناس من حي علمتهم ... إلا يرى فيهم من سبيكم أثر
أحييتهم بسجال من نذاك كما ... تحيا البلاد إذا ما مسها المطر.
إني لأرجو إذا ما فاقة نزلت ... فضلا من الله في كفيك يبتدر
فاجبر أخالك أو هي الفقر قوته ... لعله بعد وهي العظم ينجر
جفا ذوو نسي عني وأخلفني ... ظني فله دري كيف آثر
يا واهب القينة الحسناء سنتها ... كالشمس هر كولة في طرفها فتر
وما تزال بدور منك رائحة ... وآخرون لهم من سبيك الغر
نماك للمجد أملاك ورثتهم ... شم العرانيين في أخلاقهم يسر
ثاروا بقتلي وأوتار تعددها ... في حين لا حدث في الحرب يتثر
واستسلم الناس إذ حل العدو بهم ... فما لأمرهم ورد ولا صدر
وما تجاوز باب الجسر من احد و ... عضت الحرب أهل المصر فانجحروا
وأدخل الخوف أجواف البيوت على ... مثل النساء رجال ما بهم غير
واشدت الحرب والبلوى وحل بنا ... أمر تشمر في أمثاله الأزر
نظل من دون خفض معصمين بهم ... فشمم الشيخ لما اعظم الخطر
كنا نهون قبل اليوم شأنهم ... حتى تفاقم أمر كان يحترق
لما وهنا وقد حلوا بساحتنا ... واستنفر الناس تارات فما نفروا
نادى امرؤ لا خلاف في عشيرته ... عنه وليس به في مثله قصر

أفشى هنالك مما كان مذ عصروا ... فيهم صنائع مما كان يدخر
تلبسوا لقراع الحرب بزتها ... فأصبحوا من وراء الجسر قد عبروا
ساروا بألوية للمجد قد رفعت ... وتحتن ليوث في الوغى وقر
حتى إذا خلفوا الأهواز واجتمعوا ... برامهرمز وافاهم بها الخبر
نعي بشر لجال القوم وانصدعوا ... إلا بقايا إذا ما ذكروا ذكروا
ثم استمر بنا راض ببيعته ... ينوي الوفاء ولم تغدر كما غدروا.
حتى اجتمعنا بسابور الجنود وقد ... شبت لنا ولهم نار لها شر
نلقى مساعير أبطالاً كأنهم ... جن نقارعهم ما مثلهم بشر
نسقى ونسقيهم سما على حنق ... مستأنفي الليل حتى أسفر السحر
قتلى هنالك لا عقل ولا قود ... منا ومنهم دماء سفكها هدر
حتى تخنوا لنا عنها تسوقهم ... منا ليوث إذا ما أقدموا جسروا
لم يغن عنهم غداة التل كيدهم ... عند الطعان ولا المكر الذي مكروا
باتت كئائبنا تردي مسومة ... حول المهلب حتى نور القمر
هناك ولوا حزانا بعد ما فرحوا ... وحال دونهم الأنهار والجدر
عبوا جنودهم بالسفح إذ نزلوا ... بكازرون فما عزوا ولا ظفروا
وقد لقوا مصداً منا بمنزلة ... ظنوا بأن ينصروا فيها فما نصروا
بدشت بارين يوم الشعب إذ لحقت ... أسد بسفك دماء الناس قد زئروا
لاقوا كئائب لا يخلون ثغرى ... فيهم على من يقاسي حربهم صعر
المقدمين إذ ما خيلهم وردت ... والعاطفين إذا ما ضيع الدبر
وفي جبيرين إذ صفوا بزحفهم ... ولوا خزايا وقد فلوا وقد قهروا
والله ما نزلوا يوماً بساحتنا ... إلا أصابهم من حربنا ظفر
ننفهم بالقنا عن كل منزلة ... تروح منا مساعير وتبتكر
ولوا حذاراً وقد هزوا أسنتنا ... نحو الحروب فما نجاهم الحذر
صلت الجبين طويل الباع ذو فرح ... ضخم الدسيعة لا وان ولا غمر
مجرب الحرب ميمون نقيته ... لا يستخف ولا من رأيه البطر
وفي ثلاث سنين يستديم بنا ... يقارع الحرب أطواراً ويأتمر.
يقول إن غدا مبد لناظره ... وفي الليالي وفي الأيام معتبر
دعوا التابع والإسراع وارتقبوا ... ان المحارب يستأنى وينتظر
حتى أنه أمور عندها فرج ... وقد تبين ما يأتي وما يذر
لما زواهم إلى كرمان وانصدعوا ... وقد تقاربت الآجال والقدر
سرنا إليهم بمثل الموج وازدلفوا ... وقبل ذلك كانت بيننا مئر
وزادنا حقاً قتلى نذكرها ... لا تستفيق عيون كلها ذكروا
إذا ذكرنا جروزا والذين بها ... قتلى مضى لهم حولان ما قبروا
تأتي علينا حزازات النفوس فما ... نبقي عليهم وما يبقون إن قدروا
ولا يقلوننا في الحرب عثرتنا ... ولا نقيليهم يوماً إذا عثروا

لا عذريقبل منا دون أنفسنا ... ولا لهم عندنا عذر لو اعتذروا
صفان بالقاع كالطودين بينهما ... كالبرق يلعب حتى يشخص البصر
على بصائر كل غير تاركها ... كلا الفريقين تنلى فيهم السور
يمشون في البيض والأبدان إذ وردوا ... مشي الزوامل تهدي صفهم زمر
وشيخنا حوله منا ملهمة ... حي من الأزدي فيما نابهم صبر
في موطن يقطع الأبطال منظره ... تشاط فيه نفوس حين تبتكر
ما زال منا رجال ثم نضربهم ... بالمشرفي ونار الحرب تستعر
وباد كل سلاح يستعان به ... في حومة الموت إلا الصارم الذكر
ندوسهم بعناجيج مجففة ... وبيننا ثم من صم القنا كسر
يغشين قتلى وعقرى ما بها رمق ... كأنما فوقها الجادي يعتصر
قتلى بقتلى قصاص يستقاد بها ... تشفي صدور رجال طالما وتروا

٦٠١٢٠٦ ذكر الخبر عن هلاك قطري واصحابه

مجاورين بها خيلا معقرة ... للطير فيها وفي أجسادهم جزر
في معرك تحسب القتلى بساحته ... أعجاز نخل زفته الريح ينعقر
وفي مواطن قبل اليوم قد سلفت ... قد كان للأزد فيها الحمد والظفر
في كل يوم تلاقي الأزدي مفضعة ... يشيب في ساعة من هولها الشعر
والأزد قومي خيار القوم قد علموا ... إذا قروهم يوم الوغى خطروا
فيهم معاقل من عز يلاذ بها ... يوما إذا شمرت حرب لها درر
حي بأسياهم ييغون مجدهم ... إن المكارم في المكروه تبتدر
لولا المهلب للجيش الذي وردوا ... أنهار كرمان بعد الله ما صدروا
إنا اعتصمنا بجبل الله إذ جحدوا ... بالمحكات ولم نكفر كما كفروا
جاروا عن القصد والإسلام واتبعوا ... دينا يخالف ما جاءت به النذر
وقال الطفيل بن عامر بن واثلة وهو يذكر قتل عبد ربه الكبير وأصحابه، وذهاب قطري في الأرض واتباعهم إياه ومراوغته إياهم:
لقد مس منا عبد رب وجنده ... عقاب فأمسى سبيهم في المقاسم
سما لهم بالجيش حتى أراحهم ... بكرمان عن مثنى من الأرض ناعم
وما قطري الكفر إلا نعمة ... طريد يدوي ليلة غير نائم
إذا فر منا هاربا كان وجهه ... طريقا سوى قصد الهدى والمعلم
فليس بمنجيه الفرار وإن جرت ... به الفلك في لج من البحر دائم
ذكر الخبر عن هلاك قطري واصحابه

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة كانت هلكة قطري وعبيدة بن هلال وعبد رب الكبير ومن كان معهم من الأزارقة
ذكر سبب مهلكهم: وكان سبب ذلك أن أمر الذين ذكرنا خبرهم من الأزارقة لما تشتت بالاختلاف الذي حدث بينهم بكرمان فصار
بعضهم مع عبد ربه الكبير وبعضهم مع قطري ووهي أمر قطري، توجه يريد طبرستان، وبلغ أمره الحجاج، فوجه - فيما ذكر هشام عن
أبي مخنف، عن يونس بن يزيد - سفيان بن الأبرد، ووجه معه جيشا من أهل الشام عظيما في طلب قطري، فأقبل سفيان حتى أتى
الري ثم أتبعهم وكتب الحجاج إلى إسحاق بن محمد ابن الأشعث وهو على جيش لأهل الكوفة بطبرستان، أن اسمع وأطع لسفيان فأقبل

إلى سفیان فسار معه في طلب قطري حتى لحقوه في شعب من شعاب طبرستان، فقاتلوه، ففرق عنه أصحابه، ووقع عن دابته في أسفل الشعب فتدهدى حتى خر إلى أسفله، فقال معاوية بن محصن الكندي: رأيته حيث هوى ولم أعرفه، ونظرت إلى خمس عشرة امرأة عربية هن في الجمال والبزازه وحسن الهيئة كما شاء ربك، ما عدا عجوزا فيهن، فحملت عليهن فصرفتهن إلى سفیان بن الأبرد فلما دنوت بهن منه انتحت لي بسيفها العجوز فتضرب به عنقي، فقطعت المغفر، وقطعت جلدة من حلقي، وأختلج السيف فأضرب به وجهها، فأصاب قحف رأسها، فوقعت ميتة، وأقبلت بالفتيات حتى دفعتهن إلى سفیان وإنه ليضحك من العجوز، وقال: ما أردت إلى قتل هذه أخزأها الله- فقلت: أو ما رأيته أصلحك الله ضربتها إياي! والله.

إن كادت لتقتلني، قال: قد رايت، فو الله ما ألومك على فعلك، أبعداها الله ويأتي قطريا حيث تدهدى من الشعب عالج من أهل البلد، فقال له قطري:

اسقني من الماء- وقد كان اشتد عطشه- فقال: أعطني شيئا حتى أسقيك، فقال: ويحك، والله ما معي إلا ما ترى من سلاحي، فأنا مؤتيكه إذا

أتيتني بماء، قال: لا، بل أعطني الآن، قال: لا، ولكن اتنى بماء قبل، فانطلق العالج حتى أشرف على قطري، ثم حذر عليه جرا عظيما من فوقه دهدأه عليه، فأصاب إحدى وركيه فأوهته، وصاح بالناس، فأقبلوا نحوه، والعالج حينئذ لا يعرف قطريا، غير أنه يظن أنه من أشرافهم لحسن هيئته، وكال سلاحه، فدفع إليه نفر من أهل الكوفة فابتدروه فقتلوه، منهم سوره بن أبحر التميمي، وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف، والصبح بن محمد بن الأشعث، وبازام مولى بني الأشعث، وعمر بن أبي الصلت بن كزارا مولى بني نصر بن معاوية، وهو من الدهاقين، فكل هؤلاء ادعوا قتله، فدفع إليهم أبو الجهم بن كنانة الكلبي- وكلهم يزعم أنه قاتله- فقال لهم: ادفعوه إلي حتى تصطلحوا، فدفعوه إليه.

فأقبل به إلى إسحاق بن محمد- وهو على أهل الكوفة- ولم يأت جعفر لشيء كان بينه وبينه قبل ذلك- وكان لا يكلمه، وكان جعفر مع سفیان بن الأبرد، ولم يكن معه إسحاق، وكان جعفر على ربع أهل المدينة بالري، فلما مر سفیان بأهل الري انتخب فرسانهم بأمر الحاج، فسار بهم معه، فلما أتى القوم بالرأس فاختموا فيه إليه وهو في يدي أبي الجهم بن كنانة الكلبي، قال له: امض به أنت، ودع هؤلاء المختلفين، فخرج برأس قطري حتى قدم به على الحاج، ثم أتى به عبد الملك بن مروان، فألقى في ألفين، وأعطى فطما- يعني أنه يفرض للصغار في الديوان- وجاء جعفر إلى سفیان فقال له: أصلحك الله! إن قطريا كان أصاب والدي فلم يكن لي هم غيره، فاجمع بيني وبين هؤلاء الذين ادعوا قتله، فسلهم، ألم أكن أمامهم حتى بدرتهم فضربته ضربه فصرعته، ثم جاءوني بعد، فأقبلوا يضربونه بأسيا فهم! فإن أقروا لي بهذا فقد صدقوا، وإن أبوا فأنا أحلف بالله أنني صاحبه، وإلا فيحلفوا بالله أنهم أصحابه الذين قتلوه، وأنهم لا يعرفون ما أقول، ولا حق لي فيه قال: جئت الآن وقد سرحنا بالراس فانصرف عنه فقال له أصحابه: أما والله إنك لأخلق القوم أن تكون صاحبه

٦٠١٢٠٧ ذكر الخبر عن مقتل اميه بن عبد الله بن خالد بن اسيد

ثم إن سفیان بن الأبرد أقبل منصرفا إلى عسكر عبيدة بن هلال، وقد تحصن في قصر بقومس، فحاصره فقاتله أياما ثم إن سفیان بن الأبرد سار بنا إليهم حتى أحطنا بهم، ثم أمر مناديه فنادى فيهم: أيما رجل قتل صاحبه ثم خرج إلينا فهو آمن، فقال عبيدة بن هلال: لعمرى لقد قام الأصم بخطبة ... لذي الشك منها في الصدور غليل

لعمرى لئن أعطيت سفیان بيعتي ... وفارقت ديني إنني لجهول

إلى الله أشكو ما ترى بجيادنا ... تساوك هزلي مخهن قليل

تعاورها القذاف من كل جانب ... بقومس حتى صعبهن ذلول

فإن يك أفناها الحصار فربما ... تشحط فيما بينهن قتيل

وقد كن مما أن يقدن على الوجى ... لهن بأبواب القباب صهيل

فحاصرهم حتى جاهدوا، وأكلوا دوابهم ثم إنهم خرجوا إليه فقاتلوه، فقتلهم وبعث برءوسهم إلى الحجاج، ثم دخل إلى دنباوند وطبرستان، فكان هنالك حتى عزله الحجاج قبل الجماعه .
 ذكر الخبر عن مقتل أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة قتل بكير بن وشاح السعدي أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد: ذكر سبب قتله إياه .
 وكان سبب ذلك- فيما ذكر علي بن محمد، عن المفضل بن محمد- أن أمية بن عبد الله وهو عامل عبد الملك بن مروان على خراسان، ولى بكيرا غزو ما وراء النهر، وقد كان ولاه قبل ذلك طخارستان، فتجهز للخروج إليها، وأنفق نفقة كثيرة، فوشى به إليه بحير بن ورقاء الصريمي على ما بينت قبل، فأمره أمية بالمقام

فلما ولاه غزو ما وراء النهر تجهز وتكلف الخيل والسلاح، وادان من رجال السغد وتجارهم، فقال بحير لأمية: إن صار بينك وبينه النهر ولقي الملوك خلع الخليفة ودعا إلى نفسه، فأرسل إليه أمية: أقم لعي أغزو فتكون معي، فغضب بكير وقال: كأنه يضارني وكان عتاب اللقوة الغداني استدان ليخرج مع بكير، فلما أقام أخذه غرماءه، فحبس فأدى عنه بكير وخرج، ثم أجمع أمية على الغزو قال: فأمر بالجهاز ليغزو بخارى، ثم يأتي موسى بن عبد الله بن خازم بالترمذ، فاستعد الناس وتجهزوا، واستخلف على خراسان ابنه زيادا، وسار معه بكير فمسكر بكشماهن، فأقام أياما، ثم أمر بالرحيل، فقال له بحير: إني لا آمن أن يتخلف الناس فقل لبكير: فلتكن في الساقة ولتحشر الناس قال: فأمره أمية فكان على الساقة حتى أتى النهر، فقال له أمية: اقطع يا بكير، فقال عتاب اللقوة الغداني: أصلح الله الأمير! اعبر ثم يعبر الناس بعدك فعبّر ثم عبر الناس، فقال أمية لبكير: قد خفت الا يضبط ابني عمله وهو غلام حدث، فارجع إلي مرو فاكفنيها فقد وليتكها، فزين ابني وقم بأمره فانتخب بكير فرسانا من فرسان خراسان قد كان عرفهم ووثق بهم وعبر، ومضى أمية إلى بخارى وعلى مقدمته أبو خالد ثابت مولى خراة فقال عتاب اللقوة لبكير لما عبر وقد مضى أمية: إنا قتلنا أنفسنا وعشائرنا حتى ضبطنا خراسان، ثم طلبنا أميرا من قریش يجمع أمرنا، فجاءنا أمير يلعب بنا يحولنا من سجن إلى سجن، قال: فما ترى؟ قال: احرق هذه السفن، وامض إلى مرو فاخلع أمية، وتقيم بمرؤأكلها إلى يوم ما، قال: فقال الأحنف بن عبد الله العنبري: الرأي ما رأى عتاب، فقال بكير: إني أخاف أن يهلك هؤلاء الفرسان الذين معي، فقال: أتخاف عدم الرجال! أنا آتيك من أهل مرو بما شئت إن هلك من هؤلاء الذين معك، قال: يهلك المسلمون، قال: إنما يكفيك أن ينادي مناد: من أسلم رفعنا عنه الخراج فيأتيك خمسون ألفا من المصلين أسمع لك من هؤلاء وأطوع، قال: فيهلك أمية ومن معه، قال:

ولم يهلكون ولهم عدة وعدد ونجدة وسلاح ظاهر وأداة كاملة، ليقاتلوا عن

أنفسهم حتى يبلغوا الصين! فأحرق بكير السفن، ورجع إلى مرو، فأخذ ابن أمية فحبسه، ودعا الناس إلى خلع أمية فأجابوه، وبلغ أمية، فصالح أهل بخارى على فدية قليلة، ورجع فأمر باتخاذ السفن، فاتخذت له وجمعت، وقال لمن معه من وجوه تميم: ألا تعجبون من بكير! إني قدمت خراسان فحذرتة، ورفع عليه وشكي منه، وذكروا أموالا أصابها، فأعرضت عن ذلك كله، ثم لم أقتشه عن شيء ولا أحدا من عماله، ثم عرضت عليه شرطتي فأبى، فأعفيتة، ثم وليته فحذرتة، فأمرته بالمقام وما كان ذلك إلا نظرا له، ثم رددته إلى مرو، ووليته الأمر، فكفر ذلك كله، وكافأني بما ترون فقال له قوم: أيها الأمير، لم يكن هذا من شأنه، إنما أشار عليه بإحراق السفن عتاب اللقوة، فقال: وما عتاب! وهل عتاب إلا دجاجة حاضنة، فبلغ قوله عتابا، فقال عتاب في ذلك:

إن الحواضن تلقاها مجففة ... غلب الرقاب على المنسوبة النجب

تركت أمرك من جبن ومن خور ... وجئتنا حمقا يا ألام العرب

لما رأيت جبال السغد معرضة ... وليت موسى ونوحا عكوة الذنب

وجئت ذيحنا مغذا ما تكلمنا ... وطرت من سعف البحرين كالخرب

أوعد وعيدك إني سوف تعرفني ... تحت الخوافق دون العارض الجب

ينخب بي مشرف عار نواهقه ... يغشى الكتيبة بين العدو والخب

قال: فلما تهيأت السفن، عبر أمية وأقبل إلى مرو، وترك موسى بن عبد الله، وقال: اللهم إني أحسنت إلى بكير، فكفر إحساني، وصنع ما صنع، اللهم أكفنيه.

فقال شماس بن دثار- وكان رجع من سجستان بعد قتل ابن خازم، فغزا مع أمية: أيها الأمير، أنا أكفيكه إن شاء الله فقدمه اميه في ثمانمائة، فأقبل حتى نزل باسان وهي لبني نصر، وسار إليه بكير ومعه مدرك بن أنيف وأبوه مع شماس، فقال: أما كان في تميم أحد يحاربني غيرك! ولامه فأرسل إليه شماس: أنت ألوم وأسوأ صنيعا مني، لم تف لأمية ولم تشكر له صنيعه بك، قدم فأكرمك ولم يعرض لك ولا لأحد من عمالك.

قال: فبيته بكير ففرق جمعه وقال: لا تقتلوا منهم أحدا، وخذوا سلاحهم، فكانوا إذا أخذوا رجلا سلبوه وخلوا عنه، فتفرقوا، ونزل شماس في قرية لطيفة يقال لها: بويئة، وقدم أمية فنزل كشماهن، ورجع إليه شماس بن دثار فقدم أمية ثابت بن قطبة مولى خزاعة، فلقيه بكير فأسر ثابتا وفرق جمعه، وخلي بكير سبيل ثابت ليد كانت له عنده قال: فرجع إلى أمية، فأقبل أمية في الناس، فقاتله بكير وعلى شرطة بكير أبو رستم الخليل بن أوس العبشمي، فأبلى يومئذ، فنادوه: يا صاحب شرطة عارمة- وعارمة جارية بكير- فأججم، فقال له بكير: لا أبا لك، لا يهدك نداء هؤلاء القوم، فإن للعارمة فخلا يمنعها، فقدم لواءك، فقاتلوا حتى انحاز بكير فدخل الحائط، فنزل السوق العتيقة، ونزل أمية باسان فكانوا يلتقون في ميدان يزيد، فانكشفوا يوما، فحماهم بكير، ثم التقوا يوما آخر في الميدان، فضرب رجل من بني تميم على رجله فجعل يسحبها، وهريم يحميه، فقال الرجل: اللهم أيدنا فأمدنا بالملائكة، فقال له هريم: أيها الرجل، قاتل عن نفسك، فإن الملائكة في شغل عنك، فتحامل ثم أعاد قوله: اللهم أمدنا بالملائكة، فقال هريم: لتكفن عني أو لأدعنك والملائكة، وحماه حتى ألحقه بالناس قال:

ونادى رجل من بني تميم: يا أمية، يا فاضح قريش، فألى أمية إن ظفر به أن يذبحه، فظفر به فذبحه بين شرفتين من المدينة، ثم التقوا يوما آخر، فضرب بكير بن وشاح ثابت بن قطبة على رأسه واتمى: أنا ابن وشاح، فحمل حريث بن قطبة أخو ثابت على بكير، فأنحاز بكير، وانكشف أصحابه، واتبع حريث بكيرا حتى بلغ القنطرة، فناداه: أين يا بكير؟ فكر عليه، فضربه حريث على رأسه، فقطع المغفر، وعرض السيف برأسه، فصرع، فاحتمله أصحابه، فأدخلوه المدينة.

قال: فكانوا على ذلك يقاتلونهم، وكان أصحاب بكير يغدون متفضلين في ثياب مصبغة وملاحف وأزر صفر وحر، فيجلسون على نواحي المدينة يتحدثون، وينادي مناد: من رمى بسهم رمينا إليه برأس رجل من ولده وأهله، فلا يرميهم أحد.

قال: فأشفق بكير، وخاف إن طال الحصار أن يخذله الناس، فطلب الصلح، وأحب ذلك أيضا أصحاب أمية لمكان عيالاتهم بالمدينة، فقالوا لأمية: صالحه- وكان أمية يحب العافية- فصالحه على أن يقضى عنه أربعمئة ألف، ويصل أصحابه ويؤليه أيضا أي كور خراسان شاء، ولا يسمع قول بحير فيه، وإن رابه منه ريب فهو آمن أربعين يوما حتى يخرج عن مرو، فأخذ الأمان لبكير من عبد الملك، وكتب له كتابا على باب سنجان، ودخل أمية المدينة قال: وقوم يقولون: لم يخرج بكير مع أمية غازيا، ولكن أمية لما غزا استخلفه على مرو فخلعه، فرجع أمية فقاتله، ثم صالحه ودخل مرو ووفى أمية لبكير وعاد إلى ما كان عليه من الإكرام وحسن الإذن، وأرسل إلى عتاب اللقوة، فقال: أنت صاحب المشورة، فقال: نعم أصلح الله الأمير! قال: ولم؟ قال: خف ما كان في يدي، وكثر ديني، وأعدت على غرمائي، قال: ويحك! فضربت بين المسلمين، وأحرقت السفن والمسلمون في بلاد العدو، وما خفت الله! قال: قد كان ذلك، فأستغفر الله، قال: كم دينك؟ قال: عشرون ألفا، قال: تكف عن غش المسلمين وأقضي دينك؟ قال: نعم، جعلني الله فداك! قال: فضحك أمية وقال: إن ظني بك غير ما تقول، وسأقضي عنك فأدى عنه عشرين ألفا، وكان أمية سهلا لينا سخيا، لم يعط أحد من عمال خراسان بها مثل عطاياه، قال: وكان مع ذلك ثقيلا عليهم، كان فيه زهو شديد، وكان يقول: ما أكتفي بخراسان وسجستان لمطبخي وعزل أمية بحيرا

عن شرطته، وولاهها عطاء بن أبي السائب، وكتب إلى عبد الملك بما كان من أمر بكير وصفحه عنه، فضرب عبد الملك بعثا إلى أمية

بخراسان، فتجاعل الناس، فأعطى شقيق بن سليك الأسدي جعالتة رجلا من جرم، وأخذ أمية الناس بالخراج، واشتد عليهم فيه، فجلس بكير يوما في المسجد وعنده ناس من بني تميم، فذكروا شدة أمية على الناس، فدموه، وقالوا: سلط علينا الدهاقين في الجباية وبحير وضرار بن حصين وعبد العزيز بن جارية ابن قدامة في المسجد، فنقل بحير ذلك إلى أمية فكذبه فادعى شهادة هؤلاء، وادعى شهادة مزاحم بن أبي المجشر السلمي، فدعا أمية مزاحما فسأله فقال: انما كان يمزح، فأعرض عنه أمية، ثم أتاه بحير فقال: أصلح الله الأمير! إن بكيرا والله قد دعاني إلى خلعتك، وقال: لولا مكانك لقتلت هذا القرشي وأكلت خراسان، فقال أمية: ما أصدق بهذا وقد فعل ما فعل، فأمنته ووصلته. قال: فأتاه بضرار بن حصين وعبد العزيز بن جارية فشهدا أن بكيرا قال لهما: لو أطعتماني لقتلت هذا القرشي الخنث، وقد دعانا إلى الفتك بك فقال أمية: أنتم أعلم وما شهدتم، وما أظن هذا به وإن تركه، وقد شهدتم بما شهدتم عجز، وقال لحاجبه عبدة ولصاحب حرسه عطاء بن أبي السائب: إذا دخل بكير، وبديل وشمر دل بنا أخيه، فنهضت نخدوهم. وجلس أمية للناس، وجاء بكير وابنا أخيه، فلما جلسوا قام اميه عن سريره فدخل، وخرج الناس وخرج بكير، فحبسوه وابني أخيه، فدعا أمية ببكير فقال: أنت القاتل كذا وكذا؟ قال: ثبت أصلحك الله ولا تسمعن قول ابن المحلوقة! فحبسه، وأخذ جاريته العارمة فحبسها، وحبس الأحنف ابن عبد الله العنبري، وقال: أنت ممن أشار على بكير بالخلع. فلما كان من الغد أخرج بكيرا فشهد عليه بحير وضرار وعبد العزيز بن جارية أنه دعاهم إلى خلعه والفتك به، فقال: أصلحك الله! ثبت فإن هؤلاء أعدائي، فقال أمية لزياد بن عقبة - وهو رأس أهل العالية - ولابن والان العدوي - وهو يومئذ من رؤساء بني تميم - ليعقوب بن خالد الذهلي:

٦٠١٢٠٨ أخبار متفرقة

اتقتلونه؟ فلم يجيبوه، فقال لبجير: اتقتله؟ قال: نعم، فدفعه إليه، فنهض يعقوب بن القعقاع الأعلم الأزدي من مجلسه - وكان صديقا لبكير - فاحتضن اميه، وقال: اذكرك الله ايها امير في بكير، فقد أعطيته ما أعطيته من نفسك، قال: يا يعقوب ما يقتله إلا قومه، شهدوا عليه، فقال عطاء بن أبي السائب الليثي وهو على حرس أمية: خل عن الأمير، قال: لا، فضربه عطاء بقائم السيف، فأصاب أنفه فأدماه، فخرج، ثم قال لبجير: يا بحير، إن الناس أعطوا بكيرا ذمتهم في صلحه، وأنت منهم، فلا تخفر ذمتك، قال: يا يعقوب، ما أعطيته ذمة ثم أخذ بحير سيف بكير الموصول الذي كان أخذه من إسوار الترجمان ترجمان ابن خازم، فقال له بكير: يا بحير، إنك تفرق أمر بني سعد إن قتلتني، فدع هذا القرشي يلي مني ما يريد، فقال بحير: لا والله يا بن الأصهبانية لا تصلح بنو سعد ما دما حين، قال: فشأنك يا بن المحلوقة، فقتله، وذلك يوم الجمعة. وقتل أمية ابني أخي بكير، ووهب جارية بكير العارمة لبجير، وكلم أمية في الأحنف بن عبد الله العنبري، فدعا به من السجن، فقال: وأنت ممن أشار على بكير، وشمته، وقال: قد وهبتك هؤلاء قال: ثم وجه أمية رجلا من خزاعة إلى موسى بن عبد الله بن خازم، فقتله عمرو بن خالد بن حصين الكلابي غيلة، فتفرق جيشه، فاستأمن طائفة منهم موسى، فصاروا معه، ورجع بعضهم الى اميه.

[أخبار متفرقة]

وفي هذه السنة عبر النهر، نهر بلخ أمية للغزو، فحوصر حتى جهد هو وأصحابه، ثم نجوا بعد ما أشرفوا على الهلاك، فانصرف والذين معه من الجند إلى مرو وقال عبد الرحمن بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة يهجو أمية:

ألا أبلغ أمية أن سيجزى ... ثواب الشر إن له ثوبا

ومن ينظر عتابك أو يردده ... فلست بناظر منك العتابا
محا المعروف منك خلال سوء ... منحت صنيعها بابا فبابا
ومن سماك إذ قسم الأسامي ... أمية إذ ولدت فقد أصابا

قال أبو جعفر: وجج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان، وهو أمير على المدينة، وكان على الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف، وعلى خراسان أمية ابن عبد الله بن خالد بن أسيد. وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مَعِشَرٍ، قَالَ: جج أبان بن عثمان وهو على المدينة بالناس حجتين سنة ست وسبعين. وسنة سبع وسبعين وقد قيل: إن هلاك شبيب كان في سنة ثمان وسبعين، وكذلك قيل في هلاك قطري وعبيدة بن هلال وعبد ربه الكبير. وغزا في هذه السنة الصائفة الوليد.

٦٠١٣ سنه ثمان وسبعين

٦٠١٣٠١ ذكر الخبر عن العمال الذين ولاهم الحجاج خراسان وسجستان

ثم دخلت

سنة ثمان وسبعين

(ذكر الخبر عن الكائن في هذه السنة من الأحداث الجليلة) فمن ذلك عزل عبد الملك بن مروان أمية بن عبد الله عن خراسان وضمه خراسان وسجستان إلى الحجاج بن يوسف فلما ضم ذلك إليه فرق فيه عماله.

ذكر الخبر عن العمال الذين ولاهم الحجاج خراسان وسجستان

وذكر السبب في توليته من ولاه ذلك وشيئا منه ذكر أن الحجاج لما فرغ من شبيب ومطرف شخص من الكوفة إلى البصرة، واستخلف على الكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل - وقد قيل: إنه استخلف عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي، ثم عزله، وجعل مكانه المغيرة بن عبد الله - فقدم عليه المهلب بها، وقد فرغ من امر الأزارقة.

فقال هشام: حدثني أبو مخنف عن أبي المخارق الراسبي، أن المهلب بن أبي صفرة لما فرغ من الأزارقة قدم على الحجاج - وذلك سنة ثمان وسبعين - فاجلسه معه، ودعا بأصحاب البلاء من أصحاب المهلب، فأخذ الحجاج لا يذكر له المهلب رجلا من أصحابه ببلاء حسن إلا صدقه الحجاج بذلك، فحملهم الحجاج وأحسن عطاياهم، وزاد في أعطياتهم، ثم قال: هؤلاء أصحاب الفعال، وأحق بالأموال، هؤلاء حماة الثغور، وغيظ الأعداء.

قال هشام عن أبي مخنف: قال يونس بن ابى إسحاق: وقد كان الحجاج ولى المهلب سجستان مع خراسان، فقال له المهلب: ألا أدلك على رجل هو أعلم بسجستان مني، وقد كان ولي كابل وزابل، وجباهم وقتلهم وصالحهم؟ قال له: بلى، فمن هو؟ قال عبيد الله بن أبي بكرة.

ثم إنه بعث المهلب على خراسان وعبيد الله بن أبي بكرة على سجستان، وكان العامل هنالك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، وكان عاملا لعبد الملك بن مروان، لم يكن للحجاج شيء من أمره حين بعث على العراق حتى كانت تلك السنة، فعزله عبد الملك وجمع سلطانه للحجاج، فمضى المهلب إلى خراسان، وعبيد الله بن أبي بكرة إلى سجستان، فكث عبيد الله بن أبي بكرة بقية سنته.

فهذه رواية أبي مخنف عن أبي المخارق، وأما علي بن محمد فإنه ذكر عن المفضل بن محمد أن خراسان وسجستان جمعتا للحجاج مع العراق في أول سنة ثمان وسبعين بعد ما قتل الخوارج، فاستعمل عبيد الله بن أبي بكرة على خراسان، والمهلب بن أبي صفرة على سجستان، فكره المهلب سجستان، فلقي عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العبشمي - وكان على شرطة الحجاج - فقال: إن الأمير ولاني سجستان، وولى ابن أبي بكرة خراسان، وأنا أعرف بخراسان منه، قد عرفتها أيام الحكم بن عمرو الغفاري، وابن أبي بكرة أقوى على سجستان مني، فكلّم الأمير يحولني إلى خراسان، وابن أبي بكرة إلى سجستان، قال: نعم، وكلّم زاذان فروخ يعينني، فكلّمه، فقال: نعم، فقال عبد الرحمن بن عبيد للحجاج: وليت المهلب سجستان وابن أبي بكرة أقوى عليها منه، فقال زاذان فروخ: صدق، قال: إنا قد كتبنا عهده، قال زاذان

فروخ: ما أهون تحويل عهده! فحول ابن أبي بكرة إلى سجستان، والمهلب إلى خراسان، وأخذ المهلب بألف ألف من خراج الأهواز، وكان ولاها إياه خالد بن عبد الله، فقال المهلب لابنه المغيرة: إن خالدا ولاني الأهواز، وولاك إصطخر، وقد أخذني الحجاج بألف ألف، فنصف علي ونصف عليك، ولم يكن عند المهلب مال، كان إذا عزل استقرض، قال: فكلم أبا ماوية مولى عبد الله بن عامر- وكان أبو ماوية على بيت مال عبد الله بن عامر- فأسلف المهلب ثلاثمائة ألف، فقالت خيرة القشيرية امرأة المهلب: هذا لا يفي بما عليك، فباعت حليا لها ومتاعا، فأكل خمسمائة ألف، وحمل المغيرة الى ابيه خمسمائة ألف فحملها إلى الحجاج، ووجه المهلب ابنه حبيبا على مقدمته، فأتى الحجاج فودعه، فأمر الحجاج له بعشرة آلاف وبغلة خضراء، قال: فسار حبيب على تلك البغلة حتى قدم خراسان هو وأصحابه على البريد، فسار عشرين يوما، فتلقاهم حين دخلوا حمل حطب، فنفرت البغلة فتعجبوا منها ومن نفارها بعد ذلك التعب وشدة السير فلم يعرض لأمية ولا لعماله، وأقام عشرة أشهر حتى قدم عليه المهلب سنة تسع وسبعين.

وجج بالناس في هذه السنة الوليد بن عبد الملك، حدثني بذلك احمد ابن ثابت عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر. وكان أمير المدينة في هذه السنة أبان بن عثمان، وأمير الكوفة والبصرة وخراسان وسجستان وكرمان الحجاج بن يوسف، وخليفته بخراسان المهلب، وبسجستان عبيد الله بن أبي بكرة، وعلى قضاء الكوفة شريح، وعلى قضاء البصرة- فيما قيل- موسى بن أنس. وأغزى عبد الملك في هذه السنة يحيى بن الحكم.

٦٠١٤ سنة تسع وسبعين

٦٠١٤٠١ ذكر الخبر عن غزو عبيد الله بن ابى بكرة رتبيل

ثم دخلت

سنة تسع وسبعين

(ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة) فمن ذلك ما أصاب أهل الشام في هذه السنة من الطاعون حتى كادوا يفتنون من شدته، فلم يغز في تلك السنة أحد- فيما قيل- للطاعون الذي كان بها، وكثرة الموت. وفيها- فيما قيل-: أصابت الروم أهل أنطاكية.

ذكر الخبر عن غزو عبيد الله بن ابى بكرة رتبيل

وفيها غزا عبيد الله بن أبي بكرة رتبيل.

ذكر الخبر عن غزوته إياه:

قال هشام: حدثني أبو مخنف، عن أبي المخارق الراسبي، قال:

لما ولى الحجاج المهلب خراسان، وعبيد الله بن أبي بكرة سجستان، مضى المهلب إلى خراسان وعبيد الله بن أبي بكرة إلى سجستان، وذلك في سنة ثمان وسبعين، فكث عبيد الله بن أبي بكرة بقية سنته ثم إنه غزا رتبيل وقد كان مصالحا، وقد كانت العرب قبل ذلك تأخذ منه خراجا، وربما امتنع فلم يفعل، فبعث الحجاج إلى عبيد الله بن أبي بكرة أن ناجزه بمن معك من المسلمين فلا ترجع حتى تستريح أرضه، وتهدم قلاعه، وتقتل مقاتلته، وتسبي ذريته فخرج بمن معه من المسلمين من أهل الكوفة وأهل البصرة، وكان على أهل الكوفة شريح بن هانئ الحارثي ثم الضبابي، وكان من أصحاب علي، وكان عبيد الله على أهل البصرة، وهو أمير الجماعة، فضى حتى وغل في بلاد رتبيل، فأصاب من البقر والغنم والأموال ما شاء وهدم قلاعا وحصونا، وغلب على أرض من أرضهم كثيرة، وأصحاب رتبيل من الترك يخلون لهم عن أرض بعد أرض، حتى أمعنوا في بلادهم

ودنوا من مدينتهم، وكانوا منها ثمانية عشر فرسخا، فأخذوا على المسلمين العقاب والشعاب، وخلوهم والرساتيق، فسقط في أيدي المسلمين، وظنوا أن قد هلكوا، فبعث ابن أبي بكرة إلى شريح بن هانئ: أني مصالح القوم على أن أعطيهم مالا، ويخلوا بيني وبين الخروج، فأرسل

إليهم فصالحهم على سبعمائة ألف درهم، فلقية شريح فقال: إنك لا تصالح على شيء إلا حسبته السلطان عليكم في أعطياتكم، قال: لو منعنا العطاء ما حيينا كان أهون علينا من هلاكنا، قال شريح: والله لقد بلغت سنا، وقد هلك لدائي، ما تأتي علي ساعة من ليل أو نهار فأظنها تمضي حتى أموت، ولقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان، ولئن فأتني اليوم ما أخالي مدركها حتى أموت، وقال: يا أهل الإسلام، تعاونوا على عدوكم، فقال له ابن أبي بكرة: إنك شيخ قد خرفت، فقال شريح: إنما حسبك أن يقال: بستان ابن أبي بكرة وحمام ابن أبي بكرة، يا أهل الإسلام، من أراد منكم الشهادة فإلي فاتبعه ناس من المتطوعة غير كثير، وفرسان الناس وأهل الحفاظ، فقاتلوا حتى أصيبوا إلا قليلا، فجعل شريح يرتجز يومئذ ويقول:

أصبحت ذا بئ أقاسي الكبرا قد عشت بين المشركين أعصرا ثم أدركت النبي المنذرا وبعده صديقه وعمرا ويوم مهران ويوم تسترا والجمع في صفينهم والنهرا وباجميرات مع المشقرا هيئات ما أطول هذا عمرا فقاتل حتى قتل في ناس من أصحابه، ونجا من نجا، ونفروا من بلاد رتبيل حتى خرجوا منها، فاستقبلهم من خرجوا إليهم من المسلمين بالأطعمة، فإذا أكل أحدهم وشبع مات، فلما رأى ذلك الناس حذروا يطعمونهم، ثم جعلوا يطعمونهم السمن قليلا قليلا، حتى استمروا وبلغ ذلك الحجاج، فأخذ ما تقدم وما تأخر، وبلغ ذلك منه كل مبلغ، وكتب إلى عبد الملك:

أما بعد، فإن جند أمير المؤمنين الذين بسجستان أصيبوا فلم

ينج منهم إلا القليل، وقد اجتراً العدو بالذي أصابه على أهل الإسلام فدخلوا بلادهم، وغلبوا على حصونهم وقصورهم، وقد أردت أن أوجه إليهم جندا كثيفا من أهل المصريين، فأحببت أن أستطلع رأي أمير المؤمنين في ذلك، فإن رأى لي بعثة ذلك الجند أمضيته، وإن لم ير ذلك فإن أمير المؤمنين أولى بجنده، مع أنني أتخوف إن لم يأت رتبيل ومن معه من المشركين جند كثيف عاجلا أن يستولوا على ذلك الفرج كله.

وفي هذه السنة قدم المهلب خراسان أميرا، وانصرف عنها أمية بن عبد الله، وقيل استعفى شريح القاضي من القضاء في هذه السنة، وأشار بأبي بردة بن أبي موسى الأشعري، فأعفاه الحجاج وولى أبا بردة.

وجج بالناس في هذه السنة- فيما حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر- أبان بن عثمان، وكذلك قال الواقدي وغيره من أهل السير.

وكان أبان هذه السنة أميرا على المدينة من قبل عبد الملك بن مروان وعلى العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف. وكان على خراسان المهلب من قبل الحجاج.

وقيل: إن المهلب كان على حربها، وابنه المغيرة على خراجها، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى، وعلى قضاء البصرة موسى بن انس.

٦٠١٥ سنة ثمانين

٦٠١٥٠١ ذكر خبر غزو المهلب ما وراء النهر

ثم دخلت

سنة ثمانين

(ذكر الأحداث الجليلة التي كانت في هذه السنة) وفي هذه السنة جاء- فيما حدثت عن ابن سعد، عن محمد بن عمر الواقدي- سيل بمكة ذهب بالحجاج، فغرقت بيوت مكة فسمي ذلك العام عام الجحاف، لأن ذلك السيل جحف كل شيء مر به.

قال محمد بن عمر: حدثني محمد بن رفاع بن ثعلبة، عن أبيه، عن جده، قال: جاء السيل حتى ذهب بالحجاج ببطن مكة، فسمي لذلك عام الجحاف، ولقد رأيت الإبل عليها الحمولة والرجال والنساء تمر بهم ما لأحد فيهم حيلة، وإني لأنظر إلى الماء قد بلغ الركن وجاوزه. وفي هذه السنة كان بالبصرة طاعون الجارف، فيما زعم الواقدي.

ذكر خبر غزو المهلب ما وراء النهر

وفي هذه السنة قطع المهلب نهر بلخ فنزل على كس، فذكر علي بن محمد، عن المفضل بن محمد وغيره أنه كان على مقدمة المهلب حين نزل على كس أبو الأدهم زياد بن عمرو الزماني في ثلاثة آلاف وهم خمسة آلاف إلا أن أبا الأدهم كان يغني غناء ألفين في البأس والتدبير والنصيحة قال: فأتى المهلب وهو نازل على كس ابن عم ملك الختل، فدعاه إلى غزو الختل، فوجه معه ابنه يزيد، فنزل في عسكره، ونزل ابن عم الملك - وكان الملك يومئذ اسمه السبل - في عسكره على ناحية، فبيت السبل ابن عمه، فكبر في عسكره، فظن ابن عم السبل أن العرب قد غدروا به، وأنهم خافوه. على الغدر حين اعتزل عسكرهم، فأسر السبل، فأتى به قلعة فقتله قال: فأطاف يزيد بن المهلب بقلعة السبل، فصالحوه على فدية حملوها إليه، ورجع إلى المهلب فأرسلت أم الذي قتله السبل إلى أم السبل: كيف ترجين

٦٠١٥٠٢ تسير الجنود إلى مع ابن الأشعث لحرب رتبيل

بقاء السبل بعد قتل ابن عمه، وله سبعة اخوة قد وترهم! وأتت أم واحد فأرسلت إليها: أن الأسد تقل أولادها. والخنازير كثير أولادها ووجه المهلب ابنه حبيبا إلى رنجن فوافى صاحب بخارى في أربعين ألفا، فدعا رجل من المشركين إلى المبارزة، فبرز له جبلة غلام حبيب، فقتل المشرك، وحمل على جمعهم، فقتل منهم ثلاثة نفر، ثم رجع ورجع العسكر، ورجع العدو إلى بلادهم، ونزلت جماعة من العدو قرية، فسار إليهم حبيب في أربعة آلاف، فقاتلهم فظفر بهم، فأحرقها، ورجع إلى أبيه فسميت المحترقة ويقال إن الذي أحرقها جبلة غلام حبيب. قال: فكث المهلب سنتين مقيما بكس، فقليل له: لو تقدمت إلى السغد وما وراء ذلك! قال: ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذه الجند، حتى يرجعوا إلى مرو سالمين. قال: وخرج رجل من العدو يوما، فسأله البراز، فبرز إليه هريم بن عدي، أبو خالد بن هريم وعليه عمامة قد شدها فوق البيضة، فأنتهى إلى جدول، فجاوله المشرك ساعة فقتله هريم وأخذ سلبه، فلامه المهلب، وقال: لو أصبت ثم أمددت بألف فارس ما عدلوك عندي، واتهم المهلب وهو بكس قوما من مضر فحبسهم بها، فلما قفل وصار صلح خلاهم، فكتب إليه الحاج: إن كنت أصبت بحبسهم فقد أخطأت في تخليتهم، وإن كنت أصبت بتخليتهم فقد ظلمتهم إذ حبستهم فقال المهلب: خفتهم فحبستهم، فلما أمنت خليتهم. وكان فيمن حبس عبد الملك بن أبي شيخ القشيري ثم صالح المهلب أهل كس على فدية، فأقام ليقبضها، وأتاه كتاب ابن الأشعث بخلع الحاج ويدعوه إلى مساعدته على خلعه، فبعث بكتاب ابن الأشعث إلى الحاج . تسير الجنود إلى مع ابن الأشعث لحرب رتبيل

وفي هذه السنة وجه الحاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى سجستان لحرب رتبيل صاحب الترك، وقد اختلف أهل السير في سبب توجيهه إياه إليها، وأين كان عبد الرحمن يوم ولاء الحاج بسجستان وحرب رتبيل، فأما يونس بن أبي إسحاق - فيما حدث هشام، عن أبي مخنف عنه - فإنه ذكر أن عبد الملك لما ورد عليه كتاب الحاج بن يوسف بخبر الجيش الذي كان مع عبيد الله بن أبي بكر في بلاد رتبيل، وما لقوا بها كتب إليه: أما بعد، فقد أتاني كتابك تذكر فيه مصاب المسلمين بسجستان، وأولئك قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وعلى الله ثوابهم.

وأما ما أردت أن يأتيك فيه رأيي من توجيه الجنود وإمضائها إلى ذلك الفرج الذي أصيب فيه المسلمون أو كفها، فإن رأيي في ذلك أن تمضي رأيك راشدا موقفا.

وكان الحاج وليس بالعراق رجل أبغض إليه من عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وكان يقول: ما رأيته قط إلا أردت قتله. قال أبو مخنف: فحدثني ثمر بن ولاة الهمداني، ثم اليناعي، عن الشعبي، قال: كنت عند الحاج جالسا حين دخل عليه عبد الرحمن بن

مُحمَّد بن الأشعث، فلما رآه الحجاج قال: انظر إلى مشيئته، والله لهمت أن أضرب عنقه قال: فلما خرج عبد الرحمن خرجت فسبقته وانتظرتة على باب سعيد بن قيس السبيعي، فلما انتهى إلي قلت: ادخل بنا الباب، إني أريد أن أحدثك حديثاً هو عندك بأمانة الله أن تذكره ما عاش الحجاج.

فقال: نعم، فأخبرته بمقالة الحجاج له، فقال: وأنا كما زعم الحجاج إن لم أحاول أن أزيله عن سلطانه، فأجهد الجهد إذ طال بي وبه بقاء. ثم إن الحجاج أخذ في جهاز عشرين ألف رجل من أهل الكوفة، وعشرين ألف رجل من أهل البصرة، وجد في ذلك وشمراً، وأعطى الناس أعطياتهم كملاً، وأخذهم بالخيول الروائع، والسلاح الكامل، وأخذ في عرض الناس، ولا يرى رجلاً تذكر منه شجاعة إلا أحسن معونته، فرعيده الله بن أبي محجن الثقفي على عباد بن الحصين الحبطي، وهو مع الحجاج يريد عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي، وهو يعرض الناس، فقال

عباد: ما رأيت فرساً أروع ولا أحسن من هذا، وإن الفرس قوة وسلاح وإن هذه البغلة علنداء، فزاده الحجاج خمسين وخمسمائة درهم، ومر به عطية العنبري، فقال له الحجاج، يا عبد الرحمن، أحسن إلى هذا.

فلما استتب له أمر ذينك الجندين، بعث الحجاج عطارداً بن عمر التميمي فمسكراً بالاهواز، ثم بعث عبيد الله بن حجر بن ذي الجوشن العامري من بني كلاب ثم بدا له، فبعث عليهم عبد الرحمن بن مُحمَّد بن الأشعث وعزل عبيد الله بن حجر، فأتى الحجاج عمه إسماعيل بن الأشعث، فقال له:

لا تبعثه فإني أخاف خلافه، والله ما جاز جسر الفرات قط فرأى لوال من الولاية عليه طاعة وسلطاناً فقال الحجاج: ليس هناك، هو لي أهيب وفي أرغب من أن يخالف أمري، أو يخرج من طاعتي، فأمضاه على ذلك الجيش، فخرج بهم حتى قدم سجستان سنة ثمانين، فجمع أهلها حين قدمها.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو الزبير الأرحبي - رجل من همدان كان معه - أنه صعد منبرها فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن الأمير الحجاج ولاني ثغركم، وأمرني بجهد عدوكم الذي استباح بلادكم وأباد خياركم، فإياكم أن يتخلف منكم رجل فيحل بنفسه العقوبة، اخرجوا إلى معسكركم فمسكروا به مع الناس فمسكروا الناس كلهم في معسكرهم ووضعت لهم الأسواق، وأخذ الناس بالجهاز والهيئة بآلة الحرب، فبلغ ذلك رتبيل، فكتب إلى عبد الرحمن بن مُحمَّد يعتذر إليه من مصاب المسلمين ويخبره أنه كان لذلك كارهاً، وأنهم ألقوه إلى قتالهم، ويسأله الصلح ويعرض عليه أن يقبل منه الخراج، فلم يجبه، ولم يقبل منه.

ولم ينشب عبد الرحمن أن سار في الجنود إليه حتى دخل أول بلاده، وأخذ رتبيل يضم إليه جنده، ويدع له الأرض رستاقاً رستاقاً، وحصناً حصناً، وطفق ابن الأشعث كلما حوى بلداً بعث إليه عاملاً، وبعث معه أعواناً، ووضع

٦٠١٥٠٣ أخبار متفرقة

البرد فيما بين كل بلد وبلد، وجعل الأرصاد على العقاب والشعاب، ووضع المسالح بكل مكان مخوف، حتى إذا جاز من أرضه أرضاً عظيمة، وملاً يديه من البقر والغنم والغنائم العظيمة، حبس الناس عن الغول في أرض رتبيل وقال: نكتفي بما أصبناه العام من بلادهم حتى نجيبها ونعرفها، وتجترئ المسلمون على طرقها، ثم تتعاطى في العام المقبل ما وراءها، ثم لم نزل نتنقصهم في كل عام طائفة من أرضهم حتى نقاتلهم آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم، وفي أقصى بلادهم، وممتنع حصونهم، ثم لا نزال بلادهم حتى يهلكهم الله.

ثم كتب إلى الحجاج بما فتح الله عليه من بلاد العدو، وبما صنع الله للمسلمين، وبهذا الرأي الذي رآه لهم.

وأما غير يونس بن أبي إسحاق وغير من ذكرت الرواية عنه في أمر ابن الأشعث فإنه قال في سبب ولايته سجستان ومسيره إلى بلاد رتبيل غير الذي رويت عن أبي مخنف، وزعم أن السبب في ذلك كان أن الحجاج وجه هيمان بن عدي السدوسي إلى كرمان، مسلحة لها ليمد عامل سجستان والسند إن احتاجا إلى مدد، فعصى هيمان ومن معه، فوجه الحجاج ابن الأشعث في محاربتة، فهزمه، وأقام بموضعه.

ومات عبيد الله بن أبي بكرة، وكان عاملا على سجستان، فكتب الحجاج عهد ابن الأشعث عليها، وجهز إليها جيشا أنفق عليهم ألفي ألف سوى أعطياتهم، كان يدعى جيش الطواويس، وأمره بالاقدام على رتبيل. [أخبار متفرقة]

وجج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان، كذلك حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قَالَ محمد بن عمر الواقدي.

وقال بعضهم: الذي حج بالناس في هذه السنة سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ. وكان على المدينة في هذه السنة أبان بن عثمان، وعلى العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف، وعلى خراسان المهلب بن أبي صفرة من قبل الحجاج، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس. وأغزى عبد الملك في هذه السنة ابنه الوليد

٦٠١٦ سنة إحدى وثمانين

٦٠١٦٠١ ذكر الخبر عن مقتل بحير بن ورقاء بخراسان

ثم دخلت

سنة إحدى وثمانين

(ذَكَرَ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَحْدَاثِ) ففي هذه السنة كان فتح قاليقلا، حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي ابن مُحَمَّد، قال: أغزى عبد الملك سنة إحدى وثمانين ابنه عبيد الله بن عبد الملك، ففتح قاليقلا. ذكر الخبر عن مقتل بحير بن ورقاء بخراسان وفي هذه السنة قتل بحير بن ورقاء الصريمي بخراسان. ذكر الخبر عن مقتله:

وكان سبب قتله أن بحيرا كان هو الذي تولى قتل بكير بن وشاح بأمر أمية بن عبد الله إياه بذلك، فقال عثمان بن رجاء بن جابر بن شداد أحد بني عوف بن سعد من الأبناء يحض رجلا من الأبناء من آل بكير بالوتر:

لعمري لقد أغضيت عينا على القذى ... وبت بطينا من رحيق مروق
وخليت ثأرا طل واخترت نومة ... ومن شرب الصهباء بالوتر يسبق
فلو كنت من عوف بن سعد ذؤابة ... تركت بحيرا في دم مترقق
فقل لبجير نم ولا تخش ثأرا ... بعوف فعوف أهل شاة حبلق
دع الضأن يوما قد سبقتم بوتركم ... وصرتم حديثا بين غرب ومشرق
وهبوا فلو أمسى بكير كعهده ... صحيفا لغاداهم بجأواء فيلق
وقال أيضا:

فلو كان بكر بارزا في أداته ... وذو العرش لم يقدم عليه بحير
ففي الدهر إن أبقاني الدهر مطلب ... وفي الله طلاب بذاك جدير
وبلغ بحيرا أن الأبناء يتوعدونه، فقال:

توعدني الأبناء جهلا كأنما ... يرون فنائي مقفرا من بني كعب
رفعت له كفي بحد مهند ... حسام كلون الملح ذي رونق غضب

فذكر علي بن محمد، عن المفضل بن محمد، أن سبعة عشر رجلا من بني عوف بن كعب بن سعد تعاقدوا على الطلب بدم بكير، فخرج فتي منهم يقال له الشمردل من البادية حتى قدم خراسان، فنظر إلى بحير واقفا، فشد عليه فطعنه فصرعه، فظن أنه قد قتله، وقال الناس: خارجي، فراكضهم، فعثر فرسه فندر عنه فقتل ثم خرج صمصعة بن حرب العوفي، ثم أحد بني جندب، من البادية وقد باع غنيمات له، واشترى حمرا، ومضى إلى سجستان فجاور قرابة لبحير هناك ولاطفهم، وقال: أنا رجل من بني حنيفة من أهل اليمامة، فلم يزل يأتهم ويجالسهم حتى أنسوا به، فقال لهم: إن لي بخراسان ميراثا قد غلبت عليه، وبلغني أن بحيرا عظيم القدر بخراسان، فاكتبوا لي إليه كتابا يعينني على طلب حقي، فكتبوا إليه، فخرج فقدم مرو والمهلب غاز قال: فلقني قوما من بني عوف، فأخبرهم أمره، فقام إليه مولى لبكير صيقل، فقبل رأسه، فقال له صمصعة: اتخذ لي خنجرا، فعمل له خنجرا واحما وغمسه لبن أتان مرارا ثم شخص من مرو فقطع النهر حتى أتى عسكر المهلب وهو بآخرون يومئذ، فلقني بحيرا بالكتاب، وقال:

إني رجل من بني حنيفة، كنت من أصحاب ابن أبي بكر، وقد ذهب مالي بسجستان، ولي ميراث بمرو، فقدمت لأبيعه، وأرجع إلى اليمامة. قال: فأمر له بنفقة وأنزله معه، وقال له: استعن بي على ما أحببت، قال: أقيم عندك حتى يقفل الناس، فأقام شهرا أو نحو من شهر يحضر

معه باب المهلب ومجلسه حتى عرف به قال: وكان بحير يخاف الفتك به، ولا يأمن أحدا، فلما قدم صمصعة بكتاب أصحابه قال: هو رجل من بكر بن وائل، فأمنه، فجاء يوما وبحير جالس في مجلس المهلب، عليه قيص ورداء ونعلان، فقعد خلفه، ثم دنا منه، فأكب عليه كأنه بكلمة، فوجأه بخنجره في خاصرته، فغيبه في جوفه، فقال الناس: خارجي! فنادى:

يا لثارات بكير، أنا ثائر ببكير! فقال الناس: خارجي! فنادى:

يا لثارات بكير، أنا ثائر ببكير! فأخذه أبو العجفاء بن أبي الخرقاء، وهو يومئذ على شرط المهلب، فأتى به المهلب فقال له: بؤسا لك! ما أدركت بثارك، وقتلت نفسك، وما على بحير بأس، فقال: لقد طعنته طعنة لو قسمت بين الناس لماتوا، ولقد وجدت ريح بطنه في يدي، فحبسه فدخل عليه السجن قوم من الأبناء فقبلوا رأسه قال: ومات بحير من غد عند ارتفاع النهار، فقبل لصمصعة: مات بحير، فقال: اصنعوا بي الآن ما شئتم، وما بدا لكم، أليس قد حلت نذور نساء بني عوف، وأدركت بثاري! لا أبالي ما لقيت، أما والله لقد أمكنتني ما صنعت خاليا غير مرة، فكرهت أن أقتله سرا، فقال المهلب: ما رأيت رجلا أسخى نفسا بالموت صبورا من هذا، وأمر بقتله أبا سويقة ابن عم لبحير، فقال له أنس بن طلق ويحك! قتل بحير فلا تقتلوا هذا، فأبى وقتله، فشتمه أنس.

وقال آخرون: بعث به المهلب إلى بحير قبل أن يموت، فقال له أنس ابن طلق العبشمي: يا بحير، إنك قتلت بكيرا، فاستحي هذا، فقال بحير: أدنوه مني، لا والله لا أموت وأنت حي، فأدنوه منه، فوضع رأسه بين رجله وقال: اصبر عفاق، إنه شر باق، فقال ابن طلحة لبحير:

لعنك الله! أكله فيه وتقتله بين يدي! فطعنه بحير بسيفه حتى قتله ومات بحير، فقال المهلب: إنا لله وإنا إليه راجعون، غزوة أصيب فيها بحير، فغضب عوف بن كعب والأبناء وقالوا: علام قتل صاحبنا، وإنما طلب بثاره! فنازعتهم مقاعس والبطون حتى خاف الناس أن يعظم البأس، فقال أهل الحبي: احموا دم صمصعة، واجعلوا دم بحير بواء ببكير

٦٠١٦٠٢ ذكر الخبر عن خلاف ابن الأشعث على الحجاج

فودوا صمصعة، فقال رجل من الأبناء يمدح صمصعة:

لله در فتي تجاوز همه ... دون العراق مفاوزا وبحورا

ما زال يدأب نفسه ويكدها ... حتى تناول في خرون بحيرا

قال: وخرج عبد ربه الكبير أبو وكيع، وهو من رهط صمصعة إلى البادية، فقال لرهط بكير: قتل صمصعة بطلبه بدم صاحبكم، فودوه، فاخذ لصمصعة ديتين.

ذكر الخبر عن خلاف ابن الأشعث على الحجاج

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة خالف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الحجاج ومن معه من جند العراق، وأقبلوا إليه لحربه في قول أبي مخنف وروايته لذلك عن أبي المخارق الراسبي، وأما الواقدي فإنه زعم أن ذلك كان في سنة اثنتين وثمانين.

ذكر الخبر عن السبب الذي دعا عبد الرحمن بن محمد إلى ما فعل من ذلك وما كان من صنيعه بعد خلافه الحجاج في هذه السنة:

قد ذكرنا فيما مضى قبل ما كان من عبد الرحمن بن محمد في بلاد رتييل، وكتبه إلى الحجاج بما كان منه هناك، وبما عرض عليه من الرأي فيما يستقبل من أيامه في سنة ثمانين، ونذكر الآن ما كان من أمره في سنة إحدى وثمانين في رواية أبي مخنف، عن أبي المخارق. ذكر هشام عن أبي مخنف قال: قال أبو المخارق الراسبي: كتب الحجاج إلى عبد الرحمن بن محمد جواب كتابه:

أما بعد، فإن كتابك أتاني، وفهمت ما ذكرت فيه، وكتابك كتاب امرئ يحب الهدنة، ويستريح إلى المودعة، قد صانع عدوا قليلا ذليلا، قد أصابوا من المسلمين جندا كان بلاؤهم حسنا، وغناؤهم في الاسلام عظيما.

لعمرك يا بن أم عبد الرحمن، إنك حيث تكف عن ذلك العدو بجندي وحدي لسخي النفس عن أصيب من المسلمين إني لم أعدد رأيك الذي زعمت أنك رأيته رأي مكيدة، ولكني رأيت أنه لم يحملك عليه إلا ضعفك، والتيات رأيك، فامض لما أمرتك به من الغول في أرضهم، والهدم لحصونهم، وقتل مقاتلتهم، وسي ذراريهم.

ثم أردفه كتابا فيه أما بعد، فر من قبلك من المسلمين فليحرقوا وليقيموا، فإنها دارهم حتى يفتحها الله عليهم. ثم أردفه كتابا آخر فيه:

أما بعد، فامض لما أمرتك به من الغول في أرضهم، وإلا فإن إسحاق بن محمد أخاك أمير الناس، نخله وما وليته. فقال حين قرأ كتابه: أنا أحمل ثقل إسحاق، فعرض له، فقال:

لا تفعل، فقال: ورب هذا- يعني المصحف- لئن ذكرته لأحد لأقتلنك فظن أنه يريد السيف، فوضع يده على قائم السيف، ثم دعا الناس إليه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إني لكم ناصح، ولصلاحكم محب، ولكم في كل ما يحيط بكم نفعه ناظر، وقد كان من رأيي فيما بينكم وبين عدوكم رأي استشرت فيه ذوي أحلامكم، وأولي التجربة للحرب منكم، فرضوه لكم رأيا، ورأوه لكم في العاجل والآجل صلاحا، وقد كتبت إلى أميركم الحجاج، فجاءني منه كتاب يعجزني ويضعفني، ويأمرني بتعجيل الغول بكم في أرض العدو، وهي البلاد التي هلك إخوانكم فيها بالأمس، وإنما أنا رجل منكم أمضي إذا مضيت، وأبي إذا أبيت فثار إليه الناس فقالوا: لا، بل نأبى على عدو الله، ولا نسمع له ولا نطيع.

قال أبو مخنف: فحدثني مطرف بن عامر بن وائلة الكافني أن أباه كان أول متكلم يومئذ، وكان شاعرا خطيبا، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

أما بعد، فإن الحجاج والله ما يرى بكم إلا ما رأى القائل الأول إذ قال

لأخيه: احمل عبدك على الفرس، فإن هلك هلك، وإن نجا فلك إن الحجاج والله ما يبالي أن يخاطر بكم فيحكمكم بلادا كثيرة اللهب والصبوب، فإن ظفرت فغنمت أكل البلاد وحاز المال، وكان ذلك زيادة في سلطانه، وإن ظفر عدوكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء الذي لا يبالي عنهم، ولا يبقي عليهم، اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا عبد الرحمن، فإني أشهدكم أي أول خالع فنادى الناس من كل جانب، فعلنا فعلنا، قد خلعنا عدو الله، وقام عبد المؤمن بن شيب بن ربيعي التميمي ثانيا- وكان على شرطته حين أقبل- فقال: عباد الله، إنكم إن أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم، وجرمكم تجبير فرعون الجنود، فإنه بلغني أنه أول من جمر البعوث، ولن تعانوا الأحبة فيما أرى أو يموت أكثركم بايعوا أميركم، وانصرفوا إلى عدوكم فانفوه عن بلادكم، فوثب الناس إلى عبد الرحمن فبايعوه، فقال:

تبايعوني على خلع الحجاج عدو الله وعلى النصر لي وجهاده معي حتى ينفيه الله من أرض العراق، فبايعه الناس، ولم يذكر خلع عبد الملك إذ ذاك بشيء.

قال أبو مخنف: حدثني عمر بن ذر القاص أن أباه كان معه هنالك، وأن ابن محمد كان ضربه وحبسه لانقطاعه كان إلى أخيه القاسم بن محمد، فلما كان من أمره الذي كان من الخلاف دعاه فحمله وكساه واطاه، فأقبل معه فيمن أقبل، وكان قاصا خطيبا.

قال أبو مخنف: حدثني سيف بن بشر العجلي، عن المنخل بن حابس العبدي أن ابن محمد لما أقبل من سجستان أمر على بست عياض ابن هيمان البكري، من بني سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة، وعلى زرنج عبد الله بن عامر التميمي ثم الدارمي، ثم بعث إلى رتبيل، فصالحه على أن ابن الأشعث إن ظهر فلا خراج عليه أبدا ما بقي، وإن هزم فأمره ألجأه عنده.

قال أبو مخنف: حدثني خشينة بن الوليد العبسي أن عبد الرحمن لما خرج من سجستان مقبلا إلى العراق سار بين يديه الأعشى على فرس، وهو يقول:

شطت نوى من داره بالإيوان ... إيوان كسرى ذي القرى والريحان

من عاشق أمسى بزابلستان ... إن ثقيفا منهم الكذابان

كذابها الماضي وكذاب ثان ... أمكن ربي من ثقيف همدان

يوما إلى الليل يسلي ما كان ... إنا سمونا للكفور الفتان

حين طغى في الكفر بعد الإيمان ... بالسيد الغطريف عبد الرحمن

سار بجمع كالدبي من قطان ... ومن معد قد أتى ابن عدنان

بجحفل جم شديد الإرنان ... فقل لحجاج ولي الشيطان

يثبت لجمع مذحج وهمدان ... فإنهم ساقوه كأس الذيفان

وملحقوه بقرى ابن مروان

قال: وبعث على مقدمته عطية بن عمرو العنبري، وبعث الحجاج إليه الخليل، فجعل لا يلقي خيلا إلا هزمها، فقال الحجاج: من هذا؟ فقليل له:

عطية، فذلك قول الأعشى:

فإذا جعلت دروب فارس ... خلفهم دربا فدربا

فابعث عطية في الخيول ... يكهن عليك بكا

ثم إن عبد الرحمن أقبل يسير بالناس، فسأل عن أبي إسحاق السبيعي، وكان قد كتبه في أصحابه، وكان يقول: أنت خالي، فقليل له: ألا تأتية فقد سأل عنك! فكره أن يأتيه، ثم أقبل حتى مر بكرمان فبعث عليهم خرشه ابن عمرو التميمي، ونزل أبو إسحاق بها، فلم يدخل في فتنته حتى كانت

الجماجم، ولما دخل الناس فارس اجتمع الناس بعضهم إلى بعض، وقالوا:

إنا إذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك، فاجتمعوا إلى عبد الرحمن، فكان أول الناس.

قال أبو مخنف فيما حدثني أبو الصلت التميمي: خلع عبد الملك بن مروان تيجان بن أبجر من بني تيم الله بن ثعلبة، فقام فقال: أيها الناس، إني خلعت أبا ذبان نخلعي قيصي، نخلعه الناس إلا قليلا منهم، ووثبوا إلى ابن محمد فبايعوه، وكانت بيعته: تبايعون على كتاب الله وسنة نبيه وخلع أئمة الضلالة وجهاد المحلين، فإذا قالوا: نعم بايع فلما بلغ الحجاج خلعه كتب إلى عبد الملك يخبره خبر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، ويسأله أن يعجل بعثة الجنود إليه، وبعث كتابه إلى عبد الملك يتمثل في آخره بهذه الأبيات، وهي للحرث بن ولة:

سائل مجاور جرم هل جنيت لهم ... حربا تفرق بين الجيرة الخلط

وهل سموت بجرار له لجب ... جم الصواهل بين الجم والفرط

وهل تركت نساء الحي ضاحية ... في ساحة الدار يستوقدن بالغبط

وجاء حتى نزل البصرة وقد كان بلغ المهلب شقاق عبد الرحمن وهو بسجستان، فكتب إليه:

أما بعد، فإنك وضعت رجلك يا بن محمد في غرز طويل الغي على أمة محمد ص الله الله فانظر لنفسك لا تهلكها، ودماء المسلمين فلا تسفكها، والجماعة فلا تفرقها، والبيعة فلا تنكثها، فإن قلت: أخاف الناس على نفسي فالله أحق أن تخافه عليها من الناس، فلا تعرضها

لله في سفك دم، ولا استحلال محرم والسلام عليك
وكتب المهلب إلى الحجاج:

أما بعد فإن أهل العراق قد أقبلوا إليك وهم مثل السيل المنحدر من عل، وليس شيء يردده حتى ينتهي إلى قراره، وإن لأهل العراق شرة في أول مخرجهم وصباة إلى أبنائهم ونسائهم، فليس شيء يرددهم حتى يسقطوا إلى أهلهم، ويشموا أولادهم، ثم واقفهم عندها، فإن الله ناصرك عليهم إن شاء الله فلما قرأ كتابه قال: فعل الله.

به وفعل، لا والله ما لي نظر ولكن لابن عمه نصح لما وقع كتاب الحجاج إلى عبد الملك هاله ثم نزل عن سريره وبعث إلى خالد بن يزيد بن معاوية، ودعاه فأقرأه الكتاب، ورأى ما به من الجزع، فقال: يا أمير المؤمنين، إن كان هذا الحدث من قبل سجستان، فلا تخفه، وإن كان من قبل خراسان تخوفته قال: فخرج إلى الناس فقام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إن أهل العراق طال عليهم عمري فاستعجلوا قدرتي اللهم سلط عليهم سيوف أهل الشام حتى يبلغوا رضاك، فإذا بلغوا رضاك لم يجاوزوا إلى سخطك.
ثم نزل.

وأقام الحجاج بالبصرة وتجهز ليلقي ابن محمد، وترك رأي المهلب وفرسان الشام يسقطون إلى الحجاج، في كل يوم مائة وخمسون وعشرة وأقل على البرد من قبل عبد الملك، وهو في كل يوم تسقط إلى عبد الملك كتبه ورسله بخبر ابن محمد أي كورة نزل، ومن أي كورة يرتحل، وأي الناس إليه أسرع.

قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج أن مكتبه كان بكرمان، وكان بها أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة وأهل البصرة، فلما مر بهم ابن محمد بن الأشعث، انجفلوا معه، وعزم الحجاج رأيته على استقبال ابن الأشعث، فسار بأهل الشام حتى نزل تستر، وقدم بين يديه مطهر بن حر العكي - أو الجذامي - وعبد الله بن رميثة الطائي، ومطهر على الفريقين، فجاءوا حتى انتهوا إلى دجيل، وقد قطع عبد الرحمن بن محمد خيلا له،

عليها عبد الله بن أبان الحارثي في ثلاثمائة فارس - وكانت مسلحة له ولجند - فلما انتهى إليه مطهر بن حر أمر عبد الله بن رميثة الطائي فأقدم عليهم، فهزمت خيل عبد الله حتى انتهت إليه، وجرح أصحابه.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو الزبير الهمداني، قال: كنت في أصحاب ابن محمد إذ دعا الناس وجمعهم إليه ثم قال: اعبروا إليه من هذا المكان، فأقم الناس خيولهم دجيل من ذلك المكان الذي أمرهم به، فوالله ما كان بأسرع من أن عبر عظم خيولنا، فما تكملت حتى حملنا على مطهر بن حر والطائي فهزمناهما يوم الأضخى في سنة إحدى وثمانين وقتلناهم قتلا ذريعا، وأصبنا عسكرهم، وأتت الحجاج الهزيمة وهو يخطب، فصعد إليه أبو كعب بن عبيد بن سرجس فاخبره بهزيمة الناس، فقال:

أيها الناس، ارتحلوا إلى البصرة إلى معسكر ومقاتل وطعام ومادة، فإن هذا المكان الذي نحن به لا يحمل الجند ثم انصرف راجعا وتبعته خيول أهل العراق، فكلما أدركوا منهم شاذا قتلوه، وأصابوا ثقلا حووه، ومضى الحجاج لا يلوي على شيء حتى نزل الزاوية، وبعث إلى طعام التجار بالكلا فأخذه فحملة إليه، وخلي البصرة لأهل العراق وكان عامله عليها الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي وجاء أهل العراق حتى دخلوا البصرة وقد كان الحجاج حين صدم تلك الصدمة وأقبل راجعا دعا بكتاب المهلب، فقرأه ثم قال: لله أبوه! أي صاحب حرب هو! أشار علينا بالرأي، ولكنا لم نقبل.

وقال غير أبي مخنف: كان عامل البصرة يومئذ الحكم بن أيوب على الصلاة والصدقة، وعبد الله بن عامر بن مسمع على الشرط، فسار الحجاج في جيشه حتى نزل رستقباد وهي من دستوى من كور الأهواز، فعسكر بها، وأقبل ابن الأشعث فنزل تستر، وبينهما نهر، فوجه الحجاج مطهر بن حر العكي في ألفي رجل، فأوقعوا بمسلحة لابن الأشعث، وسار ابن

الأشعث مبادرا، فواقعهم، وهي عشية عرفة من سنة إحدى وثمانين فيقال: إنهم قتلوا من أهل الشام ألفا وخمسمائة، وجاءه الباقيون منهزمين، ومعه يومئذ مائة وخمسون ألف ألف، ففرقها في قواده، وضمنهم إياها، وأقبل منهزما إلى البصرة وخطب ابن الأشعث أصحابه

فقال: أما الحجاج فليس بشيء، ولكنا نريد غزو عبد الملك، وبلغ أهل البصرة هزيمة الحجاج، فأراد عبد الله بن عامر بن مسمع أن يقطع الجسر دونه، فرشاه الحكم ابن أيوب مائة ألف، فكف عنه ودخل الحجاج البصرة، فأرسل إلى ابن عامر فانتزع المائة ألف منه. رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف عن أبي الزبير الهمداني.

فلما دخل عبد الرحمن بن محمد البصرة بايعه على حرب الحجاج، وخلع عبد الملك جميع أهلها من قرائها وكهولها، وكان رجل من الأزد من الجهاضم يقال له عقبة بن عبد الغافر له صحابة، فنزا فبايع عبد الرحمن مستبصرًا في قتال الحجاج، وخندق الحجاج عليه، وخندق عبد الرحمن على البصرة وكان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحجة من سنة إحدى وثمانين.

وجج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الملك، كذا حدثني أحمد ابن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي، وقال: وفي هذه السنة ولد ابن أبي ذئب.

وكان العامل في هذه السنة على المدينة أبان بن عثمان، وعلى العراق والمشرق الحجاج بن يوسف، وعلى حرب خراسان المهلب، وعلى خراجها المغيرة بن مهب من قبل الحجاج، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى، وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة

٦٠١٧ سنه اثنتين وثمانين

٦٠١٧٠١ خبر الحرب بين الحجاج وابن الأشعث بالزاوية

ثم دخلت

سنة اثنتين وثمانين

(ذكر الخبر عن الكائن من الأحداث فيها)

خبر الحرب بين الحجاج وابن الأشعث بالزاوية

فمن ذلك ما كان بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد من الحروب بالزاوية.

ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو الزبير الهمداني قال: كان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحجة، واقتتلوا في الحرم من سنة اثنتين وثمانين، فتزاحفوا ذات يوم، فاشتد قتالهم ثم إن أهل العراق هزموهم حتى انتهوا إلى الحجاج، وحتى قاتلوهم على خنادقهم، وانهمزمت عامة قريش، وثقيف، حتى قال عبيد بن موهب مولى الحجاج وكاتبه:

فر البراء وابن عمه مصعب... وفرت قريش غير آل سعيد

ثم إنهم تراحفوا في الحرم في آخره في اليوم الذي هزم فيه أهل العراق أهل الشام، فنكصت ميمنتهم وميسرتهم، واضطربت رماحهم، وتقوض صفهم، حتى دنوا منا، فلما رأى الحجاج ذلك جثا على ركبتيه، وانتضى نحوًا من شبر من سيفه، وقال: لله در مصعب! ما كان أكرمهم حين نزل به ما نزل! فعلبت أنه والله لا يريد أن يفر قال: فغمزت أبي بعيني ليأذن لي فيه فأضربه بسيفي، فغمزني غمزة شديدة، فسكنت وحانت مني التفاتة، فإذا سفيان بن الأبرد الكلبى قد حمل عليهم فهزمهم من قبل الميمنة، فقلت: أبشر أيها الأمير، فإن الله قد هزم العدو فقال لي: قم فانظر، قال: فقممت فنظرت، فقلت: قد هزمهم الله، قال: قم يا زياد فانظر، قال: فقام فنظر فقال: الحق أصلحك الله يقينا قد هزموا، نخر ساجدا، فلما رجعت شمتني أبي وقال: أردت أن تهلكني وأهل بيتي

وقتل في المعركة عبد الرحمن بن عوسجة أبو سفيان النهمي، وقتل عقبة ابن عبد الغافر الأزدي ثم الجهضمي، في أولئك القراء في ربيعة واحدة، وقتل عبد الله بن رزام الحارثي، وقتل المنذر بن الجارود، وقتل عبد الله بن عامر بن مسمع، وأتى الحجاج برأسه، فقال: ما كنت أرى هذا فارقي حتى جاءني الآن برأسه، وبارز سعيد بن يحيى بن سعيد بن العاص رجلا يومئذ فقتله، وزعموا أنه كان مولى للفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب، كان شجاعا يدعى نصيرا، فلما رأى مشيته بين الصفيين، وكان يلومه على مشيته قال: لا ألومه على هذه المشية أبدا.

وقتل الطفيل بن عامر بن واثله، وقد كان قال وهو بفارس يقبل مع عبد الرحمن من كرمان إلى الحجاج:

ألا طرقتنا بالغريين بعد ما... كللنا على شحط المزار جنوب

أتوك يقودون المنايا وإنما ... هدتها بأولانا إليك ذنوب
ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له ... من الله في دار القرار نصيب
ألا أبلغ الحجاج أن قد أظله ... عذاب بأيدي المؤمنين مصيب
متى نهبط المصرين يهرب محمد ... وليس بمنجي ابن اللعين هروب
قال: منيتنا أمرا كان في علم الله أنك أولى به، ففعل لك في الدنيا، وهو معذبك في الآخرة وانهزم الناس، فأقبل عبد الرحمن نحو الكوفة وتبعه من كان معه من أهل الكوفة، وتبعه أهل القوة من أصحاب الخليل من أهل البصرة.
ولما مضى عبد الرحمن نحو الكوفة وثب أهل البصرة إلى عبد الرحمن ابن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه، فقاتل بهم خمس ليال الحجاج أشد قتال رآه الناس، ثم انصرف فلحق بابن الأشعث، وتبعه طائفة من أهل البصرة فلحقوا به، وخرج الحريش بن هلال السعدي وهو من بني أنف الناقة- وكان جريحا- إلى سفوان فمات من جراحته،
وقتل في المعركة زياد بن مقاتل بن مسمع من بني قيس بن ثعلبة، فقامت حميدة ابنته تندبه، وكان على خمس بكر بن وائل مع ابن الأشعث وعلى الرجال، فقالت:
وحامى زياد على رأيته ... وفر جدي بني العنبر
فجاء البلع السعدي فسمعها وهي تندب أباه، وتعيب التيمي، فجاء وكان يبيع سمنا بالمربد، فترك سمه عند أصحابه، وجاء حتى قام تحتها فقال:
علام تلومين من لم يلم ... تطاول ليلك من معصر!
فإن كان أردى أباك السنان ... فقد تلحق الخليل بالمدير
وقد تنطح الخليل تحت العجاج ... غير البري ولا المذر
ونحن منعنا لواء الحريش ... وطاح لواء بني جحدر
فقال عامر بن وائلة يرثي ابنه طفيلًا:
١٠٦٨ خلى طفيل علي الهم فانشعبا وهذ ذلك ركني هذة عجبا وابني سمية لا أنساها أبدا فيمن نسيت وكل كان لي نصبا وأخطأتني المنايا لا تطالني حتى كبرت ولم يترك لي نشبا وكنت بعد طفيل كالذي نصبت عنه المياه وفاض الماء فانقضبا فلا بعير له في الأرض يركبه وإن سعى إثر من قد فاته لغبا وسار من أرض خاقان التي غلبت أبناء فارس في أربائها غلبا ومن سجستان أسباب تزينا لك المنية حينما كان مجتلبا حتى وردت حياض الموت فانكشفت عنك الكئاب لا تخفى لها عقبا وغادروك صريعا رهن معركة ترى النصور على القتل بها عصبا
تعاهدوا ثم لم يوفوا بما عهدوا وأسلهوا للعدو السيي والسلبا يا سوءة القوم إذ تسبي نساؤهم وهم كثير يرون الخزي والحربا قال أبو مخنف: فحدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي أن الحجاج أقام بقية المحرم وأول صفر، ثم استعمل على البصرة أيوب ابن الحكم بن أبي عقيل، ومضى ابن الأشعث إلى الكوفة، وقد كان الحجاج خلف عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي، حليف حرب ابن أمية على الكوفة.
قال أبو مخنف- كما حدثني يونس بن أبي إسحاق: أنه كان على أربعة آلاف من أهل الشام.
قال أبو مخنف: فحدثني سهم بن عبد الرحمن الجهني أنهم كانوا ألفين، وكان حنظلة بن الورد من بني رياح بن يربوع التيمي وابن عتاب ابن ورقاء على المدائن، وكان مطر بن ناجية من بني يربوع على المعونة، فلما بلغه ما كان من أمر ابن الأشعث أقبل حتى دنا من الكوفة، فتحصن منه ابن الحضرمي في القصر، ووثب أهل الكوفة مع مطر بن ناجية بابن الحضرمي ومن معه من أهل الشام فصارهم، فصالحوه على أن يخرجوا ويخلوه والقصر، فصالحهم.
قال أبو مخنف: فحدثني يونس بن أبي إسحاق أنه رآهم ينزلون من القصر على العجل، وفتح باب القصر لمطر بن ناجية، فازدحم الناس على باب القصر، فزحم مطر على باب القصر، فاخترط سيفه، فضرب به جفلة بغل من بغال أهل الشام وهم يخرجون من القصر،

فالقي جحلفته ودخل القصر، واجتمع الناس عليه فأعطاهم مائتي درهم قال يونس: وأنا رأيته تقسم بينهم، وكان أبو السقر فيمن أعطيا وأقبل ابن الأشعث منهزما إلى الكوفة، وتبعه الناس إليها.

٦٠١٧٠٢ وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث

وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة كانت وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث في قول بعضهم قال الواقدي: كانت وقعة دير الجماجم في شعبان من هذه السنة، وفي قول بعضهم: كانت في سنة ثلاث وثمانين.

ذكر الخبر عن ذلك وعن سبب مصير ابن الأشعث إلى دير الجماجم وذكر ما جرى بينه وبين الحجاج بها:

ذكر هشام عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو الزبير الهمداني ثم الأرحبي، قال: كنت قد أصابتني جراحة، وخرج أهل الكوفة يستقبلون ابن الأشعث حين أقبل، فاستقبلوه بعد ما جاز قطرة زبارا، فلما دنا منها قال لي: إن رأيت أن تعدل عن الطريق - فلا يرى الناس جراحتك فإني لا أحب أن يستقبلهم الجرحى - فافعل فعدلت ودخل الناس، فلما دخل الكوفة مال إليه أهل الكوفة كلهم، وسبقت همدان إليه، فحفت به عند دار عمرو بن حريث الا طائفة من تميم ليسوا بالكثير قد أتوا مطر بن ناجية، فأرادوا أن يقتلوه دونه، فلم يطيقوا قتال الناس فدعا عبد الرحمن بالسلالم والعجل، فوضعت ليصعد الناس القصر، فصعد الناس القصر فأخذوه، فأتي به عبد الرحمن بن محمد، فقال له: استبقني فإني أفضل فرسانك واعظمهم عنك غناء، فأمر به فحبس، ثم دعا به بعد ذلك فعفا عنه وبايعه مطر، ودخل الناس إليه فبايعوه، وسقط إليه أهل البصرة، وتقوضت إليه المسالخ والثغور، وجاءه فيمن جاءه من أهل البصرة عبد الرحمن ابن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وعرف بذلك، وكان قد قاتل الحجاج بالبصرة بعد خروج ابن الأشعث ثلاثا، فبلغ ذلك عبد الملك ابن مروان، فقال: قاتل الله عدي الرحمن، إنه قد فر! وقاتل غلمان من غلمان قريش بعده ثلاثا وأقبل الحجاج بالبصرة فسار في البر حتى مر بين القادسية والعذيب، ومنعوه من نزول القادسية، وبعث إليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عبد الرحمن بن العباس في خيل عظيمة من خيل المصريين

فمنعوه من نزول القادسية، ثم سايروه حتى ارتفعوا على وادي السباع، ثم تسايروا حتى نزل الحجاج دير قرة، ونزل عبد الرحمن بن العباس دير الجماجم، ثم جاء ابن الأشعث فنزل بدير الجماجم والحجاج بدير قرة، فكان الحجاج بعد ذلك يقول: أما كان عبد الرحمن يزجر الطير حيث رأيته نزلت دير قرة، ونزل دير الجماجم! واجتمع أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الثغور والمسالخ بدير الجماجم والقراء من أهل المصريين، فاجتمعوا جميعا على حرب الحجاج، وجمعهم عليه بغضهم والكراهية له، وهم إذ ذاك مائة ألف مقاتل ممن يأخذ العطاء، ومعهم مثلهم من مواليتهم وجاءت الحجاج أيضا أمداؤه من قبل عبد الملك من قبل أن ينزل دير قرة، وقد كان الحجاج أراد قبل أن ينزل دير قرة أن يرتفع إلى هيت وناحية الجزيرة إرادة أن يقترب من الشام والجزيرة فيأتيه المدد من الشام من قريب، ويقترب من رفاغة سعر الجزيرة، فلما مر بدير قرة قال: ما بهذا المنزل بعد من أمير المؤمنين، وإن الفلاليح وعين التمر إلى جنبنا فنزل فكان في عسكره مخندقا وابن محمد في عسكره مخندقا، والناس يخرجون في كل يوم فيقتتلون، فلا يزال أحدهما يذني خندقه نحو صاحبه، فإذا رآه الآخر خندق أيضا، وأدنى خندقه من صاحبه واشتد القتال بينهم فلما بلغ ذلك رءوس قريش وأهل الشام قبل عبد الملك ومواليه قالوا: إن كان إنما يرضي أهل العراق أن ينزع عنهم الحجاج، فإن نزع الحجاج أيسر من حرب أهل العراق، فانزعه عنهم تخلص لك طاعتهم، وتحقق به دمائنا ودماءهم فبعث ابنه عبد الله بن عبد الملك، وبعث إلى أخيه محمد بن مروان بأرض الموصل يأمره بالقدوم عليه، فاجتمعوا جميعا عنده، كلاهما في جنديهما، فأمرهما أن يعرضا على أهل العراق نزع الحجاج عنهم، وأن يجري عليهم أعطياتهم كما تجرى على أهل الشام، وأن ينزل ابن محمد أي بلد من عراق شاء، يكون عليه واليا ما دام حيا، وكان عبد الملك واليا، فإن هم قبلوا ذلك عزل عنهم الحجاج، وكان محمد بن مروان

أمير العراق، وإن أبوا أن يقبلوا فالججاج أمير جماعة أهل الشام وولي القتال، ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعته فلم يأت

الحجاج أمر قط كان أشد عليه ولا أغىظ له ولا أوجع لقلبه منه مخافة أن يقبلوا فيعزل عنهم، فكتب إلى عبد الملك: يا أمير المؤمنين، والله لئن أعطيت أهل العراق نزعى لا يلبثون إلا قليلا حتى يخالفوك ويسيروا إليك، ولا يزيدهم ذلك إلا جرأة عليك، ألم تر وتسمع بوثوب أهل العراق مع الأشتر على ابن عفان، فلما سألهم ما يريدون قالوا: نزع سعيد بن العاص، فلما نزع لم تتم لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه! إن الحديد بالحديد يفلح خار الله لك فيما ارتأيت والسلام عليك.

فأبى عبد الملك إلا عرض هذه الخصال على أهل العراق إرادة العافية من الحرب فلما اجتمعوا مع الحجاج خرج عبد الله بن عبد الملك فقال:

يا أهل العراق، أنا عبد الله بن أمير المؤمنين، وهو يعطيكم كذا وكذا، فذكر هذه الخصال التي ذكرنا وقال محمد بن مروان: أنا رسول أمير المؤمنين إليكم، وهو يعرض عليكم كذا وكذا، فذكر هذه الخصال قالوا:

نرجع العشية، فرجعوا فاجتمعوا عند ابن الأشعث، فلم يبق قائد ولا رأس قوم ولا فارس إلا أتاه، فحمد الله ابن الأشعث وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد، فقد أعطيتم أمرا انتهازكم اليوم إياه فرصة، ولا آمن أن يكون على ذي الرأي غدا حسرة، وإنكم اليوم على النصف وإن كانوا اعتدوا بالزاوية فأنتم تعتدون عليهم بيوم تستر، فاقبلوا ما عرضوا عليكم وأنتم أعزاء أقوياء، والقوم لكم هائبون وأنتم لهم منتقصون فلا والله لا زلتم عليهم ١٠٧٥ ٢ جراء، ولا زلتم عندهم أعزاء، إن أنتم قبلتم أبدا ما بقيتم.

فوثب الناس من كل جانب، فقالوا: إن الله قد أهلكهم، فأصبحوا في

الأزل والضنك والجماعة والقلة والذلة، ونحن ذوو العدد الكثير، والسعر الرفيع والمادة القريبة، لا والله لا نقبل.

فأعادوا خلعه ثانية وكان عبد الله بن ذؤاب السلمي وعمير بن تيجان أول من قام بخلعه في الجمجم، وكان اجتماعهم على خلعه بالجمجم أجمع من خلعه إياه بفارس.

فرجع محمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك إلى الحجاج فقالا:

شأنك بعسكرك وجندك فاعمل برأيك، فإننا قد أمرنا أن نسمع لك ونطيع، فقال: قد قلت لكما: إنه لا يراد بهذا الأمر غيركما، ثم قال: إنما أقاتل لكما، وإنما سلطاني سلطانكما، فكانا إذا لقياه سلما عليه بالإمرة، وقد زعم أبو يزيد السكسكي أنه إنما كان أيضا يسلم عليهما بالإمرة إذا لقيهما، وخلياه والحرب فتولاها.

قال أبو مخنف: فحدثني الكلبي محمد بن السائب أن الناس لما اجتمعوا بالجمجم سمعت عبد الرحمن بن محمد وهو يقول: ألا إن بني مروان يعيرون بالزرقاء، والله ما لهم نسب أصح منه إلا أن بني أبي العاص أعلاج من أهل صفورية، فإن يكن هذا الأمر في قرش ففقت بيضة قرش، وإن يك في العرب فأنا ابن الأشعث بن قيس - ومد بها صوته يسمع الناس - وبرزوا للقتال، فجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن ابن سليم الكلبي، وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمي، وعلى خيله سفيان ابن الأبرد الكلبي، وعلى رجاله عبد الرحمن بن حبيب الحكمي، وجعل ابن الأشعث على ميمنته الحجاج بن جارية الخثعمي، وعلى ميسرته الأبرد بن قرة التيمي، وعلى خيله عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث الهاشمي، وعلى رجاله محمد بن سعد بن أبي وقاص، وعلى مجففته عبد الله بن رزام الحارثي، وجعل على القراء جبلة بن زحر بن قيس الجعفي،

٦٠١٧٠٣ ذكر الخبر عن وفاه المغيرة بن المهلب

وكان معه خمسة عشر رجلا من قرش، وكان فيهم عامر الشعبي، وسعيد ابن جبيرة وأبو البخري الطائي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ثم إنهم أخذوا يتزاحفون في كل يوم ويقتتلون، وأهل العراق تأتيهم موادهم من الكوفة ومن سوادها فيما شاءوا من خصبهم، وإخوانهم من أهل البصرة وأهل الشام في ضيق شديد، قد غلت عليهم الأسعار، وقل عندهم، الطعام، وفقدوا اللحم، وكانوا كأنهم في حصار، وهم على ذلك يغادون أهل العراق ويراوحونهم، فيقتتلون أشد القتال، وكان الحجاج يذني خندقه مرة وهؤلاء أخرى، حتى كان اليوم

الذي أصيب فيه جلبة بن زحر ثم إنه بعث إلى كميل بن زياد النخعي وكان رجلاً ركيناً وقوراً عند الحرب، له بأس وصوت في الناس، وكانت كتيبته تدعى كتيبة القراء، يحمل عليهم فلا يكادون يبرحون، ويحملون فلا يكذبون، فكانوا قد عرفوا بذلك، فخرجوا ذات يوم كما كانوا يخرجون، وخرج الناس، فعجب الحجاج أصحابه، ثم زحف في صفوفه، وخرج ابن محمد في سبعة صفوف بعضها على أثر بعض، وعجب الحجاج لكتيبة القراء التي مع جلبة بن زحر ثلاث كتائب، وبعث عليها الجراح بن عبد الله الحكمي، فأقبلوا نحوهم. قال أبو مخنف: حدثني أبو يزيد السكسكي، قال: أنا والله في الخيل التي عبيت لجلبة بن زحر، قال: حملنا عليه وعلى أصحابه ثلاث حملات، كل كتيبة تحمل حملة، فلا والله ما استنقصنا منهم شيئاً

. ذكر الخبر عن وفاه المغيرة بن المهلب

وفي هذه السنة توفي المغيرة بن المهلب بخراسان.

ذكر علي بن محمد، عن المفضل بن محمد، قال: كان المغيرة بن المهلب خليفة أبيه بمرو على عمله كله، فأت في رجب سنة اثنتين وثمانين، فأتى الخبر يزيد، وعلمه أهل العسكر فلم يخبروا المهلب، وأحب يزيد أن يبلغه، فأمر النساء فصرخن، فقال المهلب: ما هذا؟ فقيل: مات المغيرة،

فاسترجع، وجزع حتى ظهر جزعه عليه، فلامه بعض خاصته، فدعا يزيد فوجهه إلى مرو، فجعل يوصيه بما يعمل ودموعه تنحدر على لحيته وكتب الحجاج إلى المهلب يعزيه عن المغيرة، وكان سيدها، وكان المهلب يوم مات المغيرة مقيماً بكس وراء النهر لحرب أهلها قال: فسار يزيد في ستين فارساً - ويقال: سبعين - فيهم مجاعة بن عبد الرحمن العتيكي، وعبد الله بن معمر بن سمير اليشكري، ودينار السجستاني، وأهليثم بن المنخل الجرموزي، وغزوان الإسكاف صاحب زم - وكان أسلم على يد المهلب - وأبو محمد الزمي، وعطية - مولى لعتيك - فلقبيهم خمسمائة من الترك في مفازة نسف، فقالوا: ما أنتم؟ قالوا: تجار، قالوا: فأين الأثقال؟ قالوا: قدمناها، قالوا: فأعطونا شيئاً، فأبى يزيد، فأعطاهم مجاعة ثوباً وكرايس وقوساً، فانصرفوا ثم غدروا وعادوا إليهم، فقال يزيد: أنا كنت أعلم بهم فقاتلوهم، فاشتد القتال بينهم، ويزيد، على فرس قريب من الأرض، ومعه رجل من الخوارج كان يزيد أخذه، فقال: استبقني، فمن عليه، فقال له: ما عندك؟ فحمل عليهم حتى خالطهم وصار من ورائهم وقد قتل رجلاً، ثم كر فخالطهم حتى تقدمهم وقتل رجلاً ثم رجع إلى يزيد وقتل يزيد عظيماً من عظمائهم ورمي يزيد في ساقه، واشتدت شوكتهم، وهرب أبو محمد الزمي، وصبر لهم يزيد حتى حازوهم، وقالوا: قد غدرنا، ولكن لا ننصرف حتى نموت جميعاً أو نموتوا أو تعطونا شيئاً، فحلف يزيد لا يعطيهم شيئاً، فقال مجاعة: أذكرك الله، قد هلك المغيرة، وقد رأيت ما دخل على المهلب من مصابه، فأنتدك الله أن تصاب اليوم! قال: إن المغيرة لم يعد أجله، ولست أعدو أجلي فرمى إليهم مجاعة بعمامة صفراء فأخذوها وانصرفوا، وجاء أبو محمد الزمي بفوارس وطعام، فقال له يزيد: أسلمتنا يا أبا محمد، فقال: إنما ذهبت لأجيئكم بمدد وطعام، فقال الراجز:

٦٠١٧٠٤ ذكر الخبر عن سبب انصراف المهلب عن كس

يزيد يا سيف أبي سعيد ... قد علم الأقوام والجنود

والجمع يوم المجمع المشهود ... أنك يوم الترك صلب العود

وقال الأشعري:

والترك تعلم إذ لاقى جموعهم ... أن قد لقوه شهاباً يفرج الظلما

بفتية كأسود الغاب لم يجدوا ... غير التأسى وغير الصبر معتصما

نرى شرائع تغشى القوم من علق ... وما أرى نبوة منهم ولا كرما

وتحتهم قرح يركبن ما ركبوا ... من الكربة حتى ينتلن دما

في حازة الموت حتى جن ليلهم ... كلا الفريقين ما ولى ولا انهزما

وفي هذه السنة صالح المهلب اهل كس على فدية، ورحل عنها يريد مرو . ذكر الخبر عن سبب انصراف المهلب عن كس

ذكر علي بن محمد، عن المفضل بن محمد، أن المهلب اتهم قوما من مضر فحبسهم وقفل من كس وخلفهم، وخلف حريث بن قطبة مولى خزاعة، وقال: إذا استوفيت الفدية فرد عليهم الرهن وقطع النهر فلما صار ببلخ أقام بها وكتب إلى حريث: إني لست آمن إن رددت عليهم الرهن أن يغيروا عليك، فإذا قبضت الفدية فلا تخلي الرهن حتى تقدم أرض بلخ فقال حريث لملك كس: إن المهلب كتب إلي أن أحبس الرهن حتى أقدم أرض بلخ، فإن عجلت لي ما عليك سلمت إليك رهائلك، وسرت فأخبرته أن كتابه ورد، وقد استوفيت ما عليكم، ورددت عليكم الرهن، فعجل لهم صلحهم، ورد عليهم من كان في أيديهم منهم وأقبل فعرض لهم الترك، فقالوا: افد نفسك ومن معك، فقد لقينا

يزيد بن المهلب ففدى نفسه فقال حريث: ولدتي إذا أم يزيد! وقتلهم فقتلهم، وأسر منهم أسرى ففدوهم، فن عليهم وخلاهم، ورد عليهم الفداء، وبلغ المهلب قوله: ولدتي أم يزيد إذا، فقال: يأنف العبد أن تلده رحمه! وغضب.

فلما قدم عليه بلخ قال له: أين الرهن؟ قال: قبضت ما عليهم وخليتهم، قال: ألم اكتب إليك الا تخليهم! قال: أتاني كتابك وقد خليتهم، وقد كفيت ما خفت، قال: كذبت، ولكنك تقربت إليهم وإلى ملكهم فأطلعت على كتابي إليك وأمر بتجريدته، فجزع من التجريد حتى ظن المهلب أن به برصا، فجرده وضربه ثلاثين سوطا فقال حريث: وددت انه ضربني ثلاثمائة سوط ولم يجردني، أنفا واستحياء من التجريد، وحلف ليقتلن المهلب.

فركب المهلب يوما وركب حريث، فأمر غلامين له وهو يسير خلف المهلب أن يضرباه، فأبى أحدهما وتركه وانصرف، ولم يجترئ الآخر لما صار وحده أن يقدم عليه، فلما رجع قال لغلامه: ما منعك منه؟ قال:

الاشفاق والله عليك، والله ما جزعت على نفسي، وعلمت أنا إن قتلناه أنك ستقتل ونقتل، ولكن كان نظري لك، ولو كنت أعلم أنك تسلم من القتل لقتلته.

قال: فترك حريث إتيان المهلب، وأظهر أنه وجع، وبلغ المهلب أنه تمارض وأنه يريد الفتك به، فقال المهلب لثابت بن قطبة: جئني بأخيك، فإنما هو كبعض ولدي عندي، وما كان ما كان مني إليه إلا نظرا له وأدبا، ولربما ضربت بعض ولدي أودبه فأثى ثابت أخاه فناشده، وسأله أن يركب إلى المهلب، فأبى وخافه وقال: والله لا أجيئه بعد ما صنع بي ما صنع، ولا آمنه ولا يأمني فلما رأى ذلك أخوه ثابت قال له: أما إن كان هذا رأيك فانخرج بنا إلى موسى بن عبد الله بن خازم، وخاف ثابت أن يفتك حريث بالمهلب فيقتلون جميعا، فخرجا في ثلاثمائة من شاكرتيهما والمنقطعين إليهما من العرب

٦٠١٧٠٥ خبر وفاه المهلب بن أبي صفرة

خبر وفاه المهلب بن أبي صفرة

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة توفي المهلب بن أبي صفرة.

ذكر الخبر عن سبب موته ومكان وفاته:

قال علي بن محمد: حدثني المفضل، قال: مضى المهلب منصرفه من كس يريد مرو، فلما كان بزاغول من مرو الروذ أصابته الشوصة - وقوم يقولون: الشوكة - فدعا حبيبا ومن حضره من ولده، ودعا بسهام فحزمت، وقال: أترونكم كاسريها مجتمعة؟ قالوا: لا، قال: أفترونكم كاسريها متفرقة؟ قالوا: نعم، قال: فهكذا الجماعة، فأوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم، فان صله الرحم تنسئ في الأجل، وتشري المال، وتكثر العدد، وأنهماكم عن القطيعة، فإن القطيعة تعقب النار، وتورث الذلة والقلّة، فتحابوا وتواصلوا، وأجمعوا أمرهم ولا تختلفوا، وتباروا تجتمع أموركم، إن بني الأم يختلفون، فكيف ببني العلات! وعليكم بالطاعة والجماعة، وليكن فعالكم أفضل من قولكم، فإني أحب للرجل أن يكون لعمله فضل على لسانه، واتقوا الجواب وزلة اللسان، فإن الرجل تزل قدمه فينتعش من زلته، ويزل لسانه فيهلك اعرفوا لمن يغشاكم حقه، فكفى بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له، وآثروا الجود على البخل، وأحبوا العرب واصطنعوا العرف، فإن الرجل من

العرب تعدده العدة فيموت دونك، فكيف الصنيعة عنده! عليكم في الحرب بالأناة والمكيدة، فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة، وإذا كان اللقاء نزل القضاء، فإن أخذ رجل بالحزم فظهر على عدوه قيل: أتى الأمر من وجهه، ثم ظفر فحمد، وإن لم يظفر بعد الأناة قيل: ما فرط ولا ضيع، ولكن القضاء غالب وعلكم بقراءة القرآن، وتعليم السنن، وأدب الصالحين، وإياكم والخفة وكثرة الكلام في مجالسكم، وقد استخلفت عليكم يزيد، وجعلت حبيبا على الجند حتى يقدم بهم على يزيد، فلا تخالفوا يزيد، فقال له المفضل: لو لم تقدمه لقدمناه

٦٠١٧٠٦ أخبار متفرقة

ومات المهلب وأوصى إلى حبيب، فصلى عليه حبيب، ثم سار إلى مرو. وكتب يزيد إلى عبد الملك بوفاة المهلب واستخلافه إياه، فأقره الحجاج. ويقال: إنه قال عند موته ووصيته: لو كان الأمر إلي لوليت سيد ولدي حبيبا قال: وتوفي في ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين، فقال نهار بن توسعة التميمي:

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى ... ومات الندى والجود بعد المهلب
أقاما بمرور الرود رهني ضريحه ... وقد غيبا عن كل شرق ومغرب
إذا قيل أي الناس أولى بنعمة ... على الناس؟ قلناه ولم نتهيب
أباح لنا سهل البلاد وحزنها ... بخيل كأرسال القطا المتسرب
يعرضها للطعن حتى كأنما ... يجللها بالأرجوان المخضب
تطيف به قحطان قد عصبت به ... وأحلافها من حي بكر وتغلب
وحيا معد عوذ بلوائه ... يفدونه بالنفس الام والأب

[أخبار متفرقة]

وفي هذه السنة ولى الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب خراسان بعد موت المهلب. وفيها عزل عبد الملك أبان بن عثمان عن المدينة، قال الواقدي: عزله عنها لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة. قال: وفيها ولى عبد الملك هشام بن إسماعيل المخزومي المدينة وعزل هشام بن إسماعيل عن قضاء المدينة لما وليها نوفل بن مساحق العامري، وكان يحيى بن الحكم هو الذي استقضاه على المدينة، فلما عزل يحيى ووليا أبان ابن عثمان أقره على قضائها، وكانت ولاية أبان المدينة سبع سنين وثلاثة أشهر وثلاث عشرة ليلة، فلما عزل هشام بن إسماعيل نوفل بن مساحق عن القضاء ولى مكانه عمرو بن خالد الزرقى

وجج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان، كذلك حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ عَنْ ذَكَرِهِ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ وَكَانَ عَلَى الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَالْمَشْرِقَ الْحَجَّاجُ، وَعَلَى خُرَاسَانَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ مِنْ قَبْلِ الْحَجَّاجِ.

٦٠١٨ سنه ثلاث وثمانين

٦٠١٨٠١ خبر هزيمة ابن الأشعث بدير الجماجم

ثم دخلت

سنة ثلاث وثمانين

(ذكر الأحداث التي كانت فيها)

خبر هزيمة ابن الأشعث بدير الجماجم

فما كان فيها من ذلك هزيمة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بدير الجماجم. ذكر الخبر عن سبب انهزامه:

ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو الزبير الهمداني، قال: كنت في خيل جبله بن زحل، فلما حمل عليه أهل الشام مرة بعد مرة، نادانا عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه فقال: يا معشر القراء، إن الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بكم، إني سمعت عليا- رفع الله درجته في الصالحين، وأثابه أحسن ثواب الشهداء والصدّيقين- يقول يوم لقينا أهل الشام: أيها المؤمنون، إنه من رأى عدوانا يعمل به، ومنكرا يدعى إليه، فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ، ومن أنكر بلسانه فقد أجر، وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى، ونور في قلبه اليقين فقاتلوا هؤلاء المحلين المحدثين المبتدعين الذين قد جهلوا الحق فلا يعرفونه، وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه.

وقال أبو البخترى: أيها الناس، قاتلوهم على دينكم ودنياكم.

فوالله لئن ظهرنا عليكم ليفسدن عليكم دينكم، وليغلبن على دنياكم وقال الشعبي: يا أهل الإسلام، قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم، فوالله ما أعلم قوما على بساط الأرض أعمل بظلم، ولا أجور منهم في الحكم، فليكن بهم البدار.

وقال سعيد بن جبيرة: قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنية ويقين، وعلى آثامهم قاتلوهم على جورهم في الحكم، وتجبرهم في الدين، واستدلالهم الضعفاء، وإماتتهم الصلاة.

قال أبو مخنف، قال أبو الزبير: فتبئنا للحملة عليهم، فقال لنا جبلة: إذا حملتم عليهم فاحملوا حملة صادقة، ولا تردوا وجوهكم عنهم حتى تواقعوا صفهم قال: فحملنا عليهم حملة بجد منا في قتالهم، وقوة منا عليهم، فضربنا الكائب الثلاث حتى اشتفرت، ثم مضينا حتى واقعنا صفهم فضربناهم حتى أزلناهم عنه، ثم انصرفنا فررنا بجبله صريعا لا ندري كيف قتل.

قال: فهدنا ذلك وجبنا فوقفنا موقفنا الذي كنا به، وإن قرأنا لمتوافرون، ونحن نتناعى جبلة بن زحر بيننا، كأما فقد به كل واحد منا أباه أو أخاه، بل هو في ذلك الموطن كان أشد علينا فقد قال لنا أبو البخترى الطائي: لا يستبين فيكم قتل جبلة بن زحر، فإنما كان كرجل منكم أنه منيته ليومها، فلم يكن ليتقدم يومه ولا ليتأخر عنه، وكلكم ذائق ما ذاق، ومدعو فجيئ قال: فنظرت إلى وجوه القراء فإذا الكآبة على وجوههم بينة، وإذا ألسنتهم منقطعة، وإذا الفشل فيهم قد ظهر، وإذا أهل الشام قد سروا وجدلوا، فنادوا: يا أعداء الله، قد هلكتم، وقد قتل الله طاغوتكم.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو يزيد السكسكي أن جبلة حين حمل هو وأصحابه علينا انكشفنا، وتبعونا، واقتربت منا فرقة فكانت ناحية، فنظرنا فإذا أصحابه يتبعون أصحابنا، وقد وقف لأصحابه ليرجعوا إليه على رأس رهوة، فقال بعضنا، هذا والله جبلة بن زحر، احموا عليه ما دام أصحابه مشاغل بالقتال عنه لعلكم تصيبونه قال: فحملنا عليه، فأشهد ما ولى، ولكن حمل علينا بالسيف فلما هبط من الرهوة شجرناه بالرماح فأذريناه عن فرسه فوقع قتيلًا، ورجع أصحابه، فلما رأيناهم مقبلين تخينا عنهم، فلما رأوه قتيلًا رأينا من استرجاعهم وجزعهم ما قرت به أعيننا، قال: فتبينا ذلك في قتالهم إيانا وخروجهم إلينا.

قال أبو مخنف: حدثني سهم بن عبد الرحمن الجهني، قال: لما أصيب جبلة هد الناس مقتله، حتى قدم علينا بسطام بن مصقلة بن هيرة الشيباني، فشجع الناس مقدمه، وقالوا: هذا يقوم مقام جبلة، فسمع هذا القول من بعضهم أبو البخترى، فقال: قبحت! إن قتل منكم رجل واحد ظننتم أن قد أحيط بكم، فإن قتل الآن ابن مصقلة أقيم بأيديكم إلى التهلكة، وقلم: لم يبق أحد يقاتل معه! ما أخلقكم أن يخلف رجائنا فيكم! وكان مقدم بسطام من الري، فالتقى هو وقتيبة في الطريق، فدعاه قتيبة إلى الحجاج وأهل الشام، ودعاه بسطام إلى عبد الرحمن وأهل العراق، فكلاهما أبى على صاحبه، وقال بسطام: لأن أموت مع أهل العراق أحب إلي من أن أعيش مع أهل الشام، وكان قد نزل ماسبذان، فلما قدم قال لابن محمد: أمرني على خيل ربيعة، ففعل، فقال لهم:

يا معشر ربيعة، إن في شرسفة عند الحرب فاحتملوها لي- وكان شجاعا- فخرج الناس ذات يوم ليقتلوا، فحمل في خيل ربيعة حتى دخل عسكرهم، فأصابوا فيهم نحوًا من ثلاثين امرأة من بين أمة وسرية، فأقبل بهن حتى إذا دنا من عسكره ردهن، فجئن ودخلن عسكر الحجاج، فقال: أولى لهم! منع القوم نساءهم، أما لو لم يردوهن لسببت نساؤهم غدا إذا ظهرت ثم اقتتلوا يوما آخر بعد ذلك، فحمل عبد الله بن مليل الهمداني في خيل له حتى دخل

عسكرهم فسبا ثمانى عشرة امرأة، وكان معه طارق بن عبد الله الأسدي- وكان راميا- نخرج شيخ من أهل الشام من فسطاطه، فأخذ الأسدي يقول لبعض أصحابه: استر مني هذا الشيخ لعلي أرميه أو أحمل عليه فأطعنه، فإذا الشيخ يقول رافعا صوته: اللهم لنا وإياهم بعافية، فقال الأسدي: ما أحب أن أقتل مثل هذا، فتركه، وأقبل ابن مليل بالنساء غير بعيد، ثم خلى سبيلهن أيضا، فقال الحجاج مثل مقالته الأولى.

قال هشام: قال أبي: أقبل الوليد بن نحيث الكلبي من بني عامر في كتيبة إلى جيلة بن زحر، فانحط عليه الوليد من رابية- وكان جسيما، وكان جيلة رجلا ربعة- فالتقيا- فضربه على رأسه فسقط، وانهمز أصحابه وحيء برأسه قال هشام: فحدثني بهذا الحديث أبو مخنف وعوانة الكلبي، قال:

لما حيء برأس جيلة بن زحر إلى الحجاج حمله على رحين ثم قال: يا أهل الشام، أبشروا، هذا أول الفتح، لا والله ما كانت فتنة قط نجبت حتى يقتل فيها عظيم من عظماء أهل اليمن، وهذا من عظمائهم ثم خرجوا ذات يوم نخرج رجل من أهل الشام يدعو إلى المبارزة، فخرج إليه الحجاج ابن جارية، فحمل عليه، فطعنه فأذراه، وحمل أصحابه فاستنقذوه، فإذا هو رجل من خثعم يقال له أبو الدرداء، فقال الحجاج بن جارية:

أما إني لم أعرفه حتى وقع، ولو عرفته ما بارزته، ما أحب أن يصاب من قومي مثله وخرج عبد الرحمن بن عوف الرؤاسي أبو حميد فدعا إلى المبارزة، فخرج إليه ابن عم له من أهل الشام، فاضطربا بسيفيهما، فقال كل واحد منهما: أنا الغلام الكلبي، فقال كل واحد منهما لصاحبه:

من أنت؟ فلما تساءلا تحاجزا وخرج عبد الله بن رزام الحارثي إلى كتيبة الحجاج، فقال: أخرجوا إلي رجلا رجلا، فأخرج إليه رجل، فقتله ثم فعل ذلك ثلاثة أيام، يقتل كل يوم رجلا، حتى إذا كان اليوم الرابع

أقبل، فقالوا: قد جاء لا جاء الله به! فدعا إلى المبارزة، فقال الحجاج للجراح: أخرج إليه، فخرج إليه، فقال له عبد الله بن رزام- وكان له صديقا: ويحك يا جراح! ما أخرجك إلي! قال: قد ابتليت بك، قال: فهل لك في خير؟ قال: ما هو؟ قال: أنهزم لك فترجع إلى الحجاج وقد أحسنت عنده وحمدك، وأما أنا فإني أحتمل مقالة الناس في انهزامي عنك حبا لسلامتك، فإني لا أحب أن أقتل من قومي مثلك، قال: فافعل، فحمل عليه فأخذ يستطرد له- وكان الحارثي قد قطعت لهاته، وكان يعطش كثيرا، وكان معه غلام له معه إداوة من ماء، فكلما عطش سقاه الغلام- فاطرد له الحارثي، وحمل عليه الجراح حملة بجذ لا يريد إلا قتله، فصاح به غلامه: إن الرجل جاد في قتلك! فعطف عليه فضربه بالعمود على رأسه فصرعه، فقال لغلامه: انضح على وجهه من ماء الإداوة، واسقه، ففعل ذلك به، فقال: يا جراح، بئسما ما جزيتني، أردت بك العافية وأردت أن تزييني المنية! فقال: لم أرد ذلك، فقال: انطلق فقد تركتك للقربة والعشيرة.

قال محمد بن عمر الواقدي: حدثني ابن أبي سبرة، عن صالح بن كيسان، قال: قال سعيد الحرشي: أنا في صف القتال يومئذ إذ خرج رجل من أهل العراق، يقال له: قدامة بن الحريش التيمي، فوقف بين الصفين، فقال: يا معشر جرامة أهل الشام، إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، فإن أبيتم فليخرج إلي رجل، فخرج إليه رجل من أهل الشام فقتله، حتى قتل أربعة، فلما رأى ذلك الحجاج أمر مناديا فنادى: لا يخرج إلى هذا الكلب أحد، قال: فكف الناس قال سعيد الحرشي: فدنوت من الحجاج فقلت: أصلح الله الأمير! إنك رأيت الا يخرج إلى هذا الكلب أحد، وإنما هلك من هلك من هؤلاء النفر بآجالهم، ولهذا الرجل أجل، وأرجو أن يكون قد حضر، فأذن لأصحابي الذين قدموا معي فليخرج إليه رجل منهم، فقال الحجاج: إن هذا الكلب لم يزل هذا له عادة وقد أربع الناس، وقد أذنت لأصحابك، فمن أحب أن يقوم فليقم.

فرجع سعيد الحرشي إلى أصحابه فأعلمهم، فلما نادى ذلك الرجل بالبراز برز إليه رجل من أصحاب الحرشي، فقتله قدامة، فشق ذلك على سعيد، وثقل عليه لكلامه الحجاج، ثم نادى قدامة: من يبارز؟ فدنا سعيد من الحجاج، فقال: أصلح الله الأمير! أذن لي في الخروج إلى هذا الكلب، فقال:

وعندك ذلك؟ قال سعيد: نعم، أنا كما تحب، فقال الحجاج: أرني سيفك، فأعطاه إياه، فقال الحجاج: معي سيف أثقل من هذا، فأمر له

بالسيف، فأعطاه إياه، فقال الحجاج- ونظر إلى سعيد فقال: ما أجود درعك وأقوى فرسك! ولا أدري كيف تكون مع هذا الكلب! قال سعيد:

أرجو أن يظفرني الله به، قال الحجاج: اخرج على بركة الله قال سعيد:

نفرجت إليه، فلما دنوت منه، قال: قف يا عدو الله، فوقفت، فسرني ذلك منه، فقال: اختر إما أن تمكنني فأضربك ثلاثاً، وإما أن أمكنك فتضربني ثلاثاً، ثم تمكنني قلت: أمكني، فوضع صدره على قربوسه ثم قال: اضرب، فجمعت يدي على سيفي، ثم ضربت على المغفر متمكناً، فلم يصنع شيئاً، فسأني ذلك من سيفي ومن ضربتي، ثم أجمع رأيي أن أضربه على أصل العاتق، فإذا أن أقطع وإما أن أوهرن يده عن ضربته، فضربته فلم أصنع شيئاً، فسأني ذلك ومن غاب عني ممن هو في ناحية العسكر حين بلغه ما فعلت، والثالثة كذلك ثم اخترط سيفاً ثم قال: أمكني، فأمكنته، فضربني ضربة صرعني منها، ثم نزل عن فرسه وجلس على صدري، وانتزع من خفيه خنجراً أو سكيناً فوضعها على حلقي يريد ذبحي، فقلت له: أنشدك الله! فإنك لست مصيباً من قتلي الشرف والذكر مثل ما أنت مصيب من تركي، قال: ومن أنت؟ قلت: سعيد الحرشي، قال: أولى يا عدو الله! فانطلق فأعلم صاحبك ما لقيت.

قال سعيد: فانطلقت أسعى حتى انتهيت إلى الحجاج، فقال: كيف رأيت! فقلت: الأمير كان أعلم بالأمر.

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف، عن أبي يزيد، قال: وكان أبو البخترى الطائي وسعيد بن جبير يقولان: «وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا» إلى آخر الآية، ثم يجملان حتى يواقعا الصف.

قال أبو الخارق: قاتلناهم مائة يوم سواء أَعَدَّهَا عدا قال: نزلنا دير الجماجم مع ابن محمد غداة الثلاثاء لليلة مضت من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين، وهزمننا يوم الأربعاء لأربع عشرة مضت من جمادى الآخرة عند امتداد الضحى ومتوع النهار، وما كنا قط أجراً عليهم ولا هم أهون علينا منهم في ذلك اليوم.

قال: خرجنا إليهم وخرجوا إلينا يوم الأربعاء، لأربع عشرة مضت من جمادى الآخرة، فقاتلناهم عامة النهار أحسن قتال قاتلناهموه قط، ونحن آمنون من الهزيمة، عالون للقوم، إذ خرج سفيان بن الأبرد الكلبي في الخيل من قبل ميمنة أصحابه، حتى دنا من الأبرد بن قرة التيمي، وهو على ميسرة عبد الرحمن بن محمد، فوالله ما قاتله كبير قتال حتى انهزم، فأنكرها الناس منه، وكان شجاعاً، ولم يكن الفرار له بعاده، فظن الناس انه قد كان أومن، وصولح على ان ينهزم بالناس، فلما فعلها تقوضت الصفوف من نحوه، وركب الناس وجوههم وأخذوا في كل وجه، وصعد عبد الرحمن بن محمد المنبر، فأخذ ينادي الناس:

عباد الله، إلي أنا ابن محمد، فأتاه عبد الله بن رزام الحارثي، فوقف تحت منبره، وجاء عبد الله بن ذؤاب السلمي في خيل له، فوقف منه قريباً، وثبت حتى دنا منه أهل الشام، فأخذت نبلمهم تحوزه، فقال: يا بن رزام، احمل على هذه الرجال والخيل، فحمل عليهم حتى أمعنوا ثم جاءت

خيل لهم أخرى ورجالة، فقال: احمل عليهم يا بن ذؤاب، فحمل عليهم حتى أمعنوا، وثبت لا يبرح منبره، ودخل أهل الشام العسكر، فكبروا، فصعد إليه عبد الله بن يزيد بن المغفل الأزدي- وكانت مليكة ابنة أخيه امرأة عبد الرحمن- فقال: انزل، فإني أخاف عليك إن لم تنزل أن تؤسر، ولعلك إن انصرفت أن تجمع لهم جمعاً يهلكهم الله به بعد اليوم فنزل وخلي أهل العراق العسكر، وانهزموا لا يلوون على شيء، ومضى عبد الرحمن بن محمد مع ابن جعدة بن هبيرة ومعه أناس من أهل بيته، حتى إذا حاذوا قرية بني جعدة بالفلوجة دعوا بمعبر، فعبروا فيه، فأنتهى إليهم بسطام بن مصقلة، فقال: هل في السفينة عبد الرحمن بن محمد؟ فلم يكلموه، وظن أنه فيهم، فقال: لا وألت نفس عليها تحاذر.

ضرم قيس علي البلاد... حتى إذا اضطربت أجذما

ثم جاء حتى انتهى إلى بيته وعليه السلاح، وهو على فرسه لم ينزل عنه، نفرجت إليه ابنته فالتزمها، وخرج إليه أهله ليكون، فأوصاهم

بوصية وقال:

لا تبكوا، رأيتم إن لم أترككم، كم عسيت أن أبقى معكم حتى أموت! وإن أنا مت فإن الذي رزقكم الآن حي لا يموت، وسيرزقكم بعد وفاتي كما رزقكم في حياتي، ثم ودع أهله وخرج من الكوفة.

قال أبو مخنف: فحدثني الكلبي محمد بن السائب، أنهم لما هزموا ارتفاع النهار حين امتد ومتع، قال: جئت أشد ومعي الرمح والسيف والترس حتى بلغت أهلي من يومي، ما ألقيت شيئا من سلاحي، فقال الحجاج:

اتركوهم فليتبددوا ولا تتبعوهم، ونادى المنادي: من رجع فهو آمن ورجع محمد بن مروان إلى الموصل، وعبد الله بن عبد الملك إلى الشام بعد الوقعة، وخليا الحجاج والعراق، وجاء الحجاج حتى دخل الكوفة، واجلس مصقله ابن كرب بن رقة العبدى إلى جنبه، وكان خطيبا، فقال: اشم كل

امرئ بما فيه ممن كنا أحسنا إليه، فاشتمه بقله شكره ولؤم عهده، ومن علمت منه عيبا فعبه بما فيه، وصغر إليه نفسه وكان لا يبايعه أحد إلا قال له:

أشهد أنك قد كفرت؟ فإذا قال: نعم، بايعه وإلا قتله، فجاء إليه رجل من خثعم قد كان معتزلا للناس جميعا من وراء الفرات، فسأله عن حاله فقال: ما زلت معتزلا وراء هذه النطفة منتظرا أمر الناس حتى ظهرت، فأيتت لك لأبايعك مع الناس، قال: أمتربص! أأشهد أنك كافر؟ قال:

بئس الرجل أنا إن كنت عبدت الله ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر، قال: إذا اقتلك، قال: وإن قتلتني فوالله ما بقي من عمري إلا ظمء حمار، وإنى لا انتظر الموت صباح مساء قال: اضربوا عنقه فضربت عنقه، فزعموا أنه لم يبق حوله قرشي ولا شامي ولا أحد من الحزبين إلا رحمه ورثى له من القتل.

ودعا بكميل بن زياد النخعي فقال له: أنت المقتص من عثمان أمير المؤمنين؟ قد كنت أحب أن أجد عليك سبيلا، فقال: والله ما أدري على أين أنت أشد غضبا؟ عليه حين أقاد من نفسه، أم علي حين عفوت عنه؟ ثم قال: أيها الرجل من ثقيف، لا تصرف علي أنيابك، ولا تهدم علي تهدم الكتيب، ولا تكثر كثران الذئب، والله ما بقي من عمري إلا ظمء الحمار، فإنه يشرب غدوة ويموت عشية، ويشرب عشية ويموت غدوة، اقض ما أنت قاض، فإن الموعد الله، وبعد القتل الحساب قال الحجاج: فإن الحجة عليك، قال: ذلك إن كان القضاء إليك، قال: بلى، كنت فيمن قتل عثمان، وخلعت أمير المؤمنين، اقتلوه فقدم فقتل، قتله أبو الجهم بن كنانة الكلبي من بني عامر بن عوف، ابن عم منصور بن جمهور.

وأتى بآخر من بعده، فقال الحجاج: إني أرى رجلا ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر، فقال: أخادعي عن نفسي! أنا أكفر أهل الأرض، وأكفر من فرعون ذي الأوتاد، فضحك الحجاج وخلي سبيله. وأقام بالكوفة شهرا، وعزل أهل الشام عن بيوت أهل الكوفة.

٦٠١٨٠٢ هزيمة ابن الأشعث واصحابه في وقعه مسكن

هزيمة ابن الأشعث واصحابه في وقعه مسكن

وفي هذه السنة كانت الوقعة بمسكن بين الحجاج وابن الأشعث بعد ما انهزم من دير الجماجم. ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة وعن صفتها:

قال هشام: حدثني أبو مخنف، عن أبي يزيد السكسكي، قال:

خرج محمد بن سعد بن أبي وقاص بعد وقعة الجماجم حتى نزل المدائن، واجتمع إليه ناس كثير، وخرج عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمره بن حبيب بن عبد شمس القرشي حتى أتى البصرة وبها أيوب بن الحكم بن أبي عقيل، ابن عم الحجاج، فأخذها، وخرج عبد الرحمن بن محمد حتى قدم البصرة وهو بها، فاجتمع الناس إلى عبد الرحمن ونزل، فأقبل عبيد الله حينئذ إلى ابن محمد بن الأشعث، وقال له: إني لم أرد فراقك، وإنما أخذتها لك وخرج الحجاج فبدأ بالمدائن، فأقام عليها خمسا حتى هيا الرجال في المعابر، فلما بلغ محمد بن سعد عبورهم

إليهم خرجوا حتى لحقوا بابن الأشعث جميعا وأقبل نحوهم الحجاج، فخرج الناس معه إلى مسكن على دجيل، وأتاه أهل الكوفة والفلول من الأطراف، وتلاوم الناس على الفرار، وباع أكثرهم بسطام بن مصقلة على الموت، وخندق عبد الرحمن على أصحابه، وبثق الماء من جانب، فجعل القتال من وجه واحد، وقدم عليه خالد بن جرير بن عبد الله القسري من خراسان في ناس من بعث الكوفة، فاقتتلوا خمس عشرة ليلة من شعبان أشد القتال حتى قتل زياد بن غنيم القيني، وكان على مسالح الحجاج، فهذه ذلك وأصحابه هذا شديدا.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي أَبُو جَهْضَم الْأَزْدِيُّ، قَالَ: بَاتَ الْحَجَّاجُ لَيْلَهُ كُلَّهُ يَسِيرُ فِينَا يَقُولُ لَنَا: إِنَّكُمْ أَهْلُ الطَّاعَةِ، وَهُمْ أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ، وَأَنْتُمْ تَسْعُونَ فِي رِضْوَانِ اللَّهِ، وَهُمْ يَسْعُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ، وَعَادَةُ اللَّهِ عِنْدَكُمْ فِيهِمْ

حسنة، ما صدقتموهم في موطن قط ولا صبرتم لهم إلا أعقبكم الله النصر عليهم والظفر بهم، فأصبحوا اليهم عادين جادين، فاني لست أشك في النصر إن شاء الله قال: فأصبحنا، وقد عبأنا في السحر، فباكرناهم فقاتلناهم أشد قتال قاتلنا هموه قط، وقد جاءنا عبد الملك بن المهلب مجففا، وقد كشفت خيل سفيان بن الأبرد، فقال له الحجاج: ضم إليك يا عبد الملك هذا النسر لعل أحمل عليهم، ففعل، وحمل الناس من كل جانب، فانهزم أهل العراق أيضا، وقتل أبو البخترى الطائي وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وقالوا قبل ان يقتلوا: إن الفرار كل ساعة بنا لقبيح فأصيبنا قال: ومشي بسطام بن مصقلة الشيباني في أربعة آلاف من أهل الحفاظ من أهل المصريين، فكسروا جفون السيوف، وقال لهم ابن مصقلة:

لو كنا إذا فررنا بأنفسنا من الموت نجونا منه فررنا، ولكنا قد علمنا أنه نازل بنا عما قليل، فأين المحيد عما لا بد منه! يا قوم إنكم محقون، فقاتلوا على الحق، والله لو لم تكونوا على الحق لكان موت في عز خيرا من حياة في ذل فقاتل هو وأصحابه قتالا شديدا كشفوا فيه أهل الشام مرارا، حتى قال الحجاج: علي بالرماة لا يقاتلهم غيرهم، فلما جاءتهم الرماة، وأحاط بهم الناس من كل جانب قتلوا إلا قليلا، وأخذ بكير بن ربيعة بن ثروان الضبي أسيرا، فأتي به الحجاج فقتله قال أبو مخنف: فحدثني أبو الجهضم، قال: جئت بأسير كان الحجاج يعرفه بالبأس، فقال الحجاج: يا أهل الشام، إنه من صنع الله.

لكم إن هذا غلام من الغلمان جاء بفارس أهل العراق أسيرا، اضرب عنقه، فقتله.

قال: ومضى ابن الأشعث والفل من المنهزمين معه نحو سجستان فأتبعهم الحجاج عمارة بن تميم اللخمي ومعه ابنه محمد بن الحجاج وعمارة أمير

على القوم، فسار عمارة بن تميم إلى عبد الرحمن فأدركه بالسوس، فقاتله ساعة من نهار، ثم إنه انهزم هو وأصحابه فمضوا حتى أتوا سابور، واجتمعت إلى عبد الرحمن بن محمد الأكراد مع من كان معه من الفلول، فقاتلهم عمارة بن تميم قتالا شديدا على العقبة حتى جرح عمارة وكثير من أصحابه، ثم انهزم عمارة وأصحابه وخلوا لهم عن العقبة، ومضى عبد الرحمن حتى مر بكرمان.

قال الواقدي: كانت وقعة الزاوية بالبصرة في المحرم سنة ثلاث وثمانين.

قال أبو مخنف: حدثني سيف بن بشر العجلي، عن المنخل بن حابس العبدي، قال: لما دخل عبد الرحمن بن محمد كerman تلقاه عمرو بن لقيط العبدي - وكان عامله عليها - فهيأ له نزلا فنزل، فقال له شيخ من عبد القيس يقال له معقل: والله لقد بلغنا عنك يا ابن الأشعث أن قد كنت جبانا، فقال عبد الرحمن: والله ما جبنت، والله لقد دلفت الرجال بالرجال، ولففت الخيل بالخيول، ولقد قاتلت فارسا، وقاتلت راجلا، وما انهزمت، ولا تركت العرصة للقوم في موطن حتى لا أجد مقاتلا ولا أرى معي مقاتلا، ولكنني زاولت ملكا مؤجلا ثم إنه مضى بمن معه حتى فوز في مفازة كerman قال أبو مخنف: فحدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي، قال: لما مضى ابن محمد في مفازة كerman وأتبعه أهل الشام دخل بعض أهل الشام قصرا في المفازة، فإذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة من شعر أبي جلدة اليشكري، وهي قصيدة طويلة:

أيأ لهفا ويا حزنا جميعا ... ويا حر الفواد لما لقينا!
تركنا الدين والدنيا جميعا ... وأسلمنا الحلائل والبنينا
فما كنا أناسا أهل دين ... فنصبر في البلاء إذا ابتلينا

وما كنا أناسا أهل دنيا ... فمنعها ولو لم نرج دنيا
تركنا دورنا لطعامك ... وأنباط القرى والأشعرينا

ثم إن ابن محمد مضى حتى خرج على زرنج مدينة سجستان، وفيها رجل من بني تميم قد كان عبد الرحمن استعمله عليها، يقال له عبد الله بن عامر البعار من بني مجاشع بن دارم، فلما قدم عليه عبد الرحمن بن محمد منهزما أغلق باب المدينة دونه، ومنعه دخولها، فأقام عليها عبد الرحمن أياما رجاء افتتاحها ودخولها فلما رأى أنه لا يصل إليها خرج حتى أتى بست، وقد كان استعمل عليها رجلا من بكر بن وائل يقال له عياض بن هميان أبو هشام بن عياض السدوسي، فاستقبله، وقال له: انزل، فجاء حتى نزل به، وانتظر حتى إذا غفل أصحاب عبد الرحمن وتفرقوا عنه وثب عليه فأوثقه، وأراد أن يأمن بها عند الحاج، ويتخذ بها عنده مكانا وقد كان رتبيل سمع بمقدم عبد الرحمن عليه، فاستقبله في جنوده، فجاء رتبيل حتى أحاط ببست، ثم نزل وبعث إلى البكري: والله لئن آذيت به بما يقذي عينه، أو ضررت به ببعض المضرة، أو رزأته حبلا من شعر لا أبرح العرصه حتى أستنزلك فأقتلك وجميع من معك، ثم أسبي ذراريكم، وأقسم بين الجند أموالكم فأرسل إليه البكري أن أعطنا أمانا على أنفسنا وأموالنا، ونحن ندفعه إليك سالما، وما كان له من مال موفرا فصالحهم على ذلك، وآمنهم، ففتحوا لابن الأشعث الباب وخلوا سبيله، فأتى رتبيل فقال له: إن هذا كان عاملي على هذه المدينة، وكنت حيث وليته واثقا به، مطمئنا إليه، فغدر بي وركب مني ما قد رأيت، فأذن لي في قتله، قال:

قد آمنت وأكره أن أغدر به، قال: فأذن لي في دفعه ولزه، والتصغير به، قال: أما هذا فنعم ففعل به عبد الرحمن بن محمد، ثم مضى حتى دخل مع رتبيل بلاده، فأنزله رتبيل عنده وأكرمه وعظمه، وكان معه ناس من الفل كثير.

ثم إن عظم الفلول وجماعة أصحاب عبد الرحمن ومن كان لا يرجو

الأمان، من الرؤوس والقادة الذين نصبوا للحجاج في كل موطن مع ابن الأشعث، ولم يقبلوا أمان الحجاج في أول مرة، وجهدوا عليه الجهد كله، أقبلوا في أثر ابن الأشعث وفي طلبه حتى سقطوا بسجستان، فكان بها منهم ومن تبعهم من أهل سجستان وأهل البلد نحو من ستين ألفا، ونزلوا على عبد الله بن عامر البعار فحصروه، وكتبوا إلى عبد الرحمن يخبرونه بقدومهم وعددهم وجماعتهم، وهو عند رتبيل وكان يصلي بهم عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فكتبوا إليه: أن أقبل إلينا لعلنا نسير إلى خراسان، فإن بها منا جندا عظيما، فلعلهم يبايعونا على قتال أهل الشام، وهي بلاد واسعة عريضة، وبها الرجال والحصون نخرج إليهم عبد الرحمن بن محمد بمن معه، فحصروا عبد الله بن عامر البعار حتى استنزلوه، فأمر به عبد الرحمن فضرب وعذب وحبس وأقبل نحوهم عمارة بن تميم في أهل الشام، فقال أصحاب عبد الرحمن بن محمد لعبد الرحمن: اخرج بنا عن سجستان فلندعها له ونأتي خراسان، فقال عبد الرحمن بن محمد:

على خراسان يزيد بن المهلب، وهو شاب شجاع صارم، وليس بتارك لكم سلطانه، ولو دخلتموها وجدتموه إليكم سريعا، ولن يدع أهل الشام اتباعكم، فأكره أن يجتمع عليكم أهل خراسان وأهل الشام، واخاف ألا تنالوا ما تطلبون، فقالوا: إنما أهل خراسان منا، ونحن نرجو أن لو قد دخلناها أن يكون من يتبعنا منهم أكثر ممن يقاتلنا، وهي أرض طويلة عريضة نتنحي فيها حيث شئنا، ونمكث حتى يهلك الله الحجاج أو عبد الملك، أو نرى من رأينا فقال لهم عبد الرحمن: سيروا على اسم الله.

فساروا حتى بلغوا هراة، فلم يشعروا بشيء حتى خرج من عسكره عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة القرشي في ألفين، ففارقته، فأخذ طريقا سوى طريقهم، فلما أصبح ابن محمد قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، فإني قد شهدتكم في هذه المواطن، وليس فيها مشهد

إلا أصبر لكم فيه نفسي حتى لا يبقى منكم فيه أحد، فلما رأيت أنكم لا تقاتلون، ولا تصبرون، أتيت ملجأ ومأنا فكنت فيه، فجاءتني كتبكم بأن أقبل إلينا، فإننا قد اجتمعنا وأمرنا واحد، لعلنا نقاتل عدونا، فأتيتكم فرأيت أن أمضي إلى خراسان وزعمتم انكم مجتمعون على،

وأنكم لن تفرقوا عني ثم هذا عبيد الله بن عبد الرحمن قد صنع ما قد رأيتم، فحسبي منكم يومي هذا فاصنعوا ما بدا لكم، أما أنا فنصرف إلى صاحبي الذي أتيتكم من قبله، فمن أحب منكم أن يتبعني فليتبني، ومن كره ذلك فليذهب حيث أحب في عياد من الله. فتفرقت منهم طائفة، ونزلت معه طائفة، وبقي عظم العسكر، فوثبوا إلى عبد الرحمن بن العباس لما انصرف عبد الرحمن، فبايعوه ثم مضى ابن محمد إلى رتبيل ومضوا هم إلى خراسان حتى انتهوا إلى هراة، فلقوا بها الرقاد الأزدي من العتيك، فقتلوه، وسار إليهم يزيد بن المهلب.

وأما علي بن محمد المدائني فإنه ذكر عن المفضل بن محمد أن ابن الأشعث لما انهزم من مسكن مضى إلى كابل، وأن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة أتى هراة، فدم ابن الأشعث وعابه بفراره، وأتى عبد الرحمن بن عباس ببجستان فانضم إليه فل ابن الأشعث، فسار إلى خراسان في جمع يقال عشرين ألفاً، فنزل هراة ولقوا الرقاد بن عبيد العتيك فقتلوه، وكان مع عبد الرحمن من عبد القيس عبد الرحمن بن المنذر بن الجارود، فأرسل إليه يزيد بن المهلب: قد كان لك في البلاد متسع، ومن هو أكل مني حداً وأهون شوكة، فارتحل إلى بلد ليس فيه سلطان، فإني أكره قتالك، وإن أحببت أن أمدك بمال لسفرك أعنتك به، فأرسل إليه: ما نزلنا هذه البلاد لمحاربة ولا لمقام، ولكنا أردنا أن نرجع، ثم نشخص إن شاء الله، وليست بنا حاجة إلى ما عرضت فانصرف رسول يزيد إليه، وأقبل الهاشمي على الجباية، وبلغ يزيد، فقال: من أراد أن يريح ثم يجتاز لم يجب الخراج، فقدم المفضل في أربعة آلاف - ويقال في ستة آلاف -

ثم أتبعه في أربعة آلاف، ووزن يزيد نفسه بسلاحه، فكان أربعمئة رطل، فقال: ما أراني إلا قد ثقلت عن الحرب، أي فرس يحملني! ثم دعا بفرسه الكامل فركبه، واستخلف على مرو خاله جديع بن يزيد، وصير طريقه على مرو الروذ، فأتى قبر أبيه فأقام عنده ثلاثة أيام، وأعطى من معه مائة درهم مائة درهم، ثم أتى هراة فأرسل إلى الهاشمي: قد أرحت وأسمنت وجيت، فلك ما جيت، وإن اردت زياده زدناك، فخرج فو الله ما أحب أن أقاتلك قال: فأبى إلا القتال ومعه عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة، ودس الهاشمي إلى جند يزيد يمينهم ويدعوهم إلى نفسه، فأخبر بعضهم يزيد، فقال: جل الأمر عن العتاب، أتغدى بهذا قبل أن يتعشى بي، فسار إليه حتى تدانى العسكران، وتأهبوا للقتال، وألقى ليزيد كرسي فقعد عليه، وولى الحرب أخاه المفضل، فأقبل رجل من أصحاب الهاشمي - يقال له خليل عيين من عبد القيس - على ظهر فرسه، فرفع صوته فقال:

دعت يا يزيد بن المهلب دعوة ... لها جزع ثم استهلت عيونها

ولو يسمع الداعي النداء أجابها ... بصم القنا والبيض تلقى جفونها

وقد فر أشراف العراق وغادروا ... بها بقرا للحين جما قرونها

وأراد أن يحض يزيد، فسكت يزيد طويلاً حتى ظن الناس أن الشعر قد حركه، ثم قال لرجل: ناد وأسمعهم، جشموهم ذلك، فقال خليل:

لبئس المنادي والمنوه باسمه ... تناديه أبكار العراق وعونها

يزيد إذا يدعى ليوم حفيظة ... ولا يمنع السوات إلا حصونها

فإني أراه عن قليل بنفسه ... يدان كما قد كان قبل يديها

فلا حرة تبكيه لكن نوائح ... تبكي عليه البقع منها وجونها

فقال يزيد للمفضل: قدم خيلك، فتقدم بها، وتهايجوا فلم يكن بينهم كبير قتال حتى تفرق الناس عن عبد الرحمن، وصبر وصبرت معه طائفة من أهل الحفاظ، وصبر معه العبيدون، وحمل سعد بن نجد القردوسي على حليس الشيباني وهو أمام عبد الرحمن، فطعنه حليس فأذراه عن فرسه، وحماه أصحابه، وكثرهم الناس فانكشفوا، فأمر يزيد بالكف عن اتباعهم، وأخذوا ما كان في عسكرهم، وأسروا منهم أسرى، فولى يزيد عطاء بن أبي السائب العسكر، وأمره بضم ما كان فيه، فأصابوا ثلاث عشرة امرأة، فأتوا بهن يزيد، فدفعهن إلى مرة بن عطاء بن أبي السائب، فحملهن إلى الطيبسين، ثم حملهن إلى العراق وقال يزيد لسعد بن نجد: من طعنك؟ قال: حليس الشيباني، وأنا والله راجلاً أشد منه وهو فارس قال:

فبلغ حليسا، فقال: كذب والله، لأننا أشد منه فارساً وراجلاً وهرب عبد الرحمن بن منذر بن بشر بن حارثة فصار إلى موسى بن عبد

الله بن خازم قال: فكان في الأسرى محمد بن سعد بن أبي وقاص، وعمرو بن موسى بن عبيد الله بن معمر، وعياش بن الأسود بن عوف الزهري والهلقام بن نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرار، وفيروز حصين، وأبو العليج مولى عبيد الله بن معمر، ورجل من آل أبي عقيل، وسوار بن مروان، وعبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله بن خلف، وعبد الله بن فضالة الزهراني.

ولحق الهاشمي بالسند، وأتى ابن سمرة مرو، ثم انصرف يزيد إلى مرو وبعث بالأسرى إلى الحجاج مع سبرة بن نخف بن أبي صفرة، وخلي عن ابن طلحة وعبد الله بن فضالة، وسعى قوم بعبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة، فأخذه يزيد فحبسه.

وأما هشام فإنه ذكر أنه حدثه القاسم بن محمد الحضرمي، عن حفص ابن عمرو بن قبيصة، عن رجل من بني حنيفة يقال له جابر بن عمارة، أن يزيد بن المهلب حبس عنده عبد الرحمن بن طلحة وأمنه، وكان الطلحي قد آلى على يمين الازدي يزيد بن المهلب في موقف إلا أنه حتى يقبل يده شكرا لما أبلاه قال: وقال محمد بن سعد بن أبي وقاص ليزيد: أسألك بدعوة أبي لأبيك! نفلي سبيله ولقول محمد بن سعد ليزيد: أسألك بدعوة أبي لأبيك حديث فيه بعض الطول.

قال هشام: حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ الثَّقَفِيُّ، قَالَ: بَعَثَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ بِبَقِيَّةِ الْأَسْرَى إِلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ، بِعَمْرِ بْنِ مُوسَى بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ، فَقَالَ: أَنْتَ صَاحِبُ شَرْطِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ؟ فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ! كَانَتْ فِتْنَةٌ شَمِلَتْ الْبَرَّ وَالْفَاجِرَ، فَدَخَلْنَا فِيهَا، فَقَدْ أَمَكَّنَكَ اللَّهُ مِنَّا، فَإِنْ عَفَوْتَ فَجَهْلُكَ وَفَضْلُكَ، وَإِنْ عَاقَبْتَ عَاقَبْتَ ظُلْمَةً مَذْنُونٍ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ: أَمَا قَوْلُكَ: أَنَّهَا شَمِلَتْ الْبَرَّ وَالْفَاجِرَ فَكَذَبْتَ، وَلَكِنَّا شَمِلَتْ الْفَاجِرَ، وَعُوفِي مِنْهَا الْأَبْرَارَ، وَأَمَا اعْتِرَافُكَ بِذَنْبِكَ فَعَسَى أَنْ يَنْفَعَكَ.

فغزل، ورجا الناس له العافية حتى قدم بالهلقام بن نعيم، فقال له الحجاج: أخبرني عنك، ما رجوت من اتباع عبد الرحمن بن محمد؟ أرجوت أن يكون خليفة؟ قال: نعم، رجوت ذلك، وطمعت أن ينزلني منزلتك من عبد الملك، قال: فغضب الحجاج وقال: اضربوا عنقه، فقتل.

قال: ونظر إلى عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر وقد نحي عنه فقال: اضربوا عنقه، وقتل بقيتهم وقد كان آمن عمرو بن أبي قرة الكندي ثم الحجري وهو شريف وله بيت قديم، فقال: يا عمرو، كنت تفضي إلي وتحدثني أنك ترغب عن ابن الأشعث وعن الأشعث قبله، ثم تبعت عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، والله ما بك عن اتباعهم رغبة، ولا نعمة عين لك ولا كرامة.

قال: وقد كان الحجاج حين هزم الناس بالجماحم نادى مناديه:

من لحق بقتيبة بن مسلم بالري فهو آمنه، فليلق ناس كثير بقتيبة، وكان فيمن لحق به عامر الشعبي، فذكر الحجاج الشعبي يوما فقال: أين هو؟ وما فعل؟ فقال له يزيد بن أبي مسلم: بلغني أيها الأمير أنه لحق بقتيبة بن مسلم بالري، قال: فابعث إليه فلنؤت به فكتب الحجاج إلى قتيبة: أما بعد، فابعث إلي بالشعبي حين تنظر في كتابي هذا، والسلام عليك، فسرح إليه.

قال أبو مخنف: فحدثني السري بن إسماعيل عن الشعبي، قال: كنت لابن أبي مسلم صديقا، فلما قدم بي على الحجاج لقيت ابن أبي مسلم فقلت: أشر علي، قال: ما أدري ما أشير به عليك غير أن أعذر ما استطعت من عذرا وأشار بمثل ذلك علي نصحا وإخواني، فلما دخلت عليه رأيت والله غير ما رأوا لي، فسلمت عليه بالإمرة ثم قلت:

أيها الأمير، إن الناس قد أمروني أن أعذر إليك بغير ما يعلم الله أنه الحق، وإيم الله لا أقول في هذا المقام إلا حقا، قد والله سودنا عليك، وحرصنا وجهدنا عليك كل الجهد، فما آلونا، فما كنا بالأقوياء الفجرة، ولا الأتقياء البررة، ولقد نصرك الله علينا، وأظفرك بنا، فإن سطوت فذنوبنا وما جرت إليه أيدينا، وإن عفوت عنا فجهلك، وبعد الحجة لك علينا، فقال له الحجاج: أنت والله أحب إلي قولا ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول: ما فعلت ولا شهدت، قد أمنت عندنا يا شعبي، فانصرف.

قال: فانصرفت، فلما مشيت قليلا قال: هلم يا شعبي، قال: فوجل لذلك قلبي، ثم ذكرت قوله: قد أمنت يا شعبي، فاطمأنت نفسي، قال: كيف وجدت الناس يا شعبي بعدنا؟ قال- وكان لي مكروا: فقلت:

أصلح الله الأمير! اكتحلت والله بعدك السهر، واستوعرت الجنب، واستحلت الخوف، وفقدت صالح الإخوان، ولم أجد من الأمير خلفاً.

قال: انصرف يا شعبي، فانصرفت قال أبو مخنف: قال خالد بن قطن الحارثي: أتى الحجاج بالأعشى، أعشى همدان، فقال: إيه يا عدو الله! أنشدني قولك: بين الأشج وبين

قيس، أنفذ بيتك، قال: بل أنشدك ما قلت لك، قال: بل أنشدني هذه، فأنشده:

إبي الله الا ان يتم نوره ... ويطفى نور الفاسقين فيخمدا
ويظهر أهل الحق في كل موطن ... ويعدل وقع السيف من كان أصيدا
وينزل ذلا بالعراق وأهله ... لما نقضوا العهد الوثيق المؤكد
وما أحدثوا من بدعة وعظيمة ... من القول لم تصعد إلى الله مصعدا
وما نكثوا من بيعة بعد بيعة ... إذا ضمنوها اليوم خاسوا بها غدا
وجبنا حشاه ربهم في قلوبهم ... فما يقربون الناس إلا تهددا
فلا صدق في قول ولا صبر عندهم ... ولكن نخرا فيهم وتريدا
فكيف رأيت الله فرق جمعهم ... ومزقهم عرض البلاد وشردا!
فقتلهم قتلى ضلال وفتنة ... وحيهم أمسى ذليلا مطردا
ولما زحفنا لابن يوسف غدوة ... وأبرق منا العارضان وأرعدا
قطعنا إليه الخندقين وإنما ... قطعنا وأفضينا إلى الموت مرصدا
فكألفنا الحجاج دون صفوفنا ... كفاحا ولم يضرب لذلك موعدا
بصف كأن البرق في جمراته ... إذا ما تجلى بيضه وتوقدا
دلفنا إليه في صفوف كأنها ... جبال شرورى لو تعان فتهدا
فما لبث الحجاج أن سل سيفه ... علينا فولى جمعنا وتبددا
وما زاحف الحجاج إلا رأيته ... معانا ملقى للفتوح معودا
وإن ابن عباس لفي مرجحة ... نشبهها قطعا من الليل أسودا
فما شرعوا رحا ولا جردوا له ... ألا ربما لاقى الجبان فجردا
وكرت علينا خيل سفیان كره ... بفرسانها والسمهري مقصدا
وسفیان يهديها كأن لواءه ... من الطعن سند بات بالصبع مجسدا
كهول ومرد من قضاة حوله ... مساعير أبطال إذا النكس عردا
إذا قال شدوا شدة حملوا معا ... فأنهل خرصان الرماح وأوردا
جنود أمير المؤمنين وخيله ... وسلطانه أمسى عزيزا مؤيدا
فبني أمير المؤمنين ظهوره ... على أمة كانوا بغاة وحسدا
نزوا يشكون البغي من أمرائهم ... وكانوا هم أبغى البغاة وأعدا
وجدنا بني مروان خير أئمة ... وفضل هذى الناس حلما وسوددا
وخير قریش في قریش أرومة ... وأكرمهم إلا النبي محمدًا
إذا ما تدبرنا عواقب أمره ... وجدنا أمير المؤمنين مسددا
سيغلب قوم غالبوا الله جهرة ... وإن كایدوه كان أقوى وأكيدا
كذلك يضل الله من كان قلبه ... مريضا ومن والى النفاق وألحدا

فقد تركوا الأهلين والمال خلفهم ... وبيضا عليهن الجلابيب خردا

ينادينهم مستعبرات إليهم ... ويذرين دمعاً في الخدود وإثمدا

فإلا تناولهن منك برحمة ... يكن سبايا والبعولة أعبدنا

أنكنا وعصيانا وغدرا وذلة ... أهان الإله من أهان وأبعدا

لقد شأم المصريين فرخ محمد ... يحق وما لاقى من الطير أسعدنا

كما شأم الله النجير وأهله ... بجده له قد كان أشقى وأنكدنا

فقال أهل الشام: أحسن، أصلح الله الأمير! فقال الحجاج: لا، لم يحسن، إنكم لا تدرون ما أراد بها، ثم قال: يا عدو الله، إنا لسنا نحمدك

على هذا القول، إنما قلت: تأسف الا يكون ظهر وظفر، وتحريضا لأصحابك علينا، وليس عن هذا سألناك، أنفذ لنا قولك:

بين الاشج وبين قيس باذخ.

فأنفذها، فلما قال:

يخ ينج لوالده وللمولود

قال الحجاج: لا والله لا تبخج بعدها لأحد أبداً، فقدمه فضرِب عنقه.

وقد ذكر من أمر هؤلاء الأسرى الذين أسرهم يزيد بن المهلب ووجههم إلى الحجاج ومن فلول ابن الأشعث الذين انهزموا يوم مسكن

أمر غير ما ذكره أبو مخنف عن أصحابه والذي ذكر عنهم من ذلك أنه لما انهزم ابن الأشعث مضى هؤلاء مع سائر الفل إلى الري، وقد

غلب عليها عمر بن أبي الصلت بن كزار مولى بني نصر بن معاوية، وكان من أفرس الناس، فانضموا إليه، فأقبل قتيبة بن مسلم إلى الري

من قبل الحجاج وقد ولاه عليها.

فقال النفر الذين ذكرت أن يزيد بن المهلب وجههم إلى الحجاج مقيدين وسائر فل ابن الأشعث الذين صاروا إلى الري لعمر بن أبي

الصلت: نوليك أمرنا وتحارب بنا قتيبة، فشاور عمر أباه أبا الصلت، فقال له أبوه: والله يا بني ما كنت أبالي إذا سار هؤلاء تحت لوائك

أن تقتل من غد فعقد لواءه، وسار فهزم وهزم أصحابه، وانكشفوا إلى سجستان، واجتمعت بها الفلول، وكتبوا إلى عبد الرحمن بن محمد

وهو عند رتبيل، ثم كان من أمرهم وأمر يزيد بن المهلب ما قد ذكرت

وذكر أبو عبيدة أن يزيد لما أراد أن يوجه الأسرى إلى الحجاج قال له أخوه حبيب: بأي وجه تنظر إلى اليمانية وقد بعث ابن طلحة!

فقال يزيد:

هو الحجاج، ولا يتعرض له! وقال: وطن نفسك على العزل، ولا ترسل به، فإن له عندنا بلاء، قال: وما بلاءه؟ قال لزم المهلب في

مسجد الجماعة بمائتي ألف، فأداها طلحة عنه فأطلقه، وأرسل بالباقيين، فقال الفرزدق:

وجد ابن طلحة يوم لاقى قومه ... حطان يوم هراة خير المعشر

وقيل: إن الحجاج لما أتى بهؤلاء الأسرى من عند يزيد بن المهلب قال لحاجبه: إذا دعوتك بسيدهم فأنتي بفيروز، فأبرز سريره - وهو

حينئذ بواسط القصب قبل أن تبني مدينة واسط - ثم قال لحاجبه: جئني بسيدهم، فقال لفيروز: قم، فقال له الحجاج: أبا عثمان، ما

أخرجك مع هؤلاء؟ فوالله ما لحمتك من لحومهم، ولا ذمك من دمائهم! قال: فتنة عمت الناس، فكفا فيها، قال: اكتب لي أموالك،

قال: ثم ماذا؟ قال:

اكتبها أول، قال: ثم أنا آمن على دمي؟ قال: اكتبها، ثم أنظر، قال: اكتب يا غلام، ألف ألف ألفي ألف، فذكر مالا كثيراً، فقال

الحجاج: أين هذه الأموال؟ قال: عندي، قال: فأدها، قال: وأنا آمن على دمي؟ قال: والله لتؤدينها ثم لأقتلك، قال: والله لا تجمع مالي

ودمي، فقال الحجاج للحاجب: نحوه، فنحاه.

ثم قال: اتلني بمحمد بن سعد بن أبي وقاص، فدعاه فقال له الحجاج:

إيها يا ظل الشيطان أعظم الناس تيبها وكبراً، تأبى بيعة يزيد بن معاوية، وتشبه بحسين وابن عمر، ثم صرت مؤذنا لابن كزارا عبد بني

نصر - يعني عمر بن أبي الصلت - وجعل يضرب بعود في يده رأسه حتى أدماه، فقال له محمد: أيها الرجل، ملكت فأصبح! فكف يده،

فقال: إن رأيت أن تكتب إلى أمير المؤمنين فإن جاءك عفو كنت شريكا في ذلك محمودا، وإن جاءك غير ذلك كنت قد أعدت فأطرق مليا ثم قال: اضرب عنقه، فضربت عنقه

ثم دعا بعمر بن موسى فقال: يا عبد المرأة، أتقوم بالعمود على رأس ابن الحائك، وتشرب معه الشراب في حمام فارس، وتقول المقالة التي قلت! أين الفرزدق؟ قم فأنشده ما قلت فيه، فأنشده:

وخضبت أيرك للزناء ولم تكن ... يوم الهياج لتخضب الأبطالا

فقال: أما والله لقد رفعته عن عقائل نساءك، ثم أمر بضرب عنقه.

ثم دعا ابن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة، فإذا غلام حدث، فقال:

أصلح الله الأمير! ما لي ذنب، إنما كنت غلاما صغيرا مع أبي وأمي لا أمر لي ولا نهي، وكنت معهما حيث كانا، فقال: وكانت أمك مع أبيك في هذه الفتن كلها؟ قال: نعم، قال: على أبيك لعنة الله.

ثم دعا بالهلقام بن نعيم فقال: اجعل ابن الأشعث طلب ما طلب، ما الذي أملت أنت معه؟ قال: أملت أن يملك فيولني العراق كما ولاك عبد الملك قال: قم يا حوشب فاضرب عنقه، فقام إليه، فقال له الهلقام: يا بن لقيطة، أتنكأ القرح! فضرب عنقه.

ثم أتى بعبد الله بن عامر، فلما قام بين يديه قال: لا رأيت عينك يا حجاج الجنة إن أقلت ابن المهلب بما صنع قال: وما صنع؟ قال:

لأنه كاس في إطلاق أسرته ... وقاد نخوك في أغلالها مضرا

وقى بقومك ورد الموت أسرته ... وكان قومك أدنى عنده خطرا

فأطرق الحجاج مليا ووقرت في قلبه، وقال: وما أنت وذاك! اضرب عنقه فضربت عنقه ولم تزل في نفس الحجاج حتى عزل يزيد عن خراسان وحبس.

ثم أمر بفيروز فعذب، فكان فيما عذب به أن كان يشد عليه القصب الفارسي المشقوق، ثم يجرع عليه حتى يخرق جسده، ثم ينضح عليه الخل والملح، فلما أحس بالموت قال لصاحب العذاب: إن الناس لا يشكون أني قد قتلت، ولي ودائع وأموال عند الناس، لا تؤدي إليكم أبدا، فأظهروني للناس ليعلموا أني حي فيؤدوا المال فأعلم الحجاج، فقال: أظهره، فأخرج إلى باب المدينة، فصاح في الناس: من عرفني فقد عرفني، ومن أنكرني فأنا فيروز حصين، إن لي عند أقوام مالا، فمن كان لي عنده شيء فهو له وهو منه في حل فلا يؤدين منه أحد درهما، ليلغ الشاهد الغائب فأمر به الحجاج فقتل وكان ذلك مما روى الوليد بن هشام بن قحذم عن أبي بكر الهذلي.

وذكر ضميره بن ربيعة، عن أبي شاذب، أن عمال الحجاج كتبوا إليه:

أن الخراج قد انكسر، وأن أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار، فكتب إلى البصرة وغيرها أن من كان له أصل في قرية فليخرج إليها.

نفرج الناس فحسروا، فجعلوا يبكون وينادون: يا محمداه يا محمداه! وجعلوا لا يدرون أين يذهبون! فجعل قراء أهل البصرة يخرجون إليهم متقنعين فيبكون لما يسمعون منهم ويرون قال: فقدم ابن الأشعث على تفيئة ذلك، واستبصر قراء أهل البصرة في قتال الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث.

وذكر عن ضمرة بن ربيعة عن الشيباني، قال: قتل الحجاج يوم الزاوية أحد عشر ألفا، ما استحيا منهم الا واحدا، كان ابنه في كتاب الحجاج، فقال له: أتحب أن نعفوك عن أبيك؟ قال: نعم، فتركه لابنه، وإنما خدعهم بالأمان، أمر مناديا فنادى عند الهزيمة: ألا لا أمان لفلان ولا فلان، فسمى رجالا من أولئك الأشراف، ولم يقل: الناس آمنون، فقالت العامة: قد آمن الناس كلهم إلا هؤلاء النفر، فأقبلوا إلى حجرته فلما اجتمعوا أمرهم بوضع أسلحتهم، ثم قال: لأمرن بكم اليوم رجلا ليس بينكم وبينه قرابة، فأمر بهم عمارة بن تميم اللخمي فقتلهم.

وروي عن النضر بن شميل، عن هشام بن حسان، أنه قال: بلغ

ما قتل الحجاج صبورا مائة وعشرين، أو مائة وثلاثين ألفا.

وقد ذكر في هزيمة ابن الأشعث بمسكن قول غير الذي ذكره أبو مخنف، والذي ذكر من ذلك أن ابن الأشعث والحجاج اجتمعا بمسكن

من أرض أزيقباد، فكان عسكر ابن الأشعث على نهر يدعى خدّاش مؤخر النهر، نهر تيرى، ونزل الحجاج على نهر أفريذ والعسكران جميعاً بين دجلة والسيب والكرخ، فاقتتلوا شهراً - وقيل: دون ذلك - ولم يكن الحجاج يعرف إليهم طريقاً إلا الطريق الذي يلتقون فيه، فأتى بشيخ كان راعياً يدعى زورقا، فدلّه على طريق من وراء الكرخ طوله ستة فراسخ، في أجمة وضحضاح من الماء، فانتخب أربعة آلاف من جلة أهل الشام، وقال لقائدهم:

ليكن هذا العليج أمامك، وهذه أربعة آلاف درهم معك، فإن أقامك على عسكرهم فادفع المال إليه، وإن كان كذبا فاضرب عنقه، فإن رأيته فاحمل عليهم فيمن معك، وليكن شعاركم: يا حجاج يا حجاج.

فانطلق القائد صلاة العصر، والتقى عسكر الحجاج وعسكر ابن الأشعث حين فصل القائد بمن معه وذلك مع صلاة العصر، فاقتتلوا إلى الليل، فانكشف الحجاج حتى عبر السيب - وكان قد عقده - ودخل ابن الأشعث عسكره فانتهب ما فيه، فقيل له: لو اتبعته؟ فقال: قد تعبنا ونصبنا، فرجع إلى عسكره فألقى أصحابه السلاح، وباتوا آمنين في أنفسهم لهم الظفر وهجم القوم عليهم نصف الليل يصيحون بشعارهم، فجعل الرجل من أصحاب ابن الأشعث لا يدري أين يتوجه! دجيل عن يساره ودجلة أمامه، ولها جرف منكراً، فكان من غرق أكثر ممن قتل.

وسمع الحجاج الصوت فعبّر السيب إلى عسكره، ثم وجه خيله إلى القوم فالتقى العسكران على عسكر ابن الأشعث، وانحاز في ثلاثمائة، ففضى على شاطئ دجلة حتى أتى دجيلاً فعبّره في السفن، وعقروا دوابهم، وانحدروا في السفن إلى البصرة، ودخل الحجاج عسكره فانتهب ما فيه، وجعل يقتل من وجد حتى قتل أربعة آلاف، فيقال: إن فيمن قتل عبد الله

٦٠١٨٠٣ ذكر خبر بناء مدينه واسط

ابن شداد بن الهاد، وقتل فيهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة، وعمر ابن ضبيعة الرقاشي، وبشر بن المنذر بن الجارود والحكم بن مخزومة العبديين، وبكير بن ربيعة بن ثروان الضبي، فأتى الحجاج برءوسهم على ترس، فجعل ينظر إلى رأس بسطام ويمثل:

إذا مررت بوادي حية ذكر ... فاذهب ودعني أقاسي حية الوادي

ثم نظر إلى رأس بكير، فقال: ما ألقى هذا الشقي مع هؤلاء خذ بأذنه يا غلام فألقه عنهم ثم قال: ضع هذا الترس بين يدي مسمع بن مالك ابن مسمع، فوضع بين يديه، فبكى، فقال له الحجاج: ما أبكاك؟ أحزنا عليهم؟ قال: بل جزعا لهم من النار

. ذكر خبر بناء مدينه واسط

وفي هذه السنة: بنى الحجاج واسطاً، وكان سبب بنائه ذلك - فيما ذكر - أن الحجاج ضرب البعث على أهل الكوفة إلى خراسان، فعسكروا بحمام عمر وكان فتى من أهل الكوفة من بني أسد حديث عهد بعرس بابنة عم له، انصرف من العسكر إلى ابنة عمه ليلاً، فطرق الباب طارق ودقه دقا شديداً، فإذا سكران من أهل الشام، فقالت للرجل ابنة عمه: لقد لقينا من هذا الشامي شراً، يفعل بنا كل ليلة ما ترى، يريد المكره، وقد شكوته إلى مشيخة أصحابه، وعرفوا ذلك، فقال: ائذنوا له، ففعلوا، فأغلق الباب، وقد كانت المرأة نجت من منزلها وطيبته، فقال الشامي:

قد آن لكم، فاستقنأه الأسدي، فأندر رأسه، فلما أذن بالفجر خرج الرجل إلى العسكر وقال لامرأته: إذا صليت الفجر فابعثي إلى الشاميين أن أخرجوا صاحبكم، فسيأتون بك الحجاج، فاصدقيه الخبر على وجهه،

٦٠١٨٠٤ أخبار متفرقة

ففعلت، ورفع القتيل إلى الحجاج، وأدخلت المرأة عليه وعنده عنبسة ابن سعيد على سريرته، فقال لها: ما خطبك؟ فأخبرته، فقال: صدقتني.

ثم قال لولاة الشامي: ادفنوا صاحبكم فإنه قتيل الله إلى النار، لا قود له ولا عقل، ثم نادى مناديه: لا ينزلن أحد على أحد، وأخرجوا فعسكروا.

وبعث روادا يرتادون له منزلا، وأمعن حتى نزل أطراف كسكر، فبينما هو في موضع واسط إذا راهب قد أقبل على حمار له وعبر دجلة، فلما كان في موضع واسط تفاجت الأتان فبالت، فنزل الراهب، فاحتفر ذلك البول، ثم احتمله فرمى به في دجلة، وذلك بعين الحجاج، فقال: علي به، فأتي به، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: نجد في كتبنا أنه يبني في هذا الموضع مسجد يعبد الله فيه ما دام في الأرض أحد يوحده. فاختط الحجاج مدينة واسط، وبني المسجد في ذلك الموضع.

[أخبار متفرقة]

وفي هذه السنة عزل عبد الملك - فيما قال الواقدي - عن المدينة أبان بن عثمان، واستعمل عليها هشام بن إسماعيل المخزومي وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل، وحدثني بذلك أحمد ابن ثابت، عمن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر. وكان العمال في هذه السنة على الأمصار سوى المدينة هم العمال الذين كانوا عليها في السنة التي قبلها، وأما المدينة فقد ذكرنا من كان عليها فيها.

٦٠١٩ سنه اربع وثمانين

٦٠١٩٠١ خبر قتل الحجاج أيوب بن القرية

ثم دخلت

سنة أربع وثمانين

(ذكر ما كان فيها من الأحداث) ففيها كانت غزوة عبد الله بن عبد الملك بن مروان الروم، ففتح فيها المصيصة، كذلك ذكر الواقدي. خبر قتل الحجاج أيوب بن القرية

وفيها قتل الحجاج أيوب بن القرية، وكان ممن كان مع ابن الأشعث، وكان سبب قتله إياه - فيما ذكر - أنه كان يدخل حوشب بن يزيد بعد انصرافه من دير الجماجم - وحوشب على الكوفة عامل للحجاج - فيقول حوشب:

انظروا إلى هذا الواقف معي، وغدا أو بعد غد يأتي كتاب من الأمير لا استطيع الا نفاذه، فبينما هو ذات يوم واقف إذ أتاه كتاب من الحجاج:

أما بعد، فإنك قد صرت كهفا لمنافقي أهل العراق ومأوى، فإذا نظرت في كتابي هذا فابعث إلي بابن القرية مشدودة يده إلى عنقه، مع ثقة من قبلك.

فلما قرأ حوشب الكتاب رمى به إليه، فقرأه فقال: سمعا وطاعة، فبعث به إلى الحجاج موثقا، فلما دخل الحجاج قال له: يا ابن القرية، ما أعددت لهذا الموقف؟ قال: أصلح الله الأمير! ثلاثة حروف كأنهن ركب وقوف، دنيا، وآخرة، ومعروف قال: اخرج مما قلت، قال: أفعل، أما الدنيا فإل حاضر، يأكل منه البر والفاجر، وأما الآخرة فيوزان عادل، ومشهد ليس فيه باطل، وأما المعروف فإن كان علي اعترفت، وإن كان لي اعترفت قال: أما لا فاعترف بالسيف إذا وقع بك قال:

أصلح الله الأمير! أقلني عثرتي، واسغني ريعي، فإنه ليس جواد إلا له

٦٠١٩٠٢ فتح يزيد بن المهلب قلعه نيزك بباذغيس

كبوة، ولا شجاع إلا له هبوة قال الحجاج: كلا والله لأرينك جهنم، قال: فأرحني فإني أجد حرها، قال: قدمه يا حربي فاضرب عنقه فلما نظر إليه الحجاج يتشحط في دمه قال: لو كنا تركنا ابن القرية حتى نسمع من كلامه! ثم أمر به فأخرج فرمى به قال هشام: قال عوانة: حين منع الحجاج من الكلام ابن القرية، قال له ابن القرية: أما والله لو كنت أنا وأنت على السواء لسكنا جميعا، أولا لفيت منيعا . فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك بباذغيس

وفي هذه السنة فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك ببادغيس ذكر سبب فتحه إياها:

ذكر علي بن محمد، عن المفضل بن محمد، قال: كان نيزك ينزل بقلعة بادغيس، فتحين يزيد غزوه، ووضع عليه العيون، فبلغه خروجه، فخالفه يزيد إليها، وبلغ نيزك فرجع، فصالحه على أن يدفع إليه ما في القلعة من الخزائن، ويرتحل عنها بعياله، فقال كعب بن معدان الأشقري:

وبادغيس التي من حل ذروتها ... عز الملوك فان شاء جار أو ظلها
منيرة لم يكدها قبله ملك ... إلا إذا واجهت جيشا له وجما
تخال نيرانها من بعد منظرها ... بعض النجوم إذا ما ليلها عتما
لما أطاف بها ضاقت صدورهم ... حتى أقروا له بالحكم فاحتكما
فذل ساكنها من بعد عزته ... يعطى الجزى عارفا بالذل مهتظما
وبعد ذلك أياما نعددها ... وقبلها ما كشفت الكرب والظما
أعطاك ذاك ولي الرزق يقسمه ... بين الخلائق والمحروم من حرما
يداك إحدهما تسقي العدو بها ... سما وأخرى نداها لم يزل ديمما
فهل كسيب يزيد أو كئله ... إلا الفرات والنايل حين طما
ليسا بأجود منه حين مدهما ... إذ يعلوان حداب الأرض والأكما
وقال:

ثنائي على حي العتيك بأنها ... كرام مقاريها، كرام نصابها
إذا عقدوا للجار حل بنجوة ... عزيز مراقيها، منيع هضابها
نفى نيزكا عن بادغيس ونيزك ... بمنزله أعياء الملوك اغتصابها
محلقة دون السماء كأنها ... غمامة صيف زل عنها سحابها
ولا يبلغ الأروى شماريخها العلا ... ولا الطير إلا نسرهما وعقابها
وما خوفت بالذئب ولدان أهلها ... ولا نجت إلا النجوم كلابها
تمنيت أن ألقى العتيك ذوي النهي ... مسلطة تحمي بملك ركبها
كما يتنى صاحب الحرث أعطشت ... مزارعه غيثا غزيرا ربابها
فأسقي بعد اليأس حتى تحيرت ... جداولها ريا وعب عبابها
لقد جمع الله النوى وتشعبت ... شعوب من الآفاق شتى مآبها

قال: وكان نيزك يعظم القلعة إذا رآها سجد لها وكتب يزيد بن المهلب إلى الحجاج بالفتح، وكانت كتب يزيد إلى الحجاج يكتبها يحيى بن يعمر العدواني، وكان حليفا لهذيل، فكتب: أنا لقينا العدو ففحننا الله أكثافهم، فقتلنا طائفة، وأسرنا طائفة، ولحقت طائفة براءوس الجبال وعراعر الأودية، وأهضام الغيطان وأثناء الأنهار، فقال الحجاج:

من يكتب ليزيد؟ فقيل: يحيى بن يعمر، فكتب إلى يزيد فحمله على البريد، فقدم عليه أفصح الناس، فقال له: أين ولدت؟ قال: بالأهواز، قال: فهذه الفصاحة؟ قال: حفظت كلام أبي وكان فصيحاً قال: من

٦٠١٩٠٣ أخبار متفرقة

هناك فأخبرني هل يلحن عنبسة بن سعيد؟ قال: نعم كثيرا، قال: ففلان؟

قال: نعم، قال: فأخبرني عنى الحن؟ قال: نعم تلحن لحنا خفيا، تزيد حرفا وتنقص حرفا، وتجعل أن في موضع إن، وإن في موضع أن قال: قد أجلتك ثلاثا، فإن أجلك بعد ثلاث بأرض العراق قتلتك، فرجع إلى خراسان . [أخبار متفرقة]

وجج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل المخزومي، كذلك حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ، وَكَانَتْ عَمَالُ الْأَمْصَارِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَمَالَهَا الَّذِينَ سَمِيَتْ قَبْلَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ

٦٠٢٠ سنه خمس وثمانين

٦٠٢٠٠١ خبر هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث

ثم دخلت

سنة خمس وثمانين

(ذَكَرَ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَحْدَاثِ)

خبر هلاك عبد الرحمن بن مُحَمَّدٍ بن الْأَشْعَثِ

ففيها كان هلاك عبد الرحمن بن مُحَمَّدٍ بن الْأَشْعَثِ ذَكَرَ السَّبَبَ الَّذِي بِهِ هَلَكَ، وَكَيْفَ كَانَ:

ذَكَرَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي مُخَنَفٍ، قَالَ: لَمَّا انْصَرَفَ ابْنُ الْأَشْعَثِ مِنْ هَرَاةٍ رَاجِعًا إِلَى رَتْبِيلَ كَانَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ أَوْدٍ يُقَالُ لَهُ عُلْقَمَةُ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ لَهُ: مَا أُرِيدُ أَنْ أَدْخُلَ مَعَكَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَمْ؟ قَالَ:

لَأَنِّي أَتَخَوَّفُ عَلَيْكَ وَعَلَى مَنْ مَعَكَ، وَاللَّهِ لَكَأَنِّي بِكُتَابِ الْحِجَابِ قَدْ جَاءَ، فَوْقَ إِلَى رَتْبِيلَ يَرْغِبُهُ وَيَرْهَبُهُ، فَإِذَا هُوَ قَدْ بَعَثَ بِكَ سَلْمًا أَوْ قَتْلَكُمْ.

وَلَكِنْ هَاهُنَا خَمْسَمِائَةٍ قَدْ تَبَايَعْنَا عَلَى أَنْ نَدْخُلَ مَدِينَةَ فَتُحَصَّنَ فِيهَا، وَنُقَاتِلَ حَتَّى نَعْطِيَ أَمَانًا أَوْ نَمُوتَ كَرَامًا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَمَا لَوْ دَخَلْتَ مَعِيَ لَأَسَيْتُكَ وَأَكْرَمْتُكَ، فَأَبَى عَلَيْهِ عُلْقَمَةُ، وَدَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى رَتْبِيلَ وَخَرَجَ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَمِائَةِ فَبَعَثُوا عَلَيْهِمْ مَوْدُودًا النَّضْرِي، وَأَقَامُوا حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ عِمَارَةُ بْنُ تَمِيمٍ اللَّخْمِي فَخَاصَرَهُمْ، فَقَاتَلُوهُ وَامْتَنَعُوا مِنْهُ حَتَّى آمَنَهُمْ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ فَوْفِي لَهْمٍ. قَالَ: وَتَبَاعَتْ كُتُبُ الْحِجَابِ إِلَى رَتْبِيلَ فِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنْ ابْعَثْ بِهِ إِلَيَّ، وَإِلَّا فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَأَوْطِئَ أَرْضُكَ أَلْفَ أَلْفٍ مَقَاتِلٍ.

وَكَانَ عِنْدَ رَتْبِيلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ثُمَّ مِنْ بَنِي يَرْبُوعٍ يُقَالُ لَهُ عُبَيْدُ بْنُ أَبِي سَبِيْعٍ، فَقَالَ لِرَتْبِيلَ: أَنَا آخِذٌ لَكَ مِنَ الْحِجَابِ عَهْدًا لِيَكْفَنَ الْخُرَاجَ

عَنْ أَرْضِكَ سَبْعَ سَنِينَ عَلَى أَنْ تَدْفَعَ إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ رَتْبِيلُ لِعُبَيْدٍ: فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنْ لَكَ عِنْدِي مَا سَأَلْتَ. فَكُتِبَ إِلَى الْحِجَابِ يُخْبِرُهُ أَنْ رَتْبِيلَ لَا يَعْصِيهِ، وَأَنَّهُ لَنْ يَدَعَ رَتْبِيلَ حَتَّى يَبْعَثَ إِلَيْهِ بَعْدَ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ، فَأَعْطَاهُ الْحِجَابُ عَلَى ذَلِكَ مَا لَا وَأَخَذَ مِنْ رَتْبِيلَ عَلَيْهِ مَا لَا، وَبَعَثَ رَتْبِيلَ بِرَأْسِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ إِلَى الْحِجَابِ، وَتَرَكَ لَهُ الصَّلَاحَ الَّذِي كَانَ يَأْخُذُهُ مِنْهُ سَبْعَ سَنِينَ وَكَانَ الْحِجَابُ يَقُولُ: بَعَثَ إِلَى رَتْبِيلَ بَعْدَ اللَّهِ فَأَلْقَى نَفْسَهُ مِنْ فَوْقِ إِجَارَفَاتٍ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَحَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ أَنَّهُ سَمِعَ مَلِيكَةَ ابْنَةَ يَزِيدَ تَقُولُ: وَاللَّهِ لَمَاتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَإِنْ رَأْسُهُ لَعَلَى نَخْذِي، كَانَ السَّلَ قَدْ أَصَابَهُ فَلَهَا مَاتَ وَأَرَادُوا دَفْنَهُ بَعَثَ إِلَيْهِ رَتْبِيلُ فَخَزَ رَأْسَهُ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْحِجَابِ، وَأَخَذَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ آلِ الْأَشْعَثِ فَخَبَسَهُمْ عِنْدَهُ، وَتَرَكَ جَمِيعَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَكُتِبَ إِلَى الْحِجَابِ بِأَخْذِهِ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ: أَنْ اضْرِبْ رِقَابَهُمْ، وَابْعَثْ إِلَيَّ بَرءَ وَسْهُمْ وَكَرِهَ أَنْ يُؤْتَى بِهِمْ إِلَيْهِ أَحْيَاءَ فَيَطْلُبُ فِيهِمْ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، فَيَتَرَكَ مِنْهُمْ أَحَدًا.

وَقَدْ قِيلَ فِي أَمْرِ بْنِ أَبِي سَبِيْعٍ وَابْنِ الْأَشْعَثِ غَيْرَ مَا ذَكَرْتُ عَنْ أَبِي مُخَنَفٍ، وَذَلِكَ مَا ذَكَرَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بْنِ الْمُثَنَّى أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: زَعَمَ أَنَّ عِمَارَةَ بْنَ تَمِيمٍ خَرَجَ مِنْ كَرْمَانَ فَأَتَى سَجِسْتَانَ وَعَلَيْهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ يَدْعَى مَوْدُودًا، فَخَصَرَهُ ثُمَّ آمَنَهُ، ثُمَّ اسْتَوَلَى عَلَى سَجِسْتَانَ، وَأَرْسَلَ إِلَى رَتْبِيلَ وَكُتِبَ إِلَيْهِ الْحِجَابُ: أَمَا بَعْدَ، فَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ عِمَارَةَ بْنَ تَمِيمٍ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ لَمْ يَخَالَفُوا طَاعَةً، وَلَمْ يَخْلَعُوا خَلِيفَةً، وَلَمْ يَتَّبِعُوا إِمَامَ ضَلَالَةٍ يَجْرَى عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِائَةُ دِرْهَمٍ، يَسْتَطْعَمُونَ الْحَرْبَ اسْتَطْعَامًا، يَطْلُبُونَ ابْنَ الْأَشْعَثِ فَأَبَى رَتْبِيلَ أَنْ يَسْلَمَهُ وَكَانَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ عُبَيْدُ بْنُ أَبِي سَبِيْعٍ التَّمِيمِيُّ قَدْ خَصَّ بِهِ،

وكان رسوله إلى رتبيل، نخص برتبيل أيضا، وخف عليه فقال القاسم ابن محمد بن الأشعث لأخيه عبد الرحمن: إني لا آمن غدر التميمي، فاقتله، فهم به، وبلغ ابن أبي سبيع، خفافه فوشى به إلى رتبيل، وخوفه الحجاج، ودعاه إلى الغدر بابن الأشعث فأجابه، فخرج سرا إلى عمارة بن تميم، فاستعجل في ابن الأشعث، فجعل له ألف ألف، فأقام عنده، وكتب بذلك عمارة إلى الحجاج، فكتب إليه أن أعط عبيدا ورتبيل ما سالاك واشترط، فاشترط رتبيل الا تغزى بلاده عشر سنين، وأن يؤدي بعد العشر سنين في كل سنة تسعمائة ألف، فأعطى رتبيل وعبيدا ما سالا، وأرسل رتبيل إلى ابن الأشعث فأحضره وثلاثين من أهل بيته، وقد أعد لهم الجوامع والقيود، فألقى في عنقه جامعة، وفي عنق القاسم جامعة، وأرسل بهم جميعا إلى أدنى مسالح عمارة منه، وقال للجماعة من كان مع ابن الأشعث من الناس: تفرقوا إلى حيث شئتم، ولما قرب ابن الأشعث من عمارة ألقى نفسه من فوق قصر فمات، فاحتز رأسه، فأتى به وبالأسرى عمارة، فضرب أعناقهم، وأرسل برأس ابن الأشعث وبرءوس أهله وبامراته إلى الحجاج، فقال في ذلك بعض الشعراء:

هيات موضع جثة من رأسها ... رأس بمصر وجثة بالرجح

وكان الحجاج أرسل به إلى عبد الملك، فأرسل به عبد الملك إلى عبد العزيز وهو يومئذ على مصر.

وذكر عمر بن شبة أن ابن عائشة حدثه قال: أخبرني سعد بن عبيد الله قال: لما أتى عبد الملك برأس ابن الأشعث أرسل به مع خصي إلى امرأة منهم كانت تحت رجل من قريش، فلما وضع بين يديها قالت: مرحبا بزائر لا يتكلم، ملك من الملوك طلب ما هو أهله فأبت المقادير فذهب الخصي يأخذ الرأس فاجتذبه من يده، قالت: لا والله حتى أبلغ حاجتي، ثم دعت بخطمي فغسلته وغلفته ثم قالت: شأنك به الآن.

فأخذه، ثم أخبر عبد الملك، فلما دخل عليه زوجها، قال: إن استطعت أن تصيب منها سخله.

وذكر أن ابن الأشعث نظر إلى رجل من أصحابه وهو هارب إلى بلاد رتبيل فتمثل:

يطرده الخوف فهو تائه ... كذاك من يكره حر الجلال

منخرق الخفين يشكو الوجا ... تنكبه أطراف مرو حداد

قد كان في الموت له راحة ... والموت حتم في رقاب العباد

فالتفت إليه فقال: يا لحية، هلا ثبت في موطن من المواطن فنموت بين يديك، فكان خيرا لك مما صرت إليه! قال هشام: قال أبو مخنف: خرج الحجاج في أيامه تلك يسير ومعه حميد الأرقط وهو يقول:

ما زال يبنني خندقا ويهدمه ... عن عسكري يقوده فيسلمه

حتى يصير في يديك مقسمه ... هيات من مصفه منهزمه

إن أخا الكظاظ من لا يسأله.

فقال الحجاج: هذا أصدق من قول الفاسق أعشى همدان:

نبئت أن بني يوسف ... خر من زلق فتبا

قد تبين له من زلق وتب ودحض فانكب، وخاف وخاب، وشك وارتاب، ورفع صوته فما بقي أحد إلا فزع لغضبه، وسكت الأريقط،

فقال له الحجاج: عد فيما كنت فيه، ما لك يا أرقط! قال: إني جعلت فداك أيها الأمير وسليمان الله عزيز، ما هو إلا أن رأيته غضبت

فأرعدت خصائلي، واحزألت مفاصلي، وأظلم بصري، ودارت بي الأرض قال له

٦٠٢٠٠٢ عزل يزيد بن المهلب عن خراسان

الحجاج: أجل، إن سلطان الله عزيز، عد فيما كنت فيه، ففعل وقال الحجاج وهو ذات يوم يسير ومعه زياد بن جرير بن عبد الله البجلي وهو أعور، فقال الحجاج للأريقط: كيف قلت لابن سمرة؟ قال: قلت:

يا أعور العين فديت العورا ... كنت حسبت الخندق المحفورا

يرد عنك القدر المقدورا ... ودائرات السوء أن تدورا

وقد قيل: إن مهلك عبد الرحمن بن محمد كان في سنة أربع وثمانين
عزل يزيد بن المهلب عن خراسان

وفي هذه السنة عزل الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب عن خراسان وولاهما المفضل بن المهلب أخا يزيد.
ذكر السبب الذي من أجله عزله الحجاج عن خراسان واستعمل المفضل:

ذكر علي بن محمد، عن المفضل بن محمد، أن الحجاج وفد إلى عبد الملك، فر في منصرفه بدير فنزله، فقيل له: إن في هذا الدير شيخا من
أهل الكتب علما، فدعا به فقال: يا شيخ، هل تجدون في كتبكم ما أنتم فيه ونحن؟ قال: نعم، نجد ما مضى من أمركم وما أنتم فيه وما
هو كائن، قال: أفسمى أم موصوفا؟ قال: كل ذلك، موصوف بغير اسم، واسم بغير صفة، قال: فما تجدون صفة أمير المؤمنين؟ قال:
نجد في زماننا الذي نحن فيه، ملك أقرع، من يقيم لسبيله يصرع، قال: ثم من؟ قال: اسم رجل يقال له الوليد، قال: ثم ماذا؟ قال:
رجل اسمه اسم نبي يفتح به على الناس، قال: أفتعرفني؟ قال: قد أخبرتك بك.

قال: أفتعلم ما ألي؟ قال: نعم، قال: فمن يليه بعدي؟ قال: رجل يقال له يزيد، قال: في حياتي أم بعد موتي؟ قال: لا أدري، قال:
أفتعرف صفته؟ قال: يغدر غدرة، لا أعرف غير هذا

قال: فوقع في نفسه يزيد بن المهلب، وارتحل فصار سبعا وهو وجل من قول الشيخ، وقدم فكتب إلى عبد الملك يستعفيه من العراق،
فكتب إليه: يا بن أم الحجاج، قد علمت الذي تغزو، وأنت تريد أن تعلم رأيي فيك، ولعمري إني لأرى مكان نافع بن علقمة، فإله عن
هذا حتى يأتي الله بما هو آت، فقال الفرزدق يذكر مسيره:

لو أن طيرا كلفت مثل سيره ... إلى واسط من إيلياء ملئت
سرى بالمهاري من فلسطين بعد ما ... دنا الليل من شمس النهار فولت
فما عاد ذاك اليوم حتى أناخها ... بميسان قد ملئت سراها وكتلت
كأن قطاميا على الرحل طاويا ... إذا غمرة الظلماء عنه تجلت

قال فبينما الحجاج يوما خال إذ دعا عبيد بن موهب، فدخل وهو ينكت في الأرض، فرفع رأسه فقال: ويحك يا عبيد! إن أهل الكتب
يذكرون أن ما تحت يدي يليه رجل يقال له يزيد، وقد تذكرت يزيد بن أبي كبشة، ويزيد بن حصين بن ثمر، ويزيد بن دينار، فليسوا
هناك، وما هو إن كان إلا يزيد بن المهلب، فقال عبيد: لقد شرفتهم وأعظمت ولايتهم، وإن لهم لعددا وجلدا، وطاعة وحظا، فأخلق
به، فأجمع على عزل يزيد فلم يجد له شيئا حتى قدم الخيل بن أبي سبرة بن ذؤيب بن عرجة بن محمد بن سفيان بن مجاشع - وكان من
فرسان المهلب - وكان مع يزيد - فقال له الحجاج: أخبرني عن يزيد، قال: حسن الطاعة، لين السيرة، قال: كذبت، أصدقني عنه، قال:
الله أجل وأعظم، قد أسرج ولم يلجم، قال: صدقت، واستعمل الخيل بن أبي سبرة بن ذؤيب بن عرجة بن محمد بن سفيان بن مجاشع - وكان من

قال: ثم كتب إلى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب بالزبيري، فكتب إليه عبد الملك: إني لا أرى نقصا بآل المهلب طاعتهم لآل الزبير،
بل أراه وفاء منهم لهم، وإن وفاءهم لهم يدعوهم إلى الوفاء لي فكتب إليه الحجاج يخوفه غدرهم لما أخبره به الشيخ فكتب إليه عبد
الملك: قد أكثرت في يزيد وآل المهلب، فسم لي رجلا يصلح لخراسان، فسمى له مجاعة بن سعر السعدي، فكتب إليه عبد الملك: إن
رأيك الذي دعاك إلى استفساد آل المهلب هو الذي دعاك إلى مجاعة بن سعر، فانظر لي رجلا صارما، ماضيا لأمر، فسمى قتيبة بن
مسلم، فكتب إليه: ولّه وبلغ يزيد أن الحجاج نزل، فقال لأهل بيته: من ترون الحجاج يولي خراسان؟ قالوا: رجلا من ثقيف، قال: كلا،
ولكنه يكتب إلى رجل منكم بعده، فإذا قدمت عليه عزله وولى رجلا من قيس، وأخلق بقتيبة! قال: فلما أذن عبد الملك للحجاج
في عزل يزيد كره أن يكتب إليه بعزله، فكتب إليه أن استخلف المفضل وأقبل فاستشار يزيد حزين بن المنذر، فقال له: أقم واعتل،
فإن أمير المؤمنين حسن الرأي فيك، وإنما أتيت من الحجاج، فإن أقمت ولم تعجل رجوت أن يكتب إليه أن يقر يزيد، قال: إنا أهل
بيت بورك لنا في الطاعة، وأنا أكره المعصية والخلاف، فأخذ في الجهاز، وأبطأ ذلك على الحجاج، فكتب إلى المفضل: إني قد وليتك
خراسان، فجعل المفضل يستحث يزيد، فقال له يزيد: إن الحجاج لا يقرك بعدي، وإنما دعاه إلى ما صنع مخافة أن أمتنع عليه، قال: بل

حسدتي، قال يزيد: يا بن بهلة، أنا أحسدك! ستعلم وخرج يزيد في ربيع الآخر سنة خمس وثمانين.
فعزل الحجاج المفضل، فقال الشاعر للمفضل وعبد الملك وهو أخوه لأمه:

يا بني بهلة إنما أنزأ كما ... ربي غداة غدا الممام الأزهر

أحفرتم لأخيكُم فوقعتُم ... في قعر مظلمة أخوها المعور

جودوا بتوبة مخلصين فإنما ... يأبى ويأنف أن يتوب الأخرس
وقال حضين ليزيد:

أمرتك أمرا حازما فعصيتني ... فأصبحت مسلوب الإمارة نادما

فأنا بالباكي عليك صباة ... وما أنا بالداعي لترجع سالما

فلما قدم قتيبة خراسان قال لحضين: كيف قلت ليزيد؟ قال: قلت:

أمرتك أمرا حازما فعصيتني ... فنفسك أول اللوم إن كنت لائما

فإن يبلغ الحجاج أن قد عصيته ... فإنك تلقى أمره متفاقما

قال: فماذا أمرته به فعصاك؟ قال: أمرته ألا يدع صفراء ولا بيضاء إلا حملها إلى الأمير، فقال رجل لعياض بن حضين: أما أبوك فوجده قتيبة حين فره قارحا بقوله: أمرته أن لا يدع صفراء ولا بيضاء إلا حملها إلى الأمير.

قال علي: وحدثنا كليب بن خلف، قال: كتب الحجاج إلى يزيد أن اغزو خوارزم، فكتب إليه: أيها الأمير، إنها قليلة السلب، شديدة الكلب فكتب إليه الحجاج: استخلف واقدم، فكتب إليه: إني أريد أن أغزو خوارزم فكتب إليه: لا تغزها فإنها كما وصفت، فغزا ولم يطعه، فصالحه أهل خوارزم، وأصاب سببا مما صالحوه، وقفل في الشتاء، فاشتد عليهم البرد، فأخذ الناس ثياب الأسرى فلبسوها، فمات ذلك السبي من البرد قال: ونزل يزيد بلستانة، وأصاب أهل مرو الروذ طاعون ذلك العام، فكتب إليه الحجاج: أن أقدم فقدم، فلم يمر ببلد إلا فرشوا له الرياحين وكان يزيد ولي سنة اثنتين وثمانين، وعزل سنة خمس وثمانين، وخرج من خراسان في ربيع الآخر سنة خمس وثمانين، وولي قتيبة.

وأما هشام بن محمد، فإنه ذكر عن أبي مخنف في عزل الحجاج يزيد عن خراسان سببا غير الذي ذكره علي بن محمد، والذي ذكر من ذلك عن أبي مخنف أن أبا المخارق الراسي وغيره حدثوه أن الحجاج لم يكن له حين فرغ من عبد الرحمن بن محمد^{رضي}هم إلا يزيد بن المهلب وأهل بيته - وقد

٦٠٢٠٠٣ غزو المفضل باذغيس واخرون

كان الحجاج أذل أهل العراق كلهم إلا يزيد وأهل بيته ومن معهم من أهل المصريين بخراسان، ولم يكن يتخوف بعد عبد الرحمن بن محمد^{رضي} بالعراق غير يزيد بن المهلب - فاخذ الحجاج في مواربه يزيد ليستخرجه من خراسان، فكان يبعث إليه لياتيه، فيعتل عليه بالعدو وحرب خراسان، فكث بذلك حتى كان آخر سلطان عبد الملك ثم إن الحجاج كتب إلى عبد الملك يشير عليه بعزل يزيد بن المهلب، ويخبره بطاعة آل المهلب لابن الزبير، وأنه لا وفاء لهم، فكتب إليه عبد الملك: أني لا أرى تقصيرا بولد المهلب طاعتهم لآل الزبير ووفاءهم لهم، فإن طاعتهم ووفاءهم لهم، هو دعاهم إلى طاعتي والوفاء لي ثم ذكر بقية الخبر نحو الذي ذكره علي.

بن محمد

. غزو المفضل باذغيس واخرون

وفي هذه السنة غزا المفضل باذغيس ففتحها.

ذكر الخبر عن ذلك:

ذكر علي بن محمد، عن المفضل بن محمد، قال: عزل الحجاج يزيد، وكتب إلى المفضل بولايته على خراسان سنة خمس وثمانين، فوليا تسعة أشهر، فغزا باذغيس ففتحها وأصاب مغنما، فقسمه بين الناس، فأصاب كل رجل منهم ثمانمائة درهم، ثم غزا أخرون وشومان، فظفر

وغنم، وقسم ما أصاب بين الناس، ولم يكن للفضل بيت مال، كان يعطي الناس كلها جاءه شيء، وإن غنم شيئاً قسمه بينهم، فقال كعب الأشقر يمدح المفضل:
 ترى ذا الغنى والفقر من كل معشر ... عصائب شتى ينتوون المفضلاً
 فن زائر جو فواضل سبيه ... وآخر يقضي حاجة قد ترحلاً

٦٠٢٠٠٤ خبر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم بالترمز

إذا ما انتوينا غير أرضك لم نجد ... بها منتوى خيراً ولا متعللاً
 إذا ما عددنا الأكرمين ذوي النهى ... وقد قدموا من صالح كنت أولاً
 لعمرى لقد صال المفضل صولة ... أباحت بشومان المناهل والكلأ
 ويوم ابن عباس تناولت مثلها ... فكانت لنا بين الفريقين فيصلاً
 صفت لك أخلاق المهلب كلها ... وسربلت من مسعاته ما تسربلاً
 أبوك الذي لم يسع ساع كسعيه ... فأورث مجداً لم يكن متتحلاً
 خبر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم بالترمز
 وفي هذه السنة قتل موسى بن عبد الله بن خازم السلمي بالترمز.
 ذكر سبب قتله ومصيره إلى الترمذ حتى قتل بها:

ذكر أن سبب مصيره إلى الترمذ كان أن أباه عبد الله بن خازم لما قتل من قتل من بني تميم بفرتنا- وقد مضى ذكرى خبر قتله إياهم- تفرق عنه عظم من كان بقي معه منهم، نفرج إلى نيسابور وخاف بني تميم على ثقله بمرو، فقال لابنه موسى: حول ثقلي عن مرو، واقطع نهر بلخ حتى تلجأ إلى بعض الملوك أو إلى حصن تقيم فيه فشخص موسى من مرو في عشرين ومائتي فارس، فأتى آمل وقد ضوى إليه قوم من الصعاليك، فصار في أربعمائة، وانضم إليه رجال من بني سليم، منهم زرعة بن علقمة، فأتى زم فقاتلوه، فظفر بهم وأصاب مالا، وقطع النهر، فأتى بخارى فسأل صاحبها أن يلجأ إليه، فأبى وخافه، وقال: رجل فاتك، وأصحابه مثله أصحاب حرب وشر، فلا آمنه وبعث إليه بصلة عين ودواب وكسوة، ونزل على عظيم من عظماء أهل بخارى في نوقان، فقال له: إنه لا خير في المقام في هذه البلاد، وقد هابك القوم وهم لا يأمنونك فأقام عند دهقان نوقان أشهراً، ثم خرج يلتمس ملكاً يلجأ إليه أو حصناً، فلم يأت بلداً إلا كرهوا مقامه فيهم، وسألوه أن يخرج عنهم.

قال علي بن محمد: فأتى سمرقند فأقام بها، وأكرمه طرخون ملكها، وأذن له في المقام، فأقام ما شاء الله، ولأهل الصغد مائدة يوضع عليها لحم ودك وخبز وإبريق شراب، وذلك في كل عام يوماً، يجعل ذلك لفارس الصغد فلا يقربه أحد غيره، هو طعامه في ذلك اليوم، فإن أكل منه أحد غيره بارزه فأيهما قتل صاحبه فالمائدة له، فقال رجل من أصحاب موسى: ما هذه المائدة؟ فأخبر عنها، فسكت، فقال صاحب موسى: لا آكلن ما على هذه المائدة، ولأبارزن فارس الصغد، فإن قتله كنت فارسهم يجلس فأكل ما عليها، وقيل لصاحب المائدة، فجاء مغضباً، فقال:

يا عربي، بارزني، قال: نعم، وهل أريد إلا المبارزة! فبارزه فقتله صاحب موسى، فقال ملك الصغد: أنزلتكم وأكرمتكم فقتلتكم فارس الصغد! لولا أني أعطيتكم وأصحابك الأمان لقتلتكم اخرجوا عن بلدي، ووصله نفرج موسى فأتى كس فكتب صاحب كس إلى طرخون يستنصره، فأتاه، نفرج إليه موسى في سبعمائة فقاتلهم حتى امسوا، وتحاجزوا بأصحاب موسى جراح كثيرة، فلما أصبحوا أمرهم موسى فخلقوا رؤوسهم كما يصنع الخوارج، وقطعوا صفقات أخبيتهم كما يصنع العجم إذا استماتوا.

وقال موسى لزرعة بن علقمة: انطلق إلى طرخون فاحتل له فأتاه، فقال له طرخون: لم صنع أصحابك ما صنعوا؟ قال: استقتلوا فما حاجتك إلى أن تقتل أيها الملك موسى وتقتل! فإنك لا تصل إليه حتى يقتل مثل عدتهم منكم، ولو قتله وإياهم جميعاً ما نلت حظاً،

لأن له قدرا في العرب، فلا يلي أحد خراسان إلا طالبك بدمه، فإن سلمت من واحد لم تسلم من آخر، قال: ليس إلى ترك كس في يده سبيل، قال: فكف عنه حتى

يرتحل، فكف وأتى موسى الترمذ وبها حصن يشرف على النهر إلى جانب منه، فنزل موسى على بعض دهاقين الترمذ خارجا من الحصن والدهقان بجانب لترمز شاه، فقال لموسى: إن صاحب الترمذ متكرم شديد الحياء، فإن ألطفته وأهديت إليه أدخلك حصنه، فإنه ضعيف، قال: كلا، ولكني أسأله أن يدخلني حصنه، فسأله فأبى، فما كره موسى وأهدى له وألطفه، حتى لطف الذي بينهما، وخرج فتصيد معه، وكثر إلفاط موسى له، فصنع صاحب الترمذ طعاما وأرسل إليه: أني أحب أكرمك، فتغد عندي، واثني في مائة من أصحابك فانخب موسى من أصحابه مائة، فدخلوا على خيولهم، فلما صارت في المدينة تصاهلت، فتطير أهل الترمذ وقالوا لهم: انزلوا، فنزلوا، فأدخلوا بيتا، خمسين في خمسين، وغدوهم.

فلما فرغوا من الغداء اضطجع موسى، فقالوا له: اخرج، قال:

لا أصيب منزلا مثل هذا، فلست بخارج منه حتى يكون بيتي أو قبري.

وقاتلوهم في المدينة، فقتل من أهل الترمذ عدة، وهرب الآخرون فدخلوا منازلهم، وغلب موسى على المدينة، وقال لترمز شاه: اخرج، فإني لست أعرض لك ولا لأحد من أصحابك نفرج الملك وأهل المدينة فأتوا الترك يستنصرونهم، فقالوا: دخل إليكم مائة رجل فخرجوكم عن بلادكم، وقد قاتلناهم بكس، نحن لا نقاتل هؤلاء فأقام ابن خازم بالترمز، ودخل إليه أصحابه، وكانوا سبعمائة، فأقام، فلما قتل أبوه انضم إليه من أصحاب أبيه أربعمائة فارس، فقوي، فكان يخرج فيغير على من حوله قال: فأرسل الترك قوما إلى أصحاب موسى ليعلموا علمه، فلما قدموا قال موسى لأصحابه:

لا بد من مكيدة لهؤلاء- قال: وذلك في أشد الحر- فأمر بنار فأبجت، وأمر أصحابه فلبسوا ثياب الشتاء، ولبسوا فوقها لبودا، ومدوا أيديهم إلى النار كأنهم يصطلون وأذن موسى للترك فدخلوا، ففزعوا مما رأوا، وقالوا:

لم صنعتم هذا؟ قالوا: نجد البرد في هذا الوقت، ونجد الحر في الشتاء، فرجعوا وقالوا: جن لا نقاتلهم قال: وأراد صاحب الترك أن يغزو موسى، فوجه إليه رسلا، وبعث بسم ونشاب في مسك، وإنما أراد بالسهم أن حربهم شديدة، والنشاب الحرب، والمسك السلم، فاختر الحرب أو السلم، فانخرق السم، وكسر النشاب، ونثر المسك، فقال القوم: لم يريدوا الصلح، وأخبر أن حربهم مثل النار، وأنه يكسرننا، فلم يغزهم.

قال: فولي بكير بن وشاح خراسان فلم يعرض له، ولم يوجه إليه أحدا، ثم قدم أمية فسار بنفسه يريده، فخالفه بكير، وخلع، فرجع إلى مرو، فلما صالح أمية بكيرا أقام عامه ذلك، فلما كان في قابل وجهه إلى موسى رجلا من خزاعة في جمع كثير، فعاد أهل الترمذ إلى الترك فاستنصروهم فأبوا، فقالوا لهم: قد غزاهم قوم منهم وحصروهم، فإن أعانهم عليهم ظفروا بهم فسارت الترك مع أهل الترمذ في جمع كثير، فأطاف بموسى الترك والخزاعي، فكان يقاتل الخزاعي أول النهار والترك آخر النهار، فقاتلهم شهرين أو ثلاثة، فقال موسى لعمر بن خالد بن حصين الكلابي- وكان فارسا: قد طال أمرنا وأمر هؤلاء، وقد أجمعت أن أبيت عسكر الخزاعي، فإنهم للبيات آمنون، فما ترى؟ قال: البيات نعم ما هو، وليكن ذلك بالعجم، فإن العرب أشد حذرا، وأسرع فزعا، وأجرا على الليل من العجم، فبيتهم فإني أرجو أن ينصرنا الله عليهم، ثم تنفرد لقتال الخزاعي فنحن في حصن وهم بالعراء، وليسوا بأولى بالصبر، ولا أعلم بالحرب منا قال: فأجمع موسى على بيات الترك، فلما ذهب من الليل ثلثه خرج في أربعمائة، وقال لعمر بن خالد: اخرجوا بعدنا وكونوا منا قريبا، فإذا سمعتم تكبيرنا فكبروا، وأخذ على شاطئ النهر حتى ارتفع فوق العسكر، ثم أخذ من ناحية كفتان، فلما قرب من عسكرهم جعل أصحابه أرباعا، ثم قال: أطينفوا بعسكرهم، فإذا سمعتم تكبيرنا فكبروا، وأقبل

وقدم عمرا بين يديه ومشوا خلفه، فلما رآته أصحاب الأرصاء قالوا: من أنتم؟ قالوا: عابري سبيل.

قال: فلما جازوا الرصد تفرقوا وأطافوا بالعسكر وكبروا، فلم يشعر الترك إلا بوقع السيوف، فثاروا يقتل بعضهم بعضا وولوا، وأصيب من المسلمين ستة عشر رجلا، وحووا عسكرهم وأصابوا سلاحا ومالا، وأصبح الخزاعي وأصحابه قد كسرههم ذلك، وخافوا مثلها من

البيات، فتحذروا.

فقال لموسى عمرو بن خالد: إنك لا تظفر إلا بمكيدة ولهم أمداد وهم يكثرُونَ، فدعني آتهم لعل أصيب من صاحبهم فرصة، إني إن خلوت به قتلته، فتناولني بضرب، قال: تتعجل الضرب وتعرض للقتل! قال: أما التعرض للقتل فأنا كل يوم متعرض له، وأما الضرب فما أيسره في جنب ما أريد فتناوله بضرب، ضربه خمسين سوطاً، فخرج من عسكر موسى فأتى عسكر الخزاعي مستأمناً وقال: أنا رجل من أهل اليمن كنت مع عبد الله بن خازم، فلما قتل أئمت ابنه فلم أزل معه، وكنت أول من أتاه، فلما قدمت اتهمني، وتعصب علي، وتكرلي وقال لي: قد تعصبت لعدونا، فأنت عين له، فضربني، ولم آمن القتل، وقلت: ليس بعد الضرب إلا القتل، فهربت منه، فأمنه الخزاعي وأقام معه قال: فدخل يوماً وهو خال ولم ير عنده سلاحاً، فقال كأنه ينصح له: أصلحك الله! إن مثلك في مثل حالك لا ينبغي أن يكون في حال من أحواله بغير سلاح، فقال: إن معي سلاحاً، فرفع صدر فراشه فإذا سيف منتضى، فتناوله عمرو فضربه فقتله، وخرج فركب فرسه، ونذروا به بعد ما أمعن، فطلبوه فقاتلهم، فأتى موسى وتفرق ذلك الجيش، فقطع بعضهم النهر، وأتى بعضهم موسى مستأمناً، فأمنه، فلم يوجه إليه أمية أحداً قال: وعزل أمية، وقدم المهلب أميراً، فلم يعرض لابن خازم،

وقال لبنيه: إياكم وموسى، فإنكم لا تزالون ولاية هذا الثغر ما أقام هذا الشط بمكانه، فإن قتل كان أول طالع عليكم أميراً على خراسان رجل من قيس فمات المهلب ولم يوجه إليه أحداً، ثم تولى يزيد بن المهلب فلم يعرض له وكان المهلب ضرب حريث بن قطبة الخزاعي، فخرج هو وأخوه ثابت إلى موسى، فلما ولي يزيد بن المهلب أخذ أموالهما وحرهما وقتل أخاهما لأمهما، الحارث بن منقذ، وقتل صهرا لهما كانت عنده أم حفص ابنة ثابت، فبلغهما ما صنع يزيد قال: فخرج ثابت إلى طرخون فشكا إليه ما صنع به - وكان ثابت محبباً في العجم، بعيد الصوت، يعظمونه ويثقون به، فكان الرجل منهم إذا أعطى عهداً يريد الوفاء به حلف بحياة ثابت فلا يغدر - فغضب له طرخون وجمع له نيزك والسبل وأهل بخارى والصغانيان، فقدموا مع ثابت إلى موسى بن عبد الله، وقد سقط إلى موسى فل عبد الرحمن بن العباس من هراة، وفل ابن الأشعث من العراق ومن ناحية كابل، وقوم من بني تميم ممن كان يقاتل ابن خازم في الفتنة من أهل خراسان، فاجتمع إلى موسى ثمانية آلاف من تميم وقيس وربيعة واليمن، فقال له ثابت وحريث: سر تقطع النهر فتخرج يزيد بن المهلب عن خراسان، ونوليك، فإن طرخون ونيزك والسبل وأهل بخارى معك، فهم أن يفعل، فقال له أصحابه:

إن ثابتاً وأخاه خائفاً ليزيد، وإن أخرجت يزيد عن خراسان وأمنا توليا الأمر وغلباك على خراسان، فأقم مكانك فقبل رأيهم، وأقام بالترمز وقال لثابت: إن أخرجنا يزيد قدم عامل لعبد الملك، ولكنا نخرج عمال يزيد من وراء النهر مما يلينا، وتكون هذه الناحية لنا نأكلها فرضي ثابت بذلك، وأخرج من كان من عمال يزيد من وراء النهر، وحملت إليهم الأموال، وقوي أمرهم وأمر موسى، وانصرف طرخون ونيزك وأهل بخارى والسبل إلى بلادهم، وتدير الأمر لحريث وثابت، والأمير موسى ليس له غير الاسم،

فقال لموسى أصحابه: لسنا نرى من الأمر في يدك شيئاً أكثر من اسم الإمارة، فأما التدبير فلحريث وثابت، فاقتلها وتول الأمر فأبى وقال:

ما كنت لأغدر بهما وقد قويا أمري، فحسدوهما وألحوا على موسى في أمرهما حتى أفسدوا قلبه، وخوفوه غدرهما، وهم بمتابعتهم على الوثوب بثابت وحريث واضطرب أمرهم، فإنهم لفي ذلك إذ خرجت عليهم الهياطة والتبت والترك، فأقبلوا في سبعين ألفاً لا يعدون الحاسر ولا صاحب بيضة جماء، ولا يعدون إلا صاحب بيضة ذات قونس قال: فخرج ابن خازم إلى ربض المدينة في ثلاثمائة راجل وثلاثين مجففاً، وألقي له كرسي فقعد عليه قال: فأمر طرخون أن يثلم حائط الربض، فقال موسى:

دعوه، فهدموا ودخل أوائلهم، فقال: دعوهم يكثرُونَ، وجعل يقلب طبرزينا بيده، فلما كثروا قال: الآن امنعوه، فركب وحمل عليهم فقاتلهم حتى أخرجهم عن الثلة، ثم رجع فجلس على الكرسي وذمر الملك أصحابه ليعودوا، فأبوا، فقال لفرسانه: هذا الشيطان، من سره أن ينظر إلى رستم فلينظر إلى صاحب الكرسي، فمن أبى فليقدم عليه ثم تحولت الأعاجم إلى رستاق كفتان قال: فأغاروا على سرح موسى، فاغتم ولم يطعم، وجعل يعبث بلحيته، فسار ليلاً على نهر في حافتيه نبات لم يكن فيه ماء، وهو يفضي إلى خندقهم، في سبعمائة، فأصبحوا عند عسكرهم، وخرج السرح فأغار عليه فاستاقه، وأتبعه قوم منهم، فعطف عليه سوار، مولى لموسى، فطعن رجلاً

منهم فصرعه، فرجعوا عنهم وَسَلَّم موسى بالسرّ قال: وغاداهم العجم القتال، فوقف ملكهم على تل في عشرة آلاف في أكل عدة، فقال موسى: إن أزلتم هؤلاء فليس الباقون بشيء فقصدهم حريث بن قطبة فقاتلهم صدر النهار، وألح عليهم حتى أزالوهم عن التل، ورمي يومئذ حريث بنشابة في جبهته، فتعجزوا، فبیتهم موسى، وحمل أخوه خازم بن عبد الله بن خازم حتى وصل إلى شمة. ملكهم،

فوجاً رجلاً منهم بقيعة سيفه، فطعن فرسه، فاحتمله فألقاه في نهر بلخ فغرق، وعليه درعان، فقتل العجم قتلاً ذريعاً، ونجا منهم من نجا بشراً، ومات حريث بن قطبة بعد يومين، فدفن في قبته قال: وارتحل موسى، وحملوا الرءوس إلى الترمذ، فبنوا من تلك الرءوس جوسقين، وجعلوا الرءوس يقابل بعضها بعضاً وبلغ الحجاج خبر الواقعة، فقال: الحمد لله الذي نصر المنافقين على الكافرين، فقال أصحاب موسى:

قد كفينا أمر حريث، فأرحنا من ثابت، فأبى وقال: لا وبلغ ثابتاً بعض ما يخوضون فيه، فدس محمد بن عبد الله بن مرثد الخزاعي، عم نصر بن عبد الحميد عامل أبي مسلم على الري- وكان في خدمة موسى بن عبد الله- وقال له: إياك أن تتكلم بالعربية، وإن سألوك من أين أنت! فقل: من سبي الباميان، فكان يخدم موسى وينقل إلى ثابت خبرهم، فقال له:

تحفظ ما يقولون وحذر ثابت فكان لا ينام حتى يرجع الغلام، وأمر قوماً من شاكريته يحرسونه ويبيتون عنده في داره، ومعهم قوم من العرب، وألح القوم على موسى فأضجروه، فقال لهم ليلة: قد أكثرتم علي، وفيهم تريدون هلاككم، وقد أبرمتوني! فعلى أي وجه تفتكون به، وأنا لا أغدر به! فقال نوح بن عبد الله أخو موسى: خلنا وإياه، فإذا غدا إليك غدوة عدلنا به إلى بعض الدور، فضربنا عنقه فيها قبل أن يصل إليك، قال: أما والله إنه لهلاككم، وأنتم أعلم- والغلام يسمع- فأتى ثابتاً فأخبره، فخرج من ليلته في عشرين فارساً فضى وأصبحوا وقد ذهب فلم يدروا من أين أوتوا، وفقدوا الغلام، فعلموا أنه كان عينا له عليهم، ولحق ثابت بحشورا فنزل المدينة، وخرج إليه قوم كثير من العرب والعجم، فقال موسى لأصحابه:

قد فتحت على أنفسكم باباً فسدوه، وسار إليهم موسى، فخرج إليه ثابت في جمع كثير فقاتلهم، فأمر موسى بإحراق السور، وقاتلهم حتى ألقوا ثابتاً وأصحابه إلى المدينة، وقاتلوهم عن المدينة

فأقبل رقبة بن الحر العبدي حتى اقتحم النار، فانتهى إلى باب المدينة ورجل من أصحاب ثابت واقف يحكي أصحابه، فقتله، ثم رجع نفاض النار وهي تلتهب، وقد أخذت بجوانب نط عليه، فرمى به عنه ووقف، وتحصن ثابت في المدينة، وأقام موسى في الربض، وكان ثابت حين شخص إلى حشورا أرسل إلى طرخون، فأقبل طرخون معينا له، وبلغ موسى مجيء طرخون، فرجع إلى الترمذ، وأعاناه أهل كس ونسف وبخارى، فصار ثابت في ثمانين ألفاً، فحصروا موسى وقطعوا عنه المادة حتى جهدوا.

قال: وكان أصحاب ثابت يعبرون نهراً إلى موسى بالنهار- ثم يرجعون بالليل إلى عسكرهم، فخرج يوماً رقبة- وكان صديقاً لثابت، وقد كان ينهى أصحاب موسى عما صنعوا- فنأدى ثابتاً، فبرز له- وعلى رقبة قباء خز- فقال له: كيف حالك يا رقبة؟ فقال: ما تسأل عن رجل عليه جبة خز في حمارة القيظ! وشكا إليه حالهم، فقال: أنتم صنعتُم هذا بأنفسكم، فقال: أما والله ما دخلت في أمرهم، ولقد كرهت ما أرادوا، فقال ثابت: أين تكون حتى يأتيك ما قدر لك؟ قال: أنا عند المحل الطفاوي- رجل من قيس من يعصر- وكان المحل شيخاً صاحب شراب- فنزل رقبة عنده.

قال: فبعث ثابت إلى رقبة بخمسمائة درهم مع علي بن المهاجر الخزاعي، وقال: إن لنا تجاراً قد خرجوا من بلخ، فإذا بلغك أنهم قد قدموا فأرسل إلي تأتكت حاجتك فأتي على باب المحل، فدخل فإذا رقبة والمحل جالسان بينهما جفنة فيها شراب، وخوان عليه دجاج وأرغفة، ورقبة شعث الرأس، متوشح بملحفة حمراء، فدفع إليه الكيس، وأبلغه الرسالة وما كلمه، وتناول الكيس وقال له بيده، اخرج، ولم يكلمه قال: وكان رقبة جسيماً كبيراً، غائر العينين، نأى الوجنتين، مفلج، بين كل سنين له موضع سن، كان وجهه ترس

قال: فلما أضاق أصحاب موسى واشتد عليهم الحصار قال يزيد بن هزبل: إنما مقام هؤلاء مع ثابت والقتل أحسن من الموت جوعاً، والله لأفتكن بثابت أو لأموتن فخرج إلى ثابت فاستأمنه، فقال له ظهير: أنا أعرف بهذا منك، إن هذا لم يأتك رغبة فيك ولا جزعاً

لك، ولقد جاءك بغدرة، فاحذره وخليني وإياه، فقال: ما كنت لأقدم على رجل أتايني، لا أدري أكذلك هو أم لا قال: فدعني أرتهن منه رهنا، فأرسل ثابت إلى يزيد فقال: أما أنا فلم أكن أظن رجلا يغدر بعد ما يسأل الأمان، وابن عمك أعلم بك مني، فانظر ما يعاملك عليه، فقال يزيد لظهير: أبيت يا أبا سعيد إلا حسدا! قال: أما يكفئك ما ترى من الذل! تشردت عن العراق وعن أهلي، وصرت بخراسان فيما ترى، أفما تعطفك الرحم! فقال له ظهير: أما والله لو تركت ورأيي فيك لما كان هذا، ولكن أرهنا ابنك قدامة والضحاك فدفعهما إليهم، فكانا في يدي ظهير.

قال: وأقام يزيد يلتمس غرة ثابت، لا يقدر منه على ما يريد، حتى مات ابن لزياد القصير الخزاعي، أتى أباه نعيه من مرو، فخرج متفضلا إلى زياد ليعزيه، ومعه ظهير ورهط من أصحابه، وفيهم يزيد بن هزبل، وقد غابت الشمس، فلما صار على نهر الصغانيان تأخر يزيد بن هزبل ورجلان معه، وقد تقدم ظهير وأصحابه، فدنا يزيد من ثابت فضربه فعض السيف برأسه، فوصل إلى الدماغ قال: ورمى يزيد وصاحبه بأنفسهم في نهر الصغانيان، فرموهم، فجا يزيد سباحة وقتل صاحبه، وحمل ثابت إلى منزله، فلما أصبح طرخون أرسل إلى ظهير: ائتني بابني يزيد، فأثاه بهما، فقدم ظهير الضحاك بن يزيد فقتله، ورمى به ورأسه في النهر، وقدم قدامة ليقتله، فالتفت فوقه السيف في صدره، ولم يبن، فألقاه في النهر حيا فغرق، فقال طرخون: أبوهما قتلها وغدره فقال يزيد بن هزبل: لأقتلن يا بني كل خزاعي بالمدينة، فقال له عبد الله بن بديل بن عبد الله بن بديل بن ورقاء- وكان ممن أتى موسى من فل ابن الأشعث:

لو رمت ذاك من خزاعة لصعب عليك وعاش ثابت سبعة أيام ثم مات وكان يزيد بن هزبل سخيا شجاعا شاعرا، ولي أيام ابن زياد جزيرة ابن كاوان، فقال:

قد كنت أدعو الله في السر مخلصا ... ليكنني من جزية ورجال

فأترك فيها ذكر طلحة خاملا ... ويحمد فيها نائي وفعالي

قال: فقام بأمر العجم بعد موت ثابت طرخون، وقام ظهير بأمر أصحاب ثابت، فقاما قياما ضعيفا، وانتشر أمرهم، فأجمع موسى على بياتهم، فجاء رجل فأخبر طرخون، فضحك وقال: موسى يعجز أن يدخل متوضأه، فكيف يبيتنا! لقد طار قلبك، لا يحرسن الليلة أحد العسكر.

فلما ذهب من الليل ثلثه خرج موسى في ثمانمائة قد عباهم من النهار، وصيرهم أرباعا قال: فصير على ربع رقبة بن الحر وعلى ربع أخاه نوح بن عبد الله بن خازم، وعلى ربع يزيد بن هزبل، وصار هو في ربع، وقال لهم: إذا دخلتم عسكرهم فتفرقوا، ولا يمرن أحد منكم بشيء إلا ضربه، فدخلوا عسكرهم من أربع نواح لا يملكون بدابة ولا رجل ولا خباء ولا جوالق إلا ضربوه وسمع الوجبة نيزك فلبس سلاحه، ووقف في ليلة مظلمة، وقال لعلي بن المهاجر الخزاعي: انطلق إلى طرخون فأعلمه موقعي، وقل له: ما ترى أعمل به، فأتى طرخون، فإذا هو في فارة قاعد على كرسي وشاكرته قد أوقدوا النيران بين يديه، فأبلغه رسالة نيزك، فقال: اجلس، وهو طامح ببصره نحو العسكر والصوت، إذا أقبل محمية السلي وهو يقول: حم لا ينصرون، فتفرق في الشاكرية، ودخل محمية الفارة، وقام إليه طرخون فبدره فضربه، فلم يغن شيئا، قال: وطعنه طرخون بذياب السيف في صدره فصرعه، ورجع إلى الكرسي فجلس عليه، وخرج محمية يعدو قال: ورجعت الشاكرية، فقال لهم طرخون: فررت من رجل! رأيتم لو كان نارا هل كانت تحرق منكم أكثر من واحد! فما فرغ من كلامه حتى دخل جوارية الفارة، وخرج الشاكرية هرابا، فقال للجواري:

اجلسن، وقال لعلي بن المهاجر: قم، قال: نفرجا فإذا نوح بن عبد الله بن خازم في السراق، فتجاولا ساعة، واختلفا ضربتين، فلم يصنعا شيئا، وولى نوح وأتبعه طرخون، فطعن فرس نوح في خاصرته فشب، فسقط نوح والفرس في نهر الصغانيان، ورجع طرخون وسيفه يقطر دما، حتى دخل السراق وعلي بن المهاجر معه، ثم دخلا الفارة.

وقال طرخون للجواري: ارجعن، فرجعن إلى السراق، وأرسل طرخون إلى موسى: كف أصحابك؟ فإننا نرتحل إذا أصبحنا، فرجع موسى إلى عسكره، فلما أصبحوا ارتحل طرخون والعجم جميعا، فأتى كل قوم بلادهم قال: وكان أهل خراسان يقولون: ما رأينا مثل موسى ابن عبد الله بن خازم، ولا سمعنا به، قاتل مع أبيه سنتين، ثم خرج يسير في بلاد خراسان حتى أتى ملكا فغلبه على مدينته وأخرجه

منها، ثم سارت إليه الجنود من العرب والترك فكان يقاتل العرب أول النهار والعجم آخر النهار، وأقام في حصنه خمس عشرة سنة، وصار ما وراء النهر لموسى، لا يعارزه فيه أحد.

قال: وكان بقومس رجل يقال له عبد الله، يجتمع إليه قتيان يتنادمون عنده في مؤنثته ونفقتة، فلزمه دين، فأتى موسى بن عبد الله، فأعطاه أربعة آلاف، فأتى بها أصحابه، فقال الشاعر يعاتب رجلا يقال له موسى:

فأنت موسى إذ يناجي إلهه ... ولا واهب القينات موسى بن خازم

قال: فلما عزل يزيد وولي المفضل خراسان أراد أن يحظى عند الحجاج بقتال موسى بن عبد الله، فأخرج عثمان بن مسعود- وكان يزيد حبسه- فقال: إني أريد أن أوجهك إلى موسى بن عبد الله، فقال: والله لقد وترني، وإني لثائر ببن عمي ثابت وبالحزاعي، وما يد أبيك وأخيك عندي وعند أهل بيتي بالحسنة، لقد حبستموني وشردتم بني عمي، واصطفيتهم أموالهم فقال له المفضل: دع هذا عنك، وسر فأدرك بئارك، فوجهه في ثلاثة آلاف، وقال له: مر مناديا فليناد: من لحق بنا فله ديوان، فنادى بذلك في السوق، فسارع إليه الناس وكتب المفضل إلى مدرك وهو ببلخ أن يسير معه، فخرج، فلما كان ببلخ خرج ليلة يطوف في العسكر، فسمع رجلا يقول: قتلتك والله، فرجع إلى أصحابه، فقال:

قتلت موسى ورب الكعبة! قال: فأصبح فسار من بلخ وخرج مدرك معه متثاقلا، فقطع النهر فنزل جزيرة بالترمز يقال لها اليوم جزيرة عثمان- لنزول عثمان بها في خمسة عشر ألفا- وكتب إلى السبل وإلى طرخون فقدموا عليه، فحصروا موسى، فضيقوا عليه وعلى أصحابه، فخرج موسى ليلا فأتى كفتان، فامتار منها، ثم رجع فكث شهرين في ضيق، وقد خندق عثمان وحذر البيات، فلم يقدر موسى منه على غرة، فقال لأصحابه: حتى متى! اخرجوا بنا فاجعلوا يومكم، إما ظفرتم وإما قتلتهم وقال لهم: اقصدوا للصغد والترك، فخرج وخلف النضر بن سليم بن عبد الله بن خازم في المدينة، وقال له:

إن قتلت فلا تدفعن المدينة إلى عثمان، وادفعها إلى مدرك بن المهلب.

وخرج فصير ثلث أصحابه بإزاء عثمان وقال: لا تهايجوه إلا أن يقاتلكم، وقصد لطرخون وأصحابه، فصدقوهم، فانهزم طرخون والترك، وأخذوا عسكرهم فجعلوا ينقلونه، ونظر معاوية بن خالد بن أبي برزة إلى عثمان وهو على بردون لخالد بن أبي برزة الأسلمي، فقال: انزل أيها الأمير، فقال خالد: لا تنزل فإن معاوية مشئوم وكرت الصغد والترك راجعة، فخالوا بين موسى وبين الحصن، فقاتلهم، فعقر به فسقط، فقال لمولى له: احملني، فقال: الموت كريح، ولكن ارتد، فإن نجونا نجونا جميعا، وإن هلكا هلكا جميعا قال: فارتد، فنظر إليه عثمان حين وثب فقال: وثبة موسى ورب الكعبة! وعليه مغفر له موسى بن خازم في أعلاه، ياقوتة أسمانجونية، فخرج من الخندق فكشفوا أصحاب موسى.

فقصده لموسى، وعثرت دابة موسى فسقط هو ومولاه، فابتدروه فانطوا عليه فقتلوه، ونادى منادي عثمان: لا تقتلوا أحدا، من لقيتموه فخذوه أسيرا قال: فنفرق أصحاب موسى، وأسر منهم قوم، فعرضوا على عثمان، فكان إذا أتى بأسير من العرب قال: دماؤنا لكم حلال، ودماؤكم علينا حرام! ويأمر بقتله، وإذا أتى بأسير من الموالي شتمه، وقال: هذه العرب تقتلني، فهلا غضبت لي! فيأمر به فيشده وكان فظا غليظا، فلم يسلم عليه يومئذ أسير إلا عبد الله بن بديل بن عبد الله بن بديل بن ورقاء، فإنه كان مولاه، فلما نظر إليه أعرض عنه وأشار بيده أن خلوا عنه، ورقبة بن الحر لما أتى به نظر إليه وقال: ما كان من هذا إلينا كبير ذنب، وكان صديقا لثابت، وكان مع قوم فوفى لهم، والعجب كيف أسرتموه! قالوا: طعن فرسه فسقط عنه في وهدة فأسر، فأطلقه وحمله، وقال لخالد بن أبي برزة: ليكن عندك قال: وكان الذي أجهز على موسى ابن عبد الله واصل بن طيسلة العنبري ونظر يومئذ عثمان إلى زرة بن علقمة السلمي والحجاج بن مروان وسانن الأعرابي ناحية فقال: لكم الأمان، فظن الناس أنه لم يؤمنهم حتى كاتبوه.

قال: وبقيت المدينة في يدي النضر بن سليم بن عبد الله بن خازم، فقال:

لا أدفعها إلى عثمان، ولكنني أدفعها إلى مدرك، فدفعها إليه وآمنه، فدفعها مدرك إلى عثمان وكتب المفضل بالفتح إلى الحجاج، فقال الحجاج: العجب من ابن بهلة! أمره بقتل ابن سمرة فيكتب إلي أنه لما به ويكتب إلي: أنه قتل موسى بن عبد الله بن خازم، قال: وقتل

موسى سنة خمس وثمانين، فذكر البحري أن مغراء بن المغيرة بن أبي صفرة قتل موسى فقال: وقد عركت بالترمز الخيل خازما ... ونوحا وموسى عركة بالكلاكل

٦٠٢٠٥ عزم عبد الملك بن مروان على خلع أخيه عبد العزيز

قال: فضرب رجل من الجند ساق موسى، فلها ولي قتيبة أخبر عنه فقال:

ما دعاك إلى ما صنعت بفتى العرب بعد موته! قال: كان قتل أخي، فأمر به قتيبة فقتل بين يديه

. عزم عبد الملك بن مروان على خلع أخيه عبد العزيز

وفي هذه السنة أراد عبد الملك بن مروان خلع أخيه عبد العزيز بن مروان.

ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهما فيه:

ذكر الواقدي أن عبد الملك هم بذلك، فهاه عنه قبيصة بن ذؤيب، وقال: لا تفعل هذا، فإنك باعث على نفسك صوت نعار، ولعل

الموت يأتيه فتستريح منه! فكف عبد الملك عن ذلك ونفسه تنازعه إلى أن يخلعه.

ودخل عليه روح بن زنباع الجذامي - وكان أجل الناس عند عبد الملك - فقال: يا أمير المؤمنين، لو خلعت ما انتطح فيه عنزان، فقال:

ترى ذلك يا أبا زرعة؟ قال: إي والله، وأنا أول من يجيبك إلى ذلك، فقال:

نصيح إن شاء الله قال: فبينما هو على ذلك وقد نام عبد الملك وروح ابن زنباع إذ دخل عليهما قبيصة بن ذؤيب طروقا، وكان عبد

الملك قد تقدم إلى حجابته فقال: لا يجب عني قبيصة أي ساعة جاء من ليل أو نهار، إذا كنت خاليا أو عندي رجل واحد، وإن كنت

عند النساء أدخل المجلس وأعلمت بمكانه فدخل، وكان اختتم إليه، وكانت السكة إليه، تأتية الأخبار قبل عبد الملك، ويقرأ الكتب

قبله، ويأتي بالكتاب إلى عبد الملك منشورا فيقرؤه، إعظاما لقبصة - فدخل عليه فسلم عليه وقال: أجزك الله يا أمير المؤمنين في أخيك

عبد العزيز! قال: وهل توفي؟ قال: نعم، فاسترجع عبد الملك، ثم أقبل على روح فقال: كفانا الله أبا زرعة ما كنا نريد وما أجمعنا عليه،

وكان ذلك مخالفا لك يا أبا إسحاق، فقال قبيصة:

ما هو؟ فأخبره بما كان، فقال قبيصة: يا أمير المؤمنين، إن الرأي كله

٦٠٢٠٦ خبر موت عبد العزيز بن مروان

في الأناة، والعجلة فيها ما فيها، فقال عبد الملك: ربما كان في العجلة خير كثير، رأيت أمر عمرو بن سعيد، ألم تكن العجلة فيه خيرا

من الثاني!

خبر موت عبد العزيز بن مروان

وفي هذه السنة توفي عبد العزيز بن مروان بمصر في جمادى الأولى، فضم عبد الملك عمله إلى ابنه عبد الله بن عبد الملك، وولاه مصر.

وأما المدائني فإنه قال في ذلك ما حدثنا به أبو زيد عنه، أن الحجاج كتب إلى عبد الملك يزين لهبيعة الوليد، وأوفد وفدا في ذلك عليهم

عمران ابن عصام العنزي، فقام عمران خطيبا، فتكلم وتكلم الوفد وحثوا عبد الملك، وسألوه ذلك، فقال عمران بن عصام:

أمر المؤمنين إليك نهدي ... على النأي التحية والسلاما

أجني في بنيك يكن جوابي ... لهم عادية ولنا قواما

فلو أن الوليد أطاع فيه ... جعلت له الخلافة والذما

شبيك حول قبه قرش ... به يستمطر الناس الغما

ومثلك في التقى لم يصب يوما ... لدن خلع القلائد والتما

فإن تؤثر أخاك بها فإنما ... وجدك لا نطق لها اتها

ولكنا نحاذر من بنيه ... بني العلات مأثرة سما

ونخشى إن جعلت الملك فيهم ... سخبا ان تعود لهم جهاما

فلأيك ما حلبت غدا لقوم ... وبعد غد بنوك هم العياما
فأقسم لو تخطأني عصام ... بذلك ما عذرت به عصاما
ولو أني حبوت أخا بفضل ... أريد به المقالة والمقاما
لعقب في بني علي بنيه ... كذلك أولرمت له مراما
فن يك في أقاربه صدوع ... فصعد الملك أبطوه الثامنا

فقال عبد الملك: يا عمران، إنه عبد العزيز، قال: احتل له يا أمير المؤمنين.

قال علي: أراد عبد الملكبيعة الوليد قبل أمر ابن الأشعث، لأن الحجاج بعث في ذلك عمران بن عصام، فلما أبى عبد العزيز أعرض عبد الملك عما أراد حتى مات عبد العزيز، ولما أراد أن يخلع أخاه عبد العزيز ويبيع لابنه الوليد كتب إلى أخيه: إن رأيت أن تصير هذا الأمر لابن أخيك! فأبى، فكتب إليه: فاجعلها له من بعدك، فإنه أعز الخلق على أمير المؤمنين فكتب إليه عبد العزيز: إني أرى في أبي بكر بن عبد العزيز ما ترى في الوليد، فقال عبد الملك: اللهم إن عبد العزيز قطعني فاقطعه فكتب إليه عبد الملك: احمل خراج مصر فكتب إليه عبد العزيز: يا أمير المؤمنين، إني وإياك قد بلغنا سنا لم يبلغها أحد من أهل بيتك إلا كان بقاؤه قليلا، وإني لا أدري ولا تدري أين يأتيه الموت أولا! فإن رأيت إلا تغث علي بقية عمري فافعل.

فرق له عبد الملك وقال: لعمري لا أغث عليه بقية عمره، قال لابنيه: إن يرد الله أن يعطيكوها لا يقدر أحد من العباد على رد ذلك. وقال لابنيه: الوليد وسليمان: هل قارفتما حراما قط؟ قالوا: لا والله، قال: الله أكبر، نلتماها ورب الكعبة! قال: فلما أبى عبد العزيز أن يجيب عبد الملك إلى ما أراد، قال عبد الملك: اللهم قد قطعني فاقطعه، فلما مات عبد العزيز قال أهل الشام: رد على أمير المؤمنين أمره، فدعا عليه، فاستجيب له.

قال: وكتب الحجاج إلى عبد الملك يشير عليه أن يستكتب محمد بن يزيد الأنصاري، وكتب إليه: إن أردت رجلا مأمونا فاضلا عاقلا وديعا مسلما

كتوما تتخذه لنفسك، وتضع عنده سر، وما لا تحب أن يظهر، فاتخذ محمد بن يزيد فكتب إليه عبد الملك: احمله إلي فحمله، فاتخذه عبد الملك كاتباً قال محمد: فلم يكن يأتيه كتاب إلا دفعه إلي، ولا يستر شيئاً إلا أخبرني به وكتبه الناس، ولا يكتب إلى عامل من عماله إلا أعلمني، فإني لجالس يوماً نصف النهار إذا ببريد قد قدم من مصر، فقال: الإذن على أمير المؤمنين قلت: ليست هذه ساعة اذن، فأعلمني ما قد قدمت له، قال: لا قلت: فإن كان معك كتاب فادفعه إلي قال: لا، قال: فأبلغ بعض من حضرني أمير المؤمنين، فخرج فقال: ما هذا؟ قلت: رسول قدم من مصر، قال: نخذ الكتاب، قلت: زعم أنه ليس معه كتاب، قال: فسله عما قدم له، قلت: قد سألته فلم يخبرني، قال أدخله، فأدخلته، فقال: أجزك الله يا أمير المؤمنين في عبد العزيز! فاسترجع وبكى ووجم ساعة ثم قال: يرحم الله عبد العزيز! مضى والله عبد العزيز لشأنه، وتركنا وما نحن فيه، ثم بكى النساء وأهل الدار، ثم دعاني من غد، فقال: إن عبد العزيز رحمه الله قد مضى لسبيله، ولا بد للناس من علم وقائم يقوم بالأمر من بعدي، فن ترى؟ قلت: يا أمير المؤمنين، سيد الناس وأرضاهم وأفضلهم الوليد بن عبد الملك، قال: صدقت وفقك الله! فن ترى أن يكون بعده؟

قلت: يا أمير المؤمنين، أين تعدلها عن سليمان فتى العرب! قال: وفقت، أما إنا لو تركنا الوليد وإياها لجعلها لبنيه، اكتب عهداً للوليد وسليمان من بعده، فكتبتبيعة الوليد ثم سليمان من بعده فغضب علي الوليد فلم يولني شيئاً حين أشرت بسليمان من بعده.

قال علي، عن ابن جعدة: كتب عبد الملك إلى هشام بن إسماعيل المخزومي أن يدعو الناس لبيعة الوليد وسليمان، فباعوا غير سعيد بن المسيب، فإنه أبى، وقال: لا أباع وعبد الملك حتى، فضربه هشام ضرباً

٦٠٢٠٠٧ بيعه عبد الملك لابنيه: الوليد ثم سليمان

مبرحا وألبسه المسوح، وسرحه إلى ذباب- ثنية بالمدينة كانوا يقتلون عندها ويصلبون فظن أنهم يريدون قتله، فلما انتهوا به إلى ذلك الموضع ردوه، فقال: لو ظننت أنهم لا يصلبوني ما لبست سراويل مسوح، ولكن قلت: يصلبونني فيسترنني وبلغ عبد الملك الخبر، فقال: قبح الله هشاما! إنما كان ينبغي أن يدعوه إلى البيعة، فإن أبي يضرب عنقه، أو يكف عنه . بيعه عبد الملك لابنيه: الوليد ثم سليمان

وفي هذه السنة بايع عبد الملك لابنيه: الوليد، ثم من بعده لسليمان، وجعلهما وليي عهد المسلمين، وكتب ببيعته لهما إلى البلدان، فبايع الناس، وامتنع من ذلك سعيد بن المسيب، فضربه هشام بن إسماعيل - وهو عامل عبد الملك على المدينة- وطاف به وحبسه، فكتب عبد الملك إلى هشام يلومه على ما فعل من ذلك، وكان ضربه ستين سوطا، وطاف به في تبان شعر حتى بلغ به رأس الثانية. وأما الحارث فإنه قال: حَدَّثَنِي ابن سعد، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو الْوَاقِدِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالُوا: اسْتَعْمَلَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ الزَّيْبِرِ جَابِرُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ عَوْفٍ الزَّهْرِيُّ عَلَى الْمَدِينَةِ، فَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ لِابْنِ الزَّيْبِرِ، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ: لَا، حَتَّى يَجْتَمَعَ النَّاسُ، فَضْرِبَهُ سِتِينَ سَوْطًا، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ الزَّيْبِرِ، فَكَتَبَ إِلَى جَابِرٍ يُلُومُهُ، وَقَالَ: مَا لَنَا وَلِسَعِيدٍ، دَعَا! وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، عَنْ ابْنِ سَعْدٍ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَمْرِو أَخْبَرَهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِنَا أَنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ تَوَفَّى بِمِصْرَ فِي جُمَادَى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ، فَعَقَّدَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَابْنِيهِ الْوَلِيدَ وَسُلَيْمَانَ الْعَهْدَ، وَكَتَبَ بِالْبَيْعَةِ لَهُمَا إِلَى الْبُلْدَانِ، وَعَامَلَهُ يَوْمَئِذٍ هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْخَزَوِمْي،

٦٠٢٠٠٨ أخبار متفرقة

فدعا الناس إلى البيعة، فبايع الناس، ودعا سعيد بن المسيب أن يبايع لهما، فأبى وقال: لا حتى أنظر، فضربه هشام بن إسماعيل ستين سوطا، وطاف به في تبان شعر حتى بلغ به رأس الثانية، فلما كروا به قال: أين تكونون بي؟ قالوا: إلى السجن، قال: والله لولا أنني، ظننت أنه الصلب لما لبست هذا التبان أبدا فرده إلى السجن، وحبسه وكتب إلى عبد الملك يخبره بخلافه، وما كان من أمره، فكتب إليه عبد الملك يلومه فيما صنع ويقول: سعيد والله كان أحوج أن تصل رحمه من أن تضربه، وإنا لنعلم ما عنده من شقاق ولا خلاف. [أخبار متفرقة]

وجج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل الخزومي، كذلك حدثنا أحمد بن ثابت عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر. وكذلك قال الواقدي.

وكان العامل على المشرق في هذه السنة مع العراق الحجاج بن يوسف

٦٠٢١ سنه ست وثمانين

٦٠٢١٠١ خبر وفاه عبد الملك بن مروان

ثم دخلت

سنة ست وثمانين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

خبر وفاه عبد الملك بن مروان

فما كان فيها من ذلك هلاك عبد الملك بن مروان، وكان مهلكه في النصف من شوال منها حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ عَنْ ذَكَرِهِ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ، قَالَ: تَوَفَّى عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِلنَّصَفِ مِنْ شَوَالِ سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِينَ، فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ ثَلَاثَ عَشْرَةِ سَنَةٍ وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ.

وأما الحارث فإنه حدثني عن ابن سعد، عن محمد بن عمر، قال: حدثني شريح بن أبي عون، عن أبيه، قال: أجمع الناس على عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين.

قال ابن عمر: وحدثني أبو معشر نجيح، قال: مات عبد الملك بن مروان بدمشق يوم الخميس للنصف من شوال سنة ست وثمانين، فكانت ولايته منذ يوم بويج إلى يوم توفي إحدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا، كان تسع سنين منها يقاتل فيها عبد الله بن الزبير، ويسلم عليه بالخلافة بالشام، ثم بالعراق بعد مقتل مصعب، وبقي بعد مقتل عبد الله بن الزبير واجتماع الناس عليه ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليال.

وأما علي بن محمد المدائني، فإنه - فيما حدثنا أبو زيد عنه - قال: مات عبد الملك سنة ست وثمانين بدمشق، وكانت ولايته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوما.

٦٠٢١٠٢ ذكر الخبر عن مبلغ سنه يوم توفي

٦٠٢١٠٣ ذكر نسبه وكنيته

٦٠٢١٠٤ ذكر اولاده وازواجه

ذكر الخبر عن مبلغ سنه يوم توفي

اختلف اهل السير في ذلك، فقأن أبو معشر فيه - ما حدثني الحارث عن ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني أبو معشر نجيح.

قال: مات عبد الملك بن مروان وله ستون سنة.

قال الواقدي: وقد روي لنا أنه مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

قال: والأول أثبت وهو على مولده، قال: وولد سنة ست وعشرين في خلافة عثمان ابن عفان رضي الله عنه، وشهد يوم الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين.

وقال المدائني علي بن محمد - فيما ذكر، أبو زيد عنه: مات عبد الملك وهو ابن ثلاث وستين سنة

. ذكر نسبه وكنيته

أما نسبه، فإنه عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف وأما كنيته فأبو الوليد وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، وله يقول ابن قيس الرقيات:

أنت ابن عائشة التي ... فضلت أروم نساءها

لم تلتفت للذاتها ... ومضت على غلوائها

ذكر أولاده وازواجه

منهم الوليد، وسليمان، ومروان الأكبر - درج - وعائشة، أمهم ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض.

وزيد، ومروان، ومعاوية - درج - وأم كلثوم، وأمهم عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

وهشام، وأمهم أم هشام بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي وقال المدائني: اسمها عائشة بنت هشام.

وأبو بكر، واسمه بكار، أمه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله، والحكم - درج - أمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان.

وفاطمة بنت عبد الملك، أمها أم المغيرة بنت المغيرة.

بن خالد بن العاص ابن هشام بن المغيرة وعبد الله ومسلمة والمنذر وعنبسة ومحمد وسعيد الخير والحجاج، لأمهات أولاد.

قال المدائني: وكان له من النساء - سوى من ذكرنا - شقراء بنت سلمه ابن حلبس الطائي، وابنة لعل بن أبي طالب ع، وأم أبيها بنت عبد الله بن جعفر.

وذكر المدائني، عن عوانة وغيره أن سلمة بن زيد بن وهب بن نباتة الفهمي دخل على عبد الملك فقال له: أي الزمان أدركت أفضل؟ وأي الملوك أكمل؟ قال: أما الملوك فلم أر إلا ذاما وحامدا، وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع أقواما، وكلهم يذم زمانه لأنه يبلي جديدهم، ويهرم صغيرهم، وكل ما فيه منقطع غير الأمل، قال: فأخبرني عن فهم، قال: هم كما قال من قال:

درج الليل النهار على فهم ... بن عمرو فأصبحوا كالريم

وخلت دارهم فأضحت يبابا ... بعد عز وثروة ونعيم

كذاك الزمان يذهب بالناس ... وتبقى ديارهم كالرسوم

قال: فمن يقول منكم:

رأيت الناس مذ خلقوا وكانوا ... يحبون الغني من الرجال

وإن كان الغني قليل خير ... بخيلا بالقليل من النوال

فما أدري علام وفيه هذا ... وماذا يرتجون من البخال!

ألدنيا؟ فليس هناك دنيا ... ولا يرجى لحادثة الليالي

قال: أنا.

قال علي: قال أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعبد الملك بن مروان:

نبئت أن ابن القلمس عابني ... ومن ذا من الناس الصحيح المسلم

فأبصر سبل الرشيد سيد قومه ... وقد يبصر الرشيد الرئيس المعمم

فمن أنتم؟ ها خبرونا من أنتم؟ ... وقد جعلت أشياء تبدو وتكتم

فقال عبد الملك: ما كنت أرى أن مثلنا يقال له: من أنتم! أما والله لولا ما تعلم لقلت قولاً ألحقكم بأصلكم الخبيث، ولضربتكم حتى تموت.

وقال عبد الله بن الحجاج الثعلبي لعبد الملك:

يا بن أبي العاص ويا خير فتى ... أنت سداد الدين إن دين وهى

أنت الذي لا يجعل الأمر سدى ... جيبت قریش عنكم جوب الرحى

إن أبا العاصي وفي ذاك اعتصى ... أوصى بنيه فوعوا عنه الوصى

إن يسعروا الحرب ويأبوا ما أبى ... الطاعنين في النحور والكلى

شزرا ووصلوا للسيوف بالخطا ... إلى القتال فحروا ما قد حوى

وقال أعشى بني شيبان:

عرفت قریش كلها ... لبني أبي العاص الإماره

لأبرها وأحقها ... عند المشورة بالإشاره

المانعين لما ولوا ... والنافعين ذوي الضراره

وهم أحقهم بها ... عند الخلاوة والمراره

وقال عبد الملك: ما أعلم مكان أحد أقوى على هذا الأمر مني، وإن ابن الزبير لطويل الصلاة، كثير الصيام، ولكن لبخله لا يصلح أن يكون سائسا.

٦٠٢١٠٥ خلافة الوليد بن عبد الملك

خلافة الوليد بن عبد الملك

وفي هذه السنة بويج للوليد بن عبد الملك بالخلافة، فذكر أنه لما دفن أباه وانصرف عن قبره، دخل المسجد فصعد المنبر، واجتمع إليه

الناس، نخطب فقال: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين، والحمد لله على ما أنعم به علينا من الخلافة قوموا فبايعوا.

فكان أول من قام لبيعته عبد الله بن همام السلوي، فإنه قام وهو يقول:

الله أعطاك التي لا فوقها ... وقد أراد الملحدون عوقها

عنك ويأبى الله إلا سوقها ... إليك حتى قلدوك طوقها

فبايعه، ثم تتابع الناس على البيعة وأما الواقدي فإنه ذكر أن الوليد لما رجع من دفن أبيه، ودفن خارج باب الجابية، لم يدخل منزله حتى صعد على منبر دمشق، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

أيها الناس، إنه لا مقدم لما أخر الله، ولا مؤخر لما قدم الله، وقد كان من قضاء الله وسابق علمه وما كتب على أنبيائه وحملته عرشه الموت وقد صار إلى منازل الأبرار ولى هذه الامه الذى يحق عليه الله من الشدة على المريب، واللين لأهل الحق والفضل، وإقامة ما أقام الله من منار الإسلام وأعلامه، من حج هذا البيت، وغزو هذه الثغور، وشن هذه الغارة على أعداء الله، فلم يكن عاجزا ولا مفرطا أيها الناس، عليكم بالطاعة، ولزوم الجماعة، فإن الشيطان مع الفرد أيها الناس، من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه، ومن سكت مات بدائه.

ثم نزل، فنظر إلى ما كان من دواب الخلافة فخازه، وكان جبارا عنيدا

٦٠٢١٠٦ ولاية قتيبة بن مسلم على خراسان من قبل الحجاج

٦٠٢١٠٧ ذكر ما كان من امر قتيبة بخراسان في هذه السنة

ولاية قتيبة بن مسلم على خراسان من قبل الحجاج

وفي هذه السنة قدم قتيبة بن مسلم خراسان واليا عليها من قبل الحجاج، فذكر علي بن محمد أن كليب بن خلف، اخبره عن طفيل ابن مرداس العمي والحسن بن رشيد، عن سليمان بن كثير العمي، قال: أخبرني عمي قال: رأيت قتيبة بن مسلم حين قدم خراسان في سنة ست وثمانين، فقدم والمفضل يعرض الجند، وهو يريد أن يغزو أخرون وشومان، فخطب الناس قتيبة، وحثهم على الجهاد، وقال: إن الله أحلكم هذا المحل ليعز دينه، ويذب بكم عن الحرمات، ويزيد بكم المال استفاضه، والعدو وقا، ووعد نبيه ص النصر بحديث صادق، وكتب ناطق، فقال: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ».

* ووعد المجاهدين في سبيله أحسن الثواب، وأعظم الذخر عنده فقال:

«ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، إلى قوله: «أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» ثم أخبر عن قتل في سبيله أنه حي مرزوق، فقال: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» فتنجزوا موعود ربكم ووطنوا أنفسكم على أقصى اثر وامضى الم، وإياي والهويني

. ذكر ما كان من أمر قتيبة بخراسان في هذه السنة

ثم عرض قتيبة الجند في السلاح والكراع، وسار واستخلف بمرؤ على حربها إياس بن عبد الله بن عمرو، وعلى الخراج عثمان بن السعدي، فلما كان بالطالقان تلقاه دهاقين بلخ وبعض عظمائهم فساروا معه، فلما قطع النهر تلقاه تيش الأعور ملك الصغانيان بهدايا ومفتاح من

ذهب، فدعاه إلى بلاده، فأثاه وأتى ملك كفتان بهدايا وأموال، ودعاه إلى بلاده، فضى مع بيش إلى الصغانيان، فسلم إليه بلاده، وكان ملك أخرون وشومان قد أساء جوار تيش وغزاه وضيق عليه، فسار قتيبة إلى أخرون وشومان - وهما من طخارستان، فجاءه غشتاسبان فصالحه على فدية أداها إليه، فقبلها قتيبة ورضي، ثم انصرف إلى مرو، واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم، وتقدم

جنده فسبقتهم إلى مرو، وفتح صالح بعد رجوع قتيبة بأسارا، وكان معه نصر بن سيار فأبلى يومئذ، فوهب له قرية تدعى تنجانة، ثم قدم صالح على قتيبة فاستعمله على الترمذ.

قال: وأما الباهليون فيقولون: قدم قتيبة خراسان سنة خمس وثمانين فعرض الجند، فكان جميع ما احصوا من الدروع في جند خراسان ثلاثمائة وخمسين درعا، فغزا أخرون وشومان، ثم قفل فركب السفن فانحدر إلى آمل، وخلف الجند، فأخذوا طريق بلخ إلى مرو، وبلغ الحجاج، فكتب إليه يلومه ويعجز رأيه في تخليفه الجند، وكتب إليه: إذا غزوت فكن في مقدم الناس، وإذا قفلت فكن في أخرياتهم وساقاتهم.

وقد قيل: إن قتيبة أقام قبل أن يقطع النهر في هذه السنة على بلخ، لأن بعضها كان منتقضا عليه، وقد ناصب المسلمين، فخارب أهلها، فكان ممن سبى امرأة برمك، أبي خالد بن برمك - وكان برمك على النوبهار - فصارت لعبد الله بن مسلم الذي يقال له الفقير، أخي قتيبة بن مسلم، فوقع عليها، وكان به شيء من الجذام ثم إن أهل بلخ صالحوا من غد اليوم الذي حاربهم قتيبة فأمر قتيبة يرد السبي، فقالت امرأة برمك لعبد الله بن مسلم: يا تازي، إني قد علقت منك وحضرت عبد الله بن مسلم الوفاة، فأوصى أن يلحق به ما في بطنها، وردت إلى برمك، فذكر أن ولد عبد الله بن مسلم جاءوا أيام المهدي حين قدم الري إلى خالد، فادعوه، فقال لهم مسلم بن قتيبة: إنه لا بد لكم إن

٦٠٢١٠٨ أخبار متفرقة

استلحقتموه ففعل من أن تزوجه، فتركوه وأعرضوا عن دعواهم. وكان برمك طبيبا، فداوى بعد ذلك مسلمة من عله كانت به. [أخبار متفرقة]

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم. وفيها حبس الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب، وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان، وعبد الملك بن المهلب عن شرطته. وجج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل المخزومي، كذلك حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر. وكذلك قَالَ الواقدي.

وكان الأمير على العراق كله والمشرق كله الحجاج بن يوسف وعلى الصلاة بالكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل وعلى الحرب بها من قبل الحجاج زياد بن جرير بن عبد الله وعلى البصرة أيوب بن الحكم وعلى خراسان قتيبة بن مسلم

٦٠٢٢ سنة سبع وثمانين

٦٠٢٢٠١ خبر اماره عمر بن عبد العزيز على المدينة

ثم دخلت

سنة سبع وثمانين

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث) ففي هذه السنة عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن إسماعيل عن المدينة، وورد عزله عنها. فيما ذكر - ليلة الأحد لسبع ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين وكانت إمرته عليها أربع سنين غير شهر او نحوه. خبر اماره عمر بن عبد العزيز على المدينة وفي هذه السنة ولى الوليد عمر بن عبد العزيز المدينة قال الواقدي:

قدمها واليا في شهر ربيع الأول، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وولد سنة اثنتين وستين.

قال: وقدم على ثلاثين بعيرا، فنزل دار مروان قال: لَحْدَثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَدِينَةَ ونزل دار مروان دخل عليه الناس فسلموا، فلما صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة: عروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن

عتبة، وأبا بكر بن عبد الرحمن، وأبا بكر بن سُلَيْمَانَ بن أبي حثمة، وسليمان بن يسار، وو القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عبد الله ابن عمرو، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، وخارجة بن زيد، فدخلوا عليه فجلسوا، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ:

إني إنما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه، وتكونون فيه أعوانا على الحق، ما أريد أن أقطع أمرا إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحدا

٦٠٢٢٠٢ خبر صلح قتيبة ونيزك

يتعدى، أو بلغكم عن عامل لي ظلامة، فأخرج الله على من بلغه ذلك إلا بلغني. فخرجوا يجزونه خيرا، واقتربوا.

قال: وكتب الوليد إلى عمر يأمره أن يقف هشام بن إسماعيل للناس، وكان فيه سيئ الرأي.

قال الواقدي: فحدثني داود بن جبير، قال: أخبرني أم ولد سعيد بن المسيب أن سعيدا دعا ابنه ومواليه فقال: إن هذا الرجل يوقف للناس - أو قد وقف - فلا يتعرض له أحد ولا يؤذ به بكلمة، فإننا سنترك ذلك لله وللرحم، فإن كان ما علمت لسيئ النظر لنفسه، فأما كلامه فلا أكله أبدا.

قال: وحدثني محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر، عن أبيه، قال:

كان هشام بن إسماعيل يسيء جوارنا ويؤذينا، ولقي منه علي بن الحسين أذى شديدا، فلما عزل أمر به الوليد أن يوقف للناس، فقال: ما أخاف إلا من علي بن الحسن فربه علي وقد وقف عند دار مروان، وكان علي قد تقدم إلى خاصته الا يعرض له أحد منهم بكلمة، فلما مر ناداه هشام بن إسماعيل: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ.

• خبر صلح قتيبة ونيزك

وفي هذه السنة قدم نيزك على قتيبة، وصالح قتيبة أهل باذغيس على الا يدخلها قتيبة.

ذكر الخبر عن ذلك: ذكر علي بن محمد أن أبا الحسن الجشمي أخبره عن أشياخ من أهل خراسان، وجبله بن فروخ عن محمد بن المثنى، أن نيزك طرخان كان في يديه أسراء من المسلمين، وكتب إليه قتيبة حين صالح ملك شومان فيمن في يديه من أسرى المسلمين أن يطلقهم، ويهدده في كتابه،

٦٠٢٢٠٣ خبر غزو مسلمة بن عبد الملك أرض الروم

٦٠٢٢٠٤ خبر غزو قتيبة بيكند

نخافه نيزك، فأطلق الأسرى، وبعث بهم إلى قتيبة، فوجه إليه قتيبة سليما الناصح مولى عبيد الله بن أبي بكرة يدعو إلى الصلح وإلى أن يؤمنه، وكتب إليه كتابا يحلف فيه بالله: لئن لم يقدم عليه ليغزونه، ثم ليطلبه حيث كان، لا يقلع عنه حتى يظفر به أو يموت قبل ذلك فقدم سليم على نيزك بكتاب قتيبة - وكان يستنصحه - فقال له: يا سليم، ما أظن عند صاحبك خيرا، كتب إلي كتابا لا يكتب إلي مثلي! قال له سليم: يا أبا الهياج، إن هذا رجل شديد في سلطانه، سهل إذا سوهل، صعب إذا عوسر، فلا يمنعك منه غلظة كتابه إليك، فما أحسن حالك عنده وعند جميع مضر! فقدم نيزك مع سليم على قتيبة، فصالحه أهل باذغيس في سنة سبع وثمانين على الا يدخل باذغيس.

خبر غزو مسلمة بن عبد الملك أرض الروم

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم، ومعه يزيد بن جبير، فلقي الروم في عدد كثير بسوسة من ناحية المصيصة. قال الواقدي: فيها لاقى مسلمة ميمونا الجرجاني ومع مسلمة نحو من ألف مقاتل من أهل أنطاكية عند طوانة، فقتل منهم بشرا كثيرا، وفتح الله على يديه حصونا.

وقيل: إن الذي غزا الروم في هذه السنة هشام بن عبد الملك، ففتح الله على يديه حصن بولق وحصن الأخرم وحصن بولس وفتحهم، وقتل من المستعربة نحو من ألف مقاتل، وسبى ذراريهم ونساءهم

. خبر غزو قتيبة بيكند
وفي هذه السنة غزا قتيبة بيكند.

ذكر الخبر عن غزوته هذه:

ذكر علي بن محمد أن أبا الذيال أخبره عن المهلب بن إياس، عن أبيه، عن حسين بن مجاهد الرازي وهارون بن عيسى، عن يونس ابن أبي إسحاق وغيرهم، أن قتيبة لما صالح نيزك أقام إلى وقت الغزو، ثم غزا في تلك السنة- سنة سبع وثمانين- بيكند، فسار من مرو واتي مرو الروذ، ثم أتى آمل! ثم مضى إلى زم فقطع النهر، وسار إلى بيكند- وهي أدنى مدائن بخارى إلى النهر، يقال لها مدينة التجار على رأس المفازة من بخارى- فلما نزل بعقوتهم استنصروا الصغد، واستمدوا من حولهم، فأتوهم في جمع كثير، وأخذوا بالطريق، فلم ينفذ لقتيبة رسول، ولم يصل إليه رسول، ولم يجر له خبر شهرين، وأبطأ خبره على الحجاج، فأشفق الحجاج على الجند، فأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد، وكتب بذلك إلى الأمصار وهم يقتتلون في كل يوم.

قال: وكان لقتيبة عين يقال له تنذر من العجم، فأعطاه أهل بخارى الأعلى مالا على أن يفثأ عنهم قتيبة، فأتاه، فقال: أخلصني، فنهض الناس واحتبس قتيبة ضرار بن حصين الضبي، فقال تنذر:

هذا عامل يقدم عليك، وقد عزل الحجاج، فلو انصرف بالناس إلى مرو! فدعا قتيبة سياه مولا، فقال: اضرب عنق تنذر، فقتله، ثم قال لضرار: لم يبق أحد يعلم هذا الخبر غيري وغيرك، وإني أعطي الله عهدا إن ظهر هذا الحديث من أحد حتى تنقضي حربنا هذه لألحقنك به، فاملك لسانك، فإن انتشر هذا الحديث يفت في أعضاد الناس.

ثم أذن للناس.

قال: فدخلوا، فراعهم قتل تنذر، فوجموا وأطرقوا، فقال قتيبة:

ما يروعنكم من قتل عبد أحنه الله! قالوا: إنا كنا نظنه ناصحا للمسلمين، قال: بل كان غاشا فأحانه الله بذنبه، فقد مضى لسبيله، فاغدوا على

قتال عدوكم، والقوهم بغير ما كنتم تلقونهم به فغدا الناس متأهين، وأخذوا مصافهم، ومشى قتيبة فخص أهل الرايات، فكانت بين الناس مشاورة، ثم تراحفوا والتقوا، وأخذت السيوف مأخذها، وأنزل الله على المسلمين الصبر، فقاتلوهم حتى زالت الشمس، ثم منح الله المسلمين أكثافهم، فانهزموا يريدون المدينة، وأتبعهم المسلمون فشغلهم عن الدخول ففرقوا، وركبهم المسلمون قتلا وأسرا كيف شاءوا، واعتصم من دخل المدينة بالمدينة، وهم قليل، فوضع قتيبة الفعلة في أصلها ليهدمها، فسألوه الصلح فصالحهم، واستعمل عليهم رجلا من بني قتيبة.

وارتحل عنهم يريد الرجوع، فلما سار مرحلة أو ثنتين، وكان منهم على خمسة فراسخ نقضوا وكفروا، فقتلوا العامل وأصحابه، وجدعوا أنفهم وآذانهم، وبلغ قتيبة فرجع إليهم، وقد تحصنوا، فقاتلهم شهرا، ثم وضع الفعلة في أصل المدينة فعلقوها بالخشب، وهو يريد إذا فرغ من تعليقها أن يحرق الخشب فتهدم، فسقط الحائط وهم يعلقونه، فقتل أربعين من الفعلة، فطلبوا الصلح، فأبى وقاتلهم، فظفر بهم عنوة، فقتل من كان فيها من المقاتلة، وكان فيمن أخذوا في المدينة رجل أعور كان هو الذي استجاش الترك على المسلمين، فقال لقتيبة: أنا أفدي نفسي، فقال له سليم الناصح: ما تبذل؟ قال: خمسة آلاف حريرة صينية قيمتها ألف ألف، فقال قتيبة: ما ترون؟ قالوا:

نرى ان فدائه زيادة في غنائم المسلمين، وما عسى أن يبلغ من كيد هذا! قال: لا والله لا تروع بك مسلمة أبدا، وأمر به فقتل.

قال علي: قال أبو الذيال، عن المهلب بن إياس، عن أبيه، والحسن ابن رشيد، عن طفيل بن مرداس، إن قتيبة لما فتح بيكند أصابوا فيها من آنية الذهب والفضة ما لا يحصى، فولى الغنائم والقسم عبد الله بن وألان العدوي أحد بني ملكان- وكان قتيبة يسميه الأمين ابن الأمين- وإياس بن

بيس الباهلي، فأذاها الآنية والأصنام فرفعاه إلى قتيبة، ورفعاه إليه خبث ما أذاها، فوهبه لهما، فأعطيا به أربعين ألفا، فأعلماه فرجع

فيه وأمرهما أن يذياه فأذاباه، نخرج منه خمسون ومائة ألف مثقال- أو خمسون ألف مثقال- وأصابوا في بيكند شيئا كثيرا، وصار في أيدي المسلمين من بيكند شيء لم يصيبوا مثله بخراسان ورجع قتيبة إلى مرو، وقوي المسلمون، فاشتروا السلاح والخيول، وجلبت إليهم الدواب، وتنافسوا في حسن الهيئة والعدة، وغالوا بالسلاح حتى بلغ الرمح سبعين، وقال الكمي: ويوم بيكند لا تحصى عجائبه ... وما بخاراء مما أخطأ العدد

وكان في الخزائن سلاح وآلة من آلة الحرب كثيرة، فكتب قتيبة إلى الحجاج يستأذنه في دفع ذلك السلاح إلى الجند، فأذن له، فأخرجوا ما كان في الخزائن من عدة الحرب وآلة السفر، فقسمه في الناس، فاستعدوا، فلما كان أيام الربيع ندب الناس وقال: إني أغزيكم قبل أن تحتاجوا إلى حمل الزاد، وأنتقلكم قبل أن تحتاجوا إلى الأدفاء، فسار في عدة حسنة من الدواب والسلاح، فأتى آمل، ثم عبر من زم إلى بخارى، فأتى نوميشتك- وهي من بخارى- فصالحوه.

قال علي: حدثنا أبو الذيال، عن أشياخ من بني عدي، أن مسلما الباهلي قال لو الآن: إن عندي مالا أحب أن أستودعك، قال: أتريد أن يكون مكتوما أو لا تكره أن يعلمه الناس؟ قال: أحب أن تكتبه، قال: ابعت به مع رجل تثق به إلى موضع كذا وكذا، ومره إذا رأى رجلا في ذلك الموضع أن يضع ما معه وينصرف، قال: نعم، فجعل مسلم المال في خرج، ثم حمله على بغل وقال لمولى له: انطلق بهذا البغل إلى موضع كذا وكذا، فإذا رأيت رجلا جالسا نخل عن البغل وانصرف فانطلق الرجل بالبغل، وقد كان وألان أتى الموضع لميعاده،

فأبطأ عليه رسول مسلم، ومضى الوقت الذي وعده، فظن أنه قد بدا له، فانصرف، وجاء رجل من بني تغلب فجلس في ذلك الموضع، وجاء مولى مسلم فرأى الرجل جالسا، نخل عن البغل ورجع، فقام التغلي إلى البغل، فلما رأى المال ولم ير مع البغل أحدا قاد البغل إلى منزله، فأخذ البغل وأخذ المال، فظن مسلم أن المال قد صار إلى وألان، فلم يسأل عنه حتى احتاج إليه، فلقبه فقال: مالي! فقال: ما قبضت شيئا، ولا لك عندي مال.

قال: فكان مسلم يشكو ويتنقصه قال: فأتى يوما مجلس بني ضبيعة فشكاه والتغلي جالس، فقام إليه فخفا به وسأله عن المال، فأخبره، فانطلق به إلى منزله، وأخرج الخرج فقال: أتعرفه؟ قال: نعم، قال: والخاتم؟ قال: نعم، قال: قبض مالك، وأخبره الخبر، فكان مسلم يأتي الناس والقبائل التي كان يشكو إليهم وألان فيعذره ويخبرهم الخبر، وفي الآن يقول الشاعر:

لست كوالان الذي ساد بالتقى ... ولست كعمران ولا كالمهلب
وعمران: ابن الفصيل البرجمي.

وجج بالناس في هذه السنة- فيما حدثني أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر- عمر بن عبد العزيز، وهو أمير على المدينة.

وكان على قضاء المدينة في هذه السنة أبو بكر بن عمرو بن حزم من قبل عمر بن عبد العزيز.

وكان على العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف، وخليفته على البصرة في هذه السنة- فيما قيل- الجراح بن عبد الله الحكمي وعلى قضائها عبد الله ابن أذينة، وعامله على الحرب بالكوفة زياد بن جرير بن عبد الله، وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى الأشعري، وعلى خراسان قتيبة بن مسلم

٦٠٢٣ سنه ثمان وثمانين

٦٠٢٣٠١ خبر فتح حصن طوانه من بلاد الروم

ثم دخلت

سنة ثمان وثمانين

(ذكر ما كان فيها من الاحداث)

خبر فتح حصن طوانه من بلاد الروم

فمن ذلك ما كان من فتح الله على المسلمين حصنا من حصون الروم يدعى طوانة في جمادى الآخرة، وشتوا بها، وكان على الجيش مسلمة بن عبد الملك، والعباس بن الوليد بن عبد الملك.

فذكر محمد بن عمر الواقدي أن ثور بن يزيد حدثه عن أصحابه قال:

كان فتح طوانة على يدي مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد، وهزم المسلمون العدو يومئذ هزيمة صاروا إلى كنيستهم، ثم رجعوا فانهمز الناس حتى ظنوا ألا يجتبروها أبداً، وبقي العباس معه نفير، منهم ابن محيرز الجمحي، فقال العباس لابن محيرز: أين أهل القرآن الذين يريدون الجنة؟ فقال ابن محيرز: نادهم يأتوك، فنادى العباس: يا أهل القرآن! فأقبلوا جميعاً، فهزم الله العدو حتى دخلوا طوانة. وكان الوليد بن عبد الملك ضرب البعث على أهل المدينة في هذه السنة فذكر محمد بن عمر، عن أبيه، أن مخزومة بن سليمان الوالي قال: ضرب عليهم بعث ألفين وأنهم تجاعلوا فخرج ألف وخمسمائة، وتحلف خمسمائة، فغزوا الصائفة مع مسلمة والعباس، وهما على الجيش وأنهم شتوا بطوانة وافتتحوها.

وفيهما ولد الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

٦٠٢٣٠٢ ذكر عماره مسجد النبي ص

ذكر عماره مسجد النبي ص

وفيهما أمر الوليد بن عبد الملك بهدم مسجد رسول الله ص وهدم بيوت أزواج رسول الله ص وإدخالها في المسجد، فذكر محمد بن عمر، أن محمد بن جعفر بن وردان البناء قال: رأيت الرسول الذي بعثه الوليد بن عبد الملك قدم في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين، قدم معتجراً، فقال الناس: ما قدم به الرسول! فدخل على عمر بن عبد العزيز بكّاب الوليد يأمره بإدخال حجر أزواج رسول الله ص في مسجد رسول الله، وأن يشتري ما في مؤخره ونواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ويقول له: قدم القبلية إن قدرت، وأنت تقدر لمكان أحوالك، فإنهم لا يخالفونك، فن أبى منهم فمر أهل المصر فليقوموا له قيمة عدل، ثم اهدم عليهم وادفع إليهم الأثمان، فإن لك في ذلك سلف صدق، عمر وعثمان فأقرأهم كتاب الوليد وهم عنده، فأجاب القوم إلى الثمن، فأعطاهم إياه، وأخذ في هدم بيوت أزواج النبي ص وبناء المسجد، فلم يمكث إلا يسيراً حتى قدم الفعلة، بعث بهم الوليد.

قال محمد بن عمر: وحدثني موسى بن يعقوب، عن عمه، قال:

رأيت عمر بن عبد العزيز يهدم المسجد ومعه وجوه الناس: القاسم، وسالم، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وخارجة بن زيد، وعبد الله بن عبد الله بن عمر، يرونه أعلاماً في المسجد ويقدرونه، فأسسوا أساسه.

قال محمد بن عمر: وحدثني يحيى بن النعمان الغفاري، عن صالح بن كيسان، قال: لما جاء كتاب الوليد من دمشق وسار خمس عشرة بهدم المسجد، تجرد عمر بن عبد العزيز قال صالح: فاستعملني على هدمه وبنائه، فهدمناه بعمال المدينة، فبدانا بهدم بيوت أزواج النبي ص حتى قدم علينا الفعلة الذين بعث بهم الوليد.

٦٠٢٣٠٣ ذكر غزو قتيبة نومشكث وراميته

قال محمد: وحدثني موسى بن أبي بكر، عن صالح بن كيسان، قال: ابتدأنا بهدم مسجد رسول الله ص في صفر من سنة ثمان وثمانين، وبعث الوليد إلى صاحب الروم يعلمه أنه أمر بهدم مسجد رسول الله ص، وأن يعينه فيه، فبعث إليه بمائة ألف مثقال ذهب، وبعث إليه بمائة عامل، وبعث إليه من الفسيفساء بأربعين حملاً، وأمر أن يتتبع الفسيفساء في المدائن التي خربت، فبعث بها إلى الوليد، فبعث بذلك الوليد إلى عمر بن عبد العزيز.

وفي هذه السنة ابتدأ عمر بن عبد العزيز في بناء المسجد.

وفيهما غزا أيضاً مسلمة الروم، ففتح على يديه حصون ثلاثة:

حصن قسطنطينه، وغزاة، وحصن الأخرم وقتل من المستعربة نحو من ألف مع سبي الذرية وأخذ الأموال . ذكر غزو قتيبة نومشكث وراميثنه

وفي هذه السنة غزا قتيبة نومشكث وراميثنه.

ذكر الخبر عما كان من خبر غزوته هذه:

ذكر علي بن محمد، أن المفضل بن محمد، أخبره عن أبيه ومصعب بن حيان، عن مولى لهم أدرك ذلك، أن قتيبة غزا نومشكث في سنة ثمان وثمانين، واستخلف على مرو وبشار بن مسلم، فتلقيه أهلها، فصالحهم، ثم صار إلى راميثنه فصالحه أهلها، فانصرف عنهم وزحف إليه الترك، معهم السغد وأهل فرغانة، فاعترضوا المسلمين في طريقهم، فلحقوا عبد الرحمن ابن مسلم الباهلي وهو على الساقة، بينه وبين قتيبة وأوائل العسكر ميل، فلما قربوا منه أرسل رسولا إلى قتيبة بخبره، وغشيه الترك فقاتلوه، وأتى الرسول قتيبة فرجع بالناس، فانتفى إلى عبد الرحمن وهو يقاتلهم، وقد كاد

٦٠٢٣٠٤ ذكر ما عمل الوليد من المعروف

الترك يستعملونهم، فلما رأى الناس قتيبة طابت أنفسهم فصبروا، وقاتلوه إلى الظهر، وأبلى يومئذ نيزك وهو مع قتيبة، فهزم الله الترك، وفض جمعهم، ورجع قتيبة يريد مرو، وقطع النهر من الترمذ يريد بلخ، ثم أتى مرو وقال الباهليون: لقي الترك المسلمين عليهم كور مغانون التركي ابن أخت ملك الصين في مائتي ألف، فأظهر الله المسلمين عليهم . ذكر ما عمل الوليد من المعروف

وفي هذه السنة كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز في تسهيل الثنايا وحفر الآبار في البلدان.

قال محمد بن عمر: حدثني ابن أبي سبرة، قال: حدثني صالح بن كيسان، قال: كتب الوليد إلى عمر في تسهيل الثنايا وحفر الآبار بالمدينة، وخرجت كتبه إلى البلدان بذلك، وكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله بذلك قال: وحبس المجذمين عن أن يخرجوا على الناس، وأجرى عليهم أرزاقا، وكانت تجري عليهم.

وقال ابن أبي سبرة، عن صالح بن كيسان، قال: كتب الوليد إلى عمر ابن عبد العزيز أن يعمل الفوارة التي عند داريزيد بن عبد الملك اليوم، فعملها عمر وأجرى ماءها، فلما حج الوليد وقف عليها، فنظر إلى بيت الماء والفوارة، فأعجبته، وأمر لها بقوام يقومون عليها، وأن يسقى أهل المسجد منها، ففعل ذلك.

وجج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز في رواية محمد بن عمر.

ذكر أن محمد بن عبد الله بن جبير - مولى لبني العباس - حدثه عن صالح بن كيسان، قال: خرج عمر بن عبد العزيز تلك السنة - يعني سنة ثمان وثمانين - بعدة من قريش، أرسل إليهم بصلات وظهر للحمولة، وأحرموا معه من ذي الحليفة، وساق معه بدنا، فلما كان بالتنعيم لقيمهم نفر

من قريش، منهم ابن أبي مليكة وغيره، فأخبروه أن مكة قليلة الماء، وأنهم يخافون على الحاج العطش، وذلك أن المطر قل، فقال عمر: فالمطلب هاهنا بين، تعالوا ندع الله قال: فرأيتهم دعوا ودعا معهم، فألحوا في الدعاء قال صالح: فلا والله إن وصلنا إلى البيت ذلك اليوم إلا مع المطر حتى كان مع الليل، وسكبت السماء، وجاء سيل الوادي، فجاء أمر خافه أهل مكة، ومطرت عرفة ومنى وجمع، فما كانت إلا عبرا، قال: ونبتت مكة تلك السنة للنصب.

وأما أبو معشر فإنه قال: حج بالناس سنة ثمان وثمانين عمر بن الوليد ابن عبد الملك، حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره، عن إسحاق ابن عيسى عنه.

وكانت العمال على الأمصار في هذه السنة العمال الذين ذكرنا أنهم كانوا عمالها في سنة سبع وثمانين.

٦٠٢٤ سنة تسع وثمانين

٦٠٢٤٠١ خبر غزو مسلمة ارض الروم

٦٠٢٤٠٢ خبر غزو قتيبة بخارى

ثم دخلت

سنة تسع وثمانين

(ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها)

خبر غزو مسلمة ارض الروم

فمن ذلك افتتاح المسلمين في هذه السنة حصن سورية، وعلى الجيش مسلمة بن عبد الملك، زعم الواقدي أن مسلمة غزا في هذه السنة أرض الروم، ومعه العباس بن الوليد ودخلها جميعا ثم تفرقا، فافتتح مسلمة حصن سوريه، وافتتح العباس اذروليه، ووافق من الروم جمعا فهزمهم.

وأما غير الواقدي فإنه قال: قصد مسلمة عمورية فوافق بها للروم جمعا كثيرا، فهزمهم الله، وافتتح هرقله وقودية وغزا العباس الصائفة من ناحية البدندون.

خبر غزو قتيبة بخارى

وفي هذه السنة غزا قتيبة بخارى، ففتح راميشة ذكر علي بن محمد عن الباهليين أنهم قالوا ذلك، وأن قتيبة رجع بعد ما فتحها في طريق بلخ، فلما كان بالفارياب أتاه كتاب الحاج: أن رد وردان خذاه.

فرجع قتيبة سنة تسع وثمانين، فأتى زم، فقطع النهر، فلقية السغد وأهل كس ونسف في طريق المفازة، فقاتلوه، فظفر بهم ومضى إلى بخارى، فنزل خرقة السفلى عن يمين وردان، فلقوه بجمع كثير، فقاتلهم يومين وليلتين، ثم أعطاه الله الظفر عليهم، فقال نهار بن توسعة: وباتت لهم منا بخرقان ليلة... وليلتنا كانت بخرقان أطولا

قال علي: أخبرنا أبو الذيال، عن المهلب بن إياس وأبو العلاء، عن

٦٠٢٤٠٣ خبر ولاية خالد القسري على مكة

إدريس بن حنظلة، أن قتيبة غزا وردان خذاه ملك بخارى سنة تسع وثمانين فلم يطقه، ولم يظفر من البلد بشيء، فرجع إلى مرو، وكتب إلى الحاج بذلك، فكتب إليه الحاج: أن صورها لي، فبعث إليه بصورتها، فكتب إليه الحاج: أن ارجع إلى مراغتك فتب إلى الله مما كان منك، وأتاه من مكان كذا.

وكذا وقيل: كتب إليه الحاج أن كس بكس وانسف نسف وردان، وإياك والتحويط، ودعني من بنيات الطريق.

خبر ولاية خالد القسري على مكة

وفي هذه السنة ولي خالد بن عبد الله القسري مكة فيما زعم الواقدي، وذكر أن عمر بن صالح حدثه عن نافع مولى بني مخزوم، قال:

سمعت خالد بن عبد الله يقول على منبر مكة وهو يخطب:

أيها الناس، أيهما أعظم؟ أخليفة الرجل على أهله، أم رسوله إليهم؟

والله لو لم تعلموا فضل الخليفة، ألا أن إبراهيم خليل الرحمن استسقى فسقاه ملحا أجاجا، واستسقاء الخليفة فسقاه عذبا فراتا، بئرا حفرها الوليد بن عبد الملك بالثنتين - ثنية طوى وثنية الحجون - فكان ينقل مأوها فيوضع في حوض من آدم إلى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم.

قال: ثم غارت البئر فذهبت فلا يدري أين هي اليوم

وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الترك حتى بلغ الباب من ناحية أذربيجان، ففتح حصونا ومدائن هنالك.

وجج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز، حدثني بذلك احمد ابن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.

وكال العمال في هذه السنة على الأمصار العمال في السنة التي قبلها، وقد ذكرناهم قبل.

٦٠٢٥ سنه تسعين

٦٠٢٥٠١ خبر فتح بخارى

ثم دخلت

سنة تسعين

(ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها) ففي هذه السنة غزا مسلمة أرض الروم- فيما ذكر محمد بن عمر- من ناحية سورية، ففتح الحصون الخمسة التي بسورية وغزا فيها العباس بن الوليد، قال بعضهم: حتى بلغ الأرز، وقال بعضهم: حتى بلغ سورية وقال محمد بن عمر: قول من قال: حتى بلغ سورية أصح.

وفيها قتل محمد بن القاسم الثقفي داهر بن صصة ملك السند، وهو على جيش من قبل الحجاج بن يوسف.

وفيها استعمل الوليد قره بن شريك على مصر موضع عبد الله بن عبد الملك.

وفيها أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر، فذهبوا به إلى ملكهم، فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك.

خبر فتح بخارى

وفيها فتح قتيبة بخارى، وهزم جموع العدو بها.

ذكر الخبر عن ذلك:

ذكر علي بن محمد أن أبا الذيال أخبره عن المهلب بن إياس، وأبو العلاء، عن إدريس بن حنظلة، أن كتاب الحجاج لما ورد على قتيبة يأمره بالتوبة مما كان، من انصرافه عن وردان خذاه ملك بخارى قبل الظفر به والمصير إليه، ويعرفه الموضع الذي ينبغي له أن يأتي بلده منه، خرج قتيبة إلى بخارى في سنة تسعين غازيا، فأرسل وردان خذاه إلى السغد والترك ومن حولهم يستنصرونهم، فأتوهم وقد سبق إليها قتيبة فخصرهم، فلما جاءتهم أمدادهم خرجوا إليهم ليقاتلوهم، فقالت الأزد: اجعلونا على حدة، وخلوا بيننا وبين قتالهم فقال قتيبة: تقدموا، فتقدموا يقاتلونهم وقتيبة جالس، عليه رداء أصفر فوق سلاحه، فصبروا جميعا مليا، ثم جال المسلمون، وركبهم المشركون فخطموهم حتى دخلوا في عسكر قتيبة وجازوه حتى ضرب النساء وجوه الخيل وبكين، فكروا راجعين، وانطوت مجنبتا المسلمين على الترك، فقاتلوهم حتى ردوهم إلى مواقعهم، فوقف الترك على نشر، فقال قتيبة: من يزيلهم لنا عن هذا الموضع؟ فلم يقدم عليهم أحد، والأحياء كلها وقوف.

فشى قتيبة إلى بني تميم، فقال: يا بني تميم، إنكم أنتم بمنزلة الحطمية، فيوم كأيامكم، أبي لكم الفداء! قال: فأخذ وكيع اللواء بيده، وقال: يا بني تميم، أتسلمونني اليوم؟ قالوا: لا يا أبا مطرف- وهريم بن أبي طحمة الجاشعي على خيل بني تميم ووکیع رأسهم، والناس وقوف- فأجمعوا جميعا، فقال وكيع: يا هريم، قدم، ودفع إليه الراية، وقال:

قدم خيلك فتقدم هريم، ودب وكيع في الرجال، فانتهى هريم إلى نهر بينه وبين العدو فوقف، فقال له وكيع: أقم يا هريم، قال: فنظر هريم إلى وكيع نظر الجمل الصئول وقال: أنا أقم خيلي هذا النهر، فإن انكشفت كان هلاكها! والله انك لاحق، قال: يا بن اللخناء، ألا أراك ترد أمري! وحذفه بعمود كان معه، فضرب هريم فرسه فألقمه، وقال:

ما بعد هذا أشد من هذا، وعبر هريم في الخيل، وانتهى وكيع إلى النهر، فدعا بخشب، فقنطر النهر وقال لأصحابه: من وطن منكم نفسه على الموت فليعبر، ومن لا فليثبت مكانه، فما عبر معه إلا ثمانمائة

راجل، فدب فيهم حتى إذا أعياهم أقعدهم فأراحوا حتى دنا من العدو، فجعل الخيل مجنبتين، وقال لهريم: إني مطاعن القوم، فاشغلهم عنا بالخيول، وقال للناس: شدوا، فحملوا فما انتوا حتى خالطوهم، وحمل هريم خيله عليهم فطاعنهم بالرمح، فما كفوا عنهم حتى حדרوهم عن موقفهم، ونادى قتيبة: أما ترون العدو منهزمين! فما عبر أحد ذلك النهر حتى ولى العدو منهزمين، فأتبعهم الناس، ونادى قتيبة: من جاء برأس فله مائة.

قال: فزعم موسى بن المتوكل القريني، قال: جاء يومئذ أحد عشر رجلا من بني قريع، كل رجل يجيء برأس، فيقال له: من أنت؟ يقول: قريعي قال: لجاء رجل من الأزدي برأس فألقاه، فقالوا له: من أنت؟ قال: قريعي، قال: وجههم بن زحر قاعد، فقال: كذب والله أصلحك الله! إنه لابن عمي، فقال له قتيبة: ويحك! ما دعاك إلى هذا؟

قال: رايت كل من جاء قريعي: فظننت أنه ينبغي لكل من جاء برأس أن يقول: قريعي قال: فضحك قتيبة.

قال: وجرح يومئذ خاقان وابنه، ورجع قتيبة إلى مرو، وكتب إلى الحجاج: أني بعثت عبد الرحمن بن مسلم، ففتح الله على يديه. قال: وقد كان شهد الفتح مولى للحجاج، فقدم فأخبره الخبر، فغضب الحجاج على قتيبة، فاعتم لذلك، فقال له الناس ابعث وفدا من بني تميم وأعطهم وأرضهم يخبروا الأمير أن الأمر على ما كتبت، فبعث رجلا فيهم عرام بن شتير الضبي، فلما قدموا على الحجاج صاح بهم وعاتبهم ودعا بالحجام بيده مقرض فقال: لأقطعن ألسنتكم أو لتصدقني، قالوا:

الأمير قتيبة، وبعث عليهم عبد الرحمن، فالفتح للأمير والرأس الذي يكون على الناس، وكلهم بهذا عرام بن شتير، فسكن الحجاج

٦٠٢٥٠٢ خبر صلح قتيبة مع السغد

٦٠٢٥٠٣ غدر نيزك

خبر صلح قتيبة مع السغد

وفي هذه السنة جدد قتيبة الصلح بينه وبين طرخون ملك السغد.

ذكر الخبر عن ذلك:

قال علي: ذكر أبو السري عن الجهم الباهلي، قال: لما أوقع قتيبة بأهل بخارى ففض جمعهم هابه أهل السغد، فرجع طرخون ملك السغد ومعه فارسان حتى وقف قريبا من عسكر قتيبة، وبينهما نهر بخارى، فسأل أن يبعث إليه رجلا يكلمه، فأمر قتيبة رجلا فدنا منه. وأما الباهليون فيقولون: نادى طرخون حيان النبطي فأتاه، فسألهم الصلح على فدية يؤديها إليهم، فأجابه قتيبة إلى ما طلب، وصالحه، وأخذ منه رهنا حتى يبعث إليه بما صالحه عليه، وانصرف طرخون إلى بلاده، ورجع قتيبة ومعه نيزك.

غدر نيزك

وفي هذه السنة غدر نيزك، فنقض الصلح الذي كان بينه وبين المسلمين وامتنع بقلعته، وعاد حربا، فغزاه قتيبة.

ذكر الخبر عن سبب غدره وسبب الظفر به:

قال علي: ذكر أبو الديال، عن المهلب بن إياس والمفضل الضبي، عن أبيه، وعلي بن مجاهد وكليب بن خلف العمي، كل قد ذكر شيئا فألفته، وذكر الباهليون شيئا فألفته في خبر هؤلاء وألفته، أن قتيبة فصل من بخارى ومعه نيزك وقد ذعره ما قد رأى من الفتوح، وخاف قتيبة، فقال: لأصحابه وخاصته: متهم أنا مع هذا، ولست آمنه، وذلك أن العربي بمنزلة الكلب، إذا ضربته نبح، وإذا أطعمته بصبص واتبعك، وإذا غزوته ثم أعطيته شيئا رضي، ونسي ما صنعت به، وقد قاتله طرخون مرارا، فلما أعطاه فدية قبلها ورضي، وهو شديد السطوة فاجر

فلو استأذنت ورجعت كان الرأي، قالوا: استأذنه فلما كان قتيبة بآمل استأذنه في الرجوع إلى تخارستان، فأذن له، فلما فارق عسكره متوجها إلى بلخ قال لأصحابه: أغدوا السير، فساروا سيرا شديدا حتى أتوا النوبهار، فنزل يصلي فيه وتبرك به وقال لأصحابه: إني لا أشك أن قتيبة قد ندم حين فارقنا عسكره على إذنه لي، وسيقدم الساعة رسوله على المغيرة بن عبد الله يأمره بحبسي، فأقيموا ربيثة تنظر، فإذا رأيتم الرسول قد جاوز المدينة وخرج من الباب فإنه لا يبلغ البروقان حتى تبلغ تخارستان، فبيعت المغيرة رجلا فلا يدركا حتى ندخل شعب خلم، ففعلوا.

قال: وأقبل رسول من قبل قتيبة إلى المغيرة يأمره بحبس نيزك فلما مر الرسول إلى المغيرة وهو بالبروقان - ومدينة بلخ يومئذ خراب - ركب نيزك وأصحابه فمضوا، وقدم الرسول على المغيرة فركب بنفسه في طلبه، فوجده قد دخل شعب خلم، فانصرف المغيرة، وأظهر

نيزك الخلع، وكتب إلى أصبهذ بلخ وإلى باذام ملك مرورذ، وإلى سهرب ملك الطالقان، وإلى ترسل ملك الفارياب، وإلى الجوزجاني ملك الجوزجان يدعوهم إلى خلع قتيبة، فأجابوه، وواعدهم الربيع أن يجتمعوا ويغزوا قتيبة. وكتب إلى كابل شاه يستظهر به، وبعث إليه بثقله.

وماله، وسأله أن يأذن له إن اضطر إليه أن يأتيه ويؤمنه في بلاده، فأجابه إلى ذلك وضم ثقله قال: وكان جبغويه ملك تخارستان ضعيفا، واسمه الشذ، فأخذه نيزك فقيده بقيد من ذهب مخافه ان يشغب عليه- وجبغويه ملك تخارستان ونيزك من عبيده- فلما استوثق منه وضع عليه الرقباء، وأخرج عامل قتيبة من بلاد جبغويه، وكان العامل محمد بن سليم الناصح، وبلغ قتيبة خلعه قبل الشتاء، وقد تفرق الجند فلم يبق مع قتيبة إلا أهل مرو، فبعث عبد الرحمن أخاه إلى بلخ في اثني عشر ألفا إلى البروقان، وقال: أقم بها،

٦٠٢٥٤ خبر فتح الطالقان

ولا تحدث شيئا، فإذا حسر الشتاء فعسكر وسر نحو تخارستان، واعلم أي قريب منك، فسار عبد الرحمن فنزل البروقان، وأهل قتيبة حتى إذا كان في آخر الشتاء كتب إلى أبرشهر وبيورد وسرخس وأهل هراة ليقدموا قبل أوانهم الذي كانوا يقدمون عليه فيه. خبر فتح الطالقان

وفي هذه السنة، أوقع قتيبة بأهل الطالقان بخراسان- فيما قال بعض أهل الأخبار- فقتل من أهلها مقتلة عظيمة، وصلب منهم سباطين أربعة فرائخ في نظام واحد. ذكر الخبر عن سبب ذلك:

وكان السبب في ذلك- فيما ذكر- أن نيزك طرخان لما غدر وخلع قتيبة وعزم على حربه، طابقه على حربه ملك الطالقان، وواعده المصير إليه من استجاب للنهوض معه من الملوك لحرب قتيبة، فلما هرب نيزك من قتيبة ودخل شعب خلم الذي يأخذ إلى طخارستان علم أنه لا طاقة له بقتيبة، فهرب، وسار قتيبة إلى الطالقان فأوقع بأهلها، ففعل ما ذكرت فيما قبل.

وقد خولف قائل هذا القول فيما قال من ذلك، وأنا ذاكره في أحداث سنة إحدى وتسعين. وجج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز، كذلك حدثني أحمد ابن ثابت عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر وكذلك قال محمد بن عمر.

وكان عمر بن عبد العزيز في هذه السنة عامل الوليد بن عبد الملك على مكة والمدينة والطائف وعلى العراق والمشرق الحجاج بن يوسف، وعامل الحجاج على البصرة الجراح بن عبد الله بن وعلى قضائها عبد الرحمن بن أذينة، وعلى الكوفة زياد بن جرير بن عبد الله وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى. وعلى خراسان قتيبة بن مسلم وعلى مصر قره بن قره بن شريك.

٦٠٢٥٥ هرب يزيد بن المهلب واخوته من سجن الحجاج

هرب يزيد بن المهلب واخوته من سجن الحجاج

وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلب واخوته الذين كانوا معه في السجن مع آخرين غيرهم، فلحقوا بسليمان بن عبد الملك مستجيرين به من الحجاج ابن يوسف، والوليد بن عبد الملك.

ذكر الخبر عن سبب تخلصهم من سجن الحجاج ومسيرهم إلى سليمان:

قال هشام: حدثني أبو مخنف، عن ابني المخارق الراسي، قال:

الحجاج إلى رستقباد للبعث، لأن الأكراد كانوا قد غلبوا على عامة أرض فارس، فخرج بيزيد وبإخوته المفضل وعبد الملك حتى قدم بهم رستقباد، فجعلهم في عسكره، وجعل عليهم كهيئة الخندق، وجعلهم في فسطاط قريبا من حجرته، وجعل عليهم حرسا من أهل الشام، وأغرمهم ستة آلاف ألف، وأخذ يعذبهم، وكان يزيد يصبر صبرا حسنا، وكان الحجاج يغضه ذلك، ف قيل له: إنه رمي بنشابة فثبت نصلها

في ساقه، فهو لا يمسه شيء إلا صباح، فإن حركت أدنى شيء سمعت صوته، فأمر أن يعذب ويدهق ساقه، فلما فعل ذلك به صباح، وأخته هند بنت المهلب عند الحجاج، فلما سمعت صياح يزيد صاححت وناحت، فطلقها ثم إنه كف عنهم، وأقبل يستأديهم، فأخذوا يؤدون وهم يعملون في التخلص من مكانهم، فبعثوا إلى مروان بن المهلب وهو بالبصرة يأمره أن يضمهم لهم الخيل، ويرى الناس أنه إنما يريد بيعها ويعرضها على البيع، ويغلي بها لثلا تشتري فتكون لنا عدة إن نحن قدرنا على أن نجو مما هاهنا ففعل ذلك مروان، وحبیب بالبصرة يعذب أيضا، وأمر يزيد بالحرس فصنع لهم طعام كثير فأكلوا، وأمر بشراب فسقوا، فكانوا متشاغلين به، ولبس يزيد ثياب طباخه، ووضع على لحيته لحيه

بيضاء، وخرج فرآه بعض الحرس فقال: كأن هذه مشية يزيد! فجاء حتى استعرض وجهه ليلا، فرأى بياض اللحية، فانصرف عنه، فقال: هذا شيخ وخرج المفضل على أثره، ولم يفظن له، فجاءوا إلى سفنهم وقد هيئوا في البطائح، وبينهم وبين البصرة ثمانية عشر فرسخا، فلما انتهوا إلى السفن أبطأ عليهم عبد الملك وشغل عنهم، فقال يزيد للمفضل: اركب بنا فإنه لاحق، فقال المفضل - وعبد الملك أخوه لأمه - وهي بهلة، هندية:

لا والله، لا أبرح حتى يجيء ولو رجعت إلى السجن فأقام يزيد حتى جاءهم عبد الملك، وركبوا عند ذلك السفن، فساروا ليلتهم حتى أصبحوا، ولما أصبح الحرس علموا بذهابهم، فرفع ذلك إلى الحجاج، وقال الفرزدق في خروجهم:

فلم أر كالرهب الذين تتابعوا ... على الجذع والحراس غير نيام
مضوا وهم مستيقنون بأنهم ... إلى قدر آجالهم وحمام
وإن منهم إلا يسكن جأشه ... بعضب صقيل صارم وحسام
فلما التقوا لم يلتقوا بمنفه ... كبير ولا رخص العظام غلام
بمثل أبيهم حين تمت لداتهم ... نخسين قل في جرأة وتمام

ففرغ له الحجاج، وذهب وهم أنهم ذهبوا قبل خراسان، وبعث البريد إلى قتيبة بن مسلم يحذره قدومهم، ويأمره أن يستعد لهم، وبعث إلى أمراء الثغور والكور أن يرصدوهم، ويستعدوا لهم، وكتب إلى الوليد بن عبد الملك يخبره بهربهم، وأنه لا يراهم أرادوا إلا خراسان ولم يزل الحجاج يظن بيزيد ما صنع، كان يقول: إني لأظنه يحدث نفسه بمثل الذي صنع ابن الأشعث.

ولما دنا يزيد من البطائح، من موقع استقبلته الخيل قد هيئت له ولإخوته، فخرجوا عليها ومعهم دليل لهم من كلب يقال له: عبد الجبار بن يزيد بن الربعة، فأخذ بهم على السماوة، وأتى الحجاج بعد يومين، فقبل

له: إنما أخذ الرجل طريق الشام، وهذه الخيل حسرى في الطريق، وقد أتى من رأيهم موجهين في البر، فبعث إلى الوليد يعلمه ذلك، ومضى يزيد حتى قدم فلسطين، فنزل على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي - وكان كريما على سُلَيْمَانَ - وأنزل بعض ثقله وأهله على سفيان بن سُلَيْمَانَ الأزدي، وجاء وهيب بن عبد الرحمن حتى دخل على سُلَيْمَانَ، فقال: هذا يزيد بن المهلب، وإخوته في منزلي، وقد أتوك هرابا من الحجاج متعوذين بك، قال: فأتني بهم فهم آمنون لا يوصل إليهم أبدا وأنا حي فجاء بهم حتى أدخلهم عليه، فكانوا في مكان آمن، وقال الكلبي دليلهم في مسيرهم:

ألا جعل الله الأخلاء كلهم ... فداء على ما كان لابن المهلب
نعم الفتى يا معشر الأزد أسعفت ... ركابكم بالوهب شرقي منقب
عدلن يميننا عنهم رمل عاج ... وذات يمين القوم أعلام غرب
فإلا تصبح بعد خمس ركابنا ... سُلَيْمَانَ من أهل اللوى ثأوب
تقر قرار الشمس مما وراءنا ... وتذهب في داج من الليل غيب
بقوم هم كانوا الملوك هديتهم ... بظلماء لم يبصر بها ضوء كوكب
ولا قرإ ضئيلا كأنه ... سوار حناه صائغ السور مذهب

قال هشام: فأخبرني الحسن بن ابان العليمي، قال: بينا عبد الجبار ابن يزيد بن الربعة يسري بهم فسقطت عمامة يزيد، ففقدوها فقال: يا عبد الجبار، ارجع فاطلبها لنا، قال: إن مثلي لا يؤمر بهذا، فأعاد، فأبى، فتناوله بالسوط، فانتسب له، فاستحيا منه، فذلك قوله: ألا جعل الله الأخلاء كلهم ... فداء على ما كان لابن المهلب

وكتب الحجاج: أن آل المهلب خانوا مال الله وهربوا مني ولحقوا بسليمان، وكان آل المهلب قدموا على سليمان، وقد أمر الناس أن يحصلوا ليسرحوا إلى خراسان، لا يرون إلا أن يزيد توجه إلى خراسان ليفتن من بها فلما بلغ الوليد مكانه عند سليمان هون عليه بعض ما كان في نفسه، وطار غضبا للمال الذي ذهب به وكتب سليمان إلى الوليد: أن يزيد بن المهلب عندي وقد آمنت، وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف، كان الحجاج أغرمهم ستة آلاف ألف فأدوا ثلاثة آلاف ألف، وبقي ثلاثة آلاف ألف، فهي علي فكتب إليه: لا والله لا أومنه حتى تبعث به إلي فكتب إليه: لئن أنا بعثت به إليك لأجيئن معه، فأشددك الله أن تفضحني ولا أن تخفني فكتب إليه: والله لئن جئتني لا أومنه فقال يزيد: ابعتني إليه، فوالله ما أحب أوقع بينك وبينه عداوة وحربا، ولا أن يتشاءم بي لكما الناس، ابعت إليه بي، وأرسل معي ابنك، واكتب إليه بألطف ما قدرت عليه فأرسل ابنه أيوب معه وكان الوليد أمره أن يبعث به إليه في وثاق، فبعث به إليه، وقال لابنه: إذا أردت أن تدخل عليه فادخل أنت ويزيد في سلسلة ثم ادخلا جميعا على الوليد، ففعل ذلك به حين انتهيا إلى الوليد، فدخلا عليه، فلما رأى الوليد ابن أخيه في سلسلة، قال: والله لقد بلغنا من سليمان! ثم إن الغلام دفع كتاب أبيه إلى عمه وقال: يا أمير المؤمنين، نفسي فداؤك! لا تخفر ذمة أبي، وأنت أحق من منعها، ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك، ولا تذل من رجا العز في الانقطاع إلينا لعزنا بك وقرأ الكتاب:

لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان بن عبد الملك اما بعد يا أمير المؤمنين، فوالله إن كنت لأظن لو استجار بي عدو قد نابذك وجاهدك فأنزلته وأجرته أنك لا تذل جاري، ولا تخفر جواري، بله لم أجر إلا سامعا مطيعا حسن البلاء والأثر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته، وقد بعثت به إليك، فإن كنت إنما تغزو قطيعتي والإخفار لذمتي، والإبلاغ في مساءتي، فقد قدرت إن أنت فعلت وأنا أعيدك بالله من احتراء قطيعتي، وانتهاك حرمتي وترك بري وصلتي، فوالله يا أمير المؤمنين ما تدري ما بقائي وبقاؤك، ولا متى يفرق الموت بيني وبينك! فإن استطاع أمير المؤمنين أدام الله سروره الا يأتي علينا أجل الوفاة إلا وهو لي واصل، ولحقي مؤد، وعن مساءتي نازع، فليفعل.

والله يا أمير المؤمنين ما أصبحت بشيء من أمر الدنيا بعد تقوى الله فيها بأسر مني برضاك وسرورك وإن رضاك مما ألتبس به رضوان الله، فإن كنت يا أمير المؤمنين تريد يوما من الدهر مسرتي وصلتي وكرامتي وإعظام حقي فتجاوز لي عن يزيد، وكل ما طلبته به فهو علي.

فلما قرأ كتابه، قال: لقد شققنا على سليمان! ثم دعا ابن أخيه فأدناه منه وتكلم يزيد فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ص ثم قال: يا أمير المؤمنين، إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء، فمن ينس ذلك فلسنا ناسيه، ومن يكفر فلسنا كافريه، وقد كان من بلائنا أهل البيت في طاعتكم والطعن في أعين أعدائكم في المواطن العظام في المشارق والمغرب ما إن المنة علينا فيها عظيمة.

فقال له: اجلس، فجلس فآمنه وكف عنه، ورجع إلى سليمان وسعى إخوته في المال الذي عليه، وكتب إلى الحجاج:

أني لم أصل إلى يزيد وأهل بيته مع سليمان، فاكفف عنهم، والله عن الكتاب إلي فيهم.

فلما رأى ذلك الحجاج كف عنهم وكان أبو عيينة بن المهلب عند الحجاج عليه ألف ألف درهم، فتركها له، وكف عن حبيب بن المهلب. ورجع يزيد إلى سليمان بن عبد الملك فأقام عنده يعلمه الهيئة، ويصنع له طيب الأطعمة، ويهدي له الهدايا العظام وكان من أحسن الناس عنده منزلة، وكان لا تأتي يزيد بن المهلب هدية إلا بعث بها إلى سليمان، ولا تأتي سليمان هدية ولا فائدة إلا بعث بنصفها إلى يزيد بن المهلب،

وكان لا تعجبه جارية إلا بعث بها إلى يزيد إلا خطيئة الجارية فبلغ ذلك الوليد بن عبد الملك، فدعا الحارث بن مالك بن ربيعة

الأشعري، فقال:

انطلق إلى سُلَيْمَانَ فقل له: يا خالفة أهل بيته، إن أمير المؤمنين قد بلغه أنه لا تأتيك هدية ولا فائدة إلا بعثت إلى يزيد بنصفها، وأنك تأتي الجارية من جواريك فلا ينقضي طهرها حتى تبعث بها إلى يزيد، وقبح ذلك عليه، وعيره به، أترك مبلغا ما أمرتك به؟ قال: طاعتك طاعة، وإنما أنا رسول، قال: فأته فقل له ذلك، وأقم عنده، فإني باعته إليه بهدية فادفعها إليه، وخذ منه البراءة بما تدفع إليه ثم أقبل ففضى حتى قدم عليه وبين يديه المصحف، وهو يقرأ، فدخل عليه فسلم، فلم يردع حتى فرغ من قراءته، ثم رفع رأسه إليه فكله بكل شيء أمره به الوليد، فتمعر وجهه، ثم قال: أما والله لئن قدرت عليك يوما من الدهر لأقطعن منك طابقا! فقال له: إنما كانت علي الطاعة ثم خرج من عنده فلما أتى بذلك الذي بعث به الوليد إلى سُلَيْمَانَ دخل عليه الحارث بن ربيعة الأشعري وقال له: أعطني البراءة بهذا الذي دفعت إليك، فقال: كيف قلت لي؟ قال: لا اعيده عالما أبدا، إنما كان علي فيه الطاعة فسكن، وعلم أن قد صدقه الرجل، ثم خرج وخرجوا معه، فقال: خذوا نصف هذه الأعدال وهذه الأسفاط وابعثوا بها إلى يزيد قال: فعلم الرجل أنه لا يطيع في يزيد أحدا، ومكث يزيد بن المهلب عند سُلَيْمَانَ تسعة أشهر وتوفي الحاج سنة خمس وتسعين في رمضان لتسع بقين منه في يوم الجمعة.

٦٠٢٦ سنة إحدى وتسعين

٦٠٢٦٠١ تمه خبر قتيبة مع نيزك

ثم دخلت

سنة إحدى وتسعين

(ذكر ما كان فيا من الأحداث) ففيها غزا- فيما ذكر محمد بن عمر وغيره- الصائفة عبد العزيز بن الوليد، وكان على الجيش مسلمة بن عبد الملك وفيها غزا أيضا مسلمة الترك، حتى بلغ الباب من ناحية أذربيجان، ففتح على يديه مدائن وحصون وفيها غزا موسى بن نصير الاندلس، ففتح على يديه أيضا مدائن وحصون وفي هذه السنة قتل قتيبة بن مسلم نيزك طرخان.

تمه خبر قتيبة مع نيزك

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد وقصة نيزك وظفر قتيبة به حتى قتله ولما قدم من كان قتيبة كتب إليه. يأمره بالقدوم عليه من أهل أبرشهر وبيورد وسرخس وهرارة على قتيبة، سار بالناس إلى مرورود واستخلف على الحرب حماد بن مسلم، وعلى الخراج عبد الله بن الأهم.

وبلغ مرزبان مرورود إقباله إلى بلاده، فهرب إلى بلاد الفرس وقدم قتيبة مرورود فأخذ ابنين له فقتلها وصلبهما، ثم سار إلى الطالقان فقام صاحبها ولم يحاربه، فكف عنه، وفيها لصوص، فقتلهم قتيبة وصلبهم، واستعمل على الطالقان عمرو بن مسلم، ومضى إلى الفارياب، فخرج إليه ملك الفارياب مدعنا مقرا بطاعته، فرضي عنه، ولم يقتل بها أحدا، واستعمل عليها رجلا من باهلة وبلغ صاحب الجوزجان خبرهم، فترك أرضه وخرج إلى الجبال هاربا، وسار قتيبة إلى الجوزجان فلقية أهلها سامعين مطيعين، فقبل منهم، فلم يقتل فيها أحدا، واستعمل عليها عامر بن مالك الحماني، ثم أتى بلخ فلقية الأصهبذ في أهل بلخ، فدخلها فلم يقيم بها إلا يوما واحدا.

ثم مضى يتبع عبد الرحمن حتى أتى شعب خلم، وقد مضى نيزك فعسكر ببغلان، وخلف مقاتلة على فم الشعب ومضايقه يمنعونه، ووضع مقاتلة في قلعة حصينة من وراء الشعب، فأقام قتيبة أياما يقاتلهم على مضيق الشعب لا يقدر منهم على شيء، ولا يقدر على دخوله، وهو مضيق، الوادي يجري وسطه، ولا يعرف طريقا يفضي به إلى نيزك إلا الشعب أو مفازة لا تحمل العساكر، فبقي متلدا يلتمس الحيل.

قال: فهو في ذلك إذ قدم عليه الرؤب خان ملك الرؤب وسمنجان، فاستأمنه على أن يدلّه على مدخل القلعة التي وراء هذا الشعب، فأمنه قتيبة، وأعطاه ما سأله، وبعث معه رجلا ليلا، فاتى بهم إلى القلعة التي من وراء شعب خلم، فطرقوهم وهم آمنون فقتلوهم،

وهرب من بقي منهم ومن كان في الشعب، فدخل قتيبة والناس الشعب، فأتى القلعة ثم مضى إلى سمنجان ونيزك ببغلان بعين تدعى فنج جاه، وبين سمنجان وبغلان مفازة ليست بالشديدة قال: فأقام قتيبة بسمنجان أياما، ثم سار نيزك، وقدم أخاه عبد الرحمن، وبلغ نيزك فارتحل من منزله حتى قطع وادي فرغانة، ووجه ثقله وأمواله إلى كابل شاه، ومضى حتى نزل الكرز وعبد الرحمن بن مسلم يتبعه، فنزل عبد الرحمن وأخذ بمضايق الكرز، ونزل قتيبة أسكيمشت بينه وبين عبد الرحمن فرسخان فتحرز نيزك في الكرز وليس إليه مسلك إلا من وجه واحد، وذلك الوجه صعب لا تطيقه الدواب، فحصره قتيبة شهرين حتى قل ما في يد نيزك من الطعام، وأصابهم الجدري وجدر جبغويه، وخاف قتيبة الشتاء، فدعا سليما الناصح، فقال: انطلق إلى نيزك

واحتمل لأن تأتيني به بغير أمان، فإن أعياك وأبى فأمنه، واعلم أي إن عاينتك وليس هو معك صلبتك، فاعمل لنفسك قال: فاكتم لي إلى عبد الرحمن لا يخالفني، قال: نعم، فكتب له إلى عبد الرحمن فقدم عليه، فقال له: ابعث رجالا فليكونوا على فم الشعب، فإذا خرجت أنا ونيزك فليعطفوا من ورائنا فيحولوا بيننا وبين الشعب قال: فبعث عبد الرحمن خيلا فكانوا حيث أمرهم سليم، ومضى سليم وقد حمل معه من الأطعمة التي تبقى أياما والأخبصة أوقارا، حتى أتى نيزك، فقال له نيزك: خذلتي يا سليم، قال: ما خذلتك، ولكنك عصيتني وأسأت بنفسك، خلعت وغدرت، قال: فما الرأي؟ قال: الرأي أن تأتيه فقد أمحكته، وليس ببارح موضعه هذا، قد اعتزم على أن يشتو بمكانه، هلك أو سلم، قال: آتبه على غير أمان! قال: ما أظنه يؤمنك لما في قلبه عليك، فإنك قد ملأته غيظا، ولكني أرى الا يعلم بك حتى تضع يدك في يده، فاني أرجو أن فعلت ذاك ان يستحي ويعفو عنك، قال:

أترى ذلك؟ قال: نعم، قال: إن نفسي لتأبى هذا، وهو إن رأي قتلني، فقال له سليم: ما أتيتك إلا لأشير عليك بهذا، ولو فعلت لرجوت أن تسلم وأن تعود حالك عنده إلى ما كانت، فأما إذ آبيت فإني منصرف قال: فنغديك إذا، قال: إني لأظنكم في شغل عن تهية الطعام، ومعنا طعام كثير.

قال: ودعا سليم بالغداء فجاءوا بطعام كثير لا عهد لهم بمثله منذ حصروا، فأنهيه الأتراك، فغم ذلك نيزك، وقال سليم: يا أبا الهياج، أنا لك من الناصحين، أرى أصحابك قد جهدوا، وإن طال بهم الحصار وأقت على حالك لم آمنهم أن يستأمنوا بك، فانطلق وأت قتيبة، قال:

ما كنت لآمنه على نفسي، ولا آتبه على غير أمان، فإن ظني به أنه قاتلي وإن آمني، ولكن الأمان أعذر لي وأرجى، قال: فقد آمنك أفتهمني! قال: لا، قال: فانطلق معي، قال له أصحابه: اقبل قول سليم، فلم يكن ليقول إلا حقا، فدعا بدوابه وخرج مع سليم، فلما انتهى إلى الدرجة التي يهبط منها إلى قرار الأرض قال: يا سليم، من كان لا يعلم متى يموت فإني أعلم متى أموت، أموت إذا عاينت قتيبة، قال: كلا أيقنتك مع الأمان! فركب ومضى معه جبغويه- وقد برا من الجدري- صول وعثمان ابنا أخي نيزك- صول طرخان خليفه جبغويه، وخنس طرخان صاحب شرطه- قال: فلما خرج من الشعب عطفت الخيل التي خلفها سليم على فوهة الشعب، فحالوا بين الأتراك وبين الخروج، فقال نيزك لسليم: هذا أول الشر، قال: لا تفعل، تخلف هؤلاء عنك خير لك وأقبل سليم ونيزك ومن خرج معه حتى دخلوا على عبد الرحمن بن مسلم، فأرسل رسولا إلى قتيبة يعلمه، فأرسل قتيبة عمرو بن أبي مهزم إلى عبد الرحمن:

أن أقدم بهم علي، فقدم بهم عبد الرحمن عليه، فحبس أصحاب نيزك، ودفع نيزك إلى ابن بسام الليثي، وكتب إلى الحاج يستأذنه في قتل نيزك، فجعل ابن بسام نيزك في قبته، وحفر حول القبة خندقا، ووضع عليه حرسا ووجه قتيبة معاوية بن عامر بن علقمة العليمي، فاستخرج ما كان في الكرز من متاع ومن كان فيه، وقدم به على قتيبة، فحبسهم ينتظر كتاب الحاج فيما كتب إليه، فأتاه كتاب الحاج بعد اربعين يوما يأمره بقتل نيزك قال: فدعا به فقال: هل لك عندي عقد أو عند عبد الرحمن أو عند سليم؟ قال: لي عند سليم، قال: كذبت، وقام فدخل ورد نيزك إلى حبسه، فكث ثلاثة أيام لا يظهر للناس قال: فقام المهلب ابن اياس العدوي، وتكلم في أمر نيزك، فقال بعضهم: ما يحل له أن يقتله، وقال بعضهم: ما يحل له تركه، وكثرت الاقاويل فيه

وخرج قتيبة اليوم الرابع لجلس وأذن للناس، فقال: ما ترون في قتل نيزك؟

فاختلفوا، فقال قائل: اقتله، وقال قائل: أعطيته عهدا فلا تقتله، وقال قائل: ما تأمنه على المسلمين ودخل ضرار بن حصين الضبي فقال:

ما تقول يا ضرار؟ قال: أقول: إني سمعتك تقول: أعطيت الله عهدا إن أمكنك منه أن تقتله، فإن لم تفعل لا ينصرك الله عليه أبدا فأطرق قتيبة طويلا، ثم قال: والله لو لم يبق من أجلي إلا ثلاث كلمات لقلت: اقتلوه، اقتلوه، وأرسل إلى نيزك فأمر بقتله وأصحابه فقتل مع سبعمائة.

وأما الباهليون فيقولون: لم يؤمنه ولم يؤمنه سليم، فلما أراد قتله دعا به ودعا بسيف حنفي فانتضاه وطول كفيه ثم ضرب عنقه بيده، وأمر عبد الرحمن ف ضرب عنق صول، وأمر صالحا فقتل عثمان- ويقال:

شقران ابن أخي نيزك- وقال لبكر بن حبيب السهمي من باهلة: هل بك قوة؟ قال: نعم، واريد- وكانت في بكر أعرابية- فقال: دونك هؤلاء الدهاقين قال: وكان إذا أتى برجل ضرب عنقه وقال: أوردوا ولا تصدروا، فكان من قتل يومئذ اثنا عشر ألفا في قول الباهليين، وصلب نيزك وابني أخيه في أصل عين تدعى وخش خاشان في أسكيمشت، فقال المغيرة بن حنبل يذكر ذلك في كلمة له طويلة: لعمرى لنعمت غزوة الجند غزوة... قضت نحبا من نيزك وتعلت

قال علي: أخبرنا مضعب بن حيان، عن أبيه، قال: بعث قتيبة برأس نيزك مع محض بن جزء الكلابي، وسوار بن زهدم الجرمي، فقال الحجاج: إن كان قتيبة لحقيقا أن يبعث برأس نيزك مع ولد مسلم، فقال سوار:

أقول لمحض وجرى سنيح... وآخر بارح من عن يميني

وقد جعلت بوائق من أمور... ترفع حوله وتكف دوني

نشدتك هل يسرك ان سرجى... وسرجك فوق ابغل باذيين

قال: فقال محض: نعم وبالصين.

قال علي: أخبرنا حمزة بن إبراهيم، وعلي بن مجاهد، عن حنبل بن أبي حريدة، عن مرزبان قهستان وغيرهما، أن قتيبة دعا يوما بنيزك وهو محبوس، فقال: ما رأيك في السبل والشذ؟ أترأها يأتيان إن أرسلت إليهما؟ قال: لا، قال: فأرسل إليهما قتيبة فقدمما عليه، ودعا نيزك وجبغويه فدخلا، فإذا السبل، والشذ بين يديه على كرسيين، فجلسا بإزائهما، فقال الشذ لقتيبة: إن جبغويه- وإن كان لي عدوا- فهو أسن مني، وهو الملك وأنا كعبده، فأذن لي أذن منه، فأذن له، فدنا منه، فقبل يده وسجد له، قال: ثم استأذنه في السبل، فأذن له فدنا منه فقبل يده، فقال نيزك لقتيبة: ائذن لي أذن من الشذ، فإني عبده، فأذن له، فدنا منه فقبل يده، ثم أذن قتيبة للسبل والشذ فانصرفا إلى بلادهما، وضم إلى الشذ الحجاج القيني، وكان من وجوه أهل خراسان وقتل قتيبة نيزك، فأخذ الزبير مولى عابس الباهلي خفا لنيزك فيه جوهر، وكان أكثر من في بلاده مالا وعقارا، من ذلك الجوهر الذي أصابه في خفه فسوغه إياه قتيبة، فلم يزل موسرا حتى هلك بكابل في ولاية ابى داود.

قال: واطلق قتيبة جبغويه ومن عليه، وبعث به إلى الوليد، فلم يزل بالشام حتى مات الوليد ورجع قتيبة إلى مرو، واستعمل أخاه عبد الرحمن على بلخ، فكان الناس يقولون: غدر قتيبة بنيزك، فقال ثابت قطنة:

لا تحسبن الغدر حزما فرما... ترقى به الأقدام يوما فزلت

وقال: وكان الحجاج يقول: بعثت قتيبة فتى غرا فما زدته ذراعا إلا

زادني باعا.

قال علي: أخبرنا حمزة بن إبراهيم، عن أشياخ من أهل خراسان، وعلي بن مجاهد، عن حنبل بن أبي حريدة، عن مرزبان قهستان وغيرهما، أن قتيبة بن مسلم لما رجع إلى مرو وقتل نيزك طلب ملك الجوزجان- وكان قد هرب عن بلاده- فأرسل يطلب الأمان، فأمنه على أن يأتيه فيصالحه، فطلب رهنا يكونون في يديه ويعطي رهائن، فأعطى قتيبة حبيب بن عبد الله بن عمرو بن حصين الباهلي، وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته، فخلف ملك الجوزجان حبيبا بالجوزجان في بعض حصونه، وقدم على قتيبة فصالحه، ثم رجع فأتى بالطالقان.

فقال أهل الجوزجان سموه، فقتلوا حبيبا، وقتل قتيبة الرهن الذين كانوا عنده، فقال نهار بن توسعة لقتيبة:

أراك الله في الأتراك حكما ... تحكم في قريظة والنضير
قضاء من قتيبة غير جور ... به يشفى الغليل من الصدور
فإن ير نيزك خزيا وذلا ... فكم في الحرب حق من أمير!
وقال المغيرة بن حنبل يمدح قتيبة ويذكر قتل نيزك ووصول ابن أخي نيزك وعثمان- أو شقران:

لمن الديار عفت بسفح سنام ... إلا بقية أيسر وثمام
عصف الرياح ذيولها فحونها ... وجرين فوق عراضها بتمام
دار لجارية كأن رضا بها ... مسك يشاب مزاجه بدمام
أبلغ أبا حفص قتيبة مدحتي ... واقراً عليه تحيتي وسلامي
يا سيف أبلغها فإن ثناءها ... حسن وإنك شاهد لمقامي
يسمو فتتضع الرجال إذا سما ... لقتيبة الحامي حمى الإسلام

٦٠٢٦٠٢ خبر غزو قتيبة شومان وكس ونسف

لأغر منتجب لكل عزيمة ... نحر يباح به العدو ولهام
يمضي إذا هاب الجبان وأحشت ... حرب تسعر نارها بضرام
تروى القناة مع اللواء أمامه ... تحت اللوامع والنحور دوام
والهام تفريه السيوف كأنه ... بالقاع حين تراه قيض نعام
وترى الجياد مع الجياد ضوامرا ... بفنائته لحادث الأيام
وبهن أنزل نيزكا من شاهق ... والكرز حيث يروم كل مرام
وأخاه شقرانا سقيت بكأسه ... وسقيت كأسهما أبا ذمام
وتركت صولا حين صال مجدلا ... يركبته بدواير وحوام
خبر غزو قتيبة شومان وكس ونسف

وفي هذه السنة- أعني سنة إحدى وتسعين- غزا قتيبة شومان وكس ونسف غزوته الثانية وصالح طوخان.
ذكر الخبر عن ذلك:

قَالَ علي: أَخْبَرَنَا بشر بن عيسى عن أبي صفوان، وأبو السري وجبله بن فروخ عن سُلَيْمَانَ بن مجالد، والحسن بن رشيد عن طفيل بن مرداس العمي، وأبو السري المروزي عن عمه، وبشر بن عيسى وعلى ابن مجاهد، عن حنبل بن أبي حريدة عن مرزبان قهستان، وعياش ابن عبد الله الغنوي، عن أشياخ من أهل خراسان، قال: وحدثني ظئري- كل قد ذكر شيئا، فألفته، وأدخلت من حديث بعضهم في حديث بعض- أن فيلسنشب باذق- وقال بعضهم: قيسبشتان ملك شومان- طرد عامل قتيبة ومنع الفدية التي صالح عليها قتيبة، فبعث إليه قتيبة عياشا الغنوي ومعه رجل من نساك أهل خراسان يدعوان ملك شومان إلى أن يؤدي الفدية

على ما صالح عليه قتيبة، فقد ما البلد، فخرجوا إليهما فرموهما، فانصرف الرجل وأقام عياش الغنوي فقال: اما هاهنا مسلم! فخرج إليه رجل من المدينة فقال: أنا مسلم، فما تريد؟ قال: تعينني على جهادهم، قال:

نعم، فقال له عياش: كن خلفي لتمنع لي ظهري، فقام خلفه- وكان اسم الرجل المهلب- فقاتلهم عياش، فحمل عليهم، فتفرقوا عنه، وحمل المهلب على عياش من خلفه فقتله، فوجدوا به ستين جراحة، فغمهم قتله، وقالوا: قتلنا رجلا شجاعا.

وبلغ قتيبة، فسار إليهم بنفسه، وأخذ طريق بلخ، فلما أتاها قدم أخاه عبد الرحمن، واستعمل على بلخ عمرو بن مسلم، وكان ملك شومان صديقا لصالح بن مسلم، فأرسل إليه صالح رجلا يأمره بالطاعة، ويضمن له رضا قتيبة إن رجع إلى الصلح، فأبى وقال لرسول صالح:

ما تخوفني به من قتيبة، وأنا أمتع الملوكة حصنا أرمي أعلاه، وأنا أشد الناس قوسا وأشد الناس رميا، فلا تبلغ نشأتي نصف حصني، فما أخاف من قتيبة! فمضى قتيبة من بلخ فعبر النهر، ثم أتى شومان وقد تحصن ملكها فوضع عليه المجانيق، ورمى حصنه فهشمه، فلما خاف أن يظهر عليه، ورأى ما نزل به جمع ما كان له من مال وجوهر فرمى به في عين في وسط القلعة لا يدرك قعرها.

قال: ثم فتح القلعة وخرج إليهم فقاتلهم فقتل، وأخذ قتيبة القلعة عنوة، فقتل المقاتلة وسبى الذرية، ثم رجع إلى باب الحديد فأجاز منه إلى كس ونسف، وكتب إليه الحاج، أن كس بكس وانسف نسف، وإياك والتحويط ففتح كس ونسف، وامتنع عليه فرياب ففرقها فسميت المحترقة وسرح قتيبة من كس ونسف أخاه عبد الرحمن بن مسلم إلى السغد، إلى طرخون، فسار حتى نزل بمرج قريبا منهم، وذلك في وقت

العصر، فانتبذ الناس وشربوا حتى عبثوا وعاثوا وأفسدوا، فأمر عبد الرحمن أبا مرضية- مولى لهم- أن يمنع الناس من شرب العصير، فكان يضربهم ويكسر آيتهم ويصب نبذهم، فسال في الوادي، فسمي مرج النبيذ، فقال بعض شعرائهم:

أما النبيذ فلست أشربه ... أخشى أبا مرضيه الكلب
متعسفا يسعى بشكته ... يتوئب الحيطان للشرب

فقبض عبد الرحمن من طرخون شيئا كان قد صالحه عليه قتيبة، ودفع إليه رهنا كانوا معه، وانصرف عبد الرحمن إلى قتيبة وهو بخارى، فرجعوا إلى مرو، فقالت السغد لطرخون: إنك قد رضيت بالذل واستطبت الجزية، وأنت شيخ كبير فلا حاجة لنا بك قال: فولوا من أحببتهم قال: فولوا غوزك، وحبسوا طرخون، فقال طرخون: ليس بعد سلب الملك إلا القتل، فيكون ذلك بيدي أحب إلي من أن يليه مني غيري، فأتكأ على سيفه حتى خرج من ظهره قال: وإنما صنعوا بطرخون هذا حين خرج قتيبة إلى سجستان وولوا غوزك. وأما الباهليون فيقولون: حصر قتيبة ملك شومان، ووضع على قلعة المجانيق، ووضع منجنيقا كان يسميها الفحجاء، فرمى بأول حجر فأصاب الحائط، ورمى بآخر فوق في المدينة، ثم تابعت الحجارة في المدينة فوقع حجر منها في مجلس الملك، فأصاب رجلا فقتله، ففتح القلعة عنوة، ثم رجع إلى كس ونسف، ثم مضى إلى بخارى فنزل قرية فيها بيت نار وبيت آلهة، وكان فيها طواويس، فسموه منزل الطواويس، ثم سار إلى طرخون بالسغد ليقبض منه ما كان صالحه عليه، فلما أشرف على وادي السغد فرأى حسنه تمثل:

٦٠٢٦٠٣ ولاية خالد بن عبد الله القسري على مكة

واد خصيب عشب ظل يمنعه ... من الأنيس حذار اليوم ذي الراج
ورده بنعانيج مسومة ... يردن بالشعث سفاكين للهج

قال: فقبض من طرخون صلحه، ثم رجع إلى بخارى فملك بخارى خذاه غلاما حدثا، وقتل من خاف أن يضاده، ثم أخذ على أمل ثم أتى مرو.

قال: وذكر الباهليون عن بشار بن عمرو، عن رجل من باهلة، قال:

لم يفرغ الناس من ضرب أبنتهم حتى افتتحت القلعة

. ولاية خالد بن عبد الله القسري على مكة

وفي هذه السنة ولى الوليد بن عبد الملك مكة خالد بن عبد الله القسري فلم يزل واليا عليها إلى أن مات الوليد فذكر محمد بن عمر الواقدي أن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة حدثه عن نافع مولى بني مخزوم، قال: سمعت خالد بن عبد الله يقول:

يا أيها الناس، إنكم بأعظم بلاد الله حرمة، وهي التي اختار الله من البلدان، فوضع بها بيته، ثم كتب على عباده حجه من استطاع إليه سبيلا أيها الناس، فعليكم بالطاعة، ولزوم الجماعة، وإياكم والشبهات، فإني والله ما أوتي بأحد يطعن على إمامه إلا صلبته في الحرم إن الله جعل الخلافة منه بالموضع الذي جعلها، فسلموا وأطيعوا، ولا تقولوا كيت وكيت إنه لا رأي فيما كتب به الخليفة أو رآه إلا مضاهوه، واعلموا أنه بلغني أن قوما من أهل الخلاف يقدمون عليكم، وقيمون في بلادكم، فإياكم أن تنزلوا أحدا ممن تعلمون أنه زائع عن الجماعة،

فإني لا أجد أحدا منهم في منزل أحد منكم إلا هدمت منزله، فانظروا من تنزلون في منازلكم، وعليكم بالجماعة والطاعة، فإن الفرقة هي البلاء العظيم.

قال محمد بن عمرو: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن موسى بن عتبة

عن أبي حبيبة، قال: اعتمرت فنزلت دور بني أسد في منازل الزبير، فلم أشعر إلا به يدعوني، فدخلت عليه، فقال: من أنت؟ قلت: من أهل المدينة، قال: ما أتت في منازل المخالف للطاعة! قلت: إنما مقامي أن أقمت يوما أو بعضه، ثم أرجع إلى منزلي وليس عندي خلاف، أنا ممن يعظم أمر الخلافة، وأزعم أن من جردها فقد هلك قال: فلا عليك ما أقمت، إنما يكره أن يقيم من كان زاريا على الخليفة، قلت:

معاذ الله! وسمعت يوما يقول: والله لو أعلم أن هذه الوحش التي تأمن في الحرم لو نطقت لم تقر بالطاعة لأخرجتها من الحرم إنه لا يسكن حرم الله وأمنه مخالف للجماعة، زار عليهم قلت: وفق الله الأمير.

وجج بالناس في هذه السنة الوليد بن عبد الملك، حدثني أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: حج الوليد بن عبد الملك سنة إحدى وتسعين.

وكذلك قال محمد بن عمرو: حدثني موسى بن أبي بكر، قال: حدثنا صالح بن كيسان، قال: لما حضر قدوم الوليد أمر عمر بن عبد العزيز عشرين رجلا من قريش يخرجون معه، فيتلقون الوليد بن عبد الملك، منهم أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الحارث بن هشام، وأخوه محمد بن عبد الرحمن، وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، نفرجوا حتى بلغوا السويداء، وهم مع عمر بن عبد العزيز- وفي الناس يومئذ دواب وخيل- فلقوا الوليد وهو على ظهر، فقال لهم الحاجب: انزلوا لأمر المؤمنين، فنزلوا، ثم أمرهم فركبوا، فدعا بعمر بن عبد العزيز فسأله حتى نزل بذي خشب، ثم أحضروا، فدعاهم رجلا رجلا، فسلموا عليه، ودعا بالغداء، فتغدوا عنده، وراح من ذي خشب، فلما دخل المدينة غدا إلى المسجد ينظر إلى بنائه، فأخرج الناس منه، فما ترك فيه أحد، وبقي سعيد بن المسيب ما يجترئ أحد من الحرس أن يخرج، وما عليه إلا ريطتان ما تساويان إلا خمسة دراهم في مصلاه، فقبل له:

لو قمت! قال: والله لا أقوم حتى يأتي الوقت الذي كنت أقوم فيه قيل:

فلو سلمت على أمير المؤمنين! قال: والله لا أقوم إليه قال عمر بن عبد العزيز: فجعلت اعدل بالوليد في ناحيه المسجد رجاء الا يرى سعيدا حتى يقوم، فحانت من الوليد نظرة إلى القبلة، فقال: من ذلك الجالس؟

أهو الشيخ سعيد بن المسيب؟ فجعل عمر يقول: نعم يا أمير المؤمنين ومن حاله ومن حاله ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك، وهو ضعيف البصر.

قال الوليد: قد علمت حاله، ونحن نأتيه فنسلم عليه، فدار في المسجد حتى وقف على القبر، ثم أقبل حتى وقف على سعيد فقال: كيف أنت أيها الشيخ؟ فوالله ما تحرك سعيد ولا قام، فقال: بخير والحمد لله، فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله؟ قال الوليد: خير والحمد لله فانصرف وهو يقول لعمر: هذا بقية الناس، فقلت: أجل يا أمير المؤمنين.

قال: وقسم الوليد بالمدينة رقيقا كثيرا عجا بين الناس، وآتية من ذهب وفضة، وأموالا وخطب بالمدينة في الجمعة وصلى بهم.

قال محمد بن عمرو: وحدثني إسحاق بن يحيى، قال: رأيت الوليد يخطب على منبر رسول الله ص يوم الجمعة عام حج، قد صف له جنده صفين من المنبر إلى جدار مؤخر المسجد، في أيديهم الجرزة وعمد الحديد على العواتق، فرأيتهم طلع في دراعة وقلنسوة، ما عليه رداء، فصعد المنبر، فلما صعد سلم ثم جلس فأذن المؤذنون، ثم سكتوا، فخطب الخطبة الأولى وهو جالس، ثم قام فخطب الثانية قائما، قال إسحاق: فقلت رجاء بن حيوة وهو معه، فقلت: هكذا يصنعون! قال: نعم، وهكذا صنع معاوية فهل جرا، قلت: أفلا تكلمه؟ قال:

أخبرني قبيصة بن ذؤيب أنه كلم عبد الملك بن مروان

فأبى أن يفعل، وقال: هكذا خطب عثمان، فقلت: والله ما خطب هكذا، ما خطب عثمان إلا قائما قال رجاء: روي لهم هذا فأخذوا به.

قال إسحاق: لم نر منهم أحداً أشدّ تجبراً منه.
قال مُحَمَّد بن عمر: وقدم بطيب مسجد رسول الله ص ومجره وبكسوة الكعبة فنشرت وعلقت على حبال في المسجد من ديباج حسن لم ير مثله قط، فنشرها يوماً وطوي ورفع.
قال: وأقام الحج الوليد بن عبد الملك.
وكانت عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عمالها في سنة تسعين، غير مكة فإن عاملها كان في هذه السنة خالد بن عبد الله القسري في قول الواقدي.
وقال غيره: كانت ولاية مكة في هذه السنة أيضاً إلى عمر بن عبد العزيز.

٦٠٢٧ سنه اثنتين وتسعين

٦٠٢٧.١ فتح الاندلس

ثم دخلت
سنة اثنتين وتسعين
(ذكر الأحداث التي كانت فيها) فمن ذلك غزوة مسلمة بن عبد الملك وعمر بن الوليد أرض الروم، ففتح على يدي مسلمة حصون ثلاثة، وجلا أهل سوسنة إلى جوف أرض الروم
فتح الاندلس
وفيهما غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الأندلس في اثني عشر ألفاً، فلقى ملك الأندلس - زعم الواقدي أنه يقال له أدريونق، وكان رجلاً من أهل أصبهان، قال: وهم ملوك عجم الأندلس - فزحف له طارق بجميع من معه، فزحف الأدريونق في سرير الملك، وعلى الأدريونق تاجه وقفازه وجميع الحلية التي كان يلبسها الملوك، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى قتل الله الأدريونق، وفتح الأندلس سنة اثنتين وتسعين.
وفيهما غزا - فيما زعم بعض أهل السير - قتيبة بن جستان يريد رتبيل الأعظم والزابل، فلما نزل بجستان تلقته رسل رتبيل بالصلح، فقبل ذلك وانصرف، واستعمل عليهم عبد ربه بن عبد الله بن عمير الليثي وحج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة، كذلك حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ عَنْ ذَكَرِهِ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ.
وكذلك قَالَ الواقدي وغيره.
وكان عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها.

٦٠٢٨ سنه ثلاث وتسعين

٦٠٢٨.١ صلح قتيبة ملك خوارزم شاه وفتح خام جرد

ثم دخلت
سنة ثلاث وتسعين
(ذكر الأحداث التي كانت فيها) فِيمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ غَزْوَةُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْوَلِيدِ أَرْضَ الرُّومِ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ سَمْسَطِيَّةً.
وفيهما كانت أيضاً غزوة مروان بن الوليد الروم، فبلغ خنجرة وفيها كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم، فافتتح ماسة وحصن الحديد وغزاه وبرجه من ناحيه ملطيه.
صلح قتيبة ملك خوارزم شاه وفتح خام جرد
وفيهما قتل قتيبة ملك خام جرد، وصالح ملك خوارزم صلحا مجدداً.
ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه:

ذكر علي بن محمد أن أبا الذيال أخبره عن المهلب بن إياس والحسن بن رشيد، عن طفيل بن مرداس العمي وعلي بن مجاهد، عن حنبل ابن أبي حريذة، عن مرزبان قهستان وكليب بن خلف والباهليين وغيرهم - وقد ذكر بعضهم ما لم يذكر بعض ألفته - أن ملك خوارزم كان ضعيفا، فغلبه أخوه خرزاذ على أمره - وخرزاذ أصغر منه - فكان إذا بلغه أن عند أحد ممن هو منقطع إلى الملك جارية أو دابة أو متاعا فانحرا أرسل فأخذه، أو بلغه أن لأحد منهم بنتا أو أختا أو امرأة جميلة أرسل إليه فغصبه، وأخذ ما شاء، وحبس ما شاء، لا يمتنع عليه أحد، ولا يمنعه الملك، فإذا قيل له، قال: لا أقوى عليه، وقد ملأه مع هذا غيظا، فلما طال ذلك منه عليه كتب إلى قتيبة يدعو إلى أرضه يريد أن يسلمها إليه، وبعث إليه بمفاتيح مدائن خوارزم، ثلاثة مفاتيح من ذهب، واشترط عليه أن يدفع إليه أخاه وكل من كان يضاده، يحكم فيه بما يرى وبعث في ذلك رسلا، ولم يطلع أحدا من مرابطته ولا دهاقينه على ما كتب به إلى قتيبة، فقدمت رسله على قتيبة في آخر الشتاء ووقت الغزو، وقد تهيأ للغزو، فأظهر قتيبة أنه يريد السغد، ورجع رسل خوارزم شاه إليه بما يحب من قبل قتيبة، وسار واستخلف على مروثابتا الأعور مولى مسلم.

قال: فجمع ملوكه وأحاباره ودهاقينه فقال: إن قتيبة يريد السغد، وليس بغازيكم، فلهم نتعم في ربيعنا هذا فأقبلوا على الشرب، والنتعم، وأمنوا عند أنفسهم الغزو.

قال: فلم يشعروا حتى نزل قتيبة في هزار سب دون النهر، فقال خوارزم شاه لأصحابه: ما ترون؟ قالوا: نرى أن نقاتله، قال: لكني لا أرى ذلك، قد عجز عنه من هو أقوى منا وأشد شوكة، ولكني أرى أن نصرفه بشيء تؤديه إليه، فنصرفه عامنا هذا، ونرى رأينا.

قالوا: ورأينا رأيك فأقبل خوارزم شاه فنزل في مدينة الفيل من وراء النهر.

قال: ومدائن خوارزم شاه ثلاث مدائن يطيف بها فارقين واحد، فمدينة الفيل احصن، فنزلها خوارزم شاه - وقتيبة في هزار سب دون النهر لم يعبره بينه وبين خوارزم شاه نهر بلخ - فصالحه على عشرة آلاف راس، وعين ومتاع، وعلى أن يعينه على ملك خام جرد، وأن يفي له بما كتب إليه، فقبل ذلك منه قتيبة، ووفى له وبعث قتيبة أخاه إلى ملك خام جرد، وكان يعادي خوارزم شاه، فقاتله، فقتله عبد الرحمن، وغلب على أرضه وقدم منهم على قتيبة بأربعة آلاف اسير، فقتلهم، وأمر قتيبة لما جاء بهم عبد الرحمن بسريره فأخرج وبرز للناس قال: وأمر بقتل الأسرى فقتل بين يديه ألف وعن يمينه ألف وعن يساره ألف وخلف ظهره ألف قال: قال المهلب بن إياس: أخذت يومئذ سيوف الأشراف فضرب بها الأعناق، فكان فيها ما لا يقطع ولا يخرج، فأخذوا سيفي فلم يضرب به شيء إلا أبانه، ففسدني بعض آل قتيبة، فغمز الذي يضرب أن أصفح به، فصفح به قليلا، فوقع في ضرر المقتول فثله.

قال أبو الذيال: والسيف عندي قال: ودفع قتيبة إلى خوارزم شاه أخاه ومن كان يخالفه فقتلهم، واصطفي أموالهم فبعث بها إلى قتيبة، ودخل قتيبة مدينة فيل، فقبل من خوارزم شاه ما صالحه عليه، ثم رجع إلى هزار سب وقال كعب الأشقري:

رمتك فيل بما فيها وما ظلمت ... ورامها قبلك الفجفاجة الصلف
لا يجزى الثغر خوار القناة ولا ... هش المكاسر والقلب الذي يحف
هل تذكرون ليالي الترك تقتلهم ... ما دون كازة والفجفاج ملتحف
لم يركبوا الخيل إلا بعد ما كبروا ... فهم ثقال على أكفها عنف
أنتم شباس ومرداذان محتقر ... وبسخراء قبور حشوها القلف
إني رأيت أبا حفص تفضله ... أيامه ومساغي الناس تختلف
قيس صريح وبعض الناس يجمعهم ... قرى وريف فنسوب ومقترف
لو كنت طاوعت أهل العجز ما اقتسموا ... سبعين ألفا وعز السغد مؤتلف
وفي سمرقند أخرى أنت قاسمها ... لئن تأخر عن حوبائك التلف
ما قدم الناس من خير سبقت به ... ولا يفوتك مما خلفوا شرف

قال: انشدني علي بن مجاهد:

رمتك فيل بما دون كاز.

قال: وكذلك قال الحسن بن رشيد الجوزجاني، وأما غيرهما فقال:

رمتك فيل بما فيها.

وقالوا: فيل مدينة سمرقند، قال: وأثبتها عندي قول علي بن مجاهد.

قال: وقال الباهليون: أصاب قتيبة من خوارزم مائة ألف رأس قال:

وكان خاصة قتيبة كلوه سنة ثلاث وتسعين وقالوا: الناس كانوا قدموا

من سجستان فأجمعهم عامهم هذا، فأبى قال: فلها صالح أهل خوارزم سار إلى السغد، فقال الأشقري:

لو كنت طاوحت أهل العجز ما اقتسموا ... سبعين ألفا وعز السغد مؤتلف

فتح سمرقند قال أبو جعفر: وفي هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم منصرفه من خوارزم سمرقند، فافتتحها.

ذكر الخبر عن ذلك:

قد تقدم ذكرني الإسناد عن القوم الذين ذكر علي بن محمد أنه أخذ عنهم حين صالح قتيبة صاحب خوارزم، ثم ذكر مدرجا في ذلك أن

قتيبة لما قبض صالح خوارزم قام إليه المجشر بن مزاحم السلمي فقال: إن لي حاجة، فأخطني، فأخلاه، فقال: إن أردت السغد يوما

من الدهر فالآن، فإنهم آمنون من أن تأتيهم من عامك هذا، وإنما بينك وبينهم عشرة أيام.

قال: أشار بهذا عليك أحد؟ قال: لا، قال: فأعلمته أحدا؟ قال:

لا، قال: والله لئن تكلم به أحد لأضربن عنقك فأقام يومه ذلك، فلما أصبح من الغد دعا عبد الرحمن فقال: سر في الفرسان والمرامية،

وقدم الأتقال إلى مرو، فوجهت الأتقال إلى مرو، ومضى عبد الرحمن يتبع الأتقال يريد مرو، يومه كله، فلما أمسى كتب إليه: إذا

أصبحت فوجه الأتقال إلى مرو وسر في الفرسان والمرامية نحو السغد، وأكتم الأخبار، فإني بالأثر.

قال: فلما أتى عبد الرحمن الخبر أمر أصحاب الأتقال أن يمشوا إلى مرو، وسار حيث أمره، وخطب قتيبة الناس فقال:

إن الله قد فتح لكم هذه البلدة في وقت الغزو فيه ممكن، وهذه السغد شاغرة برجلها، قد نقضوا العهد الذي كان بيننا، منعونا ما كنا

صالحنا عليه طرخون، وصنعوا به ما بلغكم، وقال الله: «فَنَنْكَثُ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ»، فسيروا على بركة الله، فإني أرجو أن يكون

خوارزم والسغد كالنضير وقريظة، وقال الله: «وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا».

« قال: فأتى السغد وقد سبقه إليها عبد الرحمن بن مسلم في عشرين ألفا، وقدم عليه قتيبة في أهل خوارزم وبخارى بعد ثلاثة أو أربعة

من نزول عبد الرحمن بهم، فقال: إنا إذا نزلنا بساحة قوم «فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ».

« فحصرهم شهرا، فقاتلوا في حصارهم مرارا من وجه واحد.

وكتب أهل السغد وخافوا طول الحصار إلى ملك الشاش وإخشاذ فرغانة:

أن العرب إن ظفروا بنا عادوا عليكم بمثل ما أتونا به، فانظروا لأنفسكم.

فأجمعوا على أن يأتوهم، وأرسلوا إليهم: أرسلوا من يشغلهم حتى نبيت عسكرهم.

قال: وانتخبوا فرسانا من أبناء المرازبة والأساورة والأشداء الأبطال فوجهوهم وأمروهم أن يبيتوا عسكرهم، وجاءت عيون المسلمين

فأخبروهم.

فانتخب قتيبة ثلاثمائة أو ستمائة من أهل النجده، واستعمل عليهم صالح ابن مسلم، فصيرهم في الطريق الذي يخاف أن يؤتى منه وبعث

صالح عيونا يأتونه بخبر القوم، ونزل على فرسخين من عسكر القوم، فرجعت إليه عيونهم فأخبروه أنهم يصلون إليه من ليلتهم، ففرق صالح

خيله ثلاث فرق، فجعل كميناً في موضعين، وأقام على قارعة الطريق، وطرقهم المشركون ليلا، ولا يعلمون بمكان صالح، وهم آمنون في

أنفسهم من أن يلقاهم أحد دون العسكر، فلم يعلموا بصالح حتى غشوه قال: فشدوا عليه حتى إذا اختلفت الرماح بينهم خرج الكمينان

فاقتتلوا قال: وقال رجل من البراجم: حصرتهم فما رأيت قط قوما كانوا أشد قتالا من أبناء أولئك الملوك ولا أصبر، فقتلناهم فلم يفلت

منهم إلا نفر يسير وحوينا

سلاحهم، واحتزنا رءوسهم، وأسروا منهم أسرى، فسألناهم عن قتلنا، فقالوا: ما قتلتم إلا ابن ملك، أو عظيما من العظماء، أو بطلا من الأبطال، ولقد قتلتم رجلا إن كان الرجل ليعدل بمائة رجل فكتبنا على آذانهم، ثم دخلنا العسكر حين أصبحنا وما منا رجل إلا معلق رأسا معروفا باسمه، وسلبنا من جيد السلاح وكريم المتاع ومناطق الذهب ودواب فرهة فنفلنا قتيبة ذلك كله وكسر ذلك أهل السغد، ووضع قتيبة عليهم المجانيق، فرماهم بها، وهو في ذلك يقاتلهم لا يقلع عنهم، وناصحه من معه من أهل بخارى وأهل خوارزم، فقاتلوا قتالا شديدا، وبذلوا أنفسهم.

فأرسل إليه غوزك: إنما تقاتلني بإخوتي وأهل بيتي من العجم، فأخرج إلي العرب، فغضب قتيبة ودعا الجدلي فقال: اعرض الناس، وميز، أهل البأس لجمعهم، ثم جلس قتيبة يعرضهم بنفسه، ودعا العرفاء فجعل يدعو برجل رجل فيقول: ما عندك؟ فيقول العريف: شجاع، ويقول:

ما هذا؟ فيقول: مختصر، ويقول: ما هذا؟ فيقول: جبان، فسمى قتيبة الجبناء الأتنان، وأخذ خيلهم وجيد سلاحهم فأعطاه الشجعان والمختصرين، وترك لهم رث السلاح، ثم زحف بهم فقاتلهم بهم فرسانا ورجالا، ورمى المدينة بالمجانيق، فثلم فيها ثلثة فسدوها بغرائر الدخن، وجاء رجل حتى قام على الثلثة فشم قتيبة، وكان مع قتيبة قوم رماة، فقال لهم قتيبة: اختاروا منكم رجلين، فاخترأوا، فقال: أيكما يرمي هذا الرجل، فإن أصابه فله عشرة آلاف، وإن أخطأه قطعت يده؟ فتلكأ أحدهما وتقدم الآخر، فرماه فلم يخطئ عينه، فأمر له بعشرة آلاف قال: وأخبرنا الباهليون، عن يحيى بن خالد، عن أبيه خالد بن باب مولى مسلم بن عمرو، قال: كنت في رماة قتيبة، فلما افتتحنا المدينة صعدت السور فأتيت مقام ذلك الرجل الذي كان فيه فوجدته ميتا على الحائط، ما أخطأت النشابة عينه حتى خرجت من قفاه، ثم أصبحوا من

غد فرموا المدينة، ففلها فيها وقال قتيبة: ألخوا عليها حتى تعبروا الثلثة، فقاتلوهم حتى صاروا على ثلثة المدينة، ورماهم السغد بالنشاب، فوضعوا ترستهم فكان الرجل يضع ترسه على عينه، ثم يحمل حتى صاروا على الثلثة، فقالوا له: انصرف عنا اليوم حتى نصلحك غدا فأما باهلة فيقولون: قال قتيبة: لا نصلحهم إلا ورجالنا على الثلثة، ومجانيقنا تخطر على رؤوسهم ومدينتهم قال: وأما غيرهم فيقولون: قال قتيبة: جزع العبيد، فانصرفوا على ظفركم، فانصرفوا، فصالحهم من الغد على ألفي ألف ومائتي ألف في كل عام، على أن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأس، ليس فيهم صبي ولا شيخ ولا عيب، على أن يخلوا المدينة لقتيبة فلا يكون لهم فيها مقاتل، فبني له فيه مسجد فدخل ويصلي، ويوضع له فيها منبر فيخطب، ويتغدى ويخرج قال: فلما تم الصلح بعث قتيبة عشرة، من كل خمس برجلين، فقبضوا ما صالحوهم عليه، فقال قتيبة: الآن ذلوا حين صار إخوانهم وأولادهم في أيديكم ثم أدخلوا المدينة وبنوا مسجدا ووضعوا منبرا، ودخلها في أربعة آلاف.

انتخبهم، فلما دخلها أتى المسجد فصلى وخطب ثم تغدى، وأرسل إلى أهل السغد: من أراد منكم أن يأخذ متاعه فليأخذه، فإني لست خارجا منها، وإنما صنعت هذا لكم، ولست آخذ منكم أكثر مما صالحتكم عليه، غير أن الجند يقيمون فيها. قال: أما الباهليون فيقولون: صالحهم قتيبة على مائة ألف رأس، وبيوت النيران وحلية الأصنام، فقبض ما صالحهم عليه، وأتى بالأصنام فسلبت، ثم وضعت بين يديه، فكانت كالقصر العظيم حين جمعت، فأمر بتحريقها، فقالت الأعاجم: إن فيها أصناما من حرقها هلك، فقال قتيبة أنا أحرقتها بيدي، فجاء غوزك، فجثا بين يديه وقال:

أيها الأمير، إن شكرك علي واجب، لا تعرض لهذه الأصنام، فدعا قتيبة بالنار وأخذ شعلة بيده، وخرج فكبر، ثم أشعلها، وأشعل الناس فاضطرمت، فوجدوا من بقايا ما كان فيها من مسامير الذهب والفضة خمسين ألف مثقال.

قال: وأخبرنا مخلد بن حمزة بن بيض، عن أبيه، قال: حدثني من شهد قتيبة وفتح سمرقند أو بعض كور خراسان فاستخرجوا منها قدورا عظاما من نحاس، فقال قتيبة لحضين: يا أبا ساسان، أترى رقاش كان لها مثل هذه القدور؟ قال: لا، لكن كان لعيان قدر مثل هذه القدور، فضحك قتيبة وقال: أدركت بئارك.

قال: وقال محمد بن أبي عيينة لسلم بن قتيبة بين يدي سليمان بن علي: إن العجم ليعيرون قتيبة الغدر إنه غدر بخوارزم وسمرقند.

قال: فأخبرنا شيخ من بني سدوس عن حمزة بن بيض قال: أصاب قتيبة بخراسان بالسغد جارية من ولد يزدجرد، فقال: أترون ابن هذه يكون هجيناً؟ فقالوا: نعم، يكون هجيناً من قبل أبيه، فبعث بها إلى الحجاج، فبعث بها الحجاج إلى الوليد، فولدت له يزيد ابن الوليد.

قال: وأخبرنا بعض الباهليين، عن نهشل بن يزيد، عن عمه - وكان قد أدرك ذلك كله - قال: لما رأى غوزك إلحاح قتيبة عليهم كتب إلى ملك الشاش وإخشاذ فرغانة وخاقان: إنا نحن دونكم فيما بينكم وبين العرب، فإن وصل إلينا كنتم أضعف وأذل، فهما كان عندكم من قوة فابذلوهما، فنظروا في أمرهم فقالوا: إنما نؤتى من سفلتنا، وإنهم لا يجدون كوجدنا، ونحن معشر الملوك المعنيون بهذا الأمر، فانتخبوا أبناء الملوك وأهل النجدة من فتيان ملوكهم، فليخرجوا حتى يأتوا عسكر قتيبة فليبيت، فإنه مشغول بحصار السغد، ففعلوا، ولوا عليهم ابنا لخاقان، وساروا وقد

أجمعوا أن يبيتوا العسكر، وبلغ قتيبة فانتخب أهل النجدة والبأس ووجوه الناس، فكان شعبة بن ظهير وزهير بن حيان فيمن انتخب، فكانوا أربعمائة، فقال لهم: إن عدوكم قد رأوا بلاء الله عندكم، وتأييده إياكم في مزاحفتكم ومكاثرتكم، كل ذلك يفلجكم الله عليهم، فأجمعوا على أن يحتالوا غرتكم وبياتكم، واختاروا دهاقينهم وملوكهم، وأتم دهاقين العرب وفرسانهم، وقد فضلكم الله بدينه، فابلوا الله بلاء حسناً تستوجبون به الثواب، مع الذب عن أحسابكم قال: ووضع قتيبة عيوناً على العدو حتى إذا قربوا منه قدر ما يصلون إلى عسكره من الليل أدخل الذين انتخبهم، فكلهم وحضهم، واستعمل عليهم صالح بن مسلم، نفرجوا من العسكر عند المغرب، فساروا، فنزلوا على فرسخين من العسكر على طريق القوم الذين وصفوا لهم، ففرق صالح خيله، وأكن كميناً عن يمينه، وكميناً عن يساره، حتى إذا مضى نصف الليل أو ثلثاه، جاء العدو باجتماع وإسراع وصمت، وصالح واقف في خيله، فلما رأوه شدوا عليه، حتى إذا اختلفت الرماح شد الكمينان عن يمين وعن شمال، فلم نسمع إلا الاعتزاء، فلم نرقوما كانوا أشد منهم.

قال: وقال رجل من البراجم: حدثني زهير أو شعبة قال: إنا لنختلف عليهم بالطعن والضرب إذ تبينت تحت الليل قتيبة، وقد ضربت ضربة أعجبتني وأنا أنظر إلى قتيبة، فقلت: كيف ترى بأبي أنت وأمي! قال: اسكت دق الله فاك! قال: فقتلناهم فلم يفلت منهم إلا الشريد، وأقنا نحوي الأسلاب ونحتز الرءوس حتى أصبحنا، ثم أقبلنا إلى العسكر، فلم أر جماعة قط جاءوا بمثل ما جئنا به، ما منا رجل إلا معلق رأساً معروفاً باسمه، وأسير في وثاقه.

قال: وجئنا قتيبة بالرءوس، فقال: جزاكم الله عن الدين والأعراض خيراً وأكرمني قتيبة من غير أن يكون باح لي بشيء، وقرن بي في الصلة والاکرام حيان العدو وحليسا الشيباني، فظننت أنه رأى منهما مثل الذي رأى مني، وكسر ذلك أهل السغد، فطلبوا الصلح، وعرضوا الفدية فأبى، وقال: أنا ثائر بدم طرخون، كان مولاي وكان من أهل ذمتي. قالوا: حدث عمرو بن مسلم، عن أبيه، قال: أطال قتيبة المقام، وثلمت الثلثة في سمرقند قال: فنادى مناد فصيح بالعربية يشتم قتيبة، قال:

فقال عمرو بن أبي زهدم: ونحن حول قتيبة، فحين سمعنا الشتم خرجنا مسرعين، فكثنا طويلاً وهو ملح بالثتم، فحُتت إلى رواق قتيبة فاطلعت، فإذا قتيبة محتب بشملة يقول كالمناجي لنفسه: حتى متى يا سمرقند يعيش فيك الشيطان! أما والله لئن أصبحت لأحاولن من أهلك أقصى غاية، فانصرفت إلى أصحابي، فقلت: كم من نفس أبية ستموت غداً منا ومنهم! وأخبرتهم الخبر.

قال: وأما باهلة فيقولون: سار قتيبة فجعل النهر يمينه حتى ورد بخارى، فاستنزههم معه، وسار حتى إذا كان بمدينة أرنج، وهي التي تجلب منها اللبود الأرنجنية، لقيهم غوزك صاحب السغد في جمع عظيم من الترك وأهل الشاش وفرغانة، فكانت بينهم وقائع من غير مزاحفة، كل ذلك يظهر المسلمون، ويتحاجزون حتى قربوا من مدينة سمرقند، فتزاحفوا يومئذ، فحمل السغد على المسلمين حملة حطموهم حتى جازوا عسكرهم، ثم كر المسلمون عليهم حتى ردوهم إلى عسكرهم، وقتل الله من المشركين عدداً كثيراً، ودخلوا مدينة سمرقند فصالحوهم.

قال: وأخبرنا الباهليون عن حاتم بن أبي صغيرة، قال: رأيت خيلاً يومئذ تطاعن خيل المسلمين، وقد أمر يومئذ قتيبة بسريره فأبرز، وقعد عليه، وطاعنوه حتى جازوا قتيبة، وإنه لمحتب بسيفه ما حل حبوته، وانطوت مجنبتا المسلمين على الذين هزموا القلب، فهزموهم

حتى ردهم إلى عسكرهم، وقتل من المشركين عدد كثير، ودخلوا مدينة سمرقند فصالحوهم وصنع غوزك طعاما ودعا قتيبة، فأتاه في عدد من أصحابه، فلما تغدى استوهب منه سمرقند، فقال للملك: انتقل عنها، فانتقل عنها، وتلا قتيبة: «وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى وَثُمَّ دَرَأَهُ فَأَبْقَى»

قال: وأخبرنا أبو الذيال، عن عمر بن عبد الله التيمي، قال: حدثني الذي سرحه قتيبة إلى الحجاج بفتح سمرقند، قال: قدمت على الحجاج فوجهني إلى الشام، فقدمتها فدخلت مسجدها، فجلست قبل طلوع الشمس وإلى جنبي رجل ضريب، فسألته عن شيء من أمر الشام، فقال: إنك لغريب، قلت: أجل، قال: من أي بلد أنت؟ قلت: من خراسان قال: ما أقدمك؟ فأخبرته، فقال: والذي بعث محمدًا بالحق ما افتتحتموها إلا غدرا، وإنكم يا أهل خراسان للذين تسلبون بني أمية ملكهم، وتنقضون دمشق حجرا حجرا قال: وأخبرنا العلاء بن جرير، قال: بلغني أن قتيبة لما فتح سمرقند وقف على جبلها فنظر إلى الناس متفرقين في مروج السغد، فتمثل قول طرفة:

وأرتع أقوام ولولا محلنا ... بخشية ردوا الجمال فقوضوا
قال: وأخبرنا خالد بن الأصفح، قال: قال الكميت:

كانت سمرقند أحقابا يمانية ... فاليوم تنسبها قيسية مضر

قال: وقال أبو الحسن الجشمي: فدعا قتيبة نهار بن توسعة حين صالح أهل السغد، فقال: يا نهار، أين قولك:

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى ... ومات الندى والجود بعد المهلب
أقاما بمرور الروذ رهن ضريحه ... وقد غيبا عن كل شرق ومغرب
أفغزو هذا يا نهار؟ قال: لا، هذا أحسن، وأنا الذي أقول:
وما كان مذكنا ولا كان قبلنا ... ولا هو فيما بعدنا كابن مسلم
أعم لأهل الترك قتلا بسيفه ... وأكثر فينا مقسما بعد مقسم

قال: ثم ارتحل قتيبة راجعا إلى مرو، واستخلف على سمرقند عبد الله ابن مسلم، وخلف عنده جندا كثيفا، وآلة من آلة الحرب كثيرة، وقال:

لا تدعن مشركا يدخل بابا من أبواب سمرقند إلا محتوم اليد، وإن جفت الطينة قبل أن يخرج فاقتله، وإن وجدت معه حديدة، سكيناً فما سواه فاقتله، وإن أغلقت الباب ليلا فوجدت فيها أحدا منهم فاقتله، فقال كعب الأشقري - ويقال رجل من جعفي:

كل يوم يحوي قتيبة نهبا ... ويزيد الأموال مالا جديدا

باهلي قد ألبس التاج حتى ... شاب منه مفارق كن سودا

دوخ السغد بالكائب حتى ... ترك السغد بالعراء قعودا

فوليد يبكي لفقد أبيه ... وأب موجه يبكي الوليدا

كلما حل بلدة أو أتاها ... تركت خيله بها أخذودا

قال: وقال قتيبة: هذا العدا لا عدا عيرين، لأنه فتح خوارزم وسمرقند في عام واحد، وذلك أن الفارس إذا صرع في طلق واحد عيرين قيل: عادى بين عيرين ثم انصرف عن سمرقند فأقام بمرور وكان عامله على خوارزم إياس بن عبد الله بن عمرو على حربها، وكان ضعيفا وكان على خراجها عبيد الله بن أبي عبيد الله مولى بني مسلم.

قال: فاستضعف أهل خوارزم إياسا، وجمعوا له، فكتب عبيد الله إلى قتيبة، فبعث قتيبة عبد الله بن مسلم في الشتاء عاملا، وقال: اضرب إياس بن عبد الله وحيان النبطي مائة مائة، واحلقهما، وضم إليك عبيد الله بن أبي عبيد الله، مولى بني مسلم، واسمع منه فإن له وفاء.

فضى حتى إذا كان من خوارزم على سكة، فدى إلى إياس فأنذره فتنحى، وقدم فأخذ حيان فضربه مائة وحلقه.

قال: ثم وجه قتيبة بعد عبد الله المغيرة بن عبد الله في الجنود إلى خوارزم، فبلغهم ذلك، فلما قدم المغيرة اعتزل أبناء الذين قتلهم

٦٠٢٨٠٢ فتح طليطلة

٦٠٢٨٠٣ خبر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز

خوارزم شاه، وقالوا: لا نعينك، فهرب إلى بلاد الترك وقدم المغيرة فسي وقاتل، وصالحه الباقر، فأخذ الجزية وقدم على قتيبة، فاستعمله على نيسابور.

فتح طليطلة

وفي هذه السنة عزل موسى بن نصير طارق بن زياد عن الأندلس ووجهه إلى مدينة طليطلة. ذكر الخبر عن ذلك:

ذكر محمد بن عمر أن موسى بن نصير غضب على طارق في سنة ثلاث وتسعين، فشخص إليه في رجب منها، ومعه حبيب بن عقبة بن نافع الفهري، واستخلف حين شخص على إفريقية ابنه عبد الله بن موسى بن نصير، وعبر موسى إلى طارق في عشرة آلاف، فقتلاه، فقرضاه فرضي عنه، وقبل منه عذره، ووجهه منها إلى مدينة طليطلة- وهي من عظام مدائن الأندلس، وهي من قرطبة على عشرين يوما- فأصاب فيها مائدة سليمان بن داود، فيها من الذهب والجوهر ما الله أعلم به.

قال: وفيها أجذب أهل إفريقية جدبا شديدا، فخرج موسى بن نصير فاستسقى، ودعا يومئذ حتى انتصف النهار، وخطب الناس، فلما أراد أن ينزل قيل له: ألا تدعو لأمر المؤمنين! قال: ليس هذا يوم ذاك، فسقوا سقيا كفاهم حيناً.

خبر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز

وفيها عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة.

ذكر سبب عزل الوليد إياه عنها:

وكان سبب ذلك- فيما ذكر- أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الوليد يخبره بعسف الحجاج أهل عمله بالعراق، واعتدائه عليهم، وظلمه لهم بغير حق ولا جناية، وأن ذلك بلغ الحجاج، فاضطغنه على عمر، وكتب إلى الوليد: أن من قبلي من مراق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن

العراق، ولجئوا إلى المدينة ومكة، وأن ذلك وهن.

فكتب الوليد إلى الحجاج: أن أشر علي برجلين، فكتب إليه يشير عليه بعثمان بن حيان وخالد بن عبد الله، فولى خالدا مكة وعثمان المدينة، وعزل عمر بن عبد العزيز.

قال: محمد بن عمر: خرج عمر بن عبد العزيز من المدينة فأقام بالسويداء وهو يقول لمزاحم: أتخاف أن تكون ممن نفته طيبة! وفيها ضرب عمر بن عبد العزيز خبيب بن عبد الله بن الزبير بأمر الوليد إياه، وصب على رأسه قربة من ماء بارد ذكر محمد بن عمر، أن أبا المليح حدثه عن عمر بن عبد العزيز حين جلد خبيب بن عبد الله بن الزبير خمسين سوطا، وصب على رأسه قربة من ماء في يوم شات، ووقفه على باب المسجد، فكث يومه ثم مات.

وجج بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ.

وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها، إلا ما كان من المدينة، فإن العامل عليها كان عثمان بن حيان المري، وليها- فيما قيل- في شعبان سنة ثلاث وتسعين.

وأما الواقي فإنه قال: قدم عثمان المدينة لليلتين بقيتا من شوال سنة أربع وتسعين.

وقال بعضهم: شخص عمر بن عبد العزيز عن المدينة معزولا في شعبان من سنة ثلاث وتسعين وغزا فيها، واستخلف عليها حين شخص

عنها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري وقدم عثمان بن حيان المدينة لليلتين بقيتا من شوال

٦٠٢٩ سنة اربع وتسعين

٦٠٢٩٠١ غزو الشاش وفرغانه

ثم دخلت

سنة أربع وتسعين

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث) فمن ذلك ما كان من غزوة العباس بن الوليد أرض الروم، فقليل: إنه فتح فيها أنطاكية وفيها غزا- فيما قيل - عبد العزيز بن الوليد أرض الروم حتى بلغ غزالة وبلغ الوليد بن هشام المعيطي أرض برج الحمام، ويزيد بن أبي كبشة أرض سورية.

وفيها كانت الرجفة بالشام وفيها افتتح القاسم بن محمد الثقفي أرض الهند.

غزو الشاش وفرغانه

وفيها غزا قتيبة شاش وفرغانة حتى بلغ نخجدة وكاشان، مدينتي فرغانة.

ذكر الخبر عن غزوة قتيبة هذه:

ذكر علي بن محمد، أن أبا الفوارس التميمي، أخبره عن ماهان ويونس ابن أبي إسحاق، أن قتيبة غزا سنة أربع وتسعين فلما قطع النهر فرض على أهل بخارى وكس ونسف وخوارزم عشرين ألف مقاتل قال: فساروا معه إلى السغد، فوجهوا إلى الشاش، وتوجه هو إلى فرغانة، وسار حتى أتى نخجدة، فجمع له أهلها فلقوه فاقتتلوا مرارا، كل ذلك يكون الظفر للمسلمين ففرغ الناس يوما فركبوا خيولهم،

فأوفى رجل على نشر فقال: تالله ما رأيت كالיום غرة، لو كان هيج اليوم ونحن على ما أرى

من الانتشار لكنت الفضيحة، فقال له رجل إلى جنبه: كلا، نحن كما قال عوف بن الخرج:

نؤم البلاد لحب اللقا ... ولا نتقي طائرا حيث طارا

سنيحا ولا جاريا بارحا ... على كل حال نلاقي اليسارا

وقال سببان وائل يذكر قتالهم بنخجدة:

فسل الفوارس في نخجدة ... تحت مرهفة العوالي

هل كنت أجمعهم إذا ... هزموا وأقدم في قتالي

أم كنت أضرب هامة ... العاتي وأصبر للعوالي

هذا وأنت قريع قيس ... كلها ضخم النوال

وفضلت قيسا في الندى ... وأبوك في الحجج الخوالي

ولقد تبين عدل حكمك ... فيهم في كل مال

تمت مروءتك وناغي ... عزكم غلب الجبال

قال: ثم أتى قتيبة كاشان مدينة فرغانة، وأتاه الجنود الذين وجههم إلى الشاش وقد فتحوها وحرقوا أكثرها، وانصرف قتيبة إلى مرو

وكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفي أن وجهه من قبلك من أهل العراق إلى قتيبة، ووجه إليهم جهم بن زحر بن قيس، فإنه في

أهل العراق خير منه في أهل الشام وكان محمد وإذا الجهم بن زحر، فبعث سُلَيْمَان بن صعصعة وجهم بن زحر، فلما ودعه جهم بكى

وقال: يا جهم، إنه للفراق، قال: لا بد منه.

قال: وقدم على قتيبة سنة خمس وتسعين.

٦٠٢٩٠٢ ولاية عثمان بن حيان المري على المدينة

ولاية عثمان بن حيان المري على المدينة

وفي هذه السنة قدم عثمان بن حيان المري المدينة واليا عليها من قبل الوليد بن عبد الملك.

ذكر الخبر عن ولايته:

قد ذكرنا قبل سبب عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن المدينة ومكة وتأثيره على المدينة عثمان بن حيان، فزعم محمد بن عمر أن عثمان قدم المدينة أميرا عليها لليلتين بقيتا من شوال سنة أربع وتسعين، فنزل بها دار مروان وهو يقول: محله والله مظعان، المغرور من غربك فاستقضى أبا بكر بن حزم.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَرَّةٍ، عَنْ عَمِّهِ قَالَ: رَأَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ حِيَانَ أَخَذَ رِيَّاحَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ وَمَنْقُذًا عِرَاقِيًّا فَبَسَمَهُمْ وَعَاقَبَهُمْ، ثُمَّ بَعَثَ بِهِمْ فِي جَوَامِعَ إِلَى الْحِجَابِ بْنِ يَوْسُفَ، وَلَمْ يَتْرِكْ بِالْمَدِينَةِ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ تَاجِرًا وَلَا غَيْرَ تَاجِرٍ، وَأَمَرَ بِهِمْ أَنْ يُخْرِجُوا مِنْ كُلِّ بَلَدٍ، فَرَأَيْتُهُمْ فِي الْجَوَامِعِ، وَأَتْبَعَ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، وَأَخَذَ هَيْصَمًا فَقَطَعَهُ، وَمَنْحُورًا- وَكَانَ مِنَ الْخَوَارِجِ- قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يُخَاطِبُ عَلَى الْمَنْبَرِ يَقُولُ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ:

أيها الناس، إنا وجدناكم أهل غش لأمر المؤمنين في قديم الدهر وحديثه، وقد ضوى إليكم من يزيدكم خبالا أهل العراق هم أهل الشقاق والنفاق، هم والله عش النفاق ويبضته التي تفلقت عنه والله ما جربت عراقيا قط إلا وجدت أفضلهم عند نفسه الذي يقول في آل أبي طالب ما يقول، وما هم لهم بشيعة، وإنهم لأعداء لهم ولغيرهم، ولكن لما يريد الله من سفك دماءهم فإني والله لا أوقى بأحد آوى أحدا منهم، أو أكره منزلا، ولا أنزله، إلا هدمت منزله، وأنزلت به ما هو أهله ثم إن البلدان لما مصرها عمر بن الخطاب وهو مجتهد على ما يصلح رعيته جعل يمر عليه من يريد الجهاد فيستشير: الشام أحب إليك أم العراق؟ فيقول:

الشام أحب إلي إني رأيت العراق داء عضالا، وبها فرخ الشيطان والله لقد أعضلوا بي، وإني لأراني سأفرقهم في البلدان، ثم أقول: لو فرقهم لأفسدوا من دخلوا عليه بجدل وحجاج، وكيف؟ ولم؟ وسرعة وجيف في الفتنة، فإذا خبروا عند السيوف لم يخبر منهم طائل لم يصلحوا على عثمان، فلقني منهم الأمرين، وكانوا أول الناس فتن هذا الفتق العظيم، ونقضوا عرى الإسلام عروة عروة، وأنغلوا البلدان والله إني لأتقرب إلى الله بكل ما أفعل بهم لما أعرف من رأيهم ومذاهبهم ثم وليهم أمير المؤمنين معاوية فداجمهم فلم يصلحوا عليه، ووليهم رجل الناس جلدا فبسط عليهم السيف، وأخافهم، فاستقاموا له أحبا أو كرهوا، وذلك أنه خبرهم وعرفهم.

أيها الناس، إنا والله ما رأينا شعارا قط مثل الأمن، ولا رأينا حلسا قط شرا من الخوف فالزموا الطاعة، فإن عندي يا أهل المدينة خبره من الخلاف والله ما أتم بأصحاب قتال، فكونوا من أحلاس بيوتكم وعضوا على النواجذ، فإني قد بعثت في مجالسكم من يسمع فيبلغني عنكم أنكم في فضول كلام غيره ألزم لكم، فدعوا عيب الولاة، فإن الأمر إنما ينقض شيئا شيئا حتى تكون الفتنة وإن الفتنة من البلاء، والفتن تذهب بالدين وبالمال والولد.

قال: يقول القاسم بن محمد: صدق في كلامه هذا الأخير، إن الفتنة لهكذا قال محمد بن عمر: وحدثني خالد بن القاسم، عن سعيد بن عمرو الأنصاري، قال: رأيت منادي عثمان بن حيان ينادي عندنا: يا بني أمية بن زيد، برئت ذمه من آوى عراقيا- وكان عندنا رجل من أهل البصرة له فضل

٦٠٢٩٠٣ ذكر الخبر عن مقتل سعيد بن جبير

يقال له أبو سواده، من العباد- فقال: والله ما أحب أن أدخل عليكم مكروها، بلغوني مأمني، قلت: لا خير لك في الخروج إن الله يدفع عنا وعنك قال: فأدخلته بيتي، وبلغ عثمان بن حيان فبعث أحراسا فأخرجته إلى بيت أخي، فما قدروا على شيء وكان الذي سعى بي عدوا، فقلت للأمير: أصلح الله الأمير! يؤتى بالباطل فلا تعاقب عليه قال:

فضرب الذي سعى بي عشرين سوطا وأخرجنا العراقي، فكان يصلي معنا ما يغيب يوما واحدا، وحذب عليه أهل دارنا، فقالوا: نموت دونك! فما برح حتى عزل الخبيث.

قال محمد بن عمر: وحدثنا عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة، قال:

إنما بعث الوليد عثمان بن حيان إلى المدينة لإخراج من بها من العراقيين وتفریق أهل الأهواء ومن ظهر عليهم أو علا بأمرهم، فلم يبعثه واليا، فكان لا يصعد المنبر ولا يخطب عليه، فلما فعل في أهل العراق ما فعل، وفي منحور وغيره أثبتته على المدينة، فكان يصعد على المنبر.

ذكر الخبر عن مقتل سعيد بن جبیر
وفي هذه السنة قتل الحجاج سعيد بن جبیر.
ذكر الخبر عن مقتله:

وكان سبب قتل الحجاج إياه خروجه عليه مع من خرج عليه مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وكان الحجاج جعله على عطاء الجند حين وجه عبد الرحمن إلى رتبيل لقتاله، فلما خلع عبد الرحمن الحجاج كان سعيد فيمن خلعه معه، فلما هزم عبد الرحمن وهرب إلى بلاد رتبيل هرب سعيد.

فحدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، قال: كتب الحجاج إلى فلان وكان على أصبهان - وكان سعيد، قال الطبري: أظنه أنه لما هرب

من الحجاج ذهب إلى أصبهان فكتب إليه: أن سعيدا عندك نخذه فجاء الأمر إلى رجل تخرج، فأرسل إلى سعيد: تحول عني، فتنحى عنه، فأتى أذربيجان، فلم يزل بأذربيجان فطال عليه السنون، واعتمر نخرج إلى مكة فأقام بها، فكان أناس من ضربه يستخفون فلا يخبرون بأسمائهم قال: فقال أبو حصين وهو يحدثنا هذا: فبلغنا أن فلانا قد أمر على مكة، فقلت له: يا سعيد، إن هذا الرجل لا يؤمن، وهو رجل سوء، وأنا أتقيه عليك، فاطعن واشخص، فقال: يا أبا حصين، قد والله فررت حتى استحييت من الله! سيجيئي ما كتب الله لي قلت:

أظنك والله سعيدا كما سمتك أمك قال: فقدم ذلك الرجل إلى مكة، فأرسل فأخذ فلان له وكله، فجعل يديره وذكر أبو عاصم عن عمر بن قيس، قال: كتب الحجاج إلى الوليد: أن أهل النفاق والشقاق قد لجئوا إلى مكة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي فيهم! فكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله القسري، فأخذ عطاء وسعيد بن جبیر ومجاهد وطلق بن حبيب وعمرو بن دينار، فأما عمرو بن دينار وعطاء فأرسلا لأنهما مكيان، وأما الآخرون فبعث بهم إلى الحجاج، فمات طلق في الطريق، وحبس مجاهد حتى مات الحجاج. وقتل سعيد بن جبیر.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر، قال: حدثنا الأشجعي، قال: لما أقبل الحرسيان بسعيد بن جبیر نزل منزلا قريبا من الربرة، فانطلق أحد الحرسيين في حاجته وبقي الآخر، فاستيقظ الذي عنده، وقد رأى رؤيا، فقال: يا سعيد، إني أبرأ إلى الله من دمك! اني رايت في منامي، فقتل لي: ويلك! تبرأ من دم سعيد بن جبیر اذهب حيث شئت لا أطلبك أبدا، فقال سعيد: أرجو العافية وأرجو وأبى حتى جاء ذاك، فزلا من الغد، فأري مثلها، فقتل: أبرأ من دم سعيد.

فقال: يا سعيد، اذهب حيث شئت، إني أبرأ إلى الله من دمك، حتى جاء به. فلما جاء به إلى داره التي كان فيها سعيد وهي دارهم هذه، حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم قال: دخلت عليه في دار سعيد هذه، جيء به مقيدا فدخل عليه قراء أهل الكوفة قلت: يا أبا عبد الله، فحدثكم؟

قال: إي والله ويضحك، وهو يحدثنا، وبنية له في حجره، فنظرت نظرة فأبصرت القيد فبكت، فسمعتة يقول: أي بنية لا تطيري، إياك - وشق والله عليه - فاتبعناه نشبعه، فانتبهنا به إلى الجسر، فقال الحرسيان: لا نعبر به أبدا حتى يعطينا كفيلا، نخاف أن يغرق نفسه. قال: قلنا: سعيد يغرق نفسه! فما عبروا حتى كفلنا به.

قال وهب بن جرير: حدثنا أبي، قال: سمعت الفضل بن سويد قال: بعثني الحجاج في حاجة، فجيء بسعيد بن جبیر، فرجعت فقلت: لأنظرن ما يصنع، فقممت على رأس الحجاج، فقال له الحجاج:

يا سعيد، ألم أشركك في أمانتي! ألم أستعملك! ألم أفعل! حتى ظننت أنه يخلي سبيله، قال: بلى، قال: فما حملك على خروجك علي؟ قال: عزم علي، قال: فطار غضبا وقال: هيه! رأيت لعزمة عدو الرحمن عليك حقا، ولم تر لله ولا لأمر المؤمنين ولا لي عليك حقا!

اضربا عنقه، فضربت عنقه، فندر رأسه عليه كمة بيضاء لا طيه صغيرة.
وحدثت عن أبي غسان مالك بن إسماعيل، قال: سمعت خلف بن خليفة يذكر عن رجل قال: لما قتل سعيد بن جبير فندر رأسه لله،
هلل ثلاثا:
مرة يفصح بها.

وفي الثنتين يقول مثل ذلك فلا يفصح بها وذكر أبو بكر الباهلي، قال: سمعت أنس بن أبي شيخ، يقول: لما
أتى الحجاج بسعيد بن جبير، قال: لعن الله ابن النصرانية- قال: يعني خالدا القسري، وهو الذي أرسل به من مكة- أما كنت أعرف
مكانه! بلى والله والبيت الذي هو فيه بمكة ثم أقبل عليه فقال: يا سعيد، ما أخرجك علي؟ فقال: أصلح الله الأمير! إنما أنا امرؤ من
المسلمين يخطئ مرة ويصيب مرة، قال: فطابت نفس الحجاج، وتطلق وجهه، ورجا أن يتخلص من أمره، قال: فعاوده في شيء، فقال
له:
إنما كانت له بيعة في عنقي، قال: فغضب وانتفخ حتى سقط أحد طرفي رداءه عن منكبه، فقال: يا سعيد، ألم أقدم مكة فقتلت ابن
الزبير، ثم أخذت بيعة أهلها، وأخذت بيعتك لأمر المؤمنين عبد الملك! قال:
بلى، قال: ثم قدمت الكوفة واليا على العراق فجددت لأمر المؤمنين البيعة، فأخذت بيعتك له ثانية! قال: بلى، قال: فتنتك بيعتين
لأمر المؤمنين، وتفي بواحدة للحائك ابن الحائك! اضربا عنقه، قال: فإياه عنى جرير بقوله:

يا رب ناكث بيعتين تركته ... وخضاب لحيته دم الأوداج

وذكر عتاب بن بشر، عن سالم الأفتس، قال: أتى الحجاج بسعيد بن جبير وهو يريد الركوب، وقد وضع إحدى رجله في الغرز- أو
الركاب- فقال: والله لا أركب حتى تبوء مقعدك من النار، اضربوا عنقه فضربت عنقه، فالتبس مكانه، فجعل يقول: قيودنا قيودنا،
فظنوا أنه قال: القيود التي على سعيد بن جبير، فقطعوا رجله من أنصاف ساقه وأخذوا القيود.

قال محمد بن حاتم: حدثنا عبد الملك بن عبد الله عن هلال بن خباب قال: جيء بسعيد بن جبير إلى الحجاج فقال: اكتبني إلى مصعب
ابن الزبير؟ قال: بل كتب إلي مصعب، قال: والله لأقتلنك، قال:

إني إذا لسعيد كما سمتني أمي! قال: فقتله، فلم يلبث بعده إلا نحو من أربعين يوما، فكان إذا نام يراه في منامه يأخذ بجامع ثوبه فيقول:
يا عدو الله، لم قتلتنني؟ فيقول: ما لي ولسعيد بن جبير! ما لي ولسعيد ابن جبير! قال أبو جعفر: وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء،
مات فيها عامة فقهاء أهل المدينة، مات في أولها علي بن الحسين ع، ثم عروة بن الزبير، ثم سعيد بن المسيب، وأبو بكر بن عبد الرحمن
بن الحارث بن هشام.

واستقضى الوليد في هذه السنة بالشام سليمان بن حبيب.

واختلف فيمن أقام الحج للناس في هذه السنة، فقال أبو معشر- فيما حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى عنه-
قال: حج بالناس مسلمة بن عبد الملك سنة أربع وتسعين.

وقال الواقدي: حج بالناس سنة أربع وتسعين عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك- قال: ويقال: مسلمة بن عبد الملك.

وكان العامل فيها على مكة خالد بن عبد الله القسري، وعلى المدينة عثمان بن حيان المري، وعلى الكوفة زياد بن جرير، وعلى قضائها
أبو بكر ابن أبي موسى وعلى البصرة الجراح بن عبد الله وعلى قضائها عبد الرحمن ابن أذينة وعلى خراسان قتيبة بن مسلم، وعلى مصر قرة
بن شريك، وكان العراق والمشرق كله إلى الحجاج

٦٠٣٠ سنه خمس وتسعين

٦٠٣٠٠١ بقية الخبر عن غزو الشاش

ثم دخلت

سنة خمس وتسعين

(ذكر الأحداث التي كانت فيها) ففيها كانت غزوة العباس بن الوليد بن عبد الملك أرض الروم، ففتح الله على يديه ثلاثة حصون فيما قيل، وهي: طولس، والمرزبانين، وهرقلة. وفيها فتح آخر الهند إلا الكيرج والمندل.

وفيهما بنيت واسط القصب في شهر رمضان وفيها انصرف موسى بن نصير إلى إفريقية من الأندلس، وضحي بقصر الماء- فيما قيل - على ميل من القيروان. بقية الخبر عن غزو الشاش وفيها غزا قتيبة بن مسلم الشاش. ذكر الخبر عن غزوته هذه:

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد، قال: وبعث الحجاج جيشا من العراق فقدموا على قتيبة سنة خمس وتسعين، فغزا، فلما كان بالشاش - أو بكشماهن - أتاه موت الحجاج في شوال، فغمه ذلك، وقفل راجعا إلى مرو، وتمثل:

لعمرى لنعم المرء من آل جعفر ... بحوران أمسى اعلقته الحبائل
فان تحي لا أملل حياتي وإن تمت ... فما في حياة بعد موتك طائل
قال: فرجع بالناس ففرقهم، نخلف في بخارى قوما، ووجه قوما إلى كس ونسف، ثم أتى مرو فأقام بها، وأتاه كتاب الوليد: قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدك في جهاد أعداء المسلمين، وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك كالذي يجب لك، فلم مغازيك وانتظر ثواب ربك، ولا تغب عن أمير المؤمنين كتبك: حتى كأني أنظر إلى بلادك والثغر الذي أنت به.

وفيهما مات الحجاج بن يوسف في شوال - وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة وقيل: ابن ثلاث وخمسين سنة - وقيل: كانت وفاته في هذه السنة لخمس ليال بقين من شهر رمضان.

وفيهما استخلف الحجاج لما حضرته الوفاة على الصلاة ابنه عبد الله بن الحجاج وكانت إمرة الحجاج على العراق فيما قال الواقدي عشرين سنة وفي هذه السنة افتتح العباس بن الوليد قنسرين وفيها قتل الواضي بأرض الروم ونحو من ألف رجل معه.

وفيهما - فيما ذكر - ولد المنصور عبد الله بن محمد بن علي وفيها ولي الوليد بن عبد الملك يزيد بن أبي كبشة على الحرب والصلاة بالمصريين: الكوفة والبصرة، وولى خراجهما يزيد بن أبي مسلم.

وقيل: إن الحجاج كان استخلف حين حضرته الوفاة على حرب البلدين والصلاة بأهلهم يزيد بن أبي كبشة، وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم، فأقرهما الوليد بعد موت الحجاج على ما كان الحجاج استخلفهما عليه وكذلك فعل بعمال الحجاج كلهم، أقرهم بعده على أعمالهم التي كانوا عليها في حياته.

وجج بالناس في هذه السنة بشر بن الوليد بن عبد الملك، حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره، عن إسماعيل بن عيسى، عن أبي معشر. وكذلك قال الواقدي.

وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا في السنة التي قبلها، إلا ما كان من الكوفة والبصرة، فإنهما ضمتا إلى من ذكرت بعد موت الحجاج.

٦٠٣١ سنة ست وتسعين

٦٠٣١.١ ذكر الخبر عن موت الوليد بن عبد الملك

ثم دخلت

سنة ست وتسعين

(ذكر الأحداث التي كانت فيها) ففيها كانت - فيما قال الواقدي - غزوة بشر بن الوليد الشامية، فقفل وقد مات الوليد.

ذكر الخبر عن موت الوليد بن عبد الملك

وفيها كانت وفاة الوليد بن عبد الملك، يوم السبت في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين في قول جميع أهل السير. واختلف في قدر مدة خلافته، فقال الزهري في ذلك- ما حدثت عن ابن وهب عن يونس عنه: ملك الوليد عشر سنين إلا شهرا. وقال أبو معشر فيه، ما حدثني أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عنه كانت: خلافة الوليد تسع سنين وسبعة أشهر. وقال هشام بن محمد: كانت ولاية الوليد ثمان سنين وستة أشهر. وقال الواقدي: كانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر وليلتين. واختلف أيضا في مبلغ عمره، فقال محمد بن عمر: توفي بدمشق وهو ابن ست وأربعين سنة وأشهر. وقال هشام بن محمد: توفي وهو ابن خمس وأربعين سنة. وقال علي بن محمد: توفي وهو ابن اثنتين وأربعين سنة وأشهر. وقال علي: كانت وفاة الوليد بدير مران، ودفن خارج باب الصغير. ويقال: في مقابر الفراديس. ويقال: إنه توفي وهو ابن سبع وأربعين سنة. وقيل: صلى عليه عمر بن عبد العزيز

٦٠٣١٠٢ ذكر الخبر عن بعض سيره:

وكان له- فيما قال علي- تسعة عشر ابنا: عبد العزيز، ومحمد، والعباس، وإبراهيم، وتمام، وخالد، وعبد الرحمن، ومبشر، ومسرور، وأبو عبيدة، وصدقه، ومنصور، ومروان، وعنبسة، وعمرو، وروح، وبشر، ويزيد، ويحيى، وأم عبد العزيز ومحمد وأم البنين بنت عبد العزيز ابن مروان، وأم أبي عبيدة فزارية، وسائرهم لأمهات شتى. ذكر الخبر عن بعض سيره:

حدثني عمر، قال: حدثني علي، قال: كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل خلانهم، بنى المساجد مسجد دمشق ومسجد المدينة، ووضع المنار، وأعطى الناس، وأعطى المجذمين، وقال: لا تسألوا الناس وأعطى كل مقعد خادما، وكل ضرير قائد وفتح في ولايته فتوح عظام، فتح موسى بن نصير الأندلس، وفتح قتيبة كاشغر، وفتح محمد بن القاسم الهند.

قال: وكان الوليد يمر بالبقال فيقف عليه فيأخذ حزمة البقل فيقول: بكم هذه؟ فيقول: بفلس، فيقول: زد فيها. قال: وأتاه رجل من بني مخزوم يسأله في دينه، فقال: نعم، إن كنت مستحقا لذلك، قال: يا أمير المؤمنين، وكيف لا أكون مستحقا لذلك مع قرابتي! قال: أقرأت القرآن؟ قال: لا، قال: ادن مني، فدنا منه، فنزع عمامته بقضيب كان في يده، وقرعه قرعات بالقضيب، وقال لرجل: ضم هذا إليك، فلا يفارقك حتى يقرأ القرآن، فقام إليه عثمان ابن يزيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال: يا أمير المؤمنين، إن علي دينا، فقال: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، فاستقرأه عشر آيات من الأنفال، وعشر آيات من براءة، فقرأ، فقال: نعم، نقضي عنكم، ونصل أرحامكم على هذا

قال: ومرض الوليد فرهقته غشية، فكث عامة يومه عندهم ميتا، فبكي عليه، وخرجت البرد بموته، فقدم رسول على الحجاج، فاسترجع، ثم أمر بجبل فشد في يديه، ثم أوثق إلى أسطوانة، وقال: اللهم لا تسلط علي من لا رحمة له، فقد طالما سألتك أن تجعل منيتي قبل منيته! وجعل يدعو، فإنه لذلك إذ قدم عليه يريد بإفاقته.

قال علي: ولما أفاق الوليد قال: ما أحد أسر بعافية أمير المؤمنين من الحجاج، فقال عمر بن عبد العزيز: ما أعظم نعمة الله علينا بعافيتك، وكأني بكأب الحجاج قد أتاك يذكر فيه أنه لما بلغه برؤك خر الله ساجدا، وأعتق كل مملوك له، وبعث بقوارير من أنجب الهند.

فألبث إلا أياما حتى جاء الكتاب بما قال.

قال: ثم لم يمت الحجاج حتى ثقل على الوليد، فقال خادم للوليد:

إني لأوضئ الوليد يوما للغداء، فد يده، فجعلت أصب عليه الماء، وهو ساه والماء يسيل ولا أستطيع أن أتكلم، ثم نضح الماء في وجهي، وقال:

أناعس أنت! ورفع رأسه إلي وقال: ما تدري ما جاء الليلة؟ قلت:

لا، قال: ويحك! مات الحجاج! فاسترجعت قال: اسكت ما يسر مولاك أن في يده تفاحة يشمها.

قال علي: وكان الوليد صاحب بناء واتخاذ للمصانع والضياع، وكان الناس يلتقون في زمانه، فإنما يسأل بعضهم بعضا عن البناء والمصانع فولي سُلَيْمَانَ، فكان صاحب نكاح وطعام، فكان الناس يسأل بعضهم بعضا عن التزويج والجوارى فلها ولي عمر بن عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل: ما وردك الليلة؟ كم تحفظ من القرآن؟ ومتى تختم؟ ومتى ختمت؟ وما تصوم من الشهر؟ ورثي جرير الوليد فقال:

يا عين جودي بدمع هاجه الذكر فما لدمعك بعد اليوم مدخر

إن الخليفة قد وارت شمائله غبراء ملحدة في جوهها زور أضخى بنوه وقد جلت مصيبتهم مثل النجوم هوى من بينها القمر كانوا جميعا فلم يدفع منيته عبد العزيز ولا روح ولا عمر حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: حج الوليد بن عبد الملك، وحج محمد بن يوسف من اليمن، وحمل هدايا للوليد، فقالت أم البنين للوليد:

يا أمير المؤمنين، اجعل لي هدية محمد بن يوسف، فأمر بصرفها إليها، فجاءت رسل أم البنين إلى محمد فيها، فأبى وقال: ينظر إليها أمير المؤمنين فيرى رأيه- وكانت هدايا كثيرة- فقالت: يا أمير المؤمنين، إنك أمرت بهدايا محمد أن تصرف إلي، ولا حاجة لي بها، قال: ولم؟ قالت:

بلغني أنه غصبها الناس، وكلفهم عملها، وظلهم وحمل محمد المتاع إلى الوليد، فقال: بلغني أنك أصبتها غصبا، قال، معاذ الله! فأمر فاستحلف بين الركن والمقام خمسين يمينا بالله ما غصب شيئا منها، ولا ظلم أحدا، ولا أصابها إلا من طيب، فحلف، فقبلها الوليد ودفعها إلى أم البنين، فمات محمد بن يوسف باليمن، أصابه داء تقطع منه.

وفي هذه السنة كان الوليد أراد الشخص إلى أخيه سُلَيْمَانَ لخلعه، وأراد البيعة لابنه من بعده، وذلك قبل مرضته التي مات فيها حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: كان الوليد وسليمان ولي عهد عبد الملك، فلما أفضى الأمر إلى الوليد، أراد أن يبايع لابنه عبد العزيز ويخلع سُلَيْمَانَ، فأبى سُلَيْمَانَ، فأراد على أن يجعله له من بعده، فأبى، فعرض عليه أموالا كثيرة، فأبى، فكتب إلى عماله أن يبايعوا لعبد العزيز،

ودعا الناس إلى ذلك، فلم يحبه أحد إلا الحجاج وقتيبة وخواص من الناس فقال عباد بن زياد: إن الناس لا يجيبونك إلى هذا، ولو أجابوك لم آمنهم على الغدر بانبك، فكتب إلى سُلَيْمَانَ فليقدم عليك، فإن لك عليه طاعة، فأرده على البيعة لعبد العزيز من بعده، فإنه لا يقدر على الامتناع وهو عندك، فإن أبى كان الناس عليه.

فكتب الوليد إلى سُلَيْمَانَ يأمره بالقدوم، فأبطأ، فاعتزم الوليد على المسير إليه وعلى أن يخلعه، فأمر الناس بالتأهب، وأمر بحجره فأخرجت، فمريض، ومات قبل أن يسير وهو يريد ذلك.

قال عمر: قال علي: وأخبرنا أبو عاصم الزياتي من الهلوات الكلبي، قال: كنا بالهند مع محمد بن القاسم، فقتل الله داهرا، وجاءنا كتاب من الحجاج إن اخلعوا مع سُلَيْمَانَ، فلما ولي سُلَيْمَانَ جاءنا كتاب سُلَيْمَانَ، أن ازرعوا واحرثوا، فلا شام لكم، فلم نزل بتلك البلاد حتى قام عمر بن عبد العزيز فأقفلنا.

قال عمر: قال علي: أراد الوليد أن يبني مسجد دمشق، وكانت فيه كنيسة، فقال الوليد لأصحابه: أقسمت عليكم لما أتاني كل رجل منكم بلبنة، فجعل كل رجل يأتيه بلبنة، ورجل من أهل العراق يأتيه بلبنتين، فقال له: ممن أنت؟ قال: من أهل العراق، قال: يا أهل العراق، تفرطون في كل شيء حتى في الطاعة! وهدموا الكنيسة وبنوها مسجدا، فلما ولي عمر بن عبد العزيز شكوا ذلك إليه، فقيل: إن كل ما كان خارجا من المدينة افتتح عنوة، فقال لهم عمر: نرد عليكم كنيسةكم ونهدم كنيسة توما، فإنها فتحت عنوه، بنينا مسجدا، فلما قال لهم ذلك قالوا: بل ندع لكم هذا الذي هدمه الوليد، ودعوا لنا كنيسة توما.

ففعل عمر ذلك.

٦٠٣١٠٣ فتح قتيبة كاشغر وغزو الصين

فتح قتيبة كاشغر وغزو الصين
وفي هذه السنة افتتح قتيبة بن مسلم كاشغر، وغزا الصين.
ذكر الخبر عن ذلك:

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد بالإسناد الذي ذكرت قبل.

قال: ثم غزا قتيبة في سنة ست وتسعين، وحمل مع الناس عيالهم وهو يريد أن يحرز عياله في سمرقند خوفاً من سليمان، فلما عبر النهر استعمل رجلاً من مواليه يقال له الخوارزمي على مقطع النهر، وقال: لا يجوز أحد إلا بجواز، ومضى إلى فرغانة، وأرسل إلى شعب عصام من يسهل له الطريق إلى كاشغر، وهي أدنى مدائن الصين، فأتاه موت الوليد وهو بفرغانة.

قال: فأخبرنا أبو الذيال عن المهلب بن إياس، قال: قال إياس بن زهير:

لما عبر قتيبة النهر أتيتته فقلت له: إنك خرجت ولم أعلم رأيك في العيال فنأخذ أهبة ذلك، وبني الأكبر معي، ولي عيال قد خلفتهم وأم عجوز، وليس عندهم من يقوم بأمرهم، فإن رأيت أن تكتب لي كتاباً مع بعض بني أوجهه فيقدم علي بأهلي! فكتب، فأعطاني الكتاب فأنتهيت إلى النهر وصاحب النهر من الجانب الآخر، فألويت بيدي، فجاء قوم في سفينة فقالوا: من أنت؟ اين جوازك؟ فأخبرتهم، فقعد معي قوم ورد قوم السفينة إلى العامل، فأخبروه قال: ثم رجعوا إلي فحملوني، فأنتهيت إليهم وهم يأكلون وأنا جائع، فرميت بنفسي، فسألني عن الأمر، وأنا آكل لا أجيبه، فقال: هذا أعرابي قد مات من الجوع، ثم ركبت فضيت فأتيت مرو، فحملت أمي، ورجعت أريد العسكر، وجاءنا موت الوليد، فانصرفت إلى مرو.

وقال: وأخبرنا أبو مخنف، عن أبيه، قال: بعث قتيبة كثير بن فلان إلى كاشغر، فسبى منها سبياً، نختم أعناقهم مما أفاء الله على قتيبة، ثم رجع قتيبة وجاءهم موت الوليد.

قال: وأخبرنا يحيى بن زكرياء الهمداني عن أشياخ من أهل خراسان

والحكم بن عثمان، قال: حدثني شيخ من أهل خراسان قال: وغل قتيبة حتى قرب من الصين قال: فكتب إليه ملك الصين ان ابعث إلينا رجلاً من أشراف من معكم يخبرنا عنكم، ونسأله عن دينكم فانتخب قتيبة من عسكره اثني عشر رجلاً - وقال بعضهم: عشرة - من أفناء القبائل، لهم جمال وأجسام وألسن وشعور وبأس، بعد ما سأل عنهم فوجدهم من صالح من هم منه فكلهم قتيبة، وفاطنهم فرأى عقولا وجمالاً، فأمر لهم بعدة حسنة من السلاح والمتاع الجيد من الخنزير والوشى واللبن من البياض والرقيق والنعال والعطر، وحملهم على خيول مطهمة تقاد معهم، ودواب يركبونها قال: وكان هبيرة بن المشمرج الكلابي مفوها بسيط اللسان، فقال: يا هبيرة، كيف أنت صانع؟ قال: أصلح الله الأمير! قد كفيت الأدب وقل ما شئت أقله وأخذ به، قال: سيروا على بركة الله، وبالله التوفيق لا تضعوا العمائم عنكم حتى تقدموا البلاد، فإذا دخلتم عليه فأعلموه أنني قد حلفت ألا أنصرف حتى أطمأ بلادهم، وأختم ملوكهم، وأجبي خراجهم.

قال: فساروا، وعليهم هبيرة بن المشمرج، فلما قدموا أرسل إليهم ملك الصين يدعوهم، فدخلوا الحمام، ثم خرجوا فلبسوا ثياباً بياضاً تحتها الغلائل، ثم مسوا الغالية، وتدخنوا ولبسوا النعال والأردية، ودخلوا عليه وعنده عظماء أهل مملكته، فجلسوا، فلم يكلمهم الملك ولا أحد من جلسائه فنهضوا، فقال الملك لمن حضره: كيف رأيتم هؤلاء؟ قالوا: رأينا قوماً ما هم إلا نساء، ما بقي منا أحد حين رأهم ووجد رائحتهم إلا انتشر ما عنده.

قال: فلما كان الغد أرسل إليهم فلبسوا الوشي وعمائم الخنزير والمطارف، وغدوا عليه، فلما دخلوا عليه قيل لهم: ارجعوا، فقال لأصحابه: كيف رأيتم هذه الهيئة؟ قالوا: هذه الهيئة أشبه بهيئة الرجال من تلك الأولى، وهم أولئك، فلما كان اليوم الثالث أرسل إليهم فشدوا عليهم

سلاحهم، ولبسوا البيض والمغافر، وتقلدوا السيوف، وأخذوا الرماح، وتكبوا القسي، وركبوا خيولهم، وغدوا فنظر إليهم صاحب الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة، فلما دنوا ركزوا رماحهم، ثم أقبلوا نحوهم مشمرين، فقليل لهم قبل أن يدخلوا: ارجعوا، لما دخل قلوبهم من خوفهم.

قال: فانصرفوا فركبوا خيولهم، واختلجوا رماحهم، ثم دفعوا خيولهم كأنهم يتطاردون بها، فقال الملك لأصحابه: كيف ترونهم؟ قالوا: ما رأينا مثل هؤلاء قط، فلما أمسى أرسل إليهم الملك، أن ابعثوا إلي زعيمكم وأفضلكم رجلا فبعثوا إليه هبيرة، فقال له حين دخل عليه: قد رأيتم عظيم ملكي، وإنه ليس أحد يمنعكم مني، وأنتم في بلادتي، وإنما أنتم بمنزلة البيضة في كفي وأنا سائلك عن أمر فإن لم تصدقني قتلتمكم.

قال: سل، قال: لم صنعت ما صنعت من الزي في اليوم الأول والثاني والثالث؟

قال: أما زينا الأول فلباسنا في أهاليينا وريحنا عندهم، وأما يومنا الثاني فإذا أتينا أمراءنا وأما اليوم الثالث فزينا لعدونا، فإذا هاجنا هيج وفرع كذا هكذا قال: ما أحسن ما ديرتم دهركم! فانصرفوا إلى صاحبكم فقولوا له: ينصرف، فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه وإلا بعث عليكم من يهلككم ويهلكه، قال له: كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون! وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا قادرا عليها وغزاك! وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالا إذا حضرت فأكرمها القتل، فلسنا نكرهه ولا نخافه، قال: فما الذي يرضي صاحبك؟ قال: إنه قد حلف الا ينصرف حتى يطيأ أرضكم، ويختم ملوككم، ويعطى الجزية، قال: فإنا نخرجه من يمينه، نبعث إليه

بتراب من تراب أرضنا فيطؤه، ونبعث ببعض أبنائنا فيختتمهم، ونبعث إليه بجزية يرضاهما قال: فدعا بصحاف من ذهب فيها تراب، وبعث بحريز وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم، ثم أجازهم فأحسن جوائزهم، فساروا فقدموا بما بعث به، فقبل قتيبة الجزية، وختم الغلطة وردهم، ووطيء التراب، فقال سودة بن عبد الله السلولي:

لا عيب في الوفد الذين بعثتهم ... للصين أن سلكوا طريق المنهج
كسروا الجفون على القذى خوف الردى ... حاشا الكريم هبيرة بن مشمرج
لم يرض غير الختم في أعناقهم ... ورهائن دفعت بجمل سمرج
أدى رسالتك التي استرعته ... وأتاك من حنث اليمين بمنخرج
قال: فأوفد قتيبة هبيرة إلى الوليد، فمات بقرية من فارس، فرثاه سودة، فقال:
لله قبر هبيرة بن مشمرج ... ماذا تضمن من ندى وجمال!

وبديهة يعيا بها أبناءها ... عند احتفال مشاهد الأقوال
كان الربيع إذا السنون نتابت ... والليث عند تكعكع الأبطال
فسقت بقربة حيث أمسى قبره ... غريحن بمسيل هطال
بكيت الجياد الصافات لفقده ... وبكاه كل مثقف عسال
وبكته شعث لم يجدن مواسيا ... في العام ذي السنوات والإمحال

قال: وقال الباهليون: كان قتيبة إذا رجع من غزاته كل سنة اشترى اثني عشر فرسا من جياد الخيل، واثنى عشر هجيناً، لا يجاوز بالفرس أربعة آلاف، فيقام عليها إلى وقت الغزو، فإذا تاهب للغزو وعسكر قيدت وأضمرت، فلا يقطع نهرا بخيل حتى تخف لحومها، فيحمل عليها من يحمله في الطلائع وكان يبعث في الطلائع الفرسان من الأشراف، ويبعث معهم رجالا من العجم ممن يستنصح على تلك الهجن، وكان إذا بعث

بطليعة أمر بلوح فنقش، ثم يشقه شقتين فأعطاه شقة، واحتبس شقة، لثلا يمثل مثلها، ويأمره أن يدفنها في موضع يصفه له من مخاضة معروفة، أو تحت شجرة معلومة، أو خربة، ثم يبعث بعده من يستبريها ليعلم أصادق في طليعته أم لا وقال ثابت قطنة العتيكي يذكر من قتل من ملوك الترك:

أقر العين مقتل كازرنك ... وكشيز وما لا. ي ياد

وقال الكميت يذكر غزوه السغد وخوارزم:
وبعد في غزوة كانت مباركة ... تردي زراعة أقوام وتحتصد
نالت غمامتها فيلا بوابلها ... والسغد حين دنا شؤبوبها البرد
إذ لا يزال له نهب ينقله ... من المقاسم لا وخش ولا نكد
تلك الفتوح التي تدلى بحجتها ... على الخليفة إنا معشر حشد
لم تثن وجهك عن قوم غزوتهم ... حتى يقال لهم: بعدا وقد بعدوا
لم ترض من حصنهم إن كان ممتنعا ... حتى يكبر فيه الواحد الصمد.

٦٠٣١٠٤ خلافة سليمان بن عبد الملك

خلافة سُلَيْمَانَ بن عبد الملك
قال أبو جعفر: وفي هذه السنة بُويع سُلَيْمَان بن عبد الملك بالخلافة، وذلك في اليوم الذي توفي فيه الوليد بن عبد الملك، وهو بالرملة.
وفيها عزل سُلَيْمَان بن عبد الملك عثمان بن حيان عن المدينة، ذكر مُحَمَّد بن عمر، أنه نزع عن المدينة لسبع بقين من شهر رمضان سنة
ست وتسعين.
قال: وكان عمله على المدينة ثلاث سنين وقيل: كانت امرته عليها سنتين غير سبع ليال.
قال الواقدي: وكان أبو بكر بن مُحَمَّد بن عمرو بن حزم قد استأذن عثمان أن ينأى في غد، ولا يجلس للناس ليقوم ليلة إحدى وعشرين،
فأذن له وكان أيوب بن سلمة المخزومي عنده، وكان الذي بين أيوب بن سلمة وبين أبي بكر بن عمرو بن حزم سيئا، فقال أيوب لعثمان:
ألم تر إلى ما يقول هذا؟ إنما هذا منه رياء، فقال عثمان: قد رأيت ذلك، ولست لأبي أن أرسلت إليه غدوة ولم أجده جالسا لأجلدنه
مائة، ولأحلقن رأسه ولحيته.
قال أيوب: فجاءني أمر أحبه، ففعلت من السحر، فإذا شمعة في الدار، فقلت: عجل المري، فإذا رسول سُلَيْمَانَ قد قدم على أبي بكر
بتأميره وعزل عثمان وحده.
قال أيوب: فدخلت دار الإمارة، فإذا ابن حيان جالس، وإذا بأبي بكر على كرسي يقول للحداد: اضرب في رجل هذا الحديد، ونظر
إلي عثمان فقال:
آبوا على أدبارهم كشفا ... والأمر يحدث بعده الأمر

٦٠٣١٠٥ خبر مقتل قتيبة بن مسلم

وفي هذه السنة عزل سليمان يزيد بن أبي مسلم عن العراق، وأمر عليه يزيد بن المهلب، وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج، وأمره
أن يقتل آل أبي عقيل ويبسط عليهم العذاب فحدثني عمر بن شبة، قال: حدثني علي بن مُحَمَّد، قال: قدم صالح العراق على الخراج،
وزيد على الحرب، فبعث يزيد زياد بن المهلب على عمان، وقال له:
كاتب صالحا، وإذا كتبت إليه فابدأ باسمه، وأخذ صالح آل أبي عقيل فكان يعذبهم، وكان يلي عذابهم عبد الملك بن المهلب.
خبر مقتل قتيبة بن مسلم
وفي هذه السنة قتل قتيبة بن مسلم بخراسان.
ذكر الخبر عن سبب مقتله:
وكان سبب ذلك أن الوليد بن عبد الملك أراد أن يجعل ابنه عبد العزيز ابن الوليد ولي عهده، ودس في ذلك إلى القواد والشعراء،
فقال جرير في ذلك:
إذا قيل أي الناس خير خليفة؟ ... أشارت إلى عبد العزيز الأصابع
رأوه أحق الناس كلهم بها ... وما ظلموا، فبايعوه وسارعوا

وقال أيضا جرير يحض الوليد على بيعه عبد العزيز:
 الى عبد العزيز سمت عيون الرعية ... إذا تحيرت الرعاء
 إليه دعت دواعيه إذا ما ... عماد الملك خرت والسماء
 وقال أولو الحكومة من قریش ... علينا البيع إن بلغ الغلاء
 رأوا عبد العزيز ولي عهد ... وما ظلموا بذاك ولا أساءوا
 فإذا تنظرون بها وفيكم ... جسور بالعظائم واعتلاء!
 فزحلفها بأزملةا إليه ... أمير المؤمنين إذا تشاء
 فإن الناس قد مدوا إليه ... أكفهم وقد برح الخفاء
 ولو قد يبعوك ولي عهد ... لقام الوزن واعتدل البناء

فبايعه على خلع سُلَيْمَانَ الحجاج بن يوسف وقتيبة، ثم هلك الوليد وقام سُلَيْمَان بن عبد الملك، نخافه قتيبة.

قال علي بن مُحَمَّد: أخبرنا بشر بن عيسى والحسن بن رشيد وكليب ابن خلف، عن طفيل بن مرداس، وجبلبة بن فروخ، عن مُحَمَّد بن عزيز الكندي، وجبلبة بن ابى رواد ومسلمة بن محارب، عن السكن بن قتادة، أن قتيبة لما أتاه موت الوليد بن عبد الملك وقيام سُلَيْمَانَ، أشفق من سُلَيْمَانَ لأنه كان يسعى في بيعه عبد العزيز بن الوليد مع الحجاج، وخاف أن يولي سُلَيْمَانَ يزيد بن المهلب خراسان، قال: فكتب إليه كتابا يهنئه بالخلافة، ويعزيه على الوليد، ويعلمه بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد، وأنه له على مثل ما كان لهما عليه من الطاعة والنصيحة إن لم يعزله عن خراسان وكتب إليه كتابا آخر يعلمه فيه فتوحه ونكايته وعظم قدره عند ملوك العجم وهيئته في صدورهم وعظم صوته فيهم، ويذم المهلب وآل المهلب، ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلعنه.

وكتب كتابا ثالثا فيه خلعه، وبعث بالكتب الثلاثة مع رجل من باهلة، وقال له: ادفع إليه هذا الكتاب، فإن كان يزيد بن المهلب حاضرا، فقرأه ثم ألقاه إليه فادفع إليه هذا الكتاب، فإن قرأه وألقاه إلى يزيد فادفع إليه هذا الكتاب، فإن قرأ الأول ولم يدفعه إلى يزيد فاحتبس الكتابين الآخرين

قال: فقدم رسول قتيبة فدخل على سُلَيْمَانَ وعنده يزيد بن المهلب، فدفع إليه الكتاب، فقرأه، ثم ألقاه إلى يزيد، فدفع إليه كتابا آخر فقرأه، ثم رمى به إلى يزيد، فأعطاه الكتاب الثالث، فقرأه فتمعر لونه، ثم دعا بطين فحتمه ثم أمسكه بيده.

وأما أبو عبيدة معمر بن المثنى، فإنه قال- فيما حدثت عنه: كان في الكتاب الأول وقية في يزيد بن المهلب، وذكر غدره وكفره وقلة شكره، وكان في الثاني ثناء على يزيد، وفي الثالث: لئن لم تقرني على ما كنت عليه وتؤمني لأخلعنك خلع النعل، ولأملأنها عليك خيلا ورجالا وقال أيضا:

لما قرأ سُلَيْمَانَ الكتاب الثالث وضعه بين مثالين من المثل التي تحته ولم يحر في ذلك مرجوعا.

رجع الحديث إلى حديث علي بن مُحَمَّد قال: ثم أمر- يعني سُلَيْمَانَ- برسول قتيبة أن ينزل، فحول إلى دار الضيافة، فلما أمسى دعا به سُلَيْمَانَ، فأعطاه صرة فيها دنانير، فقال: هذه جائزتك، وهذا عهد صاحبك على خراسان فسر، وهذا رسولي معك بعهدك قال: فخرج الباهلي، وبعث معه سُلَيْمَانَ رجلا من عبد القيس، ثم أحد بني ليث يقال له صعصعة- أو مصعب- فلما كان بجلوان تلقاهم الناس بخلع قتيبة، فرجع العبدى، ودفع العهد إلى رسول قتيبة، وقد خلع، واضطرب الأمر، فدفع إليه عهده، فاستشار إخوته، فقالوا: لا يثق بك سُلَيْمَانَ بعد هذا.

قال علي: وحدثني بعض العنبريين، عن أشياخ منهم، أن توبة ابن ابى أسيد العنبري، قال: قدم صالح العراق، فوجهني إلى قتيبة ليطلعي طلع ما في يده، فصحبني رجل من بني أسد، فسألني عما خرجت فيه، فكأتمته أمري، فإنا لنسير إذ سنع لنا سائح، فنظر إلي رفيقي فقال: أراك في أمر جسيم وأنت تكتمني! فضيت، فلما كنت بجلوان تلقاني الناس بقتل قتيبة.

قال علي: وذكر أبو الذيال وكليب بن خلف وأبو علي الجوزجاني عن طفيل بن مرداس، وأبو الحسن الجشمي ومصعب بن حيان عن أخيه مقاتل بن حيان، وأبو مخنف وغيرهم، أن قتيبة لما هم بالخلع استشار إخوته، فقال له عبد الرحمن: اقطع بعثا فوجه فيه كل من

تخافه، ووجه قوما إلى مرو، وسر حتى تنزل سمرقند، ثم قل لمن معك: من أحب المقام فله المواساة، ومن أراد الانصراف فغير مستكره ولا متبوع بسوء، فلا يقيم معك إلا مناصح وقال له عبد الله: اخلعه مكانك، وادع الناس إلى خلعه، فليس يختلف عليك رجلان فأخذ برأي عبد الله، نخلع سُلَيْمَانَ، ودعا الناس إلى خلعه، فقال للناس:

إني قد جمعتكم من عين التمر وفيض البحر فضممت الأخ إلى أخيه، والولد إلى أبيه، وقسمت بينكم فيثكم، وأجريت عليكم أعطياتكم غير مكذرة ولا مؤخرة، وقد جربتم الولاية قبلي، أناكم أمية فكتب إلى أمير المؤمنين أن خراج خراسان يقوم بمطبخي، ثم جاءكم أبو سعيد فدوم بكم ثلاث سنين لا تدرسون أفي طاعة أنتم أم في معصية! لم يجب فيثا، ولم ينكأ عدوا، ثم جاءكم بنوه بعده، يزيد، فحل تبارى إليه النساء، وإنما خليفتم يزيد بن ثروان هبنقة القيسي.

قال: فلم يجبه أحد، فغضب فقال: لا أعز الله من نصرتم، والله لو اجتمعتم على عز ما كسرتم قرنهما، يا أهل السافلة- ولا أقول أهل العالية- يا أوباش الصدقة، جمعتكم كما تجمع إبل الصدقة من كل أوب يا معشر بكر بن وائل، يا أهل النخ والنخ والكذب والبخل، يا يوميكمت تفخرون؟ يوم حربكم، أو يوم سلمكم! فوالله لأنا أعز منكم يا أصحاب مسيلة، يا بني ذميم- ولا أقول تميم- يا أهل الخور والقصف والغدر، كنتم تسمون الغدر في الجاهلية كيسان يا أصحاب سجاح، يا معشر عبد القيس القساة، تبدلتم بأبر النحل أعنة الخيل يا معشر الأزدي، تبدلتم بقلوس السفن أعنة الخيل الحصن، إن هذا لبدعة في الإسلام! والأعراب، وما الأعراب! لعنة الله على الأعراب! يا كاسة المصريين، جمعتكم من منابت الشيع والقيصوم ومنابت القلقل، تركبون البقر والحمر في جزيرة ابن كاوان، حتى إذا جمعتكم كما تجمع قرع الحريف قتم كيت وكيت! أما والله إني لابن أبيه! وأخو أخيه، أما والله لأعصبنكم عصب السلمة إن حول الصليان الزمزمة. يا أهل خراسان، هل تدرسون من وليكم؟ وليكم يزيد بن ثروان كأني بأمر مزجاء، وحكم قد جاءكم فغلبكم على فيثكم واطلالكم ان هاهنا نارا ارموها أرم معكم، ارموا غرضكم الأقصى قد استخلف عليكم أبو نافع ذو الودعات إن الشام أب مبرور، وإن العراق أب مكفور. حتى متى يتبطح أهل الشام بأفئيتكم وظلال دياركم! يا أهل خراسان، انسبوني تجدوني عراقي الأم، عراقي الأب، عراقي المولد، عراقي الهوى والرأي والدين، وقد أصبحتم اليوم فيما ترون من الأمن والعافية قد فتح الله لكم البلاد، وآمن سبلكم، فالظئينة تخرج من مرو إلى بلخ بغير جواز،

فاحمدوا الله على النعمة، وسلوه الشكر والمزيد.

قال: ثم نزل فدخل منزله، فأثاه أهل بيته فقالوا: ما رأينا كالسيوم قط، والله ما اقتصرت على أهل العالية وهم شعارك ودثارك، حتى تناولت بكرا وهم أنصارك، ثم لم ترض بذلك حتى تناولت تميما وهم إخوانك، ثم لم ترض بذلك حتى تناولت الأزدي وهم بدك! فقال: لما تكلمت فلم يجبني أحد غضبت، فلم أدر ما قلت، إن أهل العالية كإبل الصدقة قد جمعت من كل أوب، وأما بكر فإنها أمة لا تمنع يد لا مس، وأما تميم فجمل أجرب، وأما عبد القيس فما يضرب العير بذنبه، وأما الأزدي فأعلاج، شرار من خلق الله، لو ملكتم أمرهم لوسمتمهم.

قال: فغضب الناس وكرهوا خلع سُلَيْمَانَ، وغضبت القبائل من شتم قتيبة، فأجمعوا على خلافه وخلعه، وكان أول من تكلم في ذلك الأزدي، فأثوا حضين بن المنذر فقالوا: إن هذا قد دعا إلى ما دعا إليه من خلع الخليفة، وفيه فساد الدين والدنيا، ثم لم يرض بذلك حتى قصر بنا وشتنا، فما ترى يا أبا حفص؟ وكان يكتني في الحرب بأبي ساسان، ويقال: كنيته أبو محمد- فقال لهم: حضين: مضر بخراسان تعدل هذه الثلاثة الأنحاس، وتمام أكثر الخمسين، وهم فرسان خراسان، ولا يرضون أن يصير الأمر في غير مضر، فإن أخرجه موهم من الأمر أعانوا قتيبة قالوا: إنه قد وتر بني تميم بقتل ابن الأهم، قال: لا تنظروا إلى هذا فإنهم يتعصبون للمضرية، فانصرفوا رادين لرأي حضين، فأرادوا أن يولوا عبد الله بن حوذان الجهضمي، فأبى، وتدافعوها، فرجعوا إلى حضين، فقالوا: قد تدافعنا الرياسة، فنحن نوليكم أمرنا، وربيعة لا تخالفك، قال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل، قالوا: ما ترى؟ قال: إن جعلتم هذه الرياسة في تميم تم أمركم، قالوا: فمن ترى من تميم؟ قال: ما أرى أحدا غير وكيع، فقال حيان مولى بني شيان: إن أحدا لا يتقلد هذا الأمر فيصلي بحره، ويذل دمه،

ويتعرض للقتل، فإن قدم أمير أخذه بما جنى وكان المهناً لغيره إلا هذا الأعراي وكيع، فإنه مقدم لا يبالي ما ركب، ولا ينظر في عاقبة، وله عشيرة كثيرة تطيعه، وهو موتور يطلب قتيبة برياسته التي صرفها عنه وصيرها لضرار بن حصين بن زيد الفوارس بن حصين بن ضرار الضبي فمضى الناس بعضهم إلى بعض سرا، وقيل لقتيبة: ليس يفسد أمر الناس إلا حيان، فأراد أن يغتاله - وكان حيان يلاطف حشم الولاة فلا يحفون عنه شيئا - قال: فدعا قتيبة رجلا فأمره بقتل حيان، وسمعه بعض الخدم، فأتى حيان فأخبره، فأرسل إليه يدعوه، فحذر وتمارض، وأتى الناس وكيعا فسألوه أن يقوم بأمرهم، فقال: نعم، وتمثل قول الأشهب بن رميلة:

سأجني ما جنيت وإن ركني ... لمعتمد إلى نضد ركين

قال: وبخراسان يومئذ من المقاتلة من أهل البصرة من أهل العالية تسعة آلاف، وبكر سبعة آلاف، ورئيسهم الحصين بن المنذر، وتميم عشرة آلاف عليهم ضرار بن حصين الضبي، وعبد القيس أربعة آلاف عليهم عبد الله بن علوان عوذي، والأزد عشرة آلاف رأسهم عبد الله ابن حوذان، ومن أهل الكوفة سبعة آلاف عليهم جهم بن زحر - أو عبيد الله بن علي - والموالي سبعة آلاف عليهم حيان - وحيان يقال إنه من الديلم، ويقال: إنه من خراسان، وإنما قيل له نبطي للكنية - فأرسل حيان إلى وكيع: أرايت إن كففت عنك وأعنتك تجعل لي جانب نهر بلخ وخراج ما دمت حيا، وما دمت واليا؟ قال: نعم، فقال للعجم:

هؤلاء يقاتلون على غير دين، فدعوهم يقتل بعضهم بعضا، قالوا: نعم، فبايعوا وكيعا سرا، فأتى ضرار بن حصين قتيبة، فقال: إن الناس يختلفون إلى وكيع، وهم يبايعونه - وكان وكيع يأتي منزل عبد الله بن مسلم الفقير فيشرب عنده - فقال عبد الله: هذا يحسد وكيعا، وهذا الأمر باطل، هذا وكيع في بيتي يشرب ويسكر ويسلح في ثيابه، وهذا يزعم أنهم يبايعونه قال: وجاء وكيع إلى قتيبة فقال: احذر ضرارا فاني

لا آمنه عليك، فأنزله قتيبة ذلك منهما على التحاسد وتمارض وكيع.

ثم إن قتيبة دس ضرار بن سنان الضبي إلى وكيع فبايعه سرا، فتبين لقتيبة أن الناس يبايعونه، فقال لضرار: قد كنت صدقتني، قال: إني لم أخبرك إلا بعلم، فأنزله ذلك مني على الحسد، وقد قضيت الذي كان علي، قال:

صدقت وأرسل قتيبة إلى وكيع يدعوه فوجده رسول قتيبة قد طلى على رجله مغرة، وعلى ساقه خرزا وودعا، وعنده رجلان من زهران يرقيان رجله، فقال له: أجب الأمير، قال: قد ترى ما برجلي.

فرجع الرسول إلى قتيبة فأعاده إليه، قال: يقول لك: ائتني محمولا على سرير، قال: لا أستطيع قال قتيبة لشريك بن الصامت الباهلي أحد بني وائل - وكان على شرطته - ورجل من غني انطلقا إلى وكيع فأتياني به.

فإن أبي فاضربا عنقه، ووجه معهما خيلا، ويقال: كان على شرطه بخراسان ورقاء بن نصر الباهلي.

قال علي: قال أبو الذيال: قال ثمامة بن ناجد العدوي: أرسل قتيبة إلى وكيع من يأتيه به، فقلت: أنا آتيك به أصلحك الله! فقال: ائتني به، فأتيت وكيعا - وقد سبق إليه الخبر أن الخليل تأتيه - فلما رأي قال:

يا ثمامة، ناد في الناس، فناديت، فكان أول من أتاه هريم بن أبي طحمة في ثمانية.

قال: وقال الحسن بن رشيد الجوزجاني: أرسل قتيبة إلى وكيع.

فقال هريم: أنا آتيك به، قال: فانطلق قال هريم: فركبت برذوني مخافة أن يردني، فأتيت وكيعا وقد خرج.

قال: وقال كليب بن خلف: أرسل قتيبة إلى وكيع شعبة بن ظهير أحد بني صخر بن نهشل، فأثاه، فقال: يا بن ظهير:

لبث قليلا تلحق الكائب

ثم دعا بسكين فقطع خرزا كان على رجله، ثم لبس سلاحه، وتمثل:

شدوا علي سرتي لا تنقلب ... يوم لهمدان ويوم للصدف

وخرج وحده، ونظر إليه نسوة فقلن: أبو مطرف وحده، فجاء هريم بن أبي طحمة في ثمانية، فيهم عميرة البريد بن ربيعة العجيفي.

قال حمزة بن إبراهيم وغيره: إن وكيعا خرج فتلقيه رجل، فقال: ممن أنت؟ قال: من بني أسد، قال: ما اسمك؟ قال: ضرغام، قال: ابن من؟ قال: ابن ليث، قال: دونك هذه الراية. قال المفضل بن محمد الضبي: ودفع وكيع رايته إلى عقبة بن شهاب المازني، قال: ثم رجع إلى حديثهم، قالوا: نفرج وكيع وأمر غلمانه، فقال: اذهبوا بثقلي إلى بني العم، فقالوا: لا نعرف موضعهم، قال: انظروا رحمين مجموعين أحدهما فوق الآخر، فوقهما مخلاة، فهم بنو العم قال: وكان في العسكر منهم خمسمائة، قال: فنأدى وكيع في الناس، فأقبلوا أرسالا من كل وجه، فأقبل في الناس يقول: قرم إذا حمل مكروهة ... شد الشراسيف لها والحزيم وقال قوم: تمثل وكيع حين خرج:

انحن بلقمان بن عاد فجسسه ... أريني سلاحي لن يطيروا بأعزل

واجتمع إلى قتيبة أهل بيته، وخواص من أصحابه وثقاته، فيهم إياس ابن بهس بن عمرو، ابن عم قتيبة دنيا، وعبد الله بن وألان العدوي، وناس من رهطة، بني وائل وأناه حيان بن إياس العدوي في عشرة، فيهم عبد العزيز بن الحارث، قال: وأناه ميسرة الجدلي- وكان شجاعا- فقال: إن شئت أتيتك برأس وكيع، فقال: قف مكانك وأمر قتيبة رجلا، فقال: ناد في الناس، أين بنو عامر؟ فنأدى: أين بنو عامر؟ فقال محض بن جزء الكلبي- وقد كان جفاهم: حيث وضعتهم، قال: ناد أذكركم الله والرحم! فنأدى محض: أنت قطعها، قال: ناد لكم العتي، فنأاده محض أو غيره: لا أقالنا الله إذا، فقال قتيبة:

يا نفس صبرا على ما كان من ألم ... إذ لم أجد لفضول القوم أقرانا

ودعا بعمامة كانت أمه بعثت بها إليه، فاعتم بها، كان يعتم بها في الشدائد، ودعا ببرذون له مدرب، كان يتطير إليه في الزحوف، فقرب إليه ليركبه، فجعل يقمص حتى أعياه، فلما رأى ذلك عاد إلى سريره فقعده عليه وقال: دعوه، فإن هذا امر يراد وجاء حيان النبطي في العجم، فوقف وقتيبة واجد عليه، فوقف معه عبد الله بن مسلم، فقال عبد الله لحيان: احمل على هذين الطرفين، قال: لم يأن لذلك، فغضب عبد الله، وقال: ناولني قوسي، قال حيان: ليس هذا يوم قوس، فأرسل وكيع إلى حيان: أين ما وعدتني؟ فقال حيان لابنه: إذا رأيتني قد حولت قلنسوتي، ومضيت نحو عسكر وكيع، فل بمن معك في العجم إلي.

فوقف ابن حيان مع العجم، فلما حول حيان قلنسوته مالت الأعاجم إلى عسكر وكيع، فكبر أصحابه وبعث قتيبة أخاه صالحا إلى الناس فرماه رجل من بني ضبة يقال له سُلَيْمَان الزنجيرج- وهو الخرنوب، ويقال:

بل رماه رجل من بلعم فأصاب هامته- فحمل إلى قتيبة ورأسه مائل، فوضع في مصلاه، فتحول قتيبة فجلس عنده ساعة، ثم تحول إلى سريره.

قال: وقال أبو السري الأزدي: رمى صالحا رجل من بني ضبة فأثقله، وطعنه زياد بن عبد الرحمن الأزدي، من بني شريك بن مالك. قال: وقال أبو مخنف: حمل رجل من غني على الناس فرأى رجلا مجففا فشبهه بجهم بن زحر بن قيس فطعنه، وقال:

إن غنيا أهل عز ومصداق ... إذا حاربوا والناس مفتتنونا

فإذا الذي طعن عالج وتهابج الناس، وأقبل عبد الرحمن بن مسلم نحوهم، فرماه أهل السوق والغوغاء، فقتلوه، وأحرق الناس موضعا كانت فيه إبل لقتيبة ودوابه، ودنوا منه، فقاتل عنه رجل من باهلة من بني وائل، فقال له قتيبة: انج بنفسك، فقال له: بئس ما جزيتك إذا،

وقد أطعمتني الجردق وألبستني النرمق! قال: فدعا قتيبة بدابة، فأتي ببرذون فلم يقر ليركبه، فقال: إن له لشأنا، فلم يركبه وجلس وجاء الناس حتى بلغوا الفسقاط، نفرج إياس بن بهس وعبد الله بن وألان حين بلغ الناس الفسقاط وتركوا قتيبة وخرج عبد العزيز بن الحارث يطلب ابنه عمرا- أو عمر- فلقية الطائي فخره، ووجد ابنه فأردفه قال: وفطن قتيبة للهيثم بن المنخل وكان ممن يعين عليه، فقال: أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رماني

قال: وقتل معه إخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحصين وعبد الكريم، بنو مسلم، وقتل ابنه كثير بن قتيبة وناس من أهل بيته،

ونجا أخوه ضرار، استنقذه أخواله، وأمه غراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة وقال قوم: قتل عبد الكريم بن مسلم بقزوين وقال أبو عبيدة:

قال أبو مالك: قتلوا قتيبة سنة ست وتسعين، وقتل من بني مسلم أحد عشر رجلاً، فصلبهم وكيع، سبعة منهم لصلب مسلم وأربعة من بني أبنائهم: قتيبة، وعبد الرحمن، وعبد الله الفقير، وعبيد الله، وصالح، وإشمار، ومحمد بنو مسلم وكثير بن قتيبة، ومغلس بن عبد الرحمن، ولم ينج من صلب مسلم غير عمرو- وكان عامل الجوزجان- وضرار، وكانت أمه الغراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة، فجاء أخواله فدفعوه حتى نحوه، ففي ذلك يقول الفرزدق:

عشية ما ود ابن غرة أنه ... له من سوانا إذ دعا أبوان
وضرب إياس بن عمرو- ابن أخي مسلم بن عمرو- على ترقوته فعاش قال: ولما غشي القوم الفسطاط قطعوا أطنابه قال زهير: فقال جهم ابن زحر لسعد: انزل، فخر رأسه، وقد أثخن جراحاً، فقال: أخاف أن تجول الخليل، قال: تخاف وأنا إلى جنبك! فنزل سعد فشق صوقعة الفسطاط، فاحتز رأسه، فقال حضين بن المنذر: وإن ابن سعد وابن زحر تعاورا ... بسيفيهما رأس الهمام المتوج
عشية جئنا بابن زحر وجئتم ... بأدغم مرقوم الذراعين ديزج
أصم غداني كأن جبينه ... لطاخة نقس في أديم مجمع

قال: فلما قتل مسلمة يزيد بن المهلب استعمل على خراسان سعيد بن خديعة بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص، فحبس عمال يزيد، وحبس فيهم جهم بن زحر الجعفي، وعلى عذابه رجل من باهلة، ف قيل له: هذا قاتل قتيبة، فقتله في العذاب، فلامه سعيد، فقال:

أمرتني أن أستخرج منه المال فعذبت فأتى علي أجله.
قال: وسقطت على قتيبة يوم قتل جارية له خوارزمية، فلما قتل خرجت، فأخذها بعد ذلك يزيد بن المهلب، فهي أم خليفة.
قال علي: قال حمزة بن إبراهيم وأبو اليقظان: لما قتل قتيبة سعد عمارة بن جنية الرياحي المنبر فتكلم فأكثر، فقال له وكيع: دعنا من قدرك وهذرك، ثم تكلم وكيع فقال: مثلي ومثل قتيبة كما قال الأول:

من ينك العبر ينك نياكا
أراد قتيبة أن يقتلني وأنا قتال.

قد جربوني ثم جربوني ... من غلوتين ومن المثين
حتى إذا شبت وشيبوني ... خلوا عناني وتنكبوني
أنا أبو مطرف.

قال: وأخبرنا أبو معاوية، عن طلحة بن إياس، قال: قال وكيع يوم قتل قتيبة:
أنا ابن خندف تمنيني قبائلها ... للصالحات وعمي قيس عيلانا
ثم أخذ بلحيته ثم قال:

شيخ إذا حمل مكروهة ... شد الشراسيف لها والحزيم
والله لأقتلن، ثم لأقتلن، ولأصلبن، ثم لأصلبن، إني والغ دما، إن مرزبانكم هذا ابن الزانية قد أغلى عليكم أسعاركم، والله ليصيرن القفيز في السوق غدا بأربعة أو لأصلبنه، صلوا على نبيكم ثم نزل.

قال علي: وأخبرنا المفضل بن محمد وشيخ من بني تميم، ومسلمة بن محارب، قالوا: طلب وكيع رأس قتيبة وخاتمه، ف قيل له: إن الأزد أخذته، فخرج وكيع وهو يقول: ده درين، سعد القين:

في أي يومي من الموت أفر ... أيوم لم يقدر أم يوم قدر
لا خير في أحزم جياذ القرع ... في أي يوم لم أرع ولم أرع

والله الذي لا إله غيره لا أبرح حتى أوتى بالرأس، أو يذهب برأسي مع رأس قتيبة وجاء بخشب فقال: إن هذه الخيل لا بد لها من فرسان- يتهدد بالصلب- فقال له حضين: يا أبا مطرف، تؤتى به فأسكن وأتى حضين الأزدي فقال: أحمتي أنتم! بايعناه وأعطيناه المقادة، وعرض نفسه، ثم تأخذون الرأس! أخرجوه لعنه الله من رأس! فجاءوا بالرأس فقالوا: يا أبا مطرف، إن هذا هو احتزته، فاشكمه، قال: نعم، فأعطاه ثلاثة آلاف، وبعث بالرأس مع سليط بن عبد الكريم الحنفي ورجال من القبائل وعليهم سليط، ولم يبعث من بني تميم أحدا.

قال: قال أبو الذيال: كان فيمن ذهب بالرأس أنيف بن حسان أحد بني عدي.

قال أبو مخنف: وفي وكيع لحيان النبطي بما كان أعطاه قال:

قال خريم بن أبي يحيى، عن أشياخ من قيس، قالوا: قال سليمان للهذيل

ابن زفر حين وضع رأس قتيبة ورءوس أهل بيته بين يديه: هل ساءك هذا يا هذيل؟ قال: لو ساءني ساء قوما كثيرا، فكله خريم بن عمرو والقعقاع ابن خليد، فقال: ائذن في دفن رءوسهم، قال: نعم، وما أردت هذا كله.

قال علي: قال أبو عبد الله السلي، عن يزيد بن سويد، قال:

قال رجل من عجم أهل خراسان: يا معشر العرب، قتلتم قتيبة، والله لو كان قتيبة منا فمات فينا جعلناه في تابوت فكنا نستفتح به إذا غزونا، وما صنع أحد قط بخراسان ما صنع قتيبة، إلا أنه قد غدر، وذلك أن الحجاج كتب إليه أن اختلهم واقتلهم في الله.

قال: وقال الحسن بن رشيد: قال الإصهيد لرجل: يا معشر العرب، قتلتم قتيبة ويزيد وهما سيذا العرب! قال: فأيهما كان أعظم عندكم وأهيب؟ قال: لو كان قتيبة بالمغرب بأقصى حجر به في الأرض مكبلا بالحديد، ويزيد معنا في بلادنا وال علينا لكان قتيبة أهيب في صدورنا وأعظم من يزيد.

قال علي: قال المفضل بن محمد الضبي جاء رجل إلى قتيبة يوم قتل وهو جالس، فقال: اليوم يقتل ملك العرب- وكان قتيبة عندهم ملك العرب- فقال له: اجلس.

قال: وقال كليب بن خلف: حدثني رجل ممن كان مع وكيع حين قتل قتيبة، قال: أمر وكيع رجلا فنادى: لا يسلمن قتيل، فرأى ابن عبيد الهجري على ابني الحجر الباهلي فسلبه، فبلغ وكيعا فضرب عنقه.

قال أبو عبيدة: قال عبد الله بن عمر، من تيم اللات: ركب وكيع ذات يوم، فأتوه بسكران، فأمر به فقتل، فقيل له: ليس عليه القتل، إنما عليه الحد، قال: لا أعاقب بالسياط، ولكني أعاقب بالسيف، فقال نهار بن توسعة: وكنا نبكي من الباهلي ... فهذا الغداني شر وشر

وقال أيضا:

ولما رأينا الباهلي ابن مسلم ... تجبر عمننا عضبا مهندا

وقال الفرزدق يذكر وقعة وكيع:

ومنا الذي سل السيوف وشامها ... عشية باب القصر من فرغان

عشية لم تمنع بنينا قبيلة ... بعز عراقي ولا بيمان

عشية ما ود ابن غراء أنه ... له من سوانا إذ دعا أبوان

عشية لم تستر هوازن عامر ... ولا غطفان عورة ابن دخان

عشية ود الناس أنهم لنا ... عبيد إذ الجمعان يضطربان

رأوا جبلا يعلو الجبال إذا التقت ... رءوس كبيرين ينتطحان

رجال على الإسلام إذ ما تجالدوا ... على الدين حتى شاع كل مكان

وحتى دعا في سور كل مدينة ... مناد ينادي فوقها بأذان

فيجزى وكيع بالجماعة إذ دعا ... إليها بسيف صارم وبنان

جزاء بأعمال الرجال كما جرى ... ببدر وبالبرموك فيء جنان

وقال الفرزدق في ذلك أيضا:

أتاني ورحلي بالمدينة وقعة ... لآل تميم أقعدت كل قائم

وقال علي: أخبرنا حريم بن أبي يحيى، عن بعض عمومته قال: أخبرني شيوخ من غسان قالوا: إنا لبثنية العقاب إذ نحن برجل يشبه الفيوج معه عصا وجراب، قلنا: من أين أقبلت؟ قال: من خراسان، قلنا: فهل كان بها من خبر؟ قال: نعم، قتل قتيبة بن مسلم أمس، فتعجبنا لقوله، فلما رأى إنكارنا ذلك قال: أين ترونني الليلة من إفريقية؟ ومضى واتبعناه على خيولنا، فإذا شيء يسبق الطرف وقال الطرماح:

لولا فوارس مذحج ابنة مذحج ... والأزد زعزع واستبيح العسكر

وتقطعت بهم البلاد ولم يؤب ... منهم إلى أهل العراق مخبر

واستضلعت عقد الجماعة وازدرى ... أمر الخليفة واستحل المنكر

قوم هم قتلوا قتيبة عنوة ... واخيل جانحة عليها العثير

بالمرج مرج الصين حيث تبينت ... مضر العراق من الأعز الأكبر!

إذ حالفت جزعا ربعة كلها ... وتفرقت مضر ومن يتمضر

وتقدمت أزد العراق ومذحج ... للموت يجمعها أبوها الأكبر

حقطان تضرب رأس كل مذحج ... تحي بصائرهن إذ لا تبصر

والأزد تعلم أن تحت لوائها ... ملكا قراسية وموت أحمر

فبعزنا نصر النبي محمد ... وبنا ثبت في دمشق المنبر

وقال عبد الرحمن بن جمانة الباهلي:

كأن أبا حفص قتيبة لم يسر ... بجيش إلى جيش ولم يعل منبرا

ولم تخفق الرايات والقوم حوله ... وقوف ولم يشهد له الناس عسكرا

دعته المنايا فاستجاب لربه ... وراح إلى الجنات عفا مطهرا

فما رزى الإسلام بعد محمد ... بمثل أبي حفص فبكيه عبرا

- يعني أم ولد له.

وقال الأصم بن الحجاج يرثي قتيبة:

ألم يأن للأحياء أن يعرفوا لنا ... بلى نحن أولى الناس بالمجد والفخر

نقود تميما والموالي ومذحجا ... وأزد وعبد القيس والحي من بكر

نقتل من شئنا بعزة ملكا ... ونجبر من شئنا على الخسف والقسر

سليمان كم من عسكر قد حوت لكم ... أسنتنا والمقربات بنا تجري

وكم من حصون قد أبجنا منيعة ... ومن بلد سهل ومن جبل وعر

ومن بلدة لم يغزها الناس قبلنا ... غزونا نقود الخيل شهرا إلى شهر

مرن على الغزو الجرور ووقرت ... على النفر حتى ما تهال من النفر

وحتى لو أن النار شبت وأكرهت ... على النار خاضت في الوغى لهب الجمر

تلاعب أطراف الأسنة والقنا ... بلباتها والموت في لجج خضر

بهن أبجنا أهل كل مدينة ... من الشرك حتى جاوزت مطلع الفجر

ولو لم تعجلنا المنايا لجاوزت ... بنا ردم ذي القرنين ذا الصخر والقطر

ولكن آجالا قضين ومدة ... تناهى إليها الطييون بنو عمرو

وفي هذه السنة عزل سُلَيْمَان بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري عن مكة، وولاهها طلحة بن داود الحضرمي وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم الصائفة، ففتح حصنا يقال له حصن عوف.

وفي هذه السنة توفي قرّة بن شريك العبسي وهو أمير مصر في صفر في قول بعض أهل السير.

وقال بعضهم: كان هلاك قرّة في حياة الوليد في سنة خمس وتسعين في الشهر الذي هلك فيه الحجاج.

وجج بالناس في هذه السنة أبو بكر بن مُحَمَّد بن عمرو بن حزم الأنصاري، كذلك حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ وَكَذَلِكَ قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ.

وكان الأمير على المدينة في هذه السنة أبو بكر بن مُحَمَّد بن عمرو بن حزم، وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى حرب العراق وصلاتها يزيد بن المهلب، وعلى خراجها صالح بن عبد الرحمن.

وعلى البصرة سفيان بن عبد الله الكندي من قبل يزيد بن المهلب، وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى، وعلى حرب خراسان وكيع بن أبي سود.

٦٠٣٢ سنة سبع وتسعين

٦٠٣٢٠١ ولاية يزيد بن المهلب على خراسان

ثم دخلت

سنة سبع وتسعين

(ذكر الخبر عما كَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَحْدَاثِ) فَمِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ تَجْهِيزِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْجِيُوشَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَاسْتِعْمَالِهِ ابْنَهُ دَاوُدَ بْنِ سُلَيْمَانَ عَلَى الصَّائِفَةِ، فَافْتَتَحَ حَصْنَ الْمَرْأَةِ.

وفيها غزا- فيما ذكر الواقدي- مسلمة بن عبد الملك أرض الروم، ففتح الحصن الذي كان فتحه الوضاح صاحب الوضاحية وفيها غزا عمر بن هبيرة الفزاري في البحر أرض الروم، فشتا بها.

وفيها قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بالأندلس، وقدم برأسه على سليمان حبيب بن أبي عبيد الفهري.

ولاية يزيد بن المهلب على خراسان

وفيها ولي سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ خُرَاسَانَ.

ذكر الخبر عن سبب ولايته خراسان:

وكان السبب في ذلك أن سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا أَفْضَتْ الْخِلَافَةُ إِلَيْهِ وَلِيَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ حَرْبَ الْعِرَاقِ وَالصَّلَاةَ وَخَرَاجَهَا.

ذكر هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي مَخْنَفٍ، أَنَّ يَزِيدَ نَظَرَ لَمَّا وَلَاهُ سُلَيْمَانُ مَا وَلَاهُ مِنْ أَمْرِ الْعِرَاقِ فِي أَمْرِ نَفْسِهِ، فَقَالَ: إِنَّ الْعِرَاقَ قَدْ أَخْرَبَهَا الْحِجَابُ، وَأَنَا الْيَوْمَ رَجَاءُ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَمَتَى قَدِمْتُهَا وَأَخَذْتُ النَّاسَ بِالْخِرَاجِ وَعَذَّبْتُهُمْ عَلَيْهِ صَرْتُ مِثْلَ الْحِجَابِ أَدْخَلَ عَلَى النَّاسِ الْحَرْبَ، وَأَعِيدَ عَلَيْهِمْ تِلْكَ السَّجُونَ الَّتِي قَدْ عَافَاهُمُ اللَّهُ مِنْهَا، وَمَتَى لَمْ آتِ سُلَيْمَانُ بِمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ الْحِجَابُ لَمْ يَقْبَلْ مِنِّي فَأَتَى يَزِيدُ سُلَيْمَانَ فَقَالَ: أَذَلِكَ عَلَى رَجُلٍ بَصِيرٍ بِالْخِرَاجِ تَوَلِيَهُ إِيَّاهُ، فَتَكُونُ أَنْتَ تَأْخُذُهُ بِهِ؟ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَوْلَى بَنِي تَمِيمٍ.

فَقَالَ لَهُ: قَدْ قَبِلْنَا رَأْيَكَ، فَأَقْبَلَ يَزِيدُ إِلَى الْعِرَاقِ

وَحَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: كَانَ صَالِحُ قَدَمِ الْعِرَاقِ قَبْلَ قُدُومِ يَزِيدٍ، فَنَزَلَ وَاسْطًا قَالَ عَلِيٌّ: فَقَالَ عِبَادُ بْنُ أَيُّوبَ: لَمَّا قَدَّمَ يَزِيدُ خَرَجَ النَّاسُ يَتَلَقُونَهُ، فَقِيلَ لَصَالِحٍ: هَذَا يَزِيدُ، وَقَدْ خَرَجَ النَّاسُ يَتَلَقُونَهُ، فَلَمْ يَخْرُجْ حَتَّى قَرِبَ يَزِيدُ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَخَرَجَ صَالِحٌ، عَلَيْهِ دِرَاعَةٌ وَدُبُوسِيَّةٌ صَفْرَاءُ صَغِيرَةٌ، بَيْنَ يَدَيْهِ أَرْبَعُمِائَةٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَلَقِيَ يَزِيدَ فَسَايرَهُ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَدِينَةَ قَالَ لَهُ صَالِحٌ: قَدْ فَرِغْتَ لَكَ هَذِهِ الدَّارَ- فَأَشَارَ لَهُ إِلَى دَارٍ- فَنَزَلَ يَزِيدُ، وَمَضَى صَالِحٌ إِلَى مَنْزِلِهِ قَالَ: وَضِيقُ صَالِحٍ عَلَى يَزِيدٍ فَلَمْ يَمْلِكْهُ شَيْئًا، وَاتَّخَذَ يَزِيدُ أَلْفَ خَوَانٍ يَطْعَمُ النَّاسَ عَلَيْهَا، فَأَخَذَهَا صَالِحٌ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ: اكْتُبْ ثَمَنَهَا عَلَيَّ، وَاشْتَرِ مَتَاعًا كَثِيرًا، وَصَلَّكَ صَكَكَ إِلَى صَالِحٍ لِبَاعَتِهَا مِنْهُ، فَلَمْ يَنْفِذْهُ، فَارْجَعُوا إِلَى يَزِيدٍ، فَغَضِبَ وَقَالَ:

هذا عملي بنفسني، فلم يلبث أن جاء صالح، فأوسع له يزيد، فجلس وقال ليزيد: ما هذه الصكاك؟ انخراج لا يقوم لها، قد أنفدت لك منذ أيام صكاً بمائة ألف، وعجلت لك أرزاقك، وسألت مالا للجن، فأعطيتك، فهذا لا يقوم له شيء، ولا يرضى أمير المؤمنين به، وتؤخذ به! فقال له يزيد: يا أبا الوليد، أجز هذه الصكاك هذه المرة، وضاحكه قال: فإني أجزها، فلا تكثرن علي، قال: لا قال علي بن محمد: حدثنا مسلمة بن محارب وابو العلا.

التيمي والطفيل بن مرداس العمي وأبو حفص الأزدي عن حدثه عن جهم بن زحر بن قيس، والحسن بن رشيد عن سليمان بن كثير، وأبو الحسن الخراساني عن الكرماني، وعامر بن حفص وأبو مخنف عن عثمان بن عمرو بن محسن الأزدي وزهير بن هنيذ وغيرهم- وفي خبر بعضهم ما ليس في خبر بعض، فألفت ذلك- أن سليمان بن عبد الملك ولي يزيد ابن المهلب العراق ولم يوله خراسان، فقال سليمان بن عبد الملك لعبد الملك ابن المهلب وهو بالشام ويزيد بالعراق: كيف أنت يا عبد الملك إن وليتك خراسان؟ قال: يجدي أمير المؤمنين حيث يحب، ثم أعرض سليمان عن

ذلك قال: وكتب عبد الملك بن المهلب إلى جرير بن يزيد الجهضمي وإلى رجال من خاصته: أن أمير المؤمنين عرض علي ولاية خراسان.

فبلغ الخبر يزيد بن المهلب، وقد ضجر بالعراق، وقد ضيق عليه صالح ابن عبد الرحمن، فليس يصل معه إلى شيء، فدعا عبد الله بن الأهم، فقال: إني أريدك لأمر قد أهمني، فأحب أن تكفيني، قال: مرني بما أحببت، قال: أنا فيما ترى من الضيق، وقد أضجرتني ذلك، وخراسان شاغرة برجلها، وقد بلغني أن أمير المؤمنين ذكرها لعبد الملك بن المهلب، فهل من حيلة؟ قال: نعم، سرحني إلى أمير المؤمنين، فإني أرجو أن آتيك بعهدك عليها، قال: فآتم ما أخبرتك به وكتب إلى سليمان كتابين: أحدهما يذكر له فيه أمر العراق، وأثنى فيه على ابن الأهم وذكر له علمه بها، ووجه ابن الأهم وحمله على البريد، وأعطاه ثلاثين ألفاً فصار سبعا، فقدم بكتاب يزيد على سليمان، فدخل عليه وهو يتغدى، فجلس ناحية، فأتي بدجاجتين فأكلهما.

قال: فدخل ابن الأهم فقال له سليمان: لك مجلس غير هذا تعود إليه ثم دعا به بعد ثلاثة، فقال له سليمان: إن يزيد بن المهلب كتب إلي يذكر علمك بالعراق وبخراسان، ويثني عليك، فكيف علمك بها؟ قال: أنا أعلم الناس بها، بها ولدت، وبها نشأت، فلي بها وبأصلها خبر وعلم قال: ما أحوج أمير المؤمنين إلى مثلك يشاوره في أمرها! فأشر علي برجل أوليه خراسان، قال: أمير المؤمنين أعلم بمن يريد يولي، فإن ذكر منهم أحدا أخبرته برأيي فيه، هل يصلح لها أم لا، قال:

فسمى سليمان رجلا من قریش، قال: يا أمير المؤمنين، ليس من رجال خراسان، قال: فعبد الملك بن المهلب، قال: لا، حتى عدد رجلا، فكان في آخر من ذكر وكيع بن أبي سود، فقال: يا أمير المؤمنين، وكيع رجل شجاع صارم بئيس مقدم، وليس بصاحبها مع هذا، إنه لم

يقد ثلاثمائة قط فرأى لأحد عليه طاعة قال: صدقت ويحك، فمن لها! قال: رجل أعلمه لم تسمه، قال: فمن هو؟ قال لا أبوح باسمه إلا أن يضمن لي أمير المؤمنين ستر ذلك، وأن يجبرني منه إن علم، قال:

نعم، سمه من هو؟ قال: يزيد بن المهلب، قال: ذاك بالعراق، والمقام بها أحب إليه من المقام بخراسان، قال: قد علمت يا أمير المؤمنين، ولكن تكرهه على ذلك، فيستخلف على العراق رجلا ويسير، قال: أصبت الرأي فكتب عهد يزيد على خراسان، وكتب إليه كتابا: أن ابن الأهم كما ذكرت في عقله ودينه وفضله ورأيه ودفع الكتاب وعهد يزيد إلى ابن الأهم، فصار سبعا، فقدم على يزيد فقال له: ما وراءك؟ قال:

فأعطاه الكتاب، فقال: ويحك! أعندك خير؟ فأعطاه العهد، فأمر يزيد بالجهاز للسير من ساعته، ودعا ابنه مخلدا فقدمه إلى خراسان قال:

فسار من يومه، ثم سار يزيد واستخلف على واسط الجراح بن عبد الله الحكي، واستعمل على البصرة عبد الله بن هلال الكلبي، وصير مروان ابن المهلب على أمواله وأموره بالبصرة، وكان أوثق إخوته عنده، ولمروان يقول أبو البهاء الإيادي:

رأيت أبا قبيصة كل يوم ... على العلات أكرمهم طباعا

إذا ما هم أبوا أن يستطيعوا ... جسيم الأمر يحمل ما استطاعا

وإن ضاقت صدورهم بأمر ... فضلتهم بذاك ندى وباعا

وأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فإنه قال في ذلك: حدثني أبو مالك أن وكيع بن أبي سود بعث بطاعته وبرأس قتيبة إلى سُلَيْمَانَ، فوقع ذلك من سُلَيْمَانَ كل موقع، فجعل يزيد بن المهلب لعبد الله بن الأَهم مائة ألف على أن ينقر وكيعا عنده، فقال: أصلى الله أمير المؤمنين! والله ما أحد

أوجب شكرا، ولا أعظم عندي يدا من وكيع، لقد أدرك بئاري، وشفاني من عدوي، ولكن أمير المؤمنين أعظم وأوجب علي حقا، وأن النصيحة تلزمني لأمر المؤمنين، إن وكيعا لم يجتمع له مائة عنان قط إلا حدث نفسه بغدرة، خامل في الجماعة، نابه في الفتنة، فقال: ما هو إذا ممن نستعين به- وكانت قيس تزعم أن قتيبة لم يخلع- فاستعمل سليمان يزيد ابن المهلب على حرب العراق، وأمره إن أقامت قيس الينة أن قتيبة لم يخلع فينزع يدا من طاعة، أن يقيد وكيعا به فغدر يزيد، فلم يعط عبد الله ابن الأَهم ما كان ضمن له، ووجه ابنه مخلد بن يزيد إلى وكيع.

رجع الحديث إلى حديث علي قال علي: أخبرنا أبو مخنف عن عثمان بن عمرو بن محصن، وأبو الحسن الخراساني عن الكرمانى، قال: وجه يزيد ابنه مخلدا إلى خراسان فقدم مخلد عمرو بن عبد الله بن سنان العتكي، ثم الصنابحي، حين دنا من مرو، فلما قدمها أرسل إلى وكيع أن القني، فأبى، فأرسل إليه عمرو، يا أعرابي أحمق جلفا جافيا، انطلق إلى أميرك فتلقه وخرج وجوه من أهل مرو يتلقون مخلدا، وثاقل وكيع عن الخروج، فأخرجه عمرو الأزدي، فلما بلغوا مخلدا نزل الناس كلهم غير وكيع ومُحمَّد بن حمران السعدي وعباد بن لقيط أحد بني قيس بن ثعلبة، فأزولهم، فلما قدم مرو حبس وكيعا فعذبه، وأخذ أصحابه فعذبهم قبل قدوم أبيه.

قال علي عن كليب بن خلف، قال: أخبرنا إدريس بن حنظلة، قال:

لما قدم مخلد خراسان حبسني، فجاءني ابن الأَهم فقال لي: أتريد أن تنجو؟

قلت: نعم، قال: أخرج الكتب التي كتبها القعقاع بن خليل العبسي وخريم بن عمرو المري إلى قتيبة في خلع سليمان، فقلت له: يا بن الأَهم،

إياي تحدد عن ديني! قال: فدعا بطومار وقال: انك احمق فكنت كتبنا عن لسان القعقاع ورجال من قيس إلى قتيبة أن، الوليد بن عبد الملك قد مات، وسُلَيْمَانَ باع هذا المزوني على خراسان فاخلعه.

فقلت: يا بن الأَهم، تهلك والله نفسك! والله لئن دخلت عليه لأعلمنه أنك كتبتها.

وفي هذه السنة شخص يزيد بن المهلب إلى خراسان أميرا عليها، فذكر علي بن مُحمَّد، عن أبي السري الأزدي، عن عمه، قال: ولي وكيع خراسان بعد قتل قتيبة تسعة أشهر أو عشرة وقدم يزيد بن المهلب سنة سبع وتسعين.

قال علي: فذكر المفضل بن مُحمَّد عن أبيه، قال: أدنى يزيد أهل الشام وقوما من أهل خراسان، فقال نهار بن توسعة:

وما كنا نؤمل من أمير ... كما كنا نؤمل من يزيد

فأخطأ ظننا فيه وقدا ... زهدنا في معاشره الزهيد

إذا لم يعطنا نصفا أمير ... مشينا نحوه مثل الأسود

فهلا يا يزيد أنب إلينا ... ودعنا من معاشره العبيد

نجيء فلا نرى إلا صدودا ... على أنا نسلم من بعيد

ونرجع خائبين بلا نوال ... فما بال التجهم والصدود!

قال علي: أخبرنا زياد بن الربيع، عن غالب القطان، قال: رأيت عمر بن عبد العزيز واقفا بعرفات في خلافة سُلَيْمَانَ، وقد حج سُلَيْمَانَ عامئذ وهو يقول لعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد: العجب لأمر المؤمنين، استعمل رجلا على أفضل ثغر للمسلمين! فقد بلغني

عمن يقدم من التجار من ذلك الوجه أنه يعطي الجارية من جواريه مثل سهم ألف رجل أما والله ما الله أراد بولايته - فعرفت أنه يعني يزيد والجهنية - فقلت: يشكر بلاءهم أيام الأزارقة. قال: ووصل يزيد عبد الملك بن سلام السلوي فقال:

ما زال سيبك يا يزيد بحوبتي ... حتى ارتويت وجودكم لا ينكر
أنت الربيع إذا تكون خصاصة ... عاش السقيم به وعاش المقتر
عمت سخابته جميع بلادكم ... فرووا وأغدقهم سخاب ممطر
فسقاك ربك حيث كنت مخيلة ... ربا سخائبها تروح وتبكر

وفي هذه السنة حج بالناس سليمان بن عبد الملك، حدثني بذلك أحمد ابن ثابت عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر. وفيها عزل سليمان طلحة بن داود الحضرمي عن مكة، قال الواقدي: حدثني إبراهيم بن نافع، عن ابن أبي مليكة، قال: لما صدر سليمان ابن عبد الملك من الحج عزل طلحة بن داود الحضرمي عن مكة، وكان عمله عليها ستة أشهر، وولي عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها إلا خراسان، فإن عاملها على الحرب والخراج والصلاة يزيد بن المهلب. وكان خليفته على الكوفة - فيما قيل - حرملة بن عمير اللخمي أشهراً، ثم عزله وولاهها بشير بن حسان النهدي.

٦٠٣٣ سنة ثمان وتسعين

٦٠٣٣.١ خبر محاصره مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية

ثم دخلت

سنة ثمان وتسعين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

خبر محاصره مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية

فمن ذلك ما كان من توجيه سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك إلى القسطنطينية، وأمره أن يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه، فشتا بها وصاف فذكر محمد بن عمر أن ثور بن يزيد حدثه عن سليمان بن موسى، قال: لما دنا مسلمة من قسطنطينية أمر كل فارس أن يحمل على عجز فرسه مدين من طعام حتى يأتي به القسطنطينية، فأمر بالطعام فألقي في ناحية مثل الجبال، ثم قال للمسلمين: لا تأكلوا منه شيئاً، أغيروا في أرضهم، وازدروا وعمل بيوتا من خشب، فشتا فيها، وزرع الناس، ومكث ذلك الطعام في الصحراء لا يكتنه شيء، والناس يأكلون مما أصابوا من الغارات، ثم أكلوا من الزرع، فأقام مسلمة بالقسطنطينية قاهراً لأهلها، معه وجوه أهل الشام: خالد بن معدان، وعبد الله بن أبي زكرياء الخزاعي، ومجاهد بن جبر، حتى أتاه موت سليمان فقال القائل: تحمل مديها ومديني مسلمة.

حدثني أحمد بن زهير، عن علي بن محمد، قال: لما ولي سليمان غزا الروم فنزل دابق، وقدم مسلمة فها به الروم، فشخص إليون من أرمينية، فقال لمسلمة: ابعث إلي رجلاً يكلمني، فبعث ابن هبيرة، فقال له ابن هبيرة: ما تعدون الأحق فيكم؟ قال: الذي يملأ بطنه من كل شيء يجده، فقال له ابن هبيرة: إنا أصحاب دين، ومن ديننا طاعة

٦٠٣٣.٢ مبايعه سليمان لابنه أيوب وليا للعهد

أمراًئاً، قال: صدقت، كما وأنتم تقاتل على الدين ونغضب له، فأما اليوم فإننا نقاتل على الغلبة والملك، نعطيك عن كل رأس ديناراً. فرجع ابن هبيرة إلى الروم من غده، وقال: أبا أن يرضى، أتيته وقد تغدى وملاً بطنه ونام، فانتبه وقد غلب عليه البلغم، فلم يدر ما قلت.

وقالت البطارقة لإليون: إن صرفت عنا مسلمة ملكك فوثقوا له، فأتى مسلمة فقال: قد علم القوم أنك لا تصدقهم القتال، وأنت تطاولهم ما دام الطعام عندك، ولو أحرقت الطعام أعطوا بأيديهم، فأحرقه، فقوي العدو، وضاق المسلمون حتى كادوا يهلكون، فكانوا على ذلك حتى مات سُليمان قال: وكان سُليمان بن عبد الملك لما نزل دابق اعطى الله عهدا الا ينصرف حتى يدخل الجيش الذي وجهه إلى الروم القسطنطينية.

قال: وهلك ملك الروم، فأثاه إليون فأخبره، وضمن له أن يدفع إليه أرض الروم، فوجه معه مسلمة حتى نزل بها، وجمع كل طعام حولها وحصر أهلها وأتاهم إليون فلكوه، فكتب إلى مسلمة يخبره بالذي كان، ويسأله أن يدخل من الطعام ما يعيش به القوم، ويصدقونه بأن أمره وأمر مسلمة واحد، وأنهم في أمان من السباء والخروج من بلادهم، وأن يأذن لهم ليلة في حمل الطعام، وقد هيا إليون السفن والرجال، فأذن له، فما بقي في تلك الحظائر إلا ما لا يذكر، حمل في ليلة، وأصبح إليون محاربا، وقد خدعه خديعة لو كان امرأة لعب بها، فلقى الجند ما لم يلق جيش، حتى إن كان الرجل ليخاف أن يخرج من العسكر وحده، وأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والورق، وكل شيء غير التراب، وسُليمان مقيم بدابق، ونزل الشتاء فلم يقدر يمدهم حتى هلك سليمان.

مبايعه سليمان لابنه أيوب وليا للعهد
وفي هذه السنة بايع سُليمان بن عبد الملك لابنه أيوب بن سُليمان وجعله ولي عهده، فحدثني عمر بن شبة، عن علي بن محمد، قال: كان عبد الملك أخذ على الوليد وسُليمان أن يبايعا لابن عاتكة ولمروان بن عبد الملك

٦٠٣٣٠٣ غزو جرجان وطبرستان

من بعده، قال: فحدثني طارق بن المبارك، قال: مات مروان بن عبد الملك في خلافة سُليمان منصرفه من مكة، فبايع سُليمان حين مات مروان لأيوب، وأمسك عن يزيد وتربص به، ورجا أن يهلك، فهلك أيوب وهو ولي عهده.

وفي هذه السنة فتحت مدينة الصقلية، قال محمد بن عمر: أغارت برجان في سنة ثمان وتسعين على مسلمة بن عبد الملك وهو في قلة من الناس، فأمدّه سُليمان بن عبد الملك بمسعدة - أو عمرو بن قيس - في جمع فكرت بهم الصقلية، ثم هزمهم الله بعد أن قتلوا شراحيل بن عبد ابن عبدة.

وفي هذه السنة - فيما زعم الواقدي - غزا الوليد بن هشام وعمرو بن قيس، فأصيب ناس من أهل أنطاكية، وأصاب الوليد ناسا من ضواحي الروم وأسر منهم بشرا كثيرا.

غزو جرجان وطبرستان

وفي هذه السنة غزا يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان، فذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، أن يزيد بن المهلب لما قدم خراسان أقام ثلاثة أشهر أو أربعة، ثم أقبل إلى دهستان وجرجان، وبعث ابنه مخلدا على خراسان، وجاء حتى نزل بدهستان، وكان أهلها طائفة من الترك، فأقام عليها، وحاصر أهلها، معه أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الشام ووجه أهل خراسان والري، وهو في مائة ألف مقاتل سوى الموالى والمماليك والمتطوعين، فكانوا يخرجون فيقاتلون الناس، فلا يلبثهم الناس أن يهزمهم فيدخلون حصنهم، ثم يخرجون أحيانا فيقاتلون فيشتد قتالهم.

وكان جهم وجمال ابنا زحر من يزيد بمكان، وكان يكرهما، وكان محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي له لسان وبأس، غير أنه كان يفسد نفسه بالشراب، وكان لا يكثر غشيان يزيد وأهل بيته، وكأنه

أيضا حجزه عن ذلك ما رأى من حسن أثرهم على ابني زحر جهم وجمال وكان إذا نادى المنادي: يا خيل الله اركبي وأبشري كان أول فارس من أهل العسكر ييدر إلى موقف البأس عند الروع محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة، فنودي ذات يوم في الناس، فبدر الناس ابن أبي سبرة، فإنه لواقف على تل إذ مر به عثمان بن المفضل، فقال له: يا بن أبي سبرة، ما قدرت على أن أسبقك إلى الموقف قط، فقال:

وما يغني ذلك عني، وأنتم ترشحون غلمان مذجج، وتجهلون حق ذوي الأسنان والتجارب والبلاء! فقال: أما إنك لو تريد ما قبلنا لم نعدل عنك ما أنت له أهل.

قال: وخرج الناس فاقتتلوا قتالا شديدا فحمل محمد بن أبي سبرة على تركي قد صد الناس عنه، فاختلفا ضربتين، فثبت سيف التركي في بيضة ابن أبي سبرة، وضربه ابن أبي سبرة فقتله، ثم أقبل وسيفه في يده يقطر دما، وسيف التركي في بيضته، فنظر الناس إلى أحسن منظر رأوه من فارس، ونظر يزيد إلى ائتلاق السيفين والبيضة والسلاح فقال: من هذا؟ فقالوا: ابن أبي سبرة، فقال: لله أبوه! أي رجل هو لولا إسرافه على نفسه! وخرج يزيد بعد ذلك يوما وهو يرتاد مكانا يدخل منه على القوم، فلم يشعر بشيء حتى هجم عليه جماعة من الترك- وكان معه وجوه الناس وفرسانهم، وكان في نحو من أربعمائة، والعدو في نحو من أربعة آلاف- فقاتلهم ساعة، ثم قالوا ليزيد: أيها الأمير، انصرف ونحن نقاتل عنك، فأبى أن يفعل، وغشي القتال يومئذ بنفسه، وكان كأحدهم، وقاتل ابن أبي سبرة وابنا زحر والحجاج بن جارية الخثعمي وجل أصحابه، فأحسنوا القتال، حتى إذا أرادوا الانصراف جعل الحجاج بن جارية على الساقة، فكان يقاتل من ورائه حتى انتهى إلى الماء، وقد كانوا عطشوا فشربوا، وانصرف عنهم العدو، ولم يظفروا منهم بشيء، فقال سفيان ابن صفوان الخثعمي:

لولا ابن جارية الأغر جبينه ... لسقيت كأسا مرة المتجرع
وحماك في فرسانه وخيوله ... حتى وردت الماء غير متعنع

ثم إنه ألح عليها وأنزل الجنود من كل جانب حولها، وقطع عنهم المواد، فلما جهدوا، وعجزوا عن قتال المسلمين، واشتد عليهم الحصار والبلاء، بعث صول دهقان دهستان إلى يزيد: إني أصلحك على أن تؤمني على نفسي وأهل بيتي ومالي، وأدفع إليك المدينة وما فيها وأهلها.

فصالحه، وقبل منه، ووفى له، ودخل المدينة فأخذ ما كان فيها من الأموال والكنوز ومن السبي شيئا لا يحصى، وقتل أربعة عشر ألف تركي صبوا، وكتب بذلك إلى سليمان بن عبد الملك.

ثم خرج حتى أتى جرجان، وقد كانوا يصلحون أهل الكوفة على مائه ألف، ومائتي ألف أحيانا، وثلاثمائة ألف، وصالحوهم عليها، فلما أتاهم يزيد استقبلوه بالصلح وهابوه وزادوه، واستخلف عليهم رجلا من الأزد يقال له: أسد بن عبد الله، ودخل يزيد إلى الإصبيد في طبرستان فكان معه الفعلة يقطعون الشجر، ويصلحون الطرق، حتى انتهوا إليه، فنزل به فحصره وغلب على أرضه، وأخذ الإصبيد يعرض على يزيد الصلح ويريده على ما كان يؤخذ منه، فبأبى رجاء افتتاحها فبعث ذات يوم أخاه أبا عيينة في أهل المصرين، فأصعد في الجبل إليهم، وقد بعث الإصبيد إلى الديلم، فاستجاش بهم، فاقتتلوا، فحازهم المسلمون ساعة وكشفوهم، وخرج رأس الديلم يسأل المبارزة، ففرج إليه ابن أبي سبرة فقتله، فكانت هزيمتهم حتى انتهى المسلمون إلى فم الشعب،

فذهبوا ليصعدوا فيه، وأشرف عليهم العدو يرشقونهم بالنشاب، ويرمونهم بالحجارة، فانهمز الناس من فم الشعب من غير كبير قتال ولا قوة من عدوهم على اتباعهم وطلبهم، وأقبلوا يركب بعضهم بعضا، حتى أخذوا يتساقطون في اللهب، ويتدهدى الرجل من رأس الجبل حتى نزلوا إلى عسكر يزيد لا يعثون بالشر شيئا.

وأقام يزيد بمكانه على حاله، وأقبل الإصبيد يكتب أهل جرجان ويسألهم أن يثبوا بأصحاب يزيد، وأن يقطعوا عليه مادته والطرق فيما بينه وبين العرب، ويعددهم أن يكافئهم على ذلك، فوثبوا بمن كان يزيد خلف من المسلمين، فقتلوا منهم من قدروا عليه، واجتمع بقيتهم فتحصنوا في جانب، فلم يزلوا فيه حتى خرج إليهم يزيد وأقام يزيد على الإصبيد في أرضه حتى صالحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة ألف نقدا ومائتي ألف وأربعمائة حمار موقره زعفرانا، وأربعمائة رجل؟

على راس كل رجل برنس، على البرنس طيلسان ولجام من فضة وسرقة من حرير، وقد كانوا صالحوا قبل ذلك على مائتي ألف درهم. ثم خرج منها يزيد وأصحابه كأنهم فل، ولولا ما صنع أهل جرجان لم يخرج من طبرستان حتى يفتحها.

وأما غير أبي مخنف، فإنه قال في أمر يزيد وأمر أهل جرجان ما حدثني أحمد بن زهير، عن علي بن محمد، عن كليب بن خلف وغيره،

أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ صَالِحَ أَهْلِ جُرْجَانَ، ثُمَّ امْتَنَعُوا وَكَفَرُوا، فَلَمْ يَأْتِ جُرْجَانَ بَعْدَ سَعِيدٍ أَحَدٌ، وَمَنَعُوا ذَلِكَ الطَّرِيقَ، فَلَمْ يَكُنْ يَسْلُكُ طَرِيقَ خُرَاسَانَ مِنْ نَاحِيَتِهِ أَحَدٌ إِلَّا عَلَى وَجَلٍ وَخَوْفٍ مِنْ أَهْلِ جُرْجَانَ، كَانَ الطَّرِيقُ إِلَى خُرَاسَانَ مِنْ فَارِسٍ إِلَى كَرْمَانَ، فَأَوَّلُ مَنْ صَيَّرَ الطَّرِيقَ مِنْ قَوْمِ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلَمٍ حِينَ وَلِيَ خُرَاسَانَ ثُمَّ غَزَا مَصْقَلَةَ خُرَاسَانَ أَيَّامَ مُعَاوِيَةَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ، فَأَصِيبَ وَجَنَدَهُ بِالرُّوْيَانِ، وَهِيَ مَتَاخِمَةُ طَبْرِسْتَانَ

فَهَلَكُوا فِي وَادٍ مِنْ أَوْدِيَتِهَا، أَخَذَ الْعَدُوُّ عَلَيْهِمْ بِمُضَايِقَتِهِ، فَقَتَلُوا جَمِيعًا، فَهُوَ يُسَمَّى وَادِي مَصْقَلَةَ.

قال: وكان يضرب به المثل حتى يرجع مصقلة من طبرستان، قال عليُّ، عَنْ كَلْبِ بْنِ خَلْفٍ الْعَمِّيِّ، عَنْ طُفَيْلِ بْنِ مِرْدَاسٍ الْعَمِّيِّ وَادْرِيسَ بْنِ حَنْظَلَةَ: إِنَّ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ صَالِحَ أَهْلِ جُرْجَانَ، فَكَانُوا يَجِيئُونَ أَحْيَانًا مِائَةَ أَلْفٍ، وَيَقُولُونَ: هَذَا صَلْحُنَا، وَأَحْيَانًا مِائَةَ أَلْفٍ، وَأَحْيَانًا ثَلَاثُمِائَةَ أَلْفٍ، وَكَانُوا رُبَّمَا أَعْطَوْا ذَلِكَ، وَرُبَّمَا مَنَعُوهُ، ثُمَّ امْتَنَعُوا وَكَفَرُوا فَلَمْ يُعْطَوْا خَرَجًا، حَتَّى أَتَاهُمْ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ فَلَمْ يُعَاذِهِ أَحَدٌ حِينَ قَدِمَا، فَلَمَّا صَالَحَ صَوْلَ وَفَتَحَ الْبَحِيرَةَ وَدَهِسْتَانَ صَالَحَ أَهْلَ جُرْجَانَ عَلَى صَلْحِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ.

حدثني أحمد، عن عليٍّ عَنْ كَلْبِ بْنِ خَلْفٍ الْعَمِّيِّ عَنْ طُفَيْلِ بْنِ مِرْدَاسٍ، وَبِشْرِ بْنِ عَيْسَى بْنِ أَبِي صَفْوَانَ، قَالَ عَلِيٌّ:

وحدثني أبو حفص الأزدي عن سليمان بن كثير، وغيرهم، أن صولا التركي كان ينزل دهستان والبحيرة- جزيرة في البحر بينها وبين دهستان خمسة فراسخ، وهما من جرجان مما يلي خوارزم- فكان صول يغير على فيروز بن قول، مرزبان جرجان، وبينهم خمسة وعشرون فرسخا، فيصيب من أطرافهم ثم يرجع إلى البحيرة ودهستان، فوقع بين فيروز وبين ابن عم له يقال له المرزبان منازعة، فاعتزله المرزبان، فنزل البياسان، فخاف فيروز أن يغير عليه الترك، فخرج إلى يزيد بن المهلب بخراسان، وأخذ صول جرجان، فلما قدم على يزيد بن المهلب

قال له: ما أقدمك؟

قال: خفت صولا، فهربت منه، قال له يزيد: هل من حيلة لقتاله؟

قال: نعم، شيء واحد، إن ظفرت به قتلته، أو أعطى يده، قال:

ما هو؟ قال: إن خرج من جرجان حتى ينزل البحيرة، ثم أتته ثم لحاصرت بها ظفرت به، فاكتب إلى الإصبيد كتابا تسأله فيه أن يحتال لصول حتى يقيم بجرجان، واجعل له على ذلك جعلًا، ومنه، فإنه يبعث بكاتبك إلى صول يتقرب به إليه لأنه يعظمه، فيتحول عن جرجان، فينزل البحيرة.

فكتب يزيد بن المهلب إلى صاحب طبرستان: أني أريد أن أغزو صولا وهو بجرجان، نخفت إن بلغه أني أريد ذلك أن يتحول إلى البحيرة فينزلها، فإن تحول إليها لم أقدر عليه، وهو يسمع منك ويستصحك، فإن حبسته العام بجرجان فلم يأت البحيرة حملت إليك خمسين ألف مثقال، فاحتل له حيلة، تحبسه بجرجان، فإنه إن أقام بها ظفرت به فلما رأى الإصبيد الكتاب أراد أن يتقرب إلى صول، فبعث بالكاتب إليه، فلما أتاه الكتاب أمر الناس بالرحيل إلى البحيرة وحمل الأطعمة ليتحصن فيها وبلغ يزيد أنه قد سار من جرجان إلى البحيرة، فاعتزم على السير إلى الجرجان، فخرج في ثلاثين ألفًا، ومعه فيروز ابن قول، واستخلف على خراسان مخلد بن يزيد، واستخلف على سمرقند وكس ونسف وبخارى ابنه معاوية بن يزيد، وعلى طخارستان حاتم بن قبيصة بن المهلب، وأقبل حتى أتى جرجان- ولم تكن يومئذ مدينة إنما هي جبال محيطة بها، وأبواب ومخارم، يقوم الرجل على باب منها فلا يقدم عليه أحد- فدخلها يزيد لم يعاذه أحد، وأصاب أموالًا، وهرب المرزبان، وخرج يزيد بالناس إلى البحيرة، فأناخ على صول، وتمثل حين نزل بهم:

نفر السيف وارتعشت يده وكان بنفسه وقيت نفوس قال: فحاصرهم، فكان يخرج إليه صول في الأيام فيقاتله ثم يرجع إلى حصنه، ومع يزيد أهل الكوفة وأهل البصرة ثم ذكر من قصه جهم ابن زحر وأخيه محمد نحو ما ذكره هشام، غير أنه قال في ضربة التركي ابن أبي سبرة: فنشب سيف التركي في درقة ابن أبي سبرة

قال علي بن محمد، عن علي بن مجاهد، عن عنبسة، قال: قاتل محمد بن أبي سبرة الترك بجرجان فأحاطوا به واعتوروه بأسيا فاهمهم، فانقطع في يده ثلاثة أسياف.

ثم رجع إلى حديثهم، قال: فكثوا بذلك- يعني الترك- محصورين يخرجون فيقاتلون، ثم يرجعون إلى حصنهم ستة أشهر، حتى شربوا ماء الأحساء، فأصابهم داء يسمى السَّوَاد، فوقع فيهم الموت، وأرسل صول في ذلك يطلب الصلح، فقال يزيد بن المهلب: لا، إلا أن ينزل على حكيم، فأبى فأرسل إليه: إني أصالحك على نفسي ومالي وثلاثمائة من أهل بيتي وخاصتي، على أن تؤمنني فتنزل البحيرة فأجابه إلى ذاك يزيد، فخرج بماله وثلاثمائة ممن أحب، وصار مع يزيد، فقتل يزيد من الأتراك أربعة عشر ألفاً صبراً، ومن على الآخرين فلم يقتل منهم أحداً وقال الجند ليزيد: أعطنا أرزاقنا، فدعا إدريس بن حنظله العمى، فقال: يا بن حنظلة، أحص لنا ما في البحيرة حتى نعطي الجند، فدخلها إدريس، فلم يقدر على احصاء ما فيها، فقال ليزيد:

فيها ما لا أستطيع إحصاءه، وهو في ظروف، فنحصى الجوالق ونعلم ما فيها، ونقول للجند: ادخلوا فخذوا، فن أخذ شيئاً عرفنا ما أخذ من الخنطة والشعير والأرز والسمسم والعسل قال: نعم ما رأيت، فأحصوا الجوالق عدداً، وعلموا كل جوالق ما فيه، وقالوا للجند: خذوا، فكان الرجل يخرج وقد أخذ ثياباً أو طعاماً أو ما حمل من شيء فيكتب على كل رجل ما أخذ، فأخذوا شيئاً كثيراً. قال علي: قال أبو بكر الهذلي: كان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب، فرفعوا عليه أنه أخذ خريطة، فسأله يزيد عنها، فأثاه بها، فدعا يزيد الذي رفع عليه فشتمه، وقال لشهر: هي لك، قال:

لا حاجة لي فيها، فقال القطامي الكلبي- ويقال: سنان بن مكمل النميري:

لقد باع شهر دينه بخريطة ... فن يأمن القراء بعدك يا شهر
أخذت به شيئاً طفيفاً وبعته ... من ابن جونبوذ ان هذا هو الغدر
وقال مرة النخعي لشهر:

يا بن المهلب ما أردت إلى امرئ ... لولاك كان كصالح القراء

قال علي: قال أبو محمد الثقفي: أصاب يزيد بن المهلب تاجا بجرجان فيه جوهر، فقال: أترون أحداً يزهدي في هذا التاج؟ قالوا: لا، فدعا محمد بن واسع الأزدي، فقال: خذ هذا التاج فهو لك، قال: لا حاجة لي فيه، قال: عزمت عليك، فأخذه، وخرج فأمر يزيد رجلاً ينظر ما يصنع به، فلقي سائلاً فدفعه إليه، فأخذ الرجل السائل، فأتى به يزيد وأخبره الخبر، فأخذ يزيد التاج، وعوض السائل ما لا كثيراً.

قال علي: وكان سُلَيْمَان بن عبد الملك كلما افتتح قتيبة فتحاً قال ليزيد بن المهلب: أما ترى ما يصنع الله على يدي قتيبة؟ فيقول ابن المهلب:

ما فعلت جرجان التي حالت بين الناس والطريق الأعظم، وأفسدت قومس وأبرشهر! ويقول: هذه الفتوح ليست بشيء، الشأن في جرجان.

فلما ولي يزيد بن المهلب لم يكن له همة غير جرجان قال: ويقال: كان يزيد بن المهلب في عشرين ومائة ألف، معه من أهل الشام ستون ألفاً.

قال علي في حديثه، عمن ذكر خبر جرجان عنهم: وزاد فيه على ابن مجاهد، عن خالد بن صبيح أن يزيد بن المهلب لما صالح صولاً طمع في طبرستان أن يفتحها، فاعتزم على أن يسير إليها، فاستعمل عبد الله بن المعمر اليشكري على البياسان ودهستان، وخلف معه أربعة آلاف، ثم أقبل إلى أداني جرجان مما يلي طبرستان، واستعمل على أندريستان أسد ابن عمرو- أو ابن عبد الله بن الربعة- وهي مما يلي طبرستان، وخلفه في أربعة آلاف، ودخل يزيد بلاد الإصبيد فأرسل إليه يسأله الصلح،

وأن يخرج من طبرستان، فأبى يزيد، ورجا أن يفتحها، فوجه أخاه أبا عيينة من وجه، وخالد بن يزيد ابنه من وجه، وأبا الجهم الكلبي من وجه، وقال: إذا اجتمعتم فأبو عيينة على الناس فسار أبو عيينة في أهل المصرين ومعه هريم بن أبي طحمة وقال يزيد لأبي عيينة: شاور هريماً فإنه ناصح وأقام يزيد معسكره.

قال: واستجاش الإصبيد بأهل جيلان وأهل الديلم، فأتوه فالتقوا في سند جبل، فانهزم المشركون، وأتبعهم المسلمون حتى انتهوا إلى فم الشعب فدخله المسلمون، فصعد المشركون في الجبل، وأتبعهم المسلمون، فرماهم العدو بالنشاب والحجارة، فانهزم أبو عيينة والمسلمون،

فركب بعضهم بعضا يساقطون من الجبل، فلم يثبتوا حتى انتهوا إلى عسكر يزيد، وكف العدو عن أتباعهم، وخافهم الإصبيد، فكتب إلى المرزبان ابن عم فيروز بن قول وهو بأقصى جرجان مما يلي البياسان: إنا قد قتلنا يزيد وأصحابه فاقتل من في البياسان من العرب نخرج إلى أهل البياسان والمسلمون غارون في منازلهم، قد أجمعوا على قتلهم، فقتلوا جميعا في ليلة، فأصبح عبد الله بن المعمر مقتولا وأربعة آلاف من المسلمين لم ينج منهم أحد، وقتل من بني العم خمسون رجلا، قتل الحسين بن عبد الرحمن واسماعيل ابن إبراهيم بن شماس وكتب إلى الإصبيد يأخذ بالمضايق والطرق.

وبلغ يزيد قتل عبد الله بن المعمر وأصحابه، فأعظموا ذلك، وهالهم، ففرغ يزيد إلى حيان النبطي وقال: لا يمنعك ما كان مني إليك من نصيحة المسلمين، قد جاءنا عن جرجان ما جاءنا، وقد أخذ هذا بالطرق، فاعمل في الصلح، قال: نعم، فأتى حيان الإصبيد فقال: أنا رجل منكم، وإن كان الدين قد فرق بيني وبينكم، فاني لكم ناصح، وأنت أحب إلي من يزيد، وقد بعث يستمد، وأمداده منه قريبة، وإنما أصابوا منه طرفا، ولست آمن ان يأتيك مالا تقوم له، فأرح نفسك منه، وصالحه

٦٠٣٣٠٤ فتح جرجان

فإنك إن صالحته صير حده على أهل جرجان بغدرهم وقتلهم من قتلوا، فصالحه على سبعمائة الف- وقال علي بن مجاهد: على خمسمائة الف- وأربعمائة وقر زعفران او قيمته من العين، وأربعمائة رجل، على كل رجل برنس وطيلسان، ومع كل رجل جام فضة وسرقة خز وكسوة.

ثم رجع إلى يزيد بن المهلب فقال: ابعث من يحمل صلحهم الذي صالحتهم عليه، قال: من عندهم أو من عندنا؟ قال: من عندهم وكان يزيد قد طابت نفسه على أن يعطيهم ما سألوا، ويرجع إلى جرجان فأرسل يزيد من يحمل ما صالحهم عليه حيان، وانصرف إلى جرجان، وكان يزيد قد غرم حيانا مائتي الف، نخاف الا ينصحه.

والسبب الذي له اغرم حيان فيه ما حدثني علي بن مجاهد، عن خالد بن صبيح، قال: كنت مؤدبا لولد حيان، فدعاني فقال لي: اكتب كتابا إلى مخلص بن يزيد- ومخلص يومئذ ببلخ، ويزيد بمر- فتناولت القرطاس، فقال: اكتب: من حيان مولى مصقلة إلى مخلص بن يزيد، فغمزني مقاتل ابن حيان الا تكتب، وأقبل على أبيه فقال: يا أبت تكتب إلى مخلص وتبدأ بنفسك! قال: نعم يا بني، فإن لم يرض لقي ما لقي قتيبة ثم قال لي: اكتب، فكتبت، فبعث مخلص بكتابيه إلى أبيه، فأغرم يزيد حيان مائتي الف درهم.

فتح جرجان

وفي هذه السنة فتح يزيد جرجان الفتح الآخر بعد غدرهم بجنده ونقضهم العهد، قال علي، عن الرهط الذين ذكر أنهم حدثوه بخبر جرجان وطبرستان: ثم إن يزيد لما صالح أهل طبرستان قصد لجرجان، فأعطى الله عهدا، لئن ظفر بهم الا يقلع عنهم، ولا يرفع عنهم السيف حتى يطحن بدمائهم، ويختبز من ذلك الطحين، ويأكل منه،

فلما بلغ المرزبان أنه قد صالح الإصبيد وتوجه إلى جرجان، جمع أصحابه وأتى وجهه، فتحصن فيها، وصاحبها لا يحتاج إلى عدة من طعام ولا شراب وأقبل يزيد حتى نزل عليها وهم متحصنون فيها، وحولها غياض فليس يعرف لها إلا طريق واحد، فأقام بذلك سبعة أشهر لا يقدر منهم على شيء، ولا يعرف لهم مأوى إلا من وجه واحد، فكانوا يخرجون في الأيام فيقاتلونهم ويرجعون إلى حصنهم، فبينما هم على ذلك إذ خرج رجل من عجم خراسان كان مع يزيد يتصيد ومعه شاكزية له.

وَقَالَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي مُخَنَّفٍ: نَخْرَجُ رَجُلًا مِنْ عَسْكَرِهِ مِنْ طَيْئٍ يَتَصِيدُ، فَأَبْصُرُ وَعَلَا يَرْقِي فِي الْجَبَلِ، فَأَتْبَعُهُ، وَقَالَ لِمَنْ مَعَهُ: قَفُوا مَكَانَكُمْ، وَوَقُلْ فِي الْجَبَلِ يَقْتَصُ الْأَثَرُ، فَمَا شَعَرْتُ بِشَيْءٍ حَتَّى هَجَمَ عَلَى عَسْكَرِهِمْ، فَرَجَعَ يَرِيدُ أَصْحَابَهُ، نَخَافُ الْإِيْهَتِي، فَجَعَلَ يَخْرُقُ قَبَاءَهُ وَيَعْقِدُ عَلَى الشَّجَرِ عَلَامَاتٍ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى أَصْحَابِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْعَسْكَرِ وَيُقَالُ: إِنَّ الَّذِي كَانَ يَتَصِيدُ الْهِيَاجَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَزْدِيِّ مِنْ أَهْلِ طُوسَ، وَكَانَ مِنْهُمَا بِالْصَيْدِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى الْعَسْكَرِ أَتَى عَامِرَ بْنَ أَيْمَنَ الْوَاشِجِيَّ صَاحِبَ شَرْطَةِ يَزِيدَ، فَمَنْعُوهُ مِنَ الدَّخُولِ، فَصَاحَ:

إِنْ عِنْدِي نَصِيحَةٌ.

وقال هشام عن أبي مخنف: جاء حتى رفع ذلك الى ابني زحر بن قيس، فانطلق به ابنا زحر حتى أدخلاه على يزيد فأعلمه، فضمن له بضممان الجهنية- أم ولد كانت ليزيد- على شيء قد سماه.

وقال علي بن محمد في حديثه عن أصحابه: فدعا به يزيد فقال:

ما عندك؟ قال: أتريد أن تدخل وجاه بغير قتال؟ قال: نعم، قال:

جعالتي؟ قال: احتكم، قال: أربعة آلاف، قال: لك دية، قال:

عجلوا لي أربعة آلاف، ثم أتم بعد من وراء الإحسان فأمر له بأربعة آلاف، وندب الناس، فانتدب ألف وأربعمائة، فقال: الطريق لا يحمل هذه الجماعة لالتفاف الغياض، فاختار منهم ثلاثمائة، فوجههم، واستعمل عليهم جهم بن زحر

وقال بعضهم: استعمل عليهم ابنه خالد بن يزيد، وقال له: إن غلبت على الحياة فلا تغلبن على الموت، وإياك أن أراك عندي منهزماً، وضم إليه جهم بن زحر، وقال يزيد للرجل الذي ندب الناس معه: متى تصل إليهم؟ قال: غدا عند العصر فيما بين الصلاتين، قال: امضوا على بركة الله، فإني سأجهد على مناهضتهم غدا عند صلاة الظهر فصاروا، فلما قارب انتصاف النهار من غد أمر يزيد الناس أن يشعلوا النار في حطب كان جمعه في حصاره إياهم، فصيره آكاماً، فأضرموه نارا، فلم تزل الشمس حتى صار حول عسكره أمثال الجبال من النيران، ونظر العدو إلى النار، فهالهم ما رأوا من كثرتها، فخرجوا إليهم وأمر يزيد الناس حين زالت الشمس فصلوا، فجمعوا بين الصلاتين، ثم زحفوا إليهم فاقتتلوا، وسار الآخرون بقية يومهم والغد، فهجموا على عسكر الترك قبيل العصر، وهم آمنون من ذلك الوجه، ويزيد يقاتل من هذا الوجه، فما شعروا إلا بالتكبير من ورائهم، فانقطعوا جميعاً إلى حصنهم، وركبهم المسلمون، فأعطوا بأيديهم، ونزلوا على حكم يزيد، فسبى ذراريهم، وقتل مقاتلتهم، وصلبهم فرسخين عن يمين الطريق ويساره، وقاد منهم اثني عشر ألفاً إلى الأندهرز- وادي جرجان- وقال: من طلبهم بثأر فليقتل، فكان الرجل من المسلمين يقتل الأربعة والخمسة في الوادي، وأجرى الماء في الوادي على الدم، وعليه أرحاء ليطحن بدمائهم، ولتبر يمينه، فطحن واختبز وأكل وبني مدينة جرجان وقال بعضهم: قتل يزيد من أهل جرجان أربعين ألفاً، ولم تكن قبل ذلك مدينة ورجع إلى خراسان واستعمل على جرجان جهم بن زحر الجعفي.

وأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن أبي مخنف أنه قال: دعا يزيد جهم ابن زحر فبعث معه أربعمائة رجل حتى أخذوا في المكان الذي دلوا عليه وقد أمرهم يزيد فقال: إذا وصلتم إلى المدينة فانتظروا، حتى إذا كان في السحر فكبروا، ثم انطلقوا نحو باب المدينة، فإنكم تجدوني وقد نهضت بجميع الناس إلى بابها، فلما دخل ابن زحر المدينة أهل حتى إذا كانت

الساعة التي أمره يزيد أن ينهض فيها مشى بأصحابه، فأخذ لا يستقبل من أحراسهم أحداً إلا قتله وكبر، ففرع أهل المدينة فزعا لم يدخلهم مثله قط فيما مضى، فلم يرعهم إلا والمسلمون معهم في مدينتهم يكبرون فدهشوا، فألقى الله في قلوبهم الرعب، وأقبلوا لا يدرون أين يتوجهون! غير أن عصابة منهم ليسوا بالكثير قد أقبلوا نحو جهم بن زحر، فقاتلوا ساعة، فدقت يد جهم، وصبر لهم هو وأصحابه، فلم يلبثوهم أن قتلوهم إلا قليلاً وسمع يزيد بن المهلب التكبير، فوثب في الناس إلى الباب، فوجدوهم قد شغلهم جهم بن زحر عن الباب، فلم يجد عليه من يمنعه ولا من يدفع عنه كبير دفع، ففتح الباب ودخلها من ساعته، فأخرج من كان فيها من المقاتلة، فنصب لهم الجذوع فرسخين عن يمين الطريق ويساره، فصلبهم أربعة فراسخ، وسبى أهلها، وأصاب ما كان فيها قال علي في حديثه، عن شيوخته، الذين قد ذكرت أسماءهم قبل، وكتب يزيد إلى سليمان بن عبد الملك:

أما بعد، فإن الله قد فتح لأمر المؤمنين فتحاً عظيماً، وصنع للمسلمين أحسن الصنع، فلربنا الحمد على نعمه وإحسانه، أظهر في خلافة أمير المؤمنين على جرجان وطبرستان، وقد أعيا ذلك سابور ذا الأكتاف وكسرى بن قباد وكسرى بن هرمز، وأعيا الفاروق عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان ومن بعدهما من خلفاء الله، حتى فتح الله ذلك لأمر المؤمنين، كرامة من الله له، وزيادة في نعمه عليه وقد صار عندي من خمس ما أفاء الله على المسلمين بعد أن صار إلى كل ذي حق حقه من الفياء والغنيمة ستة آلاف ألف، وأنا حامل ذلك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله فقال له كاتبه المغيرة بن أبي قره مولى بني سدوس: لا تكتب بتسمية مال، فإنك من ذلك

بين أمرين: إما استكثره فأمره بجملة، وإما سخت نفسه لك به فسوغه فتكلفت الهدية، فلا يأتيه من قبلك شيء إلا استقبله، فكأن بك قد استغرقت ما سميت

ولم يقع منه موقعا، ويبقى المال الذي سميت مخرجا عندهم عليك في دواوينهم، فإن ولي وال بعده أخذك به، وإن ولي من يتحمل عليك لم يرض منك بأضعافه، فلا تمض كتابك، ولكن اكتب بالفتح، سله القدوم فتشافه بما أحببت مشافهة، ولا تقصر، فإنك إن تقصر عما أحببت أخرى من أن تكثر فأبى يزيد وامضى وقال: بعضهم كان في الكتاب أربعة آلاف ألف قال أبو جعفر: وفي هذه السنة توفي أيوب بن سليمان بن عبد الملك، فحدثت عن علي بن محمد، قال: حدثنا علي بن مجاهد، عن شيخ من أهل الري أدرك يزيد، قال: أتى يزيد بن المهلب الري حين فرغ من جرجان، فبلغه وفاة أيوب بن سليمان وهو يسير في باغ أبي صالح على باب الري، فارتجز راجز بين يديه فقال:

إن يك أيوب مضى لشأنه ... فإن داود لفي مكانه

يقيم ما قد زال من سلطانه.

وفي هذه السنة فتحت مدينة الصقالبة وفيها.

غزا داود بن سليمان بن عبد الملك أرض الروم، ففتح حصن المرأة مما يلي ملطية.

وجع بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن السيد وهو يومئذ أمير على مكة، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.

وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عليها سنة سبع، وقد ذكرناهم قبل، غير أن عامل يزيد بن المهلب على البصرة في هذه السنة كان - فيما قيل - سفيان بن عبد الله الكندي.

٦٠٣٤ سنة تسع وتسعين

٦٠٣٤.١ وفاة سليمان بن عبد الملك

٦٠٣٤.٢ ذكر الخبر عن بعض سيره:

ثم دخلت

سنة تسع وتسعين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

وفاه سليمان بن عبد الملك

فمن ذلك وفاة سليمان بن عبد الملك، توفي - فيما حدثت عن هشام، عن أبي مخنف - بدابق من أرض قنسرين يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر، فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام.

وقد قيل: توفي لعشر ليال مضين من صفر وقيل: كانت خلافته سنتين وسبعة أشهر وقيل: سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام.

وقد حدث الحسن بن حماد، عن طلحة أبي محمد، عن أشياخه، أنهم قالوا: استخلف سليمان بن عبد الملك بعد الوليد ثلاث سنين وصلى عليه عمر بن عبد العزيز.

وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: توفي سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين، فكانت خلافته ثلاث سنين إلا أربعة أشهر

. ذكر الخبر عن بعض سيره:

حدثت عن علي بن محمد، قال: كان الناس يقولون: سليمان مفتاح الخير، ذهب عنهم الحجاج، فولي سليمان، فأطلق الأسارى، وخلي أهل السجون، وأحسن إلى الناس، واستخلف عمر بن عبد العزيز، فقال ابن بيض:

حاز الخلافة والداك كلاهما ... من بين سخطه ساخط أو طائع

أبواك ثم أخوك أصبح ثالثا ... وعلى جبينك نور ملك الرابع
وقال علي: قال المفضل بن المهلب: دخلت على سُلَيْمَانَ بدابق يوم
جمعة، فدعا بثياب فلبسها، فلم تعجبه، فدعا بغيرها بثياب خضر سوسية بعث بها يزيد بن المهلب، فلبسها واعتم وقال: يا بن المهلب،
أعجبتك؟ قلت: نعم، فخر عن ذراعيه ثم قال: أنا الملك الفتى، فصلى الجمعة، ثم لم يجمع بعدها، وكتب وصيته ودعا ابن أبي نعيم صاحب
الخطم فحتمه.

قال علي: قال بعض أهل العلم: إن سُلَيْمَانَ لبس يوما حلة خضراء وعمامة خضراء ونظر في المرأة فقال: أنا الملك الفتى، فما عاش بعد
ذلك إلا أسبوعا.

قال علي: وحدثنا سحيم بن حفص، قال: نظرت إلى سُلَيْمَانَ جارية له يوما، فقال: ما تنظرين؟ فقالت:
أنت خير المتاع لو كنت تبقى ... غير أن لا بقاء للإنسان
ليس فيما علمته فيك عيب ... كان في الناس غير أنك فان
فنفض عمامته.

قال علي: كان قاضي سليمان سُلَيْمَانَ بن حبيب المحاربي، وكان ابن أبي عيينة يقص عنده.

وحدثت عن أبي عبيدة، عن رؤبة بن العجاج، قال: حج سُلَيْمَانَ بن عبد الملك، وحج الشعراء معه، وحججت معهم، فلما كان بالمدينة
راجعا تلقوه بنحو من أربعمئة أسير من الروم، ففقد سُلَيْمَانَ، وأقربهم منه مجلسا عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب
ص، فقدم بطريقهم فقال: يا عبد الله، اضرب عنقه، فقام فما أعطاه أحد سيفا حتى دفع إليه حربي سيفه فضربه فأبان الرأس،
وأطن الساعد وبعض الغل، فقال سُلَيْمَانَ: أما والله ما من جودة السيف

جادت الضربة، ولكن لحسه، وجعل يدفع البقية إلى الوجوه وإلى الناس يقتلونهم حتى دفع إلى جرير رجلا منهم، فدست إليه بنو
عبس سيفا في قراب أبيض، فضربه فأبان رأسه، ودفع إلى الفرزدق أسير فلم يجد سيفاً، فدسوا له سيفاً دنانا مثنيا لا يقطع، فضرب
به الأسير ضربات، فلم يصنع شيئا، فضحك سُلَيْمَانَ والقوم، وشمّت بالفرزدق بنو عبس أحوال سُلَيْمَانَ، فألقى السيف وأنشأ يقول،
ويعتذر إلى سليمان، ويأتسى بنو سيف ورقاء عن رأس خالد:

إن يك سيف خان أو قدر أتى ... بتأخير نفس حتفها غير شاهد
فسيف بني عبس وقد ضربوا به ... نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد
كذاك سيوف الهند تنبو ظلماتها ... وتقطع أحيانا مناط القلائد

وورقاء هو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي، ضرب خالد بن جعفر بن كلاب، وخالد مكب على أبيه زهير قد ضربه بالسيف وصرعه،
فأقبل ورقاء بن زهير فضرب خالدا، فلم يصنع شيئا، فقال ورقاء ابن زهير:

رأيت زهيرا تحت كل كل خالد ... فأقبلت أسعى كالعجول أبادر
فشلت يميني يوم أضرب خالدا ... ويحصنه مني الحديد المظاهر
وقال الفرزدق في مقامه ذلك:

أعجب الناس أن أضحكت خيرهم ... خليفة الله يستسقي به المطر
فما نبا السيف عن جبن ودهش ... عند الإمام ولكن آخر القدر
ولو ضربت على عمرو مقلده ... نخر جثمانه ما فوقه شعر
وما يجعل نفسا قبل ميتتها ... جمع الدين ولا الصمصامة الذكر
وقال جرير في ذلك:

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ... ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربت به عند الإمام فأرعشت ... يداك، وقالوا محدث غير صارم

حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حَدَّثَنِي، أَبِي قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ قَالَ: حَدَّثَنِي عبد الله بن مُحَمَّد بن عيينة، قال: أخبرني أبو بكر بن عبد العزيز بن الضحاك بن قيس، قال: شهد سُلَيْمَان بن عبد الملك جنازة بدابق، فدفنت في حقل، فجعل سُلَيْمَان يأخذ من تلك التربة فيقول: ما أحسن هذه التربة! ما أطيبها! فما أتى عليه جمعة- أو كما قال- حتى دفن إلى جنب ذلك القبر

٦٠٣٤٠٣ خلافة عمر بن عبد العزيز

خلافة عمر بن عبد العزيز

وفي هذه السنة استخلف عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم.

ذكر الخبر عن سبب استخلاف سُلَيْمَان إياه:

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر، قال: حدثني الهيثم بن واقد، قال: استخلف عمر بن عبد العزيز بدابق يوم الجمعة لعشر مضين من صفر سنة تسع وتسعين.

قال مُحَمَّد بن عمر: حدثني داود بن خالد بن دينار، عن سهيل بن أبي سهيل قال: سمعت رجاء بن حيوة، يقول: لما كان يوم الجمعة لبس سُلَيْمَان بن عبد الملك ثيابا خضرا من خز، ونظر في المرأة، فقال: أنا والله الملك الشاب، فخرج إلى الصلاة فصلى بالناس الجمعة، فلم يرجع حتى وعك، فلما ثقل عهد في كتاب كتبه لبعض بنيه وهو غلام ولم يبلغ فقلت: ما تصنع يا أمير المؤمنين! إنه مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على المسلمين الرجل الصالح فقال سُلَيْمَان: أنا أستخير الله وأنظر فيه ولم أعزم عليه، قال: فكث يوما أو يومين، ثم خرقة، فدعاني، فقال: ما ترى في داود بن سُلَيْمَان؟ فقلت: هو غائب عنك بقسطنطينية وأنت لا تدري أحي هو أم ميت! فقال لي: فمن ترى؟ قلت: رأيك يا أمير المؤمنين، وأنا أريد أنظر من يذكر، قال: كيف ترى في عمر بن عبد العزيز؟ فقلت:

أعلمه والله خيرا فاضلا مسلما، فقال: هو والله على ذلك، ثم قال: والله لئن وليته ولم أول أحدا سواه لتكون فتنة، ولا يتركونه أبدا يلي عليهم إلا أن يجعل أحدهم بعده، ويزيد بن عبد الملك غائب على الموسم، قال: فيزيد ابن عبد الملك أجعله بعده، فإن ذلك مما يسكنهم ويرضون به، قلت:

رأيك قال: فكتب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ سُلَيْمَانَ أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز، إني قد وليتك الخلافة من بعدي، ومن بعده يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم.

وختم الكتاب، وأرسل إلى كعب بن حامد العبسي صاحب شرطه فقال: مر أهل بيتي فليجتمعوا، فأرسل كعب إليهم أن يجتمعوا فاجتمعوا، ثم قال سُلَيْمَان لرجاء بعد اجتماعهم: اذهب بكائي هذا إليهم فأخبرهم أن هذا كتابي، وأمرهم فليبايعوا من وليت فيه، ففعل رجاء، فلما قال رجاء ذلك لهم قالوا: ندخل فنسلم على أمير المؤمنين؟ قال: نعم، فدخلوا فقال لهم سُلَيْمَان في هذا الكتاب- وهو يشير لهم إليه وهم ينظرون إليه في يد رجاء ابن حيوة- عهدي، فاسمعوا وأطيعوا وبايعوا لمن سميت في هذا الكتاب. فبايعوه رجلا رجلا، ثم خرج بالكتاب محتوما في يد رجاء بن حيوة.

قال رجاء: فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال: أخشى أن يكون هذا أسند إلي شيئا من هذا الأمر، فأشددك الله وحرمتي ومودتي إلا أعلمتني إن كان ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن تأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة! قال رجاء: لا والله ما أنا بخبرك حرفا، قال: فذهب عمر غضبان.

قال رجاء: لقيني هشام بن عبد الملك، فقال: يا رجاء، إن لي بك حرمة ومودة قديمة، وعندي شكر، فأعلمني هذا الأمر، فإن كان إلي علمت، وإن كان إلى غيري تكلمت، فليس مثلي قصر به، فأعلمني فلك الله على الا أذكر من ذلك شيئا أبدا قال رجاء: فأبيت فقلت: والله لا أخبرك حرفا واحدا مما أسر إلي.

قال: فانصرف هشام وهو قد يئس، ويضرب بإحدى يديه على الأخرى وهو يقول: فإلى من إذا نحيت عني؟ أخرج من بني عبد الملك؟ قال رجاء: ودخلت على سُلَيْمَانَ فإذا هو يموت، فجعلت إذا أخذته السكره من سكرات الموت حرفته إلى القبلة، فجعل يقول حين يفيق: لم يأن لذلك بعد يا رجاء، ففعلت ذلك مرتين، فلما كانت الثالثة قال: من الآن يا رجاء إن كنت تريد شيئاً، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

قال: فحرفته ومات، فلما غمضته سجيته بقطيفة خضراء، وأغلقت الباب.

وأرسلت إلي زوجته تقول: كيف أصبح؟ فقلت: نائم، وقد تغطى، فنظر الرسول إليه مغطى بالقطيفة، فرجع فأخبرها فقبلت ذلك، وظنت أنه نائم، قال رجاء: وأجلست على الباب من ألق به، وأوصيته ألا يبرح حتى آتية، ولا يدخل على الخليفة أحد قال: نفرجت فأرسلت إلى كعب بن حامد العبسي، فجمع أهل بيت أمير المؤمنين، فاجتمعوا في مسجد دابق، فقلت: بايعوا، فقالوا: قد بايعنا مرة ونباع أخرى! قلت: هذا عهد أمير المؤمنين، فبايعوا على ما أمر به ومن سمي في هذا الكتاب المحتوم، فبايعوا الثانية، رجلاً رجلاً قال رجاء:

فلما بايعوا بعد موت سُلَيْمَانَ رأيت أني قد أحكمت الأمر، قلت: قوموا إلى صاحبكم فقد مات، قالوا: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! وقرأت الكتاب عليهم، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشام بن عبد الملك: لا نبايعه أبداً، قلت: أضرب والله عنقك، قم فبايع، فقام يجر رجله.

قال رجاء: وأخذت بضبعي عمر بن عبد العزيز فاجلسته لما وقع فيه وهشام يسترجع على المنبر وهو يسترجع لما أخطأه، فلما انتهى هشام إلى عمر قال عمر: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! حين صارت إلى لكراته إياها، والآخر يقول: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، حيث نحيت عني.

قال: وغسل سُلَيْمَانَ وكفن وصلى عليه عمر بن عبد العزيز، قال رجاء: فلما فرغ من دفنه أتى بمراكب الخلافة: البراذين والخليل والبغال ولكل دابة سائس، فقال: ما هذا! قالوا: مركب الخلافة، قال:

دابتي أوفى لي، وركب دابته قال: فصرفت تلك الدواب، ثم أقبل سائراً، فقل: منزل الخلافة، فقال: فيه عيال أبي أيوب وفي فسطاطي كفاية حتى يتحولوا، فأقام في منزله حتى فرغوه بعد، قال رجاء: فلما كان المساء من ذلك اليوم قال: يا رجاء، ادع لي كاتباً، فدعوته وقد رأيت منه كل ما سرتني، صنع في المراكب ما صنع، وفي منزل سُلَيْمَانَ، فقلت:

كيف يصنع الآن في الكتاب؟ أيصنع نسخاً، أم ماذا؟ فلما جلس الكاتب أملى عليه كتاباً واحداً من فيه إلى يد الكاتب بغير نسخة، فأملى أحسن إملاء وأبلغه وأوجزه، ثم أمر بذلك الكتاب أن ينسخ إلى كل بلد.

وبلغ عبد العزيز بن الوليد - وكان غائباً - موت سُلَيْمَانَ بن عبد الملك، ولم يعلم بيعة الناس عمر بن عبد العزيز، وعهد سُلَيْمَانَ إلى عمر، فعقد لواء، ودعا إلى نفسه، فبلغته بيعة الناس عمر بعهد سُلَيْمَانَ، فأقبل حتى دخل على عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: قد بلغني أنك كنت بايعت من قبلك، وأردت دخول دمشق، فقال: قد كان ذاك، وذلك أنه بلغني أن الخليفة سُلَيْمَانَ لم يكن عقد لأحد، خفت على الأموال أن تنتهب، فقال عمر: لو بويعت وقت بالأمر ما نازعتك ذلك، ولقعدت في بيتي، فقال عبد العزيز:

ما أحب أنه ولي هذا الأمر غيرك وبايع عمر بن عبد العزيز قال: فكان يرجي لسُلَيْمَانَ بتوليته عمر بن عبد العزيز وترك ولده.

وفي هذه السنة وجه عمر بن عبد العزيز إلى مسلمة وهو بأرض الروم وأمره بالقول منها بمن معه من المسلمين، ووجه إليه خيلاً عتاقاً وطعاماً كثيراً، وحث الناس على معونتهم، وكان الذي وجه إليه الخليل العتاق - فيما قيل - خمسمائة فرس.

وفي هذه السنة أغارت الترك على أذربيجان، فقتلوا من المسلمين جماعة، ونالوا منهم، فوجه إليهم عمر بن عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي،

فقتل أولئك الترك، فلم يفلت منهم إلا اليسير، فقدم منهم على عمر بخصاصة بخمسين أسيراً.

وفيها عزل عمر يزيد بن المهلب عن العراق، ووجه على البصرة وأرضها عدي بن أرطاة الفزاري، وبعث على الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب الأعرج القرشي، من بني عدي بن كعب، وضم إليه أبا الزناد، فكان أبو الزناد كاتب عبد الحميد

بن عبد الرحمن، وبعث عدي في أثريز بن المهلب موسى بن الوجيه الحميري. وجج بالناس في هذه السنة أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم، وكان عامل عمر على المدينة. وكان عامل عمر على مكة في هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله ابن خالد بن أسيد، وعلى الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن، وعلى البصرة وأرضها عدي بن أرطاة، وعلى خراسان الجراح بن عبد الله. وعلى قضاء البصرة إياس بن معاوية بن قرة المزني، وقد ولى فيما ذكر قبله الحسن بن أبي الحسن، فشكا، فاستقصى إياس بن معاوية. وكان على قضاء الكوفة في هذه - السنة فيما قيل - عامر الشعبي وكان الواقدي يقول: كان الشعبي على قضاء الكوفة أيام عمر بن عبد العزيز من قبل عبد الحميد بن عبد الرحمن، والحسن بن أبي الحسن البصري على قضاء البصرة من قبل عدي بن أرطاة، ثم إن الحسن استعفى من القضاء عديا، فأعفاه وولى إياسا

٦٠٣٥ سنه مائه

٦٠٣٥.١ فمن ذلك خروج الخارجة التي خرجت على عمر بن عبد العزيز بالعراق.

٦٠٣٥.٢ خبر خروج شوذب الخارجي

ثم دخلت

سنة مائة

(ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها)

فمن ذلك خروج الخارجة التي خرجت على عمر بن عبد العزيز بالعراق.

ذكر الخبر عن أمرهم: ذكر محمد بن عمر أن أبي الزناد حدثه، قال خرجت حرورية بالعراق، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب عامل العراق يأمره أن يدعوهم إلى العمل بكتاب الله وسنة نبيه ص فلها أعذر في دعائهم بعث إليهم عبد الحميد جيشا فهزمتهم الحرورية، فبلغ عمر، فبعث إليهم مسلمة بن عبد الملك في جيش من أهل الشام جهزهم من الرقة، وكتب إلى عبد الحميد: قد بلغني ما فعل جيشك جيش السوء، وقد بعثت مسلمة بن عبد الملك، نخل بينه وبينهم.

فلقيهم مسلمة في أهل الشام، فلم ينشب أن أظهره الله عليهم ٤

. خبر خروج شوذب الخارجي

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن الذي خرج على عبد الحميد بن عبد الرحمن بالعراق في خلافة عمر بن عبد العزيز شوذب - واسمه بسطام من بني يشكر - لكان مخرجه بجوخي في ثمانين فارسا أكثرهم من ربيعة، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد، الا تحركهم إلا أن يسفكوا دما، أو يفسدوا في الأرض، فإن فعلوا نخل بينهم وبين ذلك، وانظر رجلا صليبا حازما فوجهه إليهم، ووجه معه جندا، وأوصه بما أمرتك به.

فعقد عبد الحميد لمحمد بن جرير بن عبد الله البجلي في الفين من أهل الكوفة، وأمره بما أمره به عمر، وكتب عمر إلى بسطام يدعو ويسأله عن مخرجه، فقدم كتاب عمر عليه، وقد قدم عليه محمد بن جرير، فقام بإزائه لا يحركه

٦٠٣٥.٣ خبر القبض على يزيد بن المهلب

ولا يهيجه، فكان في كتاب عمر إليه: أنه بلغني أنك خرجت غضبا لله ولنبيه، ولست بأولى بذلك مني، فهلم أناظرك فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس، وإن كان في يدك نظرنا في أمرنا فلم يحرك بسطام شيئا، وكتب إلى عمر: قد أنصفت، وقد بعثت إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك - قال أبو عبيدة: أحد الرجلين اللذين بعثهما شوذب إلى عمر ممزوج مولى بني شيبان، والآخر من

صلبية بني يشكر- قال: فيقال: أرسل نفرا فيهم هذان، فأرسل إليهم عمر: أن اختاروا رجلين، فاختروهما، فدخلوا عليه فناظرهما، فقالا له: أخبرنا عن يزيد لم تقره خليفة بعدك؟ قال:

صيره غيري، قال: أفرأيت لو وليت مالا لغيرك ثم وكلته إلى غير مأمون عليه، أترك كنت أديت الأمانة إلى من أثمتك! قال: فقال: انظراني ثلاثا، نخرجا من عنده، وخاف بنو مروان أن يخرج ما عندهم وفي أيديهم من الأموال، وأن يخلع يزيد، فسدوا إليه من سقاه سما، فلم يلبث بعد خروجهما من عنده إلا ثلاثا حتى مات.

وفي هذه السنة أغزى عمر بن عبد العزيز الوليد بن هشام المعيطي وعمرو ابن قيس الكندي من أهل حمص الصائفة. وفيها شخص عمر بن هبيرة الفزاري إلى الجزيرة عاملا لعمر عليها . خبر القبض على يزيد بن المهلب

وفي هذه السنة حمل يزيد بن المهلب من العراق إلى عمر بن عبد العزيز. ذكر الخبر عن سبب ذلك، وكيف وصل إليه حتى استوثق منه:

اختلف أهل السير في ذلك، فأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن أبي مخنف أن عمر بن عبد العزيز لما جاء يزيد بن المهلب فنزل واسطا، ثم ركب السفن يريد البصرة، بعث عدي بن أرطاة إلى البصرة أميرا، فبعث عدي موسى بن الوجيه الحميري، فلحقه في نهر معقل عند الجسر، جسر

البصرة فأوثقه، ثم بعث به إلى عمر بن عبد العزيز، فقدم به عليه موسى ابن الوجيه، فدعا به عمر بن عبد العزيز- وقد كان عمر يبغض يزيد وأهل بيته، ويقول: هؤلاء جبابرة، ولا أحب مثلهم، وكان يزيد بن المهلب يبغض عمر ويقول: إني لأظنه مرائيا، فلما ولي عمر عرف يزيد أن عمر كان من الرياء بعيدا ولما دعا عمر يزيد سأله عن الأموال التي كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك، فقال: كنت من سليمان بالمكان الذي قد رأيت، وإنما كتبت إلى سليمان لأسمع الناس به، وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذني بشيء سمعت، ولا بأمر أكرهه، فقال له: ما أجد في أمرك إلا حبسك، فاتق الله وأد ما قبلك، فإنها حقوق المسلمين، ولا يسعني تركها، فردّه إلى محبسه، وبعث إلى الجراح بن عبد الله الحكي فسرحه إلى خراسان، وأقبل مخلد بن يزيد من خراسان يعطي الناس، ولا يمر بكورة إلا أعطاهم فيها أموالا عظاما ثم خرج حتى قدم على عمر بن عبد العزيز، فدخل عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله يا أمير المؤمنين صنع لهذه الأمة بولايتك عليها، وقد ابتلينا بك، فلا نكن أشقى الناس بولايتك، علام تحبس هذا الشيخ! أنا أتحمّل ما عليه، فصالحني على ما إياه تسأل، فقال عمر: لا إلا ان تحمل جميع ما نسأله إياه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن كانت لك بيعة نخذ بها، وإن لم تكن بيعة فصدق مقالة يزيد، وإلا فاستحلفه، فإن لم يفعل فصالحه.

فقال له عمر: ما أجد إلا أخذه بجميع المال فلما خرج مخلد قال: هذا خير عندي من أبيه، فلم يلبث مخلدا إلا قليلا حتى مات، فلما أبى يزيد أن يؤدي إلى عمر شيئا ألبسه جبة من صوف، وحمله على جمل، ثم قال: سيروا به إلى دهلك، فلما أخرج فربّه على الناس أخذ يقول: ما لي عشيرة، ما لي يذهب بي إلى دهلك! إنما يذهب إلى دهلك بالفاسق المريب الخارب، سبحان الله! أما لي عشيرة! فدخل على عمر سلامة بن نعيم

٦٠٣٥٤ عزل الجراح بن عبد الله عن خراسان

الخلواني، فقال: يا أمير المؤمنين، اردد يزيد إلى محبسه، فإني أخاف إن أمضيته أن ينتزعه قومه، فإني قد رأيت قومه غضبوا له فردّه إلى محبسه، فلم يزل في محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر.

وأما غير أبي مخنف فإنه قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي ابن أرطاة يأمره بتوجيه يزيد بن المهلب، ودفعه إلى من بعين التمر من الجند، فوجهه عدي بن أرطاة مع وكيع بن حسان بن أبي سود التيمي مغلولا مقيدا في سفينة، فلما انتهى به إلى نهر أبان، عرض لوكيع ناس من الأزدي لينتزعه منه، فوثب وكيع فانتضى سيفه، وقطع قلنس السفينة، وأخذ سيف يزيد ابن المهلب، وحلف بطلاق امرأته ليضربن عنقه إن لم يتفرقوا، فناداهم يزيد بن المهلب، فأعلمهم يمين وكيع، فتفرقوا، ومضى به حتى سلمه إلى الجند الذين بعين

التمر، ورجع وكيع إلى عدي بن أرطاة، ومضى الجند الذين بعين التمر يزيد بن المهلب إلى عمر بن عبد العزيز، فحبسه في السجن . عزل الجراح بن عبد الله عن خراسان

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله عن خراسان، وولاهما عبد الرحمن بن نعيم القشيري، فكانت ولاية الجراح بخراسان سنة وخمسة أشهر، قدمها سنة تسع وتسعين، وخرج منها لأيام بقيت من شهر رمضان سنة مائة.

(ذكر سبب عزل عمر إياه): وكان سبب ذلك - فيما ذكر علي بن محمد عن كليب بن خلف عن إدريس بن حنظلة، والمفضل عن جده وعلي بن مجاهد عن خالد ابن عبد العزيز، أن يزيد بن المهلب ولي جهم بن زحر جرجان حين شخص عنها، فلما كان من أمر يزيد ما كان وجه عامل العراق من العراق واليا على جرجان، فقدم الوالي عليها من العراق، فأخذ جهم فقيده وقيد

رهطاً قدموا معه، ثم خرج في خمسين من اليمن يريد الجراح بخراسان، فأطلق أهل جرجان عاملهم، فقال الجراح لجهم: لولا أنك ابن عمي لم أسوغك هذا، فقال له جهم: ولولا أنك ابن عمي لم آتاك - وكان جهم سلف الجراح من قبل ابنتي حصين بن الحارث وابن عمه، لأن الحكم وجعفي ابنا سعد - فقال له الجراح: خالفت إمامك، وخرجت عاصياً، فاغز لعلك أن تظفر، فيصلح أمرك عند خليفتك فوجهه إلى الختل، ففرج، فلما قرب منهم سار متكرراً في ثلاثة، وخلف في عسكره ابن عمه القاسم بن حبيب - وهو ختته على ابنته أم الأسود - حتى دخل على صاحب الختل فقال له:

أخني، فأخلاه، فاعتزى، فنزل صاحب الختل عن سريرته وأعطاه حاجته - ويقولون: اختل موالى النعمان - وأصاب مغنماً، فكتب الجراح إلى عمر: وأوفد وفداً، رجلين من العرب، ورجلاً من الموالى من بني ضبة ويكنى أبا الصيذاء واسمه صالح بن طريف، كان فاضلاً في دينه وقال بعضهم: المولى سعيد أخو خالد أو يزيد النحوي فتكلم العرييان والآخر جالس، فقال له عمر: أما أنت من الوفد؟ قال: بلى، قال: فما يمنعك من الكلام! قال:

يا أمير المؤمنين، عشرون ألفاً من الموالى يغزون بلا عطاء ولا رزق، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج، وأميرنا عصي جاف يقوم على منبرنا، فيقول: أتيتكم حفياء، وأنا اليوم عصي! والله لرجل من قومي أحب إلي من مائة من غيرهم وبلغ من جفائه أن كم درعه يبلغ نصف درعه، وهو بعد سيف من سيوف الحجاج، قد عمل بالظلم والعدوان فقال عمر:

إذن مثلك فليوفد.

وكتب عمر إلى الجراح: أنظر من صلى قبلك إلى القبلة، فضع عنه الجزية فسارع الناس إلى الإسلام، فقل للجراح: إن الناس قد سارعوا إلى الإسلام، وإنما ذلك نفورا من الجزية، فامتحنهم بالختان.

فكتب الجراح بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: إن الله بعث محمداً ص داعياً ولم يبعثه خاتماً وقال عمر: ابغوني رجلاً صدوقاً، أسأله عن خراسان، فقل له: قد وجدته، عليك بأبي مجاز فكتب إلى الجراح: أن أقبل واحمل أبا مجاز وخلف على حرب خراسان عبد الرحمن بن نعيم الغامدي وعلى جزيتها عبيد الله - أو عبد الله - بن حبيب.

نخطب الجراح فقال: يا أهل خراسان، جئكم في ثيابي هذه التي على فرسي، لم أصب من مالكم إلا حلية سيفي - ولم يكن عنده إلا فرس قد شاب وجهه، وبغلة قد شاب وجهها، فخرج في شهر رمضان واستخلف عبد الرحمن بن نعيم، فلما قدم قال له عمر: متى خرجت؟ قال: في شهر رمضان، قال: قد صدق من وصفك بالجفاء، هلا أقمت حتى تفطر ثم تخرج! وكان الجراح يقول: أنا والله عصبي عقي - يريد من العصبية وكان الجراح لما قدم خراسان كتب إلى عمر: أني قدمت خراسان فوجدت قوماً قد أبطرتهم الفتنة فهم ينزون فيها نزواً، أحب الأمور إليهم أن تعود لينعوا حق الله عليهم، فليس يكفهم إلا السيف والسوط، وكهت الإقدام على ذلك إلا بإذنك فكتب إليه عمر:

يا بن أم الجراح، أنت أحرص على الفتنة منهم، لا تضر بن مؤمناً ولا معاهداً سوطاً إلا في حق، واحذر القصاص فإنك صائر إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وتقرأ كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

ولما أراد الجراح الشخص من خراسان إلى عمر بن عبد العزيز أخذ عشرين ألفاً وقال بعضهم: عشرة آلاف من بيت المال وقال: هي

علي سلفا حتى أؤديها إلى الخليفة، فقدم علي عمر، فقال له عمر: متى خرجت؟ قال: لأيام بقين من شهر رمضان، وعلي دين فاقضه، قال: لو أقت حتى تفطر ثم خرجت قضيت عنك فأدى عنه قومه في أعطياتهم.

٦٣٥٥ ذكر الخبر عن سبب توليه عمر بن عبد العزيز عبد الرحمن بن نعيم وعبد الرحمن بن عبد الله القشيري خراسان

ذكر الخبر عن سبب تولية عمر بن عبد العزيز عبد الرحمن بن نعيم وعبد الرحمن بن عبد الله القشيري خراسان وكان سبب ذلك- فيما ذكر لي- أن الجراح بن عبد الله لما شكى، واستقدمه عمر بن عبد العزيز، فقدم عليه عزله عن خراسان لما قد ذكرت قبل.

ثم إن عمر لما أراد استعمال عامل على خراسان، قال- فيما ذكر علي ابن محمد عن خارجة بن مصعب الضبي وعبد الله بن المبارك وغيرهما: ابغوني رجلا صدوقا أسأله عن خراسان، فقبل له: أبو مجلز لاحق بن حميد، فكتب فيه، فقدم عليه- وكان رجلا لا تأخذه العين- فدخل أبو مجلز على عمر في جفة الناس، فلم يثبتته عمر، وخرج مع الناس فسأل عنه فقيل:

دخل مع الناس ثم خرج، فدعا به عمر فقال: يا أبا مجلز، لم أعرفك، قال:

فهلا أنكرتني إذ لم تعرفني! قال: أخبرني عن عبد الرحمن بن عبد الله، قال:

يكافئ الأكفاء، ويعادي الأعداء، وهو أمير يفعل ما يشاء، ويقدم إن وجد من يساعده قال: عبد الرحمن بن نعيم، قال: ضعيف لين يحب العافية، وتأني له، قال: الذي يحب العافية وتأني له أحب إلي، فولاه الصلاة والحرب، وولى عبد الرحمن القشيري ثم أحد بني الأعور بن قشير الخراج، وكتب إلى أهل خراسان: أني استعملت عبد الرحمن على حربكم وعبد الرحمن بن عبد الله على خراجكم عن غير معرفة مني بهما ولا اختيار، إلا ما أخبرت عنهما، فإن كانا على ما تحبون فاحمدوا الله، وإن كانا على غير ذلك فاستعينوا بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله قال علي: وحدثننا أبو السري الأزدي، عن إبراهيم الصائغ، أن عمر ابن عبد العزيز كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم:

أما بعد، فكن عبدا ناصحا لله في عبادته، ولا يأخذك في الله لومة لائم، فإن الله أولى بك من الناس، وحقه عليك أعظم، فلا تولين شيئا من أمر المسلمين إلا المعروف بالنصيحة لهم والتوفير عليهم، وأداء الأمانة فيما استرعي،

٦٣٥٦ أول الدعوة

وإياك أن يكون ملك ميلا إلى غير الحق، فإن الله لا تخفى عليه خافية، ولا تذهبن عن الله مذهبا، فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه. قال علي، عن محمد الباخلي، وأبي نهيك بن زياد وغيرهما: إن عمر بن عبد العزيز بعث بعهد عبد الرحمن بن نعيم على حرب خراسان وسجستان مع عبد الله بن صخر القرشي، فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى مات عمر بن عبد العزيز، وبعد ذلك حتى قتل يزيد بن المهلب، ووجه مسلمة سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم، فكانت ولايته أكثر من سنة ونصف، ولها في شهر رمضان من سنة مائة، وعزل سنة اثنتين ومائة، بعد ما قتل يزيد بن المهلب.

قال علي: كانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستة عشر شهرا

. أول الدعوة

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة- أعني سنة مائة- وجه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من أرض الشراة ميسرة إلى العراق، ووجه محمد بن خنيس وأبا عكرمة السراج، وهو أبو محمد الصادق وحيان العطار خال إبراهيم ابن سلمة إلى خراسان، وعليها يومئذ الجراح بن عبد الله الحكمي من قبل عمر بن عبد العزيز، وأمرهم بالدعاء إليه وإلى أهل بيته، فلقوا من لقوا، ثم انصرفوا بكتب من استجاب لهم إلى محمد بن علي، فدفعوها إلى ميسرة، فبعث بها ميسرة إلى محمد بن علي، واختار أبو محمد الصادق لمحمد بن علي اثني عشر رجلا، نقباء،

منهم سليمان ابن كثير الخزاعي، ولاهز بن قريظ التميمي، وقطبة بن شبيب الطائي، وموسى بن كعب التميمي، وخالد بن إبراهيم أبو داود، من بني عمرو بن شيبان بن ذهل، والقاسم بن مجاشع التميمي وعمران بن إسماعيل أبو النجم، مولى لآل أبي معيط ومالك بن الهيثم الخزاعي وطلحه ابن رزيق الخزاعي وعمرو بن أعين أبو حمزة مولى نخزاعة وشبل بن طهمان أبو علي الهروي، مولى لبني حنيفة، وعيسى بن أعين مولى نخزاعة، واختار.

سبعين رجلا، فكتب إليهم محمد بن علي كتابا ليكون لهم مثالا وسيرة يسرون بها
وجج بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ عَنْ ذَكَرَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى عَنْ أَبِي
مَعِشَرٍ.
وكذلك قال الواقدي.

وكان عمال الأمصار في هذه السنة العمال في السنة التي قبلها، وقد ذكرناهم قبل ما خلا عامل خراسان، فإن عاملها كان في آخرها
عبد الرحمن بن نعيم على الصلاة والحرب، وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج

٦٠٣٦ سنة إحدى ومائة

٦٠٣٦٠١ خبر هرب يزيد بن المهلب من سجته

ثم دخلت

سنة إحدى ومائة

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَحْدَاثِ)

خبر هرب يزيد بن المهلب من سجته

فمن ذلك ما كان من هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز ذكر الخبر عن سبب هربه منه وكيف كان هربه منه:
ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، أن عمر بن عبد العزيز لما كلم في يزيد بن المهلب حين أراد نفيه إلى دهلك، وقيل له: إنا نخشى أن
ينتزعه قومه، رده إلى محبسه فلم يزل في محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر، فأخذ يعمل بعد في الحرب من محبسه مخافة يزيد بن عبد
الملك، لأنه كان قد عذب أصحابه آل أبي عقيل - كانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف عند يزيد بن عبد الملك،
فولدت له الوليد بن يزيد المقتول - فكان يزيد بن عبد الملك قد عاهد الله لئن أمكنه الله من يزيد بن المهلب ليقطعن منه طابقا فكان
يخشى ذلك، فبعث يزيد بن المهلب إلى مواليه، فأعدوا له إبلا وكان مرض عمر في دير سمعان، فلما اشتد مرض عمر أمر بإبله فأتي بها،
فلما تبين له أنه قد ثقل نزل من محبسه، فخرج حتى مضى إلى المكان الذي واعدهم فيه، فلم يجدهم جاءوا، فخرج أصحابه وضجروا، فقال
لأصحابه: اتروني أرجع إلى السجن! لا والله لا أرجع إليه أبدا ثم إن الإبل جاءت، فاحتمل، فخرج ومعه عاتكه امراته ابنة الفرات
ابن معاوية العامرية من بنى البكاء في شق المحمل، فمضى.

فلما جاز كتب إلى عمر بن عبد العزيز: أني والله لو علمت أنك تبقى ما خرجت من محبسي، ولكني لم آمن يزيد بن عبد الملك، فقال
عمر: اللهم إن كان يزيد يريد بهذه الأمة شرا فاكفهم شره، وردد كيده في نحره ومضى يزيد بن المهلب حتى مر بحدث الزقاق، وفيه
الهديل بن زفر معه قيس،

٦٠٣٦٠٢ خبر وفاة عمر بن عبد العزيز

فأتبعوا يزيد بن المهلب حيث مر بهم، فأصابوا طرفا من ثقله وغلبة من وصفائه، فأرسل الهديل بن زفر في آثارهم، فردهم فقال: ما
تطلبون؟

أخبروني، أتطلبون يزيد بن المهلب أو أحدا من قومه بتبل؟ فقالوا: لا، قال: فما تريدون؟ إنما هو رجل كان في إيسار، نخاف على نفسه
فهرب.

وزعم الواقدي أن يزيد بن المهلب إنما هرب من سجن عمر بعد موت عمر

. خبر وفاه عمر بن عبد العزيز
وفي هذه السنة توفي عمر بن عبد العزيز، فحدثني أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: توفي عمر بن عبد العزيز لخمس ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة.
وكذلك قال محمد بن عمر، حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني عمرو بن عثمان، قال: مات عمر بن عبد العزيز لعشر ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة.
وقال هشام عن أبي مخنف: مات عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لخمس بقين من رجب بدير سمعان في سنة إحدى ومائة، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر، ومات بدير سمعان.
حدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني عمي الهيثم بن واقد، قال: ولدت سنة سبع وتسعين، واستخلف عمر بن عبد العزيز بذايق يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين، فأصابني من قسمه ثلاثة دنانير، وتوفي بخصاصة يوم الأربعاء لخمس ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة، وكان شكوه عشرين يوما، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام، ومات وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر، ودفن بدير سمعان.
وقد قال بعضهم: كان له يوم توفي تسع وثلاثون سنة، وخمسة أشهر

٦٠٣٦٣ ذكر بعض سيره

وقال بعضهم: كان له أربعون سنة.
وقال هشام: توفي عمر وهو ابن أربعين سنة وأشهر، وكان يكنى أبا حفص وله يقول عوف القوافي، وقد حضره في جنازة شهدها معه: أجبني أبا حفص لقيت محمدا ... على حوضه مستبشرا وراكا
فأنت امرؤ كلتا يديك مفيدة ... شمالك خير من يمين سواكا
وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وكان يقال له: أشج بن أمية، وذلك أن دابة من دواب أبيه كانت شجته فقيل له: أشج بن أمية.
حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا المبارك بن فضالة، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، قال: كنت أسمع ابن عمر كثيرا يقول: ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر، في وجهه علامة، يملأ الأرض عدلا! وحدثت عن منصور بن أبي مزاحم، قال: حدثنا مروان بن شجاع.
عن سالم الأفطس، أن عمر بن عبد العزيز رحمته دابة وهو غلام بدمشق، فأتيته به أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، فضمته إليها، وجعلت تمسح الدم عن وجهه ودخل أبوه عليها على تلك الحال، فأقبلت عليه تعذله وتلومه، وتقول: ضيقت ابني، ولم تضم إليه خادما ولا حاضنا يحطه من مثل هذا! فقال لها: اسكتي يا أم عاصم، فطوباك إذ كان أشج بن أمية!

ذكر بعض سيره

ذكر علي بن محمد أن كليب بن خلف حدثهم عن إدريس بن حنظلة، والمفضل، عن جده وعلي بن مجاهد عن خالد: أن عمر بن عبد العزيز كتب حين ولي الخلافة إلى يزيد بن الهلب:
أما بعد، فإن سليمان كان عبدا من عبيد الله أنعم الله عليه، ثم قبضه واستخلفني، ويزيد بن عبد الملك من بعدي إن كان، وإن الذي ولاني الله من ذلك وقدر لي ليس علي بهين، ولو كانت رغبتني في اتخاذ أزواج واعتقاد أموال، كان في الذي أعطاني من ذلك ما قد بلغ بي أفضل ما بلغ بأحد من خلقه، وأنا أخاف فيما ابتليت به حسابا شديدا، ومسالة غليظة، أما ما عافى الله ورحم، وقد بايع من قبلنا فبايع من قبلك.

فلما قدم الكتاب على يزيد بن المهلب، ألقاه إلى أبي عيينة، فلما قرأه قال: لست من عماله، قال: ولم؟ قال: ليس هذا كلام من مضى من أهل بيته، وليس يريد أن يسلك مسلكهم فدعا الناس إلى البيعة فبايعوا.

قال: ثم كتب عمر إلى يزيد استخلف على خراسان، وأقبل، فاستخلف ابنه مخلدًا.
قال علي: وحدثننا علي بن مجاهد، عن عبد الأعلى بن منصور، عن ميمون بن مهران، قال: كتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم أن العمل والعلم قريان، فكن عالما بالله عاملا له، فإن أقواما علموا ولم يعلموا، فكان عليهم عليهم وبالا.
قال وأخبرنا مصعب بن حيان عن مقاتل بن حيان، قال: كتب عمر إلى عبد الرحمن.
أما بعد، فاعمل عمل رجل يعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين.

قال علي: أخبرنا كليب بن خلف، عن طفيل بن مرداس، قال: كتب عمر إلى سُلَيْمَانَ بن أَبِي السري، أن اعمل خانات في بلادك فمن مر بك من المسلمين فأقروهم يوما وليلة، وتعهدوا دوابهم، فمن كانت به علة فأقروه يومين وليلتين، فإن كان منقطعاً به فقروه بما يصل به إلى بلده.

فلما أتاه كتاب عمر قال أهل سمرقند لسُلَيْمَانَ: إن قتيبة غد ربنا، وظلمنا وأخذ بلادنا، وقد أظهر الله العدل والإنصاف، فائذن لنا فليفد منا وفد
إلى أمير المؤمنين يشكون ظلامتنا، فإن كان لنا حق أعطيناه، فإن بنا إلى ذلك حاجة فأذن لهم، فوجهوا منهم قوماً، فقدموا على عمر، فكتب لهم عمر إلى سُلَيْمَانَ ابن أبي السري:

أن أهل سمرقند قد شكوا إلي ظلمنا أصابهم وتحاملا من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم، فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي، فلينظر في أمرهم، فإن قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة.

قال: فأجلس لهم سُلَيْمَانَ جميع بن حاضر القاضي الناجي، فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابذوهم على سواء، فيكون صلحا جديدا أو ظفرا عنوة، فقال أهل السغد: بل نرضى بما كان، ولا نجد حربا.

وتراضوا بذلك، فقال أهل الرأي: قد خالطنا هؤلاء القوم وأقنا معهم، وأمنونا وأمناهم، فإن حكم لنا عندنا إلى الحرب ولا ندري لمن يكون الظفر، وإن لم يكن لنا كما قد اجتلبنا عداوة في المنازعة فتركوا الأمر على ما كان، ورضوا ولم ينازعوا.

قال: وكتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم يأمره بإقفال من وراء النهر من المسلمين بذراريهم قال: فأبوا وقالوا: لا يسعنا مرو فكتب إلى عمر بذلك، فكتب إليه عمر: اللهم إني قد قضيت الذي علي، فلا تغز بالمسلمين، فحسبهم الذي قد فتح الله عليهم.
قال: وكتب إلى عقبة بن زرة الطائي - وكان قد ولاه الخراج بعد القشيري.

إن للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها، فالوالي ركن، والقاضي ركن، وصاحب بيت المال ركن، والركن الرابع أنا، وليس من ثغور المسلمين ثغر أهم إلي، ولا أعظم عندي من ثغر خراسان، فاستوعب الخراج وأحرزه في غير ظلم، فإن يك كفاً لأعطياتهم فسبيل ذلك، وإلا فاكذب إلي حتى أحمل إليك الأموال فتوفر لهم أعطياتهم قال: فقدم عقبة فوجد خراجهم يفضل عن أعطياتهم، فكتب إلى

عمر فأعلمه، فكتب إليه عمر: أن أقسم الفضل في أهل الحاجة.

وحديثي عبد الله بن أحمد بن شبيب، قال: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ:

حَدَّثَنِي سُلَيْمَانَ، قَالَ: سمعت عبد الله يقول عن محمد بن طلحة، عن داود ابن سُلَيْمَانَ الجعفي، قال: كتب عمر بن عبد العزيز: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الحميد، سلام عليك، أما بعد، فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في احكام الله وسنه خبيثة استنبا عليهم عمال سوء، وإن قوام الدين العدل والإحسان، فلا يكون شيء أهم إليك من نفسك، فإنه لا قليل من الإثم، ولا تحمل خراباً على عامر، ولا عامراً على خراب، انظر الخراب نفذ منه ما أطاق، وأصلحه حتى يعمر، ولا يؤخذ من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لأهل الأرض، ولا تأخذن في الخراج إلا وزن سبعة ليس لها آيين ولا أجور الضرابين، ولا هدية النيروز والمهرجان، ولا ثمن الصحف، ولا أجور الفيوج، ولا أجور البيوت، ولا دراهم النكاح، ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض، فاتبع في ذلك أمري، فإني قد وليتك من ذلك ما ولاني الله، ولا تعجل دوني بقطع ولا صلب، حتى تراجعني فيه، وانظر

من أراد من الذرية ان يحج، فعجل له مائه يحج بها، والسلام.
 حدثنا عبد الله بن أحمد بن شويه، قال: حدثني أبي، قال: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ شَهَابِ بْنِ شَرِيعَةَ الْجَاشِعِيِّ، قَالَ:
 أَلْحَقَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ذُرَارِي الرِّجَالِ الَّذِينَ فِي الْعَطَايَا أَقْرَعَ بَيْنَهُمْ، فَمَنْ

٦٠٣٦٠٤ زياده في سيره عمر بن عبد العزيز ليست من كتاب ابى جعفر إلى أول خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان
 أصابته القرعة جعله في المائة، ومن لم تصبه القرعة جعله في الأربعين، وقسم في فقراء أهل البصرة كل إنسان ثلاثة دراهم، فأعطى
 الزماني خمسين خمسين قال: وأراه رزق الفطم. حدثني عبد الله، قال: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضِيلُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: بَلَّغْنِي أَنَّ
 عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ.
 سلام عليكم ورحمة الله، أما بعد، فإنه من أكثر ذكر الموت قل كلامه، ومن علم أن الموت حق رضى باليسير، والسلام قال علي بن
 مُحَمَّدٍ: وَقَالَ أَبُو مَجْلَزٍ لِعُمَرَ: إِنَّكَ وَضَعْتَنَا بِمَنْقَطَعِ التُّرَابِ، فَاحْمِلْ إِلَيْنَا الْأَمْوَالَ قَالَ: يَا أَبَا مَجْلَزٍ: قَلْبُتِ الْأَمْرَ، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَهْوَلُنَا
 أَمْ لَكَ؟ قَالَ: بَلْ هُوَ لَكُمْ إِذَا قَصَرَ خَرَاكُمُ عَنْ أُعْطِيَاتِكُمْ، قَالَ: فَلَا أَنْتَ تَحْمِلُهُ إِلَيْنَا، وَلَا نَحْمِلُهُ إِلَيْكَ، وَقَدْ وَضَعْتَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ.
 قَالَ: أَحْمِلْهُ إِلَيْكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ومرض من ليلته فمات من مرضه وكانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستة عشر شهرا.
 قال أبو جعفر: وفي هذه السنة توفي عمار بن أكيمه الليثي، ويكنى أبا الوليد، وهو ابن تسع وسبعين.
 زياده في سيره عمر بن عبد العزيز ليست من كتاب أبي جعفر إلى أول خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان
 روى عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي، قال: حَدَّثَنَا رَجُلٌ فِي مَسْجِدِ الْجَنَابِذِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ خَطَبَ النَّاسَ بِخُنَاصِرَةٍ، فَقَالَ:
 أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ لَمْ تَخْلُقُوا عَبَثًا، وَلَنْ تَتْرَكُوا سُدًى، وَإِنْ لَكُمْ مَعَادَا يَنْزِلُ اللَّهُ فِيهِ لِلْحَكَمِ فِيكُمْ، وَالْفَصْلُ بَيْنَكُمْ، وَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ مَنْ خَرَجَ
 مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَحَرَّمَ الْجَنَّةَ الَّتِي عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أَلَا وَاعْلَمُوا
 أَنَّمَا الْأَمَانُ غَدَا لِمَنْ حَذَرَ اللَّهَ وَخَافَهُ، وَبَاعَ نَافِدًا بَبَاقٍ، وَقَلِيلًا بكَثِيرٍ وَخَوْفًا بِأَمَانٍ أَلَا تَرَوْنَ أَنَّكُمْ فِي أَسْلَابِ الْهَالِكِينَ، وَسَيُخْلَفُهَا بَعْدَكُمْ
 الْبَاقُونَ كَذَلِكَ حَتَّى تَرُدَّ إِلَى خَيْرِ الْوَارِثِينَ! وَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَشِيعُونَ غَادِيَا وَرَاحًا إِلَى اللَّهِ قَدْ قَضَى نَحْبَهُ، وَانْقَضَى أَجَلُهُ، فَتَغِيبُونَهُ فِي صَدْعٍ
 مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ غَيْرَ مُوسِدٍ وَلَا مُمَهَّدٍ، قَدْ فَارَقَ الْأَحْبَةَ، وَخَلَعَ الْأَسْبَابَ، فَسَكَنَ التُّرَابَ وَوَاوَجَهُ الْحِسَابَ فَهُوَ مَرْتَهَنٌ بِعَمَلِهِ،
 فَقَبِيرٌ إِلَى مَا قَدَّمَ، غَنِيٌّ عَمَّا تَرَكَ.

فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء واقعه وإيم الله إني لأقول لكم هذه المقالة، وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندي،
 فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَأَتُوبَ إِلَيْهِ.

وما منكم من أحد تبلغنا عنه حاجة إلا أحببت أن أسد من حاجته ما قدرت عليه، وما منكم أحد يسعه ما عندنا إلا وددت أنه سدائ
 ولحمتي، حتى يكون عيشنا وعيشه سواء وإيم الله إن لو أردت غير هذا من الغضارة والعيش، لكان اللسان مني به ذلولا عالما بأسبابه،
 ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة، يدل فيها على طاعته، وينهى عن معصيته.

ثم رفع طرف ردائه فبكى حتى شقق وأبكى الناس حوله، ثم نزل فكانت إياها لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله.
 روى خلف بن تميم، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ:

بَلَّغْنِي أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَاتَ ابْنُ لَهُ، فَكَتَبَ عَامِلٌ لَهُ يَعِزُّهُ عَنْ ابْنِهِ، فَقَالَ لِكَاتِبِهِ: أَجِبْهُ عَنِّي، قَالَ: فَأَخَذَ الْكَاتِبُ يَبْرِي الْقَلَمَ، قَالَ:
 فَقَالَ لِلْكَاتِبِ: أَدَقِ الْقَلَمَ، فَإِنَّهُ أَبْقَى لِلْقُرَاطِ، وَأَوْجَزَ لِلْحُرُوفِ، وَاكْتُبْ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرٌ قَدْ كُنَّا وَطَنًا أَنْفُسَنَا عَلَيْهِ، فَلَهَا نَزَلَ لَمْ نَنْكَرْهُ، وَالسَّلَامُ.

روى منصور بن مزاحم، قال: حدثنا شعيب- يعني ابن صفوان- عن ابن عبد الحميد، قال: قال عمر بن عبد العزيز: من وصل أخاه بنصيحة له في دينه، ونظر له في صلاح دنياه، فقد أحسن صلاته، وأدى واجب

حقه، فاتقوا الله، فإنها نصيحة لكم في دينكم، فاقبلوها، وموعظة منجية في العواقب فالزموها الرزق مقسوم فلن يغدر المؤمن ما قسم له، فأجملوا في الطلب، فإن في القنوع سعة وبلغة وكفافاً، إن أجل الدنيا في أعناقكم، وجهنم أمامكم، وما ترون ذاهب، وما مضى فكأن لم يكن، وكل أموات عن قريب، وقد رأيتم حالات الميت وهو يسوق، وبعد فراغه وقد ذاق الموت، والقوم حوله يقولون: قد فرغ رحمه الله! وعانيتم تعجيل إخراج، وقسمة تراثه ووجهه مفقود، وذكره منسي، وبابه مهجور، وكأن لم يخالط إخوان الحفاظ، ولم يعمر الديار، فاتقوا هول يوم لا تحقر فيه مثقال ذرة في الموازين.

روى سهل بن محمود، قال: حدثنا حرملة بن عبد العزيز، قال:

حدثني أبي، عن ابن لعمر بن عبد العزيز، قال: أمرنا عمر أن نشترى موضع قبره، فاشتريناه من الراهب، قال: فقال بعض الشعراء:

أقول لما نعى الناعون لي عمرا ... لا يبعدين قوام العدل والدين

قد غادر القوم بالحد الذي لحدوا ... بدير سمعان قسطاس الموازين

روى عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، قال: قال عمر بن عبد العزيز:

من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح، ومن لم يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبه، والرضا قليل، ومعول المؤمن الصبر، وما أنعم الله على عبد نعمة ثم انتزعها منه فأعاضه مما انتزع منه الصبر إلا كان ما أعاضه خيراً مما انتزع منه، ثم قرأ هذه الآية: «إِنَّمَا يُؤَيِّتُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

«وقدم كتابه على عبد الرحمن بن نعيم:

لا تهدموا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار صولحتم عليه، ولا تحدثن كنيسة ولا بيت نار، ولا تجر الشاة إلى مذبحها، ولا تحددوا الشفرة على رأس الذبيحة، ولا تجمعوا بين الصلاتين إلا من عذر.

روى عفان بن مسلم، عن عثمان بن عبد الحميد، قال: حدثنا أبي،

قال: بلغنا أن فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز قالت: اشتد علزه ليلة، فسهر وسهرنا معه، فلما أصبحنا امرت وصيفا له يقال له مرثد، فقلت له:

يا مرثد، كن عند أمير المؤمنين، فإن كانت له حاجة كنت قريباً منه ثم انطلقنا فضربنا برءوسنا لطول سهرنا، فلما انفتح النهار استيقظت فتوجهت إليه، فوجدت مرثداً خارجاً من البيت نائماً، فأيقظته فقلت: يا مرثد ما أخرجك؟

قال: هو أخرجني، قال: يا مرثد، أخرج عني! فوالله إني لأرى شيئاً ما هو بالإنس ولا جان، فخرجت فسمعت يتلو هذه الآية: «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» ، قال: فدخلت عليه فوجدته قد وجه نفسه وأغمض عينيه.

وإنه لميت رحمه الله

٦٠٣٦٠٥ خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

وفيه ولي يزيد بن عبد الملك بن مروان، وكنيته أبو خالد، وهو ابن تسع وعشرين سنة في قول هشام بن محمد، ولما ولي الخلافة نزع عن المدينة أبا بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم، وولاهما عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري، فقدمها- فيما زعم الواقدي- يوم الأربعاء لليال بقين من شهر رمضان فاستقضى عبد الرحمن سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد المخزومي.

وذكر محمد بن عمر، أن عبد الجبار بن عماره حدثه عن أبي بكر بن حزم، أنه قال: لما قدم عبد الرحمن بن الضحاك المدينة وعزلني، دخلت عليه، فسلمت فلم يقبل علي، فقلت: هذا شيء لا تملكه قريش للأنصار، فرجعت إلى منزلي وخفته- وكان شاباً مقداماً- فإذا هو يبلغي عنه أنه يقول:

ما يمنع ابن حزم أن يأتيني إلا الكبر، وإني لعالم بخيائته، فجاءني ما كنت أحذر وما أستيقن من كلامه، فقلت للذي جاءني بهذا: قل له: ما الخيانة لي بعادة، وما أحب أهلها، والأمير يحدث نفسه بالخلود في سلطانه، كم نزل هذه الدار من أمير وخليفة قبل الأمير فخرجوا منها وبقيت آثارهم أحاديث إن خيرا نغفرا وإن شرا فشر! فاتق الله ولا تسمع قول ظالم أو حاسد على نعمه. فلم يزل الأمر يترقى بينهما، حتى خاصم إليه رجل من بني فهر وآخر من بني النجار- وكان أبو بكر قضى للنجاري على الفهري في أرض كانت بينهما نصفين، فدفع أبو بكر الأرض إلى النجاري- فأرسل الفهري إلى النجاري وإلى أبي بكر بن حزم، فأحضرهما ابن الضحاك، فتظلم الفهري من أبي بكر بن حزم، وقال: أخرج مالي من يدي، فدفعه إلى هذا النجاري، فقال أبو بكر: اللهم غفرا! أما رأيته سأل أياما في أمرك وأمر صاحبك، فاجتمع لي على إخراجها من يدك، وأرسلتك إلى من أفتاني بذلك: سعيد بن المسيب وابن بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فسألتهما؟ فقال الفهري: بلى،

٦٠٣٦٠٦ مقتل شوذب الخارجي

وليس يلزمني قولهما فانكسر ابن الضحاك فقال: قوموا، فقاموا، فقال للفهري: تقر له أنك سألت من أفتاه بهذا، ثم تقول ردها علي! أنت أرعن، اذهب فلا حق لك، فكان أبو بكر يتيقه ويخافه، حتى كلم ابن حيان يزيد أن يقيده من أبي بكر، فإنه ضربه حدين، فقال يزيد: لا افعل، رجل اصطنعه اهل بيتي، ولكني أولئك المدينة قال: لا أريد ذلك، لو ضربته بسلطاني لم يكن لي قودا فكتب يزيد إلى عبد الرحمن بن الضحاك كتابا: أما بعد، فانظر فيما ضرب ابن حزم ابن حيان، فإن كان ضربه في أمر بين فلا تلتفت إليه، وإن كان ضربه في أمر يختلف فيه فلا تلتفت إليه، فإن كان ضربه في أمر غير ذلك فأقده منه. فقدم بالكتاب على عبد الرحمن بن الضحاك، فقال عبد الرحمن: ما جئت بشيء، أترى ابن حزم ضربك في أمر لا يختلف فيه! فقال عثمان لعبد الرحمن: إن أردت أن تحسن أحسنت، قال: الآن أصبت المطلب، فأرسل عبد الرحمن إلى ابن حزم فضربه حدين في مقام واحد، ولم يسأله عن شيء، فرجع أبو المغراء بن حيان وهو يقول: أنا أبو المغراء بن الحيان، والله ما قربت النساء من يوم صنع بي ابن أبي حزم ما صنع حتى يومى هذا، واليوم اقرب النساء! مقتل شوذب الخارجي قال أبو جعفر: وفي هذه السنة قتل شوذب الخارجي. ذكر الخبر عن مقتله:

قد ذكرنا قبل الخبر عما كان من مراسلة شوذب عمر بن عبد العزيز لمناظرته في خلافه عليه، فلما مات عمر أحب- فيما ذكر معمر بن المثنى- عبد الحميد بن عبد الرحمن أن يحظى عند يزيد بن عبد الملك، فكتب إلى محمد بن جرير يأمره بحاربة شوذب وأصحابه، ولم يرجع رسولا شوذب، ولم يعلم بموت عمر، فلما رأوا محمد بن جرير يستعد للحرب، أرسل إليه شوذب: ما أعجلك قبل انقضاء المدة فيما بيننا وبينكم! أليس قد توعدنا إلى أن يرجع رسولا شوذب! فأرسل إليهم محمد: أنه لا يسعنا ترككم على هذه الحالة- قال غير أبي عبيدة: فقالت الخوارج: ما فعل هؤلاء هذا إلا وقد مات الرجل الصالح قال معمر بن المثنى: فبرز لهم شوذب، فاقتتلوا، فأصيب من الخوارج نفر، وأكثروا في اهل القبلة القتل، وتولوا منهزمين، والخوارج في أعقابهم تقتل حتى بلغوا أخصاص الكوفة، ولجئوا إلى عبد الحميد، وجرح محمد بن جرير في استه، ورجع شوذب إلى موضع فأقام ينتظر صاحبيه، فجاءه فأخبراه بما صادرا عليه عمر، وإن قد مات فأقر يزيد عبد الحميد على الكوفة، ووجه من قبله تميم بن الحباب في ألفين، فراسلهم وأخبرهم أن يزيد لا يفارقهم على ما فارقهم عليه عمر، فلعنوه ولعنوا يزيد، فخاربههم فقتلوه وهزموا أصحابه، فلجأ بعضهم إلى الكوفة ورجع الآخرون إلى يزيد، فوجه إليهم نجدة بن الحكم الأزدي في جمع فقتلوه، وهزموا أصحابه، فوجه إليهم الشجاع بن وداع في ألفين، فراسلهم وراسلوه، فقتلوه، وقتل منهم نفرا فيهم هدبة الشكري، ابن عم بسطام- وكان عابدا- وفيهم أبو شيبيل مقاتل ابن شيبان- وكان فاضلا عندهم- فقال أبو ثعلبة أيوب بن خولي يرثيهم:

تركنا تميما في الغبار ملحبا ... تبكى عليه عرسه وقرائبه
وقد أسلمت قيس تميما ومالكا ... كما أسلم الشجاع أمس أقاربه
وأقبل من حران يحمل راية ... يغالب أمر الله والله غالبه
فيا هذب للهيجا، ويا هذب للندى، ... ويا هذب للخصم الألد يحاربه!
ويا هذب كم من ملحمة قد اجنته ... وقد أسلمته للرماح جوالبه
وكان أبو شيبان خير مقاتل ... يرجى ويخشى بأسه من يحاربه
ففاز ولاقي الله بالخير كله ... وخدمه بالسيف في الله ضاربه
تزود من دنياه درعا ومغفرا ... وعضبا حساما لم تخنه مضاربه
واجرد محبوبك السراة كأنه ... إذا انقض وفي الريش ججن مخالبه

فلما دخل مسلمة الكوفة شكاً إليه أهلها مكان شوذب، وخوفهم منه وما قد قتل منهم، فدعا مسلمة سعيد بن عمرو الحرشي - وكان فارساً - فعقد له على عشرة آلاف، ووجهه إليه وهو مقيم بموضعه، فأتاه ما لا طاقة له به، فقال شوذب لأصحابه: من كان يريد الله فقد جاءته الشهادة، ومن كان إنما خرج للدنيا فقد ذهب الدنيا، وإنما البقاء في الدار الآخرة، فكسروا أغماد السيوف وحملوا، فكشفوا سعيداً وأصحابه مراراً، حتى خاف الفضيحة فدمر أصحابه، وقال لهم: أمن هذه الشرذمة لا أبا لكم تفرون! يا أهل الشام يوماً كأيامكم! قال: فحملوا عليهم، فطحنوهم طحناً لم يبقوا منهم أحداً، وقتلوا بسطاماً وهو شوذب وفرسانه، منهم الريان بن عبد الله اليشكري، وكان من المحبّتين، فقال أخوه شمر بن عبد الله يرثيه:

ولقد فجعت بسادة وفوارس ... للحرب سعر من بني شيبان
اعتاقهم ريب الرمان فغالهم ... وتركت فردا غير ذي اخوان
كدما تجلجل في فؤادي حسرة ... كالنار من وجد على الريان
وفوارس باعوا الإله نفوسهم ... من يشكر عند الوغى فرسان
وقال حسان بن جعدة يرثيهم:

يا عين أذري دموعاً منك تسجماً ... وابكي صحابة بسطام وبسطاماً
فلن تري أبداً ما عشت مثلهم ... أتقى وأكل في الأحلام أحلاماً

٦٠٣٦٧ خبر خلع يزيد بن المهلب يزيد بن عبد الملك

ذكر الخبر عن سبب خلعه يزيد بن عبد الملك وما كان من أمره وأمر يزيد في هذه السنة:

بسيهم قد تأسوا عند شدتهم ... ولم يريدوا عن الأعداء إجماماً
حتى مضوا للذي كانوا له خرجوا ... فأورثونا منارات وأعلاماً
إني لأعلم أن قد أنزلوا غرماً ... من الجنان ونالوا ثم خداماً
أسقى الإله بلاداً كان مصرعهم ... فيها سخاباً من الوسمي سجماً
خبر خلع يزيد بن المهلب يزيد بن عبد الملك

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة لحق يزيد بن المهلب بالبصرة، فغلب عليها، وأخذ عامل يزيد بن عبد الملك عليها عدي بن أرطاة الفزاري، فحبسه وخلع يزيد بن عبد الملك.

ذكر الخبر عن سبب خلعه يزيد بن عبد الملك وما كان من أمره وأمر يزيد في هذه السنة:

قد مضى ذكرى خبر هرب يزيد بن المهلب من محبسه الذي كان عمر بن عبد العزيز حبسه فيه، ونذكر الآن ما كان من صنيعه بعد هربه في هذه السنة - أعني سنة إحدى ومائة.

ولما مات عمر بن عبد العزيز بويع يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي مات فيه عمر، وبلغه هرب يزيد بن المهلب، فكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن يأمره أن يطلبه ويستقبله، وكتب إلى عدي بن أرطاة يعلمه هربه، ويأمره أن يتيأ لاستقباله، وأن يأخذ من كان بالبصرة من أهل بيته.

فذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، أن عدي بن أرطاة أخذهم وحبسهم، وفيهم المفضل وحبيب ومروان بنو المهلب، وأقبل يزيد بن المهلب حتى مر بسعيد بن عبد الملك بن مروان، فقال يزيد لأصحابه: ألا نعرض لهذا فنأخذه فنذهب به معنا! فقال أصحابه: لا بل امض بنا ودعه وأقبل يسير حتى ارتفع فوق القطقطانة، وبعث عبد الحميد بن عبد الرحمن هشام ابن مساحق بن عبد الله بن مخزومة بن عبد العزيز بن أبي قيس بن عبدود بن

نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي، في ناس من أهل الكوفة من الشرط ووجوه الناس وأهل القوة، فقال له: انطلق حتى تستقبله فإنه اليوم يمر بجانب العذيب فشئ هشام قليلا، ثم رجع إلى عبد الحميد فقال: آجئك به أسيرا أم آتيتك برأسه؟ فقال: أي ذلك ما شئت، فكان يعجب لقوله ذلك من سمعه، وجاء هشام حتى نزل العذيب، ومر يزيد منهم غير بعيد، فاتقوا الإقدام عليه، ومضى يزيد نحو البصرة، ففقه يقول الشاعر:

وسار ابن المهلب لم يعرج ... وعرس ذو القطيفة من كانه
وياسر والτίαςر كان حزما ... ولم يقرب قصور القطقطانه

ذو القطيفة هو محمد بن عمرو، وهو أبو قطيفة بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وهو أبو قطيفة، وإنما سمي ذا القطيفة، لأنه كان كثير شعر اللحية والوجه والصدر ومحمد يقال له ذو الشامة.

فلما جاء يزيد بن المهلب انصرف هشام بن مساحق إلى عبد الحميد، ومضى يزيد إلى البصرة، وقد جمع عدي بن أرطاة إليه أهل البصرة وخندق عليها، وبعث على خيل البصرة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي وكان عدي بن أرطاة رجلا من بني فزارة وقال عبد الملك بن المهلب لعدي بن أرطاة: خذ ابني حميدا فاحبسه مكاني، وأنا أضمن لك أن أرد يزيد عن البصرة حتى يأتي فارس، ويطلب لنفسه الأمان ولا يقربك فأبى عليه، وجاء يزيد ومعه أصحابه الذين أقبل فيهم، والبصرة محفوفة بالرجال، وقد جمع محمد بن المهلب - ولم يكن ممن حبس - رجلا وفية من أهل بيته وناسا من مواليه، ففرج حتى استقبله، فأقبل في كتيبة تهول من رآها، وقد دعا عدي أهل البصرة، فبعث على كل خمس من أنحاسها رجلا، فبعث على خمس الأزد المغيرة بن زياد بن عمرو العتيكي، وبعث على خمس بني تميم محرز بن حمران السعدي من بني منقر، وعلى خمس بكر بن وائل عمران بن عامر

ابن مسمع من بني قيس بن ثعلبة فقال أبو منقر، - رجل من قيس بن ثعلبة:-

إن الراية لا تصلح إلا في بني مالك بن مسمع، فدعا عدي نوح بن شيبان ابن مالك بن مسمع، فعقد له على بكر بن وائل، ودعا مالك بن المنذر بن الجارود، فعقد له على عبد القيس، ودعا عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر القرشي، فعقد له على أهل العالية - والعالية قریش وكنانة والأزد وبجيلة وخثعم وقيس عيلان كلها ومزينة - وأهل العالية بالكوفة يقال لهم ربع أهل المدينة وبالبصرة خمس أهل العالية، وكانوا بالكوفة أنحاسا، فجعلهم زياد بن عبيد أرباعا.

قال هشام عن أبي مخنف: وأقبل يزيد بن المهلب لا يمر بخيل من خيلهم ولا قبيلة من قبائلهم إلا تنحوا له عن السبيل حتى يمضي، واستقبله المغيرة بن عبد الله الثقفي في الخيل، فحمل عليه محمد بن المهلب في الخيل، فأفرج له عن الطريق هو وأصحابه، وأقبل يزيد حتى نزل داره، واختلف الناس إليه، وأخذ يبعث إلى عدي بن أرطاة أن ادفع إلي إخوتي وأنا أصالحك على البصرة، وأخليك وإياها حتى آخذ لنفسني ما أحب من يزيد بن عبد الملك، فلم يقبل منه، وخرج إلى يزيد بن عبد الملك حميد بن عبد الملك بن المهلب، فبعث معه يزيد بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري وعمر بن يزيد الحكمي بأمان يزيد بن المهلب وأهل بيته، وأخذ يزيد بن المهلب يعطي من أتاه من الناس، فكان يقطع لهم قطع الذهب وقطع الفضة، فمال الناس إليه، ولحق به عمران بن عامر بن مسمع ساخطا على عدي بن أرطاة حين نزع منه رايته، راية بكر بن وائل، وأعطاه ابن عمه، ومالت إلى يزيد ربيعة وبقيّة تميم وقيس وناس بعد ناس، فيهم عبد

الملك ومالك ابنا مسمع ومعه ناس من أهل الشام، وكان عدي لا يعطي إلا درهمين درهمين، ويقول: لا يحل لي أن أعطيكم من بيت المال درهما إلا بأمر يزيد بن عبد الملك، ولكن تبلغوا بهذا حتى يأتي الأمر في ذلك، فقال الفرزدق في ذلك:

أظن رجال الدرهمين يسوقهم ... إلى الموت آجال لهم ومصارع
فأحزمهم من كان في قعر بيته ... وأيقن أن الأمر لا شك واقع
وخرجت بنو عمرو بن تميم من أصحاب عدي، فنزلوا المربد، فبعث إليهم يزيد بن المهلب مولى له يقال له دارس، فحمل عليهم فهزمهم، فقال الفرزدق في ذلك:

تفرقت الحمراء إذ صاح دارس ... ولم يصبروا تحت السيوف الصوارم
جزى الله قيسا عن عدي ملامة ... ألا صبروا حتى تكون ملاحم
وخرج يزيد بن المهلب حين اجتمع له الناس، حتى نزل جبانة بني يشكر- وهو المنصف فيما بينه وبين القصر- وجاءته بنو تميم وقيس وأهل الشام، فاقتتلوا هنية، فحمل عليهم محمد بن المهلب، فضرب مسور بن عباد الحبطي بالسيف فقطع أنف البيضة، ثم أسرع السيف إلى أنفه، وحمل على هريم بن أبي طلحة بن أبي نهشل بن دارم، فأخذ بمنطقته، فحذفه عن فرسه، فوقع فيما بينه وبين الفرس، وقال: هيات هيات! عمك أثقل من ذلك وانهزموا وأقبل يزيد بن المهلب إثر القوم يتلوهم حتى دنا من القصر،

فقاتلوهم وخرج إليه عدي بنفسه فقتل من أصحابه الحارث بن مصرف الأودي- وكان من أشرف أهل الشام وفرسان الحجاج- وقتل موسى بن الوجيه الحميري ثم الكلاعي، وقتل راشد المؤذن، وانهزم أصحاب عدي، وسمع إخوة يزيد وهم في محبس عدي الأصوات تدنو، والنشاب تقع في القصر، فقال لهم عبد الملك إني أرى النشاب تقع في القصر، وأرى الأصوات تدنو، ولا أرى يزيد إلا قد ظهر، وإني لا آمن من مع عدي من مضر ومن أهل الشام أن يأتونا فيقتلونا قبل أن يصل إلينا يزيد إلى الدار، فأغلقوا الباب ثم ألقوا عليه ثيابا ففعلوا فلم يلبثوا إلا ساعة حتى جاءهم عبد الله بن دينار مولى ابن عمر، وكان على حرس عدي- فجاء يشتد إلى الباب هو وأصحابه، وقد وضع بنو المهلب متاعا على الباب، ثم اتكوا عليه، فأخذ الآخرون يعالجون الباب، فلم يستطيعوا الدخول، وأعجلهم الناس نخلوا عنهم.

وجاء يزيد بن المهلب حتى نزل دار سلم بن زياد بن أبي سفيان إلى جانب القصر، وأتى بالسلام، فلم يلبث عثمان أن فتح القصر، وأتى بعدي ابن أرملة، فجاء به وهو يتبسم، فقال له يزيد: لم تضحك؟ فوالله إنه لينبغي أن يمنعك من الضحك خصلتان: إحداهما الفرار من القتلة الكريمة حتى أعطيت بيدك إعطاء المرأة بيدها، وهذه واحدة، والأخرى إني أتيت بك نمل كما يتل العبد الآبق إلى أربابه، وليس معك مني عهد ولا عقد، فما يؤمنك أن أضرب عنقك! فقال عدي: أما أنت فقد قدرت علي، ولكني أعلم أن بقائي بقاؤك، وأن هلاكي مطلوب به من جرته يده، إنك قد رأيت جنود الله بالمغرب، وعلمت بلاء الله عندهم في كل موطن من مواطن الغدر والنكث، فتدارك فلتتك وزلتك بالتوبة واستقالة العثرة، قبل أن يرمي إليك البحر بأمواله، فإن طلبت الاستقالة حينئذ لم تقل، وإن أردت الصلح وقد أشخصت القوم إليك وجدتهم لك مباعدين، وما لم يشخص القوم إليك فلم

يمنعوك شيئا طلبت فيه الأمان على نفسك وأهلك ومالك.

فقال له يزيد: أما قولك: إن بقاءك بقائي، فلا أبقاني الله حسوة طائر مذعور إن كنت لا يبقيني إلا بقاؤك، وأما قولك: إن هلاكك مطلوب به من جرته يده، فوالله لو كان في يدي من أهل الشام عشرة آلاف إنسان ليس فيهم رجل إلا أعظم منزلة منك فيهم، ثم ضربت أعناقهم في صعيد واحد، لكان فراقني إياهم وخلافي عليهم أهول عندهم وأعظم في صدورهم من قتل أولئك، ثم لو شئت أن تهدر لي دماؤهم، وأن أحكم في بيوت أموالهم، وأن يجوزوا لي عظيما من سلطانهم، على أن أضع الحرب فيما بيني وبينهم لفعلوا، فلا يخفين عليك أن القوم ناسوك لو قد وقعت أختيارنا إليهم، وأن أعمالهم وكيدهم لا يكون إلا لأنفسهم، لا يذكرونك ولا يحلفون بك وأما قولك: تدارك أمرك واستقله وافعل وافعل، فوالله ما استشرتك، ولا أنت عندي بواد ولا نصيح، فما كان ذلك منك إلا عجزا وفضلا، انطلقوا به، فلما ذهبوا به ساعة قال: ردوه، فلما رد قال: أما إن حبسي إياك ليس إلا لحبسك بني المهلب وتضييقك عليهم فيما

كنا نسألك التسهيل فيه عليهم، فلم تكن تألو ما عسرت وضيقته وخالفته، فكأنه لهذا القول حين سمعه أمن على نفسه، وأخذ عدي يحدث به كل من دخل عليه.

وكان رجل يقال له السמידع الكندي من بني مالك بن ربيعة من ساكني عمان يرى رأي الخوارج، وكان خرج وأصحاب يزيد وأصحاب عدي مصطفون فاعتزل ومعه ناس من القراء، فقال طائفة من أصحاب يزيد وطائفة من أصحاب عدي: قد رضينا بحكم السמידع ثم إن يزيد بعث إلى السמידع فدعاه إلى نفسه، فأجابه، فاستعملوا يزيد على الأبله، فأقبل على الطيب والتخلق والنعيم، فلما ظهر يزيد بن المهلب هرب رءوس أهل البصرة من قيس وتيم ومالك بن المنذر، فلحقوا بعبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة، ولحق بعضهم بالشام، فقال الفرزدق:

فداء لقوم من تميم نتابعوا ... إلى الشام لم يرضوا بحكم السמידع

أحكم حروري من الدين مارق ... أضل وأغوى من حمار مجدع

فأجابه خليفة الأقطع:

وما وجهوها نحوه عن وفادة ... ولا نهزة يرجى بها خير مطمع

ولكنهم راحوا إليها وأدجلوا ... بأقرع أستاها ترى يوم مقرع

وهم من حذار القوم أن يلحقوا بهم ... لهم نزلة في كل خمس وأربع

ونخرج الحواري بن زياد بن عمرو العتكي يريد يزيد بن عبد الملك هاربا من يزيد بن المهلب، فلقي خالد بن عبد الله القسري وعمرو بن يزيد الحكمي ومعهما حميد بن عبد الملك بن المهلب قد أقبلوا من عند يزيد بن عبد الملك بأمان يزيد بن المهلب، وكل شيء اراده فاستقبلهما، فسألاه عن الخبر، فخلا بهما حين رأى معهما حميد بن عبد الملك، فقال: أين تريدان؟

فقالا: يزيد بن المهلب، قد جئناه بكل شيء أراده، فقال: ما تصنعان بيزيد شيئا، ولا يصنعه بكما، قد ظهر على عدوه عدي بن أرطاة، وقتل القتلى وحبس عديا، فارجعا أيها الرجلان ويمر رجل من باهلة يقال له مسلم بن عبد الملك، فلم يقف عليهما، فصايحاه وسألاه، فلم يقف عليهما، فقال القسري: ألا ترده فتجلده مائة جلدة! فقال له صاحبه: عز به عنك، وامليا لينصرف.

ومضى الحواري بن زياد إلى يزيد بن عبد الملك، وأقبلا بحميد بن عبد الملك معهما، فقال لهما حميد: أنشدكما الله أن تخالفا أمر يزيد ما بعثتما به! فإن يزيد قابل منكما، وإن هذا وأهل بيته لم يزالوا لنا أعداء، فأنشدكما الله أن تقبلا مقاتله، فلم يقبلا قوله، وأقبلا به حتى دفعاه إلى عبد الرحمن بن سليم الكلبي، وقد كان يزيد بن عبد الملك بعثه إلى خراسان عاملا عليها فلما بلغه خلع يزيد بن عبد الملك كتب إليه: أن جهاد من خالفك أحب إلي

من عملي على خراسان، فلا حاجة لي فيها، فاجعلني ممن توجهني إلى يزيد بن المهلب، وبعث بحميد بن عبد الملك إلى يزيد، ووثب عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب على خالد بن يزيد بن المهلب، وهو بالكوفة وعلى حمال بن زحر الجعفي، وليس ممن كان ينطق بشيء إلا أنهم عرفوا ما كان بينه وبين بني المهلب، فأوثقهما وسرحهما إلى يزيد بن عبد الملك، فحبسهما جميعا، فلم يفارقوا السجن حتى هلكوا فيه وبعث يزيد بن عبد الملك رجالا من أهل الشام إلى الكوفة يسكنونهم، ويثنون عليهم بطاعتهم، ويمنونهم الزيادات منهم القطامي بن الحصين، وهو أبو الشرقي، واسم الشرقي الوليد، وقد قال القطامي حين بلغه ما كان من يزيد بن المهلب:

لعل عيني أن ترى يزيدا ... يقود جيشا بحفلا شديدا

تسمع للأرض به وثيدا ... لا برما هدا ولا حسودا

ولا جبانا في الوغى رعديدا ... ترى ذوي التاج له سجودا

مكفرين خاشعين قودا ... وآخرين رحبوا وفودا

لا ينقض العهد ولا المعهودا ... من نفر كانوا هجانا صيدا

ترى لهم في كل يوم عيدا ... من الأعادي جزرا مقصودا

ثم إن القطامي سار بعد ذلك إلى العقر حتى شهد قتال يزيد بن المهلب مع مسلمة بن عبد الملك، فقال يزيد بن المهلب: ما أبعد شعر

القطامي من فعله! ثم إن يزيد بن عبد الملك بعث العباس بن الوليد في أربعة آلاف فارس، جريدة خيل، حتى وافوا الحيرة يبادر إليها يزيد بن المهلب، ثم أقبل بعد ذلك مسلمة بن عبد الملك وجنود أهل الشام، وأخذ على الجزيرة وعلى شاطئ الفرات، فاستوثق أهل البصرة ليزيد بن المهلب، وبعث عماله على الأهواز وفارس وكرمان، عليها الجراح بن عبد الملك الحكمي حتى انصرف إلى عمر بن عبد العزيز، وعبد الرحمن بن نعيم الأزدي فكان على الصلاة واستخلف يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن القشيري على الخراج، وجاء مدرك بن المهلب حتى انتهى إلى رأس المفازة، فدرس عبد الرحمن بن نعيم إلى بني تميم أن هذا مدرك بن المهلب يريد أن يلقي بينكم الحرب، وأنتم في بلاد عافية وطاعة وعلى جماعة، فخرجوا ليلاً يستقبلونه، وبلغ ذلك الأزدي، فخرج منهم نحو من ألفي فارس حتى لحقوهم قبل أن ينتهوا إلى رأس المفازة، فقالوا لهم: ما جاء بكم؟

وما أخرجكم إلى هذا المكان؟ فاعتلوا عليهم بأشياء، ولم يقرأوا لهم أنهم خرجوا ليتلفوا مدرك بن المهلب، فكان لهم الآخرون، بل قد علمنا أن تخرجوا لتلقى صاحبنا، وما هو ذا قريب، فما شئتم ثم انطلقت الأزدي حتى تلقوا مدرك بن المهلب على رأس المفازة، فقالوا له: إنك أحب الناس إلينا، وأعزهم علينا، وقد خرج أخوك ونابذه، فإن يظهره الله فإنما ذلك لنا، ونحن أسرع الناس إليكم أهل البيت واحقه بذلك، وإن تكن الأخرى فوالله مالك في أن يغشانا ما يعرنا فيه من البلاء راحة فعزم له رأيه على الانصراف، فقال ثابت قطنة، وهو ثابت بن كعب، من الأزدي من العتيك:

ألم تردوسرا منعت أخاها ... وقد حشدت لتقتله تميم
رأوا من دونه الزرق العوالي ... وحيا ما يباح لهم حريم
شنوءتها وعمران بن حزم ... هناك المجد والحسب الصميم
فما حملوا ولكن نهبتهم ... رماح الأزدي والعز القديم
رددنا مدركا بمرد صدق ... ليس بوجهه منكم كلوم
وخيل كالقداح مسومات ... لدى أرض مغانيها الجميم
عليها كل أصيد دوسري ... عزيز لا يفر ولا يريم
بهم تستعيب السفهاء حتى ... ترى السفهاء تردعها الحلوم

قال هشام: قال أبو مخنف: فحدثني معاذ بن سعد أن يزيد لما استجمع له البصرة، قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه، ثم أخبرهم أنه يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد ص، ويحث على الجهاد، ويزعم أن جهاد أهل الشام أعظم ثوابا من جهاد الترك والديلم.

قال: فدخلت أنا والحسن البصري وهو واضع يده على عاتقي، وهو يقول: انظر هل ترى وجه رجل تعرفه؟ قلت: لا والله، ما أرى وجه رجل أعرفه، قال: فهؤلاء والله الغناء، قال: فضينا حتى دنونا من المنبر قال:

فسمعت يذکر کتاب الله وسنة نبيه ص، ثم رفع صوته، فقال: والله لقد رأيته واليا ومولى عليك، فما ينبغي لك ذلك قال: فوثبنا عليه، فأخذنا بيده وفه واجلسناه، فوالله ما نشك أنه سمعه، ولكنه لم يلتفت إليه ومضى في خطبته.

قال: ثم إنا خرجنا إلى باب المسجد، فإذا على باب المسجد النضر بن أنس ابن مالك يقول: يا عباد الله، ما تنقمون من أن تجيبوا إلى كتاب الله وسنة نبيه ص! فوالله ما رأيته ذلك ولا رأيته منذ ولدتم إلا هذه الأيام من إمارة عمر بن عبد العزيز، فقال الحسن: سبحان الله! وهذا النضر بن أنس قد شهد أيضا.

قال هشام: قال أبو مخنف: وحدثني المثنى بن عبد الله أن الحسن البصري مر على الناس وقد اصطفوا صفين، وقد نصبوا الرايات والرماح، وهم ينتظرون خروج يزيد، وهم يقولون: يدعوننا يزيد إلى سنة العمرين، فقال الحسن: إنما كان يزيد بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون، ثم يسرح بها إلى بني مروان، يريد بهلاك هؤلاء رضاهم فلما غضب غضبة نصب قصبا، ثم وضع عليها خرقا، ثم قال: إني قد خالفتهم فخالقوهم قال هؤلاء:

نعم وقال: إني أدعوكم إلى سنة العمرين، وإن من سنة العمرين أن يوضع قيد في رجله، ثم يرد إلى محبس عمر الذي فيه حبسه، فقال

له ناس من أصحابه
 ممن سمع قوله: والله لكأنك يا أبا سعيد راض عن أهل الشام، فقال: أنا راض عن أهل الشام قبهم الله وبرهم! أليس هم الذين أحلوا حرم رسول الله ص، يقتلون أهله ثلاثة أيام وثلاث ليال! قد أباحوهم لأنباطهم وأقباطهم، يحملون الحرائر ذوات الدين، لا يتناهون عن انتهاك حرمة.

ثم خرجوا إلى بيت الله الحرام، فهدموا الكعبة، وأوقدوا النيران بين أجارها وأستارها، عليهم لعنة الله وسوء الدار! قال: ثم إن يزيد خرج من البصرة، واستعمل عليها مروان بن المهلب، وخرج معه بالسلاح وبيت المال، فأقبل حتى نزل واسطا، وقد استشار أصحابه حين توجه نحو واسط، فقال: هاتوا الرأي، فإن أهل الشام قد نهضوا إليكم، فقال له حبيب، وقد أشار عليه غير حبيب أيضا فقالوا: نرى أن تخرج وتنزل بفارس، فتأخذ بالشعاب وبالعقاب، وتدنو من خراسان، وتطاول القوم، فإن أهل الجبال ينقضون إليك وفي يديك القلاع والحصون فقال:

ليس هذا برأي، ليس يوافقني هذا، إنما تريدون أن تجعلوني طائرا على رأس جبل فقال له حبيب: فإن الرأي الذي كان ينبغي أن يكون في أول الأمر قد فات، قد أمرتك حيث ظهرت على البصرة أن توجه خيلا عليها أهل بيتك حتى ترد الكوفة، وإنما هو عبد الحميد بن عبد الرحمن، مررت به في سبعين رجلا فعجز عنك، فهو عن خيلك أعجز في العدة، فنسب إلى أهل الشام وعظماء أهلها يرون رأيك، وأن تلي عليهم أحب إلى جلهم من أن يلي عليهم أهل الشام، فلم تطعني، وأنا أشير الآن برأي، سرح مع أهل بيتك خيلا من خيلك عظيمة فتأتي الجزيرة، وتبادر إليها حتى ينزلوا حصنا من حصونها، وتسير في أثرهم، فإذا أقبل أهل الشام يريدونك لم يدعوا جندا من جنودك بالجزيرة، ويقبلون إليك فيقيمون عليهم، فكأنهم حابستهم عليك حتى تأتيهم فيأتيك من الموصل من قومك، وينفض إليك أهل العراق وأهل الثغور، وتقاتلهم في أرض ريفه السعري، وقد جعلت العراق كله وراء ظهره، فقال: إني أكره أن أقطع جيشي وجندي فلما نزل واسطا أقام بها أياما يسيرة.

قال أبو جعفر: وجج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك ابن قيس الفهري، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ وَكَذَلِكَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍ.

وكان عبد الرحمن عامل يزيد بن عبد الملك على المدينة، وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكان على الكوفة عبد الحميد ابن عبد الرحمن، وعلى قضائها الشعبي، وكانت البصرة قد غلب عليها يزيد ابن المهلب، وكان على خراسان عبد الرحمن بن نعيم.

٦٠٣٧ سنه اثنتين ومائه

٦٠٣٧٠١ ذكر الخبر عن مقتل يزيد بن المهلب

ثم دخلت

سنة اثنتين ومائة

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَحْدَاثِ) فمن ذلك ما كان فيها من مسير العباس بن الوليد بن عبد الملك ومسلمه ابن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب بتوجيه يزيد بن عبد الملك إياهما لحربه.

وفيها قتل يزيد بن المهلب، في صفر.

ذكر الخبر عن مقتل يزيد بن المهلب

ذكر هشام، عن أبي مخنف: أن معاذ بن سعيد حدثه أن يزيد بن المهلب استخلف على واسط حين أراد الشخصون عنها للقاء مسلمة بن عبد الملك والعباس ابنه معاوية، وجعل عنده بيت المال والخزائن والأسراء، وقدم بين يديه أخاه عبد الملك، ثم سار حتى مر بفم النيل، ثم سار حتى نزل العقر وأقبل مسلمة يسير على شاطئ الفرات حتى نزل الأنبار، ثم عقد عليها الجسر، فعب من قبل قرية يقال لها فارط، ثم أقبل حتى نزل على يزيد بن المهلب، وقد قدم يزيد أخاه نحو الكوفة، فاستقبله العباس بن الوليد بسورا، فاصطفوا، ثم اقتتل القوم، فشد عليهم أهل البصرة شدة كشفوهم فيها، وقد كان معهم ناس من بني تميم وقيس ممن انهزم من يزيد من البصرة، فكانت لهم جماعة حسنة مع العباس، فيهم هريم بن أبي طحمة المجاشعي فلما انكشف أهل الشام تلك الانكشاف، ناداهم هريم بن أبي طحمة:

يا أهل الشام، الله الله أن تسلمونا! وقد اضطهرهم أصحاب عبد الملك إلى نهر فأخذوا ينادونه: لا بأس عليك، إن لأهل الشام جولة في أول القتال، أذاك الغوث

قال: ثم إن أهل الشام كروا عليهم، فكشف أصحاب عبد الملك وهزموا، وقتل المنتوف من بكر بن وائل، مولى لهم، فقال الفرزدق يحرض بكر بن وائل:

تبكي على المنتوف بكر بن وائل ... وتنبى عن ابني مسمع من بكاها

غلامين شبا في الحروب وأدركا ... كرام المساعي قبل وصل لحاهما

ولو كان حيا مالك وابن مالك ... إذا أوقدوا نارين يعلو سناهما

وابنا مسمع: مالك وعبد الملك ابنا مسمع، قتلهم معاوية بن يزيد بن المهلب فأجابه الجعد بن درهم مولى من همدان:

نبكي على المنتوف في نصر قومه ... ولسنا نبكي الشائدين أباهما

أراد فناء الحي بكر بن وائل ... فغز تميم لو أصيب فناهما

فلا لقا روحا من الله ساعة ... ولا رقأت عينا شيحي بكاها

أفي الغش نبكي إن بكينا عليهما ... وقد لقا بالغش فينا رداهما

وجاء عبد الملك بن المهلب حتى انتهى إلى أخيه بالعقر، وأمر عبد الله ابن حيان العبدى، فعبر إلى جانب الصراة الأقصى - وكان الجسر بينه وبينه - ونزل هو وعسكره وجمع من جموع يزيد، وخندق عليه، وقطع مسلمة إليهم الماء وسعيد بن عمرو الحرشي، ويقال: عبر إليهم الواضح، فكانوا بإزائهم.

وسقط إلى يزيد ناس من الكوفة كثير، ومن الجبال، وأقبل إليه ناس من الثغور، فبعث على أرباع أهل الكوفة الذين خرجوا إليه وربع أهل المدينة عبد الله بن سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي، وبعث على ربع مذحج وأسد النعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعي، وبعث على ربع كندة وربيعة محمد

ابن إسحاق بن محمد بن الأشعث، وبعث على ربع تميم وحمدان حنظلة بن عتاب بن ورقاء التميمي، وجمعهم جميعا مع المفضل بن المهلب. قال هشام بن محمد، عن أبي مخنف: حدثني العلاء بن زهير، قال:

والله إنا لجلوس عند يزيد ذات يوم إذ قال: ترون أن في هذا العسكر ألف سيف يضرب به؟ قال حنظلة بن عتاب: إي والله وأربعة آلاف سيف، قال: إنهم والله ما ضربوا ألف سيف قط، والله لقد أحصى ديواني مائة وعشرين ألفا، والله لوددت أن مكانهم الساعة معي من بخراسان من قومي.

قال هشام: قال أبو مخنف: ثم إنه قام ذات يوم فخرضنا ورغبنا في القتال ثم قال لنا فيما يقوله: إن هؤلاء القوم لن يردهم عن غيهم إلا الطعن في عيونهم، والضرب بالمشرفية على هامهم ثم قال: إنه قد ذكر لي أن هذه الجردة الصفراء - يعني مسلمة بن عبد الملك - وعافر ناقة ثمود، يعني العباس ابن الوليد، وكان العباس أزرق أحمر، كانت أمه رومية - والله لقد كان سُلَيْمَان أراد أن ينفيه حتى كلمته فيه فأقره على نسبه، فبلغني أنه ليس ههما إلا التماسي في الأرض، والله لو جاء أهل الأرض جميعا وليس إلا أنا، ما برحت العرصة حتى تكون لي أو لهم قالوا: نخاف أن تعيننا كما عنانا عبد الرحمن ابن محمد، قال: إن عبد الرحمن فضح الذمار، وفضح حسبه، وهل كان يعدو أجله! ثم نزل.

قال: ودخل علينا عامر بن العميث - رجل من الأزد - قد جمع جموعا فأتاه فبايعه، فكانت بيعة يزيد: تباعون على كتاب الله وسنة نبيه ص، وعلى ألا تطأ الجنود بلادنا ولا يبيضتنا، ولا يعاد علينا سيرة الفاسق الحجاج، فن بايعنا على ذلك قبلنا منه، ومن أبى جاهدناه، وجعلنا الله بيننا وبينه، ثم يقول: تباعونا؟ فإذا قالوا: نعم، بايعهم.

وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالنخيلة، وبعث إلى المياه فبثتها فيما بين الكوفة وبين يزيد بن المهلب، لئلا يصل إلى الكوفة، ووضع على الكوفة مناظر وأرصادا لتحبس أهل الكوفة عن الخروج إلى يزيد، وبعث

عبد الحميد بعثا من الكوفة عليهم سيف بن هاني الهمداني حتى قدموا على مسلمة، فألطفهم مسلمة، وأثنى عليهم بطاعتهم، ثم قال: والله

لقل ما جاءنا من أهل الكوفة فبلغ ذلك عبد الحميد، فبعث بعثا هم أكثر من ذلك، وبعث عليهم سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف الأزدي، فلما قدم أثنى عليه، وقال:

هذا رجل لأهل بيته طاعه وبلاء، ضمو اليه من كان هاهنا من أهل الكوفة.

وبعث مسلمة إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن فعزله، وبعث محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة - وهو ذو الشامة - مكانه فدعا يزيد بن المهلب رءوس أصحابه فقال لهم: قد رأيت أن أجمع اثني عشر ألف رجل، فأبعثهم مع محمد بن المهلب حتى يبيتوا مسلمة ويحملوا معهم البراذع والأكف والزبل لدفن خندقهم، فيقاتلهم على خندقهم وعسكرهم بقية ليلتهم، وأمدته بالرجال حتى أصبح، فإذا أصبحت نهضت إليهم أنا بالناس، فنناجزهم، فاني أرجو عند ذلك أن ينصرنا الله عليهم قال السميذع: إنا قد دعوناهم إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد ص، وقد زعموا أنهم قابلوا هذا منا، فليس لنا أن نمكر ولا نغدر، ولا نريد لهم بسوء حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا قال أبو روبة - وكان رأس طائفة من المرجثة، ومعه أصحاب له:

صدق، هكذا ينبغي قال يزيد: ويحكم! أتصدقون بني أمية! إنهم يعملون بالكتاب والسنة، وقد ضيعوا ذلك منذ كانوا، إنهم يقولوا لكم: إنا نقبل منكم، وهم يريدون ألا يعملوا بسلطانهم إلا ما تأمروهم به، وتدعونهم إليه، لكنهم أرادوا أن يكفوكم عنهم، حتى يعملوا في المكر، فلا يسبقوكم إلى تلك، ابدءوهم بها، اني قد لقيت بني مروان فوالله ما لقيت رجلا هو أكره ولا أبعد غورا من هذه الجردة الصفراء - يعني مسلمة - قالوا: لا نرى أن نفعل ذلك، حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا.

وكان مروان بن المهلب وهو بالبصرة يحث الناس على حرب أهل الشام، ويسرح الناس إلى يزيد، وكان الحسن البصري يثبط الناس عن يزيد ابن المهلب

قال أبو مخنف: فحدثني عبد الحميد البصري، أن الحسن البصري كان يقول في تلك الأيام:

أيها الناس، الزموا رحالكم، وكفوا أيديكم، واتقوا الله مولاكم، ولا يقتل بعضكم بعضا على دنيا زائلة، وطمع فيها يسير ليس لأهلها بباقي، وليس الله عنهم فيما اكتسبوا براص، إنه لم تكن فتنة إلا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التيه والخيلاء، وليس يسلم منها إلا المجهول الخفي والمعروف التقي، فمن كان منكم خفيا فليزلم الحق، وليحبس نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدنيا، فكفاه والله بمعرفة الله إياه بالخير شرفا، وكفى له بها من الدنيا خلفا، ومن كان منكم معروفا شريفا، فترك ما يتنافس فيه نظارؤه من الدنيا إرادة الله بذلك، فوهاها لهذا! ما أسعده وأرشده وأعظم أجره وأهدى سبيله! فهذا غدا - يعني يوم القيامة - القرير عينا، الكريم عند الله مآبا. فلما بلغ ذلك مروان بن المهلب قام خطيبا كما يقوم، فأمر الناس بالجد والاحتشاد، ثم قال لهم:

لقد بلغني أن هذا الشيخ الضال المرئي - ولم يسمه - يثبط الناس، والله لو أن جاره نزع من خص داره قصبة لظل يعرف أنفه، أينكر علينا وعلى أهل مصرنا أن نطلب حقنا، وأن ننكر مظلمتنا! أما والله ليكنفن عن ذكرنا وعن جمعه إلينا سقاط الأبله وعلوج فرات البصرة - قوما ليسوا من أنفسنا، ولا ممن جرت عليه النعمة من أحد منا - أو لأنحن عليه مبردا خشنا.

فلما بلغ ذلك الحسن قال: والله ما أكره أن يكرمني الله بهوانه فقال ناس من أصحابه: لو أرادك ثم شئت لمنعناك، فقال لهم: فقد خالفتكم إذا إلى ما نهيتكم عنه! آمركم ألا يقتل بعضكم بعضا مع غيري، وأدعوكم إلى أن يقتل بعضكم بعضا دوني! فبلغ ذلك مروان بن المهلب، فاشتد عليهم وأخافهم وطلبهم حتى تفرقوا ولم يدع الحسن كلامه ذلك، وكف عنه مروان بن المهلب

وكانت إقامة يزيد بن المهلب منذ أجمع وهو مسلمة ثمانية أيام، حتى إذا كان يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من صفر، بعث مسلمة إلى الوضاح أن يخرج بالوضاحية والسفن حتى يحرق الجسر، ففعل وخرج مسلمة فبعي جنود أهل الشام، ثم ازدلف بهم نحو يزيد بن المهلب، وجعل على ميمنته جبلة بن مخزومة الكندي، وجعل على ميسرته الهذيل بن زفر بن الحارث العامري، وجعل العباس على ميمنته سيف بن هاني الهمداني، وعلى ميسرته سويد بن القعقاع التميمي ومسلمة على الناس، وخرج يزيد بن المهلب، وقد جعل على ميمنته حبيب بن المهلب، وعلى ميسرته المفضل بن المهلب، وكان مع المفضل أهل الكوفة وهو عليهم، ومعه خيل لربيعه معها عدد حسن، وكان مما يلي العباس بن الوليد.

قال أبو مخنف: فحدثني الغنوي- قال هشام: وأظن الغنوي العلاء ابن المنهال- إن رجلا من الشام خرج فدعا إلى المبارزة، فلم يخرج إليه أحد، فبرز له محمد بن المهلب، فحمل عليه، فائقاه الرجل بيده، وعلى كفه كف من حديد، فضربه محمد فقطع كف الحديد وأسرع السيف في كفه، واعتنق فرسه، وأقبل محمد يضربه، ويقول: المنجل أعود عليك قال: فذكر لي أنه حيان النبطي قال: فلما دنا الوضاح من الجسر ألهب فيه النار، فسطع دخانه، وقد اقتتل الناس ونشبت الحرب، ولم يشتد القتال، فلما رأى الناس الدخان، وقيل لهم: أحرق الجسر انهزموا، فقالوا ليزيد: قد انهزم الناس.

قال: ومم انهزموا؟ هل كان قتال ينهزم من مثله! فقيل له: قالوا:

أحرق الجسر فلم يثبت أحد، قال: قبحهم الله! بق دخن عليه فطار نفرج وخرج معه أصحابه ومواليه وناس من قومه، فقال: اضربوا وجوه من ينهزم، ففعلوا ذلك بهم، حتى كثروا عليه، فاستقبلهم منهم مثل الجبال، فقال: دعوهم، فوالله اني لأرجو الا يجمعني الله وإياهم في مكان واحد أبدا، دعوهم يرحمهم الله، غنم عدا في نواحيها الذئب، وكان يزيد لا يحدث نفسه بالفرار، وقد كان يزيد بن الحكم بن أبي العاص- وأمه ابنة الزبرقان السعدي- أتاه وهو بواسطه قبل ان يصل الى العقبر، فقال:

ان بني مروان قد باد ملكهم ... فإن كنت لم تشعر بذلك فاشعر

قال يزيد: ما شعرت قال: فقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي:

فحش ملكا أو مت كريما وان تمت ... وسيفك مشهور بكفك تعذر

قال: أما هذا فعسى:

ولما خرج يزيد إلى أصحابه واستقبلته الهزيمة، فقال: يا سميدع، أراي أم رأيك؟ ألم أعلمك ما يريد القوم! قال: بلى والله، والرأي كان رأيك، انا اذا معك لا أراي، فمرك، قال: إما لا فانزل، فنزل في أصحابه، وجاء يزيد بن المهلب جاء فقال: إن حبيبا قد قتل. قال هشام: قال أبو مخنف: فحدثني ثابت مولى زهير بن سلمة الأزدي، قال: أشهد أني أسمع حين قال له ذلك، قال: لا خير في العيش بعد حبيب! قد كنت والله أبغض الحياه بعد الهزيمة، فوالله ما ازددت له إلا بغضا، امضوا قدما فعلنا والله أن قد استقتل، فأخذ من يكره القتال ينكص، وأخذوا يتسللون، وبقيت معه جماعة حسنة، وهو يزدلف، فكلها مر بخيل كشفها، أو جماعة من أهل الشام عدلوا عنه وعن سنن أصحابه، جاء ابو رؤبه المرحي، فقال: ذهب الناس- وهو يشير بذلك إليه وأنا أسمعه- فقال: هل لك أن تنصرف إلى واسط، فإنها حصن فتزله ويأتيك مدد أهل البصرة، ويأتيك أهل عمان والبحرين في السفن، وتضرب خندقا؟

فقال له: قبح الله رأيك! ألي تقول هذا! الموت أيسر علي من ذلك، فقال له: فإني أخوف عليك لما ترى، أما ترى ما حولك من جبال الحديد! وهو يشير إليه، فقال له: أما أنا فما بأليها، جبال حديد كانت أم جبال نار، اذهب عنا إن كنت لا تريد قتالا معنا قال: وتمثل قول حارثة بن بدر الغداني- قال أبو جعفر أخطأ هذا، هو للأعشى:-

أبالموت خشتني عباد وإنما ... رأيت منايا الناس يشقى ذليلها

فما مِيتة إن مِتْها غير عَاجِزٍ ... بَعَارٍ إِذَا ما غالت النفس غولها

وكان يزيد بن المهلب على برذون له أشهب، فأقبل نحو مسلمة لا يريد غيره، حتى إذا دنا منه أدنى مسلمة فرسه ليركب، فعطف عليه خيول أهل الشام، وعلى أصحابه، فقتل يزيد بن المهلب، وقتل معه السميدع، وقتل معه محمد بن المهلب وكان رجل من كلب من بني جابر بن زهير بن جناب الكلبي يقال له القحل بن عياش لما نظر إلى يزيد قال: يا أهل الشام، هذا والله يزيد، والله لأقتلنه أو ليقتلني، وإن دونه ناسا، فن حمل معي يكفيني أصحابه حتى أصل إليه؟ فقال له ناس من أصحابه: نحمل نحن معك، ففعلوا، فحملوا بأجمعهم، واضطربوا ساعة، وسطع الغبار، وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلا، وعن القحل بن عياش بآخر رمق فأومى إلى أصحابه يريهم مكان يزيد، يقول لهم: أنا قتلته، ويومي إلى نفسه أنه هو قتلني ومر مسلمة على القحل بن عياش صريعا إلى جنب يزيد، فقال: أما إني أظن هذا هو الذي قتلني وجاء برأس يزيد مولى لبني مرة، فقيل له: أنت قتلته؟

فقال: لا، فلما أتى به مسلمة لم يعرف ولم ينكر، فقال له الحواري بن زياد ابن عمرو العتكي: مر برأسه فليغسل ثم ليعمم، ففعل ذلك به، فعرفه، فبعث برأسه إلى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

قال أبو مخنف: فحدثني ثابت مولى زهير، قال: لقد قتل يزيد وهزم الناس، وإن المفضل بن المهلب ليقا تل أهل الشام ما يدري بقتل يزيد ولا بهزيمة الناس، وإنه لعل برزون شديد قريب من الأرض، وإن معه لجففة أمامه، فكلها حمل عليها نكصت وانكشفت وانكشف، فيحمل في ناس من أصحابه حتى يخالط القوم ثم يرجع حتى يكون من وراء أصحابه، وكان لا يرى منا ملتفتا إلا أشار إليه بيده ألا يلتفت ليقبل القوم بوجوههم على عدوهم، ولا يكون لهم هم غيرهم

قال: ثم اقتتلنا ساعة، فكأنني أنظر إلى عامر بن العميل الأزدى وهو يضرب بسيفه، ويقول:

قد علمت أم الصبي المولود ... أنني بنصل السيف غير رعديد

قال: واضطربنا والله ساعة، فانكشفت خيل ربيعة، والله ما رأيت عند أهل الكوفة من كبير صبر ولا قتال، فاستقبل ربيعة بالسيف يناديهم: أي معشر ربيعة، الكرة الكرة! والله ما كنتم بكشف ولا لثام، ولا هذه لكم بعادة، فلا يؤتت أهل العراق اليوم من قبلكم أي ربيعة، فدتك نفسي، اصبروا ساعة من النهار.

قال: فاجتمعوا حوله، وثابوا إليه، وجاءت كويفتك.

قال: فاجتمعنا ونحن نريد الكرة عليهم، حتى أتى، فقبل له:

ما تصنع هاهنا وقد قتل يزيد وحبيب ومحمد، وانهمز الناس منذ طويل؟

وأخبر الناس بعضهم بعضا، ففرقوا ومضى المفضل، فأخذ الطريق إلى واسط، فما رأيت رجلا من العرب مثل منزلته كان أغشى للناس بنفسه، ولا أضرب بسيفه، ولا أحسن تعبئة لأصحابه منه.

قال أبو مخنف: فقال لي ثابت مولى زهير: مررت بالخذق، فإذا عليه حائط، عليه رجال معهم النبل، وأنا مجفف، وهم يقولون: يا صاحب التجفاف، أين تذهب؟ قال: فما كان شيء أثقل علي من تجفافي، قال: فما هو إلا أن جزتهم، فنزلت فألقيته لأخفف عن دابتي وجاء أهل الشام إلى عسكري يزيد بن المهلب، فقاتلهم أبو ربيعة صاحب المرجة ساعة من النهار حتى ذهب عظمهم، وأسر أهل الشام نحو من ثلاثمائة رجل، فسرهم مسلمة إلى محمد بن عمرو بن الوليد فحبسهم وكان على شرطه العريان بن الهيثم وجاء كتاب من يزيد بن عبد الملك إلى محمد بن عمرو:

أن اضرب رقاب الأسراء فقال للعريان بن الهيثم: أخرجهم عشرين عشرين، وثلاثين ثلاثين قال: فقام نحو من ثلاثين رجلا من بني تميم، فقالوا:

نحن انهزمنا بالناس، فاتقوا الله وابدءوا بنا، أخرجونا قبل الناس، فقال لهم العريان: اخرجوا على اسم الله، فأخرجهم إلى المصطبة، وأرسل إلى محمد بن عمرو يخبره بإخراجهم ومقاتلتهم، فبعث إليه أن اضرب أعناقهم.

قال أبو مخنف: فحدثني نجيح أبو عبد الله مولى زهير، قال: والله اني لانظر اليهم يقولون: إنا لله! انهزمنا بالناس، وهذا جزاؤنا، فما هو إلا أن فرغ منهم، حتى جاء رسول من عند مسلمة فيه عافية الأسراء والنهي عن قتلهم، فقال حاجب بن ذبيان من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم:

لعمري لقد خاضت معيط دماءنا ... بأسيا فها حتى انتهى بهم الوحل

وما حمل الأقوام أعظم من دم ... حرام ولا ذحل إذا التمس الذحل

حقنتم دماء المصلتين عليكم ... وجر على فرسان شيعتك القتل

وقى بهم العريان فرسان قومه ... فيا عجبا أين الأمانة والعدل!

وكان العريان يقول: والله ما اعتمدتهم ولا أردتهم حتى قالوا: ابد بنا، أخرجنا، فما تركت حين أخرجتهم أن أعلمت المأمور بقتلهم، فما يقبل حجتهم، وأمر بقتلهم، والله على ذلك ما أحب أن قتل من قومي مكانهم رجل، ولئن لاموني ما أنا بالذي أحفل لأئمتهم، ولا تكبر

علي وأقبل مسلمة حتى نزل الحيرة، فأتى بنحو من خمسين أسيراً، ولم يكونوا فيمن بعث به إلى الكوفة، كان أقبل بهم معه، فلما رأى الناس أنه يريد أن يضرب رقابهم، قام إليه الحصين بن حماد الكلبي فاستوهبه ثلاثة: زياد بن عبد الرحمن القشيري، وعتبة بن مسلم، وإسماعيل مولى آل بني عقيل بن مسعود، فوهبهم له، ثم استوهب بقيتهم أصحابه، فوهبهم لهم، فلما جاءت هزيمة يزيد إلى واسط، أخرج معاوية بن يزيد بن المهلب اثنين وثلاثين أسيراً كانوا

في يده، فضرب أعناقهم: منهم عدي بن أرطاة، ومحمد بن عدي بن أرطاة ومالك وعبد الملك ابنا مسمع وعبد الله بن عزرة البصري، وعبد الله بن وائل، وابن أبي حاضر التيمي من بني أسيد بن عمرو بن تميم، وقد قال له القوم: ويحك! أنا لا نراك الا تقتلنا، إلا أن أباك قد قتل، وإن قتلنا ليس بنافع لك في الدنيا، وهو ضارك في الآخرة، فقتل الأسارى كلهم غير ربيع بن زياد بن الربيع ابن انس بن الريان، تركه، فقال له ناس: نسيتك؟ فقال: ما نسيتك، ولكن لم أكن لأقتله، وهو شيخ من قومي له شرف ومعروف وبيت عظيم، ولست أتهمه في ود، ولا أخاف بغيه فقال ثابت قطنة في قتل عدي بن ارطاه:

ما سرنى قتل الفزاري وابنه ... عدي ولا أحببت قتل ابن مسمع

ولكنها كانت معاوي زلة ... وضعت بها أمري على غير موضع

ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه المال والخزائن، وجاء المفضل بن المهلب، واجتمع جميع آل المهلب بالبصرة، وقد كانوا يتخوفون الذي كان من يزيد، وقد أعدوا السفن البحرية، وتجهزوا بكل الجهاز، وقد كان يزيد بن المهلب بعث وداع بن حميد الأزدي على قنذابيل أميراً، وقال له: إني سائر إلى هذا العدو، ولو قد لقيتهم لم أبرح العرصة حتى تكون إلي أولهم، فإن ظفرت أكرمتك، وإن كانت الأخرى كنت بقنذابيل حتى يقدم عليك أهل بيتي، فيتحصنوا بها حتى يأخذوا لأنفسهم أماناً، أما إني قد اخترتك لأهل بيتي من بين قومي، فكن عند حسن ظني، وأخذ عليه أيماناً غلاظاً ليناصح أهل بيته، إن هم احتاجوا ولجئوا إليه، فلما اجتمع آل المهلب بالبصرة بعد الهزيمة حملوا عيالاتهم وأموالهم في السفن البحرية، ثم لججوا في البحر حتى مروا بهرم ابن القرار العبدى- وكان يزيد استعمله على البحرين- فقال لهم: أشير عليكم الا تفارقوا سفنكم، فإن ذلك هو بقاءكم، وإني أتخوف عليكم إن خرجتم من هذه السفن ان يخطفكم الناس، وأن يتقربوا بكم إلى بني مروان فضوا حتى إذا كانوا بحيال كرمان خرجوا من سفنهم، وحملوا عيالاتهم وأموالهم على الدواب وكان معاوية بن يزيد بن المهلب حين قدم البصرة قدمها ومعه الخزائن وبيت المال، فكأنه أراد أن يتأمر عليهم، فاجتمع آل المهلب وقالوا للمفضل: أنت أكبرنا وسيدنا، وإنما أنت غلام حديث السن كبعض فتیان أهلک، فلم يزل المفضل عليهم حتى خرجوا إلى كرمان، وبكرمان فلول كثيرة، فاجتمعوا إلى المفضل، وبعث مسلمة بن عبد الملك مدرك بن ضب الكلبي في طلب آل المهلب وفي اثر الفل فأدرك مدرك المفضل بن المهلب، وقد اجتمعت إليه الفلول بفارس فتبعهم، فأدركهم في عقبة، فعطفوا عليه، فقاتلوه واشتد قتالهم إياه، فقتل مع المفضل بن المهلب النعمان بن إبراهيم بن الاشر النخعي ومحمد بن إسحاق ابن محمد بن الأشعث، وأخذ ابن صول ملك قهستان أسيراً، وأخذت سرية المفضل العالية، وجرح عثمان بن إسحاق بن محمد بن الأشعث جراحة شديدة، وهرب حتى انتهى إلى حلوان، فدل عليه، فقتل وحمل رأسه إلى مسلمة بالحيرة، ورجع ناس من أصحاب يزيد بن المهلب، فطلبوا الأمان، فأومنوا، منهم مالك بن إبراهيم بن الأشتر، والورد بن عبد الله بن حبيب السعدي من تميم، وكان قد شهد مع عبد الرحمن بن محمد مواطنه وأيامه كلها، فطلب له الأمان محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان إلى مسلمة بن عبد الملك عمه وابنة مسلمة تحته- فآمنه، فلما أتاه الورد وقفه مسلمة فشتمه قائماً، فقال: صاحب خلاف وشقاق ونفاق ونفار في كل فتنة، مرة مع حائك كندة، ومرة مع ملاح الأزد، ما كنت بأهل أن تؤمن، قال: ثم انطلق وطلب الأمان لمالك بن إبراهيم بن الأشتر الحسن بن عبد الرحمن بن شراحيل- وشراحيل يلقب رستم الحضرمي- فلما جاء ونظر إليه، قال له الحسن بن عبد الرحمن الحضرمي: هذا مالك بن إبراهيم بن الأشتر، قال له: انطلق، قال له الحسن: أصلحك الله! لم لم تشتمه كما شتمت صاحبه! قال: أجللتكم عن ذلك، وكنتم أكرم علي من أصحاب الآخر وأحسن طاعة قال: فإنه أحب إلينا أن تشتمه، فهو والله أشرف أبا وجداً، وأسوأ أثراً من أهل الشام من الورد بن عبد الله، فكان الحسن يقول بعد أشهر: ما

تركه إلا حسدا من ان يعرف
صاحبنا، فأراد أن يرى أنه قد حقره ومضى آل المهلب ومن سقط منهم من الفلول حتى انتهوا إلى قنديل، وبعث مسلمة إلى مدرك
بن ضب الكلبي فرده، وسرح في أثرهم هلال بن أحوز التيمي، من بني مازن بن عمرو بن تميم فلحقهم بقنديل، فأراد آل المهلب
دخول قنديل، فنعهم وداع بن حميد.

وكتبه هلال بن أحوز، ولم يبين آل المهلب فيفارقه، فتبين لهم فراقه لما التقوا وصفوا، كان وداع بن حميد على الميمنة، وعبد الملك بن
هلال على الميسرة وكلاهما ازدى، فرقع لهم راية الأمان، فقال إليهم وداع بن حميد وعبد الملك ابن هلال، وارفض عنهم الناس نخلوهم
فلما رأى ذلك مروان بن المهلب ذهب يزيد أن ينصرف إلى النساء، فقال له المفضل: أين تريد؟ قال: أدخل إلى نسائي فأقتلن، لئلا
يصل إليهن هؤلاء الفساق، فقال: ويحك! أقتل أخواتك ونساء أهل بيتك! إنا والله ما نخاف عليهن منهم قال: فرده عن ذلك، ثم
مشوا بأسيا فهم، فقاتلوا حتى قتلوا من عند آخرهم، إلا أبا عيينة ابن المهلب، وعثمان بن المفضل فإنهما نجوا، فلحقا بخاقان ورتبيل،
وبعث بنسائهم وأولادهم إلى مسلمة بالحيرة، وبعث برءوسهم إلى مسلمة، فبعث بهم مسلمة إلى يزيد بن عبد الملك، وبعث بهم يزيد
بن عبد الملك إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك، وهو على حلب، فلما نصبوا خرج لينظر إليهم، فقال لأصحابه: هذا رأس عبد الملك،
هذا رأس المفضل، والله لكانه جالس معي حدثني.

وقال مسلمة: لأبيعن ذريتهم وهم في دار الرزق، فقال الجراح بن عبد الله: فأنا أشتريهم منك لأبر يمينك، فاشتراهم منه بمائة ألف،
قال:

هاتها، قال: إذا شئت نخدها، فلم يأخذ منه شيئا، وخلي سبيلهم، إلا تسعه فتية

منهم أحداث بعث بهم إلى يزيد بن عبد الملك، فقدم بهم عليه، فضرب رقابهم، فقال ثابت قطنة حين بلغه قتل يزيد بن المهلب يرثيه:

ألا يا هند طال علي ليلي ... وعاد قصيره ليلا تماما
كأنني حين حلقت الثريا ... سقيت لعاب أسود أو سما
أمر علي حلو العيش يوم ... من الأيام شيبني غلاما
مصاب بني أبيك وغبت عنهم ... فلم أشهدهم ومضوا كراما
فلا والله لا أنسى يزيدا ... ولا القتل التي قتلت حراما
فعلي أن أبو بأخيك يوما ... يزيدا أو أبوء به هشاما
وعلي أن أقود الخيل شعثا ... شواذب ضمرا تقص الإكاما
فأصبحهن حمير من قريب ... وعكا أو أرفع بهما جذاما
ونسقي مدحجا والحي كلبا ... من الذيفان أنفاسا قواما
عشائرن التي تبغي علينا ... تجربنا زكا عاما فعاما
ولولا هم وما جلبوا علينا ... لأصبح وسطنا ملكا هماما
وقال أيضا يرثي يزيد بن المهلب:

أبى طول هذا الليل أن يتصرما ... وهاج لك الهم الفؤاد المتيما
أرقت ولم تارق معي أم خالد ... وقد أرقت عينا حولا مجرما
على هالك هد العشيرة فقدته ... دعت المنيا فاستجاب وسلما
على ملك يا صاح بالعقر جنت ... كئابه واستورد الموت معلما

٦٠٣٧٠٢ ولاية مسلمة بن عبد الملك على العراق وخراسان

أصيب ولم أشهد ولو كنت شاهدا ... تسليت إن لم يجمع الحي مأتما

وفي غير الأيام يا هند فاعلمي ... لطالب وتر نظرة إن تلوما
فعلي إن مالت بي الريح ميلة ... على ابن أبي ذبان أن يتندما
أمسلم أن يقدر عليك رماحنا ... نذكك بها قيء الأساود مسلما
وإن تلق للعباس في الدهر عثره ... نكافئه باليوم الذي كان قدما
قصاصا ولا نعدو الذي كان قد أتى ... إلينا وإن كان ابن مروان أظلمها
ستعلم إن زلت بك النعل زلة ... وأظهر أقوام حياء مجمما
من الظالم الجاني على أهل بيته ... إذا أحصرت أسباب أمر وأبهما
وإنا لعطافون بالحلم بعد ما ... نرى الجهل من فرط اللثيم تكرما
وإنا لخاللون بالثغر لا نرى ... به ساكنا إلا الخميس العرمرما
نرى أن للجيران حاجا وحرمة ... إذا الناس لم يرعوا لدى الجار محرما
وإنا لنقري الضيف من قمع الذرى ... إذا كان رقد الرافدين تجشما
وراحت بصراد ملث جليده ... على الطلح ارما كامن الشهب صيما
أبونا أبو الأنصار عمرو بن عامر ... وهم ولدوا عوفا وكعبا وأسلما
وقد كان في غسان مجد يعده ... وعادية كانت من المجد معظما.
ولايه مسلمة بن عبد الملك على العراق وخراسان
فلما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حرب يزيد بن المهلب، جمع له يزيد بن عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة وخراسان في هذه السنة،
فلما ولاه يزيد ذلك، ولى مسلمة الكوفة ذا الشامة محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وقام بأمر البصرة بعد أن خرج منها
آل المهلب - فيما قيل - شبيب بن الحارث التميمي، فضبطها، فلما ضمت إلى مسلمة بعث عاملا

٦٠٣٧٠٣ ذكر استعمال مسلمة سعيد خذينه على خراسان

عليها عبد الرحمن بن سليم الكلبي، وعلى شرطتها وأحداثها عمر بن يزيد التميمي، فأراد عبد الرحمن بن سليم أن يستعرض أهل البصرة،
وأفشى ذلك إلى عمر بن يزيد، فقال له عمر: أتريد أن تستعرض أهل البصرة ولم تمن حصنا بكوفية، وتدخل من تحتاج إليه! فوالله لو
رماك أهل البصرة وأصحابك بالحجارة لتخوفت أن يقتلونا، ولكن أنظرنا عشرة أيام حتى نأخذ أهبة ذلك.
ووجه رسولا إلى مسلمة يخبره بما هم به عبد الرحمن، فوجه مسلمة عبد الملك ابن بشر بن مروان على البصرة، وأقر عمر بن يزيد على
الشرطه والاحداث.

ذكر استعمال مسلمة سعيد خذينه على خراسان

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة وجه مسلمة بن عبد الملك سعيد بن عبد العزيز ابن الحارث بن الحكم بن أبي العاص، وهو الذي يقال له
سعيد خذينة - وإنما لقب بذلك - فيما ذكر - أنه كان رجلا لنا سهلا متنعما، قدم خراسان على بختية معلقا سكيناً في منطقتة، فدخل عليه
ملك أبر، وسعيد متفضل في ثياب مصبغة، حوله مرافق مصبغة، فلما خرج من عنده قالوا له: كيف رأيت الأمير؟ قال: خذيني،
لمته سكينية، فلقب خذينة وخذينة هي الدهقانة ربة البيت، وإنما استعمل مسلمة سعيد خذينة على خراسان لأنه كان ختنه على ابنته،
كان سعيد متزوجا بابنه مسلمة.

ولما ولى مسلمة سعيد خذينة خراسان، قدم إليها قبل شخوصه سوره ابن الحر من بني دارم، فقدمها قبل سعيد - فيما ذكر - بشهر، فاستعمل
شعبة بن ظهير النهشلي على سمرقند، فخرج إليها في خمسة وعشرين رجلا من أهل بيته، فأخذ على آمل، فأتى بخارى، فصحبه منها مائتا
رجل، فقدم

السغد، وقد كان أهلها كفروا في ولاية عبد الرحمن بن نعيم الغامدي، ووليا ثمانية عشر شهرا، ثم عادوا إلى الصلح، فخطب شعبة أهل
السغد، ووبخ سكانها من العرب وغيرهم بالجن، فقال: ما أرى فيكم جريحا، ولا أسمع فيكم أنة فاعتذروا إليه بأن جنبا عاملهم علماء

بن حبيب العبدي، وكان على الحرب ثم قدم سعيد، فأخذ عمال عبد الرحمن بن عبد الله القشيري الذين ولوا أيام عمر بن عبد العزيز فحبسهم، فكله فيهم عبد الرحمن بن عبد الله القشيري، فقال له سعيد: قد رفع عليهم أن عندهم أموالاً من الخراج قال: فأنا أضمنه، فضمن عنهم سبعمائة ألف، ثم لم يأخذه بها ثم إن سعيداً رفع إليه - فيما ذكر علي بن محمد - أن جهم بن زحر الجعفي وعبد العزيز بن عمرو بن الحجاج الزبيدي والمنتجع بن عبد الرحمن الأزدي والقعقاع الأزدي ولوا ليزيد بن المهلب وهم ثمانية، وعندهم أموال قد اختانوها من فيء المسلمين فأرسل إليهم، فحبسهم في قهندز مرو، ف قيل له: إن هؤلاء لا يؤدون إلا أن تبسط عليهم فأرسل إلى جهم بن زحر، فحمل على حمار من قهندز مرو، فمروا به على الفيض بن عمران، فقام إليه فوجاً أنفه، فقال له جهم: يا فاسق، هلا فعلت هذا حين أتوني بك سكران قد شربت الخمر، فضربتك حداً! فغضب سعيد على جهم فضربه مائتي سوط، فكبر أهل السوق حين ضرب جهم بن زحر، وأمر سعيد بجهم والثمانية الذين كانوا في السجن فدفعوا إلى ورقاء بن نصر الباهلي، فاستعفاه فأعفاه. وقال عبد الحميد بن دثار - أو عبد الملك بن دثار - والزيير بن نشيط مولى باهلة، وهو زوج أم سعيد خدينة: ولنا محاسبتهم، فولاهم فقتلوا في العذاب جهماً، وعبد العزيز بن عمرو والمنتجع، وعذبوا القعقاع وقوماً حتى أشرفوا على الموت. قال: فلم يزالوا في السجن حتى غزتهم الترك وأهل السغد، فأمر سعيد باخراج من بقي منهم، فكان سعيد يقول: قبح الله الزيير، فإنه قتل جهماً! وفي هذه السنة غزا المسلمون السغد وترك، فكان فيها الوقعة بينهم بقصر الباهلي.

وفيها عزل سعيد خدينة شعبة بن ظهير عن سمرقند.

ذكر الخبر عن سبب عزل سعيد شعبة وسبب هذه الوقعة وكيف كانت ذكر علي بن محمد، عن الذين تقدم ذكرى خبره عنهم، أن سعيد خدينة لما قدم خراسان، دعا قوماً من الدهاقين، فاستشارهم فيمن يوجه إلى الكور، فأشاروا إليه بقوم من العرب، فولاهم، فشكوا إليه، فقال للناس يوماً وقد دخلوا عليه: إني قدمت البلد، وليس لي علم بأهله، فاستشرت فأشاروا علي بقوم، فسألت عنهم فحمدوا، فوليتهم، فأخرج إليكم لما أخبرتموني عن عمالي فأثنى عليهم القوم خيراً، فقال عبد الرحمن بن عبد الله القشيري: لو لم تخرج علينا لكففت، فاما إذ خرجت علينا فإنك شاورت المشركين فأشاروا عليك بمن لا يخالفهم وبأشباههم، فهذا علمنا فيهم.

قال: فاتكا سعيد ثم جلس، فقال: «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ»، قوموا.

قال: وعزل سعيد شعبة بن ظهير عن السغد، وولى حربها عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشخير، وولى الخراج سُلَيْمَانَ بن أبي السري مولى بني عوافة، واستعمل على هراة معقل بن عروة القشيري، فصار إليها. وضعف الناس سعيداً وسموه خدينة، فطمع فيه الترك، فجمع له خاقان الترك، ووجههم إلى السغد، فكان على الترك كورصول، وأقبلوا حتى نزلوا قصر الباهلي.

وقال بعضهم: أراد عظيم من عظماء الدهاقين أن يتزوج امرأة من باهلة، وكانت في ذلك القصر، فأرسل إليها يخطبها، فأبت، فاستجاش ورجا أن يسبوا من في القصر، فيأخذ المرأة، فأقبل كورصول حتى حصر أهل القصر، وفيه مائة أهل بيت بذرايرهم، وعلى سمرقند عثمان بن عبد الله وخافوا أن يبطئ عنهم المدد، فصالحوا الترك على أربعين ألفاً، وأعطوهم سبعة عشر رجلاً رهينة، وندب عثمان بن عبد الله الناس، فانتدب المسيب بن بشر الرياحي وانتدب معه أربعة آلاف من جميع القبائل، فقال شعبة بن ظهير: لو كان هاهنا خيول خراسان ما وصلوا إلى غايتهم.

قال: وكان فيمن انتدب من بني تميم شعبة بن ظهير النهشلي وبلعاء بن مجاهد العزني، وعميرة بن ربيعة أحد بني العجيف - وهو عميرة الثريد - وغالب بن المهاجر الطائي - وهو عم أبي العباس الطوسي - وأبو سعيد معاوية بن الحجاج الطائي، وثابت قطنة، وأبو المهاجر بن داره من غطفان، وحليس الشيباني والحجاج بن عمرو الطائي، وحسان بن معدان الطائي، والأشعث أبو حطامة وعمرو بن حسان الطائيان فقال المسيب بن بشر لما عسكروا:

إنكم تقدمون على حلبة الترك حلبة خاقان وغيرهم والعوض إن صبرتم الجنة، والعقاب النار إن فرتم، فن أراد الغزو والصبر فليقدم.

فانصرف عنه ألف وثلاثمائة، وسار في الباقي، فلما سار فرسخا قال للناس مثل مقالته الأولى، فاعتزل ألف، ثم سار فرسخا آخر فقال لهم مثل ذلك، فاعتزل ألف، ثم سار- وكان دليلهم الأشهب بن عبيد الحنظلي- حتى إذا كان على فرسخين من القوم نزل فأتاهم ترك خاقان ملك في فقال: انه لم يبق هاهنا دهقان إلا وقد باع الترك غيري، وأنا في ثلاثمائة مقاتل فهم معك، وعندي الخبر، قد كانوا صالحوهم على أربعين ألفا، فأعطوهم سبعة عشر رجلا، ليكونوا رهنا

في أيديهم حتى يأخذوا صلحهم، فلما بلغهم مسيركم إليهم قتل الترك من كان في أيديهم من الرهائن.

قال: وكان فيهم نهشل بن يزيد الباهلي فنجما لم يقتل، والأشهب بن عبيد الله الحنظلي، وميعادهم أن يقتاتلوهم غدا أو يفتحوا القصر، فبعث المسيب رجلين: رجلا من العرب ورجلا من العجم من ليلته على خيولهم، وقال لهم: إذا قربتم فشدوا دوابكم بالشجر، واعلموا علم القوم فأقبلا في ليلة مظلمة، وقد أجرت الترك الماء في نواحي القصر، فليس يصل إليه أحد، ودنوا من القصر، فصاح بهما الرية، فقالا: لا تصح وادع لنا عبد الملك ابن دثار، فدعاه فقالا له: أرسلنا المسيب، وقد أتاكم الغياث، قال: أين هو؟ قال: على فرسخين، فهل عندكم امتناع ليلتك وغدا؟ فقال: قد أجمعنا على تسليم نسائنا وتقديمهم للموت أمانا، حتى نموت جميعا غدا فرجعا إلى المسيب، فأخبراه فقال المسيب للذين معه: إني سائر إلى هذا العدو، فمن أحب أن يذهب فليذهب، فلم يفارقه أحد، وبايعوه على الموت فسار وقد زاد الماء الذي أجروه حول المدينة تحصينا، فلما كان بينه وبينهم نصف فرسخ نزل، فأجمع على بيأتهم، فلما أمسى أمر الناس فشدوا على خيولهم، وركب فخثم على الصبر، ورغبهم فيما يصير إليه أهل الاحتساب والصبر، وما لهم في الدنيا من الشرف والغنيمة إن ظفروا، وقال لهم: اكعموا دوابكم وقودوها، فإذا دنوتم من القوم فاركبوها، وشدوا شدة صادقة وكبروا، وليكن شعاركم: يا مُحَمَّد، ولا تتبعوا موليا، وعليكم بالدواب فاعقروها، فإن الدواب إذا عقرت كانت أشد عليهم منكم، والقليل الصابر خير من الكثير الفشل، وليست بكم قله، فان سبعمائة سيف لا يضرب بها في عسكر إلا أوهنوه وإن كثر أهله

قال: وعباهم وجعل على الميمنه كثير بن الدبوسي، وعلى الميسرة رجلا من ربيعة يقال له ثابت قطنة، وساروا حتى إذا كانوا منهم على غلوتين كبروا وذلك في السحر، وثار الترك، وخالط المسلمون العسكر، فعمقوا الدواب، وصابروهم الترك، فجال المسلمون وانهزموا حتى صاروا إلى المسيب، وتبعهم الترك وضربوا عجز دابة المسيب فترجل رجال من المسلمين، فيهم البختري أبو عبد الله المراني، ومُحمَّد بن قيس الغنوي- ويقال: مُحمَّد بن قيس العنبري- وزياد الأصهباني، ومعاوية بن الحجاج وثابت قطنة فقاتل البختري فقطعت يمينه، فأخذ السيف بشماله فقطعت، فجعل يذب بيديه حتى استشهد واستشهد أيضا مُحمَّد بن قيس العنبري أو الغنوي وشبيب بن الحجاج الطائي قال: ثم انهزم المشركون، وضرب ثابت قطنة عظيما من عظمائهم، فقتله، ونادى منادي المسيب: لا تتبعوهم، فإنهم لا يدرون من الرعب، أتبعتموهم أم لا! واقصدوا القصر، ولا تحملوا شيئا من المتاع إلا المال، وتحملوا لا من يقدر على المشي وقال المسيب: من حمل امرأة أو صبيا أو ضعيفا حسبة فأجره على الله، ومن أبى فله أربعون درهما، وإن كان في القصر أحد من أهل عهدكم فاحملوه قال: فقصدوا جميعا القصر، فحملوا من كان فيه، وانتهى رجل من بني فقيم إلى امرأة، فقالت: أعطني أغاثك الله! فوقف وقال: دونك وعجز الفرس، فوثبت فإذا هي على عجز الفرس، فإذا هي أفرس من رجل، فتناول الفقيمي بيد ابنا، غلاما صغيرا، فوضعه بين يديه، وأتوا ترك خاقان، فأنزلهم قصره وأتاهم بطعام، وقال: الحقوا بسمرقند، لا يرجعوا في آثاركم نفرجوا نحو سمرقند، فقال لهم: هل بقي أحد؟ قالوا: هلال الحريري، قال: لا أسلمه، فأتاه وبه بضع وثلاثون جراحة، فاحتمله، فبرأ، ثم أصيب يوم الشعب مع الجنيد قال: فرجع الترك من الغد، فلم يروا في القصر أحدا، ورأوا

قتلاهم، فقالوا: لم يكن الذين جاءوا من الإنس، فقال ثابت قطنة:

فدت نفسي فوارس من تميم ... غدا. الروح في ضنك المقام

فدت نفسي فوارس اكنفوني ... على الأعداء في رجع القتام

بقصر الباهلي وقد رأوني ... أحامي حيث ضن به المحامي

بسينفي بعد حطم الرمح قدما ... أذودهمُ بذي شطب جسام
أكر عليهم اليعحوم كرا ... ككر الشرب آنية المدام
أكر به لدى الغمرات حتى ... تجلت لا يضيق بها مقامي
فلولا الله ليس له شريك ... وضربي قونس الملك الهمام
إذا لسعت نساء بني دثار ... أمام الترك بادية الخدام!
فن مثل المسيب في تميم ... أبى بشر كقادمة الحمام
وقال جرير يذكر المسيب:

لولا حماية يربوع نساء كم ... كانت لغيركم منهن أطهار
حامي المسيب والخيلاء في رجع ... إذ مازن ثم لا يحى لها جار
إذ لا عقل يحامي عن ذماركم ... ولا زرارة يحميها ووزار

قال: وعور تلك الليلة أبو سعيد معاوية بن الحجاج الطائي، وثلت يده، وقد كان ولي ولاية قبل سعيد، نخرج عليه شيء مما كان بقي عليه، فأخذ به، فدفعه سعيد إلى شداد بن خليل الباهلي ليحاسبه ويستأديه فضيق عليه شداد، فقال: يا معشر قيس، سرت إلى قصر الباهلي وأنا شديد البطش، حديد البصر، فعورت وثلت يدي، وقاتلت مع من قاتل

٦٠٣٧٠٤ ذكر الخبر عن غزو سعيد خذينه السغد

حتى استنقذناهم بعد أن أشرفوا على القتل والأسر والسبي، وهذا صاحبكم يصنع بي ما يصنع، فكفوه عني، نخلاه.
قال: وقال عبد الله بن محمد عن رجل شهد ليلة قصر الباهلي قال: كنا في القصر، فلما التقوا ظننا أن القيامة قد قامت لما سمعنا من همام القوم ووقع الحديد وصهيل الخيل
. ذكر الخبر عن غزو سعيد خذينه السغد

وفي هذه السنة قطع سعيد خذينة نهر بلخ وغزا السغد، وكانوا نقضوا العهد وأعانوا الترك على المسلمين.
ذكر الخبر عما كان من أمر سعيد والمسلمين في هذه الغزوة:

وكان سبب غزو سعيد هذه الغزوة - فيما ذكر - أن الترك عادوا إلى السغد، فكلم الناس سعيدا وقالوا: تركت الغزو، فقد أغار الترك، وكفر أهل السغد، فقطع النهر، وقصد للسغد، فلقية الترك وطائفة من أهل السغد فهزمهم المسلمون، فقال سعيد: لا تتبعوهم، فإن السغد بستان أمير المؤمنين وقد هزمتوهم، أفتريدون بوارهم! وقد قاتلتم يا أهل العراق الخلفاء غير مرة فهل أباروكم.
وسار المسلمون، فانتهاوا إلى واد بينهم وبين المرج، فقال عبد الرحمن بن صبيح: لا يقطعن هذا الوادي مجفف ولا راجل، وليعبر من سواهم.

فعبروا، ورأتهم الترك، فأكمنوا كميناً، وظهرت لهم خيل المسلمين فقاتلوهم، فأنحاز الترك فأتبعوهم حتى جازوا الكمين، فخرجوا عليهم، فانهزم المسلمون حتى انتهوا إلى الوادي، فقال لهم عبد الرحمن بن صبيح: سابقوهم، ولا تقطعوا فإنكم إن قطعتم أبادوكم فصبروا لهم حتى انكشفوا عنهم، فلم يتبعوهم، فقال

قوم: قتل يومئذ شعبة بن ظهير وأصحابه، وقال قوم: بل انكشف الترك منهم يومئذ منهزمين، ومعهم جمع من أهل السغد فلما كان الغد، خرجت مسلحة للمسلمين - والمسلحة يومئذ من بني تميم - فما شعروا إلا بالترك معهم، خرجوا عليهم من غيضة وعلى خيل بني تميم شعبة بن ظهير، فقاتلهم شعبة فقتل، أعجلوه عن الركوب وقتل رجل من العرب، فأخرجت جاريته حناء، وهي تقول: حتى متى أعد لك مثل هذا الخضاب، وأنت مختضب بالدم! مع كلام كثير، فأبكت أهل العسكر وقتل نحو من خمسين رجلاً، وانهزم أهل المسلحة، وأتى الناس الصريح، فقال عبد الرحمن بن المهلب العدوي: كنت أنا أول من أتاها الخبر، وتحتي فرس جواد، فإذا عبد الله بن زهير إلى جنب شجرة كأنه قنفذ من الشباب، وقد قتل، وركب الخليل بن أوس العبشمي - أحد بني ظالم، وهو شاب - ونادى: يا

بني تميم، أنا الخليل، إلي! فانضمت إليه جماعة- فحمل بهم على العدو، فكفوهم ووزعوهم عن الناس حتى جاء الأمير والجماعة، فانهزم العدو، فصار الخليل على خيل بني تميم يومئذ، حتى ولي نصر بن سيار، ثم صارت رياسة بني تميم لأخيه الحكم بن أوس. وذكر علي بن محمد، عن شيوخه، أن سوره بن الحر قال لحيان: انصرف يا حيان، قال: عقيرة الله أدعها وأنصرف قال: يا نبطي قال: أنبط الله وجهك! قال: وكان حيان النبطي يكنى في الحرب أبا الهياج، وله يقول الشاعر:

إن أبا الهياج أريحي ... للريح في أثوابه دوي

قال: وعبر سعيد النهر مرتين، فلم يجاوز سمرقند، نزل في الأولى بإزاء العدو، فقال له حيان مولى مصقلة بن هبيرة الشيباني: أيها الأمير، ناجز أهل السغد، فقال: لا، هذه بلاد أمير المؤمنين، فرأى دخانا ساطعا، فسأل عنه فقيل له: السغد قد كفروا ومعهم بعض الترك قال: فناوشهم، فانهزموا

فألحوا في طلبهم، فنادى منادي سعيد: لا تطلبوهم، إنما السغد بستان أمير المؤمنين، وقد هزمتوهم، أفتريدون بوارهم! وأنتم يا أهل العراق قد قاتلتم أمير المؤمنين غير مرة، فعفا عنكم ولم يستأصلكم ورجع، فلما كان العام المقبل بعث رجلا من بني تميم إلى ورغسر، فقالوا: ليتنا نلقى العدو فنطاردهم- وكان سعيد إذا بعث سرية فأصابوا وغنموا وسبوا رد ذراري السبي وعاقب السرية، فقال المهجري وكان شاعرا:

سريت إلى الأعداء تلهو بلعبة ... وأيرك مسلول وسيفك مغمد
وأنت لمن عادت عرس خفية ... وأنت علينا كالحسام المهند
فلله در السغد لما تحزبوا ... ويا عجا من كيدك المتردد!

قال: فقال سورة بن الحر لسعيد- وقد كان حفظ عليه، وحقد عليه قوله: أنبط الله وجهك:- إن هذا العبد أعدى الناس للعرب والعمال، وهو أفسد خراسان على قتيبة بن مسلم، وهو واثب بك، مفسد عليك خراسان، ثم يتحصن في بعض هذه القلاع فقال: يا سورة لا تسمعن هذا أحدا ثم مكث أياما، ثم دعا في مجلسه بلبن، وقد أمر بذهب فسحق، وألقي في إناء حيان فشربه، وقد خلط بالذهب، ثم ركب، فركب الناس اربعة فراسخ إلى باركت، كأنه يطلب عدوا، ثم رجع فعاش حيان أربعة أيام ومات في اليوم الرابع، فقتل سعيد على الناس وضعفه، وكان رجل من بني أسد يقال له إسماعيل منقطعا إلى مروان بن محمد، فذكر إسماعيل عند خدينة ومودته لمروان، فقال سعيد: وما ذاك الملط! فهجاه إسماعيل، فقال:

زعمت خدينة أنني ملط ... لخدينة المرأة والمشط
ومجامر ومكاحل جعلت ... ومعارف وبخدها نقط

٦٠٣٧٠٥ عزل مسلمة عن العراق وخراسان

أفذاك أم زغف مضاعفة ... ومهند من شأنه القط
لمقرس ذكر أنخي ثقة ... لم يغذه التأنيث واللقط
أغضبت أن بات ابن أمكم ... بهم وأن أباكم سقط
إني رأيت نباهم كسيت ... ريش اللوام ونبلكم مرط
ورأيتهم جعلوا مكاسرهم ... عند الندي وأنتم خلط.

عزل مسلمة عن العراق وخراسان

وفي هذه السنة عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق وخراسان وانصرف إلى الشام.

ذكر الخبر عن سبب عزله وكيف كان ذلك:

وكان سبب ذلك- فيما ذكر علي بن محمد- أن مسلمة لما ولي ما ولي من أرض العراق وخراسان لم يرفع من الخراج شيئا، وأن يزيد بن عاتكة أراد عزله فاستحيا منه، وكتب إليه أن استخلف على عملك، وأقبل.

وقد قيل إن مسلمة شاور عبد العزيز بن حاتم بن النعمان في الشخص إلى ابن عاتكة ليزوره، فقال له: أمن شوق بك إليه! إنك لطروب، وإن عهدك به لقريب، قال: لا بد من ذلك، قال: إذا لا تخرج من عملك حتى تلقى الوالي عليه، فشخص، فلما بلغ دورين لقيه عمر بن هبيرة على خمس من دواب البريد، فدخل عليه ابن هبيرة، فقال: إلى أين يا ابن هبيرة؟ فقال: وجهني أمير المؤمنين في حيازة أموال بني المهلب فلما خرج من عنده أرسل إلى عبد العزيز فجاءه، فقال: هذا ابن هبيرة قد لقينا كما ترى، قال: قد أنبأتك، قال: فإنه إنما وجهه لحيازة أموال بني المهلب، قال: هذا أعجب من الأول، يصرف عن الجزيرة، ويوجه في حيازة أموال

٦٠٣٧٠٦ بدء ظهور الدعوة

بني المهلب، قال: فلم يلبث أن جاءه عزل ابن هبيرة عماله والغلظة عليهم فقال الفرزدق:
راحت بمسلمة الركاب مودعا ... فارعى فزاره لا هناك المرتع
عزل ابن بشر وابن عمرو قبله ... وأخو هراة لمثلها يتوقع
ولقد علمت لئن فزاره امرت ... ان سوف تطمع في الإمارة أشجع
من خلق ربك ما هم ولمثلهم ... في مثل ما نالت فزاره يطمع
يعني بابن بشر عبد الملك بن بشر بن مروان، وبابن عمرو محمدًا ذا الشامة بن عمرو بن الوليد، وبأخي هراة سعيدا خذينة بن عبد العزيز، كان عاملا لمسلمة على خراسان.
وفي هذه السنة غزا عمر بن هبيرة الروم بأرمينية، فهزمهم وأسر منهم بشرا كثيرا قيل سبعمائة اسير.
بدء ظهور الدعوة

وفيها وجه- فيما ذكر ميسرة- رسله من العراق إلى خراسان وظهر أمر الدعوة بها، فجاء رجل من بني تميم يقال له عمرو بن بحير بن ورقاء السعدي إلى سعيد خذينه، فقال له: ان هاهنا قوما قد ظهر منهم كلام قبيح، فبعث إليهم سعيد، فأتي بهم، فقال: من أنتم؟ قالوا: أناس من التجار؟ قال: فما هذا الذي يحكي عنكم؟ قالوا: لا ندري، قال: جئتم دعاة؟ فقالوا:

٦٠٣٧٠٧ ذكر خبر قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية

٦٠٣٧٠٨ أخبار متفرقة

إن لنا في أنفسنا وتجارنا شغلا عن هذا، فقال: من يعرف هؤلاء؟ فجاء أناس من أهل خراسان، جلهم ربيعة واليمن، فقالوا: نحن نعرفهم، وهم علينا إن أتاك منهم شيء تكرهه، نفلى سبيلهم.
ذكر خبر قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية

وفيها- أعني سنة اثنتين ومائة- قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية وهو وال عليها ذكر الخبر عن سبب قتله:
وكان سبب ذلك أنه كان- فيما ذكر- عزم أن يسير بهم بسيرة الحاج بن يوسف في أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار، ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة، فأسلم بالعراق ممن ردهم إلى قراهم ورسائيقهم، ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم، فلما عزم على ذلك تأمروا في أمره، فأجمع رأيهم- فيما ذكر- على قتله فقتلوه، وولوا على أنفسهم الذي كان عليهم قبل يزيد بن أبي مسلم، وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار، وكان في جيش يزيد بن أبي مسلم، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك: إنا لم نخلع أيدينا من الطاعة، ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى الله والمسلمون، فقتلناه، وأعدنا عاملك.
فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك: إني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم، وافر محمد بن يزيد على إفريقية.
[أخبار متفرقة]

وفي هذه السنة استعمل عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن خديج بن مالك بن سعد بن عدي بن فزارة على العراق وخراسان. وجج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك، كذلك قال أبو معشر والواقدي وكان العامل على المدينة عبد الرحمن بن الضحاك، وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى الكوفة محمد بن عمرو ذو الشامة، وعلى قضائها القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، وعلى البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان، وعلى خراسان سعيد خذينه، وعلى مصر اسامه ابن زيد

٦٠٣٨ سنة ثلاث ومائة

٦٠٣٨.١ عزل سعيد خذينه عن خراسان

ثم دخلت

سنة ثلاث ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

عزل سعيد خذينه عن خراسان

فما كان فيها من ذلك عزل عمر بن هبيرة سعيد خذينة عن خراسان، وكان سبب عزله عنها- فيما ذكر علي بن محمد عن أشياخه- أن الجش بن مزاحم السلمي وعبد الله بن عمير الليثي قدما على عمر بن هبيرة، فشكواه فعزله، واستعمل سعيد بن عمرو بن الأسود بن مالك بن كعب بن وقدان بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وخذينة غاز بباب سمرقند، فبلغ الناس عزله، ففقل خذينة، وخلف بسمرقند ألف فارس، فقال نهار بن توسعة:

فن ذا مبلغ فتیان قومي ... بأن النبل ریشت کل ریش

بأن الله أبدل من سعيد ... سعيدا لا الخنث من قریش

قال: ولم يعرض سعيد الحرشي لأحد من عمال خذينة، فقرأ رجل عهده فلحن فيه، فقال سعيد: صه، مهما سمعتم فهو من الكاتب، والأمر منه بريء، فقال الشاعر يضعف الحرشي في هذا الكلام:

تبدلنا سعيدا من سعيد ... لجد السوء والقدر المتاح

قال الطبري: وفي هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح مدينة يقال لها رسله.

وفيها اغارت الترك عن اللان

٦٠٣٨.٢ استعمال ابن هبيرة سعيدا الحرشي على خراسان

وفيها ضمت مكة إلى عبد الرحمن بن الضحاك الفهري، فجمعت له مع المدينة.

وفيها ولي عبد الواحد بن عبد الله النضري، الطائف وعزل عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد عن مكة.

وفيها أمر عبد الرحمن بن الضحاك أن يجمع بين أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعثمان بن حيان المري، وكان من أمره وأمرهما ما قد مضى ذكره قبل.

وجج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري، كذلك قال أبو معشر والواقدي.

وكان عامل يزيد بن عاتكة في هذه السنة على مكة والمدينة عبد الرحمن بن الضحاك، وعلى الطائف عبد الواحد بن عبد الله النضري وعلى العراق وخراسان عمر بن هبيرة، وعلى خراسان سعيد بن عمرو الحرشي من قبل عمر بن هبيرة، وعلى الكوفة القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، وعلى البصرة عبد الملك بن يعلى.

استعمال ابن هبيرة سعيدا الحرشي على خراسان

وفيها استعمل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي على خراسان.

ذكر الخبر عن سبب استعماله الحرشي على خراسان:

ذكر علي بن محمد عن أصحابه أن ابن هبيرة لما ولي العراق، كتب إلى يزيد بن عبد الملك بأسماء من أبلى يوم العقر، ولم يذكر الحرشي، فقال يزيد بن عبد الملك: لم لم يذكر الحرشي: فكتب إلى ابن هبيرة: ول الحرشي خراسان فولاه، فقدم الحرشي على مقدمته المجشر بن مزاحم السلمي سنة ثلاث ومائة، ثم قدم الحرشي خراسان، والناس بإزاء العدو، وقد كانوا نكبوا، فخطبهم وحثهم على الجهاد، فقال: إنكم لا تقاتلون عدو الإسلام بكثرة

٦٠٣٨٠٣ ارتحال اهل السغد عن بلادهم إلى فرغانه

ولا بعده، ولكن بنصر الله وعز الإسلام، فقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال:

فلست لعامر إن لم تروني ... أمام الخيل أظعن بالعوالي
فأضرب هامة الجبار منهم ... بعضب الحد حودث بالصقال
فما أنا في الحروب بمستكين ... ولا أخشى مصاولة الرجال
أبي لي والدي من كل ذم ... وخالي في الحوادث خير خال
إذا خطرت أمامي حي كعب ... وزافت كالجلال بنو هلال.
ارتحال اهل السغد عن بلادهم إلى فرغانه

وفي هذه السنة ارتحل أهل السغد عن بلادهم عند مقدم سعيد بن عمرو الحرشي فلاحقوا بفرغانة، فسألوا ملكها معونتهم على المسلمين. ذكر الخبر عما كان منهم ومن صاحب فرغانة:

ذكر علي بن محمد عن أصحابه، أن السغد كانوا قد أعانوا الترك أيام خذينة، فلما وليهم الحرشي خافوا على أنفسهم، فأجمع عظماءهم على الخروج عن بلادهم، فقال لهم ملكهم: لا تفعلوا، أقيموا واحملوا إليه خراج ما مضى، واضمنوا له خراج ما تستقبلون، واضمنوا له عمارة أرضيكم والغزو معه إن أراد ذلك، واعتذروا مما كان منكم، وأعطوه رهائن يكونون في يديه.

قالوا: نخاف ألا يرضى، ولا يقبل منا، ولكنا نأتي نجدة، فنستجير ملكها، ونرسل إلى الأمير فنسأله الصفح عما كان منا، ونوثق له ألا يرى أمرا يكرهه، فقال: أنا رجل منكم، وما أشرت به عليكم كان خيرا لكم، فأبوا، فخرجوا إلى نجدة، وخرج كارزنج وكشين وبياركت وثابت بأهل إشتيخن، فأرسلوا إلى ملك فرغانة الطاريسألونه أن يمنعهم وينزلهم

مدينته فهم أن يفعل، فقالت له أمه: لا تدخل هؤلاء الشياطين مدينتك، ولكن فرغ لهم رستاقا يكونون فيه، فأرسل إليهم: سمو لي رستاقا أفرغه لكم، وأجلوني أربعين يوما- ويقال: عشرين يوما- وإن شئتم فرغت لكم شعب عصام بن عبد الله الباهلي- وكان قتيبة خلفه فيهم- فقبلوا شعب عصام، فأرسلوا إليه: فرغه لنا، قال: نعم، وليس لكم علي عقد ولا جوار حتى تدخلوه، وإن أنتمكم العرب قبل أن تدخلوه لم أمنعكم، فرضوا، ففرغ لهم الشعب.

وقد قيل: إن ابن هبيرة بعث إليهم قبل أن يخرجوا من بلادهم يسألهم أن يقيموا، ويستعمل عليهم من أحبوا، فأبوا وخرجوا إلى نجدة وشعب عصام من رستاق أسفرة- وأسفرة يومئذ ولي عهد ملك فرغانه بلاذا، وبيلاذ أبو جور ملكها. وقيل: قال لهم كارزنج: أخيركم ثلاث خصال، إن تركتموها هلكتم:

إن سعيدا فارس العرب، وقد وجه على مقدمته عبد الرحمن بن عبد الله القشيري في حماة أصحابه، فبيته فاقتلوه، فإن الحرشي إذ أتاه خبره لم يغزكم، فأبوا عليه، قال: فاقطعوا نهر الشاش، فسلوهم ماذا تريدون؟ فإن أجابوكم وإلا مضيتم إلى سوياب، قالوا: لا، قال: فأعطوهم.

قال: فارتحل كارزنج وجلنج بأهل قي، وأبار بن ماخون وثابت بأهل إشتيخن، وارتحل اهل بياركت واهل سبسكت بألف رجل عليهم مناطق الذهب مع دهاقين بزماجن، فارتحل الديواشني بأهل بنجيكت إلى حصن ابغر، ولحق كارزنج واهل السغد بنجندة.

٠ تم الجزء السادس من تاريخ الطبرى ويليه الجزء السابع، واوله: ذكر حوادث سنه اربع ومائه

٧ الجزء السابع

٧٠١ سنه اربع ومائه

٧٠١٠١ ذكر الوقعه بين الحرشي والسغد

الجزء السابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت

سنة أربع ومائة

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث)

ذكر الوقعه بين الحرشي والسغد

ففي هذه السنة كانت وقعة الحرشي بأهل السغد وقتله من قتل من دهاقينا ذكر الخبر عن أمره وأمرهم في هذه الوقعة: ذكر علي عن أصحابه أن الحرشي غزا في سنة أربع ومائة فقطع النهر.

وعرض الناس، ثم سار فنزل قصر الرمح على فرسخين من الدبوسية، ولم يجتمع إليه جنده.

قَالَ: فأمر الناس بالرحيل، فقال له هلال بن عليم الخنظلي: يا هناء، إنك وزير خير منك أميرا، الأرض حرب شاغرة برجلها، ولم يجتمع لك جندك، وقد أمرت بالرحيل! قَالَ: فكيف لي؟ قَالَ: تأمر بالنزول، ففعل.

ونخرج النيلان ابن عم ملك فرغانة إلى الحرشي، وهو نازل على مغون فقال له: إن أهل السغد بخجندة، وأخبره خبرهم وقال: عاجلهم قبل أن يصيروا إلى الشعب، فليس لهم علينا جوار حتى يمضي الأجل فوجه الحرشي مع النيلان عبد الرحمن القشيري وزياد بن عبد الرحمن القشيري في جماعة، ثم ندم على ما فعل فقال: جاءني عالج لا أدري صدق أم كذب، فغررت بجند من المسلمين وارتحل في أثرهم حتى نزل في أشروسنة، فصالحهم بشيء يسير، فبينما هو يتعشى إذ قيل له: هذا عطاء الدبوسي- وكان فيمن وجهه مع القشيري- ففرغ وسقطت اللقمة من يده، ودعا

بعطاء، فدخل عليه، فقال: ويلك! قاتلتهم أحدا؟ فقال: لا، قَالَ:

الحمد لله، وتعشى، وأخبره بما قدم له عليه فسار جوادا مغذا، حتى لحق القشيري بعد ثلاثة، وسار فلما انتهى إلى خجندة، قَالَ للفضل بن بسام:

ما ترى؟ قَالَ: أرى المعاجلة، قَالَ: لا أرى ذلك، إن جرح رجل فإلى أين يرجع! أو قتل قتيل فإلى من يحمل! ولكني أرى النزول والتأني والاستعداد للحرب، فنزل فرفع الأبنية وأخذ في التأهب، فلم يخرج أحد من العدو، فخبّن الناس الحرشي، وقالوا: كان هذا يذكر بأسه بالعراق ورأيه، فلما صار بخراسان ماق قَالَ: فحمل رجل من العرب، فضرب باب خجندة بعمود ففتح الباب، وقد كانوا حفروا في ربضهم وراء الباب الخارج خندقا، وغطوه بقصب، وعلوه بالتراب مكيدة، وأرادوا إذا التقوا إن انهزموا أن يكونوا قد عرفوا الطريق، ويشكل على المسلمين فيسقطوا في الخندق.

قَالَ: فلما خرجوا قاتلوهم فانهزموا، وأخطوهم الطريق، فسقطوا في الخندق فأخرجوا من الخندق أربعين رجلا، على الرجل درعان درعان، وحصرهم الحرشي، ونصب عليهم المجانيق، فأرسلوا إلى ملك فرغانة: غدرت بنا، وسألوه أن ينصرهم، فقال لهم: لم أغدر ولا أنصركم، فانظروا لأنفسكم، فقد أتوكم قبل انقضاء الأجل، ولستم في جوارى فلما أيسوا من نصره طلبوا الصلح، وسألو الأمان وأن يرددهم إلى السغد، فاشتراط عليهم أن يردوا من في أيديهم من نساء العرب وذرايرهم، وأن يؤدوا ما كسروا من الخراج، ولا يغتالوا

أحدا، ولا يتخلف منهم بخجندة أحد، فإن أحدثوا حدثا حلت دماؤهم.

قَالَ: وكان السفير فيما بينهم موسى بن مشكان مولى آل بسام،

فخرج إليه كارزنج، فقال له: إن لي حاجة أحب أن تشفعني فيها، قَالَ:

وما هي؟ قَالَ: أحب إن جنى منهم رجل جناية بعد الصلح ألا تأخذني بما جنى، فقال الحرشي: ولي حاجة فاقضها، قَالَ: وما هي؟

قال: لا يلحقني في شرطي ما أكرهه قَالَ: فأخرج الملوك والتجار من الجانب الشرقي، وترك أهل خجندة الذين هم أهلها على حالهم، فقال كارزنج للحرشي: ما تصنع؟

قَالَ: أخاف عليكم معرة الجند قَالَ: وعظماؤهم مع الحرشي في العسكر نزلوا على معارفهم من الجند، ونزل كارزنج على أيوب بن أبي حسان، فبلغ الحرشي أنهم قتلوا امرأة من نساء كن في أيديهم، فقال لهم: بلغني أن ثابثا الأشتيخني قتل امرأة ودفنها تحت حائط، فجدوا فأرسل الحرشي إلى قاضي خجندة، فنظروا فإذا المرأة مقتولة قَالَ: فدعا الحرشي بثابت، فأرسل كارزنج غلامه إلى باب السراق ليأتيه بالخبر، وسأل الحرشي ثابثا وغيره عن المرأة، فجد ثابت وتيقن الحرشي أنه قتلها فقتله فرجع غلام كارزنج إليه بقتل ثابت، فجعل يقبض على لحيته ويقرضها بأسنانه، وخاف كارزنج أن يستعرضهم الحرشي، فقال لأيوب بن أبي حسان: إني ضيفك وصديقك، فلا يجعل بك أن يقتل صديقك في سراويل خلق، قَالَ: نخذ سراويلي.

قَالَ: وهذا لا يجعل، أقتل في سراويلاتكم! فسرح غلامك إلى جلنج ابن أخي يحيى بن سراويل جديد- وكان قد قَالَ لابن أخيه: إذا أرسلت إليك سراويل فاعلم أنه القتل- فلما بعث سراويل أخرج فرندة خضراء فقطعها عصائب، وعصبا برءوس شاكرية، ثم خرج هو وشاكرية.

فاعترض الناس فقتل ناسا، ومر يحيى بن حضين فنفضه نفحة على رجله، فلم يزل يجمع منها وتضعض أهل العسكر، ولقي الناس منه شرا، حتى انتهى إلى ثابت بن عثمان بن مسعود في طريق ضيق، فقتله ثابت بسيف عثمان بن مسعود وكان في أيدي السغد أسراء من المسلمين فقتلوا منهم خمسين ومائة، ويقال: قتلوا منهم أربعين، قَالَ: فأفلت منهم غلام فأخبر

الحرشي- ويقال: بل أتاه رجل فأخبره- فسألهم فجدوا، فأرسل إليهم من علم عليهم، فوجد الخبر حقا، فأمر بقتلهم، وعزل التجار عنهم- وكان التجار أربعمائة، كان معهم مال عظيم قدموا به من الصين- قَالَ: فامتنع أهل السغد، ولم يكن لهم سلاح، فقاتلوا بالخشب، فقتلوا عن آخرهم فلما كان الغد دعا الحراثين- ولم يعلموا ما صنع أصحابهم- فكان يختم في عتق الرجل ويخرج من حائط إلى حائط فيقتل، وكانوا ثلاثة آلاف- ويقال سبعة آلاف- فأرسل جرير بن هيمان والحسن بن أبي العمرطة ويزيد بن أبي زينب فأحصوا أموال التجار- وكانوا اعتزلوا وقالوا: لا نقاتل- فاصطفى أموال السغد وذرائعهم، فأخذ منه ما أعجبه، ثم دعا مسلم بن بديل العدوي، عدي الرباب، فقال: قد وليتك المقسم، قال: بعد ما عمل فيه عمالك ليلة! ولَّه غيري، فولاه عبيد الله بن زهير بن حيان العدوي، فأخرج الخمس، وقسم الأموال، وكتب الحرشي إلى يزيد بن عبد الملك، ولم يكتب إلى عمر بن هبيرة، فكان هذا مما وجد فيه عمر بن هبيرة، فقال ثابت قطنة يذكر ما أصابوا من عظماؤهم:

أقر العين مصرع كارزنج... وكشين وما لاقى بيار

وديواشني وما لاقى جلنج... بحصن نجند إذ دمروا فباروا

ويروى أقر العين مصرع كارزنج، وكشكيش، ويقال: إن ديواشني دهقان أهل سمرقند، واسمه ديواشنج فأعربوه ديواشني.

ويقال: كان على أقباض خجندة علباء بن أحمر اليشكري، فاشترى رجل منه جونة بدرهمين، فوجد فيها سبائك ذهب، فرجع وهو واضع يده على لحيته كأنه رمد، فرد الجونة، وأخذ الدرهمين، فطلب فلم يوجد

قَالَ: وسرح الحرشي سليمان بن أبي السري مولى بني عوافة إلى قلعة لا يطيف بها وادي السغد إلا من وجه واحد ومعه شوكر بن حميك وخوارزم شاه وعورم صاحب أخرون وشومان، فوجه سليمان بن أبي السري على مقدمته المسيب بن بشر الرياحي، فتلقيه من

القلعة على فرسخ في قرية يقال لها كوم، فهزمهم المسيب حتى ردهم إلى القلعة فحصرهم سليمان، ودهقناها يقال له ديواشني. قَالَ فكتب إليه الحرشي فعرض عليه أن يمدّه، فأرسل إليه: ملتنا ضيق فسر إلى كس، فأنا في كفاية الله إن شاء الله فطلب الديواشني أن يزل على حكم الحرشي، وأن يوجهه مع المسيب بن بشر إلى الحرشي، فوفي له سليمان ووجهه إلى سعيد الحرشي، فألففه وأكرمه مكيدة، فطلب أهل القلعة الصلح بعد مسيرة على ألا يعرض لمائة أهل بيت منهم ونسائهم وأبنائهم ويسلمون القلعة فكتب سليمان إلى الحرشي أن يبعث الأمناء في قبض ما في القلعة.

قَالَ: فبعث محمد بن عزيز الكندي وعلباء بن أحمر اليشكري، فباعوا ما في القلعة مزايده، فأخذ الخمس، وقسم الباقي بينهم وخرج الحرشي إلى كس فصالحوه على عشرة آلاف رأس ويقال: صالح دهقان كس، واسمه ويك- على ستة آلاف رأس، يوفيه في أربعين يوما على ألا يأتيه فلما فرغ من كس خرج إلى رنجن، فقتل الديواشني، وصلبه على ناوس، وكتب على أهل رنجن كتابا بمائة إن فقد من موضعه، وولى نصر بن سيار قبض صلح كس، ثم عزل سورة بن الحر وولى نصر بن سيار، واستعمل سليمان بن أبي السري على كس، ونسف حربها وخراجها، وبعث برأس الديواشني إلى العراق، ويده اليسرى إلى سليمان بن أبي السري إلى طخارستان. قَالَ: وكانت خزار منيعة، فقال المجشر بن مزاحم لسعيد بن عمرو الحرشي: ألا أدلك على من يفتحها لك بغير قتال؟ قَالَ: بلى، قَالَ: المسربل بن الخريت بن راشد الناجي، فوجهه إليها- وكان المسربل صديقا للمكها، واسم الملك سبكري وكانوا يحبون المسربل- فأخبر الملك ما صنع

٧٠١٢ ذكر الخبر عن سبب عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن ابن الضحاك عن المدينة وما كان ولاه من الأعمال

الحرشي بأهل نجدة وخوفه، قَالَ: فما ترى؟ قَالَ: أرى أن تنزل بأمان، قَالَ: فما أصنع بمن لحق بي من عوام الناس؟ قال: نصيرهم معك في أمانك، فصالحهم فآمنوه وبلاده.

قَالَ: ورجع الحرشي إلى مرو ومعه سبكري، فلما نزل أسنان وقدم مهاجر بن يزيد الحرشي، وامره أن يوافيه ببرذون بن كشانشاه قتل سبكري وصلبه ومعه أمانه- ويقال: كان هذا دهقان ابن ماجر قدم على ابن هبيرة فأخذ أمانا لأهل السغد، فحبسه الحرشي في قهندز مرو، فلما قدم مرو دعا به، وقتله وصلبه في الميدان، فقال الراجز:

إذا سعيد سار في الأنحاس ... في رهج يأخذ بالأنفاس

دارت على الترك أمر الكاس ... وطارت الترك على الأحلاس
ولوا فرارا عطل القياس.

وفي هذه السنة عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري عن المدينة ومكة، وذلك للنصف من شهر ربيع الأول، وكان عامله على المدينة ثلاث سنين.

وفيها ولى يزيد بن عبد الملك المدينة عبد الواحد النضري.

ذكر الخبر عن سبب عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن ابن الضحاك عن المدينة وما كان ولاه من الأعمال
وكان سبب ذلك- فيما ذكر محمد بن عمر، عن عبد الله بن محمد بن أبي يحيى- قَالَ: خطب عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري فاطمة ابنة الحسين، فقالت: والله ما أريد النكاح، ولقد قعدت على بني هؤلاء،

وجعلت تحاجزه وتكره أن تنابذه لما تخاف منه قَالَ: وألح عليها وقال:

والله لئن لم تفعلي لأجلدن أكبر بنيك في النحر- يعني عبد الله بن الحسن- فبينما هو كذلك، وكان على ديوان المدينة ابن هرمز رجل من أهل الشام، فكتب إليه يزيد أن يرفع حسابه، ويدفع الديوان، فدخل على فاطمة بنت الحسين يودعها، فقال: هل من حاجة؟ فقالت: تخبر أمير المؤمنين بما ألقى من ابن الضحاك، وما يتعرض مني قَالَ: وبعثت رسولا بكتاب إلى يزيد تخبره وتذكر قرابتها ورحمها، وتذكر ما ينال ابن الضحاك منها، وما يتوعد بها به قال: فقدم ابن هرمز والرسول معا قَالَ: فدخل ابن هرمز على يزيد، فاستخبره عن المدينة،

وقال: هل كان من مغربة خبر؟ فلم يذكر ابن هرمز من شأن ابنة الحسين، فقال الحاجب: أصلح الله الأمير! بالباب رسول فاطمة بنت الحسين فقال ابن هرمز: أصلح الله الأمير! إن فاطمة بنت الحسين يوم خرجت حملتني رسالة إليك، فأخبره الخبر. قَالَ: فنزل من أعلى فراشه، وقال: لا أم لك! ألم أسألك هل من مغربة خبر، وهذا عندك لا تخبرني! قَالَ: وجعل يضرب بخيزران في يديه وهو يقول: لقد اجتراً ابن الضحاك! هل من رجل يسمعي صوته في العذاب وأنا على فراشي؟ قيل له: عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضري.

قَالَ: فدعا بقرطاس، فكتب بيده:

إلى عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضري وهو بالطائف: سلام عليك، أما بعد فإنني قد وليتك المدينة، فإذا جاءك كتابي هذا فاهبط واعزل عنها ابن الضحاك، وأغرمه أربعين ألف دينار، وعذبه حتى أسمع صوته وأنا على فراشي.

قَالَ: وأخذ البريد الكتاب، وقدم به المدينة، ولم يدخل على ابن الضحاك وقد أوجست نفس ابن الضحاك، فأرسل إلى البريد، فكشف له عن طرف المفرش، فإذا ألف دينار، فقال: هذه ألف دينار لك ولك العهد والميثاق، لئن أنت أخبرتني خبر وجهك هذا دفعتها إليك، فأخبره، فاستنظر البريد ثلاثاً حتى يسير، ففعل ثم خرج ابن الضحاك، فأغذ السير حتى نزل على مسلمة بن عبد الملك، فقال: أنا في جوارك، فغدا مسلمة على يزيد فرقه وذكر حاجة جاء لها، فقال: كل حاجة تكلمت فيها هي في يدك ما لم يكن ابن الضحاك، فقال: هو والله ابن الضحاك! فقال: والله لا أعفيه أبداً وقد فعل ما فعل، قَالَ: فردّه إلى المدينة إلى النضري.

قَالَ عبد الله بن محمد: فرأيت في المدينة عليه جبة من صوف يسأل الناس، وقد عذب ولقي شراً، وقدم النضري يوم السبت للنصف من شوال سنة أربع ومائة.

قَالَ محمد بن عمر: حدثني إبراهيم بن عبد الله بن أبي فروة، عن الزهري، قَالَ: قلت لعبد الرحمن بن الضحاك: إنك تقدم على قومك وهم ينكرون كل شيء خالف فعلهم، فالزم ما أجمعوا عليه، وشاور القاسم ابن محمد وسالم بن عبد الله، فإنهما لا يألوانك رشداً قَالَ الزهري: فلم يأخذ بشيء من ذلك، وعادى الأنصار طراً، وضرب أبا بكر بن حزم ظلماً وعدواناً في باطل، فما بقي منهم شاعر إلا هجاه، ولا صالح إلا عابه وأتاه بالقبيح، فلما ولي هشام رأيته ذليلاً.

وولي المدينة عبد الواحد بن عبد الله بن بشر فأقام بالمدينة لم يقدم عليهم وال أحب عليهم منه، وكان يذهب مذاهب الخير، لا يقطع أمراً إلا استشار فيه القاسم وسالماً.

وفي هذه السنة غزا الجراح بن عبد الله الحكي - وهو أمير على أرمينية وأذربيجان - أرض الترك ففتح على يديه بلنجر، وهزم الترك وغرقهم وعامه

٧٠١٣ ذكر الخبر عن سبب عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي عن خراسان

ذرائعهم في الماء، وسبوا ما شاءوا، وفتح الحصون التي تلي بلنجر وجلا عامة أهلها.

وفيها ولد - فيما ذكر - أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي في شهر ربيع الآخر.

وفيها دخل أبو محمد الصادق وعدة من أصحابه من خراسان إلى محمد بن علي، وقد ولد أبو العباس قبل ذلك بخمس عشرة ليلة، فأخرجه إليهم في خرقة، وقال لهم: والله ليتمن هذا الأمر حتى تدركوا ثأركم من عدوكم.

وفي هذه السنة عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي عن خراسان، وولاه مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي.

ذكر الخبر عن سبب عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي عن خراسان

ذكر أن سبب ذلك كان من مودة وجدها عمر على الحرشي في أمر الديواشي، وذلك أنه كان كتب إليه يأمره بتخليته وقتله، وكان

يستخف بأمر ابن هبيرة، وكان البريد والرسول إذا ورد من العراق قَالَ له: كيف أبو المثنى؟ ويقول لكتابه: اكتب إلى أبي المثنى ولا يقول: الأمير، ويكثر أن يقول: قَالَ أبو المثنى وفعل أبو المثنى، فبلغ ذلك ابن هبيرة فدعا جميل بن عمران، فقال له: بلغني أشياء عن الحرشي، فانخرج إلى خراسان، وأظهر أنك قدمت تنظر في الدواوين، واعلم لي علمه.

فقدم جميل، فقال له الحرشي: كيف تركت أبا المثنى؟ فجعل ينظر في الدواوين فقبل للحرشي: ما قدم جميل لينظر في الدواوين، وما قدم إلا ليعلم علمك، فسم بطيخة، وبعث بها إلى جميل، فأكلها فرض،

وتساقط شعره، ورجع إلى ابن هبيرة، فعولج واستبل وصح، فقال لابن هبيرة: الأمر أعظم مما بلغك، ما يرى سعيد إلا أنك عامل من عماله فغضب عليه وعزله وعذبه، ونفخ في بطنه النمل، وكان يقول حين عزله: لو سألتني عمر درهما يضعه في عينه ما أعطيته، فلها عذب أدى، فقال له رجل:

ألم تزعم أنك لا تعطيه درهما! قَالَ: لا تعنني، إنه لما أصابني الحديد جزعت، فقال أذينة بن كليب - أو كليب بن أذينة: تصبر أبا يحيى فقد كنت - علمنا ... - صبورا ونهاضا بثقل المغارم

وقال علي بن محمد: إنما غضب عليه ابن هبيرة أنه وجه معقل بن عروة إلى هراة، إما عاملا وإما في غير ذلك من أموره، فنزل قبل أن يمر على الحرشي، وأتى هراة، فلم ينفذ له ما قدم فيه، وكتب إلى الحرشي، فكتب الحرشي إلى عامله: أن احمل إلي معقلا، فحمله، فقال له الحرشي: ما منعك من إتياني قبل أن تأتي هراة؟ قَالَ: أنا عامل لابن هبيرة ولاني كما ولاك، فضره مائتين وحلقه فعزله ابن هبيرة، واستعمل على خراسان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة، فكتب إلى الحرشي يلخنه، فقال سعيد: بل هو ابن اللخاء وكتب إلى مسلم أن احمل إلي الحرشي مع معقل بن عروة، فدفعه إليه فأساء به وضيق عليه، ثم أمره يوما فعذبه، وقال: اقتله بالعذاب. فلها أمسي ابن هبيرة سمر فقال: من سيد قيس؟ قالوا: الأمير، قَالَ:

دعوا هذا، سيد قيس الكوثر بن زفر، لو بوق بليل لوفاه عشرون ألفا، لا يقولون: لم دعوتنا ولا يسألونه، وهذا الحمار الذي في الحبس - قد أمرت بقتله - فارسها، وأما خير قيس لها فعسى أن أكونه، إنه لم يعرض إلي أمر أرى أنني أقدر فيه على منفعة وخير إلا جرته إليهم، فقال له أعرابي من بني فزارة: ما أنت كما تقول، لو كنت كذلك ما أمرت بقتل فارسها فأرسل إلى معقل أن كف عما كنت امرتك به

قَالَ علي: قَالَ مسلم بن المغيرة: لما هرب ابن هبيرة أرسل خالد في طلبه سعيد بن عمرو الحرشي، فلحقه بموضع من الفرات يقطعه إلى الجانب الآخر في سفينة، وفي صدر السفينة غلام لابن هبيرة يقال له قبيص، فعرفه الحرشي فقال له: قبيص؟ قَالَ: نعم، قَالَ: أفي السفينة أبو المثنى؟ قَالَ: نعم.

قَالَ: نفرج إليه ابن هبيرة، فقال له الحرشي: أبا المثنى، ما ظنك بي؟

قَالَ: ظني بك أنك لا تدفع رجلا من قومك إلى رجل من قريش، قال: هو ذاك، قال: فالنجا.

قَالَ علي: قَالَ أبو إسحاق بن ربيعة: لما حبس ابن هبيرة الحرشي دخل عليه معقل بن عروة القشيري، فقال: أصلح الله الأمير! قيدت فارس قيس وفضحته، وما أنا براص عنه، غير أنني لم أحب أن تبلغ منه ما بلغت، قَالَ: أنت بيني وبينه، قدمت العراق فوليته البصرة، ثم وليته خراسان، فبعث إلي ببرذون حطم واستخف بأمر، وخان فعزله، وقلت له: يا بن نسعه، فقال لي: يا بن بسرة فقال معقل: وفعل ابن الفاعلة! ودخل على الحرشي السجن، فقال: يا بن نسعة، أمك دخلت واشترت بثمانين عنزا جريا، كانت مع الرعاء ترادفها الرجال مطية الصادر والوارد، تجعلها ندا لبنت الحارث بن عمرو بن حرجة! واقتري عليه، فلها عزل ابن هبيرة، وقدم خالد العراق استعدى الحرشي على معقل ابن عروة، وأقام البيئة أنه قذفه، فقال للحرشي: اجلده، فحده، وقال:

لولا أن ابن هبيرة وهن في عضدي لنقبت عن قلبك، فقال رجل من بني كلاب لمعقل: أسأت إلى ابن عمك وقذفته، فأداله الله منك، فصرت لا شهادة لك في المسلمين، وكان معقل حين ضرب الحد قذف الحرشي أيضا، فأمر خالد بإعادة الحد، فقال القاضي: لا يحذ قال: وأم عمر ابن هبيرة بسرة بنت حسان، عدوية من عدي الرباب

٧٠١٠٤ ولاية مسلم بن سعيد على خراسان

ولاية مسلم بن سعيد على خراسان

وفي هذه السنة ولى عمر بن هبيرة مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة بن عمرو بن خويلد الصعق خراسان بعد ما عزل سعيد بن عمرو الحرشي عنها ذكر الخبر عن سبب توليته إياها:

ذكر علي بن محمد أن أبا الذيال وعلي بن مجاهد وغيرهما حدثوه، قالوا: لما قتل سعيد بن أسلم ضم الحجاج ابنه مسلم بن سعيد مع ولده، فتأدب ونبل، فلما قدم عدي بن أرطاة أراد أن يوليه، فشاور كاتبه، فقال: ولّ ولاية خفيفة ثم ترفعه، فولاه ولاية، فقام بها وضبطها وأحسن، فلما وقعت فتنة يزيد بن المهلب حمل تلك الأموال إلى الشام، فلما قدم عمر بن هبيرة أجمع على أن يوليه ولاية، فدعاه ولم يكن شاب بعد، فنظر فرأى شبيبة في لحيته، فكبر.

قال: ثم سمر ليلة ومسلم في سمرة، فتخلف مسلم بعد السمار، وفي يد ابن هبيرة سفرجلة، فرمى بها، وقال: أيسرك أن أوليك خراسان؟ قال: نعم، قال: غدوة إن شاء الله قال: فلما أصبح جلس، ودخل الناس، فعقد لمسلم على خراسان وكتب عهده، وأمره بالسير، وكتب إلى عمال الخراج أن يكتبوا مسلم بن سعيد، ودعا بجيلة بن عبد الرحمن مولى باهلة فولاه كرمان، فقال جيلة: ما صنعت بي المولوية! كان مسلم يطمع أن ألي ولاية عظيمة فأوليه كورة، فعقد له على خراسان وعقد لي على كرمان! قال: فسار مسلم فقدم خراسان في آخر سنة أربع ومائة- أو ثلاث ومائة- نصف النهار، فوافق باب دار الإمارة مغلقا، فأتى دار الدواب فوجد الباب مغلقا فدخل المسجد، فوجد باب المقصورة مغلقا، فصلى وخرج وصيف من باب المقصورة فقبل له: الأمير، فثنى بين يديه حتى أدخله مجلس الوالي في دار الإمارة، وأعلم الحرشي، وقيل له: قدم مسلم بن سعيد ابن أسلم، فأرسل إليه: أقدمت أميرا أو وزيرا أو زائرا؟ فأرسل إليه: مثلي لا يقدم خراسان زائرا ولا وزيرا، فأتاه الحرشي فشتمه وأمر بحبسه، فقبل له: إن أخرجته نهرا قتل، فأمر بحبسه عنده حتى أمسى، ثم حبسه ليلا

وقيده، ثم أمر صاحب السجن أن يزيده قيда فأتاه حزينا، فقال:

مالك؟ فقال: أمرت أن أزيدك قيда، فقال لكاتبه: اكتب إليه: إن صاحب سجنك ذكر أنك أمرته أن يزيديني قيда، فإن كان أمرا ممن فوقك فسمعا وطاعة، وإن كان رأيا رأيته فسيرك الحقيقة، وتمثل:

هم إن يثقفوني يقتلونني ... ومن أثقف فليس إلى خلود
ويروى:

فإما تثقفوني فاقتلونني ... فن أثقف فليس إلى خلود

هم الأعداء ان شهدوا وغابوا ... أولو الأحقاد والأبجاد سود

أريغوني إراغتم فإني ... وحذفة كالشجا تحت الوريد

ويروى: أريدوني إرادتم.

. قال: وبعث مسلم على كورة رجلا من قبله على حربها قال: وكان ابن هبيرة حريصا، أخذ قهرمانا ليزيد بن المهلب، له علم بخراسان وبأشرافهم، فحبسه فلم يدع منهم شريفا إلا قرفه، فبعث أبا عبيدة العنبري ورجلا يقال له خالد، وكتب إلى الحرشي وأمره أن يدفع الذين سماهم إليه يستأديهم فلم يفعل، فرد رسول ابن هبيرة مسلم بن سعيد أمره بجباية تلك الأموال، فلما قدم مسلم أراد أخذ الناس بتلك الأموال التي فرت عليهم، فقبل له: إن فعلت هذا بهؤلاء لم يكن لك بخراسان قرار، وإن لم تعمل في هذا حتى توضع عنهم فسدت عليك وعليهم خراسان، لأن هؤلاء الذين تريد أن تأخذهم بهذه الأموال أعيان البلد قرفوا بالباطل، إنما كان على مهزم بن جابر ثلاثمائة ألف فرادوا مائه ألف فصارت أربعمائة ألف، وعامة من سموا لك ممن كثر عليه بمنزله

فكتب مسلم بذلك إلى ابن هبيرة، وأوفد وفدا فيهم مهزم بن جابر، فقال له مهزم بن جابر: أيها الأمير، إن الذي رفع إليك الظلم والباطل، ما علينا من هذا كله لو صدق إلا القليل الذي لو أخذنا به أديناه، فقال ابن هبيرة: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا» ،

فقال: اقرأ ما بعدها:

«وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ» فقال ابن هبيرة:

لا بد من هذا المال، قَالَ: أما والله لئن أخذته لتأخذنه من قوم شديدة شوكتهم ونكايتهم في عدوك، وليضرن ذلك بأهل خراسان في عدتهم وكراعهم وحلقتهم، ونحن في ثغر نكابد فيه عدوا لا ينقضي حربهم، إن ألدنا ليلبس الحديد حتى يخلص صدؤه إلى جلده، حتى إن الخادم التي تخدم الرجل لتصرف وجهها عن مولاهما وعن الرجل الذي تخدمه ليربح الحديد، وأنتم في بلادكم متفضلون في الرقاق وفي المعصرة، والذين قرفوا بهذا المال وجوه أهل خراسان وأهل الولايات والكلف العظام في المغازي.

وقبلنا قوم قدموا علينا من كل فج عميق، فجاءوا على الحمرات، فولوا الولايات، فاقتطعوا الأموال، فهي عندهم موقرة جمعة. فكتب ابن هبيرة إلى مسلم بن سعيد بما قال الوفد، وكتب إليه أن استخرج هذه الأموال ممن ذكر الوفد أنها عندهم فلما أتى مسلما كتاب ابن هبيرة أخذ أهل العهد بتلك الأموال، وأمر حاجب بن عمرو الحارثي أن يعذبهم، ففعل وأخذ منهم ما فرق عليهم. وجج بالناس في هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النضري، كذلك حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر وكذلك قَالَ الوافدي.

وكان العامل على مكة والمدينة والطائف في هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النضري، وعلى العراق والمشرق عمر بن هبيرة، وعلى قضاء الكوفة حسين بن الحسن الكندي، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى.

٧٠٢ سنة خمس ومائة

٧٠٢٠١ ذكر موت يزيد بن عبد الملك

ثم دخلت

سنة خمس ومائة

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث) فما كان فيها من ذلك غزوة الجراح بن عبد الله الحكمي اللان، حتى جاز ذلك إلى مدائن وحصون من وراء بلنجر، ففتح بعض ذلك، وجلى عنه بعض أهله، وأصاب غنائم كثيرة.

وفيهما كانت غزوة سعيد بن عبد الملك أرض الروم، فبعث سرية في نحو من ألف مقاتل، فأصيبوا- فيما ذكر- جميعا. وفيها غزا مسلم بن سعيد الترك، فلم يفتح شيئا، فقفل ثم غزا أفشينة مدينة من مدائن السغد بعد في هذه السنة، فصالح ملكها وأهلها. ذكر الخبر عن ذَلِكَ:

ذكر علي بن محمد عن أصحابه، أن مسلم بن سعيد مرزب بهرام سيس فجعله المرزبان وأن مسلما غزا في آخر الصيف من سنة خمس ومائة، فلم يفتح شيئا وقفل، فاتبعه الترك فلحقوه، والناس يعبرون نهر بلخ وتميم على الساقة، وعبيد الله بن زهير بن حيان على خيل تميم، فخاموا عن الناس حتى عبروا ومات يزيد بن عبد الملك، وقام هشام، وغزا مسلم أفشين فصالح ملكها على ستة آلاف رأس، ودفع إليه القلعة، فانصرف لتمام سنة خمس ومائة.

ذكر موت يزيد بن عبد الملك

وفي هذه السنة مات الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان، لخمس ليال بقين من شعبان منها، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال الواقدي

٧٠٢٠٢ ذكر بعض سيره وأمواره

وقال الواقدي: كانت وفاته ببلقاء من أرض دمشق، وهو يوم مات ابن ثمان وثلاثين سنة. وقال بعضهم: كان ابن أربعين سنة.

وقال بعضهم: ابن ست وثلاثين سنة، فكانت خلافته في قول أبي معشر وهشام بن محمد وعلي بن محمد أربع سنين وشهرا، وفي قول الواقدي أربع سنين.

وكان يزيد بن عبد الملك يكنى أبا خالد، كذلك قال ابو معشر وهشام ابن محمد والواقدي وغيرهم.

وقال علي بن محمد: توفي يزيد بن عبد الملك وهو ابن خمس وثلاثين سنة أو أربع وثلاثين سنة في شعبان يوم الجمعة لخمس بقين منه سنة خمس ومائة.

وقال: ومات بأربد من أرض البلقاء، وصلى عليه ابنه الوليد وهو ابن خمس عشرة سنة، وهشام بن عبد الملك يومئذ بمحصر، حدثني بذلك عمر ابن شبة، عن علي.

وقال هشام بن محمد: توفي يزيد بن عبد الملك، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.

قال علي: قال أبو ماوية أو غيره من اليهود ليزيد بن عبد الملك: إنك تملك أربعين سنة، فقال رجل من اليهود: كذب لعنه الله، إنما رأى أنه يملك أربعين قصبة، والقصبة شهر، فجعل الشهر سنة.

ذكر بعض سيره وأموره

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي، قال: كان يزيد بن عائكة من فتيانهم، فقال يوما وقد طرب، وعنده حباة وسلامة: دعوني أطير، فقالت حباة: إلى من تدع الأمة! فلها مات قالت سلامة القس:

لا تلهنا إن خشعنا ... أو هممنا بالخشوع

قد لعمرى بت ليلي ... كأخي الداء الوجيع

ثم بات الهم مني ... دون من لي من ضجيع

للذي حل بنا اليوم ... من الأمر الفظيع

كلما أبصرت ربعا ... خاليا فاضت دموعي

قد خلا من سيد كان ... لنا غير مضيع

ثم نادى: وا امير المؤمنين! والشعر لبعض الأنصار.

قال علي: حج يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان بن عبد الملك فاشترى حباة- وكان اسمها العالية- بأربعة آلاف دينار من عثمان بن سهل ابن حنيف، فقال سليمان: هممت أن أحجر على يزيد، فرد يزيد حباة فاشتراها رجل من أهل مصر، فقالت سعدة ليزيد: يا أمير المؤمنين، هل بقي من الدنيا شيء تتناه بعد؟ قال: نعم حباة، فأرسلت سعدة رجلا فاشتراها باربعة آلاف دينار، وصنعتها حتى ذهب عنها كلال السفر، فأتت بها يزيد، فأجلستها من وراء الستر، فقالت: يا أمير المؤمنين، أبقى شيء من الدنيا تتناه؟ قال: ألم تسأليني عن هذا مرة فأعلمتك! فرفعت الستر وقالت: هذه حباة، وقامت وخلتها عنده، فخطبت سعدة عند يزيد وأكرمها وحباها وسعدة امرأة يزيد، وهي من آل عثمان ابن عفان.

قال علي عن يونس بن حبيب: إن حباة جارية يزيد بن عبد الملك غنت يوما:

بين التراقي واللهاة حارة ... ما تطمئن وما تسوغ فتبرد

فأهوى ليطير فقالت: يا أمير المؤمنين، إن لنا فيك حاجة، فرضت وثقلت، فقال: كيف أنت يا حباة؟ فلم تجبه، فبكى وقال:

لئن تسل عنك النفس أو تذهل الهوى ... فبالأس يسلو القلب لا بالتجلد
وسمع جارية لها تتمثل:

كفى حزنا بالهائم الصب أن يرى ... منازل من يهوى معطلة قفرا

فكان يتمثل بهذا.

قال عمر: قال علي: مكث يزيد بن عبد الملك بعد موت حباة سبعة أيام لا يخرج إلى الناس، أشار عليه بذلك مسلمة، وخاف أن يظهر منه شيء يسفهه عند الناس.

٧٠٢٠٣ خلافة هشام بن عبد الملك

خلافة هشام بن عبد الملك

وفي هذه السنة استخلف هشام بن عبد الملك لليال بقين من شعبان منها، وهو يوم استخلف ابن أربع وثلاثين سنة وأشهر. حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيٌّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْقُرَشِيُّ وَأَبُو مُحَمَّدٍ الزِّيَادِيُّ وَالْمُهَالِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَسَحِيمُ بْنُ حَفْصِ الْعَجْفِيِّ، قَالُوا: وَلَدَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَامَ قَتْلِ مَصْعَبِ بْنِ الزَّيْبَرِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ. وَأُمُّهُ عَائِشَةُ بِنْتُ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ، وَكَانَتْ حَمَقَاءَ، أَمْرَهَا أَهْلُهَا أَلَا تَكَلَّمَ عَبْدُ الْمَلِكِ حَتَّى تَلِدَ، وَكَانَتْ ثِنْتِي الْوَسَائِدَ وَتَرْكَبُ الْوَسَادَةَ وَتَزْجُرُهَا كَأَنَّهَا دَابَّةٌ، وَتَشْتَرِي الْكَنْدَرَ فَتَمْضِغُهُ وَتَعْمَلُ مِنْهُ تَمَائِيلَ، وَتَصْنَعُ التَّمَائِيلَ عَلَى الْوَسَائِدِ، وَقَدْ سَمَتْ كُلَّ تَمَائِيلَ بِاسْمِ جَارِيَةٍ، وَتَتَادِي: يَا فَلَانَةَ وَيَا فَلَانَةَ، فَطَلَقَهَا عَبْدُ الْمَلِكِ لِحَقِّهَا وَسَارَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى مَصْعَبٍ فَقَتَلَهُ، فَلَمَّا قَتَلَهُ بَلَغَهُ مَوْلِدُ هِشَامٍ، فَسَمَاهُ مَنْصُورًا، يَتَفَاءَلُ بِذَلِكَ، وَسَمَتْهُ أُمُّهُ بِاسْمِ أَبِيهَا هِشَامٍ، فَلَمْ يَنْكَرْ ذَلِكَ عَبْدُ الْمَلِكِ، وَكَانَ هِشَامُ يَكْنَى أَبَا الْوَلِيدِ.

وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ عَنْ حَدِّثِهِ أَنَّ الْخِلَافَةَ أَتَتْ هِشَامًا وَهُوَ بِالزَّيْتُونَةِ فِي مَنْزِلِهِ فِي دَوِيرَةٍ لَهُ هُنَاكَ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: وَقَدْ رَأَيْتَهَا صَغِيرَةً، فَجَاءَهُ الْبَرِيدُ بِالْعَصَا وَالْخَاتَمِ، وَسَلَّمْ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ، فَركب هِشَامُ مِنَ الرِّصَافَةِ حَتَّى أَتَى دِمَشْقَ. وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَدَّمَ بِكَيْرِ بْنِ مَاهَانَ مِنَ السَّغْدِ- وَكَانَ بِهَا مَعَ الْجَنْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ تَرْجَمَانًا لَهُ- فَلَمَّا عَزَلَ الْجَنْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَدَّمَ الْكَوْفَةَ وَمَعَهُ أَرْبَعُ لِبْنَاتٍ مِنْ فَضَّةٍ وَلِبْنَةٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَلَقِيَ أَبَا عَكْرَمَةَ الصَّادِقَ وَمَيْسِرَةَ وَمُحَمَّدَ بْنَ خَنْبَسٍ وَسَالِمًا الْأَعْيَنَ وَأَبَا يَحْيَى مَوْلَى بَنِي سُلَيْمَةَ، فَذَكَرُوا لَهُ أَمْرًا

٧٠٢٠٤ ذكر ولاية خالد القسري على العراق

دَعَا بَنِي هَاشِمٍ، فَقَبِلَ ذَلِكَ وَرَضِيَهُ، وَأَنْفَقَ مَا مَعَهُ عَلَيْهِمْ، وَدَخَلَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَمَاتَ مَيْسِرَةُ فُوجَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بِكَيْرِ بْنِ مَاهَانَ إِلَى الْعِرَاقِ مَكَانَ مَيْسِرَةَ، فَأَقَامَهُ مَقَامَهُ. وَجَّجَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، وَالنَّضْرِيُّ عَلَى الْمَدِينَةِ. قَالَ الْوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شَرْحِبِيلٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ حَجَّجًا، فَأَرْسَلَ إِلَى عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ: مَتَى أَخْطُبُ بِمَكَّةَ؟ قَالَ: بَعْدَ الظُّهْرِ، قَبْلَ التَّرْوِيَةِ يَوْمَ، نَخْطُبُ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَقَالَ: أَمْرُنِي رَسُولِي بِهَذَا عَنْ عَطَاءٍ، فَقَالَ عَطَاءُ: مَا أَمْرُكَ إِلَّا بَعْدَ الظُّهْرِ، قَالَ: فَاسْتَحْيَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ يَوْمَئِذٍ، وَعَدَّوهُ مِنْهُ جَهْلًا. ذَكَرَ وَلايَهُ خَالِدُ الْقَسْرِيُّ عَلَى الْعِرَاقِ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ عَنِ الْعِرَاقِ وَمَا كَانَ إِلَيْهِ مِنْ عَمَلِ الْمَشْرِقِ، وَوَلَّى ذَلِكَ كُلَّهُ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِي فِي شَوَالٍ.

ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ الْجَمْحِيُّ، عَنْ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ السَّرِيِّ، عَنْ عُمَرَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَمِيرِ الْأَسِيدِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَعِنْدَهُ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ، وَهُوَ يَذْكُرُ طَاعَةَ أَهْلِ الْيَمَنِ، قَالَ: فَصَفَقْتُ تَصْفِيقَةً بِيَدَيَّ دَقَّ الْهَوَاءُ مِنْهَا، فَقُلْتُ: تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ هَكَذَا خَطَأً وَلَا مِثْلَهُ خَطْلًا! وَاللَّهِ مَا فَتَحَتْ فَتْنَةً فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا بِأَهْلِ الْيَمَنِ، هُمْ قَتَلُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ، وَهُمْ خَلَعُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدَ الْمَلِكِ، وَإِنْ سَيُوفُنَا لَتَقَطُرَ مِنْ دِمَاءِ آلِ الْمُهَلَّبِ قَالَ: فَلَمَّا قَتَلْتُ تَبَعْنِي رَجُلٌ مِنْ آلِ مَرْوَانَ كَانَ حَاضِرًا، فَقَالَ: يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ، وَرَتَّ بِكَ زَنَادِي، قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكَ، وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَوْلَى خَالِدًا الْعِرَاقِ، وَلَيْسَتْ لَكَ بَدَارٌ

ذَكَرَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَنَّ حَمَادَ بْنَ سَعِيدٍ الصَّنْعَانِي أَخْبَرَهُ قَالَ: أَخْبَرَنِي زِيَادُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، قَالَ: أَتَيْتُ الشَّامَ، فَاقْتَرَضْتُ، فَبَيْنَا أَنَا يَوْمًا عَلَى

الباب باب هشام، إذ خرج علي رجل من عند هشام، فقال لي: ممن أنت يا فتى؟

قلت: يمان، قال: فمن أنت؟ قلت: زياد بن عبيد الله بن عبد المدان، قال: فتبسم، وقال: قم الى ناحيه العسكر فقل لأصحابي: ارتحلوا فإن أمير المؤمنين قد رضي عني، وأمرني بالمسير، ووكل بي من يخرجني قال: قلت: من أنت يرحمك الله؟ قال: خالد بن عبد الله القسري، قال:

ومرهم يا فتى ان يعطوك منديل ثيابي وبرذوني الأصفر فلها جزت قليلا ناداني، فقال: يا فتى، وإن سمعت بي قد وليت العراق يوما فالحق بي، قال: فذهبت إليهم، فقلت: إن الأمير قد أرسلني إليكم بأن أمير المؤمنين قد رضي عنه، وأمره بالمسير فجعل هذا يحتضني وهذا يقبل رأسي، فلما رأيت ذلك منهم، قلت: وقد أمرني أن تعطوني منديل ثيابه وبرذونه الأصفر، قالوا: إي والله وكرامة، قال: فأعطوني منديل ثيابه وبرذونه الأصفر، فما أمسى بالعسكر أحد أجود ثيابا مني، ولا أجود مركبا مني، فلم ألبث إلا يسيرا حتى قيل: قد ولي خالد العراق، فركبني من ذلك هم، فقال لي عريف لنا: ما لي أراك مهموما! قلت: أجل قد ولي خالد كذا وكذا، وقد أصبت هاهنا رزيقا عشت به، وأخشى أن أذهب إليه فيتغير علي فيفوتني هاهنا وهاهنا، فلست أدري كيف أصنع! فقال لي: هل لك في خصلة؟ قلت: وما هي؟ قال: توكلني بأرزاقك وتخرج، فإن أصبت ما تحب فلي أرزاقك، وإلا رجعت فدفعها إليك، فقلت نعم.

وخرجت، فلما قدمت الكوفة لبست من صالح ثيابي وأذن للناس، فتركهم حتى أخذوا مجالسهم، ثم دخلت فقممت بالبواب، فسلبت ودعوت وأثنت، فرفع رأسه، فقال: أحسنت بالرحب والسعة، فما رجعت الى منزلي حتى أصبت ستمائة دينار بين نقد وعرض. ثم كنت أختلف إليه، فقال لي يوما: هل تكتب يا زياد؟ فقلت:

أقرأ ولا أكتب، أصلح الله الأمير! فضرب يده على جبينه، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! سقط منك تسعة أعشار ما كنت أريده منك، وبقي لك واحدة فيها غني الدهر قال: قلت: أيها الأمير، هل في تلك الواحدة ثمن غلام؟ قال: وماذا حينئذ! قلت: تشتري غلاما كاتباً تبعث به إلي فيعلمني، قال: هيات! كبرت عن ذلك، قال: قلت: كلا، فاشتري غلاما كاتباً حاسباً بستين دينارا، فبعث به إلي، فأكبت على الكتاب، وجعلت لا آتيه إلا ليلا، فما مضت إلا خمس عشرة ليلة حتى كتبت ما شئت وقرأت ما شئت قال: فأني عنده ليلة، إذ قال: ما أدري هل أنجحت من ذلك الأمر شيئا؟ قلت: نعم، أكتب ما شئت، وأقرأ ما شئت، قال:

إني أراك ظفرت منه بشيء يسير فأعجبك، قلت: كلا، فرفع شاذ كونه، فإذا طومار، فقال: اقرأ هذا الطومار، فقرأت ما بين طرفيه، فإذا هو من عامله على الري، فقال: اخرج فقد وليتك عمله، فخرجت حتى قدمت الري، فأخذت عامل الخراج، فأرسل إلي: إن هذا أعراي مجنون، فإن الأمير لم يول على الخراج عريبا قط، وإنما هو عامل المعونة، فقل له:

فليقرني على عملي وله ثلاثمائة ألف، قال: فنظرت في عهدي، فإذا أنا على المعونة، فقلت: والله لا انكسرت، ثم كتبت إلى خالد: إنك بعثتني على الري، فظننت أنك جمعتها لي فأرسل إلي صاحب الخراج ان اقره على عمله ويعطيني ثلاثمائة ألف درهم فكتب إلي أن اقبل ما أعطاك، واعلم أنك مغبون فأقمت بها ما أقمت، ثم كتبت: إني قد اشتقت إليك فارفعني إليك، ففعل، فلما قدمت عليه ولاني الشرطة.

وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف عبد الواحد بن عبد الله النضري وعلى قضاء الكوفة حسين بن حسن الكندي، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس وقد قيل إن هشاما إنما استعمل خالد بن عبد الله القسري على العراق وخراسان في سنة ست ومائة، وإن عامله على العراق وخراسان في سنة خمس ومائة كان عمر بن هبيرة.

٧٠٣ سنه ست ومائه

ثم دخلت
سنة ست ومائة

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث) ففي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك عن المدينة عبد الواحد بن عبد الله النضري وعن مكة والطائف، وولى ذلك كله خاله إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي، فقدم المدينة يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من جمادى الآخرة سنة ست ومائة، فكانت ولاية النضري على المدينة سنة وثمانية أشهر. وفيها غزا سعيد بن عبد الملك الصائفة وفيها غزا الحجاج بن عبد الملك اللان، فصالح أهلها، وأدوا الجزية وفيها ولد عبد الصمد بن علي في رجب.

وفيها مات الإمام طاوس مولى بحير بن ريسان الحميري بمكة وسالم ابن عبد الله بن عمر، فصلى عليهما هشام وكان موت طاوس بمكة وموت سالم بالمدينة.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة، قال: مات سالم بن عبد الله سنة خمس ومائة في عقب ذي الحجة، فصلى عليه هشام بن عبد الملك بالقيع، فرأيت القاسم بن محمد بن أبي بكر جالسا عند القبر وقد أقبل هشام ما عليه إلا دراعة، فوقف على القاسم فسلم عليه، فقام إليه القاسم فسأله هشام: كيف أنت يا أبا محمد؟ كيف حالك؟ قال: بخير، قال: إني أحب والله أن يجعلكم بخير ورأى في الناس كثرة، ف ضرب عليهم بعث أربعة آلاف، فسمي عام الأربعة آلاف وفيها استقضى إبراهيم بن هشام محمد بن صفوان الجمحي ثم عزله، واستقضى الصلت الكندي

٧٠٣٠١ ذكر الخبر عن الحرب بين اليمانية والمضرية وربيعه

ذكر الخبر عن الحرب بين اليمانية والمضرية وربيعه

وفي هذه السنة كانت الوقعة التي كانت بين المضرية واليمانية وربيعه بالبروقان من أرض بلخ.

(ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة): وكان سبب ذلك - فيما قيل - إن مسلم بن سعيد غزا، فقطع النهر، وتباطأ الناس عنه، وكان ممن تباطأ عنه البختري بن درهم، فلما أتى النهر رد نصر بن سيار وسلم بن سليمان بن عبد الله بن خازم وبلعاء بن مجاهد بن بلعاء العنبري وأبا حفص بن وائل الحنظلي وعقبة بن شهاب المازني وسالم بن ذؤابة إلى بلخ، وعليهم جميعا نصر بن سيار، وأمرهم أن يخرجوا الناس إليه فأحرق نصر باب البختري وزباد بن طريف الباهلي، فنعهم عمرو بن مسلم من دخول بلخ - وكان عليها - و قطع مسلم بن سعيد النهر فنزل نصر البروقان، فأتاه أهل صغانيان، وأتاه مسلمة العقفاني من بني تميم، وحسان بن خالد الأسدي، كل واحد منهما في خمسمائة، وأتاه سنان الأعرابي وزرعة بن علقمة وسلمة بن أوس والحجاج بن هارون النيمري في أهل بيته، وتجمعت بكر والأزد بالبروقان، رأسهم البختري، وعسكر بالبروقان على نصف فرسخ منهم، فأرسل نصر إلى أهل بلخ: قد أخذتم أعطيائكم فالحقوا بأمركم، فقد قطع النهر فخرجت مضرا إلى نصر، وخرجت ربيعة والأزد إلى عمرو بن مسلم، وقال قوم من ربيعة: إن مسلم بن سعيد يريد أن يخلع، فهو يكرهنا على الخروج فأرسلت تغلب إلى عمرو بن مسلم: إنك منا، وأنشدوه شعرا قاله رجل غزا بأهله إلى تغلب - وكان بنو قتيبة من باهلة - فقالوا: إنا من تغلب، فكرهت بكر أن يكونوا في تغلب فتكثر تغلب، فقال رجل منهم:

زعمت قتيبة أنها من وائل ... نسب بعيد يا قتيبة فاصعدي

وذكر أن بني معن من الأزد يدعون باهلة، وذكر عن شريك بن

أبي قيلة المعني أن عمرو بن مسلم كان يقف على مجالس بني معن، فيقول: لئن لم نكن منكم ما نحن بعرب، وقال عمرو بن مسلم حين غزاه التغلبي إلى بني تغلب: أما القراة فلا أعرفها، وأما المنع فإني سأمنعكم، فسفر الضحاك بن مزاحم ويزيد بن المفضل الحداني، وكلما نصرا وناشده فأنصرف فحمل أصحاب عمرو بن مسلم والبختري على نصر، ونادوا: يال بكر! وجالوا، وكر نصر عليهم، فكان أول قتيل رجل من باهلة، ومع عمرو بن مسلم البختري وزباد بن طريف الباهلي، فقتل من أصحاب عمرو بن مسلم في المعركة ثمانية عشر رجلا، وقتل كردان أخو الفرافصة ومسعدة ورجل من بكر بن وائل يقال له إسحاق، سوى من قتل في السكك، وانهزم عمرو بن مسلم

إلى القصر وأرسل إلى نصر: ابعث إلى بلعاء بن مجاهد، فأتاه بلعاء، فقال: خذ لي أماناً منه، فأمنه نصر، وقال: لولا أنني أشمت بك بكر بن وائل لقتلتك وقيل: أصابوا عمرو بن مسلم في طاحونة، فأتوا به نصراً في عنقه جبل، فأمنه نصر، وقال له ولزياد بن طريف والبخثري بن درهم: الحقوا بأمركم وقيل: بل التقى نصر وعمرو بالبروقان، فقتل من بكر بن وائل واليمن ثلاثون، فقالت بكر: علام نقاتل إخواننا وأميرنا، وقد تقربنا إلى هذا الرجل فأنكر قرابتنا! فاعتزلوا وقاتلت الأزد، ثم انهزموا ودخلوا حصناً فحصرهم نصر، ثم أخذ عمرو بن مسلم والبخثري أحد بني عباد وزباد بن طريف الباهلي، فضر بهم نصر مائة مائة، وحلق رؤوسهم ولحاهم، وألبسهم المسوح وقيل:

أخذ البخثري في غيضة كان دخلها، فقال نصر في يوم البروقان: أرى العين لجت في ابتدار وما الذي ... يرد عليها بالدموع ابتدارها! فما أنا بالواني إذا الحرب شمرت ... تحرق في شطر الخميس نارها ولكنني أدعو لها خندف التي ... تطلع بالعبء الثقيل فقارها

٧٠٣٠٢ خبر غزو مسلم بن سعيد الترك

وما حفظت بكر هنالك حلفها ... فصار عليها عار قيس وعارها فإن تك بكر بالعراق تنزرت ... ففي أرض مرو عليها وأزوارها وقد جربت يوم البروقان وقعة ... لخندف إذ حانت وآن بوارها أنتني لقيس في بجيلة وقعة ... وقد كان قبل اليوم طال انتظارها يعني حين أخذ يوسف بن عمر خالداً وعياله وذكر علي بن محمد أن الوليد بن مسلم قال: قاتل عمرو بن مسلم نصر بن سيار فهزمه عمرو، فقال لرجل من بني تميم كان معه: كيف ترى استاه قومك يا أخا بني تميم؟ يعيره بهزيمتهم، ثم كرت تميم فهزموا أصحاب عمرو، فأنجلى الرهج وبلعاء بن مجاهد في جمع من بني تميم يسلهم، فقال التميمي لعمرو: هذه استاه قومي قال: وانهزم عمرو، فقال بلعاء لأصحابه: لا تقتلوا الأسرى ولكن جردوهم، وجوبوا سراويلاتهم عن أديبارهم، ففعلوا، فقال بيان العنبري يذكر حربهم بالبروقان:

أتاني ورحلي بالمدينة وقعة ... لآل تميم أرجفت كل مرجف تظل عيون البرش بكر بن وائل ... إذا ذكرت قتلى البروقان تذرف هم أسلموا للموت عمرو بن مسلم ... وولوا شلالاً والأسنة ترعف وكانت من الفتيان في الحرب عادة ... ولم يصبروا عند القنا المتقصف خبر غزو مسلم بن سعيد الترك

وفي هذه السنة غزا مسلم بن سعيد الترك، فورد عليه عزله من خراسان من خالد بن عبد الله، وقد قطع النهر لحربهم وولاية أسد بن عبد الله عليها ذكر الخبر عن غزوة مسلم بن سعيد هذه الغزوة: ذكر علي بن محمد عن أشياخه أن مسلماً غزا في هذه السنة، فخطب الناس في ميدان يزيد، وقال: ما أخلف بعدي شيئاً أهم عندي من قوم

يتخلفون بعدي مخلقى الرقاب، يتواشون الجدران على نساء المجاهدين، اللهم افعل بهم وافعل! وقد أمرت نصراً ألا يجد متخلفاً إلا قتله، وما أرتي لهم من عذاب ينزله الله بهم - يعني عمرو بن مسلم وأصحابه - فلما صار بخاري أتاه كتاب من خالد بن عبد الله القسري بولايته على العراق، وكتب إليه: أتم غزائك فسار إلى فرغانة، فقال أبو الضحاك الرواحي - أحد بني رواحة من بني عبس، وعداده في الأزد، وكان ينظر في الحساب: ليس على متخلف العام معصية، فتخلف أربعة آلاف.

وسار مسلم بن سعيد، فلما صار بفرغانة بلغه أن خاقان قد أقبل إليه، وأتاه شمیل - أو شبیل - بن عبد الرحمن المازني، فقال: عاينت عسكر خاقان في موضع كذا وكذا، فأرسل إلى عبد الله بن أبي عبد الله الكرمانی مولى بني سليم، فأمره بالاستعداد للمسير، فلما أصبح ارتحل

بالعسكر، فسار ثلاث مراحل في يوم، ثم سار من غد حتى قطع وادي السبوح فأقبل إليهم خاقان، وتوافت إليه الخيل، فأنزل عبد الله بن أبي عبد الله قوما من العرفاء والموالي، فأغار الترك على الذين أنزلهم عبد الله ذلك الموضع فقتلهم، وأصابوا دواب لمسلم وقتل المسيب بن بشر الرياحي، وقتل البراء- وكان من فرسان المهلب- وقتل أخو غوزك وثار الناس في وجوههم، فأخرجوهم من العسكر، ودفع مسلم لواءه إلى عامر بن مالك الحناني، ورحل بالناس فساروا ثمانية أيام، وهم مطيفون بهم، فلما كانت الليلة التاسعة أراد النزول، فشاور الناس فأشاروا عليه بالنزول، وقالوا: إذا أصبحنا وردنا الماء، والماء منا غير بعيد، وإنك إن نزلت المرج تفرق الناس في الثمار، وانتهب عسكرك، فقال لسوره بن الحر: يا أبا العلاء، ما ترى؟ قال: أرى ما رأى الناس ونزلوا قال: ولم يرفع بناء في العسكر، وأحرق الناس ما ثقل من الآنية والأمتعة، فحرقوا قيمة ألف ألف وأصبح الناس فساروا، فوردوا الماء فإذا دون النهر أهل فرغانة والشاش، فقال مسلم بن سعيد: أعزم على كل رجل إلا اخترط سيفه، ففعلوا فصارت الدنيا كلها سيوفا، فتركوا الماء وعبروا، فأقام يوما،

ثم قطع من غد، وأتبعهم ابن الخاقان قال: فأرسل حميد بن عبد الله وهو على الساقة إلى مسلم: قف ساعة فإن خلفي مائتي رجل من الترك حتى أقاتلهم- وهو مثقل جراحة- فوقف الناس، فعطف على الترك، فأسر أهل السغد وقائدهم وقائد الترك في سبعة، وانصرف البقية، ومضى حميد ورمي بنشابة في ركبته، فمات.

وعطش الناس، وقد كان عبد الرحمن بن نعيم الغامدي حمل عشرين قربة على إبله، فلما رأى جهد الناس أخرجها، فشربوا جرعا، واستسقى يوم العطش مسلم بن سعيد فأتوه بإناء، فأخذه جابر- أو حارثة- بن كثير أخو سليمان بن كثير من فيه، فقال مسلم: دعوه، فما نازعني شربتي إلا من حر دخله، فأتوا نخجدة، وقد أصابهم مجاعة وجهد، فانتشر الناس فإذا فارسان يسألان عن عبد الرحمن بن نعيم، فأتياه بعهدده على خراسان من أسد بن عبد الله، فأقرأه عبد الرحمن مسلما، فقال: سمعا وطاعة، قال: وكان عبد الرحمن أول من اتخذ الخيام في مفازة آمل.

قال: وكان أعظم الناس غنى يوم العطش إسحاق بن محمد الغداني، فقال حاجب الفيل لثابت قطنة، وهو ثابت بن كعب:

نقضي الأمور وبكر غير شاهدها ... بين المجاذيف والسكان مشغول

ما يعرف الناس منه غير قطنته ... وما سواها من الآباء مجهول

وكان لعبد الرحمن بن نعيم من الولد نعيم وشديد وعبد السلام وإبراهيم والمقداد، وكان أشدهم نعيم وشديد، فلما عزل مسلم بن سعيد، قال الخزرج التغلبي: قاتلنا الترك، فأحاطوا بالمسلمين حتى أيقنوا بالهلاك، فنظرت إليهم وقد اصفرت وجوههم، فحمل حوثة بن يزيد بن الحر بن الحنيف بن نصر بن يزيد بن جعونة على الترك في أربعة آلاف، فقاتلهم ساعة ثم رجع، وأقبل نصر بن سيار في ثلاثين فارسا، فقاتلهم حتى أزالهم عن مواضعهم، وحمل الناس عليهم، فانهزم الترك.

قال: وحوثة هذا هو ابن أخي رقة بن الحر قال: وكان عمر بن

٧٠٣٠٣ حج هشام بن عبد الملك

هيرة قال لمسلم بن سعيد حين ولاه خراسان: ليكن حاجبك من صالح مواليك، فإنه لسانك والمعبر عنك، وحث صاحب شرطتك على الأمانة، وعليك بعمال العذر قال: وما عمال العذر؟ قال: مر أهل كل بلد أن يختاروا لأنفسهم، فإذا اختاروا رجلا فوله، فإن كان خيرا كان لك، وإن كان شرا كان لهم دونك، وكنت معذورا.

قال: وكان مسلم بن سعيد كتب إلى ابن هيرة أن يوجه إليه توبة بن أبي أسيد مولى بني العنبر، فكتب ابن هيرة إلى عامله بالبصرة: احمل إلي توبة بن أبي أسيد، فحمله فقدم- وكان رجلا جميلا جهيرا له سمت- فلما دخل على ابن هيرة، قال ابن هيرة: مثل هذا فليول، ووجه به إلى مسلم، فقال له مسلم: هذا خاتمي فاعمل برأيك، فلم يزل معه حتى قدم أسد بن عبد الله، فأراد توبة أن يشخص مع مسلم، فقال له أسد: أقم معي فأنا أحوج إليك من مسلم فأقام معه، فأحسن إلى الناس وألان جانبه، وأحسن إلى الجند وأعطاهم

أرزاقهم، فقال له اسد: حلفهم بالطلاق فلا يتخلف أحد عن مغزاه، ولا يدخل بديلا، فأبى ذلك توبة فلم يحلفهم بالطلاق. قَالَ: وكان الناس بعد توبة يحلفون الجند بتلك الايمان، فلما قدم عاصم ابن عبد الله أراد أن يحلف الناس بالطلاق فأبوا، وقالوا: نخلف بأيمان توبة، قَالَ: فهم يعرفون ذلك، يقولون: ايمان توبه . حج هشام بن عبد الملك

وحج بالناس في هذه السنة هشام بن عبد الملك، حدثني بذلك أحمد ابن ثابت عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال الواقدي وغيره، لا خلاف بينهم في ذلك.

قَالَ الواقدي: حدثني ابن أبي الزناد، عن أبيه، قَالَ: كتب الى

هشام بن عبد الملك قبل أن يدخل المدينة أن اكتب لي سنن الحج، فكتبها له، وتلقاه أبو الزناد قَالَ أبو الزناد: إني يومئذ في الموكب خلفه، وقد لقيه سعيد بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان، وهشام يسير، فنزل له، فسلم عليه، ثم سار إلى جنبه، فصاح هشام: أبو الزناد! فتقدمت، فسرت إلى جنبه الآخر، فأسمع سعيدا يقول: يا أمير المؤمنين، إن الله لم يزل ينعم على أهل بيت أمير المؤمنين، وينصر خليفته المظلوم، ولم يزالوا يلعنون في هذه المواطن الصالحة أبا تراب، فأمر المؤمنين ينبغي له أن يلعنه في هذه المواطن الصالحة، قَالَ: فشق على هشام، وثقل عليه كلامه، ثم قَالَ:

ما قدمنا لشم أحد ولا للعنة، قدمنا حجاجا ثم قطع كلامه وأقبل علي فقال: يا عبد الله بن ذكوان، فرغت مما كتبت إليك؟ فقلت: نعم، فقال أبو الزناد: وثقل على سعيد ما حضرته يتكلم به عند هشام، فرأيت منكمسرا كلما رأيته.

وفي هذه السنة كلم إبراهيم بن محمد بن طلحة هشام بن عبد الملك - وهشام واقف قد صلى في الحجر - فقال له: أسألك بالله وبحرمة هذا البيت والبلد الذي خرجت معظما لحقه، إلا رددت علي ظلامي! قَالَ:

أي ظلامه؟ قَالَ: داري، قَالَ: فأين كنت عن أمير المؤمنين عبد الملك؟ قَالَ: ظلمي والله، قَالَ: فمن الوليد بن عبد الملك؟ قَالَ: ظلمي والله، قَالَ: فمن سليمان؟ قَالَ: ظلمي، قَالَ: فمن عمر بن عبد العزيز؟ قَالَ:

يرحمه الله، ردها والله علي، قَالَ: فمن يزيد بن عبد الملك؟ قَالَ: ظلمي والله، هو قبضها مني بعد قبضي لها، وهي في يدك قَالَ هشام: أما والله لو كان فيك ضرب لضربك، فقال إبراهيم: في والله ضرب بالسيف والسوط.

فانصرف هشام والأبرش خلفه فقال: أبا مجاشع، كيف سمعت هذا اللسان؟ قال: ما أجود هذا اللسان! قَالَ: هذه قریش وألسنتها، ولا يزال في الناس بقايا ما رأيت مثل هذا.

٧٠٣٠٤ ولاية اسد بن عبد الله القسري على خراسان

وفي هذه السنة قدم خالد بن عبد الله القسري أميرا على العراق.

ولاية اسد بن عبد الله القسري على خراسان

وفيها استعمل خالد أخاه أسد بن عبد الله أميرا على خراسان، فقدمها ومسلم بن سعيد غاز بفرغانة، فذكر عن أسد أنه لما أتى النهر ليقطع، منعه الأشهب بن عبيد التيمي أحد بني غالب، وكان على السفن بآمل، فقال له أسد: أقطعني، فقال: لا سبيل إلى إقطاعك، لأنني نهيت عن ذلك، قَالَ: لاطفوه وأطعموه، فأبى، قَالَ: إني الأمير، ففعل، فقال أسد:

اعرفوا هذا حتى نشركه في أمانتنا، فقطع النهر، فأتى السغد، فنزل مرجها، وعلى خراج سمرقند هاني بن هاني، فخرج في الناس يتلقى أسدا، فأتوه بالمرج، وهو جالس على حجر، فتفاءل الناس، فقالوا: أسد على حجر! ما عند هذا خير فقال له هاني: أقدمت أميرا فنفع بك ما نفعل بالأمرء؟

قَالَ: نعم، قدمت أميرا ثم دعا بالغداء فتغدى بالمرج، وقال: من ينشط بالمسير وله أربعة عشر درهما- ويقال: قَالَ ثلاثة عشر درهما- وها هي في كمي؟ وإنه ليبيكي ويقول: إنما أنا رجل مثلكم وركب فدخل سمرقند وبعث رجلين معهما عهد عبد الرحمن بن نعيم على الجند، فقدم الرجلان على عبد الرحمن بن نعيم، وهو في وادي أفشين على الساقة- وكانت الساقة على أهل سمرقند الموالي وأهل الكوفة- فسألا عن عبد الرحمن فقالوا: هو في الساقة، فأتياه بعهد وكتاب بالقفل والإذن لهم فيه، فقرأ الكتاب ثم أتى به مسلما وبعده، فقال مسلم: سمعا وطاعة، فقام عمرو ابن هلال السدوسي- ويقال التيمي- ففقه سوطين لما كان منه بالبروقان إلى بكر بن وائل، وشتمه حسين بن عثمان بن بشر بن المحتفز، فغضب

عبد الرحمن بن نعيم، فزجرهما ثم أغلظ لهما، وأمر بهما فدفعا، وقتل بالناس وشخص معه مسلم. فذكر علي بن محمد عن أصحابه، أنهم قدموا على أسد، وهو بسمرقند، فشخص أسد إلى مرو، وعزل هائثا، واستعمل على سمرقند الحسن بن أبي العمرة الكندي من ولد آكل المار قال: فقدمت على الحسن امرأته الجنوب ابنة القعقاع بن الأعلم رأس الأزد، ويعقوب بن القعقاع قاضي خراسان، فخرج يتلقاها، وغزاها الترك، فقيل له: هؤلاء الترك قد أتوك- وكانوا سبعة آلاف- فقال: ما أتونا بل أتيناهم وغلبناهم على بلادهم واستعبدناهم، وإيم الله مع هذا لأدينكم منهم، ولأقرن نواصي خيلكم بنواصي خيلهم. قَالَ: ثم خرج فتباطأ حتى أغاروا وانصرفوا، فقال الناس: خرج إلى امرأته يتلقاها مسرعا، وخرج إلى العدو متباطئا فبلغه فخطبهم، فقال: تقولون وتعيون! اللهم اقطع آثارهم وعجل أقدارهم، وأنزل بهم الضراء وارفع عنهم السراء! فشتمه الناس في أنفسهم. وكان خليفته حين خرج إلى الترك ثابت قطنة، فخطب الناس فحصر فقال: من يطع الله ورسوله فقد ضل، وارتج عليه، فلم ينطق بكلمة، فلما نزل عن المنبر قَالَ:

إن لم أكن فيكم خطيبا فإني ... سيفي إذا جد الوغى لخطيب
فقيل له: لو قلت هذا على المنبر، لكنت خطيبا، فقال حاجب الفيل الشكري يعيره حصره:

أبا العلاء لقد لاقيت معضلة ... يوم العروبة من كرب وتخنيق
تلوي اللسان إذا رمت الكلام به ... كما هوى زلق من شاهق النيق
لما رمتك عيون الناس ضاحية ... أنشأت تجرّض لما قت بالريق
أما القران فلا تهدي لمحكمة ... من القران ولا تهدي لتوفيق
وفي هذه السنة ولد عبد الصمد بن علي في رجب.

وكان العامل على المدينة ومكة والطائف في هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومي وعلى العراق وخراسان خالد بن عبد الله القسري، وعامل خالد على صلاة البصرة عقبة بن عبد الأعلى، وعلى شرطتها مالك بن المنذر بن الجارود، وعلى قضائها ثمامة بن عبد الله بن أنس، وعلى خراسان أسد بن عبد الله.

٧٠٤ سنه سبع ومائه

٧٠٤٠١ غزو الغور

ثم دخلت

سنة سبع ومائة

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث) فمن ذلك ما كان من خروج عباد الرعيني باليمن محبكا، فقتله يوسف ابن عمر، وقتل معه أصحابه كلهم وكانوا ثلاثمائة.

وفيها غزا الصائفة معاوية بن هشام، وعلى جيش الشام ميمون بن مهران، فقطع البحر حتى عبر إلى قبرس، وخرج معهم البعث الذي هشام كان أمر به في حجه سنة ست، فقدموا في سنة سبع على الجعائل، غزا منهم نصفهم وقام النصف وغزا البر مسلمة بن عبد الملك

وفيها وقع بالشام طاعون شديد.

وفيها وجه بكير بن ماهان أبا عكرمة وأبا محمد الصادق ومحمد بن خنيس وعمار العبادي في عدة من شيعتهم، معهم زياد خال الوليد الأزرق دعاة إلى خراسان، فجاء رجل من كندة إلى أسد بن عبد الله، فوشى بهم إليه، فأتى بأبي عكرمة ومحمد بن خنيس وعامة أصحابه، ونجا عمار، فقطع أسد أيدي من ظفر به منهم وأرجلهم، وصلبهم فأقبل عمار إلى بكير بن ماهان، فأخبره الخبر، فكتب به إلى محمد بن علي، فأجابه: الحمد لله الذي صدق مقاتلكم ودعوتكم، وقد بقيت منكم قتلى ستقتل.

وفي هذه السنة حمل مسلم بن سعيد إلى خالد بن عبد الله، وكان أسد ابن عبد الله له مكرما بخراسان لم يعرض له ولم يحبس، فقدم مسلم وابن هبيرة مجمع على الحرب، فنهاه عن ذلك مسلم، وقال له: إن القوم فينا أحسن رأيا منكم فيهم وفي هذه السنة غزا أسد جبال نمرون ملك الغرستان مما يلي جبال الطالقان، فصالحه نمرون وأسلم على يديه، فهم اليوم يتولون اليمن.

غزو الغور

وفيها غزا أسد الغور وهي جبال هراة

٧٠٤٠٢ أخبار متفرقة

ذكر الخبر عن غزوة أسد هذه الغزوة:

ذكر علي بن محمد عن أشياخه، أن أسدا غزا الغور، فعمد أهلها إلى أثقالهم فصيروها في كهف ليس إليه طريق، فأمر أسد باتخاذ تواييت ووضع فيها الرجال، ودلاها بالسلاسل، فاستخرجوا ما قدروا عليه، فقال ثابت قطنة:

أرى أسدا تضمن مفضعات ... تهييها الملوك ذوو الحجاب
سما بالخليل في أكاف مرو ... وتوفرهن بين هلا وهاب
إلى غورين حيث حوى أرب ... وصك بالسيوف وبالحراب
هدانا الله بالقتلى تراها ... مصلية بأفواه الشعاب
ملاحم لم تدع لسراة كلب ... مهاترة ولا لبني كلاب
فأوردها النهاب وآب منها ... بأفضل ما يصاب من النهاب
وكان إذا أناخ بدار قوم ... أراها المخزيات من العذاب
ألم يزر الجبال جبال ملح ... ترى من دونها قطع السحاب
بأرعن لم يدع لهم شريدا ... وعاقبها الممض من العقاب
وملع من جبال خوط فيها تعمل الحزم الملعية.

[أخبار متفرقة]

وفي هذه السنة نقل أسد من كان بالبروقان من الجند إلى بلخ، فأقطع كل من كان له بالبروقان مسكن مسكنا بقدر مسكنه، ومن لم يكن له مسكن أقطعه مسكنا، وأراد أن ينزلهم على الأنحاس، فقليل له: إنهم يتعصبون، نخلط بينهم، وكان قسم لعمارة مدينة بلخ الفعلة على كل كورة على قدر خراجها، وولى بناء مدينة بلخ برمك أبا خالد بن برمك، - وكان البروقان منزل الأمراء وبين البروقان وبين بلخ فرسخان وبين المدينة والنوبهار قدر غلوتين - فقال أبو البريد في بنيان أسد مدينة بلخ:

شعفت فؤادك فلهوى لك شاعف ... رُم على طفل بحومل عاطف
ترعى البرير بجاني متهدل ... ريان لا يعيش إليه ألف
بمحاضر من منحني عطفت له ... بقر ترج زانن روادف
إن المباركة التي أحصنتها ... عصم الذليل بها وقر الخائف
فأراك فيها ما رأى من صالح ... فتحا وأبواب السماء رواعف
ففضى لك الاسم الذي يرضى به ... عنك البصير بما نويت اللطف

يا خير ملك ساس أمر رعية ... إني على صدق اليمين لحالف
الله آمنها بصنعك بعد ما ... كانت قلوب خوفهن رواجف
وجج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مُعْشَرٍ وَكَذَلِكَ
قال الواقدي وهشام وغيرهما.
وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها الذين ذكرناهم قبل في سنة ست ومائة

٧٠٥ سنه ثمان ومائه

٧٠٥٠١ غزو الختل

ثم دخلت
سنة ثمان ومائة
(ذَكَرَ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَحْدَاثِ) ففيها كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك حتى بلغ قيسارية، مدينة الروم مما يلي الجزيرة، ففتحها الله
على يديه.

وفيهما أيضا غزا إبراهيم بن هشام ففتح أيضا حصنا من حصون الروم.

وفيهما وجه بكير بن ماهان الى خراسان عدة، فيهم عمار العبادي، فوشى بهم رجل إلى أسد بن عبد الله، فأخذ عمارا فقطع يديه ورجليه
ونجا أصحابه، فقدموا على بكير بن ماهان فأخبروه الخبر، فكتب بذلك إلى محمد بن علي، فكتب إليه في جواب الكتاب: الحمد لله الذي
صدق دعوتكم ونجى شيعتكم.

وفيهما كان الحريق بدابق، فذكر محمد بن عمر أن عبد الله بن نافع حدثه عن أبيه، قال: احترق المرعى حتى احترق الدواب والرجال.
غزو الختل

وفيهما غزا أسد بن عبد الله الختل، فذكر عن علي بن محمد أن خاقان أتي أسدا وقد انصرف إلى القواديان، وقطع النهر، ولم يكن بينهم
قتال في تلك الغزاة وذكر عن أبي عبيدة، أنه قال: بل هزموا أسدا وفضحوه، فتغنى عليه الصبيان:
از ختلان آمدي ... برو تباہ آمدي

قال: وكان السبل محاربا له، فاستجلب خاقان، وكان أسد قد أظهر أنه يشتبو بسرخ دره، فأمر أسد الناس فارتحلوا، ووجه راياته، وسار
في ليلة مظلمة إلى سرخ دره، فكبر الناس، فقال أسد: ما للناس؟ قالوا:

هذه علامتهم إذا فقلوا، فقال لعروة المنادي: ناد أن الأمير يريد غورين، ومضى وأقبل خاقان حين انصرفوا إلى غورين النهر فقطع
النهر، فلم يلتق هو ولا هم، ورجع إلى بلخ، فقال الشاعر في ذلك يمدح اسد بن عبد الله:

ندبت لي من كل خمس ألفين ... من كل لحاف عريض الدفين

قال: ومضى المسلمون إلى الغوريان فقاتلوهم يوما، وصبروا لهم، وبرز رجل من المشركين، فوقف أمام أصحابه وركز رمحه، وقد أعلم
بعصاة خضراء- وسلم بن أحوز واقف مع نصر بن سيار- فقال سلم لنصر: قد عرفت رأي أسد، وأنا حامل على هذا العلج، فلعلني أن
أقتله فيرضى.

فقال: شأنك، فحمل عليه، فما اختلج رمحه حتى غشيه سلم فطعنه فإذا هو بين يدي فرسه، ففحص برجله، فرجع سلم فوقف، فقال
لنصر: أنا حامل حملة أخرى، فحمل حتى إذا دنا منهم اعترضه رجل من العدو، فاختلفا ضربتين، فقتله سلم، فرجع سلم جريحا، فقال
نصر لسلم: قف لي حتى أحمل عليهم، فحمل حتى خالط العدو، فصرع رجلين ورجع جريحا، فوقف فقال: أترى ما صنعنا يرضيه؟ لا
أرضاه الله! فقال: لا والله فيما أظن وأتاها رسول أسد فقال: يقول لكما الأمير: قد رأيت موقفكما منذ اليوم وقلة غنائكما عن المسلمين،
لعنكم الله! فقالا: آمين إن عدنا لمثل هذا وتحاجزوا يومئذ، ثم عادوا من الغد فلم يلبث المشركون أن انهزموا، وحوى المسلمون عسكرهم،
وظهروا على البلاد فأسروا وسبوا وغنموا، وقال بعضهم رجع أسد في سنة ثمان ومائة مفلولا من الختل، فقال اهل خراسان:

از ختلان آمدي ... برو تباه آمدي

بيدل فراز آمدي

قال: وكان أصاب الجند في غزاة الختل جوع شديد، فبعث اسد بكبشين مع غلام له، وقال: لا تبعهما باقل من خمسمائة، فلما مضى الغلام، قال أسد: لا يشتريهما إلا ابن الشخير، وكان في المسلحة، فدخل ابن الشخير حين أمسى، فوجد الشاتين في السوق، فاشتراهما بخمسمائة، فذبح إحداهما وبعث بالأخرى إلى بعض إخوانه، فلما رجع الغلام إلى أسد أخبره بالقصة، فبعث إليه أسد بألف درهم.

قال: وابن الشخير هو عثمان بن عبد الله بن الشخير، أخو مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام وهو على المدينة ومكة والطائف.

حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال محمد بن عمر الواقدي وكان العمال في هذه السنة على الأمصار في الصلاة والحروب والقضاء هم العمال الذين كانوا في السنة التي قبلها، وقد ذكرناهم قبل.

٧٠٦ سنه تسع ومائه

٧٠٦٠١ خبر مقتل عمر بن يزيد الأسدي

٧٠٦٠٢ غزو غورين

ثم دخلت

سنة تسع ومائة

(ذكر الأحداث التي كانت فيها) فيما كان فيها من ذلك غزوة عبد الله بن عقبة بن نافع الفهري على جيش في البحر وغزوة معاوية بن هشام أرض الروم، ففتح حصنا بها يقال له طيبة، وأصيب معه قوم من اهل أنطاكية

خبر مقتل عمر بن يزيد الأسدي

وفيها قتل عمر بن يزيد الأسدي، قتله مالك بن المنذر بن الجارود ذكر الخبر عن ذلك:

وكان سبب ذلك- فيما ذكر- أن خالد بن عبد الله شهد عمر بن يزيد أيام حرب يزيد بن المهلب، فأعجب به يزيد بن عبد الملك، وقال: هذا رجل العراق، فغاض ذلك خالدا، فأمر مالك بن المنذر وهو على شرطه البصرة أن يعظم عمر بن يزيد، ولا يعصى له أمرا حتى يعرفه الناس، ثم أقبل يعتل عليه حتى يقتله، ففعل ذلك، فذكر يوما عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر، فافتري عليه مالك، فقال له عمر بن يزيد: تفترى على مثل عبد الأعلى! فأغلظ له مالك، فضربه بالسياط حتى قتله . غزو غورين

وفيها غزا أسد بن عبد الله غورين، وقال ثابت قطنة:

أرى أسدا في الحرب إذ نزلت به ... وقارع أهل الحرب فاز وأوجبا

تناول أرض السبل، خاقان ردؤه ... فخرق ما استعصى عليه وخربا

أنتك وفود الترك ما بين كابل ... وغورين إذ لم يهربوا منك مهربا

فما يغمر الأعداء من ليث غابة ... أبي ضاريات حرشوه فعقبا

٧٠٦٠٣ ذكر الخبر عن عزل هشام خالدا وأخاه عن خراسان

أزب كأن الورس فوق ذراعه ... كرية الحيا قد أسن وجربا

ألم يك في الحصن المبارك عصمة ... لجندك إذ هاب الجبان وأرهبا!

بنى لك عبد الله حصنا ورثته ... قديما إذا عد القديم وأنجبا.

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن خراسان وصرف أخاه أسدا عنها . ذكر الخبر عن عزل هشام خالدا وأخاه عن خراسان

وكان سبب ذلك أن أسدا أخا خالد تعصب حتى أفسد الناس، فقال أبو البريد- فيما ذكر علي بن محمد لبعض الأزد: ادخلني على ابن عمك عبد الرحمن ابن صبح، وأوصه بي، وأخبره عني، فأدخله عليه- وهو عامل لأسد على بلخ- فقال: أصلح الله الأمير! هذا أبو البريد البكري أخونا وناصرنا، وهو شاعر أهل المشرق، وهو الذي يقول:
إن تنقض الأزد حلفا كان أكده ... في سالف الدهر عباد ومسعود
ومالك وسويد أكدها معا ... لما تجرد فيها أي تجريد

حتى تنادوا أذاك الله ضاحية ... وفي الجلود من الإيقاع تقصيد
قال: فحذب أبو البريد يده، وقال: لعنك الله من شفيح كذب! أصلحك الله! ولكني الذي أقول:
الأزد إخوتنا وهم حلفاؤنا ... ما بيننا نكت ولا تبديل
قال: صدقت، وضحك وأبو البريد من بني علباء بن شيبان بن ذهل ابن ثعلبة.

قال: وتعصب على نصر بن سيار ونفر معه من مضر، فضر بهم بالسياط، وخطب في يوم جمعه فقال في خطبته: قبح الله هذه الوجوه! وجوه أهل الشقاق والتفاق، والشغب والفساد اللهم فرق بيني وبينهم، وأخرجني إلى مهاجري ووطني، وقل من يروم ما قبلي أوترمرم، وأمير المؤمنين خالي، وخالد بن عبد الله أخي، ومعني اثنا عشر ألف سيف يمان

ثم نزل عن منبره، فلما صلى ودخل عليه الناس، وأخذوا مجالسهم، أخرج كتابا من تحت فراشه، فقرأه على الناس، فيه ذكر نصر بن سيار وعبد الرحمن بن نعيم الغامدي وسورة بن الحر الأباتي- أبان بن دارم- والبختري بن أبي درهم من بني الحارث بن عباد، فدعاهم فأنبهم، فأزم القوم، فلم يتكلم منهم أحد، فتكلم سورة، فذكر حاله وطاقته ومناصحته، وأنه ليس ينبغي له أن يقبل قول عدو مبطل، وأن يجمع بينهم وبين من قرفهم بالباطل فلم يقبل قوله، وأمر بهم فجردوا، فضر به عبد الرحمن بن نعيم، فإذا رجل عظم البطن، أرسخ، فلما ضرب التوى، وجعل سراويله يزل عن موضعه، فقام رجل من أهل بيته، فأخذ رداء له هرويا، وقام مادا ثوبه بيده، وهو ينظر إلى أسد، يريد أن يأذن له فيؤزره فأومى إليه أن أفعل، فدنا منه فأزره- ويقال بل أزره أبو نميلة- وقال له: اتزر أبا زهير، فإن الأمير وال مؤدب ويقال: بل ضرهم في نواحي مجلسه.

فلما فرغ قال: أين تيس بن حمان؟ - وهو يريد ضربه، وقد كان ضربه قبل- فقال: هذا تيس بن حمان، وهو قريب العهد بعقوبة الأمير، وهو عامر بن مالك بن مسلمة بن يزيد بن حجر بن خيسق بن حمان بن كعب بن سعد وقيل إنه حلقهم بعد الضرب، ودفعهم إلى عبد ربه بن أبي صالح مولى بني سليم- وكان من الحرس- وعيسى بن أبي بريق، ووجههم إلى خالد، وكتب إليه: انهم أرادوا الوثوب عليه، فكان ابن أبي بريق كلما نبت شعر احدهم حلقه، وكان البختري بن أبي درهم، يقول: لوددت أنه ضربني وهذا شهرا- يعني نصر بن سيار لما كان بينهما بالبروقان- فأرسل بنو تميم إلى نصر: إن شئتم انتزعناكم من أيديهم، فكفهم نصر، فلما قدم بهم على خالد لام أسدا وعنفه، وقال: ألا بعثت برءوسهم! فقال عرجفة التيمي:
فكيف وأنصار الخليفة كلهم ... عناة وأعداء الخليفة تطلق

٧٠٦٠٤ ذكر الخبر عن دعاه بنو العباس

بكيت ولم أملك دموعي وحق لي ... ونصر شهاب الحرب في الغل موثق
وقال نصر:

بعثت بالعتاب في غير ذنب ... في كتاب تلوم أم تميم
إن أكن موثقا أسيرا لديهم ... في هموم وكربة وسهوم

رهن قسر فما وجدت بلاء... كأسار الكرام عند اللثيم
أبلغ المدعين قسرا وقسر... أهل عود القناة ذات الوصوم
هل فطمت عن الخيانة والغدر... أم أتم كالحاكر المستديم،
وقال الفرزدق:

أخالد لولا الله لم تعط طاعة... ولولا بنو مروان لم توثقوا نصرا
إذا للقيم دون شد وثاقه... بنى الحرب لا كشف اللقاء ولا ضجرا

وخطب أسد بن عبد الله على منبر بلخ، فقال في خطبته: يا أهل بلخ، لقبتموني الزاغ والله لأزيغن قلوبكم.
فلما تعصب أسد وأفسد الناس بالعصبية، كتب هشام إلى خالد بن عبد الله: اعزل أخاك، فعزله فاستأذن له في الحج، فقفل أسد
إلى العراق ومعه دهاقين خراسان، في شهر رمضان سنة تسع ومائة، واستخلف أسد على خراسان الحكم بن عوانة الكلبي، فأقام الحكم
صيفيه، فلم يغز.

ذكر الخبر عن دعاه بنو العباس
وذكر علي بن محمد أن أول من قدم خراسان من دعاة بني العباس زياد أبو محمد مولى همدان في ولاية أسد بن عبد الله الأولى، بعثه
محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس، وقال له: ادع الناس إلينا وانزل في اليمن، والطف بمضر ونهاه عن رجل من أبرشهر، يقال له
غالب، لأنه كان مفرطا في حب بني فاطمه

ويقال: أول من جاء أهل خراسان بكتاب محمد بن علي حرب بن عثمان، مولى بني قيس بن ثعلبة من أهل بلخ.
قال: فلما قدم زياد أبو محمد، ودعا إلى بني العباس، وذكر سيرة بني مروان وظلمهم، وجعل يطعم الناس الطعام، فقدم عليه غالب من
أبرشهر، فكانت بينهم منازعة، غالب يفضل آل أبي طالب وزياد يفضل بني العباس.

ففارقه غالب، وأقام زياد بمرو شتوة، وكان يختلف إليه من أهل مرو يحيى بن عقيل الخزاعي وإبراهيم بن الخطاب العدوي.
قال: وكان ينزل برزن سويد الكاتب في دور آل الرقاد، وكان على خراج مرو الحسن بن شيخ، فبلغه أمره، فأخبر به أسد بن عبد الله،
فدعا به - وكان معه رجل يكنى أبا موسى - فلما نظر إليه أسد، قال له:

أعرفك؟ قال: نعم، قال له أسد: رأيته في حانوت بدمشق، قال: نعم، قال لزياد: فما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: رفع إليك الباطل،
إنما قدمت خراسان في تجارة، وقد فرقت مالي على الناس، فإذا صار إلي خرجت.

قال له أسد: اخرج عن بلادي، فانصرف، فعاد إلى أمره، فعاد الحسن أسدا، وعظم عليه أمره، فأرسل إليه، فلما نظر إليه، قال:
ألم أنك عن المقام بخراسان! قال: ليس عليك أيها الأمير مني بأس، فاحفظه وأمر بقتلهم، فقال له أبو موسى: فاقض ما أنت قاض
فازداد غضبا، وقال له: أنزلتني منزلة فرعون! فقال له: ما أنزلتك ولكن الله أنزلك.

فقتلوا، وكانوا عشرة من أهل بيت الكوفة، فلم ينج منهم يومئذ إلا غلامان استصغرها، وأمر بالباقيين فقتلوا بكشان شاه.
وقال قوم: أمر أسد بزياد أن يخط وسطه، فد بين اثنين، ف ضرب فبا السيف عنه، فكبر أهل السوق، فقال أسد: ما هذا؟ فقتل له،
لم يحك السيف فيه فأعطى أبا يعقوب سيفاً، فخرج في سراويل والناس قد اجتمعوا عليه، ف ضربه، فبا السيف، ف ضربه ضربة أخرى،
فقطعه باثنتين

٧٠٦٠٥ ولاية اشرس بن عبد الله على خراسان

وقال آخرون: عرض عليهم البراءة، فمن تبرأ منهم مما رفع عليه خلى سبيله، فأبى البراءة ثمانية منهم، وتبرأ اثنان.
فلما كان الغد أقبل أحدهما وأسد في مجلسه المشرف على السوق بالمدينة العتيقة، فقال: اليس هذا أسيرنا بالأمس! فأتاه، فقال له:
أسألك أن تلحقني بأصحابي، فأشرفوا به على السوق، وهو يقول: رضينا بالله ربا، وبالإسلام ديناً وبمحمد ص نبياً، فدعا اسد بسيف
بخارخذه، ف ضرب عنقه بيده قبل الأضحية بأربعة أيام، ثم قدم بعدهم رجل من أهل الكوفة يسمى كثيراً، فنزل على أبي النجم،

فكان يأتيه الذين لقوا زيادا فيحدثهم ويدعوهم، فكان على ذلك سنة أو سنتين، وكان كثير أميا، فقدم عليه خدش، وهو في قرية تدعى مرعم، فغلب كثيرا على أمره، ويقال: كان اسمه عمارة فسمي خدشا، لأنه خدش الدين.

وكان أسد استعمل عيسى بن شداد البرجمي إمرته الأولى في وجهه وجهه على ثابت قطنة، فغضب، فهجا أسدا، فقال:

أرى كل قوم يعرفون أباهم ... وأبو بجيلة بينهم يتذبذب

إني وجدت أبي أباك فلا تكن ... إلبا علي مع العدو تجلب

أرمني بسهمي من رماك بسهمه ... وعدو من عاديت غير مكذب

اسد بن عبد الله جلال عفوه ... أهل الذنوب فكيف من لم يذنب!

أجعلتني للبرجمي حقيبة ... والبرجمي هو اللئيم المحقب

عبد إذا استبق الكرام رأيته ... يأتي سكيننا حاملا في الموكب

إني أعوذ بقبر كرز أن أرى ... تبعا لعبد من تميم محقب.

ولايه أشرس بن عبد الله على خراسان

وفي هذه السنة استعمل هشام بن عبد الملك على خراسان أشرس

ابن عبد الله السلمي، فذكر علي بن محمد، عن أبي الذيال العدوي ومحمد بن حمزة، عن طرخان ومحمد بن الصلت الثقفي أن هشام بن عبد

الملك عزل اسد ابن عبد الله عن خراسان، واستعمل أشرس بن عبد الله السلمي عليها، وأمره أن يكتب خالد بن عبد الله القسري-

وكان أشرس فاضلا خيرا، وكانوا يسمونه الكامل لفضله عندهم- فصار إلى خراسان، فلما قدمها فرحوا بقدومه، فاستعمل على شرطته

عميرة أبا أمية اليشكري ثم عزله وولى السمط، واستقضى على مرو أبا المبارك الكندي، فلم يكن له علم بالقضاء، فاستشار مقاتل بن

حيان، فأشار عليه مقاتل بمحمد بن زيد فاستقضاه، فلم يزل قاضيا حتى عزل أشرس.

وكان أول من اتخذ الرابطة بخراسان واستعمل على الرابطة عبد الملك بن دثار الباهلي، وتولى أشرس صغير الأمور وكبيرها بنفسه.

قال: وكان أشرس لما قدم خراسان كبر الناس فرحا به، فقال رجل:

لقد سمع الرحمن تكبير أمة ... غداة أتاها من سليم إمامها

إمام هدى قوى لهم أمرهم به ... وكانت عجافا ما تمخ عظامها

وركب حين قدم حمارا، فقال له حيان النبطي: أيها الأمير، إن كنت تريد أن تكون والي خراسان فاركب الخيل، وشد حزام فرسك،

والزم السوط خاصرته حتى تقدم النار، وإلا فارجع قال: ارجع إذن، ولا أقتحم النارية حيان ثم أقام وركب الخيل.

قال علي: وقال يحيى بن حضين: رأيت في المنام قبل قدوم أشرس قائلا يقول: أتاكم الوعر الصدر، الضعيف الناهضة، المشثوم الطائر،

فانتبهت فزعا ورأيت في الليلة الثانية: أتاكم الوعر الصدر، الضعيف الناهضة، المشثوم الطائر، الخائن قومه، جعفر، ثم قال:

لقد ضاع جيش كان جعفر أميرهم ... فهل من تلاف قبل دوس القبائل

٧٠٦٠٦ أخبار متفرقة

فإن صرفت عنهم به فعله ... وإلا يكونوا من أحاديث قائل

وكان أشرس يلقب جفرا بخراسان

. [أخبار متفرقة]

وجج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام، كذلك حدثني أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر وكذلك

قال الواقدي وغيره.

وقال الواقدي: خطب الناس إبراهيم بن هشام بمضى في هذه السنة الغد من يوم النحر بعد الظهر فقال سلوني، فأنا ابن الوحيد، لا تسألون أحدا أعلم مني فقام إليه رجل من أهل العراق فسأله عن الأضحية، أواجبة هي أم لا؟ فما درى أي شيء يقول له! فنزل. وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف إبراهيم بن هشام، وعلى البصرة والكوفة خالد بن عبد الله، وعلى الصلاة بالبصرة أبان بن ضبارة اليزني، وعلى شرطتها بلال بن أبي بردة، وعلى قضائها ثمامة بن عبد الله الأنصاري، من قبل خالد بن عبد الله، وعلى خراسان أشرس بن عبد الله.

٧٠٧ سنه عشر ومائه

٧٠٧.١ ذكر الخبر عما كان من امر اشرس وامر اهل سمرقند ومن وليهم في ذلك.

ثم دخلت

سنة عشر ومائة

(ذكر ما كان فيها من الأحداث) فما كان فيها من ذلك غزوة مسلمة بن عبد الملك الترك، سار إليهم نحو باب اللان حتى لقي خاقان في جموعه، فاقتتلوا قريبا من شهر، وأصابهم مطر شديد، فهزم الله خاقان، فانصرف، فرجع مسلمة فسلك على مسجد ذي القرنين وفيها غزا- فيما ذكر- معاوية بن هشام أرض الروم، ففتح صمالة وفيها غزا الصائفة عبد الله بن عقبة الفهري وكان على جيش البحر-- فيما ذكر الواقدي- عبد الرحمن بن معاوية بن حديج.

وفي هذه السنة دعا الأشرس أهل الذمة من أهل سمرقند ومن وراء النهر إلى الإسلام، على أن توضع عنهم الجزية، فأجابوا إلى ذلك، فلما أسلموا وضع عليهم الجزية، وطالبهم بها، فنصبوا له الحرب.

ذكر الخبر عما كان من أمر أشرس وأمر أهل سمرقند ومن وليهم في ذلك.

ذكر أن أشرس قال في عمله بخراسان: ابغوني رجلا له ورع وفضل أوجهه إلى من وراء النهر، فيدعوهم إلى الإسلام فأشاروا عليه بأبي الصيда صالح بن طريف، مولى بني ضبة، فقال: لست بالماهر بالفارسية، فضموا معه الربيع بن عمران التيمي، فقال أبو الصيда: اخرج على شريطه أن من أسلم لم يؤخذ منه الجزية، وإنما خراج خراسان على رءوس الرجال، قال أشرس: نعم، قال أبو الصيда لأصحابه: فإني أخرج فإن لم يف العمال أعنتموني عليهم، قالوا: نعم

فشخص إلى سمرقند، وعليها الحسن بن أبي العمر طه الكندي على حربها وخراجها، فدعا أبو الصيда أهل سمرقند ومن حولها إلى الإسلام، على أن توضع عنهم الجزية، فسارع الناس، فكتب غوزك إلى أشرس:

إن الخراج قد انكسر، فكتب أشرس إلى ابن أبي العمر طه: إن في الخراج قوة للمسلمين، وقد بلغني أن أهل السغد وأشباههم لم يسلموا رغبة، وإنما دخلوا في الإسلام تعوذا من الجزية، فانظر من اختن وأقام الفرائض وحسن إسلامه، وقرأ سورة من القرآن، فارفع عنه خراجه ثم عزل اشرس ابن أبي العمر طه عن الخراج، وصيره إلى هاني بن هاني، وضم إليه الأشخيد، فقال ابن أبي العمر طه لأبي الصيда: لست من الخراج الآن في شيء، فدونك هانئا والأشخيد، فقام أبو الصيда يمنعهم من أخذ الجزية ممن أسلم، فكتب هاني: إن الناس قد أسلموا وبنوا المساجد فجاء دهاقين بخاري إلى أشرس فقالوا: ممن تأخذ الخراج، وقد صار الناس كلهم عربا؟ فكتب أشرس إلى هاني وإلى العمال: خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه، فأعادوا الجزية على من أسلم، فامتنعوا، واعتزل من أهل السغد سبعة آلاف، فنزلوا على سبعة فرائخ من سمرقند، وخرج إليهم أبو الصيда وربيع بن عمران التيمي والقاسم الشيباني وأبو فاطمة الأزدي وبشر بن جرموز الضبي وخالد بن عبد الله النحوي وبشر بن زنبور الأزدي وعامر بن قشير- أو بشير، الخجندي، وبيان العنبري وإسماعيل بن عقبة، لينصروهم.

قال: فعزل أشرس ابن أبي العمر طه عن الحرب، واستعمل مكانه المجشر بن مزاحم السلمي، وضم إليه عميرة بن سعد الشيباني.

قَالَ: فلما قدم المجشر كتب إلى أبي الصيداء يسأله أن يقدم عليه هو وأصحابه، فقدم أبو الصيداء وثابت قطنة، فخبسهما، فقال أبو الصيداء: غدرتم ورجعتم عما قلتم! فقال له هائي: ليس بغدر

ما كان فيه حقن الدماء وحمل أبا الصيداء إلى الأشرس، وحبس ثابت قطنة عنده، فلما حمل أبو الصيداء اجتمع أصحابه وولوا أمرهم أبا فاطمة، ليقاتلوا هائثا، فقال لهم: كفوا حتى أكتب إلى أشرس فيأتينا رأيَه فنعمل بأمره فكتبوا إلى أشرس، فكتب أشرس: ضعوا عليهم الخراج، فرجع أصحاب أبي الصيداء، فضعف أمرهم، ففتتبع الرؤساء منهم فأخذوا، وحملوا إلى مرو، وبقي ثابت محبوسا، وأشرك أشرس مع هائي بن هائي سليمان بن أبي السرى مولى بنى عوفه في الخراج، فألح هائي والعمال في جباية الخراج، واستخفوا بعظماء العجم، وسلط المجشر عميرة بن سعد على الدهاقين، فأقيموا وخرقت ثيابهم، وألقيت مناطقهم في أعناقهم، وأخذوا الجزية ممن أسلم من الضعفاء، فكفرت السغد وبخارى، واستجاشوا الترك، فلم يزل ثابت قطنة في حبس المجشر، حتى قدم نصر بن سيار واليا على المجشر، فحمل ثابتا إلى أشرس مع إبراهيم بن عبد الله الليثي فخبسه وكان نصر بن سيار أطفه، وأحسن إليه، فمدحه ثابت قطنة، وهو محبوس عند أشرس فقال:

ما هاج شوقك من نوى وأحجار ... ومن رسوم عفاها صوب أمطار!

لم يبق منها ومن أعلام عرصتها ... إلا شجيج وإلا موقد النار

ومائل في ديار الحي بعدهم ... مثل الربيثة في أهدامه العاري

ديار ليلى قفار لا أنيس بها ... دون الحجون وأين الحجن من داري!

بدلت منها وقد شط المزار بها ... وادي المخافة لا يسري بها الساري

بين السماوة في حزم مشرقة ... ومعنق دوننا آذية جار

نقارع الترك ما تنفك نائحة ... منا ومنهم على ذي نجدة شار

إن كان ظني بنصر صادقا أبدا ... فيما ادبر من نقضي وامراري

يصرف الجند حتى يستفي بهم ... نهبا عظيما ويحوي ملك جبار

وتعثر الخيل في الأقياد آونة ... تحوي النهاب إلى طلاب أوتار

حتى يروها دوين السرح بارقة ... فيها لواء كظل الأجلد الضاري

لا يمنع الثغر إلا ذو محافظة ... من الخضارم سباق بأوتار

إني وإن كنت من جذم الذي نصرت ... منه الفروع وزندي الثاقب الواري

لذاكر منك أمرا قد سبقت به ... من كان قبلك يا نصر بن سيار

ناضلت عني نضال الحر إذ قصرت ... دوني العشيرة واستبطأت أنصاري

وصار كل صديق كنت آمله ... أبا علي ورث الحبل من جاري

وما تلبست بالأمر الذي وقعوا ... به علي ولا دنست أطماري

ولا عصيت إماما كان طاعته ... حقا علي ولا قارفت من عار

قَالَ علي: وخرج أشرس غازيا فنزل آمل، فأقام ثلاثة أشهر، وقدم قطن بن قتيبة بن مسلم فعبر النهر في عشرة آلاف، فأقبل أهل السغد وأهل بخارى، معهم خاقان والترك، فحسروا قطن بن قتيبة في خندقه، وجعل خاقان ينتخب كل يوم فارسا، فيعبر في قطعه

من الترك النهر وقال قوم: أحقموا دوابهم عريا، فعبروا وأغاروا على سرح الناس، فأخرج أشرس ثابت قطنة بكفالة عبد الله بن بسطام

بن مسعود بن عمرو، فوجهه مع عبد الله بن بسطام في الخيل فاتبعوا الترك، فقاتلوهم بآمل حتى استنقذوا ما بأيديهم، ثم قطع الترك

النهر إليهم راجعين، ثم عبر أشرس بالناس إلى قطن بن قتيبة، ووجه أشرس رجلا يقال له مسعود - أحد بني حيان - في سرية، فلقبهم

العدو، فقاتلوهم، فأصيب رجال من المسلمين وهزم مسعود، حتى رجع إلى أشرس، فقال بعض شعرائهم:

خابت سرية مسعود وما غنمت ... إلا أفانين من شد وتقرير

حلوا بأرض قفار لا أنيس بها ... شوهن بالسفح أمثال اليعاسيب

وأقبل العدو، فلما كانوا بالقرب لقيهم المسلمون فقاتلوهم، فخلوا جولة، فقتل في تلك الجولة رجال من المسلمين، ثم كر المسلمون وصبروا لهم، فانهزم المشركون ومضى أشرس بالناس، حتى نزل بيكند، فقطع العدو عنهم الماء، فأقام أشرس والمسلمون في عسكرهم يومهم ذلك وليلتهم، فأصبحوا وقد نفذ مأوهم، فاحتفروا فلم ينبطوا، وعطشوا فارتحلوا إلى المدينة التي قطعوا عنهم المياه منها، وعلى مقدمة المسلمين قطن بن قتيبة، فلقىهم العدو فقاتلوهم، فجهدوا من العطش، فمات منهم سبعمائة، وعجز الناس عن القتال، ولم يبق في صف الرباب إلا سبعة، فكاد ضرار بن حصين يؤسر من الجهد الذي كان به، فخص الحارث بن سريج الناس، فقال:

أيها الناس، القتل بالسيف أكرم في الدنيا وأعظم أجرا عند الله من الموت عطشا فتقدم الحارث بن سريج وقطن بن قتيبة وإسحاق بن محمد، ابن أنخي وكيع، في فوارس من بني تميم وقيس، فقاتلوا حتى أزالوا الترك عن الماء، فابتدره الناس فشريوا وارتووا.

قَالَ: فرثابت قطنة بعبد الملك بن دثار الباهلي، فقال له: يا عبد الملك، هل لك في آثار الجهاد؟ فقال: أنظرنى ريثا أغتسل وأتحنط، فوقف له حتى خرج ومضيا، فقال ثابت لأصحابه: أنا أعلم بقتال هؤلاء منكم، وحضهم، فحملوا على العدو، واشتد القتال، فقتل ثابت في عدة من المسلمين، منهم صخر بن مسلم بن النعمان العبدي وعبد الملك بن دثار الباهلي والوجيه الخراساني والعقار بن عقبة العودي فضم قطن بن قتيبة وإسحاق بن محمد بن حسان خيلا من بني تميم وقيس، تبايعوا على الموت، فأقدموا على العدو، فقاتلوهم فكشفوهم، وركبهم المسلمون يقتلونهم، حتى هجزهم الليل، وتفرق العدو فأتى أشرس بخارى فخصر أهلها.

قَالَ عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ: حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ عَمَارَةَ

ابن القعقاع الضبي عن فضيل بن غزوان، قَالَ: حَدَّثَنِي وَجِيهُ الْبَنَانِيِّ وَنَحْنُ نَطُوفُ بِالْبَيْتِ، قَالَ: لَقِينَا الْتُرْكَ، فَقَتَلُوا مِنَّا قَوْمًا، وَصَرَعَتْ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، يَجْلِسُونَ فَيَسْتَقُونَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيَّ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: دَعُوهُ فَإِنَّ لَهُ أَثْرًا هُوَ وَاطَّئُهُ، وَأَجْلًا هُوَ بِالْغَةِ، فَهَذَا أَثْرٌ قَدْ وَطَّئْتُهُ، وَأَنَا أَرْجُو الشَّهَادَةَ فَرَجَعَ إِلَى خِرَاسَانَ، فَاسْتَشْهَدَ مَعَ ثَابِتٍ.

قَالَ: فَقَالَ الْوَازِعُ بْنُ مَائِقٍ: مَرَّ بِي الْوَجِيهُ فِي بَغْلَيْنِ يَوْمَ أَشْرَسَ، فَقُلْتُ:

كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا أَسْمَاءَ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ بَيْنَ حَائِرٍ وَحَائِرٍ، اللَّهُمَّ لَفْ بَيْنَ الصَّفَيْنِ، نَخَالُطُ الْقَوْمَ وَهُوَ مَتَنَكِبٌ قَوْسُهُ وَسَيْفُهُ، مُشْتَمِلٌ فِي طَيْلَسَانَ وَاسْتَشْهَدَ وَاسْتَشْهَدَ الْهَيْثَمُ بْنُ الْمَنْخَلِ الْعَبْدِيُّ قَالَ عَلِيٌّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، قَالَ: لَمَّا التَقَى أَشْرَسُ وَالتُّرْكَ، قَالَ ثَابِتٌ قَطْنَةُ: اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ ضَيْفَ ابْنِ بَسْطَامِ الْبَارِحَةِ، فَاجْعَلْنِي ضَيْفَكَ اللَّيْلَةَ، وَاللَّهِ لَا يَنْظُرُ إِلَيَّ بَنُو أُمَيَّةَ مُشْدُودًا فِي الْحَدِيدِ، فَحَمَلُ وَحَمَلُ أَصْحَابِهِ، فَكَذَبَ أَصْحَابُهُ وَثَبِتَ، فَرَمَى بِرِذْوَنِهِ فَشَبَّ، وَضْرِبُهُ فَأَقْدَمَ، وَضْرِبَ فَارْتِثَ، فَقَالَ وَهُوَ صَرِيحٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ ضَيْفًا لَابْنِ بَسْطَامِ، وَأَمْسَيْتُ ضَيْفَكَ، فَاجْعَلْ قَرَايَ مِنْ ثَوَابِكَ الْجَنَّةِ.

قَالَ عَلِيٌّ: وَيُقَالُ إِنَّ أَشْرَسَ قَطَعَ النَّهْرَ، وَنَزَلَ بِيكَنْدَ، فَلَمْ يَجِدْ بِهَا مَاءً، فَلَمَّا أَصْبَحُوا ارْتَحَلُوا، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ قَصْرِ بَخَارَاخْدَاهِ - وَكَانَ مَنْزِلَهُ مِنْهُمْ عَلَى مِيلٍ - تَلَقَّاهُمْ أَلْفُ فَارِسٍ، فَأَحَاطُوا بِالْعَسْكَرِ وَسَطَعَ رَجَجُ الْغُبَارِ، فَلَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ يَقْدِرُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى صَاحِبِهِ قَالَ: فَانْقَطَعَ مِنْهُمْ سِتَّةُ آلَافٍ، فِيهِمْ قَطْنُ بْنُ قَتِيْبَةَ وَغُوزُكُ مِنَ الدَّهَاقِيْنَ، فَانْتَهَوْا إِلَى قَصْرِ مِنْ قُصُورِ بَخَارَى، وَهُمْ يَرُونَ أَنَّ أَشْرَسَ قَدْ هَلَكَ، وَأَشْرَسُ فِي قُصُورِ بَخَارَى، فَلَمْ يَلْتَقُوا إِلَّا بَعْدَ يَوْمَيْنِ، وَلَحِقَ غُوزُكُ فِي تِلْكَ الْوَقْعَةِ بِالتُّرْكَ، وَكَانَ قَدْ دَخَلَ الْقَصْرَ مَعَ قَطْنِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ قَطْنُ رَجُلًا، فَصَاحُوا بِرَسُولِ قَطْنِ، وَلَحِقَ بِالتُّرْكَ

٧٠٧٠٢ ذكر وقعه كمرجه

قَالَ: وَيُقَالُ إِنَّ غُوزُكَ وَقَعَ يَوْمَئِذٍ وَسَطَ خَيْلٍ، فَلَمْ يَجِدْ بَدَا مِنَ الْحَاقِّ بِهِمْ وَيُقَالُ إِنَّ أَشْرَسَ أَرْسَلَ إِلَى غُوزُكٍ يَطْلُبُ مِنْهُ طَاسًا، فَقَالَ لِرَسُولِ أَشْرَسَ: إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مَعِيَ شَيْءٌ اتَّدَهَنَ بِهِ غَيْرَ الطَّاسِ، فَاصْفَحْ عَنْهُ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: اشْرَبْ فِي قَرْعَةٍ، وَابْعَثْ إِلَيَّ بِالطَّاسِ، فَفَارَقَهُ. قَالَ: وَكَانَ عَلَى سَمَرْقَنْدَ نَصْرُ بْنُ سِيَارَ، وَعَلَى خَرَاخْجَا عَمِيرَةُ بْنُ سَعْدِ الشَّيْبَانِيِّ، وَهُمْ مُحْصُورُونَ، وَكَانَ عَمِيرَةُ مِمَّنْ قَدَّمَ مَعَ أَشْرَسَ، وَأَقْبَلَ

قريش ابن أبي كهمس على فرس، فقال لقطن: قد نزل الأمير والناس، فلم يفقد أحد من الجند غيرك، فمضى قطن والناس إلى العسكر، وكان بينهم ميل . ذكر وقعه كمرجه

قَالَ: ويقال إن أشرس نزل قريبا من مدينة بخارى على قدر فرسخ، وذلك المنزل يقال له المسجد، ثم تحول منه إلى مرج يقال له بوادرة، فأتاهم سبابة- أو شبابة- مولى قيس بن عبد الله الباهلي، وهم نزول بكمركة- وكانت كمرجة من أشرف أيام خراسان وأعظمها أيام أشرس في ولايته- فقال لهم: إن خاقان ماربكم غدا، فأرى لكم أن تظهروا عدتكم، فبرى جدا واحتشادا، فينقطع طمعه منكم فقال له رجل منهم: استوثقوا من هذا فإنه جاء ليفت في أعضادكم، قالوا: لا نفعل، هذا مولانا وقد عرفناه بالنصيحة، فلم يقبلوا منه، وفعلوا ما أمرهم به المولى، وصحبهم خاقان، فلما حاذى بهم ارتفع إلى طريق بخارى كأنه يريد لها، فتحد بجنوده من وراء تل بينهم وبينه، فنزلوا وتأهبوا وهم لا يشعرون بهم فلما كان ذلك ما فاجأهم أن طلعا على التل، فإذا جبل حديد: أهل فرغانة والطاربند وأفشينة ونسف وطوائف من أهل بخارى قَالَ: فأسقط في أيدي القوم، فقال لهم كليب بن قنان الذهلي: هم يريدون مزاحفتكم فسيروا دوابكم المجففة في طريق النهر، كأنكم تريدون أن تسقوها، فإذا جردتموها نخذوا طريق الباب،

وتسربوا الأول فالأول، فلما رآهم الترك يتسربون شدوا عليهم في مضائق، وكانوا هم أعلم بالطريق من الترك، وسبقوهم إلى الباب فلحقوهم عنده، فقتلوا رجلا كان يقال له المهلب، كان حاميتهم، وهو رجل من العرب، فقاتلوهم فغلبوهم على الباب الخارج من الخندق فدخلوه، فاقتلوا، وجاء رجل من العرب بحزمة قصب قد أشعلها، فرمى بها وجوههم فتنحوا، وأخلوا عن قتلى وجرحى، فلما أمسوا انصرف الترك، وأحرق العرب القنطرة، فأتاهم خسرو بن يزدجرد في ثلاثين رجلا، فقال: يا معشر العرب، لم تقتلون أنفسكم وأنا الذي جئت بخاقان ليرد علي مملكتي، وأنا آخذ لكم الأمان! فشتموه، فانصرف.

قَالَ: وجاءهم بازغري في مائتين- وكان داهية- من وراء النهر، وكان خاقان لا يخالفه، ومعه رجلان من قرابة خاقان، ومعه أفراس من رابطة أشرس، فقال: آمنوننا حتى ندنو منكم، فأعرض عليكم ما أرسلني إليكم به خاقان فآمنوه، فدنا من المدينة، وأشرفوا عليه ومعه أسراء من العرب، فقال بازغري: يا معشر العرب، أحذروا إلي رجلا منكم أكله برسالة خاقان، فأحذروا حبيبا مولى مهرة من أهل درقين، فكلوه فلم يفهم، فقال: أحذروا إلي رجلا يعقل عني، فأحذروا يزيد بن سعيد الباهلي، وكان يشدو شدوا من التركية، فقال: هذه خيل الرابطة ووجوه العرب معه أسراء وقال: إن خاقان أرسلني إليكم، وهو يقول لكم: إني أجعل من كان عطاؤه منكم ستمائة ألفا، ومن كان عطاؤه ثلاثمائة ستمائة، وهو مجمع بعد هذا على الإحسان إليكم، فقال له يزيد: هذا أمر لا يلتئم، كيف يكون العرب وهم ذئاب مع الترك وهم شاء! لا يكون بيننا وبينكم صلح.

فغضب بازغري، فقال التركيان اللذان معه: ألا نضرب عنقه؟ قَالَ: لا، نزل إلينا بأمان وفهم ما قالوا له يزيد، نخاف فقال: بلى يا بازغري إلا أن تجعلونا نصفين، فيكون نصف في أثقالنا ويسير النصف معه، فإن ظفر خاقان فنحن معه، وإن كان غير ذلك كنا كسائر مدائن أهل السغد.

فرضي بازغري والتركيان بما قَالَ، فقال له: اعرض على القوم ما تراضينا به، وأقبل فأخذ بطرف الجبل فجذبوه حتى صار على سور المدينة، فنادى:

يا أهل كمرجة، اجتمعوا، فقد جاءكم قوم يدعونكم إلى الكفر بعد الإيمان، فما ترون؟ قالوا: لا نجيب ولا نرضى، قَالَ: يدعونكم إلى قتال المسلمين مع المشركين، قالوا: نموت جميعا قبل ذلك قَالَ: فأعلموهم. قَالَ: فأشرفوا عليهم، وقالوا: يا بازغري، أتبيع الأسرى في أيديكم فنفاذي بهم؟ فأما ما دعوتنا إليه فلا نجيبكم إليه، قَالَ لهم: أفلا تشترون أنفسكم منا؟ فما أتم عندنا إلا بمنزلة من في أيدينا منكم- وكان في أيديهم الحاج بن حميد النضري- فقالوا له: يا حجاج، ألا تكلم؟ قَالَ: علي رقباء، وأمر خاقان بقطع الشجر، فجعلوا يلقيون الحطب الرطب، ويلقي أهل كمرجة الحطب اليابس، حتى سوى الخندق، ليقطعوا إليهم، فأشعلوا فيه النيران، فهاجت ريح شديدة- صنعا من الله عز وجل- قَالَ: فاشتعلت النار في الحطب، فاحترق ما عملوا في ستة أيام في ساعة من نهار، ورميناهم فأوجعناهم وشغلناهم بالجراحات

قَالَ: وأصابته بازغري نشابة في صدره، فاحتقن بوله، فمات من ليلته، فقطع أترأكه آذانهم، وأصبحوا بشر، منكسين رءوسهم يبيكونه، ودخل عليهم أمر عظيم فلما امتد النهار جاءوا بالأسرى وهم مائة، فيهم أبو العوجاء العتكي وأصحابه، فقتلوههم، ورموا إليهم برأس الحجاج ابن حميد النضري وكان مع المسلمين مائتان من أولاد المشركين كانوا رهائن في أيديهم، فقتلوههم واستماتوا، واشتد القتال، وقاموا على باب الخندق فسار على السور خمسة أعلام، فقال كليب: من لي بهؤلاء؟ فقال ظهير بن مقاتل الطفاوي: أنا لك بهم، فذهب يسعى وقال لفتيان: امشوا خلفي، وهو جريح، قَالَ: فقتل يومئذ من الأعلام اثنين، ونجا ثلاثة قَالَ: فقال ملك من الملوك لمحمد بن وساج: العجب إنه لم يبق ملك فيما وراء النهر إلا

قاتل بكرجة غيري، وعز علي ألا أقاتل مع أكفائي ولم ير مكاني فلم يزل أهل كمرجة بذلك، حتى أقبلت جنود العرب، فنزلت فرغانة. فعير خاقان أهل السغد وفرغانة والشاش والدهاقين، وقال لهم: زعمتم أن في هذه خمسين حمارا، وأنا نفتحها في خمسة أيام، فصارت الخمسة الأيام شهرين وشمتهم وأمرهم بالرحلة، فقالوا: ما ندع جهدا، ولكن أحضرنا غدا فانظر، فلما كان من الغد جاء خاقان فوقف، فقام إليه ملك الطاربند، فاستأذنه في القتال والدخول عليهم، قَالَ: لا أرى أن تقاتل في هذا الموضع - وكان خاقان يعظمه - فقال: اجعل لي جارين من جواري العرب، وأنا أخرج عليهم، فأذن له، فقاتل فقتل منهم ثمانية، وجاء حتى وقف على ثلثة وإلى جنب الثلثة بيت فيه خرق يفضي إلى الثلثة، وفي البيت رجل من بني تميم مريض، فرماه بكلوب فتعلق بدرعه، ثم نادى النساء والصبيان، فجذبوه فسقط لوجهه وركبته، ورماه رجل بحجر، فأصاب أصل أذنه فصرع، وطعنه رجل فقتله وجاء شاب أمرد من الترك، فقتله وأخذ سلبه وسيفه، فغلبناهم على جسده - قَالَ: ويقال: إن الذي انتدب لهذا فارس أهل الشاش - فكانوا قد اتخذوا صنعا، وألصقوها بحائط الخندق، فنصبوا قبالة ما اتخذوا أبوابا له، فأقعدوا الرماة وراءها، وفيهم غالب بن المهاجر الطائي عم أبي العباس الطوسي ورجلان، أحدهما شيباني والآخر ناجي، فجاء فاطلع في الخندق، فرماه الناجي فلم يخطئ قصبه انفه، وعليه كاشفوده تبتية، فلم تضره الرمية، ورماه الشيباني وليس يرى منه غير عينيه، فرماه غالب ابن المهاجر، فدخلت النشابة في صدره، فنكس فلم يدخل خاقان شيء أشد منه.

قَالَ: فيقال: إنه إنما قتل الحجاج وأصحابه يومئذ لما دخله من الجزع، وأرسل إلى المسلمين أنه ليس من رأينا أن نرتحل عن مدينة ننزلها دون افتتاحها، أو ترحلهم عنها فقال له كليب بن قنان: وليس من ديننا أن نعطي بأيدينا حتى نقتل، فاصنعوا ما بدا لكم، فرأى الترك أن مقامهم عليهم ضرر، فأعطوهم الأمان على أن يرحل هو وهم عنهم بأهاليهم وأموالهم إلى سمرقند أو الدبوسية، فقال لهم: اختاروا لأنفسكم في خروجكم من هذه المدينة. قَالَ: ورأى أهل كمرجة ما هم فيه من الحصار والشدة، فقالوا:

نشاور أهل سمرقند، فبعثوا غالب بن المهاجر الطائي، فأنحدر في موضع من الوادي، ففضى إلى قصر يسمى فرزاونة، والدهقان الذي بها صديق له، فقال له: إني بعثت إلى سمرقند، فاحملني، فقال: ما أجد دابة إلا بعض دواب خاقان، فإن له في روضة خمسين دابة، نخرجها جميعا إلى تلك الروضة، فأخذ برذونا فركبه، وكان إلفه برذون آخر، فتبعه فأتى سمرقند من ليلته، فأخبرهم بأمرهم، فأشاروا عليه بالدبوسية، وقالوا: هي أقرب، فرجع إلى أصحابه، فأخذوا من الترك رهائن ألا يعرضوا لهم، وسألوهم رجلا من الترك يتقون به مع رجال منهم، فقال لهم الترك: اختاروا من شئتم، فاختاروا كورصول يكون معهم، فكان معهم حتى وصلوا إلى حيث أرادوا. ويقال: إن خاقان لما رأى أنه لا يصل إليهم شتم أصحابه، وأمرهم بالارتحال عنهم، وكلمه المختار بن غوزك وملوك السغد وقالوا: لا تفعل أيها الملك، ولكن أعطهم أمانا يخرجون عنها، ويرون أنك إنما فعلت ذلك بهم من أجل غوزك أنه مع العرب في طاعتها، وأن ابنه المختار طلب إليك في ذلك مخافة على أبيه، فأجابهم إلى ذلك، فسرحت إليهم كورصول يكون معهم، يمنعونهم ممن أرادهم.

قَالَ: فصار الرهن من الترك في أيديهم، وارتحل خاقان، وأظهر أنه يريد سمرقند - وكان الرهن الذي في أيديهم من ملوكهم - فلما ارتحل خاقان - قَالَ كورصول للعرب: ارتحلوا، قالوا: نكره أن نرتحل والترك لم يعضوا، ولا نأمنهم أن يعرضوا لبعض النساء فتحمي العرب فنصير إلى مثل ما كنا فيه من الحرب.

قَالَ: فكف عنهم، حتى مضى خاقان والترك، فلما صلوا الظهر أمرهم

كورصول بالرحلة، وقال: إنما الشدة والموت والخوف حتى تسيروا فرسخين، ثم تصيرون إلى قرى متصلة، فارتحلوا وفي يد الترك من الرهن من العرب نفر، منهم شعيب البكري أو النصري، وسباع بن النعمان وسعيد بن عطية، وفي أيدي العرب من الترك خمسة، قد أردفوا خلف كل رجل من الترك رجلا من العرب معه خنجر، وليس على التركي غير قباء، فساروا بهم.

ثم قال العجم لكورصول: إن الدبوسية فيها عشرة آلاف مقاتل، فلا نأمن أن يخرجوا علينا، فقال لهم العرب: إن قاتلوكم قاتلناهم معكم. فساروا، فلما صار بينهم وبين الدبوسية قدر فرسخ أو أقل نظر أهلها إلى فرسان وبيادقه وجمع فظنوا أن كمرجة قد فتحت، وأن خاقان قصد لهم قال: وقربنا منهم وقد تأهبوا للحرب، فوجه كليب بن قنان رجلا من بني ناجية يقال له الضحاك على بردون يركض، وعلى الدبوسية عقيل بن وراذ السغدني، فأتاهم الضحاك وهم صفوف، فرسان ورجالة، فأخبرهم الخبر، فأقبل أهل الدبوسية يركضون، فحمل من كان يضعف عن المشي ومن كان مجروحا.

ثم إن كليبا أرسل إلى محمد بن كراز ومحمد بن درهم ليعلم سباع ابن النعمان وسعيد بن عطية أنهم قد بلغوا مأمنهم، ثم خلوا عن الرهن، فجعلت العرب ترسل رجلا من الرهن الذين في أيديهم من الترك، وترسل الترك رجلا من الرهن الذين في أيديهم من العرب، حتى بقي سباع بن النعمان في أيدي الترك، ورجل من الترك في أيدي العرب، وجعل كل فريق منهم يخاف على صاحبه الغدر، فقال سباع: خلوا رهينة الترك، نخلوه وبقي سباع في أيديهم، فقال له كورصول: لم فعلت هذا؟ قال: وثقت برأيك في، وقلت: ترفع نفسك عن الغدر في مثل هذا، فوصله وسلحه وحمله على بردون، وورده إلى أصحابه.

قال: وكان حصار كمرجة ثمانية وخمسين يوما، فيقال إنهم لم يسقوا إبلهم خمسة وثلاثين يوما.

٧٠٧٠٣ ذكر رده أهل كردر

قال: وكان خاقان قسم في أصحابه الغنم، فقال: كلوا لحومها واملئوا جلودها ترابا، واكبسوا خندقكم، ففعلوا فكبسوه، فبعث الله عليهم سحابة فطرت، فاحتمل المطر ما ألقوا، فألقاه في النهر الأعظم.

وكان مع أهل كمرجة قوم من الخوارج، فيهم ابن شنج مولى بني ناجية

. ذكر رده أهل كردر

وفي هذه السنة ارتد أهل كردر، فقاتلهم المسلمون وظفروا بهم، وقد كان الترك أعانوا أهل كردر، فوجه أشرس إلى من قرب من كردر من المسلمين ألف رجل رداء لهم، فصاروا إليهم، وقد هزم المسلمون الترك، فظفروا بأهل كردر وقال عرجة الدارمي:

نحن كفينا أهل مرو وغيرهم ... ونحن نفينا الترك عن أهل كردر

فإن تجعلوا ما قد غنمنا لغيرنا ... فقد يظلم المرء الكريم فيصبر

وفي هذه السنة جعل خالد بن عبد الله الصلاة بالبصرة مع الشرطة، والأحداث والقضاء إلى بلال بن أبي بردة، فجمع ذلك كله له، وعزل به ثمانية بن عبد الله بن أنس عن القضاء.

وجع بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل، كذلك قال أبو معشر والواقدي وغيرهما، حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.

وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف إبراهيم بن هشام، وعلى الكوفة والبصرة والعراق كلها خالد بن عبد الله، وعلى خراسان اشرس ابن عبد الله.

٧٠٨ سنه احدى عشره ومائه

٧٠٨٠١ ذكر السبب الذي من اجله عزل هشام اشرس عن خراسان واستعماله الجنيد

ثم دخلت

سنة إحدى عشرة ومائة
(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزوة سعيد بن هشام الصائفة اليمنى حتى أتى قيسارية.

قال الواقدي: غزا سنة إحدى عشرة ومائة على جيش البحر عبد الله بن أبي مريم، وأمر هشام على عامة الناس من أهل الشام ومصر الحكم بن قيس ابن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف.

وفيهما سارت الترك إلى أذربيجان، فلقبهم الحارث بن عمرو فهزمهم.

وفيهما ولي هشام الجراح بن عبد الله الحكمي على أرمينية.

وفيهما عزل هشام أشرس بن عبد الله السلمي عن خراسان، وولاهما الجنيد ابن عبد الرحمن المري.

ذكر السبب الذي من أجله عزل هشام أشرس عن خراسان واستعماله الجنيد

ذكر علي بن محمد، عن أبي الديال، قال: كان سبب عزل أشرس أن شداد بن خالد الباهلي شخص إلى هشام فشكاه، فعزله واستعمل الجنيد بن عبد الرحمن على خراسان سنة إحدى عشرة ومائة.

قال: وكان سبب استعماله إياه أنه أهدى لأم حكيم بنت يحيى بن الحكم امرأة هشام قلادة فيها جوهر، فأعجبت هشاما، فأهدى لهشام قلادة أخرى، فاستعمله على خراسان، وحمله على ثمانية من البريد، فسأله أكثر من تلك الدواب فلم يفعل، فقدم خراسان في خمسمائة-

وأشرس بن عبد الله

يقاتل أهل بخارى والسغد- فسأل عن رجل يسير معه إلى ما وراء النهر، فدل على الخطاب بن محرز السلمي خليفة أشرس، فلما قدم أمل أشار عليه الخطاب أن يقيم ويكتب إلى من يزم ومن حوله، فيقدموا عليه، فأبى وقطع النهر، وأرسل إلى أشرس أن أمدني بخيل، وخاف أن يقطع قبل أن يصل إليه، فوجه إليه أشرس عامر بن مالك الحماني، فلما كان في بعض الطريق عرض له الترك والسغد ليقطعوه قبل أن يصل إلى الجنيد، فدخل عامر حائطا حصينا، فقاتلهم على ثلثة الحائط، ومعه ورد بن زياد بن أدهم بن كلثوم، ابن أخي الأسود بن كلثوم، فرماه رجل من العدو بنشابة، فأصاب عرض منخره، فأنفذ المنخرين، فقال له عامر بن مالك:

يا أبا الزاهرية، كأنك دجاجة مقرق وقتل عظيم من عظماء الترك عند الثلثة، وخاقان على تل خلفه أجمه، فخرج عاصم بن عمير السمرقندي وواصل بن عمرو القيسي في شاكزية، فاستدارا حتى صارا من وراء ذلك الماء، فضموا خشبا وقصبا وما قدروا عليه، حتى اتخذوا رصفا، فعبروا عليه فلم يشعر خاقان إلا بالتكبير، وحمل واصل والشاكزية على العدو فقاتلهم، فقتل تحت واصل بردون، وهزم خاقان وأصحابه.

وخرج عامر بن مالك من الحائط، ومضى إلى الجنيد وهو في سبعة آلاف، فتلقى الجنيد وأقبل معه، وعلى مقدمة الجنيد عمارة بن حريم فلما انتهى إلى فرسخين من بيكند، تلقتة خيل الترك فقاتلهم، فكاد الجنيد أن يهلك ومن معه، ثم أظهره الله، فسار حتى قدم العسكر وظفر الجنيد، وقتل الترك، وزحف إليه خاقان فالتقوا دون زرمان من بلاد سمرقند، وقطن ابن قتيبة على ساقة الجنيد، وواصل في أهل بخارى- وكان ينزلها- فأسر ملك الشاش، وأسر الجنيد من الترك ابن أخي خاقان في هذه الغزاة، فبعث به إلى الخليفة، وكان الجنيد استخلف في غزاته هذه مجشر بن مزاحم على مرو،

وولى سورة بن الحر من بني أبان بن دارم بلخ، وأوفد لما أصاب في وجهه ذلك عمارة بن معاوية العدوي ومحمد بن الجراح العبدي وعبد ربه بن أبي صالح السلمي إلى هشام بن عبد الملك ثم انصرفوا، فتوافقوا بالترمد، فأقاموا بها شهرين.

ثم أتى الجنيد مرو وقد ظفر، فقال خاقان: هذا غلام مترف، هزمني العام وأنا مهلكة في قابل، فاستعمل الجنيد عماله، ولم يستعمل إلا مضريا، استعمل قطن بن قتيبة على بخارى، والوليد بن القعقاع العبسي على هراة، وحبيب بن مرة العبسي على شرطه، وعلى بلخ مسلم بن عبد الرحمن الباهلي وكان نصر بن سيار على بلخ، والذي بينه وبين الباهليين متباعد لما كان بينهم بالبروقان، فأرسل مسلم إلى نصر فصادفوه نائما، فجاءوا به في قيص ليس عليه سراويل، ملبيا، فجعل يضم عليه قيصيه، فاستحيا مسلم، وقال: شيخ من مضر جئتم به

على هذه الحال! ثم عزل الجنيد مسلها عن بلخ، وولاهها يحيى بن ضبيعة، واستعمل على خراج سمرقند شداد بن خالد الباهلي، وكان مع الجنيد السمهري بن قعنب ورجع بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومي، وكان إليه من العمل في هذه السنة ما كان إليه في السنة التي قبلها، وقد ذكرت ذلك قبل.

وكان العامل على العراق خالد بن عبد الله، وعلى خراسان الجنيد بن عبد الرحمن.

٧٠٩ سنة اثنتي عشرة ومائة

٧٠٩٠١ ذكر خبر قتل الجراح الحكمي

ثم دخلت

سنة اثنتي عشرة ومائة

(ذكر ما كان فيها من الأحداث) فما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة فافتتح خرشنة، وحرقت فرندية من ناحية ملطية.

ذكر خبر قتل الجراح الحكمي

وفيها سار الترك من اللان، فلقبهم الجراح بن عبد الله الحكمي فيمن معه من أهل الشام واذريجان، فلم يتنام إليه جيشه، فاستشهد الجراح ومن كان معه بمرج أردبيل، وافتتحت الترك أردبيل، وقد كان استخلف أخاه الحاج بن عبد الله على أرمينية.

ذكر محمد بن عمر أن الترك قتلت الجراح بن عبد الله ببلنجر، وأن هشاما لما بلغه خبره دعا سعيد بن عمرو الحرشي، فقال له: إنه بلغني أن الجراح قد انحاز عن المشركين، قال: كلا يا أمير المؤمنين، الجراح أعرف بالله من أن ينحاز عن العدو، ولكنه قتل، قال: فما الرأي؟ قال:

تبعثني على أربعين دابة من دواب البريد، ثم تبعث إلي كل يوم أربعين دابة عليها أربعون رجلا، ثم اكتب إلى أمراء الأجناد يوافقوني ففعل ذلك هشام.

فذكر أن سعيد بن عمرو أصاب للترك ثلاثة جموع وفودا إلى خاقان بمن أسروا من المسلمين وأهل الذمة، فاستنقذ الحرشي ما أصابوا وأكثروا القتل فيهم.

وذكر علي بن محمد أن الجنيد بن عبد الرحمن قال في بعض ليالي حربه الترك بالشعب: ليلة كيلة الجراح ويوم كيومه، فقيل له: أصلحك الله!

٧٠٩٠٢ ذكر وقعه الجنيد مع الترك

إن الجراح سير إليه فقتل أهل الحجي والحفاظ، فجنى عليه الليل، فأنسل الناس من تحت الليل إلى مدائن لهم بأذريجان، وأصبح الجراح في قلة فقتل.

وفي هذه السنة وجه هشام أخاه مسلمة بن عبد الملك في أثر الترك فسار في شتاء شديد البرد والمطر والثلوج فطلبهم - فيما ذكر - حتى جاز الباب في آثارهم، وخلف الحارث بن عمرو الطائي بالباب.

ذكر وقعه الجنيد مع الترك

وفي هذه السنة كانت وقعة الجنيد مع الترك ورئيسهم خاقان بالشعب.

وفيها قتل سورة بن الحر، وقد قيل إن هذه الوقعة كانت في سنة ثلاث عشرة ومائة.

ذكر الخبر عن هذه الوقعة وما كان سببها وكيف كانت:

ذكر علي بن محمد عن أشياخه أن الجنيد بن عبد الرحمن خرج غازيا في سنة اثنتي عشرة ومائة يريد طخارستان، فنزل على نهر بلخ، ووجه عمارة ابن حريم إلى طخارستان في ثمانية عشر ألفا وإبراهيم بن بسام الليثي في عشرة آلاف في وجه آخر، وجاشت الترك فأتوا سمرقند،

وعليها سورة بن الحر، أحد بني أبان بن دارم، فكتب سورة إلى الجنيد: إن خاقان جاش بالترك، نخرجت إليهم فما قدرت أن أمنع حائط سمرقند، فالغوث! فأمر الجنيد الناس بالعبور، فقام إليه المجشر بن مزاحم السلمي وابن بسطام الأزدي وابن صبح الخرق، فقالوا: إن الترك ليسوا كغيرهم، لا يلقونك صفا ولا زحفا، وقد فرقت جندك، فسلم بن عبد الرحمن بالنيروذ، والبختري بهراة، ولم يحضر أهل الطالقان، وعمارة بن حريم غائب وقال له المجشر: إن صاحب خراسان لا يعبر النهر في أقل من خمسين ألفا، فاكتب إلى عمارة فليأتك، وامهل ولا تعجل، قال: فكيف بسورة ومن معه من المسلمين! لو لم أكن إلا في بني مرة، أو من طلع معي من أهل الشام لعبرت وقال:

أليس أحق الناس أن يشهد الوغى ... وإن يقتل الأبطال ضخم. على ضخم وقال:

ما علي ما علي ما علي! ... إن لم أقاتلهم فجزوا لمي

قال: وعبر فنزل كس، وقد بعث الأشهب بن عبيد الحنظلي ليعلم علم القوم، فرجع إليه وقال: قد أتوك فتأهب للمسير. وبلغ الترك فعوروا الآبار التي في طريق كس وما فيه من الركيا، فقال الجنيد: أي الطريقين إلى سمرقند أمثل؟ قالوا: طريق المحترقة. قال المجشر بن مزاحم السلمي: القتل بالسيف أمثل من القتل بالنار، إن طريق المحترقة فيه الشجر والحشيش ولم يزرع منذ سنين، فقد تراكم بعضه على بعض، فإن لقيت خاقان أحرق ذلك كله، فقتلنا بالنار والدخان، ولكن خذ طريق العقبة، فهو بيننا وبينهم سواء. فأخذ الجنيد طريق العقبة، فارتقى في الجبل، فأخذ المجشر بعنان دابته، وقال: إنه كان يقال: إن رجلا من قيس مترفا يهلك علي يديه جند من جنود خراسان، وقد خفنا أن تكونه قال: أفرخ روعك، فقال المجشر: أما إذا كان بيننا مثلك فلا يفرخ فبات في أصل العقبة، ثم ارتحل حين أصبح، فصار الجنيد بين مرتحل ومقيم، فتلقى فارسا، فقال:

ما اسمك؟ فقال: حرب، قال: ابن من؟ قال: ابن محربة، قال: من بني من؟ قال: من بني حنظلة، قال: سلط الله عليك الحرب والحرب والكلب ومضى بالناس حتى دخل الشعب وبينه وبين مدينة سمرقند أربعة فراسخ، فصبحه خاقان في جمع عظيم، وزحف إليه أهل السغد والشاش وفرغانة وطائفة من الترك قال: فحمل خاقان على مقدمه وعليها عثمان

ابن عبد الله بن الشخير، فرجعوا إلى العسكر والترك تتبعهم، وجاءهم من كل وجه، وقد كان الإخريد قال للجنيد: رد الناس إلى العسكر، فقد جاءك جمع كثير، فطلع أوائل العدو والناس يتغدون، فرآهم عبيد الله بن زهير بن حيان، فكره أن يعلم الناس حتى يفرغوا من غنائهم، والتفت أبو الذيال، فرآهم، فقال: العدو! فركب الناس إلى الجنيد، فصر تميما والأزد في الميمنة وربيعة في الميسرة مما يلي الجبل، وعلى مجففة خيل بني تميم عبيد الله بن زهير بن حيان، وعلى المجردة عمر- أو عمرو- بن جرفاس بن عبد الرحمن بن شقران المنقري، وعلى جماعه بني تميم عامر ابن مالك الحماني، وعلى الأزد عبد الله بن بسطام بن مسعود بن عمرو المعني، وعلى خيلهم: المجففة والمجردة فضيل بن هناد وعبد الله بن حوزان، أحدهما على المجففة، والآخر على المجردة- ويقال: بل كان بشر بن حوزان أخو عبد الله بن حوزان الجهضمي- فالتقوا وربيعة مما يلي الجبل في مكان ضيق، فلم يقدم عليهم أحد، وقصد العدو للميمنة وفيها تميم والأزد في موضع واسع فيه مجال للخيال فترجل حيان بن عبيد الله بن زهير بين يدي أبيه، ودفع برذونه إلى أخيه عبد الملك، فقال له أبوه: يا حيان، انطلق إلى أخيك فإنه حدث وأخاف عليه فأبي، فقال: يا بني، إنك إن قتلت على حالك هذه قتلت عاصيا فرجع إلى الموضع الذي خلف فيه أخاه والبرذون، فإذا أخوه قد لحق بالعسكر، وقد شد البرذون، فقطع حيان مقوده وركبه، فأتى العدو، فإذا العدو قد أحاط بالموضع الذي خلف فيه أباه وأصحابه، فأمدهم الجنيد بنصر بن سيار في سبعة معه، فيهم جميل بن غزوان العدوي، فدخل عبيد الله بن زهير معهم، وشدوا على العدو فكشفوهم ثم كروا عليهم، فقتلوا جميعا، فلم يفلت منهم أحد ممن كان في ذلك الموضع، وقتل عبيد الله بن زهير وابن حوزان وابن جرفاس والفضيل بن هناد.

وجالت الميمنة والجنيد واقف في القلب، فأقبل إلى الميمنة، فوقف تحت

راية الأزد- وقد كان جفاهم- فقال له صاحب راية الأزد: ما جئنا لتحبونا ولا لتكرمنا، ولكنك قد علمت أنه لا يوصل إليك ومنا

رجل حي، فإن ظفرنا كان لك، وإن هلكا لم تبك علينا ولعمري لئن ظفرنا وبقيت لا أكلمك كلمة أبدا وتقدم فقتل وأخذ الراية ابن مجاعة فقتل، فتداول الراية ثمانية عشر رجلا منهم فقتلوا، فقتل يومئذ ثمانون رجلا من الأزد.

قَالَ: وصبر الناس يقاتلون حتى أعيوا، فكانت السيوف لا تحيك ولا تقطع شيئا، فقطع عبيدهم الخشب يقاتلون به، حتى مل الفريقان فكانت المعانقة، فتحاجزوا، فقتل من الأزد حمزة بن مجاعة العتيكي ومحمد بن عبد الله بن حوذان الجهمي، وعبد الله بن بسطام المعني واخوه زعيم والحسن ابن شيخ والفضيل الحارثي - وهو صاحب الخيل - ويزيد بن المفضل الحداني، وكان حج فأنفق في حجة ثمانين ومائة ألف، فقال لأمه وحشية: ادعي الله أن يرزقني الشهادة، فدعت له، وغشي عليه، فاستشهد بعد مقدمه من الحج بثلاثة عشر يوما، وقاتل معه عبدان له، وقد كان أمرهما بالانصراف فقتلا، فاستشهدا.

قَالَ: وكان يزيد بن المفضل حمل يوم الشعب على مائة بعير سويقا للمسلمين، فجعل يسأل عن الناس، ولا يسأل عن أحد إلا قيل له: قد قتل،.

فاستقدم وهو يقول: لا إله إلا الله، فقاتل حتى قتل وقاتل يومئذ محمد بن عبد الله بن حوذان وهو على فرس أشقر، عليه تجفاف مذهب، فحمل سبع مرات يقتل في كل حملة رجلا، ثم رجع إلى موقفه، فهابه من كان في ناحيته، فناداه ترجمان للعدو: يقول لك الملك: لا تقبل وتحول إلينا، فنرفض صمنا الذي نعبده ونعبدك، فقال محمد: أنا أقاتلكم لتتركوا عبادة الأصنام وتعبدوا الله وحده فقاتل واستشهد.

وقتل جشم بن قرط الهلالي من بني الحارث، وقتل النضر بن راشد العبدي، وكان دخل على امرأته والناس يقتتلون، فقال لها: كيف أنت إذا أتيت بأبي ضمرة في لبد مضرجا بالدماء؟ فشقت جيها ودعت بالويل،

٧٠٩٠٣ ذكر الخبر عن مقتل سورة بن الحر

فقال: حسبك، لو أعولت علي كل أنثى لعصيتها شوقا إلى الحور العين، ورجع فقاتل حتى استشهد رحمه الله قَالَ: فبينما الناس كذلك إذ أقبل رهم، فطلعت فرسان، فنادى منادي الجنيد: الأرض، الأرض! فترجل وترجل الناس، ثم نادى منادي الجنيد: ليخندق كل قائد على حياله، فنخندق الناس قَالَ: ونظر الجنيد إلى عبد الرحمن بن مكية يحمل على العدو، فقال: ما هذا الخروطوم السائل؟ قيل له: هذا ابن مكية، قَالَ: ألسان البقرة! لله دره أي رجل هو! وتحاجزوا، وأصيب من الأزد مائة وتسعون.

وكانوا لقوا خاقان يوم الجمعة، فأرسل الجنيد إلى عبد الله بن معمر بن سمير اليشكري أن يقف في الناحية التي تلي كس ويحبس من مر به، ويحوز الأثقال والرجالة، وجاءت الموالي رجالة، ليس فيهم غير فارس واحد والعدو يتبعونهم، فثبت عبد الله بن معمر للعدو، فاستشهد في رجال من بكر، وأصبحوا يوم السبت، فأقبل خاقان نصف النهار، فلم ير موضعا للقتال فيه أيسر من موضع بكر بن وائل، وعليهم زياد بن الحارث، فقصدهم، فقالت بكر لزياد: القوم قد كثرونا، نخل عنا نحمل عليهم قبل أن يحملوا علينا، فقال لهم: قد مارس سبعين سنة، إنكم إن حملتم عليهم فصعدتم انهزمت، ولكن دعوهم حتى يقربوا ففعلوا، فلما قربوا منهم حملوا عليهم فأفروا لهم، فسجد الجنيد، وقال خاقان يومئذ: إن العرب إذا أخرجوا استقتلوا، نخلوهم حتى يخرجوا، ولا تعرضوا لهم، فإنكم لا تقومون لهم وخرج جوار للجنيد يولون، فانتدب رجال من أهل الشام، فقالوا: الله الله يا أهل خراسان! إلى أين؟ وقال الجنيد: ليلة كيلة الجراح، ويوم كيومه.

ذكر الخبر عن مقتل سورة بن الحر

وفي هذه السنة قتل سورة بن الحر التميمي

ذكر الخبر عن مقتله:

ذكر علي عن شيوخه، أن عبيد الله بن حبيب قَالَ للجنيد: اختر بين أن تهلك أنت أو سورة، فقال: هلاك سورة أهون علي، قَالَ: فاكتب إليه فليأتك في أهل سمرقند، فإن الترك إن بلغهم أن سورة قد توجه إليك انصرفوا إليه فقاتلوه فكتب إلى سورة يأمره بالقدوم - وقيل: كتب أغني - فقال عبادة بن السليل المحاربي أبو الحكم بن عبادة لسورة: انظر أبرد بيت بسمرقند فم فيه، فإنك إن خرجت لا

تبالي أنخط عليك الأمير أم رضي وقال له حليس بن غالب الشيباني: إن الترك بينك وبين الجنيد، فإن خرجت كروا عليك فاخطفوك فكتب إلى الجنيد: إني لا أقدر على الخروج، فكتب إليه الجنيد:

يا بن اللخاء، تخرج وإلا وجهت إليك شداد بن خالد الباهلي - وكان له عدوا- فأقدم وضع فلانا بفرخشاذ في نحسمائة ناشب، والزم الماء فلا تفارقه فأجمع على المسير، فقال الوجف بن خالد العبدى: إنك لمهلك نفسك والعرب بمسيرك، ومهلك من معك، قال: لا يخرج حملي من التنور حتى اسير، فقال له عباده وحليس: اما إذ أبيت إلا المسير نخذ على النهر، فقال: أنا لا أصل إليه على النهر في يومين، ويبنى وبينه من هذا الوجه ليلة فاصبحه، فإذا سكنت الزجل سرت فأعبره فجاءت عيون الأتراك فأخبروهم، وأمر سورة بالرحيل، واستخلف على سمرقند موسى بن أسود، أحد بني ربيعة بن حنظلة، وخرج في اثني عشر ألفا، فأصبح على رأس جبل، وإنما دله على ذلك الطريق عالج يسمى كارتقبد، فتلقيه خاقان حين أصبح وقد سار ثلاثة فرائخ، وبينه وبين الجنيد فرسخ: فقال أبو الذيال: قاتلهم.

في ارض خواره، فصبر وصبروا حتى اشتد الحر وقال بعضهم: قال له غوزك: يومك يوم حار فلا تقاتلهم حتى تحمى عليهم الشمس وعليهم السلاح ثقلهم فلم يقاتلهم خاقان، وأخذ برأي غوزك، وأشعل النار في الحشيش، وواقفهم وحال بينهم وبين الماء، فقال سورة لعبادة: ما ترى يا أبا السليل؟ قال: أرى والله أنه ليس من الترك أحد إلا وهو يريد الغنيمة، فاعقر هذه الدواب وأحرق هذا المتاع، وجرّد السيف، فإنهم يخلون لنا الطريق قال أبو الذيال: فقال سورة لعبادة: ما الرأي؟

قال: تركت الرأي، قال: فما ترى الآن؟ قال: أن ننزل فنشرع الرماح، ونزحف زحفا، فإنما هو فرسخ حتى نصل إلى العسكر، قال: لا أقوى على هذا، ولا يقوى فلان وفلان وعدد رجالا، ولكن أرى أن أجمع الخيل ومن أرى أنه يقاتل فأصحبهم، سلبت أم عطبت، فجمع الناس وحملوا فانكشفت الترك، وثار الغبار فلم يبصروا، ومن وراء الترك اللهب، فسقطوا فيه، وسقط فيه العدو والمسلمون، وسقط سورة فاندقت نخذه، وتفرق الناس، وانكشفت الغمة والناس متفرقون، فقطعتهم الترك، فقتلوهم فلم ينج منهم غير ألفين - ويقال: ألف - وكان ممن نجا عاصم بن عمير السمرقندي، عرفه رجل من الترك فأجاره، واستشهد حليس بن غالب الشيباني، فقال رجل من العرب: الحمد لله، استشهد حليس، ولقد رأيته يرمي البيت أيام الحجاج ويقول: دري عقاب، بلبن وأخشاب، وامراه قائمة، فكلها رمي بحجر قالت المرأة: يا رب بي ولا بيتك! ثم رزق الشهادة.

وانحاز المهلب بن زياد العجلي في سبعمائة ومعه قريش بن عبد الله العبدى إلى رستاق يسمى المرغاب، فقاتلوا أهل قصر من قصورهم، فأصيب المهلب بن زياد، وولوا أمرهم الوجف بن خالد، ثم اتاهم الإشكند صاحب NSF في خيل ومعه غوزك، فقال غوزك: يا وجف، لكم الأمان، فقال

قريش: لا تثقوا بهم، ولكن إذا جننا الليل خرجنا عليهم حتى نأتي سمرقند، فإننا إن أصبحنا معهم قتلونا. قال: فعصوه وأقاموا، فساقوهم إلى خاقان، فقال: لا أجيز أمان غوزك، فقال غوزك للوجف: أنا عبد لخاقان من شاكرتيه، قالوا: فلم غرزننا؟ فقاتلهم الوجف وأصحابه، فقتلوا غير سبعة عشر رجلا دخلوا الحائط وأمسوا، فقطع المشركون شجرة فألقوها على ثلثة الحائط، فجاء قريش بن عبد الله العبدى إلى الشجرة فرمى بها، وخرج في ثلاثة فباتوا في ناوس فكنوا فيه وجبن الآخرون فلم يخرجوا، فقتلوا حين أصبحوا.

وقتل سورة، فلما قتل خرج الجنيد من الشعب يريد سمرقند مبادرا، فقال له خالد بن عبيد الله بن حبيب: سر سر، ومجشر بن مزاحم السلي يقول: أذكرك الله أقم، والجنيد يتقدم، فلما رأى المجشر ذلك نزل فأخذ بلجام الجنيد، فقال: والله لا تسير ولتنزلن طائعا أو كارها، ولا ندعك تهلكا بقول هذا الهجري، انزل فنزل ونزل الناس فلم يتنام نزولهم حتى طلع الترك، فقال المجشر: لو لقونا ونحن نسير، ألم يستأصلونا! فلما أصبحوا تناهضوا، فانكشفت طائفة، وجال الناس، فقال الجنيد: أيها الناس، إنها النار، فتراجعوا وأمر الجنيد رجلا فنادى: أي عبد قاتل فهو حر، فقاتل العبيد قتالا شديدا عجب الناس منه، جعل أحدهم يأخذ اللبد فيجوبه ويجعله في عنقه، يتوق به

فسر الناس بما رأوا من صبرهم، فكر العدو، وصبر الناس حتى انهزم العدو ففضوا، فقال موسى بن النعمان للناس: أتفرحون بما رأيتم من العبيد! والله إن لكم منهم ليوماً أرونان ومضى الجنيد فأخذ العدو رجلاً من عبد القيس فكتفوه، وعلقوا في عنقه رأس بلعاء العنبري بن مجاهد بن بلعاء، فلقه الناس فأخذ بنو تميم الرأس فدفنوه، ومضى الجنيد إلى سمرقند، فحمل

عيال من كان مع سورة إلى مرو، وأقام بالسغد أربعة أشهر، وكان صاحب رأي خراسان في الحرب المجشر بن مزاحم السلمي وعبد الرحمن بن صبح الخرق وعبيد الله بن حبيب الهجري، وكان المجشر ينزل الناس على راياتهم، ويضع المسالحي ليس لأحد مثل رايه في ذلك، وكان عبد الرحمن بن صبح إذا نزل الأمر العظيم في الحرب لم يكن لأحد مثل رايه، وكان عبيد الله بن حبيب على تعبته القتال، وكان رجال من الموالي مثل هؤلاء في الرأي والمشورة والعلم بالحرب، فنهض الفضل بن بسام مولى بني ليث وعبد الله بن أبي عبد الله مولى بني سليم والبختري بن مجاهد مولى بني شيان قال: فلما انصرف الترك إلى بلادهم بعث الجنيد سيف بن وصاف العجلي من سمرقند إلى هشام، فخب عن السير وخاف الطريق، فاستعفاه فأعفاه، وبعث نهار بن توسعة أحد بني تميم اللات وزميل بن سويد المري، مرة غطفان، وكتب إلى هشام: أن سورة عصاني، أمرته بلزوم الماء فلم يفعل، فتفرق عنه أصحابه، فأثني طائفة إلى كس، وطائفة إلى نسف، وطائفة إلى سمرقند، وأصيب سورة في بقية أصحابه.

قال: فدعا هشام نهار بن توسعة، فسأله عن الخبر فأخبره بما شهد، فقال نهار بن توسعة:

لعمرك ما حايبتني إذ بعثتني ... ولكنما عرضتني للمتالف

دعوت لها قوماً فهابوا ركوبها ... وكنت امرأ ركابة للمخاوف

فأيقنت إن لم يدفع الله أني ... طعام سباع أو لطير عوائف

قرين عراك وهو أيسر هالك ... عليك وقد زملته بصحائف

فإني وإن آثرت منه قرابة ... لأعظم حظاً في حباء الخلائف

على عهد عثمان وفدنا وقبله ... وكأ أولي مجد تلبد وطارف

قال: وكان عراك معهم في الوفد، وهو ابن عم الجنيد، فكتب إلى الجنيد: قد وجهت إليك عشرين ألفاً مدداً، عشرة آلاف من أهل البصرة عليهم عمرو بن مسلم، ومن أهل الكوفة عشرة آلاف عليهم عبد الرحمن

ابن نعيم، ومن السلاح ثلاثين ألف رمح ومثلها ترسة، فافرض فلا غاية لك في الفريضة لخمس عشرة ألفاً.

قال: ويقال أن الجنيد أوفد الوفد إلى خالد بن عبد الله، فأوفد خالد إلى هشام: أن سورة بن الحر خرج يتصيد مع أصحاب له فهجم عليهم الترك، فأصيبوا فقال هشام حين أتاه مصاب سورة: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! مصاب سورة بن الحر بخراسان والجراح بالباب! وأبلى نصر بن سيار يومئذ بلاء حسناً، فانقطع سيفه، وانقطع سيور ركابه، فأخذ سيور ركابه، فضرب به رجلاً حتى أثخنه، وسقط في اللهب مع سورة يومئذ عبد الكريم ابن عبد الرحمن الحنفي وأحد عشر رجلاً معه وكان ممن سلم من أصحاب سورة ألف رجل، فقال عبد الله بن حاتم بن النعمان: رأيت فساطيط مبنية بين السماء والأرض، فقلت: لمن هذه؟ فقالوا: لعبد الله بن بسطام وأصحابه، فقتلوا من غداً، فقال رجل: مررت في ذلك الموضع بعد ذلك بحين فوجدت رائحة المسك ساطعة قال: ولم يشكر الجنيد لنصر ما كان من بلائه، فقال نصر:

إن تحسدوني على حسن البلاء لكم ... يوماً، فثل بلائي جري الحسدا

يأبى الإله الذي أعلى بقدرته ... كعبي عليكم وأعطى فوقكم عضدا

وضربي الترك عنكم يوم فرقكم ... بالسيف في الشعب حتى جاوز السندا

قال: وكان الجنيد يوم الشعب أخذ في الشعب، وهو لا يرى أن أحداً يأتيه من الجبال، وبعث ابن الشخير في مقدمته، واتخذ ساقية، ولم يتخذ مجنبتين.

وأقبل خاقان فهزم المقدمة، وقتل من قتل منهم، وجاءه خاقان من قبل ميسرته وجبغويه من قبل الميمنة، فأصيب رجال من الأزد

وتميم، وأصابوا له سرادقات وأبنية، فأمر الجنيد حين أمسى رجلا من أهل بيته، فقال له: امش في الصفوف والدراجة، وتسمع ما يقول الناس، وكيف حالهم، ففعل ثم رجع إليه، فقال: رأيته طيبة أنفسهم، يتناشدون الأشعار، ويقرءون القرآن، فسر ذلك، وحمد الله. قال: ويقال نهضت العبيد يوم الشعب من جانب العسكر وقد أقبلت الترك والسغد يخدرون، فاستقبلهم العبيد وشدوا عليهم بالعمد، فقتلوا منهم تسعة، فأعطاهم الجنيد أسلحتهم. وقال ابن السجف في يوم الشعب، ويعني هشاما: اذكر يتامى بأرض الترك ضائعة ... هزلى كأنهم في الحائط الحجل وارحم، وإلا فهبها أمة دمرت ... لا أنفس بقيت فيها ولا ثقل لا تأملن بقاء الدهر بعدهم ... والمرء ما عاش ممدود له الأمل لا قوا كئائب من خاقان معلمة ... عنهم يضيق فضاء السهل والجبل لما رأوهم قليلا لا صريح لهم ... مدوا بأيديهم لله وابتهلوا ويابعوا رب موسى بيعة صدقت ... ما في قلوبهم شك ولا دغل قال: فأقام الجنيد بسمرقند ذلك العام، وانصرف خاقان إلى بخارى وعليها قطن بن قتيبة، نخاف الناس الترك على قطن، فشاورهم الجنيد، فقال قوم: الزم سمرقند، واكتب إلى أمير المؤمنين يمدك بالجنود وقال قوم: تسير فتأتي ربجن، ثم تسير منها إلى كس، ثم تسير منها إلى نسف، فتتصل منها إلى أرض زم، وتقطع النهر وتنزل آمل، فتأخذ عليه بالطريق. فبعث إلى عبد الله بن أبي عبد الله، فقال: قد اختلف الناس علي- وأخبره بما قالوا- فما الرأي؟ فاشتراط عليه ألا يخالفه فيما يشير به عليه من ارتحال أو نزول أو قتال، قال: نعم، قال: فإني أطلب إليك خصالا، قال: وما هي؟ قال: تحندق حيثما نزلت، ولا يفوتك حمل الماء ولو كنت على شاطئ نهر، وأن تطيعني في نزولك وارتحالك فأعطاه ما اراد. قال: اما ما اشار به عليك في مقامك بسمرقند حتى يأتيك الغياث، فالغياث يبطن عنك، وإن سرت فأخذت بالناس غير الطريق فتت في أعضادهم، فانكسروا عن عدوهم، فاجترأ عليك خاقان، وهو اليوم قد استفتح بخارى فلم يفتحوا له، فإن أخذت بهم غير الطريق تفرق الناس عنك مبادرين إلى منازلهم، ويبلغ أهل بخارى فيستسلموا لعدوهم، وإن أخذت الطريق الأعظم هابك العدو، والرأي لك أن تعمد إلى عيالات من شهد الشعب من أصحاب سورة فتقسمهم على عشائهم وتحملهم معك، فإني أرجو بذلك أن ينصرك الله على عدوك، وتعطي كل رجل تخلف بسمرقند ألف درهم وفرسا. قال: فأخذ برأيه، فخلف في سمرقند عثمان بن عبد الله بن الشخير في ثمانمائة: أربعمائة فارس وأربعمئة راجل، وأعطاهم سلاحا فشم الناس عبد الله بن أبي عبد الله مولى بني سليم، وقالوا: عرضنا لخاقان والترك، ما أراد إلا هلاكنا! فقال عبيد الله بن حبيب لحرب بن صبح: كم كانت لكم الساقه اليوم؟ قال: الف وستمائه، قال: لقد عرضنا للهلاك قال: فأمر الجنيد بحمل العيال. قال: وخرج والناس معه، وعلى طلائعه الوليد بن القعقاع العبسي وزياد ابن خيران الطائي، فسرح الجنيد الأشهب بن عبيد الحنظلي، ومعه عشرة من طلائع الجند، وقال له: كلما مضيت مرحلة فسرح إلي رجلا يعلمني الخبر. قال: وسار الجنيد، فلما صار بقصر الريح أخذ عطاء الدبوسي بلجام الجنيد وكبحه، فقرع رأسه هارون الشاشي مولى بني حازم بالرح حتى كسره على رأسه، فقال الجنيد لهارون: خل عن الدبوسي، وقال له: ما لك يا دبوسي؟ فقال: انظر أضعف شيخ في عسكرك فسلحه سلاحا تاما، وقلده سيفا وجعبة وترسا، وأعطه رحما، ثم سر بنا على قدر مشيه، فإننا لا نقدر على السوق والقتال وسرعة السير ونحن رجالة ففعل ذلك الجنيد،

فلم يعرض للناس عارض حتى خرجوا من الأماكن المخوفة، ودنا من الطواويس، فجاءتنا الطلائع بإقبال خاقان، فعرضوا له بكرمينية، أول يوم من رمضان.

فلما ارتحل الجنيد من كرمينية قدم محمد بن الرندي في الأساورة آخر الليل، فلما كان في طرف مفازة كرمينية رأى ضعف العدو، فرجع إلى الجنيد فأخبره، فنادى منادي الجنيد: ألا يخرج المكتوبون إلى عدوهم؟ نفرج الناس، ونشبت الحرب، فنادى رجل: أيها الناس، صرتم حرورية فاستقتلتم وجاء عبد الله بن أبي عبد الله إلى الجنيد يضحك، فقال له الجنيد: ما هذا يوم ضحك! فقيل له: إنه ضحك تعجبا، فالحمد لله الذي لم يلقك هؤلاء إلا في جبال معطشة، فهم على ظهر وأنت مخندق آخر النهار، كالين وأنت معك الزاد، فقاتلوا قليلا ثم رجعوا وكان عبد الله بن أبي عبد الله قال للجنيد وهم يقاتلون: ارتحل، فقال الجنيد: وهل من حيلة؟ قال: نعم، تمضي برايتك قدر ثلاث غلاء، فإن خاقان ود أنك أقت فينطوي عليك إذا شاء فأمر بالرحيل وعبد الله بن أبي عبد الله على الساقة.

فأرسل إليه: انزل، قال: أنزل على غير ماء! فأرسل إليه: إن لم تنزل ذهبت خراسان من يدك، فنزل وأمر الناس أن يسقوا، فذهب الناس الرجالة والناشبة، وهم صفان، فاستقوا وابتوا، فلما أصبحوا ارتحلوا، فقال عبد الله ابن أبي عبد الله: إنكم معشر العرب أربعة جوانب، فليس يعيب بعضهم بعضا، كل ربع لا يقدر أن يزول عن مكانه: مقدمة- وهم القلب- ومجنبتان وساقة، فإن جمع خاقان خيله ورجاله ثم صدم جانبا منكم- وهم الساقة- كان بواركم، وبالبحري أن يفعل، وأنا أتوقع ذلك في يومي، فشددوا الساقة بخيل فوجه الجنيد خيل بني تميم والجحففة، وجاءت الترك فالت على الساقة، وقد دنا المسلمون من الطواويس فاقتتلوا، فاشتد الأمر بينهم، فحمل سلم بن أحوز على رجل من عظماء الترك فقتله قال: فتطير الترك، وانصرفوا من الطواويس، ومضى المسلمون، فأتوا بخارى يوم المهرجان قال: فتلقونا بدرهم بخارية، فأعطاهم عشرة عشرة، فقال عبد المؤمن بن خالد: رأيت عبد الله بن أبي عبد الله بعد وفاته في المنام، فقال: حدث الناس عني برأيي يوم الشعب.

قال: وكان الجنيد يذكر خالد بن عبد الله، ويقول: ربذة من الربد، صنبور ابن صنبور، قل ابن قل، هيفة من الهيف- وزعم أن الهيفة الضبع، والعجرة الخنزيرة، والقل: الفرد- قال: وقدمت الجنود مع عمرو بن مسلم الباهلي في أهل البصره وعبد الرحمن بن نعيم الغامدي في أهل الكوفة وهو بالصغانيان، فسرّح معهم الحوثة بن يزيد العنبري فيمن انتدب معه من التجار وغيرهم، وأمرهم أن يحملوا ذراري أهل سمرقند، ويدعوا فيها المقاتلة ففعلوا قال أبو جعفر: وقد قيل: إن وقعة الشعب بين الجنيد وخاقان كانت في سنة ثلاث عشرة ومائة.

وقال نصر بن سيار يذكر يوم الشعب وقتال العبيد:

إني نشأت وحسادي ذوو عدد ... يا ذا المعارج لا تنقص لهم عددا

إن تحسدوني على مثل البلاء لكم ... يوما فثل بلائي جري الحسدا

يا أبي الإله الذي أعلى بقدرته ... كعبي عليكم وأعطى فوقكم عددا

أرمني العدو بأفراس مكلمة ... حتى اتخذن على حسادهن يدا

من ذا الذي منكم في الشعب إذ وردوا ... لم يتخذ حومة الأثقال معتمدا!

فما حفظتم من الله الوصاة ولا ... أتم بصبر طلبتم حسن ما وعدا

ولا نهاكم عن التوثاب في عتب ... إلا العبيد بضرب يكسر العمدا

هلا شكرتم دفاعي عن جنيد كم ... وقع القنا وشهاب الحرب قد وقدا!

وقال ابن عرس العبدى، يمدح نصرا يوم الشعب ويذم الجنيد، لأن نصرا أبلى يومئذ:

يا نصر أنت فتى نزار كلها ... فلك المآثر والفعال الأرفع

فرجت عن كل القبائل كربة ... بالشعب حين تخاضعوا وتضعضوا

يوم الجنيد إذ القنا متشاجر ... والنحر دام والخوافق تلمع
ما زلت ترميهم بنفس حرة ... حتى تفرج جمعهم وتصدعوا
فالناس كل بعدها عتقاؤكم ... ولك المكارم والمعالى أجمع
وقال الشرعي الطائي:

تذكرت هنداً في بلاد غريبة ... فيا لك شوقاً، هل لشملك مجمع!
تذكرتها والشاش بيني وبينها ... وشعب عصام والمنايا تطلع
بلاد بها خاقان جم زحوفه ... ونيلان في سبعين ألفاً مقنع
إذا دب خاقان وسارت جنوده ... أثنتنا المنايا عند ذلك شرع
هنالك - هند - ما لنا النصف منهم ... وما إن لنا يا هند في القوم مطمع
ألا رب خود خدلة قد رايتها ... يسوق جهم من السغد أصمع
أحامي عليها حين ولى خليلها ... تنادي إليها المسلمين فتسمع
تنادي بأعلى صوتها صف قومها ... ألا رجل منكم يغار فيرجع!
ألا رجل منكم كريم يردني ... يرى الموت في بعض المواطن ينفع!
فما جاوبوها غير أن نصيفها ... بكف الفتى بين البرازيق أشنع
إلى الله أشكو نبوة في قلوبها ... ورعباً ملا أجوافها يتوسع
فمن مبلغ عني ألوكا صحيفة ... إلى خالد من قبل أن تنزع
بأن بقاينا وأن أميرنا ... إذا ما عددناه الذليل الموقع
هم أطمعوا خاقان فينا وجنده ... ألا ليتنا كنا هشيماً يزعرع

وقال ابن عرس - واسمه خالد بن المارك من بني غنم بن وديعة بن لكيز بن أفصى وذكر علي بن محمد عن شيخ من عبد القيس أن
أمه كانت أمة، فباعه أخوه تميم بن معارك من عمرو بن لقيط أحد بني عامر بن الحارث، فاعتقه عمرو لما حضرته الوفاة، فقال: يا أبا
يعقوب، كم لي عندك من المال؟ قال: ثمانون ألفاً، قال: أنت حر وما في يدك لك قال: فكان عمرو ينزل مرو الروذ، وقد اقتتلت عبد
القيس في ابن عرس، فردوه إلى قومه، فقال ابن عرس للجنيد:

أين حماة الحرب من معشر ... كانوا جمال المنسر الحارذ!
بادوا بأجال توافوا لها ... والعائر الممهل كالبائد
فالعين تجرى دمعها مسبلاً ... ما لدموع العين من ذائد
انظر ترى للبيت من رجعة ... أم هل ترى في الدهر من خالد!

كما قد يمتنى بأسنا ... ونдрأ الصادر بالوارد
حتى منينا بالذي شامنا ... من بعد عز ناصر آند
كعافر الناقة لا ينثني ... مبتدئاً ذي حنق جاهد
فتقت ما لم يلتئم صدعه ... بالمحفل المحتشد الزائد
تبكي لها إن كشفت ساقها ... جدعا وعقرا لك من قائد!

تركنتنا أجزاء معبوبة ... يقسمها الجازر للناهد
ترقت الأسياف مسلولة ... تزيل بين العضد والساعد
تساقط الهامات من وقعها ... بين جناحي مبرق راعد
إذ أنت كالطفله في خدرها ... لم تدريوما كيدة الكائد
إن أناس حربنا صعبة ... تعصف بالقائم والقاعد

أُضْحَتْ سمرقند وأشياعها ... أحدىثة الغائب والشاهد

٧٠٩٠٤ أخبار متفرقة

وكم ثوى في الشعب من حازم ... جلد القوى ذي مرة ماجد
يستنجد انلطب ويغشى الوغى ... لا هائب غس ولا ناك
ليتك يوم الشعب في حفرة ... مرموسة بالمدر الجامد
تلعب بك الحرب وأبناؤها ... لعب صقور بقطا وارد
طار لها قلبك من خيفة ... ما قلبك الطائر بالعائد
لا تحسبن الحرب يوم الضحى ... كشربك المزاء بالبارد
أبغضت من عينك تبريجها ... وصورة في جسد فاسد
جنيد ما عيصك منسوبه ... نبعا ولا جدك بالصاعد
خمسون ألفا قتلوا ضيعة ... وأنت منهم دعوة الناشد
لا تمرين الحرب من قابل ... ما أنت في العدو بالحامد
قلدته طوقا على نحره ... طوق الحمام الغرد الفارد
قصيدة حبرها شاعر ... تسعى بها البرد الى خالد
[أخبار متفرقة]

وجج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومي، كذلك حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.
وقد قيل: إن الذي حج بالناس في هذه السنة سليمان بن هشام.
وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها الذين كانوا في سنة إحدى عشرة ومائة، وقد ذكرناهم قبل.

٧٠١٠ سنه ثلاث عشره ومائه

٧٠١٠٠١ قتل عبد الوهاب بن بخت

ثم دخلت

سنة ثلاث عشرة ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

قتل عبد الوهاب بن بخت

فما كان فيها من ذلك هلاك عبد الوهاب بن بخت، وهو مع البطال عبد الله بأرض الروم، فذكر محمد بن عمر، عن عبد العزيز بن عمر، أن عبد الوهاب بن بخت غزا مع البطال سنة ثلاث عشرة ومائة، فانهزم الناس عن البطال وانكشفوا، فجعل عبد الوهاب يكر فرسه وهو يقول: ما رأيت فرسا أجبن منه، وسفك الله دمي إن لم أسفك دمك ثم ألقى بيضته عن رأسه وصاح: أنا عبد الوهاب بن بخت، أمن الجنة تفرون! ثم تقدم في نحور العدو، فبرجل وهو يقول: وا عطشاه! فقال: تقدم، الري أمامك، نفالط القوم فقتل وقتل فرسه. ومن ذلك ما كان من تفريق مسلمة بن عبد الملك الجيوش في بلاد خاقان ففتحت مدائن وحصون على يديه، وقتل منهم، وأسروسي، وحرقت خلق كثير من الترك أنفسهم بالنار، ودان لمسلمة من كان وراء جبال بلنجر وقتل ابن خاقان.

ومن ذلك غزوة معاوية بن هشام أرض الروم فربط من ناحية مرعش ثم رجع.

وفي هذه السنة صار من دعاة بني العباس جماعة إلى خراسان، فأخذ الجنيد بن عبد الرحمن رجلا منهم فقتله، وقال: من أصيب منهم فدمه هدر

وجج بالناس في هذه السنة- في قول أبي معشر- سليمان بن هشام بن عبد الملك، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي.

وقال بعضهم: الذي حج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومي.
وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم الذين كانوا عمالها في سنة إحدى عشرة واثنتي عشرة، وقد مضى ذكرنا لهم

٧٠١١ سنة أربع عشرة ومائه

ثم دخلت

سنة أربع عشرة ومائة

(ذكر الأخبار عن الأحداث التي كانت فيها) فمن ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وسليمان بن هشام على الصائفة اليمنى، فذكر أن معاوية بن هشام أصاب ربح أقرن، وأن عبد الله البطل التقي وقسطنطين في جمع فهزمهم، واسر قسطنطين، وبلغ سليمان ابن هشام قيسارية.

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك إبراهيم بن هشام عن المدينة، وأمر عليها خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم قال الواقدي: قدم خالد بن عبد الملك المدينة للنصف من شهر ربيع الأول، وكانت امره إبراهيم ابن هشام على المدينة ثماني سنين. وقال الواقدي: في هذه السنة ولي محمد بن هشام المخزومي مكة.

وقال بعضهم: بل ولي محمد بن هشام مكة سنة ثلاث عشرة ومائة، فلما عزل إبراهيم أقر محمد بن هشام على مكة. وفي هذه السنة وقع الطاعون - فيما قيل - بواسط.

وفيها قفل مسلمة بن عبد الملك عن الباب بعد ما هزم خاقان وبني الباب فأحكم ما هنالك.

وفي هذه السنة ولي هشام مروان بن محمد أرمينية وأذربيجان.

وَاخْتَلَفَ فِيمَنْ حَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، فَقَالَ أَبُو مَعِشَرٍ - فِيمَا حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْهُ: حَجَّ بِالنَّاسِ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ وَمِائَةٍ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْحَكَمِ، وَهُوَ عَلَى الْمَدِينَةِ

وقال بعضهم: حج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام، وهو أمير مكة، فأقام خالد بن عبد الملك تلك السنة، لم يشهد الحج.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَقَالَ لِي أَبُو مَعِشَرٍ: حَجَّ بِالنَّاسِ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ وَمِائَةٍ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ هِشَامٍ عَلَى مَكَّةَ قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَهُوَ الثَّبَتُ عِنْدَنَا.

وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا في السنة التي قبلها، غير أن عامل المدينة في هذه السنة كان خالد بن عبد الملك، وعامل مكة والطائف محمد بن هشام، وعامل أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد.

٧٠١٢ سنة خمس عشرة ومائه

ثم دخلت

سنة خمس عشرة ومائة

(ذكر الأخبار عما كان فيها من الأحداث) فما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام أرض الروم. وفيها وقع الطاعون بالشام.

وحج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل، وهو أمير مكة والطائف، كذلك قال أبو معشر، فِيمَا حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْهُ.

وكان عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في سنة أربع عشرة ومائة، غير أنه اختلف في عامل خراسان في هذه السنة، فقال المدائني: كان عاملها الجنيد بن عبد الرحمن، وقال بعضهم كان عاملها عمارة بن حريم المري.

وزعم الذي قَالَ ذلك أن الجنيد مات في هذه السنة، واستخلف عمارة بن حريم وأما المدائني فإنه ذكر أن وفاه الجنيد كانت في سنة ست عشرة ومائة.

وفي هذه السنة أصاب الناس بخراسان قحط شديد ومجاعة، فكتب الجنيد إلى الكور: إن مرو كانت آمنة مطمئة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، فكفرت بأنعم الله، فاحملوا إليها الطعام.

قَالَ علي بن محمد: أعطى الجنيد في هذه السنة رجلاً درهماً، فاشترى به رغيفاً، فقال لهم: تشكون الجوع ورغيف بدرهم! لقد رأيتني بالهند وإن الحبة من الحبوب لتباع عدداً بالدرهم، وقال: إن مرو كما قَالَ الله عز وجل: «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً».

٧٠١٣ سنة ست عشرة ومائة

٧٠١٣.١ وفاه الجنيد بن عبد الرحمن وولايه عاصم بن عبد الله خراسان

ثم دخلت

سنة ست عشرة ومائة

(ذكر ما كان فيها من الأحداث) فمن ذلك ما كان من غزوة معاوية بن هشام أرض الروم الصائفة.

وفيهما كان طاعون شديد بالعراق والشام، وكان أشد ذلك - فيما ذكر - بواسط.

وفاة الجنيد بن عبد الرحمن وولايه عاصم بن عبد الله خراسان

وفيهما كانت وفاة الجنيد بن عبد الرحمن وولايه عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي خراسان.

ذكر الخبر عن أمرهما:

ذكر علي بن محمد، عن أشياخه، أن الجنيد بن عبد الرحمن تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب، فغضب هشام على الجنيد، وولى عاصم

بن عبد الله خراسان، وكان الجنيد سقى بطنه، فقال هشام لعاصم: إن أدركته وبه رمق فازهق نفسه، فقدم عاصم وقد مات الجنيد.

قال: وذكروا أن جبلة بن أبي رواد دخل على الجنيد عائداً، فقال:

يا جبلة، ما يقول الناس؟ قَالَ: قلت يتوجعون للأمير، قَالَ: ليس عن هذا سألتك، ما يقولون؟ وأشار نحو الشام بيده قَالَ: قلت: يقدم

على خراسان يزيد بن شجرة الرهاوي، قَالَ: ذلك سيد أهل الشام، قَالَ: ومن؟

قلت: عصمة أو عصام، وكنت عن عاصم، فقال: إن قدم عاصم فعدو جاهد، لا مرحبا به ولا أهلاً.

قَالَ: فمات في مرضه ذلك في المحرم سنة ست عشرة ومائة، واستخلف عمارة بن حريم وقدم عاصم بن عبد الله، فحبس عمارة بن حريم

وعمال الجنيد وعذبهم وكانت وفاته بمرو، فقال أبو الجويرية عيسى ابن عصمه يرثيه:

٧٠١٣.٢ ذكر خلع الحارث بن سريج

هلك الجود والجنيد جميعاً ... فعلى الجود والجنيد السلام

أصبحتا ولبين في أرض مرو ... ما تغنت على الغصون الحمام

كنتما نزهة الكرام فلما ... مت مات الندى ومات الكرام

ثم إن أبا الجويرية أتى خالد بن عبد الله القسري وامتدحه، فقال له خالد: أأنت القائل: هلك الجود والجنيد جميعاً.

مالك عندنا شيء، نفرج فقال:

تظل لامعة الآفاق تحملنا ... إلى عمارة والقود السراheid

قصيدة امتدح بها عمارة بن حريم، ابن عم الجنيد، وعمارة هو جد أبي الهيثم صاحب العصبية بالشام.

قَالَ: وقدم عاصم بن عبد الله فحبس عماره بن حريم وعمال الجنيد وعذبهم . ذكر خلع الحارث بن سريج

وفي هذه السنة خلع الحارث بن سريج، وكانت الحرب بينه وبين عاصم بن عبد الله . ذكر الخبر عن ذلك:

ذكر علي عن أشياخه، قَالَ: لما قدم عاصم خراسان واليا، اقبل الحارث ابن سريج من النخذ حتى وصل إلى الفارياب، وقدم أمامه بشر بن جرموز.

قَالَ: فوجه عاصم الخطاب بن محرز السلمي ومنصور بن عمر بن ابى الخرقاء السلمي وهلال بن عليم التميمي والأشهب الحنظلي وجريز بن هميان السدوسي ومقاتل بن حيان النبطي مولى مصقلة إلى الحارث، وكان خطاب ومقاتل بن حيان قالا: لا تلقوه إلا بأمان، فأبى عليهما القوم، فلما انتهوا إليه بالفارياب قيدهم وحبسهم، ووكل بهم رجلا يحفظهم قَالَ: فأوثقوه وخرجوا من السجن، فركبوا دوابهم، وساقوا دواب البريد، فمروا بالطالقان

فهم سهرب صاحب الطالقان بهم، ثم أمسك وتركهم فلما قدموا مرو أمرهم عاصم فخطبوا وتناولوا الحارث، وذكروا خبث سيرته وغدره ثم مضى الحارث إلى بلخ وعليها نصر، فقاتلوه، فهزم أهل بلخ ومضى نصر إلى مرو.

وذكر بعضهم: لما أقبل الحارث إلى بلخ وكان عليها التجيبي بن ضبيعة المري ونصر بن سيار، وولاهما الجنيد قَالَ: فاتته إلى قنطرة عطاء وهي على نهر بلخ على فرسخين من المدينة، فالتقى نصر بن سيار في عشرة آلاف والحارث بن سريج في أربعة آلاف، فدعاهم الحارث إلى الكتاب والسنة والبيعة للرضا، فقال قطن بن عبد الرحمن بن جزي الباهلي: يا حارث، أنت تدعو إلى كتاب الله والسنة، والله لو أن جبريل عن يمينك وميكائيل عن يسارك ما أجبته، فقاتلهم فأصابته رمية في عينه، فكان أول قتيل.

فانهزم أهل بلخ إلى المدينة، وأتبعهم الحارث حتى دخلها، وخرج نصر من باب آخر، فأمر الحارث بالكف عنهم، فقال رجل من أصحاب الحارث: إني لأمشي في بعض طرق بلخ إذ مررت بنساء يبكين وامرأة تقول: يا أبتاه! ليت شعري من دهاك! وأعرابي إلى جنبي يسير، فقال:

من هذه الباكية؟ فقيل له: ابنة قطن بن عبد الرحمن بن جزي، فقال الأعرابي: أنا وأبيك دهيتك، فقلت: أنت قتلتها؟ قَالَ: نعم . قَالَ: ويقال: قدم نصر والتجبي على بلخ، فحبسه نصر، فلم يزل محبوسا حتى هزم الحارث نصرا، وكان التجبي ضرب الحارث أربعين سوطا في إمرة الجنيد، فحوله الحارث إلى قلعة باذكر بزم، فجاء رجل من بني حنيفة فادعى عليه أنه قتل أخاه أيام كان على هراة، فدفعه الحارث إلى الحنفي، فقال له التجبي: أفتدي منك بمائة ألف، فلم يقبل منه وقتله وقوم يقولون: قتل التجبي في ولاية نصر قبل أن يأتيه الحارث.

قَالَ: ولما غلب الحارث علي بلخ استعمل عليها رجلا من ولد عبد الله ابن خازم، وسار، فلما كان بالجوزجان دعا وابصة بن زرارة العبدى، ودعا دجاجة ووحشا العجليين وبشر بن جرموز وأبا فاطمة، فقال:

ما ترون؟ فقال أبو فاطمة: مرو بيضة خراسان، وفرسانهم كثير، لو لم يلقوك إلا بعبيدهم لانتصفوا منك، فأقم فإن أتوك قاتلتهم وإن أقاموا قطعت المادة عنهم، قَالَ: لا أرى ذلك، ولكن أسير إليهم فأقبل الحارث إلى مرو، وقد غلب على بلخ والجوزجان والفارياب والطالقان ومرو الروذ، فقال أهل الدين من أهل مرو: إن مضى إلى أبرشهر ولم يأتنا فرق جماعتنا، وإن أتانا نكب.

قَالَ: وبلغ عاصم أن أهل مرو يكتبون الحارث، قَالَ: فأجمع على الخروج وقال: يا أهل خراسان، قد بايعتم الحارث بن سريج، لا يقصد مدينة إلا خليتموها له، إني لاحق بأرض قومي أبرشهر، وكاتب منها إلى أمير المؤمنين حتى يمدني بعشرة آلاف من أهل الشام فقال له المجش بن مزاحم:

إن أعطوك بيعتهم بالطلاق والعناق فأقم، وإن أبوا فسر حتى تنزل أبرشهر، وتكتب إلى أمير المؤمنين فيمدك بأهل الشام فقال خالد بن هريم احد بنى ثعلبه بن يربوع وأبو محارب هلال بن عليم: والله لا نخليك والذهاب، فيلزمنا دينك عند أمير المؤمنين، ونحن معك حتى

ثموت إن بذلت الأموال.

قَالَ: افعل، قَالَ يزيد بن قران الرياحي: ان لم اقاتل معك ما قاتلت فابنه الأبرد بن قره الرياحي طالق ثلاثا- وكانت عنده- فقال عاصم: أكلكم على هذا؟ قالوا: نعم وكان سلمة بن أبي عبد الله صاحب حرسه يحلفهم بالطلاق.

قَالَ: وأقبل الحارث بن سريج إلى مرو في جمع كثير- يقال في ستين ألفا- ومعه فرسان الأزدي وتميم، منهم محمد بن المثنى وحماد بن عامر ابن مالك الحماني وداود الأعسر وبشر بن أنيف الرياحي وعطاء الدبوسي.

ومن الدهاقين الجوزجان وترسل دهقان الفارياب وسهرج ملك الطالقان، وقرياقس دهقان مرو، في أشباههم.

قَالَ: وخرج عاصم في أهل مرو وفي غيرهم، فعسكر بجيأسر عند البيعة، وأعطى الجند ديناراً ديناراً، نخف عنه الناس، فأعطاهم ثلاثة دنانير ثلاثة دنانير، وأعطى الجند وغيرهم، فلما قرب بعضهم من بعض أمر بالقناطر فكسرت، وجاء أصحاب الحارث فقالوا: تحصرونا في البرية! دعونا نقطع إليكم فنناظرهم فيما خرجنا له، فأبوا وذهب رجالهم يصلحون القناطر، فأتاهم رجالة أهل مرو فقاتلوهم، فإلى محمد بن المثنى الفراهيدي برأيته إلى عاصم فأملها في ألفين فأتى الأزدي، ومال حماد بن عامر بن مالك الحماني إلى عاصم، وأتى بني تميم.

قَالَ سلمة الأزدي: كان الحارث بعث إلى عاصم رسلاً- منهم محمد ابن مسلم العنبري- يسألونه العمل بكتاب الله وسنة نبيه ص.

قَالَ: وعلى الحارث بن سريج يومئذ السواد قَالَ: فلما مال محمد بن المثنى بدأ أصحاب الحارث بالحملة، والتقى الناس، فكان أول قتيل غياث بن كثوم من أهل الجارود، فانهزم أصحاب الحارث، ففرق بشر كثير من أصحاب الحارث في أنهار مرو والنهر الأعظم، ومضت الدهاقين إلى بلادهم، فضرب يومئذ خالد بن علباء بن حبيب بن الجارود على وجهه، وأرسل عاصم بن عبد الله المؤمن بن خالد الحنفي وعلباء بن أحمر اليشكري ويحيى بن عقيل الخزاعي ومقاتل بن حيان النبطي إلى الحارث يسأله ما يريد؟ فبعث الحارث محمد بن مسلم العنبري وحده، فقال لهم: ان الحارث وإخوانكم يقرءونكم السلام، ويقولون لكم: قد عطشنا وعطشت دوابنا، فدعونا ننزل الليلة، وتختلف الرسل فيما بيننا وتتناظر، فإن وافقناكم على الذي تريدون وإلا كنتم من وراء أمركم، فأبوا عليه وقالوا مقالا غليظا، فقال مقاتل ابن حيان النبطي: يا أهل خراسان، إنا كنا بمنزلة بيت واحد وثغرنا واحد، ويدنا على عدونا واحدة، وقد أنكرنا ما صنع صاحبكم، وجه إليه أميرنا بالفقهاء والقراء من أصحابه، فوجه رجلا واحدا قَالَ محمد: إنما أتيتكم مبلغا، لطلب كتاب الله وسنة نبيه ص، وسيأتيكم الذي تطلبون من غد إن شاء الله تعالى

وانصرف محمد بن مسلم إلى الحارث، فلما انتصف الليل سار الحارث فبلغ عاصما، فلما أصبح سار إليه فالتقوا، وعلى ميمنة الحارث رابض بن عبد الله بن زرارة التغلبي، فاقتتلوا قتالا شديدا، فحمل يحيى بن حضين- وهو رأس بكر بن وائل، وعلى بكر بن وائل زياد بن الحارث بن سريج- فقتلوا قتلا ذريعا، فقطع الحارث وادي مرو، فضرب رواقا عند منازل الرهبان، وكف عنه عاصم قَالَ: وكانت القتلى مائة، وقتل سعيد بن سعد بن جزء الأزدي، وغرق خازم بن موسى بن عبد الله بن خازم- وكان مع الحارث بن سريج- واجتمع إلى الحارث زهاء ثلاثة آلاف، فقال القاسم بن مسلم: لما هزم الحارث كف عنه عاصم، ولو ألح عليه لأهلكه.

وأرسل إلى الحارث: إني راد عليك ما ضمنت لك ولأصحابك، على أن ترتحل، ففعل.

قَالَ: وكان خالد بن عبيد الله بن حبيب أتى الحارث ليلة هزم، وكان أصحابه أجمعوا على مفارقة الحارث، وقالوا: ألم تزعم أنه لا يرد لك راية! فأتاهم فسكنهم.

وكان عطاء الدبوسي من الفرسان، فقال لغلامه يوم زرق: أسرج لي برذوني لعلی ألاعب هذه الحمارة، فركب ودعا إلى البراز، فبرز له رجل من أهل الطالقان، فقال بلغته: اى كبير خر.

قَالَ أبو جعفر الطبري رحمه الله: وجج بالناس في هذه السنة الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وهو ولي العهد، كذلك حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر وكذلك قَالَ الواقدي وغيره.

وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في التي قبلها إلا ما كان من خراسان فإن عاملها في هذه السنة عاصم بن عبد الله الهلالي.

٧٠١٤ سنه سبع عشره ومائه

٧٠١٤٠١ ذكر الخبر عن سبب عزل هشام عاصم وتوليته خالدا خراسان

ثم دخلت

سنة سبع عشرة ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فما كان فيها غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزوة سليمان بن هشام بن عبد الملك الصائفة اليمنى من نحو الجزيرة، وفرق سراياه في أرض الروم وفيها بعث مروان بن محمد - وهو على أرمينية - بعثين، فافتتح أحدهما حصونا ثلاثة من اللان ونزل الآخر على تومانشاه، فنزل أهلها على الصلح.

وفيها عزل هشام بن عبد الملك عاصم بن عبد الله عن خراسان، وضمها إلى خالد بن عبد الله، فولاهما أخاه أسد بن عبد الله. وقال المدائني: كان عزل هشام عاصم عن خراسان وضم خراسان إلى خالد بن عبد الله في سنة ست عشرة ومائة.

ذكر الخبر عن سبب عزل هشام عاصم وتوليته خالدا خراسان

وكان سبب ذلك - فيما ذكر علي عن أشياخه - أن عاصم بن عبد الله كتب إلى هشام بن عبد الملك: أما بعد يا أمير المؤمنين، فإن الرائد لا يكذب أهله، وقد كان من أمر أمير المؤمنين إلي ما يحق به علي نصيحته، وإن خراسان لا تصلح إلا أن تضم إلى صاحب العراق، فتكون موادها ومنافعها ومعونتها في الأحداث والنوائب من قريب، لتباعد أمير المؤمنين عنها.

وتباطؤ غيائه عنها فلما مضى كتابه خرج إلى أصحابه يحيى بن حضين والمجشر بن مزاحم وأصحابهم، فأخبرهم، فقال له المجشر بعد ما مضى الكتاب: كأنك بأسد قد طلع عليك فقدم أسد بن عبد الله، بعث به هشام بعد كتاب عاصم بشهر، فبعث الكميث بن زيد الأسدي إلى أهل مرو بهذا الشعر:

ألا أبلغ جماعة أهل مرو ... على ما كان من نأى وبعد

رسالة ناصح يهدي سلاما ... ويأمر في الذي ركبوا بجد

وأبلغ حارثا عنا اعتذارا ... إليه بأن من قبلي بجهد

ولولا ذاك قد زارتك خيل ... من المصرين بالفرسان تردى

فلا تنهوا ولا ترضوا بخسف ... ولا يغركم أسد بعهد

وكونوا كالبغايا إن خدعتم ... وإن اقررتم ضيما لوغد

وإلا فارفعوا الرايات سودا ... على أهل الضلالة والتعدي

فكيف وأنتم سبعون ألفا ... ربما كم خالد بشبيه قرد

ومن ولى بذمته رزينا ... وشيعته ولم يوف بعهد

ومن غشى قضاة ثوب خزي ... بقتل أبي سلامان بن سعد

فهلا يا قضاة فلا تكوني ... توابع لا أصول لها بنجد

وكننت إذا دعوت بني نزار ... أذاك الدهم من سبط وجعد

فجدع من قضاة كل أنف ... ولا فازت على يوم بجد

قال: ورزين الذي ذكر كان خرج على خالد بن عبد الله بالكوفة، فأعطاه الأمان ثم لم يف به.

وقال فيه نصر بن سيار حين أقبل الحارث إلى مرو وسود راياته - وكان الحارث يرى رأى المرجئة:

دع عنك دنيا وأهلا أنت تاركهم ... ما خير دنيا وأهل لا يدومونا!

إلا بقية أيام إلى أجل ... فاطلب من الله أهلا لا يموتونا
 أكثر تقى الله في الأسرار مجتهدا ... إن التقى خيره ما كان مكنونا
 واعلم بأنك بالأعمال مرتين ... فكن لذلك كثير الهم محزوننا
 إني أرى الغبن المردى بصاحبه ... من كان في هذه الأيام مغبونا
 تكون للمرء أطوارا فتمنحه ... يوما عثارا وطورا تمنح اللينا
 بينا الفتى في نعيم العيش حوله ... دهر فأمسى به عن ذاك مزبونا
 تحلوه مرة حتى يسر بها ... حينما وتمقره طعما أحايينا
 هل غابر من بقايا الدهر تنظره ... إلا كما قد مضى فيما تقضونا
 فامنح جهادك من لم يرج آخره ... وكن عدوا لقوم لا يصلونا
 واقتل مواليم منا وناصرهم ... حينما تكفرهم والغنم حينما
 والعائين علينا ديننا وهم ... شر العباد إذا خابرتهم دينا
 والقائلين سبيل الله بغيتنا ... لبعد ما نكبوا عما يقولونا
 فاقتلهم غضبا لله منتصرا ... منهم به ودع المرتاب مفتونا
 إرجاؤكم لزكم والشرك في قرن ... فأنتم أهل إشراك ومرجوننا
 لا يبعد الله في الأحداث غيركم ... إذ كان دينكم بالشرك مقرونا
 ألقى به الله رعبا في نحوركم ... والله يقضي لنا الحسنى ويعلينا
 كيما نكون الموالي عند خائفة ... عما تروم به الإسلام والدينا
 وهل تعيرون منا كاذبين به ... غال ومهتضم، حسبي الذي فينا
 يأبى الذي كان يبلي الله أولكم ... على النفاق وما قد كان يبلينا

قال: ثم عاد الحارث لمحاربة عاصم، فلما بلغ عاصم أن أسد بن عبد الله قد أقبل، وأنه قد سير على مقدمته محمد بن مالك الحمداني، وأنه قد نزل الدندانقان، صالح الحارث، وكتب بينه وبينه كتابا على أن ينزل الحارث أي كور خراسان شاء، وعلى أن يكتب جميعا إلى هشام، يسألانه كتاب الله وسنة نبيه، فإن أبى اجتماعا جميعا عليه نفختم على الكتاب بعض الرؤساء، وأبى يحيى ابن حضين أن يختم، وقال: هذا خلع لأمر المؤمنين، فقال خلف بن خليفة ليحيى:

أبى هم قلبك إلا اجتماعا ... وبأبى رقادك إلا امتناعا
 بغير سماع ولم تلقني ... أحاول من ذات لهو سماعا
 حفظنا أمية في ملكها ... ونخطر من دونها ان تراعى
 ندافع عنها وعن ملكها ... إذا لم نجد يديها امتناعا
 أبى شعب ما بيننا في القديم ... وبين أمية إلا انصدعا
 ألم نختطف هامه ابن الزبير ... وتنتزع الملك منه انتزعا
 جعلنا الخلافة في أهلها ... إذا اضطرع الناس فيها اضطراعا
 نصرنا أمية بالمشرقي ... إذا انخلع الملك عنها انخلعا
 ومنا الذي شد أهل العراق ... ولو غاب يحيى عن الثغر ضاعا
 على ابن سريج نقضنا الأمور ... وقد كان أحكمها ما استطاعا
 حكيم مقالته حكمة ... إذا شئت القوم كانت جماعا
 عشية زرق وقد أزمعوا ... قعنا من الناكثين الزماعا

ولولا فتى وائل لم يكن ... لينضج فيها رئيس كراعا
 فقل لأمية ترعى لنا ... أيادي لم نجزها واصطناعا
 أتلهين عن قتل ساداتنا ... وتأبى لحقك إلا اتباعا
 أمن لم يبعك من المشتريين ... كآخر صادف سوقا فباعا!
 أبى ابن حضين لما تصنعين ... إلا اضطلاعا وإلا اتباعا
 ولو يأمن الحارث الوائلين ... لراعك في بعض من كان راعا
 وقد كان اصعر ذا نيرب ... أشاع الضلالة فيما أشاعا
 كفينا أمية مختومة ... أطاع بها عاصم من أطاعا
 فلولا مراكر راياتنا ... من الجند خاف الجنود الضياعا
 وصلنا القديم لها بالحديث ... وتأبى أمية إلا انقطاعا
 ذخائر في غيرنا نفعها ... وما إن عرفنا لمن انتفاعا
 ولو قدمتها وبان الحجاب ... لارتعت بين حشاك ارتياعا
 فأين الوفاء لأهل الوفاء ... والشكر أحسن من أن يضاعا!
 وأين ادخار بني وائل ... إذا الذخر في الناس كان ارتجاعا!
 ألم تعلني أن أسيفنا ... تداوى العليل وتشفي الصداعا!
 إذا ابن حضين غدا باللواء ... اسلم أهل القلاع القلاعا
 إذا ابن حضين غدا باللواء ... أشار النسور به والضباعا
 إذا ابن حضين غدا باللواء ... ذكى وكانت معد جداعا

قال: وكان عاصم بن سليمان بن عبد الله بن شراحيل اليشكري من أهل الرأي، فأشار على يحيى بنقض الصحيفة، وقال له: غمرات ثم يجلين، وهي المغمضات، فغمض.

قال: وكان عاصم بن عبد الله في قرية بأعلى مرو لكندة، ونزل الحارث قرية لبني العنبر، فالتقوا بالخيول والرجال، ومع عاصم رجل من بني عبس في خمسمائة من أهل الشام وإبراهيم بن عاصم العقيلي في مثل ذلك، فنادى منادي عاصم: من جاء برأس فله ثلاثمائة درهم، فجاء رجل من عماله برأس وهو عاض على أنفه، ثم جاءه رجل من بني ليث - يقال له ليث بن عبد الله - برأس، ثم جاء آخر برأس، فقبل لعاصم: إن طمع الناس في هذا لم يدعوا ملاحا ولا علجا إلا أتوك برأسه، فنادى مناديه: لا يأتنا أحد برأس، فن أتاننا به فليس له عندنا شيء، وانهمز أصحاب الحارث فأسروا منهم أسارى، وأسروا عبد الله بن عمرو المازني رأس أهل مرو الروذ، وكان الأسراء ثمانين، أكثرهم من بني تميم، فقتلهم عاصم بن عبد الله على نهر الداندنقان وكانت اليمانية بعثت من الشام رجلا يعدل بألف يكتن أبا داود، أيام العصبية في

خمسماية، فكان لا يمر بقرية من قرى خراسان إلا قال: كأنكم بي قد مررت راجعا حاملا رأس الحارث بن سريج، فلما التقوا دعا إلى البراز، فبرز له الحارث بن سريج، فضربه فوق منكبه الأيسر فصرعه، وحامى عليه أصحابه فحملوه فخلوط، فكان يقول: يا أبرشهر الحارث بن سريج! يا أصحاب المعمورا! ورمى فرس الحارس بن سريج في لبانه، فززع النشاب، واستحضره وألح عليه بالضرب حتى نزقه وعرقه، وشغله عن ألم الجراحة.

قال: وحمل عليه رجل من أهل الشام، فلما ظن أن الرمح مخالطه، مال عن فرسه واتبع الشامي، فقال له: أسألك بجرمة الإسلام في دمي! قال:

انزل عن فرسك، فنزل وركبه الحارث، فقال الشامي: خذ السرج، فوالله إنه خير من الفرس، فقال رجل من عبد القيس: تولت قريش لذة العيش واتقت ... بنا كل فج من خراسان أغبرا

فليت قريشا أصبحوا ذات ليلة ... يعومون في لج من البحر أخضرا

قَالَ: وعظم أهل الشام يحيى بن حَضِين لما صنع في أمر الكتاب الذي كتبه عاصم، وكتبوا كُتَابًا، وبعثوا مع محمد بن مسلم العنبري ورجل من أهل الشام، فلقوا أسد بن عبد الله بالري- ويقال: لقوه ببيق- فقال:

ارجعوا فإني أصلح هذا الأمر، فقال له محمد بن مسلم: هدمت داري، فقال: أبنيا لك، وأرد عليك كل مظلمة.

قَالَ: وكتب أسد إلى خالد ينتحل أنه هزم الحارث، ويخبره بأمر يحيى.

قَالَ: فأجاز خالد يحيى بن حَضِين بعشرة آلاف دينار وكساه مائة حله.

قَالَ: وكانت ولاية عاصم أقل من سنة- قيل كانت سبعة أشهر- وقدم اسد ابن عبد الله وقد انصرف الحارث، فحبس عاصمًا وسأله عما أنفق، وحاسبه فأخذه بمائة ألف درهم، وقال: إنك لم تغز ولم تخرج من مرو، ووافق عمارة بن حريم وعمال الجنيد محبوسين عنده، فقال لهم: أسير فيكم بسيرتنا أم بسيره قومكم؟ قالوا: بسيرتك، نخلي سبيلهم.

قَالَ علي عن شيوخه: قالوا: لما بلغ هشام بن عبد الملك امر الحارث ابن سريج، كتب إلى خالد بن عبد الله: ابعث أخاك يصلح ما أفسد، فإن كانت رجية فلتكن به قَالَ: فوجه أخاه أسدا إلى خراسان، فقدم أسد وما يملك عاصم من خراسان إلا مرو وناحية أبرشهر، والحارث بن سريج بمرو الروذ وخالد بن عبيد الله الهجري بآمل، ويخاف إن قصد للحارث بمرو الروذ دخل خالد بن عبيد الله مرو من قبل آمل، وإن قصد لخالد دخلها الحارث من قبل مرو الروذ، فأجمع على أن يوجه عبد الرحمن بن نعيم الغامدي في أهل الكوفة وأهل الشام في طلب الحارث إلى ناحية مرو الروذ وسار أسد بالناس إلى آمل، واستعمل على بني تميم الحوثر بن يزيد العنبري، فلقبهم خيل لأهل آمل، عليهم زياد القرشي مولى حيان النبطي عند ركايا عثمان، فهزمهم حتى انتهوا إلى باب المدينة، ثم كروا على الناس، فقتل غلام لأسد بن عبد الله يقال له جبلة، وهو صاحب علمه، وتحصنوا في ثلاث مدائن لهم.

قَالَ: فنزل عليهم أسد وحصرهم، ونصب عليهم المجانيق، وعليهم خالد ابن عبيد الله الهجري من أصحاب الحارث، فطلبوا الامان، فخرج إليهم رويد ابن طارق القطعي ومولى لهم، فقال: ما تطلبون؟ قالوا: كتاب الله وسنه نبيه ص، قَالَ: فلکم ذلك، قالوا: على ألا تأخذ أهل هذه المدن بجنائتنا فأعطاهم ذلك، واستعمل عليهم يحيى بن نعيم الشيباني أحد بني ثعلبة بن شيبان، ابن أخي مصقلة بن هيرة ثم أقبل أسد في طريق زم يريد مدينة بلخ، فلتقه مولى لمسلم بن عبد الرحمن، فأخبره أن أهل بلخ قد بايعوا سليمان بن عبد الله بن خازم فقدم بلخ، واتخذ سفنا وسار منها إلى الترمذ، فوجد الحارث محاصرا سنانا الأعرابي السليبي، ومعه بنو الحجاج بن هارون النيري، وبنو زرة وآل عطية الأعرور النضري في أهل الترمذ، والسبل مع الحارث، فنزل أسد دون النهر، ولم يطق القطوع إليهم ولا أن يمدهم، وخرج أهل الترمذ من المدينة، فقاتلوا الحارث قتالا شديدا، وكان الحارث استطرد لهم، ثم كر عليهم، فانهزموا فقتل يزيد بن الهيثم بن المنخل وعاصم بن معول النجلي في خمسين ومائة من أهل الشام وغيرهم، وكان بشر بن جرموز وأبو فاطمة الإيادي ومن كان مع الحارث من القرى يأتون أبواب الترمذ، فيكون ويشكون بني مروان وجورهم، ويسألونهم النزول إليهم على أن يمالئوهم على حرب بني مروان فيأبون عليهم، فقال السبل وهو مع الحارث: يا حارث، إن الترمذ قد بنيت بالطبول والمزامير، ولا تفتح بالبكاء وإنما تفتح بالسيف، فقاتل إن كان بك قتال وتركه السبل وأتى بلاده.

قَالَ: وكان أسد حين مر بأرض زم تعرض للقاسم الشيباني وهو في حصن بزم يقال له باذكر، ومضى حتى أتى الترمذ، فنزل دون النهر، ووضع سريره على شاطئ النهر، وجعل الناس يعبرون، فمن سفلت سفينته عن سفن المدينة قاتلهم الحارث في سفينة، فالتقوا في سفينة فيها أصحاب أسد، فيهم أصغر بن عيناء الحميري، وسفينة أصحاب الحارث فيها داود الأعسر، فرمى أصغر فضك السفينة، وقال: أنا الغلام الأحمر، فقال داود الأعسر: لأمر ما انتميت إليه، لا أرض لك! وألرز سفينته بسفينة أصغر فاقتلوا، وأقبل الأشكند- وقد أراد الحارث الانصراف- فقال له: إنما جئتكم ناصرا لك، وكمن الأشكند وراء دير، وأقبل الحارث بأصحابه، وخرج إليه أهل الترمذ فاستطرد لهم فاتبعوه، ونصر مع أسد جالس ينظر، فأظهر الكراهية، وعرف أن الحارث قد كادهم، فظن أسد أنه إنما فعل ذلك

شفقة على الحارث حين ولى، فأراد أسد معاتبة نصر، فإذا الأشكند قد خرج عليهم، فحمل على أهل الترمذ فهربوا وقتل في المعركة يزيد بن الهيثم بن المنخل الجرموزي من الأزد وعاصم بن معول- وكان من فرسان أهل الشام- ثم ارتحل أسد إلى بلخ، وخرج أهل الترمذ إلى الحارث فهزموه، وقتلوا أبا فاطمة وعكرمة وقوماً من أهل البصائر، ثم سار أسد إلى سمرقند في طريق زم، فما قدم زم بعث إلى الهيثم الشيباني- وهو في باذر، وهو من أصحاب الحارث- فقال:

إنكم إنما أنكرتم على قومكم ما كان من سوء سيرتهم، ولم يبلغ ذلك النساء ولا استحلال الفروج ولا غلبة المشركين على مثل سمرقند، وأنا أريد سمرقند،

٧٠١٤٠٢ امر اسد بن عبد الله مع دعاه بنى العباس

وعلى عهد الله وذمته ألا يبدأك مني شر، ولك المؤاساة واللطف والكرامة والأمان ولمن معك، وأنت إن غمضت ما دعوتك إليه فعلي عهد الله وذمة أمير المؤمنين وذمة الأمير خالد إن أنت رميت بسهم ألا أوئمنك بعده، وإن جعلت لك ألف أمان لا أفي لك به فخرج إليه على ما أعطاه من الأمان فآمنه، وسار معه إلى سمرقند فأعطاهم عطاءين، وحملهم على ما كان من دواب ساقها معه، وحمل معه طعاماً من بخارى، وساق معه شياء كثيرة من شاء الأكراد قسمها فيهم، ثم ارتفع إلى ورغسر وماء سمرقند منها، فسكن الوادي وصرفه عن سمرقند، وكان يحمل الحجارة بيديه حتى يطرحها في السكر، ثم قفل من سمرقند حتى نزل بلخ. وقد زعم بعضهم أن الذي ذكرت من أمر أسد وأمر أصحاب الحارث كان في سنة ثمان عشرة. وجج بالناس في هذه السنة خالد بن عبد الملك.

وكان العامل فيها على المدينة، وعلى مكة والطائف محمد بن هشام بن إسماعيل، وعلى العراق والمشرق خالد بن عبد الله، وعلى أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد. وفيها توفيت فاطمة بنت علي وسكينة ابنة الحسين بن علي.

امر اسد بن عبد الله مع دعاه بنى العباس

وفي هذه السنة أخذ أسد بن عبد الله جماعة من دعاة بني العباس بخراسان، فقتل بعضهم، ومثل ببعضهم، وحبس بعضهم، وكان فيمن أخذ سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب ولاهز بن قريظ وخالد بن إبراهيم وطلحة بن رزيق، فأتى بهم، فقال لهم: يا فسقة، ألم يقل الله تعالى:

«عَفَا اللَّهُ عَنْكَ سَلَفٌ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ» !

فذكر أن سليمان بن كثير قال: أتكلم أم أسكت؟ قال: بل تكلم، قال: نحن والله كما قال الشاعر:

لو بغير الماء حلقي شرق ... كنت كالغصان، بالماء اعتصاري

تدري ما قصتنا؟ صيدت والله العقارب بيدك أيها الأمير، إنا أناس من قومك، وإن هذه المضرة إنما رفعوا إليك هذا لأننا كنا أشد الناس على قتيبة بن مسلم، وإنما طلبوا بثأرهم فتكلم ابن شريك بن الصامت الباهلي، وقال: إن هؤلاء القوم قد أخذوا مرة بعد مرة، فقال مالك بن الهيثم:

أصلح الله الأمير! ينبغي لك أن تعتبر كلام هذا بغيره، فقالوا: كأنك يا أخا باهلة تطلبنا بثأر قتيبة! نحن والله كنا أشد الناس عليه، فبعث بهم أسد إلى الحبس، ثم دعا عبد الرحمن بن نعيم فقال له: ما ترى؟ قال:

أرى أن تمن بهم على عشائهم، قال: فالتيميان اللذان معهم؟ قال: تخلي سبيلهما، قال: أنا إذا من عبد الله بن يزيد نفي، قال: فكيف تصنع بالربيعي؟ قال: أخلي والله سبيله ثم دعا بموسى بن كعب وأمر به فألجم بلجام حمار، وأمر بالجام أن يجذب فجذب حتى تحطمت أسنانه، ثم قال: اكسروا وجهه، فدق أنفه، ووجأ لحيته، فندر ضررس له ثم دعا بلاهز بن قريظ، فقال لاهز: والله ما في هذا الحق أن

تصنع بنا هذا، وترك اليمانيين والربعيين، فضربه ثلاثمائة سوط، ثم قال: اصلبوه، فقال الحسن بن زيد الأزدي: هو لي جار وهو يري مما قذف به، قال: فالآخرون؟ قال: أعرفهم بالبراءة، نفلى سبيلهم.

٧٠١٥ سنه ثمان عشرة ومائه

٧٠١٥٠١ ولاية عمار بن يزيد على شيعة بني العباس بخراسان

٧٠١٥٠٢ ذكر ما كان من الحارث بن سريج مع اصحابه

ثم دخلت

سنه ثمان عشرة ومائة

(ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث) فن ذلك غزوة معاوية وسليمان ابني هشام بن عبد الملك ارض الروم. ولاية عمار بن يزيد على شيعة بني العباس بخراسان

وفيهما وجه بكير بن ماهان عمار بن يزيد إلى خراسان واليا على شيعة بني العباس، فنزل - فيما ذكر - مرو، وغير اسمه وتسمى بخداش، ودعا إلى محمد بن علي، فسارع إليه الناس، وقبلوا ما جاءهم به، وسمعوا إليه وأطاعوا، ثم غير ما دعاهم إليه، وتكذب وأظهر دين الخرمية، ودعا إليه ورخص لبعضهم في نساء بعض، وأخبرهم أن ذلك عن أمر محمد بن علي، فبلغ أسد بن عبد الله خبره، فوضع عليه العيون حتى ظفربه، فأتي به، وقد تجهز لغزو بلخ، فسأله عن حاله، فأغلظ خداش له القول، فأمر به فقطعت يده، وقلع لسانه وسملت عينه. ذكر ما كان من الحارث بن سريج مع اصحابه

فذكر محمد بن علي عن أشياخه، قال: لما قدم اسد آمل في مبدئه، أتوه بخداش صاحب الهاشمية، فأمر به قرعة الطبيب، فقطع لسانه، وسمل عينه، فقال: الحمد لله الذي انتقم لأبي بكر وعمر منك! ثم دفعه إلى يحيى بن نعيم الشيباني عامل آمل فلما قتل من سمرقند كتب إلى يحيى فقتله وصلبه بآمل، وأتى أسد بحزور مولى المهاجر بن داره الضبي، ف ضرب عنقه بشاطئ النهر ثم نزل أسد منصرفه من سمرقند بلخ، فسر ح جديعا الكرمانى إلى القلعة التي فيها ثقل الحارث وثقل أصحابه - واسم القلعة التيوشكان من طخارستان العليا، وفيها بنو برزى التغلبون، وهم أصهار الحارث - فحصرهم الكرمانى حتى فتحها، فقتل مقاتلتهم وقتل بني برزى،

وسبى عامة أهلها من العرب والموالي والذراري، وباعهم فيمن يزيد في سوق بلخ، فقال علي بن يعلى - وكان شهد ذلك: نعم على الحارث أربع مائة وخمسون رجلا من أصحابه، وكان رئيسهم جرير بن ميمون القاضي، وفيهم بشر بن أنيف الحنظلي وداود الأعسر الخوارزمي فقال الحارث: إن كنتم لا بد مفارقي وطلبتم الأمان، فاطلبوه وأنا شاهد، فإنه أجدر أن يجيبوكم، وإن ارتحلت قبل ذلك لم يعطوا الأمان، فقالوا: ارتحل أنت وخلصنا ثم بعثوا بشر بن أنيف ورجلا آخر، فطلبوا الأمان فآمنهما أسد ووصلهما، فغدروا بأهل القلعة، وأخبراه أن القوم ليس لهم طعام ولا ماء، فسر ح أسد الكرمانى في ستة آلاف، منهم سالم بن منصور البجلي، على ألفين، والأزهر بن جرموز النيري في أصحابه، وجند بلخ وهم الفان وخمس مائة من أهل الشام، وعليهم صالح بن القعقاع الأزدي، فوجه الكرمانى منصور بن سالم في أصحابه، فقطع نهر ضرغام، وبات ليله وأصبح، فأقام حتى متع النهار، ثم سار يومه قريبا من سبعة عشر فرسخا، فأتعب خيله، ثم انتهى إلى كشم من ارض جبغويه، فانهى إلى حائط فيه زرع قد قصب، فأرسل أهل العسكر دوابهم فيه، وبينهم وبين القلعة أربع فراسخ ثم ارتحل فلما صار إلى الوادي جاءته الطلائع فأخبرته بحجى القوم ورأسهم المهاجر بن ميمون، فلما صاروا إلى الكرمانى كابدهم فانصرفوا، وسار حتى نزل جانبا من القلعة، وكان أول ما نزل في زهاء خمس مائة في مسجد كان الحارث بناه، فلما أصبح نثامت إليه الخليل، وتلاحقت من أصحاب الأزهر وأهل بلخ.

فلما اجتمعوا خطبهم الكرمانى، حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَهْلَ بَلْخَ، لَا أَجِدُ لَكُمْ مَثَلًا غَيْرَ الزَّانِيَةِ، مِنْ أَتَاهَا أَمَكْنَتُهُ مِنْ رَجُلِهَا، أَتَاكُمْ الْحَارِثُ فِي أَلْفِ رَجُلٍ مِنَ الْعَجَمِ فَأَمَكَنْتُمُوهُ مِنْ مَدِينَتِكُمْ، فَقَتَلَ أَشْرَافَكُمْ، وَطَرَدَ أَمِيرَكُمْ، ثُمَّ سَرْتُمْ مَعَهُ مِنْ مَكَانَفِيهِ إِلَى مَرُو

نخذلتموه، ثم انصرف إليكم منهزماً فأمكنتموه من المدينة، والذي نفسي بيده لا يبلغني عن رجل

٧٠١٥٠٣ أخبار متفرقة

منكم كتب كتاباً إليهم في سهم إلا قطعت يده ورجله وصلبته، فأما من كان معي من أهل مرو فهم خاصتي، ولست أخاف غدرهم، ثم نهد إلى القلعة فأقام بها يوماً وليلة من غير قتال، فلما كان من الغد نادى مناد: إنا قد نبذنا إليكم بالعهد، فقاتلوهم، وقد عطش القوم وجاعوا، فسألوا أن ينزلوا على الحكم ويترك لهم نساؤهم وأولادهم، فنزلوا على حكم أسد، فأقام أياماً وقدم المهلب بن عبد العزيز العتكي بكتاب أسد، أن يحملوا إلي خمسين رجلاً منهم، فيهم المهاجر بن ميمون ونظراؤه من وجوههم، فحملوا إليهم فقتلهم، وكتب إلى الكرمانى أن يصير الذين بقوا عنده أثلاثاً، فثلث يصلبهم، وثلث يقطع أيديهم وأرجلهم، وثلث يقطع أيديهم، ففعل ذلك الكرمانى، وأخرج أثقالهم فباعها فيمن يزيد، وكان الذين قتلهم وصلبهم أربعمئة واتخذ أسد مدينة بلخ داراً في سنة ثمان عشرة ومائة، ونقل إليها الدواوين واتخذ المصانع، ثم غزا طخارستان ثم أرض جبغويه، ففتح وأصاب سبياً. [أخبار متفرقة]

وفي هذه السنة عزل هشام خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم عن المدينة، واستعمل عليها محمد بن هشام بن إسماعيل ذكر الواقدي أن أبا بكر بن عمرو بن حزم يوم عزل خالد عن المدينة جاءه كتاب بإمرته على المدينة، فصعد المنبر، وصلى بالناس ستة أيام، ثم قدم محمد بن هشام من مكة عاملاً على المدينة.

وفي هذه السنة مات علي بن عبد الله بن العباس، وكان يكنى أبا محمد، وكانت وفاته بالخيمة من أرض الشام، وهو ابن ثمان- أو سبع- وسبعين سنة.

وقيل إنه ولد في الليلة التي ضرب فيها علي بن أبي طالب وذلك ليلة سبع عشرة من رمضان من سنة أربعين، فسماه أبوه علياً، وقال: سميت به باسم أحب الخلق إلي، وكناه أبا الحسن، فلما قدم على عبد الملك بن مروان أكرمه وأجلسه على سريرته، وسأله عن كنيته فأخبره، فقال: لا يجتمع في عسكري هذا

الاسم والكنية لأحد، وسأله: هل ولد له من ولد؟ وكان قد ولد له يومئذ محمد بن علي، فأخبره بذلك، فكناه أبا محمد. وجج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام وهو أمير مكة والمدينة والطائف وقد قيل إنما كان عامل المدينة في هذه السنة خالد بن عبد الملك، وكان إلى محمد بن هشام فيها مكة والطائف، والقول الأول قول الواقدي. وكان على العراق خالد بن عبد الله، وإليه المشرق كله، وعامله على خراسان أخوه أسد بن عبد الله، وعامله على البصرة وأحداثها وقضاها بالصلاة بأهلها بلال بن أبي بردة، وعلى أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد بن مروان.

٧٠١٦ سنه تسع عشرة ومائه

٧٠١٦٠١ ذكر غزو الترك ومقتل خاقان

ثم دخلت

سنة تسع عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث فمن ذلك غزوة الوليد بن القعقاع العبسي أرض الروم وفيها غزا أسد بن عبد الله الختل، فافتتح قلعة زغرزك، وسار منها إلى خدش، وملاً يديه من السبي والشاء، وكان الجيش قد هرب إلى الصين.

ذكر غزو الترك ومقتل خاقان

وفيها لقي أسد خاقان صاحب الترك فقتله، وقتل بشراً كثيراً من أصحابه، وسلم أسد والمسلمون، وانصرفوا بغنائم كثيرة وسي. ذكر الخبر عن هذه الغزوة:

ذكر علي بن محمد عن شيوخه، أنهم قالوا: كتب ابن السائجي إلى خاقان أبي مزاحم- وإنما كني أبا مزاحم لأنه كان يزاحم العرب- وهو مواليث، يعلمه دخول أسد الختل وتفرق جنوده فيها، وأنه بحال مضیعة فلما أتاه كتابه أمر أصحابه بالجهاز- وكان لخاقان مرج وجبل حمى لا يقر بهما احد، ولا يتصيد فيهما، يتركان للجهاد فضاء، ما كان في المرج ثلاثة أيام، وما في الجبل ثلاثة أيام- فتجهزوا وارتعوا ودبغوا مسوك الصيد، واتخذوا منها أوعية، واتخذوا القسي والنشاب، ودعا خاقان بيرذون مسرج ملجم، وأمر بشاة فقطعت ثم علقت في المعاليق، ثم أخذ شيئاً من ملح فصيره في كيس، وجعله في منطقته، وأمر كل تركي أن يفعل مثل ذلك، وقال: هذا زادكم حتى تلقوا العرب بالختل.

وأخذ طريق خشوراع، فلما أحس ابن السائجي أن خاقان قد أقبل بعث إلى أسد: اخرج عن الختل فإن خاقان قد أظلك فشم رسولاه، ولم يصدقه، فبعث صاحب الختل: إني لم أكذبك، وأنا الذي أعلمته دخولك، وتفرق جندك، وأعلمته أنها فرصة له، وسألته المدد، غير أنك أمعرت البلاد، وأصببت الغنائم، فإن لقيك على هذه الحال ظفر بك، وعادتي العرب أبداً ما بقيت واستطال علي خاقان واشتدت مؤنته، وامتن علي بقوله: أخرجت العرب من بلادك، ورددت عليك ملكك، فعرف أسد أنه قد صدقه، فأمر بالأثقال أن تقدم، وولى عليها إبراهيم بن عاصم العقيلي الجزري، الذي كان ولي سجستان بعد، وأخرج معه المشيخة، فيهم كثير ابن أمية، أبو سليمان بن كثير الخزاعي وفضيل بن حيان المهري وسنان بن داود القطعي، وكان على أهل العالية سنان الأعرابي السلي، وعلى الاقباض عثمان ابن شباب الهمداني، جد قاضي مرو، فسارت الأثقال، فكتب أسد إلى داود بن شعيب والأصبع بن ذؤالة الكلبي- وقد كان وجههما في وجه: إن خاقان قد أقبل، فانضما إلى الأثقال، إلى إبراهيم بن عاصم. قال: ووقع إلى داود والأصبع رجل دبوسي، فأشاع أن خاقان قد كسر المسلمين، وقتل أسداً.

وقال الأصبع: إن كان أسد ومن معه أصيبوا فإن فينا هشاماً نخاز إليه، فقال داود بن شعيب: قبح الله الحياة بعد أهل خراسان! فقال الأصبع: حبذا الحياة بعد أهل خراسان! قتل الجراح ومن معه فما ضر المسلمين كثير ضر، فإن هلك أسد وأهل خراسان فلن يخذل الله دينه، وإن الله حي قيوم، وأمير المؤمنين حي وجنود المسلمين كثير فقال داود:

أفلا ننظر ما فعل أسد فنخرج على علم! فسارا حتى شارفا عسكر إبراهيم فإذا هما بالنيران، فقال داود: هذه نيران المسلمين أراها متقاربة ونيران الأتراك متفرقة، فقال الأصبع: هم في مضيق ودنوا فسمعوا نهيق الحمير، فقال داود: أما علمت أن الترك ليس لهم حمير! فقال الأصبع: أصابوها بالأمس، ولم يستطيعوا أكلها في يوم ولا اثنين، فقال داود: نسرح فارسين فيكبران، فبعثا فارسين، فلما دنوا من العسكر كبرا، فأجابهما العسكر

بالتكبير، فأقبلوا إلى العسكر الذي فيه الأثقال، ومع إبراهيم أهل الصغانيان وصغان خذاه، فقام إبراهيم بن عاصم مبادراً. قال: وأقبل أسد من الختل نحو جبل الملح يريد أن يخوض نهر بلخ، وقد قطع إبراهيم بن عاصم بالسبي وما أصاب فأشرف أسد على النهر وقد أتاه أن خاقان قد سار من سوياب سبع عشرة ليلة، فقام إليه أبو تمام بن زحر وعبد الرحمن بن خنفر الأزديان، فقالا: أصلح الله الأمير! إن الله قد أحسن بلاءك في هذه الغزوة فغنمت وسلمت فاقطع هذه النطفة، واجعلها وراء ظهرك فأمر بهما فوجئت رقابهما، وأخرجا من العسكر وأقام يومه.

فلما كان من الغد ارتحل وفي النهر ثلاثة وعشرون موضعاً يخوضه الناس، وفي موضع مجتمع ماء يبلغ دفتي السرج، نخاضه الناس، وأمر أن يحمل كل رجل شاة، وحمل هو بنفسه شاة، فقال له عثمان بن عبد الله بن مطرف ابن الشخير: إن الذي أنت فيه من حمل الشاة ليس بأخطر مما تخاف، وقد فرقت الناس وشغلهم، وقد أظلك عدوك، فدع هذا الشاة لعنة الله عليه، وأمر الناس بالاستعداد فقال أسد: والله لا يعبر رجل ليست معه شاة حتى تفتي هذه الغنم إلا قطعت يده، فجعل الناس يحملون الشاة، الفارس يحملها بين يديه والراجل على عنقه، وخاض الناس ويقال: لما حفرت سنانك الخليل النهر صار بعض المواضع سباحه فكان بعضهم يميل فيقع عن دابته، فأمر أسد بالشاة أن تقذف، وخاض الناس، فما استكملوا العبور حتى طلعت عليهم الترك بالدهم، فقتلوا من لم يقطع، وجعل الناس يقتحمون النهر- ويقال كانت المسلحة على الأزدي وتميم، وقد خلف ضعفة الناس- وركب أسد النهر، وأمر بالإبل أن يقطع بها

إلى ما وراء النهر، حتى تحمل عليها الأثقال، وأقبل رجع من ناحية الختل، فإذا خاقان، فلما توافى معه صدر من جنده حمل على الأزد وبني تميم فانكشفوا، وركض أسد حتى انصرف إلى معسكره، وبعث إلى أصحاب الأثقال الذين كان سرح أمامه.

أن انزلوا وخذقوا مكانكم في بطن الوادي قَالَ: وأقبل خاقان، فظن المسلمون

أنه لا يقطع إليهم وبينهم وبينه النهر، فلما نظر خاقان إلى النهر أمر الأشكند- وهو يومئذ اصهبذ نسف- أن يسير في الصف حتى يبلغ أقصاه، ويسأل الفرسان وأهل البصر بالحرب والماء: هل يطاق قطع النهر والحمل على أسد؟ فكلهم يقول: لا يطاق، حتى انتهى إلى الأشتيخن، فقال:

بلى يطاق، لأننا خمسون الف فارس، فإذا نحن اقتحمنا دفعة واحدة رد بعضنا عن بعض الماء فذهب جريته قَالَ: فضربوا بكوساتهم فظن أسد ومن معه أنه منهم وعيد، فأقموا دوابهم، فجعلت تنخر أشد النخير، فلما رأى المسلمون اقتحام الترك ولوا إلى العسكر، وعبرت الترك فسطع رجع عظيم لا يبصر الرجل دابته، ولا يعرف بعضهم بعضا، فدخل المسلمون عسكرهم وحووا ما كان خارجا، وخرج الغلمان بالبراذع والعمد، فضربوا وجوه الترك، فأدبروا، وبات أسد، فلما أصبح- وقد كان عبأ أصحابه من الليل تخوفا من غدر خاقان وغدوه عليه، ولم ير شيئا- دعا وجوه الناس فاستشارهم، فقالوا له: اقبل العافية، قَالَ: ما هذه عافية، بل هي بلية، لقينا خاقان أمس فظفر بنا وأصاب من الجند والسلاح، فما منعه منا اليوم إلا أنه قد وقع في يديه أسراء فأخبروه بموضع الأثقال أمامنا، فترك لقاءنا طمعا فيها فارتحل فبعث أمامه الطلائع، فرجع بعضهم فأخبره أنه عاين طوقات الترك وأعلاما من اعلام الاشكند، في بشر قليل فساد والدواب مثقلة، فقيل له: انزل أيها الأمير وابل العافية، قَالَ: وأين العافية فأقبلها! إنما هي بلية وذهاب الأنفس والأموال فلما أمسى أسد صار إلى منزل، فاستشار الناس: أينزلون أم يسرون؟ فقال الناس: اقبل العافية، وما عسى أن يكون ذهاب المال بعافيتنا وعافية أهل خراسان! ونصر بن سيار مطرق، فقال أسد: ما لك يا بن سيار مطرقا لا نتكلم! قَالَ: أصلح الله الأمير! خلتان كلتاها لك، إن تسر

تغث من مع الأثقال وتخلصهم، وإن أنت انتهيت إليهم وقد هلكوا فقد قطعت حقه لا بد من قطعها فقبل رأيه وسار يومه كله قَالَ: ودعا أسد سعيدا الصغير- وكان فارسا مولى باهلة، وكان عالما بأرض الختل- فكتب كتابا إلى إبراهيم يأمره بالاستعداد، فإن خاقان قد توجه إلى ما قبلك، وقال: سر بالكتاب إلى إبراهيم حيث كان قبل الليل، فإن لم تفعل فأسد بريء من الإسلام إن لم يقتلك، وإن أنت لحقت بالحارث فعلى اسد مثل الذي حلف، ان لم يبع امرأتك الدلال في سوق بلخ وجميع أهل بيتك قَالَ سعيد: فادفع إلي فرسك الكميث الذنوب قَالَ:

لعمري لئن جدت بدمك، وبخلت عليك بالفرس إني للثيم فدفعه إليه، فسار على دابة من جنائبه، وغلامه على فرس له، ومعه فرس أسد يجنبه، فلما حاذى الترك وقد قصدوا الأثقال طلبته طلائعهم، فتحول على فرس أسد، فلم يلحقوه، فأتى إبراهيم بالكتاب، وتبعه بعض الطلائع- يقال عشرون رجلا- حتى رأوا عسكر إبراهيم، فرجعوا إلى خاقان فأخبروه.

فغدا خاقان على الأثقال، وقد خندق إبراهيم خندقا، فأتاهم وهم قيام عليه، فأمر أهل السغد بقتلهم، فلما دنوا من مسلحة المسلمين ثاروا في وجوههم فهزمهم، وقتلوا منهم رجلا، فقال خاقان: اركبوا، وصعد خاقان تلا فجعل ينظر العورة، ووجه القتال، قَالَ: وهكذا كان يفعل، ينفرد في رجلين أو ثلاثة، فإذا رأى عورة أمر جنوده فحملت من ناحية العورة فلما صعد التل رأى خلف العسكر جزيرة دونها مخاضة، فدعا بعض قواد الترك، فأمرهم أن يقطعوا فوق العسكر في مقطع وصفه حتى يصيروا إلى الجزيرة، ثم ينحدروا في الجزيرة حتى يأتوا عسكر المسلمين من دبر، وأمرهم أن يبدؤوا بالأعاجم وأهل الصغانيان، وأن يدعوا غيرهم، فإنهم من العرب، وقد عرفهم بأبنيتهم وأعلامهم، وقال لهم: إن أقام القوم في خندقهم فأقبلوا إليكم دخلنا نحن خندقهم، وإن ثبتوا على خندقهم فادخلوا من دبره عليهم ففعلوا ودخلوا عليهم من ناحية الأعاجم، فقتلوا صغان خذاه وعامة أصحابه، واحتوا على أموالهم، ودخلوا عسكر إبراهيم فأخذوا عامة ما فيه، وترك المسلمون التعبئة واجتمعوا في موضع، وأحسوا بالهلاك، فإذا رجع قد ارتفع وتربة سوداء،

فإذا أسد في جنده قد أتاهم، فجعلت الترك ترتفع عنهم إلى الموضع الذي كان فيه خاقان، وإبراهيم يتعجب من كفهم وقد ظفروا وقتلوا من قتلوا وأصابوا ما أصابوا، وهو لا يطمع في أسد.

قَالَ: وكان أسد قد أغد السير، فأقبل حتى وقف على التل الذي كان عليه خاقان، وتحنى خاقان إلى ناحية الجبل، فخرج إليه من بقي من كان مع الأتقال، وقد قتل منهم بشر كثير، قتل يومئذ بركة بن خولى الراسبي وكثير بن أمية ومشیخة من خزاعة وخرجت امرأة صغان خذاه إلى أسد، فبكت زوجها، فبكى أسد معها حتى علا صوته، ومضى خاقان يقود الأسراء من الجند في الأوهاق ويسوق الإبل موقرة والجواري.

قَالَ: وكان مصعب بن عمرو الخزاعي ونفر من أهل خراسان قد أجمعوا على موافقتهم، فكفهم أسد، وقال: هؤلاء قوم قد طابت لهم الرياح واستكلبوا، فلا تعرضوا لهم وكان مع خاقان رجل من أصحاب الحارث بن سريج فأمره فنأدى: يا أسد، أما كان لك فيما وراء النهر مغزى! إنك لشديد الحرص، قد كان لك عن الختل مندوحة، وهي أرض آبائي وأجدادي فقال أسد: كان ما رأيت، ولعل الله أن ينتقم منك قَالَ كورمغانون- وكان من عظماء الترك: لم أريوما كان أحسن من يوم الأتقال، قيل له: وكيف ذلك؟

قَالَ: أصبت أموالا عظيمة، ولم أر عدوا أسمع من أسراء العرب، يعدو أحدهم فلا يكاد يبرح مكانه. وقال بعضهم: سار خاقان إلى الأتقال، فارتحل أسد، فلما أشرف على الظهر، ورأى المسلمين الترك فامتنعوا، وقد كانوا قاتلوا المسلمين فامتنعوا، فأثوا الأعاجم الذين كانوا مع المسلمين فقاتلوهم، فأسروا أولادهم. قَالَ: فأردف كل رجل منهم وصيفا أو وصيفة، ثم أقبلوا إلى عسكر أسد عند مغيب الشمس قَالَ: وسار أسد بالناس، حتى نزل مع الثقل.

وصبحوا أسدا من الغد، وذلك يوم الفطر، فكادوا يمنعونهم من الصلاة.

ثم انصرفوا ومضى أسد إلى بلخ، فعسكر في مرجها حتى أتى الشتاء، ثم تفرق الناس في الدور، ودخل المدينة، ففي هذه الغزاة قيل له بالفارسية:

أز ختلان آمديه ... برو تباه آمديه

آبار باز آمديه ... خشك نزار آمديه

قَالَ: وكان الحارث بن سريج بناحية طخارستان، فانضم إلى خاقان، فلما كان ليلة الأضحي قيل لأسد: إن خاقان نزل جزة، فأمر بالنيران فرفعت على المدينة، فجاء الناس من الرساتيق إلى مدينة بلخ، فأصبح أسد فصلى وخطب الناس، وقال: إن عدو الله الحارث بن سريج استجلب طاغيته ليطفئ نور الله، ويبدل دينه، والله مذلّه إن شاء الله وإن عدوكم الكلب أصاب من إخوانكم من أصاب، وإن يرد الله نصركم لم يضركم قتلهم وكثرتهم، فاستنصروا الله وقال: إنه بلغني أن العبد أقرب ما يكون إلى الله إذا وضع جبهته لله، وإني نازل وواضع جبتي، فادعوا الله واسجدوا لربكم، وأخلصوا له الدعاء ففعلوا ثم رفعوا رءوسهم، وهم لا يشكون في الفتح، ثم نزل عن المنبر وضحى وشاور الناس في المسير إلى خاقان، فقال قوم: أنت شاب، ولست ممن تخوف من غارة، على شاة ودابة تخاطر بخروجك قَالَ: والله لأخرجن، فإما ظفروا إما شهادة.

ويقال: أقبل خاقان، وقد استمد من وراء النهر واهل طخارستان وجبغويه الطخاري بملوكهم وشاكريتهم بثلاثين ألفا، فنزلوا خلم، وفيها مسلحة، عليها أبو العوجاء بن سعيد العبدى، فناوشهم فلم يظفروا منه بشيء، فساروا على حاميتهم في طريق فيروز بخشين من طخارستان فكتب أبو العوجاء إلى أسد بمسيرهم قَالَ: فجمع الناس، فأقرأهم كتاب أبي العوجاء وكتاب الفرافصة صاحب مسلحة جزة بعد مرور خاقان به، فشاو أسد الناس، فقال قوم: تأخذ بأبواب مدينة بلخ، وتكتب إلى خالد والخليفة تستمده وقال آخرون: تأخذ في طريق زم، وتسبق خاقان إلى مرو.

وقال قوم: بل تخرج إليهم وتستنصر الله عليهم، فوافق قولهم رأي أسد

وما كان عزم عليه من لقاءهم ويقال: إن خاقان حين فارق أسدا، ارتفع حتى صار بأرض طخارستان عند جبغويه، فلما كان وسط الشتاء أقبل فر بجزة، وصار إلى الجوزجان وبث الغارات، وذلك أن الحارث بن سريج أخبره أنه لا نهوض بأسد، وأنه لم يبق معه كبير جند، فقال البخترى ابن مجاهد مولى بني شيبان: بل بث الخيول حتى تنزل الجوزجان فلما بث الخيل، قَالَ له البخترى: كيف

رأيت رأيي؟ قَالَ: وكيف رأيت صنع الله عز وجل حين أخذ برأيك! فأخذ أسد من جيلة بن أبي رواد عشرين ومائة ألف درهم، وأمر للناس بعشرين عشرين، ومعه من الجنود من أهل خراسان وأهل الشام سبعة آلاف رجل، واستخلف على بلخ الكرمانى بن علي، وأمره ألا يدع أحدا يخرج من مدينتها، وإن ضرب الترك باب المدينة فقال له نصر بن سيار الليثي والقاسم بن بجيت المراغي من الأزد وسليم بن سليمان السلمي وعمرو بن مسلم بن عمرو ومحمد بن عبد العزيز العتكي وعيسى الأعرج الحنظلي والبختري بن أبي درهم البكري وسعيد الأحمر وسعيد الصغير مولى باهلة:

أصلح الله الأمير، ائذن لنا في الخروج، ولا تهجن طاعتنا فأذن لهم ثم خرج فنزل بابا من أبواب بلخ وضربت له قبة، فازتان، وألصق أحدهما بالآخرى، وصلى بالناس ركعتين طولهما، ثم استقبل القبلة ونادى في الناس:

ادعوا الله، وأطال في الدعاء، ودعا بالنصر، وأمن الناس على دعائه، فقال: نصرتم ورب الكعبة! ثم انفتل من دعائه فقال: نصرتم ورب الكعبة إن شاء الله، ثلاث مرات، ثم نادى مناديه: برئت ذمة الله من رجل حمل امرأة ممن كان من الجند، قالوا: إن أسدا إنما خرج هاربا، نخلف أم بكر أم ولده وولده، فظفر فإذا جارية على بعير، فقال: سلوا لمن هذه الجارية؟

فذهب بعض الأساورة فسأل ثم رجع، فقال: لزياد بن الحارث البكري - وزياد جالس - فقطب اسد، وقال: لا تنتهون حتى أسطو بالرجل منكم يكرم علي، فأضرب ظهره وبطنه، فقال زياد: إن كنت لي فهي حره، لا والله أيها الأمير ما معي امرأة، فإن هذا عدو حاسد.

وسار أسد، فلما كان عند قنطرة عطاء، قال لمسعود بن عمرو الكرمانى، وهو يومئذ خليفة الكرمانى على الأزد: ابغني خمسين رجلا ودابة أخلفهم على هذه القنطرة، فلا تدع أحدا ممن جازها أن يرجع إليها، فقال مسعود: ومن أين أقدر على خمسين رجلا! فأمر به فصرع عن دابته، وأمر بضرب عنقه، فقام إليه قوم فكلوه فكف عنه، فلما جاز القنطرة نزل منزلا، فأقام فيه حتى أصبح، وأراد المقام يومه، فقال له العذافر بن زيد: ليأتمر الأمير على المقام يومه حتى يتلاحق الناس قال: فأمر بالرحيل وقال: لا حاجة لنا إلى المتخلفين، ثم ارتحل، وعلى مقدمته سالم بن منصور البجلي في ثلاثمائة، فلقى ثلاثمائة من الترك طليعة لخاقان، فأسر قائدهم وسبعة منهم معه، وهرب بقيتهم، فأتى به أسد قال: فبكي التركي، قال: ما يبكيك؟ قال:

لست أبكي لنفسي، ولكني أبكي لهلاك خاقان، قال: كيف؟ قال: لأنه قد فرق جنوده فيما بينه وبين مرو.

قال: وسار أسد، حتى نزل السدرة - قرية ببلخ - وعلى خيل أهل العالية ربحان بن زياد العامري العبدلي من بني عبد الله بن كعب قال:

فغزله، وصير على أهل العالية منصور بن سالم، ثم ارتحل من السدرة، فنزل خريستان، فسمع أسد صهيل فرس، فقال: لمن هذا؟ فقيل: للعقار بن ذعير، فتطير من اسمه واسم أبيه، فقال: ردوه، قال: إني مقتول بجراقي على الترك، قال: أسد: قتلك الله! ثم سار حتى إذا شارف العين الحارة استقبله بشر بن رزين - أو رزين بن بشر - فقال بشارة ورزاة، ما وراءك يا رزين؟ قال: إن لم تغثنا غلبنا على مدينتنا، قال: قل للمقدام بن عبد الرحمن يطاول رمحي، فسار فنزل من مدينة الجوزجان بفرسخين، ثم أصبحنا وقد تراءت الخيلان، فقال خاقان للحارث: من هذا؟ فقال: هذا محمد ابن المثنى ورأيت، ويقال: إن طلائع لخاقان انصرفت إليه فأخبرته أن رهجا

ساطعا طلع من قبل بلخ، فدعا خاقان الحارث، فقال: ألم تزعم أن أسدا ليس به نهوض! وهذا رهج قد أقبل من ناحية بلخ، قال الحارث: هذا اللص الذي كنت قد أخبرتك أنه من أصحابي فبعث خاقان طلائع، فقال:

انظروا هل ترون على الإبل سريرا وكراسي؟ فجاءته الطلائع، فأخبروه أنهم عابوها، فقال خاقان: للصوص لا يحملون الأسرة والكراسي، وهذا أسد قد أتاك فسار أسد غلوة فلقى سالم بن جناح، فقال: أبشر أيها الأمير، قد حرزتهم ولا يبلغون أربعة آلاف، وأرجو أن يكون عقيرة الله فقال المجشر بن مزاحم، وهو يسايره: أنزل أيها الأمير رجالك، فضرب وجه دابته، وقال: لو أطعت يا مجشر ما كنا قدمنا هاهنا، وسار غير بعيد، وقال: يا أهل الصباح، انزلوا، فنزلوا وقربوا دوابهم، وأخذوا النبل والقيسي.

قَالَ: وخاقان في مرج قد بات فيه تلك الليلة.

قَالَ: وقال عمرو بن أبي موسى: ارتحل أسد حين صلى الغداة، فر بالجوزجان وقد استباحها خاقان حتى بلغت خيله الشبورقان قَالَ: وقصور الجوزجان إذ ذاك ذليلة قَالَ: وأتاه المقدام بن عبد الرحمن بن نعيم الغامدي في مقاتلته وأهل الجوزجان- وكان عاملها- فعرضوا عليه أنفسهم، فقال: أقيموا في مدينتكم، وقال للجوزجان بن الجوزجان: سر معي، وكان على التبعثه القاسم بن بجيت المراغي، فجعل الأزد وبني تميم والجوزجان بن الجوزجان وشاكريته ميمنته، وأضاف إليهم أهل فلسطين، عليهم مصعب بن عمرو الخزاعي، وأهل قنسرين عليهم صغراء بن أحمري، وجعل ربيعة ميسرة، عليهم يحيى بن حضين، وضم إليهم أهل حمص عليهم جعفر بن حنظلة البهراني، وأهل الأزد وعليهم سليمان بن عمرو المقرئ من حمير، وعلى المقدمة منصور بن مسلم البجلي، وأضاف إليهم أهل دمشق عليهم حملة بن نعيم الكلبي، وأضاف إليهم الحرس والشرطة وغلما أسد.

قَالَ: وعي خاقان الحارث بن سريج وأصحابه وملك السغد وصاحب الشاش وخرابره أبا خاناخره، جد كاوس وصاحب الختل جبغويه، والترك

كلهم ميمنة فلما التقوا حمل الحارث ومن معه من أهل السغد والباية وغيرهم على الميسرة، وفيها ربيعة وجندان من أهل الشام، فهزمهم فلم يردهم شيء دون رواق أسد، فشدت عليهم الميمنة- وهم الأزد وبني تميم والجوزجان- فما وصلوا إليهم حتى انهزم الحارث والأترك، وحمل الناس جميعا، فقال أسد: اللهم إنهم عصوني فانصرهم، وذهب الترك في الأرض عباديد لا يلوون على أحد، فقتبهم الناس مقدار ثلاثة فرائخ يقتلون من يقدرهم عليه، حتى انتهوا إلى أغنامهم، فاستاقوا أكثر من خمس وخمسين ومائة ألف شاة ودواب كثيرة وأخذ خاقان طريقا غير الجادة في الجبل، والحارث بن سريج يحميه، ولحقهم أسد عند الظهر ويقال: لما واقف أسد خاقان يوم خريستان كان بينهم نهر عميق، فأمر أسد برواقه فرفع، فقال رجل من بني قيس بن ثعلبة: يا أهل الشام، أهكذا رأيكم، إذا حضر الناس رفعت الأبنية! فأمر به فخط، وهاجت ريح الحرب التي تسمى الهفافة، فهزمهم الله، واستقبلوا القبلة يدعون الله ويكبرون واقتل خاقان في قريب من أربعمائة فارس عليهم الحمرة، وقال لرجل يقال له سوري:

إنما أنت ملك الجوزجان إن أسلمت العرب، فمن رايت من أهل الجوزجان موليا فاقتله وقال الجوزجان لعثمان بن عبد الله الشخير: إني لأعلم ببلادي وطرقها، فهل لك في أمر فيه هلاك خاقان ولك فيه ذكر ما بقيت؟ قَالَ:

ما هو؟ قَالَ: تتبعني، قَالَ: نعم، فأخذ طريقا يسمى وراذك، فأشرفوا على طوقات خاقان وهم آمنون، فأمر خاقان بالكوسات فضربت ضربة الانصراف وقد شبت الحرب، فلم يقدر الترك على الانصراف، ثم ضربت الثانية فلم يقدرها، ثم ضربت الثالثة فلم يقدرها لا شغلهم، فحمل ابن الشخير والجوزجان على الطوقات، وولى خاقان مدبرا منهزما، فحوى المسلمون عسكرهم وتركوا قدورهم تغلي ونساء من نساء العرب والمواليات ومن نساء الترك، ووحل بخاقان برذونه فحماه الحارث بن سريج قَالَ: ولم يعلم الناس أنه

خاقان، ووجد عسكر الترك مشحونا من كل شيء من آنية الفضة وصناعات الترك وأراد الخصي أن يحمل امرأة خاقان، فأعجلوه عن ذلك، فطعنوا بخنجر فوجدوها تتحرك، فأخذوا خفيها وهو من لبود مضرب.

قَالَ: فبعث أسد بجواري الترك إلى دهاقين خراسان، واستنقذ من كان في أيديهم من المسلمين قَالَ: وأقام أسد خمسة أيام قَالَ: فكانت الخيول التي فرق تقبل فيصيبهم أسد، فاغتم الظفر وانصرف إلى بلخ يوم التاسع من خروجه، فقال ابن السجف المجاشعي:

لو سرت في الأرض تقيس الأرض... تقيس منها طولها والعرضا

لم تلق خيرا مرة ونقضا... من الأمير أسد وامضي

أفضى إلينا، الخير حين أفضى... وجمع الشمل وكان رفضا

ما فاته خاقان إلا ركضا... قد فض من جموعه ما فضا

يا بن سريج قد لقيت حمضا... حمضا به يشفى صداع المرضى

قَالَ: وارتحل أسد، فنزل جزة الجوزجان من غد، وخاقان بها، فارتحل هاربا منه وندب أسد الناس، فانتدب ناس كثير من أهل

الشام وأهل العراق، فاستعمل عليهم جعفر بن حنظلة البهراني، فساروا ونزلوا مدينة تسمى ورد من أرض جزة، فباتوا بها فأصابهم ريح ومطر- ويقال:

أصابهم الثلج- فرجعوا ومضى خاقان فنزل على جبغويه الطخاري، وانصرف البهراني إلى أسد، ورجع أسد إلى بلخ، فلقوا خيل الترك التي كانت بمرو الروذ منصرفة لتغير على بلخ، فقتلوا من قدروا عليه منهم، وكان الترك قد بلغوا بيعة مرو الروذ، وأصاب أسد يومئذ أربعة آلاف درع، فلما صار ببلخ أمر الناس بالصوم لافتتاح الله عليهم.

قَالَ: وكان أسد يوجه الكرمان في السرايا، فكانوا لا يزالون يصيبون الرجل والرجلين والثلاثة وأكثر من الترك، ومضى خاقان إلى طخارستان العليا،

فأقام عند جبغويه الخزنلخي تعززا به، وأمر بصنيعة الكوسات، فلما جفت وصلحت أصواتها ارتحل إلى بلاده، فلما ورد شروسة، تلقاه خرابغره ابو خاناخره، جد كاوس أبي أفشين باللعاين، وأعد له هدايا ودواب له ولجنده- وكان الذي بينهما متباعدة- فلما رجع منهزما أحب أن يتخذ عنده يدا، فأثاه بكل ما قدر عليه ثم أتى خاقان بلاده، وأخذ في الاستعداد للحرب ومحاصرة سمرقند، وحمل الحارث بن سرج وأصحابه على خمسة آلاف بردون، وفرق براذين في قواد الترك، فلاعب خاقان يوما كورصول بالنرد على خطر تدرجة، فقرر كورصول الترقشي، فطلب منه التدرجة، فقال: أنثى، فقال: الآخر ذكر، فتنازعا، فكسر كورصول يد خاقان، فحلف خاقان ليكسرن يد كورصول، وبلغ كورصول، فتنحى وجمع جمعا من أصحابه، فبيت خاقان فقتله، فأصبحت الترك تفرقوا عنه وتركوه مجردا، فأثاه زريق بن طفيل الكشاني وأهل بيت المحوكيين- وهم من عظماء الترك- فحمله ودفنه، وصنع به ما يصنع بمثله إذا قتل.

فنفرت الترك في الغارات بعضها على بعض، وانحاز بعضهم إلى الشاش، فعند ذلك طمع أهل السغد في الرجعة إليها قال: فلم يسلم من خيل الترك التي تفرقت في الغارات إلا زر بن الكسي، فإنه سلم حتى صار إلى طخارستان، وكان أسد بعث من مدينة بلخ سيف بن وصاف العجلي على فرس، فسار حتى نزل الشبورقان قَالَ: وفيها إبراهيم بن هشام مسلحة، فحمله منها على البريد حتى قدم على خالد بن عبد الله، فأخبره، ففزع به هشام فلم يصدقه، وقال للربيع حاجبه: ويحك! إن هذا الشيخ قد أتاننا بالطامه الكبرى إذا كان صادقا، ولا أراه صادقا، اذهب فعده ثم سله عما يقوله وأتني بما يقول.

فانطلق إليه ففعل الذي أمره به، فأخبره بالذي أخبر به هشاما قَالَ: فدخل عليه أمر عظيم، فدعا به بعد، فقال: من القاسم بن بخيت منكم؟ قَالَ:

ذلك صاحب العسكر، قَالَ: فإنه قد أقبل، قَالَ: فإن كان قد أقبل فقد فتح الله على أمير المؤمنين- وكان أسد وجهه حين فتح الله عليه- فأقبل القاسم بن بخيت، فكبر على الباب، ثم دخل يكبر وهشام يكبر لتكبيره، حتى انتهى إليه، فقال: الفتح يا أمير المؤمنين، وأخبره الخبر، فنزل هشام عن سريريه فسجد سجدة الشكر، وهي واحدة عندهم قَالَ: فحسدت القيسية أسدا وخالدا، وأشاروا على هشام أن يكتب إلى خالد بن عبد الله، فيأمر أخاه أن يوجه مقاتل بن حيان، فكتب إليه، فدعا أسد مقاتل بن حيان على رءوس الناس، فقال: سر إلى أمير المؤمنين فأخبره بالذي عاينت وقل الحق، فإنك لا تقول غير الحق إن شاء الله، وخذ من بيت المال حاجتك.

قالوا: إذا لا يأخذ شيئا، قَالَ: أعطه من المال كذا وكذا، ومن الكسوة كذا وكذا، وجهزه.

فسار فقدم على هشام بن عبد الملك وهو والأبرش جالسان، فسأله فقال: غزونا الختل، فأصبنا أمرا عظيما، وانذر أسد بالترك فلم نحفل بهم حتى لحقوا واستنقذوا من غنائنا، واستباحوا بعض عسكرنا، ثم دفعونا دفعة قريبا من خلم، فانتفى الناس الى مشاتهم، ثم جاءنا مسير خاقان إلى الجوزجان، ونحن قريبو العهد بالعدو، فسار بنا حتى التقينا برستاق بيننا وبين أرض الجوزجان، فقاتلناهم وقد حازوا ذراري من ذراري المسلمين، فحملوا على ميسرتنا فكشفوهم ثم حملت ميمنتنا عليهم، فأعطانا الله عليهم الظفر، وتبعناهم فرائخ حتى استبحنا عسكر خاقان، فأجلى عنه- وهشام متكئ فاستوى جالسا عند ذكره عسكر خاقان- فقال ثلاثا: أتم استبحتم عسكر خاقان! قَالَ: نعم، قَالَ: ثم ماذا؟ قال: دخلوا الختل وانصرفوا.

قَالَ هشام: إن أسدا لضعيف، قَالَ: مهلا يا أمير المؤمنين، ما أسد بضعيف وما أطاق فوق ما صنع، فقال له هشام: حاجتك؟ قَالَ: إن يزيد بن المهلب أخذ من أبي حيان مائة ألف درهم بغير حق، فقال له هشام: لا أكلفك شاهدا، احلف بالله إنه كما قلت، خلف، فردها عليه من بيت مال خراسان، وكتب إلى خالد أن يكتب إلى أسد فيها، فكتب إليه، فأعطاه أسد مائة ألف درهم، فقسمها بين ورثة حيان على كتاب الله وفرائضه.

ويقال: بل كتب إلى أسد أن يستخبر عن ذلك، فإن كان ما ذكر حقا أعطي مائة ألف درهم. وكان الذي جاء بفتح خراسان إلى مرو عبد السلام بن الأشهب بن عتبة الحنظلي قَالَ: فأوفد أسد إلى خالد بن عبد الله وفدا في هزيمته يوم سان، ومعهم طوقات خاقان ورءوس من قتلوا منهم، فأوفدهم خالد إلى هشام، فأحلفهم أنهم صدقوا، فحلفوا، فوصلهم، فقال أبو الهندي الأسدي لأسد يذكر وقعة سان:

أبا منذر رمت الأمور فقتستها ... وساءلت عنها كالخريص المساموم
فما كان ذو رأي من الناس قسته ... برأيك إلا مثل رأي البهائم
أبا منذر لولا مسيرك لم يكن ... عراق ولا انقادت ملوك الأعاجم
ولا حج بيت الله - مذ حج - راكب ... ولا عمر البطحاء بعد المواسم
فكم من قتيل بين سان وجزة ... كثير الأيادي من ملوك ققام
تركت بأرض الجوزجان تزوره ... سباع وعقبان لحز الغلاصم
وذي سوقة فيه من السيف خطة ... به رمق حامت عليه الحوائم
فمن هارب منا ومن دائن لنا ... أسير يقاسي مبهمات الأداهم
فدتك نفوس من تميم وعامر ... ومن مضر الحمراء عند المآزم
هم أطمعوا خاقان فينا فأصبحت ... جلائبه ترجو احتواء المغانم

قَالَ: وكان السبل أوصى عند موته ابن السائجي حين استخلفه بثلاث خصال، فقال: لا تستطل على أهل الختل استطالتي التي كانت عليهم،

٧٠١٦٠٢ ذكر الخبر عن مقتل المغيرة بن سعيد ونفر معه

فإني ملك ولست بملك، إنما أنت رجل منهم، فلا يحتملون لك ما يحتملون للملوك، ولا تدع أن تطلب الجيش حتى ترده إلى بلادكم، فإنه الملك بعدي والملوك هم النظام، والناس ما لم يكن لهم نظام طعام، ولا تحاربوا العرب واحتالوا لهم كل حيلة تدفعونهم بها عن أنفسكم ما قدرتم فقال له ابن السائجي: أما ما ذكرت من تركي الاستطالة على أهل الختل فإني قد عرفت ذلك، وأما ما أوصيت من رد الجيش فقد صدق الملك، وأما قولك: لا تحاربوا العرب، فكيف تنهى عن حربهم، وقد كنت أكثر الملوك لهم محاربة! قَالَ: قد أحسنت إذ سألت عما لا تعلم، إني قد جربت قوتكم بقوتي، فلم أجدم تقعون مني موقعا، فكنت إذا حاربتم لم أفلت منهم إلا جريضا، وإنكم إن حاربتموهم هلكتم في أول محاربتكم إياهم.

قال وكان الجيش، قد هرب إلى الصين، وابن السائجي الذي أخبر أسد بن عبد الله بمسير خاقان إليه، فكره محاربه اسد. ذكر الخبر عن مقتل المغيرة بن سعيد ونفر معه

وفي هذه السنة خرج المغيرة بن سعيد وبيان في نفر، فأخذهم خالد فقتلهم. ذكر الخبر عن مقتلهم:

أما المغيرة بن سعيد، فإنه كان - فيما ذكر - ساحرا حدثنا ابن حميد، قَالَ: حدثنا جرير، عن الأعمش، قَالَ: سمعت المغيرة بن سعيد، يقول:

لو أردت ان احبي عادا او ثودا وقرونا بين ذلك كثيرا لأحييتهم قَالَ الأعمش:

وكان المغيرة يخرج إلى المقبرة فيتكلم، فيرى مثل الجراد على القبور، أو نحو هذا من الكلام.

وذكر أبو نعيم، عن النضر بن محمد، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: قدم علينا رجل من أهل البصرة يطلب العلم، فكان

عندنا، فأمرت جاريتي يوما أن تشتري لي سمكا بدرهمين، ثم انطلقت أنا

والبصري إلى المغيرة بن سعيد، فقال لي: يا محمد، أتحب أن أخبرك، لم اقترق حاجباك؟ قلت: لا، قَالَ أفتحب أن أخبرك لم سماك

أهلك محمدا؟ قلت:

لا، قَالَ: أما إنك قد بعثت خادمك يشتري لك سمكا بدرهمين قَالَ:

فنهضنا عنه قَالَ أبو نعيم: وكان المغيرة قد نظر في السحر، فأخذه خالد القسري فقتله وصلبه.

وذكر أبو زيد أن أبا بكر بن حفص الزهري، قَالَ: أخبرني محمد بن عقييل، عن سعيد بن مردابند، مولى عمرو بن حريث، قَالَ: رأيت

خالدا حين أتى بالمغيرة وبيان في ستة رهط أو سبعة، أمر بسريره فأخرج إلى المسجد الجامع، وأمر بأطنان قصب ونفط فأحضرا، ثم

أمر المغيرة أن يتناول طنا فكع عنه وتأنى، فصبت السياط على رأسه، فتناول طنا فاحتضنه، فشد عليه، ثم صب عليه وعلى الطن نفط،

ثم ألهمت فيهما النار فاحترقا، ثم أمر الرهط ففعلوا، ثم أمر بيانا آخرهم فقدم إلى الطن مبادرا فاحتضنه، فقال خالد: ويلكم! في كل

أمر تحمقون، هلا رأيتم هذا المغيرة! ثم أحرقه.

قَالَ أبو زيد: لما قتل خالد المغيرة وبيانا أرسل إلى مالك بن أعين الجهني فسأله فصدقه عن نفسه، فأطلقه، فلما خلا مالك بمن يثق به-

وكان فيهم أبو مسلم صاحب خراسان- قَالَ:

ضربت له بين الطريقين لاحبا ... وطنت عليه الشمس فيمن يطينا

وألقيته في شبة حين سألني ... كما اشتبها في الخط سين وشينا

فقال أبو مسلم حين ظهر أمره: لو وجدته لقتلته بإقراره على نفسه.

قَالَ أحمد بن زهير، عن علي بن محمد، قَالَ: خرج المغيرة بن سعيد في سبعة نفر، وكانوا يدعون الوصفاء، وكان خروجهم بظهر الكوفة،

فأخبر خالد القسري بخروجهم وهو على المنبر، فقال: أطعموني ماء، فعنى ذلك عليه ابن نوفل، فقال:

أخالد لا جزاك الله خيرا ... وأير في أمك من أمير

٧٠١٦٠٣ خبر مقتل بهلول بن بشر

تمنى الفخر في قيس وقسر ... كأنك من سراة بني جرير

وأملك علجة وأبوك وغد ... وما الاذنان عدلا للصدور

جرير من ذوي يمن أصيل ... كريم الأصل ذو خطر كبير

وأنت زعمت أنك من يزيد ... وقد ادحقتم دحق العبور

وكنت لدى المغيرة عبد سوء ... تبول من المخافة للزئير

وقلت لما أصابك: أطعموني ... شرابا ثم بلت على السرير

لأعلاج ثمانية وشيخ ... كبير السن ليس بذي نصير.

خبر مقتل بهلول بن بشر

وفي هذه السنة حكم بهلول بن بشر الملقب كثارة فقتل.

ذكر الخبر عن مخرجه ومقتله:

ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن بهلولا كان يتأله، وكان له قوت دائق، وكان مشهورا بالبأس عند هشام بن عبد الملك، فخرج يريد

الحج، فأمر غلامه أن يبتاع له خلا بدرهم، فجاءه غلامه بخمر، فامر بردها وأخذ الدراهم، فلم يجب إلى ذلك، فجاء بهلول إلى عامل

القرية- وهي من السواد- فكلهم، فقال العامل: انخر خير منك ومن قومك، فضى بهلول في حجه حتى فرغ منه، وعزم على الخروج على السلطان، فلقني بمكة من كان على مثل رأيه، فاتعدوا قرية من قرى الموصل، فاجتمع بها أربعون رجلا، وأمروا عليهم البهلول، وأجمعوا على ألا يمروا بأحد إلا أخبروه أنهم أقبلوا من عند هشام على بعض الأعمال، ووجههم إلى خالد لينفذهم في أعمالهم، فجعلوا لا يمترون بعامل إلا أخبروه بذلك وأخذوا دواب من دواب البريد، فلما انتهوا إلى القرية التي كان ابتاع فيها الغلام الخل فأعطي خمرا، قَالَ بهلول: نبدأ بهذا العامل الذي قَالَ ما قَالَ، فقال له أصحابه: نحن نريد قتل خالد، فان

بدأنا بهذا شهرنا وحذرنا خالد وغيره، فنشدك الله ان تقتل هذا فيفلت منا خالد الذي يهدم المساجد، ويبني البيع والكنايس، ويولي المجوس على المسلمين، وينكح أهل الذمة المسلمات، لعلنا نقتله فيريح الله منه قَالَ:

والله لا أدع ما يلزمني لما بعده، وأرجو أن أقتل هذا الذي قَالَ لي ما قَالَ وأدرك خالدا فاقته، وإن تركت هذا وأتيت خالدا شهر أمرنا فأفقت هذا، وقد قَالَ الله عز وجل: «قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً»، قالوا: أنت ورأيك فاتاه فقتله، فنذر بهم الناس وعلموا أنهم خوارج، وابتدروا إلى الطريق هرابا، وخرجت البرد إلى خالد فأخبروه أن خراجة قد خرجت، وهم لا يدرون حينئذ من رئيسهم.

نفرج خالد من واسط حتى اتى الحيرة وهو حينئذ في الحلق، وقد قدم في تلك الأيام قائد من أهل الشام من بني القين في جيش قد وجهوا مددا لعامل خالد على الهند، فنزلوا الحيرة، فلذلك قصدها خالد، فدعا رئيسهم فقال: قاتل هؤلاء المارقة، فإن من قتل منهم رجلا أعطيته عطاء سوى ما قبض بالشام، وأعفيته من الخروج إلى أرض الهند- وكان الخروج إلى أرض الهند شاقا عليهم- فسارعوا إلى ذلك، فقالوا: نقتل هؤلاء النفر ونزجهم إلى بلادنا فتوجه القيني إليهم في ستمائهم، وضم إليهم خالد مائتين من شرط الكوفة، فالتقوا على الفرات، فعبا القيني أصحابه، وعزل شرط الكوفة، فقال: لا تكونوا معنا- وإنما يريد في نفسه أن يخلو هو وأصحابه بالقوم فيكون الظفر لهم دون غيرهم لما وعدهم خالد- وخرج إليهم بهلول، فسأل عن رئيسهم حتى عرف مكانه، ثم تنكر له، ومعه لواء أسود، فحمل عليه فطعنه في فرج درعه، فأنفذه فقال: قتلتي قتلك الله! فقال بهلول: إلى النار أبعدك الله.

وولى أهل الشام مع شرط أهل الكوفة منهزمين حتى بلغوا باب الكوفة، وبهلول وأصحابه يقتلونهم فأما الشاميون فإنهم كانوا على خيل جياذ فقاتوه، وأما شرط الكوفة فإنه لحقهم، فقالوا: اتق الله فينا فانا مكرهون مقهورون،

فجعل يقرع رءوسهم بالرمح، ويقول: الحقوا! النجاء النجاء! ووجد البهلول مع القيني بدرة فأخذها وكان بالكوفة ستة نفر يرون رأي البهلول، فخرجوا إليه يريدون اللحاق به فقتلوا، وخرج إليهم البهلول وحمل البدرة بين يديه، فقال: من قتل هؤلاء النفر حتى أعطيه هذه الدراهم؟ فجعل هذا يقول: أنا، وهذا يقول:

أنا، حتى عرفهم، وهم يرون أنه من قبل خالد جاء ليعطيهم مالا لقتلهم من قتلوا فقال بهلول لأهل القرية: أصدق هؤلاء، هم قتلوا النفر؟ قالوا:

نعم، وخشي بهلول أنهم ادعوا ذلك طمعا في المال، فقال لأهل القرية:

انصرفوا أنتم، وأمر بأولئك فقتلوا، وعاب عليه أصحابه فخاجهم، فأقروا له بالحجة وبلغت هزيمة القوم خالدا وخبر من قتل من أهل صريفين، فوجه قائدا من بني شيبان أحد بني حوشب بن يزيد بن رويم، فلقبهم فيما بين الموصل والكوفة، فشد عليهم البهلول، فقال: نشدتك بالرحم! فإني جائح مستجير! فكف عنه، وانهمز أصحابه، فأتوا خالدا وهو مقيم بالحيرة ينتظر، فلم يرعه إلا الفل قد هجم عليه، فارتحل البهلول من يومه يريد الموصل، فخافه عامل الموصل، فكتب إلى هشام: إن خراجة خرجت فعاثت وأفسدت، وأنه لا يأمن على ناحيته، ويسأله جندا يقتلهم به، فكتب إليه هشام: وجه إليهم كجارة بن بشر- وكان هشام لا يعرف البهلول إلا بلقبه- فكتب إليه العامل: إن الخارج هو كجارة.

قَالَ: ثم قَالَ البهلول لأصحابه: إنا والله ما نصنع بابن النصرانية شيئا- يعني خالدا- وما خرجت إلا لله، فلم لا نطلب الرأس الذي يسلط خالدا وذوي خالدا! فتوجه يريد هشاما بالشام، فخاف عمال هشام موجدته إن تركوه يجوز بلادهم حتى ينتهي إلى الشام، فجند له

خالد جندا من أهل العراق، وجند له عامل الجزيرة جندا من أهل الجزيرة، ووجه إليه هشام جندا من أهل الشام، فاجتمعوا بدير بين الجزيرة والموصل، وأقبل بهلول حتى انتهى إليهم- ويقال: التقوا بالكحيل دون الموصل- فأقبل بهلول، فنزل على باب الدير، فقالوا له: ترحل عن باب الدير حتى نخرج إليك، فتحنى وخرجوا، فلما رأى كثرتهم وهو في سبعين جعل من أصحابه ميمنة وميسرة، ثم أقبل عليهم فقال: أكلكم يرجو أن يقتلنا ثم يأتي بلده وأهله سالما؟ قالوا: إنا نرجو ذلك إن شاء الله، فشد على رجل منهم فقتله، فقال: أما هذا فلا يأتي أهله أبدا، فلم يزل ذلك ديدنه حتى قتل منهم ستة نفر، فانهزموا، فدخلوا الدير فحاصروهم، وجاءتهم الأمداد فكانوا عشرين ألفا، فقال له أصحابه: ألا نعقر دوابنا، ثم نشد عليهم شدة واحدة؟ فقال: لا تفعلوا حتى نبلي الله عذرا ما استمسكنا على دوابنا، فقاتلوهم يومهم ذلك كله إلى جنح العصر حتى أكثروا فيهم القتل والجراح.

ثم ان بهلولا وأصحابه عقروا دوابهم وترجلوا، وأصلتوا لهم السيوف، فأوجعوا فيهم، فقتل عامة أصحاب بهلول وهو يقاتل ويدود عن أصحابه، وحمل عليه رجل من جديلة قيس يكنى أبا الموت، فطعنه فصرعه، فوافاه من بقي من أصحابه، فقالوا له: ول أمرنا من بعدك من يقوم به، فقال: إن هلكت فأمر المؤمنين دعامة الشيباني، فإن هلك دعامة فأمير المؤمنين عمرو اليشكري، وكان أبو الموت إنما ختل البهلول ومات بهلول من ليلته، فلما أصبحوا هرب دعامة وخلاهم، فقال رجل من شعرائهم:

لبئس أمير المؤمنين دعامة ... دعامة في الهيجاء شر الدعائم
وقال الضحاک بن قيس يرثي بهلولا، ويذكر أصحابه:

بدلت بعد أبي بشر وصحبته ... قوما علي مع الأحزاب أعوانا
كأنهم لم يكونوا من صحابتنا ... ولم يكونوا لنا بالأمس خلانا
يا عين أذري دموعا منك تهتانا ... وابكي لنا صحبة بانوا وإخوانا
خلوا لنا ظاهر الدنيا وباطنها ... وأصبحوا في جنان الخلد جيرانا
قال أبو عبيدة: ٤ لما قتل بهلول خرج عمرو اليشكري فلم يلبث أن قتل ثم

٤ خرج العنزي صاحب الأشهب- وبهذا كان يعرف- على خالد في ستين، فوجه إليه خالد السمط بن مسلم البجلي في أربعة آلاف، فالتقوا بناحية الفرات، فشد العنزي على السمط، فضربه بين أصابعه فألقى سيفه، وشلت يده، وحمل عليهم فانهزمت الحرورية فتلقاتهم عبيد أهل الكوفة وسفلتهم، فرموهم بالحجارة حتى قتلوهم.

٤ قال أبو عبيدة: ٤ ثم خرج وزير السخيتاني على خالد في نفر، وكان مخرجه بالحيرة، فجعل لا يمر بقرية إلا أحرقتها، ولا أحد إلا قتله، وغلب على ما هنالك وعلى بيت المال، فوجه إليه خالد قائدا من أصحابه وشرطا من شرط الكوفة، فقاتلوه وهو في نفر، فقاتل حتى قتل عامة أصحابه، وأثنى بالجراح، فأخذ مرثئا، فأتى به خالد، فأقبل على خالد فوعظه، وتلا عليه آيات من القرآن فأعجب خالد ما سمع منه، فأمسك عن قتله وحبسه عنده، وكان لا يزال يبعث إليه في الليالي فيؤتى به فيحادثه ويسأله، فبلغ ذلك هشاما وسعى به إليه، وقيل: أخذ حروريا قد قتل وحرقت وأباح الأموال، فاستبقاه فاتخذته سميرا فغضب هشام، وكتب إلى خالد يشتمه، ويقول: لا تستبق فاسقا قتل وحرقت، وأباح الأموال، فكان خالد يقول:

إني أنفس به عن الموت لما كان يسمع من بيانه وفصاحته فكتب فيه إلى هشام يرقق من أمره- ويقال: بل لم يكتب ولكنه كان يؤخر أمره ويدفع عنه- حتى كتب إليه هشام يؤنبه ويأمره بقتله وإحراقه، فلما جاءه أمر عزيمة لا يستطيع دفعه بعث إليه وإلى نفر من أصحابه كانوا أخذوا معه، فامر بهم فادخلوا المسجد، وأدخلت أطنان القصب فشدوا فيها، ثم صب عليهم النفط، ثم أخرجوا فنصبوا في الرحبة، ورموا بالنيران، فما منهم أحد إلا من اضطراب وأظهر جزعا، إلا وزيرا فإنه لم يتحرك، ولم يزل يتلو القرآن حتى مات.

وفي هذه السنة غزا أسد بن عبد الله الختل وفيها قتل اسد بدرطاخان ملك الختل

٧٠١٦٠٤ ذكر الخبر عن غزوه اسد المختل هذه الغزوة وسبب قتله بدر طرخان

ذكر الخبر عن غزوة أسد المختل هذه الغزوة وسبب قتله بدر طرخان
ذكر علي بن محمد عن أشياخه الذين ذكرناهم قبل انهم قالوا: غزا اسد ابن عبد الله المختل وهي غزوة بدر طرخان، فوجه مصعب بن عمرو الخزاعي إليها، فلم يزل مصعب يسير حتى نزل بقرب بدر طرخان، فطلب الأمان على أن يخرج إلى أسد فأجابه مصعب، فخرج إلى أسد فطلب منه أشياء فامتنع، ثم سأل بدر طرخان أن يقبل منه ألف ألف درهم، فقال له أسد: إنك رجل غريب من أهل الباميان، اخرج من المختل كما دخلتها فقال له بدر طرخان: دخلت أنت خراسان على عشرة من المحذفة، ولو خرجت منها اليوم لم تستقل على خمسمائة بعير، وغير ذلك أني دخلت المختل بشيء فاردده علي حتى أخرج منها كما دخلتها قال: وما ذاك؟ قال:

دخلتها شابا فكسبت المال بالسيف، ورزق الله أهلا وولدا، فاردد علي شبابي حتى أخرج منها، هل ترى أن أخرج من أهلي وولدي! فما بقائي بعد أهلي وولدي! فغضب أسد.

قال: وكان بدر طرخان يثق بالأمان، فقال له أسد: اختم في عنقك، فإني أخاف عليك معرة الجند، قال: لست أريد ذلك، وأنا أكتفي من قبلك برجل يبلغ بي مصعبا فأبي أسد إلا أن يختم في عنقه، فختم في رقبته ودفعه إلى أبي الأسد مولاه، فسار به أبو الأسد، فأتته إلى عسكر المصعب عند المساء وكان سلمة بن أبي عبد الله في الموالى مع مصعب، فوافى أبو الأسد سلمة، وهو يضع الدراجة في موضعها، فقال سلمة لأبي الأسد: ما صنع الأمير في امر بدر طرخان؟ فقص الذي عرض عليه بدر طرخان وإباء أسد ذلك، وسرحه معه إلى المصعب ليدخله الحصن، فقال سلمة: إن الأمير لم يصب

فيما صنع، وسينظر في ذلك ويندم، إنما كان ينبغي له أن يقبض ما عرض عليه أو يحبس فلا يدخله حصنه، فإنما دخلناه بقناطر اتخذناها، ومضايق أصلحناها، وكان يمنعه أن يغير علينا رجاء الصلح، فإذا يئس من الصلح فإنه لا يدع الجهد فدعه الليلة في قبتي، ولا تتطلق به إلى مصعب، فإنه ساعة ينظر إليه يدخله حصنه.

قال: فأقام أبو الأسد وبدر طرخان معه في قبة سلمة، وأقبل أسد بالناس في طريق ضيق، فتقطع الجند، ومضى أسد حتى انتهى إلى نهر وقد عطش - ولم يكن أحد من خدمه - فاستسقى، وكان السغدي بن عبد الرحمن أبو طعمه الحزمي معه شاكري له، ومع الشاكري قرن تبتى، فأخذ السغدي القرن، فجعل فيه سويقا، وصب عليه ماء من النهر، وحركه وسقى أسدا وقوما من رؤساء الجند، فنزل أسد في ظل شجرة، ودعا برجل من الحرس، فوضع رأسه في نغذه، وجاء المجشر بن مزاحم السلمي يقود فرسه حتى قعد تجاهه حيث ينظر أسدا، فقال أسد: كيف أنت يا أبا العديس؟ قال:

كنت أمس أحسن حالا مني اليوم، قال: وكيف ذاك؟ قال: كان بدر طرخان في أيدينا وعرض ما عرض، فلا الأمير قبل منه ما عرض عليه ولا هو شد يده عليه، لكنه خلى سبيله، وأمر بإدخاله حصنه لما عنده - زعم - من الوفاء فندم أسد عند ذلك، ودعا بدليل من أهل المختل ورجل من أهل الشام نافذ، فاره الفرس فأتى بهما، فقال للشامي: إن أنت أدركت بدر طرخان قبل أن يدخل حصنه فلك ألف درهم، فتوجهها حتى انتهيا إلى عسكر مصعب، فنادى الشامي: ما فعل العليج؟ قيل: عند سلمة، وانصرف الدليل إلى أسد بالخبر، واقام الشامي مع بدر طرخان في قبة سلمة، وبعث اسد الى بدر طرخان فحوله اليه فشتمه، فعرف بدر طرخان أنه قد نقض عهده، فرفع حصاة فرمى بها إلى السماء، وقال: هذا عهد الله، وأخذ أخرى فرمى بها إلى السماء، وقال:

هذا عهد محمد ص، وأخذ يصنع كذلك بعهد أمير المؤمنين وعهد المسلمين، فأمر أسد بقطع يده، وقال أسد: من هاهنا من أولياء

٧٠١٦٠٥ ظهور الصحاري بن شبيب الخارجي

أبي فديك رجل من الأزدي قتل بدر طرخان، فقام رجل من الأزدي فقال: أنا، قال: اضرب عنقه، ففعل وغلب أسد على القلعة العظمى، وبقيت قلعة فوقها صغيرة فيها ولده وأمواله، فلم يوصل إليهم، وفرق

أسد الخيل في أودية الختل.
 قَالَ: وقدم أسد مرو، وعليها أيوب بن أبي حسان التيمي، فعزله واستعمل خالد بن شديد، ابن عمه فلما شخص إلى بلخ بلغه أن عمارة بن حريم تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب، فكتب إلى خالد بن شديد:
 احمل عمارة على طلاق ابنة يزيد، فإن أبي فاضربه مائة سوط، فبعث إليه فأتاه وعنده العذافر بن زيد التيمي، فأمره بطلاقها، ففعل بعد إباء منه، وقال عذافر: عمارة والله فتى قيس وسيدها، وما بها عليه أبهة، أي ليست بأشرف منه فتوفي خالد بن شديد، واستخلف الاشعث بن جعفر البجلي.
 ظهور الصحاري بن شبيب الخارجي
 وفيها شري الصحاري بن شبيب، وحكم بجبل ذكر خبره:
 ذكر عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أن الصحاري بن شبيب أتى خالدا يسأله الفريضة، فقال: وما يصنع ابن شبيب بالفريضة! فودعه ابن شبيب، ومضى، وندم خالد وخاف أن يفتق عليه فتقا، فأرسل إليه يدعوه، فقال:
 أنا كنت عنده آنفا، فأبوا أن يدعوه، فشد عليهم بسيفه، فتركوه فركب وسار حتى جاوز واسطا، ثم عقر فرسه وركب زورقا ليخفي مكانه، ثم قصد إلى نفر من بني تيم اللات بن ثعلبة، كانوا بجبل، فأتاهم متقلدا سيفا فأخبرهم خبره وخبر خالد، فقالوا له: وما كنت ترجو بالفريضة! كنت لأن تخرج إلى ابن النصرانية فتضربه بسيفك أخرى فقال: إني والله ما أردت الفريضة، وما أردت إلا التوصل إليه لئلا يتكرني، ثم أقتل ابن النصرانية غيلة بقتله فلانا- وكان خالد قبل ذلك قد قتل رجلا من قعدة الصفرية صبوا- ثم دعاهم الصحاري إلى الوثوب معه فأجابه بعضهم، وقال بعضهم:
 ننتظر، وأبى بعضهم وقالوا: نحن في عافية، فلما رأى ذلك قال:
 لم أرد منه الفريضة إلا ... طمعا في قتله أن أنا لا
 فأريح الأرض منه ومن ... عاث فيها وعن الحق مالا
 كل جبار عنيد أراه ... ترك الحق وسن الضلالا
 إنني شار بنفسي لربي ... تارك قيدا لديهم وقالوا
 بائع أهلي ومالي أرجو ... في جنان الخلد أهلا ومالا
 قال: فبايعه نحو من ثلاثين، فشرى بجبل، ثم سار حتى أتى المبارك.
 فبلغ ذلك خالدا، فقال: قد كنت خفتها منه ثم وجه إليه خالد جندا، فلقوه بناحية المناذر، فقاتلهم قتالا شديدا، ثم انطوا عليه فقتلوه وقتلوا جميع أصحابه.
 قال أبو جعفر: و حج بالناس في هذه السنة ابو شاكر مسلم بن هشام ابن عبد الملك، و حج معه ابن شهاب الزهري في هذه السنة.
 وَكَانَ الْعَامِلُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالطَّائِفِ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامٍ، وَعَلَى الْعِرَاقِ وَالْمَشْرِقِ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ، وَعَامِلُ خَالِدٍ عَلَى خُرَاسَانَ أَخُوهُ أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ.
 وقد قيل: إن أخا خالد أسدا هلك في هذه السنة، واستخلف عليها جعفر بن حنظلة البهراني.
 وقيل: إن أسدا أخا خالد بن عبد الله إنما هلك في سنة عشرين ومائة.
 وكان على أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد.

٧٠١٧ سنه عشرين ومائه

٧٠١٧٠١ خبر وفاه اسد بن عبد الله القسري

ثم دخلت

سنة عشرين ومائة

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث) فمن ذلك غزوة سليمان بن هشام بن عبد الملك الصائفة وافتتاحه - فيما ذكر - سندرة، وغزوة إسحاق بن مسلم العقيلي وافتتاحه قلاع تومانشاه وتخريبه أرضه، وغزوة مروان بن محمد أرض الترك.

خبر وفاه اسد بن عبد الله القسري
وفيهما كانت وفاة أسد بن عبد الله في قول المدائني.
ذكر الخبر عن سبب وفاته:

وكان سبب ذلك أنه كانت به - فيما ذكر - ديلة في جوفه، فحضر المهرجان وهو ببلخ، فقدم عليه الأمراء والدهاقين، فكان ممن قدم عليه إبراهيم بن عبد الرحمن الحنفي عامله على هراة وخراسان، ودهقان هراة، فقد ما بهدية قومت بألف ألف، فكان فيما قدما به قصران: قصر من فضة وقصر من ذهب، وأباريق من ذهب وأباريق من فضة وصحاف من ذهب وفضة، فأقبلا وأسدا جالس على السرير، وأشرف خراسان على الكراسي، فوضعا القصرين، ثم وضعا خلفهما الأباريق والصحاف والديباج المروي والقوهي والهروي وغير ذلك، حتى امتلأ السماط، وكان فيما جاء به الدهقان أسدا كرة من ذهب، ثم قام الدهقان خطيبا، فقال: أصلح الله الأمير! إنا معشر العجم، أكلنا الدنيا أربعمئة سنة، أكلناها بالحلم والعقل والوقار، ليس فينا كتاب ناطق، ولا نبي مرسل، وكانت الرجال عندنا ثلاثة: ميمون النقيبة أينما توجه فتح الله على يده، والذي يليه رجل تمت مروته في بيته فان كان كذلك رجي وعظم، وقود وقدم، ورجل رحب صدره، وبسط

يده فرجي، فإذا كان كذلك قود وقدم، وإن الله جعل صفات هؤلاء الثلاثة الذين أكلنا الدنيا بهم أربعمئة سنة فيك أيها الأمير، وما نعلم أحدا هو أتم كتخدانية منك، إنك ضببت أهل بيتك وحشمك ومواليك، فليس منهم أحد يستطيع أن يتعدى على صغير ولا كبير، ولا غنى ولا فقير، فهذا تمام الكتخدانية، ثم بنيت الإيوانات في المفاوز، فيجيء الجائي من المشرق والآخر من المغرب، فلا يجدان عيبا إلا أن يقولوا: سبحان الله ما أحسن ما بني! ومن يمن نقيبتك أنك لقيت خاقان وهو في مائة ألف، معه الحارث ابن سريج فهزمته وفلته، وقتلت أصحابه، وأبجت عسكره وأما رحب صدرك وبسط يدك، فإنا ما ندرى أي المالين أقر لعينك؟ أمال قدم عليك، أم مال خرج من عندك! بل أنت بما خرج أقر عينا فضحك أسد، وقال:

أنت خير دهاقين خراسان وأحسنهم هدية، وناولته تفاحة كانت في يده، وسجد له دهقان هراة، وأطرق أسد ينظر إلى تلك الهدايا، فنظر عن يمينه، فقال: يا عذافر بن يزيد، مر من يحمل هذا القصر الذهب، ثم قال:

يا معن بن أحمز رأس قيس - أو قال قنسرين - مر بهذا القصر يحمل، ثم قال: يا فلان خذ إبريقا، ويا فلان خذ إبريقا، وأعطى الصحاف حتى بقيت صحتان، فقال: قم يا بن الصياد، نخذ صحيفة، قال:

فأخذ واحدة فرزنها فوضعها، ثم أخذ الأخرى فرزنها، فقال له أسد: ما لك؟

قال: آخذ أرزنها، قال: خذهما جميعا، وأعطى العرفاء وأصحاب البلاء، فقام أبو اليعفور - وكان يسير أمام صاحب خراسان في المغازي - فنادى: هلم إلى الطريق، فقال أسد: ما أحسن ما ذكرت بنفسك! خذ ديباجتين، وقام ميمون العذاب فقال: إلي، إلى يسارك، إلى المجادة، فقال:

ما أحسن ما ذكرت نفسك! خذ ديباجة، قال: فأعطى ما كان في السماط كله، فقال نهر بن توسعة:
تقلون إن نادى لروح مثوب ... وأنتم غداة المهرجان كثير

٧٠١٧٠٢ امر شيعه بنى العباس بخراسان

ثم مرض أسد، فأفاق إفاقة نفرج يوما، فأتي بكثري أول ما جاء، فأطعم الناس منه واحدة واحدة، وأخذ كثرة فرمى بها إلى خراسان دهقان هراة، فانقطعت الديلة، فهلك. واستخلف جعفر البهراني، وهو جعفر بن حنظلة سنة عشرين ومائة فعمل أربعة أشهر، وجاء عهد نصر بن سيار في رجب سنة إحدى وعشرين ومائة، فقال ابن عرس العبدى:
نعى أسد بن عبد الله ناع ... فربيع القلب للملك المطاع

ببلخ وافق المقدار يسري ... وما لقضاء ربك من دفاع
 فجودي عين بالعبرات سحا ... ألم يحزنك تفريق الجماع!
 أتاه حمامه في جوف صيغ ... وكم بالصيغ من بطل شجاع!
 كتائب قد يجيئون المنادي ... على جرد مسومة سراع
 سقيت الغيث إنك كنت غيثا ... مريعا عند مرتاد النجاع
 وقال سليمان بن قته مولى بني تيم بن مرة- وكان صديقا لأسد:
 سقى الله بلخا، سهل بلخ وحزنها ... ومروى خراسان السحاب المجمما
 وما بي لتسقاء ولكن حفرة ... بها غيبوا شلوا كريما وأعظما
 مراجع أقوام ومردى عظيمة ... وطلاب أوتار عفرنا عثمما
 لقد كان يعطي السيف في الروح حقه ... ويروي السنان الزاغبي المقوما
 امر شيعه بنى العباس بخراسان

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة وجهت شيعة بني العباس بخراسان إلى محمد بن علي بن العباس سليمان بن كثير ليعلمه أمرهم وما هم عليه.

ذكر الخبر عن سبب توجيههم سليمان إلى محمد:

وكان السبب في ذلك موجدة كانت من محمد بن علي بن علي من كان بخراسان من شيعته من أجل طاعتهم، كانت لخداش الذي ذكرنا خبره قبل وقبولهم منه ما روي عليه من الكذب، فترك مكاتبهم، فلما أبطأ عليهم

٧٠١٧٠٣ ذكر سبب عزل هشام خالدا

كتابه، اجتمعوا فذكروا ذلك بينهم، فأجمعوا على الرضا بسليمان بن كثير ليلقاه بأمرهم، ويخبره عنهم، ويرجع إليهم بما يرد عليه، فقدم- فيما ذكر- سليمان بن كثير على محمد بن علي وهو متنكر لمن بخراسان من شيعته، فأخبره عنهم، فعنفهم في اتباعهم خداشا وما كان دعا إليه، وقال: لعن الله خداشا ومن كان على دينه! ثم صرف سليمان إلى خراسان، وكتب إليهم معه كتابا، فقدم عليهم، ومعه الكتاب مختوما، ففضوا خاتمه فلم يجدوا فيه شيئا، إلا: بسم الله الرحمن الرحيم، فغلظ ذلك عليهم وعلموا أن ما كان خداش أتاهم به لأمره مخالف.

وفي هذه السنة وجه محمد بن علي بكر بن ماهان إلى شيعته بخراسان بعد منصرف سليمان بن كثير من عنده إليهم، وكتب معه إليهم كتابا يعلمهم أن خداشا حمل شيعته على غير منهاجه فقدم عليهم بكبر بكتابه فلم يصدقوه واستخفوا به، فانصرف بكبير إلى محمد بن علي، فبعث معه بعصي مضببة بعضها بالحديد وبعضها بالشبه، فقدم بها بكبير وجمع النقباء والشيعه، ودفع إلى كل رجل منهم عصا، فعملوا أنهم مخالفون لسيرته، فرجعوا وتابوا.

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن أعماله التي كان ولاه إياها كلها

. ذكر سبب عزل هشام خالدا

قد قيل في ذلك أقوال، نذكر ما حضرنا من ذلك ذكره، فما قيل في ذلك: إن فروخ أبا المثنى كان قد تقبل من ضياع هشام بن عبد الملك بموضع يقال له رستاق الرمان أو نهر الرمان- وكان يدعى بذلك فروخ الرماني- فثقل مكانه على خالد، فقال خالد لحسان النبطي: ويحك! اخرج إلى أمير المؤمنين فزد على فروخ، نفرج فزاد عليه

ألف ألف درهم، فبعث هشام رجلين من صلحاء أهل الشام، فحازا الضياع، فصار حسان أثقل على خالد من فروخ، فجعل يضر به، فيقول له حسان:

لا تفسدني وأنا صنيعتك! فأبى إلا الإضرار به، فلما قدم عليه بثق البثوق على الضياع، ثم خرج إلى هشام، فقال: إن خالدا بثق البثوق على ضياعك.

فوجه هشام رجلا، فنظر إليها ثم رجع إلى هشام فأخبره، فقال حسان لخادم من خدم هشام: إن تكلمت بكلمة أقولها لك حيث يسمع هشام، فلك عندي ألف دينار، قال: فعجل لي الألف وأقول ما شئت، قال: فعجلها له وقال له: بك صبيا من صبيان هشام، فإذا بكى فقل له: اسكت، والله لكأنك ابن خالد القسري الذي غلته ثلاثة عشر ألف ألف فسمعها هشام فأغضى عليها ثم دخل عليه حسان بعد ذلك، فقال له هشام: ادن مني فدنا منه، فقال: كم غلة خالد؟ قال: ثلاثة عشر ألف ألف، قال:

فكيف لم تخبرني بهذا! قال: وهل سألتني؟ فوقرت في نفس هشام، فأزعم على عزله.

وقيل: كان خالد يقول لابنه يزيد: ما أنت بدون مسلمة بن هشام، فإنك لتفخر على الناس بثلاث لا يفخر بمثلها أحد: سكرت دجلة ولم يتكلف ذلك أحد، ولي سقاية بمكة، ولي ولاية العراق.

وقيل: إنما أغضب هشاما على خالد أن رجلا من قريش دخل على خالد فاستخف به وعضه بلسانه، فكتب إلى هشام يشكوه، فكتب هشام إلى خالد:

أما بعد، فإن أمير المؤمنين- وإن كان أطلق لك يدك ورأيك فيمن استرعاك أمره، واستحفظك عليه، للذي رجا من كفايتك، ووثق به من حسن تدبيرك- لم يفرشك غره أهل بيته لتطأه بقدمك، ولا تحد إليه بصرك، فكيف بك وقد بسطت على غرتهم بالعراق لسانك بالتوبيخ، تريد بذلك تصغير خطره، واحتقار قدره، زعمت بالنصفة منه حتى

أخرجك ذلك إلى الإغلاظ في اللفظ عليه في مجلس العامة، غير متحلل له حين رأيته مقبلا من صدر مهادك الذي مهد له الله، وفي قومك من يعلوك بحسبه، ويغمرك بأوليته، فلت مهادك بما رفع به آل عمرو من ضعتك خاصة، مساوين بك فروع غرر القبائل وقرومها قبل أمير المؤمنين، حتى حلت هضبة أصبحت تنحو بها عليهم مفتخرا هذا إن لم يدهده بك قلة شكرك متحطما وقيدا فهلا- يا بن مجرشة قومك- أعظمت رجلهم عليك داخلا، ووسعت مجلسه إذ رأيته إليك مقبلا، وتجافيت له عن صدر فراشك مكروما، ثم فاوضته مقبلا ببشرك، إكراما لأمر المؤمنين فإذا اطمأن به مجلسه نازعته بحبي السرار، معظما لقربته، عارفا لحقه، فهو سن البيتين وناهم، وابن شيخ آل أبي العاص وحرب وغرتهم.

وبالله يقسم أمير المؤمنين لك لولا ما تقدم من حرمتك وما يكره من شماتة عدوك بك لوضع منك ما رفع، حتى يردك إلى حال تفقد بها أهل الحوایج بعراقك، وتزاحم المواكب ببابك وما أقربني من أن أجعلك تابعا لمن كان لك تبعا، فانهض على أي حال ألك رسول أمير المؤمنين وكتابه، من ليل أو نهار، ماشيا على قدمك بمن معك من خولك، حتى تقف على باب ابن عمرو صاغرا، مستأذنا عليه، متصلا إليه، أذن لك أو منعك، فإن حركته عواطف رحمة احتملك، وإن احتملته أنفة وحمية من دخولك عليك فقف ببابه حولا غير متحلل ولا زائل، ثم أمرك بعد إليه، عزل أو ولى، انتصر أو عفا، فلعنك الله من متكل عليه بالثقة، ما أكثر هفواتك، وأقذع لأهل الشرف ألفاظك، التي لا تزال تبلغ أمير المؤمنين

من إقدامك بها على من هو أولى بما أنت فيه من ولاية مصري العراق، وأقدم وأقوم وقد كتب أمير المؤمنين إلى ابن عمه بما كتب به إليك من إنكاره عليك، ليرى في العفو عنك والسخط عليك رأيه، مفوضا ذلك إليه مبسوطة فيه يده، محمودا عند أمير المؤمنين على أيهما أتى إليك، موفقا إن شاء الله تعالى. وكتب إلى ابن عمرو:

أما بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك، وفهم ما ذكرت من بسط خالد عليك لسانه في مجلس العامة محتقرا لقدرك، مستصغرا لقربتك من أمير المؤمنين، وعواطف رحمه عليك وإمسالك عنه، تعظيما لأمر المؤمنين وسلطانه وتمسكا بوثائق عصم طاعته، مع مؤلم ما تداخلك من قبائح ألفاظه وشرارة منطقته، وإكثابه عليك عند إطراقك عنه، مرويا فيما أطلق أمير المؤمنين من لسانه، وأطال من عنانه، ورفع من ضعته، ونوه من نحوله، وكذلك أنتم آل سعيد في مثلها عند هذر الذنابي وطائشة أحلامها، صمت من غير إخم، بل بأحلام تخف بالجبال وزنا وقد حمد أمير المؤمنين تعظيمك إياه، وتوقيرك سلطانه وشكره، وقد جعل أمر خالد إليك في عزلك إياه أو إقراره، فإن عزلته أمضى عزلك إياه، وإن أقررتك فتلک منة لك عليه لا يشركك أمير المؤمنين فيها وقد كتب إليه أمير المؤمنين بما يطرد عنه سنة الهاجع عند وصوله إليه، يأمره بإتيانك راجلا على أية حال صادفه كتاب أمير المؤمنين فيها، وألفاه رسوله الموجه إليه من ليله أو نهاره،

حتى يقف ببابك، أذنت له أو حجبته، أقررتة أو عزلته، وتقدم أمير المؤمنين إلى رسوله في ضربه بين يديك على رأسه عشرين سوطا إلا أن تكره أن يناله

ذلك بسببك لحمة خدمته، فأيهما رأيت إمضاءه كان لأمر المؤمنين في برك وعظم حرمتك وقربتك وصلة رحمك موافقا، وإليه حبيبا، فيما ينوي من قضاء حق آل أبي العاص وسعيد فكتب أمير المؤمنين فيما بدا لك مبتدئا ومجيبا ومحادئا وطالبا، ما عسى أن ينزل بك أهلك من أهل بيت أمير المؤمنين من حوائجهم التي تقعد بهم الحشمة عن تناولها من قبله لبعد دارهم عنه، وقلة إمكان الخروج لإنزالها به، غير محتشم من أمير المؤمنين، ولا مستوحش من تكرارها عليه، على قدر قربتهم وأديانهم وأنسابهم، مستمنحا ومسترفدا، وطالبا مستريذا، تجد أمير المؤمنين إليك سريعا بالبر لما يحاول من صلة قرباتهم، وقضاء حقوقهم، وبالله يستعين أمير المؤمنين على ما ينوي، وإليه يرغب في العون على قضاء حق قربته، وعليه يتوكل، وبه يثق والله وليه ومولاه والسلام.

وقيل: إن خالدا كان كثيرا ما يذكر هشاما، فيقول: ابن الحمقاء.

وكانت أم هشام تستحتم، وقد ذكرنا خبرها قبل.

وذكر أنه كتب إلى هشام كتابا غاظه، فكتب إليه هشام: يا بن أم خالد، قد بلغني أنك تقول: ما ولاية العراق لي بشرف، فيأبى اللخاء، كيف لا تكون إمرة العراق لك شرفا، وأنت من بجيلة القليلة الذليلة! أما والله إني لأظن أن أول من يأتيك صغير من قريش، يشد يدك إلى عنقك.

وذكر أن هشاما كتب إليه: قد بلغني قولك: أنا خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز، ما أنا بأشرف الخمسة أما والله لأردنك إلى بخلتك وطيلسانك الفيروزي.

وذكر أن هشاما بلغه أنه يقول لابنه: كيف أنت إذا احتاج إليك بنو أمير المؤمنين! فظهر الغضب في وجهه.

وقيل: إن هشاما قدم عليه رجل من أهل الشام، فقال: إني سمعت خالدا ذكر أمير المؤمنين بما لا تنطلق به الشفتان، قال: قال: الأحول؟

قال: لا، بل قال أشد من ذلك، قال: فما هو؟ قال: لا أقوله أبدا،

٧٠١٧٠٤ ذكر الخبر عن عمل هشام عزل خالد حين صح عزمه على عزله

فلم يزل يبلغه عنه ما يكره حتى تغير له وذكر أن دهقانا دخل على خالد، فقال: أيها الأمير، إن غلة.

ابنك قد زادت على عشرة آلاف ألف، ولا آمن أن يبلغ هذا أمير المؤمنين فيستكره.

وإن الناس يحبون جسدك، وأنا أحب جسدك وروحك، قال: إن أسد بن عبد الله قد كلمني بمثل هذا، فأنت أمرته؟ قال: نعم، قال: ويحك! دع ابني، فلربما طلب الدرهم فلم يقدر عليه.

ثم عزم هشام- لما كثر عليه ما يتصل به عن خالد من الأمور التي كان يكرهها- على عزله، فلما عزم على ذلك أخفى ما قد عزم له عليه من أمره.

ذكر الخبر عن عمل هشام عزل خالد حين صح عزمه على عزله

ذكر عمر أن عبيد بن جناد حدثه أنه سمع أباه وبعض الكتبة يذكر أن هشاما أخفى عزل خالد، وكتب إلى يوسف بخطه- وهو على اليمن- أن يقبل في ثلاثين من أصحابه نفرج يوسف حتى صار إلى الكوفة، فعرس قريبا منها، وقد ختن طارق- خليفة خالد على الخراج- ولده، فأهدى له ألف عتيق وألف وصيف وألف وصيفة، سوى الأموال والثياب وغير ذلك، فمر العاس بيوسف وأصحابه ويوسف يصلي ورائحة الطيب تنفج من ثيابه، فقال:

ما أنتم؟ قالوا: سفار، قال: فأين تريدون؟ قالوا: بعض المواضع، فأتوا طارقا وأصحابه، فقالوا: إنا رأينا قوما أنكراهم، والرأي أن نقتلهم، فإن كانوا خوارج استرحنا منهم، وإن كانوا يريدونكم عرفتم ذلك فاستعدتم على أمرهم فنهوهم عن قتلهم، فطافوا، فلما كان في السحر وقد انتقل يوسف وصار إلى دور ثقيف، فمر بهم العاس، فقال: ما أنتم؟ فقالوا: سفار، قال: فأين تريدون؟ قالوا: بعض المواضع، فأتوا

طارقا وأصحابه، فقالوا:

قد صاروا إلى دور ثقيف والرأي أن نقتلهم، فنعوهم وأمر يوسف بعض الثقفين، فقال: اجمع لي من بها من مضر ففعل، فدخل المسجد مع

الفجر، فأمر المؤذن بالإقامة، فقال: حتى يأتي الامام، فانتهره فأقام، وتقدم يوسف فقرا: إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ، وَسَلَّ سَائِلٌ، ثم أرسل إلى خالد وطارق وأصحابهما، فأخذوا وان القدور لتغلي.

قَالَ عمر: قَالَ علي بن محمد، قَالَ: قَالَ الربيع بن سabor مولى بني الحريش - وكان هشام جعل إليه الخاتم مع الحرس: اتى هشام كتاب خالد فغاضه، وقدم عليه في ذلك اليوم جندب مولى يوسف بن عمر بكتاب يوسف، فقرأه ثم قَالَ لسالم مولى عنبسة بن عبد الملك: أجبه عن لسانك، وكتب هو بخطه كتابا صغيرا، ثم قَالَ لي: اثني بكتاب سالم - وكان سالم على الديوان - فأتيته به، فأدرج فيه الكتاب الصغير، ثم قَالَ لي: اختمه ففعلت، ثم دعا برسول يوسف، فقال: إن صاحبك لمتعد طوره، ويسأل فوق قدره، ثم قَالَ لي: مزق ثيابه ثم أمر به فضرب أسواط، فقال:

أخرجني عني وادفع إليه كتابه فدفعت إليه الكتاب، وقلت له: ويلك! النجاء! فارتاب بشير بن أبي ثلجة من أهل الأردن، وكان خليفة سالم وقال:

هذه حيلة، وقد ولي يوسف العراق، فكتب إلى عامل لسالم على أجمة سالم، يقال له عياض: إن أهلك قد بعثوا إليك بالثوب اليماني، فإذا أتاك فالبسه واحمد الله، وأعلم ذلك طارقا فبعث عياض إلى طارق بن أبي زياد بالكتاب، وندم بشير على كتابه، وكتب إلى عياض: إن أهلك قد بدا لهم في إمساك الثوب فلا تتكل عليه، فجاء عياض بالكتاب الآخر إلى طارق، فقال طارق: الخبر في الكتاب الأول، ولكن صاحبك ندم وخاف أن يظهر الخبر فكتب بهذا وركب طارق من الكوفة إلى خالد وهو بواسط، فسار يوما وليلة، فصباحهم، فرآه داود البربري - وكان على حجابة خالد وحرسه وعلى ديوان الرسائل - فأعلم خالدا، فغضب، وقال: قدم بغير إذن، فأذن له، فلما رآه قَالَ: ما أقدمك؟ قَالَ: أمر كنت أخطأت فيه، قَالَ: وما هو؟ قَالَ: وفاة أسد رحمه الله، كتبت إلى الأمير أعزيه عنه، وإنما كان ينبغي لي أن آتيه ماشيا فرق خالد ودمعت عيناه، وقال: ارجع إلى عملك،

قَالَ: أردت أن أذكر للأمير أمرا أسره، قَالَ: ما دون داود سر، قَالَ: أمر من أمري، فغضب داود وخرج، وأخبر طارق خالدا، قَالَ: فما الرأي؟ قَالَ: تركب إلى أمير المؤمنين فتعذر إليه من شيء إن كان بلغه عنك قَالَ: فبئس الرجل أنا إذا إن ركبت إليه بغير إذنه، قَالَ: فشيء آخر، قَالَ: وما هو؟ قَالَ: تسير في عملك، وأتقدمك إلى الشام، فأستأذنه لك، فإنك لا تبلغ أقصى عملك حتى يأتيك إذنه، قَالَ: ولا هذا، قَالَ: فأذهب فأضمن للأمير المؤمنين جميع ما انكسر في هذه السنين وأتيك بعهدك مستقبلا، قَالَ: وما يبلغ ذلك؟ قَالَ: مائة ألف ألف، قَالَ: ومن أين آخذ هذا! والله ما أجد عشرة آلاف درهم، قَالَ:

أتحمل أنا وسعيد بن راشد أربعين ألف ألف درهم، والزيني وأبان بن الوليد عشرين ألف ألف، وتفرق الباقي على العمال، قَالَ: إني إذا للئيم، إن كنت سوغت قوما شيئا ثم أرجع فيه، فقال طارق: إنما نقيك ونقي أنفسنا بأموالنا ونستأنف الدنيا، وتبقى النعمة عليك وعلينا خير من أن يجيء من يطالبنا بالأموال، وهي عند تجار أهل الكوفة، فيتقاعسون ويتربصون بنا فنقتل، ويأكلون تلك الأموال فأبى خالد فودعه طارق وبكى، وقال: هذا آخر ما نلتقي في الدنيا، ومضى.

ودخل داود، فأخبره خالد بقول طارق، فقال: قد علم أنك لا تخرج بغير إذن، فأراد أن يختلك ويأتي الشام، فيتقبل بالعراق هو وابن أخيه سعيد بن راشد فرجع طارق إلى الكوفة، وخرج خالد إلى الحمة.

قال: وقدم رسول يوسف عليه اليمن، فقال له: ما وراءك؟ قَالَ:

الشر، أمير المؤمنين ساخط، وقد ضربني ولم يكتب جواب كتابك، وهذا كتاب سالم صاحب الديوان ففض الكتاب فقرأه، فلما انتهى إلى آخره قرأ كتاب هشام بخطه: أن سر إلى العراق فقد وليتك إياه، وإياك أن يعلم بذلك أحد، وخذ ابن النصرانية وعمله فاشفني منهم، فقال يوسف: انظروا

دليلاً عالماً بالطريق، فأتى بعده، فاختر منهم رجلاً وسار من يومه، واستخلف على اليمن ابنه الصلت فشيعة، فلما أراد أن ينصرف سأله: أين تريد؟ فضربه مائة سوط، وقال: يا بن الخناء، أئخفي عليك إذا استقر بي منزل، فسار، فكان إذا أتى إلى طريقين سأل، فإذا قيل: هذا إلى العراق، قال: أعرق، حتى أتى الكوفة قال عمر: قال علي عن بشر بن عيسى، عن أبيه، قال: قال حسان النبطي: هيات لهشام طيباً، فإني لبين يديه وهو ينظر إلى ذلك الطيب إذ قال لي: يا حسان، في كم يقدم القادم من العراق إلى اليمن؟ قال: قلت: لا أدري، فقال:

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني ... فأصبحت مسلوب الإمارة نادماً

قال: فلم يلبث إلا قليلاً حتى جاء كتاب يوسف من العراق قد قدمها، وذلك في جمادى الآخرة سنة عشرين ومائة. قال عمر: قال علي: قال سالم زنبيل: لما صرنا إلى النجف قال لي يوسف: انطلق فاتني بطارق، فلم أستطع أن آتي عليه، وقلت في نفسي: من لي بطارق في سلطانه! ثم أتيت الكوفة، فقلت لغلبن طارق: استأذنوا لي على طارق، فضربوني فصحت له: ويلك يا طارق! أنا سالم رسول يوسف، وقد قدم على العراق نخرج فصاح بالغلبن، وقال: أنا آتية، قال: وروي أن يوسف قال لكيسان: انطلق فاتني بطارق، فإن كان قد أقبل فاحمله على أكاف، وإن لم يكن أقبل فأت به سحبا قال:

فأتيته بالحيرة دار عبد المسيح - وهو سيد أهل الحيرة - فقلت له: إن يوسف قد قدم على العراق، وهو يأمر أن تشد طارقاً وتأتيه به، نخرج هو وولده وغلبنه حتى أتوا منزل طارق - وكان لطارق غلام شجاع معه غلمان شجعاء لهم سلاح وعدة - فقال لطارق: إن أذنت لي خرجت إلى هؤلاء فيمن معي فقتلتهم، ثم طرت على وجهك فذهبت حيث شئت قال: فأذن لكيسان، فقال: أخبرني عن الأمير، يريد المال؟ قال: نعم، قال: فأنا أعطيه ما سأل، وأقبلوا إلى يوسف فتوافوا بالحيرة، فلما عاينه ضربه ضرباً مبرحاً - يقال نحسمائة سوط - ودخل الكوفة، وأرسل عطاء بن مقدم إلى خالد بالحنة.

قال عطاء: فأتيت الحاجب فقلت: استأذن لي على أبي الهيثم، فدخل وهو متغير الوجه فقال له خالد: مالك؟ قال: خير، قال: ما عندك خير، قال: عطاء بن مقدم، قال: استأذن لي على أبي الهيثم، فقال: ائذن له، فدخلت: فقال: ويل أمها سخطه! قال: فلم أستقر حتى دخل الحكم بن الصلت، فقعد معه، فقال له خالد: ما كان ليلى علي أحد هو أحب إلي منكم.

وخطب يوسف بالكوفة، فقال: إن أمير المؤمنين أمرني بأخذ عمال ابن النصرانية، وأن أشفيه منهم، وسأفعل وأزيد والله يا أهل العراق، ولأقتلن منافقيكم بالسيف وجنائكم بالعذاب وفساقكم ثم نزل ومضى إلى واسط، وأتى بخالد وهو بواسط. قال عمر: قال حدثني الحكم بن النضر: قال: سمعت أبا عبيدة يقول: لما حبس يوسف خالداً صالحه عنه أبان بن الوليد وأصحابه على تسعة آلاف ألف درهم، ثم ندم يوسف، وقيل له: لو لم تفعل لأخذت منه مائة ألف ألف درهم قال: ما كنت لأرجع وقد رهنيت لساني بشيء وأخبر أصحاب خالد خالداً، فقال: قد أسأتم حين أعطيتموه عند أول وهلة تسعة آلاف ألف، ما آمن أن يأخذها ثم يعود عليكم، فارجعوا فجاءوا فقالوا: إنا قد أخبرنا خالداً فلم يرض بما ضمنا، وأخبرنا أن المال لا يمكنه، فقال: أنتم أعلم وصاحبكم، فأما أنا فلا أرجع عليكم، فإن رجعت لم أمنعكم، قالوا: إنا قد رجعنا، قال: وقد فعلتم! قالوا: نعم، قال: فنكم اتقوا النقض، فوالله لا أرضى بتسعه آلاف ألف ولا مثليها ولا مثلهما، فأخذ أكثر من ذلك.

وقد قيل: إنه أخذ مائة ألف ألف وذكر الهيثم بن عدي، عن ابن عياش أن هشاماً ما أزمع على عزل خالد، وكان سبب ذلك أنه اعتقد بالعراق أموالاً وحفر أنهاراً، حتى بلغت

غلته عشرين ألف ألف، منها نهر خالد، وكان يغل خمسة آلاف ألف وباجوي وبارمانا والمبارك والجامع وكورة سابور والصلح، وكان كثيراً ما يقول: إني والله مظلوم، ما تحت قدمي من شيء إلا وهو لي - يعني أن عمر جعل لبجيلة ربع السواد. قال الهيثم بن عدي: أخبرني الحسن بن عمار، عن العريان بن الهيثم، قال: كنت كثيراً ما أقول لأصحابي: إني أحسب هذا الرجل

قد تخلى منه، أن قريشا لا تحتمل هذا ونحوه، وهم أهل حسد، وهذا يظهر ما يظهر، فقلت له يوما: أيها الأمير، إن الناس قد رموك بأبصارهم، وهي قريش، وليس بينك وبينها إل، وهم يجدون منك بدا، وأنت لا تجد منهم بدا، فأثدك الله إلا ما كتبت إلى هشام تخبره عن أموالك، وتعرض عليه منها ما أحب، فما أقدرك على أن تتخذ مثلها، وهو لا يستفسدك، وإن كان حريصا على ذلك فلعمري لأن يذهب بعض ويبقى بعض خير من أن تذهب كلها، وما كان يستحسن فيما بينك وبينه أن يأخذها كلها، ولا آمن أن يأتيه باغ أو حاسد فيقبل منه، فلأن تعطيه طائعا خير من أن تعطيه كارها فقال: ما أنت بمتهم، ولا يكون ذلك أبدا قال: فقلت أطعني واجعلني رسولك، فوالله لا يحل عقدة إلا شددتها، ولا يشد عقدة إلا حللتها قال: إنا والله لا نعطي على الذل، قال: قلت: هل كانت لك هذه الضياع إلا في سلطانه! وهل تستطيع الامتناع منه إن أخذها! قال: لا، قلت: فبادره، فإنه يحفظها لك ويشرك عليها، ولو لم تكن له عندك يد إلا ما ابتدأك به كنت جديرا أن تحفظه، قال: لا والله لا يكون ذلك أبدا، قال: قلت فما كنت صانعا إذا عزلك وأخذ ضياعك فاصنعه، فإن إخوته وولده وأهل بيته قد سبقوا لك، وأكثروا عليه فيك، ولك صنائع تعود عليهم بما بدا لك، ثم استدرك استتمام ما كان منك إلى صنائعك من هشام قال: قد أبصرت ما تقول وليس إلى ذلك سبيل وكان العريان يقول: كأنكم به قد عزل، وأخذ ما له

وتجنى عليه ثم لا ينتفع بشيء قال: فكان كذلك.

قال الهيثم: وحدثني ابن عياش، أن بلال بن أبي بردة كتب إلى خالد وهو عامله على البصرة حين بلغه تعتب هشام عليه: أنه حدث أمر لا أجد بدا من مشافهتك فيه، فإن رأيت أن تأذن لي، فإنما هي ليلة ويومها إليك، ويوم عندك، وليلة ويومها منصرفا فكتب إليه: أن أقبل إذا شئت فركب هو وموليان له الجمازات، فسار يوما وليلة، ثم صلى المغرب بالكوفة، وهي ثمانون فرسخا، فأخبر خالد بمكانه، فأتاه وقد تعصب، فقال: أبا عمرو، أتعبت نفسك، قال: أجل، قال: متى عهدك بالبصرة؟ قال: أمس، قال: أحق ما تقول! قال: هو والله ما قلت، قال: فما أنصبك؟ قال: ما بلغني من تعتب أمير المؤمنين وقوله، وما بغاك به ولده وأهل بيته، فإن رايت أن تعرض له وأعرض عليه بعض أموالنا، ثم ندعوه منها إلى ما أحب وأنفسنا به طيبة، ثم أعرض عليه مالك، فما أخذ منه فعلينا العوض منه بعد قال: ما اتهمك وحتى أنظر، قال: إني أخاف أن تعاجل، قال: كلا، قال: إن قريشا من قد عرفت، ولا سيما سرعتهم إليك قال: يا بلال، إني والله ما أعطي شيئا قسرا أبدا قال أيها الأمير، أتكلم؟ قال: نعم، قال: إن هشاما أعذر منك، يقول: استعملتك.

وليس لك شيء، فلم تر من الحق عليك أن تعرض علي بعض ما صار إليك، وأخاف أن يزين له حسان النبطي ما لا تستطيع إدراكه، فاغتم هذه الفترة.

قال: أنا ناظر في ذلك فانصرف راشدا فانصرف بلال وهو يقول: كأنكم بهذا الرجل قد بعث إليه رجل بعيد أتي، به حمز، بغيض النفس يخيف الدين، قليل الحياء، يأخذه بالاحن والترات فكان كما قال.

قال ابن عياش: وكان بلال قد اتخذ دارا بالكوفة، وإنما استأذن خالدا لينظر إلى داره، فما نزلها إلا مقيدا، ثم جعلت سبجنا إلى اليوم

٧٠١٧٠٥ أخبار متفرقة

٧٠١٧٠٦ ذكر الخبر عن سبب ولاية نصر بن سيار خراسان

قال ابن عياش: كان خالد يخطب فيقول: إنكم زعمتم أنني أغلي أسعاركم، فعلى من يغليها لعنة الله! وكان هشام كتب إلى خالد لا تبيعن من الغلات شيئا حتى تباع غلات أمير المؤمنين حتى بلغت كيلجة درهما.

قال الهيثم، عن ابن عياش: كانت ولاية خالد في شوال سنة خمس ومائة ثم عزل في جمادى الأولى سنة عشرين ومائة

. [أخبار متفرقة]

وفي هذه السنة قدم يوسف بن عمر العراق واليا عليها.

وقد ذكرت قبل سبب ولايته عليها وفي هذه السنة ولى خراسان يوسف بن عمر جديع بن علي الكرمانى وعزل جعفر بن حنظلة. وقيل: إن يوسف لما قدم العراق أراد أن يولي خراسان سلم بن قتيبة، فكتب بذلك إلى هشام، ويستأذنه فيه، فكتب إليه هشام: إن سلم بن قتيبة رجل ليس له بخراسان عشيرة، ولو كان له بها عشيرة لم يقتل بها أبوه.

وقيل إن يوسف كتب إلى الكرمانى بولاية خراسان مع رجل من بني سليم وهو بمرو، فخرج إلى الناس يخطبهم، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر أسداً وقدمه خراسان، وما كانوا فيه من الجهد والفتنة، وما صنع لهم على يديه ثم ذكر أخاه خالدًا بالجميل، وأثنى عليه، وذكر قدوم يوسف العراق، وحث الناس على الطاعة ولزوم الجماعة، ثم قال: غفر الله للميت - يعني أسداً - وعافى الله المعزول، وبارك للقادم ثم نزل. وفي هذه السنة عزل الكرمانى عن خراسان، وولياها نصر بن سيار بن ليث بن رافع بن ربيعة بن جري بن عوف بن عامر بن جندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وأمه زينب بنت حسان من بني تغلب.

ذكر الخبر عن سبب ولاية نصر بن سيار خراسان
ذكر علي بن محمد عن شيوخه أن وفاة أسد بن عبد الله لما انتهت إلى

هشام بن عبد الملك استشار أصحابه في رجل يصلح لخراسان، فأشاروا عليه بأقوام، وكتبوا له أسماءهم، فكان ممن كتب له عثمان بن عبد الله بن الشخير ويحيى بن حضير بن المنذر الرقاشي ونصر بن سيار الليثي وقطن بن قتيبة بن مسلم والمجشر بن مزاحم السلمي أحد بني حرام، فأما عثمان بن عبد الله ابن الشخير، فقليل له: إنه صاحب شراب، وقيل له: المجشر شيخ هم، وقيل له: ابن حضير رجل فيه تيه وعظمة، وقيل له: قطن بن قتيبة موتور، فاختر نصر بن سيار، فقليل له: ليست له بها عشيرة، فقال هشام: أنا عشيرته فولاه وبعث بعده مع عبد الكريم بن سليط بن عقبة الهفاني، هفان بن عدي بن حنيفة فأقبل عبد الكريم بعده، ومعه أبو المهند كاتبه مولى بني حنيفة، فلما قدم سرخس ولا يعلم به أحد، وعلى سرخس حفص بن عمر بن عباد التيمي أخو تميم بن عمر، فأخبره أبو المهند، فوجه حفص رسولاً، فحملة إلى نصر، ونفذ ابن سليط إلى مرو، فأخبر أبو المهند الكرمانى، فوجه الكرمانى نصر بن حبيب بن بحر بن ماسك بن عمر الكرمانى إلى نصر بن سيار، فسبق رسول حفص إلى نصر بن سيار، فكان أول من سلم عليه بالإمرة، فقال له نصر: لعلك شاعر مكار! فدفع إليه الكتاب وكان جعفر بن حنظلة ولى عمرو بن مسلم مرو، وعزل الكرمانى وولى منصور بن عمر أبرشهر، وولى نصر بن سيار بخارى، فقال جعفر ابن حنظلة: دعوت نصرًا قبل أن يأتيه عهده بأيام، فعرضت عليه أن أوليه بخارى، فشاور البخاري بن مجاهد، فقال له البخاري، وهو مولى بني شيبان: لا تقبلها، قال: ولم؟ قال: لأنك شيخ مضر بخراسان، فكأنك بعهدك قد جاء على خراسان كلها، فلما أتاه عهده بعث إلى البخاري فقال البخاري لأصحابه:

قد ولي نصر بن سيار خراسان، فلما أتاه سلم عليه بالإمرة، فقال له: إني علمت؟ قال: لما بعثت إلي، وكنت قبل ذلك تأتيني، علمت أنك قد وليت.

قال: وقد قيل إن هشامًا قال لعبد الكريم حين أتاه خبر أسد بن عبد الله بموته: من ترى أن نولي خراسان، فقد بلغني أن لك بها وبأهلها علمًا؟

قال عبد الكريم: قلت: يا أمير المؤمنين، أما رجل خراسان حزمًا ونجدة فالكرمانى، فأعرض بوجهه، وقال: ما اسمه؟ قلت: جديع بن علي، قال: لا حاجة لي فيه، وتطير، وقال: سم لي غيره، قلت: اللسن المجرب يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيباني أبو الميلاء، قال: ربيعة لا تسد بها الثغور - قال عبد الكريم: فقلت في نفسي: كره ربيعة واليمن، فأرنيه بمضر - فقلت: عقيل بن معقل الليثي، إن اغتفرت هنة، قال: ما هي؟

قلت: ليس بالعفيف، قال: لا حاجة لي به، قلت: منصور بن أبي الخرقاء السلمي، إن اغتفرت نكرة فإنه مشئوم، قال: غيره، قلت: المجشر بن مزاحم السلمي، عاقل شجاع، له رأي مع كذب فيه، قال: لا خير في الكذب، قلت: يحيى بن حضير، قال: ألم أخبرك أن ربيعة لا تسد بها الثغور! قال: فكان إذا ذكرت له ربيعة، واليمن أعرض قال عبد الكريم: وأخرت نصرًا وهو أرجل القوم وأحزمهم

وأعلمهم بالسياسة، فقلت: نصر بن سيار الليثي، قال: هو لها، قلت: إن اغتفرت واحدة، فإنه عفيف مجرب عاقل، قال: ما هي؟ قلت: عشيرته بها قليلة، قال: لا أبا لك، أتريد عشيرة أكثر مني! أنا عشيرته.

وقال آخرون: لما قدم يوسف بن عمر العراق قال: أشيروا على برجل اوله خراسان، فأشاروا عليه بمسلمة بن سليمان بن عبد الله ابن خازم وقديد بن منيع المنقري ونصر بن سيار وعمرو بن مسلم ومسلم بن عبد الرحمن بن مسلم ومنصور بن أبي الخرقاء وسلم بن قتيبة ويونس بن عبد ربه وزباد بن عبد الرحمن القشيري، فكتب يوسف بأسمائهم إلى هشام، وأطرى القيسية، وجعل آخر من كتب اسمه نصر بن سيار الكاني، فقال هشام:

ما بال الكاني آخرهم! وكان في كتاب يوسف إليه: يا أمير المؤمنين، نصر بخراسان قليل العشيرة فكتب إليه هشام: قد فهمت كتابك وإطراءك القيسية وذكرت نصرا وقلة عشيرته، فكيف يقل من أنا عشيرته! ولكنك تقيست علي، وأنا متخندف عليك، ابعث بعهد نصر، فلم يقل من عشيرته

أمير المؤمنين، بله ما إن تميما أكثر أهل خراسان فكتب إلى نصر أن يكتب يوسف بن عمر، وبعث يوسف سلها وافدا إلى هشام، وأثنى عليه فلم يوله، ثم أوفد شريك بن عبد ربه النميري، وأثنى عليه ليوليه خراسان، فأبى عليه هشام.

قال: وأوفد نصر من خراسان الحكم بن يزيد بن عمير الأسدي إلى هشام، وأثنى عليه نصر، فضربه يوسف ومنعه من الخروج إلى خراسان، فلما قدم يزيد بن عمر بن هبيرة استعمل الحكم بن يزيد على كرمان، وبعث بعهد نصر مع عبد الكريم الحنفي - ومعه كاتبه أبو المهند مولى بني حنيفة - فلما أتى سرخس وقع الثلج، فأقام ونزل على حفص بن عمر بن عباد التيمي، فقال له: قدمت بعهد نصر على خراسان، قال: وهو عامل يومئذ على سرخس - فدعا حفص غلامه، فحمله على فرس وأعطاه مالا، وقال له: طر واقتل الفرس، فإن قام عليك فاشتر غيره حتى تأتي نصرا قال: نخرج الغلام حتى قدم على نصر ببلخ، فيجده في السوق، فدفع إليه الكتاب، فقال: أتدري ما في هذا الكتاب؟ قال: لا، فأمسكه بيده، وأتى منزله، فقال الناس: أتى نصرا عهده على خراسان، فأتاه قوم من خاصته، فسألوه فقال:

ما جاءني شيء، فكث يومه، فدخل عليه من الغد أبو حفص بن علي، أحد بني حنظلة - وهو صهره، وكانت ابنته تحت نصر، وكان أهوج كثير المال، فقال له: إن الناس قد خاضوا وأكثروا في ولايتك، فهل جاءك شيء؟ فقال:

ما جاءني شيء، فقام ليخرج فقال: مكانك، وأقرأه الكتاب، فقال:

ما كان حفص ليكتب إليك إلا بحق، قال: فبينما هو يكلمه إذ استأذن عليه عبد الكريم، فدفع إليه عهده، فوصله بعشرة آلاف درهم ثم استعمل نصر على بلخ مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم، واستعمل وشاح ابن بكير بن وشاح على مرو الروذ، والحارث بن عبد الله بن الحشرج على هراة، وزباد بن عبد الرحمن القشيري على أبرشهر، وأبا حفص بن علي ختنه على خوارزم، وقطن بن قتيبة على السغد فقال رجل من أهل الشام من اليمانية: ما رأيت عصبية مثل هذه! قال: بلى، التي كانت قبل هذه

فلم يستعمل أربع سنين إلا مضريا، وعمرت خراسان عمارة لم تعمر قبل ذلك مثلها، ووضع الخراج، وأحسن الولاية والجباية، فقال سوار بن الأشعر:

أضحت خراسان بعد الخوف آمنة ... من ظلم كل غشوم الحكم جبار

لما أتى يوسف أخبار ما لقيت ... اختار نصرا لها، نصر بن سيار

وقال نصر بن سيار فيمن كره ولايته:

تعز عن الصباية لا تلام ... كذلك لا يلم بك احتمام

إن سنطت كبيرة بعد قرب ... كلفت بها وباشر السقام!

ترجى اليوم ما وعدت حديثا ... وقد كذبت مواعدها الكرام

ألم تر أن ما صنع الغواني ... عسير لا يريع به الكلام

أبت لي طاعتي وأبى بلائي ... وفوزي حين يعتك الخصام
 وأنا لا نضيع لنا ملها ... ولا حسبا إذا ضاع الذمام
 ولا نغضي على غدر وأنا ... نقيم على الوفاء فلا نلام
 خليفتنا الذي فازت يداه ... بقدر الحمد والملك الهمام
 نسوسهم به ولنا عليهم ... إذا قلنا مكارمه جسام
 أبو العاصي أبوه وعبد ... شمس وحرب والقماقة الكرام
 ومروان أبو الخلفاء عال ... عليه المجد فهو لهم نظام
 وبيت خليفة الرحمن فينا ... وبيته المقدس والحرام
 ونحن الأكرمون إذا نسبنا ... وعرنين البرية والسنام
 فأمسينا لنا من كل حي ... خراطيم البرية والزمَام
 لنا أيد نريش بها ونبري ... وأيد في بوادرها السمام
 وبأس في الكريهة حين تلقى ... إذا كان النذير بها الحسام
 قال: وأتى نصرنا عهده في رجب من سنة عشرين ومائة، وقال له البخاري:

اقرأ عهدك واخطب الناس، نخطب الناس فقال في خطبته: استمسكوا أصحابنا بجذمتكم، فقد عرفنا خيركم وشركم.
 وحج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل، كذلك حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ.
 وقد قيل: إن الذي حج بهم فيها سليمان بن هشام.

وقيل: حج بهم يزيد بن هشام.
 وَكَانَ الْعَامِلُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالطَّائِفِ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامٍ، وَعَلَى الْعِرَاقِ وَالْمَشْرِقِ كُلِّهِ يَوْسُفُ بْنُ عَمْرِو، وَعَلَى خُرَاسَانَ نَصْرُ
 بْنُ سَيَّارٍ - وَقِيلَ جَعْفَرُ بْنُ حَنْظَلَةَ - وَعَلَى الْبَصْرَةِ كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السُّلَمِيِّ مِنْ قَبْلِ يَوْسُفَ بْنِ عَمْرِو، وَعَلَى قَضَائِهَا عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَاهِلِيِّ،
 وَعَلَى أَرْمِينِيَّةٍ وَأَذْرَبَيْجَانَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى قَضَاءِ الْكُوفَةِ ابْنُ شَبْرَمَةَ.

٧٠١٨ سنه احدى وعشرين ومائة

٧٠١٨٠١ ذكر الخبر عن ظهور زيد بن علي

ثم دخلت

سنة إحدى وعشرين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فن ذلك غزوة مسلمة بن هشام بن عبد الملك الروم، فافتتح بها مطامير.
 وغزوة مروان بن محمد بلاد صاحب سرير الذهب، فافتتح قلاعته وخرب أرضه، وأذعن له بالجزية، في كل سنة ألف رأس يؤديه
 إليه، وأخذ منه بذلك الرهن، وملكه مروان على أرضه.

وفيها ولد العباس بن محمد.

ذكر الخبر عن ظهور زيد بن علي

وفيها قتل زيد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب في قول الواقدي في صفر، وأما هشام بن محمد فانه زعانه قتل في سنة اثنتين
 وعشرين ومائة، في صفر منها.

ذكر الخبر عن سبب مقتله وأموره وسبب مخرجه:

اختلف في سبب خروجه، فأما الهيثم بن عدي فإنه قال - فيما ذكر عنه، عن عبد الله بن عياش - قال: قدم زيد بن علي ومحمد بن عمر
 بن علي بن أبي طالب وداود بن علي بن عبد الله بن عباس على خالد بن عبد الله وهو على العراق، فأجازهم ورجعوا إلى المدينة، فلما
 ولي بن يوسف بن عمر كتب إلى هشام بأسمائهم وبما أجازهم به، وكتب يذكر أن خالدًا ابتاع من زيد بن علي أرضًا بالمدينة بعشرة

آلاف دينار، ثم رد الأرض عليه فكتب هشام إلى عامل المدينة أن يسرحهم إليه ففعل، فسألهم هشام فأقروا بالجائزة، وأنكروا ما سوى ذلك، فسأل زيدا عن الأرض فأنكرها، وحلفوا لهشام فصدقهم.

وأما هشام بن محمد الكلبي، فإنه ذكر أن أبا مخنف حدثه أن أول أمر زيد بن علي كان أن يزيد بن خالد القسري ادعى مالا قبل زيد بن علي ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب وداود بن علي بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب وإبراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري وأيوب بن

سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومي، فكتب فيهم يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك - وزيد بن علي يومئذ بالرصافة يخاصم بني الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب في صدقه رسول الله ص، ومحمد بن عمر بن علي يومئذ مع زيد بن علي - فلما قدمت كتب يوسف ابن عمر على هشام بن عبد الملك بعث إليهم فذكر لهم ما كتب به يوسف ابن عمر إليه مما ادعى قبلهم يزيد بن خالد، فأنكروا، فقال لهم هشام: فإننا باعثون بكم إليه يجمع بينكم وبينه، فقال له زيد بن علي: أشدك الله والرحم أن تبعث بي إلى يوسف بن عمر! قال: وما الذي تخاف من يوسف بن عمر؟ قال: أخاف أن يعتدي علي، قال له هشام: ليس ذلك له، ودعا هشام كاتبه فكتب إلى يوسف بن عمر:

أما بعد، فإذا قدم عليك فلان وفلان، فاجمع بينهم وبين يزيد بن خالد القسري، فإن هم أقروا بما ادعى عليهم فسرّح بهم إلي، وإن هم أنكروا فسله بينة، فإن هو لم يقم البينة فاستحلفهم بعد العصر بالله الذي لا إله إلا هو، ما استودعهم يزيد بن خالد القسري وديعة ولا له قبلهم، شيء! ثم خل سبيلهم.

فقالوا لهشام: إنا نخاف أن يتعدى كتابك، ويطول علينا، قال:

كلا، أنا باعث معكم رجلا من الحرس يأخذه بذلك، حتى يعجل الفراغ، فقالوا: جزاك الله والرحم خيرا، لقد حكمت بالعدل فسرّح بهم إلى يوسف، واحتبس أيوب بن سلمة، لأن أم هشام بن عبد الملك ابنة هشام ابن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي، وهو في أخواله، فلم يؤخذ بشيء من ذلك القرف.

فلما قدموا على يوسف، ادخلوا عليه، فأجلس زيد بن علي قريبا منه، وألطفه في المسألة، ثم سألهم عن المال، فأنكروا جميعا، وقالوا: لم يستودعنا مالا، ولا له قبلنا حق، فأخرج يوسف يزيد بن خالد إليهم، فجمع بينه وبينهم، وقال له: هذا زيد بن علي، وهذا محمد بن عمر بن علي،

وهذا فلان وفلان الذين كنت ادعيت عليهم ما ادعيت، فقال: ما لي قبلهم قليل ولا كثير، فقال يوسف: أفي تهزأ أم بأمر المؤمنين! فعذبه يومئذ عذابا ظن أنه قد قتله، ثم أخرجهم إلى المسجد بعد صلاة العصر، فاستحلفهم لحلفوا له، وأمر بالقوم فبسط عليهم، ما عدا زيد بن علي فإنه كف عنه فلم يقتدر عند القوم على شيء فكتب إلى هشام يعلمه الحال، فكتب إليه هشام: أن استحلفهم، وخل سبيلهم، نفلى عنهم فخرجوا فلحقوا بالمدينة، وأقام زيد بن علي بالكوفة.

وذكر عبيد بن جناد، عن عطاء بن مسلم الخفاف أن زيد بن علي رأى في منامه أنه أضرم في العراق نارا، ثم أطفأها ثم مات فهايته، فقال لابنه يحيى: يا بني، إني رأيت رؤيا قد راعيتني، فقصها عليه وجاءه كتاب هشام بن عبد الملك بأمره بالقدوم عليه، فقدم، فقال له: الحق بأمرك يوسف، فقال له: نشدتك بالله يا أمير المؤمنين، فوالله ما آمن إن بعثتني إليه ألا أجتمع أنا وأنت حين على ظهر الأرض بعدها، فقال: الحق بيوسف كما تؤمر، فقدم عليه.

وقد قيل: إن هشام بن عبد الملك إنما استقدم زيدا من المدينة عن كتاب يوسف بن عمر، وكان السبب في ذلك - فيما زعم أبو عبيدة - أن يوسف بن عمر عذب خالد بن عبد الله، فادعى خالد أنه استودع زيد بن علي وداود بن علي ابن عبد الله بن عباس ورجلين من قريش: أحدهما مخزومي والآخر جمحي مالا عظيما، فكتب بذلك يوسف إلى هشام، فكتب هشام إلى خاله إبراهيم ابن هشام - وهو عامله على المدينة - يأمره بحملهم إليه فدعا إبراهيم بن هشام زيدا وداود، فسألهم عما ذكر خالد، لحلفا ما أودعهما خالد شيئا، فقال:

إنكما عندي لصادقان، ولكن كُتاب أمير المؤمنين قد جاء بما تريان، فلا بد من إنفاذه فحملهما إلى الشام، خلفا بالآيمان الغلاظ ما أودعهما خالد شيئا قط وقال داود: كنت قدمت عليه العراق، فأمر لي بمائة ألف درهم، فقال هشام: أئتما عندي أصدق من ابن النصرانية، فأقدما على يوسف، حتى يجمع بينكما وبينه فتكذبا به في وجهه.

وقيل: إن زيدا إنما قدم على هشام مخاصما ابن عمه عبد الله بن حسن بن حسن بن علي، ذكر ذلك عن جويرية بن أسماء، قال: شهدت زيد بن علي وجعفر بن حسن بن حسن يختصمان في ولاية وقوف علي، وكان زيد يخاصم عن بني حسين، وجعفر يخاصم عن بني حسن، فكان جعفر وزيد يتبالغان بين يدي الوالي إلى كل غاية، ثم يقومان فلا يعيدان مما كان بينهما حرفا، فلما مات جعفر قال عبد الله: من يكفيننا زيدا؟ قال حسن بن حسن بن حسن: أنا أكفيكم، قال: كلا، إنا نخاف لسانك ويدك، ولكني أنا، قال: إذن لا تبلغ حاجتك وحجتك، قال: أما حجتى فسأبلغها، فتنازعا إلى الوالي- والوالي يومئذ عندهم فيما قيل إبراهيم بن هشام- قال: فقال عبد الله لزيد: أتطمع أن تنالها وأنت لأمة سندية! قال:

قد كان إسماعيل لأمة، فنال أكثر منها، فسكت عبد الله، وتبالغا يومئذ كل غاية، فلما كان الغد أحضرهم الوالي، وأحضر قريشا والأنصار، فتنازعا، فاعترض رجل من الأنصار، فدخل بينهما، فقال له زيد: وما أنت والدخول بيننا، وأنت رجل من قحطان! قال: أنا والله خير منك نفسا وأبا وأما.

قال: فسكت زيد، وانبرى له رجل من قريش فقال: كذبت، لعمر الله هو خير منك نفسا وأبا وأما وأولا وآخر، وفوق الأرض وتحتها، فقال الوالي:

وما أنت وهذا! فأخذ القرشي كفا من الحصى، فضرب به الأرض وقال:

والله ما على هذا من صبر، وفطن عبد الله وزيد لشماتة الوالي بهما، فذهب عبد الله ليتكلم، فطلب إليه زيد فسكت، وقال زيد للوالي: أما والله لقد جمعنا لأمر ما كان أبو بكر ولا عمر ليجمعنا على مثله، وإني أشهد الله ألا أنارعه إليك محقا ولا مبطلا ما كنت حيا ثم قال لعبد الله:

انهض يا بن عم، فنهضا وتفرق الناس.

وقال بعضهم: لم يزل زيد ينازع جعفر بن حسن ثم عبد الله بعده،

حتى ولى هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم المدينة، فتنازعا، فأغلظ عبد الله لزيد، وقال: يا بن الهندكية! فتضاحك زيد، وقال: قد فعلتها يا أبا محمد! ثم ذكر أمه بشيء وذكر المدائني أن عبد الله لما قال ذلك لزيد قال زيد: أجل والله، لقد صبرت بعد وفاة سيدها فما تعبتت بابها إذ لم يصبر غيرها قال:

ثم ندم زيد واستحيا من عمته، فلم يدخل عليها زمانا، فاسلت اليه:

يا بن أخي، إني لأعلم أن أمك عندك كأمر عبد الله عنده.

وقيل: إن فاطمة أرسلت إلى زيد: أن سب عبد الله أمك فاسبب أمه، وإنها قالت لعبد الله: أقلت لأمر زيد كذا وكذا؟ قال: نعم، قالت:

فبئس والله ما صنعت! أما والله لنعم دخيلة القوم كانت! فذكر أن خالد بن عبد الملك، قال لهما: اغدوا علينا غدا، فلست لعبد الملك إن لم أفصل بينكما فباتت المدينة تغلي كالمرجل، يقول قائل:

كذا وقائل كذا، قائل يقول قال زيد كذا، وقائل يقول: قال عبد الله كذا.

فلما كان الغد جلس خالد في المجلس في المسجد، واجتمع الناس، فن شامت ومن مهموم، فدعا بهما خالد، وهو يحب أن يتشامتا، فذهب عبد الله يتكلم، فقال زيد: لا تعجل يا أبا محمد، أعتق زيد ما يملك إن خاصمك إلى خالد أبدا، ثم أقبل على خالد فقال له: يا خالد، لقد جمعت ذرية رسول الله ص لأمر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر، قال خالد: أما لهذا السفية أحد! فتكلم رجل من الأنصار من آل عمرو بن حزم، فقال: يا بن ابى تراب وابن حسين السفية، ما ترى لوال عليك حقا ولا طاعة! فقال زيد: اسكت أيها

القحطاني، فإننا لا نجيب مثلك، قَالَ: ولم ترغب عني! فوالله إني لخير منك، وأبي خير من أهلك، وأمي خير من أمك! فتضاحك زيد، وقال: يا معشر قريش، هذا الدين قد ذهب، افذهبت الاحساب! فوالله إنه ليذهب دين القوم وما تذهب أحسابهم فتكلم عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، فقال: كذبت والله أيها القحطاني، فوالله لهو خير منك نفساً وأباً وأماً ومحتداً، وتناوله بكلام كثير، قَالَ القحطاني: دعنا منك يا بن واقد، فأخذ ابن واقد كفاً من حصي، فضرب بها الأرض، ثم قَالَ له: والله ما لنا على هذا صبر، وقام.

وشخص زيد إلى هشام بن عبد الملك، فجعل هشام لا يأذن له، فيرفع إليه القصص، فكلها رفع إليه قصة كتب هشام في أسفلها: ارجع إلى أميرك، فيقول زيد: والله لا أرجع إلى خالد أبداً، وما أسأل مالا، إنما أنا رجل مخاصم، ثم أذن له يوماً بعد طول حبس. فذكر عمر بن شبة، عن أيوب بن عمرو بن أبي عمرو، قَالَ: حدثني محمد بن عبد العزيز الزهري قَالَ: لما قدم زيد بن علي على هشام بن عبد الملك أعلمه حاجبه بمكانه، فرقي هشام إلى عليّة له طويلة، ثم أذن له، وأمر خادماً أن يتبعه، وقال: لا يرينك، واسمع ما يقول قال: فاتعبته الدرجة- وكان بادناً- فوقف في بعضها، فقال: والله لا يحب الدنيا أحد إلا ذل، فلما صار إلى هشام قضى حوائجه، ثم مضى نحو الكوفة، ونسي هشام أن يسأل الخادم حتى مضى لذلك أيام، ثم سأله فأخبره، فالتفت إلى الأبرش فقال:

والله ليأتينك خلعه أول شيء، وكان كما قَالَ وذكر عن زيد أنه حلف لهشام على أمر، فقال له: لا أصدقك، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله لم يرفع قدر أحد عن أن يرضى بالله، ولم يضع قدر أحد عن ألا يرضى بذلك منه، فقال له هشام: لقد بلغني يا زيد أنك تذكر الخلافة وتتمناها، ولست هناك وأنت ابن أمة! فقال زيد: إن لك يا أمير المؤمنين جواباً، قال: تكلم، قال: ليس أحد أولى بالله، ولا أرفع عنده منزلة من نبي ابتعثه، وقد كان إسماعيل من خير الأنبياء، وولد خيرهم محمداً ص، وكان إسماعيل ابن أمة وأخوه ابن صريحة مثلك، فاختره الله عليه، وأخرج منه خير البشر، وما على أحد من

ذلك جده رسول الله ص ما كانت أمه أمه فقال له هشام: اخرج، قَالَ: أخرج ثم لا تراني إلا حيث تكره، فقال له سالم: يا أبا الحسين، لا يظهرن هذا منك.

رجع الحديث إلى حديث هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنف قَالَ:

فجعلت الشيعة تختلف إلى زيد بن علي، وتأمّره بالخروج، ويقولون: إنا لندرجو أن تكون المنصور، وأن يكون هذا الزمان الذي يهلك فيه بنو أمية.

فأقام بالكوفة، فجعل يوسف بن عمر يسأل عنه، فيقال: هو هاهنا، فيبعث إليه أن اشخص، فيقول: نعم، ويعتل له بالوجع فكث ما شاء الله، ثم سأل أيضاً عنه فقيل له: هو مقيم بالكوفة بعد لم يبرح، فبعث إليه، فاستحثه بالشخص، فاعتل عليه بأشياء يبتاعها، وأخبره أنه في جهازه، ورأى جد يوسف في أمره فتياً، ثم شخص حتى أتى القادسية وقال بعض الناس: أرسل معه رسولا حتى بلغه العذيب، فلحقته الشيعة، فقالوا له: أين تذهب عنا ومعك مائة ألف رجل من أهل الكوفة، يضربون دونك بأسيا فهم غدا وليس قبلك من أهل الشام إلا عدة قليلة، لو أن قبيلة من قبائلنا نحو مذحج أو همدان أو تميم أو بكر نصبت لهم لكفتكم بإذن الله تعالى! فنشدك الله لما رجعت، فلم يزالوا به حتى ردوه إلى الكوفة وأما غير أبي مخنف، فإنه قَالَ ما ذكر عبيد بن جناد، عن عطاء بن مسلم، أن زيد بن علي لما قدم على يوسف، قَالَ له يوسف: زعم خالد أنه قد أودعك مالا، قَالَ: أنى يودعني مالا وهو يشتم آبائي على منبره! فأرسل إلى خالد، فاحضره في عباءه، فقال له: هذا زيد، زعمت أنك قد أودعته مالا، وقد أنكرك، فنظر خالد في وجههما، ثم قَالَ: أتريد أن تجمع مع إثمك

في إنما في هذا! وكيف أودعه مالا وأنا أشتمه وأشتم آباءه على المنبر! قَالَ: فشتمه يوسف، ثم رده.

وأما أبو عبيدة، فذكر عنه، أنه قَالَ: صدق هشام زيدا ومن كان يوسف قرفه بما قرفه به، ووجههم إلى يوسف، وقال: إنهم قد حلفوا لي، وقبلت أيمانهم وأبرأتهم من المال، وإنما وجهت بهم إليك لتجمع بينهم وبين خالد فيكذبوه قَالَ: ووصلهم هشام، فلما قدموا على

يوسف أنزلهم وأكرمهم، وبعث إلى خالد فأتى به، فقال: قد حلف القوم، وهذا كتاب أمير المؤمنين ببراءتهم، فهل عندك بينة بما ادعيت؟ فلم تكن له بينة، فقال القوم لخالد:

ما دعاك إلى ما صنعت؟ قَالَ: غلظ علي العذاب فادعيت ما ادعيت، وأملت أن يأتي الله بفرج قبل قدومكم فأطلقهم يوسف، ففضى القرشيان:

الجمحي والخزومي إلى المدينة، وتحلف الهاشميان: داود بن علي وزيد بن علي بالكوفة.

وذكر أن زيدا أقام بالكوفة أربعة أشهر أو خمسة ويوسف يأمره بالخروج، ويكتب إلى عامله على الكوفة وهو يومئذ بالحيرة يأمره بإزعاج زيد، وزيد يذكر أنه ينازع بعض آل طلحة بن عبيد الله في مال بينه وبينهم بالمدينة، فيكتب العامل بذلك إلى يوسف، فيقره أياما، ثم يبلغه أن الشيعة تختلف إليه، فيكتب إليه أن أخرجه ولا تؤخره، وإن ادعى أنه ينازع فليجر جرا، وليوكل من يقوم مقامه فيما يطلب به، وقد بايعه جماعة منهم سلمة بن كهيل ونصر بن خزيمة العبسي ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري وحجبة بن الأجلج الكندي وناس من وجوه أهل الكوفة، فلما رأى ذلك داود ابن علي قال له: يا بن عم، لا يغرنك هؤلاء من نفسك، ففي أهل بيتك لك عبرة، وفي خذلان هؤلاء إياهم فقال: يا داود، إن بني أمية قد عتوا وقست قلوبهم، فلم يزل به داود حتى عزم على الشخص، فشخصا حتى بلغا القادسية.

وذكر عن أبي عبيدة، أنه قَالَ: أتبعوه إلى الثعلبية وقالوا له: نحن اربعون ألفا، إن رجعت إلى الكوفة لم يتخلف عنك أحد، وأعطوه المواثيق والأيمان المغلظة، فجعل يقول: إني أخاف أن تخذلوني وتسلموني كفعلكم بأبي وجدي.

فيحلفون له، فيقول داود بن علي: يا بن عم، إن هؤلاء يغرونك من نفسك! أليس قد خذلوا من كان أعز عليهم منك، جدك علي بن أبي طالب حتى قتل! والحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليه فانتزعوا رداءه من عنقه، وانتهبوا فسطاطه، وجرحوه! وليس قد أخرجوا جدك الحسين، وحلفوا له بأوكد الأيمان ثم خذلوه وأسلموه، ثم لم يرضوا بذلك حتى قتلوه! فلا تفعل ولا ترجع معهم فقالوا: إن هذا لا يريد أن تظهر أنت، ويزعم أنه وأهل بيته أحق بهذا الأمر منكم، فقال: زيد لداود: إن عليا كان يقاتله معاوية بدهائه ونكرائه بأهل الشام، وإن الحسين قاتله يزيد بن معاوية والأمر عليهم مقبل، فقال له داود: إني لخائف إن رجعت معهم ألا يكون أحد أشد عليك منهم، وأنت أعلم ومضى داود إلى المدينة ورجع زيد إلى الكوفة.

وقال عبيد بن جناد، عن عطاء بن مسلم الخفاف، قَالَ: كتب هشام إلى يوسف أن أشخص زيدا إلى بلده، فإنه لا يقيم ببلد غيره فيدعو أهله إلا أجابوه، فأشخصه، فلما كان بالثعلبية - أو القادسية - لحقه المشائم - يعني أهل الكوفة - فردوه وبايعوه، فأتاه سلمة بن كهيل، فاستأذن عليه، فأذن له، فذكر قرابته من رسول الله ص وحقه فأحسن.

ثم تكلم زيد فأحسن، فقال له سلمة: اجعل لي الأمان، فقال: سبحان الله! مثلك يسأل مثلي الأمان! وإنما أراد سلمة أن يسمع ذلك أصحابه، ثم قَالَ: لك الأمان، فقال: نشدتك بالله، كم بايعك؟ قَالَ: أربعون ألفا، قَالَ: فكم بايع جدك؟ قَالَ: ثمانون ألفا، قَالَ: فكم حصل معه؟ قَالَ:

ثلاثمائة، قَالَ: نشدتك الله أنت خير أم جدك؟ قَالَ: بل جدي، قَالَ:

أفقرنك الذي خرجت فيهم خير أم القرن الذي خرج فيهم جدك؟ قَالَ:

بل القرن الذي خرج فيهم جدي، قَالَ: أفتطمع أن يفي لك هؤلاء، وقد غدر أولئك بجدك؟ قَالَ: قد بايعوني، ووجبت البيعة في عنتي وأعناقهم،

قَالَ: أفتأذن لي أن أخرج من البلد؟ قَالَ: لم؟ قَالَ: لا آمن أن يحدث في أمرك حدث فلا أملك نفسي، قَالَ: قد أذنت لك، نخرج إلى اليمامة، وخرج زيد فقتل وصلب فكتب هشام إلى يوسف يلومه على تركه سلمة ابن كهيل يخرج من الكوفة، ويقول: مقامه كان خيرا من كذا وكذا من الخليل تكون معك.

وذكر عمر عن أبي إسحاق- شيخ من أهل أصبهان حدثه- أن عبد الله ابن حسن كتب الى زيد بن علي: يا بن عم، إن أهل الكوفة نفخ العلانية، خور السرية، هوج في الرءاء، جزع في اللقاء، تقدمهم ألسنتهم، ولا تشايهم قلوبهم، لا يبيتون بعده في الأحداث، ولا ينوءون بدولة مرجوة، ولقد تواترت إلى كتبهم بدعوتهم، فصممت عن ندائهم، وألبست قلبي غشاء عن ذكرهم، يأسا منهم وإطراحا لهم، وما لهم مثل إلا ما قال علي بن أبي طالب:

إن أهملتم خضتم، وإن حوربتم خزتم، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم، وإن أجبتم إلى مشاقة نكصتم.

وذكر عن هشام بن عبد الملك، أنه كتب إلى يوسف بن عمر في أمر زيد بن علي: أما بعد فقد علمت بحال أهل الكوفة في حبهم أهل هذا البيت، ووضعهم إياهم في غير مواضعهم، لأنهم افترضوا على أنفسهم طاعتهم، ووظفوا عليهم شرائع دينهم، ونخلوهم علم ما هو كائن، حتى حملوهم من تفريق الجماعة على حال استخفوهم فيها إلى الخروج، وقد قدم زين بن علي على أمير المؤمنين في خصومة عمر بن الوليد، ففصل أمير المؤمنين بينهما، وراى رجلا جدلا لسنا خليقا بتقويه الكلام وصوغه، واجترار الرجال بحلاوة لسانه، وبكثرة مخارجه في حجه، وما يدلي به عند لدد الخصام من السطوة على الخضم بالقوة الحادة لنيل الفلج، فجعل إشخاصه إلى الحجاز، ولا تخله والمقام قبلك، فإنه إن أعاره القوم أسماعهم فحشاها

من لين لفظه، وحلاوة منطقته، مع ما يدلى به من القرابة برسول الله ص، وجدهم ميلا إليه، غير متئدة قلوبهم ولا ساكنة أحلامهم، ولا مصونة عندهم أديانهم، وبعض التحامل عليه فيه أذى له، وإخراجه وتركه مع السلامة للجميع والحقن للدماء والأمن للفرقة أحب إلي من أمر فيه سفك دمائهم، وانتشار كلمتهم وقطع نسلهم، والجماعة حبل الله المتين، ودين الله القويم وعروته الوثقى، فادع إليك أشراف أهل مصر، وأوعدهم العقوبة في الأبخار، واستصفاء الأموال، فإن من له عقد أو عهد منهم سيبطئ عنه، ولا يخف معه إلا الرعاع وأهل السواد ومن تنهضه الحاجة، استلذاذا للفتنة، وأولئك ممن يستعبد إبليس، وهو يستعبدهم.

فبادهم بالوعيد واعضضهم بسوطك، وجردهم فيهم سيفك، وأخف الأشراف قبل الأوساط، والأوساط قبل السفلة واعلم أنك قائم على باب ألفة، وداع إلى طاعة، وحاض على جماعة، ومشمردين الله، فلا تستوحش لكثرتهم، واجعل معقلك الذي تأوي إليه، وصغوك الذي تخرج منه الثقة بربك، والغضب لدينك، والحمامة عن الجماعة، ومناصبه من أراد كسر هذا الباب الذي امرهم الله بالدخول فيه، والتشاح عليه، فإن أمير المؤمنين قد أعذر إليه وقضى من ذمامه، فليس له منزى إلى ادعاء حق هو له ظلمه من نصيب نفسه، أو فيء، أو صلة لذي قرى، إلا الذي خاف أمير المؤمنين من حمل بادرة السفلة على الذي عسى أن يكونوا به أشقى وأضل، ولهم أمر، ولأمير المؤمنين أعز وأسهل إلى حيطة الدين والذب عنه، فإنه لا يجب أن يرى في أمته حالا متفاوتا نكالا لهم مفيئا، فهو يستديم النظرة، ويتأق للرشاد، ويحتنبهم على المخاوف، ويستجرهم الى

المراشد، ويعدل بهم عن المهالك، فعل الوالد الشفيق على ولده، والراعي الحذب على رعيته.

واعلم أن من ججتك عليهم في استحقاق نصر الله لك عند معاندتهم توفيتك أطماعهم، وأعطية ذريتهم، ونهيك جندك أن ينزلوا حريمهم ودورهم، فانتهم رضا الله فيما أنت بسبيله، فإنه ليس ذنب أسرع تعجيل عقوبة من بغي، وقد أوقعهم الشيطان، ودلاهم فيه، ودلهم عليه، والعصمة بتارك البغي أولى، فأمر المؤمنين يستعين الله عليهم وعلى غيرهم من رعيته، ويسأل إلهه ومولاه ووليه أن يصلح منهم ما كان فاسدا، وأن يسرع بهم إلى النجاة والفوز، إنه سميع قريب.

رجع الحديث إلى حديث هشام قال: فرجع زيد إلى الكوفة، فاستخفى، قال: فقال له محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب حيث أراد الرجوع إلى الكوفة: أذكرك الله يا زيد لما لحقت بأهلك، ولم تقبل قول أحد من هؤلاء الذين يدعونك إلى ما يدعونك إليه، فإنهم لا يفون لك، فلم يقبل منه ذلك، ورجع.

قال هشام: قال أبو مخنف: فأقبل الشيعة لما رجع إلى الكوفة يختلفون إليه، ويبايعون له، حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل، فأقام بالكوفة بضعة عشر شهرا، إلا أنه قد كان منها بالبصرة نحو شهرين، ثم أقبل إلى الكوفة، فأقام بها، وأرسل إلى أهل السواد وأهل

الموصل رجالا يدعون إليه.

قَالَ: وتزوج حيث قدم الكوفة ابنة يعقوب بن عبد الله السليبي، أحد بني فرقد، وتزوج ابنة عبد الله بن أبي العنبر الأزدي قَالَ: وكان سبب تزوجه إياها أن أم عمرو بنت الصلت كانت ترى رأي الشيعة، فبلغها مكان زيد، فأثته لتسلم عليه- وكانت امرأة جسيمة جميلة لحيمة، قد دخلت في السن، إلا أن الكبر لا يستبين عليها-

فلما دخلت على زيد بن علي فسلمت عليه ظن أنها شابة، فكلمته فإذا أفصح الناس لسانا، وأجمله منظرا، فسألها عن نسبها فانتسبت له، وأخبرته من هي، فقال لها: هل لك رحمك الله أن تتزوجيني؟ قالت: أنت والله- رحمك الله- رغبة لو كان من أمري التزويج، قَالَ لها: وما الذي يمنعك؟

قالت: يمنعني من ذلك أني قد أسننت، فقال لها: كلا قد رضيت، ما أبعدك من أن تكوني قد أسننت! قالت: رحمك الله، أنا أعلم بنفسي منك، وبما أتى علي من الدهر، ولو كنت متزوجة يوما من الدهر لما عدلت بك، ولكن لي ابنة أبوها ابن عمي، وهي أجمل مني، وأنا أزوجكها ان احببت، قال: رضيت أن تكون مثلك، قالت له: لكن خالقها ومصورها لم يرض أن يجعلها مثلي، حتى جعلها أبيض وأوسم وأجسم، وأحسن مني دلا وشكلا فضحك زيد، وقال لها: قد رزقت فصاحة ومنطقا حسنا، فأين فصاحتها من فصاحتك؟ قالت: أما هذا فلا علم لي به، لأنني نشأت بالحجاز، ونشأت ابنتي بالكوفة، فلا أدري لعل ابنتي قد أخذت لغة أهلها فقال زيد: ليس ذلك بأكره إلي، ثم واعدتها موعدا فأتاها فتزوجها، ثم بنى بها فولدت له جارية ثم أنها ماتت بعد، وكان بها معجبا.

قَالَ: وكان زيد بن علي ينزل بالكوفة منازل شتى، في دار امرأته في الأزد مرة، ومرة في أصحابه السليبيين، ومرة عند نصر بن خزيمة في بني عبس، ومرة في بني غبر ثم إنه تحول من بني غبر إلى دار معاوية ابن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري في أقصى جباله سالم السلولي، وفي بني نهد وبني تغلب عند مسجد بني هلال بن عامر، فأقام يبايع أصحابه، وكانت بيعته التي يبايع عليها الناس: إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء، ورد الظالمين، وإقفال المجرم ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا، أتبايعون على ذلك؟

٧٠١٨٠٢ ذكر الخبر عن غزوه نصر بن سيار ما وراء النهر

فإذا قالوا: نعم، وضع يده على يده، ثم يقول: عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله، لتفني بيعتي ولتقاتلن عدوي ولتنصحن في السر والعلانية؟

فإذا قَالَ: نعم مسح يده على يده، ثم قَالَ: اللهم اشهد فكث بذلك بضعة عشر شهرا، فلما دنا خروجه أمر أصحابه بالاستعداد والتهيؤ، فجعل من يريد ان يفنى ويخرج معه يستعد لو يتهيا، فشاع امره في الناس.

ذكر الخبر عن غزوه نصر بن سيار ما وراء النهر

وفي هذه السنة غزا نصر بن سيار ما وراء النهر مرتين، ثم غزا الثالثة، فقتل كور صول.

ذكر الخبر عن غزواته هذه:

ذكر علي عن شيوخته، أن نصرا غزا من بلخ ما وراء النهر من ناحية باب الحديد، ثم قفل إلى مرو، فخطب الناس، فقال: ألا إن بهرامسيس كان مانح الجوس، يمنحهم ويدفع عنهم، ويحمل أثقالهم على المسلمين، ألا إن أشبداد بن جريجور كان مانح النصاري، ألا إن عقيبة اليهودي كان مانح اليهود يفعل ذلك ألا إني مانح المسلمين أمنحهم وأدفع عنهم، وأحمل أثقالهم على المشركين، ألا إنه لا يقبل مني إلا توفي الخراج على ما كتب ورفع وقد استعملت عليكم منصور بن عمر بن أبي الخرقاء، وأمرته بالعدل عليكم، فأيا رجل منكم من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه، أو ثقل عليه في خراجه، وخفف مثل ذلك عن المشركين، فليرفع ذلك إلى المنصور بن عمر، يحوله عن المسلم إلى المشرك قَالَ: فما كانت الجمعة الثانية، حتى أتاه ثلاثون ألف مسلم، كانوا يؤدون الجزية عن رءوسهم وثمانون ألف رجل من المشركين قد ألقيت عنهم جزيتهم، فحول ذلك عليهم، وألقاه عن المسلمين ثم صنف الخراج حتى وضعه مواضعة، ثم وظف

الوظيفة التي جرى عليها الصلح قَالَ: فكانت مرو يؤخذ منها

مائة ألف سوى الخراج أيام بني أمية ثم غزا الثانية إلى ورغسر وسمرقند ثم قفل، ثم غزا الثانية إلى الشاش من مرو، فحال بينه وبين قطع النهر نهر الشاش كورصول في خمسة عشر ألفاً، استأجر كل رجل منهم في كل شهر بشقه حرير، الشقه يومئذ بخمسة وعشرين درهماً، فكانت بينهم مراماة، فنع نصرًا من القطوع إلى الشاش وكان الحارث بن سريج يومئذ بأرض الترك، فأقبل معهم، فكان بإزاء نصر، فرمى نصرًا، وهو على سريرته على شاطئ النهر بحسبان، فوقع السهم في شدة وصيف لنصر يوضئه، فتحول نصر عن سريرته، ورمى فرسا لرجل من أهل الشام فنفق وعبر كورصول في أربعين رجلاً، فبيت أهل العسكر، وساق شاء لأهل بخارى، وكانوا في الساقة، وأطاف بالعسكر في ليلة مظلمة، ومع نصر أهل بخارى وسمرقند وكس وأشروسنة، وهم عشرون ألفاً، فنادى نصر في الأحماس:

ألا لا يخرجن أحد من بنائه، واثبتوا على مواضعكم نفرج عاصم بن عمير وهو على جند أهل سمرقند، حتى مرت خيل كورصول، وقد كانت الترك صاحت صيحة، فظن أهل العسكر أن الترك قد قطعوا كلهم فلما مرت خيل كورصول على ذلك حمل على آخرهم، فأسر رجلاً، فإذا هو ملك من ملوكهم صاحب أربعة آلاف قبة، فجاءوا به إلى نصر، فإذا هو شيخ يسحب درعه شبراً، وعليه رانا ديباج فيهما حلق، وقباء فرند مكفف بالديباج، فقال له نصر: من أنت؟ قَالَ: كورصول، فقال نصر:

الحمد لله الذي أمكن منك يا عدو الله! قَالَ: فما ترجو من قتل شيخ، وأنا أعطيك ألف بعير من إبل الترك، وألف برزون تقوي بها جندك، وخل سبيلي! فقال نصر لمن حوله من أهل الشام وأهل خراسان: ما تقولون؟ فقالوا: خل سبيله، فسأله عن سنه، قَالَ: لا أدري، قَالَ: كم غزوت؟ قَالَ: اثنتين وسبعين غزوة، قَالَ: أشهدت يوم العطش؟ قَالَ: نعم، قَالَ:

لو أعطيتني ما طلعت عليه الشمس ما أفلت من يدي بعد ما ذكرت من مشاهدك وقال لعاصم بن عمير السغددي: قم إلى سلبه نخذه، فلما أيقن بالقتل، قَالَ: من أسرنى؟ قَالَ نصر وهو يضحك: يزيد بن قران الحنظلي - وأشار إليه - قَالَ: هذا لا يستطيع أن يغسل استه - أو قَالَ:

لا يستطيع أن يتم بوله - فكيف يأسرنى! فأخبرني من أسرنى، فإني أهل أن أقتل سبع قتلات، قيل له: عاصم بن عمير، قَالَ: لست أجد مس القتل إذ كان الذي أسرنى فارساً من فرسان العرب فقتله وصلبه على شاطئ النهر قال: وعاصم بن عمير هو الهزار مرد، قتل بهاوند أيام حقطبة.

قَالَ: فلما قتل كورصول تخدرت الترك وجاءوا بأبنيته فخرقوها، وقطعوا آذانهم، وجردوا وجوههم، وطفقوا يبكون عليه، فلما أمسى نصر وأراد الرحلة، بعث إلى كورصول بقارورة نפט، فصبها عليه، وأشعل فيه النار لئلا يحملوا عظامه قَالَ: وكان ذلك أشد عليهم من قتله.

وارتفع نصر إلى فرغانة، فسبى منها ثلاثين ألف رأس، قَالَ: فقال عنبر بن برعمة الأزدي: كتب يوسف بن عمر إلى نصر: سر إلى هذا الغارز ذنبه بالشاش - يعني الحارث بن سريج - فإن أظفرك الله به وبأهل الشاش، نفرب بلادهم، واسب ذراريهم، وإياك وورطه المسلمين قَالَ: فدعا نصر الناس، فقرأ عليهم الكتاب، وقال: ما ترون؟ فقال يحيى بن حضين: امض لأمر أمير المؤمنين وأمر الأمير، فقال نصر: يا يحيى، تكلمت ليالي عاصم بكلمة، فبلغت الخليفة فخطبت بها، وزيد في عطائك، وفرض لأهل بيتك، وبلغت الدرجة الرفيعة، فقلت: أقول مثلاًها.

سر يا يحيى، فقد وليتك مقدمتي، فأقبل الناس على يحيى يلومونه، فقال نصر يومئذ: وأي ورطة أشد من أن تكون في السفر وهم في القرار! قَالَ: فسار إلى الشاش، فأتاه الحارث بن سريج فنصب عرادتين لتقاء بني تميم، فقبل له: هؤلاء بنو تميم، فنقلهما فنصبهما على الأزدي - ويقال: على بكر بن وائل - وأغار عليهم الأخرم، وهو فارس الترك، فقتله المسلمون، وأسروا سبعة من أصحابه، فأمر نصر بن سيار برأس الأخرم، فرمى به في عسكرهم بمنجنيق، فلما رأوه ضجوا ضجة عظيمة، ثم ارتحلوا منهزمين، ورجع نصر، وأراد أن يعبر، فحبل بينه وبين ذلك، فقال أبو ثملة صالح بن الأبار:

كنا وأوبة نصر عند غيبته ... كراقب النوء حتى جاده المطر
اودى باخرم منه عارض برد ... مسترجف بمنايا القوم منهم

وأقبل نصر فنزل سمرقند في السنة التي لقي فيها الحارث بن سريج، فأتاه بخارى خذاه منصرفاً، وكانت المسلحة عليهم، ومعهم دهقانان من دهاقين بخارى، وكانا أسلما على يدي نصر، وقد أجمعا على الفتك بواصل بن عمرو القيسي عامل بخارى وبخار اخذاه يتظلمان من بخار اخذاه، - واسمه طوق شياده - فقال بخار اخذاه لنصر: أصلح الله الأمير! قد علمت أنهما قد أسلما على يدك، فما بالهما معلقي الخناجر عليهما! فقال لهما نصر: ما بالكما معلقي الخناجر وقد أسلتما! قَالَ: بيننا وبين بخار اخذاه عداوة فلا نأمنه على أنفسنا فأمر نصر هارون بن السياوش مولى بني سليم - وكان يكون على الرابطة - فاجتذبهما فقطعهما، ونهض بخار اخذاه إلى نصر يساره في أمرهما، فقالا: نموت كريمين، فشد أحدهما على واصل ابن عمرو قطعنه في بطنه بسكين، وضربه واصل بسيفه على رأسه، فأطار تحف رأسه فقتله، ومضى الآخر إلى بخار اخذاه - وأقيمت الصلاة، وبخار اخذاه جالس على كرسي - فوثب نصر، فدخل السراق، واحضر بخار اخذاه، فعثر عند باب السراق قطعنه، وشد عليه الجوزجان بن الجوزجان، فضربه بجز كان معه فقتله، وحمل بخار اخذاه فادخل سراق نصر، ودعا له نصر بوسادة فاتكأ عليها، وأتاه قرعة الطيب، فجعل يعالجه وأوصى إلى نصر، ومات من ساعته، ودفن واصل في السراق، وصلى عليه نصر واما طوق شياده فكشطوا عنه لحمه، وحملوا عظامه إلى بخارى.

قال: وسار نصر إلى الشاش، فلما قدم أشروسنة عرض دهقانها أباراخرة مالا، ثم نفذ إلى الشاش، واستعمل على فرغانة محمد بن خالد الأزدي، وجهه إليها في عشرة نفر، ورد من فرغانة أخوا جيش فيمن كان معه من دهاقين الختل وغيرهم، وانصرف منها بتمائيل كثيرة، فنصبها في أشروسنة.

وقال بعضهم: لما أتى نصر الشاش تلقاه قدر ملكها بالصلح والهدية والرهن، واشترط عليه إخراج الحارث بن سريج من بلده، فأخرجه إلى فاراب، واستعمل على الشاش نيزك بن صالح مولى عمرو بن العاص، ثم سار حتى نزل قباء من أرض فرغانة، وقد كانوا أحسوا بجيئته، فأحرقوا الحشيش وحبسوا الميرة ووجه نصر إلى ولي عهد صاحب فرغانة في بقية سنة إحدى وعشرين ومائة، فحاصروه في قلعة من قلاعها، فغفل عنهم المسلمون، فخرجوا على دوابهم فاستاقوها، وأسروا ناساً من المسلمين، فوجه إليهم نصر رجالاً من بني تميم، ومعهم محمد بن المثني - وكان فارساً - فكادهم المسلمون، فأهملوا دوابهم وكنوا لهم، فخرجوا فاستاقوا بعضها، وخرج عليهم المسلمون فهزموهم، وقتلوا الدهقان، وأسروا منهم أسراء، وحمل ابن الدهقان المقتول على ابن المثني، فختله محمد بن المثني، فأسره، وهو غلام أمرد، فأتى به نصراً، فضرب عنقه.

وكان نصر بعث سليمان بن صول إلى صاحب فرغانة بكتاب الصلح بينهما قَالَ سليمان: فقدمت عليه فقال لي: من أنت؟ قلت: شاكري خليفة كاتب الأمير، قَالَ: فقال: أدخلوه الخزائن ليري ما أعددنا، فقيل له: قم، قَالَ: قلت ليس بي مشي، قَالَ: قدموا له دابة يركبها، قَالَ: فدخلت خزائنه، فقلت في نفسي: يا سليمان، شمت بك اسرايل وبشر بن عبيد، ليس هذا إلا لكرهة الصلح، وسأنصرف بخفي حنين.

قَالَ: فرجعت إليه، فقال: كيف رأيت الطريق فيما بيننا وبينكم؟ قلت: سهلاً كثير الماء والمرعى، فكره ما قلت له، فقال: ما علمك؟ فقلت: قد غزوت غرستان وغور واخلت وطبرستان، فكيف لا أعلم! قَالَ: فكيف رأيت ما أعددنا؟ قلت: رأيت عدة حسنة، ولكن أما علمت أن صاحب الحصار لا يسلم من خصال! قَالَ: وما هن؟ قلت: لا يأمن أقرب الناس إليه وأحبهم إليه وأوثقهم في نفسه أن يثب به يطلب مرتبته، ويتقرب بذلك، أو يفنى ما قد جمع، فيسلم برمته، أو يصيبه داء فيموت

فقطب وكره ما قلت له وقال: انصرف إلى منزلك، فانصرفت فأقمت يومين، وأنا لا أشك في تركه الصلح، فدعاني فحملت كتاب الصلح مع غلامي، وقلت له: إن أتاك رسولي يطلب الكتاب فانصرف إلى المنزل، ولا تظهر الكتاب، وقل لي: إني خلفت الكتاب في المنزل فدخلت عليه، فسألني عن الكتاب، فقلت: خلفته في المنزل فقال: ابعث من يجيئك به، فقبل الصلح، وأحسن جائزتي، وسرح معي أمه، وكانت صاحبة أمره قَالَ: فقدمت على نصر، فلما نظر إلي قَالَ: ما مثلك إلا كما قَالَ الأول: فأرسل حكيماً ولا توصه.

فأخبرته، فقال: وفقت، وأذن لأمه عليه، وجعل يكلمها والترجمان يعبر عنها، فدخل تميم بن نصر، فقال للترجمان: قل لها: تعرفين هذا؟ فقالت: لا، فقال: هذا تميم بن نصر، فقالت: والله ما أرى له حلاوة الصغير، ولا نبل الكبير.

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ رِبْعَةَ: قَالَتْ لِنَصْرٍ: كُلِّ مَلِكٍ لَا يَكُونُ عِنْدَهُ سِتَّةُ أَشْيَاءَ فَلَيْسَ بِمَلِكٍ: وَزِيرٌ يَبَايَهُ بِكُتَابِ نَفْسِهِ وَمَا شَجَرَ فِي صَدْرِهِ مِنَ الْكَلَامِ، وَيُشَاوِرُهُ وَيُثِقُ بِنَصِيحَتِهِ، وَطَبَاخٌ إِذَا لَمْ يَشْتِهِ الطَّعَامَ اتَّخَذَ لَهُ مَا يَشْتَهُ، وَزَوْجَةٌ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا مَغْتَمًا فَنَظَرَ إِلَى وَجْهِهَا زَالَ غَمُّهُ، وَحَصْنٌ إِذَا فَرَعَ أَوْ جَهْدَ فَرَعَ إِلَيْهِ فَأُنْجَاهُ- تَعْنِي الْبَرْدُونَ- وَسَيْفٌ إِذَا قَارَعَ الْأَقْرَانَ لَمْ يَخْشَ خِيَانَتَهُ، وَذَخِيرَةٌ إِذَا حَمَلَهَا فَأَيْنَ وَقَعَ بِهَا. مِنْ الْأَرْضِ عَاشَ بِهَا ثُمَّ دَخَلَ تَمِيمُ بْنُ نَصْرٍ فِي الْأَزْفَلِ وَجَمَاعَةٍ، فَقَالَتْ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا:

هَذَا فَتَى خِرَاسَانَ، هَذَا تَمِيمُ بْنُ نَصْرٍ، قَالَتْ: مَا لَهُ نَبْلُ الْكِبَارِ وَلَا حَلَاوَةُ الصِّغَارِ.

ثُمَّ دَخَلَ الْحِجَاجُ بْنُ قَتَيْبَةَ فَقَالَتْ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: الْحِجَاجُ بْنُ قَتَيْبَةَ، قَالَ: خَفِيَّتُهُ، وَسَأَلَتْ عَنْهُ، وَقَالَتْ: يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ، مَا لَكُمْ وَفَاءٌ، لَا يَصْلَحُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ قَتَيْبَةُ الَّذِي وَطَنَ لَكُمْ مَا أَرَى، وَهَذَا ابْنُهُ تَقَعْدُهُ دُونُكَ! فَحَقُّكَ أَنْ تَجْلِسَ هَذَا الْمَجْلِسَ، وَتَجْلِسَ أَنْتَ مَجْلِسَهُ وَجَّعَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامٍ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْخَزَوِمِيِّ- كَذَلِكَ قَالَ أَبُو مَعْشَرَ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْهُ وَكَذَلِكَ قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَكَانَ عَامِلَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالطَّائِفِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامٍ، وَعَامِلَهُ عَلَى الْعِرَاقِ كُلِّهِ يُوسُفُ بْنُ عَمْرِ، وَعَامِلَهُ عَلَى أَدْرِيجَانَ وَأَرْمِينِيَةَ مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى خِرَاسَانَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ، وَعَلَى قِضَاءِ الْبَصْرَةِ عَامِرُ بْنُ عُبَيْدَةَ، وَعَلَى قِضَاءِ الْكُوفَةِ ابْنُ شُبْرَمَةَ.

٧٠١٩ سنه اثنتين وعشرين ومائه

٧٠١٩٠١ خبر مقتل زيد بن علي

ثم دخلت

سنة اثنتين وعشرين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من أحداث)

خبر مقتل زيد بن علي

فمن ذلك مقتل زيد بن علي.

ذكر الخبر عن ذلك:

ذَكَرَ هِشَامُ عَنْ أَبِي مَخْنَفٍ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ لَمَّا أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالتَّأَهُبِ لِلْخُرُوجِ وَالِاسْتِعْدَادِ، أَخَذَ مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْوَفَاءَ لَهُ بِالْبَيْعَةِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ، فَانْطَلَقَ سَلِيمَانُ بْنُ سَرَّاقَةَ الْبَارِقِيُّ إِلَى يُوسُفَ بْنِ عَمْرِ، فَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ يَخْتَلِفُ إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ عَامِرٌ، وَإِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُ طَعْمَةُ، ابْنُ أُخْتٍ لِبَارِقٍ، وَهُوَ نَازِلٌ فِيهِمْ فَبَعَثَ يُوسُفُ يَطْلُبُ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ فِي مَنْزِلِهِمَا فَلَمْ يَجِدْهُمَا، وَأَخَذَ الرَّجُلَانِ، فَأَتَا بِهِمَا، فَلَمَّا كَلِمَهُمَا اسْتَبَانَ لَهُ أَمْرُ زَيْدٍ وَأَصْحَابِهِ وَتَخَوَّفَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ أَنْ يُؤْخَذَ، فَتَعَجَّلَ قَبْلَ الْأَجْلِ الَّذِي جَعَلَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَالَ:

وَعَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ يَوْمُئِذٍ الْحَكَمُ بْنُ الصَّلْتِ، وَعَلَى شَرْطِهِ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، رَجُلٌ مِنَ الْقَارَةِ، وَكَانَتْ ثَقِيفُ أَخْوَالِهِ، وَكَانَ فِيهِمْ وَمَعَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ الْكَنْدِيُّ، فِي أَنْاسٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَيُوسُفُ بْنُ عَمْرِ بِالْحِيرَةِ قَالَ: فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ الَّذِينَ بَايَعُوهُ أَنَّ يُوسُفَ بْنَ عَمْرِ قَدْ بَلَغَهُ أَمْرُ زَيْدٍ، وَأَنَّهُ يَدْسُ إِلَيْهِ، وَيَسْتَبْحِثُ عَنْ أَمْرِهِ، اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ رِءُوسِهِمْ، فَقَالُوا: رَحِمَكَ اللَّهُ! مَا قَوْلُكَ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ؟ قَالَ زَيْدٌ: رَحِمَهُمَا اللَّهُ وَغُفِرَ لَهُمَا، مَا سَمِعْتُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَتَبَرَّأُ مِنْهُمَا إِلَّا خَيْرًا، قَالُوا: فَلَمْ تَطْلُبْ إِذَا بَدَمَ أَهْلُ هَذَا الْبَيْتِ، إِلَّا أَنْ وَثَبَا عَلَى سُلْطَانِكُمْ

فَنَزَعَاهُ مِنْ أَيْدِيكُمْ! فَقَالَ لَهُمْ زَيْدٌ: إِنْ أَشَدَّ مَا أَقُولُ فِيمَا ذَكَرْتُمْ إِنَّا كُنَّا أَحَقُّ بِسُلْطَانِ رَسُولِ اللَّهِ ص مِنْ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَإِنْ الْقَوْمُ اسْتَأْثَرُوا عَلَيْنَا، وَدَفَعُونَا عَنْهُ، وَلَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ عِنْدَنَا بِهِمْ كُفْرًا، قَدْ وَلَوْ فَعَدَلُوا فِي النَّاسِ، وَعَمِلُوا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ قَالُوا: فَلَمْ يَظْلَمْكَ هَؤُلَاءُ!

وان كان أولئك لم يظلموك، فلم تدعو إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين! فقال: وان هؤلاء ليسوا كأولئك، إن هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم، وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنه بنيه ص، وإلى السنن أن تحيا، وإلى البدع أن تطفأ، فإن أنتم أجبتمونا سعدتم، وإن أنتم أبيتم فلست عليكم بوكيل ففارقوه ونكثوا بيعته، وقالوا: سبق الإمام- وكانوا يزعمون أن أبا جعفر محمد بن علي أخا زيد بن علي هو الإمام، وكان قد هلك يومئذ- وكان ابنه جعفر بن محمد حيا، فقالوا: جعفر امامنا اليوم بعد أبيه، وهو أحق بالأمر بعد أبيه، ولا تتبع زيد بن علي فليس بإمام فسماهم زيد الرافضة، فهم اليوم يزعمون أن الذي سماهم الرافضة المغيرة حيث فارقوه وكانت منهم طائفة قبل خروج زيد مروا إلى جعفر بن محمد بن علي، فقالوا له: إن زيد بن علي فينا يبايع، أفترى لنا أن نبايعه؟ فقال لهم: نعم بايعوه، فهو والله أفضلنا وسيدنا وخيرنا فجاءوا، فكتموا ما أمرهم به.

قال: واستتب لزيد بن علي خروجه، فواعد أصحابه ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة. وبلغ يوسف بن عمر أن زيدا قد ازمع على الخروج، فبعث إلى الحكم ابن الصلت، فأمره أن يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم يحصرهم فيه، فبعث الحكم إلى العرفاء والشرط والمناكب والمقاتلة، فأدخلهم المسجد، ثم نادى مناديه: ألا إن الأمير يقول: من أدركاه في رحله فقد برئت منه الذمة، ادخلوا المسجد الأعظم فأتي الناس المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج زيد بيوم، وطلبوا زيدا في دار معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري، فخرج ليلا، وذلك ليلة الأربعاء، في ليلة شديدة البرد، من دار معاوية بن إسحاق، فرفعوا المهرادى فيها النيران، ونادوا: يا منصور.

أمت، أمت يا منصور فكلمها أكلت النار هرديا رفعوا آخر، فما زالوا كذلك حتى طلع الفجر، فلما أصبحوا بعث زيد بن علي القاسم التنعي ثم الحضرمي ورجلا آخر من أصحابه، يناديان بشعارهما، فلما كانوا في صحراء عبد القيس لقيهم جعفر بن العباس الكندي، فشدوا عليه وعلى أصحابه، فقتل الرجل الذي كان مع القاسم التنعي، وارث القاسم، فأتي به الحكم، فكلمه فلم يرد عليه شيئا، فأمر به فضربت عنقه على باب القصر، فكان أول من قتل من أصحاب زيد ابن علي هو صاحبه وأمر الحكم بن الصلت بدروب السوق فغلقت، وغلقت أبواب المسجد على أهل الكوفة وعلى أرباع الكوفة يومئذ، على ريع أهل المدينة إبراهيم بن عبد الله بن جرير البجلي، وعلى مذجج وأسد عمرو ابن أبي بذر العبدى، وعلى كندة وربيعة المنذر بن محمد بن اشعث بن قيس الكندي، وعلى تميم وهمدان محمد بن مالك الهمداني ثم الخيواني.

قال: وبعث الحكم بن الصلت إلى يوسف بن عمر، فأخبره الخبر، فأمر يوسف مناديه فنادى في أهل الشام: من يأتي الكوفة فيقترب من هؤلاء القوم فيأتيهم بخبرهم؟ فقال جعفر بن العباس الكندي: أنا، فركب في خمسين فارسا، ثم أقبل حتى انتهى إلى جبانة سالم السلولي، فاستخبرهم، ثم رجع إلى يوسف بن عمر فأخبره، فلما أصبح خرج إلى تل قريب من الحيرة، فنزل عليه ومعه قریش وأشراف الناس، وعلى شرطته يومئذ العباس بن سعيد المزني، فبعث الريان بن سلمة الإراشي في الفين ومعه ثلاثمائة من القيقانية رجالا معهم النشاب.

وأصبح زيد بن علي، فكان جميع من وافاه تلك الليلة مائتي رجل وثمانية عشر رجلا، فقال زيد: سبحان الله! أين الناس! فقيل له: هم في المسجد الأعظم محصورون، فقال: لا والله ما هذا لمن بايعنا بعذر وسمع نصر ابن خزيمة النداء، فاقبل إليه، فلقى عمر بن عبد الرحمن صاحب شرطة الحكم بن الصلت في خيله من جهينة عند دار الزبير بن ابى حكمه في الطريق

الذي يخرج إلى مسجد بني عدي، فقال نصر بن خزيمة: يا منصور أمت، فلم يرد عليه شيئا، فشد عليه نصر وأصحابه، فقتل عمر بن عبد الرحمن، وانهزم من كان معه، وأقبل زيد بن علي من جبانة سالم حتى انتهى إلى جبانة الصائدين، وبها خمسمائة من أهل الشام، فحمل عليهم زيد بن علي فيمن معه فهزمهم وكان تحت زيد بن علي يومئذ بردون أدهم بهيم، اشتراه رجل من بني نهد بن كهمس بن مروان النجاري بخمسة وعشرين دينارا، فلما قتل زيد بعد ذلك أخذه الحكم بن الصلت.

قال: وانتهى زيد بن علي إلى باب دار رجل من الأزدي، يقال له أنس ابن عمرو- وكان فيمن بايعه- فنودي وهو في الدار فجعل يجيب،

فناداه زيد يا أنس: اخرج إلي رحمك الله، فقد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً فلم يخرج إليه، فقال زيد: ما أخلفكم! قد فعلتموها، الله حسيبكم! قال: ثم إن زيدا مضى حتى انتهى إلى الكاسية، فحمل على جماعة بها من أهل الشام فهزمهم، ثم خرج حتى ظهر إلى الجبانة ويوسف بن عمر على التل ينظر إليه هو وأصحابه، وبين يديه حزام بن مرة المزني وزمزم بن سليم الثعلبي، وهما على المجففة، ومعه نحو من مائتي رجل، والله لو أقبل على يوسف لقتله، والريان بن سلمة يتبع أثر زيد بن علي بالكوفة في أهل الشام. ثم إن زيدا أخذ ذات اليمين على مصلى خالد بن عبد الله حتى دخل الكوفة، وكانت فرقة من أصحاب زيد بن علي حيث وجه إلى الكاسية قد انشعبت نحو جبانة مخنف بن سليم ثم قال بعضهم لبعض: ألا نطلق نحو جبانة كندة! قال: فما زاد الرجل على أن تكلم بهذا الكلام.

وطلع أهل الشام، فلما رأوهم دخلوا زقاقاً فضوا فيه، وتحلف رجل منهم، فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين، ثم خرج إليهم فقاتلهم ساعة ثم إنهم صرعوه، فجعلوا يضربونه بأسيا ففهم، فنادى رجل منهم مقنع بالحديد: أن اكشفوا المغفر ثم اضربوا رأسه بعمود حديد، ففعلوا، وقتل وحمل أصحابه عليهم فكشفوهم عنه وقد قتل، وانصرف أهل الشام، وقد اقتطعوا رجلاً، ونجا سائرهم فذهب ذلك الرجل حتى دخل دار عبد الله بن عوف، فدخل أهل الشام عليه فأسروه، فذهب به إلى يوسف بن عمر فقتله.

قال: وأقبل زيد بن علي، وقد رأى خذلان الناس إياه، فقال:

يا نصر بن خزيمة، أتخاف أن يكون قد جعلوها حسينية! فقال له:

جعلني الله لك الفداء! أما أنا فوالله لأضربن معك بسيفي هذا حتى أموت، فكان قتاله يومئذ بالكوفة ثم إن نصر بن خزيمة قال لزيد بن علي: جعلني الله لك الفداء! إن الناس في المسجد الأعظم محصورون، فامض بنا نحوهم، فنخرج بهم زيد نحو المسجد، فر على دار خالد بن عرفة وبلغ عبيد الله ابن العباس الكندي إقباله، فنخرج في أهل الشام، وأقبل زيد فالتقوا على باب عمر بن سعد بن أبي وقاص، فكع صاحب لواء عبيد الله - وكان لوائه مع سلمان مولاة - فلما أراد عبيد الله الحملة ورآه قد كع عنه، قال: احمل يا بن الخبيثة! فحمل عليهم، فلم ينصرف حتى خضب لوائه بالدم.

ثم إن عبيد الله برز فنخرج إليه واصل الحنات، فاضطربا بسيفهما، فقال للأحول: خذها مني وأنا الغلام الحنات! وقال الآخر: قطع الله يدي إن كنت بقفيز أبداً ثم ضربه فلم يصنع شيئاً وانهزم عبيد الله بن العباس وأصحابه، حتى انتهوا إلى دار عمرو من حرث وجاء زيد وأصحابه حتى انتهوا إلى باب الفيل، فجعل أصحاب زيد يدخلون راياتهم من فوق الأبواب، ويقولون: يا أهل المسجد، اخرجوا وجعل نصر بن خزيمة يناديهم، ويقول: يا أهل الكوفة، اخرجوا من الذل إلى العز، اخرجوا إلى الدين والدنيا، فإنكم لستم في دين ولا دنيا فأشرف عليهم أهل الشام، فجعلوا يرمونهم بالحجارة من فوق المسجد - وكان يومئذ جمع كبير بالكوفة في نواحيها، وقيل في جبانة سالم - وانصرف الريان بن سلمة إلى الحيرة عند المساء، وانصرف زيد بن علي فيمن معه، وخرج إليه ناس من أهل الكوفة، فنزل دار الرزق، فأتاه الريان بن سلمة، فقاتله عند دار الرزق قتالاً شديداً، فخرج من أهل

الشام وقتل منهم ناس كثير، وتبعهم أصحاب زيد من دار الرزق، حتى انتهوا إلى المسجد، فرجع أهل الشام مساء يوم الأربعاء أسوأ شيء ظنا، فلما كان من الغد غداة يوم الخميس، دعا يوسف بن عمر الريان بن سلمة، فلم يوجد حاضراً تلك الساعة.

وقال بعضهم: بل أتاه وليس عليه سلاحه فأفف به، وقال له: أف لك من صاحب خيل! اجلس فدعا العباس بن سعيد المزني صاحب شرطته، فبعثه في أهل الشام، فسار حتى انتهى إلى زيد بن علي في دار الرزق، وثم خشب للتجار كثير، فالطريق متضايق وخرج زيد في أصحابه، وعلى مجنبتيه نصر بن خزيمة العبسي ومعاوية بن إسحاق الأنصاري، فلما رآهم العباس - ولم يكن معه رجال - نادى: يا أهل الشام، الأرض والأرض! فنزل ناس كثير ممن معه، فاقتتلوا قتالاً شديداً في المعركة وقد كان رجل من أهل الشام من بني عبس

يقال له نائل بن فروة قال ليوسف بن عمر:

والله لئن أنا ملأت عيني من نصر بن خزيمة لأقتلنه أو ليقتلني، فقال له يوسف:

خذ هذا السيف، فدفع إليه سيفاً لا يمر بشيء إلا قطعه فلما التقى أصحاب العباس بن سعيد وأصحاب زيد واقتتلوا، بصر نائل بن فروة بنصر بن خزيمة، فأقبل نحوه، فضرب نصراً فقطع نحره، وضربه نصر ضربة فقتله، فلم يلبث نصر أن مات، واقتتلوا قتالاً شديداً.

ثم إن زيد بن علي هزمهم وقتل من أهل الشام نحواً من سبعين رجلاً، فانصرفوا وهم بشر حال وقد كان العباس بن سعيد نادى في أصحابه أن اركبوا، فإن الخيل لا تطيق الرجال في المضيق فركبوا، فلما كان العشي عبأهم يوسف بن عمر ثم سرحهم، فأقبلوا حتى التقوا هم وأصحاب زيد، فحمل عليهم زيد في أصحابه فكشفهم، ثم تبعهم حتى أخرجهم إلى السبخة، ثم شد عليهم بالسبخة حتى أخرجهم إلى بني سليم، ثم تبعهم في خيله ورجاله، حتى أخذوا على المسناه.

ثم إن زيدا ظهر لهم فيما بين بارق ورؤاس، فقاتلهم هنالك قتالاً شديداً،

وصاحب لوائه يومئذ رجل يقال له عبد الصمد بن أبي مالك بن مسروح، من بني سعد بن زيد، خليف العباس بن عبد المطلب، وكان مسروح السعدي تزوج صفية بنت العباس بن عبد المطلب، فجعلت خيلهم لا تثبت لخيله ورجله، فبعث العباس إلى يوسف بن عمر يعلمه ذلك، فقال له: ابعث إلي الناشبة، فبعث إليهم سليمان بن كيسان الكلبي في القيقانية والبخارية، وهم ناشبة، فجعلوا يرمون زيدا وأصحابه، وكان زيد حريصاً على أن يصرفهم حين انتهوا إلى السبخة، فأبوا عليه، فقاتل معاوية بن إسحاق الأنصاري بين يدي زيد بن علي قتالاً شديداً، فقتل بين يديه، وثبت زيد بن علي ومن معه حتى إذا جنح الليل رمي بسهم فأصاب جانب جبهته اليسرى، فتشبث في الدماغ، فرجع ورجع أصحابه، ولا يظن أهل الشام أنهم رجعوا إلا للمساء والليل.

قال: فحدثني سلمة بن ثابت الليثي - وكان مع زيد بن علي، وكان آخر من انصرف من الناس يومئذ، هو وغلाम لمعاوية بن إسحاق - قال: أقبلت أنا وصاحبي نقص أثر زيد بن علي، فجنده قد أنزل، وأدخل بيت حران ابن كريمة مولى لبعض العرب في سكة البريد في دور أرحب وشاكر.

قال سلمة بن ثابت: فدخلت عليه، فقلت له: جعلني الله فداك أبا الحسين! وانطلق أصحابه فجاءوا بطبيب يقال له شقير مولى لبني رؤاس فانزع النصل من جبهته، وأنا انظر إليه، فوالله ما عدا أن أنزعه جعل يصيح، ثم لم يلبث أن قضى، فقال القوم: أين ندفنه، وأين نواريه؟ فقال بعض أصحابه: نلبسه درعه ونطرحه في الماء، وقال بعضهم: بل نحتر رأسه ونضعه بين القتلى، فقال ابنه يحيى: لا والله لا ناكل لحم أبي الكلاب.

وقال بعضهم: لا بل نحملة إلى العباسية فندفنه.

قال سلمة: فأشرت عليهم أن ننطلق به إلى الحفرة التي يؤخذ منها الطين فندفنه فيها، فقبلوا رأيي وانطلقنا، وحفرنا له بين حفرتين، وفيه حينئذ ماء كثير، حتى إذا نحن أمكاً له دفناه، وأجرينا عليه الماء، وكان معنا

عبد له سندي قال: ثم انصرفنا حتى نأتى جبانة السبيع، ومعنا ابنه، فلم نزل بها، وتصعد الناس عنا، وبقيت في رهط معه لا يكونون عشرة، فقلت له: أين تريد؟ هذا الصبح قد غشيك - ومعنا أبو الصبار العبدي - قال: فقال: النهرين، فقلت له: إن كنت إنما تريد النهرين - فظننت أنه يريد أن يتشطط الفرات ويقاتلهم - فقلت له: لا تبرح مكانك، تقاتلهم حتى تقتل، أو يقضي الله ما هو قاض فقال لي: أنا أريد نهرى كربلاء.

فقلت له: فالنجا قبل الصبح، نخرج من الكوفة، وأنا معه وأبو الصبار ورهط معنا، فلما خرجنا من الكوفة سمعنا أذان المؤذنين، فصلينا الغداة بالنخيلة، ثم توجهنا سراعاً قبل نينوى، فقال لي: إني أريد سابقاً مولى بشر بن عبد الملك بن بشر، فأسرع السير، وكنت إذا لقيت القوم أستطعمهم فأطعم الأربعة فأطعمها إياه، فياكل وأنا أكل معه، فانتبهنا إلى نينوى وقد أظلمنا، فأتيننا منزل سابق، فدعوت على الباب، فخرج إلينا فقلت له:

أما أنا فآتي الفيوم، فأكون به، فإذا بدا لك أن ترسل إلي فأرسل.

قَالَ: ثم إني مضيت وخلفته عند سابق، فذلك آخر عهدي به.

قَالَ: ثم إن يوسف بن عمر بعث أهل الشام يطلبون الجرحى في دور أهل الكوفة، فكانوا يخرجون النساء إلى صحن الدار، ويطوفون البيت يلتمسون الجرحى.

قَالَ: ثم دل غلام زيد بن علي السندي يوم الجمعة على زيد، فبعث الحكم بن الصلت العباس بن سعيد المزني وابن الحكم بن الصلت، فانطلقا فاستخرجاه، فكره العباس أن يغلب عليه ابن الحكم بن الصلت فتركه وسرح بشيرا إلى يوسف بن عمر غداة يوم الجمعة برأس زيد بن علي مع الحجاج بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل، فقال أبو الجويرية مولى جهينة:

قل للذين انتهكوا المحارم ... ورفعوا الشمع بصحرا سالم

كيف وجدتم وقعة الأكارم ... يا يوسف بن الحكم بن القاسم!

قَالَ: ولما أتى يوسف بن عمر البشير، أمر يزيد فصلب بالكاسية، هو ونصر بن خزيمه ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري وزياد النهدي، وكان يوسف قد نادى: من جاء برأس فله خمسمائة درهم، فجاء محمد بن عباد برأس نصر بن خزيمه، فأمر له يوسف بن عمر بألف درهم، وجاء الأحول مولى الأشعرين برأس معاوية بن إسحاق، فقال: أنت قتلتها؟

فقال: أصلح الله الأمير! ليس أنا قتلتها، ولكني رايتها فعرفت، فقال:

اعطوه سبعمائة درهم، ولم يمنع ان يتم له ألفا، إلا أنه زعم أنه لم يقتله وقد قيل: إن يوسف بن عمر لم يعلم بأمر زيد ورجوعه من الطريق إلى الكوفة بعد ما شخص إلا بإعلام هشام بن عبد الملك إياه، وذلك أن رجلا من بني أمية كتب - فيما ذكر - إلى هشام، يذكر له أمر زيد، فكتب هشام إلى يوسف يشتمه ويجهله، ويقول: إنك لغافل، وزيد غارز ذنبه بالكوفة يبيع له فالحج في طلبه، فأعطه الأمان فإن لم يقبل فقاتله فكتب يوسف إلى الحكم بن الصلت من آل أبي عقيل وهو خليفته على الكوفة بطلبه، فطلبه نخفي عليه موضعه، فدرس يوسف مملوكا خراسانيا ألكن، وأعطاه خمسة آلاف درهم، وأمره أن يلطف لبعض الشيعة فيخبره أنه قد قدم من خراسان حبا لأهل البيت، وأن معه مالا يريد أن يقويهم به، فلم يزل المملوك يلقي الشيعة، ويخبرهم عن المال الذي معه حتى أدخلوه على زيد، فخرج فدل يوسف على موضعه، فوجه يوسف إليه الخيل، فنادى أصحابه بشعارهم، فلم يجتمع إليه منهم الا ثلاثمائة او اقل، فجعل يقول: كان داود ابن علي أعلم بكم، قد حذرني خذلانكم فلم أحذر! وقيل: إن الذي دل على موضع زيد الذي كان دفن فيه - وكان دفن في نهري عقوب فيما قيل، وكان أصحابه قد سكبوا النهر ثم حفروا له في بطنه، فدفنوه في ثيابه ثم أجروا عليه الماء - عبد قصار كان به، فاستجعل جعلًا على أن يدلهم على موضعه، ثم دلهم، فاستخرجوه، فقطعوا رأسه، وصلبوا جسده، ثم أمروا بحراسته لثلاثين نزل، فكث يحرس زمانا

وقيل إنه كان فيمن يحرسه زهير بن معاوية أبو خيشمة، وبعث برأسه إلى هشام فأمر به فنصب على باب مدينة دمشق، ثم أرسل به إلى المدينة، ومكث البدن مصلوبا حتى مات هشام، ثم أمر به الوليد فانزل واحرق وقيل: ان حكيم ابن شريك كان هو الذي سعى بزيد إلى يوسف.

فأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فإنه قال في أمر يحيى بن زيد: لما قتل زيد عمه رجل من بني أسد إلى يحيى بن زيد، فقال له: قد قتل أبوك، وأهل خراسان لكم شيعة، فالرأي أن تخرج إليها قال: وكيف لي بذلك؟ قال: تتوارى حتى يكف عنك الطلب ثم تخرج، فواراه عنده ليلة، ثم خاف فأتى عبد الملك بن بشر بن مروان، فقال له: إن قرابة زيد بك قريبة، وحقه عليك واجب، قال له: أجل، ولقد كان العفو عنه أقرب إلى التقوى، قال: فقد قتل وهذا ابنه غلاما حدثا لا ذنب له، وإن علم يوسف بن عمر بمكانه قتله، فتجيره وتواريه عندك، قال: نعم وكرامة فأثابه به فواراه عنده فبلغ الخبر يوسف، فأرسل إلى عبد الملك: قد بلغني مكان هذا الغلام عندك، وأعطي الله عهدا، لئن لم تأتني به لأكتبن فيك إلى أمير المؤمنين، فقال له عبد الملك: أذاك الباطل والزور، أنا وأواري من ينازعني سلطاني ويدعي فيه أكثر من حقي! ما كنت أخشاك على قبول مثل هذا علي ولا الاستماع من صاحبه، فقال: صدق والله ابن بشر، ما كان ليواري

مثل هذا، ولا يستر عليه، فكف عن طلبه، فلما سكن الطلب خرج يحيى في نفر من الزيدية إلى خراسان. وخطب يوسف بعد قتل زيد بالكوفة فقال:

يا أهل الكوفة، إن يحيى بن زيد يتنقل في جبال نساءكم كما كان يفعل أبوه، والله لو أبدى لي صفحته لعرفت خصيه كما عرفت خصيي أبيه.

وذكر عن رجل من الأنصار قال: لما جاء برأس زيد فصلب بالمدينة في سنة ثلاث وعشرين ومائة، أقبل شاعر من شعراء الأنصار فقام بحiale، فقال:

أيا ناقض الميثاق ... أبشر بالذي ساكا

نقضت العهد والميثاق ... قدما كان قدما كا

لقد أخلف إبليس الذي ... قد كان مناكا

قال: فقيل له: ويلك! أتقول هذا لمثل زيد! فقال: إن الأمير غضبان فأردت أن أرضيه، فرد عليه بعض شعرائهم:

ألا يا شاعر سوء ... لقد أصبحت أفاكا

اشتم ابن رسول الله ... يرضى من تولاكا

ألا صبحك الله ... بخزي ثم مسكا

ويوم الحشر لا شك ... بأن النار مثواكا

وقيل: كان خراش بن حوشب بن يزيد الشيباني على شرط يوسف ابن عمر، فهو الذي نبش زيدا، وصلبه، فقال السيد:

بت ليلي مسهدا ... ساهر الطرف مقصدا

ولقد قلت قولة ... وأطلت التبلدا

لعن الله حوشبا ... وخراشا ومزيدا

ويزيدا فإنه ... كان أعنى وأعدا

ألف ألف وألف ... ألف من اللعن سرمدا

إنهم حاربوا الإله ... وآذوا محمدا

شركوا في دم المطهر ... زيد تعندا

ثم عالوه فوق جذع ... صريعا مجردا

يا خراش بن حوشب ... أنت أشقى الورى غدا

قال أبو مخنف: ولما قتل يوسف زيد بن علي أقبل حتى دخل الكوفة فصعد المنبر، فقال:

يا أهل المدرة الخبيثة، إني والله ما تقرن بي الصعبة، ولا يقعق لي بالشنان، ولا اخوف بالذنب هيات! حبيت بالساعد الأشد، أبشروا

يا أهل الكوفة بالصغار والهوان، لا عطاء لكم عندنا ولا رزق، ولقد هممت أن أخرب بلادكم ودوركم، وأحرمكم أموالكم أما والله ما

علوت منبري إلا أسمعتم ما تكرهون عليه، فإنكم أهل بغي وخلاف، ما منكم إلا من حارب الله ورسوله، إلا حكيم بن شريك المحاربي،

ولقد سألت أمير المؤمنين أن يأذن لي فيكم، ولو أذن لقتلت مقاتلتكم، وسبيت ذراريكم.

وفي هذه السنة قتل كلثوم بن عياض القشيري الذي كان هشام بن عبد الملك بعثه في خيول أهل الشام إلى إفريقية، حيث وقعت

الفتنة بالبربر.

وفيهما قتل عبد الله البطال في جماعة من المسلمين بأرض الروم.

وفيهما ولد الفضل بن صالح ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن علي.

وفيهما وجه يوسف بن عمر بن شبرمة على سجستان، فاستقضى ابن أبي ليلى.

وجج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام الخزومي، كذلك حدثني أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن اسحق بن عيسى، عن أبي معشر،

وكذلك قال الواقدي وغيره.

وكانت عمال الأمصار في هذه السنة العمال في السنة التي قبلها، وقد ذكرناهم قبل، إلا أن قاضي الكوفة كان- فيما ذكر- في هذه السنة مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى.

٧٠٢٠ سنه ثلاث وعشرين ومائه

٧٠٢٠٠١ ذكر خبر صلح نصر بن سيار مع السغد

ثم دخلت

سنة ثلاث وعشرين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر خبر صلح نصر بن سيار مع السغد

فمن ذلك ما جرى بين أهل السغد ونصر بن سيار من الصلح.

ذكر الخبر عن ذلك وسببه:

ذكر علي بن محمد، عن شيوخه، أن خاقان لما قتل في ولاية أسد، تفرقت الترك في غارة بعضها على بعض، فطمع أهل السغد في الرجعة إليها، وانحاز قوم منهم إلى الشاش، فلما ولي نصر بن سيار أرسل إليهم يدعوههم إلى الفيئة والمراجعة إلى بلادهم، وأعطاهم كل ما أرادوا.

قال: وكانوا سألوا شروطا أنكرها أمراء خراسان، منها ألا يعاقب من كان مسلما وارتد عن الإسلام، ولا يعدى عليهم في دين لأحد من الناس، ولا يؤخذون بقبالة عليهم في بيت المال، ولا يؤخذ أسراء المسلمين من أيديهم إلا بقضية قاض وشهادة العدول، فعاب الناس ذلك على نصر، وكلّموه فقال: أما والله لو عاينتم شوكتهم في المسلمين ونكايتهم مثل الذي عاينت ما أنكرتم ذلك! فأرسل رسولا إلى هشام في ذلك، فلما قدم الرسول أبي أن ينفذ ذلك لنصر، فقال الرسول: جرت يا أمير المؤمنين حربنا وصلحنا، فاختر لنفسك فغضب هشام، فقال الأبرش الكلبي: يا أمير المؤمنين، تألف القوم واحمل لهم، فقد عرفت نكايتهم كانت في المسلمين، فأنفذ هشام ما سأل.

وفي هذه السنة أوفد يوسف بن عمر الحكم بن الصلت إلى هشام بن عبد الملك، يسأله ضم خراسان إليه وعزل نصر بن سيار

ذكر الخبر عن سبب ذلك وما كان من الأمر فيه:

ذكر علي عن شيوخه، قال: لما طالت ولاية نصر بن سيار، ودانت له خراسان، كتب يوسف بن عمر إلى هشام حسدا له: إن خراسان دبرة دبرة فإن رأى أمير المؤمنين أن يضمها إلى العراق فأسرح إليها الحكم بن الصلت، فإنه كان مع الجنيد، وولي جسم أعماها، فأعمر بلاد أمير المؤمنين بالحكم.

وأنا باعث بالحكم بن الصلت إلى أمير المؤمنين، فإنه أديب أريب، ونصيحته لأمر المؤمنين مثل نصيحتنا ومودتنا أهل البيت فلما أتى هشاما كتابه بعث إلى دار الضيافة، فوجد فيها مقاتل بن علي السغدّي، فأتوه به، فقال: أمن خراسان أنت؟ قال: نعم، وأنا صاحب الترك- قال: وكان قدم على هشام بخمسين ومائة من الترك- فقال:

أتعرف الحكم بن الصلت؟ قال: نعم، قال: فما ولي بخراسان؟ قال: ولي قرية يقال لها الفارياب، خراجها سبعون ألفا، فأسره الحارث بن سريج، قال:

ويحك! وكيف أفلت منه! قال: عرك أذنه، وقفده وخلّ سبيله قال:

فقدم عليه الحكم بعد بخراج العراق، فرأى له جمالا وينا، فكتب إلى يوسف:

إن الحكم قدم وهو على ما وصفت، وفيما قبلك له سعة، وخل الكثاني وعمله.

وفي هذه السنة غزا نصر فرغانة غزوته الثانية، وأوفد مغراء بن أحمر إلى العراق، فوقع فيه عند هشام.

ذكر الخبر عن ذلك وما كان من هشام ويوسف بن عمر فيه:

ذكر أن نصرا وجه مغراء بن أحمر إلى العراق وافدا، منصرفه من غزوته الثانية فرغانة، فقال له يوسف بن عمر: يا بن أحمر، يغلبكم ابن الأقطع يا معشر قيس على سلطانكم! فقال: قد كان ذلك أصلح الله الأمير! قال: فإذا قدمت على أمير المؤمنين فابقر بطنه فقدموا على هشام، فسألهم عن أمر خراسان، فتكلم مغراء، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر

يوسف بن عمر بخير، فقال: ويحك! أخبرني عن خراسان، قال: ليس لك جند يا أمير المؤمنين احد ولا انجد منهم، من سوا ذق في السماء وفرسان مثل الفيلة، وعدة وعدد من قوم ليس لهم قائد، قال: ويحك! فما فعل الكافي؟ قال: لا يعرف ولده من الكبر فرد عليه مقالته، وبعث إلى دار الضيافة، فأتي بشييل بن عبد الرحمن المازني، فقال له هشام: أخبرني عن نصر، قال: ليس بالشخص يخشى خرفه، ولا الشاب يخشى سفهه، المجرب المجرب، قد ولي عامة تغور خراسان وحروبها قبل ولايته فكتب إلى يوسف بذلك، فوضع يوسف الأرصاء، فلما انتهوا إلى الموصل تركوا طريق البريد، وتكادوا حتى قدموا بيهق - وقد كتب إلى نصر بقول شييل - وكان إبراهيم بن بسام في الوفد، ففكر به يوسف، ونعى له نصرا، وأخبره أنه قد ولي الحكم بن الصلت بن أبي عقيل خراسان فقسم له إبراهيم امر خراسان كله، حتى قدم عليه إبراهيم بن زياد رسول نصر، فعرف أن يوسف قد مكر به وقال: أهلكني يوسف.

وقيل: إن نصرا أوفد مغراء، وأوفد معه حملة بن نعيم الكلبي، فلما قدموا على يوسف، أطمع يوسف مغراء، ان هو تنقص نصرا عند هشام أن يوليه السند فلما قدما عليه ذكر مغراء بأس نصر ونجده ورأيه، وأطنب في ذلك، ثم قال: لو كان الله متعنا منه ببقية! فاستوى هشام جالسا، ثم قال: ببقية ماذا؟ قال: لا يعرف الرجل إلا بجرمه، ولا يفهم عنه حتى يدنى منه، وما يكاد يفهم صوته من الضعف لأجل كبره فقام حملة الكلبي، فقال: يا أمير المؤمنين، كذب والله، ما هو كما قال، هو هو فقال هشام: إن نصرا ليس كما وصف، وهذا أمر يوسف بن عمر حسد لنصر، وقد كان يوسف كتب إلى هشام يذكر كبر نصر وضعفه، ويذكر له سلم بن قتيبة فكتب إليه هشام: إله عن ذكر الكافي، فلما قدم مغراء على يوسف، قال له: قد علمت بلاء نصر عندي، وقد صنعت به

ما قد علمت، فليس لي في صحبته خير، ولا لي بخراسان مقام، فأمره بالمقام وكتب إلى نصر: إني قد حولت اسمه، فأشخص إلي من قبلك من أهله.

وقيل: إن يوسف لما أمر مغراء بعبث نصر، قال: كيف أعيبه مع بلائه وآثاره الجميلة عندي وعند قومي! فلم يزل به، فقال: فم أعيبه؟ أعيب تجربته أم طاعته؟ أم يمن نقيته أم سياسته؟ قال: عبه بالكبر فلما دخل على هشام تكلم مغراء، فذكر نصرا بأحسن ما يكون، ثم قال في آخر كلامه: لولا، فاستوى هشام جالسا، فقال: ما لولا! قال:

لولا أن الدهر قد غلب عليه، قال: ما بلغ به ويحك الدهر! قال: ما يعرف الرجل إلا من قريب، ولا يعرفه إلا بصوته، وقد ضعف عن الغزو والركوب.

فشق ذلك على هشام فتكلم حملة بن نعيم فلما بلغ نصرا قول مغراء بعث هارون بن السياوش إلى الحكم بن نميلة، وهو في السراجين يعرض الجند، فأخذ برجله فسحبه عن طنفسة له، وكسر لواءه على رأسه، وضرب بطنفسته وجهه، وقال: كذلك يفعل الله بأصحاب الغدر! وذكر علي بن محمد، عن الحارث بن أفلح بن مالك بن أسماء بن خارجة:

لما ولي نصر خراسان أدنى مغراء بن أحمر بن مالك بن ساريه التيمري والحكم ابن نميلة بن مالك والحجاج بن هارون بن مالك، وكان مغراء بن أحمر التيمري رأس أهل قنسرين، فأثر نصر مغراء وسنى منزلته، وشفعه في حوائجه، واستعمل ابن عمه الحكم بن نميلة على الجوزجان، ثم عقد للحكم على أهل العالية، وكان أبوه بالبصرة عليهم، وكان بعده عكابة بن نميلة، ثم أوفد نصر وفدا من أهل الشام وأهل خراسان، وصير عليهم مغراء، وكان في الوفد حملة بن نعيم الكلبي، فقال عثمان بن صدقة بن وثاب لمسلم بن عبد الرحمن ابن مسلم عامل طخارستان:

خيرني مسلم مراكبه ... فقلت حسبي من مسلم حكما
هذا فتى عامر وسيدها ... كفى بمن ساد عامرا كرما
يعني الحكم بن نميلة.

قَالَ: فتغير نصر لقيس وأوحشه ما صنع مغراء قَالَ: وكان أبو نائلة صالح الأبار مولى بني عبس، خرج مع يحيى بن زيد بن علي بن حسين، فلم يزل معه حتى قتل بالجوزجان وكان نصر قد وجد عليه لذلك، فأتى عبيد الله بن بسام صاحب نصر، فقال:

قد كنت في همة حيران مكتئباً ... حتى كفاني عبيد الله تهماي
ناديته فسمّاً للمجد مبهجاً ... كغرة البدر جلى وجه إظلام
فاسم برأي أبي ليث وصولته ... إن كنت يوم حفاظ بامرئ سام
تظفر يداك بمن تمت مروته ... واختصه ربه منه بإكرام
ماضي العزائم ليثي مضاربه ... على الكريهة يوم الروع مقدم
لا هذر ساحة النادي ولا مذل ... فيه ولا مسكت إسكات إخم
له من الحلم ثوباه ومجلسه ... إذا المجالس شانت أهل أحلام

قال: فأدخله عبيد الله على نصر، فقال أبو نائلة: أصلحك الله! إني ضعيف، فإن رأيت أن تأذن لراويتي! فأذن له، فأنشده:

فأبيني نير ثم أبيني ... ألعبد مغراء أم لصميم
فلئن كان منكم ما يكون ... الغدر والكفر من خصال الكريم
ولئن كان أصله كان عبداً ... ما عليكم من غدره من شتم
وليته ليث وأي ولاية ... بأياد بيض وامر عظيم!
اسمته حتى إذا راح مغبوطاً ... بخير من سيبها المقسوم
كاد ساداته بأهون من نهقه ... غير بقفره مرقوم
فضر بنا لغيرنا مثل الكلب ... ذميما والذم للهموم
وحمداً ليثاً ويأخذ بالفضل ... ذوو الجود والندى والخلوم
فاعلمن يا بني القساورة الغلب ... واهل الصفا وأهل الخطم
أن في شكر صالحينا لما يد ... حض قول المرهق الموصوم
قد رأى الله ما أتيت ولن ينقص ... نبج الكلاب زهر النجوم

فلما فرغ قَالَ نصر: صدقت، وتكلمت القيسية واعتذروا قَالَ: وأهان نصر قيساً وباعدهم حين فعل مغراء ما فعل، فقال في ذلك بعض الشعراء:

لقد بغض الله الكرام إليكم ... كما بغض الرحمن قيساً إلى نصر
رأيت أبا ليث يهين سراتهم ... ويدني إليه كل ذي والث غمر

وجج بالناس في هذه السنة يزيد بن هشام بن عبد الملك، كذلك حدثني أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال الواقدي أيضاً.

وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا في السنة التي قبلها، وقد ذكرتهم قبل.

٧٠٢١ سنه اربع وعشرين ومائه

٧٠٢١٠١ ابتداء امر ابى مسلم الخراسانى

ثم دخلت

سنة أربع وعشرين ومائة

(ذكر الاخبار عما كان فيها من الاحداث)

ابتداء امرأى مسلم الخراسانى

فما كان فيها من ذلك مقدم جماعة من شيعة بني العباس الكوفة يريدون مكة، وشرى بكير بن ماهان- في قول بعض أهل السير- أبا مسلم صاحب دعوة بني العباس من عيسى بن معقل العجلي.

ذكر الخبر عن سبب ذلك:

وقد اختلف في ذلك، فأما علي بن محمد، فإنه ذكر أن حمزة بن طلحة السلمي حدثه عن أبيه، قال: كان بكير بن ماهان كاتباً لبعض عمال السند، فقدمها، فاجتمعوا بالكوفة في دار، فغمز بهم فأخذوا، فحبس بكير وخلي عن الباقيين، وفي الحبس يونس أبو عاصم وعيسى بن معقل العجلي، ومعه أبو مسلم يخدمه، فدعاهم بكير فأجابوه إلى رأيهم، فقال لعيسى بن معقل: ما هذا الغلام؟ قال: مملوك، قال: تبعه؟ قال: هو لك، قال: أحب أن تأخذ ثمنه، قال: هو لك بما شئت، فاعطاه أربعمئة درهم، ثم أخرجوا من السجن، فبعث به إلى إبراهيم فدفعه إبراهيم إلى أبي موسى السراج، فسمع منه وحفظ، ثم صار إلى أن اختلف إلى خراسان.

وقال غيره: توجه سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ، وقطبة بن شبيب من خراسان، وهم يريدون مكة في سنة أربع وعشرين ومائة، فلما دخلوا الكوفة أتوا عاصم بن يونس العجلي، وهو في الحبس، قد اتهم بالدعاء إلى ولد العباس، ومعه عيسى وإدريس ابنا معقل، حبسهما يوسف بن عمر فيمن حبس من عمال خالد بن عبد الله، ومعهما أبو مسلم يخدمهما، فأروا فيه العلامات، فقالوا: من هذا؟ قالوا: غلام معنا من

السراجين- وقد كان أبو مسلم يسمع عيسى وإدريس يتكلمان في هذا الرأي فإذا سمعهما بكى- فلما رأوا ذلك منه دعوه إلى ما هم عليه، فأجاب وقبل.

وفي هذه السنة غزا سليمان بن هشام الصائفة، فلقي أليون ملك الروم فسلم وغنم.

وفيها مات- في قول الواقدي- محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وجج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل، كذلك حدثني أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال الواقدي.

وجج في هذه السنة عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك معه امرأته أم سلمة بنت هشام بن عبد الملك.

وذكر محمد بن عمر أن يزيد مولى أبي الزناد حدثه، قال: رأيت محمد ابن هشام على بابها يرسل بالسلام وألطفه على بابها كثيره، ويعتذر فتأبى، حتى كان يأيس من قبول هديته، ثم أمرت بقبضها.

وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عمالها في سنة اثنتين وعشرين ومائة وفي سنة ثلاث وعشرين ومائة، وقد ذكرناهم قبل.

٧٠٢٢ سنة خمس وعشرين ومائة

٧٠٢٢٠١ خبر وفاه هشام بن عبد الملك

ذكر الخبر عن العله التي كانت بها وفاته

ثم دخلت

سنة خمس وعشرين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فن ذلك غزوة النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة.

خبر وفاه هشام بن عبد الملك

ومن ذلك وفاة هشام بن عبد الملك بن مروان فيها، وكانت وفاته- فيما ذكر أبو معشر- لست ليال خلون من شهر ربيع الآخر، كذلك حدثني أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عنه.

وكذلك قَالَ الواقدي والمدائني وغيرهما، غير أنهم قالوا: كانت وفاته يوم الأربعاء لست ليال خلون من شهر ربيع الآخر، فكانت خلافته في قول جميعهم تسع عشرة سنة، وسبعة أشهر وأحدًا وعشرين يوما في قول المدائني وابن الكلبي، وفي قول أبي معشر: ثمانية أشهر ونصف، وفي قول الواقدي: وسبعة أشهر وعشرة ليال.

واختلف في مبلغ سنه، فقال هشام بن محمد الكلبي: توفي وهو ابن خمس وخمسين سنة. وقال بعضهم: توفي وله اثنتان وخمسون سنة وقال محمد بن عمر: كان هشام يوم توفي ابن أربع وخمسين سنة. وكانت وفاته بالرصافة وبها قبره، وكان يكنى أبا الوليد ذكر الخبر عن العلة التي كانت بها وفاته

حدثني أحمد بن زهير، قَالَ: حدثني علي بن محمد، قَالَ: حدثني شيبه بن عثمان، قَالَ: حدثني عمرو بن كليع، قَالَ: حدثني سالم أبو العلاء، قَالَ: خرج علينا هشام بن عبد الملك يوما وهو كئيب، يعرف ذلك فيه،

ذكر بعض سير هشام

مسترخ عليه ثيابه، وقد أرنخى عنان دابته، فسار ساعة ثم انتبه، فجمع ثيابه وأخذ بعنان دابته، وقال للربيع: ادع الأبرش، فدعي فسار بيني وبين الأبرش، فقال له الأبرش: يا أمير المؤمنين، لقد رأيت منك شيئا غمني، قَالَ: وما هو؟ قَالَ: رأيتك قد خرجت على حال غمني، قَالَ: ويحك يا أبرش! وكيف لا أغتم وقد زعم أهل العلم أنني ميت إلى ثلاثة وثلاثين يوما! قَالَ سالم: فرجعت إلى منزلي، فكتبت في قرطاس: زعم أمير المؤمنين يوم كذا وكذا أنه يسافر إلى ثلاثة وثلاثين يوما فلما كان في الليلة التي استكمل فيها ثلاثة وثلاثين يوما إذا خادم يدق الباب يقول: أجب أمير المؤمنين، واحمل معك دواء الذبحة- وقد كان أخذه مرة فتعالج فأفاق- فخرجت ومعني الدواء فتغرغر به، فازداد الوجع شدة، ثم سكن فقال لي: يا سالم، قد سكن بعض ما كنت أجد، فانصرف إلى أهلك، وخلف الدواء عندي فانصرفت، فما كان إلا ساعة حتى سمعت الصراخ عليه، فقالوا: مات أمير المؤمنين! فلما مات أغلق الخزان الأبواب، فطلبوا ققما يسخن فيه الماء لغسله، فما وجدوه حتى استعاروا ققما من بعض الجيران، فقال بعض من حضر ذلك: إن في هذا لمعترا لمن اعتبر وكانت وفاته بالذبحة، فلما مات صلى عليه ابنه مسلمة بن هشام.

ذكر بعض سير هشام

حدثني أحمد بن زهير، قَالَ: حدثني علي بن محمد، عن وسان الأعرجي، قَالَ: حدثني ابن أبي نجيعة، عن عقاب بن شبة، قَالَ: دخلت على هشام، وعليه قباء فنك أخضر، فوجهني إلى خراسان، وجعل يوصيني وأنا أنظر إلى القباء، ففطن، فقال: ما لك؟ قلت: رأيت عليك قبل أن تلي الخلافة قباء فنك أخضر، فجعلت أتأمل هذا، أهو ذاك أم غيره.

فقال: هو والله الذي لا إله إلا، هو ذاك، ما لي قباء غيره وأما ما ترون من جمعي هذا المال وصونه فإنه لكم قَالَ: وكان عقاب مع هشام فأما شبة أبو عقاب، فكان مع عبد الملك بن مروان، وكان عقاب يقول: دخلت على هشام، فدخلت على رجل محشو عقلا. حدثني أحمد بن زهير، قَالَ: حدثني علي، قَالَ: قَالَ مروان بن شجاع، مولى لمروان بن الحكم: كنت مع محمد بن هشام بن عبد الملك، فأرسل إلي يوما، فدخلت عليه، وقد غضب وهو يتلهف، فقلت: ما لك؟

فقال: رجل نصراني شج غلامي- وجعل يشتمه- فقلت له: على رسلك! قَالَ: فما أصنع؟ قلت: ترفعه إلى القاضي، قَالَ: وما غير هذا! قلت:

لا، قَالَ خصي له: أنا أكفيك، فذهب فضربه وبلغ هشاما فطلب الخصي، فعاذ بمحمد، فقال محمد بن هشام: لم آمرك، وقال الخصي: بلى والله لقد أمرتني، فضرب هشام الخصي وشتم ابنه.

وحدثني أحمد، قَالَ علي: لم يكن أحد يسير في أيام هشام في موكب إلا مسلمة بن عبد الملك قَالَ: ورأى هشام يوما سالما في موكب،

فجزره وقال: لأعلمن متى سرت في موكب وكان يقدم الرجل الغريب فيسير معه، فيقف سالم، ويقول: حاجتك، ويمنعه أن يسير معه، وكان سالم كأنه هو أمر هشام.

قَالَ: ولم يكن أحد من بني مروان يأخذ العطاء إلا عليه الغزو، فمنهم من يغزو، ومنهم من يخرج بدلا.

قَالَ: وكان لهشام بن عبد الملك مولى يقال له يعقوب، فكان يأخذ عطاء هشام مائتي دينار ودينارا، يفضل بدينار، فيأخذها يعقوب ويغزو وكانوا يصيرون أنفسهم في أعوان الديوان، وفي بعض ما يجوز لهم المقام به، ويوضع به الغزو عنهم وكان داود وعيسى ابنا علي بن عبد الله بن عباس - وهما لأم - في أعوان السوق بالعراق لخالد بن عبد الله، فأقاما عنده، فوصلهما، ولولا ذلك لم يستطع أن يحبسهما، فصيرهما في الأعوان، فسمرا، وكانا يسامرانه ويحدثانه

قَالَ: فولى هشام بعض مواليه ضيعة له، فعمرها فجاءت بغلة عظيمة كبيرة ثم عمرها أيضا، فأضعفت الغلة، وبعث بها مع ابنه، فقدم بها على هشام، فأخبره خبر الضيعة فجراه خيرا، فرأى منه انبساطا، فقال: يا أمير المؤمنين، إن لي حاجة، قَالَ: وما هي؟ قَالَ: زيادة عشرة دنانير في العطاء، فقال: ما ينخيل إلى أحدكم أن عشرة دنانير في العطاء إلا بقدر الجوز! لا لعمري لا أفعل. حدثني أحمد، قَالَ: حدثنا علي، قَالَ: قَالَ جعفر بن سليمان:

قَالَ لي عبد الله بن علي: جمعت دواوين بني مروان، فلم أر ديوانا أصح ولا اصالح للعامة والسلطان من ديوان هشام. حدثنا أحمد، قال: قال علي: قال غسان بن عبد الحميد: لم يكن أحد من بني مروان أشد نظرا في امر اصحابي ودواوينه، ولا أشد مبالغة في الفحص عنهم من هشام.

حدثني أحمد، قَالَ: حدثنا علي، قَالَ: قَالَ حماد الأبح: قَالَ هشام لغيلان: ويحك يا غيلان! قد أكثر الناس فيك، فنارنا بأمرك، فإن كان حقا اتبعناك، وإن كان باطلا نزعنا عنه، قَالَ: نعم، فدعا هشام ميمون بن مهران ليكلمه، فقال له ميمون: سل، فإن اقوى ما تكونون إذا سألتهم، قَالَ له: أشاء الله أن يعصى؟ فقال له ميمون: أفعصى كارها! فسكت، فقال هشام: أجبه فلم يجبه، فقال له هشام: لا أقالي الله إن أفلته، وأمر بقطع يديه ورجليه.

حدثني أحمد، قَالَ: حدثنا علي عن رجل من غنى، عن بشر مولى هشام، قال: اتى هشام برجل عنده قيان وخمر وبربط، فقال: اكسروا الطنبور على رأسه وضربه، فبكي الشيخ قَالَ بشر: فقلت له - وأنا أعزيه: عليك بالصبر، فقال: أتراني أبكي للضرب! إنما أبكي لاحتقاره للبربط إذ سماه طنبورا! قَالَ: وأغلظ رجل لهشام، فقال له هشام: ليس لك أن تغلظ لإمامك! قَالَ: وتفقد هشام بعض ولده - ولم يحضر الجمعة - فقال له: ما منعك من الصلاة؟ قَالَ: نفقت دابتي، قَالَ: أفعجرت عن المشي فتركت الجمعة! فنعته الدابة سنة.

قَالَ: وكتب سليمان بن هشام إلى أبيه: إن بغلتي قد عجرت عني، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بدابة فعل فكتب إليه: قد فهم أمير المؤمنين كتابك، وما ذكرت من ضعف دابتك، وقد ظن أمير المؤمنين أن ذلك من قلة تعهدك لعلفها، وأن علفها يضيع، فتعهد دابتك في القيام عليها بنفسك، ويرى أمير المؤمنين رأيته في حملانك.

قَالَ: وكتب إليه بعض عماله: إني قد بعثت إلى أمير المؤمنين بسلة دراقن، فليكتب إلي أمير المؤمنين بوصولها فكتب إليه: قد وصل إلى أمير المؤمنين الدراقن الذي بعثت به فأعجبه، فزد أمير المؤمنين منه، واستوثق من الوعاء.

قَالَ: وكتب إلى بعض عماله: قد وصلت الكمأة التي بعثت بها إلى أمير المؤمنين، وهي أربعون، وقد تغير بعضها، ولم توث في ذلك إلا من حشوها، فإذا بعثت إلى أمير المؤمنين منها شيئا فأجد حشوها في الظرف الذي تجعلها فيه بالرمال، حتى لا تضطرب ولا يصيب بعضها بعضا.

حدثني أحمد، قَالَ: حدثني علي، قَالَ: حدثنا الحارث بن يزيد، قَالَ: حدثني مولى لهشام، قَالَ: بعث معي مولى لهشام كان على بعض ضياعه بطيرين ظريفين، فدخلت إليه وهو جالس على سرير في عرصة الدار، فقال: أرسلهما في الدار، قَالَ: فأرسلتهما فنظر إليهما، فقلت:

يا أمير المؤمنين، جائزتي، قَالَ: ويلك! وما جائزة طيرين؟ قلت: ما كان، قَالَ: خذ أحدهما، فعدوت في الدار عليهما، فقال: ما لك؟ قلت:

اختار خيرهما، قال: انتخار أيضا خيرهما وتدع شرهما لي! دعهما ونحن نعطيك اربعين درهما او خمسين درهما قَالَ: وأقطع هشام أرضا يقال لها دورين، فأرسل في قبضها، فإذا هي خراب، فقال لذويد كاتب كان بالشام: ويحك! كيف الحيلة؟ قال:

ما تجعل لي؟ قال: أربعمائة دينار، فكتب دورين وقراها، ثم أمضاها في الدواوين، فأخذ شيئا كثيرا، فلما ولي هشام دخل عليه ذويد، فقال له هشام: دورين وقراها! لا والله لا تلي لي ولاية أبدا، وأخرجه من الشام.

حدثني أحمد، قَالَ: حدثنا علي، عن عمير بن يزيد، عن أبي خالد، قَالَ: حدثني الوليد بن خليل، قَالَ: رأيي هشام بن عبد الملك، وأنا على بردون طخاري، فقال: يا وليد بن خليل، ما هذا البردون؟ قلت:

حملني عليه الجنيد، فحسدني وقال: والله لقد كثرت الطخارية، لقد مات عبد الملك فما وجدنا في دوابه بردونا طخاريا غير واحد، فتنافسه بنو عبد الملك أيهم يأخذه، وما منهم أحد إلا يرى أنه إن لم يأخذه لم يرث من عبد الملك شيئا.

قَالَ: وقال بعض آل مروان لهشام: أطمع في الخلافة وأنت بخيل جبان؟ قَالَ: ولم لا أطمع فيها وأنا حلیم عفيف! قَالَ: وقال هشام يوما للأبرش: او ضعت أعزك؟ قَالَ: إي والله، قَالَ: لكن أعزني تأخر ولادها، فانخرج بنا إلى أعزك نصب من ألبانها، قَالَ: نعم، أفأقدم قوما؟ قَالَ: لا، قَالَ: أفأقدم خباء حتى يضرب لنا؟ قَالَ:

نعم، فبعث برجلين بخباء فضرب، وغدا هشام والأبرش وغدا الناس، فقعده هشام والأبرش، كل واحد منهما على كرسي، وقدم إلى كل واحد منهما شاة، فحلب هشام الشاة بيده، وقال: تعلم يا أبرش أنني لم أبس الحلب! ثم أمر بملة فعجنت وأوقد النار بيده، ثم فخصها وألقى الملة، وجعل يقلبها بالحرث، ويقول: يا أبرش، كيف ترى رفيقي! حتى نضجت ثم أخرجها،

وجعل يقلبها بالحرث، ويقول: جبينك جبينك والأبرش يقول: لبيك لبيك- وهذا شيء تقوله الصبيان إذا خبزت لهم الملة- ثم تغدى وتغدى الناس ورجع.

قَالَ: وقدم علباء بن منظور الليثي على هشام، فأأنشده:

قالت عليه واعترمت لرحلة ... زوراء بالأذنين ذات تسدر
أين الرحيل وأهل بيتك كلهم ... كل عليك كبيرهم كالأصغر!
فأصاغر أمثال سلكان القطا ... لا في ثرى مال ولا في معشر
إني إلى ملك الشام لراحل ... وإليه يرحل كل عبد موفر
فلا تتركك إن حييت غنية ... بندي الخليفة ذي الفعال الأزهر
إنا أناس ميت ديواننا ... ومتى يصبه ندى الخليفة ينشر

فقال له هشام: هذا الذي كنت تحاول، وقد أحسنت المسألة فامر له بخسمائة درهم، وألحق له عيلا في العطاء.

قَالَ: وأتى هشام محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، فقال:

مالك عندي شيء، ثم قال: إياك أن يغرك أحد فيقول: لم يعرفك أمير المؤمنين، إني قد عرفتك، أنت محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، فلا تقيمن وتنفق ما معك، فليس لك عندي صله، فالحق بأهلك.

قَالَ: ووقف هشام يوما قريبا من حائط فيه زيتون، ومعه عثمان بن حيان المري، وعثمان قائم يكاد رأسه يوازي رأس أمير المؤمنين وهو يكلمه إذ سمع نفص الزيتون، فقال لرجل: انطلق إليهم فقل لهم: القطوه لقطا، ولا تنفضوه نفضا، فتفقأ عيونهم، وتكسر غصونه. قَالَ: وجج هشام، فأخذ الأبرش مخنثين ومعهم البرابط، فقال هشام: احبسوهم وبيعوا متاعهم- وما درى ما هو- وصيروا ثمنه في بيت المال، فإذا صلحوا فردوا عليهم الثمن.

وكان هشام بن عبد الملك ينزل الرصافة- وهي فيما ذكر- من أرض قنسرين

وكان سبب نزوله إياها- فيما حدثني أحمد بن زهير بن حرب، عن علي بن محمد- قال: كان الخلفاء وأبناء الخلفاء يتبدون ويهربون من

الطاعون، فينزلون البرية خارجا عن الناس، فلما أراد هشام أن ينزل الرصافة قيل له: لا تخرج، فإن الخلفاء لا يطعنون، ولم نر خليفة طعن، قال:

أريدون أن تجربوا بي! فنزل الرصافة وهي برية، ابتنى بها قصرين.

والرصافة مدينة رومية بنتها الروم وكان هشام الأحول، فحدثني أحمد، عن علي، قال: بعث خالد بن عبد الله إلى هشام بن عبد الملك بجاد فحدا بين يديه بأرجوزة أبي النجم:

والشمس في الأفق كعين احول ... صغواء قد همت ولما تفعل
فغضب هشام وطرده.

وحدثني أحمد بن زهير، قال: حدثني علي بن محمد، قال: حدثنا أبو عاصم الضبي، قال: مر بي معاوية بن هشام، وأنا أنظر إليه في رجة أبي شريك - وأبو شريك رجل من العجم كانت تنسب إليه وهي مزرعة - وقد اختبز خبزه، فوقف علي، فقلت: الغداء! فنزل وأخرجتها، فوضعها في لبن، فأكل ثم جاء الناس، فقلت: من هذا؟ قالوا: معاوية بن هشام، فامر لي بصلة وركب وثار بين يديه ثعلب، فركض خلفه، فما تبعه غلوة، حتى عثر به فرسه فسقط فاحتملوه ميتا، فقال هشام: تالله لقد أجمعت أن أرشحه للخلافة، ويتبع ثعلبا! قال: وكانت عند معاوية بن هشام ابنة إسماعيل بن جرير وامرأة أخرى، فأخرج هشام كل واحدة منهما من نصف الثمن بأربعين ألفا. حدثني أحمد بن زهير، قال: حدثنا علي، قال: قال لقدم كاتب يوسف: بعثني يوسف بن عمر إلى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفي، وحبه لؤلؤ أعظم ما يكون من الحب، فدخلت عليه فدنوت منه، فلم أر وجهه من طول السرير وكثرة الفرش، فتناول الحجر والحبه، فقال:

أكتب معك بوزنهما؟ قلت: يا أمير المؤمنين، هما أجل عن أن يكتب بوزنهما، ومن أين يوجد مثلهما! قال: صدقت، وكانت الياقوتة للرائقة جارية خالد بن عبد الله، اشتريتها بثلاثة وسبعين ألف دينار. حدثني أحمد بن زهير، قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، قال:

حدثنا حسين بن يزيد، عن شهاب بن عبد ربه، عن عمرو بن علي، قال: مشيت مع محمد بن علي إلى داره عند الحمام، فقلت له: إنه قد طال ملك هشام وسلطانه، وقد قرب من العشرين وقد زعم الناس أن سليمان سأل ربه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، فزعم الناس أنها العشرون، فقال:

ما أدري ما أحاديث الناس! ولكن أي حديث عن أبيه، [عن علي، عن النبي ص أنه قال: لن يعمر الله ملكا في أمة نبي مضي قبله ما بلغ بذلك النبي من العمر] وفي هذه السنة ولي الخلافة بعد موت هشام بن عبد الملك الوليد بن يزيد ابن عبد الملك بن مروان، وليها يوم السبت في شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة في قول هشام بن محمد الكلبي.

وأما محمد بن عمر فإنه قال: استخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الأربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر من سنة خمس وعشرين ومائة.

وقال في ذلك علي بن محمد مثل قول محمد بن عمر.

٧٠٢٢٠٢ خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

(ذكر الخبر عن بعض أسباب ولايته الخلافة) قد مضى ذكرى سبب عقد أبيه يزيد بن عبد الملك بن مروان له الخلافة بعد أخيه هشام بن عبد الملك، وكان الوليد بن يزيد يوم عقد له أبوه يزيد ذلك ابن إحدى عشرة سنة، فلم يمت يزيد حتى بلغ ابنه الوليد خمس عشرة

سنة، فندم يزيد على استخلافه هشاما أخاه بعده، وكان إذا نظر إلى ابنه الوليد، قال: الله بيني وبين من جعل هشاما بيني وبينك! فتوفي يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد ابن خمس عشرة سنة وولي هشام وهو للوليد مكرم معظم مقرب، فلم يزل ذلك من أمرهما حتى ظهر من الوليد بن يزيد مجنون وشرب الشراب، حملة على ذلك- فيما حدثني أحمد بن زهير، عن علي ابن محمد، عن جويرية بن أسماء وإسحاق بن أيوب وعامر بن الأسود وغيرهم- عبد الصمد بن عبد الأعلى الشباني أخو عبد الله بن عبد الأعلى- وكان مؤدب الوليد- واتخذ الوليد ندماء، فأراد هشام أن يقطعهم عنه فولاه الحج سنة تسع وعشرة ومائة، فحمل معه كلابا في صناديق، فسقط منها صندوق- فيما ذكر علي بن محمد عن سميت من شيوخه- عن البعير وفيه كلب، فأجالوا على الكري السياط، فأوجعوه ضربا وحمل معه قبة عملها على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة، وحمل معه نمرأ، وأراد أن ينصب القبة على الكعبة، ويجلس فيها، فخوفه أصحابه وقالوا: لا نأمن الناس عليك وعلينا معك، فلم يحركها وظهر للناس منه تهاون بالدين واستخفاف به، وبلغ ذلك هشاما فطمع في خلعه والبيعة لابنه مسلمة بن هشام، فأراد على أن يخلعها ويبيع لمسلمة، فأبى، فقال له: اجعلها له من بعدك، فأبى، فتنكر له هشام واضربه، وعمل سرا في البيعة لابنه، فأجابه قوم

قال: فكان ممن أجابه خاله: محمد وإبراهيم ابنا هشام بن إسماعيل المخزومي، وبنو القعقاع بن خلد العبسي وغيرهم من خاصته. قال: وتمادى الوليد في الشراب وطلب اللذات فأفرط، فقال له هشام: ويحك يا وليد! والله ما أدري أعلى الإسلام أنت أم لا! ما تدع شيئا من المنكر إلا أتيت غير متحاش ولا مستتر به! فكتب إليه الوليد: يا أيها السائل عن ديننا ... نحن على دين أبي شاكر نشربها صرفا وممزوجة ... بالسخن أحيانا وبالفاتر فغضب هشام على ابنه مسلمة- وكان يكنى أبا شاكر- وقال له: يعبرني بك الوليد وأنا أرشحك للخلافة! فالزم الأدب واحضر الجماعة وولاه الموسم سنة تسع عشرة ومائة، فأظهر النسك والوقار واللين، وقسم بمكة والمدينة أموالا، فقال مولى لأهل المدينة: يا أيها السائل عن ديننا ... نحن على دين أبي شاكر الوهاب الجرد بأرسانها ... ليس بزنديق ولا كافر يعرض بالوليد. وأم مسلمة بن هشام أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاص فقال الكمي: إن الخلافة كائن أوتادها ... بعد الوليد إلى ابن أم حكيم فقال خالد بن عبد الله القسري: أنا بريء من خليفة يكنى أبا شاكر، فغضب مسلمة بن هشام على خالد، فلما مات أسد بن عبد الله أخو خالد ابن عبد الله، كتب أبو شاكر إلى خالد بن عبد الله بشعر هجا به يحيى بن نوفل خالدا وأخاه أسدا حين مات: أراح من خالد وأهلكه ... رب أراح العباد من أسد أما أبوه فكان مؤتسبا ... عبدا لئما لأعبد فقد وبعث بالطومار مع رسول على البريد إلى خالد، فظن أنه عزاه عن أخيه، ففرض الخاتم، فلم ير في الطومار غير الهجاء، فقال: ما رأيت كالיום تعزية! وكان هشام يعيب الوليد ويتنقصه، وكثر عبثه به وبأصحابه وتقصيره به، فلما رأى ذلك الوليد خرج وخرج معه ناس من خاصته ومواليه، فنزل بالأزرق، بين أرض بلقين وفزارة، على ماء يقال له الاغدف، وخلف كاتبه عياض ابن مسلم مولى عبد الملك بن مروان بالرصافة، فقال له: اكتب إلي بما يحدث قبلكم وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى، فشربوا يوما فلما أخذ فيهم الشراب، قال الوليد لعبد الصمد: يا أبا وهب، قل أبياتا، فقال: ألم تر للنجم إذ شيعا ... يبادر في برجه المرجعا تخير عن قصد مجراته ... أتى الغور والتمس المطلعا

فقلت وأعجبنى شأنه ... وقد لاح إذ لاح لي مطعمعا:
لعل الوليد دنا ملكه ... فأمسى إليه قد استجمعا
وكنا نؤمل في ملكه ... كئاميل ذي الجذب ان يمرعا
عقدنا له محكمات الأمور ... طوعا فكان لها موضعا
وروي الشعر، فبلغ هشاما، فقطع عن الوليد ما كان يجري عليه، وكتب إلى الوليد: بلغني عنك أنك اتخذت عبد الصمد خدنا ومحدثا
ونديما، وقد حقق ذلك عندي ما بلغني عنك، ولم أبرئك من سوء، فأخرج عبد الصمد مذموما مدحورا فأخرجه، وقال فيه:
لقد قذفوا أبا وهب بأمر ... كبير بل يزيد على الكبير
فأشهد أنهم كذبوا عليه ... شهادة عالم بهم خبير
وكتب الوليد إلى هشام يعلمه إخراج عبد الصمد، واعتذر إليه مما بلغه
من منادته، وسأله أن يأذن لابن سهيل في الخروج إليه- وكان ابن سهيل من أهل اليمن وقد ولي دمشق غير مرة، وكان ابن سهيل
من خاصة الوليد- فضرب هشام ابن سهيل وسيره، وأخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد، وبلغه أنه يكتب بالأخبار إلى الوليد، فضربه
ضربا مبرحا، وألبسه المسوح.
فبلغ الوليد، فقال: من يثق بالناس، ومن يصطنع المعروف! هذا الأحوال المشثوم قدمه أبي على أهل بيته فصيره ولي عهده، ثم يصنع
بي ما ترون:
لا يعلم أن لي في أحد هوى إلا عبث به، كتب إلي أن أخرج عبد الصمد فاخرجته إليه، وكتبت إليه أن يأذن لابن سهيل في الخروج
إلي، فضربه وسيره، وقد علم رأيي فيه، وقد علم انقطاع عياض بن مسلم إلي، وتحرمه بي ومكانه مني وأنه كاتبي، فضربه وحبس،
يضارني بذلك، اللهم أجري منه! وقال:
انا النذير لمسدى نعمة أبدا ... إلى المقاريف ما لم يخبر الدخلا
إن أنت أكرمتهم ألفتهم بطرا ... وإن أهنتهم ألفتهم ذللا
أتشمون ومنأ رأس نعمتكم ... ستعلمون إذا كانت لنا دولا
انظر فإن كنت لم تقدر على مثل ... له سوى الكلب فاضربه له مثلا
بيننا يسمنه للصيد صاحبه ... حتى إذ ما قوى من بعد ما هزلا
عدا عليه فلم تضره عدوته ... ولو أطاق له أكلا لقد أكلا
وكتب إلى هشام:
لقد بلغني الذي أحدث أمير المؤمنين من قطع ما قطع عني، ومحو ما محو من أصحابي ورحمي وأهلي، ولم أكن أخاف أن يبتلي الله أمير
المؤمنين بذلك ولا أبالي به منه، فإن يكن ابن سهيل كان منه ما كان فبحسب العير أن يكون قدر الذئب، ولم يبلغ من صنيعة في ابن
سهيل واستصلاحه، وكئابي إلى أمير المؤمنين فيه كنه ما بلغ أمير المؤمنين من قطيعتي، فإن يكن ذلك لشيء في نفس أمير المؤمنين علي،
فقد سبب الله لي من العهد، وكتب لي
من العمر، وقسم لي من الرزق ما لا يقدر أحد دون الله على قطع شيء منه دون مدته، ولا صرف شيء عن مواقعه، فقدر الله يجري
بمقاديره فيما أحب الناس أو كرهوا، ولا تأخير لعاجله ولا تعجيل لآجله، فالتاس بين ذلك يقترون الآثام على نفوسهم من الله، ولا
يستوجبون العقوبة عليه، وأمير المؤمنين أحق أمتة بالبصر بذلك والحفظ له، والله الموفق لأمر المؤمنين بحسن القضاء له في الأمور.
فقال هشام لأبي الزبير: يا نسطاس، أترى الناس يرضون بالوليد إن حدث بي حدث؟ قال: بل يطيل الله عمرك يا أمير المؤمنين، قال:
ويحك! لا بد من الموت، أفترى الناس يرضون بالوليد؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن له في أعناق الناس بيعة، فقال هشام: لئن رضي
الناس بالوليد ما أظن الحديث الذي رواه الناس: أن من قام بالخلافة ثلاثة أيام لم يدخل النار، إلا باطلا.
وكتب هشام إلى الوليد:

قد فهم أمير المؤمنين ما كتبت به من قطع ما قطع عنك وغير ذلك، وأمير المؤمنين يستغفر الله من اجرائه ما كان يجري عليك، ولا يتخوف على نفسه اقتراف الماثم في الذي أحدث من قطع ما قطع، ومحو من محاميتك، لأمرين: أما أحدهما فإيثار أمير المؤمنين إياك بما كان يجري عليك، وهو يعلم وضعك له وإنفاقه في غير سبيله، وأما الآخر فإثبات صحابتك، وإدراج أرزاقهم عليهم، لا ينالهم ما ينال المسلمين في كل عام من مكروه عند قطع البعوث،

وهم معك تجول بهم في سفهك، ولأمير المؤمنين أخرى في نفسه للتقصير في القتر عليك منه للاعتداء عليك فيها، مع أن الله قد نصر أمير المؤمنين في قطع ما قطع عنك من ذلك ما يرجو به تكفير ما يتخوف مما سلف فيه منه وأما ابن سهيل فلعمري لئن كان نزل منك بما نزل، وكان أهلاً أن تسر فيه أو تساء، ما جعله الله كذلك، وهل زاد ابن سهيل - الله أبوك - على أن كان مغنياً زفاناً، قد بلغ في السفه غايته! وليس ابن سهيل مع ذلك بشر ممن تستصحبه في الأمور التي يكرم أمير المؤمنين نفسه عن ذكرها، مما كنت لعمر الله أهلاً للتوبيخ به، ولئن كان أمير المؤمنين على ظنك به في الحرص على فسادك، إنك إذا لغير إل عن هوى أمير المؤمنين من ذلك.

وأما ما ذكرت مما سبب الله لك، فإن الله قد ابتداء أمير المؤمنين بذلك، واصطفاه له، والله بالغ أمره لقد أصبح أمير المؤمنين وهو على اليقين من ربه، أنه لا يملك لنفسه فيما أعطاه من كرامته ضراً ولا نفعاً، وإن الله ولي ذلك منه، وأنه لا بد له من مزاييلته، والله أرأف بعباده وأرحم من أن يولي أمرهم غير الرضي له منهم وإن أمير المؤمنين من حسن ظنه بربه لعل أحسن الرجاء أن يوليه تسبب ذلك لمن هو أهله في الرضا له به ولهم، فإن بلاء الله عند أمير المؤمنين أعظم من أن يبلغه ذكره، أو يؤديه شكره، إلا بعون منه، ولئن كان قدر لأمير المؤمنين تعجيل وفاة، إن في الذي هو مفضل إليه إن شاء الله من كرامة الله خلفاً من الدنيا ولعمري إن كتابك إلى أمير المؤمنين بما كتبت به لغير مستنكر من سفهك وحمقك، فاربع على نفسك من غلوائها، وارقاً على ظلمك، فإن الله سطوات وعينا، يصيب بذلك من يشاء، ويأذن فيه لمن يشاء ممن شاء الله، وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحب الأمور إليه وأرضاها له فكتب الوليد إلى هشام:

رأيتك تبني جاهداً في قطيعتي ... فلو كنت ذا إرب لهدمت ما تبني

تثير على الباقيين مجنى ضغينة ... فويل لهم إن مت من شر ما تجنى!

كأنني بهم والليت افضل قولهم ... الا ليتنا والليت إذ ذاك لا يغني

كفرت يدا من منعم لو شكرتها ... جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن

قال: فلم يزل الوليد مقيماً في تلك البرية حتى مات هشام، فلما كان صبيحة اليوم الذي جاءته فيه الخلافة، أرسل إلى أبي الزبير المنذر بن أبي عمرو، فأثاه فقال له.

يا أبا الزبير، ما أتت علي ليلة منذ عقلت عقلي أطول من هذه الليلة، عرضت لي هموم، وحدثت نفسي فيها بأمور من أمر هذا الرجل، الذي قد أوقع بي - يعني هشاماً - فأركب بنا تنفس، فركباً، فساراً ميلين، ووقف على كتيب، وجعل يشكو هشاماً إذ نظر إلى رجب، فقال:

هؤلاء رسل هشام، نسأل الله من خيرهم، إذ بدا رجلاً على البريد مقبلان، أحدهما مولى لأبي محمد السفيناني، والآخر جردبة.

فلما قربا أتيا الوليد، فنزلاً يعدوان حتى دنوا منه، فسلما عليه بالخلافة، فوجم، وجعل جردبة يكرر عليه السلام بالخلافة، فقال: ويحك! أمات هشام! قال: نعم، قال فمن كتابك؟ قال: من مولاك سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل فقرأ الكتاب وانصرفا، فدعا مولى أبي محمد السفيناني فسأله عن كتابه عياض بن مسلم، فقال: يا أمير المؤمنين، لم يزل محبوباً حتى نزل بهشام أمر الله فلما صار في حد لا ترجى الحياة لمثله أرسل عياض إلى الخزان، أن احتفظوا بما في أيديكم، فلا يصلن أحد منه إلى شيء وأفاق هشام إفاقة، فطلب شيئاً فنعه فقال: أرانا كذا خزاناً للوليد! ومات من ساعته وخرج عياض من السجن، نفختم أبواب الخزان، وأمر بهشام فأنزل عن فرشه، فما وجدوا له ققماً يسخن له فيه الماء حتى استعاروه، ولا وجدوا كفناً من الخزان، فكفنه غالب مولى هشام، فكتب

الوليد إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان أن يأتي الرصافة، فيحصي ما فيها من أموال هشام وولده، ويأخذ عماله وحشمه،

إلا مسلمة بن هشام، فإنه كتب إليه الا يعرض له، ولا يدخل منزله، فإنه كان يكثر أن يكلم أباه في الرفق به، ويكفه عنه فقدم العباس الرصافة فأحكم ما كتب به إليه الوليد، وكتب إلى الوليد بأخذ بني هشام وحشمه وإحصاء أموال هشام، فقال الوليد: ليت هشاما كان حيا يرى ... محله الأوفر قد أترعا ويروى:

ليت هشاما عاش حتى يرى ... مكياله الأوفر قد طبعا
كلناه بالصاع الذي كاله ... وما ظلمناه به إصبعا
وما أتينا ذاك عن بدعة ... أحله الفرقان لي أجمعا

فاستعمل الوليد العمال، وجاءته بيعته من الآفاق، وكتب إليه العمال، وجاءته الوفود، وكتب إليه مروان بن محمد: بارك الله لأمير المؤمنين فيما أصاره إليه من ولاية عبادته، ووراثته ببلاده، وكان من تغشى غمرة سكرة الولاية ما حمل هشاما على ما حاول من تصغير ما عظم الله من حق أمير المؤمنين، ورام من الأمر المستصعب عليه، الذي أجابه إليه المدخولون في آرائهم واديانهم، فوجد ما طمع فيه مستصعبا، وزاحمته الأقدار بأشد مناكبها وكان أمير المؤمنين بمكان من الله حاطه فيه حتى أزره بأكرم مناطق الخلافة، فقام بما أراه الله له أهلا، ونهض مستقلا بما حمل منها، مثبتة ولايته في سابق الزبر بالأجل المسمى، وخصه الله بها على خلقه وهو يرى حالاتهم، فقلده طوقها، ورمى إليه بأزمة الخلافة، وعصم الأمور.

فالحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين لخلافته، ووثائق عرى دينه، وذبح له عما كاده فيه الظالمون، وفرعه ووضعهم، فن أقام على تلك الخسيصة من الأمور أوبق نفسه، واستخط ربه، ومن عدلت به التوبة نازعا عن الباطل إلى حق وجد الله توبا رحيمًا.

أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله انى عند ما انتهى إلي من قيامه بولاية خلافة الله، نهضت الى منبري، على سيفان مستعدا بهما لأهل الغش، حتى أعلمت من قبلي ما امتن الله به عليهم من ولاية أمير المؤمنين، فاستبشروا بذلك، وقالوا: لم تأتنا ولاية خليفة كانت آمالنا فيها أعظم ولا هي لنا أسر من ولاية أمير المؤمنين، وقد بسطت يدي لبيعتك فجددتها ووكدتها بوثائق العهود وترداد المواثيق وتغليظ الأيمان، فكلهم حسنت إجابتهم وطاعتهم، فأثبهم يا أمير المؤمنين بطاعتهم من مال الله الذي آتاك، فإنك أجودهم جودا وأبسطهم يدا، وقد انتظروك راجين فضلك قبلهم بالرحم الذي استرحموك، وزدهم زيادة يفضل بها من كان قبلك، حتى يظهر بذلك فضلك عليهم وعلى رعيتك، ولولا ما أحاول من سد الثغر الذي أنا به، لخفت أن يحملني الشوق إلى أمير المؤمنين أن أستخلف رجلا على غير أمره، وأقدم لمعاينة أمير المؤمنين، فإنها لا يعدلها عندي عادل نعمة وإن عظمت، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في المسير إليه لأشافه بأمر كرهت الكتاب بها فعل.

فلما ولي الوليد أجرى على زماني أهل الشام وعميانهم وكساهم، وأمر لكل إنسان منهم بخادم، وأخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة، وزادهم على ما كان يخرج لهم هشام، وزاد الناس جميعا في العطاء عشرة عشرة، ثم زاد أهل الشام بعد زيادة العشرات عشرة عشرة، لأهل الشام خاصة، وزاد من وفد إليه من أهل بيته في جوائزهم الضعف وكان وهو ولي عهد يطعم من وفد إليه من أهل الصائفة قافلا، ويطعم من صدر عن الحج بمنزل يقال له زيزاء ثلاثة أيام، ويعلف دوابهم، ولم يقل في شيء يسأله: لا، فقليل له: إن في قولك: أنظر، عدة ما يقيم عليها الطالب، فقال: لا أعود لساني شيئا لم أعتده، وقال:

ضمنت لكم إن لم تعقني عوائق ... بأن سماء الضر عنكم ستقلع
سيوشك إلحاق معا وزيادة ... وأعطية مني عليكم تبرع
محرمكم ديوانكم وعطاؤكم ... به يكتب الكتاب شهرا وتطبع

وفي هذه السنة عقد الوليد بن يزيد لابنيه الحكم وعثمان البيعة من بعده، وجعلهما وليي عهده، أحدهما بعد الآخر، وجعل الحكم مقدما على عثمان، وكتب بذلك إلى الأمصار، وكان ممن كتب إليه بذلك يوسف بن عمر، وهو عامل الوليد يومئذ على العراق، وكتب بذلك يوسف إلى نصر بن سيار، وكانت نسخة الكتاب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار، أما بعد فأني بعثت إليك نسخة كتاب أمير المؤمنين الذي كتب به إلى من قبلي في الذي ولي الحكم ابن أمير المؤمنين وعثمان ابن أمير المؤمنين من العهد بعده مع عقال بن شبة التميمي وعبد الملك القيني، وأمرتهما بالكلام في ذلك، فإذا قدما عليك فأجمع لقراءة كتاب أمير المؤمنين الناس، ومرهم فليحشدوا له، وقم فيهم بالذي كتب أمير المؤمنين، فإذا فرغت فقم بقراءة الكتاب، وأذن لمن أراد أن يقوم بخطبة، ثم بايع الناس لهما على اسم الله وبركته، وخذ عليهم العهد والميثاق على الذي نسخت لك في آخر كتابي هذا الذي نسخ لنا أمير المؤمنين في كتابه، فافهمه وبايع عليه، نسأل الله أن يبارك لأمر المؤمنين ورعيته في الذي قضى لهم على لسان أمير المؤمنين، وأن يصلح الحكم وعثمان، ويبارك فيهما، والسلام عليك. وكتب النصر يوم الخميس للنصف من شعبان سنة خمس وعشرين ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم تباع لعبد الله الوليد أمير المؤمنين والحكم ابن أمير المؤمنين ان كان من بعده وعثمان بن أمير المؤمنين إن كان بعد الحكم على السمع والطاعة، وإن حدث بواحد منهما حدث فأمر المؤمنين أملك في ولده ورعيته، يقدم من أحب، ويؤخر من أحب عليك بذلك عهد الله وميثاقه، فقال الشاعر في ذلك:

نباع عثمان بعد الوليد ... للعهد فينا ونرجو زيدا

كما كان إذ ذاك في ملكه ... يزيد يرجي لذاك الوليدا

على أنها شسعت شسعة ... فتحن تؤملها أن تعودا

فان هي عادت فارض القريب ... عنها ليؤيس منها البعيدا

قال أحمد: قال علي عن شيوخه الذين ذكرت: فقدم عقال بن شبة وعبد الملك بن نعيم على نصر، وقدموا بالكتاب وهو:

أما بعد، فإن الله تباركت أسماؤه، وجل ثناؤه، وتعالى ذكره، اختار الاسلام ديناً لنفسه، وجعله دين خيرته من خلقه، ثم اصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس، فبعثهم به، وأمرهم به، وكان بينهم وبين من مضى من الأمم، وخلا من القرون قرناً فقرناً، يدعون إلى التي هي أحسن، ويهدون إلى صراط مستقيم، حتى انتهت كرامة الله في نبوته إلى محمد صلوات الله عليه، على حين دروس من العلم، وعمى من الناس، وتشيت من الهوى، وتفرق من السبل، وطموس من أعلام الحق، فأبان الله به الهدى، وكشف به العمى، واستنقذ به من الضلالة والردى، وأبجج به الدين، وجعله رحمه للعالمين، وختم به وحيه، وجمع له ما أكرم به الأنبياء قبله، وقفى به على آثارهم، مصداقاً لما نزل معهم، ومهيماً عليه، وداعياً إليه، وأمر به، حتى كان من أجابه من أمته، ودخل في الدين الذي أكرمهم الله به، مصدقين لما

سلف من أنبياء الله فيما يكذبهم فيه قومهم، منتصحين لهم فيما ينهونه، ذاببن لحرمهم عما كانوا منتهكين، معظمين منها لما كانوا مصغرين، فليس من أمه محمد ص أحد كان يسمع لأحد من أنبياء الله فيما بعثه الله به مكذباً، ولا عليه في ذلك طاعناً، ولا له مؤذياً، بتسفيه له، أو رد عليه، أو جحد ما أنزل الله عليه ومعه، فلم يبق كافر إلا استحل بذلك دمه، وقطع الأسباب التي كانت بينه وبينه، وإن كانوا آباءهم أو أبناءهم أو عشيرتهم ثم استخلف خلفاءه على منهاج نبوته، حين قبض نبيه ص، وختم به وحيه لإنفاذ حكمه، وإقامة سنته وحدوده، والأخذ بفرائضه وحقوقه، تأييداً بهم للإسلام، وتشبيهاً بهم لعراه، وتقوية بهم لقوى حبله، ودفعاً بهم عن حريمه، وعدلاً بهم بين عبادته، وإصلاحاً بهم لبلاده، فإنه تبارك وتعالى يقول:

«وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ»، فتتابع خلفاء الله على ما أورثهم الله عليه من أمر أنبيائه، واستخلفهم عليه منه، لا يتعرض لحقهم أحد إلا صرعه الله، ولا يفارق جماعتهم أحد إلا أهلكه الله، ولا يستخف بولايتهم، ويتهم قضاء الله فيهم أحد إلا أمكنهم الله منه، وسلطهم عليه، وجعله نكالا وموعظة لغيره، وكذلك صنع الله بمن فارق الطاعة التي أمر بلزومها والأخذ بها، والأثرة لها، والتي قامت السموات والارض بها، قال الله تبارك وتعالى:

«ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ»، وقال عز ذكره: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»

فبالخلافة أبقى الله من أبقى في الأرض من عباده، وإليها صيره، وبطاعة من ولاه إياها سعد من ألهما ونصرها، فإن الله عز وجل علم أن لا قوام

لشيء، ولا صلاح له إلا بالطاعة التي يحفظ الله بها حقه، ويمضي بها أمره، وينكل بها عن معاصيه، ويوقف عن محارمه، ويذب عن حرماته، فن أخذ بحظه منها كان لله وليا ولأمره مطيعا، ولرشد مصيبا، ولعاجل الخير وآجله مخصوصا، ومن تركها ورغب عنها وحاد الله فيها أضاع نصيبه، وعصى ربه، وخسر دنياه وآخرته، وكان ممن غلبت عليه الشقوة، واستحوذت عليه الأمور الغاوية، التي توردها أهلها أفضع المصارع، وتقودهم إلى شر المصارع، فيما يحل الله بهم في الدنيا من الذلة والنقمة، ويصيرهم فيما عندهم من العذاب والحسرة.

والطاعة رأس هذا الأمر وذروته وسنامه وملاكه وزمامه، وعصمته وقوامه، بعد كلمة الإخلاص التي ميز الله بها بين العباد وبالطاعة نال المفلحون من الله منازلهم، واستوجبوا عليه ثوابهم، وفي المعصية مما يحل بغيرهم من نعماته، ويصيبهم عليه، ويحق من سخطه وعذابه، وبترك الطاعة والإصاعة لها والخروج منها والادبار عنها والتبذل للمعصية بها، أهلك الله من ضل وعتا، وعمى وغلا، وفارق مناهج البر والتقوى.

فالزموا طاعة الله فيما عراكم ونالكم، وألم بكم من الأمور، وناصحوها واستوثقوا عليها، وسارعوا إليها وخالصوها، وابتغوا القربة إلى الله بها، فإنكم قد رأيتم مواقع الله لأهلها في إعلائه إياهم وإفلاجه حجته، ودفعه باطل من حادهم وناوهم وساماهم وأراد إطفاء نور الله الذي معهم وخبرتم مع ذلك ما يصير إليه أهل المعصية من التوبيخ لهم والتقصير بهم، حتى يؤول أمرهم إلى تبار وصغار، وذلة وبوار، وفي ذلك لمن كان له رأي وموعظة عبرة ينتفع بواضحها، ويتسك بحظوتها، ويعرف خيرة قضاء الله لأهلها.

ثم إن الله - وله الحمد والمن والفضل - هدى الأمة لأفضل الأمور عاقبة لها في حقن دمائها، والتثام ألفتها، واجتماع كلمتها، واعتدال عمودها،

وإصلاح دمهائها، وذخر النعمة عليها في دنياها، بعد خلافتها التي جعلها لهم نظاما، ولأمرهم قواما، وهو العهد الذي ألهم الله خلفاءه توكيده والنظر للمسلمين في جسم أمرهم فيه، ليكون لهم عند ما يحدث بخلفائهم ثقة في المفزع وملتجأ في الأمر، ولما للشعث، وصلاحا لذات البين، وثبिता لأرجاء الإسلام، وقطعا لنزغات الشيطان، فيما يتطلع إليه أولياؤه، ويوثبهم عليه من تلف هذا الدين وانصداع شعب أهله، واختلافهم فيما جمعهم الله عليه منه، فلا يريهم الله في ذلك إلا ما ساءهم، وأكذب أمانهم، ويجدون الله قد أحكم بما قضى لأوليائه من ذلك عقد أمورهم، ونفى عنهم من أراد فيها إدغالا أو بها إغلالا، أو لما شدد الله منها توهينا، أو فيما تولى الله منها اعتمادا، فأكل الله بها خلفائه وحزبه البر الذين أودعهم طاعته أحسن الذي عودهم، وسبب لهم من إعزازه وإكرامه وإعلائه وتمكينه، فأمر هذا العهد من تمام الإسلام وكال ما استوجب الله على أهله من المنن العظام، ومما جعل الله فيه لمن أجراه على يديه، وقضى به على لسانه، ووفقه لمن ولاه هذا الأمر عنده أفضل الذخر، وعند المسلمين أحسن الأثر فيما يؤثر بهم من منفعة، ويتسع لهم من نعمته، ويستندون إليه من عزه، ويدخلون فيه من وزره الذي يجعل الله لهم به منعة، ويحرزهم به من كل مهلكة، ويجمعهم به من كل فرقة، ويقمع به أهل النفاق، ويعصمهم به من كل اختلاف وشقاق فاحدوا الله ربكم الرؤوف بكم، الصانع لكم في أموركم على الذي دلکم عليه من هذا العهد، الذي جعله لكم سكا ومعولا تطمثون إليه، وتستظلون في أفنائه، ويستنج لكم به مثنى أعناقكم، وسمات وجوهكم، وملتقى نواصيكم في أمر دينكم ودنياكم، فإن لذلك خطرا عظيما من النعمة، وإن فيه من الله بلاء حسنا في سعة العافية، يعرفه ذوو الأبواب والنيات المريئون من أعمالهم في العواقب، والعارفون منار مناهج الرشد، فأنتم حقيقون بشكر الله فيما حفظ به دينكم وأمر جماعتكم من ذلك، جديرون بمعرفة كنه واجب حقه فيه، وحمله

على الذي عزم لكم منه، فلتكن منزلة ذلك منكم، وفضيلته في أنفسكم على قدر حسن بلاء الله عندكم فيه إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله. ثم إن أمير المؤمنين لم يكن منذ استخلفه الله بشيء من الأمور أشد اهتماما وعناية منه بهذا العهد، لعله بمنزلته من أمر المسلمين، وما

أراهم الله فيه من الأمور التي يغتبطون بها، ويكرمهم بما يقضي لهم ويختار له ولهم فيه جهده، ويستقضي له ولهم فيه إلهه ووليه، الذي بيده الحكم وعند الغيب، وهو على كل شيء قدير ويسأله أن يعينه من ذلك على الذي هو أرشد له خاصة للمسلمين عامة فرأى أمير المؤمنين أن يعهد لكم عهدا بعد عهد، تكونون فيه على مثل الذي كان عليه من كان قبلكم، في مهلة من انفساح الأمل وطمأنينة النفس، وصلاح ذات البين، وعلم موضع الأمر الذي جعله الله لأهله عصمة ونجاة وصلاحا وحياة، ولكل منافق وفاسق يجب تلف هذا الدين وفساد أهله وقما وخسارا وقدعا فولى أمير المؤمنين ذلك الحكم ابن أمير المؤمنين، وعثمان بن أمير المؤمنين من بعده، وهما ممن يرجو أمير المؤمنين أن يكون الله خلقه لذلك وصاغه، وأكمل فيه أحسن مناقب من كان يوليه إياه، في وفاء الرأي وصحة الدين، وجزالة المروءة والمعرفة بصالح الأمور، ولم يالكم أمير المؤمنين ولا نفسه في ذلك اجتهدا وخيرا.

فبايعوا للحكم بن أمير المؤمنين باسم الله وبركته ولأخيه من بعده، على السمع والطاعة، واحتسبوا في ذلك أحسن ما كان الله يريدكم ويبيحكم ويعودكم ويعرفكم في أشباهه فيما مضى، من اليسر الواسع والخير العام، والفضل العظيم الذي أصبحتم في رجائه وخفضه وأمنه ونعمته، وسلامته وعصمته.

فهو الأمر الذي استبطنتموه واستسرعتم إليه، وحمدتم الله على إفضائه لكم، وأحدثتم فيه شكرا، ورأيتوه لكم حظا، تستبقونه وتجهدون أنفسكم في أداء حق الله عليكم، فإنه قد سبق لكم في ذلك من نعم الله وكرامته

٧٠٢٢٠٣ توليه الوليد نصر بن سيار على خراسان وامره مع يوسف بن عمر

وحسن قسمه ما أنتم حقيقون أن تكون رغبتكم فيه، وحذبكم عليه، على قدر الذي أبلاكم الله، وصنع لكم منه وأمير المؤمنين مع ذلك إن حدث بواحد من وولي عهده حدث، أولى بأن يجعل مكانه وبالمَنْزل الذي كان به من أحب أن يجعل من أمته أو ولده، ويقدمه بين يدي الباقي منهما إن شاء، أو أن يؤخره بعده فاعلموا ذلك وافهموه.

نسأل الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم أن يبارك لأمر المؤمنين ولكم في الذي قضى به على لسانه من ذلك وقدر منه، وأن يجعل عاقبته عافية وسرورا وغبطة، فإن ذلك بيده ولا يملكه إلا هو، ولا يرغب فيه إلا إليه والسلام عليكم ورحمة الله. وكتب سمال يوم الثلاثاء ثمان بقين من رجب سنة خمس وعشرين ومائة . توليه الوليد نصر بن سيار على خراسان وامره مع يوسف بن عمر

وفي هذه السنة ولى الوليد نصر بن سيار خراسان كلها، وأفرده بها.

وفيها وفد يوسف بن عمر على الوليد، فاشترى نصرا وعماله منه فرد إليه الوليد ولاية خراسان.

وفي هذه السنة كتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار يأمره بالقدوم عليه، ويحمل معه ما قدر عليه من الهدايا والأموال. (ذكر الخبر عما كان من أمر يوسف ونصر في ذلك) :

ذكر علي عن شيوخه، أن يوسف كتب إلى نصر بذلك، وأمره أن يقدم معه بعياله أجمعين، فلما أتى نصرا كتابه، قسم على أهل خراسان الهدايا وعلى عماله، فلم يدع بخراسان جارية ولا عبدا ولا برذونا فارها إلا أعده، واشترى ألف مملوك، وأعطاهم السلاح، وحملهم على الخليل.

قال: وقال بعضهم: كان قد اعد خمسمائة وصيفة، وأمر بصنعة أباريق الذهب والفضة وتمائيل الأطباء ورووس السباع والأبائل وغير ذلك، فلما فرغ من ذلك كله كتب إليه الوليد يستحثه، فسرح الهدايا حتى بلغ أوائلها بيهق، فكتب إليه الوليد يأمره أن يبعث إليه ببرابط وطنابير، فقال بعض شعرائهم:

فابشريا أمين الله ... أبشر بتباشير

بإبل يحمل المال ... عليها كالانابير

بغال تحمل الخمر ... حقائبها طنابير

ودل البريريات ... بصوت البهم والزير

وقرع الدف أحيانا ... ونفخ بالمزامير
فهذا لك في الدنيا ... وفي الجنة تحبير

قال: وقدم الأزرق بن قرة المسمعي من الترمذ أيام هشام على نصر، فقال لنصر: إني أريت الوليد بن يزيد في المنام، وهو ولي عهد، شبه الهارب من هشام، ورأيت على سرير، فشرب عسلا وسقاني بعضه فأعطاه نصر أربعة آلاف دينار وكسوه، وبعثه إلى الوليد، وكتب إليه نصر فأتى الأزرق الوليد، فدفع إليه المال والكسوة، فسر بذلك الوليد، وألطف الأزرق، وجزى نصرا خيرا، وانصرف الأزرق، فبلغه قبل أن يصل إلى نصر موت هشام، ونصر لا علم له بما صنع الأزرق، ثم قدم عليه فأخبره، فلما ولي الوليد كتب إلى الأزرق وإلى نصر، وأمر رسوله أن يتدئ بالأزرق فيدفع إليه كتابه، فأتاه ليلا، فدفع إليه كتابه وكتاب نصر، فلم يقرأ الأزرق كتابه، وأتى نصرا بالكتابين، فكان في كتاب الوليد إلى نصر يأمره أن يتخذ له برابط وطنابير وأباريق ذهب وفضة، وأن يجمع له كل صناجة بخراسان يقدر عليها، وكل بازي ويرزون فاره، ثم يسير بذلك كله بنفسه في وجوه أهل خراسان فقال رجل من باهلة: كان قوم من المنجمين يخبرون نصرا بفتنة تكون، فبعث نصر إلى صدقة بن وثاب وهو ببلخ- وكان منجما- وكان عنده وألح عليه يوسف بالقدوم، فلم يزل يتباطأ، فوجه يوسف

٧٠٢٢٠٤ توليه الوليد بن يزيد خاله يوسف الثقفي على المدينة ومكة

رسولا وأمره بلزومه يستحثه بالقدوم، أو ينادي في الناس أنه قد خلع، فلما جاءه الرسول أجازاه وأرضاه، وتحول إلى قصره الذي هو دار الإمارة اليوم، فلم يأت لذلك إلا يسير حتى وقعت الفتنة، فتحول نصر إلى قصره بمجان، واستخلف عصمة بن عبد الله الأسدي على خراسان، وولى المهلب بن إياس العدوي الخراج، وولى موسى بن ورقاء الناجي الشاش، وحسان من أهل صغانيان الأسدي سمرقند، ومقاتل بن علي السغدي آمل، وأمرهم إذا بلغهم خروجه من مرو أن يستحلوا الترك، وأن يغيروا على ما وراء النهر، لينصرف إليهم بعد خروجه، يعتل بذلك، فبينما هو يسير يوما إلى العراق طرقة ليلا مولى لبني ليث، فلما أصبح أذن للناس، وبعث إلى رسل الوليد، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: قد كان في مسيري ما قد علمتم، وبعثي بالهدايا ما رأيتم، فطرقني فلان ليلا، فأخبرني أن الوليد قد قتل، وأن الفتنة قد وقعت بالشام، وقدم منصور بن جمهور العراق، وقد هرب يوسف ابن عمر، ونحن في بلاد قد علمتم حالها وكثرة عدونا ثم دعا بالقادم فأحلفه أن ما جاء به لحق! خلف، فقال سلم بن أحوز: أصلح الله الأمير، لو حلفت لكنت صادقا، إنه بعض مكاييد قریش، أرادوا تهجين طاعتك، فسر ولا تهجننا قال: يا سلم أنت رجل لك علم بالحروب، ولك مع ذلك حسن طاعة لبني أمية، فأما مثل هذا من الأمور فأريك فيه رأي أمة هتماء.

ثم قال نصر: لم أشهد بعد ابن خازم امرا مفضعا الا كنت المفرع في الرأي، فقال الناس: قد علمنا ذلك، فالرأي رأيك . توليه الوليد بن يزيد خاله يوسف الثقفي على المدينة ومكة
وفي هذه السنة وجه الوليد بن يزيد خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي

٧٠٢٢٠٥ غزو قبرس

واليا على المدينة ومكة والطائف، ودفع إليه إبراهيم ومحمد ابني هشام بن إسماعيل المخزومي موثقين في عباةتين، فقدم بهما المدينة يوم السبت لاثنتي عشرة بقية من شعبان سنة خمس وعشرين ومائة، فأقامهما للناس بالمدينة ثم كتب الوليد إليه يأمره أن يبعث بهما إلى يوسف بن عمر، وهو يومئذ عامله على العراق، فلما قدما عليه عذبهما حتى قتلتهما، وقد كان رفع عليهما عند الوليد أنهما أخذا مالا كثيرا.

وفي هذه السنة عزل يوسف بن محمد بن سعد بن إبراهيم عن قضاء المدينة، وولاهما يحيى بن سعيد الأنصاري . غزو قبرس

وفيها غزى الوليد بن يزيد أخاه الغمر بن يزيد بن عبد الملك، وأمر على جيش البحر الأسود بن بلال المحاربي، وأمره أن يسير إلى قبرس فيخيرهم بين المسير إلى الشام إن شاءوا، وإن شاءوا إلى الروم، فاختارت طائفة منهم جوار المسلمين، فنقلهم الأسود إلى الشام، واختار آخرون أرض الروم فانتقلوا إليها.

وفيها قدم سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ وقطبة بن شبيب مكة، فلقوا- في قول بعض أهل السير- محمد بن علي فأخبروه بقصة أبي مسلم وما رأوا منه، فقال لهم: أحر هو أم عبد؟ قالوا: أما عيسى فيزعم أنه عبد، وأما هو فيزعم أنه حر، قال: فاشتروه وأعتقوه، وأعطوا محمد بن علي مائتي ألف درهم وكسوة بثلاثين ألف درهم، فقال لهم: ما أظنكم تلقوني بعد عامي هذا، فإن حدث بي حدث فصاحبكم إبراهيم بن محمد، فإني أثق به وأوصيكم به خيرا، فقد أوصيته بكم فصدروا من عنده. وتوفي محمد بن علي في مستهل ذي القعدة وهو ابن ثلاث وستين سنة، وكان بين وفاته وبين وفاة أبيه علي سبع سنين

٧٠٢٢٠٦ ذكر الخبر عن مقتل يحيى بن زيد بن علي

وجج بالناس في هذه السنة يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي

مَعشَرٍ.

ذكر الخبر عن مقتل يحيى بن زيد بن علي

وفي هذه السنة قتل يحيى بن زيد بن علي بخراسان.

ذكر الخبر عن مقتله:

قد مضى ذكرنا قبل أمر مصير يحيى بن زيد بن علي إلى خراسان.

وسبب ذلك، ونذكر الان سبب مقتله، إذا كان ذلك في هذه السنة.

ذكر هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنف، قال: أقام يحيى بن زيد بن علي عند الحريش بن عمرو بن داود ببلخ حتى هلك هشام بن عبد الملك، وولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك فكتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار بمسير يحيى بن زيد وبمنزله الذي كان ينزل، حتى أخبره أنه عند الحريش، وقال له: ابعث إليه وخذه أشد الأخذ فبعث نصر بن سيار إلى عقيل بن معقل العجلي، يأمره أن يأخذ الحريش ولا يفارقه حتى تزهق نفسه أو يأتيه يحيى بن زيد بن علي فبعث إليه عقيل، فسأله عنه، فقال: لا علم لي به، فجلده سمائه سوط، فقال له الحريش: والله لو أنه كان تحت قدمي ما رفعتهما لك عنه، فلما رأى ذلك قريش بن الحريش أتي عقيل، فقال: لا تقتل أبي وأنا أدلك عليه، فأرسل معه فدلّه عليه، وهو في بيت في جوف بيت، فأخذه ومعه يزيد بن عمر والفضل مولى عبد القيس- كان أقبل معه من الكوفة- فأتي به نصر بن سيار فحبسه، وكتب إلى يوسف بن عمر يخبره بذلك، فكتب بذلك يوسف إلى الوليد بن يزيد، فكتب الوليد إلى نصر بن سيار، يأمره أن يؤمنه ويخلي سبيله وسبيل أصحابه، فدعا نصر ابن سيار، فأمره بتقوى الله وحذره الفتنة، وأمره أن يلحق بالوليد بن يزيد، وأمر له بألفي درهم وبغلين، فخرج هو وأصحابه حتى انتهى إلى سرخس، فأقام بها وعليها عبد الله بن قيس بن عباد، فكتب إليه نصر بن سيار أن

يشخصه عنها، وكتب إلى الحسن بن زيد التميمي- وكان رأس بني تميم، وكان على طوس- أن انظر يحيى بن زيد، فإذا مر بكم فلا تدعه يقيم بطوس حتى يخرج منها، وأمرهما إذا هو مر بهما ألا يفارقه حتى يدفعاه إلى عمرو بن زرارة بأبرشهر فأشخصه عبد الله بن قيس من سرخس، ومر بالحسن بن زيد فأمره أن يمضي، ووكل به سرحان بن فروخ بن مجاهد بن بلعاء العنبري أبا الفضل، وكان على مسلحة. قال: فدخلت عليه، فذكر نصر بن سيار وما أعطاه، فإذا هو كالمستقل له، فذكر أمير المؤمنين الوليد بن يزيد، فاثني عليه، وذكر محبته بأصحابه معه، وأنه لم يأت بهم إلا مخافة أن يسم أو يغم، وعرض بيوسف، وذكر أنه إياه يتخوف، وقد كان أراد أن يقع فيه.

ثم كف، فقلت له: قل ما أحببت رحمك الله، فليس عليك مني عين، فقد أتى إليك ما يستحق أن تقول فيه ثم قال: العجب من هذا الذي يقيم الأحرار أو أمر الأحرار قال- وهو حينئذ يتفصح: والله لو شئت أن أبعث إليه، فاوتى به مربوطا قال: فقلت له:

لا والله ما بك صنع هذا، ولكن هذا شيء يصنع في هذا المكان أبداً، لمكان بيت المال قال: واعتذرت إليه من مسيري معه، وكنت أسير معه على رأس فرسخ، فأقبلنا معه حتى وقفنا إلى عمرو بن زرارة، فأمر له بألف درهم، ثم أشخصه حتى انتهى إلى بيته، وخاف اغتيال يوسف إياه، فأقبل من بيته - وهي أقصى أرض خراسان، وأدناه من قومس - فأقبل في سبعين رجلاً إلى عمرو بن زرارة، ومر به تجاراً، فأخذ دوابهم، وقال:

علينا أثمانها فكتب عمرو بن زرارة إلى نصر بن سيار، فكتب نصر إلى عبد الله بن قيس وإلى الحسن بن زيد أن يمضيا إلى عمرو بن زرارة، فهو عليهم، ثم ينصبوا ليحيى بن زيد فيقاتلوه فجاءوا حتى انتهوا إلى عمرو بن زرارة، واجتمعوا فكانوا عشرة آلاف، وأتاهم يحيى بن زيد، وليس هو إلا في سبعين رجلاً، فهزمهم وقتل عمرو بن زرارة، وأصاب دواب كثيرة.

وجاء يحيى بن زيد حتى مر بهرة، وعليها مغلس بن زياد العامري، فلم يعرض واحد منهما لصاحبه، فقطعها يحيى بن زيد، وسرح نصر بن سيار سلم بن أحوز في طلب يحيى بن زيد، فأتى هراة حين خرج منها يحيى بن زيد فأتبعه فلحقه بالجوزجان بقرية منها، وعليها حماد بن عمرو السغدي. قال: ولحق يحيى بن زيد رجل من بني حنيفة يقال له أبو العجلان، فقتل يومئذ معه، ولحق به الحساس الأزدي فقطع نصر بعد ذلك يده ورجله.

قال: فبعث سلم بن أحوز سوره بن محمد بن عزيز الكندي على ميمنته، وحماد بن عمرو السغدي على ميسرته، فقاتله قتالا شديداً، فذكروا أن رجلاً من عنزة يقال له عيسى، مولى عيسى بن سليمان العنزي رماه بنشابة، فأصاب جبهته. قال: وقد كان محمد شهد ذلك اليوم، فأمره سلم بتعبئه الناس، فتمارض عليه، فعجب الناس سورة بن محمد بن عزيز الكندي، فاقتلوا فقتلوا من عند آخرهم ومر سورة يحيى بن زيد فأخذ رأسه، وأخذ العنزي سلبه وقيصه، وغلبه سورة على رأسه. فلما قتل يحيى بن زيد وبلغ خبره الوليد بن يزيد، كتب - فيما ذكر هشام عن موسى بن حبيب، أنه حدثه - إلى يوسف بن عمر: إذا أتاك كتابي هذا، فانظر عجل العراق فأحرقه ثم انسه في اليم نسفاً قال: فأمر يوسف خراش بن حوشب، فأنزله من جذعه وأحرقه بالنار، ثم رضه فجعله في قوصرة، ثم جعله في سفينة، ثم ذراه في الفرات. وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها، وقد ذكرناهم قبل.

٧٠٢٣ سنة ست وعشرين ومائة

٧٠٢٣٠١ ذكر بقية اخبار يزيد بن الوليد بن عبد الملك

ذكر الخبر عن سبب قتله إياه وكيف قتل:

ذكر بعض الخبر عن افساده بنى عميه هشام والوليد:

ثم دخلت

سنة ست وعشرين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجلية)

ذكر بقية اخبار يزيد بن الوليد بن عبد الملك

فمن ذلك ما كان من قتل يزيد بن الوليد الذي يقال له الناقص الوليد ابن يزيد.

ذكر الخبر عن سبب قتله إياه وكيف قتل:

قد ذكرنا بعض أمر الوليد بن يزيد وخلاعه ومجائته، وما ذكر عنه من تهاونه واستخفافه بأمر دينه قبل خلافته ولما ولي الخلافة وافضت إليه، لم يزد في الذي كان فيه من اللهو واللذة والركوب للصيد وشرب النبيذ ومنادمة الفساق إلا تمادياً وحداً - تركت الأخبار الواردة عنه بذلك كراهة إطالة الكتاب بذكرها - فقتل ذلك من أمره على رعيته وجنده، فكروها أمره.

وكان من أعظم ما جنى على نفسه حتى أورثه ذلك هلاكه افساده على نفسه بنى عميه بنى هشام وولد الوليد، ابني عبد الملك بن مروان، مع إفساده على نفسه اليمانية، وهم عظم جند أهل الشام. ذكر بعض الخبر عن إفساده بنى عميه هشام والوليد:

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ، عَنِ الْمُنْهَالِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، قَالَ: كَانَ الْوَلِيدُ صَاحِبَ لُحُوصٍ وَلِذَاتٍ، فَلَمَّا وَلِيَ الْأَمْرَ جَعَلَ يَكْرَهُ الْمَوَاضِعَ الَّتِي فِيهَا النَّاسُ حَتَّى قَتَلَ، وَلَمْ يَزَلْ يَنْتَقِلُ وَيَتَصِيدُ، حَتَّى ثَقُلَ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى جَنْدِهِ، وَاشْتَدَّ عَلَى بَنِي هِشَامٍ، فَضَرَبَ سُلَيْمَانَ بْنَ هِشَامٍ مِائَةَ سَوْطٍ وَحَلَقَ رَأْسَهُ وَلَحِيَّتَهُ، وَغَرَبَهُ إِلَى عَمَانَ فَخَبَسَهُ بِهَا، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا مَحْبُوسًا حَتَّى قَتَلَ الْوَلِيدُ قَالَ: وَأَخَذَ جَارِيَةً كَانَتْ لَأَلِ الْوَلِيدِ، فَكَلَّمَهُ عَمْرُ بْنُ الْوَلِيدِ، فِيهَا فَقَالَ: لَا أُرَدُّهَا، فَقَالَ: إِذَنْ تَكْثُرُ الصَّوَاهِلُ حَوْلَ عَسْكَرِكَ. قَالَ: وَحَبَسَ الْأَقْقَمَ يَزِيدَ بْنَ هِشَامٍ، وَأَرَادَ الْبَيْعَةَ لِابْنِهِ الْحَكَمَ وَعِثْمَانَ فَشَاوَرَ سَعِيدَ بْنَ بَيْهَسَ بْنَ صَهْبٍ، فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّهُمَا غَلَامَانِ لَمْ يَحْتَمِلَاهُ، وَلَكِنْ بَايَعَ لِعَتِيقَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَغَضِبَ وَحَبَسَهُ حَتَّى مَاتَ فِي الْحَبْسِ وَأَرَادَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الْبَيْعَةِ لِابْنِهِ فَأَبَى، فَقَالَ لَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِهِ: أَرَادَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْبَيْعَةِ لِابْنِهِ فَأَبَيْتَ، فَقَالَ: وَيَحْكُمُ! كَيْفَ أَبَايَعَ مِنْ لَا أَصْلِي خَلْفَهُ، وَلَا أَقْبِلُ شَهَادَتَهُ! قَالُوا: فَالْوَلِيدُ تَقْبَلُ شَهَادَتَهُ مَعَ مَجُونِهِ وَفَسَقِهِ! قَالَ: أَمْرُ الْوَلِيدِ أَمْرٌ غَائِبٌ عَنِّي وَلَا أَعْلَمُهُ يَقِينًا، إِنَّمَا هِيَ أَخْبَارُ النَّاسِ، فَغَضِبَ الْوَلِيدُ عَلَى خَالِدٍ.

قَالَ: وَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ الثَّقَفِيِّ: أَوْفَدَنِي يُوسُفُ بْنُ عَمْرِ إِلَى الْوَلِيدِ فَلَمَّا قَدِمْتُ قَالَ لِي: كَيْفَ رَأَيْتَ الْفَاسِقَ؟ يَعْنِي بِالْفَاسِقِ الْوَلِيدَ- ثُمَّ قَالَ:

إِيَّاكَ أَنْ يَسْمَعَ هَذَا مِنْكَ أَحَدٌ، فَقُلْتُ: حَبِيبَةُ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَبْرِ طَالَتْ إِنْ سَمِعَتْهُ أَذْنِي مَا دَمْتُ حَيًّا، فَضَحَكَ قَالَ: فَثَقُلَ الْوَلِيدُ عَلَى النَّاسِ، وَرَمَاهُ بَنُو هِشَامٍ وَبَنُو الْوَلِيدِ بِالْكَفْرِ وَغَشْيَانِ أُمَهَاتِ أَوْلَادِ أَبِيهِ، وَقَالُوا: قَدْ اتَّخَذَ مِائَةَ جَامِعَةٍ، وَكَتَبَ عَلَى كُلِّ جَامِعَةٍ اسْمَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ لِيَقْتُلَهُ بِهَا وَرَمَوْهُ بِالزُّنْدَقَةِ، وَكَانَ أَشَدَّهُمْ فِيهِ قَوْلًا يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَكَانَ النَّاسُ إِلَى قَوْلِهِ أَمِيلٌ، لِأَنَّهُ كَانَ يَظْهَرُ النَّسَكُ وَيَتَوَاضَعُ، وَيَقُولُ: مَا يَسْعُنَا الرِّضَا بِالْوَلِيدِ، حَتَّى حَمَلَ النَّاسُ عَلَى الْقَتْلِ بِهِ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَصَادٍ الْكَلْبِيِّ، عَنْ عَمْرُو بْنِ شَرَّاحِيلَ، قَالَ: سِيرْنَا هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى دِهْلَكٍ، فَلَمْ نَزَلْ بِهَا حَتَّى مَاتَ هِشَامٌ، وَاسْتَخْلَفَ الْوَلِيدُ، فَكَلَّمْنَا فِئَا بِي، وَقَالَ:

وَاللَّهِ مَا عَمِلَ هِشَامٌ عَمَلًا أَرْجَى لِي عِنْدِي أَنْ تَنَالَهُ الْمَغْفِرَةُ بِهِ مِنْ قَتْلِهِ الْقَدْرِيَّةِ وَتَسْيِيرِهِ إِيَّاهُمْ وَكَانَ الْوَالِي عَلَيْنَا الْحِجَابُ بْنُ بَشَرَ بْنِ فَيْرُوزٍ الدِّيلَمِي، وَكَانَ

يَقُولُ: لَا يَعِيشُ الْوَلِيدُ إِلَّا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا حَتَّى يَقْتُلَ، وَيَكُونُ قَتْلُهُ سَبَبَ هَلَاكِ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ: فَأَجْمَعَ عَلَى قَتْلِ الْوَلِيدِ جَمَاعَةٌ مِنْ قَضَاعِ الْيَمَانِيَّةِ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقٍ خَاصَّةً، فَأَتَى حَرِثَ وَشَيْبَةَ بْنَ أَبِي مَالِكٍ الْغَسَّانِيَّ وَمَنْصُورَ بْنَ جَهْمٍ وَيَعْقُوبَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَحِبَالَ بْنَ عَمْرٍو، ابْنَ عَمِّ مَنْصُورٍ، وَحَمِيدَ بْنَ نَصْرِ الْخَمِيَّ وَالْأَصْبَغَ بْنَ ذُوَالْهِجَّةِ وَطَفِيلَ بْنَ حَارِثَةَ وَالسَّرِيَّ بْنَ زِيَادَ بْنَ عِلَاقَةَ، خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، فَدَعَا إِلَى أَمْرِهِمْ فَلَمْ يَجِبْهُمْ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَكْتُمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: لَا أَسْمِي أَحَدًا مِنْكُمْ وَأَرَادَ الْوَلِيدُ الْحَجَّ، نَخَافُ خَالِدًا أَنْ يَفْتَكُوا بِهِ فِي الطَّرِيقِ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْرَجَ الْحَجَّ الْعَامَ، فَقَالَ: وَلَمْ؟

فَلَمْ يَخْبِرْهُ، فَأَمَرَ بِحَبْسِهِ وَأَنْ يَسْتَأْذِيَ مَا عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِ الْعِرَاقِ.

وَقَالَ عَلِيُّ عَنِ الْحَكَمِ بْنِ النُّعْمَانِ، قَالَ: أَجْمَعَ الْوَلِيدُ عَلَى عِزْلِ يُوسُفَ وَاسْتِعْمَالِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحِجَابِ، فَكَتَبَ إِلَى يُوسُفَ: إِنَّكَ كَتَبْتَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَذَكُّرَ تَخْرِيبِ ابْنِ النَّصْرَانِيَّةِ الْبِلَادِ، وَقَدْ كُنْتُ عَلَى مَا ذَكَرْتُ مِنْ ذَلِكَ تَحْمِلُ إِلَى هِشَامٍ مَا تَحْمِلُ، وَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ قَدْ عَمَرْتَ الْبِلَادَ حَتَّى رَدَدْتَهَا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ، فَاشْخَصْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَصَدَّقْ ظَنَّهُ بِكَ فِيمَا تَحْمِلُ إِلَيْهِ لِعِمَارَتِكَ الْبِلَادِ، وَلِيَعْرِفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَضْلَكَ عَلَى غَيْرِكَ، لَمَّا جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْقَرَابَةِ، فَإِنَّكَ خَالَهُ، وَأَحَقُّ النَّاسِ بِالتَّوْفِيرِ عَلَيْهِ، وَلَمَّا قَدْ عَلِمْتَ مِمَّا أَمَرَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِأَهْلِ الشَّامِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الزِّيَادَةِ فِي أُعْطِيَاتِهِمْ، وَمَا وَصَلَ بِهِ أَهْلُ بَيْتِهِ لَطُولَ جَفْوَةِ هِشَامٍ إِيَّاهُمْ، حَتَّى أَضَرَ ذَلِكَ بَبُيُوتِ الْأَمْوَالِ قَالَ: فَخَرَجَ يُوسُفُ وَاسْتَخْلَفَ ابْنَ عَمِّهِ يُوسُفَ بْنَ مُحَمَّدٍ، وَحَمَلَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَمْتَعَةِ وَالْآتَنِ مَا لَمْ يَحْمِلْ

من العراق مثله فقدم- وخالد بن عبد الله محبوس- فلقية حسان النبطي ليلا، فأخبره أن الوليد عازم على تولية عبد الملك بن محمد ابن الحجاج، وأنه لا بد ليوسف فيها من إصلاح أمر وزرائه، فقال:

ليس عندي فضل درهم، قال: فعندي خمسمائة ألف درهم، فإن شئت فهي

لك، وإن شئت فارددها إذا تيسرت قال: فأنت أعرف بالقوم ومنازلهم من الخليفة مني، ففرقها على قدر علمك فيهم، ففعل وقدم يوسف والقوم يعظمونه، فقال له حسان: لا تغد على الوليد، ولكن رح إليه رواحا، واكتب على لسان خليفتك كتابا إليك: إني كتبت إليك ولا أملك إلا القصر.

وادخل على الوليد والكتاب معك متحازنا، فاقرئه الكتاب، ومر ابان ابن عبد الرحمن النيري يشتري خالدا منه بأربعين ألف ألف ففعل يوسف، فقال له الوليد: ارجع إلى عملك، فقال له أبان: ادفع إلي خالدا وأدفع إليك أربعين ألف ألف درهم، قال: ومن يضمن عنك؟ قال: يوسف، قال: أتضمن عنه؟ قال: بل ادفعه إلي، فأنا أستاذيه خمسين ألف ألف، فدفعه إليه، فحمله في محمل بغير وطاء. قال محمد بن محمد بن القاسم: فرحمته، فجمعت أطافا كانت معنا من أخصبة يابسة وغيرها في منديل، وأنا على ناقة فارهة، فتغفلت يوسف، فأسرعت ودنوت من خالد، ورميت بالمنديل في محمله، فقال لي: هذا من متاع عمان- يعني أن أخي الفيض كان على عمان، فبعث إلي بمال جسم- فقلت في نفسي: هذا على هذه الحالة وهو لا يدع هذا! ففطن يوسف بي فقال لي: ما قلت لابن النصرانية؟ فقلت: عرضت عليه الحاجة، قال:

احسنت، هو اسير، ولو فطن بما ألقيت إليه للقيني منه أذى.

وقدم الكوفة فقتله في العذاب، فقال الوليد بن يزيد- فيما زعم الهيثم بن عدي- شعرا يوبخ به أهل اليمن في تركهم نصره خالد بن عبد الله.

وأما احمد بن زهير، فانه حدثه عن علي بن محمد، عن محمد بن سعيد العامري عامر كلب، أن هذا الشعر قاله بعض شعراء اليمن على لسان الوليد يحرض عليه اليمانية:

الم تهتج فتذكر الوصالا ... وحبلا كان متصلا فزالا

بلى فالدمع منك له سجام ... كما المزن ينسجل انسجالا

فدع عنك اذكارك آل سعدى ... فنحن الأكثرون حصى ومالا

ونحن المالكون الناس قسرا ... نسومهم المذلة والنكالا

وطئنا الأشعرين بعز قيس ... فيا لك وطأة لن تستقالا!

وهذا خالد فينا أسيرا ... ألا منعه إن كانوا رجالا!

عظيمهم وسيدهم قديما ... جعلنا الخزيات له ظلالا

فلو كانت قبائل ذات عز ... لما ذهبت صنائعه ضلالا

ولا تركوه مسلوبا أسيرا ... يسامر من سلاسلنا الثقلا

- ورواه المدائني: يعالج من سلاسلنا-

وكندة والسكون فما استقالوا ... ولا برحت خيولهم الرحالا

بها سمنا البرية كل خسف ... وهدمنا السهولة والجبالا

ولكن الوقائع ضععتهم ... وجذتهم وردتهم شلالا

فما زالوا لنا أبدا عبيدا ... نسومهم المذلة والسفالا

فأصبحت الغداة علي تاج ... لملك الناس ما ينبغي انتقالا

فقال عمران بن هلباء الكلبي يحميه:

فقي صدر المطية يا حالالا ... وجذي جبل من قطع الوصالا

ألم يحزنك أن ذوي يمان ... يرى من حاذ قيلهم جلالا

جعلنا للقبائل من نزار ... غداة المرج أياما طوالا

بنا ملك المملك من قريش ... وأودى جد من أودى فزالا
 متى تلقى السكون وتلقى كلبا ... بعبس تحش من ملك زوالا
 كذاك المرء ما لم يلف عدلا ... يكون عليه منطقه وبالا
 أعدوا آل حمير إذ دعيتم ... سيوف الهند والأسل نهالا
 وكل مقلص نهد القصيرى ... وذا فودين والقب الجبالا
 يذرن بكل معترك قتिला ... عليه الطير قد مذل السؤالا
 لئن غيرتمونا ما فعلنا ... لقد قلتم وجدكم مقالا
 لإخوان الأشاعث قتلوهم فما ... وطئوا ولا لاقوا نكالا
 وأبناء المهلب نحن صلنا ... وقائعهم وما صلتم مصالا
 وقد كانت جذام على أخيهيم ... ونلحم يقتلونهم شلالا
 هربنا أن نساعدكم عليهم ... وقد أخطأ مساعدكم وفالا
 فإن عدتم فإن لنا سيوفا ... صوارم نستجد لها الصقالا
 سنبيكي خالدا بمهندات ... ولا تذهب صنائعه ضلالا
 ألم يك خالد غيث اليتامى ... إذا حضروا وكنت لهم هزالا!
 يكفن خالد موتى نزار ... ويثري حيهم نشبا ومالا

لو أن الجائرين عليه كانوا ... بساحة قومه كانوا نكالا
 ستلقى ان بقيت مسومات ... عوابس لا يزالين الحلالا
 فحدثني أحمد بن زهير، عن علي بن محمد، قال: فازداد الناس على الوليد حنقا لما رُويَ هذا الشعر، فقال ابن بيز: وصلت سماء الضر بالضر بعد ما ... زعمت سماء الضر عنا ستقلع
 فليت هشاما كان حيا يسوسنا ... وكما كما نرُجِّي ونطمع

وكان هشام استعمل الوليد بن القعقاع على قنسرين وعبد الملك بن القعقاع على حمص، فضرِب الوليد بن القعقاع ابن هبيرة مائة سوط، فلما قام الوليد هرب بنو القعقاع منه، فعادوا بقبر يزيد بن عبد الملك، فبعث إليهم، فدفعهم إلى يزيد بن عمر بن هبيرة - وكان على قنسرين - فعذبهم، فمات في العذاب الوليد بن القعقاع وعبد الملك بن القعقاع ورجلان معهما من آل القعقاع، واضطغن على الوليد آل الوليد وآل هشام وآل القعقاع واليمانية بما صنع بخالد بن عبد الله فأتت اليمانية يزيد بن الوليد، فأرادوه على البيعة، فشاور عمرو بن يزيد الحكمي، فقال: لا يبايعك الناس على هذا، وشاور أخاك العباس بن الوليد، فإنه سيد بني مروان، فإن بايعك لم يخالفك أحد، وإن أبى كان الناس له أطوع، فإن أبيت إلا المضي على رأيك فأظهر أن العباس قد بايعك وكانت الشام تلك الأيام وبية، فخرجوا إلى البوادي، وكان يزيد بن الوليد مُتَبَدِّياً، وكان العباس بالقسطل بينهما أميال يسيرة.

فحدثني أحمد بن زهير، قال: حدثني علي، قال: أتى يزيد أخاه العباس، فأخبره وشاوره، وعاب الوليد، فقال له العباس: مهلا يا يزيد، فإن في نقض عهد الله فساد الدين والدنيا فرجع يزيد إلى منزله، ودب في الناس فبايعوه سرا، ودس الأحنف الكلي ويزيد بن عنبسة السكسكي وقوما من ثقافته من وجوه الناس وأشرافهم، فدعوا الناس سرا، ثم عاود أخاه العباس ومعه قطن مولاهم، فشاوره في ذلك، وأخبره أن قوما يأتونه يريدونه على البيعة، فزبره العباس، وقال: إن عدت لمثل هذا لأشدنك وثاقا، ولأحملنك إلى أمير المؤمنين! فخرج يزيد وقطن، فأرسل العباس إلى قطن، فقال: ويحك يا قطن! أترى يزيد جادا! قال: جعلت فداك! ما أظن ذاك، ولكنه قد دخله مما صنع الوليد ببني هشام وبني الوليد وما يسمع مع الناس من الاستخفاف بالدين وتهاونه ما قد ضاق به ذرعا قال: أما والله إني لأظنه أشأم سخلة في بني مروان، ولولا ما أخاف من عجلة الوليد مع تحامله علينا لشدت يزيد وثاقا، وحملتة إليه، فأزجره عن أمره، فإنه يسمع إليك فقال يزيد لقطن: ما قال لك العباس حين رآك؟ فأخبره، فقال له: والله لا أكف

وبلغ معاوية بن عمرو بن عتبة خوض الناس، فأتى الوليد فقال:

يا أمير المؤمنين، إنك تبسط لساني بالإنس بك، وأكفه بالهيبه لك، وأنا اسمع مالا تسمع وأخاف عليك ما أراك تأمن، أفأتكلم ناصحا، أو أسكت مطيعا؟ قَالَ:

كل مقبول منك، والله فينا علم غيب نحن صائرون إليه، ولو علم بنو مروان أنهم إنما يوقدون على رصف يلقيه في أجوافهم ما فعلوا، ونعود ونسمع منك.

وبلغ مروان بن محمد بأرمينية أن يزيد يؤلب الناس، ويدعو إلى خلع الوليد، فكتب إلى سعيد بن عبد الملك بن مروان يأمره أن ينهي الناس ويكفهم. وكان سعيد يتأله إن الله جعل لكل أهل بيت أركاناً يعتمدون عليها، ويتقون بها المخاوف، وأنت بحمد ربك ركن من أركان أهل بيتك، وقد بلغني أن قوما من سفهاء أهل بيتك قد استنوا أمرا- إن تمت لهم رويتهم فيه على ما أجمعوا عليه من نقض بيعتهم- استفتحو بابا لن يغلقه الله عنهم حتى تسفك دماء كثيرة منهم، وأنا مشغول بأعظم ثغور المسلمين فرجا، ولو جمعتني وإياهم لرميت فساد أمرهم بيدي ولساني، ونخفت الله في ترك ذلك، لعلي ما في عواقب الفرقة من فساد الدين والدنيا، وأنه لن ينتقل سلطان قوم قط الا بتشتيت كلمتهم، وإن كلمتهم إذا تشتت طمع فيهم عدوهم وأنت أقرب إليهم مني، فاحتل لعلم ذلك واطهار المتابعة لهم، فإذا صرت إلى علم ذلك فتهددهم بإظهار أسرارهم، وخذهم بلسانك، وخوفهم العواقب، لعل الله أن يرد إليهم ما قد عزب عنهم من دينهم وعقولهم، فإن فيما سعوا فيه تعير النعم وذهاب الدولة، فعاجل الأمر وحبل الإلفة مشدود، والناس سكون، والثغور محفوظة، فإن للجماعة دولة من الفرقة وللسعة دافعا من الفقر، وللعهد منتقضا، ودول الليالي مختلفة على أهل الدنيا، والتقلب مع الزيادة والنقصان، وقد امتدت بنا- أهل البيت- متتابعات من النعم، قد يعيها جميع الأمم وأعداء النعم وأهل الحسد لأهلها، وبجسد إبليس خرج آدم من الجنة وقد أمل القوم في الفتنة أملا، لعل أنفسهم تهلك دون ما أملوا، ولكل أهل بيت مشائيم يغير الله النعمة بهم-

فأعاذك الله من ذلك- فاجعني من أمرهم على علم حفظ الله لك دينك، وأخرجك مما أدخلك فيه، وغلب لك نفسك على رشذك. فأعظم سعيد ذلك، وبعث بكتاب إلى العباس، فدعا العباس يزيد فعذله وتهده، فحذره يزيد، وقال: يا أخي، أخاف أن يكون بعض من حسدنا هذه النعمة من عدونا أراد أن يغري بيننا، وحلف له أنه لم يفعل فصدقه حدثني أحمد، قَالَ: حدثنا علي، قَالَ: قال ابن بشر بن الوليد بن عبد الملك: دخل أبي بشر بن الوليد على عمي العباس، فكله في خلع الوليد وبيعة يزيد، فكان العباس ينهيه، وأبي يراده، فكنت أفرح وأقول في نفسي: أرى أبي يجترئ أن يكلم عمي ويرد عليه قوله! وكنت أرى أن الصواب فيما يقول أبي، وكان الصواب فيما يقول عمي، فقال العباس: يا بني مروان، إني أظن الله قد أذن في هلاككم، وتمثل قائلا:

إني أعيدكم بالله من فتن ... مثل الجبال تسامى ثم تندفع

إن البرية قد ملت سياستكم ... فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا

لا تلحمن ذئاب الناس أنفسكم ... إن الذئاب إذا ما ألحمت رتعوا

لا تبقرن بأيديكم بطونكم ... فثم لا حسرة تغني ولا جزع

قَالَ: فلما اجتمع ليزيد أمره وهو متبد، أقبل إلى دمشق وبينه وبين دمشق أربع ليال، متنكرا في سبعة نفر على حمير، فنزلوا بجرود على مرحلة من دمشق، فرمى يزيد بنفسه فنام وقال القوم لمولى لعباد بن زياد: أما عندك طعام فنشره؟ قَالَ: أما لبيع فلا، ولكن عندي قراكم وما يسعكم، فأتاهم بدجاج و فراخ وعسل وسمن وشوانيز، فطعموا ثم سار فدخل

دمشق ليلا، وقد بايع ليزيد أكثر أهل دمشق سرا، وبايع أهل المزة غير معاوية بن مصاد الكلبي- وهو سيد أهل المزة- فضى يزيد من ليلته إلى منزل معاوية بن مصاد ماشيا في نفر من أصحابه- وبين دمشق وبين المزة ميل أو أكثر- فأصابهم مطر شديد، فاتوا منزل معاوية بن مصاد، فضربوا بابه، ففتح لهم، فدخلوا، فقال ليزيد: الفراش أصلحك الله! قَالَ: إن في رجلي طينا، وأكره أن أفسد بساطك، فقال: الذي تريدنا عليه أفسد فكلمه يزيد فباعه معاوية- ويقال هشام بن مصاد- ورجع يزيد إلى دمشق، فأخذ طريق القناة، وهو

على حمار أسود، فنزل دار ثابت بن سليمان بن سعد الخشني، وخرج الوليد بن روح، وحلف لا يدخل دمشق إلا في السلاح، فلبس سلاحه، وكفر عليه الثياب، وأخذ طريق النيرب- وهو على فرس أبلق- حتى وافى يزيد، وعلى دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف نفاف الوباء، فخرج فنزل قطنا، واستخلف ابنه على دمشق، وعلى شرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السلمي، فأجمع يزيد على الظهور، فقبل للعامل:

إن يزيد خارج فلم يصدق وأرسل يزيد إلى أصحابه بين المغرب والعشاء ليلة الجمعة سنة ست وعشرين ومائة، فكنوا عند باب الفرديس حتى أذنوا العتمة، فدخلوا المسجد، فصلوا- وللمسجد حرس قد وكلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل- فلما صلى الناس صاح بهم الحرس، وتباطأ أصحاب يزيد، فجعلوا يخرجون من باب المقصورة ويدخلون من باب آخر حتى لم يبق في المسجد غير الحرس وأصحاب يزيد، فأخذوا الحرس، ومضى يزيد بن عنبسة إلى يزيد بن الوليد، فأعلمه وأخذ بيده، وقال: قم يا أمير المؤمنين وأبشر بنصر الله وعونه، فقام وقال: اللهم إن كان هذا لك رضا فأعني عليه وسددني له، وإن كان غير ذلك فاصرفه عني بموت.

وأقبل في اثني عشر رجلا، فلما كان عند سوق الحمر لقوا أربعين رجلا من أصحابهم، فلما كانوا عند سوق القمح لقيهم زهاء مائتي رجل من

أصحابهم، فضوا إلى المسجد فدخلوه، فأخذوا باب المقصورة فضربوه وقالوا: رسل الوليد، ففتح لهم الباب خادما فأخذوه ودخلوا، وأخذوا أبا العاج وهو سكران، وأخذوا خزان بيت المال وصاحب البريد، وأرسل إلى كل من كان يحذره فأخذ وأرسل يزيد من ليلته إلى محمد بن عبيدة- مولى سعيد ابن العاص وهو على بعلبك- فأخذه، وأرسل من ليلته إلى عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف، فأخذه ووجه إلى الثانية إلى أصحابه ليأتوه، وقال للبوابين: لا تفتحوا الباب غدوة إلا لمن أخبركم بشعارنا فتركوا الأبواب بالسلاسل وكان في المسجد سلاح كثير قدم به سليمان بن هشام من الجزيرة، ولم يكن الخزان قبضوه، فأصابوا سلاحا كثيرا، فلما أصبحوا جاء أهل المزة وابن عصام، فما انتصف النهار حتى تباع الناس، ويزيد يمثل قول النابغة:

إذا استنزلوا عنهن للطعن أرقلوا ... إلى الموت إرقال الجمال المصاعب

فجعل أصحاب يزيد يتعجبون، ويقولون: انظروا إلى هذا، هو قبيل الصبح يسبح، وهو الآن ينشد الشعر! حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عمرو بن مروان الكلبي، قَالَ: حَدَّثَنِي رزين بن ماجد، قَالَ: غَدَوْنَا مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَصَادٍ، وَنَحْنُ زُهَاءُ الْفِ وَخَمْسَمِائَةٍ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى بَابِ الْجَلَابِيَةِ وَوَجَدْنَاهُ مَغْلَقًا، وَوَجَدْنَا عَلَيْهِ رَسُولًا لِلْوَلِيدِ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ الْهَيْئَةُ وَهَذِهِ الْعُدَّةُ! أَمَا وَاللَّهِ لَأَعْلَمَنَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَزَّةِ، فَدَخَلْنَا مِنْ بَابِ الْجَلَابِيَةِ، ثُمَّ أَخَذْنَا فِي زِقَاقِ الْكَلْبِيِّينَ، فَضَاقَ عَنَّا، فَأَخَذَ نَاسٌ مِنْ سَوَاقِ الْقَمْحِ، ثُمَّ اجْتَمَعْنَا عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، فَدَخَلْنَا عَلَى يَزِيدَ، فَمَا فَرَّغَ آخِرْنَا مِنَ التَّسْلِيمِ عَلَيْهِ، حَتَّى جَاءَتِ السَّكَّاسُكَ فِي نَحْوِ ثَلَاثِمِائَةٍ، فَدَخَلُوا مِنْ بَابِ الشَّرْقِيِّ حَتَّى أَتَوْا الْمَسْجِدَ، فَدَخَلُوا مِنْ بَابِ الدَّرَجِ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَعْقُوبُ بْنُ عَمِيرٍ بْنُ هَانِيٍّ الْعَبْسِيُّ فِي أَهْلِ دَارِيَا، فَدَخَلُوا مِنْ بَابِ دِمَشْقِ الصَّغِيرِ، وَأَقْبَلَ عَيْسَى بْنُ شَبِيبٍ التَّغْلَبِيُّ فِي أَهْلِ دُومَةِ وَحَرَسْتَا، فَدَخَلُوا مِنْ بَابِ

توما، وأقبل حميد بن حبيب اللخمي في أهل دير المران والأرزة وسطرا، فدخلوا من باب الفرديس، وأقبل النضر بن الجرشي في أهل جرش وأهل الحديثه ودير زكا، فدخلوا من باب الشرقي، وأقبل ربيعي بن هاشم الحارثي في الجماعة من بني عذرة وسلامان، فدخلوا من باب توما، ودخلت جهينة ومن والاهم مع طلحة بن سعيد، فقال بعض شعرائهم:

فجاءتهم أنصارهم حين أصبحوا ... سكاسكها أهل البيوت الصنادد

وكلب فجاءوهم بخيل وعدة ... من البيض والأبدان ثم السواعد

فأكرم بهم أحياء أنصار سنة ... هم منعوا حرمتها كل جاحد

وجاءتهم شعبان والأزد شرعا ... وعبس ونحم بين حام وذائد

وغسان والحيان قيس وتغلب ... وأجم عنها كل وان وزاهد

فما أصبحوا إلا وهم أهل ملكها ... قد استوثقوا من كل عات ومارد

حدثني أحمد بن زهير، عن علي بن محمد، عن عمرو بن مروان الكلبي، قال: حدثني قسم بن يعقوب ورزين بن ماجد وغيرهما، قالوا: وجه يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مصاد في مائتي فارس أو نحوهم إلى قطن، ليأخذوا عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف، وقد تحصن في قصره، فأعطاه الأمان نخرج إليه، فدخلنا القصر، فأصبنا فيه خرجين، في كل واحد منهما ثلاثون ألف دينار قال: فلما انتهينا إلى المزة قلت لعبد الرحمن بن مصاد: اصرف أحد هذين الخرجين إلى منزلك أو كليهما، فإنك لا تصيب من يزيد مثلهما أبداً، فقال: لقد عجلت إذا بالخيانة، لا والله لا يتحدث العرب أني أول من خان في هذا الأمر، فغضى به إلى يزيد بن الوليد وأرسل يزيد بن الوليد إلى عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، فأمره فوقف بباب الجابية، وقال: من كان له عطاء فليأت إلى عطائه، ومن لم يكن له عطاء فله ألف درهم معونة وقال لبني الوليد بن عبد الملك ومعه منهم ثلاثة عشر: تفرقوا في الناس يرونكم وحضورهم، وقال للوليد بن روح بن الوليد: أنزل الراهب، ففعل

وحدثني أحمد، عن علي، عن عمرو بن مروان الكلبي، قال: حدثني دكين بن الشماخ الكلبي وأبو علاقة بن صالح السلاماني أن يزيد بن الوليد نادى بأمره مناد: من ينتدب إلى الفاسق وله ألف درهم؟ فاجتمع إليه أقل من ألف رجل، فأمر رجلا فنادى: من ينتدب إلى الفاسق وله ألف وخمسمائة؟

فانتدب إليه يومئذ ألف وخمسمائة، فعقد لمنصور بن جمهور على طائفة، وعقد ليعقوب بن عبد الرحمن بن سليم الكلبي على طائفته أخرى، وعقد لهرم ابن عبد الله بن دحية على طائفة أخرى، وعقد لحمد بن حبيب الخمي على طائفة أخرى، وعليهم جميعا عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، فخرج عبد العزيز فعسكر بالحيرة.

وحدثني أحمد بن زهير، قال: حدثنا علي، عن عمرو بن مروان الكلبي، قال: حدثني يعقوب بن إبراهيم بن الوليد أن مولى للوليد لما خرج يزيد بن الوليد، خرج على فارس له، فأتى الوليد من يومه، فنفق فرسه حين بلغه، فأخبر الوليد الخبر، فضربه مائة سوط وحبسه، ثم دعا أبا محمد ابن عبد الله بن يزيد بن معاوية فأجازه، ووجهه إلى دمشق، فخرج أبو محمد، فلما انتهى إلى ذنبة أقام، فوجه يزيد بن الوليد إليه عبد الرحمن بن مصاد، فسأله أبو محمد، وباع ليزيد بن الوليد وأتى الوليد الخبر، وهو بالأغداف - والأغداف من عمان - فقال بيهس بن زميل الكلبي - ويقال قاله يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية: يا أمير المؤمنين، سر حتى تنزل حصص فإنها حصينة، ووجه الجنود إلى يزيد فيقتل أو يؤسر فقال عبد الله بن عنبسة ابن سعيد بن العاص: ما ينبغي للخليفة أن يدع عسكره ونساءه قبل أن يقاتل ويعذر، والله مؤيد أمير المؤمنين وناصره فقال يزيد بن خالد: وماذا يخاف على حرمة! وإنما أتاه عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وهو ابن عمهن، فأخذ بقول ابن عنبسة، فقال له الأبرش سعيد بن الوليد الكلبي:

يا أمير المؤمنين، تدمر حصينة، وبها قومي يمنعونك، فقال: ما أرى أن تأتي تدمر وأهلها بنو عامر، وهم الذين خرجوا علي، ولكن دلني على منزل

حصين، فقال: أرى أن تنزل القرية، قال: أكرهها، قال: فهذا الهزيم.

قال: أكره اسمه، قال: فهذا البخراء، قصر النعمان بن بشير، قال:

ويحك! ما أقبح أسماء مياهمكم! فأقبل في طريق السماوة، وترك الريف، وهو في مائتين، فقال:

إذا لم يكن خير مع الشر لم تجد ... نصيحا ولا ذا حاجة حين تفرع

إذا ما هم هموا بإحدى هناتهم ... حسرت لهم رأسي فلا أتقنع

فمر بشبكة الضحاك بن قيس الفهري، وفيها من ولده وولد ولده أربعون رجلا، فساروا معه وقالوا: إنا عزل، فلو أمرت لنا بسلاح! فما أعطاهم سيفاً ولا رمحاً، فقال له بيهس بن زميل: أما إذ آيت أن تمضي إلى حصص وتدمر فهذا الحصن البخراء فإنه حصين، وهو من بناء العجم فأنزله، قال: إني أخاف الطاعون، قال: الذي يراد بك أشد من الطاعون، فنزل حصن البخراء.

قال: فندب يزيد بن الوليد الناس إلى الوليد مع عبد العزيز، ونادى مناديه: من سار معه فله ألفان، فانتدب ألفاً رجلاً، فأعطاهم ألفين ألفين وقال: موعدم بذنبة، فوافي بذنبة ألف ومائتان، وقال: موعدم مصنعة بني عبد العزيز بن الوليد بالبرية، فوافاه ثمانمائة، فسار،

فقتلهم ثقل الوليد فأخذه، ونزلوا قريبا من الوليد، فأثاه رسول العباس بن الوليد: إني آتيك. فقال الوليد: أخرجوا سريرا، فأخرجوا سريرا فجلس عليه وقال: أعلي توثب الرجال، وأنا اثب على الأسد واتخصر الأفاعي! وهم ينتظرون العباس.

فقاتلهم عبد العزيز، وعلى الميمنة عمرو بن حوي السكسكي وعلى المقدمة منصور بن جمهور وعلى الرجلة عمارة بن أبي كثم الأزدي، ودعا عبد العزيز ببغل له أدهم فركبه، وبعث إليهم زياد بن حصين الكلبي يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فقتله قطري مولى الوليد، فانكشف أصحاب يزيد، فترجل عبد العزيز، فكر أصحابه، وقد قتل من أصحابه عدة وحملت رءوسهم إلى الوليد وهو على باب حصن البخراء قد أخرج لواء مروان بن الحكم الذي كان عقده بالجابية، وقتل من أصحاب الوليد بن يزيد عثمان الخشبي، قتله جناح بن نعيم الكلبي، وكان من أولاد الخشبية الذين كانوا مع المختار.

وبلغ عبد العزيز مسير العباس بن الوليد، فأرسل منصور بن جمهور في خيل، وقال: إنكم تلقون العباس في الشعب، ومعه بنوه في الشعب، نخذوهم فخرج منصور في الخيل فلما صاروا بالشعب إذا هم بالعباس في ثلاثين من بنيهم، فقالوا له: اعدل إلى عبد العزيز، فشتهم، فقال له منصور: والله لئن تقدمت لأنفذن حصينك - يعني درعك - وقال نوح بن عمرو بن حوي السكسكي: الذي لقي العباس بن الوليد يعقوب بن عبد الرحمن بن سليم الكلبي - فعدل به إلى عبد العزيز، فأبى عليه فقال: يا بن قسطنطين، لئن أبيت لأضربن الذي فيه عيناك، فنظر العباس إلى هرم بن عبد الله بن دحية، فقال: من هذا؟ قال: يعقوب بن عبد الرحمن بن سليم، قال: أما والله إن كان لبغيضا إلى أبيه أن يقف ابنه هذا الموقف، وعدل به إلى عسكر عبد العزيز، ولم يكن مع العباس أصحابه، كان تقدمهم مع بنيهم فقال: إنا لله! فأتوا به عبد العزيز، فقال له: بايع لأخيك يزيد بن الوليد، فبايع ووقف ونصبوا راية، وقالوا:

هذه راية العباس بن الوليد، وقد بايع لأمر المؤمنين يزيد بن الوليد، فقال العباس: إنا لله! خدعة من خدع الشيطان! هلك بنو مروان فتنفر الناس عن الوليد، فأتوا العباس وعبد العزيز وظاهر الوليد بين درعين، واتوه بفرسيه:

السندي والزائد، فقاتلهم قتالا شديدا فناداهم رجل: اقتلوا عدو الله قتله قوم لوط، ارموه بالحجارة

فلما سمع ذلك دخل القصر، وأغلق الباب، وأحاط عبد العزيز وأصحابه بالقصر، فدنا الوليد من الباب، فقال أما فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكله! فقال له يزيد بن عنبسة السكسكي: كلني، قال له: من أنت؟ قال: أنا يزيد بن عنبسة، قال: يا أخا السكاسك، ألم أزد في أعطياتكم! ألم أرفع المؤن عنكم! ألم أعط فقراءكم! ألم أخدم زمناكم! فقال: إنا ما ننقم عليك في أنفسنا، ولكن ننقم عليك في انتهاك ما حرم الله وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك، واستخفافك بأمر الله، قال:

حسبك يا أخا السكاسك، فلعمري لقد أكثرت وأغرقت، وإن فيما أحل لي لسعة عما ذكرت ورجع إلى الدار فجلس وأخذ مصحفا، وقال: يوم كيوم عثمان، ونشر المصحف يقرأ، فعملوا الحائط، فكان أول من علا الحائط يزيد بن عنبسة السكسكي، فنزل إليه وسيف لوليد إلى جنبه، فقال له يزيد: نخ سيفك، فقال له الوليد: لو أردت السيف لكنت لي ولك حاله فيهم غير هذه، فأخذ بيد الوليد، وهو يريد أن يحبسه ويؤامر فيه فنزل من الحائط عشرة: منصور بن جمهور وحبال بن عمرو الكلبي وعبد الرحمن بن جحلان مولى يزيد بن عبد الملك وحמיד بن نصر اللخمي والسري بن زياد بن أبي كبشة وعبد السلام اللخمي، فضربه عبد السلام على رأسه، وضربه السري على وجهه، وجروه بين خمسة ليخرجوه فصاحت امرأة كانت معه في الدار، فكفوا عنه ولم يخرجوه، واحتز أبو علاقة القضاعي رأسه فأخذ عقبا

نخاط الضربة التي في وجهه، وقدم بالرأس على يزيد روح بن مقبل، وقال:

أبشريا أمير المؤمنين بقتل الفاسق الوليد وأسر من كان معه، والعباس - ويزيد يتغدى - فسجد ومن كان معه، وقام يزيد بن عنبسة السكسكي، وأخذ بيد يزيد، وقال: قم يا أمير المؤمنين، وأبشر بنصر الله، فاختلج يزيد يده من كفه، وقال: اللهم إن كان هذا لك رضا فسدني، وقال ليزيد بن عنبسة: هل كلمكم الوليد؟ قال: نعم، كلمني من وراء الباب، وقال:

أما فيكم ذو حسب فأكله! فكلمته ووبخته، فقال: حسبك، فقد لعمري أغرقت وأكثرت، أما والله لا يرتق فتكم، ولا يلم شعكم،

ولا تجتمع كلمتكم حدثني أحمد عن علي، عن عمرو بن مروان الكلبي، قال: قال نوح ابن عمرو بن حوي السكسكي: خرجنا إلى قتال الوليد في ليال ليس فيها قمر، فإن كنت لأرى الحصى فأعرف أسوده من أبيضه قال: وكان على ميسرة الوليد بن يزيد الوليد بن خالد، ابن أخي الأبرش الكلبي في بني عامر- وكانت بنو عامر ميمنة عبد العزيز- فلم تقاتل ميسرة الوليد ميمنة عبد العزيز، ومالوا جميعاً إلى عبد العزيز بن الحجاج قال: وقال نوح بن عمرو: رأيت خدام الوليد بن يزيد وحشمه يوم قتل يأخذون بأيدي الرجال، فيدخلونهم عليه وحدثني أحمد عن علي، عن عمرو بن مروان الكلبي، قال: حدثني المثنى بن معاوية، قال: أقبل الوليد فنزل اللؤلؤة، وأمر ابنه الحكم والمؤمل ابن العباس أن يفرضا لمن أتاها ستين ديناراً في العطاء، فأقبلت أنا وابن عمي سليمان بن محمد بن عبد الله إلى عسكر الوليد، فقربني المؤمل وأدناني.

وقال: أدخلك على أمير المؤمنين، وأكله حتى يفرض لك في مائة دينار.

قال المثنى: فخرج الوليد من اللؤلؤة فنزل المليكة، فأتاه رسول عمرو بن قيس من حمص يخبره أن عمراً قد وجه إليه خمسمائة فارس، عليهم عبد الرحمن بن أبي الجنوب البهراني، فدعا الوليد الضحاك بن أيمن من

بني عوف بن كلب، فأمره أن يأتي ابن أبي الجنوب- وهو بالغوير- فيستعجله، ثم يأتي الوليد بالمليكة فلما أصبح أمر الناس بالرحيل، وخرج على بردون كمي، عليه قباء خز وعمامة خز، محترماً بريطة رقيقة قد طواها، وعلى كتفيه ريطة صفراء فوق السيف، فلقبه بنو سليم بن كيسان في ستة عشر فارساً، ثم سار قليلاً، فلتقاه بنو النعمان بن بشير في فوارس، ثم أتاه الوليد ابن أخي الأبرش في بني عامر من كلب، فحملة الوليد وكساه، وسار الوليد على الطريق ثم عدل في تلعة يقال لها المشبهة، فلقبه ابن أبي الجنوب في أهل حمص ثم أتى البخراء، فضج أهل العسكر، وقالوا: ليس معنا علف لدوابنا، فأمر رجلاً فنادى: إن أمير المؤمنين قد اشترى زروع القرية، فقالوا: ما نصنع بالقصيل! تضعف عليه دوابنا، وإنما أرادوا الدراهم قال المثنى: أتيت الوليد، فدخلت من مؤخر القسقاط، فدعا بالغداء، فلما وضع بين يديه أتاه رسول أم كلثوم بنت عبد الله بن يزيد بن عبد الملك يقال له عمرو بن مرة، فأخبره أن عبد العزيز بن الحجاج، قد نزل اللؤلؤة، فلم يلتفت إليه، وأتاه خالد بن عثمان المخراش- وكان على شرطه- برجل من بني حارثة بن جناب، فقال له: إني كنت بدمشق مع عبد العزيز، وقد اتيتك بالخبر، وهذه الف وخمسمائة قد أخذتها- وحل همياناً من وسطه، وأراه- وقد نزل اللؤلؤة، وهو غاد منها إليك، فلم يجبه والتفت إلى رجل إلى جنبه، وكلمه بكلام لم أسمع، فسألت بعض من كان بيني وبينه عما قال، فقال:

سأله عن النهر الذي حفره بالأردن: كم بقي منه؟ وأقبل عبد العزيز من اللؤلؤة، فأتى المليكة فخازها، ووجه منصور بن جمهور، فأخذ شرقي القرى- وهو تل مشرف في أرض ملساء على طريق نهباً إلى البخراء- وكان العباس بن الوليد تهباً في نحو من خمسين ومائة من مواله وولده، فبعث العباس رجلاً من بني ناجية يقال له حبيش إلى الوليد يخبره بين أن يأتيه فيكون معه، أو يسير إلى يزيد بن الوليد فاتهم الوليد العباس، فأرسل إليه يأمره أن يأتيه

فيكون معه، فلقني منصور بن جمهور الرسول، فسأله عن الأمر فأخبره، فقال له منصور: قل له: والله لئن رحلت من موضعك قبل طلوع الفجر لأقتلنك ومن معك، فإذا أصبح فليأخذ حيث أحب فأقام العباس يتهباً، فلما كان في السحر سمعنا تكبير أصحاب عبد العزيز قد أقبلوا إلى البخراء، فخرج خالد بن عثمان المخراش، فعبأ الناس، فلم يكن بينهم قتال حتى طلعت الشمس، وكان مع أصحاب يزيد بن الوليد كتاب معلق في رمح، فيه:

إننا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ص، وأن يصير الأمر شوري فاقتلوا فقتل عثمان الخشي، وقتل من أصحاب الوليد زهاء ستين رجلاً، وأقبل منصور بن جمهور على طريق نهباً، فأتى عسكر الوليد من خلفهم، فأقبل إلى الوليد وهو في فسطاطه، ليس بينه وبين منصور أحد.

فلما رأيته خرجت أنا وعاصم بن هبيرة المعافري خليفة المخراش، فانكشف أصحاب عبد العزيز، ونكص أصحاب منصور، وصرع سمي بن المغيرة وقتل، وعدل منصور إلى عبد العزيز وكان الأبرش على فرس له يدعى الأديم، عليه قلنسوة ذات أذنين، قد شدها تحت لحيته،

فجعل يصيح بآبن أخيه:

يا بن اللئناء، قدم رايتك، فقال له: لا أجد متقدما، إنها بنو عامر.

وأقبل العباس بن الوليد ففنع أصحاب عبد العزيز، وشد مولى لسليمان بن عبد الله بن دحية- يقال له التركي- على الحارس بن العباس بن الوليد، فطعنه طعنه اذراه عن فرسه، فعدل العباس إلى عبد العزيز، فأسقط في أيدي أصحاب الوليد وانكسروا فبعث الوليد بن يزيد الوليد بن خالد إلى عبد العزيز بن الحجاج بأن يعطيه خمسين ألف دينار، ويجعل له ولاية حمص ما بقي، ويؤمنه على كل حدث، على أن ينصرف ويكف، فأبى ولم يجبه، فقال له الوليد: ارجع إليه فعاوده أيضا، فأتاه الوليد فلم يجبه إلى شيء، فانصرف الوليد، حتى إذا كان غير بعيد عطف دابته، فدنا من عبد العزيز، فقال له: أتجعل لي خمسة آلاف دينار وللأبرش مثلها، وأن أكون كأخص رجل من قومي منزلة وآتيك، فأدخل معك فيما دخلت فيه؟

فقال له عبد العزيز: على أن تحمل الساعة على أصحاب الوليد، ففعل وكان على ميمنة الوليد معاوية بن أبي سفيان بن يزيد بن خالد، فقال لعبد العزيز: أتجعل لي عشرين ألف دينار وولاية الأردن والشركة في الأمر على أن اصبر معكم؟ قال: على أن تحمل على أصحاب الوليد من ساعتك، ففعل، فانهمز أصحاب الوليد وقام الوليد فدخل البخراء، وأقبل عبد العزيز فوقف على الباب وعليه سلسلة، فجعل الرجل بعد الرجل يدخل من تحت السلسلة.

وأتى عبد العزيز عبد السلام بن بكير بن شماس اللخمي، فقال له: إنه يقول:

أخرج على حكمك، قال: فليخرج، فلما ولي قيل له: ما تصنع بخروجه! دعه يكفيكه الناس فدعا عبد السلام فقال: لا حاجة لي فيما عرض علي، فظفرت إلى شاب طويل على فرس، فدنا من حائط القصر فعلاه، ثم صار إلى داخل القصر قال: فدخلت القصر، فإذا الوليد قائم في قيص قصب وسراويل وشي، ومعه سيف في غمد والناس يشتمونه، فأقبل إليه بشر بن شيبان مولى كنانة بن عمير، وهو الذي دخل من الحائط، فضى الوليد يريد الباب- أظنه أراد أن يأتي عبد العزيز- وعبد السلام عن يمينه ورسول عمرو بن قيس عن يساره، فضربه على راسه، وتعاروه الناس بأسيا ففهم قتل، فطرح عبد السلام نفسه عليه يحتز رأسه- وكان يزيد بن الوليد قد جعل في رأس الوليد مائة ألف- وأقبل أبو الأسد مولى خالد بن عبد الله القسري فسلخ من جلد الوليد قدر الكف، فأتى بها يزيد بن خالد بن عبد الله، وكان محبوسا في عسكر الوليد، فانتهب الناس عسكر الوليد وخزائنه، وأتاني يزيد العليمي أبو البطريق بن يزيد، وكانت ابنته عند الحكم بن الوليد، فقال: امنع لي متاع ابنتي، فما وصل أحد إلى شيء زعم أنه له.

قال أحمد: قال علي: قال عمرو بن مروان الكلبي: لما قتل الوليد قطعت كفه اليسرى، فبعث بها إلى يزيد بن الوليد، فسبقت الرأس، قدم بها ليلة الجمعة، واني برأسه من الغد، فنصبه الناس بعد الصلاة وكان أهل دمشق قد أرجفوا بعبد العزيز، فلما أتاهاهم رأس الوليد سكتوا وكفوا.

قال: وأمر يزيد بنصب الرأس، فقال له يزيد بن فروة مولى بني مروان.

إنما تنصب رءوس الخوارج، وهذا ابن عمك، وخليفة، ولا آمن إن نصبته أن ترق له قلوب الناس، ويغضب له أهل بيته، فقال: والله لا نصبته، فنصبه على رمح، ثم قال له: انطلق به، فطف به في مدينة دمشق، وأدخله دار أبيه ففعل، فصاح الناس وأهل الدار، ثم رده إلى يزيد، فقال: انطلق به إلى منزلك، فكث عنده قريبا من شهر، ثم قال له: ادفعه إلى أخيه سليمان- وكان سليمان أخو الوليد ممن سعى على أخيه- فغسل ابن فروة الرأس، ووضع في سبط، وأتى به سليمان، فنظر إليه سليمان، فقال: بعدا له! أشهد أنه كان شروبا للخمر، ماجنا فاسقا، ولقد أراذني على نفسي الفاسق فخرج ابن فروة من الدار، فتلقته مولاة للوليد، فقال لها: ويحك! ما أشد ما شتمته! زعم أنه أراد على نفسه! فقالت: كذب والله الخبيث، ما فعل، ولئن كان أراد على نفسه لقد فعل، وما كان ليقدّر على الامتناع منه.

وحديثي أحمد، عن علي، عن عمرو بن مروان الكلبي، قال: حدثني يزيد بن مصاد عن عبد الرحمن بن مصاد، قال: بعثني يزيد بن الوليد إلى أبي محمد السفياي- وكان الوليد وجهه حين بلغه خبر يزيد واليا على دمشق وأتى ذنبة، وبلغ يزيد خبره، فوجهني إليه- فأتيته، فسالم

وبابع ليزيد، قَالَ: فلم نرم حتى رفع لنا شخص مقبل من ناحية البرية، فبعثت إليه، فأتيت به فإذا هو الغزير أبو كامل المغني، على بغلة الوليد تدعى مريم، فأخبرنا أن الوليد قد قتل، فانصرفت إلى يزيد، فوجدت الخبر قد أتاه قبل أن آتية. حدثني أحمد، عن علي، عن عمرو بن مروان الكلبي، قَالَ: حدثني دكين بن شماخ الكلبي ثم العامري، قَالَ: رأيت بشر بن هلباء العامري يوم قتل الوليد ضرب باب البخراء بالسيف، وهو يقول:

سنبكي خالدا بمهندت ... ولا تذهب صنائعه ضلالا

وحدثني أحمد، عن علي، عن أبي عاصم الزياتي، قَالَ: ادعى قتل الوليد عشرة، وقال: إني رأيت جلدة رأس الوليد في يد وجه الفلّس، فقال: أنا قتلته، وأخذت هذه الجلدة، وجاء رجل فاحتز رأسه، وبقيت هذه الجلدة في يدي واسم وجه الفلّس عبد الرحمن، قَالَ: وقال الحكم بن النعمان مولى الوليد بن عبد الملك: قدم برأس الوليد على يزيد منصور بن جمهور في عشرة، فيهم روح بن مقبل، فقال: روح: يا أمير المؤمنين، أبشر بقتل الفاسق وأسر العباس، وكان فيمن قدم بالرأس عبد الرحمن وجه الفلّس، وبشر مولى كنانة من كلب، فأعطى يزيد كل رجل منهم عشرة آلاف.

قَالَ: وقال الوليد يوم قتل وهو يقاتلهم: من جاء برأس فله خمسمائة، فجاء قوم برؤوس، فقال الوليد: اكتبوا أسماءهم، فقال رجل من مواله ممن جاء برأس: يا أمير المؤمنين، ليس هذا بيوم يعمل فيه بنسيئة! قَالَ: وكان مع الوليد مالك بن أبي السمع المغني وعمرو الوادي، فلما تفرق عن الوليد أصحابه، وحصر، قَالَ مالك لعمره: اذهب بنا، فقال عمرو: ليس هذا من الوفاء، ونحن لا يعرض لنا لأننا لسنا ممن يقاتل، فقال مالك: ويلك! والله لئن ظفروا بنا لا يقتل أحد قبلي وقبلك، فيوضع رأسه بين رأسينا، ويقال للناس: انظروا من كان معه في هذه الحال، فلا يعيبونه بشيء أشد من هذا، فهربا.

وقتل الوليد بن يزيد يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة، كذلك قَالَ أبو معشر، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْهُ وَكَذَلِكَ قَالَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْوَاقِدِيِّ وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيُّ. واختلفوا في قدر المدة التي كان فيها خليفة، فقال أبو معشر: كانت خلافته سنة وثلاثة أشهر، كذلك حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْهُ.

وقال هشام بن محمد: كانت خلافته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما

واختلفوا أيضا في مبلغ سنه يوم قتل، فقال هشام بن محمد الكلبي: قتل وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، وقال محمد بن عمر: قتل وهو ابن ست وثلاثين سنة.

وقال بعضهم: قتل وهو ابن اثنتين وأربعين سنة وقال آخرون: وهو ابن إحدى وأربعين سنة، وقال آخرون: ابن خمس وأربعين سنة، وقال بعضهم: وهو ابن ست وأربعين سنة وكان يكنى أبا العباس، وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي، وكان شديد البطش، طويل أصابع الرجلين، كان يوتد له سكة حديد فيها خيط ويشد الخيط في رجله، ثم يثب على الدابة، فينتزع السكة ويركب، ما يمس الدابة بيده.

وكان شاعرا شروبا للخمر، حدثني أحمد، قَالَ: حدثنا علي، عن ابن أبي الزناد، قَالَ: قَالَ أَبِي: كنت عند هشام وعنده الزهري، فذكرنا الوليد، فتقصاه وعاباه عيبا شديدا، ولم أعرض في شيء مما كانا فيه، فاستأذن الوليد، فأذن له، وأنا أعرف الغضب في وجهه، فجلس قليلا، ثم قام فلما مات هشام كتب في فحمت إليه فرحب بي، وقال: كيف حالك يا بن ذكوان؟ وألطف المسألة بي، ثم قَالَ: أتذكر يوم الأحوال وعنده الفاسق الزهري، وهما يعيانني؟

قلت: أذكر ذلك، فلم أعرض في شيء مما كانا فيه، قَالَ: صدقت، رأيت الغلام الذي كان قائما على رأس هشام؟ قلت: نعم، قال: فانه نم الى بما قالوا، وإيم الله لو بقي الفاسق - يعني الزهري - لقتلته، قلت: قد عرفت الغضب في وجهك حين دخلت ثم قال: يا بن ذكوان، ذهب الأحوال بعمرى، فقلت: بل يطيل الله لك عمرك يا أمير المؤمنين، ويمتع الأمة ببقائك، فدعا بالعشاء فتعشينا، وجاءت المغرب فصلينا، وتحدثنا حتى جاءت العشاء الآخرة فصلينا وجلس، وقال: اسقني، فجاءوا بإناء مغطى، وجاء ثلاث جوار فصففن

بين يديه، بيني وبينه، ثم شرب، وذهبنا فتحدثنا، واستسقى فصنعن مثل ما صنعن أولاً، قَالَ: فما زال علي

خبر قتل خالد بن عبد الله القسري

ذلك يتحدث ويستسقي ويصنعن مثل ذلك حتى طلع الفجر، فأحصيت له سبعين قدحا

. خبر قتل خالد بن عبد الله القسري
وفي هذه السنة قتل خالد بن عبد الله القسري.
ذكر الخبر عن مقتله وسبب ذلك:

قد تقدم ذكرنا الخبر عن عزل هشام إياه عن عمله وولايته العراق وخراسان واستعماله على العراق يوسف بن عمر، وكان- فيما ذكر- عمل لهشام على ذلك خمس عشرة سنة غير أشهر، وذلك أنه- فيما قيل- ولي العراق لهشام سنة خمس ومائة، وعزل عنها في جمادى الأولى سنة عشرين ومائة ولما عزله هشام وقدم عليه يوسف واسطا أخذه وحبسه بها، ثم شخص يوسف بن عمر إلى الحيرة، فلم يزل محبوسا بالحيرة تمام ثمانية عشر شهرا مع أخيه إسماعيل بن عبد الله وابنه يزيد بن خالد وابن أخيه المنذر بن أسد بن عبد الله واستأذن يوسف هشاما في إطلاق يده عليه وتعذيبه، فلم يأذن له حتى أكثر عليه، واعتل عليه بانكسار الخراج وذهاب الأموال، فأذن له مرة واحدة، وبعث حرسيا يشهد ذلك، وحلف: لئن أتى على خالد أجله وهو في يده ليقنتله، فدعا به يوسف، فجلس على دكان بالحيرة وحضر الناس، وبسط عليه، فلم يكلمه واحدة حتى شتمه يوسف، فقال: يا بن الكاهن- يعني شق بن صعب الكاهن- فقال له خالد: إنك لأحمق، تعيرني بشرفي! ولكنك يا بن السباء، إنما كان أبوك سباء خمر- يعني يبيع الخمر- ثم رده إلى حبسه، ثم كتب إليه هشام يأمره بتخليه سبيله في شوال سنة إحدى وعشرين ومائة، فنزل خالد في قصر إسماعيل بن عبد الله بدوران، خلف جسر الكوفة، وخرج يزيد بن خالد وحده، فأخذ على بلاد طيء، حتى ورد دمشق، وخرج خالد ومعه إسماعيل والوليد، قد جهزهم عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد ابن العاص، وبعث بالأثقال إلى قصر بني مقاتل، وكان يوسف قد بعث خيلا، فأخذت الزاد والأثقال والإبل وموالي لخالد كانوا فيها، فضرب وباع

ما أخذ لهم، ورد بعض الموالي إلى الرق، فقدم خالد قصر بني مقاتل، وقد أخذ كل شيء لهم، فسار إلى هيت، ثم تحملوا إلى القرية- وهي بإزاء باب الرصافة- فأقام بها بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرّم وصفر، لا يأذن لهم هشام في القدوم عليه، والأبرش يكتب خالدًا وخرج زيد بن علي فقتل قال الهيثم بن عدي- فيما ذكر عنه:- وكتب يوسف إلى هشام: إن أهل هذا البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعا، حتى كانت همة أحدهم قوت عياله، فلما ولي خالد العراق أعطاهم الأموال فقووا بها حتى تاقت أنفسهم إلى طلب الخلافة، وما خرج زيد إلا عن رأي خالد، والدليل على ذلك نزول خالد بالقرية على مدرجه العراق يستثني أخبارها.

فسكت هشام حتى فرغ من قراءة الكتاب، ثم قال للحكم بن حزن القيني- وكان على الوفد، وقد أمره يوسف بتصديق ما كتب به، ففعل- فقال له هشام: كذبت وكذب من أرسلك، ومهما اتهمنا خالدًا فلسنا نتهمه في طاعة، وأمر به فوجئت عنقه وبلغ الخبر خالدًا فسار حتى نزل دمشق فأقام حتى حضرت الصائفة، فخرج فيها ومعه يزيد وهشام ابنا خالد بن عبد الله، وعلى دمشق يومئذ كلثوم بن عياض القسري، وكان متحاملا على خالد، فلما أدربوا ظهر في دور دمشق حريق، كل ليلة يلقيه رجل من أهل العراق يقال له أبو العمرس وأصحاب له، فإذا وقع الحريق أغاروا يسرقون وكان إسماعيل بن عبد الله والمنذر بن أسد بن عبد الله وسعيد ومحمد ابنا خالد بالساحل لحدث كان من الروم، فكتب كلثوم إلى هشام يذكر الحريق، ويخبره أنه لم يكن قط، وإنه عمل موالي خالد، يريدون الوثوب على بيت المال فكتب إليه هشام يأمره أن يحبس آل خالد، الصغير منهم والكبير، ومواليهم والنساء، فأخذ إسماعيل والمنذر ومحمد وسعيد من الساحل فقدم بهم في الجوامع ومن كان معهم من مواليهم، وحبس أم جرير بنت

خالد والرائقة وجميع النساء والصبيان، ثم ظهر على أبي العمرس، فأخذ ومن كان معه فكتب الوليد بن عبد الرحمن عامل خراج دمشق

إلى هشام يخبره بأخذ أبي العمرس ومن كان معه، سماهم رجلا رجلا، ونسبهم إلى قبائلهم وأمصارهم، ولم يذكر فيهم أحد من موالي خالد، فكتب هشام إلى كلثوم يشتمه ويعنفه، ويأمره بتخلية سبيل جميع من حبس منهم، فأرسلهم جميعا واحتبس الموالي رجاء أن يكلمه فيهم خالد إذا قدم من الصائفة فلما أقبل الناس وخرجوا عن الدرب بلغ خالد حبس أهله، ولم يبلغه تخليتهم، فدخل يزيد بن خالد في غمار الناس حتى أتى حمص، وأقبل خالد حتى نزل منزله من دمشق، فلما أصبح أتاه الناس، فبعث إلى ابنتيه: زينب وعاتكة، فقال: إني قد كبرت وأحببت أن تلياً خدمتي، فسرنا بذلك - ودخل عليه إسماعيل أخوه ويزيد وسعيد ابناه، وأمر بالإذن، فقامت ابنتاه لتتحنيا، فقال:

وما لهما تتحنيا، وهشام في كل يوم يسوقهن إلى الحبس! فدخل الناس، فقام إسماعيل وابناه دون ابنتيه يسترونهما فقال خالد: خرجت غازيا في سبيل الله، سامعا مطيعا، نخلت في عقي وأخذ حرمي وحرم أهل بيتي، فحبسوا مع أهل الجرائم كما يفعل بأهل الشرك! فما منع عصابة منكم أن تقوم فتقول: علام حبس حرم هذا السامع المطيع! أخفتم أن تقتلوا جميعا! أخافكم الله! ثم قال: ما لي ولهشام! ليكنف عني هشام أو لأدعون إلى عراقي الهوى شامي الدار حجازي الأصل - يعني محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس - وقد أدنت لكم أن تبلغوا هشاما فلما بلغه ما قال، قال:

خرف أبو الهيثم.

وذكر أبو زيد أن أحمد بن معاوية حدثه عن أبي الخطاب، قال:

قال خالد: أما والله، لئن ساء صاحب الرصافة - يعني هشاما - لننصبن لنا الشامي الحجازي العراقي، ولو نخر نخرة تداعت من أقطارها. فبلغت هشاما، فكتب إليه: إنك هذأة هذرة، أبجيالة القليلة الدليلة تهددني! قال: فوالله ما نصره أحد بيد ولا بلسان إلا رجل من عبس، فإنه قال:

ألا إن بحر الجود أصبح ساجيا ... أسير ثقيف موثقا في السلاسل
فإن تسجنوا القسري لا تسجنوا اسمه ... ولا تسجنوا معروفه في القبائل

فأقام خالد ويزيد وجماعة أهل بيته بدمشق، ويوسف ملح على هشام يسأله أن يوجه إليه يزيد وكتب هشام إلى كلثوم بن عياض يأمره بأخذ يزيد والبعثة به إلى يوسف، فوجه كلثوم إلى يزيد خيلا وهو في منزله، فشد عليهم يزيد، فأفروا له، ثم مضى على فرسه، وجاءت الخليل إلى كلثوم فاخبروه، فأرسل إلى خالد الغد من يوم تنحى يزيد خيلا، فدعا خالد بثيابه فلبسها وتصارخ النساء، فقال رجل منهم: لو أمرت هؤلاء النسوة فسكتن! فقال: ولم؟ أما والله لولا الطاعة لعلم عبد بني قسر أنه لا ينال هذه مني، فأعلموه مقالتي، فإن كان عربيا كما يزعم، فليطلب جده مني ثم مضى معهم فحبس في حبس دمشق وسار إسماعيل من يومه حتى قدم الرصافة على هشام، فدخل على أبي الزبير حاجبه فأخبره بحبس خالد، فدخل أبو الزبير على هشام فأعلمه، فكتب إلى كلثوم يعنفه، ويقول: خليت عمن أمرتك بحبسه، وحبست من لم أمرك بحبسه ويأمره بتخلية سبيل خالد، فخلاه.

وكان هشام إذا أراد أمرا أمر الأبرش فكتب به إلى خالد، فكتب الأبرش:

إنه بلغ أمير المؤمنين أن عبد الرحمن بن ثويب الضنى - ضنه سعد أخوه عذره ابن سعد - قام إليك، فقال: يا خالد إني لأحبك لعشر خصال: إن الله كريم وأنت كريم، والله جواد وأنت جواد، والله رحيم وأنت رحيم، والله حلیم وأنت حلیم حتى عد عشرًا، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن تحقق عنده ذلك ليستعلن دمك، فاكتب إلي بالأمر على وجهه لأخبر به أمير المؤمنين فكتب إليه خالد: إن ذلك المجلس كان أكثر أهلا من أن يجوز لأحد من أهل البغي والفجور أن يحرف ما كان فيه إلى غيره، قام إلى عبد الرحمن ابن ثويب، فقال: يا خالد أني لأحبك لعشر خصال: إن الله كريم يحب

كل كريم، والله يحبك وأنا أحبك لحب الله إياك، حتى عدد عشر خصال، ولكن أعظم من ذلك قيام ابن شقي الحميري إلى أمير المؤمنين، وقوله:

يا أمير المؤمنين، خليفتك في أهلك أكرم عليك أم رسولك؟ فقال أمير المؤمنين:

بل خليفتي في أهلي، فقال ابن شقبي: فأنت خليفة الله ومحمد رسوله، ولعمري لضلالة رجل من بجيلة إن ضل أهون على العامة والخاصة من ضلال أمير المؤمنين فأقرأ الأبرش هشاما كتابه، فقال خرف أبو الهيثم.

فأقام خالد بدمشق خلافة هشام حتى هلك، فلها هلك هشام، وقام الوليد، قدم عليه أشراف الأجناد، فيهم خالد، فلم يأذن لأحد منهم، واشتكى خالد، فاستأذن فأذن له، فرجع الى دمشق، فأقام أشهراً، ثم كتب إليه الوليد: إن أمير المؤمنين قد علم حال الخمسين الالف الف، التي تعلم، فأقدم على أمير المؤمنين مع رسوله، فقد أمره ألا يعجلك عن جهاز.

فبعث خالد إلى عدة من ثقاته، منهم عمارة بن أبي كلثوم الأزدي، فأقرأهم الكتاب، وقال: أشيروا علي، فقالوا: إن الوليد ليس بمأمون عليك، فالرأي ان تدخل دمشق، فتأخذ بيوت الأموال وتدعو إلى من أحببت، فأكثر الناس قومك، ولن يختلف عليك رجلان، قال: أو ماذا؟ قالوا: تأخذ بيوت الأموال، وتقيم حتى تثوق لنفسك، قال: أو ماذا؟ قالوا: أو توارى.

قال: أما قولكم: تدعو إلى من أحببت، فإني أكره أن تكون الفرقة والاختلاف على يدي، وأما قولكم: تثوق لنفسك، فأنتم لا تأمنون علي الوليد، ولا ذنب لي، فكيف ترجون وفاءه لي وقد أخذت بيوت الأموال! واما التوارى، فوالله.

ما قنعت رأسي خوفاً من أحد قط، فالآن وقد بلغت من السن ما بلغت! لا، ولكن أمضي وأستعين الله نخرج حتى قدم على الوليد، فلم يدع به، ولم يكلمه وهو في بيته، معه مواليه وخدمه، حتى قدم برأس يحيى بن زيد من خراسان، فجمع الناس في رواق، وجلس الوليد، وجاء الحاجب فوقف، فقال له خالد:

إن حالي ما ترى، لا أقدر على المشي، وإنما أحمل في كرسي، فقال

الحاجب: لا يدخل عليه أحد يحمل، ثم أذن لثلاثة نفر، ثم قال: قم يا خالد، فقال: حالي ما ذكرت لك، ثم أذن لرجل أو رجلين، فقال: قم يا خالد، فقال: إن حالي ما ذكرت لك، حتى أذن لعشرة، ثم قال: قم يا خالد، وأذن للناس كلهم، وأمر بخالد فحمل على كرسيه، فدخل به والوليد جالس على سريره، والموائد موضوعة، والناس بين يديه سباطان، وشبه ابن عقال - أو عقال بن شبة - يخطب، ورأس يحيى بن زيد منصوب، فليل بخالد إلى أحد السباطين، فلما فرغ الخطيب قام الوليد وصرف الناس، وحمل خالد إلى أهله، فلما نزع ثيابه جاءه رسول الوليد فردده، فلما صار إلى باب السراقد وقف فخرج إليه رسول الوليد، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: أين يزيد بن خالد؟ فقال: كان أصابه من هشام ظفر، ثم طلبه فهرب منه، وكنا نراه عند أمير المؤمنين حتى استخلفه الله، فلما لم يظهر ظنناه ببلاد قومه من السراة، وما أوشكه فرجع إليه الرسول، فقال: لا ولكنك خلفته طلباً للفتنة فقال خالد للرسول: قد علم أمير المؤمنين إنا أهل بيت طاعة، أنا وأبي وجدي - قال خالد: وقد كنت أعلم بسرعة رجعة الرسول، أن الوليد قريب حيث يسمع كلامي - فرجع الرسول، فقال: يقول لك أمير المؤمنين، لتأتين به أو لأزهقن نفسك فرفع خالد صوته، وقال: قل له: هذا أردت، وعليه درت، والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما لك عنه، فاصنع ما بدا لك! فامر الوليد غيلان صاحب حرسه بالبسط عليه، وقال له: أسمعني صوته، فذهب به غيلان إلى رحله، فعذبه بالسلاسل، فلم يتكلم، فرجع غيلان إلى الوليد، فقال:

والله ما أعذب إنساناً، والله ما يتكلم ولا يتأوه، فقال: اكفف عنه واحبسه عندك فحبسه حتى قدم يوسف بن عمر بمال من العراق، ثم أداروا الأمر بينهم، وجلس الوليد للناس ويوسف عنده، فتكلم أبان بن عبد الرحمن النخعي في خالد، فقال يوسف: أنا اشتريه بخمسين ألف ألف، فأرسل الوليد إلى خالد: إن يوسف يشتريك بخمسين ألف ألف، فإن كنت تضمنها وإلا

دفعتك إليه، فقال خالد: ما عهدت العرب تباع، والله لو سألتني أن أضمن هذا - ورفع عوداً من الأرض - ما ضمنته، فرأيتك. فدفعه إلى يوسف، فنزع ثيابه ودرعه عباءه ولحفه بأخرى، وحمله في محمل بغير وطاء، وزميله أبو خفاة المري ابن أخي الوليد بن تليد - وكان عامل هشام على الموصل، فانطلق به حتى نزل المحدث، على مرحلة من عسكر الوليد ثم دعا به فذكر أمه، فقال: وما ذكر الأمهات لعنك الله! والله لا أكلمك كلمة أبداً فبسط عليه، وعذبه عذاباً شديداً وهو لا يكلمه كلمة ثم ارتحل به حتى إذا كان ببعض الطريق بعث إليه زيد بن تميم القيني بشربة سويق حب رمان مع مولى له يقال له سالم النفاط، فبلغ يوسف فضرب زيدا خمسمائة سوط، وضرب

سالما ألف سوط ثم قدم يوسف الحيرة فدعا به وبإبراهيم ومحمد ابني هشام فبسط على خالد، فلم يكله، وصبر إبراهيم ابن هشام ونحرع محمد بن هشام فمكث خالد يوما في العذاب، ثم وضع على صدره المضرس فقتله من الليل، ودفن بناحية الحيرة في عباءته التي كان فيها، وذلك في المحرم سنة ست وعشرين ومائة في قول الهيثم بن عدي، فأقبل عامر بن سهلة الأشعري فعقر فرسه على قبره، فضربه يوسف سبعمائة سوط.

قال أبو زيد: حدثني أبو نعيم قال: حدثني رجل، قال: شهدت طالدا حين أتى به يوسف، فدعا بعود فوضع على قدميه، ثم قامت عليه الرجال حتى كسرت قدماه، فوالله ما تكلم ولا عبس، ثم على ساقيه حتى كسرتا، ثم على فخذه ثم على حقويه ثم على صدره حتى مات، فوالله ما تكلم ولا عبس، فقال خلف بن خليفة لما قتل الوليد بن يزيد:

لقد سكنت كلب واسباق مذحج ... صدى كان يزقو ليله غير راقد

تركن أمير المؤمنين بخالد ... مكبا على خيشومه غير ساجد
فإن تقطعوا منا مناط قلادة ... قطعنا به منكم مناط قلائد

٧٠٢٣٠٢ ذكر بيعه يزيد بن الوليد الناقص

وإن تشغلونا عن ندانا فإننا ... شغلنا الوليد عن غناء الولائد

وإن سافر القسري سفرة هالك ... فإن أبا العباس ليس بشاهد

وقال حسان بن جعدة الجعفري يكذب خلف بن خليفة في قوله هذا:

إن امرأ يدعي قتل الوليد سوى ... أعمامه المليء النفس بالكذب

ما كان إلا امرأ حانت منيته ... سارت إليه بنو مروان بالعرب

وقال أبو محجن مولي خالد:

سائل وليدا وسائل أهل عسكره ... غداة صبحه شؤبونا البرد

هل جاء من مضر نفس فتمنعه ... والخليل تحت عجاج الموت تطرد

من يهجننا جاهلا بالشعر ننقضه ... بالبيض إنا بها نهجو ونفتد

وقال نصر بن سعيد الأنصاري:

أبلغ يزيد بني كرز مغلغة ... أني شفيت بغيب غير موتور

قطعت أوصال قنور على حلق ... بصارم من سيوف الهند مأثور

أمسست حلائل قنور مجدعة ... لمصرع العبد قنور بن قنور

ظلت كلاب دمشق وهي تنهشه ... كأن أعضاءه أعضاء خنزير

غادرن منه بقايا عند مصرعه ... أنقاض شلو على الاطناب مجرور

حكمت سيفك إذ لم ترض حكمهم ... والسيف يحكم حكما غير تعذير

لا ترض من خالد إن كنت متئرا ... إلا بكل عظيم الملك مشهور

أسعرت ملك نزار ثم رعتهم ... بالخليل تركض بالشم المغاوير

ما كان في آل قنور ولا ولدوا ... عدلا لبدر سماء ساطع النور

ذكر بيعه يزيد بن الوليد الناقص

وفي هذه السنة بويح ليزيد بن الوليد بن عبد الملك، الذي يقال له يزيد الناقص، وإنما قيل: يزيد الناقص لنقصه الناس الزيادة التي زادهوها الوليد

ذكر اضطراب امر بني مروان

ذكر خلاف اهل حمص

ابن يزيد في أعطياتهم، وذلك عشرة عشرة، فلما قتل الوليد نقصهم تلك الزيادة، ورد أعطياتهم إلى ما كانت عليه أيام هشام بن عبد الملك.

وقيل: أول من سماه بهذا الاسم مروان بن محمد، حدثني أحمد بن زهير، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: شتم مروان بن محمد يزيد بن الوليد فقال: الناقص بن الوليد، فسماه الناس الناقص لذلك.

ذكر اضطراب امر بني مروان

وفي هذه السنة اضطرب حبل بني مروان وهاجت الفتنة.

ذكر الخبر عما حدث فيها من الفتن:

فكان في ذلك وثوب سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد ما قتل الوليد بن يزيد بعمان فحدثني أحمد بن زهير، عن علي بن محمد قال: لما قتل الوليد خرج سليمان بن هشام من السجن، وكان محبوسا بعمان، فأخذ ما كان بعمان من الأموال، وأقبل إلى دمشق، وجعل يلعن الوليد ويعيبه بالكفر . ذكر خلاف اهل حمص

وفيهما كان وثوب اهل حمص بأسباب العباس بن الوليد وهدمهم داره وإظهارهم الطلب بدم الوليد بن يزيد. ذكر الخبر عن ذلك:

حدثني أحمد عن علي، قال: كان مروان بن عبد الله بن عبد الملك عاملا للوليد على حمص، وكان من سادة بني مروان نبلا وكرما وعقلا وجمالا، فلما قتل الوليد بلغ أهل حمص قتله، فأغلقوا أبوابها، وأقاموا النوايح والبواكي على الوليد، وسألوا عن قتله، فقال بعض من حضرهم: ما زلنا منتصفين من القوم قاهرين لهم، حتى جاء العباس بن الوليد، فقال إلى عبد العزيز بن الحجاج فوثب أهل حمص فهدموا دار العباس واتهبوها وسلبوا حرمة، وأخذوا بنيه فحبسوه وطلبوه فخرج إلى يزيد بن الوليد.

وكتبوا الأجناد، ودعوههم إلى الطلب بدم الوليد، فأجابوهم وكتب اهل حمص بينهم كتابا، الا يدخلوا في طاعة يزيد، وإن كان وليا عهد الوليد حين قاموا بالبيعة لهما وإلا جعلوها لخير من يعلمون، على أن يعطيهم العطاء من المحرم إلى المحرم، ويعطيهم للذرية وأمروا عليهم معاوية بن يزيد بن حصين، فكتب إلى مروان بن عبد الله بن عبد الملك وهو بمحمص في دار الإمارة، فلما قرأه قال: هذا كتاب حضره من الله حاضر وتابعهم على ما أرادوا فلما بلغ يزيد بن الوليد خبرهم، وجه إليهم رسلا فيهم يعقوب بن هاني، وكتب إليهم: أنه ليس يدعو إلى نفسه، ولكنه يدعوهم إلى الشورى فقال عمرو بن قيس السكوني: رضينا بولي عهدنا- يعني ابن الوليد بن يزيد- فأخذ يعقوب بن عمير بلحيته، فقال: أيها العشمة، إنك قد فليت وذهب عقلك، إن الذي تعني لو كان يتيما في حجر لم يحل لك أن تدفع إليه ماله، فكيف أمر الأمة! فوثب أهل حمص على رسل يزيد بن الوليد فطردوهم.

وكان أمر حمص لمعاوية بن يزيد بن حصين، وليس إلى مروان بن عبد الله من أمرهم شيء، وكان معهم السمط بن ثابت، وكان الذي بينه وبين معاوية بن يزيد متباعدة وكان معهم أبو محمد السفيناني فقال لهم:

لو قد اتيت دمشق، ونظر الى أهلها لم يخالفوني فوجه يزيد بن الوليد مسرور ابن الوليد والوليد بن روح في جمع كبير، فنزلوا حوارين، أكثرهم بنو عامر من كلب ثم قدم على يزيد سليمان بن هشام فأكرمه يزيد، وتزوج أخته أم هشام بنت هشام بن عبد الملك، ورد عليه ما كان الوليد أخذه من أموالهم، ووجهه إلى مسرور بن الوليد والوليد بن روح، وأمرهما بالسمع والطاعة له.

وأقبل أهل حمص فنزلوا قرية لخالد بن يزيد بن معاوية.

حدثني أحمد، قال: حدثنا علي، عن عمرو بن مروان الكلبي، قال: حدثني عمرو بن محمد ويحيى بن عبد الرحمن البهراني، قال: قام مروان بن عبد الله، فقال: يا هؤلاء، إنكم خرجتم لجهاد عدوكم والطلب

بدم خليفتم، وخرجتم مخرجا أرجو أن يعظم الله به أجركم، ويحسن عليه ثوابكم، وقد نجم لكم منهم قرن، وشال إليكم منهم عتق، إن أنتم قطعتموه اتبعه ما بعده، وكنتم عليه أخرى، وكانوا عليكم أهون، ولست أرى المضي إلى دمشق وتخليف هذا الجيش خلفكم فقال السمط: هذا والله العدو القريب الدار، يريد أن ينقض جماعتكم، وهو ممایل للقدرية.

قَالَ: فوثب الناس على مروان بن عبد الله فقتلوه وقتلوا ابنه، ورفعوا راسيها للناس، وإنما أراد السمط بهذا الكلام خلاف معاوية بن يزيد، فلما قتل مروان بن عبد الله ولوا عليهم أبا محمد السفياي، وأرسلوا إلى سليمان بن هشام:

إنا آتوك فأقم بمكانك، فأقام قَالَ: فتركوا عسكر سليمان ذات اليسار، ومضوا إلى دمشق، وبلغ سليمان مضيه، فخرج مغذا، فلقاهم بالسليمانية- مزرعة كانت لسليمان بن عبد الملك خلف عذراء من دمشق على أربعة عشر ميلا.

قَالَ علي: فحدثني عمرو بن مروان بن بشار والوليد بن علي، قالا: لما بلغ يزيد أمر أهل حمص دعا عبد العزيز بن الحجاج، فوجهه في ثلاثة آلاف، وأمره أن يثبت على ثنية العقاب، ودعا هشام بن مصاد، فوجهه في ألف وخمسمائة، وأمره أن يثبت على عقبة السلامة، وأمرهم أن يمد بعضهم بعضا.

قَالَ عمرو بن مروان: فحدثني يزيد بن مصاد، قَالَ: كنت في عسكر سليمان، فلحقنا أهل حمص، وقد نزلوا السليمانية، فجعلوا الزيتون على أيمنهم، والجبل على شمائلهم، والجباب خلفهم، وليس عليهم مأوى إلا من وجه واحد، وقد نزلوا أول الليل، فأراحوا دوابهم، وخرجنا نسري ليلتنا كلها، حتى دفعنا إليهم، فلما متع النهار واشتد الحر، ودوابنا قد كلت وثقل علينا الحديد، دنوت من مسرور بن الوليد، فقلت له- وسليمان يسمع كلامي: أنشدك الله يا أبا سعيد أن يقدم الأمير جنده إلى القتال في هذه الحال! فأقبل سليمان فقال: يا غلام، اصبر نفسك، فوالله لا أنزل حتى يقضي الله

بيني وبينهم ما هو قاض فتقدم وعلى ميمنته الطفيل بن حارثة الكلبي، وعلى ميسرته الطفيل بن زرارة الحبشي، فحملوا علينا حملة، فانهزمت الميمنة والميسرة أكثر من غلوتين، وسليمان في القلب لم يزل من مكانه، ثم حمل عليهم أصحاب سليمان حتى ردوهم إلى موضعهم، فلم يزالوا يحملون علينا ونحمل عليهم مرارا، فقتل منهم زهاء مائتي رجل، فيهم حرب بن عبد الله بن يزيد بن معاوية، وأصيب من أصحاب سليمان نحو من خمسين رجلا، وخرج أبو الهلباء البهراني- وكان فارس أهل حمص- فدعا إلى المبارزة، فخرج إليه حية بن سلامة الكلبي فطعنه طعنة أذراه عن فرسه، وشد عليه أبو جعدة مولى لقريش من أهل دمشق فقتله، وخرج ثبيت ابن يزيد البهراني، فدعا إلى المبارزة، فخرج إليه أيرك السغدي، من أبناء ملوك السغد كان منقطعاً إلى سليمان بن هشام- وكان ثبيت قصيرا، وكان أيرك جسيما- فلما رآه ثبيت قد أقبل نحوه استطرد، فوقف أيرك ورماه بسهم فأثبت عضلة ساقه إلى لبدته قَالَ: فبينما هم كذلك إذ أقبل عبد العزيز من ثنية العقاب، فشد عليهم، حتى دخل عسكرهم فقتل ونفذ إلينا.

قَالَ أحمد: قَالَ علي: قَالَ عمرو بن مروان: فحدثني سليمان بن زياد الغساني قَالَ: كنت مع عبد العزيز بن الحجاج، فلما عاين عسكر أهل حمص، قَالَ لأصحابه: موعدم التل الذي في وسط عسكرهم، والله لا يتخلف منكم أحد إلا ضربت عنقه ثم قَالَ لصاحب لوائه: تقدم، ثم حمل وحملنا معه، فما عرض لنا أحد إلا قتل حتى صرنا على التل، فتصدع عسكرهم، فكانت هزيمتهم، ونادى يزيد بن خالد بن عبد الملك القسري: الله الله في قومك! فكف الناس، وكره ما صنع سليمان وعبد العزيز، وكاد يقع الشربين الذكوانية وسليمان وبين بني عامر من كلب، فكفوا عنهم، على أن يباعدوا ليزيد ابن الوليد وبعث سليمان بن هشام إلى أبي محمد السفياي ويزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية فأخذا، فربهما على الطفيل بن حارثة، فصاحا به:

يا خالاه! ننشدك الله والرحم! فمضى معهما إلى سليمان فحبسهما، فخاف

ذكر خلاف اهل الأردن وفلسطين

بنو عامر أن يقتلها، فجاءت جماعة منهم، فكانت معهما في القساط، ثم وجههما إلى يزيد بن الوليد، فحبسهما في الخضراء مع ابني الوليد، وحبس أيضا يزيد بن عثمان بن محمد بن أبي سفيان، خال عثمان بن الوليد معهم ثم دخل سليمان وعبد العزيز إلى دمشق، ونزلا بعذرء واجتمع أمر أهل دمشق، وبايعوا يزيد بن الوليد، وخرجوا إلى دمشق وحمص وأعطاهم يزيد العطاء، وأجاز الأشراف منهم معاوية بن يزيد بن الحصين والسمط بن ثابت وعمرو بن قيس وابن حوي والصقر بن صفوان، واستعمل معاوية بن يزيد بن حصين من أهل حمص، وأقام الباقون بدمشق، ثم ساروا إلى أهل الأردن وفلسطين وقد قتل من أهل حمص يومئذ ثلاثمائة رجل

ذكر خلاف اهل الأردن وفلسطين

وفي هذه السنة وثب أهل فلسطين والأردن على عاملهم فقتلوه.

ذكر الخبر عن أمرهم وأمر يزيد بن الوليد معهم:

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرْوَانَ الْكَلْبِيِّ، قَالَ:

حدثني رجاء بن روح بن سلامة بن روح بن زنباع، قَالَ: كان سعيد بن عبد الملك عاملا للوليد على فلسطين، وكان حسن السيرة، وكان يزيد بن سليمان سيد ولد أبيه، وكان ولد سليمان بن عبد الملك ينزلون فلسطين، فكان أهل فلسطين يحبونهم لجوارهم، فلما أتى قتل الوليد - ورأس أهل فلسطين يومئذ سعيد بن روح بن زنباع - كتب إلى يزيد بن سليمان: إن الخليفة قد قتل فأقدم علينا نولك أمرنا فجمع له سعيد قومه، وكتب إلى سعيد بن عبد الملك - وهو يومئذ نازل بالسبع: ارتحل عنا، فإن الأمر قد اضطرب، وقد ولينا أمرنا رجلا قد رضينا أمره نفرج إلى يزيد بن الوليد، فدعا يزيد ابن سليمان أهل فلسطين إلى قتال يزيد بن الوليد، وبلغ أهل الأردن أمرهم، فولوا عليهم محمد بن عبد الملك - وأمر أهل فلسطين إلى سعيد بن روح وضبعان بن روح - وبلغ يزيد أمرهم، فوجه إليهم سليمان بن هشام في أهل دمشق وأهل حمص الذين كانوا مع السفيناني

قَالَ عَلِيٌّ: قال عمرو بن مروان: حدثني محمد بن راشد الخزاعي أن أهل دمشق كانوا أربعة وثمانين ألفا، وسار إليهم سليمان بن هشام قَالَ محمد بن راشد: وكان سليمان بن هشام يرسلني إلى ضبعان وسعيد ابني روح وإلى الحكم وراشد ابني جرو من بلقين، فأعدهم وأمنهم على الدخول في طاعة يزيد بن الوليد، فأجابوا.

قَالَ: وحدثني عثمان بن داود الخولاني، قَالَ: وجهني يزيد بن الوليد ومعي حذيفة بن سعيد إلى محمد بن عبد الملك ويزيد بن سليمان، يدعوهما إلى طاعته، ويعدهما ويمينهما، فبدأنا بأهل الأردن ومحمد بن عبد الملك، فاجتمع إليه جماعة منهم، فكلمته فقال بعضهم: أصلح الله الأمير! اقتل هذا القدرى الخبيث، فكفهم عن الحكم بن جرو القينى فأقيمت الصلاة نفلوت به، فقلت: إني رسول يزيد إليك، والله ما تركت ورائي راية تعقد إلا على رأس رجل من قومك، ولا درهم يخرج من بيت المال إلا في يد رجل منهم، وهو يحمل لك كذا وكذا قَالَ: أنت بذاك؟ قلت: نعم:

ثم خرجت فأتييت ضبعان بن روح، فقلت له مثل ذلك، وقلت له: إنه يوليكم فلسطين ما بقي، فأجابني فانصرفت، فما أصبحت حتى رحل بأهل فلسطين.

حدثني أحمد، عن علي، عن عمرو بن مروان الكلبى، قَالَ: سمعت محمد بن سعيد بن حسان الأردني، قَالَ: كنت عينا ليزيد بن الوليد بالأردن، فلما اجتمع له ما يريد ولاني خراج الأردن، فلما خالفوا يزيد بن الوليد أتيت سليمان بن هشام، فسألته أن يوجه معي خيلا، فأشن الغارة على طبرية، فأبى سليمان أن يوجه معي أحدا، فخرجت إلى يزيد بن الوليد، فأخبرته الخبر، فكتب إلى سليمان كتابا بخطه، يأمره أن يوجه معي ما أردت، فأتييت به سليمان، فوجه معي مسلم بن ذكوان في خمسة آلاف، فخرجت بهم ليلا حتى أنزلتهم البطيحة، فتنفروا في القرى، وسرت أنا في طائفة منهم نحو طبرية، وكتبوا إلى عسكرهم، فقال أهل طبرية: علام نقيم والجنود تجوس منازلنا

وتحكم في أهاليها! ومضوا إلى حجرة يزيد بن سليمان ومحمد بن عبد الملك،

فانتبهوا وأخذوا دوابهما وسلاحهما، ولحقوا بقراهم ومنازلهم، فلما تفرق أهل فلسطين والأردن، خرج سليمان حتى أتى الصنبرة، وأتاه أهل الأردن، فبايعوا ليزيد بن الوليد، فلما كان يوم الجمعة وجه سليمان إلى طبرية، وركب مركبا في البحيرة، فجعل يسايرهم حتى أتى طبرية، فصلى بهم الجمعة، وبايع من حضر ثم انصرف إلى عسكره.

حدثني أحمد، قال: حدثنا علي، عن عمرو بن مروان الكلبي، قال: حدثني عثمان بن داود، قال: لما نزل سليمان الصنبرة، أرسلني إلى يزيد بن الوليد، وقال لي: أعلمه أنك قد علمت جفاء أهل فلسطين، وقد كفى الله مؤنتهم، وقد أزمعت على أن أولي ابن سراقه فلسطين والأسود بن بلال المحاربي الأردن فأثيت يزيد، فقلت له ما أمرني به سليمان، فقال:

أخبرني كيف قلت لضبعان بن روح؟ فأخبرته، قال: فما صنع؟ قلت:

ارتحل بأهل فلسطين، وارتحل ابن جرو بأهل الأردن قبل أن يصبحا.

قال: فليسا بأحق بالوفاء منا، ارجع فره الا ينصرف حتى ينزل الرملة، فيبايع أهلها، وقد استعملت إبراهيم بن الوليد على الأردن وضبعان بن روح على فلسطين ومسروور بن الوليد على قنسرين وابن الحصين على حمص.

ثم خطب يزيد بن الوليد بعد قتل الوليد، فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه محمد ص أيها الناس، إني والله ما خرجت أشرا ولا بطرا ولا حرصا على الدنيا، ولا رغبة في الملك، وما بي إطرأ نفسي، إني لظلوم لنفسي إن لم يرحمني ربي، ولكني خرجت غضبا لله ورسوله ودينه، داعيا إلى الله وكتابه وسنه نبيه ص، لما هدمت معالم الهدى، وأطفئ نور أهل التقوى، وظهر الجبار العنيد، المستحل لكل حرمة، والراكب لكل بدعة، مع أنه والله ما كان يصدق بالكتاب، ولا يؤمن بيوم الحساب، وانه لابن عمي في الحسب، وكفئي في النسب، فلما رأيت ذلك استخرت الله في أمره، وسألته ألا يكلني إلى

نفسي، ودعوت إلى ذلك من أجابني من أهل ولايتي، وسعيت فيه حتى أراح الله منه العباد والبلاد بحول الله وقوته، لا بحولي وقوتي. أيها الناس، إن لكم علي ألا أضع حجرا على حجر، ولا لبنة على لبنة، ولا أكرى نهرا، ولا أكثر مالا، ولا أعطي زوجة ولا ولدا، ولا أنقل مالا من بلدة إلى بلدة حتى أسد ثغر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يعينهم، فإن فضل فضل نقلته إلى البلد الذي يليه، ممن هو أحوج إليه، ولا أجركم في ثغوركم فأفتنكم وأفتن أهليكم، ولا أغلق بابي دونكم، فيأكل قوياتكم ضعيفكم، ولا أحمل على أهل جزيتم ما يجلبهم عن بلادهم ويقطع نسلهم، وإن لكم أعطيتكم عندي في كل سنة وأرزاقكم في كل شهر، حتى تستدر المعيشة بين المسلمين، فيكون أقصاهم كأدناهم، فإن وفيت لكم بما قلت، فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة، وإن أنا لم أف فلکم أن تخلعوني، الا ان تستيتبونى، فإن تبت قبلتم مني، فإن علمتم أحدا ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم فأردتم أن تبايعوه، فأنا أول من يبايعه، ويدخل في طاعته.

أيها الناس، إنه لا طاعة لخلق في معصية الخالق، ولا وفاء له بنقض عهد، إنما الطاعة طاعة الله، فأطيعوه بطاعة الله ما أطاع، فإذا عصى الله ودعا إلى المعصية، فهو أهل أن يعصى ويقتل أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

ثم دعا الناس إلى تجديد البيعة له، فكان أول من بايعه الأقدم يزيد بن هشام وبايعه قيس بن هانئ العبسي، فقال: يا أمير المؤمنين، اتق الله، ودم على ما أنت عليه، فما قام مقامك أحد من أهل بيتك، وإن قالوا:

عمر بن عبد العزيز فأنت أخذتها بحبل صالح، وإن عمر أخذها بحبل سوء.

فبلغ مروان بن محمد قوله، فقال: ما له قاتله الله ذمنا جميعا وذم عمر!

فلما ولي مروان بعث رجلا فقال: إذا دخلت مسجد دمشق فانظر قيس ابن هانئ، فإنه طالما صلى فيه، فاقتله، فانطلق الرجل، فدخل مسجد دمشق، فرأى قيسا يصلي فقتله.

وفي هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر عن العراق وولاه منصور بن جمهور.

ذكر الخبر عن عزل يوسف بن عمر وولاية منصور بن جمهور ولما استوثق ليزيد بن الوليد على الطاعة أهل الشام، ندب - فيما قيل -

لولاية العراق عبد العزيز بن هارون بن عبد الله بن دحية بن خليفة الكلبي، فقال له عبد العزيز: لو كان معي جند لقبلت، فتركه وولاه منصور بن جمهور.

وأما أبو مخنف، فإنه قال- فيما ذكر هشام بن محمد عنه: قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الأربعاء، لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة، وبايع الناس يزيد بن الوليد بن عبد الملك بدمشق، وسار منصور بن جمهور من البصرة في اليوم الذي قتل فيه الوليد بن يزيد إلى العراق، وهو سابع سبعة، فبلغ خبره يوسف بن عمر فهرب وقدم منصور بن جمهور الحيرة في أيام خلون من رجب، فأخذ بيوت الأموال، فأخرج العطاء لا هل العطاء والأرزاق، واستعمل حريث بن أبي الجهم على واسط، وكان عليها محمد بن نباتة، فطرقة ليلا فخبسه وأوثقه، واستعمل جرير بن يزيد بن جرير على البصرة، وأقام منصور وولى العمال، وبايع يزيد بن الوليد بالعراق، وفي كورها، وأقام بقية رجب وشعبان ورمضان، وانصرف لأيام بقين منه.

وأما غير أبي مخنف فإنه قال: كان منصور بن جمهور أعرابيا جافيا غيلانيا، ولم يكن من أهل الدين، وإنما صار مع يزيد لرأيه في الغيلانية، وحمة لقتل خالد، فشهد لذلك قتل الوليد، فقال يزيد له لما ولاه العراق: قد وليتك العراق فسر إليه، واتق الله، واعلم أنني إنما قتلت الوليد لفسقه

ولما أظهر من الجور، فلا ينبغي لك أن تركب مثل ما قتلناه عليه فدخل على يزيد بن الوليد يزيد بن حجرة الغساني- وكان دينيا فاضلا ذا قدر في أهل الشام، قد قاتل الوليد ديانة- فقال: يا أمير المؤمنين، أوليت منصورا العراق؟ قال: نعم، لبلائه وحسن معونته، قال: يا أمير المؤمنين، انه ليس هناك في أعرابيته وجفائه في الدين قال: فإذا لم أول منصورا في حسن معاونته فمن أولي! قال: تولى رجلا من أهل الدين والصلاح والوقوف عند الشبهات، والعلم بالأحكام والحدود، وما لي لا أرى أحدا من قيس يغشاك، ولا يقف ببابك! قال: لولا أنه ليس من شأني سفك الدماء لعاجلت قيسا، فوالله ما عزت إلا ذل الإسلام ولما بلغ يوسف بن عمر قتل الوليد، جعل يعمد إلى من بحضرته من اليمانية فيلقيهم في السجون، ثم جعل يخلو بالرجل بعد الرجل من المضربة، فيقول له: ما عندك إن اضطرب حبل أو انفتق فتق؟ فيقول: أنا رجل من أهل الشام، أباع من باعوا، وأفعل ما فعلوا فلم ير عندهم ما يحب، فأطلق من في السجون من اليمانية، وأرسل إلى الحجاج بن عبد الله البصري ومنصور ابن نصير- وكانا على خبر ما بينه وبين أهل الشام- فأمرهما بالكاتب إليه بالخبر، وجعل على طريق الشام أرسادا، وأقام بالحيرة وجلا وأقبل منصور حتى إذا كان بالجمع، كتب إلى سليمان بن سليم بن كيسان كتابا: أما بعد، ف إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له، وإن الوليد بن يزيد بدل نعمة الله كفرا، فسفك الدماء، فسفك الله دمه، وعجله إلى النار! وولى خلافته من هو خير منه، وأحسن هديا، يزيد بن الوليد، وقد بايعه الناس، وولى على العراق الحارث بن العباس بن الوليد، ووجهني العباس لآخذ يوسف وعماله، وقد نزل الأبيض، ورأيت على مرحلتين، نخذ يوسف وعماله، لا يفوتك منهم، أحد، فاحبسهم قبلك وإياك أن تخالف، فيحل بك وبأهل بيتك ما لا قبل لك به، فاختر لنفسك اودع

وقيل إنه لما كان بعين التمر كتب إلى من بالحيرة من قواد أهل الشام يخبرهم بقتل الوليد، ويأمرهم بأخذ يوسف وعماله وبعث بالكاتب كلها إلى سليمان بن سليم بن كيسان، وأمره أن يفرقها على القواد، فأمسكها سليمان، ودخل على يوسف، فأقرأه كتاب منصور إليه، ففعل به.

قال حريث بن أبي الجهم: كان مكثي بواسط، فما شعرت إلا بكاتب منصور بن جمهور قد جاءني أن خذ عمال يوسف، فكنت أتولى أمره بواسط، فجمعت موالي وأصحابي، فركبنا نحو من ثلاثين رجلا في السلاح، فأتينا المدينة، فقال البوابون: من أنت؟ قلت: حريث بن أبي الجهم، فقالوا: نقسم بالله ما جاء بحريث إلا امر منهم، ففتحو الباب فدخلنا، فأخذنا العامل فاستسلم، وأصبحنا فأخذنا البيعة من الناس ليزيد بن الوليد.

قال: وذكر عمر بن شجرة أن عمرو بن محمد بن القاسم كان على السند، فأخذ محمد بن غزان- أو غزان- الكلبي، فضربه وبعث به إلى يوسف، فضربه وألزمه مالا عظيما يؤدي منه في كل جمعة نجما، وإن لم يفعل ضرب خمسة وعشرين سوطا، فجنت يده وبعض أصابعه،

فلما ولي منصور ابن جمهور العراق ولاة السند وسجستان، فأتى سجستان فباع ليزيد، ثم سار إلى السند، فأخذ عمرو بن محمد، فأوثقه وأمر به حرسا يحرسونه، وقام إلى الصلاة، فتناول عمرو سيفاً مع الحرس، فاتكأ عليه مسلولاً حتى خالط جوفه، وتصايح الناس، فخرج ابن غزان فقال: ما دعاك الى ما صنعت؟ قَالَ: خفت العذاب، قَالَ: ما كنت أبغ منك ما بلغته من نفسك فلبث ثلاثاً ثم مات، وباع ابن غزان ليزيد، فقال يوسف بن عمر لسليمان بن سليم بن كيسان الكلبي حين أقرأه كتاب منصور بن جمهور:

ما الرأي؟ قَالَ: ليس لك إمام تقاتل معه، ولا يقاتل أهل الشام الحارث بن العباس معك، ولا آمن عليك منصور بن جمهور إن قدم عليك، وما الرأي إلا أن تلحق بشامك، قَالَ: هو رأيي، فكيف الحيلة؟ قَالَ: تظهر الطاعة ليزيد، وتدعوه في خطبتك، فإذا قرب منصور وجهك معك من أثق به.

فلما نزل منصور بحيث يصبح الناس البلد، خرج يوسف إلى منزل سليمان بن سليم، فأقام به ثلاثاً، ثم وجهه معه من أخذ به طريق السماوة حتى صار إلى البلقاء.

وقد قيل ان سليمان قال له: تستخفي وتدع منصوراً والعمل، قَالَ: فعند من؟ قَالَ: عندي، وأضعك في ثقة، ثم مضى سليمان الى عمرو بن محمد ابن سعيد بن العاص، فأخبره بالأمر، وسأله أن يؤوي يوسف، وقال: أنت امرؤ من قريش، وأخوالك بكر بن وائل، فأواه قَالَ عمرو: فلم أر رجلاً كان مثل عتوه رعب رعبه، أتيت به بجارية نفيسة، وقلت: تدفئه وتطيب نفسه، فوالله ما قربها ولا نظر إليها، ثم أرسل إلي يوماً فأتيته، فقال:

قد أحسنت وأجملت، وقد بقيت لي حاجة، قلت: هاتها، قَالَ: تخرجني من الكوفة إلى الشام، قلت: نعم وصحبنا منصور بن جمهور، فذكر الوليد فعابه، وذكر يزيد بن الوليد فقرظه، وذكر يوسف وجوره، وقامت الخطباء فشعثوا من الوليد ويوسف، فأتيته فأقصصت قصتهم، فجعلت لا أذكر رجلاً ممن ذكره بسوء إلا قَالَ: لله علي أن أضربه مائة سوط، مائتي سوط، ثلاثمائة سوط، فجعلت اتعجب من طمعه في الولاية بعد، وتهده الناس، فتركه سليمان بن سليم، ثم أرسله إلى الشام فاختنى بها، ثم تحول إلى البلقاء.

ذكر علي بن محمد أن يوسف بن عمر وجه رجلاً من بني كلاب في خمسمائة، وقال لهم: إن مر بكم يزيد بن الوليد فلا تدعنه يجوز فأتاهم منصور بن جمهور في ثلاثين، فلم يهايجوه، فانتزع سلاحهم منهم، وأدخلهم الكوفة قَالَ: ولم يخرج مع يوسف من الكوفة إلا سفيان بن سلامة بن سليم بن كيسان وغسان بن قعاس العذري، ومعه من ولده لصلبه ستون بين ذكر وأنثى ودخل منصور الكوفة لأيام خلون من رجب، فأخذ بيوت الأموال، وأخرج العطاء والأرزاق، وأطلق من في سجون يوسف من العمال وأهل الخراج قَالَ: فلما بلغ يوسف البلقاء حينئذ بلغ خبره إلى يزيد بن الوليد، فحدثني أحمد بن زهير، قَالَ: حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم بن يزيد بن هريم، قَالَ: حدثنا أبو هاشم مخلد بن محمد بن صالح مولى عثمان بن عفان، قَالَ: سمعت محمد بن سعيد الكلبي - وكان من قواد يزيد بن الوليد - يقول:

إن يزيد وجهه في طلب يوسف بن عمر حيث بلغه أنه في أهله بالبلقاء، قَالَ: نخرجت في خمسين فارساً أو أكثر، حتى أحطت بداره بالبلقاء، فلم نزل نفتش، فلم نر شيئاً، وكان يوسف قد لبس لبسة النساء، وجلس مع نسائه وبناته، ففتشهن فظفر به مع النساء، فجاء به في وثاق، فحبسه في السجن مع الغلامين ابني الوليد، فكان في الحبس ولاية يزيد كلها وشهرين وعشرة أيام من ولاية إبراهيم، فلما قدم مروان الشام وقرب من دمشق ولي قتلهم يزيد ابن خالد، فأرسل يزيد مولى خالد - يكنى أبا الأسد - في عدة من أصحابه، فدخل السجن لشدخ الغلامين بالعمد، وأخرج يوسف بن عمر فضرب عنقه. وقيل: إن يزيد بن الوليد لما بلغه مصير يوسف إلى البلقاء وجه إليه خمسين فارساً، فعرض له رجل من بني ثمير، فقال: يا بن عم، أنت والله مقتول فأطعني وامتنع، واثن لي حتى أنتزعك من أيادي هؤلاء قَالَ: لا، قَالَ:

فدعني أقتلك أنا، ولا يقتلك هذه اليمانية، فتغيظنا بقتلك، قَالَ: ما لي في واحدة مما عرضت علي خيار، قَالَ: فأنت أعلم. ومضوا به إلى يزيد، فقال: ما أقدمك؟ قَالَ: قدم منصور بن جمهور واليا فتركته والعمل، قَالَ: لا، ولكنك كرهت أن تلي لي فأمر بحبسه.

وقيل: إن يزيد دعا مسلم بن ذكوان ومحمد بن سعيد بن مطرف الكلبي، فقال لهما، إنه بلغني أن الفاسق يوسف بن عمر قد صار إلى البلقاء، فانطلقا فأتيا به، فطلباه فلم يجدها: فرها ابنا له، فقال: أنا أدلكما عليه، فقال:

إنه انطلق إلى مزرعة له على ثلاثين ميلا، فأخذا معهما خمسين رجلا من جند البلقاء، فوجدوا أثره- وكان جالسا- فلما أحس بهم هرب وترك نعليه، ففتشا فوجداه بين نسوة قد ألقين عليه قطيفة خز، وجلسن على حواشيا حاسرات، فجروا برجله، فجعل يطلب إلى محمد بن سعيد أن يرضي عنه

كلبا، ويدفع عشرة آلاف دينار ودية كلثوم بن عمير وهانئ بن بشر، فأقبلا إلى يزيد، فلقيه عامل لسليمان على نوبة من نواب الحرس، فأخذ بلحيته فهزها، وتنف بعضها- وكان من أعظم الناس لحية وأصغرهم قامه- فأدخلاه على يزيد، فقبض على لحية نفسه- وإنها حينئذ لتجوز سرتة- وجعل يقول: تنف والله يا أمير المؤمنين لحيتي، فما بقي فيها شعرة فأمر به يزيد فحبس في الخضراء، فدخل عليه محمد بن راشد، فقال له: أما تخاف أن يطلع عليك بعض من قد وترت، فيلقي عليك حجرا! فقال: لا والله ما فطنت إلى هذا، فنشدتك الله إلا كلمت أمير المؤمنين في تحويلي إلى مجلس غير هذا، وإن كان أضيق منه! قال: فأخبرت يزيد، فقال:

ما غاب عنك من حمقه أكثر، وما حبسته إلا لا وجهه الى العراق، فيقام للناس، وتؤخذ المظالم من ماله ودمه. ولما قتل يزيد بن الوليد الوليد بن يزيد، ووجه منصور بن جمهور إلى العراق كتب يزيد بن الوليد إلى أهل العراق كتابا يذكر فيه مساوئ الوليد، فكان مما كتب به- فيما حدثني أحمد بن زهير عن علي بن محمد: أن الله اختار الإسلام دينا وارثناه وطهره، واقتضى فيه حقوقا أمر بها، ونهى عن أمور حرمها، ابتلاء لعباده في طاعتهم ومعصيتهم، فأكل فيه كل منقبة خير وجسيم فضل، ثم تولاه، فكان له حافظا ولأهله المقيمين حدوده وليا، يحوطهم ويعرفهم بفضل الإسلام، فلم يكرم الله بالخلافة أحدا يأخذ بأمر الله وينتهي إليه فيناوئه أحد بميثاق أو يحاول صرف ما حباه الله به، أو ينكث ناكث، إلا كان كيده الاوهن، ومكره الابور، حتى يتم الله ما أعطاه، ويدخر له أجره ومثوبته، ويجعل عدوه الأضل سبيلا، الأخسر عملا.

فتناسخ خلفاء الله ولادة دينه، قاضين فيه بحكمه، متبعين فيه لكتابه، فكانت لهم بذلك من ولايته ونصرته ما تمت به النعم عليهم، قد رضي الله بهم لها حتى توفي هشام

ثم أفضى الأمر إلى عدو الله الوليد، المنتهك للمحارم التي لا يأتي مثلها مسلم، ولا يقدم عليها كافر، تكرما عن غشيان مثلها فلما استفاض ذلك منه واستعلن، واشتد فيه البلاء، وسفكت فيه الدماء، وأخذت الأموال بغير حقها، مع أمور فاحشه، لم يكن الله ليلى للعاملين بها إلا قليلا، سرت إليه مع انتظار مراجعته، وإعذار إلى الله وإلى المسلمين، منكرًا لعمله وما اجتراً عليه من معاصي الله، متوخيا من الله إتمام الذي نويت، من اعتدال عمود الدين، والأخذ في أهله بما هو رضا، حتى أتيت جندا، وقد وغرت صدورهم على عدو الله، لما رأوا من عمله، فإن عدو الله لم يكن يرى من شرائع الإسلام شيئا إلا أراد تبديله، والعمل فيه بغير ما أنزل الله، وكان ذلك منه شائعا شاملا، عريان لم يجعل الله فيه سترا، ولا لأحد فيه شكًا، فذكرت لهم الذي نقتم وخفت من فساد الدين والدنيا، وحضضتهم على تلافي دينهم، والحاماة عنه، وهم في ذلك مستريبون، قد خافوا أن يكونوا قد ابقوا لأنفسهم بما قاموا عليه، إلى أن دعوتهم إلى تغييره فأسرعوا الإجابة.

فابتعث الله منهم بعثا يخبرهم، من أولي الدين والرضا، وبعثت عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، حتى لقي عدو الله إلى جانب قرية يقال لها البخراء، فدعوه إلى أن يكون الأمر شورى، ينظر المسلمون لأنفسهم من يقلدونه ممن اتفقوا عليه، فلم يجب عدو الله إلى ذلك، وأبى الا ثنابا في ضلالته، فبدرهم الحملة جهالة بالله، فوجد الله عزيزا حكيما، وأخذه أليما شديدا، فقتله الله على سوء عمله وعصبيته، ممن صاحبه من بطانته الخبيثة، لا يبلغون عشرة، ودخل من كان معه سواهم في الحق الذي دعوا إليه.

فأطفأ الله جمرته وأراح العباد منه، فبعدا له ولمن كان على طريقته! أحبيت أن أعلمكم ذلك، وأعجل به إليكم، لتحمدوا الله وتشكروه، فإنكم قد أصبحتم اليوم على أمثل حالكم، إذ ولاتكم خياركم، والعدل مبسوط لكم، لا يسار فيكم بخلافه، فأكثرُوا على ذلك حمد ربكم،

وتابعوا منصور بن جمهور، فقد ارتضىته لكم، على أن عليكم عهد الله وميثاقه، وأعظم ما عهد

ذكر امتناع نصر بن سيار على منصور بن جمهور

وعقد على أحد من خلقه، لتسمعن وتطيعن لي، ولمن استخلفته من بعدي، ممن اتفقت عليه الأمة، ولكم علي مثل ذلك، لأعملن فيكم بأمر الله وسنه نبيه ص، وأتبع سبيل من سلف من خياركم، نسأل الله ربنا وولينا أحسن توفيقه وخير قضائه . ذكر امتناع نصر بن سيار على منصور بن جمهور

وفي هذه السنة امتنع نصر بن سيار بخراسان من تسليم عمله لعامل منصور ابن جمهور، وقد كان يزيد بن الوليد ولاها منصوراً مع العراق. قال أبو جعفر: قد ذكرت قبل من خبر نصر، وما كان من كتاب يوسف ابن عمر إليه بالمصير إليه مع هدايا الوليد بن يزيد، وشخص نصر من خراسان متوجهاً إلى العراق، وتباطئه في سفره، حتى قدم عليه الخبر بقتل الوليد، فذكر علي بن محمد أن الباهلي أخبره، قال: قدم على نصر بشر بن نافع مولى سالم الليثي - وكان على سكك العراق - فقال: أقبل منصور بن جمهور أميراً على العراق، وهرب يوسف بن عمر، فوجه منصور أخاه منظور بن جمهور على الري، فأقبلت مع منظور إلى الري، وقلت: أقدم على نصر فأخبره، فلما صرت بنيسابور حبسني حميد مولى نصر، وقال: لن تجاوزني أو تخبرني، فأخبرته، وأخذت عليه عهد الله وميثاقه ألا يخبر أحداً حتى أقدم على نصر فأخبره ففعل، فأقبلنا جميعاً حتى قدمنا على نصر، وهو بقصره بمجان، فاستأذنا، فقال خصي له: هو نائم، فألحنا عليه، فانطلق فأعلمه، فخرج نصر حتى قبض على يدي وأدخلني، فلم يكلمني حتى صرت في البيت، فسألتني فأخبرته، فقال لحميد مولاه: انطلق به، فأتته بجائزة، ثم أتاني يونس بن عبد ربه وعبيد الله بن بسام فأخبرتهما، وأتاني سلم بن أحوز فأخبرته، قال: وكان خبر الوليد يوسف عند نصر، فاتوه حين بلغهم الخبر، فأرسل إلي فلما أخبرتهم كذبوني، فقلت: استوثق من هؤلاء، فلما مضت ثلاث على ذلك، جعل علي ثمانين رجلاً حرساً، فأبطلت الخبر على ما كنت قدرت، فلما كانت الليلة التاسعة - وكانت ليلة نوروز - جاءهم الخبر على ما وصفت، فصرف إلي عامة تلك الهدايا، وأمر لي ببرذون بسرجه ولجامه، وأعطاني سرجاً صينيّاً، وقال لي: أقم حتى أعطيك تمام مائة ألف قال: فلما تيقن نصر قتل الوليد رد تلك الهدايا، وأعتق الرقيق، وقسم روقة الجوّاري في ولده وخاصته، وقسم تلك الآنية في عوام الناس، ووجه العمال، وأمرهم بحسن السيرة.

قال: وأرجفت الأزدي في خراسان أن منظور بن جمهور قادم خراسان، فخطب نصر، فقال في خطبته: إن جاءنا أمير ظنين قطعنا يديه ورجليه.

ثم باح به بعد، فكان يقول: عبد الله المخذول المشبور.

قال: وولى نصر بن سيار ربيعة واليمن، وولي يعقوب بن يحيى بن حضير على أعلى طخارستان، ومسعدة بن عبد الله اليشكري على خوارزم، وهو الذي يقول فيه خلف:

أقول لأصحابي معا دون كردر ... لمسعدة البكري غيث الأرامل

ثم أتبعه بأبان بن الحكم الزهراني، واستعمل المغيرة بن شعبة الجهضمي على قهستان وأمرهم بحسن السيرة، فدعا الناس إلى البيعة فبايعوه، فقال في ذلك:

أقول لنصر وبايعته ... على جل بكر وأحلافها

يدي لك رهن ب بكر العراق ... سيدها وابن وصافها

أخذت الوثيقة للمسلمين ... لأهل البلاد وألأفها

إذا آل يحيى الى ما تريد ... انتك الدماك بأخفافها

دعوت الجنود إلى بيعة ... فأنصفتها كل إنصافها

وطدت خراسان للمسلمين ... إن الأرض همت بإرجافها

وإن جمعت ألفة المسلمين ... صرفت الضراب لألأفها

أجار وسلم أهل البلاد ... والنازلين بأطرافها
فصرت على الجند بالمشرقين ... لقوحا لهم در اخلافها
فنحن على ذاك حتى تبين ... مناهج سبل لعرافها
وحتى تبوح قریش بما ... تجن ضمائر أجوافها
فاقسمت للمعبرات الرتاع ... للعرو أوفي لأصوافها
إلى ما تؤدي قریش البطاح ... أخلافها بعد أشرافها
فإن كان من عزى بز الضعيف ... ضربنا الخيول بأعرافها
وجدنا العلائف أنى يكون ... يحمى أوارى أعلافها
إذا ما تشارك فيه كبت ... خواصرها بعد إخطافها
فنحن على عهدنا نستديم ... قریشا ونرضى بأحلافها
سنرضى بظلك كما لها ... وظلك من ظل أكافها
لعل قریشا إذا ناضلت ... تقرطس في بعض أهدافها
وتلبس أغشية بالعراق ... رمت دلو شرق بخطافها
وبالأسد منا وإن الأسود ... لها لبد فوق أكافها
فإن حاذرت تلفا في النفار ... فالدهر أدنى لإتلافها
فقد ثبتت بك أقدامنا ... إذا انهار منهار أجرافها
وجدناك براء وفا بنا ... كرامة أم وإطافها
ولم تك بيعتنا خلسة ... لأسرع نسفة خطافها
نكاح التي أسرع بالخليل ... قبل تخضب أطرافها
فكشفها البعل قبل الصداق ... فاستقبلته بمعتافها
قال: وكان نصر ولى عبد الملك بن عبد الله السلمي خوارزم، فكان يخطبهم ويقول في خطبته: ما أنا بالأعرابي الجلف، ولا الفزاري المستنبط، ولقد كرمتني الأمور وكرمتها، أما والله لأضعن السيف موضعه، والسوط موضعه، والسجن مدخله، ولتجدني غشمشما، أغشى الشجر، ولتستقيمن لي على الطريقه ورفض البكارة في السنن الأعظم، أو لأصكنكم صك القطامي القطارب يصكهن جانبا فجانبنا قال: فقدم رجل من بلقين خراسان، وجهه منصور بن جمهور، فأخذه مولى لنصر، يقال له حميد، كان على سكه بنيسابور، فضربه وكسر أنفه، فشكاه إلى نصر، فأمر له نصر بعشرين ألفا وكساه، وقال: إن الذي كسر أنفك مولى لي وليس بكفء فأقصك منه، فلا تقل إلا خيرا قال: ما قبلت جائزتك، وأنا أريد إلا اذكر إلا خيرا.
قال عصمة بن عبد الله الأسدي: يا أخا بلقين، أخبر من تأتي أنا قد أعدنا قيسا لربيعة وتميما للأزد، وبقيت كنانة، ليس لها من يكافئها.
فقال نصر: كلها أصلحت أمرا أفسدتموه! قال أبو زيد عمر بن شبة: حدثني أحمد بن معاوية عن أبي الخطاب، قال: قدم قدامة بن مصعب العبدى ورجل من كندة على نصر بن سيار من قبل منصور بن جمهور، فقال: أمات أمير المؤمنين؟ قالوا: نعم، قال: وولى منصور بن جمهور وهرب يوسف بن عمر عن سرير العراق؟
قالا: نعم، قال: أنا بجمهوركم من الكافرين، ثم حبسهما ووسع عليهما، ووجه رجلا حتى أتى فرأى منصورا يخطب بالكوفة فأخرجهما، وقال لقدامة:
أوليكم رجل من كلب؟ قال: نعم، إنما نحن بين قيس واليمن، قال:
فكيف لا يولاهما رجل منكم! قال: لأننا كما قال الشاعر:
إذ ما خشينا من أمير ظلامه ... دعونا أبا غسان يوما فعسكرا

فضحك نصر، وضمه إليه.
 قَالَ: ولما قدم منصور بن جمهور العراق ولي عبيد الله بن العباس الكوفة- أو وجدته واليا عليها فأقره- وولى شرطته ثمامة بن حوشب
 ثم عزله وولى الحجاج بن ارطاه النخعي.

ذكر مخالفه مروان بن محمد

ذكر مخالفه مروان بن محمد

وفي هذه السنة كتب مروان بن محمد إلى الغمر بن يزيد، أخي الوليد بن يزيد يأمره بدم أخيه الوليد.
 ذكر نسخة ذلك الكتاب الذي كتب إليه:

حدثني أحمد عن علي، قَالَ: كتب مروان إلى الغمر بن يزيد بعد قتل الوليد:

أما بعد، فإن هذه الخلافة من الله على مناهج نبوة رسله، وإقامة شرائع دينه، أكرمهم الله بما قلدتهم، يعزهم ويعز من يعزهم، والحين على من ناوهم فابتغى غير سبيلهم، فلم يزالوا أهل رعاية لما استودعهم الله منها، يقوم بحقها ناهض بعد ناهض، بأنصار لها من المسلمين وكان أهل الشام أحسن خلقه فيه طاعه، واذبه عن حرمه ووافاه بعهده، وأشدّه نكايه في مارق مخالف ناكث ناكب عن الحق، فاستدرت نعمة الله عليهم قد عمر بهم الإسلام، وكبت بهم الشرك وأهله، وقد نكثوا أمر الله، وحاولوا نكث العهود، وقام بذلك من أشعل ضرامها، وإن كانت القلوب عنه نافرة، والمطلوبون بدم الخليفة ولاية من بني أمية، فإن دمه غير ضائع، وإن سكنت بهم الفتنة، والتأمت الأمور، فأمر اراده الله لا مرد له فاكتب بحالك فيما أبرموا وما ترى، فإني مطرق إلى أن أرى غيرا فأسطو بانتقام، وأنتقم لدين الله.

المنبوذة فرائضه، المتروكة مجانة، ومعني قوم أسكن الله طاعتي قلوبهم، أهل إقدام إلى ما قدمت بهم عليه، ولهم نظراء صدورهم مترعة ممتلئة لو يجدون منزعا، والنقمة دولة تأتي من الله، ووقت مؤجل، ولم أشبه محمدا ولا مروان- غير أن رايت غيرا-
 إن لم أشمر للقدرية إزاري، وأضربهم بسيفي جارحا وطاعنا، يرمي قضاء الله بي في ذلك حيث أخذ، او يرمي بهم في عقوبة الله حيث بلغ منهم فيها رضاه، وما إطراقي إلا لما أنتظر مما يأتييني عنك، فلا تن عن ثأرك بأخيك، فإن الله جارك وكافيك، وكفى بالله طالبا ونصيرا.

حدثني أحمد، عن علي، عن عمرو بن مروان الكلبي، عن مسلم بن ذكوان، قَالَ: كلم يزيد بن الوليد العباس بن الوليد في طفيل بن حارثة الكلبي، وقال: إنه حمل حمالة، فإن رأيت أن تكتب إلى مروان بن محمد في الوصاة به، وأن يأذن له أن يسأل عشيرته فيها- وكان مروان يمنع الناس أن يسألوا شيئا من ذلك عند العطاء- فأجابه وحمله على البريد.

وكان كتاب العباس ينفذ في الآفاق بكل ما يكتب به وكتب يزيد إلى مروان أنه اشترى من أبي عبيدة بن الوليد ضيعة بثمانية عشر ألف دينار، وقد احتاج إلى أربعة آلاف دينار قَالَ مسلم بن ذكوان: فدعاني يزيد، وقال: انطلق مع طفيل بهذا الكتاب، وكله في هذا الأمر قَالَ: نفرجنا ولم يعلم العباس بخروجه، فلما قدمنا خلاط، لقينا عمرو بن حارثة الكلبي، فسألنا عن حالنا فأخبرنا، فقال: كذبتما، إن لكما ولمروان لقصة، قلنا:

وما ذاك؟ قَالَ: أخلااني حين أردت الخروج، وقال لي: جماعة أهل المزة يكونون ألفا؟ قلت: وأكثر، قَالَ: وكم بينها وبين دمشق؟ قلت: يسمعون المنادي، قَالَ: كم ترى عدة بني عامر يعني بني عامر من كلب، قلت: عشرون ألف رجل، فحرك أصبعه، ولوى وجهه قَالَ مسلم: فلما سمعت ذلك طمعت في مروان، وكتبت إليه على لسان يزيد: أما بعد، فإنني وجهت إليك ابن ذكوان مولاي بما سيذكره لك، وينيه إليك، فألق إليه ما أحببت، فإنه من خيار أهلي وثقات موالي، وهو شعب حصين، ووعاء أمين، إن شاء الله فقدما على مروان، فدفع طفيل كتاب العباس إلى الحاجب، وأخبره أن معه كتاب يزيد بن الوليد، فقراه، نفرج الحاجب، وقال: أما معك كتاب غير هذا، ولا أوصاك بشيء! قلت: لا، ولكني معي مسلم بن

ذكوان، فدخل فأخبره، فخرج الحاجب، فقال: مر مولاه بالرواح.

قَالَ مُسْلِمٌ: فانتصرفت، فلما حضرت المغرب أتيت المقصورة، فلما صلى مروان انصرفت لأعيد الصلاة، ولم أكن أعتد بصلاته، فلما استويت قائماً جاءني خصي، فلما نظر إلي انصرفت وأوجزت الصلاة، فلحقته، فأدخلني على مروان، وهو في بيت من بيوت النساء، فسلمت وجلست، فقال: من أنت؟ فقلت: مسلم بن ذكوان مولى يزيد، قَالَ: مولى عتاقة أو مولى تباعة؟

قلت: مولى عتاقة، قَالَ: ذاك أفضل، وفي كل ذلك فضل، فاذا ما بدا لك قلت: إن رأى الأمير أن يجعل لي الأمان على ما قلته، أوافقه في ذلك أو أخالفه، فأعطاني ما أردت، فحمدت الله وصليت على نبيه، ووصفت ما أكرم الله به بني مروان من الخلافة ورضا العامة بهم، وكيف نقض الوليد العرى، وأفسد قلوب الناس، وذمت العامة، وذكرت حاله كلها فلما فرغت تكلم، فوالله ما حمد الله ولا تشهد، وقال: قد سمعت ما قلت، قد أحسنت وأصبت، ولنعم الرأي رأي يزيد، فأشهد الله أني قد بايعته، أبذل في هذا الأمر نفسي ومالي، لا أريد بذلك إلا ما عند الله، والله ما أصبحت أستزيد الوليد، لقد وصل وفرض وأشرك في ملكه، ولكني أشهد أنه لا يؤمن بيوم الحساب وسألني عن أمر يزيد، فكبرت الأمر وعظمتها، فقال: اكتم أمرك، وقد قضيت حاجة صاحبك، وكفيته أمر حالته، وأمرت له بألف درهم فأقمت أياماً، ثم دعاني ذات يوم نصف النهار، ثم قَالَ: الحق بصاحبك، وقل له: سددك الله، امض على أمر الله، فإنك بعين الله وكتب جواب كتابي، وقال لي: إن قدرت أن تطوي أو تطير فطر، فإنه يخرج بالجزيرة إلى ست ليال أو سبع خارجة، وقد خفت أن يطول أمرهم فلا تقدر أن تجوز قلت: وما علم الأمير بذلك؟ فضحك، وقال: ليس من أهل هوى إلا وقد أعطيتهم الرضا حتى أخبروني بذات أنفسهم فقلت في نفسي: أنا واحد من أولئك، ثم قلت: لئن فعلت ذلك أصلحك الله، إنه قيل لخالد بن يزيد بن معاوية: أني أصبت هذا العلم؟ قَالَ: وافقت الرجال على أهوائهم، ودخلت معهم في آرائهم، حتى بذلوا لي ما عندهم، وأفضوا لي بذات أنفسهم

ذكر الخبر عن عزل منصور بن جمهور عن العراق

فودعته وخرجت فلما كنت بآمد لقيت البرد تتبع بعضها بعضاً بقتل الوليد، وإذا عبد الملك بن مروان بن محمد قد وثب على عامل الوليد بالجزيرة، فأخرجه منها، ووضع الأرصاد على الطريق، فتركت البرد، واستأجرت دابة ودليلاً، فقدمت على يزيد بن الوليد.

وفي هذه السنة عزل يزيد بن الوليد منصور بن جمهور عن العراق، وولاه عبد الله.

بن عمر بن عبد العزيز بن مروان ذكر الخبر عن ذلك:

ذكر عن يزيد بن الوليد أنه قَالَ لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز: إن أهل العراق يميلون إلى أبيك فسر إليها فقد وليتها، فذكر عن أبي عبيدة، قَالَ: كان عبد الله بن عمر متألماً متألماً، فقدم حين شخض إلى العراق بين يديه رسلاً وكتباً إلى قواد الشام الذين بالعراق، وخاف ألا يسلم له منصور بن جمهور العمل، فانقاد له كلهم، وسلم له منصور بن جمهور، وانصرف إلى الشام، ففرق عبد الله بن عمر عماله في الأعمال، وأعطى الناس أرزاقهم وأعطيتهم، فانزعه قواد أهل الشام وقالوا: تقسم على هؤلاء فيئنا وهم عدونا! فقال عبد الله لأهل العراق: إني قد أردت أن أرد فيئكم عليكم، وعلمت أنكم أحق به، فانزعني هؤلاء فأنكروا علي.

فخرج أهل الكوفة إلى الجبانة، وتجمعوا، فأرسل إليهم قواد أهل الشام يعتذرون وينكرون، ويحلفون أنهم لم يقولوا شيئاً مما بلغهم، وثار غوغاء الناس من الفريقين، فتناوشوا، وأصيب منهم رهط لم يعرفوا، وعبد الله بن عمر بالحيرة، وعبيد الله بن العباس الكندي بالكوفة، قد كان منصور بن جمهور استخلفه عليها فاراد أهل الكوفة إخراجه من القصر، فأرسل إلى عمر بن الغضبان بن القبعثري، فأتاه فنجى الناس عنه، وسكنهم وزجر سفاهم حتى تحاجزوا، وأمن بعضهم بعضاً وبلغ ذلك عبد الله بن عمر، فأرسل إلى ابن الغضبان،

ذكر وقوع الخلاف بين اليمانية والنزارية في خراسان

فكساه وحمله، واحسن جائزته، وولاه شرطه وخراج السواد والمحاسبات، وأمره أن يفرض لقومه، ففرض في ستين وفي سبعين . ذكر وقوع الخلاف بين اليمانية والنزارية في خراسان

وفي هذه السنة وقع الاختلاف في خراسان بين اليمانية والنزارية، وأظهر الكرمانى فيها الخلاف لنصر بن سيار، واجتمع مع كل واحد منهما جماعة لنصرته.

ذكر الخبر عما كان بينهما من ذلك وعن السبب الذي أحدث ذلك:

ذكر علي بن محمد عن شيوخه، أن عبد الله بن عمر لما قدم العراق واليا عليها من قبل يزيد بن الوليد، كتب إلى نصر بعهدده على خراسان، قال:

ويقال: بل أتاه كتابه بعد خروج الكرمانى من حبس نصر، فقال المنجمون لنصر: إن خراسان سيكون بها فتنة، فأمر نصر برفع حاصل بيت المال، وأعطى الناس بعض أعطياتهم ورقا وذهبا من الآنية التي كان اتخذها للوليد ابن يزيد، وكان أول من تكلم رجل من كندة، أفوه طوال، فقال: العطاء العطاء! فلما كانت الجمعة الثانية، أمر نصر رجالا من الحرس، فلبسوا السلاح، وفرقهم في المسجد مخافة أن يتكلم متكلم، فقام الكندي فقال:

العطاء العطاء! فقام رجل مولى للأزد- وكان يلقب أبا الشياطين- فتكلم، وقام حماد الصائغ وأبو السليل البكري، فقالا: العطاء العطاء! فقال نصر:

إياي والمعصية، عليكم بالطاعة والجماعة، فاتقوا الله واسمعوا ما توعظون به.

فصعد سلم بن أحوز إلى نصر وهو على المنبر فكلبه، فقال: ما يغني عنا كلامك هذا شيئا ووثب أهل السوق إلى أسواقهم، فغضب نصر وقال: ما لكم عندي عطاء بعد يومكم هذا، ثم قال: كأني بالرجل منكم قد قام إلى أخيه وابن عمه، فلطم وجهه في جمل يهدى له ووثب يكساه، ويقول: مولاي وظئري، وكأني بهم قد نبغ من تحت أرجلهم شر لا يطاق، وكأني بكم مطرحين في الأسواق كالجزر المنحورة، إنه لم تطل ولاية رجل إلا ملوها، وأنتم يا أهل خراسان، مسلحة في نحور العدو، فإياكم أن يختلف فيكم سيفان.

قال علي: قال عبد الله بن المبارك، قال نصر في خطبته: إني لمكفر ومع ذاك لمظلم، وعسى أن يكون ذلك خيرا لي إنكم تغشون أمرا تريدون فيه الفتنة، فلا أبقي الله عليكم، والله لقد نشرتم وطويتكم، وطويتكم ونشرتكم، فاعندي منكم عشرة، وإني وإياكم كما قال من كان قبلكم:

استمسكوا أصحابنا نحدو بكم ... فقد عرفنا خيركم وشركم

فاتقوا الله، فوالله لئن اختلف فيكم ليتمنين الرجل منكم أنه يخلع من ماله وولده ولم يكن رآه يا أهل خراسان، إنكم غمظتم الجماعة، وركنتم إلى الفرقة أسلطان المجهول تريدون وتنتظرون! إن فيه هلاككم معشر العرب، وتمثل بقول النابغة الذبياني:

فإن يغلب شقاؤكم عليكم ... فإني في صلاحكم سعت

وقال الحارث بن عبد الله بن الحشرج بن المغيرة بن الورد الجعدي:

أبيت أرعى النجوم مرتفقا ... إذا استقلت تجري أوائلها
من فتنة أصبحت مجللة ... قد عم أهل الصلاة شاملها
من بخراسان والعراق ومن ... بالشام كل شجاء شاغلها
فالناس منها في لون مظلمة ... دهماء ملتجة غياطلها
يمسي السفينة الذي يعنف ... بالجهل سواء فيها وعائلها
والناس في كربة يكاد لها ... تنبذ أولادها حواملها
يغدون منها في ظل مبهمه ... عمياء تغتالهم غوائلها

لا ينظر الناس في عواقبها ... إلا التي لا يبين قائلها
 كرجوة البكر أو كصيحة حبل ... طرقت حولها قوابلها
 فجاء فينا أزرى بوجهته ... فيها خطوط حمر زلازلها
 قَالَ: فلما أتى نصر عهده من قبل عبد الله بن عمر قَالَ الكرمانى لأصحابه: الناس في فتنة، فانظروا لأموالكم رجلا- وإنما سمي الكرمانى لأنه ولد بكرمان، واسمه جديع بن علي بن شبيب بن براري بن صنيم المعني- فقالوا: أنت لنا، فقالت المضرية لنصر: الكرمانى يفسد عليك، فأرسل إليه فاقته، أو فاحبسه، قَالَ: لا، ولكن لي أولاد ذكور وإنث، فأزوج بني من بناته وبنيه من بناتي، قالوا: لا، قَالَ: فأبعث إليه بمائة ألف درهم، فإنه بخيل ولا يعطي أصحابه شيئا، ويعلمون بها فيتفرقون عنه، قالوا: لا، هذه قوة له، قَالَ: فدعوه على حاله يتقيننا ونتقيه، قالوا لا، قال:
 فأرسل اليه فحبسه.

قَالَ: وبلغ نصر أن الكرمانى يقول: كانت غاييتي في طاعه بنى مروان ان يقلد ولدى السيوف فأطلب بثأر بني المهلب، مع ما لقينا من نصر وجفائه وطول حرمانه ومكافأته إيانا بما كان من صنيع أسد إليه فقال له عصمه ابن عبد الله الأسدي: إنها بدء فتنة، فتجن عليه فاحشة، وأظهر أنه مخالف واضرب عنقه وعنق سباع بن النعمان الأزدي والفرافصة بن ظهير البكرى، فانه لم يزل متغضبا على الله بتفضيله مضر على ربيعة.

وكان بخراسان وقال جميل بن النعمان: إنك قد شرفته وإن كرهت قتله فادفعه إلى أقتله وقيل: إنما غضب عليه في مكاتبتة بكر بن فراس البهراني عامل جرجان، يعلمه حال منصور بن جمهور حين بعث عهد الكرمانى مع أبي الزعفران مولى أسد بن عبد الله، فطلبه نصر فلم يقدر عليه والذي كتب إلى الكرمانى بقتل الوليد وقدم منصور بن جمهور على العراق صالح الأثرم الحرار.

وقيل: إن قوما أتوا نصر، فقالوا: الكرمانى يدعو إلى الفتنة وقال اصرم ابن قبيصة لنصر: لو أن جديعا لم يقدر على السلطان والملك إلا بالنصرانية واليهودية لتنصر وتهود وكان نصر والكرمانى متصافيين، وقد كان الكرمانى أحسن إلى نصر في ولاية أسد بن عبد الله، فلما ولي نصر خراسان عزل الكرمانى عن الرئاسة وصيرها لحرب بن عامر بن ايثم الواشجي، فأت حرب

فأعاد الكرمانى عليها، فلم يلبث إلا يسيرا حتى عزله، وصيرها لجميل بن النعمان قَالَ: فتباعد ما بين نصر والكرمانى فحبس الكرمانى في القهندز وكان على القهندز مقاتل بن علي المري- ويقال المري.

قَالَ: ولما أراد نصر حبس الكرمانى أمر عبید الله بن بسام صاحب حرسه، فأتاه به، فقال له نصر: يا كرماني، ألم يأتيك كتاب يوسف بن عمر يأمرني بقتلك، فراجعته وقلت له: شيخ خراسان وفارسها، وحقنت دمك! قَالَ: بلى، قَالَ ألم أغرم عنك ما كان لزمك من الغرم وقسمته في أعطيات الناس! قَالَ: بلى، قال ألم أرش عليا ابنك على كره من قومك! قَالَ: بلى، قَالَ: فبدلت ذلك إجماعا على الفتنة! قَالَ الكرمانى: لم يقل الأمير شيئا إلا وقد كان أكثر منه، فأنا لذلك شاكر، فإن كان الأمير حقن دمي فقد كان مني أيام أسد بن عبد الله ما قد علم، فليستان الأمير ويتثبت فلست أحب الفتنة فقال عصمة بن عبد الله الأسدي: كذبت، وأنت تريد الشغب، ومالا تناله وقال سلم بن أحوز: اضرب عنقه أيها الأمير، فقال المقدام وقدامة ابنا عبد الرحمن بن نعيم الغامدي: لجلساء فرعون خير منكم، إذ قالوا: «أَرْجِهْ وَأَخَاهُ*»، والله لا يقتلن الكرمانى بقولك يا بن احوز وعلت الأصوات، فامر نصر سلما بحبس الكرمانى، فحبس لثلاث بقين من شهر رمضان سنة ست وعشرين ومائة، فكلمت الأزدي، فقال نصر: انى حلفت ان احبسه ولا يبدوه مني سوء، فإن خشيتم عليه فاختاروا رجلا يكون معه قَالَ: فاختاروا يزيد النحوي، فكان معه في القهندز، وصير حرسه بني ناجية أصحاب عثمان وجهم ابني مسعود.

قَالَ: وبعث الأزدي إلى نصر المغيرة بن شعبة الجهضمي وخالد بن شعيب بن أبي صالح الحداني، فكلماه فيه قَالَ: فلبث في الحبس تسعة وعشرين يوما، فقال علي بن وائل أحد بني ربيعة بن حنظلة: دخلت على نصر، والكرمانى

جالس ناحية، وهو يقول: ما ذنبي إن كان ابو الزعفران جاء! فوالله ما واريته ولا أعلم مكانه وقد كانت الأزدي يوم حبس الكرمانى

أرادت أن تنزعه من رسله، فناشدهم الله الكرمانى ألا يفعلوا، ومضى مع رسل سلم بن أحوز، وهو يضحك، فلما حبس تكلم عبد الملك بن حرملة اليمحمدي والمغيرة بن شعبة وعبد الجبار بن شعيب بن عباد وجماعة من الأزد، فنزلوا نوش، وقالوا: لا نرضى أن يحبس الكرمانى بغير جناية ولا حدث، فقال لهم شيوخ من اليمحمدي: لا تفعلوا وانظروا ما يكون من أميركم، فقالوا: لا نرضى، ليكفن عنا نصر أو لنبدأن بكم وأتاهم عبد العزيز بن عباد بن جابر بن همام بن حنظلة اليمحمدي في مائة، ومحمد بن المثنى وداود بن شعيب، فباتوا بنوش مع عبد الملك بن حرملة ومن كان معه، فلما أصبحوا أتوا حوزان، وأحرقوا منزل عزة أم ولد نصر- وأقاموا ثلاثة أيام، وقالوا: لا نرضى، فعند ذلك صيروا عليه الأمانة، فجعلوا معه يزيد النحوي وغيره، فجاء رجل من أهل نسف، فقال لجعفر غلام الكرمانى: ما تجعلون لي إن أخرجته؟

قالوا: لك ما سألت، فأتى مجرى الماء من القهندز فوسعه، وأتى ولد الكرمانى، وقال لهم: اكتبوا إلى أبيكم يستعد الليلة للخروج، فكتبوا إليه، وأدخلوا الكتاب في الطعام، فدعا الكرمانى يزيد النحوي وحسين بن حكيم فتعشيا معه وخرجا، ودخل الكرمانى السرب، فأخذوا بعضده، فانطوت على بطنه حية فلم تضره، فقال بعض الأزد: كانت الحية أزدية فلم تضره.

قال: فأتتهى إلى موضع ضيق فسحبوه فسحج منكبه وجنبه، فلما خرج ركب بغلته دوامة- ويقال: بل ركب فرسه البشير- والقيد في رجله، فأتوا به قرية تسمى غلطان، وفيها عبد الملك بن حرملة، فأطلق عنه. قال علي: وقال أبو الوليد زهير بن هنيذ العدوي: كان مع الكرمانى غلامه بسام، فرأى خرقا على القهندز، فلم يزل يوسعه حتى أمكنه الخروج منه.

قال: فأرسل الكرمانى إلى محمد بن المثنى وعبد الملك بن حرملة: إني خارج الليلة، فاجتمعوا، وخرج فأتاهم فرقد مولاه، فأخبرهم، فلقوه في قرية حرب ابن عامر، وعليه ملحفه متقلدا سيفاً، ومعه عبد الجبار بن شعيب وابنا الكرمانى: علي وعثمان، وجعفر غلامه، فأمر عمرو بن بكر، أن يأتي غلطان وأندغ وأشترج معا، وأمرهم أن يوافوه على باب الريان بن سنان اليمحمدي بنوش في المرج- وكان مصلاهم في العيد- فأتاهم فأخبرهم، فخرج القوم من قراهم في السلاح، فصلى بهم الغداة، وهم زهاء ألف، فما ترجلت الشمس حتى صاروا ثلاثة آلاف، وأتاهم أهل السقادم، فسار على مرج نيران حتى أتى حوزان، فقال خلف بن خليفة:

أصحروا للرج أجلى للعمى ... فلقد أصحرا أصحاب السرب

إن مرج الأزد مرج واسع ... تستوي الأقدام فيه والركب

وقيل: إن الأزد بايعت لعبد الملك بن حرملة على كتاب الله عز وجل ليلة خرج الكرمانى، فلما اجتمعوا في مرج نوش أقيمت الصلاة، فاختلف عبد الملك والكرمانى ساعة، ثم قدمه عبد الملك، وصيرا الأمر له، فصلى الكرمانى ولما هرب الكرمانى أصبح نصر معسكرا بباب مرو الروذ بناحية إردانه، فأقام يوما أو يومين.

وقيل: لما هرب الكرمانى استخلف نصر عصمة بن عبد الله الأسدي، وخرج إلى القناطر الخمس بباب مرو الروذ، وخطب الناس، فقال من الكرمانى، فقال: ولد بكرمان وكان كرمانيا، ثم سقط إلى هراة فكان هرويا، والساقط بين الفراشين لا أصل ثابت، ولا فرع ثابت، ثم ذكر الأزد، فقال: إن يستوثقوا فأذل قوم، وإن يأتوا فهم كما قال الأخطل:

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت ... فدل عليها صوتها حية البحر

ثم ندم على ما فرط منه، فقال: اذكروا الله، فإن ذكر الله شفاء، ذكر الله خير لا شر فيه، يذهب الذنب، وذكر الله براءة من النفاق ثم اجتمع إلى نصر بشر كثير، فوجه سلم بن أحوز إلى الكرمانى في

الجففة في بشر كثير فسفر الناس بين نصر والكرمانى، وسألوا نصرا أن يؤمنه ولا يحبس، ويضمن عنه قومه ألا يخالفه فوضع يده في يد نصر فأمره بلزوم بيته، ثم بلغه عن نصر شيء، فخرج إلى قرية له، وخرج نصر فعسكر بالقناطر، فأتاه القاسم بن نجيب، فكله فيه فأمنه، وقال له:

إن شئت خرج لك عن خراسان، وإن شئت أقام في داره- وكان رأي نصر إخراج- فقال له سلم: إن أخرجته نوهت باسمه وذكره، وقال الناس:

أخرجته لأنه هابه، فقال نصر: إن الذي أتخوفه منه إذا خرج أيسر مما أتخوفه منه وهو مقيم، والرجل إذا نفي عن بلده صغر أمره فأبوا عليه، فكف عنه، وأعطى من كان معه عشرة عشرة وأتى الكرمانى نصرًا، فدخل سراحه فأمنه ولحق عبد العزيز بن عبد ربه بالحارث بن سريج.

وأتى نصرًا عزل منصور بن جمهور وولاية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز في شوال سنة ست وعشرين ومائة، فخطب الناس، وذكر ابن جمهور، وقال: قد علمت أنه لم يكن من عمال العراق، وقد عزله الله، واستعمل الطيب ابن الطيب، فغضب الكرمانى لابن جمهور، فعاد في جمع الرجال واتخاذ السلاح وكان يحضر الجمعه في الف وخمسمائة وأكثر وأقل، فيصلي خارجًا من المقصورة ثم يدخل على نصر، فيسلم ولا يجلس ثم ترك إتيان نصر وأظهر الخلاف، فأرسل إليه نصر مع سلم بن أحوز: إني والله ما أردت بك في حبسك سوءًا، ولكن خفت أن تفسد أمر الناس، فأتني فقال الكرمانى: لولا إنك في منزلي لقتلتك، ولولا ما أعرف من حمقك أحسنت أدبك، فارجع إلى ابن الأقطع فأبلغه ما شئت من خير وشر فرجع إلى نصر فأخبره، فقال: عد إليه، فقال: لا والله، وما بي هيبة له ولكني أكره أن يسمعني فيك ما أكره فبعث إليه عصمة بن عبد الله الأسدي، فقال: يا أبا علي، إني أخاف عليك عاقبة ما ابتدأت به في دينك ودنياك، ونحن نعرض عليك خصالا، فانطلق إلى أميرك يعرضها عليك، وما نريد

بذلك إلا الإنذار إليك فقال الكرمانى: إني أعلم أن نصرًا لم يقل هذا لك ولكنك أردت أن يبلغه فتحطى، والله لا أكله كلمة بعد انقضاء كلامي حتى ترجع إلى منزلك، فيرسل من أحب غيرك فرجع عصمة، وقال:

ما رأيت علجا أعدى لطوره من الكرمانى، وما أعجب منه، ولكن من يحيى بن حصين لعنهم الله! والله لهم أشد تعظيما له من أصحابه قال سلم ابن أحوز: إني أخاف فساد هذا الثغر والناس، فأرسل إليه قديدا وقال نصر لقد يد بن منيع: انطلق إليه، فأتاه فقال له: يا أبا علي، لقد لججت وأخاف أن يتفاقم الأمر فهلك جميعا، وتشتت بنا هذه الأعاجم، فقال:

يا قديد، إني لا أتهمك، وقد جاء ما لا أثق بنصر معه، [وقد قال رسول الله ص: البكري أخوك ولا تثق به]، قال: أما إذ وقع هذا في نفسك فأعطه رهنا، قال: من؟ قال: أعطه عليا وعثمان، قال: فمن يعطيني؟ ولا خير فيه، قال: يا أبا علي، أنشدك الله أن يكون خراب هذه البلدة على يديك ورجع إلى نصر، فقال لعقيل بن معقل الليثي: ما أخوفني أن يقع بهذا الثغر بلاء، فكل من عمك، فقال عقيل لنصر: أيها الأمير، أنشدك الله أن تشأم عشيرتك، إن مروان بالشام تقتله الخوارج، والناس في فتنه والأزد سفهاء وهم جيرانك. قال: فما أصنع؟ إن علمت أمرا يصلح الناس فدونك، فقد عزم أنه لا يثق بي قال: فأتى عقيل الكرمانى، فقال: أبا علي، قد سنت سنة تطلب بعدك من الأمراء، إني أرى أمرا أخاف أن تذهب فيه العقول، قال الكرمانى:

إن نصرًا يريد أن آتبه ولا آمنه، ونريد أن يعتزل ونعتزل، ونختار رجلا من بكر بن وائل، نرضاه جميعا، فيلي أمرنا جميعا حتى يأتي أمر من الخليفة، وهو يابى هذا قال: يا أبا علي، إني أخاف أن يهلك أهل هذا الثغر، فأت أميرك وقل ما شئت تجب إليه، ولا تطمع سفهاء قومك فيما دخلوا فيه، فقال الكرمانى: إني لا أتهمك في نصيحه ولا عقل، ولكني لا أثق بنصر، فليحمل من مال خراسان ما شاء ويشخص قال: فهل لك في أمر يجمع الأمر بينكما؟ تتزوج إليه ويتزوج إليك، قال: لا آمنه على حال،

خبر الحارث بن سريج مع يزيد

قال: ما بعد هذا خير، وإني خائف أن تهلك غدا بمضيعة، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال له عقيل: أعود إليك؟ قال: لا، ولكن أبلغه عني وقل له: لا آمن أن يملك قوم على غير ما تريد، فتركب منا ما لا بقية بعده، فإن شئت خرجت عنك لا من هيبة لك، ولكن أكره أن أشأم أهل هذه البلدة، وأسفك الدماء فيها وتهيا ليخرج إلى جرجان

. خبر الحارث بن سريج مع يزيد

وفي هذه السنة آمن يزيد بن الوليد الحارث بن سريج، وكتب له بذلك، فكتب إلى عبد الله بن عمر يأمره برد ما كان أخذ منه من ماله وولده ذكر الخبر عن سبب ذلك:

ذكر أن الفتنة لما وقعت بخراسان بين نصر والكرماني، خاف نصر قدوم الحارث بن سريج عليه بأصحابه والترك، فيكون أمره أشد عليه من الكرماني وغيره، وطمع أن يناصحه، فأرسل إليه مقاتل بن حيان النبطي وثعلبة بن صفوان البناي وأنس بن بجالة الأعرجي وهدبة الشعراوي وربيعة القرشي ليردوه عن بلاد الترك.

فذكر علي بن محمد عن شيوخه أن خالد بن زياد البدي من أهل الترمذ وخالد بن عمرو مولى بني عامر، خرجا إلى يزيد بن الوليد يطلبان الأمان للحارث بن سريج، فقدموا الكوفة، فلقيهما سعيد خديعة، فقال لخالد ابن زياد: أتدري لم سموني خديعة؟ قال: لا، قال: أرادوني على قتل أهل اليمن فأبيت وسألا أبا حنيفة أن يكتب لهما إلى الأجلح- وكان من خاصة يزيد بن الوليد- فكتب لهما إليه، فأدخلهما عليه، فقال له خالد بن زياد:

يا أمير المؤمنين، قتلت ابن عمك لإقامة كتاب الله، وعمالك يغشمون ويظلمون! قال: لا أجد أعوانا غيرهم، وإني لأبغضهم، قال: يا أمير المؤمنين، ول أهل البيوتات، وضم إلى كل عامل رجالا من أهل الخير والفقهاء يأخذونهم بما في عهدك، قال: أفعل، وسألاه أمانا للحارث بن سريج، فكتب له:

أما بعد، فإننا غضبنا لله، إذ عطلت حدوده، وبلغ بعباده كل مبلغ،

كتاب ابراهيم الامام إلى شيعه بنى العباس

وسفكت الدماء بغير حلها، وأخذت الأموال بغير حقها، فأردنا أن نعمل في هذه الأمة بكتاب الله جل وعز وسنه نبيه ص، ولا قوة إلا بالله، فقد أَوْضَحْنَا لَكَ عَنْ ذَاتِ أَنْفُسِنَا، فَأَقْبَلْ آمَنًا أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ، فَإِنَّكُمْ إِخْوَانُنَا وَأَعْوَانُنَا وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَرْدَ مَا كَانَ اصْطَفَى مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَذَرَارِيكُمْ.

فقدما الكوفة فدخل على ابن عمر، فقال خالد بن زياد: أصلح الله الأمير! ألا تامر عمالك بسيره أهلك؟ قال: أو ليس سيرة عمر ظاهرة معروفة! قال: فما ينفع الناس منها ولا يعمل بها! ثم قدما مرو فدفعنا كتاب يزيد إلى نصر، فرد ما كان أخذ لهم مما قدر عليه ثم نفذنا إلى الحارث، فلقيهما مقاتل بن حيان وأصحابه الذين وجههم نصر إلى الحارث وكان ابن عمر كتب إلى نصر: إنك آمنت الحارث بغير إذني ولا إذن الخليفة فأسقط في يديه، فبعث يزيد بن الأحمر وأمره أن يفتك بالحارث إذا صار معه في السفينة فلما لقيهما مقاتلا بآمل قطع إليه مقاتل بنفسه، فكف عنه يزيد قال: فأقبل الحارث يريد مرو- وكان مقامه بأرض الشرك اثني عشرة سنة- وقدم معه القاسم الشيباني ومضر بن عمران قاضيه وعبد الله بن سنان فقدم سمرقند وعليها منصور بن عمر فلم يتلقه، وقال: ألحسن بلائه! وكتب إلى نصر يستأذنه في الحارث أن يثب به، فأيهما قتل صاحبه فإلى الجنة أو إلى النار وكتب إليه: لئن قدم الحارث على الأمير وقد ضر بني أمية في سلطانهم، وهو والغ في دم بعد دم، قد طوى كشحا عن الدنيا بعد أن كان في سلطانهم أقرهم لضيف، وأشدهم بأسا، وأنفذهم غارة في الترك، ليفرقن عليك بني تميم وكان سردرخداه محبوسا عند منصور بن عمر، لأنه قتل بياسان، فاستعدى ابنه جنده منصورا، فحبسه، فكلم الحارث منصورا فيه، فخلى سبيله، فلزم الحارث ووفى له

. كتاب ابراهيم الامام الى شيعه بنى العباس

وفي هذه السنة- فيما زعم بعضهم- وجه إبراهيم بن محمد الإمام أبا هاشم بكير بن ماهان إلى خراسان، وبعث معه بالسيرة والوصية فقدم مرو،

ذكر بيعه إبراهيم بن الوليد بالعهد

ذكر خلاف مروان بن محمد على يزيد

وجمع النقباء ومن بها من الدعاة، فعنى لهم الإمام محمد بن علي، ودعاهم إلى إبراهيم، ودفع إليهم كتاب إبراهيم، فقبلوه ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة، فقدم بها بكير على إبراهيم بن محمد . ذكر بيعه إبراهيم بن الوليد بالعهد

وفي هذه السنة أخذ يزيد بن الوليد لأخيه إبراهيم بن الوليد على الناس البيعة، وجعله ولي عهده، ولعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بعد إبراهيم ابن الوليد، وكان السبب في ذلك - فيما حدثني أحمد بن زهير، عن علي ابن محمد - أن يزيد بن الوليد مرض في ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة، فقيل له: بايع لأخيك إبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج من بعده قال: فلم تزل القدرية يحثونه على البيعة، ويقولون له: إنه لا يحل لك أن تهمل أمر الأمة فبايع لأخيك، حتى بايع لإبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج من بعده.

وفي هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن محمد بن يوسف عن المدينة، وولاهها عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال محمد بن عمر: يقال إن يزيد بن الوليد لم يوله، ولكنه افتعل كتابا بولايته المدينة، فعزله يزيد عنها، وولاهها عبد العزيز بن عمر، فقدمها ليلتين بقيتا من ذي القعدة

. ذكر خلاف مروان بن محمد على يزيد

وفي هذه السنة أظهر مروان بن محمد الخلاف على يزيد بن الوليد، وانصرف من أرمينية إلى الجزيرة، مظهرا أنه طالب بدم الوليد بن يزيد فلما صار بحران بايع يزيد.

ذكر الخبر عما كان منه في ذلك وعن السبب الذي حمله على الخلاف ثم البيعة:

حدثني أحمد بن زهير، قال: حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم بن خالد ابن يزيد بن هريم، قال: حدثنا أبو هاشم مغلد بن محمد بن صالح مولى عثمان بن عفان - وسألته عما شهد مما حدثنا به فقال: لم أزل في عسكر مروان بن محمد - قال: كان عبد الملك بن مروان بن محمد بن مروان حين

انصرف عن غزاته الصائفة مع الغمر بن يزيد بحران، فأثاءه قتل الوليد وهو بها، على الجزيرة عبدة بن رباح الغساني عاملا للوليد عليها، فشخص منها - حيث بلغه قتل الوليد - إلى الشام، ووثب عبد الملك بن مروان بن محمد على حران ومدائن الجزيرة فضبطها، وولاهها سليمان بن عبد الله بن علاثة، وكتب إلى أبيه بأرمينية يعلمه بذلك، ويشير عليه بتعجيل السير والقدوم فتهباً مروان للمسير، وأظهر أنه يطلب بدم الوليد، وكره أن يدع الثغر معطلا حتى يحكم أمره، فوجه إلى أهل الباب إسحاق بن مسلم العقيلي - وهو رأس قيس - وثابت بن نعيم الجذامي من أهل فلسطين - وهو رأس اليمن - وكان سبب صحبة ثابت إياه أن مروان كان خلصه من حبس هشام بالرصافة وكان مروان يقدم على هشام المرة في السنتين، فيرفع إليه أمر الثغر وحاله ومصلحة من به من جنوده، وما ينبغي أن يعمل به في عدوه وكان سبب حبس هشام ثابتاً ما قد ذكرنا قبل من أمره مع حنظلة بن صفوان وإفساده عليه الجند الذين كان هشام وجههم معه لحرب البربر وأهل إفريقية، إذ قتلوا عامل هشام عليهم، كلثوم بن عياض القسري، فشكا ذلك من أمره حنظلة إلى هشام في كتاب كتبه إليه، فأمر هشام حنظله بتوجيهه إليه في الحديد، فوجهه حنظلة إليه، فحبسه هشام، فلم يزل في حبسه حتى قدم مروان بن محمد على هشام في بعض وفاداته - وقد ذكرنا بعض أمر كلثوم ابن عياض وأمر إفريقية معه في موضعه فيما مضى من كتابنا هذا - فلما قدم مروان على هشام أتاه رءوس أهل اليمانية، ممن كان مع هشام، فطلبوا إليه فيه، وكان ممن كلمه فيه كعب بن حامد العبسي صاحب شرط هشام وعبد الرحمن بن الضخم وسليمان بن حبيب قاضيه، فاستوهبه مروان منه فوهبه له، فشخص إلى أرمينية، فولاه وحباه، فلما وجه مروان ثابتاً مع إسحاق إلى أهل الباب، كتب إليهم معهما كتاباً يعلمهم فيه حال ثغرهم وما لهم من الأجر في لزوم أمرهم ومراكزهم، وما في ثبوتهم فيه من دفع مكروه العدو عن ذراري المسلمين.

قَالَ: وحمل إليهم معهما أعطياتهم، وولى عليهم رجلا من أهل فلسطين يقال له حميد بن عبد الله الخمي - وكان راضيا فيهم وكان وليهم قبل ذلك - فحمدوا ولايته فقاما فيهم بأمره، وأبلغاهم رسالته، وقرأ عليهم كتابه، فأجابوا إلى الثبوت في ثغرهم ولزوم مراكزهم ثم بلغه أن ثابتا قد كان يدس إلى قوادهم بالانصراف من ثغرهم والحاق بأجنادهم، فلما انصرفا إليه تهيأ للمسير وعرض جنده، ودس ثابت بن نعيم إلى من معه من أهل الشام بالانخزال عن مروان والانضمام إليه ليسير بهم إلى أجنادهم، ويتولى أمرهم، فانخزلوا عن عسكرهم مع من فر ليلًا وعسكروا على حدة. وبلغ مروان أمرهم فبات ليلته ومن معه في السلاح يتحارسون حتى أصبح، ثم خرج إليهم بمن معه ومن مع ثابت يضعفون على من مع مروان، فصافوهم ليقاتلوهم، فأمر مروان منادين فنادوا بين الصفيين من الميمنة والميسرة والقلب، فنادوهم: يا أهل الشام، ما دعاكم إلى الانعزال! وما الذي نقيم علي فيه من سيري! ألم ألكم بما تحبون، وأحسن السيرة فيكم والولاية عليكم! ما الذي دعاكم إلى سفك دمائكم! فأجابوه بأنا كنا نطيعك بطاعة خليفتنا وقد قتل خليفتنا وباع أهل الشام يزيد بن الوليد، فرضينا بولاية ثابت، ورأسناه ليسير بنا على ألويتنا حتى نرد إلى أجنادنا فأمر مناديه فنادى: أن قد كذبتُم، وليس تريدون الذي قلتم، وإنما أردتم أن تركبوا رءوسكم، فتغصبوا من مررتُم به من أهل الذمة أموالهم وأطعمتهم وأعلافهم، وما بيني وبينكم إلا السيف حتى تتقادوا إلي، فأسير بكم حتى أوردكم الفرات، ثم أخلي عن كل قائد وجنده، فتلحقون بأجنادكم فلما رأوا الجد منه انقادوا إليه ومالوا له، وأمكنوه من ثابت بن نعيم وأولاده، وهم أربعة رجال: رفاعة، ونعيم، وبكر، وعمران قَالَ: فأمر بهم فأنزلوا عن خيولهم، وسلبوا سلاحهم، ووضع في أرجلهم السلاسل. ووكل بهم عدة من حرسه يحتفظون بهم، وشخص بجماعة من الجند من أهل الشام والجزيرة، وضمهم إلى عسكره، وضبطهم في مسيره، فلم يقدر أحد منهم على أن يفسد ولا يظلم أحدا من أهل القرى، ولا يرزاه شيئا الا يثنى، حتى ورد حران ثم أمرهم بالحاق بأجنادهم، وحبس ثابتا معه،

ذكر خبر وفاه يزيد بن الوليد

ودعا أهل الجزيرة إلى الفرض، وفرض لنيف وعشرين ألفا من أهل الجلد منهم، وتهيأ للمسير إلى يزيد، وكتبه يزيد على أن يبايعه ويؤليه ما كان عبد الملك بن مروان ولى أباه محمد بن مروان من الجزيرة وأرمينية والموصل وأذربيجان، فبايع له مروان، ووجه إليه محمد بن عبد الله بن علاثة ونفرا من وجوه الجزيرة. ذكر خبر وفاه يزيد بن الوليد

وفي هذه السنة مات يزيد بن الوليد، وكانت وفاته سلخ ذي الحجة من سنة ست وعشرين ومائة قَالَ أَبُو معشر مَا حَدَّثَنِي بِهِ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْهُ: تَوَفَّى يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي ذِي الْحِجَّةِ بَعْدَ الْأَضْحَى سَنَةَ سِتٍّ وَعَشْرِينَ وَمِائَةً، وَكَانَتْ خِلاَفَتُهُ فِي قَوْلِ جَمِيعٍ مِنْ ذِكْرِنَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ كَانَتْ خِلاَفَتُهُ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَلَيْلَتَيْنِ. وقال هشام بن محمد: ولي ستة أشهر وأياما وقال علي بن محمد: كانت ولايته خمسة أشهر واثنى عشر يوما.

وقال علي بن محمد: مات يزيد بن الوليد لعشر بقين من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة، وهو ابن ست وأربعين سنة وكانت ولايته فيما زعم ستة أشهر وليلتين، وتوفي بدمشق واختلف في مبلغ سنة. يوم توفي فقال هشام توفي وهو ابن ثلاثين سنة.

وقال بعضهم: توفي وهو ابن سبع وثلاثين سنة وكان يكنى أبا خالد وأمه أم ولد اسمها شاه آفريد بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار ابن كسرى وهو القائل:

أنا ابن كسرى وأبي مروان ... وقصر جدي وجد خاقان

وقيل: إنه كان قدريا وكان - فيما حدثني أحمد، عن علي بن محمد في صفته - أسمر طويلا، صغير الرأس، بوجهه خال وكان جميلا من

رجل، في فمه بعض السعة، وليس بالمفرط

٧٠٢٣٠٣ خلافة أبي إسحاق إبراهيم بن الوليد

وقيل له يزيد الناقص لنقصه الناس العشرات التي كان الوليد زادها الناس في قول الواقدي، وأما علي بن محمد فإنه قال: سبه مروان بن محمد، فقال:

الناقص ابن الوليد، فسماه الناس الناقص وجم بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان في قول الواقدي وقال بعضهم: جم بالناس في هذه السنة عمر بن عبد الله ابن عبد الملك، بعثه يزيد بن الوليد، وخرج معه عبد العزيز وهو على المدينة ومكة والطائف.

وكان عامله على العراق في هذه السنة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، وعلى قضاء الكوفة ابن أبي ليلى، وعلى أحداث البصرة المسور بن عمر بن عباد.

وعلى قضائها عامر بن عبيدة، وعلى خراسان نصر بن سيار الكاظمي

. خلافة أبي إسحاق إبراهيم بن الوليد

ثم كان إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان غير أنه لم يتم له أمر.

فحدثني أحمد بن زهير، عن علي بن محمد، قال: لم يتم لإبراهيم أمره، وكان يسلم عليه جمعة بالخلافة، وجمعة بالإمرة، وجمعة لا يسلمون عليه لا بالخلافة ولا بالإمرة، فكان على ذلك أمره حتى قدم مروان بن محمد فنقله وقتل عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك.

وقال هشام بن محمد: استخلف يزيد بن الوليد أبا إسحاق إبراهيم بن الوليد، فكث أربعة أشهر ثم خلع في شهر ربيع الآخر من سنة ست وعشرين ومائة، ثم لم يزل حيا حتى أصيب في سنة اثنتين وثلاثين ومائة أمه أم ولد.

حدثني أحمد بن زهير، قال: حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم، قال: حدثنا أبو هاشم مغلد بن محمد، قال: كانت ولاية إبراهيم بن الوليد سبعين ليلة.

٧٠٢٤ سنة سبع وعشرين ومائة

٧٠٢٤٠١ ذكر مسير مروان إلى الشام وخلع إبراهيم بن الوليد

سنة سبع وعشرين ومائة

(ذكر ما كان فيها من الأحداث)

ذكر مسير مروان إلى الشام وخلع إبراهيم بن الوليد

فما كان فيها من ذلك مسير مروان بن محمد إلى الشام والحرب التي جرت بينه وبين سليمان بن هشام بعين الجرم.

ذكر ذلك والسبب الذي كانت عنه هذه الواقعة:

قال أبو جعفر: وكان السبب ما ذكرت بعضه، من أمر مسير مروان بعد مقتل الوليد بن يزيد إلى الجزيرة من أرمينية، وغلبته عليها، مظهرًا أنه تائر بالوليد، منكر قتله، ثم إظهاره البيعة ليزيد بن الوليد بعد ما ولاه عمل أبيه محمد بن مروان، وإظهاره ما أظهر من ذلك، وتوجيهه وهو ببحران محمد بن عبد الله بن علثة وجماعة من وجوه أهل الجزيرة فحدثني أحمد، قال:

حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم، قال: حدثنا أبو هاشم مغلد بن محمد، قال: لما أتى مروان موت يزيد أرسل إلى ابن علثة وأصحابه فردهم

من منبج، وشخص إلى إبراهيم بن الوليد، فسار مروان في جند الجزيرة، وخلف ابنه عبد الملك في أربعين ألف من الرابطة بالركة فلما

انتهى إلى قنسرين، وبها أخ ليزيد بن الوليد يقال له بشر، كان ولاه قنسرين فخرج إليه فصافه، فنأدى الناس، ودعاهم مروان إلى

مبايعته، فقال إليه يزيد بن عمر بن هبيرة في القيسية، وأسلموا بشرًا وأخاه له يقال له مسرور بن الوليد، - وكان أخا بشر لأمه وأبيه - فأخذه

مروان وأخاه مسرور بن الوليد، فحبسهما وسار فيمن معه من أهل الجزيرة وأهل قنسرين، متوجهًا إلى أهل حمص، وكان أهل حمص

امتنعوا حين مات يزيد بن الوليد أن يبايعوا إبراهيم وعبد العزيز ابن الحجاج، فوجه إليه إبراهيم عبد العزيز بن الحجاج وجند أهل دمشق، فحاصروهم في مدينتهم، وأغذ مروان السير، فلما دنا من مدينة حمص، رحل عبد العزيز عنهم، وخرجوا إلى مروان فبايعوه، وساروا بأجمعهم معه

ووجه إبراهيم بن الوليد الجنود مع سليمان بن هشام، فسار بهم حتى نزل عين الجر، وأتاه مروان وسليمان في عشرين ومائة ألف فارس ومروان في نحو من ثمانين ألفا فالتقيا، فدعاهم مروان إلى الكف عن قتاله، والتخلى عن ابني الوليد: الحكم وعثمان، وهما في سجن دمشق محبوسان، وضمن عنهما ألا يؤاخذاهم بقتلهم أباهما، وألا يطلبأ أحدا من ولي قتله، فأبوا عليه، وجدوا في قتاله، فاقتتلوا ما بين ارتفاع النهار إلى العصر، واستحرق القتلى بينهم، وكثر في الفريقين وكان مروان مجربا مكابدا، فدعا ثلاثة نفر من قواده - أحدهم أخ لإسحاق بن مسلم يقال له عيسى - فأمرهم بالمسير خلف صفه في خيله وهم ثلاثة آلاف، ووجه معهم فعله بالفؤوس، وقد ملأ الصفان من أصحابه وأصحاب سليمان بن هشام ما بين الجبلين المحيطين بالمرج، وبين العسكرين نهر جرار، وأمرهم إذا انتهوا إلى الجبل أن يقطعوا الشجر، فيعقدوا جسورا، ويجوزوا إلى عسكر سليمان، ويغيروا فيه.

قال: فلم تشعر خيول سليمان وهم مشغولون بالقتال إلا بالخليل والبارقة والتكبير في عسكرهم من خلفهم، فلما رأوا ذلك انكسروا، وكانت هزيمتهم، ووضع أهل حمص السلاح فيهم لخردهم عليهم، فقتلوا منهم نحو من سبعة عشر ألفا، وكف أهل الجزيرة وأهل قنسرين عن قتلهم، فلم يقتلوا منهم أحدا، وأتوا مروان من أسرائهم بمثل عدة القتلى وأكثر، واستبيح عسكرهم. فأخذ مروان عليهم البيعة للغلامين: الحكم وعثمان، وخلي عنهم بعد أن قواهم.

بدينار دينار، وألحقهم بأهاليهم، ولم يقتل منهم إلا رجلين يقال لأحدهما يزيد بن العقار وللآخر الوليد بن مصاد الكلبيان، وكنا فيمن سار إلى الوليد وولي قتله وكان يزيد بن خالد بن عبد الله القسري معهم، فسار حتى هرب فيمن هرب مع سليمان بن هشام إلى دمشق، وكان أحدهما - يعني الكلبيين - على حرس يزيد والآخر على شرطه، فإنه ضربهما في موقفه ذلك بالسياط، ثم أمر بهما فحسبا فهلكا في حبسه.

قال: ومضى سليمان ومن معه من الفل حتى صبحوا دمشق، واجتمع

٧٠٢٤٢ ذكر ظهور عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

إليه وإلى إبراهيم وعبد العزيز بن الحجاج رءوس من معهم، وهم يزيد بن خالد القسري وأبو علاقة السكسكي والأصبغ بن ذؤالة الكلبي ونظراؤهم، فقال بعضهم لبعض: إن بقي الغلامان ابنا الوليد حتى يقدم مروان ويخرجهما من الحبس ويصير الأمر إليهما لم يستبقيا أحدا من قتلة أبيهما، والرأي أن نقتلهما.

فولوا ذلك يزيد بن خالد - ومعهما في الحبس أبو محمد السفياي ويوسف بن عمر - فأرسل يزيد مولى لخالد يقال له أبا الأسد، في عدة من أصحابه، فدخل السجن، فشدخ الغلامين بالعمد، وأخرج يوسف بن عمر ليقتلوه، وضربت عنقه وأرادوا قتل أبي محمد السفياي، فدخل بيتا من بيوت السجن فأغلقه، وألقى خلفه الفرش والوسائد، واعتمد على الباب فلم يقدره على فتحه، فدعوا بنار ليحرقوه فلم يؤتوا بها، حتى قيل: قد دخلت خيل مروان المدينة وهرب إبراهيم بن الوليد، وتغيب، وأنهب سليمان ما كان في بيت المال وقسمه فيمن معه من الجنود وخرج من المدينة

. ذكر ظهور عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة دعا إلى نفسه عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بالكوفة، وحارب بها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ابن مروان، فهزمه عبد الله بن عمر، فلحق بالجبال فغلب عليها.

ذكر الخبر عن سبب خروج عبد الله ودعائه الناس إلى نفسه:

وكان إظهار عبد الله بن معاوية الخلاف على عبد الله بن عمر ونصبه الحرب له - فيما ذكر هشام عن أبي مخنف - في الحرم سنة سبع

وعشرين ومائة.

وكان سبب خروجه عليه- فيما حَدَّثَنِي أَحْمَدُ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ حَفْصِ التَّمِيمِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ- أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُعَاوِيَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ جَعْفَرٍ قَدِمَ الْكُوفَةَ زَائِرًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، يَلْتَمِسُ صَلَاتَهُ، لَا يَرِيدُ خُرُوجًا، فَتَزَوَّجَ ابْنَةُ حَاتِمِ بْنِ الشَّرْقِيِّ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ شُبَيْثِ بْنِ

رَبْعِي، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْعَصْبِيَّةُ قَالَ لَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ: ادْعَ إِلَى نَفْسِكَ، فَبَنُو هَاشِمٍ أَوْلَى بِالْأَمْرِ مِنْ بَنِي مُرَّوَانَ، فَدَعَا سِرًّا بِالْكَوفَةِ وَابْنَ عَمْرِو بْنِ الْحَيْرَةِ، وَبَايَعَهُ ابْنَ ضَمْرَةَ الْخَزَاعِي، فَدَسَ إِلَيْهِ ابْنَ عَمْرِو فَأَرْضَاهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: إِذَا نَحْنُ التَّقِينَا بِالنَّاسِ انْهَزَمْتَ بِهِمْ وَبَلَغَ ابْنَ مُعَاوِيَةَ، فَلَمَّا التَقَى النَّاسُ قَالَ ابْنُ مُعَاوِيَةَ: أَنَّ ابْنَ ضَمْرَةَ قَدْ غَدَرَ، وَوَعَدَ ابْنُ عَمْرَانَ يَنْهَزِمُ بِالنَّاسِ، فَلَا يَهْوِلُنَا انْهَزَامُهُ، فَإِنَّهُ عَنْ غَدْرِ يَفْعَلُ فَلَمَّا التَقُوا انْهَزَمَ ابْنُ ضَمْرَةَ، وَانْهَزَمَ النَّاسُ، فَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ أَحَدٌ، فَقَالَ:

تَفَرَّقَتِ الظُّبَا عَلَى خَدَاشٍ ... فَمَا يَدْرِي خَدَاشٌ مَا يَصِيدُ

فَرَجَعَ ابْنُ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْكُوفَةِ، وَكَانُوا التَّقُوا مَا بَيْنَ الْحَيْرَةِ وَالْكَوفَةِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَدَائِنِ فَبَايَعُوهُ، وَأَتَاهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَخَرَجَ فَغَلَبَ عَلَى حُلُوانٍ وَالْجَبَالِ.

قَالَ: وَيُقَالُ قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْكُوفَةَ وَجَمَعَ جَمْعًا، فَلَمْ يَعْلَمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو حَتَّى خَرَجَ فِي الْجَبَانَةِ مُجْمَعًا عَلَى الْحَرْبِ، فَالتَقُوا، وَخَالَدُ بْنُ قَطَنِ الْحَارِثِيُّ عَلَى أَهْلِ الْيَمَنِ، فَشَدَّ عَلَيْهِ الْأَصْبَغُ بْنُ ذُوَالْكَلْبِيِّ فِي أَهْلِ الشَّامِ، فَانْهَزَمَ خَالِدٌ وَأَهْلُ الْكُوفَةِ وَأَمْسَكَتْ نَزَارُ عَنْ نَزَارٍ وَرَجَعُوا، وَأَقْبَلَ نَحْسُونَ رَجُلًا مِنَ الزُّبَيْدِيَّةِ إِلَى دَارِ ابْنِ مُحَرَّزٍ الْقُرَشِيِّ يَرِيدُونَ الْقِتَالَ، فَفَقَتَلُوا، وَلَمْ يَقْتُلْ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ غَيْرَهُمْ.

قَالَ: وَخَرَجَ ابْنُ مُعَاوِيَةَ مِنَ الْكُوفَةِ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ التَّمِيمِيِّ إِلَى الْمَدَائِنِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا فَغَلَبَ عَلَى الْمَاهِيْنَ وَهَمْدَانَ وَقَوْمَسَ وَأَصْبَهَانَ وَالرِّيَّ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ عُبَيْدُ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَقَالَ:

فَلَا تَرْكَبَنَّ الصَّنِيعَ الَّذِي ... تَلُومُ أَخَاكَ عَلَى مِثْلِهِ

وَلَا يَعْجِبُنَكَ قَوْلُ امْرِئٍ ... يَخَالِفُ مَا قَالَ فِي فَعْلِهِ

وَأَمَّا أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى، فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ وَالْحَسَنَ وَيزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ قَدِمُوا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو، فَتَزَلُّوا فِي النَّخَعِ، فِي دَارِ مَوْلَى لَهُمْ، يُقَالُ لَهُ الْوَلِيدُ بْنُ سَعِيدٍ، فَأَكْرَمَهُمْ ابْنُ عَمْرِو وَاجَازَهُمْ، وَاجْرَى عَلَيْهِمْ كُلُّ يَوْمٍ ثَلَاثُمِائَةِ دِرْهَمٍ، فَكَانُوا كَذَلِكَ حَتَّى هَلَكَ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَبَايَعَ النَّاسُ أَخَاهُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْوَلِيدِ وَمِنْ بَعْدِهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنَ الْحَجَّاجِ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَقَدِمَتْ بَيْعَتُهُمَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بِالْكَوفَةِ، فَبَايَعَ النَّاسَ لهُمَا، وَزَادَهُمْ فِي الْعَطَاءِ مِائَةَ مِائَةٍ، وَكُتِبَ بَيْعَتُهُمَا إِلَى الْآفَاقِ، فَجَاءَتْهُ الْبَيْعَةُ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ أَتَاهُ الْخَبْرُ أَنَّ مُرَّوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ قَدْ سَارَ فِي أَهْلِ الْجَزِيرَةِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَأَنَّهُ امْتَنَعَ مِنَ الْبَيْعَةِ لَهُ، فَاحْتَبَسَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُعَاوِيَةَ عِنْدَهُ، وَزَادَهُ فِيهِمَا كَانَ يَجْرِي عَلَيْهِ، وَاعَدَهُ لِمُرَّوَانَ ابْنَ مُحَمَّدٍ إِنْ هُوَ ظَفَرَ بِإِبْرَاهِيمَ بْنَ الْوَلِيدِ لِيَبَايَعَ لَهُ، وَيُقَاتِلَ بِهِ مُرَّوَانَ، فَجَاجَ النَّاسُ فِي أَمْرِهِمْ، وَقَرَّبَ مُرَّوَانَ مِنَ الشَّامِ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ فَقَاتَلَهُ مُرَّوَانُ، فَهَزَمَهُ وَظَفَرَ بِعَسْكَرِهِ وَخَرَجَ هَارِبًا، وَثَبَتَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْحَجَّاجِ يُقَاتِلُ حَتَّى قُتِلَ وَأَقْبَلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَخُو خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ هَارِبًا حَتَّى أَتَى الْكُوفَةَ، وَكَانَ فِي عَسْكَرِ إِبْرَاهِيمَ، فَافْتَعَلَ كِتَابًا عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ بُولَايَةَ الْكُوفَةِ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْيَمَانِيَّةِ، فَأَخْبَرَهُمْ سِرًّا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْوَلِيدِ وَلَاهُ الْعِرَاقَ، فَقَبِلُوا ذَلِكَ مِنْهُ، وَبَلَغَ الْخَبْرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو فَبَاكَرَهُ صَلَاةُ الْغَدَاةِ، فَقَاتَلَهُ مِنْ سَاعَتِهِ، وَمَعَهُ عَمْرُ بْنُ الْغَضْبَانِ، فَلَمَّا رَأَى إِسْمَاعِيلُ ذَلِكَ- وَلَا عَهْدَ مَعَهُ وَصَاحِبِهِ الَّذِي افْتَعَلَ الْعَهْدَ عَلَى لِسَانِهِ هَارِبَ مَنْهَزِمٍ- خَافَ أَنْ يَظْهَرَ أَمْرُهُ فَيَفْتَضَحَ وَيُقَاتَلَ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِنِّي كَارَهُ لِسْفَكَ الدِّمَاءِ، وَلَمْ أَحْسَسْ أَنَّ يَبْلُغُ الْأَمْرَ مَا بَلَغَ، فَكَفُّوا أَيْدِيَكُمْ فَتَفْرُقَ الْقَوْمَ عَنْهُ، فَقَالَ لِأَهْلِ بَيْتِهِ: إِنْ إِبْرَاهِيمَ قَدْ هَرَبَ، وَدَخَلَ مُرَّوَانُ دِمَشْقَ، فَخُكِي ذَلِكَ عَنْ

أَهْلِ بَيْتِهِ، فَانْتَشَرَ الْخَبْرُ، وَاشْرَأَبَتِ الْفِتْنَةُ، وَوَقَعَتِ الْعَصْبِيَّةُ بَيْنَ النَّاسِ.

وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو كَانَ أُعْطِيَ مُضَرَ وَرَبِيعَةَ عَطَايَا عَظَامًا، وَلَمْ يُعْطِ جَعْفَرُ بْنُ نَافِعِ بْنِ الْقَعْقَاعِ بْنَ شُورٍ الذَّهْلِيَّ وَعُثْمَانَ بْنَ الْخَلْبَرِيِّ أَخَا بَنِي تَيْمِ اللَّاتِ بْنَ ثَعْلَبَةَ شَيْئًا، وَلَمْ يَسُوهُمَا بِنَظَرَاتِهِمَا، فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَكَلَّمَاهُ كَلَامًا غَلِيظًا، فَغَضِبَ ابْنُ عَمْرِو، وَأَمَرَ بِهِمَا،

فقام إليهما عبد الملك الطائي- وكان على شرطه يقوم على رأسه- فدفعهما، فدفعاه وخرجا مغضبين.

وكان ثمامة بن حوشب بن رويم الشيباني حاضرا، فخرج مغاضبا لصاحبيه، فخرجوا جميعا إلى الكوفة، وكان هذا وابن عمر بالحيرة، فلما دخلوا الكوفة نادوا: يا آل ربيعة، فثارت إليهم ربيعة، فاجتمعوا وتغزوا، وبلغ الخبر ابن عمر، فأرسل إليهم أخاه عاصما، فأتاهم وهم بدير هند قد اجتمعوا وحشدوا، فألقى نفسه بينهم، وقال: هذه يدي لكم فاحكموا، فاستحيوا وعظموا عاصما، وتشكروا له، وأقبل على صاحبيه فسكنا وكفنا، فلما أمسى ابن عمر أرسل من تحت ليلته إلى عمر بن الغضبان بمائة ألف، فقسمها في قومه بني همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، وأرسل إلى ثمامة بن حوشب بن رويم بمائة ألف، فقسمها في قومه، وأرسل إلى جعفر بن نافع بن القعقاع بعشرة آلاف، وإلى عثمان بن الخيري بعشرة آلاف.

قال أبو جعفر: فلما رأت الشيعة ضعفه اغتمزوا فيه، واجتروا عليه وطمعوا فيه ودعوا إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر وكان الذي ولي ذلك هلال ابن أبي الورد مولى بني عجل، فثاروا في غوغاء الناس حتى أتوا المسجد، فاجتمعوا فيه وهلال القائم بالأمر، فبايعه ناس من الشيعة لعبد الله بن معاوية، ثم مضوا من فورهم إلى عبد الله، فأخرجوه من دار الوليد بن سعيد، حتى أدخلوه القصر، وحالوا بين عاصم بن عمر وبين القصر، فلحق بأخيه عبد الله بالحيرة، وجاء ابن معاوية الكوفيون فبايعوه، فيهم عمر بن الغضبان بن القبعثري ومنصور بن جمهور وإسماعيل بن عبد الله القسري ومن كان من أهل الشام بالكوفة له أهل وأصل، فأقام بالكوفة أياما يبايعه الناس، وأتته البيعة من المدائن وفم النيل، واجتمع إليه الناس، فخرج يريد عبد الله بن عمر بالحيرة،

وبرز له عبد الله بن عمر فيمن كان معه من أهل الشام، فخرج رجل من أهل الشام يسأله البراز، فبرز له القاسم بن عبد الغفار، فقال له الشامي: لقد دعوت حين دعوت، وما أظن أن يخرج إلي رجل من بكر بن وائل، والله ما أريد قتالك، ولكن أحببت أن ألقى إليك ما انتهى إلينا، اخبرك أنه ليس معكم رجل من أهل اليمن، لا منصور ولا إسماعيل ولا غيرهما إلا وقد كاتب عبد الله بن عمر، وجاءته كتب مضر، وما أرى لكم أيها الحي من ربيعه كتابا ولا رسولا، وليسوا مواقعكم يومكم حتى تصبحوا فيواقعكم، فإن استطعتم ألا تكون بكم الحزة فافعلوا، فإني رجل من قيس، وسنكون غدا بإزائكم، فإن أردتم الكتاب إلى صاحبنا أبلغته، وإن أردتم الوفاء لمن خرجتم معه فقد أبلغتكم حال الناس فدعا القاسم رجالا من قومه، فأعلمهم ما قال له الرجل، وإن ميمنه ابن عمر من ربيعة، ومضر ستقف بإزاء ميسرته وفيها ربيعة، فقال عبد الله بن معاوية: إن هذه علامة ستظهر لنا إن أصبحنا، فإن أحب عمر بن الغضبان فليقتني الليلة، وإن منعه شغل ما هو فيه فهو عذر، وقل له: إني لأظن القيسي قد كذب، فأتى الرسول عمر بذلك، فردّه إليه بكتاب يعلمه أن رسولي هذا بمنزلي عندي، ويأمره أن يتوثق من منصور وإسماعيل، وإنما أراد أن يعلمهما بذلك قال: فأبى ابن معاوية أن يفعل، فأصبح الناس غادين على القتال، وقد جعل اليمن في الميمنة ومضر وربيعة في الميسرة، ونادى مناد: من أتى برأس فله كذا وكذا، أو بأسير فله كذا وكذا، والمال عند عمر بن الغضبان.

والتقى الناس واقتتلوا، وحمل عمر بن الغضبان على ميمنة ابن عمر فانكشفوا، ومضى إسماعيل ومنصور من فورهما إلى الحيرة، ورجعت غوغاء الناس أهل اليمن من أهل الكوفة، فقتلوا فيهم أكثر من ثلاثين رجلا، وقتل الهاشمي العباس بن عبد الله زوج ابنة الملاء.

ذكر عمر أن محمد بن يحيى حدثه عن أبيه، عن عاتكة بنت الملاء،

تزوجت أزواجاً منهم العباس بن عبد الله بن الحارث بن نوفل، قتل مع عبد الله بن عمر بن عبد العزيز في العصبية بالعراق وقتل مبكر ابن الحواري بن زياد في غيرهم، ثم انكشفوا وفيهم عبد الله بن معاوية حتى دخل نصر الكوفة، وبقيت الميسرة من مضر وربيعة ومن بإزائهم من أهل الشام، وحمل أهل القلب من أهل الشام على الزيدية فانكشفوا، حتى دخلوا الكوفة، وبقيت الميسرة وهم نحو خمسمائة رجل، واقبل عامر بن ضباره ونباته ابن حنظلة بن قبيصة وعتبة بن عبد الرحمن الثعلبي والنضر بن سعيد بن عمرو الحرشي، حتى وقفوا على ربيعة، فقالوا لعمر بن الغضبان: أما نحن يا معشر ربيعة، فما كنا نأمن عليكم ما صنع الناس بأهل اليمن، ونخوف عليكم مثلها، فانصرفوا فقال عمر: ما كنت ببارح أبدا حتى أموت، فقالوا: إن هذا ليس بمغن عنك ولا عن أصحابك شيئا، فأخذوا

بعنان دابته فأدخلوه الكوفة قَالَ عمر: حدثني علي بن محمد، عن سليمان بن عبد الله النوفلي، قَالَ:

حدثني أبي، قَالَ: حدثنا خراش بن المغيرة بن عطية مولى لبني ليث، عن أبيه، قَالَ: كنت كاتب عبد الله بن عمر، فوالله إني لعنده يوما وهو بالحيرة إذ أتاه آت فقال: هذا عبد الله بن معاوية قد أقبل في الخلق، فأطرق مليا وجاءه رئيس خبازيه، فقام بين يديه كأنه يؤذنه بادراك طعامه، فأومأ إليه عبد الله: أن هاته فجاء بالطعام، وقد شخصت قلوبنا، ونحن نتوقع أن يهجم علينا ابن معاوية ونحن معه، قَالَ: فجعلت أتفقده: هل أراه تغير في شيء من أمره من مطعم أو مشرب أو منظر أو أمر أو نهي؟ فلا والله، ما أنكرت من هيئته قليلا ولا كثيرا، وكان طعامه إذا أتى به وضع بين كل اثنين منا صحيفة قَالَ: فوضعت بيني وبين فلان صحيفة، وبين فلان وفلان صحيفة أخرى، حتى عد من كان على خوانه، فلما فرغ من غدائه ووضوئه، أمر بالمال فأخرج، حتى أخرجت آنيه من ذهب وفضه وكساء، ففرق أكثر ذلك في قواده، ثم دعا مولى له أو مملوكا كان يتبرك به ويتفأل باسمه- إما يدعى ميمونا أو فتحا أو اسما من الاسماء المتبرك بها- فقال له:

خذ لواءك، وامض إلى تل كذا وكذا فاركزه عليه، وادع أصحابك، وأقم حتى آتيك ففعل عبد الله وخرجنا معه، حتى صار إلى التل فإذا الأرض بيضاء من أصحاب ابن معاوية، فأمر عبد الله مناديا، فنادى:

من جاء برأس فله خمسمائة، فوالله ما كان بأسرع من أن أتى برأس، فوضع بين يديه، فامر له بخمسمائة، فدفعت إلى الذي جاء به، فلما رأى أصحابه وفاءه لصاحب الراس، ثاروا بالقوم، فوالله ما كان إلا هنية حتى نظرت إلى نحو من خمسمائة رأس قد ألقيت بين يديه، وانكشف ابن معاوية ومن معه منهزمين، فكان أول من دخل الكوفة من أصحابه منهزما أبو البلاد مولى بني عبس وابنه سليمان بين يديه- وكان أبو البلاد متشيعا- فجعل أهل الكوفة ينادونهم كل يوم، وكأنهم يعيرونهم بانهزمهم، فجعل يصيح بابنه سليمان: امض ودع النواضح ينفقن قَالَ: ومر عبد الله بن معاوية فطوى الكوفة، ولم يعرج بها حتى أتى الجبل.

وأما أبو عبيدة: فإنه ذكر أن عبد الله بن معاوية وإخوته دخلوا القصر فلما أمسوا قالوا لعمر بن الغضبان وأصحابه: يا معشر ربيعة، قد رأيتم ما صنع الناس بنا، وقد أعلقنا دماءنا في أعناقكم، فإن كنتم مقاتلين معنا قاتلنا معكم، وإن كنتم ترون الناس خاذلين وإياكم، نخذوا لنا ولكم أمانا، فما أخذتم لأنفسكم فقد رضينا لأنفسنا، فقال لهم عمر بن الغضبان:

ما نحن بتارككم من إحدى خلتين: إما أن نقاتل معكم، وإما أن نأخذ لكم أمانا كما نأخذ لأنفسنا، فطيبوا أنفسا، فأقاموا في القصر، والزيدية على أفواه السكك يغدو عليهم أهل الشام ويروحون، يقاتلونهم أياما.

ثم إن ربيعة أخذت لأنفسها وللزيدية ولعبد الله بن معاوية أمانا، الا يتبعوهم ويذهبوا حيث شاءوا وأرسل عبد الله بن عمر إلى عمر بن الغضبان يأمره بنزول القصر وإخراج عبد الله بن معاوية، فأرسل إليه ابن الغضبان فرحله ومن معه من شيعته ومن تبعه من أهل المدائن وأهل السواد وأهل

٧٠٢٤٠٣ ذكر خبر رجوع الحارث بن سريج إلى مرو

الكوفة، فسار بهم رسل عمر حتى أخرجوهم من الجسر فنزل عمر من القصر

. ذكر خبر رجوع الحارث بن سريج إلى مرو

وفي هذه السنة وافى الحارث بن سريج مرو، خارجا إليها من بلاد الترك بالأمان الذي كتب له يزيد بن الوليد، فصار إلى نصر بن سيار، ثم خالفة وأظهر الخلاف له، وباعه على ذلك جمع كبير.

ذكر الخبر عن أمره وأمر نصر بعد قدومه عليه:

ذكر علي بن محمد عن شيوخه، أن الحارث سار إلى مرو، مخرجه من بلاد الترك، فقدمها يوم الأحد لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة، فتلقيه سلم بن أحوز، والناس بكشماهن، فقال محمد بن الفضل ابن عطية العبسي: الحمد لله الذي أقر أعيننا بقدومك، وردك إلى فقه الإسلام وإلى الجماعة قَالَ: يا بني، أما علمت أن الكثير إذا كانوا على معصية الله كانوا قليلا، وأن القليل إذا

كانوا على طاعة الله كانوا كثيرا! وما قرت عيني منذ خرجت إلى يومي هذا، وما قرّة عيني إلا أن يطاع الله فلما دخل مرو قال: اللهم إني لم أنو قط في شيء مما بيني وبينهم إلا الوفاء، فإن أرادوا الغدر فانصرتني عليهم وتلقاه نصر فانزله قصر بخاراخذاه، وأجرى عليه نزلا خمسين درهما في كل يوم، وكان يقتصر على لون واحد، وأطلق نصر من كان عنده من أهله، أطلق محمد بن الحارث والألوف بنت الحارث وأم بكر، فلما أتاه ابنه محمد، قال: اللهم اجعله بارا تقيا.

قال: وقدم الوضاح بن حبيب بن بديل على نصر بن سيار من عند عبد الله بن عمر، وقد أصابه برد شديد، فكساه أثوابا، وأمر له بقرى وجاريين، ثم أتى الحارث بن سريج، وعنده جماعة من أصحابه قيام على رأسه، فقال له: أنا بالعراق، نشهر عظم عمودك وثقله، وإني أحب أن أراه، فقال: ما هو إلا كبعض ما ترى مع هؤلاء- وأشار إلى أصحابه- ولكني إذا ضربت به شهرت ضربتي، قال: وكان في عموده بالشامي ثمانية عشر رطلا

قال: ودخل الحارث بن سريج على نصر، وعليه الجوشن الذي أصابه من خاقان، وكان خيره بين مائة ألف دينار دنبكانية وبين الجوشن، فاختار الجوشن فنظرت إليه المربانة بنت قديد، امرأة نصر بن سيار، فأرسلت إليه بجز لها سمور، مع جارية لها فقالت، أقرئي ابن عمي السلام، وقولي له: اليوم بارد فاستدفي بهذا الجز السمور، فالحمد لله الذي أقدمك صالحا فقال للجارية: أقرئي بنت عمي السلام، وقولي لها: أعارية أم هدية؟ فقالت: بل هدية، فباعه بأربعة آلاف دينار وقسمها في أصحابه.

وبعث إليه نصر بفرش كثيرة وفرس، فباع ذلك كله، وقسمه في أصحابه بالسوية وكان يجلس على برذعة، وثني له وسادة غليظة وعرض نصر على الحارث أن يوليه ويعطيه مائة ألف دينار، فلم يقبل، وارسل إلى نصر:

إني لست من هذه الدنيا ولا من هذه اللذات، ولا من تزويج عقائل العرب في شيء، وإنما أسأل كتاب الله عز وجل والعمل بالسنة واستعمال أهل الخير والفضل، فإن فعلت ساعدتك على عدوك.

وأرسل الحارث إلى الكرمان: إن أعطاني نصر العمل بكتاب الله وما سألته من استعمال أهل الخير والفضل عضدته وقت بأمر الله، وإن لم يفعل استعنت بالله عليه، وأعتك إن ضمنت لي ما أريد من القيام بالعدل والسنة.

وكان كلما دخل عليه بنو تميم دعاهم إلى نفسه، فبايعه محمد بن حمران ومحمد بن حرب بن جرفاس المنقران والخليل بن غزوان العدوي، وعبد الله ابن مجاعة وهيرة بن شراحيل السعديان، وعبد العزيز بن عبد ربه الليثي، وبشر ابن جرموز الضبي، ونهار بن عبد الله بن الحنات الجاشعي، وعبد الله النباتي وقال الحارث لنصر: خرجت من هذه المدينة منذ ثلاث عشرة سنة إنكارا للجور، وأنت تريدني عليه! فانضم إلى الحارث ثلاثة آلاف

٧٠٢٤٠٤ خلافة مروان بن محمد

خلافة مروان بن محمد

وفي هذه السنة بوبع بدمشق لمروان بن محمد بالخلافة:

ذكر الخبر عن سبب البيعة له:

حدثني أحمد، قال: حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم، قال: حدثنا أبو هاشم محمد بن محمد مولى عثمان بن عفان، قال: لما قيل: قد دخلت خيل مروان دمشق هرب إبراهيم بن الوليد وتغيب، فانتهب سليمان ما كان في بيت المال وقسمه فيمن معه من الجند، وخرج من المدينة، وثار من فيها من موالي الوليد بن يزيد إلى دار عبد العزيز بن الحجاج فقتلوه، ونبشوا قبر يزيد بن الوليد وصلبوه على باب الجابية، ودخل مروان دمشق فنزل عاليه، وأتى بالغلادين مقتولين ويوسف بن عمر فأمر بهم فدفنوا، وأتى بأبي محمد السفياي محمولا في كبوله، فسلم عليه بالخلافة، ومروان يومئذ يسلم عليه بالإمرة، فقال له: مه، فقال: إنهما جعلاهما لك بعدهما، وأنشده شعرا قاله الحكم في السجن.

قال: وكانا قد بلغا، وولد لأحدهما وهو الحكم والآخر قد احتلم قبل ذلك بسنتين، قال: فقال الحكم:

ألا من مبلغ مروان عني ... وعمي الغمر طال بذا حيننا

بأنى قد ظلمت وصار قومي ... على قتل الوليد متابيعنا
أذهب كلهم بدمي ومالي ... فلا غثا أصبت ولا سمينا
ومروان بأرض بني نزار ... كليث الغاب مفترس عرينا
ألم يحزنك قتل فتى قريش ... وشقهم عصي المسلمين
الا فافر السلام على قريش ... وقيس بالجزيرة أجمعينا
وساد الناقص القدري فينا ... وألقى الحرب بين بني أيينا

٧٠٢٤٠٥ ذكر الخبر عن انتقاض اهل حمص على مروان

فلو شهد الفوارس من سليم ... وكعب لم أكن لهم رهينا
ولو شهدت ليوث بني تميم ... لما بعنا تراث بني أيينا
أتكنث بيعتي من أجل أمي ... فقد بايعتم قبلي هجيننا
فليت خثولتي من غير كلب ... وكانت في ولادة آخرينا
فإن أهلك أنا وولي عهدي ... فروان أمير المؤمنين

ثم قال: ابسط يدك أبايك، وسمعه من مع مروان من أهل الشام، فكان أول من نهض معاوية بن يزيد بن الحسين بن نمير ورءوس أهل حمص، فبايعوه، فأمرهم أن يختاروا لولاية أجنادهم، فاختار أهل دمشق زامل بن عمرو الجبراني، وأهل حمص عبد الله بن شجرة الكندي، وأهل الأردن الوليد بن معاوية بن مروان، وأهل فلسطين ثابت بن نعيم الجذامي الذي كان استخرجه من سجن هشام وغدر به بأرمينية، فأخذ عليهم العهود المؤكدة والأيمان المغلظة على بيعته، وانصرف إلى منزله من حران.

قال أبو جعفر: فلما استوت لمروان بن محمد الشام وانصرف إلى منزله بجران طلب الأمان منه إبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام فامنهم، فقدم عليه سليمان - وكان سليمان بن هشام يومئذ بتدمر بمن معه من إخوته وأهل بيته ومواليه الذكوانية - فبايعوا مروان بن محمد.

ذكر الخبر عن انتقاض اهل حمص على مروان
وفي هذه السنة انتقض على مروان أهل حمص وسائر أهل الشام لخاربههم.
ذكر الخبر عن أمرهم وأمره وعن سبب ذلك:

حدثني أحمد، قال حدثني عبد الوهاب بن إبراهيم، قال: حدثنا أبو هاشم مخلد بن محمد بن صالح، قال: لما انصرف مروان إلى منزله من حران بعد فراغه من أهل الشام لم يلبث إلا ثلاثة أشهر، حتى خالفه أهل الشام وانتقضوا عليه، وكان الذي دعاهم إلى ذلك ثابت بن نعيم، وراسلهم

وكتبهم، وبلغ مروان خبرهم، فسار إليهم بنفسه، وأرسل أهل حمص إلى من بتدمر من كلب، فشخص إليهم الأصبع بن ذؤالة الكلبي ومعه بنون له ثلاثة رجال: حمزة وذؤالة وفرافصة ومعاوية السكسكي - وكان فارس أهل الشام - وعصمة بن المقشعر وهشام بن مصاد وطفيل بن حارثة ونحو ألف من فرسانهم، فدخلوا مدينة حمص ليلة الفطر من سنة سبع وعشرين ومائة.

قال: ومروان بحماة ليس بينه وبين مدينة حمص إلا ثلاثون ميلا، فأتاه خبرهم صبيحة الفطر، فجد في السير، ومعه يومئذ إبراهيم بن الوليد المخلوع وسليمان بن هشام، وقد كانا راسلاه وطلبا إليه الأمان، فصارا معه في عسكره يكرهما ويدنيهما ويجلسان معه على غدائه وعشائه، ويسيران معه في موكبهم.

فانتهى إلى مدينة حمص بعد الفطر بيومين، والكلبية فيها قد ردموا أبوابها من داخل، وهو على عدة معه روابطه، فأحدثت خيله بالمدينة، ووقف حذاء باب من أبوابها، وأشرف على جماعة من الحائط، فناداهم مناديه:

ما دعاكم إلى النكث؟ قالوا: فإننا على طاعتك لم ننكث، فقال لهم: فإن كنتم على ما تذكرون فافتحوا، ففتحو الباب، فافتحم منه عمرو بن الوضاح في الوضاحية وهم نحو من ثلاثة آلاف فقاتلوهم في داخل المدينة، فلما كثرتهم خيل مروان، انتهوا إلى باب من أبواب المدينة يقال له باب تدمر، فخرجوا منه والروابط عليه فقاتلوهم، فقتل عامتهم، وافتل الأصبغ بن ذؤالة والسكسكي واسر ابنا الأصبغ: ذؤالة وفرافصة في نيف وثلاثين رجلا منهم، فأتى بهم مروان فقتلهم وهو واقف، وأمر بجمع قتلاهم وهم خمسمائة أو ستمائة، فصلبوا حول المدينة، وهدم من حائط مدينتها نحو من غلوة وثار أهل الغوطة إلى مدينة دمشق، فحاصروا أميرهم زامل بن عمرو، وولوا عليهم يزيد بن خالد القسري وثبت مع زامل المدينة وأهلها وقائد في نحو أربعمائة، يقال له أبو هبار القرشي فوجه إليهم مروان من حصص أبا الورد بن الكوثر بن زفر بن الحارث - واسمه مجزأة - وعمرو بن الوضاح في عشرة آلاف، فلما دنوا من المدينة حملوا عليهم، وخرج أبو هبار وخيله من المدينة، فهزمهم واستباحوا عسكرهم وحرقوا المزة من قرى اليمانية، ولجأ يزيد بن خالد وأبو علاقة إلى رجل من نخم من أهل المزة، فدل عليهما زامل، فأرسل إليهما، فقتلا

قبل أن يوصل بهما إليه، فبعث برأسيهما إلى مروان بمحضر، وخرج ثابت ابن نعيم من أهل فلسطين، حتى أتى مدينة طبرية، فحاصر أهلها، وعليها الوليد بن معاوية بن مروان، ابن أخي عبد الملك بن مروان، فقاتلوه أياما، فكتب مروان إلى أبي الورد أن يشخص إليهم فيمدهم، قال:

فرحل من دمشق بعد أيام، فلما بلغهم دنوه خرجوا من المدينة على ثابت ومن معه، فاستباحوا عسكرهم، فانصرف إلى فلسطين منهزما، فجمع قومه وجنده، ومضى إليه أبو الورد فهزمه ثانية، وتفرق من معه، وأسر ثلاثة رجال من ولده، وهم نعيم وبكر وعمران، فبعث بهم إلى مروان فقدم بهم عليه، - وهو بدير أيوب - جرحى، فأمر بمداواة جراحاتهم، وتغيب ثابت بن نعيم، فولى الرماحس بن عبد العزيز الكفاني فلسطين، وأفلت مع ثابت من ولده رفاعة ابن ثابت - وكان أخبثهم - فلحق بمنصور بن جمهور، فأكرمه وولاه وخلفه مع أخ له يقال له منظور بن جمهور، فوثب عليه فقتله، فبلغ منصورا وهو متوجه إلى الملتان، وكان أخوه بالمنصورة، فرجع إليه فأخذه، فبنى له أسطوانة من آجر مجوفة، وأدخله فيها، ثم سمره إليها، وبنى عليه.

قال: وكتب مروان إلى الرماحس في طلب ثابت والتلطف له، فدل عليه رجل من قومه فأخذ ومعه نفر، فأتي به مروان موثقا بعد شهرين، فأمر به وبنيه الذين كانوا في يديه، فقطعت أيديهم وأرجلهم، ثم حملوا إلى دمشق، فرأيتهم مقطعين، فأقيموا على باب مسجدها، لأنه كان يبلغه أنهم يرجفون بثابت، ويقولون: إنه أتى مصر، فغلب عليها.

وقتل عامل مروان بها وأقبل مروان من دير أيوب حتى بايع لابنيه عبيد الله وعبد الله، وزوجهما ابنتي هشام بن عبد الملك، أم هشام وعائشة، وجمع لذلك أهل بيته جميعا، من ولد عبد الملك محمد وسعيد وبكار وولد الوليد وسليمان ويزيد وهشام وغيرهم من قریش ورؤوس العرب، وقطع على أهل الشام بعثا وقواهم، وولى على كل جند منهم قائدا منهم، وأمرهم بالخاق بيزيد بن عمر بن هبيرة وكان قبل مسيره إلى الشام وجهه في عشرين ألفا من أهل قنسرين والجزيرة، وأمره أن ينزل دورين إلى أن يقدم، وصيره

مقدمة له، وانصرف من دير أيوب إلى دمشق، وقد استقامت له الشام كلها ما خلا تدمر، وأمر بثابت بن نعيم وبنيه والنفر الذين قطعهم فقتلوا وصلبوا على أبواب دمشق، قال: فرأيتهم حين قتلوا وصلبوا قال: واستبقى رجلا منهم يقال له عمرو بن الحارث الكلبي، وكان - فيما زعموا - عنده علم من أموال كان ثابت وضعها عند قوم، ومضى بمن معه، فنزل القسطل من أرض حمص مما يلي تدمر، بينهما مسيرة ثلاثة أيام، وبلغه أنهم قد عوروا ما بينه وبينها من الآبار، وطموها بالصخر، فهيأ المزداد والقرب والأعلاف والإبل، فحمل ذلك له ولمن معه، فكله الأبرش بن الوليد وسليمان ابن هشام وغيرهما، وسألوه أن يعذر إليهم، ويحتج عليهم فأجابهم إلى ذلك فوجه الأبرش إليهم أخاه عمرو بن الوليد، وكتب إليهم يحذرهم ويعلمهم أنه يتخوف أن يكون هلاكه وهلاك قومه، فطردوه ولم يجيبوه، فسأله الأبرش أن يأذن له في التوجه إليهم، ويؤجله أياما، ففعل، فأتاهم فكلهم وخوفهم وأعلمهم أنهم حقى، وأنه لا طاقة لهم به وبمن معه، فأجابه عامتهم، وهرب من لم يثق به منهم إلى بركة كلب وباديتهم، وهم السكسكي وعصمة بن المقشعر وطفيل بن حارثة ومعاوية

بْنُ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَكَانَ صَهْرَ الْأَبْرَشِ عَلَى ابْنَتِهِ وَكَتَبَ الْأَبْرَشُ إِلَى مَرْوَانَ يَعْلَمُهُ ذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَرْوَانُ: أَنْ أَهْدِمَ حَائِطَ مَدِينَتِهِمْ، وَأَنْصَرِفَ إِلَيَّ بِمَنْ بَايَعَكَ مِنْهُمْ.

فَانْصَرَفَ إِلَيْهِ وَمَعَهُ مِنْ رِءُوسِهِمُ الْأَصْبَغُ بْنُ ذُوَالْهَلَاةِ وَابْنُهُ حَمْزَةُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ رِءُوسِهِمْ، وَأَنْصَرَفَ مَرْوَانُ بِهِمْ عَلَى طَرِيقِ الْبَرِيَّةِ عَلَى سُورِيَّةِ وَدِيرِ اللَّثَقِ، حَتَّى قَدِمَ الرِّصَافَةَ وَمَعَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامٍ وَعَمُّهُ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَإِخْوَتُهُ جَمِيعًا وَإِبْرَاهِيمُ الْمَخْلُوعُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ وَلَدِ الْوَلِيدِ وَسُلَيْمَانُ وَيَزِيدُ، فَأَقَامُوا بِهَا يَوْمًا، ثُمَّ شَخَّصَ إِلَى الرِّقَّةِ فَاسْتَأْذَنَهُ سُلَيْمَانُ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ أَنْ يَقِيمَ أَيَّامًا لِيَقْوِيَ مِنْ مَعَهُ مِنْ مَوَالِيهِ، وَيَجْمَعَ ظَهْرَهُ ثُمَّ يَتَّبِعُهُ، فَأْذَنَ لَهُ وَمَضَى مَرْوَانُ، فَتَزَلَّ

٧٠٢٤٠٦ ذكر الأخبار عن خروج الضحاك محكما ودخوله الكوفة، ومن أين كان إقباله إليها

عند واسط على شاطئ الفرات في عسكر كان ينزله، فأقام به ثلاثة أيام، ثم مضى إلى قرقيسيا وابن هبيرة بها، ليقدمه إلى العراق لمحاربة الضحاك ابن قيس الشيباني الحروري، فاقبل من نحو عشرة آلاف ممن كان مروان قطع عليه البعث بدير أيوب لغزو العراق مع قوادهم حتى حلوا بالرصافة، فدعوا سليمان إلى خلع مروان ومحاربتة.

وفي هذه السنة دخل الضحاك بن قيس الشيباني الكوفة.

ذكر الأخبار عن خروج الضحاك محكما ودخوله الكوفة، ومن أين كان إقباله إليها

اختلف في ذلك من أمره، فأما أحمد، فإنه حدثني عن عبد الوهاب ابن إبراهيم، قال: حدثني أبو هاشم مخلد بن محمد، قال: كان سبب خروج الضحاك أن الوليد حين قتل خرج بالجزيرة حروري يقال له سعيد ابن بهدل الشيباني في مائتين من أهل الجزيرة، فيهم الضحاك، فاغتم قتل الوليد واشتغل مروان بالشام، فخرج بأرض كفتوثا، وخرج بسطام البيهسي وهو مفارق لرأيه في مثل عدتهم من ربيعة، فسار كل واحد منهما إلى صاحبه، فلما تقارب العسكران وجه سعيد بن بهدل الخيبري - وهو أحد قواده، وهو الذي هزم مروان - في نحو من مائة وخمسين فارسا لبيته، فانتفى إلى عسكره وهم غارون، وقد أمر كل واحد منهم أن يكون معه ثوب أبيض يجلل به رأسه، ليعرف بعضهم بعضا، فبكروا في عسكرهم فأصابوهم في غرة، فقال الخيبري:

إِنْ يَكُ بِسْطَامُ فَإِنِّي الْخَيْبَرِيُّ ... أَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَأُحْيِي عَسْكَرِي

فقتلوا بسطاما وجميع من معه إلا أربعة عشر، فلحقوا بمروان، فكانوا معه فأثبتهم في روابطه، وولى عليهم رجلا منهم يقال له مقاتل، ويكنى أبا النعثل ثم مضى سعيد بن بهدل نحو العراق لما بلغه من تشييت الأمر بها واختلاف أهل الشام، وقتل بعضهم بعضا مع عبد الله بن عمر

والنضر بن سعيد الحرشي - وكانت اليمانية من أهل الشام مع عبد الله بن عمر بالحيرة، والمضرية، مع ابن الحرشي بالكوفة، فهم يقتتلون فيما بينهم غدوة وعشية.

قال: فمات سعيد بن بهدل في وجهه ذلك من طاعون أصابه، واستخلف الضحاك بن قيس من بعده، وكانت له امرأة تسمى حوماء، فقال الخيبري في ذلك:

سَقَى اللَّهُ يَا حَوْمَاءُ قَبْرَ ابْنِ بَهْدَلٍ ... إِذَا رَحَلَ السَّارُونَ لَمْ يَتْرَحَلْ

قال: واجتمع مع الضحاك نحو من ألف ثم توجه إلى الكوفة، ومر بأرض الموصل، فاتبعه منها ومن أهل الجزيرة نحو من ثلاثة آلاف، وبالكوفة يومئذ النضر بن سعيد الحرشي ومعه المضرية، وبالحيرة عبد الله بن عمر في اليمانية، فهم متعصبون يقتتلون فيما بين الكوفة والحيرة، فلما دنا إليه الضحاك فيمن معه من الكوفة اصطالح ابن عمر والحرشي، فصار أمرهم واحدا، ويدا على قتال الضحاك، وخندقا على الكوفة، ومعهما يومئذ من أهل الشام نحو من ثلاثين ألفا، لهم قوة وعدة، ومعهم قائد من أهل قنسرين، يقال له عباد بن الغزيل في ألف فارس، قد كان مروان أمد به ابن الحرشي، فبرزوا لهم، فقاتلوهم، فقتل يومئذ عاصم بن عمر بن عبد العزيز وجعفر بن عباس الكندي، وهزمهم أقبح هزيمة، ولحق عبد الله بن عمر في جماعتهم بواسط، وتوجه ابن الحرشي - وهو النضر - وجماعه المضرية واسماعيل

ابن عبد الله القسري إلى مروان، فاستولى الضحاك والجزرية على الكوفة وأرضها، وجبوا السواد ثم استخلف الضحاك رجلا من أصحابه- يقال له ملحان- على الكوفة في مائتي فارس، ومضى في عظم أصحابه إلى عبد الله ابن عمر بواسط، فحاصره بها، وكان معه قائد من قواد أهل قنسرين يقال له عطية الثعلبي- وكان من الأشداء- فلما تخوف محاصرة الضحاك خرج في سبعين أو ثمانين من قومه متوجها إلى مروان، فخرج على القادسية، فبلغ ملحانا ممره، فخرج في أصحابه مبادرا يريده، فلقاه على قطرة السيلحين- وملحان قد تسرع في نحو من ثلاثين فارسا- فقاتله

فقتله عطية وناسا من أصحابه، وانهزم بقيتهم حتى دخلوا الكوفة، ومضى عطية حتى لحق فيمن معه مروان. وأما أبو عبيدة معمر بن المثنى، فإنه قال: حدثني أبو سعيد، قال:

لما مات سعيد بن بهدل المري، وبايعت الشراه للضحاك، اقام بشهر زور وثابت إليه الصفيرية من كل وجه حتى صار في أربعة آلاف، فلم يجتمع مثلهم لخارجي قط قبله قال: وهلك يزيد بن الوليد وعامله على العراق عبد الله بن عمر، فانخط مروان من أرمينية حتى نزل الجزيرة، وولي العراق النضر بن سعيد- وكان من قواد ابن عمر- فشخص إلى الكوفة، ونزل ابن عمر الحيرة، فاجتمعت المضرية إلى النضر واليمانية إلى ابن عمر، فخاربه أربعة أشهر، ثم أمد مروان النضر بابن الغزيل، فأقبل الضحاك نحو الكوفة وذلك في سنة سبع وعشرين ومائة، فأرسل ابن عمر إلى النضر: هذا لا يريد غيري وغيرك، فهلم نجتمع عليه فتعاقدنا عليه، وأقبل ابن عمر، فنزل تل الفتح وأقبل الضحاك ليعبر الفرات، فأرسل إليه ابن عمر حمزة بن الأصبع بن ذؤالة الكلبي لينعه من العبور، فقال عبيد الله بن العباس الكندي: دعه يعبر إلينا، فهو أهون علينا من طلبه فأرسل ابن عمر إلى حمزة يكفه عن ذلك، فنزل ابن عمر الكوفة، وكان يصلي في مسجد الأمير بأصحابه، والنضر بن سعيد في ناحية الكوفة يصلي بأصحابه، لا يجامع ابن عمر ولا يصلي معه، غير أنهما قد تكافا واجتمعا على قتال الضحاك، وأقبل الضحاك حين رجع حمزة حتى عبر الفرات، ونزل النخيلة يوم الأربعاء في رجب سنة سبع وعشرين ومائة، خفف إليهم أهل الشام من أصحاب ابن عمر والنضر، قبل أن ينزلوا، فأصابوا منهم أربعة عشر فارسا وثلاث عشرة امرأة ثم نزل الضحاك وضرب عسكره، وعصى أصحابه، وأراح، ثم تغادوا يوم الخميس، فاقتتلوا قتالا شديدا، فكشفوا ابن عمر وأصحابه، وقتلوا أخاه عاصما، قتله البرذون بن مرزوق الشيباني، فدفنه بنو الأشعث بن قيس في دارهم، وقتلوا جعفر بن العباس الكندي أخا عبيد الله، وكان جعفر على شرطة عبد الله بن عمر، وكان

الذي قتل جعفرا عبد الملك بن علقمة بن عبد القيس، وكان جعفر حين رهنه عبد الملك نادى ابن عمر له يقال له شاشلة، فكر عليه شاشلة، وضربه رجل من الصفيرية، ففلق وجهه.

قال أبو سعيد: رأيته بعد ذلك كأن له وجهين، وأكب عبد الملك على جعفر فذبجه ذبحا، فقالت أم البرذون الصفيرية:

نحن قتلنا عاصما وجعفرا... والفارس الضبي حين أصحرا

ونحن جئنا الخندق المقعرا.

فانهزم أصحاب ابن عمر، وأقبل الخوارج، فوقفوا على خندقنا إلى الليل ثم انصرفوا، ثم تغادينا يوم الجمعة، فوالله ما نائمنا حتى هزمونا، فدخلنا خنادقنا، وأصبحنا يوم السبت، فإذا الناس يتسللون ويهربون إلى واسط، ورأوا قوما لم يروا مثلهم قط أشد بأسا، كأنهم الأسد عند أشبالها، فذهب ابن عمر ينظر أصحابه، فإذا عامتهم قد هربوا تحت الليل، ولحق عظمهم بواسط، فكان ممن لحق بواسط النضر بن سعيد وإسماعيل بن عبد الله ومنصور ابن جمهور والأصبع بن ذؤالة وابناه: حمزة وذؤالة، والوليد بن حسان الغساني وجميع الوجوه، وبقي ابن عمر فيمن بقي من أصحابه مقيما لم يبرح.

ويقال: إن عبد الله بن عمر لما ولي العراق ولي الكوفة عبيد الله بن العباس الكندي وعلى شرطه عمر بن الغضبان بن القبعثري، فلم يزالا على ذلك حتى مات يزيد بن الوليد، وقام إبراهيم بن الوليد، فأقر ابن عمر على العراق، فولى ابن عمر أخاه عاصما على الكوفة، وأقر ابن الغضبان على شرطه، فلم يزالوا على ذلك حتى خرج عبد الله بن معاوية فاتهم عمر بن الغضبان، فلما انقضى أمر عبد الله بن معاوية ولى عبد الله بن عمر عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب الكوفة، وعلى شرطه الحكم بن عتيبة الأسدي من أهل

الشام، ثم عزل عمر بن عبد الحميد عن الكوفة، ثم عزل عمر بن الغضبان عن شرطه وولى الوليد بن حسان الغساني، ثم ولى إسماعيل بن عبد الله القسري وعلى شرطه أبان بن الوليد، ثم عزل إسماعيل

وولى عبد الصمد بن أبان بن النعمان بن بشير الأنصاري، ثم عزل فولى عاصم بن عمر، فقدم عليه الضحاك بن قيس الشيباني. ويقال: إنما قدم الضحاك وإسماعيل بن عبد الله القسري في القصر وعبد الله بن عمر بالحيرة وابن الحرشي بدير هند، فغلب الضحاك على الكوفة، وولى ملحان بن معروف الشيباني عليها، وعلى شرطه الصفر من بني حنظلة- حروري- نخرج ابن الحرشي يريد الشام، فعارضه ملحان، فقتله ابن الحرشي فولى الضحاك على الكوفة حسان فولى حسان ابنه الحارث على شرطه.

وقال عبد الله بن عمر يرثي أخاه عاصما لما قتله الخوارج:
رمى غرضي ريب الزمان فلم يدع ... غداة رمى للقوس في الكف منزعا
رمى غرضي الأقصى فأقصد عاصما ... أخوا كان لي حرزا ومأوى ومفرعا
فإن تك أحزان وفائض عبرة ... أذابت عبيطا من دم الجوف منقعا
تجرعتها في عاصم واحتسيتها ... فأعظم منها ما احتسى وتجرجعا
فليت الدنيا كن خلفن عاصما ... فعضنا جميعا أو ذهب بنا معا
وذكر أن عبد الله بن عمر يقول: بلغني أن عين بن عيين بن عيين يقتل ميم بن ميم بن ميم، وكان يأمل أن يقتله، فقتله عبد الله بن علي ابن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، فذكر أن أصحاب ابن عمر لما انهزموا فلحقوا بواسط، قال لابن عمر أصحابه: علام تقيم وقد هرب الناس! قال:

أتلوم وأنظر، فأقام يوما أو يومين لا يرى إلا هاربا، وقد امتلأت قلوبهم رعبا من الخوارج، فأمر عند ذلك بالرحيل إلى واسط، وجمع خالد بن الغزيل أصحابه، فلحق بمروان وهو مقيم بالجزيرة، ونظر عبيد الله بن العباس الكندي إلى ما لقي الناس، فلم يأمن على نفسه، فجنح إلى الضحاك فباعه، وكان معه في عسكره، فقال أبو عطاء السندي يعيره باتباعه الضحاك، وقد قتل أخاه:

قل لعبيد الله لو كان جعفر ... هو الحي لم يجنح وأنت قتيل
ولم يتبع المراق والثأر فيهم ... وفي كفه غضب الذباب صقيل
إلى معشر أردوا أذاك وأكفروا ... أباك، فماذا بعد ذاك تقول!
- فلما بلغ عبيد الله بن العباس هذا البيت من قول أبي عطاء، قال أقول:
أعضك الله ببظر أمك-

فلا وصلتك الرحم من ذي قرابة ... وطالب وتر، والذليل ذليل
تركت أخوا شيبان يسلب بزه ... ونجاك خوار العنان مطول
قال: فنزل ابن عمر منزل الحجاج بن يوسف بواسط- فيما قيل- في اليمانية ونزل النضر وأخوه سليمان ابنا سعيد وحنظلة بن نباتة وابناه محمد ونباتة في المضربة ذات اليمين إذا صعدت من البصرة، وخلوا الكوفة والحيرة للضحاك والشرأة، وصارت في أيديهم، وعادت الحرب بين عبد الله بن عمر والنضر ابن سعيد الحرشي إلى ما كان عليه قبل قدوم الضحاك يطلب النضر أن يسلم إليه عبد الله بن عمر ولاية العراق بكتاب مروان، ويأتي عبد الله بن عمر واليمانية مع ابن عمر والنزارية مع النضر، وذلك أن جند أهل اليمين كانوا مع يزيد الناقص تعصبا على الوليد حيث أسلم خالد بن عبد الله القسري إلى يوسف بن عمر حتى قتله، وكانت القيسية مع مروان، لأنه طلب بدم الوليد- وأحوال الوليد من قيس، ثم من ثقيف، أمه زينب بنت محمد بن يوسف ابنة أخي الحجاج- فعادت الحرب بين ابن عمر والنضر، ودخل الضحاك الكوفة فأقام بها، واستعمل عليها ملحان الشيباني في شعبان سنة سبع وعشرين ومائة، فأقبل منقضا في الشرأة إلى واسط، متبعا لابن عمر والنضر، فنزل باب المضمار.
فلما رأى ذلك ابن عمر والنضر نكلا عن الحرب فيما بينهما، وصارت كلمتهما عليه واحدة، كما كانت بالكوفة، فجعل النضر وقواده

يعبرون الجسر، فيقاتلون الضحاك وأصحابه مع ابن عمر ثم يعودون إلى مواضعهم، ولا يقيمون مع ابن عمر، فلم يزالوا على ذلك: شعبان وشهر رمضان وشوال، فاقتتلوا يوما من تلك الايام، فاشتد قتالهم، فشد منصور بن جمهور على قائد من قواد الضحاك، كان عظيم القدر في الشراة، يقال له عكرمة بن شيبان، فضربه على باب القورج، فقطعه باثنين فقتله وبعث الضحاك قائدا من قواده يدعى شوالا من بني شيبان إلى باب الزاب، فقال: اضرمه عليهم نارا، فقد طال الحصار علينا، فانطلق شوال ومعه الخيبري، أحد بني شيبان في خيلهم، فلقيهم عبد الملك بن علقمة، فقال لهم: أين تريدون؟ فقال له شوال: نريد باب الزاب، أمرني أمير المؤمنين بكذا وكذا، فقال: أنا معك، فرجع معه وهو حاسر، لا درع عليه، وكان من قواد الضحاك أيضا وكان أشد الناس، فانتهاوا إلى الباب فأضرموه، فأخرج لهم عبد الله بن عمر منصور بن جمهور في ستمائة فارس من كلب، فقاتلوهم أشد القتال، وجعل عبد الملك بن علقمة يشد عليهم وهو حاسر، فقتل منهم عدة، فنظر إليه منصور بن جمهور، فغاضه صنيعة، فشد عليه فضربه على حبل عاتقه فقطعه حتى بلغ حرقفته، فخر ميتا، وأقبلت امرأة من الخوارج شادة، حتى أخذت بلجام منصور بن جمهور، فقالت: يا فاسق، أجب أمير المؤمنين، فضرب يدها- ويقال: ضرب عنان دابته فقطعه في يدها- ونجا.

فدخل المدينة الخيبري يريد منصورا، فاعترض عليه ابن عم له من كلب، فضربه الخيبري فقتله فقال حبيب بن خدره مولى بني هلال- وكان يزعم أنه من أبناء ملوك فارس- يرثي عبد الملك بن علقمة:

وقائلة ودمع العين يجري ... على روح ابن علقمة السلام
أأدركك الحمام وأنت سار ... وكل فتى لمصرعه حمام
فلا رعش البدين ولا هدان ... ولا وكل اللقاء ولا كهام
وما قتل على شاربعار ... ولكن يقتلون وهم كرام
طغام الناس ليس لهم سبيل ... شجاني يا بن علقمة الطغام

ثم إن منصورا قال لابن عمر: ما رأيت في الناس مثل هؤلاء قط يعني الشراة- فلم تحاربهم وتشغلهم عن مروان؟ أعطهم الرضا، واجعلهم بينك وبين مروان، فإنك إن أعطيتهم الرضا خلوا عنا ومضوا الى مروان،

٧٠٢٤٠٧ خبر خروج سليمان بن هشام على مروان بن محمد

فكان حدهم وبأسهم عليه، وأقت أنت مستريحا بموضعك هذا، فإن ظفروا بها كان ما أردت وكنت عندهم آمنا، وإن ظفر بهم واردت خلافة وقاتله قاتلته جاما مستريحا، مع أن أمره وأمرهم سيطول، ويوسعونه شرا.

فقال ابن عمر: لا تعجل حتى نتلوم وننظر، فقال: أي شيء ننتظر! فما تستطيع أن تطلع معهم ولا تستقر، وإن خرجنا لم نقم لهم، فما انتظارنا بهم ومروان في راحة، وقد كفيناه حدهم وشغلناهم عنه! أما أنا فنخرج لاحق بهم نخرج فوقف حيال صفهم وناداهم: إني جاني أريد أن أسلم وأسمع كلام الله- قال: وهي محتهم- فلحق بهم فبايعهم، وقال: قد أسلمت، فدعوا له بغداء فتغدى، ثم قال لهم: من الفارس الذي أخذ بعناني يوم الزاب؟ يعني يوم ابن علقمة- فنادوا يا أم العنبر، نفرجت إليهم، فإذا أجمل الناس، فقالت له: أنت منصور؟ قال: نعم، قالت:

قبح الله سيفك، أين ما تذكر منه! فوالله ما صنع شيئا، ولا ترك- تعني ألا يكون قتلها حين أخذت بعنانه فدخلت الجنة- وكان منصور لا يعلم يومئذ أنها امرأة، فقال: يا أمير المؤمنين، زوجنيها، قال: إن لها زوجا- وكانت تحت عبيدة بن سوار التغلبي- قال: ثم إن عبد الله بن عمر خرج إليهم في آخر شوال فبايعه.

خبر خروج سليمان بن هشام على مروان بن محمد

٤ وفي هذه السنة- أعني سنة سبع وعشرين ومائة- خلع سليمان بن هشام ابن عبد الملك بن مروان مروان بن محمد ونصب الحرب. ذكر الخبر عن سبب ذلك وما جرى بينهما:

حدثني أحمد بن زهير، قَالَ: حدثني عبد الوهاب بن إبراهيم، قَالَ:

حدثني أبو هاشم مخلد بن محمد بن صالح، قَالَ: لما شخص مروان من الرصافة إلى الرقة لتوجيه ابن هبيرة إلى العراق لمحاربة الضحاک بن قيس الشيباني استأذنه سليمان بن هشام في مقام أيام، لإجماع ظهره وإصلاح امره، فاذن له ومضى مروان، فأقبل نحو من عشرة آلاف ممن كان مروان قطع عليه البعث بدير أيوب لغزو العراق مع قوادهم، حتى جاءوا الرصافة، فدعوا سليمان إلى خلع مروان ومحاربتة، وقالوا: أنت أرضى منه عند أهل الشام وأولى بالخلافة، فاستزله الشيطان، فأجابهم، وخرج إليهم باخوته وولده ومواليه، فعسكر بهم وسار بجمعهم إلى قنسرين، فكاذب أهل الشام فانقضوا إليه من كل وجه وجند، وأقبل مروان بعد أن شارف قرقيسيا منصرفا إليه، وكتب إلى ابن هبيرة يأمره بالثبوت في عسكره من دورين حتى نزل معسكره بواسط، واجتمع من كان بالهني من موالي سليمان وولد هشام، فدخلوا حصن الكامل بذراريم فتحصنوا فيه، وأغلقوا الأبواب دونه، فأرسل إليهم: ماذا صنعتم؟ خلعت طاعتي ونقضت بيعتي بعد ما أعطيتكموني من العهود والمواثيق! فردوا علي رسله: إنا مع سليمان على من خالفه فرد إليهم:

إني أحذرکم وأنذركم أن تعرضوا لأحد ممن تبغني من جندي أو يناله منكم أذى، فتحلوا بأنفسكم، ولا أمان لكم عندي فأرسلوا إليه: إنا سنكف.

ومضى مروان، فجعلوا يخرجون من حصنهم، فيغيرون على من اتبعه من أخريات الناس وشذان الجند، فيسلبونهم خيولهم وسلاحهم وبلغه ذلك، فتحرق عليهم غيظا واجتمع إلى سليمان نحو من سبعين ألفا من أهل الشام والذكوانية وغيرهم، وعسكر في قرية لبني زفر يقال لها خساف من قنسرين من أرضها فلما دنا منه مروان قدم السكسكي في نحو سبعة آلاف، ووجه مروان عيسى بن مسلم في نحو من عدتهم، فالتقوا فيما بين العسكرين، فاقتتلوا قتالا شديدا، والتقى السكسكي وعيسى، وكل واحد منهما فارس بطل، فاطعنا حتى تقصفت رماحهما، ثم صارا إلى السيوف، فضرب السكسكي مقدم فرس صاحبه، فسقط لجامه في صدره، وجال به فرسه، فاعترضه السكسكي، فضربه بالعمود فصرعه، ثم نزل إليه فأصره، وبارز فارسا من فرسان أنطاكية، يقال له سلساق قائد الصقالبة فأصره، وانهمزت مقدمه مروان وبلغه الخبر وهو في مسيره، فضى وطوى على تعبته، ولم ينزل حتى انتهى

إلى سليمان، وقد تعب له، وتبها لقتاله، فلم ينظره حتى واقعه، فانهزم سليمان ومن معه، واتبعتهم خيوله تقتلهم وتأسرهم، وانتها إلى عسكرهم فاستباحوه، ووقف مروان موقفا، وأمر ابنه فوقفا موقفين، ووقف كوثر صاحب شرطته في موضع، ثم أمرهم ألا يأتوا بأسير إلا قتلوه إلا عبدا مملوكا، فأحصى من قتلهم يومئذ نيف على ثلاثين ألفا.

قَالَ: وقتل إبراهيم بن سليمان أكبر ولده، وأتى بخال لهشام بن عبد الملك يقال له خالد بن هشام المخزومي - وكان بادنا كثير اللحم - فأدني إليه وهو يلهث، فقال له: يا فاسق، أما كان لك في نحر المدينة وقيانها ما يكفك عن الخروج مع الخراء تقاتلني! قَالَ: يا أمير المؤمنين، أكرهني، فأنشدك الله والرحم! قَالَ: وتكذب أيضا! كيف أكرهك وقد خرجت بالقيان والزقاق والبرابط معك في عسكره! فقتله قَالَ: وادعى كثير من الأسراء من الجند أنهم رقيق، فكف عن قتلهم، وأمر ببيعهم فيمن يزيد مع ما بيع مما أصيب في عسكرهم.

قَالَ: ومضى سليمان مفلولا حتى انتهى إلى حصص، فانضم إليه من أفلت ممن كان معه، فعسكر بها، وبني ما كان مروان أمر بهدمه من حيطانها، ووجه مروان يوم هزمه قوادا وروابط في جريدة خيل، وتقدم إليهم أن يسبقوا كل خبر، حتى يأتوا الكامل، فيحدقوا بها إلى أن يأتهم، حنقا عليهم، فأتوهم فنزلوا عليهم، وأقبل مروان نحوهم حتى نزل معسكره من واسط، فأرسل إليهم أن انزلوا على حكمي، فقالوا: لا حتى تؤمننا بأجمعنا، فدلف إليهم، ونصب عليهم المجانيق، فلما تابعت الحجارة عليهم نزلوا على حكمه، فقتل بهم واحتملهم أهل الرقة فأووهم، وداووا جراحاتهم، وهلك بعضهم وبقي أكثرهم، وكانت عدتهم جميعا نحو من ثلاثمائة ثم شخص إلى سليمان ومن تجمع معه بمحص، فلما دنا منهم اجتمعوا، فقال بعضهم لبعض: حتى متى ننهمز من مروان! هلموا فلنتبايع على الموت ولا نفرق بعد معاينته حتى نموت جميعا فضى على ذلك من فرسانهم من قد وطن

نفسه على الموت نحو من تسعمائة، وولى سليمان على شطريهم معاوية السكسكي، وعلى الشطر الثاني ثبيتا البهراني فتوجهوا إليه مجتمعين،

على أن يبيتوه إن أصابوا منه غرة، وبلغه خبرهم وما كان منهم، فتحرز وزحف إليهم في الخنادق على احتراس وتعبئة، فراموا تبييته فلم يقدروا، فتهيئوا له وكنوا في زيتون ظهر على طريقه، في قرية تسمى تل منس من جبل السماق، فخرجوا عليه وهو يسير على تعبئة، فوضعوا السلاح فيمن معه، وانتبذ لهم، ونادى خيوله فثابت إليه من المقدمة والمجنبتين والساقة، فقاتلوه من لدن ارتفاع النهار إلى بعد العصر، والتقى السكسكي وفارس من فرسان بني سليم، فاضطربا، فصرعه السلمي عن فرسه، ونزل إليه، وأعانه رجل من بني تميم، فأتياه به أسيرا وهو واقف، فقال: الحمد لله الذي أمكن منك فطالما بلغت منا! فقال: استبقني فإني فارس العرب، قال: كذبت، الذي جاء بك أفرس منك، فأمر به فأوثق، وقتل ممن صبر معه نحو من ستة آلاف.

قال: وأفلت ثبيت ومن انهزم معه، فلما أتوا سليمان خلف أخاه سعيد ابن هشام في مدينة حمص، وعرف أنه لا طاقة له به، ومضى هو إلى تدمر، فأقام بها، ونزل مروان على حمص، فحاصرهم بها عشرة أشهر. ونصب عليها نيفا وثمانين منجنيقا، فطرح عليهم حجارها بالليل والنهار وهم في ذلك يخرجون إليه كل يوم فيقاتلون، وربما يبتوا نواحي عسكره، وأغاروا على الموضع الذي يطمعون في اصابه العورة والفرضه منه.

فلما نتابع عليهم البلاء، ولزمهم الذل سألوهم أن يؤمنهم على أن يمكنوه من سعيد بن هشام وابنيه عثمان ومروان ومن رجل كان يسمى السكسكي، كان يغير على عسكرهم، ومن حبشي كان يشتمه ويفتري عليه، فأجابهم إلى ذلك وقبله وكانت قصة الحبشي انه كان يشرف من الحائط ويربط في ذكره ذكر حمار، ثم يقول: يا بني سليم، يا أولاد كذا وكذا، هذا لواؤكم!

وكان يشتم مروان، فلما ظفر به دفعه إلى بني سليم، فقطعوا مذاكيره وأنفه، ومثلوا به، وأمر بقتل المتسمي السكسكي والاستيثاق من سعيد وابنيه، وأقبل متوجها إلى الضحاك.

وأما غير أبي هاشم مخلد بن محمد، فإنه ذكر من أمر سليمان بن هشام بعد انهزامه من وقعة خساف غير ما ذكره مخلد، والذي ذكره من ذلك أن سليمان بن هشام بن عبد الملك حين هزمه مروان يوم خساف أقبل هاربا، حتى صار إلى عبد الله بن عمر، فخرج مع عبد الله بن عمر إلى الضحاك، فباعه، وأخبر عن مروان بفسق وجور وحضض عليه، وقال: أنا سائر معكم في موالي ومن اتبعني، فسار مع الضحاك حين سار إلى مروان، فقال شبيل ابن عزرة الضبيعي في بيعتهم الضحاك:

ألم تر أن الله أظهر دينه ... فصلت قريش خلف بكر بن وائل

فصارت كلمة ابن عمر وأصحابه واحدة على النضر بن سعيد، فعلم أنه لا طاقة له بهم، فارتحل من ساعته يريد مروان بالشام. وذكر أبو عبيدة أن بهسا أخبره: لما دخل ذو القعدة سنة سبع وعشرين ومائة، استقام لمروان الشام ونفى عنها من كان يخالفه، فدعا يزيد بن عمر ابن هبيرة، فوجهه عاملا على العراق، وضم إليه اجناد الجزيرة، فاقبل حتى نزل سعيد بن عبد الملك، وأرسل ابن عمر إلى الضحاك يعلمه ذلك قال: فجعل الضحاك لنا ميسان وقال: إنها تكفيكم حتى ننظر عما تنجلي واستعمل ابن عمر عليها مولاه الحكم بن النعمان.

فأما أبو مخنف فإنه قال- فيما ذكر عنه هشام: إن عبد الله بن عمر صالح الضحاك على أن يبد الضحاك ما كان غلب عليه من الكوفة وسوادها، ويبد ابن عمر ما كان بيده من كسكر وميسان ودستيسان وكور دجلة والأهواز وفارس، فارتحل الضحاك حتى لقي مروان بكفرتوثا من ارض الجزيرة.

وقال أبو عبيدة: تهيأ الضحاك ليسير إلى مروان، ومضى النضر يريد الشام، فنزل القادسية، وبلغ ذلك ملحان الشيباني عامل الضحاك على الكوفة، فخرج إليه فقاتله وهو في قلة من الشراة، فقاتله فصبر حتى قتله النضر وقال ابن خدره يرثيه وعبد الملك بن علقمة:

كائن كملحان من شار أخي ثقة ... وابن علقمة المستشهد الشاري

من صادق كنت أصفيه مخالصتي ... فباع داري بأعلى صفقة الدار

إخوان صدق أرجيهم وأخذهم ... أشكو إلى الله خذلاني وإخفاري

وبلغ الضحاك قتل ملحان، فاستعمل على الكوفة المثنى بن عمران من بني عائدة، ثم سار الضحاك في ذي القعدة، فأخذ الموصل،

وانخط ابن هبيرة من نهر سعيد حتى نزل غرة من عين التمر، وبلغ ذلك المثنى بن عمران العائذي، عامل الضحاك على الكوفة، فسار إليه فيمن معه من الشراة، ومعه منصور بن جمهور، وكان صار إليه حين بايع الضحاك خلافا على مروان، فالتقوا بغزة، فاقتتلوا قتالا شديدا أياما متوالية، فقتل المثنى وعزيز وعمرو- وكانوا من رؤساء أصحاب الضحاك- وهرب منصور، وانهمزت الخوارج، فقال مسلم حاجب يزيد:

ارت للمثنى يوم غزه حفته ... واذرت عزيز بين تلك الجنادل

وعمرأ أزارته المنية بعد ما ... أطافت بمنصور كفات الحبال

وقال غيلان بن حريث في مدحه ابن هبيرة:

نصرت يوم العين إذ لقيتا ... كنصر داود على جالوتا

فلما قتل منهم من قتل في يوم العين، وهرب منصور بن جمهور، أقبل لا يلوي حتى دخل الكوفة، فجمع بها جمعا من اليمانية والصفريه ومن كان تفرق منهم يوم قتل ملحان ومن تخلف منهم عن الضحاك، فجمعهم منصور جميعا، ثم سار بهم حتى نزل الروحاء، وأقبل ابن هبيرة في أجناده حتى لقيهم، فقاتلهم أياما ثم هزمهم، وقتل البرذون بن مرزوق الشيباني، وهرب منصور فقي ذلك يقول غيلان بن حريث:

ويوم روحاء العذيب دفقوا ... على ابن مرزوق سمام مزعف

قال: وأقبل ابن هبيرة حتى نزل الكوفة ونفى عنها الخوارج، وبلغ الضحاك ما لقي أصحابه، فدعا عبيدة بن سوار التغلبي، فوجهه إليهم، وانخط ابن هبيرة يريد واسطا وعبد الله بن عمر بها، وولى على الكوفة عبد الرحمن بن بشير العجلي، وأقبل عبيدة بن سوار مغذا في فرسان أصحابه، حتى نزل الصراة، ولحق به منصور بن جمهور، وبلغ ذلك ابن هبيرة فسار إليهم فالتقوا بالصراة في سنة سبع وعشرين ومائة.

وفي هذه السنة توجه سليمان بن كثير ولاهز بن قريظة وقطبة بن شبيب- فيما ذكر- إلى مكة، فلقوا إبراهيم بن محمد الإمام بها، وأعلموه أن معهم عشرين ألف دينار ومائتي ألف درهم ومسكا ومتاعا كثيرا، فأمرهم بدفع ذلك إلى ابن عروة مولى محمد بن علي، وكانوا قدموا معهم بأبي مسلم ذلك العام، فقال ابن كثير لإبراهيم بن محمد: إن هذا مولاك.

وفيها كتب بكير بن ماهان إلى إبراهيم بن محمد يخبره أنه في أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا، وأنه قد استخلف حفص بن سليمان، وهو رضا للأمر، وكتب إبراهيم إلى أبي سلمة يأمره بالقيام بأمر أصحابه، وكتب إلى أهل خراسان يخبرهم أنه قد أسند أمرهم إليه، ومضى أبو سلمة إلى خراسان فصدقه، وقبلوا أمره، ودفعوا إليه ما اجتمع قبلهم من نفقات الشيعة ونحوها أموالهم ووج بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، وهو عامل مروان على المدينة ومكة والطائف، حَدَّثَنِي بذلك أحمد بن ثابت الرازي، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وغيره.

وكان العامل على العراق النضر بن الحرشي، وكان من امره وامر عبد الله ابن عمر والضحاك الحروري ما قد ذكرت قبل وكان بخراسان نصر بن سيار وبها من ينازعه فيها كالكرماني والحارث بن سريج.

٧٠٢٥ سنة ثمان وعشرين ومائة

ثم دخلت

سنة ثمان وعشرين ومائة

(ذكر خبر قتل الحارث بن سريج بخراسان) فما كان فيها من الأحداث قتل الحارث بن سريج بخراسان.

ذكر الخبر عن مقتله وسبب ذلك:

قد مضى ذكر كتاب يزيد بن الوليد للحارث بأمانه، وخروج الحارث من بلاد الترك إلى خراسان ومصيره إلى نصر بن سيار، وما كان من نصر إليه، واجتماع من اجتمع إلى الحارث مستجيبين له فذكر علي بن محمد عن شيوخته، أن ابن هبيرة لما ولي العراق كتب إلى نصر

بعهده، فباع مروان، فقال الحارث: إنما آماني يزيد بن الوليد، ومروان لا يجيز أمان يزيد، فلا آمنه فدعا إلى البيعة، فشم أبو السليل مروان، فلها دعا الحارث إلى البيعة أياه سلم بن أحوز وخالد بن هريم وقطن بن محمد وعباد بن الأبرد بن قرة وحماد بن عامر، وكلهم وقالوا له: لم يصير نصر سلطانه وولايته في أيدي قومك؟ ألم يخرجك من أرض الترك ومن حكم خاقان! وإنما أتى بك لئلا يجترئ عليك عدوك نخالفته، وفارقت أمر عشيرتك، واطمعت فيهم عدوهم، فذكرك الله أن تفرق جماعتنا! فقال الحارث: إني لأرى في يدي الكرمانى ولاية، والأمر في يد نصر، فلم يجبه بما أرادوا، وخرج إلى حائط لمزة بن أبي صالح السلي بإزاء قصر بخاراخذاه، فعسكر وأرسل إلى نصر، فقال له: اجعل الأمر شورى، فأبى نصر فخرج الحارث فأتى منازل يعقوب بن داود، وأمر جهم بن صفوان، مولى بني راسب، فقرأ كتابا سير فيه الحارث على الناس، فانصرفوا يكبرون، وأرسل الحارث إلى نصر: اعزل سلم بن أحوز عن شرطك، واستعمل بشر بن بسطام البرجمي، فوقع بينه وبين مغلس بن زياد كلام، فتفرقت قيس وتميم،

فغزله واستعمل ابراهيم بن عبد الرحمن، واختاروا رجالا يسمون لهم قوما يعملون بكتاب الله فاختر نصر مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان، واختار الحارث المغيرة بن شعبة الجهضمي ومعاذ بن جبلة، وأمر نصر كاتبه أن يكتب ما يرضون من السنن، وما يختارونه من العمال، فيوليم الثغرين، نغر سمرقند وطخارستان، ويكتب إلى من عليهما ما يرضونه من السير والسنن.

فاستأذن سلم بن أحوز نصرا في الفتك بالحارث، فأبى وولى إبراهيم الصائغ، وكان يوجه ابنه إسحاق بالفيروزج إلى مرو، وكان الحارث يظهر أنه صاحب الرايات السود، فأرسل إليه نصر: إن كنت كما تزعم، وأنكم تهدمون سور دمشق، وتزيلون أمر بني امية، نفذ مني خمسمائة رأس ومائتي بعير، واحمل من الأموال ما شئت وآلة الحرب وسر، فلعمري لئن كنت صاحب ما ذكرت إني لفي يدك، وإن كنت لست ذلك فقد أهلكك عشيرتك فقال الحارث: قد علمت أن هذا حق، ولكن لا يبايعني عليه من صبحني فقال نصر: فقد استبان أنهم ليسوا على رأيك، ولا لهم مثل بصيرتك، وأنهم هم فساق ورعاع، فاذكرك الله في عشرين ألفا من ربيعة واليمن سيهلكون فيما بينكم وعرض نصر على الحارث ان يوليه ما وراء النهر، ويعطيه ثلاثمائة ألف، فلم يقبل، فقال له نصر: فإن شئت فابدأ بالكرمانى فإن قتلته فأنا في طاعتك.

وإن شئت نفل بيني وبينه، فإن ظفرت به رأيت رأيك، وإن شئت فسر باصحابك، فإذا جرت الري فأنا في طاعتك قال: ثم تناظر الحارث ونصر، فتراضيا أن يحكم بينهم مقاتل بن حيان وجهم بن صفوان، فحكما بأن يعتزل نصر، ويكون الأمر شورى. فلم يقبل نصر وكان جهم يقص في بيته في عسكر الحارث، وخالف الحارث نصرا، ففرض نصر لقومه من بني سلمة وغيرهم، وصير سلما في المدينة في منزل ابن سوار، وضم إليه الرابطة وإلى هذبة بن عامر الشعراوى فرسا، وصيره في المدينة، واستعمل على المدينة عبد السلام بن يزيد بن حيان السلي، وحول السلاح والدواوين إلى القهндز، واتهم قوما من اصحابه

أنهم كاتبوا الحارث، فأجلس عن يساره من اتهم ممن لا بلاء له عنده، وأجلس الذين ولاهم واصطنعهم عن يمينه، ثم تكلم وذكر بني مروان ومن خرج عليهم، كيف أظفر الله به، ثم قال: أحمد الله وأذم من على يساري، وليت خراسان فكنت يا يونس بن عبد ربه ممن أراد الهرب من كلف مئونات مرو، وأنت وأهل بيتك ممن أراد أسد بن عبد الله أن يختم أعناقهم، ويجعلهم في الرجالة، فوليتكم إذ وليتكم واصطنعتكم وأمرتكم أن ترفعوا ما أصبتم إذا أردت المسير إلى الوليد، فنكم من رفع ألف ألف وأكثر وأقل، ثم ملائم الحارث علي، فهلا نظرتكم إلى هؤلاء الأحرار الذين لزموني مؤاسين على غير بلاء! وأشار إلى هؤلاء الذين عن يمينه فاعتذر القوم إليه، فقبل عذرهم.

وقدم على نصر من كور خراسان حين بلغهم ما صار إليه من الفتنة جماعة، منهم عاصم بن عمير الصريمي وأبو الذيال الناجي وعمرو الفادوسبان السغدى البخاري وحسان بن خالد الأسدي من طخارستان في فوارس، وعقيل ابن معقل الليثي ومسلم بن عبد الرحمن بن مسلم وسعد الصغير في فرسان.

وكتب الحارث بن سريج سيرته، فكانت تقرأ في طريق مرو والمساجد فأجابه قوم كثير، فقرأ رجل كتابه على باب نصر بما جان، فضربه

غلمان نصر، فنبذه الحارث، فأتى نصرا هبيرة بن شراحيل ويزيد أبو خالد، فأعلماه، فدعا الحسن بن سعد مولى قريش، فأمره فنأدى: إن الحارث بن سريج عدو الله قد نابذ وحارب، فاستعينوا بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله وأرسل من ليلته عاصم بن عمير إلى الحارث، وقال لخالد بن عبد الرحمن:

ما نفعل شعارنا غدا؟ فقال مقاتل بن سليمان: إن الله بعث نبيا فقاتل عدوا له، فكان شعاره حم لا ينصرون، فكان شعارهم حم لا ينصرون وعلا متهم على الرماح الصوف.

وكان سلم بن أحوز وعاصم بن عمير وقطن وعقيل بن معقل ومسلم

ابن عبد الرحمن وسعيد الصغير وعامر بن مالك والجماعة في طرف الطخارية ويحيى بن حزين وربيعة في البخاريين ودل رجل من أهل مدينة مرو الحارث على نقب في الحائط، ففضى الحارث فنقب الحائط، فدخلوا المدينة من ناحية باب بالين وهم خمسون، ونادوا: يا منصور- بشعار الحارث- وأتوا باب نيق، فقاتلهم جهنم بن مسعود الناجي، فحمل رجل على جهنم فطعنه في فيه فقتله، ثم خرجوا من باب نيق حتى أتوا قبة سلم بن أحوز فقاتلهم عصمة بن عبد الله الأسدي وخضر بن خالد والأبرد بن داود من آل الأبرد بن قرة، وعلى باب بالين حازم بن حاتم، فقتلوا كل من كان يحرسه، وانتهبوا منزل ابن أحوز ومنزل قديد بن منيع، ونهباهم الحارث أن ينتهبوا منزل ابن أحوز ومنزل قديد بن منيع ومنزل إبراهيم وعيسى ابني عبد الله السلمي إلا الدواب والسلاح، وذلك ليلة الاثنين ليلتين بقيتا من جمادى الآخرة.

قال: وأتى نصرا رسول سلم يخبره دنو الحارث منه، وأرسل إليه: أخره حتى نصبح، ثم بعث إليه أيضا محمد بن قطن بن عمران الأسدي، أنه قد خرج عليه عامة أصحابه، فأرسل إليه: لا تبدأهم.

وكان الذي أهاج القتال، أن غلاما للنضر بن محمد الفقيه يقال له عطية، صار إلى أصحاب سلم، فقال أصحاب الحارث: ردوه إلينا، فأبوا، فاقتتلوا، فرمى غلاما لعاصم في عينه فمات، فقاتلهم ومعه عقيل بن معقل فهزمهم، فانتهبوا إلى الحارث وهو يصلي الغداة في مسجد أبي بكرة، مولى بني تميم، فلما قضى الصلاة دنا منهم، فرجعوا حتى صاروا إلى طرف الطخارية، فدنا منه رجلا، فناداهما عاصم: عرقبا برذونه، فضرب الحارث أحدهما بعموده فقتله، ورجع الحارث إلى سكة السغد، فرأى أعين مولى حيان، فنهاه عن القتال، فقاتل فقتل، وعدل في سكة بني عصمة، فأتبعه حماد بن عامر الحماني ومحمد بن زرعة، فكسر رجليهما، وحمل على مرزوق مولى سلم، فلما دنا منه رمى به فرسه، فدخل حانوتا، وضرب برذونه على مؤخره فنفق قال: وركب سلم حين أصبح إلى باب

نيق، فأمرهم بالخذق، فخذقوا وأمر مناديا، فنأدى: من جاء برأس فله ثلاثمائة، فلم تطلع الشمس حتى انهزم الحارث، وقاتلهم الليل كله، فلما أصبحنا أخذ أصحاب نصر على الرزق، فأدركوا عبد الله بن مجاعة بن سعد، فقتلوه وانتهى سلم إلى عسكر الحارث، وانصرف إلى نصر فنهاه نصر، فقال: لست منتبيا حتى أدخل المدينة على هذا الدبوسي، ففضى معه محمد بن قطن وعبيد الله بن بسام إلى باب درسكان- وهو القهندز- فوجده مردوما، فصعد عبد الله بن مزيد الأسدي السور ومعه ثلاثة، ففتحوا الباب، ودخل بن أحوز، ووكل بالباب أبا مطهر حرب بن سليمان، فقتل سلم يومئذ كاتب الحارث بن سريج، واسمه يزيد بن داود، وأتى عبد ربه ابن سيسن فقتله، ومضى سلم إلى باب نيق ففتحه، وقتل رجلا من الجزارين كان دل الحارث على النقب، فقال المنذر الرقاشي ابن عم يحيى بن حزين، يذكر صبر القاسم الشيباني:

ما قاتل القوم منكم غير صاحبنا ... في عصابة قاتلوا صبيرا فما ذعروا

هم قاتلوا عند باب الحصن ما وهنوا ... حتى أتاهم غياث الله فانتصروا

فقاسم بعد أمر الله أحرزها ... وأنت في معزل عن ذاك مقتصر

ويقال: لما غلظ أمر الكرمانى والحارث أرسل نصر إلى الكرمانى، فأتاه على عهد، وحضرهم محمد بن ثابت القاضي ومقدام بن نعيم أخو عبد الرحمن ابن نعيم الغامدي وسلم بن أحوز، فدعا نصر إلى الجماعة، فقال للكرمانى:

أنت أسعد الناس بذلك، فوقع بين سلم بن أحوز والمقدام كلام، فأغلظ له سلم، فأعانه عليه أخوه، وغضب لهما السغدي بن عبد الرحمن الحزمي، فقال سلم: لقد هممت أن أضرب أنفك بالسيف، فقال السغدي: لو مسست السياف لم ترجع إليك يدك، نخاف الكرمانى أن يكون مكراً من نصر، فقام وتعلقوا به، فلم يجلس، وعاد إلى باب المقصورة.

قال: فتلقيه بفرسه، فركب في المسجد، وقال نصر: أراد الغدربي، وأرسل الحارث إلى نصر: إنا لا نرضى بك إماماً، فأرسل إليه نصر: كيف

يكون لك عقل، وقد أفنيت عمرك في أرض الشرك وغزوات المسلمين بالمشركين! أتراني أتضرع إليك أكثر مما تضرعت! قال: فأسر يومئذ جهنم بن صفوان صاحب الجهمية، فقال لسلم: ان لي ولثاً من ابنك حارث، قال: ما كان ينبغي له أن يفعل، ولو فعل ما آمنتك، ولو ملأت هذه الملاءة كواكب، وأبرأك إلى عيسى بن مريم ما نجوت، والله لو كنت في بطني لشققت بطني حتى أقتلك، والله لا يقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قتت، وأمر عبد ربه بن سيسن فقتله، فقال الناس: قتل أبو محرز- وكان جهنم يكنى أبا محرز.

وأسر يومئذ هبيرة بن شراحيل وعبد الله بن مجاعة فقال: لا أبقي الله من استبقاكما، وإن كنتما من تميم ويقال: بل قتل هبيرة، لحقته الخليل عند دار قديد بن منبج فقتل قال: ولما هزم نصر الحارث، بعث الحارث ابنه حاثماً إلى الكرمانى، فقال له محمد بن المثني: هما عدواك، دعهما يضطربان، فبعث الكرمانى السغدي بن عبد الرحمن الحزمي معه، فدخل السغدي المدينة من ناحية باب ميخان، فأتاه الحارث، فدخل فازه الكرمانى، ومع الكرمانى داود ابن شعيب الجداني ومحمد بن المثني، فأقيمت الصلاة، فصلى بهم الكرمانى، ثم ركب الحارث، فسار معه جماعة بن محمد بن عزيز أبو خلف، فلما كان الغد سار الكرمانى إلى باب ميدان يزيد، فقاتل أصحاب نصر، فقتل سعد بن سلم المراغي، وأخذوا علم عثمان بن الكرمانى، فأول من أتى الكرمانى بهزيمة الحارث وهو معسكر بباب ماسرجسان على فرسخ من المدينة النضر ابن غلاق السغدي وعبد الواحد بن المنخل ثم أتاه سواده بن سريج، وحاتم بن الحارث والخليل بن غزوان العذري، اتوه ببيعه الحارث بن سريج وأول من بايع الكرمانى يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيباني، فوجه الكرمانى إلى الحارث بن سريج سورة بن محمد الكندي إلى اسمانير والسغدي بن عبد الرحمن أبا طعمة وصعباً أو صعبياً، وصباحاً، فدخلوا المدينة من باب ميخان، حتى أتوا باب ركك، وأقبل الكرمانى إلى باب حرب بن عامر،

ووجه أصحابه إلى نصر يوم الأربعاء، فتراموا ثم تحاجزوا، ولم يكن بينهم يوم الخميس قتال قال: والتقوا يوم الجمعة، فانهزمت الأزد، حتى وصلوا إلى الكرمانى، فأخذ اللواء بيده فقاتل به، وحمل الخضر بن تميم وعليه تحفاف، فرموه بالنشاب، وحمل عليه حبش مولى نصر فطعنه في حلقه، فأخذ الخضر السنان بشماله من خلفه، فشب به فرسه، وحمل فطعن حبشاً فأذراه عن برذونه، فقتله رجاله الكرمانى بالعصي.

قال: وانهزم أصحاب نصر، وأخذوا لهم ثمانين فرساً، وصرع تميم ابن نصر، فأخذوا له برذونين، أخذ أحدهما السغدي بن عبد الرحمن، وأخذ الآخر الخضر، ولحق الخضر بسلم بن أحوز، فتناول من ابن أخيه عموداً فضر به فصرعه، فحمل عليه رجلاً من بني تميم فهرب، فرمى سلم بنفسه تحت القناطر وبه بضع عشرة ضربة على بيضته فسقط، فحمله محمد بن الحداد إلى عسكر نصر، وانصرفوا، فلما كان في بعض الليالي خرج نصر من مرو، وقتل عصمة بن عبد الله الأسدي، وكان يحيى أصحاب نصر، فأدركه صالح بن القعقاع الأزدي، فقال له عصمة: تقدم يا مزوني، فقال صالح: اثبت يا خصي- وكان عقيماً- فعطف فرسه فشب فسقط، فطعنه صالح فقتله.

وقاتل ابن الديلمري، وهو يرتجز، فقتل إلى جنب عصمة وقتل عبيد الله بن حوثمة السلمي، رمى مروان البهراني بجزره، فقتل، فأتى الكرمانى برأسه فاسترجع- وكان له صديقاً- وأخذ رجل يمانى بعنان فرس مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم فعرفه فتركه واقتتلوا ثلاثة أيام، فهزمت آخر يوم المضرية اليمن، فنادى الخليل بن غزوان: يا معشر ربيعة واليمن، قد دخل الحارث السوق، وقتل ابن الأقطع، فنت في أعضاد المضرية وكان أول من انهزم إبراهيم بن بسام الليثي، وترجل تميم بن نصر، فأخذ برذونه عبد الرحمن بن جامع الكندي، وقتلوا هياجا الكلي ولقيط بن أخضر، قتله غلام لهائى البزار

قال: ويقال: لما كان يوم الجمعة تأهبوا للقتال، وهدموا الحيطان ليتسع لهم الموضع، فبعث نصر محمد بن قطن إلى الكرمانى: إنك لست

مثل هذا الدبوسي، فاتق الله، لا تشرع في الفتنة قَالَ: وبعث تميم بن نصر شاكريته، وهم في دار الجنوب بنت القعقاع، فرماهم أصحاب الكرمانى من السطوح ونذروا بهم، فقال عقيل بن معقل لمحمد بن المثنى: علام نقتل أنفسنا لنصر والكرمانى! هلم نرجع إلى بلدنا بطخارستان، فقال محمد: إن نصرا لم يف لنا، فلنا ندع حربه وكان أصحاب الحارث والكرمانى يرمون نصرا وأصحابه بعراة، فضرب سرادقه وهو فيه فلم يحوله، فوجه اليهم سلم بن أحوز فقاتلهم، فكان أول الظفر لنصر، فلما رأى الكرمانى ذلك أخذ لواءه من محمد بن محمد بن عميرة، فقاتل به حتى كسره وأخذ محمد بن المثنى والزاغ وحطان في كاربكل، حتى خرجوا على الرزيق، وقيم بن نصر على قنطرة النهر، فقال محمد بن المثنى لقيم حين انتهى إليه: تنح يا صبي وحمل محمد والزاغ معه راية صفراء، فصرعوا أعين مولى نصر، وقتلوه، وكان صاحب دواة نصر، وقتلوا نفرا من شاكريته وحمل الخضر بن تميم على سلم بن أحوز فطعنه، فال السنان، فضره بجرز على صدره وأخرى على منكبه، وضربه على رأسه فسقط، وحى نصر أصحابه في ثمانية، فنعهم من دخول السوق.

قَالَ: ولما هزمت اليمانية مضر، أرسل الحارث إلى نصر: إن اليمانية يعيرونني بانهمزائمكم، وأنا كاف، فاجعل حماة أصحابك بإزاء الكرمانى، فبعث إليه نصر يزيد النحوي او خالدا يتوثق منه، أن يفني له بما أعطاه من الكف.

ويقال: إنما كف الحارث عن قتال نصر أن عمران بن الفضل الأزدي وأهل بيته وعبد الجبار العدوي وخالد بن عبيد الله بن حبيب العدوي وعامة أصحابه نعموا على الكرمانى فعله باهل التبوشكان، وذلك أن أسدا وجهه اليهم، فنزلوا على حكم أسد، فبقر بطون خمسين رجلا وألقاهم في نهر بلخ، وقطع أيدي ثلاثمائة منهم وأرجلهم، وصلب ثلاثة، وباع أثقالهم فيمن يزيد،

فنعهم على الحارث عونه الكرمانى، وقتاله نصرا فقال نصر لأصحابه حين تغير الأمر بينه وبين الحارث: ان مضر، لا تجتمع لي ما كان الحارث مع الكرمانى، لا يتفقان على أمر، فالرأي تركهما، فإنهما يختلفان وخرج إلى جلفر فيجد عبد الجبار الأحول العدوي وعمر بن أبي الهيثم الصغدي، فقال لهما: أيسعكما المقام مع الكرمانى؟ فقال عبد الجبار: وأنت فلا عدت آسيا، ما أحلك هذا المحل! فلما رجع نصر الى مرو امر به فضرب أربعمائة سوط، ومضى نصر إلى خرق، فأقام أربعة أيام بها، ومعه مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم وسلم بن أحوز وسنان الأعرابي، فقال نصر لنسائه: ان الحارث سيخلفني فيكن ويحييكن فلما قرب من نيسابور أرسلوا إليه: ما أقدمك، وقد أظهرت من العصبية أمرا قد كان الله أطفأه؟ وكان عامل نصر على نيسابور ضرار ابن عيسى العامري، فأرسل إليه نصر بن سنان الأعرابي ومسلم بن عبد الرحمن وسلم بن أحوز، فكلهمهم فخرجوا، فتلقوا نصرا بالمواكب والجواري والهدايا، فقال سلم: جعلني الله فداك! هذا الحي من قيس، وإنما كانت عاتبة، فقال نصر:

أنا ابن خندف تمني قبائلها ... للصالحات وعمي قيس عيلانا

وأقام عند نصر حين خرج من مرو يونس بن عبد ربه ومحمد بن قطن وخالد بن عبد الرحمن في نظرائهم. قَالَ: وتقدم عباد بن عمر الأزدي وعبد الحكيم بن سعيد العوزي وأبو جعفر عيسى بن جرز على نصر من مكة بأبرشهر، فقال نصر لعبد الحكيم:

أما ترى ما صنع سفهاء قومك؟ فقال عبد الحكيم: بل سفهاء قومك، طالت ولايتها في ولايتك، وصيرت الولاية لقومك دون ربيعة واليمن فبطروا، وفي ربيعة واليمن حلماء وسفهاء فغلب السفهاء الحكماء فقال عباد: أتستقبل الأمير بهذا الكلام! قَالَ: دعه فقد صدق، فقال أبو جعفر عيسى بن جرز- وهو من أهل قرية على نهر مرو: أيها الأمير، حسبك من هذه الأمور والولاية، فإنه قد أطل أمر عظيم، سيقوم رجل مجهول النسب يظهر السواد، ويدعو إلى دولة تكون، فيغلب على الأمر وأنتم تنظرون وتضطربون فقال نصر:

ما أشبه أن يكون لقلة الوفاء، واستجراح الناس، وسوء ذات البين وجهت إلى الحارث وهو بأرض الترك، فعرضت عليه الولاية والأموال فأبى وشغب، وظاهر علي فقال أبو جعفر عيسى: إن الحارث مقتول مصلوب، وما الكرمانى من ذلك ببعيد فوصله نصر قَالَ: وكان سلم بن أحوز يقول: ما رأيت قوما أكرم إجابة، ولا أبذل لدمائهم من قيس.

قَالَ: فلما خرج نصر من مرو غلب عليها الكرمانى، وقال للحارث: إنما أريد كتاب الله، فقال قحطبة: لو كان صادقاً لأمددته ألف عنان، فقال مقاتل بن حيان: أفي كتاب الله هدم الدور وانتهاب الأموال! فحبسه الكرمانى في خيمة في العسكر، فكله معمر بن مقاتل بن حيان- أو معمر بن حيان- نخله، فأتى الكرمانى المسجد، ووقف الحارث، فخطب الكرمانى الناس، وآمنهم غير محمد بن الزبير ورجل آخر، فاستأمن لابن الزبير داود بن أبي داود بن يعقوب، ودخل الكاتب فآمنه، ومضى الحارث إلى باب دوران وسرخس، وعسكر الكرمانى في مصلى أسد، وبعث إلى الحارث فأتاه، فأنكر الحارث هدم الدور وانتهاب الأموال، فهم الكرمانى به، ثم كف عنه، فأقام أياماً وخرج بشر بن جرموز الضبي بخرقان، فدعا إلى الكتاب والسنة، وقال للحارث: إنما قاتلت معك طلب العدل، فأما إذ كنت مع الكرمانى، فقد علمت أنك إنما تقاتل ليقال: غلب الحارث! وهؤلاء يقاتلون عصبية، فلست مقاتلاً معك واعتزل في نحسه آلاف وخمسمائة- ويقال في أربعة آلاف- وقال: نحن الفئة العادلة، ندعو إلى الحق ولا نقاتل إلا من يقاتلنا وأتى الحارث مسجد عياض، فأرسل إلى الكرمانى يدعوه إلى أن يكون الأمر شورى، فأبى الكرمانى، وبعث الحارث ابنه محمداً فحمل ثقله من دار تميم بن نصر، فكتب نصر إلى عشيرته ومضراً، أن الزموا الحارث مناصحة

فأتوه، فقال الحارث: إنكم أصل العرب وفرعها، وأنتم قريب عهد بالهزيمة، فخرجوا إلي بالأثقال، فقالوا: لم نكن نرضى بشيء دون لقائه وكان من مدبري عسكر الكرمانى مقاتل بن سليمان، فأتاه رجل من البخاريين، فقال: أعطني أجر المنجنيق التي نصبتها، فقال: أقم البينة أنك نصبتها من منفعة المسلمين، فشهد له شيبه بن شيخ الأزدي، فأمر مقاتل فصك له إلى بيت المال قال: فكتب أصحاب الحارث إلى الكرمانى: نوصيكم بتقوى الله وطاعته وإيثار أئمة الهدى وتحريم ما حرم الله من دمائكم، فإن الله جعل اجتماعنا كان إلى الحارث ابتغاء الوسيلة إلى الله، ونصيحة في عبادته، فعرضنا أنفسنا للحرب ودماءنا للسفك وأموالنا للتلف، فصغر ذلك كله عندنا في جنب ما نرجو من ثواب الله، ونحن وأنتم إخوان في الدين وأنصار على العدو، فاتقوا الله وراجعوا الحق، فإننا لا نريد سفك الدماء بغير حلها.

فأقاموا أياماً، فأتى الحارث بن سرج الحائط فثلم فيه ثلثة ناحية نوبان عند دار هشام بن أبي الهيثم، فتفرق عن الحارث أهل البصائر وقالوا:

غدرت فأقام القاسم الشيباني وربيعة التيمي في جماعة، ودخل الكرمانى من باب سرخس، فحاذى الحارث، ومر المنخل بن عمرو الأزدي فقتله السמידع، أحد بني العدوية، ونادى: يا لثارات لقيط! واقتتلوا، وجعل الكرمانى على ميمنته داود بن شعيب وإخوته: خالد ومزيدي والمهلب، وعلى ميسرته سورة بن محمد بن عزيز الكندي، في كندة وربيعة فاشتد الأمر بينهم، فانهزم أصحاب الحارث وقتلوا ما بين الثلثة وعسكر الحارث، والحارث على بغل فنزل عنه، وركب فرساً فضره، فخرى وانهزم أصحابه، فبقي في أصحابه، فقتل عند شجرة، وقتل أخوه سودة وبشر بن جرموز وقطن بن المغيرة بن عجرد، وكف الكرمانى، وقتل مع الحارث مائة، وقتل من أصحاب الكرمانى مائة، وصلب الحارث عند مدينة مرو بغير رأس.

وكان قتل بعد خروج نصر من مرو بثلاثين يوماً، قتل يوم الأحد لست بقين من رجب وكان يقال: إن الحارث يقتل تحت زيتونة أو شجرة غبيراء.

فقتل كذلك سنة ثمان وعشرين ومائة وأصاب الكرمانى صفائح ذهب للحارث

فأخذها وحبس أم ولده ثم خلى عنها، وكانت عند حاجب بن عمرو بن سلمة بن سكن بن جون بن ديب قال: وأخذ أموال من خرج مع نصر، واصطفى متاع عاصم بن عمير، فقال إبراهيم: بم تستحل ما له؟ فقال صالح من آل الواضح: اسقني دمه، فخال بينه وبينه مقاتل بن سليمان، فأتى به منزله قال علي: قال زهير بن الهنيد: خرج الكرمانى إلى بشر بن جرموز، وعسكر خارجاً من المدينة، مدينة مرو، وبشر في أربعة آلاف، فعسكر الحارث مع الكرمانى، فأقام الكرمانى أياماً بينه وبين عسكر بشر فرسخان، ثم تقدم حتى قرب من عسكر بشر، وهو يريد أن يقاتله، فقال للحارث:

تقدم وندم الحارث على اتباع الكرمانى، فقال: لا تعجل إلى قتالهم، فاني أردتهم إليك، فخرج من العسكر في عشرة فوارس، حتى أتى عسكر بشر في قرية الدريجان، فأقام معهم وقال: ما كنت لأقاتلكم مع اليمانية، وجعل المضريون ينسلون من عسكر الكرمانى

إلى الحارث حتى لم يبق مع الكرمانى مضرى غير سلمة بن أبى عبد الله، مولى بنى سليم، فإنه قال: والله لا أتبع الحارث أبداً فإنى لم أره إلا غادرا والمهلب بن إياس، وقال: لا أتبعه فإنى لم أره قط إلا فى خيل تطرد فقاتلهم الكرمانى مرارا يقتتلون ثم يرجعون إلى خنادقهم، فرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء، فالتقوا يوما من أيامهم، وقد شرب مرثد بن عبد الله المجاشعى، نفرج سكران على برذون للحارث، فطعن فصرع، وحماه فوارس من بنى تميم، حتى تخلص، وعار البرذون، فلما رجع لأمه الحارث، وقال: كدت تقتل نفسك، فقال للحارث: إنما تقول ذلك لمكان برذونك، امراته طالق ان لم آتاك ببرذون افره من برذونك من عسكرهم، فالتقوا من غد، فقال مرثد: اى برذون فى عسكرهم افره؟ قالوا: برذون عبد الله ابن ديسم العزى- وأشاروا إلى موقفه- حتى وصل إليه، فلما غشيه رمى ابن ديسم نفسه عن برذونه، وعلق مرثد عنان فرسه فى رحمه، وقاده حتى أتى به الحارث، فقال: هذا مكان برذونك، فلقى مخلد بن الحسن مرثداً، فقال له يمازحه: ما أهيا برذون ابن ديسم تحتك! فنزل عنه، وقال: خذه، قال:

أردت أن تفضحنى! أخذته منا فى الحرب وآخذه فى السلم! ومكثوا بذلك

أياماً، ثم ارتحل الحارث ليلاً، فأتى حائط مرو فنقب باباً، ودخل الحائط، فدخل الكرمانى، وارتحل، فقالت المضرية للحارث: قد تركنا الخنادق فهو يومنا، وقد فررت غير مرة، فترجل فقال: أنا لكم فارساً خير منى لكم راجلاً، قالوا: لا نرضى إلا أن تترجل، فترجل وهو بين حائط مرو والمدينة، فقتل الحارث وأخوه وبشر بن جرموز وعدة من فرسان تميم، وانهزم الباقون، وصلب الحارث وصفت مرو لليمن، فهدموا دور المضرية، فقال نصر بن سيار للحارث حين قتل:

يا مدخل الذل على قومه ... بعدا وسحقاً لك من هالك!

شؤمك أردى مضراً كلها ... وغض من قومك بالحارك

ما كانت الأزد وأشياعها ... تطمع فى عمرو ولا مالك

ولا بنى سعد إذا أجموا ... كل طمر لونه حالك

ويقال: بل قال هذه الأبيات نصر لعثمان بن صدقة المازنى.

وقالت أم كثير الضبية:

لا بارك الله فى أنثى وعذبا ... تزوجت مضرياً آخر الدهر

أبلغ رجال تميم قول موجعة ... أحللتموها بدار الذل والفقر

إن أتم لم تكروا بعد جولتكم ... حتى تعيدوا رجال الأزد فى الظهر

إنى استحييت لكم من بذل طاعتكم ... هذا المزونى يبيحك على قهر

وقال عباد بن الحارث:

ألا يا نصر قد برح الخفاء ... وقد طال التنى والرجاء

وأصبحت المزون بأرض مرو ... تقضى فى الحكومة ما تشاء

يجوز قضاؤها فى كل حكم ... على مضر وإن جار القضاء

وحير فى مجالسها قعود ... ترقق فى رقابهم الدماء

فإن مضر بذاً رضىت وذلت ... فطال لها المذلة والشقاء

وإن هى أعتبت فيها وإلا ... فخل على عساكرها العفاء

وقال:

ألا يا ايها المرء ... الذى قد شفه الطرب

أفق ودع الذى قد ... كنت تطلبه ونطلب

فقد حدثت بحضرتنا ... أمور شأنها عجب

الأزد رأيتها ... عزت بمرو وذلت العرب

فجاز الصفر لما ... كان ذاك وبهرج الذهب

وقال أبو بكر بن إبراهيم لعلي وعثمان ابني الكرماني.
 إني لمرتحل أريد بمدحتي ... أخوين فوق ذرى الأنعام ذراهما
 سبقا الجياد فلم يزالا نجعه ... لا يعلم الضيف الغريب قرأهما
 يستعليان ويجريان إلى العلا ... ويعيش في كنفهما حياهما
 أعني عليا إنه ووزيره ... عثمان ليس يذل من والاهما
 جريا لكيما يلحقا بأبيهما ... جري الجياد من البعيد مداهما
 فلئن هما لحقا به لمنصب ... يستعليان ويلحقان أباهما
 ولئن ابر عليهما فلطالما ... جريا فبذهما وبذ سواهما
 فلا مدحهنما بما قد عاينت ... عيني وإن لم أحص كل نداهما
 فهما التقيان المشار إليهما ... الحاملان الكاملان كلاهما
 وهما أزالا عن عريكة ملكه ... نصرا ولاقي الذل إذ عاداهما
 نفيا ابن أقطع بعد قتل حماته ... وتقسمت أسلابه خيلاهما

٧٠٢٥٠١ ذكر الخبر عن مقتل الضحاك الخارجي

والحارث بن سريج إذ قصدوا له ... حتى تعاور رأسه سيفاهما
 أخذوا بعفو أبيهما في قدره ... إذ عز قومهما ومن والاهما
 وفي هذه السنة وجه إبراهيم بن محمد أبا مسلم إلى خراسان، وكتب إلى أصحابه: إني قد أمرته بأمر، فاسمعوا منه واقبلوا قوله، فإني قد
 أمرته على خراسان وما غلب عليه بعد ذلك، فأتاهم فلم يقبلوا قوله، وخرجوا من قابل، فالتقوا بمكة عند إبراهيم، فاعلمه أبو مسلم أنهم لم
 ينفذوا كتابه وأمره، فقال إبراهيم: إني قد عرضت هذا الأمر على غير واحد فأبوه علي، وذلك أنه كان عرض ذلك قبل أن يوجه أبا
 مسلم على سليمان بن كثير، فقال: لا ألي اثنين أبدا، ثم عرضه على إبراهيم بن سلمة فأبى، فأعلمهم أنه أجمع رأيه على أبي مسلم، وأمرهم
 بالسمع والطاعة، ثم قال: يا عبد الرحمن، إنك رجل منا أهل البيت، فاحفظ وصيتي، وانظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم، وحل بين
 أظهرهم، فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم، وانظر هذا الحي من ربيعة فاتهمهم في أمرهم، وانظر هذا الحي من مضر، فإنهم العدو
 القريب الدار، فاقتل من شككت في أمره ومن كان في أمره شبهة ومن وقع في نفسك منه شيء، وإن استطعت ألا تدع بخراسان
 لسانا عربيا فافعل، فأبى غلام بلغ خمسة أشبار تهمه فاقتله، ولا تخالف هذا الشيخ - يعني سليمان بن كثير - ولا تعصه، وإذا أشكل
 عليك امر فاكشف به مني.

ذكر الخبر عن مقتل الضحاك الخارجي

وفي هذه السنة قتل الضحاك بن قيس الخارجي، فيما قال أبو مخنف، ذكر ذلك هشام بن محمد عنه
 ذكر الخبر عن مقتله وسبب ذلك:
 ذكر أن الضحاك لما حاصر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بواسط، وبايعه منصور بن جمهور، ورأى عبد الله بن عمر أنه لا طاقة له به،
 أرسل إليه: إن مقامكم علي ليس بشيء، هذا مروان فسر إليه، فإن قاتلته فأنا معك، فصالحه على ما قد ذكرت من اختلاف المختلفين
 فيه.

فذكر هشام، عن أبي مخنف، أن الضحاك ارتحل عن ابن عمر حتى لقي مروان بكفرتوثا من أرض الجزيرة، فقتل الضحاك يوم التقوا.
 وأما أبو هاشم مخلص بن محمد بن صالح، فقال فيما حدثني أحمد بن زهير، قال: حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم عنه أن الضحاك لما قتل
 عطية الثعلبي صاحبه وعامله على الكوفة ملحان بكنطرة السيلحين، وبلغه خبر قتل ملحان وهو محاصر عبد الله بن عمر بواسط، وجه
 مكانه من أصحابه رجلا يقال له مطاعن، واصطلح عبد الله بن عمر والضحاك عن أن يدخل في طاعته، فدخل وصلى خلفه، وانصرف

إلى الكوفة، وأقام ابن عمر فيمن معه بواسط، ودخل الضحاك الكوفة، وكتبه أهل الموصل ودعوه إلى أن يقدم عليهم فيمكنوه منها، فسار في جماعة جنوده بعد عشرين شهرا، حتى انتهى إليها، وعليها يومئذ عامل مروان، وهو رجل من بني شيبان من أهل الجزيرة يقال له القطران بن أكمة، ففتح أهل الموصل المدينة للضحاك وقتلهم القطران في عدة يسيرة من قومه وأهل بيته حتى قتلوا، واستولى الضحاك على الموصل وكورها.

وبلغ مروان خبره وهو محاصر حمص، مشغل بقتال أهلها، فكتب إلى ابنه عبد الله وهو خليفته بالجزيرة، يأمره أن يسير فيمن معه من روابطه إلى مدينه نصيبين ليشغل الضحاك عن توسط الجزيرة، فشخص عبد الله إلى نصيبين في جماعة روابطه، وهو في نحو من سبعة آلاف أو ثمانية، وخلف بحران قائدا في ألف أو نحو ذلك، وسار الضحاك من الموصل إلى عبد الله

٧٠٢٥٠٢ ذكر الخبر عن مقتل الخبيري وولايه شيبان

بنصيبين، فقاتله فلم يكن له قوة لكثرة من مع الضحاك، فهم فيما بلغنا عشرون ومائة ألف، يرزق الفارس عشرين ومائة والراجل والبغال المائة والثمانين في كل شهر، وأقام الضحاك على نصيبين محاصرا لها، ووجه قائدين من قواده يقال لهما عبد الملك بن بشر التغلبي، وبدر الذكواني مولى سليمان بن هشام في، أربعة آلاف أو خمسة آلاف حتى وردا الرقة، فقاتلهم من بها من خيل مروان، وهم نحو من خمسمائة فارس، ووجه مروان حين بلغه نزولهم الرقة خيلا من روابطه، فلما دنوا منها انقشع أصحاب الضحاك منصرفين إليه، فاتبعهم خيله، فاستسقطوا من ساقتهم نيفا وثلاثين رجلا، فقطعهم مروان حين قدم الرقة، ومضى صامدا إلى الضحاك وجموعه حتى التقيا بموضع يقال له الغز من أرض كفرتوثا، فقاتله يومه ذلك، فلما كان عند المساء ترجل الضحاك وترجل معه من ذوي الثبات من أصحابه نحو من ستة آلاف وأهل عسكره أكثرهم لا يعلمون بما كان منه، وأحدثت بهم خيول مروان فألحوا عليهم حتى قتلوهم عند العتمة، وانصرف من بقي من أصحاب الضحاك إلى عسكرهم، ولم يعلم مروان ولا أصحاب الضحاك أن الضحاك قد قتل فيمن قتل حتى فقدوه في وسط الليل وجاءهم بعض من عاينه حين ترجل، فأخبرهم بخبره ومقتله، فبكوه وناحوا عليه، وخرج عبد الملك بن بشر التغلبي القائد الذي كان وجهه في عسكرهم إلى الرقة حتى دخل عسكر مروان، ودخل عليه فأعلمه أن الضحاك قتل، فأرسل معه رسلا من حرسه، معهم النيران والشمع إلى موضع المعركة، فقلبا القتلى حتى استخرجوه، فاحتملوه حتى أتوا به مروان، وفي وجهه أكثر من عشرين ضربة، فكبر أهل عسكر مروان، فعرف أهل عسكر الضحاك أنهم قد علموا بذلك، وبعث مروان برأسه من ليلته إلى مدائن الجزيرة، فطيف به فيها.

وقيل: إن الخبيري والضحاك إنما قتلا في سنة تسع وعشرين ومائة.

ذكر الخبر عن مقتل الخبيري وولايه شيبان

وفي هذه السنة كان أيضا- في قول أبي مخنف- قتل الخبيري الخارجي كذلك ذكر هشام عنه

ذكر الخبر عن مقتله:

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ:

حدثني أبو هاشم مخلص بن محمد بن صالح، قَالَ: لما قتل الضحاك أصبح أهل عسكره بايعوا الخبيري، وأقاموا يومئذ وغادوه من بعد الغد، وصافوه وصافهم، وسليمان بن هشام يومئذ في مواليه وأهل بيته مع الخبيري، وقد كان قدم على الضحاك وهو بنصيبين، وهم في أكثر من ثلاثة آلاف من أهل بيته ومواليه، فتزوج فيهم أخت شيبان الحروري الذي بايعوه بعد قتل الخبيري، فحمل الخبيري على مروان في نحو من أربعمائة فارس من الشراة، فهزم مروان وهو في القلب، وخرج مروان من المعسكر هاربا، ودخل الخبيري فيمن معه عسكره، فجعلوا ينادون بشعارهم: يا خبيري يا خبيري، ويقتلون من أدركوا حتى انتهوا إلى جرة مروان، فقطعوا أطنابها، وجلس الخبيري على فرشه، وميمنة مروان عليها ابنه عبد الله ثابتة على حالها، وميسرته ثابتة عليها إسحاق بن مسلم العقيلي، فلما رأى أهل عسكر مروان قلة من مع الخبيري ثار إليه عبيد من أهل العسكر بعمد الخيام، فقتلوا الخبيري وأصحابه جميعا في جرة مروان وحولها، وبلغ مروان الخبر وقد جاز العسكر بخمسة أميال أو ستة منزهما، فانصرف إلى عسكره ورد خيوله عن مواضعها ومواقفها، وبات ليلته تلك في عسكره

فانصرف أهل عسكر الخيبري فولوا عليهم شيبان وبايعوه، فقاتلهم مروان بعد ذلك بالكرايس، وأبطل الصف منذ يومئذ وكان مروان يوم الخيبري بعث محمد بن سعيد، وكان من ثقاته وكنابه إلى الخيبري، فبلغه أنه مالأهم وانحاز إليهم يومئذ، فأتي به مروان أسيراً فقطع يده ورجله ولسانه.

وفي هذه السنة وجه مروان يزيد بن عمر بن هبيرة إلى العراق لحرب من بها من الخوارج. وجج بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، كذلك قال أبو معشر - فيما حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى.

٧٠٢٥٣ خبر أبي حمزة الخارجي مع عبد الله بن يحيى

عنه وكذلك قال الواقدي وغيره.

وقال الواقدي: وافتتح مروان حمص وهدم سورها، وأخذ نعيم بن ثابت الجزامي فقتله في شوال سنة ثمان، وقد ذكرنا من خالفه في ذلك قبل.

وكان العامل على المدينة ومكة والطائف - فيما ذكر - في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، وبالعراق عمال الضحاك وعبد الله بن عمر وعلى قضاء البصرة ثمامة بن عبد الله، وبخراسان نصر بن سيار وخراسان مفتونه.

. خبر أبي حمزة الخارجي مع عبد الله بن يحيى

وفي هذه السنة لقي أبو حمزة الخارجي عبد الله بن يحيى طالب الحق فدعاه إلى مذهبه. ذكر الخبر عن ذلك:

حدثني العباس بن عيسى العقيلي، قال: حدثنا هارون بن موسى الفروي، قال: حدثني موسى بن كثير مولى الساعديين، قال: كان أول أمر أبي حمزة - وهو المختار بن عوف الأزدي السلمي من البصرة - قال موسى: كان أول أمر أبي حمزة أنه كان يوافي كل سنة مكة يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد وإلى خلاف آل مروان قال: فلم يزل يختلف في كل سنة حتى وافى عبد الله بن يحيى في آخر سنة ثمان وعشرين ومائة، فقال له: يا رجل، أسمع كلاماً حسناً، وأراك تدعو إلى حق، فانطلق معي، فإني رجل مطاع في قومي، نفرج حتى ورد حضرموت، فبايعه أبو حمزة على الخلافة، ودعا إلى خلاف مروان وآل مروان.

وقد حدثني محمد بن حسن أن أبا حمزة مر بمعدن بني سليم وكثير بن عبد الله عامل على المعدن، فسمع بعض كلامه، فأمر به فجلد سبعين سوطاً، ثم مضى إلى مكة، فلما قدم أبو حمزة المدينة حين افتتحها تغيب كثير حتى كان من أمرهم ما كان.

٧٠٢٦ سنة تسع وعشرين ومائة

٧٠٢٦١ خبر هلاك شيبان بن عبد العزيز الحروري

ثم دخلت

سنة تسع وعشرين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

خبر هلاك شيبان بن عبد العزيز الحروري

فمن ذلك ما كان من هلاك شيبان بن عبد العزيز الشكري أبي الدلفاء ذكر الخبر عن سبب مهلكة: وكان سبب ذلك أن الخوارج الذين كانوا بإزاء مروان بن محمد يحاربونه لما قتل الضحاك بن قيس الشيباني رئيس الخوارج والخيبري بعده، ولوا عليهم شيبان وبايعوه، فقاتلهم مروان، فذكر هشام بن محمد والهيثم بن عدي أن الخيبري لما قتل قال سليمان بن هشام بن عبد الملك للخوارج - وكان معهم في عسكرهم: إن الذي تفعلون ليس براى، فإن أخذتم برأى، وإلا انصرفتم عنكم قالوا: فما الرأي؟ قال: إن أحدكم يظفر ثم يستقتل فيقتل،

فإني أرى أن ننصرف على حاميتنا حتى نزل الموصل، فنخندق ففعل وأتبعه مروان والخوارج في شرقي دجلة ومروان بإزائهم، فاقتتلوا تسعة أشهر، ويزيد بن عمر بن هبيرة بقرقيسيا في جند كثيف من أهل الشام وأهل الجزيرة، فأمره مروان أن يسير إلى الكوفة، وعليها يومئذ المثنى بن عمران، من عائدة قریش من الخوارج.

وحدثني أحمد بن زهير، قال: حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم، قال:

حدثني أبو هاشم مخلد بن محمد، قال: كان مروان بن محمد يقاتل الخوارج بالصف، فلما قتل الخيبري وبويع شيبان، قاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس، وأبطل الصف منذ يومئذ، وجعل الآخرون يكرسون بكراديس مروان كراديس تكافئهم وتقاتلهم، وتفرق كثير من أصحاب الطمع عنهم وخذلهم، وحصلوا في نحو من أربعين ألفاً، فأشار عليهم سليمان بن هشام أن ينصرفوا إلى مدينة الموصل، فيصيروها ظهراً وملجأ وميرة لهم، فقبلوا رأيه، وارتحلوا

ليلاً، وأصبح مروان فأتبعهم، ليس يرحلون عن منزل إلا نزل، حتى انتهوا إلى مدينة الموصل، فعسكروا على شاطئ دجلة، وخندقوا على أنفسهم، وعقدوا جسوراً على دجلة من عسكرهم إلى المدينة، فكانت ميرتهم ومرافقهم منها، وخندق مروان بإزائهم، فأقام ستة أشهر يقاتلهم بكرة وعشية.

قال: وأتي مروان ببن أخ لسليمان بن هشام، يقال له أمية بن معاوية بن هشام، وكان مع عمه سليمان بن هشام في عسكر شيبان بالموصل، فهو مبارز رجلاً من فرسان مروان، فأسره الرجل فأتي به أسيراً، فقال له: أنشدك الله والرحم يا عم! فقال: ما بيني وبينك اليوم من رحم، فأمر به - وعمه سليمان وإخوته ينظرون - فقطعت يداه وضربت عنقه.

قال: وكتب مروان إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يأمره بالمسير من قرقيسيا بجميع من معه إلى عبيدة بن سوار خليفة الضحاك بالعراق، فلقي خيوله بعين التمر، فقاتلهم فهزمهم، وعليهم يومئذ المثنى بن عمران من عائدة قریش والحسن بن يزيد، ثم تجمعوا له بالكوفة بالنخيلة، فهزمهم، ثم اجتمعوا بالصراة ومعهم عبيدة، فقاتلهم فقتل عبيدة، وهزم أصحابه، واستباح ابن هبيرة عسكرهم، فلم يكن لهم بقية بالعراق، واستولى ابن هبيرة عليها، وكتب إليه مروان بن محمد من الخنادق يأمره أن يمدد بعامر بن ضبارة المري، فوجهه في نحو من ستة آلاف أو ثمانية، وبلغ شيبان خبرهم ومن معه من الحرورية، فوجهوا إليه قائدين في أربعة آلاف، يقال لهما ابن غوث والجن، فلقوا ابن ضبارة بالسن دون الموصل، فقاتلوه قتالاً شديداً، فهزمهم ابن ضبارة، فلما قدم فلهم أشار عليهم سليمان بالارتحال عن الموصل، وأعلمهم أنه لا مقام لهم إذ جاءهم ابن ضبارة من خلفهم، وركبهم مروان من بين أيديهم، فارتحلوا فأخذوا على حلوان إلى الأهواز وفارس، ووجه مروان إلى ابن ضبارة ثلاثة نفر من قواده في ثلاثين ألفاً من روابطه، أحدهم مصعب بن الصحصح الأسدي وشقيق وعطيف السليماني، وشقيق الذي يقول فيه الخوارج:

قد علمت أختاك يا شقيق ... أنك من سكر ما تفيق

وكتب إليه يأمره أن يتبعهم، ولا يقلع عنهم حتى يبرهم ويستأصلهم،

فلم يزل يتبعهم حتى وردوا فارس، وخرجوا منها وهو في ذلك يستسقط من لحق من أخرياتهم، فتفرقوا، وأخذ شيبان في فرقته إلى ناحية البحرين، فقتل بها، وركب سليمان فيمن معه من مواله وأهل بيته السفن إلى السند، وانصرف مروان إلى منزله من حران، فأقام بها حتى شئخص إلى الزاب وأما أبو مخنف فإنه قال - فيما ذكر هشام بن محمد عنه - قال: أمر مروان يزيد بن عمر بن هبيرة - وكان في جنود كثيرة من الشام وأهل الجزيرة بقرقيسيا - أن يسير إلى الكوفة، وعلى الكوفة يومئذ رجل من الخوارج يقال له المثنى بن عمران العائدي، عائدة قریش، فسار إليه ابن هبيرة على الفرات حتى انتهى إلى عين التمر، ثم سار فلقي المثنى بالروحاء، فوافى الكوفة في شهر رمضان من سنة تسع وعشرين ومائة، فهزم الخوارج، ودخل ابن هبيرة الكوفة ثم سار إلى الصراة، وبعث شيبان عبيدة بن سوار في خيل كثيرة، فعسكروا في شرقي الصراة، وابن هبيرة في غربها، فالتقوا، فقتل عبيدة وعدة من أصحابه، وكان منصور بن جمهور معهم في دور الصراة، فضى حتى غلب على الماهين وعلى الجبل أجمع، وسار ابن هبيرة إلى واسط، فأخذ ابن عمر فحبسه، ووجه نباتة بن حنظلة إلى سليمان بن حبيب وهو على كور الأهواز، وبعث إليه سليمان داود بن حاتم، فالتقوا بالمريان على شاطئ دجيل، فانهزم الناس،

وقتل داود بن حاتم وفي ذلك يقول خلف بن خليفة:
نفسى لداود الفدا والحمى ... إذ أسلم الجيش أبا حاتم
مهلي مشرق وجهه ... ليس على المعروف بالنادم
سألت من يعلم لي علمه ... حقا وما الجاهل كالعالم
قالوا عهدناه على مر قب ... يحمل كالضغامة الصارم
ثم أنثى منجدلا في دم ... يسفح فوق البدن الناعم
وأقبل القبط على رأسه ... واختصموا في السيف والناغم
وسار سليمان حتى لحق بابن معاوية الجعفري بفارس وأقام ابن هبيرة شهرا
ثم وجه عامر بن ضبارة في أهل الشام إلى الموصل، فسار حتى انتهى إلى السن فلقه بها الجون بن كلاب الخارجي، فهزم عامر بن
ضبارة حتى أدخله السن فتحصن فيها، وجعل مروان يمد بالجنود يأخذون طريق البر، حتى انتهوا إلى دجلة، فقطعوها إلى ابن ضبارة
حتى كثروا وكان منصور بن جمهور يمد شيبان بالأموال من كور الجبل، فلما كثر من يتبع ابن ضبارة من الجنود، نهض إلى الجون بن
كلاب فقتل الجون، ومضى ابن ضبارة مصعبا إلى الموصل، فلما انتهى خبر الجون وقلته إلى شيبان ومسير عامر بن ضبارة نحوه، كره
أن يقيم بين العسكرين، فارتحل بمن معه وفرسان الشام من اليمانية.
وقدم عامر بن ضبارة بمن معه على مروان بالموصل، فضم إليه جنودا من جنوده كثيرة، وأمره أن يسير إلى شيبان، فإن أقام أقام، وإن
سار سار، والا يبدأه بقتال، فإن قاتله شيبان قاتله، وإن أمسك أمسك عنه، وإن ارتحل اتبعه، فكان على ذلك حتى مر على الجبل،
وخرج على بيضاء اصطخر، وبها عبد الله بن معاوية في جموع كثيرة، فلم يتهب الأمر بينه وبين ابن معاوية، فسار حتى نزل جبرفت من
كرمان، وأقبل عامر بن ضبارة حتى نزل بإزاء ابن معاوية أياما، ثم ناهضه القتال، فانهزم ابن معاوية، فلحق بهراة وسار ابن ضبارة
بمن معه، فلقى شيبان بجبرفت من كرمات، فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزمت الخوارج، واستبيح عسكرهم، ومضى شيبان إلى سجستان،
فهلك بها، وذلك في سنة ثلاثين ومائة.
وأما أبو عبيدة فإنه قال: لما قتل الخيبري قام بأمر الخوارج شيبان بن عبد العزيز اليشكري، فخارب مروان، وطالت الحرب بينهما،
وابن هبيرة بواسط قد قتل عبيدة بن سوار ونفى الخوارج ومعه رءوس قواد أهل الشام وأهل الجزيرة فوجه عامر بن ضبارة في أربعة
آلاف مددا لمروان، فأخذ على باب المدائن، وبلغ مسيره شيبان، فخاف أن يأتيهم مروان، فوجه إليه الجون بن كلاب الشيباني ليشغله،
فالتقيا بالسن، فحصر الجون عامرا أياما.
قال أبو عبيدة: قال أبو سعيد: فاحرجناهم والله، واضطررناهم إلى

٧٠٢٦٠٢ ذكر اظهار الدعوة العباسية بخراسان

قتالنا، وقد كانوا خافونا وأرادوا الحرب منا، فلم ندع لهم مسلكا فقال لهم عامر:
أنتم ميتون لا محالة، فموتوا كراما، فصدونا صدمه لم يقم لها شيء، وقتلوا رئيسنا الجون بن كلاب، وانكشفنا حتى لحقنا بشيبان، وابن
ضبارة في آثارنا، حتى نزل منا قريبا، وكنا نقاتل من وجهين، نزل ابن ضبارة من ورائنا مما يلي العراق، ومروان أمامنا مما يلي الشام،
فقطع عنا المادة والميرة، فغلت أسعارنا، حتى بلغ الرغيف درهما، ثم ذهب الرغيف فلا شيء يشتري بغال ولا رخيص فقال حبيب بن
خدره لشيبان: يا أمير المؤمنين، إنك في ضيق من المعاش، فلو انتقلت إلى غير هذا الموضع! ففعل ومضى شهرزور من أرض الموصل،
فعاب ذلك عليه أصحابه، فاختلفت كلمتهم.
وقال بعضهم: لما ولى شيبان أمر الخوارج رجع بأصحابه إلى الموصل فاتبعه مروان ينزل معه حيث نزل فقاتله شهرا ثم انهزم شيبان حتى
لحق بأرض فارس، فوجه مروان في أثره عامر بن ضبارة فقطع إلى جزيرة ابن كاوان، ومضى شيبان بمن معه حتى صار إلى عمان،
فقتله جلندي بن مسعود ابن جيفر بن جلندي الأزدي.

ذكر اظهار الدعوة العباسية بخراسان
وفي هذه السنة أمر إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس أبا مسلم، وقد شخص من خراسان يريد به حتى بلغ قومس بالانصراف
إلى شيعته بخراسان، وأمرهم بإظهار الدعوة والتسويد.

ذكر الخبر عن ذلك وكيف كان الأمر فيه:
قال علي بن محمد عن شيوخي: لم يزل أبو مسلم يختلف إلى خراسان، حتى وقعت العصبية بها، فلما اضطرب الحبل، كتب سليمان بن
كثير إلى أبي سلمة الخلال يسأله أن يكتب إلى إبراهيم، يسأله أن يوجه رجلا من أهل بيته فكتب أبو سلمة إلى إبراهيم، فبعث أبا مسلم
فلما كان في سنة تسع وعشرين ومائة، كتب إبراهيم إلى أبي مسلم يأمره بالقدوم عليه ليسأله عن أخبار الناس، فخرج في النصف من
جمادى الآخرة مع سبعين نفسا

من النقباء، فلما صار بالدندانقان من أرض خراسان عرض له كامل - أو أبو كامل - قال: أين تريدون؟ قالوا: الحج، ثم خلا به أبو
مسلم، فدعاه فأجابهم، وكف عنهم، ومضى أبو مسلم إلى بيورد، فأقام بها أياما، ثم سار إلى نسا، وكان بها عاصم بن قيس السلمي عاملا
لنصر بن سيار الليثي، فلما قرب منها أرسل الفضل بن سليمان الطوسي إلى أسيد بن عبد الله الخزاعي ليعلمه قدومه، فضى الفضل
فدخل قرية من قرى نسا، فلقى رجلا من الشيعة يعرفه، فسأله عن أسيد، فأنهره، فقال:

يا عبد الله، ما أنكرت من مسألتي عن منزل رجل؟ قال: إنه كان في هذه القرية شر، سعي برجلين قدما إلى العامل، وقيل إنهما
داعيان، فأخذهما، وأخذ الأجم بن عبد الله وغيلان بن فضالة وغالب بن سعيد والمهاجر بن عثمان، فانصرف الفضل إلى أبي مسلم
وأخبره، فتنكب الطريق، وأخذ في أسفل القرى، وأرسل طرخان الجمال إلى أسيد، فقال: أدعه لي ومن قدرت عليه من الشيعة،
وإياك أن تكلم أحدا لم تعرفه، فأتى طرخان أسيدا فدعاه، وأعلمه بمكان أبي مسلم، فأتاه فسأله عن الأخبار، قال: نعم، قدم الأزهر بن
شعيب وعبد الملك بن سعد بكتب من الإمام إليك، نخلها الكتب عندي وخرجا، فأخذا فلا أدري من سعي بهما! فبعث بهما العامل
إلى عاصم بن قيس، فضرب المهاجرين عثمان وناسا من الشيعة قال: فأين الكتب؟ قال: عندي، قال: فاتني بها فأتاه بالكتب فقرأها.
قال: ثم سار حتى أتى قومس، وعليها بيهس بن بديل العجلي، فأتاهم بيهس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: الحج، قال: أفعمكم فضل بردون
تبيعونه؟ قال أبو مسلم: أما بيعا فلا، ولكن خذ أي دوابنا شئت، قال: اعرضوها علي، فعرضوها، فأعجبه بردون منها سمند، فقال أبو
مسلم: هو لك، قال: لا اقبله الا بثمن، قال: احتكم، قال: سبعمائة، قال:

هولك وأتاه وهو بقومس كتاب من الإمام إليه وكتاب إلى سليمان بن كثير، وكان في كتاب أبي مسلم: إني قد بعثت إليك براءة النصر
فارجع من حيث ألفتك

كثافي، ووجه إلي قطبة بما معك يوافني به في الموسم فانصرف أبو مسلم إلى خراسان، ووجه قطبة إلى الإمام، فلما كانوا بنسا عرض
لهم صاحب مسلحه في قرية من قرى نسا، فقال لهم: من أتم؟ قالوا: أردنا الحج، فبلغنا عن الطريق شيء خفناه، فأوصلهم إلى عاصم
بن قيس السلمي، فسألهم فأخبروه، فقال: ارتحلوا وامر المفضل بن الشرقى السلمي - وكان على شرطته - ان يزعمهم، فخلا به أبو مسلم
وعرض عليه أمرهم، فأجابهم، وقال:
ارتحلوا.

على مهل، ولا تعجلوا وأقام عندهم حتى ارتحلوا فقدم أبو مسلم مرو في أول يوم من شهر رمضان سنة تسع وعشرين ومائة، ودفع كتاب
الإمام إلى سليمان بن كثير، وكان فيه أن اظهر دعوتك ولا تريص، فقد آن ذلك فنصبوا أبا مسلم، وقالوا: رجل من أهل البيت،
ودعوا إلى طاعة بني العباس، وأرسلوا إلى من قرب منهم أو بعد ممن أجابهم، فأمره بإظهار أمرهم والدعاء إليهم ونزل أبو مسلم قرية
من قرى خزاعة يقال لها سفيدنج، وشيبان والكرماني يقاتلان نصر بن سيار، فبث أبو مسلم دعائه في الناس، وظهر أمره، وقال الناس:
قدم رجل من بني هاشم، فأتوه من كل وجه، فظهر يوم الفطر في قرية خالد بن إبراهيم فصلى بالناس يوم الفطر القاسم بن مجاشع

المرائي، ثم ارتحل فنزل بالين- ويقال قرية اللين- لخزاعة، فوافاه في يوم واحد أهل ستين قرية، فأقام اثنين وأربعين يوماً، فكان أول فتح أبي مسلم من قبل موسى بن كعب في بيورد، وتشاغل بقتل عاصم بن قيس، ثم جاء فتح من قبل مروروذ. قال أبو جعفر: وأما أبو الخطاب فإنه قال: كان مقدم أبي مسلم أرض مرو منصوراً من قومس، وقد أنفذ من قومس قطبة بن شبيب بالأموال التي كانت معه والعروض إلى الإمام إبراهيم بن محمد، وانصرف إلى مرو، فقدمها في شعبان سنة تسع وعشرين ومائة لتسع خلون منه يوم الثلاثاء، فنزل قرية تدعى فنين على أبي الحكم عيسى بن أعين النقيب، وهي قرية أبي داود النقيب، فوجه منها أبا داود ومعه عمرو بن أعين إلى طخارستان فما دون بلخ

بإظهار الدعوة في شهر رمضان من عامهم، ووجه النضر بن صبيح التيمي ومعه شريك بن غضي التيمي إلى مرو الروذ بإظهار الدعوة في شهر رمضان، ووجه أبا عاصم عبد الرحمن بن سليم إلى الطالقان، ووجه أبا الجهم بن عطية إلى العلاء بن حريث بخوارزم بإظهار الدعوة في شهر رمضان لخمس بقين من الشهر، فإن أعجلهم عدوهم دون الوقت، فعرض لهم بالأذى والمكره فقد حل لهم أن يدفعوا عن أنفسهم، وأن يظهروا السيوف ويجردوها من أغمارها، ويجاهدوا أعداء الله ومن شغلهم عدوهم عن الوقت.

فلا حرج عليهم أن يظهروا بعد الوقت ثم تحول أبو مسلم عن منزل أبي الحكم عيسى بن أعين، فنزل على سليمان بن كثير الخزاعي في قرية التي تدعى سفينج من ريع خرقان لليلتين خلتا من شهر رمضان من سنة تسع وعشرين ومائة، فلما كانت ليلة الخميس لخمس بقين من شهر رمضان سنة تسع وعشرين ومائة اعتقدوا اللواء الذي بعث به الإمام إليه الذي يدعى الظل، على ربح طوله أربعة عشر ذراعاً، وعقد الراية التي بعث بها الإمام التي تدعى السحاب على ربح طوله ثلاثة عشر ذراعاً، وهو يتلو: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ»، ولبس السواد هو وسليمان بن كثير وأخوة سليمان ومواليه ومن كان أجاب الدعوة من أهل سفينج، منهم غيلان بن عبد الله الخزاعي- وكان صهر سليمان على أخته أم عمرو بنت كثير- ومنهم حميد بن رزين وأخوه عثمان بن رزين، فأوقدوا النيران ليلتهم أجمع للشيعه من سكان ريع خرقان- وكانت العلامة بين الشيعة- فتجمعوا له حين أصبحوا مغذين، وتأويل هذين الاسمين: الظل والسحاب، أن السحاب يطبق الأرض، وكذلك دعوة بني العباس، وتأويل الظل أن الأرض لا تخلو من الظل أبداً، وكذلك لا تخلو من خليفة عباسي أبد الدهر.

وقدم على أبي مسلم الدعاة من أهل مرو بمن أجاب الدعوة، وكان أول من قدم عليه أهل السقادم مع أبي الوضاح الهرمزي فرى عيسى بن شبيب

في تسعمائة رجل وأربعة فرسان، ومن أهل هرمز فره سليمان بن حسان وأخوه يزدان بن حسان والهيثم بن يزيد بن كيسان، وبويع مولى نصر بن معاوية وأبو خالد الحسن وجردى ومحمد بن علوان، وقدم أهل السقادم مع أبي القاسم محرز بن إبراهيم الجوباني في ألف وثلاثمائة راجل وستة عشر فارساً، ومنهم من الدعاة أبو العباس المروزي وخدام بن عمار وحمة بن زعيم، فجعل أهل السقادم يكبرون من ناحيتهم وأهل السقادم مع محرز بن إبراهيم يجيئونهم بالتكبير، فلم يزلوا كذلك حتى دخلوا عسكر أبي مسلم بسفينج، وذلك يوم السبت من بعد ظهور أبي مسلم بيومين، وأمر أبو مسلم أن يرم حصن سفينج ويحصن ويدرب، فلما حضر العيد يوم الفطر بسفينج أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلي به وبالشيعة، ونصب له منبراً في العسكر، وأمره أن يبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة- وكانت بنو أمية تبدأ بالخطبة والأذان، ثم الصلاة بالإقامة على صلاة يوم الجمعة، فيخطبون على المنابر جلوساً في الجمعة والأعياد- وأمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يكبر الركعة الأولى ست تكبيرات تباعاً، ثم يقرأ ويركع بالسابعة، ويكبر في الركعة الثانية خمس تكبيرات تباعاً، ثم يقرأ ويركع بالسادسة، ويفتتح الخطبة بالتكبير ويختمها بالقرآن، وكانت بنو أمية تكبر في الركعة الأولى أربع تكبيرات يوم العيد، وفي الثانية ثلاث تكبيرات فلما قضى سليمان بن كثير الصلاة والخطبة انصرف أبو مسلم والشيعة إلى طعام قد أعد له أبو مسلم الخراساني، فطعموا مستبشرين وكان أبو مسلم وهو في الخندق إذا كتب إلى نصر بن سيار يكتب: للأمر نصر، فلما قوي أبو مسلم بمن اجتمع إليه في خندقه من الشيعة بدأ بنفسه، فكتب إلى نصر: أما بعد، فإن الله تبارك أسماؤه وتعالى ذكره غير أقواما في القرآن فقال:

«وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا اسْتَجَارُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا.

« فتعاضم نصر الكّاب وأنه بدأ بنفسه، وكسر له احدى عينيه واطال الفكره وقال: هذا كّاب له جواب فلما استقر بابى مسلم معسكره بالمباخوان امر محرز بن إبراهيم أن يخذق خندقا بجيرنج، ويجتمع إليه أصحابه ومن نزح إليه من الشيعة، فيقطع مادة نصر بن سيار من مرورود وبلخ وكور طخارستان.

ففعل ذلك محرز بن إبراهيم، واجتمع له في خندق نحو من ألف رجل، فأمر أبو مسلم أبا صالح كامل بن مظفر أن يوجه رجلا إلى خندق محرز بن إبراهيم لعرض من فيه وإحصائهم في دقتر بأسمائهم وأسماء آبائهم وقراهم، فوجه ابو صالح حميدا الأزرق لذلك، وكان كاتباً، فأحصى في خندق محرز ثمانمائة رجل وأربعة رجال من أهل الكف، وكان فيهم من القواد المعروفين زياد بن سيار الأزدي من قرية تدعى اسبواق من ربع خرقان، وخدام بن عمار الكندي من ربع السقادم ومن قرية تدعى بالأوايق، وحنيفة بن قيس من ربع السقادم، ومن قرية تدعى الشنج، وعبدويه الجردامد بن عبد الكريم من أهل هراة، وكان يجلب الغنم إلى مرو، وحمزة بن زميم الباهلي من ربع خرقان من قريه تدعى ميلادجرد، وأبو هاشم خليفة بن مهران من ربع السقادم من قرية تدعى جوبان وأبو خديجة جيلان بن السغدي وأبو نعيم موسى بن صبيح فلم يزل محرز بن إبراهيم مقيما في خندقه حتى دخل أبو مسلم حائط مرو، وعطل الخندق بمباخوان وإلى أن عسكر بمار سرجس يريد نيسابور، فضم إليه محرز بن إبراهيم اصحابه، وكان من الاحداث، وابو مسلم بسفيدنج أن نصر بن سيار وجه مولى له يقال له يزيد في خيل عظيمة لمحاربة أبي مسلم بعد ثمانية عشر شهرا من ظهوره، فوجه اليه ابو مسلم مالك ابن الهيثم الخزاعي ومعه مصعب بن قيس، فالتقوا بقرية تدعى آين، فدعاهم مالك إلى الرضا من آل رسول الله ص، فاستكبروا عن ذلك، فصافهم مالك وهو في نحو من مائتين من أول النهار إلى وقت العصر

وقدم على أبي مسلم صالح بن سليمان الضبي وإبراهيم بن يزيد وزباد بن عيسى فوجههم إلى مالك بن الهيثم، فقدموا عليه مع العصر، فقوي بهم أبو نصر، فقال يزيد مولى نصر بن سيار لأصحابه: إن تركنا هؤلاء الليلة أتتهم الإمداد، فاحملوا على القوم، ففعلوا، وترجل أبو نصر وحض أصحابه، وقال: إني لأرجو أن يقطع الله من الكافرين طرفا، فاجتلدوا جلادا صادقا، وصبر الفريقان، فقتل من شيعة بني مروان أربعة وثلاثون رجلا، وأسر منهم ثمانية نفر، وحمل عبد الله الطائي على يزيد مولى نصر عميد القوم فأسره، وانهزم أصحابه، فوجه أبو نصر عبد الله الطائي بأسيره في رجال من الشيعة، ومعهم الأسرى والرءوس، وأقام أبو نصر في معسكره بسفيدنج، وفي الوفد أبو حماد المروزي وأبو عمرو الأعجمي، فأمر أبو مسلم بالرءوس فنصبت على باب الحائط الذي في معسكره، ودفع يزيد الأسلي إلى أبي إسحاق خالد بن عثمان، وأمره أن يعالج يزيد مولى نصر من جراحات كانت به، ويحسن تعاهده، وكتب إلى أبي نصر بالقدوم عليه، فلما اندمل يزيد مولى نصر من جراحاته دعاه أبو مسلم، فقال: إن شئت أن تقيم معنا وتدخل في دعوتنا فقد أرشدك الله، وإن كرهت فارجع إلى مولاك سالما، وأعطنا عهد الله الا تحاربنا والا تكذب علينا، وأن تقول فينا ما رأيت، فاختر الرجوع إلى مولا، نفلى له الطريق وقال أبو مسلم: إن هذا سيرد عنكم اهل الورع والصلاح، فانا عندهم على غير الإسلام.

وقدم يزيد على نصر بن سيار، فقال: لا مرحبا بك، والله ما ظننت استبقاك القوم الا ليتخذوك حجة علينا، فقال يزيد: فهو والله ما ظننت، وقد استحلوني ألا أكذب عليهم، وأنا أقول: إنهم يصلون الصلوات لمواقيتها بأذان وإقامة، ويتلون الكّاب، ويذكرون الله كثيرا، ويدعون إلى ولاية رسول الله ص، وما أحسب أمرهم إلا سيعلو، ولولا إنك مولاي أعتقتني من الرق ما رجعت إليك، ولأقت معهم فهذه أول حرب كانت بين الشيعة وشيعة بني مروان

وفي هذه السنة غلب خازم بن خزيمة على مرورود، وقتل عامل نصر بن سيار الذي كان عليها، وكتب بالفتح إلى أبي مسلم مع خزيمة

بن خازم.

ذكر الخبر عن ذلك:

ذكر علي بن محمد أن أبا الحسن الجشمي وزهير بن هنيد والحسن ابن رشيد أخبروه أن خازم بن خزيمة لما أراد الخروج بمرو روذ أراد ناس من تميم أن يمنعه، فقال: إنما أنا رجل منكم، أريد مرو لعلني أن أغلب عليها، فإن ظفرت فهي لكم، وإن قتلت فقد كفيتكم أمري فكفوا عنه، فخرج فعسكر في قرية يقال لها كنج رستاه، وقدم عليهم من قبل أبي مسلم النضر بن صبيح وبسام بن إبراهيم فلما أمسى خازم بيت أهل مرو روذ، فقتل بشر بن جعفر السعدي - وكان عاملاً لنصر بن سيار على مرو روذ - في أول ذي القعدة، وبعث بالفتح إلى أبي مسلم مع خزيمة بن خازم عبد الله بن سعيد وشبيب بن واج قال أبو جعفر: وقال غير الذين ذكرنا قولهم في أمر أبي مسلم وإظهاره الدعوة ومصيره إلى خراسان وشخصه عنها وعوده إليها بعد الشخص قولاً خلاف قولهم، والذي قال في ذلك: ان إبراهيم الإمام زوج أبا مسلم لما توجه إلى خراسان ابنة أبي النجم، وساق عنه صداقها، وكتب بذلك إلى النقباء، وأمرهم بالسمع والطاعة لأبي مسلم، وكان أبو مسلم - فيما زعم - من أهل خطرنية، من سواد الكوفة، وكان قهرماناً لإدريس بن معقل العجلي، قال أمره ومنتهى ولائه لمحمد بن علي، ثم لإبراهيم بن محمد، ثم للأئمة من أولاد محمد ابن علي فقدم خراسان وهو حديث السن، فلم يقبله سليمان بن كثير وتخوف ألا يقوى على أمرهم، وخاف على نفسه وأصحابه، فردوه - وأبو داود خالد بن إبراهيم غائب خلف نهر بلخ - فلما انصرف أبو داود، وقدم

مرو أقرأه كتاب الإمام إبراهيم، فسأل عن الرجل الذي وجهه، فأخبروه أن سليمان بن كثير رده، فأرسل إلى جميع النقباء، فاجتمعوا في منزل عمران بن إسماعيل، فقال لهم أبو داود: أتاكم كتاب الإمام فيمن وجهه إليكم وأنا غائب فرددتوه، فما جتكم في رده؟ فقال سليمان بن كثير: لحدائثه سنه، وتخوف ألا يقدر على القيام بهذا الأمر، فأشفقنا على من دعونا إليه وعلى أنفسنا وعلى المجبيين لنا، فقال: هل فيكم أحد ينكر أن الله تبارك وتعالى اختار محمداً ص وانتخبه واصطفاه، وبعثه برسالته إلى جميع خلقه؟

فهل فيكم أحد ينكر ذلك؟ قالوا: لا، قال: أفتشكون أن الله تعالى نزل عليه كتابه فأتاه به جبريل الروح الأمين، أحل فيه حلاله، وحرّم فيه حرامه، وشرع فيه شرائعه، وسن فيه سننه، وأنبأه فيه بما كان قبله، وما هو كائن بعده إلى يوم القيامة؟ قالوا: لا، قال: أفتشكون أن الله عز وجل قبضه إليه بعد ما أدى ما عليه من رسالة ربه؟ قالوا: لا، قال:

أفتظنون أن ذلك العلم الذي أنزل عليه رفع معه أو خلفه؟ قالوا: بل خلفه، قال: أفتظنونه خلفه عند غير عترته وأهل بيته، الأقرب فالأقرب؟ قالوا: لا، قال: فهل أحد منكم إذا رأى من هذا الأمر إقبالا، ورأى الناس له مجيبين بدا له أن يصرف ذلك إلى نفسه؟ قالوا: اللهم لا، وكيف يكون ذلك! قال:

لست أقول لكم فعلتم، ولكن الشيطان ربما نزع النزعة فيما يكون. وفيما لا يكون قال: فهل فيكم أحد بدا له أن يصرف هذا الأمر عن أهل البيت إلى غيرهم من عتره النبي ص؟ قالوا: لا، قال: أفتشكون أنهم معدن العلم واصحاب ميراث رسول الله ص؟ قالوا: لا، قال:

فأراكم شككتهم في أمرهم ورددتهم عليهم علمهم، ولو لم يعلموا أن هذا الرجل هو الذي ينبغي له أن يقوم بأمرهم، لما بعثوه إليكم، وهو لا يهتم في موالاتهم ونصرتهم والقيام بحقهم.

فبعثوا إلى أبي مسلم فردوه من قومس بقول أبي داود، وولوه أمرهم وسمعوا له وأطاعوا ولم تزل في نفس أبي مسلم على سليمان بن كثير، ولم يزل

يعرفها لأبي داود وسمعت الشيعة من النقباء وغيرهم لأبي مسلم، وأطاعوه وتنازعوا، وقبلوا ما جاء به، وبث الدعاة في أقطار خراسان، فدخل الناس أفواجا، وكثروا، وفشت الدعاة بخراسان كلها وكتب إليه إبراهيم الإمام يأمره أن يوافيه بالموسم في هذه السنة - وهي سنة تسع وعشرين ومائة - ليأمره بأمره في إظهار دعوته، وأن يقدم معه بقحطبة بن شبيب، ويحمل إليه ما اجتمع عنده من الأموال، وقد

كان اجتمع عنده ثلاثمائة ألف وستون ألف درهم، فاشترى بعامتها عروضاً من متاع التجار، من القوهي والمروي والحريز والفرند، وصير بقيته سبائك ذهب وفضة وصيرها في الأقبية المحشوة، واشترى البغال وخرج في النصف من جمادى الآخرة، ومعه من النقباء قحطبة بن شبيب والقاسم بن مجاشع وطلحة بن رزيق، ومن الشيعة واحد وأربعون رجلاً، وتحمل من قرى خزاعة، وحمل أثقاله على واحد وعشرين بغلاً، وحمل على كل بغل رجلاً من الشيعة بسلاحه، وأخذ المفازة وعدا عن مسلحة نصر بن سيار حتى انتهوا إلى أبيورد.

فكتب أبو مسلم إلى عثمان بن نبيك وأصحابه يأمرهم بالقدوم عليه، وبينه وبينهم خمسة فراسخ، فقدم عليه منهم خمسون رجلاً، ثم ارتحلوا من أبيورد، حتى انتهوا إلى قرية يقال لها قافس، من قرى نسا، فبعث الفضل ابن سليمان إلى أندومان - قرية أسيد - فلقي بها رجلاً من الشيعة، فسأله عن أسيد، فقال له الرجل: وما سؤالك عنه! فقد كان اليوم شر طويل من العامل أخذ، فأخذ معه الأجم بن عبد الله وغيلان بن فضالة وغالب ابن سعيد والمهاجرين بن عثمان، فحملوا إلى العامل عاصم بن قيس بن الحروري، فحبسهم وارتحل أبو مسلم وأصحابه حتى انتهوا إلى أندومان، فأتاه أبو مالك والشيعة من أهل نسا، فأخبره أبو مالك أن الكتاب الذي كان مع رسول الإمام عنده، فأمره أن يأتيه به، فأتاه بالكتاب وبلواء وراية، فإذا في الكتاب إليه يأمره بالانصراف حيثما يلقاه كتابه، وأن يظهر الدعوة فعقد اللواء الذي أتاه من الإمام على رمح، وعقد الراية، واجتمع إليه شيعة أهل نسا والدعاة والرؤوس، ومعه أهل أبيورد الذين قدموا معه. وبلغ ذلك عاصم بن قيس الحروري، فبعث إلى أبي مسلم يسأله عن حاله، فأخبره أنه من الحاج الذين يريدون بيت الله، ومعه عدة من

٧٠٢٦٠٣ ذكر تعاقد أهل خراسان على قتال أبي مسلم

أصحابه من التجار، وسأله أن يخلي سبيل من أحتبس من أصحابه حتى يخرج من بلاده، فسألوا أبا مسلم أن يكتب لهم شرطاً على نفسه، أن يصرف من معه من العبيد وما معه من الدواب والسلاح، على أن يخلوا سبيل أصحابه الذين قدموا من بلاد الإمام وغيرهم فأجابهم أبو مسلم إلى ذلك، وخلي سبيل أصحابه، فأمر أبو مسلم الشيعة من أصحابه أن ينصرفوا، وقرأ عليهم كتاب الإمام، وأمرهم بإظهار الدعوة، فانصرف منهم طائفة وسار معه أبو مالك أسيد بن عبد الله الخزاعي وزريق بن شاذب ومن قدم عليه من أبيورد، وأمر من انصرف بالاستعداد ثم سار فيمن بقي من أصحابه ومعه قحطبة بن شبيب، حتى نزلوا تخوم جرجان، وبعث إلى خالد بن برمك وأبي عون يأمرهما بالقدوم عليه بما قبلهما من مال الشيعة، فقدموا عليه، فأقام أياماً حتى اجتمعت القوافل وجهز قحطبة بن شبيب، ودفع إليه المال الذي كان معه، والأحمال بما فيها، ثم وجهه إلى إبراهيم بن محمد، وسار أبو مسلم بمن معه حتى انتهى إلى نسا، ثم ارتحل منها إلى أبيورد حتى قدما، ثم سار حتى أتى مرو متكرراً، فنزل قرية تدعى فنين من قرى خزاعة لسبع ليال بقين من شهر رمضان، وقد كان واعد أصحابه أن يوافوه بمرو يوم الفطر.

ووجه أبا داود وعمرو بن أعين إلى طخارستان، والنضر بن صبيح إلى آمل وبخارى ومعه شريك بن عيسى، وموسى بن كعب إلى أبيورد ونسا، وخازم بن خزيمة إلى مرو رود، وقدموا عليه، فصرى بهم القاسم بن مجاشع التميمي يوم العيد، في مصلى آل قنبر، في قرية أبي داود خالد بن إبراهيم.

ذكر تعاقد أهل خراسان على قتال أبي مسلم

وفي هذه السنة تحالفت وتعاقدت عامة من كان بخراسان من قبائل العرب على قتال أبي مسلم، وذلك حين كثر تباع أبي مسلم وقوي أمره وفيها تحول أبو مسلم من معسكره بإسفيدنج إلى الماخوان.

ذكر الخبر عن ذلك والسبب فيه:

قال علي: أخبرنا الصباح مولى جبريل، عن مسلمة بن يحيى، قال:

لما ظهر أبو مسلم، تسارع إليه الناس، وجعل أهل مرو يأتونه، لا يعرض لهم نصر ولا يمنعهم، وكان الكرمان وشيبان لا يكرهان أمر

أبي مسلم، لأنه دعا إلى خلع مروان بن محمد، وأبو مسلم في قرية يقال لها بالين في خباء ليس له حرس ولا حجاب، وعظم أمره عند الناس، وقالوا: ظهر رجل من بني هاشم، له حلم ووقار وسكينة، فانطلق فتية من أهل مرو، نساك كانوا يطلبون الفقه، فأتوا أبا مسلم في معسكره، فسألوه عن نسبه، فقال: خبري خير لكم من نسي، وسألوه عن أشياء من الفقه، فقال: أمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر خير لكم من هذا، ونحن في شغل، ونحن إلى عونكم أحوج منا إلى مسألتكم، فاعفونا قالوا: والله ما نعرف لك نسبا، ولا نظنك تبقى إلا قليلا حتى تقتل، وما بينك وبين ذلك إلا أن يتفرغ أحد هذين، قال أبو مسلم: بل أنا أقتلهما إن شاء الله.

فرجع الفتية فأتوا نصر بن سيار فحدثوه، فقال: جزاكم الله خيرا، مثلكم تفقد هذا وعرفه وأتوا شيبان فأعلموه، فأرسل: إنا قد أشجى بعضنا بعضا، فأرسل إليه نصر: إن شئت فكف عني حتى أقاتله، وإن شئت لجامعني على حربته حتى أقتله أو أنفيه، ثم نعود إلى أمرنا الذي نحن عليه فهم شيبان أن يفعل، فظهر ذلك في العسكر، فأتت عيون أبي مسلم فأخبروه، فقال سليمان: ما هذا الأمر الذي بلغهم! تكلمت عند أحد بشيء؟ فأخبره خبر الفتية الذين أتوه، فقال: هذا لذاك إذا فكتبوا إلى علي بن الكرمانى: إنك موتور، قتل أبوك ونحن نعلم أنك لست على رأي شيبان، وإنما تقاتل لثأرك فامنع شيبان من صلح نصر، فدخل على شيبان، فكلمه فثناه عن رأيه، فأرسل نصر إلى شيبان: إنك لمغرور، وإيم الله ليتفاقن هذا الأمر حتى تستصغرنى في جنبه

فبينما هم في أمرهم إذ بعث أبو مسلم النضر بن نعيم الضبي إلى هراة وعليها عيسى بن عقيل الليثي، فطرده عن هراة، فقدم عيسى على نصر منهزما، وغلب النضر على هراة قال: فقال يحيى بن نعيم بن هيرة: اختاروا إما أن تهلكوا أنتم قبل مضر أو مضر قبلكم، قالوا: وكيف ذاك؟ قال: إن هذا الرجل إنما ظهر أمره منذ شهر، وقد صار في عسكره مثل عسكركم، قالوا: فما الرأي؟ قال: صالحوا نصر، فإنكم إن صالحتموه قاتلوا نصرًا وتركوكم، لأن الأمر في مضر، وإن لم تصالحوا نصرًا صالحوه وقاتلوكم، ثم عادوا عليكم.

قالوا: فما الرأي؟ قال: قدموهم قبلكم ولو ساعة، فتقر أعينكم بقتلهم. فأرسل شيبان إلى نصر يدعوهم إلى المودعة فأجابه، فأرسل إلى سلم بن أحوز، فكتب بينهم كتابا، فأتى شيبان وعن يمينه ابن الكرمانى، وعن يساره يحيى ابن نعيم، فقال سلم لابن الكرمانى: يا أعور، ما أخلقك أن تكون الأعور الذي بلغنا أن يكون هلاك مضر على يديه! ثم توادعوا سنة، وكتبوا بينهم كتابا فبلغ أبا مسلم، فأرسل إلى شيبان: إنا نوادعك أشهرا، فتوادعنا ثلاثة أشهر، فقال ابن الكرمانى: إني ما صالحت نصرًا، وإنما صالحه شيبان، وأنا لذلك كاره، وأنا موتور، ولا أدع قتاله فعاوده القتال، وأبى شيبان أن يعينه، وقال: لا يحل الغدر فأرسل ابن الكرمانى إلى أبي مسلم يستنصره على نصر بن سيار، فأقبل أبو مسلم حتى أتى الماخوان، وأرسل إلى ابن الكرمانى شبيل بن طهمان: إني معك على نصر، فقال ابن الكرمانى: إني أحب أن يلقاني أبو مسلم، فأبلغه ذلك شبيل، فأقام أبو مسلم أربعة عشر يوما، ثم سار إلى ابن الكرمانى، وخلف عسكره بالماخوان، فتلقيه عثمان بن الكرمانى في خيل، وسار معه حتى دخل العسكر، وأتى لجرة علي فوقف، فاذن له

فدخل، فسلم على علي بالإمرة، وقد اتخذ له على منزلا في قصر لخلد بن الحسن الأزدي، فأقام يومين، ثم انصرف إلى عسكره بالماخوان، وذلك لخمس خلون من المحرم من سنة ثلاثين ومائة.

وأما أبو الخطاب، فإنه قال: لما كثرت الشيعة في عسكر أبي مسلم، ضاقت به سفيذنج، فارتاد معسكرا فسيحا، فأصاب حاجته بالماخوان، - وهي قرية العلاء بن حريث وأبي إسحاق خالد بن عثمان، وفيها أبو الجهم ابن عطية وإخوته - وكان مقامه بسفيذنج اثنين وأربعين يوما، وارتحل من سفيذنج إلى الماخوان، فنزل منزل أبي إسحاق خالد بن عثمان يوم الأربعاء، لتسع ليال خلون من ذي القعدة من سنة تسع وعشرين ومائة، فاحتفر بها خندقا، وجعل للخندق بايين، فعسكر فيه والشيعة، ووكل بأحد بابي الخندق مصعب بن قيس الحنفي وبهديل بن إياس الضبي، ووكل بالباب الآخر أبا شراحيل وأبا عمرو الأعجمي، واستعمل على الشرط أبا نصر مالك ابن الهيثم، وعلى الحرس أبا إسحاق خالد بن عثمان، وعلى ديوان الجند كامل ابن مظفر أبا صالح، وعلى الرسائل أسلم بن صبيح، والقاسم بن مجاشع النقيب التميمي

على القضاء، وضم أبا الوضاح وعدة من أهل السقادم إلى مالك بن الهيثم، وجعل أهل نوشان- وهم ثلاثة وثمانون رجلا- إلى أبي إسحاق في الحرس وكان القاسم بن مجاشع يصلي بأبي مسلم الصلوات في الخندق، ويقص القصص بعد العصر، فيذكر فضل بني هاشم ومعالي بني أمية فنزل أبو مسلم خندق الماخوان، وهو كرجل من الشيعة في هيئته، حتى أتاه عبد الله بن بسطام، فأثاه بالأروقة والفساطيط والمطابخ والمعالف للدواب وحياض الأدم للماء، فأول عامل استعمله أبو مسلم على شيء من العمل داود بن كراز، فرد أبو مسلم العبيد عن أن يضاموا في خندقه، واحترف لهم خندقا في قرية شوال، وولى الخندق داود بن كراز فلما اجتمعت للعبيد جماعة، وجههم إلى موسى بن كعب بأيورد، وأمر أبو مسلم كامل بن مظفر أن يعرض أهل الخندق باسمائهم وأسماء آبائهم فينسبهم إلى القوى، ويجعل ذلك في دفتر،

٧٠٢٦٠٤ ذكر خبر مقتل الكرمانى

ففعل ذلك كامل أبو صالح، فبلغت عدتهم سبعة آلاف رجل، فأعطاهم ثلاثة دراهم لكل رجل، ثم أعطاهم أربعة على يدي أبي صالح كامل.

ثم إن أهل القبائل من مضر وربيعة وقطان توادعوا على وضع الحرب، وعلى أن تجتمع كلمتهم على محاربة أبي مسلم، فإذا نفوه عن مرو نظروا في أمر أنفسهم وعلى ما يجتمعون عليه فكتبوا على أنفسهم بذلك كتابا وثيقا.

وبلغ أبا مسلم الخبر، فافطعه ذلك وأعظمه، فنظر أبو مسلم في أمره، فإذا ماخوان سافلة الماء، فتخوف أن يقطع عنه نصر بن سيار الماء، فتحول إلى آلين- قرية أبي منصور طلحة بن رزيق النقيب- وذلك بعد مقامه أربعة أشهر بخندق الماخوان، فنزل آلين في ذي الحجة من سنة تسع وعشرين ومائة، يوم الخميس لست خلون من ذي الحجة فخندق بآلين خندقا أمام القرية، فيما بينها وبين بلاش جرد، فصارت القرية من خلف الخندق، وجعل وجه دار المحتفز بن عثمان ابن بشر المزني في الخندق، وشرب أهل آلين من نهر يدعى الخرقان، لا يمكن نصر ابن سيار قطع الشرب عن آلين وحضر العيد يوم النحر، وأمر القاسم بن مجاشع التيمي فضلى بأبي مسلم والشيعة في مصلى آلين، وعسكر نصر بن سيار على نهر عياض، ووضع عاصم بن عمرو ببلاش جرد، ووضع أبا الذيال بطوسان، ووضع بشر بن أنيف اليربوعي بجلفر، ووضع حاتم بن الحارث ابن سريج بخرق، وهو يلتمس مواقعه أبي مسلم فأما أبو الذيال فأنزل جنده على أهلها مع أبي مسلم في الخندق، فأذوا أهل طوسان وعسفوهم وذبحوا الدجاج والبقر والخم، وكلفوهم الطعام والعلف، فشكت الشيعة ذلك إلى أبي مسلم، فوجه معهم خيلا، فلقوا أبا الذيال فهزموه، وأسروا من أصحابه ميمونا الأعسر الخوارزمي في نحو من ثلاثين رجلا، فكساهم أبو مسلم، وداوى جراحاتهم وخلي لهم الطريق

. ذكر خبر مقتل الكرمانى

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة قتل جديع بن علي الكرمانى وصلب

ذكر الخبر عن مقتله: قد مضى قبل ذكرنا مقتل الحارث بن سريج، وأن الكرمانى هو الذي قتله ولما قتل الكرمانى الحارث، خلصت له مرو بقتله إياه، وتخى نصر ابن سيار عنها إلى أبرشهر، وقوي أمر الكرمانى، فوجه نصر إليه- فيما قيل- سلم بن أحوز، فسار في رابطة نصر وفرسانه، حتى لقي أصحاب الكرمانى، فوجد يحيى بن نعيم أبا الميلاء واقفا في ألف رجل من ربيعة، ومحمد بن المثني في سبعمائة من فرسان الأزد، وابن الحسن بن الشيخ الأزدي في ألف من قتيانهم، والحزبي السغدي في ألف رجل من أبناء اليمن، فلما تواقفوا قال سلم بن أحوز لمحمد بن المثني: يا محمد بن المثني، مر هذا الملاح بالخروج إلينا، فقال محمد لسلم: يا بن الفاعلة، لأبي علي تقول هذا! ودلف القوم بعضهم إلى بعض، فاجتلدوا بالسيوف، فانهزم سلم بن أحوز، وقتل من أصحابه زيادة على مائة، وقتل من أصحاب محمد زيادة على عشرين، وقدم أصحاب نصر عليه فلولوا، فقال له عقيل بن معقل: يا نصر شأمت العرب، فأما إذ صنعت ما صنعت فجذ وثمر عن ساق، فوجه عصمة بن عبد الله الأسدي فوقف موقف سلم بن أحوز، فنادى: يا محمد، لتعلمن أن السمك لا يغلب اللحم،

فقال له محمد: يا بن الفاعلة، قف لنا إذا وأمر محمد السغدي نخرج إليه في أهل اليمن، فاقتتلوا قتالا شديدا، فانهزم عصمة حتى أتى نصر بن سيار، وقد قتل من أصحابه أربعمئة.

ثم أرسل نصر بن سيار مالك بن عمرو التميمي فأقبل في أصحابه، ثم نادى: يا بن المثنى، ابرز لي إن كنت رجلا! فبرز له، فضربه التميمي على حبل العاتق فلم يصنع شيئا، وضربه محمد بن المثنى بعمود فشدخ رأسه، فالتحم القتال، فاقتتلوا قتالا شديدا كأعظم ما يكون من القتال، فانهزم أصحاب نصر، وقد قتل منهم سبعمئة رجل، وقتل من أصحاب الكرمانى ثلاثمئة رجل، ولم يزل الشر بينهم حتى خرجوا جميعا إلى الخندقين، فاقتتلوا قتالا شديدا،

فلما استيقن أبو مسلم أن كلا الفريقين قد أثنى صاحبه، وأنه لا مدد لهم، جعل يكتب الكتب إلى شيبان، ثم يقول للرسول: اجعل طريقك على المضربة، فإنهم سيعرضون لك، ويأخذون كتبك، فكانوا يأخذونها فيقرءون فيها: إني رأيت أهل اليمن لا وفاء لهم ولا خير فيهم، فلا تثقن بهم ولا تطمئن إليهم، فإني أرجو أن يريك الله ما تحب، ولئن بقيت لا أدع لهم شعرا ولا ظفرا. ويرسل رسولا آخر في طريق آخر بكتاب فيه ذكر المضربة وإطراء اليمن بمثل ذلك، حتى صار هوى الفريقين جميعا معه، وجعل يكتب إلى نصر بن سيار وإلى الكرمانى: إن الإمام قد أوصاني بكم، ولست أعدو رأيكم فيكم.

وكتب إلى الكور بإظهار الأمر، فكان أول من سود- فيما ذكر- اسيد ابن عبد الله بنسأ، ونادى: يا محمد، يا منصور وسود معه مقاتل بن حكيم وابن غزوان، وسود أهل أبيورد وأهل مرو الروذ، وقرى مرو.

وأقبل أبو مسلم حتى نزل بين خندق نصر بن سيار وخندق جديع الكرمانى، وهابه الفريقان، وكثر أصحابه، فكتب نصر بن سيار إلى مروان ابن محمد يعلمه حال أبي مسلم وخروجه وكثرة من معه ومن تبعه، وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد، وكتب بأبيات شعر:

أرى بين الرماد وميض جمر ... فأج بأن يكون له ضرام

فإن النار بالعودين تذكى ... وإن الحرب مبدؤها الكلام

فقلت من التعجب: ليت شعري ... أليقظ أمية أم نيام!

فكتب إليه الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فاحسم الثؤلؤل قبلك، فقال نصر: أما صاحبكم فقد أعلمكم ألا نصر عنده فكتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يستمده، وكتب إليه بأبيات شعر:

أبلغ يزيد وخير القول أصدقه ... وقد تبينت الأخير في الكذب

إن خراسان أرض قد رأيت بها ... بيضا لو أفرخ قد حدثت بالعجب

فراخ عامين إلا أنها كبرت ... لما يطرن وقد سربلن بالزغب

فإن يطرن ولم يحتل لمن بها ... يلهين نيران حرب أيما لهب

فقال يزيد: لا غلبة إلا بكثرة، وليس عندي رجل وكتب نصر إلى مروان يخبره خبر أبي مسلم وظهوره وقوته، وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد، فألقى الكتاب مروان وقد أتاه رسول لأبي مسلم إلى إبراهيم، كان قد عاد من عند إبراهيم، ومعه كتاب إبراهيم إلى أبي مسلم جواب كتابه، يلحن فيه أبا مسلم ويسبه، حيث لم ينتهز الفرصة من نصر والكرمانى إذ امكأه، ويأمره ألا يدع بخراسان عربيا إلا قتله فدفع الرسول الكتاب إلى مروان، فكتب مروان إلى الوليد بن معاوية بن عبد الملك وهو على دمشق، يأمره أن يكتب إلى عامل البلقاء، فيسير إلى كرار الحميمة، فليأخذ إبراهيم بن محمد ويشده وثاقا، وليبعث به إليه في خيل، فوجه الوليد إلى عامل البلقاء فألقى إبراهيم وهو في مسجد القرية، فأخذه وكتفه وحمله إلى الوليد، فحمله إلى مروان فحبسه مروان في السجن.

رجع الحديث إلى حديث نصر والكرمانى وبعث أبو مسلم حين عظم الأمر بين الكرمانى ونصر إلى الكرمانى: إني معك، فقبل ذلك الكرمانى وانضم إليه أبو مسلم، فاشتد ذلك على نصر، فأرسل إلى الكرمانى: ويلك لا تغتررا! فوالله إني لخائف عليك وعلى أصحابك منه، ولكن هلم إلى الموادة، فتدخل مرو، فنكتب بيننا كتابا بصلح- وهو يريد أن يفرق بينه وبين أبي مسلم- فدخل الكرمانى منزله، وأقام أبو مسلم في المعسكر، وخرج الكرمانى حتى وقف في الرحبة في مائة فارس، وعليه قرطق خشكشونة ثم أرسل إلى نصر: اخرج لنكتب

بيننا ذلك الكتاب، فأبصر نصر منه غرة، فوجه إليه

٧٠٢٦٠٥ غلبه عبد الله بن معاوية على فارس

ابن الحارث بن سريج في نحو من ثلاثمائة فارس، فالتقوا في الرحبة، فاقتتلوا بها طويلاً. ثم إن الكرمانى طعن في خاصرته نحر عن دابته، وحماه أصحابه حتى جاءهم ما لا قبل لهم به، فقتل نصر الكرمانى وصلبه، ومعه سمكة، فأقبل ابنه علي - وقد كان صار إلى أبي مسلم، وقد جمع جمعاً كثيراً - فسار بهم إلى نصر بن سيار فقاتله حتى أخرجه من دار الإمارة، فقال إلى بعض دور مرو، وأقبل أبو مسلم حتى دخل مرو، فأتاه علي بن جديع الكرمانى فسلم عليه بالإمرة، وأعلمه أنه معه على مساعدته، وقال: مرني بأمرى، فقال:

أقم على ما أنت عليه حتى آمرى بأمرى.

غلبه عبد الله بن معاوية على فارس

وفي هذه السنة غلب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب على فارس ذكر الخبر عن ذلك وعن السبب الذي وصل به إلى الغلبة عليها:

ذكر علي بن محمد أن عاصم بن حفص التيمي وغيره حدثوه أن عبد الله ابن معاوية لما هزم بالكوفة، شخص إلى المدائن، فبايعه أهل المدائن، فأتاه قوم من أهل الكوفة، فخرج إلى الجبال فغلب عليها، وعلى حلوان وقومس وأصبهان والري، وخرج إليه عبيد أهل الكوفة، فلما غلب على ذلك أقام بأصبهان، وقد كان محارب بن موسى مولى بني يشكر عظيم القدر بفارس، فجاء يمشي في نعلين إلى دار الإمارة بإصطخر، فطرد العامل، عامل ابن عمر عنها، وقال لرجل يقال له عماره: بايع الناس، فقال له أهل اصطخر: علام نبايع؟ قال: على ما أحببتم وكرهتم فبايعوه لابن معاوية، وخرج محارب إلى كرمان فأغار عليهم، وأصاب في غارته إبلا لثعلبة بن حسان المازني فاستاقها ورجع.

نفرج ثعلبة يطلب إبله في قرية له تدعى أشهر - قال: ومع ثعلبة مولى له - فقال له مولاه: هل لك أن نفتك بمحارب، فإن شئت ضربته وكفيتني الناس، وإن شئت ضربته وكفيتك الناس؟ قال: ويحك! أردت أن تفتك وتذهب الإبل ولم نلق الرجل! ثم دخل على محارب فرحب به ثم قال:

حاجتك! قال: إبل، قال: نعم، لقد أخذت، وما أعرفها، وقد عرفتها، فدونك إبلك فأخذها، وقال لمولاه: هذا خير، وما اردت؟ قال: ذلك لو أخذناها كان أشقى وانضم إلى محارب القواد والأمرء من أهل الشام:

فسار إلى مسلم بن المسيب وهو بشيراز، عامل لابن عمر، فقتله في سنة ثمان وعشرين ومائة، ثم خرج محارب إلى أصبهان، فحول عبد الله بن معاوية إلى إصطخر، واستعمل عبد الله أخاه الحسن على الجبال، فأقبل فنزل في دير على ميل من اصطخر، واستعمل أخاه يزيد على فارس فأقام، فأتاه الناس، بنو هاشم وغيرهم، وجبى المال، وبعث العمال، وكان معه منصور بن جمهور وسليمان بن هشام بن عبد الملك وشيبان بن الحلس بن عبد العزيز الشيباني الخارجي، وأتاه أبو جعفر عبد الله، وعبد الله وعيسى ابنا علي وقدم يزيد بن عمر بن هبيرة على العراق، فأرسل نباتة بن حنظلة الكلبي إلى عبد الله بن معاوية، وبلغ سليمان بن حبيب أن ابن هبيرة ولى نباتة الأهواز، فسر داود بن حاتم، فأقام بكرج ديار ليمنع نباتة من الأهواز، فقدم نباتة، فقتل داود، وهرب سليمان إلى سابور، وفيها الأكراد قد غلبوا عليها، وأخرجوا المسيح بن الحمارى، فقاتلهم سليمان، فطرد الأكراد عن سابور، وكتب إلى عبد الله بن معاوية بالبيعة، فقال: عبد الرحمن ابن يزيد بن المهلب: لا يفي لك، وإنما أراد أن يدفعك عنه، ويأكل سابور، فاكتب إليه فليقدم عليك إن كان صادقاً فكتب إليه فقدم، وقال لأصحابه: ادخلوا معي، فإن منعكم أحد فقاتلوه، فدخلوا فقال لابن معاوية:

أنا أطوع الناس لك، قال: ارجع إلى عملك، فرجع ثم إن محارب بن موسى نافر ابن معاوية، وجمع جمعاً، فأتى سابور - وكان ابنه مخلد بن محارب محبوساً بسابور، أخذه يزيد بن معاوية فحبسه - فقال لمحارب: ابنك في يديه وتحاربه! أما تخاف أن يقتل ابنك! قال:

أبعده الله! فقاتله يزيد، فانهزم محارب، فأتى كرماني، فأقام بها حتى قدم محمد بن الأشعث، فصار معه، ثم نافر ابن الأشعث فقتله وأربعة وعشرين

ابنائه ولم يزل عبد الله بن معاوية بإصطخر حتى أتاه ابن ضبارة مع داود ابن يزيد بن عمر بن هبيرة، فأمر ابن معاوية فكسروا قنطرة الكوفة، فوجه ابن هبيرة معن بن زائدة من وجه آخر، فقال سليمان لأبان بن معاوية بن هشام: قد أذاك القوم، قال: لم أؤمر بقتلهم، قال: ولا تؤمر والله بهم أبدا، وأتاهم فقاتلهم عند مرو الشاذان، ومعن يرتجز:

ليس أمير القوم بالخب الخدع ... فر من الموت وفي الموت وقع
قال ابن المقفع أو غيره:
فر من الموت وفيه قد وقع.

قال: عمدا، قلت: قد عملت، فانهزم ابن معاوية، وكف معن عنهم، فقتل في المعركة رجل من آل أبي لهب، وكان يقال: يقتل رجل من بني هاشم بمرو الشاذان وأسروا أسراء كثيرة، فقتل ابن ضبارة عدة كثيرة، فيقال كان فيمن قتل يومئذ حكيم الفرد أبو المجد، ويقال: قتل بالأهواز، قتله نباتة.

ولما انهزم ابن معاوية هرب شيبان إلى جزيرة ابن كاوان ومنصور بن جمهور إلى السند، وعبد الرحمن بن يزيد إلى عمان، وعمر بن سهل بن عبد العزيز إلى مصر، وبعث ببقية الأسراء إلى ابن هبيرة. قال حميد الطويل: أطلق أولئك الأسراء فلم يقتل منهم غير حصين بن وعلة السدوسي، ولما أمر بقتله قال: أقتل من بين الأسراء! قال: نعم، أنت مشرك، أنت الذي تقول: ولو أمر الشمس لم تشرق.

ومضى ابن معاوية من وجهه إلى سجستان ثم أتى خراسان ومنصور بن جمهور إلى السند، فسار في طلبه معن بن زائدة وعطية الثعلبي وغيره من بني ثعلبة، فلم يدركوه، فرجعوا وكان حصين بن وعلة السدوسي مع يزيد بن معاوية، فتركه معن بن زائدة فبعث به معن إلى ابن ضبارة، فبعث به ابن ضبارة إلى واسط، وسار ابن ضبارة إلى عبد الله بن معاوية بإصطخر، فنزل بإزائه على نهر إصطخر، فعب ابن الصصح في ألف، فلقبه من أصحاب

٧٠٢٦٠٦ محيي أبي حمزة الخارجي الموسم

عبد الله بن معاوية أبان بن معاوية بن هشام فيمن كان معه من أهل الشام، ممن كان مع سليمان بن هشام فاقتلوا، فقال ابن نباتة إلى القنطرة، فلقبهم من كان مع ابن معاوية من الخوارج، فانهزم أبان والخوارج، فأسر منهم ألفا، فأتوا بهم ابن ضبارة، نفلى عنهم، وأخذ يومئذ عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس في الأسراء، فنسبه ابن ضبارة، فقال: ما جاء بك إلى ابن معاوية، وقد عرفت خلافة أمير المؤمنين! قال: كان علي دين فأديته فقام إليه حرب بن قطن الكثاني، فقال: ابن أختنا، فوجه له، وقال: ما كنت لأقدم على رجل من قريش وقال له ابن ضبارة: إن الذي قد كنت معه قد عيب بأشياء، فعندك منها علم؟ قال: نعم، وعابه ورمى أصحابه باللواط، فأتوا ابن ضبارة بغلمان عليهم أقبية قوهية مصبغة ألوانا، فأقامهم للناس وهم أكثر من مائة غلام، لينظروا إليهم وحمل ابن ضبارة عبد الله بن علي على البريد إلى ابن هبيرة ليخبره أخباره، فحمله ابن هبيرة إلى مروان في أجناد أهل الشام، وكان يعيبه، وابن ضبارة يومئذ في مفازة كرماني في طلب عبد الله ابن معاوية، وقد أتى ابن هبيرة مقتل نباتة، فوجه ابن هبيرة كرب بن مصقلة والحكم بن أبي الأبيض العبسي وابن محمد السكوني، كلهم خطيب، فتكلموا في تقرير ابن ضبارة، فكتب إليه أن سر بالناس إلى فارس، ثم جاءه كتاب ابن هبيرة: سر إلى أصحابنا

• محيي أبي حمزة الخارجي الموسم

وفي هذه السنة وافى الموسم أبو حمزة الخارجي، من قبل عبد الله ابن يحيى طالب الحق، محكما مظهرًا للخلاف على مروان بن محمد.

ذكر الخبر عن ذلك من أمره:

حدثني العباس بن عيسى العقيلي، قَالَ: حدثنا هارون بن موسى الفروي قَالَ: حدثنا موسى بن كثير مولى الساعديين، قَالَ: لما كان تمام سنة تسع وعشرين ومائة، لم يدر الناس بعرفة إلا وقد طلعت أعلام عمام سود حرقانيه في رءوس الرماح وهم في سبعمائة، ففرغ الناس حين رأوهم، وقالوا: ما لكم! وما حالكم؟ فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان والتبرؤ منه.

فراسلهم عبد الواحد بن سليمان - وهو يومئذ على المدينة ومكة - فراسلهم في الهدنة، فقالوا: نحن بحجنا أضن، ونحن عليه أشع وصالحهم على أنهم جميعاً آمنون، بعضهم من بعض، حتى ينفر الناس النفر الأخير، وأصبحوا من الغد فوقفوا على حدة بعرفة، ودفع بالناس عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان، فلما كانوا بمنى ندموا عبد الواحد، وقالوا: قد أخطأت فيهم، ولو حملت الحاج عليهم ما كانوا إلا أكلة رأس فنزل أبو حمزة بقرين الثعالب، ونزل عبد الواحد منزل السلطان، فبعث عبد الواحد إلى أبي حمزة عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر، وعبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، في رجال أمثالهم، فدخلوا على أبي حمزة وعليه إزار قطن غليظ، فتقدمهم إليه عبد الله بن الحسن ومحمد بن عبد الله فنسبهما فانتسبا له، فعبس في وجوههما، وأظهر الكراهة لهما، ثم سأل عبد الرحمن بن القاسم وعبيد الله بن عمر فانتسبا له، فهش إليهما، وتبسم في وجوههما، وقال: والله ما خرجنا إلا لنسير بسيرة أبيكنا، فقال له عبد الله بن حسن: والله ما جئنا لتفضل بين آبائنا، ولكنا بعثنا إليك الأمير برسالة - وهذا ربيعة يخبركها - فلما ذكر ربيعة نقض العهد، قَالَ بلج وأبرهة - وكنا قائدين له: الساعة الساعة! فأقبل عليهم أبو حمزة، فقال: معاذ الله أن تنقض العهد أو نجبس، والله لا أفعل ولو قطعت رقبتى هذه، ولكن تنقضي الهدنة بيننا وبينكم فلما أبى عليهم خرجوا، فأبلغوا عبد الواحد، فلما كان النفر نفر عبد الواحد في النفر الأول، وخلي مكة لأبي حمزة، فدخلها بغير قتال قَالَ العباس: قَالَ هارون: فأشددني يعقوب بن طلحة الليثي أبياتا هي بها عبد الواحد - قَالَ: وهي لبعض الشعراء لم احفظ اسمه:

زار الحجيح عصابة قد خالفوا ... دين الإله ففر عبد الواحد

ترك الحلائل والإمارة هاربا ... ومضى يخط كالبعير الشارد

لو كان والده تنصل عرقه ... لصفقت مضاربه بعرق الوالد

ثم مضى عبد الواحد حتى دخل المدينة، فدعا بالديوان، فضرب على الناس البعث، وزادهم في العطاء عشرة عشرة قَالَ العباس: قَالَ هارون:

أخبرني بذلك أبو حمزة أنس بن عياض، قَالَ: كنت فيمن اكتب، ثم محوت اسمي.

قَالَ العباس: قَالَ هارون: وحدثني غير واحد من أصحابنا أن عبد الواحد استعمل عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على الناس فخرجوا، فلما كانوا بالحرّة لقيتهم جزر منحورة فمضوا.

وجج بالناس في هذه السنة عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ وَكَذَلِكَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍ وَغَيْرُهُ.

وكان العامل على مكة والمدينة عبد الواحد بن سليمان، وعلى العراق يزيد ابن عمر بن هبيرة، وعلى قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربي - فيما ذكر - وعلى قضاء البصرة عباد بن منصور، وعلى خراسان نصر بن سيار، والفتنة بها.

٧٠٢٧ سنه ثلاثين ومائه

٧٠٢٧٠١ ذكر دخول ابني مسلم مرو والبيعه بها

ثم دخلت

سنه ثلاثين ومائه

(ذكر خبر الاحداث التي كانت فيها)

ذكر دخول ابي مسلم مرو والبيعه بها

فما كان فيها من ذلك دخول أبي مسلم حائط مرو ونزوله دار الإمارة بها، ومطابقة علي بن جديع الكرمانى إياه على حرب نصر بن سيار.

ذكر الخبر عن ذلك وسببه:

ذكر أبو الخطاب أن دخول أبي مسلم حائط مرو ونزوله دار الإمارة التي ينزلها عمال خراسان كان في سنة ثلاثين ومائة لتسع خلون من جمادى الآخرة يوم الخميس، وأن السبب في مسير علي بن جديع مع أبي مسلم كان أن سليمان ابن كثير كان بإزاء علي بن الكرمانى حين تعاقد هو ونصر على حرب أبي مسلم، فقال سليمان بن كثير لعلي بن الكرمانى: يقول لك أبو مسلم: أما تأنف من مصالحة نصر بن سيار، وقد قتل بالأمس أباك وصلبه! ما كنت أحسبك تجامع نصر بن سيار في مسجد تصليان فيه! فأدرك علي بن الكرمانى الحفيظة، فرجع عن رأيه وانتقض صلح العرب قال: ولما انتقض صلحهم بعث نصر ابن سيار إلى أبي مسلم يلتمس منه أن يدخل مع مضر، وبعثت ربيعة وقحطان إلى أبي مسلم بمثل ذلك، فتراسلوا بذلك أياما، فأمرهم أبو مسلم أن يقدم عليه وفد الفريقين حتى يختار أحدهما، ففعلوا وأمر أبو مسلم الشيعة أن يختاروا ربيعة وقحطان، فإن السلطان في مضر، وهم عمال مروان الجعدي، وهم قتلة يحيى بن زيد فقدم الوفدان، فكان في وفد مضر عقيل بن معقل بن حسان الليثي وعبيد الله بن عبد ربه الليثي والخطاب بن محرز السلمي، في رجال منهم وكان في وفد قحطان عثمان بن الكرمانى ومحمد بن المثني وسوره بن محمد ابن عزيز الكندي، في رجال منهم، فأمر أبو مسلم عثمان بن الكرمانى وأصحابه

فدخلوا بستان المحتفز، وقد بسط لهم فيه، فقعدها وجلس أبو مسلم في بيت في دار المحتفز، وأذن لعقيل بن معقل وأصحابه من وفد مضر، فدخلوا إليه، ومع أبي مسلم في البيت سبعون رجلا من الشيعة، قرأ على الشيعة كتابا كتبه أبو مسلم ليختاروا أحد الفريقين، فلما فرغ من قراءة الكتاب، قام سليمان ابن كثير، فتكلم - وكان خطيبا مفوها - فاختار علي بن الكرمانى وأصحابه، وقام أبو منصور طلحة بن رزيق النقيب فيهم - وكان فصيحاً متكهما - فقال كقالة سليمان بن كثير، ثم قام مزيد بن شقيق السلمي، فقال: مضر قتلة آل النبي ص وأعداء بني أمية وشيعة مروان الجعدي، ودماؤنا في أعناقهم، وأموالنا في أيديهم، والتباعات قبلهم، ونصر بن سيار عامل مروان على خراسان ينفذ أموره، ويدعوله على منبره، ويسميه أمير المؤمنين، ونحن من ذلك إلى الله برآء وأن يكون مروان أمير المؤمنين، وأن يكون نصر على هدى وصواب، وقد اخترنا علي بن الكرمانى وأصحابه من قحطان وربيعة فقال السبعون الذين جمعوا في البيت بقول مزيد بن شقيق.

فنهض وفد مضر عليهم الذلة والكتابة، ووجه معهم أبو مسلم القاسم بن مجاشع في خيل حتى بلغوا مأمنهم، ورجع وفد علي بن الكرمانى مسرورين منصورين وكان مقام أبي مسلم بالين تسعة وعشرين يوما، فرحل عن آين راجعا إلى خندقه بالماخوان، وأمر أبو مسلم الشيعة أن يبتنوا المساكن، ويستعدوا للشتاء فقد أعفاهم الله من اجتماع كلمة العرب، وصيرهم بنا إلى افتراق الكلمة، وكان ذلك قدرا من الله مقدورا.

وكان دخول أبي مسلم الماخوان منصرفا عن آين سنة ثلاثين ومائة، للنصف من صفر يوم الخميس، فأقام أبو مسلم في خندقه بالماخوان ثلاثة أشهر، تسعين يوما، ثم دخل حائط مرو يوم الخميس لتسع خلون من جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة.

قال: وكان حائط مرو إذ ذاك في يد نصر بن سيار لأنه عامل خراسان،

فأرسل علي بن الكرمانى إلى أبي مسلم أن ادخل الحائط من قبلك، وأدخل أنا وعشيرتي من قبلي، فنغلب على الحائط فأرسل إليه أبو مسلم أن لست آمن أن يجتمع يدك ويد نصر على محاربتى، ولكن ادخل أنت فأنشب الحرب بينك وبينه وبين أصحابه، فدخل علي بن الكرمانى فأنشب الحرب، وبعث أبو مسلم أبا علي شبل بن طهمان النقيب في جند، فدخلوا الحائط، فنزل في قصر بخاراخذه، فبعثوا

إلى أبي مسلم أن ادخل، فدخل أبو مسلم من خندق الماخوان، وعلى مقدمته أسيد بن عبد الله الخزاعي، وعلى ميمنته مالك بن الهيثم الخزاعي، وعلى ميسرته القاسم بن مجاشع التميمي، حتى دخل الحائط، والفريقان يقتتلان فأمرهما بالكف وهو يتلو من كتاب الله: «وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ» ومضى أبو مسلم حتى نزل قصر الإمارة بمرو الذي كان ينزله عمال خراسان، وكان ذلك لتسع خلون من جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة، يوم الخميس.

وهرب نصر بن سيار عن مرو الغد من يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الأولى من سنة ثلاثين ومائة، وصفت مرو لأبي مسلم فلما دخل أبو مسلم حائط مرو أمر أبا منصور طلحة بن رزيق بأخذ البيعة على الجند من الهاشمية خاصة- وكان أبو منصور رجلا فصيحاً نبيلاً مفوهاً عالماً بحجج الهاشمية وغوامض أمورهم، وهو أحد النقباء الاثني عشر، والنقباء الاثنا عشر هم الذين اختارهم محمد بن علي من السبعين الذين كانوا استجابوا له حين بعث رسوله إلى خراسان سنة ثلاث ومائة أو أربع ومائة- وأمره أن يدعو إلى الرضا، ولا يسمي أحداً، ومثل له مثلاً ووصف من العدل صفة، فقدمها فدعا سراً، فأجابته ناس، فلما صاروا سبعين أخذ منهم اثني عشر نقيباً.

منهم من خزاعة سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وزبيد بن صالح وطلحة بن رزيق وعمرو بن اعين، ومن طيئ قطبة- واسمه زياد بن شبيب بن خالد بن معدان- ومن تميم موسى بن كعب أبو عينة ولاهز بن قريظ والقاسم بن مجاشع، كلهم من بني امرئ القيس، وأسلم بن سلام أبو سلام، ومن بكر بن وائل أبو داود خالد بن إبراهيم من بني عمرو بن شيبان أخي سدوس وأبو علي الهروي.

ويقال: شبل بن طهمان مكان عمرو بن أعين وعيسى بن كعب وأبو النجم عمران بن إسماعيل مكان أبي علي الهروي، وهو ختن أبي مسلم.

ولم يكن في النقباء أحد والده حي غير أبي منصور طلحة بن رزيق بن أسعد، وهو أبو زينب الخزاعي، وقد كان شهد حرب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وصحب المهلب بن أبي صفرة وغزا معه، فكان أبو مسلم يشاوره في الأمور، ويسأله عما شهد من الحروب والمغازي، ويسأله عن الكنية بأبي منصور: يا أبا منصور، ما تقول؟ وما رأيك؟

قال أبو الخطاب: فأخبرنا من شهد أبا منصور يأخذ البيعة على الهاشمية:

أبايعكم على كتاب الله عز وجلّ وسنة نبيه ص والطاعة للرضا من أهل بيت رسول الله ص، عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، والطلاق والعناق، والمشي إلى بيت الله، وعلى ألا تسألوا رزقا ولا طمعا حتى يبدأكم به ولا تكلم، وإن كان عدو أحدكم تحت قدمه فلا تهيجوه إلا بأمر ولا تكلم فلما حبس أبو مسلم سلم بن أحوز ويونس بن عبد ربه، وعقيل ابن معقل ومنصور بن أبي الخرقاء وأصحابه، شاور أبا منصور، فقال: اجعل سوطك السيف، وسجك القبر، فأقدمهم أبو مسلم فقتلهم، وكانت عدتهم أربعة وعشرين رجلاً.

وأما علي بن محمد، فإنه ذكر أن الصباح مولى جبريل، أخبره عن مسلمة ابن يحيى، أن أبا مسلم جعل على حرسه خالد بن عثمان، وعلى شرطه مالك

ابن الهيثم، وعلى القضاء القاسم بن مجاشع، وعلى الديوان كامل بن مظفر، فرزق كل رجل أربعة آلاف، وأنه أقام في عسكره بالماخوان ثلاثة أشهر، ثم سار من الماخوان ليلاً في جمع كبير يريد عسكر ابن الكرمان، وعلى ميمنته لاهز بن قريظ، وعلى ميسرته القاسم بن مجاشع، وعلى مقدمته أبو نصر مالك بن الهيثم وخلف على خندقه أبا عبد الرحمن الماخواني، فأصبح في عسكر شيبان، نجاف نصر أن يجتمع أبو مسلم وابن الكرمان على قتاله، فأرسل إلى أبي مسلم يعرض عليه أن يدخل مدينة مرو ويوادعه، فأجابه، فوادع أبا مسلم نصر، فواصل نصر بن أحوز يومه ذلك كله، وأبو مسلم في عسكر شيبان، فأصبح نصر وابن الكرمان، فغدوا إلى القتال، وأقبل أبو مسلم ليدخل مدينة مرو، فرد خيل نصر وخيل ابن الكرمان، ودخل المدينة لسبع- أو لتسع- خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين ومائة، وهو يتلو:

«وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ» إلى آخر الآية.

قال علي: وأخبرنا أبو الذيال والمفضل الضبي، قالوا: لما دخل أبو مسلم مدينة مرو، قال نصر لأصحابه: أرى هذا الرجل قد قوي أمره،

وقد سارع إليه الناس، وقد وادعته وسيتم له ما يريد، فخرجوا بنا عن هذه البلدة وخلوه، فاختلفوا عليه، فقال بعضهم: نعم، وقال بعضهم: لا، فقال:

أما إنكم ستذكرون قولي وقال لخاصته من مضر: انطلقوا إلى أبي مسلم فalcوه، وخذوا بحظكم منه، وأرسل أبو مسلم إلى نصر لاهز بن قريظ يدعوه فقال لاهز: «إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ»، وقرأ قبلها آيات، ففطن نصر، فقال لغلामه: ضع لي وضوءاً، فقام كأنه يريد الوضوء، فدخل بستاناً وخرج منه، فركب وهرب.

قَالَ علي: وأخبرنا أبو الذيال، قَالَ: أخبرني إياس بن طلحة بن طلحة قَالَ: كنت مع أبي وقد ذهب عمي إلى أبي مسلم يبايعه، فأبطأ حتى صليت

العصر والنهار قصير، فنحن ننتظره، وقد هيأنا له الغداء، فإني لقاعد مع أبي إذ مر نصر على بردون، لا أعلم في داره بردونا أسرى منه، ومعه حاجبه والحكم بن نميلة النخري قَالَ أبي: إنه لهارب ليس معه أحد، وليس بين يديه حربة ولا راية، فربنا، فسلم تسليماً خفياً، فلما جازنا ضرب بردونه، ونادى الحكم بن نميلة غلبانه، فركبوا واتبعوه.

قَالَ علي: قَالَ أبو الذيال: قَالَ إياس: كان بين منزلنا وبين مرو أربعة فراسخ، فربنا نصر بعد العتمة، فضج أهل القرية وهربوا، فقال لي أهلي وإخواني: اخرج لا تقتل، وبكوا، فخرجت أنا وعمي المهلب بن إياس فلاحقنا نصراً بعد هاء الليل، وهو في أربعين، قد قام بردونه، فنزل عنه، فحمله بشر بن بسطام بن عمران بن الفضل البرجمي على بردونه، فقال نصر: إني لا آمن الطلب، فمن يسوق بنا؟ قَالَ عبد الله بن عرعر الضبي:

أنا أسوق بكم، قَالَ: أنت لها، فطرد بنا ليلته حتى أصبحنا في بئر في المفازة على عشرين فرسخاً أو أقل، ونحن ستمائه، فسرنا يومنا فنزلنا العصر، ونحن ننظر إلى آيات سرخس وقصورها ونحن ألف ونحسمائة، فانطلقت أنا وعمي إلى صديق لنا من بني حنيفة يقال له مسكين، فبتنا نحن عنده لم نطعم شيئاً، فأصبحنا، فجاءنا بثريرة فأكلنا منها ونحن جياع لم نأكل يومنا وليلتنا، واجتمع الناس فصاروا ثلاثة آلاف، وأقمنا بسرخس يومين، فلما لم يأتنا أحد صار نصر إلى طوس، فأخبرهم خبر أبي مسلم، وأقام خمسة عشر يوماً، ثم سار وشرنا إلى نيسابور فأقام بها، ونزل أبو مسلم حين هرب نصر دار الإمارة، وأقبل ابن الكرمانى، فدخل مرو مع أبي مسلم، فقال أبو مسلم حين هرب نصر: يزعم نصر أنني ساحر، هو والله ساحر! وقال غير من ذكرت قوله في أمر نصر وابن الكرمانى وشيخان الحروري: انتهى أبو مسلم في سنة ثلاثين ومائة من معسكره بقرية سليمان بن كثير إلى قرية تدعى الماخون فنزلها، وأجمع على الاستظهار بعلي بن جديع ومن معه من اليمن، وعلى دعاء نصر بن سيار ومن معه إلى معاونته، فأرسل إلى الفريقين جميعاً، وعرض على كل فريق منهم المسألة واجتماع الكلمة والدخول

في الطاعة، فقبل ذلك علي بن جديع، وتابعه على رأيه، فعاقده عليه، فلما وثق أبو مسلم بمبايعة علي بن جديع إياه، كتب إلى نصر بن سيار أن يبعث إليه وفداً يحضرون مقالته ومقالة أصحابه فيما كان وعده أن يميل معه، وأرسل إلى علي بمثل ما أرسل به إلى نصر. ثم وصف من خبر اختيار قواد الشيعة البمانية على المضرية نحو ما وصف من قد ذكرنا الرواية عنه قبل في كتابنا هذا، وذكر أن أبا مسلم إذ وجه شبل ابن طهمان فيمن وجهه إلى مدينة مرو وأنزله قصر بخاراخذاه، إنما وجهه مدداً لعلي بن الكرمانى.

قَالَ: وسار أبو مسلم من خندقه بالماخون بجميع من معه إلى علي ابن جديع، ومع علي عثمان واخوه وأشراف اليمن معهم وحلفاؤهم من ربيعة، فلما حاذى أبو مسلم مدينة مرو استقبله عثمان بن جديع في خيل عظيمة، ومعه أشراف اليمن ومن معه من ربيعة، حتى دخل عسكر علي بن الكرمانى وشيخان بن سلبه الحروري ومن معه من النقباء، ووقف على حجرة علي بن جديع، فدخل عليه وأعطاه الرضا، وآمنه على نفسه وأصحابه، وخرجا إلى حجره شيخان، وهو يسلم عليه يومئذ بالخلافة، فأمر أبو مسلم علياً بالجلوس إلى جنب شيخان، وأعلمه أنه لا يحل له التسليم عليه وأراد أبو مسلم أن يسلم على علي بالإمرة، فيظن شيخان أنه يسلم عليه ففعل ذلك علي، ودخل عليه أبو مسلم، فسلم عليه بالإمرة، وألطف لشيخان وعظمه، ثم خرج من عنده فنزل قصر محمد بن الحسن الأزدي، فأقام به ليلتين، ثم انصرف

إلى خندقه بالماخوان، فأقام به ثلاثة أشهر، ثم ارتحل من خندقه بالماخوان إلى مرو لسبع خلون من ربيع الآخر، وخلف على جنده أبا عبد الكريم الماخواني، وجعل أبو مسلم على ميمنته لاهز بن قريظ، وعلى ميسرته القاسم ابن مجاشع، وعلى مقدمته مالك بن الهيثم، وكان مسيره ليلاً، فأصبح على باب مدينة مرو، وبعث إلى علي بن جديع أن يبعث خيله حتى وقف على باب قصر الإمارة، فوجد الفريقين يقتتلان أشد القتال في حائط مرو،

فأرسل إلى الفريقين أن كفوا، وليتفرق كل قوم إلى معسكرهم، ففعلوا.

وأرسل أبو مسلم لاهز بن قريظ وقريش بن شقيق وعبد الله بن البخري، وداود بن كراز إلى نصر يدعوه إلى كتاب الله والطاعة للرضا من آل محمد ص.

فلما رأى نصر ما جاءه من اليمانية والريعه والعجم، وأنه لا طاقة له بهم، ولا بد أن أظهر قبول ما بعث به إليه أن يأتيه فيبياعه، وجعل يريثهم لما هم به من الغدر والهرب إلى أن أمسى، فأمر أصحابه أن يخرجوا من ليلتهم إلى ما يأمنون فيه، فما تيسر لأصحاب نصر الخروج في تلك الليلة.

وقال له سلم بن أحوز: إنه لا يتيسر لنا الخروج الليلة، ولكنا نخرج القابلة، فلما كان صبح تلك الليلة عبأ أبو مسلم كتائبه، فلم يزل في تعبيتها إلى بعد الظهر، وأرسل إلى نصر لاهز بن قريظ وقريش بن شقيق وعبد الله بن البخري وداود بن كراز وعدة من أعاجم الشيعة، فدخلوا على نصر، فقال لهم: لشر ما عدتم، فقال له لاهز: لا بد لك من ذلك فقال نصر: أما إذ كان لا بد منه، فإني أتوضأ وأخرج إليه وأرسل إلى أبي مسلم، فإن كان هذا رايه وامره أتيت به ونعمي لعينه، وأتيت إلى أن يجيء رسولي، وقام نصر، فلما قام قرأ لاهز هذه الآية: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتُمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنَّ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ»، فدخل نصر منزله وأعلمهم أنه ينتظر انصراف رسوله من عند أبي مسلم، فلما جنة الليل، خرج من خلف حجرته، ومعه تميم ابنه والحكم بن ثملة النيمري وحاجبه وامرأته، فانطلقوا هرباً، فلما استبطأه لاهز وأصحابه دخلوا منزله، فوجدوه قد هرب، فلما بلغ ذلك أبا مسلم سار إلى معسكر نصر، وأخذ ثقات أصحابه وصناديدهم فكتفهم، وكان فيهم سلم بن أحوز صاحب شرطة نصر والبخري كاتبه، وابنان له ويونس بن عبد ربه ومحمد بن قطن ومجاهد بن يحيى بن حزين والنضر بن ادريس ومنصور بن عمر بن أبي الحرقاء وعقيل بن معقل الليثي، وسيار بن عمر السلمي، مع رجال من رؤساء مضر فاستوثق منهم بالحديد، ووكل بهم عيسى بن اعين، وكانوا في الحبس عنده حتى امر بقتلهم

٧٠٢٧٠٢ خبر مقتل شبيب بن سلمه الخارجي

جميعاً، ونزل نصر سرخس فيمن اتبعه من المضرية، وكانوا ثلاثة آلاف، ومضى أبو مسلم وعلي بن جديع في طلبه، فطلباه ليلتهما حتى أصبحا في قرية تدعى نصرانية، فوجدا نصرا قد خلف امرأته المربانة فيها، ونجا بنفسه.

ورجع أبو مسلم وعلي بن جديع إلى مرو، فقال أبو مسلم لمن كان وجهه إلى نصر: ما الذي ارتاب به منكم؟ قالوا: لا ندري، قال: فهل تكلم أحد منكم؟ قالوا: لاهز تلا هذه الآية: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتُمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ» قال: هذا الذي دعاه إلى الهرب، ثم قال: يا لاهز، أتدغل في الدين! فضرب عنقه.

خبر مقتل شبيب بن سلمه الخارجي

وفي هذه السنة قتل شيبان بن سلمة الحروري.
ذكر الخبر عن مقتله وسببه:

وكان سبب مقتله - فيما ذكر - أن علي بن جديع وشيبان كانا مجتمعين على قتال نصر بن سيار لمخالفة شيبان نصراً، لأنه من عمال مروان بن محمد، وأن شيبان يرى رأي الخوارج ومخالفة علي بن جديع نصراً، لأنه يمان ونصر مضري، وأن نصراً قتل أباه وصلبه، ولما بين الفريقين من العصبية التي كانت بين اليمانية والمضرية، فلما صالح علي بن الكرمانى أبا مسلم، وفارق شيبان، تخفى شيبان عن مرو، إذ علم أنه لا طاقة له بحرب أبي مسلم وعلي بن جديع مع اجتماعهما على خلافه، وقد هرب نصر من مرو وسار إلى سرخس فذكر على

بن محمد ان أبا حفص اخبره والحسن بن رشيد وأبا الذيال ان المده التي كانت بين ابى مسلم وبين شيبان لما انقضت، أرسل أبو مسلم إلى شيبان يدعوه إلى البيعة، فقال شيبان: أنا أدعوك إلى بيعتي، فأرسل إليه أبو مسلم: إن لم تدخل في أمرنا فارتحل عن منزلك الذي أنت فيه، فأرسل شيبان إلى ابن الكرماني يستنصره، فأبى فصار شيبان إلى سرخس،

٧٠٢٧٠٣ ذكر خبر قتل علي وعثمان ابني جديع

واجتمع إليه جمع كثير من بكر بن وائل فبعث إليه أبو مسلم تسعة من الأزد، فيهم المنتجع بن الزبير، يدعوه ويسأله أن يكف، فأرسل شيبان، فأخذ رسل أبي مسلم فسجنهم، فكتب أبو مسلم إلى بسام بن إبراهيم مولى بني ليث ببيورد، يأمره أن يسير إلى شيبان فيقاتله ففعل، فهزمه بسام، واتبعه حتى دخل المدينة، فقتل شيبان وعدة من بكر بن وائل، فقبل لأبي مسلم:

إن بساما ثائر بأبيه، وهو يقتل البريء والسقيم، فكتب إليه أبو مسلم يأمره بالقدوم عليه، فقدم، واستخلف على عسكره رجلا. قال علي: أخبرنا المفضل، قال: لما قتل شيبان مر رجل من بكر بن وائل - يقال له خفاف - برسل أبي مسلم الذين كان أرسلهم إلى شيبان، وهم في بيت، فأخرجهم وقتلهم.

وقيل: إن أبا مسلم وجه إلى شيبان عسكرا من قبله، عليهم خزيمة ابن خازم وبسام بن إبراهيم

. ذكر خبر قتل علي وعثمان ابني جديع

وفي هذه السنة قتل أبو مسلم عليا وعثمان ابني جديع الكرماني.

ذكر سبب قتل أبي مسلم إياهما:

وكان السبب في ذلك - فيما قيل - إن أبا مسلم كان وجه موسى بن كعب إلى أبيورد فافتتحها، أو كتب إلى أبي مسلم بذلك، ووجه أبا داود إلى بلخ وبها زياد بن عبد الرحمن القشيري، فلما بلغه قصد أبي داود بلخ خرج في أهل بلخ والترمذ وغيرهما من كور طخارستان إلى الجوزجان، فلما دنا أبو داود منهم، انصرفوا منهزمين إلى الترمذ، ودخل أبو داود مدينة بلخ، فكتب إليه أبو مسلم يأمره بالقدوم عليه، ووجه مكانه يحيى بن نعيم أبا الميلاء على بلخ، فخرج أبو داود، فلقه كتاب من أبي مسلم يأمره بالانصراف، فانصرف، وقدم عليه أبو الميلاء، فكتب زياد بن عبد الرحمن يحيى بن نعيم أبا الميلاء أن يصير أيديهم واحدة، فأجابه، فرجع زياد بن عبد الرحمن القشيري ومسلم

ابن عبد الرحمن بن مسلم الباهلي وعيسى بن زرعة السلمي وأهل بلخ والترمذ وملوك طخارستان، وما خلف النهر وما دونه، فنزل زياد وأصحابه على فرسخ من مدينة بلخ، وخرج إليه يحيى بن نعيم بمن معه حتى اجتمعوا، فصارت كلمتهم واحدة، مضريهم ويمانيهم وربيعهم ومن معهم من الأعاجم على قتال المسودة، وجعلوا الولاية عليهم لمقاتل بن حيان النبطي، كراهة أن يكون من الفرق الثلاثة، وأمر أبو مسلم أبا داود بالعود، فأقبل أبو داود بمن معه حتى اجتمعوا على نهر السرجان وكان زياد بن عبد الرحمن وأصحابه قد وجهوا أبا سعيد القرشي مسلحة فيما بين العود وبين قريه يقال لها أمديان، لئلا يأتيهم أصحاب أبي داود من خلفهم وكانت أعلام أبي سعيد وراياته سودا، فلما اجتمع أبو داود وزياد وأصحابهما، واصطفوا للقتال، أمر أبو سعيد القرشي أصحابه أن يأتوا زيادا وأصحابه من خلفهم، فرجع وخرج عليهم من سكة العود وراياته سود، فظن أصحاب زياد أنهم كمين لأبي داود، وقد نشب القتال بين الفريقين، فانهزم زياد ومن معه، وتبعهم أبو داود، فوقع عامة أصحاب زياد في نهر السرجان، وقتل عامة رجالهم المتخلفين، ونزل أبو داود عسكرهم، وحوى ما فيه، ولم يتبع زيادا ولا أصحابه واكثر من تبعهم سرعان من سرعان خيل أبي داود إلى مدينة بلخ لم يجاوزها ومضى زياد ويحيى ومن معهما إلى الترمذ، واقام أبو داود يومه ذلك ومن الغد، ولم يدخل مدينته بلخ واستصفي أموال من قتل بالسرجان ومن هرب من العرب وغيرهم، واستقامت بلخ لأبي داود.

ثم كتب إليه أبو مسلم يأمره بالقدوم عليه، ووجه النضر بن صبيح المري على بلخ وقدم أبو داود، واجتمع رأي أبي داود وأبي مسلم

على أن يفرقا بين علي وعثمان ابني الكرماني، فبعث أبو مسلم عثمان عاملا على بلخ، فلما قدما استخلف الفرافصة بن ظهير العبسي على مدينة بلخ، وأقبلت المضرية من ترمذ، عليهم مسلم بن عبد الرحمن الباهلي، فالتقوا وأصحاب عثمان بن جديع بقرية بين البروقان وبين الدستجرد، فاقتتلوا قتالا شديدا، فانهزم أصحاب عثمان بن جديع، وغلب المضرية ومسلم بن عبد الرحمن

٧٠٢٧٠٤ قدوم قطبه بن شبيب على أبي مسلم

على مدينة بلخ، وأخرجوا الفرافصة منها وبلغ عثمان بن جديع الخبر والنضر ابن صبيح، وهما بمرور الروذ، فأقبلا نحوهم، وبلغ أصحاب زياد بن عبد الرحمن فهربوا من تحت ليلتهم، وعتب النضر في طلبهم، رجاء أن يفوتوا، ولقيهم أصحاب عثمان بن جديع، فاقتتلوا قتالا شديدا، فانهزم أصحاب عثمان بن جديع، وأكثروا فيهم القتل، ومضت المضرية إلى أصحابها، ورجع أبو داود من مرو إلى بلخ، وسار أبو مسلم ومعه علي بن جديع إلى نيسابور.

واتفق رأي أبي مسلم ورأي أبي داود على أن يقتل أبو مسلم عليا، ويقتل أبو داود عثمان في يوم واحد فلما قدم أبو داود بلخ بعث عثمان عاملا على الخلخل فيمن معه من يماني أهل مرو وأهل بلخ وريبعهم فلما خرج من بلخ خرج أبو داود فاتبع الاثر فلحق عثمان على شاطئ نهر بوخش من أرض الخلخل، فوثب أبو داود على عثمان وأصحابه، فحبسهم جميعا ثم ضرب أعناقهم صبورا وقتل أبو مسلم في ذلك اليوم علي بن الكرماني، وقد كان أبو مسلم أمره أن يسمي له خاصته ليوليه، ويأمر لهم بجوائز وكساء، فسماهم له فقتلهم جميعا . قدوم قطبه بن شبيب على أبي مسلم

وفي هذه السنة قدم قطبة بن شبيب على أبي مسلم خراسان منصرفا من عند إبراهيم بن محمد بن علي، ومعه لواؤه الذي عقد له إبراهيم، فوجهه أبو مسلم حين قدم عليه على مقدمته، وضم إليه الجيوش، وجعل له العزل والاستعمال، وكتب إلى الجنود بالسمع والطاعة. وفيها وجه قطبة إلى نيسابور للقاء نصر، فذكر علي بن محمد أن أبا الذيال والحسن بن رشيد وأبا الحسن الجشمي أخبروه أن شيان بن سلمة الحروري لما قتل لحق أصحابه بنصر وهو بنيسابور، وكتب إليه النابئ بن سويد العجلي يستغيث، فوجه إليه نصر ابنه تميم بن نصر في ألفين، وتهيا نصر على أن يسير إلى طوس، ووجه أبو مسلم قطبة بن شبيب في قواد، منهم القاسم

ابن مجاشع وجهور بن مرار، فأخذ القاسم من قبل سرخس، وأخذ جهور من قبل أبيورد، فوجه تميم عاصم بن عمير السغدي إلى جهور، وكان أدناهم منه، فهزمه عاصم بن عمير، فتحصن في كبادقان، واطل قطبة والقاسم على النابئ، فأرسل تميم إلى عاصم أن ارحل عن جهور وأقبل، فتركه، وأقبل فقاتلهم قطبة.

قال أبو جعفر: فأما غير الذين روى عنهم علي بن محمد ما ذكرنا في أمر قطبة وتوجيه أبي مسلم إياه إلى نصر وأصحابه، فإنه ذكر أن أبا مسلم لما قتل شيان الخارجي وابني الكرماني، ونفى نصرا عن مرو، وغلب على خراسان، وجه عماله على بلادها، فاستعمل سباع بن النعمان الأزدي على سمرقند وأبا داود خالد بن إبراهيم على طخارستان، ووجه محمد بن الأشعث إلى الطبسين وفارس، وجعل مالك بن الهيثم على شرطته، ووجه قطبة إلى طوس، ومعه عدة من القواد، منهم أبو عون عبد الملك بن يزيد ومقاتل بن حكيم العكي وخالد بن برمك وخازم بن خزيمة والمنذر بن عبد الرحمن وعثمان ابن نهيك وجهور بن مرار العجلي وأبو العباس الطوسي وعبد الله بن عثمان الطائي وسلمة بن محمد وأبو غانم عبد الحميد بن ربيعي وأبو حميد وأبو الجهم - وجعله أبو مسلم كاتباً لخطبة على الجند - وعامر بن إسماعيل ومحرز بن إبراهيم، في عدة من القواد، فلقني من بطوس فانهزموا، وكان من مات منهم في الزحام أكثر ممن قتل، فبلغ عدة القتلى يومئذ بضعة عشر ألفا ووجه أبو مسلم القاسم بن مجاشع إلى نيسابور على طريق الحججة، وكتب إلى قطبة يأمره بقتال تميم بن نصر بن سيار والنابئ بن سويد، ومن لجأ إليهما من أهل خراسان، وأن يصرف إليه موسى بن كعب إلى من أبيورد فلما قدم قطبة أبيورد صرف موسى بن كعب إلى أبي مسلم، وكتب إلى مقاتل بن حكيم يأمره أن يوجه رجلا إلى نيسابور، ويصرف منها القاسم بن مجاشع، فوجه

أبو مسلم علي بن معقل في عشرة آلاف إلى تميم بن نصر، وأمره إذا دخل قطبة طوس أن يستقبله بمن معه وينضم إليه، فسار علي بن معقل حتى نزل قرية يقال لها حلوان، وبلغ قطبة مسير على وزوله حيث نزل، فعجل السير إلى السوذقان، وهو معسكر تميم بن نصر والنابي بن سويد، ووجه على مقدمته أسيد بن عبد الله الخزاعي في ثلاثة آلاف رجل من شيعه أهل نسا وأبيورد، فسار حتى نزل قرية يقال لها حبوسان، فتعبا تميم والنابي لقتاله، فكتب أسيد إلى قطبة يعلمه ما اجمعوا عليه من قتاله، وأنه إن لم يعجل القدوم عليه حاكمهم إلى الله عز وجل وأخبره أنهما في ثلاثين ألفا من صناديد أهل خراسان وفرسانهم فوجه قطبة مقاتل بن حكيم العكي في ألف وخالد بن برمك في ألف، فقدموا على أسيد، وبلغ ذلك تميما والنابي فكسرها ثم قدم عليهم قطبة بمن معه وتعباً لقتال تميم، وجعل على ميمنته مقاتل بن حكيم وأبا عون عبد الملك بن يزيد وخالد بن برمك، وعلى ميسرته أسيد بن عبد الله الخزاعي والحسن بن قطبة والمسيب بن زهير وعبد الجبار بن عبد الرحمن، وصار هو في القلب ثم زحف إليهم، فدعاهم إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإلى الرضا من آل محمد ص فلم يجيبوه، فأمر الميمنة والميسرة أن يحملوا، فاقتتلوا قتالا شديداً أشد ما يكون من القتال، فقتل تميم بن نصر في المعركة، وقتل معه منهم مقتلة عظيمة، واستبيح عسكرهم، وأفلت النابي في عدة، فتحصنوا في المدينة، وأحاطت بهم الجنود، فنقبوا الحائط ودخلوا إلى المدينة، فقتلوا النابي ومن كان معه، وهرب عاصم بن عمير السمرقندي وسالم بن راوية السعدي إلى نصر بن سيار بنيسابور، فأخبراه بمقتل تميم والنابي ومن كان معهم، فلما غلب قطبة على عسكرهم بما فيه صير إلى خالد بن برمك قبض ذلك، ووجه مقاتل بن حكيم العكي على مقدمته إلى نيسابور فبلغ ذلك نصر بن سيار، فارتحل هارباً في أثر أهل أبرشهر حتى نزل قومس وتفرق عنه أصحابه، فسار إلى نباتة بن حنظلة بجرجان، وقدم قطبة نيسابور بجنوده

٧٠٢٧٠٥ ذكر خبر قتل نباتة بن حنظله

ذكر خبر قتل نباتة بن حنظله

وفي هذه السنة قتل نباتة بن حنظلة عامل يزيد بن عمر بن هبيرة على جرجان. ذكر الخبر عن مقتله:

ذكر علي بن محمد أن زهير بن هنيد وأبا الحسن الجشمي وجبله بن فروخ وأبا عبد الرحمن الأصهباني أخبروه أن يزيد بن عمر بن هبيرة بعث نباتة بن حنظلة الكلابي إلى نصر، فأتى فارس وأصبهان، ثم سار إلى الري، ومضى إلى جرجان، ولم ينضم إلى نصر بن سيار، فقالت القيسية لنصر: لا تحملنا قومس، فتحولوا إلى جرجان وخندق نباتة، فكان إذا وقع الخندق في دار قوم رشوه فأخره، فكان خندقه نحو من فرسخ.

وأقبل قطبة إلى جرجان في ذي القعدة من سنة ثلاثين ومائة، ومعه أسيد ابن عبد الله الخزاعي وخالد بن برمك وأبو عون عبد الملك بن يزيد وموسى بن كعب المرائي والمسيب بن زهير وعبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي، وعلى ميمنه موسى بن كعب، وعلى ميسرته أسيد بن عبد الله، وعلى مقدمته الحسن بن قطبة، فقال قطبة: يا أهل خراسان، أتدرون إلى من تسيرون، ومن تقتاتلون؟ إنما تقتاتلون بقية قوم أحرقوا بيت الله عز وجل وأقبل الحسن حتى نزل تخوم خراسان، ووجه الحسن عثمان بن رفيع ونافعا المروزي وأبا خالد المروزي ومسعدة الطائي إلى مسلحة نباتة، وعليها رجل يقال له ذؤيب، فبيته، فقتلوا ذؤيباً وسبعين رجلاً من أصحابه، ثم رجعوا إلى عسكر الحسن، وقدم قطبة فنزلوا بإزاء نباتة وأهل الشام في عدة لم ير الناس مثلاً.

فلما رآهم أهل خراسان هابوهم حتى تكلموا بذلك وأظهروه وبلغ قطبة، فقام فيهم خطيباً فقال:

يا أهل خراسان، هذه البلاد كانت لأبائكم الأولين، وكانوا ينصرون على عدوهم بعدلهم وحسن سيرتهم، حتى بدلوا وظلموا، فسخط الله عز وجل عليهم، فانتزع سلطانهم، وسلط عليهم أذل أمة كانت في الأرض عندهم،

فغلبوهم على بلادهم، واستنكحو نساءهم، واسترقوا أولادهم، فكانوا بذلك يحكمون بالعدل ويوفون بالعهد، وينصرون المظلوم، ثم بدلوا وغيروا وجاروا في الحكم، وأخافوا أهل البر والتقوى من عثرة رسول الله ص، فسلطكم عليهم لينتقم منهم بكم لتكونوا أشد عقوبة،

لأنكم طلبتموهم بالثأر وقد عهد إلي الإمام أنكم تلقونهم في مثل هذه العدة فينصركم الله عز وجل عليهم فتهمونهم وتقتلونهم.
وقد قرئ على قطبة كتاب أبي مسلم من أبي مسلم إلى قطبة:

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فناهض عدوك، فإن الله عز وجل ناصرك، فإذا ظهرت عليهم فأخن في القتل فالتقوا في مستهل ذي الحجة سنة ثلاثين ومائة في يوم الجمعة، فقال قطبة: يا أهل خراسان ان هذا اليوم قد فضله الله تبارك وتعالى على سائر الأيام والعمل فيه مضاعف، وهذا شهر عظيم فيه عيد من أعظم أعيادكم عند الله عز وجل، وقد أخبرنا الإمام أنكم تنصرون في هذا اليوم من هذا الشهر على عدوكم، فالتقوه بجد وصبر واحتساب، فإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ثم ناهضهم وعلى ميمنته الحسن بن قطبة، وعلى ميسرته خالد بن برمك ومقاتل بن حكيم العكي، فاقتتلوا وصبر بعضهم لبعض، فقتل نباتة، وانهزم أهل الشام فقتل منهم عشرة آلاف، وبعث قطبة إلى أبي مسلم برأس نباتة وابنه حية.

قَالَ: وأخبرنا شيخ من بني عدي، عن أبيه، قَالَ: كان سالم بن راوية التيمي ممن هرب من أبي مسلم، وخرج مع نصر، ثم صار مع نباتة، فقاتل قطبة بجرجان، فانهزم الناس، وبقي يقاتل وحده، فحمل عليه عبد الله الطائي - وكان من فرسان قطبة - فضربه سالم بن راوية على وجهه، فأندر عينه، وقاتلهم حتى اضطر إلى المسجد، فدخله ودخلوا عليه، فكان لا يشد من ناحية الا كشفهم، فجعل ينادي: شربه! فوالله لا نقعن لهم شرا يومي هذا وحرقوا عليه سقف المسجد، فرموه بالحجارة حتى قتلوه وجاءوا

٧٠٢٧٠٦ ذكر وقعه ابى حمزه الخارجي بقديد

برأسه إلى قطبة، وليس في رأسه ولا وجهه مصح، فقال قطبة: ما رأيت مثل هذا قط!

ذكر وقعه ابى حمزه الخارجي بقديد

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة كانت الوقعة التي كانت بقديد بين أبي حمزة الخارجي وأهل المدينة.
ذكر الخبر عن ذلك:

حدثني العباس بن عيسى العقيلي، قَالَ: حدثنا هارون بن موسى الفروي، قَالَ حدثني غير واحد من أصحابنا، أن عبد الواحد بن سليمان استعمل عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على الناس، فخرجوا، فلما كان بالحرة لقيتهم جزر منحورة، ففضوا، فلما كان بالعقيق تعلق لواؤهم بسمرة، فانكسر الرمح، فتشام الناس بالخروج، ثم ساروا حتى نزلوا قديد، فنزلوها ليلا - وكانت قرية قديد من ناحية القصر المبني اليوم، وكانت الحياض هنالك، فنزل قوم مغترون ليسوا بأصحاب حرب، فلم يرعهم إلا القوم قد خرجوا عليهم من القصر. وقد زعم بعض الناس أن خزاعة دلت أبا حمزة على عورتهم، وأدخلوهم عليهم فقتلوهم، وكانت المقتلة على قريش، هم كانوا أكثر الناس، وبهم كانت الشوكة، وأصيب منهم عدد كثير.

قَالَ العباس: قَالَ هارون: وأخبرني بعض أصحابنا أن رجلا من أهل اليمن وهو يقول: الحمد لله الذي أقر عيني بمقتل قريش، فقال لابنه: يا بني ابدأ به - وقد كان من أهل المدينة - قَالَ: فدنا منه ابنه فضرب عنقه، ثم قَالَ لابنه: أي بني، تقدم، فقاتلا حتى قتلا ثم ورد فلال الناس المدينة، وبكى الناس قتلاهم، فكانت المرأة تقيم على حميمها النواح، فما تبرح النساء حتى تأتين الأخبار عن رجالهن فتخرج النساء امرأة

٧٠٢٧٠٧ ذكر خبر دخول ابى حمزه المدينة

امراه، كل امراه.

تذهب الى حميمها فتصرف حتى ما تبقى عندها امرأة قَالَ: وأنشدني أبو حمزة هذه الأبيات في قتلى قديد الذين أصيبوا من قومه، رثاهم بعض أصحابهم فقال:

يا لهف نفسي ولهفي غير كاذبة ... على فوارس بالبطحاء أنجاد

عمرو وعمرو وعبد الله بينهما ... وابناهما خامس والحارث السادي
ذكر خبر دخول ابي حمزة المدينة

وفي هذه السنة دخل أبو حمزة الخارجي من مدينة رسول الله ص وهرب عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك إلى الشام.
ذكر الخبر عن دخول ابي حمزة المدينة وما كان منه فيها:

حدثني العباس بن عيسى، قَالَ: حدثنا هارون بن موسى الفروي، قَالَ: حدثني موسى بن كثير، قَالَ: دخل ابو حمزة المدينة سنة ثلاثين ومائة، ومضى عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك إلى الشام، فرقي المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: يا اهل المدينة، سالناكم عن ولائكم هؤلاء، فأستمعتم لعمر الله فيهم القول، وسألناكم: هل يقتلون بالظن؟ فقلتم لنا: نعم، وسألناكم: هل يستحلون المال الحرام والفرج الحرام؟ فقلتم لنا: نعم، فقلنا لكم: تعالوا نحن وأنتم نناشدهم الله ألا تنحوا عنا وعنكم، فقلتم: لا يفعلون، فقلنا لكم:

تعالوا نحن وأنتم نقاتلهم، فان نظهر نحن وأنتم نأت بمن يقيم فينا كتاب الله وسنة نبيه محمد ص، فقلتم: لا نقوى، فقلنا لكم: خفلوا بيننا وبينهم، فإن نظفر نعدل في أحكامكم ونحلمكم على سنه نبيكم ص ونقسم فيكم بينكم، فايتم، وقاتلتمونا دونهم، فقاتلناكم فأبعدكم الله وأستحكم.

قَالَ محمد بن عمر: حدثني حزام بن هشام، قَالَ: كانت الحرورية أربعمائة، وعلى طائفة من الحرورية الحارث، وعلى طائفة بكار بن محمد العدوي، عدي قريش، وعلى طائفة أبو حمزة، فالتقوا وقد تهيأ الناس بعد الأعداء من الخوارج إليهم، وقالوا لهم: إنا والله ما لنا حاجة بقتالكم، دعونا نمض إلى عدونا فأبى أهل المدينة، فالتقوا لسبع ليال خلون من صفر يوم الخميس سنة ثلاثين ومائة، فقتل أهل المدينة، لم يفلت منهم إلا الشريد، وقتل أميرهم عبد العزيز بن عبد الله، واتهمت قريش خزاعة أن يكونوا داهنوا الحرورية.

فقال لي حزام: والله لقد آويت رجالا من قريش منهم حتى آمن الناس، فكان بلج على مقدمتهم وقدمت الحرورية المدينة لتسع عشرة ليلة خلت من صفر حدثني العباس بن عيسى، قَالَ: قَالَ هارون بن موسى: أخبرني بعض أشياخنا، أن أبا حمزة لما دخل المدينة قام فخطب فقال في خطبته:

يا أهل المدينة مررت بكم في زمن الأحوال هشام بن عبد الملك، وقد أصابتكم عاهة في ثماركم وكتبتم إليه تسألونه أن يضع أخصاكم عنكم، فكتب إليكم يضعها عنكم، فزاد الغني غنى، وزاد الفقير فقرا، فقلتم: جزاك الله خيرا، فلا جزاكم الله خيرا ولا جزاه.

قَالَ العباس: قَالَ هارون: وأخبرني يحيى بن زكرياء أن أبا حمزة خطب بهذه الخطبة، قَالَ: رقي المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قَالَ: تعلمون يا أهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشرا ولا بطرا ولا عبثا، ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه، ولا لثأر قديم نيل منا، ولكنا لما رأينا مصايح الحق قد عطلت، وعنفت القائل بالحق، وقتل القائم بالقسط:

ضابقت علينا الأرض بما رحبت، وسمعنا داعيا يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن، فأجبنا داعي الله «وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ»، أقبلنا من قبائل شتى، نفر منا على بغير واحد عليه زادهم وأنفسهم، يتعاورون لحافا واحدا، قليلون مستضعفون في الأرض، فأوانا وأيدنا بنصره، فأصبحنا والله جميعا بنعمته إخوانا، ثم لقينا رجالكم بقديد، فدعوناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن، ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكم آل مروان، فشتان لعمر الله ما بين الرشد والغي ثم أقبلوا يهرعون يزفون، قد ضرب الشيطان فيهم بجراحه، وغلت بدمائهم مراجله، وصدق عليهم ظنه، وأقبل أنصار الله عز وجل عصائب وكثائب، بكل مهند ذي رونق، فدارت رحانا واستدارت رحاهم، بضرب يرتاب منه المبطون وأنتم يا أهل المدينة، إن تنصروا مروان وآل مروان يستحكم الله عز وجل بعذاب من عنده أو بأيدينا، ويشف صدور قوم مؤمنين يا أهل المدينة، أولكم خير أول وآخركم شر آخر يا أهل المدينة، الناس منا ونحن منهم، إلا مشركا

عابد وثن، أو مشرك أهل الكّاب، أو إماما جائرا يا أهل المدينة من زعم أن الله عز وجل كلف نفسا فوق طاقتها، أو سألها ما لم يؤتها، فهو لله عز وجل عدو، ولنا حرب يا أهل المدينة، أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله عز وجل في كتابه على القوي والضعيف، فجاء تاسع ليس له منها ولا سهم واحد، فأخذها جميعها لنفسه، مكابرا محاربا لربه يا أهل المدينة، بلغني أنكم تنتقصون أصحابي، قلت: شباب أحداث، واعراب جفاه، ويلكم يا أهل المدينة! وهل كان أصحاب رسول الله ص الا شبابا أحداثا! شباب والله مكتهلون في شبابهم، غضية عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أقدامهم، قد باعوا الله عز وجل أنفسا تموت بأنفس لا تموت، قد خالطوا كلالهم بكلالهم، وقيام ليلهم بصيام نهارهم، منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مروا بابه خوف شهقوا خوفا من النار، وإذا مروا بابه شوق شهقوا شوقا إلى الجنة، فلما نظروا إلى السيوف قد انتضيت والرماح قد شرعت، وإلى السهام قد فوقت، وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت، استخفوا وعيد الكتيبة لوعيد الله عز وجل، ولم يستخفوا وعيد الله لوعيد الكتيبة، فطوبى لهم وحسن مآب! فكم من عين في منقار طائر طالما فاضت في جوف الليل من خوف الله عز وجل! وكم من يد زالت عن مفصلها طالما اعتمد بها صاحبها في سجوده لله، وكم من خد عتيق وجبين رقيق فلق بعمد الحديد.

رحمه الله على تلك الأبدان، وادخل أرواحها الجنان أقول قولي هذا وأستغفر الله من تقصيرنا، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ.

حدثني العباس، قَالَ قَالَ هارون: حدثني جدي أبو علقمة، قَالَ:

سمعت أبا حمزة على منبر رسول الله ص، يقول: من زنى فهو كافر ومن شك فهو كافر، ومن سرق فهو كافر، ومن شك أنه كافر. فهو كافر قَالَ العباس: قَالَ هارون: وسمعت جدي يقول: كان قد أحسن السيرة في أهل المدينة حتى استمال الناس حين سمعوا كلامه، في قوله: من زنى فهو كافر.

قَالَ العباس: قَالَ هارون: وحدثني بعض أصحابنا: لما رقي المنبر قَالَ: برح الخفاء، أين ما بك يذهب! من زنى فهو كافر، ومن سرق فهو كافر، قَالَ العباس: قَالَ هارون: وأنشدني بعضهم في قديد:

ما للزمان وماليه ... أفنت قديد رجاليه

فلأبكين سريرة ... ولأبكين علانية

ولأبكين إذا ... شجيت مع الكلاب العاوية

فكان دخول أبي حمزة وأصحابه المدينة لثلاث عشرة بقية من صفر. واختلفوا في قدر مدتهم في مقامهم بها، فقال الواقدي: كان مقامهم بها ثلاثة أشهر وقال غيره: أقاموا بها بقية صفر وشهري ربيع وطائفة من جمادى الأولى.

وكانت عدة من قتل من أهل المدينة بقديد- فيما ذكر الواقدي- سبعمائة. قال ابو جعفر: وكان أبو حمزة- فيما ذكر- قد قدم طائفة من أصحابه، عليهم أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن عمر القرشي، ثم احد بن عدي بن كعب، وبلغ بن عيينة بن الهيصم الأسدي من أهل البصرة، فبعث مروان بن محمد من الشام عبد الملك بن محمد بن عطية أحد بني سعد في خيول الشام فحدثني العباس بن عيسى، قَالَ: حدثني هارون بن موسى، عن موسى بن كثير، قَالَ: خرج أبو حمزة من المدينة، وخلف بعض أصحابه، فسار حتى نزل الوادي.

قَالَ العباس: قَالَ هارون: حدثني بعض أصحابنا من أخبرني عنه أبو يحيى الزهري، أن مروان انتخب من عسكره أربعة آلاف، واستعمل عليهم ابن عطية، وأمره بالجد في السير، وأعطى كل رجل منهم مائة دينار، وفرسا عربية وبغلا لثقله، وأمره أن يمضي فيقاتلهم، فإن هو ظفر مضى حتى بلغ اليمن ويقا تل عبد الله بن يحيى ومن معه، فخرج حتى نزل بالعلاء- وكان رجل من أهل المدينة يقال له العلاء بن أفلح مولى أبي الغيث، يقول: لقيني وأنا غلام ذلك اليوم رجل من أصحاب ابن عطية، فسألني: ما اسمك يا غلام؟ قَالَ: فقلت: العلاء، قَالَ: ابن من؟

قلت: ابن أفلح، قَالَ: مولى من؟ قلت: مولى أبي الغيث، قَالَ: فأين نحن؟ قلت بالعلا، قَالَ: فأين نحن غدا؟ قلت: بغالب، قَالَ: فما كلمني حتى أردفني وراءه، ومضى بي حتى أدخلني على ابن عطية، فقال: سل هذا الغلام: ما اسمه؟ فسألني، فرددت عليه القول الذي قلت، قال: فسر بذلك، ووهب لي دارهم.

قَالَ العباس: قَالَ هارون: وأخبرني عبد الملك بن الماجشون، قَالَ: لما لقي أبو حمزة وابن عطية، قَالَ أبو حمزة: لا تقتاتلوهم حتى تخبروهم، قَالَ: فصاحوا بهم: ما تقولون في القرآن والعمل به؟ قَالَ: فصاح ابن عطية: نضعه في جوف الجوالق، قَالَ: فما تقولون في مال اليتيم؟ قَالَ:

نأكل ماله ونفجر بأمه في أشياء بلغني أنهم سألوهم عنها قَالَ: فلما سمعوا كلامهم، قاتلوهم حتى امسوا، فصاحوا: ويحك يا ابن عطية! إن الله عز وجل قد جعل الليل سكنا، فاسكن نسكن قَالَ: فأبى فقاتلهم حتى قتلهم.

قَالَ العباس: قَالَ هارون: وكان أبو حمزة حين خرج ودع أهل المدينة للخروج إلى مروان يقاتله، قال: يا أهل المدينة، إنا خارجون إلى مروان، فإن نظفر نعدل في أحكامكم، ونحكم على سنة نبيكم محمد ص، ونقسم فيثكم بينكم، وإن يكن ما تمنون، فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قَالَ العباس: قَالَ هارون: وأخبرني بعض أصحابنا أن الناس وثبوا على أصحابه حين جاءهم قتله فقتلوهم قَالَ محمد بن عمر: سار أبو حمزة وأصحابه إلى مروان، فلقاهم خيل مروان بوادي القرى، عليها ابن عطية السعدي، من قيس، فأوقعوا بهم، فرجعوا منهزمين منهم إلى المدينة، فلقاهم أهل المدينة فقتلوهم قَالَ: وكان الذي قاد جيش مروان عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي سعد هوازن، قدم المدينة في أربعة آلاف فارس عربي، مع كل واحد منهم بغل، ومنهم من عليه درعان أو درع وسنور وتجايف، وعدة لم ير مثلها في ذلك الزمان، فضوا إلى مكة.

وقال بعضهم: أقام ابن عطية بالمدينة حين دخلها شهرا، ثم مضى إلى مكة، واستخلف على المدينة الوليد بن عروة بن محمد بن عطية، ثم مضى إلى مكة وإلى اليمن واستخلف على مكة ابن ماعز، رجلا من أهل الشام

ولما مضى ابن عطية بلغ عبد الله بن يحيى - وهو بصنعاء - مسيره إليه، فأقبل إليه بمن معه فالتقى هو وابن عطية، فقتل ابن عطية عبد الله بن يحيى، وبعث ابنه بشير إلى مروان، ومضى ابن عطية فدخل صنعاء وبعث برأس عبد الله بن يحيى إلى مروان، ثم كتب مروان إلى ابن عطية يأمره أن يغذ السير، ويحج بالناس، فخرج في نفر من أصحابه - فيما حدثني العباس بن عيسى، عن هارون - حتى نزل الجرف - هكذا قَالَ العباس - ففطن له بعض أهل القرية، فقالوا: منهزمين والله، فشدوا عليه، فقال: ويحكم! عامل الحج، والله كتب إلي أمير المؤمنين قَالَ أبو جعفر: وأما بن عمر، فإنه ذكر أن أبا الزبير بن عبد الرحمن حدثه، قَالَ: خرجت مع ابن عطية السعدي، ونحن اثنا عشر رجلا، بعهد مروان على الحج، ومعه أربعون ألف دينار في خرجه، حتى نزل الجرف يريد الحج، وقد خلف عسكره وخيله وراءه بصنعاء، فو الله إنا آمنون مطمئنون، إذ سمعت كلمة من امرأه: قاتل الله ابني جمانه ما اشاهما! فقامت كأني أهرق الماء، وأشرفت على نشر من الأرض، فإذا الدهم من الرجال والسلاح والخيل والقذافات، فإذا ابنا جمانه المراديان واقفان علينا، قد أحدقوا بنا من كل ناحيته، فقلنا: ما تريدون؟ قالوا: أتم لصوص، فأخرج ابن عطية كتابه، وقال: هذا كتاب أمير المؤمنين وعهده علي الحج وأنا ابن عطية، فقالوا: هذا باطل، ولكنكم لصوص، فأرأينا الشر فركب الصفر بن حبيب فرسه، فقاتل وأحسن حتى قتل، ثم ركب ابن عطية فقاتل حتى قتل، ثم قتل من معنا وبقيت، فقالوا: من أنت؟ فقلت: رجل؟ من همدان، قالوا: من أي همدان أنت؟ فاعتزيت إلى بطن منهم - وكنت عالما ببطون همدان - فتركوني، وقالوا: أنت آمن، وكل ما كان لك في هذا الرحل نخذه، فلو ادعيت المال كله لأعطوني، ثم بعثوا معي فرسانا حتى بلغوا بي صعدة، وامنت ومضيت حتى قدمت مكة

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة غزا الصائفة - فيما ذكر - الوليد بن هشام، فنزل العمق وبني حصن مرعش وفيها وقع الطاعون بالبصرة وفي هذه السنة قتل قحطبة بن شبيب من أهل جرجان من قتل من أهلها، قيل إنه قتل منهم زهاء ثلاثين ألفا، وذلك أنه بلغه - فيما

ذكر- عن اهل جرجان انه أجمع رأيهم بعد مقتل نباتة بن حنظلة على الخروج على ققطبة، فدخل ققطبة لما بلغه ذلك من أمرهم، واستعرضهم، فقتل منهم من ذكرت ولما بلغ نصر بن سيار قتل ققطبة نباتة ومن قتل من أهل جرجان وهو بقومس، ارتحل حتى نزل خوار الري.

وكان سبب نزول نصر قومس- فيما ذكر علي بن محمد- أن أبا الذيال حدثه والحسن بن رشيد وأبا الحسن الجشمي، أن أبا مسلم كتب مع المنهال ابن فتنان إلى زياد بن زرارة القشيري بعده على نيسابور بعد ما قتل تميم بن نصر والنائب بن سويد العجلي، وكتب إلى ققطبة يأمره أن يتبع نصرا، فوجه ققطبة العكي على مقدمته وسار ققطبة حتى نزل نيسابور، فأقام بها شهرين، شهري رمضان وشوال من سنة ثلاثين ومائة، ونصر نازل في قرية من قرى قومس يقال لها بذش، ونزل من كان معه من قيس في قرية يقال لها الممد، وكتب نصر إلى ابن هبيرة يستمده وهو بواسط مع ناس من وجوه أهل خراسان، يعظم الأمر عليه، فحبس ابن هبيرة رسله، وكتب نصر إلى مروان: إني وجهت إلى ابن هبيرة قوما من وجوه أهل خراسان ليعلموه أمر الناس من قبلنا، وسألته المدد فاحتبس رسلي ولم يمدني بأحد، وإنما أنا بمنزلة من أخرج من بيته إلى حجرته، ثم أخرج من حجرته إلى داره، ثم أخرج من داره إلى فناء.

داره، فإن أدركه من يعينه فعسى أن يعود إلى داره وتبقى له، وإن أخرج من داره إلى الطريق فلا دار له ولا فناء فكتب مروان إلى ابن هبيرة يأمره أن يمد نصرا، وكتب إلى نصر يعلمه ذلك، فكتب نصر إلى ابن هبيرة مع خالد مولى بني ليث يسأله أن يجعل إليه الجند، فإن أهل خراسان قد كذبهم حتى ما رجل منهم يصدق لي قولاً، فأمدني بعشرة آلاف قبل أن تمدني بمائة ألف، ثم لا تغني شيئا.

وجج في هذه السنة بالناس محمد بن عبد الملك بن مروان، كذلك حدثني أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.

وكانت إليه مكة والمدينة والطائف.

وكان فيها العراق إلى يزيد بن عمر بن هبيرة.

وكان على قضاء الكوفة الحاج بن عاصم المحاربي، وكان على قضاء البصرة عباد بن منصور، وعلى خراسان نصر بن سيار، والأمر بخراسان على ما ذكرت.

٧٠٢٨ سنة إحدى وثلاثين ومائة

٧٠٢٨٠١ ذكر خبر موت نصر بن سيار

ثم دخلت

سنة إحدى وثلاثين ومائة

(ذكر ما كان فيها من الأحداث)

ذكر خبر موت نصر بن سيار

فما كان فيها من ذلك توجيه ققطبة ابنه الحسن إلى نصر وهو بقومس.

فذكر علي بن محمد، أن زهير بن هنيد والحسن بن رشيد وجبله بن فروخ التاجي، قالوا: لما قتل نباتة ارتحل نصر بن سيار من بذش، ودخل خوار وأميرها أبو بكر العقيلي، ووجه ققطبة ابنه الحسن إلى قومس في الحرم سنة إحدى وثلاثين ومائة، ثم وجه ققطبة أبا كامل وأبا القاسم محرز بن إبراهيم وأبا العباس المروزي إلى الحسن في سبعمائة، فلما كانوا قريبا منه، انحاز أبو كامل وترك عسكره، وأتى نصرا فصار معه، وأعلمه مكان القائد الذي خلف، فوجه إليهم نصر جندا فأتوهم وهم في حائط فحصرهم، فنقب جميل بن مهران الحائط، وهرب هو وأصحابه، وخلفوا شيئا من متاعهم فأخذه أصحاب نصر، فبعث به نصر إلى ابن هبيرة، فعرض له عطيف بالري، فأخذ الكتاب من رسول نصر والمتاع، وبعث به إلى ابن هبيرة، فغضب نصر، وقال: إني يتلعب ابن هبيرة! أيشغب علي بضغابيس قيس! أما والله لأدعنه فيعرفن أنه ليس بشيء ولا ابنه الذي تربص له الأشياء وسار حتى نزل الري- وعلى الري حبيب بن بديل النهشلي- فخرج عطيف من الري حين قدمها نصر إلى همدان، وفيها مالك بن أدهم بن محرز الباهلي على الصحصحية، فلما رأى مالكا في همدان عدل

منها إلى أصبهان إلى عامر بن ضبارة- وكان عطيف في ثلاثة آلاف- وجهه ابن هبيرة إلى نصر، فنزل الري، ولم يأت نصرا وأقام نصر بالري يومين ثم مرض، فكان يحمل حملا، حتى إذا كان بساوة قريبا من همدان مات بها، فلما مات دخل أصحابه همدان

٧٠٢٨٠٢ امر ابى مسلم مع قطبه عند نزوله الري

وكانت وفاة نصر- فيما قيل- لمضي اثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الأول، وهو ابن خمس وثمانين سنة. وقيل إن نصرا لما شخص من خوار متوجها نحو الري لم يدخل الري ولكنه أخذ المفازة التي بين الري وحمدان فمات بها. رجع الحديث الى حديث علي عن شيوخه قالوا: ولما مات نصر بن سيار بعث الحسن خازم بن خزيمة إلى قرية يقال لها سمنان، وأقبل قطبة من جرجان، وقدم أمامه زياد بن زرارة القشيري، وكان زياد قد ندم على اتباع أبي مسلم، فانخزل عن قطبة، وأخذ طريق أصبهان يريد أن يأتي عامر بن ضبارة، فوجه قطبة المسيب بن زهير الضبي، فلحقه من غد بعد العصر فقاتله، فانهزم زياد، وقتل عامة من معه، ورجع المسيب بن زهير إلى قطبة، ثم سار قطبة إلى قومس وبها ابنه الحسن، فقدم خازم من الوجه الذي كان وجهه فيه الحسن، فقدم قطبة ابنه الحسن إلى الري وبلغ حبيب ابن بديل النهشلي ومن معه من أهل الشام مسير الحسن، فخرجوا من الري ودخلها الحسن، فأقام حتى قدم أبوه.

وكتب قطبة حين قدم الري إلى أبي مسلم يعلمه بنزوله الري

. امر ابى مسلم مع قطبه عند نزوله الري

قال ابو جعفر: وفي هذه السنة تحول أبو مسلم من مرو إلى نيسابور فنزلها.

ذكر الخبر عما كان من أمر أبي مسلم هنالك ومن قطبة بعد نزوله الري.

ولما كتب قطبة إلى أبي مسلم بنزوله الري ارتحل أبو مسلم- فيما ذكر- من مرو، فنزل نيسابور وخذق بها، ووجه قطبة ابنه الحسن بعد نزوله الري بثلاث إلى همدان، فذكر علي عن شيوخه وغيرهم أن الحسن بن قطبة لما توجه إلى همدان، خرج منها مالك بن أدهم ومن كان بها من أهل الشام وأهل خراسان إلى نهاوند، فدعاهم مالك إلى أرزاقهم، وقال: من

٧٠٢٨٠٣ ذكر خبر قتل عامر بن ضبارة ودخول قطبه أصبهان

كان له ديوان فليأخذ رزقه، فترك قوم كثير دواوينهم ومضوا، فأقام مالك ومن بقي معه من أهل الشام وأهل خراسان ممن كان مع نصر، فسار الحسن من همدان إلى نهاوند، فنزل على أربعة فرائخ من المدينة، وأمدته قطبة بأبي الجهم بن عطية مولى باهله في سبعمائة، حتى اطاف بالمدينة وحصرها

. ذكر خبر قتل عامر بن ضبارة ودخول قطبه أصبهان

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة قتل عامر بن ضبارة.

ذكر الخبر عن مقتله وعن سبب ذلك:

وكان سبب مقتله أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر لما هزمه ابن ضبارة مضى هاربا نحو خراسان، وسلك إليها طريق كرمان، ومضى عامر بن ضبارة في أثره لطلبه، وورد على يزيد بن عمر مقتل نباتة بن حنظلة بجرجان، فذكر علي بن محمد أن أبا السري وأبا الحسن الجشمي والحسن ابن رشيد وجبله بن فروج وحفص بن شبيب اخبروه، قالوا: لما قتل نباتة كتب ابن هبيرة إلى عامر بن ضبارة وإلى ابنه داود بن يزيد بن عمر أن يسير إلى قطبة- وكانا بكرمان- فسارا في خمسين ألفا حتى نزلوا أصبهان بمدينة جي- وكان يقال لعسكر ابن ضبارة عسكر العساكر- فبعث قطبة إليهم مقاتلا وأبا حفص المهلي وأبا حماد المروزي مولى بني سليم وموسى بن عقيل وأسلم بن حسان وذؤيب بن الأشعث وكلثوم بن شبيب ومالك بن طريف والمخارق بن غفار والهيثم بن زياد، وعليهم جميعا العكي، فسار حتى نزل قم وبلغ ابن ضبارة نزول الحسن بأهل نهاوند، فأراد أن يأتيهم معينا لهم، وبلغ الخبر العكي، فبعث إلى قطبة يعلمه، فوجه زهير

بن محمد إلى قاشان، وخرج العكي من قم وخلف بها طريف بن غيلان، فكتب إليه قطبة يأمره أن يقيم حتى يقدم عليه، وأن يرجع إلى قم، وأقبل قطبة من الري، وبلغه طلائع العسكرين، فلما لحق قطبة بمقاتل بن حكيم

العكي ضم عسكر العكي إلى عسكره، وسار عامر بن ضبارة إليهم وبينه وبين عسكر قطبة فرسخ، فأقام أياماً، ثم سار قطبة إليهم، فالتقوا وعلى ميمنة قطبة العكي ومعه خالد بن برمك، وعلى ميسرته عبد الحميد بن ربيعي ومعه مالك بن طريف - وقطبة في عشرين ألفاً وابن ضبارة في مائة ألف، وقيل في خمسين ومائة ألف - فأمر قطبة بمصحف فنصب على رمح ثم نادى: يا أهل الشام، إنا ندعوكم إلى ما في هذا المصحف، فشتموه وأغشوا في القول، فأرسل إليهم قطبة: احمّلوا عليهم، فحمل عليهم العكي، وتهايج الناس، فلم يكن بينهم كثير قتال حتى انهزم أهل الشام، وقتلوا قتلاً ذريعاً، وحووا عسكرهم، فأصابوا شيئاً لا يدرى عدده من السلاح والمتاع والرقيق، وبعث بالفتح إلى ابنه الحسن مع شريح بن عبد الله.

قال علي: وأخبرنا أبو الذيال، قال: لقي قطبة عامر بن ضبارة، ومع ابن ضبارة ناس من أهل خراسان، منهم صالح بن الحجاج النيزي وبشر ابن بسطام بن عمران بن الفضل البرجمي وعبد العزيز بن شماس المازني وابن ضبارة في خيل ليست معه رجالة، وقطبة معه خيل ورجالة فرموا الخيل بالنشاب، فانهزم ابن ضبارة حتى دخل عسكره، واتبعه قطبة، فترك ابن ضبارة العسكر، ونادى: إلي، فانهزم الناس وقتل.

قال علي: وأخبرنا المفضل بن محمد الضبي، قال: لما لقي قطبة ابن ضبارة انهزم داود بن يزيد بن عمر، فسأل عنه عامر، فقيل: انهزم، فقال: لعن الله شرنا منقلباً! وقاتل حتى قتل.

قال علي: وأخبرنا حفص بن شبيب، قال: حدثني من شهد قطبة وكان معه، قال: ما رأيت عسكراً قط جمع ما جمع أهل الشام بأصبهان من الخيل والسلاح والرقيق، كأننا افتتحنا مدينة، وأصبنا معهم ما لا يحصى من البرابط والطنائير والمزامير، ولقل بيت أو خباء ندخله إلا أصبنا فيه زكرة أو زقا من الخمر، فقال بعض الشعراء:
لما رمينا مضراً بالقب ... قرضهم قطبة القرض
يدعون مروان كدعوى الرب.

٧٠٢٨٠٤ ذكر خبر محاربه قطبه اهل نهاوند ودخولها

ذكر خبر محاربه قطبه اهل نهاوند ودخولها

وفي هذه السنة كانت وقعة قطبة بنهاوند بمن كان لجأ إليها من جنود مروان بن محمد وقيل: كانت الوقعة بجبالق من أرض أصبهان يوم السبت لسبع بقين من رجب.

ذكر الخبر عن هذه الوقعة:

ذكر علي بن محمد أن الحسن بن رشيد وزهير بن الهنيد أخبراه أن ابن ضبارة لما قتل كتب بذلك قطبة إلى ابنه الحسن، فلما أتاه الكتاب كبر وكبر جنده، ونادوا بقتله، فقال عاصم بن عمير السعدي: ما صاح هؤلاء بقتل ابن ضبارة إلا وهو حق، فانخرجوا إلى الحسن بن قطبة وأصحابه، فإنكم لا تقومون لهم، فتذهبون حيث شئتم قبل أن يأتيه أبوه أو مدده فقالت الرجالة: تخرجون وأنتم فرسان على خيول فتذهبون وتتركوننا! فقال لهم مالك ابن أدهم الباهلي: كتب إلي ابن هبيرة ولا أبرح حتى يقدم علي فأقاموا وأقام قطبة بأصبهان عشرين يوماً، ثم سار حتى قدم على الحسن بنهاوند فصرهم أشهراً، ثم دعاهم إلى الأمان فأبوا، فوضع عليهم المجانيق، فلما رأى ذلك مالك طلب الأمان لنفسه ولأهل الشام - وأهل خراسان لا يعلمون - فأعطاه الأمان فوفى له قطبة، ولم يقتل منهم أحداً، وقتل من كان بنهاوند من أهل خراسان، إلا الحكم بن ثابت بن أبي مسعر الحنفي، وقتل من أهل خراسان أبا كامل وحاتم بن الحارث بن شريح وابن نصر بن سيار وعاصم بن عمير وعلي بن عقيل وبيس بن بديل من بني سليم، من أهل الجزيرة، ورجلاً من قريش يقال له البخري، من أولاد عمر بن الخطاب - وزعموا أن آل الخطاب لا يعرفونه - وقطن بن حرب الهلالي.

قال علي: وحدثننا يحيى بن الحكم الهمداني، قال: حدثني مولى لنا قال: لما صالح مالك بن أدهم قطبة قال بيس بن بديل: ان ابن ادهم

لمصالح علينا، والله لأفتكن به، فوجد أهل خراسان أن قد فتح لهم الأبواب، ودخلوا وأدخل قطبة من كان معه من أهل خراسان حائطا وقال غير علي: أرسل قطبة إلى أهل خراسان الذين في مدينة نهاوند يدعوهم إلى الخروج إليه، وأعطاهم الأمان، فأبوا ذلك ثم أرسل إلى أهل الشام بمثل ذلك فقبلوا، ودخلوا في الأمان بعد أن حوصروا ثلاثة أشهر: شعبان ورمضان وشوال، وبعث أهل الشام إلى قطبة يسألونه أن يشغل أهل المدينة حتى يفتحوا الباب وهم لا يشعرون، ففعل ذلك قطبة، وشغل أهل المدينة بالقتال، ففتح أهل الشام الباب الذي كانوا عليه، فلما رأى أهل خراسان الذين في المدينة خروج أهل الشام، سألوهم عن خروجهم، فقالوا: أخذنا الأمان لنا ولكم، فخرج رؤساء أهل خراسان، فدفع قطبة كل رجل منهم إلى رجل من قواد أهل خراسان، ثم امر مناديه فنادى: من كان في يده أسير ممن خرج إلينا من أهل المدينة فليضرب عنقه، وليأتنا برأسه ففعلوا ذلك، فلم يبق أحد ممن كان قد هرب من أبي مسلم وصاروا إلى الحصن إلا قتل، ما خلا أهل الشام فإنه خلى سبيلهم، وأخذ عليهم إلا يمالئوا عليه عدوا.

رجع الحديث إلى حديث علي عن شيوخه الذين ذكرت: ولما أدخل قطبة الذين كانوا بنهاوند من أهل خراسان ومن أهل الشام الحائط، قال لهم عاصم بن عمير: ويلكم! لا تدخلوا الحائط! وخرج عاصم فلبس درعه، ولبس سوادا كان معه، فلقية شاكري كان له بخراسان فعرفه، فقال: أبو الأسود؟

قال: نعم، فأدخله في سرب، وقال لغلام له: احتفظ به ولا تطلعن على مكانه أحدا، وأمر قطبة: من كان عنده أسيرا فليأتنا به فقال الغلام الذي كان وكل بعاصم: إن عندي أسيرا أخاف أن أغلب عليه، فسمعه رجل من أهل اليمن، فقال: أرنيه، فأراه إياه فعرفه، فأتى قطبة فأخبره، وقال: رأس من رءوس الجبابة، فأرسل إليه فقتله، ووفى لأهل الشام فلم يقتل منهم أحدا. قال علي: وأخبرنا أبو الحسن الخراساني وجبله بن فروخ، قالوا: لما قدم قطبة نهاوند والحسن محاصره، أقام قطبة عليهم، ووجه الحسن إلى مرج القلعة، فقدم الحسن خازم بن خزيمة إلى حلوان، وعليها عبد الله

٧٠٢٨٠٥ ذكر وقعه شهرزور وفتحها

ابن العلاء الكندي، فهرب من حلوان وخلاها. قال علي: وأخبرنا محرز بن إبراهيم، قال: لما فتح قطبة نهاوند، أرادوا أن يكتبوا إلى مروان باسم قطبة، فقالوا: هذا اسم شنيع، اقلبه فجاء هبط حق، فقالوا: الاول مع شيعته يسر من هذا فردوه.

ذكر وقعه شهرزور وفتحها

وفي هذه السنة كانت وقعة أبي عون بشهرزور ذكر الخبر عنها وعما كان فيها:

ذكر علي أن أبا الحسن وجبله بن فروخ، حدثاه قالوا: وجه قطبة أبا عون عبد الملك بن يزيد الخراساني ومالك بن طريف الخراساني في أربعة آلاف إلى شهرزور، وبها عثمان بن سفيان على مقدمة عبد الله بن مروان، فقدم أبو عون ومالك، فنزلا على فرسخين من شهرزور، فأقاما به يوما وليلة، ثم ناهضا عثمان بن سفيان في العشرين من ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين ومائة فقتل عثمان بن سفيان، وبعث أبو عون بالشارة مع إسماعيل بن المتوكل، وأقام أبو عون في بلاد الموصل.

وقال بعضهم: لم يقتل عثمان بن سفيان، ولكنه هرب إلى عبد الله بن مروان، واستباح أبو عون عسكره، وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة بعد قتال شديد وقال: كان قطبة وجه أبا عون إلى شهرزور في ثلاثين ألفا بأمر أبي مسلم إياه بذلك قال: ولما بلغ خبر أبي عون مروان وهو بحران، ارتحل منها ومعه جنود الشام والجزيرة والموصل، وحشرت بنو أمية معه أبناءهم مقبلا إلى أبي عون، حتى انتهى إلى الموصل، ثم أخذ في حفر الخنادق من خندق إلى خندق، حتى نزل الزاب الأكبر، وأقام أبو عون بشهرزور بقية ذي الحجة والمحرم من سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وفرض فيها نلمسه آلاف رجل.

٧٠٢٨٠٦ ذكر خبر مسير قطبه إلى ابن هبيرة بالعراق

ذكر خبر مسير قطبه إلى ابن هبيرة بالعراق
وفي هذه السنة سار قطبة نحو ابن هبيرة، ذكر علي بن محمد أن أبا الحسن أخبره وزهير بن هنيد وإسماعيل بن أبي إسماعيل وجبله بن فروخ، قالوا: لما قدم على ابن هبيرة ابنه منهزما من حلوان، خرج يزيد بن عمر بن هبيرة، فقاتل قطبة في عدد كثير لا يحصى مع حوثة بن سهيل الباهلي، وكان مروان أمد ابن هبيرة به، وجعل على الساقة زياد بن سهل الغطفاني، فسار يزيد بن عمر بن هبيرة، حتى نزل جلولاء الواقعة وخندق، فاحتفر الخندق الذي كانت العجم احتفرته أيام وقعه جلولاء، وأقبل قطبة حتى نزل قمراسين، ثم سار إلى حلوان، ثم تقدم من حلوان، فنزل خانتقين، فارتحل قطبة من خانتقين، وارتحل ابن هبيرة راجعا إلى الدسكرة.
وقال هشام عن أبي مخنف، قال: أقبل قطبه، وابن هبيرة فخندق بجلولاء، فارتفع إلى عكبراء، وجاز قطبة دجلة، ومضى حتى نزل دما دون الأنبار، وارتحل ابن هبيرة بمن معه منصرفا مبادرا إلى الكوفة لقحطبة، حتى نزل في الفرات في شرقيه، وقدم حوثة في خمسة عشر ألفا إلى الكوفة، وقطع قطبة الفرات من دما، حتى صار من غربيه، ثم سار يريد الكوفة حتى انتهى إلى الموضع الذي فيه ابن هبيرة.

وفي هذه السنة حج بالناس الوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعدي، سعد هوازن، وهو ابن أخي عبد الملك بن محمد بن عطية الذي قتل أبا حمزة الخارجي وكان والي المدينة من قبل عمه، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ وَكَذَلِكَ قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ.

وقد ذكر أن الوليد بن عروة إنما كان خرج خارجا من المدينة، وكان مروان قد كتب إلى عمه عبد الملك بن محمد بن عطية يأمره أن يحج بالناس وهو باليمن، فكان من أمره ما قد ذكرت قبل، فلما أبطأ عليه عمه عبد الملك افتعل كتابا من عمه يأمره بالحج بالناس، فحج بهم.

وذكر أن الوليد بن عروة بلغه قتل عمه عبد الملك فضى إلى الذين قتلوه، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وبقر بطون نساءهم، وقتل الصبيان، وحرق بالنيران من قدر عليه منهم وكان عامل مكة والمدينة والطائف في هذه السنة الوليد بن عروة السعدي من قبل عمه عبد الملك بن محمد، وعامل العراق يزيد بن عمر بن هبيرة وعلى قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربي، وعلى قضاء البصرة عباد ابن منصور الناجي.

٧٠٢٩ سنة اثنتين وثلاثين ومائه

٧٠٢٩٠١ ذكر الخبر عن هلاك قطبه بن شبيب

ثم دخلت

سنة اثنتين وثلاثين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر الخبر عن هلاك قطبه بن شبيب

فما كان فيها هلاك قطبة بن شبيب ذكر الخبر عن مهلكه وسبب ذلك:

فكان السبب في ذلك أن قطبة لما نزل خانتقين مقبلا إلى ابن هبيرة، وابن هبيرة بجلولاء، ارتحل ابن هبيرة من جلولاء إلى الدسكرة، فبعث - فيما ذكر - قطبة ابنه الحسن طليعة ليعلم له خبر ابن هبيرة، وكان ابن هبيرة راجعا إلى خندقه بجلولاء، فوجد الحسن بن هبيرة في خندقه، فرجع إلى أبيه فأخبره بمكان ابن هبيرة، فذكر علي بن محمد، عن زهير بن هنيد وجبله بن فروخ وإسماعيل بن أبي إسماعيل والحسن بن رشيد، أن قطبة، قَالَ لِأَصْحَابِهِ لَمَّا رَجَعَ ابْنُهُ الْحَسَنُ إِلَيْهِ وَأَخْبَرَهُ بِمَا أَخْبَرَهُ بِهِ مِنْ أَمْرِ ابْنِ هَبِيرَةَ: هَلْ تَعْلَمُونَ طَرِيقًا يَخْرُجُنَا إِلَى الْكُوفَةِ، لَا تَمُرُّ بِابْنِ هَبِيرَةَ؟ فَقَالَ خَلْفُ بْنُ الْمُرْعِ الْهَمْدَانِي، أَحَدُ بَنِي تَمِيمٍ: نَعَمْ، أَنَا أَدْلُكَ، فَعَبَّرَ بِهِ تَامِرًا مِنْ رُوسْتَقْبَادٍ، وَلَزِمَ الْجَادَةَ حَتَّى نَزَلَ بَزْرَجَ سَابُورَ، وَأَتَى عَكْبَرَاءَ، فَعَبَّرَ دَجْلَةَ إِلَى أَوَانَا قَالَ عَلِي: وَحَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدَ الْخُرَاسَانِي، قَالَ: نَزَلَ قُطْبَةُ بِخَانْتَقِينَ وَابْنِ هَبِيرَةَ بِجُلُولَاءَ، بَيْنَهُمَا خَمْسَةُ فَرَاسِخَ، وَأَرْسَلَ طَلَاتِعَهُ إِلَى ابْنِ هَبِيرَةَ لِيَعْلَمَ عِلْمَهُ، فَرَجَعُوا إِلَيْهِ، فَأَعْلَمُوهُ أَنَّهُ مَقِيمٌ، فَبَعَثَ قُطْبَةُ خَازِمَ بْنَ

خزيمة، وأمره أن يعبر دجلة، فعبر وسار بين دجلة ودجيل، حتى نزل كوئبا، ثم كتب إليه قحطبة يأمره بالمسير إلى الأنبار، وأن يحذر إليه ما فيها من السفن وما قدر عليه يعبرها، ويوافيه بها بدماء، ففعل ذلك خازم، ووافاه قحطبة بدماء، ثم عبر قحطبة الفرات في المحرم من سنة اثنتين وثلاثين

ومائة، ووجه الأثقال في البرية، وصارت الفرسان معه على شاطئ الفرات، وابن هبيرة معسكر على فم الفرات من أرض الفلوجة العليا، على رأس ثلاثة وعشرين فرسخاً من الكوفة، وقد اجتمع إليه فل ابن ضبارة، وأمه مروان بحوثة بن سهيل الباهلي في عشرين ألفاً من أهل الشام وذكر علي أن الحسن بن رشيد وجبله بن فروخ أخبراه أن قحطبة لما ترك ابن هبيرة ومضى يريد الكوفة، قال حوثة بن سهيل الباهلي وناس من وجوه أهل الشام لابن هبيرة: قد مضى قحطبة إلى الكوفة، فاقصد أنت خراسان، ودعه ومروان فإنك تكسره، فبالحري أن يتبعك، فقال: ما هذا برأي، ما كان ليتبعني ويدع الكوفة، ولكن الرأي أن أبادره إلى الكوفة ولما عبر قحطبة الفرات، وسار على شاطئ الفرات ارتحل ابن هبيرة من معسكره بأرض الفلوجة، فاستعمل على مقدمته حوثة بن سهيل، وأمره بالمسير إلى الكوفة، والفريقان يسيران على شاطئ الفرات، ابن هبيرة بين الفرات وسورا، وقحطبة في غربيه مما يلي البر ووقف قحطبة فعبر إليه رجل أعرابي في زورق، فسلم على قحطبة، فقال: ممن أنت؟ قال: من طيء، فقال الأعرابي لقحطبة: اشرب من هذا واسقني سورك، فغرف قحطبة في قصعة فشرب وسقاه، فقال: الحمد لله الذي نسأ أجلي حتى رأيت هذا الجيش يشرب من هذا الماء قال قحطبة: أنتك الرواية؟ قال: نعم، قال: ممن أنت؟ قال: من طيء، ثم أحد بني نهبان، فقال قحطبة: صدقي إمامي، أخبرني أن لي وقعة على هذا النهر لي فيها النصر، يا أخا بني نهبان، هل هاهنا مخاضة؟ قال: نعم ولا أعرفها، وأدلك على من يعرفها، السندي بن عصم فأرسل إليه قحطبة، فجاء وأبو السندي وعون، فدلوه على المخاضة وأمسى ووافته مقدمة ابن هبيرة في عشرين ألفاً، عليهم حوثة فذكر علي، عن ابن شهاب العبدى، قال: نزل قحطبة الجباريه فقال:

صدقي الإمام أخبرني أن النصر بهذا المكان، وأعطى الجند أرزاقهم، فرد عليه كاتبه ستة عشر ألف درهم، فضل الدرهم والدرهمين وأكثر وأقل، فقال: لا تزالون بنحير ما كنتم على هذا ووافته خيول الشام، وقد دلوه على

مخاضة فقال: إنما أنتظر شهر حرام وليلة عاشوراء، وذلك سنة اثنتين وثلاثين ومائة وأما هشام بن محمد، فإنه ذكر عن أبي مخنف أن قحطبة انتهى إلى موضع مخاضة ذكرت له، وذلك عند غروب الشمس ليلة الأربعاء، ثمان خلون من المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فلما انتهى قحطبة إلى المخاضة اقتحم في عدة من أصحابه، حتى حمل على ابن هبيرة، وولى أصحابه منهزمين، ثم نزلوا فم الليل، ومضى حوثة حتى نزل قصر ابن هبيرة، وأصبح أهل خراسان وقد فقدوا أميرهم، فألقوا بأيدهم، وعلى الناس الحسن بن قحطبة رجع الحديث إلى حديث علي عن ابن شهاب العبدى: فاما صاحب علم قحطبة خيران أويسار مولاه، فقال له: اعبر، وقال لصاحب رايته مسعود بن علاج رجل من بكر بن وائل: اعبر، وقال لصاحب شرطته عبد الحميد بن ربيعي ابى غانم أحد بني نهبان من طيء: اعبر يا أبا غانم، وأبشر بالغنيمة وعبر جماعه حتى عبر أربع مائة، فقاتلوا أصحاب حوثة حتى نحوهم عن الشريعة، ولقوا محمد بن نباة فقاتلوه، ورفعوا النيران، وانهزم أهل الشام، وفقدوا قحطبة فبايعوا حميد بن قحطبة على كره منه، وجعلوا على الأثقال رجلاً يقال له أبو نصر في مائتين، وسار حميد حتى نزل كربلاء، ثم دير الأعور ثم العباسية قال علي: أخبرنا خالد بن الأصفح وأبو الذيال، قالوا: وجد قحطبة فدفنه أبو الجهم، فقال رجل من عرض الناس: من كان عنده عهد من قحطبة فليخبرنا به، فقال مقاتل بن مالك العكي: سمعت قحطبة يقول:

إن حدث بي حدث فالحسن أمير الناس، فبايع الناس حميدا للحسن، وأرسلوا إلى الحسن، فلققه الرسول دون قرية شاهي، فرجع الحسن فأعطاه أبو الجهم خاتم قحطبة، وبايعوه، فقال الحسن: إن كان قحطبة مات فأنا ابن قحطبة وقتل في هذه الليلة ابن نهبان السدوسي وحرب بن سلم بن

أحوز وعيسى بن إياس العدوي ورجل من الأساورة، يقال له مصعب، وادعى قتل قحطبة معن بن زائده ويحيى بن حضين قال علي: قال أبو الذيال: وجدوا قحطبة قتيلاً في جدول وحرب بن سلم بن أحوز قتيلاً إلى جنبه، فظنوا أن كل واحد منهما قتل صاحبه قال علي: وذكر عبد الله بن بدر قال: كنت مع ابن هبيرة ليلة قحطبة فعبروا إلينا، فقاتلونا على مسناة عليها خمسة فوارس، فبعث ابن

هيرة محمد بن نباتة، فتلقيهم فدفنهم دفعا، وضرب معن بن زائدة قطبة على حبل عاتقه، فأسرعه فيه السيف، فسقط قطبة في الماء فأخرجوه، فقال: شدوا يدي، فشدوها بعمامة، فقال: إن مت فألقوني في الماء لا يعلم أحد بقتلي وكر عليهم أهل خراسان، فانكشف ابن نباتة وأهل الشام، فاتبعونا وقد أخذ طائفة في وجهه، ولحقنا قوم من أهل خراسان، فقاتلناهم طويلا، فأنجونا إلا برجلين من أهل الشام قاتلوا عنا قتالا شديدا، فقال بعض الخراسانية:

دعوا هؤلاء الكلاب بالفارسية فانصرفوا عنا ومات قطبة وقال قبل موته:

إذا قدمتم الكوفة فوزير الإمام أبو سلمة، فسلوهما هذا الأمر إليه ورجع ابن هيرة إلى واسط وقد قيل في هلاك قطبة قول غير الذي قاله من ذكرنا قوله من شيوخ علي بن محمد، والذي قيل من ذلك أن قطبة لما صار بجذاء ابن هيرة من الجانب الغربي من الفرات، وبينهما الفرات، قدم الحسن ابنه على مقدمته، ثم أمر عبد الله الطائي ومسعود بن علاج وأسد بن المرزبان وأصحابهم بالعبور على خيولهم في الفرات، فعبروا بعد العصر، فطعن أول فارس لقيهم من أصحاب ابن هيرة، فولوا منهزمين حتى بلغت هزيمتهم جسر سورا حتى اعترضهم سويد صاحب شرطة ابن هيرة، فضرب وجوههم ووجوه دوابهم حتى ردهم إلى موضعهم، وذلك عند المغرب، حتى انتهوا إلى مسعود بن علاج ومن معه، فكثروهم، فأمر قطبة المخارق بن غفار وعبد الله بسام وسلمه ابن محمد- وهم في جريدة خيل- أن يعبروا، فيكونوا رداء لمسعود بن علاج،

فعبروا ولقيهم محمد بن نباتة، فحصر سلمة ومن معه بقرية على شاطئ الفرات، وترجل سلمة ومن معه، وحيي القتال، فجعل محمد بن نباتة يحمل على سلمة وأصحابه، فيقتل العشرة والعشرين، ويحمل سلمة وأصحابه على محمد بن نباتة وأصحابه، فيقتل منهم. المائة والمائتين، وبعث سلمة إلى قطبة يستمده، فأمدته بقواده جميعا، ثم عبر قطبة بفرسانه، وأمر كل فارس أن يردف رجلا، وذلك ليلة الخميس لليال خلون من المحرم، ثم واقع قطبة محمد بن نباتة ومن معه، فاقتتلوا قتالا شديدا، فهزمهم قطبة حتى ألحقهم بابن هيرة، وانهمز ابن هيرة بهزيمة ابن نباتة، وخلوا عسكرهم وما فيه من الأموال والسلاح والرثة والآنية وغير ذلك، ومضت بهم الهزيمة حتى قطعوا جسر الصراة، وساروا ليلتهم حتى أصبحوا بضم النيل، وأصبح أصحاب قطبة وقد فقدوه، فلم يزالوا في رجاء منه إلى نصف النهار، ثم يئسوا منه وعلوا بغرقه، فأجمع القواد على الحسن بن قطبة فولوه الأمر وبايعوه، فقام بالأمر وتولاه، وأمر بإحصاء ما في عسكر ابن هيرة، ووكل بذلك رجلا من أهل خراسان يكنى أبا النصر في مائتي فارس، وأمر بحمل الغنائم في السفن إلى الكوفة، ثم ارتحل الحسن بالجنود حتى نزل كربلاء، ثم ارتحل فنزل سورا، ثم نزل بعدها دير الأعور، ثم سار منه فنزل العباسية. وبلغ حوثة هزيمة ابن هيرة، فخرج بمن معه حتى لحق بابن هيرة بواسط.

وكان سبب قتل قطبة- فيما قال هؤلاء- أن أحلم بن إبراهيم بن بسام مولى بني ليث قال: لما رأيت قطبة في الفرات، وقد سبحت به دابته حتى كادت تعبر به من الجانب الذي كنت فيه أنا وبسام بن إبراهيم أخي- وكان بسام على مقدمة قطبة- فذكرت من قتل من ولد نصر بن سيار وأشياء ذكرت منها، وقد أشفقت على أخي بسام بن إبراهيم لشيء بلغه عنه، فقلت: لا طلبت بثأرا أبدا إن نجوت الليلة قال: فأتلقاه وقد صعدت به دابته لتخرج من الفرات وأنا على الشط، فضربته بالسيف على جبينه، فوثب فرسه، وأعجله الموت، فذهب في الفرات بسلاحه ثم أخبر ابن حصين السعدي بعد موت

٧٠٢٩٠٢ ذكر خبر خروج محمد بن خالد بالكوفة مسودا

أحلم بن إبراهيم بمثل ذلك، وقال: لولا أنه أقر بذلك عند موته ما أخبرت عنه بشيء.

ذكر خبر خروج محمد بن خالد بالكوفة مسودا

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة خرج محمد بن خالد بالكوفة، وسود قبل أن يدخلها الحسن بن قطبة، وخرج عنها عامل ابن هيرة، ثم دخلها الحسن.

ذكر الخبر عما كان من أمر من ذكرت:

ذكر هشام، عن أبي مخنف، قال: خرج محمد بن خالد بالكوفة في ليلة عاشوراء، وعلى الكوفة زياد بن صالح الحارثي، وعلى شرطه عبد الرحمن ابن بشير العجلي، وسود محمد وسار إلى القصر، فارتحل زياد بن صالح وعبد الرحمن بن بشير العجلي ومن معهم من أهل الشام، وخلوا القصر، فدخله محمد بن خالد، فلما أصبح يوم الجمعة - وذلك صبيحة اليوم الثاني من مهلك قطبة - بلغه نزول حوثة ومن معه مدينة ابن هبيرة، وأنه تهيأ للمسير إلى محمد، فتفرق عن محمد عامة من معه حيث بلغهم نزول حوثة مدينة ابن هبيرة، ومسيره إلى محمد لقتاله، إلا فرسانا من فرسان أهل اليمن، ممن كان هرب من مروان ومواليه وأرسل إليه أبو سلمة الخلال - ولم يظهر بعد - يأمره بالخروج من القصر والحق بأسفل الفرات، فإنه يخاف عليه لقلته من معه وكثرة من مع حوثة - ولم يبلغ أحدا من الفريقين هلاك قطبة - فأبى محمد بن خالد أن يفعل حتى تعالى النهار، فتهيأ حوثة للمسير إلى محمد بن خالد، حيث بلغه قلة من معه وخذلان العامة له، فبينما محمد في القصر إذ أتاه بعض طلائعه، فقال له: خيل قد جاءت من أهل الشام، فوجه إليهم عدة من مواليه، فأقاموا بباب دار عمر بن سعد، إذ طلعت الرايات لأهل الشام، فتهيأوا لقتالهم، فنادى الشاميون: نحن بجيلة، وفيينا مليح بن خالد البجلي، جئنا لندخل في طاعة الأمير فدخلوا، ثم جاءت خيل أعظم منها مع رجل من آل بحدل، فلما رأى ذلك حوثة من صنع

أصحابه، ارتحل نحو واسط بمن معه، وكتب محمد بن خالد من ليلته إلى قطبة، وهو لا يعلم بهلكه، يعلمه أنه قد ظفر بالكوفة، وعجل به مع فارس، فقدم على الحسن بن قطبة، فلما دفع إليه كتاب محمد بن خالد قرأه على الناس، ثم ارتحل نحو الكوفة، فأقام محمد بالكوفة يوم الجمعة والسبت والأحد وصبحه الحسن يوم الاثنين، فأتوا أبا سلمة وهو في بني سلمة فاستخرجوه، فعسكر بالتحيلة يومين، ثم ارتحل إلى حمام عين، ووجه الحسن ابن قطبة إلى واسط لقتال ابن هبيرة.

وأما علي بن محمد، فإنه ذكر أن عمارة مولى جبرائيل بن يحيى أخبره، قال: بايع أهل خراسان الحسن بعد قطبة، فأقبل إلى الكوفة، وعليها يومئذ عبد الرحمن بن بشير العجلي، فأتاه رجل من بني ضبة، فقال: إن الحسن داخل اليوم أو غدا، قال: كأنك جئت ترهني! وضربه ثلاثمائة سوط ثم هرب فسود محمد بن خالد بن عبد الله القسري، نفرج في أحد عشر رجلا، ودعا الناس إلى البيعة، وضبط الكوفة، فدخل الحسن من الغد، فكانوا يسألون في الطريق: أين منزل أبي سلمة، وزير آل محمد؟ فدلوههم عليه، فجاءوا حتى وقفوا على بابه، نفرج إليهم، فقدموا له دابة من دواب قطبة فركبها، وجاء حتى وقف في جبانة السبيع، وبايع أهل خراسان، فكث أبو سلمة حفص بن سليمان مولى السبيع - يقال له وزير آل محمد - واستعمل محمد بن خالد بن عبد الله القسري على الكوفة - وكان يقال له الأمير - حتى ظهر أبو العباس.

وقال علي: أخبرنا جبلة بن فروخ وأبو صالح المروزي وعمارة مولى جبرائيل وأبو السري وغيرهم ممن قد أدرك أول دعوة بني العباس، قالوا: ثم وجه الحسن ابن قطبة إلى ابن هبيرة بواسط، وضم إليه قواد، منهم خازم بن خزيمه ومقاتل بن حكيم العكي وخفاف بن منصور وسعيد بن عمرو وزباد بن مشكان والفضل بن سليمان وعبد الكريم بن مسلم وعثمان بن نهيك وزهير بن محمد والهيثم بن زياد وأبو خالد المروزي وغيرهم، ستة عشر قائدا وعلى جميعهم

الحسن بن قطبة ووجه حميد بن قطبة إلى المدائن في قواد، منهم عبد الرحمن بن نعيم ومسعود بن علاج، كل قائد في أصحابه وبعث المسيب بن زهير وخالد بن برمك إلى ديرقي، وبعث المهلب وشراحيل في أربعمائة إلى عين التمر، وبسام بن إبراهيم بن بسام إلى الأهواز، وبها عبد الواحد ابن عمر بن هبيرة فلما أتى بسام الأهواز خرج عبد الواحد إلى البصرة، وكتب مع حفص بن السبيع إلى سفيان بن معاوية بعده على البصرة، فقال له الحارث أبو غسان الحارثي - وكان يتكهن وهو أحد بني الديان: لا ينفذ هذا العهد. فقدم الكتاب على سفيان، فقاتله سلم بن قتيبة، وبطل عهد سفيان.

ونخرج أبو سلمة فعسكر عند حمام عين، على نحو من ثلاثة فراسخ من الكوفة، فأقام محمد بن خالد بن عبد الله بالكوفة. وكان سبب قتال سلم بن قتيبة سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب - فيما ذكر - أن أبا سلمة الخلال وجه إذ فرق العمال في البلدان بسام بن إبراهيم مولى بني ليث إلى عبد الواحد بن عمر بن هبيرة وهو بالأهواز، فقاتله بسام حتى فضه، فلحق سلم بن قتيبة الباهلي بالبصرة،

وهو يومئذ عامل ليزيد بن عمر بن هبيرة وكتب أبو سلمة إلى الحسن بن قطبة أن يوجه إلى سلم من أحب من قواده، وكتب إلى سفيان بن معاوية بعهدده على البصرة، وأمره أن يظهر بها دعوة بني العباس، ويدعو إلى القائم منهم، وينفي سلم ابن قتيبة فكتب سفيان إلى سلم يأمره بالتحول عن دار الإمارة، ويخبره بما أتاه من رأي أبي سلمة، فأبى سلم ذلك، وامتنع منه، وحشد مع سفيان جميع اليمانية وحلفاءهم من ربيعة وغيرهم، وجنح إليه قائد من قواد ابن هبيرة، وكان بعثه مدداً لسلم في ألفي رجل من كلب، فأجمع السير إلى سلم بن قتيبة، فاستعد له سلم، وحشد معه من قدر عليه من قيس وأحياء مضر ومن كان بالبصرة من بني أمية ومواليهم، وسارعت بنو أمية إلى نصره.

فقدم سفيان يوم الخميس وذلك في صفر، فأتى المربد سلم، فوقف منه عند سوق الإبل، ووجه الخيول في سكة المربد وسائر سكك البصرة للقاء من وجه إليه سفيان، ونادى: من جاء برأس فله خمسمائة درهم، ومن جاء بأسير فله ألف درهم ومضى معاوية بن سفيان بن معاوية في ربيعة خاصة، فلقية خيل من تميم في السكة التي تأخذ إلى بني عامر في سكة المربد عند الدار التي صارت لعمر بن حبيب، فطعن رجل منهم فرس معاوية، فشب به فصرعه، فنزل إليه رجل من بني ضبة يقال له عياض، فقتله، وحمل رأسه إلى سلم بن قتيبة، فأعطاه ألف درهم، فانكسر سفيان لقتل ابنه، فانهزم ومن معه، وخرج من فوره هو وأهل بيته حتى أتى القصر الأبيض فنزلوه، ثم ارتحلوا منه إلى كسكر.

وقدم على سلم بعد غلبته على البصرة جابر بن توبة الكلابي والوليد بن عتبة الفراسي، من ولد عبد الرحمن بن سمرة في أربعة آلاف رجل، كتب إليهم ابن هبيرة أن يصيروا مدداً لسلم وهو بالأهواز، فغدا جابر بمن معه على دور المهلب وسائر الأزدي، فأغاروا عليهم، فقاتلهم من بقي من رجال الأزدي قتلاً شديداً حتى كثرت القتلى فيهم، فانهزموا، فسبى جابر ومن معه من أصحابه النساء، وهدموا الدور وانتهبوا، فكان ذلك من فعلهم ثلاثة أيام، فلم يزل سلم مقيماً بالبصرة حتى بلغه قتل ابن هبيرة، فشخص عنها فاجتمع من البصرة من ولد الحارث بن عبد المطلب إلى محمد بن جعفر فولوه أمرهم فوليهما أياماً يسيرة، حتى قدم البصرة أبو مالك عبد الله بن أسيد الخزاعي من قبل أبي مسلم، فوليهما خمسة أيام، فلما قام أبو عباس ولاها سفيان بن معاوية.

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة بويح لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، ليلة الجمعة ثلاث عشرة مضت من شهر ربيع الآخر، كذلك حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ، عن ذكره، عن إسحاق ابن عيسى، عن أبي معشر وكذلك قَالَ هشام بن محمد وأما الواقدي فإنه قَالَ:

بويح لأبي العباس بالمدينة بالخلافة في جمادى الأولى في سنة ثنتين وثلاثين ومائة.

قال الواقدي: وقال لي أبو معشر: في شهر ربيع الأول سنة ثنتين وثلاثين ومائة، وهو الثبت

٧٠٢٩٠٣ خلافة أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس

خلافة أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس

(ذكر الخبر عن سبب خلافته) وكان بدء ذلك - فيما ذكر عن رسول الله ص - انه اعلم العباس ابن عبد المطلب انه تؤول الخلافة إلى ولده، فلم يزل ولده يتوقعون ذلك، ويتحدثون به بينهم.

وذكر علي بن محمد أن إسماعيل بن الحسن حدثه عن رشيد بن كريب، أن أبا هاشم خرج إلى الشام، فلقي محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فقال: يا بن عم، إن عندي علماً أنبذه إليك فلا تطلعن عليه أحداً، إن هذا الأمر الذي يرتجيه الناس فيكم، قال: قد علمت فلا يسمعه منك أحد قال علي: وأخبرنا سليمان بن داود، عن خالد بن عجلان، قال: لما خالف ابن الأشعث، وكتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك، أرسل عبد الملك إلى خالد بن يزيد فأخبره، فقال: أما إذا كان الفتق من سجستان فليس عليك بأس، إنما كنا نتخوف لو كان من خراسان وقال علي: أخبرنا الحسن بن رشيد وجبله بن فروخ التاجي ويحيى بن طفيل والنعمان بن سري وأبو حفص الأزدي

وغيرهم أن الإمام محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس، قَالَ: لنا ثلاثة أوقات: موت الطاغية يزيد بن معاوية، ورأس المائة، وفتق بإفريقية، فعند ذلك يدعو لنا دعاه، ثم يقبل أنصارنا من المشرق حتى ترد خيولهم المغرب، ويستخرجوا ما كنز الجبارون فيها فلما قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية، ونقضت البربر، بعث محمد بن علي رجلا إلى خراسان، وأمره أن يدعو إلى الرضا، ولا يسمي احده. وقد ذكرنا قبل خبر محمد بن علي، وخبر الدعاه الذي وجههم إلى خراسان ثم مات محمد بن علي وجعل وصيه من بعده ابنه إبراهيم، فبعث إبراهيم بن محمد إلى خراسان أبا سلمة حفص بن سليمان مولى السبيع، وكتب معه إلى النقباء بخراسان، فقبلوا كتبه وقام فيهم، ثم رجع إليه فردده ومعه أبو مسلم وقد ذكرنا أمر أبي مسلم قبل وخبره.

ثم وقع في يد مروان بن محمد كُتاب لإبراهيم بن محمد إلى أبي مسلم، جواب كُتاب لأبي مسلم يأمره بقتل كل من يتكلم بالعربية بخراسان فكتب مروان إلى عامله بدمشق يأمره بالكُتاب إلى صاحبه بالبقاء أن يسير إلى الحيمة، يأخذ إبراهيم بن محمد ويوجه به إليه فذكر أبو زيد عمر بن شبة أن عيسى ابن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، حدثه عن عثمان بن عروة ابن محمد بن عمار بن ياسر، قَالَ: إني مع أبي جعفر بالحيمة ومعه ابنه محمد وجعفر، وأنا أرقصهما، إذ قَالَ لي: ماذا تصنع؟ أما ترى إلى ما نحن فيه! قَالَ: فنظرت فإذا رسل مروان تطلب إبراهيم بن محمد، قال: فقلت: دعني اخرج إليهم، قَالَ: تخرج من بيتي وأنت ابن عمار بن ياسر! قَالَ: فأخذوا أبواب المسجد حين صلوا الصبح، ثم قالوا للشاميين الذين معهم: أين إبراهيم بن محمد؟ فقالوا: هو ذا، فأخذوه، وقد كان مروان أمرهم بأخذ إبراهيم، ووصف لهم صفة أبي العباس التي كان يجدها في الكتب أنه يقتلهم، فلما أتوه بإبراهيم، قَالَ: ليس هذه الصفة التي وصفت لكم، فقالوا: قد رأينا الصفة التي وصفت، فردهم في طلبه، ونذروا، فخرجوا إلى العراق هربا. قَالَ عمر: وحديثي عبد الله بن كثير بن الحسن العبدى، قَالَ: أخبرني علي بن موسى، عن أبيه، قَالَ: بعث مروان بن محمد رسولا إلى الحيمة يأتيه بإبراهيم بن محمد، ووصف له صفته، فقدم الرسول فوجد الصفة صفة أبي العباس عبد الله بن محمد، فلما ظهر إبراهيم بن محمد وأمن قيل للرسول:

إنما أمرت بإبراهيم، وهذا عبد الله! فلما تظاهر ذلك عنده ترك أبا العباس وأخذ إبراهيم، وانطلق به قَالَ: فشخصت معه أنا وأناس من بني العباس ومواليهم، فانطلق بإبراهيم، ومعه أم ولد له كان بها معجبا، فقلنا له: إنما أتاك رجل، فهلم فلنقتله ثم نكفي إلى الكوفة، فهم لنا شيعة، فقال: ذلك لكم، قلنا: فأهل حتى نصير إلى الطريق التي تخرجنا إلى العراق.

قَالَ: فسرنا حتى صرنا إلى طريق تشعب إلى العراق، وأخرى إلى الجزيرة، فنزلنا منزلا، وكان إذا أراد التعريس اعتزل لمكان أم ولده، فأتينا للأمر الذي اجتمعنا عليه، فصرخنا به، فقام ليخرج فتعلقت به أم ولده، وقالت:

هذا وقت لم تكن تخرج فيه، فما هاجك! فالتوى عليها، فأبت حتى أخبرها، فقالت: أنشدك الله أن تقتله فتشام أهلك! والله لئن قتلتها لا يبقى مروان من آل العباس أحدا بالحيمة إلا قتله، ولم تفارقه حتى حلف لها ألا يفعل، ثم خرج إلينا وأخبرنا، فقلنا: أنت أعلم. قَالَ عبد الله: فحدثني ابن لعبد الحميد بن يحيى كاتب مروان، عن أبيه، قَالَ: قلت لمروان بن محمد: أتهمني؟ قَالَ: لا، قلت: أفيحطك صهره؟ قَالَ: لا، قلت: فإني أرى أمره ينبغ عليك فأنكحه وأنكح إليه، فإن ظهر كنت قد أعلقت بينك وبينه سببا لا يريك معه، وإن كفيته لم يشك صهره قَالَ: ويحك! والله لو علمته صاحب ذاك لسقت إليه، ولكن ليس بصاحب ذلك.

وذكر أن إبراهيم بن محمد حين أخذ للمضي به إلى مروان نعى إلى أهل بيته حين شيعوه نفسه، وأمرهم بالمسير إلى الكوفة مع أخيه ابني العباس عبد الله ابن محمد، وبالسمع له وبالطاعة، وأوصى إلى أبي العباس، وجعله الخليفة بعده، فشخص أبو العباس عند ذلك ومن معه من أهل بيته، منهم عبد الله ابن محمد وداود بن عيسى، وصالح وإسماعيل وعبد الله وعبد الصمد بنو علي ويحيى ابن محمد وعيسى

بْنُ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ، وَعَبْدُ الْوَهَّابِ وَمُحَمَّدُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى بْنُ دَاوُدَ وَيَحْيَى بْنُ جَعْفَرِ بْنِ تَمَامٍ، حَتَّى قَدَمُوا الْكَوْفَةَ، فِي صَفَرٍ، فَأَنْزَلَهُمْ أَبُو سَلَمَةَ دَارَ الْوَلِيدِ بْنِ سَعْدٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ فِي بَنِي أَوْدَ، وَكُتِمَ أَمْرُهُمْ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً مِنْ جَمِيعِ الْقَوَادِ وَالشَّيْعَةِ وَأَرَادَ- فِيمَا ذَكَرَ- أَبُو سَلَمَةَ تَحْوِيلَ الْأَمْرِ إِلَى آلِ أَبِي طَالِبٍ لَمَّا بَلَغَهُ الْخَبَرُ عَنْ مَوْتِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ، فَذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ أَنَّ جَبَلَةَ بْنَ فَرْوَخَ وَأَبَا السَّرِيِّ وَغَيْرَهُمَا قَالَا: قَدِمَ الْإِمَامُ الْكَوْفَةَ فِي نَاسٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَاسْتَفْتَوْا، فَقَالَ أَبُو الْجَهْمِ لِأَبِي سَلَمَةَ: مَا فَعَلَ الْإِمَامُ؟ قَالَ: لَمْ يَقْدَمْ بَعْدَ، فَأُلْحَ عَلَيْهِ يَسْأَلُهُ، قَالَ: قَدْ أَكْثَرَتِ السُّؤَالُ، وَلَيْسَ هَذَا وَقْتُ خُرُوجِهِ فَكَانُوا بِذَلِكَ، حَتَّى لَقِيَ أَبُو حَمِيدٍ خَادِمًا

لِأَبِي الْعَبَّاسِ، يُقَالُ لَهُ سَابِقُ الْخَوَارِزْمِيِّ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَصْحَابِهِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُمْ بِالْكَوْفَةِ، وَأَنَّ أَبَا سَلَمَةَ يَأْمُرُهُمْ أَنْ يَخْتَفُوا، فَجَاءَ بِهِ إِلَى أَبِي الْجَهْمِ، فَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُمْ، فَسَرَحَ أَبُو الْجَهْمِ أَبَا حَمِيدٍ مَعَ سَابِقٍ حَتَّى عَرَفَ مَنْزِلَهُمْ بِالْكَوْفَةِ، ثُمَّ رَجَعَ وَجَاءَ مَعَهُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَلَمَةَ رَجُلٌ كَانَ مَعَهُمْ، فَأَخْبَرَ أَبَا الْجَهْمِ عَنْ مَنْزِلِهِمْ وَنَزُولِ الْإِمَامِ فِي بَنِي أَوْدَ، وَأَنَّهُ أَرْسَلَ حِينَ قَدَمُوا إِلَى أَبِي سَلَمَةَ يَسْأَلُهُ مِائَةَ دِينَارٍ، فَلَمْ يَفْعَلْ، فَخَشِيَ أَبُو الْجَهْمِ وَأَبُو حَمِيدٍ وَإِبْرَاهِيمَ إِلَى مُوسَى بْنِ كَعْبٍ، وَقَصَّوْا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، وَبَعَثُوا إِلَى الْإِمَامِ بِمِائَتِي دِينَارٍ، وَمَضَى أَبُو الْجَهْمِ إِلَى أَبِي سَلَمَةَ، فَسَأَلَهُ عَنِ الْإِمَامِ، فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا وَقْتُ خُرُوجِهِ، لِأَنَّ وَاسِطًا لَمْ تَفْتَحْ بَعْدَ، فَرَجَعَ أَبُو الْجَهْمِ إِلَى مُوسَى بْنِ كَعْبٍ فَأَخْبَرَهُ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَلْقُوا الْإِمَامَ، فَضَى مُوسَى بْنُ كَعْبٍ وَأَبُو الْجَهْمِ وَعَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ رَبِيعٍ وَسَلَمَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ سَلَمَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ الطَّائِي وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَشَرَّاحِيلَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ بِسَامٍ وَأَبُو حَمِيدٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَسُلَيْمَانُ بْنُ الْأَسْوَدِ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَصِينِ إِلَى الْإِمَامِ، فَبَلَغَ أَبَا سَلَمَةَ، فَسَأَلَ عَنْهُمْ فَقِيلَ: رَكِبُوا إِلَى الْكَوْفَةِ فِي حَاجَةِ لَهُمْ.

وَإِذَا الْقَوْمُ أَبَا الْعَبَّاسِ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا: أَيُّكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنُ الْحَارِثِيَّةِ؟ فَقَالُوا: هَذَا، فَسَلَمُوا عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ، فَرَجَعَ مُوسَى بْنُ كَعْبٍ وَأَبُو الْجَهْمِ وَأَمَرَ أَبُو الْجَهْمِ الْآخَرِينَ، فَتَخَفَلُوا عِنْدَ الْإِمَامِ، فَأَرْسَلَ أَبُو سَلَمَةَ إِلَى أَبِي الْجَهْمِ: أَيْنَ كُنْتَ؟ قَالَ: رَكِبْتُ إِلَى إِمَامِي فَرَكِبَ أَبُو سَلَمَةَ إِلَيْهِمْ، فَأَرْسَلَ أَبُو الْجَهْمِ إِلَى أَبِي حَمِيدٍ أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ أَتَاكُمْ، فَلَا يَدْخُلْنَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا وَحْدَهُ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ أَبُو سَلَمَةَ مَنَعُوهُ أَنْ يَدْخُلَ مَعَهُ أَحَدٌ، فَدَخَلَ وَحْدَهُ، فَسَلَّمَ بِالْخِلَافَةِ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ.

وَخَرَجَ أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَى بَرْدُونَ أَبْلَقَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ، فَأَخْبَرَنَا عِمَارُ مَوْلَى جَبْرِئِيلَ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ السَّلَمِيُّ أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ لَمَّا سَلَّمَ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ بِالْخِلَافَةِ، قَالَ لَهُ أَبُو حَمِيدٍ: عَلَى رَغْمِ أَنْفِكَ يَا مَاصٍ بَظَرِ أُمِّهِ! فَقَالَ لَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ: مَهْ! وَذَكَرَ أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ لَمَّا صَعِدَ الْمَنْبَرَ حِينَ بَويعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ، قَامَ فِي أَعْلَاهُ، وَصَعِدَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ فَقَامَ دُونَهُ، فَتَكَلَّمَ أَبُو الْعَبَّاسِ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اصْطَفَى الْإِسْلَامَ لِنَفْسِهِ تَكْرَمَةً، وَشَرَفَهُ وَعَظَمَهُ، وَاسْتَخَارَهُ لَنَا وَأَيَّدَهُ بِنَا، وَجَعَلَنَا أَهْلَهُ وَكَهْفَهُ وَحَصْنَهُ وَالْقَوَامَ بِهِ، وَالذَّابِينَ عَنْهُ وَالنَّاصِرِينَ لَهُ، وَأَلَزَمَنَا كَلِمَةَ التَّقْوَى، وَجَعَلَنَا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا، وَخَصَّنَا بِرَحْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَوَقْرَابَتِهِ، وَأَنْشَأَنَا مِنْ آبَائِهِ، وَأَنْبَتَنَا مِنْ شَجَرَتِهِ، وَاسْتَقْتَنَا مِنْ نَبْعَتِهِ، جَعَلَهُ مِنْ أَنْفُسِنَا عَزِيزًا عَلَيْهِ مَا عَنَتْنَا، حَرِيصًا عَلَيْنَا بِالْمُؤْمِنِينَ رِءُوفًا رَحِيمًا، وَوَضَعَنَا مِنَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ بِالْمَوْضِعِ الرَّفِيعِ، وَأَنْزَلَ بِذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ كِتَابًا يَتْلَى عَلَيْهِمْ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»، وَقَالَ: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» وَقَالَ: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»، وَقَالَ: «مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى»، وَقَالَ:

«وَأَعْلَوْا إِنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى» فَأَعْلَمَهُمْ جُلَّ ثَنَائِهِ فَضْلَنَا، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِمْ حَقَّنَا وَمُودَتَنَا، وَأَجْزَلَ مِنَ الْفِيءِ وَالْغَنِيمَةِ نَصِيبَنَا تَكْرَمَةً لَنَا، وَفَضْلًا عَلَيْنَا، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

وَزَعَمَتِ السَّبْئِيَّةُ الضَّلَالُ، أَنَّ غَيْرَنَا أَحَقُّ بِالرَّئِاسَةِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْخِلَافَةِ مِنَّا، فَشَاهَتْ وَجُوهُهُمْ! بِمَ وَلَمْ أَهْيَا النَّاسَ؟ وَبِنَا هَدَى اللَّهُ النَّاسَ بَعْدَ ضَلَالَتِهِمْ، وَبَصَرَهُمْ بَعْدَ جَهَالَتِهِمْ، وَأَنْقَذَهُمْ بَعْدَ هَلَكَتِهِمْ، وَأَظْهَرَ بِنَا الْحَقَّ، وَأَدْحَضَ بِنَا الْبَاطِلَ، وَأَصْلَحَ بِنَا مِنْهُمْ مَا كَانَ فَاسِدًا، وَرَفَعَ بِنَا الْخَسِيسَةَ، وَتَمَّ بِنَا النَّقِيسَةَ، وَجَمَعَ الْفِرْقَةَ، حَتَّى عَادَ النَّاسُ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ أَهْلَ تَعَاُطَفٍ وَبِرٍّ

وَمُوَاَسَاةٍ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَإِخْوَانًا عَلَى سِرَرٍ مُتَقَابِلِينَ فِي آخِرَتِهِمْ، فَتَحَ اللَّهُ ذَلِكَ مَنَةً وَمَنْحَةً لِمُحَمَّدٍ ص، فَلَمَّا قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، قَامَ بِذَلِكَ

الأمر من بعده أصحابه، وأمرهم شورى بينهم، فحوا مواريث الأمم، فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها، وأعطوها أهلها، وخرجوا نحاصا منها ثم وثب بنو حرب ومروان، فابتزوها وتداولوها بينهم، فجاروا فيها، واستأثروا بها، وظلموا أهلها، فأملى الله لهم حيناً حتى آسفوه، فلها آسفوه انتقم منهم بأيدينا، ورد علينا حقنا، وتدارك بنا أمتنا، وولى نصرنا والقيام بأمرنا، لئمن بنا على الذين استضعفوا في الأرض، وختم بنا كما افتتح بنا وإنى لأرجو ألا يأتكم الجور من حيث أتاكم الخير، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله يا أهل الكوفة، أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا.

أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك، ولم يثبكم عن ذلك تحامل أهل الجور عليكم، حتى أدركتم زماننا، وأتاكم الله بدولتنا، فأنتم أسعد الناس بنا، وأكرمهم علينا، وقد زدكم في أعطياتكم مائة درهم، فاستعدوا، فأنا السفاح المبيح، والثائر المبير. وكان موعوكا فاشتد به الوعك، فجلس على المنبر، وصعد داود بن علي فقام دونه على مراقي المنبر، فقال:

الحمد لله شكراً شكراً، الذي أهلك عدونا، وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد ص أيها الناس، الآن أقشعت حنادس الدنيا، وانكشف غطاؤها، وأشرقت أرضها وسماؤها، وطلعت الشمس من مطلعها، وبزغ القمر من مبرغه، وأخذ القوس باريها، وعاد السهم إلى منزعه، ورجع الحق إلى نصابه، في أهل بيت نبيكم، أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم.

أيها الناس، إنا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لنكثر لجينا ولا عقيانا، ولا نحفر نهراً، ولا نبني قصراً، وإنما أخرجنا الأنفة من ابتزازهم حقنا، والغضب لبني عمنا، وما كثرنا من أموركم، وبهظنا من شؤونكم، ولقد كانت أموركم ترمضنا ونحن على فرشنا، ويشد علينا سوء

سيره بنى أميه فيكم، وخرقهم بكم، واستدلاهم لكم، واستثأرهم بفيثكم وصدقاتكم ومغائكم عليكم لكم ذمة الله تبارك وتعالى، وذمه رسوله صلى الله عليه وآله، وذمة العباس رحمه الله، أن نحكم فيكم بما أنزل الله، ونعمل فيكم بكتاب الله، ونسير في العامة منكم والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا لبني حرب بن أمية وبني مروان! آثروا في مدتهم وعصرهم العاجلة على الآجلة، والدار الفانية على الدار الباقية، فركبوا الآثام، وظلموا الآنام، وانتكوا المحارم، وغشوا الجرائم، وجاروا في سيرتهم في العباد، وسنتهم في البلاد التي بها استلذوا تسربل الأوزار، وتجلبب الآصار، ومرحوا في أعنة المعاصي، وركضوا في ميادين الغي، جهلاً باستدراج الله، وأمناً لمكر الله، فأتاهم بأس الله يباتاً وهم نائمون، فأصبحوا أحاديث، ومزقوا كل ممزق، فبعدا للقوم الظالمين! وأدالنا الله من مروان، وقد غره بالله الغرور، أرسل لعدو الله في عنانه حتى عثر في فضل خطامه، فظن عدو الله أن لن نقدر عليه، فنادى حزبه، وجمع مكايده، ورمى بكائبه، فوجد أمامه ووراءه وعن يمينه وشماله، من مكر الله وبأسه ونقمته ما أمات باطله، ومحق ضلاله، وجعل دائرة السوء به، وأحيا شرفنا وعزنا، ورد إلينا حقنا وإرثنا.

أيها الناس، إن أمير المؤمنين نصره الله نصراً عزيزاً، إنما عاد إلى المنبر بعد الصلاة، إنه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره، وإنما قطعه عن استتمام الكلام بعد أن استخفر فيه شدة الوعك، وادعوا الله لأمر المؤمنين بالعافية، فقد أبدلكم الله بمروان عدو الرحمن وخليفة الشيطان المتبع للسفلة الذين أفسدوا في الأرض بعد صلاحها بإبدال الدين وانتهاك حريم المسلمين، الشاب المتكهل المتمهل، المقتدي بسلفه الأبرار الأخيار، الذين أصلحوا الأرض بعد فسادها، بمعالم الهدى، ومناهج التقوى.

فعبج الناس له بالدعاء ثم قال:

يا أهل الكوفة، إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا، حتى أتاه الله لنا شيعتنا أهل خراسان، فأحيا بهم حقنا، وأفلج بهم جنتنا، وظهر بهم

دولتنا، وأراكم الله ما كنتم تنتظرون، واليه تشوفون، فأظهر فيكم الخليفة من هاشم، ويض به وجوهكم، وأدالكم على أهل الشام، ونقل إليكم السلطان، وعز الإسلام، ومن عليكم بإمام منحه العدالة، وأعطاه حسن الإيالة.

نخذوا ما أتاكم الله بشكر، والزمو طاعتنا، ولا تتخذوا عن أنفسكم فإن الأمر امركم، وإن لكل أهل بيت مصر، وإنكم مصرنا ألا وإنه ما

صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله ص الا امير المؤمنين علي ابن أبي طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد- وأشار بيده إلى أبي العباس- فاعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا حتى نسله إلى عيسى بن مريم صلى الله عليه، والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا.

ثم نزل أبو العباس وداود بن علي أمامه، حتى دخل القصر، وأجلس أبا جعفر ليأخذ البيعة على الناس في المسجد، فلم يزل يأخذها عليهم، حتى صلى بهم العصر، ثم صلى بهم المغرب، وجنهم الليل، فدخل.

وذكر أن داود بن علي وابنه موسى كانا بالعراق أو بغيرها، فخرجا يريدان الشراة فلقهما أبو العباس يريد الكوفة، معه أخوه أبو جعفر عبد الله بن محمد وعبد الله بن علي وعيسى بن موسى ويحيى بن جعفر بن تمام بن العباس، ونفر من مواليهم بدومة الجندل، فقال لهم داود: أين تريدون؟ وما قصتكم؟

فقص عليه أبو العباس قصتهم، وأنهم يريدون الكوفة ليظهروا بها، ويظهروا أمرهم، فقال له داود: يا أبا العباس، تأتي الكوفة وشيخ بني مروان، مروان ابن محمد بحران مطل على العراق في أهل الشام والجزيرة، وشيخ العرب يزيد بن عمر بن هبيرة بالعراق في حلبة العرب! فقال أبو الغنائم: من أحب الحياة ذل، ثم تمثل بقول الأعشى:

فَمَا مِيتَةٌ إِنْ مِتُّهَا غَيْرَ عَاجِزٍ ... بِعَارٍ إِذَا مَا غَالَتِ النَّفْسُ غَوْلَهَا

فالتفت داود إلى ابنه موسى فقال: صدق والله ابن عمك، فارجع بنا معه نعش أعزاء أو نمت كراما، فرجعوا جميعا، فكان عيسى بن موسى

٧٠٢٩٠٤ ذكر بقية الخبر عما كان من الاحداث في سنة اثنتين وثلاثين ومائه

يقول إذا ذكر خروجهم من الحيمة يريدون الكوفة: إن نفرا أربعة عشر رجلا خرجوا من دارهم وأهليهم يطلبون مطالبنا، لعظيم همهم كبيرة أنفسهم، شديدة قلوبهم

. ذكر بقية الخبر عما كان من الأحداث في سنة اثنتين وثلاثين ومائة

تمام الخبر عن سبب البيعة لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي وما كان من أمره:

قال أبو جعفر: قد ذكرنا من أمر أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي ما حضرنا ذكره قبل، عمن ذكرنا ذلك عنه، وقد ذكرنا من أمره وأمر أبي سلمة وسبب عقد الخلافة لأبي العباس أيضا ما أنا ذا كره، وهو أنه لما بلغ أبا سلمة قتل مروان بن محمد إبراهيم الذي كان يقال له الإمام، بدا له في الدعاء إلى ولد العباس وأضر الدعاء لغيرهم، وكان أبو سلمة قد أنزل أبا العباس حين قدم الكوفة مع من قدم معه من أهل بيته في دار الوليد بن سعد في بني أود، فكان أبو سلمة إذا سئل عن الإمام يقول: لا تعجلوا، فلم يزل ذلك من أمره وهو في معسكره بحمام أعين حتى خرج أبو حميد، وهو يريد الكاسية، فلقني خادما لإبراهيم يقال له سابق الخوارزمي، فعرفه، وكان يأتيهم بالشام فقال له: ما فعل الإمام إبراهيم؟ فأخبره أن مروان قتله غيلة، وأن إبراهيم أوصى إلى أخيه أبي العباس، واستخلفه من بعده، وأنه قدم الكوفة ومعه عامة أهل بيته، فسأله أبو حميد أن ينطلق به إليهم، فقال له سابق: الموعد بيني وبينك غدا في هذا الموضع، وكره سابق أن يدلّه عليهم إلا بإذنهم، فرجع أبو حميد من الغد إلى الموضع الذي وعد فيه سابقا، فلقه، فانطلق به إلى أبي العباس وأهل بيته، فلما دخل عليهم سأل أبو حميد: من الخليفة منهم؟

فقال داود بن علي: هذا إمامكم وخليفتمكم- وأشار إلى أبي العباس- فسلم عليه بالخلافة، وقبل يديه ورجليه، وقال: مرنا بأمرك، وعزاه بالإمام إبراهيم.

وقد كان إبراهيم بن سلمة دخل عسكر أبي سلمة متكررا، فأقى أبا الجهم فاستأمنه، فأخبره أنه رسول أبي العباس وأهل بيته، وأخبره بمن معه وبموضعهم،

وأن أبا العباس كان سرحه إلى أبي سلمة يسأله مائة دينار، يعطيها للجمال كراء الجمال التي قدم بهم عليها، فلم يبعث بها إليه، ورجع أبو

حميد إلى أبي الجهم، فأخبره بحالهم، فثنى أبو الجهم وأبو حميد ومعهما إبراهيم بن سلمة، حتى دخلوا على موسى بن كعب، فقص عليه أبو الجهم الخبر، وما أخبره إبراهيم بن سلمة، فقال موسى بن كعب: عجل البعثة إليه بالدنانير وسرحه فانصرف أبو الجهم ودفع الدنانير إلى إبراهيم بن سلمة، وحمله على بغل وسرح معه رجلين، حتى ادخله الكوفة، ثم قال أبو الجهم لأبي سلمة، وقد شاع في العسكر أن مروان بن محمد قد قتل الإمام: فإن كان قد قتل كان أخوه أبو العباس الخليفة والإمام من بعده، فرد عليه أبو سلمة: يا أبا الجهم، اكف أبا حميد عن دخول الكوفة، فإنهم أصحاب إرجاف وفساد.

فلما كانت الليلة الثانية أتى إبراهيم بن سلمة أبا الجهم وموسى بن كعب، فبلغهما رسالة من أبي العباس وأهل بيته، ومشى في القواد والشيعية تلك الليلة، فاجتمعوا في منزل موسى بن كعب، منهم عبد الحميد بن ربيعي وسلمه بن محمد وعبد الله الطائي واستحق بن إبراهيم وشراحيل وعبد الله بن بسام وغيرهم من القواد، فأتروا في الدخول إلى أبي العباس وأهل بيته، ثم تسللوا من الغد حتى دخلوا الكوفة وزعيمهم موسى بن كعب وأبو الجهم وأبو حميد الحميري - وهو محمد بن إبراهيم - فأنهوا إلى دار الوليد بن سعد، فدخلوا عليهم، فقال موسى بن كعب وأبو الجهم: أيكم أبو العباس؟ فأشاروا إليه، فسلموا عليه وعزوه بالإمام إبراهيم، وانصرفوا إلى العسكر، وخلفوا عنده أبا حميد وأبا مقاتل وسليمان بن الأسود ومحمد بن الحصين ومحمد بن الحارث ونهار بن حصين ويوسف بن محمد وأبا هريرة محمد بن فروخ. فبعث أبو سلمة إلى أبي الجهم فدعاه، وكان أخبره بدخوله الكوفة، فقال:

أين كنت يا أبا الجهم؟ قال: كنت عند إمامي، وخرج أبو الجهم فدعا حاجب بن صدان، فبعثه إلى الكوفة، وقال له: ادخل، فسلم على أبي العباس

بالخلافة، وبعث إلى أبي حميد وأصحابه: أن أتاكم أبو سلمة فلا يدخل إلا وحده، فإن دخل وباع فسبيله ذلك، والا فاضربوا عنقه، فلم يلبثوا أن أتاهم أبو سلمة فدخل وحده، فسلم على أبي العباس بالخلافة، فأمره أبو العباس بالانصراف إلى عسكره، فانصرف من ليلته، فأصبح الناس قد لبسوا سلاحهم، واصطفوا لخروج أبي العباس، وأتوه بالدواب، فركب ومن معه من أهل بيته حتى دخلوا قصر الإمارة بالكوفة يوم الجمعة لا ثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر ثم دخل المسجد من دار الإمارة، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر عظمة الرب تبارك وتعالى وفضل النبي ص، وقاد الولاية والوراثة حتى انتهيا إليه، ووعد الناس خيرا ثم سكت.

وتكلم داود بن علي وهو على المنبر أسفل من أبي العباس بثلاث درجات، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ص، وقال: أيها الناس، إنه والله ما كان بينكم وبين رسول الله ص خليفة إلا علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين هذا الذي خلفني ثم نزلنا وخرج أبو العباس، فعسكر بحمام أعين في عسكر أبي سلمة، ونزل معه في حجرته، بينهما ستر، وحاجب أبي العباس يومئذ عبد الله بن بسام واستخلف على الكوفة وأرضها عمه داود بن علي، وبعث عمه عبد الله بن علي إلى أبي عون ابن يزيد، وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قطبة، وهو يومئذ بواسط محاصر ابن هبيرة، وبعث يحيى بن جعفر بن تمام ابن عباس إلى حميد بن قطبة بالمدائن، وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروه ابن محمد بن عمار بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن بسام بالأهواز، وبعث سلمة بن عمرو بن عثمان إلى مالك بن طريف، وأقام أبو العباس في العسكر أشهرا ثم ارتحل، فنزل المدينة الهاشمية في قصر الكوفة، وقد كان تنكر لأبي سلمة قبل تحوله حتى عرف ذلك.

٧٠٢٩٠٥ ذكر هزيمة مروان بن محمد بموقعه الزاب

ذكر هزيمة مروان بن محمد بموقعه الزاب

وفي هذه السنة هزم مروان بن محمد بالزاب.

ذكر الخبر عن هذه الوقعة وما كان سببها وكيف كان ذلك:

ذكر علي بن محمد أن أبا السري وجبله بن فروخ والحسن بن رشيد وأبا صالح المروزي وغيرهم أخبروه أن أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي وجهه قطبه إلى شهرزور من نهاوند، فقتل عثمان بن سفيان، وأقام بناحية الموصل، وبلغ مروان أن عثمان قد قتل، فأقبل

من حران، فنزل منزلاً في طريقه، فقال: ما اسم هذا المنزل؟ قالوا: بلوى، قال: بل علوى وبشرى ثم أتى رأس العين، ثم أتى الموصل، فنزل على دجلة، وحفر خندقاً فسار إليه أبو عون، فنزل الزاب، فوجه أبو سلمة إلى أبي عون عينة بن موسى والمنهال بن فتن وإسحاق بن طلحة، كل واحد في ثلاثة آلاف، فلما ظهر أبو العباس بعث سلمة بن محمد في ألفين، وعبد الله الطائي في ألف وخمسمائة وعبد الحميد بن ربعي الطائي في ألفين، ووداس بن نضله في خمسمائة إلى أبي عون ثم قال: من يسير إلى مروان من أهل بيتي؟ فقال عبد الله بن علي:

أنا، فقال: سر على بركة الله، فسار عبد الله بن علي، فقدم على أبي عون، فتحول له أبو عون عن سرادقه وخلاه وما فيه، وصير عبد الله بن علي على شرطته حياش بن حبيب الطائي، وعلى حرسه نصير بن المحتفز ووجه أبو العباس موسى بن كعب في ثلاثين رجلاً على البريد إلى عبد الله بن علي، فلما كان لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ثنتين وثلاثين ومائة، سأل عبد الله بن علي عن مخاضة، فدل عليها بالزاب، فأمر عينة بن موسى فعبّر في خمسة آلاف، فأنتهى إلى عسكر مروان، فقاتلهم حتى أمسوا، ورفعت لهم النيران فتعاجزوا، ورجع عينة فعبّر المخاضة إلى عسكر عبد الله بن علي، فأصبح مروان فعقد الجسر، وسرح ابنه عبد الله يحفر خندقاً أسفل من عسكر عبد الله بن علي، فبعث عبد الله بن علي المخارق بن غفار في أربعة آلاف، فأقبل حتى نزل على خمسة أميال من عسكر عبد الله بن علي، فسرح عبد الله بن مروان إليه الوليد بن معاوية، فلقى المخارق، فانهزم أصحابه، وأسروا، وقتل منهم يومئذ عدة، فبعث بهم إلى عبد الله، وبعث بهم عبد الله إلى مروان مع الرؤوس، فقال مروان: أدخلوا علي رجلاً من الأسارى، فأتوه بالمخارق- وكان نحيفاً- فقال: أنت المخارق؟ فقال:

لا، أنا عبد من عبيد أهل العسكر، قال: فتعرف المخارق؟ قال: نعم، قال: فانظر في هذه الرؤوس هل تراه؟ فنظر إلى رأس منها، فقال: هو هذا، نفلى سبيله، فقال رجل مع مروان حين نظر إلى المخارق وهو لا يعرفه: لعن الله أبا مسلم حين جاءنا بهؤلاء يقاتلنا بهم! قال علي: حدثنا شيخ من أهل خراسان قال: قال مروان للمخارق: تعرف المخارق ان رأيته؟ فإنهم زعموا انه في هذه الرؤوس التي أتينا بها، قال: نعم، قال: اعرضوا عليه تلك الرؤوس، فنظر فقال: ما أرى رأسه في هذه الرؤوس، ولا أراه إلا وقد ذهب، نفلى سبيله وبلغ عبد الله بن علي انهزام المخارق، فقال له موسى بن كعب: اخرج إلى مروان قبل أن يصل الفل إلى العسكر، فيظهر ما لقي المخارق فدعا عبد الله بن علي محمد بن صول، فاستخلفه على العسكر، وسار على ميمته أبو عون، وعلى ميسرة مروان الوليد بن معاوية، ومع مروان ثلاثة آلاف من الحمرة ومعه الذكوانيه والصحصحية والراشدية، فقال مروان لما التقى العسكران لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز: إن زالت الشمس اليوم ولم يقاتلونا كما الذين ندفعها إلى عيسى بن مريم، وإن قاتلونا قبل الزوال، فإنا لله وإنا إليه راجعون وأرسل مروان إلى عبد الله بن علي يسأله المودعة، فقال عبد الله: كذب ابن زريق، ولا تزول الشمس حتى أوطئه الخليل إن شاء الله.

فقال مروان لأهل الشام: قفوا لا تبدءوهم بقتال، فجعل ينظر إلى الشمس، فحمل الوليد بن معاوية بن مروان وهو ختن مروان على ابنته، فغضب وشتمه وقاتل ابن معاوية أهل الميمنة، فانهز أبو عون إلى عبد الله بن علي، فقال موسى ابن كعب لعبد الله: مر الناس فلينزوا، فنودي: الأرض، فنزل الناس،

واشرعوا الرماح، وجثوا على الركب، فقاتلوهم، فجعل أهل الشام يتأخرون كأنهم يدفعون، ومشى عبد الله قدما وهو يقول: يا رب، حتى متى تقتل فيك! ونادى: يا أهل خراسان، يا لثارات إبراهيم! يا محمد، يا منصور! واشتد بينهم القتال وقال مروان لقضاة: انزلوا، فقالوا: قل لبني سليم فلينزوا، فأرسل إلى السكاسك أن احموا، فقالوا: قل لبني عامر فليحملوا، فأرسل إلى السكون أن احموا، فقالوا: قل لغطفان فليحملوا، فقال لصاحب شرطه: انزل، فقال: لا والله ما كنت لأجعل نفسي غرضاً قال: أما والله لأسوءنك، قال: وددت والله أنك قدرت على ذلك ثم انهزم أهل الشام، وانهزم مروان، وقطع الجسر، فكان من غرق يومئذ أكثر ممن قتل، فكان فيمن غرق يومئذ إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع، وأمر عبد الله بن علي فعقد الجسر على الزاب، واستخرجوا الغرق فخرجوا

ثلاثمائة، فكان فيمن أخرجوا إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، فقال عبد الله بن علي: «وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ».

« وأقام عبد الله بن علي في عسكره سبعة أيام، فقال رجل من ولد سعيد ابن العاصي يعير مروان: لج الفرار بمروان فقلت له ... عاد الظلوم ظليما همه الهرب

أين الفرار وترك الملك إذ ذهبت ... عنك الهويخي فلا دين ولا حسب فراشه الحلم فرعون العقاب وإن ... تطلب نداه فكلب دونه كلب

وكتب عبد الله بن علي إلى أمير المؤمنين أبي العباس بالفتح، وهرب مروان وحوى عسكر مروان بما فيه، فوجد فيه سلاحا كثيرا وأموالا، ولم يجدوا فيه امرأة إلا جارية كانت لعبد الله بن مروان، فلما اتى العباس كتاب عبد الله بن علي صلى ركعتين، ثم قال: «فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ» الى قوله: «وَعَلِمَهُ مِمَّا يَشَاءُ» وامر لمن شهد الوقعه

٧٠٢٩٠٦ ذكر خبر قتل ابراهيم بن محمد بن علي الامام

بخمسمائة خمسمائة، ورفع أرزاقهم إلى ثمانين.

حدثنا أحمد بن زهير، عن علي بن محمد، قال: قال عبد الرحمن بن أمية: كان مروان لما لقيه أهل خراسان لا يدبر شيئا إلا كان فيه الخلل والفساد قال: بلغني أنه كان يوم انهزم واقفا، والناس يقتتلون، إذ امر باموال فأخرجت، وقال للناس: اصبروا وقاتلوا، فهذه الأموال لكم، فجعل ناس من الناس يصيبون من ذلك المال، فأرسلوا إليه: إن الناس قد مالوا على هذا المال، ولا نأمنهم أن يذهبوا به فأرسل إلى ابنه عبد الله أن سر في أصحابك إلى مؤخر عسكرك، فاقتل من أخذ من ذلك المال وامنعهم، قال عبد الله برايته وأصحابه، فقال الناس: الهزيمة، فانهزموا.

حدثنا أحمد بن علي، عن أبي الجارود السلمي، قال: حدثني رجل من أهل خراسان، قال: لقينا مروان على الزاب، فحمل علينا أهل الشام كأنهم جبال حديد، فثونا وأشرعنا الرماح، فمالوا عنا كأنهم سحابة، ومنحنا الله أكثافهم، وانقطع الجسر مما يليهم حين عبروا، فبقي عليه رجل من أهل الشام، فخرج عليه رجل منا، فقتله الشامي، ثم خرج آخر فقتله، حتى والى بين ثلاثة، فقال رجل منا: اطلبوا لي سيفا قاطعا، وترسا صلبا، فأعطيناه، فشى إليه فضربه الشامي فاتقاه بالترس، وضرب رجله فقطعها، وقتله ورجع، وحملناه وكبرنا فإذا هو عبید الله الكايلي وكانت هزيمة مروان بالزاب - فيما ذكر - صبيحة يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة.

ذكر خبر قتل ابراهيم بن محمد بن علي الامام

وفي هذه السنة قتل إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

ذكر الخبر عن سبب مقتله:

اختلف أهل السير في أمر إبراهيم بن محمد، فقال بعضهم: لم يقتل ولكنه مات في سجن مروان بن محمد بالطاعون

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثني أحمد بن زهير، قال: حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم بن خالد، قال: حدثنا أبو هاشم مخلد بن محمد بن صالح، قال: قدم مروان بن محمد الرقة حين قدمها متوجها إلى الضحاك بسعيد بن هشام بن عبد الملك وابنيه عثمان ومروان، وهم في وثاقهم معه، فسرهم بهم إلى خليفته بحران، فحبسهم في حبسها، ومعهم إبراهيم بن علي بن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز والعباس بن الوليد وأبو محمد السفياي - وكان يقال له البيطار - فهلك في سجن حران منهم في وباء وقع بحران العباس بن الوليد وإبراهيم بن محمد وعبد الله بن عمر قال: فلما كان قبل هزيمة مروان من الزاب يوم هزمه عبد الله بن علي بجمعة، خرج سعيد بن هشام ومن معه من المحبسين، فقتلوا صاحب السجن، وخرج فيمن معه، وتخلف أبو محمد السفياي في الحبس، فلم يخرج فيمن خرج، ومعه غيره لم يستحلوا الخروج

من الحبس، فقتل أهل حران ومن كان فيها من الغوغاء سعيد بن هشام وشراحيل بن مسلمة بن عبد الملك وعبد الملك بن بشر التغلبي، وبطريق أرمينية الرابعة- وكان اسمه كوشان- بالحجارة، ولم يلبث مروان بعد قتلهم إلا نحواً من خمس عشرة ليلة، حتى قدم حران منهزماً من الزاب، نخل عن أبي محمد ومن كان في حبسه من المحبسين.

وذكر عمر أن عبد الله بن كثير العبدي حدثه عن علي بن موسى، عن أبيه، قال: هدم مروان على إبراهيم بن محمد بيتاً فقتله. قال عمرو: وحدثني محمد بن معروف بن سويد، قال: حدثني أبي عن المهلهل بن صفوان- قال عمر: ثم حدثني المفضل بن جعفر بن سليمان بعده، قال: حدثني المهلهل بن صفوان- قال: كنت أخدم إبراهيم بن محمد في الحبس، وكان معه في الحبس عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وشراحيل بن مسلمة بن عبد الملك فكانوا يتزاوون، وخص الذي بين إبراهيم وشراحيل فأثاه رسوله يوماً بلبن،

٧٠٢٩٠٧ ذكر الخبر عن قتل مروان بن محمد

فقال: يقول لك أخوك: إني شربت من هذا اللبن فاستطبت فأحببت أن تشرب منه، فتناوله فشرب فتوصب من ساعته وتكسر جسده، وكان يوماً يأتي فيه شراحيل، فأبطأ عليه، فأرسل إليه: جعلت فداك! قد أبطأت فما حبسك؟ فأرسل إليه: إني لما شربت اللبن الذي أرسلته إلي أخلفني، فأثاه شراحيل مدعوراً وقال: لا والله الذي لا إله إلا هو، ما شربت اليوم لبناً، ولا أرسلت به إليك، فإنا لله وإنا إليه راجعون! احتيل لك والله قال: فوالله ما بات إلا ليلته وأصبح من غد ميتاً، فقال إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر ابن هرمة بن هذيل بن الربيع بن عامر بن صبيح بن عدي بن قيس- وقيس هو ابن الحارث بن فهر- يرثيه:

قد كنت أحسبني جلداً فضعفني ... قبر بحران فيه عصمة الدين

فيه الإمام وخير الناس كلهم ... بين الصفائح والأجار والطين

فيه الإمام الذي عمت مصيبته ... وعيلت كل ذي مال ومسكين

فلا عفا الله عن مروان مظلمة ... لكن عفا الله عن قال أمين.

ذكر الخبر عن قتل مروان بن محمد

وفي هذه السنة قتل مروان بن محمد بن مروان بن الحكم.

ذكر الخبر عن مقتله وقتله من قاتله من أهل الشام في طريقه وهو هارب من الطلب:

حدثني أحمد بن زهير، قال: حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم، قال:

حدثني أبو هاشم مخلد بن محمد، قال: لما انهزم مروان من الزاب كنت في عسكره قال: كان لمروان في عسكره بالزاب عشرون ومائة ألف، كان في عسكره ستون ألفاً، وكان في عسكر ابنه عبد الله مثل ذلك، والزاب بينهم، فلقاه عبد الله بن علي فيمن معه وأبي عون وجماعة قواد، منهم حميد بن قطبة، فلما هزموا سار إلى حران وبها أبان بن يزيد بن محمد بن مروان،

ابن أخيه عامله عليها، فأقام بها نيفاً وعشرين يوماً فلما دنا منه عبد الله بن علي حمل أهله وولده وعياله، ومضى منهزماً، وخلف بمدينته حران أبان بن يزيد، وتحت ابنة لمروان يقال لها أم عثمان، وقدم عبد الله بن علي، فقتلاه أبان مسوداً مبايعاً له، فبايعه ودخل في طاعته، فأمنه ومن كان بحران والجزيرة ومضى مروان حتى مر بقنسرين وعبد الله بن علي متبع له ثم مضى من قنسرين إلى حمص، فقتلاه أهلها بالأسواق وبالسماح والطاعة فأقام بها يومين أو ثلاثة، ثم شخص منها، فلما رأوا قلة من معه طمعوا فيه، وقالوا: مرعوب منهزم، فاتبعوه بعد ما رحل عنهم، فلحقوه على أميال، فلما رأى غيرة خيلهم أكن لهم في وادين قائدين من مواليه، يقال لأحدهما يزيد والآخر مخلد، فلما دنوا منه وجازوا الكينين ومضى الذراري صافهم فيمن معه وناشدهم، فأبوا إلا مكاثرتهم وقتلهم، فنشب القتال بينهم، وثار الكينان من خلفهم، فهزمهم وقتلهم خيله حتى انتهوا إلى قريب من المدينة.

قال: ومضى مروان حتى مر بدمشق، وعليها الوليد بن معاوية بن مروان، وهو ختن لمروان، متزوج بابنة له يقال لها أم الوليد، فمضى

وخلفه بها حتى قدم عبد الله بن علي عليه، فحاصره أياما، ثم فتحت المدينة، ودخلها عنوة معترضا أهلها وقتل الوليد بن معاوية فيمن قتل، وهدم عبد الله بن علي حائط مدينتها ومر مروان بالأردن، فشخص معه ثعلبه ابن سلامة العاملي، وكان عامله عليها، وتركها ليس عليها وال، حتى قدم عبد الله بن علي فولى عليها، ثم قدم فلسطين وعليها من قبله الرماحس بن عبد العزيز فشخص به معه، ومضى حتى قدم مصر، ثم خرج منها حتى نزل منزلا منها يقال له بوصير، فبيته عامر بن إسماعيل وشعبة ومعهما خيل أهل الموصل فقتلوه بها، وهرب عبد الله وعبيد الله ابنا مروان ليلة بيت مروان إلى أرض الحبشة، فلقوا من الحبشة بلاء وقتلتهم الحبشة، فقتلوا عبيد الله، وافلت عبد الله في عدة ممن معه، وكان فيهم بكر بن معاوية الباهلي، فسلم حتى كان في خلافة المهدي، فأخذه نصر بن محمد بن الأشعث عامل فلسطين، فبعث به إلى المهدي

وأما علي بن محمد، فإنه ذكر أن بشر بن عيسى والنعمان أبا السري ومحرز بن إبراهيم وأبا صالح المروزي وعمار مولى جبريل أخبروه أن مروان لقي عبد الله بن علي في عشرين ومائة ألف وعبد الله في عشرين ألفا.

وقد خولف هؤلاء في عدد من كان مع عبد الله بن علي يومئذ فذكر مسلم بن المغيرة، عن مصعب بن الربيع الخثعمي وهو أبو موسى ابن مصعب - وكان كاتباً لمروان - قال: لما انهزم مروان، وظهر عبد الله بن علي على الشام، طلبت الأمان فأمنني، فإني يوما جالس عنده، وهو متكئ إذ ذكر مروان وانهزامه، قال: أشهد القتال؟ قلت: نعم أصلح الله الأمير! فقال: حدثني عنه، قال: قلت: لما كان ذلك اليوم قال لي:

احزر القوم، فقلت: إنما أنا صاحب قلم، ولست صاحب حرب، فاخذ يمنه ويسره ونظر فقال: هم اثنا عشر ألفا، فجلس عبد الله، ثم قال:

ماله قاتله الله! ما أحصى الديوان يومئذ فضلا على اثني عشر ألف رجل! رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد عن أشياخه: فانهزم مروان حتى أتى مدينة الموصل، وعليها هشام بن عمرو التغلبي وبشر بن خزيمة الأسدي، وقطعوا الجسر، فناداهم أهل الشام هذا مروان، قالوا: كذبتم، أمير المؤمنين لا يفر، فسار إلى بلد، فعبر دجلة، فأتى حران ثم أتى دمشق، وخلف بها الوليد بن معاوية، وقال: قاتلهم حتى يجتمع أهل الشام ومضى مروان حتى أتى فلسطين، فنزل نهر أبي فطرس، وقد غلب على فلسطين الحكم بن ضبعان الجذامي فأرسل مروان إلى عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع، فأجازه، وكان بيت المال في يد الحكم وكتب أبو العباس إلى عبد الله بن علي يأمره باتباع مروان، فسار عبد الله إلى الموصل، فتلقيه هشام بن عمرو التغلبي وبشر بن خزيمة وقد سودا في أهل الموصل، ففتحو له المدينة، ثم سار إلى حران، وولى الموصل محمد بن صول، فهدم الدار التي حبس فيها إبراهيم

ابن محمد، ثم سار من حران إلى منبج وقد سودوا، فنزل منبج وولاهما أبا حميد المروروذي، وبعث إليه أهل قنسرين ببيعتهم إياه بما أتاه به عنهم أبو أمية التغلبي وقدم عليه عبد الصمد بن علي، أمد به أبو العباس في أربعة آلاف، فأقام يومين بعد قدوم عبد الصمد، ثم سار إلى قنسرين، فأثاها وقد سود أهلها، فأقام يومين، ثم سار حتى نزل حمص، فأقام بها أياما وبيع أهلها، ثم سار إلى بعلبك، فأقام يومين ثم ارتحل، فنزل بعين الجر، فأقام يومين ثم ارتحل، فنزل مرة قرية من قرى دمشق فأقام وقدم عليه صالح بن علي مددا، فنزل مرج عذراء في ثمانية آلاف، معه بسام بن إبراهيم وخفاف وشعبة والهيثم بن بسام ثم سار عبد الله بن علي، فنزل على الباب الشرقي، ونزل صالح بن علي على باب الجابية، وأبو عون على باب كيسان، وبسام على باب الصغير، وحيد بن قطبة على باب توما، وعبد الصمد ويحيى بن صفوان والعباس بن يزيد على باب الفرائس - وفي دمشق الوليد بن معاوية - فحصر أهل دمشق والبلقاء، وتعصب الناس بالمدينة، فقتل بعضهم بعضا، وقتلوا الوليد، ففتحو الأبواب يوم الأربعاء لعشر مضي من رمضان سنة ثنتين وثلاثين ومائة، فكان أول من صعد سور المدينة من الباب الشرقي عبد الله الطائي، ومن قبل باب الصغير بسام بن إبراهيم، فقاتلوا بها ثلاث ساعات، وأقام عبد الله بن علي بدمشق خمسة عشر يوما، ثم سار يريد فلسطين، فنزل نهر الكسوة، فوجه منها يحيى بن جعفر الهاشمي إلى المدينة، ثم ارتحل إلى الأردن، فأثوه وقد سودوا، ثم نزل بيسان، ثم سار إلى مرج الروم، ثم أتى نهر أبي فطرس، وقد هرب مروان، فأقام بفلسطين،

وجاءه كتاب أبي العباس، أن وجه صالح بن علي في طلب مروان، فسار صالح بن علي من نهر أبي فطرس في ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة، ومعه ابن فتان وعامر بن إسماعيل وأبو عون، فقدم صالح ابن علي أبا عون على مقدمته وعامر بن إسماعيل الحارثي، وسار فنزل الرملة، ثم سار فنزلوا ساحل البحر، وجمع صالح بن علي السفن وتجهز يريد مروان، وهو بالفرماء، فسار على الساحل والسفن حذاءه في البحر، حتى نزل العريش

وبلغ مروان فأحرق ما كان حوله من علف وطعام وهرب، ومضى صالح ابن علي فنزل الليل، ثم سار حتى نزل الصعيد وبلغه أن خيلا لمروان بالساحل يحرقون الأعلاف، فوجه إليهم قوادا، فأخذوا رجالا، فقدموا بهم على صالح وهو بالفسطاط، فعب مروان النيل، وقطع الجسر، وحرق ما حوله، ومضى صالح يتبعه، فالتقى هو وخيل لمروان على النيل فاقتتلوا، فهزمهم صالح، ثم مضى إلى خليج، فصادف عليه خيلا لمروان، فأصاب منهم طرفا وهزمهم، ثم سار إلى خليج آخر فعبروا، ورأوا رجلا فظنوه مروان، فبعث طليعة عليها الفضل بن دينار ومالك ابن قادم، فلم يلقوا أحدا ينكرونه، فرجعوا إلى صالح فارتحل، فنزل موضعا يقال له ذات الساحل، ونزل فقدم أبو عون عامر بن إسماعيل الحارثي، ومعه شعبة بن كثير المازني، فلقوا خيلا لمروان وافوهم، فهزمهم وأسروا منهم رجالا، فقتلوا بعضهم، واستحيوا بعضا، فسألوا عن مروان فأخبروهم بمكانه، على أن يؤمنوهم، وساروا فوجدوه نازلا في كنيسة في بوصير، ووافوهم في آخر الليل، فهرب الجند وخرج إليهم مروان في نفر يسير، فأحاطوا به فقتلوه قال علي: وأخبرني إسماعيل بن الحسن، عن عامر بن إسماعيل قال: لقينا مروان ببوصير ونحن في جماعة يسيرة فشددوا علينا، فانضوينا إلى نخل ولو يعلمون بقتلتنا لأهلكونا، فقلت لمن معي من أصحابي: فإن أصبحنا فرأوا قتلنا وعددنا لم ينبج منا أحد، وذكرت قول بكير بن ماهان: أنت والله تقتل مروان، كأني اسمعك، تقول دهيد يا جوانكغان، فكسرت جفن سيفي، وكسر أصحابي جفون سيوفهم، وقلت: دهيد يا جوانكغان، فكأنها نار صبت عليهم، فانهزموا وحمل رجل على مروان فضربه بسيفه فقتله وركب عامر بن إسماعيل إلى صالح بن علي، فكتب صالح بن علي إلى أمير المؤمنين أبي العباس: إنا اتبعنا عدو الله الجعدي حتى ألجأناه إلى أرض عدو الله شبيهه فرعون، فقتلته بأرضه.

قال علي: حدثنا أبو طالب الأنصاري، قال: طعن مروان رجل من

أهل البصرة- يقال له المغود، وهو لا يعرفه- فصرعه، فصاح صائح: صرع أمير المؤمنين، وابتدروه، فسبق إليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان، فاحتز رأسه، فبعث عامر بن إسماعيل برأس مروان إلى أبي عون، فبعث بها أبو عون إلى صالح بن علي، وبعث صالح برأسه مع يزيد بن هاني- وكان على شرطه- إلى أبي العباس يوم الأحد، لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثنتين وثلاثين ومائة، ورجع صالح إلى الفسطاط، ثم انصرف إلى الشام، فدفع الغنائم إلى أبي عون، والسلاح والأموال والرقيق إلى الفضل بن دينار، وخلف أبا عون على مصر.

قال علي: وأخبرنا أبو الحسن الخراساني، قال: حدثنا شيخ من بكر ابن وائل، قال: اني لبديرقني مع بكير بن ماهان ونحن نتحدث، إذ مرفق مع قربتان، حتى انتهى إلى دجلة، فاستقي ماء، ثم رجع فدعاه بكير، فقال: ما اسمك يا فتى؟ قال: عامر، قال: ابن من؟ قال: ابن إسماعيل، من بلحارث، قال: وأنا من بلحارث، قال: فكمن من بني مسلمية، قال: فأنا منهم، قال: فأنت والله تقتل مروان، لكأني والله أسمعك تقول: يا جوانكغان دهيد.

قال علي: حدثنا الكاظمي، قال: سمعت أبا علي بالكوفة يقولون:

بنو مسلمية قتلة مروان.

وقتل مروان يوم قتل وهو ابن اثنتين وستين سنة في قول بعضهم، وفي قول آخرين: وهو ابن تسع وستين، وفي قول آخرين: وهو ابن ثمان وخمسين.

وقتل يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة، وكانت ولايته من حين بويج إلى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر وستة عشر يوما، وكان يكنى أبا عبد الملك وزعم هشام بن محمد أن أمه كانت أم ولد كردية.

وقد حدثني أحمد بن زهير، عن علي بن محمد، عن علي بن مجاهد وأبي سنان الجهني، قالوا: كان يقال: إن أم مروان بن محمد كانت

لإبراهيم بن الأشتر، أصابها محمد بن مروان بن الحكم يوم قتل ابن الأشتر،

٧٠٢٩٠٨ ذكر الخبر عن تبيض أبي الورد وما آل إليه امره وأمر من يبيض معه

فأخذها من ثقله وهي تنتيق، فولدت مروان على فراشه، فلما قام أبو العباس دخل عليه عبد الله بن عياش المتوفى، فقال: الحمد لله الذي أبدلنا بحمار الجزيرة وابن أمه النخع ابن عم رسول الله ص وابن عبد المطلب وفي هذه السنة قتل عبد الله بن علي من قتل بنهر أبي فطرس من بني أمية، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً.

وفيهما خلع أبو الورد أبا العباس بقنسرين، فيبيض ويبيضوا معه

. ذكر الخبر عن تبيض أبي الورد وما آل إليه أمره وأمر من يبيض معه

وكان سبب ذلك- فيما حدثني أحمد بن زهير- قَالَ: حدثني عبد الوهاب ابن إبراهيم، قَالَ: حدثني أبو هاشم مخلد بن محمد بن صالح، قَالَ: كان أبو الورد- واسمه مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي، من أصحاب مروان وقواده وفرسانه- فلما هزم مروان، وأبو الورد بقنسرين، قدمها عبد الله بن علي فبايعه ودخل فيما دخل فيه جنده من الطاعة وكان ولد مسلمة بن عبد الملك مجاورين له ببالس والناعورة، فقدم بالس قائد من قواد عبد الله بن علي من الأزار مرددين في مائة وخمسين فارساً، فبعث بولد مسلمة بن عبد الملك ونسائهم، فشكا بعضهم ذلك إلى أبي الورد، فخرج من مزرعه يقال لها زراعة بني زفر- ويقال لها خساف- في عدة من أهل بيته، حتى هجم على ذلك القائد وهو نازل في حصن مسلمة، فقاتله حتى قتله ومن معه، وأظهر التبييض والخلع لعبد الله بن علي، ودعا أهل قنسرين إلى ذلك، فبيضوا بأجمعهم، وأبو العباس يومئذ بالحيرة وعبد الله بن علي يومئذ مشغول بحرب حبيب بن مرة المري، فقاتله بأرض البلقاء والبثنية وحوارن وكان قد لقيه عبد الله بن علي في جموعه فقاتلهم وكان بينه وبينهم وقعات، وكان من قواد مروان وفرسانه وكان سبب تبييضه الخوف على نفسه وعلى قومه، فبايعته قيس وغيرهم ممن يليهم من أهل تلك الكور، البثنية وحوارن فلما بلغ عبد الله بن علي تبييضهم، دعا حبيب بن مرة إلى الصلح فصالحه وآمنه ومن معه، وخرج متوجهاً نحو قنسرين للقاء أبي الورد، فمر بدمشق، فخلف فيها أبا غانم عبد الحميد بن ربيعي الطائي في أربعة آلاف رجل من جنده، وكان بدمشق يومئذ امرأة عبد الله بن علي أم البنين بنت محمد بن عبد المطلب التوفلية أخت عمرو بن محمد، وأمها أولاد لعبد الله وثقل له.

فلما قدم حمص في وجهه ذلك انتقض عليه بعده أهل دمشق فبيضوا، ونهضوا مع عثمان بن عبد الأعلى بن سراقه الأزدي قَالَ: فلقوا أبا غانم ومن معه، فهزموه وقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة، وانتهبوا ما كان عبد الله بن علي خلف من ثقله ومتاعه، ولم يعرضوا لأهله، ويبيض أهل دمشق واستجمعوا على الخلاف، ومضى عبد الله بن علي- وقد كان تجمع مع أبي الورد جماعة أهل قنسرين، وكتبوا من يليهم من أهل حمص وتدمر، وقدمهم أوف، عليهم أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فرأسوا عليهم أبا محمد، ودعوا إليه وقالوا: هو السفيناني الذي كان يذكر وهم في نحو من أربعين ألفاً فلما دنا منهم عبد الله بن علي وأبو محمد معسكر في جماعته بمرج يقال له مرج الأخرم- وأبو الورد المتولي لأمر العسكر والمدير له وصاحب القتال والوقائع- وجه عبد الله أخاه عبد الصمد بن علي في عشرة آلاف من فرسان من معه، فناهضهم أبو الورد، ولقيهم فيما بين العسكرين، واشتجر القتل فيما بين الفريقين وثبت القوم، وانكشف عبد الصمد ومن معه، وقتل منهم يومئذ أوف، وأقبل عبد الله حيث أتاه عبد الصمد ومعه حميد بن قطبة وجماعة من معه من القواد، فالتقوا ثانية بمرج الأخرم، فاقتلوا قتالاً شديداً، وانكشف جماعة ممن كان مع عبد الله، ثم ثابوا، وثبت لهم عبد الله وحميد بن قطبة فهزمهم، وثبت أبو الورد في نحو من خمسمائة من أهل بيته وقومه، فقتلوا جميعاً، وهرب أبو محمد ومن معه من الكلبية حتى لحقوا بتدمر، وآمن عبد الله أهل قنسرين، وسودوا وبايعوه، ودخلوا في طاعته، ثم انصرف راجعاً إلى أهل دمشق، لما كان من تبييضهم عليه، وهزيمتهم أبا غانم.

فلما دنا من دمشق هرب الناس وتفرقوا، ولم يكن بينهم وقعة، وآمن عبد الله أهلها، وبايعوه ولم يأخذهم بما كان منهم قال: ولم يزل أبو محمد متغيبا هاربا، ولحق بأرض الحجاز وبلغ زياد بن عبيد الله الحارثي عامل أبي جعفر مكانه الذي تغيب فيه، فوجه إليه خيلا، فقاتلوه حتى قتل، وأخذ ابنين له أسيرين، فبعث زياد برأس أبي محمد وابنيه إلى أبي جعفر أمير المؤمنين، فأمر بتخليه سبيلهما وأمنهما وأما علي بن محمد فإنه ذكر أن النعمان أبا السري حدثه وجبله بن فروخ وسليمان بن داود وأبو صالح المروزي قالوا: خلع أبو الورد بقنسرين، فكتب أبو العباس إلى عبد الله بن علي وهو بفطرس أن يقاتل أبا الورد، ثم وجه عبد الصمد إلى قنسرين في سبعة آلاف، وعلى حرسه مخارق بن غفار، وعلى شرطه كلثوم بن شبيب، ثم وجه بعده ذؤيب بن الأشعث في خمسة آلاف، ثم جعل يوجه الجنود، فلقي عبد الصمد أبا الورد في جمع كثير، فانهزم الناس عن عبد الصمد حتى أتوا حمص، فبعث عبد الله بن علي العباس بن يزيد بن زياد ومروان الجرجاني وأبا المتوكل الجرجاني، كل رجل في أصحابه إلى حمص، وأقبل عبد الله بن علي بنفسه، فنزل على أربعة أميال من حمص - وعبد الصمد بن علي بمحص - وكتب عبد الله إلى حميد ابن قطبة، فقدم عليه من الأردن، وبايع أهل قنسرين لأبي محمد السفيناني زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية وأبو الورد بن، وبايعه الناس، وأقام أربعين يوما، وأتاهم عبد الله بن علي ومعه عبد الصمد وحميد بن قطبة، فالتقوا فاقتتلوا أشد القتال بينهم، واضطربهم أبو محمد إلى شعب ضيق، فجعل الناس يتفرقون، فقال حميد بن قطبة لعبد الله بن علي: علام نقيم؟ هم يزيدون وأصحابنا ينقصون! ناجزهم، فاقتتلوا يوم الثلاثاء في آخر يوم من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وعلى ميمنة أبي محمد أبو الورد وعلى ميسرته الأصبع بن ذؤال، فجرح أبو الورد، فحمل إلى أهله فمات. ولجأ قوم من أصحاب أبي الورد إلى أجمة فأحرقوها عليهم، وقد كان أهل حمص نقضوا، وأرادوا إثارة أبي محمد، فلما بلغهم هزيمته أقاموا.

٧٠٢٩٠٩ ذكر خبر خلع حبيب بن مره المري

٧٠٢٩٠١٠ ذكر خبر تببيض أهل الجزيرة وخلعهم أبا العباس

ذكر خبر خلع حبيب بن مره المري

وفي هذه السنة خلع حبيب بن مرة المري ويبض هو ومن معه من أهل الشام. ذكر الخبر عن ذلك:

ذكر علي عن شيوخه، قال: يبض حبيب بن مرة المري وأهل البثنية وحوران، وعبد الله بن علي في عسكر أبي الورد الذي قتل فيه. وقد حدثني أحمد بن زهير، قال: حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم، قال: حدثنا أبو هاشم مخلد بن محمد، قال: كان تببيض حبيب بن مرة وقتاله عبد الله بن علي قبل تببيض أبي الورد، وإنما يبض أبو الورد وعبد الله مشتغل بحرب حبيب بن مرة المري بأرض البلقاء أو البثنية وحوران، وكان قد لقيه عبد الله بن علي في جموعه فقاتله، وكان بينه وبينه وقعات، وكان من قواد مروان وفرسانه، وكان سبب تببيضه الخوف على نفسه وقومه، فبايعه قيس وغيرهم ممن يليهم من أهل تلك الكور، البثنية وحوران، فلما بلغ عبد الله ابن علي تببيض أهل قنسرين، دعا حبيب بن مرة إلى الصلح فصالحه، وآمنه ومن معه، وخرج متوجها إلى قنسرين للقاء أبي الورد.

. ذكر خبر تببيض أهل الجزيرة وخلعهم أبا العباس

وفي هذه السنة يبض أيضا أهل الجزيرة وخلعوا أبا العباس.

ذكر الخبر عن أمرهم وما آل إليه حالهم فيه:

حدثني أحمد بن زهير، قال: حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم، قال:

حدثنا أبو هاشم مخلد بن محمد، قال: كان أهل الجزيرة يبضوا ونقضوا، حيث بلغهم خروج أبي الورد وانتقاض أهل قنسرين، وساروا إلى حران، وبحران يومئذ موسى بن كعب في ثلاثة آلاف من الجند، فتشبث بمدينتها، وساروا إليه مبيضين من كل وجه، وحاصروه

ومن معه، وأمرهم مشئت، ليس عليهم رأس يجمعهم
وقدم على تفيئة ذلك إسحاق بن مسلم من أرمينية- وكان شخص عنها حين بلغه هزيمة مروان- فأرأسه أهل الجزيرة عليهم وحاصر موسى
بن كعب نحو من شهرين، ووجه أبو العباس أبا جعفر فيمن كان معه من الجنود التي كانت بواسطة محاصرة ابن هبيرة، ففضى حتى
مر بقرقيسيا وأهلها مبيضون، وقد غلقوا أبوابها دونه ثم قدم مدينة الرقة وهم على ذلك، وبها بكار بن مسلم، ففضى نحو حران، ورحل
إسحاق بن مسلم إلى الرهاء- وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وخرج موسى بن كعب فيمن معه من مدينة حران، فلقوا أبا جعفر
وقدم بكار على أخيه إسحاق بن مسلم، فوجهه إلى جماعه ربيعة بدارا وماردين- ورئيس ربيعة يومئذ رجل من الحرورية يقال له بريكة-
فصمد إليه أبو جعفر، فلقبهم فقاتلوه بها قتالا شديدا، وقتل بريكة في المعركة، وانصرف بكار إلى أخيه إسحاق بالرهاء فخلفه إسحاق بها،
ومضى في عظم العسكر إلى سميساط، فخذق على عسكره.

وأقبل أبو جعفر في جموعه حتى قابله بكار بالرهاء، وكانت بينهما وقعت وكتب أبو العباس إلى عبد الله بن علي في المسير بجنوده إلى
إسحاق بسميساط، فأقبل من الشام حتى نزل بإزاء إسحاق بسميساط، وهم في ستين ألفا أهل الجزيرة جميعها، وبينهما الفرات، وأقبل
أبو جعفر من الرهاء فكتبهم إسحاق وطلب إليهم الأمان، فأجابوا إلى ذلك وكتبوا إلى أبي العباس، فأمرهم أن يؤمنوه ومن معه، ففعلوا
وكتبوا بينهم كتابا، ووثقوا له فيه، فخرج إسحاق إلى أبي جعفر، وتم الصلح بينهما، وكان عنده من أثر أصحابه.
فاستقام أهل الجزيرة وأهل الشام، وولى أبو العباس أبا جعفر الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، فلم يزل على ذلك حتى استخلف.
وقد ذكر أن إسحاق بن مسلم العقيلي هذا أقام بسميساط سبعة أشهر، وأبو جعفر محاصره، وكان يقول: في عنقي بيعة، فأنا لا أدعها حتى
أعلم أن صاحبها قد مات أو قتل فأرسل إليه أبو جعفر: أن مروان قد قتل، فقال: حتى أتيقن، ثم طلب الصلح، وقال: قد علمت أن
مروان قد قتل، فأمنه أبو جعفر وصار معه، وكان عظيم المنزلة عنده

٧٠٢٩٠١١ ذكر خبر شخص ابى جعفر إلى خراسان

وقد قيل: إن عبد الله بن علي هو الذى آمنه
. ذكر خبر شخص ابى جعفر الى خراسان
وفي هذه السنة شخص أبو جعفر إلى أبي مسلم بخراسان لاستطلاع رأيه في قتل أبي سلمة حفص بن سليمان.
ذكر الخبر عن سبب مسير أبي جعفر في ذلك، وما كان من أمره وأمر أبي مسلم في ذلك:
قد مضى ذكرى قبل أمر أبي سلمة، وما كان من فعله في أمر أبي العباس ومن كان معه من بنى هاشم عند قدومهم الكوفة، الذى
صار به عندهم متهمًا، فذكر علي بن محمد ان جبله بن فروخ قال: قال يزيد بن أسيد:
قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: لما ظهر أبو العباس أمير المؤمنين سمرنا ذات ليلة، فذكرنا ما صنع أبو سلمة، فقال رجل منا: ما يدريكم، لعل ما صنع أبو
سلمة كان عن رأي أبي مسلم! فلم ينطق منا أحد، فقال: أمير المؤمنين أبو العباس:
لئن كان هذا عن رأي أبي مسلم إنا لبعرض بلاء، إلا أن يدفعه الله عنا.
وتفرقنا فأرسل إلي أبو العباس، فقال: ما ترى؟ فقلت: الرأي رأيك، فقال:
ليس منا أحد أخص بأبي مسلم منك، فخرج إليه حتى تعلم ما رأيه، فليس يخفى عليك، فلو قد لقيته، فإن كان عن رأيه أخذنا
لأنفسنا، وإن لم يكن عن رأيه طابت أنفسنا.

فخرجت على وجل، فلما انتهيت إلى الري، إذا صاحب الري قد أتاه كتاب أبي مسلم: إنه بلغني أن عبد الله بن محمد توجه إليك، فإذا
قدم فأشخصه ساعة قدومه عليك فلما قدمت أتاني عامل الري فأخبرني بكتاب أبي مسلم، وأمرني بالرحيل، فزددت وجلا، وخرجت
من الري وأنا حذر خائف فسرت، فلما كنت بنيسابور إذا عاملها قد أتاني بكتاب أبي مسلم: إذا قدم عليك عبد الله بن محمد فأشخصه

ولا تدعه يقيم، فإن أرضك أرض

خوارج ولا آمن عليه فطابت نفسي وقلت: أراه يعني بأمرني فسرت، فلما كنت من مرو على فرسخين، تلقاني أبو مسلم في الناس، فلما دنا مني أقبل يمشي إلي، حتى قبل يدي، فقلت: اركب، فركب فدخل مرو، فنزلت دارا فكثت ثلاثة أيام، لا يسألني عن شيء، ثم قَالَ لي في اليوم الرابع:

ما أقدمك؟ فأخبرته، فقال: فعلها أبو سلمة! أكفيكموه! فدعا مرار ابن أنس الضبي، فقال: انطلق إلى الكوفة، فاقتل أبا سلمة حيث لقيته، وانه في ذلك إلى رأي الإمام فقدم مرار الكوفة، فكان أبو سلمة يسمر عند أبي العباس، فقعد في طريقه، فلما خرج قتله فقالوا: قتله الخوارج.

قَالَ علي: فحدثني شيخ من بني سليم، عن سالم، قَالَ: صحبت أبا جعفر من الري إلى خراسان، وكنت حاجبه، فكان أبو مسلم يأتيه فينزل على باب الدار ويجلس في الدهليز، ويقول: استأذن لي، فغضب أبو جعفر علي، وقال: ويلك! إذا رأيته فافتح له الباب، وقل له يدخل على دابته.

ففعلت وقلت لأبي مسلم: إنه قَالَ كذا وكذا، قَالَ: نعم، أعلم، واستأذن لي عليه.

وقد قيل: إن أبا العباس قد كان تنكر لأبي سلمة قبل ارتحاله من عسكره بالنخيلة، ثم تحول عنه إلى المدينة الهاشمية، فنزل قصر الإمارة بها، وهو متنكر له، قد عرف ذلك منه، وكتب إلى أبي مسلم يعلمه رأيته، وما كان هم به من الغش، وما يتخوف منه، فكتب أبو مسلم إلى أمير المؤمنين:

إن كان اطلع على ذلك منه فليقتله، فقال داود بن علي لأبي العباس: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فيحتج عليك بها أبو مسلم وأهل خراسان الذين معك، وحاله فيهم حاله، ولكن اكتب إلى أبي مسلم فليبعث إليه من يقتله، فكتب إلى أبي مسلم بذلك، فبعث بذلك أبو مسلم مرار بن أنس الضبي، فقدم على أبي العباس في المدينة الهاشمية، وأعلمه سبب قدومه، فأمر أبو العباس مناديا فنادى: إن أمير المؤمنين قد رضي عن أبي سلمة ودعاه وكساه، ثم دخل عليه بعد ذلك ليلة، فلم يزل عنده حتى ذهب عامة الليل، ثم خرج منصرفا

٧٠٢٩٠١٢ ذكر الخبر عن حرب يزيد بن عمر بن هبيرة بواسط

إلى منزله يمشي وحده، حتى دخل الطاقات، فعرض له مرار بن أنس ومن كان معه من أعوانه فقتلوه، وأغلقت أبواب المدينة، وقالوا: قتل الخوارج أبا سلمة ثم أخرج من الغد، فصلى عليه يحيى بن محمد بن علي، ودفن في المدينة الهاشمية، فقال سليمان بن المهاجر البجلي: إن الوزير وزير آل محمد... أودى فمن يشناك كان وزيرا

وكان يقال لأبي سلمة: وزير آل محمد، ولأبي مسلم: أمين آل محمد فلما قتل أبو سلمة وجه أبو العباس أخاه أبا جعفر في ثلاثين رجلا إلى أبي مسلم، فيهم الحجاج بن أرطاة وإسحاق بن الفضل الهاشمي ولما قدم أبو جعفر على أبي مسلم سألوه عبيد الله بن الحسين الأعرج وسليمان بن كثير معه، فقال سليمان بن كثير للأعرج: يا هذا، إنا كنا نرجو أن يتم أمركم، فإذا شتم فادعونا إلى ما تريدون، فظن عبيد الله أنه دسيس من أبي مسلم، فخاف ذلك وبلغ أبا مسلم مسيرة سليمان بن كثير إياه، وأتى عبيد الله أبا مسلم، فذكر له ما قَالَ سليمان، وظن أنه إن لم يفعل ذلك اغتاله فقتله، فبعث أبو مسلم إلى سليمان بن كثير، فقال له: أتحفظ قول الإمام لي: من اتهمته فاقتله؟ قَالَ: نعم، قَالَ: فإني قد اتهمتكم، فقال:

أنشدك الله! قَالَ: لا تتأشدين الله وأنت منطو على غش الإمام، فأمر بضرب عنقه ولم ير أحدا ممن كان يضرب عنقه أبو مسلم غيره، فانصرف أبو جعفر من عند أبي مسلم، فقال لأبي العباس: لست خليفة ولا أمرك بشيء إن تركت أبا مسلم ولم تقتله، قَالَ: وكيف؟ قَالَ: والله ما يصنع إلا ما أراد، قال ابو العباس: اسكت فاكتمها.

ذكر الخبر عن حرب يزيد بن عمر بن هبيرة بواسط

وفي هذه السنة وجه أبو العباس أخاه أبا جعفر إلى واسط لحرب يزيد بن عمر بن هبيرة، وقد ذكرنا ما كان من أمر الجيش الذين لقوه

من أهل خراسان مع قطبة، ثم مع ابنه الحسن بن قطبة وانهزماه ولحقاه بمن معه من جنود الشام بواسطة متحصنا بها، فذكر علي بن محمد عن أبي عبد الله السلي

عن عبد الله بن بدر وزهير بن هنيذ وبشر بن عيسى وأبي السري أن ابن هبيرة لما انهزم تفرق الناس عنه، وخلف على الأتقال قوما، فذهبوا بتلك الأموال فقال له حوثة: أين تذهب وقد قتل صاحبهم! امض إلى الكوفة ومعك جند كثير، فقاتلهم حتى تقتل أو تظفر، قال: بل نأتي واسطا فننظر، قال:

ما تزيد على أن تمكنه من نفسك وتقتل، فقال له يحيى بن حضين: إنك لا تأتي مروان بشيء أحب إليه من هذه الجنود، فالزم الفرات حتى تقدم عليه، وإياك وواسطا، فتصير في حصار، وليس بعد الحصار إلا القتل.

فأبى وكان يخاف مروان لأنه كان يكتب إليه في الأمر فيخالفه، فخافه إن قدم عليه أن يقتله، فأتى واسطا فدخلها، وتحصن بها. وسرح أبو سلمة الحسن بن قطبة، فخذق الحسن واصحابه، فنزلوا فيما بين الزاب ودجلة، وضرب الحسن سرادقه حيال باب المضمار، فأول وقعة كانت بينهم يوم الأربعاء، فقال أهل الشام لابن هبيرة: ائذن لنا في قتالهم، فأذن لهم، فخرج ابن هبيرة، وعلى ميمنته ابنه داود، ومعه محمد بن نباتة في ناس من أهل خراسان، فيهم أبو العود الخراساني، فالتقوا وعلى ميمنته الحسن خازم بن خزيمه، وابن هبيرة قبالة باب المضمار، فحمل خازم على ابن هبيرة، فهزموا أهل الشام حتى ألجئهم إلى الخنادق، وبادر الناس باب المدينة حتى غص باب المضمار، ورمى أصحاب العرادات بالعرادات والحسن واقف وأقبل يسير في الخيل فيما بين النهر والخندق، ورجع أهل الشام، فكر عليهم الحسن، فخالوا بينه وبين المدينة، فاضطروهم إلى دجلة، فغرق منهم ناس كثير، فتلقوه هم بالسفن، فحملوهم، وألقى ابن نباتة يومئذ سلاحه واقتحم، فتبعوه بسفينة فركب وتحاجزوا، فكثوا سبعة أيام، ثم خرجوا إليهم يوم الثلاثاء فاقتتلوا، فحمل رجل من أهل الشام على أبي حفص هزار مرد، فضربه وانتمى: أنا الغلام السلي، وضربه أبو حفص وانتمى: أنا الغلام العتيكي، فصرعه، وانهزم أهل الشام هزيمة قبيحة، فدخلوا المدينة، فكثوا ما شاء الله لا يقتتلون إلا رميا من وراء الفصيل

وبلغ ابن هبيرة وهو في الحصار أن أبا أمية التغلبي قد سود، فأرسل أبا عثمان إلى فدخل، منزله على أبي أمية في قبته، فقال: إن الأمير أرسلني إليك لأقتش قبلك، فإن كان فيها سواد علقته في عنقك وحبالا، ومضيت بك إليه، وإن لم يكن في بيتك سواد فهذه خمسون ألفا صلة لك فأبى أن يدعه أن يفتش قبته، فذهب به إلى ابن هبيرة فخبسه، فتكلم في ذلك معن ابن زائدة وناس من ربيعة، وأخذوا ثلاثة من بني فزارة، فخبسوهم وشتوا ابن هبيرة، فجاءهم يحيى بن حضين، فكلهم فقالوا: لا نخلي عنهم حتى يخلى عن صاحبنا، فأبى ابن هبيرة، فقال له: ما تفسد إلا على نفسك وأنت محصور، خل سبيل هذا الرجل، قال: لا ولا كرامة، فرجع ابن حضين إليهم فأخبرهم، فاعتزل معن وعبد الرحمن بن بشير العجلي، فقال ابن حضين لابن هبيرة: هؤلاء فرسانك قد أفسدتهم، وإن تباديت في ذلك كانوا أشد عليك ممن حصرك، فدعا أبا أمية فكساه، وخلى سبيله، فاصطلحوا وعادوا إلى ما كانوا عليه.

وقدم أبو نصر مالك بن الهيثم من ناحية سجستان، فأوفد الحسن بن قطبة وفدا إلى أبي العباس بقدم أبي نصر عليه، وجعل على الوفد غيلان ابن عبد الله الخزاعي. وكان غيلان واجدا على الحسن لأنه سرحه إلى روح ابن حاتم مددا له - فلما قدم على أبي العباس قال: أشهد أنك أمير المؤمنين، وأنت حبل الله المتين، وإنك امام المتقين، فقال: حاجتك يا غيلان؟ قال:

أستغفر، قال: غفر الله لك، فقال داود بن علي: وفقك الله يا أبا فضالة، فقال له غيلان: يا أمير المؤمنين، من علينا برجل من أهل بيتك، قال:

أو ليس عليكم رجل من أهل بيتي! الحسن بن قطبة، قال: يا أمير المؤمنين، من علينا برجل من أهل بيتك، فقال أبو العباس مثل قوله الأول، فقال:

يا أمير المؤمنين، من علينا برجل من أهل بيتك ننظر إلى وجهه، وتقر أعيننا به، قال: نعم يا غيلان، فبعث أبا جعفر، فجعل غيلان على شرطه فقدم واسطا، فقال أبو نصر لغيلان: ما أردت لا ما صنعت؟ قال: به بود

فكث أياما على الشرط، ثم قال لأبي جعفر: لا أقوى على الشرط، ولكني أدلك على من هو أجلد مني، قال: من هو؟ قال: جهور

بن مرار، قَالَ: لا أقدر على عزلك، لأن أمير المؤمنين استعملك، قَالَ: اكتب إليه فأعلمه، فكتب إليه، فكتب إليه أبو العباس: أن تعمل برأي غيلان، فولى شرطه جهورا وقال أبو جعفر للحسن: ابغني رجلا أجعله على حربي، قَالَ: من قد رضيته لنفسي، عثمان بن نهيك، فولي الحرس.

قَالَ بشر بن عيسى: ولما قدم أبو جعفر واسطا، تحول له الحسن عن حجرته، فقاتلهم وقتلوه، فقاتلهم أبو نصر يوما، فانهزم أهل الشام إلى خنادقهم، وقد كمن لهم معن وابو يحيى الجذامي، فلما جاوزهم أهل خراسان، خرجوا عليهم، فقاتلوه حتى أمسوا، وترجل لهم أبو نصر، فاقتتلوا عند الخنادق، ورفعت لهم النيران وابن هبيرة على برج باب الخلالين، فاقتتلوا ما شاء الله من الليل وسرح ابن هبيرة إلى معن أن ينصرف، فانصرف ومكثوا أياما.

وخرج أهل الشام أيضا مع محمد بن نباتة ومعن بن زائدة وزيد بن صالح وفرسان من فرسان أهل الشام، فقاتلهم أهل خراسان، فهزمهم إلى دجلة، فجعلوا يتساقطون في دجلة، فقال أبو نصر: يا أهل خراسان مردمان خائنه يبابان هستيد وبرخريد، فرجعوا وقد صرع ابنه، فحماه روح بن حاتم، فربه أبوه، فقال له بالفارسية: قد قتلوك يا بني، لعن الله الدنيا بعدك! وحملوا على أهل الشام فهزمهم حتى أدخلوهم مدينة واسط، فقال بعضهم لبعض: لا والله لا تغلج بعد عيشتنا أبدا، خرجنا عليهم ونحن فرسان أهل الشام، فهزمونا حتى دخلنا المدينة.

وقتل تلك العشيّة من أهل خراسان بكار الأنصاري ورجل من أهل خراسان كانا من فرسان أهل خراسان، وكان أبو نصر في حصار ابن هبيرة يملأ السفن حطبا، ثم يضرها بالنار لتحرق ما مرت به، فكان ابن هبيرة يهني حراقات كان فيها كلاليب تجر تلك السفن، فمكثوا بذلك أحد عشر شهرا، فلما طال ذلك عليهم طلبوا الصلح، ولم يطلبوه حتى جاءهم خبر

قتل مروان، أتاهم به إسماعيل بن عبد الله القسري، وقال لهم: علام تقتلون أنفسكم، وقد قتل مروان! وقد قيل: إن أبا العباس وجه أبا جعفر عند مقدمه من خراسان منصرفا من عند أبي مسلم إلى ابن هبيرة لحربه، فشخص جعفر حتى قدم على الحسن ابن ققطبة، وهو محاصر ابن هبيرة بواسط، فتحول له الحسن عن منزله، فنزله أبو جعفر، فلما طال الحصار على ابن هبيرة وأصحابه تحنى عليه أصحابه، فقالت اليمانية: لا نعين مروان وآثاره فينا آثاره وقالت النزارية: لا نقاتل حتى تقاتل معنا اليمانية، وكان إنما يقاتل معه الصعاليك والفتيان، وهم ابن هبيرة أن يدعو إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن، فكتب إليه فأبطأ جوابه، وكاتب أبو العباس اليمانية من أصحاب ابن هبيرة، وأطمعهم فخرج إليه زياد بن صالح وزيد بن عبيد الله الحارثيان، ووعد ابن هبيرة أن يصلح له ناحية أبي العباس فلم يفعلوا، وجرت السفراء بين أبي جعفر وبين ابن هبيرة حتى جعل له أمانا، وكتب به كتابا، مكث يشاور فيه العلماء أربعين يوما حتى رضيه ابن هبيرة، ثم أنفذه إلى أبي جعفر، فأنفذه أبو جعفر إلى أبي العباس، فأمره بإمضائه، وكان رأي أبي جعفر الوفاء له بما أعطاه، وكان أبو العباس لا يقطع أمرا دون أبي مسلم، وكان أبو الجهم عينا لأبي مسلم على أبي العباس، فكتب إليه بأخباره كلها، فكتب أبو مسلم إلى أبي العباس:

إن الطريق السهل إذا ألقيت فيه الحجارة فسد، لا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة.

ولما تم الكتاب خرج ابن هبيرة إلى أبي جعفر في ألف وثلاثمائة من البخارية، فأراد أن يدخل الحجرة على دابته، فقام إليه الحاجب سلام بن سليم، فقال:

مرحبا بك أبا خالد! انزل راشدا، وقد أطاف بالحجرة نحو من عشرة آلاف من أهل خراسان، فنزل، ودعا له بوسادة ليجلس عليها، ثم دعا بالقواد فدخلوا، ثم قَالَ سلام: ادخل أبا خالد، فقال له: أنا ومن معي؟ فقال: إنما استأذنت لك وحدك، فقام فدخل، ووضعت له وسادة، فجلس عليها، فخادته ساعة، ثم قام وأتبعه أبو جعفر بصره حتى غاب عنه، ثم مكث يقيم عنه يوما، ويأتيه يوما

في خمسمائة فارس وثلاثمائة راجل، فقال يزيد بن حاتم لأبي جعفر: أيها الأمير، إن ابن هبيرة ليأتي فيتضعع له العسكر، وما نقص من سلطانه شيء، فإذا كان يسير في هذه الفرسان والرجالة، فما يقول عبد الجبار وجهورا! فقال أبو جعفر لسلام: قل لابن هبيرة يدع الجماعة ويأتينا في حاشيته نحو من ثلاثين، فقال له سلام ذلك، فتغير وجهه، وجاء في حاشيته نحو من ثلاثين، فقال له سلام: كأنك

تأتي مباحيا! فقال: إن أمرتم أن نمشي إليكم مشينا، فقال:

ما أردنا بك استخفافا، ولا أمر الأمير بما أمر به إلا نظرا لك، فكان بعد ذلك يأتي في ثلاثة.

وذكر أبو زيد أن محمد بن كثير حدثه، قال: كلم ابن هبيرة يوما أبا جعفر، فقال: يا هناء- أو ياها المرء- ثم رجع، فقال: أيها الأمير، إن عهدي بكلام الناس بمثل ما خاطبتك به حديث، فسبقني لساني إلى ما لم أردته وألح أبو العباس على أبي جعفر يأمره بقتله وهو يراجع، حتى كتب إليه:

والله لتقتله أو لأرسلن إليه من يخرج من جرتك، ثم يتولى قتله فأزعم على قتله، فبعث خازم بن خزيمة والهيثم بن شعبة بن ظهير، وأمرهما بختم بيوت الأموال ثم بعث إلى وجوه من معه من القيسية والمضرية، فاقبل محمد ابن نباتة وحوثره بن سهيل وطارق بن قدامة وزباد بن سويد وأبو بكر بن كعب العقيلي وأبان وبشر ابنا عبد الملك بن بشر، في اثنين وعشرين رجلا من قيس وجعفر بن حنظلة وهزان بن سعد.

قال: نخرج سلام بن سليم، فقال: أين حوثره ومحمد بن نباتة؟ فقاما، فدخلوا، وقد أجلس عثمان بن نهيك والفضل بن سليمان وموسى بن عقيل في مائة في حجرة دون حجرته، فنزعت سيوفهما وكتفا، ثم دخل بشر وأبان ابنا عبد الملك بن بشر، ففعل بهما ذلك، ثم دخل أبو بكر بن كعب وطارق ابن قدامة، فقام جعفر بن حنظلة، فقال: نحن رؤساء الأجناد، ولم يكون هؤلاء يقدمون علينا؟ فقال: ممن أنت؟ قال: من بهراء، فقال: وراءك أوسع لك، ثم قام هزان، فتكلم فأخر، فقال روح بن حاتم:

يا أبا يعقوب، نزع سيوف القوم، نخرج عليهم موسى بن عقيل، فقالوا له: أعطيتمونا عهد الله ثم خستم به! إنا لندرجو أن يدرككم الله، وجعل ابن نباتة يضرب في الحية نفسه، فقال له حوثره: إن هذا لا يغني عنك شيئا، فقال: كأني كنت أنظر إلى هذا، فقتلوا وأخذت خواتيمهم.

وانطلق خازم والهيثم بن شعبة والأغلب بن سالم في نحو من مائة، فأرسلوا إلى ابن هبيرة: إنا نريد حمل المال، فقال ابن هبيرة لحاجبه: يا أبا عثمان، انطلق فدلهم عليه، فأقاموا عند كل بيت نفرا، ثم جعلوا ينظرون في نواحي الدار، ومع ابن هبيرة ابنه داود وكتابه عمرو بن أيوب وحاجبه وعدة من مواليه، وبني له صغير في حجره، فجعل ينكر نظرهم فقال: أقسم بالله إن في وجوه القوم لشر، فأقبلوا نحوه، فقام حاجبه في وجوهم، فقال:

ما وراءكم؟ فضربه الهيثم بن شعبة على جبل عاتقه فصرعه، وقاتل ابنه داود فقتل وقتل مواليه، ونحى الصبي من حجره، وقال: دونكم هذا الصبي، وخر ساجدا فقتل وهو ساجد، ومضوا برءوسهم إلى أبي جعفر، فنأدى بالأمان للناس إلا للحكم بن عبد الملك بن بشر وخالد بن سلمة المخزومي وعمر بن ذر، فاستأمن زياد بن عبيد الله لابن ذر فأمنه أبو العباس، وهرب الحكم، وأمن أبو جعفر خالدا، فقتله أبو العباس، ولم يجز أمان أبي جعفر، وهرب أبو علاقة وهشام ابن هشيم بن صفوا بن مزيد الفزاريان، فلحقهما حجر بن سعيد الطائي فقتلهما على الزاب، فقال أبو عطاء السندي يرثيه:

ألا إن عينا لم تجد يوم واسط ... عليك بجاري دمعها لجود
عشية قام النائحات وشققت ... جيوب بأيدي مآثم وخدود
فإن تمس مهجور الفناء فرجا ... أقام به بعد الوفود وفود
فإنك لم تبعد على متعهد ... بلى كل من تحت التراب بعيد
وقال منقذ بن عبد الرحمن الهلالي يرثيه:

منع العزاء حرارة الصدر ... والحزن عقد عزيمة الصبر
لما سمعت بوقعة شملت ... بالشيب لون مفارق الشعر
أفنى الحماة الغر أن عرضت ... دون الوفاء حباثل الغدر
مالت حباثل أمرهم بفتى ... مثل النجوم حففن بالدر

على نعيمهم فقلت له ... هلا أتيت بصيحة الحشر!
 لله درك من زعمت لنا ... أن قد حوته حوادث الدهر
 من المنابر بعد مهلكهم ... أو من يسد مكارم الفخر!
 فإذا ذكرتهم شكا ألما ... قلبي لفقد فوارس زهر
 قتلي بدجلة ما يغمهم ... إلا عباب زواجر البحر
 فلتبك نسوتنا فوارسها ... خير الحماة ليالي الذعر
 وذكر أبو زيد أن أبا بكر الباهلي حدثه، قال: حدثني شيخ من أهل خراسان، قال: كان هشام بن عبد الملك خطب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ابنته على ابنه معاوية، فأبى أن يزوجه، فجري بعد ذلك بين يزيد بن عمر وبين الوليد بن القعقاع كلام، فبعث به هشام إلى الوليد بن القعقاع، فضربه وحبسه، فقال ابن طيسلة:
 يا قل خير رجال لا عقول لهم ... من يعدلون إلى المحبوس في حلب
 إلى امرئ لم تصبه الدهر معضلة ... إلا استقل بها مسترخي اللب
 وقيل: إن أبا العباس لما وجه أبا جعفر إلى واسط لقتال ابن هبيرة، كتب إلى الحسن بن قطبة: أن العسكر عسكرك، والقواد قوادك، ولكن أحببت أن يكون أخي حاضرا، فاسمع له واطمع، واحسن مؤازرته وكتب إلى أبي نصر مالك بن الهيثم بمثل ذلك، فكان الحسن المدير لذلك العسكر بأمر المنصور
 وفي هذه السنة وجه أبو مسلم محمد بن الأشعث على فارس، وأمره أن يأخذ عمال أبي سلمة فيضرب أعناقهم ففعل ذلك.
 وفي هذه السنة وجه أبو العباس عمه عيسى بن علي على فارس، وعليها محمد بن الأشعث، فهم به، فقتل له: إن هذا لا يسوغ لك، فقال: بلى، أمرني أبو مسلم ألا يقدم علي أحد يدعي الولاية من غيره إلا ضربت عنقه.
 ثم ارتدع عن ذلك لما تخوف من عاقبته، فاستحلف عيسى بالآيمان المخرج له ولا يتقلد سيفاً إلا في جهاد، فلم يل عيسى بعد ذلك عملاً، ولا تقلد سيفاً إلا في غزو ثم وجه أبو العباس بعد ذلك إسماعيل بن علي والياً على فارس.
 وفي هذه السنة وجه أبو العباس أخاه أبا جعفر والياً على الجزيرة وأذربيجان وأرمينية، ووجه أخاه يحيى بن محمد بن علي والياً على الموصل. وفيها عزل عمه داود بن علي عن الكوفة وسوادها، وولاه المدينة ومكة واليمن واليمامة، وولى موضعه وما كان إليه من عمل الكوفة وسوادها عيسى بن موسى.
 وفيها عزل مروان - وهو بالجزيرة عن المدينة - الوليد بن عروة، وولاه أخاه يوسف بن عروة، فذكر الواقدي أنه قدم المدينة لأربع خلون من شهر ربيع الأول.
 وفيها استقضى عيسى بن موسى على الكوفة ابن أبي ليلى.
 وكان العامل على البصرة في هذه السنة سفيان بن معاوية المهلي وعلى قضائها الحجاج بن أرطاة، وعلى فارس محمد بن الأشعث، وعلى السند منصور بن جمهور، وعلى الجزيرة وأرمينية وأذربيجان عبد الله بن محمد، وعلى الموصل يحيى بن محمد، وعلى كور الشام عبد الله بن علي، وعلى مصر أبو عون عبد الملك بن يزيد، وعلى خراسان والجلال أبو مسلم، وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك.
 وجج بالناس في هذه السنة داود بن علي بن عبد الله بن العباس.

٧٠٣٠ سنه ثلاث وثلاثين ومائه

ثم دخلت

سنة ثلاث وثلاثين ومائة

• (ذكر ما كان في هذه السنة من الأحداث) فمن ذلك ما كان من توجيه أبي العباس عمه سليمان بن علي والياً على البصرة وأعمالها، وكور دجلة والبحرين وعمان ومهرجاندق، وتوجيهه أيضاً عمه إسماعيل بن علي على كور الأهواز.

وفيهما قتل داود بن علي من كان أخذ من بني أمية بمكة والمدينة.

وفيهما مات داود بن علي بالمدينة في شهر ربيع الأول، وكانت ولايته - فيما ذكر محمد بن عمر - ثلاثة أشهر.

واستخلف داود بن علي حين حضرته الوفاة على عمله ابنه موسى، ولما بلغت أبا العباس وفاته وجهه على المدينة ومكة والطائف واليمامة خاله زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد الممدان الحارثي، ووجه محمد بن يزيد بن عبد الله ابن عبد الممدان على اليمن، فقدم اليمن في جمادى الأولى، فأقام زياد بالمدينة ومضى محمد إلى اليمن ثم وجه زياد بن عبيد الله من المدينة إبراهيم بن حسان السلمي، وهو أبو حماد الأبرص - إلى المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة وهو باليمامة، فقتله وقتل أصحابه.

وفيهما كتب أبو العباس إلى أبي عون بإقراره على مصر واليا عليها، وإلى عبد الله وصالح ابني علي على أجناد الشام وفيها توجه محمد بن الأشعث إلى إفريقية فقاتلهم قتالا شديدا حتى فتحها وفيها خرج شريك بن شيخ المهري بخراسان على أبي مسلم بخارى ونقم عليه، وقال: ما على هذا اتبعنا آل محمد، على أن نسفك الدماء، ونعمل بغير الحق وتبعه على رأيه أكثر من ثلاثين ألفا، فوجه إليه أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعي فقاتله فقتله.

وفيهما توجه أبو داود خالد بن إبراهيم من الوحش إلى الختل، فدخلها ولم يمتنع عليه حنش بن السبل ملكها، وأتاه ناس من دهاقين الختل، فتحصنوا معه، وامتنع بعضهم في الدروب والشعاب والقلاع فلما ألح أبو داود على حنش، خرج من الحصن ليلا ومعه دهاقينه وشاكريته حتى انتهوا إلى أرض فرغانة، ثم خرج منها في أرض الترك، حتى وقع إلى ملك الصين، وأخذ أبو داود من ظفر به منهم، فجاوز بهم إلى بلخ، ثم بعث بهم إلى أبي مسلم.

وفيهما قتل عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب، قتله سليمان الذي يقال له الأسود، بأمان كتبه له.

وفيهما وجه صالح بن علي سعيد بن عبد الله لغزو الصائفة، وراء الدروب.

وفيهما عزل يحيى بن محمد عن الموصل، واستعمل مكانه إسماعيل بن علي.

وجج بالناس في هذه السنة زياد بن عبيد الله الحارثي، كذلك حدثني أحمد ابن ثابت، عمن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال الواقدي وغيره.

وكان على الكوفة وأرضها عيسى بن موسى، وعلى قضائها ابن أبي ليلى، وعلى البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان والعرض ومهرجاندق سليمان ابن علي، وعلى قضائها عباد بن منصور، وعلى الأهواز إسماعيل بن علي وعلى فارس محمد بن الأشعث، وعلى السند منصور بن جمهور، وعلى خراسان والجلال أبو مسلم، وعلى قنسرين وحمص وكور دمشق والأردن عبد الله بن علي، وعلى فلسطين صالح بن علي.

وعلى مصر عبد الملك بن يزيد أبو عون، وعلى الجزيرة عبد الله بن محمد المنصور، وعلى الموصل إسماعيل بن علي، وعلى أرمينية صالح بن صبيح، وعلى أذربيجان مجاشع بن يزيد.

وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك.

٧٠٣١ سنه اربع وثلاثين ومائه

٧٠٣١٠١ ذكر خبر خلع بسام بن ابراهيم

ثم دخلت

سنة أربع وثلاثين ومائة

(ذكر ما كان فيها من الأحداث)

ذكر خبر خلع بسام بن ابراهيم

ففيها خالف بسام بن إبراهيم بن بسام، وخلع، وكان من فرسان أهل خراسان وشخص - فيما ذكر - من عسكر أبي العباس أمير المؤمنين مع جماعة ممن شايعه على ذلك من رايه، مستسرين بخروجهم، ففحص عن أمرهم وإلى أين صاروا، حتى وقف على مكانهم بالمدائن، فوجه إليهم أبو العباس خازم بن خزيمة، فلما لقي بساما ناجزه القتال، فانهزم بسام وأصحابه وقتل أكثرهم، واستبيح عسكره، ومضى خازم وأصحابه في طلبهم، في أرض جوحى إلى أن بلغ ماه، وقتل كل من لحقه منهزما، أو ناصبه القتال، ثم انصرف من وجهه ذلك، فربذات المطامير - أو بقرية شبيهة بها - وبها من بني الحارث بن كعب من بني عبد المدان، وهم أخوال أبي العباس ذنبه فر بهم وهم في مجلس لهم - وكانوا خمسة وثلاثين رجلا منهم ومن غيرهم ثمانية عشر رجلا، ومن مواليتهم سبعة عشر رجلا - فلم يسلم عليهم، فلما جاز شتموه، وكان في قلبه عليهم ما كان لما بلغه عنهم من حال المغيرة بن الفزع، وإنه لجأ إليهم، وكان من أصحاب بسام بن إبراهيم فكر راجعا، فسألهم عما بلغه من نزول المغيرة بهم، فقالوا: مر بنا رجل مجتاز لا نعرفه، فأقام في قريتنا ليلة ثم خرج عنها، فقال لهم: أنتم أخوال أمير المؤمنين ويأتيكم عدوه، فيأمن في قريتك! فهلا اجتمعتم فأخذتموه! فأغلظوا له الجواب، فأمر بهم فضربت أعناقهم جميعا، وهدمت دورهم، وانتهت أموالهم، ثم انصرف إلى أبي العباس، وبلغ ما كان من فعل خازم اليمانية، فأعظموا ذلك، واجتمعت كلمتهم، فدخل زياد بن عبيد الله الحارثي على أبي العباس مع عبد الله بن

٧٠٣١٠٢ امر الخوارج مع خازم بن خزيمة وقتل شيبان بن عبد العزيز

الربيع الحارثي وعثمان بن نهيك، وعبد الجبار بن عبد الرحمن، وهو يومئذ على شرطة أبي العباس، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن خادما اجتراً عليك بأمر لم يكن أحد من أقرب ولد أهلك ليحترئ عليك به، من استخفافه بحقك، وقتل أخوالك الذين قطعوا البلاد، وأتوك معتزين بك، طالبين معروفك، حتى إذا صاروا إلى دارك وجوارك، وثب عليهم خازم فضرب أعناقهم، وهدم دورهم، وأنهب أموالهم، وأخرب ضياعهم، بلا حدث أحدثوه فهم بقتل خازم، فبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجهم بن عطية، فدخلوا على أبي العباس، فقالا: بلغنا يا أمير المؤمنين ما كان من تحميل هؤلاء القوم إياك على خازم، وإشارتهم عليك بقتله، وما هممت به من ذلك، وإننا نعيذك بالله من ذلك، فإن له طاعة وسابقة، وهو يحتمل له ما صنع، فإن شيعتكم من أهل خراسان قد آثروكم على الأقارب من الأولاد والآباء والإخوان، وقتلوا من خالفكم، وأنت أحق من تعمد إساءة مسيئهم، فإن كنت لا بد مجمعا على قتله فلا تتول ذلك بنفسك، وعرضه من المباحث لما إن قتل فيه كنت قد بلغت الذي أردت، وإن ظفر كان ظفره لك وأشاروا عليه بتوجيهه إلى من بعمان من الخوارج إلى الجلندي وأصحابه، وإلى الخوارج الذين بجزيرة ابن كاوان مع شيبان بن عبد العزيز الشكري، فامر أبو العباس بتوجيهه مع سبعمائة رجل، وكتب إلى سليمان بن علي وهو على البصرة بحملهم في السفن إلى جزيرة ابن كاوان وعمان فشخص

٠ امر الخوارج مع خازم بن خزيمة وقتل شيبان بن عبد العزيز

وفي هذه السنة شخص خازم بن خزيمة إلى عمان، فأوقع بمن فيها من الخوارج، وغلب عليها وعلى ما قرب منها من البلدان وقتل شيبان الخارجي.

ذكر الخبر عما كان منه هنالك: ذكر أن خازم بن خزيمة شخص في السبعمائة الذين ضمهم إليه أبو العباس، وانتخب من أهل بيته وبني عمه ومواليه ورجال من أهل مرو الروذ، قد عرفهم

٧٠٣١٠٣ ذكر غزوه كس

ووثق بهم، فسار إلى البصرة، فحملهم سليمان بن علي، وانضم إلى خازم بالبصرة عدة من بني تميم، فساروا حتى أرسوا بجزيرة ابن كاوان، فوجه خازم نضلة بن نعيم النهشلي في خمسمائة رجل من أصحابه إلى شيبان، فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا، فركب شيبان وأصحابه السفن، فقطعوا إلى عمان - وهم صفرية - فلما صاروا إلى عمان نصب لهم الجلندي وأصحابه - وهم إباضية - فاقتتلوا قتالا شديدا، فقتل شيبان ومن معه، ثم سار خازم في البحر بمن معه، حتى أرسوا إلى ساحل عمان، فخرجوا إلى صحراء، فلقبهم الجلندي وأصحابه، فاقتتلوا

قتالا شديدا، وكثر القتل يومئذ في أصحاب خازم، وهم يومئذ على ضفة البحر، وقتل فيمن قتل أخ لخازم لأمه يقال له إسماعيل، في تسعين رجلا من أهل مرو الروذ، ثم تلاقوا في اليوم الثاني، فاقتتلوا قتالا شديدا، وعلى ميمنته رجل من أهل مرو الروذ، يقال له حميد الورتكاني، وعلى ميسرته رجل من أهل مرو الروذ يقال له مسلم الأرغدي، وعلى طلائعه نضلة بن نعيم النهشلي، فقتل يومئذ من الخوارج تسعمائة رجل، وأحرقوا منهم نحو من تسعين رجلا ثم التقوا بعد سبعة أيام من مقدم خازم على رأي أشار به عليه رجل من أهل الصغد، وقع بتلك البلاد، فأشار عليه أن يأمر أصحابه فيجعلوا على أطراف أسنتهم المشاقة ويرووها بالنفط، ويشعلوا فيها النيران، ثم يمشوا بها حتى يضرموها في بيوت أصحاب الجلندي.

وكانت من خشب وخلاف، فلما فعل ذلك وأضرمت بيوتهم بالنيران وشغلوا بها وبمن فيها من أولادهم وأهاليهم شد عليهم خازم وأصحابه، فوضعوا فيهم السيوف وهم غير ممتنعين منهم، وقتل الجلندي فيمن قتل، وبلغ عدة من قتل عشرة آلاف، وبعث خازم برءوسهم إلى البصرة، فكتبت بالبصرة أياما، ثم بعث بها إلى أبي العباس، وأقام خازم بعد ذلك شهرا، حتى أتاه كتاب أبي العباس باقئله فقتلوا.

. ذكر غزوه كس
وفي هذه السنة غزا أبو داود خالد بن إبراهيم أهل كس فقتل الأخرى

٧٠٣١٠٤ ذكر قتال منصور بن جمهور

ملكها، وهو سامع مطيع قدم عليه قبل ذلك بلخ، ثم تلقاه بكندك مما يلي كس، وأخذ أبو داود من الأخرى وأصحابه حين قتلهم من الأواني الصينية المنقوشة المذهبة التي لم ير مثله، ومن السروج الصينية ومتاع الصين كله من الديباج وغيره، ومن طرف الصين شيئا كثيرا، فحمله أبو داود أجمع إلى أبي مسلم وهو بسمرقند، وقتل أبو داود دهقان كس في عدة من دهاقينها واستحيا طاران أبا الأخرى وملكه على كس، وأخذ ابن النجاح ورده إلى أرضه، وانصرف أبو مسلم إلى مرو بعد أن قتل في أهل الصغد وأهل بخارى، وأمر ببناء حائط سمرقند، واستخلف زياد بن صالح على الصغد وأهل بخارى، ثم رجع أبو داود إلى بلخ.

. ذكر قتال منصور بن جمهور

وفي هذه السنة وجه أبو العباس موسى بن كعب إلى الهند لقتال منصور ابن جمهور، وفرض لثلاثة آلاف رجل من العرب والموالي بالبصرة ولألف من بني تميم خاصة، فشخص واستخلف مكانه على شرطة أبي العباس المسيب ابن زهير حتى ورد السند، ولقي منصور بن جمهور في اثني عشر ألفا، فهزمه ومن معه، ومضى فمات عطشا في الرمال.

وقد قيل: أصابه بطن، وبلغ خليفة منصور وهو بالمنصورة هزيمة منصور، فرحل بعيال منصور وثقله، وخرج بهم في عدة من ثقاته، فدخل بهم بلاد الخزر.

وفيه توفي محمد بن يزيد بن عبد الله وهو على اليمن، فكتب أبو العباس إلى علي بن الربيع بن عبيد الله الحارثي، وهو عامل لزياد بن عبيد الله على مكة بولايته على اليمن فسار إليها.

وفي هذه السنة تحول أبو العباس من الحيرة إلى الأنبار- وذلك فيما قال الواقدي وغيره- في ذي الحجة وفيها عزل صالح بن صبيح عن أرمينية، وجعل مكانه يزيد بن أسيد وفيها عزل مجاشع بن يزيد عن أذربيجان واستعمل عليها محمد بن صول.

وفيه ضرب المنار من الكوفة إلى مكة والأميال وجج بالناس في هذه السنة عيسى بن موسى، وهو على الكوفة وأرضها. وكان على قضاء الكوفة ابن أبي ليلى وعلى المدينة ومكة والطائف واليمامة زياد بن عبيد الله، وعلى اليمن علي بن الربيع الحارثي، وعلى البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان والعرض ومهرجاناتقذ سليمان بن علي، وعلى قضائها عباد بن منصور، وعلى السند موسى بن كعب، وعلى خراسان والجبال أبو مسلم، وعلى فلسطين صالح ابن علي، وعلى مصر أبو عون، وعلى موصل إسماعيل بن علي، وعلى أرمينية يزيد بن أسيد، وعلى أذربيجان محمد بن صول وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك، وعلى الجزيرة عبد الله بن محمد أبو جعفر وعلى

قنسرين وحمص وكور دمشق والأردن عبد الله بن علي.

٧٠٣٢ سنه خمس وثلاثين ومائه

٧٠٣٢٠١ ذكر خبر خروج زياد بن صالح

ثم دخلت

سنة خمس وثلاثين ومائة

(ذكر ما كان فيها من الأحداث)

ذكر خبر خروج زياد بن صالح

٤ فما كان فيها من ذلك خروج زياد بن صالح وراء نهر بلخ، فشخص أبو مسلم من مرو مستعداً للقائه، وبعث أبو داود خالد بن إبراهيم نصر بن راشد إلى الترمذ، وأمره أن ينزل مدينتها، مخافة أن يبعث زياد بن صالح إلى الحصن والسفن فيأخذها، ففعل ذلك نصر، وأقام بها أياماً، فخرج عليه ناس من الراوندية من أهل الطالقان مع رجل يكنى أبا إسحاق، فقتلوا نصر، فلما بلغ ذلك أبا داود بعث عيسى بن ماهان في تتبع قتلة نصر، فتبعهم فقتلهم، فغضب أبو مسلم مسرعاً، حتى انتهى إلى آمل، ومعه سباع بن أبي النعمان الأزدي، وهو الذي كان قدم بعهد زياد بن صالح من قبل أبي العباس، وأمره إن رأى فرصة أن يثب على أبي مسلم فيقتله فأخبر أبو مسلم بذلك، فدفع سباع بن النعمان إلى الحسن بن الجنيد عامله على آمل، وأمره بحبسه عنده، وعبر أبو مسلم إلى بخارى، فلما نزلها أتاه أبو شاكر وأبو سعد الشروي في قواد قد خلعوا زياداً، فسألهم أبو مسلم عن أمر زياد ومن أفسده، قالوا: سباع بن النعمان، فكتب إلى عامله على آمل أن يضرب سباعاً مائة سوط، ثم يضرب عنقه، ففعل.

ولما أسلم زياداً قواده ولحقوا بأبي مسلم لجأ إلى دهقان باركت، فوثب عليه الدهقان، فضرب عنقه، وجاء برأسه إلى أبي مسلم، فأبطأ أبو داود على أبي مسلم لحال الراوندية الذين كانوا خرجوا، فكتب إليه أبو مسلم: أما بعد فليفرخ روعك، ويأمن سربك، فقد قتل الله زياداً، فاقدم، فقدم أبو داود، كس، وبعث عيسى بن ماهان إلى بسام، وبعث ابن النجاشي إلى الأصهبذ إلى شاوغر، فحاصر الحصن فاما أهل شاوغر فسألوا الصلح، فأجيبوا إلى ذلك

واما بسام فلم يصل عيسى بن ماهان إلى شيء منه، حتى ظهر أبو مسلم بستة عشر كتاباً وجدها من عيسى بن ماهان إلى كامل بن مظفر صاحب أبي مسلم، يعيب فيها أبا داود، وينسب فيها إلى العصبية وإيثاره العرب وقومه على غيرهم من أهل هذه الدعوة، وإن في عسكره ستة وثلاثين سرادقاً للمستأمنة، فبعث بها أبو مسلم إلى أبي داود، وكتب إليه: إن هذه كتب العليج الذي صيرته عدل نفسك، فشأنك به فكتب أبو داود إلى عيسى بن ماهان يأمره بالانصراف إليه عن بسام، فلما قدم عليه حبسه ودفعه إلى عمر النعم، وكان في يده محبوساً، ثم دعا به بعد يومين أو ثلاثة فذكره صنيعته به وإيثاره إياه على ولده، فأقر بذلك، فقال أبو داود: فكان جزاء ما صنعت بك أن سعيت بي وأردت قتلي فأنكر ذلك، فأخرج كتبه فعرفها، فضربه أبو داود يومئذ حدين: أحدهما للحسن بن حمدان ثم قال أبو داود: أما إنني قد تركت ذنبك لك، ولكن الجند أعلم فأخرج في القيود، فلما أخرج من السرادق وثب عليه حرب بن زياد وحفص بن دينار مولى يحيى بن حزين، فضرباه بعمود وطبرزين، فوقع إلى الأرض، وعدا عليه أهل الطالقان وغيرهم.

فأدخلوه في جوالق، وضربوه بالأعمدة، حتى مات ورجع أبو مسلم إلى مرو.

وجج بالناس في هذه السنة سليمان بن علي وهو على البصرة وأعمالها وعلى قضائها عباد بن منصور.

وكان على مكة العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس، وعلى المدينة زياد بن عبيد الله الحارثي، وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى، وعلى قضائها ابن أبي ليلى، وعلى الجزيرة أبو جعفر المنصور، وعلى مصر أبو عون، وعلى حمص وقنسرين وبعليك والغوطة وحووران والجولان والأردن عبد الله بن علي وعلى البلقاء وفلسطين صالح بن علي، وعلى الموصل إسماعيل بن علي، وعلى أرمينية يزيد بن أسيد،

وعلى أذربيجان محمد بن صول، وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك.

٧٠٣٣ سنة ست وثلاثين ومائه

٧٠٣٣٠١ ذكر قدوم أبي مسلم على أبي العباس

ثم دخلت

سنة ست وثلاثين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر قدوم أبي مسلم على أبي العباس

ففي هذه السنة قدم أبو مسلم العراق من خراسان على أبي العباس أمير المؤمنين.

ذكر الخبر عن قدومه عليه وما كان من امره في ذلك:

ذكر علي بن محمد أن الهيثم بن عدي أخبره والوليد بن هشام، عن أبيه، قال: لم يزل أبو مسلم مقيماً بخراسان، حتى كتب إلى أبي العباس يستأذنه في القدوم عليه، فأجابه إلى ذلك، فقدم على أبي العباس في جماعة من أهل خراسان عظيمة ومن تبعه من غيرهم من الأنبار، فأمر أبو العباس الناس يتلقونه، فتلقاه الناس، وأقبل إلى أبي العباس، فدخل عليه فأعظمه وأكرمه، ثم استأذن أبا العباس في الحج فقال: لولا أن أبا جعفر يحج لاستعملتك على الموسم وأنزله قريباً منه، فكان يأتيه في كل يوم يسلم عليه، وكان ما بين أبي جعفر وأبي مسلم متباعداً، لأن أبا العباس كان بعث أبا جعفر إلى أبي مسلم وهو بنيسابور، بعد ما صفت له الأمور بعده على خراسان وبالبيعة لأبي العباس ولأبي جعفر من بعده، فبايع له أبو مسلم وأهل خراسان وأقام أبو جعفر أياماً حتى فرغ من البيعة، ثم انصرف وكان أبو مسلم قد استخف بأبي جعفر في مقدمه ذلك، فلما قدم على أبي العباس أخبره بما كان من استخفافه به.

قال علي: قال الوليد عن أبيه: لما قدم أبو مسلم على أبي العباس، قال أبو جعفر لأبي العباس: يا أمير المؤمنين، أطني واقتل أبا مسلم، فوالله إن في رأسه لغدرة، فقال: يا أخي، قد عرفت بلاءه وما كان منه، فقال

٧٠٣٣٠٢ حج أبي جعفر المنصور وأبي مسلم

أبو جعفر: يا أمير المؤمنين، إنما كان بدولتنا، والله لو بعثت سنورا لقام مقامه وبلغ ما بلغ في هذه الدولة فقال له أبو العباس: فكيف نقتله؟

قال: إذا دخل عليك وحادثته وأقبل عليك دخلت فتغفلته فضربته من خلفه ضربة أتيت بها على نفسه، فقال أبو العباس: فكيف بأصحابه الذين يؤثرونه على دينهم وديناهم؟ قال: يقول ذلك كله إلى ما تريد، ولو علموا أنه قد قتل تفرقوا وذلوا، قال: عزمت عليك إلا كفت عن هذا، قال: أخاف والله أن لم تتغده اليوم يتعشاك غداً، قال: فدونكه، أنت أعلم.

قال: فخرج أبو جعفر من عنده عازماً على ذلك، فندم أبو العباس وأرسل إلى أبي جعفر: لا تفعل ذلك الأمر.

وقيل: إن أبا العباس لما أذن لأبي جعفر في قتل أبي مسلم، دخل أبو مسلم على أبي العباس، فبعث أبو العباس خصياً له، فقال: اذهب فانظر ما يصنع أبو جعفر، فأتاه فوجده محتبياً بسيفه، فقال للخصي: أجالس أمير المؤمنين؟

فقال له: قد تهيأ للجلوس، ثم رجع الخصي إلى أبي العباس فأخبره بما رأى منه، فردّه إلى أبي جعفر وقال له: قل له الأمر الذي عزمت عليه لا تنفذه فكف أبو جعفر

• حج أبي جعفر المنصور وأبي مسلم

وفي هذه السنة حج أبو جعفر المنصور وحج معه أبو مسلم.

ذكر الخبر عن مسيرهما وعن وصفه مقدمهما على أبي العباس: أما أبو مسلم فإنه - فيما ذكر عنه - لما أراد القدوم على أبي العباس، كتب

يستأذنه في القدوم للحج، فأذن له، وكتب إليه أن أقدم في خمسمائة من الجند، فكتب إليه أبو مسلم: إني قد وترت الناس ولست آمن على نفسي فكتب إليه أن أقبل في ألف، فإنما أنت في سلطان أهلك ودولتك، وطريق مكة لا تحتل العسكر، فشخص في ثمانية آلاف فرقههم فيما بين نيسابور والري، وقدم بالأموال والخزائن خلفها بالري، وجمع أيضا أموال الجبل، وشخص منها في ألف وأقبل، فلما أراد الدخول تلقاه القواد وسائر الناس، ثم استأذن

٧٠٣٣٠٣ ذكر الخبر عن موت أبي العباس السفاح

أبا العباس في الحج، فأذن له، وقال: لولا أن أبا جعفر حاج لوليتك الموسم. وأما أبو جعفر فإنه كان أميرا على الجزيرة، وكان الواقدي، يقول: كان إليه مع الجزيرة أرمينية وأذربيجان، فاستخلف على عمله مقاتل بن حكيم العكي، وقدم على أبي العباس فاستأذنه في الحج، فذكر علي بن محمد عن الوليد بن هشام عن أبيه أن أبا جعفر سار إلى مكة حاجا، وجمعه معه أبو مسلم سنة ست وثلاثين ومائة، فلما انقضى الموسم أقبل أبو جعفر وأبو مسلم، فلما كان بين البستان وذات عرق أتى أبا جعفر كتاب بموت أبي العباس، وكان أبو جعفر قد تقدم أبا مسلم بمرحلة، فكتب إلى أبي مسلم: إنه قد حدث أمر فاجعل العجل، فأتاه الرسول فأخبره، فأقبل حتى لحق أبا جعفر، وأقبلا إلى الكوفة.

وفي هذه السنة عقد أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي لأخيه أبي جعفر الخلافة من بعده، وجعله ولي عهد المسلمين، ومن بعد أبي جعفر عيسى ابن موسى بن محمد بن علي، وكتب العهد بذلك، وصيره في ثوب، وختم عليه بخاتمه وخواتيم أهل بيته، ودفعه إلى عيسى بن موسى

. ذكر الخبر عن موت أبي العباس السفاح

وفيها توفي أبو العباس أمير المؤمنين بالأنبار يوم الأحد، لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة وكانت وفاته فيما قيل بالجدرى. وقال هشام بن محمد: توفي لاثنتي عشرة ليلة مضت من ذي الحجة.

واختلف في مبلغ سنه يوم وفاته، فقال بعضهم: كان له يوم توفي ثلاث وثلاثون سنة وقال هشام بن محمد: كان يوم توفي ابن ست وثلاثين سنة. وقال بعضهم: كان له ثمان وعشرون سنة.

وكانت ولايته من لدن قتل مروان بن محمد إلى أن توفي أربع سنين: ومن لدن بويج له بالخلافة إلى أن مات أربع سنين وثمانية أشهر وقال بعضهم: وتسعة أشهر وقال الواقدي: أربع سنين وثمانية أشهر منها ثمانية أشهر وأربعة

٧٠٣٣٠٤ خلافة أبي جعفر المنصور وهو عبد الله بن محمد

أيام يقاتل مروان.

وملك بعد مروان أربع سنين وكان- فيما ذكر- ذا شعرة جعدة، وكان طويلا أبيض أقى الأنف، حسن الوجه والحية. وأمه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثي وكان وزيره أبو الجهم بن عطية. وصلى عليه عمه عيسى بن علي، ودفنه بالأنبار العتيقة في قصره.

وكان- فيما ذكر- خلف تسع جباب، وأربعة أقصبة، وخمسة سراويلات، وأربعة طيالس، وثلاثة مطارف خز

. خلافة أبي جعفر المنصور وهو عبد الله بن محمد

وفي هذه السنة بويج لأبي جعفر المنصور بالخلافة، وذلك في اليوم الذي توفي فيه أخوه أبو العباس، وأبو جعفر يومئذ بمكة، وكان الذي أخذ البيعة بالعراق لأبي جعفر بعد موت أبي العباس عيسى بن موسى، وكتب إليه عيسى يعلمه بموت أخيه أبي العباس وبالبيعة له.

وذكر علي بن محمد، عن الهيثم، عن عبد الله بن عياش، قال: لما حضرت أبا العباس الوفاة، أمر الناس بالبيعة لعبد الله بن محمد أبي جعفر، فبايع الناس له بالأنبار في اليوم الذي مات فيه أبو العباس وقام بأمر الناس عيسى بن موسى، وأرسل عيسى بن موسى إلى أبي جعفر وهو بمكة محمد بن الحصين العبدى بموت أبي العباس، وبالبيعة له، فلقية بمكان من الطريق يقال له زكية، فلما جاءه الكتاب دعا الناس فبايعوه، وبايعه أبو مسلم، فقال أبو جعفر: أين موضعنا هذا؟ قالوا: زكية، فقال: أمر يركب لنا إن شاء الله تعالى.

وقال بعضهم: ورد على أبي جعفر البيعة له بعد ما صدر من الحج، في منزل من منازل طريق مكة، يقال له صفية، فتفأله باسمه، وقال: صفت لنا إن شاء الله تعالى

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد: فقال علي: حدثني الوليد، عن أبيه، قال: لما أتى الخبر أبا جعفر كتب إلى أبي مسلم وهو نازل بالماء، وقد تقدمه أبو جعفر، فأقبل أبو مسلم حتى قدم عليه.

وقيل إن أبا مسلم كان هو الذي تقدم أبا جعفر، فعرف الخبر قبله، فكتب إلى أبي جعفر:

بسم الله الرحمن الرحيم عافاك الله وأمتع بك، إنه أتاني أمر أفظعني وبلغ مني مبلغا لم يبلغه شيء قط، لقيني محمد بن الحصين بكتاب من عيسى بن موسى إليك بوفاة أبي العباس أمير المؤمنين رحمه الله، فنسأل الله أن يعظم أجرك، ويحسن الخلافة عليك، ويبارك لك فيما أنت فيه، إنه ليس من أهلك أحد أشد تعظيما لحقك وأصفى نصيحة لك، وحرصا على ما يسرك مني.

وأنفذ الكتاب إليه، ثم مكث أبو مسلم يومه ومن الغد، ثم بعث إلى أبي جعفر بالبيعة، وإنما أراد ترهيب أبي جعفر بتأخيرها.

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد: فلما جلس أبو مسلم، ألقى إليه الكتاب، فقرأه وبكى واسترجع قال: ونظر أبو مسلم إلى أبي جعفر، وقد جزع جزعا شديدا فقال: ما هذا الجزع وقد أنتك الخلافة؟ فقال:

أتحوف شر عبد الله بن علي وشيعة علي، فقال: لا تخفه، فأنا أكفيك أمره إن شاء الله، إنما عامة جنده ومن معه أهل خراسان، وهم لا يعصوني.

فسري عن أبي جعفر ما كان فيه وبايع له أبو مسلم وبايع الناس، وأقبلا حتى قدما الكوفة، ورد أبو جعفر زياد بن عبيد الله إلى مكة، وكان قبل ذلك واليا عليها وعلى المدينة لأبي العباس.

وقيل: إن أبا العباس كان قد عزل قبل موته زياد بن عبيد الله الحارثي عن مكة، وولاه العباس بن عبد الله بن مَعْبِد بن العباس وفي هذه السنة قدم عبد الله بن علي على أبي العباس.

الأنبار، فعقد له

أبو العباس على الصائفة في أهل خراسان وأهل الشام والجزيرة والموصل، فسار فبلغ دلو، ولم يدرب حتى أئته وفاة أبي العباس. وفي هذه السنة بعث عيسى بن موسى وأبو الجهم يزيد بن زياد أبا غسان إلى عبد الله بن علي ببيعة المنصور فانصرف عبد الله بن علي بمن معه من الجيوش، قد بايع لنفسه حتى قدم حران وأقام الحج للناس في هذه السنة أبو جعفر المنصور، وقد ذكرنا ما كان إليه من العمل في هذه السنة، ومن استخلف عليه حين شخص حاجا.

وكان على الكوفة عيسى بن موسى وعلى قضائها ابن أبي ليلى، وعلى البصرة وعملها سليمان بن علي، وعلى قضائها عباد بن المنصور، وعلى المدينة زياد بن عبيد الله الحارثي، وعلى مكة العباس بن عبد الله بن مَعْبِد، وعلى مصر صالح ابن علي.

٧٠٣٤ سنه سبع وثلاثين ومائه

٧٠٣٤٠١ ذكر خبر خروج عبد الله بن علي وهزيمته

ثم دخلت

سنة سبع وثلاثين ومائة

(ذكر الخبر عما كَانَ فِي هَذِهِ السَّنةِ مِنَ الْإِحْدَاثِ)

ذَكَرَ خَبْرَ خُرُوجِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ وَهَزِيمَتِهِ

فَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ قَدُومِ الْمَنْصُورِ أَبِي جَعْفَرٍ مِنْ مَكَّةَ وَنَزُولِهِ الْحِيرَةَ، فَوَجَدَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى قَدْ شَخَّصَ إِلَى الْأَنْبَارِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْكُوفَةِ طَلْحَةَ ابْنَ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ الْأَشْعَثِ، فَدَخَلَ أَبُو جَعْفَرٍ الْكُوفَةَ فَصَلَّى بِأَهْلِهَا الْجُمُعَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَخَطَبَهُمْ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ رَاحِلٌ عَنْهُمْ، وَوَفَّاهُ أَبُو مُسْلِمٍ بِالْحِيرَةِ، ثُمَّ شَخَّصَ أَبُو جَعْفَرٍ إِلَى الْأَنْبَارِ وَأَقَامَ بِهَا، وَجَمَعَ إِلَيْهِ أَطْرَافَهُ.

وَذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الْوَلِيدِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عَيْسَى بْنَ مُوسَى كَانَ قَدْ أَحْرَزَ بِيُوتَ الْأَمْوَالِ وَالْخِزَانِ وَالِدَوَائِنِ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ الْأَنْبَارَ، فَبَايَعَ النَّاسَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ، ثُمَّ لَعِيسَى بْنُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ، فَسَلَّمَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْأَمْرَ، وَقَدْ كَانَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى بَعَثَ أَبَا غَسَّانَ - وَاسْمُهُ يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، وَهُوَ حَاجِبُ أَبِي الْعَبَّاسِ - إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بِبَيْعِهِ ابْنَ جَعْفَرٍ، ذَلِكَ بِأَمْرِ أَبِي الْعَبَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ حِينَ أَمَرَ النَّاسَ بِالْبَيْعَةِ لِأَبِي جَعْفَرٍ مِنْ بَعْدِهِ فَقَدِمَ أَبُو غَسَّانَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بِأَفْوَاهِ الدُّرُوبِ مَتَوَجِّهًا يَرِيدُ وَالرُّومَ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ أَبُو غَسَّانَ بَوفاةُ أَبِي الْعَبَّاسِ وَهُوَ نَازِلٌ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ دُلُوكُ، أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْقَوَادُ وَالْجُنْدُ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْكُتَابَ بِوفاةِ أَبِي الْعَبَّاسِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى نَفْسِهِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ حِينَ أَرَادَ أَنْ يُوَجِّهَ الْجُنُودَ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ دَعَا بَنِي أَبِيهِ، فَأَرَادَهُمْ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَقَالَ: مَنْ انْتَدَبَ مِنْكُمْ فَسَارَ إِلَيْهِ فَهُوَ وَلِيٌّ عَهْدِي، فَلَمْ يَنْتَدِبْ لَهُ غَيْرِي، فَعَلِيَ هَذَا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ، وَقَتَلْتُ.

مَنْ قَتَلْتُ فَقَامَ أَبُو غَانِمٍ الطَّائِي وَخُفَافُ الْمُرُورُودِي فِي عِدَّةٍ مِنْ قَوَادِ أَهْلِ خُرَاسَانَ فَشَهِدُوا لَهُ بِذَلِكَ، فَبَايَعَهُ أَبُو غَانِمٍ وَخُفَافٌ وَأَبُو الْأَصْبَغِ وَجَمِيعٌ مِنْ كَانَ مَعَهُ

مِنْ أَوْلَئِكَ الْقَوَادِ، فِيهِمْ حَمِيدُ بْنُ قُطَيْبَةَ وَخُفَافُ الْجُرْجَانِي وَحِيَاشُ بْنُ حَبِيبٍ وَمُخَارِقُ بْنُ غَفَارٍ وَتَرَارُ خُذَا وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ وَالشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ، وَقَدْ نَزَلَ تَلَّ مُحَمَّدٍ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْبَيْعَةِ ارْتَحَلَ فَزَلَ حِرَانَ، وَبِهَا مَقَاتِلُ الْعَكِيِّ - وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ اسْتَخْلَفَهُ لَمَّا قَدِمَ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ - فَأَرَادَ مَقَاتِلًا عَلَى الْبَيْعَةِ فَلَمْ يَجِبْهُ، وَتَحَصَّنَ مِنْهُ، فَأَقَامَ عَلَيْهِ وَحَصَرَهُ حَتَّى اسْتَنْزَلَهُ مِنْ حَصْنِهِ فَقَتَلَهُ.

وَسَرَحَ أَبُو جَعْفَرٍ لِقِتَالِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ أَبَا مُسْلِمٍ، فَلَمَّا بَلَغَ عَبْدِ اللَّهِ إِقْبَالَ أَبِي مُسْلِمٍ أَقَامَ بِحِرَانَ، وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ لِأَبِي مُسْلِمٍ: إِنَّمَا هُوَ أَنَا أَوْ أَنْتَ، فَسَارَ أَبُو مُسْلِمٍ نَحْوَ عَبْدِ اللَّهِ بِحِرَانَ، وَقَدْ جَمَعَ إِلَيْهِ الْجُنُودَ وَالسَّلَاحَ، وَخَنَدَقَ وَجَمَعَ إِلَيْهِ الطَّعَامَ وَالْعُلُوفَةَ وَمَا يَصْلَحُهُ، وَمَضَى أَبُو مُسْلِمٍ سَائِرًا مِنَ الْأَنْبَارِ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ مِنَ الْقَوَادِ أَحَدٌ، وَبَعَثَ عَلَى مَقْدَمَتِهِ مَالِكُ بْنُ الْهَيْثَمِ الْخَزَاعِي، وَكَانَ مَعَهُ الْحَسَنُ وَحَمِيدُ ابْنِ قُطَيْبَةَ، وَكَانَ حَمِيدٌ قَدْ فَارَقَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ، وَكَانَ عَبْدِ اللَّهِ أَرَادَ قِتْلَهُ، وَخَرَجَ مَعَهُ أَبُو إِسْحَاقَ وَأَخُوهُ وَأَبُو حَمِيدٍ وَأَخُوهُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ، وَكَانَ أَبُو مُسْلِمٍ اسْتَخْلَفَ عَلَى خُرَاسَانَ حَيْثُ شَخَّصَ خَالِدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَبَا دَاوُدَ.

قَالَ الْهَيْثَمُ: كَانَ حَصَارُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ مَقَاتِلًا الْعَكِيِّ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَلَمَّا بَلَغَهُ مَسِيرُ أَبِي مُسْلِمٍ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَظْفَرْ بِمَقَاتِلٍ، وَخَشِيَ أَنْ يَهْجُمَ عَلَيْهِ أَبُو مُسْلِمٍ أَعْطَى الْعَكِيَّ أَمَانًا، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فِيمَنْ كَانَ مَعَهُ، وَأَقَامَ مَعَهُ أَيَّامًا يَسِيرَةً، ثُمَّ وَجَّهَهُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ سَرَّاقَةَ الْأَزْدِيِّ إِلَى الرِّقَّةِ وَمَعَهُ ابْنَاهُ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ كِتَابًا دَفَعَهُ إِلَى الْعَكِيِّ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى عُثْمَانَ قَتَلَ الْعَكِيَّ وَحَبَسَ ابْنَيْهِ، فَلَمَّا بَلَغَهُ هَزِيمَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ وَأَهْلُ الشَّامِ بِنَصِيبِينَ أَخْرَجَهُمَا فَضْرَبَ أَعْنَاقَهُمَا.

وَكَانَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ خَشِيَ أَلَّا يَنَاصِحَهُ أَهْلُ خُرَاسَانَ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ نَحْوًا مِنْ سَبْعَةِ عَشَرَ أَلْفًا، أَمَرَ صَاحِبَ شَرْطِهِ فَقَتَلَهُمْ، وَكُتِبَ لِحَمِيدِ بْنِ قُطَيْبَةَ كِتَابًا وَوَجَّهَهُ إِلَى حَلَبَ، وَعَلَيْهَا زَفَرُ بْنُ عَاصِمٍ وَفِي الْكُتَابِ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ حَمِيدُ بْنُ قُطَيْبَةَ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ، فَسَارَ حَمِيدٌ حَتَّى إِذَا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ فَكَّرَ فِي كِتَابِهِ، وَقَالَ: إِنْ ذَهَابِي بِكُتَابٍ وَلَا أَعْلَمُ مَا فِيهِ لَعَرُ، فَفَكَ

الطُّومَارَ فَقَرَأَهُ، فَلَمَّا رَأَى مَا فِيهِ دَعَا أَنَسًا مِنْ خَاصَّتِهِ فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبْرَ، وَأَفْشَى إِلَيْهِمْ أَمْرَهُ، وَشَاوَرَهُمْ، وَقَالَ: مَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْجُو وَيَهْرَبَ فَلْيَسِرْ مَعِي، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْذَ طَرِيقَ الْعِرَاقِ، وَأَخْبَرَهُمْ مَا كُتِبَ بِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ فِي أَمْرِهِ، وَقَالَ لَهُمْ: مَنْ لَمْ يَرِدْ مِنْكُمْ أَنْ يَحْمِلَ نَفْسَهُ عَلَى السَّيْرِ فَلَا يَفْشِينَ سَرِي، وَلِيَذْهَبَ حَيْثُ أَحَبَ.

قَالَ: فاتبعه على ذلك ناس من أصحابه، فأمر حميد بدوابه فأنعلت، وأنعل أصحابه دوابهم، وتأهبوا للمسير معه، ثم فوز بهم وبهرج الطريق فأخذ على ناحية من الرصافة، رصافة هشام بالشام، وبالرصافة يومئذ مولى لعبد الله بن علي يقال له سعيد البربري، فبلغه أن حميد بن قطبة قد خالف عبد الله بن علي، وأخذ في المفازة، فسار في طلبه فيمن معه من فرسانه، فلحقه ببعض الطريق، فلما بصر به حميد ثنى فرسه نحوه حتى لقيه، فقال له:

ويحك! أما تعرفني! والله مالك في قتالي من خير فارجع، فلا تقتل أصحابي وأصحابك، فهو خير لك فلما سمع كلامه عرف ما قال له، فرجع إلى موضعه بالرصافة، ومضى حميد ومن كان معه، فقال له صاحب حرسه موسى بن ميمون: إن لي بالرصافة جارية، فإن رأيت أن تأذن لي فأتيتها فأوصيها ببعض ما أريد، ثم ألقك! فأذن له فأتاها، فأقام عندها، ثم خرج من الرصافة يريد حميدا، فلقاه سعيد البربري مولى عبد الله بن علي، فأخذه فقتله، وأقبل عبد الله بن علي حتى نزل نصيبين، وخندق عليه.

وأقبل أبو مسلم وكتب أبو جعفر إلى الحسن بن قطبة- وكان خليفته بأرمينية- أن يوافي أبا مسلم، فقدم الحسن بن قطبة على أبي مسلم وهو بالموصل، وأقبل أبو مسلم، فنزل ناحية لم يعرض له، وأخذ طريق الشام، وكتب إلى عبد الله:

إني لم أؤمر بقتالك، ولم أوجه له، ولكن أمير المؤمنين ولاني الشام، وإنما أريدها، فقال من كان مع عبد الله من أهل الشام لعبد الله: كيف نقيم معك وهذا يأتي بلادنا، وفيها حرما فيقتل من قدر عليه من رجالنا، ويسبي ذرارينا!

ولمّا نخرج إلى بلادنا فممنعه حرما وذرارينا ونقاتله إن قاتلنا، فقال لهم عبد الله بن علي: إنه والله ما يريد الشام، وما وجه الا لقتالك، ولئن أقمتم ليأتينكم قال: فلم تطب أنفسهم، وأبوا إلا المسير إلى الشام قال: وأقبل أبو مسلم فمعسكر قريبا منهم، وارتحل عبد الله بن علي من معسكره متوجها نحو الشام، وتحول أبو مسلم حتى نزل في معسكر عبد الله ابن علي في موضعه، وعور ما كان حوله من المياه، وألقى فيها الجيف.

وبلغ عبد الله بن علي نزول أبي مسلم معسكره، فقال لأصحابه من أهل الشام: ألم أقل لكم! وأقبل فوجد أبا مسلم قد سبقه إلى معسكره، فنزل في موضع معسكر أبي مسلم الذي كان فيه، فاقتتلوا أشهرا خمسة أو ستة، وأهل الشام أكثر فرسانا وأكل عده، وعلى ميمنه عبد الله بكار بن مسلم العقيلي، وعلى ميسرته حبيب بن سويد الأسدي، وعلى الخليل عبد الصمد بن علي، وعلى ميمنه أبي مسلم الحسن بن قطبة، وعلى الميسرة أبو نصر خازم بن خزيمه، فقاتلوه أشهرا.

قَالَ علي: قَالَ هشام بن عمرو التغلبي: كنت في معسكر أبي مسلم، فتحدث الناس يوما، فقيل: أي الناس أشد؟ فقال: قولوا حتى أسمع، فقال رجل: أهل خراسان وقال آخر: أهل الشام، فقال أبو مسلم: كل قوم في دولتهم أشد الناس قال: ثم التقينا، فحمل علينا أصحاب عبد الله بن علي فصدونا صدمة أزلونا بها عن مواضعنا، ثم انصرفوا وشد علينا عبد الصمد في خيل مجردة، فقتل منا ثمانية عشر رجلا، ثم رجع في أصحابه، ثم تجمعوا فرموا بأنفسهم: فأزالوا صفنا وجلنا جولة، فقلت لأبي مسلم:

لو حركت دابتي حتى اشرف على هذا التل فاصبح بالناس، فقد انهزموا! فقال: افعل، قال: قلت: وأنت أيضا فتحرك دابتك، فقال: إن أهل الحمى لا يعطفون دوابهم على هذه الحال، ناد: يا أهل خراسان ارجعوا، فإن العاقبة لمن اتقى قال: ففعلت، فتراجع الناس، وارتجز أبو مسلم يومئذ فقال:

من كان ينوي أهله فلا رجع فر من الموت وفي الموت وقع قال: وكان قد عمل لأبي مسلم عريش، فكان يجلس عليه إذا التقى الناس فينظر إلى القتال، فإن رأى خلا في الميمنة أو في الميسرة أرسل إلى صاحبها:

إن في ناحيتك انتشارا، فاتق ألا تؤتى من قبلك، فافعل كذا، قدم خيلك كذا، أو تأخر كذا إلى موضع كذا، وإنما رسله تختلف إليهم برأيه حتى ينصرف بعضهم عن بعض.

قَالَ: فلما كان يوم الثلاثاء- أو الأربعاء- لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ومائة- أو سبع وثلاثين ومائة- التقوا فاقتتلوا قتالا شديدا.

فلما رأى ذلك أبو مسلم مكر بهم، فأرسل إلى الحسن بن قطبة- وكان على ميمنته- أن أعر الميمنة وضم أكثرها إلى الميسرة، وليكن في الميمنة حماة أصحابك وأشدائهم فلما رأى ذلك أهل الشام أعروا ميسرتهم، وانضموا إلى ميمنتهم بإزاء ميسرة أبي مسلم ثم أرسل أبو مسلم إلى الحسن أن مر أهل القلب فليحملوا مع من بقي في الميمنة على ميسرة أهل الشام فحملوا عليهم فخطموهم وجال أهل القلب والميمنة.

قَالَ: وركبهم أهل خراسان فكانت الهزيمة، فقال عبد الله بن علي لابن سراقه الأزدي- وكان معه: يا بن سراقه، ما ترى؟ قَالَ: أرى والله أن تصبر وتقاتل حتى تموت، فإن الفرار قبيح بمثلك، وقبل عبتة على مروان، فقلت: قبح الله مروان! جزع من الموت ففر! قَالَ: فإني آتي العراق، قَالَ: فأنا معك فانهزموا وتركوا عسكرهم، فاحتواه أبو مسلم، وكتب بذلك إلى أبي جعفر فأرسل أبو جعفر أبا الخصيب مولاه يحصي ما أصابوا في عسكر عبد الله بن علي، فغضب من ذلك أبو مسلم ومضى عبد الله بن علي وعبد الصمد بن علي، فأما عبد الصمد فقدم الكوفة فاستأمن له عيسى بن موسى فأمنه أبو جعفر، وأما عبد الله بن علي فأتى سليمان بن علي بالبصرة، فأقام عنده وآمن أبو مسلم الناس فلم يقتل أحدا، وأمر بالكف عنهم

٧٠٣٤٠٢ ذكر خبر قتل ابى مسلم الخراسانى

ويقال: بل استأمن لعبد الصمد بن علي إسماعيل بن علي. وقد قيل: إن عبد الله بن علي لما انهزم مضى هو وعبد الصمد أخوه إلى رصافة هشام، فأقام عبد الصمد بها حتى قدمت عليه خيول المنصور، وعليها جهور بن مرار العجلي، فأخذه فبعث به إلى المنصور مع أبي الخصيب مولاه موثقاً، فلما قدم عليه أمر بصرفه إلى عيسى بن موسى، فأمنه عيسى وأطلقه وأكرمه، وحباه وكساه. وأما عبد الله بن علي فلم يلبث بالرصافة إلا ليلة، ثم أدلج في قواده ومواليه حتى قدم البصرة على سليمان بن علي وهو عاملها يومئذ، فأواهم سليمان وأكرمهم وأقاموا عنده زمناً متوارين . ذكر خبر قتل ابى مسلم الخراسانى . وفي هذه السنة قتل أبو مسلم.

ذكر الخبر عن مقتله وعن سبب ذلك: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زهير، قَالَ: حَدَّثَنَا علي بن محمد، قَالَ: حدثنا سلمة بن محارب ومسلم بن المغيرة وسعيد بن أوس وأبو حفص الأزدي والنعمان أبو السري ومحرز بن إبراهيم وغيرهم، أن أبا مسلم كتب إلى أبي العباس يستأذنه في الحج- وذلك في سنة ست وثلاثين ومائة- وإنما أراد أن يصلي بالناس.

فأذن له، وكتب أبو العباس إلى أبي جعفر وهو على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان: أن أبا مسلم كتب إلي يستأذن في الحج وقد أذنت له، وقد ظننت أنه إذا قدم يريد أن يسألني أن أوليه إقامة الحج للناس، فاكذب إلي تستأذني في الحج فإنك إذا كنت بمكة لم يطمع أن يتقدمك فكتب أبو جعفر إلى أبي العباس يستأذنه في الحج فأذن له، فوافى الأنبار، فقال أبو مسلم: أما وجد أبو جعفر عاماً يحج فيه غير هذا! واضطغنها عليه. قَالَ علي: قَالَ مسلم بن المغيرة: استخلف أبو جعفر على أرمينية في تلك

السنة الحسن بن قطبة وقال غيره: استعمل رضيعة يحيى بن مسلم بن عروة- وكان أسود مولى لهم- نخرجوا إلى مكة فكان أبو مسلم يصلح العقاب ويكسو الأعراب في كل منزل، ويصل من سألته، وكسا الأعراب البتوت والملاحف، وحفر الآبار، وسهل الطرق، فكان الصوت له، وكان الأعراب يقولون: هذا المكذوب عليه، حتى قدم مكة فنظر إلى البمانية فقال لنيزك- وضرب جنبه:- يا نيزك، أي جند هؤلاء لو لقيهم رجل ظريف اللسان سريع الدمعة! ثم رجع الحديث إلى حديث الأولين قالوا: لما صدر الناس عن الموسم،

نفر أبو مسلم قبل أبي جعفر، فتقدمه، فأتاه كتاب بموت أبي العباس واستخلاف أبي جعفر فكتب أبو مسلم إلى أبي جعفر يعزیه بأمر المؤمنين، ولم يهتئ بالخلافة، ولم يقم حتى يلحقه ولم يرجع فغضب أبو جعفر فقال لأبي أيوب: اكتب إليه كتاباً غليظاً، فلما أتاه كتاب أبي جعفر كتب إليه يهتئ بالخلافة، فقال يزيد بن أسيد السلمي لأبي جعفر: إني أكره أن تجامعه في الطريق والناس جنده، وهم له أطوع، وله أهيب، وليس معك أحد فأخذ برأيه، فكان يتأخر ويتقدم أبو مسلم، وأمر أبو جعفر أصحابه فقدموا، فاجتمعوا جميعاً وجمع سلاحهم، فما كان في عسكره إلا سته اذرع، فضى أبو مسلم إلى الأنبار، ودعا عيسى بن موسى إلى أن يبايع له، فأتى عيسى، فقدم أبو جعفر فنزل الكوفة، وأتاه أن عبد الله بن علي قد خلع، فرجع إلى الأنبار، فدعا أبا مسلم، فعقد له، وقال له: سر إلى ابن علي، فقال له أبو مسلم:

إن عبد الجبار بن عبد الرحمن وصالح بن الهيثم يعياني فاحبسهما، فقال أبو جعفر: عبد الجبار على شرطي - وكان قبل على شرط أبي العباس - وصالح بن الهيثم أخو أمير المؤمنين من الرضاعة، فلم أكن لأحبسهما لظنك بهما، قال: أراهما أثر عندك مني! فغضب أبو جعفر، فقال أبو مسلم:

لم أرد كل هذا

قال علي: قال مسلم بن المغيرة: كنت مع الحسن بن قحطبة بأرمينية فلما وجه أبو مسلم إلى الشام كتب أبو جعفر إلى الحسن أن يوافيه ويسير معه، فقدمنا على أبي مسلم وهو بالموصل فأقام أياماً، فلما أراد أن يسير، قلت للحسن: أنتم تسيرون إلى القتال وليس بك إلى حاجة، فلو أذنت لي فأتيت العراق، فأقمت حتى تقدموا إن شاء الله! قال: نعم، لكن أعلمني إذا أردت الخروج، قلت: نعم، فلما فرغت وتهيأت أعلمته، وقلت:

أتيتك أودعك، قال: قف لي بالباب حتى أخرج إليك، فخرجت فوقفت وخرج، فقال: إني أريد أن ألقى إليك شيئاً لتبلغه أبا أيوب، ولولا ثقتي بك لم أخبرك، ولولا مكانك من أبي أيوب لم أخبرك، فأبلغ أبا أيوب أنني قد ارتبت بأبي مسلم منذ قدمت عليه، إنه يأتيه الكتاب من أمير المؤمنين فيقرؤه، ثم يلوي شدقه، ويرمي بالكتاب إلى أبي نصر، فيقرؤه ويضحكان استهزاء، قلت: نعم قد فهمت، فلقيت أبا أيوب وأنا أرى أن قد أتيت به شيء، فضحك، وقال: نحن لأبي مسلم أشد تهمة منا لعبد الله بن علي إلا أنا نرجو واحدة، نعلم أن أهل خراسان لا يحبون عبد الله بن علي، وقد قتل منهم من قتل، وكان عبد الله بن علي حين خلع خاف أهل خراسان فقتل منهم سبعة عشر ألفاً، أمر صاحب شرطته حياش بن حبيب فقتلهم.

قال علي: فذكر أبو حفص الأزدي أن أبا مسلم قاتل عبد الله بن علي فهزمه، وجمع ما كان في عسكره من الأموال فصيره في حظيرة، وأصاب عينا ومتاعاً وجوهرًا كثيرًا، فكان منشورًا في تلك الحظيرة، ووكّل بها وبحفظها قائداً من قواده، فكنت في أصحابه، فجعلها نواب بيننا، فكان إذا خرج رجل من الحظيرة فتشّه، فخرج أصحابي يوماً من الحظيرة وتحلفت، فقال لهم الأمير: ما فعل أبو حفص؟ فقالوا: هو في الحظيرة، قال: فجاء فاطلع

من الباب، وفطنت له فنزعت خفي وهو ينظر، فنفضتهما وهو ينظر، ونفضت سراويلي وكمي، ثم لبست خفي وهو ينظر، ثم قام فتعد في مجلسه وخرجت، فقال لي: ما حبسك؟ قلت: خير، نفلاني، فقال: قد رأيت ما صنعت فلم صنعت هذا؟ قلت: إن في الحظيرة لؤلؤاً منشوراً ودراهم منشورة، ونحن نتقلب عليها، نخفت أن يكون قد دخل في خفي منها شيء، فنزعت خفي وجوربي، فأعجب ذلك وقال: انطلق، فكنت أدخل الحظيرة مع من يحفظ فأخذ من الدراهم ومن تلك الثياب الناعمة فاجعل بعضها في خفي وأشد بعضها على بطني، ويخرج أصحابي فيفتشون ولا أفتش، حتى جمعت مالاً، قال: وأما اللؤلؤ فإني لم أكن أمسّه.

ثم رجع الحديث إلى حديث الذين ذكر علي عنهم قصة أبي مسلم في أول الخبر قالوا: ولما انهزم عبد الله بن علي بعث أبو جعفر أبا الخصيب إلى أبي مسلم ليكتب له ما أصاب من الأموال، فاقتري أبو مسلم على أبي الخصيب وهم بقتله، فكلّم فيه، وقيل: إنما هو رسول، نخل سبيله فرجع إلى أبي جعفر، وجاء القواد إلى أبي مسلم، فقالوا: نحن ولينا أمر هذا الرجل، وغنمنا عسكره، فلم يسأل عما

في أيدينا، إنما لأمر المؤمنين من هذا الخمس. فلما قدم أبو الخصيب على أبي جعفر أخبره أن أبا مسلم هم بقتله، فخاف أن يمضي أبو مسلم إلى خراسان، فكتب إليه كتابا مع يقطين، أن قد وليتك مصر والشام، فهي خير لك من خراسان، فوجه إلى مصر من أحببت، وأقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين، فإن أحب لقاءك أتيته من قريب.

فلما أتاه الكتاب غضب، وقال: هو يوليني الشام ومصر، وخراسان لي! وأعتزم بالمضي إلى خراسان، فكتب يقطين إلى أبي جعفر بذلك. وقال غير من ذكرت خبره: لما ظفر أبو مسلم بعسكر عبد الله بن علي بعث المنصور يقطين بن موسى، وأمره أن يحصي ما في العسكر، وكان أبو مسلم يسميه يك دين، فقال أبو مسلم: يا يقطين، أمين على الدماء خائن في الأموال! وشم أبا جعفر، فابلغه يقطين ذلك.

وأقبل أبو مسلم من الجزيرة مجمعا على الخلاف، وخرج من وجهه معارضا يريد خراسان، وخرج أبو جعفر من الأنبار إلى المدائن، وكتب إلى أبي مسلم في المصير إليه فكتب أبو مسلم، وقد نزل الزاب وهو على الرواح إلى طريق حلوان: إنه لم يبق لأمر المؤمنين أكرمه الله عدو إلا أمكنه الله منه، وقد كنا نزوي عن ملوك آل ساسان: أن أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء، فنحن نافرون من قربك، حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيت، حريون بالسمع والطاعة، غير أنها من بعيد حيث تقارنها السلامة، فإن أرضاك ذاك فأنا كأحسن عبيدك، فإن أبيت إلا أن تعطي نفسك إرادتها نقضت ما أبرمت من عهدك، ضنا بنفسي فلما وصل الكتاب إلى المنصور كتب إلى أبي مسلم: قد فهمت كتابك، وليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغششة ملوكهم، الذين يتنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم، فإنما راحتهم في انتشار نظام الجماعة، فلم سويت نفسك بهم، وأنت في طاعتك ومناصحتك واضطلاعت بما حملت من أعباء هذا الأمر على ما أنت به! وليس مع الشريطة التي اوجبت منك سمع ولا طاعة وحمل إليك أمير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة لتسكن إليها إن أصغيت إليها، واسأل الله أن يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك، فإنه لم يجد بابا يفسد به نيتك أوكد عنده، وأقرب من طبه من الباب الذي فتحه عليك ووجه إليه جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي، وكان واحد أهل زمانه، نخدعه ورده، وكان أبو مسلم يقول: والله لأقتلن بالروم، وكان المنجمون يقولون ذلك، فأقبل والمنصور في الرومية في مضارب، وتلقاه الناس وأنزله وأكرمه أياما.

وأما علي فإنه ذكر عن شيوخه الذين تقدم ذكرنا لهم إنهم قالوا: كتب أبو مسلم إلى أبي جعفر: أما بعد، فإني اتخذت رجلا إماما ودليلا على ما افترضه الله على خلقه، وكان في محلة العلم نازلا، وفي قرابته من رسول الله ص

قريبا، فاستجهلني بالقرآن فخره عن مواضعه، طمعا في قليل قد تعافاه الله إلى خلقه، فكان كالذي دلي بغرور، وأمرني أن أجرد السيف، وأرفع الرحمة، ولا أقبل المعذرة، ولا أقبل العثرة، ففعلت توطيدا لسلطانكم حتى عرفكم الله من كان جهلكم، ثم استنقذني الله بالتوبة، فان يعف عني فقد ما عرف به ونسب إليه، وإن يعاقبني فيما قدمت يداي وما الله بظلام للعبيد وخرج أبو مسلم يريد خراسان مراغما مشاقا، فلما دخل أرض العراق، ارتحل المنصور من الأنبار، فأقبل حتى نزل المدائن، وأخذ أبو مسلم طريق حلوان، فقال: رب أمر الله دون حلوان وقال أبو جعفر لعيسى بن علي وعيسى بن موسى ومن حضره من بني هاشم: اكتبوا إلى أبي مسلم، فكتبوا إليه يعظمون امره، ويشكرون له ما كان منه، ويسألونه أن يتم على ما كان منه وعليه من الطاعة، ويحذرونه عاقبة الغدر، ويأمرونه بالرجوع إلى أمير المؤمنين، وأن يلتمس رضاه وبعث بالكتاب أبو جعفر مع أبي حميد المروذي، وقال له: كلم أبا مسلم بألن ما تكلم به أحدا، ومنه وأعلمه أني رافعه وصانع به ما لم يصنعه أحد، إن هو صلح وراجع ما أحب، فإن أبي أن يرجع فقل له: يقول لك أمير المؤمنين: لست للعباس وأنا بريء من محمد، ان مضيت مشاقا ولم تأتني، إن وكلت أمرك إلى أحد سواي، وإن لم أل طلبك وقتالك بنفسي، ولو خضت البحر لخصته، ولو اقتحمت النار لاقتحمتها حتى أقتلك أو أموت قبل ذلك ولا تقولن له هذا الكلام حتى تأيس من رجوعه، ولا تطمع منه في خير فسار أبو حميد في ناس من أصحابه ممن يثق بهم، حتى قدموا على أبي مسلم بحلوان، فدخل أبو حميد وأبو مالك وغيرهما، فدفع إليه الكتاب، وقال له: إن الناس يبلغونك عن أمير المؤمنين ما لم يقله، وخلاف ما عليه رأيك، حسدا وبغيا، يريدون

إزالة النعمة وتغييرها، فلا تفسد ما كان منك، وكله وقال: يا أبا مسلم، إنك لم تزل أمين آل محمد، يعرفك بذلك الناس، وما ذخر الله لك من الأجر عنده في ذلك أعظم مما أنت فيه من دنياك، فلا تحبط أجرك، ولا يستهوينك الشيطان، فقال له أبو مسلم:

متى كنت تكلمني بهذا الكلام! قَالَ: إنك دعوتنا إلى هذا وإلى طاعة أهل بيت النبي ص بني العباس، وأمرتنا بقتال من خالف ذلك، فدعوتنا من أرضين متفرقة وأسباب مختلفة، فجمعنا الله على طاعتهم، وألف بين قلوبنا بحبهم، وأعزنا بنصرنا لهم، ولم نلق منهم رجلا إلا بما قذف الله في قلوبنا، حتى أتيناهم في بلادهم ببصائر نافذة، وطاعة خالصة، أفتريد حين بلغنا غاية منانا ومنتى أملنا أن تفسد أمرنا، وتفرق كلمتنا، وقد قلت لنا: من خالفكم فاقتلوه، وإن خالفكم فاقتلوني! فأقبل على أبي نصر، فقال: يا مالك، أما تسمع ما يقول لي هذا! ما هذا بكلامه يا مالك! قَالَ:

لا تسمع كلامه، ولا يهولك هذا منه، فلعمري لقد صدقت ما هذا كلامه، ولما بعد هذا أشد منه، فامض لأمرك ولا ترجع، فو الله لئن أتيت ليقتلنك، ولقد وقع في نفسه منك شيء لا يأمنك أبدا فقال: قوموا، فنهضوا، فأرسل أبو مسلم إلى نيزك، وقال: يا نيزك، إني والله ما رأيت طويلا أعقل منك، فما ترى، فقد جاءت هذه الكتب، وقد قال القوم ما قالوا؟ قَالَ: لا أرى أن تأتيه، وأرى أن تأتي الري فتقيم بها، فيصير ما بين خراسان والري لك، وهم جندك ما يخالفك أحد، فإن استقام لك استقيمت له، وإن أبي كنت في جندك، وكانت خراسان من ورائك، ورأيت رأيك فدعا أبا حميد، فقال:

ارجع إلى صاحبك، فليس من رأيي أن أتيه قَالَ: قد عزمت على خلافه؟ قَالَ: نعم، قَالَ: لا تفعل، قَالَ: ما أريد أن ألقاه، فلها آيسه من الرجوع، قَالَ له ما امره به أبو جعفر، فوجم طويلا، ثم قَالَ: قم فكسره ذلك القول ورعبه.

وكان أبو جعفر قد كتب إلى أبي داود- وهو خليفة أبي مسلم بخراسان- حين اتهم أبا مسلم: إن لك إمرة خراسان ما بقيت فكتب أبو داود إلى أبي مسلم: إنا لم نخرج لمعصية خلفاء الله وأهل بيت نبيه ص، فلا تخالفن إمامك ولا ترجعن إلا بإذنه فوافاه كتابه على تلك الحال، فزاده رعبا وهما، فأرسل إلى أبي حميد وأبي مالك فقال لهما: إني قد كنت معترضا على المضي إلى خراسان، ثم رأيت أن أوجه أبا إسحاق إلى أمير المؤمنين فيأتينني برأيه، فإنه ممن أثق به فوجهه، فلما قدم تلقاه بنو هاشم بكل ما يحب، وقال له أبو جعفر: اصرفه عن وجهه، ولك ولاية خراسان، وأجازه فرجع أبو إسحاق إلى أبي مسلم، فقال له: ما أنكرت شيئا، رأيتهم معظمين لحقك، يرون لك ما يرون لأنفسهم وأشار عليه أن يرجع إلى أمير المؤمنين، فيعتذر إليه مما كان منه، فأجمع على ذلك، فقال له نيزك: قد أجمعت على الرجوع؟ قَالَ: نعم، وتمثل:

ما للرجال مع القضاء محالة ... ذهب القضاء بحيلة الأقوام

فقال: أما إذا اعتزمت على هذا نفار الله لك، واحفظ عني واحدة، إذا دخلت عليه فاقتله ثم بايع لمن شئت، فإن الناس لا يخالفونك وكتب أبو مسلم إلى أبي جعفر يخبره أنه منصرف إليه.

قالوا: قَالَ أبو أيوب: فدخلت يوما على أبي جعفر وهو في خباء شعر بالرومية جالسا على مصلى بعد العصر، وبين يديه كتاب أبي مسلم، فرمى به إلي فقرأته، ثم قَالَ: والله لئن ملأت عيني منه لأقتله، فقلت في نفسي:

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! طلبت الكتابه حتى إذا بلغت غايتها فصرت كاتباً للخليفة، وقع هذا بين الناس! والله ما أرى إنا إن قتل يرضى أصحابه بقتله، ولا يدعون هذا حيا، ولا أحدا ممن هو بسبيل منه، وامتنع مني النوم، ثم قلت: لعل الرجل يقدم وهو آمن، فإن كان آمنا فمسي أن ينال ما يريد، وإن قدم وهو حذر لم يقدر عليه إلا في شر، فلو التمسيت حيلة! فأرسلت إلى سلمة بن سعيد بن جابر، فقلت له: هل عندك شكر؟ فقال: نعم، فقلت: إن وليتك ولاية تصيب منها مثل ما يصيب صاحب العراق، تدخل معك حاتم بن أبي سليمان أخي؟ قَالَ: نعم، فقلت- وأردت أن يطلع ولا

ينكر: وتجعل له النصف؟ قَالَ: نعم، قلت: إن كسكر كالت عام أول كذا وكذا، ومنها العام أضعاف ما كان عام أول، فإن دفعته إليك بقبالتها عاما أول أو بالأمانة أصبت ما تضيق به ذرعا، قَالَ: فكيف لي بهذا المال؟ قلت: تأتي أبا مسلم، فتلقاه وتكلمه غدا، وتسأله أن يجعل هذا فيما يرفع من حوائجه أن يتولاها أنت بما كانت في العام الأول، فإن أمير المؤمنين يريد أن يوليه إذا قدم ما وراء بابه، ويستريح ويريح نفسه، قَالَ:

فكيف لي أن يأذن أمير المؤمنين في لقائه؟ قلت: أنا أستأذن لك، ودخلت إلى أبي جعفر، فحدثته الحديث كله، قَالَ: فادع سلمة، فدعوته، فقال:

إن أبا أيوب استأذن لك، أفتحب أن تلقى أبا مسلم؟ قَالَ: نعم، قَالَ: فقد أذنت لك، فاقتره السلام، وأعلمه بشوقنا إليه فخرج سلمة فلقية، فقال:

أمير المؤمنين أحسن الناس فيك رأيا، فطلبت نفسه، وكان قبل ذلك كثيبا. فلما قدم عليه سلمة سره ما أخبره به وصدقه، ولم يزل مسرورا حتى قدم.

قَالَ أبو أيوب: فلما دنا أبو مسلم من المدائن أمر أمير المؤمنين الناس فتلقوه، فلما كان عشية قدم، دخلت على أمير المؤمنين وهو في خباء على مصلى، فقلت: هذا الرجل يدخل العشية، فما تريد أن تصنع؟ قَالَ:

أريد أن أقتله حين أنظر إليه، قلت: أنشدك الله، إنه يدخل معه الناس، وقد علموا ما صنع، فإن دخل عليك ولم يخرج لم آمن البلاء، ولكن إذا دخل عليك فأذن له أن ينصرف، فإذا غدا عليك رأيت رأيك وما أردت بذلك إلا دفعه بها، وما ذاك إلا من خوفي عليه وعلينا جميعا من أصحاب أبي مسلم فدخل عليه من عشيته وسلم، وقام قائما بين يديه، فقال: انصرف يا عبد الرحمن فأرح نفسك، وادخل الحمام، فإن للسفر قشفا، ثم اغد علي، فانصرف أبو مسلم وانصرف الناس قَالَ: فافتري علي أمير المؤمنين حين خرج أبو مسلم، وقال: متى أقدر على مثل هذه الحال منه التي رأيته قائما على رجله، ولا أدري ما يحدث في ليلتي! فانصرفت وأصبحت غاديا عليه، فلما رآني قال: يا بن الخناء، لا مرحبا بك! أنت منعني منه أمس، والله ما غمضت الليلة، ثم شمتني حتى خفت أن يأمر بقتلي، ثم قَالَ: ادع لي عثمان بن نهيك، فدعوته، فقال: يا عثمان، كيف بلاء أمير المؤمنين عندك؟

قَالَ: يا أمير المؤمنين إنما أنا عبدك، والله لو أمرتني أن أتكى على سيفي حتى يخرج من ظهري لفعلت، قَالَ: كيف أنت إن أمرتك بقتل أبي مسلم؟

فوجم ساعة لا يتكلم، فقلت: ما لك لا تتكلم! فقال قولة ضعيفة: أقتله، قَالَ: انطلق فجيء باربعة من وجوه الحرس جلند، فضى، فلما كان عند الرواق، ناداه: يا عثمان يا عثمان، ارجع، فرجع، قَالَ: اجلس، وأرسل إلي من نثق به من الحرس، فأحضر منهم أربعة، فقال لوصيف له انطلق:

فادع شبيب بن واج، وادع أبا حنيفة ورجلين آخرين، فدخلوا، فقال لهم أمير المؤمنين نحوا مما قَالَ لعثمان، فقالوا: نقتله، فقال: كونوا خلف الرواق، فإذا صفقت فاخرجوا فاقتلوه.

وأرسل إلى أبي مسلم رسلا بعضهم على أثر بعض، فقالوا: قد ركب، وأتاه وصيف، فقال: أتى عيسى بن موسى، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا أخرج فأطوف في العسكر، فأنظر ما يقول الناس؟ هل ظن أحد ظنا، أو تكلم أحد بشيء؟ قَالَ: بلى، فخرجت، وتلقاني أبو مسلم داخلا، فتبسم وسلمت عليه ودخل، فرجعت، فإذا هو منبطح لم ينتظر به رجوعي، وجاء أبو الجهم، فلما رآه مقتولا قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! فأقبلت على أبي الجهم، فقلت له: أمرته بقتله حين خالف، حتى إذا قتل قلت هذه المقالة! فنبهت به رجلا غافلا، فتكلم بكلام أصلح ما جاء منه، ثم قَالَ: يا أمير المؤمنين، ألا أرد الناس؟ قَالَ: بلى، قَالَ: فربمتاع يحول إلى رواق آخر من أرواقك هذه، فأمر بفرش فأخرجت، كأنه يريد أن يهني له رواقا آخر وخرج أبو الجهم، فقال: انصرفوا، فإن الأمير يريد أن يقبل عند أمير المؤمنين، ورأوا المتاع ينقل، فظنوه صادقا، فانصرفوا ثم راحوا، فأمر لهم أبو جعفر بجوائزهم، وأعطى أبا إسحاق مائة ألف

قَالَ أبو أيوب: قَالَ لي أمير المؤمنين: دخل علي أبو مسلم فعاتبته ثم شتمته، فضربه عثمان فلم يصنع شيئا، وخرج شبيب بن واج وأصحابه

فَضْرِبُوهُ فَسَقَطَ، فَقَالَ وَهُمْ يَضْرِبُونَهُ: الْعَفْوُ، فَقُلْتُ: يَا بَنَ الْخَنَاءِ، الْعَفْوُ وَالسَّيُوفُ قَدْ اعْتَوَرْتُكَ! وَقُلْتُ: اذْبَحُوهُ، فَذَبَحُوهُ.
قَالَ عَلِيٌّ عَنْ أَبِي حَفْصٍ الْأَزْدِيِّ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي مُسْلِمٍ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ أَبُو إِسْحَاقَ مِنْ عِنْدِ أَبِي جَعْفَرٍ بَكْتَبَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَقَالَ:
رَأَيْتُ الْقَوْمَ عَلَى غَيْرِ مَا تَرَى، كُلُّ الْقَوْمِ يَرُونَ لَكَ مَا يَرُونَ لِلْخَلِيفَةِ، وَيَعْرِفُونَ مَا أَبْلَاهُمُ اللَّهُ بِكَ.

فَسَارَ إِلَى الْمَدَائِنِ، وَخَلَفَ أَبَا نَصْرٍ فِي ثَقَلِهِ، وَقَالَ: أَقِمْ حَتَّى يَأْتِيكَ كِتَابِي، قَالَ: فَاجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ آيَةً أَعْرِفُ بِهَا كِتَابَكَ، قَالَ: إِنْ أَتَاكَ كِتَابِي مَخْتُومًا بِنَصْفِ خَاتَمِ فَأَنَا كَتَبْتَهُ، وَإِنْ أَتَاكَ بِالْخَاتَمِ كُلِّهِ، فَلَمْ أَكْتُبْهُ وَلَمْ أَخْتَمِهِ فَلَهَا دَنَا مِنَ الْمَدَائِنِ تَلْقَاهُ رَجُلٌ مِنْ قَوَادِهِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ:

أَطْعِنِي وَارْجِعْ، فَإِنَّهُ إِنْ عَايَنَكَ قَتَلَكَ، قَالَ: قَدْ قَرَبْتُ مِنَ الْقَوْمِ فَأُكْرَهُ أَنْ أَرْجِعَ فَقَدِمَ الْمَدَائِنِ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ، وَخَلَفَ النَّاسَ بِحُلُوفَانِ، فَدَخَلَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ، فَأَمَرَهُ بِالْانْصِرَافِ فِي يَوْمِهِ، وَأَصْبَحَ يَرِيدُهُ، فَتَلْقَاهُ أَبُو الْخَصِيبِ فَقَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَشْغُولٌ، فَاصْبِرْ سَاعَةً حَتَّى تَدْخُلَ خَالِيَا، فَأَتَى مَنَزَلَ عِيسَى بْنِ مُوسَى - وَكَانَ يُحِبُّ عِيسَى - فَدَعَا لَهُ بِالْغَدَاءِ وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِلرَّبِيعِ - وَهُوَ يَوْمُئِذٍ وَصِيفٌ يَخْدُمُ أَبَا الْخَصِيبِ: انْطَلِقْ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ، فَقُلْ لَهُ: قَالَ لَكَ مَرْزُوقٌ: إِنْ أَرَدْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ خَالِيَا فَالْعَجَلُ، فَقَامَ فَرَكَبَ، وَقَالَ لَهُ عِيسَى: لَا تَعْجَلْ بِالْدُخُولِ حَتَّى أَدْخُلَ مَعَكَ، فَأَبْطَأَ عِيسَى بِالْوُضُوءِ، وَمَضَى أَبُو مُسْلِمٍ فَدَخَلَ فَقَتَلَ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ عِيسَى، وَجَاءَ عِيسَى وَهُوَ مَدْرَجٌ فِي عِبَادَةٍ، فَقَالَ: أَيْنَ أَبُو مُسْلِمٍ؟ قَالَ: مَدْرَجٌ فِي الْكِسَاءِ، قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ! قَالَ: اسْكُتْ، فَمَا تَمَّ سُلْطَانُكَ وَأَمْرُكَ إِلَّا الْيَوْمَ، ثُمَّ رَجَعَ بِهِ فِي دَجَلَةٍ.

قَالَ عَلِيٌّ: قَالَ أَبُو حَفْصٍ: دَعَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بْنُ نَهْيَكٍ وَأَرْبَعَةٌ

مِنَ الْحَرَسِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِذَا ضَرَبْتَ بِيَدِي إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، فَاضْرِبُوا عَدُوَّ اللَّهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو مُسْلِمٍ، فَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْنِي عَنْ نَصْلَيْنِ أَصَبْتَهُمَا فِي مَتَاعِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: هَذَا أَحَدُهُمَا الَّذِي عَلِيٌّ، قَالَ: أَرْنِيهِ فَانْتَضَاهُ، فَتَلَاوَهُ، فَهَزَهُ أَبُو جَعْفَرٍ، ثُمَّ وَضَعَهُ تَحْتَ فَرَاشِهِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يِعَاتِبُهُ، فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ كِتَابِكَ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ تَنْهَاهُ عَنِ الْمَوَاتِ، أَرَدْتُ أَنْ تَعْلَمَنَا الدِّينَ! قَالَ: ظَنَنْتُ أَخْذَهُ لَا يَحِلُّ، فَكُتِبَ إِلَيَّ، فَلَمَّا أَتَانِي كِتَابُهُ عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ مَعْدُنَ الْعِلْمِ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ تَقْدِمِكَ إِيَّايَ فِي الطَّرِيقِ؟ قَالَ: كَرِهْتُ اجْتِمَاعَنَا عَلَى الْمَاءِ فَيَضُرُّ ذَلِكَ بِالنَّاسِ، فَتَقْدِمُكَ التَّمَّاسُ الرِّفْقُ، قَالَ: فَقَوْلُكَ حِينَ أَتَاكَ الْخَبَرُ بِمَوْتِ أَبِي الْعَبَّاسِ لِمَنْ أَشَارَ عَلَيْكَ أَنَّ تَنْصَرِفَ إِلَيَّ: نَقْدَمُ فَنَرَى مِنْ رَأْيِنَا، وَمَضَيْتُ فَلَا أَنْتَ اقْمِتْ حَتَّى الْحَقُّ وَلَا أَنْتَ رَجَعْتَ إِلَيَّ! قَالَ: مَنْعَنِي مِنْ ذَلِكَ مَا أَخْبَرْتُكَ مِنْ طَلَبِ الرِّفْقِ بِالنَّاسِ، وَقُلْتُ: نَقْدَمُ الْكُوفَةَ فَلَيْسَ عَلَيْهِ مِنِّي خِلَافٌ، قَالَ:

لِفَجَارِيَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ أَرَدْتُ أَنْ تَخْذَهَا؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي خَفْتُ أَنْ تَضِيعَ، فَحَمَلْتُهَا فِي قَبَةٍ، وَوَكَلْتُ بِهَا مِنْ يَحْفَظُهَا، قَالَ: فَرَاغْتُمَا وَخَرُوجُكَ إِلَى خِرَاسَانَ؟ قَالَ: خَفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ دَخَلَكَ مِنِّي شَيْءٌ، فَقُلْتُ: آتَى خِرَاسَانَ، فَأَكْتُبَ إِلَيْكَ بِعَذْرِي، وَإِلَى ذَلِكَ مَا قَدْ ذَهَبَ مَا فِي نَفْسِكَ عَلِيٍّ، قَالَ: تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ، وَاللَّهُ مَا زِدْتَنِي إِلَّا غَضَبًا، وَضَرَبَ بِيَدِهِ، فَخَرَجُوا عَلَيْهِ، فَضْرِبَهُ عُثْمَانُ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى قَتَلُوهُ.

قَالَ عَلِيٌّ: قَالَ يَزِيدُ بْنُ أَسِيدٍ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: عَاتَبْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقُلْتُ: الْمَالُ الَّذِي جَمَعْتَهُ بِحِرَانَ؟ قَالَ: أَنْفَقْتُهُ وَأَعْطَيْتُهُ الْجُنْدَ تَقْوِيَةً لَهُمْ وَاسْتِصْلَاحًا، قُلْتُ: فَجُوعُكَ إِلَى خِرَاسَانَ مَرَاغِمًا؟ قَالَ: دَعِ هَذَا فَمَا أَصْبَحْتُ أَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، فَغَضِبْتُ فَشَتَمْتُهُ، فَخَرَجُوا فَقَتَلُوهُ وَقَالَ غَيْرٌ مِنْ ذَكَرْتُ فِي أَمْرِ أَبِي مُسْلِمٍ: إِنَّهُ لَمَّا أُرْسِلَ إِلَيْهِ يَوْمَ قَتْلِهِ، أَتَى عِيسَى بْنُ مُوسَى، فَسَأَلَهُ أَنْ يَرْكَبَ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُ: تَقْدَمُ وَأَنْتَ فِي ذِمَّتِي،

فَدَخَلَ مُضْرِبُ أَبِي جَعْفَرٍ، وَقَدْ أَمَرَ عُثْمَانُ بْنُ نَهْيَكٍ صَاحِبَ الْحَرَسِ، فَأَعَدَ لَهُ شَيْبَ بْنَ وَاجٍ الْمُرُورُودِيَّ رَجُلًا مِنَ الْحَرَسِ وَأَبَا حَنِيفَةَ حَرْبَ بْنَ قَيْسٍ، وَقَالَ لَهُمْ: إِذَا صَفَقْتَ بِيَدِي فَشَأْنُكُمْ، وَأُذْنُ لَأَبِي مُسْلِمٍ، فَقَالَ لِمُحَمَّدِ الْبَوَّابِ النَّجَّارِيِّ: مَا الْخَبَرُ؟ قَالَ: خَيْرٌ، يَعْطِينَنِي الْأَمِيرُ سَيْفَهُ، فَقَالَ: مَا كَانَ يَصْنَعُ بِي هَذَا! قَالَ: وَمَا عَلَيْكَ! فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ، قَالَ: وَمَنْ فَعَلَ بِكَ هَذَا قَبْحَهُ اللَّهُ! ثُمَّ أَقْبَلَ يِعَاتِبُهُ: أَلَسْتُ الْكَاتِبَ إِلَيَّ تَبْدَأُ بِنَفْسِكَ، وَالْكَاتِبَ إِلَيَّ تَخْطُبُ أَمِينَةَ بِنْتِ عَلِيٍّ، وَتَزْعَمُ أَنَّكَ ابْنُ سَلِيطَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ! مَا دَعَاكَ

إلى قتل سليمان بن كثير مع أثره في دعوتنا، وهو أحد نقبائنا قبل أن ندخلك في شيء من هذا الأمر؟ قَالَ: أراد الخلف وعصاني فقتلته.

فقال المنصور: وحاله عندنا حاله فقتلته، وتعصيني وأنت مخالف علي! قتلتني الله إن لم أقتلك! فضربه بعمود، وخرج شبيب وحرب فقتلاه، وذلك لخمس ليال بقين من شعبان من سنة سبع وثلاثين ومائة، فقال المنصور:

زعمت أن الدين لا يقتضى ... فاستوف بالكيل أبا مجرم

سقيت كاسا كنت تسقي بها ... أمر في الحلق من العلقم

قَالَ: وكان أبو مسلم قد قتل في دولته وحروبه ستمائة ألف صبرا.

وقيل: إن أبا جعفر لما عاتب أبا مسلم، قَالَ له: فعلت وفعلت، قَالَ له أبو مسلم.

ليس يقال هذا لي بعد بلائي، وما كان مني، فقال: يا بن الخبيثة، والله لو كانت أمة مكانك لأجزت ناحيتها، إنما عملت ما عملت في دولتنا وبريحننا، ولو كان ذلك إليك ما قطعت فتيلًا، ألسنت الكاتب إلي تبدأ بنفسك، والكاتب إلي تخطب أمينة بنت علي، وتزعم أنك ابن سليط بن عبد الله بن عباس! لقد ارتقيت لا أم لك مرتقى صعبا! فأخذ أبو مسلم بيده يعركها ويقبلها ويعتذر إليه.

وقيل: إن عثمان بن نهيك ضرب أبا مسلم أول ما ضرب ضربة خفيفة

بالسيف، فلم يزد على أن قطع حمائل سيفه، فاعتقل بها أبو مسلم وضرب شبيب بن واج رجله، واعتوره بقية أصحابه حتى قتله، والمنصور يصيح بهم: اضربوا قطع الله أيديكم! وقد كان أبو مسلم قَالَ- فيما قيل- عند أول ضربة أصابته:

يا أمير المؤمنين، استبقني لعدوك قَالَ: لا أبقاني الله إذا! وأي عدو لي أعدى منك! وقيل: إن عيسى بن موسى دخل بعد ما قتل أبو مسلم، فقال:

يا أمير المؤمنين، أين أبو مسلم؟ فقال: قد كان هاهنا آنفا، فقال عيسى: يا أمير المؤمنين، قد عرفت طاعته ونصيحته ورأي الإمام إبراهيم كان فيه، فقال: يا أنوك، والله ما أعلم في الأرض عدوا أعدى لك منه، ها هو ذاك في البساط، فقال عيسى: إِنَّا لِلَّهِ وَأَنَا لِيَلَيْهِ رَاجِعُونَ! وكان لعيسى رأي في أبي مسلم، فقال له المنصور: خلع الله قلبك، وهل كان لكم ملك أو سلطان أو أمر أو نهي مع أبي مسلم! قال: ثم دعا أبو جعفر جعفر بن حنظلة، فدخل عليه، فقال: ما تقول في أبي مسلم؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن كنت أخذت شعرة من رأسه فاقتل ثم اقتل ثم اقتل، فقال المنصور: وفقك الله! ثم أمره بالقيام والنظر إلى أبي مسلم مقتولا، فقال: يا أمير المؤمنين، عد من هذا اليوم لخلافتك.

ثم استؤذن لإسماعيل بن علي، فدخل، فقال: يا أمير المؤمنين، إني رأيت في ليلتي هذه كأنك ذبحت كبشا وإني توطأت برجلي، فقال: نامت عينك يا أبا الحسن، قم فصدق رؤياك، قد قتل الله الفاسق، فقام إسماعيل إلى الموضع الذي فيه أبو مسلم، فتوطأه.

ثم إن المنصور هم بقتل أبي إسحاق صاحب حرس أبي مسلم وقتل أبي نصر مالك- وكان على شرط أبي مسلم- فكله أبو الجهم، فقال: يا أمير المؤمنين، جنده جندك، أمرتهم بطاعته فأطاعوه ودعا المنصور بأبي إسحاق فلما دخل عليه ولم ير أبا مسلم، قَالَ له أبو جعفر: أنت المتابع لعدو

الله أبي مسلم على ما كان أجمع، فكف وجعل يلتفت يمينا وشمالا تخوفا من أبي مسلم، فقال له المنصور: تكلم بما أردت، فقد قتل الله الفاسق، وأمر بإخراجه إليه مقطعا، فلما رآه أبو إسحاق خر ساجدا، فأطال السجود، فقال له المنصور: ارفع رأسك وتكلم، فرفع رأسه وهو يقول: الحمد لله الذي آمنني بك اليوم، والله ما أمنت يومًا واحدا منذ صحبتك، وما جئت يومًا قط إلا وقد أوصيت وتكفنت وتحنطت، ثم رفع ثيابه الظاهرة فإذا تحتها ثياب كنان جدد، وقد تحنط فلما رأى أبو جعفر حاله رحمه، ثم قَالَ:

استقبل طاعة خليفتك، واحمد الله الذي أراحك من الفاسق ثم قَالَ له أبو جعفر: فرق عني هذه الجماعة ثم دعا بمالك بن الهيثم فحده بمثل ذلك، فاعتذر إليه بأنه أمره بطاعته، وإنما خدمه وخف له الناس بمرضاته، وإنه قد كان في طاعتهم قبل أن يعرف أبا مسلم، فقبل

منه وأمره بمثل ما أمر به أبا إسحاق من تفريق جند أبي مسلم وبعث أبو جعفر إلى عدة من قواد أبي مسلم بجوائز سنينة، وأعطى جميع جنده حتى رضوا، ورجع أصحابه وهم يقولون: بعنا مولانا بالدرهم ثم دعا أبو جعفر بعد ذلك أبا إسحاق، فقال: أقسم بالله لئن قطعوا طنبا من أطنابي لأضربن عنقك ثم لأجاهدنيهم فخرج إليهم أبو إسحاق فقال:

يا كلاب انصرفوا.

قَالَ علي: قَالَ أبو حفص الأزدي: لما قتل أبو مسلم كتب أبو جعفر إلى أبي نصر كتابا عن لسان أبي مسلم يأمره بحمل ثقله وما خلف عنده، وأن يقدم، وختم الكتاب بخاتم أبي مسلم، فلما رأى أبو نصر نقش الخاتم تاما، علم أن أبا مسلم لم يكتب الكتاب، فقال: أفعلتموها! وانحدر إلى همدان وهو يريد خراسان، فكتب أبو جعفر لأبي نصر عهده على شهرزور، ووجه رسولا إليه بالعهد، فأثاء حين مضى الرسول بالعهد أنه قد توجه إلى خراسان، فكتب إلى زهير بن التركي - وهو على همدان: إن مر بك أبو نصر فاحبسه، فسبق الكتاب إلى زهير وأبو نصر بهمدان، فأخذه فحبسه في القصر، وكان

زهير مولى لخزاعة، فأشرف أبو نصر على إبراهيم بن عريف - وهو ابن أخي أبي نصر لأمه - فقال: يا إبراهيم، تقتل عمك! قَالَ: لا والله أبدا، فأشرف زهير فقال لإبراهيم: إني مأمور والله، إنه لمن أعز الخلق علي، ولكني لا أستطيع رد أمر أمير المؤمنين ووالله لئن رمى أحدكم بسهم لأرمين إليكم برأسه ثم كتب أبو جعفر كتابا آخر إلى زهير: إن كنت أخذت أبا نصر فاقتله.

وقدم صاحب العهد على أبي نصر بعهدته نفلى زهير سبيله لهواه فيه، فخرج، ثم جاء بعد يوم الكتاب إلى زهير بقتله، فقال: جاءني كتاب بعهدته نفليت سبيله.

وقدم أبو نصر على أبي جعفر، فقال: أشرت على أبي مسلم بالمضي إلى خراسان؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين، كانت له عندي أياد وصنائع فاستشارني فنصحت له، وأنت يا أمير المؤمنين إن اصطنعتني نصحت لك وشكرت فعفا عنه، فلما كان يوم الراوندية قام أبو نصر على باب القصر، وقال: أنا اليوم الباب، لا يدخل أحد القصر وأنا حي فقال أبو جعفر:

أين مالك بن الهيثم؟ فأخبروه عنه فرأى أنه قد نصح له.

وقيل: إن أبا نصر مالك بن الهيثم لما مضى إلى همدان كتب أبو جعفر إلى زهير بن التركي: إن لله دمك إن فاتك مالك، فأتى زهير مالكا، فقال له: إني قد صنعت لك طعاما، فلو أكرمتني بدخول منزلي! فقال: نعم، وهيا زهير أربعين رجلا تخيرهم، فجعلهم في بيتين يفضيان إلى المجلس الذي هياه، فلما دخل مالك قَالَ: يا أدهم، عجل طعامك، فخرج أولئك الأربعون إلى مالك، فشدوه وثاقا، ووضع في رجليه القيود وبعث به إلى المنصور فن عليه وصفح عنه واستعمله على الموصل.

وفي هذه السنة ولى أبو جعفر المنصور أبا داود خالد بن إبراهيم خراسان وكتب إليه بعهدته

٧٠٣٤٠٣ ذكر خروج سنباذ للطلب بدم ابى مسلم ثم قتله

٧٠٣٤٠٤ خروج ملبد بن حرملة الشيباني

ذكر خروج سنباذ للطلب بدم ابى مسلم ثم قتله

٤ وفيها خرج سنباذ بخراسان يطلب بدم أبي مسلم.

ذكر الخبر عن سنباذ:

ذكر أن سنباذ هذا كان مجوسيا، من أهل قرية من قرى نيسابور يقال لها آهن، وأنه كثر اتباعه لما ظهر، وكان خروجه غضبا لقتل أبي مسلم - فيما قيل - وطلبا بثأره، وذلك أنه كان من صنائعه، وغلب حين خرج على نيسابور وقومس والري، وتسمى فيروز أصبهذ فلما صار بالري قبض خزائن أبي مسلم، وكان أبو مسلم خلف بها خزائنه حين شخص متوجها إلى أبي العباس، وكان عامة أصحاب سنباذ أهل الجبال فوجه إليهم أبو جعفر جهور بن مرار العجلي في عشرة آلاف، فالتقوا بين همدان والري على طرف المفاضة، فاقتلوا، فهزم سنباذ، وقتل من أصحابه في الهزيمة نحو من ستين ألفا، وسي ذراريهم ونساءهم ثم قتل سنباذ بين طبرستان وقومس، قتله لوان

الطبري، فصور المنصور اصبهذه طبرستان الى ولد هرمز بن الفرخان، وتوجه.
وكان بين مخرج سبأذ الى قتله سبعون ليلة.
خروج ملبد بن حرملة الشيباني

٤٤ وفي هذه السنة خرج ملبد بن حرملة الشيباني، فحكم بناحية الجزيرة، فسارت إليه روابط الجزيرة، وهم يومئذ فيما قيل ألف، فقاتلهم ملبد فهزمهم، وقتل من قتل منهم ثم سارت إليه روابط الموصل فهزمهم، ثم سار إليه يزيد بن حاتم المهلي، فهزمه ملبد بعد قتال شديد كان بينهما، وأخذ ملبد جاريه ليزيد كان يطؤها، وقتل قائد من قواده، ثم وجه إليه أبو جعفر مولاه المهلهل بن صفوان في ألفين من نخبة الجند، فهزمهم ملبد، واستباح عسكرهم
ثم وجه إليه نزارا قائدا من قواد أهل خراسان، فقتله ملبد، وهزم أصحابه، ثم وجه إليه زياد بن مشكان في جمع كثير، فلقبهم ملبد فهزمهم.

ثم وجه إليه صالح بن صبيح في جيش كثيف وخيل كثيرة وعدة، فهزمهم.
ثم سار إليه حميد بن قطبة وهو يومئذ على الجزيرة، فلقبه الملبد فهزمه، وتحصن منه حميد، وأعطاه مائة ألف درهم على أن يكف عنه.
وأما الواقدي فإنه زعم أن ظهور ملبد وتحكيمه كان في سنة ثمان وثلاثين ومائة، ولم يكن للناس في هذه السنة صائفة لشغل السلطان بحرب سبأذ.

وجج بالناس في هذه السنة إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس، كذلك قال الواقدي وغيره، وهو على الموصل.
وكان على المدينة زياد بن عبيد الله، والعباس بن عبد الله بن معبد على مكة ومات العباس عند انقضاء الموسم، فضم إسماعيل عمله إلى زياد بن عبيد الله، فأقره عليها أبو جعفر.
وكان على الكوفة في هذه السنة عيسى بن موسى وعلى البصرة وأعمالها سليمان بن علي، وعلى قضائها عمر بن عامر السلمي وعلى خراسان أبو داود خالد بن إبراهيم وعلى الجزيرة حميد بن قطبة وعلى مصر صالح بن علي بن عبد الله بن عباس.

٧٠٣٥ سنه ثمان وثلاثين ومائة

٧٠٣٥١ ذكر خلع جمهور بن مرار المنصور

ثم دخلت
سنة ثمان وثلاثين ومائة
(ذكر ما كان فيها من الأحداث) فما كان فيها من ذلك دخول قسطنطين طاغية الروم ملطية عنوة وقهرا لأهلها وهدمه سورها، وعفوه عمن فيها من المقاتلة والذرية.
ومنها غزو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس - في قول الواقدي - الصائفة، مع صالح بن علي بن عبد الله، فوصله صالح بأربعين ألف دينار، وخرج معهم عيسى بن علي بن عبد الله، فوصله أيضا بأربعين ألف دينار، فبنى صالح بن علي ما كان صاحب الروم هدمه من ملطية.

وقد قيل: إن خروج صالح والعباس إلى ملطية للغزو كان في سنة تسع وثلاثين ومائة.
وفي هذه السنة بايع عبد الله بن علي لأبي جعفر وهو مقيم بالبصرة مع أخيه سليمان بن علي.
ذكر خلع جمهور بن مرار المنصور

٤ وفيها خلع جمهور بن مرار العجلي المنصور.

ذكر الخبر عن سبب خلعه إياه: وكان سبب ذلك - فيما ذكر - ان جمهور لما هزم سبأذ حوى ما في عسكره، وكان فيه خزائن أبي مسلم التي كان خلفها بالري، فلم يوجهها إلى أبي جعفر، وخاف نفلع، فوجه إليه أبو جعفر محمد بن الأشعث الخزاعي في جيش عظيم، فلقبه محمد، فاقتلوا قتالا شديدا، ومع جمهور نخب فرسان العجم، زياد ودلاستخنج، فهزم جمهور وأصحابه، وقتل من أصحابه خلق كثير،

وأسر زياد ودلاستأخج، وهرب جهور فلحق بأذريجان فأخذ بعد ذلك باسبادرو فقتل

٧٠٣٥٠٢ ذكر خبر قتل ملبد الخارجي

ذكر خبر قتل ملبد الخارجي
وفي هذه السنة قتل الملبد الخارجي.

ذكر الخبر عن مقتله: ذكر أن أبا جعفر لما هزم الملبد حميد بن ققطبة، وتحصن منه حميد، وجه إليه عبد العزيز بن عبد الرحمن أخا عبد الجبار بن عبد الرحمن، وضم إليه زياد بن مشكان، فأمكن له الملبد مائة فارس، فلما لقيه عبد العزيز خرج عليه الكمين، فهزموه، وقتلوا عامة أصحابه فوجه أبو جعفر إليه خازم بن خزيمه في نحو من ثمانية آلاف من المروزيه فصار خازم حتى نزل الموصل، وبعث إلى الملبد بعض أصحابه وبعث معهم الفعلة، فصار إلى بلد خندقوا، وأقاموا له الأسواق، وبلغ ذلك الملبد، فخرج حتى نزل ببلد، في خندق خازم، فلما بلغ ذلك خازما خرج إلى مكان من أطراف الموصل حريز فمسك به، فلما بلغ ذلك الملبد عبر دجلة من بلد، وتوجه إلى خازم من ذلك الجانب يريد الموصل، فلما بلغ خازما ذلك، وبلغ اسماعيل ابن علي - وهو على الموصل - أمر إسماعيل خازما أن يرجع من معسكره حتى يعبر من جسر الموصل، فلم يفعل، وعقد جسرا من موضع معسكره، وعبر إلى الملبد، وعلى مقدمته وطلائعه نضلة بن نعيم بن خازم بن عبد الله النهشلي، وعلى ميمته زهير بن محمد العامري، وعلى ميسرته أبو حماد الأبرص مولى بني سليم وسار خازم في القلب، فلم يزل يسير الملبد وأصحابه حتى غشيهم الليل ثم تواقفوا ليلتهم، وأصبحوا يوم الأربعاء، ففضى الملبد وأصحابه متوجهين إلى كورة حزة، وخازم وأصحابه يسايرونهم حتى غشيهم الليل، وأصبحوا يوم الخميس، وسار الملبد وأصحابه، كأنه يريد الحرب من خازم، فخرج خازم وأصحابه في أثرهم، وتركوا خندقهم، وكان خازم تخندق عليه وعلى أصحابه بالحسك، فلما خرجوا من خندقهم كر عليهم الملبد وأصحابه، فلما رأى ذلك خازم ألقى الحسك بين يديه وبين يدي أصحابه، فحملوا

على ميمنة خازم وطووها، ثم حملوا على الميسرة وطووها، ثم انتهوا إلى القلب، وفيه خازم، فلما رأى ذلك خازم نادى في أصحابه: الأرض، فنزلوا ونزل الملبد وأصحابه، وعقروا عامة دوابهم، ثم اضطربوا بالسيوف حتى تقطعت، وأمر خازم نضلة بن نعيم أن إذا سطع الغبار ولم يبصر بعضنا بعضا فارجع إلى خيلك وخيل أصحابك فاركبوها، ثم ارموا بالنشاب ففعل ذلك، وتراجع أصحاب خازم من الميمنة إلى الميسرة، ثم رشقوا الملبد وأصحابه بالنشاب، فقتل الملبد في ثمانمائة رجل ممن ترجل، وقتل منهم قبل أن يترجلوا زهاء ثلاثمائة، وهرب الباقيون، وتبعهم نضلة فقتل منهم مائة وخمسين رجلا.

وجج بالناس في هذه السنة الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس، كذلك قال الواقدي وغيره وذكر أنه كان خرج من عند أبيه من الشام حاجا، فأدركته ولايته على الموسم والحج بالناس في الطريق، فمر بالمدينة فأحرم منها.

وزياد بن عبيد الله على المدينة ومكة والطائف، وعلى الكوفة وسوادها عيسى بن موسى، وعلى البصرة وأعمالها سليمان بن علي، وعلى قضائها سوار بن عبد الله، وأبو داود خالد بن إبراهيم على خراسان، وعلى مصر صالح بن علي

٧٠٣٦ سنة تسع وثلاثين ومائة

ثم دخلت

سنة تسع وثلاثين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فمن ذلك ما كان من إقامة صالح بن علي والعباس بن محمد بملطية، حتى استتما بناء ملطية، ثم غزوا الصائفة من درب الحديث، فوغلا في أرض الروم - وغزا مع صالح أخته: أم عيسى ولبابة ابنتا علي، وكانتا نذرنا إن زال ملك بني أمية أن تجاهدا في سبيل الله.

وغزا من درب ملطية جعفر بن حنظلة البهراني وفي هذه السنة كان الفداء الذي جرى بين المنصور وصاحب الروم، فاستنقذ المنصور منهم أسراء المسلمين، ولم يكن بعد ذلك - فيما قيل - للمسلمين صائفة إلى سنة ست وأربعين ومائة، لاشتغال أبي جعفر بأمر ابني عبد الله بن الحسن، إلا أن بعضهم ذكر أن الحسن بن حنظلة غزا الصائفة مع عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام في سنة أربعين وأقبل قسطنطين صاحب الروم في مائة ألف، فنزل جيحان، فبلغه كثرة المسلمين فأجم عنهم، ثم لم يكن بعدها صائفة إلى سنة ست وأربعين ومائة وفي هذه السنة سار عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان إلى الأندلس، فملكه أهلها أمرهم، فولده ولاتها إلى اليوم. وفيها وسع أبو جعفر المسجد الحرام، وقيل إنها كانت سنة خصبة فسميت سنة الخصب.

وفيها عزل سليمان بن علي عن ولاية البصرة، وعما كان إليه من أعمالها.

وقد قيل إنه عزل عن ذلك في سنة أربعين ومائة.

وفيها ولي المنصور ما كان إلى سليمان بن علي من عمل البصرة سفيان بن معاوية، وذلك - فيما قيل - يوم الأربعاء للنصف من شهر رمضان، فلما

٧٠٣٦٠١ ذكر خبر حبس عبد الله بن علي

عزل سليمان وولى سفيان توارى عبد الله بن علي وأصحابه خوفا على أنفسهم، فبلغ ذلك أبا جعفر، فبعث إلى سليمان وعيسى ابني علي، وكتب إليهما في أشخاص عبد الله بن علي، وعزم عليهما أن يفعلا ذلك ولا يؤخره، وأعطاهما من الأمان لعبد الله بن علي ما رضىاه له ووثقا به، وكتب إلى سفيان بن معاوية يعلمه ذلك، ويأمره بإزعاجهما واستحثاثهما بالخروج بعد الله ومن معه من خاصته، فخرج سليمان وعيسى بعد الله وبعمامة قواده وخواص أصحابه ومواليه، حتى قدموا على أبي جعفر، يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة.

ذكر خبر حبس عبد الله بن علي

وفيها أمر أبو جعفر بحبس عبد الله بن علي وبحبس من كان معه من أصحابه وبقتل بعضهم.

ذكر الخبر عن ذلك:

ولما قدم سليمان وعيسى ابنا علي على أبي جعفر أذن لهما، فدخلوا عليه، فأعلماه حضور عبد الله بن علي، وسألاه الإذن له فأنعم لهما بذلك، وشغلهم بالحديث، وقد كان هيا لعبد الله بن علي محبسا في قصره، وأمر به أن ينصرف إليه بعد دخول عيسى وسليمان عليه، ففعل ذلك به، ونهض أبو جعفر من مجلسه، فقال لسليمان وعيسى: سارعا بعبد الله، فلما خرجا افتقدا عبد الله من المجلس الذي كان فيه، فعلموا أنه قد حبس، فانصرفا راجعين إلى أبي جعفر، فحيل بينهما وبين الوصول إليه، وأخذت عند ذلك سيوف من حضر من أصحاب عبد الله بن علي من عواتقهم وحبسوا.

وقد كان خفاف بن منصور حذرهم ذلك وندم على مجيئه، وقال لهم: إن أنتم أطعتموني شددنا شدة واحدة على أبي جعفر، فوالله لا يحول بيننا وبينه حائل حتى نأتي على نفسه، ونشد على هذه الأبواب مصلتين سيوفنا، ولا

يعرض لنا عارض إلا أقتنا نفسه حتى نخرج ونجوا بأنفسنا، فعصوه فلما أخذت السيوف وأمر بحبسهم جعل خفاف يضرب في لحيته، ويتفل في وجوه أصحابه ثم أمر أبو جعفر بقتل بعضهم بحضرته، وبعث بالبقية إلى أبي داود خالد بن إبراهيم بخراسان فقتلهم بها.

وقد قيل إن حبس أبي جعفر عبد الله بن علي كان في سنة أربعين ومائة.

وجج بالناس في هذه السنة العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وكان على مكة والمدينة والطائف زياد بن عبيد الله الحارثي، وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى، وعلى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية، وعلى قضائها سوار بن عبد الله، وعلى خراسان أبو داود خالد بن إبراهيم.

٧٠٣٧ سنة أربعين ومائه

٧٠٣٧٠١ ذكر هلاك أبي داود عامل خراسان وولايه عبد الجبار

ثم دخلت

سنة أربعين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ذكر هلاك أبي داود عامل خراسان وولايه عبد الجبار

فمن ذلك ما كان فيها من مهلك عامل خراسان.

ذكر الخبر عن ذلك وسبب هلاكه:

ذكر أن ناسا من الجند ثاروا بأبي داود خالد بن إبراهيم بخراسان وهو عامل أبي جعفر المنصور عليها في هذه السنة ليلا، وهو نازل بباب كشماهن من مدينة مرو، حتى وصلوا إلى المنزل الذي هو فيه، فأشرف أبو داود من الحائط على حرف آجرة خارجة، وجعل ينادي أصحابه ليعرفوا صوته، فانكسرت الآجرة عند الصبح، فوقع على سترة صفة كانت قدام السطح فانكسر ظهره، فمات عند صلاة العصر، فقام عصام صاحب شرطه أبي داود بخلافة أبي داود، حتى قدم عليه عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي.

وفيهما ولي أبي جعفر عبد الجبار بن عبد الرحمن خراسان فقدمها، فأخذ بها ناسا من القواد ذكر أنه اتهمهم بالدعاء إلى ولد علي بن أبي طالب، منهم مجاشع بن حريث الأنصاري صاحب بخارى وأبو المغيرة، مولى بني تميم واسمه خالد بن كثير وهو صاحب قوهستان، والحريش بن محمد الذهلي، ابن عم داود، فقتلهم، وحبس الجنيد بن خالد بن هريم التغلبي ومعبد بن الخليل المزني بعد ما ضربهما ضربا مبرحا، وحبس عدة من وجوده قواد أهل خراسان، وألح على استخراج ما على عمال أبي داود من بقايا الأموال.

وفيهما خرج أبو جعفر المنصور حاجا، فأحرم من الخيرة، ثم رجع بعد ما قضى حجه إلى المدينة، فتوجه منها إلى بيت المقدس

وكان عمال الأمصار في هذه السنة عاملها في السنة التي قبلها، إلا خراسان فإن عاملها كان عبد الجبار.

ولما قدم أبو جعفر بيت المقدس صلى في مسجدتها، ثم سلك الشام فإن عاملها كان عبد الجبار.

ولما قدم أبو جعفر بيت المقدس صلى في مسجدتها، ثم سلك الشام منصرفا حتى انتهى إلى الرقة، فنزلها، فأقى بمنصور بن جعونة بن

الحارث العامري، من بني عامر بن صعصعة، فقتله، ثم شخص منها، فسلط الفرات حتى أتى الهاشمية، هاشمية الكوفة

٧٠٣٨ سنة إحدى وأربعين ومائه

٧٠٣٨٠١ ذكر الخبر عن خروج الراونديه

ثم دخلت

سنة إحدى وأربعين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر الخبر عن خروج الراونديه

٤٤ فمن ذلك خروج الراونديه، وقد قال بعضهم: كان أمر الراوندية وأمر أبي جعفر الذي أنا ذاكره، في سنة سبع وثلاثين ومائة.

أوست وثلاثين ومائة ذكر الخبر عن أمرهم وأمر أبي جعفر المنصور معهم:

والراوندية قوم- فيما ذكر عن علي بن محمد- كانوا من أهل خراسان على رأي أبي مسلم صاحب دعوة بني هاشم، يقولون- فيما زعم- بتناسخ الأرواح، ويزعمون أن روح آدم في عثمان بن نهيك، وأن ربهم الذي يطعمهم ويستقيمهم هو أبو جعفر المنصور، وأن الهيثم بن معاوية جبرئيل.

قال: وأتوا قصر المنصور، فجعلوا يطوفون به، ويقولون: هذا قصر ربنا، فأرسل المنصور إلى رؤسائهم، فحبس منهم مائتين، فغضب أصحابهم وقالوا: علام حبسوا! وأمر المنصور ألا يجتمعوا، فأعدوا نعشا وحملوا السرير- وليس في النعش أحد- ثم مروا في المدينة، حتى

صاروا على باب السجن، فرموا بالنعش، وشدوا على الناس- ودخلوا السجن، فأخرجوا أصحابهم، وقصدوا نحو المنصور وهم يومئذ ستمائة رجل، فتنادى الناس، وغلقت أبواب المدينة فلم يدخل أحد، نخرج المنصور من القصر ماشيا، ولم يكن في القصر دابة، فجعل بعد ذلك اليوم يرتبط فرسا يكون في دار الخلافة معه في قصره.

قال: ولما خرج المنصور أتى بدابة فركبها وهو يريدهم، وجاء مع ابن زائدة، فانتفى إلى أبي جعفر، فرمى بنفسه وترجل، وادخل بركه قبائه في منطقته، وأخذ بلجام دابة المنصور، وقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين إلا رجعت، فإنك تكفى، وجاء أبو نصر مالك بن الهيثم فوقف على باب القصر، وقال: أنا اليوم بواب، ونودي في أهل السوق فرموهم وقتلهم حتى أئخنهم، وفتح باب المدينة، فدخل الناس.

وجاء خازم بن خزيمه على فرس محدوف، فقال: يا أمير المؤمنين، أقتلهم؟ قال: نعم، فحمل عليهم حتى ألجأهم إلى ظهر حائط، ثم كروا على خازم فكشفوه وأصحابه، ثم كر خازم عليهم فاضطروهم إلى حائط المدينة وقال للهيثم بن شعبة: إذا كروا علينا فاسبقهم إلى الحائط، فإذا رجعوا فاقتلهم فحملوا على خازم، فاطرد لهم، وصار الهيثم بن شعبة من ورائهم فقتلوا جميعا.

وجاءهم يومئذ عثمان بن نبيك، فكلمهم، فرجع فرموه بنشابه فوقع بين كتفيه، فرض أياما ومات منها، فصلى عليه أبو جعفر، وقام على قبره حتى دفن، وقال: رحمك الله أبا يزيد! وصير مكانه على حرسه عيسى بن نبيك، فكان على الحرس حتى مات، فجعل على الحرس أبا العباس الطوسي.

وجاء يومئذ إسماعيل بن علي، وقد أغلقت الأبواب، فقال للبواب:

افتح ولك ألف درهم، فأبى وكان القعقاع بن ضرار يومئذ بالمدينة، وهو على شرط عيسى بن موسى، فأبى يومئذ، وكان ذلك كله في المدينة الهاشمية بالكوفة.

قال: وجاء يومئذ الربيع ليأخذ بلجام المنصور، فقال له معن: ليس هذا من أيامك، فأبى أبرويز بن المصمغان ملك ديباوند- وكان خالف أخاه، فقدم على أبي جعفر فأكرمه، وأجرى عليه رزقا، فلما كان يومئذ أتى المنصور فكفر له، وقال: أقاتل هؤلاء؟ قال له: نعم، فقاتلهم، فكان إذا ضرب رجلا فصرعه تأخر عنه- فلما قتلوا وصلى المنصور الظهر دعا بالعشاء، وقال: أطلعوا معن بن زائدة، وأمسك عن الطعام حتى جاءه معن، فقال لقم: تحول إلى هذا الموضع، وأجلس معنا مكان قم، فلما فرغوا من العشاء قال لعيسى بن علي: يا أبا العباس، اسمعت بأشد

الرجال؟ قال: نعم، قال: لو رأيت اليوم معنا علمت أنه من تلك الآساد، قال معن: والله يا أمير المؤمنين لقد أتيتك وإني لوجل القلب، فلما رأيت ما عندك من الاستهانة بهم وشدة الإقدام عليهم، رأيت أمرا لم أره من خلق في حرب، فشد ذلك من قلبي وحلني على ما رايت مني.

وقال ابو خزيمه: يا أمير المؤمنين، إن لهم بقية، قال: فقد وليتك أمرهم فاقتلهم، قال: فاقتل رزاما فإنه منهم، فعاد رزام بجعفر بن أبي جعفر، فطلب فيه فآمنه.

وقال علي عن أبي بكر الهذلي، قال: إني لواقف بباب أمير المؤمنين إذ طلع فقال رجل إلى جانبي: هذا رب العزة! هذا الذي يطعمنا ويسقينا، فلما رجع أمير المؤمنين ودخل عليه الناس دخلت وخلا وجهه، فقلت له:

سمعت اليوم عجا، وحدثته، فنكت في الأرض، وقال: يا هذلي، يدخلهم الله النار في طاعتنا ويعتلمهم، أحب إلي من أن يدخلهم الجنة بمعصيتنا.

وذكر عن جعفر بن عبد الله، قال: حدثني الفضل بن الربيع، قال:

حدثني أبي، قال: سمعت المنصور يقول: أخطأت ثلاث خطيات وقاني الله شرها: قتلت أبا مسلم وأنا في خرق ومن حولي يقدم طاعته ويؤثرها ولو هتكت الخرق لذهبت ضياعا، وخرجت يوم الراوندية ولو أصابني سهم غرب لذهبت ضياعا، وخرجت إلى الشام ولو اختلف سيفان بالعراق ذهبت الخلافة ضياعا.

وذكر أن معن بن زائدة كان محتفيا من أبي جعفر، لما كان منه من قتاله المسودة مع ابن هبيرة مرة بعد مرة، وكان اختفاؤه عند

مرزوق أبي الخصيب، وكان على أن يطلب له الأمان، فلما خرج الراوندية أتى الباب فقام عليه، فسأل المنصور أبا الخصيب- وكان يلي حجابة المنصور يومئذ: من بالباب؟ فقال: معن بن زائدة، فقال المنصور: رجل من العرب، شديد النفس، عالم بالحرب كريم الحسب، أدخله، فلما دخل قال: إيه يا معن! ما الرأي؟ قال: الرأي أن تنادي في الناس وتأمر لهم بالأموال، قال: وأين الناس والأموال؟

٧٠٣٨٠٢ ذكر خلع عبد الجبار بخراسان ومسير المهدي إليه

ومن يقدم على أن يعرض نفسه لهؤلاء العلوج! لم تصنع شيئاً يا معن، الرأي أن أخرج فأقف، فإن الناس إذا رأوني قاتلوا وأبلوا وثابوا إلي، وتراجعوا، وإن أقمت تحاذلوا وتهاونوا فأخذ معن بيده وقال: يا أمير المؤمنين، إذا والله تقتل الساعة، فأشدك الله في نفسك! فأتاه أبو الخصيب فقال مثلها، فاجتذب ثوبه منهما، ثم دعا بدابته، فركب ووثب عليها من غير ركاب ثم سوى ثيابه، وخرج ومعن أخذ بلجامه وأبو الخصيب مع ركابه فوقف.

وتوجه إليه رجل فقال: يا معن دونك العليج، فشد عليه معن فقتله، ثم والى بين أربعة، وثاب إليه الناس وتراجعوا، ولم يكن إلا ساعة حتى أفنوهم، وتغيب معن بعد ذلك، فقال أبو جعفر لأبي الخصيب: ويلك! أين معن؟ قال: والله ما أدري أين هو من الأرض! فقال: أئظن أن أمير المؤمنين لا يغفر ذنبه بعد ما كان من بلائه! أعطه الأمان وأدخله علي، فأدخله، فأمر له بعشرة آلاف درهم، وولاه اليمن، فقال له أبو الخصيب: قد فرق صلته وما يقدر على شيء، قال: له لو أراد مثل ثمنك ألف مرة لقدّر عليه.

وفي هذه السنة وجه أبو جعفر المنصور ولده محمداً- وهو يومئذ ولي عهد- إلى خراسان في الجنود، وأمره بنزول الري، ففعل ذلك محمد. ذكر خلع عبد الجبار بخراسان ومسير المهدي إليه

٤ وفيها خلع عبد الجبار بن عبد الرحمن عامل أبي جعفر على خراسان، ذكر علي بن محمد، عمن حدثه، عن أبي أيوب الخواري، أن المنصور لما بلغه أن عبد الجبار يقتل رؤساء أهل خراسان، وأتاه من بعضهم كتاب فيه:

قد نغل الأديم، قال لأبي أيوب الخراساني: إن عبد الجبار قد أفنى شيعتنا، وما فعل هذا إلا وهو يريد أن يخلع، فقال له: ما أيسر حيلته! اكتب إليه:

أنك تريد غزو الروم، فيوجه إليك الجنود من خراسان، وعليهم فرسانهم ووجوههم، فإذا خرجوا منها فابعث إليهم من شئت، فليس به امتناع

فكتب بذلك إليه، فأجابه: أن الترتك قد جاشت، وإن فرقت الجنود ذهبت خراسان، فألقى الكتاب إلى أبي أيوب، وقال له: ما ترى؟ قال: قد أمكنك من قياده، اكتب إليه: أن خراسان أهم إلي من غيرها، وأنا موجه إليك الجنود من قبلي ثم وجه إليه الجنود ليكونوا بخراسان، فإن هم بخلع أخذوا بعنقه.

فلما ورد على عبد الجبار الكتاب كتب إليه: أن خراسان لم تكن قط أسوأ حالا منها في هذا العام، وإن دخلها الجنود هلكوا لضيق ما هم فيه من غلاء السعر فلما أتاه الكتاب ألقاه إلى أبي أيوب، فقال له: قد أبدى صفحته، وقد خلع فلا تناظره.

فوجه إليه محمد بن المنصور، وأمره بنزول الري، فسار إليها المهدي، ووجه لحربه خازم بن خزيمه مقدمة له، ثم شخص المهدي فنزل نيسابور، ولما توجه خازم بن خزيمه إلى عبد الجبار، وبلغ ذلك أهل مروالروذ، ساروا إلى عبد الجبار من ناحيتهم فناصروه الحرب، وقتلوه قتلاً شديداً حتى هزم، فانطلق هارباً حتى لجأ إلى مقطنة، فتواري فيها، فعبر إليه المجشر بن مزاحم من أهل مروالروذ، فأخذه أسيراً، فلما قدم خازم أتاه به، فألبسه خازم مدرعة صوف، وحمله على بعير، وجعل وجهه من قبل عجز البعير، حتى انتهى به إلى المنصور ومعه ولده وأصحابه، فبسط عليهم العذاب، وضربوا بالسياط حتى استخرج منهم ما قدر عليه من الأموال ثم أمر المسيب بن زهير بقطع يدي عبد الجبار ورجليه وضرب عنقه، ففعل ذلك المسيب، وأمر المنصور بتسيير ولده إلى دهلك- وهي جزيرة على ضفة

البحر بناحية اليمن- فلم يزلوا بها حتى أغار عليهم الهند، فسبواهم فيمن سبوا حتى فودوا بعد، ونجا منهم من نجا، فكان ممن نجا منهم واكتب في الديوان وصحب الخلفاء عبد الرحمن بن عبد الجبار، وبقي إلى أن توفي بمصر في خلافة هارون، في سنة سبعين ومائة. وفي هذه السنة فرغ من بناء المصيصة على يدي جبرئيل بن يحيى الخراساني، ورابط محمد بن إبراهيم الإمام بملطية.

واختلفوا في أمر عبد الجبار وخبره، فقال الواقدي: كان ذلك في سنة ثنتين وأربعين ومائة. وقال غيره: كان ذلك في سنة إحدى وأربعين ومائة وذكر عن علي بن محمد أنه قال: كان قدوم عبد الجبار خراسان لعشر خلون من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائة، ويقال لأربع عشرة ليلة، وكانت هزيمته يوم السبت لست خلون من ربيع الأول سنة ثنتين وأربعين ومائة.

وذكر عن أحمد بن الحارث، أن خليفة بن خياط حدثه، قال: لما وجه المنصور المهدي إلى الري- وذلك قبل بناء بغداد، وكان توجيهه إياه لقتال عبد الجبار بن عبد الرحمن، فكفى المهدي أمر عبد الجبار بمن حاربه وظفر به- كره أبو جعفر أن تبطل تلك النفقات التي أنفقت على المهدي، فكتب إليه أن يغزو طبرستان، وينزل الري، ويوجه أبا الخصيب وخازم بن خزيمة والجنود إلى الأصهبذ، وكان الأصهبذ يومئذ محاربا للمصمغان ملك دنباوند معسكرا بإزائه، فبلغه أن الجنود دخلت بلاده، وأن أبا الخصيب دخل سارية، فساء المصمغان ذلك، وقال له: متى صاروا إليك صاروا إلي، فاجتمعا على محاربة المسلمين، فانصرف الأصهبذ إلى بلاده، فحارب المسلمين، وطالت تلك الحروب، فوجه أبو جعفر عمر بن العلاء الذي يقول فيه بشار:

فقل للخليفة إن جثته ... نصيحا ولا خير في المتهم
إذا ايقظتك حروب العدا ... فنبه لها عمرا ثم نم
فتي لا ينام على دمنة ... ولا يشرب الماء إلا بدم

وكان توجيهه إياه بمشورة أبرويز أخي المصمغان، فإنه قال له:

يا أمير المؤمنين، إن عمر أعلم الناس ببلاد طبرستان، فوجهه، وكان أبرويز قد عرف عمر أيام سبناذ وأيام الراوندية، فضم إليه أبو جعفر خازم بن خزيمة، فدخل الرويان ففتحها، وأخذ قلعة الطاق وما فيها، وطالت الحرب،

فألح خازم على القتال، ففتح طبرستان، وقتل منهم فأكثر، وصار الأصهبذ إلى قلعته، وطلب الأمان على أن يسلم القلعة بما فيها من ذخائره، فكتب المهدي بذلك إلى أبي جعفر، فوجه أبو جعفر بصالح صاحب المصلى وعدة معه، فأحصوا ما في الحصن، وانصرفوا وبدا للأصهبذ، فدخل بلاد جيلان من الديلم، فأت بها، وأخذت ابنته- وهي أم إبراهيم بن العباس بن محمد- وصمدت الجنود للمصمغان، فظفروا به وبالبحرية أم منصور بن المهدي، وبصيمر أم ولد علي بن ريطة بنت المصمغان فهذا فتح طبرستان الأول.

قال: ولما مات المصمغان تحوز أهل ذلك الجبل فصاروا حوزية لأنهم توحشوا كما توحش حمر الوحش.

وفي هذه السنة عزل زياد بن عبيد الله الحارثي عن المدينة ومكة والطائف، واستعمل على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسري، فقدمها في رجب.

وعلى الطائف ومكة الهيثم بن معاوية العتكي من أهل خراسان.

وفيها توفي موسى بن كعب، وهو على شرط المنصور، وعلى مصر والهند وخليفته على الهند عيينة ابنه.

وفيها عزل موسى بن كعب عن مصر، ووليها محمد بن الأشعث ثم عزل عنها، ووليها نوفل بن الفرات.

وجج بالناس في هذه السنة صالح بن علي بن عبد الله بن عباس وهو على قنسرين وحمص ودمشق وعلى المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسري، وعلى مكة والطائف الهيثم بن معاوية، وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى، وعلى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية وعلى قضائها سوار بن عبد الله، وعلى خراسان المهدي وخليفته عليها السري بن عبد الله، وعلى مصر نوفل بن الفرات.

٧٠٣٩ سنة اثنتين وأربعين ومائة

٧٠٣٩٠١ ذكر خلع عيينه بن موسى بن كعب بالسند

٧٠٣٩٠٢ ذكر خبر نكت اصبهذ طبرستان العهد

ثم دخلت

سنة اثنتين وأربعين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر خلع عيينة بن موسى بن كعب بالسند

فما كان فيها خلع عيينة بن موسى بن كعب بالسند.

ذكر الخبر عن سبب خلعه:

ذكر أن سبب خلعه، كان أن المسيب بن زهير كان خليفة موسى بن كعب على الشرط، فلما مات موسى أقام المسيب على ما كان يلي من الشرط، وخاف المسيب أن يكتب المنصور إلى عيينة في القدوم عليه فيوليه مكانه، وكتب إليه ببيت شعر ولم ينسب الكتاب إلى نفسه:

فأرضك أرضك ان تأتينا ... فتم نومة ليس فيها حلم

وخرج أبو جعفر لما أتاه الخبر عن عيينة بخلعه حتى نزل بعسكره من البصرة عند جسرهما الأكبر، ووجه عمر بن حفص بن أبي صفرة العتكي عاملا على السند والهند، محاربا لعيينة بن موسى، فسار حتى ورد السند والهند، وغلب عليها

. ذكر خبر نكت اصبهذ طبرستان العهد

وفي هذه السنة نقض اصبهذ طبرستان العهد بينه وبين المسلمين، وقتل من كان ببلاده من المسلمين.

ذكر الخبر عن أمره وأمر المسلمين: ذكر أن أبا جعفر لما انتهى إليه خبر الأصبهذ وما فعل بالمسلمين، وجه إليه خازم بن خزيمة وروح بن حاتم ومعهم مرزوق أبو الخصيب مولى

أبي جعفر، فأقاموا على حصنه محاصرين له ولمن معه في حصنه، وهم يقاتلونهم حتى طال عليهم المقام، فاحتال أبو الخصيب في ذلك فقال لأصحابه:

اضربوني واحلقوا رأسي ولحيتي، ففعلوا ذلك به، ولحق بالأصبهذ صاحب الحصن فقال له: إني ركب مني أمر عظيم، ضربت وحلق رأسي ولحيتي وقال له: إنما فعلوا ذلك بي تهمة منهم لي أن يكون هواي معك، وأخبره أنه معه، وأنه دليل له على عورة عسكرهم فقبل منه ذلك الأصبهذ، وجعله في خاصته وألفه، وكان باب مدينتهم من حجر يلقى إلقاء يرفعه الرجال، وتضعه عند فتحه وإغلاقه، وكان قد وكل به الأصبهذ ثقات أصحابه، وجعل ذلك نوبا بينهم، فقال له أبو الخصيب: ما أراك وثقت بي، ولا قبلت نصيحتي! قال: وكيف ظننت ذلك؟ قال: لترك الاستعانة بي فيما يعنيك، وتوكلي فيما لا تثق به إلا بثقتك، فجعل يستعين به بعد ذلك، فبرى منه ما يحب إلى أن وثق به، فجعله فيمن ينوب في فتح باب مدينته وإغلاقه، فتولى له ذلك حتى أنس به ثم كتب أبو الخصيب إلى روح بن حاتم وخازم بن خزيمة، وصير الكتاب في نشابة، ورماها إليهم، وأعلمهم أن قد ظفر بالحيلة، ووعدهم ليله، سماها لهم في فتح الباب فلما كان في تلك الليلة فتح لهم، فقتلوا من فيها من المقاتلة، وسبوا الذراري، وظفر بالبحرية وهي أم منصور بن المهدي، وأما باكد بنت الأصبهذ الأصم - وليس بالأصبهذ الملك، ذاك أخو باكد - وظفر بشكلة أم إبراهيم بن المهدي، وهي بنت خوندان قهرمان المصمغان، فص الأصبهذ خاتما له فيه سم فقتل نفسه.

وقد قيل: إن دخول روح بن حاتم وخازم بن خزيمة طبرستان كان في سنة ثلاث وأربعين ومائة.

وفي هذه السنة بنى المنصور لأهل البصرة قبلتهم التي يصلون إليها في عيدهم بالحنان، وولى بناءه سلمة بن سعيد بن جابر، وهو يومئذ على الفرات والأبلة

من قبل أبي جعفر، وصام أبو جعفر شهر رمضان وصلى بها يوم الفطر.

وفيهما توفي سليمان بن علي بن عبد الله بالبصرة ليلة السبت لتسع بقين من جمادى الآخرة، وهو ابن تسع وخمسين سنة، وصلى عليه عبد الصمد ابن علي.

وفيهما عزل عن مصر نوفل بن الفرات، ووليها محمد بن الأشعث، ثم عزل عنها محمد ووليها نوفل بن الفرات، ثم عزل نوفل ووليها حميد ابن قطبة.

وجج بالناس في هذه السنة إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس.

وكان العامل على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله، وعلى مكة والطائف الهيثم بن معاوية، وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى، وعلى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية، وعلى قضائها سوار بن عبد الله، وعلى مصر حميد بن قطبة.

وفيهما- في قول الواقدي- ولى أبو جعفر أخاه العباس بن محمد الجزيرة والثغور وضم إليه عدة من القواد، فلم يزل بها حيناً

٧٠٤٠ سنه ثلاث واربعين ومائه

٧٠٤٠٠١ غزو الديلم

٧٠٤٠٠٢ عزل الهيثم بن معاوية عن مكة والطائف

٧٠٤٠٠٣ عزل حميد بن قطبة عن مصر

ثم دخلت

سنة ثلاث وأربعين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

غزو الديلم

ففي هذه السنة ندب المنصور الناس إلى غزو الديلم.

ذكر الخبر عن ذلك:

ذكر أن أبا جعفر اتصل به عن الديلم إيقاعهم بالمسلمين وقتلهم منهم مقتلة عظيمة، فوجه إلى البصرة حبيب بن عبد الله بن رغبان، وعليه يومئذ إسماعيل ابن علي، وأمره بإحصاء كل من له فيها عشرة آلاف درهم فصاعداً، وأن يأخذ كل من كان ذلك له بالشخص بنفسه للجهاد الديلم، ووجه آخر لمثل ذلك إلى الكوفة

. عزل الهيثم بن معاوية عن مكة والطائف

وفيهما عزل الهيثم بن معاوية عن مكة والطائف، وولى ما كان إليه من ذلك السري بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب، وأتى السري عهده على ذلك وهو باليمامة، فسار إلى مكة، ووجه أبو جعفر إلى اليمامة فتم ابن العباس بن عبد الله بن عباس . عزل حميد بن قطبة عن مصر

وفيهما عزل حميد بن قطبة عن مصر، ووليها نوفل بن الفرات، ثم عزل نوفل ووليها يزيد بن حاتم

وجج بالناس في هذه السنة عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبيد الله ابن عباس، وكان يومئذ إليه ولاية الكوفة وسوادها.

وكان والي مكة فيها السري بن عبد الله بن الحارث، والي البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية، وعلى قضائها سوار بن عبد الله، وعلى مصر يزيد بن حاتم

٧٠٤١ سنه اربع واربعين ومائه

٧٠٤١٠١ ولاية رياح بن عثمان على المدينة وامر ابني عبد الله بن حسن

ثم دخلت

سنة أربع وأربعين ومائة

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث) فَمَا كَانَ فِيهَا من ذَلِكَ غَزَوْ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الدَّيْلَمِيَّ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَوِاسِطَ وَالْمَوْصِلِ وَالْجَزِيرَةِ وَفِيهَا انْصَرَفَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَهْدِيُّ عَنْ خِرَاسَانَ إِلَى الْعِرَاقِ، وَشَخَّصَ أَبُو جَعْفَرٍ إِلَى قَرْمَاسِينَ، فَلَقِيَهُ بِهَا ابْنُهُ مُحَمَّدٌ مَنْصَرَفًا مِنْ خِرَاسَانَ، فَانْصَرَفَا جَمِيعًا إِلَى الْجَزِيرَةِ. وَفِيهَا بَنَى مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ عِنْدَ مَقْدَمِهِ مِنْ خِرَاسَانَ بَابَةً عَمَّهُ رِبِطَةً بَنَتْ أَبِي الْعَبَّاسِ. وَفِيهَا حَجَّ بِالنَّاسِ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ، وَخَلَفَ عَلَى عَسْكَرِهِ وَالْمِيرَةَ خَازِمُ بْنُ خَزِيمَةَ. وَوَلَايَهُ رِيَّاحُ بْنُ عُثْمَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَأَمْرُ ابْنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلَّى أَبُو جَعْفَرٍ رِيَّاحُ بْنُ عُثْمَانَ الْمَرِيَّ الْمَدِينَةَ، وَعَزَلَ مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيَّ عَنْهَا. ذَكَرَ الْخَبَرُ عَنْ سَبَبِ عَزْلِهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ وَاسْتِعْمَالَهُ رِيَّاحُ بْنُ عُثْمَانَ وَعَزْلَهُ زِيَادُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيُّ مِنْ قَبْلِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ: وَكَانَ سَبَبُ عَزْلِ زِيَادٍ عَنِ الْمَدِينَةِ أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ هَمَّهُ أَمْرُ مُحَمَّدٍ وَإِبْرَاهِيمَ ابْنَيْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَتَخَلَّفَهُمَا عَنْ حَضُورِهِ، مَعَ مَنْ شَهِدَهُ مِنْ سَائِرِ بَنِي هَاشِمٍ عَامَ حُجٍّ فِي حَيَاةِ أَخِيهِ أَبِي الْعَبَّاسِ، وَمَعَهُ أَبُو مُسْلِمٍ وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ مُحَمَّدًا كَانَ يَذْكُرُ أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ مِمَّنْ بَايَعَ لَهُ لَيْلَةَ تَشَاوُرِ بَنِي هَاشِمٍ بِمَكَّةَ فَيَمْنُ يَعْقِدُونَ لَهُ الْخِلَافَةَ حِينَ اضْطَرَبَ أَمْرُ بَنِي مُرَّوَانَ مَعَ سَائِرِ الْمُعْتَزِلَةِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُمْ هُنَاكَ فَسَأَلَ عَنْهُمَا، فَقَالَ لَهُ زِيَادُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ: مَا يَهْمُكَ مِنْ أَمْرِهِمَا! أَنَا أَتَيْتُكُمَا بِهِمَا، وَكَانَ زِيَادٌ يَوْمَئِذٍ مَعَ أَبِي جَعْفَرٍ عِنْدَ مَقْدَمِهِ مَكَّةَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ، فَرَدَّ أَبُو جَعْفَرٍ زِيَادًا إِلَى عَمَلِهِ، وَضَمَّنَهُ مُحَمَّدًا وَإِبْرَاهِيمَ.

فَذَكَرَ أَبُو زَيْدٍ عُمَرَ بْنَ شَيْبَةَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَهُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِمَارٍ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: لَمَّا اسْتَخْلَفَ أَبُو جَعْفَرٍ لَمْ تَكُنْ لَهُ هِمَّةٌ إِلَّا طَلَبُ مُحَمَّدٍ وَالْمَسْأَلَةُ عَنْهُ وَمَا يَرِيدُ، فَدَعَا بَنِي هَاشِمٍ رَجُلًا رَجُلًا، كُلَّهُمْ يَخْلِيهِ فَيَسْأَلُهُمْ عَنْهُ، فَيَقُولُونَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ عَلِمْنَا أَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَهُ يَطْلُبُ هَذَا الشَّأْنَ قَبْلَ الْيَوْمِ، فَهُوَ يَخَافُكَ عَلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ لَا يَرِيدُ لَكَ خِلَافًا، وَلَا يَحِبُّ لَكَ مَعْصِيَةً، وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ إِلَّا حَسَنُ بْنُ زَيْدٍ، فَانْهَ أَخْبَرَهُ خَبْرَهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا آمَنَ وَثُوبُهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّهُ لِلَّذِي لَا يَنَامُ عَنْكَ، فَرَأَيْتُكَ قَالَ ابْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ: فَأَيُّقُظُ مِنْ لَا يَنَامُ.

وَقَالَ مُحَمَّدٌ: سَمِعْتُ جَدِّي مُوسَى بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ اطْلُبْ حَسَنَ ابْنِ زَيْدٍ بَدْمَانًا قَالَ مُوسَى: وَسَمِعْتُ وَاللَّهِ أَبِي يَقُولُ: أَشْهَدُ لِعَرَفِيِّ أَبِي جَعْفَرٍ حَدِيثًا مَا سَمِعَهُ مِنِّي إِلَّا حَسَنُ بْنُ زَيْدٍ.

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ عُمَرَ بْنَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ وَهَبٍ السُّلَمِيُّ، عَنْ أَبِي، قَالَ: عَرَفَنِي أَبُو جَعْفَرٍ حَدِيثًا مَا سَمِعَهُ مِنِّي إِلَّا أَخِي عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ وَحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ، فَاشْهَدْ مَا أَخْبَرَهُ بِهِ عَبْدِ اللَّهِ، وَلَا كَانَ يَعْلَمُ الْغَيْبَ.

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَسَأَلَ عَنْهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ عَامَ حُجٍّ، فَقَالَ لَهُ مَقَالَةُ الْهَاشِمِيِّينَ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ غَيْرُ رَاضٍ أَوْ يَأْتِيهِ بِهِ.

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَحَدَّثَنِي أُمِّي عَنْ أَبِيهَا، قَالَ: قَالَ أَبِي: قُلْتُ لِسُلَيْمَانَ بْنِ

عَلِيٍّ: يَا أَخِي صَهْرِي بِكَ صَهْرِي، وَرَحِمِي بِكَ رَحْمِي، فَمَا تَرَى؟ قَالَ:

وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ حِينَ حَالَ السُّتْرَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، وَهُوَ يُشِيرُ إِلَيْنَا أَنَّ هَذَا الَّذِي فَعَلْتُمْ بِي، فَلَوْ كَانَ عَافِيَا عَفَا عَنْ عَمِّهِ قَالَ: فَقَبِلَ رَأْيَهُ، قَالَ: فَكَانَ آلُ عَبْدِ اللَّهِ يَرُونَهَا صَلَوةً مِنْ سُلَيْمَانَ لَهُمْ.

قَالَ أَبُو زَيْدٍ: وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ هَرِيمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي كُلْثُومُ الْمُرَائِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ بْنَ بَرْمَكٍ يَقُولُ: اشْتَرَى أَبُو جَعْفَرٍ رَقِيقًا مِنْ رَقِيقِ الْأَعْرَابِ، ثُمَّ أَعْطَى الرَّجُلَ مِنْهُمْ الْبُعِيرَ، وَالرَّجُلَ الْبُعِيرِينَ، وَالرَّجُلَ الذُّودَ، وَفَرَقَهُمْ فِي طَلَبِ مُحَمَّدٍ فِي ظَهْرِ الْمَدِينَةِ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَرُدُّ الْمَاءَ كَالْمَارِّ وَكَالضَّالِّ، فَيَفْرُونَ عَنْهُ وَيَتَجَسَّسُونَ.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ بْنُ حَبِيبٍ الْمَهْلَبِيُّ، قَالَ: قَالَ لِي السَّنْدِيُّ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: أَتَدْرِي مَا رَفَعَ عَقْبَةَ بْنَ سَلَمٍ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟

قلت: قَالَ: أوفد عمي عمر بن حفص وفدا من السند فيهم عقبة، فدخلوا على أبي جعفر، فلما قضوا حوائجهم نهضوا، فاسترد عقبة، فأجلسه، ثم قَالَ له: من أنت؟ قَالَ: رجل من جند امير المؤمنين وخدمه، صحبت عمر ابن حفص، قَالَ: وما اسمك؟ قَالَ: عقبة بن سلم بن نافع، قَالَ: ممن أنت؟ قَالَ: من الأزد ثم من بني هذيلة، قَالَ: اني لأرى لك هيئة وموضعا، وإني لأريدك لأمر أنا به معني، لم أزل أرتاد له رجلا، عسى أن تكونه إن كفييتيه رفعتك، فقال: أرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين في، قَالَ:

فأخف شخصك، واستر أمرك، وأتني في يوم كذا وكذا في وقت كذا وكذا، فأتاه في ذلك الوقت، فقال له: إن بني عمنا هؤلاء قد أبوا إلا كيدا للملكا واغتالا له، ولهم شعبة بخراسان بقرية كذا، يكتبونهم ويرسلون إليهم بصدقات أموالهم وألطف من الطاف بلادهم، فانخرج بكسا وألطف وعين حتى تأتيهم متكررا بكتاب تكتبه عن اهل هذه القرية، ثم تسبر ناحيتهم، فإن كانوا قد نزعوا عن رأيهم فأحبب والله بهم وأقرب، وإن كانوا على

رأيهم علمت ذلك، وكنت على حذر واحتراس منهم، فاشخص حتى تلقى عبد الله ابن حسن متقشفا متخشعا، فإن جبهك - وهو فاعل - فاصبر وعاوده، فإن عاد فاصبر حتى يأنس بك وتلين لك ناحيته، فإذا ظهر لك ما في قلبه فاعجل علي قَالَ: فشخص حتى قدم على عبد الله، فلقيه بالكتاب، فأنكره ونهره، وقال: ما أعرف هؤلاء القوم، فلم يزل ينصرف ويعود إليه حتى قبل كتابه وألطفه، وأنس به، فسأله عقبة الجواب، فقال: أما الكتاب فإني لا أكتب إلى أحد، ولكن أنت كتابي إليهم، فأقرئهم السلام وأخبرهم أن ابني خارجان لوقت كذا وكذا قَالَ: فشخص عقبة حتى قدم على أبي جعفر، فأخبره الخبر.

قَالَ أبو زيد: حدثني أيوب بن عمر، قَالَ: حدثني موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، قَالَ: ولي أبو جعفر الفضل ابن صالح بن علي الموسم في سنة ثمان وثلاثين ومائة، فقال له: إن وقعت عينك على محمد وإبراهيم، ابني عبد الله بن حسن، فلا يفارقاك، وإن لم ترهما فلا تسأل عنهما فقدم المدينة، فتلقاه أهلها جميعا، فيهم عبد الله بن حسن وسائر بني حسن إلا محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن فسكت حتى صدر عن الحج، وصار إلى السيادة، فقال لعبد الله بن حسن: ما منع ابنك أن يلقياني مع أهلهم! قَالَ: والله ما منعهما من ذلك ريبة ولا سوء، ولكنهما منهومان بالصيد واتباعه، لا يشهدان مع أهلهم خيرا ولا شرا فسكت الفضل عنه، وجلس على دكان قد بني له بالسيالة فأمر عبد الله رعاته فسرخوا عليه ظهره، فأمر أحدهم فحلب لبنا على عسل في عس عظيم، ثم رقي به الدكان، فأومأ إليه عبد الله أن اسق الفضل بن صالح، فقصد قصده، فلما دنا منه صاح به الفضل صيحة مغضبا: إليك يا ماص بظر أمه! فأدير الراعي، فوثب عبد الله - وكان من أرفق الناس - فتناول القعب، ثم أقبل

يمشي به إلى الفضل، فلما رآه يمشي إليه استحيا منه، فتناوله فشرب قَالَ أبو زيد: وحدثني محمد بن يحيى، قَالَ: حدثني أبي، عن أبيه، قَالَ: كان لزياد بن عبيد الله كاتب يقال له حفص بن عمر من أهل الكوفة يتشيع، وكان يثبط زيادا عن طلب محمد، فكتب فيه عبد العزيز بن سعد إلى أبي جعفر فحدره إليه، فكتب فيه زياد إلى عيسى بن علي وعبد الله بن الربيع الحارثي فخلصاه حتى رجع إلى زياد. قَالَ علي بن محمد: قدم محمد البصرة مختفيا في أربعين، فاتوا عبد الرحمن ابن عثمان بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فقال له عبد الرحمن:

أهلكتني وشهرتني، فانزل عندي وفرق أصحابك، فأبي، فقال: ليس لك عندي منزل، فانزل في بني راسب، فنزل في بني راسب. وقال عمر: حدثني سليمان بن محمد الساري، قَالَ: سمعت أبا هبار المزني يقول: أقننا مع محمد بن عبد الله بالبصرة يدعو الناس إلى نفسه. قال: وحدثني عيسى بن عبد الله، قال: قَالَ أبو جعفر: ما طمعت في بغية لي قط إذا ذكرت مكان بني راسب بالبصرة.

قَالَ: وحدثني أبو عاصم النبيل، قَالَ: حدثني ابن جشيب اللهيبي، قَالَ: نزلت في بني راسب في أيام ابن معاوية، فسألني فتى منهم يوما عن اسمي، فلطمه شيخ منهم، فقال: وما أنت وذاك! ثم نظر إلى شيخ جالس بين يديه، فقال: أترى هذا الشيخ نزل فينا أبوه أيام الحجاج، فأقام حتى ولد له هذا الولد، وبلغ هذا المبلغ، وهذا السن! لا والله ما ندري ما اسمه ولا اسم أبيه، ولا ممن هو! قَالَ: وحدثني

محمد بن الهذيل، قَالَ: سمعت الزعفراني يقول: قدم محمد، فنزل على عبد الله بن شيبان أحد بني مرة بن عبيد، فأقام ستة أيام، ثم خرج فبلغ أبا جعفر مقدمه البصرة، فأقبل مغدا حتى نزل الجسر

الأكبر، فأردنا عمرا على لقائه، فأبى حتى غلبناه، فلقيه فقال: يا أبا عثمان، هل بالبصرة أحد نخافه على أمرنا؟ قَالَ: لا قَالَ: فأقتصر على قولك وأنصرف؟ قَالَ: نعم، فانصرف، وكان محمد قد خرج قبل مقدم أبي جعفر.

قَالَ علي بن محمد: حدثني عامر بن أبي محمد، قَالَ: قَالَ أبو جعفر لعمر بن عبيد: أبايعت محمدا؟ قَالَ: أنا والله لو قلدتني الأمة أمورها ما عرفت لهما موضعا.

قال علي: وحدثني أيوب القزاز، قَالَ: قلت لعمر بن عبيد: ما تقول في رجل رضي بالصبر على ذهاب دينه؟ قَالَ: أنا ذاك، قلت: وكيف، ولو دعوت أجابك ثلاثون ألفا؟ قَالَ: والله ما أعرف موضع ثلاثة إذا قالوا وفوا، ولو عرفتهم لكنت لهم رابعا.

قَالَ أبو زيد: حدثني عبيد الله بن محمد بن حفص، قَالَ: حدثني أبي، قال: وجل محمد وإبراهيم من أبي جعفر، فأتيا عدن، ثم سارا إلى السند ثم إلى الكوفة، ثم إلى المدينة.

قَالَ عمر: وحدثني محمد بن يحيى، قَالَ: حدثني الحارث بن إسحاق، قَالَ: تكفل زياد لأمر المؤمنين بابني عبد الله أن يخرجهما له، فأقره على المدينة، فكان حسن بن زيد إذا علم من أمرهما علما كف حتى يفارقا مكانهما ذلك، ثم يخبر أبا جعفر، فيجد الرسم الذي ذكره، فيصدق به بما رفع إليه، حتى كانت سنة أربعين ومائة، ففج فقسم قسوما خص فيها آل أبي طالب فلم يظهر له ابنا عبد الله، فبعث إلى عبد الله فسأله عنهما، فقال: لا علم لي بهما، حتى تغالطا، فأمصه أبو جعفر، فقال: يا أبا جعفر، بأي أهاتي تمصني! ابفاطمه بنت رسول الله ص، أم بفاطمة بنت

أسد، أم بفاطمة بنت حسين، أم أم إسحاق بنت طلحة، أم خديجة بنت خويلد؟ قَالَ: لا بواحدة منهم، ولكن بالجرباء بنت قسامه بن زهير- وهي امراه من طيء- قَالَ: فوثب المسيب بن زهير، فقال: دعني يا أمير المؤمنين أضرب عنق ابن الفاعلة قَالَ: فقام زياد بن عبيد الله، فألقى عليه رداءه، وقال: هبه لي يا أمير المؤمنين، فأنا أستخرج لك ابنه فتخلصه منه قال عمر: وحدثني الوليد بن هشام بن قحذم، قَالَ: قَالَ الحزبن الديلي لعبد الله بن الحسن ينعي عليه ولادة الجرباء:

لعلك بالجرباء أو بحكاكة... تفاخر أم الفضل وابنة مشرح
وما منهما إلا حصان نجبية... لها حسب في قومها مترح

قال عمر: وحدثني محمد بن عباد، قَالَ: قَالَ لي السندي مولى أمير المؤمنين: لما أخبر عقبة بن سلم أبا جعفر، أنشأ الحج وقال لعقبة: إذا صرت بمكان كذا وكذا لقيني بنو حسن، فيهم عبد الله، فأنا مبجله ورافع مجلسه وداع بالغاء، فإذا فرغنا من طعامنا فلحظتكم فامثل بين يديه قائما، فإنه سيصرف بصره عنك، فدر حتى تغمز ظهره بإبهام رجلك حتى يملأ عينه منك ثم حسبك، وإياك أن يراك ما دام يأكل نخرج حتى إذا تدفع في البلاد لقيه بنو حسن، فأجلس عبد الله إلى جانبه، ثم دعا بالطعام فأصابوا منه، ثم أمر به فرفع، فأقبل على عبد الله، فقال: يا أبا محمد، قد علمت ما أعطيتني من العهود والمواثيق ألا تبغيني سوءا، ولا تكيد لي سلطانا، قَالَ: فأنا على ذلك يا أمير المؤمنين، قَالَ: فلحظ أبو جعفر عقبة، فاستدار حتى قام بين يديه، فأعرض عنه، فرفع رأسه حتى قام من وراء ظهره، فغمزه بأصبعه، فرفع رأسه فلأ عينه منه، فوثب حتى جثا بين يدي أبي جعفر، فقال: أقلني يا أمير المؤمنين أقالك الله! قَالَ: لا أقلني الله إن أقلتك، ثم امر بحبس

قال عمر: وحدثني بكر بن عبد الله بن عاصم مولى قريه بنت عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق، قَالَ: حدثني علي بن رباح بن شبيب، أخو إبراهيم، عن صالح صاحب المصلى، قَالَ: إني لواقف على رأس أبي جعفر وهو يتغدى بأوطاس، وهو متوجه إلى مكة، ومعه على مائده عبد الله بن حسن وابو الكرام الجعفري وجماعة من بني العباس، فأقبل على عبد الله، فقال: يا أبا محمد، محمد وإبراهيم أراهما قد استوحشا من ناحيتي، وإني لأحب أن يأنسا بي، وأن يأتياني فأصلهما وأخلطهما بنفسي- قَالَ وعبد الله مطرق طويلا ثم رفع رأسه-

فقال: وحقك يا أمير المؤمنين، فما لي بهما ولا بموضعهما من البلاد علم، ولقد خرجا من يدي، فيقول أبو جعفر: لا تفعل يا أبا محمد، اكتب إليهما وإلى من يوصل كتابك إليهما قَالَ: فامتنع أبو جعفر ذلك اليوم من عامة غدائه إقبالا على عبد الله، وعبد الله يحلف ما يعرف موضعهما، وأبو جعفر يكرر عليه: لا تفعل يا أبا محمد، لا تفعل يا أبا محمد، لا تفعل يا أبا محمد قَالَ: فكان شدة هرب محمد من أبي جعفر أن أبا جعفر كان عقد له بمكة في أناس من المعتزلة.

قَالَ عمر: حدثني أيوب بن عمر- يعني ابن أبي عمرو- قَالَ: حدثني محمد بن خالد بن إسماعيل بن أيوب بن سلمة المخزومي، قَالَ: أخبرني أبي، قَالَ: أخبرني العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، قَالَ:

لما حج أبو جعفر في سنة أربعين ومائة أتاه عبد الله وحسن ابنا حسن، فإنهما وإياي لعنده، وهو مشغول بكتاب ينظر فيه، إذ تكلم المهدي فلحن، فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين، ألا تأمر بهذا من يعدل لسانه، فإنه يغفل غفل الأمة! فلم يفهم، وغمزت عبد الله فلم ينتبه لها، وعاد لأبي جعفر فاحتفظ من ذلك، وقال: أين ابنك؟ فقال: لا أدري، قَالَ: لتأتمني به، قَالَ:

لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه، قَالَ: يا ربيع قم به إلى الحبس

قَالَ عمر: حدثني موسى بن سعيد بن عبد الرحمن الجمحي، قَالَ:

لما تمثل عبد الله بن حسن لأبي العباس:

ألم تر حوشبا أمسى يبنى ... بيوتا نفعها لبني ببيعة

لم تزل في نفس أبي جعفر عليه، فلما أمر بحبسه، قَالَ: ألسنت القائل لأبي العباس:

ألم تر حوشبا أمسى يبنى ... بيوتا نفعها لبني ببيعة

وهو آمن الناس عليك، وأحسنهم إليك صنيعا! قَالَ عمر: حدثنا محمد بن يحيى، قَالَ: حدثني الحارث بن إسحاق عن أبي حنين، قَالَ: دخلت على عبد الله بن حسن وهو محبوس، فقال:

هل حدث اليوم من خبر؟ قلت: نعم، قد أمر ببيع متاعك ورقيقك، ولا أرى أحدا يقدم على شرائه، فقال: ويحك يا أبا حنين! والله لو خرج بي وبيناتي مسترقين لا شترينا! قَالَ عمر: وحدثني محمد بن يحيى، قَالَ: حدثنا الحارث بن إسحاق قَالَ: شخص أبو جعفر، وعبد الله بن حسن محبوس، فأقام في الحبس ثلاث سنين.

قال عمر: وحدثني عبد الله بن إسحاق بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب، قَالَ: حدثني أبو حرملة محمد بن عثمان، مولى آل عمرو بن عثمان، قَالَ: حدثني أبو هبار المزني، قَالَ: لما حج أبو جعفر سنة أربعين ومائة، حج تلك السنة محمد وإبراهيم ابنا عبد الله، وهما متغيبان، فاجتمعوا بمكة، فأرادوا اغتيال أبي جعفر، فقال لهم الأشر: عبد الله بن محمد ابن عبد الله، أنا أكفيكموه، فقال محمد: لا والله لا أقتله أبدا غيلة حتى أدعوه، قَالَ: فنقض أمرهم ذلك وما كانوا أجمعوا عليه، وقد كان دخل

معهم في أمرهم قائد من قواد أبي جعفر من أهل خراسان قَالَ: فاعترض لأبي جعفر إسماعيل بن جعفر بن محمد الأعرج، فتمى إليه أمرهم، فأرسل في طلب القائد فلم يظفر به، وظفر بجماعة من أصحابه، وأفلت الرجل وغلّام له بمال زهاء ألفي دينار كانت مع الغلام، فأتاه بها وهو مع محمد، فقسّمها بين أصحابه قَالَ أبو هبار: فأمرني محمد، فاشترت للرجل أباعر وجهزته وحملته في قبة وقطرت، وخرجت أريد به المدينة حتى أوردته إياها.

وقدم محمد فضمه إلى أبيه عبد الله، ووجههما إلى ناحية من خراسان قَالَ:

وجعل أبو جعفر يقتل أصحاب ذلك القائد الذي كان من أمره ما ذكرت.

قَالَ عمر: وحدثني محمد بن يحيى بن محمد، قَالَ: حدثني أبي عن أبيه، قَالَ: غدوت على زياد بن عبيد الله وأبو جعفر بالمدينة، قَالَ: فقال: أخبركم عجا مما لقيته الليلة، طرقتي رسل أمير المؤمنين نصف الليل - وكان زياد قد تحول لقدم أمير المؤمنين إلى داره بالبلاط - قَالَ: فدقت علي رسله، فخرجت ملتحفا بإزاري، ليس علي ثوب غيره، فنبهت غلمانا لي وخصيانا في سقيفة الدار، فقلت لهم: إن هدموا

الدار فلا يكلمهم منكم أحد، قَالَ: فدقوا طويلا ثم انصرفوا، فأقاموا ساعة، ثم طلعوا بجزز شبيه أن يكون معهم مثلهم، مرة أو مرتين، فدقوا الباب بجززة الحديد، وصيحوا فلم يكلمهم أحد، فرجعوا فأقاموا ساعة، ثم جاءوا بأمر ليس عليه صبر، فظننت والله أن قد هدموا الدار علي، فأمرت بفتحها، وخرجت إليهم فاستحثوني وهموا أن يحملوني، وجعلت أسمع العزاء من بعضهم حتى أسلموني إلى دار مروان، فأخذ رجلان بعصدي، فخرجاني على حال الديف على الأرض أو نحوه، حتى أتيا بي جرة القبة العظمى، فإذا الربيع واقف، فقال: ويحك يا زياد! ماذا فعلت بنا وبنفسك منذ الليلة! ومضى بي حتى كشف ستر باب القبة، فأدخلني ووقف خلفي بين البابين، فإذا الشمع في نواحي القبة، فهي تزهو، ووصيف قائم في ناحيتها، وأبو جعفر محتب بمحائل سيفه على بساط ليس تحته وسادة ولا مصلى، وإذا هو منكس رأسه ينقر بجزز في يده.

قَالَ: فأخبرني الربيع أنها حاله من حين صلي العتمة إلى تلك الساعة قَالَ:

فما زلت واقفا حتى أتني لأنتظر نداء الصبح، وأجد لذلك فرجا، فما يكلمني بكلمة، ثم رفع راسه الى، فقال: يا بن الفاعلة، أين محمد وإبراهيم؟ قَالَ:

ثم نكس رأسه، ونكت أطول مما مضى له، ثم رفع راسه الثانيه، فقال: يا بن الفاعلة، أين محمد وإبراهيم؟ قتلني الله إن لم أقتلك! قَالَ: قلت له: اسمع مني ودعني اكلمك، قال: قل له: أنت نفرتهما عنك، بعثت رسولا بالمال الذي أمرت بقسمه على بني هاشم، فنزل القادسية، ثم أخرج سكيننا يحده، وقال: بعثني أمير المؤمنين لأذبح محمدا وإبراهيم، فجاءتهما بذلك الاخبار، فهربا قال: فصرفني فانصرفت.

قال عمر: وحديثي عبد الله بن راشد بن يزيد- وكان يلقب الأكار، من أهل فيد- قَالَ: سمعت نصر بن قادم مولى بني محول الحناطين: قَالَ:

كان عبدويه وأصحاب له بمكة في سنة حجها أبو جعفر قَالَ: فقال لأصحابه: إني أريد أن أوجر أبا جعفر هذه الحربة بين الصفا والمروة قَالَ: فبلغ ذلك عبد الله بن حسن فنهاه، وقال: أنت في موضع عظيم، فما أرى أن تفعل.

وكان قائد لأبي جعفر يدعى خالد بن حسان، كان يدعى أبا العساكر على ألف رجل، وكان قد مالا عبدويه وأصحابه، فقال له أبو جعفر: أخبرني عنك وعن عبدويه والطاردي، ما أردتم أن تصنعوا بمكة؟ قَالَ: أردنا كذا وكذا، قَالَ: فما منعكم؟ قَالَ: عبد الله بن حسن، قَالَ: فطمره فلم ير حتى الساعة.

قَالَ عمر: حديثي محمد بن يحيى، قَالَ: حدثنا الحارث بن إسحاق، قَالَ: جد أبو جعفر حين حبس عبد الله في طلب ابنه، فبعث عينا له، وكتب معه كتابا على ألسن الشيعة إلى محمد، يذكرون طاعتهم ومسارعتهم، وبعث معه بمال وألطف، فقدم الرجل المدينة، فدخل على عبد الله بن حسن، فسأله عن محمد، فذكر له أنه في جبل جهينة، وقال: أمرر بعلي بن حسن،

الرجل الصالح الذي يدعى الأغر، وهو بذي الأبر، فهو يرشدك فأتاه فأرشده وكان لأبي جعفر كاتب على سره، كان متشيعا، فكتب الى عبد الله ابن حسن بأمر ذلك العين، وما بعث له، فقدم الكتاب على عبد الله فارتاعوا، وبعثوا أبا هبار إلى علي بن الحسن وإلى محمد، فيحذرهم الرجل، فخرج أبو هبار حتى نزل بعلي بن حسن، فسأله فأخبره أن قد أرشده إليه قَالَ أبو هبار: فجئت محمدا في موضعه الذي هو به، فإذا هو جالس في كهف، معه عبد الله بن عامر الأسلي وابنا شجاع وغيرهم، والرجل معهم أعلاهم صوتا، وأشداهم انبساطا، فلما رأيته ظهر عليه بعض النكرة، وجلست مع القوم، فتحدثت مليا، ثم أصغيت إلى محمد، فقلت: إن لي حاجة، فنهض ونهضت معه، فأخبرته بخبر الرجل، فاسترجع، وقال: فما الرأي؟

فقلت: إحدى ثلاث أيها شئت فافعل، قَالَ: وما هي؟ قلت: تدعني فأقتل الرجل، قَالَ: ما أنا بمقارف دما إلا مكرها، أو ماذا؟ قلت: توقره حديدا وتنقله معك حيث انتقلت، قَالَ: وهل بنا فراغ له مع الخوف والإعجال! أو ماذا؟ قلت: تشده وتوثقه وتودعه بعض أهل ثقتك من جهينة، قَالَ:

هذه إذا، فرجعنا وقد نذر الرجل فهرب، فقلت: أين الرجل؟ قالوا: قام بركوة فاصطب ماء، ثم توارى بهذا الظرب يتوضأ، قَالَ: فلجنا في الجبل وما حوله، فكأن الأرض التأمت عليه قَالَ: وسعى على قدميه حتى شرع على الطريق، فربه أعراب معهم حمولة إلى المدينة، فقال لبعضهم: فرغ هذه الغرارة وأدخلنيها أكن عدلا لصاحبتها ولك كذا وكذا، قَالَ: نعم، ففرغها وحمله حتى أقدمه بالمدينة ثم قدم على أبي جعفر فأخبره الخبر كله، وعمي عن اسم أبي هبار وكنيته، وعلق وبرا، فكتب أبو جعفر في طلب وبر المزني، فحمل إليه رجل منهم يدعى وبرا، فسأله عن قصة محمد وما حكى له العين، فحلف أنه ما يعرف من ذلك شيئا، فامر به فضرب سبعمائة سوط، وحبس حتى مات أبو جعفر.

قَالَ عمر: حدثني محمد بن يحيى، قَالَ: حدثني الحارث بن إسحاق، قَالَ: ألح أبو جعفر في طلب محمد، وكتب إلى زياد بن عبيد الله الحارثي

يتنجزه ما كان ضمن له، فقدم محمد المدينة قدمة، فبلغ ذلك زيادا، فتلطف له وأعطاه الأمان على أن يظهر وجهه للناس معه، فوعده ذلك محمد، فركب زياد مغلسا، ووعده محمد سوق الظهر، فالتقيا بها، ومحمد معلن غير مخنف، ووقف زياد إلى جنبه، وقال: يأبها الناس، هذا محمد بن عبد الله ابن حسن، ثم أقبل عليه، فقال: الحق بأي بلاد الله شئت، وتوارى محمد، وتواترت الأخبار بذلك على أبي جعفر. قَالَ عمر: حدثني عيسى بن عبد الله، قَالَ: حدثني من أصدق، قَالَ: دخل إبراهيم بن عبد الله على زياد، وعليه درع حديد تحت ثوبة، فلبسها زياد ثم قَالَ: يا أبا إسحاق، كأنك اتهمتي! ذلك والله ما ينالك مني أبدا.

قَالَ عمر: حدثني عيسى، قَالَ: حدثني أبي، قَالَ: ركب زياد بمحمد، فأتى به السوق فتصايح أهل المدينة: المهدي المهدي! فتوارى فلم يظهر، حتى خرج.

قَالَ عمر: حدثني محمد بن يحيى، قَالَ: حدثني الحارث بن إسحاق، قَالَ: لما أن نتابعت الأخبار على أبي جعفر بما فعل زياد بن عبيد الله، وجه أبا الأزهر رجلا من أهل خراسان إلى المدينة، وكتب معه كتابا، ودفع إليه كتابا، وأمره ألا يقرأ كتابه إليه حتى ينزل الأعوص، على بريد من المدينة، فلما أن نزله قرأه، فإذا فيه تولية عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله المدينة- وكان قاضيا لزياد بن عبيد الله- وشد زياد في الحديد، واصطفاه ماله، وقبض جميع ما وجد له، وأخذ عماله وإشخاصه وإياهم إلى أبي جعفر.

فقدم أبو الأزهر المدينة لسبع ليال بقيت من جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين ومائة، فوجد زيادا في موكب له، فقال: أين الأمير؟ فقيل: ركب، وخرجت الرسل إلى زياد بقدمه، فأقبل مسرعا حتى دخل دار مروان، فدخل عليه أبو الأزهر، فدفع إليه كتابا من أبي جعفر في ثلث يأمره أن يسمع ويطيع، فلما قرأه قَالَ: سمعا وطاعة، فريا أبا الأزهر بما أحببت، قَالَ: ابعث إلى عبد العزيز بن المطلب فبعث إليه، فدفع إليه كتابا أن يسمع لأبي الأزهر، فلما قرأه قَالَ: سمعا وطاعة، ثم دفع إلى زياد كتابا يأمره بتسليم العمل إلى ابن المطلب، ودفع إلى ابن المطلب كتابا بتوليته، ثم قَالَ لابن المطلب: ابعث إلي أربعة كبول وحداد، فأتى بهما فقال: اشد أبا يحيى، فشدها وقبض ماله- ووجد في بيت المال خمسة وثمانين ألف دينار- وأخذ عماله، فلم يغادر منهم أحدا، فشخص بهم وزياد، فلما كانوا في طرف المدينة وقف له عماله يسلمون عليه، فقال: بأبي أنتم! والله ما أبالي إذا راكم أبو جعفر ما صنع بي! أي من هيتهم ومروتهم.

قَالَ عمر: وحدثني محمد بن يحيى، قَالَ: حدثني الحارث بن إسحاق، عن خاله علي بن عبد الحميد، قَالَ: شيعنا زيادا، فسرت تحت محمله ليلة، فأقبل علي فقال: والله ما أعرف لي عند أمير المؤمنين ذنبا، غير أني احسبه وجد علي في ابني عبد الله ووجد دماء بني فاطمة علي عزيزة ثم مضوا حتى كانوا بالشقراء، فأفلت منهم محمد بن عبد العزيز، فرجع إلى المدينة، وحبس أبو جعفر الآخرين، ثم خلى عنهم. قَالَ: وحدثني عيسى بن عبد الله، قَالَ: حدثني من أصدق، قَالَ:

لما أن وجه أبو جعفر مبهوتا وابن أبي عاصية في طلب محمد، كان مبهوت الذي أخذ زيادا، فقال زياد:

أكلف ذنب قوم لست منهم ... وما جنت الشمال على اليمين

قال: وحدثني عيسى بن عبد الله، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبِي فُروه، قال: كنت أنا والشعباني- قائد كان لأبي جعفر- مع

زياد بن عبيد الله فختلف إلى أبي الأزهر أيام بعثه أبو جعفر في طلب بني حسن، فإني لأسير مع أبي الأزهر يوما إذ أتاه آت فلصق به، فقال: إن عندي نصيحة في محمد وإبراهيم، قال: اذهب عنا، قال: إنها نصيحة لأمر المؤمنين، قال:

اذهب عنا، ويلك قد قتل الخلق! قال: فأبى أن ينصرف، فتركه أبو الأزهر حتى خلا الطريق، ثم بعج بسيفه بطنه بعجة القاه ناحيه ثم استعمل أبو جعفر على المدينة محمد بن خالد بعد زياد، فذكر عمر أن محمد بن يحيى حدثه، قال: حدثنا الحارث بن إسحاق، قال: استعمل أبو جعفر على المدينة محمد بن خالد بعد زياد، وأمره بالجد في طلب محمد، وبسط يده في النفقة في طلبه فاغذ السير حتى قدم المدينة هلال رجب سنة إحدى وأربعين ومائة، ولم يعلم به أهل المدينة حتى جاء رسوله من الشقرة - وهي بين الأعوص والطرف على ليلتين من المدينة - فوجد في بيت المال سبعين ألف دينار وألف ألف درهم، فاستغرق ذلك المال، ورفع في محاسبته أموالا كثيرة أنفقها في طلب محمد، فاستبطأه أبو جعفر واتهمه، فكتب إليه أبو جعفر يأمره بكشف المدينة وأعراضها، فأمر محمد بن خالد أهل الديوان أن يتجأوا لمن يخرج، فتجأوا ربيع الغاصري المضحك - وكان يداين الناس بألف دينار - فهلك وتويت، وخرجوا إلى الأعراض لكشفها عن محمد، وأمر القسري أهل المدينة، فلزموا بيوتهم سبعة أيام، وطافت رسله والجند بيوت الناس يكشفونها، لا يحسون شيئا، وكتب القسري لأعوانه صكاكا يتعززون بها، لئلا يعرض لهم أحد، فلما استبطأه أبو جعفر ورأى ما استغرق من الأموال عزله قال: وحدثني عيسى بن عبد الله، قال: أخبرني حسين بن يزيد، عن ابن ضبة، قال: اشتد أمر محمد وإبراهيم على أبي جعفر، فبعث فدعا أبا السعلاء من قيس بن عيلان، فقال: ويلك! أشر علي في امر هذين الرجلين، فقد غمتني امرهما، قال: أرى لك أن تستعمل رجلا من ولد الزبير أو طلحة، فإنهم يطلبونهما بذحل، فاشهد لا يلبثونهما أو يخرجوهما إليك.

قال: قاتلك الله، ما أجود رأيا جئت به! والله ما غيى هذا علي، ولكني اعاهد الله الا أثئر من أهل بيتي بعدوي وعدوهم، ولكني ابعث عليهم صعيلىكا من العرب، فيفعل ما قلت، فبعث رياح بن عثمان بن حيان.

قال: وحدثني محمد بن يحيى، قال: حدثني عبد الله بن يحيى، عن موسى بن عبد العزيز، قال: لما أراد أبو جعفر عزل محمد بن خالد عن المدينة ركب ذات يوم، فلما خرج من بيته استقبله يزيد بن أسيد السلمي، فدعاه فسايره ثم قال: أما تدلني على فتى من قيس مقل، أغنيه وأشرفه وأمكنه من سيد اليمن يلعب به؟ يعني ابن القسري، قال: بلى، قد وجدته يا أمير المؤمنين، قال: من هو؟ قال: رياح بن عثمان بن حيان المري، قال: فلا تذكر هذا لأحد، ثم انصرف فأمر بنجائب وكسوة ورحال، فهيئت للمسير، فلما انصرف من صلاة العتمة دعا بريح، فذكر له ما بلا من غش زياد وابن القسري في ابني عبد الله، وولاه المدينة، وأمر بالمسير من ساعته قبل أن يصل إلى منزله، وأمره بالجد في طلبهما، ففرج مسرعا، حتى قدمها يوم الجمعة لسبع ليال بقين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين ومائة.

قال: وحدثني محمد بن معروف، قال: أخبرني الفضل بن الربيع، عن أبيه، قال: لما بلغ أمر محمد وإبراهيم من أبي جعفر ما بلغ خرجت يوما من عنده - أو من بيتي - أريده، فإذا أنا برجل قد دنا مني، فقال: أنا رسول رياح بن عثمان إليك، يقول لك: قد بلغني أمر محمد وإبراهيم وإدهان الولاية في أمرهما، وإن ولاني أمير المؤمنين المدينة ضمنت له أحدهما، والا أظهرهما.

قال: فأبلغت ذلك أمير المؤمنين فكتب إليه بولايته، وليس بشاهد.

ذكر عمر بن شبة، عن محمد بن يحيى، عن عبد الله بن يحيى، عن موسى بن عبد العزيز، قال: لما دخل رياح دار مروان، فصار في سقيفتها، أقبل على بعض من معه، فقال: هذه دار مروان؟ قالوا: نعم، قال: هذه المحلال المظعان، ونحن أول من يظعن منها.

قال عمر: حدثني أيوب بن عمر، قال: حدثني الزبير بن المنذر مولى عبد الرحمن بن العوام، قال: قدم رياح بن عثمان، فقدم معه حاجب له يكنى أبا البختری - وكان لأبي صديقا زمان الوليد بن يزيد قال: فكنت

أتيه لصداقته لأبي - فقال لي يوما: يا زبير، إن رياحا لما دخل دار مروان قال لي: هذه دار مروان؟ أما والله إنها لمحلال مظعان، فلما تكشف الناس عنه - وعبد الله محبوس في قبة الدار التي على الطريق إلى المقصورة، حبسه فيها زياد بن عبيد الله - قال لي: يا أبا البختری،

خذ بيدي ندخل على هذا الشيخ، فأقبل متكئا علي حتى وقف على عبد الله بن حسن، فقال: أيها الشيخ، إن أمير المؤمنين والله ما استعملني لرحم قريبة، ولا يد سلفت إليه، والله لا لعبت بي كما لعبت بزياد وابن القسري، والله لأزهقن نفسك أو لتأتيني بابنيك محمد وإبراهيم! قَالَ: فرفع رأسه إليه وقال: نعم، أما والله إنك لأزيرق قيس المذبوح فيها كما تذبج الشاة قَالَ أبو البختری: فانصرف رياح والله آخذا بيدي، أجد برد يده، وإن رجله لتخطان مما كلمه، قَالَ:

قلت: والله إن هذا ما اطلع على الغيب قَالَ: إيها ويلك! فوالله ما قَالَ إلا ما سمع، قَالَ: فذبج والله فيها ذبح الشاة. قَالَ: وحدثني محمد بن يحيى، قَالَ: حدثنا الحارث بن إسحاق، قَالَ: قدم رياح المدينة، فدعا بالقسري، فسأله عن الأموال، فقال: هذا كاتبني هو أعلم بذلك مني، قَالَ: أسألك وتحيلني على كاتبك! فأمر به فوجئت عنقه، وقنع أسواطاً، ثم أخذ رزما كاتب محمد بن خالد القسري ومولاه فبسط عليه العذاب، وكان يضربه في كل غب خمسة عشر سوطاً، مغلولاً يده إلى عنقه من بكرة إلى الليل، يتبع به أفناء المسجد والرحبة، ودس إليه في الرفع على ابن خالد فلم يجد عنده في ذلك مساعاً، فأخرجه عمر بن عبد الله الجذامي - وكان خليفة صاحب الشرط يوماً من الأيام - وهو يريد ضربه، وما بين قدميه إلى قرنه قرحة، فقال له: هذا يوم غبك، فأين تحب أن نجلدك؟ قَالَ: والله ما في بدني موضع لضرب، فإن شئت فبطون كفي، فأخرج كفيه فضرب في بطونهما خمسة عشر سوطاً قَالَ: فجعلت رسل رياح تختلف إليه، تأمره أن يرفع على ابن خالد ويحلى سبيله، فأرسل إليه: مر بالكف عني حتى أكتب كتاباً، فأمر بالكف عنه، ثم ألح عليه وبعث إليه:

أن رح بالكتاب العشية على رءوس الناس، فادفعه إلي فلما كان العشي أرسل إليه فأتاه وعنده جماعة فقال: أيها الناس، إن الأمير أمرني أن أكتب كتاباً، وأرفع على ابن خالد، وقد كتبت كتاباً أتجنى به، وأنا أشهدكم أن كل ما فيه باطل فأمر به رياح فضرب مائة سوط، ورد إلى السجن.

قَالَ عمر: حدثني عيسى بن عبد الله، قَالَ: حدثني عمي عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي، قال: لما أهبط الله آدم من الجنة رفعه على أبي قبيس، فرفع له الأرض جميعاً حتى رآها وقال: هذه كلها لك، قَالَ: أي رب، كيف أعلم ما فيها؟ فجعل له النجوم، فقال: إذا رأيت نجم كذا وكذا كان كذا وكذا، وإذا رأيت نجم كذا وكذا كان كذا وكذا، فكان يعلم ذلك بالنجوم ثم إن ذلك اشتد عليه، فأنزله الله عز وجل امرأة من السماء يرى بها ما في الأرض حتى إذا مات آدم عمد إليها شيطان يقال له فقتس فكسرهما، وبني عليها مدينة بالمشرق يقال لها جابرت، فلما كان سليمان بن داود سأل عنها، فقيل له: أخذها فقتس فدعاه فسأله عنها، فقال: هي تحت أواسي جابرت، قَالَ: فأتني بها، قَالَ ومن يهدمها؟ فقالوا لسليمان: قل له: أنت، فقال سليمان: أنت، فأتي بها سليمان، فكان يجبر بعضها إلى بعض ثم يشدها في أقطارها بسير، ثم ينظر فيها، حتى هلك سليمان، فوثبت عليها الشياطين، فذهبت بها وبقيت منها بقية، فتوارثتها بنو إسرائيل حتى صارت إلى رأس الجالوت، فأتي بها مروان بن محمد، فكان يحكها ويجعلها على امرأة أخرى فيرى فيها ما يكره، فرمى بها وضرب عنق رأس الجالوت، ودفعها إلى جارية له، فجعلتها في كرسفة، ثم جعلتها في حجر، فلما استخلف أبو جعفر سأل عنها فقيل له: هي عند فلانة، فطلبها حتى وجدها، فكانت عنده، فكان يحكها ويجعلها على امرأة أخرى فيرى فيها، وكان يرى محمد ابن عبد الله، فكتب إلى رياح بن عثمان: إن محمداً ببلاد فيها الأترج والأعناب فاطلبه بها وقد كتب إلى محمد بعض أصحاب أبي جعفر: لا تقيم في موضع إلا بقدر مسير البريد من العراق إلى المدينة، فكان يتنقل فيراه

بالبضاء، وهي من وراء الغابة على نحو من عشرين ميلاً، وهي لأشجع فكتب إليه: إنه ببلاد بها الجبال والقلات، فيطلبه فلا يجده قَالَ: فكتب إليه إنه بجبل به الحب الأخضر والقطران، قَالَ: هذه رضوى، فطلبه فلم يجده قال أبو زيد: حدثني أبو صفوان نصر بن قديد بن نصر بن سيار، أنه بلغه أنه كان عند أبي جعفر امرأة يرى فيها عدوه من صديقه.

قَالَ: وحدثني محمد بن يحيى، قَالَ: حدثني الحارث بن إسحاق، قَالَ: جد رياح في طلب محمد، فأخبر أنه في شعب من شعاب رضوى - جبل جهينة، وهي من عمل ينبع - فاستعمل عليها عمرو بن عثمان بن مالك الجهني أحد بني جشم، وأمره بطلب محمد، فطلبه فذكر له أنه بشعب من رضوى، فخرج إليه بالخيول والرجال، ففرغ منه محمد، فأحضر شداً، فأقلت وله ابن صغير، ولد في خوفه ذلك، وكان مع

جارية له، فهوى من الجبل فتقطع، وانصرف عمرو بن عثمان.

قَالَ: وحدثني عبد الله بن محمد بن حكيم الطائي، قَالَ: لما سقط ابن محمد فمات ولقي محمد ما لقي، قال:

سنخرق السربال يشكو الوجى ... تنكبه أطراف مرو حداد

شرده الخوف فأزرى به ... كذاك من يكره حر الجلال

قد كان في الموت له راحة ... والموت حتم في رقاب العباد

قال: وحدثني عيسى بن عبد الله، قَالَ: حدثني عمي عبيد الله بن محمد، قَالَ: قَالَ محمد بن عبد الله: بينا أنا في رضوى مع أمة لي أم ولد، معها بني لي ترضعه، إذا ابن سنوطي مولى لأهل المدينة، قد هجم علي في الجبل يطلبني، نخرجت هاربا، وهربت الجارية فسقط الصبي منها فتقطع، فقال عبيد الله: فأتي بابن سنوطي الى محمد بعد حين ظهر، فقال:

يا بن سنوطي، أتعرف حديث الصبي؟ قَالَ: أي والله، إني لأعرفه، فأمر به فحبس، فلم يزل محبوسا حتى قتل محمد

قَالَ: وحدثني عبد العزيز بن زياد، قَالَ: حدثني أبي قَالَ: قَالَ محمد: إني بالحرّة مصعد ومنحدر، إذا أنا برياح والخيّل، فعدلت إلى برّ فوقفت بين قرنيها، فجعلت أستقي، فلقيني رياح صفحا، فقال: قاتله الله أعرابيا ما أحسن ذراعه! قَالَ: وحدثني ابن زباله، قَالَ: حدثني عثمان بن عبد الرحمن الجهني عن عثمان بن مالك، قَالَ: أذلق رياح محمدا بالطلب، فقال لي: أغد بنا إلى مسجد الفتح ندع الله فيه قَالَ: فصليت الصبح، ثم انصرف إليه، فغدونا وعلى محمد قميص غليظ ورداء قرقي مفتول، فخرجنا من موضع كان فيه، حتى إذا كان قريبا التفت، فإذا رياح في جماعة من أصحابه ركان، فقلت له: هذا رياح، إنا لله وإنا إليه راجعون! فقال غير مكترث به: امض، فمضيت وما تنقلني رجلاي، وتخي هو عن الطريق، فجلس وجعل ظهره مما يلي الطريق، وسدل هدب رداءه على وجهه- وكان جسيما- فلما حاذاه رياح التفت إلى أصحابه، فقال: امرأة رأينا فاستحيت قَالَ: ومضيت حتى طلعت الشمس، وجاء رياح فصعد وصلى ركعتين، ثم انصرف من ناحية بطحان، فأقبل محمد حتى دخل المسجد، فصلى ودعا، ولم يزل محمد بن عبد الله ينتقل من موضع إلى موضع إلى حين ظهوره.

ولما طال على المنصور أمره، ولم يقدر عليه وعبد الله بن حسن محبوس، قَالَ عبد العزيز بن سعيد- فيما ذكر عن عيسى بن عبد الله، عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة- قَالَ لأبي جعفر: يا أمير المؤمنين، أطمع أن يخرج لك محمد وإبراهيم وبنو حسن مخلون! والله للواحد منهم أهيب في صدور الناس من الأسد قَالَ: فكان ذلك الذي هاجه على حبسهم قَالَ، ثم دعاه فقال: من أشار عليك بهذا الرأي؟ قَالَ: فليح بن سليمان، فلما مات عبد العزيز ابن سعيد- وكان عينا لأبي جعفر وواليا على الصدقات- وضع فليح بن سليمان في موضعه، وأمر أبو جعفر بأخذ بني حسن.

قَالَ عيسى: حدثني عبد الله بن عمران بن أبي فروة، قَالَ: أمر أبو جعفر

رياحا بأخذ بني حسن، ووجه في ذلك أبا الأزهر المهري- قَالَ: وقد كان حبس عبد الله بن حسن فلم يزل محبوسا ثلاث سنين، فكان

حسن بن حسن قد نصل خضابه تسليا على عبد الله، فكان أبو جعفر يقول: ما فعلت الحادة؟

قَالَ: فأخذ رياح حسنا وإبراهيم ابني حسن بن حسن، وحسن بن جعفر بن حسن بن حسن، وسليمان وعبد الله ابني داود بن حسن بن حسن، ومحمدا واسماعيل وإسحاق ابني إبراهيم بن حسن بن حسن، وعباس بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، أخذوه على بابه، فقالت أمه عائشة ابنة طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر: دعوني أشمه، قالوا: لا والله، ما كنت حية في الدنيا، وعلي بن حسن بن حسن بن حسن العابد.

قَالَ: وحدثني إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم، قَالَ: حبس معهم أبو جعفر عبد الله بن حسن بن حسن أخا علي.

قَالَ: وحدثني محمد بن يحيى، قَالَ: حدثنا الحارث بن إسحاق، قَالَ: جهر رياح بشتهم محمد وإبراهيم ابني عبد الله، وشتهم أهل المدينة قَالَ: ثم قَالَ يوما وهو على المنبر يذكرهما: الفاسقين الخالعين الحارين قَالَ: ثم ذكر ابنة أبي عبيدة أمهما، فأفحش لها، فسبح الناس وأعظموا ما

قَالَ، فَأَقْبِلْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَا كَلْنَا عَنْ شَتْمِهِمَا، أَلَصَقَ اللَّهُ بِوُجُوهِكُمْ الذَّلَّ وَالْهُوَانَ! أَمَا وَاللَّهِ لَا أَكْتُبَنَّ إِلَى خَلِيفَتِكُمْ فَلَا عَلَيْهِ غَشَمٌ وَقَلَّةٌ نَصَحَكُمْ فَقَالَ النَّاسُ:

لَا نَسْمَعُ مِنْكَ يَا بَنَ الْمُحْدُودِ، وَبَادِرُوهُ بِالْحَصَى، فَبَادَرُوا قَتَحَمَ دَارَ مَرَوَانَ وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِ الْبَابَ، وَخَرَجَ النَّاسُ حَتَّى صَفَوْا وَجَاهَهُ، فَرَمَوْهُ وَشَتَمُوهُ ثُمَّ تَنَاهَوْا وَكَفُّوا.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنِي الثَّقَةُ عِنْدِي، قَالَ:

حَبَسَ مَعَهُمْ مُوسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنَ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَعَلَى بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنَ بْنِ حَسَنِ عِنْدَ مُقَدَّمِهِ مِنْ مِصْرَ. قَالَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَبِيبٍ، قَالَ: وَجَّهَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَهُ عَلِيًّا إِلَى مِصْرَ، فَدَلَّ عَلَيْهِ عَامِلُهَا، وَقَدْ هَمَّ بِالْوُثُوبِ، فَشَدَّهُ وَارْسَلَ بِهِ

إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ، فَاعْتَرَفَ لَهُ، وَسَمَّى أَصْحَابَ أَبِيهِ، فَكَانَ فَيَمْنُ سَمَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ ابْنَ أَبِي الْمَوَالِي وَأَبُو حَنِينٍ، فَأَمَرَ بِهِمَا أَبُو جَعْفَرٍ فَخَبَسَا، وَضَرَبَ أَبُو حَنِينٍ مِائَةَ سَوْطٍ.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي عِيسَى، قَالَ: مَرَّ حَسَنُ بْنُ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ابْنِ حَسَنِ وَهُوَ يَعْطِفُ إِبْلًا لَهُ، فَقَالَ: أَتَعْطِفُ إِبْلَكَ وَعَبْدُ اللَّهِ مُحْبُوسٌ! أَطْلُقْ عَقْلَهَا يَا غَلَامَ، فَأَطْلَقَهَا، ثُمَّ صَاحَ فِي أَدْبَارِهَا فَلَمْ يَوْجَدْ مِنْهَا وَاحِدَةً.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي عِيسَى، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: حَضَرْنَا بَابَ رِيَّاحٍ فِي الْمَقْصُورَةِ، فَقَالَ الْآذَنُ: مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ بَنِي حُسَيْنٍ فَلْيَدْخُلْ، فَقَالَ لِي عَمِّي عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ: انْظُرْ مَا يَصْنَعُ الْقَوْمُ، قَالَ: فَدَخَلُوا مِنْ بَابِ الْمَقْصُورَةِ وَخَرَجُوا مِنْ بَابِ مَرَوَانَ قَالَ: ثُمَّ قَالَ: مَنْ هَاهُنَا مِنْ بَنِي حُسَيْنٍ فَلْيَدْخُلْ، فَدَخَلُوا مِنْ بَابِ الْمَقْصُورَةِ وَدَخَلَ الْخِدَادُونَ مِنْ بَابِ مَرَوَانَ، فَدَعَى بِالْقِيُودِ.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي عِيسَى، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: كَانَ رِيَّاحٌ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ أُرْسِلَ إِلَيَّ وَإِلَى قَدَامَةِ بْنِ مُوسَى فَيُحَدِّثُنَا سَاعَةً، فَإِنَّا لَعِنْدَهُ يَوْمًا، فَلَمَّا أَصْفَرْنَا إِذَا بِرَجُلٍ مُتَلَفِّفٍ فِي سَاجٍ لَهُ، فَقَالَ لَهُ رِيَّاحٌ: مَرْحَبًا بِكَ وَأَهْلًا، مَا حَاجَتُكَ؟ قَالَ: جِئْتُ لَتَحْبِسَنِي مَعَ قَوْمِي، فَإِذَا هُوَ عَلِيُّ بْنُ حَسَنَ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَيَعْرِفُنَا لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ حَبَسَهُ مَعَهُمْ.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ الْقَاسِمِ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ نَاشِرَةَ مَوْلَى جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، قَالَ: بَعَثَ مُحَمَّدُ ابْنَهُ عَلِيًّا، فَأَخَذَ بِمِصْرَ، فَمَاتَ فِي سِجْنِ أَبِي جَعْفَرٍ.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ، قَالَ:

حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَمَّا حَبَسْنَا ضَاقَ الْحَبْسُ بِنَا، فَسَأَلَ أَبِي رِيَّاحًا أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فَيَشْتَرِيَ دَارًا، فَيَجْعَلُ حَبْسَنَا فِيهَا، فَفَعَلَ، فَاشْتَرَى أَبِي دَارًا فَنَقَلْنَا إِلَيْهَا، فَلَمَّا امْتَدَّ بِنَا الْحَبْسَ أَتَى مُحَمَّدٌ أُمَّهُ هِنْدًا فَقَالَ: إِنِّي قَدْ حَمَلْتُ أَبِي وَعَمُّوْمِي مَا لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَضَعَ يَدِي فِي أَيْدِيهِمْ، فَعَسَى أَنْ يَخْلَى عَنْهُمْ قَالَ: فَتَنَكَّرْتُ وَلَبِسْتُ أَطْمَارًا، ثُمَّ جَاءَتْ

٧٠٤١٠٢ ذكر حمل ولد حسن بن حسن إلى العراق

السَّجْنَ كَهَيْئَةِ الرُّسُولِ، فَأْذَنَ لَهَا، فَلَمَّا رَأَاهَا أَبِي أَثْبَتَهَا، فَهَضَّ إِلَيْهَا فَأَخْبَرْتَهُ عَنْ مُحَمَّدٍ، فَقَالَ: كَلَّا بَلْ نَصَبَرُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَفْتَحَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا، قَوْلِي لَهُ: فَلْيَدْعُ إِلَى أَمْرِهِ، وَلْيَجِدْ فِيهِ، فَإِنْ فَرَجْنَا بِيَدِ اللَّهِ قَالَ: فَانصرفت وتم محمد على بغيته

. ذكر حمل ولد حسن بن حسن إلى العراق

وفي هذه السنة حمل ولد حسن بن حسن بن علي من المدينة إلى العراق.

ذكر الخبر عن سبب حملهم إلى العراق وما كان من أمرهم إذ حملوا:

ذكر عمر، قَالَ: حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا حَجَّ أَبُو جَعْفَرٍ أُرْسِلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرَانَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنُ طَلْحَةَ وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ إِلَى أَصْحَابِنَا، فَسَأَلَهُمْ أَنْ يَدْفَعُوا مُحَمَّدًا وَإِبْرَاهِيمَ ابْنَيْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْنَا الرِّجَالُ وَأَبِي قَائِمٌ يَصِلِي، فَأَبْلَغَاهُم

رسالته، فقال حسن بن حسن: هذا عمل ابني المشئومة، أما والله ما هذا برأينا، ولا عن ملأ منا، ولا لنا فيه حيلة قَالَ: فأقبل عليه إبراهيم، فقال: علام تؤذي أخاك في ابنه وتؤذي ابن أخيك في أمه؟ قَالَ: وانصرف أبي من صلاته، فأبلغاه، فقال: لا والله لا أرد عليك حرفا، إن أحب أن يأذن لي فألقاه فليفعل، فانصرف الرجلان فأبلغاه، فقال: اراد ان يسخرني، لا والله لا ترى عينه عيني حتى يأتيني بابنيه.

قَالَ: وحدثني ابن زبالة، قَالَ: سمعت بعض علمائنا يقول: ما سار عبد الله بن حسن أحدا قط إلا قتله عن رأيه. قَالَ: وحدثني موسى بن عبد الله، عن أبيه عن جده، قَالَ: ثم سار أمير المؤمنين أبو جعفر لوجهه حاجا، ثم رجع فلم يدخل المدينة، ومضى إلى الربرة حتى أتى ثني رهوتها

قَالَ عمر: وحدثني محمد بن يحيى، قَالَ: حدثني الحارث بن إسحاق، قَالَ: لم يزل بنو حسن محبوسين عند رياح حتى حج أبو جعفر سنة أربع وأربعين ومائة، فتلقيه رياح بالربرة، فردّه إلى المدينة، وأمره بإشخاص بني حسن إليه، وبإشخاص محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان - وهو أخو بني حسن لأهمهم جميعا فاطمة بنت حسين بن علي بن أبي طالب - فأرسل اليه رياح - وكان بماله ببدر - فحدرهم إلى المدينة، ثم خرج رياح ببني حسن ومحمد بن عبد الله بن عمرو إلى الربرة، فلما صار بقصر نفيس على ثلاثة أميال من المدينة، دعا بالحدادين والقيود والأغلال، فألقى كل رجل منهم في بكل وغل، فضاقت حلقتا قيد عبد الله بن حسن بن حسن، فعضته فتأوه، فأقسم عليه أخوه علي بن حسن ليحولن حلقتيه عليه إن كانتا أوسع، فحولتا عليه، فمضى بهم رياح إلى الربرة.

قَالَ: وحدثني إبراهيم بن خالد، ابن أخت سعيد بن عامر، عن جويرية بن أسماء - وهو خال أمه - قَالَ: لما حمل بنو حسن إلى أبي جعفر أتى بأقياد يقيدون بها، وعلي بن حسن بن حسن قائم يصلي قَالَ: وكان في الأقياد قيد ثقيل، فكلها قرب إلى رجل منهم فتفادى منه واستغنى قَالَ: فانقتل علي من صلاته، فقال: لشد ما جزعتم، شرعه هذا، ثم مد رجله فقيد به.

قَالَ: وحدثني عيسى، قَالَ: حدثني عبد الله بن عمران، قَالَ: الذي حدرهم إلى الربرة أبو الأزهر. قَالَ عمر: حدثني ابن زبالة، قَالَ: حدثني حسين بن زيد بن علي ابن حسين، قَالَ: غدوت إلى المسجد، فرأيت بني حسن يخرج بهم من دار مروان مع أبي الأزهر يراد بهم الربرة، فانصرفت، فأرسل إلى جعفر ابن محمد فحجته، فقال: ما وراءك؟ فقلت: رأيت بني حسن يخرج بهم في محامل، قَالَ: اجلس، فجلست، فدعا غلاما له، ثم دعا ربه دعاء كثيرا، ثم قَالَ لغلامه: اذهب، فإذا حملوا فأت فأخبرني، فأتاه الرسول، فقال: قد أقبل بهم قَالَ: فقام جعفر بن محمد، فوقف من وراء ستر شعر

يبصر من وراءه ولا يبصره أحد، فطلع بعبد الله بن حسن في محل معادله مسود، وجميع أهل بيته كذلك قَالَ: فلما نظر إليهم جعفر هملت عيناه حتى جرت دموعه على لحيته، ثم أقبل علي فقال: يا أبا عبد الله، والله لا يحفظ الله حرمة بعد هؤلاء قَالَ: وحدثني محمد بن الحسن بن زبالة، قَالَ: حدثني مصعب بن عثمان، قَالَ: لما ذهب ببني حسن لقيهم الحارث بن عامر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بالربرة، فقال: الحمد لله الذي أخرجكم من بلادنا، قَالَ: فاشرب له حسن بن حسن، فقال له عبد الله: عزمت عليك إلا سكت! قَالَ: وحدثني عيسى، قَالَ: حدثني ابن أبرود حاجب محمد بن عبد الله قَالَ: لما حمل بنو حسن، كان محمد وإبراهيم يأتیان معتمين كهيئة الأعراب، فيسايران أباهما ويسألانه ويستأذنانه في الخروج، فيقول: لا تعجلا حتى يمكنكما ذلك، ويقول: إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين.

فلا يمنعكما أن تموتا كريمين قَالَ عمر: وحدثني محمد بن يحيى، قَالَ: حدثني الحارث بن إسحاق، قَالَ: لما صار بنو حسن إلى الربرة دخل محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على أبي جعفر، وعليه قميص وساج وإزار رقيق تحت قميصه، فلما وقف بين يديه، قَالَ: إياها يا ديوث! قَالَ محمد: سبحان الله! والله لقد عرفني بغير ذلك صغيرا وكبيرا، قَالَ: فم حملت ابنتك؟ وكانت تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن - وقد أعطيتني الأيمان بالطلاق والعناق ألا تغشني ولا تملأ علي عدوا، ثم أنت تدخل على ابنتك متخضبة متعطرة، ثم

تراها حاملا فلا يروعك حملها! فأنت بين أن تكون حائثا أو ديوثا، وإيم الله اني لاهم برجمها فقال محمد: أما أيماني فهي علي إن كنت دخلت لك في أمر غش علمته، وأما ما رميت به هذه الجارية، فإن الله قد أكرمها عن ذلك بولادة رسول الله ص إياها، ولكني قد ظننت حين ظهر

حملها أن زوجها ألم بها علي حين غفلة منا فاحتفظ أبو جعفر من كلامه، وأمر بشق ثيابه، فشق قميصه عن إزاره، فأشف عن عورته، ثم أمر به فضرب خمسين ومائة سوط، فبلغت منه كل مبلغ، وابو جعفر يفتري عليه ولا يكنى، فأصاب سوط منها وجهه، فقال له: ويحك! اكفف عن وجهي فإن له حرمة من رسول الله ص، قَالَ: فأغرى أبو جعفر، فقال للجناد: الرأس الرأس، قَالَ: فضرب على رأسه نحو من ثلاثين سوطا، ثم دعا بساجور من خشب شببيه به في طوله- وكان طويلا- فشد في عنقه، وشدت به يده، ثم أخرج به ملبيا، فلما طلع به من حجرة أبي جعفر، وثب إليه مولى له، فقال: بأبي أنت وأمي ألا ألوثك بردائي! قَالَ: بلى جزيت خيرا، فوالله لشفوف إزاري أشد علي من الضرب الذي نالني، فألقى عليه المولى الثوب، ومضى به إلى أصحابه المحبسين.

قَالَ: وحدثني الوليد بن هشام، قَالَ: حدثني عبد الله بن عثمان، عن محمد بن هاشم بن البريد، مولى معاوية، قَالَ: كنت بالربذة، فأتي ببني حسن مغلولين، معهم العثماني كأنه خلق من فضة، فأقعدوا، فلم يلبثوا حتى خرج رجل من عند أبي جعفر، فقال: أين محمد بن عبد الله العثماني؟ فقام فدخل، فلم يلبث أن سمعنا وقع السياط، فقال أيوب بن سلمة المخزومي لبيه: يا بني، إني لأرى رجلا ليس لأحد عنده هودة، فانظروا لأنفسكم، لا تسقطوا بشيء. قَالَ: فأخرج كأنه زنجي قد غيرت السياط لونه، وأسالت دمه، وأصاب سوط منها إحدى عينيه فسالت، فأقعد إلى جنب أخيه عبد الله بن حسن بن حسن، فعطش فاستسقى ماء، فقال عبد الله بن حسن: يا معشر الناس، من يسقي ابن رسول الله شربة ماء؟ فتحاماه الناس فما سقوه حتى جاء خراساني بماء، فسله إليه فشرب، ثم لبثنا هنيهة، فخرج أبو جعفر في شق محمل، معادله الربيع في شقه الأيمن، على بغلة شقراء، فناداه عبد الله أبا جعفر، والله ما هكذا فعلنا بأسرائكم يوم بدر! قال: فاحساه ابو جعفر، وتفل عليه، ومضى ولم يعرج.

وذكر أن أبا جعفر لما دخل عليه محمد بن عبد الله العثماني سأله عن إبراهيم، فقال: ما لي به علم، فذكر أبو جعفر وجهه بالجرز. وذكر عمر عن محمد بن أبي حرب، قَالَ: لم يزل أبو جعفر جميل الرأي في محمد حتى قَالَ له رياح: يا أمير المؤمنين، أما أهل خراسان فشيعةك وأنصارك، وأما أهل العراق فشيعة آل أبي طالب، وأما أهل الشام فوالله ما علي عندهم إلا كفر، وما يعتدون بأحد من ولده، ولكن أخاهم محمد بن عبد الله ابن عمرو، ولو دعا أهل الشام ما تخلف عنه منهم رجل. قَالَ: فوقع في نفس أبي جعفر، فلما حج دخل عليه محمد، فقال: يا محمد، أليس ابنتك تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن؟ قَالَ: بلى، ولا عهد لي به إلا بمنى في سنة كذا وكذا، قَالَ: فهل رأيت ابنتك تختضب وتمتشط؟ قَالَ: نعم، قَالَ: فهي إذا زانية، قَالَ: مه يا أمير المؤمنين! أتقول هذا لابنة عمك! قال: يا بن اللخناء، قال: اى أمهاتي تلخن! قال: يا بن الفاعله، ثم ضرب وجهه بالجرز وحده، وكانت رقية ابنة محمد تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن، ولها يقول:

خليلي من قيس دعا اللوم واقعدا ... يسركا ألا أنام وترقدا

أبيت كأني مسعر من تذكري ... رقية جمرًا من غضا متوقدا

قَالَ: وحدثني عيسى بن عبد الله بن محمد، قَالَ: حدثني سليمان بن داود بن حسن، قَالَ: ما رأيت عبد الله بن حسن جزع من شيء مما ناله إلا يوما واحدا، فإن بعير محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان انبعث وهو غافل، لم يتأهب له، وفي رجله سلسلة، وفي عنقه زمارة، فهوى، وعلقت الزمارة بالحمل، فرأيته منوطا بعنقه يضطرب، فرأيت عبد الله بن حسن قد بكى بكاء شديدا.

قَالَ: وحدثني موسى بن عبد الله بن موسى، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لما صرنا بالربذة، أرسل أبو جعفر إلى أبي أن أرسل إلي أحدكم،

واعلم أنه غير عائد إليك أبداً، فابتدره بنو إخوته يعرضون أنفسهم عليه، فجزاهم خيراً، وقال: أنا أكره أن أجمعهم بكم، ولكن اذهب أنت يا موسى، قال: فذهبت وأنا يومئذ حديث السن، فلما نظر إلي قال: لا أنعم الله بك عينا، الشياطين يا غلام قال: فضربت والله حتى غشي علي، فما أدري بالضرب، فرفعت الشياطين عني، ودعاني فقربت منه واستقر بني.

فقال: أتدري ما هذا؟ هذا فيض فاض مني، فأفرغت منه سجلاً لم أستطع رده، ومن ورائه الموت أو تفتدي منه قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، والله إن ما لي ذنب، وإني لبعزل عن هذا الأمر قال: فانطلق فأنتي بأخويك، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، تبعثني إلى رياح بن عثمان فيضع علي العيون والرصد، فلا أسلك طريقاً إلا تبغي له رسول، ويعلم ذلك أخواي فيهربان مني! قال: فكتب إلى رياح: لا سلطان لك على موسى، قال: وأرسل معي حرساً أمرهم أن يكتبوا إليه بخبري، قال: فقدمت المدينة، فنزلت دار ابن هشام بالبلاط، فأقمت بها شهراً، فكتب إليه رياح: إن موسى مقيم بمنزله يترصد بأمر المؤمنين الدوائر، فكتب إليه: إذا قرأت كتابي هذا فاحدره إلي، فحدرني.

قال: وحدثني محمد بن إسماعيل، قال: قال: حدثني موسى، قال: أرسل أبي إلى أبي جعفر: إني كاتب إلى محمد وإبراهيم، فأرسل موسى عسى أن يلقاهما، وكتب إليهما أن يأتياه، وقال لي: أبلغهما عني فلا يأتياه أبداً قال: وإنما أراد أن يفلتني من يده- وكان أرق الناس علي، وكنت اصغر ولد هند- وأرسل إليهما:

يا بني أمة إني عنكما غان ... وما الغني غير اني مرعش فان

يا بني أمة إلا ترحما كبري ... فإنما أنما والثكل مثلان

قال: فأقمت بالمدينة مع رسل أبي جعفر إلى أن استبطأني رياح، فكتب إلى أبي جعفر بذلك، فحدرني إليه

قال: وحدثني يعقوب بن القاسم بن محمد، قال: أخبرني عمران بن محرز من بني البكاء، قال: خرج ببني حسن إلى الربرة، فيهم علي وعبد الله ابنا حسن بن حسن بن الحسن، وأمه حجابة ابنة عامر بن عبد الله بن عامر ابن بشر بن عامر ملاعب الأسنة، فمات في السجن حسن بن حسن وعباس ابن حسن، وأمه عائشة بنت طلحة بن عمر بن عبيد الله وعبد الله بن حسن وإبراهيم بن حسن. قال عمر: حدثني المدائني، قال: لما خرج ببني حسن، قال إبراهيم ابن عبد الله بن حسن، قال عمر: وقد أنشدني غير أبي الحسن هذا الشعر لغالب الحمداني:

ما ذكرك الدمنة القفار وأهل ... الدار اما ناولك أو قربوا

إلا سفاها وقد تفرعك الشيب ... بلون كأنه العطب

ومر نحسون من سنك كما ... عد لك الحاسبون إذ حسبوا

فعد ذكر الشباب لست له ... ولا إليك الشباب منقلب

إني عرّيتي الهموم فاحتضر ... الهم وسادي فالقلب منشعب

واستخرج الناس للشقاء و ... خلفت لدهر بظهره حذب

اعوج يستعذب اللثام به ... ويحتويه الكرام إن سربوا

نفسى فدت شبيهه هناك و ... ظنبوبا به من قيوده ندب

والسادة الغر من بنيه فما ... روقب فيه الإله والنسب

يا حلق القيد ما تضمن من ... حلم ويريشوبه حسب

وأمات من العواتك ... أخلصنك بيض عقائل عرب

كيف اعتذارى إلى الإله ولم ... يشهرن فيك المأثرة القضب!

ولم أقد غارة ملهمة ... فيها بنات الصريح تنتحب

والسابقات الجياد والأسل ... الذبل فيها أسنة ذرب

حتى نوفي بني نتيلة بالقسط ... بكيل الصاع الذي احتلبوا

بالقتل قتلا وبالأسير الذي ... في القيد أسرى مصفودة سلب
أصبح آل الرسول أحمد في ... الناس كذي عرة به جرب
بؤسا لهم ما جنت أكفهم ... وأي جبل من أمة قضبوا!
وأي جبل خانوا المليك به ... شد بميثاق عقده الكذب

وذكر عبد الله بن راشد بن يزيد، قَالَ: سمعت الجراح بن عمر وخاقان ابن زيد وغيرهما من أصحابنا يقولون: لما قدم بعبد الله بن حسن وأهله مقيدين فأشرف بهم على النجف، قَالَ لأهله: أما ترون في هذه القرية من يمنعنا من هذا الطاغية؟ قَالَ: فلقية ابنا أخي الحسن وعلي مشتملين على سيفين، فقالا له: قد جئناك يا بن رسول الله، فرنا بالذي تريد، قَالَ: قد قضيتما، ولن تغنيا في هؤلاء شيئا فانصرفا.

قَالَ: وحدثني عيسى، قَالَ: حدثني عبد الله بن عمران بن أبي فروة، قَالَ: أمر أبو جعفر أبا الأزهر فحس بني حسن بالهاشمية. قال: وحدثني محمد بن الحسن، قال: حدثني محمد بن إبراهيم، قَالَ: أتني بهم أبو جعفر، فنظر إلى محمد بن إبراهيم بن حسن، فقال: أنت الديباج الأصفر؟ قَالَ: نعم، قَالَ: أما والله لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحدا من أهل بيتك، ثم امر بأسطوانة مبنية ففرقت، ثم أدخل فيها فبني عليه وهو حي قال محمد بن الحسن: وحدثني الزبير بن بلال، قَالَ: كان الناس يختلفون إلى محمد ينظرون إلى حسنه. قَالَ عمر: وحدثني عيسى، قَالَ: حدثني عبد الله بن عمران، قال:

أخبرني أبو الأزهر، قَالَ: قَالَ لي عبد الله بن حسن: أبغني حجاما، فقد احتجت إليه، فاستأذنت أمير المؤمنين، فقال: آت به بحجام مجيد. قَالَ: وحدثني الفضل بن دكين أبو نعيم، قَالَ: حبس من بني حسن ثلاثة عشر رجلا، وحبس معهم العثماني وابننا له في قصر ابن هبيرة، وكان في شرقي الكوفة مما يلي بغداد، فكان أول من مات منهم إبراهيم ابن حسن، ثم عبد الله بن حسن، فدفن قريبا من حيث مات، وإلا يكن بالقبر الذي يزعم الناس أنه قبره، فهو قريب منه.

وحدثني محمد بن أبي حرب، قَالَ: كان محمد بن عبد الله بن عمرو محبوسا عند أبي جعفر، وهو يعلم براءته، حتى كتب إليه أبو عون من خراسان: أخبر أمير المؤمنين أن أهل خراسان قد تقاعسوا عني، وطال عليهم أمر محمد بن عبد الله، فأمر أبو جعفر عند ذلك بمحمد بن عبد الله بن عمرو، فضربت عنقه، وأرسل برأسه إلى خراسان، وأقسم لهم أنه رأس محمد بن عبد الله، وأن أمه فاطمة بنت رسول الله ص.

قال عمر: وحدثني الوليد بن هشام، قَالَ: حدثني أبي، قَالَ: لما صار أبو جعفر بالكوفة، قَالَ: ما أشتفي من هذا الفاسق من أهل بيت فسق، فدعا به، فقال: أزوجت ابنتك ابن عبد الله؟ قَالَ: لا، قَالَ:

أفليس بامرأته؟ قَالَ: بلى زوجها إياه عمها وأبوه عبد الله بن حسن فأجزت نكاحه، قَالَ: فأين عهدك التي أعطيتني؟ قَالَ: هي علي، قَالَ: أفلم تعلم بخضاب! ألم تجد ريح طيب! قَالَ: لا علم لي، قد علم القوم ما لك علي من المواثيق فكتمونني ذلك كله، قَالَ: هل لك أن تستقيلني فأقيلك، وتحدث لي إيمانا مستقبلة؟ قَالَ: ما حنثت بأيماني فتجددها علي، ولا أحدثت ما استقيلك منه فتقيلني، فأمر به فضرب حتى مات، ثم احتز رأسه، فبعث به إلى خراسان، فلما بلغ ذلك عبد الله بن حسن، قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! والله ان كنا لنا من به في سلطانهم، ثم قد قتل بنا في سلطاننا.

قَالَ: وحدثني عيسى بن عبد الله، قَالَ: حدثني مسكين بن عمرو،

قَالَ: لما ظهر محمد بن عبد الله بن حسن، أمر أبو جعفر بضرع عنق محمد بن عبد الله بن عمرو، ثم بعث به إلى خراسان، وبعث معه الرجال يحلفون بالله إنه لمحمد بن عبد الله بن فاطمة بنت رسول الله ص قَالَ عمر: فسألت محمد بن جعفر بن إبراهيم، في أي سبب

قتل محمد بن عمرو؟

قال: احتيج إلى راسه.

قال عمر: وحدثني محمد بن أبي حرب، قَالَ: كان عون بن أبي عون خليفة أبيه بباب أمير المؤمنين، فلما قتل محمد بن عبد الله بن حسن

وجه أبو جعفر برأسه إلى خراسان، إلى أبي عون مع محمد بن عبد الله بن أبي الكرام وعون بن أبي عون، فلما قدم به ارتاب أهل خراسان، وقالوا: أليس قد قتل مرة وأتيننا برأسه! قَالَ: ثم تكشف لهم الخبر حتى علموا حقيقته، فكانوا يقولون: لم يطلع من أبي جعفر على كذبة غيرها.

قَالَ: وحدثني عيسى بن عبد الله، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبِي فَرُوه، قَالَ: كُنَّا نَأْتِي أَبَا الْأَزْهَرِ وَنَحْنُ بِالْهَاشِمِيَّةِ أَنَا وَالشَّعْبَانِي، فَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ يَكْتُبُ إِلَيْهِ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَبِي الْأَزْهَرِ مَوْلَاهُ، وَيَكْتُبُ أَبُو الْأَزْهَرِ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ: مِنْ أَبِي الْأَزْهَرِ مَوْلَاهُ وَعَبْدُهُ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَنَحْنُ عِنْدَهُ - وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ قَدْ تَرَكَ لَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا يَنْوِبُهَا، فَكُنَّا نَخْلُو مَعَهُ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ - فَأَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ، فَقَرَأَهُ ثُمَّ رَمَى بِهِ، وَدَخَلَ إِلَى بَنِي حَسَنٍ وَهُمْ مَحْبُوسُونَ قَالَ: فَتَنَاولْتُ الْكِتَابَ وَقَرَأْتُهُ، فَإِذَا فِيهِ: انْظُرْ يَا أَبَا الْأَزْهَرِ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ فِي مَدْلِهِ فَعَجَلَهُ وَأَنْفَذَهُ قَالَ: وَقَرَأْتُ الشَّعْبَانِي الْكِتَابَ فَقَالَ: تَدْرِي مِنْ مَدْلِهِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: هُوَ وَاللَّهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنٍ، فَانْظُرْ مَا هُوَ صَانِعٌ قَالَ: فَلَمْ نَلْبِثْ أَنْ جَاءَ أَبُو الْأَزْهَرِ، فَجَلَسَ فَقَالَ: قَدْ وَاللَّهُ هَلَكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنٍ، ثُمَّ لَبِثْتُ قَلِيلًا ثُمَّ دَخَلْتُ وَخَرَجْتُ مَكْتُوبًا، فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَنٍ، أَيُّ رَجُلٍ هُوَ؟ قُلْتُ: أَمُصَدِّقٌ أَنَا عِنْدَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَفَوْقَ ذَلِكَ، قَالَ: قُلْتُ: هُوَ وَاللَّهُ خَيْرٌ مِنْ تَقْلِهِ هَذِهِ وَتَظْلِهِ هَذِهِ! قَالَ: فَقَدْ وَاللَّهُ ذَهَبَ. قَالَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: سَمِعْتُ جَدِّي مُوسَى بْنَ عَبْدِ اللَّهِ

٧٠٤١٠٣ ذكر بقية الخبر عن الاحداث التي كانت في سنه اربع واربعين ومائه

يقول: ما كنا نعرف اوقات الصلاة في الحبس إلا بأحزاب كان يقرؤها علي بن حسن قال عمر: وحدثني ابن عائشة، قَالَ: سمعت مولى لبني دارم، قَالَ:

قلت لبشير الرحال ما يسرعك إلى الخروج على هذا الرجل؟ قَالَ:

إنه أرسل إلي بعد أخذه عبد الله بن حسن فأتيته، فأمرني يوما بدخول بيت فدخلته، فإذا بعبد الله بن حسن مقتولا، فسقطت مغشيا علي، فلما أفقت أعطيت الله عهدا ألا يختلف في أمره سيفان إلا كنت مع الذي عليه منهما. وقلت للرسول الذي معي من قبله: لا تخبره بما لقيت، فإنه إن علم قتلي.

قَالَ عمر: فحدثت به هشام بن إبراهيم بن هشام بن راشد من أهل همدان، وهو العباسي أن أبا جعفر أمر بقتله، فحلف بالله ما فعل ذلك، ولكنه دس إليه من أخبره أن محمدا قد ظهر فقتل، فانصدع قلبه، فمات.

قَالَ: وحدثني عيسى بن عبد الله، قَالَ: قَالَ مِنْ بَقِيٍّ مِنْهُمْ: إِنَّهُمْ كَانُوا يَسْقُونَ، فَاتُوا جَمِيعًا إِلَّا سَلِيمَانَ وَعَبْدَ اللَّهِ ابْنِي دَاوُدَ بْنَ حَسَنَ بْنَ حَسَنٍ وَإِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ ابْنِي إِبْرَاهِيمَ بْنَ حَسَنَ بْنِ حَسَنٍ، وَجَعْفَرَ بْنَ حَسَنٍ، فَكَانَ مِنْ قَتْلٍ مِنْهُمْ إِذَا قُتِلَ بَعْدَ خُرُوجِ مُحَمَّدٍ.

قَالَ عَيْسَى: فَنَظَرْتُ مَوْلَاةَ لَأَلِ حَسَنٍ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ حَسَنٍ، فَقَالَتْ:

بنفسي أبو جعفر! ما أبصره بالرجال حيث يطلقك وقتل عبد الله بن حسن!

ذكر بقية الخبر عن الأحداث التي كانت في سنة أربع وأربعين ومائة

فمن ذلك ما كان من حمل أبي جعفر المنصور بني حسن بن حسن بن علي من المدينة إلى العراق

٧٠٤١٠٤ ذكر الخبر عن سبب حمله إياهم إلى العراق:

ذكر الخبر عن سبب حمله إياهم إلى العراق:

حدثني الحارث بن محمد، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍ، قَالَ: لَمَّا وَلِيَ أَبُو جَعْفَرٍ رِيَّاحُ بْنُ عُثْمَانَ بْنَ حَيَّانَ الْمُرِّيَّ الْمَدِينَةَ، أَمَرَهُ بِالْجِدِّ فِي طَلَبِ مُحَمَّدٍ وَإِبْرَاهِيمَ ابْنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ وَقِلَّةَ الْغَفْلَةِ عَنْهُمَا.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو: فَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الْمَوَالِي، قَالَ: لَجَدَ رِيَّاحٌ فِي طَلِبَهُمَا وَلَمْ يَدَاهُنِ، وَاشْتَدَّ فِي ذَلِكَ كُلِّ الشَّدَّةِ حَتَّى خَافَا، وَجَعَلَا يَنْتَقِلَانِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، وَاعْتَمَّ أَبُو جَعْفَرٍ مِنْ تَبْغِيهِمَا، وَكُتِبَ إِلَى رِيَّاحِ ابْنِ عُثْمَانَ: أَنْ يَأْخُذَ أَبَاهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ وَاخْوَتَهُ: حَسَنَ بْنَ حَسَنِ وَدَاوُدَ ابْنَ حَسَنِ وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ حَسَنِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ - وَهُوَ أَخُوهُمْ لِأُمِّهِمْ فَاطِمَةَ بِنْتِ حَسَنِ - فِي عِدَّةٍ مِنْهُمْ، وَيَشْدَهُمْ وَثَاقًا، وَيَبْعَثُ بِهِمْ إِلَيْهِ حَتَّى يَوَافُوهُ بِالرَبْذَةِ وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ قَدْ حَجَّ تِلْكَ السَّنَةَ وَكُتِبَ إِلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَنِي مَعَهُمْ فَيَبْعَثُ بِي إِلَيْهِ أَيْضًا قَالَ: فَأَدْرَكْتُ وَقَدْ أَهْلَكْتُ بِالْحَجِّ، فَأَخَذْتُ فَطْرَحَتَ فِي الْحَدِيدِ، وَعَوْرَضَ بِي الطَّرِيقَ حَتَّى وَافَيْتَهُمْ بِالرَبْذَةِ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو: أَنَا رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَسَنِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ يَخْرُجُونَ مِنْ دَارِ مَرْوَانَ بَعْدَ الْعَصْرِ وَهُمْ فِي الْحَدِيدِ، فَيَحْمِلُونَ فِي الْحَامِلِ، لَيْسَ تَحْتَهُمْ وَطَاءٌ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ قَدْ رَاهَقْتُ الْإِحْتِلَامَ، أَحْفَظُ مَا أَرَى.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو: قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الْمَوَالِي وَأَخَذَ مَعَهُمْ نَحْوَ مِنْ أَرْبَعِمِائَةٍ، مِنْ جَهِينَةٍ وَمَزِينَةٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْقَبَائِلِ، فَأَرَاهُمْ بِالرَبْذَةِ مَكْتَفِينَ فِي الشَّمْسِ قَالَ: وَسَجَنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَوَفَّى أَبُو جَعْفَرٍ الرَبْذَةَ مَنْصَرَفًا مِنَ الْحَجِّ، فَسَأَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ أَبَا جَعْفَرٍ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي الدَّخُولِ عَلَيْهِ، فَأَبَى أَبُو جَعْفَرٍ، فَلَمْ يَرَهُ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا قَالَ: ثُمَّ دَعَانِي أَبُو جَعْفَرٍ مِنْ بَيْنِهِمْ، فَأَقْعَدْتُ حَتَّى أَدْخَلْتُ - وَعِنْدَهُ عِيسَى بْنُ عَلِيٍّ - فَلَمَّا رَأَى عِيسَى، قَالَ: نَعَمْ، هُوَ هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنْ أَنْتَ شَدَدْتَ عَلَيْهِ أَخْبَرْتُكَ بِمَكَانِهِمْ فَسَلِمْتُ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: لَا سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ! أَيْنَ الْفَاسِقَانِ ابْنَا الْفَاسِقِ، الْكَذَابَانِ ابْنَا الْكَذَابِ؟ قَالَ: قُلْتُ: هَلْ يَنْفَعُنِي الصَّدَقُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَكَ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: امْرَأَتُهُ طَالِقٌ، وَعَلِيٌّ وَعَلِيٌّ، إِنْ كُنْتُ أَعْرِفُ مَكَانَهُمَا! قَالَ: فَلَمْ يَقْبَلْ ذَلِكَ مِنِّي، وَقَالَ: السَّيَاطُ! وَأَقَمْتُ بَيْنَ الْعُقَابِينَ، فَضَرَبَنِي أَرْبَعِمِائَةَ سَوْطٍ، فَمَا عَقَلْتُ بِهَا حَتَّى رَفَعَ عَنِّي، ثُمَّ حَمَلْتُ إِلَى أَصْحَابِي عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى الدِّيَّاجِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُثْمَانَ ابْنَ عَفَانَ، وَكَانَتْ ابْنَتُهُ تَحْتَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ، فَلَمَّا أَدْخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَنْ الْكَذَابِينَ مَا فَعَلَا؟ وَأَيْنَ هُمَا؟ قَالَ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا لِي بِهِمَا عِلْمٌ، قَالَ: لَتُخْبِرَنِي، قَالَ: قَدْ قُلْتُ لَكَ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَصَادِقٌ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ عَلَيْهِمَا قَبْلَ الْيَوْمِ، وَامَا الْيَوْمَ فَمَا لِي وَاللَّهِ بِهِمَا عِلْمٌ قَالَ:

جَرَدُوهُ، فَجَرَّدَ فَضْرَبَهُ مِائَةَ سَوْطٍ، وَعَلَيْهِ جَامِعَةٌ حَدِيدٌ فِي يَدِهِ إِلَى عُنُقِهِ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ ضَرْبِهِ أَخْرَجَ فَأَلْبَسَ قَيْصًا لَهُ قُوْهِيًا عَلَى الضَّرْبِ، وَأَتَى بِهِ إِلَيْنَا، فَوَاللَّهِ مَا قَدَرُوا عَلَى نَزْعِ الْقَمِيصِ مِنْ لَصُوقِهِ بِالْدَمِ، حَتَّى حَلَبُوا عَلَيْهِ شَاةً، ثُمَّ انْتَزَعَ الْقَمِيصَ ثُمَّ دَاوُوهُ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: أَحْدَرُوا بِهِمْ إِلَى الْعِرَاقِ، فَقَدِمَ بَنُو إِلَى الْهَاشِمِيَّةِ، فَخَبَسْنَا بِهِمَا، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ مَاتَ فِي الْحَبْسِ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ حَسَنِ، فَجَاءَ السَّجَّانُ فَقَالَ: لِيُخْرِجَ أَقْرَبَكُمْ بِهِ فَلْيَصِلْ عَلَيْهِ، فَخَرَجَ أَخُوهُ حَسَنُ بْنُ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَصَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُثْمَانَ، فَأَخَذَ رَأْسَهُ، فَبَعَثَ بِهِ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الشَّيْعَةِ إِلَى خِرَاسَانَ، فَطَافُوا فِي كُورِ خِرَاسَانَ، وَجَعَلُوا يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ أَنْ هَذَا رَأْسُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ص، يُوْهَمُونَ النَّاسَ أَنَّهُ رَأْسُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ، الَّذِي كَانُوا يَجِدُونَ خُرُوجَهُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ فِي الرِّوَايَةِ.

وَكَانَ وَالِي مَكَّةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ السَّرِيِّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَوَالِي الْمَدِينَةِ رِيَّاحُ ابْنُ عُثْمَانَ الْمَرِي، وَوَالِي الْكُوفَةِ عِيسَى بْنُ مُوسَى، وَوَالِي الْبَصْرَةِ سَفْيَانُ بْنُ مَعَاوِيَةَ.

وَعَلَى قَضَائِهَا سَوَارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَلَى مَصْرِيْزِيدُ بْنُ حَاتِمٍ

٧٠٤٢ سنه خمس واربعين ومائه

٧٠٤٢٠١ ذكر الخبر عن مخرج محمد بن عبد الله ومقتله

ثم دخلت

سنة خمس وأربعين ومائة

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَحْدَاثِ) فَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ خُرُوجَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بِالْمَدِينَةِ، وَخُرُوجَ أَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ

عبد الله بعده بالبصرة ومقتلهما.

ذكر الخبر عن مخرج محمد بن عبد الله ومقتله

ذكر عمر أن محمد بن يحيى حدثه، قَالَ: حدثني الحارث بن إسحاق، قَالَ: لما انحدر أبو جعفر ببني حسن، رجع رياح إلى المدينة، فألح في الطلب، وأخرج محمداً حتى عزم على الظهور.

قَالَ عمر: فحدثت إبراهيم بن محمد بن عبد الله الجعفري أن محمداً أخرج، فخرج قبل وقته الذي فارق عليه أخاه إبراهيم، فأنكر ذلك، وقال: ما زال محمد يطلب أشد الطلب حتى سقط ابنه فمات وحتى رقهه الطلب، فتدلى في بعض آبار المدينة يناول أصحابه الماء، وقد انغمس فيه إلى رأسه، وكان بدنه لا يخفى عظماً، ولكن إبراهيم تأخر عن وقته لجدري أصابه.

قَالَ: وحدثني محمد بن يحيى، قَالَ: حدثني الحارث بن إسحاق، قَالَ:

تحدث أهل المدينة بظهور محمد، فأسرعنا في شراء الطعام حتى باع بعضهم حلي نسائه، وبلغ رياحاً أن محمداً أتى المذاد، فركب في جنده يريده وقد خرج قبله محمد يريده، ومعه جبير بن عبد الله السلمي وجبير ابن عبد الله بن يعقوب بن عطاء وعبد الله بن عامر الأسلمي، فسمعوا سقاة تحدث صاحبها أن رياحاً قد ركب يطلب محمداً بالمذاد، وأنه قد سار إلى السوق، فدخلوا داراً لجهينه وأجافوا بابها عليهم، ومر رياح على الباب لا يعلم بهم، ثم رجع إلى دار مروان، فلما حضرت العشاء الأخيرة صلى في الدار ولم يخرج وقيل: إن الذي أعلم رياحاً بمحمد سليمان بن عبد الله بن أبي سبرة من بني عامر بن لؤي.

وذكر عن الفضل بن دكين، قَالَ: بلغني أن عبيد الله بن عمرو بن أبي ذؤيب وعبد الحميد بن جعفر دخلوا على محمد قبل خروجه، فقالوا له:

ما ننتظر بالخروج! والله ما نجد في هذه الأمة أحداً أشام عليها منك.

ما يمنعك أن تخرج وحدك! قَالَ: وحدثني عيسى، قَالَ: حدثني أبي، قَالَ: بعث إلينا رياح فأتيته أنا وجعفر بن محمد بن علي بن حسين، وحسين بن علي بن حسين بن علي، علي بن عمر بن علي بن حسين بن علي، وحسن بن علي بن حسين بن علي بن علي ورجال من قريش، منهم اسماعيل بن أيوب ابن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة، ومعه ابنه خالد، فإنا لعنده في دار مروان إذ سمعنا التكبير قد حال دون كل شيء، فظنناه من عند الحرس، وظن الحرس أنه من الدار قَالَ: فوثب ابن مسلم بن عقبة - وكان مع رياح - فاتكأ على سيفه، فقال: أطعني في هؤلاء فاضرب أعناقهم، فقال علي بن عمر: فكنا والله تلك الليلة أن نطيح حتى قام حسين بن علي، فقال: والله ما ذاك لك، إنا على السمع والطاعة قَالَ: وقام رياح ومحمد بن عبد العزيز، فدخلوا جنبداً في دار يزيد، فاختمنا فيه، وقمنا فخرجنا من دار عبد العزيز ابن مروان حتى تسورنا على كبا كانت في زقاق عاصم بن عمرو، فقال اسماعيل بن أيوب لابنه خالد: يا بني، والله ما تجيبني نفسي إلى الوثوب، فارفعني، فرفعه.

وحدثني محمد بن يحيى، قَالَ: حدثني عبد العزيز بن عمران، قَالَ:

حدثني أبي قَالَ: جاء الخبر إلى رياح وهو في دار مروان أن محمداً انخرج الليلة، فأرسل إلى أخي محمد بن عمران وإلى العباس بن عبد الله بن الحارث ابن العباس وإلى غير واحد قَالَ: فخرج أخي وخرجت معه، حتى

دخلنا عليه بعد العشاء الآخرة، فسلمنا عليه فلم يرد علينا، فجلسنا فقال أخي: كيف أمسى الأمير أصلحه الله! قَالَ: بخير - بصوت ضعيف - قَالَ: ثم صمت طويلاً ثم تنبه، فقال: أيها أهل المدينة! أمير المؤمنين يطلب بغيته في شرق الأرض وغربها، وهو ينتفق بين أظهركم! أقسم بالله لئن خرج لا أترك منكم أحداً إلا ضربت عنقه فقال أخي: أصلحك الله! أنا عذيرك منه، هذا والله الباطل، قَالَ: فأنت أكثر من هاهنا عشيرة، وأنت قاضي أمير المؤمنين، فادع عشيرتك قَالَ: فوثب أخي ليخرج، فقال: اجلس، اذهب أنت يا ثابت، فوثبت، فأرسلت إلى بني زهرة ممن يسكن حش طلحة ودار سعد ودار بني أزهر: أن أحضروا سلاحكم.

قَالَ: فجاء منهم بشر، وجاء إبراهيم بن يعقوب بن سعد بن أبي وقاص متنبكاً قوساً - وكان من أرمى الناس - فلما رأيت كثرتهم، دخلت

على رياح، فقلت: هذه بنو زهرة في السلاح يكونون معك، ائذن لهم قَالَ:

هيات! تريد أن تدخل علي الرجال طروقا في السلاح، قل لهم: فليجلسوا في الرحبة، فإن حدث شيء فليقاتلوا، قَالَ: قلت لهم: قد أبى أن يأذن لكم، لا والله ما هاهنا شيء، فاجلسوا بنا نتحدث.

قَالَ: فكنتنا قليلا، فخرج العباس بن عبد الله بن الحارث في خيل يعس حتى جاء رأس الثنية، ثم انصرف الى منزله واغلقه عليه، فوالله إنا لعلى تلك الحال إذ طلع فارسان من قبل الزوراء، يركضان، حتى وقفا بين دار عبد الله بن مطيع ورحبة القضاء في موضع السقاية قَالَ: قلنا: شر الأمر والله جد قَالَ: ثم سمعنا صوتا بعيدا، فأقننا ليلا طويلا، فأقبل محمد بن عبد الله من المذاد ومعه مائتان وخمسون رجلا، حتى إذا شرع على بني سلمة وبطحان، قال: اسلكوا بني سلمة إن شاء الله، قَالَ: فسمعنا تكبيرا، ثم هدأ الصوت فأقبل حتى إذا خرج من زقاق ابن حنين استبطن السوق حتى جاء على التمارين، حتى دخل من أصحاب الأقفاس، فأتى السجن وهو يومئذ في دار ابن هشام، فدقه، وأخرج من كان فيه، ثم

أقبل حتى إذا كان بين دار يزيد ودار اويس نظرنا الى هول من الهول.

قَالَ: فنزل إبراهيم بن يعقوب، ونكب كنانته وقال: ارمي؟ فقلنا: لا تفعل، ودار محمد بالرحبة، حتى جاء بيت عاتكة بنت يزيد، فجلس على بابها، وتناوش الناس حتى قتل رجل سندي كان يستصبح في المسجد، قتله رجل من أصحاب محمد.

قال: وحدثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر، أخبرني جهم بن عثمان، قَالَ: خرج محمد من المذاد على حمار ونحن معه، فولى خوات بن بكير بن خوات بن جبير الرجالة، وولى عبد الحميد بن جعفر الحربة، وقال: أكفنيها، فحملها ثم استعفاه منها فأعفاه، ووجهه مع ابنه حسن بن محمد.

قَالَ: وحدثني عيسى، قَالَ: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ رَكَاةٍ قَالَ: بعث إبراهيم بن عبد الله إلى أخيه بجملتي سيف، فوضعها بالمذاد، فأرسل إلينا ليلة خرج: وما نكون؟ مائة رجل! وهو على حمار أعراي أسود، فافترق طريقان: طريق بطحان وطريق بني سلمة، فقلنا له:

كيف نأخذ؟ قَالَ: على بني سلمة، يسلمكم الله، قَالَ: فخفنا حتى صرنا بباب مروان.

قَالَ: وحدثني محمد بن عمرو بن رتبيل بن نهشل أحد بني يربوع، عن أبي عمرو المديني- شيخ من قریش- قَالَ: أصابتنا السماء بالمدينة أياما، فلما أقلعت خرجت في غبها متمطرا، فانتسأت عن المدينة، فإني لفي رحلي إذ هبط علي رجل لا أدري من أين أتى، حتى جلس الى، وعليه أطمار له درنة وعمامة رثة، فقلت له: من أين أقبلت؟ قَالَ: من غنيمة لي أوصيت راعيها بحاجة لي، ثم أقبلت أريد أهلي قَالَ: فجعلت لا أسلك من العلم طريقا إلا سبقني إليه وكثرتني فيه، فجعلت أعجب له ولما يأتي به، قلت: ممن الرجل؟ قَالَ: من المسلمين، قلت: أجل، فمن أيهم أنت؟

قال: لا عليك، الا تريد؟ قلت: بلى علي ذلك، فمن أنت؟ قَالَ:

فوشب وقال:

منخرق الخفين يشكو الوجى.

الآيات الثلاثة.

قَالَ: ثم ادبر فذهب، فوالله ما فات مدى بصري حتى ندمت على تركه قبل معرفته، فاتبعته لأسأله، فكأن الأرض التأمت عليه، ثم رجعت إلى رحلي، ثم أتيت المدينة فما غبرت إلا يومي وليلتي، حتى شهدت صلاة الصبح بالمدينة، فإذا رجل يصلي بنا، لأعرف صوته، فقرأ: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا»، فلما انصرف صعد المنبر، فإذا صاحبي، وإذا هو محمد بن عبد الله بن حسن.

قَالَ: وحدثني إسماعيل بن إبراهيم بن هود مولى قریش، قَالَ: سمعت إسماعيل بن الحكم بن عوانة يخبر عن رجل قد سماه بشبيرة بهذه القصة.

قَالَ إسماعيل: فحدثت بها رجلا من الأنبار يكنى أبا عبيد، فذكر أن محمدا- أو إبراهيم- وجه رجلا من بني ضبة- فيما يحسب إسماعيل بن إبراهيم بن هود- ليعلم له بعض علم أبي جعفر، فأتى الرجل المسيب وهو يومئذ على الشرط، فت إليه برحمه، فقال المسيب: إنه لا

بد من رفعك إلى أمير المؤمنين.
فأدخله على أبي جعفر فاعترف، فقال: ما سمعته يقول؟ قَالَ:
شرده الخوف فأزرى به ... كذاك من يكره حر الجلال
قَالَ أبو جعفر: فأبلغه أنا نقول:
وخطه ذل نجعل الموت دونها ... نقول لها للهوت أهلا ومرحبا
وقال: انطلق فأبلغه.
قال عمر: وحدثني أزهر بن سعيد بن نافع - وقد شهد ذلك - قَالَ:
خرج محمد في أول يوم من رجب سنة خمس وأربعين ومائة، فبات بالمزاد هو وأصحابه، ثم أقبل في الليل، فدق السجن وبیت المال،
وأمر برياح وابن مسلم فحبسا معا في دار ابن هشام
قَالَ: وحدثني يعقوب بن القاسم، قَالَ: حدثني علي بن أبي طالب، قَالَ: خرج محمد لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين
ومائة.
وحدثني عمر بن راشد، قَالَ: خرج لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة، فرأيت عليه ليلة خرج قلنسوة صفراء مضربه وجبة صفراء، وعمامة
قد شد بها حقويه وأخرى قد اعتم بها، متوشحا سيفاً، فجعل يقول لأصحابه:
لا تقتلوا، فلما امتنعت منهم الدار، قَالَ: ادخلوا من باب المقصورة، قَالَ: فاقتحموا وحرقوا باب الخوخة التي فيها، فلم يستطع أحد أن
يمر، فوضع رزام مولى القسري ترسه على النار، ثم تخطى عليه، فصنع الناس ما صنع، ودخلوا من بابها، وقد كان بعض أصحاب رياح
مارسوا على الباب، وخرج من كان مع رياح في الدار من دار عبد العزيز من الحمام، وتعلق رياح في مشربة في دار مروان، فأمر
بدرجها فهدمت، فصعدوا إليه، فأنزله وحبسوه في دار مروان، وحبسوا معه أخاه عباس بن عثمان وكان محمد بن خالد وابن أخيه
النذير بن يزيد ورزام في الحبس، فأخرجهم محمد، وأمر النذير بالاستيثاق من رياح وأصحابه.
قَالَ: وحدثني عيسى، قَالَ: حدثني أبي، قَالَ: حبس محمد رياحا وابن أخيه وابن مسلم بن عقبة في دار مروان.
قَالَ: وحدثني محمد بن يحيى، قَالَ: حدثني عبد العزيز بن أبي ثابت، عن خاله راشد بن حفص، قَالَ: قَالَ رزام للنذير: دعني وإياه فقد
رأيت عذابه إياي قَالَ: شأنك وإياه، ثم قام ليخرج، فقال له رياح: يا أبا قيس، قد كنت أفعل بكم ما كنت افعل، وأنا بسؤددكم عالم
فقال له النذير:
فعلت ما كنت اهله، ونفعل اما نحن أهله، وتناوله رزام فلم يزل به رياح يطلب إليه حتى كف، وقال: والله إن كنت لبطرا عند
القدرة، لئتما عند البلية.
قَالَ: وحدثني موسى بن سعيد الجمحي، قال: حبس رياح محمد ابن مروان بن أبي سليط من الأنصار، ثم أحد بني عمرو بن عوف،
فدحه وهو محبوس، فقال:
وما نسي الذمام كريم قيس ... ولا ملقى الرجال إلى الرجال
إذا ما الباب قعقه سعيد ... هدجنا نحوه هدج الرئال
ديب الذر تصبح حين يمشي ... قصار الخطو غير ذوي اختيال
قَالَ: حدثني محمد بن يحيى، قَالَ: حدثني إسماعيل بن يعقوب التيمي قَالَ: صعد محمد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قَالَ:
أما بعد أيها الناس، فإنه كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبي جعفر ما لم يخف عليكم، من بنائه القبة الخضراء التي بناها معاندا لله في
ملكه، وتصغيرا للكعبة الحرام، وإنما أخذ الله فرعون حين قال: «أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى» وإن أحق الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين
الأولين والأنصار المواسين.
اللهم إنهم قد أحلوا حرامك، وحرّموا حلالك، وآمنوا من أخفت، وأخافوا من آمنت اللهم فأحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تغادر
منهم أحدا.
أيها الناس إني والله ما خرجت من بين أظهركم وأنتم عندي أهل قوة ولا شدة.

ولكني اخترتكم لنفسي، والله ما جئت هذه وفي الأرض مصر يعبد الله فيه إلا وقد أخذ لي فيه البيعة.
 قَالَ: وحدثني موسى بن عبد الله، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

لما وجهني رياح بلغ محمدا نخرج من ليلته، وقد كان رياح تقدم إلى الأجناد الذين معي، أن اطلع عليهم من ناحية المدينة رجل أن يضربوا عنقي، فلما أتى محمد بريح، قَالَ: أين موسى؟ قَالَ: لا سبيل إليه، والله لقد حدرته إلى العراق قَالَ: فأرسل في أثره فردده قَالَ: قد عهدت إلى الجند الذين معه إن رأوا أحدا مقبلا من المدينة أن يقتلوه قَالَ: فقال محمد لأصحابه: من لي بموسى؟ فقال ابن خضير: أنا لك به قَالَ: فانظر رجالا، فانتخب رجالا ثم أقبل.

قَالَ: فو الله ما راعنا إلا وهو بين أيدينا، كأنما أقبل من العراق، فلما نظر إليه الجند قالوا: رسل أمير المؤمنين، فلما خالطونا شهبوا السلاح، فأخذني القائد وأصحابه، وأناخ بي وأطلقني من وثاقي، وشخص بي حتى أقدمني على محمد
 قَالَ عمر: حدثني علي بن الجعد، قَالَ: كان أبو جعفر يكتب إلى محمد عن ألسن قواده يدعونه إلى الظهور، ويخبرونه أنهم معه، فكان محمد يقول: لو التقينا مال إلى القواد كلهم.

قَالَ: وحدثني محمد بن يحيى، قَالَ: حدثني الحارث بن إسحاق، قَالَ: لما أخذ محمد المدينة استعمل عليها عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير، وعلى قضائها عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله المخزومي، وعلى الشرط أبا القلمس عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعلى ديوان العطاء عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة، وبعث إلى محمد بن عبد العزيز: إني كنت لأظنك ستصنرنا، وتقيم معنا فاعتذر إليه وقال: أفعل، ثم أنسل منه فأتى مكة.

قَالَ: وحدثني إسماعيل بن إبراهيم بن هود، قَالَ: حدثني سعيد بن يحيى أبو سفيان الحميري، قَالَ: حدثني عبد الحميد بن جعفر، قَالَ: كنت على شرط محمد بن عبد الله حتى وجهني وجهها، وولي شرطه الزبير.

قَالَ: وحدثني أزهر بن سعيد بن نافع، قَالَ: لم يتخلف عن محمد أحد من وجوه الناس إلا نفر، منهم الضحاك بن عثمان بن عبد الله بن خالد بن حزام وعبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام، وأبو سلمة بن عبيد الله ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب وخبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير.

قَالَ: وحدثني يعقوب بن القاسم، قَالَ: حدثني جدتي كثم بنت وهب، قالت: لما خرج محمد تنحى أهل المدينة، فكان فيمن خرج زوجي عبد الوهاب بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير إلى البقيع، فاختبات عند أسماء بنت حسن بن عبد الله بن عبد الله بن عباس قالت: فكتب إلي عبد الوهاب بأبيات قالها، فكتبت إليه:

رحم الله شبابا ... قاتلوا يوم الثانية

قاتلوا عنه: بنيات ... وأحساب نقيه

فر عنه الناس طرا ... غير خيل أسديه

قالت: فزاد الناس:

قتل الرحمن عيسى ... قاتل النفس الزكية

قَالَ: وحدثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحكم ابن سنان الحكمي أخو الأنصار، قَالَ: أخبرني غير واحد أن مالك بن أنس استفتي في الخروج مع محمد، وقيل له: إن في أعناقنا بيعة لأبي جعفر، فقال: إنما بايعتم مكرهين، وليس على كل مكره يمين فأسرع الناس إلى محمد، ولزم مالك بيته.

وحدثني محمد بن إسماعيل، قَالَ: حدثني ابن أبي مليكة مولى عبد الله ابن جعفر، قَالَ: أرسل محمد إلى إسماعيل بن عبد الله بن جعفر - وقد كان بلغ عمرا - فدعاه محمد حين خرج إلى البيعة، فقال: يا بن أخي، أنت والله مقتول، فكيف أباعك! فارتدع الناس عنه قليلا، وكان بنو معاوية قد أسرعوا إلى محمد، فأثته حمادة بنت معاوية، فقالت: يا عم، إن أخوتي قد أسرعوا إلى ابن خالهم، وإنك إن قلت هذه المقالة ثبطت عنه الناس، فيقتل ابن خالي وإخوتي قَالَ: فأبى الشيخ إلا النهي عنه، فيقال: إن حمادة عدت عليه فقتلته، فأراد

محمد الصلاة عليه، فوثب عليه عبد الله بن إسماعيل، فقال: تأمر بقتل أبي ثم تصلي عليه! فنحاه الحرس، وصلى عليه محمد. قَالَ: وحدثني عيسى، قَالَ: حدثني أبي، قَالَ: أتى محمد بعبيد الله ابن الحسين بن علي بن الحسين بن علي مغمضا عينيه، فقال: إن علي يمينا إن رأيته لأقتله فقال عيسى بن زيد: دعني أضرب عنقه، فكفه عنه محمد.

قَالَ: وحدثني أيوب بن عمر، قَالَ: حدثني محمد بن معن، قَالَ:

حدثني محمد بن خالد القسري، قَالَ: لما ظهر محمد وأنا في حبس ابن

حيان أطلقني، فلما سمعت دعوته التي دعا إليها على المنبر، قلت: هذه دعوة حق، والله لأبلى الله فيها بلاء حسنا، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنك قد خرجت في هذا البلد، والله لو وقف على نقب من أنقابه مات أهله جوعا وعطشا، فانفض معي، فإنما هي عشر حتى أضربه بمائة ألف سيف فأبى علي، فإني لعنده يوما إذ قَالَ لي: ما وجدنا من حر المتاع شيئا أجود من شيء وجدناه عند ابن أبي فروه، ختن أبي الخطيب - وكان انتبهه - قَالَ:

فقلت: ألا أراك قد أبصرت حر المتاع! فكتبت إلى أمير المؤمنين فأخبرته بقله من معه، فعطف علي، فحبسني حتى أطلقني عيسى بن موسى بعد قتله إياه قَالَ: وحدثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر، قَالَ: حدثني أختي بريكة بنت عبد الحميد، عن أبيها، قَالَ: إني لعند محمد يوما ورجله في حجري، إذ دخل عليه خوات بن بكير بن خوات بن جبير، فسلم عليه، فرد عليه سلاما ليس بالقوي، ثم دخل عليه شاب من قريش، فسلم عليه، فأحسن الرد عليه، فقلت: ما تدع عصبيتك بعد! قَالَ: وما ذلك؟

قلت: دخل عليك سيد الأنصار فسلم فرددت عليه ردا ضعيفا، ودخل عليك صعلوك من صعاليك قريش فسلم فاحتفلت في الرد عليه! فقال:

ما فعلت ذاك، ولكنك تفقدت مني ما لا يتفقد أحد من أحد قَالَ: وحدثني عبد الله بن إسحاق بن القاسم، قَالَ: استعمل محمد الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على مكة، ووجه معه القاسم بن إسحاق واستعمله على اليمن قَالَ: وحدثني محمد بن إسماعيل عن أهله، أن محمدا استعمل القاسم ابن إسحاق على اليمن وموسى بن عبد الله على الشام، يدعوان إليه، فقتل قبل أن يصلا قَالَ: وحدثني أزهر بن

سعيد، قَالَ: استعمل محمد حين ظهر عبد العزيز ابن الدراوردي على السلاح

قَالَ: وأخبرني محمد بن يحيى ومحمد بن الحسن بن زباله وغيرهما، قالوا:

لما ظهر محمد، قَالَ ابن هرمة - وقد أشد بعضهم ما لم ينشد غيره لأبي جعفر:

غلبت على الخلافة من تمنى ... ومناه المضل بها الضلول

فأهلك نفسه سفها وجبنا ... ولم يقسم له منها فتيل

ووازره ذوو طمع فكانوا ... غثاء السيل يجمعه السيول

دعوا إبليس إذ كذبوا وجاروا ... فلم يصرخهم المغوي الخدول

وكانوا أهل طاعته فولى ... وسار وراءه منهم قبيل

وهم لم يقصروا فيها بحق ... على أثر المضل ولم يطيلوا

وما الناس احتبوك بها ولكن ... حباك بذلك الملك الجليل

تراث محمد لكم وكنتم ... أصول الحق إذ نفى الأصول

قَالَ: وحدثني محمود بن معمر بن أبي الشدائد الفزاري وموهوب بن رشيد ابن حيان الكلابي، قَالَ: قَالَ أبو الشدائد لما ظهر محمد وتوجه إليه عيسى:

أنتك النجائب والمقربات ... بعيسى بن موسى فلا تعجل

قَالَ: وحدثني عيسى، قَالَ: كان محمد آدم شديد الأدمة، أدم جسيما عظيما، وكان يلقب القاري من أدمته، حتى كان أبو جعفر يدعوه محمدا قَالَ: وحدثني عيسى، قَالَ: حدثني إبراهيم بن زياد بن عنبسة، قَالَ: ما رأيت محمدا رقي المنبر قط إلا سمعت بقعقة من

تحتة، وإني لمكاني ذلك قَالَ: وحديثي عبد الله بن عمر بن حبيب، قَالَ: حدثني من حضر محمداً على المنبر يخطب، فاعترض بلغم في حلقة فتنحج، فذهب ثم عاد فتنحج، فذهب ثم عاد فتنحج، ثم عاد فتنحج ثم نظر فلم ير موضعاً، فرمى بخامته سقف المسجد فألصقها به

قَالَ: وحديثي عبد الله بن نافع، قَالَ: حدثني إبراهيم بن علي من آل أبي رافع، قَالَ: كان محمد متمماً، فرأيت على المنبر يتلجلج الكلام في صدره، فيضرب بيده على صدره، ويستخرج الكلام قَالَ: وحديثي عيسى، قَالَ: حدثني أبي، قَالَ: دخل عيسى بن موسى يوماً على أبي جعفر، فقال: سرّك الله يا أمير المؤمنين! قَالَ: فيم؟

قَالَ: ابتعت وجه دار عبد الله بن جعفر من بني معاوية، حسن ويزيد وصالح، قَالَ أنفرح! أما والله ما باعوها إلا ليثبوا عليك بثمنها قَالَ: وحديثي محمد بن يحيى، قَالَ: حدثني عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن عبد الله بن الربيع بن عبيد الله بن عبد المدان بن عبيد الله، قَالَ: خرج محمد بالمدينة، وقد خط المنصور مدينته بغداد بالقصب، فسار إلى الكوفة وسرت معه، فصيح بي فلحقته، فصمت طويلاً ثم قال: يا بن الربيع، خرج محمد، قلت: أين؟ قَالَ: بالمدينة، قلت: هلك والله وأهلك، خرج والله في غير عدد ولا رجال يا أمير المؤمنين، ألا أحدثك حديثاً حدثني سعيد بن عمرو بن جعدة المخزومي؟ قَالَ: كنت مع مروان يوم الزاب واقفاً، فقال: يا سعيد، من هذا الذي يقاتلني في هذه الخيل؟ قلت: عبد الله ابن علي بن عبد الله بن عباس، قَالَ: أيهم هو؟ عرفه، قلت: نعم، رجل أصفر حسن الوجه رقيق الذراعين، رجل دخل عليك يشتم عبد الله بن معاوية حين هزم، قَالَ: قد عرفته، والله لوددت أن علي بن أبي طالب يقاتلني مكانه، إن علياً وولده لا حظ لهم في هذا الأمر، وهذا رجل من بني هاشم وابن عم رسول الله ص وابن عباس، معه ريح الشام ونصر الشام يا بن جعدة، تدري ما حملني على أن عقدت لعبد الله وعبيد الله ابني مروان، وتركت عبد الملك وهو أكبر من عبيد الله؟ قلت: لا، قَالَ:

وجدت الذي يلي هذا الأمر عبد الله، وكان عبيد الله أقرب إلى عبد الله من عبد الملك، فعقدت له فقال: أنشدك الله! أحدثك هذا ابن جعدة! قلت: ابنة سفيان بن معاوية طالق البتة إن لم يكن حديثي ما حدثك

قَالَ عمر: وحديثي محمد بن يحيى، قَالَ: حدثني الحارث بن إسحاق، قَالَ: خرج إلى أبي جعفر في الليلة التي ظهر فيها محمد رجل من آل أويس ابن أبي سرح من بني عامر بن لؤي، فسار تسعاً من المدينة، فقدم ليلاً، فقام على أبواب المدينة، فصاح حتى نذره، فأدخل، فقال له الربيع:

ما حاجتك هذه الساعة وأمر المؤمنين نائم! قَالَ: لا بد لي منه، قَالَ: أعلمنا نعلمه، فأبى، فدخل الربيع عليه فأعلمه، فقال: سلّه عن حاجته ثم أعلمني، قَالَ: قد أبى الرجل إلا مشافهتك فأذن له، فدخل عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، خرج محمد بن عبد الله بالمدينة، قَالَ: قتلته والله إن كنت صادقاً! أخبرني من معه؟ فسمى له من خرج معه من وجوه أهل المدينة وأهل بيته، قَالَ: أنت رأيته وعايته؟ قَالَ: أنا رأيته وعايته وكلته على منبر رسول الله ص جالساً فأدخله أبو جعفر بيتاً، فلما أصبح جاءه رسول لسعيد بن دينار، غلام عيسى بن موسى كان يلي أموال عيسى بالمدينة، فأخبره بأمر محمد، وتواترت عليه أخباره، فأخرج الأوسي فقال: لأوطئن الرجال عقبيك ولأغنيك، وأمر له بتسعة آلاف، لكل ليلة سارها ألفاً قَالَ: وحديثي ابن أبي حرب، قَالَ: لما بلغ أبا جعفر ظهوره أشفق منه، فجعل الحارث المنجم يقول له: يا أمير المؤمنين، ما يجزئك منه! فو الله لو ملك الأرض ما لبث إلا تسعين يوماً.

قَالَ: وحديثي سهيل بن عقيل بن إسماعيل، عن أبيه، قَالَ: لما بلغ أبا جعفر خبره بادر إلى الكوفة، وقال: أنا أبو جعفر، استخرجت الثعلب من بخره.

قَالَ: وحديثي عبد الملك بن سليمان، عن حبيب بن مرزوق، قَالَ:

حدثني تسنيم بن الحواري، قَالَ: لما ظهر محمد وإبراهيم ابنا عبد الله، أرسل أبو جعفر إلى عبد الله بن علي وهو محبوس عنده: إن هذا الرجل قد خرج، فإن كان عندك رأي فأشر به علينا- وكان ذا رأي عندهم- فقال:

إن المحبوس محبوس الرأي، فأخرجني حتى يخرج رأيي، فأرسل إليه أبو جعفر:

لو جاءني حتى يضرب بابي ما أخرجتك، وأنا خير لك منه، وهو ملك أهل بيتك فأرسل إليه عبد الله: ارتحل الساعة حتى تأتي الكوفة، فاجثم على أكبادهم، فإنهم شيعة أهل هذا البيت وأنصارهم، ثم احففها بالمساح، فن خرج منها الى وجه من الوجوه أو أتاها من وجه من الوجوه فاضرب عنقه، وابعث إلى سلم بن قتيبة يخدر عليك- وكان بالري- واكتب إلى أهل الشام فرهم أن يحملوا إليك من أهل البأس والنجدة ما يحمل البريد، فأحسن جوائزهم، ووجههم مع سلم ففعل.

قال: وحدثني العباس بن سفيان بن يحيى بن زياد، قال: سمعت أشياخنا يقولون: لما ظهر محمد بن عبد الله بن علي محبوس، فقال أبو جعفر لإخوته: إن هذا الأحق لا يزال يطلع له الرأي الجيد في الحرب، فادخلوا عليه فشاوروه ولا تعلموه أني أمرتكم فدخلوا عليه، فلما رآهم قال: لأمر ما جئتم، ما جاء بكم جميعا وقد هجرتوني منذ دهر! قالوا: استأذنا أمير المؤمنين فأذن لنا، قال: ليس هذا بشيء، فما الخبر؟ قالوا: خرج ابن عبد الله، قال: فما ترون ابن سلامة صانعا؟ يعني أبا جعفر- قالوا:

لا ندري والله، قال: إن البخل قد قتله، فروه فليخرج الأموال، فليعط الأجناد، فإن غلب فما أوشك أن يعود إليه ماله، وإن غلب لم يقدم صاحبه على درهم واحد.

قال: وحدثنا عبد الملك بن شيبان، قال: أخبرني زيد مولى مسمع بن عبد الملك، قال: لما ظهر محمد دعا أبو جعفر عيسى بن موسى، فقال له:

قد ظهر محمد فسر إليه، قال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء عمومك حولك، فادعهم فشاوهم، قال: فأين قول ابن هرمة:

ترون امرأ لا يحض القوم سره ... ولا ينتجى الأذنين فيما يحاول

إذا ما أتى شيئا مضى كالذي أبى ... وإن قال إني فاعل فهو فاعل

قال: وحدثني محمد بن يحيى، قال: نسخت هذه الرسائل من محمد

ابن بشير، وكان بشير يصحها، وحدثني أبو عبد الرحمن من كتاب أهل العراق والحكم بن صدقة بن نزار، وسمعت ابن أبي حرب يصحها، ويزعم أن رسالة محمد لما وردت على أبي جعفر، قال أبو أيوب: دعني أجبه عليها، فقال أبو جعفر: لا بل أنا أجيبه عنها، إذ تقارعنا على الأحساب فدعني وإياه.

قالوا: لما بلغ أبا جعفر المنصور ظهور محمد بن عبد الله المدينة كتب إليه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين، إلى محمد بن عبد الله: «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَوْا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» ولك علي عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله ص إن تبت ورجعت من قبل أن أقدر عليك أن أومنك وجميع ولدك وإخوتك وأهل بيتك ومن اتبعكم على دماءكم وأموالكم، وأسوغك ما أصبت من دم أو مال، وأعطيك ألف ألف درهم، وما سألت من الحوائج، وأنزلك من البلاد حيث شئت، وأن أطلق من في حبسي من أهل بيتك، وأن أومن كل من جاءك وبايعك واتبعك، أو دخل معك في شيء من أمرك، ثم لا أتبع أحدا منهم بشيء كان منه أبدا فإن أردت أن تثوث لنفسك، فوجه إلي من أحببت يأخذ لك من الأمان والعهد والميثاق ما تثق به.

وكتب على العنوان: من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله فكتب إليه محمد بن عبد الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من عبد الله المهدي محمد بن عبد الله إلى عبد الله بن محمد: «طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبي موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمنن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون» وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي عرضت علي، فإن الحق حقنا، وإنما ادعيت

هذا الأمر بنا، وخرجتم له بشيعتنا، وحظيتم بفضلنا، وإن أبانا عليا كان الوصي وكان الإمام، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء! ثم قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحد له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا، لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء، وليس يمت أحد من بني هاشم بمثل الذي تمت به من القرابة والسابقة والفضل، وإنا بنو أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو في الجاهلية وبنو بنته فاطمة في الإسلام دونكم.

إن الله اختارنا واختار لنا، فوالدنا من النبيين محمد ص، ومن السلف أولهم إسلاما علي، ومن الأزواج أفضلهن خديجة الطاهرة، وأول من صلى القبلة، ومن البنات خيرهن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، ومن المولودين في الإسلام حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة، وإن هاشما ولد عليا مرتين، وإن عبد المطلب ولد حسنا مرتين وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين من قبل حسن وحسين، وإني أوسط بني هاشم

نسبا، وأصرحهم أبا، لم تعرق في العجم، ولم تنازع في أمهات الأولاد، فما زال الله يختار لي الآباء والأمهات في الجاهلية والإسلام حتى اختار لي في النار، فأنا ابن أرفع الناس درجة في الجنة، وأهونهم عذابا في النار، وأنا ابن خير الأخيار، وابن خير الأشرار، وابن خير أهل الجنة، وابن خير أهل النار ولك الله علي إن دخلت في طاعتي، وأجبت دعوتي أن أوئمنك على نفسك ومالك، وعلى كل أمر أحدثته، إلا حدا من حدود الله أو حقا لمسلم أو معاهد، فقد علمت ما يلزمك من ذلك، وأنا أولى بالأمر منك وأوفى بالعهد، لأنك أعطيتني من العهد والأمان ما أعطيته رجالا قبلي، فأني الأمانات تعطيني! أمان ابن هبيرة، أم أمان عمك عبد الله بن علي، أم أمان أبي مسلم! فكتب إليه أبو جعفر:

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فقد بلغني كلامك، وقرأت كتابك، فإذا جل نفرك بقرابة النساء، لتضل به الجفأة والغوغاء، ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء، ولا كالعصبة والأولياء، لأن الله جعل العم أبا، وبدأ به في كتابه على الوالدة الدنيا ولو كان اختيار الله لمن على قدر قرابتهم كانت آمنة أقربهم رحما، وأعظمهم حقا، وأول من يدخل الجنة غدا، ولكن اختيار الله خلقه على علمه لما مضى منهم، واصطفائه لهم.

وأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي طالب وولادتها، فإن الله لم يرزق أحدا من ولدها الإسلام لا بنتا ولا ابنا، ولو أن أحدا رزق الإسلام بالقرابة رزقه

عبد الله أولاهم بكل خير في الدنيا والآخرة، ولكن الأمر لله يختار لدينه من يشاء، قال الله عز وجل: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ»، ولقد بعث الله محمدا عليه السلام وله عمومة أربعة، فأنزله الله عز وجل: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» فأنذرهم ودعاهم، فأجاب اثنان أحدهما أبي، وأبي اثنان أحدهما أبوك، فقطع الله ولايتهما منه، ولم يجعل بينه وبينهما إلا ولا ذمة ولا ميراثا وزعمت أنك ابن أخف أهل النار عذابا وابن خير الأشرار، وليس في الكفر بالله صغير، ولا في عذاب الله خفيف ولا يسير، وليس في الشر خيار، ولا ينبغي لمؤمن يؤمن بالله أن يفخر بالنار، وسترد فتعلم، «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» وأما ما نفرت به من فاطمة أم علي وأن هاشما ولد مرتين، ومن فاطمة أم حسن، وأن عبد المطلب ولد مرتين، وأن النبي صلى الله عليه وسلم ولدك مرتين، نفير الأولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلد هاشم إلا مرة ولا عبد المطلب إلا مرة.

وزعمت أنك أوسط بني هاشم نسبا، وأصرحهم أبا وأبا، وأنه لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الأولاد، فقد رأيتك نفرت على بني هاشم طرا، فانظر ويحك أين أنت من الله غدا! فإنك قد تعديت طورك، ونفرت على من هو خير منك نفسا وأبا وأولا وآخر، إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده، وما خيار بني أبيك خاصة وأهل الفضل منهم إلا بنو أمهات أولاد، وما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من علي ابن حسين، وهو لأم ولد، وهو خير من جدك حسن بن حسن، وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي، وجدته أم ولد، وهو خير من أبيك،

ولا مثل ابنه جعفر وجدته أم ولد، وهو خير منك.
وأما قولك: إنكم بنو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن الله تعالى يقول في كتابه: «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ»، ولكنكم بنو ابنته، وإنها لقربة قريبة، ولكنها لا تحوز الميراث، ولا ترث الولاية، ولا تجوز لها الإمامة، فكيف تورث بها! ولقد طلبها أبوك بكل وجه فأخرجها نهاراً، ومرضها سراً، ودفنها ليلاً، فأبى الناس إلا الشيخين وتفضيلهما، ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها بين المسلمين أن الجد أبا الأم والنحال والنخلة لا يرثون.

وأما ما نفرت به من علي وسابقتها، فقد حَضَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوفاة، فأمر غيره بالصلاة، ثم أخذ الناس رجلاً بعد رجل فلم يأخذوه، وكان في الستة فتركوه كلهم دفعا له عنها، ولم يروا له حقاً فيها، أما عبد الرحمن فقدم عليه عثمان، وقتل عثمان وهو له متهم، وقتله طلحة والزبير، وأبي سعد بيعته، وأغلق دونه بابه، ثم بايع معاوية بعده ثم طلبها بكل وجه وقتل عليها، وتفرق عنه أصحابه، وشك فيه شيعته قبل الحكومة، ثم حكم حكمين رضي بهما، وأعطاهما عهده وميثاقه، فاجتمعا على خلعه ثم كان حسن فباعها من معاوية بخرق ودرهم ولحق بالحجاز، وأسلم شيعته بيد معاوية ودفع الأمر إلى غير أهله، وأخذ مالا من غير ولائه ولا حله، فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه ثم خرج عمك حسين بن علي على ابن مرجانة، فكان الناس معه عليه حتى قتلوه، وأتوا برأسه إليه، ثم خرجتم على بني أمية، فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل، وأحرقوكم بالنيران، ونفوكم من البلدان، حتى قتل يحيى بن زيد بخراسان، وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية والنساء، وحملوهم بلا وطء في المحافل كالسي
المجلوب إلى الشام، حتى خرجنا عليهم فطلبنا بئاركم، وأدركنا بدمائكم وأورثناكم أرضهم وديارهم، وسيننا سلفكم وفضلناهم، فاتخذت ذلك علينا حجة.

وظننت أنا إنما ذكرنا أباك وفضلناهم للتقدمة منا له على حمزة والعباس وجعفر، وليس ذلك كما ظننت، ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين، متسلماً منهم، مجتمعا عليهم بالفضل، وابتلي أبوك بالقتال والحرب، وكانت بنو أمية تلغنه كما تلغ الكفرة في الصلاة المكتوبة، فاحتججنا له، وذكرناهم فضله، وعنفناهم وظلناهم بما نالوا منه ولقد علمت أن مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحجيح الأعظم، وولاية زمزم، فصارت للعباس من بين إخوته، فنازعنا فيها أبوك، فقضى لنا عليه عمر، فلم نزل نلها في الجاهلية والإسلام، ولقد قط أهل المدينة فلم يتوسل عمر إلى ربه ولم يتقرب إليه إلا بأبينا، حتى نعشهم الله وسقاهاهم الغيث، وأبوك حاضر لم يتوسل به، ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غيره، فكان وراثته من عمومته، ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم فلم ينله إلا ولده، فالسقاية سقايته وميراث النبي له، والخلافة في ولده، فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا إسلام في دنيا ولا آخرة إلا والعباس وارثه ومورثه.

وأما ما ذكرت من بدر، فإن الإسلام جاء والعباس يمون أبا طالب وعياله، وينفق عليهم للأزمة التي أصابته، ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كارها لمات طالب وعقيل جوعاً، وللحساجفان عتبة وشيبة، ولكنه كان من المطعمين، فأذهب عنكم العار والسبة، وكفاكم النفقة والمثونة، ثم فدى عقيل يوم بدر، فكيف تفخر علينا وقد علناكم في الكفر وفديناكم من الأسر، وحزنا عليكم مكارم الآباء، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء، وطلبنا بئاركم فأدركنا منه ما عجزتم عنه، ولم تدركوا لأنفسكم! والسلام عليك ورحمة الله

قَالَ عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: أَجْعُ ابْنُ الْقَسْرِيِّ عَلَى الْغَدْرِ بِمُحَمَّدٍ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ابْعَثْ مُوسَى بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَمَعَهُ رِزَامًا مُوَلَّيًّا إِلَى الشَّامِ يَدْعُوَانِ إِلَيْكَ.

فبعثهما فخرج رزام بموسى إلى الشام، وظهر محمد على أن القسري كتب إلى أبي جعفر في أمره، فخبسه في نفر ممن كان معه في دار ابن هشام التي في قبلة مصلى الجنائز - وهي اليوم لفرج الخصي - وورد رزام بموسى الشام، ثم أنسل منه، فذهب إلى أبي جعفر، فكتب موسى إلى محمد: إني أخبرك أنني لقيت الشام وأهله، فكان أحسنهم قولاً الذي قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ مَلَلْنَا الْبَلَاءَ، وَضَقْنَا بِهِ ذَرْعًا، حَتَّى مَا فِينَا لِهَذَا الْأَمْرِ مَوْضِعٌ، وَلَا لَنَا بِهِ حَاجَةٌ، وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ تَحْلِفُ: لَئِنْ أَصْبَحْنَا مِنْ لَيْلَتِنَا أَوْ مَسِينَا مِنْ غَدٍ لِيرْفَعَنَّ أَمْرَنَا وَلِيَدْلُنَا عَلَيْنَا، فَكُتِبَتْ إِلَيْكَ وَقَدْ غَيِبَتْ وَجْهِي، وَخَفْتُ عَلَى نَفْسِي قَالَ الْحَارِثُ:

ويقال أن موسى ورزاما وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور توجهوا إلى الشام في جماعة، فلما ساروا بتيماء، تخلف رزام ليشتري لهم زاداً، فركب إلى العراق، ورجع موسى وأصحابه إلى المدينة.

قَالَ: وحدثني عيسى، قَالَ: حدثني موسى بن عبد الله ببغداد ورزاما معنا، قَالَ: بعثني محمد ورزاما في رجال معنا إلى الشام، لندعوله، فإننا لبدومة الجندل، إذ أصابنا حر شديد، فتنزلنا عن رواحلنا نغتسل في غدير، فاستل رزام سيفه، ثم وقف على رأسي، وقال: يا موسى، أرايت لو ضربت عنقك ثم مضيت برأسك إلى أبي جعفر، أ يكون أحد عنده في منزلي! قَالَ: قلت لا تدع هزلك يا أبا قيس! ثم سيفك غفر الله لك.

قَالَ: فشام سيفه، فركبنا قَالَ عيسى: فرجع موسى قبل أن يصل إلى الشام، فأقى البصرة هو وعثمان بن محمد، فدل عليهما، فأخذا.

قَالَ: وحدثني عبد الله بن نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، قَالَ: حدثني أخي عبد الله بن نافع الأكبر، قَالَ: لما ظهر محمد لم يأته أبي نافع ابن ثابت، فأرسل إليه، فأتاه وهو في دار مروان، فقال: يا أبا عبد الله،

لم أرك جئتاً! قَالَ: ليس في ما تريد، فألح عليه محمد، حتى قَالَ: ألبس السلاح يتأس بك غيرك، فقال: أيها الرجل، إني والله ما أراك في شيء، خرجت في بلد ليس فيه مال ولا رجال ولا كراع ولا سلاح، وما أنا بمهلك نفسي معك، ولا معين على دمي قَالَ: انصرف، فلا شيء فيك بعد هذا.

قَالَ: فمكث يختلف إلى المسجد إلى أن قتل محمد، فلم يصل في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم قتل إلا نافع وحده. ووجه محمد بن عبد الله لما ظهر- فيما ذكر عمر عن أزهر بن سعيد بن نافع- الحسن بن معاوية إلى مكة عاملاً عليها، ومعه العباس بن القاسم- رجل من آل أبي لهب- فلم يشعر بهم السري بن عبد الله حتى دنوا من مكة، فخرج إليهم، فقال له موله: ما رأيك؟ قد دنونا منهم، قَالَ: انهزموا على بركة الله، وموعدكم بئر ميمون فانهزموا، ودخلها الحسن بن معاوية وخرج الحسين بن صخر- رجل من آل أويس- من ليلته، فسار إلى أبي جعفر تسعاً فأخبره فقال: قد أنصف القارة من رامها، وأجازه بثلاثمائة درهم قَالَ: وحدثني أيوب بن عمر، قَالَ: حدثني محمد بن صالح بن معاوية، قَالَ: حدثني أبي، قَالَ: كنت عند محمد حين عقد للحسن بن معاوية على مكة، فقال له الحسن: أرايت إن التحم القتال بيننا وبينهم، ما ترى في السري؟

قَالَ: يا حسن، إن السري لم يزل محتباً لما كرهنا، كارها للذي صنع أبو جعفر، ان ظفرت به فلا تقتله، ولا تحركن له أهلاً، ولا تأخذن له متاعاً، وإن تخي فلا تطلبن له أثراً قَالَ: فقال له الحسن: يا أمير المؤمنين، ما كنت أحسبك تقول هذا في أحد من آل العباس، قَالَ: بلى، إن السري لم يزل ساخطاً لما صنع أبو جعفر.

قَالَ: وحدثني عمر بن راشد مولى عنج، قَالَ: كنت بمكة، فبعث

إلينا محمد حين ظهر الحسن بن معاوية والقاسم بن إسحاق ومحمد بن عبد الله ابن عنبسة يدعى أبا جبرة، أميرهم الحسن بن معاوية، فبعث إليهم السري بن عبد الله كاتبه مسكين بن هلال في ألف، ومولى له يدعى مسكين بن نافع في ألف، ورجلاً من أهل مكة يقال له ابن فرس- وكان شجاعاً- في سبعمائة، واعطاه خمسمائة دينار، فالتقوا ببطن اذخر بين الثنيتين وهي الثنية التي تهبط على ذي طوى، منها هبط النبي ص وأصحابه إلى مكة، وهي داخلية في الحرم، فتراسلوا، فأرسل حسن إلى السري أن خل بيننا وبين مكة، ولا تهريقوا الدماء في حرم الله وحلف الرسولان للسري: ما جئناك حتى مات أبو جعفر فقال لهما السري: وعلي مثل ما حلفتما به، إن كانت مضت لي أربعة، منذ جاءني رسول من عند أمير المؤمنين، فانظروني أربع ليال، فأني أنتظر رسولا لي آخر، وعلي ما يصلحكم، ويصلح دوابكم، فإن يكن ما تقولونه حقاً سلمتها إليكم، وإن يكن باطلاً أجاهدكم حتى تغلبوني أو أغلبكم، فأبى الحسن، وقال: لا نبرح حتى نناجزك، ومع الحسن سبعون رجلاً وسبعة من الخيل، فلما دنوا منه، قَالَ لهم الحسن: لا يقدم أحد منكم حتى ينفخ في البوق، فإذا نفخ فلتكن حملتكم حملة رجل واحد فلما رهقناهم وخشي الحسن أن يغشاه وأصحابه، ناداه: أنفخ ويحك في البوق! فنفخ ووثبوا وحملوا

علينا حملة رجل واحد فانهزم أصحاب السري، وقتل منهم سبعة نفر قَالَ: واطلع عليهم بفرسان من أصحابه وهم من وراء الثنية في نفر من قريش قد خرج بهم، وأخذ عليهم لينصرنه، فلما رآهم القرشيون قالوا: هؤلاء أصحابك قد انهزموا، قَالَ: لا تعجلوا، إلى أن طلعت الخيل والرجال في الجبال، فقليل له: ما بقي؟ فقال: انهزموا على بركة الله، فانهزموا حتى دخلوا دار الإمارة، وطرحوا أداة الحرب، وتسوروا على رجل من الجند يكنى أبا الرزام فدخلوا بيته فكانوا فيه ودخل الحسن بن معاوية المسجد، فخطب الناس ونعى إليهم أبا جعفر ودعا لمحمد. قَالَ: وحدثني يعقوب بن القاسم، قَالَ: حدثني الغمر بن حمزة بن أبي رملة، مولى العباس بن عبد المطلب، قَالَ: لما أخذ الحسن بن معاوية

مكة، وفر السري بلغ الخبر أبا جعفر، فقال: لهفي على ابن أبي العضل.

قَالَ: وحدثني ابن أبي مساور بن عبد الله بن مساور مولى بني نائلة من بني عبد الله بن معيص، قَالَ: كنت بمكة مع السري بن عبد الله، فقدم عليه الحسن بن معاوية قبل مخرج محمد- والسري يومئذ بالطائف وخليفته بمكة ابن سراقه من بني عدي بن كعب- قَالَ: فاستعدى عتبة بن أبي خداش اللهي على الحسن بن معاوية في دين عليه فخبسه، فكتب له السري إلى ابن أبي خداش: أما بعد فقد أخطأت حظك، وساء نظرك لنفسك حين تحبس ابن معاوية، وإنما أصبت المال من أخيه وكتب إلى ابن سراقه يأمره بتخليته، وكتب إلى ابن معاوية يأمره بالمقام إلى أن يقدم فيقضي عنه قَالَ:

فلم يلبث أن ظهر محمد، فشخص إليه الحسن بن معاوية عاملا على مكة، فقليل للسري: هذا ابن معاوية قد أقبل إليك، قَالَ: كلا ما يفعل وبلائي عنده بلائي، وكيف يخرج إلى أهل المدينة! فوالله ما بها دار إلا وقد دخلها لي معروف، فقليل له: قد نزل فجاء قَالَ: فشخص إليه ابن جريج، فقال له: أيها الرجل، إنك والله ما أنت بواصل إلى مكة وقد اجتمع أهلها مع السري، أترك قاهرا قريشا وغاصبا على دارها! قال: يا بن الحائك، بأهل مكة تحوطني! والله ما أبيت إلا بها أو أموت دونها ثم وثب في أصحابه وأقبل إليه السري، فلقية بفخ، فضرب رجل من أصحاب الحسن مسكين بن هلال كاتب السري على رأسه فشجه، فانهزم السري وأصحابه، فدخلوا مكة، والتف أبو الرزام- رجل من بني عبد الدار ثم أحد آل شيبه- على السري، فواراه في بيته، ودخل الحسن مكة ثم إن الحسن أقام بمكة يسيرا، ثم ورد كتاب محمد عليه يأمره بالخاق به.

وذكر عمر عن عبد الله بن إسحاق بن القاسم، قَالَ: سمعت من لا أحصي من أصحابنا يذكر أن الحسن والقاسم لما أخذوا مكة، تجهزا وجمعا جمعا كثيرا، ثم أقبلا يريدان محمدا ونصرته على عيسى بن موسى، واستخلفا على مكة رجلا من الانصار، فلما كانا بقديد لقيهما قتل محمد، فتنفقا

الناس عنهما، وأخذ الحسن على بسقة- وهي حرة في الرمل تدعى بسقة قديد- فلحق إبراهيم، فلم يزل مقيما بالبصرة حتى قتل إبراهيم وخرج القاسم بن إسحاق يريد إبراهيم، فلما كان يديع من أرض فدك، لقيه قتل إبراهيم، فرجع إلى المدينة، فلم يزل مختفيا حتى أخذت ابنة عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر، زوجة عيسى بن موسى له، ولإخوته الامان فظهر بنو معاوية، وظهر القاسم.

قَالَ: وحدثني عمر بن راشد مولى عنج، قَالَ: لما ظهر الحسن بن معاوية على السري أقام قليلا حتى أتاه كتاب محمد يأمره بالشخص إليه، ويخبره أن عيسى قد دنا من المدينة، ويستعجله بالقدوم قَالَ: نفرج من مكة يوم الاثنين في مطر شديد- زعموا أنه اليوم الذي قتل فيه محمد- فتلقيه بريد لعيسى بن موسى بأج- وهو ماء لخزاعة بين عسفان وقديد- بقتل محمد، فهرب وهرب أصحابه.

قَالَ عمر: وحدثني محمد بن يحيى، قَالَ: حدثني عبد العزيز بن أبي ثابت عن أبي سيار، قَالَ: كنت حاجب محمد بن عبد الله، فجاءني راكب من الليل، قَالَ: قدمت من البصرة، وقد خرج بها إبراهيم، فأخذها قَالَ: فجئت دار مروان، ثم جئت المنزل الذي فيه محمد، فدققت الباب، فصاح بأعلى صوته: من هذا؟ قلت: أبو سيار، قَالَ: لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أعوذ بك من شر طوارق الليل، إلا طارق يطرق منك بخير، قَالَ: خيرا! قلت: خيرا، قَالَ: ما وراءك؟ قلت: أخذ إبراهيم البصرة- قال:

وكان محمد إذا صلى المغرب والصبح صاح صائح: ادعوا الله لإخوانكم من أهل البصرة، وللحسن بن معاوية واستنصروه على عدوكم. قَالَ: وحدثني عيسى، قَالَ: قدم علينا رجل من أهل الشام، فنزل دارنا- وكان يكنى أبا عمرو- فكان أبي يقول له: كيف ترى هذا الرجل؟

فيقول: حتى ألقاه فأسبره ثم أخبرك قَالَ عيسى: فلقية أبي بعد، فسأله

فقال: هو والله الرجل كل الرجل، ولكن رأيت شحم ظهره ذراعاً، وليس هكذا يكون صاحب الحرب قَالَ: ثم بايعه بعد، وقاتل معه. قَالَ: وحدثني عبد الله بن محمد بن سلم- يدعى ابن البواب مولى المنصور- قَالَ: كتب أبو جعفر إلى الأعمش كتاباً على لسان محمد، يدعوه إلى نصرته، فلما قرأه قَالَ: قد خبرناكم يا بني هاشم، فإذا أنتم تحبون الثريد.

فلما رجع الرسول إلى أبي جعفر فأخبره، قَالَ: أشهد أن هذا كلام الأعمش.

وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ:

غلب محمد بن عبد الله على المدينة، فبلغنا ذلك، ففرجنا ونحن شباب، أنا يومئذ ابن خمس عشرة سنة، فانتبهنا إليه، وهو قد اجتمع إليه الناس ينظرون إليه، ليس يصد عنه أحد، فدنوت حتى رأيته وتأملتته، وهو على فرس، وعليه قميص أبيض محشو وعمامة بيضاء، وكان رجلاً أحزم، قد أثر الجدري في وجهه، ثم وجهه إلى مكة فأخذت له، وبيضوا، ووجه أخاه إبراهيم بن عبد الله إلى البصرة، فأخذها وغلبها وبيضوا معه.

رجع الحديث إلى حديث عمر قَالَ عمر: وحدثني محمد بن يحيى، قَالَ: حدثني الحارث بن إسحاق، قَالَ: ندب أمير المؤمنين أبو جعفر عيسى بن موسى لقتال محمد، وقال: لا أبالي أيهما قتل صاحبه، وضم إليه أربعة آلاف من الجند، وبعث معه محمد بن أبي العباس أمير المؤمنين.

قَالَ: وحدثني عبد الملك بن شيبان عن زيد مولى مسمع، قَالَ: لما أمر أبو جعفر عيسى بن موسى بالشخص، قَالَ: شاور عمومتك، فقال له:

امض أيها الرجل، فوالله ما يراد غيري وغيرك، وما هو إلا أن تشخص أو أشخص، قَالَ: فسار حتى قدم علينا ونحن بالمدينة.

قَالَ: وحدثني عبد الملك بن شيبان، قَالَ: دعا أبو جعفر بن حنظلة البهراني- وكان أبرص طوالاً، أعلم الناس بالحرب، وقد شهد مع مروان حروبه- فقال: يا جعفر، قد ظهر محمد، فما عندك؟ قَالَ: وأين ظهر؟

قَالَ: بالمدينة، قَالَ: فاحمد الله، ظهر حيث لا مال ولا رجال ولا سلاح ولا كراع، ابعث مولى لك تثق به فليسر حتى ينزل بوادي القرى، فيمنعه ميرة الشام، فيموت مكانه جوعاً، ففعل.

قَالَ: وحدثني عبد الله بن راشد بن يزيد، قَالَ: سمعت أصحابنا إسماعيل بن موسى وعيسى بن النضر وغيرهما يذكرون أن أبا جعفر قدم كثير ابن حصين العبدي، فعسكر بفيد، وخندق عليه خندقاً، حتى قدم عليه عيسى بن موسى، فخرج به إلى المدينة قَالَ عبد الله: فأنا رأيت الخندق قائماً دهرًا طويلاً، ثم عفا ودرس.

قَالَ: وحدثني يعقوب بن القاسم، قَالَ: حدثني علي بن أبي طالب- ولقيته بصنعاء- قَالَ: قَالَ أبو جعفر لعيسى حين بعثه إلى محمد: عليك بأبي العسكر مسمع بن محمد بن شيبان بن مالك بن مسمع، فسر به معك، فإني قد رأيته منع سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة من أهل البصرة، وهم محلبون عليه، وهو يدعو إلى مروان، وهو عند أبي العسكر يأكل المخ بالطبرزد، فخرج به عيسى، فلما كان ببطن نخل، تخلف هو والمسعودي بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن مسعود حتى قتل محمد، فبلغ ذلك أبا جعفر، فقال لعيسى بن موسى: ألا ضربت عنقه! وحدثني عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، قَالَ: أخبرني أبي، قَالَ: قَالَ أبو جعفر لعيسى بن موسى حين ودعه:

يا عيسى، إني أبعثك إلى ما بين هذين- وأشار إلى جنبه- فإن ظفرت بالرجل فشم سيفك، وابذل الأمان، وإن تغيب فضمنهم إياه حتى يأتوك به، فإنهم يعرفون مذاهبه قَالَ: فلما دخلها عيسى فعل ذلك.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ:

وجه أبو جعفر إلى محمد بن عبد الله بالمدينة عيسى بن موسى بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس، ووجه معه محمد بن أبي العباس أمير المؤمنين وعدة من

قواد أهل خراسان وجندهم، وعلى مقدمة عيسى بن موسى حميد بن قطبة الطائي، وجهزم بالخيال والبغال والسلاح والميرة، فلم ينزل، ووجه مع عيسى ابن موسى بن أبي الكرام الجعفري، وكان في صحابه أبي جعفر، وكان مائلا إلى بني العباس، فوثق به أبو جعفر فوجهه. رجع الحديث إلى حديث عمر بن شبة قال عمر: وحدثني عيسى، عن أبيه، قال: كتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى: من لقيك من آل أبي طالب فاكتب إلي باسمه، ومن لم يلقك فاقبض ماله قال: فقبض عين أبي زياد- وكان جعفر بن محمد تغيب عنه- فلما قدم أبو جعفر كله جعفر، وقال: مالي، قال: قد قبضه مهديكم.

قال: وحدثني محمد بن يحيى، قال: حدثني الحارث بن إسحاق، قال: لما صار عيسى بفيد، كتب إلى رجال من أهل المدينة في خرق الحرير، منهم عبد العزيز بن المطلب المخزومي وعبيد الله بن محمد بن صفوان الجمحي، فلما وردت كتبه المدينة، تفرق ناس كثير عن محمد، منهم عبد العزيز بن المطلب، فأخذ فرد، فأقام يسيرا، ثم خرج، فرد مرة أخرى، وكان أخوه علي بن المطلب من أشد الناس مع محمد، فكلم محمد في أخيه حتى كفه عنه.

قال: وحدثني عيسى، قال: كتب عيسى بن موسى إلى أبي في حريرة صفراء جاء بها أعرابي بين خصافي نعله، قال عيسى: فرأيت الأعرابي قاعدا في دارنا، وإني لصبي صغير، فدفعها إلى أبي فإذا فيها:

أن محمدا تعاطى ما ليس يعطيه الله، وتناول ما لم يؤته الله، قال عز وجل في كتابه: «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِإِذْنِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فعجل التخلص وأقل التربص، وادع من أطاعك من قومك إلى الخروج معك.

قال: فخرج وخرج معه عمر بن محمد بن عمر، وأبو عقيل محمد بن عبد الله بن محمد بن عقیل، قال: ودعوا الأفضس حسن بن علي بن أبي طالب إلى الخروج معهم فأبى، وثبت مع محمد، وذكر خروجهم لمحمد فأرسل إلى ظهرهم فأخذه، فأتاه عمر بن محمد، فقال: أنت تدعو إلى العدل ونفي الجور، فما بال إيلي تؤخذ! فإني أعددتها لحج أو عمرة قال: فدفعها إليه- فخرجوا من تحت ليلتهم، فلقوا عيسى على أربع- أو خمس- من المدينة.

قال: وحدثني أيوب بن عمر بن أبي عمرو بن نعيم بن مهان، قال:

كتب أبو جعفر إلى رجال من قریش وغيرهم كتباً، وأمر عيسى: إذا دنا من المدينة أن يبعث بها إليهم فلما دنا بعث بها إليهم، فأخذ حرس محمد الرسول والكتب، فوجد فيها كتاباً إلى إبراهيم بن طلحة بن عمر بن عبيد الله ابن معمر وإلى جماعة من رؤساء قریش فبعث محمد إلينا جميعاً ما خلا ابن عمر وأبا بكر بن سبرة، فحبسنا في دار ابن هشام التي في المصلی.

قال أبي: وبعث إلي وإلى أخي، فأتي بنا فضر بنا ثلاثمائة قال: فقلت له وهو يضربني ويقول: أردت أن تقتلني! تركتك وأنت تستتر بحجر ويبت شعر، حتى إذا صارت المدينة في يدك، وغلظ أمرك، قت عليك فبمن أقوم! أبطاقي، أم بمالي، أم بعشيرتي! قال: ثم أمر بنا إلى الحبس، وقيدنا بكبول وسلاسل تبلغ ثمانين رطلا، قال: فدخل عليه محمد بن عجلان، فقال: اني ضربت هذين الرجلين ضرباً فاحشاً، وقيدتهما بما منعهما من الصلاة قال: فلم يزالا محبوسين حتى قدم عيسى.

قال: وحدثني محمد بن يحيى قال: حدثني عبد العزيز بن أبي ثابت، عن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم، قال: إنا لعند محمد ليلة- وذلك عند دنو عيسى من المدينة- إذ قال محمد: أشيروا علي في الخروج والمقام، قال: فاختلفوا فأقبل علي فقال: أشير علي يا أبا جعفر،

قلت: الست تعلم انك اقل بلاد الله فرسا وطعاما وسلاحا، وأضعفها رجالا؟

قال: بلى، قلت: تعلم أنك تقاوت أشد بلاد الله رجلا وأكثرها مالا وسلاحا؟

قال: بلى، قلت: فالرأي أن تسير بمن معك حتى تأتي مصر، فوالله لا يردك راد، فتقاتل الرجل بمثل سلاحه وكراعه ورجاله وماله فصاح حنين بن عبد الله: أعوذ بالله أن تخرج من المدينة! [وحدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: رأيتني في درع حصينة فأولتها المدينة].

[قال: وحدثني محمد بن إسماعيل بن جعفر، عن الثقة عنده، قال:

أجاب محمدا لما ظهر أهل المدينة وأعراضها وقبائل من العرب، منهم جهينة ومزينة وسليم وبنو بكر وأسلم وغفار، فكان يقدم جهينة، فغضبت من ذلك قبائل قيس قال محمد: فحدثني عبد الله بن معروف أحد بني رياح بن مالك بن عصىة بن خفاف- وقد شهد ذاك- قال: جاءت محمدا بنو سليم على رؤسائها، فقال متكلمهم جابر بن أنس الرياحي: يا أمير المؤمنين، نحن أخوالك وجيرانك، وفيما السلاح والكرع، والله لقد جاء الإسلام والخليل في بني سليم أكثر منها بالحجاز، لقد بقي فينا منها ما إن بقي مثله عند عربي تسكن إليه البادية، فلا تخندق الخندق، فإن رسول الله خندق خندقه لما أعلم به، فإنك إن خندقته لم يحسن القتال رجاله، ولم توجه لنا الخليل بين الأزقة، وإن الذين يخندق دونهم هم الذين يقاتلون فيها، وإن الذين يخندق عليهم يحول الخندق دونهم فقال أحد بني شجاع: خندق رسول الله فاقتد برأيه، أو تريد أنت أن تدع رأي رسول الله ص لرأيك! قال: انه يا بن شجاع ما شيء أثقل عليك وعلى أصحابك من لقاءهم، ولا شيء أحب إلي وإلى أصحابي من مناجزتهم فقال محمد: إنما اتبعنا في الخندق اثر رسول الله ص، فلا يردني عنه أحد، فلست بتاركة.

قال: وحدثني محمد بن يحيى، عن الحارث بن إسحاق، قال: لما تيقن

محمد أن عيسى قد أقبل حفر الخندق، خندق النبي ص الذي كان حفره للأحزاب.

قال: وحدثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر، قال: حدثني محمد بن عطاء مولى المطلبين، قال: لما حفر محمد الخندق ركب إليه وعليه قباء أبيض ومنطقة، وركب الناس معه، فلما أتى الموضع نزل فيه، بدا هو فخر بيده، فأخرج لبنه من خندق النبي ص، فكبر وكبر الناس معه، وقالوا: أبشر بالنصر، هذا خندق جدك رسول الله ص.

قال: وحدثني محمد بن الحسن بن زبالة، قال: حدثني مصعب بن عثمان بن مصعب بن عروة بن الزبير، قال: لما نزل عيسى الأعوص رقي محمد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن عدو الله وعدوكم عيسى بن موسى قد نزل الأعوص، وإن أحق الناس بالقيام بهذا الدين، أبناء المهاجرين الأولين والأنصار المواسين.

قال: وحدثني إبراهيم بن أبي إسحاق العبسي- شيخ من غطفان- قال:

أخبرني أبو عمرو مؤدب محمد بن عبد الرحمن بن سليمان، قال: سمعت الزبير الذي قتله أبو جعفر- يعني عثمان بن محمد بن خالد- قال: اجتمع مع محمد جمع لم أر مثله ولا أكثر منه، إني لأحسب أنا قد كُنا مائة ألف، فلما قرب عيسى خطبنا، فقال: يا أيها الناس، إن هذا الرجل قد قرب منكم في عدد وعدة، وقد حلتكم من بيعتي، فمن أحب المقام فليقم، ومن أحب الانصراف فليصرف فتسللوا حتى بقي في شردمة ليست بالكثيرة قال: وحدثني موهوب بن رشيد بن حيان بن أبي سليمان بن سمعان، أحد بني قريظ بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب، قال: حدثني أبي، قال: لما ظهر محمد جمع الناس وحشروهم، وأخذ عليهم المناقب فلا يخرج أحد، فلما سمع بعيسى وحيد بن قطبة قد أقبل، صعد المنبر، فقال:

يا أيها الناس، إنا قد جمعناكم للقتال، وأخذنا عليكم المناقب، وإن هذا العدو منكم قريب، وهو في عدد كثير، والنصر من الله والأمر بيده، وإنه قد بدا لي أن آذن لكم وأفرج عنكم المناقب، فمن أحب أن يقيم أقام، ومن أحب أن يظعن ظعن قال أبي: نفرج عالم من الناس، كنت فيهم، فلما كنا بالعريض- وهو على ثلاثة أميال من المدينة- لقيتنا مقدمة عيسى بن موسى دون الرحبة، فاشبهت رجالهم إلا رجلا من جراد قال: فضينا وخالفونا إلى المدينة.

قَالَ: وحدثني محمد بن يحيى، قَالَ: حدثني الحارث بن إسحاق، قَالَ: خرج ناس كثير من أهل المدينة بذراريهم وأهلهم إلى الأعراض والجبال، فأمر محمد أبا القلمس، فرد من قدر عليه منهم، فأعجزه كثير منهم، فتركهم. قَالَ: وحدثني عيسى، قَالَ: حدثني الغاضري، قَالَ: قَالَ لي محمد:

أعطيك سلاحا وتقاتل معي؟ قلت: نعم، إن أعطيتني رحما أطعنهم به، وهم بالأعوص وسيفا أضربهم به وهم بهيفا قَالَ: ثم مكث غير كثير، ثم بعث إلي فقال: ما تنتظر؟ قلت: ما أهون عليك- أبقاك الله- أن أقتل وتمروا، فيقال: والله إن كان لباديا! قَالَ: ويحك! قد بيض أهل الشام وأهل العراق وخراسان، قَالَ: قلت: اجعل الدنيا زبدة بيضاء وأنا في مثل صوفة الدواة، ما ينفعني هذا وعيسى بالأعوص! قَالَ: وحدثني عيسى، عن أبيه، عن جده، قَالَ: وجه أبو جعفر مع عيسى بن موسى ابن الأصم ينزله المنازل، فلها قدموا نزولوا على ميل من مسجد رسول الله ص، فقال ابن الأصم: ألا إن الخليل لا عمل لها مع الرجالة، وإني أخاف إن كشفوكم كشفه أن يدخلوا عسكرهم.

فرفعهم إلى سقاية سليمان بن عبد الملك بالجرف- وهي على أربعة أميال من المدينة- وقال: لا يهرول الراجل أكثر من ميلين أو ثلاثة حتى تأخذه الخيل. قَالَ: وحدثني عيسى، قَالَ: حدثني محمد بن أبي الكرام، قَالَ: لما نزل عيسى طرف القدوم أرسل إلي نصف الليل، فوجدته جالسا والشمع والأموال بين يديه، فقال: جاءني العيون تخبرني إن هذا الرجل في ضعف، وأنا أخاف أن ينكشف، وقد ظننت ألا مسلك له الا الى مكة، فاضم إليك خمسمائة رجل، فامض بهم معاندا عن الطريق حتى تأتي الشجرة فتقيم بها قَالَ: فأعطاهم على الشمع، فخرجت بهم حتى مررت بالبصرة بالبطحاء- وهي بطحاء ابن أزر على ستة أميال من المدينة- فخاف أهلها، فقلت: لا بأس عليكم، أنا محمد بن عبد الله، هل من سويق؟ قَالَ:

فأخرجوا إلينا سويقا، فشربنا وأقمنا بها حتى قتل محمد. قَالَ: وحدثني محمد بن إسماعيل، عن الثقة عنده، قَالَ: لما قرب عيسى أرسل إلى محمد القاسم بن الحسن بن زيد يدعوه إلى الرجوع عما هو عليه، ويخبره أن أمير المؤمنين قد آمنه وأهل بيته، فقال محمد للقاسم:

وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ عَنْقَكَ، لَأَنِّي لَمْ أُرْكَ مِنْذُ كُنْتُ غَلَامًا فِي فِرْقَتَيْنِ، خَيْرٍ وَشَرٍّ، إِلَّا كُنْتُ مَعَ الشَّرِّ عَلَى الْخَيْرِ وَأُرْسِلُ مُحَمَّدٌ إِلَى عَيْسَى: يَا هَذَا، إِنَّ لَكَ بِرَسُولِ اللَّهِ قَرَابَةً قَرِيبَةً، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَأَحْذَرُكَ نَقْمَتَهُ وَعَذَابَهُ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَنَا بِمَنْصُوفٍ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ عَلَيْهِ، فَيَاكَ أَنْ يَقْتُلَكَ مَنْ يَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ، فَتَكُونَ شَرَّ قَتِيلٍ، أَوْ تَقْتُلَهُ فَيَكُونَ أَعْظَمَ لَوْزْرِكَ، وَأَكْثَرَ لِمَأْثَمِكَ فَأُرْسِلُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ جَعْفَرٍ، فَبَلِّغْهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى صَاحِبِكَ، فَقُلْ لَهُ: لَيْسَ بَيْنَنَا إِلَّا الْقِتَالُ.

قَالَ: وحدثني إبراهيم بن محمد بن أبي الكرام بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن جعفر، قَالَ: أخبرني أبي، قَالَ: لما قرب عيسى من المدينة،

أرسلني إلى محمد بأمانة، فقال لي محمد: علام تقاتلونني وتستحلون دمي، وإنما أنا رجل فر من أن يقتل! قَالَ: قلت: إن القوم يدعونك إلى الأمان، فإن أبيت إلا قتالهم قاتلوك على ما قاتل عليه خير آبائك على طلحة والزبير، على نكث بيعتهم وكيد ملكهم، والسعي عليهم قَالَ: فأخبرت بذلك أبا جعفر، فقال: والله ما سرني أنك قلت له غير ذلك، وأن لي كذا وكذا قَالَ: وحدثني هشام بن محمد بن عروة بن هشام بن عروة، قَالَ:

أخبرني ماهان بن بخت مولى قحطبة، قَالَ: لما صرنا بالمدينة أتاننا إبراهيم بن جعفر بن مصعب طليعه، فطاف بعسكرنا حتى حسه كله، ثم ولى ذاهبا قَالَ: فرعبنا منه والله رعبا شديدا، حتى جعل عيسى وحيد بن قحطبة يعجبان فيقولان: فارس واحد طليعة لأصحابه! فلما ولى مدى أبصارنا نظرنا إليه مقيما بموضع واحد، فقال حميد: ويحكم! انظروا ما حال الرجل، فإني أرى دابته واقفا لا تزول، فوجه إليه حميد رجلين من أصحابه، فوجدا دابته قد عثر به، فصرعه فقوس التنور عنقه فأخذا سلبه، فأتيننا بتنور- قيل إنه كان لمصعب بن

الزبير- مذهب لم ير مثله قط قَالَ: وحديثي محمد بن يحيى، قَالَ: حدثني الحارث بن إسحاق، قَالَ: نزل عيسى بقصر سليمان بالجرف، صبيحة ثلثي عشره من رمضان من سنه خمس وأربعين ومائة، يوم السبت، فأقام يوم السبت ويوم الأحد وغدا يوم الاثنين، حتى استوى على سلع، فنظر إلى المدينة وإلى من دخلها وخرج منها، وشحن وجوهها كلها بالخليل والرجال إلا ناحية مسجد أبي الجراح، وهو على بطحان، فإنه تركه لخروج من هرب، وبرز محمد في أهل المدينة قَالَ: وحديثي عيسى، قَالَ: حدثنا محمد بن زيد، قَالَ: قدمنا مع عيسى، فدعا محمدا ثلاثا: الجمعة والسبت والأحد قَالَ وحديثي عبد الملك بن شيبان، قَالَ: حدثني زيد مولى مسمع، قَالَ:

لما عسكر عيسى أقبل على دابة يمشي حواليه نحو من خمسمائة، وبين يديه راية يسار بها معه، فوقف على الثانية ونادى: يا أهل المدينة، إن الله قد حرم دماء بعضنا على بعض، فاهلبوا إلى الأمان، فمن قام تحت رايتنا فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن خرج من المدينة فهو آمن خلوا بيننا وبين صاحبنا فيما لنا أو له قَالَ: فشتموه وأقدعوا له، وقالوا: يا بن الشاه، يا بن كذا.

يا بن كذا فانصرف يومه ذاك، وعاد من الغد ففعل مثل ذلك، فشتموه، فلما كان اليوم الثالث أقبل بما لم أر مثله قط من الخيل والرجال والسلاح، فوالله ما لبثنا أن ظهر علينا ونادى بالأمان، فانصرف إلى معسكره.

قَالَ: وحديثي إبراهيم العطفاني، قال: سمعت أبا عمرو مؤدب محمد بن عبد الرحمن يحدث عن الزبير- يعني عثمان بن محمد بن خالد- قَالَ:

لما التقينا نادى عيسى بنفسه: أيا محمد، إن أمير المؤمنين أمرني ألا أقاتلك حتى أعرض عليك الأمان، فلك علي نفسك وأهلك وولدك وأصحابك، وتعطى من المال كذا وكذا، ويقضى عنك دينك، ويفعل بك ويفعل! قَالَ: فصاح: محمد اله عن هذا، فوالله لو علمت أنه لا يثنيني عنكم فزع، ولا يقربني منكم طمع ما كان هذا قَالَ: ولج القتال، وترجل محمد، فإني لأحسبه قتل بيده يومئذ سبعين رجلا. قَالَ: وحديثي عيسى، قَالَ: حدثني محمد بن زيد، قَالَ: لما كان يوم الاثنين، وقف عيسى على ذباب، ثم دعا مولى لعبد الله بن معاوية كان معه، وكان على مجففته، فقال: خذ عشرة من أصحابك، أصحاب التجافيف، فجاء بهم، فقال لنا: ليقم معه عشرة منكم يا آل أبي طالب.

قَالَ: فقمنا معه، ومعنا ابنا محمد بن عمر بن علي: عبد الله وعمر، ومحمد بن عبد الله بن عقيل، والقاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي، وعبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر، في عشرة منا فقال: انطلقوا إلى القوم،

فادعوه وأعطوهم أمانا، وبقي أمان الله قَالَ: فخرجنا حتى جئنا سوق الخطابين، فدعوناهم فسيبونا ورشقونا بالنبل، وقالوا: هذا ابن رسول الله معنا ونحن معه، فكلهم القاسم بن الحسن بن زيد، فقال: وأنا ابن رسول الله، وأكثر من ترون بنو رسول الله، ونحن ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وحقن دماءكم والأمان لكم، ففعلوا يسبوننا ويرشقوننا بالنبل، فقال القاسم لغلامه: القط هذه النبل، فلقطها فأخذها قاسم بيده، ثم دخل بها إلى عيسى، فقال:

ما تنتظر! انظر ما صنعوا بنا، فأرسل عيسى بن حميد حطبة في مائة.

قَالَ: حدثني أزهر بن سعيد بن نافع، قال: حدثني أخوای عثمان ومحمد ابنا سعيد- وكانا مع محمد- قالوا: وقف القاسم بن الحسن ورجل معه من آل أبي طالب على رأس ثنية الوداع، فدعوا محمدا إلى الأمان، فسيبهما فرجعا، وأقبل عيسى وقد فرق القواد فجعل هزار مرد عند حمام بن أبي الصعبة، وكثير بن حصين عند دار ابن أفلح التي ببيقع الغرق، ومحمد بن أبي العباس على باب بني سلمة، وفرق سائر القواد على أنقاب المدينة، وصار عيسى في أصحابه على رأس الثانية، فرموا بالنشاب والمقاليع ساعة.

وحديثي أزهر، قَالَ: جعل محمد ستور المسجد دراريع لأصحابه.

قَالَ: وحديثي عبد الله بن إسحاق بن القاسم، قَالَ: حدثني عمر، شيخ من الأنصار، قَالَ: جعل محمد ظلال المسجد خفاتين لأصحابه، فأتاه رجلان من جهينة، فأعطى أحدهما خفانا ولم يعط الآخر، فقاتل صاحب الخفتان، ولم يقاتل الآخر معه، فلما حضرت الحرب أصابت صاحب الخفتان نشابة، فقتلته، فقال صاحبه:

يا رب لا تجعلني كمن خان ... وباع باقي عيشه بخفتان

قَالَ: وحدثني أيوب بن عمر، قَالَ: حدثني إسماعيل بن أبي عمرو، قَالَ: إنا لوقوف على خندق بني غفار، إذ أقبل رجل على فرس، ما يرى منه إلا عيناه، فنادى: الأمان، فأعطي الأمان، فدنا حتى لصق بنا، فقال: أفيكم من يبلغ عني محمدا؟ قلت: نعم، أنا، قَالَ: فأبلغه عني - وحسر عن وجهه، فإذا شيخ مخضوب - فقال: قل له: يقول لك فلان التيمي، بآية أني وإياك جلسنا في ظل الصخرة في جبل جهينة في سنة كذا، اصبر إلى الليل، فإن عامة الجند معك قَالَ: فأتيته قبل أن يغدو - وذلك يوم الاثنين في اليوم الذي قتل فيه - فوجدت بين يديه قربة عسل أبيض قد شقت من وسطها، ورجل يتناول من العسل ملء كفه ثم يغمسه في الماء، ثم يلقمه إياه، ورجل يحزم بطنه بعمامة، فأبلغته الرسالة فقال:

قد أبلغت، فقلت: أخواني في يدك، قَالَ: مكانهما خير لهما.

قَالَ: وحدثني إبراهيم بن مصعب بن عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير، قَالَ: حدثني محمد بن عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير، قَالَ: كانت راية محمد إلى أبي، فكنت أحملها عنه.

قَالَ: وحدثني عيسى، عن أبيه، قَالَ: كان مع الأفطس حسن بن علي بن حسين علم أصفر، فيه صورة حية، ومع كل رجل من أصحابه من آل علي بن أبي طالب علم، وشعارهم: أحد أحد، قَالَ: وكذلك كان شعار النبي ص يوم حنين.

قَالَ: وحدثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم، قَالَ: أخبرنا جهم بن عثمان مولى بني سليم، ثم أحد بني بهز، قَالَ:

قَالَ لي عبد الحميد بن جعفر يوم لقينا أصحاب عيسى: نحن اليوم على عدة أهل بدر يوم لقوا المشركين - قَالَ: وكنا ثلاثمائة ونيفا. قَالَ: وحدثني إبراهيم بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس، قَالَ: سمعت أبي يقول: ولد عيسى بن موسى في سنة ثلاث ومائة، وشهد حرب محمد وإبراهيم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة، وعلى مقدمته حميد بن قطبة، وعلى ميمنته محمد بن أبي العباس أمير المؤمنين، وعلى ميسرته داود بن كراز من أهل خراسان، وعلى ساقته الهيثم بن شعبه.

قَالَ: وحدثني عيسى، عن أبيه، قَالَ: لقي أبو القلمس محمد بن عثمان، أخا أسد بن المرزبان بسوق الخطابين، فاجتلدا بسيفيهما حتى تقطعا ثم تراجعا إلى موافقهما، فأخذ أخو أسد سيفا، وأخذ أبو القلمس بأثفيه، فوضعها على قربوس سرجه، وسترها بدرعه، ثم تعاودا، فلما تدانيا قام أبو القلمس في ركائبه، ثم ضرب بها صدره فصرعه، ونزل فاحتز رأسه.

قَالَ: وحدثني محمد بن الحسن بن زباله، قَالَ: حدثني عبد الله بن عمر بن القاسم بن عبد الله العمري، قَالَ: كنا مع محمد، فبرز رجل من أهل المدينة، مولى لآل الزبير يدعى القاسم بن وائل، فدعا للبراز، فبرز إليه رجل لم أر مثل كماله وعدته، فلما رآه ابن وائل انصرف قَالَ: فوجدنا من ذلك وجدا شديدا، فإنا لعل ذلك إذ سمعت خشف رجل ورائي، فالتفت فإذا أبو القلمس، فسمعتة يقول: لعن الله أمير السفهاء، إن ترك مثل هذا اجتراً علينا! وإن خرج رجل خرج إلى أمر عسى ألا يكون من شأنه.

قَالَ: ثم برز له فقتله.

قَالَ: وحدثني أزهر بن سعيد بن نافع، قَالَ: خرج القاسم بن وائل يومئذ من الخندق، ثم دعا للبراز، فبرز له هزار مرد، فلما رآه القاسم هابه، فرجع فبرز له أبو القلمس، فقال: ما انتفع في مثل هذا اليوم بسيفه قط، ثم ضربه على جبل عاتقه فقتله، فقال: خذها وأنا ابن الفاروق، فقال رجل من أصحاب عيسى: قتلت خيرا من ألف فاروق.

قَالَ: وحدثني علي أبو الحسن الحذاء من أهل الكوفة، قَالَ: حدثني مسعود الرحال، قَالَ: شهدت مقتل محمد بالمدينة، فإني لأنظر إليهم عند أحجار الزيت، وأنا مشرف عليهم من الجبل - يعني سلعا - إذ نظرت إلى رجل من أصحاب عيسى قد أقبل مستلثما في الحديد، لا ترى منه إلا عيناه، على فرس، حتى فصل من صف أصحابه، فوقف بين الصفيين، فدعا للبراز، نفرج إليه رجل من أصحاب محمد، عليه قباء أبيض، وكمه

بيضاء، وهو راجل، فكله مليا، ظننت أنه استرجله لتستوي حالاهما، فنظرت إلى الفارس ثني رجله، فنزل، ثم التقيا فضربه صاحب

محمد ضربة على خوذة حديد على رأسه، فأقعده على استه وقبذا لا حراك به، ثم انتزع الخوذة، فضرب رأسه فقتله، ثم رجع فدخل في أصحابه، فلم ينشب أن خرج من صف عيسى آخر، كأنه صاحبه، فبرز له الرجل الأول، فصنع به مثل ما صنع بصاحبه، ثم عاد إلى صفه، وبرز ثالث فدعاه، فبرز له فقتله، فلما قتل الثالث ولى يريد أصحابه، فاعتوره أصحاب عيسى فرموه فأثبتوه، وأسرع يريد أصحابه، فلم يبلغهم حتى خر صريعا فقتلوه دونهم وحدثني عيسى، قَالَ: أخبرني محمد بن زيد، قَالَ: لما أخبرنا عيسى برميهم إيانا، قَالَ لمحمد بن حقطبة: تقدم، فتقدم في مائة كلهم راجل غيره معهم النشاب والترسة، فلم يلبثوا أن زحفوا إلى جدار دون الخندق، عليه أناس من أصحاب محمد، فكشفوهم ووقفوا عند الجدار، فأرسل حميد إلى عيسى بهدم الجدار قَالَ: فأرسل إلى فعلة فهدموه، وانتهوا إلى الخندق، فأرسل إلى عيسى: إنا قد انتهينا إلى الخندق فأرسل إليه عيسى بأبواب بقدر الخندق، فعبروا عليها، حتى كانوا من ورائه، ثم اقتتلوا أشد القتال من بكرة حتى صار العصر.

وحدثني الحارث، قَالَ: أخبرنا ابن سعد، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ:

أقبل عيسى بن موسى بمن معه، حتى أناخ على المدينة، وخرج إليه محمد بن عبد الله ومن معه، فاقتتلوا أياما قتالا شديدا، وصبر نفر من جهينة، يقال لهم بنو شجاع مع محمد بن عبد الله، حتى قتلوا وكان لهم غناء.

رجع الحديث إلى حديث عمر: حدثني أزهر، قَالَ: أمرهم عيسى فطرحوا حقائب الإبل في الخندق فأمر ببابي دار سعد بن مسعود التي في الثانية فطرحا على الخندق، فجازت الخيل، فالتقوا عند مفاتيح خشرم، فاقتتلوا حتى كان العصر.

حدثني محمد بن يحيى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ، قَالَ:

انصرف محمد يومئذ قبل الظهر حتى جاء دار مروان، فاعْتَسَلَ وتحنط،

ثم خرج قَالَ عبد العزيز بن أبي ثابت: فحدثني عبد الله بن جعفر، قَالَ:

دنوت منه، فقلت له: بأي أنت! إنه والله مالك بما رأيت طاقة، وما معك أحد يصدق القتال، فاخرج الساعة حتى تلحق بالحسن بن معاوية بمكة، فإن معه جلة أصحابك، فقال: يا أبا جعفر، والله لو خرجت لقتل أهل المدينة، والله لا أرجع حتى أقتل أو أقتل، وأنت مني في سعة، فاذهب حيث شئت نخرجت معه حتى إذا جاء دار ابن مسعود في سوق الظهر ركضت فأخذت على الزياتين، ومضى إلى الثانية، وقتل من كان معه بالنشاب وجاءت العصر فصلى.

حدثني محمد بن الحسن بن زباله، قَالَ: حدثني إبراهيم بن محمد، قَالَ: رأيت محمدا بين داري بني سعد، عليه جبة ممشقة، وهو على بردون، وابن خضير إلى جانبه يناشده الله إلا مضى إلى البصرة أو غيرها، ومحمد يقول: والله لا تبتلون بي مرتين، ولكن اذهب حيث شئت فأنت في حل.

قَالَ ابن خضير: وأين المذهب عنك! ثم مضى فأحرق الديوان، وقتل رياحا ثم لحقه بالثنية، فقاتل حتى قتل.

وحدثني الحارث، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ:

خرج مع محمد بن عبد الله بن خضير، رجل من ولد مصعب بن الزبير، فلما كان اليوم الذي قتل فيه محمد، ورأى الخلل في أصحابه، وأن السيف قد أفناهم، استأذن محمدا في دخول المدينة فأذن له، ولا يعلم ما يريد، فدخل على رياح بن عثمان بن حيان المري وأخيه، فذبجهما ثم رجع، فأخبر محمدا، ثم تقدم فقاتل حتى قتل من ساعته.

رجع الحديث إلى حديث عمر: حدثني أزهر، قَالَ: حدثني أخى، قَالَ: لما رجع ابن خضير قتل رياحا وابن مسلم بن عقبة.

وحدثني محمد بن يحيى، قَالَ: حدثني الحارث بن إسحاق، قَالَ:

ذبج ابن خضير رياحا ولم يجهز عليه، فجعل يضرب برأسه الجدار حتى

مات، وقتل معه عباسا أخاه، وكان مستقيم الطريقة، فعاب الناس ذلك عليه، ثم مضى إلى ابن القسري وهو محبوس في دار ابن هشام، فذربه فردم بابي الدار دونه، فعالج البابين، فاجتمع من في الحبس فسدوهما، فلم يقدر عليهم، فرجع إلى محمد، فقاتل بين يديه حتى قتل.

حدثني مسكين بن حبيب بن محمد، قال: لما جاءت العصر صلاها محمد في مسجد بني الدليل، في الثانية، فلما سلم استسقى، فسقته ريحة بنت أبي شاكر القرشية، ثم قالت له: جعلت فداك! انج بنفسك، قال: إذا لا يبقى بها ديك يصرخ، ثم مضى فلما كان ببطن مسيل سلع، نزل فعرقب دابته، وعرقب بنو شجاع دوابهم، ولم يبق أحد إلا كسر غمد سيفه قال مسكين:

فلقد رأيته وأنا غلام، جمعت من حليها نحواً من ثلاثمائة درهم، ثم قال لهم: قد بايعتموني ولست بارحاً حتى أقتل، فمن أحب أن ينصرف فقد أذنت له، ثم أقبل على ابن خضير، فقال له: قد أحرقت الديوان؟ قال: نعم، خفت أن يؤخذ الناس عليه؟ قال: أصبت. حدثني أزهر، قال: حدثني أخوأي، قال: لقد هزمننا يومئذ أصحاب عيسى مرتين أو ثلاثاً، ولكنا لم نكن نعرف الهزيمة، ولقد سمعنا يزيد بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، يقول، وقد هزمناهم: ويل أمه فتحا لو كان له رجال! حدثني عيسى، قال: كان ممن انهزم يومئذ وفر عن محمد عبد العزيز ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب، فأرسل محمد وراءه، فأتي به، فجعل الصبيان يصيحون وراءه: ألا باقة بقبقه، فكان عبد العزيز يقول بعد ذلك: إن أشد ما أتي علي لصياح الصبيان.

وحدثني عيسى، قال: حدثنا مولى لهشام بن عمار بن الوليد بن عدي ابن الخيار، قال: كنا مع محمد، فتقدم هشام بن عمار إليه وأنا معه، فقال: إني لا آمن أن يخذلك من ترى، فأشهد أن غلامي هذا حر لوجه الله إن رمت أبداً أو تقتل أو تغلب، فقلت: فو الله إني لمعه إذ وقعت بترسه نشابة، ففلقتة باثنتين، ثم خسفت في درعه، فالتفت إلي فقال:

فلان! قلت: لبيك! قال: ويلك! رأيت مثل هذا قط يا فلان! أيما أحب إليك، نفسي أم أنت؟ قلت: لا بل نفسك، قال: فأنت حر لوجه الله، فانطلق هارباً.

وحدثني متوكل بن أبي الفحوة، قال: حدثني محمد بن عبد الواحد بن عبد الله بن أبي فروة، قال: إنا على ظهر سلع ننظر، وعليه أعراب جهينة، إذ صعد إلينا رجل بيده رمح، قد نصب عليه رأس رجل متصل بحلقومه وكبده وأعفاج بطنه، قال: فرأيت منه منظراً هائلاً، وتطيرت منه الأعراب، وأجفلت هاربة حتى أسهلت، وعلا الرجل الجبل، ونادى على الجبل رطانة لأصحابه بالفارسية كوهبان، فصعد إليه أصحابه حتى علوا سلعا فنصبوا عليه راية سوداء، ثم انصبوا إلى المدينة، فدخلوها، وأمرت أسماء بنت حسن ابن عبد الله بن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب - وكانت تحت عبد الله ابن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس - بخمار أسود، فنصب على منارة مسجد رسول الله ص، فلما رأى ذلك أصحاب محمد تنادوا:

دخلت المدينة، وهربوا قال: وبلغ محمداً دخول الناس من سلع، فقال: لكل قوم جبل يعصمهم، ولنا جبل لا نؤتي إلا منه.

وحدثني محمد بن إسماعيل، عن الثقة عنده، قال: فتح بنو أبي عمرو الغفاريون للمسودة طريقاً في بني غفار، فدخلوا منه حتى جاءوا من وراء أصحاب محمد.

وحدثني محمد بن يحيى، قال: حدثني عبد العزيز بن عمران، قال:

نادى محمد يومئذ حميد بن قطبة: إن كنت فارساً وأنت تعتد ذاك على أهل خراسان فابزلي، فأنا محمد بن عبد الله، قال: قد عرفتك وأنت الكريم ابن الكريم، الشريف ابن الشريف، لا والله يا أبا عبد الله لا أبرز لك وبين يدي من هؤلاء الأغمار إنسان واحد، فإذا فرغت منهم فسأبرز لك لعمرى.

وحدثني عثمان بن المنذر بن مصعب بن عروة بن الزبير، قال: حدثني

رجل من بني ثعلبة بن سعد، قال: كنت بالثنية يوم قتل محمد بن عبد الله ابن حسن ومعه ابن خضير، قال: فجعل ابن قطبة يدعو ابن خضير إلى الأمان، ويشح به عن الموت، وهو يشد على الناس بسيفه مترجلاً، يتمثل:

لا تسقه حزراً ولا حلياً ... إن لم تجده ساجحاً يعبوا
ذا ميعه يلتهم الجوبيا ... كالذئب يتلو طمعا قريباً

يبادر الآثار أن تتوبا ... وحاجب الجونة أن يغيبا
 قَالَ: نخالط الناس، فضربه ضارب على اليته نخلها، فرجع إلى أصحابه، فشق ثوبا فعصبها إلى ظهره، ثم عاد إلى القتال، فضربه ضارب على حجاج عينه، فاغمض السيف في عينه، وخر فابتدره القوم، فحزوا رأسه، فلما قتل ترجل محمد، فقاتل على جيفته حتى قتل.
 وحدثني مخلد بن يحيى بن حاضر بن المهاجر الباهلي، قَالَ: سمعت الفضل بن سليمان مولى بني غنم يخبر عن أخيه - وكان قد قتل له أخ مع محمد - قَالَ: كان الخراسانية إذا نظروا إلى ابن خضير تنادوا: خضير آمد، خضير آمد! وتصعصعوا لذلك.
 وحدثني هشام بن محمد بن عروة بن هشام بن عروة، قَالَ: أخبرني ماهان بن بخت مولى قطبة، قَالَ: أتينا برأس ابن خضير، فوالله ما جعلنا نستطيع حمله لما كان به من الجراح، والله لكانه باذنجاته مفلقه، وكنا نضم اعظمه ضمنا وحدثني أزهر بن سعيد، قَالَ: لما نظر أصحاب محمد إلى العلم الأسود على منارة المسجد فت ذلك في أعضادهم، ودخل حميد بن قطبة من زقاق أشجع على محمد فقتله وهو لا يشعر، وأخذ رأسه فأتى به عيسى، وقتل معه بشرا كثيرا.
 قال: وحدثني أبو الحسن الحذاء، قَالَ: أخبرني مسعود الرحال، قَالَ: رأيت محمدا يومئذ باشر القتال بنفسه، فأنظر إليه حين ضربه رجل بسيف دون شحمة أذنه اليمنى، فبرك لركبتيه وتعاوروا عليه، وصاح حميد بن قطبة:
 لا تقتلوه، فكفوا، وجاء حميد فاحتر رأسه.
 وحدثني محمد بن يحيى، قَالَ: حدثني الحارث بن إسحاق، قَالَ: برك محمد يومئذ لركبتيه وجعل يذب عن نفسه ويقول: ويحكم! انا ابن نبيكم، مخرج مظلوم! وحدثني محمد بن يحيى، قَالَ: حدثني ابن أبي ثابت، عن عبد الله بن جعفر، قَالَ: طعنه ابن قطبة في صدره فصصره، ثم نزل فاحتر رأسه، فأتى به عيسى.
 وحدثني محمد بن إسماعيل، قَالَ: حدثني أبو الحجاج المنقري، قَالَ: رأيت محمدا يومئذ وإن أشبه ما خلق الله به لما ذكر عن حمزة بن عبد المطلب، يهد الناس بسيفه هذا، ما يقاربه أحد إلا قتله، ومعه سيف، لا والله ما يليق شيئا، حتى رماه إنسان بسهم كأني أنظر إليه، أحمر أزرق، ثم دهمتنا الخيل، فوقف إلى ناحية جدار، فتحاماه الناس، فوجد الموت، فتحامل على سيفه فكسره، قَالَ: فسمعت جدي يقول: كان معه سيف رسول الله ص ذو الفقار.
 وحدثني هرمز أبو علي مولى باهلة، قَالَ: حدثني عمرو بن المتوكل - وكانت أمه تخدم فاطمة بنت حسين - قَالَ: كان مع محمد يوم قتل سيف النبي ص ذو الفقار، فلما أحس الموت أعطى سيفه رجلا من التجار كان معه - وكان له عليه أربعمئة دينار - فقال له: خذ هذا السيف، فإنك لا تلقى به أحدا من آل أبي طالب إلا أخذه وأعطاك حقك قَالَ: فكان السيف عنده، حتى ولي جعفر بن سليمان المدينة فأخبر عنه، فدعا الرجل وأخذ السيف منه، واعطاه أربعمئة دينار، فلم يزل عنده حتى قام المهدي، وولي جعفر المدينة، وبلغه مكان السيف، فأخذه، ثم صار إلى موسى، فحرب به على كلب، فانقطع السيف.
 وحدثني عبد الملك بن قريش الأصمعي، قَالَ: رأيت الرشيد أمير المؤمنين بطوس، متقلدا سيفاً، فقال لي: يا أصمعي، ألا أريك ذا الفقار؟ قلت: بلى، جعلني الله فداك! قَالَ: استل سيفي، فاستلته، فرايت فيه ثمان عشرة فقارة.
 وحدثني أبو عاصم النبيل، قَالَ: حدثني أخو الفضل بن سليمان النيري قَالَ: كنا مع محمد، فأطاف بنا أربعون ألفاً، فكانوا حولنا كالحرّة السوداء، فقلت له: لو حملت فيهم لانفجروا عنك، فقال: إن أمير المؤمنين لا يحمل، إنه إن حمل لم تكن له بقية قَالَ: فجعلنا نعيد ذلك عليه، فحمل، فالتفوا عليه فقتلوه.
 وحدثني عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سلم - ويدعى ابن البواب، وكان خليفة الفضل بن الربيع يحجب هارون، من أدباء الناس وعلمائهم - قَالَ: حدثني أبي عن الأسلمي - يعني عبد الله بن عامر - قَالَ: قَالَ لي محمد ونحن نقاتل معه عيسى: تغشانا سخابة، فإن أمطرتنا ظفرتنا، وإن تجاوزتنا إليهم فانظر إلى دمي على أجار الزيت، قال: فوالله ما لبثنا أن أطلتتنا سخابة فأحالت حتى قلت: تفعل، ثم جاوزتنا فأصابت عيسى وأصحابه، فما كان إلا كلا ولا، حتى رأيته قتيلا بين أجار الزيت.

وحدثني إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن أبي الكرام، قَالَ: قَالَ عيسى لحميد بن قحطبة عند العصر: أراك قد أبطأت في أمر هذا الرجل، فول حمزة بن مالك حربته، فقال: والله لو رمت أنت ذاك ما تركتك، أحين قتلت الرجال ووجدت ريح الفتح! ثم جد في القتال حتى قتل محمد.

وحدثني جواد بن غالب بن موسى مولى بني عجل، قَالَ: أَخْبَرَنِي حميد مولى محمد بن أبي العباس، قَالَ: اتهم عيسى حميد بن قحطبة يومئذ - وكان على الخيل - فقال: يا حميد، ما أراك تبالع، قال: اتهمني! فوالله لأضربن محمدا حين أراه بالسيف أو أقتل دونه قَالَ: فربه وهو مقتول، فضربه بالسيف ليبر يمينه. وحدثني يعقوب بن القاسم، قَالَ: حدثني علي بن أبي طالب، قَالَ: قتل محمد بعد العصر، يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان.

وحدثني أيوب بن عمر، قَالَ: حدثني أبي، قَالَ: بعث عيسى فدى السجن، فحملنا إليه والقتال دائب بينهم، فلم نزل مطرحين بين يديه، حين أتى برأس محمد، فقلت لأخي يوسف: إنه سيدعوننا إلى معرفته، ولا نعرفه له، فإننا نخاف أن نخطئ، فلما أتى به قَالَ: أتعرفانه؟ قلنا: نعم، قَالَ: أنظرا، أهو هذا؟ قَالَ أبي: فبدرت يوسف، فقلت: أرى دما كثيرا وارى ضربا، فوالله ما أثبتته، قَالَ: فأطلقنا من الحديد، وبتنا عنده ليلتنا كلها حتى أصبحنا قَالَ: ثم ولاني ما بين مكة والمدينة، فلم أزل واليا عليه حتى قدم جعفر بن سليمان، فحدرني إليه، وألزميني نفسه.

وحدثني علي بن إسماعيل بن صالح بن ميثم، قَالَ: حدثني أبو كعب، قَالَ: حضرت عيسى حين قتل محمدا، فوضع رأسه بين يديه، فأقبل على أصحابه، فقال: ما تقولون في هذا؟ فوقعوا فيه، قَالَ: فأقبل عليهم قائم له، فقال: كذبتم والله وقلتم باطلا، لما على هذا قاتلناه، ولكنه خالف أمير المؤمنين، وشق عصا المسلمين، وإن كان لصوما قواما فسكت القوم.

وحدثني ابن البواب عبد الله بن محمد، قَالَ: حدثني أبي، عن الأسلمي، قَالَ: قدم على أبي جعفر قادم، فقال: هرب محمد، فقال: كذبت! نحن أهل البيت لا نفر.

وحدثني عبد الله بن راشد بن يزيد، قَالَ: حدثني أبو الحجاج الجمال، قَالَ: إني لقائم على رأس أبي جعفر، وهو مسائي عن مخرج محمد، إذ بلغه

أن عيسى قد هزم - وكان متكئا فجلس - فضرب بقضيب معه مصلاه، وقال: كلا، فأين لعب صبياننا بها على المناير ومشورة النساء! ما إني لذلك بعد.

قال: وحدثني محمد بن الحسن، قَالَ: حدثني بعض أصحابنا، قَالَ: أصاب أبا القلمس نشابة في ركبته، فبقي نصلها، فعالجها فأعياها، فقليل له: دعه حتى يقيح فيخرج، فتركه، فلما طلب بعد الهزيمة لحق بالحرّة، وأبطأ به ما أصاب ركبته، فلم يزل بالنصل حتى استخرجه ثم جثا لركبته، ونكب ككائه، فرماه فمتصدعوا عنه، فلحق بأصحابه فنجوا.

وحدثني محمد بن الحسن، قَالَ: حدثني عبد الله بن عمر بن القاسم، قَالَ: لما انهزمنا يومئذ كنت في جماعة، فيهم أبو القلمس، فالتفت إليه، فإذا هو مستغرب ضحكا، قَالَ: فقلت: والله ما هذا بموضع ضحك، وخفضت بصري، فإذا برجل من المنهزمة قد تقطع قيصه، فلم يبق منه إلا جربانه وما يستر صدره إلى ثدييه، وإذا عورته بادية وهو لا يشعر، قَالَ:

فجعلت أضحك لضحك أبي القلمس.

فحدثني عيسى، قَالَ: حدثني أبي، قَالَ: لم يزل أبو القلمس مختفيا بالفرع، وبقي زمانا ثم عدا عليه عبد له، فشذخ رأسه بصخرة فقتله، ثم أتى أم ولد كانت له، فقال: إني قد قتلت سيدك، فهلبي اتزوجك؟

قالت: رويدا أتصنع لك، فأهلها، فأتت السلطان فأخبرته، فأخذ العبد فشذخ رأسه.

حدثني محمود بن معمر بن أبي الشدائد، قَالَ: أَخْبَرَنِي أبي، قَالَ:

لما دخلت خيل عيسى من شعب بني فزارة، فقتل محمد، اقتحم نفر على أبي الشدائد فقتلوه، وأخذوا رأسه، فنادت ابنته الناعمة بنت

أبي الشدائد:

وا رجالاه! فقال لها رجل من الجند: ومن رجالك؟ قالت: بنو فزارة، قَالَ: والله لو علمت ما دخلت بيتك، فلا بأس عليك، أنا امرؤ من

عشيرتك من باهلة، وأعطاهما قطعة من عمامته فعلقتهما على بابها، قَالَ:

وأتي عيسى برأسه، وعنده ابن أبي الكرام ومحمد بن لوط بن المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، فاسترجعا وقالوا: والله ما بقي من أهل المدينة أحد، هذا رأس أبي الشدائد، فالح بن معمر- رجل من بني فزارة مكفوف- قَالَ: فأمر مناديا فنادى: من جاء برأس ضربنا رأسه وحدثني علي بن زاذان، قَالَ: حدثني عبد الله بن برقي، قَالَ: رأيت قائدا من قواد عيسى، جاء في جماعة يسأل عن منزل ابن هرمز، فأرشدناه إليه.

قَالَ: نفرج وعليه قيص رباط، قَالَ: فأنزلوا قائدهم، وحملوه على برذونه وخرجوا به يزفونه، حتى أدخلوه على عيسى، فما حاجه.

حدثني قدامة بن محمد، قَالَ: خرج عبد الله بن يزيد بن هرمز ومحمد بن عجلان مع محمد، فلما حضر القتال، تقلد كل واحد منهما قوسا، فظننا أنهما أرادا أن يريا الناس أنهما قد صلحا لذلك.

وحدثني عيسى، قَالَ: حدثني حسين بن يزيد، قَالَ: أتني ببن هرمز الى عيسى بعد ما قتل محمد، فقال: أيها الشيخ، أما وزعك فقهك عن الخروج مع من خرج! قَالَ: كانت فتنة شملت الناس، فشملتنا فيهم، قَالَ: اذهب راشدا.

وحدثني محمد بن الحسن بن زباله، قَالَ: سمعت مالك بن أنس، يقول:

كنت أتني ابن هرمز فيأمر الجارية فتغلق الباب، وترخي الستر، ثم يذكر أول هذه الأمة، ثم يبكي حتى تخضل لحيته قَالَ: ثم خرج مع محمد فقيل له: والله ما فيك شيء، قَالَ: قد علمت، ولكن يراني جاهل فيقتدي بي.

حدثني عيسى، قَالَ: حدثني محمد بن زيد، قَالَ: لما قتل محمد انخرقت السماء بالمطر بما لم أر مثله انخرق قط منها، فنادى منادي عيسى: لا يبيتن بالمدينة أحد من الجند إلا كثير بن حصين وجنده، ولحق عيسى بعسكره بالجرف، فكان به حتى أصبح، ثم بعث بالبطارية مع القاسم بن حسن بن زيد، وبعث بالرأس مع ابن أبي الكرام وحدثني محمد بن يحيى، قَالَ: حدثني الحارث بن إسحاق، قَالَ:

لما أصبح محمد في مصرعه، أرسلت أخته زينب بنت عبد الله وابنته فاطمة إلى عيسى: إنكم قد قتلتم هذا الرجل، وقضيت منه حاجتكم، فلو أذنتم لنا فواريناه! فأرسل إليهما: أما ما ذكرتما يا بنتي عمي مما نيل منه فوالله ما أمرت ولا علمت، فوارياه راشدين فبعثنا إليه فاحتمل، فقيل: إنه حشي في مقطع عنقه عديله قطنا، ودفن بالبقيع، وكان قبره وجاه زقاق دار علي بن أبي طالب، شارعا على الطريق أو قريبا من ذلك، وبعث عيسى بألوية فوضع على باب أسماء بنت حسن بن عبد الله واحد، وعلى باب العباس بن عبد الله بن الحارث آخر، وعلى باب محمد بن عبد العزيز الزهري آخر، وعلى باب عبيد الله بن محمد بن صفوان آخر، وعلى باب دار أبي عمرو الغفاري آخر، وصاح مناديه: من دخل تحت لواء منها، أو دخل دارا من هذه الدور فهو آمن، ومطرت السماء مطرا جودا، فأصبح الناس هادئين في أسواقهم، وجعل عيسى يختلف إلى المسجد من الجرف، فأقام بالمدينة أياما، ثم شخص صبح تسعة عشرة ليلة خلت من شهر رمضان يريد مكة.

حدثني أزهر بن سعيد، قَالَ: لما كان الغد من قتل محمد أذن عيسى في دفنه، وأمر بأصحابه فصلبوا ما بين ثنية الوداع إلى دار عمر بن عبد العزيز.

قَالَ أزهر: فرأيتهم صفين، ووكل بخشبة ابن خضير من يحرسها، فاحتمله قوم في الليل فواروه، ولم يقدر عليهم، وأقام الآخرون مصلبين ثلاثا، ثم تأذى بهم الناس، فأمر عيسى بهم فألقوا على المفرج من سلع، وهي مقبرة اليهود، فلم يزالوا هنالك، ثم ألقوا في خندق بأصل ذباب.

حدثني عيسى بن عبد الله قَالَ: حدثتني أمي أم حسين بنت عبد الله بن محمد بن علي بن حسين، قالت: قلت لعمي جعفر بن محمد: إني- فديتك- ما أمر محمد بن عبد الله؟ هذا قَالَ: فتنته يقتل فيها محمد عند بيت

رومي، ويقتل أخوه لأبيه وأمه بالعراق وحوافر فرسه في ماء.

حدثني عيسى، عن أبيه، قَالَ: خرج مع محمد حمزة بن عبد الله بن محمد بن علي - وكان عمه جعفر ينهاه، وكان من أشد الناس مع محمد - قَالَ: فكان جعفر يقول له: هو والله مقتول، قال: ففتحني جعفر.

حدثني عيسى، قَالَ: حدثنا ابن أبي الكرام، قَالَ: بعثني عيسى برأس محمد، وبعث معي مائة من الجن، قَالَ: فجئنا حتى إذا أشرفنا على النجف كبرنا - قَالَ: وعامر بن إسماعيل يومئذ بواسط محاصر هارون ابن سعد العجلي - فقال أبو جعفر للربيع: ويحك! ما هذا التكبير! قَالَ:

هذا ابن أبي الكرام، جاء برأس محمد بن عبد الله، قَالَ: ائذن له ولعشرة ممن معه، قَالَ: فأذن لي، فوضعت الرأس بين يديه في ترس، فقال: من قتل معه من أهل بيته؟ قلت: لا والله ولا إنسان، قَالَ: سبحان الله! هو ذاك قَالَ: فرفع رأسه إلى الربيع، فقال: ما أخبرنا صاحبه الذي كان قبله؟

قَالَ الربيع: زعم أنه قتل منهم عدد كثير، قلت: لا والله ولا واحد.

حدثني علي بن إسماعيل بن صالح بن ميثم، قَالَ: لما قدم برأس محمد على أبي جعفر وهو بالكوفة، أمر به فطيف في طبق أبيض، فرأيت أنه آدم أرقط، فلما أمسى من يومه بعث به إلى الآفاق.

وحدثني عبد الله بن عمر بن حبيب من أهل ينبع، قَالَ: لما أتى أبو جعفر برءوس بني شجاع، قَالَ: هكذا فليكن الناس، طلبت محمدا فاشتمل هؤلاء عليه، ثم نقلوه وانتقلوا معه، ثم قاتلوا معه فصبروا حتى قتلوا.

قَالَ عمر: أنشدني عيسى بن إبراهيم وإبراهيم بن مصعب بن عمار بن حمزة بن مصعب، ومحمد بن يحيى ومحمد بن الحسن بن زباله وغيرهم لعبد الله ابن مُصْعَبِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزبير يرثي محمدا:

تبكي مدله أن تقنص حبلهم ... عيسى وأقصد صائبا عثمانا
هلا على المهدي وابني مصعب ... أذريت دمعك ساكبا تهبانا!
ولفقد إبراهيم حين تصدعت ... عنه الجموع فواجه الأقرانا
سالت دموعك ضلة قد هجت لي ... برحاء وجد تبعث الأحرانا
والله ما ولد الخواضن مثلهم ... أمضى وأرفع محمدا ومكانا
وأشد ناهضة وأقول للتي ... تنفي مصادر عدلها البهتانا
فهناك لو فقأت غير مشوه ... عينيك من جزع عذرت علانا
رزء لعمر ك لو يصاب بمثله ... مبطان صدع رزوه مبطانا
وقال ابن مصعب:

يا صاحبي دعا الملامة واعلمها ... أن لست في هذا بألوم منكما
وقفا بقبر ابن النبي فسلما ... لا بأس أن تقفا به فتسلما
قبر تضمن خير أهل زمانه ... حسبا وطيب سحبة وتكرما
رجل نفى بالعدل جور بلادنا ... وعفا عظيماات الأمور وأنما
لم يجتنب قصد السبيل ولم يجر ... عنه، ولم يفتح بفاحشة فها
لو أعظم الحدثن شيئا قبله ... بعد النبي به لكنت المعظما
أو كان أمتع بالسلامة قبله ... أحدا لكان قصاره أن يسلمها
ضخوا بإبراهيم خير ضحية ... فتصرمت أيامه وتصرما
بطلا يخوض بنفسه غمراتها ... لا طائشا رعشا ولا مستسلما
حتى مضت فيه السيوف وربما ... كانت حتوفهم السيوف وربما

أضحي بنو حسن أبيح حريمهم ... فينا وأصبح نهبهم متقسما
ونسأوهم في دورهن نوائح ... سجع الحمام إذا الحمام ترنما
يتوسلون بقتلهم ويروونه ... شرفا لهم عند الإمام ومغنا
والله لو شهد النبي محمد ... صلى الإله على النبي وسلبا
إشراع أمته الأسنة لابنه ... حتى تقطر من طباتهم دما
حقا لأيقن أنهم قد ضيعوا ... تلك القرابة واستحلوا المحرما
وحدثني إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم، قال: حدثني موسى بن عبد الله ابن حسن، قال: خرجت من منازلنا بسويقة في الليل، وذلك
قبل مخرج محمد ابن عبد الله، فإذا بنسوة كأنما خرجن من ديارنا، فأخذتني عليهن غيرة، فإني لأتبعهن أنظر أين يردن، حتى إذا كن
بطرف الحميراء من جانب الغرس، التفتت إلي إحداهن، فقالت:
سويقة بعد ساكنها يباب ... لقد أمست أجد بها الخراب
فعرفت أنهن من ساكني الأرض، فرجعت.
وحدثني عيسى، قال: لما قتل عيسى بن موسى محمدا قبض أموال بني حسن كلها، فأجاز ذلك أبو جعفر.
وحدثني أيوب بن عمر، قال: [لقي جعفر بن محمد أبا جعفر، فقال:
يا أمير المؤمنين، رد علي قطيعتي عين أبي زياد آكل من سعتها، قال: إياي تكلم بهذا الكلام! والله لأزهقن نفسك قال: فلا تعجل
علي، قد بلغت ثلاثا وستين، وفيها مات أبي وجدي علي بن أبي طالب، وعلي كذا وكذا إن ربك بشيء أبدا، وإن بقيت بعدك أن ربت
الذي يقوم بعدك] قال:
فرق له وأعفاه.
وحدثني هشام بن إبراهيم بن هشام بن راشد، قال: لم يرد أبو جعفر عين أبي زياد حتى مات فردها المهدي علي ولده.
وحدثني هشام بن إبراهيم، قال: لما قتل محمد أمر أبو جعفر بالبحر فأقفل على أهل المدينة، فلم يحمل إليهم من ناحيه البحار شيء، حتى
كان المهدي فأمر بالبحر ففتح لهم، واذن في الحمل.
وحدثني محمد بن جعفر بن إبراهيم، قال: حدثني أمي أم سلمة بنت
محمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر زوجة موسى بن عبد الله، قالت: خاصم بنو المخزومية عيسى وسليمان وإدريس
بنو عبد الله بن حسن بن محمد بن عبد الله بن حسن في ميراث عبد الله، وقالوا: قتل أبوكم محمد فورثه عبد الله، فتنازعوا إلى الحسن بن
زيد، فكتب بذلك إلى أمير المؤمنين أبي جعفر، فكتب إليه: أما بعد، فإذا بلغك كتابي هذا فورثهم من جدتهم، فإني قد رددت عليهم
أموالهم صلة لأرحامهم، وحفظا لقرابتهم وحدثني عيسى، قال: خرج مع محمد من بني هاشم الحسن ويزيد وصالح بنو معاوية بن عبد
الله بن جعفر بن أبي طالب، وحسين وعيسى ابنا زيد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب، قال: فحدثني عيسى، قال: بلغني ان
أبا جعفر كان يقول: وا عجا لخروج ابني زيد بن علي وقد قتلنا قاتل أبيهما كما قتله، وصلبناه كما صلبه، واحرقناه كما احرقه، وحمزه ابن
عبد الله بن محمد بن علي بن حسين بن أبي طالب، وعلي وزيد ابنا حسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب! قال عيسى: قال أبو
جعفر للحسن بن زيد: كأني أنظر إلى ابنيك واقفين على راس محمد بسيفين، عليهما قباءان قال: يا أمير المؤمنين، قد كنت أشكو إليك
عقوقهما قبل اليوم، قال: أجل فهذا من ذاك والقاسم ابن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، والمرجى علي بن جعفر بن إسحاق
بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال عيسى: قال أبو جعفر لجعفر بن إسحاق: من المرجى هذا؟ فعل الله به وفعل! قال:
يا أمير المؤمنين، ذاك ابني، والله لئن شئت أن أنتفي منه لأفعلن ومن بني عبد شمس محمد بن عبد الله بن عمرو بن سعيد بن العاص
بن أمية بن عبد شمس.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي أَبُو عَاصِمٍ النَّبِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عِبَادُ بْنُ كَثِيرٍ، قَالَ: خَرَجَ ابْنُ عَجْلَانَ مَعَ مُحَمَّدٍ، وَكَانَ عَلَى ثِقْلِهِ، فَلَمَّا وَلِيَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمَدِينَةَ قِيدَهُ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: كَيْفَ تَرَى رَأْيَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فِي رَجُلٍ قِيدَ الْحَسَنِ؟

قَالَ: سَيِّئًا وَاللَّهِ، قَالَ: قُلْتُ: فَإِنَّ ابْنَ عَجْلَانَ بِهَذِهِ كَالْحَسَنِ ثُمَّ، فَتَرَكَهُ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَجْلَانَ مَوْلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ عَتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ. وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ خَرَجَ مَعَهُ، فَأَتَى بِهِ أَبُو جَعْفَرٍ بَعْدَ قَتْلِ مُحَمَّدٍ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ الْخَارِجُ عَلَيَّ مَعَ مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: لَمْ أَجِدْ إِلَّا ذَلِكَ أَوْ الْكُفْرَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ص، قَالَ عَمْرٌ: هَذَا وَهَمٌ.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدِ الْعَزِيزُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ، قَالَ: كَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ قَدْ أَجَابَ مُحَمَّدًا إِلَى الْخُرُوجِ مَعَهُ، فَاتَتْ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ، وَخَرَجَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي سَبْرَةَ بْنِ أَبِي رَهْمٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى ابْنِ أَبِي قَيْسٍ بْنِ عَبْدِ وَدٍّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَسَلِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤْيٍ، وَخَرَجَ مَعَهُ عَبْدِ الْوَاحِدُ بْنُ أَبِي عَوْنٍ مَوْلَى الْأَزْدِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ الْمَسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ الدَّرَاوَرْدِيُّ وَعَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَطَاءٍ بْنُ يَعْقُوبَ مَوْلَى بَنِي سَبَاعٍ، وَابْنُ سَبَاعٍ مِنْ خِزَاعَةِ حَلِيفِ بَنِي زَهْرَةَ، وَابْنُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقُ وَرَبِيعَةُ وَجَعْفَرُ وَعَبْدُ اللَّهِ وَعَطَاءُ وَيَعْقُوبُ وَعُثْمَانُ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ، بَنُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَطَاءٍ.

وَحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُصْعَبٍ بْنُ عِمَارَةَ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ خَبِيبٍ بْنُ ثَابِتٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: إِنَّا لَبَالِمُ مِنْ بَطْنِ إِضْمٍ، وَعِنْدِي زَوْجَتِي أُمَيْنَةُ بِنْتُ خَضِيرٍ، إِذْ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُصْعَدٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَتْ لَهُ: مَا فَعَلَ مُحَمَّدٌ؟ قَالَ: قَتَلَ، قَالَتْ: فَمَا فَعَلَ ابْنُ خَضِيرٍ؟ قَالَ: قَتَلَ، نَفَرْتُ سَاجِدَةً، فَقُلْتُ: أَتَسْجُدِينَ أَنْ قَتَلَ أَخَوُكَ! قَالَتْ: نَعَمْ، أَلَيْسَ لَمْ يَفِرْ وَلَمْ يُؤْسِرْ! قَالَ عَيْسَى: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ لِعَيْسَى بْنِ مُوسَى: مِنْ اسْتَنْصَرَ مَعَ مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: آلُ الزُّبَيْرِ، قَالَ: وَمَنْ؟ قَالَ: وَآلُ عَمْرٍ، قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَعَنَ غَيْرَ مُودَّةٍ بَيْنَهُمَا لَهُ وَلَا مُحَبَّةَ لَهُ وَلَا أَهْلَ بَيْتِهِ قَالَ: وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ يَقُولُ: لَوْ وَجَدْتُ أَلْفًا مِنْ آلِ الزُّبَيْرِ كُلِّهِمْ مُحْسِنٌ وَفِيهِمْ مَسِيءٌ وَاحِدٌ لَقَتَلْتُهُمْ جَمِيعًا، وَلَوْ وَجَدْتُ أَلْفًا مِنْ آلِ عَمْرٍ كُلِّهِمْ مَسِيءٌ وَفِيهِمْ مُحْسِنٌ وَاحِدٌ لَأَعْفَيْتُهُمْ جَمِيعًا قَالَ عَمْرٌ: وَحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُصْعَبٍ بْنُ عِمَارَةَ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ مُصْعَبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عِثْمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ خَالِدِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: لَمَّا قَتَلَ مُحَمَّدٌ، هَرَبَ أَبِي وَمُوسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ وَأَنَا مَعَهُمَا وَأَبُو هَبَارَ الْمَزْنِيِّ، فَأَتَيْنَا مَكَّةَ، ثُمَّ انْحَدَرْنَا إِلَى الْبَصْرَةِ، فَكَتَرْنَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعَى حَكِيمًا، فَلَمَّا وَرَدْنَا الْبَصْرَةَ - وَذَلِكَ بَعْدَ ثَلَاثِ اللَّيْلِ - وَجَدْنَا الدَّرُوبَ مَغْلُقَةً، فَجَلَسْنَا عِنْدَهَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، ثُمَّ دَخَلْنَا فَتَزَلْنَا الْمَرْبَدَ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا أَرْسَلْنَا حَكِيمًا يَبْتَاعُ لَنَا طَعَامًا، فَجَاءَ بِهِ عَلَى رَجُلٍ أَسْوَدَ، فِي رَجُلِهِ حَدِيدَةٌ، فَدَخَلَ بِهِ عَلَيْنَا فَأَعْطَاهُ جَعْلَهُ، فَتَسَخَّطَ عَلَيْنَا، فَقُلْنَا: زِدْهُ، فَتَسَخَّطَ، فَقُلْنَا لَهُ: وَيْلَكَ! أَضَعَفَ لَهُ، فَأَبَى، فَاسْتَرَابَ بِنَا، وَجَعَلَ يَتَصَفَّحُ وَجُوهَنَا ثُمَّ خَرَجَ فَلَمْ نَنْشَبْ أَنْ أَحَاطَتْ بِمَنْزِلِنَا الْخَيْلُ، فَقُلْنَا لِرَبِّةِ الْمَنْزِلِ: مَا بَالُ الْخَيْلِ؟ فَقَالَتْ: لَا بِأَسْ فِيهَا، تَطْلُبُ رَجُلًا مِنْ بَنِي سَعْدٍ يَدْعَى غَمِيلَةَ بْنَ مَرَّةٍ، كَانَ خَرَجَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ.

قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا رَاعِنَا إِلَّا بِالْأَسْوَدِ قَدْ دَخَلَ بِهِ عَلَيْنَا، قَدْ غَطَى رَأْسَهُ وَوَجْهَهُ فَلَمَّا دَخَلَ بِهِ كَشَفَ عَنْهُ، ثُمَّ قِيلَ: أَهْؤُلَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ هَؤُلَاءِ، هَذَا مُوسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَهَذَا عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَهَذَا ابْنُهُ، وَلَا أَعْرِفُ الرَّابِعَ غَيْرَ أَنَّهُ مِنْ أَصْحَابِهِمْ قَالَ: فَأَخَذْنَا جَمِيعًا، فَدَخَلَ بِنَا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْنَا أَقْبَلَ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: لَا وَصَلَ اللَّهُ رَحْمَكَ! أَتَرَكْتَ الْبِلَادَ جَمِيعًا وَجِئْتَنِي! فِيمَا أَطْلَقْتِكَ فَتَعَرَّضْتَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّمَا أَخَذْتُكَ فَقَطَعْتَ رَحْمَكَ ثُمَّ كَتَبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِخَبْرِنَا: قَالَ: فَجَاءَ الْجَوَابُ أَنَّ أَحْمَلَهُمْ إِلَيَّ، فَوَجَّهْنَا إِلَيْهِ وَمَعَنَا جُنْدٌ، فَلَمَّا صَرْنَا بِالْبَطِيحَةِ وَجَدْنَا بِهَا جُنْدًا آخَرَ يَنْتَظِرُونَا، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ نَأْتِي عَلَى الْمَسَاحِ مِنَ الْجُنْدِ فِي طَرِيقِنَا كُلِّهِ، حَتَّى وَرَدْنَا بَغْدَادَ، فَدَخَلَ بِنَا عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى أَبِي قَالَ: هَيْه! أَخْرَجْتَ عَلَيَّ مَعَ مُحَمَّدٍ! قَالَ: قَدْ كَانَ ذَاكَ، فَأَغْلَظَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ،

فراجعهم ملياً، ثم أمر به فضربت عنقه ثم أمر بموسى فضرب بالسياط، ثم أمر بي فقربت إليه، فقال: اذهبوا به فأقيموه على رأس أبيه، فإذا نظر إليه فاضربوا عنقه على جيفته قَالَ: فكلّمه عيسى بن علي، وقال: والله ما أحسبه بلغ، فقلت: يا أمير المؤمنين، كنت غلاماً حدثاً غراً أمرني أبي فأطعته، قَالَ:

فأمر بي فضربت خمسين سوطاً، ثم حبسني في المطبق وفيه يومئذ يعقوب بن داود، فكان خير رفيق أرافقه وأعطفه، يطعمني من طعامه، ويسقيني من شرابه، فلم نزل كذلك حتى توفي أبو جعفر، وقام المهدي وأخرج يعقوب، فكلّمه في فأخرجني. قَالَ: وحدثني أيوب بن عمر، قَالَ: حدثني محمد بن خالد، قَالَ:

أخبرني محمد بن عروة بن هشام بن عروة، قَالَ: إني لعند أبي جعفر، إذ أتى فقيل له: هذا عثمان بن محمد بن خالد قد دخل به، فلما رآه أبو جعفر، قَالَ: أين المال الذي عندك؟ قَالَ: دفعته إلى أمير المؤمنين رحمه الله، قَالَ:

ومن أمير المؤمنين؟ قَالَ: محمد بن عبد الله، قَالَ: أبياعته؟ قَالَ: نعم كما بايعته، قال: يا بن الخناء! قَالَ: ذاك من قامت عنه الإماء، قال: اضرب عنقه.

قال: فاخذ فضربت عنقه قَالَ: وحدثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر، قال: حدثني محمد بن عثمان بن خالد الزبير، قَالَ: لما خرج محمد خرج معه رجل من آل كثير بن الصلت، فلما قتل وهزم أصحابه تغبيو، فكان أبي والكثيري فيمن تغيب، فلبثوا بذلك، حتى قدم جعفر بن سليمان واليا على المدينة، فاشتد في طلب أصحاب محمد، فاكترى أبي من الكثيري إبلا كانت له، فخرجنا متوجهين نحو البصرة، وبلغ الخبر جعفراً، فكتب إلى أخيه محمد يعلمه بتوجهنا إلى البصرة، ويأمره بالترصد لنا والتيقظ لأمرنا ومقدمنا، فلما قدمنا علم محمد بمقدمنا ومكاننا، فأرسل إلينا فأخذنا، فأتي بنا، فأقبل عليه

أبي، فقال: يا هذا، اتق الله في كرينا هذا، فإنه أعرابي لا علم له بنا، إنما أكرانا ابتغاء الرزق، ولو علم بجريرتنا ما فعل، وأنت معرضه لأبي جعفر، وهو من قد علمت، فأنت قاتله ومتحمل مآثمه قَالَ: فوجم محمد طويلاً، ثم قَالَ: هو والله أبو جعفر، والله ما أتعرض له، ثم حملنا جميعاً فدخلنا على أبي جعفر، وليس عنده أحد يعرف الكثيري غير الحسن بن زيد، فأقبل على الكثيري، فقال: يا عدو الله، أتكري عدو أمير المؤمنين، ثم تنقله من بلد إلى بلد، تواريه مرة وتظهره أخرى! قَالَ: يا أمير المؤمنين، وما علي بخبره وجريرته وعداوته إياك! إنما أكرته جاهلاً به، ولا أحسبه إلا رجلاً من المسلمين، بريء الساحة، سليم الناحية، ولو علمت حاله لم أفعل قَالَ:

وأكب الحسن بن زيد ينظر إلى الأرض، لا يرفع رأسه قَالَ: فأوعد أبو جعفر الكثيري وتهده، ثم أمر بإطلاقه، فخرج فتغيب، ثم أقبل على أبي، فقال:

هيه يا عثمان! أنت الخارج على أمير المؤمنين، والمعين عليه! قَالَ: بايعت أنا وأنت رجلاً بمكة، فوفيت ببيعتي وغدرت ببيعتك قَالَ: فأمر به فضربت عنقه.

قَالَ: وحدثني عيسى، قَالَ: حدثني أبي، قَالَ: أتى أبو جعفر بعبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، فنظر إليه فقال: إذا قتلت مثل هذا من قريش فمن أستبقي! ثم أطلقه، وأتى بعثمان بن محمد بن خالد فقتله، وأطلق ناساً من القرشيين، فقال له عيسى بن موسى:

يا أمير المؤمنين، ما أشقى هذا بك من بينهم! فقال: ان هذا يدي.

قَالَ: وحدثني عيسى، قَالَ: سمعت حسن بن زيد يقول: غدوت يوماً على أبي جعفر، فإذا هو قد أمر بعمل دكان، ثم أقام عليه خالداً. وأتى بعلي بن المطلب بن عبد الله بن حنطب، فأمر به فضرب خمسمائة سوط، ثم أتى بعبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع فأمر به بجلد خمسمائة سوط، فما تحرك واحد منهما، فقال لي: هل رأيت أصبر من

٧٠٤٢٠٢ ذكر الخبر عن وثوب السودان بالمدينة في هذه السنة والسبب الذي هيج ذلك

هذين قط! والله إنا لنؤتي بالذين قد قاسوا غلظ المعيشة وكدها، فما يصبرون هذا الصبر، وهؤلاء أهل الخفض والكن والنعمة، قلت: يا أمير المؤمنين، هؤلاء قومك أهل الشرف والقدر، قال: فأعرض عني، وقال: أبيت إلا العصية! ثم أعاد عبد العزيز بن إبراهيم بعد ذلك ليضربه، فقال: يا أمير المؤمنين، الله الله فينا! فوالله إني لمكب على وجهي منذ أربعين ليلة، ما صليت لله صلاة! قال: أنتم صنعتم ذلك بأنفسكم، قال: فأين العفو يا أمير المؤمنين؟

قال: فالعفو والله إذا، ثم خلى سبيله.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، عن محمد بن عمر، قال:

كثروا محمدا وألحوا في القتال حتى قتل محمد في النصف من شهر رمضان سنة خمسة وأربعين ومائة، وحمل رأسه إلى عيسى بن موسى، فدعا ابن أبي الكرام، فأراه إياه، فعرفه فسجد عيسى بن موسى، ودخل المدينة، وآمن الناس كلهم وكان مكث محمد بن عبد الله من حين ظهر إلى أن قتل شهرين وسبعة عشر يوما.

وفي هذه السنة: استخلف عيسى بن موسى على المدينة كثير بن حصين حين شخص عنها بعد مقتل محمد بن عبد الله بن حسن، فكث واليا عليها شهرا، ثم قدم عبد الله بن الربيع الحارثي واليا عليها من قبل أبي جعفر المنصور.

وفي هذه السنة ثارت السودان بالمدينة بعبد الله بن الربيع، فهرب منهم

. ذكر الخبر عن وثوب السودان بالمدينة في هذه السنة والسبب الذي هيج ذلك

ذكر عمر بن شبة أن محمد بن يحيى حدثه، قال: حدثني الحارث بن إسحاق، قال: كان رياح بن عثمان استعمل أبا بكر بن عبد الله بن أبي سبرة على صدقه اسد وطئ فلها خرج محمد أقبل إليه أبو بكر بما كان جبا وثمر معه، فلها استخلف عيسى كثير ابن حصين على المدينة أخذ أبا بكر، فضربه سبعين سوطا وحدده وحبسه.

ثم قدم عبد الله بن الربيع واليا من قبل أبي جعفر يوم السبت نلخس بقين من شوال سنة خمس وأربعين ومائة، فنزع جنده التجار في بعض ما يشترونه منهم، فخرجت طائفة من التجار حتى جاءوا دار مروان، وفيها ابن الربيع، فشكوا ذلك إليه، فنهزم وشتمهم، وطمع فيهم الجند، فتزايدوا في سوء الرأي.

قال: وحدثني عمر بن راشد، قال: انتهب الجند شيئا من متاع السوق، وغدوا على رجل من الصرافين يدعى عثمان بن زيد، فغالبوه على كيسه، فاستغاث نخلص، ماله منهم، فاجتمع رؤساء أهل المدينة فشكوا ذلك إلى ابن الربيع فلم ينكره ولم يغيره، ثم جاء رجل من الجند فاشترى من جزار لما يوم الجمعة، فأبى أن يعطيه ثمنه، وشهر عليه السيف، فخرج عليه الجزار من تحت الوض بشفرة، فطعن بها خاصرته، نخر عن دابته، واعتوره الجزارون فقتلوه، وتنادى السودان عن الجند وهم يروحون إلى الجمعة فقتلوهم بالعمد في كل ناحية، فلم يزالوا على ذلك حتى أمسوا، فلما كان الغد هرب ابن الربيع.

قال: وحدثني محمد بن يحيى، قال: حدثني الحارث بن إسحاق، قال: نفخ السودان في بوق لهم، فذكر لي بعض من كان في العالية وبعض من كان في السافلة، أنه كان يرى الأسود من سكانهما في بعض عمله يسمع نفخ البوق، فيصغي له حتى يتيقنه ثم يوحش بما في يده، ويأتم الصوت حتى يأتيه قال: وذلك يوم الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة من سنة خمس وأربعين ومائة، ورؤساء السودان ثلاثة نفر: وثيق ويعقل ورمقة قال: فغدوا على ابن الربيع، والناس في الجمعة فأعجلوهم عن الصلاة، وخرج إليهم فاستطردوا له، حتى أتى السوق فر بمساكين خمسة يسألون في طريق المسجد، فحمل عليهم بمن معه حتى قتلوهم، ثم مر بأصبيية على طنف دار، فظن أن القوم منهم، فاستنزلهم واختدعهم وآمنهم، فلما نزلوا ضرب

أعناقهم، ثم مضى ووقف عند الحنطين، وحمل عليه السودان، فأجلى هاربا فاتبعوه حتى صار إلى البقيع، ورهقوه فنثر لهم دارهم، فشغلهم بها، ومضى على وجهه حتى نزل ببطن نخل، عن ليلتين من المدينة.

قال: وحدثني عيسى، قال: خرج السودان على ابن الربيع، ورؤسائهم:

وثيق وحديا وعنقود وأبو قيس، فقاتلهم فهزموه، نفرج حتى أتى بطن نخل فأقام بها.

وحدثني عمر بن راشد، قال: لما هرب ابن الربيع وقع السودان في طعام لأبي جعفر من سوق ودقيق وزيت وقصب، فانتبهوه، فكان حمل الدقيق بدرهمين، وراوية زيت بأربعة دراهم.

وحدثني محمد بن يحيى، قال: حدثني الحارث بن إسحاق، قال:

أغاروا على دار مروان وداريزيد، وفيهما طعام كان حمل للجند في البحر، فلم يدعوا فيهما شيئا قال: وشخص سليمان بن فليح بن سليمان في ذلك اليوم إلى أبي جعفر، فقدم عليه فأخبره الخبر.

قال: وحدثني محمد بن يحيى، قال: حدثني الحارث بن إسحاق، قال: وقتل السودان نفرا من الجند، فهابهم الجند حتى إن كان الفارس ليلقى الأسود وما عليه إلا خرقتان على عورته ودراعة، فيوليه دبره احتقارا له، ثم لم ينشب أن يشد عليه بعمود من عمد السوق فيقتله: فكانوا يقولون:

ما هؤلاء السودان إلا سحرة أو شياطين! قال: وحدثني عثام بن عمرو السهمي، قال: حدثني المسور بن عبد الملك، قال: لما حبس ابن الربيع أبا بكر بن أبي سبرة، وكان جاء بجباية طيئ واسد، فدفعها إلى محمد، اشفق القرشيون على ابن أبي سبرة، فلما خرج السودان على ابن الربيع، خرج ابن أبي سبرة من السجن، فخطب الناس، ودعاهم إلى الطاعة، وصلى بالناس حتى رجع ابن الربيع. قال: وحدثني محمد بن يحيى، قال: حدثني الحارث بن إسحاق،

قال: خرج ابن أبي سبرة من السجن والحديد عليه، حتى أتى المسجد، فأرسل إلى محمد بن عمران ومحمد بن عبد العزيز وغيرهما، فاجتمعوا عنده، فقال: أنشدكم الله وهذه البلية التي وقعت! فوالله لئن تمت علينا عند أمير المؤمنين بعد الفعلة الأولى، إنه لاصطلام البلد وأهله والعبيد في السوق بأجمعهم، فأنشدكم الله إلا ذهبت إليهم فكلمتموهم في الرجعة والفيئة إلى رأيكم، فإنهم لا نظام لهم ولم يقوموا بدعوة، وإنما هم قوم أخرجتهم الحمية! قال: فذهبوا إلى العبيد فكلموهم، فقالوا: مرحبا بكم يا موالينا، والله ما قننا إلا أنفة لكم مما عمل بكم، فأيدينا مع أيديكم وأمرنا إليكم، فأقبلوا بهم إلى المسجد.

وحدثني محمد بن الحسن بن زباله، قال: حدثني الحسين بن مصعب، قال: لما خرج السودان وهرب ابن الربيع، جئتهم أنا وجماعة معي، وقد عسكروا في السوق، فسلأناهم أن يتفرقوا.

وأخبرناهم أنا وإياهم لا نقوى على ما نصبوا له، قال: فقال لنا وثيق: إن الأمر قد وقع بما ترون، وهو غير مبق لنا ولا لكم، فدعونا نشفكم ونشتف أنفسنا، فأيننا، ولم نزل بهم حتى تفرقوا وحدثني عمر بن راشد، قال: كان رئيسهم وثيق وخليفته يعقل الجزار. قال: فدخل عليه ابن عمران، قال: إلى من تعهد يا وثيق؟ قال: إلى أربعة من بني هاشم، وأربعة من قریش، وأربعة من الأنصار، وأربعة من الموالي، ثم الأمر شورى بينهم قال: أسأل الله إن ولاك شيئا من أمرنا أن يرزقنا عدلك، قال: قد والله ولا نيه الله قال: وحدثني محمد بن يحيى، قال: حدثني الحارث بن إسحاق، قال:

حضر السودان المسجد مع ابن أبي سبرة، فرقي المنبر في بجل حديد حتى استوى في مجلس رسول الله.

ص، وتبعه محمد بن عمران، فكان تحته، وتبعهم محمد بن عبد العزيز فكان تحتهما، وتبعهم سليمان بن عبد الله بن أبي سبرة، فكان تحتهما جميعا، وجعل الناس يغطون لغطا شديدا، وابن أبي سبرة جالس صامت فقال ابن عمران:

أنا ذاهب إلى السوق، فانحدر وانحدر من دونه، وثبت ابن أبي سبرة، فتكلم فحث على طاعة أمير المؤمنين، وذكر أمر محمد بن عبد الله فأبلغ.

ومضى ابن عمران إلى السوق، فقام على بلاس من بلس الخنظلة، فتكلم هناك، فتراجع الناس، ولم يصل بالناس يومئذ إلا المؤذن، فلما حضرت العشاء الآخرة وقد ثاب الناس، فاجتمع القرشيون في المقصورة، وأقام الصلاة محمد بن عمار المؤذن، الذي يلقب كساكس، فقال للقرشيين: من يصلي بكم؟ فلم يجبه أحد، فقال: ألا تسمعون! فلم يجيبوه، فقال: يا بن عمران، ويا بن فلان، فلم يجبه أحد، فقام

الأصبغ بن سفيان بن عاصم ابن عبد العزيز بن مروان، فقال: أنا أصلي، فقام في المقام، فقال للناس: استوتوا، فلما استوت الصفوف أقبل عليهم بوجهه، ونادى بأعلى صوته:

ألا تسمعون! أنا الأصبغ بن سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان، أصلي بالناس على طاعة أبي جعفر، فردد ذلك مرتين أو ثلاثا، ثم كبر فصلى، فلما أصبح الناس قال ابن أبي سبرة: إنه قد كان منكم بالأمس ما قد علمتم، نهبت ما في دار عاملكم وطعام جند أمير المؤمنين، فلا يبقين عند أحد منكم شيء إلا رده، فقد أقعدت لكم الحكم بن عبد الله بن المغيرة بن موهب، فرجع الناس إليه ما انتهبوا، فقيل: إنه أصاب قيمة ألف دينار.

وحدثني عثامة بن عمرو، قال: حدثني المسور بن عبد الملك، قال: أئتمر القرشيون أن يدعوا ابن الربيع يخرج ثم يكلموه في استخلاف ابن أبي سبرة على المدينة، ليتحلل ما في نفس أمير المؤمنين عليه، فلما أخرجه السودان، قال له ابن عبد العزيز: أخرج بغير وال استخلف! ولها رجلا، قال:

من؟ قال: قدامة بن موسى، قال: فصيح بقدامة، فدخل مجلس بين ابن الربيع وبين ابن عبد العزيز، فقال: ارجع يا قدامة، فقد وليتك المدينة وأعمالها، قال: والله ما قال لك هذا من نصحك، ولا نظر لمن وراءه، ولا أراد إلا الفساد، ولأحق بهذا مني ومنه من قام بأمر الناس وهو جالس في بيته- يعني ابن أبي سبرة- ارجع أيها الرجل، فوالله ما لك عذر في الخروج، فرجع ابن الربيع

٧٠٤٢٠٣ ذكر الخبر عن بناء مدينه بغداد

قال وحدثني محمد بن يحيى، قال: حدثني الحارث بن إسحاق، قال:

ركب ابن عبد العزيز في نفر من قريش إلى ابن الربيع، فناشدوه وهو يبطن نخل إلا رجع إلى عمله، فتأبى قال: فخلا به ابن عبد العزيز، فلم يزل به حتى رجع وسكن الناس وهدءوا.

قال: وحدثني عمر بن راشد، قال: ركب إليه ابن عمران وغيره وقد نزل الأعوص، فكلموه فرجع، فقطع يد وثيق وابى النار ويعقل ومسعر.

ذكر الخبر عن بناء مدينه بغداد

وفي هذه السنة أسست مدينة بغداد، وهي التي تدعى مدينة المنصور.

ذكر الخبر عن سبب بناء أبي جعفر إياها:

وكان سبب ذلك أن أبا جعفر المنصور بنى - فيما ذكر - حين أفضى الأمر إليه الهاشمية، قبالة مدينة ابن هبيرة، بينهما عرض الطريق، وكانت مدينة ابن هبيرة التي بجبالها مدينة أبي جعفر الهاشمية إلى جانب الكوفة وبني المنصور أيضا مدينة بظهر الكوفة سماها الرصافة، فلما ثارت الراوندية بأبي جعفر في مدينته التي تسمى الهاشمية، وهي التي بجبال مدينة ابن هبيرة، كره سكناها لاضطراب من اضطرب أمره عليه من الراوندية، مع قرب جواره من الكوفة، ولم يأمن أهلها على نفسه، فأراد أن يبعد من جوارهم، فذكر أنه خرج بنفسه يرتاد لها موضعا يتخذ مسكنا لنفسه وجنده، ويبتني به مدينة، فبدأ فأنحدر إلى جرجرايا ثم صار إلى بغداد، ثم مضى إلى الموصل، ثم عاد إلى بغداد، فقال: هذا موضع معسكر صالح، هذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شيء، يأتينا فيها كل ما في البحر، وتأتينا الميرة من الجزيرة وأرمينية وما حول ذلك، وهذا الفرات يجيء فيه كل شيء من الشام والرقعة وما حول ذلك فنزل وضرب عسكره على الصراة، وخط المدينة، ووكل بكل ربع قائدا

وذكر عمر بن شبة أن محمد بن معروف بن سويد حدثه، قال:

حدثني أبي، قال: حدثني سليمان بن مجالد، قال: أفسد أهل الكوفة جند أمير المؤمنين المنصور عليه، فخرج نحو الجبل يرتاد منزلا، والطريق يومئذ على المدائن، فخرجنا على سبابط، فتخلف بعض أصحابي لرمد أصابه، فأقام يعالج عينيه، فسأله الطبيب: أين يريد أمير المؤمنين؟ قال: يرتاد منزلا، قال: فإننا نجد في كتاب عندنا، أن رجلا يدعى مقلصا، يبني مدينة بين دجلة والصراة تدعى الزوراء، فإذا أسسها وبني عرقا منها أتاه فتق من الحجاز، فقطع بناءها، وأقبل على إصلاح ذلك الفتق، فإذا كاد يلتئم أتاه فتق من البصرة هو

أكبر عليه منه، فلا يلبث الفتقان أن يلتثما، ثم يعود إلى بنائها فيتمه، ثم يعمر عمرا طويلا، ويبقى الملك في عقبه قال سليمان: فإن أمير المؤمنين لأطراف الجبال في ارتياد منزل، إذ قدم علي صاحبي فأخبرني الخبر فأخبرت به أمير المؤمنين، فدعا الرجل فحدثه الحديث، فكر راجعا عوده على بدئه، وقال: أنا والله ذاك! لقد سميت مقلاصا وأنا صبي، ثم انقطعت عني.

وذكر عن الهيثم بن عدي، عن ابن عياش، قال: لما أراد أبو جعفر الانتقال من الهاشمية بعث روادا يرتادون له موضعا ينزله واسطا، رافقا بالعامية والجند، فنعت له موضع قريب من بارما، وذكر له عنه غذاء طيب، فخرج إليه بنفسه حتى ينظر إليه، وبات فيه، وكرر نظره فيه، فرآه موضعا طيبا، فقال للجماعة من أصحابه، منهم سليمان بن مجالد وأبو أيوب الخوزي وعبد الملك بن حميد الكاتب وغيرهم: ما رأيكم في هذا الموضع؟ قالوا:

ما رأينا مثله، هو طيب صالح موافق، قال: صدقتم، هو هكذا، ولكنه لا يحمل الجند والناس والجماعات، وانما أريد موضعا يرتفق الناس به ويوافقهم مع موافقته لي، ولا تغلو عليهم فيه الأسعار، ولا تشتد فيه المئونة، فإني إن أقمت في موضع لا يجلب إليه من البر والبحر شيء غلت الأسعار، وقلت المادة، واشتدت المئونة، وشق ذلك على الناس، وقد مررت في

طريقي على موضع فيه مجتمعة هذه الخصال، فأنا نازل فيه، وبأنت به، فإن اجتمع لي فيه ما أريد من طيب الليل والموافقة مع احتماله للجند والناس ابتنيه.

قال الهيثم بن عدي: فخرت أنه أتى ناحية الجسر، فعبر في موضع قصر السلام، ثم صلى العصر- وكان في صيف، وكان في موضع القصر بيعة قس- ثم بات ليلة حتى أصبح، فبات أطيب مبيت في الأرض وأرققه، وأقام يومه فلم ير إلا ما يحب، فقال: هذا موضع ابني فيه، فإنه تأتية المادة من الفرات ودجلة وجماعة من الأنهار، ولا يحمل الجند والعامية إلا مثله، فخطها وقدر بناءها، ووضع أول لبنة بيده، وقال: بسم الله والحمد لله، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال: ابنوا على بركة الله.

وذكر عن بشر بن ميمون الشروي وسليمان بن مجالد، أن المنصور لما رجع من ناحية الجبل، سأل عن خبر القائد الذي حدثه عن الطيب الذي أخبره عما يجدون في كتبهم من خبر مقلاص، ونزل الدير الذي هو حذاء قصره المعروف بالخلد، فدعا بصاحب الدير، وأحضر البطريق صاحب رحا البطريق وصاحب بغداد وصاحب الخرم وصاحب الدير المعروف ببستان القس وصاحب العتيقة، فسألهم عن مواضعهم، وكيف هي في الحر والبرد والأمطار والحوال والبق والهوام؟ فأخبره كل واحد بما عنده من العلم، فوجه رجلا من قبله، وأمر كل واحد منهم أن يبيت في قرية منها، فبات كل رجل منهم في قرية منها، وأتاه بخبرها وشاور المنصور الذين أحضرهم، وتخر أخبارهم، فاجتمع اختيارهم على صاحب بغداد، فأحضره وشاوره، وسأله- فهو الدهقان الذي قرينه قائمة إلى اليوم في المربعة المعروفة بأبي العباس الفضل بن سليمان الطوسي، وقباب القرية قائم بناؤها إلى اليوم، وداره ثابتة على حالها- فقال: يا أمير المؤمنين، سألتني عن هذه الأمكنة وطبيها وما يختار منها، فالذي أرى يا أمير المؤمنين أن تنزل أربعة طساسيج

في الجانب الغربي طسوجين وهما قطربل وبادوريا، وفي الجانب الشرقي طسوجين وهما نهر بوق وكلاذى، فأنت تكون بين نخل وقرب الماء، فإن أجذب طسوج وتأخرت عمارته كان في الطسوج الآخر العمارات، وأنت يا أمير المؤمنين على الصراة تحيئك الميرة في السفن من المغرب في الفرات، وتحيتك طرائف مصر والشام، وتحيتك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة، وتحيتك الميرة من أرمينية وما اتصل بها في تأمرها حتى تصل إلى الزاب، وتحيتك الميرة من الروم وآمد والجزيرة والموصل في دجلة، وأنت بين أنهار لا يصل إليك عدوك إلا على جسر أو قطرة، فإذا قطعت الجسر وأخرت القناطر لم يصل إليك عدوك، وأنت بين دجلة والفرات لا يجيئك أحد من المشرق والمغرب إلا احتاج إلى العبور، وأنت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله، وأنت قريب من البر والبحر والجبل فازداد المنصور عزما على النزول في الموضع الذي اختاره وقال له:

يا أمير المؤمنين، ومع هذا فإن الله قد من على أمير المؤمنين بكثرة جيوشه وقواده وجنده، فليس أحد من أعدائه يطمع في الدنو منه، والتدبير في المدن أن تتخذ لها الأسوار والخنادق، والحصون، ودجلة والفرات خنادق لمدينة أمير المؤمنين.

وذكر عن ابراهيم بن عيسى ان حمادا التركي، قال: بعث المنصور رجلا في سنة خمس وأربعين ومائة، يطلبون له موضعا يبني فيه مدينته،

فطلبوا وارتادوا، فلم يرض موضعاً، حتى جاء فنزل الدير على الصراة، فقال: هذا موضع أرضاه، تأتيه الميرة من الفرات ودجلة، ومن هذه الصراة.

وذكر عن محمد بن صالح بن النطاح عن محمد بن جابر، عن أبيه، قال: لما أراد أبو جعفر أن يبني مدينته ببغداد رأى راهباً، فناداه فأجابه، فقال: تجدون في كتبكم أنه تبنى هاهنا مدينة؟ قال الراهب: نعم، يبنينا مقلاص، قال أبو جعفر: أنا كنت أدعى مقلاصاً في حديثي.

قال: فأنت إذا صاحبها، قال: وكذلك لما أراد أن يبني الرافقة بأرض الروم

امتنع أهل الرقة، وأرادوا محاربتهم، وقالوا: تعطل علينا أسواقنا، وتذهب بمعاشنا، وتضييق منازلنا، فهم بمحاربتهم، وبعث إلى راهب في الصومعة، فقال: هل عندك علم أن يبنى هاهنا مدينة؟ فقال له: بلغني أن رجلاً يقال له مقلاص يبنينا، قال: أنا مقلاص، فبناها على بناء مدينة بغداد، سوى السور وأبواب الحديد وخندق منفرد.

وذكر عن السري، عن سليمان بن مجالد، أن المنصور وجه في حشر الصنائع والفعلة من الشام والموصل والجلب والكوفة وواسط والبصرة، فأحضروا، وأمر باختيار قوم من ذوي الفضل والعدالة والفقهاء والأمانة والمعرفة بالهندسة، فكان ممن أحضر لذلك الحجاج بن أرطاة وأبو حنيفة النعمان بن ثابت، وأمر بخطط المدينة وحفر الأساسات، وضرب اللبن وطبخ الآجر، فبدئ بذلك، وكان أول ما ابتدئ به في عملها سنة خمس وأربعين ومائة.

وذكر أن المنصور لما عزم على بنائها أحب أن ينظر إليها عياناً، فأمر أن يخطط بالرماد، ثم أقبل يدخل من كل باب، ويمر في فصلاتها وطاقتها ورحابها، وهي مخطوطة بالرماد، ودار عليهم ينظر إليهم وإلى ما خط من خنادقها، فلما فعل ذلك أمر أن يجعل على تلك الخطوط حب القطن، وينصب عليه النفط، فنظر إليها والنار تشتعل، ففهمها وعرف رسمها، وأمر أن يحفر أساس ذلك على الرسم، ثم ابتدئ في عملها.

وذكر عن حماد التركي أن المنصور بعث رجالاً يطلبون له موضعاً يبني فيه المدينة، فطلبوا ذلك في سنة أربع وأربعين ومائة، قبل خروج محمد بن عبد الله بسنة أو نحوها، فوقع اختيارهم على موضع بغداد، قرية على شاطئ الصراة، مما يلي الخلد، وكان في موضع بناء الخلد دير، وكان في قرن الصراة مما يلي الخلد من الجانب الشرقي أيضاً قرية ودير كبير كانت تسمى سوق البقر، وكانت القرية تسمى العتيقة، وهي التي افتتحها المثنى بن حارثة الشيباني، قال: وجاء المنصور، فنزل الدير الذي في موضع الخلد على الصراة، فوجده قليل البق، فقال: هذا موضع أرضاه، تأتيه الميرة من

الفرات ودجلة، ويصلح أن تبنى فيه مدينة، فقال للراهب الذي في الدير:

يا راهب، أريد أن أبني هاهنا مدينة، فقال: لا يكون، إنما يبنى هاهنا ملك يقال له أبو الدوانيق، فضحك المنصور في نفسه، وقال: أنا أبو الدوانيق.

وأمر نخط المدينة، ووكل بها أربعة قواد، كل قائد بربع.

وذكر عن سليمان بن مجالد، أن المنصور أراد أبا حنيفة النعمان بن ثابت على القضاء، فامتنع من ذلك، فحلف المنصور أن يتولى له، وحلف أبو حنيفة ألا يفعل، فولاه القيام ببناء المدينة وضرب اللبن وعده، وأخذ الرجال بالعمل قال: وإنما فعل المنصور ذلك ليخرج من يمينه، قال:

وكان أبو حنيفة المتولي لذلك، حتى فرغ من استتمام بناء حائط المدينة مما يلي الخندق، وكان استتمامه في سنة تسع وأربعين ومائة. وذكر عن الهيثم بن عدي، أن المنصور عرض على أبي حنيفة القضاء والمظالم فامتنع، فحلف ألا يقلع عنه حتى يعمل، فأخبر بذلك أبو حنيفة، فدعا بقصبة، فعد اللبن على رجل قد لبنه، وكان أبو حنيفة أول من عد اللبن بالقصب، فأخرج أبا جعفر عن يمينه، واعتل فأت ببغداد.

وقيل: إن أبا جعفر لما أمر بحفر الخندق وإنشاء البناء وإحكام الأساس، أمر أن يجعل عرض السور من أسفله خمسين ذراعاً، وقدر أعلاه عشرين ذراعاً، وجعل في البناء جوائز قصب مكان الخشب، في كل طريقة، فلما بلغ الحائط مقدار قامته - وذلك في سنة خمس

وأربعين ومائة- أتاها خبر خروج محمد فقطع البناء.

وذكر عن أحمد بن حميد بن جبلة، قال: حدثني أبي، عن جدي جبلة، قال: كانت مدينة أبي جعفر قبل بنائها مزرعة للبغداديين، يقال لها المباركة، وكانت لستين نفساً منهم، فعوضهم منها وأرضاهم، فأخذ جدي قسمه منها.

وذكر عن إبراهيم بن عيسى بن المنصور، أن حمادا التركي قال: كان حول مدينة أبي جعفر قرى قبل بنائها، فكان إلى جانب باب الشام قرية

يقال لها الخطابية، على باب درب النورة، إلى درب الأقاص، وكان بعض نخلها في شارع باب الشام، إلى أيام الخلع في الطريق، حتى قطع في أيام الفتنة، وكانت الخطابية هذه لقوم من الدهاقين، يقال لهم بنو فروة وبنو قنورا، منهم إسماعيل بن دينار ويعقوب بن سليمان وأصحابهم وذكر عن محمد بن موسى بن الفرات أن القرية التي في مربعة أبي العباس كانت قرية جده من قبل أمه، وأنهم من دهاقين يقال لهم بنو زراري، وكانت القرية تسمى الوردانية، وقرية أخرى قائمة إلى اليوم مما يلي مربعة أبي فروة.

وذكر عن إبراهيم بن عيسى أن المعروفة اليوم بدار سعيد الخطيب كانت قرية يقال لها شرفانية، ولها نخل قائم إلى اليوم مما يلي قنطرة أبي الجون، وأبو الجون من دهاقين بغداد من أهل هذه القرية.

وذكر أن قطيعة الربيع كانت مزارع للناس من قرية يقال لها بناوري من رستاق الفروسيج من بادوريا.

وذكر عن محمد بن موسى بن الفرات، أنه سمع أباه أو جده- شك راوي ذلك عنه- يقول: دخل علي رجل من دهاقين بادوريا وهو مخرق الطيلسان، فقلت له: من خرق طيلسانك؟ قال: خرق والله في زحمة الناس اليوم، في موضع طالما طردت فيه الأرانب والظباء- يريد باب الكرخ ويقال: إن قطيعة الربيع الخارجة إنما هي أقطاع المهدي للربيع، وأن المنصور إنما كان أقطعه الداخلة.

وقيل: إن نهر طابق كسروي، وإنه نهر بابك بن بهرام بن بابك، وأن بابك هذا هو الذي اتخذ العقر الذي عليه قصر عيسى بن علي، واحتفر هذا النهر.

وذكر أن فرضة جعفر إقطاع من أبي جعفر لابنه جعفر، وأن القنطرة العتيقة من بناء الفرس.

وذكر عن حماد التركي، قال: كان المنصور نازلاً بالدير الذي على شاطئ دجلة بالموضع المعروف بالخلد، ونحن في يوم صائف شديد الحر في سنة خمس وأربعين ومائة، وقد خرجت فجلست مع الربيع وأصحابه، إذ جاء رجل، فجاوز الحرس إلى المقصورة، فاستأذن فأذن المنصور به، وكان معه سلم بن أبي سلم، فأذن له فخره بخروج محمد، فقال المنصور:

نكتب الساعة إلى مصر أن يقطع عن الحرمين المادة، ثم قال: إنما هم في مثل حرجة، إذا انقطعت عنهم المادة والميرة من مصر قال: وأمر بالكتاب إلى العباس بن محمد- وكان على الجزيرة يخبره بخبر محمد- وقال: إني راحل ساعة كتبت إلى الكوفة، فأمدني في كل يوم بما قدرت عليه من الرجال من أهل الجزيرة وكتب بمثل ذلك إلى أمراء الشام، ولو أن يرد علي في كل يوم رجل واحد أكثر به من معي من أهل خراسان، فإنه إن بلغ الخبر الكذاب انكسر قال: ثم نادى بالرحيل من ساعته، فخرجنا في حر شديد حتى قدم الكوفة، ثم لم يزل بها حتى انقضت الحرب بينه وبين محمد وإبراهيم، فلما فرغ منهما رجع إلى بغداد وذكر عن أحمد بن ثابت، قال: سمعت شيخاً من قريش يحدث أن أبا جعفر لما فصل من بغداد، متوجهاً نحو الكوفة، وقد جاءه البريد بخبر محمد بن عبد الله بالمدينة، نظر إليه عثمان بن عمار بن حريم وإسحاق بن مسلم العقيلي وعبد الله بن الربيع المداني- وكانوا من صحابته- وهو يسير على دابته وبنو أبيه حوله فقال عثمان: أظن محمداً خائباً ومن معه من أهل بيته، إن حشو ثياب هذا العباسي لمكر ونكر ودهاء، وإنه فيما نصب له محمد من الحرب لكما قال ابن جذل الطعان:

فكم من غارة ورعيل خيل ... تداركها وقد حمي اللقاء

فرد مخيلها حتى ثناها ... بأسمر ما يرى فيه التواء

قال: فقال إسحاق بن مسلم: قد والله سبرته ولمست عوده فوجدته خشناً، وغمزته فوجدته صليباً، وذقته فوجدته مرا، وإنه ومن حوله من بني أبيه لكما قال ربيعة بن مكرم:

سما لي فرسان كأن وجوههم ... مصايح تبدو في الظلام زواهر

٧٠٤٢٠٤ ذكر الخبر عن ظهور ابراهيم بن محمد ومقتله

يقودهم كبش أخو مصمثلة ... عبوس السري قد لوحته الهواجر

قَالَ: وقال عبد الله بن الربيع: هو ليث خيس، ضيغم شمس، للأقران مفترس، وللأرواح مختلس، وأنه يهيج من الحرب كما قال أبو سفيان بن الحارث:

وإن لنا شيخا إذا الحرب شمרת ... بديته الإقدام قبل النوافر

قَالَ: ففضى حتى سار إلى قصر ابن هبيرة، فنزل الكوفة ووجه الجيوش، فلما انقضت الحرب، رجع إلى بغداد فاستم بناءها. ذكر الخبر عن ظهور ابراهيم بن محمد ومقتله

٤٤ وفي هذه السنة ظهر إبراهيم بن عبد الله بن حسن، أخو محمد بن عبد الله ابن حسن بالبصرة، فخارب أبا جعفر المنصور وفيها قتل أيضا.

ذكر الخبر عن سبب مخرجه وعن مقتله وكيف كان:

فذكر عن عبد الله بن محمد بن حفص، قَالَ: حدثني أبي، قَالَ:

لما أخذ أبو جعفر عبد الله بن حسن، أشفق محمد وإبراهيم من ذلك، فخرجا إلى عدن، فخافا بها، وربكا البحر حتى صار إلى السند فسعي بهما إلى عمر بن حفص، فخرجا حتى قدما الكوفة وبها أبو جعفر.

وذكر عمر بن شبة أن سعيد بن نوح الضبي، ابن ابنة أبي الساج الضبي، حدثني قال: حدثني منه بنت أبي المنهال، قالت: نزل إبراهيم في الحي من بني ضبيعة في دار الحارث بن عيسى، وكان لا يرى بالنهار، وكانت معه أم ولد له، فكنت أتحدث إليها، ولا ندري من هم، حتى ظهر فأتيتهما، فقلت: إنك لصاحبتي؟ فقلت: أنا هي، لا والله ما أقرتنا الأرض منذ خمس سنين، مره بفارس، ومره بكرمان، ومره بالحجاز، ومره باليمن.

قَالَ عمر: حدثني أبو نعيم الفضل بن دكين، قَالَ: حدثني مطهر ابن الحارث، قَالَ: أقبلنا مع إبراهيم من مكة نريد البصرة، ونحن عشرة، فصحبنا أعرابي في بعض الطريق، فقلنا له: ما اسمك؟ قَالَ: فلان بن أبي مصاد الكلبي، فلم يفارقنا حتى قربنا من البصرة، فأقبل علي يوما، فقال: أليس هذا إبراهيم بن عبد الله بن حسن؟ فقلت: لا، هذا رجل من أهل الشام، فلما كنا على ليلة من البصرة، تقدم إبراهيم وتخلفنا عنه، ثم دخلنا من غد.

قال عمر: وحدثني أبو صفوان نصر بن قديد بن نصر بن سيار، قَالَ:

كان مقدم إبراهيم البصرة في أول سنة ثلاث وأربعين ومائة، منصرف الناس من الحج، فكان الذي أقدمه وتولى كراهه وعادله في محله يحيى بن زياد ابن حسان النبطي، فأنزله في داره في بني ليث، واشترى له جارية أعجمية سنديّة، فأولدها ولدا في دار يحيى بن زياد، فحدثني ابن قديد بن نصر، أنه شهد جنازة ذلك المولود، وصلى عليه يحيى بن زياد.

قَالَ: وحدثني محمد بن معروف، قَالَ: حدثني أبي، قَالَ: نزل إبراهيم بالخيار من أرض الشام على آل القعقاع بن خليل العبسي، فكتب الفضل بن صالح بن علي - وكان على قنسرين - إلى أبي جعفر في رقعة أدرجها في أسفل كتابه، يخبره خبر إبراهيم، وأنه طلبه فوجده قد سبقه منحدرًا إلى البصرة، فورد الكتاب على أبي جعفر، فقرأ أوله فلم يجد إلا السلامة، فألقى الكتاب إلى أبي أيوب المورياني، فألقاه في ديوانه، فلما أرادوا أن يجيبوا الولاة عن كتبهم فتح أبان بن صدقة - وهو يومئذ كاتب أبي أيوب - كتاب الفضل، لينظر في تأريخه، فأفضى إلى الرقعة، فلما رأى أولها: أخبر أمير المؤمنين، أعادها في الكتاب، وقام إلى أبي جعفر، فقرأ الكتاب، فأمر بإذكاء العيون ووضع المراصد والمسالح.

قَالَ: وحدثني الفضل بن عبد الرحمن بن الفضل، قَالَ: أخبرني أبي قَالَ: سمعت إبراهيم يقول: اضطرني الطلب بالموصل حتى جلست

على موائد أبي جعفر، وذلك أنه قدمها يطلبني، فتحيرت، فلفظتني الأرض، فجعلت لا أجد مساعداً، ووضع الطلب والمرصد، ودعا الناس إلى غداؤه، فدخلت فيمن دخل، وأكلت فيمن أكل، ثم خرجت وقد كف الطلب.

قَالَ: وحدثني أبو نعيم الفضل بن دكين، قَالَ: قَالَ رجل لمطهر بن الحارث: مر إبراهيم بالكوفة ولقيته، قَالَ: لا والله ما دخلها قط، ولقد كان بالموصل، ثم مر بالأنبار، ثم ببغداد، ثم بالمداين والنيل وواسط.

قَالَ: وحدثني نصر بن قديد بن نصر، قَالَ: كاتب إبراهيم قوماً من أهل العسكر كانوا يتشيعون، فكتبوا يسألونه الخروج إليهم، ووعدوه الوثوب بأبي جعفر، نفرج حتى قدم عسكر أبي جعفر، وهو يومئذ نازل ببغداد في الدير، وقد خط بغداد، وأجمع على البناء، وكانت لأبي جعفر امرأة ينظر فيها، فيرى عدوه من صديقه قَالَ: فزعم زاعم أنه نظر فيها، فقال: يا مسيب، قد والله رأيت إبراهيم في عسكري وما في الأرض عدو أعدى لي منه، فانظر ما أنت صانع! قَالَ: وحدثني عبد الله بن محمد بن البواب، قَالَ: أمر أبو جعفر ببناء قنطرة الصراة العتيقة، ثم خرج ينظر إليها، فوقعت عينه على إبراهيم، وخنس إبراهيم، فذهب في الناس، فأتي فامياً فليجأ إليه فأصعده غرفة له. وجد أبو جعفر في طلبه، ووضع الرصد بكل مكان، فنشب إبراهيم بمكانه الذي هو به، وطلبه أبو جعفر أشد الطلب، وخفي عليه أمره. قَالَ: وحدثني محمد بن معروف، قَالَ: حدثني أبي - وحدثني نصر ابن قديد، قَالَ: حدثني أبي قَالَ، وحدثني عبد الله بن محمد بن البواب وكثير بن النضر بن كثير وعمرو بن إدريس وابن أبي سفيان العمي، واتفقوا على جل الحديث، واختلفوا في بعضه - أن إبراهيم لما نشب وخاف الرصد كان معه رجل من بني العم - قَالَ عمر: فقال لي أبو صفوان، يدعى روح بن ثقف، وقال لي ابن البواب: يكنى أبا عبد الله، وقال لي الآخرون:

يقال له سفيان بن حيان بن موسى: قَالَ عمر: وهو جد العمي الذي حدثني -

قَالَ: قلت لإبراهيم: قد نزل ما ترى، ولا بد من التغير والمخاطرة، قَالَ:

فأنت وذاك! فأقبل إلى الربيع، فسأله الإذن، قَالَ: ومن أنت؟ قال:

انا السفیان العمي، فأدخله على أبي جعفر، فلما رآه شتمه، فقال:

يا أمير المؤمنين، أنا أهل لما تقول، غير أنني أتيتك نازعاً تائباً، ولك عندي كل ما تحب إن أعطيتني ما أسألك، قَالَ: وما لي عندك؟ قَالَ: آتيك بابراهيم ابن عبد الله بن حسن، إني قد بلوته وأهل بيته، فلم أجد فيهم خيراً، فما لي عندك إن فعلت؟ قَالَ: كل ما تسأل، فأين إبراهيم؟ قَالَ: قد دخل بغداد - أو هو داخلها عن قريب - قَالَ عمر: وقال لي أبو صفوان، قَالَ:

هو بعبدي، تركته في منزل خالد بن نهيك، فكتب لي جوازا ولغلام لي ولفراتق واحملي على البريد قَالَ عمر: وقال بعضهم: وجه معي جنداً واكتب لي جوازا ولغلام لي آتيك به قَالَ: فكتب له جوازا، ودفع إليه جنداً، وقال: هذه ألف دينار فاستعن بها، قال: لا حاجه لي فيها كلها، فاخذ ثلاثمائة دينار، وأقبل بها حتى أتى إبراهيم وهو في بيت، عليه مدرعة صوف وعمامة - وقيل بل عليه قباء كأقبية العبيد - فصاح به:

قم، فوثب كالفرع، فجعل يأمره وينهاه حتى أتى المدائن، فنعه صاحب القنطرة بها، فدفع إليه جوازه، فقال: أين غلامك؟ قَالَ: هذا، فلما نظر في وجهه، قَالَ: والله ما هذا غلامك، وإنه لإبراهيم بن عبد الله بن حسن، ولكن اذهب راشدا فأطلقهما وهرب قَالَ عمر: فقال بعضهم: ربك البريد حتى صارا بعبدي، ثم ربك السفينة حتى قدما البصرة فاخفيا بها قَالَ: وقد قيل: إنه خرج من عند أبي جعفر حتى قدم البصرة، فجعل يأتي بهم الدار، لها بابان، فيقعد العشرة منهم على أحد البابين، ويقول:

لا تبرحوا حتى آتيكم، فيخرج من الباب الآخر ويتركهم، حتى فرق الجند عن نفسه، وبقي وحده، فاخفى حتى بلغ الخبر سفيان بن معاوية، فأرسل إليهم فجمعهم، وطلب العمي فأعجزه.

قَالَ عمر: وحدثني ابن عائشة، قَالَ: حدثني أبي، قَالَ: الذي احتال

لإبراهيم حتى أنجاهما منه عمرو بن شداد.

قَالَ عمر: وحدثني رجل من أهل المدائن، عن الحسن بن عمرو بن شداد، قَالَ: حدثني أبي، قَالَ: مر بي إبراهيم بالمدائن مستخفيا، فَأَنْزَلْتُهُ دَارًا لِي عَلَى شَاطِئِ دَجْلَةٍ، وَسَعَى بِي إِلَى عَامِلِ الْمَدَائِنِ، فَضَرَبَنِي مِائَةَ سَوْطٍ، فَلَمْ أَقْرَرْ لَهُ، فَلَهَا تَرَكَنِي أَتَيْتُ إِبْرَاهِيمَ فَأَخْبَرْتَهُ فَأَنْحَدَرَ.

قَالَ: وحدثني العباس بن سفيان بن يحيى بن زياد مولى الحجاج بن يوسف - وكان يحيى بن زياد ممن سبي من عسكر قطري بن الفجاءة - قَالَ: لما ظهر إبراهيم كنت غلاما ابن خمس سنين، فسمعت أشياخنا يقولون: إنه مر منحدرًا يريد البصرة من الشام، فخرج إليه عبد الرحيم بن صفوان من موالي الحجاج، ممن سبي من عسكر قطري، قَالَ: فبُشِيَ معه حتى عبره المآصر، قَالَ: فَأَقْبَلَ بَعْضُ مَنْ رَأَاهُ، فَقَالَ: رَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحِيمِ مَعَ رَجُلٍ شَاطِرٍ، مُحْتَجِزٍ بِأَزَارٍ مُورَدٍ، فِي يَدِهِ قَوْسٌ جَلاهُقٌ يَرْمِي بِهِ، فَلَهَا رَجَعَ عَبْدُ الرَّحِيمِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ فَأَنْكَرَهُ، فَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَتَنَكَّرُ بِذَلِكَ.

قَالَ: وحدثني نصر بن قديد، قَالَ: لما قدم إبراهيم منصرفه من بغداد، نزل على أبي فروة في كندة فاختمني، وأرسل إلى الناس يندبهم للخروج.

قَالَ عمر: وحدثني علي بن إسماعيل بن صالح بن ميثم الأهوازي، قَالَ: حدثني عبد الله بن الحسن بن حبيب، عن أبيه، قَالَ: كان إبراهيم مختفيا عندي على شاطئ دجيل، في ناحية مدينة الأهواز، وكان محمد بن حصين يطلبه، فقال يوما: إن أمير المؤمنين كتب إلي يخبرني أن المنجمين يخبرونه أن إبراهيم بالأهواز نازل في جزيرة بين نهريْن، فقد طلبته في الجزيرة حتى وثقت أنه ليس هناك - يعني بالجزيرة التي بين نهر الشاه جرد ودجيل - فقد اعتزمت أن أطلبه غدا في المدينة، لعل أمير المؤمنين يعني بين دجيل والمسرقان، قَالَ: فَأَتَيْتُ إِبْرَاهِيمَ، فَقُلْتُ لَهُ: أَنْتَ مَطْلُوبٌ غَدًا فِي هَذِهِ

الناحية، قَالَ: فَأَقَمْتُ مَعَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِي، فَلَهَا غَشِيَني اللَّيْلُ، خَرَجْتُ بِهِ حَتَّى أَنْزَلْتُهُ فِي أَدَانِي دُشْتُ أَرْبَكَ دُونَ الْكَثِّ، فَرَجَعْتُ مِنْ لَيْلَتِي، فَأَقَمْتُ أَتَنْتَظِرُ مُحَمَّدًا أَنْ يَغْدُو لَطْلَبُهُ، فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى تَصْرَمَ النَّهَارَ، وَقَرَبَتِ الشَّمْسُ تَغْرِبَ، فَخَرَجْتُ حَتَّى جِئْتُ إِبْرَاهِيمَ، فَأَقْبَلْتُ بِهِ حَتَّى وَافَيْنَا الْمَدِينَةَ مَعَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ وَنَحْنُ عَلَى حِمَارَيْنِ، فَلَهَا دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ فَصَرْنَا عِنْدَ الْجَبَلِ الْمَقْطُوعِ، لَقِينَا أَوَائِلَ خَيْلِ ابْنِ حَصِينٍ، فَرَمَى إِبْرَاهِيمَ بِنَفْسِهِ عَنْ حِمَارِهِ وَتَبَاعَدَ، وَجَلَسَ يَبُولُ، وَطَوْتَنِي الْخَيْلُ، فَلَمْ يَعْزِجْ عَلَيَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ، حَتَّى صَرْتُ إِلَى ابْنِ حَصِينٍ، فَقَالَ لِي: أَبَا مُحَمَّدٍ، مَنْ أَيْنَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ؟ فَقُلْتُ: تَمَسَّيْتُ عِنْدَ أَهْلِي، قَالَ: أَلَا أُرْسِلُ مَعَكَ مِنْ يَبْلُغُكَ؟ قُلْتُ: لَا، قَدْ قَرَبْتُ مِنْ أَهْلِي، فَضَى يَطْلُبُ، وَتَوَجَّهْتُ عَلَى سَنِي حَتَّى انْقَطَعَ آخِرُ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ كَرَرْتُ رَاجِعًا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَالْتَمَسْتُ حِمَارَهُ حَتَّى وَجَدْتُهُ، فَركب، وانطلقنا حتى بتنا في أهلنا، فقال إبراهيم: تعلم والله لقد بليت البارحة دما، فأرسل من ينظر، فأتيت الموضع الذي بال فيه، فوجدته قد بال دما قَالَ: وحدثني الفضل بن عبد الرحيم بن سليمان بن علي، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: غَمَضَ عَلِيٌّ أَمْرَ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ طُفُوفُ الْبَصْرَةِ قَالَ: وحدثني محمد بن مسعر بن العلاء، قَالَ: لما قدم إبراهيم البصرة، دعا الناس، فأجابه موسى بن عمر بن موسى بن عبد الله بن خازم، ثم ذهب بإبراهيم إلى النضر بن إسحاق بن عبد الله بن خازم مستخفيا، فقال للنضر بن إسحاق: هذا رسول إبراهيم، فكلمه إبراهيم ودعاه إلى الخروج، فقال له النضر: يا هذا، كيف أباع صاحبك وقد عند جدي عبد الله بن خازم عن جده علي بن أبي طالب، وكان عليه فيمن خالفه، فقال له إبراهيم:

دع سيرة الآباء عنك ومذاهبهم، فإنما هو الدين، وأنا أدعوك إلى حق قَالَ: إني والله ما ذكرت لك ما ذكرت إلا مازحا، وما ذاك الذي يمنعني من نصرته صاحبك، ولكني لا أرى القتال ولا أدين به قَالَ: وانصرف إبراهيم،

وتخلف موسى، فقال: هذا والله إبراهيم نفسه، قَالَ: فبئس لعمر الله ما صنعت! لو كنت أعلمتني كلمته غير هذا الكلام! قَالَ: وحدثني نصر بن قديد، قَالَ: دعا إبراهيم الناس وهو في دار أبي فروة، فكان أول من بايعه نميلة بن مرة وعفو الله بن سفيان وعبد الواحد بن زياد وعمر بن سلمة الهجيمي وعبيد الله بن يحيى بن حضير الرقاشي، وندبوا الناس له، فأجاب بعدهم فتیان من العرب، منهم المغيرة

بن الفزع وأشباه له، حتى ظنوا أنه قد أحصى ديوانه اربعة آلاف، وشهر امره، فقالوا:

لو تحولت إلى وسط البصرة أذاك من أذاك وهو مريح، فتحول ونزل دار أبي مروان مولى بني سليم - رجل من أهل نيسابور قال: وحدثني يونس بن نجدة، قال: كان إبراهيم نازلا في بني راسب على عبد الرحمن بن حرب، فخرج من داره في جماعة من أصحابه، منهم عفو الله بن سفيان وبرد بن لبيد، أحد بني يشكر، والمضاء التغلي والطهوي والمغيرة بن الفزع وشميلة بن مرة ويحيى بن عمرو الهماي، فمروا على جفرة بني عقيل حتى خرجوا على الطفاوة، ثم مروا على دار كرزم ونافع إبليس، حتى دخلوا دار أبي مروان في مقبرة بني يشكر قال: وحدثني ابن عفو الله بن سفيان، قال: سمعت أبي يقول: أتيت إبراهيم يوما وهو مرعوب، فأخبرني أن كتاب أخيه أتاها يخبره أنه قد ظهر، ويأمره بالخروج قال: فوجم من ذلك واغتم له، فجعلت أسهل عليه الأمر وأقول: قد اجتمع لك امرئ، معك المضاء والطهوي والمغيرة، وأنا وجماعة، فنخرج إلى السجن في الليل فنفتحه، فتصبح حين تصبح ومعك عالم من الناس، فطابت نفسه قال: وحدثني سهل بن عقيل بن إسماعيل، قال: حدثني أبي، قال:

لما ظهر محمد أرسل أبو جعفر بن حنظلة البهراني - وكان ذا رأي - فقال: هات رأيك، قد ظهر محمد بالمدينة قال: وجه الأجناد إلى البصرة

قال: انصرف حتى أرسل إليك فلما صار إبراهيم إلى البصرة، أرسل إليه، فقال: قد صار إبراهيم إلى البصرة، فقال: إياها خفت! بادره بالجنود، قال: وكيف خفت البصرة؟ قال: لأن محمدا ظهر بالمدينة، وليسوا بأهل حرب، بحسبهم أن يقيموا شأن أنفسهم، وأهل الكوفة تحت قدمك، وأهل الشام أعداء آل أبي طالب، فلم يبق إلا البصرة فوجه أبو جعفر ابني عقيل - قائد من أهل خراسان من طيء - فقدموا.

وعلى البصرة سفيان بن معاوية فأنزلهما قال: وحدثني جواد بن غالب بن موسى مولى بني عجل، عن يحيى بن بديل بن يحيى بن بديل، قال: لما ظهر محمد، قال أبو جعفر لأبي أيوب وعبد الملك بن حميد: هل من رجل ذي رأي تعرفانه، نجح رأيه على رأينا؟ قالوا: بالكوفة بديل بن يحيى - وقد كان أبو العباس يشاوره - فأرسل إليه، فأرسل إليه، فقال: إن محمدا قد ظهر بالمدينة، قال: فاشحن الأهواز جندا، قال: قد فهمت، ولكن الأهواز باهم الذي يؤتون منه، قال:

فقبل أبو جعفر رأيه قال: فلما صار إبراهيم إلى البصرة أرسل إلى بديل، فقال: قد صار إبراهيم إلى البصرة، قال: فعاجله بالجند وأشغل الأهواز عنه.

وحدثني محمد بن حفص الدمشقي، مولى قريش قال: لما ظهر محمد شاور أبو جعفر شيئا من أهل الشام ذا رأي، فقال: وجه إلى البصرة أربعة آلاف من جند أهل الشام فلما عنه، وقال: خرف الشيخ، ثم أرسل إليه، فقال: قد ظهر إبراهيم بالبصرة، قال: فوجه إليه جندا من أهل الشام، قال: ويلك! ومن لي بهم! قال: أكتب إلى عاملك عليها يحمل إليك في كل يوم عشرة على البريد، قال: فكتب بذلك أبو جعفر إلى الشام.

قال عمر بن حفص: فإني لأذكر أبي يعطي الجند حيثنذ، وأنا أمسك له المصباح، وهو يعطيهم ليلا، وأنا يومئذ غلام شاب قال: وحدثني سهل بن عقيل، قال: أخبرني سلم بن فرقد، قال:

لما أشار جعفر بن حنظلة على أبي جعفر بحذر جند الشام إليه، كانوا يقدمون أرسالا، بعضهم على أثر بعض، وكان يريد أن يروع بهم أهل الكوفة، فإذا جنهم الليل في عسكره أمرهم فرجعوا منكبين عن الطريق، فإذا أصبحوا دخلوا، فلا يشك أهل الكوفة أنهم جند آخرون سوى الأولين.

حدثني عبد الحميد - وكان من خدم أبي العباس - قال: كان محمد ابن يزيد من قواد أبي جعفر، وكان له دابة شهري كميته، فربما مر بنا ونحن بالكوفة وهو راكبه، قد ساوى رأسه رأسه، فوجهه أبو جعفر إلى البصرة، فلم يزل بها حتى خرج إبراهيم فأخذه فحبسه.

حدثني سعيد بن نوح بن مجالد الضبي، قال: وجه أبو جعفر مجالدا ومحمدا ابني يزيد بن عمران من أهل أبيورد قائد، فقدم مجالدا قبل محمد، ثم قدم محمد في الليلة التي خرج فيها إبراهيم، فثبطهما سفيان وحبسهما عنده في دار الإمارة حتى ظهر إبراهيم فأخذهما، فقيدهما،

ووجه أبو جعفر معهما قائدا من عبد القيس يدعى معمرًا.

حدثني يونس بن نجدة، قَالَ: قدم على سفيان مجالد بن يزيد الضبي من قبل أبي جعفر في الف وخمسمائة فارس وخمسمائة راجل. حدثني سعيد بن الحسن بن تسنيم بن الحواري بن زياد بن عمرو بن الأشرف، قَالَ: سمعت من لا أحصي من أصحابنا يذكرون أن أبا جعفر شاور في أمر إبراهيم، فقيل له: إن أهل الكوفة له شيعه، والكوفة قدر تفور، أنت طبقتها، فأخرج حتى تنزلها ففعل.

حدثني مسلم الخضي مولى محمد بن سليمان، قَالَ: كان أمر إبراهيم وأنا ابن بضع عشرة سنة، وأنا يومئذ لأبي جعفر، فأنزّلنا الهاشمية بالكوفة ونزل هو بالرصافة في ظهر الكوفة، وكان جميع جنده الذين في عسكره نحوًا من الف وخمسمائة، وكان المسيب بن زهير على حرسه، فجراً الجند ثلاثة

اجزاء خمسمائة، خمسمائة، فكان يطوف الكوفة كلها في كل ليلة، وأمر مناديا فنادى: من أخذناه بعد عتمة فقد أحل بنفسه، فكان إذا أخذ رجلا بعد عتمة لفه في عباءة وحمله، فبيته عنده، فإذا أصبح سأل عنه، فإن علم براءته أطلقه، وإلا حبسه. قَالَ: وحدثني أبو الحسن الحذاء، قَالَ أخذ أبو جعفر الناس بالسواد، فكنت أراهم يصبغون ثيابهم بالمداد.

وحدثني علي بن الجعد، قَالَ: رأيت أهل الكوفة أيامئذ أخذوا بلبس الثياب السود حتى البقالين، إن أحدهم ليصبغ الثوب بالأنقاس ثم يلبسه.

وحدثني جواد بن غالب، قَالَ: حدثني العباس بن سلم مولى قحطبة، قَالَ: كان أمير المؤمنين أبو جعفر إذا اتهم أحدا من أهل الكوفة بالميل إلى إبراهيم أمر أبي سلما بطلبه، فكان يمهّل حتى إذا غسق الليل، وهدأ الناس، نصب سلما على منزل الرجل فطرقة في بيته حتى يخرج منه فيقتله، ويأخذ خاتمه قَالَ أبو سهل جواد: فسمعت جميلا مولى محمد بن أبي العباس يقول للعباس بن سلم: والله لو لم يورثك أبوك إلا خواتيم من قتل من أهل الكوفة كنت أيسر الأبناء.

حدثني سهل بن عقيل، قَالَ: حدثني سلم بن فرقد حاجب سليمان بن مجالد، قَالَ: كان لي بالكوفة صديق، فأتاني - فقال: أيا هذا، اعلم أن أهل الكوفة معدون للوثوب بصاحبكم، فإن قدرت على أن تبوء أهلك مكانا حريزا فافعل، قَالَ: فأتيت سليمان بن مجالد، فأخبرته الخبر، فأخبر أبا جعفر - ولأبي جعفر عين من أهل الكوفة من الصيارفة يدعى ابن مقرن - قَالَ: فأرسل إليه، فقال: ويحك! قد تحرك أهل الكوفة، فقال: لا والله يا أمير المؤمنين، أنا عذيرك منهم، قَالَ: فركن إلى قوله، وأضرب عنهم.

وحدثني يحيى بن ميمون من أهل القادسية، قَالَ: سمعت عدة من أهل القادسية يذكرون أن رجلا من أهل خراسان، يكنى أبا الفضل، ويسمى فلان ابن معقل، ولي القادسية لينع أهل الكوفة إتيان إبراهيم، وكان

الناس قد رصدوا في طريق البصرة، فكانوا يأتون القادسية ثم العذيب، ثم وادي السباع، ثم يعدلون ذات البسار في البر، حتى يقدموا البصرة قَالَ: فخرج نفر من الكوفة اثنا عشر رجلا، حتى إذا كانوا بوادي السباع لقيهم رجل من موالي بني أسد، يسمى بكرا من أهل شراف دون واقصة بميلين من أهل المسجد الذي يدعى مسجد الموالي - فأتى ابن معقل فأخبره، فاتبعهم فأدركهم بخفان - وهي على أربعة فراسخ من القادسية - فقتلهم أجمعين.

حدثني إبراهيم بن سلم، قَالَ: كان الفرافصة العجلي قد هم بالوثوب بالكوفة، فامتنع لمكان أبي جعفر ونزوله بها، وكان ابن ماعز الأسدي يبائع لإبراهيم فيها سرا.

حدثني عبد الله بن راشد بن يزيد، قَالَ: سمعت إسماعيل بن موسى البجلي وعيسى بن النضر السمانين وغيرهما يخبرون أن غزوان كان لآل القعقاع بن ضرار، فاشتراه أبو جعفر، فقال له يوما: يا أمير المؤمنين، هذه سفن منحدره من الموصل فيها مبيضة تريد إبراهيم بالبصرة، قَالَ: فضم إليه جندا، فلقيهم بباحشا بين بغداد والموصل فقتلهم أجمعين، وكانوا تجارا فيهم جماعة من العباد من أهل الخير وغيرهم، وفيهم رجل يدعى أبا العرفان من آل شعيب السمان، فجعل يقول: ويلك يا غزوان! أأست تعرفني! أنا أبو العرفان جارك، انما شخصت برقيق فبعتهم، فلم يقبل وقتلهم أجمعين وبعث برءوسهم إلى الكوفة، فنصبت ما بين دار إسحاق الأزرق إلى جانب دار عيسى

بن موسى إلى مدينة ابن هبيرة قَالَ أبو أحمد عبد الله بن راشد:
فأنا رأيته منصوبة على كوم التراب.

قَالَ: وحدثنا أبو علي القداح، قَالَ: حدثني داود بن سليمان ونيخت وجماعة من القداحين، قالوا: كنا بالموصل، وبها حرب الراوندي رابطة في ألفين، لمكان الخوارج بالجزيرة، فأتاه كُتاب أبي جعفر يأمره بالقفل إليه، فشخص، فلما كان بياحشا اعترض له أهلها، وقالوا: لا ندعك تجوزنا لتنصر أبا جعفر على إبراهيم، فقال لهم: ويحكم! إني لا أريد بكم سوءاً، إنما أنا مار، دعوني قالوا: لا والله لا تجوزنا أبداً، فقاتلهم فأبأهم وحمل منهم خمسمائة رأس، فقدم بها على أبي جعفر، وقص عليه قصتهم قَالَ أبو جعفر: هذا أول الفتح.

وحدثني خالد بن خدّاش بن عجلان مولى عمر بن حفص، قَالَ: حدثني جماعة من أشياخنا أنهم شهدوا ديف بن راشد مولى بني يزيد بن حاتم، أتى سفيان بن معاوية قبل خروج إبراهيم بليلة، فقال: ادفع إلي فوارس آتاك إبراهيم أو برأسه قال أو مالك عمل! اذهب إلى عملك قَالَ: فخرج ديف من ليلته فلاحق بيزيد بن حاتم وهو بمصر.

وحدثني خالد بن خدّاش، قَالَ: سمعت عدة من الأزد يحدثون عن جابر بن حماد- وكان على شرطة سفيان- أنه قَالَ لسفيان قبل خروج إبراهيم بيوم: إني مررت في مقبرة بني يشكر، فصيحوا بي ورموني بالحجارة، فقال له: أما كان لك طريق! وحدثني أبو عمر الحوزي حفص بن عمر، قَالَ: مر عاقب صاحب شرط سفيان يوم الأحد قبل ظهور إبراهيم بيوم، في مقبرة بني يشكر، فقبل له: هذا إبراهيم يريد الخروج، فقال: كذبتهم، ولم يعرج على ذلك! قَالَ أبو عمر الحوزي: جعل أصحاب إبراهيم ينادون سفيان وهو محصور: اذكر بيعتك في دار المخزوميين.

قَالَ أبو عمر: وحدثني محارب بن نصر، قَالَ: مر سفيان بعد قتل إبراهيم في سفينة وأبو جعفر مشرف من قصره، فقال: إن هذا لسفيان؟ قالوا: نعم، قَالَ: والله للعجب! كيف يفلتني ابن الفاعلة! قَالَ الحوزي: قَالَ سفيان لقائد من قواد إبراهيم: أقم عندي، فليس كل أصحابك يعلم ما كان بيني وبين إبراهيم.

قَالَ: وحدثني نصر بن فرقد، قَالَ: كان كرزم السدوسي يغدو على سفيان بخبر إبراهيم ويروح، ويعلمه من يأتيه فلا يعرض له، ولا يتبع له أثراً

وذكر أن سفيان بن معاوية كان عامل المنصور أيامئذ على البصرة، وكان قد مالاً إبراهيم بن عبد الله على أمره فلا ينصح لصاحبه. اختلف في وقت قدوم إبراهيم البصرة فقال بعض: كان قدومه إياها أول يوم من شهر رمضان في سنة خمس وأربعين ومائة. ذكر من قَالَ ذلك:

حدثني الحارث، قَالَ: حدثنا ابن سعد، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ:

لما ظهر محمد بن عبد الله بن الحسن، وغلب على المدينة ومكة، وسلم عليه بالخلافة، وجه أخاه إبراهيم بن عبد الله إلى البصرة، فدخلها في أول يوم من شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة، فغلب عليها، وبيض بها وبيض بها أهل البصرة معه، وخرج معه عيسى بن يونس ومعاذ بن معاذ بن العوام وإسحاق بن يوسف الأزرق ومعاوية بن هشام، وجماعة كثيرة من الفقهاء وأهل العلم، فلم يزل بالبصرة شهر رمضان وشوالاً، فلما بلغه قتل أخيه محمد بن عبد الله تأهب واستعد، وخرج يريد أبا جعفر بالكوفة.

وقد ذكرنا قول من قَالَ: كان مقدم إبراهيم البصرة في أول سنة ثلاث وأربعين ومائة، غير أنه كان مقيماً بها، مختفياً يدعو أهلها في السر إلى البيعة لأخيه محمد، فذكر سهل بن عقيل، عن أبيه، أن سفيان كان يرسل إلى قائدين كانا قد ما عليه من عند أبي جعفر مدداً له قبل ظهور إبراهيم، فيكونان عنده، فلما وعده إبراهيم بالخروج أرسل إليهما فاحتبسهما عنده تلك الليلة حتى خرج، فأحاط به وبهما فاخذهم.

وحدثت عن محمد بن معروف بن سويد، قال: حدثني أبي، قال:

وجه أبو جعفر مجالدا ومحمدا ويزيد، قوادا ثلاثة كانوا إخوة قبل ظهور إبراهيم، فقدموا جندهم، فجعلوا يدخلون البصرة تترى، بعضهم على أثر بعض، فأشفق إبراهيم أن يكثروا بها، فظهر

وذكر نصر بن قديد، ع أن إبراهيم خرج ليلة الاثنين لغرة شهر رمضان من سنة خمس وأربعين ومائة، فصار إلى مقبرة بني يشكر في بضعة عشر رجلا فارسا، فيهم عبيد الله بن يحيى بن حصين الرقاشي قال: وقدم تلك الليلة أبو حماد الأبرص مددا لسفيان في ألفي رجل، فنزل الرحبة إلى أن ينزلوا فصار إبراهيم فكان أول شيء أصاب دواب أولئك الجند وأسلحتهم، وصلى بالناس الغداة في المسجد الجامع، وتحصن سفيان في الدار، ومعه فيها جماعة من بني أبيه، وأقبل الناس إلى إبراهيم من بين ناظر وناصر حتى كثروا، فلما رأى ذلك سفيان طلب الأمان، فأجيب إليه، فدخل إلى إبراهيم مطهر بن جويرة السدوسي، فأخذ لسفيان الأمان، وفتح الباب، ودخل إبراهيم الدار، فلما دخلها ألقى له حصير في مقدم الإيوان، فهبت ريح فقلبت ظهرها لبطن، فتطير الناس لذلك، فقال إبراهيم: إنا لا نتطير، ثم جلس عليه مقلوبا والكراهة ترى في وجهه، فلما دخل إبراهيم الدار خلى عن كل من كان فيها- فيما ذكر- غير سفيان بن معاوية، فإنه حبسه في القصر وقيده قيدا خفيفا، فأراد إبراهيم- فيما ذكر- بذلك من فعله أن يري أبا جعفر أنه عنده محبوس، وبلغ جعفر ومحمدا ابني سليمان بن علي- وكانا بالبصرة يومئذ- مصير إبراهيم إلى دار الإمارة وحبسه سفيان، فأقبلا- فيما قيل- في ستمائه من الرجالة والفرسان والناشبة يريدانه، فوجه إبراهيم إليهما المضاء بن القاسم الجزري في ثمانية عشر فارسا وثلاثين راجلا، فهزمهم المضاء ولحق محمدا رجل من أصحاب المضاء قطعته في فخذه، ونادى مناد لإبراهيم: لا يتبع مدبر، ومضى هو بنفسه حتى وقف على باب زينب بنت سليمان، فنادى بالأمان لال سليمان، والا يعرض لهم أحد.

وذكر بكر بن كثير، أن إبراهيم لما ظهر على جعفر ومحمد وأخذ البصرة، وجد في بيت المال ستمائة ألف، فأمر بالاحتفاظ بها- وقيل إنه وجد في بيت المال ألفي درهم- فقوي بذلك، وفرض لكل رجل خمسين خمسين، فلما غلب إبراهيم على البصرة وجه- فيما ذكر- إلى الأهواز رجلا يدعى الحسين

ابن ثولاء، يدعوهم إلى البيعة، فخرج فأخذ بيعتهم، ثم رجع إلى إبراهيم.

فوجه إبراهيم المغيرة في خمسين رجلا، ثم اجتمع إلى المغيرة لما صار إلى الأهواز تمام مائتي رجل وكان عامل الأهواز يومئذ من قبل أبي جعفر محمد ابن الحصين فلما بلغ ابن الحصين دنو المغيرة منه خرج إليه بمن معه، وهم- فيما قيل- أربعة آلاف، فالتقوا على ميل من قصبة الأهواز بموضع يقال له دشت أربك، فأنكشف ابن حصين وأصحابه، ودخل المغيرة الأهواز وقد قيل: إن المغيرة صار إلى الأهواز بعد شخوص إبراهيم عن البصرة إلى باخري ذكر محمد بن خالد المريعي، أن إبراهيم لما ظهر على البصرة ثم أراد الخروج إلى ناحية الكوفة، استخلف على البصرة ثميلة بن مره العبشمي، وأمر بتوجيه المغيرة بن الفزع أحد بني بهدلة بن عوف إلى الأهواز، وعليها يومئذ محمد بن الحصين العبدي، ووجه إبراهيم إلى فارس عمرو بن شداد عاملا عليها، فمر برام هرمز ويعقوب بن الفضل وهو بها، فاستتبعه، فشخص معه حتى قدم فارس، وبها إسماعيل بن علي بن عبد الله عاملا عليها من قبل أبي جعفر، ومعه أخوه عبد الصمد بن علي، فلما بلغ إسماعيل بن علي وعبد الصمد إقبال عمرو بن شداد ويعقوب بن الفضل- وكانا بإصطخر- بادرا إلى دارابجرد، فتحصنا بها، فصارت فارس في يد عمرو بن شداد ويعقوب بن الفضل، فصارت البصرة والأهواز وفارس في سلطان إبراهيم.

وحدثت عن سليمان بن أبي شيخ، قال: لما ظهر إبراهيم بالبصرة، أقبل الحكم بن أبي غيلان اليشكري في سبعة عشر ألفا حتى دخل واسطا، وبها هارون بن حميد الإيادي من قبل أبي جعفر، فدخل هارون تورا في القصر حتى أخرج منه، وأتى أهل واسط حفص بن عمر بن حفص بن عمر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة، فقالوا له: أنت أولى من هذا الهجيمي، فأخذها حفص، وخرج منها اليشكري، وولى حفص شرطه أبا مقرن الهجيمي

وذكر عمر بن عبد الغفار بن عمرو الفقيمي، ابن أخي الفضل بن عمرو الفقيمي، قال: كان إبراهيم واجدا على هارون بن سعد، لا يكلمه،

فلما ظهر إبراهيم قدم هارون بن سعد، فأتى سلم بن أبي واصل، فقال له: أخبرني عن صاحبك، أما به إلينا حاجة في أمره هذا! قال: بلى لعمر الله ثم قام فدخل على إبراهيم، فقال: هذا هارون بن سعد قد جاءك، قال: لا حاجة لي به، قال: لا تفعل، في هارون تزهد، فلم يزل به حتى قبله، وأذن له فدخل عليه، فقال له هارون: استكفني أهم أمورك إليك، فاستكفاه واسطاً، واستعمله عليها. قال سليمان بن أبي شيخ: حدثني أبو الصعدي، قال: أتنا هارون بن سعد العجلي من أهل الكوفة، وقد وجهه إبراهيم من البصرة، وكان شيخاً كبيراً، وكان أشهر من معه من أهل البصرة الطهوي، وكان معه ممن يشبه الطهوي في نجدته من أهل واسط عبد الرحيم الكلبي، وكان شجاعاً، وكان ممن قدم به - أو قدم عليه - عبدويه كردام الخراساني وكان من فرسانهم صدقة بن بكار، وكان منصور بن جمهور يقول: إذا كان معي صدقة بن بكار فما أبالي من لقيت! فوجه أبو جعفر إلى واسط لحرب هارون بن سعد عامر بن إسماعيل المسلمي في خمسة آلاف في قول بعضهم، وقال بعضهم:

في عشرين ألفاً، وكانت بينهم وقعات.

وذكر عن ابن أبي الكرام، أنه قال: قدمت على أبي جعفر برأس محمد، وعامر بن إسماعيل بواسط محاصر هارون بن سعد، وكانت الحرب بين أهل واسط وأصحاب أبي جعفر قبل شخوص إبراهيم من البصرة، فذكر سليمان بن أبي شيخ، قال: عسكر عامر بن إسماعيل من وراء النيل، فكانت أول حرب جرت بينه وبين هارون، فضربه عبد سقاء وجرحه وصرعه وهو لا يعرفه، فأرسل إليه أبو جعفر بظبية فيها صمغ عربي، وقال: داو بها جراحك، فالتقوا غير مرة، فقتل من أهل البصرة وأهل واسط خلق كثير، وكان هارون ينههم عن القتال، ويقول: لو لقي صاحبنا صاحبهم تبين لنا الأمر، فاستبقوا أنفسكم، فكانوا لا يفعلون فلما شخض إبراهيم إلى باحري كف الفريقان من أهل واسط وعامر بن إسماعيل، بعضهم عن بعض، وتوادعوا على

ترك الحرب إلى أن يلتقي الفريقان، ثم يكونوا تبعاً للغالب، فلما قتل إبراهيم أراد عامر بن إسماعيل دخول واسط، فمانعه أهلها الدخول قال سليمان:

لما جاء قتل إبراهيم هرب هارون بن سعد، وصالح أهل واسط عامر بن إسماعيل على أن يؤمنهم، فلم يثق كثير منهم بأمانه، فخرجوا منها، ودخلها عامر بن إسماعيل، وأقام بواسط فلم يهجم أحداً.

وكان عامر - فيما ذكر - صالح أهل واسط على ألا يقتل أحداً بواسط، فكانوا يقتلون كل من يجدونه من أهل واسط خارجاً منها، ولما وقع الصلح بين أهل واسط وعامر بعد قتل إبراهيم هرب هارون بن سعد إلى البصرة، فتوفي قبل أن يبلغها فيما ذكر.

وقيل إن هارون بن سعد اختفى، فلم يزل محتفياً حتى ولي محمد بن سليمان الكوفة، فأعطاه الأمان، واستدرجه حتى ظهر، وأمره أن يفرض لمائتين من أهل بيته، فهم أن يفعل، وركب إلى محمد، فلقيه ابن عم له، فقال له:

أنت مخدوع، فرجع فتواري حتى مات، وهدم محمد بن سليمان داره.

قال: ولم يزل إبراهيم مقيماً بالبصرة بعد ظهوره بها، يفرق العمال في النواحي ويوجه الجيوش إلى البلدان، حتى أتاه نعي أخيه محمد، فذكر نصر بن قديد، قال: فرض إبراهيم فروضاً بالبصرة، فلما كان قبل الفطر بثلاثة أيام، أتاه نعي أخيه محمد، فخرج بالناس إلى العيد، وهم يعرفون فيه الانكسار، وأخبر الناس بقتل محمد، فازدادوا في قتال أبي جعفر بصيرة، وأصبح من الغد فعسكر، واستخلف ثميلة على البصرة، وخلف ابنه حسنا معه.

قال سعيد بن هريم: حدثني أبي، قال: قال علي بن داود: لقد نظرت إلى الموت في وجه إبراهيم حين خطبنا يوم الفطر، فانصرفت إلى أهلي فقلت:

قتل والله الرجل! وذكر محمد بن معروف، عن أبيه أن جعفرًا ومحمدًا ابني سليمان لما شخضا من البصرة، أرسلاه إلى أبي جعفر ليخبره خبر إبراهيم، قال: فأخبرته خبرهما، فقال: والله ما أدري كيف أصنع! والله ما في عسكري إلا ألفا رجل، فرقت جندي، ففع المهدي بالري ثلاثون ألفاً، ومع محمد بن الأشعث

بأفريقية أربعون ألفا والباقيون مع عيسى بن موسى، والله لئن سلمت من هذه لا يفارق عسكري ثلاثون ألفا. وقال عبد الله بن راشد: ما كان في عسكر أبي جعفر كثير أحد، ما هم إلا سودان وناس يسير، وكان يأمر بالخطب فيحزم ثم يوقد بالليل، فيراه الرأي فيحسب أن هناك ناسا، وما هي إلا نار تضرم، وليس عندها أحد. قَالَ محمد بن معروف بن سويد: حدثني أبي، قَالَ: لما ورد الخبر على أبي جعفر، كتب إلى عيسى بن موسى وهو بالمدينة: إذا قرأت كتابي هذا فأقبل ودع كل ما أنت فيه، قَالَ: فلم ينشب أن قدم، فوجهه على الناس وكتب إلى سلم بن قتيبة فقدم عليه من الري، فضمه إلى جعفر ابن سليمان. فذكر عن يوسف بن قتيبة بن مسلم، قَالَ: أخبرني أخي سلم بن قتيبة بن مسلم، قَالَ: لما دخلت على أبي جعفر قَالَ لي: اخرج، فإنه قد خرج ابنا عبد الله، فاعمد لإبراهيم ولا يرو عنك جمعه، فوالله إنهما جملا بني هاشم المقتولان جميعا، فابسط يدك، وثق بما أعلمتك، وستذكر مقالتي لك.

قال: فوالله ما هو إلا أن قتل إبراهيم، فجعلت أتذكر مقالته فأعجب.

قَالَ سعيد بن سلم: فاستعمله على ميسرة الناس، وضم إليه بشار بن سلم العقيلي وأبا يحيى بن خريم وأبا هراسة سنان بن مخيس القشيري، وكتب سلم إلى البصرة فلحقت به باهلة، عربها ومواليها، وكتب المنصور إلى المهدي وهو يومئذ بالري يأمره بتوجيه خازم بن خزيمة إلى الأهواز، فوجهه المهدي- فيما ذكر- في أربعة آلاف من الجند، فصار إليها، وحارب بها المغيرة، فانصرف إلى البصرة، ودخل خازم الأهواز، فأباحها ثلاثا.

وذكر عن الفضل بن العباس بن موسى وعمر بن ماهان، أنهما سمعا السندي يقول: كنت وصيفا أيام حرب محمد، أقوم على رأس المنصور بالمذبة، فرأيت لما كشف أمر إبراهيم وغلظ، أقام على مصلى نيفا وخمسين ليلة، ينام عليه ويجلس عليه، وعليه جبة ملونة قد اتسخ جيبها وما تحت لحيته منها، فما غير الجبة، ولا هجر المصلى حتى فتح الله عليه، إلا أنه كان إذا ظهر للناس علا الجبة بالسواد، وقعد على فراشه، فإذا بطن عاد إلى هيئته قَالَ:

فأنته ريسانة في تلك الأيام، وقد أهديت له امرأتان من المدينة، إحداها فاطمة بنت محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله والأخرى أمة الكريم بنت عبد الله من ولد خالد بن أسيد بن أبي العيص، فلم ينظر إليهما، فقالت:

يا أمير المؤمنين، إن هاتين المرأتين قد خبثت أنفسهما، وساءت ظنونهما لما ظهر من جفائك لهما، فنهرا، وقال: ليست هذه الأيام من أيام النساء، لا سبيل لي إليهما حتى أعلم: رأس إبراهيم لي أم رأسي لإبراهيم! وذكر أن محمدا وجعفر ابني سليمان كتبا إلى أبي جعفر يعلمانه بعد خروجهما من البصرة الخبر في قطعة جراب، ولم يقدر على شيء يكتبان فيه غير ذلك، فلما وصل الكتاب إليه، فرأى قطعة جراب بيد الرسول، قَالَ:

خلع والله أهل البصرة مع إبراهيم، ثم قرأ الكتاب، ودعا بعبد الرحمن الخثلي وأبي يعقوب ختن مالك بن الهيثم، فوجههما في خيل كثيفة إليهما، وأمرهما أن يحبساهما حيث لقياهما، وأن يعسكرا معهما، ويسمعا ويطيعا لهما، وكتب إليهما يعجزهما ويضعفهما ويوبخهما على طمع إبراهيم في الخروج إلى مصرهما فيه، واستتار خبره عنهما، حتى ظهر وكتب في آخر كتابه:

أبلغ بني هاشم عني مغلغة... فاستيقظوا إن هذا فعل نوام

تعدو الذئاب على من لا كلاب له... وثتقي مريض المستنفر الحامي

وذكر عن جعفر بن ربيعة العامري عن الحجاج بن قتيبة بن مسلم، قَالَ:

دخلت على المنصور أيام حرب محمد وإبراهيم، وقد جاءه فتق البصرة والأهواز وفارس وواسط والمدائن والسواد، وهو ينكت الأرض بمخصرته ويتمثل:

ونصبت نفسي للرماح درية... إن الرئيس لمثل ذاك فعول

قَالَ: فقلت: يا أمير المؤمنين، ادام أعزازك ونصرك على عدوك! أنت كما قَالَ الأعشى:

وإن حربهم أوقدت بينهم ... فحرت لهم بعد إبرادها
 وجدت صبوراً على حرها ... وكر الحروب وتردادها
 فقال: يا حجاج، إن إبراهيم قد عرف وعورة جانبي وصعوبة ناحيتي، وخشونة قرني، وإنما جرأه على المسير إلى من البصرة اجتماع هذه
 الكور المطلة على عسكر أمير المؤمنين وأهل السواد معه على الخلاف والمعصية، وقد رميت كل كوره بحجرها وكل ناحية بسهمها،
 ووجهت إليهم الشهم النجد الميمون المظفر عيسى بن موسى، في كثرة من العدد والعدة، واستعنت بالله عليه، واستكفيتها إياه، فإنه لا
 حول ولا قوة لأمر المؤمنين إلا به.

قال جعفر بن ربيعة: قال الحجاج بن قتيبة: لقد دخلت على أمير المؤمنين المنصور في ذلك اليوم مسلماً، وما أظنه يقدر على رد السلام
 لتتابع الفتوق والخروق عليه والعساكر المحيطة به ولما ألف سيف كامن له بالكوفة بإزاء عسكره ينتظرون به صيحة واحدة فيثبون،
 فوجدته صقراً أحوزياً مشمراً، قد قام إلى ما نزل به من النواصب يعركها ويمرسها، فقام بها ولم تقعد به نفسه، وإنه لكان قال الأول:
 نفس عصام سودت عصاماً ... وعلمته الكر والإقداما
 وصيرته ملكاً هماماً

وذكر أبو عبيدة أنه كان عند يونس الجرمي، وقد وجه محمد بن عبد الله أخاه لحرب أبي جعفر، فقال يونس: قدم هذا يريد أن يزيل
 ملكاً، فألته ابنة عمر بن سلمة عما حاوله، ولقد أهديت التيمية إلى أبي جعفر في تلك الأيام، فتركها بمزجر الكلب، فما نظر إليها حتى
 انقضى أمر إبراهيم.

وكان إبراهيم تزوج بعد مقدمه البصرة بهكنة بنت عمر بن سلمة، فكانت تأتيه في مصبغاتها وألوان ثيابها
 فلما أراد إبراهيم الشخوص نحو أبي جعفر، دخل - فيما ذكر بشر بن سلم - عليه ثميله الطهوى وجماعة من قواده من أهل البصرة، فقالوا
 له:

أصلحك الله! إنك قد ظهرت على البصرة والأهواز وفارس وواسط، فأقم بمكانك، ووجه الأجناد، فإن هزم لك جند أمددتهم بجند،
 وإن هزم لك قائد أمددته بقائد، نخيف مكانك، واتقاك عدوك، وجبيت الأموال، وثبتت وطأتك، ثم رأيك بعد فقال الكوفيون:
 أصلحك الله! إن بالكوفة رجالاً لو قد رأوك ماتوا دونك، وإلا يروك تقعد بهم أسباب شتى فلا يأتونك، فلم يزالوا به حتى شخص.

وذكر عن عبد الله بن جعفر المدني، قال: خرجنا مع إبراهيم إلى باخمري، فلما عسكرنا أتاناً ليلة من الليالي، فقال: انطلق بنا نطف في
 عسكرنا قال: فسمع أصوات طناير وغناء فرجع، ثم أتانى ليلة أخرى فقال: انطلق بنا، فانطلقت معه، فسمع مثل ذلك فرجع وقال:
 ما أطمع في نصر عسكر فيه مثل هذا.

وذكر عن عفان بن مسلم الصفار، قال: لما عسكر إبراهيم افترض معه رجال من جيراننا، فأتيته معسكره، فحزرت أن معه أقل من
 عشرة آلاف.

فأما داود بن جعفر بن سليمان، فإنه قال: أحصي في ديوان إبراهيم من أهل البصرة مائة ألف ووجه أبو جعفر عيسى بن موسى - فيما
 ذكر إبراهيم بن موسى بن عيسى - في خمسة عشر ألفاً، وجعل على مقدمته حميد بن ققطبة على ثلاثة آلاف فلما شخص عيسى بن موسى
 نحو إبراهيم سار معه - فيما ذكر - أبو جعفر حتى بلغ نهر البصريين، ثم رجع أبو جعفر، وسار إبراهيم من معسكره بالماخور من خريبة
 البصرة نحو الكوفة.

فذكر بعض بني تيم الله عن أوس بن مهلهل القطعي، قال: مر بنا إبراهيم في طريقه ذلك، ومنزلنا بالقباب التي تدعى قباب أوس،
 فخرجت أتلقيه مع أبي وعمي، فأنهينا إليه وهو على برذون له يرتاد منزلاً من الأرض، قال: فسمعت يمثّل أبيتاً للقطامي:

امور لو تدبرها حليم ... إذا لنهى وهيب ما استطاع

ومعصية الشفيق عليك مما ... يزيدك مره منه استماع

وخبر الأمر ما استقبلت منه ... وليس بأن تتبعه اتباعا

ولكن الأديم إذا تفرى ... بلى وتعبيا غلب الصنعا

فقلت للذي معي: إني لأسمع كلام رجل نادم على مسيره ثم سار فلما بلغ كرخا قال له- فيما ذكر عن سليمان بن أبي شيخ عن عبد الواحد بن زياد بن لبيد- إن هذه بلاد قومي، وأنا أعلم بها، فلا تقصد قصد عيسى بن موسى، وهذه العساكر التي وجهت إليك، ولكني أسلك بك إن تركتني طريقا لا يشعر بك أبو جعفر إلا وأنت معه بالكوفة فأبى عليه قال: فإننا معشر ربيعة أصحاب بيات، فدعني أبيت أصحاب عيسى بياتا، قال: إني أكره البيات.

وذكر عن سعيد بن هريم أن أباه أخبره، قال: قلت لإبراهيم: إنك غير ظاهر على هذا الرجل حتى تأخذ الكوفة، فإن صارت لك مع تحصنه بها لم تقم له بعدها قائمة، ولي بعد بها أهيل، فدعني أسر إليها محتفيا فادعو إليك في السر ثم أجهز، فإنهم إن سمعوا داعيا إليك أجابوه، وإن سمع أبو جعفر الهيعة بأرجاء الكوفة لم يرد وجهه شيء دون حلوان قال: فاقبل على بشير الرحال، فقال: ما ترى يا أبا محمد؟ قال: إنا لو وثقنا بالذي تصف لكان رأيا، ولكنا لا نأمن أن تجيبك منهم طائفة، فيرسل إليهم أبو جعفر خيلا فيطأ البريء والنطف والصغير والكبير، فتكون قد تعرضت لما ثم ذلك، ولم تبلغ منه ما أملت فقلت لبشير: أخرجت حين خرجت لقتال أبي جعفر وأصحابه، وأنت تتوقى قتل الضعيف والصغير والمرأة والرجل، أو ليس قد كان رسول الله ص يوجه السرية فيقاتل فيكون في ذلك نحو ما كرهت! فقال: إن أولئك كانوا مشركين كلهم، وهؤلاء أهل ملتنا

ودعوتنا وقبلتنا، حكمهم غير حكم أولئك، فاتبع إبراهيم رأيه ولم يأذن له، وسار إبراهيم حتى نزل باخمري وذكر خالد بن أسيد الباهلي أنه لما نزلها أرسل إليه سلم بن قتيبة حكيم ابن عبد الكريم: إنك قد أصحرت، ومثلك أنفك به عن الموت، نخندق على نفسك حتى لا تؤتى إلا من مأتى واحد، فإن أنت لم تفعل فقد أعزى أبو جعفر عسكره، فتخفف في طائفة حتى تأتبه فتأخذ بقفاه.

قال: فدعا إبراهيم أصحابه، فعرض ذلك عليهم، فقالوا: نخندق على أنفسنا ونحن ظاهرون عليهم! لا والله لا نفعل قال: فنأتيه؟ قالوا: ولم وهو في أيدينا متى أردناه! فقال إبراهيم لحكيم: قد تسمع، فارجع راشدا.

فذكر إبراهيم بن سلم أن أخاه حدثه عن أبيه، قال: لما التقينا صف لهم أصحابنا، فخرجت من صفهم، فقلت لإبراهيم: إن الصف إذا انهزم بعضه تداعى، فلم يكن لهم نظام، فاجعلهم كرايس، فإن انهزم كردوس ثبت كردوس، فتنادوا: لا، إلا قتال أهل الإسلام يريدون قوله تعالى:

«يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا» وذكر يحيى بن شكر مولى محمد بن سليمان، قال: قال المضاء: لما نزلنا باخمري أتيت إبراهيم فقلت له: إن هؤلاء القوم مصبحوك بما يسد عليك مغرب الشمس من السلاح والكراع، وإنما معك رجال عراة من أهل البصرة، فدعني أبيت، فوالله لأشتن جموعه، فقال: إني أكره القتل، فقلت:

تريد الملك وتكره القتل! وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: لما بلغ إبراهيم قتل أخيه محمد بن عبد الله، خرج يريد أبا جعفر المنصور بالكوفة، فكتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى يعمله ذلك، ويأمره أن يقبل إليه، فوافاه رسول أبي جعفر وكتابه- وقد أحرم بعمره- فرفضها، وأقبل إلى أبي جعفر، فوجهه في القواد والجند والسلاح إلى إبراهيم بن عبد الله

وأقبل إبراهيم ومعه جماعة كثيرة من أفناء الناس، أكثر من جماعه عيسى ابن موسى، فالتقوا بباهمري- وهي على ستة عشر فرسخا من الكوفة- فاقتتلوا بها قتالا شديدا، وانهزم حميد بن قحطبة- وكان على مقدمة عيسى بن موسى- وانهزم الناس معه، فعرض لهم عيسى بن موسى يناديهم الله والطاعة فلا يلوون عليه، ومروا منهزمين وأقبل حميد بن قحطبة منهزما، فقال له عيسى بن موسى: يا حميد، الله الله والطاعة! فقال: لا طاعة في الهزيمة ومرو الناس كلهم حتى لم يبق منهم أحد بين يدي عيسى بن موسى، وعسكر إبراهيم بن عبد الله، فثبت عيسى بن موسى في مكانه الذي كان فيه لا يزول، وهو في مائة رجل من خاصته وحشمه، فقليل له: أصالح الله الأمير! لو تنحيت عن هذا المكان حتى يثوب إليك الناس ففكر بهم! فقال:

لا أزول عن مكاني هذا أبدا حتى أقتل أو يفتح الله على يدي، ولا يقال:

انهزم.

وذكر عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن علي أن إسحاق بن عيسى بن علي حدثه أنه سمع عيسى بن موسى يحدث أباه أنه قال: لما أراد أمير المؤمنين توجيهي إلى إبراهيم، قال: إن هؤلاء الخبيثاء- يعني المنجمين- يزعمون أنك لاق الرجل، وأن لك جولة حين تلقاه، ثم يفيء إليك أصحابك، وتكون العاقبة لك قال: فوالله لكان كما قال، ما هو إلا أن التقينا فهزمونا، فلقد رأيتني وما معي إلا ثلاثة أو أربعة، فأقبل علي مولى لي- كان ممسكا بلجام دابتي- فقال: جعلت فداك! علام تقيم وقد ذهب أصحابك! فقلت: لا والله، لا ينظر أهل بيتي إلى وجهي ابدا وقد انهزمت عن عدوهم.

قال: فوالله لكان أكثر ما عندي أن جعلت أقول لمن مر بي ممن أعرف من المنهزمين: اقرئوا أهل بيتي مني السلام، وقولوا لهم: إني لم أجد فداء أفديكم به أعز علي من نفسي، وقد بذلتها دونكم قال: فوالله إنا لعل ذلك والناس منهزمون ما يلوي أحد على أحد وصمد ابنا سليمان: جعفر ومحمد لإبراهيم، نفرجا عليه من ورائه، ولا يشعر من باعقبا من أصحاب إبراهيم، حتى نظر بعضهم إلى بعض، وإذا القتال من ورائهم، فكروا نحوه، وعقبنا في آثارهم راجعين، فكانت إياها قال: فسمعت عيسى بن موسى يومئذ يقول لأبي:

فوالله يا أبا العباس، لولا ابنا سليمان يومئذ لافتضحنا، وكان من صنع الله أن أصحابنا لما انهزموا يومئذ اعترض لهم نهر ذو ثنيتين مرتفعتين، فحالتا بينهما وبين الوثوب، ولم يجدوا مخاضة، فكروا راجعين بأجمعهم.

فذكر عن محمد بن إسحاق بن مهران، أنه قال: كان بياحري ناس من آل طلحة فمخروها على إبراهيم وأصحابه، وبثقوا الماء، فأصبح أهل عسكره مرتطمين في الماء وقد زعم بعضهم أن إبراهيم هو الذي مخر ليكون قتاله من وجه واحد، فلما انهزموا منعهم الماء من الفرار، فلما انهزم أصحاب إبراهيم ثبت إبراهيم وثبت معه جماعة من أصحابه يقاتلون دونه، اختلف في مبلغ عددهم، فقال بعضهم: كانوا خمسمائة، وقال بعضهم: كانوا أربعمائة، وقال بعضهم: بل كانوا سبعين.

فحدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: قال محمد بن عمر: لما انهزم أصحاب عيسى بن موسى وثبت عيسى مكانه، أقبل إبراهيم بن عبد الله في عسكره يدنو ويدنو غبار عسكره، حتى يراه عيسى ومن معه، فيناهم على ذلك إذا فارس قد أقبل وكر راجعا يجري نحو إبراهيم، لا يعرج على شيء، فإذا هو حميد بن قطبة قد غير لأتمته، وعصب رأسه بعصابة صفراء، فكر الناس يتبعونه حتى لم يبق أحد ممن كان انهزم إلا كرا رجعا، حتى خالطوا القوم، فقاتلوهم قتالا شديدا حتى قتل الفريقان بعضهم بعضا، وجعل حميد بن قطبة يرسل بالبرءوس إلى عيسى بن موسى إلى أن أتى برأس ومعه جماعة كثيرة وضجة وصياح، فقالوا: رأس إبراهيم بن عبد الله، فدعا عيسى ابن موسى بن أبي الكرام الجعفري، فأراه إياه، فقال: ليس هذا، وجعلوا يقتلون يومهم ذلك، إلى أن جاء سهم عائر لا يدري من رمى به، فوقع في حلق إبراهيم بن عبد الله فنحره، فتنحى عن موقفه، فقال: انزلوني، فانزلوه

عن مركبه، وهو يقول: «وكان أمر الله قدرا مقدورا»، أردنا أمرا وأراد الله غيره، فأنزل إلى الأرض وهو مثخن، واجتمع عليه أصحابه وخاصته يحمونه ويقاتلون دونه، ورأى حميد بن قطبة اجتماعهم، فأنكرهم فقال لأصحابه:

شدوا على تلك الجماعة حتى تزيلوهم عن موضعهم، وتعلموا ما اجتمعوا عليه، فشدوا عليهم، فقاتلوهم أشد القتال حتى أفرجهم عن إبراهيم، وخلصوا إليه فحزوا رأسه، فأتوا به عيسى بن موسى، فأراه ابن أبي الكرام الجعفري، فقال: نعم، هذا رأسه، فنزل عيسى إلى الأرض فسجد، وبعث برأسه إلى أبي جعفر المنصور، وكان قتله يوم الاثنين لخمس ليال بقين من ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومائة وكان يوم قتل ابن ثمان وأربعين سنة، ومكث منذ خرج إلى أن قتل ثلاثة أشهر إلا خمسة أيام.

وذكر عبد الحميد أنه سأل أبا صلابة: كيف قتل إبراهيم؟ قال:

إني لأنظر إليه واقفا على دابة ينظر إلى أصحاب عيسى قد ولوا ومنحوه أكتافهم، ونكص عيسى بدابته القهقري وأصحابه يقتلونهم، وعليه قباء زرد، فأذاه الحر، فخل أزرار قبائه، فشال الزرد حتى سال عن ثدييه، وحسر عن لبتة، فأثنت نشابة عائرة، فأصابته في لبتة، فرأيت

اعتنق فرسه، وكر راجعا، وأطافت به الزيدية.
 وذكر إبراهيم بن محمد بن أبي الكرام، قَالَ: حدثني أبي، قَالَ: لما انهزم أصحاب عيسى تبعتهم رايات إبراهيم في آثارهم، فنادى منادي إبراهيم: ألا لا تتبعوا مدبرا، فكرت الرايات راجعة، ورأها أصحاب عيسى نخالوهم انهزموا، فكروا في آثارهم، فكانت الهزيمة.
 وذكر أن أبا جعفر لما بلغته جولة أصحاب عيسى عزم على الرحيل إلى الري، فذكر سلم بن فرقد حاجب سليمان بن مجالد، أنه قَالَ: لما التقوا هزم أصحاب عيسى هزيمة قبيحة حتى دخل أوائلهم الكوفة، فأتاني صديق لي كوفي، فقال: أيها الرجل، تعلم والله لقد دخل أصحابك الكوفة، فهذا أخو أبي هريرة في دار فلان، وهذا فلان في دار فلان، فانظر لنفسك وأهلك ومالك، قَالَ: فأخبرت بذلك سليمان بن مجالد، فأخبر به أبا جعفر، فقال:
 لا تكشفن من هذا شيئا ولا تلتفتن إليه، فإني لا آمن أن يهجم علي ما أكره، وأعدد على كل باب من أبواب المدينة إبلا ودواب، فإن أتينا من ناحية صرنا إلى الناحية الأخرى فقيل لسلم: إلى أين أراد أبو جعفر؟ يذهب إن دمه أمر.
 قَالَ: كان عزم على إتيان الري، فبلغني أن نبيخت المنجم دخل على أبي جعفر، فقال: يا أمير المؤمنين، الظفر لك، وسيقتل إبراهيم، فلم يقبل ذلك منه، فقال له: احبسنى عندك، فإن لم يكن الأمر كما قلت لك فاقتلني، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخبر بهزيمة إبراهيم، فتمثل ببيت معقر بن أوس ابن حمار البارقى:
 فألقت عصاها واستقرت بها النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر
 فأقطع أبو جعفر نبيخت ألفي جريب بنهر جوبر، فذكر ابو نعيم الفضل ابن دكين أن أبا جعفر لما أصبح من الليلة التي أتى فيها برأس إبراهيم - وذلك ليلة الثلاثاء لخمس بقين من ذي القعدة - أمر برأسه فنصب رأسه في السوق.
 وذكر أن أبا جعفر لما أتى برأسه فوضع بين يديه بكى حتى قطرت دموعه على خد إبراهيم، ثم قَالَ: أما والله إن كنت لهذا لكارها، ولكنك ابتليت بي وابتليت بك.
 وذكر عن صالح مولى المنصور أن المنصور لما أتى برأس إبراهيم بن عبد الله وضعه بين يديه، وجلس مجلسا عاما، وأذن للناس، فكان الداخل يدخل فيسلم ويتناول إبراهيم فيسيء القول فيه، ويذكر منه القبيح، التماسا لرضا أبي جعفر، وأبو جعفر ممسك متغير لونه، حتى دخل جعفر بن حنظلة البهراني، فوقف فسلم، ثم قَالَ: عظم الله أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك، وغفر له ما فرط فيه من حقك! فاصفرون أبي جعفر وأقبل عليه، فقال:
 أبا خالد، مرحبا وأهلا هاهنا! فعلم الناس أن ذلك قد وقع منه، فدخلوا فقالوا مثل ما قَالَ جعفر بن حنظلة.
 وفي هذه السنة خرجت الترك والخزر بباب الأبواب فقتلوا من المسلمين بأرمينية جماعة كثيرة.
 وجج بالناس في هذه السنة السري بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب وكان عامل أبي جعفر على مكة.
 وكان والي المدينة في هذه السنة عبد الله بن الربيع الحارثي، ووالي الكوفة وأراضيها عيسى بن موسى، ووالي البصرة سلم بن قتيبة الباهلي وكان على قضائها عباد بن منصور، وعلى مصر يزيد بن حاتم.

٧٠٤٣ سنة ست وأربعين ومائة

٧٠٤٣٠١ خبر استتمام بناء بغداد وتحول أبي جعفر إليها

ثم دخلت

سنة ست وأربعين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

خبر استتمام بناء بغداد وتحول أبي جعفر إليها

فما كان فيها من ذلك استتمام أبي جعفر مدينته بغداد، ذكر محمد بن عمر أن أبا جعفر تحول من مدينة ابن هبيرة إلى بغداد في صفر سنة ست وأربعين ومائة، فنزلها وبني مدينتها.

ذكر الخبر عن صفة بنائه إياها:

قد ذكرنا قبل السبب الباعث كان لأبي جعفر على بنائها، والسبب الذي من أجله اختار البقعة التي بنى فيها مدينته، ونذكر الآن صفة بنائه إياها.

ذكر عن رشيد أبي داود بن رشيد أن أبا جعفر شخص إلى الكوفة حين بلغه خروج محمد بن عبد الله، وقد هيا لبناء مدينة بغداد ما يحتاج إليه من خشب وساج وغير ذلك، واستخلف حين شخص على إصلاح ما أعد لذلك مولى له يقال له أسلم، فبلغ أسلم أن إبراهيم بن عبد الله قد هزم عسكر أبي جعفر، فأحرق ما كان خلفه عليه أبو جعفر من ساج وخشب، خوفاً أن يؤخذ منه ذلك، إذا غلب مولاه، فلما بلغ أبا جعفر ما فعل من ذلك مولاه أسلم كتب إليه يلومه على ذلك، فكتب إليه أسلم يخبر أنه خاف أن يظفر بهم إبراهيم فيأخذه، فلم يقل له شيئاً.

وذكر عن اسحق بن إبراهيم الموصلي، عن أبيه، قال: لما أراد المنصور بناء مدينة بغداد، شاور أصحابه فيها، وكان ممن شاوره فيها خالد بن برمك، فأشار بها، فذكر عن علي بن عصمة أن خالد بن برمك خط مدينة أبي جعفر له، وأشار بها عليه، فلما احتاج إلى الانقضاء، قال له: ما ترى في نقض بناء مدينة إيوان كسرى بالمداين وحمل نقضه إلى مدينتي هذه؟ قال: لا أرى ذلك يا أمير المؤمنين، قال: ولم؟ قال: لأنه علم من أعلام الإسلام، يستدل به الناظر إليه على أنه لم يكن ليزال مثل أصحابه عنه بأمر دنيا، وإنما

هو على أمر دين، ومع هذا يا أمير المؤمنين، فإن فيه مصلى على بن أبي طالب صلوات الله عليه، قال: هيات يا خالد! أبيت إلا الميل إلى أصحابك العجم! وأمر أن ينقض القصر الأبيض، فنقضت ناحية منه، وحمل نقضه، فنظر في مقدار ما يلزمهم للنقض والحمل فوجدوا ذلك أكثر من ثمن الجديد لو عمل، فرفع ذلك إلى المنصور، فدعا بخالد بن برمك، فأعلمه ما يلزمهم في نقضه وحمله، وقال: ما ترى؟ قال: يا أمير المؤمنين، قد كنت أرى قبل الآن تفعل، فاما إذ فعلت فإني أرى أن تهدم الآن حتى تلحق بقواعده، لئلا يقال: إنك قد عجزت عن هدمه فأعرض المنصور عن ذلك، وأمر ألا يهدم فقال موسى بن داود المهندس: قال لي المأمون - وحدثني بهذا الحديث: يا موسى إذا بنيت لي بناء فاجعله ما يعجز عن هدمه ليبقى طله ورسمه وذكر أن أبا جعفر احتاج إلى الأبواب للمدينة، فزعم أبو عبد الرحمن الهمامي أن سليمان بن داود كان بنى مدينة بالقرب من موضع بناء الحجاج واسطاً يقال لها الزندورد، واتخذت له الشياطين لها خمسة أبواب من حديد لا يمكن الناس اليوم عمل مثلها، فنصبها عليها، فلم تزل عليها إلى أن بنى الحجاج واسطاً، وخربت تلك المدينة، فنقل الحجاج أبوابها فصيرها على مدينته بواسط، فلما بنى أبو جعفر المدينة أخذ تلك الأبواب فنصبها على المدينة، فهي عليها إلى اليوم وللمدينة ثمانية أبواب: أربعة داخلية وأربعة خارجة، فصار على الداخلية أربعة أبواب من هذه الخمسة، وعلى باب القصر الخارج الخامس منها، وصير على باب خراسان الخارج باباً جيء به من الشام من عمل الفراعنة، وصير على باب الكوفة الخارج باباً جيء به من الكوفة، كان عمله خالد بن عبد الله القسري، وأمر باتخاذ باب لباب الشام، فعمل ببغداد، فهو أضعف الأبواب كلها وبنيت المدينة مدورة لئلا يكون الملك إذا نزل وسطها إلى موضع منها أقرب منه إلى موضع، وجعل أبوابها أربعة، على تدير العساكر في الحروب، وعمل لها سورين، فالسور الداخل أطول من السور الخارج،

وبنى قصره في وسطها، والمسجد الجامع حول القصر.

وذكر أن الحجاج بن أرطاة هو الذي خط مسجد جامعها بأمر أبي جعفر، ووضع أساسه وقيل أن قبلتها على غير صواب وأن المصلي فيه يحتاج أن ينحرف إلى باب البصرة قليلاً، وأن قبلة مسجد الرصافة أصوب من قبلة مسجد المدينة، لأن مسجد المدينة بني على القصر، ومسجد الرصافة بني قبل القصر وبني القصر عليه، فلذلك صار كذلك.

وذكر يحيى بن عبد الخالق أن أباه حدثه أن أبا جعفر ولى كل ربع من المدينة قائداً يتولى الاستحاث على الفراغ من بناء ذلك الربع. وذكر هارون بن زياد بن خالد بن الصلت، قال: أخبرني أبي، قال:

ولى المنصور خالد بن الصلت النفقة على ربع من أرباع المدينة وهي تبني.

قَالَ خالد: فلما فرغت من بناء ذلك الربع رفعت إليه جماعة النفقة عليه، فحسبها بيده، فبقي علي خمسة عشر درهما، فحبسني بها في حبس الشرقية أياما حتى أديتها، وكان اللبن الذي صنع لبناء المدينة اللبنة منها ذراعا في ذراع.

وذكر عن بعضهم أنه هدم من السور الذي يلي باب المحول قطعة فوجد فيها لبنة مكتوبا عليها بمغرة وزنها مائة وسبعة عشر رطلا قَالَ: فوزناها فوجدناها على ما كان مكتوبا عليها من الوزن وكانت مقاصير جماعة من قواد أبي جعفر وكتابه تشرع أبوابها إلى رحبة المسجد. وذكر عن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، خال الفضل بن الربيع، أن عيسى بن علي شكا إلى أبي جعفر، فقال: يا أمير المؤمنين، إن المشي يشق علي من باب الرحبة إلى القصر، وقد ضعفت قَالَ: فتحمل في محفة، قَالَ: إني أستحيي من الناس، قَالَ: وهل بقي احد يستحي منه! قَالَ:

يا أمير المؤمنين، فأزلي منزلة راوية من الروايا، قَالَ: وهل يدخل المدينة راوية أو راكب؟ قَالَ: فأمر الناس بتحويل أبوابهم إلى فصلان الطاقات، فكان لا يدخل الرحبة أحد إلا ماشيا قَالَ: ولما أمر المنصور بسد الأبواب مما يلي الرحبة وفتحها إلى الفصلان صيرت الأسواق في طاقات المدينة الأربع،

في كل واحد سوق، فلم تزل على ذلك مدة حتى قدم عليه بطريق من بطارقة الروم وافدا، فأمر الربيع أن يطوف به في المدينة وما حولها ليرى العمران والبناء، فطاف به الربيع، فلما انصرف قَالَ: كيف رأيت مدينتي- وقد كان أصعد إلى سور المدينة وقباب الأبواب؟ قَالَ: رأيت بناء حسنا، إلا أنني قد رأيت أعداءك معك في مدينتك، قَالَ: ومن هم؟ قَالَ: السوق، قَالَ: فأضرب عليها أبو جعفر، فلما انصرف البطريق أمر بإخراج السوق من المدينة، وتقدم إلى إبراهيم بن حبيش الكوفي، وضم إليه جواسس بن المسيب اليماني مولاه، وأمرهما أن يبنيا الأسواق ناحية الكرخ، ويجعلها صفوفًا وبيوتا لكل صنف، وأن يدفعها إلى الناس فلما فعلا ذلك حول السوق من المدينة إليها، ووضع عليهم الغلة على قدر الذرع، فلما كثر الناس بنوا في مواضع من الأسواق لم يكن رغب في البناء فيها إبراهيم بن حبيش وجواس، لأنها لم تكن على تقديم الصفوف من أموالهم، فألزموا من الغلة أقل مما ألزم الذين نزلوا في بناء السلطان.

وذكر بعضهم أن السبب في نقل أبي جعفر التجار من المدينة إلى الكرخ وما قرب منها مما هو خارج المدينة، أنه قيل لأبي جعفر: إن الغرباء وغيرهم يبيتون فيها، ولا يؤمن أن يكون فيهم جواسيس، ومن يتعرف الأخبار، أو أن يفتح أبواب المدينة ليلا لموضع السوق، فأمر بإخراج السوق من المدينة وجعلها للشرط والحرس، وبنى للتجار بباب طاق الحراي وباب الشام والكرخ.

وذكر عن الفضل بن سليمان الهاشمي، عن أبيه، أن سبب نقله الأسواق من مدينة السلام ومدينة الشرقية إلى باب الكرخ وباب الشعير وباب المحول، أن رجلا كان يقال له أبو زكرياء يحيى بن عبد الله، ولده المنصور حسبة بغداد والأسواق سنة سبع وخمسين ومائة، والسوق في المدينة، وكان المنصور يتبع من خرج مع محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن، وقد كان لهذا المحتسب معهم سبب، فجمع على المنصور جماعة استغواهم من السفلة، فشغبوا واجتمعوا، فأرسل المنصور إليهم أبا العباس الطوسي فسكنهم، وأخذ

أبا زكرياء فحبسه عنده، فأمره أبو جعفر بقتله، فقتله بيده حاجب كان لأبي العباس الطوسي يقال له موسى، على باب الذهب في الرحبة بأمر المنصور، وأمر أبو جعفر بهدم ما شخص من الدور في طريق المدينة، ووضع الطريق على مقدار أربعين ذراعا، وهدم ما زاد على ذلك المقدار، وأمر بنقل الأسواق إلى الكرخ.

وذكر عن أبي جعفر أنه لما أمر بإخراج التجار من المدينة إلى الكرخ كلمه أبا بن صدقة في بقال، فأجابه إليه على ألا يبيع إلا الخل والبقل وحده، ثم أمر أن يجعل في كل ربع بقال واحد على ذلك المثال.

وذكر عن علي بن محمد أن الفضل بن الربيع، حدثه أن المنصور لما فرغ من بناء قصره بالمدينة، دخله فطاف فيه، واستحسنه واستنظفه، وأعجبه ما رأى فيه، غير أنه استكثره ما أنفق عليه قَالَ: ونظر إلى موضع فيه استحسنه جدا، فقال لي: اخرج إلى الربيع فقل له: اخرج إلى المسيب، فقل له: يحضرني الساعة بناء فارها قَالَ: فخرجت إلى المسيب فأخبرته، فبعث إلى رئيس البنائين فدعاه، فأدخله على أبي

جعفر، فلما وقف بين يديه قَالَ له: كيف عملت لأصحابنا في هذا القصر؟ ولم أخذت من الأجرة لكل ألف آجرة ولبنة؟ فبقي البناء لا يقدر على أن يرد عليه شيئا، فخافه المسيب، فقال له المنصور: مالك لا تكلم! فقال: لا علم لي يا أمير المؤمنين، قَالَ: ويحك! قل وأنت آمن من كل ما تخافه قَالَ: يا أمير المؤمنين، لا والله ما أقف عليه ولا اعلمه قال: فاخذ بيده، وقال له: تعال، لا عليك الله خيرا! وأدخله الحجر التي استحسناها، فأراه مجلسا كان فيها، فقال له:

انظر إلى هذا المجلس وابن لي بإزائه طاقا يكون شيئا بالبيت، لا تدخل فيه خشا، قَالَ: نعم يا أمير المؤمنين، قَالَ: فأقبل البناء وكل من معه يتعجبون من فهمه بالبناء والهندسة، فقال له البناء: ما أحسن أن أجيء به على هذا، ولا أقوم به على الذي تريد! فقال له: فأنا أعينك عليه، قَالَ: فأمر بالآجر والجص، فجيء به، ثم أقبل يحصي جميع ما دخل في بناء الطاق من الآجر والجص، ولم يزل كذلك حتى فرغ منه في يومه وبعض اليوم الثاني،

٧٠٤٣٠٢ ذكر الخبر عن عزل مسلم بن قتيبة عن البصرة

فدعا بالمسيب، فقال له: ادفع إليه أجره على حسب ما عمل معك، قَالَ: فحاسبه المسيب، فأصابه خمسة دراهم، فاستكثر ذلك المنصور، وقال: لا أرضى بذلك، فلم يزل به حتى نقصه درهما، ثم أخذ المقادير، ونظر مقدار الطاق من الحجر حتى عرفه، ثم أخذ الوكلاء والمسيب بحملان النفقات، وأخذ معه الأمناء من البنائين والمهندسين حتى عرفوه قيمة ذلك، فلم يزل يحسبه شيئا شيئا، وحملهم على ما رفع في آجرة بناء الطاق، فخرج على المسيب مما في يده ستة آلاف درهم ونيف، فأخذه بها واعتقله، فابرح من القصر حتى أداها إليه.

وذكر عن عيسى بن المنصور أنه قَالَ: وجدت في خزائن أبي المنصور في الكتب أنه أنفق على مدينة السلام وجامعها وقصر الذهب بها والأسواق والفصلان والخنادق وقبابها وأبوابها أربعة آلاف الف وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهما، ومبلغها من الفلوس مائة ألف ألف فلس وثلاثة وعشرون ألف فلس، وذلك أن الأستاذ من البنائين كان يعمل يومه بقيراط فضة، والروزكاري بجبتين إلى ثلاث حبات . ذكر الخبر عن عزل مسلم بن قتيبة عن البصرة

وفي هذه السنة عزل المنصور عن البصرة سلم بن قتيبة، وولاه محمد بن سليمان بن علي.

ذكر الخبر عن سبب عزله إياه: ذكر عبد الملك بن شيبان أن يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن الهاشمي، قَالَ: كتب أبو جعفر إلى سلم بن قتيبة لما ولاه البصرة: أما بعد، فاهدم دور من خرج مع إبراهيم، واعقر نخلهم فكتب إليه سلم: بأي ذلك أبدأ؟ أبالدور أم بالنخل؟ فكتب إليه أبو جعفر: أما بعد، فقد كتبت إليك أمرك بإفساد تمرهم، فكتبت تستأذني في أية تبدأ به بالبرني أم بالشهريز! وعزله وولى محمد بن سليمان، فقدم فعاث.

وذكر عن يونس بن نجدة، قَالَ: قدم علينا سلم بن قتيبة أميرا بعد الهزيمة وعلى شرطه أبو برقة يزيد بن سلم، فأقام بها سلم أشهر خمسة، ثم عزل، وولى علينا محمد بن سليمان.

قَالَ عبد الملك بن شيبان: هدم محمد بن سليمان لما قدم دار يعقوب بن الفضل، ودار أبي مروان في بني يشكر، ودار عون بن مالك، ودار عبد الواحد ابن زياد، ودار الخليل بن الحصين في بني عدي، ودار عفو الله بن سفيان، وعقر نخلهم.

وغزا الصائفة في هذه السنة جعفر بن حنظلة البهراني وفي هذه السنة عزل عن المدينة عبد الله بن الربيع، وولى مكانه جعفر ابن سليمان، فقدمها في شهر ربيع الأول وعزل أيضا في هذه السنة عن مكة السري بن عبد الله، وولياها عبد الصمد ابن علي.

وجج بالناس في هذه السنة عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، كذلك قَالَ محمد بن عمر وغيره.

تم الجزء السابع من تاريخ الطبري ويليهِ الجزء الثامن، واوله: ذكر حوادث سنة سبع واربعين ومائه

٨ الجزء الثامن

٨٠١ سنة سبع وأربعين ومائة

٨٠١٠١ ذكر الخبر عن مهلك عبد الله بن علي بن عباس

الجزء الثامن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت

سنة سبع وأربعين ومائة

(ذكر الأخبار عن الأحداث الَّتِي كَانَتْ فِيهَا) فَمِمَّا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ أَغَارَهُ اسْتَرِخَانُ الْخَوَارِزْمِيِّ فِي جَمْعٍ مِنَ التُّرْكِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِنَاحِيَةِ أَرْمِينِيَّةٍ وَسَبِيهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الذِّمَّةِ خَلَقَا كَثِيرًا، وَدَخَوْهُمْ تَغْلِيصًا، وَقَتَلَهُمْ حَرْبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّائِدِيِّ الَّذِي تَنَسَّبَ إِلَيْهِ الْحَرَبِيَّةُ بِبَغْدَادٍ وَكَانَ حَرْبٌ هَذَا- فِيمَا ذَكَرَ- مَقِيمًا بِالْمَوْصِلِ فِي أَلْفَيْنِ مِنَ الْجُنْدِ، لِمَكَانِ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ بِالْجَزِيرَةِ وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ حِينَ بَلَغَهُ نَحْزَبُ التُّرْكِ فِيمَا هُنَاكَ وَجَهَ إِلَيْهِمْ لِحَرْبِهِمْ جَبْرِئِيلُ بْنُ يَحْيَى، وَكُتِبَ إِلَى حَرْبٍ بِأَمْرِهِ بِالْمَسِيرِ مَعَهُ، فَسَارَ مَعَهُ حَرْبٌ، فَقَتَلَ حَرْبٌ وَهَزَمَ جَبْرِئِيلُ، وَاصِيبٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ ذَكَرْتُ.

ذكر الخبر عن مهلك عبد الله بن علي بن عباس

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ مَهْلِكُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبَّاسٍ وَاسْتَخْلَفُوا فِي سَبَبِ هَلَاكِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ مَا ذَكَرَهُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ جَمَعَ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةً بَعْدَ تَقَدُّمَتِهِ الْمَهْدِيِّ عَلَى عِيسَى بْنِ مُوسَى بِأَشْهَرٍ، وَقَدْ كَانَ عَزَلَ عِيسَى بْنُ مُوسَى عَنْ الْكُوفَةِ وَأَرْضِهَا، وَوَلَّى مَكَانَهُ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ، وَأَوْفَدَهُ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ، فَدَعَا بِهِ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ سِرًّا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا عِيسَى، إِنْ هَذَا أَرَادَ أَنْ يَزِيلَ النِّعْمَةَ عَنِّي وَعَنْكَ، وَأَنْتَ وَلِيَّ عَهْدِي بَعْدَ الْمَهْدِيِّ، وَالْخِلَافَةُ صَائِرَةٌ إِلَيْكَ، نَخَذُهُ إِلَيْكَ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَخُورَ أَوْ تَضَعُفَ، فَتَنْقُضَ عَلَيَّ أَمْرِي الَّذِي دَبَرْتُ

ثُمَّ مَضَى لَوَجْهِهِ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ مِنْ طَرِيقِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَسْأَلُهُ: مَا فَعَلَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي أَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيهِ؟ فَكُتِبَ إِلَيْهِ: قَدْ أَنْفَذْتُ مَا أَمَرْتُ بِهِ، فَلَمْ يَشْكُ أَبُو جَعْفَرٍ فِي أَنَّهُ قَدْ فَعَلَ مَا أَمَرَهُ بِهِ، وَأَنَّهُ قَدْ قَتَلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَلِيٍّ، وَكَانَ عِيسَى حِينَ دَفَعَهُ إِلَيْهِ سَتْرَهُ، وَدَعَا كَاتِبَهُ يُونُسَ بْنَ فُرُوءَةَ، فَقَالَ لَهُ: إِنْ هَذَا الرَّجُلُ دَفَعَ إِلَيَّ عَمَّهُ، وَأَمَرَنِي فِيهِ بِكَذَا وَكَذَا فَقَالَ لَهُ: أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَكَ وَيَقْتُلَهُ، أَمَرَكَ بِقَتْلِهِ سِرًّا، ثُمَّ يَدْعِيهِ عَلَيْكَ عِلَانِيَةً ثُمَّ يَقِيدُكَ بِهِ قَالَ: فَمَا الرَّأْيُ؟

قَالَ: الرَّأْيُ إِنْ تَسْتَرَهُ فِي مَنْزِلِكَ، فَلَا نَطْلُعَ عَلَى أَمْرِهِ أَحَدًا، فَإِنْ طَلَبَهُ مِنْكَ عِلَانِيَةً دَفَعْتَهُ إِلَيْهِ عِلَانِيَةً، وَلَا تَدْفَعُهُ إِلَيْهِ سِرًّا أَبَدًا، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ أَسْرَهُ إِلَيْكَ، فَإِنْ أَمَرَهُ سَيُظْهِرُ فَفَعَلَ ذَلِكَ عِيسَى.

وَقَدَّمَ الْمَنْصُورُ وَدَسَ إِلَى عَمُومَتِهِ مِنْ يَحْرِكُهُمْ عَلَى مَسْأَلَتِهِ هَبْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ لَهُمْ، وَيُطْمَعُهُمْ فِي أَنَّهُ سَيَفْعَلُ لِحَاجَتِهِمْ وَكُلُّهُمْ وَرَقَقُوهُ، وَذَكَرُوا لَهُ الرِّحْمَ، وَأَظْهَرُوا لَهُ رَقَّةً، فَقَالَ: نَعَمْ، عَلِيُّ بَعِيسَى بْنُ مُوسَى، فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: يَا عِيسَى، قَدْ عَلِمْتُ أَنِّي دَفَعْتُ إِلَيْكَ عَمِّي وَعَمَّكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَلِيٍّ قَبْلَ خُرُوجِي إِلَى الْحَجِّ، وَأَمَرْتُكَ أَنْ يَكُونَ فِي مَنْزِلِكَ، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: فَقَدْ كَلَبَنِي عَمُومَتُكَ فِيهِ، فَارَأَيْتَ الصَّفْحَ عَنْهُ وَتَخْلِيَةَ سَبِيلِهِ، فَأَتَانَا بِهِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَمْ تَأْمُرَنِي بِقَتْلِهِ فَقَتَلْتَهُ! قَالَ:

مَا أَمَرْتُكَ بِقَتْلِهِ، إِنَّمَا أَمَرْتُكَ بِجَبْسِهِ فِي مَنْزِلِكَ قَالَ: قَدْ أَمَرْتَنِي بِقَتْلِهِ، قَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ: كَذَبْتَ، مَا أَمَرْتُكَ بِقَتْلِهِ ثُمَّ قَالَ لِعَمُومَتِهِ: إِنْ هَذَا قَدْ أَقْرَأَ لَكُمْ بِقَتْلِ أَخِيكُمْ، وَادَّعَى أَنِّي أَمَرْتُهُ بِذَلِكَ، وَقَدْ كَذَبَ، قَالُوا: فَادْفَعْهُ إِلَيْنَا نَقْتُلْهُ بِهِ، قَالَ: شَأْنُكُمْ بِهِ، فَأَخْرَجُوهُ إِلَى الرَّحْبَةِ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ، وَشَهَرَ الْأَمْرَ، فَقَامَ أَحَدُهُمْ فَشَهَرَ سَيْفَهُ، وَتَقَدَّمَ إِلَى عِيسَى لِيَضْرِبَهُ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى:

أَفَاعِلُ أَنْتَ؟ قَالَ: أَيُّ وَاللَّهِ، قَالَ: لَا تَعْجَلُوا، رَدُونِي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَردوه إليه، فقال: إِنَّمَا أَرَدْتُ بِقَتْلِهِ أَنْ تَقْتُلَنِي، هَذَا عَمَلُكَ حَيٌّ

سوي، إن أمرتني بدفعه إليك دفعته قَالَ: ائتنا به، فأثابه به، فقال له عيسى: دبرت علي أمرا نخشيت، فكان كما خشيت، شأنك وعمك قَالَ: يدخل حتى

٨٠١٠٢ ذكر خبر البيعه للمهدي وخلع عيسى بن موسى

أرى رأيي ثم انصرفوا ثم أمر به فجعل في بيت أساسه ملح، وأجرى في أساسه الماء، فسقط عليه فمات، فكان من أمره ما كان وتوفي عبد الله بن علي في هذه السنة ودفن في مقابر باب الشام، فكان أول من دفن فيها. وذكر عن إبراهيم بن عيسى بن المنصور بن بويه أنه قَالَ: كانت وفاة عبد الله بن علي في الحبس سنة سبع وأربعين ومائة، وهو ابن اثنتين وخمسين سنة.

قَالَ إبراهيم بن عيسى: لما توفي عبد الله بن علي ركب المنصور يوما ومعه عبد الله بن عياش، فقال له وهو يجاريه: اتعرف ثلاثة خلفاء، اسمائهم على العين مبدؤها، قتلوا ثلاثة خوارج مبدأ أسمائهم العين؟ قَالَ: لا أعرف إلا ما تقول العامة، إن عليا قتل عثمان - وكذبوا - وعبد الملك بن مروان قتل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وعبد الله بن الزبير وعمرو بن سعيد وعبد الله بن علي سقط عليه البيت، فقال له المنصور: فسقط على عبد الله بن علي البيت، فأنا ما ذنبي؟ قال: ما قلت ان لك ذنبا

. ذكر خبر البيعه للمهدي وخلع عيسى بن موسى

وفي هذه السنة خلع المنصور عيسى بن موسى وباع لابنه المهدي، وجعله ولي عهد من بعده وقال بعضهم: ثم من بعده عيسى بن موسى.

ذكر الخبر عن سبب خلعه إياه وكيف كان الأمر في ذلك:

اختلف في الذي وصل به أبو جعفر إلى خلعه، فقال بعضهم: السبب الذي وصل به أبو جعفر إلى ذلك هو أن أبا جعفر أقر عيسى بن موسى بعد وفاة أبي العباس على ما كان أبو العباس ولاه من ولاية الكوفة وسوادها، وكان له مكرما مجلا، وكان إذا دخل عليه أجلسه عن يمينه، وأجلس المهدي عن يساره، فكان ذلك فعله به، حتى عزم المنصور على تقديم المهدي في الخلافة عليه وكان أبو العباس جعل الأمر من بعده لأبي جعفر، ثم من بعد

أبي جعفر لعيسى بن موسى، فلما عزم المنصور على ذلك كلم عيسى بن موسى في تقديم ابنه عليه برفيق من الكلام، فقال عيسى: يا أمير المؤمنين، فكيف بالآيمان والمواثيق التي علي وعلى المسلمين لي من العتق والطلاق وغير ذلك من مؤكد الإيمان! ليس إلى ذلك سبيل يا أمير المؤمنين فلما رأى أبو جعفر امتناعه، تغير لونه وباعده بعض المباحدة، وأمر بالإذن للمهدي قبله، فكان يدخل فيجلس عن يمين المنصور في مجلس عيسى، ثم يؤذن العيسى فيدخل فيجلس دون مجلس المهدي عن يمين المنصور أيضا، ولا يجلس عن يساره في المجلس الذي كان يجلس فيه المهدي، فيغتاز من ذلك المنصور، ويبلغ منه، فيأمر بالإذن للمهدي ثم يأمر بعده بالإذن لعيسى بن علي، فيلبث هنية، ثم عبد الصمد بن علي، ثم يلبث هنية، ثم عيسى بن موسى.

فإذا كان بعد ذلك قدم في الإذن للمهدي على كل حال، ثم يخلط في الآخرين، فيقدم بعض من آخر ويؤخر بعض من قدم ويوهم عيسى ابن موسى أنه إنما يبدأ بهم لحاجة تعرض ولذا كرتهم بالشيء من أمره، ثم يؤذن لعيسى بن موسى من بعدهم، وهو في ذلك كله صامت لا يشكو منه شيئا، ولا يستعجب ثم صار إلى أغلظ من ذلك، فكان يكون في المجلس معه بعض ولده، فيسمع الحفر في أصل الحائط فيخاف أن يخز عليه الحائط، وينثر عليه التراب، وينظر إلى الخشبة من سقف المجلس قد حفر عن أحد طرفيها لتقلع فيسقط التراب على قلنسوته وثيابه، فيأمر من معه من ولده بالتحويل، ويقوم هو فيصلي، ثم يأتيه الإذن فيقوم فيدخل بهيئته والتراب عليه لا ينفذه، فإذا رآه المنصور قَالَ له: يا عيسى، ما يدخل علي أحد بمثل هيئتك من كثرة الغبار عليك والتراب! أفكل هذا من الشارع؟ فيقول: أحسب ذلك يا أمير المؤمنين، وإنما يكلمه المنصور بذلك ليستطمعه أن يشكو إليه شيئا فلا يشكو، وكان المنصور قد أرسل إليه في الأمر الذي

أراد منه عيسى بن علي، فكان عيسى بن موسى لا يحمد منه مدخله فيه، كأنه كان يغري به فقيل: إنه دس لعيسى بن موسى بعض

ما يتلفه، فنهض من المجلس، فقال له المنصور: إلى أين يا أبا موسى؟ قَالَ: أجد غمزا يا أمير المؤمنين، قَالَ: ففي الدار إذا! قَالَ: الذي أجده أشد مما أقيم معه في الدار، قَالَ: فإلى أين؟ قَالَ: إلى المنزل، ونهض فصار إلى حراقتة، ونهض المنصور في أثره إلى الحراقة متفرعا له، فاستأذنه عيسى في المسير إلى الكوفة، فقال: بل تقيم فتعالج هاهنا، فأبى وألح عليه، فأذن له وكان الذي جراه على ذلك طيبه بختيشوع أبو جبرئيل، قال: إني والله ما أجتري على معالجتك بالحضرة، وما آمن على نفسي فأذن له المنصور، وقال له: أنا على الحج في سنتي هذه، فأنا مقيم عليك بالكوفة حتى تفيق إن شاء الله.

وتقارب وقت الحج، فشخص المنصور حتى صار بظهر الكوفة في موضع يدعى الرصافة، فأقام بها أياما، فأجرى هناك الخيل، وعاد عيسى غير مرة، ثم رجع إلى مدينة السلام ولم يحج، واعتل بقلّة الماء في الطريق. وبلغت العلة من عيسى بن موسى كل مبلغ، حتى تمعط شعره، ثم أفاق من علته تلك فقال فيه يحيى بن زياد بن أبي حزابة البرجمي أبو زياد:

أقلت من شربة الطيب كما ... افلت ظبي الصريم من قتره
من قانص ينفذ الفريص إذا ... ركب سهم الختوف في وتره
دافع عنك المليك صولة ليث ... يريد الأسد في ذرى نحره
حتى أتنا وفيه داخله ... تعرف في سمعه وفي بصره
أزعر قد طار عن مفارقه ... وحف أثيث النبات من شعره

وذكر أن عيسى بن علي كان يقول للمنصور: إن عيسى بن موسى إنما يمتنع من البيعة للمهدي لأنه يربص هذا الأمر لابنه موسى، فوسى الذي يمنعه فقال المنصور لعيسى بن علي: كلم موسى بن عيسى وخوفه على أبيه وعلى ابنه، فكلم عيسى بن علي موسى في ذلك، فأياسه، فتهده وحذره غضب المنصور فلما وجل موسى وأشفق وخاف أن يقع به المكروه، أتى العباس بن محمد، فقال: أي عم، إني مكلمك بكلام، لا والله ما سمعه مني أحد قط، ولا يسمعه أحد أبدا، وإنما أخرجه مني إليك موضع الثقة بك والطمأنينة إليك، وهو أمانة عندك، فإنما هي نفسي أثلها في يدك قَالَ: قل يا بن أخي، فلك عندي ما تحبه، قَالَ: أرى ما يسام أبي من إخراج هذا الأمر من عنقه وتصويره للمهدي، فهو يؤذى بصنوف الأذى والمكروه، فيتهدد مرة ويؤخر إذنه مرة، وتهدم عليه الحيطان مرة، وتدس إليه الختوف مرة فأبى لا يعطى على هذا شيئا، لا يكون ذلك أبدا، ولكن هاهنا وجهها، فلعله يعطى عليه إن أعطى وإلا فلا، قال: فما هو يا بن أخي؟

فإنك قد اصبت ووفقت، قَالَ: يقبل عليه أمير المؤمنين وأنا شاهد فيقول له: يا عيسى، إني أعلم أنك لست تضمن بهذا الأمر على المهدي لنفسك، لتعالي سنك وقرب أجلك، فإنك تعلم أنه لا مدة لك تطول فيه، وإنما تضمن به لمكان ابنك موسى، أقتراني أدع ابنك يبقى بعدك ويبقى ابني معه فيلي عليه! كلا والله لا يكون ذلك أبدا، ولأثبن على ابنك وأنت تنظر حتى تياس منه، وآمن أن يلي على ابني أترى ابنك أثر عندي من ابني! ثم يأمر بي، فإما خنقت وإما شهر على سيف فإن أجاب إلى شيء فعسى أن يفعل بهذا السبب، فأما بغيره فلا فقال العباس: جزاك الله يا بن أخي خيرا، فقد فديت أباك بنفسك، وآثرت بقاءه على حفظك، نعم الرأي رأيت، ونعم المسلك سلكت! ثم أتى أبا جعفر فأخبره الخبر، فجزى المنصور موسى خيرا، وقال: قد أحسن وأجمل، وسأفعل ما أشار به إن شاء الله، فلما اجتمعوا وعيسى ابن علي حاضر، أقبل المنصور على عيسى بن موسى، فقال: يا عيسى، إني

لا أجهل مذهبك الذي تضمه، ولا مداك الذي تجري إليه في الأمر الذي سألتك، إنما تريد هذا الأمر لابنك هذا المشثوم عليك وعلى نفسه، فقال عيسى بن علي: يا أمير المؤمنين، غمزي البول، قَالَ: فدعوك لبناء تبول فيه، قَالَ: أفني مجلسك يا أمير المؤمنين! ذاك ما لا يكون، ولكن أقرب البلايع مني أدل عليها فأتياها فامر من يده، فانطلق فقال عيسى ابن موسى لابنه موسى: قم مع عمك، فاجمع عليه ثيابه من ورائه، وأعطه منديلا إن كان معك ينشف به، فلما جلس عيسى يبول جمع موسى عليه ثيابه من ورائه وهو لا

يراه، فقال: من هذا؟ فقال: موسى بن عيسى، فقال: بأبي أنت وبأبي أب ولدك! والله إني لأعلم أنه لا خير في هذا الأمر بعدكم، وإنكما لأحق به، ولكن المرء مغرى بما تعجل، فقال موسى في نفسه: أمكنني والله هذا من مقاتله، وهو الذي يغري بأبي، والله لأقتلنه بما قال لي، ثم لا أبالي أن يقتلني أمير المؤمنين بعده، بل يكون في قتله عزاء لأبي وسلو عني إن قتلت فلما رجعا إلى موضعهما قال موسى: يا أمير المؤمنين، أذكر لأبي أمرا؟ فسر ذلك، وظن أنه يريد أن يذكره بعض أمرهم، فقال:

قم، فقام إليه، فقال: يا أبت، إن عيسى بن علي قد قتل وإياي قتلات بما يبلغ عنا، وقد أمكنني من مقاتله، قال: وكيف؟ قال: قال لي كيت وكيت، فأخبر أمير المؤمنين فيقتله، فتكون قد شفيت نفسك وقتلته قبل أن يقتلك وإياي ثم لا نبالي ما كان بعد فقال: أف لهذا رأيا ومذهبا! أثمتك عمك على مقالة أراد أن يسرك بها، فجعلتها سببا لمكروهه وتلفه! لا يسمعن هذا منك أحد، وعد إلى مجلسك فقام فعاد، وانتظر أبو جعفر أن يرى لقيامه إلى أبيه وكلامه أثرا فلم يره، فعاد إلى وعيده الأول وتهده، فقال: أما والله لا يجعلن لك فيه ما يسوءك ويؤسك من بقائه بعدك، أي ربيع، قم إلى موسى فاخفته بحمائله، فقام الربيع فضم حمائله عليه، فجعل يخنقه بها خنقا رويدها، وموسى يصيح: الله الله يا أمير المؤمنين في وفي دمي! فإني لبعيد مما تظن بي، وما يبالي عيسى أن تقتلني وله بضعة عشر نفرا ذكرا-

كلهم عنده مثلي - أو يتقدمني، وهو يقول: اشد يا ربيع، ات على نفسه، والربيع يوهم أنه يريد تلفه، وهو يراخي خنقه، وموسى يصيح، فلما رأى ذلك عيسى قال: والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الأمر يبلغ منك هذا كله فرب بالكف عنه، فإني لم أكن لأرجع إلى أهلي، وقد قتل بسبب هذا الأمر عبد من عبيدي، فكيف بابني! فهذا أنا أشهدك أن نسائي طواق ومماليكي أحرار، وما أملك في سبيل الله، تصرف ذلك فيمن رأيت يا أمير المؤمنين، وهذه يدي بالبيعة للمهدي فأخذ بيعته له على ما أحب ثم قال: يا أبا موسى، إنك قد قضيت حاجتي هذه كارها، ولي حاجة أحب أن تقضيها طائعا، فتغسل بها ما في نفسي من الحاجة الأولى، قال: وما هي يا أمير المؤمنين؟

قال: تجعل هذا الأمر من بعد المهدي لك، قال: ما كنت لأدخل فيها بعد إذ خرجت منها فلم يدعه هو ومن حضره من أهل بيته حتى قال: يا أمير المؤمنين، أنت أعلم فقال بعض أهل الكوفة - ومر عليه عيسى في موكبه: هذا هذا الذي كان غدا، فصار بعد غد وهذه القصة - فيما قيل - منسوبة إلى آل عيسى أنهم يقولونها.

وأما الذي يحكى عن غيرهم في ذلك، فهو أن المنصور أراد البيعة للمهدي، فكلم الجند في ذلك، فكانوا إذا رأوا عيسى راجعا أسمعوه ما كره، فشكا ذلك إلى المنصور، فقال للجند: لا تؤذوا ابن أخي، فإنه جلدة بين عيني، ولو كنت تقدمت إليكم لضربت أعناقكم، فكانوا يكفون ثم يعودون، فكث بذلك زمنا، ثم كتب إلى عيسى:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الله المنصور أمير المؤمنين إلى عيسى بن موسى سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد، فالحمد لله ذي المن القديم، والفضل العظيم، والبلاء الحسن الجميل، الذي ابتداء الخلق بعلمه، وأنفذ القضاء بأمره، فلا يبلغ مخلوق كنه حقه، ولا ينال في عظمته كنه ذكره، يدبر ما أراد من الأمور بقدرته، ويصدرها عن مشيئته، لا قاضي فيها غيره، ولا نفاذ لها إلا به، يجريها على أذلالها، لا يستأمر

فيها وزيرا، ولا يشاور فيها معينا، ولا يلتبس عليه شيء أراده، يمضي قضاؤه فيما أحب العباد وكرهوا، لا يستطيعون منه امتناعا، ولا عن أنفسهم دفاعا، رب الأرض ومن عليها، له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.

ثم إنك قد علمت الحال التي كنا عليها في ولاية الظلمة، كيف كانت قوتنا وحيلتنا، لما اجترأ عليه أهل بيت اللعنه فيما أحببنا وكرهنا، فصبرنا أنفسنا على ما دعونا إليه من تسليم الأمور إلى من أسندوها إليه، واجتمع رأيهم عليه، نسام الخسف، ونوطأ بالعسف، لا ندفع ظلما، ولا نمنع ضيما، ولا نعطي حقا، ولا ننكر منكرا، ولا نستطيع لها ولا لأنفسنا نفعا، حتى إذا بلغ الكتاب أجله، وانتهى الأمر إلى مدته، وأذن الله في هلاك عدوه، وارتاح بالرحمة لأهل بيت نبيه ص، فابتعث الله لهم أنصارا يطلبون بثأرهم، ويجاهدون عدوهم،

ويدعون إلى حبه، وينصرون دولتهم، من أرضين متفرقة، وأسباب مختلفة، وأهواء مؤتلفة، فجمعهم الله على طاعتنا، وألف بين قلوبهم بمودتنا على نصرتنا، وأعزهم بنصرنا، لم نلق منهم رجلاً، ولم نشهر معهم إلا ما قذف الله في قلوبهم، حتى ابتعثهم لنا من بلادهم، ببصائر نافذة، وطاعة خالصة، يلقون الظفر، ويعودون بالنصر، وينصرون بالرعب، لا يلقون أحداً إلا هزموه، ولا واثراً إلا قتلوه، حتى بلغ الله بنا بذلك أقصى مدانا وغاية منانا ومنتى آمالنا وإظهار حقنا، وإهلاك عدونا، كرامة من الله جل وعز لنا، وفضلاً منه علينا، بغير حول منا ولا قوة، ثم لم نزل من ذلك في نعمة الله وفضله علينا، حتى نشأ هذا الغلام، فقذف الله له في قلوب انصار الدين الذين ابتعثهم لنا مثل ابتدائه لنا أول أمرنا، وأشرب قلوبهم مودته، وقسم في صدورهم محبته، فصاروا

لا يذكرون إلا فضله، ولا ينوهون إلا باسمه، ولا يعرفون إلا حقه، فلما رأى أمير المؤمنين ما قذف الله في قلوبهم من مودته، وأجرى على ألسنتهم من ذكره، ومعرفتهم إياه بعلاماته واسمه، ودعاء العامة إلى طاعته، أيقنت نفس أمير المؤمنين أن ذلك أمر تولاه الله وصنعه، لم يكن للعباد فيه أمر ولا قدرة، ولا مؤامرة ولا مذاكرة، للذي رأى أمير المؤمنين من اجتماع الكلمة، وثناع العامة، حتى ظن أمير المؤمنين أنه لولا معرفته المهدي بحق الأبوة، لأفضت الأمور إليه وكان أمير المؤمنين لا يمنع مما اجتمعت عليه العامة، ولا يجد مناصاً عن خلاص ما دعوا إليه، وكان أشد الناس على أمير المؤمنين في ذلك الأقرب فالأقرب من خاصته وثقاته من حرسه وشرطه، فلم يجد أمير المؤمنين بدا من استصلاحهم ومتابعتهم، وكان أمير المؤمنين وأهل بيته أحق من سارع إلى ذلك وحرص عليه، ورغب فيه وعرف فضله، ورجا بركته، وصدق الرواية فيه، وحمد الله إذ جعل في ذريته مثل ما سألت الأنبياء قبله، إذ قال العبد الصالح: «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا. يَرِيئِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» فوهب الله لأمر المؤمنين ولياً، ثم جعله تقياً مباركاً مهدياً، وللنبي ص سمياً، وسلب من اتحل هذا الاسم، ودعا إلى تلك الشبهة التي تحير فيها أهل تلك النية، وافتتن بها أهل تلك الشقوة، فانتزع ذلك منهم، وجعل دائرة السوء عليهم، وأقر الحق قراره، وأعلن للمهدي مناره، وللدين أنصاره، فأحب أمير المؤمنين أن يعلمك الذي اجتمع عليه رأي رعيته، وكنت في نفسه بمنزلة ولده، يحب من سترك ورشدك وزينك ما يحب لنفسه وولده، ويرى لك إذا بلغك من حال ابن عمك ما ترى من اجتماع الناس عليه أن يكون ابتداء ذلك من قبلك، ليعلم أنصارنا من أهل خراسان وغيرهم أنك أسرع إلى ما أحبوا مما عليه رأيهم في صلاحهم منهم إلى ذلك من أنفسهم، وإن ما كان

عليه من فضل عرفوه للمهدي، أو أملوه فيه، كنت أحظى الناس بذلك، وأسرهم به لمكانه وقربته، فاقبل نصيح أمير المؤمنين لك، تصلح وترشد والسلام عليك ورحمة الله.

فكتب إليه عيسى بن موسى جوابها:

بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عبد الله أمير المؤمنين من عيسى بن موسى سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه ما أجمعت عليه من خلاف الحق وركوب الإثم في قطيعة الرحم، ونقض ما أخذ الله عليه من الميثاق من العامة بالوفاء للخلافة والعهد لي من بعدك، لتقطع بذلك ما وصل الله من حبله، وتفرق بين ما ألف الله جمعه، وتجمع بين ما فرق الله أمره، مكابرة لله في سمائه، وحولا على الله في قضائه، ومتابعة للشيطان في هواه، ومن كابر الله صرعه، ومن نازعه قعنه، ومن ما كره عن شيء خدعه، ومن توكل على الله منعه، ومن تواضع لله رفعه إن الذي أسس عليه البناء، وخط عليه الحذاء من الخليفة الماضي عهد لي من الله، وأمر نحن فيه سواء، ليس لأحد من المسلمين فيه رخصة دون أحد، فإن وجب وفاء فيه فما الأول بأحق به من الآخر، وإن حل من الآخر شيء فما حرم ذلك من الأول، بل الأول الذي تلا خبره وعرف أثره، وكشف عما ظن به وأمل فيه أسرع، وكان الحق أولى بالذي أراد أن يصنع أولاً، فلا يدعوك إلى الأمن من البلاء اغترار بالله، وترخيص للناس في ترك الوفاء، فإن من أجابك إلى ترك شيء وجب لي واستحل ذلك مني، لم يخرج إذا أمكنته الفرصة وأفتنته الرخصة أن يكون إلى مثل ذاك منك أسرع، ويكون بالذي اسست من ذلك ابخ.

فاقبل العاقبة وارض من الله بما صنع، وخذ ما أوتيت بقوة، وكن من الشاكرين.

فإن الله جل وعز زائد من شكره، وعدا منه حقا لا خلف فيه، فمن راقب الله حفظه، ومن أضمر خلافة خذله، والله يعلم خائنة الأعين وما

تُخْفِي الصدور ولسنا مع ذلك نأمن من حوادث الأمور وبغيات الموت قبل ما ابتدأت به من قطيعتي، فإن تعجل بي أمر كنت قد كفيت مثونة ما اغتممت له، وسترت قبح ما أردت إظهاره، وإن بقيت بعدك لم تكن اوغرت صدري، وقطعت رحمي، ولا أظهرت أعدائي في اتباع أثرك، وقبول أدبك، وعمل بمثالك.

وذكرت أن الأمور كلها بيد الله، هو مديرها ومقدرها ومصدرها عن مشيئته، فقد صدقت، إن الأمور بيد الله، وقد حق على من عرف ذلك ووصفه العمل به والانتفاء إليه واعلم أنا لسنا جرننا إلى أنفسنا نفعاً، ولا دفعنا عنها ضراً، ولا نلنا الذي عرفته بحولنا ولا قوتنا، ولو وكلنا في ذلك إلى أنفسنا وأهوائنا لضعفت قوتنا، وعجزت قدرتنا في طلب ما بلغ الله بنا، ولكن الله إذا أراد عزماً لإنفاذ أمره، وإنجاز وعده، وإتمام عهده، وتأكيد عقده، أحكم إبرامه، وأبرم أحكامه، ونور إعلانه، وثبت أركانه، حين أسس بنيانه، فلا يستطيع العباد تأخير ما عجل، ولا تعجيل ما أخر، غير أن الشيطان عدو مضل مبين، قد حذر الله طاعته، وبين عداوته، ينزع بين ولاية الحق وأهل طاعته، ليفرق جمعهم، ويشتت شملهم، ويوقع العداوة والبغضاء بينهم، ويتبرأ منهم عند حقائق الأمور، ومضايق البلايا، وقد قال الله عز وجل في كتابه: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» ووصف الذين اتقوا فقال: «إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ»، فأعيد أمير المؤمنين بالله من أن يكون نيته وضمير سريره

خلاف ما زين الله به جل وعز من كان قبله، فإنه قد سألهم أبناءهم، ونازعهم أهواؤهم، إلى مثل الذي هم به أمير المؤمنين، فأثروا الحق على ما سواه، وعرفوا أن الله لا غالب لقضائه، ولا مانع لعطائه، ولم يأمنوا مع ذلك تغيير النعم وتعجيل النقم، فأثروا الآجلة، وقبلوا العاقبة، وكرهوا التغيير، وخافوا التبديل، فأظهروا الجميل، فتمم الله لهم أمورهم، وكفاهم ما أهمهم، ومنع سلطانهم، وأعز أنصارهم، وكرم أعوانهم، وشرف بنيانهم، فتمت النعم، وتظاهرت المنن، فاستوجبوا الشكر، فتم أمر الله وهم كارهون. والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله.

فلما بلغ أبا جعفر المنصور كتابه أمسك عنه، وغضب غضباً شديداً، وعاد الجند لأشد ما كانوا يصنعون، منهم أسد بن المرزبان وعقبة بن سلم ونصر بن حرب بن عبد الله، في جماعة، فكانوا يأتون باب عيسى، فيمنعون من يدخل إليه، فإذا ركب مشوا خلفه وقالوا: أنت البقرة التي قال الله:

«فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ»، فعاد فشكاهم، فقال له المنصور:

يا بن أخي، أنا والله أخافهم عليك وعلى نفسي، قد أشربوا حب هذا الفتى، فلو قدمته بين يديك فيكون بيني وبينك لكفوا فأجاب عيسى إلى أن يفعل.

وذكر عن إسحاق الموصلي، عن الربيع، أن المنصور لما رجع إليه من عند عيسى جواب كتابه الذي ذكرنا، وقع في كتابه: اسل عنها تتل منها عوضاً في الدنيا، وتأمن تبعها في الآخرة.

وقد ذكر في وجه خلع المنصور عيسى بن موسى قول غير هذين القولين، وذلك ما ذكره أبو محمد المعروف بالأسواري بن عيسى الكاتب، قال: أراد أبو جعفر أن يخلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، ويقدم المهدي عليه، فأبى أن يجيبه إلى ذلك، وأعيا الأمر أبا جعفر فيه، فبعث إلى خالد بن برمك، فقال له: كله يا خالد، فقد ترى امتناعه من البيعة

للمهدي، وما قد تقدمنا به في أمره، فهل عندك حيلة فيه، فقد أعيثنا وجوه الحيل، وضل عنا الرأي! فقال: نعم يا أمير المؤمنين، تضم إلي ثلاثين رجلاً من كبار الشيعة، ممن تختاره قال: فركب خالد بن برمك، وركبوا معه، فساروا إلى عيسى بن موسى، فأبلغوه رسالة أبي جعفر المنصور، فقال:

ما كنت لأخلع نفسي وقد جعل الله عز وجل الأمر لي، فأداره خالد بكل وجه من وجوه الحذر والطمع، فأبى عليه، فخرج خالد عنه وخرجت الشيعة بعده، فقال لهم خالد: ما عندكم في أمره؟ قالوا: نبليخ أمير المؤمنين رسالته ونخبره بما كان منا ومنه، قال: لا، ولكنا نخبر أمير المؤمنين أنه قد أجاب، ونشهد عليه أن أنكره، قالوا له: افعل، فإننا نفعل، فقال لهم: هذا هو الصواب، وأبلغ أمير المؤمنين فيما حاول وأراد.

قال: فساروا إلى أبي جعفر وخالد معهم، فأعلموه أنه قد أجاب، فأخرج التوقيع بالبيعة للمهدي، وكتب بذلك إلى الأفاق، قال: واتي عيسى ابن موسى لما بلغه الخبر أبا جعفر منكرا لما ادعي عليه من الإجابة إلى تقديم المهدي على نفسه، وذكره الله فيما قد هم به فدعاهم أبو جعفر، فسألهم فقالوا: نشهد عليه أنه قد أجاب، وليس له أن يرجع، فأمضى أبو جعفر الأمر، وشكر لخالد ما كان منه، وكان المهدي يعرف ذلك له، ويصف جزالة الرأي منه فيه.

وذكر عن علي بن محمد بن سليمان، قال: حدثني أبي، عن عبد الله بن أبي سليم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: إني لأسير مع سليمان بن عبد الله بن الحارث بن نوفل، وقد عزم أبو جعفر على أن يقدم المهدي على عيسى بن موسى في البيعة، فإذا نحن بأبي نخيلة الشاعر، ومعه ابناه وعبداه، وكل واحد منهما يحمل شيئا من متاع، فوقف عليهم سليمان بن عبد الله، فقال: أبا نخيلة، ما هذا الذي أرى؟ وما هذه الحال التي أنت فيها؟

قال: كنت نازلا على القعقاع - وهو رجل من آل زرارة، وكان يتولى لعيسى بن موسى الشرطة - فقال لي: اخرج عني، فإن هذا الرجل قد اصطنعني، وقد بلغني أنك قلت شعرا في هذه البيعة للمهدي، فأخاف أن يبلغه ذلك أن يلزمني لائمة لنزولك علي، فأزعجني حتى خرجت قال: فقال لي: يا عبد الله، انطلق بأبي نخيلة فبوئه في منزلي موضعا صالحا، واستوص به وبمن معه خيرا ثم خبر سليمان بن عبد الله أبا جعفر بشعر أبي نخيلة الذي يقول فيه: عيسى فزحلفها إلى محمد ... حتى تؤدي من يد إلى يد فيكم وتغني وهي في تزيد ... فقد رضينا بالغلام الأمرد

قال: فلما كان في اليوم الذي بايع فيه أبو جعفر لابنه المهدي وقدمه على عيسى، دعا بأبي نخيلة، فأمره فأنشد الشعر، فكلمه سليمان بن عبد الله، وأشار عليه في كلامه أن يجزل له العطية، وقال: إنه شيء يبقى لك في الكتب، ويتحدث الناس به على الدهر، ويخلد على الأيام، ولم يزل به حتى أمر له بعشرة آلاف درهم وذكر عن حيان بن عبد الله بن حبران الحماني، قال: حدثني أبو نخيلة، قال: قدمت على أبي جعفر، فأقمت ببابه شهرا لا أصل إليه، حتى قال لي ذات يوم عبد الله بن الربيع الحارثي: يا أبا نخيلة، إن أمير المؤمنين يرشح ابنه للخلافة والعهد، وهو على تقدمته بين يدي عيسى بن موسى، فلو قلت شيئا تحته على ذلك، وتذكر فضل المهدي، كنت بالحرى أن تصيب منه خيرا ومن ابنه، فقلت:

دونك عبد الله أهل ذاك ... خلافة الله التي أعطاك

أصفاك أصفاك بها أصفاك ... فقد نظرنا زمنا أباكا

ثم نظرناك لها إياكا ... ونحن فيهم والهوى هواكا

نعم، فنستدري إلى ذراكا ... أسند إلى محمد عصاكا

فابنك ما استرعيتك كفاكا ... فأحفظ الناس لها أدناكا

فقد جفلت الرجل والأوراكا ... وحكت حتى لم أجد محাকা

ودرت في هذا وذا وذاكا ... وكل قول قلت في سواكا

زور وقد كفر هذا ذاك.

وقلت أيضا كلمتي التي أقول فيها:

إلى أمير المؤمنين فاعمدي ... سيري إلى بحر البحور المزبد

أنت الذي يا بن سمي احمد ... ويا بن بيت العرب المشيد

بل يا أمين الواحد المؤبد ... إن الذي ولاك رب المسجد
 أمسى ولي عهدها بالأسد ... عيسى فزحلفها إلى محمد
 من قبل عيسى معهدا عن معهد ... حتى تؤدي من يد إلى يد
 فيكم وتغني وهي في تزيد ... فقد رضينا بالغلام الأرم
 بل قد فرغنا غير أن لم نشهد ... وغير أن العقد لم يؤكد
 فلو سمعنا قولك امدد امدد ... كانت لنا كدعة الورد الصدي
 فبادر البيعة ورد الحشد ... تبين من يومك هذا أو غد
 فهو الذي تم فما من عند ... وزاد ما شئت فزده يزد
 ورده منك رداء يرتد ... فهو رداء السابق المقلد
 قد كان يروى أنها كأن قد ... عادت ولو قد فعلت لم ترد
 فهي ترمى فدفا عن فدفا ... حيناً، فلو قد حان ورد الورد
 وحن تحويل الغوي المفسد ... قال لها الله هلي وارشدي
 فأصبحت نازلة بالمعهد ... والمحتد المحتد خير المحتد
 لم يرم تدمير النفوس الحسد ... بمثل قمر ثابت مؤيد
 لما انتحوا قدحا بزند مصلد ... بلوا بمشزور القوى المستحصد
 يزداد إيقاظا على التهديد ... فداولوا باللين والتعبد
 صمصامة تأكل كل مبرد.

قال: فرويت وصارت في أفواه الخدم، وبلغت أبا جعفر، فسأل عن قائلها، فأخبر أنها لرجل من بني سعد بن زيد مناة، فأعجبه، فدعاني فأدخلت عليه، وإن عيسى بن موسى لعن يمينه، والناس عنده، ورءوس القواد والجند، فلما كنت بحيث يراني، ناديت: يا أمير المؤمنين، أدنني منك حتى أفهمك وتسمع مقالتي فأوماً بيده، فأدנית حتى كنت قريباً منه، فلما صرت بين يديه قلت - ورفعت صوتي - أنشده من هذا الموضع، ثم رجعت إلى أول

الأرجوزة، فأنشدتها من أولها إلى هذا الموضع أيضاً، فأعدت عليه حتى أتيت على آخرها، والناس منصتون، وهو يتسار بما أنشده، مستمعاً له، فلما خرجنا من عنده إذا رجل واضع يده على منكبي، فالتفت فإذا عقال بن شبة يقول: أما أنت فقد سررت أمير المؤمنين، فإن التأم الأمر على ما تحب وقلت، فلعمري لتصيبين منه خيراً وإن يك غير ذلك، فابتغ نفعاً في الأرض أو سلباً في السماء قال: فكتب له المنصور بصلة إلى الري، فوجه عيسى في طلبه، فلحق في طريقه، فذبح وسلخ وجهه.
 وقيل: قتل بعد ما انصرف من الري، وقد أخذ الجائزة.

وذكر عن الوليد بن محمد العنبري أن سبب إجابة عيسى أبا جعفر إلى تقديم المهدي عليه كان أن سلم بن قتيبة قال له: أيها الرجل بايع، وقدمه على نفسك، فإنك لن تخرج من الأمر، قد جعل لك الأمر من بعده وترضي أمير المؤمنين قال: أو ترى ذلك؟ قال: نعم، قال: فأني أفعل، فأتى سلم المنصور فأعلمه إجابة عيسى، فسر بذلك وعظم قدر سلم عنده.

وباع الناس للمهدي ولعيسى بن موسى من بعده وخطب المنصور خطبته التي كان فيها تقديم المهدي على عيسى، وخطب عيسى بعد ذلك فقدم المهدي على نفسه، ووفى له المنصور بما كان ضمن له.

وقد ذكر عن بعض صحابة أبي جعفر أنه قال: تذاكرنا أمر أبي جعفر المنصور وأمر عيسى بن موسى في البيعة وخلعه إياها من عنقه وتقديمه المهدي، فقال لي رجل من القواد سماه: والله الذي لا إله غيره، ما كان خلعه إياها منه إلا برضا من عيسى وركون منه إلى الدراهم، وقلة علمه بقدر الخلافة، وطلباً للخروج منها، أتى يوم خرج للخلع نفلع نفسه، وإني لفي مقصورة مدينة السلام، إذ خرج علينا أبو عبيد الله كاتب المهدي، في جماعة من أهل خراسان، فتكلم عيسى، فقال: إني قد سلمت ولاية العهد

لمحمد بن أمير المؤمنين، وقدمته على نفسي، فقال أبو عبيد الله: ليس هكذا أعز الله الأمير، ولكن قل ذلك بحقه وصدقته، وأخبر بما

رغبت فيه، فأعطيت، قَالَ: نعم، قد بعت نصيبي من تقدمة ولاية العهد من عبد الله أمير المؤمنين لابنه محمد المهدي بعشره آلاف الف درهم وثلاثمائة ألف بين ولدي فلان وفلان وفلان- سماهم- وسبعمئة ألف لفلانة امرأة من نسائه- سماها- بطيب نفس مني وحب، لتصييرها إليه، لأنه أولى بها وأحق، وأقوى عليها وعلى القيام بها، وليس لي فيها حق لتقدمته، قليل ولا كثير، فما ادعيت به بعد يومي هذا فأنا فيه مبطل لا حق لي فيه ولا دعوى ولا طلبه قَالَ: والله وهو في ذلك، ربما نسي الشيء بعد الشيء فيوقفه عليه أبو عبيد الله، حتى فرغ، حبا للاستيثاق منه وختم الكتاب وشهد عليه الشهود وأنا حاضر، حتى وضع عليه عيسى خطه وخاتمه، والقوم جميعا، ثم دخلوا من باب المقصورة إلى القصر.

قَالَ: وكسا أمير المؤمنين عيسى وابنه موسى وغيره من ولده كسوة بقيمة ألف ألف درهم ونيف ومائتي ألف درهم وكانت ولاية عيسى بن موسى الكوفة وسواها وما حولها ثلاث عشرة سنة، حتى عزله المنصور، واستعمل محمد بن سليمان بن علي حين امتنع من تقديم المهدي على نفسه.

وقيل: إن المنصور إنما ولي محمد بن سليمان الكوفة حين ولاه إياها ليستخف بعيسى، فلم يفعل ذلك محمد، ولم يزل معظمًا له مبعلا. وفي هذه السنة ولي أبو جعفر محمد بن أبي العباس- ابن أخيه- البصرة فاستعفى منها فأعفاه، فانصرف عنها إلى مدينة السلام، فمات بها، فصرخت امرأته البغوم بنت علي بن الربيع: واقتيلاه! فضربها رجل من الحرس بجلوز على عجزتها، فتعاوره خدم لمحمد بن أبي العباس فقتلوه، فظل دمه.

وكان محمد بن أبي العباس حين شخص عن البصرة استخلف بها عقبه ابن سلم، فأقره عليها أبو جعفر إلى سنة إحدى وخمسين ومائة. وجج بالناس في هذه السنة المنصور.

وكان عامله فيها على مكة والطائف عمه عبد الصمد بن علي وعلى المدينة جعفر بن سليمان وعلى الكوفة وأرضها محمد بن سليمان وعلى البصرة عقبه ابن سلم وعلى قضائها سوار بن عبد الله وعلى مصر يزيد بن حاتم.

٨٠٢ سنة ثمان وأربعين ومائة

ثم دخلت

سنة ثمان وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث فما كان فيها من ذلك توجيه المنصور حميد بن قحطبة إلى أرمينية لحرب الترك الذين قتلوا حرب بن عبد الله، وعاثوا بتفليس، فسار حميد إلى أرمينية، فوجدتهم قد ارتحلوا، فانصرف ولم يلق منهم أحدا.

وفي هذه السنة عسكر صالح بن علي بدابق- فيما ذكر- ولم يغز.

وجج بالناس فيها جعفر بن أبي جعفر المنصور.

وكانت ولاية الأمصار في هذه السنة ولاتها في السنة التي قبلها

٨٠٣ سنة تسع وأربعين ومائة

ثم دخلت

سنة تسع وأربعين ومائة

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث) فما كان فيها من ذلك غزوة العباس بن محمد الصائفة أرض الروم، ومعه الحسن بن قحطبة ومحمد بن الأشعث، فهلك محمد بن الأشعث في الطريق.

وفي هذه السنة استتم المنصور بناء سور مدينة بغداد، وفرغ من خندقها وجميع أمورها.

وفيهما شخص إلى حديثه الموصل، ثم انصرف إلى مدينة السلام.
 وحج في هذه السنة بالناس محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس.
 وفي هذه السنة عزل عبد الصمد بن علي عن مكة، ووليها محمد بن إبراهيم.
 وكانت عمال الأمصار في هذه السنة العمال الذين كانوا عملها في سنة سبع وأربعين ومائة وسنة ثمان وأربعين ومائة، غير مكة والطائف،
 فان واليهما كان في هذه السنة محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس

٨٠٤ سنه خمسين ومائه

٨٠٤٠١ ذكر خروج استاذسيس

ثم دخلت
 سنة خمسين ومائة
 (ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)
 ذكر خروج استاذسيس

٤ فمما كان فيها من ذلك خروج استاذسيس في أهل هراة وباذغيس وسجستان وغيرها من عامة خراسان، وساروا حتى التقوا هم
 وأهل مرو الروذ، فخرج إليهم الأجم المروروذي في أهل مرو الروذ، فقاتلوه قتالا شديدا حتى قتل الأجم، وكثر القتل في أهل مرو
 الروذ، وهزم عدة من القواد، منهم معاذ بن مسلم بن معاذ وجبرئيل بن يحيى وحماذ بن عمرو وأبو النجم السجستاني وداود بن كراز،
 فوجه المنصور وهو بالبردان خازم ابن خزيمة إلى المهدي، فولاه المهدي محاربة استاذسيس، وضم القواد إليه.

فذكر أن معاوية بن عبيد الله وزير المهدي كان يوهن أمر خازم، والمهدي يومئذ بنيسابور، وكان معاوية يخرج الكتب إلى خازم بن
 خزيمة وإلى غيره من القواد بالأمر والنهي، فاعتل خازم وهو في عسكره، فشرب الدواء ثم ركب البريد، حتى قدم على المهدي بنيسابور،
 فسلم عليه واستخلاه - وبحضرته أبو عبيد الله - فقال المهدي: لا عيق عليك من أبي عبيد الله، فقل ما بدا لك، فأبى خازم أن يخبره
 أو يكلمه، حتى قام أبو عبيد الله، فلما خلا به شكا إليه أمر معاوية بن عبيد الله، وأخبره بعصبيته وتحامله، وما كان يرد من كتبه عليه
 وعلى من قبله من القواد، وما صاروا إليه بذلك من الفساد والتأمر في أنفسهم، والاستبداد بآرائهم، وقلة السمع والطاعة وأن أمر
 الحرب لا يستقيم إلا برأس، وألا يكون في عسكره لواء يخفق على رأس أحد إلا لوائه أو لواء هو عقده، وأعلمه انه غير راجع الى قتال
 استاذسيس ومن معه إلا بتفويض الأمر إليه وإعفائه من معاوية بن عبيد الله، وأن يأذن
 له في حل ألوية القواد الذين معه، وأن يكتب إليهم بالسمع له والطاعة.

فأجابه المهدي إلى كل ما سأل.

فانصرف خازم إلى عسكره، فعمل برأيه، وحل لواء من رأى حل لوائه من القواد، وعقد لواء لمن أراد، وضم إليه من كان انهزم من
 الجنود، فجعلهم حشوا يكثر بهم من معه في أخريات الناس، ولم يقدمهم لما في قلوب المغلوبين من روعة الهزيمة، وكان من ضم إليه من
 هذه الطبقة اثنين وعشرين ألفا، ثم انتخب ستة آلاف رجل من الجند، فضمهم إلى اثني عشر ألفا كانوا معه متخيرين، وكان بكار بن
 مسلم العقيلي فيمن انتخب، ثم تعبأ للقتال وخندق واستعمل الهيثم بن شعبة بن ظهير على ميمنته، ونهار بن حصين السعدي على ميسرته،
 وكان بكار بن مسلم العقيلي على مقدمته وتراخدا على ساقته، وكان من أبناء ملوك أعاجم خراسان، وكان لوائه مع الزبرقان وعلمه مع
 مولاه بسام، ففكر بهم وراوغهم في تنقله من موضع إلى موضع وخندق إلى خندق حتى قطعهم، وكان أكثرهم رجالة، ثم سار خازم
 إلى موضع فنزله، وخندق عليه، وأدخل خندقه جميع ما أراد، وأدخل فيها جميع أصحابه، وجعل له أربعة أبواب، وجعل على كل باب
 منها من أصحابه الذين انتخب، وهم أربعة آلاف، وجعل مع بكار صاحب مقدمته ألفين، تكلمة الثمانية عشر ألفا وأقبل الآخرون ومعهم

المروز والفؤوس والزبل، يريدون دفن الخندق ودخوله، فأتوا الخندق من الباب الذي كان عليه بكار بن مسلم، فشدوا عليه شدة لم يكن لأصحاب بكار نهاية دون أن انهزموا حتى دخلوا عليهم الخندق.

فلما رأى ذلك بكار رمى بنفسه، فترجل على باب الخندق ثم نادى أصحابه: يا بني الفواجر، من قبلي يؤتى المسلمون! فترجل من معه من عشيرته وأهله نحو من خمسين رجلاً، فنعوا بابهم حتى أجلا القوم عنه، وأقبل إلى الباب الذي كان عليه خازم رجل كان مع أستاذسيس من أهل سجستان، يقال له الحريش، وهو الذي كان يدير أمرهم، فلما رآه خازم

مقبلاً بعث إلى الهيثم بن شعبة، وكان في الميمنة- أن اخرج من بابك الذي أنت عليه، نخذ غير الطريق الذي يوصلك إلى الباب الذي عليه بكار، فإن القوم قد شغلوا بالقتال وبالإقبال إلينا، فإذا علوت فجزت مبلغ أبصارهم فأتهم من خلفهم وقد كانوا في تلك الأيام يتوقعون قدوم أبي عون وعمرو بن سلم ابن قتيبة من طخارستان وبعث خازم إلى بكار بن مسلم: إذا رأيت رايات الهيثم بن شعبة قد جاءتك من خلفك، فكبروا وقولوا: قد جاء أهل طخارستان.

ففعل ذلك أهل الهيثم، وخرج خازم في القلب على الحريش السجستاني، فاجتلدوا بالسيوف جلاداً شديداً، وصبر بعضهم لبعض، فبينما هم على تلك الحال إذ نظروا إلى أعلام الهيثم وأصحابه، فتنادوا فيما بينهم، وجاء أهل طخارستان، فلما نظر أصحاب الحريش إلى تلك الأعلام، ونظر من كان بإزاء بكار بن مسلم إليها، شد عليهم أصحاب خازم فكشفوهم، ولقيهم أصحاب الهيثم، فطعنوهم بالرمح، ورموهم بالنشاب، وخرج عليهم نهار بن حصين وأصحابه من ناحية الميسرة، وبكار بن مسلم وأصحابه من ناحيتهم، فهزموهم ووضعوا فيهم السيوف، فقتلهم المسلمون وأكثروا، فكان من قتل منهم في تلك المعركة نحو من سبعين ألفاً، وأسروا أربعة عشر ألفاً، ولجأ أستاذسيس إلى جبل في عدة من أصحابه يسيرة، فقدم خازم الأربعة عشر ألف أسير، فضرب أعناقهم، وسار حتى نزل بأستاذسيس في الجبل الذي كان لجأ إليه، ووافى خازماً بذلك المكان أبو عون وعمرو بن سلم بن قتيبة في أصحابهما، فأنزلهم خازم ناحية، وقال: كونوا مكانكم حتى نحتاج إليكم فحصر خازم أستاذسيس وأصحابه حتى نزلوا على حكم أبي عون، ولم يرضوا إلا بذلك، فرضي بذلك خازم، فأمر أبا عون بإعطائهم أن ينزلوا على حكمه، ففعل، فلما نزلوا على حكم أبي عون حكم فيهم أن يوثق أستاذسيس وبنوه وأهل بيته بالحديد، وأن يعتق الباقون وهم ثلاثون ألفاً، فأنفذ ذلك خازم من حكم أبي عون، وكسا كل رجل منهم ثوبين، وكتب

خازم بما فتح الله عليه، وأهلك عدوه إلى المهدي، فكتب بذلك المهدي إلى أمير المؤمنين المنصور. وأما محمد بن عمر، فإنه ذكر أن خروج أستاذسيس والحريش كان في سنة خمسين ومائة، وأن أستاذسيس هزم في سنة إحدى وخمسين ومائة.

وفي هذه السنة عزل المنصور جعفر بن سليمان عن المدينة، وولاه الحسن بن يزيد بن حسن بن علي بن أبي طالب ص. وفيها توفي جعفر بن أبي جعفر المنصور، الأكبر بمدينة السلام، وصلى عليه أبوه المنصور، ودفن ليلاً في مقابر قریش، ولم تكن للناس في هذه السنة صائفة، قيل إن أبا جعفر كان ولي الصائفة في هذه السنة أسيداً، فلم يدخل بالناس أرض العدو، ونزل مرج دابق. و حج بالناس في هذه السنة عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

وكان العامل على مكة والطائف في هذه السنة عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس- وقيل كان العامل على مكة والطائف في هذه السنة محمد ابن إبراهيم بن محمد- وعلى المدينة الحسن بن زيد العلوي، وعلى الكوفة محمد ابن سليمان بن علي، وعلى البصرة عقبة بن سلم، وعلى قضائها سوار، وعلى مصر يزيد بن حاتم.

٨٠٥ سنه احدى وخمسين ومائة

٨٠٥.١ ذكر الخبر عن سبب عزل المنصور عمر بن حفص عن السند وتوليته اياه إفريقية واستعماله على السند هشام بن عمرو

ثم دخلت

سنة إحدى وخمسين ومائة

(ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها) فمن ذلك ما كان من إغارة الكرك فيها في البحر على جدة، ذكر ذلك محمد بن عمرو. وفيها ولي عمر بن حفص بن عثمان بن أبي صفرة إفريقية، وعزل عن السند وولي موضعه هشام بن عمرو التغلبي. ذكر الخبر عن سبب عزل المنصور عمر بن حفص عن السند وتوليته إياه إفريقية واستعماله على السند هشام بن عمرو وكان سبب ذلك - فيما ذكر علي بن محمد بن سليمان بن علي العباسي عن أبيه - أن المنصور ولي عمر بن حفص الصفري الذي يقال له هزار مرد السند - فأقام بها حتى خرج محمد بن عبد الله بالمدينة وإبراهيم بالبصرة، فوجه محمد بن عبد الله إليه ابنه عبد الله بن محمد الذي يقال له الأشتر، في نفر من الزيدية إلى البصرة، وأمرهم أن يشتروا مهارة - خيل عتاق بها - ويمضوا بها معهم إلى السند، ليكون سببا له إلى الوصول إلى عمر بن حفص، وإنما فعل ذلك به لأنه كان فيمن بايعه من قواد أبي جعفر، وكان له ميل إلى آل أبي طالب، فقدموا بالبصرة على إبراهيم بن عبد الله، فاشتروا منها مهارة - وليس في بلاد السند والهند شيء أنفق من الخيل العتاق - ومضوا في البحر حتى صاروا إلى السند، ثم صاروا إلى عمر بن حفص، فقالوا: نحن قوم نخاسون، ومعنا خيل عتاق، فأمرهم أن يعرضوا خيلهم، فعرضوها عليه، فلما صاروا إليه، قال له بعضهم: ادني منك أذكر لك شيئا، فأدناه منه، وقال له: إنا جئناك بما هو خير لك من الخيل، وما لك فيه خير الدنيا والآخرة، فأعطنا الأمان على خلتين: إما أنك قبلت ما أتيناك به، وإما سترت وأمسكت عن أذانا حتى نخرج من بلادك راجعين.

فأعطاهم الأمان، فقالوا: ما للخيل أتيناك، ولكن هذا ابن رسول الله ص عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن، أرسله أبوه إليك، وقد خرج بالمدينة، ودعا لنفسه بالخلافة، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة وغلب عليها، فقال: بالرحب والسعة، ثم بايعهم له، وأمر به فتواري عنده، ودعا أهل بيته وقواده وكبراء أهل البلد للبيعة، فأجابوه، فقطع الأعلام البيض والأقبية البيض والقلانس البيض، وهيا لبسته من البياض يصعد فيها إلى المنبر، وتهايا لذلك يوم خميس، فلما كان يوم الأربعاء إذا حراقة قد وافت من البصرة، فيها رسول لخليفة بنت المعارك - امرأة عمر بن حفص - بكتاب إليه يخبره بقتل محمد بن عبد الله، فدخل على عبد الله فأخبره الخبر، وعزاه، ثم قال له: إني كنت بايعت لأبيك، وقد جاء من الأمر ما ترى.

فقال له: إن أمري قد شهر، ومكاني قد عرف، ودمي في عنقك، فانظر لنفسك أودع قال: قد رأيت رأيا، هاهنا ملك من ملوك السند، عظيم المملكة، كثير التبغ، وهو على شركه أشد الناس تعظيما لرسول الله ص، وهو رجل وفي، فأرسل إليه، فاعقد بينك وبينه عقدا، وأوجهك إليه تكون عنده، فلست ترام معه قال: افعل ما شئت، ففعل ذلك، فصار إليه، فأظهر إكرامه وبره برا كثيرا، وتسملت إليه الزيدية حتى صار إليه منهم أربعمئة إنسان من أهل البصائر، فكان يركب فيهم فيصيد ويتنزه في هيئة الملوك وآلاتهم، فلما قتل محمد وإبراهيم انتهى خبر عبد الله الأشتر إلى المنصور، فبلغ ذلك منه، فكتب إلى عمر بن حفص يخبره بما بلغه، فجمع عمر بن حفص قرابته، فقرأ عليهم كتاب المنصور يخبرهم أنه إن أقر بالقصة لم ينظره المنصور أن يعزله، وإن صار إليه قتله، وإن امتنع حاربه فقال له رجل من أهل بيته: ألق الذنب علي، واكتب

إليه بخبري، وخذني الساعة فقيدي واحبسني، فإنه سيكتب: أحمله إلي، فأحملي إليه، فلم يكن ليقدّم علي لموضعك في السند، وحال أهل بيتك بالبصرة قال: إني أخاف عليك خلاف ما تظن، قال: إن قتلت أنا فنفسني فداؤك فإني سخي بها فداء لنفسك، فإن حييت فمن الله فأمر به فقيد وحبس، وكتب إلى المنصور يخبره بذلك، فكتب إليه المنصور يأمره بحمله إليه، فلما صار إليه قدمه فضرب عنقه، ثم مكث يروي من يولي السند! فأقبل يقول: فلان فلان، ثم يعرض عنه، فبينما هو يوما يسير ومعه هشام بن عمرو التغلبي، والمنصور ينظر إليه في موكبه، إذ انصرف إلى منزله، فلما ألقى ثوبه دخل الربيع فأذنه بهشام فقال: أو لم يكن معي آنفا! قال: ذكر أن له حاجة عرضت مهمة فدعا بكرسي فقعده عليه، ثم أذن له، فلما مثل بين يديه قال: يا أمير المؤمنين، إني انصرفت إلى منزلي من الموكب، فلقيتني أختي فلانة بنت عمرو، فرأيت من جمالها وعقلها ودينها ما رضيته لأمر المؤمنين، فحُثت لأعرضها عليه، فأطرق المنصور، وجعل ينكت الأرض بخيزرانة في يده، وقال: أخرج يأتك أمري، فلما ولي قال: يا ربيع، لولا بيت قاله جرير في بني تغلب لتزوجت أخته وهو قوله:

لا تطلبن خثولة في تغلب ... فالزنج أكرم منهم أخوالا

فأخاف أن تلد لي ولدا، فيعير بهذا البيت، ولكن اخرج إليه، فقل له: يقول لك أمير المؤمنين: لو كانت لك لله حاجة إلي لم أعدل عنها غير التزويج، ولو كانت لي حاجة إلى التزويج لقبلت ما أيتيتني به، فجزاك الله عما عمدت له خيرا، وقد عوضتك من ذلك ولاية السند وأمره أن يكتب ذلك الملك، فإن أطاعه وسلم إليه عبد الله بن محمد، وإلا حاربه وكتب إلى عمر بن حفص بولايتة إفريقية فخرج هشام بن عمرو التغلبي إلى السند

فولها، وأقبل عمر بن حفص يخوض البلاد حتى صار إلى إفريقية، فلما صار هشام بن عمرو إلى السند كره أخذ عبد الله، وأقبل يري الناس أنه يكتب الملك ويرفق به، فاتصلت الأخبار بأبي جعفر بذلك، فجعل يكتب إليه يستحثه، فبينما هو كذلك إذ خرجت خارجة ببعض بلاد السند، فوجه إليهم أخاه سفنجا، فخرج يجر الجيش وطريقه بجنات ذلك الملك، فبينما هو يسير إذا هو برهج قد ارتفع من موكب، فظن أنه مقدمة للعدو الذي يقصد، فوجه طلائعه فرجعت، فقالت: ليس هذا عدوك الذي تريد، ولكن هذا عبد الله بن محمد الأشتر العلوي ركب متنزها، يسير على شاطئ مهران، فضى يريده، فقال له نصيحة: هذا ابن رسول الله ص، وقد علمت أن أخاك تركه متعمدا، مخافة أن ييؤ بدمه، ولم يقصدك، إنما خرج متنزها، وخرجت تريد غيره فأعرض عنه، وقال: ما كنت لأدع أحدا يحوزه، ولا أدع أحدا يحظى بالتقرب إلى المنصور بأخذه وقتله.

وكان في عشرة، فقصده قصده، وذمر أصحابه، فحمل عليه، فقاتله عبد الله وقاتل أصحابه بين يديه حتى قتل وقتلوا جميعا، فلم يفلت منهم مخبر، وسقط بين القتلى، فلم يشعر به وقيل: إن أصحابه قذفوه في مهران لما قتل، لئلا يؤخذ رأسه، فكتب هشام بن عمرو بذلك كتاب فتح إلى المنصور، يخبره أنه قصده قصدا فكتب إليه المنصور يحمد أمره، ويأمره بحاربة الملك الذي آواه، وذلك أن عبد الله كان اتخذ جوارى، وهو بحضرة ذلك الملك، فأولد منهن واحدة محمد بن عبد الله - وهو أبو الحسن محمد العلوي الذي يقال له ابن الأشتر - فخاربه حتى ظفر به، وغلب على مملكته وقتله، ووجه بأمر ولد عبد الله وابنه إلى المنصور، فكتب المنصور إلى واليه بالمدينة، يخبره بصحة نسب الغلام، وبعث به إليه، وأمره أن يجمع آل أبي طالب، وأن يقرأ عليهم كتابه بصحة نسب الغلام، ويسلمه إلى أقربائه. وفي هذه السنة قدم على المنصور ابنه المهدي من خراسان، وذلك في

٨٠٥٢ ذكر خبر بناء المنصور الرصافة

شوال منها- فوفد إليه للقاءه وتهنئة المنصور بمقدمه عامة أهل بيته، من كان منهم بالشام والكوفة والبصرة وغيرها، فأجازهم وكساهم وحملهم، وفعل مثل ذلك بهم المنصور، وجعل لابنه المهدي صحابة منهم، وأجرى لكل رجل منهم خمسمائة درهم . ذكر خبر بناء المنصور الرصافة

وفي هذه السنة ابتداء المنصور ببناء الرصافة في الجانب الشرقي من مدينة السلام لابنه محمد المهدي.

ذكر الخبر عن سبب بنائه ذلك له:

ذكر عن أحمد بن محمد الشروي، عن أبيه، أن المهدي لما قدم من خراسان أمره المنصور بالمقام بالجانب الشرقي، وبني له الرصافة، وعمل لها سورا وخندقا وميدانا وبستانا، وأجرى له الماء، فكان يجري الماء من نهر المهدي إلى الرصافة.

وأما خالد بن يزيد بن وهب بن جرير بن خازم، فإنه ذكر أن محمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس حدثه، أن أباه حدثه، أن الراوندية لما شغبوا على أبي جعفر وحاربوه على باب الذهب، دخل عليه قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس - وهو يومئذ شيخ كبير مقدم عند القوم - فقال له أبو جعفر: أما ترى ما نحن فيه من التياث الجند علينا! قد خفت أن تجتمع كلمتهم فيخرج هذا الأمر من أيدينا، فما ترى؟ قال: يا أمير المؤمنين، عندي في هذا رأي إن أنا أظهرته لك فسد، وإن تركتني امضيته، صلحت لك خلافتك، وهايك جندك.

فقال له: أفتمضي في خلافتي أمرا لا تعلمني ما هو! فقال له: إن كنت عندك متهما على دولتك فلا تشاورني، وإن كنت مأمونا عليها

فدعني أمضي رأيي فقال له: فأَمْضِهِ قَالَ: فانصرف قثم إلى منزله، فدعا غلاما له فقال له: إذا كان غدا فتقدمني، فاجلس في دار أمير المؤمنين، فإذا رأيته قد دخلت وتوسط أصحاب المراتب، نخذ بعنان بغلتي، فاستوقفني واستحلطني بحق رسول الله، وحق العباس وحق أمير المؤمنين لما وقفت لك، وسمعت مسألتك وأجبتك عنها، فإني سأنتهرك، وأغلظ لك القول، فلا يهولك ذلك مني، وعاودني بالمسألة فإني سأشتمك، فلا يروعنك ذلك، وعاودني بالقول والمسألة، فإني سأضربك بسوطي، فلا يشق ذلك عليك، فقل لي:

أي الحيين أشرف؟ الين أم مضر؟ فإذا أجبتك نخل عنان بغلتي وأنت حر. قَالَ: فغدا الغلام، فجلس حيث أمره من دار الخليفة، فلما جاء الشيخ فعل الغلام ما أمره به مولاه، وفعل المولى ما كان قاله له، ثم قَالَ له:

قل، فقال: أي الحيين أشرف؟ الين أم مضر؟ قَالَ: فقال قثم:

مضر كان منها رسول الله ص، وفيها كتاب الله عز وجل، وفيها بيت الله، ومنها خليفة الله قَالَ: فامتعضت الين إذ لم يذكر لها شيء من شرفها، فقال له قائد من قواد الين: ليس الأمر كذلك مطلقا بغير شرفة ولا فضيلة للين، ثم قَالَ لغلامه: قم نخذ بعنان بغله الشيخ، فاكبحها كبحا عنيفا تطامن به منه، قَالَ: ففعل الغلام ما أمره به مولاه حتى كاد أن يقعها على عراقيها، فامتعضت من ذلك مضر، فقالت:

أيفعل هذا بشيخنا! فأمر رجل منهم غلامه، فقال: اقطع يد العبد، فقام إلى غلام اليماني فقطع يده، فنفر الحيان، وصرف قثم بغلته، فدخل على أبي جعفر، وافترق الجند، فصارت مضر فرقة، والين فرقة، والخراسانية فرقة، وربيعة فرقة، فقال قثم لأبي جعفر: قد فرقت بين جندك، وجعلتهم أحزابا كل حزب منهم يخاف أن يحدث عليك حدثا، فتضربه بالحزب الآخر، وقد بقي عليك في التدبير بقية، قَالَ: ما هي؟ قَالَ: اعبر بابنك فأنزله في ذلك الجانب قصرا، وحوله وحول معك من جيشك معه قوما

٨٠٥٣ امر عقبه بن سلم

فيصير ذلك بلدا، وهذا بلدا، فإن فسد عليك أهل هذا الجانب ضربتهم بأهل ذلك الجانب، وإن فسد عليك أهل ذلك الجانب ضربتهم بأهل هذا الجانب، وإن فسدت عليك مضر ضربتها بالين وربيعة والخراسانية، وإن فسدت عليك الين ضربتها بمن أطاعك من مضر وغيرها.

قَالَ: فقبل أمره ورأيه، فاستوى له ملكه، وكان ذلك سبب البناء في الجانب الشرقي وفي الرصافة وإقطاع القواد هناك. قَالَ: وتولى صالح صاحب المصلى القطائع في الجانب الشرقي، ففعل كفعل أبي العباس الطوسي في فضول القطائع في الجانب الغربي، فله باب الجسر وسوق يحيى ومسجد خضير وفي الرصافة وطريق الزواريق على دجلة مواضع بناء، بما استوهب من فضل الإقطاع عن أهله، وصالح رجل من أهل خراسان.

وفي هذه السنة جدد المنصور البيعة لنفسه ولابنه محمد المهدي من بعده، ولعيسى بن موسى من بعد المهدي على أهل بيته في مجلسه في يوم جمعة، وقد عمهم بالإذن فيه، فكان كل من بايعه منهم يقبل يده ويد المهدي، ثم مسح على يد عيسى بن موسى ولا يقبل يده.

وغزا الصائفة في هذه السنة عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد

. امر عقبه بن سلم

وفيها شخص عقبة بن سلم من البصرة واستخلف عليها ابنه نافع بن عقبة إلى البحرين، فقتل سليمان بن حكيم العبدى وسي أهل البحرين، وبعث ببعض من سبي منهم وأسارى منهم إلى أبي جعفر، فقتل منهم عدة ووهب بقيتهم للمهدي، فن عليهم وأعتقهم، وكسا كل إنسان منهم ثوبين من ثياب مرو

ثم عزل عقبة بن سلم عن البصرة، فذكر عن إفريك - جارية أسد بن المرزبان - أنها قالت: بعث المنصور أسد بن المرزبان إلى عقبة بن سلم إلى البحرين حين قتل منهم من قتل، ينظر في أمره، فإليه ولم يستقص عليه، وورى عنه، فبلغ ذلك أبا جعفر، وبلغه أنه أخذ منه

مالا، فبعث إليه أبا سويد الخراساني- وكان صديق أسد- وأخاه، فلما رآه مقبلا على البريد فرح، وكان ناحية من عسكر عقبة، فتناول له، وقال: صديقي فوقف عليه فوثب ليقوم إليه، فقال له أبو سويد بنشين بنشين، فجلس فقال له: أنت سامع مطيع؟ قَالَ: نعم، قَالَ: مد يدك، فد يده فضر بها فأطنها، ثم مد رجله، ثم مد يده ثم رجله حتى قطع الأربع، ثم قَالَ: مد عنقك فد فضر عنقه قالت أفريك: فأخذت رأسه فوضعت في ججري، فأخذه مني فحملة إلى المنصور فما أكلت إفريك لحما حتى ماتت.

وزعم الواقدي أن أبا جعفر ولى معن بن زائدة في هذه السنة سجستان. و حج بالناس في هذه السنة محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس. وكان العامل على مكة والطائف محمد بن ابراهيم، وعلى المدينة الحسن ابن زيد، وعلى الكوفة محمد بن سليمان بن علي، وعلى البصرة جابر بن توبة الكلبي، وعلى قضائها سوار بن عبد الله، وعلى مصر يزيد بن حاتم.

٨٠٦ سنه اثنتين وخمسين ومائه

ثم دخلت

سنة اثنتين وخمسين ومائة

(ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها) فن ذلك ما كان من قتل الخوارج فيها معن بن زائدة الشيباني ببست سجستان. وفيها غزا حميد بن قحطبة كابل، وكان المنصور ولاء خراسان في سنه ثنتين وخمسين ومائة وغزا- فيما ذكر- الصائفة عبد الوهاب بن إبراهيم ولم يدرب.

وقيل إن الذي غزا الصائفة في هذه السنة محمد بن إبراهيم.

وفيها عزل المنصور جابر بن توبة عن البصرة، وولاه يزيد بن منصور.

وفيها قتل أبو جعفر هاشم بن الأشثاخنج، وكان عصي وخالف في إفريقية، فحمل إليه هو وابن خالد المروزي، فقتل ابن الأشثاخنج بالقادسية، وهو متوجه إلى مكة.

و حج بالناس في هذه السنة المنصور، فذكر أنه شخص من مدينة السلام في شهر رمضان، ولا يعلم بشخصه محمد بن سليمان، وهو عامله على الكوفة يومئذ، ولا عيسى بن موسى ولا غيرهما من أهل الكوفة حتى قرب منها.

وفيها عزل يزيد بن حاتم عن مصر ووليا محمد بن سعيد.

وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال في السنة الخالية إلا البصرة فإن عاملها في هذه السنة كان يزيد بن منصور، وإلا مصر فإن عاملها كان في هذه السنة محمد بن سعيد

٨٠٧ سنه ثلاث وخمسين ومائه

ثم دخلت

سنة ثلاث وخمسين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فن ذلك تجهيز المنصور جيشا في البحر لحرب الكرك، بعد مقدمه البصرة، منصرفا من مكة إليها بعد فراغه من حجه، وكانت الكرك أغارت على جدة، فلما قدم المنصور البصرة في هذه السنة جهز منها جيشا لحربهم، فنزل الجسر الأكبر حين قدمها- فيما ذكر وقدمته هذه البصرة القدمة الآخرة.

وقيل إنه أنما قدمها القدمة الآخرة في سنة خمس وخمسين ومائة، وكانت قدمته الأولى في سنة خمس وأربعين ومائة، وأقام بها أربعين يوما، وبني بها قصرا ثم انصرف منها إلى مدينة السلام.

وفيها غضب المنصور على أبي أيوب المورياني، فحبسه وأخاه وبني أخيه:

سعيدا ومسعودا ومخلدا ومحمدا، وطالبهم وكانت منازلهم المناذر، وكان سبب غضبه عليه- فيما قيل- سعي أبان بن صدقة كاتب أبي أيوب إليه.

وفي هذه السنة قتل عمر بن حفص بن عثمان بن أبي صفرة بإفريقية، قتله أبو حاتم الإباضي وأبو عاد ومن كان معهما من البربر، وكانوا- فيما ذكر- ثلاثمائة ألف وخمسين ألفا، انخيل منها خمسة وثلاثون ألفا، ومعهم أبو قرة الصفري في أربعين ألفا، وكان يسلم عليه قبل ذلك بالخلافة أربعين يوما.

وفيها حمل عباد مولى المنصور وهرثة بن أعين ويوسف بن علوان من خراسان في سلاسل، لتعصبهم لعيسى بن موسى. وفيها أخذ المنصور الناس بلبس القلائس الطوال المفرطة الطول، وكانوا- فيما ذكر- يحتلون لها بالقصب من داخل، فقال أبو دلامة: وكنا نرجي من إمام زيادة... فزاد الإمام المصطفى في القلائس تراها على هام الرجال كأنها... دنان يهود جللت بالبرانس

وفيها توفي عبيد بن بنت أبي ليلى قاضي الكوفة، فاستقضى مكانه شريك ابن عبد الله النخعي. وفيها غزا الصائفة معيوف بن يحيى المجوري، فصار إلى حصن من حصون الروم ليلا، وأهله نيام، فسبي وأسر من كان فيه من المقاتلة، ثم صار إلى اللاذقية المحترقة، ففتحها وأخرج منها ستة آلاف رأس من السبي سوى الرجال البالغين.

وفيها ولي المنصور بكار بن مسلم العقيلي على أرمينية. وجج بالناس في هذه السنة محمد بن أبي جعفر المهدي.

وكان على مكة والطائف يومئذ محمد بن إبراهيم، وعلى المدينة الحسن بن زيد بن الحسن، وعلى الكوفة محمد بن سليمان، وعلى البصرة يزيد بن منصور، وعلى قضائها سوار، وعلى مصر محمد بن سعيد.

وذكر الواقدي أن يزيد بن منصور كان في هذه السنة والي اليمن من قبل أبي جعفر المنصور

٨٠٨ سنة أربع وخمسين ومائة

ثم دخلت

سنة أربع وخمسين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فن ذلك خروج المنصور إلى الشام ومسيره إلى بيت المقدس وتوجيهه يزيد بن حاتم إلى إفريقية في خمسين ألفا- فيما ذكر- لحرب الخوارج الذين كانوا بها، الذين قتلوا عامله عمر بن حفص وذكر أنه أنفق على ذلك الجيش ثلاثة وستين ألف ألف درهم.

وفي هذه السنة عزم المنصور- فيما ذكر- على بناء مدينة الرافقة، فذكر عن محمد بن جابر، عن أبيه أن أبا جعفر لما أراد بناءها، امتنع أهل الرقة، وأرادوا محاربتة، وقالوا: تعطل علينا أسواقنا وتذهب بمعايشنا، وتضييق منازلنا، فهم بمحاربتهم، وبعث إلى راهب في الصومعة هنالك، فقال له:

هل لك علم بأن إنسانا يبنى هاهنا مدينة؟ فقال: بلغني أن رجلا يقال له مقلاص يبنها، فقال: أنا والله مقلاص.

وذكر محمد بن عمر أن صاعقة سقطت في هذه السنة في المسجد الحرام فقتلت خمسة نفر.

وفيها هلك أبو أيوب المورياني وأخوه خالد، وأمر المنصور موسى بن دينار حاجب أبي العباس الطوسي بقطع أيدي بني أخي أبي أيوب وأرجلهم وضرب أعناقهم، وكتب بذلك إلى المهدي، ففعل ذلك موسى وأنفذ فيهم ما أمره به.

وفيها ولي عبد الملك بن ظبيان النيري على البصرة.

وغزا الصائفة في هذه السنة زفر بن عاصم الهلالي فبلغ الفرات.

وجج بالناس في هذه السنة محمد بن إبراهيم، وهو عامل أبي جعفر على مكة والطائف

وكان على المدينة الحسن بن زيد، وعلى الكوفة محمد بن سليمان، وعلى البصرة عبد الملك بن أيوب بن ظبيان وعلى قضائها سوار بن عبد الله وعلى السند هشام بن عمرو، وعلى إفريقية يزيد بن حاتم، وعلى مصر محمد ابن سعيد

٨٠٩ سنة خمس وخمسين ومائة

ثم دخلت

سنة خمس وخمسين ومائة

(ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها) فمن ذلك افتتاح يزيد بن حاتم إفريقية وقتله أبا عاد وأبا حاتم ومن كان معهما، واستقامت بلاد المغرب، ودخل يزيد بن حاتم القيروان.

وفيها وجه المنصور ابنه المهدي لبناء مدينة الرافقة، فشحخص إليها، فبناها على بناء مدينته ببغداد في أبوابها وفصولها ورحابها وشوارعها وسور سورها وخندقها، ثم انصرف إلى مدينته.

وفيها- فيما ذكر محمد بن عمر- خندق أبو جعفر على الكوفة والبصرة، وضرب عليهما سورا، وجعل ما أنفق على سور ذلك وخندقه من أموال أهله.

وعزل فيها المنصور عبد الملك بن أيوب بن ظبيان عن البصرة، واستعمل عليها الهيثم بن معاوية العتكي، وضم إليه سعيد بن دعلج، وأمره ببناء سور لها يطيف بها، وخندق عليها من دون السور من أموال أهلها، ففعل ذلك.

وذكر أن المنصور لما أراد الأمر ببناء سور الكوفة وبخفر خندق لها، أمر بقسمة خمسة دراهم، على أهل الكوفة، وأراد بذلك علم عددهم، فلما عرف عددهم أمر بجبايتهم أربعين درهما من كل إنسان، فخبوا، ثم أمر بإنفاق ذلك على سور الكوفة وحفر الخنادق لها، فقال شاعرهم:

يا لقومي ما لقينا ... من أمير المؤمنين

قسم الخمسة فينا ... وجبانا الأربعينا

وفيها طلب صاحب الروم الصلح إلى المنصور، على أن يؤدي إليه الجزية.

وغزا الصائفة في هذه السنة يزيد بن أسيد السلمي.

وفيها عزل المنصور أخاه العباس بن محمد عن الجزيرة، وغرمه مالا،

وغضب عليه وحبسه، فذكر عن بعض بني هاشم، أنه قال: كان المنصور ولي العباس بن محمد الجزيرة بعد يزيد بن أسيد، ثم غضب عليه فلم يزل ساخطا عليه حتى غضب على بعض عمومته من ولد علي بن عبد الله بن عباس أما إسماعيل بن علي أو غيره فاعتوره أهله وعمومته ونسأؤهم يكلمونه فيه، وضيقوا عليه فرضي عنه، فقال عيسى بن موسى: يا أمير المؤمنين، إن آل علي بن عبد الله- وإن كانت نعمك عليهم سابقة- فإنهم يرجعون إلى الحسد لنا، فمن ذلك أنك غضبت على إسماعيل بن علي منذ أيام، فضيقوا عليك وأنت غضبان على العباس بن محمد، منذ كذا وكذا، فما رأيت أحدا منهم كلمك فيه قال: فدعا العباس فرضي عنه.

قال: وقد كان يزيد بن أسيد عند عزل العباس إياه عن الجزيرة، شكا إلى أبي جعفر العباس، وقال: يا أمير المؤمنين، إن أخاك أساء عزلي، وشم عرضي، فقال له المنصور: اجمع بين إحساني إليك وإساءة أخي يعتدلا، فقال يزيد بن أسيد: يا أمير المؤمنين، إذا كان إحسانكم جزاء بإساءتكم، كانت طاعتنا تفضلا منا عليكم.

وفيها استعمل المنصور على حرب الجزيرة وخراجها موسى بن كعب.

وفي هذه السنة عزل المنصور عن الكوفة محمد بن سليمان بن علي، في قول بعضهم، واستعمل مكانه عمرو بن زهير أخا المسيب بن زهير.

وأما عمر بن شبة فإنه زعم أنه عزل محمد بن سليمان عن الكوفة في سنة ثلاث وخمسين ومائة، وولاه عمرو بن زهير الضبي أخا المسيب بن زهير في هذه السنة قال: وهو حفر الخندق بالكوفة.

ذكر الخبر عن سبب عزل المنصور محمد بن سليمان بن علي ذكر أن محمد بن سليمان أتى في عمله على الكوفة بعبد الكريم بن أبي العوجاء - وكان خال معن بن زائدة- فأمر بحبسه قال أبو زيد: فحدثني قثم بن جعفر والحسين بن أيوب وغيرهما أن شفعاؤه كثروا بمدينة السلام، ثم ألحوا على أبي جعفر، فلم يتكلم فيه إلا ظنين، فأمر بالكاتب إلى محمد بالكف عنه إلى أن يأتيه رأي، فكلّم ابن أبي العوجاء أبا الجبار- وكان منقطعا إلى أبي جعفر ومحمد ثم إلى أبنائهما بعدهما- فقال له: إن أخرني الأمير ثلاثة أيام فله مائة ألف، ولك أنت كذا وكذا، فأعلم أبو الجبار محمدا، فقال:

أذكرتني والله وقد كنت نسيت، فإذا انصرفت من الجمعة فأذكرني فلما انصرف أذكره، فدعا به وأمر بضرب عنقه، فلما أيقن أنه مقتول، قال:

أما والله لئن قتلتُموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال، وأحل فيها الحرام، والله لقد فطرتكم في يوم صومكم، وصومتمكم في يوم فطركم، فضربت عنقه.

وورد على محمد رسول أبي جعفر بكاتبه: إياك أن تحدث في أمر ابن أبي العوجاء شيئا، فإنك إن فعلت فعلت بك وفعلت يتهدده فقال محمد للرسول:

هذا رأس ابن أبي العوجاء وهذا بدنه مصلوبا بالكاسية، فأخبر أمير المؤمنين بما أعلمتك، فلما بلغ الرسول أبا جعفر رسالته، تغيظ عليه وأمر بالكاتب بعزله وقال: والله لهممت أن أقيده به، ثم أرسل إلى عيسى بن علي فأثاه، فقال: هذا عملك أنت! أشرت بتولية هذا الغلام، فوليته غلاما جاهلا لا علم له بما يأتي، يقدم على رجل يقتله من غير أن يطلع رأي فيه، ولا ينتظر أمري:

وقد كتبت بعزله، وبالله لأفعلن به ولأفعلن يتهدده، فسكت عنه عيسى حتى سكن غضبه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إن محمدا إنما قتل هذا الرجل على الزندقة، فإن كان قتله صوابا فهو لك، وإن كان خطأ فهو على محمد، والله يا أمير المؤمنين لئن عزلته على تفية ما صنع ليذهبن بالثناء والذكر، ولترجعن القالة من العامة عليك فأمر بالكاتب فزقت وأقر على عمله وقال بعضهم: إنما عزل المنصور محمد بن سليمان عن الكوفة لأمر قبيحه

بلغته عنه، اتهمه فيها، وكان الذي أنهى ذلك إليه المساور بن سوار الجرمي صاحب شرطه، وفي مساور يقول حماد.

لحسبك من عجيب الدهر أني... أخاف وأتقي سلطان جرم

وفي هذه السنة أيضا عزل المنصور الحسن بن زيد عن المدينة، واستعمل عليها عبد الصمد بن علي، وجعل معه فليح بن سليمان مشرفا عليه.

وكان على مكة والطائف محمد بن إبراهيم بن محمد، وعلى الكوفة عمرو بن زهير، وعلى البصرة الهيثم بن معاوية، وعلى إفريقية يزيد بن حاتم، وعلى مصر محمد بن سعيد

٨٠١٠ سنه ست وخمسين ومائه

٨٠١٠١ ذكر الخبر عن مقتل عمرو بن شداد

ثم دخلت

سنة ست وخمسين ومائة

(ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها)

ذكر الخبر عن مقتل عمرو بن شداد

فمن ذلك ما كان من ظفر الهيثم بن معاوية عامل أبي جعفر على البصرة بعمر بن شداد عامل إبراهيم بن عبد الله على فارس، فقتل بالبصرة وصلب.

ذكر الخبر عن سبب الظفر به:

ذكر عمر أن محمد بن معروف حدثه، قال: أخبرني أبي، قال:

ضرب عمرو بن شداد خادما له، فأتى عامل البصرة- إما ابن دعلج، وأما الهيثم ابن معاوية- فآخذه فقتله وصلبه في المربد في موضع دار إسحاق ابن سليمان وكان عمرو مولى لبني جمح، فقال بعضهم: ظفر به الهيثم ابن معاوية وخرج يريد مدينة السلام، فنزل بقصر له على شاطئ نهر يعرف بنهر معقل، فأقبل يريد من عند أبي جعفر، ومعه كتاب إلى الهيثم بن معاوية بدفع عمرو بن شداد إليه، فدفعه الهيثم إليه، فأقدمه البصرة، ثم أتى به ناحية الرحبة، فخلا به يسائله، فلم يظفر منه بشيء يحب علمه، فقطع يديه ورجليه، وضرب عنقه وصلبه في مربد البصرة.

وفي هذه السنة عزل المنصور الهيثم بن معاوية عن البصرة وأعمالها، واستعمل سوار بن عبد الله القاضي على الصلاة، وجمع له القضاء والصلاة وولى المنصور سعيد بن دعلج شرط البصرة وأحداثها.

وفيهما توفي الهيثم بن معاوية بعد ما عزل عن البصرة فجاء بمدينة السلام، وهو على بطن جارية له، فصلى عليه المنصور، ودفن في مقابر بني هاشم.

وفي هذه السنة غزا الصائفة زفر بن عاصم الهلالي

وجج بالناس في هذه السنة العباس بن محمد بن علي.

وكان العامل على مكة محمد بن إبراهيم، وكان مقيما بمدينة السلام، وابنه إبراهيم بن محمد خليفته بمكة، وكان إليه مع مكة الطائف وعلى الكوفة عمرو بن زهير، وعلى الأحداث والجوالي والشرط وصدقات أرض العرب بالبصرة سعيد بن دعلج، وعلى الصلاة بها والقضاء سوار بن عبد الله، وعلى كور دجلة والأهواز وفارس عمارة بن حمزة، وعلى كرمان والسند هشام بن عمرو، وعلى إفريقية يزيد بن حاتم، وعلى مصر محمد بن سعيد

٨٠١١ سنه سبع وخمسين ومائه

ثم دخلت

سنة سبع وخمسين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فما كان فيها من ذلك ابتداء المنصور قصره الذي على شاطئ دجلة، الذي يدعى الخلد، وقسم بناءه على مولاه الربيع وأبان بن صدقة.

وفيهما قتل يحيى أبو زكرياء المحتسب، وقد ذكرنا قبل سبب قتله إياه.

وفيهما حول المنصور الأسواق من مدينة السلام إلى باب الكرخ وغيره من المواضع، وقد مضى أيضا ذكرنا سبب ذلك قبل.

وفيهما ولى المنصور جعفر بن سليمان على البحرين، فلم يتم ولايته، ووجه مكانه أميرا عليها سعيد بن دعلج، فبعث سعيد ابنه تميما عليها. وفيها عرض المنصور جنده في السلاح والخليل على عينه في مجلس اتخذته على شط دجلة دون قطربل، وأمر أهل بيته وقرابته وصحابته يومئذ بلبس السلاح، وخرج وهو لابس درعا وقلنسوة تحت البيضة سوداء لاطئة مضربه.

وفيهما توفي عامر بن إسماعيل المسلي، بمدينة السلام، فصلى عليه المنصور، ودفن في مقابر بني هاشم.

وفيهما توفي سوار بن عبد الله وصلى عليه ابن دعلج، واستعمل المنصور مكانه عبيد الله بن الحسن بن الحصين العنبري.

وفيهما عقد المنصور الجسر عند باب الشعير، وجرى ذلك على يد حميد القاسم الصيرفي، بأمر الربيع الحاجب.

وفيهما عزل محمد بن سعيد الكاتب عن مصر، واستعمل عليها مطر مولى أبي جعفر المنصور

وفيهما ولي معبد بن الخليل السند، وعزل عنها هشام بن عمرو، ومعبد يومئذ بخراسان، كتب إليه بولايته.

وغزا الصائفة فيها يزيد بن أسيد السلي، ووجه سنانا مولى البطال إلى بعض الحصون، فسبى وغنم.

وقال محمد بن عمر: الذي غزا الصائفة في هذه السنة زفر بن عاصم.

وجج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو: كَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ - يَعْنِي إِبْرَاهِيمَ هَذَا. وَقَالَ غَيْرُهُ: كَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَلِيٍّ، وَكَانَ عَلَى مَكَّةَ وَالطَّائِفِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى الْأَهْوَازِ وَفَارِسَ عِمَارَةُ بْنُ حَمْزَةَ، وَعَلَى كَرْمَانَ وَالسَّنَدِ مَعْبُدُ بْنُ الْخَلِيلِ، وَعَلَى مِصْرَ مَطَرُ مَوْلَى الْمَنْصُورِ.

٨٠١٢ سنه ثمان ونحسين ومائه

٨٠١٢٠١ ذكر الخبر عن توليه خالد بن برمك الموصل

ثم دخلت

سنة ثمان ونحسين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر الخبر عن توليه خالد بن برمك الموصل

فَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ تَوَجَّهَ الْمَنْصُورُ ابْنَهُ الْمَهْدِي إِلَى الرِّقَّةِ وَأَمَرَهُ إِيَّاهُ بِعِزْلِ مُوسَى بْنِ كَعْبٍ عَنِ الْمَوْصِلِ وَتَوَلِيَةِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ بْنِ بَرْمَكٍ عَلَيْهَا.

وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ - فِيمَا ذَكَرَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ عَطِيَّةٍ - قَالَ: كَانَ الْمَنْصُورُ قَدْ أَلْزَمَ خَالِدَ بْنَ بَرْمَكٍ ثَلَاثَةَ آلَافٍ أَلْفٍ، وَنَذَرَ دَمَهُ فِيهَا، وَأَجَلَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بِهَا، فَقَالَ خَالِدٌ لِابْنِهِ يَحْيَى: يَا بَنِي، إِنِّي قَدْ أَوْذِيتُ وَطُولِبْتُ بِمَا لَيْسَ عِنْدِي، وَإِنَّمَا يَرَادُ بِذَلِكَ دَمِي، فَانصَرَفَ إِلَى حَرَمَتِكَ وَأَهْلِكَ، فَمَا كُنْتُ فَاعِلًا بِهِمْ بَعْدَ مَوْتِي فَافْعَلْهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا بَنِي، لَا يَمْنَعُنكَ ذَلِكَ مِنْ أَنْ تَلْقَى إِخْوَانَنَا، وَأَنْ تَمْرَبَعِمَارَةَ بْنَ حَمْزَةَ وَصَالِحَ صَاحِبِ الْمَصْلَى وَمُبَارَكَ التَّرْكِي فَتَعْلَمَهُمْ حَالَنَا.

قَالَ: فَذَكَرَ صَالِحُ بْنُ عَطِيَّةٍ أَنْ يَحْيَى حَدَّثَهُ، قَالَ: أَتَيْتُهُمْ فَهُمْ مِنْ تَجْهَمِنِي وَبَعَثَ بِالْمَالِ سَرًا إِلَيَّ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَأْذَنْ لِي، وَبَعَثَ بِالْمَالِ فِي أَثَرِي قَالَ: وَاسْتَأْذَنْتَ عَلَى عِمَارَةَ بْنَ حَمْزَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي صَحْنِ دَارِهِ، مُقَابِلَ بَوَّاجِهِ الْحَائِطِ، فَمَا انصَرَفَ إِلَيَّ بِوَجْهِهِ، فَسَلِمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيَّ رَدًّا ضَعِيفًا، وَقَالَ: يَا بَنِي، كَيْفَ أَبُوكَ؟ قُلْتُ: بِخَيْرٍ، يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَعْلَمُكَ مَا قَدْ لَزِمَهُ مِنْ هَذَا الْغَرَمِ، وَيَسْتَسْلِفُكَ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ.

قَالَ: فَمَا رَدَّ عَلَيَّ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا، قَالَ: فَضَاقَ بِي مَوْضِعِي، وَمَادَتْ بِي الْأَرْضُ قَالَ: ثُمَّ كَلَّمْتُهُ فِيمَا أَتَيْتُهُ لَهُ قَالَ: فَقَالَ: إِنْ أَمَكْنِي شَيْءٌ فَسَيَأْتِيكَ، قَالَ يَحْيَى: فَانصَرَفْتُ وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي: لَعَنَ اللَّهُ كُلَّ شَيْءٍ يَأْتِي

مِنْ تَيْهِكَ وَعَجَبِكَ وَكِبْرِكَ! وَصَرْتُ إِلَى أَبِي، فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبْرَ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: وَأَرَأَيْكَ تُثِقُ مِنْ عِمَارَةَ بْنَ حَمْزَةَ بِمَا لَا يُوَثِّقُ بِهِ! قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنِّي لَكَذَلِكَ، إِذْ طَلَعَ رَسُولُ عِمَارَةَ بْنَ حَمْزَةَ بِالْمِائَةِ أَلْفٍ قَالَ: لَجُمْعُنَا فِي يَوْمَيْنِ الْفَى أَلْفٍ وَسَبْعِمِائَةِ أَلْفٍ، وَبَقِيَتْ ثَلَاثُمِائَةُ أَلْفٍ بِوُجُودِهَا يَتِمُّ مَا سَعِينَا لَهُ، وَبَتَعَذُّرِهَا يَبْطُلُ قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنِّي لَعَلَى الْجَسْرِ بِبَغْدَادَ مَارًا مَهْمُومًا مَغْمُومًا، إِذْ وَثَبَ إِلَيَّ زَاجِرٌ، فَقَالَ: فَرَحَ الطَّائِرُ أَخْبَرَكَ! قَالَ: فَطَوَيْتُهُ مَشْغُولَ الْقَلْبِ عَنْهُ، فَلَحَقَنِي وَتَعَلَّقَ بِلِجَامِي، وَقَالَ لِي: أَنْتَ وَاللَّهُ مَهْمُومٌ، وَوَاللَّهُ لِيَفْرَجَنَّ اللَّهُ هَمَّكَ، وَلَتَمْرَنَ غَدَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَاللَّوَاءُ بَيْنَ يَدَيْكَ قَالَ: فَأَقْبَلْتُ أَعْجَبَ مِنْ قَوْلِهِ قَالَ: فَقَالَ لِي: إِنْ كَانَ ذَلِكَ فَلَئِنْ عَلِيكَ نَحْمَةُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ؟

قُلْتُ: نَعَمْ - وَلَوْ قَالَ نَحْمُونَ أَلْفًا لَقُلْتُ نَعَمْ، لَبَعْدَ ذَلِكَ عِنْدِي مِنْ أَنْ يَكُونَ - قَالَ: وَمَضَيْتُ وَوَرَدَ عَلَى الْمَنْصُورِ انْتِقَاضُ الْمَوْصِلِ وَانْتِشَارُ الْأَكْرَادِ بِهَا، فَقَالَ: مَنْ لَهَا؟ فَقَالَ لَهُ الْمَسِيبُ بْنُ زَهِيرٍ - وَكَانَ صَدِيقًا لَخَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ:

عِنْدِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَأْيِي، أَرَى أَنَّكَ لَا تَنْتَصِحُهُ، وَأَنَّكَ سَتَلْقَانِي بِالرَّدِّ، وَلَكِنِّي لَا أَدْعُ نَصْحَكَ فِيهِ وَالْمَشُورَةَ عَلَيْكَ بِهِ، قَالَ: قُلْ، فَلَا أَسْتَغْشِكَ، قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا رَمَيْتَ بِمَثَلِ خَالِدٍ، قَالَ: وَيْحَكَ! فَيَصْلِحُ لَنَا بَعْدَ مَا أَتَيْنَا إِلَيْهِ! قَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا قَوْمَتُهُ بِذَلِكَ وَأَنَا الضَّامِنُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَهُوَ لَهَا وَاللَّهِ، فَلِيحْضُرْنِي غَدَا فَأَحْضُرْ، فَصَفَحَ لَهُ عَنِ الثَّلَاثُمِائَةِ أَلْفِ الْبَاقِيَةِ، وَعَقَدَ لَهُ.

قَالَ يَحْيَى: ثُمَّ مَرَرْتُ بِالزَّاجِرِ، فَلَمَّا رَأَى قَالَ: أَنَا هَاهُنَا أَتَنْتَظِرُكَ مِنْذُ غَدْوَةٍ، قُلْتُ: امْضُ مَعِي، فَضَى مَعِي، فَدَفَعَتْ إِلَيْهِ الْخَمْسَةَ أَلْفَ. قَالَ: وَقَالَ لِي أَبِي: أَيُّ بَنِي، إِنْ عَمَارَةُ تَلَزَمَهُ حَقُوقٌ، وَتَتَوَبَّهَ نَوَائِبُ فَاتِهِ، فَاقْرَأْهُ السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: إِنْ اللَّهُ قَدْ وَهَبَ لَنَا رَأْيَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ،

وصفح لنا عما بقي علينا، ولولاني الموصل، وقد أمر برد ما استسلفت منك قال: فأتيته فوجدته على مثل الحال التي لقيته عليه، فسلمت فما رد

٨٠١٢٠٢ أخبار متفرقة

السلام علي، ولا زادني على أن قال: كيف أبوك؟ قلت: بخير، يقول كذا وكذا، قال: فاستوى جالسا، ثم قال لي: ما كنت إلا قسطارا لأبيك، يأخذ مني إذا شاء، ويرد إذا شاء! قم عني لا قت! قال: فرجعت إلى أبي فأعلمته، فقال لي أبي: يا بني، هو عمارة ومن لا يعترض عليه! قال: فلم يزل خالد على الموصل إلى أن توفي المنصور ويحيى على أذربيجان، فذكر عن أحمد بن محمد بن سوار الموصلية أنه قال: ما هبنا قط أميرا هيبتنا خالد بن برمك من غير أن تشتد عقوبته، ولا نرى منه جبرية، ولكن هيبة كانت له في صدورنا. وذكر أحمد بن معاوية بن بكر الباهلي، عن أبيه، قال: كان أبو جعفر غضب على موسى بن كعب- وكان عامله على الجزيرة والموصل- فوجه المهدي إلى الرقة لبناء الرافقة، وأظهر أنه يريد بيت المقدس، وأمره بالمرور والمضي على الموصل، فإذا صار بالبلد أخذ موسى بن كعب فقيده، وولى خالد بن برمك الموصل مكانه، ففعل المهدي ذلك، وخلف خالدًا على الموصل، وشخص معه أخو خالد: الحسن وسليمان ابنا برمك، وقد كان المنصور دعا قبل ذلك يحيى بن خالد، فقال له: قد أردت لك الأمر مهم من الأمور، واخترتك لثغر من الثغور، فكن على أهبة، ولا يعلم بذلك أحد حتى أدعوك فكنم أباه الخبر، وحضر الباب فيمن حضر، فخرج الربيع، فقال: يحيى بن خالد! فقام فأخذ بيده، فأدخله على المنصور، فخرج على الناس وأبوه حاضر واللواء بين يديه على أذربيجان، فأمر الناس بالمضي معه، فمضوا في موكبه، وهنئوه وهنئوا أباه خالدًا بولايته، فاتصل عملهما. وقال أحمد بن معاوية: كان المنصور معجبا يحيى، وكان يقول:

ولد الناس ابنا وولد خالد أباه.

[أخبار متفرقة]

وفي هذه السنة نزل المنصور قصره الذي يعرف بالخلد.

وفيها سخط المنصور على المسيب بن زهير وعزله عن الشرطة، وأمر بحبسه وتقييده، وكان سبب ذلك أنه قتل أبان بن بشير الكاتب بالسياط، لأمر كان وجد عليه فيما كان من شركته لأخيه عمرو بن زهير في ولاية الكوفة وخراجها، وولى مكان المسيب الحكم بن يوسف صاحب الحرب، ثم كلم المهدي أباه في المسيب، فرضي عنه بعد حبسه إياه أياما، وأعاد إليه ما كان يلي من شرطه.

وفيها وجه المنصور نصر بن حرب التميمي واليا على ثغر فارس.

وفيها سقط المنصور عن دابته بجرجايا، فأنشج ما بين حاجبيه، وذلك أنه كان خرج لما وجه ابنه المهدي إلى الرقة مشيعا له، حتى بلغ موضعا يقال له جب سماقا، ثم عدل إلى حولايا، ثم أخذ على النهروانات فأنهى - فيما ذكر - إلى بئق من النهروانات يصب إلى نهر دياي، فأقام على سكره ثمانية عشر يوما، فأعياه، ففضى إلى جرجايا، فخرج منها للنظر إلى ضيعة كانت لعيسى بن علي هناك، فصرع من يومه ذلك عن برذون له ديزج، فشج في وجهه، وقدم عليه وهو بجرجايا أسارى من ناحية عمان من الهند، بعث بهم إليه تسنيم بن الحواري مع ابنه محمد، فهم بضرب أعناقهم، فسألهم فأخبروه بما التبس به أمرهم عليه، فأمسك عن قتلهم وقسمهم بين قواده ونوابه.

وفيها انصرف المهدي إلى مدينة السلام من الرقة فدخلها في شهر رمضان.

وفيها أمر المنصور بمرمة القصر الأبيض، الذي كان كسرى بناه، وأمر أن يغرم كل من وجد في داره شيء من الآجر الخسرواني، مما نقضه من بناء الأكاسرة، وقال: هذا فيء المسلمين، فلم يتم ذلك ولا ما أمر به من مرمة القصر.

وفيها غزا الصائفة معيوف بن يحيى من درب الحدث، فلقى العدو فاقتلوا ثم تحاجزوا

٨٠١٢٠٣ ذكر الخبر عن حبس ابن جريج وعباد بن كثير والثوري

ذكر الخبر عن حبس ابن جريج وعباد بن كثير والثوري
وفي هذه السنة حبس محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي، وهو أمير مكة- فيما ذكر- بأمر المنصور إياه بحبسهم: ابن جريج وعباد بن كثير والثوري، ثم أطلقهم من الحبس بغير إذن أبي جعفر، فغضب عليه أبو جعفر.
وذكر عمر بن شبة أن محمد بن عمران مولى محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس حدثه عن أبيه، قال: كتب المنصور إلى محمد بن إبراهيم- وهو أمير على مكة- يأمره بحبس رجل من آل علي بن أبي طالب كان بمكة، ويحبس ابن جريج وعباد بن كثير والثوري، قال: فحبسهم، فكان له سماريسامرونه بالليل، فلما كان وقت سمره جلس وأكب على الأرض ينظر إليها، ولم ينطق بحرف حتى تفرقوا قال: فدنوت منه فقلت له: قد رأيت ما بك، فما لك؟ قال: عمدت إلى ذي رحم فحبسته، وإلى عيون من عيون الناس فحبستهم، فيقدم أمير المؤمنين ولا أدري ما يكون، فلعله أن يأمر بهم فيقتلوا، فيشتد سلطانه وأهلك ديني، قال: فقلت له: فتصنع ماذا؟ قال: أوثر الله، وأطلق القوم، اذهب إلى إيلي نخذ راحلة منها، وخذ خمسين ديناراً فأنت بها الطالبي وأقرئه السلام، وقل له: إن ابن عمك يسألك أن تحلله من ترويعه إياك، وتركب هذه الراحلة، وتأخذ هذه النفقة قال: فلما أحس بي جعل يتعوذ بالله من شري، فلما أبلغته قال:

هو في حل ولا حاجة لي إلى الراحلة ولا إلى النفقة قال: قلت: إن أطيب لنفسه أن تأخذ، ففعل قال: ثم جئت إلى ابن جريج وإلى سفيان بن سعيد وعباد بن كثير فأبلغتهم ما قال، قالوا: هو في حل، قال: فقلت لهم:
يقول لكم: لا يظهرن أحد منكم ما دام المنصور مقيماً قال: فلما قرب المنصور وجهني محمد بن إبراهيم بالطفاف، فلما أخبر المنصور أن رسول محمد بن إبراهيم قدم، أمر بالإبل فضربت وجوهها.

قال: فلما صار إلى بئر ميمون لقيه محمد بن إبراهيم، فلما أخبر بذلك أمر بدوابه فضربت وجوهها، فعدل محمد، فكان يسير في ناحية قال:

٨٠١٢٠٤ ذكر الخبر عن وفاه أبي جعفر المنصور

وعدل بأبي جعفر عن الطريق في الشق الأيسر فأنى به، ومحمد واقف قبالة، ومعه طبيب له، فلما ركب أبو جعفر وسار، وعديله الربيع أمر محمد الطبيب فمضى إلى موضع مناخ أبي جعفر، فرأى نجوه، فقال لمحمد: رأيت نجور رجل لا تطول به الحياة، فلما دخل مكة لم يلبث أن مات وسلم محمد

. ذكر الخبر عن وفاه أبي جعفر المنصور

وفيها شخص أبو جعفر من مدينة السلام، متوجهاً إلى مكة، وذلك في شوال، فنزل- فيما ذكر- عند قصر عبدويه، فانقض في مقامه هنالك كوكب، لثلاث بقين من شوال بعد إضاءة الفجر، فبقي أثره بينا إلى طلوع الشمس، ثم مضى إلى الكوفة، فنزل الرصافة، ثم أهل منها بالحج والعمرة، وساق معه الهدى وأشعره وقلده، لأيام خلت من ذي القعدة.
فلما سار منازل من الكوفة عرض له وجعه الذي توفي منه.

واختلف في سبب الوجع الذي كانت منه وفاته، فذكر عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي، عن أبيه، أنه كان يقول: كان المنصور لا يستمرئ طعامه، ويشكو من ذلك إلى المتطببين ويسألهم أن يتخذوا له الجوارشنات، فكانوا يكرهون ذلك ويأمرونه أن يقل من الطعام، ويخبرونه أن الجوارشنات تهضم في الحال، وتحدث من العلة ما هو أشد منه عليه، حتى قدم عليه طبيب من أطباء الهند، فقال له كما قال له غيره، فكان يتخذ له سفوفاً جوارشنا يابساً، فيه الأفاويه والأدوية الحارة، فكان يأخذها فيهضم طعامه فأحمدته قال: فقال لي أبي: قال لي كثير من متطبي العراق: لا يموت والله أبو جعفر أبداً إلا بالبطن، قال: قلت له: وما علمك؟ قال: هو يأخذ الجوارشن فيهضم طعامه، ويخلق من زئبر معدته في كل يوم شيئاً، وشحم مصارينه، فيموت ببطنه وقال لي: اضرب لذلك مثلاً،

أرأيت لو أنك وضعت جراً على مرفع، ووضعت تحتها آجرة جديدة فقطرت، أما كان قطرها يثقب الآجرة على طول الدهر! أو ما علمت أن لكل قطرة خذا! قَالَ: فمات والله أبو جعفر- كما قَالَ- بالبطن.

وقال بعضهم: كان بدء وجعه الذي مات فيه من حر أصابه من ركوبه في المواجر، وكان رجلاً محروراً على سنه، يغلب عليه المرار الأحمر، ثم هاض بطنه، فلم يزل كذلك حتى نزل بستان ابن عامر، فاشتد به، فرحل عنه فقصر عن مكة، ونزل بئر ابن المرتفع، فأقام بها يوماً وليلة، ثم صار منها إلى بئر ميمون، وهو يسأل عن دخوله الحرم، ويوصي الربيع بما يريد أن يوصيه، وتوفي بها في السحر أو مع طلوع الفجر ليلة السبت لست خلون من ذي الحجة، ولم يحضره عند وفاته إلا خدمه والربيع مولاه، فكتم الربيع موته، ومنع النساء وغيرهن من البكاء عليه والصراخ، ثم أصبح فحضر أهل بيته كما كانوا يحضرون، وجلسوا مجالسهم، فكان أول من دعي به عيسى بن علي، فكث ساعة، ثم أذن لعيسى بن موسى- وقد كان فيما خلا يقدم في الإذن على عيسى بن علي، فكان ذلك مما ارتيب به- ثم أذن للأكابر وذوي الأسنان من أهل البيت، ثم لعامتهم، فأخذ الربيع بيعتهم لأمر المؤمنين المهدي ولعيسى بن موسى من بعده، على يد موسى بن المهدي حتى فرغ من بيعة بني هاشم، ثم دعا بالقواد فباعوا ولم ينكل منهم عن ذلك رجل إلا علي ابن عيسى بن ماهان، فإنه أبى عند ذكر عيسى بن موسى أن يباع له، فلطمه محمد بن سليمان، وقال: ومن هذا العليج! وأمصه، وهم بضرب عنقه، فباع، وبتابع الناس بالبيعة وكان المسيب بن زهير أول من استثنى في البيعة، وقال: عيسى بن موسى: ان كان كذلك فامضوه.

وخرج موسى بن المهدي إلى مجلس العامة، فباع من بقي من القواد والوجوه، وتوجه العباس بن محمد ومحمد بن سليمان إلى مكة ليبيع أهلها بها،

وكان العباس يومئذ المتكلم، فباع الناس للمهدي بين الركن والمقام، وتفرق عدة من أهل بيت المهدي في نواحي مكة والعسكر فباعه الناس، وأخذ في جهاز المنصور وغسله وكفنه، وتولى ذلك من أهل بيته العباس بن محمد والربيع والريان وعدة من خدمه ومواليه، ففرغ من جهازه مع صلاة العصر، وغطى من وجهه وجميع جسده بأكفانه إلى قصاص شعره، وأبدى رأسه مكشوفاً من أجل الإحرام، وخرج به أهل بيته والأخص من مواليه، وصلى عليه- فيما زعم الواقدي- عيسى بن موسى في شعب الخوز. وقيل: إن الذي صلى عليه إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي وقيل: إن المنصور كان أوصى بذلك، وذلك أنه كان خليفته على الصلاة بمدينة السلام.

وذكر علي بن محمد النوفلي، عن أبيه، أن إبراهيم بن يحيى صلى عليه في المضارب قبل أن يحمل، لأن الربيع قَالَ: لا يصلي عليه أحد يطمع في الخلافة، فقدّموا إبراهيم بن يحيى- وهو يومئذ غلام حدث- ودفن في المقبرة التي عند ثنية المدنين التي تسمى كذا، وتسمى ثنية المعلاة، لأنها بأعلى مكة، ونزل في قبره عيسى بن علي والعباس بن محمد وعيسى بن موسى، والربيع والريان موليّه، ويقطين بن موسى. واختلف في مبلغ سنه يوم توفي، فقال بعضهم: كان يوم توفي ابن أربع وستين سنة.

وقال بعضهم: كان يومئذ ابن خمس وستين سنة.

وقال بعضهم: كان يوم توفي ابن ثلاث وستين سنة.

وقال هشام بن الكلبي: هلك المنصور وهو ابن ثمان وستين سنة.

ذكر الخبر عن صفه إبي جعفر المنصور

ذكر الخبر عن بعض سيره

وقال هشام: ملك المنصور اثنتين وعشرين سنة إلا أربعة وعشرين يوماً.

واختلف عن أبي معشر في ذلك، فحدثني أحمد بن ثابت الرازي عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى عنه أنه قَالَ: توفي أبو جعفر قبل يوم التروية بيوم السبت، فكانت خلافته اثنتين وعشرين سنة إلا ثلاثة أيام.

وروي عن ابن بكار عنه أنه قال: إلا سبع ليال.

وقال الواقدي: كانت ولاية أبي جعفر اثنتين وعشرين سنة إلا ستة أيام.

وقال عمر بن شبة: كانت خلافته اثنتين وعشرين سنة غير يومين.

وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي.

وفي هذه السنة هلك طاغية الروم.

ذكر الخبر عن صفة أبي جعفر المنصور

ذكر أنه كان أسمر طويلا، نحيفا خفيف العارضين.

وكان ولد بالخميمة.

ذكر الخبر عن بعض سيره

ذكر عن صالح بن الوجيه، عن أبيه، قال: بلغ المنصور أن عيسى ابن موسى قتل رجلا من ولد نصر بن سيار، كان مستخفيا بالكوفة، فدل عليه، فضرب عنقه فأنكر ذلك وأعظمه، وهم في عيسى بأمر كان فيه هلاكه، ثم قطعه عن ذلك جهل عيسى بما فعل فكتب إليه: أما بعد، فإنه لولا نظر أمير المؤمنين واستبقاؤه لم يؤخر عقوبة قتل ابن نصر بن سيار واستبدادك به بما يقطع أطماع العمال في مثله، فأمسك عمن ولاك أمير المؤمنين أمره، من عربي وأعجمي، وأحمر وأسود، ولا تستبدن على أمير المؤمنين بإمضاء عقوبة في أحد قبله تباعة، فإنه لا يرى أن يأخذ

أحدا بظنة قد وضعها الله عنه بالتوبة، ولا يحدث كان منه في حرب أعقبه الله منها سلما ستر به عن ذي غلة، وحجز به عن محنة ما في الصدور، وليس يئأس أمير المؤمنين لأحد ولا لنفسه من الله من إقبال مدبر، كما أنه لا يأمن إدبار مقبل إن شاء الله والسلام.

وذكر عن عباس بن الفضل، قال: حدثني يحيى بن سليم كاتب الفضل بن الربيع، قال: لم ير في دار المنصور لهو قط، ولا شيء يشبه اللهو واللعب والعبث إلا يوما واحدا، فإننا رأينا ابنا له يقال له عبد العزيز أخا سليمان وعيسى ابني أبي جعفر من الطلحيه، توفي وهو حدث، قد خرج على الناس متنكبا قوسا، متعمما بعمامة، مترديا ببرد، في هيئة غلام أعرابي، رابجا على قعود بين جوالقين، فيهما مقل ونعال ومساويك وما يهديه الأعراب، فعجب الناس من ذلك وأنكروه قال: فضى الغلام حتى عبر الجسر، وأتى المهدي بالرصافة فأهدى إليه ذلك، فقبل المهدي ما في الجواليق وملاهما دراهم، فانصرف بين الجوالقين، فعلم أنه ضرب من عبث الملوك.

وذكر عن حماد التركي، قال: كنت واقفا على رأس المنصور، فسمع جلبة في الدار، فقال: ما هذا يا حماد؟ انظر، فذهبت فإذا خادم له قد جلس بين الجواري، وهو يضرب لهن بالطنبور، وهن يضحكن، فحُت فأخبرته، فقال: وأي شيء الطنبور؟ فقلت: خشبة من حالها وأمرها.

ووصفتها له، فقال لي: أصبت صفته، فما يدريك أنت ما الطنبور! قلت:

رأيت به بخراسان، قال: نعم هناك، ثم قال: هات نعلي، فأتيته بها فقام يمشي رويدا حتى أشرف عليهم فرآهم، فلما بصروا به تفرقوا، فقال: خذوه، فأخذ، فقال: اضرب به رأسه، فلم أزل أضرب به رأسه حتى كسرتة، ثم قال:

أخرجته من قصري، واذهب به إلى حمران بالكرخ، وقل له يبيعه.

وذكر العباس بن الفضل عن سلام الأبرش، قال: كنت وأنا وصيف و غلام آخر نخدم المنصور داخلا في منزله، وكانت له جرة فيها بيت وفسطاط وفراش ولحاف يخلو فيه، وكان من أحسن الناس خلقا ما لم يخرج

إلى الناس، وأشد احتمالا لما يكون من عبث الصبيان، فإذا لبس ثيابه تغير لونه وتردد وجهه، واحمرت عيناه، فيخرج فيكون منه ما يكون، فإذا قام من مجلسه رجع بمثل ذلك، فنستقبله في ممشاه، فربما عاتبناه.

وقال لي يوما: يا بني إذا رأيتني قد لبست ثيابي أو رجعت من مجلسي، فلا يدنون مني أحد منكم مخافة أن أعره بشيء.

وذكر أبو الهيثم خالد بن يزيد بن وهب بن جرير بن حازم، قال:

حدثني عبد الله بن محمد- يلقب بمنقار من أهل خراسان وكان من عمال الرشيد- قال: حدثني معن بن زائدة، قال: كنا في الصحابة

سبعمائة رجل، فكنا ندخل على المنصور في كل يوم، قَالَ: فقلت للربيع: اجعلني في آخر من يدخل، فقال لي: لست بأشرفهم فتكون في أولهم، ولا بأخسهم نسبا فتكون في آخرهم، وإن مرتبتك لتشبه نسبك قَالَ: فدخلت على المنصور ذات يوم وعلي دراعة فضفاضة وسيف حنفي أقرع بنعله الأرض، وعمامة قد سدلتها من خلفي وقدامي قَالَ: فسلمت عليه وخرجت، فلما صرت عند الستر صاح بي: يا معن، صيحة أنكرتها! فقلت: لبيك يا أمير المؤمنين! قَالَ: إلي، فدنوت منه، فإذا به قد نزل عن عرشه إلى الأرض، وجثا على ركبتيه، واستل عمودا من بين فراشين، واستحال لونه ودرت أوداجه، فقال: إنك لصاحبي يوم واسط، لا نجوت إن نجوت مني قَالَ: قلت يا أمير المؤمنين، تلك نصرتي لباطلهم، فكيف نصرتي لحقك! قَالَ: فقال لي: كيف قلت؟ فأعدت عليه القول، فما زال يستعيدني حتى رد العمود في مستقره، واستوى متربعا، واسفر لونه، فقال: يا معن، إن لي باليمن هنات، قلت: يا أمير المؤمنين ليس لمكتوم رأى، قال: فقال: أنت صاحبي، فجلست، وأمر الربيع بإخراج كل من كان في القصر فخرج، فقال لي: إن صاحب اليمن قد هم بمعضيتي، وإني أريد أن أخذه أسيرا ولا يفوتني شيء من ماله، فما ترى؟ قَالَ: قلت: يا أمير المؤمنين، ولني اليمن، وأظهر أنك ضمنتني إليه، ومر الربيع يزيح علي في كل ما أحتاج إليه، ويخرجني من يومي هذا لئلا ينتشر الخبر قَالَ: فاستل عهدا من بين

فراشين، فوقع فيه اسمي وناولنيه، ثم دعا الربيع، فقال: يا ربيع، إنا قد ضممنا معنا إلى صاحب اليمن، فأزح علته فيما يحتاج إليه من الكراع والسلاح، ولا يسمي إلا وهو راحل ثم قَالَ: ودعني، فودعته وخرجت إلى الدهليز، فلقيني أبو الوالي، فقال: يا معن، أعزز علي أن تضم إلى ابن أخيك! قَالَ: فقلت: إنه لا غضاضة على الرجل أن يضمه سلطانه إلى ابن أخيه، فخرجت إلى اليمن فأيتت الرجل، فأخذته أسيرا، وقرأت عليه العهد، وقعدت في مجلسه.

وذكر حماد بن أحمد اليماني، قَالَ: حدثني محمد بن عمر اليماني أبو الرديني، قَالَ: أراد معن بن زائدة أن يوفد إلى المنصور قوما يسلمون سخيمته، ويستعطفون قلبه عليه، وقال: قد أفنيت عمري في طاعته، وأتعبت نفسي وأفنيت رجالي في حرب اليمن، ثم يسخط علي أن أنفقت المال في طاعته! فانتخب جماعة من عشيرته من أفناء ربيعة، فكان فيمن اختار مجاعة بن الأزهر، فجعل يدعو الرجال واحدا واحدا، ويقول: ماذا أنت قائل لأمر المؤمنين إذا وجهتك إليه؟ فيقول: أقول وأقول، حتى جاءه مجاعة ابن الأزهر، فقال: أعز الله الأمير! تسألني عن مخاطبة رجل بالعراق وأنا باليمن! أقصد لحاجتك، حتى أتأتى لها كما يمكن وينبغي، فقال: أنت صاحبي، ثم التفت إلى عبد الرحمن بن عتيق المزني، فقال له: شد على عضد ابن عمك وقدمه أمامك، فإن سها عن شيء فتلافه واختار من أصحابه ثمانية نفر معهم حتى تموا عشرة، وودعهم ومضوا حتى صاروا إلى أبي جعفر، فلما صاروا بين يديه تقدموا، فابتدأ مجاعة بن الأزهر بحمد الله والثناء عليه والشكر، حتى ظن القوم أنه إنما قصد لهذا، ثم كر على ذكر النبي ص، وكيف اختاره الله من بطون العرب، ونشر من فضله، حتى تعجب القوم، ثم كر على ذكر أمير المؤمنين المنصور، وما شرفه الله به، وما قلده، ثم كر على حاجته في ذكر صاحبه فلما انتهى كلامه، قَالَ

المنصور: أما ما وصفت من حمد الله، فالله أجل وأكبر من أن تبلغه الصفات، وأما ما ذكرت من النبي ص فقد فضله الله بأكثر مما قلت، وأما ما وصفت به أمير المؤمنين، فإنه فضله الله بذلك، وهو معينه على طاعته إن شاء الله، وأما ما ذكرت من صاحبك فكذبت ولؤمت، اخرج فلا يقبل ما ذكرت قَالَ: صدق أمير المؤمنين، وو الله ما كذبت في صاحبي فانخرجوا فلما صاروا إلى آخر الإيوان أمر برده مع أصحابه، فقال: ما ذكرت؟

فكر عليه الكلام، حتى كأنه كان في صحيفه يقرؤه، فقال له مثل القول الأول، فأخرجوا حتى برزوا جميعا، وأمر بهم فوقفوا، ثم التفت إلى من حضر من مضر، فقال: هل تعرفون فيكم مثل هذا؟ والله لقد تكلم حتى حسدته، وما معني أن أتم على رده إلا أن يقال: تعصب عليه لأنه ربيعي، وما رأيت كالיום رجلا أربط جأشا، ولا أظهر بيانا، رده يا غلام فلما صار بين يديه أعاد السلام، وأعاد أصحابه، فقال له المنصور: اقصد لحاجتك وحاجة صاحبك قَالَ: يا أمير المؤمنين، معن بن زائدة عبدك وسيفك وسهمك، رميت به عدوك، فضرب وطعن ورمى، حتى سهل ما حزن، وذلل ما صعب، واستوى ما كان معوجا من اليمن، فأصبحوا من خول أمير المؤمنين أطال الله بقاءه! فإن كان في نفس أمير المؤمنين هنة من ساع أو واش أو حاسد فأمر المؤمنين أولى بالتفضل على عبده، ومن أفنى

عمره في طاعته فقبل وفادتهم، وقبل العذر من معن، وأمر بصرفهم إليه، فلما صاروا إلى معن وقرأ الكتاب بالرضا قبل ما بين عينيه، وشكر أصحابه، وخلع عليهم واجازهم على اقدامهم، وأمرهم بالرحيل إلى منصور، فقال مجاعة:

أليت في مجلس من وائل قسما ... ألا أبيعك يا معن بأطماع

يا معن إنك قد أوليتني نعمًا ... عمت لجيما وخصت آل مجاع

فلا أزال إليك الدهر منقطعا ... حتى يشيد بهلكي هتفه الناعي

قَالَ: وكانت نعم معن على مجاعة، أنه سأله ثلاث حوائج، منها أنه كان يتعشق امرأة من أهل بيته، سيدة يقال لها زهراء لم يتزوجها أحد بعد،

وكانت إذا ذكر لها قالت: بأي شيء يتزوجني؟ أحبته الصوف، أم بكسائه! فلما رجع إلى معن كان أول شيء سأله أن يزوجه بها، وكان أبوها في جيش معن، فقال: أريد زهراء، وأبوها في عسكرك أيها الأمير، فزوجه إياها على عشرة آلاف درهم وأمرها من عنده فقال له معن: حاجتك الثانية، قَالَ: الحائط الذي فيه منزلي بحجر وصاحبه في عسكر الأمير، فاشتره منه وصيره له، وقال: حاجتك الثالثة؟ قَالَ: تهب لي مالا.

قَالَ: فأمر له بثلاثين ألف درهم، تمام مائة ألف درهم، وصرفه إلى منزله.

وذكر عن محمد بن سالم الخوارزمي- وكان أبوه من قواد خراسان- قَالَ: سمعت أبا الفرج خال عبد الله بن جبلة الطالقاني يقول: سمعت أبا جعفر يقول: ما كان أحوجني إلى أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون على بابي أعف منهم، قيل له: يا أمير المؤمنين، من هم؟ قَالَ: هم أركان الملك، ولا يصلح الملك إلا بهم، كما أن السرير لا يصلح إلا بأربع قوائم، إن نقصت واحدة وهي، أما أحدهم ففاض لا تأخذه في الله لومة لائم، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي، والثالث صاحب خراج يستقي ولا يظلم الرعية فإني عن ظلمها غني، والرابع- ثم عرض على أصبعه السبابة ثلاث مرات، يقول في كل مرة: آه آه- قيل له: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قَالَ: صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة.

وقيل: إن المنصور دعا بعامل من عماله قد كسر خراجه، فقال له:

أد ما عليك، قَالَ: والله ما أملك شيئا، ونادى المنادي: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: يا أمير المؤمنين، هب ما علي الله ولشهادته أن لا إله إلا الله، نفلي سبيله.

قَالَ: وولى المنصور رجلا من أهل الشام شيئا من الخراج، فأوصاه وتقدم إليه، فقال: ما أعرفني بما في نفسك! الساعة يا أخا أهل الشام! تخرج من عندي الساعة، فتقول: الزم الصحة، يلزمك العمل

قَالَ: وولى رجلا من أهل العراق شيئا من خراج السواد، فأوصاه، وتقدم إليه، فقال: ما أعرفني بما في نفسك! تخرج الساعة فتقول: من عال بعدها فلا اجتبر أخرج عني وامض إلى عملك، فو الله لئن تعرضت لذلك لأبلغن من عقوبتك ما تستحقه قال: فوليا جميعا وصحبا وناصحا.

ذكر الصباح بن عبد الملك الشيباني، عن إسحاق بن موسى بن عيسى، أن المنصور ولى رجلا من العرب حضرموت، فكتب إليه وإلى البريد أنه يكثر الخروج في طلب الصيد ببزاة وكلاب قد أعدها، فعزله وكتب إليه: ثكلتك أمك وعدمتك عشيرتك! ما هذه العدة التي أعدتها للنكاية في الوحش! إنا إنما استكفينك أمور المسلمين، ولم نستكفك أمور الوحش، سلم ما كنت تلي من عملنا إلى فلان بن فلان، والحق بأهلك ملوما مدحورا.

وذكر الربيع أنه قَالَ: أدخل على المنصور سهيل بن سالم البصري، وقد ولي عملا فعزل، فأمر بحبسسه واستئذائه، فقال سهيل: عبدك يا أمير المؤمنين، قَالَ: بئس العبد أنت! قَالَ: لكنك يا أمير المؤمنين نعم المولى! قَالَ:

أما لك فلا.

قَالَ: وذكر عن الفضل بن الربيع عن أبيه، أنه قَالَ: بينا أنا قائم بين يدي المنصور أو على رأسه، إذ أتني بخارجي قد هزم له جيوشا، فأقامه ليضرب عنقه، ثم اقتحمته عينه، فقال: يا بن الفاعلة، مثلك يهزم الجيوش! فقال له الخارجى: ويلك وسوءة لك! بيني وبينك

أمس السيف والقتل، واليوم القذف والسب! وما كان يؤمنك أن أرد عليك وقد يئست من الحياة فلا تستقبلها أبدا! قال: فاستحيا منه المنصور وأطلقه، فما رأى له وجهها حولا.

ذكر عبد الله بن عمرو الملحي أن هارون بن محمد بن إسماعيل بن موسى الهادي، قال: حدثني عبد الله بن محمد بن أبي أيوب المكي، عن أبيه، قال: حدثني عمارة بن حمزة، قال: كنت عند المنصور، فانصرفت من عنده في وقت انتصاف النهار، وبعد أن بايع الناس للمهدي، فجاءني المهدي

في وقت انصرافي، فقال لي: قد بلغني أن أبي قد عزم أن يبايع لجعفر أخي، وأعطى الله عهدا لئن فعل لأقتلنه، فضيت من فوري إلى أمير المؤمنين، فقلت: هذا أمر لا يؤخر، فقال الحاجب: الساعة خرجت! قلت:

أمر حدث، فأذن لي، فدخلت إليه، فقال لي: هيه يا عمارة! ما جاء بك؟

قلت: أمر حدث يا أمير المؤمنين أريد أن أذكره، قال: فأنا أخبرك به قبل أن تخبرني، جاءك المهدي فقال: كيت وكيت، قلت: والله يا أمير المؤمنين لكأنك حاضر ثالثنا، قال: قل له: نحن أشفق عليه من أن نعرضه لك.

وذكر عن أحمد بن يوسف بن القاسم، قال: سمعت إبراهيم بن صالح، يقول: كنا في مجلس ننتظر الإذن فيه على المنصور، فتذاكرنا الحاجب، فثنا من حمده ومنا من ذمه، فكان ممن حمده معن بن زائدة، ومن ذمه الحسن بن زيد، ثم أذن لنا فدخلنا على المنصور، فأنبرى الحسن بن زيد، فقال: يا أمير المؤمنين، ما كنت أحسبني أبقى حتى يذكر الحاجب في دارك وعلى بساطك، فيثني عليه فقال أبو جعفر: وما استنكرت من ذلك! رجل استكفاه قوم فكفاهم، والله لوددت أني وجدت مثل الحاجب حتى أستكفيه أمري، وأنزله أحد الحرمين قال: فقال له معن: يا أمير المؤمنين، إن لك مثل الحاجب عدة لو استكفيتهم كفوك، قال: ومن هم؟ كأنك تريد نفسك! قال: وإن أردتها فلم أبعد من ذلك، قال: كلا لست كذلك، إن الحاجب أثمنه قوم فأدى إليهم الأمانة، وإنا أثمنك نخنتنا! ذكر الهيثم بن عدي، عن أبي بكر الهذلي، قال: سرت مع أمير المؤمنين المنصور إلى مكة، وسأيرته يوما، فعرض لنا رجل على ناقة حمراء تذهب في الأرض، وعليه جبة خز، وعمامة عدنية، وفي يده سوط يكاد يمس الأرض، سري الهيئة، فلما رآه أمرني فدعوته، فجاء فسأله عن نسبه وبلاده وبادية قومه وعن ولاية الصدقة، فأحسن الجواب، فأعجبه ما رأى منه، فقال: انشدني، فأنشده شعرا لاوس بن حجر وغيره من الشعراء من بني عمرو بن تميم، وحديثه حتى أتى على شعر لطريف بن تميم العنبري، وهو قوله:

إن قناتي لنبع لا يؤيسها ... غمز الثقف ولا دهن ولا نار

متى أجر خائفا تأمن مسارحه ... وإن أخف آمنا تعلق به الدار

إن الأمور إذا أوردتها صدرت ... إن الأمور لها ورد وإصدار

فقال: ويحك! وما كان طريف فيكم حيث قال هذا الشعر؟ قال:

كان أثقل العرب على عدوه وطأة وأدركهم بئار، وأيمهم نقيبة، وأعاسهم قناة لمن رام هضمه، وأقراهم لضيغه، وأحوطهم من وراء جاره، اجتمعت العرب بعكاظ فكلهم أقر له بهذه الخلال، غير أن امرأ أراد أن يقصر به، فقال: والله ما أنت ببعيد النجعة، ولا قاصد الرمية، فدعاه ذلك إلى أن جعل على نفسه ألا يأكل إلا لحم قنص يقتنصه، ولا ينزع كل عام عن غزوة يبعد فيها أثره، قال: يا أخا بني تميم، لقد أحسنت إذ وصفت صاحبك ولكني أحق ببيتته منه، أنا الذي وصف لا هو. وذكر أحمد بن خالد الفقيمي أن عدة من بني هاشم حدثوه أن المنصور كان شغله في صدر نهاره بالأمر والنهي والولايات والعزل وشحن الثغور والأطراف وأمن السبل والنظر في الخراج والنفقات ومصلحة معاش الرعية لطرح عالتهم والتلطف لسكونهم وهذوئهم، فإذا صلى العصر جلس لأهل بيته إلا من أحب أن يسامره، فإذا صلى العشاء الآخرة نظر فيما ورد عليه من كتب الثغور والأطراف والآفاق، وشاور سماره من ذلك فيما أرب، فإذا مضى ثلث الليل قام إلى فراشه وانصرف سماره، فإذا مضى الثلث الثاني قام من فراشه، فأسبغ وضوءه، وصف في محرابه حتى يطلع الفجر، ثم يخرج فيصلي بالناس، ثم يدخل فيجلس في إيوانه.

قال إسحاق: حدثت عن عبد الله بن الربيع، قال: قال أبو جعفر لإسماعيل بن عبد الله: صف لي الناس، فقال: أهل الحجاز مبتدأ

وبقية العرب، وأهل العراق ركن الإسلام ومقاتلة عن الدين، وأهل الشام حصن الأمة وأسنة الأئمة، وأهل خراسان فرسان الهيجاء وأعنة الرجال، والترك منابت الصخور وأبناء المغازي، وأهل الهند حكماء استغنوا ببلادهم فاكتفوا بها عما يليهم، والروم أهل كتاب وتدين نحاهم الله من القرب إلى البعد، والأنباط كان ملكهم قديما فهم لكل قوم عبيد قَالَ: فأأي الولاة أفضل؟ قَالَ: البازل للعتاء، والمعرض عن السيئة قَالَ: فأأيهم أخرق؟ قَالَ: أنهكهم للرعية، وأتعبهم لها بالخرق والعقوبة قَالَ:

فالتاعة على الخوف أبلغ في حاجة الملك أم التاعة على المحبة؟ قَالَ: يا أمير المؤمنين، التاعة عند الخوف تسر الغدر وتبالغ عند المعايعة، والتاعة على المحبة تضمن الاجتهاد وتبالغ عند الغفلة قَالَ: فأأي الناس أولاهم بالتاعة؟

قَالَ: أولاهم بالمضرة والمنفعة قَالَ: ما علامة ذلك؟ قَالَ: سرعة الإجابة وبذل النفس قَالَ: فن ينبغي للملك أن يتخذ وزيراً؟ قَالَ: أسلمهم قلباً، وأبعدهم من الهوى.

وذكر عن أبي عبيد الله الكاتب، قَالَ: سمعت المنصور يقول للمهدي حين عهد له بولاية العهد: يا أبا عبد الله، استدم النعمة بالشكر، والقدرة بالعفو، والتاعة بالتألف والنصر بالتواضع، ولا تنس مع نصيبك من الدنيا نصيبك من رحمة الله.

وذكر الزبير بن بكار، قَالَ: حدثني مبارك الطبري، قَالَ: سمعت أبا عبيد الله يقول: سمعت المنصور يقول للمهدي: لا تبرم أمراً حتى تفكر فيه، فإن فكر العاقل مرآته، تراه حسنه وسيئته.

وذكر الزبير أيضاً، عن مصعب بن عبد الله، عن أبيه، قَالَ: سمعت أبا جعفر المنصور يقول للمهدي: يا أبا عبد الله، لا يصلح السلطان إلا بالتقوى، ولا تصلح رعيته إلا بالتاعة، ولا تعمر البلاد بمثل العدل، ولا تدوم نعمة السلطان وطاعته إلا بالمال، ولا تقدم في الحياطة بمثل نقل الأخبار

وأقدر الناس على العفو أقدرهم على العقوبة، وأعجز الناس من ظلم من هو دونه واعتبر عمل صاحبك وعلمه باختباره.

وعن المبارك الطبري أنه سمع أبا عبيد الله يقول: سمعت المنصور يقول للمهدي: يا أبا عبد الله، لا تجلس مجلساً إلا ومعك من أهل العلم من يحدثك، فإن محمد بن شهاب الزهري قَالَ: الحديث ذكر ولا يحبه إلا ذكور الرجال، ولا يبغضه إلا مؤنثوهم، وصدق أخو زهرة! وذكر عن علي بن محمد بن مجاهد بن محمد بن علي، أن المنصور قَالَ للمهدي:

يا أبا عبد الله، من أحب الحمد أحسن السيرة، ومن أبغض الحمد أساءها، وما أبغض أحد الحمد إلا استدم، وما استدم إلا كره.

وقال المبارك الطبري: سمعت أبا عبيد الله، يقول: قَالَ المنصور للمهدي:

يا أبا عبد الله، ليس العاقل الذي يحتال للأمر الذي وقع فيه حتى يخرج منه، ولكنه الذي يحتال للأمر الذي غشيه حتى لا يقع فيه. وذكر الفقيمي، عن عتبة بن هارون، قَالَ: قَالَ أبو جعفر يوماً للمهدي:

كم راية عندك؟ قَالَ: لا أدري، قَالَ: هذا والله التضييع، أنت لأمر الخلافة أشد تضييعاً، ولكن قد جمعت لك ما لا يضرك معه ما ضيعت، فاتق الله فيما خولك.

وذكر علي بن محمد عن حفص بن عمر بن حماد، عن خالصة، قالت:

دخلت على المنصور، فإذا هو يتشكى وجع ضرسه، فلما سمع حسني، قَالَ: ادخلي، فلما دخلت إذا هو واضع يده على صدغيه، فسكت ساعة ثم قَالَ لي: يا خالصة، كم عندك من المال؟ قلت: ألف درهم، قَالَ:

ضعي يدك على رأسي واحلفي، قلت: عندي عشرة آلاف دينار، قَالَ:

احملها إلي، فرجعت فدخلت على المهدي والخيزران فأخبرتهما، فركبني المهدي برجله، وقال لي: ما ذهب بك إليه! ما به من وجع، ولكنني سألته أمس مالا فتمارض، احملني إليه ما قلت، ففعلت، فلما أتاه المهدي، قَالَ:

يا أبا عبد الله، تشكو الحاجة وهذا عند خالصة! وقال علي بن محمد: قَالَ واضح مولى أبي جعفر، قَالَ: قَالَ أبو جعفر يوماً: انظر ما عندك من الثياب الخلقان فاجمعها، فإذا علمت بحجيء أبي عبد الله فاجتني بها قبل أن يدخل، وليكن معها رقاع ففعلت، ودخل عليه المهدي

وهو يقدر الرقاع، فضحك وقال: يا أمير المؤمنين، من هاهنا يقول الناس: نظروا في الدينار والدرهم وما دون ذلك- ولم يقل: دائق- فقال المنصور: إنه لا جديد لمن لا يصلح خلقه، هذا الشتاء قد حضر، ونحتاج إلى كسوة للعيال والولد قال: فقال المهدي: فعلي كسوة أمير المؤمنين وعياله وولده، فقال له: دونك فافعل.

وذكر علي بن مرثد أبو دعامة الشاعر، أن أشجع بن عمرو السلمي حدثه عن المؤمل بن أميل- وذكره أيضا عبد الله بن الحسن الخوارزمي أن أبا قدامة حدثه أن المؤمل بن أميل حدثه- قال: قدمت على المهدي- قال ابن مرثد في خبره: وهو ولي عهد، وقال الخوارزمي: قدمت عليه الري وهو ولي عهد- فأمر لي بعشرين ألف درهم لأبيات امتدحته بها، فكتب بذلك صاحب البريد إلى المنصور وهو بمدينة السلام يخبره أن المهدي أمر لشاعر بعشرين ألف درهم فكتب إليه المنصور يعذله ويلومه، ويقول له: إنما كان ينبغي لك أن تعطي الشاعر بعد أن يقيم ببابك سنة أربعة آلاف درهم قال أبو قدامة: فكتب إلي كاتب المهدي أن يوجه إليه بالشاعر، فطلب فلم يقدر عليه، فكتب إليه أنه قد توجه إلى مدينة السلام، فوجه المنصور قائدا من قواده، فأجلسه على جسر النهر وان، وأمره أن يتصفح الناس رجلا رجلا ممن يمر به، حتى يظفر بالمؤمل، فلما رآه قال له: من أنت؟ قال: أنا المؤمل بن أميل، من زوار الأمير المهدي، قال: إياك طلبت قال المؤمل: فكاد قلبي ينصدع خوفا من أبي جعفر، فقبض علي ثم أتى بي باب المقصورة، وأسلمني إلى الربيع، فدخل إليه الربيع، فقال:

هذا الشاعر قد ظفرنا به، فقال: أدخلوه علي، فأدخلت عليه، فسلمت فرد علي السلام، فقلت: ليس هاهنا إلا خير، قال: أنت المؤمل بن أميل؟

قلت: نعم أصلح الله أمير المؤمنين! قال: هيه! أتيت غلاما غرا نخدعته! قال: فقلت: نعم أصلح الله أمير المؤمنين، أتيت غلاما غرا كريما نخدعته فأنخدع، قال: فكأن ذلك أعجبه، فقال: أنشدني ما قلت فيه، فأنشدته:

هو المهدي إلا أن فيه ... مشابه صورة القمر المنير
تشابه ذا وذا فهما إذا ما ... أنارا مشكلان على البصير
فهذا في الظلام سراج ليل ... وهذا في النهار سراج نور
ولكن فضل الرحمن هذا ... على ذا بالمنابر والسير
وبالملك العزيز فذا أمير ... وماذا بالأمر ولا الوزير
ونقص الشهر يخمد ذا، وهذا ... منير عند نقصان الشهور
فيا بن خليفة الله المصطفى ... به تعلو مفاخرة الفخور
لئن فت الملوك وقد توافوا ... إليك من السهولة والوعور
لقد سبق الملوك أبوك حتى ... بقوا من بين كآب أو حسير
وجئت وراءه تجري حثيثا ... وما بك حين تجري من فتور
فقال الناس: ما هذان إلا ... بمنزلة الخليق من الجدير
لئن سبق الكبير فأهل سبق ... له فضل الكبير على الصغير
وإن بلغ الصغير مدى كبير ... لقد خلق الصغير من الكبير
فقال: والله لقد أحسنت، ولكن هذا لا يساوي عشرين ألف درهم.

وقال لي: أين المال؟ قلت: ها هو ذا، قال: يا ربيع انزل معه فأعطه أربعة آلاف درهم، وخذ منه الباقي قال، فخرج الربيع فخط ثقلي، ووزن لي أربعة آلاف درهم وأخذ الباقي قال: فلما صارت الخلافة إلى المهدي، ولى ابن ثوبان المظالم، فكان يجلس للناس بالرصافة فإذا ملأ كساءه رقاعا رفعها إلى المهدي، فرفعت إليه يوما رقعة أذكره قصتي، فلما دخل بها ابن

ثوبان، جعل المهدي ينظر في الرقاع، حتى إذا نظر في رقعتي ضحك، فقال له ابن ثوبان: أصلح الله أمير المؤمنين! ما رأيك ضحكت من شيء من هذه الرقاع إلا من هذه الرقعة! قال: هذه رقعة أعرف سببها، ردوا إليهم العشرين ألف درهم، فردت إلي وانصرفت وذكر واضح مولى المنصور، قال: إني لواقف على رأس أبي جعفر يوما إذ دخل عليه المهدي، وعليه قباء أسود جديد، فسلم وجلس، ثم

قام منصرفاً وأتبعه أبو جعفر بصره لحبه له وإعجابه به، فلما توسط الرواق عثر بسيفه فتخرق سواده، فقام ومضى لوجهه غير مكترث لذلك ولا حائل به، فقال أبو جعفر: ردوا أبا عبد الله، فرددناه إليه، فقال: يا أبا عبد الله، استقلالا للمواهب، أم بطرا للنعمة، أم قلة علم بموضع المصيبة! كأنك جاهل بما لك وعليك! وهذا الذي أنت فيه عطاء من الله، إن شكرته عليه زادك، فإن عرفت موضع البلاء منه فيه عافاك فقال المهدي: لا أعدمنا الله بقاءك يا أمير المؤمنين وإرشادك، والحمد لله على نعمه، وأسأل الله الشكر على مواهبه، وانخلف الجميل برحمته ثم انصرف.

قَالَ العباس بن الوليد بن مزيد: قَالَ: سمعت ناعماً بن مزيد، يذكر عن الوضين بن عطاء، قَالَ: استزارني أبو جعفر - وكانت بيني وبينه خلافة قبل الخلافة - فصرت إلى مدينة السلام، فخلونا يوماً، فقال لي:

يا أبا عبد الله، ما مالك؟ قلت: الخبر الذي يعرفه أمير المؤمنين، قَالَ: وما عيالك؟ قلت: ثلاث بنات والمرأة وخادم لهن، قَالَ: فقال لي: أربع في بيتك؟ قلت: نعم، قال: فوالله لردد علي حتى ظننت أنه سيمولني، قَالَ: ثم رفع رأسه إلي، فقال: أنت أيسر العرب، أربعه مغازل يدرن في بيتك

وذكر بشر المنجم، قَالَ: دعاني أبو جعفر يوماً عند المغرب، فبعثني في بعض الأمر، فلما رجعت رفع ناحية مصلاه فإذا دينار، فقال لي: خذ هذا واحتفظ به، قَالَ: فهو عندي إلى الساعة.

وذكر أبو الجهم بن عطية، قَالَ: حدثني أبو مقاتل الخراساني، ورفع غلام له إلى أبي جعفر أن له عشرة آلاف درهم، فأخذها منه، وقال: هذا مالي، قَالَ: ومن أين يكون مالك! فوالله ما وليت لك عملاً قط، ولا بيني وبينك رحم ولا قرابة، قَالَ: بلى، كنت تزوجت مولاه لعيته بن موسى ابن كعب فورثك مالا، وكان ذلك قد عصي وأخذ مالي وهو وال على السند، فهذا المال من ذلك المال! وذكر مصعب بن سلام، عن أبي حارثة النهدي صاحب بيت المال، قَالَ: ولي أبو جعفر رجلاً باروسماً، فلما انصرف أراد أن يتعلل عليه، لثلاث يعطيه شيئاً، فقال له: أشركتك في أمانتي، ووليتك فيئاً من فيء المسلمين نخنته! فقال: أعيدك بالله يا أمير المؤمنين، ما صحبني من ذلك شيء إلا درهم، منه مثقال صررته في كمي، إذا خرجت من عندك اكرتيت به بغلا إلى عيالي، فأدخل بيتي ليس معي شيء من مال الله ولا مالك فقال:

ما أظنك إلا صادقاً، هلم درهما فأخذه منه فوضعه تحت لبدته؟

فقال: ما مثلي ومثلك إلا مثل مجير أم عامر، قَالَ: وما مجير أم عامر، فذكر قصة الضبع ومجيرها، قَالَ: وإنما غالظه أبو جعفر لثلاث يعطيه شيئاً.

وذكر عن هشام بن محمد أن قثم بن العباس دخل على أبي جعفر، فكله في حاجة، فقال له أبو جعفر: دعني من حاجتك هذه، أخبرني لم سميت قثم؟ قَالَ: لا والله يا أمير المؤمنين ما أدري، قَالَ: القثم الذي يأكل ويزل، أما سمعت قول الشاعر:

وللكبراء أكل كيف شاءوا... وللصغراء أكل واقتنام

وذكر عن إبراهيم بن عيسى أن المنصور وهب لمحمد بن سليمان عشرين ألف درهم ولجعفر أخيه عشرة آلاف درهم، فقال جعفر: يا أمير المؤمنين، تفضله علي وأنا أسن منه! قَالَ: وأنت مثله! إنا لا نلتفت إلى ناحية إلا وجدنا من أثر محمد فيها شيئاً، وفي منزلنا من هداياه بقية، وأنت لم تفعل من هذا شيئاً.

وذكر عن سودة بن عمرو السلمي، عن عبد الملك بن عطاء - وكان في صحابة المنصور - قَالَ: سمعت ابن هبيرة وهو يقول في مجلسه: ما رأيت رجلاً قط في حرب، ولا سمعت به في سلم، أمكر ولا أبدع، ولا أشد تيقظاً من المنصور، لقد حصرتني في مدينتي تسعة أشهر، ومعني فرسان العرب، فجهدنا كل الجهد أن ننال من عسكره شيئاً نكسره به، فما تهياً، ولقد حصرتني وما في رأسي بيضاء، فخرجت إليه وما في رأسي سوداء، وإنه لكما قَالَ الأعشى:

يقوم على الرغم من قومه... فيعفو إذا شاء أو ينتقم

أخو الحرب لا ضرع واهن... ولم ينتعل بنعال خدم

وذكر إبراهيم بن عبد الرحمن أن أبا جعفر كان نازلاً على رجل يقال له أزهر السمان- وليس بالمحدث- وذلك قبل خلافته، فلما ولي الخلافة صار إليه إلى مدينة السلام، فأدخل عليه، فقال: حاجتك؟ قال: يا أمير المؤمنين، علي دين أربعة آلاف درهم، وداري مستهدمة، وابني محمد يريد البناء بأهله، فأمر له باثني عشر ألف درهم، ثم قال: يا أزهر، لا تأتينا طالب حاجة، قال: أفعل فلما كان بعد قليل عاد، فقال: يا أزهر، ما جاء بك؟ قال: جئت مسلماً يا أمير المؤمنين، قال: إنه ليقع في نفسي أشياء، منها أنك أتيتنا لما أتيتنا له في المرة الأولى، فأمر له باثني عشر ألف درهم أخرى، ثم قال: يا أزهر، لا تأتينا طالب حاجة ولا مسلماً، قال: نعم يا أمير المؤمنين، ثم لم يلبث أن عاد، فقال: يا أزهر، ما جاء بك؟ قال:

دعاء سمعته منك أحببت أن آخذه عنك، قال: لا ترده، فإنه غير مستجاب، لأنني قد دعوت الله به ان يريحني من خلفتك فلم يفعل، وصرفه ولم يعطه شيئاً.

وذكر الهيثم بن عدي ان ابن عياش حدثه أن ابن هبيرة أرسل إلى المنصور وهو محصور بواسط، والمنصور بإزائه: إني خارج يوم كذا وكذا وداعيك إلى المبارزة، فقد بلغني تحيينك إياي، فكتب إليه: يا بن هبيرة، انك امرؤ متعد طورك، جار في عنان غيك، يعدك الله ما هو مصدقه، ويمنيك الشيطان ما هو مكذبه، ويقرب ما الله مباعده، فرويدا يتم الكتاب أجله، وقد ضربت مثلي ومثلك، بلغني أن أسدا لقي خنزيراً، فقال له الخنزير:

قاتلني، فقال الأسد: إنما أنت خنزير ولست لي بكفء ولا نظير، ومتى فعلت الذي دعوتني إليه فقتلتك، قيل لي: قتلت خنزيراً، فلم أعتقد بذلك فخراً ولا ذكراً، وإن نالني منك شيء كان سبة علي، فقال: إن أنت لم تفعل رجعت إلى السباع فأعلمتها أنك نكلت عني وجبنت عن قتالي، فقال الأسد: احتمال عار كذبك أيسر علي من لطح شاربي بدمك.

وذكر عن محمد بن رباح الجوهري، قال: ذكر لأبي جعفر تدير هشام بن عبد الملك في حرب كانت له، فبعث إلى رجل كان معه ينزل الرصافة- رصافة هشام- يسأله عن ذلك الحرب، فقدم عليه فقال: أنت صاحب هشام؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فأخبرني كيف فعل في حرب دبرها في سنة كذا وكذا؟ قال: إنه فعل فيها رحمه الله كذا وكذا، ثم أتبع بأن قال: فعل كذا رضي الله عنه، فأحفظ ذلك المنصور، فقال:

قم عليك غضب الله! تطأ بساطي وتترحم على عدوي! فقام الشيخ، وهو يقول: إن لعدوك قلادة في عنقي ومنة في رقبتي لا ينزعها عني إلا غاسلي، فأمر المنصور برده، وقال: اقعد، هيه! كيف قلت؟ فقلت: إنه كفاني الطلب، وصان وجهي عن السؤال، فلم أقف على باب عربي ولا أعجمي منذ رأيته، أفلا

يجب علي أن أذكره بخير وأتبعه بثنائي! فقال: بلى، أم نهضت عنك، وليلة أدتلك، أشهد أنك نهضت حرة وغراس كريم، ثم استمع منه وأمر له ببر، فقال: يا أمير المؤمنين، ما آخذه لحاجة، وما هو إلا أنني أتشرف بجباثك، وأتجبح بصلتك فأخذ الصلة وخرج، فقال المنصور:

عند مثل هذا تحسن الصنعة، ويوضع المعروف، ويجاد بالمصون، وأين في عسكرنا مثله! وذكر عن حفص بن غياث، عن ابن عياش، قال: كان أهل الكوفة لا تزال الجماعة منهم قد طعنوا على عاملهم، وتظلموا على أميرهم، وتكلموا كلاماً فيه طعن على سلطانهم، فرفع ذلك في الخبر، فقال للربيع: أخرج إلي من بالباب من أهل الكوفة، فقل لهم: إن أمير المؤمنين يقول لكم لئن اجتمع اثنان منكم في موضع لأحلقن رءوسهما ولحاهما، ولأضربن ظهورهما، فالزموا منازلكم، وابقوا على أنفسكم نخرج إليهم الربيع بهذه الرسالة فقال له ابن عياش: يا شبه عيسى بن مريم، أبلغ أمير المؤمنين عنا كما أبلغتنا عنه، فقل له: والله يا أمير المؤمنين ما لنا بالضرب طاقة، فأما حلق اللحي فإذا شئت- وكان ابن عياش منتوفاً- فأبلغه، فضحك، وقال: قاتله الله ما أدهاه وأخبثه! وقال موسى بن صالح: حدثني محمد بن عقبة الصيداوي عن نصر بن حرب- وكان في حرس أبي جعفر- قال: رفع إلي رجل قد جيء به من بعض الآفاق، قد سعى في فساد الدولة، فأدخلته على أبي جعفر، فلما رآه قال: أصبغ! قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: ويلك! أما أعقتك وأحسنك إليك! قال: بلى،

قَالَ: فسعيت في نقض دولتي وإفساد ملكي! قَالَ: أخطأت وأمير المؤمنين أولى بالعفو قَالَ: فدعا أبو جعفر عمارة- وكان حاضرا- فقال: يا عمارة، هذا أصبغ، فجعل يتثبت في وجهي، وكأن في عينيه سوءا، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، قَالَ: علي بكيس عطائي، فأتي بكيس فيه خمسمائة درهم، فقال: خذها فإنها وضخ، ويلك، وعليك بعملك- وأشار بيده يحركها- قال عمارة: فقلت لأصبغ: ما كان عني أمير المؤمنين؟ قَالَ: كنت وأنا غلام أعمل الحبال، فكان يأكل من كسبي.

قَالَ نصر: ثم أتى به ثانية، فأدخلته كما أدخلته قبل، فلما وقف بين يديه أحد النظر إليه، ثم قَالَ: أصبغ! فقال: نعم يا أمير المؤمنين، قَالَ: فقص عليه ما فعل به، وذكره إياه، فأقر به، وقال: الحق يا أمير المؤمنين، فقد مه فضرب عنقه.

وذكر علي بن محمد بن سليمان النوفلي، قَالَ: حدثني أبي، قَالَ: كان خضاب المنصور زعفرانيا، وذلك أن شعره كان لنا لا يقبل الخضاب، وكانت لحيته رقيقة، فكنت أراه على المنبر يخطب ويبكي فيسرع الدمع على لحيته حتى تكف لقلّة الشعر ولينه.

وذكر إبراهيم بن عبد السلام، ابن أخي السندي بن شاهك السندي، قَالَ: ظفر المنصور برجل من كبراء بني أمية، فقال: إني أسألك عن أشياء فاصدقني ولك الأمان، قَالَ: نعم، فقال له المنصور: من أين أتى بنو أمية حتى انتشر امرهم؟ قال: من تضييع الاخبار، وقال: فأني الأموال وجدوها أنفع؟ قَالَ: الجواهر، قَالَ فعند من وجدوا الوفاء؟ قَالَ: عند موالهم، قَالَ: فأراد المنصور أن يستعين في الأخبار بأهل بيته، ثم قَالَ: أضع من أقدارهم، فاستعان بمواليه.

وذكر علي بن محمد الهاشمي أن أباه محمد بن سليمان حدثه، قَالَ: بلغني أن المنصور أخذ الدواء في يوم شات شديد البرد، فأتيته أسأله عن موافقة الدواء له، فأدخلت مدخلا من القصر لم أدخله قط، ثم صرت إلى حجرة صغيرة، وفيها بيت واحد ورواق بين يديه في عرض البيت وعرض الصحن، على أسطوانة ساج، وقد سدل على وجه الرواق يوارى كما يصنع بالمساجد، فدخلت فإذا في البيت مسح ليس فيه شيء غيره إلا فراشه ومرافقه ودثاره، فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا بيت أربأ بك عنه، فقال: يا عم، هذا بيت مبيتي، قلت: ليس هنا غير هذا الذي أرى، قَالَ: ما هو إلا ما ترى.

قَالَ: وسمعتة يقول عمن حدثه، عن جعفر بن محمد، قَالَ: قيل إن أبا جعفر يعرف بلباس جبة هروية مرقوعة، وأنه يرقع قيصه، فقال جعفر: الحمد لله الذي لطف له حتى ابتلاه بفقر نفسه- أو قَالَ: بالفقر في ملكه.

قَالَ: وحدثني أبي، قَالَ: كان المنصور لا يولي أحدا ثم يعزله إلا ألقاه في دار خالد البطين- وكان منزل خالد على شاطئ دجلة، ملاصقا لدار صالح المسكين- فيستخرج من المعزول مالا، فما أخذ من شيء أمر به فعزل، وكتب عليه اسم من أخذ منه، وعزل في بيت مال، وسماه بيت مال المظالم، فكثير ما في ذلك البيت من المال والمتاع ثم قَالَ للمهدي: إني قد هيأت لك شيئا ترضي به الخلق ولا تغرم من مالك شيئا، فإذا أنا مت فادع هؤلاء الذين أخذت منهم هذه الأموال التي سميتها المظالم، فاردد عليهم كل ما أخذ منهم، فإنك تستحمد إليهم وإلى العامة، ففعل ذلك المهدي لما ولي.

قَالَ علي بن محمد: فكان المنصور ولي محمد بن عبيد الله بن محمد بن سليمان بن محمد بن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث البلقاء، ثم عزله، وأمر أن يحمل إليه مع مال وجد عنده، فحمل إليه على البريد، وألقي معه ألفا دينار، فحملت مع ثقله على البريد- وكان مصلى سوسنجر ومضربة ومرفقة ووسادتين وطستا وإبريقا وأشناندانه نحاس- فوجد ذلك مجموعا كهيئته، إلا أن المتاع قد تاكل، فاخذ الفى الدينار، واستحيا أن يخرج ذلك المتاع، وقال: لا أعرفه، فتركه، ثم ولاه المهدي بعد ذلك اليمن، وولى الرشيد ابنه الملقب ربنا المدينة. وذكر أحمد بن الهيثم بن جعفر بن سليمان بن علي، قال: حدثني صباح ابن خاقان، قَالَ: كنت عند المنصور حين أتى برأس إبراهيم بن

عبد الله ابن حسن، فوضع بين يديه في ترس، فأكب عليه بعض السيفاء، فبصق في وجهه، فنظر إليه أبو جعفر نظرا شديدا، وقال لي: دق أنفه، قَالَ:

فضربت أنفه بالعمود ضربة لو طلب له أنف بألف دينار ما وجد، وأخذته أعمدة الحرس، فما زال يهشم بها حتى نحمد، ثم جر برجله قَالَ الأصمعي: حدثني جعفر بن سليمان، قَالَ: قدم أشعب أيام أبي جعفر بغداد، فأطاف به فتیان بني هاشم فغناهم، فإذا ألحانه طربة وحلقه على حاله، فقال له جعفر: لمن هذا الشعر؟ لمن طلل بذات الجيش أمسى دارسا خلقا ... علون بظاهر البيداء فالحزون قد قلنا

فقال: أخذت الغناء من معبد، ولقد كنت آخذ عنه اللحن، فإذا سئل عنه قَالَ: عليكم بأشعب، فإنه أحسن تأدية له مني. قَالَ الأصمعي: وقال جعفر بن سليمان: قَالَ أشعب لابنه عبدة: إني أراني سأخرجك من منزلي وأنتفي منك، قَالَ: ولم يا أبه؟ قَالَ: لأنني أكسب خلق الله لرغيف، وأنت ابني قد بلغت هذا المبلغ من السن، وأنت في عيالي ما تكسب شيئا، قَالَ: بلى والله، إني لأكسب، ولكن مثل الموزة لا تحمل حتى تموت أمها.

وذكر علي بن محمد بن سليمان الهاشمي، أن أباه محمدا حدثه أن الأكاسرة كان يطين لها في الصيف سقف بيت في كل يوم، فتكون قائمة الملك فيه، وكان يؤتى بأطنان القصب والخلاف طوالا غلاظا، فترصف حول البيت ويؤتى بقطع الثلج العظام فتجعل ما بين أضعافها، وكانت بنو أمية تفعل ذلك، وكان أول من اتخذ الخيش المنصور.

وذكر بعضهم: أن المنصور كان يطين له في أول خلافته بيت في الصيف يقيم فيه، فاتخذ له أبو أيوب الخوزي ثيابا كثيفة تبل وتوضع على سبابك، فيجد بردها، فاستظرفها، وقال: ما أحسب هذه الثياب أن اتخذت أكثف من هذه إلا حملت من الماء أكثر مما تحمل، وكانت أبرد، فاتخذ

له الخيش، فكان ينصب على قبة، ثم اتخذ الخلفاء بعده الشرائع، واتخذها الناس. وقال علي بن محمد عن أبيه: أن رجلا من الراوندية كان يقال له الأبلق، وكان أبرص، فتكلم بالغلو، ودعا بالراوندية إليه، فزعم أن الروح التي كانت في عيسى بن مريم صارت في علي بن أبي طالب، ثم في الأئمة، في واحد بعد واحد إلى إبراهيم بن محمد، وأنهم آلهة، واستحلوا الحرمات، فكان الرجل منهم يدعو الجماعة منهم إلى منزله فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته، فبلغ ذلك أسد بن عبد الله، فقتلهم وصلبهم، فلم يزل ذلك فيهم إلى اليوم، فعبدوا أبا جعفر المنصور وصعدوا إلى الخضراء، فألقوا أنفسهم، كأنهم يطيطون، وخرج جماعتهم على الناس بالسلاح، فأقبلوا يصيحون بأبي جعفر: أنت أنت! قَالَ: نخرج إليهم بنفسه، فقاتلهم فأقبلوا يقولون وهم يقاتلون: أنت أنت قَالَ: فحكي لنا عن بعض مشيختنا أنه نظر إلى جماعة الراوندية يرمون أنفسهم من الخضراء كأنهم يطيطون، فلا يبلغ أحدهم الأرض إلا وقد تفتت، وخرجت روحه.

قَالَ أحمد بن ثابت مولى محمد بن سليمان بن علي عن أبيه: أن عبد الله ابن علي، لما توارى من المنصور بالبصرة عند سليمان بن علي أشرف يوما ومعه بعض مواليه ومولى لسليمان بن علي، فنظر إلى رجل له جمال وكال، يمشي التخاجي، ويجر أثوابه من الخيلاء، فالتفت إلى مولى لسليمان بن علي، فقال: من هذا؟ قَالَ له: فلان ابن فلان الأموي، فاستشاط غضبا وصفق بيديه عجا، وقال: ان طريقنا لنبك بعد، يا فلان- لمولى له- انزل فأنتني برأسه، وتمثل قول سديف:

علام، وفيم تترك عبد شمس ... لها في كل راعية ثغاء!

فما بالرمس في حران منها ... ولو قتلت بأجمعها وفاء

وذكر علي بن محمد المدائني أنه قدم على أبي جعفر المنصور- بعد انهزام عبد الله بن علي وظفر المنصور به، وحبسه إياه ببغداد- وفد من أهل الشام فيهم الحارث بن عبد الرحمن، فقام عدة منهم فتكلموا، ثم قام الحارث ابن عبد الرحمن، فقال أصلح الله أمير المؤمنين! إنا لسنا وفد مباهاة، ولكنا وفد توبة، وإنا ابتلينا بفتنة استفزت كريمنا، واستخفت حليمنا، فنحن بما قدمنا معترفون، ومما سلف منا معترفون، فان تعاقبنا فيما أجرمنا، وإن تعف عنا ففضلك علينا، فاصفح عنا إذ ملكت، وامنن إذ قدرت، وأحسن إذ ظفرت، فطالما

أحسن! قَالَ أبو جعفر: قد فعلت.

وذكر عن الهيثم بن عدي عن زيد مولى عيسى بن نهيك، قَالَ: دعاني المنصور بعد موت مولاي، فقال: يا زيد، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، قَالَ: كم خلف أبو زيد من المال؟ قلت: ألف دينار أو نحوها، قَالَ: فأين هي؟ قلت: أنفقتها الحرة في مآتمه قَالَ: فاستعظم ذلك، وقال: أنفقت الحرة في مآتمه ألف دينار! ما أعجب هذا! ثم قَالَ: كم خلف من البنات؟ قلت: ستا، فأطرق مليا ثم رفع رأسه، وقال: اغد إلى باب المهدي، فغدوت فقيل لي: أمعك بغال؟ فقلت: لم أؤمر بذلك ولا بغيره، ولا أدري لم دعيت! قَالَ: فأعطيت ثمانين ومائة ألف دينار، وأمرت أن أدفع إلى كل واحدة من بنات عيسى ثلاثين ألف دينار ثم دعاني المنصور، فقال: أقبضت ما أمرنا به لبنات أبي زيد؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قَالَ: اغد علي بأكفائهن حتى أزوجهن منهم، قَالَ: فغدوت عليه بثلاثة من ولد العكي وثلاثة من آل نهيك من بني عمهم، فزوج كل واحدة منهم على ثلاثين ألف درهم، وأمر أن تحمل إليهن صدقاتهن من ماله، وأمرني أن أشتري بما أمر به لهن ضياعا، يكون معاشهن منها، ففعلت ذلك.

وقال الهيثم: فرق أبو جعفر على جماعة من أهل بيته في يوم واحد عشرة آلاف درهم، وأمر للرجل من أعمامه بألف ألف، ولا نعرف خليفة قبله ولا بعده وصل بها أحدا من الناس.

وقال العباس بن الفضل: أمر المنصور لعمومته: سليمان، وعيسى، وصالح، وإسماعيل، بني علي بن عبد الله بن عباس، لكل رجل منهم بألف ألف معونة له من بيت المال وكان أول خليفة أعطى ألف ألف من بيت المال، فكانت تجري في الدواوين.

وذكر عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، قَالَ: حدثني الفضل بن الربيع، عن أبيه، قَالَ: جلس أبو جعفر المنصور للمدنيين مجلسا عاما ببغداد- وكان وفد إليه منهم جماعة- فقال: لينتسب كل من دخل علي منكم، فدخل عليه فيمن دخل شاب من ولد عمرو بن حزم، فانتسب ثم قَالَ: يا أمير المؤمنين، قَالَ الأصوص فينا شعرا، منعنا أموالنا من أجله منذ ستين سنة، فقال أبو جعفر: فأنشده، فأنشده: لا تأوين لحزبي رأيت به ... فقرا وإن ألقى الحزبي في النار الناصسين بمروان بذي خشب ... والداخلين على عثمان في الدار قَالَ: والشعر في المدح للوليد بن عبد الملك، فأنشده القصيدة، فلما بلغ هذا الموضع قَالَ الوليد: أذكرتني ذنب آل حزم، فامر باستصفاء أموالهم.

فقال أبو جعفر: أعد علي الشعر، فأعاده ثلاثا، فقال له أبو جعفر: لا جرم، أنك تحتطي بهذا الشعر كما حرمت به، ثم قَالَ لأبي أيوب: هات عشرة آلاف درهم فادفعها إليه لغنائه إلينا، ثم أمر أن يكتب إلى عماله أن ترد ضياع آل حزم عليهم، ويعطوا غلاتها في كل سنة من ضياع بني أمية، وتقسم أموالهم بينهم على كتاب الله على التناسخ، ومن مات منهم وفر على ورثته قَالَ: فانصرف الفتى بما لم ينصرف به أحد من الناس.

وحدثني جعفر بن أحمد بن يحيى، قَالَ: حدثني أحمد بن أسد، قَالَ: أبطأ المنصور عن الخروج إلى الناس والركوب، فقال الناس: هو عليل، وكثروا، فدخل عليه الربيع، فقال: يا أمير المؤمنين، لأمر المؤمنين طول البقاء، والناس يقولون، قَالَ: ما يقولون؟ قَالَ: يقولون: عليل، فأطرق قليلا ثم قَالَ: يا ربيع، ما لنا وللعامة! إنما تحتاج العامة إلى ثلاث خلال، فإذا فعل ذلك بها فما حاجتهم! إذا أقيم لهم من ينظر في أحكامهم فينصف بعضهم من بعض، ويؤمن سبلهم حتى لا يخافوا في ليلهم ولا نهارهم، ويسد ثغورهم وأطرافهم حتى لا يبيحهم عدوهم، وقد فعلنا ذلك بهم ثم مكث أياما، وقال: يا ربيع، اضرب الطبل، فركب حتى رآه العامة.

وذكر علي بن محمد، قَالَ: حدثني أبي، قَالَ: وجه أبو جعفر مع محمد بن أبي العباس بالزنادقة والمجان، فكان فيهم حماد عجرد، فأقاموا معه

بالبصرة يظهر منهم المجنون، وإنما أراد بذلك أن يبغضه إلى الناس، فأظهر محمد أنه يعشق زينب بنت سليمان بن علي، فكان يركب إلى المربد، فيتصدى لها، يطعم أن تكون في بعض المناظر تنظر إليه، فقال محمد لحماذ: قل لي فيها شعرا، فقال فيها أبياتا، يقول فيها: يا ساكن المربد قد هجت لي ... شوقا فما أنفك بالمربد

قَالَ: فحدثني أبي قَالَ: كان المنصور نازلا على أبي سنتين، فعرفت الخصيب المتطرب لكثرة إتيانه إياه، وكان الخصيب يظهر النصرانية وهو زنديق معطل لا يبالي من قتل، فأرسل إليه المنصور رسولا يأمره أن يتوخى قتل محمد بن أبي العباس، فاتخذ سما قاتلا، ثم انتظر علة تحدث بمحمد، فوجد حرارة، فقال له الخصيب: خذ شربة دواء، فقال: هيأها لي، فهيأها، وجعل فيها ذلك السم ثم سقاها إياها، فمات منها فكتبت بذلك أم محمد بن أبي العباس إلى المنصور تعلمه أن الخصيب قتل ابنها فكتب المنصور يأمر بحمله إليه، فلما صار إليه ضربه ثلاثين سوطا ضربا خفيفا، وحبسه أياما، ثم وهب له ثلاثمائة درهم، وخلاه.

قَالَ: وسمعت أبي يقول: كان المنصور شرط لأم موسى الحميرية ألا يتزوج عليها ولا يتسرى، وكتبت عليه بذلك كتابا أكدته وأشهدت عليه شهودا، فعزب بها عشر سنين في سلطانه، فكان يكتب إلى الفقيه بعد الفقيه من أهل الحجاز يستفتيه، ويحمل إليه الفقيه من أهل الحجاز وأهل العراق

فيعرض عليه الكتاب ليفتيه فيه برخصة، فكانت أم موسى إذا علمت مكانه بادرته، فأرسلت إليه بمال جزيل، فإذا عرض عليه أبو جعفر الكتاب لم يفته فيه برخصة، حتى ماتت بعد عشر سنين من سلطانه ببغداد، فأنته وفاتها بحلوان، فأهديت له في تلك الليلة مائة بكر، وكانت أم موسى ولدت له جعفرا والمهدي.

وذكر عن علي بن الجعد أنه قَالَ: لما قدم بختيشوع الأكبر على المنصور من السوس، ودخل عليه في قصره بباب الذهب ببغداد، أمر له بطعام يتغدى به، فلما وضعت المائدة بين يديه، قَالَ: شراب، فقيل له:

إن الشراب لا يشرب على مائدة أمير المؤمنين، فقال: لا آكل طعاما ليس معه شراب، فأخبر المنصور بذلك، فقال: دعوه، فلما حضر العشاء فعل به مثل ذلك، فطلب الشراب، فقيل له: لا يشرب على مائدة أمير المؤمنين الشراب، فتعشى وشرب ماء دجلة، فلما كان من الغد نظر إلى مائه، فقال: ما كنت أحسب شيئا يجزي من الشراب، فهذا ماء دجلة يجزي من الشراب وذكر عن يحيى بن الحسن أن أباه حدثه، قَالَ: كتب المنصور إلى عامله بالمدينة أن بع ثمار الضياع ولا تبعها إلا ممن نغلبه ولا يغلبنا، وإنما يغلبنا المفلس الذي لا مال له، ولا رأي لنا في عذابه، فيذهب بما لنا قبله ولو أعطاك جزيلا، وبعها من الممكن بدون ذلك ممن ينصفك ويوفيك.

وذكر أبو بكر الهذلي أن أبا جعفر كان يقول: ليس بإنسان من أسدي إليه معروف فنسيه دون الموت.

وقال الفضل بن الربيع: سمعت المنصور يقول: كانت العرب تقول:

الغوى الفادح خير من الري الفاضح.

وذكر عن أبان بن يزيد العنبري أن الهيثم القارئ البصري قرأ عند المنصور «وَلَا تَبْذِرْ تَبْذِيرًا»، إلى آخر الآية، فقال له المنصور، وجعل يدعو:

اللهم جنبني وبني التبذير فيما أنعمت به علينا من عطيتك

قَالَ: وقرأ الهيثم عنده: «الَّذِينَ يَجْلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ» فقال للناس: لولا أن الأموال حصن السلطان ودعامة للدين والدنيا وعزهما وزينتهما ما بت ليلة وأنا أحرز منه دينارا ولا درهما، لما أجد لبذل المال من اللذادة، ولما أعلم في إعطائه من جزيل المثوبة.

ودخل على المنصور رجل من أهل العلم، فازدراه واقتحمته عينه، فجعل لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده، فقال له: أنى لك هذا العلم! قَالَ: لم أبخل بعلم علمته، ولم أستح من علم أتعلمه قَالَ: فمن هناك! قَالَ: وكان المنصور كثيرا ما يقول: من فعل بغير تدبير، وقال عن غير تقدير، لم يعدم من الناس هازئا أو لاحيا.

وذكر عن خطبة، قَالَ: سمعت المنصور يقول: الملوك تحتل كل شيء من أصحابها إلا ثلاثا: إفشاء السر، والتعرض للحرمة، والقدح في الملك.

وذكر علي بن محمد أن المنصور كان يقول: سرك من دمك، فانظر من تملكه.

وذكر الزبير بن بكار، عن عمر، قال: لما حمل عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي إلى المنصور بعد خروجه عليه، قال له: يا أمير المؤمنين، قتلة كريمة! قال: تركتها وراءك يا بن الخناء! وذكر عن عمر بن شبة، أن قطبة بن غدانة الجشمي - وكان من الصحابة - قال: سمعت أبا جعفر المنصور يخطب بمدينة السلام سنة اثنتين وخمسين ومائة، فقال: يا عباد الله، لا تظالموا، فإنها مظلمة يوم القيامة، والله لولا يد خاطئة، وظلم ظالم، لمشيت بين أسواقكم، ولو علمت مكان من هو أحق بهذا الأمر مني لأتيته حتى أدفعه إليه.

وذكر إسحاق الموصلي، عن النضر بن حديد، قال: حدثني بعض

الصحابة أن المنصور كان يقول: عقوبة الحليم التعريض، وعقوبة السفیه التصريح.

وذكر أحمد بن خالد، قال: حدثني يحيى بن أبي نصر القرشي، أن أبانا القارئ قرأ عند المنصور: «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ»، الآية فقال المنصور: ما أحسن ما أدبنا ربنا! قال: وقال المنصور: من صنع مثل ما صنع إليه فقد كافأ، ومن أضعف فقد شكر، ومن شكر كان كريما، ومن علم أنه إنما صنع إلى نفسه لم يستبطئ الناس في شكرهم، ولم يستزدهم من مودتهم، فلا تلتمس من غيرك شكر ما آتته إلى نفسك، ووقيت به عرضك واعلم أن طالب الحاجة إليك لم يكرم وجهه عن وجهك، فأكرم وجهك عن رده.

وذكر عمر بن شبة أن محمد بن عبد الوهاب المهلبی، حدثه، قال:

سمعت إسحاق بن عيسى يقول: لم يكن أحد من بني العباس يتكلم فيبلغ حاجته على البديهة غير أبي جعفر وداود بن علي والعباس بن محمد.

وذكر عن أحمد بن خالد، قال: حدثني إسماعيل بن إبراهيم الفهري، قال: خطب المنصور ببغداد في يوم عرفة - وقال قوم: بل خطب في أيام منى - فقال في خطبته: أيها الناس، إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه وتسديده، وأنا خازنه على فيئه، أعمل بمشيئته، وأقسمه بإرادته، وأعطيه بإذنه، قد جعلني الله عليه قفلا، إذا شاء أن يفتحني لأعطيتكم وقسم فيكم وأرزاقكم فتحي، وإذا شاء أن يغلني أغلني، فارغبوا إلى الله أيها الناس، وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما أهلككم به في كتابه، إذ يقول تبارك وتعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» أن يوفقني للصواب ويسددني للرشاد، ويلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم، ويفتحني لأعطيتكم

وقسم أرزاقكم بالعدل عليكم، إنه سميع قريب.

وذكر عن داود بن رشيد عن أبيه، أن المنصور خطب فقال: الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فاعترضه معترض عن يمينه، فقال: أيها الإنسان، اذكرك من ذكرت به فقطع الخطبة ثم قال: سمعا سمعا، لمن حفظ عن الله وذكر به، وأعوذ بالله أن أكون جبارا عنيدا، وأن تأخذني العزة بالإثم، لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين وأنت أيها القائل، فو الله ما أردت بها وجه الله، ولكنك حاولت أن يقال: قام فقال فعوقب فصبر، وأهون بها! ويلك لو هممت! فاهتبلها إذ غفرت وإياك وإياكم معشر الناس أختها، فإن الحكمة علينا نزلت، ومن عندنا فصلت، فردوا الأمر إلى أهلهم، تورده موارد، وتصدروه مصادره ثم عاد في خطبته، فكانه يقرؤها من كفه، فقال: وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

وذكر عن أبي توبة الربيع بن نافع، عن ابن أبي الجوزاء، أنه قال:

قمت إلى أبي جعفر وهو يخطب ببغداد في مسجد المدينة على المنبر فقرات:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ»، فأخذت فأدخلت عليه، فقال: من أنت ويلك! إنما أردت أن أقتلك، فخرج عني فلا أراك قال:

نخرجت من عنده سليما.

وقال عيسى بن عبد الله بن حميد: حدثني إبراهيم بن عيسى، قال:

خطب أبو جعفر المنصور في هذا المسجد - يعني به مسجد المدينة ببغداد - فلما بلغ: اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، قام إليه رجل، فقال: وأنت يا

عبد الله، فاتق الله حَقَّ تَقَاتِهِ ففقط أبو جعفر الخطبة، وقال: سمعا سمعا، لمن ذكر بالله، هات يا عبد الله، فما تقى الله؟ فانقطع الرجل فلم يقل شيئا، فقال أبو جعفر:

الله الله أيها الناس في أنفسكم، لا تحملونا من أموركم ما لا طاقة لكم به،

لا يقوم رجل هذا المقام إلا أوجعت ظهره، وأطلت حبسه ثم قال: خذه إليك يا ربيع، قال: فوثقنا له بالنجاة- وكانت العلامة فيه إذا أراد بالرجل مكروها قال: خذه إليك يا مسيب- قال: ثم رجع في خطبته من الموضع الذي كان قطعه، فاستحسن الناس ذلك منه، فلما فرغ من الصلاة دخل القصر، وجعل عيسى بن موسى يمشى على هيئته خلفه، فأحس به أبو جعفر، فقال: أبو موسى؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: كأنك خفتني على هذا الرجل! قال: والله لقد سبق إلى قلبي بعض ذلك، إلا أن أمير المؤمنين أكثر علما، وأعلى نظرا من أن يأتي في أمره إلا الحق، فقال: لا تخفني عليه فلما جلس قال: علي بالرجل، فأتي به، فقال: يا هذا، إنك لما رأيتني على المنبر، قلت، هذا الطاغية لا يسعني إلا أن أكله، ولو شغلت نفسك بغير هذا لكان أمثل لك، فأشغلها بظماء الهواجر، وقيام الليل، وتغيير قدميك في سبيل الله، انطه يا ربيع أربعمئة درهم، واذهب فلا تعد.

وذكر عن عبد الله بن صاعد، مولى أمير المؤمنين أنه قال: حج المنصور بعد بناء بغداد، فقام خطيبا بمكة، فكان مما حفظ من كلامه: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ»، أمر مبرم، وقول عدل، وقضاء فصل، والحمد لله الذي أفلج حجتهم، وبعدا للقوم الظالمين، الذين اتخذوا الكعبة عرضا، والقيء إرثا، وجعلوا القرآن عِصِينَ، لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون، فكم ترى من بئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ، أهملهم الله حتى بدلوا السنة، واضطهدوا العترة، وعندوا واعتدوا، واستكبروا وخاب كلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، ثم اخذهم، ف هلْ تُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا! وذكر الهيثم بن عدي، عن ابن عياش، قال: إن الأحداث لما تابعت على أبي جعفر، تمثل:

تفرقت الظباء على خداش ... فما يدري خداش ما يصيد

قال: ثم أمر بإحضار القواد والموالي والصحابة وأهل بيته، وأمر حمادا التركي بإسراج الخيل وسليمان بن مجالد بالتقدم والمسيب بن زهير بأخذ الأبواب، ثم خرج في يوم من أيامه حتى علا المنبر قال: فأزم عليه طويلا لا ينطق قال رجل لشبيب بن شيبه: ما لأمر المؤمنين لا يتكلم! فإنه والله ممن يهون عليه صعب القول، فما باله! قال: فافترع الخطبة، ثم قال:

ما لي أكفكف عن سعد ويشتمني ... ولو شمتت بني سعد لقد سكنوا

جهلا علي وجبنا عن عدوهم ... لبئست الخلتان الجهل والجبين

ثم جلس وقال:

فألقيت عن رأسي القناع ولم أكن ... لأكشفه إلا لإحدى العظام

والله لقد عجزوا عن أمر قنابته، فما شكروا الكافي، ولقد مهدوا فاستوعروا وغمطوا الحق وغمصوا، فإذا حاولوا! أشرب رنقا على غصص، أم أقيم على ضيم ومضض! والله لا أكرم أحدا بإهانة نفسي، والله لئن لم يقبلوا الحق ليطلبنه ثم لا يجدونه عندي، والسعيد من وعظ بغيره قدم يا غلام، ثم ركب وذكر الفقيمي أن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن مولى محمد بن علي حدثه، أن المنصور لما أخذ عبد الله بن حسن وإخوته والنفر الذين كانوا معه من أهل بيته، صعد المنبر، حمدا لله وأثنى عليه، ثم صلى على النبي ص، ثم قال: يا أهل خراسان، أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دولتنا، ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا من هو خير منا، وإن أهل بيتي هؤلاء من ولد علي بن أبي طالب

تركاهم والله الذي لا إله إلا هو والخلافة، فلم نعرض لهم فيها بقليل ولا كثير، فقام فيها علي بن أبي طالب فتلطخ وحكم عليه الحكيمين، فافتقرت عنه الأمة، واختلفت عليه الكلمة، ثم وثبت عليه شيعته وأنصاره وأصحابه وبطانته وثقاته فقتلوه، ثم قام من بعده الحسن بن علي، فوالله ما كان فيها برجل، قد عرضت عليه الأموال، فقبلها، ففسد إليه معاوية، إني أجعلك ولي عهدي من بعدي، فخذعه

فانسلخ له مما كان فيه، وسلمه إليه، فأقبل على النساء يتزوج في كل يوم واحدة فيطلقها غدا، فلم يزل على ذلك حتى مات على فراشه، ثم قام من بعده الحسين بن علي، نخدعه أهل العراق وأهل الكوفة، أهل الشقاق والنفاق والإغراق في الفتنة، أهل هذه المدره السوداء- وأشار الى الكوفة- فوالله ما هي بحرب فأحاربها، ولا سلم فأسلمها، فرق الله بيني وبينها، فخذلوه وأسلموه حتى قتل، ثم قام من بعده زيد بن علي، نخدعه أهل الكوفة وغروه، فلما أخرجوه وأظهروه أسلموه، وقد كان أتى محمد بن علي، فنأشده في الخروج وسأله ألا يقبل أقاويل أهل الكوفة، وقال له: إنا نجد في بعض علمنا، أن بعض أهل بيتنا يصلب بالكوفة، وأنا أخاف أن تكون ذلك المصلوب، ونأشده عمي داود بن علي وحذره غدر أهل الكوفة فلم يقبل، وأتم على خروجه، فقتل وصلب بالكاسية، ثم وثب علينا بنو أمية، فأماتوا شرفنا، وأذهبوا عزنا، والله ما كانت لهم عندنا ترة يطلبونها، وما كان لهم ذلك كله إلا فيهم وبسبب خروجهم عليهم، فنفونا من البلاد، فصرنا مرة بالطائف، ومرة بالشام، ومرة بالشرارة، حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصارا، فأحيا شرفنا، وعزنا بكم أهل خراسان، ودمغ بحقكم أهل الباطل، وأظهر حقنا، وأصار إلينا ميراثنا عن نبينا ص، فقر الحق مقره، وأظهر مناره، وأعز أنصاره، وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فلما استقرت الأمور فينا على قرارها، من فضل الله فيها وحكمه العادل لنا، وثبوا علينا، ظلما وحسدا منهم لنا، وبغيا لما فضلنا الله به عليهم، وأكرمنا به من خلافته وميراث نبيه ص جهلا على وجبنا عن عدوهم ... لبئست الخلتان الجهل والجن

فإني والله يا أهل خراسان ما أتيت من هذا الأمر ما أتيت بجهالة، بلغني عنهم بعض السقم والتعرم، وقد دسست لهم رجالا فقلت: قم يا فلان قم يا فلان، نخذ معك من المال كذا، وحذوت لهم مثالا يعملون عليه، فخرجوا حتى أتوهم بالمدينة، فدسوا إليهم تلك الأموال، فو الله ما بقي منهم شيخ ولا شاب، ولا صغير ولا كبير إلا بايعهم بيعة، استحللت بها دماءهم وأموالهم وحلت لي عند ذلك بنقضهم بيعتي، وطلبهم الفتنة، والتماسهم الخروج علي، فلا يرون أني أتيت ذلك على غير يقين ثم نزل وهو يتلو على درج المنبر هذه الآية: «وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ» .

قال: وخطب المنصور بالمدائن عند أبي مسلم، فقال:

أيها الناس، لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية، ولا تسروا غش الأئمة، فإنه لم يسر أحد قط منكراً إلا ظهرت في آثار يده، أو فلتات لسانه، وأبداها الله لإمامه، بإعزاز دينه، وإعلاء حقه إنا لن نجسكم حقوقكم، ولن نجس الدين حقه عليكم إنه من نازعنا عروة هذا القميص أجزرناه خبي هذا الغمد وإن أبا مسلم بايعنا وبايع الناس لنا، على أنه من نكث بنا فقد أباح دمه، ثم نكث بنا، فحكنا عليه حكمه على غيره لنا، ولم تمنعنا رعاية الحق له من إقامه الحق عليه.

وذكر اسحق بن إبراهيم الموصلي أن الفضل بن الربيع أخبره عن أبيه، قَالَ: قَالَ المنصور: قَالَ ابني: سمعت ابني، علي بن عبد الله يقول: سادة الدنيا الأغنياء، وسادة الآخرة الأنبياء.

وذكر عن إبراهيم بن عيسى، أن المنصور غضب على محمد بن جميل الكاتب- وأصله من الربرة- فأمر ببطحه، فقام بحجته، فأمر بإقامته، ونظر إلى سراويله، فإذا هو كنان، فأمر ببطحه وضربه خمس عشرة درة، وقال: تلبس سراويل كنان فإنه من السرف وذكر محمد بن إسماعيل الهاشمي، أن الحسن بن إبراهيم حدثه، عن أشياخه، أن أبا جعفر لما قتل محمد بن عبد الله بالمدينة وأخاه إبراهيم ببانجری وخرج إبراهيم بن حسن بن حسن بمصر فحمل إليه، كتب إلى بني علي بن أبي طالب بالمدينة كتابا يذكر لهم فيه إبراهيم بن الحسن بن الحسن وخروجه بمصر، وإنه لم يفعل ذلك إلا عن رأيهم، وانهم يدابون في طلب السلطان، ويلتمسون بذلك القطيعة والعقوق، وقد عجزوا عن عداوة بني أمية لما نازعوه السلطان، وضعفوا عن طلب ثأرهم، حتى وثب بنو أبيه غضبا لهم على بني أمية، فطلبوا بثأرهم، فأدركوا بدمائهم، وانتزعوا السلطان عن أيديهم، وتمثل في الكتاب بشعر سبيع بن ربيعة بن معاوية اليربوعي:

فلولا دفاعي عنكم إذ عجزتم ... وبالله أحمي عنكم وأدافع
لضاعت امور منكم لا ارى لها ... كفاها وما لا يحفظ الله ضائع

فسموا لنا من طحطح الناس عنكم ... ومن ذا الذي تحنى عليه الأصابع!
وما زال منا قد علمت عليكم ... على الدهر إفضال يرى ومنافع
وما زال منكم أهل غدر وجفوة ... وبالله مغتر وللرحم قاطع
وإن نحن غبنا عنكم وشهدتم ... وقائع منكم ثم فيها مقانع
وإنا لنرعاكم وترعون شأنكم ... كذاك الأمور، خافضات روافع
وهل تعلمون أقدام قوم صدورهم ... وهل تعلمون فوق السنام الأكارع!
ودب رجال للرئاسة منكم ... كما درجت تحت الغدير الضفادع؟

وذكر عن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، قال: كان أرزاق الكلاب والعمال أيام أبي جعفر ثلاثمائة درهم، فلما كانت كذلك لم تزل على حالها إلى أيام المأمون، فكان أول من سن زيادة الأرزاق الفضل بن سهل، فأما في أيام بني أمية وبني العباس فلم تزل الأرزاق من الثلاثمائة إلى ما دونها، كان الحجاج يجري على يزيد بن أبي مسلم ثلاثمائة درهم في الشهر.

وذكر إبراهيم بن موسى بن عيسى بن موسى، أن ولاية البريد في الآفاق كلها كانوا يكتبون إلى المنصور أيام خلافته في كل يوم بسعر القمح والحبوب والأدم، وبسعر كل مأكل، وبكل ما يقضي به القاضي في نواحيهم، وبما يعمل به الوالي وبما يرد بيت المال من المال، وكل حدث، وكانوا إذا صلوا المغرب يكتبون إليه بما كان في كل ليلة إذا صلوا الغداة، فإذا وردت كتبهم نظر فيها، فإذا رأى الأسعار على حالها أمسك، وإن تغير شيء منها عن حاله كتب إلى الوالي والعامل هناك، وسأل عن العلة التي نقلت ذاك عن سعره، فإذا ورد الجواب بالعلة تلتف لذلك برفقة حتى يعود سعره ذلك إلى حاله، وإن شك في شيء مما قضى به القاضي كتب إليه بذلك، وسأل من بحضرته عن عمله، فإن أنكر شيئاً عمل به كتب إليه يوبخه ويلومه.

وذكر إسحاق الموصلي أن الصباح بن خاقان التيمي، قال: حدثني رجل من أهلي، عن أبيه، قال: ذكر الوليد عند المنصور أيام نزوله بغداد وفروغه من المدينة، وفراغه من محمد وإبراهيم ابني عبد الله، فقالوا: لعن الله الملحد الكافر - قال: وفي المجلس أبو بكر الهذلي وابن عياش المنتوف والشرقي ابن القطامي، وكل هؤلاء من الصحابة - فقال أبو بكر الهذلي: حدثني ابن عم للفرزدق، عن الفرزدق، قال: حضرت الوليد بن يزيد وعنده ندماءه وقد اصطبح، فقال لابن عائشة: تغن بشعر ابن الزبيري:

ليت أشياءي بدير شهدوا ... جزع الخرج من وقع الأسل
وقتلنا الضعف من ساداتهم ... وعدلنا ميل بدر فاعتدل

فقال ابن عائشة: لا أغني هذا يا أمير المؤمنين، فقال: غنه وإلا جدعت لهواتك، قال: فغناه، فقال: أحسنت والله! إنه لعل دين ابن الزبيري يوم قال هذا الشعر قال: فلعه المنصور ولعنه جلساؤه، وقال:

الحمد لله على نعمته وتوحيده.

وذكر عن أبي بكر الهذلي، قال: كتب صاحب أرمينية إلى المنصور:

إن الجند قد شغبوا عليه، وكسروا أقفال بيت المال، وأخذوا ما فيه، فوقع في كتابه: اعتزل عملنا مذموماً، فلو عقلت لم يشغبوا، ولو قويت لم ينتهبوا.

وقال إسحاق الموصلي، عن أبيه: خرج بعض أهل العتب على أبي جعفر بفلسطين، فكتب إلى العامل هناك: دمه في دمك إلا توجهه إلي، فجد في طلبه، فظفر به فأشخص، فأمر بإدخاله عليه، فلما مثل بين يديه، قال له أبو جعفر: أنت المتوثب على عمالي! لأنثرن من لحكم أكثر مما يبقى منه على عظمك، فقال له - وقد كان شيخاً كبير السن - بصوت ضعيف ضئيل غير مستعل:

أتروض عرسك بعد ما هرمت ... ومن العناء رياضه الهرم
قال: فلم تنبئن للمنصور مقالته، فقال: يا ربيع، ما يقول؟ فقال:
يقول:

العبد عبدكم والمال مالكم ... فهل عذابك عني اليوم منصرف!

قَالَ: يا ربيع، قد عفوت عنه، نخل سبيله، واحتفظ به، وأحسن ولايته.

قَالَ: ورفع رجل إلى المنصور يشكو عامله أنه أخذ حدا من ضيعته، فأضافه إلى ماله، فوقع إلى عامله في رقعة المتظلم: إن أثرت العدل صحبتك السلامة، فانصف هذا المتظلم من هذه الظلامة.

قَالَ: ورفع رجل من العامة إليه رقعة في بناء مسجد في محله، فوقع في رقعته: من أشراط الساعة كثرة المساجد، فزد في خطاك تزد من الثواب.

قَالَ: وتظلم رجل من أهل السواد من بعض العمال، في رقعة رفعها إلى المنصور، فوقع فيها: إن كنت صادقا فجيء به ملبيا فقد أذنا لك في ذلك

وذكر عمر بن شبة أن أبا الهذيل العلاف حدثه، أن أبا جعفر قَالَ: بلغني أن السيد بن محمد مات بالكرخ- أو قَالَ: بواسط- ولم يدفنه، ولئن حق ذلك عندي لأحرقها وقيل: إن الصحيح أنه مات في زمان المهدي بكرخ بغداد، وأنهم تحاموا أن يدفنه، وأنه بعث بالربيع حتى ولي أمره، وأمره إن كانوا امتنعوا أن يحرق عليهم منازلهم، فدفع ربيع عنهم.

وقال المدائني: لما فرغ المنصور من محمد وإبراهيم وعبد الله بن علي وعبد الجبار بن عبد الرحمن، وصار ببغداد، واستقامت له الأمور، كان يمثّل هذا البيت:

تبّيت من البلوى على حد مرهف ... مرارا ويكفي الله ما أنت خائف

قَالَ: وأنشدني عبد الله بن الربيع، قَالَ: أنشدني المنصور بعد قتل هؤلاء:

ورب أمور لا تضيرك ضيرة ... وللقب من مخشاهن وجيب

وقال الهيثم بن عدي: لما بلغ المنصور تفرق ولد عبد الله بن حسن في البلاد هربا من عقابه، تمثل:

إن قناتي لنبع لا يؤيسها ... غمز الثقف ولا دهن ولا نار

متى أجر خائفا تأمن مسارحه ... وإن أخف آمنا تفلق به الدار

سيروا إلي وغضوا بعض أعينكم ... إني لكل امرئ من جاره جار

وذكر علي بن محمد عن واضح مولى أبي جعفر، قَالَ: أمرني أبو جعفر أن أشتري له ثوبين لينين، فاشتريتهما له بعشرين ومائة درهم، فأتيته بهما، فقال: بكم؟ فقلت: بثمانين درهما، قَالَ: صالحان، استحطه، فإن المتاع إذا أدخل علينا ثم رد على صاحبه كسره ذلك فأخذت الثوبين من صاحبهما، فلما كان من الغد حملتهما إليه معي، فقال: ما صنعت؟ قلت: رددتهما

عليه فخطني عشرين درهما، قَالَ: أحسنت، اقطع أحدهما قيصا، واجعل الآخر رداء لي ففعلت، فلبس القميص خمسة عشر يوما لم يلبس غيره.

وذكر مولى لعبد الصمد بن علي، قَالَ: سمعت عبد الصمد يقول:

إن المنصور كان يأمر أهل بيته بحسن الهيئة وإظهار النعمة وبلزوم الوشي والطيب، فإن رأى أحدا منهم قد أدخل بذلك أو أقل منه، قَالَ: يا فلان، ما أرى ويص الغالية في لحيتك، وإني لأراها تلعب في لحية فلان، فيشحذهم بذلك على الإكثار من الطيب ليتزين بهيئتهم وطيب أرواحهم عند الرعية، ويزينهم بذلك عندهم، وإن رأى على أحد منهم وشيا طاهرا عضه بلسانه.

وذكر عن أحمد بن خالد، قَالَ: كان المنصور يسأل مالك بن أدهم كثيرا عن حديث عجلان بن سهيل، أخي حوثة بن سهيل، قَالَ: كنا جلوسا مع عجلان، إذ مر بنا هشام بن عبد الملك، فقال رجل من القوم:

قد مر الأحول، قَالَ: من تعني؟ قَالَ: هشاما، قَالَ: تسمي أمير المؤمنين بالنز! والله لولا رحمك لضربت عنقك، فقال المنصور: هذا والله الذي ينفع مع مثله الحيا والممات.

وقال أحمد بن خالد: قَالَ إبراهيم بن عيسى: كان للمنصور خادم أصفر إلى الأدمة، ماهر لا بأس به، فقال له المنصور يوما: ما جنسك؟

قَالَ: عربي يا أمير المؤمنين، قَالَ: ومن أي العرب أنت؟ قَالَ: من خولان، سبيت من اليمن، فأخذني عدو لنا، فجبني فاسترققت، فصرت إلى بعض بني أمية، ثم صرت إليك قَالَ: أما إنك نعم الغلام، ولكن لا يدخل قصري عربي يخدم حرمي، أخرج عافاك الله، فاذهب حيث شئت! وذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود بن معاوية بن بكر- وكان من الصحابة- أن المنصور ضم رجلا من اهل الكوفة، يقال له الفضيل بن عمران، إلى ابنه جعفر، وجعله كاتبه، وولاه أمره، فكان منه بمنزلة أبي عبيد الله

من المهدي، وقد كان أبو جعفر أراد أن يبايع لجعفر بعد المهدي، فنصبت أم عبيد الله حاضنة جعفر للفضيل بن عمران، فسعت به إلى المنصور، وأومأت إلى أنه يعث بجعفر قَالَ: فبعث المنصور الريان مولاه وهارون بن غزوان مولى عثمان بن نبيك إلى الفضيل- وهو مع جعفر بجديثة الموصل- وقال: إذا رأيتم فضيلا فاقتلاه حيث لقيتماه، وكتب لهما كتابا منشورا، وكتب إلى جعفر يعلمه ما أمرهما به، وقال: لا تدفعا الكتاب إلى جعفر حتى تفرغا من قتله قَالَ: فخرجا حتى قدما على جعفر، وقعدا على بابه ينتظران الإذن، فخرج عليهما فضيل، فأخذه وأخرجهما كتاب المنصور، فلم يعرض لهما أحد، فضربا عنقه مكانه، ولم يعلم جعفر حتى فرغا منه- وكان الفضيل رجلا عفيفا دينا- فقيل للمنصور: إن الفضيل كان أبرأ الناس مما رمي به، وقد عجلت عليه فوجه رسولا، وجعل له عشرة آلاف درهم أن أدركه قبل أن يقتل، فقدم الرسول قبل أن يحف دمه.

فذكر معاوية بن بكر عن سويد مولى جعفر، أن جعفرا أرسل إليه، فقال: ويلك! ما يقول أمير المؤمنين في قتل رجل عفيف دين مسلم بلا جرم ولا جناية! قَالَ سويد: فقلت: هو أمير المؤمنين يفعل ما يشاء، وهو أعلم بما يصنع، فقال: يا ماص بظر أمه، أكله بكلام الخاصة وتكلمني بكلام العامة! خذوا برجله فألقوه في دجلة قَالَ فأخذت، فقلت: أكله، فقال: دعوه، فقلت: أبوك إنما يسأل عن فضيل، ومتى يسأل عنه، وقد قتل عمه عبد الله بن عبد الله بن علي، وقد قتل عبد الله بن الحسن وغيره من اولاد رسول الله ص ظلما، وقتل أهل الدنيا ممن لا يحصى ولا يعد! هو قبل أن يسأل عن فضيل جردانة تجب خصي فرعون قَالَ: فضحك، وقال: دعوه إلى لعنة الله.

وقال قنبر بن محرز: أخبرنا محمد بن عائد مولى عثمان بن عفان أن حفصا الأموي الشاعر، كان يقال له حفص بن أبي جمعة، مولى عباد بن زياد، وكان المنصور صيره مؤدبا للمهدي في مجالسه، وكان مداحا لبني أمية في أيام بني أمية وأيام المنصور، فلم ينكر عليه ذلك المنصور، ولم يزل مع المهدي

أيام ولايته العهد، ومات قبل أن يلي المهدي الخلافة قَالَ: وكان مما مدح به بني أمية قوله:

أين روقا عبد شمس اين هم ... أين أهل الباع منهم والحسب!

لم تكن أيد لهم عندكم ... ما فعلتم آل عبد المطلب!

أيها السائل عنهم أولو ... جثت تلعب من فوق الخشب

إن تجذوا الأصل منهم سفها ... يا لقوم للزمان المنقلب!

ان فاحلبوا ما شتم في صحنكم ... فستسقون صرى ذاك الحلب

وقيل: إن حفصا الأموي دخل على المنصور، فكله فاستخبره، فقال له: من أنت؟ فقال: مولاك يا أمير المؤمنين، قَالَ: مولى لي مثلك لا أعرفه! قَالَ: مولى خادم لك عبد مناف يا أمير المؤمنين، فاستحسن ذلك منه، وعلم أنه مولى لبني أمية، فضمه إلى المهدي، وقال له: احتفظ به.

ومما رثي به قول سلم الخاسر:

عجبا للذي نعى الناعيان ... كيف فاهت بموته الشفتان!

ملك إن غدا على الدهر يوما ... أصبح الدهر ساقطا للجران

ليت كفا حثت عليه ترابا ... لم تعد في يمينها ببنان

حين دانت له البلاد على العسف ... وأغضى من خوفه الثقلان

أين رب الزوراء قد قلده ... الملك، عشرون حجة واثنتان

إنما المرء كالزناد إذا ما ... أخذته قوادح النيران
ليس يثني هواه زجر ولا يقدر ... في حبله ذوو الأذهان
قلدته أعنة الملك حتى ... قاد أعداءه بغير عنان
يكسر الطرف دونه وترى الأيدي ... من خوفه على الأذقان
ضم أطراف ملكه ثم أضى ... خلف أقصاهم ودون الداني
هاشي التشمير لا يحمل الثقل ... على غارب الشرود الهدان

ذكر أسماء ولده ونسائه

ذكر الخبر عن وصاياه

ذو أناة ينسى لها الخائف الخوف ... وعزم يلوي بكل جنان
ذهبت دونه النفوس حذارا ... غير أن الأرواح في الأبدان.

ذكر أسماء ولده ونسائه

فن ولده المهدي- واسمه محمد- وجعفر الأكبر، وأمهما أروى بنت منصور أخت يزيد بن منصور الحميري، وكانت تكنى أم موسى، وهلك جعفر هذا قبل المنصور.

وسليمان وعيسى ويعقوب، وأمه فاطمة بنت محمد، من ولد طلحة بن عبيد الله.

وجعفر الأصغر، أمه أم ولد كردية، كان المنصور اشتراها فتسراها، وكان يقال لابنها: ابن الكردية.

وصالح المسكين، أمه أم ولد رومية، يقال لها قالي الفراشة.

والقاسم، مات قبل المنصور، وهو ابن عشر سنين، وأمه أم ولد تعرف بأم القاسم، ولها بباب الشام بستان يعرف إلى اليوم ببستان أم القاسم.

والعالية، أمها امرأة من بني أمية، زوجها المنصور من إسحاق بن سليمان ابن علي بن عبد الله بن العباس وذكر عن إسحاق بن سليمان أنه قال:

قال لي أبي: زوجتك يا بني أشرف الناس، العالية بنت أمير المؤمنين.

قال: فقلت: يا أباه، من أكفأؤنا؟ قال: أعداؤنا من بني أمية.

ذكر الخبر عن وصاياه

ذكر عن الهيثم بن عدي أن المنصور أوصى المهدي في هذه السنة لما شخص متوجها إلى مكة في شوال، وقد نزل قصر عبدويه، وأقام بهذا القصر أياما والمهدي معه يوصيه، وكان انقض في مقامه بقصر عبدويه كوكب، لثلاث

بقين من شوال بعد إضاءة الفجر، وبقي أثره بينا إلى طلوع الشمس، فأوصاه بالمال والسلطان، يفعل ذلك كل يوم من أيام مقامه بالغداة والعشي، لا يفتر عن ذلك، ولا يفترقان إلا تحريكا فلما كان اليوم الذي أراد أن يرتحل فيه، دعا المهدي، فقال له: إني لم

أدع شيئا إلا قد تقدمت إليك فيه، وسأوصيك بنحو الله ما أظنك تفعل واحدة منها- وكان له سبط فيه دفاتر علمه، وعليه قفل لا يأمن على فتحه ومفتاحه أحدا، يصير مفتاحه في كم قميصه قال: وكان حماد التركي يقدم إليه ذلك السبط إذا دعا به، فإذا غاب

حماد أو خرج كان الذي يليه سلمة الخادم- فقال للمهدي: انظر هذا السبط فاحتفظ به، فإن فيه علم آبائك، ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، فإن أحزنك أمر فانظر في الدفتر الأكبر، فإن أصبت فيه ما تريد، وإلا فالثاني والثالث، حتى بلغ سبعة، فإن ثقل عليك

فالكراسة الصغيرة، فإنك واجد فيها ما تريد، وما أظنك تفعل، وانظر هذه المدينة، فإنك أن تستبدل بها، فإنها بيتك وعزك، قد جمعت لك فيها من الأموال ما إن كسر عليك الخراج عشر سنين كان عندك كفاية لأرزاق الجند والنفقات وعطاء الذرية ومصلحة الثغور،

فاحتفظ بها، فإنك لا تزال عزيزا ما دام بيت مالك عامرا، وما أظنك تفعل وأوصيك بأهل بيتك، أن تظهر كرامتهم وتقدمهم وتكثر الإحسان إليهم، وتعظم أمرهم، وتوطئ الناس أعقابهم، وتوليهم المنابر، فإن عزك عزهم وذكرهم لك، وما أظنك تفعل. وانظر مواليك، فأحسن إليهم وقربهم واستكثر منهم فإنهم مادتك لشدة إن نزلت بك، وما أظنك تفعل وأوصيك بأهل خراسان خيرا، فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم في دولتك، ودماءهم دونك، ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم، أن تحسن إليهم وتتجاوز عن مسيئتهم وتكافئهم على ما كان منهم، وتختلف من مات منهم في أهله وولده، وما أظنك تفعل.

وإياك أن تبني مدينة الشرقية فإنك لا تتم بناءها، وما أظنك تفعل وإياك أن تستعين برجل من بني سليم، وأظنك ستفعل وإياك أن تدخل النساء في مشورتك في أمرك، وأظنك ستفعل. وقال غير الهيثم: إن المنصور دعا المهدي عند مسيره إلى مكة، فقال:

يا أبا عبد الله، إني سائر واني غير راجع، فإنا لله وإننا إليه راجعون! فاسأل الله بركة ما أقدم عليه، هذا كتاب وصيتي مختوما، فإذا بلغك اني قدمت، وصار الأمر إليك فانظر فيه، وعلي دين فأحب أن تقضيه وتضمنه، قال: هو علي يا امير المؤمنين، قال: فانه ثلاثمائة ألف درهم ونيف، ولست أستحلها من بيت مال المسلمين، فاضمنها عني، وما يفضي إليك من الأمر أعظم منها قال: أفعل، هو علي قال: وهذا القصر ليس هو لك، هو لي، وقصري بنيت بمالي، فأحب أن تصير نصيبك منه لإخوتك الأصاغر.

قال: نعم، قال: ورقيتي الخاصة هم لك، فاجعلهم لهم، فإنك تصير إلى ما يغنيك عنهم، وبهم إلى ذلك أعظم الحاجة قال: أفعل، قال: أما الضياع، فلست أكلفك فيها هذا، ولو فعلت كان أحب إلي، قال: أفعل، قال: سلم إليهم ما سألتك من هذا، وأنت معهم في الضياع قال: والمتاع والثياب، سلمه لهم، قال: أفعل قال: أحسن الله عليك الخلافة ولك الصنع! اتق الله فيما خولك وفيما خلفتك عليه.

ومضى إلى الكوفة، فنزل الرصافة، ثم خرج منها مهلا بالعمرة والحج، قد ساق هديه من البدن، وأشعر وقلد، وذلك لأيام خلت من ذي القعدة.

وذكر أبو يعقوب بن سليمان، قال: حدثني جمة العطار - عطاره أبي جعفر - قالت: لما عزم المنصور على الحج دعا ريطة بنت أبي العباس امرأة المهدي - وكان المهدي بالري قبل شيوخ أبي جعفر - فأوصاها بما أراد، وعهد إليها، ودفع إليها مفاتيح الخزان، وتقدم إليها واحلفها، ووكد الايمان الا تفتح بعض تلك الخزان، ولا تطلع عليها أحدا إلا المهدي، ولا هي، إلا أن يصح عندها موته، فإذا صح ذلك اجتمعت هي والمهدي وليس معهما

ثالث، حتى يفتح الخزانة فلما قدم المهدي من الري إلى مدينة السلام، دفعت إليه المفاتيح، وأخبرته عن المنصور أنه تقدم إليها فيه ألا يفتحه ولا يطلع عليه أحدا حتى يصح عندها موته فلما انتهى إلى المهدي موت المنصور وولي الخلافة، فتح الباب ومعه ريطة، فإذا أزج كبير فيه جماعة من قتلاء الطالبين، وفي آذانهم رقاع فيها أنسابهم، وإذا فيهم أطفال ورجال شباب ومشايخ عدة كثيرة، فلما رأى ذلك المهدي ارتاع لما رأى، وأمر حفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها، وعمل عليهم دكان.

وذكر عن إسحاق بن عيسى بن علي، عن أبيه، قال: سمعت المنصور وهو متوجه إلى مكة سنة ثمان وخمسين ومائة، وهو يقول للمهدي عند وداعه إياه: يا أبا عبد الله، إني ولدت في ذي الحجة، ووليت في ذي الحجة، وقد هجس في نفسي أني أموت في ذي الحجة من هذه السنة، وإنما حداني على الحج ذلك، فائق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بعدي، يجعل لك فيما كربك وحزنك مخرجا - أو قال: فرجا ومخرجا - ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحتسب احفظ يا بني محمدا ص في أمتة يحفظ الله عليك أمورك وإياك والدم الحرام، فإنه حوب عند الله عظيم، وعار في الدنيا لازم مقيم والزم الحلال، فان ثوبك في الآجل، وصلاحك في العاجل وأقم الحدود ولا تعتد فيها فتنور، فإن الله لو علم أن شيئا أصلح لدينه وأزجر من معاصيه من الحدود لأمر به في كتابه واعلم أن من شدة غضب الله لسلطانه، أمر في كتابه بتضيق العذاب والعقاب على من سعى في الأرض فسادا، مع ما ذخره عنده من العذاب العظيم، فقال:

«إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا» الآية فالسلطان يا بني حبل الله المتين، وعروته الوثقى، ودين الله

القيم، فاحفظه وحطه وحصنه، وذبح عنه، وأوقع بالملاحدين فيه، وأقع المارقين منه، واقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم والمثلات بهم، ولا تجاوز ما أمر

الله به في محكم القرآن واحكم بالعدل ولا تشطط، فإن ذلك أقطع للشغب، وأحسم للعدو، وأنجع في الدواء وعف عن الفبيء، فليس بك إليه حاجة مع ما أخلفه لك، وافتتح عملك بصلة الرحم وبر القرابة وإياك والأثرة والتبذير لأموال الرعية واشحن الثغور، واضبط الأطراف، وأمن السبل، وخص الوساطة، ووسع المعاش، وسكن العامة، وأدخل المرافق عليهم، واصرف المكاهره عنهم، وأعد الأموال واخزنها وإياك والتبذير، فإن النوائب غير مأمونة، والحوادث غير مضمونة، وهي من شيم الزمان وأعد الرجال والكراع والجند ما استطعت وإياك وتأخير عمل اليوم إلى غد، فتتدارك عليك الأمور وتضيق جد في أحكام الأمور النازلات لأوقاتها أولا فأولا، واجتهد وثمر فيها، وأعد رجالا بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار، ورجالا بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل وباشر الأمور بنفسك، ولا تضجر ولا تكسل ولا تفشل، واستعمل حسن الظن بربك، وأسئ الظن بعمالك وكتابك.

وخذ نفسك بالتيقظ، وتفقد من يبيت على بابك، وسهل أذنك للناس، وانظر في أمر النزاع إليك، ووكل بهم عينا غير نائمة، ونفسا غير لاهية، ولا تتم فإن أباك لم ينم منذ ولي الخلافة، ولا دخل عينه غمض إلا وقلبه مستيقظ هذه وصيتي إليك، والله خليفتي عليك. قَالَ: ثم ودعه وبكى كل واحد منهما إلى صاحبه.

وذكر عمر بن شبة عن سعيد بن هريم، قَالَ: لما حج المنصور في السنة التي توفي فيها شيعه المهدي، فقال: يا بني، إني قد جمعت لك من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبلي، وجمعت لك من الموالي ما لم يجمعه خليفة قبلي، وبنيت لك مدينة لم يكن في الإسلام مثلها، ولست أخاف عليك إلا أحد رجلين: عيسى بن موسى، وعيسى بن زيد، فأما عيسى بن موسى فقد أعطاني من العهود والمواثيق ما قبلته، وو الله لو لم يكن إلا أن يقول قولا لما خفته عليك، فأخرجه من قلبك وأما عيسى بن زيد فأنفق هذه الأموال واقتل هؤلاء الموالي، واهدم هذه المدينة حتى تظفر به، ثم لا ألوئك. وذكر عيسى بن محمد أن موسى بن هارون حدثه، قَالَ: لما دخل المنصور آخر منزل نزل من طريق مكة، نظر في صدر البيت الذي نزل فيه، فإذا فيه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم.

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت ... سنوك، وأمر الله لا بد واقع
أبا جعفر هل كاهن أو منجم ... لك اليوم من حر المنية مانع!

قال: فدعا بالمثولي لإصلاح المنازل، فقال له: ألم أمرك ألا يدخل المنزل أحد من الدعار! قَالَ: يا أمير المؤمنين، والله ما دخلها أحد منذ فرغ منها، فقال: اقرأ ما في صدر البيت مكتوبا، قَالَ: ما أرى شيئا يا أمير المؤمنين، قَالَ: فدعا برئيس الحجابة، فقال: اقرأ ما على صدر البيت مكتوبا، قَالَ: ما أرى على صدر البيت شيئا، فأملى البيتين فكتبا عنه، فالتفت إلى حاجبه فقال: اقرأ لي آية من كتاب الله جل وعز تشوقني إلى الله عز وجل، فتلا: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ»، فأمر بفكيه فوجئا وقال: ما وجدت شيئا تقرؤه غير هذه الآية! فقال: يا أمير المؤمنين، محي القرآن من قلبي غير هذه الآية، فأمر بالرحيل عن ذلك المنزل تطيرا مما كان، وركب فرسا، فلما كان في الوادي الذي يقال له سقر- وكان آخر منزل بطريق مكة- كبا به الفرس، فدق ظهره، ومات فدفن ببئر ميمون.

وذكر عن محمد بن عبد الله مولى بني هاشم، قَالَ: أخبرني رجل من العلماء وأهل الأدب، قَالَ: هتف بأبي جعفر هاتف من قصره بالمدينة فسمعه يقول:

أما ورب السكون والحرك ... إن المنايا كثيرة الشرك
عليك يا نفس إن أسأت وإن ... أحسنت بالقصد، كل ذاك لك
ما اختلف الليل والنهار ولا ... دارت نجوم السماء في الفلك
إلا بنقل السلطان عن ملك ... إذا انقضى ملكه الى ملك
حتى يصيرا به إلى ملك ... ما عز سلطانه بمشترك

ذاك بديع السماء والأرض والمرسي ... الجبال المسخر الفلك
فقال أبو جعفر: هذا والله أوان أجلي.

وذكر عبد الله بن عبيد الله، أن عبد العزيز بن مسلم حدثه أنه قال:

دخلت على المنصور يوما أسلم عليه، فإذا هو باهت لا يحير جوابا، فوثبت لما أرى منه، أريد الانصراف عنه، فقال لي بعد ساعة: إني رأيت فيما يرى النائم، كأن رجلا ينشدني هذه الأبيات:

أأخي أخفض من مناكا ... فكأن يومك قد أتاك

ولقد أراك الدهر من ... تصريفه ما قد أراك

فإذا أردت الناقص العبد ... الذليل فأنت ذاكا

ملك ما ملكته ... والأمر فيه إلى سواكا

فهذا الذي ترى من قلقي وغمي لما سمعت ورأيت فقلت: خيرا رأيت يا أمير المؤمنين فلم يلبث إلى أن خرج إلى الحج فمات لوجهه ذاك. وفي هذه السنة بويج للمهدي بالخلافة، وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بمكة، صبيحة الليلة التي توفي فيها أبو جعفر المنصور

وذلك يوم السبت لست ليال خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين، كذلك قال هشام بن محمد ومحمد بن عمر وغيرهما.

وقال الواقدي: وبويج له ببغداد يوم الخميس لإحدى عشرة بقيت من ذي الحجة من هذه السنة.

وأم المهدي أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن يزيد بن شمر الحميري.

٨٠١٢٠٥ خلافة المهدي محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس

ذكر الخبر عن صفه العقد الذي عقد للمهدي بالخلافة حين مات والده المنصور بمكة

خلافة المهدي محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس

ذكر الخبر عن صفة العقد الذي عقد للمهدي بالخلافة حين مات والده المنصور بمكة

ذكر علي بن محمد النوفلي أن أباه حدثه، قال: خرجت في السنة التي مات فيها أبو جعفر من طريق البصرة، وكان أبو جعفر خرج على طريق الكوفة، فلقيته بذات عرق، ثم سرت معه، فكان كلما ركب عرضت له فسلمت عليه، وقد كان أدنف وأشفى على الموت، فلما صار ببئر ميمون نزل به، ودخلنا مكة، فقضيت عمري، ثم كنت أختلف إلى أبي جعفر إلى مضره، فأقيم فيه إلى قريب من الزوال، ثم أنصرف - وكذلك كان يفعل الهاشميون - وأقبلت علة تشتت وتزداد، فلما كان في الليلة التي مات فيها، ولم نعلم، فصليت الصبح في المسجد الحرام مع طلوع الفجر، ثم ركبت في ثوبي متقلدا السيف عليهما، وأنا أساير محمد بن عون بن عبد الله بن الحارث - وكان من سادة بني هاشم ومشايخهم، وكان في ذلك اليوم عليه ثوبان مودان قد أحرم فيهما، متقلدا السيف عليهما - قال: وكان مشايخ بني هاشم يحبون أن يحرموا في المورد لحديث عمر بن الخطاب وعبد الله بن جعفر وقول علي بن أبي طالب فيه فلما صرنا بالأبطح لقينا العباس بن محمد ومحمد بن سليمان في خيل ورجال يدخلان مكة، فعدلنا إليهما، فسلمنا عليهما ثم مضينا، فقال لي محمد بن عون: ما ترى حال هذين ودخولهما مكة؟ قلت:

احسب الرجل قد مات، فأرادا أن يحصنا مكة، فكان ذلك كذلك، فبينما

نحن نسير، إذا رجل خفي الشخص في طمرين، ونحن بعد في غلس، قد جاء فدخل بين أعناق دابتنا، ثم أقبل علينا، فقال: مات والله الرجل! ثم خفي عنا، فضينا نحن حتى أتينا العسكر، فدخلنا السرادق الذي كنا نجلس فيه في كل يوم، فإذا بموسى بن المهدي قد صدر عند عمود السرادق، وإذا القاسم بن منصور في ناحية السرادق - وقد كان حين لقينا المنصور بذات عرق، إذا ركب المنصور بعيره جاء القاسم فسار بين يديه بينه وبين صاحب الشرطه، ويؤمر الناس أن يرفعوا القصص إليه - قال: فلما رأيته في ناحية السرادق

ورأيت موسى مصدرا، علمت أن المنصور قد مات قَالَ: فيينا أنا جالس إذ أقبل الحسن بن زيد، فجلس إلى جنبي، فصارت نخذه على نخذي، وجاء الناس حتى ملئوا السرادق، وفيهم ابن عياش المنتوف، فيينا نحن كذلك، إذ سمعنا همسا من بكاء، فقال لي الحسن: أترى الرجل مات! قلت:

لا أحسب ذلك، ولكن لعله ثقیل، أو أصابته غشية، فما راعنا إلا بأبي العنبر الخادم الأسود خادم المنصور، قد خرج علينا مشقوق الأقبية من بين يديه ومن خلفه، وعلى رأسه التراب، فصاح: وا أمير المؤمنين! فما بقي في السرادق أحد إلا قام على رجله، ثم أهواوا نحو مضارب أبي جعفر يريدون الدخول، فنعهم الخدم، ودفعوا في صدورهم وقال ابن عياش المنتوف: سبحان الله! أما شهدتم موت خليفة قط! اجلسوا رحمكم الله فجلس الناس، وقام القاسم فشق ثيابه، ووضع التراب على رأسه، وموسى جالس على حاله. وكان صبيا رطبا ما يتحلل.

ثم خرج الربيع، وفي يده قرطاس، فألقى أسفله على الأرض، وتناول طرفه، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله المنصور أمير المؤمنين إلى من خلف بعده من بني هاشم وشيعته من أهل خراسان وعامة المسلمين- ثم ألقى القرطاس من يده، وبكى وبكى الناس، فأخذ القرطاس، وقال: قد أمكنكم البكاء، ولكن هذا عهد عهد أمير المؤمنين، لا بد من أن نقرأه عليكم، فأنصتوا رحمكم الله، فسكت الناس، ثم رجع إلى القراءة- أما بعد:

فاني كتبت كتابي هذا وأنا حي في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة، وأنا أقرأ عليكم السلام، واسأل الله الا يفتنكم بعدي، ولا يلبسكم شيعا، ولا يذيق بعضكم بأس بعض يا بني هاشم، ويا أهل خراسان ثم أخذ في وصيتهم بالمهدي، وإذكارهم البيعة له، وحضهم على القيام بدولته، والوفاء بعهده إلى آخر الكتاب.

قَالَ النوفلي: قَالَ أَبِي: وكان هذا شيئا وضعه الربيع، ثم نظر في وجوه الناس، فدنا من الهاشميين، فتناول يد الحسن بن زيد، فقال: قم يا أبا محمد، فبايع، فقام معه الحسن، فانتهى به الربيع إلى موسى فأجلسه بين يديه، فتناول الحسن يد موسى، ثم التفت إلى الناس، فقال: يأيتها الناس، إن أمير المؤمنين المنصور كان ضربي واصطفي مالي، فكله المهدي فرضي عني، وكله في رد مالي علي فأبى ذلك، فأخلفه المهدي من ماله وأضعفه مكان كل علق علقين، فن أولى بأن يبايع لأمر المؤمنين بصدر منشرح ونفس طيبة وقلب ناصح مني! ثم بايع موسى للمهدي، ثم مسح على يده.

ثم جاء الربيع إلى محمد بن عون، فقدمه للسن فبايع، ثم جاء الربيع إلي فأنهضني، فكنت الثالث، وبايع الناس، فلما فرغ دخل المضارب، فمكث هنيهة ثم خرج إلينا معشر الهاشميين، فقال: انهضوا، فنهضنا معه جميعا، وكنا جماعة كثيرة من أهل العراق وأهل مكة والمدينة ممن حضر الحج، فدخلنا فإذا نحن بالمنصور على سريرته في أكفانه، مكشوف الوجه، فحملناه حتى أتينا به مكة ثلاثة أميال، فكأنني أنظر إليه أدنو من قائمة سريرة نخله، فتحرك الريح، فتطير شعر صدغيه، وذلك أنه كان قد وفر شعره للحلق، وقد نصل خضابه، حتى أتينا به حفرة، فدلناه فيها.

قَالَ: وسمعت أبي يقول: كان أول شيء ارتفع به علي بن عيسى بن ماهان، أنه لما كان الليلة التي مات فيها أبو جعفر أرادوا عيسى بن موسى على بيعة مجددة للمهدي- وكان القائم بذلك الربيع- فأبى عيسى بن موسى،

واقبل القواد الذين حضروا يقربون ويتباعدون، فنهض علي بن عيسى بن ماهان، فاستل سيفه، ثم جاء إليه، فقال: والله لتبايعن أو لأضربن عنقك! فلما رأى ذلك عيسى، بايع وبايع الناس بعده.

وذكر عيسى بن محمد أن موسى بن هارون حدثه أن موسى بن المهدي والربيع مولى المنصور وجها منارة مولى المنصور بخبر وفاة المنصور وبالبيعة للمهدي، وبعثا بعد بقضيب النبي ص وبردته التي يتوارثها الخلفاء مع الحسن الشروي، وبعث أبو العباس الطوسي بخاتم الخلافة مع منارة، ثم خرجوا من مكة، وسار عبد الله بن المسيب بن زهير بالحربة بين يدي صالح بن المنصور، علي ما كان يسير بها بين يديه في حياة المنصور، فكسرهما القاسم بن نصر بن مالك، وهو يومئذ على شرطة موسى بن المهدي، واندس علي بن عيسى بن ماهان لما كان

في نفسه من أذى عيسى بن موسى. وما صنع به للراوندية، فأظهر الطعن والكلام في مسيرهم وكان من رؤسائهم أبو خالد المروزي، حتى كاد الأمر يعظم ويتفاقم، حتى لبس السلاح.

وتحرك في ذلك محمد بن سليمان، وقام فيه وغيره من أهل بيته، إلا أن محمداً كان أحسنهم قياماً به حتى طغى ذلك وسكن وكتب به إلى المهدي، فكتب بعزل علي بن عيسى عن حرس موسى بن المهدي، وصير مكانه أبا حنيفة حرب بن قيس، وهدأ أمر العسكر، وتقدم العباس بن محمد ومحمد ابن سليمان إلى المهدي، وسبق إليه العباس بن محمد وقدم منارة على المهدي يوم الثلاثاء للنصف من ذي الحجة، فسلم عليه بالخلافة، وعزاه، وأوصل الكتب إليه، وبايعه أهل مدينة السلام.

وذكر الهيثم بن عدي عن الربيع، أن المنصور رأى في حجته التي مات فيها وهو بالعذيب - أو غيره من منازل طريق مكة - رؤيا - وكان الربيع عديله - وفرع منها، وقال: يا ربيع، ما أحسبني إلا ميتاً في وجهي هذا، وأنت تؤكد البيعة لأبي عبد الله المهدي، قال الربيع: فقلت له: بل

يقتلك الله يا أمير المؤمنين، ويبلغ أبو عبد الله محبتك في حياتك إن شاء الله. قال: وثقل عند ذلك وهو يقول: بادربي إلى حرم ربي وأمنه، هارباً من ذنوبي وإسرافي على نفسي، فلم يزل كذلك حتى بلغ بئر ميمون، فقلت له:

هذه بئر ميمون، وقد دخلت الحرم، فقال: الحمد لله، وقضى من يومه.

قال الربيع: فأمرت بالخم فضربت، وبالفساطيط فهيئت، وعمدت إلى أمير المؤمنين فألبسته الطويلة والدراعة، وسندته، وألقيت في وجهه كلة رقيقة يرى منها شخصه، ولا يفهم أمره، وأدنت أهله من الكلة حيث لا يعلم بخبره، ويرى شخصه ثم دخلت فوقفت بالموضع الذي أومهم أنه يخاطبني، ثم خرجت فقلت: إن أمير المؤمنين مفقود بمن الله، وهو يقرأ عليكم السلام، ويقول: إني أحب أن يؤكد الله أمركم، ويكتب عدوكم، ويسر وليكم، وقد أحببت أن تجددوا بيعة أبي عبد الله المهدي، لئلا يطمع فيكم عدو ولا باغ، فقال القوم كلهم: وفق الله أمير المؤمنين، نحن إلى ذاك أسرع قال: فدخل فوقف، ورجع إليهم، فقال: هلموا للبيعة، فبايع القوم كلهم، فلم يبق أحد من خاصته والأولياء ورؤساء من حضره إلا بايع المهدي، ثم دخل وخرج باكياً مشقوق الجيب لا طمأ رأسه، فقال بعض من حضر: ويلي عليك يا بن شاة! يريد الربيع - وكانت أمه ماتت وهي ترضعه فأرضعته شاة - قال: وحفر للمنصور مائة قبر، ودفن في كلها، لئلا يعرف موضع قبره الذي هو ظاهر للناس، ودفن في غيرها للخوف عليه.

قال: وهكذا قبور خلفاء ولد العباس، لا يعرف لأحد منهم قبر. قال: فبلغ المهدي، فلما قدم عليه الربيع قال: يا عبد، ألم تتمتع جلالة أمير المؤمنين إن فعلت ما فعلت به! وقال قوم: إنه ضربه، ولم يصح ذلك.

قال: وذكر من حضر حجة المنصور، قال: رأيت صالح بن المنصور وهو مع أبيه والناس معه، وإن موسى بن المهدي لقي تباعه، ثم رجع الناس وهم خلف موسى، وأن صالحاً معه

وذكر عن الأصمعي أنه قال: أول من نعى أبا جعفر المنصور بالبصرة خلف الأحمر، وذلك أنا كنا في حلقة يونس، فربنا فسلم علينا، فقال:

قد طرقت ببكرا أم طبق.

قال يونس: وماذا؟ قال:

تنتجوها خير أضخم العنق ... موت الإمام فلقه من الفلق

وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي، وكان المنصور - فيما ذكر - أوصى بذلك.

وكان العامل في هذه السنة على مكة والطائف إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وعلى المدينة عبد الصمد بن علي، وعلى الكوفة عمرو بن زهير الضبي أخو المسيب بن زهير - وقيل: كان العامل عليها إسماعيل بن أبي إسماعيل الثقفي، وقيل: إنه مولى

لبنى نصر من قيس - وعلى قضائها شريك بن عبد الله النخعي، وعلى ديوان خراجها ثابت بن موسى، وعلى خراسان حميد بن ققطبة، وعلى قضاء بغداد مع قضاء الكوفة شريك ابن عبد الله.
وقيل: كان القاضي على بغداد يوم مات المنصور عبيد الله محمد بن صفوان الجمحي وشريك بن عبد الله على قضاء الكوفة خاصة وقيل: إن شريكا كان إليه قضاء الكوفة، والصلاة بأهلها.
وكان على الشرط ببغداد يوم مات المنصور - فيما ذكر - عمر بن عبد الرحمن أخو عبد الجبار بن عبد الرحمن وقيل كان موسى بن كعب. وعلى ديوان خراج البصرة وأرضها عمارة بن حمزة وعلى قضائها والصلاة عبيد الله بن الحسن العنبري، وعلى أحداثها سعيد بن دعلج. وأصاب الناس - فيما ذكر محمد بن عمر - في هذه السنة وباء شديد.

٨٠١٣ سنة تسع وخمسين ومائة

ثم دخلت

سنة تسع وخمسين ومائة

(ذكر ما كان فيها من الأحداث) فمن ذلك غزوة العباس بن محمد الصائفة فيها حتى بلغ أنقرة، وكان على مقدمة العباس الحسن الوصيف في الموالي، وكان المهدي ضم إليه جماعة من قواد أهل خراسان وغيرهم وخرج المهدي فعسكر بالبردان وأقام فيه حتى أنفذ العباس بن محمد، ومن قطع عليه البعث معه، ولم يجعل للعباس على الحسن الوصيف ولاية في عزل ولا غيره، ففتح في غزاته هذه مدينة للروم ومطمورة معها، وانصرفوا سالمين لم يصب من المسلمين أحد.

وهلك في هذه السنة حميد بن ققطبة، وهو عامل المهدي على خراسان، فولى المهدي مكانه أبا عون عبد الملك بن يزيد. وفيها ولي حمزة بن مالك سجستان، وولي جبرئيل بن يحيى سمرقند.

وفيها بنى المهدي مسجد الرصافة.

وفيها بنى حائطها، وحفر خندقها.

وفيها عزل المهدي عبد الصمد بن علي عن المدينة، مدينه الرسول ص عن موجد، واستعمل عليها مكانه محمد بن عبد الله الكثيري ثم عزله، واستعمل عليها مكانه عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان الجمحي.

وفيها وجه المهدي عبد الملك بن شهاب المسمعي في البحر إلى بلاد الهند، وفرض معه لألفين من أهل البصرة من جميع الأجناد، وأشخصهم معه، وأشخص معه من المطوعة الذين كانوا يلزمون المراتبات ألفا وخمسمائة رجل، ووجه معه قائدا من أبناء أهل الشام يقال له ابن الحباب المذحجي في سبعمائة من أهل الشام، وخرج معه من مطوعة أهل البصرة بأموالهم ألف رجل، فيهم

٨٠١٣٠١ ذكر الخبر عن سبب تحويل المهدي الحسن بن إبراهيم من المطبق إلى نصير

- فيما ذكر - الربيع بن صبيح، ومن الأسواريين والسبابجة أربعة آلاف رجل، فولى عبد الملك بن شهاب المنذر بن محمد الجارودي الألف الرجل المطوعة من أهل البصرة، وولى ابنه غسان بن عبد الملك الألفي الرجل الذين من فرض البصرة، وولى عبد الواحد بن عبد الملك الألف والخمسمائة الرجل من مطوعة المراتبات، وأفرد يزيد بن الحباب في أصحابه فخرجوا، وكان المهدي وجه لتجهيزهم حتى شخصوا أبا القاسم محرز بن إبراهيم، فمضوا لوجههم، حتى أتوا مدينة باربد من بلاد الهند في سنة ستين ومائة.

وفيها توفي معبد بن الخليل بالسند، وهو عامل المهدي عليها، فاستعمل مكانه روح بن حاتم بمشورة أبي عبيد الله وزيره.

وفيها أمر المهدي بإطلاق من كان في سجن المنصور، إلا من كان قبله تباعة من دم أو قتل، ومن كان معروفا بالسعي في الأرض بالفساد، أو من كان لأحد قبله مظلمة أو حق، فأطلقوا، فكان ممن أطلق من المطبق يعقوب بن داود مولى بني سليم، وكان معه في ذلك الحبس محبوسا الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

وفيها حول المهدي الحسن بن إبراهيم من المطبق الذي كان فيه محبوسا إلى نصير الوصيف فحبسه عنده.

ذكر الخبر عن سبب تحويل المهدي الحسن بن إبراهيم من المطبق إلى نصير

ذكر أن السبب في ذلك، كان أن المهدي لما أمر بإطلاق أهل السجون.

على ما ذكرت، وكان يعقوب بن داود محبوسا مع الحسن بن إبراهيم في موضع واحد، فأطلق يعقوب بن داود، ولم يطلق الحسن بن إبراهيم، ساء ظنه، وخاف على نفسه، فالتمس مخرجا لنفسه وخلاصا، فدرس إلى بعض ثقاته،

فحفر له سربا من موضع مسامت للموضع الذي هو فيه محبوس، وكان يعقوب بن داود بعد أن أطلق يطيف بابن علاثة- وهو قاضي المهدي بمدينة السلام- ويلزمه، حتى أنس به، وبلغ يعقوب ما عزم عليه الحسن بن إبراهيم من الهرب، فأقن ابن علاثة، فأخبره أن عنده نصيحة للمهدي، وسأله إيصاله إلى أبي عبيد الله، فسأله عن تلك النصيحة، فأبى أن يخبره بها، وحذره فوثها، فانطلق ابن علاثة إلى أبي عبيد الله، فأخبره خبر يعقوب وما جاء به، فأمره بإدخاله عليه، فلما دخل عليه سأله إيصاله إلى المهدي، ليعلمه النصيحة التي له عنده، فأدخله عليه، فلما دخل على المهدي شكر له بلاءه عنده في إطلاقه إياه ومنه عليه، ثم أخبره أن له عنده نصيحة، فسأله عنها بمحض من أبي عبيد الله وابن علاثة، فاستخلاه منهما، فأعلمه المهدي ثقته بهما، فأبى أن يوح له بشيء حتى يقوما، فأقامهما وأخلاه، فأخبره خبر الحسن بن إبراهيم وما أجمع عليه، وأن ذلك كائن من ليلته المستقبلة، فوجه المهدي من يثق به ليأتيه بخبره، فأتاه بتحقيق ما أخبره به يعقوب، فأمر بتحويله إلى نصير، فلم يزل في حبسه إلى أن احتال واحتيل له، ففرج هاربا، وافتقد، فشاع خبره، فطلب فلم يظفر به، وتذكر المهدي دلالة يعقوب إياه كانت عليه، فرجا عنده من الدلالة عليه مثل الذي كان منه في أمره، فسأل أبا عبيد الله عنه فأخبره أنه حاضر- وقد كان لزم أبا عبيد الله- فدعا به المهدي خاليا، فذكر له ما كان من فعله في الحسن بن إبراهيم أولا، ونصحه له فيه، وأخبره بما حدث من أمره، فأخبره يعقوب أنه لا علم له بمكانه، وأنه إن أعطاه أمانا يثق به ضمن له أن يأتيه به، على أن يتم له على أمانه، ويصله ويحسن إليه فأعطاه المهدي ذلك في مجلسه وضمنه له فقال له يعقوب: فإله يا أمير المؤمنين عن ذكره، ودع طلبه، فإن ذلك يوحشه، ودعني وإياه حتى أحتال فأتيك به، فأعطاه المهدي ذلك.

وقال يعقوب: يا أمير المؤمنين، قد بسطت عدلك لرعيك، وأنصفتهم، وعممتهم بخيرك وفضلك، فعظم رجائهم، وانفسحت آمالهم، وقد بقيت أشياء لو ذكرت لك لم تدع النظر فيها بمثل ما فعلت في غيرها، وأشياء مع ذلك خلف بابك يعمل بها لا تعملها، فإن جعلت لي السبيل إلى الدخول عليك، وأذنت لي في رفعها إليك فعلت فأعطاه المهدي ذلك، وجعله إليه، وصير سليما الخادم الأسود خادم المنصور سببه في إعلام المهدي بمكانه كلما أراد الدخول، فكان يعقوب يدخل على المهدي ليلا، ويرفع إليه النصائح في الأمور الحسنة الجميلة من أمر الثغور وبناء الحصون وتقوية الغزاة وتزويج العزب، وفكك الأسارى والمحبيين والقضاء على الغارمين، والصدقة على المتعفين، فخطي بذلك عنده، وبما رجا أن يناله به من الظفر بالحسن بن إبراهيم، واتخذ أخا في الله، وأخرج بذلك توقيعا، وأثبت في الدواوين، فتسبب مائة ألف درهم كانت أول صلة وصله بها، فلم تزل منزلته تنمي وتعلو صعدا، إلى أن صير الحسن بن إبراهيم في يد المهدي بعد ذلك، وإلى أن سقطت منزلته، وأمر المهدي بحبسه، فقال علي بن الخليل في ذلك:

عجبا لتصرف الأمور ... مسرة وكراهية
والدهر يلعب بالرجال ... له دوائر جارية
رثت بيعقوب بن داود ... حبال معاوية
وعدت على ابن علاثة القاضي ... بوائق عافية
قل للوزير أبي عبيد الله: ... هل لك باقيه!
يعقوب ينظر في الأمور ... وأنت تنظر ناحيه
أدخلته فعلا عليك ... ، كذاك شؤم الناصيه

وفي هذه السنة عزل المهدي إسماعيل بن أبي اسماعيل عن الكوفة واحداها.

واختلف فيمن ولي مكانه، فقال بعضهم: ولي مكانه إسحاق بن الصباح الكندي ثم الأشعثي بمشورة شريك بن عبد الله قاضي الكوفة وقال عمر ابن شبة: ولي على الكوفة المهدي عيسى بن لقمان بن محمد بن حاطب ابن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، فولى على شرطه ابن أخيه عثمان بن سعيد بن لقمان ويقال: إن شريك بن عبد الله كان على الصلاة والقضاء، وعيسى على الأحداث، ثم أفرد شريك بالولاية، فجعل على شرطه إسحاق بن الصباح الكندي، فقال بعض الشعراء:

لست تعدو بأن تكون ولو نلت ... سهيلا صنيعة لشريك
قال: ويزعمون أن إسحاق لم يشكر لشريك، وأن شريكا قال له:

صلى وصام لدنيا كان يأملها ... فقد أصاب ولا صلى ولا صاما

وذكر عمر أن جعفر بن محمد قاضي الكوفة، قال: ضم المهدي إلى شريك الصلاة مع القضاء، وولى شرطه إسحاق بن الصباح، ثم ولي إسحاق بن الصباح الصلاة والأحداث بعد، ثم ولي إسحاق بن الصباح بن عمران ابن إسماعيل بن محمد بن الأشعث الكوفة، فولى شرطه النعمان بن جعفر الكندي، فمات النعمان، فولى على شرطه أخاه يزيد بن جعفر.

وفيها عزل المهدي عن أحداث البصرة سعيد بن دعلج، وعزل عن الصلاة والقضاء من أهلها عبيد الله بن الحسن، وولى مكانهما عبد الملك بن أيوب بن ظبيان النميري، وكتب إلى عبد الملك يأمره بإنصاف من تظلم

من أهل البصرة من سعيد بن دعلج، ثم صرفت الأحداث في هذه السنة عن عبد الملك بن أيوب إلى عمارة بن حمزة، فولاهما عمارة رجلا من أهل البصرة يقال له المسور بن عبد الله بن مسلم الباهلي، وأقر عبد الملك على الصلاة.

وفيها عزل قثم بن العباس عن اليمامة عن سخطه، فوصل كتاب عزله إلى اليمامة، وقد توفي فاستعمل مكانه بشر بن المنذر البجلي.

وفيها عزل يزيد بن منصور عن اليمن، واستعمل مكانه رجاء بن روح.

وفيها عزل الهيثم بن سعيد عن الجزيرة، واستعمل عليها الفضل بن صالح.

وفيها أعتق المهدي أم ولده الخيزران وتزوجها.

وفيها تزوج المهدي أيضا أم عبد الله بنت صالح بن علي، أخت الفضل وعبد الله ابني صالح لأمه.

وفيها وقع الحريق في ذي الحجة في السفن ببغداد عند قصر عيسى بن علي، فاحترق ناس كثير، واحترقت السفن بما فيها.

وفيها عزل مطر مولى المنصور عن مصر، واستعمل مكانه أبو ضمرة محمد بن سليمان.

وفيها كانت حركة من تحرك من بني هاشم وشيعتهم من أهل خراسان في خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، وتصيير ذلك لموسى بن المهدي، فلما تبين ذلك المهدي كتب - فيما ذكر - إلى عيسى بن موسى في القدوم عليه وهو بالكوفة، فأحس بالذي يراد به، فامتنع من القدوم عليه.

وقال عمر: لما أفضى الأمر إلى المهدي سأل عيسى أن يخرج من الأمر فامتنع عليه، فأراد الإضرار به، فولى على الكوفة روح بن حاتم بن قبيصة ابن المهلب، فولى على شرطه خالد بن يزيد بن حاتم، وكان المهدي يحب أن يحمل روح على عيسى بعض الحمل فيما لا يكون عليه به حجة، وكان لا يجد إلى ذلك سبيلا، وكان عيسى قد خرج إلى ضيعة له بالرحبة، فكان لا يدخل الكوفة إلا في شهرين من السنة في شهر رمضان، فيشهد الجمع

والعيد، ثم يرجع إلى ضيعته وفي أول ذي الحجة، فإذا شهد العيد رجع إلى ضيعته، وكان إذا شهد الجمعة أقبل من داره على دوابه حتى ينتهي إلى أبواب المسجد فينزل على عتبة الأبواب، ثم يصلي في موضعه، فكتب روح إلى المهدي أن عيسى بن موسى لا يشهد الجمع، ولا يدخل الكوفة إلا في شهرين من السنة، فإذا حضر أقبل على دوابه حتى يدخل رحبة المسجد، وهو مصلي الناس، ثم يتجاوزها إلى أبواب المسجد، فتروث دوابه في مصلي الناس، وليس يفعل ذلك غيره، فكتب إليه المهدي أن اتخذ على أفواه السكك التي تلي المسجد خشبا ينزل عنده الناس، فاتخذ روح ذلك الخشب في أفواه السكك - فذلك الموضع يسمى الخشبة - وبلغ ذلك عيسى بن موسى قبل يوم الجمعة، فأرسل إلى ورثة المختار بن أبي عبيده - وكانت دار المختار لزيعة المسجد، فابتاعها وأثن بها، ثم أنه عمرها واتخذ فيها حماما،

فكان إذا كان يوم الخميس أتاها فأقام بها، فإذا أراد الجمعة ركب حمارا فذب به إلى باب المسجد فصلى في ناحية، ثم رجع إلى داره ثم أوطن الكوفة وأقام بها، وألح المهدي على عيسى فقال: إنك إن لم تجبني إلى أن تتخلع منها حتى أبايع لموسى وهارون استحللت منك بمعصيتك ما يستحل من العاصي، وإن أجبتني عوضتك منها ما هو أجدى عليك وأعجل نفعا فأجابه، فبايع لهما وأمر له بعشرة آلاف ألف درهم- ويقال عشرين ألف ألف- وقطائع كثيرة.

وأما غير عمر فإنه قال: كتب المهدي إلى عيسى بن موسى لما هم بخلعه يأمره بالقدوم عليه، فأحس بما يراد به، فامتنع من القدوم عليه، حتى خيف انتقاضه، فأنفذ إليه المهدي عمه العباس بن محمد، وكتب إليه كتابا، وأوصاه بما أحب أن يبلغه، فقدم العباس على عيسى بكتاب المهدي ورسالته إليه، فانصرف إلى المهدي بجوابه في ذلك، فوجه إليه بعد قدوم العباس عليه محمد بن فروخ أبا هريرة القائد في ألف رجل من أصحابه

من ذوي البصيرة في التشيع، وجعل مع كل رجل منهم طبلا، وأمرهم أن يضربوا جميعا بطبولهم عند قدومهم الكوفة، فدخلها ليلا في وجه الصبح، فضرب أصحابه بطبولهم، فراح ذلك عيسى بن موسى روعا شديدا، ثم دخل عليه أبو هريرة، فأمره بالشخص، فاعتل بالشكوى فلم يقبل ذلك منه، وأشخصه من ساعته إلى مدينة السلام.

وجع بالناس في هذه السنة يزيد بن منصور- خال المهدي- عند قدومه من اليمن، فحدثني بذلك أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر كذلك قال محمد بن عمر الواقدي وغيره وكان انصراف يزيد بن منصور من اليمن بكتاب المهدي إليه يأمره بالانصراف إليه وتوليته إياه الموسم وإعلامه اشتياقه إليه وإلى قربه.

وكان أمير المدينة في هذه السنة عبيد الله بن صفوان الجمحي، وعلى صلاة الكوفة وأحداثها إسحاق بن الصباح الكندي، وعلى خراجها ثابت ابن موسى، وعلى قضائها شريك بن عبد الله، وعلى صلاه البصرة عبد الملك ابن أيوب بن ظبيان النخيري، وعلى أحداثها عمارة بن حمزة، وخليفته على ذلك المسور بن عبد الله بن مسلم الباهلي، وعلى قضائها عبيد الله بن الحسن.

وعلى كور دجلة وكور الأهواز وكور فارس عمارة بن حمزة وعلى السند بسطام بن عمرو، وعلى اليمن رجاء بن روح وعلى اليمامة بشر بن المنذر، وعلى خراسان أبو عون عبد الملك بن يزيد، وعلى الجزيرة الفضل بن صالح، وعلى إفريقية يزيد بن حاتم، وعلى مصر محمد بن سليمان أبو ضمرة.

٨٠١٤ سنة ستين ومائه

٨٠١٤٠١ ذكر خروج يوسف البرم

٨٠١٤٠٢ ذكر خبر خلع عيسى بن موسى وبيعه موسى الهادي

ثم دخلت

سنة ستين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر خروج يوسف البرم

٤ فمن ذلك ما كان من خروج يوسف بن إبراهيم، وهو الذي يقال له يوسف البرم بخراسان منكرا هو ومن تبعه ممن كان على رأيه على المهدي- فيما زعم- الحال التي هو بها وسيرته التي يسير بها، واجتمع معه- فيما ذكر- بشر من الناس كثير، فتوجه إليه يزيد بن مزيد فلقيه، واقتلا حتى صارا إلى المعانقة فأسره يزيد، وبعث به إلى المهدي، وبعث معه من وجوه أصحابه بعدة، فلما انتهى بهم إلى النهروان حمل يوسف البرم على بعير قد حول وجهه إلى ذنب البعير وأصحابه على بعير، فأدخلوهم الرصافة على تلك الحال، فأدخلوه على المهدي، فأمر هرثمة بن أعين فقطع يدي يوسف ورجليه، وضرب عنقه وعنق أصحابه، وصلبهم على جسر دجلة الأعلى، مما يلي عسكر المهدي، وإنما أمر هرثمة بقتله، لأنه كان قتل أخا لهرثمة بخراسان

. ذكر خبر خلع عيسى بن موسى وبيعه موسى الهادي

وفيها قدم عيسى بن موسى مع أبي هريرة يوم الخميس لست خلون من المحرم- فيما ذكر- الفضل بن سليمان فنزل دارا كانت لمحمد بن سليمان على شاطئ دجلة في عسكر المهدي، فأقام أياما يختلف إلى المهدي، ويدخل مدخله الذي كان يدخله، لا يكلم بشيء، ولا يرى جفوة ولا مكروها ولا تقصيرا به، حتى أنس به بعض الأنس، ثم حضر الدار يوما قبل جلوس المهدي، فدخل مجلسا كان يكون للربيع في مقصورة صغيرة، وعليها باب، وقد اجتمع رؤساء الشيعة في ذلك اليوم على خلعه والوثوب عليه، ففعلوا ذلك وهو في المقصورة التي فيها مجلس الربيع، فأغلق دونهم المقصورة، فضربوا الباب بجرزهم وعمدهم، فهشموا الباب، وكادوا يكسرونه، وشتوه أقبح الشتم، وحصروه هنالك، وأظهر المهدي إنكارا لما فعلوا، فلم يردعهم ذلك عن فعلهم، بل شدوا في أمره، وكانوا بذلك هو وهم أياما، إلى أن كاشفه ذوو الأسنان من أهل بيته بحضرة المهدي، فأبوا إلا خلعه، وشتوه في وجهه، وكان أشدهم عليه محمد بن سليمان.

فلما رأى المهدي ذلك من رأيهم وكراهتهم لعيسى وولايته، دعاهم إلى العهد لموسى، فصار إلى رأيهم وموافقتهم، وألح على عيسى في إجابته وإياهم إلى الخروج مما له من العهد في أعناق الناس وتحليلهم منه، فأبى، وذكر أن عليه أيمانا محرجة في ماله وأهله، فأحضر له من الفقهاء والقضاة عدة، منهم محمد بن عبد الله بن علاثة والزنجي بن خالد المكي وغيرهما، فاتوه بما رأوا، وصار إلى المهدي ابتياع ماله من البيعة في أعناق الناس بما يكون له فيه رضا وعوض، مما يخرج له من ماله لما يلزمه من الخنث في يمينه، وهو عشرة آلاف ألف درهم، وضياع بالزباب الأعلى وكسكر فقبل ذلك عيسى، وبقي منذ فاضله المهدي على الخلع إلى أن أجاب محتسبا عنده في دار الديوان من الرصافة إلى أن صار إلى الرضا بالخلع والتسليم، وإلى أن خلع يوم الأربعاء لأربع بقين من المحرم بعد صلاة العصر، فباع للمهدي ولموسى من بعده من الغد يوم الخميس لثلاث بقين من المحرم لارتفاع النهار ثم أذن المهدي لأهل بيته، وهو في قبة كان محمد بن سليمان أهداها له مضروبة في صحن الأبواب، ثم أخذ بيعتهم رجلا رجلا لنفسه ولموسى بن المهدي من بعده، حتى أتى إلى آخرهم. ثم خرج إلى مسجد الجماعة بالرصافة فقعده على المنبر، وصعد موسى حتى كأنه دونه وقام عيسى على أول عتبة من المنبر، فحمد الله المهدي وأثنى عليه، وصلى على النبي ص، وأخبر بما أجمع عليه أهل بيته وشيعته وقواده وأنصاره وغيرهم من أهل خراسان من خلع عيسى بن موسى وتصيير الأمر الذي كان عقد له في أعناق الناس لموسى بن أمير المؤمنين، لاختيارهم له ورضاهم به، وما رأى من إجابتهم إلى ذلك، لما رجا من مصلحتهم وألفتهم، وخاف مخالفتهم في نياتهم واختلاف كلمتهم، وأن عيسى قد

خلع تقدمه، وحللهم مما كان له من البيعة في أعناقهم، وأن ما كان له من ذلك فقد صار لموسى بن أمير المؤمنين، بعقد من أمير المؤمنين وأهل بيته وشيعته في ذلك، وأن موسى عامل فيهم بكتاب الله وسنه نبيه ص بأحسن السيرة وأعدلها، فباعوا معشر من حضر، وسارعوا إلى ما سارع إليه غيركم، فإن الخير كله في الجماعة، والشر كله في الفرقة وأنا أسأل الله لنا ولكم التوفيق برحمته، والعمل بطاعته وما يرضيه، وأستغفر الله لي ولكم وجلس موسى دونه معتزلا للمنبر، لئلا يحول بينه وبين من صعد إليه، يبايعه ويمسح على يده، ولا يستر وجهه، وثبت عيسى قائما في مكانه، وقرأ عليه كتاب ذكر الخلع له، وخروجه مما كان إليه من ولاية العهد وتحليله جماعة من كان له في عنقه بيعة، مما عقدوا له في أعناقهم، وأن ذلك من فعله وهو طائع غير مكروه، راض غير ساخط، محب غير مجبر فأقر عيسى بذلك، ثم صعد فباع المهدي، ومسح على يده، ثم انصرف، وباع أهل بيت المهدي على أسنانهم، يبايعون المهدي ثم موسى، ويمسحون على أيديهما، حتى فرغ آخرهم، وفعل من حضر من أصحابه ووجوه القواد والشيعة مثل ذلك، ثم نزل المهدي، فصار إلى منزله، ووكل ببيعته من بقي من الخاصة والعامة خاله يزيد بن منصور، فتولى ذلك حتى فرغ من جميع الناس، ووفى المهدي لعيسى بما أعطاه وأرضاه مما خلعه منه من ولاية العهد، وكتب عليه بخلعه إياه كتابا أشهد عليه فيه جماعة أهل بيته وصحابته وجميع شيعته وكتابه وجنده في الدواوين، ليكون حجة على عيسى، وقطعا لقوله ودعواه فيما خرج منه.

وهذه نسخة الشرط الذي كتبه عيسى على نفسه:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين ولولي عهد المسلمين موسى بن المهدي، ولأهل بيته وجميع قواده

وجنوده من أهل خراسان وعامة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وحيث كان كائن منهم، كتبته للمهدي محمد أمير المؤمنين، وولي عهد المسلمين موسى بن محمد ابن عبد الله بن محمد بن علي، فيما جعل إليه من العهد إذ كان إلي، حتى اجتمعت كلمة المسلمين، واتسق أمرهم، واثقلت أهواؤهم، على الرضا بولاية موسى بن المهدي

محمد أمير المؤمنين، وعرفت الخط في ذلك علي والخط فيه لي، ودخلت فيما دخل فيه المسلمون من الرضا بموسى بن أمير المؤمنين، والبيعة له، والخروج مما كان لي في رقابهم من البيعة، وجعلتكم في حل من ذلك وسعة، من غير حرج يدخل عليكم، أو على أحد من جماعتكم وعامة المسلمين، وليس في شيء من ذلك، قديم ولا حديث لي دعوى ولا طلب ولا حجة ولا مقالة ولا طاعة على أحد منكم، ولا على عامة المسلمين ولا بيعة في حياة المهدي محمد أمير المؤمنين ولا بعده ولا بعد ولي عهد المسلمين موسى، ولا ما كنت حيا حتى أموت وقد بايعت لمحمد المهدي أمير المؤمنين وموسى بن أمير المؤمنين من بعده، وجعلت لهما ولعامة المسلمين من أهل خراسان وغيرهم الوفاء بما شرطت على نفسي في هذا الأمر الذي خرجت منه، والتام عليه علي بذلك عهد الله وما اعتقد أحد من خلقه من عهد أو ميثاق أو تغليظ أو تأكيد على السمع والطاعة والنصيحة للمهدي محمد أمير المؤمنين وولي عهده موسى ابن أمير المؤمنين، في السر والعلانية، والقول والفعل، والنيه والشده والرجاء والسراء والضراء والموالة لهما ولمن والاهما، والمعادة لمن عاداهما، كائنا من كان في هذا الأمر الذي خرجت منه فإن أنا نكبت أو غيرت أو بدلت أو دغلت أو نويت غير ما أعطيت عليه هذه الأيمان، أو دعوت إلى خلاف شيء مما حملت على نفسي في هذا الكتاب للمهدي محمد أمير المؤمنين ولولي عهده موسى ابن أمير المؤمنين ولعامة المسلمين، أو لم أف بذلك، فكل زوجة عندي يوم كتبت هذا الكتاب- أو أتزوجها إلى ثلاثين سنة- طالق ثلاثا ألبة طلاق الحرج وكل مملوك عندي اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة أحرار لوجه الله، وكل مال لي نقد أو عرض أو قرض أو أرض، أو قليل أو كثير، تالد أو طارف أو أستفيده فيما بعد اليوم إلى ثلاثين سنة صدقة على المساكين، يضع ذلك

الوالي حيث يرى، وعلي من مدينة السلام المشي حافيا إلى بيت الله العتيق الذي بمكة نذرا واجبا ثلاثين سنة، لا كفارة لي ولا مخرج منه، إلا الوفاء به.

والله على الوفاء بذلك راع كفيل شهيد، وكفى بالله شهيداً* وشهد على عيسى ابن موسى باقراره بما في هذا الشرط أربعمئة وثلاثون من بني هاشم ومن الموالي والصحابة من قريش والوزراء والكتاب والقضاة.

وكتب في صفر سنة ستين ومائة وختم عيسى بن موسى.

فقال بعض الشعراء:

كره الموت أبو موسى وقد ... كان في الموت نجاء وكرم

خلع الملك وأضحى ملبسا ... ثوب لوم ما ترى منه القدم

وفي سنة ستين ومائة وافى عبد الملك بن شهاب المسمعي مدينة باربد بمن توجه معه من المطوعة وغيرهم، فناهضوها بعد قدومهم بيوم، وأقاموا عليها يومين، فنصبوا المنجنيق وناهضوها بجميع الآلة، وتحاشد الناس، وحض بعضهم بعضا بالقرآن والتذكير، ففتحها الله عليهم عنوة، ودخلت خيلهم من كل ناحية، حتى ألجئهم إلى بدهم، فأشعلوا فيها النيران والنفط، فاحترق منهم من احترق، وجاهد بعضهم المسلمين، فقتلهم الله أجمعين، واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون رجلا، وأفاءها الله عليهم وهاج البحر فلم يقدرُوا على ركوبه والانصراف، فأقاموا إلى أن يطيب، فأصابهم في أفواههم داء يقال له حمام قر، فمات نحو من ألف رجل، منهم الربيع بن صبيح ثم انصرفوا لما أمكنهم الانصراف حتى بلغوا ساحلا من فارس، يقال له بحر حمران، فعصفت عليهم فيه الريح ليلا، فكسرت عامة مراكبهم، فغرق منهم بعض ونجا بعض، وقدموا معهم بسبي من سبيهم- فيهم بنت ملك باربد- على محمد بن سليمان، وهو يومئذ والي البصرة.

وفيها صير أبان بن صدقة كاتباً لهارون بن المهدي ووزيرا له.

وفيها عزل أبو عون عن خراسان عن سخطه، وولي مكانه معاذ بن مسلم

٨٠١٤٠٣ ذكر خبر رد نسب آل بكره وآل زياد

وفيها غزا ثمامة بن الوليد العباسي الصائفة.

وفيها غزا الغمر بن العباس الخثعمي بحر الشام.

ذكر خبر رد نسب آل بكره وآل زياد

وفيها رد المهدي آل بكره من نسبهم في ثقيف إلى ولاء رسول الله ص، وكان سبب ذلك أن رجلا من آل أبي بكره رفع ظلالة إلى المهدي، وتقرب إليه فيها بولاء رسول الله ص، فقال المهدي: أن هذا نسب واعتزاء، ما تقرون به إلا عند حاجة تعرض لكم، وعند اضطراركم إلى التقرب به إلينا فقال الحكم: يا أمير المؤمنين، من جحد ذلك فإننا سنقر، أنا أسألك أن تردني ومعرش آل أبي بكره إلى نسبنا من ولاء رسول الله ص، وتأمر بآل زياد بن عبيد فيخرجوا من نسبهم الذي ألحقهم به معاوية رغبة [عن قضاء رسول الله ص: إن الولد للفراش وللعاهر الحجر] فيردوا إلى نسبهم من عبيد في موالي ثقيف فأمر المهدي في آل أبي بكره وآل زياد أن يرد كل فريق منهم إلى نسبه، وكتب إلى محمد بن سليمان كتابا وأمره أن يقرأ في مسجد الجماعة على الناس، وأن يرد آل أبي بكره إلى ولائهم من رسول الله ص ونسبهم إلى نفع ابن مسروح، وأن يرد على من أقر منهم ما أمر برده عليهم من أموالهم بالبصرة مع نظرائهم، ممن أمر برده ماله عليه، والا يرد على من أنكر منهم، وأن يجعل الممتحن منهم والمستبرئ لما عندهم الحكم بن سمرقند فأنفذ محمد ما أتاه في آل أبي بكره إلا في أناس منهم غيب عنهم.

وأما آل زياد فإنه مما قوى رأي المهدي فيهم- فيما ذكر علي بن سليمان- أن أباه حدثه، قال: حضرت المهدي وهو ينظر في المظالم إذ قدم عليه رجل من آل زياد يقال له الصغدي بن سلم بن حرب، فقال له: من أنت؟

قال: ابن عمك، قال: أي ابن عمي أنت؟ فانتسب إلى زياد، فقال له المهدي: يا بن سمية الزانية، متى كنت ابن عمي! وغضب وأمر به فوجئ في عنقه، وأخرج، ونهض الناس

٨٠١٤٠٤ نسخه كتاب المهدي إلى والي البصرة في رد آل زياد إلى نسبهم

قال: فلما خرجت لحقني عيسى بن موسى- أو موسى بن عيسى- فقال: أردت والله أن أبعث إليك، أن أمير المؤمنين التفت إلينا بعد خروجك، فقال: من عنده علم من آل زياد؟ فوالله ما كان عند أحد منا من ذاك شيء، فما عندك يا أبا عبد الله؟ فما زلت أحدثه في زياد وآل زياد حتى صرنا إلى منزله بباب المحول، فقال: أسألك بالله والرحم لما كتبت لي هذا كله حتى أروح به إلى أمير المؤمنين، وأخبره عنك فأنصرفت فكتبت، وبعثت به إليه فراح إلى المهدي، فأخبره، فأمر المهدي بالكتاب إلى هارون الرشيد، وكان والي البصرة من قبله يأمره أن يكتب إلى واليها يأمره أن يخرج آل زياد من قریش وديوانهم والعرب، وأن يعرض ولد أبي بكره على ولاء رسول الله ص، فمن أقر منهم ترك ماله في يده، ومن انتهى إلى ثقيف اصطفى ماله.

فعرضهم، فأقروا جميعا بالولاء، إلا ثلاثة نفر، فاصطفيت أموالهم.

ثم إن آل زياد بعد ذاك رشوا صاحب الديوان حتى ردهم إلى ما كانوا عليه، فقال خالد النجار في ذلك:

إن زيادا ونافعا وأبا ... بكره عندي من أعجب العجب

ذا قرشي كما يقول، وذا ... مولى، وهذا- بزعمه- عربي

نسخة كتاب المهدي إلى والي البصرة في رد آل زياد إلى نسبهم

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإن أحق ما حمل عليه ولادة المسلمين أنفسهم وخواصهم وعوامهم في أمورهم وأحكامهم، العمل بينهم بما في كتاب الله والاتباع لسنة رسول الله ص، والصبر على ذلك، والمواظبة عليه، والرضا به فيما وافقهم وخالفهم، للذي فيه من إقامة حدود الله ومعرفة حقوقه، واتباع مرضاته، وإحراز جزائه وحسن ثوابه، ولما في مخالفة ذلك والصدود عنه وغلبة الهوى لغيره من

الضلال والخسار في الدنيا والآخرة.

وقد كان من رأي معاوية بن أبي سفيان في استلحاقه زياد بن عبيد عبد آل علاج من ثقيف، وادعائه ما أباه بعد معاوية عامة المسلمين وكثير

منهم في زمانه، لعلمهم بزياد وأبي زياد وأمه من اهل الرضا والفضل والورع والعلم، ولم يدع معاوية إلى ذلك ورع ولا هدى، ولا اتباع سنة هادية، ولا قدوة من أئمة الحق ماضية، إلا الرغبة في هلاك دينه وآخرته، والتصميم على مخالفة الكتاب والسنة والعجب بزياد في جلده ونفاذه، وما رجا من معونته وموازرته إياه على باطل ما كان يركن إليه في سيرته وآثاره وأعماله الخبيثة.

[وقد قال رسول الله ص: الولد للفراش وللعاهر الحجر،] [وقال:

من ادعى إلى غير أبيه أو انتفى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه لا صرفا ولا عدلا]. ولعمري ما ولد زياد في حجر أبي سفيان ولا على فراشه، ولا كان عبيد عبدا لأبي سفيان، ولا سمية أمة له، ولا كانا في ملكه، ولا صارا إليه لسبب من الأسباب ولقد قال معاوية فيما يعلمه أهل الحفظ للأحاديث عند كلام نصر بن الحجاج بن علاط السلمي ومن كان معه من موالي بني المغيرة الخزوميين وإرادتهم استلحاقه وإثبات دعوته، وقد أعد لهم معاوية حجرا تحت بعض فرشه فألقاه إليهم، فقالوا له: نسوخ لك ما فعلت في زياد، ولا تسوخ لنا ما فعلنا في صاحبنا، فقال: قضاء رسول الله ص خير لكم من قضاء معاوية نخالف معاوية بقضائه في زياد واستلحاقه إياه وما صنع فيه وأقدم عليه، أمر الله جل وعز وقضاء رسول الله ص واتبع في ذلك هواه رغبة عن الحق ومجانبة له، وقد قال الله عز وجل:

«وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»، وقال لداود ص وقد أتاها الحكم والنبوة والمال والخلافة: «يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ» الآية إلى آخرها.

فأمير المؤمنين يسأل الله أن يعصم له نفسه ودينه، وأن يعيده من غلبة الهوى، ويوفقه في جميع الأمور لما يحب ويرضى، إنه سميع قريب وقد رأى أمير المؤمنين أن يرد زيادا ومن كان من ولده إلى أهم ونسبهم المعروف ويلحقهم بأبيهم عبيد، وأهم سمية، ويتبع في ذلك قول رسول الله ص، وما أجمع عليه الصالحون وأئمة الهدى، ولا يجيز لمعاوية ما أقدم عليه مما يخالف كتاب الله وسنه رسوله ص، وكان أمير المؤمنين أحق من أخذ بذلك وعمل به، لقربته من رسول الله ص واتباعه آثاره وإحيائه سنته، وإبطاله سنن غيره الزائغة الجائرة عن الحق والهدى.

وقد قال الله جل وعز: «فَإِذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ».

فاعلم أن ذلك من رأي أمير المؤمنين في زياد، وما كان من ولد زياد فألحقهم بأبيهم زياد بن عبيد، وأهم سمية، واحملهم عليه، وأظهره لمن قبلك من المسلمين حتى يعرفوه ويستقيم فيهم، فإن أمير المؤمنين قد كتب إلى قاضي البصرة وصاحب ديوانهم بذلك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكتب معاوية بن عبيد الله في سنة تسع وخمسين ومائة فلما وصل الكتاب إلى محمد بن سليمان وقع بانقاذه، ثم كلم فيهم، فكف عنهم، وقد كان كتب إلى عبد الملك بن أيوب بن ظبيان النخعي بمثل ما كتب به إلى محمد، فلم ينفذه لموضعه من قيس، وكرهته أن يخرج أحد من قومه إلى غيرهم.

وفيها كانت وفاة عبيد الله بن صفوان الجمحي، وهو وال على المدينة، فولى مكانه محمد بن عبد الله الكثيري، فلم يلبث إلا يسيرا حتى عزل وولى مكانه زفر بن عاصم الهلالي وولى المهدي قضاء المدينة فيها عبد الله بن محمد بن عمران الطلحي.

وفيها خرج عبد السلام الخارجي، فقتل.

وفيها عزل بسطام بن عمرو عن السند، واستعمل عليها روح بن حاتم.

وجج بالناس في هذه السنة المهدي، واستخلف على مدينته حين شخص

عنها ابنه موسى، وخلف معه يزيد بن منصور خال المهدي وزيرا له ومدبرا لأمره.

وشخص مع المهدي في هذه السنة ابنه هارون وجماعة من أهل بيته، وكان ممن شخص معه يعقوب بن داود، على منزلته التي كانت له عنده، فأتاه حين وافى مكة الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن الذي استأمن له يعقوب من المهدي على أمانة، فأحسن المهدي صلته وجائزته، وأقطعه مالا من الصوافي بالحجاز.

وفيها نزع المهدي كسوة الكعبة التي كانت عليها، وكساها كسوة جديدة، وذلك أن حجة الكعبة- فيما ذكر- رفعوا إليه أنهم يخافون على الكعبة أن تهدم لكثرة ما عليها من الكسوة، فأمر أن يكشف عنها ما عليها من الكسوة حتى بقيت مجردة، ثم طلى البيت كله بالخلوق، وذكر أنهم لما بلغوا إلى كسوة هشام وجدوها ديباجا ثخيناً جيداً، ووجدوا كسوة من كان قبله عامتها من متاع اليمن.

وقسم المهدي في هذه السنة بمكة في أهلها- فيما ذكر- مالا عظيماً، وفي أهل المدينة كذلك، فذكر أنه نظر فيما قسم في تلك السفرة فوجد ثلاثين ألف ألف درهم، حملت معه، ووصلت إليه من مصر ثلاثمائة ألف دينار، ومن اليمن مائتا ألف دينار، فقسم ذلك كله وفرق من الثياب مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب، ووسع في مسجد رسول الله ص، وأمر بنزع المقصورة التي في مسجد الرسول ص فنزعت، وأراد أن ينقص منبر رسول الله ص فيعيده إلى ما كان عليه، ويلقي منه ما كان معاوية زاد فيه، فذكر عن مالك بن أنس أنه شاور في ذلك، فقيل له: إن المسامير قد سلكت في الخشب الذي أحدثه معاوية، وفي الخشب الأول وهو عتيق، فلا نأمن إن خرجت المسامير التي فيه وزعزعت أن يتكسر، فتركه المهدي.

وامر أيام مقامه بالمدينة باثبات خمسمائة رجل من الأنصار ليكونوا معه حرساً له بالعراق وأنصاراً، وأجرى عليهم أرزاقاً سوى أعطياتهم، وأقطعهم عند قدومهم معه ببغداد قطيعة تعرف بهم وتزوج في مقامه بها بريقة بنت عمرو العثمانية.

وفي هذه السنة حمل محمد بن سليمان الثلج للمهدي، حتى وافى به مكة، فكان المهدي أول من حمل له الثلج إلى مكة من الخلفاء. وفيها رد المهدي على أهل بيته وغيرهم قطائعهم التي كانت مقبوضة عنهم وكان على صلاة الكوفة وأحداثها في هذه السنة إسحاق بن الصباح الكندي، وعلى قضائها شريك وعلى البصرة وأحداثها وأعمالها المفردة وكور دجلة والبحرين وعمان وكور الأهواز وفارس محمد بن سليمان وكان على قضاء البصرة فيها عبيد الله بن الحسن وعلى خراسان معاذ بن مسلم، وعلى الجزيرة الفضل بن صالح، وعلى السند روح بن حاتم وعلى إفريقية يزيد بن حاتم وعلى مصر محمد بن سليمان أبو ضمرة.

٨٠١٥ سنه احدى وستين ومائه

ثم دخلت

سنة إحدى وستين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فما كان من ذلك خروج حكيم المقنع بخراسان من قرية من قرى مرو، وكان- فيما ذكر- يقول بتناسخ الأرواح، يعود ذلك إلى نفسه، فاستغوى بشراً كثيراً، وقوي وصار إلى ما وراء النهر، فوجه المهدي لقتاله عدة من قواده، فيهم معاذ بن مسلم، وهو يومئذ على خراسان، ومعه عقبة بن مسلم وجبرئيل بن يحيى وليث مولى المهدي، ثم أفرد المهدي لمحاربتة سعيداً الحرشي، وضم إليه القواد، وابتدأ المقنع بجمع الطعام عدة للحصار في قلعة بكش.

وفيها ظفر نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي بعبد الله بن مروان بالشام، فقدم به على المهدي قبل أن يوليه السند، فحبسه المهدي في المطبق، فذكر أبو الخطاب أن المهدي أتى بعبد الله بن مروان بن محمد- وكان يكنى أبا الحكم- فجلس المهدي مجلساً عاماً في الرصافة، فقال: من يعرف هذا؟ فقال عبد العزيز بن مسلم العقيلي، فصار معه قائماً، ثم قال له: أبو الحكم؟ قال: نعم ابن أمير المؤمنين قال: كيف كنت بعدي؟ ثم التفت إلى المهدي، فقال:

نعم يا أمير المؤمنين، هذا عبد الله بن مروان فعجب الناس من جرأته، ولم يعرض له المهدي بشيء.

قال: ولما حبس المهدي عبد الله بن مروان احتيل عليه، فجاء عمرو بن سهلة الأشعري فادعى أن عبد الله بن مروان قتل أباه، فقدمه

إلى عافية القاضي، فتوجه عليه الحكم أن يقاد به، واقام عليه البيه، فلما كاد الحكم يرم جاء عبد العزيز بن مسلم العقيلي إلى عافية القاضي يتخطى رقاب الناس، حتى صار إليه، فقال: يزعم عمرو بن سهلة أن عبد الله بن مروان قتل أباه، كذب والله ما قتل أباه غيري، أنا قتلته بأمر

مروان، وعبد الله بن مروان من دمه بريء فزالت عن عبد الله بن مروان، ولم يعرض المهدي لعبد العزيز بن مسلم لأنه قتله بأمر مروان.

وفيها غزا الصائفة ثمانية بن الوليد، فنزل دابق، وجاشت الروم وهو مغتر، فأنت طلائعه وعيونه بذلك، فلم يحفل بما جاءوا به، وخرج إلى الروم، وعليها ميخائيل بسرعان الناس، فأصيب من المسلمين عدة، وكان عيسى بن علي مرابطا بحصن مرعش يومئذ، فلم يكن للمسلمين في ذلك العام صائفة من أجل ذلك.

وفيها أمر المهدي ببناء القصور في طريق مكة أوسع من القصور التي كان أبو العباس بناها من القادسية إلى زباله، وأمر بالزيادة في قصور أبي العباس، وترك منازل أبي جعفر التي كان بناها على حالها، وأمر باتخاذ المصانع في كل منهل، وبتجديد الأميال والبرك، وحفر الركيا مع المصانع، وولى ذلك يقطين بن موسى، فلم يزل ذلك إليه إلى سنة إحدى وسبعين ومائة، وكان خليفة يقطين في ذلك أخوه أبو موسى.

وفيها أمر المهدي بالزيادة في مسجد الجامع بالبصرة، فزيد فيه من مقدمه مما يلي القبلة، وعن يمينه مما يلي رحبة بني سليم، وولى بناء ذلك محمد بن سليمان وهو يومئذ والي البصرة.

وفيها أمر المهدي بنزع المقاصير من مساجد الجماعات وتقصير المنابر وتصييرها إلى المقدار الذي عليه منبر رسول الله ص، وكتب بذلك إلى الآفاق فعمل به.

وفيها أمر المهدي يعقوب بن داود بتوجيه الأمان في جميع الآفاق، فعمل به، فكان لا ينفذ للمهدي كتاب إلى عامل فيجوز حتى يكتب يعقوب بن داود إلى أمينه وثقته بإنفاذ ذلك.

وفيها اتضعت منزلة أبي عبيد الله وزير المهدي، وضم يعقوب إليه من متفقهة البصرة وأهل الكوفة وأهل الشام عددا كثيرا، وجعل رئيس البصريين والقائم بأمرهم إسماعيل بن علي الأسدي ومحمد بن ميمون العنبري، وجعل رئيس أهل الكوفة وأهل الشام عبد الأعلى بن موسى الحلبي.

٨٠١٥٠١ ذكر السبب الذي من أجله تغيرت منزلة أبي عبيد الله عند المهدي

ذكر السبب الذي من أجله تغيرت منزلة أبي عبيد الله عند المهدي

قد ذكرنا سبب اتصاله به الذي كان قبل في أيام المنصور وضم المنصور إياه إلى المهدي حين وجهه إلى الري عند خلع عبد الجبار بن عبد الرحمن المنصور، فذكر أبو زيد عمر بن شبة، أن سعيد بن إبراهيم حدثه أن جعفر بن يحيى حدثه أن الفضل بن الربيع أخبره، أن الموالي كانوا يشنعون على أبي عبيد الله عند المهدي، ويسعون عليه عنده، فكانت كتب أبي عبيد الله تنفذ عند المنصور بما يريد من الأمور، وتتخلى الموالي بالمهدي، فيبلغونه عن أبي عبيد الله، ويحرضونه عليه.

قال الفضل: وكانت كتب أبي عبيد الله تصل إلى أبي تترى، يشكو الموالي وما يلقي منهم، ولا يزال يذكره عند المنصور ويخبره بقيامه، ويستخرج الكتب عنه إلى المهدي بالوصاية به، وترك القبول فيه قال: فلما رأى أبو عبيد الله غلبة الموالي على المهدي، وخلوتهم به نظر إلى أربعة رجال من قبائل شتى من أهل الأدب والعلم، فضمهم إلى المهدي، فكانوا في صحبته، فلم يكونوا يدعون الموالي يتخلون به. ثم إن أبا عبيد الله كلم المهدي في بعض أمره إذ اعترض رجل من هؤلاء الأربعة في الأمر الذي تكلم فيه، فسكت عنه أبو عبيد الله، فلم يراده، وخرج فأمر أن يحجب عن المهدي فحجبه عنه، وبلغ ذلك من خبره أبي.

قَالَ: وَجَّهَ أَبِي مع المنصور في السنة التي مات فيها، وقام أَبِي من أمر المهدي بما قام به من أمر البيعة وتجديدها على بيت المنصور والقواد والموالي، فلما قدم تلقيته بعد المغرب، فلم أزل معه حتى تجاوز منزله، وترك دار المهدي، ومضى إلى أَبِي عبيد الله، فقال: يا بني، هو صاحب الرجل، وليس ينبغي أن نعامله على ما كنا نعامله عليه، ولا أن نحاسبه بما كان منا في أمره من نصرتنا له قَالَ: فضينا حتى أتينا باب أَبِي عبيد الله، فما زال واقفا حتى صليت

العتمة، فخرج الحاجب، فقال: ادخل، فثنى رجله وثنيت رجلي قَالَ: إنما استأذنت لك يا أبا الفضل وحدك قَالَ: اذهب فأخبره أن الفضل معي.

قَالَ: ثم أقبل علي، فقال: وهذا أيضا من ذلك! قَالَ: فخرج الحاجب، فأذن لنا جميعا، فدخلنا أنا وأبي، وأبو عبيد الله في صدر المجلس، على مصلى متكئ على وسادة، فقلت: يقوم إلى أَبِي إذا دخل إليه، فلم يقم إليه، فقلت: يستوي جالسا إذا دنا، فلم يفعل، فقلت: يدعو له بمصلى، فلم يفعل، فقعد أَبِي بين يديه على البساط وهو متكئ، فجعل يسأله عن مسيره وسفره وحاله، وجعل أَبِي يتوقع أن يسأله عما كان منه في أمر المهدي وتجديد بيعته، فأعرض عن ذلك، فذهب أَبِي يبتدئه بذكره، فقال: قد بلغنا نبؤكم، قَالَ: فذهب أَبِي لينهض، فقال: لا أرى الدروب إلا وقد غلقت، فلو أقت! قَالَ: فقال أَبِي: إن الدروب لا تغلق دوني، قَالَ: بلى قد أغلقت قَالَ: فظن أَبِي أنه يريد أن يحتبسه ليسكن من مسيره، ويريد أن يسأله، قَالَ: فأقيم قَالَ: يا فلان، اذهب فهيئ لأبي الفضل في منزل محمد بن أَبِي عبيد الله مبيتا فلما رأى أنه يريد أن يخرج من الدار، قَالَ:

فليس تغلق الدروب دوني فاعتزم ثم قام، فلما خرجنا من الدار أقبل علي فقال: يا بني، أنت أحمق، قلت: وما حمقي أنا! قَالَ: تقول لي:

كان ينبغي لك ألا تنجي، وكان ينبغي إذا جئت فحجبنا ألا تقيم حتى صليت العتمة، وأن تنصرف ولا تدخل، وكان ينبغي إذا دخلت فلم يقم إليك أن ترجع ولا تقيم عليه، ولم يكن الصواب إلا ما عملت كله، ولكن والله الذي لا إله إلا هو - واستغلق في اليمين - لأخلعن جاهمي، ولأنفقن مالي حتى أبلغ من أَبِي عبيد الله.

قَالَ: ثم جعل يضطرب بجهد، فلا يجد مساعا إلى مكروهه، ويحتال الجد إذ ذكر القشيري الذي كان أبو عبيد الله حجه، فأرسل إليه فجاءه،

فقال: إنك قد علمت ما ركبك به أبو عبيد الله، وقد بلغ مني كل غاية من المكروه، وقد أرغت أمره بجهدي، فما وجدت عليه طريقا، فعندك حيلة في أمره؟ فقال: إنما يؤتى أبو عبيد الله من أحد وجوه أذكرها لك.

يقال: هو رجل جاهل بصناعته وأبو عبيد الله أحذق الناس، أو يقال: هو ظنين في الدين بتقليده، وأبو عبيد الله أعف الناس، لو كان بنات المهدي في حجره لكان لهن موضع، أو يقال: هو يميل إلى أن يخالف السلطان فليس يؤتى أبو عبيد الله من ذلك، إلا أنه يميل إلى القدر بعض الميل، وليس يتسلق عليه بذاك أن يقال: هو متهم، ولكن هذا كله مجتمع لك في ابنه، قَالَ: فتناوله الربيع، فقبل بين عينيه، ثم دب لابن أبي عبيد الله، فو الله ما زال يحتال ويدس إلى المهدي ويتهمة ببعض حرم المهدي، حتى استحکم عند المهدي الظنة بمحمد بن أَبِي عبيد الله، فأمر فأحضر، وأخرج أبو عبيد الله.

فقال: يا محمد اقرأ، فذهب ليقراء، فاستعجم عليه القرآن، فقال: يا معاوية ألم تعلمني أن ابنك جامع للقرآن؟ قَالَ: أخبرتك يا أمير المؤمنين، ولكن فارقتني منذ سنين، وفي هذه المدة التي نأى فيها عني نسي القرآن، قَالَ: قم فتقرب إلى الله في دمه، فذهب ليقوم فوق، فقال العباس بن محمد: إن رأيت يا أمير المؤمنين أن تعفي الشيخ! قَالَ: ففعل، وأمر به فأخرج، فضربت عنقه.

قَالَ: فاتهمه المهدي في نفسه، فقال له الربيع: قتلت ابنه، وليس ينبغي أن يكون معك، ولا أن نثق به فأوحش المهدي، وكان الذي كان من أمره وبلغ الربيع ما أراد، واشتفى وزاد.

وذكر محمد بن عبد الله يعقوب بن داود، قَالَ: أخبرني أَبِي، قَالَ:

ضرب المهدي رجلا من الأشعرين، فاجعه، فتعصب ابو عبيد الله - وكان مولى لهم، فقال: القتل أحسن من هذا يا أمير المؤمنين، فقال له المهدي:

يا يهودي، اخرج من عسكري لعنك الله قَالَ: ما أدري إلى أين أخرج
إلا إلى النار! قَالَ: قلت: يا أمير المؤمنين، أحر بهذا أن لمثلها يتوقع، قَالَ: فقال لي: سبحان الله يا أبا عبيد الله! وفيها غزا الغمر بن العباس في البحر.

وفيها ولي نصر بن محمد بن الأشعث السند مكان روح بن حاتم، وشخص إليها حتى قدمها ثم عزل وولي مكانه محمد بن سليمان، فوجه إليها عبد الملك ابن شهاب المسمعي، فقدمها على نصر، فبعته، ثم أذن له في الشخص حتى نزل الساحل على ستة فراسخ من المنصورة، فأتى نصر بن محمد عهده على السند، فرجع إلى عمله، وقد كان عبد الملك أقام بها ثمانية عشر يوما، فلم يعرض له، فرجع إلى البصرة.

وفيها استقضى المهدي عافية بن يزيد الأزدي، فكان هو وابن ثلاثة يقضيان في عسكر المهدي في الرصافة، وكان القاضي بمدينة الشرقية عمر بن حبيب العدوي.

وفيها عزل الفضل بن صالح عن الجزيرة، واستعمل عليها عبد الصمد ابن علي.

وفيها استعمل عيسى بن لقمان على مصر.

وفيها ولي يزيد بن منصور سواد الكوفة وحسان الشروى الموصل وبسطام ابن عمرو التغلبي أذربيجان.

وفيها عزل أبا أيوب المسمى سليمان المكي عن ديوان الخراج، وولي مكانه أبو الوزير عمر بن مطرف.

وفيها توفي نصر بن مالك من فالج أصابه، ودفن في مقابر بني هاشم وصلى عليه المهدي.

وفيها صرف أبان بن صدقة عن هارون بن المهدي إلى موسى بن المهدي، وجعله له كاتباً ووزيراً، وجعل مكانه مع هارون ابن المهدي يحيى بن خالد ابن برمك

وفيها عزل محمد بن سليمان أبا ضمرة عن مصر في ذي الحجة المهدي وولاه سلة بن رجاء.

وجج بالناس في هذه السنة موسى بن محمد بن عبد الله الهادي، وهو ولي عهد أبيه.

وكان عامل الطائف ومكة واليمامة فيها جعفر بن سليمان، وعلى صلاة الكوفة وأحداثها إسحاق بن الصباح الكندي، وعلى سوادها يزيد بن منصور.

٨٠١٦ سنة اثنتين وستين ومائه

٨٠١٦٠١ خبر مقتل عبد السلام الخارجي

ثم دخلت

سنة اثنتين وستين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

خبر مقتل عبد السلام الخارجي

فمن ذلك ما كان من مقتل عبد السلام الخارجي بقنسرين.

ذكر الخبر عن مقتله:

ذكر أن عبد السلام بن هاشم البشكري هذا خرج بالجزيرة، وكثر بها أتباعه، واشتدت شوكته، فلقية من قواد المهدي عدة، منهم عيسى بن موسى القائد، فقتله في عدة ممن معه، وهزم جماعة من القواد، فوجه إليه المهدي الجنود، فنكب غير واحد من القواد، منهم شبيب بن واج المرورذي، ثم ندب إلى شبيب ألف فارس، أعطى كل رجل منهم ألف درهم معونة، وألحقهم بشبيب فوافوه، فخرج شبيب في أثر عبد السلام، فهرب منهم حتى أتى قنسرين، فلحقه بها فقتله.

وفيها وضع المهدي دواوين الأزيمة، وولى عليها عمر بن بزيع مولاه، فولى عمر بن بزيع النعمان بن عثمان أبا حازم زمام خراج العراق.

وفيه أمر المهدي أن يجرى على المجذمين وأهل السجون في جميع الآفاق.

وفيه ولي ثمامة بن الوليد العبسي الصائفة، فلم يتم ذلك.

وفيه خرجت الروم إلى الحدث، فهدموا سورها.

وغزا الصائفة الحسن بن قطبة في ثلاثين ألف مرتزق سوى المطوعة، فبلغ حمة أذرولية، فأكثر التخريب والتحريق في بلاد الروم من

غير أن يفتح حصنا، ويلقى جمعا، وسمته الروم التنين وقيل: إنه إنما أتى

هذه الحمة الحسن ليستنقع فيها للوضح الذي كان به، ثم قفل بالناس سالمين.

وكان على قضاء عسكره وما يجتمع من الفيء حفص بن عامر السلمي.

قال: وفيها غزا يزيد بن أسيد السلمي من باب قاليقلا، فغتم وفتح ثلاثة حصون، وأصاب سبيا كثيرا وأسرى.

وفيه عزل علي بن سليمان عن اليمن، وولي مكانه عبد الله بن سليمان.

وفيه عزل سلمة بن رجاء عن مصر، ووليا عيسى بن لقمان، في المحرم، ثم عزل في جمادى الآخرة، ووليا واضح مولى المهدي، ثم

عزل في ذي القعدة ووليا يحيى الحرشي.

وفيه ظهرت الحمرة بجرجان، عليهم رجل يقال له عبد القهار، فغلب على جرجان، وقتل بشرا كثيرا، فغزاه عمر بن العلاء من طبرستان،

فقتل عبد القهار وأصحابه.

وجج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن جعفر بن المنصور، وكان العباس ابن محمد استأذن المهدي في الحج بعد ذلك، فعاتبه على ألا

يكون استأذنه قبل أن يولي الموسم أحدا فيوليه إياه، فقال: يا أمير المؤمنين، عمدا أخرت ذلك لأنني لم أرد الولاية.

وكانت عمال الأمصار عمالها في السنة التي قبلها ثم إن الجزيرة كانت في هذه السنة إلى عبد الصمد بن علي وطبرستان والرويان إلى

سعيد بن دعلج، وجرجان إلى مهلهل بن صفوان.

٨٠١٧ سنة ثلاث وستين ومائة

٨٠١٧٠١ ذكر خبر غزو الروم

ثم دخلت

سنة ثلاث وستين ومائة

(ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها) فمن ذلك ما كان فيها من هلاك المقنع، وذلك أن سعيدا الحرشي حصره بكش، فاشتد

عليه الحصار، فلما أحس بالهلكة شرب سما، وسقاه نساء وأهله، فمات وماتوا- فيما ذكر- جميعا، ودخل المسلمون قلعته، واحتزوا رأسه،

ووجهوا به إلى المهدي وهو بحلب.

ذكر خبر غزو الروم

وفيه قطع المهدي البعوث للصائفة على جميع الأجناد من أهل خراسان وغيرهم، وخرج فعسكر بالبردان، فأقام به نحو من شهرين يتعباً

فيه ويتعباً، ويعطي الجنود، وأخرج بها صلات لأهل بيته الذين شخصوا معه، فتوفي عيسى بن علي في آخر جمادى الآخرة ببغداد وخرج

المهدي من الغد إلى البردان متوجها إلى الصائفة، واستخلف ببغداد موسى بن المهدي، وكاتبه يومئذ أبان بن صدقة، وعلى خاتمه عبد

الله بن علاثة، وعلى حرسه علي بن عيسى، وعلى شرطه عبد الله بن خازم، فذكر العباس بن محمد أن المهدي لما وجه الرشيد إلى الصائفة

سنة ثلاث وستين ومائة خرج يشيعه وأنا معه، فلما حاذى قصر مسلمة، قلت: يا أمير المؤمنين، إن لمسلمة في أعناقنا منة، كان محمد

بن علي مر به، فأعطاه أربعة آلاف دينار، وقال له: يا بن عم هذان ألفان لديك، وألفان لمعوتك، فإذا نفدت فلا تحتشمنا فقال لما

حدثته الحديث: احضروا من هاهنا من ولد مسلمة ومواليه، فأمر لهم بعشرين ألف دينار، وأمر أن تجرى عليهم الأرزاق، ثم قال: يا

أبا الفضل، كافانا مسلمة وقضينا حقه؟ قلت: نعم، وزدت يا أمير المؤمنين

وذكر إبراهيم بن زياد، عن الهيثم بن عدي، أن المهدي أغزى هارون الرشيد بلاد الروم، وضم إليه الربيع الحاحب والحسن بن قطبة.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ: إِنِّي لَقَاعِدٌ فِي مَجْلِسِ أَبِي فِي دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ عَلَى الْحَرَسِ، إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ بْنُ قُطَيْبَةَ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، وَقَعَدَ عَلَى الْفَرَّاشِ الَّذِي يَقْعُدُ أَبِي عَلَيْهِ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَأَعْلَمْتُهُ أَنَّهُ رَاكِبٌ، فَقَالَ لِي: يَا حَبِيبِي أَعْلَمُهُ أَنِّي جِئْتُ، وَأَبْلَغُهُ السَّلَامَ عَنِّي، وَقُلْ لَهُ: إِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقُولَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ:

يَقُولُ الْحَسَنُ بْنُ قُطَيْبَةَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ! أَغْزَيْتَ هَارُونَ، وَضَمَمْتَنِي وَالرَّبِيعَ إِلَيْهِ، وَأَنَا قَرِيعُ قَوَادِكُ، وَالرَّبِيعُ قَرِيعُ مَوَالِيكَ، وَلَيْسَ تَطِيبُ نَفْسِي بَانَ نَخْلِي جَمِيعًا بِابِكَ، فَمَا أَغْزَيْتَنِي مَعَ هَارُونَ وَأَقَامَ الرَّبِيعَ، وَإِنَّمَا أَغْزَيْتَ الرَّبِيعَ وَأَقَمْتَ بِبَابِكَ قَالَ: جَاءَ أَبِي فَأَبْلَغْتُهُ الرِّسَالَةَ، فَدَخَلَ عَلَى الْمَهْدِيِّ فَأَعْلَمَهُ، فَقَالَ: أَحْسَنَ وَاللَّهِ الْإِسْتِعْفَاءَ، لَا كَمَا فَعَلَ الْحَجَّامُ ابْنُ الْحَجَّامِ- يَعْنِي عَامِرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ- وَكَانَ اسْتَعْفَى مِنَ الْخُرُوجِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ فَغَضِبَ عَلَيْهِ، وَاسْتَصَفَى مَالَهُ.

وَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ الْوُضَّاحِ، قَالَ: سَمِعْتُ جَدِّي أَبَا بَدِيلٍ، قَالَ: أَغْزَى الْمَهْدِيُّ الرَّشِيدَ، وَأَغْزَى مَعَهُ مُوسَى بْنُ عَيْسَى وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ وَمَوْلَايَ أَبِيهِ: الرَّبِيعَ الْحَاجِبَ وَالْحَسَنَ الْحَاجِبَ، فَلَمَّا فَصَلَ دَخَلَتْ عَلَيْهِ بَعْدَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، فَقَالَ: مَا خَلَفَكَ عَنْ وَلِيِّ الْعَهْدِ، وَعَنْ أَخَوَيْكَ خَاصَّةً؟ يَعْنِي الرَّبِيعَ وَالْحَسَنَ الْحَاجِبَ قُلْتُ: أَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَقَامِي بِمَدِينَةِ السَّلَامِ حَتَّى يَأْذَنَ لِي قَالَ: فَسَرَّ حَتَّى تَلْحَقَ بِهِ وَبِهِمَا، وَادْكُرْ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ قَالَ: قُلْتُ: مَا أَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْعِدَّةِ، فَإِنَّ رَأْيَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْذَنَ لِي فِي وَدَاعِهِ! فَقَالَ لِي: مَتَى تَرَكَ خَارِجًا؟ قَالَ: قُلْتُ مِنْ غَدٍ، قَالَ: فَوَدَعْتَهُ وَخَرَجْتُ، فَلَحَقْتُ الْقَوْمَ قَالَ: فَأَقْبَلْتُ أَنْظُرَ إِلَى الرَّشِيدِ يَخْرُجُ، فَيَضْرِبُ بِالصَّوَالِجَةِ، وَانْظُرَ إِلَى مُوسَى بْنِ عَيْسَى وَعَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ صَالِحٍ، وَهُمَا يَتَضَاهَكَانِ مِنْهُ

قَالَ: فَصُرْتُ إِلَى الرَّبِيعِ وَالْحَسَنِ- وَكَأَنَّ لَا نَفَرْتَنِي- قَالَ: فَقُلْتُ: لَا جَزَاكَمُ اللَّهُ عَمَّنْ وَجْهَكُمَا وَلَا عَمَّنْ وَجْهَتُمَا مَعَهُ خَيْرًا، فَقَالَا: إِيَّاهُ، وَمَا الْخَبَرُ؟ قَالَ:

قُلْتُ: مُوسَى بْنُ عَيْسَى وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ يَتَضَاهَكَانِ مِنْ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ مَا كُنْتُمَا تَقْدِرَانِ أَنْ تَجْعَلَا لَهُمَا مَجْلِسًا يَدْخُلَانِ عَلَيْهِ فِيهِ وَلَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْقَوَادِ فِي الْجَمْعَةِ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ وَيَخْلُوهُ فِي سَائِرِ أَيَّامِهِ لَمَّا يَرِيدُ! قَالَ: فَبَيْنَا نَحْنُ فِي ذَلِكَ الْمَسِيرِ إِذْ بَعَثَا إِلَيَّ فِي اللَّيْلِ قَالَ: جِئْتُ وَعِنْدَهُمَا رَجُلٌ، فَقَالَا لِي: هَذَا غَلَامُ الْغَمَرِ بْنِ يَزِيدٍ، وَقَدْ أَصَبْنَا مَعَهُ كِتَابَ الدَّوْلَةِ قَالَ: فَفَتَحْتُ الْكِتَابَ، فَظَنَنْتُ فِيهِ إِلَى سِنِي الْمَهْدِيِّ إِذَا هِيَ عَشْرُ سِنِينَ.

قَالَ: فَقُلْتُ: مَا فِي الْأَرْضِ أَعْجَبُ مِنْكُمْ! أَتَرَيَانِ أَنْ خَبَرَ هَذَا الْغَلَامُ يَخْفَى، وَأَنْ هَذَا الْكِتَابُ يَسْتَرُ! قَالَا: كَلَّا، قُلْتُ: فَإِذَا كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ نَقَصَ مِنْ سَنِيهِ مَا نَقَصَ، أَفَلَسْتُمْ أَوَّلَ مَنْ نَعَى إِلَيْهِ نَفْسَهُ! قَالَ: فَتَبَدَّلُوا وَاللَّهِ، وَسَقَطَ فِي أَيْدِيهِمَا، فَقَالَا: فَمَا الْحِيلَةُ؟ قُلْتُ: يَا غَلَامُ عَلَيَّ بَعْنَبَسَةٌ- يَعْنِي الْوَرَّاقَ الْأَعْرَابِيَّ مَوْلَى آلِ أَبِي بَدِيلٍ- فَأَتَيْتُ بِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: خُطْ مِثْلَ هَذَا الْخَطِّ، وَوَرَقَةٌ مِثْلَ هَذِهِ الْوَرَقَةِ، وَصِيرْ مَكَانَ عَشْرِ سِنِينَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَصِيرْهَا فِي الْوَرَقَةِ، قَالَ: فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ الْعَشْرَ فِي تِلْكَ وَالْأَرْبَعِينَ فِي هَذِهِ مَا شَكَكْتُ أَنَّ الْخَطَّ ذَلِكَ الْخَطُّ، وَأَنَّ الْوَرَقَةَ تِلْكَ الْوَرَقَةُ.

قَالَ: وَوَجْهَ الْمَهْدِيِّ خَالِدُ بْنُ بَرْمَكٍ مَعَ الرَّشِيدِ وَهُوَ وَلِيُّ الْعَهْدِ حِينَ وَجَّهَهُ لَغْزَا رُومَ، وَتَوَجَّهَ مَعَهُ الْحَسَنُ وَسُلَيْمَانُ ابْنَا بَرْمَكٍ، وَوَجَّهَ مَعَهُ عَلَى أَمْرِ الْعَسْكَرِ وَنَفَقَاتِهِ وَكُتَابَتِهِ وَالْقِيَامَ بِأَمْرِهِ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ- وَكَانَ أَمْرُ هَارُونَ كُلَّهُ إِلَيْهِ- وَصِيرَ الرَّبِيعَ الْحَاجِبَ مَعَ هَارُونَ يَغْزُو عَنْ الْمَهْدِيِّ، وَكَانَ الَّذِي بَيْنَ الرَّبِيعِ وَيَحْيَى عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ، وَكَانَ يُشَاوِرُهُمَا وَيَعْمَلُ بِرَأْيِهِمَا، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَتُوحًا كَثِيرَةً، وَأَبْلَاهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَجْهَ بِلَاءَ جَمِيلًا، وَكَانَ لَخَالِدٍ فِي ذَلِكَ بِسْمَالُو أَثَرُ جَمِيلٍ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ، وَكَانَ مِنْجُمُهُمْ يُسَمَّى الْبَرْمَكِي تَبْرَكَ

٨٠١٧٠٢ عزل عبد الصمد بن علي عن الجزيرة وتوليه زفر بن الحارث

بِهِ وَنَظَرَا إِلَيْهِ قَالَ: وَلَمَّا نَدَبَ الْمَهْدِيُّ هَارُونَ الرَّشِيدَ لَمَّا نَدَبَهُ لَهُ مِنَ الْغَزْوِ، أَمَرَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ كِتَابُ أَبْنَاءِ الدَّعْوَةِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهِمْ وَيَخْتَارَ لَهُ مِنْهُمْ رَجُلًا.

قَالَ يَحْيَى: فَأَدْخَلُونِي عَلَيْهِ مَعَهُمْ، فَوَقَفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَوَقَفَتْ آخَرُهُمْ، فَقَالَ لِي: يَا يَحْيَى، ادْنُ، فَدَنَوْتُ، ثُمَّ قَالَ لِي: اجْلِسْ، فَجَلَسْتُ فَجَثَوْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: إِنِّي قَدْ تَصَفَّحْتُ أَبْنَاءَ شِيعَتِي وَأَهْلَ دَوْلَتِي، وَاخْتَرْتُ مِنْهُمْ رَجُلًا لِهَارُونَ ابْنِي أَضْمُهُ إِلَيْهِ لِيَقُومَ بِأَمْرِ عَسْكَرِهِ،

ويتولى كتابته، فوقعت عليك خبرتي له، ورأيتك أولى به، إذ كنت مربيه وخاصته، وقد وليتك كتابته وأمر عسكره قال: فشكرت ذلك له، وقبلت يده، وأمر لي بمائة ألف درهم معونة على سفري، فوجهت في ذلك العسكر لما وجهت له.

قال: وأوفد الربيع سليمان بن برمك إلى المهدي، وأوفد معه وفداً، فأكرم المهدي وفادته وفضله، وأحسن إلى الوفد الذين كانوا معه، ثم انصرفوا من وجههم ذلك.

عزل عبد الصمد بن علي عن الجزيرة وتوليه زفر بن الحارث

وفي هذه السنة، سنة مسير المهدي مع ابنه هارون، عزل المهدي عبد الصمد بن علي عن الجزيرة، وولى مكانه زفر بن عاصم الهلالي. ذكر السبب في عزله إياه:

ذكر أن المهدي سلك في سفرته هذه طريق الموصل، وعلى الجزيرة عبد الصمد بن علي، فلما شخص المهدي من الموصل، وصار بأرض الجزيرة، لم يتلقه عبد الصمد ولا هياً له نزلاً، ولا أصلح له قناطر فاضطغن ذلك عليه المهدي، فلما لقيه تجهمه وأظهر له جفاء، فبعث إليه عبد الصمد بالظلم لم يرضها، فردها عليه، وازداد عليه سخطاً، وأمر بأخذه باقامه النزل له، فتعبث في ذلك، وتفنن، ولم يزل يربي ما يكرهه إلى أن نزل حصن

مسلمة، فدعا به، وجرى بينهما كلام أغلظ له فيه القول المهدي، فرد عليه عبد الصمد ولم يحتمله، فأمر بحبسه وعزله عن الجزيرة، ولم يزل في حبسه في سفره ذلك وبعد أن رجع إلى أن رضي عنه وأقام له العباس بن محمد النزل، حتى انتهى إلى حلب، فأنته البشرى بها بقتل المقنع، وبعث وهو بها عبد الجبار المحتسب لحلب من بتلك الناحية من الزنادقة ففعل، وأتاه بهم، وهو بدابق، فقتل جماعة منهم وصلبهم، وأتى بكتب من كتبهم ففقطعت بالسكاكين ثم عرض بها جنده، وأمر بالرحلة، واشتخص جماعة من وافاه من أهل بيته مع ابنه هارون إلى الروم، وشيع المهدي ابنه هارون حتى قطع الدرب، وبلغ جيحان، وارتاد بها المدينة التي تسمى المهديّة، وودع هارون على نهر جيحان فسار هارون حتى نزل رستاقاً من رساتيق أرض الروم فيه قلعة، يقال لها سمالو، فأقام عليها ثمانيا وثلاثين ليلة، وقد نصب عليها المجانيق، حتى فتحها الله بعد تخريب لها، وعطش وجوع أصاب أهلها، وبعد قتل وجراحات كانت في المسلمين، وكان فتحها على شروط شرطوها لأنفسهم:

لا يقتلوا ولا يرحلوا، ولا يفرق بينهم، فأعطوا ذلك، فتنزلوا، ووفى لهم، وقتل هارون بالمسلمين سالمين إلا من كان أصيب منهم بها.

وفي هذه السنة وفي سفرته هذه، صار المهدي إلى بيت المقدس، فصلى فيه، ومعه العباس بن محمد والفضل بن صالح وعلي بن سليمان وخاله يزيد ابن منصور.

وفيها عزل المهدي إبراهيم بن صالح عن فلسطين، فسأله يزيد بن منصور حتى رده عليها.

وفيها ولى المهدي ابنه هارون المغرب كله وأذربيجان وأرمينية، وجعل كاتبه على الخراج، ثابت بن موسى، وعلى رسائله يحيى بن خالد بن برمك

وفيها عزل زفر بن عاصم عن الجزيرة، وولى مكانه عبد الله بن صالح ابن علي، وكان المهدي نزل عليه في مسيره إلى بيت المقدس، فأعجب بما رأى من منزله بسلمية.

وفيها عزل معاذ بن مسلم عن خراسان وولاه المسيب بن زهير.

وعزل فيها يحيى الحرشي عن أصبهان، وولى مكانه الحكم بن سعيد.

وعزل فيها سعيد بن دعلج عن طبرستان والرويان، وولاهما عمر ابن العلاء.

وفيها عزل مهلهل بن صفوان عن جرجان، وولاه هشام بن سعيد.

وحج بالناس في هذه السنة علي بن المهدي.

وكان على الإمامة والمدينة ومكة والطائف فيها جعفر بن سليمان، وعلى الصلاة والأحداث بالكوفة إسحاق بن الصباح، وعلى قضائها شريك، وعلى البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان والفرس وكور الأهواز وكور فارس محمد بن سليمان، وعلى خراسان المسيب بن زهير، وعلى السند نصر بن محمد ابن الاشعث.

٨٠١٨ سنة أربع وستين ومائة

ثم دخلت

سنة أربع وستين ومائة

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث) فمن ذلك غزوة عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب من درب الحدث، فأقبل إليه ميخائيل البطريق - فيما ذكر - في نحو من تسعين ألفاً، فيهم طازاذ الأرمني البطريق، ففشل عنه عبد الكبير ومنع المسلمين من القتال وانصرف، فأراد المهدي ضرب عنقه، فكلم فيه فحبسه في المطبق.

وفيها عزل المهدي محمد بن سليمان عن أعماله، ووجه صالح بن داود على ما كان إلى محمد بن سليمان، ووجه معه عاصم بن موسى الخراساني الكاتب على الخراج، وأمره بأخذ حماد بن موسى كاتب محمد بن سليمان وعبيد الله بن عمر خليفته وعماله وتكشيفهم. وفيها بنى المهدي بعبساباذ الكبرى قصراً من لبن، إلى أن أسس قصره الذي بالآجر: الذي سماه قصر السلامة، وكان تأسيسه إياه يوم الأربعاء في آخر ذي القعدة.

وفيها شخص المهدي حين أسس هذا القصر إلى الكوفة حاجاً، فأقام برصافة الكوفة أياماً، ثم خرج متوجهاً إلى الحج، حتى انتهى إلى العقبة، فغلا عليه وعلى من معه الماء، وخاف ألا يحمله ومن معه ما بين أيديهم، وعرضت له مع ذلك حمى، فرجع من العقبة، وغضب على يقطين بسبب الماء، لأنه كان صاحب المصانع، واشتد على الناس العطش في منصرفهم وعلى ظهرهم حتى اشفوا على الهلكة.

وفيها توفي نصر بن محمد بن الأشعث بالسند وفيها عزل عبد الله بن سليمان عن اليمن عن سخطه، ووجه من يستقبله ويفتش متاعه، ويحصى ما معه، ثم أمر بحبسه عند الربيع حين قدم، حتى أقر من المال والجوهر والعنبر بما أقر به، فردّه إليه، واستعمل مكانه منصور بن يزيد بن منصور.

وفيها وجه المهدي صالح بن أبي جعفر المنصور من العقبة عند انصرافه عنها إلى مكة ليحج بالناس، فأقام صالح للناس الحج في هذه السنة.

وكان العامل على المدينة ومكة والطائف واليمامة فيها جعفر بن سليمان، وعلى اليمن منصور بن يزيد بن منصور، وعلى صلاح الكوفة واحداً هاشم ابن سعيد بن منصور، وعلى قضائها شريك بن عبد الله، وعلى صلاة البصرة وأحداثها وكور دجلة والبحرين وعمان والفرض وكور الأهواز وفارس صالح ابن داود بن علي، وعلى السند سطيح بن عمر، وعلى خراسان المسيب بن زهير، وعلى الموصل محمد بن الفضل وعلى قضاء البصرة عبيد الله بن الحسن، وعلى مصر إبراهيم بن صالح، وعلى إفريقية يزيد بن حاتم، وعلى طبرستان والرويان وجرجان يحيى الحرشي، وعلى دناوند وقومس فراشة مولى أمير المؤمنين، وعلى الري خلف بن عبد الله، وعلى سجستان سعيد بن دلج.

٨٠١٩ سنة خمس وستين ومائة

٨٠١٩٠١ غزوه هارون بن المهدي الصائفة ببلاد الروم

ثم دخلت

سنة خمس وستين ومائة

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث)

غزوه هارون بن المهدي الصائفة ببلاد الروم

فمن ذلك غزوة هارون بن محمد المهدي الصائفة، ووجهه أبوه - فيما ذكر - يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة غازياً إلى بلاد الروم، وضم إليه الربيع مولاه، فوغل هارون في بلاد الروم، فاقتتح ماجدة، ولقيته خيول نقيطا قومس القوامسة، فبارزه يزيد بن مزيد، فأرجل يزيد، ثم سقط نقيطا، فضربه يزيد حتى أثخنه، وانهزمت الروم، وغلب يزيد على عسكرهم.

وسار إلى الدمستق بنقمودية وهو صاحب المسالح، وسار هارون في خمسة وتسعين ألفاً وسبعمئة وثلاثة وتسعين رجلاً، وحمل لهم من العين مائة الف دينار واربعة وتسعين ألفاً وأربعمائة وخمسين ديناراً، ومن الورق أحداً وعشرين ألف الف وأربعمائة الف واربعة عشر

ألفا وثمائماته درهم وسار هارون حتى بلغ خليج البحر الذي على القسطنطينية، وصاحب الروم يومئذ اغسطه امرأة أليون، وذلك أن ابنها كان صغيراً قد هلك أبوه وهو في حجرها، فجرت بينهما وبين هارون بن المهدي الرسل والسفراء في طلب الصلح والموادعة وإعطائه الفدية، فقبل ذلك منها هارون، وشرط عليها الوفاء بما أعطت له، وأن تقيم له الأدلاء والأسواق في طريقه، وذلك أنه دخل مدخلا صعبا مخوفا على المسلمين، فأجابته إلى ما سأل، والذي وقع عليه الصلح بينه وبينها تسعون أو سبعون ألف دينار، تؤديها في نيسان الأول في كل سنة، وفي حزيران، فقبل ذلك منها، فأقامت له الأسواق في منصرفه، ووجهت معه رسولا إلى المهدي بما بذلت على أن تؤدي ما تيسر من الذهب والفضة والعرض، وكتبوا

كتاب الهدنة إلى ثلاث سنين، وسلمت الأسارى وكان الذي أفاء الله على هارون إلى أن أذعنت الروم بالجزية خمسة آلاف رأس وستمائة وثلاثة وأربعين رأسا، وقتل من الروم في الوقائع أربعة وخمسون ألفا، وقتل من الأسارى صبرا ألفان وتسعون أسيرا ومما أفاء الله عليه من الدواب الذلل بأدواتها عشرون ألف دابة، وذبح من البقر والغنم مائة ألف رأس وكانت المرتزقة سوى المطوعة وأهل الأسواق مائة ألف، وبيع البرذون بدرهم، والبغل بأقل من عشرة دراهم، والدرع بأقل من درهم وعشرين سيفاً بدرهم، فقال مروان بن أبي حفصة في ذلك:

أطفت بقسطنطينة الروم مسندا ... إليها القنا حتى اكتسى الذل سورها

وما رمتها حتى أئتكت ملوكها ... بجزيته، والحرب تغلي قدورها

وفيهما عزل خلف بن عبد الله عن الري، وولاه عيسى مولى جعفر.

وجج بالناس في هذه السنة صالح بن أبي جعفر المنصور.

وكانت عمال الأمصار في هذه السنة هم عمالها في السنة الماضية، غير أن العامل على أحداث البصرة والصلاة بأهلها كان روح بن حاتم، وعلى كور دجلة والبحرين وعمان وكسكر وكور الأهواز وفارس وكرمان كان المعلى مولى أمير المؤمنين المهدي، وعلى السند الليث مولى المهدي.

٨٠٢٠ سنة ست وستين ومائة

٨٠٢٠١ ذكر الخبر عن غضب المهدي على يعقوب

ثم دخلت

سنة ست وستين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فن ذلك قفول هارون بن المهدي، ومن كان معه من خليج قسطنطينية في الحرم ثلاث عشرة ليلة بقيت منه، وقدمت الروم بالجزية معهم، وذلك - فيما قيل - أربعة وستون ألف دينار عدد الرومية والفان وخمسمائة دينار عربية، وثلاثون ألف رطل مرعزي.

وفيهما أخذ المهدي البيعة على قواده لهارون بعد موسى بن المهدي، وسماه الرشيد.

وفيهما عزل عبيد الله بن الحسن عن قضاء البصرة، وولى مكانه خالد بن طليق بن عمران بن حصين الخزاعي، فلم تجمد ولايته، فاستعفى أهل البصرة منه.

وفيهما عزل جعفر بن سليمان عن مكة والمدينة، وما كان إليه من العمل.

وفيهما سخط المهدي على يعقوب بن داود.

ذكر الخبر عن غضب المهدي على يعقوب

ذكر علي بن محمد النوفلي، قال: سمعت أبي يذكر، قال: كان داود بن طهمان - وهو أبو يعقوب بن داود - وإخوته كتابا لنصر بن سيار، وقد كتب داود قبله لبعض ولاية خراسان، فلما كانت أيام يحيى بن زيد كان يدس إليه وإلى أصحابه بما يسمع من نصر، ويحذرهم، فلما خرج أبو مسلم يطلب بدم يحيى بن زيد ويقتل قتلته والمعينين عليه من أصحاب نصر، أتاه داود ابن طهمان مطمئنا لما كان يعلم مما

جرى بينه وبينه، فأمنه أبو مسلم، ولم

يعرض له في نفسه، وأخذ أمواله التي استفاد أيام نصر، وترك منازلها وضيعة التي كانت له ميراثا بمرو، فلما مات داود خرج ولده أهل أدب وعلم بأيام الناس وسيرهم وأشعارهم، ونظروا فإذا ليست لهم عند بني العباس منزلة، فلم يطمعوا في خدمتهم لحال أبيهم من كتابة نصر، فلما رأوا ذلك أظهروا مقالة الزيدية، ودنوا من آل الحسين، وطمعوا أن يكون لهم دولة فيعيشوا فيها.

فكان يعقوب يحول البلاد منفردا بنفسه، ومع إبراهيم بن عبد الله أحيانا، في طلب البيعة لمحمد بن عبد الله، فلما ظهر محمد وإبراهيم بن عبد الله كتب على ابن داود- وكان أسن من يعقوب- لإبراهيم بن عبد الله، وخرج يعقوب مع عدة من إخوته مع إبراهيم، فلما قتل محمد وإبراهيم تواروا من المنصور، فطلبهم، فأخذ يعقوب وعليهما فحبسهما في المطبق أيام حياته، فلما توفي المنصور من عليهما المهدي فيمن من عليه بتخلية سبيله، وأطلقهما وكان معهما في المطبق إسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن- وكانا لا يفارقانه- وإخوته الذين كانوا محتبسين معه، فجرت بينهم بذلك الصداقة وكان إسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن يرى أن الخلافة قد تجوز في صالحه بني هاشم جميعا، فكان يقول: كانت الإمامة بعد رسول الله ص لا تصلح إلا في بني هاشم، وهي في هذا الدهر لا تصلح إلا فيهم، وكان يكثر في قوله للأكبر من بني عبد المطلب، وكان هو ويعقوب بن داود يتجاربان ذلك، فلما خلى المهدي سبيل يعقوب مكث المهدي برهة من دهره يطلب عيسى بن زيد والحسن بن إبراهيم بن عبد الله بعد هرب الحسن من حبسه، فقال المهدي يوما:

لو وجدت رجلا من الزيدية له معرفة بآل حسن وبعيسى بن زيد، وله فقه فاجتلبه إلي على طريق الفقه، فيدخل بيني وبين آل حسن وعيسى بن زيد! فدل على يعقوب بن داود، فأتي به فأدخل عليه، وعليه يومئذ فرو وخفا بكل وعمامة كرايس وكساء أبيض غليظ فكله وفتح، فوجده رجلا كاملا، فسأله عن عيسى بن زيد، فزعم الناس أنه وعده الدخول بينه وبينه، وكان يعقوب ينتفي من ذلك، إلا أن الناس قد رموه بأن منزلته عند المهدي إنما

كانت للسعاية بآل علي ولم يزل أمره يرتفع عند المهدي ويعلو حتى استوزره، وفوض إليه أمر الخلافة، فأرسل إلى الزيدية، فأتي بهم من كل أوب، وولاهم من أمور الخلافة في المشرق والمغرب كل جليل وعمل نفيس، والدنيا كلها في يديه، ولذلك يقول بشار بن برد:

بني أمية هبوا طال نومكم ... إن الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فاطلبوا ... خليفة الله بين الدف والعود

قال: فحسده موالى المهدي، فسعوا عليه.

ومما حظي به يعقوب عند المهدي، أنه استأمنه للحسن بن إبراهيم بن عبد الله، ودخل بينه وبينه حتى جمع بينهما بمكة قال: ولما علم آل الحسن بن علي بصنيعه استوحشوا منه، وعلم يعقوب أنه إن كانت لهم دولة لم يعيش فيها، وعلم أن المهدي لا يناظره لكثرة السعاية به إليه، فقال يعقوب إلى إسحاق بن الفضل، وأقبل يربص له الأمور وأقبلت السعايات ترد على المهدي بإسحاق حتى قيل له: إن المشرق والمغرب في يد يعقوب وأصحابه، وقد كاتبهم، وإنما يكفيه أن يكتب إليهم فيثوروا في يوم واحد على ميعاد، فيأخذوا الدنيا لإسحاق بن الفضل، فكان ذلك قد ملأ قلب المهدي عليه.

قال علي بن محمد النوفلي: فذكر لي بعض خدم المهدي أنه كان قائما على رأسه يوما يذب عنه، إذ دخل يعقوب، فجثا بين يديه، فقال: يا أمير المؤمنين، قد عرفت اضطراب أمر مصر، وأمرتني أن ألتبس لها رجلا يجمع أمرها، فلم أزل أرتاد حتى أصبت لها رجلا يصلح لذلك قال: ومن هو؟

قال: ابن عمك إسحاق بن الفضل، فرأى يعقوب في وجهه التغير، فنهض نفرج، وأتبعه المهدي طرفه، ثم قال: قتلتني الله إن لم أقتلك! ثم رفع رأسه إلي وقال: اكتم علي ويلك! قال: ولم يزل مواليه يحرضونه عليه ويوحشونه منه، حتى عزم على إزالة النعمة عنه وقال موسى بن إبراهيم المسعودي: قال المهدي: وصف لي يعقوب بن داود في منامي، فقيل لي أن اتخذه وزيرا فلما رآه، قال: هذه

والله الخلقة التي رأيها في منامي، فاتخذته وزيرا، وحظي عنده غاية الحظوة، فكث حيناً حتى بنى عيساباذ، فأتاه خادم من خدمه- وكان حظيا عنده- فقال له: إن أحمد بن إسماعيل بن علي، قال لي: قد بنى متنزها أنفق عليه خمسين ألف ألف من بيت مال المسلمين، فحفظها عن الخادم، ونسى أحمد ابن إسماعيل، وتوهمها على يعقوب بن داود، فبينما يعقوب بين يديه إذ لبيه، فضرب به الأرض، فقال: ما لي ولك يا أمير المؤمنين! قال: أأست القائل:

إني أنفقت على متزّه لي خمسين ألف ألف! فقال يعقوب: والله ما سمعته أذناي، ولا كتبه الكرام الكاتبون، فكان هذا أول سبب أمره.

قال: وحدثني أبي، قال: كان يعقوب بن داود قد عرف عن المهدي خلعا واستهتارا بذكر النساء والجماع، وكان يعقوب بن داود يصف من نفسه في ذلك شيئا كثيرا، وكذلك كان المهدي، فكانوا يخلون بالمهدي ليلا فيقولون:

هو على أن يصبح فيثور بيعقوب، فإذا أصبح غدا عليه يعقوب وقد بلغه الخبر، فإذا نظر إليه تبسم، فيقول: إن عندك لخيرا! فيقول: نعم، فيقول: أقعد بجيأتي فحدثني، فيقول: خلوت بجاريتي البارحة، فقالت وقلت، فيصنع لذلك حديثا، فيحدث المهدي بمثل ذلك، ويفترقان على الرضا، فيبلغ ذلك من يسعى على يعقوب، فيتعجب منه.

قال: وقال لي الموصلي: قال يعقوب بن داود للمهدي في أمر أراده: هذا والله السرف، فقال: ويلك! وهل يحسن السرف إلا بأهل الشرف! ويلك يا يعقوب، لولا السرف لم يعرف المكثرون من المقترين! وقال علي بن يعقوب بن داود عن أبيه، قال: بعث إلي المهدي يوما، فدخلت عليه، فإذا هو في مجلس مفروش بفرش مورد متناه في السرور على بستان فيه شجر، ورءوس الشجر مع صحن المجلس، وقد اكتسى

ذلك الشجر بالأوراد والأزهار من الخوخ والتفاح، فكل ذلك مورد يشبه فرش المجلس الذي كان فيه، فما رأيت شيئا أحسن منه، وإذا عنده جارية ما رأيت أحسن منها، ولا أشط قواما، ولا أحسن اعتدالا، عليها نحو تلك الثياب، فما رأيت أحسن من جملة ذلك فقال لي: يا يعقوب، كيف ترى مجلسنا هذا؟ قلت: على غاية الحسن، ففتح الله أمير المؤمنين به، وهناه إياه، فقال:

هو لك، احمله بما فيه وهذه الجارية ليتم سرورك به قال: فدعوت له بما يجب قال: ثم قال: يا يعقوب، ولي إليك حاجة، قال: فوثبت قائما ثم قلت: يا أمير المؤمنين، ما هذا إلا من مودة، وأنا أستعيز بالله من سخط أمير المؤمنين! قال: لا، ولكن أحب أن تضمن لي قضاء هذه الحاجة فإني لم أسألها من حيث نوتهم، وإنما قلت ذلك على الحقيقة، فأحب أن تضمن لي هذه الحاجة وأن تقضيها لي، فقلت: الأمر لأمر المؤمنين وعلي السمع والطاعة، قال: - والله- قلت والله ثلاثا- قال: وحياة رأسي! قلت:

وحياة رأسك، قال: فضع يدك عليه واحلف به، قال: فوضعت يدي عليه، وحلفت له به لأعملن بما قال، ولأقضين حاجته قال: فلما استوثق مني في نفسه، قال: هذا فلان بن فلان، من ولد علي، أحب أن تكفيني مؤنته، وتريحني منه، وتعجل ذلك قال: قلت: أفعل، قال: نخذه إليك، فحولته إلي، وحولت الجارية وجميع ما كان في البيت من فرش وغير ذلك، وأمر لي معه بمائة ألف درهم.

قال: فحملت ذلك جملة، ومضيت به، فلشدة سروري بالجارية صيرتها في مجلس بيني وبينها ستر، وبعثت إلى العلوي، فأدخلته على نفسي، وسألته عن حاله، فأخبرني بها، وبجمل منها، وإذا هو ألب الناس وأحسنهم إبانة.

قال: وقال لي في بعض ما يقول: ويحك يا يعقوب! تلقى الله بدمي، وأنا رجل من ولد فاطمة بنت محمد! قال: قلت: لا والله، فهل فيك خير؟

قال: إن فعلت خيرا شكرت ولك عندي دعاء واستغفار قال: فقلت له أي الطرق أحب إليك؟ قال: طريق كذا وكذا، قلت: فن هناك ممن تأنس به وثق بموضعه؟ قال: فلان وفلان، قلت: فابعث إليهما، وخذ هذا المال، وامض معهما مصاحبا في ستر الله، وموعدك وموعدهما للخروج من داري إلى موضع كذا وكذا- الذي اتفقوا عليه- في وقت كذا وكذا من الليل، وإذا الجارية قد حفظت علي قولي، فبعثت به مع خادم لها إلى المهدي، وقالت: هذا جزاؤك من الذي أثرته على نفسك، صنع وفعل كذا وكذا، حتى ساقط الحديث كله قال: وبعث المهدي من وقته ذلك، فشحن تلك الطرق والمواضع التي وصفها يعقوب والعلوي برجاله، فلم يلبث أن جاءوه بالعلوي بعينه وصاحبيه والمال، على السجية التي حكها الجارية قال: وأصبحت من غد ذلك اليوم، فإذا رسول المهدي يستحضرني-

قَالَ: وكنت خالي الذرع غير ملق الى امر العلوي بالا حتى أدخل على المهدي، وأجده على كرسي بيده منحصرة- فقال: يا يعقوب، ما حال الرجل؟ قلت: يا أمير المؤمنين، قد أراحك الله منه، قَالَ: مات؟ قلت: نعم، قَالَ: والله، ثم قَالَ: قم فضع يدك على رأسي، قَالَ: فوضعت يدي على رأسه، وحلفت له به قَالَ:

فَقَالَ: يا غلام، أخرج إلينا ما في هذا البيت، قَالَ: ففتح بابه عن العلوي صاحبيه والمال بعينه قَالَ: فبقيت متحيرا، وسقط في يدي، وامتنع مني الكلام، فما أدري ما أقول! قَالَ: فقال المهدي: لقد حل لي دمك لو أثرت إراقتة، ولكن احبسوه في المطبخ، ولا أذكر به، فحبست في المطبخ، واتخذ لي فيه بئر فدلّيت فيها، فكنت كذلك أطول مدة لا أعرف عدد الأيام وأصبت ببصري، وطال شعري، حتى استرسل كهيفة شعور البهائم.

قَالَ: فإني لكذلك، إذ دعي بي فضي بي إلى حيث لا أعلم أين هو، فلم أعد أن قيل لي: سلم على أمير المؤمنين، فسلمت، فقال: أي أمير المؤمنين أنا؟ قلت: المهدي، قَالَ: رحم الله المهدي، قلت: فالهادي؟ قَالَ:

رحم الله الهادي، قلت: فالرشيد؟ قَالَ: نعم، قلت: ما أشك في وقوف أمير المؤمنين على خبري وعلتي وما تناهت إليه حالي، قَالَ: أجل، كل ذلك عندي قد عرف أمير المؤمنين، فسل حاجتك، قَالَ: قلت: المقام بمكة، قَالَ: نفعل ذلك، فهل غير هذا؟ قَالَ: قلت: ما بقي في مستمتع لشيء ولا بلاغ، قَالَ: فراشدا قَالَ: فخرجت فكان وجهي إلى مكة.

قَالَ ابنه: ولم يزل بمكة فلم تطل أيامه بها حتى مات قَالَ محمد بن عبد الله: قَالَ لي أبي: قَالَ يعقوب بن داود: وكان المهدي لا يشرب النبيذ الا تحرجا، ولكنه كان لا يشتهي، وكان أصحابه: عمر بن بزيع والمعلّى مولاه والمفضل ومواليه يشربون عنده بحيث يراهم، قَالَ: وكنت أعظه في سقيهم النبيذ وفي السماع، وأقول: إنه ليس على هذا استوزرتني ولا على هذا صحبتك، أبعد الصلوات الخمس في المسجد الجامع، يشرب عندك النبيذ وتسمع السماع! قَالَ: فكان يقول: قد سمع عبد الله بن جعفر، قَالَ: قلت: ليس هذا من حسناته، لو أن رجلا سمع في كل يوم كان ذلك يزيد قربة من الله أو بعدا.

وقال محمد بن عبد الله: حدثني أبي، قَالَ: كان أبي يعقوب بن داود قد ألح على المهدي في حسمه عن السماع وإسقاؤه النبيذ حتى ضيق عليه، وكان يعقوب قد ضجر بموضعه، فتاب إلى الله مما هو فيه، واستقبل وقدم النية في تركه موضعه قَالَ: فكنت أقول للمهدي: يا أمير المؤمنين، والله لشربة خمر أشربها أتوب إلى الله منها أحب إلى مما أنا فيه، وإني لأركب إليك فأتمنى يدا خاطئة تصيبني في الطريق، فأعفني وول غيري من شئت، فإني أحب ان اسلم عليك انا وولدي، وو الله إني لأتفرغ في النوم، وليتني أمور المسلمين وإعطاء الجند، وليس دنياك عوضا من آخرتي قَالَ:

فكان يقول لي: اللهم غفرا! اللهم أصلح قلبه، قَالَ: فقال شاعر له: فذع عنك يعقوب بن داود جانبا ... وأقبل على صهباء طيبة النشر قَالَ عبد الله بن عمر: وحدثني جعفر بن أحمد بن زيد العلوي، قَالَ:

قَالَ ابن سلام: وهب المهدي لبعض ولد يعقوب بن داود جارية، وكان بضعف قَالَ: فلما كان بعد أيام، سأله عنها، فقال: يا أمير المؤمنين، ما رأيت مثلها، ما وضعت بيني وبين الارض مطيه أوطأ منها حاشا سامع فالتفت المهدي إلى يعقوب، فقال له: من تراه يعني؟ يعنيني أو يعنيك؟ فقال له يعقوب: من كل شيء تحفظ الأحق إلا من نفسه.

وقال علي بن محمد النوفلي: حدثني أبي، قَالَ: كان يعقوب بن داود يدخل على المهدي فيخلو به ليلا يحادثه ويسامر، فبينما هو ليلة عنده، وقد ذهب من الليل أكثره، خرج يعقوب من عنده، وعليه طيلسان مصبوغ هاشمي، وهو الأزرق الخفيف، وكان الطيلسان قد دق دقا شديدا فهو يتققع، وغلام أخذ بعنان دابة له شهباء، وقد نام الغلام، فذهب يعقوب يسوي طيلسانه فتققع، فنفر البرذون، ودنا منه يعقوب، فاستديره فضربه ضربة على ساقه فكسرها، وسمع المهدي الوجبة، فخرج حافيا، فلما رأى ما به أظهر الجزع والفرع، ثم أمر به فحمل في كرسي إلى منزله، ثم غدا عليه المهدي مع الفجر، وبلغ ذلك الناس، فغدوا عليه، فعاده أياما ثلاثة متتابعة، ثم قعد

عن عيادته، وأقبل يرسل إليه يسأله عن حاله، فلما فقد وجهه، تمكن الساعة من المهدي، فلم تأت عليه عاشرة حتى أظهر السخط عليه، فتركه في منزله يعالج، ونادى في أصحابه: لا يوجد أحد عليه طيلسان يعقوبي، وقلنسوة يعقوبية إلا أخذت ثيابه ثم أمر بيعقوب فحبس في سجن نصر.

قَالَ النوفلي: وأمر المهدي بعزل أصحاب يعقوب عن الولايات في الشرق والغرب، وأمر أن يؤخذ أهل بيته، وأن يحبسوا ففعل ذلك بهم.

وقال علي بن محمد: لما حبس يعقوب بن داود وأهل بيته، وتفرق عماله واختفوا وتشرذوا، أذكر المهدي قصته وقصة إسحاق بن الفضل، فأرسل إلى إسحاق ليلاً وإلى يعقوب، فأتي به من محبسه، فقال: ألم تخبرني بأن هذا أهل بيته يزعمون أنهم أحق بالخلافة منا أهل البيت، وأن لهم الكبر علينا! فقال له يعقوب: ما قلت لك هذا قط، قَالَ: وتكذبني وترد علي قولي! ثم دعا له بالسياط فضربه اثني عشر سوطاً ضرباً مبرحاً، وأمر به فرد إلى الحبس.

قَالَ: وأقبل إسحاق يحلف أنه لم يقل هذا قط، وأنه ليس من شأنه وقال فيما يقول: وكيف أقول هذا يا أمير المؤمنين، وقد مات جدي في الجاهلية وابوك الباقي بعد رسول الله ص ووارثه! فقال: أخرجه، فلما كان من الغد دعا بيعقوب، فعاوده الكلام الذي كلمه في ليلته، فقال: يا أمير المؤمنين، لا تعجل علي حتى أذكرك، أتذكر وأنت في طارمة على النهر، وأنت في البستان وأنا عندك، إذ دخل أبو الوزير- قَالَ علي: وكان أبو الوزير ختن يعقوب بن داود على ابنة صالح بن داود- فخبرك هذا الخبر عن إسحاق؟

قَالَ: صدقت يا يعقوب، قد ذكرت ذلك، فاستحى المهدي، واعتذر إليه من ضربه، ثم رده إلى الحبس، فكث محبوساً أيام المهدي وأيام موسى كلها حتى أخرجه الرشيد بميله كان إليه في حياة أبيه.

وفيهما خرج موسى الهادي إلى جرجان، وجعل على قضائه أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم. وفيها تحول المهدي إلى عيساباذ فنزلها، وهي قصر السلامة، ونزل الناس بها معه، وضرب بها الدنانير والدرهم. وفيها أمر المهدي بإقامة البريد بين مدينه الرسول ص وبين مكة واليمن، بغلا وإبلا، ولم يبق هنالك بريد قبل ذلك. وفيها اضطربت خراسان على المسيب بن زهير، فولاهما الفضل بن سليمان

٨٠٢٠٠٢ أخبار متفرقة

الطوسي أبا العباس، وضم إليه معها سجستان، فاستخلف على سجستان تميم بن سعيد بن دعلج بأمر المهدي. وفيها أخذ داود بن روح بن حاتم وإسماعيل بن سليمان بن مجالد ومحمد بن أبي أيوب المكي ومحمد بن طيفور في الزندقة، فأقروا، فاستتابهم المهدي وخلق سبيلهم، وبعث بداود بن روح إلى أبيه روح، وهو يومئذ بالبصرة عاملاً عليها، فن عليه، وأمره بتأديبه.

وفيها قدم الوضاح الشروي بعبد الله بن أبي عبيد الله الوزير- وهو معاوية ابن عبيد الله الأشعري من أهل الشام- وكان الذي يسعى به ابن شبابة وقد رمي بالزندقة وقد ذكرنا أمره ومقتله قبل.

وفيها ولي إبراهيم بن يحيى بن محمد على المدينة، مدينه رسول الله ص، وعلى الطائف ومكة عبيد الله بن قثم.

وفيها عزل منصور بن يزيد بن منصور عن اليمن، واستعمل مكانه عبد الله بن سليمان الربعي.

وفيها خلّى المهدي عبد الصمد بن علي من حبسه الذي كان فيه

. [أخبار متفرقة]

وجج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد.

وكان عامل الكوفة في هذه السنة على الصلاة وأحداثها هاشم بن سعيد، وعلى صلاة البصرة وأحداثها روح بن حاتم، وعلى قضائها خالد بن طليق، وعلى كور دجلة وكسكر وأعمال البصرة والبحرين وكور الأهواز وفارس وكرمان المعلى مولى أمير المؤمنين، وعلى خراسان وسجستان الفضل بن سليمان الطوسي، وعلى مصر إبراهيم بن صالح، وعلى إفريقية يزيد بن حاتم، وعلى طبرستان والرويان وجرجان يحيى

الحرشي وعلى دنباوند وقومس فراشة مولى المهدي، وعلى الري سعد مولى أمير المؤمنين.
ولم يكن في هذه السنة صائفة، للهدنة التي كانت فيها

٨٠٢١ سنة سبع وستين ومائه

ثم دخلت

سنة سبع وستين ومائة

(ذكر الأحداث التي كانت فيها) فمن ذلك ما كان من توجيه المهدي ابنه موسى في جمع كثيف من الجند، وجهاز لم يجهز- فيما ذكر- أحد بمثله، إلى جرجان لحرب ونداهرمز وشروين صاحبي طبرستان، وجعل المهدي حين جهز موسى إليها أبان بن صدقة على رسائله، ومحمد بن جميل على جنده، ونفيعا مولى المنصور على حجابته، وعلي بن عيسى بن ماهان على حرسه، وعبد الله بن خازم على شرطه، فوجه موسى الجنود إلى ونداهرمز وشروين، وأمر عليهم يزيد بن مزيد، فحاصرهما.

وفيهما توفي عيسى بن موسى بالكوفة، وولى الكوفة يومئذ روح بن حاتم، فأشهد روح بن حاتم على وفاته القاضي وجماعة من الوجوه، ثم دفن وقيل إن عيسى بن موسى توفي وروح على الكوفة، لثلاث بقين من ذي الحجة، فحضر روح جنازته، فقيل له: تقدم فأنت الأمير، فقال: ما كان الله ليرى روحا يصلي على عيسى بن موسى، فليتقدم أكبر ولده، فأبوا عليه وأبى عليهم، فتقدم العباس بن عيسى، فصلى على أبيه وبلغ ذلك المهدي، فغضب على روح، وكتب إليه:

قد بلغني ما كان من نكوصك عن الصلاة على عيسى، أنفستك، أم بأبيك، أم بجذك كنت تصلي عليه! أو ليس إنما ذلك مقامي لو حضرت.

فإذ غبت كنت أنت أولى به لموضعك من السلطان! وأمر بحاسبته، وكان يلي الخراج مع الصلاة والأحداث.

وتوفي عيسى والمهدي واجد عليه وعلى ولده، وكان يكره التقدم عليه لجلالته وفيها جد المهدي في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم، وولى أمرهم عمر الكوازي، فأخذ يزيد بن الفيض كاتب المنصور، فأقر- فيما ذكر- فخبس، فهرب من الحبس، فلم يقدر عليه.

وفيهما عزل المهدي أبا عبيد الله معاوية بن عبيد الله عن ديوان الرسائل، وولاه الربيع الحاجب، فاستخلف عليه سعيد بن واقد، وكان أبو عبيد الله يدخل على مرتبته.

وفيهما فشا الموت، وسعال شديد ووباء شديد ببغداد والبصرة.

وفيهما توفي أبان بن صدقة بجرجان، وهو كاتب موسى على رسائله، فوجه المهدي مكانه أبا خالد الأحول يزيد خليفة أبي عبيد الله.

وفيهما أمر المهدي بالزيادة في المسجد الحرام، فدخلت فيه دور كثيرة.

وولى بناء ما زيد فيه يقطين بن موسى، فكان في بنائه إلى أن توفي المهدي.

وفيهما عزل يحيى الحرشي عن طبرستان والرويان، وما كان إليه من تلك الناحية، ووليا عمر بن العلاء، وولي جرجان فراشة مولى المهدي، وعزل عنها يحيى الحرشي.

وفيهما أظلمت الدنيا لليال بقين من ذي الحجة، حتى تعالى النهار ولم يكن فيها صائفة، للهدنة التي كانت بين المسلمين والروم.

وجج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد وهو على المدينة، ثم توفي بعد فراغه من الحج وقدمه المدينة بأيام، وولى مكانه إسحاق بن عيسى ابن علي.

وفيهما طعن عقبه بن سلم الهنائي بعيساباذ، وهو في دار عمر بن بزيغ، اغتاله رجل، فطعنه بخنجر، فمات فيها

وكان العامل على مكة والطائف فيها عبيد الله بن قثم، وعلى اليمن سليمان بن يزيد الحارثي، وعلى الإمامة عبد الله بن مصعب الزبيري،

وعلى صلاة الكوفة وأحداثها روح بن حاتم، وعلى صلاة البصرة وأحداثها محمد بن سليمان، وعلى قضائها عمر بن عثمان التيمي، وعلى

كور دجلة وكسكر وأعمال البصرة والبحرين وعمان وكور الأهواز وفارس وكرمان المعلى مولى المهدي.

وعلى خراسان وسجستان الفضل بن سليمان الطوسي.
وعلى مصر موسى بن مصعب وعلى إفريقية يزيد بن حاتم.
وعلى طبرستان والرويان عمر بن العلاء، وعلى جرجان ودنباوند وقومس فراشة مولى المهدي، وعلى الري سعد مولى أمير المؤمنين.

٨٠٢٢ سنة ثمان وستين ومائه

ثم دخلت

سنة ثمان وستين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فمن ذلك ما كان من نقض الروم الصلح الذي كان جرى بينهم وبين هارون بن المهدي الذي ذكرناه قبل وغدرهم، وذلك في شهر رمضان من هذه السنة، فكان بين أول الصلح وغدر الروم ونكثهم به اثنان وثلاثون شهرا، فوجه علي بن سليمان وهو يومئذ على الجزيرة وقنسرين يزيد بن بدر بن البطل في سرية إلى الروم فغنموا وظفروا.
وفيها وجه المهدي سعيدا الحرشي إلى طبرستان في أربعين ألف رجل.
وفيها مات عمر الكلواذي صاحب الزنادقة، وولي مكانه حمدويه، وهو محمد بن عيسى من أهل ميسان.
وفيها قتل المهدي الزنادقة ببغداد.

وفيها رد المهدي ديوانه وديوان أهل بيته إلى المدينة ونقله من دمشق إليها.
وفيها خرج المهدي إلى نهر الصلة أسفل واسط - وإنما سمي نهر الصلة فيما ذكر لأنه أراد أن يقطع أهل بيته وغيرهم غلته، يصلحهم بذلك.
وفيها ولي المهدي علي بن يقطين ديوان زمام الأزمة على عمر بن بزيع.
وذكر أحمد بن موسى بن حمزة، عن أبيه، قال: أول من عمل ديوان الزمام عمر بن بزيع في خلافة المهدي، وذلك أنه لما جمعت له الدواوين تفكر، فإذا هو لا يضبطها إلا بزمام يكون له على كل ديوان، فاتخذ دواوين الأزمة، وولى كل ديوان رجلا، فكان واليه على زمام ديوان الخراج اسماعيل ابن صبيح، ولم يكن لبني أمية دواوين أزمة.
وجج بالناس في هذه السنة علي بن محمد المهدي الذي يقال له ابن ريطة.

٨٠٢٣ سنة تسع وستين ومائه

٨٠٢٣.١ ذكر الخبر عن خروج المهدي إلى ماسبذان

٨٠٢٣.٢ ذكر الخبر عن موت المهدي

ثم دخلت

سنة تسع وستين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

ذكر الخبر عن خروج المهدي إلى ماسبذان

فما كان فيها من ذلك خروج المهدي في المحرم إلى ماسبذان.

ذكر الخبر عن خروجه إليها:

ذكر أن المهدي كان في آخر أمره قد عزم على تقديم هارون ابنه على ابنه موسى الهادي، وبعث إليه وهو بجرجان بعض أهل بيته ليقطع أمر البيعة، ويقدم الرشيد فلم يفعل، فبعث إليه المهدي بعض الموالي، فامتنع عليه موسى من القدوم، وضرب الرسول، فخرج المهدي بسبب موسى وهو يريد به بجرجان فأصابه ما أصابه.

وذكر الباهلي أن أبا شاكر أخبره - وكان من كتاب المهدي على بعض دواوينه - قال: سألت علي بن يقطين المهدي أن يتغدى عنده، فوعده أن يفعل، ثم اعتزم على إتيان ماسبذان، فوالله لقد أمر بالرحيل كأنه يساق إليها سوقا، فقال له علي: يا أمير المؤمنين، إنك قد

وعدتني أن تنغدى عندي غدا، قَالَ: فاحمل غداك إلى النهروان قَالَ: فحملة فتغدى بالنهروان، ثم انطلق.

وفيهما توفي المهدي

. ذكر الخبر عن موت المهدي

ذكر الخبر عن سبب وفاته:

اختلف في ذلك، فذكر عن واضح قهرمان المهدي، قَالَ: خرج المهدي يتصيد بقرية يقال لها الرذ بماسبذان، فلم أزل معه إلى بعد العصر، وانصرفت إلى مضربي- وكان بعيدا من مضربه- فلما كان في السحر الاكبر ركبت لإقامة الوظائف، فإني لأسير في برية، وقد انفردت عمن كان معي من غلماني وأصحابي، إذ لقيني اسود عريان على قنطرة رحل، فدنا مني، ثم قَالَ لي: أبا سهل، عظم الله أجرك في مولاك أمير المؤمنين! فهممت أن أعلوه بالسوط، فغاب من بين يدي، فلما انتهيت إلى الرواق لقيني مسرورا، فقال لي: أبا سهل، عظم الله أجرك في مولاك أمير المؤمنين! فدخلت فإذا أنا به مسجى في قبة، فقلت: فارقتم بعد صلاة العصر، وهو أسر ما كان حالا وأصح به بدنا، فما كان الخبر؟ قَالَ: طردت الكلاب ظبيا، فلم يزل يتبعها، فافتحم الظبي باب خربة، فافتحمت الكلاب خلفه، واقتحم الفرس خلف الكلاب، فدخل ظهره في باب الخربة، فمات من ساعته.

وذكر أن علي بن أبي نعيم المروزي، قَالَ: بعثت جارية من جواري المهدي إلى ضرة لها بلبا فيه سم، وهو قاعد في البستان، بعد خروجه من عيساباذ، فدعا به فأكل منه، ففرقت الجارية أن تقول له: إنه مسموم.

وحدثني أحمد بن محمد الرازي، أن المهدي كان جالسا في علية في قصر بماسبذان، يشرف من منظره فيها على سفله، وكانت جاريته حسنة، قد عمدت إلى كثراتين كبيرتين، فجعلتهما في صينية، وسمت واحدة منهما وهي أحسنهما وأنضجهما في أسفلها، وردت القمع فيها، ووضعتهما في أعلى الصينية- وكان المهدي يعجبه الكثرى- وأرسلت بذلك مع وصيفة لها إلى جاريه للمهدي- وكان يتخطاها- تريد بذلك قتلها، فمرت الوصيفة بالصينية التي فيها تلك الكثرى، تريد دفعها إلى الجارية التي أرسلتها حسنة إليها، بحيث يراها المهدي من المنظر، فلما رآها ورأى معها الكثرى، دعا بها، فدیده إلى الكثرى التي في أعلى الصينية وهي المسمومة، فأكلها، فلما وصلت إلى جوفه صرخ: جوفي! وسمعت حسنة الصوت، وأخبرت الخبر، فجاءت

تلطم وجهها وتبكي، وتقول: أردت أن أنفرد بك، فقتلتك يا سيدي! فهلك من يومه.

وذكر عبد الله بن إسماعيل صاحب المراكب، قَالَ: لما صرنا إلى ماسبذان دنوت إلى عنانه، فامسكت به وما به عله، فوالله ما أصبح إلا ميتا، فرأيت حسنة وقد رجعت، وإن على قبتها المسوح، فقال أبو العتاهية في ذلك:

رحن في الوشي وأصبحن ... عليهن المسوح

كل نطاح من الدهر ... له يوم نطوح

لست بالباقي ولو عمرت ... ما عمر نوح

فعلى نفسك فح إن ... كنت لا بد تنوح

وذكر صالح القارئ أن علي بن يقطين، قَالَ: كنا مع المهدي بماسبذان فأصبح يوما فقال: إني أصبحت جائعا، فأتي بأرغفة ولحم بارد مطبوخ بالخل، فأكل منه ثم قَالَ: إني داخل إلى البهو ونائم فيه، فلا تنبهوني حتى أكون أنا الذي أنتبه، ودخل البهو فنام، وثمنا نحن في الدار في الرواق، فانتبهنا ببكائه، فقمنا إليه مسرعين، فقال: أما رأيتم ما رأيتم؟ قلنا: ما رأينا شيئا، قَالَ:

وقف على الباب رجل، لو كان في ألف أو في مائة ألف رجل ما خفي علي، فأناشد يقول:

كأنني بهذا القصر قد باد أهله ... وأوحش منه ربه ومنازله

وصار عميد القوم من بعد بهجة ... وملك إلى قبر عليه جناده

فلم يبق إلا ذكره وحديثه ... تنادي عليه معولات حلاله

٨٠٢٣٠٣ ذكر الخبر عن الموضع الذي دفن فيه ومن صلى عليه

قَالَ: فما أتت عليه عشرة حتى مات. وكانت وفاته- فيما قَالَ أبو معشر والواقدي- في سنة تسع وستين ومائة، ليلة الخميس لثمان بقين من المحرم، وكانت خلافته عشر سنين وشهرا ونصف شهر.

قال بعضهم: كانت خلافته عشر سنين وتسعة وأربعين يوما، وتوفي وهو ابن ثلاث وأربعين سنة. وقال هشام بن محمد: ملك أبو عبد الله المهدي محمد بن عبد الله سنة ثمان وخمسين ومائة، في ذي الحجة لست ليال خلون منه، فلك عشر سنين وشهرا واثنين وعشرين يوما، ثم توفي سنة تسع وستين ومائة، وهو ابن ثلاث وأربعين سنة

. ذكر الخبر عن الموضع الذي دفن فيه ومن صلى عليه

ذكر أن المهدي توفي بقرية من قرى ماسبذان، يقال لها الرذ، وفي ذلك يقول بكار بن رباح:

ألا رحمة الرحمن في كل ساعة ... علي رمة رمت بماسبذان

لقد غيب القبر الذي تم سوددا ... وكفين بالمعروف تبتدران

وصلى عليه ابنه هارون، ولم توجد له جنازة يحمل عليها، فحمل على باب، ودفن تحت شجرة جوز كان يجلس تحتها.

وكان طويلا مضمر الخلق، جعدا واختلف في لونه، فقال بعضهم:

كان أسمر، وقال بعضهم: كان أبيض.

وكان في عينه اليمنى- في قول بعضهم- نكتة بياض وقال بعضهم:

كان ذلك بعينه اليسرى.

وكان ولد بائدج.

٨٠٢٣٠٤ ذكر بعض سير المهدي وأخباره

ذكر بعض سير المهدي وأخباره

ذكر عن هارون بن أبي عبيد الله، قَالَ: كان المهدي إذا جلس للمظالم، قَالَ: أدخلوا علي القضية، فلو لم يكن ردي للمظالم إلا للحياء منهم لكفى.

وذكر الحسن بن أبي سعيد، قَالَ: حدثني علي بن صالح، قَالَ:

جلس المهدي ذات يوم يعطي جوائز تقسم بحضرته في خاصته من أهل بيته والقواد، وكان يقرأ عليه الأسماء، فيأمر بالزيادة، العشرة

الآلاف والعشرين الألف، وما أشبه ذلك، فعرض عليه بعض القواد، فقال: يحط هذا خمسمائة، قَالَ: لم حططني يا أمير المؤمنين؟

قَالَ: لأنني وجهتك إلى عدو لنا فانهزمت قَالَ: كان يسرك أن أقتل؟ قَالَ: لا، قَالَ: فوالذي أكرمك بما أكرمك به من الخلافة لو ثبت

لقتلت، فاستحيا المهدي منه، وقال: زده خمسة آلاف.

قَالَ الحسن: وحدثني علي بن صالح، قَالَ: غضب المهدي على بعض القواد- وكان عتب عليه غير مرة- فقال له: إلى متى تذهب إلي

وأعفو؟

قَالَ: إلى أبد نسيء، ويبقيك الله فتعفو عنا، فكررها عليه مرات، فاستحيا منه ورضي عنه.

وذكر محمد بن عمر، عن حفص مولى مزينة، عن أبيه، قَالَ: كان هشام الكلبي صديقا لي، فكنا تتلاقى فنتحدث وتناشد، فكنت أراه

في حال رثة وفي أخلاق على بغلة هزيل، والضرب فيه بين وعلى بغلته، فما راعني إلا وقد لقيني يوما على بغلة شقراء من بغال الخلافة،

وسرج ولجام من سروج الخلافة ولجمها، في ثياب جياذ ورائحة طيبة، فأظهرت السرور، ثم قلت له: أرى نعمة ظاهرة، قَالَ لي: نعم،

أخبرك عنها، فاكم، فبينما

أنا في منزلي منذ أيام بين الظهر والعصر، إذ أتاني رسول المهدي فسرت إليه، ودخلت عليه وهو جالس خال ليس عنده أحد، وبين

يديه كتاب، فقال:

ادن يا هشام، فدنوت فجلست بين يديه، فقال: خذ هذا الكتاب فاقرأه ولا يمنعك ما فيه مما تستفظعه أن تقرأه قَالَ: فنظرت في الكتاب، فلما قرأت بعضه استفظعته، فألقيته من يدي، ولعنت كاتبه، فقال لي: قد قلت لك: إن استفظعته فلا تلقه، اقرأه بحقي عليك حتى تأتي على آخره! قَالَ: فقرأته فإذا كتاب قد ثلثه فيه كاتبه ثلثا عجيبا، لم يبق له فيه شيئا، فقلت: يا أمير المؤمنين، من هذا الملعون الكذاب؟ قَالَ: هذا صاحب الأندلس، قَالَ: قلت: فالثلب والله يا أمير المؤمنين فيه وفي آبائه وفي أمهاته.

قَالَ: ثم اندرأت أذكر مثالبهم، قَالَ: فسر بذلك، وقال: أقسمت عليك لما أملت مثالبهم كلها على كاتب قَالَ: ودعا بكاتب من كتاب السر، فأمره فجلس ناحية، وأمرني فصرت إليه، فصدر الكاتب من المهدي جوابا، وأملت عليه مثالبهم فأكثرته، فلم أبق شيئا حتى فرغت من الكتاب، ثم عرضته عليه، فأظهر السرور، ثم لم أبرح حتى أمر بالكتاب نفتم، وجعل في خريطة، ودفع إلى صاحب البريد، وأمر بتعجيله إلى الأندلس قال: ثم دعا بمندبل فيه عشرة أثواب من جياذ الثياب وعشرة آلاف درهم، وهذه البغلة بسرجهما ولجامها، فأعطاني ذلك، وقال لي: اكتم ما سمعت.

قَالَ الحسن: وحدثني مسور بن مساور، قَالَ: ظلمني وكيل للمهدي، وغصبني ضيعة لي، فأتيت سلما صاحب المظالم، فتظلمت منه وأعطيته رقعة مكتوبة، فأوصل الرقعة إلى المهدي، وعنده عمه العباس بن محمد وابن علانة وعافية القاضي قَالَ: فقال لي المهدي: ادنه، فدنوت، فقال:

ما تقول؟ قلت: ظلمتني، قَالَ: فترضى بأحد هذين؟ قَالَ: قلت: نعم،

قَالَ: فادن مني، فدنوت منه حتى التزقت بالفراش، قَالَ: تكلم، قلت:

أصلح الله القاضي! أنه ظلمني في ضيعتي هذا، فقال القاضي: ما تقول يا أمير المؤمنين؟ قَالَ: ضيعتي وفي يدي، قَالَ: قلت: أصلح الله القاضي! سله، صارت الضيعة إليه قبل الخلافة أو بعدها؟ قَالَ: فسأله: ما تقول يا أمير المؤمنين؟ قَالَ: صارت إلي بعد الخلافة قَالَ: فأطلقها له، قَالَ: قد فعلت، فقال العباس بن محمد: والله يا أمير المؤمنين لذا المجلس أحب إلي من عشرين ألف ألف درهم.

قَالَ: وحدثني عبد الله بن الربيع، قَالَ: سمعت مجاهدا الشاعر يقول:

خرج المهدي متنزها، ومعه عمر بن بزيع مولاه، قَالَ: فانقطعنا عن العسكر، والناس في الصيد، فأصاب المهدي جوع، فقال: ويحك! هل من شيء؟

قَالَ: ما من شيء، قَالَ: أرى كوخا وأظنها مبقلة، فقصدنا قصده، فإذا نبطي في كوخ ومبقلة، فسلمنا عليه، فرد السلام، فقلنا له: هل عندك شيء نأكل؟ قَالَ: نعم عندي ريثاء وخبز شعير، فقال المهدي: إن كان عندك زيت فقد أكملت، قَالَ: نعم، قال: وكراث؟ قَالَ: نعم، ما شئت وتمر قَالَ: فعدا نحو المبقلة، فأأثاهم بيقل وكراث وبصل، فأكلا أكلا كثيرا، وشبعا، فقال المهدي لعمر بن بزيع: قل في هذا شعرا، فقال:

إن من يطعم الريثاء بالزيت ... وخبز الشعير بالكراث

لحقيق بصفعة أو بثنتين ... لسوء الصنيع أو بثلاث

فقال المهدي: بئس ما قلت، ليس هكذا.

لحقيق ببذرة أو بثنتين ... لحسن الصنيع أو بثلاث

قال: ووافي العسكر والخزائن وانخدم فأمر للنبطي بثلاث بدر وانصرف.

وذكر محمد بن عبد الله، قَالَ: أخبرني أبو غانم، قَالَ: كان زيد

الهلالي رجلا شريفا سخيا مشهورا من بني هلال، وكان نقش خاتمه:

أفلح يا زيد من زكا عمله، فبلغ ذلك المهدي، فقال زيد الهلالي:

زيد الهلالي نقش خاتمه ... أفلح يا زيد من زكا عمله

قَالَ: وقال الحسن الوصيف: أصابتنا ريح في أيام المهدي حتى ظننا أنها تسوقنا إلى المحشر، فخرجت أطلب أمير المؤمنين، فوجدته واضعا

خده على الأرض، يقول: اللهم احفظ محمداً في أمته، اللهم لا تشمت بنا أعداءنا من الأمم، اللهم إن كنت أخذت هذا العالم بذنبي فهذه ناصيتي بين يديك، قَالَ: فما لبثنا إلا يسيراً حتى انكشفت الريح وانجلي ما كنا فيه.

وَقَالَ الموصلي: قَالَ عبد الصمد بن علي: قلت للمهدي: يا أمير المؤمنين، أنا أهل بيت قد أشرب قلوبنا حب موالينا وتقديمهم، وإنك قد صنعت من ذلك ما أفرطت فيه، قد وليتهم أمورك كلها، وخصصتهم في ليلك ونهارك، ولا آمن تغيير قلوب جندك وقوادك من أهل خراسان، قَالَ:

يا أبا محمد، ان الموالي يستحقون ذلك، وليس أحد يجتمع لي فيه أن أجلس للعامة فأدعوه به فأرفعه حتى تحك ركبته ركبتي، ثم يقوم من ذلك المجلس، فأستكفيه سياسة دابتي، فيكفيها، لا يرفع نفسه عن ذلك الا موالى هؤلاء، فإنهم لا يتعاضمهم ذلك، ولو أردت هذا من غيرهم لقال: ابن دولتك والمتقدم في دعوتك، وأين من سبق إلى بيعتك، لا أدفعه عن ذلك.

قَالَ علي بن محمد: قَالَ الفضل بن الربيع: قَالَ المهدي لعبد الله بن مالك: صارع مولاي هذا، فصارعه، فأخذ بعنقه، فقال المهدي: شد، فلما رأى ذلك عبد الله أخذ برجله فسقط على رأسه فصرعه فقال عبد الله للمهدي: يا أمير المؤمنين، قتت من عندك وأنا أحب الناس إليك، فلم تزل علي مع مولاك قَالَ: أما سمعت قول الشاعر:

ومولاك لا يهضم لديك فإنما ... هضيمة مولى القوم جدع المناخر

قال أبو الخطاب: لما حضرت القاسم بن مجاشع التيمي - من أهل مرو بقرية يقال لها باران - الوفاة أوصى إلى المهدي، فكتب: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» ، إلى آخر الآية ثم كتب: والقاسم بن مجاشع يشهد بذلك، ويشهد أن محمداً عبده ورسوله ص، وان علي بن أبي طالب وصي رسول الله ص ووارث الأمامة بعده قَالَ: فعرضت الوصية على المهدي، فلما بلغ هذا الموضع رمى بها ولم ينظر فيها قَالَ أبو الخطاب: فلم يزل ذلك في قلب أبي عبيد الله الوزير، فلما حضرته الوفاة كتب في وصيته هذه الآية قَالَ: وقال الهيثم بن عدي: دخل على المهدي رجل، فقال:

يا أمير المؤمنين، إن المنصور شتمني وقذف أمي، فإذا أمرتني ان احله، والا عوضني واستغفرت الله له قَالَ: ولم شتمك؟ قَالَ: شتمت عدوه بحضرته، فغضب، قَالَ: ومن عدوه الذي غضب لشمته؟ قَالَ: إبراهيم بن عبد الله ابن حسن، قَالَ: إن إبراهيم أمس به رحماً وأوجب عليه حقاً، فإن كان شتمك كما زعمت، فعن رحمه ذب، وعن عرضه دفع، وما أساء من انتصر لابن عمه قَالَ: انه كان عدواً له، قال: فلم ينتصر للعداوة، وإنما انتصر للرحم، فأسكت الرجل، فلما ذهب ليولي، قَالَ: لعلك أردت أمراً فلم تجد له ذريعة عندك أبليغ من هذه الدعوى! قَالَ: نعم، قَالَ: فتبسم وأمر له بخمسة آلاف درهم.

قَالَ: وأتى المهدي برجل قد تنبأ، فلما رآه، قَالَ: أنت نبي؟ قَالَ: نعم، قَالَ: وإلى من بعثت؟ قَالَ: وتركتموني أذهب إلى من بعثت إليه!

وجهت بالعداوة فأخذتموني بالعشي، ووضعتموني في الحبس! قَالَ: فضحك المهدي منه، وخلي سبيله.

وذكر أبو الأشعث الكندي، قَالَ: حدثني سليمان بن عبد الله، قَالَ:

قَالَ الربيع: رأيت المهدي يصلي في بهو له في ليلة مقمرة، فما أدري أهو أحسن، أم البهو، أم القمر، أم ثيابه! قَالَ: فقرأ هذه الآية: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ» ، قَالَ: فتم صلاته والتفت إلي فقال: يا ربيع، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، قَالَ: علي بموسى، وقام إلى صلاته، قَالَ: فقلت: من موسى؟ ابنه موسى، أو موسى بن جعفر، وكان محبوساً عندي! قَالَ: فجعلت أفكر، قَالَ: فقلت: ما هو إلا موسى بن جعفر، قَالَ: فأحضرته، قَالَ: فقطع صلاته، وقال: يا موسى، إني قرأت هذه الآية: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ» ، نفخت أن أكون قد قطعت رحمك، فوثق لي أنك لا تخرج علي قَالَ: فقال: نعم، فوثق له وخلاه.

وذكر إبراهيم بن أبي علي، قال: سمعت سليمان بن داود، يقول: سمعت المهدي يحدثنا في محراب المسجد على اللحن اليتيم: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ»، في سورة النساء.

وذكر علي بن محمد بن سليمان، قال: حدثني أبي، قال: حضرت المهدي وقد جلس للمظالم، فتقدم إليه رجل من آل الزبير، فذكر ضيعة اصطفاها عن أبيه بعض ملوك بني أمية، ولا أدري: الوليد، أم سليمان! فأمر أبا عبيد الله أن يخرج ذكرها من الديوان العتيق، ففعل، فقرأ ذكرها على المهدي، وكان ذلك أنها عرضت على عدة منهم لم يروا ردها، منهم عمر ابن عبد العزيز، فقال المهدي: يا زبير، هذا عمر بن عبد العزيز، وهو منكم معشر قریش كما علمتم لم ير ردها، قال: وكل أفعال عمر ترضى؟ قال: وأي أفعاله لا ترضى؟ قال: منها أنه كان يفرض للسقط من بني أمية في خرقة في الشرف من العطاء، ويفرض للشيخ من بني هاشم في ستين.

قال: يا معاوية ألك ذلك كان يفعل عمر؟ قال: نعم، قال: اردد على الزبير ضيعته.

وذكر عمر بن شبة أن أبا سلمة الغفاري حدثه، قال: كتب المهدي إلى جعفر بن سليمان وهو عامل المدينة أن يحمل إليه جماعة اتهموا بالقدر، فحمل إليه رجالا، منهم عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، وعبد الله بن يزيد بن قيس الهذلي، وعيسى بن يزيد بن داب اللثي، وإبراهيم ابن محمد بن أبي بكر الأسامي، فأدخلوا على المهدي، فانبرى له عبد الله ابن أبي عبيدة من بينهم، فقال: هذا دين أبيك ورأيه؟ قال: لا، ذاك عمي داود قال: لا، إلا أبوك، على هذا فارقنا وبه كان يدين فأطلقهم.

وذكر علي بن محمد بن سليمان النوفلي، قال: حدثني أبي، عن محمد ابن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، قال: رأيت فيما يرى النائم في آخر سلطان بني أمية، كأني دخلت مسجد رسول الله ص، فرفعت رأسي، فنظرت في الكتاب الذي في المسجد بالفسيفساء فإذا فيه: مما أمر به أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، وإذا قائل يقول: يحو هذا الكتاب ويكتب مكانه اسمه رجل من بني هاشم يقال له محمد قال: قلت: أنا محمد، وأنا من بني هاشم، فابن من؟ قال:

ابن عبد الله، قلت: فأنا ابن عبد الله، فابن من؟ قال: ابن محمد، قلت:

فأنا ابن محمد، فابن من؟ قال: ابن علي، قلت: فأنا ابن علي، فابن من؟ قال: ابن عبد الله، قلت: فأنا ابن عبد الله، فابن من؟ قال: عباس، فلو لم أكن بلغت العباس ما شككت أني صاحب الأمر قال:

فتحدثت بهذه الرؤيا في ذلك الدهر ونحن لا نعرف المهدي، فتحدث الناس بها حتى ولى المهدي، فدخل مسجد رسول الله ص، فرفع راسه

فنظر فرأى اسم الوليد، فقال: وإني لأرى اسم الوليد في مسجد رسول الله ص إلى اليوم، فدعا بكرسي فألقي له في صحن المسجد وقال: ما أنا ببارح حتى يحى ويكتب اسمي مكانه وأمر أن يحضر العمال والصلاليم وما يحتاج إليه، فلم يبرح حتى وكتب اسمه.

وذكر أحمد بن الهيثم القرشي، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عطاء، قال: خرج المهدي بعد هدأة من الليل يطوف بالبيت، فسمع أعرابية من جانب المسجد وهي تقول: قومي مقترون، نبت عنهم العيون، وفدحتهم الديون، وعضتهم السنون، بادت رجالهم، وذهبت أموالهم، وكثر عيالهم، أبناء سبيل، وأنضاء طريق، وصية الله ووصية الرسول، فهل من أمر لي بخير، كالأه الله في سفره، وخلفه في أهله! قال: فأمر نصيرا الخادم، فدفع إليها خمسمائة درهم.

وذكر علي بن محمد بن سليمان، قال: سمعت أبي يقول: كان أول من افترش الطبري المهدي، وذلك أن أباه كان أمره بالمقام بالري، فأهدي إليه الطبري من طبرستان، فافترشه، وجعل الثلج والخلاف حوله، حتى فتح لهم الخيش، فطاب لهم الطبري فيه.

وذكر محمد بن زياد، قال: قال المفضل: قال لي المهدي: اجمع لي الأمثال مما سمعتها من البدو، وما صح عندك قال: فكتبت له الأمثال وحروب العرب مما كان فيها، فوصلني وأحسن إلي.

قال علي بن محمد: كان رجل من ولد عبد الرحمن بن سمره أراد الوثوب بالشام، فحمل إلى المهدي نفلى سبيله وأكرمه، وقرب مجلسه

فقال له يوما: أنشدني قصيدة زهير التي هي على الرءاء، وهي:

لن الديار بقنة الحجر

فأنشده، فقال السمرى: ذهب والله من يقال فيه مثل هذا الشعر، فغضب المهدي واستجهله، ونحاه ولم يعاقبه، واستحمقه الناس. وذكر أن أبا عون عبد الملك بن يزيد مرض، فعاده المهدي، فإذا منزل رث وبناء سوء، وإذا طاق صفته التي هو فيها لبن قال: وإذا مضربة ناعمة في مجلسه، فجلس المهدي على وسادة، وجلس أبو عون بين يديه، فبره المهدي، وتوجع لعلته وقال أبو عون: أرجو عافية الله يا أمير المؤمنين، وألا يمتيني على فراشي حتى أقتل في طاعتك، وإنى لوائق بالآ أموت حتى ألي الله في طاعتك ما هو أهله، فانا قد رويننا قال: فأظهر له المهدي رأيا جميلا، وقال: أوصني بحاجتك، وسلي ما أردت، واحتكم في حياتك ومماتك، فوالله لئن عجز مالك عن شيء توصي به لأحتملنه كائنا ما كان، فقل وأوص قال: فشكر أبو عون ودعا، وقال: يا أمير المؤمنين، حاجتي أن ترضى عن عبد الله بن أبي عون، وتدعوه، فقد طالت موجدتك عليه قال: فقال: يا أبا عون، إنه على غير الطريق، وعلى خلاف رأينا ورأيك، إنه يقع في الشيخين أبي بكر وعمر، ويسيء القول فيهما.

قال: فقال أبو عون: هو والله يا أمير المؤمنين على الأمر الذي خرجنا عليه، ودعونا إليه، فإن كان قد بدا لكم ففرونا بما أحببتم حتى نطيعكم قال:

وانصرف المهدي، فلما كان في الطريق قال لبعض من كان معه من ولده وأهله: ما لكم لا تكونون مثل أبي عون! والله ما كنت أظن منزله إلا مبنيًا بالذهب والفضة، وأنتم إذا وجدتم درهما بنيتم بالساج والذهب.

وذكر أبو عبد الله، قال: حدثني أبي، قال: خطب المهدي يوما، فقال: عباد الله، اتقوا الله، فقام إليه رجل، فقال: وأنت فاتق الله، فإنك تعمل بغير الحق قال: فأخذ فحمل، فجعلوا يتلقونه بنعال سيوفهم، فلما ادخل عليه قال: يا بن الفاعلة، تقول لي وأنا على المنبر: اتق الله! قال:

سوءة لك! لو كان هذا من غيرك كنت المستعدي بك عليه، قال: ما أراك إلا نبطيا، قال: ذاك أوكد للحجة عليك أن يكون نبطي يأمر بك بتقوى الله قال: فرئى الرجل بعد ذلك، فكان يحدث بما جرى بينه وبين المهدي.

قال: فقال أبي: وأنا حاضره، إلا أنني لم أسمع الكلام وقال هارون بن ميمون الخزاعي: حدثنا أبو خزيمة البادغيسي، قال: قال المهدي: ما توسل إلي أحد بوسيلة، ولا تدرع بذريعة هي أقرب من تذكيره إياي يدا سلفت مني إليه أتبعها أختها، فأحسن ربهها، لأن منع الأواخر يقطع شكر الأوائل.

قال: وذكر خالد بن يزيد بن وهب بن جرير، أن أباه حدثه، قال: كان بشار بن برد بن يرجوخ هجا صالح بن داود بن طهمان - أبا يعقوب ابن داود - حين ولي البصرة، فقال: هم حملوا فوق المنابر صالحا... أخاك فضجت من أخيك المنابر

فبلغ يعقوب بن داود هجاؤه، فدخل على المهدي، فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا الأعمى المشرك قد هجا أمير المؤمنين، قال: ويلك! وما قال؟

قال: يعفني أمير المؤمنين من إنشاده ذلك، قال: فأبى عليه إلا أن ينشده، فأنشده:

خليفة يزني بعماته... يلعب بالدبوق والصولجان

أبدلنا الله به غيره... ودس موسى في حر الخيزران

قال: فوجه في حمله، فخاف يعقوب بن داود أن يقدم على المهدي، فيمتدحه فيعنفه عنه، فوجه إليه من يلقيه في البطيحة في الحرارة.

وذكر عبد الله بن عمر: حدثني جدي أبو الحجي العبسي، قال:

لما دخل مروان بن أبي حفصة على المهدي، فأنشده شعره الذي يقول فيه:

أنى يكون وليس ذاك بكائن... لبني البنات وراثته الأعمام

فأجازه بسبعين ألف درهم، فقال مروان:
 بسبعين ألفا راشني من حباته ... وما نالها في الناس من شاعر قبلي
 وذكر أحمد بن سليمان، قال: أخبرني أبو عدنان السلمي، قال: قال المهدي لعمارة بن حمزة: من أرق الناس شعرا؟ قال: والبة بن
 الحباب الأسدي، وهو الذي يقول:
 ولها ولا ذنب لها ... حب كأطراف الرماح
 في القلب يقدح والحشا ... فالقلب مجروح النواحي
 قال: صدقت والله، قال: فما يمنعك من منادمته يا أمير المؤمنين، وهو عربي شريف شاعر ظريف؟ قال: يمنعني والله من منادمته،
 قوله:
 قلت لساقينا على خلوة ... أدن كذا رأسك من رأسي
 ونم على وجهك لي ساعة ... إني امرؤ أنكح جلاسي
 افتريد ان يكون جلّاسه على هذه الشريطة! وذكر محمد بن سلام أنه كان في زمان المهدي إنسان ضعيف يقول الشعر إلى أن مدح
 المهدي قال: فأدخل عليه فأثدده شعرا يقول فيه: وجوار زفرات، فقال له المهدي: أي شيء زفرات؟ قال وما تعرفها أنت يا أمير
 المؤمنين؟ قال: لا والله، قال: فأنت أمير المؤمنين وسيد المسلمين وابن عم رسول الله ص لا تعرفها، أعرفها أنا! كلا والله.
 قال ابن سلام: أخبرني غير واحد أن طريح بن إسماعيل الثقفي دخل على المهدي فانتسب له، وسأله أن يسمع منه، فقال: أأست الذي
 يقول للوليد بن يزيد:
 أنت ابن مسلتطح البطاح ولم ... تطرق عليك الحني والوج
 والله لا تقول لي في مثل هذا أبدا، ولا أسمع منك شعرا، وإن شئت وصلتك.
 وذكر أن المهدي أمر بالصوم سنة ست وستين ليستسقي للناس في اليوم الرابع، فلما كان في الليلة الثالثة أصابهم الثلج، فقال لقيط بن
 بكير المحاربي في ذلك:
 يا إمام الهدى سقينا بك الغيث ... وزالت عنا بك الأواء
 بت تعني بالحفظ والناس نوام ... عليهم من الظلام غطاء
 رقدوا حيث طال ليلك فيهم ... لك خوف تضرع وبكاء
 قد عنتك الأمور منهم على الغفلة ... من معشر عصوا وأساءوا
 وسقينا وقد قطننا وقلنا ... سنة قد تنكرت حمراء
 بدعاء أخلصته في سواد الليل ... لله فاستجيب الدعاء
 بثلوج تحيا بها الأرض حتى ... أصبحت وهي زهرة خضراء
 وذكر أن الناس في أيام المهدي صاموا شهر رمضان في صميم الصيف، وكان أبو دلامة إذ ذاك يطالب بجائزة وعدها إياه المهدي، فكتب
 إلى المهدي رقعة يشكو إليه فيها ما لقي من الحر والصوم، فقال في ذلك:
 أدعوك بالرحم التي جمعت لنا ... في القرب بين قريتنا والأبعد
 ألا سمعت وأنت أكرم من مشي ... من منشد يرجو جزاء المنشد
 حل الصيام فصمته متعبدا ... أرجو ثواب الصائم المتعبد
 وسجدت حتى جبهتي مشجوجة ... مما أكلف من نطاح المسجد
 قال: فلما قرأ المهدي الرقعة دعا به، فقال: أي قرابه بيني وبينك يا بن اللخناء! قال: رحم آدم وحواء فضحك منه وأمر له بجائزة.
 وذكر علي بن محمد، قال: حدثني أبي، عن إبراهيم بن خالد المعيطي قال: دخلت على المهدي - وقد وصف له غنائي - فسألني عن الغناء
 وعن علمي به، وقال لي: تغني النواقيس؟ قلت: نعم والصليب يا أمير المؤمنين! فصرفني، وبلغني أنه قال: معيطي، ولا حاجة لي إليه

فيمن ادنيه من خلوتي ولا آنس به.
ولمبعد المغنى النواقيس في هذا الشعر:
سلا دار ليلي هل تجيب فتنتق ... وأنى ترد القول ببداء سملق
وأنى ترد القول دار كأنها ... لطول بلاها والتقادم مرق
وذكر قعنب بن محرز أبو عمرو الباهلي أن الأصمعي حدثه، قال:
رأيت حكما الوادي حين مضى المهدي إلى بيت المقدس، فعرض له في الطريق، وكان له شعيرات، وأخرج دفا له يضربه، وقال: أنا
القائل:
فتى تخرج العروس ... فقد طال حبسها
قد دنا الصبح أو بدا ... وهي لم تقض لبسها
فتسرع إليه الحرس فصيح بهم: كفوا، وسأل عنه فقيل: حكم الوادي، فأدخله إليه ووصله.
وذكر علي بن محمد أنه سمع أباه يقول: دخل المهدي بعض دوره يوما فإذا جارية له نصرانية، وإذا جيبها واسع وقد انكشف عما بين
ثديها، وإذا صليب من ذهب معلق في ذلك الموضع، فاستحسنه، فمد يده إليه فجذبه،
فأخذه، فولدت على الصليب، فقال المهدي في ذلك:
يوم نازعتها الصليب فقالت ... ويح نفسي أما تحل الصليبا!
قال: وأرسل إلى بعض الشعراء فأجازه، وأمر به فغنى فيه، وكان معجبا بهذا الصوت.
قال: وسمعت أبي يقول: إن المهدي نظر إلى جارية له عليها تاج فيه نرجس من ذهب وفضة، فاستحسنه فقال:
يا حبذا النرجس في التاج.
فارتج عليه، فقال: من بالحضرة؟ قالوا: عبد الله بن مالك، فدعاه، فقال: إني رأيت جارية لي فاستحسننت تاجا عليها فقلت:
يا حبذا النرجس في التاج.
فتستطيع أن تزيد فيه؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، ولكن دعني أخرج فأفكر، قال: شأنك، فخرج وأرسل إلى مؤدب لولده فسأله
إجازته، فقال:
على جبين لاح كالعاج.
وأتمها أبياتا أربعة، فأرسل بها عبد الله إلى المهدي، فأرسل إليه المهدي بأربعين ألفا، فأعطى المؤدب منها أربعة آلاف، وأخذ الباقي
لنفسه، وفيها غناء معروف.
وذكر أحمد بن موسى بن مضر أبو علي، قال: أنشدني التوزي في حسنة جاريته:
أرى ماء وبى عطش شديد ... ولكن لا سبيل إلى الورود
أما يكفيك أنك تملكيني ... وإن الناس كلهم عبيدي
وأنت لو قطعت يدي ورجلي ... لقلت من الرضا أحسنت زيدي
وذكر علي بن محمد، عن أبيه، قال: رأيت المهدي وقد دخل البصرة من قبل سكة قريش، فرأيت يسير والبانوفة بين يديه، بينه وبين
صاحب الشرطة، عليها قباء أسود، متقلدة سيفاً في هيئة الغلمان قال: وإني لأرى في صدرها شيئا من ثديها.
قال علي: وحدثني أبي، قال: قدم المهدي إلى البصرة، فمر في سكة قريش، وفيها منزلنا، وكانت الولاة لا تمر فيها إذا قدم الوالي، كانوا
يتشاءمون بها- قل وال مر فيها فأقام في ولايته إلا يسيرا حتى يعزل- ولم يمر فيها خليفة قط إلا المهدي، كانوا يمرون في سكة عبد
الرحمن بن سمرة، وهي تساوي سكة قريش، فرأيت المهدي يسير، وعبد الله بن مالك على شرطه يسير أمامه، في يده الحربة، وابنته
البانوفة تسير بينه وبين يديه وبين صاحب الشرطة في هيئة الفتیان، عليها قباء أسود ومنطقة وشاشية، متقلدة السيف، وإني لأرى ثديها
قد رفعا القباء لنهودهما.
قال: وكانت البانوفة سمراء حسنة القد حلوة فلها ماتت- وذلك ببغداد- أظهر عليها المهدي جزعا لم يسمع بمثله، فجلس للناس يعزونه،

وأمر ألا يحجب عنه أحد، فأكثر الناس في التعازي، واجتهدوا في البلاغة، وفي الناس من ينتقد هذا عليهم من أهل العلم والأدب، فأجمعوا على أنهم لم يسمعوا تعزية أوجز ولا أبلغ من تعزية شبيب بن شيبه، فإنه قال: يا أمير المؤمنين، الله خير لها منك، وثواب الله خير لك منها، وأنا أسأل الله ألا يحزنك ولا يفتنك. وذكر صباح بن عبد الرحمن، قال: حدثني أبي، قال: توفيت البانوقة بنت المهدي، فدخل عليه شبيب بن شيبه، فقال: أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رزئت أجرا، وأعقبك صبورا، لا أجهد الله بلاءك بنقمة، ولا نزع منك نعمة، ثواب الله خير لك منها، ورحمة الله خير لها منك، وأحق ما صبر عليه ما لا سبيل إلى رده.

٨٠٢٣٠٥ خلافة الهادي

خلافة الهادي

وفي هذه السنة بويج لموسى بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بالخلافة، يوم توفي المهدي، وهو مقيم بجران يحارب أهل طبرستان، وكانت وفاة المهدي بماسبذان ومعه ابنه هارون، ومولاه الربيع ببغداد خلفه بها، فذكر أن الموالي والقواد لما توفي المهدي اجتمعوا إلى ابنه هارون، وقالوا له: إن علم الجند بوفاة المهدي لم تأمن الشغب، والرأي أن يحمل، وتنادي في الجند بالقفل حتى تواريه ببغداد فقال هارون: ادعوا إلي أبي يحيى بن خالد البرمكي - وكان المهدي ولي هارون المغرب كله، من الأنبار إلى إفريقية، وأمر يحيى بن خالد أن يتولى ذلك، فكانت إليه أعماله ودواوينه يقوم بها ويخلفه على ما يتولى منها إلى أن توفي - قال: فصار يحيى بن خالد إلى هارون، فقال له: يا أبت، ما تقول فيما يقول عمر بن بزيع ونصير والمفضل؟ قال: وما قالوا؟ فأخبره، قال: ما أرى ذلك، قال: ولم؟ قال: لأن هذا ما لا يخفى، ولا آمن إذا علم الجند أن يتعلقوا بحمله، ويقولوا: لا نخليه حتى نعطي لثلاث سنين وأكثر، ويتحكموا ويشتطوا، ولكن أرى أن يوارى رحمه الله هاهنا، وتوجه نصيرا إلى أمير المؤمنين الهادي بالخاتم والقضيب والتهنئة والتعزية، فإن البريد إلى نصير، فلا ينكر خروجه أحد إذ كان على بريد الناحية، وأن تأمر لمن معك من الجند بجوائز، مائتين مائتين، وتنادي فيهم بالقفل، فإنهم إذا قبضوا الدراهم لم تكن لهم همة سوى أهاليهم وأوطانهم، ولا عرجة على شيء دون بغداد قال: نفعل ذلك وقال الجند لما قبضوا الدراهم: بغداد بغداد! يتبادرون إليها، ويبعثون على الخروج من ماسبذان، فلما وافوا بغداد، وعلموا خبر الخليفة، ساروا إلى باب الربيع فأحرقوه، وطالبوا بالأرزاق، وضجوا وقدم هارون بغداد،

فبعثت الخيزران إلى الربيع وإلى يحيى بن خالد تشاورهما في ذلك، فأما الربيع فدخل عليها، وأما يحيى فلم يفعل ذلك لعلمه بشدة غيرة موسى.

قال: وجمعت الأموال حتى أعطي الجند لستين، فسكتوا، وبلغ الخبر الهادي، فكتب إلى الربيع كتابا يتوعده فيه بالقتل، وكتب إلى يحيى بن خالد يجزيه الخير، ويأمره أن يقوم من أمر هارون بما لم يزل يقوم به، وأن يتولى أموره وأعماله على ما لم يزل يتولاه قال: فبعث الربيع إلى يحيى بن خالد - وكان يوده، ويثق به، ويعتمد على رأيه: يا أبا علي، ما ترى؟ فإنه لا صبر لي على جر الحديد قال: أرى ألا تبرح موضعك، وأن توجه ابنك الفضل يستقبله ومعه من الهدايا والطرف ما أمكنك، فإني لأرجو ألا يرجع إلا وقد كفيت ما تخاف إن شاء الله قال: وكانت أم الفضل ابنة بحيث تسمع منهما مناجاتهما، فقالت له: نصحك والله قال: فإني أحب أن أوصي إليك، فإني لا أدري ما يحدث فقال: لست أنفرد لك بشيء، ولا أدع ما يجب، وعندي في هذا وغيره ما تحب، ولكن أشرك معي في ذلك الفضل ابنك وهذه المرأة، فإنها جزلة مستحقة لذلك منك ففعل الربيع ذلك، وأوصى إليهم.

قال الفضل بن سليمان: ولما شغب الجند على الربيع ببغداد وأخرجوا من كان في حبسه، وأحرقوا أبواب دوره في الميدان، حضر العباس بن محمد وعبد الملك بن صالح ومحرز بن إبراهيم ذلك، فرأى العباس أن يرضوا، وتطيب أنفسهم، وتفرق جماعتهم بإعطائهم أرزاقهم، فبذل ذلك لهم فلم يرضوا، ولم يثقوا مما ضمن لهم من ذلك، حتى ضمنه محرز بن إبراهيم، فقتنوا بضمانه وتفرقوا، فوفى لهم بذلك، وأعطوا رزق ثمانية عشر شهرا، وذلك قبل قدوم هارون فلما قدم - وكان هو خليفة موسى الهادي - ومعه الربيع وزيرا له، وجه

الوفود إلى الأمصار، ونعى إليهم المهدي، وأخذ بيعتهم لموسى الهادي، وله بولاية العهد من بعده، وضبط أمر بغداد وقد كان نصير الوصيف شخص من ماسبذان من يومه إلى جرجان ب وفاة المهدي والبيعة له، فلما صار إليه نادى بالرحيل، وخرج من فوره على البريد جوادا ومعه من أهل بيته إبراهيم وجعفر، ومن الوزراء عبيد الله بن زياد الكاتب صاحب رسائله، ومحمد بن جميل كاتب جنده فلما شارف مدينة السلام استقبله الناس من أهل بيته وغيرهم، وقد كان احتمال على الربيع ما كان منه وما صنع من توجيه الوفود وإعطائه الجنود قبل قدومه، وقد كان الربيع وجه ابنه الفضل، فتلقيه بما أعد له من الهدايا، فاستقبله بهمدان، فأدناه وقربه، وقال: كيف خلفت مولاي؟ فكتب بذلك إلى أبيه، فاستقبله الربيع، فعاتبه الهادي، فاعتذر إليه، وأعلمه السبب الذي دعاه إلى ذلك، فقبله، وولاه الوزارة مكان عبيد الله بن زياد بن أبي ليلى، وضم إليه ما كان عمر بن بزيع يتولاه من الزمام، وولى محمد بن جميل ديوان خراج العراقين، وولى عبيد الله بن زياد خراج الشام وما يليه، وأقر على حرسه علي بن عيسى بن ماهان، وضم إليه ديوان الجند، وولى شرطه عبد الله بن مالك مكان عبد الله بن خازم، وأقر الخاتم في يد علي بن يقطين.

وكانت موافاة موسى الهادي بغداد عند منصرفه من جرجان لعشرين من صفر من هذه السنة، سار- فيما ذكر عنه- من جرجان إلى بغداد في عشرين يوما، فلما قدمها نزل القصر الذي يسمى الخلد، فأقام به شهرا، ثم تحول إلى بستان أبي جعفر، ثم تحول إلى عيساباذ. وفي هذه السنة هلك الربيع مولى أبي جعفر المنصور.

وقد ذكر علي بن محمد النوفلي أن أباه حدثه أنه كانت لموسى الهادي جارية، وكانت حظية عنده، وكانت تحبه وهو بجرجان حين وجهه إليها المهدي، فقالت أبياتا، وكتبت إليه وهو مقيم بجرجان، منها:

يا بعيد المحل أمسى ... بجرجان نازلا

قال: فلما جاءت البيعة وانصرف إلى بغداد، لم تكن له همة غيرها، فدخل عليها وهي تغني بأبياتها، فأقام عندها يومه وليته قبل أن يظهر لأحد من الناس.

وفي هذه السنة اشتد طلب موسى الزنادقة، فقتل منهم فيها جماعة، فكان ممن قتل منهم يزدان بن باذان كاتب يقطين، وابنه علي بن يقطين من أهل النهروان، ذكر عنه أنه حج فنظر إلى الناس في الطواف يهرولون، فقال:

ما أشبههم إلا ببقر تدوس في البيدر وله يقول العلاء بن الحداد الأعمى:

أي أمين الله في خلقه ... ووراث الكعبة والمنبر

ماذا ترى في رجل كافر ... يشبه الكعبة بالبيدر

ويجعل الناس إذا ما سعوا ... حمرا تدوس البر والدوسر!

فقتله موسى ثم صلبه، فسقطت خشبته على رجل من الحاج فقتلته وقتلت حماره وقتل من بني هاشم يعقوب بن الفضل.

وذكر عن علي بن محمد الهاشمي، قال: كان المهدي أتي بابن لداود ابن علي زنديقا، وأتي يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب زنديقا، في مجلسين متفرقين، فقال لكل واحد منهما كلاما واحدا، وذلك بعد أن أقرأ له بالزندقة، أما يعقوب بن الفضل فقال له: أقر بها بيني وبينك، فأما إن أظهر ذلك عند الناس فلا أفعل ولو قرضتني بالمقاريض، فقال له: ويلك! لو كشفت لك السموات، وكان الأمر كما تقول، كنت حقيقا أن تغضب لمحمد، ولولا محمد ص من كنت! هل كنت إلا إنسانا من الناس! أما والله لولا أنني كنت جعلت لله على عهدا إذا ولاني هذا الأمر ألا أقتل هاشميا لما ناظرتك ولقتلتك.

ثم التفت إلى موسى الهادي، فقال: يا موسى، أقسمت عليك بحقي إن وليت هذا الأمر بعدي ألا تناظرهما ساعة واحدة فمات ابن

داود بن علي في الحبس قبل وفاة المهدي، وأما يعقوب فبقي حتى مات المهدي وقدم موسى من جرجان

فساعة دخل، ذكر وصية المهدي، فأرسل إلى يعقوب من ألقى عليه فراشا، وأقعدت الرجال عليه حتى مات ثم لها عنه ببيعته وتشديد خلافته، وكان ذلك في يوم شديد الحر، فبقي يعقوب حتى مضى من الليل هده، فقيل لموسى:

يا أمير المؤمنين، إن يعقوب قد انتفخ وأروح قال: ابعثوا به إلى أخيه إسحاق ابن الفضل، فخبروه أنه مات في السجن فجعل في زورق

فأذنوا، وعاد الناس إلى المسجد، فوجدوا فيه العظام التي كانوا يأكلون وآثارهم، فجعلوا يدعون الله عليهم، ففعل الله بهم وفعل.
 قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ: حَدَّثَنِي نَصِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْجَمْعِيِّ، أَنَّ حَسِينَذَا لَمَا أَنْتَهَى إِلَى السُّوقِ مَتَوَّجَهَا إِلَى مَكَّةَ التَّفَتَّ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَقَالَ:

لَا خَلْفَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِخَيْرٍ! فَقَالَ النَّاسُ وَأَهْلُ السُّوقِ: لَا بَلْ أَنْتَ، لَا خَلْفَ اللَّهِ عَلَيْكَ بِخَيْرٍ، وَلَا رَدَّكَ! وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَحْدُثُونَ فِي الْمَسْجِدِ، فَلَتَّوهُ قَدْرًا وَبُولًا، فَلَهَا خَرَجُوا غَسَلَ النَّاسَ الْمَسْجِدَ.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: أَخَذَ أَصْحَابُ الْحُسَيْنِ سَتُورَ الْمَسْجِدِ، فَجَعَلُوها خَفَاتَيْنِ لَهُمْ، قَالَ: وَنَادَى أَصْحَابُ الْحُسَيْنِ بِمَكَّةَ:

أَيُّمَا عَبْدٍ أَتَانَا فَهُوَ حُرٌّ، فَأَتَاهُ الْعَبِيدُ، وَأَتَاهُ عَبْدٌ كَانَ لِأَيٍّ، فَكَانَ مَعَهُ، فَلَهَا أَرَادَ الْحُسَيْنُ أَنْ يُخْرِجَ أَتَاهُ أَيُّ فَكَلَّمَهُ، وَقَالَ لَهُ: عَمِدْتَ إِلَى مَمَالِيكَ لَمْ تَمْلِكْهُمْ فَأَعْتَقْتَهُمْ، بِمِ تَسْتَحِلُّ ذَلِكَ! فَقَالَ حُسَيْنٌ لِأَصْحَابِهِ: اذْهَبُوا بِهِ، فَأَيُّ عَبْدٍ عَرَفَهُ فَادْفَعُوهُ إِلَيْهِ، فَذَهَبُوا مَعَهُ، فَأَخَذَ غَلَامَهُ وَغُلَامَيْنِ لَجِيرَانِ لَنَا وَانْتَهَى خَبَرُ الْحُسَيْنِ إِلَى الْهَادِي، وَقَدْ كَانَ حُجٌّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ

بَيْتِهِ، مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ وَالْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى بْنُ عِيسَى، سِوَى مَنْ حُجَّ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَكَانَ عَلَى الْمَوْسَمِ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، فَأَمَرَ الْهَادِي بِالْكَتَابِ بِتَوَلِيَةِ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَلَى الْحَرْبِ، فَقِيلَ لَهُ: عَمَكَ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ! قَالَ: دَعُونِي، لَا وَاللَّهِ لَا أَخْذَعُ عَنْ مَلِكِي، فَفَنَزَعَ الْكَتَابَ بِوَلَايَةِ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ عَلَى الْحَرْبِ، فَلَقِيَهُمُ الْكَتَابُ وَقَدْ انْصَرَفُوا عَنْ الْحُجِّ.

وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَدْ خَرَجَ فِي عِدَّةٍ مِنَ السِّلَاحِ وَالرِّجَالِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الطَّرِيقَ كَانَ مَخُوفًا مَعُورًا مِنَ الْإِعْرَابِ، وَلَمْ يَحْتَشِدْ لَهُمْ حُسَيْنٌ، فَأَتَاهُ خَبَرُهُمْ، فَهَمَّ بِصُوبِهِ، فَخَرَجَ بِخَدْمِهِ وَإِخْوَانِهِ وَكَانَ مُوسَى بْنُ عَلِيٍّ قَدْ صَارَ بِبَطْنِ نَخْلٍ، عَلَى الثَّلَاثِينَ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَانْتَهَى إِلَيْهِ الْخَبَرُ وَمَعَهُ إِخْوَانُهُ وَجَوَارِيهِ، وَانْتَهَى الْخَبَرُ إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ وَكَاتِبِهِمْ، وَسَارُوا إِلَى مَكَّةَ فَدَخَلُوا، فَأَقْبَلَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، وَكَانُوا أَحْرَمُوا بِعِمْرَةٍ ثُمَّ صَارُوا إِلَى ذِي طَوًى، فَعَسَكُرُوا بِهَا، وَمَعَهُمْ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، فَانْضَمَّ إِلَيْهِمْ مَنْ وَافَى فِي تِلْكَ السَّنَةِ مِنْ شِيعَةِ وَلَدِ الْعَبَّاسِ وَمَوَالِيهِمْ وَقَوَادِمِهِمْ وَكَانَ النَّاسُ قَدْ اخْتَلَفُوا فِي تِلْكَ السَّنَةِ فِي الْحُجِّ وَكَثُرُوا جَدًّا ثُمَّ قَدَّمَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَدَامَهُ تَسْعِينَ حَافِرًا مَا بَيْنَ فَرَسٍ إِلَى بَغْلٍ، وَهُوَ عَلَى نَجِيبٍ عَظِيمٍ، وَخَلْفَهُ أَرْبَعُونَ رَاكِبًا عَلَى النِّجَابِ عَلَيْهَا الرِّحَالُ وَخَلْفَهُمْ مَائَتًا رَاكِبًا عَلَى الْحَمِيرِ، سِوَى مَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الرِّجَالِ وَغَيْرِهِمْ، وَكَثُرُوا فِي أَعْيُنِ النَّاسِ جَدًّا وَمَلَأُوا صُدُورَهُمْ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ أَضْعَافُهُمْ، فَطَافُوا بِالْبَيْتِ، وَسَعَوْا بَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرُوءَةِ، وَأَحْلَوْا مِنْ عَمَرَتِهِمْ، ثُمَّ مَضَوْا فَأَتَوْا ذَا طَوًى وَنَزَلُوا، وَذَلِكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ فُوجَهُ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَبَا كَامِلٍ - مَوْلَى لِإِسْمَاعِيلَ بْنِ عَلِيٍّ - فِي نَيْفٍ وَعِشْرِينَ فَارَسًا، وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَلَقِيَهُمْ وَكَانَ فِي أَصْحَابِهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ زَيْدٌ، كَانَ انْقَطَعَ إِلَى الْعَبَّاسِ، فَأَخْرَجَهُ مَعَهُ حَاجًا لَمَا رَأَى مِنْ عِبَادَتِهِ، فَلَهَا رَأَى الْقَوْمُ قَلْبَ تَرْسِهِ وَسَيْفِهِ، وَانْقَلَبَ إِلَيْهِمْ، وَذَلِكَ بِبَطْنِ مَرٍّ، ثُمَّ ظَفَرُوا بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ مُشْدَخًا بِالْأَعْمَدَةِ، فَلَهَا كَانَ لَيْلَةُ السَّبْتِ وَجْهًا خَمْسِينَ فَارَسًا، كَانَ أَوَّلُ مَنْ نَدَبُوا صَبَاحَ أَبُو الذِّيَالِ، ثُمَّ آخَرُ ثُمَّ آخَرُ، فَكَانَ أَبُو خُلُوةٍ الْخَادِمُ مَوْلَى مُحَمَّدٍ خَامَسًا،

فَأَتَوْا الْمُفْضِلَ مَوْلَى الْمُهْدِيِّ، فَأَرَادُوا أَنْ يَصِيرُوهُ عَلَيْهِمْ، فَأَبَى وَقَالَ: لَا، وَلَكِنْ صِيرُوا عَلَيْهِمْ غَيْرِي وَأَكُونُ أَنَا مَعَهُمْ، فَصِيرُوا عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَمِيدَ بْنِ رَزِينِ السَّمَرْقَنْدِيِّ - وَهُوَ يَوْمُئِذٍ شَابٌ ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً - فَذَهَبُوا وَهُمْ خَمْسُونَ فَارَسًا، وَذَلِكَ لَيْلَةُ السَّبْتِ فَدَنَا الْقَوْمُ، وَزَحَفَتْ الْخَيْلُ، وَتَعَبَ النَّاسُ، فَكَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى بْنُ عِيسَى فِي الْمَيْسَرَةِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ فِي الْمَيْمَنَةِ، وَكَانَ مُعَاذُ بْنُ مُسْلَمٍ فِيمَا بَيْنَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ وَالْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ، فَلَهَا كَانَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ جَاءَ حُسَيْنٌ وَأَصْحَابُهُ فَشَدَّ ثَلَاثَةً مِنْ مَوَالِي سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ - أَحَدُهُمْ زَنْجُوِيَّةٌ غَلَامٌ حَسَانٌ - لَجَاءُوا بِرَأْسِ فَطْرَحُوهُ قَدَامَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ - وَقَدْ كَانُوا قَالُوا: مَنْ جَاءَ بِرَأْسِ فَلَهُ خَمْسُمِائَةِ دِرْهَمٍ - وَجَاءَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ فَعَرَقُوا الْإِبِلَ، فَسَقَطَتْ مَحَامِلُهَا فَتَقَتْلُوهُمْ وَهَزَمُوهُمْ، وَكَانُوا خَرَجُوا مِنْ تِلْكَ الثَّنَائِيَا، فَكَانَ الَّذِينَ خَرَجُوا مِمَّا يَلِي مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَقْلَهُمْ، وَكَانَ جَلَهُمْ خَرَجُوا مِمَّا يَلِي مُوسَى بْنُ عِيسَى وَأَصْحَابَهُ، فَكَانَتِ الصَّدْمَةُ بِهِمْ، فَلَهَا فَرَّغَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ مِمَّنْ يَلِيهِ وَاسْفَرُوا، نَظَرُوا إِلَى الَّذِينَ يَلُونَ مُوسَى بْنَ عِيسَى، فَإِذَا هُمْ مُجْتَمِعُونَ كَأَنَّهُمْ كَبَةُ غَزَلٍ، وَالتَّفَتَّ الْمَيْمَنَةُ وَالْقَلْبُ عَلَيْهِمْ، وَانْصَرَفُوا نَحْوَ مَكَّةَ لَا يَدْرُونَ مَا حَالُ الْحُسَيْنِ، فَمَا شَعَرُوا وَهُمْ بِذِي طَوًى أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا إِلَّا بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ خَرَّاسَانَ، يَقُولُ: الْبَشَرَى الْبَشَرَى! هَذَا رَأْسُ حُسَيْنٍ،

فأخرجه وبجبهته ضربة طولاً، وعلى قفاه ضربة أخرى، وكان الناس نادوا بالأمان حين فرغوا، فجاء الحسن بن محمد أبو الزفت مغمضاً إحدى عينيه، قد أصابها شيء في الحرب، فوقف خلف محمد والعباس، واستدار به موسى بن عيسى وعبد الله ابن العباس فأمر به فقتل، فغضب محمد بن سليمان من ذلك غضباً شديداً.

ودخل محمد بن سليمان مكة من طريق والعباس بن محمد من طريق، واحتزت الرءوس، فكانت مائة رأس ونيفا، فيها رأس سليمان بن عبد الله بن حسن وذلك يوم التروية، وأخذت أخت الحسين، وكانت معه فصيرت عند زينب بنت سليمان، واختلطت المنهزمة بالحجاج، فذهبوا، وكان سليمان بن أبي جعفر شاكياً فلم يحضر القتال، ووافى عيسى بن جعفر الحج تلك السنة، وكان مع أصحاب حسين رجل أعمى يقص عليهم فقتل، ولم يقتل أحد منهم صبراً.

قال الحسين بن محمد بن عبد الله: وأسر موسى بن عيسى أربعة نفر من أهل الكوفة، ومولى لبني عجل وآخر. قال محمد بن صالح: حدثني محمد بن داود بن علي، قال: حدثنا موسى بن عيسى، قال: قدمت معي بستة أسارى فقال لي الهادي: هيه! تقتل أسيري! فقلت: يا أمير المؤمنين، إني فكرت فيه فقلت: تجيء عائشة وزينب إلى أم أمير المؤمنين، فتبكيان عندها وتكلمانهما، فتكلم له أمير المؤمنين فيطلقه ثم قال: هات الأسرى، فقلت: إني جعلت لهم العهد والمواثيق بالطلاق والعناق، فقال: اثنتي بهم، وأمر باثنين فقتلا، وكان الثالث منكراً، فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا أعلم الناس بآل أبي طالب، فإن استبقيته ذلك على كل بغية لك، فقال: نعم والله يا أمير المؤمنين، إني أرجو أن يكون بقائي صنعا لك فاطرك ثم قال: نعم والله لإفلاتك من يدي بعد أن وقعت في يدي لشديد، فلم يزل يكلمه حتى أمر به أن يؤخر، وأمره أن يكتب له طلبته، وأما الآخر فصفح عنه، وأمر بقتل عذافر الصيرفي وعلي بن السابق القلاس الكوفي، وأن يصلبها، فصلبوهما بباب الجسر، وكانا اسرا بفخ وغضب على مبارك التركي، وأمر بقبض أمواله وتصويره في ساسة الدواب، وغضب على موسى بن عيسى لقتله الحسن بن محمد، وأمر بقبض أمواله.

وقال عبد الله بن عمرو الثلجي: حدثني محمد بن يوسف بن يعقوب الهاشمي، قال: حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن عيسى، قال: أفلت إدريس بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب من وقعة نغ في خلافة الهادي، فوقع إلى مصر، وعلى بريد مصر واضح مولى لصالح بن أمير المؤمنين المنصور، وكان رافضياً خبيثاً، فحمله على البريد إلى أرض المغرب، فوقع بأرض طنجة بمدينة يقال لها وليلة، فاستجاب له من بها وبأعراضها من البربر، فضرب الهادي عنق واضح وصلبه. ويقال: إن الرشيد الذي ضرب عنقه، وأنه دس إلى إدريس الشيماء اليمامي مولى المهدي، وكتب له كتاباً إلى إبراهيم بن الأغلب عامله على إفريقية،

خرج حتى وصل إلى وليلة وذكر أنه متطرب، وأنه من أوليائهم، ودخل على إدريس فأنس به واطمأن إليه، وأقبل الشماخ يريه الإعظام له والميل إليه والإيثار له فتزل عنده بكل منزلة ثم أنه شكا إليه علة في أسنانه، فأعطاه سنونا مسموما قاتلاً، وأمره أن يستن به عند طلوع الفجر ليلته، فلما طلع الفجر استن إدريس بالسنون، وجعل يرده في فيه، ويكثر منه، فقتله وطلب الشماخ فلم يظفر به، وقدم على إبراهيم بن الأغلب فأخبره بما كان منه، وجاءته بعد مقدمه الأخبار بموت إدريس، فكتب ابن الأغلب إلى الرشيد بذلك، فولى الشماخ بريد مصر واجاره، فقال في ذلك بعض الشعراء - أظنه الهنازي:

أتظن يا إدريس أنك مفلت ... كيد الخليفة أو يفيد فرار

فليدركنك أو تحل ببلدة ... لا يهتدي فيها إليك نهار

إن السيوف إذا انتضاها سخطه ... طالت وقصر دونها الأعمار

ملك كأن الموت يتبع أمره ... حتى يقال: تطيعه الأقدار

وذكر الفضل بن إسحاق الهاشمي أن الحسين بن علي لما خرج بالمدينة وعليها العمرى لم يزل العمرى متخفياً مقام الحسين بالمدينة، حتى خرج إلى مكة وكان الهادي وجه سليمان بن أبي جعفر لولاية الموسم، وشخص معه من أهل بيته ممن أراد الحج العباس بن محمد وموسى بن عيسى واسماعيل بن عيسى ابن موسى في طريق الكوفة، ومحمد بن سليمان وعدة من ولد جعفر بن سليمان على طريق البصرة، ومن

الموالي مبارك التركي والمفضل الوصيف وصاعد مولى الهادي- وكان صاحب الأمر سليمان- ومن الوجوه المعروفين يقطين بن موسى وعبيد ابن يقطين وابو الوزير عمر بن مطرف، فاجتمعوا عند الذي بلغهم من توجه الحسين ومن معه إلى مكة، ورأسوا عليهم سليمان بن أبي جعفر لولايته، وكان قد جعل أبو كامل مولى إسماعيل على الطلائع، فلقوه بفخ، وخلفوا عبيد الله بن قثم بمكة للقيام بأمرها وأمر أهلها، وقد كان العباس بن محمد أعطاهم الأمان على ما أحدثوا، وضمن لهم الإحسان إليهم والصلة لأرحامهم،

وكان رسولهم في ذلك المفضل الخادم، فأبوا قبول ذلك، فكانت الوقعة، فقتل من قتل، وانهمز الناس، ونودي فيهم بالأمان، ولم يتبع هارب، وكان فيمن هرب يحيى وإدريس ابنا عبد الله بن حسن، فأما إدريس فلحق بتاهرت من بلاد المغرب، فلبأ إليهم فأعظموه، فلم يزل عندهم إلى أن تلتف له، واحتيل عليه، فهلك، وخلفه ابنه إدريس بن إدريس، فهم إلى اليوم بتلك الناحية مالكين لها، وانقطعت عنهم البعوث قال المفضل بن سليمان: لما بلغ العمري وهو بالمدينة مقتل الحسين بفخ وثب على دار الحسين ودور جماعة من أهل بيته وغيرهم ممن خرج مع الحسين، فهدمها وحرق النخل، وقبض ما لم يحرقه، وجعله في الصوافي المقبوضة قال:

وغضب الهادي على مبارك التركي لما بلغه من صدوده عن لقاء الحسين بعد أن شارف المدينة، وأمر بقبض أمواله وتصويره في سياسة دوابه، فلم يزل كذلك إلى وفاة الهادي، ويخط على موسى بن عيسى لقتله الحسن بن محمد بن عبد الله أبي الزفت، وتركه أن يقدم به أسيرا، فيكون المحكم في أمره، وأمر بقبض أمواله، فلم تزل مقبوضة إلى أن توفي موسى وقدم على موسى ممن أسرفخ الجماعة، وكان فيهم عذافر الصيرفي وعلى بن سابق القلاس الكوفي، فأمر بضرب أعناقهما وصلبهما بباب الجسر ببغداد، ففعل ذلك قال: ووجه مهرويه مولاه إلى الكوفة، وأمره بالتغليظ عليهم لخروج من خرج منهم مع الحسين.

وذكر علي بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، قال: حدثني يوسف البرم مولى آل الحسن- وكانت أمه مولاة فاطمة بنت حسن- قال: كنت مع حسين أيام قدم على المهدي، فأعطاه أربعين ألف دينار، ففرقها في الناس ببغداد والكوفة، وو الله ما خرج من الكوفة وهو يملك شيئا يلبسه إلا فروا ما تحته قيص وإزار الفراش، ولقد كان في طريقه إلى المدينة، إذا نزل استقرض من مواله ما يقوم بمؤونتهم في يومهم قال علي: وحدثني السري أبو بشر، وهو حليف بني زهرة، قال: صليت الغداة في اليوم الذي خرج فيه الحسين بن علي بن الحسن صاحب فخ، فصلى

بنا حسين، وصعد المنبر منبر رسول الله ص، فجلس وعليه قيص وعمامة بيضاء قد سد لها من بين يديه ومن خلفه، وسيفه مسلول قد وضعه بين رجله، إذ أقبل خالد البربري في أصحابه، فلما أراد أن يدخل المسجد بدره يحيى بن عبد الله، فشد عليه البربري، وإني لأنظر إليه، فبدره يحيى بن عبد الله، فضربه على وجهه، فأصاب عينيه وانفه، فقطع البيضة والقلنسوة نظرت إلى خفه طائرا عن موضعه، وحمل على أصحابه فانهزموا ثم رجع إلى حسين، فقام بين يديه وسيفه مسلول يقطر دما، فتكلم حسين، فحمد الله وأثنى عليه، وخطب الناس، فقال في آخر كلامه:

يا أيها الناس، أنا ابن رسول الله في حرم رسول الله، وفي مسجد رسول الله، وعلى منبر نبي الله، أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ص، فإن لم أف لكم بذلك فلا بيعة لي في أعناقكم قال: وكان أهل الزيارة في عامهم ذلك كثيرا، فكانوا قد ملثوا المسجد، فإذا رجل قد نهض، حسن الوجه، طويل القامة، عليه رداء ممشق، أخذ بيد ابن له شاب جميل جلد، فتخطى رقاب الناس، حتى انتهى إلى المنبر، فدنا من حسين، وقال: يا بن رسول الله، خرجت من بلد بعيد وابني هذا معي، وأنا أريد حج بيت الله وزيارته قبر نبيه ص، وما يخطر ببالي هذا الأمر الذي حدث منك، وقد سمعت ما قلت، فعندك وفاء بما جعلت على نفسك؟ قال: نعم، قال:

أبسط يدك فأبابعك، قال: فبايعه، ثم قال لابنه: ادن فبايع قال:

فرأيت والله رءوسهما في الرءوس بمنى، وذلك أني حججت في ذلك العام. قال: وحدثني جماعة من أهل المدينة أن مباركا التركي أرسل إلى حسين ابن علي: والله لأن أسقط من السماء فتخطفني الطير، أو تهوي بي الريح في مكان سحيق، أيسر علي من أن أشوكك بشوكة، أو أقطع من رأسك شعرة، ولكن لا بد من الأعذار، فبيني فإني

منهزم عنك فأعطاه بذلك عهد الله وميثاقه قَالَ: فوجه إليه الحسين- أو خرج إليه- في نفر يسير، فلما دنوا من عسكره صاحوا وكبروا، فانهزم أصحابه حتى لحق بموسى بن عيسى.

وذكر أبو المضرحي الكلبي، قَالَ: أخبرني الفضل بن محمد بن الفضل ابن حسين بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، أن الحسين بن علي بن حسن بن حسن، قَالَ يومئذ في قوم لم يخرجوا معه- وكان قد وعدوه أن يوافوه، فتخلفوا عنه- متمثلاً:

من عاذ بالسيف لاقى فرصة عجا... موتاً على عجل أو عاش منتصفاً
لا تقربوا السهل إن السهل يفسدكم... لن تدركوا المجد حتى تضربوا عنفاً
وذكر الفضل بن العباس الهاشمي أن عبد الله بن محمد المنقري حدثه عن أبيه، قَالَ: دخل عيسى بن دأب على موسى بن عيسى عند منصرفه من نفع، فوجده خائفاً يلتمس عذراً من قتل من قتل، فقال له: أصلح الله الأمير! أنشدك شعراً كتب به يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة يعتذر فيه من قتل الحسين بن علي رضي الله عنه؟ قَالَ: أنشدني، فأشده، فقال:

يأيتها الراكب الغادي لطيته... على عذافرة في سيرها قم
أبلغ قريشاً على شحط المزار بها... بيني وبين الحسين الله والرحم
وموقف بفناء البيت أشده... عهد الإله وما ترعى له الذمم
عنتم قومكم نخراً بأكم... أم حصان لعمرى برة كرم
هي التي لا يداني فضلها أحد... بنت النبي وخير الناس قد علموا
وفضلها لكم فضل وغيركم... من قومكم لهم من فضلها قسم
إني لأعلم أو ظنا كعالمه... والظن يصدق أحياناً فينتظم
أن سوف يترككم ما تطلبون بها... قتلى تهاداكم العقبان والرحم
يا قومنا لا تشبوا الحرب إذ نحمدت... ومسكوا بحبال السلم واعتصموا
لا تركبوا البغي إن البغي مصرعة... وإن شارب كأس البغي يتخم
قد جرب الحرب من قد كان قبلكم... من القرون وقد بادت بها الأمم
فأنصفوا قومكم لا تهلكوا بذخا... فرب ذي بذخ زلت به القدم
قَالَ: فسري عن موسى بن عيسى بعض ما كان فيه.

وذكر عبد الله بن عبد الرحمن بن عيسى بن موسى أن العلاء حدثه أن الهادي أمير المؤمنين لما ورد عليه خلع أهل نفع خلا ليله يكتب كتاباً بخطه، فاغتم بخلوته مواليه وخاصته، فدرسوا غلاماً له، فقالوا: اذهب حتى تنظر إلى أي شيء انتهى الخبر، قَالَ: فدنا من موسى، فلما رآه قَالَ: ما لك؟

فاعتل عليه قَالَ: فأطرق ثم رفع رأسه إليه، فقال:

وقد الألى ليس السرى من شأنهم... وكفاهم الإدلاج من لم يرق
وذكر أحمد بن معاوية بن بكر الباهلي، قَالَ: حدثنا الأصمعي، قَالَ: قَالَ محمد بن سليمان ليلة نفع لعمر بن أبي عمرو المدني- وكان يرمي بين يديه بين الهدفين: ارم، قال: لا والله لا ارمي ولد رسول الله ص، إني إنما صحبتك لأرمي بين يديك بين الهدفين، ولم أصحبك لأرمي المسلمين.

قَالَ: فقال المخزومي: ارم، فرمى فما مات إلا بالبرص.

قَالَ: ولما قتل الحسين بن علي وجاء برأسه يقطين بن موسى، فوضع بين يدي الهادي، قَالَ: كأنكم والله جئتم برأس طاغوت من الطواغيت! إن أقل ما أجزيكم به أن أحرمتكم جوائزكم قَالَ: فخرمهم ولم يعطهم شيئاً.

وقال موسى الهادي: لما قتل الحسين متمثلاً:
قد أنصف القارة من رامها ... إنا إذا ما فئة نلقاها
نزد أولائها على أخراها.
وغزا الصائفة في هذه السنة معيوف بن يحيى من درب الراهب، وقد كانت الروم أقبلت مع البطريق إلى الحدث، فهرب الوالي والجند وأهل الأسواق،
فدخلها العدو، ودخل أرض العدو معيوف بن يحيى، فبلغ مدينه أشنة، فأصابوا سبايا وأسارى وغنموا.
وجج بالناس في هذه السنة سليمان بن أبي جعفر المنصور.
وكان على المدينة عمر بن عبد العزيز العمري، وعلى مكة والطائف عبيد الله بن قثم، وعلى اليمن إبراهيم بن سلم بن قتيبة، وعلى اليمامة والبحرين سويد بن أبي سويد القائد الخراساني، وعلى عمان الحسن بن تسنيم الحواري، وعلى صلاة الكوفة وأحداثها وصدقاتها وبهقباذ الأسفل موسى بن عيسى، وعلى صلاة البصرة وأحداثها محمد بن سليمان، وعلى قضائها عمر بن عثمان، وعلى جرجان الحاج مولى الهادي، وعلى قومس زياد بن حسان، وعلى طبرستان والرويان صالح بن شيخ بن عميرة الأسدي، وعلى أصبهان طيفور مولى الهادي.

٨٠٢٤ سنه سبعين ومائه

٨٠٢٤٠١ ذكر الخبر عن وفاه موسى الهادي

ثم دخلت

سنة سبعين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فن ذلك وفاة يزيد بن حاتم بإفريقية فيها، ووليا بعده روح بن حاتم.
وفيه مات عبد الله بن مروان بن محمد في المطبق.

ذكر الخبر عن وفاه موسى الهادي

وفيه توفي موسى الهادي بعيساباذ واختلف في السبب الذي كان به وفاته، فقال بعضهم: كانت وفاته من قرحة كانت في جوفه وقال آخرون:

كانت وفاته من قبل جوار لأمه الخيزران، كانت أمرتهن بقتله لأسباب نذكر بعضها ذكر الخبر عن السبب الذي من أجله كانت أمرتهن بقتله:

ذكر يحيى بن الحسن أن الهادي نابذ أمه ونافرها، لما صارت إليه الخلافة، فصارت خالصة إليه يوماً، فقالت: إن أملك تستكسيك، فأمر لها بخزانة مملوءة كسوة قال: ووجد للخيزران في منزلها من قراقر الوشي ثمانية عشر ألف قرقر قال: وكانت الخيزران في أول خلافة موسى تفتت عليه في أموره، وتسلك به مسلك أبيه من قبله في الاستبداد بالأمر والنهي، فأرسل إليها ألا تخرجي من خفر الكفاية إلى بذادة التبذل، فإنه ليس من قدر النساء الاعتراض في أمر الملك، عليك بصلاتك وتسبيحك وتبتلك، ولك بعد هذا طاعة مثلك فيما يجب لك قال: وكانت الخيزران في خلافة موسى كثيراً ما تكلمه في الحوائج، فكان يجيبها إلى كل ما تسأله حتى مضى لذلك أربعة أشهر من خلافته، وانتال الناس عليها، وطمعوا فيها، فكانت المواكب تغدو إلى بابها، قال: فكلته يوماً في أمر لم يجد إلى إجابتها إليه سييلاً، فاعتل بعلته، فقالت: لا بد من إجابتي، قال: لا أفعل، قالت: فإني قد تضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك قال: فغضب موسى، وقال:

ويل على ابن الفاعلة! قد علمت انه صاحبها، والله لا قضيتها لك، قالت:

إذا والله لا أسألك حاجة أبداً، قال: إذا والله لا أبالي وحيي وغضب.

فقامت مغضبة، فقال: مكانك تستوعي كلامي والله، وإلا فأنا نفي من قرابتي من رسول الله ص لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوايدي أو أحد من خاصتي أو خدي لأضربن عنقه، ولأقبضن ماله، فمن شاء فليلزم ذلك ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك

في كل يوم! أما لك مغزل يشغلك، أو مصحف يذكرك، أو بيت يصونك! إياك ثم إياك، ما فتحت بابك لمي أو لذي فأنصرفت ما تعقل ما تطأ، فلم تنطق عنده بحلوة ولا مرة بعدها.

قَالَ يحيى بن الحسن: وحدثني أبي، قال: سمعت خالصة تقول للعباس ابن الفضل بن الربيع: بعث موسى إلى أمه الخيزران بأرزة، وقال: استطبتها فأكلت منها، فكلي منها قالت خالصة: فقلت لها: أمسكي حتى تنظري، فإني أخاف أن يكون فيها شيء تكرهينه، فجاءوا بكلب فأكل منها، فتساقط لحمه، فأرسل إليها بعد ذلك: كيف رأيت الأرزة؟ فقالت:

وجدتها طيبة، فقال: لم تأكلي، ولو أكلت لكنت قد استرحت منك، متى أفلح خليفة له أم! قَالَ وحدثني بعض الهاشميين، أن سبب موت الهادي كان أنه لما جد في خلع هارون والبيعة لابنه جعفر، وخافت الخيزران على هارون منه، دست إليه من جواربها لما مرض من قتله بالغم والجلوس على وجهه، ووجهته إلى يحيى بن خالد: أن الرجل قد توفي، فاجدد في أمرك ولا تقصر.

وذكر محمد بن عبد الرحمن بن بشار أن الفضل بن سعيد حدثه، عن أبيه، قَالَ: كان يتصل بموسى وصول القواد إلى أمه الخيزران، يؤملون بكلامها

٨٠٢٤٠٢ ذكر الخبر عما كان من خلع الهادي للرشد

في قضاء حوائجهم عنده، قَالَ: وكانت تريد أن تغلب على أمره كما غلبت على أمر المهدي، فكان يمنعها من ذلك ويقول: ما للنساء والكلام في أمر الرجال! فلما كثر عليه مصير من يصير إليها من قواده، قَالَ يوما وقد جمعهم:

أيما خير؟ أنا أو أنتم؟ قالوا: بل أنت يا أمير المؤمنين، قَالَ: فأيا خير، أمي أو أمهاتكم؟ قالوا: بل أمك يا أمير المؤمنين، قَالَ: فأياكم يحب أن يتحدث الرجال بخبر أمه، فيقولوا: فعلت أم فلان، وصنعت أم فلان، وقالت أم فلان؟ قالوا: ما أحد منا يحب ذلك، قَالَ: فما بال الرجال يأتون أمي فيتحدثون بحديثها! فلما سمعوا ذلك انقطعوا عنها البتة، فشق ذلك عليها فاعتزلته، وحلفت ألا تكلمه، فما دخلت عليه حتى حضرته الوفاة.

ذكر الخبر عما كان من خلع الهادي للرشد

وكان السبب في إرادة موسى الهادي خلع أخيه هارون حتى اشتد عليه في ذلك وجد- فيما ذكر صالح بن سليمان- أن الهادي لما أفضت إليه الخلافة أقر يحيى بن خالد على ما كان يلي هارون من عمل المغرب، فأراد الهادي خلع هارون الرشيد والبيعة لابنه جعفر بن موسى الهادي، وتابعه على ذلك القواد، منهم يزيد بن مزيد وعبد الله بن مالك وعلي بن عيسى ومن أشبههم، نخلعوا هارون، وبايعوا لجعفر بن موسى، ودسوا إلى الشيعة، فتكلموا في أمره، وتتقصوه في مجلس الجماعة، وقالوا: لا نرضى به، وصعب أمرهم حتى ظهر، وأمر الهادي ألا يسار قدام الرشيد بحربة، فاجتنبه الناس وتركوه، فلم يكن أحد يجترئ أن يسلم عليه ولا يقربه.

وكان يحيى بن خالد يقوم بإزالة الرشيد ولا يفارقه هو وولده- فيما ذكر.

قَالَ صالح: وكان إسماعيل بن صبيح كاتب يحيى بن خالد، فأحب أن يضعه موضعا يستعلم له فيه الأخبار، وكان إبراهيم الحاراني في موضع الوزارة لموسى، فاستكتب إسماعيل، ورفع الخبر إلى الهادي، وبلغ ذلك يحيى بن خالد، فأمر إسماعيل أن يشخص إلى حران، فسار إليها، فلما كان بعد أشهر سأل

الهادي إبراهيم الحاراني: من كاتبك؟ قَالَ: فلان كاتب، وسماه، فقال:

أليس بلغني أن إسماعيل بن صبيح كاتبك؟ قَالَ: باطل يا أمير المؤمنين، إسماعيل بحران.

قَالَ: وسعي إلى الهادي يحيى بن خالد، وقيل له: إنه ليس عليك من هارون خلاف، وإنما يفسده يحيى بن خالد، فابعث إلى يحيى، وتهده بالقتل، وارمه بالكفر، فأغضب ذلك موسى الهادي على يحيى بن خالد.

وذكر أبو حفص الكرماني أن محمد بن يحيى بن خالد حدثه، قَالَ:

بعث الهادي إلى يحيى ليلا، فأليس من نفسه، وودع أهله، وتحنط وجدد ثيابه، ولم يشك أنه يقتله، فلما أدخل عليه، قَالَ: يا يحيى، ما

لي ولك! قَالَ: أنا عبدك يا أمير المؤمنين، فما يكون من العبد إلى مولاه إلا طاعته.

قَالَ: فلم تدخل بيني وبين أخي وتفسده علي! قَالَ: يا أمير المؤمنين، من أنا حتى أدخل بينكما! إنما صيرني المهدي معه، وأمرني بالقيام بأمره، فقممت بما أمرني به، ثم أمرتني بذلك فأنهيت إلى أمرك قَالَ: فما الذي صنع هارون؟

قَالَ: ما صنع شيئاً، ولا ذلك فيه ولا عنده قَالَ: فسكن غضبه وقد كان هارون طاب نفساً بالخلع، فقال له يحيى: لا تفعل، فقال: أليس يترك لي الهنيء والمريء، فهما يسعاني وأعيش مع ابنة عمي! وكان هارون يجد بأمر جعفر وجداً شديداً، فقال له يحيى: وأين هذا من الخلافة! ولعلك ألا يترك هذا في يدك حتى يخرج أجمع، ومنعه من الإجابة.

قَالَ الكرمانى: فحدثني صالح بن سليمان، قَالَ: بعث الهادي إلى يحيى بن خالد وهو بعيساباذ ليلاً، فراه ذلك، فدخل عليه وهو في خلوة، فأمر بطلب رجل كان أخافه، فتغيب عنه، وكان الهادي يريد أن ينادمه ويمنعه مكانه من هارون، فنادمه وكلمه يحيى فيه، فأمنه وأعطاه خاتم ياقوت أحمر في يده، وقال: هذا أمانه، وخرج يحيى فطلب الرجل، وأتى الهادي به فسر بذلك

قَالَ: وحدثني غير واحد أن الرجل الذي طلبه كان إبراهيم الموصلي.

قَالَ صالح بن سليمان: قَالَ الهادي يوماً للربيع: لا يدخل علي يحيى بن خالد إلا آخر الناس قَالَ: فبعث إليه الربيع، وتفرغ له قَالَ: فلما جلس من غد أذن حتى لم يبق أحد، ودخل عليه يحيى، وعنده عبد الصمد ابن علي والعباس بن محمد وجملة أهله وقواده، فما زال يديه حتى أجلسه بين يديه، وقال له: إني كنت أظلمك وأكفرك، فاجعلني في حل، فتعجب الناس من إكرامه إياه وقوله، فقبل يحيى يده وشكر له، فقال له الهادي: من الذي يقول فيك يا يحيى:

لو يمس البخیل راحة يحيى ... لسخت نفسه ببذل النوال

قَالَ: تلك راحتك يا أمير المؤمنين لا راحة عبدك! قَالَ: وقال يحيى للهادي في خلع الرشيد لما كلمه فيه: يا أمير المؤمنين، إنك إن حملت الناس على نكث الأيمان هانت عليهم أيمانهم، وإن تركتهم على بيعه أخيك ثم بايعت لجعفر من بعده كان ذلك أوكد لبيعته، فقال: صدقت ونصحت، ولي في هذا تدبير.

قَالَ الكرمانى: وحدثني خزيمه بن عبد الله، قَالَ: أمر الهادي بحبس يحيى بن خالد على ما أراه عليه من خلع الرشيد، فرفع إليه يحيى رقعة: أن عندي نصيحة، فدعا به، فقال: يا أمير المؤمنين، اخلي، فأخلاه، فقال:

يا أمير المؤمنين، أرأيت إن كان الأمر - أسأل الله ألا نبغى، وأن يقدمنا قبله - أتظن أن الناس يسلمون الخلافة لجعفر، وهو لم يبلغ الحلم، ويرضون به لصلاتهم وحجهم وغزاهم! قَالَ: والله ما أظن ذلك، قَالَ:

يا أمير المؤمنين، أفأمن أن يسمو إليها أهلك وجاتهم مثل فلان وفلان، ويطمع فيها غيرهم، فتخرج من ولد أبيك؟ فقال له: نهيتني يا يحيى - قَالَ: وكان يقول: ما كلمت أحداً من الخلفاء كان أعقل من موسى - قَالَ: وقال له:

لو أن هذا الأمر لم يعقد لأخيك، أما كان ينبغي أن تعقده له، فكيف بأن تحله عنه، وقد عقده المهدي له! ولكن أرى أن تقر هذا الأمر يا أمير المؤمنين

على حاله، فإذا بلغ جعفر، وبلغ الله به، أتيت به بالرشيد نخلع نفسه، وكان أول من يبايعه ويعطيه صفقه يده قال: فقبل الهادي قوله ورأيه، وأمر بإطلاقه.

وذكر الموصلي عن محمد بن يحيى، قَالَ: عزم الهادي بعد كلام أبي له على خلع الرشيد، وحمله عليه جماعة من مواليه وقواده، أجابه إلى الخلع أو لم يجبه، واشتد غضبه منه، وضيق عليه وقال يحيى لهارون: استأذنه في الخروج إلى الصيد، فإذا خرجت فاستبعد ودافع الأيام، فرفع هارون رقعة يستأذن فيها، فأذن له، فمضى إلى قصر مقاتل، فأقام به أربعين يوماً حتى أنكر الهادي أمره وغمه احتباسه، وجعل يكتب إليه ويصرفه، فتعلل عليه حتى تفاقم الأمر، وأظهر شتمه، وبسط مواليه وقواده الستهم فيه، والفضل ابن يحيى إذ ذاك خليفة أبيه، والرشيد بالباب، فكان يكتب إليه بذلك، وانصرف وطال الأمر.

قَالَ الكرمانى: فحدثني يزيد مولى يحيى بن خالد، قَالَ: بعث الخيزران عاتكة - ظئراً كانت لهارون - إلى يحيى، فشقت جيها بين يديه،

وتبكي إليه وتقول له: قالت لك السيدة: الله الله في ابني لا تقتله، ودعه يجيب أخاه إلى ما يسأله ويريده منه، فبقاؤه أحب إلي من الدنيا بجمع ما فيها قال:

فصاح بها، وقال لها: وما أنت وهذا! إن يكن ما تقولين فإني وولدي وأهلي سنقتل قبله، فإن اتهمت عليه فلست بمتهم على نفسي ولا عليهم قال:

ولما لم ير الهادي يحيى بن خالد يرجع عما كان عليه لهارون بما بذل له من اكرام واقطاع وصله، بعث إليه يتهدده بالقتل إن لم يكف عنه قال:

فلم تزل تلك الحال من الخوف والخطر، ومات أم يحيى وهو في الخلد ببغداد، لأن هارون كان ينزل الخلد، ويحيى معه، وهو ولي العهد، نازل في داره يلقاه في ليله ونهاره.

وذكر محمد بن القاسم بن الربيع، قال: أخبرني محمد بن عمرو الرومي،

قال: حدثني أبي، قال: جلس موسى الهادي بعد ما ملك في أول خلافته جلوسا خاصا، ودعا بإبراهيم بن جعفر بن أبي جعفر وإبراهيم بن سلم بن قتيبة والحرائي، فجلسوا عن يساره، ومعهم خادم له أسود يقال له أسلم، ويكنى أبا سليمان، وكان يثق به ويقدمه، فبينما هو كذلك، إذ دخل صالح صاحب المصلى، فقال: هارون بن المهدي، فقال: ائذن له، فدخل فسلم عليه، وقبل يديه، وجلس عن يمينه بعيدا من ناحية، فأطرق موسى ينظر إليه، وأدمن ذلك، ثم التفت إليه، فقال: يا هارون، كأني بك تحدث نفسك بتمام الرؤيا، وتؤمل ما أنت منه بعيد، ودون ذلك خطر القتاد، تؤمل الخلافة! قال: فبرك هارون على ركبته، وقال: يا موسى، إنك إن تجبرت وضعت، وإن تواضعت رفعت، وإن ظلمت خلت، وإني لأرجو أن يفضي الأمر إلي، فأنصف من ظلمت، وأصل من قطعت، وأصير أولادك أعلى من أولادي، وأزوجهم بناتي، وأبلغ ما يجب من حق الإمام المهدي قال: فقال له موسى: ذلك الظن بك يا أبا جعفر، ادن مني، فدنا منه، فقبل يديه، ثم ذهب يعود إلى مجلسه، فقال له: لا والشيخ الجليل، والملك النبيل - أعني أباك المنصور - لا جلست إلا معي، وأجلسه في صدر المجلس معه، ثم قال: يا حرائي، احمل إلى أخي ألف دينار، وإذا افتتح الخراج فاحمل إليه النصف منه، واعرض عليه ما في الخزائن من مالنا، وما أخذ من أهل بيت اللعنة، فيأخذ جميع ما أراد قال:

ففعل ذلك ولما قام قال لصالح: أدن دابته إلى البساط قال عمرو الرومي:

وكان هارون يأنس بي، فقممت إليه فقلت: يا سيدي، ما الرؤيا التي قال لك أمير المؤمنين؟ قال: قال المهدي: أريت في منامي كأني دفعت إلى موسى قضيبا وإلى هارون قضيبا، فأورق من قضيب موسى أعلاه قليلا، فأما هارون فأورق قضيبه من أوله إلى آخره فدعا المهدي الحكم بن موسى الضمري - وكان يكنى أبا سفيان - فقال له: عبر هذه الرؤيا، فقال: يملكان جميعا، فأما موسى فتقل أيامه، وأما هارون فيبلغ مدى ما عاش خليفة، وتكون أيامه

أحسن أيام، ودهره أحسن دهر قال: ولم يلبث إلا أياما يسيرة، ثم اعتل موسى ومات، وكانت علة ثلاثة أيام.

قال عمرو الرومي: أفضت الخلافة إلى هارون، فزوج حمدونة من جعفر ابن موسى، وفاطمة من إسماعيل بن موسى، ووفى بكل ما قال، وكان دهره أحسن الدهور.

وذكر أن الهادي كان قد خرج إلى الحديث، حديثه الموصل، فرض بها، واشتد مرضه، فانصرف فذكر عمرو البشكري - وكان في الخدم - قال:

انصرف الهادي من الحديث بعد ما كتب إلى جميع عماله شرقا وغربا بالقدوم عليه، فلما ثقل اجتمع القوم الذين كانوا بايعوا لجعفر ابنه، فقالوا: إن صار الأمر إلى يحيى قتلنا ولم يستبقنا، فتأمروا على أن يذهب بعضهم إلى يحيى بأمر الهادي، فيضرب عنقه ثم قالوا: لعل أمير المؤمنين يفتق من مرضه، فما عذرنا عنده! فأمسكوا ثم بعث الخيزران إلى يحيى تعلمه أن الرجل لما به، وتأمره بالاستعداد لما ينبغي، وكانت المستولية على أمر الرشيد وتدير الخلافة إلى ان هلك، فأحضر الكتاب وجمعوا في منزل الفضل بن يحيى، فكتبوا ليلتهم كتبوا من الرشيد إلى العمال بوفاة الهادي، وأنهم قد ولاهم الرشيد ما كانوا يلون، فلما مات الهادي أنفذوها على البرد.

وذكر الفضل بن سعيد، أن أباه حدثه أن الخيزران كانت قد حلفت ألا تكلم موسى الهادي، وانتقلت عنه، فلما حضرته الوفاة، وأتاه الرسول فأخبرها بذلك، فقالت: وما أصنع به؟ فقالت لها خالصة: قومي إلى ابنك أيتها الحرة، فليس هذا وقت تعتب ولا تغضب فقالت: أعطوني ماء أتوضأ للصلاة، ثم قالت: أما إنا كنا نتحدث أنه يموت في هذه الليلة خليفة، ويملك خليفة، ويولد خليفة، قال: فمات موسى، وملك هارون، وولد المأمون.

قال الفضل: فحدثت بهذا الحديث عبد الله بن عبيد الله، فساقه لي مثل ما حدثني أبي، فقلت: فمن أين كان للخيزران هذا العلم؟ قال: إنها كانت قد سمعت من الأوزاعي

٨٠٢٤٠٣ ذكر الخبر عن وقت وفاته ومبلغ سنه وقدر ولايته ومن صلى عليه

ذكر يحيى بن الحسن أن محمد بن سليمان بن علي حدثه، قال: حدثني عمي زينب ابنة سليمان، قالت: لما مات موسى بعيساباذ، أخبرتنا الخيزران الخبر، ونحن أربع نسوة، أنا وأختي وأم الحسن وعائشة، بنيات سليمان، ومعنا ريطة أم علي، فجاءت خالصة، فقالت لها: ما فعل الناس؟ قالت: يا سيدتي، مات موسى ودفنوه، قالت: إن كان مات موسى، فقد بقي هارون، هات لي سويقاً، فجاءت بسويق، فشربت وسقنتنا، ثم قالت: هات لساداتي أربعمئة ألف دينار، ثم قالت: ما فعل ابني هارون؟ قالت: حلف ألا يصلي الظهر إلا ببغداد قالت: هاتوا الرحائل، فما جلوسي هاهنا، وقد مضى! فلحقته ببغداد.

ذكر الخبر عن وقت وفاته ومبلغ سنه وقدر ولايته ومن صلى عليه

قال أبو معشر: توفي موسى الهادي ليلة الجمعة للنصف من شهر ربيع الأول، حدثنا بذلك أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق.

وقال الواقدي: مات موسى بعيساباذ للنصف من شهر ربيع الأول.

وقال هشام بن محمد: هلك موسى الهادي لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ليلة الجمعة في سنة سبعين ومائة.

وقال بعضهم: توفي ليلة الجمعة لستة عشر يوماً منه، وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر.

وقال هشام: ملك أربعة عشر شهراً، وتوفي وهو ابن ست وعشرين سنة.

وقال الواقدي: كانت ولايته سنة وشهراً واثنتين وعشرين يوماً وقال غيرهم: توفي يوم السبت، لعشر خلت من ربيع الأول- أو ليلة

الجمعة- وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وكانت خلافته سنة وشهراً وثلاثة وعشرين يوماً، وصلى عليه أخوه هارون بن محمد الرشيد وكان

كنيته أبا محمد، وأمه الخيزران أم ولد، ودفن بعيساباذ الكبرى في بستانه

٨٠٢٤٠٤ ذكر اولاده

٨٠٢٤٠٥ ذكر بعض اخباره وسيره

وذكر الفضل بن إسحاق أنه كان طويلاً جسيماً جميلاً أبيض، مشرباً حمرة، وكان بشفته العليا تخلص، وكان يلقب موسى أطبق، وكان ولد بالسيروان من الري

. ذكر أولاده

وكان له من الأولاد تسعة، سبعة ذكور وابتنان فاما الذكور فاحدهم جعفر- وهو الذي كان يرشحه للخلافة- والعباس وعبد الله وإسحاق وإسماعيل وسليمان وموسى بن موسى الأعمى، كلهم من أمهات أولاد وكان الأعمى- وهو موسى- ولد بعد موت أبيه والابتنان، إحداهما

أم عيسى كانت عند المأمون، والآخرى أم العباس بنت موسى، تلقب نوته

. ذكر بعض أخباره وسيره

ذكر إبراهيم بن عبد السلام، ابن أخي السندي أبو طوطة، قال: حدثني السندي بن شاهك، قال: كنت مع موسى بجرجان، فأثاه نعي

المهدي والخلافة، فركب البريد إلى بغداد، ومعه سعيد بن سلم، ووجهني إلى خراسان، فحدثني سعيد بن سلم، قال: سرنا بين أبيات

جرجان وبساتينها، قَالَ: فسمع صوتا من بعض تلك البساتين من رجل يتغنى، فقال لصاحب شرطته: علي بالرجل الساعة، قَالَ: فقلت يا أمير المؤمنين، ما أشبه قصة هذا الخائن بقصة سليمان بن عبد الملك! قَالَ: وكيف؟ قَالَ: قلت له: كان سليمان بن عبد الملك في منزله له ومعه حرمه، فسمع من بستان آخر صوت رجل يتغنى، فدعا صاحب شرطته، فقال: علي بصاحب الصوت، فأتني به، فلما مثل بين يديه، قَالَ له: ما حملك على الغناء وأنت إلى جنبي ومعني حرمي! أما علمت أن الرماك إذا سمعت صوت الفحل حنت إليه! يا غلام جبهه، فجب الرجل فلما كان في العام المقبل رجع سليمان إلى ذلك المتنزه، فجلس مجلسه الذي فيه، فذكر الرجل وما صنع به، فقال لصاحب

شرطته: علي بالرجل الذي كما جبيناه، فأحضره، فلما مثل بين يديه، قَالَ له: إما بعت فوفيناك، وإما وهبت فكافأناك، قال: فوالله ما دعاه بالخلافة، ولكنه قَالَ له: يا سليمان، الله الله! إنك قطعت نسلي، فذهبت بماء وجهي، وحرمتني لذتي، ثم تقول: إما وهبت فكافأناك، وإما بعت فوفيناك! لا والله حتى أقف بين يدي الله قَالَ: فقال موسى: يا غلام، رد صاحب الشرطة، فرده، فقال: لا تعرض للرجل وذكر أبو موسى هارون بن محمد بن إسماعيل بن موسى الهادي، ان علي ابن صالح حدثه، أنه كان يوما على رأس الهادي وهو غلام- وقد كان جفا المظالم عامة ثلاثة أيام- فدخل عليه الحراني، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن العامة لا تنقاد على ما أنت عليه، لم تنظر في المظالم منذ ثلاثة أيام، فالتفت إلي، وقال: يا علي، ائذن للناس، علي بالجفلى لا بالنقري، فخرجت من عنده أطيروا على وجهي ثم وقفت فلم أدر ما قَالَ لي، فقلت: أراجع أمير المؤمنين، فيقول: أتحببني ولا تعلم كلامي! ثم أدركني ذهني، فبعثت إلى أعرابي كان قد وفد، وسألته عن الجفلى والنقري، فقال: الجفلى جفالة، والنقري ينقر خواصهم فأمرت بالسور فرفعت وبالأبواب ففتحت، فدخل الناس على بكرة أبيهم، فلم يزل ينظر في المظالم إلى الليل، فلما تقوض المجلس مثلت بين يديه، فقال: كأنك تريد أن تذكر شيئا يا علي، قلت: نعم يا أمير المؤمنين، كلمتني بكلام لم أسمعته قبل يومي هذا، وخفت مراجعتك، فتقول: أتحببني وأنت لم تعلم كلامي! فبعثت إلى أعرابي كان عندنا، ففسر لي الكلام، فكافته عني يا أمير المؤمنين، قَالَ: نعم مائة ألف درهم تحمل إليه، فقلت له: يا أمير المؤمنين، إنه أعرابي جلف، وفي عشرة آلاف درهم ما أغناه وكفاه، فقال: ويلك يا علي! أجود وتبخل! قَالَ: وحديثي علي بن صالح، قَالَ: ركب الهادي يوما يريد عيادة أمه الخيزران من علة كانت وجدتها، فاعترضه عمر بن بزيع، فقال له:

يا أمير المؤمنين، ألا أدلك على وجهه هو أعود عليك من هذا؟ فقال: وما هو يا عمر؟ قَالَ: المظالم لم تنظر فيها منذ ثلاث، قَالَ: فأومأ إلى المطرقة أن يميلوا إلى دار المظالم، ثم بعث إلى الخيزران بخادم من خدمه يعتذر إليها من تخلفه، وقال: قل لها إن عمر بن بزيع أخبرنا من حق الله بما هو أوجب علينا من حقك، فلنا إليه ونحن عائدون إليك في غد إن شاء الله.

وذكر عن عبد الله بن مالك، أنه قَالَ: كنت أتولى الشرطة للمهدي، وكان المهدي يبعث إلى ندماء الهادي ومغنيه، ويأمرني بضربهم، وكان الهادي يسألني الرفق بهم والترفيه لهم، ولا ألتفت إلى ذلك، وأمضي لما أمرني به المهدي قَالَ: فلما ولي الهادي الخلافة أيقنت بالتلف، فبعث إلي يوما، فدخلت عليه متكفنا متحنطا، وإذا هو على كرسي، والسيف والنطع بين يديه، فسلمت، فقال: لا سلم الله على الآخر! تذكر يوم بعثت إليك في أمر الحراني، وما أمر أمير المؤمنين به من ضربه وحبسه فلم تجبني، وفي فلان وفلان- وجعل يعدد ندماء- فلم تلتفت إلى قولي، ولا أمري! قلت: نعم يا أمير المؤمنين، أفتأذن لي في استيفاء الحجة؟ قَالَ: نعم، قلت: ناشدتك بالله يا أمير المؤمنين، أيسرك أنك وليتني ما ولاني أبوك، فأمرتني بأمر، فبعث إلى بعض بنيك بأمر يخالف به أمرك، فاتبعت أمره وعصيت أمرك؟ قَالَ:

لا، قلت: فكذلك أنا لك، وكذا كنت لأبيك فاستدنانني، فقيلت يديه، فأمر بخلع فصبت علي، وقال: قد وليتك ما كنت تتولاه، فامض راشدا فخرجت من عنده فصرت إلى منزلي مفكرا في أمري وأمره، وقلت:

حدث يشرب، والقوم الذين عصيته في أمرهم ندماءه ووزراؤه وكتابه، فكأنني بهم حين يغلب عليهم الشراب قد أزالوا رأيي في، وحملوه من أمري على ما كنت أكره وأتخوفه قَالَ: فإني لجالس وبين يدي بنية لي في وقتي ذلك، والكانون بين يدي، ورقاق أشطره بكأخ

وأسخنه وأضعه للصبية، وإذا ضجة عظيمة، حتى توهمت أن الدنيا قد اقتلعت وتزلزلت بوقع الحوافر وكثرة الضوضاء، فقلت: هاه! كان والله ما ظننت، ووافاني من أمره ما تخوفت، فإذا الباب قد فتح، وإذا الخدم قد دخلوا، وإذا أمير المؤمنين الهادي على حمار في وسطهم، فلما

رأيته وثبت عن مجلسي مبادرا، فقبلت يده ورجله وحافر حماره، فقال لي:

يا عبد الله، إني فكرت في أمرك، فقلت: يسبق إلى قلبك أني إذا شربت وحوالي أعدائك، أزالوا ما حسن من رأيي فيك، فأقلقك وأوحشك، فصرت إلى منزلك لأونسك وأعلمك أن السخيمة قد زالت عن قلبي لك، فهات فأطعمني مما كنت تاكل، وافعل فيه ما كنت تفعل، لتعلم أني قد تحرمت بطعامك وأنست بمنزلك، فيزول خوفك ووحشتك فأدريت إليه ذلك الرقاق والسكرجة التي فيها الكاخ، فأكل منها ثم قال: هاتوا الزلة التي أزلتها لعبد الله من مجلسي فأدخلت إلى أربعمئة بغل موقرة دراهم، وقال: هذه زلتك، فاستعن بها على أمرك، واحفظ لي هذه البغال عندك، لعلني أحتاج إليها يوما لبعض أسفاري، ثم قال: أظلك الله بخير، وانصرف راجعا.

فذكر موسى بن عبد الله أن أباه أعطاه بستانه الذي كان وسط داره، ثم بنى حوله معالف لتلك البغال، وكان هو يتولى النظر إليها والقيام عليها أيام حياة الهادي كلها.

وذكر محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود بن طهمان السلمي، قال:

أخبرني أبي، قال: كان علي بن عيسى بن ماهان يغضب غضب الخليفة، ويرضى رضا الخليفة، وكان أبي يقول: ما لعربي ولا لعجمي عندي ما لعلني ابن عيسى، فإنه دخل إلى الحبس وفي يده سوط، فقال: أمرني أمير المؤمنين موسى الهادي أن أضربك مائة سوط، قال: فأقبل يضعه على يدي ومنكبي، يمسيني به مسا إلى أن عد مائة، وخرج فقال له: ما صنعت بالرجل؟

قال: صنعت به ما أمرت قال: فما حاله؟ قال: مات، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! ويلك! فضحتني والله عند الناس، هذا رجل صالح، يقول الناس: قتل يعقوب بن داود! قال: فلما رأى شدة جزعه، قال: هو حي يا أمير المؤمنين لم يمت، قال: الحمد لله على ذلك. قال: وكان الهادي قد استخلف على حجابته بعد الربيع ابنه الفضل، فقال له: لا تحجب عني الناس، فإن ذلك يزيل عني البركة، ولا تلق إلى أمرا إذا كشفته أصبته باطلا، فإن ذلك يوقع الملك، ويضر بالريعية

وقال موسى بن عبد الله: أتى موسى برجل، فجعل يقرعه بذنوبه ويتهدهده، فقال له الرجل: يا أمير المؤمنين، اعتذاري مما تقررني به رد عليك، وإقارني يوجب علي ذنبا، ولكني أقول:

فإن كنت ترجو في العقوبة رحمة... فلا تزهدن عند المعافاة في الأجر قال: فأمر بإطلاقه.

وذكر عمر بن شبة أن سعيد بن سلم كان عند موسى الهادي، فدخل عليه وفد الروم وعلى سعيد بن سلم قلنسوة - وكان قد صلع وهو حدث - فقال له موسى: ضع قلنسوتك حتى تتشايخ بصلعتك.

وذكر يحيى بن الحسن بن عبد الخالق أن أباه حدثه، قال: خرجت إلى عيساباذ أريد الفضل بن الربيع، فلقيت موسى أمير المؤمنين وهو خليفة، وأنا لا أعرفه، فإذا هو في غلالة على فرس، ويده قناة لا يدرك أحدا إلا طعنه فقال لي: يا بن الفاعلة! قال: فرأيت إنسانا كأنه صنم، وكنت رأيته بالشام، وكان نخذه كفخذي بعير، فضربت يدي إلى قائم السيف، فقال لي رجل: ويلك! أمير المؤمنين، فحركت دابتي - وكان شهريا حملني عليه الفضل بن الربيع، وكان اشتراه بأربعة آلاف درهم - فدخلت دار محمد بن القاسم صاحب الحرس، فوقف على الباب، ويده القنانه، وقال: اخرج يا بن الفاعلة! فلم أخرج، ومر فضى قلت للفضل: فإني رأيت أمير المؤمنين، وكان من القصة كذا وكذا، فقال: لا أرى لك وجهها إلا ببغداد، إذا جئت أصلي الجمعة فالتقي، قال: فما دخلت عيساباذ حتى هلك الهادي.

وذكر الهيثم بن عروة الأنصاري أن الحسين بن معاذ بن مسلم - وكان رضيع موسى الهادي - قال: لقد رأيتني أخلو مع موسى، فلا أجد له هيبة في قلبي عند انخلوه، لما كان يبسطني وربما صارعني فأصرعه غير هائب له، وأضرب به الأرض، فإذا تلبس لبسة الخلافة ثم

جلس مجلس الأمر والنهي

قت على راسه، فوالله ما أملك نفسي من الرعدة والهيبة له.

وذكر يحيى بن الحسن بن عبد الخالق أن محمد بن سعيد بن عمر بن مهران، حدثه عن أبيه، عن جده، قال: كانت المرتبة لإبراهيم بن سلم ابن قتيبة عند الهادي، فمات ابن إبراهيم يقال له سلم، فأثاء موسى الهادي يعزبه عنه على حمار أشهب، لا يمنع مقبل ولا يرد عنه مسلم، حتى نزل في رواقه، فقال له: يا إبراهيم، سر ك وهو عدو وفتنة، وحزنك وهو صلاة ورحمة فقال: يا أمير المؤمنين، ما بقي مني جزء كان فيه حزن إلا وقد امتلأ عزاء قال: فلما مات إبراهيم صارت المرتبة لسعيد بن سلم بعده.

وذكر عمر بن شبة أن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كان يلعب بالجزري، تزوج رقية بنت عمرو العثمانية- وكانت تحت المهدي- فبلغ ذلك موسى الهادي في أول خلافته، فأرسل إليه فجعله وقال: أعيك النساء إلا امرأة أمير المؤمنين، فقال: ما حرم الله على خلقه إلا نساء جدي ص، فأما غيرهن فلا ولا كرامة فشجه بخصرة كانت في يده، وامر بضربه خمسمائة سوط، فضرب، وأراد أن يطلقها فلم يفعل، فحمل من بين يديه في نطع فألقي ناحية، وكان في يده خاتم سري فراه بعض الخدم وقد غشي عليه من الضرب، فأهوى إلى الخاتم، فقبض على يد الخادم فدقها، فصاح وأتى موسى فأراه يده، فاستشاط وقال: يفعل هذا بخادمي، مع استخفافه بأبي، وقوله لي! وبعث إليه: ما حملك على ما فعلت؟ قال: قل له وسله، ومره أن يضع يده على رأسك وليصدقك ففعل ذلك موسى، فصدقه الخادم، فقال:

أحسن والله، أنا أشهد أنه ابن عمي، لو لم يفعل لانتفيت منه وأمر بإطلاقه.

وذكر أبو إبراهيم المؤذن، أن الهادي كان يثب على الدابة وعليه درعان، وكان المهدي يسميه ريحاني

وذكر محمد بن عطاء بن مقدم الواسطي، أن أباه حدثه أن المهدي قال لموسى يوما- وقد قدم إليه زنديق، فاستتابه، فأبى أن يتوب، فضرب عنقه وأمر بصلبه: يا بني، إن صار لك هذا الأمر فتجرد لهذه العصابة- يعني أصحاب ماني- فإنها فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن، كاجتناب الفواحش والزهد في الدنيا والعمل للآخرة، ثم تخرجها إلى تحريم اللحم ومس الماء الطهور وترك قتل الهوام تخرجها وتحوبا، ثم تخرجها من هذه إلى عبادة اثنين:

أحدهما النور والآخر الظلمة، ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات والاعتسال بالبول وسرقة الأطفال من الطرق، لتتقدم من ضلال الظلمة إلى هداية النور، فارفع فيها الخشب، وجرد فيها السيف، وتقرب بأمرها إلى الله لا شريك له، فإني رأيت جدك العباس في المنام قلدي بسيفين، وأمرني بقتل أصحاب الاثنين قال: فقال موسى بعد أن مضت من أيامه عشرة أشهر: أما والله لئن عشت لأقتلن هذه الفرقة كلها حتى لا أترك منها عينا تطرف.

ويقال: إنه أمر أن يهيا له ألف جذع، فقال: هذا في شهر كذا، ومات بعد شهرين.

وذكر أيوب بن عتبة أن موسى بن صالح بن شيخ، حدثه أن عيسى ابن دأب كان أكثر أهل الحجاز أدبا وأعذبهم ألفاظا، وكان قد حظي عند الهادي حظوة لم تكن عنده لأحد، وكان يدعو له بمتكأ، وما كان يفعل ذلك بأحد غيره في مجلسه وكان يقول: ما استطلت بك يوما ولا ليلة، ولا غبت عن عيني إلا تمنيت ألا أرى غيرك وكان لذيذ المفاكهة طيب المسامرة، كثير النادرة، جيد الشعر حسن الانتزاع له قال: فأمر له ذات ليلة بثلاثين ألف دينار، فلما أصبح ابن دأب وجه قهرمانه إلى باب موسى، وقال له: التقي الحاجب، وقل له: يوجه إلينا بهذا المال، فلقني الحاجب، فأبلغه رسالته، فتبسم وقال: هذا ليس إلي، فانطلق إلى صاحب

التوقيع ليخرج له كتابا إلى الديوان، فتدبره هناك ثم تفعل فيه كذا وكذا.

فرجع إلى ابن دأب فأخبره، فقال: دعها ولا تعرض لها، ولا تسأل عنها.

قال: فبينما موسى في مستشرف له ببغداد، إذ نظر إلى ابن دأب قد أقبل، وليس معه إلا غلام واحد! فقال لإبراهيم الحراني: أما ترى ابن دأب، ما غير من حاله، ولا تزين لنا، وقد برزناه بالأمس ليرى أثرنا عليه! فقال له إبراهيم: فإن أمرني أمير المؤمنين عرضت له بشيء من هذا، قال: لا، هو أعلم بأمره، ودخل ابن دأب، فأخذ في حديثه إلى أن عرض له موسى بشيء من أمره، فقال: أرى ثوبك

غسيلا، وهذا شتاء يحتاج فيه إلى الجديد اللين، فقال: يا أمير المؤمنين، باعي قصير عما أحتاج إليه، قَالَ: وكيف وقد صرفنا إليك من برنا ما ظننا أن فيه صلاح شأنك! قَالَ: ما وصل إلي ولا قبضته، فدعا صاحب بيت مال الخليفة، فقال: عجل له الساعة ثلاثين ألف دينار، فأحضرت وحملت بين يديه.

وذكر علي بن محمد، أن أباه حدثه عن علي بن يقطين، قَالَ: إني لعند موسى ليلة مع جماعة من أصحابه، إذ أتاه خادم فساره بشيء، فنهض سريعا، وقال: لا تبرحوا، ومضى فأبطأ، ثم جاء وهو يتنفس، فألقى بنفسه على فراشه يتنفس ساعة حتى استراح، ومعه خادم يحمل طبقا مغطى بمنديل، فقام بين يديه، فأقبل يردد، فعجبنا من ذلك ثم جلس وقال للخادم: ضع ما معك، فوضع الطبق، وقال: ارفع المنديل، فرفعه فإذا في الطبق رأسا جاريتين، لم أر والله أحسن من وجوههما قط ولا من شعورهما، وإذا على رؤوسهما الجواهر منظوم على الشعر، وإذا رائحة طيبة تفوح، فأعظمنا ذلك، فقال: أتدرون ما شأنهما؟ قلنا: لا، قَالَ: بلغنا أنهما تتحبان قد اجتمعتا على الفاحشة، فوكلت هذا الخادم بهما ينهي إلي أخبارهما، فجاءني فأخبرني أنهما قد اجتمعتا، فجئت فوجدتهما في لحاف واحد على الفاحشة فقتلتهم، ثم قَالَ: يا غلام، ارفع الرأسين قَالَ: ثم رجع في حديثه كأن لم يصنع شيئا.

وذكر أبو العباس بن أبي مالك اليمامي أن عبد الله بن محمد البواب، قال: كنت احب الهادي خليفه للفضل بن الربيع، قَالَ: فإنه ذات يوم جالس وأنا في داره، وقد تغدى ودعا بالنبيذ، وقد كان قبل ذلك دخل على أمه الخيزران، فسألته أن يولي خاله الغطريف اليمن، فقال: اذكريني به قبل أن أشرب، قَالَ: فلما عزم على الشرب وجهت إليه منيرة- أو زهرة- تذكره، فقال: ارجعي فتولي: اختاري له طلاق ابنته عبيدة أو ولاية اليمن، فلم تفهم إلا قوله: اختاري له فمرت، فقالت: قد اخترت له ولاية اليمن، فطلق ابنته عبيدة، فسمع الصباح، فقال: ما لكم؟ فاعلمته الخبر، فقال: أنت اخترت له، فقالت: ما هكذا أديت إلي الرسالة عنك قَالَ: فأمر صالحا صاحب المصلى أن يقف بالسيف على رؤوس الندماء ليطلقوا نساءهم، فخرج إلي بذلك الخدم ليعلموني ألا آذن لأحد قَالَ: وعلى الباب رجل واقف متلفع بطيلسانه، يراوح بين قدميه، فعن لي بيتان، فأنشدتهم وهما:

خليلي من سعد ألما فسلما ... على مريم، لا يبعد الله مريما
وقولا لها: هذا الفراق عزمته ... فهل من نوال بعد ذاك فيعلما!

قَالَ: فقال لي الرجل المتلفع بطيلسانه: فنعلمها، فقلت: ما الفرق بين يعلمها ونعلمها؟ فقال: إن الشعر يصلحه معناه ويفسده معناه، ما حاجتنا إلى أن يعلم الناس أسرارنا! فقلت له: أنا أعلم بالشعر منك، قَالَ:

فلن الشعر؟ قلت: للأسود بن عمارة النوفلي، فقال لي: فأنا هو، فدنوت منه فأخبرته خبر موسى، واعتذرت إليه من مراجعتي إياه قَالَ: فصرف دابته، وقال: هذا أحق منزل بأن يترك

قَالَ مصعب الزبيري: قَالَ أبو المعافى: أنشدت العباس بن محمد مديحا في موسى وهارون:
يا خيزران هناك ثم هناك ... إن العباد يسوسهم ابنك

قَالَ: فقال لي: إني أنصحك، قَالَ اليماني: لا تذكر أُمي بخير ولا بشر وذكر أحمد بن صالح بن أبي فتن، فقال: حدثني يوسف الصيقل الشاعر الواسطي، قَالَ: كنا عند الهادي بمرجان قبل الخلافة ودخوله بغداد، فصعد مستشرفا له حسنا، فغني بهذا الشعر:
واستقلت رجالهم ... بالرديني شرعا

فقال: كيف هذا الشعر؟ فأشده، فقال: كنت أشتي أن يكون هذا الغناء في شعر أرق من هذا، اذهبوا إلى يوسف الصيقل حتى يقول فيه، قَالَ: فأتوني فأخبروني الخبر، فقلت:

لا تليني أن أجزعا ... سيدي قد تمنعا
وابلائي إن كان ما ... بيننا قد تقطعا
إن موسى بفضلته ... جمع الفضل أجمعا

قَالَ: فنظر فإذا بعير أمامه، فقال: أوقروا هذا دراهم ودنانير، واذهبوا بها إليه قَالَ: فأتوني بالبعير موقرا.

وذكر محمد بن سعد، قَالَ: حدثني أبو زهير، قَالَ: كان ابن دأب أحظى الناس عند الهادي، فخرج الفضل بن الربيع يوما، فقال: إن أمير المؤمنين يأمر من بيابه بالانصراف، فاما أنت يا بن دأب فادخل، قَالَ ابن دأب: فدخلت عليه وهو منبطح على فراشه، وإن عينيه لخمراوان من السهر وشرب الليل، فقال لي: حدثني بحديث في الشراب، فقلت: نعم

يا أمير المؤمنين، خرجت رجلة من كنانة ينتجعون الخمر من الشام، فمات أخ لأحدهم، فجلسوا عند قبره يشربون، فقال أحدهم: لا تصرد هامة من شربها ... اسقه الخمر وإن كان قبر

أسق أوصالا وهاما وصدى ... قاشعا يقشع قشع المبتكر

كان حرا فهو فيمن هو ... كل عود وفنون منكسر

قَالَ: فدعا بدواة فكتبها، ثم كتب إلى الحراني بأربعين ألف درهم، قال: عشرة آلاف لك، وثلاثون ألفا للثلاثة الأبيات قَالَ: فأتيت الحراني، فقال: صالحنا على عشرة آلاف، على أنك تحلف لنا ألا تذكرها لأمر المؤمنين، فحلفت ألا أذكرها لأمر المؤمنين حتى يبدأني، فمات ولم يذكرها حتى أفضت الخلافة إلى الرشيد.

وذكر أبو دعامة أن سلم بن عمرو الخاسر مدح موسى الهادي، فقال:

بعيساباذ حر من قریش ... على جنباته الشرب الرواء

يعوذ المسلمون بحقوقه ... إذا ما كان خوف أوجاء

وبالميدان دور مشرفات ... يشيدهن قوم أدياء

وكم من قائل إني صحيح ... وتأباه الخلائق والرواء

له حسب يرضن به ليبقى ... وليس لما يرضن به بقاء

على الضبي لؤم ليس يخفى ... يغطيه فيكشف الغطاء

لعمري لو أقام أبو خديج ... بناء الدار ما انهدم البناء

قَالَ: وقال سلم الخاسر لما تولى الهادي الخلافة بعد المهدي:

لقد فاز موسى بالخلافة والهدى ... ومات أمير المؤمنين محمد

فمات الذي عم البرية ففقد ... وقام الذي يكفيك من يتفقد

وقال أيضا:

تحفى الملوك لموسى عند طلعت ... مثل النجوم لقرن الشمس إذ طلعا

وليس خلق يرى بدرا وطلعت ... من البرية إلا ذل أو خضعا

وقال أيضا:

لولا الخليفة موسى بعد والده ... ما كان للناس من مهديهم خلف

ألا ترى أمة الأمي واردة ... كأنها من نواحي البحر تغترف

من راحتي ملك قد عم نائله ... كأن نائله من جوده سرف

وذكر إدريس بن أبي حفصة أن مروان بن أبي حفصة حدثه، قَالَ:

لما ملك موسى الهادي دخلت عليه فأنشده:

إن خلدت بعد الإمام محمد ... نفسي لما فرحت بطول بقاءها

قَالَ: ومدحت فقلت فيه:

بسبعين ألفا شد ظهري وراشني ... أبوك وقد عاينت من ذاك مشهدا

وانى امير المؤمنين لوائق ... بالآ يرى شربي لديك مصردا

فلها أنشدته قَالَ: ومن يبلغ مدى المهدي! ولكنا سنبلغ رضاك.

قَالَ: وعاجلته المنية فلم يعطني شيئا، ولا أخذت من أحد درهما حتى قام الرشيد.

وذكر هارون بن موسى الفروي، قَالَ: حدثني أبو غزية، عن الضحاك بن معن السلمي، قَالَ: دخلت على موسى فَأَنشدته:
يا منزلي شجو الفؤاد تكلما ... فلقد أرى بكما الرباب وكلثما
ما منزلان على التقادم والبلى ... أبكى لما تحت الجوانح منكما
ردا السلام على كبير شاقه ... طللان قد درسا فهاج فسلبا
قَالَ: ومدحته فيها، فلها بلغت:

سبط الأنامل بالفعال أخاله ... أن ليس يترك في الخزائن درهما
التفت إلى أحمد الخازن، فقال: ويحك يا أحمد! كأنه نظر إلينا البارحة، قَالَ: وكان قد أخرج تلك الليلة مالا كثيرا فقرقه وذكر عن
إسحاق الموصلي - أو غيره - عن إبراهيم، قَالَ: كنا يوما عند موسى، وعنده ابن جامع ومعاذ بن الطيب - وكان أول يوم دخل علينا معاذ،
وكان معاذ حاذقا بالأغاني، عارفاً بقديمها - فقال: من أطربني منكم فله حكمه، فغناه ابن جامع غناء فلم يحركه، وفهمت غرضه في
الأغاني، فقال هات يا إبراهيم، فغنيتها:
سليمي أجمعت بينا ... فأين نقولها أينا!

فطرب حتى قام من مجلسه، ورفع صوته، وقال: أعد، فأعدت، فقال: هذا غرضي فاحتكم، فقلت: يا امير المؤمنين، حائط عبد الملك
وعينه انحرارة، فدارت عيناه في رأسه حتى صارتا كأنهما جمرتان، ثم قَالَ:
يا بن اللخناء، أردت أن تسمع العامة أنك أطربتني وأني حكمتك فأقطعتك! أما والله لولا بادرة جهلك التي غلبت على صحيح عقلك
لضربت الذي فيه عيناك ثم أطرق هنيئة، فرأيت ملك الموت بيني وبينه ينتظر أمره.
ثم دعا إبراهيم الحراني فقال: خذ بيد هذا الجاهل فأدخله بيت المال، فليأخذ منه ما شاء، فأدخلني الحراني بيت المال، فقال: كم تأخذ؟
قلت: مائة بدره، قَالَ: دعني أوامره، قال: قلت: فثمانين، قال: حتى أوامره، فعملت ما أراد، فقلت: سبعين بدره لي، وثلاثين لك،
قَالَ: الآن جئت بالحق، فشأنك فانصرفت بسبعمئة ألف وانصرف ملك الموت عن وجهي.

وذكر علي بن محمد، قَالَ: حدثني صالح بن علي بن عطية الأضخم عن حكم الوادي، قَالَ كان الهادي يشتهي من الغناء الوسط الذي يقل
ترجيعة، ولا يبلغ أن يستخف به جدا قَالَ: فبينما نحن ليلة عنده، وعنده ابن جامع والموصلي والزبير بن دحمان والغنوي إذ دعا بثلاث
بدور وأمر بهن فوضعن في وسط المجلس، ثم ضم بعضهن إلى بعض، وقال: من غناني صوتا في طريقي الذي أشتيه، فهن له كلهن
قَالَ: وكان فيه خلق حسن، كان إذا كره شيئا لم يوقف عليه، وأعرض عنه فغناه ابن جامع، فأعرض عنه، وغنى القوم كلهم، فأقبل
يعرض حتى تغنيت، فوافقت ما يشتهي، فصاح: أحسنت أحسنت! اسقوني، فشرب وطرب، فقامت فجلست على الدور، وعلت أني
قد حويتها، فحضر ابن جامع، فأحسن المحضر، وقال: يا أمير المؤمنين، هو والله كما قلت، وما منا أحد إلا وقد ذهب عن طريقك غيره،
قال: هي لك، وشرب حتى بلغ حاجته على الصوت، ونهض، فقال: مروا ثلاثة من الفراشين يحملونها معه، فدخل وخرجنا نمشي في
الصحن منصرفين، فلحقني ابن جامع، فقلت: جعلت فداك يا أبا القاسم! فعلت ما يفعل مثلك في نسبك، فانظر فيها بما شئت فقال:
هناك الله، وددنا أنا زدناك ولحقنا الموصلي، فقال: أجزنا، فقلت: ولم لم تحسن محضرك! لا والله ولا درهما واحدا.

وذكر محمد بن عبد الله، قَالَ: قَالَ لي سعيد القارئ العلاف - وكان صاحب أبان القارئ: أنه كان عند موسى جلساؤه، فيهم الحراني
وسعيد ابن سلم وغيرهما، وكانت جارية لموسى تسقيهم، وكانت ماجنة، فكانت تقول لهذا: يا جلبي، وتعبت بهذا وهذا، ودخل يزيد بن
مزيد فسمع ما تقول لهم، فقال لها: والله الكبير، لئن قلت لي مثل ما تقولين لهم لأضربك ضربة بالسيف، فقال لها موسى: ويلك!
إنه والله يفعل ما يقول، فإياك قَالَ:

فأمسكت عنه ولم تعابته قط قَالَ: وكان سعيد العلاف وأبان القارئ إباضيين
وذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود الكاتب، قَالَ: حدثني ابن القداح، قَالَ: كانت للربيع جارية يقال لها أمة العزيز، فائقة
الجمال، ناهدة الثديين، حسنة القوام، فأهداها إلى المهدي، فلما رأى جمالها وهيئتها، قَالَ: هذه لموسى أصلح، فوهبها له، فكانت أحب

الخلق إليه، وولدت له بنيه الأكبر ثم إن بعض أعداء الربيع قَالَ لموسى: إنه سمع الربيع يقول: ما وضعت بيني وبين الأرض مثل أمة العزيز، فغار موسى من ذلك غيرة شديدة، وحلف ليقتلن الربيع، فلما استخلف دعا الربيع في بعض الأيام، فتغدى معه وأكرمه، وناولوه كأسا فيها شراب عسل، قَالَ:

فقال الربيع: فعلت أن نفسي فيها، وأني إن رددت الكأس ضرب عنقي، مع ما قد علمت أن في قلبه علي من دخولي على أمه، وما بلغه عني، ولم يسمع مني عذرا فشربتها وانصرف الربيع إلى منزله، فجمع ولده، وقال لهم: إني ميت في يومي هذا أو من غد، فقال له ابنه الفضل: ولم تقول هذا جعلت فداك! فقال: إن موسى سقاني شربة سم بيده، فأنا أجد عملها في بدني، ثم أوصى بما أَرَادَ، ومات في يومه أو من غده ثم تزوج الرشيد أمة العزيز بعد موت موسى الهادي، فأولدها علي بن الرشيد.

وزعم الفضل بن سليمان بن إسحاق الهاشمي أن الهادي لما تحول إلى عيساباذ في أول السنة التي ولي الخلافة فيها، عزل الربيع عما كان يتولاه من الوزارة وديوان الرسائل، وولى مكانه عمر بن بزيغ، وأقر الربيع على الزمام، فلم يزل عليه إلى أن توفي الربيع، وكانت وفاته بعد ولاية الهادي بأشهر، وأوذن بموته فلم يحضر جنازته، وصلى عليه هارون الرشيد، وهو يومئذ ولي عهد، وولى موسى مكان الربيع إبراهيم بن ذكوان الحراني، واستخلف على ما تولاه إسماعيل بن صبيح، ثم عزله واستخلف يحيى بن سليم، وولى إسماعيل زمام ديوان الشام وما يليها.

وذكر يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، خال الفضل بن الربيع، أن أباه حدثه، أن موسى الهادي قَالَ: أريد قتل الربيع، فما أدري كيف أفعل به! فقال له سعيد بن سلم: تأمر رجلا باتخاذ سكين مسموم، وتأمره بقتله، ثم

تأمر بقتل ذلك الرجل قَالَ: هذا الرأي، فأمر رجلا فجلس له في الطريق، وأمره بذلك، فخرج بعض خلفاء الربيع، فقال له: إنه قد أمر فيك بكذا وكذا، فأخذ في غير ذلك الطريق، فدخل منزله، فتمارض، ففرض بعد ذلك ثمانية أيام، فمات ميتة نفسه وكانت وفاته سنة تسع وستين ومائة، وهو الربيع ابن يونس.

٨٠٢٤٠٦ خلافة هارون الرشيد

خلافة هارون الرشيد

بويق للرشيد هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بالخلافة ليلة الجمعة الليلة التي توفي فيها أخوه موسى الهادي وكانت سنة يوم ولي اثنتين وعشرين سنة وقيل كان يوم بويق بالخلافة ابن إحدى وعشرين سنة وأمه أم ولد يمانية جرشية يقال لها خيزران، وولد بالري لثلاث بقين من ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومائة في خلافة المنصور.

وأما البرامكة فإنها- فيما ذكر- تزعم أن الرشيد ولد أول يوم من المحرم سنة تسع وأربعين ومائة، وكان الفضل بن يحيى ولد قبله بسبعة أيام، وكان مولد الفضل لسبع بقين من ذي الحجة سنة ثمان وأربعين ومائة، فجعلت أم الفضل ظئرا للرشيد، وهي زينب بنت منير، فأرضعت الرشيد بلبان الفضل، وأرضعت الخيزران الفضل بلبان الرشيد.

وذكر سليمان بن أبي شيخ أنه لما كان الليلة التي توفي فيها موسى الهادي أخرج هرثمة بن أعين هارون الرشيد ليلا فأقعدته للخلافة، فدعا هارون يحيى بن خالد بن برمك- وكان محبوسا، وقد كان عزم موسى على قتله وقتل هارون الرشيد في تلك الليلة- قَالَ: فحضر يحيى، وتقلد الوزارة، ووجه إلى يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب فأحضره، وأمره بإنشاء الكتب، فلما كان غداة تلك الليلة، وحضر القواد قام يوسف بن القاسم، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ ص، ثم تكلم بكلام أبلغ فيه، وذكر موت موسى وقيام هارون بالأمر من بعده، وما أمر به للناس من الأعطيات.

وذكر أحمد بن القاسم، أنه حدثه عمه علي بن يوسف بن القاسم هذا الحديث، فقال: حدثني يزيد الطبري مولانا أنه كان حاضرا يحمل دواه ابن يوسف بن القاسم، فحفظ الكلام قَالَ: قَالَ بعد الحمد لله عز وجل والصلاة على النبي ص:

إن الله بمنه ولطفه من عليكم معاشر أهل بيت نبيه بيت الخلافة ومعدن الرسالة، وأتاكم أهل الطاعة من أنصار الدولة وأعوان الدعوة،

من نعمه التي لا تحصى بالعدد، ولا تنقضي مدى الأبد، وأياديه التامة، أن جمع ألفتكم وأعلى أمركم، وشد عضدكم، وأوهن عدوكم، وأظهر كلمة الحق، وكنتم أولى بها وأهلها، فأعزكم الله وكان الله قويا عزيزا، فكنتم أنصار دين الله المرتضى والذابين بسيفه المنتضى، عن اهل بيت نبيه ص وبكم استنقذهم من أيدي الظلمة، أئمة الجور، والناقضين عهد الله، والسافكين الدم الحرام، والآكلين النقي، والمستأثرين به، فاذكروا ما أعطاكم الله من هذه النعمة، واحذروا أن تغيروا فيغير بكم وإن الله جل وعز استأثر بخليفته موسى الهادي الإمام، فقبضه إليه، وولى بعده رشيدا مرضيا امير المؤمنين رءوفا بكم رحيمًا، من محسنكم قبولًا، وعلى مسيئكم بالعفو عطفًا، وهو أمتعه الله بالنعمة وحفظ له ما استرعاه إياه من أمر الأمة، وتولاه بما تولى به أوليائه وأهل طاعته- يعدكم من نفسه الرأفة بكم، والرحمة لكم وقسم أعطياتكم فيكم عند استحقاقكم، ويبدل لكم من الجائزة مما أفاء الله على الخلفاء مما في بيوت الأموال ما ينوب عن رزق كذا وكذا شهرا، غير مقاص لكم بذلك فيما تستقبلون من اعطياتكم، وحامل باقي ذلك، للدفع عن حريمكم، وما لعله أن يحدث في النواحي والأقطار من العصاة المارقين إلى بيوت الأموال، حتى تعود الأموال إلى جماعها وكثرتها، والحال التي كانت عليها، فاحمدوا الله وجددوا شكرا يوجب لكم المزيد من إحسانه إليكم، بما جدد لكم من رأي أمير المؤمنين، وتفضل به عليكم، أيده الله بطاعته وارغبوا إلى الله له في البقاء، ولكم به في إدامة النعماء، لعلكم ترحمون وأعطوا صنفقة أيمانكم، وقوموا إلى بيعتكم، حاطكم الله وحاط عليكم، وأصلح بكم وعلى أيديكم، وتولاكم ولاية عباد الصالحين وذكر يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، قال: حدثني محمد بن هشام

الخزومي، قال: جاء يحيى بن خالد إلى الرشيد وهو نائم في لحاف بلا إزار، لما توفي موسى، فقال: قم يا أمير المؤمنين، فقال له الرشيد: كم تروني إعجابا منك بخلافتي! وأنت تعلم حالي عند هذا الرجل، فإن بلغه هذا، فما تكون حالي! فقال له: هذا الحراني وزير موسى وهذا خاتمته قال: فقعده في فراشه، فقال: أشر علي، قال: فينما هو يكلمه إذ طلع رسول آخر، فقال: قد ولد لك غلام، فقال: قد سميت به عبد الله، ثم قال ليحيى: أشر علي، فقال: أشر عليك أن تتعد لحالك على أرمينية، قال: قد فعلت، ولا والله لا صليت بعيساباذ إلا عليها، ولا صليت الظهر إلا ببغداد، وإلا ورأس أبي عصمة بين يدي قال: ثم لبس ثيابه، وخرج فصلى عليه، وقدم أبا عصمة، فضرب عنقه، وشد جمته في رأس قناة، ودخل بها بغداد، وذلك أنه كان مضى هو وجعفر بن موسى الهادي راكبين فبلغا إلى قنطرة من قناطر عيساباذ، فالتفت أبو عصمة إلى هارون، فقال له: مكانك حتى يجوز ولي العهد، فقال هارون: السمع والطاعة للأمير، فوقف حتى جاز جعفر، فكان هذا سبب قتل أبي عصمة.

قال: ولما صار الرشيد إلى كرسي الجسر دعا بالغواصين، فقال: كان المهدي وهب لي خاتما شراؤه مائة ألف دينار يسمى الجبل، فدخلت على أخي وهو في يدي، فلما انصرفت لحقني سليم الأسود على الكرسي، فقال:

يأمرك أمير المؤمنين أن تعطيني الخاتم، فرميت به في هذا الموضع فغاصوا، فأخرجوه، فسر به غاية السرور.

قال محمد بن إسحاق الهاشمي: حدثني غير واحد من أصحابنا، منهم صباح بن خاقان التميمي، أن موسى الهادي كان خلع الرشيد وباع لابنه جعفر، وكان عبد الله بن مالك على الشرط، فلما توفي الهادي هجم خزيمة ابن خازم في تلك الليلة، فأخذ جعفرا من فراشه، وكان خزيمة في خمسة آلاف من مواليه معهم السلاح، فقال: والله لأضربن عنقك أو تخلعها، فلما كان من الغد، ركب الناس إلى باب جعفر، فأتي به خزيمة، فأقامه

على باب الدار في العلو، والأبواب مغلقة، فأقبل جعفر ينادي: يا معشر المسلمين، من كانت لي في عنقه بيعة فقد أحلته منها، واختلافه لعمي هارون، ولا حق لي فيها.

وكان سبب مشي عبد الله بن مالك الخزاعي إلى مكة على اللبود، لأنه كان شاور الفقهاء في أيمانه التي حلف بها لبيعة جعفر، فقالوا له: كل يمين لك تخرج منها إلا المشي إلى بيت الله، ليس فيه حيلة فحج ماشيا وحظي خزيمة بذلك عند الرشيد وذكر أن الرشيد كان ساخطا على إبراهيم الحراني وسلام الأبرش يوم مات موسى، فأمر بحبسهما وقبض أموالهما، فحبس إبراهيم عند يحيى بن خالد في داره، فكلم فيه محمد بن سليمان هارون، وسأله الرضا عنه وتخلية سبيله، والإذن له في الانحدار معه إلى البصرة، فأجابه إلى ذلك.

وفي هذه السنة عزل الرشيد عمر بن عبد العزيز العمري عن مدينة الرسول ص، وما كان إليه من عملها، وولى ذلك إسحاق بن سليمان ابن علي.

وفيها ولد محمد بن هارون الرشيد، وكان مولده - فيما ذكر أبو حفص الكرماني عن محمد بن يحيى بن خالد - يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال من هذه السنة، وكان مولد المأمون قبله في ليلة الجمعة النصف من شهر ربيع الأول.

وفيها قلد الرشيد يحيى بن خالد الوزارة، وقال له: قد قلدتك أمر الرعية، وأخرجته من عنقي إليك، فاحكم في ذلك بما ترى من الصواب، واستعمل من رأيت، واعزل من رأيت، وأمض الأمور على ما ترى ودفع إليه خاتمه، ففي ذلك يقول إبراهيم الموصلي:

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة ... فلما ولي هارون أشرق نورها

بين أمين الله هارون ذي الندى ... فهارون واليها ويحيى وزيرها

وكانت الخيزران هي النازرة في الأمور، وكان يحيى يعرض عليها ويصدر عن رأيها.

وفيها أمر هارون بسهم ذوي القربى، فقسم بين بني هاشم بالسوية.

وفيها آمن من كان هارباً أو مستخفياً، غير نفر من الزنادقة، منهم يونس بن فروة ويزيد بن الفيض.

وكان ممن ظهر من الطالبين طباطبا، وهو إبراهيم بن إسماعيل، وعلي بن الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن.

وفيها عزل الرشيد الثغور كلها عن الجزيرة وقنسرين، وجعلها حيزاً واحداً وسميت العواصم.

وفيها عمرت طرسوس على يدي أبي سليم فرج الخادم التركي ونزلها الناس.

وجج بالناس في هذه السنة هارون الرشيد من مدينة السلام، فأعطى أهل الحرمين عطاءً كثيراً، وقسم فيهم مالا جليلاً.

وقد قيل: إنه حج في هذه السنة وغزا فيها، وفي ذلك يقول داود بن رزين:

بهارون لاح النور في كل بلدة ... وقام به في عدل سيرته النهج

إمام بذات الله أصبح شغله ... وأكثر ما يعنى به الغزو والحج

تضيق عيون الناس عن نور وجهه ... إذا ما بدا للناس منظره البلج

وإن أمين الله هارون ذا الندى ... ينيل الذي يرجوه أضعاف ما يرجو

وغزا الصائفة في هذه السنة سليمان بن عبد الله البكائي.

وكان العامل فيها على المدينة إسحاق بن سليمان الهاشمي، وعلى مكة والطائف عبيد الله بن قثم، وعلى الكوفة موسى بن عيسى، وخليفته

عليها ابنه العباس بن موسى، وعلى البصرة والبحرين والفرس وعمان واليمامة وكور الأهواز وفارس محمد بن سليمان بن علي.

٨٠٢٥ سنه احدى وسبعين ومائه

ثم دخلت

سنة احدى وسبعين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فمما كان فيها من ذلك قدوم أبي العباس الفضل بن سليمان الطوسي مدينة السلام منصرفاً

عن خراسان، وكان خاتم الخلافة حين قدم مع جعفر بن محمد بن الأشعث، فلما قدم أبو العباس الطوسي أخذه الرشيد منه، فدفعه إلى

أبي العباس، ثم لم يلبث أبو العباس إلا يسيراً حتى توفي، فدفع الخاتم إلى يحيى بن خالد، فاجتمعت ليحيى وزارتاتان.

وفيها قتل هارون أبا هريرة محمد بن فروخ - وكان على الجزيرة - فوجه إليه هارون أبا حنيفة حرب بن قيس، فقدم به عليه مدينة السلام،

فضرب عنقه في قصر الخلد.

وفيها أمر هارون بإخراج من كان في مدينة السلام من الطالبين إلى مدينه الرسول ص، خلا العباس بن الحسن بن عبد الله بن علي

ابن أبي طالب، وكان أبوه الحسن بن عبد الله فيمن أشخاص.

٤ وخرج الفضل بن سعيد الحروري فقتله أبو خالد المروزي.

وفي هذه السنة كان قدوم روح بن حاتم إفريقية، وخرجت في هذه السنة الخيزران إلى مكة في شهر رمضان، فأقامت بها إلى وقت الحج فحجت.
وجج بالناس في هذه السنة عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس.

٨٠٢٦ سنة اثنتين وسبعين ومائه

ثم دخلت

سنة اثنتين وسبعين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فن ذلك شخوص الرشيد فيها إلى مرج القلعة مرتادا بها منزلا ينزله.
ذكر السبب في ذلك:

ذكر أن الذي دعاه إلى الشخوص إليها أنه استثقل مدينة السلام، فكان يسميها البخار، فخرج إلى مرج القلعة، فاعتل بها، فانصرف، وسميت تلك السفرة سفرة المرتاد.

وفيهما عزل الرشيد يزيد بن مزيد عن أرمينية، وولاهما عبيد الله بن المهدي.

وغزا الصائفة فيها إسحاق بن سليمان بن علي.

وجج بالناس في هذه السنة يعقوب بن أبي جعفر المنصور.

وفيهما وضع هارون عن أهل السواد العشر الذي كان يؤخذ منهم بعد النصف

٨٠٢٧ سنة ثلاث وسبعين ومائه

٨٠٢٧٠١ ذكر خبر وفاه محمد بن سليمان

ثم دخلت

سنة ثلاث وسبعين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر خبر وفاه محمد بن سليمان

فن ذلك وفاة محمد بن سليمان بالبصرة، ليلال بقين من جمادى الآخرة منها.

وذكر أنه لما مات محمد بن سليمان وجه الرشيد إلى كل ما خلفه رجلا أمره باصطفائه، فأرسل إلى ما خلف من الصامت من قبل صاحب بيت ماله رجلا، وإلى الكسوة بمثل ذلك، وإلى الفرش والرقيق والدواب من الخيل والإبل، وإلى الطيب والجوهر وكل آلة رجل من قبل الذي يتولى كل صنف من الأصناف، فقدموا بالبصرة، فأخذوا جميع ما كان لمحمد مما يصلح للخلافة، ولم يتركوا شيئا إلا الخريث الذي لا يصلح للخلفاء، وأصابوا له ستين ألف ألف، فحملوها مع ما حمل، فلما صارت في السفن أخبر الرشيد بمكان السفن التي حملت ذلك، فأمر أن يدخل جميع ذلك خزائنه إلا المال، فإنه أمر بصكاك فكتبت للندماء، وكتبت للمغنين صكاك صغار لم تدر في الديوان، ثم دفع إلى كل رجل صكا بما رأى أن يهب له، فأرسلوا وكلاءهم إلى السفن، فأخذوا المال على ما أمر لهم به في الصكاك أجمع، لم يدخل منه بيت ماله دينار ولا درهم، واصطفى ضياعه، وفيها ضيعة يقال لها برشيد بالأهواز لها غلة كثيرة.

وذكر علي بن محمد، عن أبيه، قال: لما مات محمد بن سليمان أصيب في خزانته لباسه مذ كان صبيا في الكتاب إلى أن مات مقادير السنين، فكان من ذلك ما عليه آثار النقش، قال: وأخرج من خزانته ما كان يهدى له من بلاد السند ومكران وكرمان وفارس والأهواز واليمامة والري وعمان، من اللطاف والادهان والسمك والحبوب والحب، وما أشبه ذلك، ووجد أكثره فاسدا وكان من ذلك خمسمائة كنعدة ألقيت من دار جعفر

٨٠٢٧٠٢ ذكر وفاه الخيزران أم الهادي والرشد

ومحمد في الطريق، فكانت بلاء قال: فكنتنا حيناً لا نستطيع أن نمر بالمريد من نتها
 . ذكر وفاه الخيزران أم الهادي والرشد

وفيها توفيت الخيزران أم هارون الرشد وموسى الهادي.
 ذكر الخبر عن وقت وفاتها:

ذكر يحيى بن الحسن أن أباه حدثه، قال: رأيت الرشد يوم ماتت الخيزران، وذلك في سنة ثلاث وسبعين ومائة، وعليه جبة سعيديه
 وطيلسان خرق أزرق، قد شد به وسطه، وهو آخذ بقائمة السرير حافياً يعدو في الطين، حتى أتى مقابر قريش فغسل رجله، ثم دعا
 بخف وصلى عليها، ودخل قبرها، فلما خرج من المقبرة وضع له كرسي فجلس عليه، ودعا الفضل بن الربيع، فقال له: وحق المهدي-
 وكان لا يحلف بها إلا إذا اجتهد- إني لأهم لك من الليل بالشيء من التولية وغيرها، فتمنعي أمي فأطيع أمرها، نخذ الخاتم من جعفر
 فقال الفضل بن الربيع لإسماعيل بن صبيح: أنا أجل أبا الفضل عن ذلك، بأن أكتب إليه وآخذه، ولكن إن رأى أن يبعث به! قال
 وولى الفضل نفقات العامة والخاصة وبادوريا والكوفة، وهي خمسة طساسيج، فأقبلت حالة تنمى إلى سنة سبع وثمانين ومائة.
 وقيل إن وفاة محمد بن سليمان والخيزران كانت في يوم واحد.

وفيها أقدم الرشد جعفر بن محمد بن الأشعث من خراسان، وولاه ابنه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث.
 وجج بالناس فيها هارون، وذكر أنه خرج محرماً من مدينة السلام.

٨٠٢٨ سنه اربع وسبعين ومائه

ثم دخلت

سنة أربع وسبعين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فن ذلك ما كان بالشام من العصبية فيها.

وفيها ولى الرشد إسحاق بن سليمان الهاشمي السند ومكران.

وفيها استقضى الرشد يوسف بن أبي يوسف، وأبوه حي.

وفيها هلك روح بن حاتم.

وفيها خرج الرشد إلى باقردي وبازبدي، وبني بباقردي قصراً، فقال الشاعر في ذلك:

بقردى وبازبدي مصيف ومربع ... وعذب يحاكي السلسيل برود

وبغداد، ما بغداد، أما ترابها ... نخرى، وأما حرها فشديد

وغزا الصائفة عبد الملك بن صالح.

وجج بالناس فيها هارون الرشد، فبدأ بالمدينة، فقسم في أهلها مالا عظيماً، ووقع الوباء في هذه السنة بمكة، فأبطأ عن دخولها هارون،
 ثم دخلها يوم التروية، فقضى طوافه وسعيه ولم ينزل بمكة.

٨٠٢٩ سنه خمس وسبعين ومائه

٨٠٢٩٠١ ذكر الخبر عن البيعه للامين

٨٠٢٩٠٢ ذكر الخبر عن سبب بيعه الرشد له:

ثم دخلت

سنة خمس وسبعين ومائة

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث)

ذكر الخبر عن البيعة للأمين

فمن ذلك عقد الرشيد لابنه محمد بمدينة السلام من بعده ولاية عهد المسلمين وأخذه له بذلك بيعة القواد والجند، وتسميته إياه الأمين، وله يومئذ خمس سنين، فقال سلم الخاسر:

قد وفق الله الخليفة إذ بنى ... بيت الخليفة للهجان الأزهر
فهو الخليفة عن أبيه وجده ... شهدا عليه بمنظر وبخبر
قد بايع الثقلان في مهد الهدى ... لمحمد بن زبيدة ابنة جعفر
ذكر الخبر عن سبب بيعة الرشيد له:

وكان السبب في ذلك- فيما ذكر روح مولى الفضل بن يحيى بن خالد- أنه رأى عيسى بن جعفر قد صار إلى الفضل بن يحيى، فقال له: أنشدك الله لما عملت في البيعة لابن أخي- يعني محمد بن زبيدة بنت جعفر بن المنصور- فإنه ولد لك وخلافته لك، فوعده أن يفعل، وتوجه الفضل على ذلك، وكانت جماعة من بني العباس قد مدوا أعناقهم إلى الخلافة بعد الرشيد، لأنه لم يكن له ولي عهد، فلما بايع له، أنكروا بيعته لصغر سنه.

قَالَ: وقد كان الفضل لما تولى خراسان أجمع على البيعة لمحمد، فذكر محمد بن الحسين بن مصعب أن الفضل بن يحيى لما صار إلى خراسان، فرق فيهم أموالا، وأعطى الجند أعطيات متتابعات، ثم أظهر البيعة لمحمد بن الرشيد، فبايع الناس له وسماه الأمين، فقال في ذلك النمري:

أمتست بمرور على التوفيق قد صفقت ... على يد الفضل أيدي العجم والعرب
ببيعة لولي العهد أحكمها ... بالنصح منه وبالإشفاق والحدب

قد وكد الفضل عقدا لا انتقاض له ... لمصطفى من بني العباس منتخب

قال: فلما تناهى الخبر إلى الرشيد بذلك، وبايع له أهل المشرق، بايع لمحمد، وكتب إلى الآفاق، فبوع له في جميع الأمصار، فقال أبن اللاحقي في ذلك:

عزمت أمير المؤمنين على الرشد ... برأي هدى، فالحمد لله ذي الحمد
وعزل فيها الرشيد عن خراسان العباس بن جعفر، وولاه خاله الغطريف ابن عطاء.

٤ وفيها صار يحيى بن عبد الله بن حسن إلى الديلم، فتحرك هناك.

وغزا الصائفة فيها عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح فبلغ إقريطية.

وقال الواقدي: الذي غزا الصائفة في هذه السنة عبد الملك بن صالح، قَالَ: وأصابهم في هذه الغزاة برد قطع أيديهم وأرجلهم. وجج بالناس فيها هارون الرشيد.

٨٠٣٠ سنه ست وسبعين ومائه

٨٠٣٠٠١ ذكر الخبر عن مخرج يحيى بن عبد الله وما كان من امره

ثم دخلت

سنة ست وسبعين ومائة

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث) فمن ذلك ما كان من تولية الرشيد الفضل بن يحيى كور الجبال وطبرستان ودنباوند وقومس وأرمينية وأذربيجان.

وفيها ظهر يحيى بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب بالديلم.

ذكر الخبر عن مخرج يحيى بن عبد الله وما كان من أمره

ذكر أبو حفص الكرماني، قال: كان أول خبر يحيى بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب أنه ظهر بالديلم، واشتدت شوكته، وقوي أمره، ونزع إليه الناس من الأمصار والكور، فاغتم لذلك الرشيد، ولم يكن في تلك الأيام يشرب النبيذ، فندب إليه الفضل بن يحيى في خمسين ألف رجل، ومعه صناديد القواد، وولاه كور الجبال والري وجرجان وطبرستان وقومس ودنباوند والرويان، وحملت معه الأموال، ففرق الكور على قواده، فولى المثنى بن الحجاج بن قتيبة بن مسلم طبرستان، وولى علي بن الحجاج الخزاعي جرجان، وأمر له بخمسمائة ألف درهم، وعسكر بالنهرين، وامتدحه الشعراء، فأعطاهم فأكثر، وتوسل إليه الناس بالشعر، ففرق فيهم أموالاً كثيرة وشخص الفضل بن يحيى، واستخلف منصور بن زياد بباب أمير المؤمنين، تجري كتبه على يديه، وتنفذ الجوابات عنها إليه، وكانوا يثقون بمنصور وابنه في جميع أمورهم، لتقديم صحبتهم لهم، وحرمتهم بهم ثم مضى من معسكره، فلم تزل كتب الرشيد تتابع إليه بالبر واللطف والجوائز والخلع، فكتب يحيى ورفق به واستماله، وناشده وحذره، وأشار عليه، وبسط أمله ونزل الفضل بطالقان الري ودستبي بموضع يقال له أشب، وكان شديد البرد كثير الثلوج، ففي ذلك يقول أبان بن عبد الحميد اللاحقي:

لدور أمس بالدولاب ... حيث السيب ينعرج
أحب الى من دور ... أشب إذا هم ثلجوا

قال: فأقام الفضل بهذا الموضع، وواتر كتبه على يحيى، وكتب صاحب الديلم، وجعل له ألف ألف درهم، على أن يسهل له خروج يحيى إلى ما قبله، وحملت إليه، فأجاب يحيى إلى الصلح والخروج على يديه، على أن يكتب له الرشيد أماناً بخطه على نسخة يبعث بها إليه فكتب الفضل بذلك إلى الرشيد، فسرعه وعظم موقعه عنده، وكتب أماناً ليحيى بن عبد الله، وأشهد عليه الفقهاء والقضاة وجلة بني هاشم ومشايخهم، منهم عبد الصمد بن علي والعباس بن محمد ومحمد بن إبراهيم وموسى بن عيسى ومن أشبههم، ووجه به مع جوائز وكرامات وهدايا، فوجه الفضل بذلك إليه، فقدم يحيى بن عبد الله عليه، وورد به الفضل بغداد، فلقاه الرشيد بكل ما أحب، وأمر له بمال كثير، وأجرى له أرزاقاً سنية، وأنزله منزلاً سرياً بعد أن أقام في منزل يحيى بن خالد أياماً، وكان يتولى أمره بنفسه، ولا يكل ذلك إلى غيره، وأمر الناس بإتيانه بعد انتقاله من منزل يحيى والتسليم عليه، وبلغ الرشيد الغاية في إكرام الفضل، ففي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة:

ظفرت فلا شلت يد برمكية ... رتقت بها الفتق الذي بين هاشم
على حين أعياء الراتقين التثامه ... فكفوا وقالوا ليس بالملتائم
فأصبحت قد فازت يداك بخطة ... من المجد باق ذكرها في المواسم
وما زال قدح الملك يخرج فائزاً ... لكم كلما ضمت قداح المساهم
قال: وأنشدني أبو ثمامة الخطيب لنفسه فيه:

للفضل يوم الطالقان وقبله ... يوم أناخ به على خاقان
ما مثل يوميه اللذين تواليا ... في غزوتين توالتا يومان
سد الثغور ورد ألفة هاشم ... بعد الشتات، فشعبها متدان
عصمت حكومته جماعة هاشم ... من أن يجرد بينها سيفان
تلك الحكومة لا التي عن لبسها ... عظم النبا وتفرق الحكمان
فأعطاه الفضل مائة ألف درهم، وخلع عليه، وتغنى إبراهيم به.

وذكر أحمد بن محمد بن جعفر، عن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن، قال: لما قدم يحيى بن عبد الله من الديلم أتيته، وهو في دار علي بن أبي طالب، فقلت: يا عم، ما بعدك مخبر ولا بعدي مخبر، فأخبرني خبرك، فقال: يا بن أخي، والله إن كنت إلا كما قال حيي ابن أخطب:

لَعَمْرُكَ مَا لَمْ أُنْ أَخْطَبْ نَفْسَهُ ... وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ اللَّهَ يُخْذَلِ

لجَاهَدَ حَتَّى أَبْلَغَ النَّفْسَ حَمْدَهَا ... وقلقل يبغي العز كل مقلقل

وذكر الضبي أن شيخا من النوفليين، قَالَ: دخلنا على عيسى بن جعفر، وقد وضعت له وسائد بعضها فوق بعض، وهو قائم متكئ عليها، وإذا هو يضحك من شيء في نفسه، متعجبا منه، فقلنا: ما الذي يضحك الأمير ادام الله سروره! قَالَ: لقد دخلني اليوم سرور ما دخلني مثله قط، فقلنا:

تمم الله للأمير سروره، وزاده سرورا فقال: والله لا أحدثكم به إلا قائما- واتكأ على الفرش وهو قائم- فقال: كنت اليوم عند أمير المؤمنين الرشيد، فدعا يحيى بن عبد الله، فأخرج من السجن مكبلا في الحديد، وعنده بكار بن عبد الله بن مُصْعَبِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزبير- وكان بكار شديد البغض لآل أبي طالب، وكان يبلغ هارون عنهم، ويسيء بأخبارهم، وكان الرشيد ولده المدينة، وأمره بالتضييق عليهم- قَالَ: فلما دعي يحيى قَالَ له الرشيد: هيه هيه! متضحكا، وهذا يزعم أيضا أنا سمنناه! فقال يحيى: ما معنى يزعم؟ ها هو ذا لساني- قَالَ: وأخرج لسانه أخضر

مثل السلق- قَالَ: فتربد هارون! واشتد غضبه، فقال يحيى: يا أمير المؤمنين، إن لنا قرابة ورحما، ولسنا بترك ولا ديلم، يا أمير المؤمنين، أنا وأنتم أهل بيت واحد، فاذكرك الله وقرابتنا من رسول الله ص! علام تحبسن وتعدبن؟ قَالَ: فرق له هارون، وأقبل الزبيرى على الرشيد، فقال: يا أمير المؤمنين، لا يغرك كلام هذا، فإنه شاق عاص، وإنما هذا منه مكر وخبث، إن هذا أفسد علينا مدينتنا، وأظهر فيها العصيان.

قال: فأقبل يحيى عليه، فوالله ما أستأذن أمير المؤمنين في الكلام حتى قَالَ: أفسد عليكم مدينتكم! ومن أنتم عافاكم الله! قال الزبيرى: هذا كلامه قدامك، فكيف إذا غاب عنك! يقول: ومن أنتم! استخفافا بنا قَالَ: فأقبل عليه يحيى، فقال: نعم، ومن أنتم عافاكم الله! المدينة كانت مهاجر عبد الله ابن الزبير أم مهاجر رسول الله ص؟ ومن أنت حتى تقول:

أفسد علينا مدينتنا! وإنما بآبائي وآباء هذا هاجر أبوك إلى المدينة ثم قَالَ:

يا أمير المؤمنين، إنما الناس نحن وأنتم، فإن خرجنا عليكم قلنا: أكلتم وأجمعتمونا ولبستم وأعريتمونا، وركبتم وأرجلتمونا، فوجدنا بذلك مقالا فيكم، ووجدتم بخروجنا عليكم مقالا فينا، فتكافأ فيه القول، ويعود أمير المؤمنين على أهله بالفضل يا أمير المؤمنين، فلم يجترئ هذا وضرباؤه على أهل بيتك، يسعى بهم عندك! إنه والله ما يسعى بنا إليك نصيحة منه لك، وإنه يأتينا فيسعى بك عندنا عن غير نصيحة منه لنا، وإنما يريد أن يباعد بيننا، ويشتفي من بعض ببعض والله يا أمير المؤمنين، لقد جاء إلي هذا حيث قتل أخي محمد بن عبد الله، فقال: لعن الله قاتله! وأنشدني فيه مرثية قالها نحو من عشرين بيتا، وقال: إن تحركت في هذا الأمر فأنا أول من يبايعك، وما يمنعك أن تلحق بالبصرة، فأيدنا مع يدك! قَالَ: فتغير وجه الزبيرى واسود، فأقبل عليه هارون، فقال: أي شيء يقول هذا؟ قَالَ: كاذب يا أمير المؤمنين، ما كان مما قَالَ حرف قَالَ:

فأقبل على يحيى بن عبد الله، فقال: تروي القصيدة التي رثاه بها؟ قَالَ:

نعم يا أمير المؤمنين، أصلحك الله! قَالَ: فأنشدها إياه، فقال الزبيرى:

والله يا أمير المؤمنين الذي لا إله إلا هو- حتى أتى على آخر اليمين الغموس- ما كان مما قال شيء، ولقد تقول علي ما لم أقل قَالَ: فأقبل الرشيد على يحيى ابن عبد الله، فقال: قد حلف، فهل من بينة سمعوا هذه المرثية منه؟ قَالَ:

لا يا أمير المؤمنين، ولكن استحلفه بما أريد، قال: فاستحلفه، قال: فأقبل على الزبيرى، فقال: قل: أنا بريء من حول الله وقوته موكل إلى حولي وقوتي، إن كنت قلته فقال الزبيرى: يا أمير المؤمنين، أي شيء هذا من الحلف! أحلف له بالله الذي لا إله إلا هو، ويستحلفني بشيء لا أدري ما هو! قَالَ يحيى بن عبد الله: يا أمير المؤمنين، إن كان صادقا فما عليه أن يحلف بما استحلفه به! فقال له هارون: احلف له ويلك! قَالَ: فقال: أنا بريء من حول الله وقوته موكل إلى حولي وقوتي، قَالَ: فاضطرب منها وأرعد، فقال يا أمير المؤمنين، ما أدري أي شيء هذه اليمين التي يستحلفني بها، وقد حلفت له بالله العظيم أعظم الأشياء! قَالَ: فقال هارون له: لتحلفن له

أو لأصدقن عليك ولأعاقبك، قَالَ: فقال: أنا بريء من حول الله وقوته، موكل إلى حولي وقوتي إن كنت قتلته قَالَ: فخرج من عند هارون فضربه الله بالفالج، فمات من ساعته.

قَالَ: فقال عيسى بن جعفر: والله ما يسرني أن يحيى نقصه حرفا مما كان جرى بينهما، ولا قصر في شيء من مخاطبته إياه قَالَ: وأما الزبيريون فيزعمون أن امرأته قتلته، وهي من ولد عبد الرحمن ابن عوف. وذكر إسحاق بن محمد النخعي أن الزبير بن هشام حدثه عن أبيه، أن بكار بن عبد الله تزوج امرأة من ولد عبد الرحمن بن عوف، وكان له من قلبها موضع، فاتخذ عليها جارية، وأغارها، فقالت لغلामين له زنجيين: إنه قد أراد قتلكما هذا الفاسق - ولاطفتهما - فتعاوناني على قتله؟ قالا:

نعم، فدخلت عليه وهو نائم، وهما جميعا معها، فقعدا على وجهه حتى مات قَالَ: ثم أنها سقتهما نبذا حتى تهوعا حول الفراش، ثم أخرجتهما ووضعت عند رأسه قنينة، فلما أصبح اجتمع أهله، فقالت: سكر فقاء فشرق فمات فاخذ الغلامان، فضربا ضربا مبرحا، فأقرا بقتله، وأنها أمرتهما بذلك، فأخرجت من الدار ولم تورث.

وذكر أبو الخطاب أن جعفر بن يحيى بن خالد حدثه ليلة وهو في سمرة، قَالَ: دعا الرشيد اليوم يحيى بن عبد الله بن حسن، وقد حضره أبو البختری القاضي ومحمد بن الحسن الفقيه صاحب أبي يوسف، وأحضر الأمان الذي كان أعطاه يحيى، فقال لمحمد بن الحسن: ما تقول في هذا الأمان؟ أصحیح هو؟ قَالَ: هو صحيح، فخاجه في ذلك الرشيد، فقال له محمد بن الحسن: ما تصنع بالأمان؟ لو كان محاربا ثم ولى كان آمنا فاحتملها الرشيد على محمد بن الحسن، ثم سأل أبا البختری أن ينظر في الأمان، فقال أبو البختری:

هذا منتقض من وجه كذا وكذا، فقال الرشيد: أنت قاضي القضاة، وأنت أعلم بذلك، فزق الأمان، وتفل فيه أبو البختری - وكان بكار بن عبد الله بن مصعب حاضرا المجلس - فأقبل على يحيى بن عبد الله بوجهه، فقال: شققت العصا، وفارقت الجماعة، وخالفت كلمتنا، وأردت خليفتنا، وفعلت بنا وفعلت فقال يحيى: ومن أتم رحمكم الله! قَالَ جعفر: فوالله ما تمالك الرشيد أن ضحك ضحكا شديدا قَالَ: وقام يحيى ليمضي إلى الحبس، فقال له الرشيد: انصرف، أما ترون به أثر علة! هذا الآن إن مات قَالَ الناس: سموه قَالَ يحيى: كلا ما زلت عليلا منذ كنت في الحبس، وقبل ذلك أيضا كنت عليلا قَالَ أبو الخطاب: فما مكث يحيى بعد هذا إلا شهرا حتى مات. وذكر أبو يونس إسحاق بن اسمعيل، قَالَ: سمعت عبد الله بن العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي، الذي يعرف بالخطيب، قَالَ:

كنت يوما على باب الرشيد أنا وأبي، وحضر ذلك اليوم من الجند والقواد الم أمثلهم على باب خليفة قبله ولا بعده، قَالَ: فخرج الفضل بن الربيع

إلى أبي، فقال له: ادخل، ومكث ساعة ثم خرج إلي، فقال: ادخل، فدخلت، فإذا أنا بالرشيد معه امرأة يكلمها، فأومأ إلي أبي أنه لا يريد أن يدخل اليوم أحد، فاستأذنت لك لكثرة من رأيت حضر الباب، فإذا دخلت هذا المدخل زادك ذلك نبلا عند الناس فما مكثنا إلا قليلا حتى جاء الفضل ابن الربيع، فقال: إن عبد الله بن مصعب الزبيري يستأذن في الدخول، فقال: إني لا أريد أن أدخل اليوم أحدا، فقال: إن عندي شيئا أذكره فقال: قل له يقله لك، قَالَ: قد قلت له ذلك، فزعم أنه لا يقوله إلا لك، قَالَ: أدخله وخرج ليدخله، وعادت المرأة وشغل بكلامها، وأقبل علي أبي، فقال: إنه ليس عنده شيء يذكره، وإنما أراد الفضل بهذا ليوهم من على الباب أن أمير المؤمنين لم يدخلنا لخاصة خصصنا بها، وإنما أدخلنا لأمر نسأل عنه كما دخل هذا الزبيري.

وطلع الزبيري، فقال: يا أمير المؤمنين، هاهنا شيء أذكره، فقال له:

قل، فقال له: انه سر، فقال: ما من العباس سر، فنهضت، فقال:

ولا منك يا حبيبي، فجلست، فقال: قل، فقال: إني والله قد خفت على أمير المؤمنين من امرأته وبنته وجاريته التي تنام معه، وخادمه الذي يناوله ثيابه واخص خلق الله به من قواده، وأبعدهم منه قَالَ: فرأيت قد تغير لونه، وقال: مما ذا؟ قَالَ: جاءني دعوة يحيى بن

عبد الله بن حسن، فعلت أنها لم تبلغني مع العداوة بيننا وبينهم، حتى لم يبق على بابك أحدا إلا وقد أدخله في الخلاف عليك قال: فتقول له هذا في وجهه! قال: نعم، قال الرشيد: أدخله، فدخل، فأعاد القول الذي قال له، فقال يحيى بن عبد الله: والله يا أمير المؤمنين لقد جاء بشيء لو قيل لمن هو أقل منك فيمن هو أكبر مني، وهو مقتدر عليه لما أفلت منه أبدا، ولي رحم وقرابة، فلم لا تؤخر هذا الأمر ولا تعجل، فلعلك أن تكفي مؤنتي بغير يدك ولسانك، وعسى بك أن تقطع رحمك من حيث لا تعلمه! أباهله بين يديك وتصبر قليلا فقال:

يا عبد الله، قم فصل إن رأيت ذلك، وقام يحيى فاستقبل القبلة، فصلى ركعتين خفيفتين، وصلى عبد الله ركعتين، ثم برك يحيى، ثم قال: ابرك، ثم شبك يمينه في يمينه، وقال: اللهم إن كنت تعلم أنني دعوت عبد الله بن مصعب إلى الخلاف على هذا- ووضع يده عليه، وأشار إليه- فاستخني بعذاب من عندك وكلني إلى حولي وقوتي، وإلا فكله إلى حوله وقوته، واستخني بعذاب من قبلك، آمين رب العالمين فقال عبد الله: آمين رب العالمين، فقال يحيى بن عبد الله لعبد الله بن مصعب: قل كما قلت، فقال عبد الله: اللهم إن كنت تعلم أن يحيى بن عبد الله لم يدعني إلى الخلاف على هذا فكلني إلى حولي وقوتي واستخني بعذاب من عندك، وإلا فكله إلى حوله وقوته، واستخني بعذاب من عندك آمين رب العالمين! وتفرقا، فأمر يحيى فحبس في ناحية من الدار، فلما خرج وخرج عبد الله ابن مصعب أقبل الرشيد على أبي، فقال: فعلت به كذا وكذا، وفعلت به كذا وكذا، فعدد أيادي عليه، فكله أبي بكلمتين لا يدفع بهما عن عصفور، خوفا على نفسه، وأمرنا بالانصراف فانصرفنا فدخلت مع أبي أنزع عنه لباسه من السواد- وكان ذلك من عادي- فبينما أنا أحل عنه منطقتي، إذ دخل عليه الغلام، فقال: رسول عبد الله بن مصعب، فقال:

أدخله، فلما دخل قال له: ما وراءك؟ قال: يقول لك مولاي، أشدك الله ألا بلغت إلي! فقال أبي للغلام: قل له: لم أزل عند أمير المؤمنين إلى هذا الوقت، وقد وجهت إليك بعبد الله، فما أردت أن تلقه إلي فألقه إليه، وقال للغلام: اخرج فإنه يخرج في أثرك، وقال لي: إنما دعاني ليستعين بي على ما جاء به من الإفك، فإن أعتته قطعت رحمي من رسول الله ص، وإن خالفته سعى بي، وإنما يتدرق الناس بأولادهم، ويتقون بهم المكاره، فاذهب إليه، فكل ما قال لك فليكن جوابك له: أخبر أبي، فقد وجهتك

وما آمن عليك، وقد كان قال لي أبي حين انصرفنا- وذلك أنا احتبسنا عند الرشيد: أما رأيت الغلام المعترض في الدار! لا والله ما صرفنا حتى فرغ منه- يعني يحيى- إنا لله وإنا إليه راجعون! وعند الله نحتسب أنفسنا نفرجت مع الرسول، فلما صرت في بعض الطريق وأنا مغموم بما أقدم عليه، قلت للرسول: ويحك! ما أمره! وما أزعجه بالإرسال إلى أبي في هذا الوقت! فقال: إنه لما جاء من الدار، فساعة نزل عن الدابة صاح: بطني بطني! قال عبد الله بن عباس: فما حلفت بهذا الكلام من قول الغلام، ولا التفت إليه، فلما صرنا على باب الدرب- وكان في درب لا منفذ له- فتح البابين، فإذا النساء قد خرجن منشورات الشعور محتزمات بالحبال، يلطنن وجوههن وينادين بالويل، وقد مات الرجل، فقلت: والله ما رأيت أمرا أعجب من هذا! وعطفت دابتي راجعا أركض ركضا لم أركض مثله قبله ولا بعده إلى هذه الغاية، والغلمان والحشم ينتظرونني لتعلق قلب الشيخ بي، فلما رأوني دخلوا يتعادون، فاستقبلني مرعوبا في قيض ومنديل، ينادي: ما وراءك يا بني؟ قلت: إنه قد مات، قال: الحمد لله الذي قتله وأراحك وإيانا منه، فما قطع كلامه حتى ورد خادم الرشيد يأمر أبي بالركوب وإياي معه فقال أبي ونحن في الطريق نسير: لو جاز أن يدعى ليحيى نبوة لادعاهأ أهله، رحمة الله عليه، وعند الله نحتسبه! ولا والله ما نشك في أنه قد قتل فضينا حتى دخلنا على الرشيد، فلما نظر إلينا قال: يا عباس بن الحسن، أما علمت بالخبر؟ فقال أبي: بلى يا أمير المؤمنين، فالحمد لله الذي صرعه بلسانه، ووقاك الله يا أمير المؤمنين قطع أرحامك فقال الرشيد: الرجل والله سليم على ما يحب، ورفع الستر، فدخل يحيى، وأنا والله أتبين الارتياح في الشيخ، فلما نظر إليه الرشيد صاح به: يا أبا محمد، أما علمت أن الله قد قتل عدوك الجبار! قال: الحمد لله الذي أبان لأمر المؤمنين كذب عدوه علي، وأعفاه من قطع رحمه، والله يا أمير المؤمنين، لو كان هذا الأمر مما أطلبه وأصلح له وأريده فكيف ولست بطالب له ولا مريده، ولو لم يكن الظفر به إلا بالاستعانة به،

٨٠٣٠٠٢ ذكر الفتنة بين اليمانية والنزارية

ثم لم يبق في الدنيا غيري وغيرك وغيره ما تقويت به عليك أبدا! وهذا والله من إحدى آفاتك- وأشار إلى الفضل بن الربيع- والله لو وهبت له عشرة آلاف درهم، ثم طمع مني في زيادة ثمرة لباعك بها فقال: أما العباسي فلا تقل له إلا خيرا، وأمر له في هذا اليوم بمائة ألف دينار، وكان حبسه بعض يوم قال أبو يونس: كان هارون حبسه ثلاث حبسات مع هذه الحبسه، وواصل إليه أربعمائة

الف دينار

سنه ١٧٦

ذكر الفتنة بين اليمانية والنزارية

وفي هذه السنة، هاجت العصبية بالشام بين النزارية واليمانية، ورأس النزارية يومئذ أبو الهيثم.

ذكر الخبر عن هذه الفتنة:

ذكر أن هذه الفتنة هاجت بالشام وعامل السلطان بها موسى بن عيسى، فقتل بين النزارية واليمانية على العصبية من بعضهم لبعض بشر كثير، فولى الرشيد موسى بن يحيى بن خالد الشام، وضم إليه من القواد والأجناد ومشايخ الكُتاب جماعة فلما ورد الشام أحلت لدخوله إلى صالح بن علي الهاشمي، فأقام موسى بها حتى أصلح بين أهلها، وسكنت الفتنة، واستقام أمرها، فأنهى الخبر إلى الرشيد بمدينة السلام، ورد الرشيد الحكم فيهم إلى يحيى، فعفا عنهم، وعما كان بينهم، وأقدمهم بغداد، وفي ذلك يقول إسحاق بن حسان الخزيمي:

من مبلغ يحيى ودون لقائه ... زارات كل خنا بس همهام
يا راعي الإسلام غير مفرط ... في لين مغتبط وطيب مشام
تعذى مشاربه وتسقى شربة ... ويبيت بالربوات والأعلام
حتى تتنخض ضاربا بجراحه ... ورست مراسيه بدار سلام
فلكل ثغر خارس من قلبه ... وشعاع طرف ما يفتتر سام

٨٠٣٠٠٣ ذكر الخبر عن سبب توليه الرشيد جعفر مصر وتوليه جعفر عمر بن مهران إياها

وقال في موسى غير أبي يعقوب:

قد هاجت الشام هيجا ... يشيب رأس وليده
فصب موسى عليها ... بخيله وجنوده
فدانت الشام لما ... اتى نسيج وحيدة
هو الجواد الذي ... بذ كل جود بجوده
أعداه جود أبيه ... يحيى وجود جدوده
فجاد موسى بن يحيى ... بطارف وتليده
ونال موسى ذرى المجد ... وهو حشو مهوده
خصصته بمدح يحيى ... منشوره وقصيده
من البرامك عود ... له فأكرم بعوده
حووا على الشعر طرا ... خفيفه ومديده

وفيها عزل الرشيد الغطريف بن عطاء عن خراسان، وولاه حمزة بن مالك بن الهيثم الخزاعي، وكان حمزة يلقب بالعروس.

وفيها ولى الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك مصر، فولاه عمر بن مهران.

ذكر الخبر عن سبب توليه الرشيد جعفر مصر وتوليه جعفر عمر بن مهران إياها

ذكر محمد بن عمر أن أحمد بن مهران حدثه أن الرشيد بلغه أن موسى ابن عيسى عازم على الخلع- وكان على مصر- فقال: والله لا أعزله إلا بأخس من على بابي انظروا لي رجلا، فذكر عمر بن مهران- وكان إذ ذاك يكتب للخيزران، ولم يكتب لغيرها، وكان رجلا أحول مشوه الوجه، وكان

لباسه لباسا خسيسا، أرفع ثيابه طيلسانه، وكانت قيمته ثلاثين درهما، وكان يشمر ثيابه ويقصر أكامه، ويركب بغلا وعليه رسن ولجام حديد، ويردف غلامه خلفه - فدعا به، فولاه مصر، خراجها وضياعها وحرها.

فقال: يا أمير المؤمنين، أتولاها على شريطة، قال: وما هي؟ قال: يكون إذني إلي، إذا أصلحت البلاد انصرفت فجعل ذلك له، فضى إلى مصر، واتصلت ولاية عمر بن مهران بموسى بن عيسى، فكان يتوقع قدومه، فدخل عمر بن مهران مصر على بغل، وغلامه أبو درة على بغل ثقل، فقصده دار موسى بن عيسى والناس عنده، فدخل فجلس في أخريات الناس، فلما تفرق أهل المجلس، قال موسى بن عيسى لعمر: ألك حاجة يا شيخ؟

قال: نعم، أصلح الله الأمير! ثم قام بالكتب فدفعها إليه، فقال: يقدم أبو حفص، أبقاه الله! قال: فأنا أبو حفص، قال: أنت عمر بن مهران؟

قال: نعم، قال: لعن الله فرعون حين يقول: «أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ»، ثم سلم له العمل ورحل، فتقدم عمر بن مهران إلى أبي درة غلامه، فقال له: لا تقبل من الهدايا إلا ما يدخل في الجراب، لا تقبل دابة ولا جارية ولا غلاما، فجعل الناس يبعثون بهداياهم، فجعل يرد ما كان من الألفاظ، ويقبل المال والثياب، ويأتي بها عمر، فيوقع عليها أسماء من بعث بها، ثم وضع الجباية، وكان بمصر قوم قد اعتادوا المثل وكسر الخراج، فبدأ برجل منهم، فلواه، فقال: والله لا تؤدي ما عليك من الخراج إلا في بيت المال بمدينة السلام إن سلمت، قال: فأنا أؤدي، فتحمل عليه، فقال:

قد حلفت ولا أحنث، فأشخصه مع رجلين من الجند - وكان العمال إذ ذاك يكتبون الخليفة - فكتب معهم إلى الرشيد: إني دعوت بفلان بن فلان، وطالبته بما عليه من الخراج، فلو أني واستنظرتني، فأنظرتني ثم دعوته، فدافع ومال إلى الإلطاط، فأليت ألا يؤديه إلا في بيت المال بمدينة السلام، وجملة ما عليه كذا وكذا، وقد أفذته مع فلان بن فلان وفلان بن فلان، من جند أمير المؤمنين، من قيادة فلان بن فلان، فإن رأى أمير المؤمنين أن يكتب إلي بوصوله فعل إن شاء الله تعالى.

قال: فلم يلوه احد بشيء من الخراج، فاستأدى الخراج، النجم الأول والنجم الثاني، فلما كان في النجم الثالث، وقعت المطالبة والمطل، فاحضر أهل الخراج والتجار فطالبهم، فدفعوه وشكوا الضيقة، فأمر بإحضار تلك الهدايا التي بعث بها إليه، ونظر في الأكياس وأحضر الجهمذ، فوزن ما فيها وأجزاها عن أهلها، ثم دعا بالأسفاط، فنادى على ما فيها، فباعها وأجزى أثمانها عن أهلها ثم قال: يا قوم، حفظت عليكم هداياكم إلى وقت حاجتكم إليها، فادوا إلينا ما لنا، فادوا إليه حتى أغلق مال مصر، فأنصرف ولا يعلم أنه أغلق مال مصر غيره، وأنصرف، فخرج على بغل، وأبو درة على بغل - وكان إذ ذاك إليه.

وغزا الصائفة في هذه السنة عبد الرحمن بن عبد الملك، فافتتح حصنا. وجج بالناس في هذه السنة سليمان بن أبي جعفر المنصور، وحجت معه - فيما ذكر الواقدي - زبيدة زوجة هارون وأخوها معها.

٨٠٣١ سنة سبع وسبعين ومائة

ثم دخلت

سنة سبع وسبعين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فما كان فيها من ذلك عزل الرشيد - فيما ذكر - جعفر بن يحيى عن مصر وتوليته إياها إسحاق بن سليمان، وعزله حمزة بن مالك عن خراسان وتوليته إياها الفضل بن يحيى، إلى ما كان يليه من الاعمال من الري وسجستان.

وغزا الصائفة فيها عبد الرزاق بن عبد الحميد التغلبي.

وكان فيها - فيما ذكر الواقدي - ريح وظلمة وحمرة ليلة الأحد لأربع ليال بقين من المحرم، ثم كانت ظلمة ليلة الأربعاء، لليلتين بقيتا من المحرم من هذه السنة، ثم كانت ريح وظلمة شديدة يوم الجمعة ليلة خلت من صفر. وجج بالناس فيها هارون الرشيد.

٨٠٣٢ سنة ثمان وسبعين ومائه

ثم دخلت

سنة ثمان وسبعين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فما كان فيها من ذلك وثوب الخوفية بمصر، من قيس وقضاة وغيرهم بعامل الرشيد عليهم إسحاق بن سليمان، وقتلهم إياه، وتوجيه الرشيد إليه هرثة ابن أعين في عدة من القواد المضمومين إليه مددا لإسحاق بن سليمان، حتى أذعن أهل الحوف، ودخلوا في الطاعة، وأدوا ما كان عليهم من وظائف السلطان- وكان هرثة إذ ذاك عامل الرشيد على فلسطين- فلما انقضى أمر الخوفية صرف هارون إسحاق بن سليمان عن مصر، وولاه هرثة نخو من شهر، ثم صرفه وولاه عبد الملك بن صالح. وفيها كان وثوب أهل أفريقية بعدويه الأنباري ومن معه من الجند هنالك، فقتل الفضل بن روح بن حاتم، وأخرج من كان بها من آل المهلب، فوجه الرشيد إليهم هرثة بن أعين، فرجعوا إلى الطاعة.

وقد ذكر أن عبدويه هذا لما غلب على أفريقية، وخلع السلطان، عظم شأنه وكثر تبعه، ونزع إليه الناس من النواحي، وكان وزير الرشيد يومئذ يحيى بن خالد ابن برمك، فوجه إليه يحيى بن خالد بن برمك يقطين بن موسى ومنصور بن زياد كاتبه، فلم يزل يحيى بن خالد يتابع على عبدويه الكتب بالترغيب في الطاعة والتخويف للمعصية والاعذار إليه والإطماع والعدة حتى قبل الأمان، وعاد إلى الطاعة وقدم بغداد، فوفى له يحيى بما ضمن له وأحسن إليه، وأخذ له أمانا من الرشيد، ووصله ورأسه. وفي هذه السنة فوض الرشيد أموره كلها إلى يحيى بن خالد بن برمك. وفيها خرج الوليد بن طريف الشاري بالجزيرة، وحكم بها، ففتك إبراهيم ابن خازم بن خزيمة بنصيبين، ثم مضى منها إلى أرمينية.

٨٠٣٢.١ ولاية الفضل بن يحيى على خراسان وسيرته بها

ولاية الفضل بن يحيى على خراسان وسيرته بها
وفيها شخص الفضل بن يحيى إلى خراسان واليا عليها، فأحسن السيرة بها، وبني بها المساجد والرباطات، وغزا ما وراء النهر، نفرج إليه خاراخره ملك أشروسنة، وكان ممتنعا. وذكر أن الفضل بن يحيى اتخذ بخراسان جندا من العجم سماهم العباسية، وجعل ولاءهم لهم، وأن عدتهم بلغت نحسمائة ألف رجل، وأنه قدم منهم بغداد عشرون ألف رجل، فسموا ببغداد الكرنبية، وخلف الباقي منهم بخراسان على أسمائهم ودفاترهم، وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة:

ما الفضل إلا شهاب لا أقول له ... عند الحروب إذا ما تأفل الشهب
حام على ملك قوم عز سهمهم ... من الوراثة في أيديهم سبب
أمت يد لبني ساق الحيج بها ... كتائب ما لها في غيرهم أرب
كتائب لبني العباس قد عرفت ... ما ألف الفضل منها العجم والعرب
أثبت خمس مئين في عدادهم ... من الألوف التي أحصت لك الكتب
يقارعون عن القوم الذين هم ... أولى بأحمد في الفرقان إن نسبوا
إن الجواد ابن يحيى الفضل لا ورق ... يبقى على جود كفيه ولا ذهب
ما مريوم له مذ شد مثزره ... إلا تمول أقوام بما يهب
كم غاية في الندى والبأس أحرزها ... للطلالين مداها دونها تعب
يعطي الله حين لا يعطي الجواد ولا ... ينبو إذا سلت الهندية القضب
ولا الرضا والرضا لله غايته ... إلى سوى الحق يدعوه ولا الغضب
قد فاض عرفك حتى ما يعادله ... غيث مغيث ولا بحر له حذب

قال: وكان مروان بن أبي حفصة قد أنشد الفضل في معسكره قبل خروجه إلى خراسان:
 ألم تر أن الجود من لدن آدم ... تحدر حتى صار في راحة الفضل
 إذا ما أبو العباس راحت سماؤه ... فيا لك من هطل ويا لك من وبل
 إذا أم طفل راعها جوع طفلها ... دعت به باسم الفضل فاستعصم الطفل
 ليحيا بك الإسلام إنك عزه ... وإنك من قوم صغيرهم كهل
 وذكر محمد بن العباس أن الفضل بن يحيى أمر له بمائة ألف درهم، وكساه وحمله على بغلة قال: وسمعتة يقول: أصبت في قدمتي هذه
 سبعمائة ألف درهم وفيه يقول:

تخيرت للمدح ابن يحيى بن خالد ... فحسبي ولم أظلم بأن أتخير
 له عادة أن يبسط العدل والندى ... لمن ساس من قحطان أو من تنزرا
 إلى المنبر الشرقي سار ولم يزل ... له والد يعلو سريرا ومنبرا
 يعد ويحيى البرمكي ولا يرى ... لدى الدهر الا قائدا او مومرا
 ومدحه سلم الخاسر، فقال:

وكيف تخاف من بؤس بدار ... تكنفها البرامكة البحور
 وقوم منهم الفضل بن يحيى ... نفي ما يوازنه نفي
 له يومان: يوم ندى وبأس ... كأن الدهر بينهما أسير
 إذا ما البرمكي غدا ابن عشر ... فهمته وزير أو أمير

وذكر الفضل بن إسحاق الهاشمي أن إبراهيم بن جبريل خرج مع الفضل بن يحيى إلى خراسان وهو كاره للخروج، فأحفظ ذلك الفضل
 عليه قال إبراهيم: فدعاني يوما بعد ما أغفلني حيناً، فدخلت عليه، فلما صرت بين يديه سلمت، فما رد علي، فقلت في نفسي: شر والله-
 وكان مضطجعا، فاستوى جالسا- ثم قال: ليفرخ روعك يا إبراهيم، فإن قدرتي عليك تمنعني منك، قال: ثم عقد لي على سجستان، فلما
 حملت خراجها، وهبه لي

وزادني خمسمائة ألف درهم قال: وكان إبراهيم على شرطه وحرسه، فوجهه إلى كابل، فافتتحها وغنم غنائم كثيرة قال: وحدثني
 الفضل بن العباس بن جبريل- وكان مع عمه إبراهيم- قال: وصل إلى إبراهيم في ذلك الوجه سبعة آلاف ألف، وكان عنده من مال
 الخراج أربعة آلاف ألف درهم، فلما قدم بغداد وبني داره في البغين استزار الفضل ليريه نعمته عليه، وأعد له الهدايا والطرف وآنية
 الذهب والفضة، وأمر بوضع الأربعة الآلاف ألف في ناحية من الدار.

قال: فلما قعد الفضل بن يحيى قدم إليه الهدايا والطرف، فأبى أن يقبل منها شيئا، وقال له: لم آتك لاسلبك، فقال: إنها نعمتك أيها
 الأمير.

قال: ولك عندنا مزيد، قال: فلم يأخذ من جميع ذلك إلا سوطا سجزيا، وقال: هذا من آلة الفرسان، فقال له: هذا المال من مال
 الخراج، فقال:

هو لك، فأعاد عليه، فقال: أما لك بيت يسعه! فسوغه ذلك، وانصرف.

قال: ولما قدم الفضل بن يحيى من خراسان خرج الرشيد إلى بستان أبي جعفر يستقبله، وتلقاه بنو هاشم والناس من القواد والكتاب
 والأشراف، فجعل يصل الرجل بالألف الف وبانخمسمائة ألف، ومدحه مروان بن أبي حفصة، فقال:

حمدنا الذي أدى ابن يحيى فأصبحت ... بمقدمه تجري لنا الطير أسعدا
 وما هجعت حتى رآته عيوننا ... وما زلن حتى آب بالدمع حشدا
 لقد صبحتنا خيله ورجاله ... باروع بذ الناس بأسا وسودا
 نفى عن خراسان العدو كما نفى ... ضحى الصبح جلابب الدجي فتعددا

لقد راع من أمسى بمرور مسيره ... إلينا، وقالوا شعبنا قد تبددا
 علي حين ألقى قتل كل ظلامه ... وأطلق بالعفو الأسير المقيدا
 وأفشى بلا من مع العدل فيهم ... أيادي عرف باقيات وعودا
 فأذهب روعات المخاوف عنهم ... واصدر باغي الأمن فيهم وأوردا
 وأجدي على الأيتام فيهم بعرفه ... فكان من الآباء أحنى وأعودا
 إذا الناس راموا غاية الفضل في الندى ... وفي البأس ألفوها من النجم أبعدا
 سما صاعدا بالفضل يحيي وخالد ... إلى كل أمر كان أسنى وأمجدا
 يلين لمن أعطى الخليفة طاعة ... ويسقي دم العاصي الحسام المهندا
 أذلت مع الشرك النفاق سيوفه ... وكانت لأهل الدين عزا مؤبدا
 وشد القوى من بيعة المصطفى الذي ... على فضله عهد الخليفة قلدا
 سمي النبي الفاتح الخاتم الذي ... به الله أعطى كل خير وسددا
 أبحت جبال الكايلي ولم تدع ... بهن لنيران الضلالة موقدا
 فأطلعتها خيلا وطئن جموعه ... قتيلا ومأسورا وفلا مشردا
 وعادت على ابن البرم نعماك بعد ما ... تحوب مخذولا يرى الموت مفردا
 وذكر العباس بن جرير، أن حفص بن مسلم - وهو أخو رزام بن مسلم، مولى خالد بن عبد الله القسري - حدثه أنه قال: دخلت على
 الفضل بن يحيى مقدمه خراسان، وبين يديه بدر تفرق بخواتيمها، فما فضت بدره منها، فقلت:
 كفى الله بالفضل بن يحيى بن خالد ... وجود يديه بخل كل بخل
 قال: فقال لي مروان بن أبي حفصة: وددت أني سبقتك إلى هذا البيت، وأن على غرم عشرة آلاف درهم.
 وغزا فيها الصائفة معاوية بن زفر بن عاصم، وغزا الشاتيه فيها سليمان ابن راشد، ومعه اليد بطريق صقلية.
 وجج بالناس فيها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي، وكان على مكة.

٨٠٣٣ سنة تسع وسبعين ومائه

ثم دخلت

سنة تسع وسبعين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فما كان فيها من ذلك انصراف الفضل بن يحيى عن خراسان واستخلافه عليها عمرو بن
 شرحبيل.

وفيهما ولي الرشيد خراسان منصور بن يزيد بن منصور الحميري.

وفيهما شري بخراسان حمزة بن أترك السجستاني.

وفيهما عزل الرشيد محمد بن خالد بن برمك عن الحمية، وولاه الفضل بن الربيع.

وفيهما رجع الوليد بن طريف الشاري إلى الجزيرة واشتدت شوكته، وكثر تبعه، فوجه الرشيد إليه يزيد بن مزيد الشيباني، فراوغه يزيد،

ثم لقيه وهو مغتر فوق هيت، فقتله وجماعة كانوا معه، وتفرق الباكون، فقال الشاعر:

وائل بعضها يقتل بعضا ... لا يفيل الحديد إلا الحديد

وقالت الفارعة أخت الوليد:

أيا شجر الخابور ما لك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف

فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنا وسيوف

واعتمر الرشيد في هذه السنة في شهر رمضان، شكراً لله على ما أبلاه في الوليد بن طريف، فلها قضى عمرته انصرف إلى المدينة، فأقام بها إلى وقت الحج، ثم حج بالناس، فمضى من مكة إلى منى، ثم إلى عرفات، وشهد المشاهد والمشاعر ماشياً، ثم انصرف على طريق البصرة. وأما الواقيدي فإنه قال: لما فرغ من عمرته أقام بمكة حتى أقام للناس حجهم.

٨٠٣٤ سنه ثمانين ومائه

٨٠٣٤٠١ ذكر الخبر عن العصبية التي هاجت بالشام

ثم دخلت

سنة ثمانين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر الخبر عن العصبية التي هاجت بالشام

فما كان فيها من ذلك، العصبية التي هاجت بالشام بين أهلها.

ذكر الخبر عما صار إليه أمرها:

ذكر أن هذه العصبية لما حدثت بالشام بين أهلها، وتفاقم أمرها، اغتم بذلك من أمرهم الرشيد، فعقد لجعفر بن يحيى على الشام، وقال له: إما أن تخرج أنت أو أخرج أنا، فقال له جعفر: بل أقيك بنفسي، فشخص في جلة القواد والكراع والسلاح، وجعل على شرطه العباس بن محمد بن المسيب بن زهير، وعلى حرسه شبيب بن حميد بن قطبة، فأتاهم فأصلح بينهم، وقتل زواقيهم، والمتلصبة منهم، ولم يدع بها رحماً ولا فرساً، فعادوا إلى الأمن والطمأنينة، وأطفأ تلك النائرة، فقال منصور النمري لما شخص جعفر:

لقد أوقدت بالشام نيران فتنة ... فهذا أوان الشام تمجد نارها

إذا جاش موج البحر من آل برمك ... عليها، خبت شهبانها وشرارها

رماها أمير المؤمنين بجعفر ... وفيه تلاقى صدعها وانجبارها

رماها بميمون النقيبة ماجد ... تراضى به قحطانها ونزارها

تدلت عليهم صخرة برمكية ... دموغ لهام الناكثين انحدارها

غدوت تزجي غابة في رءوسها ... نجوم الثريا والمنيا ثمارها

إذا خفقت راياتها وتجرست ... بها الريح هال السامعين انبهارها

فقولوا لأهل الشام: لا يسلبنكم ... حجاكم طويلات المنى وقصارها

فإن أمير المؤمنين بنفسه ... أتاكم وإلا نفسه نفيارها

هو الملك المأمول للبر والتقى ... وصولاته لا يستطيع خطارها

وزير أمير المؤمنين وسيفه ... وصعدته والحرب تدمى شفارها

ومن تطو أسرار الخليفة دونه ... فعندك مأواها وأنت قرارها

وفيت فلم تغدر لقوم بذمة ... ولم تدن من حال ينالك عارها

طبيب بإحياء الأمور إذا التوت ... من الدهر أعناق، فأنت جبارها

إذا ما ابن يحيى جعفر قصدت له ... ملهات خطب لم ترعه بكبارها

لقد نشأت بالشام منك غمامة ... يؤمل جدواها ويخشى دمارها

فطوبى لأهل الشام يا ويل أمها ... أتاها حياها، أو أتاها بوارها

فإن سالموا كانت غمامة نائل ... وغيث، وإلا فالدماء قطارها

أبوك أبو الأملك يحيى بن خالد ... أخو الجود والنعمى الكبار صغارها

كأين ترى في البرمكيين من ندى ... ومن سابقات ما يشق غبارها

غدا بنجوم السعد من حل رحله ... إليك، وعزت عصبه أنت جارها
عذيري من الأقدار هل عزوماتها ... مخلفتي عن جعفر واقتسارها
فعين الأسى مطروفه لفراقه ... ونفسي اليه ما ينام ادكارها

وولى جعفر بن يحيى صالح بن سليمان البلقاء وما يليها، واستخلف على الشام عيسى بن العكي وانصرف، فازداد الرشيد له إكراما فلما قدم على الرشيد دخل عليه - فيما ذكر - فقبل يديه ورجليه، ثم مثل بين يديه، فقال: الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي أنس وحشتي، وأجاب دعوتي، ورحم تضرعي، وأنسأ في أجلي، حتى أراني وجه سيدي، وأكرمني

بقربه، وامتن علي بتقبيل يده، وردني إلى خدمته، فوالله إن كنت لأذكر غيبتني عنه ومخرجي، والمقادير التي أزعجتني، فأعلم أنها كانت بمعاص لحقتني وخطايا أحاطت بي، ولو طال مقامي عنك يا أمير المؤمنين - جعلني الله فداك - لخفت أن يذهب عقلي إشفاقا على قربك، وأسفا على فراقك، وأن يجعل بي عن إذكك الاشتياق إلى رؤيتك، والحمد لله الذي عصمني في حال الغيبة، وأمتعني بالعافية، وعرفني الإجابة ومسكني بالطاعة، وحال بيني وبين استعمال المعصية، فلم أشخص إلا عن رأيك، ولم أقدم إلا عن إذكك وأمرك، ولم يخترمني أجل دونك والله يا أمير المؤمنين - ولا أعظم من اليمين بالله - لقد عاينت ما لو تعرض لي الدنيا كلها لاخترت عليها قربك، ولما رأيته عوضا من المقام معك ثم قال له بعقب هذا الكلام في هذا المقام: إن الله يا أمير المؤمنين - لم يزل يبيلك في خلافتك بقدر ما يعلم من نيتك، ويريك في رعيته غاية أمنيته، فيصلح لك جماعتهم، ويجمع ألفتهم، ويلم شعثهم، حفظا لك فيهم، ورحمة لهم، وإنما هذا للتمسك بطاعتك، والاعتصام بحبل مرضاتك، والله المحمود على ذلك وهو مستحقه وفارقت يا أمير المؤمنين أهل كور الشام وهم منقادون لأمرك، نادمون على ما فرط من معصيتهم لك، متمسكون بحبلك، نازلون على حكمك، طالبون لعفوك، واثقون بحلمك، مؤملون فضلك، آمنون بادرته، حالهم في ائلافهم كحالهم كانت في اختلافهم، وحالهم في ألفتهم كحالهم كانت في امتناعهم، وعفو أمير المؤمنين عنهم وتغمده لهم سابق لمعذرتهم، وصلة أمير المؤمنين لهم، وعطفه عليهم متقدم عنده لمسألتهم.

وايم الله يا أمير المؤمنين لئن كنت قد شخصت عنهم، وقد أخذ الله شرارهم وأطفأ نارهم، ونفى مراقهم، وأصلح دهماءهم، وأولاني الجليل فيهم، ورزقني الانتصار منهم، فما ذلك كله إلا ببركتك ويمنك، وريحك ودوام دولتك السعيدة الميمونة الدائمة، وتخوفهم منك، ورجائهم لك والله يا أمير

المؤمنين ما تقدمت إليهم إلا بوصيتك، وما عاملتهم إلا بأمرك، ولا سرت فيهم إلا على حد ما مثله لي ورسمته، ووقفني عليه، ووالله ما انقادوا إلا لدعوتك، وتوحد الله بالصنع لك، وتخوفهم من سطوتك وما كان الذي كان مني - وإن كنت بذلت جهدي، وبلغت مجهودي - قاضيا ببعض حقك علي، بل ما ازدادت نعمتك علي عظما، إلا ازددت عن شكرك عجزا وضعفا، وما خلق الله أحدا من رعيته أبعد من أن يطمع نفسه في قضاء حقك مني، وما ذلك إلا أن أكون باذلا مهجتي في طاعتك، وكل ما يقرب إلى موافقتك، ولكنني أعرف من أياديك عندي ما لا أعرف مثلها عند غيري، فكيف بشكري وقد أصبحت واحد أهل دهري فيما صنعتته في وبي! أم كيف بشكري وإنما أقوى على شكرى بإكرامك إياي! وكيف بشكري ولو جعل الله شكرى في إحصاء ما أوليتني لم يأت على ذلك عدي وكيف بشكري وأنت كهفي دون كل كهف لي! وكيف بشكري وأنت لا ترضى لي ما أرضاه لي! وكيف بشكري وأنت تجدد من نعمتك عندي ما يستغرق كل ما سلف عندك لي! أم كيف بشكري وأنت تنسيني ما تقدم من إحسانك إلي بما تجدهه لي! أم كيف بشكري وأنت تقدمني بطولك على جميع أكفائي! أم كيف بشكري وأنت وليي! أم كيف بشكري وأنت المكرم لي! وأنا أسأل الله الذي رزقني ذلك منك من غير استحقاق له، إذا كان الشكر مقصرا عن بلوغ تأدية بعضه، بل دون شقص من عشر عشره، أن يتولى مكافأتك عني بما هو أوسع له، واقدر عليه، وإن يقضى عني حقك، وجيل منتك، فإن ذلك بيده، وهو القادر عليه! وفي هذه السنة أخذ الرشيد الخاتم من جعفر بن يحيى، فدفعه إلى أبيه يحيى بن خالد

وفيهما ولي جعفر بن يحيى خراسان وخبستان، واستعمل جعفر عليهما محمد بن الحسن بن قطبة.

وفيه شخص الرشيد من مدينة السلام مريدا الرقة على طريق الموصل، فلما نزل البردان، ولي عيسى بن جعفر خراسان، وعزل عنها جعفر بن يحيى، فكانت ولاية جعفر بن يحيى إياها عشرين ليلة.

وفيه ولي جعفر بن يحيى الحرس.

وفيه هدم الرشيد سور الموصل بسبب الخوارج الذين خرجوا منها، ثم مضى إلى الرقة فنزلها واتخذها وطنا.

وفيه عزل هرثمة بن أعين عن أفريقية، وأقفل إلى مدينة السلام، فأستخلفه جعفر بن يحيى على الحرس.

وفيه كانت بأرض مصر زلزلة شديدة، فسقط رأس منارة الإسكندرية.

٤ وفيه حكم خراشة الشيباني وشرى بالجزيرة، فقتله مسلم بن بكار بن مسلم العقيلي ٤.

وفيه خرجت الحمرة بجرجان، فكتب علي بن عيسى بن ماهان أن الذي هيج ذلك عليه عمرو بن محمد العمري، وأنه زنديق، فأمر الرشيد بقتله، فقتل بمرو.

وفيه عزل الفضل بن يحيى عن طبرستان والرويان، وولي ذلك عبد الله ابن خازم وعزل الفضل أيضا عن الري، ووليا محمد بن يحيى بن الحارث بن شخير، وولى سعيد بن سلم الجزيرة.

وغزا الصائفة فيها معاوية بن زفر بن عاصم وفيها صار الرشيد إلى البصرة منصرفه من مكة، فقدمها في الحرم منها، فنزل المحدثه أياما، ثم تحول منها إلى قصر عيسى بن جعفر بالخرية، ثم ركب في نهر سيحان الذي احتفروه يحيى بن خالد، حتى نظر إليه، وسكر نهر الأبله ونهر معقل، حتى استحکم أمر سيحان، ثم شخص عن البصرة

لاثنتي عشرة ليلة بقيت من الحرم، فقدم مدينة السلام، ثم شخص إلى الحيرة، فسكنها وابتنى بها المنازل، وأقطع من معه الخطط، وأقام نحو من أربعين يوما، فوثب به أهل الكوفة، وأساءوا مجاورته، فارتحل إلى مدينة السلام، ثم شخص من مدينة السلام إلى الرقة، واستخلف بمدينة السلام حين شخص إلى الرقة محمدا الأمين، وولاه العراقين.

وجج بالناس في هذه السنة موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي.

٨٠٣٥ سنة إحدى وثمانين ومائه

ثم دخلت

سنة إحدى وثمانين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فكان فيها غزو الرشيد أرض الروم، فافتتح بها عنوه حصن الصفصاف، فقال مروان بن أبي حفصة:

أن أمير المؤمنين المصطفى ... قد ترك الصفصاف قاعا صفصفا

وفيه غزا عبد الملك بن صالح الروم، فبلغ أنقرة وافتتح مطمورة.

وفيه توفي الحسن بن قطبة وحمزة بن مالك.

وفيه غلبت الحمرة على جرجان.

وفيه أحدث الرشيد عند نزوله الرقة في صدور كتبه الصلاة على محمد ص وجج بالناس في هذه السنة هارون الرشيد، فأقام للناس الحج، ثم صدر معجلا وتخلف عنه يحيى بن خالد، ثم لحقه بالغمرة فاستعفاه من الولاية فأعفاه، فرد إليه الخاتم، وساله الاذن في المقام فأذن له، فانصرف إلى مكة.

٨٠٣٦ سنة اثنتين وثمانين ومائه

ثم دخلت

سنة اثنتين وثمانين ومائة

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث) فكان فيها انصراف الرشيد من مكة ومسيره إلى الرقة، وبيعه بها لابنه عبد الله المأمون بعد ابنه محمد الأمين، وأخذ البيعة له على الجند بذلك بالرقة، وضمه إياه إلى جعفر بن يحيى، ثم توجه به إياه إلى مدينة السلام، ومعه من أهل بيته جعفر بن أبي جعفر المنصور وعبد الملك بن صالح، ومن القواد علي بن عيسى، فبيع له بمدينة السلام حين قدمها، وولاه أبوه خراسان وما يتصل بها إلى همدان، وسماه المأمون.

وفيهما حملت ابنة خاقان ملك الخزر إلى الفضل بن يحيى، فماتت ببرذعة، وعلى أرمينية يومئذ سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي، فرجع من كان فيها من الطراخنة إلى أبيها، فأخبروه أن ابنته قتلت غيلة، فحنق لذلك، وأخذ في الأهبة لحرب المسلمين.

وانصرف فيها يحيى بن خالد إلى مدينة السلام.

وغزا فيها الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح، فبلغ دفسوس مدينة أصحاب الكهف.

وفيهما سملت الروم عيني ملكهم قسطنطين بن اليون، وأقروا أمه ريني، وتلقب أغسطه.

وحج بالناس فيها موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي.

٨٠٣٧ سنه ثلاث وثمانين ومائه

ثم دخلت

سنة ثلاث وثمانين ومائة

(ذكر الخبر عن الأحداث التي كَانَتْ فِيهَا) فمن ذلك خروج الخزر بسبب ابنة خاقان من باب الأبواب وإيقاعهم بالمسلمين هنالك وأهل الذمة، وسبيهم - فيما ذكر - أكثر من مائة ألف.

فانتكروا أمرا عظيما لم يسمع في الإسلام بمثله، فولى الرشيد أرمينية يزيد بن مزيد مع اذريجان، وقواه بالجند، ووجهه، وانزل خزيمة بن خازم نصيبين رداء لا أهل أرمينية.

وقد قيل في سبب دخول الخزر أرمينية غير هذا القول، وذلك ما ذكره محمد بن عبد الله، أن أباه حدثه أن سبب دخول الخزر أرمينية في زمان هارون كان أن سعيد بن سلم ضرب عنق المنجم السلمي بفأس، فدخل ابنه بلاد الخزر، واستجاشهم على سعيد، فدخلوا أرمينية من الثلثة، فانهزم سعيد، ونكحوا المسلمات، وأقاموا فيها - أظن - سبعين يوما، فوجه هارون خزيمة بن خازم ويزيد بن مزيد إلى أرمينية حتى أصلحا ما أفسد سعيد، وأخرجوا الخزر، وسدت الثلثة.

وفيهما كتب الرشيد إلى علي بن عيسى بن ماهان وهو بخراسان بالمصير إليه، وكان سبب كتابه إليه بذلك، أنه كان حمل عليه، وقيل له: أنه قد أجمع على الخلاف، فاستخلف علي بن عيسى ابنه يحيى على خراسان، فأقره الرشيد، فوافاه علي، وحمل إليه مالا عظيما، فردّه الرشيد إلى خراسان من قبل ابنه المأمون لحرب أبي الخصيب، فرجع.

وفيهما خرج بنسا من خراسان أبو الخصيب وهيب بن عبد الله النسائي مولى الحريش ٤

وفيهما مات موسى بن جعفر بن محمد ببغداد ومحمد بن السماك القاضي.

وفيهما حج بالناس العباس بن موسى الهادي بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن علي.

٨٠٣٨ سنه اربع وثمانين ومائه

ثم دخلت

سنة أربع وثمانين ومائة

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث) ففيها قدم هارون مدينة السلام في جمادى الآخرة منصرفا إليها من الرقة في الفرات في السفن، فلما صار إليها أخذ الناس بالبقايا.

وولي استخراج ذلك- فيما ذكر- عبد الله بن الهيثم بن سام بالحبس والضرب، وولى حماد البربري مكة واليمن، وولى داود بن يزيد بن حاتم المهلب السند، ويحيى الحرشي الجبل، ومهرويه الرازي طبرستان، وقام بأمر إفريقية إبراهيم الأغلب، فولاهما إياه الرشيد. وفيها خرج أبو عمرو الشاري فوجه إليه زهير القصاب فقتله بشهرزور. وفيها طلب أبو الخصيب الأمان، فأعطاه ذلك علي بن عيسى، فوافاه بمرؤ فأكرمه. وجج بالناس فيها إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي.

٨٠٣٩ سنة خمس وثمانين ومائه

ثم دخلت

سنة خمس وثمانين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فمن ذلك ما كان من قتل أهل طبرستان مهرويه الرازي وهو واليها، فولى الرشيد مكانه عبد الله بن سعيد الحرشي.

وفيها قتل عبد الرحمن الأبنوي أبان بن حقطبة الخارجي بمرج القلعة.

وفيها عاث حمزة الشاري بباذغيس من خراسان، فوثب عيسى بن علي ابن عيسى على عشرة آلاف من أصحاب حمزة فقتلهم، وبلغ كابل وزابلستان والقندهار، فقال أبو العاذر في ذلك:

كاد عيسى يكون ذا القرنين ... بلغ المشرقين والمغربين

لم يدع كابلًا ولا زابلستان ... فما حولها إلى الرنجين

وفيها خرج أبو الخصيب ثمانية بنساء، وغلب عليها وعلى أبيورد وطوس ونيسابور، وزحف إلى مرو، فأحاط بها، فهزم، ومضى نحو سرخس، وقوي أمره.

وفيها مات يزيد بن مزيد بيردعة، فولى مكانه أسد بن يزيد.

وفيها مات يقطين بن موسى ببغداد.

وفيها مات عبد الصمد بن علي ببغداد في جمادى الآخرة، ولم يكن ثغر قط، فأدخل القبر بأسنان الصبي، وما نقص له سن وشخص فيها الرشيد إلى الرقة على طريق الموصل.

واستأذنه فيها يحيى بن خالد في العمرة والجوار، فأذن له، فخرج في

شعبان، واعتمر عمره شهر رمضان، ثم رابط بجدة إلى وقت الحج، ثم حج.

ووقعت في المسجد الحرام صاعقة فقتلت رجلين.

وجج بالناس فيها منصور بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي.

٨٠٤٠ سنة ست وثمانين ومائه

٨٠٤٠١ ذكر حج الرشيد ثم كتابته العهد لابنائه

ثم دخلت

سنة ست وثمانين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) ففيها كان خروج علي بن عيسى بن ماهان من مرو لحرب أبي الخصيب إلى نساء، فقتله بها، وسبي نساءه وذرائه، واستقامت خراسان.

وفيها حبس الرشيد ثمانية بن أشرس لوقوفه على كذبه في أمر أحمد بن عيسى بن زيد.

وفيها مات جعفر بن أبي جعفر المنصور عند هرثمة وتوفي العباس بن محمد ببغداد.

ذكر حج الرشيد ثم كتابته العهد لابنائه

وجج بالناس فيها هارون الرشيد، وكان شخوصه من الرقة للحج في شهر رمضان من هذه السنة، فرب بالأنبار، ولم يدخل مدينة السلام، ولكنه نزل منزلا على شاطئ الفرات يدعى الدارات، بينه وبين مدينة السلام سبعة فراسخ، وخلف بالركة إبراهيم بن عثمان بن نهيك، وأخرج معه ابنه: محمدا الأمين وعبد الله المأمون، وليي عهده، فبدأ بالمدينة، فأعطى أهلها ثلاثة أعطية، كانوا يقدمون إليه فيعطيه عطاء، ثم إلى محمد فيعطيه عطاء ثانيا، ثم إلى المأمون فيعطيه عطاء ثالثا، ثم صار إلى مكة فأعطى أهلها، فبلغ ذلك ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار.

وكان الرشيد عقد لابنه محمد ولاية العهد- فيما ذكر محمد بن يزيد عن إبراهيم بن محمد الحجي- يوم الخميس في شعبان سنة ثلاث وسبعين ومائة، وسماه الأمين، وضم إليه الشام والعراق في سنة خمس وسبعين ومائة، ثم بايع لعبد الله المأمون بالركة في سنة ثلاث وثمانين ومائة، وولاه من حد همدان إلى آخر المشرق، فقال في ذلك سلم بن عمرو الخاسر:

بايع هارون إمام الهدى ... لذي الحى والخلق الفاضل

المخلف المتلف أمواله ... والضامن الأثقال للحامل

والعالم النافذ في علمه ... والحاكم الفاضل والعاقل

والرايق الفائق حلف الهدى ... والقائل الصادق والفاعل

لخير عباس إذا حصلوا ... والمفضل المجدي على العائل

أبرهم برا وأولاهم ... بالعرف عند الحدث النازل

لمشبه المنصور في ملكه ... إذا تدجت ظلمة الباطل

فتم بالمأمون نور الهدى ... وانكشف الجهل عن الجاهل

وذكر الحسن بن قريش أن القاسم بن الرشيد، كان في حجر عبد الملك ابن صالح، فلما بايع الرشيد لمحمد والمأمون، كتب إليه عبد الملك بن صالح:

يأيها الملك الذي ... لو كان نجما كان سعدا

اعقد القاسم بيعة ... واقدح له في الملك زندا

الله فرد واحد ... فاجعل ولاية العهد فردا

فكان ذلك أول ما حض الرشيد على البيعة للقاسم ثم بايع للقاسم ابنه، وسماه المؤتمن، وولاه الجزيرة والشعور والعواصم، فقال في ذلك:

حب الخليفة حب لا يدين به ... من كان لله عاص يعمل الفتنا

الله قلد هارونا سياستنا ... لما اصطفاه فأحيا الدين والسنا

وقلد الأرض هارون لرأفته ... بنا أمينا ومأموما ومؤتمنا

قال: ولما قسم الأرض بين أولاده الثلاثة، قال بعض العامة: قد أحكم أمر الملك، وقال بعضهم: بل ألقى بأسهم بينهم، وعاقبة ما صنع في ذلك مخوفة على الرعية، وقالت الشعراء في ذلك، فقال بعضهم:

أقول لغمة في النفس مني ... ودمع العين يطرد اطرادا

خذي للهول عدته بحزم ... سنلقى ما سيمنعك الرقادا

فإنك إن بقيت رأيت أمرا ... يطيل لك الكآبة والسهادا

رأى الملك المهذب شر رأى ... بقسمته الخلافة والبلادا

رأى ما لو تعقبه بعلم ... لبيض من مفارقه السوادا

أراد به ليقطع عن بنه ... خلافهم ويبتدلوا الودادا

فقد غرس العداوة غير آل ... وأورث شمل ألفتهم بدادا

وألقح بينهم حربا عوانا ... وسلس لاجتنابهم القيادا

فويل للرعية عن قليل ... لقد أهدي لها الكرب الشدادا

وألبسها بلاء غير فان ... وألزمها التضعيع والفسادا
ستجري من دمائهم بحور ... زواجر لا يرون لها نفادا
فوزر بلائهم أبدا عليه ... أغيا كان ذلك أم رشادا

قال: وجج هارون ومحمد وعبد الله معه وقواده ووزرائه وقضاته في سنة ست وثمانين ومائة، وخلف بالركة إبراهيم بن عثمان بن نهيك العكي على الحرم والخزائن والأموال والعسكر، وأشخص القاسم ابنه إلى منبج، فانزله إياها بمن ضم إليه من القواد والجند، فلما قضى مناسكه كتب لعبد الله المأمون ابنه كتابين، أحدهما الفقهاء والقضاة أراءهم فيهما، أحدهما على محمد بما اشترط عليه من الوفاء بما فيه من تسليم ما ولي عبد الله من الأعمال، وصير إليه من الضياع والغلات والجواهر والأموال، والآخرة نسخة البيعة التي أخذها على الخاصة والعامة والشروط لعبد الله على محمد وعليهم، وجعل الكاين في البيت الحرام بعد أخذه البيعة على محمد، وإشهاده عليه بها الله وملائكته ومن كان في الكعبة معه من سائر ولده وأهل بيته ومواليه وقواده ووزرائه وكتابه وغيرهم وكانت الشهادة بالبيعة والكتاب في البيت الحرام، وتقدم إلى الحجة في حفظهما، ومنع من اراد إخراجهما والذهاب بهما، فذكر عبد الله بن محمد ومحمد بن يزيد التيمي وإبراهيم الحجي، أن الرشيد حضر وأحضر وجوه بني هاشم والقواد والفقهاء، وادخلوا البيت الحرام، وأمر بقراءة الكتاب على عبد الله ومحمد، وأشهد عليهما جماعة من حضر، ثم رأى أن يعلق الكتاب في الكعبة، فلما رفع ليعلق وقع، فقليل إن هذا الأمر سريع انتقاضه قبل تمامه وكانت نسخة الكتاب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابُ لِعَبْدِ اللَّهِ هَارُونَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، كَتَبَهُ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فِي صَحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وَجَوَازٍ مِنْ أَمْرِهِ، طَائِعًا غَيْرَ مَكْرَهٍ أَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فِي الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ، وَصِيرَ الْبَيْعَةِ لِي فِي رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا، وَوَلَّى عَبْدَ اللَّهِ بْنُ هَارُونَ الْعَهْدَ وَالْخِلَافَةَ وَجَمِيعَ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدِي، بِرِضَا مَنِي وَتَسْلِيمٍ، طَائِعًا غَيْرَ مَكْرَهٍ، وَوَلَّاهُ خِرَاسَانَ وَثَغُورَهَا وَكُورَهَا وَحَرْبَهَا وَجَنْدَهَا وَخِرَاجَهَا وَطَرَزَهَا وَبَرِيدَهَا، وَبَيُوتَ أَمْوَالِهَا، وَصَدَقَاتِهَا وَعَشْرَهَا وَعَشُورَهَا، وَجَمِيعَ أَعْمَالِهَا، فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدِهِ وَشَرَطْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ هَارُونَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِرِضَا مَنِي وَطَيْبِ نَفْسِي، أَنْ لَا أَخِي عَبْدَ اللَّهِ بْنُ هَارُونَ عَلِيَّ الْوَفَاءِ بِمَا عَقَدَ لَهُ هَارُونَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْعَهْدِ وَالْوَلَايَةِ وَالْخِلَافَةِ وَأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا بَعْدِي، وَتَسْلِيمِ ذَلِكَ لَهُ، وَمَا جَعَلَ لَهُ مِنْ وَلَايَةِ خِرَاسَانَ وَأَعْمَالِهَا كُلِّهَا، وَمَا أَقْطَعَهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قِطْعَةٍ، أَوْ جَعَلَ لَهُ مِنْ عَقْدَةٍ أَوْ ضَيْعَةٍ مِنْ ضَيْعَاةٍ، أَوْ ابْتَاعَ مِنَ الضَّيَاعِ وَالْعَقْدِ، وَمَا أَعْطَاهُ فِي حَيَاتِهِ وَصَحَّتْهُ مِنْ مَالٍ أَوْ حَلِيٍّ أَوْ جَوْهَرٍ، أَوْ مَتَاعٍ أَوْ كَسْوَةٍ، أَوْ مَنْزِلٍ أَوْ دَوَابٍّ، أَوْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ، فَهُوَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَارُونَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، مَوْفَرًا مُسْلِمًا إِلَيْهِ وَقَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ شَيْئًا شَيْئًا فَإِنْ حَدَثَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَدَثُ الْمَوْتِ، وَأَفْضَتْ الْخِلَافَةَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَعَلَى مُحَمَّدٍ إِنْفَازُ مَا أَمَرَهُ بِهِ هَارُونَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَلِيَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَارُونَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خِرَاسَانَ وَثَغُورَهَا وَمَنْ ضَمَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِقَرْمَاسِينَ، وَإِنْ يَمْضَى عَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى خِرَاسَانَ وَالرِّيِّ وَالْكُورِ الَّتِي سَمَّاها أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ كَانَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَعْسَكِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرِهِ مِنْ سُلْطَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَجَمِيعٍ مِنْ ضَمَّ إِلَيْهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ أَحَبَّ، مِنْ لَدُنِ الرِّيِّ إِلَى أَقْصَى عَمَلِ خِرَاسَانَ فَلَيْسَ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَحُولَ عَنْهُ قَائِدًا وَلَا مَقُودًا وَلَا رَجُلًا وَاحِدًا مِمَّنْ ضَمَّ إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ ضَمَّهُمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَحُولَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ وَلَايَتِهِ الَّتِي وَلَّاهُ إِيَّاهَا هَارُونَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ثَغُورِ خِرَاسَانَ وَأَعْمَالِهَا كُلِّهَا، مَا بَيْنَ عَمَلِ الرِّيِّ مِمَّا يَلِي هَمْدَانَ إِلَى أَقْصَى خِرَاسَانَ وَثَغُورَهَا وَبِلَادِهَا، وَمَا هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَيْهَا، وَلَا يَشْخَصُهُ إِلَيْهِ، وَلَا يَفْرُقُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ وَقَوَادِهِ عَنْهُ، وَلَا يُؤَلِّي عَلَيْهِ أَحَدًا، وَلَا يَبْعَثُ عَلَيْهِ وَلَا عَلَى أَحَدٍ مِنْ عَمَالِهِ وَوَلَاةَ أُمُورِهِ بِنْدَارًا، وَلَا مُحَاسِبًا وَلَا عَامِلًا، وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي صَغِيرٍ مِنْ أَمْرِهِ وَلَا كَبِيرٍ ضَرَرًا، وَلَا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَمَلِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِرَأْيِهِ وَتَدْبِيرِهِ، وَلَا يَعْرِضُ لِأَحَدٍ مِمَّنْ ضَمَّ إِلَيْهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَصَحَابَتِهِ وَقَضَاتِهِ وَعَمَالِهِ وَكُتَّابِهِ وَقَوَادِهِ وَخُدَمِهِ وَمَوَالِيهِ وَجَنْدِهِ، بِمَا يَلْتَمَسُ إِدْخَالَ الضَّرَرِ وَالْمَكْرُوهِ عَلَيْهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَلَا قَرَابَاتِهِمْ وَلَا مَوَالِيهِمْ، وَلَا أَحَدٍ بِسَبِيلِ مِنْهُمْ، وَلَا فِي دِمَائِهِمْ وَلَا فِي أَمْوَالِهِمْ وَلَا فِي ضَيَاعِهِمْ وَدَوْرِهِمْ وَرِبَاعِهِمْ وَأَمْتَعَتِهِمْ وَرَقِيقَتِهِمْ وَدَوَابِهِمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا، وَلَا أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ بِأَمْرِهِ وَرَأْيِهِ وَهَوَاهُ، وَبِتَرْخِيصٍ لَهُ فِي ذَلِكَ وَادِّهَانٍ مِنْهُ فِيهِ لِأَحَدٍ مِنْ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا يَحْكُمُ فِي أَمْرِهِمْ وَلَا أَحَدٌ مِنْ

قضاته ومن عماله ومن كان بسبب منه بغير حكم عبد الله ابن أمير المؤمنين ورأيه ورأي قضاته.
 وإن نزع إليه أحد ممن ضم أمير المؤمنين إلى عبد الله ابن أمير المؤمنين من أهل بيت أمير المؤمنين وصحابته وقواده وعماله وكتابه وخدمه ومواليه وجنده، ورفض اسمه ومكتبه ومكانه مع عبد الله بن أمير المؤمنين عاصيا له أو مخالفا عليه، فعلى محمد بن أمير المؤمنين رده إلى عبد الله بن أمير المؤمنين بصغر له وقواء حتى ينفذ فيه رأيه وأمره.
 فإن أراد محمد بن أمير المؤمنين خلع عبد الله بن أمير المؤمنين عن ولاية العهد من بعده، أو عزل عبد الله بن أمير المؤمنين عن ولاية خراسان وثغورها وأعمالها، والذي من حد عملها مما يلي همدان والكور التي سماها أمير المؤمنين في كتابه هذا أو صرف أحد من قواده الذين ضمهم أمير المؤمنين إليه ممن قدم قمراسين، أو أن ينتقصه قليلا أو كثيرا مما جعله أمير المؤمنين له بوجه من الوجوه، أو بحيلة من الحيل، صغرت أو كبرت، فلعبد الله بن هارون أمير المؤمنين الخلافة بعد أمير المؤمنين، وهو المقدم على محمد بن أمير المؤمنين، وهو ولي الأمر بعد أمير المؤمنين والطاعة من جميع قواد أمير المؤمنين هارون من أهل خراسان وأهل العطاء وجميع المسلمين في جميع الأجناد والأمصار لعبد الله ابن أمير المؤمنين، والقيام معه، والمجاهدة لمن خالفه، والنصر له والذب عنه، ما كانت الحياة في أبدانهم وليس لأحد منهم جميعا من كانوا، أو حيث كانوا، أن يخالفه ولا يعصيه، ولا يخرج من طاعته، ولا يطيع محمد بن أمير المؤمنين في خلع عبد الله بن هارون أمير المؤمنين وصرف العهد عنه من بعده إلى غيره، أو ينتقصه شيئا مما جعله له أمير المؤمنين هارون في حياته وصحته، واشترط في كتابه الذي كتبه عليه في البيت الحرام في هذا الكتاب وعبد الله بن أمير المؤمنين المصدق في قوله، وأنتم في حل من البيعة التي في أعناقكم لمحمد بن أمير المؤمنين هارون إن نقص شيئا مما جعله له أمير المؤمنين هارون، وعلى محمد بن هارون أمير المؤمنين أن ينقاد لعبد الله بن أمير المؤمنين هارون ويسلم له الخلافة.

وليس لمحمد بن أمير المؤمنين هارون ولا لعبد الله ابن أمير المؤمنين أن يخلعا القاسم بن أمير المؤمنين هارون، ولا يقدم عليه أحدا من أولادهما وقربائهما ولا غيرهم من جميع البرية، فإذا افضت الخلافة إلى عبد الله ابن أمير المؤمنين، فالأمر إليه في إمضاء ما جعله أمير المؤمنين من العهد للقاسم بعده، أو صرف

٨٠٤٠٠٢ نسخة الشرط الذي كتب عبد الله ابن أمير المؤمنين بخط يده في الكعبة

ذلك عنه إلى من رأى من ولده وإخوته، وتقديم من أراد أن يقدم قبله، وتصيير القاسم بن أمير المؤمنين بعد من يقدم قبله، يحكم في ذلك بما أحب ورأى.

فعليكم معشر المسلمين إنفاذ ما كتب به أمير المؤمنين في كتابه هذا، وشرط عليهم وأمر به، وعليكم السمع والطاعة لأمر المؤمنين فيما ألزمكم وأوجب عليكم لعبد الله بن أمير المؤمنين، وعهد الله وذمته وذمه رسوله ص وذمم المسلمين والعهود والمواثيق التي أخذ الله على الملائكة المقربين والنبين والمرسلين، ووكدتها في أعناق المؤمنين والمسلمين، لتفن لعبد الله أمير المؤمنين بما سمى، ولمحمد وعبد الله والقاسم بني أمير المؤمنين بما سمى وكتب في كتابه هذا، واشترط عليكم وأقررتم به على أنفسكم، فإن أنتم بدلت من ذلك شيئا، أو غيرتم، أو نكثتم، أو خالفتم ما أمركم به أمير المؤمنين، واشترط عليكم في كتابه هذا، فبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله محمد ص وذمم المؤمنين والمسلمين، وكل مال هو اليوم لكل رجل منكم أو يستفيده إلى خمسين سنة فهو صدقة على المساكين، وعلى كل رجل منكم المشي إلى بيت الله الحرام الذي بمكة خمسين حجة، نذرا واجبا لا يقبل الله منه إلا الوفاء بذلك، وكل مملوك لأحد منكم - أو يملكه فيما يستقبل إلى خمسين سنة - حر، وكل امرأة له فهي طالق ثلاثا البتة طلاق الحرج، لا مثنوية فيها والله عليكم بذلك كفيل وراع، وكفى بالله حسيبا

. نسخة الشرط الذي كتب عبد الله ابن أمير المؤمنين بخط يده في الكعبة

هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين، كتبه له عبد الله بن هارون أمير المؤمنين، في صحة من عقله، وجواز من أمره، وصدق نية فيما كتب في كتابه هذا، ومعرفة بما فيه من الفضل والصلاح له ولأهل بيته وجماعة المسلمين إن أمير المؤمنين هارون ولاني العهد

والخلافة وجميع أمور المسلمين في سلطانه بعد أخيه محمد بن هارون، وولاني في حياته ثغور خراسان وكورها وجميع أعمالها، وشرط على محمد بن هارون الوفاء بما عقد لي من الخلافة

وولاية أمور العباد والبلاد بعده، وولاية خراسان وجميع أعمالها، ولا يعرض لي في شيء مما أقطعني أمير المؤمنين، أو ابتاع لي من الضياع والعقد والرباع أو ابتعت منه من ذلك، وما أعطاني أمير المؤمنين من الأموال والجوهر والكساء والمتاع والدواب والرقيق وغير ذلك، ولا يعرض لي ولا لأحد من عمالي وكتابي بسبب محاسبة، ولا يتبع لي في ذلك ولا لأحد منهم أبداً، ولا يدخل علي ولا عليهم ولا على من كان معي ومن استعنت به من جميع الناس مكروها، في نفس ولا دم ولا شعر ولا بشر ولا مال، ولا صغير من الأمور ولا كبير.

فأجابه إلى ذلك، وأقر به وكتب له كتاباً، أكد فيه على نفسه ورضي به أمير المؤمنين هارون وقبله، وعرف صدق نيته فيه فشرطت لأمر المؤمنين وجعلت له على نفسي أن أسمع لحمد وأطيع ولا أعصيه، وأنصح ولا أغشه، وأوفى بيعته وولايته، ولا أغدر، ولا أنكث، وأنفذ كتبه وأمره، وأحسن موازرتة وجهاد عدوه في ناحيتي، ما وفي لي بما شرط لأمر المؤمنين في أمري، وسمى في الكتاب الذي كتبه لأمر المؤمنين، ورضي به أمير المؤمنين، ولم يتبعني بشيء من ذلك، ولم ينقض أمراً من الأمور التي شرطها أمير المؤمنين لي عليه. فان احتاج محمد بن أمير المؤمنين إلى جند، وكتب إلي يأمرني بإشخاصه إليه، أو إلى ناحية من النواحي، أو إلى عدو من أعدائه، خالفه أو أراد نقص شيء من سلطانه أو سلطاني الذي أسنده أمير المؤمنين إلينا وولانا إياه، فعلي أن أنفذ أمره ولا أخالفه، ولا أقصر في شيء كتب به إلي وإن أراد محمد أن يولي رجلاً من ولده العهد والخلافة من بعدي، فذلك له ما وفي لي بما جعله أمير المؤمنين إلي واشترطه لي عليه، وشرط على نفسه في أمري، وعلي إنفاذ ذلك والوفاء له به، ولا أنقص من ذلك ولا أغيره ولا أبدله، ولا أقدم قبله أحداً من ولدي، ولا قريباً ولا بعيداً من الناس أجمعين، إلا أن يولي أمير المؤمنين هارون أحداً من ولده العهد من بعدي، فيلزمي ومحمداً الوفاء له وجعلت لأمر المؤمنين ومحمد علي الوفاء بما شرطت وسميت في كتابي هذا، ما وفي لي محمد بجميع ما اشترط لي أمير المؤمنين عليه في نفسي، وما أعطاني أمير المؤمنين من جميع الأشياء المسماة في هذا

٨٠٤٠٠٣ نسخة كتاب هارون بن محمد الرشيد إلى العمال

الكتاب الذي كتبه لي، وعلي عهد الله وميثاقه وذمة أمير المؤمنين وذمتي وذمم آبائي وذمم المؤمنين وأشد ما أخذ الله على النبيين والمرسلين من خلقه أجمعين، من عهوده ومواريثه، والأيمان المؤكدة التي أمر الله بالوفاء بها، ونهى عن نقضها وتبديلها، فإن أنا نقضت شيئاً مما شرطت وسميت في كتابي هذا أو غيرت أو بدلت، أو نكثت أو غدرت، فبرئت من الله عز وجل ومن ولايته ودينه، ومحمد رسول الله ص، ولقيت الله يوم القيامة كافراً مشركاً، وكل امرأه هي لي اليوم أو أتزوجها إلى ثلاثين سنة طالق ثلاثاً ألبتة طلاق الحرج، وكل مملوك هو لي اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة أحرار لوجه الله، وعلي المشي إلى بيت الله الحرام الذي بمكة ثلاثين حجة، نذراً واجبا علي في عنقي حافياً راجلاً، لا يقبل الله مني إلا الوفاء بذلك، وكل مال لي أو أملكه إلى ثلاثين سنة هدي بالغ الكعبة، وكل ما جعلت لأمر المؤمنين وشرطت في كتابي هذا لازم لا أضمر غيره، ولا أنوي غيره.

وشهد سليمان بن أمير المؤمنين وفلان وفلان وكتب في ذي الحجة سنة ست وثمانين ومائة.

نسخة كتاب هارون بن محمد الرشيد إلى العمال

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الله ولي أمير المؤمنين وولي ما ولاه، والحافظ لما استرعاه وأكرمه به من خلافته وسلطانه، والصانع له فيما قدم وأخر من أموره، والمنعم عليه بالنصر والتأييد في مشارق الأرض ومغاربها، والكلأ والحفاظ والكافي من جميع خلقه، وهو المحمود على جميع آلائه، المسؤول تمام حسن ما أمضى من قضائه لأمر المؤمنين، وعادته الجميلة عنده، وإلهام ما يرضى به، ويوجب له عليه أحسن المزيد من فضله وقد كان من نعمة الله عز وجل عند أمير المؤمنين وعندك وعند عوام المسلمين ما تولى الله من محمد وعبد الله ابني أمير المؤمنين، من تبليغه بهما أحسن ما أملت الأمة، ومدت إليه أعناقها، وقذف الله لهما في قلوب العامة من المحبة والمودة

والسكون إليهما

والثقة بهما، لعماد دينهم، وقوام أمورهم، وجمع ألفتهم، وصلاح دهمائهم، ودفع المحذور والمكروه من الشتات والفرقة عنهم، حتى ألقوا إليهما أزمتهن، وأعطوهما بيعتهن وصفقات أيمانهم، بالعهود والمواثيق ووكيد الأيمان المغلظة عليهم أراد الله فلم يكن له مرد، وأمضاه فلم يقدر أحد من العباد على نقضه ولا إزالته، ولا صرف له عن محبته ومشيتته، وما سبق في علمه منه وأمير المؤمنين يرجو تمام النعمة عليه وعليهما في ذلك وعلى الأمة كافة، لا عاقب لأمر الله ولا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه.

ولم يزل أمير المؤمنين منذ اجتمعت الأمة على عقد العهد لمحمد ابن أمير المؤمنين من بعد أمير المؤمنين ولعبد الله ابن أمير المؤمنين من بعد محمد ابن أمير المؤمنين، يعمل فكره ورأيه ونظره ورويته فيما فيه الصلاح لهما ولجميع الرعية والجمع للكلمة، واللم للشتات، والدفع للشتات والفرقة، والحسم لكيد أعداء النعم، من أهل الكفر والنفاق والغل والشقاق، والقطع لآمالهم من كل فرصة يرجون إدراكها وانتهازها منهما بانتقاص حقهما ويستخير الله أمير المؤمنين في ذلك، ويسأله العزيمة له على ما فيه الخيرة لهما ولجميع الأمة، والقوة في أمر الله وحقه وائتلاف أهوائهما، وصلاح ذات بينهما، وتحصينهما من كيد أعداء النعم، ورد حسدهم ومكرهم وبغيهم وسعيهم بالفساد بينهما فعزم الله لأمر المؤمنين على الشخص بهما إلى بيت الله، وأخذ البيعة منهما لأمر المؤمنين بالسمع والطاعة والإنفاذ لأمره، واكتتاب الشرط على كل واحد منهما لأمر المؤمنين ولهما بأشد المواثيق والعهود، وأغلظ الأيمان والتوكيد، والأخذ لكل واحد منهما على صاحبه بما التمس به أمير المؤمنين اجتماع ألفتهم ومودتهما وتواصلهما وموازرتهم ومكانفتهم على حسن النظر لأنفسهما ولرعية أمير المؤمنين التي استرعاها، والجماعة لدين الله عز وجل وكتابه وسنن نبيه ص، والجهاد لعدو المسلمين، من كانوا وحيث كانوا، وقطع طمع كل عدو مظهر للعداوة، ومسر لها، وكل منافق

ومارق، واهل الأهواء الضالة المضلة من تكيد بكيد توقعه بينهما، وبدحس يدحس به لهما، وما يلتمس أعداء الله وأعداء النعم وأعداء دينه من الضرب بين الأمة، والسعي بالفساد في الأرض، والدعاء إلى البدع والضلالة، نظرا من أمير المؤمنين لدينه ورعيته وأمة نبيه محمد ص ومناصرة الله ولجميع المسلمين، وذبا عن سلطان الله الذي قدره، وتوحد فيه للذي حمله إياه، والاجتهاد في كل ما فيه قرينة إلى الله، وما ينال به رضوانه، والوسيلة عنده.

فلما قدم مكة أظهر لمحمد وعبد الله رأيهم في ذلك، وما نظر فيه لهما، فقبلا كل ما دعاها إليه من التوكيد على أنفسهما بقبوله، وكتبا لأمر المؤمنين في بطن بيت الله الحرام بخطوط أيديهما، بحضور ممن شهد الموسم من أهل بيت أمير المؤمنين وقواده وصحابته وقضاته وحجة الكعبة وشهاداتهم عليهما كتابين استودعهما أمير المؤمنين الحجة، وأمر بتعليقهما في داخل الكعبة.

فلما فرغ أمير المؤمنين من ذلك كله في داخل بيت الله الحرام وبطن الكعبة، أمر قضاته الذين شهدوا عليهما، وحضروا كتباهما، أن يعلموا جميع من حضر الموسم من الحاج والعمار ووفود الأمصار ما شهدوا عليه من شرطهما وكتباهما، وقراءة ذلك عليهم ليفهموه ويعوه، ويعرفوه ويحفظوه، ويؤدوه إلى إخوانهم وأهل بلدانهم وأمصارهم، ففعلوا ذلك، وقرئ عليهم الشرطان جميعا في المسجد الحرام، فانصرفوا وقد اشتهر ذلك عندهم، وأثبتوا الشهادة عليه، وعرفوا نظر أمير المؤمنين وعنايته بصلاحهم وحقن دمائهم، ولم شعهم وإطفاء جمره أعداء الله، أعداء دينه وكتابه وجماعة المسلمين عنهم، وأظهروا الدعاء لأمر المؤمنين والشكر لما كان منه في ذلك.

وقد نسخ لك أمير المؤمنين ذينك الشرطين اللذين كتبتهما لأمر المؤمنين ابنه محمد وعبد الله في بطن الكعبة في أسفل كتابه، هذا فاحمد الله عز

وجل على ما صنع لمحمد وعبد الله ولي عهد المسلمين حمدا كثيرا، واشكره ببلائه عند أمير المؤمنين وعند ولي عهد المسلمين وعندك وعند جماعه أمه محمد ص كثيرا.

واقرا كتاب أمير المؤمنين على من قبلك من المسلمين، وأفهمهم إياه وقم به بينهم، وأثبتته في الديوان قبلك وقبل قواد أمير المؤمنين ورعيته قبلك واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون في ذلك، إن شاء الله وحسبنا الله ونعم الوكيل وبه الحول والقوة والطول.

وكتب إسماعيل بن صبيح يوم السبت لسبع ليال بقين من المحرم سنة ست وثمانين ومائة.

قَالَ: وأمر هارون الرشيد لعبد الله المأمون بمائة ألف دينار، وحملت له إلى بغداد من الرقة. قَالَ وكان الرشيد بعد مقتل جعفر بن يحيى بالعمرة، صار إلى الرقة، ثم قدم بغداد، وقد كانت توات عليه الشكاية من علي بن عيسى بن ماهان من خراسان وكثر عليه القول عنده، فأجمع على عزله من خراسان، وأحب أن يكون قريبا منه فلما صار إلى بغداد شخص بعد مدة منها إلى قرماسين، وذلك في سنة تسع وثمانين ومائة، وأشخص إليها عدة رجال من القضاة وغيرهم، وأشهدهم أن جميع ما له في عسكره من الأموال والخزائن والسلاح والكراع وما سواه اجمع لعبد الله المأمون، وأنه ليس فيه قليل ولا كثير بوجه ولا سبب، وجدد البيعة له على من كان معه، ووجه هرثمة بن أعين صاحب حرسه إلى بغداد، فأعاد أخذ البيعة على محمد بن هارون أمير المؤمنين وعلى من كان بحضرته لعبد الله والقاسم على النسخة التي كان أخذها عليه الرشيد بمكة، وجعل أمر القاسم في خلعه وإقراره إلى عبد الله إذا أفضت إليه الخلافة، فقال:

إبراهيم الموصلي في بيعة هارون لابنيه في الكعبة:

خير الأمور مغبة ... وأحق أمر بالتمام

أمر قضى إحكامه الرحمان ... في البيت الحرام.

٨٠٤١ سنه سبع وثمانين ومائه

٨٠٤١٠١ ذكر الخبر عن إيقاع الرشيد بالبرامكة

ثم دخلت

سنة سبع وثمانين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر الخبر عن إيقاع الرشيد بالبرامكة

فما كان فيها من ذلك قتل الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد وإيقاعه بالبرامكة.

ذكر الخبر عن سبب قتله إياه وكيف كان قتله وما فعل به وبأهل بيته:

أما سبب غضبه عليه الذي قتله عنده، فإنه مختلف فيه، فمن ذلك ما ذكر عن بختيشوع بن جبريل، عن أبيه أنه قال: إني لقاعد في مجلس الرشيد، إذ طلع يحيى بن خالد - وكان فيما مضى يدخل بلا إذن - فلما دخل وصار بالقرب من الرشيد وسلم رد عليه ردا ضعيفا، فعلم يحيى أن أمرهم قد تغير.

قَالَ: ثم أقبل علي الرشيد، فقال: يا جبريل، يدخل عليك وأنت في منزلك أحد بلا إذنك! فقلت: لا، ولا يطمع في ذلك قَالَ: فما بالنا يدخل علينا بلا إذن! فقام يحيى، فقال: يا أمير المؤمنين، قدمني الله قبلك، والله ما ابتدأت ذلك الساعة، وما هو إلا شيء كان خصني به أمير المؤمنين، ورفع به ذكري، حتى أن كنت لأدخل وهو في فراشه مجردا حيناً، وحيناً في بعض إزاره، وما علمت أن أمير المؤمنين كره ما كان يحب، وإذ قد علمت فإنني أكون عنده في الطبقة الثانية من أهل الإذن، أو الثالثة إن أمرني سيدي بذلك قال: فاستحيا - قَالَ: وكان من أرق الخلفاء وجهها - وعيناه في الأرض، ما يرفع إليه طرفه، ثم قَالَ: ما أردت ما تكره، ولكن الناس يقولون قَالَ: فظننت أنه لم يستح له جواب يرتضيه فأجاب بهذا القول

ثم أمسك عنه، وخرج يحيى.

وذكر عن أحمد بن يوسف أن ثمامة بن أشرس، قَالَ: أول ما أنكر يحيى بن خالد من أمره، أن محمد بن الليث رفع رسالة إلى الرشيد يعظه فيها، ويذكر أن يحيى بن خالد لا يغني عنك من الله شيئا، وقد جعلته فيما بينك وبين الله، فكيف أنت إذا وقفت بين يديه، فسألك عما عملت في عبادته وبلاده، فقلت: يا رب إني استكفيت يحيى أمور عبادك! أترأى تحتج بحجة يرضى بها! مع كلام فيه توبيخ وتقريع فدعا الرشيد يحيى - وقد تقدم إليه خبر الرسالة - فقال: تعرف محمد بن الليث؟ قَالَ: نعم، قَالَ: فأبي الرجال هو؟ قَالَ: متهم على

الإسلام، فأمر به فوضع في المطبق دهرًا، فلما تنكر الرشيد للبرامكة ذكره فأمر بإخراجه، فأحضر، فقال له بعد مخاطبة طويلة: يا محمد، أتجنبي؟ قَالَ: لا والله يا أمير المؤمنين، قَالَ:

تقول هذا! قَالَ: نعم، وضعت في رجلي الأكلال، وحلت بيني وبين العيال بلا ذنب أتيت، ولا حدث أحدثت، سوى قول حاسد يكيد الإسلام وأهله، ويحب الإلحاد وأهله، فكيف أحبك! قَالَ: صدقت، وأمر بإطلاقه، ثم قَالَ: يا محمد، أتجنبي؟ قَالَ: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكن قد ذهب ما في قلبي، فأمر أن يعطى مائة ألف درهم، فأحضرت، فقال: يا محمد، أتجنبي؟ قَالَ: أما الآن فنعم، قد أنعمت علي، وأحسنتم إلي قَالَ:

انتقم الله من ظلمك، وأخذ لك بحقك ممن بعثني عليك قَالَ: فقال الناس في البرامكة فأكثروا، وكان ذلك أول ما ظهر من تغير حالهم. قَالَ: وحدثني محمد بن الفضل بن سفيان، مولى سليمان بن أبي جعفر، قَالَ: دخل يحيى بن خالد بعد ذلك على الرشيد، فقام الغلمان إليه، فقال الرشيد لمسرور الخادم: مر الغلمان ألا يقوموا ليحيى إذا دخل الدار قَالَ:

فدخل فلم يبق إليه أحد، فاردب لونه قَالَ: وكان الغلمان والحجاب بعد إذا رأوه أعرضوا عنه قَالَ: فكان ربما استسقى الشربة من الماء أو غيره، فلا يسقونه، وبالحرى إن سقوه أن يكون ذلك بعد أن يدعوها مرارا

وذكر أبو محمد اليزيدي- وكان فيما قيل من أعلم الناس بأخبار القوم- قَالَ: من قَالَ إن الرشيد قتل جعفر بن يحيى بغير سبب يحيى ابن عبد الله ابن حسن فلا تصدقه، وذلك أن الرشيد دفع يحيى إلى جعفر فحبسه، ثم دعا به ليلة من الليالي فسأله عن شيء من أمره، فأجابه، إلى أن قَالَ: اتق الله في أمري، ولا تتعرض أن يكون خصمك غدا محمد ص، فو الله ما أحدثت حدثًا، ولا أويت محدثًا فرق عليه، وقال له: اذهب حيث شئت من بلاد الله قَالَ: وكيف أذهب ولا آمن أن أؤخذ بعد قليل فأرد إليك أو إلى غيرك! فوجه معه من أداه إلى مأمنه وبلغ الخبر الفضل بن الربيع، من عين كانت له عليه من خاص خدمه، فعلا الأمر، فوجده حقا، وانكشف عنده، فدخل على الرشيد فأخبره، فأراه أنه لا يعبأ بخبره وقال:

وما أنت وهذا لا أم لك! فلعل ذلك عن أمري، فانكسر الفضل، وجاءه جعفر فدعا بالغداء فأكلا، وجعل يلقيه ويحادثه، إلى أن كان آخر ما دار بينهما إن قَالَ: ما فعل يحيى بن عبد الله؟ قَالَ: بحاله يا أمير المؤمنين في الحبس الضيق والأكلال قال: بحياتي! فاجم جعفر- وكان من أدق الخلق ذهنا، وأصحهم فكرا- وهجس في نفسه أنه قد علم بشيء من أمره، فقال: لا وحياتك يا سيدي ولكن أطلقته وعلمت أنه لا حياة به ولا مكروه عنده قَالَ: نعم ما فعلت، ما عدوت ما كان في نفسي فلما خرج أتبعه بصره حتى كاد أن يتوارى عن وجهه، ثم قَالَ: قتلني الله بسيف الهدى على عمل الضلالة ان لم أقتلك! فكان من أمره ما كان.

وحدث إدريس بن بدر، قَالَ: عرض رجل للرشيد وهو يناظر يحيى، فقال: يا أمير المؤمنين، نصيحة، فادع بي إليك، فقال لهرثمة: خذ الرجل إليك، وسله عن نصيحته هذه، فسأله، فأبى أن يخبره وقال: هي سر من أسرار الخليفة، فأخبر هرثمة الرشيد بقوله، قَالَ: فقل له لا يبرح الباب حتى أفرغ له، قَالَ: فلما كان في الهاجرة انصرف من كان عنده، ودعا به، فقال: أخلني، فالتفت هارون إلى بنيه، فقال: انصرفوا يا فتيان،

فوثبوا وبقي خاقان وحسين على رأسه، فنظر إليهما الرجل، فقال الرشيد:

تنحيا عني، ففعلا، ثم أقبل على الرجل، فقال: هات ما عندك، فقال:

على أن تؤمنني! قَالَ: على أن تؤمنك وأحسن إليك قَالَ: كنت بجلوان في خان من خاناتها، فإذا أنا يحيى بن عبد الله في دراعة صوف غليظة وكساء صوف أخضر غليظ، وإذا معه جماعة ينزلون إذا نزل، ويرحلون إذا رحل، ويكونون منه بصدد يوهمون من رآهم أنهم لا يعرفونه وهم من أعوانه، ومع كل واحد منهم منشور يأمن به إن عرض له قَالَ: أو تعرف يحيى ابن عبد الله؟ قَالَ: أعرفه قديما، وذلك الذي حقق معرفتي به بالأمس، قَالَ: فصفه لي، قَالَ: مربوع أسمر رقيق السمرة، أجلح، حسن العينين، عظيم البطن قَالَ: صدقت، هو ذاك قَالَ: فما سمعته يقول؟ قَالَ:

ما سمعته يقول شيئا، غير أنني رأيته يصلي، ورأيت غلاما من غلمانه أعرفه قديما جالسا على باب الخان، فلما فرغ من صلاته أتاه بثوب

غسيل، فألقاه في عنقه ونزع جبة الصوف، فلما كان بعد الزوال صلى صلاة ظننتها العصر، وأنا ارمقه، اطال في الاولين، وخفف في الآخرين، فقال: لله أبوك! لجاد ما حفظت عليه، نعم تلك صلاه العصر، وذلك وقتها عند القوم، أحسن الله جزاءك، وشكر سعيك! فمن أنت؟ قال: أنا رجل من أعقاب أبناء هذه الدولة، وأصلي من مرو، ومولدي مدينة السلام، قال: فنزلك بها؟ قال: نعم، فأطرق مليا، ثم قال: كيف احتمالك لمكروه تمتحن به في طاعتي! قال: أبلغ من ذلك حيث أحب أمير المؤمنين، قال: كن بمكانك حتى أرجع فطفر في حجره كانت خلف ظهره، فأخرج كيسا فيه ألفا دينار، فقال: خذ هذه، ودعني وما أدير فيك، فأخذها، وضم عليها ثيابه، ثم قال: يا غلام، فأجابه خاقان وحسين، فقال: اصفعا ابن الخناء، فصفعا نخوا من مائة صفقة، ثم قال: أخرجاه إلى من بقي في الدار، وعمامته في عنقه، وقولا: هذا جزاء من يسعى بباطنة أمير المؤمنين وأوليائه! ففعلا ذلك، وتحذثوا بخبره، ولم يعلم بحال الرجل أحد، ولا بما

كان ألقى إلى الرشيد، حتى كان من أمر البرامكة ما كان. وذكر يعقوب بن إسحاق أن إبراهيم بن المهدي حدثه قال: أتيت جعفر بن يحيى في داره التي ابتناها، فقال لي: أما تعجب من منصور بن زياد؟ قال: قلت فيماذا؟ قال: سألته: هل ترى في داري عيبا؟ قال: نعم، ليس فيها لبنه ولا صنورة، قال إبراهيم: فقلت: الذي يعيبها عندي أنك أنفقت عليها نحو من عشرين ألف درهم، وهو شيء لا آمنه عليك غدا بين يدي أمير المؤمنين، قال: هو يعلم أنه قد وصلني بأكثر من ذلك وضعف ذلك، سوى ما عرضني له قال: قلت: إن العدو إنما يأتيه في هذا من جهة أن يقول: يا أمير المؤمنين، إذا أنفق على دار عشرين ألف درهم، فأين نفقاته! وأين صلاته! وأين النوائب التي تتوبه! وما ظنك يا أمير المؤمنين بما وراء ذلك! وهذه جملة سريعة إلى القلب، والموقف على الحاصل منها صعب قال: إن سمع مني قلت: إن لأمر المؤمنين نعماً على قوم قد كفروها بالستر لها أو بإظهار القليل من كثيرها، وأنا رجل نظرت إلى نعمته عندي، فوضعتها في رأس جبل، ثم قلت للناس: تعالوا فانظروا وذكر زيد بن علي بن حسين بن زيد أن إبراهيم بن المهدي حدثه أن جعفر بن يحيى، قال له يوما- وكان جعفر بن يحيى صاحبه عند الرشيد، وهو الذي قرب منه: إني قد استربت بأمر هذا الرجل- يعني الرشيد- وقد ظننت أن ذلك لسابق سبق في نفسي منه، فأردت أن أعتبر ذلك بغيري، فكنت أنت، فارمق ذلك في يومك هذا، وأعلمني ما ترى منه قال:

ف فعلت ذلك في يومي، فلما نهض الرشيد من مجلسه كنت أول أصحابه نهض عنه، حتى صرت إلى شجر في طريقي، فدخلتها ومن معي، وأمرتهم بإطفاء الشمع، وأقبل الندماء يمرون بي واحدا واحدا، فأراهم ولا يروني، حتى إذا لم يبق منهم أحد، إذا أنا بجعفر قد طلع، فلما جاوز الشجر قال: أخرج يا حبيبي، قال: فخرجت، فقال: ما عندك؟ فقلت: حتى تعليني كيف علمت أنني هاهنا، قال: عرفت عنايتك بما أعني به، وأنت لم تكن لتصرف أو تعليني ما رأيت منه، وعلمت أنك تكره أن ترى واقفا في مثل هذا الوقت، وليس في طريقك موضع أستر من هذا الموضع، فقضيت بأنك فيه، قلت: نعم، قال: فهات ما عندك، قلت: رأيت الرجل يهزل إذا جدت، ويجد إذا هزلت قال: كذا هو عندي، فأنصرف يا حبيبي. قال: فأنصرفت.

قال: وحدثني علي بن سليمان أنه سمع جعفر بن يحيى يوما يقول: ليس لدارنا هذه عيب، إلا أن صاحبها فيها قليل البقاء- يعني نفسه. وذكر عن موسى بن يحيى، قال: خرج أبي إلى الطواف في السنة التي أصيب فيها، وأنا معه من بين ولده، فجعل يتعلق بأستار الكعبة، ويردد الدعاء، ويقول: اللهم ذنوبي جمّة عظيمة لا يحصيها غيرك، ولا يعرفها سواك اللهم إن كنت تعاقبني فاجعل عقوبتي في الدنيا، وإن أحاط ذلك بسمعي وبصري، ومالي وولدي، حتى تبلغ رضاك، ولا تجعل عقوبتي في الآخرة.

قال: وحدثني أحمد بن الحسن بن حرب، قال: رأيت يحيى وقد قابل البيت، وتعلق بأستار الكعبة، وهو يقول: اللهم إن كان رضاك في أن تسلبني نعمتك عندي فاسلبني، اللهم إن كان رضاك في أن تسلبني أهلي وولدي فاسلبني، اللهم إلا الفضل قال: ثم ولي ليضي، فلما قرب من باب المسجد كرمسرا، ففعل مثل ذلك، وجعل يقول: اللهم إنه سمج بمثلي أن يرغب إليك ثم يستثنى عليك اللهم والفضل

قَالَ: فلما انصرفوا من الحج نزلوا الأنبار، ونزل الرشيد بالعمر ومعه وليا العهد، الأمين والمأمون، ونزل الفضل مع الأمين، وجعفر مع المأمون، ويحيى في منزل خالد بن عيسى كاتبه، ومحمد بن

يحيى في منزل ابن نوح صاحب الطراز، ونزل محمد بن خالد مع المأمون بالعمر مع الرشيد، قَالَ: وخلا الرشيد بالفضل ليلا، ثم خلع عليه وقلده، وأمره أن ينصرف مع محمد الأمين، ودعا بموسى بن يحيى فرضي عنه وكان غضب عليه بالحيرة في بدايته، لأن علي بن عيسى بن ماهان اتهمه عند الرشيد في أمر خراسان وأعلمه طاعة أهلها له، ومحبتهم إياه، وأنه يكاتبهم ويعمل على الانسلاخ إليهم والوثوب به معهم، فوقر ذلك في نفس الرشيد عليه وأوحشه منه، وكان موسى أحد الفرسان الشجعان، فلما قدح علي بن عيسى فيه أسرع ذلك في الرشيد، وعمل فيه القليل منه، ثم ركب موسى دين، واختفى من غرمائه، فتوهم الرشيد أنه صار إلى خراسان، كما قيل له، فلما صار إلى الحيرة في هذه الحجة وافاه موسى من بغداد، فخبسه الرشيد عند العباس بن موسى بالكوفة، فكان ذلك أول ثلثة ثلثوا بها، فركبت أم الفضل بن يحيى في أمره، ولم يكن يردّها في شيء، فقال: يضمّنه أبوه فقد رفع إلي فيه، فضمّنه يحيى ودفعه إليه، ثم رضي عنه، وخلع عليه، وكان الرشيد قد عتب على الفضل ابن يحيى، وثقل مكانه عليه لتركه الشرب معه، فكان الفضل يقول: لو علمت أن الماء ينقص من مروءتي ما شربته، وكان مشغوبا بالسماع قَالَ:

وكان جعفر يدخل في منادمة الرشيد، حتى كان أبوه ينهّاه عن منادمته، ويأمره بترك الإنس به، فيترك أمر أبيه، ويدخل معه فيما يدعوه إليه وذكر عن سعيد بن هريم أن يحيى كتب إلى جعفر حين أعيته حيلته فيه: إني إنما أهملتك ليعثر الزمان بك عثرة تعرف بها أمرك، وإن كنت لأخشى أن تكون التي لا شوى لها قَالَ: وقد كان يحيى قَالَ للرشيد:

يا أمير المؤمنين، أنا والله أكره مداخلة جعفر معك، ولست آمن أن ترجع العاقبة في ذلك على منك، فلو اعفيتها واقتصرت به على ما يتولاه من جسم أعمالك، كان ذلك واقعا بموافقتي، وآمن لك علي قَالَ الرشيد: يا أبت ليس بك هذا، ولكنك إنما تريد أن تقدم عليه الفضل

٨٠٤١٠٢ ذكر الخبر عن مقتل جعفر

وقد حدثني أحمد بن زهير - أحسبه عن عمه زاهر بن حرب - أن سبب هلاك جعفر والبرامكة أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسة بنت المهدي، وكان يحضرهما إذا جلس للشرب، وذلك بعد أن أعلم جعفرا قلة صبره عنه وعنّها، وقال لجعفر: أزوجه ليحل لك النظر إليها إذا حضرتها مجلسي، وتقدم إليه ألا يمسه، ولا يكون منه شيء مما يكون للرجل إلى زوجته، فزوجها منه على ذلك، فكان يحضرهما مجلسه إذا جلس للشرب، ثم يقوم عن مجلسه ويخليهما، فيثملان من الشراب، وهما شابان، فيقوم إليها جعفر فيجامعها، فحملت منه وولدت غلاما، نفاقت على نفسها من الرشيد إن علم بذلك، فوجهت بالمولود مع حواضن له من ممالكها إلى مكة، فلم يزل الأمر مستورا عن هارون، حتى وقع بين عباسة وبين بعض جواريتها شر، فأنته أمرها وأمر الصبي إلى الرشيد، وأخبرته بمكانه، ومع من هو من جواريتها، وما معه من الحلي الذي كانت زينته به أمه، فلما حج هارون هذه الحجة، أرسل إلى الموضع الذي كانت الجارية أخبرته أن الصبي به من يأتيه بالصبي وبمن معه من حواضنه، فلما أحضروا سأل اللواتي معهن الصبي، فأخبرته بمثل القصة التي أخبرته بها الرافعة على عباسة، فأراد - فيما زعم - قتل الصبي، ثم تحوب من ذلك.

وكان جعفر يتخذ للرشيد طعاما كلما حج بعسفان فيقرّيه إذا انصرف شاخصا من مكة إلى العراق، فلما كان في هذا العام، اتخذ الطعام جعفر كما كان يتخذ هنالك، ثم استزاره فاعتل عليه الرشيد، ولم يحضر طعامه، ولم يزل جعفر معه حتى نزل منزله من الأنبار، فكان من أمره وأمر أبيه ما أنا ذاكره إن شاء الله تعالى.

ذكر الخبر عن مقتل جعفر

ذكر الفضل بن سليمان بن علي أن الرشيد حج في سنة ست وثمانين ومائة وأنه انصرف من مكة، فوافي الحيرة في المحرم من سنة سبع وثمانين ومائة عند انصرافه من الحج، فأقام في قصر عون العبادي أياما، ثم

شخص في السفن حتى نزل العمر الذي بناحية الأنبار، فلما كان ليلة السبت لانسلاخ المحرم، أرسل مسرورا الخادم ومعه حماد بن سالم أبو عصمة في جماعة من الجند، فأطافوا بجعفر بن يحيى ليلا، ودخل عليه مسرور وعنده ابن بختيشوع المتطبب وأبو زكار الأعمى المغني الكلوزاني، وهو في لهوه، فأخرجه إخراجا عنيفا يقوده، حتى أتى به المنزل الذي فيه الرشيد، فحبسه وقيد حمار، وأخبر الرشيد بأخذه إياه ومجيئه به، فأمر بضرب عنقه، ففعل ذلك.

وذكر عن علي بن أبي سعيد أن مسرورا الخادم، حدثه قال: أرسلني الرشيد لآتيه بجعفر بن يحيى لما أراد قتله، فأتيته وعنده أبو زكار الأعمى المغني وهو يغنيه:

فلا تبعد فكل فتى سيأتي ... عليه الموت يطرق أو يغادي

قال: فقلت له: يا أبا الفضل، الذي جئت له من ذلك قد والله طرقتك، أجب أمير المؤمنين قال: فرفع يديه، ووقع على رجلي يقبلهما، وقال:

حتى أدخل فأوصي، قلت: أما الدخول فلا سبيل إليه، ولكن أوص بما شئت، فتقدم في وصيته بما أراد، وأعتق ممالكه، ثم أتني رسل أمير المؤمنين تستحثني به، قال: فمضيت به إليه فأعلمته، فقال لي وهو في فراشه:

اتني برأسه، فأتيت جعفرا فأخبرته، فقال: يا أبا هاشم، الله الله! والله ما أمرك بما أمرك به إلا وهو سكران، فدافع بأمرى حتى أصبح أوامره في ثانيه، فعدت لأوامره، فلما سمع حسي، قال: يا ماص بظر أمه، اتني برأس جعفر! فعدت إلى جعفر، فأخبرته، فقال: عاوده في الثالثة، فأتيته، فحذفتي بعمود ثم قال: نفيت من المهدي إن أنت جئتني ولم تأتني برأسه، لأرسلن إليك من يأتييني برأسك أولا، ثم برأسه آخرًا قال: فخرجت فأتيته برأسه

قال: وأمر الرشيد في تلك الليلة بتوجيه من أحاط يحيى بن خالد وجميع ولده ومواليه، ومن كان منهم بسبيل، فلم يفلت منهم أحد كان حاضرا، وحول الفضل بن يحيى ليلا فحبس في ناحية من منازل الرشيد، وحبس يحيى ابن خالد في منزله، وأخذ ما وجد لهم من مال وضياع ومتاع وغير ذلك، ومنع أهل العسكر من أن يخرج منهم خارج إلى مدينة السلام أو إلى غيرها، ووجه من ليلته رجاء الخادم إلى الرقة في قبض أموالهم وما كان لهم، وأخذ كل ما كان من رقيقهم ومواليهم وحشمتهم، وولاه أمورهم، وفرق الكتب من ليلته إلى جميع العمال في نواحي البلدان والأعمال بقبض أموالهم، وأخذ وكلائهم.

فلما أصبح بعث بجثة جعفر بن يحيى مع شعبة الخفثاني وهرثمة بن أعين وإبراهيم بن حميد المروزي، وأتبعهم عدة من خدمه وثقاته، منهم مسرور الخادم إلى منزل جعفر بن يحيى، وإبراهيم بن حميد وحسين الخادم إلى منزل الفضل بن يحيى، ويحيى بن عبد الرحمن ورشيد الخادم إلى منزل يحيى ومحمد بن يحيى، وجعل معه هرثمة بن أعين، وأمر بقبض جميع ما لهم، وكتب إلى السندي الحرشي بتوجيه جيفة جعفر إلى مدينة السلام، ونصب رأسه على الجسر الأوسط وقطع جثته، وصلب كل قطعة منها على الجسر الأعلى والجسر الأسفل ففعل السندي ذلك، وأمضى الخدم ما كانوا وجهوا فيه، وحمل عدة من أولاد الفضل وجعفر ومحمد الأصغر إلى الرشيد، فأمر بإطلاقهم، وأمر بالنداء في جميع البرامكة: ألا أمان لمن آواهم إلا محمد بن خالد وولده وأهله وحشمه، فإنه استثناهم، لما ظهر من نصيحة محمد له، وعرف براءته مما دخل فيه غيره من البرامكة وخلى سبيل يحيى قبل شخوصه من العمر، ووكّل بالفضل ومحمد وموسى بني يحيى، وبأبي المهدي صهرهم حفظة من قبل هرثمة بن أعين، إلى أن وافى بهم الرقة، فأمر الرشيد بقتل أنس بن أبي شيخ يوم قدم الرقة، وتولى قتله إبراهيم بن عثمان بن نهيك، ثم صلب وحبس يحيى بن خالد مع الفضل ومحمد في دير القائم، وجعل عليهم حفظة من قبل مسرور الخادم وهرثمة بن أعين، ولم يفرق بينهم وبين عدة

من خدمهم، ولا ما يحتاجون إليه، وصير معهم زبيدة بنت منير أم الفضل ودنانير جارية يحيى وعدة من خدمهم وجواريهم ولم تزل حالهم سهلة إلى أن سخط الرشيد على عبد الملك بن صالح، فعمهم بالثقيف بسخطه، وجدد له ولهم التهمة عند الرشيد، فضيق عليهم. وذكر الزبير بن بكار أن جعفر بن الحسين اللهي حدثه أن الرشيد أتى بانس ابن أبي شيخ صباح الليلة التي قتل فيها جعفر بن يحيى، فدار بينه وبينه كلام، فأخرج الرشيد سيفًا من تحت فراشه، وأمر أن تضرب عنقه، وجعل يمثّل بيت قيل في قتل أنس قبل ذلك:

تلهظ السيف من شوق إلى أنس ... فالسيف يلحظ والأقدار تنتظر

قال: فضرب عنقه، فسبق السيف الدم، فقال الرشيد: رحم الله عبد الله ابن مصعب وقال الناس: إن السيف كان سيف الزبير بن العوام.

وذكر بعضهم أن عبد الله بن مصعب كان على خبر الناس للرشيد، فكان أخبره عن أنس أنه على الزندقة، فقتله لذلك، وكان أحد أصحاب البرامكة وذكر محمد بن إسحاق أن جعفر بن محمد بن حكيم الكوفي، حدثه قال: حدثني السندي بن شاهك، قال: إني لجالس يوما، فإذا أنا بخادم قد قدم على البريد، ودفع إلي كتابا صغيرا، ففضضته، فإذا كتاب الرشيد بخطه فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم: يا سندي، إذا نظرت في كتابي هذا، فإن كنت قاعدا فقم، وإن كنت قائما فلا تقعد حتى تصير إلي قال السندي: فدعوت بدواي، ومضيت وكان الرشيد بالعمر، فحدثني العباس بن الفضل بن الربيع، قال: جلس الرشيد في الزو في الفرات ينتظرك، وارتفعت غبرة، فقال لي:

يا عباس، ينبغي أن يكون هذا السندي وأصحابه! قلت: يا أمير المؤمنين،

ما أشبهه أن يكون هو قال: فطلعت قال: السندي: فنزلت عن دابتي، ووقفت، فأرسل إلي الرشيد فصرت إليه، ووقفت ساعة بين يديه، فقال لمن كان عنده من الخدم: قوموا، فقاموا فلم يبق إلا العباس بن الفضل وأنا، ومكث ساعة، ثم قال للعباس: اخرج ومر برفع التخت المطروحة على الزو، ففعل ذلك، فقال لي: ادن مني، فدنوت منه، فقال لي: تدري فيم أرسلت إليك؟ قلت: لا والله يا أمير المؤمنين، قال: قد بعثت إليك في أمر لو علم به زرقيصي رميت به في الفرات، يا سندي من أوثق قوادي عندي؟

قلت: هرثة، قال: صدقت، فمن أوثق خدي عندي؟ قلت: مسرور الكبير، قال: صدقت، امض من ساعتك هذه وجد في سيرك حتى توافي مدينة السلام، فاجمع ثقات أصحابك وأرباعك، ومرهم أن يكونوا وأعوانهم على أهبة فإذا انقطعت الزجل، فصر إلى دور البرامكة، فوكل بكل باب من أبوابهم صاحب ريع، ومره أن يمنع من يدخل ويخرج - خلا باب محمد بن خالد - حتى يأتيك أمري قال: ولم يكن حرك البرامكة في ذلك الوقت قال السندي: فجئت أركض، حتى أتيت مدينة السلام، فجمعت أصحابي، وفعلت ما أمرني به قال: فلم ألبث أن أقدم على هرثة ابن أعين، ومعه جعفر بن يحيى على بغل بلا أكاف، مضروب العنق، وإذا كتاب أمير المؤمنين يأمرني أن أشطره باثنين، وأن أصلبه على ثلاثة جسور.

قال: ففعلت ما أمرني به.

قال محمد بن إسحاق: فلم يزل جعفر مصلوبا حتى أراد الرشيد الخروج إلى خراسان، فمضيت فنظرت إليه، فلما صار بالجانب الشرقي على باب خزيمة بن خازم، دعا بالوليد بن جشم الشاري من الحبس، وأمر أحمد بن الجنيد الختلي - وكان سيافه - فضرب عنقه، ثم التفت إلى السندي، فقال:

ينبغي أن يحرق هذا - يعني جعفرا - فلما مضى، جمع السندي له شوكا وحطبا وأحرقه

وقال محمد بن إسحاق: لما قتل الرشيد جعفر بن يحيى، قيل ليحيى بن خالد: قتل أمير المؤمنين ابنك جعفرا، قال: كذلك يقتل ابنه، قال: فقيل له: خربت ديارك، قال: كذلك تخرب دورهم وذكر الكرماني أن بشارا التري حدثه أن الرشيد خرج إلى الصيد وهو بالعمر في اليوم الذي قتل جعفرا في آخره، فكان ذلك اليوم يوم الجمعة، وجعفر ابن يحيى معه قد خلا به دون ولاية العهد، وهو يسير معه، وقد وضع يده على عاتقه، وقبل ذلك ما غلفه بالغالية بيد نفسه، ولم يزل معه ما يفارقه حتى انصرف مع المغرب، فلما أراد الدخول ضمه إليه، وقال له: لولا أنني على الجلوس الليلة مع النساء لم أفارقك، فأقم أنت في منزلك، واشرب أيضا واطرب، لتكون أنت في مثل حالي، فقال: لا والله ما أشتي ذلك إلا معك، فقال له:

بحياتي لما شربت، فانصرف عنه إلى منزله، فلم تزل رسل الرشيد عنده ساعة بعد ساعته تأتيه بالانفال والأبخرة والرياحين، حتى ذهب الليل ثم بعث إليه مسرورا فحبس عنده، وأمر بقتله وحبس الفضل ومحمد وموسى، ووكل سلاما الأبرش بباب يحيى بن خالد، ولم يعرض لمحمد بن خالد ولا لأحد من ولده وحشمه.

قَالَ: فحدثني العباس بن يزيد عن سلام، قَالَ: لما دخلت على يحيى في ذلك الوقت- وقد هتكت الستور وجمع المتاع- قَالَ لي: يا أبا سلمة، هكذا تقوم الساعة! قَالَ سلام: فحدثت بذلك الرشيد بعد ما انصرفت إليه، فأطرق مفكراً.
قَالَ وحدثني أيوب بن هارون بن سليمان بن علي، قَالَ: كان سكاني إلى يحيى، فلما نزلوا الأنبار خرجت إليه فأنا معه في تلك العشية التي كان آخر أمره، وقد صار إلى أمير المؤمنين في حراسته، فدخل إليه من باب صاحب الخصة، فكله في حوائج الناس وغيرها من إصلاح الثغور وغزو البحر، ثم خرج، فقال للناس: قد أمر أمير المؤمنين بقضاء حوائجكم، وبعث إلى

٨٠٤١٠٣ ما قيل في البرامكة من الشعر بعد زوال امرهم

أبي صالح يحيى بن عبد الرحمن يأمره بإنفاذ ذلك، ثم لم يزل يحدثنا عن أبي مسلم وتوجيه معاذ بن مسلم حتى دخل منزله بعد المغرب، ووافنا في وقت السحر خبر مقتل جعفر وزوال أمرهم قَالَ: فكتبت إلى يحيى أعزيه، فكتب إلي:
أنا بقضاء الله راض، وبالنخيل منه عالم، ولا يؤاخذ الله العباد إلا بذنوبهم، وما ربك بظلام للعبيد وما يعفو الله أكثر، والله الحمد.
قَالَ: وقتل جعفر بن يحيى في ليلة السبت أول ليلة من صفر سنة سبع وثمانين ومائة وهو ابن سبع وثلاثين سنة، وكانت الوزارة إليهم سبع عشرة سنة- وفي ذلك يقول الرقاشي:

أيا سبت يا شر السبوت صبيحة ... ويا صفر المشؤم ما جئت أشأما
أتى السبت بالأمر الذي هد ركننا ... وفي صفر جاء البلاء مصمما
قَالَ: وذكر عن مسرور أنه أعلم الرشيد أن جعفر سأل أن تقع عينه عليه، فقال: لا، لأنه يعلم إن وقعت عيني عليه لم اقتله.
ما قيل في البرامكة من الشعر بعد زوال امرهم

قَالَ: وفيهم يقول الرقاشي، وقد ذكر أن هذا الشعر لأبي نواس:
الآن استرحنا واستراحت ركبنا ... وامسك من يجدي ومن كان يجتدي
فقل للمطايا قد أمنت من السرى ... وطى الفيافي فدفا بعد فدفا
وقل للمنايا: قد ظفرت بجعفر ... ولن تظفري من بعده بمسود
وقل للمطايا بعد فضل تعطى ... وقل للرزايا كل يوم تجددى
ودونك سيفاً برمكا مهندا ... أصيب بسيف هاشمي مهند
وفيه يقول في شعر له طويل:
إن يغدر الزمن الخئون بنا فقد ... غدر الزمان بجعفر ومحمد
حتى إذا وضح النهار تكشفت ... عن قتل أكرم هالك لم يلحد
والبيض لولا أنها مأمورة ... ما فل حد مهند بمهند
يا آل برمك كم لكم من نائل ... وندى، كعد الرمل غير مصرد
إن الخليفة- لا يشك- أخوكم ... لكنه في برمك لم يولد
نازعتموه رضاع أكرم حرة ... مخلوقة من جوهر وزبرجد
ملك له كانت يد فياضة ... أبدا تجود بطارف وبمتلد
كانت يدا للجود حتى غلها ... قدر فأضحى الجود مغلول اليد
وفيه يقول سيف بن إبراهيم:

هوت أنجم الجدوى وشتل يد الندى ... وغاضت بحور الجود بعد البرامك
هوت أنجم كانت لأبناء برمك ... بها يعرف الحادي طريق المسالك
وقال ابن أبي كريمة:

كل معبر أعير مرتبة ... بعد فتي يرمك على غرر
صالت عليه من الزمان يد ... كان بها صائلا على البشر
وقال العطوي أبو عبد الرحمن:

أما والله لولا قول واش ... وعين للخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا ... كما للناس بالحجر استلام
على الدنيا وساكنها جميعا ... ودولة آل يرمك السلام
وفي قتل جعفر قال أبو العتاهية:

قولا لمن يرتجي الحياة أما ... في جعفر عبره ويحياء!
كانا وزيري خليفة الله ... هارون هما ما هما خليلاه
فذاكم جعفر يرمته ... في حلق رأسه ونصفاه

٨٠٤١٠٤ ذكر الخبر عن غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح

والشيخ يحيى الوزير أصبح ... قد نحاه عن نفسه وأقصاه
شتت بعد التجميع شملهم ... فأصبحوا في البلاد قد تاهوا
كذلك من يسخط الإله بما ... يرضي به العبد يجزه الله
سبحان من دانت الملوك له ... أشهد أن لا إله إلا هو
طوبى لمن تاب بعد غرته ... فتاب قبل الممات، طوباه!

قال: وفي هذه السنة هاجت العصية بدمشق بين المضرية واليمانية، فوجه الرشيد محمد بن منصور بن زياد فأصلح بينهم.
وفيها زلزلت المصيصة فانهدم بعض سورها، ونضب مأوهم ساعه الليل.
٤ وفيها خرج عبد السلام بآمد، فحكم، فقتله يحيى بن سعيد العقيلي.

وفيها مات يعقوب بن داود بالركة.

وفيها أغزى الرشيد ابنه القاسم الصائفة، فوهبه الله، وجعله قربانا له وووسيله، وولاه العواصم.

ذكر الخبر عن غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح

وفيها غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح وحبسه.

ذكر الخبر عن سبب غضبه عليه وما أوجب حبسه:

ذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أن عبد الملك بن صالح كان له ابن يقال له عبد الرحمن، كان من رجال الناس، وكان عبد الملك يكنى به، وكان لابنه عبد الرحمن لسان، على فأفأة فيه، فنصب لأبيه عبد الملك وقمامة، فسعى به إلى الرشيد، وقال له: إنه يطلب الخلافة ويطلع فيها، فأخذه وحبسه عند الفضل بن الربيع، فذكر أن عبد الملك بن صالح أدخل على الرشيد حين سخط عليه، فقال له الرشيد: أكفرا بالنعمة، ووجودا لجليل المنة

والتكرمة! فقال: يا أمير المؤمنين، لقد بؤت إذا بالندم، وتعرضت لاستحلال النقم، وما ذاك إلا بغى حاسد نافسني فيك مودة القرابة وتقديم الولاية إنك يا أمير المؤمنين خليفة رسول الله ص في أمته، وامينه على عترته، لك فيها فرض الطاعة وأداء النصيحة، ولها عليك العدل في حكمها والتثبت في حادثها، والغفران لذنوبها فقال له الرشيد: أتضع لي من لسانك، وترفع لي من جنانك! هذا كاتبك قمامة يخبر بغلك، وفساد نيتك، فاسمع كلامه.

فقال عبد الملك: أعطاك ما ليس في عقده، ولعله لا يقدر أن يعضني ولا ييهتي بما لم يعرفه مني وأحضر قمامة، فقال له الرشيد: تكلم غير هائب ولا خائف، قال: أقول: إنه عازم على الغدر بك والخلاف عليك، فقال عبد الملك: أهو كذلك يا قمامة! قال قمامة: نعم،

لقد أردت ختل أمير المؤمنين، فقال عبد الملك: كيف لا يكذب علي من خلفي وهو يهتني في وجهي! فقال له الرشيد: وهذا ابنك عبد الرحمن يخبرني بعثوك وفساد نيتك، ولو أردت أن أحتج عليك بحجة لم أجد أعدل من هذين لك، فم ترفعهما عنك؟ فقال عبد الملك بن صالح: هو مأمور، أو عاق مجبور، فإن كان مأمورا فعدور، وإن كان عاقا ففاجر كفور، أخبر الله عز وجل بعداوتة، وحذر منه بقوله: «إِنَّ مِنْ أَرَاوَجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ» .

قَالَ: فنهض الرشيد، وهو يقول: أما أمرك فقد وضح، ولكني لا أعجل حتى أعلم الذي يرضي الله فيك، فإنه الحكم بيني وبينك فقال عبد الملك: رضيت بالله حكما، وبأمر المؤمنين حاكما، فإني أعلم أنه يؤثر كتاب الله على هواه، وأمر الله على رضاه.

قَالَ: فلما كان بعد ذلك جلس مجلسا آخر، فسلم لما دخل، فلم يرد عليه، فقال عبد الملك: ليس هذا يوما أحتج فيه، ولا أجاذب منازعا وخصما قال: ولم؟ قال: لان أوله جرى على غير السنة، فأنا أخاف آخره.

قَالَ: وما ذاك؟ قَالَ: لم ترد علي السلام، أنصف نصفة العوام قَالَ:

السلام عليكم، اقتداء بالسنة، وإيثارا للعدل، واستعمالا للتحية ثم التفت نحو سليمان بن أبي جعفر، فقال وهو يخاطب بكلامه عبد الملك: أريد حياته ويريد قتلي البيت.

ثم قَالَ: أما والله لكأني أنظر إلى شؤبوبها قد همع، وعارضها قد لمع، وكأني بالوعيد قد أوري نارا تسطع، فأقلع عن براجم بلا معاصم ورءوس بلا غلاصم، فهلا، في والله سهل لكم الوعر، وصفا لكم الكدر، وألقت إليكم الأمور أثناء أزمتها، فنذار لكم نذار، قبل حلول داهية خبوط باليد، لبوط بالرجل فقال عبد الملك: اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك، وفي رعيته التي استرعاك، ولا تجعل الكفر مكان الشكر، ولا العقاب موضع الثواب، فقد نخلت لك النصيحة، ومحضت لك الطاعة، وشددت أواخي ملكك بأثقل من ركني يلهم، وتركت عدوك مشتغلا.

فأله الله في ذي رحمك أن تقطعه، بعد ان بللته بظن أفصح الكتاب لي بعضه، أو ببغي باغ ينهس اللحم، ويالغ الدم، فقد والله سهلت لك الوعر، وذلت لك الأمور، وجمعت على طاعتك القلوب في الصدور، فكم من ليل تمام فيك كابدت، ومقام ضيق قتته، كنت كما قَالَ أخو بني جعفر بن كلاب:

ومقام ضيق فرجته ... بيناني ولساني وجدل

لويقوم الفيل أو فياله ... زل عن مثل مقامى وزحل

قال: فقال له الرشيد: أما والله لولا الإبقاء على بني هاشم لضربت عنقك.

وذكر زيد بن علي بن الحسين العلوي، قَالَ: لما حبس الرشيد عبد الملك ابن صالح، دخل عليه عبد الله بن مالك - وهو يومئذ على شرطه - فقال: أفي إذن أنا فأتكلم؟ قَالَ: تكلم، قَالَ: لا، والله العظيم يا أمير المؤمنين، ما علمت عبد الملك إلا ناصحا، فعلام حبسته! قَالَ: ويحك! بلغني عنه ما أوحشني ولم آمنه أن يضرب بين ابني هذين - يعني الأمين والمأمون - فإن كنت ترى أن نطلقه من الحبس أطلقناه قال: اما إذ حبسته يا أمير المؤمنين، فلست أرى في قرب المدة أن تطلقه، ولكن أرى أن تحبسه محبسا كريما يشبه محبس مثلك مثله قَالَ: فإني أفعل قَالَ: فدعا الرشيد الفضل بن الربيع، فقال: امض إلى عبد الملك بن صالح إلى محبسه، فقل له: انظر ما تحتاج إليه في محبسك فأمر به حتى يقام لك، فذكر قصته وما سأل.

قَالَ: وقال الرشيد يوما لعبد الملك بن صالح في بعض ما كله: ما أنت لصالح! قَالَ: فلن أنا؟ قَالَ: لمروان الجعدي، قَالَ: ما أبالي أي الفحلين غلب علي، فحبسه الرشيد عند الفضل بن الربيع، فلم يزل محبوسا حتى توفي الرشيد، فأطلقه محمد، وعقد له على الشام، فكان مقيما بالرقعة، وجعل لمحمد عهد الله وميثاقه: لئن قتل وهو حي لا يعطي المأمون طاعة أبدا فوات قبل محمد، فدفن في دار من دور الإمارة، فلما خرج المأمون يريد الروم أرسل إلى ابن له: حول أباك من داري، فنبشت عظامه وحولت. كان قَالَ لمحمد: ان خفت فالجا الى، فوالله لأصونتك.

وذكر أن الرشيد بعث في بعض أيامه إلى يحيى بن خالد: أن عبد الملك ابن صالح أراد الخروج ومنازعتي في الملك، وقد علمت ذلك، فأعلمني ما عندك فيه، فإنك إن صدقتني أعدتكَ إلى حالك، فقال: والله يا أمير المؤمنين ما اطلعت من عبد الملك على شيء من هذا، ولو اطلعت عليه لكنت صاحبه

دونك، لأن ملكك كان ملكي، وسلطانك كان سلطاني، والخير والشر كان فيه علي ولي، فكيف يجوز لعبد الملك أن يطمع في ذلك مني! وهل كنت إذا فعلت ذلك به يفعل بي أكثر من فعلك! أعيذك بالله أن تظن بي هذا الظن، ولكنه كان رجلاً محتماً، يسرني أن يكون في أهلك مثله، فوليته، لما أحمدت من مذهبه، وملت إليه لأدبه واحتماله قال: فلما أتاه الرسول بهذا أعاد إليه، فقال: إن أنت لم تقر عليه قتلت الفضل ابنك، فقال له:

أنت مسلط علينا فافعل ما أردت، على أنه إن كان من هذا الأمر شيء فالذنب فيه لي، فم يدخل الفضل في ذلك! فقال الرسول للفضل:

قم، فإنه لا بد لي من إنفاذ أمر أمير المؤمنين فيك، فلم يشك أنه قاتله، فودع أباه، وقال له: أأست راضياً عني؟ قال: بلى، فرضي الله عنك ففرق بينهما ثلاثة أيام، فلما لم يجد عنده من ذلك شيئاً جمعهما كما كانا.

وكان يأتيهم منه أغلظ رسائل، لما كان اعداؤهم يقرفونهم به عنده، فلما أخذ مسرور بيد الفضل كما اعلمه، بلغ من يحيى، فأخرج ما في نفسه، فقال له: قل له: يقتل ابنك مثله قال مسرور: فلما سكن عن الرشيد الغضب، قال: كيف قال؟ فأعدت عليه القول، قال: قد خفت والله قوله، لأنه قلما قال لي شيئاً إلا رأيت تأويله.

وقيل: بينما الرشيد يسير وفي موكبه عبد الملك بن صالح، إذ هتف به هاتف وهو يسير عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين، طأطئ من أشرافه وقصر من عنانه، واشدد من شكائهم، وإلا أفسد عليك ناحيته فالتفت إلى عبد الملك، فقال: ما يقول هذا يا عبد الملك؟ فقال عبد الملك: مقال باغ ودسيس حاسد، فقال له هارون: صدقت، نقص القوم فضلتهم، وتخلفوا وتقدمتهم، حتى برز شأوك، فقصر عنه غيرك، ففي صدورهم جمرات التخلف، وحزازات النقص فقال عبد الملك: لا أطفأها الله وأضرها عليهم حتى تورثهم كدماً دائماً ابداً

٨٠٤١٠٥ ذكر الخبر عن دخول القاسم بن الرشيد أرض الروم

٨٠٤١٠٦ ذكر الخبر عن نقض الروم الصلح

وقال الرشيد لعبد الملك بن صالح وقد مر بمنبج، وبها مستقر عبد الملك:

هذا منزلك؟ قال: هو لك يا أمير المؤمنين، ولي بك قال: كيف هو؟ قال: دون بناء أهلي وفوق منازل منبج، قال: فكيف ليلها؟ قال: سحر كله.

ذكر الخبر عن دخول القاسم بن الرشيد أرض الروم

وفي هذه السنة دخل القاسم بن الرشيد أرض الروم في شعبان، فأناخ على قرة وحاصرها، ووجه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث، فأناخ على حصن سنان حتى جهدوا، فبعثت إليه الروم تبذل له ثلاثمائة وعشرين رجلاً من أسارى المسلمين، على أن يرحل عنهم، فأجابهم إلى ذلك، ورحل عن قرة وحصن سنان صلحاً.

ومات علي بن عيسى بن موسى في هذه الغزاة بأرض الروم، وهو مع القاسم

. ذكر الخبر عن نقض الروم الصلح

وفي هذه السنة نقض صاحب الروم الصلح الذي كان جرى بين الذي قبله وبين المسلمين، ومنع ما كان ضمنه الملك لهم قبله.

ذكر الخبر عن سبب نقضهم ذلك:

وكان سبب ذلك أن الصلح كان جرى بين المسلمين وصاحب الروم وصاحبهم يومئذ رينى - وقد ذكرنا قبل سبب الصلح الذي كان

بين المسلمين وبينها- فعادت الروم على ريني نخلعتها، وملكت عليها نقفور والروم تذكر أن نقفور هذا من أولاد جفنة من غسان، وأنه قبل الملك كان يلي ديوان الخراج، ثم ماتت ريني بعد خمسة أشهر من خلع الروم إياها، فذكر أن نقفور لما ملك واستوسقت له الروم بالطاعة، كتب إلى الرشيد:

من نقفور ملك الروم، إلى هارون ملك العرب، أما بعد، فإن الملكة التي كانت قبلي، أقامتك مقام الرخ، وأقامت نفسها مقام البيدق، فملت

إليك من أموالها ما كنت حقيقا بحمل أمثالها إليها، لكن ذاك ضعف النساء وحقهن، فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قبلك من أموالها، وافدد نفسك بما يقع به المصادرة لك، وإلا فالسيف بيننا وبينك.

قال: فلها قرأ الرشيد الكتاب، استفزه الغضب حتى لم يمكن أحدا أن ينظر إليه دون أن يخاطبه، وتفرق جلساؤه خوفا من زيادة قول أو فعل يكون منهم، واستعجم الرأي على الوزير من أن يشير عليه أو يتركه يستبد برأيه دونه، فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا بن الكافره، والجواب ما تراه دون أن تسمعه والسلام.

ثم شخص من يومه، وسار حتى أناخ بباب هرقله، ففتح وغنم، واصطفي وأفاد، وخرب وحرقت، واصطلم فطلب نقفور الموادة على خراج يؤديه في كل سنة، فأجابه إلى ذلك، فلما رجع من غزوته، وصار بالركة نقض نقفور العهد، وخان الميثاق وكان البرد شديدا، فئس نقفور من رجعت إليه، وجاء الخبر بارتداده عما أخذ عليه، فما تهيأ لأحد إخباره بذلك إشفاقا عليه وعلى أنفسهم من الكرة في مثل تلك الأيام، فاحتيل له بشاعر من اهل خره يكنى أبا محمد عبد الله بن يوسف- ويقال: هو الحجاج بن يوسف التيمي، فقال:

نقض الذي أعطيته نقفور ... وعليه دائرة البوار تدور

أبشر أمير المؤمنين فإنه ... غنم أذاك به الإله كبير

فلقد تباشرت الرعية أن أتى ... بالنقض عنه وافد وبشير

ورجت يمينك أن تعجل غزوة ... تشفي النفوس مكانها مذكور

أعطاك جزيته وطأطأ خده ... حذر الصوارم والردى محذور

فأجرت من وقعها وكأنها ... بأكفنا شعل الضرام تطير

وصرفت بالطول العساكر قافلا ... عنه وجارك آمن مسرور

نقفور إنك حين تغدر إن نأى ... عنك الإمام لجاهل مغرور

أظننت حين غدرت أنك مفلت ... هبلتك أمك ما ظننت غرور!

ألقاك حينك في زواجر بحره ... فطمت عليك من الإمام بحور

إن الإمام على اقتسارك قادر ... قربت ديارك أم نأت بك دور

ليس الإمام وإن غفلنا غافلا ... عما يسوس بحزمه ويدير

ملك تجرد للجهاد بنفسه ... فعدوه أبدا به مقهور

يا من يريد رضا الإله بسعيه ... والله لا يخفى عليه ضمير

لا نصح ينفع من يغش إمامه ... والنصح من نصحاء مشكور

نصح الامام على الأنام فريضة ... ولأهلها كفارة وطهور

وفي ذلك يقول إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية:

إمام الهدى أصبحت بالدين معنيا ... وأصبحت تسقي كل مستمطريا

لك إسمان شقا من رشاد ومن هدى ... فأنت الذي تدعى رشيدا ومهديا

إذا ما سخطت الشيء كان مسخطا ... وإن ترض شيئا كان في الناس مرضيا

بسطت لنا شرقا وغربا يد العلا ... فأوسعت شرقيا وأوسعت غربيا

ووشيت وجه الأرض بالجود والندى ... فأصبح وجه الأرض بالجود موشيا
قضى الله ان يصفو لهارون ملكه ... وكان قضاء الله في الخلق مقضيا
تحلبت الدنيا لهارون بالرضا ... فأصبح نقفور لهارون ذميا

٨٠٤١٠٧ خبر مقتل ابراهيم بن عثمان بن نهيك

وقال التيمي:

لجت بنقفور أسباب الردى عبثا ... لما رآته بغيل الليث قد عبثا
ومن يزر غيله لا يخل من فرع ... إن فات أنياه والمخلب الشبثا
خان العهود ومن ينكث بها فعلى ... حوبائه، لا على أعدائه نكثا
كان الإمام الذي ترجى فواضله ... أذاقه ثمر الحلم الذي ورثا
فرد ألفتة من بعد أن عطفت ... أزواجه مرها يبكيه شعثا
فلما فرغ من إنشاده، قال: أو قد فعل نقفور ذلك! وعلم أن الوزراء قد احتالوا له في ذلك، فكر راجعا في أشد محنة وأغلظ كلفة، حتى
أناخ بفنائه، فلم يبرح حتى رضي وبلغ ما أراد، فقال أبو العتاهية:

ألا نادى هرقلة بالخراب ... من الملك الموفق بالصواب
غدا هارون يرعد بالمنايا ... ويبرق بالمذكرة القضا

ورايات يحل النصر فيها ... تمر كأنها قطع السحاب

أمير المؤمنين ظفرت فاسلم ... وابشر بالغنيمة والإياب

خبر مقتل ابراهيم بن عثمان بن نهيك

وفيها قتل - في قول الواقدي - إبراهيم بن عثمان بن نهيك وأما غير الواقدي، فإنه قال: في سنة ثمان وثمانين ومائة.

ذكر الخبر عن سبب مقتله:

ذكر عن صالح الأعمى - وكان في ناحية إبراهيم بن عثمان بن نهيك - قال: كان إبراهيم بن عثمان كثيرا ما يذكر جعفر بن يحيى والبرامكة،
فبيكي جزعا عليهم، وحبا لهم، إلى أن خرج من حد البكاء، ودخل في باب طالبي الثأر والإحن، فكان إذا خلا بجواريه وشرب وقوي
عليه النبيذ، قال: يا غلام،

سيفي ذا المنية - وكان قد سمي سيفه ذا المنية - فيجيئه غلامه بالسيف فينتضيه، ثم يقول: وا جعفر! وا سيداه! والله لاقتل قاتلك،
ولأثأرن بدمك عن قليل! فلما كثر هذا من فعله، جاء ابنه عثمان إلى الفضل بن الربيع، فأخبره بقوله، فدخل الفضل فأخبر الرشيد،
فقال: أدخله، فدخل، فقال:

ما الذي قال الفضل عنك؟ فأخبره بقول أبيه وفعله، فقال الرشيد: فهل سمع هذا أحد معك؟ قال: نعم خادمه نوال، فدعا خادمه
سرا فسأله، فقال:

لقد قال ذاك غير مرة ولا مرتين، فقال الرشيد: ما يحل لي أن أقتل وليا من أوليائي بقول غلام وخصي، لعلهما تواصليا على هذه
المنافسة، الابن على المرتبة، ومعاداة الخادم لطول الصحبة، فترك ذلك أياما، ثم أراد أن يمتحن إبراهيم بن عثمان بمحنة تزيل الشك
عن قلبه، والخطا عن وهمه، فدعا الفضل بن الربيع، فقال: إني أريد محنة إبراهيم بن عثمان فيما رفع ابنه عليه، فإذا رفع الطعام فادع
بالشراب، وقل له: أجب أمير المؤمنين فينادمك، إذ كنت منه بالحمل الذي أنت به، فإذا شرب فاخرج واخلني وإياه، ففعل ذلك
الفضل بن الربيع، وقعد إبراهيم للشراب، ثم وثب حين وثب الفضل بن الربيع للقيام، فقال له الرشيد: مكانك يا إبراهيم، فقعد، فلما
طابت نفسه، أوما الرشيد إلى الغلمان فتنحوا عنه، ثم قال: يا إبراهيم، كيف أنت وموضع السر منك؟ قال: يا سيدي إنما أنا كأخص
عبيدك، وأطوع خدمك، قال: إن في نفسي أمرا أريد أن أودعك، وقد ضاق صدري به، وأسهرت به ليلي، قال: يا سيدي إذا لا

يرجع عني إليك أبداً، وأخفيه عن جنبي أن يعلمه، ونفسي أن تذيعه قال: ويحك! إني ندمت على قتل جعفر بن يحيى ندامة ما أحسن أن أصفها، فوددت أني خرجت من ملكي وأنه كان بقي لي، فما وجدت طعم النوم منذ فارقت، ولا لذة العيش منذ قتلته! قال: فلما سمعها إبراهيم أسبل دمعته، وأذرى عبرته، وقال: رحم الله أبا الفضل، وتجاوز عنه! والله يا سيدي لقد أخطأت في قتله، وأوطئت العشوة في أمره! وأين يوجد في الدنيا مثله! وقد كان منقطع القرين في الناس أجمعين دينا فقال الرشيد: قم عليك لعنة الله يا بن الخناء! فقام ما يعقل ما يطاء، فانصرف إلى أمه، فقال: يا أم، ذهبت والله نفسي، قالت: كلا إن شاء الله، وما ذاك يا بني؟ قال: ذاك أن الرشيد امتحنني بحنه والله، ولو كان لي ألف نفس لم أنج بواحدة منها فما كان بين هذا وبين أن دخل عليه ابنه - فضربه بسيفه حتى مات - إلا ليال قلائل. وجج بالناس في هذه السنة عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي.

٨٠٤٢ سنة ثمان وثمانين ومائه

٨٠٤٢٠١ ذكر خبر غزو إبراهيم بن جبريل الصائفة

ثم دخلت

سنة ثمان وثمانين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر خبر غزو إبراهيم بن جبريل الصائفة

فما كان فيها من ذلك غزو إبراهيم بن جبريل الصائفة، ودخوله أرض الروم من درب الصفصاف، فخرج للقائه نقفور، فورد عليه من ورائه أمر صرفه عن لقائه، فانصرف، ومروم يقوم من المسلمين، فخرج ثلاث جراحات، وانهمز وقتل من الروم - فيما ذكر - أربعون ألفا وسبعمائة، وأخذ أربعة آلاف دابة. وفيها رابط القاسم بن الرشيد بدابق. وجج بالناس فيها الرشيد، فجعل طريقه على المدينة، فأعطى أهلها نصف العطاء، وهذه الحجة هي آخر حجة حجها الرشيد، فيما زعم الواقدي وغيره

٨٠٤٣ سنة تسع وثمانين ومائه

٨٠٤٣٠١ ذكر خبر شخوص الرشيد إلى الري

ثم دخلت

سنة تسع وثمانين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر خبر شخوص الرشيد إلى الري

فمن ذلك ما كان من شخوص هارون الرشيد أمير المؤمنين فيها إلى الري.

ذكر الخبر عن سبب شخوصه إليها وما أحدث في خرجته تلك في سفره:

ذكر أن الرشيد كان استشار يحيى بن خالد في تولية خراسان علي بن عيسى بن ماهان، فأشار عليه ألا يفعل، فخالفه الرشيد في أمره، وولاه إياها، فلما شخوص علي بن عيسى إليها ظلم الناس، وعسر عليهم، وجمع مالا جليلا، ووجه إلى هارون منها هدايا لم ير مثلها قط من الخليل والرقيق والثياب والمسك والأموال، فقعد هارون بالشماسية على دكان مرتفع حين وصل ما بعث به علي إليه، وأحضرت تلك الهدايا فعرضت عليه، فعظمت في عينه، وجل عنده قدرها، وإلى جانبه يحيى بن خالد، فقال له: يا أبا علي، هذا الذي أشرت علينا ألا نوليه هذا الثغر، فقد خالفناك فيه، فكان في خلافتك البركة - وهو كالمأزح معه إذ ذاك - فقد ترى ما أنتج رأينا فيه، وما كان من

رأيك! فقال: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك! أنا وإن كنت أحب أن أصيب في رأيي وأوفق في مشورتي، فأنا أحب من ذلك أن يكون رأي أمير المؤمنين أعلى، وفراسته أثق، وعلمه أكثر من علمي، ومعرفته فوق معرفتي، وما أحسن هذا وأكثره إن لم يكن وراءه ما يكره أمير المؤمنين، وما أسأل الله أن يعيده ويعفيه من سوء عاقبته ونتائج مكروهه، قال: وما ذاك؟ فأعلمه، قال: ذاك أني أحسب أن هذه الهدايا ما اجتمعت له حتى ظلم فيها الاشراف، أخذ أكثرها ظلما وتعديا، ولو أمرني أمير المؤمنين لأتيته بضعفها الساعة من بعض تجار الكرخ، قال: وكيف ذاك؟ قال: قد ساومنا عونا

على السفط الذي جاءنا به من الجواهر، واعطيناه به سبعة آلاف الف، فأبى ان يبيعه، فابعث اليه الساعة بحاجتي فأمره أن يرده إلينا، لنعيد فيه نظرنا، فإذا جاء به بجذانه، وربحنا سبعة آلاف ألف، ثم كنا نفعل بتاجرين من كبار التجار مثل ذلك وعلى أن هذا أسلم عاقبة، وأستر أمرا من فعل علي بن عيسى في هذه الهدايا بأصحابها، فأجمع لأمر المؤمنين في ثلاث ساعات أكثر من قيمة هذه الهدايا بأهون سعي، وأيسر أمر، وأجمل جباية، مما جمع علي في ثلاث سنين.

فوقرت في نفس الرشيد وحفظها، وأمسك عن ذكر علي بن عيسى عنده، فلما عاث علي بن عيسى بخراسان ووتر أشرافها، وأخذ أموالهم، واستخف برجالهم، كتب رجال من كبارها ووجهها إلى الرشيد، وكتبت جماعة من كورها إلى قرباتها وأصحابها، تشكو سوء سيرته، وخبث طعمته، ورداءة مذهبه، وتسأل أمير المؤمنين أن يبدلها به من أحب من كفاته وأنصاره وأبناء دولته وقواده فدعا يحيى بن خالد، فشاوره في أمر علي بن عيسى وفي صرفه، وقال له: أشر علي برجل ترضاه لذلك الثغر يصلح ما أفسد الفاسق، ويرتق ما فتن فأشار عليه بيزيد بن مزيد، فلم يقبل مشورته.

وكان قيل للرشيد: إن علي بن عيسى قد أجمع على خلافتك، فشخص إلى الري من أجل ذلك، منصرفه من مكة، فعسكر بالنهروان ثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى، ومعه ابنه عبد الله المأمون والقاسم، ثم سار إلى الري، فلما صار بقرماسين أشخص إليه جماعة من القضاة وغيرهم، وأشهدهم أن جميع ما له في عسكره ذلك من الأموال والخزائن والسلاح والكراع وما سوى ذلك لعبد الله المأمون، وأنه ليس له فيه قليل ولا كثير وجدد البيعة له على من كان معه، ووجه هرثمة بن أعين صاحب حرسه إلى بغداد، فأعاد أخذ البيعة على محمد بن هارون الرشيد وعلى من بحضرته لعبد الله والقاسم، وجعل أمر القاسم في خلعه وإقراره إلى عبد الله، إذا أفضت الخلافة

إليه ثم مضى الرشيد عند انصراف هرثمة إليه إلى الري، فأقام بها نحو من أربعة أشهر، حتى قدم عليه علي بن عيسى من خراسان بالأموال والهدايا والطرف، من المتاع والمسك والجواهر وآنية الذهب والفضة والسلاح والدواب، وأهدى بعد ذلك إلى جميع من كان معه من ولده وأهل بيته وكتابه وخدمه وقواده على قدر طبقاتهم ومراتبهم، ورأى منه خلاف ما كان ظن به وغير ما كان يقال فيه فرضي عنه، وردّه إلى خراسان، وخرج وهو مشيع له، فذكر أن البيعة أخذت للمأمون والقاسم بولاية العهد بعد أخويه محمد وعبد الله، وسمي المؤتمن حين وجه هارون هرثمة لذلك بمدينة السلام يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب من هذه السنة، فقال الحسن بن هانئ في ذلك:

تبارك من ساس الأمور بعلمه ... وفضل هارونا على الخلفاء

نزال بخير ما انطوينا على التقى ... وما ساس دنيانا أبو الأمناء

وفي هذه السنة- حين صار الرشيد إلى الري- بعث حسين الخادم إلى طبرستان، فكتب له ثلاثة كتب، من ذلك كتاب فيه أمان لشروين أبي قارن، والآخر فيه أمان لونداهرمز، جد مازيار والثالث فيه أمان لمرزبان ابن جستان، صاحب الديلم فقدّم عليه صاحب الديلم، فوهب له وكساه وردّه وقدم عليه سعيد الحرشي بأربعمئة بطل من طبرستان، فأسلهوا على يد الرشيد، وقدم ونداهرمز، وقبل الأمان، وضمن السمع والطاعة وأداء الخراج، وضمن على شروين مثل ذلك، فقبل ذلك منه الرشيد وصرفه، ووجه معه هرثمة فأخذ ابنه وابن شروين رهينة وقدم عليه الري أيضا خزيمة بن خازم، وكان والي أرمينية، فأهدى هدايا كثيرة.

وفي هذه السنة ولى هارون عبد الله بن مالك طبرستان والري والرويان

ودنباوند وقومس وهمدان وقال أبو العتاهية في خرجة هارون هذه- وكان هارون ولد بالري:
إن أمين الله في خلقه ... حن به البر إلى مولده
ليصلح الري وأقطارها ... ويمطر الخير بها من يده

وولى هارون في طريقه محمد بن الجنيد الطريق ما بين همدان والري، وولى عيسى بن جعفر بن سليمان عمان، فقطع البحر من ناحية جزيرة ابن كاوان، فافتتح حصنا بها وحاصر آخر، فهجم عليه ابن مخلد الأزدي وهو غار، فأسره وحمله إلى عمان في ذي الحجة، وانصرف الرشيد بعد ارتحال علي بن عيسى إلى خراسان عن الري بأيام، فأدركه الأضي بقصر اللصوص، فضحى بها، ودخل مدينة السلام يوم الاثنين، لليلتين بقيتا من ذي الحجة، فلما مر بالجسر أمر بإحراق جثة جعفر بن يحيى، وطوى بغداد ولم ينزلها، ومضى من فوره متوجها إلى الرقة، فنزل السليحين وذكر عن بعض قواد الرشيد أن الرشيد قال لما ورد بغداد: والله إني لأطوي مدينة ما وضعت بشرق ولا غرب مدينة أمين ولا أسير منها، وإنها لوطني ووطن آبائي، ودار مملكة بني العباس ما بقوا وحافظوا عليها، وما رأى أحد من آبائي سوءا ولا نكبة منها، ولا شيء بها أحد منهم قط، ولنعم الدار هي! ولكني أريد المناخ على ناحية أهل الشقاق والنفاق والبغض لأئمة الهدى والحب لشجرة اللعنة- بني أمية- مع ما فيها من المارقة والمتلصصة وخيفي السبيل، ولولا ذلك ما فارقت بغداد ما حييت ولا خرجت عنها أبدا.

وقال العباس بن الأحنف في طي الرشيد بغداد:

ما أنخنا حتى ارتحلنا فما نفرق ... بين المناخ والارتحال
ساءلونا عن حالنا إذ قدمنا ... فقرنا وداعهم بالسؤال

وفي هذه السنة كان الفداء بين المسلمين والروم، فلم يبق بأرض الروم مسلم إلا فودي به- فيما ذكر- فقال مروان بن أبي حفصة في ذلك:

وفكت بك الأسرى التي شيدت لها ... محابس ما فيها حميم يزورها

على حين أعيا المسلمين فكأكها ... وقالوا: سجون المشركين قبورها
ورابط فيها القاسم بدابق وجج بالناس فيها العباس بن موسى بن عيسى بن موسى.

٨٠٤٤ سنة تسعين ومائه

٨٠٤٤٠١ ذكر خبر ظهور خلاف رافع بن ليث

ثم دخلت

سنة تسعين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر خبر ظهور خلاف رافع بن ليث

فمن ذلك ما كان من ظهور رافع بن ليث بن نصر بن سيار بسمرقند، مخالفا لهارون وخلعه إياه، ونزعه يده من طاعته.
ذكر الخبر عن سبب ذلك:

وكان سبب ذلك- فيما ذكر لنا- أن يحيى بن الأشعث بن يحيى الطائي تزوج ابنة لعمه ابى النعمان، وكانت ذات يسار، فأقام بمدينة السلام، وتركها بسمرقند، فلما طال مقامه بها، وبلغها أنه قد اتخذ أمهات أولاد، التمت سببا للتخلص منه، فعي عليها، وبلغ رافعا خبرها، فطمع فيها وفي مالها، فدس إليها من قال لها: إنه لا سبيل لها إلى التخلص من صاحبها، إلا أن تترك بالله، وتحضر لذلك قوما عدولا، وتكشف شعرها بين أيديهم، ثم تنوب فتحل للأزواج، ففعلت ذلك وتزوجها رافع وبلغ الخبر يحيى بن الأشعث، فرفع ذلك إلى الرشيد، فكتب إلى علي بن عيسى يأمره أن يفرق بينهما، وأن يعاقب رافعا ويجلده الحد، ويقيده ويطوف به في مدينة سمرقند مقيدا على حمار، حتى يكون عظة لغيره فدرأ سليمان بن حميد الأزدي عنه الحد، وحمله على حمار مقيدا حتى طلقها، ثم حبسه في سجن

سمرقند، فهرب من الحبس ليلاً من عند حميد بن المسيح- وهو يومئذ على شرط سمرقند- فلحق بعلي بن عيسى ببلخ، فطلب الأمان فلم يجبه علي إليه، وهم بضرب عنقه، فكله فيه ابنا عيسى بن علي، وجدد طلاق المرأة، وأذن له في الانصراف إلى سمرقند، فانصرف إليها، فوثب بسليمان ابن حميد، عامل علي بن عيسى فقتله فوجه علي بن عيسى إليه ابنه،

٨٠٤٤٠٢ فتح الرشيد هرقله

فقال الناس إلى سباع بن مسعدة، فرأسوه عليهم، فوثب علي رافع فقيده، فوثبوا على سباع، فقيدوه ورأسوا رافعا وباعوه، وطابقه من وراء النهر، ووافاه عيسى بن علي، فلقيه رافع فهزمه، فأخذ علي بن عيسى في فرض الرجال والتأهب للحرب. وفي هذه السنة غزا الرشيد الصائفة، واستخلف ابنه عبد الله المأمون بالركة وفوض إليه الأمور، وكتب إلى الآفاق بالسمع له والطاعة، ودفع إليه خاتم المنصور يتيمن به، وهو خاتم الخاصة، نقشه: الله ثقني آمنت به. وفيها أسلم الفضل بن سهل على يد المأمون.

وفيها خرجت الروم إلى عين زربة وكنيسة السوداء، فأغارت وأسرت، فاستنقذ أهل المصيصة ما كان في أيديهم فتح الرشيد هرقله

وفيها فتح الرشيد هرقله، وبث الجيوش والسرايا بأرض الروم، وكان دخلها- فيما قيل- في مائة ألف ونحسة وثلاثين ألف مرتزق، سوى الأتباع وسوى المطوعة وسوى من لا ديوان له، وأناخ عبد الله بن مالك على ذي الكلاع ووجه داود بن عيسى بن موسى سائحا في أرض الروم في سبعين ألفا، وافتتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة ودبسة، وافتتح يزيد بن مخلد الصفصاف وملقوية- وكان فتح الرشيد هرقله في شوال- وأخربها وسبي أهلها بعد مقام ثلاثين يوما عليها، وولى حميد بن معيوف سواحل بحر الشام إلى مصر، فبلغ حميد قبرس، فهدم وحرق وسبي من أهلها ستة عشر ألفا، فأقدمهم الرافقة، فتولى بيعهم أبو البخري القاضي، فبلغ أسقف قبرس ألفي دينار.

وكان شخوص هارون إلى بلاد الروم لعشر بقين من رجب، واتخذ

قلنسوة مكتوبا عليها غاز حاج، فكان يلبسها، فقال أبو المعالي الكلابي:

فمن يطلب لقاءك أو يردده ... فبالحرمين أو أقصى الثغور

ففي أرض العدو على طمر ... وفي أرض الترفه فوق كور

وما حاز الثغور سواك خلق ... من المتخلفين على الأمور

ثم صار الرشيد إلى الطوانة، فعسكر بها، ثم رحل عنها، وخلف عليها عقبة بن جعفر، وأمره ببناء منزل هنالك، وبعث نقفور إلى الرشيد بالخراج والجزية، عن رأسه وولي عهده وبطارقه وسائر أهل بلده خمسين ألف دينار، منها عن رأسه أربعة دنانير، وعن رأس ابنه استبراق دينارين وكتب نقفور مع بطريقين من عظماء بطارقه في جارية من سبي هرقله كتابا نسخته:

لعبد الله هارون أمير المؤمنين من نقفور ملك الروم سلام عليكم، اما بعد ايها الملك، فان لي إليك حاجة لا تضرك في دينك ولا دنياك، هينه يسيرة، أن تهب لابني جارية من بنات أهل هرقله، كنت قد خطبتها على ابني، فإن رأيت أن تسعفني بحاجتي فعلت والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

واستهداه أيضا طيبا وسرادقا من سرادقاته، فأمر الرشيد بطلب الجارية، فأحضرت وزينت وأجلست على سرير في مضربه الذي كان نازلا فيه، وسلمت الجارية والمضرب بما فيه من الآنية والمتاع إلى رسول نقفور، وبعث إليه بما سأل من العطر، وبعث إليه من التمر والأخبطة والزبيب والترياق، فسلم ذلك كله إليه رسول الرشيد، فأعطاه نقفور وقر دراهم إسلامية على برذون كمت كان مبلغه خمسين ألف درهم، ومائة ثوب ديباج ومائتي ثوب بزيون، واثنى عشر بازيا، وأربعة أكلب من كلاب الصيد، وثلاثة براذين وكان نقفور اشترط ألا يخرب ذا الكلاع ولا صمله ولا حصن سنان،

واشترط الرشيد عليه ألا يعمر هرقله، وعلى أن يحمل نقفور ثلاثمائة ألف دينار.
 وخرج في هذه السنة خارجي من عبد القيس يقال له سيف بن بكر، فوجه إليه الرشيد محمد بن يزيد بن مزيد، فقتله بعين النورة.
 ونقض أهل قبرس العهد، فغزاهم معيوف بن يحيى فسبي أهلها.
 ووج بالناس فيها عيسى بن موسى الهادي.

٨٠٤٥ سنه احدى وتسعين ومائه

ثم دخلت

سنة احدى وتسعين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيا من الأحداث) فن ذلك ما كان من خروج خارجي يقال له ثروان بن سيف بناحية حولايا، فكان يتنقل بالسواد، فوجه إليه طوق بن مالك فهزمه طوق وجرحه، وقتل عامة أصحابه، وظن طوق أنه قد قتل ثروان، فكتب بالفتح، وهرب ثروان مجروحاً.

وفيها خرج أبو النداء بالشام فوجه الرشيد في طلبه يحيى بن معاذ، وعقد له على الشام.

وفيها وقع الثلج بمدينة السلام.

وفيها ظفر حماد البربري بهيصم اليماني.

وفيها غلظ أمر رافع بن ليث بسمرقند.

وفيها كتب أهل نسف إلى رافع يعطونه الطاعة، ويسألون أن يوجه إليهم من يعينهم على قتل عيسى بن علي، فوجه صاحب الشاش في اتراكه قائداً من قواده، فأتوا عيسى بن علي، فأحدقوا به وقتلوه في ذي القعدة، ولم يعرضوا لأصحابه.

وفيها ولي الرشيد حمويه الخادم بريد خراسان.

وفيها غزا يزيد بن مخلد الهبيري أرض الروم في عشرة آلاف، فأخذت الروم عليه المضيق، فقتلوه على مرحلتين من طرسوس في خمسين رجلاً، وسلم الباقيون.

وفيها ولي الرشيد غزو الصائفة هرثمة بن أعين، وضم إليه ثلاثين ألفاً من جند خراسان، ومعه مسرور الخادم، إليه النفقات وجميع الأمور، خلا الرياسة

٨٠٤٥٠١ ذكر الخبر عن سبب عزل الرشيد على بن عيسى وسخطه عليه

ومضى الرشيد إلى درب الحدث، فرتب هنالك عبد الله بن مالك، ورتب سعيد بن سلم بن قتيبة بمرعش، فأغارت الروم عليها، وأصابوا من المسلمين وانصرفوا وسعيد بن سلم مقيم بها، وبعث محمد بن يزيد بن مزيد إلى طرسوس، فأقام الرشيد بدرب الحدث ثلاثة أيام من شهر رمضان، ثم انصرف إلى الرقة.

وفيها أمر الرشيد بهدم الكائس بالثغور، وكتب إلى السندي بن شاهك يأمره بأخذ أهل الذمة بمدينة السلام بخالفة هيئتهم هيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم.

وفيها عزل الرشيد علي بن عيسى بن ماهان عن خراسان وولاهها هرثمة.

ذكر الخبر عن سبب عزل الرشيد علي بن عيسى وسخطه عليه

قال ابو جعفر: قد ذكر قبل سبب هلاك ابن علي بن عيسى وكيف قتل ولما قتل ابنه عيسى خرج علي عن بلخ حتى أتى مرو مخافة أن يسير إليها رافع بن الليث، فيستولي عليها وكان ابنه عيسى دفن في بستان داره ببلخ أموالاً عظيمة - قيل إنها كانت ثلاثين ألف ألف - ولم يعلم بها علي بن عيسى ولا أطلع على ذلك إلا جارية كانت له، فلما شخص علي عن بلخ أطلعت الجارية على ذلك بعض الخدم، وتحدث به الناس، فاجتمع قراء أهل بلخ ووجوهها، فدخلوا البستان فانتهبوه وأباحوه للعامة، فبلغ الرشيد الخبر، فقال: خرج علي من بلخ عن

غير أمري، وخلف مثل هذا المال، وهو يزعم أنه قد أفضى إلى حلي نسائه فيما أنفق على محاربة رافع! فعزله عند ذلك، وولى هرثمة بن أعين، واستصفى أموال علي بن عيسى، فبلغت أمواله ثمانين ألف ألف.

وذكر عن بعض الموالي أنه قال: كنا بجرجان مع الرشيد وهو يريد

خراسان، فوردت خزائن علي بن عيسى التي أخذت له على الف وخمسمائة بعير، وكان علي مع ذلك قد أذل الأعلالي من أهل خراسان وأشرافهم.

وذكر أنه دخل عليه يوما هشام بن فرخسرو والحسين بن مصعب، فسلما عليه، فقال للحسين: لا سلم الله عليك يا ملحد يا بن الملحد! والله إني لأعرف ما أنت عليه من عداوتك للإسلام وطعنك في الدين، وما أنتظر بقتلك إلا إذن الخليفة فيه، فقد أباح الله دمك، وأرجو أن يسفكه الله على يدي عن قريب، ويعجلك إلى عذابه ألست المرجف بي في منزلي هذا بعد ما ثملت من الخمر، وزعمت أنه جاءتك كتب من مدينة السلام بعزلي! اخرج إلى سخط الله، لعنك الله، فعن قريب ما تكون من أهلها! فقال له الحسين: أعيد بالله الأمير أن يقبل قول واش، أو سعاية باغ، فإني بريء مما قرفت به قال: كذبت لا أم لك! قد صح عندي أنك ثملت من الخمر، وقلت ما وجب عليك به أغلظ الأدب، ولعل الله أن يعاجلك ببأسه ونقمته، اخرج عني غير مستور ولا مصاحب نجاء الحاجب فأخذ بيده فأخرجه، وقال لهشام بن فرخسرو: صارت دارك دار الندوة، يجتمع فيها إليك السفهاء، وتطعن على الولاة! سفك الله دمي إن لم أسفك دمك! فقال هشام: جعلت فداء الأمير! أنا والله مظلوم مرحوم، والله ما أدع في تقريظ الأمير جهدا، وفي وصفه قولاً إلا خصصته به وقلته فيه، فإن كنت إذا قلت خيراً نقل إليك شراً فما حيلتي! قال: كذبت لا أم لك، لأننا اعلم بما تتطوى عليه جوانحك من ولدك وأهلك، فأخرج فعن قريب أريج منك نفسي نفرج فلما كان في آخر الليل دعا ابنته عالية- وكانت من أكبر ولده- فقال لها: أي بنية، إني أريد أن أفضي إليك بأمر إن أنت أظهرته قتلت، وإن حفظته سلمت، فاختراري بقاء أبيك على موته، قالت:

وما ذاك جعلت فداك! قال: إني أخاف هذا الفاجر علي بن عيسى على دمي، وقد عزمت على أن أظهر أن الفالج أصابني، فإذا كان في السحر فاجمعي جواريك، وتعالى إلى فراشي وحركيني، فإذا رايت حركتي قد ثقلت، فصيحني أنت وجواريك، وابعني إلى إخوتك فأعلمهم عتي وإياك ثم إياك أن تطلعي على صحة بدني أحدا من خلق الله من قريب أو بعيد ففعلت- وكانت عاقلة حازمة- فأقام مطروحا على فراشه حيناً لا يتحرك إلا إن حرك، فيقال إنه لم يعلم من أهل خراسان أحد من عزل علي بن عيسى بخبر ولا أثر غير هشام، فإنه توهم عزله، فصح توهمه.

ويقال: إنه خرج في اليوم الذي قدم فيه هرثمة لتلقيه، فرآه في الطريق رجل من قواد علي بن عيسى، فقال: صح الجسم؟ فقال: ما زال صحيحاً بحمد الله! وقال بعضهم: بل رآه علي بن عيسى، فقال: أين بك؟ فقال:

ألتقي أميرنا أبا حاتم، قال: ألم تكن عليلًا؟ قال: بلى، فوهب الله العافية، وعزل الله الطاغية في ليلة واحدة وأما الحسين بن مصعب فإنه خرج إلى مكة مستجيراً بالرشيد من علي بن عيسى، فأجاره.

ولما عزم الرشيد على عزل علي بن عيسى دعا- فيما بلغني- هرثمة بن أعين مستخليا به فقال: إني لم أشاور فيك أحداً، ولم أطلع على سري فيك، وقد اضطرب علي ثغور المشرق، وأنكر أهل خراسان أمر علي بن عيسى، إذ خالف عهدي ونبذه وراء ظهره، وقد كتب يستمد ويستجيش، وأنا كاتب إليه، فأخبره أنني أمدته بك، وأوجه إليه معك من الأموال والسلاح والقوة والعدة ما يطمئن إليه قلبه، وتطلع إليه نفسه، وأكتب معك كتاباً بخطي فلا تفضنه، ولا تطلعن فيه حتى تصل إلى مدينة نيسابور، فإذا نزلتها فاعمل بما فيه، وامثلته ولا تجاوزه، إن شاء الله، وأنا موجه معك رجاء الخادم بكاتب أكتبه إلى علي بن عيسى بخطي، ليتعرف ما يكون منك ومنه، وهون عليه امر

علي فلا تظهره عليه، ولا تعلمه ما عزمت عليه، وتأهب للمسير، وأظهر لخاصتك وعامتك أنني أوجهك مدداً لعل علي بن عيسى وعونا له قال: ثم كتب إلي علي بن عيسى بن ماهان كتاباً بخطه نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم يا بن الزانية، رفعت من قدرك، ونوهت باسمك، وأوطأت سادة العرب عقبك، وجعلت أبناء ملوك العجم خولك وأتباعك، فكان جزائي أن خالفت عهدي، ونبتت وراء ظهرك أمري، حتى عثت في الأرض، وظلمت الرعية، وأسخطت الله وخليفته، بسوء سيرتك، ورداءة طعمتك، وظاهر خيانتك، وقد وليت هرثمة بن أعين مولاي ثغر خراسان، وأمرته أن يشد وطأته عليك وعلى ولدك وكتابك وعمالك، ولا يترك وراء ظهوركم درهما، ولا حقا لمسلم ولا معاهدا إلا أخذكم به، حتى ترده إلى أهله، فإن أبيت ذلك وأباه ولدك وعمالك فله أن يبسط عليكم العذاب، ويصب عليكم السياط، ويحل بكم ما يحل بمن نكث وغيره، وبدل وخالف، وظلم وتعدى وغشم انتقاما لله عز وجل بادئا، ونخلفته ثانيا، وللمسلمين والمعاهدين ثالثا، فلا تعرض نفسك للتي لا شوى لها، واخرج مما يلزمك طائعا أو مكرها. وكتب عهد هرثمة بخطه:

هذا ما عهد هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى هرثمة بن أعين حين ولاه ثغر خراسان وأعماله وخراجه، أمره بتقوى الله وطاعته ورعاية أمر الله مراقبته، وأن يجعل كتاب الله إماما في جميع ما هو بسبيله، فيحل حلاله ويحرم حرامه، ويقف عند متشابهه، ويسأل عنه أولى الفقه في دين الله وأولى العلم بكتاب الله، أو يردده إلى إمامه ليريه الله عز وجل فيه رأيه، ويعزم له على رشدته، وأمره أن يستوثق من الفاسق علي بن عيسى وولده وعمله وكتابه، وأن يشد عليهم وطأته، ويحل بهم سطوته، ويستخرج منهم كل مال

٨٠٤٥٠٢ خبر شخص هرثمة بن أعين إلى خراسان واليا عليها

يصح عليهم من خراج أمير المؤمنين وفيء المسلمين، فإذا استنظف ما عندهم وقبلهم من ذلك، نظر في حقوق المسلمين والمعاهدين، وأخذهم بحق كل ذي حق حتى يردوه إليهم، فإن ثبتت قبلهم حقوق لأمر المؤمنين وحقوق للمسلمين، فدافعوا بها وبحدوها، أن يصب عليهم سوط عذاب الله وأليم نقمته، حتى يبلغ بهم الحال التي إن تخطاها بأدنى أدب، تلفت أنفسهم، وبطلت أرواحهم، فإذا خرجوا من حق كل ذي حق، أشخصهم كما تشخص العصاة من خشونة الوطاء وخشونة المطعم والمشرب وغلظ الملابس، مع الثقات من أصحابه إلى باب أمير المؤمنين، إن شاء الله فاعمل يا أبا حاتم بما عهدت إليك، فإني آثرت الله ودينه على هواي وإرادتي، فكذلك فليكن عملك، وعليه فليكن أمرك، ودبر في عمال الكور الذين تمر بهم في صعودك ما لا يستوحشون معه إلى أمر يريهم وظن يرعبهم وابسط من آمال أهل ذلك الثغر ومن أمانهم وعذرهم، ثم اعمل بما يرضى الله منك وخليفته، ومن ولاك الله أمره إن شاء الله هذا عهدي وكتابي بخطي، وأنا أشهد الله وملائكته وحمله عرشه وسكان سمواته وكفى بالله شبيداً*.

وكتب أمير المؤمنين بخط يده لم يحضره إلا الله وملائكته.

ثم أمر أن يكتب كتاب هرثمة إلى علي بن عيسى في معاونته وتقويه أمره والشد على يديه فكتب وظهر الأمر بها، وكانت كتب حمويه وردت على هارون أن رافعا لم يخلع ولا نزع السواد ولا من شايعه، وإنما غايتهم عزل علي بن عيسى الذي قد سامهم المكروه.

خبر شخص هرثمة بن أعين إلى خراسان واليا عليها

ومن ذلك ما كان من شخص هرثمة بن أعين إلى خراسان واليا عليها ذكر الخبر عما كان من أمره في شخوصه إليها وأمر علي بن عيسى وولده:

ذكر أن هرثمة مضى في اليوم السادس من اليوم الذي كتب له عهده الرشيد وشيعه الرشيد، وأوصاه بما يحتاج إليه، فلم يعرج هرثمة على شيء، ووجه إلى علي بن عيسى في الظاهر أموالا وسلاحا، وخلعا وطيبا، حتى إذا نزل نيسابور جمع جماعة من ثقات أصحابه وأولى السن والتجربة منهم، فدعا كل رجل منهم سرا، وخلا به، ثم أخذ عليهم العهود والمواثيق أن يكتبوا أمره، ويطووا سره، وولى كل رجل منهم كورة، على نحو ما كانت حاله عنده، فولى جرجان ونيسابور والطبسين ونسا وسرخس، وأمر كل واحد منهم، بعد أن دفع إليه عهده بالمسير إلى عمله الذي ولاه على أخفى الحالات وأسترها، والتشبه بالمجتازين في ورودهم الكور ومقامهم فيها إلى الوقت الذي سماه لهم، وولى إسماعيل بن حفص بن مصعب جرجان بأمر الرشيد، ثم مضى حتى إذا صار من مرو على مرحلة، دعا جماعة

من ثقات أصحابه، وكتب لهم أسماء ولد علي بن عيسى وأهل بيته وكتابه وغيرهم في رقاع، ودفع إلى كل رجل منهم رقعة باسم من وكله بحفظه إذا هو دخل مرو، خوفاً من أن يهربوا إذا ظهر أمره ثم وجه إلى علي بن عيسى: إن أحب الأمير أكرمهم الله أن يوجه ثقاته لقبض ما معي من أموال فعل، فإنه إذا تقدم المال أمامي كان أقوى للأمير، وأفت في عضد أعدائه وأيضاً فإنني لا آمن عليه إن خلفته وراء ظهري، أن يطمع فيه بعض من تسمو إليه نفسه إلى أن يقتطع بغضه، ويفترض غفلتنا عند دخول المدينة فوجه علي بن عيسى جهابذته وقهارته لقبض المال، وقال هرثمة لخزانه: اشغلوهم هذه الليلة، واعتلوا عليهم في حمل المال بركة تقرب من أطماعهم، وتزيل الشك عن قلوبهم، ففعلوا وقال لهم الخزان: حتى تؤامروا أبا حاتم في دواب المال والبغال.

ثم ارتحل نحو مدينة مرو، فلما صار منها على ميلين تلقاه علي بن عيسى في ولده وأهل بيته وقواده باحسن لقاء وآسنه، فلما وقعت عين هرثمة عليه، ثنى رجله لينزل عن دابته فصاح به علي: والله لئن نزلت لأنزلن، فثبت على سرجه، ودنا كل منهما من صاحبه فاعتنقا، وسارا، وعلي يسأل هرثمة عن

أمر الرشيد وحاله وهيئته وحال خاصته وقواده وأنصار دولته، وهرثمة يجيبه، حتى صار إلى قنطرة لا يجوزها إلا فارس، فحبس هرثمة لجام دابته، وقال لعلي: سر على بركة الله، فقال علي: لا والله لا أفعل حتى تمضي أنت، فقال: إذا والله لا أمضي، فأنت الأمير وأنا الوزير، فمضى وتبعه هرثمة حتى دخلا مرو، وصاراً إلى منزل علي، ورجاء الخادم لا يفارق هرثمة في ليل ولا نهار، ولا ركوب ولا جلوس، فدعا على بالغداء فطمعا، وأكل معهما رجاء الخادم، وكان عازماً على ألا يأكل معهما، فغمزه هرثمة وقال: كل فإنك جائع، ولا رأي لجائع ولا حاقن، فلما رفع الطعام قال له علي: قد أمرت أن يفرغ لك قصر على الماشان، فإن رأيت أن تصير إليه فعلت فقال له هرثمة:

إن معي من الأمور ما لا يتحمل تأخير المناظرة فيها، ثم دفع رجاء الخادم كتاب الرشيد إلى علي، وأبلغه رسالته فلما فض الكتاب فنظر إلى أول حرف منه سقط في يده، وعلم أنه قد حل به ما يخافه ويتوقعه، ثم أمر هرثمة بتقييده وتقييد ولده وكتابه وعماله - وكان رحل ومعه وقر من قيود واغلال - فلما استوسق منه صار إلى المسجد الجامع، فخطب وبسط من آمال الناس، وأخبر أن أمير المؤمنين ولاه ثغورهم لما انتهى إليه من سوء سيره الفاسق على ابن عيسى، وما أمره به فيه وفي عماله وأعوانه، وأنه بالغ من ذلك ومن أنصاف العامة والخاصة، والأخذ لهم بحقوقهم أقصى مواضع الحق وأمر بقراءة عهده عليهم فأظهروا السرور بذلك، وانفسحت آمالهم، وعظم رجائهم، وعلت بالتكبير والتهيل أصواتهم، وكثر الدعاء لأمير المؤمنين بالبقاء وحسن الجزاء.

ثم انصرف، فدعا بعلي بن عيسى وولده وعماله وكتابه، فقال: اكفوني مؤنتكم، واعفوني من الإقدام بالمكروه عليكم ونادى في أصحاب ودائعهم ببراءة الذمة من رجل كانت لعلي عنده وديعة أو لأحد من ولده أو كتابه أو عماله وأخفاها ولم يظهر عليها، فأحضره الناس ما كانوا أودعوا إلا رجلاً من أهل مرو - وكان من أبناء المجوس - فإنه لم يزل يتلطف للوصول إلى علي بن عيسى حتى صار إليه، فقال له سرا: لك عندي مال، فإن احتجت

إليه حملته إليك أولاً فأولاً، وصبرت للقتل فيك، إثارة للوفاء وطلباً للجميل الثناء، وإن استغنيت عنه حبسته عليك حتى ترى فيه رأيك فعجب علي منه، وقال: لو اصطنعت مثلك ألف رجل ما طمع في السلطان ولا الشيطان أبداً.

ثم سأله عن قيمة ما عنده، فذكر له أنه أودعه مالا وثياباً ومسكاً، وأنه لا يدرى ما قدر ذلك، غير أنه أودعه بخظه، وأنه محفوظ لم يشذ منه شيء، فقال له:

دعه، فإن ظهر عليه سلمته ونجوت بنفسك، وإن سلمت به رأيت فيه رأيي.

وجزاه الخير، وشكر له فعله ذلك أحسن شكر، وكافاه عليه وبره وكان يضرب به المثل بوفائه، فذكر أنه لم يستر عن هرثمة من مال علي إلا ما كان أودعه هذا الرجل - وكان يقال له: العلاء بن ماهان - فاستنظف هرثمة ما وراء ظهورهم حتى حلي نسائهم، فكان الرجل يدخل إلى المنزل فيأخذ جميع ما فيه، حتى إذا لم يبق فيه إلا صوف أو خشب أو ما لا قيمة له قال للمرأة:

هاقي ما عليك من الحلي، فتقول للرجل إذا دنا منها لينزع ما عليها: يا هذا، إن كنت محسناً فاصرف بصرك عني، فوالله لا تركت شيئاً

من بغيتك علي إلا دفعته إليك، فإن كان الرجل يتحوب من الدنو إليها أجابها إلى ذلك حتى ربما نبذت إليه بالخاتم والخلخال وما قيمته عشرة دراهم، ومن كان بخلاف هذه الصفة، قال: لا أرضى حتى أقتشك، لا تكونين قد خبأت ذهباً أو درا أو ياقوتا، فيضرب يده إلى مغابنها وأرفاعها، فيطلب فيها ما يظن أنها قد سترته عنه، حتى إذا ظن أنه قد أحكم هذا كله وجهه على بعير بلا وطاء تحته، وفي عنقه سلسلة، وفي رجله قيود ثقالة ما يقدر معها على نهوض واعتماد.

فذكر عن شهد أمر هرثمة وأمره، أن هرثمة لما فرغ من مطالبة علي بن عيسى وولده وكتابه وعماله بأموال أمير المؤمنين، أقامهم لمظالم الناس، فكان إذا برد للرجل عليه أو على أحد من أصحابه حق، قال: اخرج للرجل من حقه، وإلا بسطت عليك، فيقول علي: أصلح الله الأمير!

٨٠٤٥٠٣ كتاب هرثمة إلى الرشيد في امر علي بن عيسى

أجلني يوما أو يومين، فيقول: ذلك إلى صاحب الحق، فإن شاء فعل ثم يقبل على الرجل، فيقول: أترى أن تدعه؟ فإن قال: نعم، قال: فانصرف وعد إليه، فيبعث علي إلى العلاء بن ماهان، فيقول له: صالح فلانا عني كذا وكذا على كذا وكذا، أو على ما رأيت، فيصالحه ويصلح أمره.

وذكر أنه قام إلى هرثمة رجل، فقال له: أصلح الله الأمير! إن هذا الفاجر أخذ مني درقة ثمينة لم يملك أحد مثلها، فاشترها على كره مني ولم أرد بيعها بثلاثة آلاف درهم، فأتيت قهرمانة أطلب ثمنها، فلم يعطني شيئا، فأقمت حولا أنتظر ركوب هذا الفاجر، فلما ركب عرضت له وصحت به: أيها الأمير، أنا صاحب الدرقة، ولم آخذ لها ثمنا إلى هذه الغاية، فقذف أمني ولم يعطني حقي، نخذ لي بحقي من مالي وقذفه أمني، فقال: لك بينة؟ قال: نعم، جماعة حضروا كلامه، فأحضرهم فأشهدهم على دعواه، فقال هرثمة: وجب عليك الحد، قال: ولم؟ قال: لقدفك أم هذا، قال: من فقهم وعلمك هذا؟ قال: هذا دين المسلمين، قال: فأشهد أن أمير المؤمنين قد قذفك غير مرة ولا مرتين، وأشهد أنك قد قذفت بنيك ما لا أحصي، مرة حاتما ومرة أعين، فمن يأخذ لهؤلاء بحدودهم منك؟ ومن يأخذ لك من مولاك! فالتفت هرثمة إلى صاحب الدرقة، فقال:

أرى لك أن تطالب هذا الشيطان بدرقتك أو ثمنها، وتترك مطالبتة بقذفه أمك .

كتاب هرثمة إلى الرشيد في امر علي بن عيسى

ولما حمل هرثمة عليا إلى الرشيد، كتب إليه كتابا يخبره ما صنع، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإن الله عز وجل لم يزل يبلي أمير المؤمنين في كل ما قلده من خلافته، واسترعاه من أمور عباده وبلاده أجل

البلاء وأكمله، ويعرفه في كل ما حضره ونأى عنه من خاص أموره وعامها، ولطيفها وجليلها أتم الكفاية وأحسن الولاية، ويعطيه في ذلك كله أفضل الأمنية، ويبلغه فيه أقصى غاية الهمة، امتنانا منه عليه، وحفظا لما جعل إليه، مما تكفل بإعرازه وإعزاز أوليائه واهل حقه وطاعته، فيستتم الله أحسن ما عوده وعودنا من الكفاية في كل ما يؤدينا إليه، ونسأله توفيقنا لما نقضي به المفترض من حقه في الوقوف عند أمره، والاقتصار على رأيه.

ولم أزل أعز الله أمير المؤمنين، مذ فصلت عن معسكر أمير المؤمنين ممثلا ما أمرني به فيما أنهضني له، لا أجاوز ذلك ولا أتعداه إلى غيره، ولا أتعرف اليمن والبركة إلا في امتثاله، إلى أن حلت أوائل خراسان، صائنا للأمر الذي أمرني أمير المؤمنين بصيانتته وستره، لا أفضي ذلك إلى خاصي ولا إلى عامي، ودبرت في مكتبة أهل الشاش وفرغانة وخزلهما عن الخائن، وقطع طمعه وطمع من قبله عنهما، ومكتبة من ببلخ بما كنت كتبت به إلى أمير المؤمنين وفسرت له، فلما نزلت نيسابور عملت في أمر الكور التي اجتزت عليها بتولية من وليت عليها، قبل مجاوزتي إياها، بكرجان ونيسابور نسا وسرخس، ولم آل الاحتياط في ذلك، واختيار الكفاه واهل الأمانة الصحة من ثقات أصحابي، وتقدمت إليهم في ستر الأمر وكتمانه، وأخذت عليهم بذلك أيمان البيعة، ودفعت إلى كل رجل منهم عهده بولايته، أمرتهم بالمسير إلى كور أعمالهم على أخفى الحالات وأسترها، والتشبه بالمجتازين في ورودهم الكور ومقامهم بها إلى الوقت

الذي سميت لهم، وهو اليوم الذي قدرت فيه دخولي إلى مرو، والتقيائي وعلي بن عيسى، وعملت في استكفائي إسماعيل بن حفص بن مصعب أمر جرجان بما كنت كتبت به إلى أمير المؤمنين، فنفذ أولئك العمال لأمري، وقام كل رجل منهم في الوقت الذي وقت له بضبط عمله وأحكام ناحيته، وكفى الله أمير المؤمنين المؤنة في ذلك، بلطيف صنعه

ولما صرت من مدينة مرو على منزل، اخترت عدة من ثقات أصحابي، وكتبت بتسمية ولد علي بن عيسى وكتابه وأهل بيته وغيرهم رقاعا، ودفعت إلى كل رجل منهم رقعة باسم من وكلته بحفظه في دخولي، ولم آمن لو قصرت في ذلك وأخرته أن يصيروا عند ظهور الخبر وانتشاره إلى التغييب والانتشار، فعملوا بذلك، ورحلت عن موضعي إلى مدينة مرو، فلما صرت منها على ميلين تلقاني علي بن عيسى في ولده وأهل بيته وقواده، فلقيته بأحسن لقاء، وآتسته، وبلغت من توقيره وتعظيمه والتماس النزول إليه أول ما بصرت به ما ازداد به أنسا وثقة، إلى ما كان ركن إليه قبل ذلك، مما كان يأتيه من كتبي، فإنها لم تنقطع عنه بالتعظيم والإجلال مني له والالتماس، لالقاء سوء الظن عنه، لثلا يسبق إلى قلبه أمر ينتقض به ما دبر أمير المؤمنين في أمره، وأمرني به في ذلك وكان الله تبارك وتعالى هو المنفرد بكفاية أمير المؤمنين الأمر فيه إلى أن ضمني وإياه مجلسه، وصرت إلى الأكل معه، فلما فرغنا من ذلك بداني يسألني المصير إلى منزل كان ارتاده لي، فأعلمته ما معي من الأمور التي لا تحتل تأخير المناظرة فيها ثم دفع إليه رجاء الخادم كتاب أمير المؤمنين وأبلغه رسالته، فعلم عند ذلك أن قد حل به الأمر الذي جناه على نفسه، وكسبته يداه، من سخط أمير المؤمنين، وتغير رأيه بخلافه أمره وتعديه سيرته ثم صرت إلى التوكيل به، ومضيت إلى المسجد الجامع، فبسطت آمال الناس ممن حضر، وافتتحت القول بما حملني أمير المؤمنين إليهم، وأعلمتهم إعظام أمير المؤمنين ما أتاه، ووضح عنده من سوء سيره علي، وما أمرني به فيه وفي عماله وأعوانه، وإني بالغ من ذلك ومن إنصاف العامة والخاصة والأخذ لهم بحقوقهم أقصى غايتهم وأمرت بقراءة عهدي عليهم، وأعلمتهم أن ذلك مثالي وإمامي، وأني به أقتدي، وعليه أحتذي، فتي زلت عن باب واحد من أبوابه فقد ظلمت نفسي، وأحللت بها ما يحل بمن خالف

٨٠٤٥٠٤ الجواب من الرشيد

رأي أمير المؤمنين وأمره، فأظهروا السرور بذلك والاستبشار، وعلت بالتكبير والتلهيل أصواتهم، وكثر دعاؤهم لأمر المؤمنين بالبقاء وحسن الجزاء.

ثم انكفأت إلى المجلس الذي كان علي بن عيسى فيه، فصرت إلى تقييده وتقييد ولده وأهل بيته وكتابه وعماله والاستيثاق منهم جميعا، وأمرتهم بالخروج إلي من الأموال التي احتجوها من أموال أمير المؤمنين وفيء المسلمين، وإعفائي بذلك من الإقدام عليهم بالمكروه والضرب، وناديت في أصحاب ودائعهم بإخراج ما كان عندهم فحملوا إلي إلى أن كتبت إلى أمير المؤمنين صدرا صالحا من الورق والعين، وأرجو أن يعين الله على استيفاء ما قبلهم، واستنظاف ما وراء ظهورهم، ويسهل الله من ذلك أفضل ما لم يزل يعود أمير المؤمنين من الصنع في مثله من الأمور التي يعني بها إن شاء الله تعالى:

ولم أدع عند قدومي مرو التقدم في توجيه الرسل وإنفاذ الكتب البالغة في الإعذار والإنذار، والتبصير والإرشاد، إلى رافع ومن قبله من أهل سمرقند، وإلى من ببلخ، على حسن ظني بهم في الإجابة، ولزوم الطاعة والاستقامة، ومهما تنصرف به رسلي إلي يا أمير المؤمنين من أخبار القوم في إجابتهم وامتناعهم، أعمل على حسبه من أمرهم، وأكتب بذلك إلى أمير المؤمنين على حقه وصدقه وأرجو أن يعرف الله أمير المؤمنين في ذلك من جميل صنعه ولطيف كفايته، ما لم تزل عادته جارية به عنده، بمنه وطوله وقوته والسلام . الجواب من الرشيد

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك بقدمك مرو في اليوم الذي سميت، وعلى الحال التي وصفت وما فسرت، وما كنت قدمت من الحيل قبل ورودك إياها، وعملت به في أمر الكور التي سميت وتولية من وليت عليها قبل نفوذك عنها، ولطفت له من الأمر الذي استجمع لك به ما أردت من أمر الخائن علي بن عيسى وولده وأهل بيته، ومن صار في يدك من عماله وأصحاب أعماله واحتذائك في ذلك كله ما كان أمير المؤمنين مثل لك ووقفك عليه، وفهم أمير المؤمنين كل ما كتبت

به، وحمد الله على ذلك كثيرا وعلى تسديده إياك وما أعانك به من توفيقه، حتى بلغت إرادة أمير المؤمنين، وأدركت طلبته، وأحسن ما كان يحب بك وعلى يديك إحكامه، مما كان اشتد به اعتناؤه، ولج به اهتمامه، وجزاك الخير على نصيحتك وكفايتك، فلا أعدم الله أمير المؤمنين أحسن ما عرفه منك في كل ما أهاب بك إليه، واعتمد بك عليه.

وأمير المؤمنين يأمر أن تزداد جدا واجتهادا فيما أمرك به من تتبع أموال الخائن علي بن عيسى وولده وكتابه وعماله ووكلائه وجهاذته والنظر فيما اختانوا به أمير المؤمنين في أمواله، وظلموا به الرعية في أموالهم، وتبع ذلك واستخراجه من مظانه ومواضعه، التي صارت إليه، ومن أيدي اصحاب الودائع التي استودعها إياهم، واستعمال اللين والشدّة في ذلك كله، حتى تصير إلى استنظاف ما وراء ظهورهم، ولا تبقى من نفسك في ذلك بقية، وفي إنصاف الناس منهم في حقوقهم ومظالمهم، حتى لا تبقى لمتظلم منهم قبلهم ظلامة إلا استقضيت ذلك له، وحملتة وإياهم على الحق والعدل فيها، فإذا بلغت أقصى غاية الأحكام والمبالغة في ذلك، فأشخص الخائن وولده وأهل بيته وكتابه وعماله إلى أمير المؤمنين في وثاق، وعلى الحال التي استحقوها من التغيير والتنكيل بما كسبت أيديهم، وما الله بظلام للعبيد*.

ثم اعمل بما أمرك به أمير المؤمنين من الشخوص إلى سمرقند، ومحاولة ما قبل خامل، ومن كان على رأيه ممن أظهر خلافا وامتناعا من أهل كور ما وراء النهر وطخارستان بالدعاء إلى الفئدة والمراجعة، وبسط أمانات أمير المؤمنين التي حملوها إليهم، فإن قبلوا وأنابوا وراجعوا ما هو أملك بهم، وفرقوا جموعهم، فهو ما يجب أمير المؤمنين أن يعاملهم به من العفو عنهم والإقالة لهم، إذ كانوا رعيته، وهو الواجب على أمير المؤمنين لهم إذ أجابهم إلى طلبتهم، وآمن روعهم، وكفاهم ولاية من كرهوا ولايته، وأمر بإنصافهم في حقوقهم وظلاماتهم- وإن خالفوا ما ظن أمير المؤمنين، فخاكمهم إلى الله إذ طغوا وبغوا، وكرهوا العافية وردوها، فإن أمير المؤمنين قد قضى ما عليه، فغير ونكل، وعزل واستبدل، وعفا عمن أحدث، وصفح عمن اجترم، وهو يشهد الله عليهم بعد ذلك في خلاف إن آثروه، وعنود إن أظهروه وكفى بالله شهيدا* ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، عليه يتوكل وإليه ينيب والسلام.

وكتب إسماعيل بن صبيح بين يدي أمير المؤمنين.

وجج بالناس في هذه السنة الفضل بن العباس بن محمد بن علي، وكان والي مكة. ولم يكن للمسلمين بعد هذه السنة صائفة إلى سنة خمس عشرة ومائتين.

٨٠٤٦ سنه اثنتين وتسعين ومائه

٨٠٤٦٠١ ذكر الخبر عن مسير الرشيد إلى خراسان

ثم دخلت

سنة اثنتين وتسعين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) ففيها كان الفداء بين المسلمين والروم على يدي ثابت بن نصر بن مالك.

ذكر الخبر عن مسير الرشيد إلى خراسان

وفيها وافى الرشيد من الرقة في السفن مدينة السلام، يريد الشخوص إلى خراسان لحرب رافع، وكان مصيره ببغداد يوم الجمعة لخمس ليال بقين من شهر ربيع الآخر، واستخلف بالركة ابنه القاسم، وضم إليه خزيمة بن خازم، ثم شخص من مدينة السلام عشية الاثنين، لخمس خلون من شعبان بعد صلاة العصر، من الخيزرانية، فبات في بستان أبي جعفر، ثم سار من غد إلى النهروان، فعسكر هنالك، ورد حماد البربري إلى أعماله، واستخلف ابنه محمدا بمدينة السلام.

وذكر عن ذي الرياستين أنه قال: قلت للمأمون لما أراد الرشيد الشخوص إلى خراسان لحرب رافع: لست تدري ما يحدث بالرشيد وهو خارج إلى خراسان، وهي ولايتك، ومحمد المقدم عليك! وإن أحسن ما يصنع بك أن يخلعك، وهو ابن زبيدة، وأخواله بنو هاشم، وزبيدة وأموالها، فاطلب إليه أن يشخصك معه فسأله الإذن فأبى عليه، فقلت له: قل له: أنت عليل، وإنما أردت أن أخدمك، ولست أكلفك شيئا فأذن له وسار.

فذكر محمد بن الصباح الطبري أن أباه شيع الرشيد حين خرج إلى خراسان، فمضى معه إلى النهروان، فجعل يحادثه في الطريق إلى أن قال له: يا صباح، لا أحسبك تراني أبداً قال: فقلت: بل يردك الله سالماً، قد فتح الله

عليك، وأراك في عدوك أملك قال: يا صباح، ولا أحسبك تدري ما أجداً قلت: لا والله، قال: فتعال حتى أريك، قال: فأنحرف عن الطريق قدر مائة ذراع، فاستظل بشجرة، وأومأ إلى خدمه الخاصة فتنحوا، ثم قال: أمانة الله يا صباح أن تكتم علي، فقلت: يا سيدي، عبدك الذليل تخاطبه مخاطبة الولد! قال: فكشف عن بطنه، فإذا عصابة حرير حوالي بطنه، فقال: هذه علة أكتمها الناس كلهم، ولكل واحد من ولدي علي رقيب، فسرو رقيب المأمون، وجبريل بن بختيشوع رقيب الأمين- وسمى الثالث فذهب عني اسمه- وما منهم أحد إلا وهو يحصي أنفاسي، ويعد أيامي، ويستطيل عمري، فإن أردت أن تعرف ذلك فالساعة أدعو بدابة، فيجيئونني ببرذون أعجف قطوف، ليزيد في عتي، فقلت: يا سيدي ما عندي في الكلام جواب، ولا في ولاية العهد، غير أنني أقول: جعل الله من يشنؤك من الجن والإنس والقريب والبعيد فداك، وقدمهم إلى تلك قبلك، ولا أرانا فيك مكروها أبداً، وعمر بك الله الإسلام، ودعم ببقائك أركانه، وشد بك أرجاءه، وردك الله مظفراً مفلحاً، على أفضل أملك في عدوك، وما رجوت من ربك قال: أما أنت فقد تخلصت من الفريقين.

قال: ثم دعا ببرذون، فجاءوا به كما وصف، فنظر إلي فركبه، وقال انصرف غير مودع، فإن لك أشغالا، فودعته وكان آخر العهد به. وفيها تحرك الحرمية بناحية أذربيجان، فوجه إليهم الرشيد عبد الله بن مالك في عشرة آلاف فارس، فأسر وسبي، ووافاه بقرماسين، فأمر بقتل الأسارى وبيع السبي.

وفيها مات علي بن ظبيان القاضي بقصر اللصوص.

وفيها قدم يحيى بن معاذ بأبي النداء على الرشيد وهو بالركة فقتله

وفيها فارق عجيف بن عنبسة والأحوص بن مهاجر في عدة من أبناء الشيعة رافع بن ليث، وصاروا إلى هرثمة.

وفيها قدم بابن عائشة وبعده من أهل أحواف مصر.

وفيها ولى ثابت بن نصر بن مالك الثغور وغزا، فافتتح مطمورة.

وفيها كان الفداء بالبدندون.

وفيها تحرك ثروان الحروري، وقتل عامل السلطان بطف البصرة وفيها قدم بعلي بن عيسى بغداد، فحبس في داره.

وفيها مات عيسى بن جعفر بطارستان- وقيل بالدسكرة- وهو يريد الخاق بالرشيد.

وفيها قتل الرشيد الهيصم اليماني.

وجج بالناس في هذه السنة العباس بن عبيد الله بن جعفر بن أبي جعفر المنصور.

٨٠٤٧ سنه ثلاث وتسعين ومائه

٨٠٤٧.١ ذكر الخبر عن وفاه الفضل بن يحيى

٨٠٤٧.٢ ذكر الخبر عن مقام الرشيد بطوس

ثم دخلت

سنه ثلاث وتسعين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر الخبر عن وفاه الفضل بن يحيى

فمن ذلك وفاة الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك في الحبس بالركة في الحرم، وكان بدء علته- فيما ذكر- من ثقل أصابه في لسانه وشقه، وكان يقول: ما أحب أن يموت الرشيد، فيقال له: أما تحب أن يفرج الله عنك! فيقول: إن أمري قريب من أمره ومكث يعالج

أشهرًا، ثم صلح، فجعل يتحدث، ثم اشتد عليه فعقد لسانه وطرفه، ووقع لمآبه، فكث في تلك الحال يوم الخميس ويوم الجمعة، وتوفي مع أذان الغداة، قبل وفاة الرشيد بخمسة أشهر، وهو في خمس وأربعين سنة، وجزع الناس عليه، وصلى عليه إخوانه في القصر الذي كانوا فيه قبل إخراجهم، ثم أخرج فضلي الناس على جنازته.

وفيهما مات سعيد الطبري المعروف بالجوهري
• ذكر الخبر عن مقام الرشيد بطوس

وفيهما وافى هارون جرجان في صفر، فوافاه بها خزائن علي بن عيسى على ألف بغير وخمسمائة بغير، ثم رحل من جرجان- فيما ذكر- في صفر، وهو عليل، إلى طوس، فلم يزل بها إلى أن توفي- واتهم هرثمة، فوجه ابنه المأمون قبل وفاته بثلاث وعشرين ليلة إلى مرو، ومعه عبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ وأسد بن يزيد بن مزيد والعباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث والسندي ابن الحرشي ونعيم بن حازم، وعلى كتابته ووزارته أيوب بن أبي سمير، ثم اشتد بهارون الوجع حتى ضعف عن السير. وكانت بين هرثمة وأصحاب رافع فيها وقعة، فتح فيها بخاري، واسر

٨٠٤٧٠٣ ذكر الخبر عن موت الرشيد

أخا رافع بشير بن الليث، فبعث به إلى الرشيد وهو بطوس، فذكر عن ابن جامع المروزي، عن أبيه، قال: كنت فيمن جاء إلى الرشيد بأخي رافع.

قال: فدخل عليه وهو على سرير مرتفع عن الأرض بقدر عظم الذراع، وعليه فرش بقدر ذلك- أو قال أكثر- وفي يده مرآة ينظر إلى وجهه قال:

فسمعتة يقول: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! ونظر إلى أخي رافع، فقال: أما والله يا بن الخناء، اني لأرجو الا يفوتني حامل- يريد رافعا- كما لم تفتني فقال له: يا أمير المؤمنين، قد كنت لك حربا، وقد أظفرك الله بي فافعل ما يحب الله، أكن لك سلما، ولعل الله ان يلين لك قلب رافع إذا علم أنك قد مننت علي! فغضب وقال: والله لو لم يبق من أجلي إلا أن أحرك شفتي بكلمة لقلت:

اقتلوه ثم دعا بقصاب، فقال: لا تشحذ مداك، اتركها على حالها، وفصل هذا الفاسق ابن الفاسق، وعجل، لا يحضرن أجلي وعضوان من أعضائه في جسمه.

ف فصله حتى جعله أشلاء فقال: عد أعضاءه، فعددت له أعضاءه، فإذا هي أربعة عشر عضوا، فرفع يديه إلى السماء، فقال: اللهم كما مكنتني من ثأرك وعدوك، فبلغت فيه رضاك، فمكني من أخيه ثم أغمي عليه، وتفرق من حضره.

ذكر الخبر عن موت الرشيد

وفيهما مات هارون الرشيد.

ذكر الخبر عن سبب وفاته والموضع الذي توفي فيه:

ذكر عن جبريل بن بختيشوع أنه قال: كنت مع الرشيد بالرقعة، وكنت أول من يدخل عليه في كل غداة، فأتعرف حاله في ليلته، فإن كان أنكر شيئا وصفه، ثم ينبسط فيحدثني بحديث جواريه وما عمل في مجلسه، ومقدار شربه، وساعات جلوسه، ثم يسألني عن أخبار العامة وأحوالها، فدخلت عليه في غداة يوم، فسلمت فلم يكدر طرفه، ورأيت غابسا مفكرا

مهموما، فوقفت بين يديه مليا من النهار، وهو على تلك الحال، فلما طال ذلك أقدمت عليه، فقلت: يا سيدي، جعلني الله فداك! ما حالك هكذا، عله فأخبرني بها، فعله يكون عندي دواؤها، أو حادثة في بعض من تحب فذاك ما لا يدفع ولا حيلة فيه إلا التسليم والغم، لأدرك فيه، أو فتق ورد عليك في ملكك، فلم تخل الملوك من ذلك، وأنا أولى من افضيت اليه بالخبر، وتزوجت إليه بالمشورة فقال: ويحك يا جبريل! ليس غمي وكربي لشيء مما ذكرت، ولكن لرؤيا رأيته في ليلتي هذه، وقد أفزعني وملاأت صدري، واقرحنت قلبي، قلت: فرجت عني يا أمير المؤمنين، فدنوت منه، فقبلت رجله، وقلت: أهذا الغم كله لرؤيا! الرؤيا انما تكون من خاطر أو

بخارات رديئه أو من تهاويل السوداء، وإنما هي أضغاث أحلام بعد هذا كله قَالَ: فأقصها عليك، رأيت كأني جالس على سريري هذا، إذ بدت من تحتي ذراع أعرفها وكف أعرفها، لا أفهم اسم صاحبها، وفي الكف تربة حمراء، فقال لي قائل أسمعها ولا أرى شخصه: هذه التربة التي تدفن فيها، فقلت: وأين هذه التربة؟ قَالَ: بطوس وغابت اليد وانقطع الكلام، وانتبهت فقلت:

يا سيدي، هذه والله رؤيا بعيدة ملتبسة، أحسبك أخذت مضجعتك، ففكرت في خراسان وحروبها وما قد ورد عليك من انتقاض بعضها قَالَ: قد كان ذاك، قَالَ: قلت: فلذلك الفكر خالطك في منامك ما خالطك، فولد هذه الرؤيا، فلا تحفل بها جعلني الله فداك! وأتبع هذا الغم سرورا، يخرج من قلبك لا يولد علة قَالَ: فما برحت أطيب نفسه بضروب من الحيل، حتى سلا وانبسط، وأمر بإعداد ما يشتهي، ويزيد في ذلك اليوم في لهوه.

ومرت الأيام فنتسي، ونسينا تلك الرؤيا، فما خطرت لأحد منا ببال، ثم قدر مسيره إلى خراسان حين خرج رافع، فلما صار في بعض الطريق، ابتدأت به العلة فلم تزل تتزايد حتى دخلنا طوس، فنزلنا في منزل الجنيد بن عبد الرحمن في ضيعة له تعرف بسناباذ، فبينما هو يمرض في بستان له في ذلك القصر إذ ذكر تلك الرؤيا، فوثب متحاملا يقوم ويسقط، فاجتمعنا إليه، كل يقول: يا سيدي ما حالك؟ وما دهالك؟ فقال: يا جبريل، تذكر رؤياي بالركة في طوس؟ ثم رفع رأسه إلى مسرور، فقال: جئني من تربة هذا البستان، فضى مسرور، فأتى بالتربة في كفه حاسرا عن ذراعه، فلما نظر إليه قَالَ: هذه والله الذراع التي رأيته في منامي، وهذه والله الكف بعينها، وهذه والله التربة الحمراء ما خرمت شيئا، وأقبل على البكاء والنحيب ثم مات بها والله بعد ثلاثة، ودفن في ذلك البستان.

وذكر بعضهم أن جبريل بن بختيشوع كان غلط على الرشيد في علته في علاج عالج به، كان سبب منيته، فكان الرشيد هم ليلة مات بقتله، وأن يفصله كما فصل أخا رافع، ودعا بجبريل ليفعل ذلك به، فقال له جبريل: أنظرني إلى غد يا أمير المؤمنين، فإنك ستصبح في عافية فمات في ذلك اليوم.

وذكر الحسن بن علي الربيعي أن أباه حدثه عن أبيه - وكان جمالا معه مائة جمل، قَالَ: هو حمل الرشيد إلى طوس - قَالَ: قَالَ الرشيد: احفروا لي قبرا قبل أن أموت، فحفروا له، قَالَ: فحملته في قبة أقود به، حتى نظر إليه قَالَ، فقال: يا بن آدم تصير إلى هذا! وذكر بعضهم أنه لما اشتدت به العلة أمر بقبوره فحفر في موضع من الدار التي كان فيها نازلا، بموضع يسمى المثقب، في دار حميد بن أبي غانم الطائي، فلما فرغ من حفر القبر، أنزل فيه قوما فقرءوا فيه القرآن حتى ختموا، وهو في محفة على شفير القبر.

وذكر محمد بن زياد بن محمد بن حاتم بن عبيد الله بن أبي بكرة، أن سهل بن صاعد حدثه، قَالَ: كنت عند الرشيد في بيته الذي قبض فيه، وهو يجود بنفسه، فدعا بملحفة غليظة فاحتبى بها، وجعل يقاسي

ما يقاسي، فنهضت فقال لي: أقعد يا سهل، فتعدت وطال جلوسي لا يكلمني ولا أكله، والملاحفة تغل فيعيد الاحتباء بها، فلما طال ذلك نهضت، فقال لي: إلى أين يا سهل؟ قلت: يا أمير المؤمنين، ما يسع قلبي أن أرى أمير المؤمنين يعاني من العلة ما يعاني، فلو اضطجعت يا أمير المؤمنين كان أروح لك! قَالَ: فضحك ضحك صحيح، ثم قَالَ: يا سهل إني أذكر في هذه الحال قول الشاعر:

وإني من قوم كرام يزيدهم ... شماسا وصبرا شدة الحدان

وذكر عن مسرور الكبير، قَالَ: لما حضرت الرشيد الوفاة، وأحس بالموت، أمرني أن أنشر الوشي فأتته بأجود ثوب أقدر عليه وأغلاه قيمة، فلم أجد ذلك في ثوب واحد، ووجدت ثوبين أغلى شيء قيمة، ووجدتهما متقاربين في اثمنهما، إلا أن أحدهما أغلى من الآخر شيئا، وأحدهما أحمر والآخر أخضر، فجئته بهما، فنظر إليهما وخبرته قيمتهما، فقال: اجعل أحسنهما كفي، ورد الآخر إلى موضعه.

وتوفي - فيما ذكر - في موضع يدعى المثقب، في دار حميد بن أبي غانم، نصف الليل، ليلة السبت ثلاث خلون من جمادى الآخرة من هذه السنة، وصلى عليه ابنه صالح، وحضر وفاته الفضل بن الربيع وإسماعيل بن صبيح، ومن خدمه مسرور وحسين ورشيد.

وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوما، أولها ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة، وآخرها ليلة السبت ثلاث ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة.

وقال هشام بن محمد: استخلف أبو جعفر الرشيد هارون بن محمد ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة، وهو يومئذ ابن اثنتين وعشرين سنة، وتوفي ليلة الأحد غرة جمادى الأولى وهو ابن

٨٠٤٧٠٤ ذكر ولاء الأمصار في أيام هارون الرشيد

خمس وأربعين سنة سنة ثلاث وتسعين ومائة، فلك ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وستة عشر يوما وقيل: كان سنه يوم توفي سبعا وأربعين سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام، أولها ثلاث بقين من ذي الحجة سنة خمسين وأربعين ومائة، وآخرها يومان مضيا من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة.

وكان جميلا وسيما أبيض جعدا، وقد خطه الشيب.

ذكر ولاية الأمصار في أيام هارون الرشيد

ولاية المدينة: إسحاق بن عيسى بن علي، عبد الملك بن صالح بن علي، محمد بن عبد الله، موسى بن عيسى بن موسى، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، علي بن عيسى بن موسى، محمد بن إبراهيم، عبد الله بن مصعب الزبيري، بكار بن عبد الله بن مصعب، أبو البخري وهب بن وهب.

ولاية مكة: العباس بن محمد بن إبراهيم، سليمان بن جعفر بن سليمان، موسى بن عيسى بن موسى، عبد الله بن محمد بن إبراهيم، عبد الله بن قثم ابن العباس، محمد بن إبراهيم، عبيد الله بن قثم، عبد الله بن محمد بن عمران، عبد الله بن محمد بن إبراهيم، العباس بن موسى بن عيسى، علي بن موسى بن عيسى، محمد بن عبد الله العثماني، حماد البربري، سليمان بن جعفر ابن سليمان، أحمد بن إسماعيل بن علي، الفضل بن العباس بن محمد.

ولاية الكوفة: موسى بن عيسى بن موسى، يعقوب بن أبي جعفر، موسى ابن عيسى بن موسى، العباس بن عيسى بن موسى، إسحاق بن الصباح الكندي، جعفر بن جعفر بن أبي جعفر، موسى بن عيسى بن موسى، العباس بن عيسى بن موسى، موسى بن عيسى بن موسى. ولاية البصرة: محمد بن سليمان بن علي، سليمان بن أبي جعفر، عيسى ابن جعفر بن أبي جعفر، خزيمه بن خازم، عيسى بن جعفر، جرير بن يزيد، جعفر بن سليمان، جعفر بن أبي جعفر، عبد الصمد بن علي، مالك

٨٠٤٧٠٥ ذكر بعض سير الرشيد

ابن علي الخزازي، إسحاق بن سليمان بن علي، سليمان بن أبي جعفر، عيسى ابن جعفر، الحسن بن جميل مولى أمير المؤمنين، إسحاق بن عيسى بن علي.

ولاية خراسان: أبو العباس الطوسي، جعفر بن محمد بن الأشعث، العباس بن جعفر، الغطريف بن عطاء، سليمان بن راشد على الخراج، حمزه ابن مالك، الفضل بن يحيى، منصور بن يزيد بن منصور، جعفر بن يحيى خليفته بها، علي بن الحسن بن قطبة، علي بن عيسى بن ماهان، هرثمة بن أعين.

ذكر بعض سير الرشيد

ذكر العباس بن محمد عن أبيه، عن العباس، قال: كان الرشيد يصلي في كل يوم مائة ركعة إلى أن فارق الدنيا، إلا أن تعرض له علة، وكان يتصدق من صلب ماله في كل يوم بألف درهم بعد زكاته، وكان إذا حج حج معه مائة من الفقهاء وبنائهم، وإذا لم يحج أجمع ثلاثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الباهرة، وكان يقتني آثار المنصور، ويطلب العمل بها إلا في بذل المال، فإنه لم ير خليفة قبله كان أعطى منه للمال، ثم المأمون من بعده وكان لا يضيع عنده إحسان محسن، ولا يؤخر ذلك في أول ما يجب ثوابه وكان يحب الشعراء والشعر، ويميل إلى أهل الأدب والفقه، ويكره المراء في الدين، ويقول: هو شيء لا نتيجة له، وبالخري إلا يكون فيه ثواب، وكان يحب المديح، ولا سيما من شاعر فصيح، ويشتره بالثمن الغالي.

وذكر ابن أبي حفصة أن مروان بن أبي حفصة دخل عليه في سنة إحدى وثمانين ومائة يوم الأحد لثلاث خلون من شهر رمضان، فأنشده شعره الذي يقول فيه:

وسدت بهارون الثغور فأحكمت ... به من أمور المسلمين المرائر
وما انفك معقودا بنصر لواؤه ... له عسكر عنه تشظى العساكر
وكل ملوك الروم أعطاه جزية ... على الرغم قسرا عن يد وهو صاغر
لقد ترك الصفصاف هارون صفصفا ... كأن لم يدمنه من الناس حاضر
أناخ على الصفصاف حتى استباحه ... فكأبره فيها ألج مكابر
إلى وجهه تسمو العيون وما سمت ... إلى مثل هارون العيون النواظر
ترى حوله الأملاك من آل هاشم ... كما حفت البدر النجوم الزواهر
يسوق يديه من قریش كرامها ... وكلتاها بحر على الناس زاهر
إذا فقد الناس الغمام ثابعت ... عليهم بكفك الغيوم المواطر
على ثقة ألفت إليك أمورها ... قریش، كما ألقى عصاه المسافر
أمور بميراث النبي وليتها ... فأنت لها بالحزم طاو وناشر
إليكم تناهت فاستقرت وإنما ... إلى أهله صارت بهن المصاير
خلفت لنا المهدي في العدل والندی ... فلا العرف منزور ولا الحكم جائر
وأبناء عباس نجوم مضیئة ... إذا غاب نجم لاح آخر زاهر
على بنی ساقی الحیجج ثابعت ... أوائل من معروفكم وأواخر
فأصبحت قد أيقنت أن لست بالغا ... مدى شكر نعماكم وإني لشاكر
وما الناس إلا وارد لحياضكم ... وذو نهل بالري عنهن صادر
حصون بني العباس في كل مأزق ... صدور العوالي والسيوف البواتر
فطورا يهزون القواطع والقنا ... وطورا بأيديهم تهز المخاصر
بأيدي عظام النفع والضر لا تنی ... بهم للعطايا والمنايا يوادر
ليهنكم الملك الذي أصبحت بكم ... أسرته مختالة والمنابر
أبوك ولي المصطفى دون هاشم ... وإن رغمت من حاسديك المناخر

فأعطاه خمسة آلاف دينار، فقبضها بين يديه وكساه خلعتة، وأمر له بعشرة من رقيق الروم، وحمله على بردون من خاص مراكبه. وذكر أنه كان مع الرشيد ابن أبي مریم المدني، وكان مضحكا له محدثا فكيفها، فكان الرشيد لا يصبر عنه ولا يمل محادثته، وكان ممن قد جمع إلى ذلك المعرفة بأخبار أهل الحجاز وألقاب الأشراف ومكايد الجحان، فبلغ من خاصته بالرشيد أن بؤاه منزلا في قصره، وخلطه بحرمه وبطانته ومواليه وغلماؤه، فجاء ذات ليلة وهو نائم وقد طلع الفجر، وقام الرشيد إلى الصلاة فألفاه نائما، فكشف المخاف عن ظهره، ثم قال له: كيف أصبحت؟ قال: يا هذا ما أصبحت بعد، اذهب إلى عمك، قال: ويلك! قم إلى الصلاة، قال:

هذا وقت صلاة أبي الجارود، وأنا من أصحاب أبي يوسف القاضي فمضى وتركه نائما، وتأهب الرشيد للصلاة، فجاء غلامه فقال: أمير المؤمنين قد قام إلى الصلاة، فقام فألقى عليه ثيابه، ومضى نحوه، فإذا الرشيد يقرأ في صلاة الصبح، فأنتهى إليه وهو يقرأ: «وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي» فقال ابن أبي مریم: لا أدري والله! فما تمالك الرشيد أن ضحك في صلاته، ثم التفت إليه وهو كالمغضب، فقال: يا بن أبي مریم، في الصلاة أيضا! قال:

يا هذا وما صنعت؟ قال: قطعت علي صلاتي، قال: والله ما فعلت، إنما سمعت منك كلاما غماني حين قلت: «وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي» فقلت: لا أدري والله! فعاد فضحك، وقال: إياك والقرآن والدين، ولك ما شئت بعدهما.

وذكر بعض خدم الرشيد أن العباس بن محمد أهدى غالبية إلى الرشيد، فدخل عليه وقد حملها معه، فقال: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك! قد جئت بك بغالية ليس لأحد مثلها، أما مسكها فمن سرر الكلاب التبتية العتيقة، وأما عنبرها فمن عنبر بحر عدن، وأما بانها فمن فلان المدني المعروف بجودة عمله، وأما مركبها فإنسان بالبصرة عالم بتأليفها، حاذق بتركيبها، فإن رأى أمير المؤمنين أن يمن علي بقبولها فعل، فقال الرشيد لخاقان الخادم وهو على رأسه: يا خاقان، أدخل هذه الغالية، فأدخلها خاقان، فإذا هي في برنية عظيمة من فضة، وفيها ملعقة، فكشف عنها وابن أبي مريم حاضر، فقال: يا أمير المؤمنين، هبها لي، قال: خذها إليك فاغتاظ العباس، وطار أسفا، وقال: ويلك! عمدت إلى شيء منعت نفسي، وآثرت به سيدي فأخذته! فقال: أمه فاعلة إن دهن بها إلا استه! قال: فضحك الرشيد، ثم وثب ابن أبي مريم، فألقى طرف قيصه على رأسه، وأدخل يده في البرنية، فجعل يخرج منها ما حملت يده، فيضعه في استه مرة وفي أرفاغه ومغابنه أخرى، ثم سود بها وجهه ورأسه وأطرافه، حتى أتى على جميع جوارحه، وقال لخاقان: أدخل إلي غلامي، فقال الرشيد وما يعقل مما هو فيه من الضحك، ادع غلامه، فدعاه، فقال له: اذهب بهذه الباقية، إلى فلانة، امرأته، فقل لها: اذهبي بهذا حرك إلى أن أنصرف فانيك فأخذها الغلام ومضى، والرشيد يضحك، فذهب به الضحك ثم أقبل على العباس فقال: والله أنت شيخ أحق، تجيء إلى خليفة الله فتمدح عنده غالبية! أما تعلم أن كل شيء تمطر السماء وكل شيء تخرج الأرض له، وكل شيء هو في الدنيا فلك يده، وتحت خاتمه وفي قبضته! وأعجب من هذا أنه قيل لملك الموت: أنظر كل شيء يقول لك هذا فأنفذه، فمثل هذا تمدح عنده الغالية، ويخطب في ذكرها، كأنه يقال أو عطار أو تمار! قال: فضحك الرشيد حتى كاد ينقطع نفسه، ووصل ابن أبي مريم في ذلك اليوم بمائة ألف درهم.

وذكر عن زيد بن علي بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال: أراد الرشيد أن يشرب الدواء يوما، فقال له ابن أبي مريم: هل لك أن تجعلني حاجبك غدا عند أخذك الدواء، وكل شيء أكسبه فهو بيني وبينك؟ قال: أفعل، فبعث إلى الحاجب: الزم غدا منزلك، فإني قد وليت ابن أبي مريم الحجاب وبكر ابن أبي مريم فوضع له الكرسي، وأخذ الرشيد دواءه، وبلغ الخبر بطانته، فجاء رسول أم جعفر يسأل عن أمير المؤمنين وعن دوائه، فأوصله إليه، وتعرف حاله وانصرف بالجواب، وقال للرسول: أعلم السيدة ما فعلت في الإذن لك قبل الناس، فأعلمها، فبعثت إليه بمال كثير، ثم جاء رسول يحيى بن خالد، ففعل به مثل ذلك، ثم جاء رسول جعفر والفضل، ففعل كذلك، فبعث إليه كل واحد من البرامكة بصلة جزيلة، ثم جاء رسول الفضل بن الربيع فردده ولم يأذن له، وجاءت رسل القواد والعظماء، فما أحد سهل إذنه إلا بعث إليه بصلة جزيلة، فما صار العصر حتى صار إليه ستون ألف دينار، فلما خرج الرشيد من العلة، ونقي بدنه من الدواء دعاه، فقال له: ما صنعت في يومك هذا؟ قال: يا سيدي، كسبت ستين ألف دينار، فاستكثرها وقال: وأين حاصلها؟ قال:

معزول، قال: قد سوغناك حاصلنا، فأهدى إلينا عشرة آلاف تفاحة، ففعل، فكان أربح من تاجره الرشيد وذكر عن إسماعيل بن صبيح، قال: دخلت على الرشيد، فإذا جاريه على رأسه، وفي يدها صحيفة وملعقة في يدها الأخرى، وهي تلعبه أولا فأولا، قال: فنظرت إلى شيء أبيض رقيق فلم أدر ما هو! قال: وعلم أنني أحب أن أعرفه، فقال: يا إسماعيل بن صبيح، قلت: لبيك يا سيدي، قال: تدري ما هذا؟ قلت: لا، قال: هذا جشيش الأرز والحنطة وماء نخالة السميد، وهو نافع للأطراف المعوجة وتشنيج الأعصاب ويصفي البشرة، ويذهب بالكلف، ويسمن البدن، ويجلو الأوساخ.

قال: فلم تكن لي همة حين انصرفت إلا أن دعوت الطباخ، فقلت: بكر علي كل غداة بالجشيش، قال: وما هو؟ فوصفت له الصفة التي سمعتها.

قال: تضجر من هذا في اليوم الثالث، فعمله في اليوم الأول فاستطبتته، وعمله في اليوم الثاني فصار دونه، وجاء به في اليوم الثالث، فقلت: لا تقدمه.

وذكر أن الرشيد اعتل علة، فعالجه الأطباء، فلم يجد من علته إفاقة، فقال له أبو عمر الأعجمي: بالهند طيب يقال له منك، رأيتهم يقدمونه على كل من بالهند، وهو أحد عبادهم وفلاسفتهم، فلو بعث إليه أمير المؤمنين لعل الله أن يبعث له الشفاء على يده! قال: فوجه الرشيد

من حملة، ووجه إليه بصلّة تعينه على سفره قَالَ: فقدم فعالج الرشيد فبرئ من علته بعلاجه، فأجرى له رزقا واسعا وأمّالا كافية، فبينما منكه مارا بالخلد، إذا هو برجل من المانيين قد بسط كساءه، وألقى عليه عقاير كثيرة، وقام يصف دواء عنده معجونا، فقال في صفتة: هذا دواء للحمى الدائمة وحمى الغب وحمى الربع، والمثلية، ولوجع الظهر والركبتين والبواسير والرياح، ولوجع المفاصل ووجع العينين، ولوجع البطن والصداع والشقيقة ولتقطير البول والفالج والارتعاش فلم يدع علة في البدن إلا ذكر أن ذلك الدواء شفاء منها، فقال منكه لترجمانه: ما يقول هذا؟ فترجم له ما سمع، فتبسم منكه، وقال: على كل حال ملك العرب جاهل، وذاك أنه إن كان الأمر على ما قَالَ هذا، فَلَمْ حملني من بلادي، وقطعني عن اهلي، وتكلف الغليظ من مئونتي، وهو يجد هذا نصب عينه وبإزائه! وإن كان الأمر ليس كما يقول هذا فلم لا يقتله! فإن الشريعة قد أباحت دمه ودم من أشبهه، لأنه إن قتل، فإنما هي نفس يحيا بقتلها خلق كثير، وإن ترك هذا الجاهل قتل في كل يوم نفسا، وبالحرى أن يقتل اثنتين وثلاثا وأربعا في كل يوم، وهذا فساد في التدبير، ووهن في المملكة.

وذكر أن يحيى بن خالد بن برمك ولى رجلا بعض أعمال الخراج بالسواد، فدخل إلى الرشيد يودعه، وعنده يحيى وجعفر بن بن يحيى، فقال الرشيد ليحيى وجعفر: أوصياه، فقال له يحيى: وفر واعمر، وقال له جعفر: انصف وانتصف، فقال له الرشيد: اعدل وأحسن.

وذكر عن الرشيد أنه غضب على يزيد بن مزيد الشيباني، ثم رضي عنه، وأذن له، فدخل عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، الحمد لله الذي سهل لنا سبيل الكرامة، وحل لنا النعمة بوجه لقائك، وكشف عنا صباة الكرب بإفضالك، فجزاك الله في حال سخطك رضا المنيبين، وفي حال رضاك جزاء المنعمين الممتنين المتطولين، فقد جعلك الله وله الحمد، تثبتت تخرجنا عند الغضب، وتطول ممتنا بالنعم، وتعفو عن المسيء تفضلا بالعفو وذكر مصعب بن عبد الله الزبيري أن أباه عبد الله بن مصعب أخبره أن الرشيد قَالَ له: ما تقول في الذين طعنوا على عثمان؟ قَالَ: قلت: يا أمير المؤمنين، طعن عليه ناس، وكان معه ناس، فأما الذين طعنوا عليه فتنفروا عنه، فهم أنواع الشيع، وأهل البدع، وأنواع الخوارج، وأما الذين كانوا معه فهم أهل الجماعة إلى اليوم فقال لي: ما أحتاج أن أسأل بعد هذا. اليوم عن هذا.

قَالَ مصعب: وقال أبي - وسألني عن منزلة أبي بكر وعمر كانت من رسول الله ص، فقلت له: كانت منزلتهما في حياته منه منزلتهما في مماته، فقال: كفيّني ما أحتاج إليه.

قَالَ: وولى سلام، أو رشيد الخادم - بعض خدام الخاصة - ضياع الرشيد بالثغور والشامات، فتواترت الكتب بحسن سيرته وتوفيره وحمد الناس له، فأمر الرشيد بتقديمه والإحسان إليه، وضم ما أحب أن يضم إليه من ضياع الجزيرة ومصر قَالَ: فقدم فدخل عليه وهو يأكل سفر جلا قد أتى به من بلخ، وهو يقشره ويأكل منه، فقال له: يا فلان، ما أحسن ما انتهى إلى مولاك عنك، ولك عنده ما تحب، وقد أمرت لك بكذا وكذا، ووليتك كذا وكذا، فسل حاجتك، قَالَ: فتكلم وذكر حسن سيرته، وقال: أنسيتم

والله يا أمير المؤمنين سيرة العمرين قَالَ: فغضب واستشاط، وأخذ سفرجلة فرماه بها، وقال: يا بن الخناء، العمرين، العمرين، العمرين! هبنا احتملناها لعمر بن عبد العزيز، نحتملها لعمر بن الخطاب! وذكر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أن أبا بكر بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ابن عبد العزيز حدثه، عن الضحّاك بن عبد الله، وأثنى عليه خيرا، قَالَ:

أخبرني بعض ولد عبد الله بن عبد العزيز، قَالَ: قَالَ الرشيد: والله ما أدري ما أمر في هذا العمري! أكره أن أقدم عليه وله خلف أكرههم، وإني لأحب أن أعرف طريقه ومذهبه، وما أثق بأحد أبعثه إليه، فقال عمر بن زريع والفضل ابن الربيع: فنحن يا أمير المؤمنين، قَالَ: فأتمنا، فخرجا من العرج إلى موضع من البادية يقال له خلص، وأخذنا معهما أدلاء من أهل العرج، حتى إذا وردا عليه في منزله أتياه مع الضحى، فإذا هو في المسجد، فأناخا راحلتيهما ومن كان معهما من أصحابهما، ثم أتياه على زي الملوك من الريح والثياب والطيب، فجلسا إليه وهو في مسجد له، فقالا له: يا أبا عبد الرحمن، نحن رسل من خلفنا من أهل المشرق، يقولون لك: اتق

الله ربك، فإذا شئت فقم فأقبل عليهما، وقال: ويحك! فيمن ولن! قال: أنت، فقال: والله ما أحب أني لقيت الله بحجمة دم امرئ مسلم، وإن لي ما طلعت عليه الشمس، فلما أيسا منه قال: فإن معنا شيئاً تستعين به على دهرك، قال: لا حاجة لي فيه، أنا عنه في غنى، فقال له: إنها عشرون ألف دينار، قال:

لا حاجة لي فيها، قال: فأعطها من شئت، قال: أنتم، فأعطياها من رأيتما، ما أنا لكما بخادم ولا عون قال: فلما يسا منه ربكاً راحلتيهما حتى أصبحا مع الخليفة بالسقيا في المنزل الثاني، فوجدا الخليفة ينتظرهما، فلما دخلا عليه حدثاه بما كان بينهما وبينه، فقال: ما أبالي ما أصنع بعد هذا.

فج عبد الله في تلك السنة، فبينما هو واقف على بعض أولئك الباعة يشتري لصبيانه، إذا هارون يسعى بين الصفا والمروة على دابة، إذ عرض له عبد الله

وترك ما يريد، فأتاه حتى أخذ بلجام دابته، فأهوت إليه الأجناد والأحراس، فكفهم عنه هارون فكلبه قال: فرأيت دموع هارون، وإنها لتسيل على معرفة دابته، ثم انصرف.

وذكر محمد بن أحمد مولى بني سليم قال: حدثني الليث بن عبد العزيز الجوزجاني- وكان مجاوراً بمكة أربعين سنة- أن بعض الحجة حدثه أن الرشيد لما حج دخل الكعبة، وقام على أصابعه، وقال: يا من يملك حوائج السائلين، ويعلم ضمير الصامتين، فإن لكل مسألة منك رداً حاضراً، وجواباً عتيداً، ولكل صامت منك علم محيط ناطق بمواعيدك الصادقة، وأياديك الفاضلة، ورحمتك الواسعة صل على محمد وعلى آل محمد، واغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا يا من لا تضره الذنوب، ولا تخفى عليه العيوب، ولا تنقصه مغفرة الخطايا يا من كبس الأرض على الماء، وسد الهواء بالسماء، واختار لنفسه الأسماء، صل على محمد، وخر لي في جميع أمري يا من خشعت له الأصوات بألوان اللغات يسألونك الحاجات، إن من حاجتي إليك أن تغفر لي إذا توفيتني، وصرت في لحدي، وتفرق عني أهلي وولدي اللهم لك الحمد حمداً يفضل على كل حمد كفضلك على جميع الخلق اللهم صلى على محمد صلاة تكون له رضا، وصل على محمد صلاة تكون له حرزاً، وأجزه عنا خير الجزاء في الآخرة والأولى اللهم أحيينا سعداء وتوفنا شهداء، واجعلنا سعداء مرزوقين، ولا تجعلنا أشقياء محرومين! وذكر علي بن محمد عن عبد الله، قال: أخبرني القاسم بن يحيى، قال: بعث الرشيد إلى ابن أبي داود والذين يخدمون قبر الحسين بن علي في الحير، قال: فأتى بهم، فنظر إليه الحسن بن راشد، وقال: ما لك؟

قال: بعث إلي هذا الرجل- يعني الرشيد- فأحضرتني، ولست آمنه على نفسي، قال له: فإذا دخلت عليه فسألك، فقل له: الحسن بن راشد وضعني في ذلك الموضع فلما دخل عليه قال هذا القول، قال: ما أخلق أن يكون هذا من تخليط الحسن! أحضره، قال: فلما حضر قال: ما حملك

على أن صيرت هذا الرجل في الحير؟ قال: رحم الله من صيره في الحير، أمرتني أم موسى أن أصيره فيه، وأن أجري عليه في كل شهر ثلاثين درهماً فقال: رددوه إلى الحير، وأجروا عليه ما أجرته أم موسى- وأم موسى هي أم المهدي ابنة يزيد بن منصور. وذكر علي بن محمد أن أباه حدثه قال: دخلت على الرشيد في دار عون العبادي فإذا هو في هيئة الصيف، في بيت مكشوف، وليس فيه فرش على مقعد عند باب في الشق الأيمن من البيت، وعليه غلالة رقيقة، وإزار رشيدي عريض الأعلام، شديد التضريح، وكان لا يخيش البيت الذي هو فيه، لأنه كان يؤذيه، ولكنه كان يدخل عليه برد الخيش، ولا يجلس فيه وكان أول من اتخذ في بيت مقيله في الصيف سقفاً دون سقف، وذلك أنه لما بلغه أن الأكاسرة كانوا يطينون ظهور بيوتهم في كل يوم من خارج ليكيف عنهم حر الشمس، فاتخذ هو سقفاً يلي سقف البيت الذي يقيل فيه.

وقال علي عن أبيه: خبرت أنه كان في كل يوم القيط تغار من فضة يعمل فيه العطار الطيب والزعفران والأفاويه وماء الورد، ثم يدخل إلى بيت مقيله، ويدخل معه سبع غلاتل قصب رشيدية تقطع النساء، ثم تغمس الغلال في ذلك الطيب، ويؤتى في كل يوم بسبع جوار، فتخلع عن كل جارية ثيابها ثم تخلع عليها غلالة، وتجلس على كرسي مثقب، وترسل الغلالة على الكرسي فتجمله، ثم تبخر من تحت الكرسي بالعود المدرج في العنبر أمداً حتى يجف القميص عليها، يفعل ذلك بهن، ويكون ذلك في بيت مقيله، فيعقب ذلك

البيت بالبخور والطيب.

وذكر علي بن حمزة أن عبد الله بن عباس بن الحسن بن عبيد الله بن علي ابن أبي طالب قال: قال لي العباس بن الحسن: قال لي الرشيد: أراك تكثر من ذكر ينبع وصفها، فصفتها لي وأوجز، قال: قلت: بكلام أو بشعر؟ قال: بكلام وشعر، قال: قلت: جدتها في أصل عذقتها، وعذقتها مسرح شأنها، قال: فتبسم، فقلت له:

يا وادي القصر نعم القصر والوادي ... من منزل حاضر إن شئت أو بادي
ترى قراقيره والعيس واقفة ... والضب والنون والملاح والحادي

وذكر محمد بن هارون، عن أبيه، قال: حضرت الرشيد، وقال له الفضل بن الربيع: يا أمير المؤمنين، قد أحضرت ابن السماك كما أمرتني، قال:

أدخله، فدخل، فقال له: عظمي، قال: يا أمير المؤمنين، اتق الله وحده لا شريك له، واعلم أنك واقف غدا بين يدي الله ربك، ثم مصروف إلى إحدى منزلتين لا ثلاثة لهما، جنة أو نار قال: فبكى هارون حتى اخضلت لحيته، فأقبل الفضل على ابن السماك، فقال: سبحان الله! وهل يتخالج أحدا شك في أن أمير المؤمنين مصروف إلى الجنة إن شاء الله! لقيامه بحق الله وعدله في عبادته، وفضله! قال: فلم يحفل بذلك ابن السماك من قوله، ولم يلتفت إليه، وأقبل على أمير المؤمنين، فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا- يعني الفضل بن الربيع- ليس والله معك ولا عندك في ذلك اليوم، فاتق الله وانظر لنفسك قال: فبكى هارون حتى أشفقنا عليه وأحجم الفضل بن الربيع فلم ينطق بحرف حتى خرجنا.

قال: ودخل ابن السماك على الرشيد يوما، فبينما هو عنده إذ استسقى ماء، فأتى بقلعة من ماء، فلما أهوى بها إلى فيه ليشربها، قال له ابن السماك: على رسلك يا أمير المؤمنين، بقربتك من رسول الله ص، لو منعت هذه الشرية فبكم كنت تشتريها؟ قال: بنصف ملكي، قال: اشرب هنالك الله، فلما شربها، قال له: أسألك بقربتك من رسول الله ص، لو منعت خروجها من بدنك، فبماذا كنت تشتريها؟ قال: بجميع ملكي، قال ابن السماك: أن ملكا قيمته شربة ماء، لجدير ألا ينافس فيه فبكى هارون، فأشار الفضل بن الربيع إلى ابن السماك بالانصراف فانصرف.

قال: ووعظ الرشيد عبد الله بن عبد العزيز العمري، فتلقى قوله بنعم يا عم، فلما ولى لينصرف، بعث إليه بألفي دينار في كيس مع الأمين والمأمون فاعترضاه بها، وقالوا: يا عم، يقول لك أمير المؤمنين: خذها وانتفع بها أو فرقها، فقال: هو أعلم بمن يفرقها عليه، ثم أخذ من الكيس دينارا، وقال: كرهت أن أجمع سوء القول وسوء الفعل وشخص إليه إلى بغداد بعد ذلك، فكره الرشيد مصيره إلى بغداد، وجمع العمريين، فقال: ما لي ولابن عمكم! احتملته بالحجاز، فشخص إلى دار مملكتي، يريد أن يفسد علي أوليائي! ردوه عني، فقالوا: لا يقبل منا، فكتب إلى موسى بن عيسى أن يرفق به حتى يرده، فدعا له عيسى ببني عشر سنين، قد حفظ الخطب والمواعظ، فكله كلاما كثيرا، ووعظه بما لم يسمع العمري بمثله، ونهاه عن التعرض لأمر المؤمنين، فأخذ نعله، وقام وهو يقول: «فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ» .

وذكر بعضهم أنه كان مع الرشيد بالرقعة بعد أن شخص من بغداد، فخرج يوما مع الرشيد إلى الصيد، فعرض له رجل من النساء، فقال: يا هارون، اتق الله، فقال لإبراهيم بن عثمان بن نهيك: خذ هذا الرجل إليك حتى أنصرف، فلما رجع دعا بغدائه، ثم أمر أن يطعم الرجل من خاص طعامه، فلما أكل وشرب دعا به، فقال: يا هذا، أنصفتني في المخاطبة والمسألة، قال: ذاك أقل ما يجب لك، قال: فأخبرني: أنا شر وأخبث أم فرعون؟

قال: بل فرعون، قال: «أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى» وقال: «مَا عَلِمْتُ لَكُمُ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي» ، قال: صدقت، فأخبرني فمن خير؟ أنت أم موسى ابن عمران؟ قال: موسى كلم الله وصفه، أصطنعه لنفسه، واثمنه على وحيه، وكله من بين خلقه، قال: صدقت، أفما تعلم أنه لما بعثه وأخاه إلى فرعون

٨٠٤٧٠٦ ذكر من كان عند الرشيد من النساء المهائ

قَالَ لهما: «فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى»، ذكر المفسرون أنه أمرهما أن يكتنياه، وهذا وهو في عتوه وجبريته، على ما قد علمت، وأنت جئتني وأنا بهذه الحالة التي تعلم، أؤدي أكثر فرائض الله علي، ولا أعبد أحدا سواه، أقف عند أكبر حدوده وأمره ونهيه، فوعظتني بأغظ الألفاظ وأشنعها وأخشن الكلام وأفظعه، فلا بأدب الله تأدبت، ولا بأخلاق الصالحين أخذت، فما كان يؤمنك أن أسطوبك! فإذا أنت قد عرضت نفسك لما كنت عنه غنيا قَالَ الزاهد: أخطأت يا أمير المؤمنين، وأنا أستغفرك، قَالَ: قد غفر لك الله، وأمر له بعشرين ألف درهم، فأبى أن يأخذها، وقال:

لا حاجة لي في المال، أنا رجل سائح فقال هرثمة- وخزرة: ترد على أمير المؤمنين يا جاهل صلتك! فقال الرشيد: أمسك عنه، ثم قَالَ له: لم نعطك هذا المال لحاجتك إليه، ولكن من عادتنا أنه لا يخاطب الخليفة أحد ليس من أوليائه ولا أعدائه إلا وصله ومنحه، فاقبل من صلتنا ما شئت، وضعها حيث أحببت فأخذ من المال ألفي درهم، وفرقها على المحباب ومن حضر الباب . ذكر من كان عند الرشيد من النساء المهائ

قيل: إنه تزوج زبيدة، وهي أم جعفر بنت جعفر بن المنصور، وأعرس بها في سنة خمس وستين ومائة في خلافة المهدي ببغداد، في دار محمد بن سليمان- التي صارت بعد للعباسة، ثم صارت للمعتصم بالله- فولدت له محمدا الأمين، وماتت ببغداد في جمادى الأولى سنة ست عشرة ومائتين. وتزوج أمة العزيز أم ولد موسى، فولدت له علي بن الرشيد.

وتزوج أم محمد ابنة صالح المسكين، وأعرس بها بالركة في ذي الحجة سنة سبع وثمانين ومائة، وأما أم عبد الله ابنة عيسى بن علي صاحبة دار أم عبد الله بالكرخ التي فيها أصحاب الدبس، كانت أملك من إبراهيم بن

٨٠٤٧٠٧ ذكر ولد الرشيد

المهدي، ثم خلعت منه فتزوجها الرشيد.

وتزوج العباس ابنة سليمان بن أبي جعفر، وأعرس بها في ذي الحجة سنة سبع وثمانين ومائة، حملت هي وأم محمد ابنة صالح إليه. وتزوج عزيزة ابنة الغطريف، وكانت قبله عند سليمان بن أبي جعفر فطلقها، نخلف عليها الرشيد، وهي ابنة أخي الخيزران وتزوج الجرشيبة العثمانية، وهي ابنة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وسميت الجرشيبة لأنها ولدت بجرش باليمن، وجدة أبيها فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، وعم أبيها عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. ومات الرشيد عن أربع مائة: أم جعفر، وأم محمد ابنة صالح، وعباسة ابنة سليمان، والعثمانية.

ذكر ولد الرشيد

وولد للرشيد من الرجال:

محمد الأكبر وأمه زبيدة، وعبد الله المأمون وأمه أم ولد يقال لها مراجل، والقاسم المؤتمن وأمه أم ولد يقال لها قصف، ومحمد أبو إسحاق المعتصم وأمه أم ولد يقال لها ماردة، وعلى وأمه أمة العزيز، وصالح وأمه أم ولد يقال لها رشم، ومحمد أبو عيسى وأمه أم ولد يقال لها عرابة، ومحمد أبو يعقوب وأمه أم ولد يقال لها شذرة، ومحمد أبو العباس وأمه أم ولد يقال لها خبث، ومحمد أبو سليمان وأمه أم ولد يقال لها رواح، ومحمد أبو علي وأمه أم ولد يقال لها دواج، ومحمد أبو احمد وأمه أم ولد يقال لها كتمان.

ومن النساء: سكينه وأما قصف وهي أخت القاسم، وأم حبيب وأما ماردة وهي أخت أبي إسحاق المعتصم، وأروى أما حلوب، وأم الحسن وأما عرابة، وأم محمد وهي حمدونة، وفاطمة وأما غصص واسمها مصفى، وأم أبيها وأما سكر، وأم سلمة وأما رحيق، وخديجة وأما شجر، وهي أخت كريب، وأم القاسم وأما خزق، ورملة أم جعفر وأما حلى، وأم علي أما أنيق، وأم الغالية أما سمندل، وريطة وأما زينه.

بقية ذكر بعض سير الرشيد

ذكر يعقوب بن إسحاق الاصفهاني، قال: قَالَ المفضل بن محمد الضبي:

وجه إلي الرشيد، فما علمت الا وقد جاءني الرسل ليلا، فقالوا: أجب أمير المؤمنين، فخرجت حتى صرت إليه، وذلك في يوم خميس، وإذا هو متكئ ومحمد بن زبيدة عن يساره، والمأمون عن يمينه، فسلمت، فأومأ إلي فجلست، فقال لي: يا مفضل، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، قَالَ كم اسما في:

فَسَيَكْفِيكَهُمُ؟ قلت: ثلاثة أسماء يا أمير المؤمنين، قَالَ: وما هي؟

قلت: الكاف لرسول الله ص، والهاء والميم، وهي للكفار، والياء وهي لله عز وجل قال: صدقت، هكذا أفادنا هذا الشيخ- يعني الكسائي- ثم التفت إلى محمد، فقال له: أفهمت يا محمد؟ قَالَ: نعم، قَالَ: أعد علي المسألة كما قَالَ المفضل، فأعادها، ثم التفت إلي فقال:

يا مفضل، عندك مسألة تسألنا عنها بحضرة هذا الشيخ؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قَالَ: وما هي؟ قلت: قول الفرزدق:

أخذنا بآفاق السماء عليكم ... لنا قراها والنجوم الطوالع

قَالَ: هيات أفادناها متقدما قبلك هذا الشيخ، لنا قراها، يعني الشمس والقمر كما قالوا سنة العمرين: سنة أبي بكر وعمر، قَالَ: قلت: فأزيد في السؤال؟ قَالَ: زد، قلت: فلم استحسنوا هذا؟ قَالَ: لأنه إذا اجتمع اسمان من جنس واحد، وكان أحدهما أخف على أفواه القائلين غلبوه وسموا به الآخر، فلما كانت أيام عمر أكثر من أيام أبي بكر وفتوحه أكثر واسمه أخف غلبوه، وسموا أبا بكر باسمه، قَالَ الله عز وجل: «بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ» وهو المشرق والمغرب قلت: قد بقيت زيادة في المسألة! فالتفت إلى الكسائي فقال: يقال في هذا غير ما قلنا؟ قَالَ: هذا أوفى ما قالوا، وتمام المعنى عند العرب قَالَ: ثم التفت إلي فقال: ما الذي بقي؟ قلت: بقيت الغاية التي إليها أجرى الشاعر المفتخر في شعره، قَالَ: وما هي؟ قلت: أراد بالشمس إبراهيم، وبالقمر

محمد ص، وبالنجوم الخلفاء الراشدين من آبائك الصالحين قَالَ:

فاشرأب أمير المؤمنين، وقال: يا فضل بن الربيع، احمل إليه مائة ألف درهم لقضاء دينه، وانظر من بالباب من الشعراء فيؤذن لهم، فإذا العماني ومنصور النمرى، فأذن لهما، فقال: أدن مني الشيخ، فدنا منه وهو يقول:

قل للإمام المقتدي بأمه ... ما قاسم دون مدى ابن أمه

فقد رضينا فقم فسمه.

فقال الرشيد: ما ترضى أن تدعو إلى عقد البيعة له وأنا جالس حتى تنهضني قائما! قَالَ: قيام عزم يا أمير المؤمنين، لا قيام حتم، فقال: يؤتى بالقاسم، فأتي به، وطبطب في أرجوزته، فقال الرشيد للقاسم: إن هذا الشيخ قد دعا إلى عقد البيعة لك، فأجزل له العطية، فقال: حكم أمير المؤمنين، قَالَ: وما أنا وذاك! هات النمرى، فدنا منه، وأنشده:

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع.

- حتى بلغ-

ما كان أحسن أيام الشباب وما ... أبقى حلاوة ذكراه التي تدع

ما كنت أوفي شبابي كنه غرته ... حتى مضى فإذا الدنيا له تبع

قَالَ الرشيد: لا خير في دنيا لا يخطر فيها ببرد الشباب.

وذكر أن سعيد بن سلم الباهلي دخل على الرشيد، فسلم عليه، فأومأ إليه الرشيد فجلس، فقال: يا أمير المؤمنين، أعرابي من باهلة واقف على باب أمير المؤمنين، ما رأيت قط اشعر منه، قال: اما انك استبحت هذين- يعني العماني ومنصور النمرى، وكانا حاضريه- نهى لهما أحجارك، قَالَ: هما يا أمير المؤمنين يهباني لك، فيؤذن للأعرابي؟ فأذن له، فإذا أعرابي في جبة

نخز، ورداء يمان، قد شد وسطه ثم ثناه على عاتقه، وعمامة قد عصبتها على خديه، وأرخصى لها عذبة، فثل بين يدي أمير المؤمنين، وألقيت الكراسي، فجلس الكسائي والمفضل وابن سلم والمفضل بن الربيع، فقال ابن سلم للأعرابي: خذ في شرف أمير المؤمنين، فاندفع الأعرابي في شعره، فقال أمير المؤمنين:

أسمعك مستحسناً، وأنكرك متهما عليك، فإن يكن هذا الشعر لك وأنت قلت من نفسك، فقل لنا في هذين بيتين - يعني محمدا والمأمون - وهما حفافاه فقال: يا أمير المؤمنين حملتني على القدر في غير الحذر روعة الخلافة، وبهر البديهة، ونفور القوافي عن الروية، فيمهلني أمير المؤمنين، يتألف إلي نافراتها، ويسكن روعي قال: قد أهلتك يا أعرابي، وجعلت اعتذارك بدلا من امتحانك، فقال: يا أمير المؤمنين نفست الخناق، وسهلت ميدان النفاق، ثم أنشأ يقول:

هما طنباها بارك الله فيهما ... وأنت أمير المؤمنين عمودها

بنيت بعبد الله بعد محمد ... ذرى قبة الإسلام فاهتز عودها

فقال: وأنت يا أعرابي بارك الله فيك، فسلنا، ولا تكن مسألتك دون إحسانك، قال: الهنيدة يا أمير المؤمنين، قال: فتبسم أمير المؤمنين، وأمر له بمائة ألف درهم وسبع خلع.

وذكر أن الرشيد قال لابنه القاسم - وقد دخل عليه قبل أن يبايع له:

أنت للمأمون ببعض لحكم هذا، قال: ببعض حفظه.

وقال للقاسم يوما قبل البيعة له: قد أوصيت الأمين والمأمون بك، قال:

أما أنت يا أمير المؤمنين فقد توليت النظر لهما، ووكلت النظر لي إلى غيرك.

وقال مصعب بن عبد الله الزبيري: قدم الرشيد مدينه الرسول ص ومعه ابنه محمد الأمين وعبد الله المأمون، فأعطى فيها العطايا وقسم في تلك السنة في رجالهم ونسائهم ثلاثة أعطية، فكانت الثلاثة الأعطية التي قسمها فيهم ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار، وفرض في تلك السنه لخمسمائه من وجوه موالي المدينة، ففرض لبعضهم في الشرف منهم يحيى بن مسكين وابن عثمان، ومخراق مولى بنى تميم، وكان يقرئ القرآن بالمدينة.

وقال إسحاق المولى: لما بايع الرشيد لولده، كان فيمن بايع عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، فلما قدم ليبايع، قال:

لا قصرا عنها ولا بلغتهما ... حتى يطول على يديك طوالها

فاستحسن الرشيد ما تمثل، وأجزل له صلبته قال: والشعر لطريح بن إسماعيل، قاله في الوليد بن يزيد وفي ابنه.

وقال أبو الشيص يرثي هارون الرشيد:

غربت في الشرق شمس ... فلها عينان تدمع

ما رأينا قط شمسا ... غربت من حيث تطلع

وقال أبو نواس الحسن بن هاني:

جرت جوار بالسعد والنحس ... فنحن في مأتم وفي عرس

القلب يبكي والسن ضاحكة ... فنحن في وحشة وفي انس

يضحك القائم الامين و ... يبكي وفاه الامام بالأمس

بدران: بدر اضحى ببغداد بالخلد، وبدر بطوس في رمس وقيل: مات هارون الرشيد، وفي بيت المال تسعمائة ألف ألف ونيّف.

٨٠٤٧٠٩ خلافة الامين

٨٠٤٧٠١٠ ذكر الخبر عن بدء الخلاف بين الامين والمأمون

خلافة الأمين

وفي هذه السنة بويج لمحمد الأمين بن هارون بالخلافة في عسكر الرشيد، وعبد الله بن هارون المأمون يومئذ بمرو، وكان- فيما ذكر- قد كتب حمويه مولى المهدي صاحب البريد بطوس إلى أبي مسلم سلام، مولاه وخليفته ببغداد على البريد والأخبار، يعلمه وفاة الرشيد فدخل على محمد فعزاه وهناه بالخلافة، وكان أول الناس فعل ذلك، ثم قدم عليه رجاء الخادم يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة، كان صالح بن الرشيد أرسله إليه بالخبر بذلك- وقيل: أتاه الخبر بذلك- ليلة الخميس للنصف من جمادى الآخرة، فأظهره يوم الجمعة، وستر خبره بقية يومه وليلته، وخاض الناس في أمره.

ولما قدم كتاب صالح على محمد الأمين مع رجاء الخادم ب وفاة الرشيد- وكان نازلا في قصره بالخلد- تحول إلى قصر أبي جعفر بالمدينة، وأمر الناس بالحضور ليوم الجمعة، فحضروا وصلى بهم، فلما قضى صلاته صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ونعى الرشيد إلى الناس، وعزى نفسه والناس، ووعدهم خيرا، وبسط الآمال، وآمن الأسود والأبيض، وبايعه جلة أهل بيته وخاصته ومواليه وقواده، ثم دخل ووكل ببيعته على من بقي منهم عم أبيه سليمان بن أبي جعفر، فبايعهم، وأمر السندي بمبايعة جميع الناس من القواد وسائر الجند، وأمر للجد من بمدينة السلام برزق أربعة وعشرين شهرا، وبخواص من كانت له خاصة بهذه الشهور.

ذكر الخبر عن بدء الخلاف بين الأمين والمأمون

وفي هذه السنة كان بدء اختلاف الحال بين الأمين محمد وأخيه المأمون، وعزم كل واحد منهما بالخلاف على صاحبه فيما كان والدهما هارون أخذ عليهما العمل به، في الكتاب الذي ذكرنا انه كان كتبه عليهما وبينهما ذكر الخبر عن السبب الذي كان أوجب اختلاف حالهما فيما ذكرت:

قال أبو جعفر: قد ذكرنا قبل أن الرشيد جدد حين شخص إلى خراسان البيعة للمأمون على القواد الذين معه، وأشهد من معه من القواد وسائر الناس وغيرهم أن جميع من معه من الجند مضمومون إلى المأمون، وأن جميع ما معه من مال وسلاح وآلة وغير ذلك للمأمون فلما بلغ محمد بن هارون أن أباه قد اشتدت علته، وأنه لما به، بعث من يأتيه بخبره في كل يوم، وارسل بكر بن المعتمر، وكتب معه كتبا، وجعلها في قوائم صناديق منقورة وألبسها جلود البقر، وقال: لا يظهرن أمير المؤمنين ولا أحد ممن في عسكره على شيء من أمرك وما توجهت فيه، ولا ما معك، ولو قتلت حتى يموت أمير المؤمنين، فإذا مات فادفع إلى كل رجل منهم كتابه.

فلما قدم بكر بن المعتمر طوس، بلغ هارون قدومه، فدعا به، فسأله:

ما أقدمك؟ قال: بعثني محمد لأعلم له علم خبرك وآتيه به، قال: فهل معك كتاب؟ قال: لا، فأمر بما معه ففتش فلم يصيبوا معه شيئا، فهدده بالضرب فلم يقر بشيء، فأمر به فحبس وقيد فلما كان في الليلة التي مات فيها هارون أمر الفضل بن الربيع أن يصير إلى محبس بكر بن المعتمر فيقرره، فإن أقر وإلا ضرب عنقه، فصار إليه، فقرره فلم يقر بشيء، ثم غشي على هارون، فصاح النساء، فأمسك الفضل عن قتله، وصار إلى هارون ليحضره، ثم أفاق هارون وهو ضعيف، قد شغل عن بكر وعن غيره لحس الموت، ثم غشي عليه غشية ظنوا أنها هي، وارتفعت الضجة، فبعث بكر بن المعتمر برقعة منه إلى الفضل بن الربيع مع عبد الله بن أبي نعيم، يسأله ألا يعجلوا بأمر، ويعلمه أن معه أشياء يحتاجون إلى علمها- وكان بكر محبوسا عند حسين الخادم- فلما توفي هارون في الوقت الذي توفي فيه، دعا الفضل بن الربيع ببكر من ساعته، فسأله عما عنده، فأنكر أن يكون عنده شيء، وخشي على نفسه من أن يكون هارون حيا، حتى صح عنده موت هارون، وأدخله عليه، فأخبره أن عنده كتبا من أمير المؤمنين محمد، وأنه لا يجوز له إخراجها، وهو على حاله في قيوده وحبسه، فامتنع حسين الخادم من إطلاقه حتى أطلقه الفضل، فأتاهم

بالكتب التي عنده، وكانت في قوائم المطابخ المجلدة بجلود البقر، فدفع إلى كل إنسان منهم كتابه وكان في تلك الكتب كتاب من محمد بن هارون إلى حسين الخادم بخطه، يأمره بتخيلة بكر بن المعتمر وإطلاقه، فدفعه إليه، وكتاب إلى عبد الله المأمون، فاحتبس كتاب المأمون عنده ليعثه إلى المأمون بمرو، وأرسلوا إلى صالح بن الرشيد- وكان مع أبيه بطوس، وذلك أنه كان أكبر من يحضر هارون من ولده- فأتاهم في تلك الساعة، فسألهم عن أبيه هارون، فأعلموه، فجزع جزعا شديدا، ثم دفعوا إليه كتاب أخيه محمد الذي جاء به بكر وكان الذين حضروا وفاة هارون هم الذين لولا أمره وغسله وتجهيزه، وصلى عليه ابنه صالح.

وكانت نسخة كتاب محمد إلى أخيه عبد الله المأمون:

إذا ورد عليك كتاب أخيك- أعاده الله من فقدك- عند حلول ما لا مرد له ولا مدفع مما قد اخلف وتناخ في الأمم الخالية والقرون الماضية فعز نفسك بما عزاك الله به واعلم أن الله جل ثناؤه قد اختار لأمر المؤمنين أفضل الدارين، وأجزل الحظين فقبضه الله طاهرا زاكيا، قد شكر سعيه، وغفر ذنبه إن شاء الله فقم في أمرك قيام ذي الحزم والعزم، والناظر لأخيه ونفسه وسلطانه وعامة المسلمين وإياك أن يغلب عليك الجزع، فإنه يحبط الأجر، ويعقب الوزر وصلوات الله على أمير المؤمنين حيا وميتا، وإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! وخذ البيعه عمن قبلك من قوادك وجندك وخاصتك وعامتك لأخيك ثم لنفسك، ثم للقاسم ابن أمير المؤمنين، على الشريطة التي جعلها لك أمير المؤمنين من نسخها له وإثباتها، فإنك مقلد من ذاك ما قلدك الله وخليفته وأعلم من قبلك رأيي في صلاحهم وسد خلتهم والتوسعة عليهم، فمن أنكرته عند بيعته أو اتهمته على طاعته، فابعث إلي برأسه مع خبره وإياك وإقالته، فإن النار أولى به.

واكتب إلى عمال ثغورك وأمرأء أجنادك بما طرقتك من المصيبة بأمر المؤمنين، وأعلمهم أن الله لم يرض الدنيا له ثوبا حتى قبضه إلى روحه وراحته وجنته، مغبوطا محمودا قائدا لجميع خلفائه إلى الجنة إن شاء الله ومرهم أن يأخذوا البيعه على أجنادهم وخواصهم وعوامهم على مثل ما أمرتك به من أخذها على من قبلك وأوعز إليهم في ضبط ثغورهم، والقوة على عدوهم وأعلمهم إنني متفقد حالاتهم ولا م شعثهم، وموسع عليهم، ولا تني في تقويه اجنادى وانصارى، ولتكن كتبك إليهم كتبا عامة، لتقرأ عليهم، فإن في ذلك ما يسكنهم ويبسط أملهم.

واعمل بما تامر به لمن حضرك، أو نأى عنك من أجنادك، على حسب ما ترى وتشاهد، فإن أخاك يعرف حسن اختيارك، وصحة رأيك، وبعد نظرك، وهو يستحفظ الله لك، ويسأله أن يشد بك عضده، ويجمع بك أمره، إنه لطيف لما يشاء وكتب بكر بن المعتز بين يدي وإملائي في شوال سنة ثنتين وتسعين ومائة.

وإلى أخيه صالح:

بسم الله الرحمن الرحيم. إذا ورد عليك كتابي هذا عند وقوع ما قد سبق في علم الله ونفذ من قضائه في خلفائه وأوليائه، وجرت به سنته في الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين، فقل: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»، فاحمدوا الله ما صار إليه أمير المؤمنين من عظيم ثوابه ومرافقه انبيائه، صلوات الله عليهم، وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. وإياه نسأل أن يحسن الخلافة على أمه نبيه محمد ص، وقد كان لهم عصمة وكهفا، وبهم رءوفا رحيمًا، فشمري في أمرك، وإياك أن تلقي بيدك، فإن أخاك قد اختارك لما استنصرك له، وهو متفقد مواقع فقدانك، فحقق ظنه ونسأل الله التوفيق وخذ البيعة على من قبلك من ولد أمير المؤمنين وأهل بيته ومواليه وخاصته وعامته لمحمد أمير المؤمنين، ثم لعبد الله بن أمير المؤمنين، ثم للقاسم بن أمير المؤمنين، على الشريطة التي جعلها أمير المؤمنين صلوات الله عليه من فسحها على القاسم أو إثباتها، فإن السعادة واليمن في الأخذ بعهدته، والمضي على مناهجه وأعلم من قبلك من الخاصة والعامة رأيي في استصلاحهم، ورد مظالمهم وتفقد حالاتهم، وأداء أرزاقهم وأعطياتهم عليهم، فإن شغب شاغب، أو نعر ناعر، فاسط به سطوة تجعله نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا

وموعظه للمتقين واضمم الى الميمون بن الميمون الفضل بن الربيع ولد أمير المؤمنين وخدمه وأهله، ومره بالمسير معهم فيمن معه من جنده ورابطته، وصير إلى عبد الله بن مالك أمر العسكر وأحداثه، فإنه ثقة على ما يلي، مقبول عند العامة، واضمم إليه جميع جند الشرط من الروابط وغيرهم إلى من معه من جنده، ومره بالجد والتيقظ وتقديم الحزم في أمره كله، ليله ونهاره، فإن أهل العداوة والنفاق لهذا السلطان يغتتمون مثل حلول هذه المصيبة وأقر حاتم بن هرثمة على ما هو عليه، ومره بحراسة ما يحفظ به قصور أمير المؤمنين، فإنه ممن لا يعرف إلا بالطاعة، ولا يدين إلا بها بمعاقد من الله مما قدم له من حال أبيه المحمود عند الخلفاء ومر الخدم باحضار روابطهم ممن يسد بهم وبأجنادهم مواضع الخلل من عسكرك، فإنهم حد من حدودك، وصير مقدمتك إلى أسد بن يزيد بن مزيد، وساقطك إلى

يحيى بن معاذ، فيمن معه من الجنود، ومرهما بمنابيتك في كل ليلة، والزم الطريق الأعظم، ولا تعدون المراحل، فإن ذلك أرفق بك ومر أسد بن يزيد أن يتخير رجلا من أهل بيته أو قواده، فيصير إلى مقدمته ثم يصير أمامه لتهيئة المنازل، أو بعض الطريق، فإن لم يحضرك في عسكريك بعض من سميت، فاختر لمواضعهم من ثثق بطاعته ونصيحته وهيئته عند العوام، فإن ذلك لن يعوزك من قوادك وأنصارك إن شاء الله وإياك أن تنفذ رأيا أو تبرم أمرا إلا برأي شيخك وبقية آبائك الفضل بن الربيع، وأقرر جميع الخدم على ما في أيديهم من الأموال والسلاح والخزائن وغير ذلك، ولا تخرجن أحدا منهم من ضمن ما يلي إلى أن تقدم علي.

وقد أوصيت بكر بن المعتمر بما سيبلغه، واعمل في ذلك بقدر ما تشاهد وترى، وإن أمرت لأهل العسكر بعتاء أو رزق، فليكن الفضل بن الربيع المتولي لإعطائهم على دواوين يتخذها لنفسه، بحضر من أصحاب الدواوين، فإن الفضل بن الربيع لم يزل يتقلد مثل ذلك لمهمات الأمور وأنفذ إلي عند وصول كتابي هذا إليك إسماعيل بن صبيح وبكر بن المعتمر على مركبيهما من البريد، ولا يكون لك عرجة ولا مهلة بموضعك الذي أنت فيه حتى توجه إلي بعسكريك

بما فيه من الأموال والخزائن إن شاء الله أخوك يستدفع الله عنك، ويسأله لك حسن التأيد برحمته.

وكتب بكر بن المعتمر بين يدي واملائي في شوال سنة ثنتين وتسعين ومائة.

وخرج رجاء الخادم بالخاتم والقضيب والبردة، وبنعي هارون حين دفن حتى قدم بغداد ليلة الخميس - وقيل يوم الأربعاء - فكان من الخبر ما قد ذكرت قبل.

وقيل: إن نعي الرشيد لما ورد بغداد صعد إسحاق بن عيسى بن علي المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: اعظم الناس رزيته، واحسن الناس بقية رزونا، فإنه لم يرزأ أحد كرزنا، فمن له مثل عوضنا! ثم نعاى إلى الناس، وحض الناس على الطاعة.

وذكر الحسن الحاجب أن الفضل بن سهل أخبره، قال: استقبل الرشيد وجوه أهل خراسان، وفيهم الحسين بن مصعب قال: ولقيني فقال لي:

الرشيد ميت أحد هذين اليومين، وامر محمد بن الرشيد ضعيف، والأمر أمر صاحبك، مد يدك فديده فبايع للمأمون بالخلافة قال: ثم أتاني بعد أيام ومعه الخليل بن هشام، فقال: هذا ابن أخي، وهو لك ثقة خذ بيعته.

وكان المأمون قد رحل من مرو إلى قصر خالد بن حماد على فرسخ من مرو يريد سمرقند، وأمر العباس بن المسيب بإخراج الناس والحقو بالعسكر، فمر به إسحاق الخادم ومعه نعي الرشيد، فغم العباس قدومه، فوصل إلى المأمون فأخبره، فرجع المأمون إلى مرو، ودخل دار الإمارة، دار أبي مسلم، ونعى الرشيد على المنبر، وشق ثوبه ونزل، وأمر للناس بمال، وبايع لمحمد ولنفسه وأعطى الجند رزق اثني عشر شهرا.

قال: ولما قرأ الذين وردت عليهم كتب محمد بطوس من القواد والجند وأولاد هارون، تشاوروا في الحاق بمحمد، فقال الفضل بن الربيع: لا أدع ملكا حاضرا لاخر لا يدرى ما يكون من أمره، وأمر الناس بالرحيل، ففعلوا ذلك محبة منهم للحق بأهلهم ومنازلهم ببغداد، وتركوا العهود التي كانت أخذت عليهم للمأمون، فانتهى الخبر بذلك من أمرهم إلى المأمون بمرو،

فجمع من معه من قواد أبيه، فكان معه منهم عبد الله بن مالك، ويحيى ابن معاذ، وشبيب بن حميد بن قطبة، والعلاء مولى هارون، والعباس بن المسيب بن زهير وهو على شرطته، وأيوب بن أبي سمير وهو على كتابته، وكان معه من أهل بيته عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح، وذو الرياستين، وهو عنده من أعظم الناس قدرا وأخصهم به، فشاوهم وأخبرهم الخبر، فأشاروا عليه أن يلحقهم في ألفي فارس جريدة، فيردهم، وسمى لذلك قوم، فدخل عليه ذو الرياستين، فقال له: إن فعلت ما أشاروا به عليك جعلت هؤلاء هدية إلى محمد، ولكن الرأي أن تكتب إليهم كتابا، وتوجه إليهم رسولا، فتذكرهم البيعة، وتسألهم الوفاء، وتحذرهم الخنث، وما يلزمهم في ذلك في الدنيا والدين قال: قلت له: إن كتابك ورسلك تقوم مقامك، فتستبرئ ما عند القوم، وتوجه سهل بن صاعد - وكان على قهرمته - فإنه يأملك، ويرجو أن ينال أمه، فلن يألوك نصحا، وتوجه نوفلا الخادم مولى موسى أمير المؤمنين - وكان عاقلا فكتب كتابا، ووجههما فلحقاهم بنيسابور قد رحلوا ثلاث مراحل.

فذكر الحسن بن أبي سعيد عن سهل بن صاعد، انه قال له: فاوصلت إلى الفضل بن الربيع كتابه، فقال لي: إنما أنا واحد منهم، قال لي سهل:

وشد علي عبد الرحمن بن جبلة بالرحم، فأمره على جنبي، ثم قال لي: قل لصاحبك: والله لو كنت حاضرا لوضعت الرح في فيك، هذا جوابي.

قال: ونال من المأمون، فرجعت بالخبر.

قال الفضل بن سهل: فقلت للمأمون: أعداء قد استرحت منهم، ولكن افهم عني ما أقول لك، إن هذه الدولة لم تكن قط أعز منها أيام أبي جعفر، نخرج عليه المقنع وهو يدعي الربوية، وقال بعضهم: طلب بدم أبي مسلم، فتضعض العسكر بخروجه بخراسان، فكفاه الله المؤنة ثم خرج بعده يوسف البرم وهو عند بعض المسلمين كافر، فكفى الله المؤنة، ثم خرج استاذسيس

يدعو إلى الكفر، فسار المهدي من الري إلى نيسابور فكفى المؤنة، ولكن ما أصنع! أكثر عليك! أخبرني كيف رأيت الناس حين ورد عليهم خبر رافع؟ قال: رأيتهم اضطربوا اضطرابا شديدا، قلت: وكيف بك وأنت نازل في أخوالك، وبيعتك في أعناقهم! كيف يكون اضطراب أهل بغداد! اصبر وأنا أضمن لك الخلافة- ووضعت يدي على صدري- قال: قد فعلت، وجعلت الأمر إليك فقم به قال: قلت: والله لأصدقنك، أن عبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ ومن سمينا من أمراء الرؤساء، إن قاموا لك بالأمر كانوا انفع مني لك برياستهم المشهورة، ولما عندهم من القوة على الحرب، فن قام بالأمر كنت خادما له حتى تصير إلى محبتك، وترى رأيك في فلقيتهم في منازلهم، وذكرتهم البيعة التي في أعناقهم وما يجب عليهم من الوفاء.

قال: فكأنني جئتهم بجيفة على طبق، فقال بعضهم: هذا لا يحل، اخرج، وقال بعضهم: من الذي يدخل بين أمير المؤمنين وأخيه! فجئت فاخبرته، قال: قم بالأمر، قال: قلت: قد قرأت القرآن، وسمعت الأحاديث، وتفقهت في الدين، فالرأي أن تبعث إلى من بالحضرة من الفقهاء، فدعوههم إلى الحق والعمل به وإحياء السنة، وتقعدي على اللبود، وترد المظالم ففعلنا وبعثنا إلى الفقهاء، وأكرمنا القواد والملوك وأبناء الملوك، فكأن نقول للتميمي: نقيمك مقام موسى بن كعب، وللربيعي: نقيمك مقام أبي داود خالد بن إبراهيم، ولليمانى:

نقيمك مقام قحطبة ومالك بن الهيثم، فكأن ندعو كل قبيلة إلى نقباء رؤوسهم، واستمنا الرؤوس، وقلنا لهم مثل ذلك، وحططنا عن خراسان ربع الخراج، فحسن موقع ذلك منهم، وسروا به، وقالوا: ابن أختنا، وابن عم النبي ص.

قال علي بن إسحاق: لما أفضت الخلافة إلى محمد، وهذا الناس ببغداد، أصبح صبيحة السبت بعد بيعته بيوم، فأمر ببناء ميدان حول قصر أبي جعفر في المدينة للصوالة واللعب، فقال في ذلك شاعر من أهل بغداد:

بنى أمين الله ميدانا ... وصير الساحة بستانا
وكانت الغزلان فيه بانا ... يهدي إليه فيه غزلانا

وفي هذه السنة شخصت أم جعفر من الرقة بجميع ما كان معها هنالك من الخزائن وغير ذلك في شعبان، فتلقاها ابنها محمد الأمين بالأنبار في جميع من كان ببغداد من الوجوه، وأقام المأمون على ما كان يتولى من عمل خراسان ونواحيها إلى الري، وكاتب الأمين، وأهدى إليه هدايا كثيرة، وتواترت كتب المأمون إلى محمد بالتعظيم والهدايا إليه من طرف خراسان من المتاع والآنية والمسك والدواب والسلاح. وفي هذه السنة دخل هرثمة حائط سمرقند، ولجأ رافع إلى المدينة الداخلية، وراسل رافع الترك فوافوه، فصار هرثمة بين رافع والترك، ثم انصرف الترك، فضعف رافع.

وقتل في هذه السنة نقفور ملك الروم في حرب برجان، وكان ملكه- فيما قيل - سبع سنين، وملك بعده إستبراق بن نقفور وهو مجروح، فبقي شهرين ومات وملك ميخائيل بن جورجس ختنه على أخته.

وجج بالناس في هذه السنة داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي، وكان والي مكة.

وأقر محمد بن هارون أخاه القاسم بن هارون في هذه السنة على ما كان أبوه هارون ولاه من عمل الجزيرة، واستعمل عليها خزيمة بن خازم، وأقر القاسم على قنسرين والعواصم.

٨٠٤٨ سنة أربع وتسعين ومائة

٨٠٤٨٠١ ذكر تفاقم الخلاف بين الامين والمأمون

ثم دخلت

سنة أربع وتسعين ومائة

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث) فمن ذلك ما كان من مخالفة أهل حمص عاملهم إسحاق بن سليمان، وكان محمد ولده إياها، فلما خالفوه انتقل إلى سلمية، فصرفه محمد عنهم، وولى مكانه عبد الله بن سعيد الحرشي ومعه عافية بن سليمان، فحبس عدة من وجوههم، وضرب مدينتهم من نواحيها بالنار، وسألوه الأمان فأجابهم، وسكنوا ثم هاجوا، فضرب أيضا أعناق عدة منهم. وفيها عزل محمد أخاه القاسم عن جميع ما كان أبوه هارون ولده من عمل الشام وقنسرين والعواصم والثغور، وولى مكانه خزيمه بن خازم، وأمره بالمقام بمدينة السلام.

وفي هذه السنة أمر محمد بالدعاء لابنه موسى على المنابر بالإمرة.

ذكر تفاقم الخلاف بين الامين والمأمون

وفيها مكر كل واحد منهما بصاحبه: محمد الأمين وعبد الله المأمون، وظهر بينهما الفساد. ذكر الخبر عن سبب ذلك:

ذكر أن الفضل بن الربيع فكر بعد مقدمه العراق على محمد منصرفا عن طوس، وناثقا للعهود التي كان الرشيد أخذها عليه لابنه عبد الله، وعلم أن الخلافة إن أفضت إلى المأمون يوما وهو حي لم يبق عليه، وكان في ظفريه به عطبه، فسعى في إغراء محمد به، وحثه على خلعه، وصرف ولاية العهد من بعده إلى ابنه موسى، ولم يكن ذلك من رأي محمد ولا عزمه، بل كان عزمه - فيما ذكر عنه - الوفاء لأخويه: عبد الله والقاسم، بما كان أخذ عليه لهما والده من العهود والشروط، فلم يزل الفضل به يصغر في عينه شأن المأمون، ويزين له خلعه، حتى قَالَ له: ما تنتظريا أمير المؤمنين بعبد الله والقاسم أخويك! فإن البيعة كانت لك متقدمة قبلهما، وإنما أدخلنا فيها بعدك واحدا بعد واحد، وأدخل في ذلك من رأيته معه علي بن عيسى بن ماهان والسندي وغيرهما ممن بحضرته، فأزال محمدا عن رأيه. فأول ما بدأ به محمد عن رأي الفضل بن الربيع فيما دبر من ذلك، أن كتب إلى جميع العمال في الأمصار كلها بالدعاء لابنه موسى بالإمرة بعد الدعاء له وللمأمون والقاسم بن الرشيد، فذكر الفضل بن إسحاق بن سليمان أن المأمون لما بلغه ما أمر به محمد من الدعاء لابنه موسى وعزله القاسم عما كان الرشيد ضم إليه من الأعمال وإقدامه إياه مدينة السلام، علم أنه يدبر عليه في خلعه، فقطع البريد عن محمد، واسقط اسمه من الطرز والضرب.

وكان رافع بن الليث بن نصر بن سيار لما انتهى إليه من الخبر عن المأمون وحسن سيرته في أهل عمله وإحسانه إليهم، بعث في طلب الأمان لنفسه، فسارع إلى ذلك هرثمة وخرج رافع فلحق بالمأمون، وهرثمة بعد مقيم بسمرقند فأكرم المأمون رافعا وكان مع هرثمة في حصار رافع طاهر بن الحسين، فلما دخل رافع في الأمان، استأذن هرثمة المأمون في القدوم عليه، فعبر نهر بلخ بعسكره والنهر جامد، فقتلاه الناس، وولاه المأمون الحرس فأنكر ذلك كله محمد، فبدأ بالتدبير على المأمون، فكان من التدبير أنه كتب إلى العباس بن عبد الله بن مالك - وهو عامل المأمون على الري - وأمره أن يبعث إليه بغرائب غروس الري - مريدا بذلك امتحانه - فبعث إليه ما أمره به، وكتب المأمون وذا الرياستين.

فبلغ ذلك من أمره المأمون، فوجه الحسن بن علي الماموني وادفعه بالرستمي على البريد، وعزل العباس بن عبد الله بن مالك، فذكر عن الرستمي أنه لم ينزل عن دابته حتى اجتمع إليه ألف رجل من أهل الري.

ووجه محمد إلى المأمون ثلاثة أنفس رسلا: أحدهم العباس بن موسى بن عيسى، والآخر صالح صاحب المصلى، والثالث محمد بن عيسى بن نهيك،

وكتب معهم كتاباً إلى صاحب الري، أن استقبلهم بالعدة والسلاح الظاهر.

وكتب إلى والي قومس ونيسابور وسرخس بمثل ذلك، ففعلوا ثم وردت الرسل مرو، وقد أعد لهم من السلاح وضروب العدد والعتاد، ثم صاروا إلى المأمون، فأبلغوه رسالة محمد بمسألته تقديم موسى على نفسه، ويذكر له أنه سماه الناطق بالحق، وكان الذي أشار عليه بذلك علي بن عيسى بن ماهان، وكان يخبره أن أهل خراسان يطيعونه، فرد المأمون ذلك وأباه قال: فقال لي ذو الرئاستين: قال العباس بن موسى بن عيسى بن موسى: وما عليك أيها الأمير من ذلك، فهذا جدي عيسى بن موسى قد خلع فاضره ذلك، قال: فصحت به: اسكت، فإن جدك كان في أيديهم أسيراً، وهذا بين أخواله وشيعته قال: فانصرفوا، وأنزل كل واحد منهم منزلاً قال ذو الرئاستين: فأعجبني ما رأيت من ذكاء العباس بن موسى، نفلوت به فقلت: اذهب عليك في فهمك وسنك أن تأخذ بحظك من الإمام- وسمي المأمون في ذلك اليوم بالإمام ولم يسم بالخلافة، وكان سبب ما سمي به الإمام ما جاء من خلع محمد له، وقد كان محمد قال للذين أرسلهم: قد تسمى المأمون بالإمام، فقال لي العباس: قد سميتوه الإمام! قال: قلت له: قد يكون إمام المسجد والقبيلة، فإن وفيتهم لم يضرهم، وإن غدرتم فهو ذاك.

قال: ثم قلت للعباس: لك عندي ولاية الموسم، ولا ولاية أشرف منها، ولك من مواضع الأعمال بمصر ما شئت. قال: فما برح حتى أخذت عليه البيعة للمأمون بالخلافة، فكان بعد ذلك يكتب إلينا بالأخبار، ويشير علينا بالرأي. قال: فأخبرني علي بن يحيى السرخسي، قال: مر بي العباس بن موسى ذاهباً إلى مرو- وقد كنت وصفت له سيرة المأمون وحسن تدبير ذي الرئاستين واحتماله الموضع، فلم يقبل ذلك مني- فلما رجع مر بي، فقلت له: كيف رأيت؟ قال: ذو الرئاستين أكثر مما وصفت، فقلت: صاغت

الإمام؟ قال: نعم، قلت: امسح يدك على رأسي قال: ومضى القوم إلى محمد فأخبروه بامتناعه، قال: فألح الفضل بن الربيع وعلي بن عيسى على محمد في البيعة لابنه وخلع المأمون، وأعطى الفضل الأموال حتى بايع لابنه موسى، وسماه الناطق بالحق، وأحضنه علي بن عيسى وولاه العراق قال: وكان أول من أخذ له البيعة بشر بن السميدع الأزدي، وكان والياً على بلد، ثم أخذها صاحب مكة وصاحب المدينة على خواص من الناس قليل، دون العامة.

قال: ونهى الفضل بن الربيع عن ذكر عبد الله والقاسم والدعاء لهما على شيء من المنابر، ودس لذكر عبد الله والوقعة فيه، ووجه إلى مكة كتاباً مع رسول من حجة البيت يقال له محمد بن عبد الله بن عثمان بن طلحة في أخذ الكباين اللذين كان هارون كتبهما، وجعلهما في الكعبة لعبد الله على محمد، فقدم بهما عليه، وتكلم في ذلك بقية الحجة، فلم يحفل بهما، وخافوا على أنفسهم، فلما صار بالكباين إلى محمد قبضهما منه، واجازته بجائزه عظيمة، ومزقهما وأبطلهما.

وكان محمد- فيما ذكر- كتب إلى المأمون قبل مكاشفة المأمون إياه بالخلاف عليه، يسأله أن يتجافى له عن كور من كور خراسان- سماها- وأن يوجه العمال إليها من قبل محمد، وأن يحتمل توجيه رجل من قبله يوليه البريد عليه ليكتب إليه بخبره فلما ورد إلى المأمون الكتاب بذلك، كبر ذلك عليه واشتد، فبعث إلى الفضل بن سهل وإلى أخيه الحسن، فشاورهما في ذلك، فقال الفضل: الأمر مخطر، ولك من شيعتك وأهل بيتك بطانة، ولهم تأنيس بالمشاورة، وفي قطع الأمر دونهم وحشة، وظهوره قلة ثقة، فرأى الأمير في ذلك وقال الحسن: كان يقال: شاور في طلب الرأي من نثق بنصيحته، وتألف العدو فيما لا اكتتام له بمشاورته، فأحضر المأمون الخاصة من الرؤساء والأعلام، وقرأ عليهم الكتاب، فقالوا جميعاً له: أيها الأمير،

تشاور في مخطر، فاجعل لبيدتهنا حظاً من الروية، فقال المأمون: ذلك هو الحزم، وأجلهم ثلاثاً، فلما اجتمعوا بعد ذلك، قال أحدهم: أيها الأمير، قد حملت على كرهين، ولست أرى خطأ مدافعة بمكروه أولهما مخافة مكروه آخرهما وقال آخر: كان يقال أيها الأمير، أسعدك الله، إذا كان الأمر مخطراً، فإعطاؤك من نازعك طرفاً من بغيته أمثل من أن تصير بالمنع إلى مكاشفته.

وقال آخر: إنه كان يقال: إذا كان علم الأمور مغيباً عنك، فخذ ما أمكنك من هدنة يومك، فإنك لا تأمن أن يكون فساد يومك راجعاً بفساد غدك وقال آخر: لئن خيفت للبذل عاقبة، إن أشد منها لما يبعث الآباء من الفرقة وقال آخر: لا أرى مفارقة منزلة سلامة، فلعل

أعطى معها العافية فقال الحسن: فقد وجب حقكم باجتهادكم، وإن كنت من الرأي على مخالفتكم، فقال له المأمون: فناظرهم، قال: لذلك ما كان الاجتماع.

وأقبل الحسن عليهم، فقال: هل تعلمون أن محمدا تجاوز إلى طلب شيء ليس له بحق؟ قالوا: نعم، ويحتمل ذلك لما نخاف من ضرر منعه قال: فهل تثقون بكفه بعد إعطائه إياها، فلا يتجاوز بالطلب إلى غيرها؟ قالوا: لا، ولعل سلامة تقع من دون ما يخاف ويتوقع قال: فإن تجاوز بعدها بالمسألة، أفما ترونه قد توهن بما بذل منها في نفسه! قالوا: ندفع ما يعرض له في عاقبة بمدافعه محذور في عاجله! قال: فهذا خلاف ما سمعناه من قول الحكماء قبلنا، قالوا: استصلح عاقبة أمرك باحتمال ما عرض من كره يومك، ولا تلتبس هدنة يومك بإخطار أدخلته على نفسك في غدك قال المأمون للفضل:

ما تقول فيما اختلفوا فيه؟ قال: أيها الأمير، أسعدك الله، هل يؤمن محمد أن يكون طالبك بفضل قوتك ليستظهر بها عليك غدا على مخالفتك! وهل يصير الحازم إلى فضلة من عاجل الدعة بخاطر يتعرض له في عاقبة، بل إنما أشار الحكماء بجمل ثقل فيما يرجون به صلاح عواقب أمورهم فقال المأمون:

بل بإيثار العاجلة صار من صار إلى فساد العاقبة في امر دنيا او امر آخرة.
قال القوم: قد قلنا بمبلغ الرأي، والله يؤيد الأمير بالتوفيق فقال: اكتب يا فضل إليه، فكتب:

قد بلغني كتاب أمير المؤمنين يسألني التجاني عن مواضع سماها مما أثبتته الرشيد في العقد، وجعل أمره إلي، وما أمر رآه أمير المؤمنين أحد يجاوز أكثره، غير أن الذي جعل إلي الطرف الذي أنابه، لا ظنين في النظر لعامته، ولا جاهل بما أسند إلي من أمره، ولو لم يكن ذلك مثبتا بالعهود والمواثيق المأخوذة، ثم كنت على الحال التي أنا عليها من إشراف عدو مخوف الشوكة، وعامة لا تتألف عن هضمها، وأجناد لا يستتبع طاعتها إلا بالأموال وطرف من الإفضال- لكان في نظر أمير المؤمنين لعامته وما يجب من لم أطرافه ما يوجب عليه أن يقسم له كثيرا من عنايته، وأن يستصلحه ببذل كثير من ماله، فكيف بمسألة ما أوجبه الحق، ووكد به مأخوذ العهد! وإني لأعلم أن أمير المؤمنين لو علم من الحال ما علمت لم يطالع بمسألة ما كتب بمسألته إلي ثم أنا على ثقة من القبول بعد البيان إن شاء الله.

وكان المأمون قد وجه حارسة إلى الحد، فلا يجوز رسول من العراق حتى يوجهوه مع ثقات من الأمانة، ولا يدعه يستعلم خبرا ولا يؤثر أثرا، ولا يستتبع بالرغبة ولا بالرهبة أحدا، ولا يبلغ أحدا قولا ولا كتابا فخصر أهل خراسان من أن يستمالوا برغبة، أو أن تودع صدورهم رهبة، أو يحملوا على منزل خلاف أو مفارقة ثم وضع على مراصد الطرق ثقات من الحراس لا يجوز عليهم إلا من لا يدخل الظنة في أمره ممن أتى بجواز في مخرجه إلى دار مآبه، أو تاجر معروف مأمون في نفسه ودينه، ومنع الإشتات من جواز السبل والقطع بالمتاجر والوغول في البلدان في هيئة الطارئة والسالبة، وقتشت الكتب.

وكان- فيما ذكر- أول من أقبل من قبل محمد مناظرا في منعه ما كان سأل جماعة، وإنما وجهوا ليعلم أنهم قد عاينوا وسمعوا، ثم يلتبس منهم ان يبذلوا او يحرموا فيكون مما قالوا حجة يحتج بها، أو ذريعه الى ما التمس منها فلما صاروا إلى حد الري، وجدوا تدييرا مؤيدا، وعقدا مستحصدا متأكدا، وأخذتهم الأحراس من جوانبهم، فحفظوا في حال ظعنهم وإقامتهم من أن يخبروا أو يستخبروا، وكتب بخبرهم من مكانهم، فجاء الإذن في حملهم

فحملوا محروسين، لا خبر يصل إليهم، ولا خبر يتطلع منهم إلى غيرهم، وقد كانوا معدين لبث الخبر في العامة وإظهار الحجة بالمفارقة والدعاء لأهل القوة إلى المخالفة، يبذلون الأموال، ويضمنون لهم معظم الولايات والقطائع والمنازل، فوجدوا جميع ذلك ممنوعا محسوما، حتى صاروا إلى باب المأمون.

وكان الكتاب النافذ معهم إلى المأمون:

أما بعد، فإن أمير المؤمنين الرشيد وإن كان أفردك بالطرف، وضم ما ضم إليك من كور الجبل، تأييدا لأمرك، وتحسينا لطرفك، فإن ذلك لا يوجب لك فضلة المال عن كفايتك وقد كان هذا الطرف وخراجه كافيا لحدته، ثم تتجاوز بعد الكفاية إلى ما يفضل من رده، وقد ضم لك إلى الطرف كورا من أمهات كور الأموال لا حاجة لك فيها، فالحق فيها أن تكون مردودة في أهلها، ومواضع حقها

فكتبت إليك أسألك رد تلك الكور الى ما كانت عليه من حالها، لتكون فضول ردها مصروفة إلى مواضعها، وأن تأذن لقائم بالخبر يكون بحضرتك يؤدي إلينا علم ما نعني به من خبر طرفك، فكتبت تلط دون ذلك بما أن تم أمرك عليه صيرنا الحق إلى مطالبتك، فاثن عن همك أثن عن مطالبتك، إن شاء الله.

فلما قرأ المأمون الكتاب كتب مجيباً له:

أما بعد، فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين، ولم يكتب فيما جهل فأكشف له عن وجهه، ولم يسأل ما يوجبه حق فيلزمني الحجة بترك إجابته، وإنما يتجاوز المتناظران منزلة النصفة ما ضاقت النصفة عن أهلها، فمتى تجاوز متجاوز- وهي موجودة الوسع- ولم يكن تجاوزها إلا عن نقصها واحتمال ما في تركها، فلا تبعثني يا بن أبي علي مخالفتك وأنا مدعن بطاعتك، ولا على قطيعتك وأنا على إثارة ما تحب من صلتك، وارض بما حكم به الحق في أمرك أكن بالمكان الذي أنزلي به الحق فيما بيني وبينك والسلام.

ثم أحضر الرسل، فقال: إن أمير المؤمنين كتب في امر كتبت له في جوابه، فأبلغوه الكتاب، وأعلموه أنني لا أزال على طاعته، حتى يضطرني

بترك الحق الواجب إلى مخالفته فذهبوا يقولون، فقال: قفوا أنفسكم حيث وقفنا بالقول بكم، وأحسنوا تأدية ما سمعتم، فقد أبلغتمونا من كتابنا ما عسى أن تقولوه لنا فانصرف الرسل ولم يثبتوا لأنفسهم حجة، ولم يحملوا خبراً يؤدونه إلى صاحبهم، ورأوا جداً غير مشوب بهزل، في منع ما لهم من حقهم الواقع- بزعمهم.

فلما وصل كتاب المأمون إلى محمد وصل منه ما قطع به، وتخط غيظاً بما تردد منه في سمعه، وأمر عند ذلك بما ذكرناه من الإمساك عن الدعاء له على المنابر، وكتب إليه:

أما بعد، فقد بلغني كتابك غامطاً لنعمة الله عليك فيما مكن لك من ظلمها، متعرضاً لحراق نار لا قبل لك بها، ولحظك عن الطاعة كان أودع لك، وإن كان قد تقدم مني متقدماً، فليس بخارج من مواضع نفعتك إذ كان راجعاً على العامة من رعيتك، وأكثر من ذلك ما يمكن لك من منزله السلامة، ويثبت لك من حال الهدنة، فأعلمني رأيك أعمل عليه إن شاء الله.

وذكر سهل بن هارون عن الحسن بن سهل، أن المأمون قال لذي الرياستين:

إن ولدي وأهلي ومالي الذي أفردته الرشيد لي بحضرة محمد- وهو مائة ألف ألف- وأنا إليها محتاج، وهي قبله فما ترى في ذلك؟ وراجعته في ذلك مراراً فقال له ذو الرياستين: أيها الأمير، بك حاجة إلى فضلة مالك، وأن يكون أهلك في دارك وجنابك، وإن أنت كتبت فيه كتاب عزيمة فنحك صار إلى خلع عهده، فإن فعل حملك ولو بالكره على محاربتك، وأنا أكره أن تكون المستفتح باب الفرقة ما أرتجيه الله دونك، ولكن تكتب كتاب طالب لحقك، وتوجيه أهلك على ما لا يوجب عليه المنع نكاً لعهدك، فإن أطاع فعنمة وعافية، وإن أبى لم تكن بعثت على نفسك حرباً أو مشاقه فاكذب إليه، فكتب عنه:

أما بعد، فإن نظر أمير المؤمنين للعامة نظر من لا يقتصر عنه على إعطاء النصفة من نفسه حتى يتجاوزها إليهم ببره وصلته، وإذا كان ذلك رأيه في

عامته، فأحر بأن يكون على مجاوزة ذلك بصنوه وقسيم نسبه، فقد تعلم يا أمير المؤمنين حالاً أنا عليها من ثغور حلت بين لهواتها، وأجناد لا تزال موقنة بنشر غيها وبنكت آرائها، وقلة الخرج قبلي، والأهل والولد قبل أمير المؤمنين، وما للأهل- وإن كانوا في كفاية من بر أمير المؤمنين، فكان لهم والدا- بد من الإشراف والنزوع إلى كنفى، وما لي بالمال من القوة والظهير على لم الشعث بحضرتي، وقد وجهت لحمل العيال وحمل ذلك المال، فأرى أمير المؤمنين في إجازة فلان إلى الرقة في حمل ذلك المال، والأمر بمعونته عليه، غير مخرج له فيه إلى ضيقة تقع بخالفته، أو حامل له على رأي يكون على غير موافقة والسلام.

فكتب إليه محمد:

أما بعد، فقد بلغني كتابك بما ذكرت مما عليه رأي أمير المؤمنين في عامته فضلاً عما يجب من حق لذي حرمة وخليط نفسه، ومحلك بين لهوات ثغور، وحاجتك لحلك بينها إلى فضلة من المال لتأييد أمرك، والمال الذي سمي لك من مال الله، وتوجيهك من وجهته في حمله وحمل أهلك من قبل أمير المؤمنين.

ولعمري ما ينكر أمير المؤمنين رأيا هو عليه مما ذكرت لعامتته، يوجب عليه من حقوق أقربيه وعامتته وبه إلى ذلك المال الذي ذكرت حاجة في تحصيل أمور المسلمين، فكان أولى به إجراؤه منه على فرائضه، وردده على مواضع حقه، وليس بخارج من نفعك ما عاد بنفع العامة من رعيته وأما ما ذكرت من حمل أهلك، فإن رأي أمير المؤمنين تولي أمرهم، وإن كنت بالمكان الذي أنت به من حق القرابة ولم أر من حملهم على سفرهم مثل الذي رايت من تعريضهم بالسفر للتشتت، وإن أر ذلك من قبلي أوجههم إليك مع الثقة من رسلي إن شاء الله والسلام.

قَالَ: ولما ورد الكتاب على المأمون، قَالَ: لاط دون حقنا يريد أن نتوهن مما يمنع من قوتنا، ثم يتمكن للوهنة من الفرصة في مخالفتنا فقال له ذو الرياستين: أو ليس من المعلوم دفع الرشيد ذلك المال إلى الأمين لجمعه، وقبض الأمين إياه على أعين الملأ من عامته، على أنه يحرسه قنيه، فهو

لا ينزع إليها، فلا تأخذ عليه مضايقتها، وامل له ما لم تضطرك جريته إلى مكاشفته بها، والرأي لزوم عروة الثقة، وحسم الفرقة، فإن امسك فبنعمه وإن تطلع إليها فقد تعرض لله بالمخالفة، وتعرضت منه بالإمسك للتأييد والمعونة.

قَالَ: وعلم المأمون والفضل أنه سيحدث بعد كتابه من الحدث ما يحتاج إلى له، ومن الخبر ما يحتاج أن يباشره بالثقة من أصحابه، وأنه لا يحدث في ذلك حدثا دون مواطاة رجال النباهة والأقدار من الشيعة وأهل السابقة، فرأى أن يختار رجلا يكتب معه إلى أعيان أهل العسكر من بغداد، فإن أحدث محمد خلعا للمأمون صار إلى دفعها، وتلطف لعلم حالات أهلها، وإن لم يفعل من ذلك شيئا خنس في حقيقته، وأمسك عن إيصالها، وتقدم إليه في التعجيل.

ولما قدم أوصل الكتب، وكان كتابه مع الرسول الذي وجهه لعلم الخبر:

أما بعد، فإن أمير المؤمنين كأعضاء البدن، يحدث العلة في بعضها، فيكون كره ذلك مؤلما لجميعها، وكذلك الحدث في المسلمين، يكون في بعضهم فيصل كره ذلك إلى سائرهم، للذي يجمعهم من شريعة دينهم، ويلزمهم من حرمة اخوتهم، ثم ذلك من الأئمة أعظم للمكان الذي به الأئمة من سائر أمهم، وقد كان من الخبر ما لا احسبه الا سيعرب عن محنته، ويسفر عما استتر من وجهه، وما اختلف مختلفان فكان أحدهما مع امر الله إلا كان أول معونة المسلمين وموالاتهم في ذات الله، وأنت يرحمك الله من الأمر بمرأى ومسمع، وبحيث إن قلت أذن لقولك، وإن لم تجد للقول مساغا فأمسكت عن مخوف أقتدي فيه بك، ولن يضيع علي الله ثواب الإحسان مع ما يجب علينا بالإحسان من حقلك، ولحظ حاز لك النصيبين أو أحدهما أمثل من الإشراف لأحد الحظين، مع التعرض لعدمهما، فاكذب إلي برأيك، وأعلم ذلك لرسولي ليؤديه إلي عنك إن شاء الله.

وكتب إلى رجال النباهة من أهل العسكر بمثل ذلك.

قَالَ: فوافق قدوم الرسول بغداد ما أمر به من الكف عن الدعاء للمأمون

في الخطبة يوم الجمعة، وكان بمكان الثقة من كل من كتب إليه معه، ففهم من أمسك عن الجواب وأعرب للرسول عما في نفسه، ومنهم من أجاب عن كتابه، فكتب أحدهم:

أما بعد فقد بلغني كتابك ولحق برهان يدل على نفسه ثبت به الحجة على كل من صار إلى مفارقتة، وكفى غبنا بإضاعة حظ من حظ العاقبة، لمامول من حظ عاجله، وأبين من الغبن إضاعة حظ عاقبه مع التعرض للنكبة والوقائع، ولي من العلم بمواضع حظي ما أرجو أن يحسن معه النظر مني لنفسي، ويضع عني مؤنة استزادتي إن شاء الله قال: وكتب الرسول المتوجه إلى بغداد إلى المأمون وذو الرياستين:

أما بعد، فإني وافيت البلدة، وقد أعلن خليطك بتكرهه، وقدم علما من اعتراضه ومفارقتة وامسك عما كان يجب ذكره وتوفيته بحضرته، ودفعت كتبك فوجدت أكثر الناس ولاية السريره ونفاه العلانية، ووجدت المشرفين بالرعية لا يحيطون الا عنها ولا يبالون ما احتملوا فيها، والمنازع مختلج الرأي، لا يجد دافعا منه عن همه، ولا راغبا في عامه، والمحلون بانفسهم يحلون تمام الحدث، ليسلوا من منهزم حدثهم، والقوم على جد، ولا تجعلوا للتواني في امركم نصيبا إن شاء الله والسلام.

قَالَ: ولما قدم على محمد من معسكر المأمون سعيد بن مالك بن قادم وعبد الله بن حميد بن قطبة والعباس بن الليث مولى أمير المؤمنين ومنصور بن أبي مطر وكثير بن قادره، الطفهم وقربهم، وأمر لمن كان قبض منهم الستة الأشهر برزق اثني عشر شهرا، وزادهم في الخاصة والعامة، ولمن لم يقبضها بثمانية عشر شهرا.

قال: ولما عزم محمد على خلع المأمون دعا يحيى بن سليم فشاورة في ذلك، فقال يحيى: يا أمير المؤمنين، كيف بذلك لك مع ما قد وكد الرشيد من بيعته، وتوثق بها من عهده، والأخذ للأيمان والشرائط في الكتاب الذي كتبه! فقال له محمد: إن رأي الرشيد كان فلتة شبهها عليه جعفر بن يحيى بسحره، واستماله برقاه وعقده، فغرس لنا غرسا مكروها لا ينفعنا ما نحن فيه معه إلا بقطعه، ولا تستقيم لنا الأمور إلا باجتماعه والراحة منه فقال:

أما إذا كان رأي أمير المؤمنين خلعه، فلا يجاهره مجاهرة فيستنكرها الناس، ويستشنعها العامة، ولكن تستدعي الجند بعد الجند والقائد بعد القائد، وتؤنس بالأنطاف والهدايا، وتفرق ثقاته ومن معه، وترغبهم بالأموال، وتستميلهم بالأطماع، فإذا أوهنت قوته، واستفرغت رجاله، أمرته بالقدوم عليك، فإن قدم صار إلى الذي تريد منه، وإن أبي كنت قد تناولته وقد كل حده وهيض جناحه، وضعف ركنه وانقطع عزه فقال محمد: ما قطع أمرا كصريمة، أنت مهذار خطيب، ولست بذئ رأي، فزل عن هذا الرأي إلى الشيخ الموفق والوزير الناصح، قم فالحق بمدادك وأقلامك، قال يحيى:

فقلت: غضب يشوبه صدق ونصيحه، اشرت الى رأي يخلطه غش وجهل قال: فوالله ما ذهبت الأيام حتى ذكر كلامه، وقرعه بخطئه وخرقه.

قال سهل بن هارون: وقد كان الفضل بن سهل دس قوما اختارهم ممن يثق به من القواد والوجوه ببغداد ليكاتبوه بالأخبار يوما يوما، فلما هم محمد بخلع المأمون، بعث الفضل بن الربيع إلى أحد هؤلاء الرجال يشاورة فيما يرى من ذلك، فعظم الرجل عليه أمر نقض العهد للمأمون، وقبح الغدر به.

فقال له الفضل: صدقت، ولكن عبد الله قد أحدث الحدث الذي وجب به نقض ما أخذ الرشيد له قال: افتثبت الحجة عند العوام بمعلوم حدثه كما ثبتت الحجة بما جدد من عهده! قال: لا، قال: أخذت هذا منكم يوجب عند العامة نقض عهدهم ما لم يكن حدثه معلوما يجب به فسخ عهده! قال: نعم، قال الرجل - ورفع صوته: بالله ما رأيت كاليوم رأي رجل يرتاد به النظر، يشاور في رفع ملك في يده بالحجة ثم يصير إلى مطالبته بالعناد والمغالبة! قال: فأطرق الفضل مليا، ثم قال: صدقتني الرأي، واحتملت ثقل الأمانة، ولكن أخبرني ان نحن أغمضنا من قالة العامة ووجدنا مساعدين

من شيعتنا وأجنادنا، فما القول؟ قال: أصلحك الله، وهل أجنادك إلا من عامتك في أخذ بيعتهم وتمكن برهان الحق في قلوبهم! افليسوا وان اعطوك ظاهر طاعه هم مع ما تأكد من وثائق العهد في معارفهم، قال: فان أعطينا بذلك الطاعة قال: لا طاعه دون ان تكون علي ثبوت من البصائر.

قال: نرغبهم بتشريف حظوظهم، قال: إذا يصيروا الى التقبل، ثم إلى خذلانك عند حاجتك إلى مناصحتهم قال: فما ظنك بأجناد عبد الله؟ قال: قوم على بصيره من امرهم لتقدم بيعتهم وما يتعاهدون من حظهم، قال: فما ظنك بعامتهم؟ قال: قوم كانوا في بلوى عظيمة من تحيف ولاتهم في أموالهم، ثم في أنفسهم صاروا به إلى الأمانة من المال والرفاغة في المعيشة، فهم يدافعون عن نعمة حادثة لهم، ويتذكرون بلبه لا يأمنون العودة إليها قال: فهل من سبيل الى استفساد عظماء البلاد عليه، لتكون محاربتنا إياه بالمكيدة من ناحيته، لا بالزخرف نحوه لمناجزته! قال: اما الضعفاء فقد صاروا له البال لما نالوا به من الأمان والنصفة، وأما ذوو القوة فلم يجدوا مطعنا ولا موضع حجه والضعفاء السواد الأكثر قال: ما أراك ابقيت لنا موضع رأي في اعتزالك الى اجنادنا، ولا تتمكن النظر في ناحيته باحتيالنا، ثم أشد من ذلك ما قلت به وهنة أجنادنا وقوة أجناده في مخالفته وما تسخو نفس أمير المؤمنين بترك ما لا يعرف من حقه، ولا نفسي بالهدنة مع تقدم جرى في امره، وربما اقبلت الأمور مشرفه بالمخالفة، ثم تكشف عن الفلج والدرك في العاقبة ثم تفرقا.

قال: وكان الفضل بن الربيع أخذ بالمراسد لئلا تجاوز الكتب الحد، فكتب الرسول مع امرأة، وجعل الكتاب ودیعة في عود منقور

من أعواد الأكاف، وكتب إلى صاحب البريد بتعجيل الخبر، وكانت المرأة تمضي على المسالح كالمجتازة من القرية إلى القرية، لا تهاج ولا تفتش وجاء الخبر إلى المأمون موافقا لسائر ما ورد عليه من الكتب، قد شهد بعضها ببعض، فقال لدى الرياستين: هذه أمور قد كان الرأي أخبر عن عيبتها، ثم هذه طوالت خبر عن أواخرها، وكفانا أن نكون مع الحق، ولعل كرها يسوق خيرا. قال: وكان أول ما دبره الفضل بن سهل بعد ترك الدعاء للمأمون وصحه

٨٠٤٨٠٢ أخبار متفرقة

الخبر به، أن جمع الأجناد التي كان أعدها بجنابات الري مع أجناد قد كان مكنها فيها، واجناد للقيام بأمرهم، وكانت البلاد اجذبت بحضرتهم، فأعد لهم من الحمولة ما يحمل إليهم من كل فج وسيل، حتى ما فقدوا شيئا احتاجوا إليه، وأقاموا بالحد لا يتجاوزونه ولا يطلقون يدا بسوء في عامد ولا مجتاز ثم أشخص طاهر بن الحسين فيمن ضم إليه من قواده وأجناده، فسار طاهر مغذا لا يلوي على شيء، حتى ورد الري، فنزلها ووكل بأطرافها، ووضع مسالحه، وبث عيونه وطلائعه، فقال بعض شعراء خراسان:

رمى أهل العراق ومن عليها ... إمام العدل والملك الرشيد

بأحزم من مشي رأيا وحزما ... وكيدا نافذا فيما يكيد

بداهيه ناد خنفتيق ... يشيب لهول صولتها الوليد

وذكر أن محمدا وجه عصمة بن حماد بن سالم إلى همدان في ألف رجل، وولاه حرب كور الجبل، وأمره بالمقام بهمدان، وأن يوجه مقدمته إلى ساوة، واستخلف أخاه عبد الرحمن بن حماد على الحرس، وجعل الفضل بن الربيع وعلي بن عيسى يلهيان محمدا، ويبعثانه على خلع المأمون والبيعه لابنه موسى.

[أخبار متفرقة]

وفي هذه السنة عقد محمد بن هارون في شهر ربيع الأول لابنه موسى على جميع ما استخلفه عليه، وجعل صاحب أمره كله علي بن عيسى بن ماهان، وعلى شرطه محمد بن عيسى بن نهيك، وعلى حرسه عثمان بن عيسى ابن نهيك، وعلى خراجه عبد الله بن عبدة وعلى ديوان رسائله علي بن صالح صاحب المصلى.

وفي هذه السنة وثب الروم على ميخائيل صاحب الروم فهرب وترهب، وكان ملكه سنتين فيما قيل وفيها ملك على الروم ليون القائد.

وفيها صرف محمد بن هارون إسحاق بن سليمان عن حمص، وولاهها عبد الله بن سعيد الحرشي، ومعه عافية بن سليمان، فقتل عدة من وجوههم، وحبس عدة، وحرقت مدينتهم من نواحيها بالنار، فسألوه الأمان، فأجابهم فسكنوا ثم هاجوا، ف ضرب أعناق عدة منهم.

٨٠٤٩ سنة خمس وتسعين ومائة

٨٠٤٩٠١ النهى عن الدعاء للمأمون على المنابر

٨٠٤٩٠٢ عقد الإمرة لعلي بن عيسى

ثم دخلت

سنة خمس وتسعين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيا من الأحداث) فن ذلك ما كان من أمر محمد بن هارون بإسقاط ما كان ضرب لأخيه عبد الله المأمون من الدينارين والدراهم بخراسان في سنة أربع وتسعين ومائة، لأن المأمون كان أمر ألا يثبت فيها اسم محمد، وكان يقال لتلك الدينارين والدراهم الرباعية، وكانت لا تجوز حينئذ.

النهى عن الدعاء للمأمون على المنابر

وفيهما نهى الأمين عن الدعاء على المنابر في عمله كله للمأمون والقاسم، وأمر بالدعاء له عليها ثم من بعده لابنه موسى، وذلك في صفر من هذه السنة، وابنه موسى يومئذ طفل صغير، فسماه الناطق بالحق، وكان ما فعل من ذلك عن رأي الفضل بن الربيع، فقال في ذلك بعض الشعراء:

أضاع الخلافة غش الوزير ... وفسق الأمير، وجهل المشير
ففضل وزير، وبكر مشير ... يريدان ما فيه حتف الأمير
فبلغ ذلك المأمون، فتسمى بإمام الهدى، وكوتب بذلك
. عقد الإمرة لعل بن عيسى

وفيهما عقد محمد لعل بن عيسى بن ماهان يوم الأربعاء ليلة خلت من شهر ربيع الآخر على كور الجبل كلها: نهاوند وهمدان وقم وأصفهان،

٨٠٤٩٠٣ شخص على بن عيسى إلى حرب المأمون

حربها وخراجها، وضم إليه جماعة من القواد وأمر له - فيما ذكر - بمائتي ألف دينار، ولولده بخمسين ألف دينار، وأعطى الجند مالا عظيما، وأمر له من السيوف المحلاة بألفي سيف وستة آلاف ثوب للخلع، وأحضر محمد أهل بيته ومواليه وقواده المقصورة بالشامسية يوم الجمعة ثمان خلون من جمادى الآخرة، فصلى محمد الجمعة، ودخل وجلس لهم ابنه موسى في المحراب، ومعه الفضل بن الربيع وجميع من أحضر، فقرأ عليهم كتابا من الأمين يعلمهم رأيهم وحقه عليهم، وما سبق لهم من البيعة متقدما مفردا بها، ولزوم ذلك لهم، وما أحدث عبد الله من التسمي بالإمامة، والدعاء إلى نفسه، وقطع ذكره في دور الضرب والطرز، وأن ما أحدث من ذلك ليس له، ولا ما يدعي من الشروط التي شرطت له بجائزة له وحشهم على طاعته، والتمسك ببيعته.

وقام سعيد بن الفضل الخطيب بعد قراءة الكتاب، فعارض ما في الكتاب بتصديقه والقول بمثله ثم تكلم الفضل بن الربيع وهو جالس، فبالغ في القول وأكثر، وذكر أنه لا حق لأحد في الإمامة والخلافة إلا لأمر المؤمنين محمد الأمين، وأن الله لم يجعل لعبد الله ولا غيره في ذلك حظا له ولا نصيبا فلم يتكلم أحد من أهل بيت محمد ولا غيرهم بشيء إلا محمد بن عيسى بن نهيك ونفر من وجوه الحرس وقال الفضل بن الربيع في كلامه: إن الأمير موسى ابن أمير المؤمنين قد أمر لكم يا معاشر أهل خراسان من صلب ماله بثلاثة آلاف ألف درهم تقسم بينكم ثم انصرف الناس، وأقبل علي بن عيسى علي محمد يخبره أن أهل خراسان كتبوا إليه يذكرون أنه إن خرج هو أطاعوه وانقادوا معه

. شخص على بن عيسى إلى حرب المأمون

وفيهما شخص علي بن عيسى إلى الري إلى حرب المأمون.

ذكر الخبر عن شخصه إليها وما كان من أمره في شخصه ذلك:

ذكر الفضل بن إسحاق، أن علي بن عيسى شخص من مدينة السلام

عشية الجمعة لخمس عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين ومائة، شخص عشية تلك فيما بين صلاة الجمعة إلى صلاة العصر إلى معسكره بنهر بين، فأقام فيه في زهاء أربعين ألفا، وحمل معه قيد فضة ليقيد به المأمون بزعمه، وشخص معه محمد الأمين إلى النهروان يوم الأحد لست بقين من جمادى الآخرة، فعرض بها الذين ضموا إلى علي بن عيسى، ثم أقام بقية يومه ذلك بالنهروان، ثم انصرف إلى مدينة السلام وأقام علي بن عيسى بالنهروان ثلاثة أيام، ثم شخص إلى ما وجه له مسرعا حتى نزل همذان، فولى عليها عبد الله بن حميد بن قحطبة وقد كان محمد كتب إلى عصمة بن حماد بالانصراف في خاصة أصحابه وضم بقية العسكر وما فيه من الأموال وغير ذلك إلى علي بن عيسى، وكتب إلى أبي دلف القاسم بن عيسى بالانضمام إليه فيمن معه من أصحابه، ووجه معه هلال بن عبد الله الحضرمي، وأمر له بالفرض، ثم عقد لعبد الرحمن بن جبله الابناوى على الدينور، وأمره بالسير في بقية أصحابه، ووجه معه الفتي ألف درهم حملت إليه قبل ذلك، ثم شخص علي بن عيسى من همذان يريد الري قبل ورود عبد الرحمن عليه، فسار حتى بلغ الري على تعبته، فلقه طاهر

بن الحسين وهو في أقل من أربعة آلاف- وقيل كان في ثلاثة آلاف وثمنامائة- وخرج من عسكر طاهر ثلاثة أنفس إلى علي بن عيسى يتقربون إليه بذلك، فسألهم: من هم؟

ومن أي البلدان هم؟ فأخبره أحدهم انه كان من جند عيسى أبيه الذي قتله رافع قال: فأنت من جندي! فأمر به فضرب مائتي سوط، واستخف بالرجلين وانتهى الخبر إلى أصحاب طاهر، فازدادوا جدا في محاربتة ونفورا منه.

فذكر أحمد بن هشام أنه لم يكن ورد عليهم الكتاب من المأمون، بان تسمى بالخلافة، إذ التقيا- وكان أحمد على شرطة طاهر- فقلت لطاهر:

قد ورد علي بن عيسى فيمن ترى، فإن ظهرنا له، فقال: أنا عامل أمير المؤمنين وأقررنا له بذلك، لم يكن لنا أن نحاربه فقال لي طاهر: لم يجئني في هذا

شيء، فقلت: دعني وما أريد، قال: شأنك، قال: فصعدت المنبر، نخلعت محمدا، ودعوت للمأمون بالخلافة، وسرنا من يومنا أو من غد يوم السبت، وكان ذلك في شعبان سنة خمس وتسعين ومائة، فنزلنا قسطنطينة، وهي أول مرحلة من الري إلى العراق وانتهى علي بن عيسى إلى برية يقال لها مشكويه، وبيننا وبينه سبعة فراسخ، وجعلنا مقدمتنا على فرسخين من جنده وكان علي بن عيسى ظن أن طاهرا إذا رآه يسلم إليه العمل، فلما رأى الجند منه، قال: هذا موضع مفازة، وليس موضع مقام.

فأخذ يساره إلى رستاق يقال له رستاق بني الرازي، وكان معنا الأتراك، فنزلنا على نهر، ونزل قريبا منا، وكان بيننا وبينه دكاك وجبال، فلما كان في آخر الليل جاءني رجل فأخبرني أن علي بن عيسى دخل الري- وقد كان كاتبهم فأجابوه- فخرجت معه إلى الطريق، فقلت له: هذا طريقهم، وما هنا أثر حافر، وما يدل على أنه سار وجئت إلى طاهر فأنبهته، فقلت له: تصلي؟ قال: نعم، فدعا بماء فتبأ، فقلت له: الخبر كيت وكيت.

وأصبحنا، فقال لي: تركب، فوقفنا على الطريق، فقال لي: هل لك أن تجوز هذه الدكاك؟ فأشرفنا على عسكر علي بن عيسى وهم يلبسون السلاح، فقال: ارجع، أخطأنا، فرجعنا فقال لي: اخرج أصحابنا قال: فدعوت المأموني والحسن بن يونس المحاربي والرستمي، فخرجوا جميعا، فكان على الميمنة المأموني، وعلى الميسرة الرستمي ومحمد بن مصعب.

قال: وأقبل علي في جيشه، فامتألت الصحراء بياضا وصفرة من السلاح والمذهب، وجعل على ميمنته الحسين بن علي ومعه أبو دلف القاسم بن عيسى بن إدريس، وعلى ميسرته آخر، وكروا، فهزمونا حتى دخلوا العسكر، فخرج إليهم الساعة السوءاء فهزموهم.

قال: وقال طاهر لما رأى علي بن عيسى: هذا ما لا قبل لنا به، ولكن نجعلها خارجية، فقصد قصد القلب، فجمع سبعمائة رجل من الخوارزمية،

فيهم ميكائيل وسبسل وداود سياه.

قال أحمد بن هشام: قلنا لطاهر: نذكر علي بن عيسى البيعة التي كانت، والبيعة التي أخذها هو للمأمون خاصة على معاشر أهل خراسان، فقال: نعم، قال: فعلقناها على رحين، وقت بين الصفين، فقلت: الأمان! لا ترمونا ولا نرميكم، فقال علي بن عيسى: ذلك لك، فقلت: يا علي بن عيسى، ألا نتقي الله! أليس هذه نسخة البيعة التي أخذتها أنت خاصة! اتق الله فقد بلغت باب قبرك، فقال: من أنت؟ قلت: أحمد بن هشام- وقد كان علي بن عيسى ضربه أربعمائة سوط- فصاح علي بن عيسى: يا أهل خراسان، من جاء به فله ألف درهم قال: وكان معنا قوم بخارية، فرموه، وقالوا: نقتلك ونأخذ مالك: وخرج من عسكره العباس بن الليث مولى المهدي، وخرج رجل يقال له حاتم الطائي، فشد عليه طاهر، وشد يديه على مقبض السيف، فضربه فصرعه فقتله، وشد داود سياه على علي بن عيسى فصرعه، وهو لا يعرفه وكان علي بن عيسى على برذون أرحل، حمله عليه محمد- وذلك يكره في الحرب ويدل على الهزيمة- قال: فقال داود: ناري أسنان كتبتم قال: فقال طاهر الصغير- وهو طاهر بن التاجي: علي بن عيسى أنت؟ قال: نعم، أنا علي بن عيسى، وظن انه يهاب فلا يقدم عليه أحد، فشد عليه فذبحه بالسيف ونازعهم محمد بن مقاتل بن صالح الرأس، فتتف محمد خصلة من لحيته، فذهب بها إلى طاهر وبشره، وكانت ضربة طاهر هي الفتح، فسمي يومئذ ذا الينين بذلك السبب لأنه أخذ السيف بيديه جميعا وتناول أصحابه

النشاب ليرمونا، فلم أعلم بقتل علي حتى قيل: قتل والله الأمير فتبعناهم فرسخين، وواقفونا اثني عشرة مرة، كل ذلك نهزمهم، فلحقني طاهر بن التاجي، ومعه راس علي ابن عيسى، وكان آلي أن ينصب رأس أحمد عند المنبر الذي خلع عليه محمد، وقد كان علي أمر أن يهيا له الغداء بالري قَالَ: فانصرفت فوجدت عييه

على فيها دراعة وجبة وغلالة، فلبستها، وصليت ركعتين شكرا لله تبارك وتعالى ووجدنا في عسكره سبعمائة كيس، في كل كيس ألف درهم، ووجدنا عدة بغال عليها صناديق في أيدي أولئك البخارية الذين شتموه، وظنوا أنه مال، فكسروا الصناديق، فإذا فيها نحر سوادي، وأقبلوا يفرقون القناني، وقالوا: عملنا الجد حتى نشرب.

قَالَ أحمد بن هشام: وجئت إلى مضرب طاهر، وقد اغتم لتأخري عنه، فقال: لي البشري! هذه خصله من لحيه علي، فقلت له: البشري! هذا رأس علي قَالَ: فأعنت طاهر من كان بحضرته من غلمانه شكرا لله، ثم جاءوا بعلي وقد شد الأعوان يديه إلى رجله، فحمل على خشبة كما يحمل الحمار الميت وأمر به فلف في لبد وألقي في بئر قال: وكتب إلى ذي الرياستين بالخبر. قَالَ: فسارت الخريطة وبين مرو وذلك الموضع نحو من خمسين ومائتي فرسخ، ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد، ووردت عليهم يوم الأحد.

قال ذو الرياستين: كما قد وجهنا هرثمة، واحتشدنا في السلاح مددا، وسار في ذلك اليوم، وشيعة المأمون فقلت للمأمون: لا تبرح، حتى يسلم عليك بالخلافة فقد وجبت لك، ولا نأمن ان يقال: يصلح بين الأخوين، فإذا سلم عليك بالخلافة لم يمكن أن ترجع فتقدمت أنا وهرثمة والحسن بن سهل، فسلمنا عليه بالخلافة، وتبادر شيعة المأمون، فرجعت وأنا كال تعب لم أتم ثلاثة أيام في جهاز هرثمة، فقال لي الخادم: هذا عبد الرحمن بن مدرك- وكان يلي البريد، ونحن نتوقع الخريطة لنا أو علينا- فدخل وسكت، قلت:

ويلك! ما وراءك؟ قَالَ: الفتح، فإذا كتاب طاهر إلي: أطال الله بقاءك، وكبت اعداءك، وجعل من يشنؤك فداءك، كتبت إليك ورأس علي بن عيسى بين يدي، وخاتمه في أصبعي، والحمد لله رب العالمين فوثبت إلى دار أمير المؤمنين، فلحقني الغلام بالسواد، فدخلت على المأمون فبشرته، وقرأت عليه الكتاب، فأمر بإحضار أهل بيته والقواد ووجوه الناس، فدخلوا فسلموا عليه بالخلافة، ثم ورد رأس علي يوم الثلاثاء، فطيف به في خراسان

وذكر الحسن بن أبي سعيد، قَالَ: عقدنا لطاهر سنة أربع وتسعين ومائة فاتصل عقده إلى الساعة. وذكر محمد بن يحيى بن عبد الملك النيسابوري، قَالَ: لما جاء نعي علي ابن عيسى وقتله إلى محمد بن زبيدة- وكان في وقته ذلك على الشط يصيد السمك- فقال للذي أخبره: ويلك! دعني، فإن كوثرًا قد اصطاد سمكتين وأنا ما اصطدت شيئا بعد قال: وكان بعض أهل الحسد يقول: ظن طاهر إن عليا يعلو عليه، وقال: متى يقوم طاهر لحرب علي مع كثرة جيشه وطاعة أهل خراسان له! فلما قتل علي تضاءل، وقال: والله لو لقيه طاهر وحده لقاتله في جيشه حتى يغلب أو يقتل دونه.

وقال رجل من أصحاب علي له بأس ونجده في قتل علي ولقاء طاهر: لقينا الليث مفترسا لديه ... وكما ما ينهنها اللقاء نخوض الموت والغمرات قدما ... إذا ما كر ليس به خفاء فضضع ركبنا لما التقينا ... وراح الموت وانكشف الغطاء وأردى كبشنا والرأس منا ... كأن بكفه كان القضاء

ولما انتهى الخبر بقتل علي بن عيسى إلى محمد والفضل، بعث إلى نوفل خادم المأمون- وكان وكيل المأمون ببغداد وخازنه، وقيمه في أهله وولده وضياعه وأمواله- عن لسان محمد، فأخذ منه الألف ألف درهم التي كان الرشيد وصل بها المأمون، وقبض ضياعه وغلاته بالسواد، وولى عمالا من قبله، ووجه عبد الرحمن الأبنابي بالقوة والعدة فنزل همدان.

وذكر بعض من سمع عبد الله بن خازم عند ذلك يقول: يريد محمد إزالة الجبال وفل العساكر بتدبيره والمنكوس من تظهيره، هيئات! هو والله كما قَالَ الأول:

قد ضيع الله ذودا أنت راعيا

ولما بايع محمد لابنه موسى ووجه علي بن عيسى، قال الشاعر من أهل بغداد في ذلك لما رأى تشاغل محمد بلهوه وبطالته وتخليته عن تدبير علي والفضل ابن الربيع:

أضاع الخليفة غش الوزير ... وفسق الإمام وجهل المشير؟
 ففضل وزير، وبكر مشير ... يريدان ما فيه حتف الأمير
 وما ذاك إلا طريق غرور ... وشر المسالك طرق الغرور
 لواط الخليفة أعجوبة ... وأعجب منه خلاق الوزير
 فهذا يدوس وهذا يداس ... كذاك لعمرى اختلاف الأمور
 فلو يستعينان هذا بذاك ... لكنا بعرضة أمر ستير
 ولكن ذا لج في كوثر ... ولم يشف هذا دعاس الحمير
 فشنع فعلاهما منهما ... وصارا خلافا كبول البعير
 وأعجب من ذا وذا أننا ... نباع للطفل فينا الصغير
 ومن ليس يحسن غسل استه ... ولم يخل من بوله حجر ظير
 وما ذاك إلا بفضل وبكر ... يريدان نقض الكتاب المنير
 وهذان لولا انقلاب الزمان ... أفي العير هذان أم في النفير
 ولكنها فتن كالجبال ... ترفع فيها الوضع الحقيقير
 فصبرا ففي الصبر خير كثير ... وإن كان قد ضاق صدر الصبور
 فيا رب فاقبضهما عاجلا ... إليك واوردهم عذاب السعير
 ونكل بفضل وأشياعه ... وصلبهم حول هذي الجسور

وذكر أن محمدا لما بعث إلى المأمون في البيعة لابنه موسى، ووجه الرسل إليه في ذلك، كتب المأمون جواب كتابه: أما بعد، فقد انتهى إلي كتاب أمير المؤمنين منكرا لإبائي منزلة تهضمي بها، وأرادني على خلاف ما يعلم من الحق فيها، ولعمرى ان لو رد أمير المؤمنين الأمر الى النصفة فلم يطالب إلا بها، ولم يوجب نكرة على تركها، لانبسطت بالحجة مطالع مقالته، ولكنت محجوجا بمفارقة ما يجب من طاعته، فأما وأنا مدعن بها وهو على ترك أعمالها، فأولى به أن يدير الحق في أمره، ثم يأخذ به، ويعطي من نفسه، فإن صرت إلى الحق فرغت عن قلبه، وإن أبيت الحق قام الحق بمعذرتة وأما ما وعد من بر بطاعته، وأوعد من الوطأة بخالفته، فهل أحد فارق الحق في فعله فابقي للمستبين موضع ثقة بقوله! والسلام.

قال: وكتب إلى علي بن عيسى لما بلغه ما عزم عليه:

أما بعد، فإنك في ظل دعوة لم تزل أنت وسلفك بمكان ذب عن حريمها، وعلى العناية بحفظها ورعاية لحقتها، توجبون ذلك لأنتمكم، وتعتصمون بجبل جماعتكم، وتعطون بالطاعة من أنفسكم، وتكونون يدا على اهل مخالفتكم، وحزبا وأعوانا لأهل موافقتكم، تؤثرونهم على الآباء والأبناء، وتصرفون فيما تصرفوا فيه من منزله شديده ورجاء، لا ترون شيئا أبلغ في صلاحكم من الأمر الجامع لألفتكم، ولا أخرى لبواركم مما دعا الى شتات كلمتكم، ترون من رغب عن ذلك جائرا عن القصد وعن أمه على منهاج الحق، ثم كنتم على أولئك سيوفا من سيوف نقم الله، فكم من أولئك قد صاروا وديعة مسبعة، وجزرا جامدة، قد سفت الرياح في وجهه، وتداعت السباع إلى مصرعه، غير محمد ولا موسد قد صار إلى أمة، وغير عاجل حظه، ممن كانت الأئمة تنزلكم لذلك، بحيث أنزلتم أنفسكم، من الثقة بكم في أمورها، والتقدمة في آثارها، وأنت مستشعر دون كثير من ثقاتها وخاصتها، حتى بلغ الله بك في نفسك أن كنت قريع اهل دعوتك، والعلم القائم بمعظم امر أئمتك، إن قلت: ادنوا دنوا وإن أشرت: أقبلوا أقبلوا وإن امسكت وقفوا وأقروا، وثأما لك واستنصاحا، وتزداد نعمة مع الزيادة في نفسك، ويزدادون نعمة مع الزيادة لك بطاعتك، حتى حلت المحل الذي

قربت به من يومك، وانقرض فيما دونه أكثر مدتك، لا ينتظر بعدها إلا ما يكون ختام عملك من خير فيرضى ما تقدم من صالح فعملك، أو خلاف فيفضل له متقدم سعيك، وقد ترى يا أبا يحيى حالا عليها جلوت أهل نعمتك، والولاة القائمة بحق إمامتك، من

طعن في عقده كنت القائم بشدها، وخثر بعهود توليت معاقد أخذها، يبدأ فيها بالأخصين، حتى أفضى الأمر إلى العامة من المسلمين، بالأيمان المخرجه والمواثيق المؤكدة وما طلع مما يدعو إلى نشر كله، وتفريق أمر أمه وشت أمر جماعة، وتعرض به لتبديل نعمة وزوال ما وطأت الأسلاف من الأئمة، ومتى زالت نعمة من ولاية أمركم وصل زوالها إليكم في خواص انفسكم، ولن يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وليس الساعي في نشرها بساع فيها على نفسه دون السعى على حملتها، القائمين بحرمتها، قد عرضوهم أن يكونوا جزرا لاعدائهم، وطعمه قوم تنظفر مخالبهم في دمائهم ومكانك المكان الذي إن قلت رجع إلى قولك، وإن أشرت لم تنهم في نصيحتك، ولك مع إيثار الحق الحظوة عند أهل الحق ولا سواء من حظي بعاجل مع فراق الحق فأوبق نفسه في عاقبته، ومن أعان الحق فأدرك به صلاح العاقبة، مع وفور الحظ في عاجلته، وليس لك ما تستدعي ولا عليه ما تستعطف، ولكنه حق من حق إحسابك يجب ثوابه على ربك، ثم على من قت بالحق فيه من أهل إمامتك، فإن أعجزك قول أو فعل فصر إلى الدار التي تأمن فيها على نفسك وتحكم فيها برأيك، وتنازع إلى من يحسن تقبلا لصلاح فعلك، ويكون مرجعك إلى عقدك وأموالك، ولك بذلك الله، وكفى بالله وكيلاً* وإن تعذر ذلك بقية على نفسك، فإمساكاً بيدك، وقولا بحق، ما لم تخف وقوعه بكرهك، ففعل مقتديا بك، ومغتبطا بنبيك.

ثم أعلمني رأيك أعرفه إن شاء الله.

قال: فأتى علي بالكاتب إلى محمد، فشب أهل النكت من الكفاة من تلهيبه، وأوقدوا نيرانه، وأعان على ذلك حميا قدرته، وتساقط طبيعته، ورد الرأي إلى الفضل بن الربيع لقيامه كان بمكانفته.

وكانت كتب ذي الرياستين ترد إلى الدسيس الذي كان يشاوره في امره: ان

ابن القوم الا عزمه الخلاف، فالطف لأن يجعلوا أمره لعلي بن عيسى وانما خص ذو الرياستين عليا بذلك لسوء أثره في أهل خراسان، واجتماع رأيهم على ما كرهه، وأن العامة قائلة بحربه فشاور الفضل الدسيس الذي كان يشاوره، فقال: علي بن عيسى ان فعل فلم ترمهم بمثله، في بعد صوبه وسخاوة نفسه، ومكانه في بلاد خراسان في طول ولايته عليهم وكثرة صنائعه فيهم، ثم هو شيخ الدعوة وبقيّة أهل المشايعة، فأجمعوا على توجيهه علي، فكان من توجيهه ما كان وكان يجتمع للمؤمنون بتوجيهه علي جندان: أجناده الذين يحاربه بهم، والعامة من أهل خراسان حرب عليه لسوء أثره فيهم، وذلك رأي يكثر الإخطار به إلا في صدور رجال ضعاف الرأي لحال علي في نفسه، وما تقدم له ولسلفه، فكان ما كان من أمره ومقتله.

وذكر سهل أن عمرو بن حفص مولى محمد قال: دخلت على محمد في جوف الليل - وكنت من خاصته أصل إليه حيث لا يصل إليه أحد من مواليه وحشمه - فوجدته والشمع بين يديه، وهو يفكر، فسلمت عليه فلم يرد علي، فعلبت أنه في تدبير بعض أموره، فلم أزل واقفا على رأسه حتى مضى أكثر الليل، ثم رفع رأسه إلي، فقال: أحضرني عبد الله بن خازم، فضيت إلى عبد الله، فأحضرتة، فلم يزل في مناظرته حتى انقضى الليل، فسمعت عبد الله وهو يقول: أشدك الله يا أمير المؤمنين أن تكون أول الخلفاء نكت عهده، ونقض ميثاقه، واستخف بيمينه، ورد رأي الخليفة قبله! فقال: أسكت، لله أبوك! فعبد الملك كان أفضل منك رأيا، وأكل نظرا، حيث يقول: لا يجتمع لخلان في هجمة قال عمرو بن حفص: وسمعت محمدا يقول للفضل ابن الربيع: ويلك يا فضل! لا حياة مع بقاء عبد الله وتعرضه، ولا بد من خلعه، والفضل يعينه على ذلك، ويعدده أن يفعل، وهو يقول: فتي ذلك! إذا غلب على خراسان وما يليها! وذكر بعض خدم محمد أن محمدا لما هم بخلع المأمون والبيعة لابنه، جمع وجوه القواد، فكان يعرض عليهم واحدا واحدا، فيأبونه، وربما ساعده قوم حتى بلغ إلى خزيمة بن خازم، فشاوره في ذلك، فقال:

يا أمير المؤمنين، لم ينصحك من كذبك ولم يغشك من صدقك، لا تجرئ القواد على الخلع فيخلعوك، ولا تحملهم على نكت العهد فينكثوا عهدك ويبعتك، فإن الغادر مخذول، والناكث مفلول وأقبل علي بن عيسى بن ماهان، فتبسم محمد، ثم قال: لكن شيخ هذه الدعوة، وناب هذه الدولة لا يخالف على إمامه، ولا يوهن طاعته، ثم رفعه إلى موضع لم أره رفعه إليه فيما مضى، فيقال: إنه أول القواد أجاب إلى خلع عبد الله، وتابع محمدا على رأيه.

قال أبو جعفر: ولما عزم محمد على خلع عبد الله، قال له الفضل بن الربيع: الا تعذر إليه يا أمير المؤمنين فإنه أخوك، ولعله يسلم هذا

الأمر في عافية، فتكون قد كفيت مؤونته، وسلمت من محاربته ومعاندته! قَالَ:

فأفعل ماذا؟ قَالَ: تكتب إليه كتابا، تستطيب به نفسه، وتسكن وحشته، وتسأله الصفح لك عما في يده، فإن ذلك أبلغ في التدبير، وأحسن في القالة من مكائده بالجنود، ومعالجته بالكيد فقال له: أعمل في ذلك برأيك فلما حضر إسماعيل بن صبيح للكتاب إلى عبد الله قَالَ: يا أمير المؤمنين، إن مسألتك الصفح عما في يديه توليد للظن، وتقوية للتهمة، ومدعاة للحد، ولكن اكتب إليه فأعلمه حاجتك إليه، وما تحب من قربه والاستعانة برأيه، وسله القدوم إليك، فإن ذلك أبلغ وأحرى أن يبلغ فيما يوجب طاعته وإجابته فقال الفضل: القول ما قَالَ يا أمير المؤمنين، قَالَ: فليكتب بما رأى، قَالَ: فكتب إليه: من عند الأمين محمد أمير المؤمنين إلى عبد الله بن هارون أمير المؤمنين.

أما بعد، فإن أمير المؤمنين روى في امرك، والموضع الذي أنت فيه من ثغره، وما يؤمل في قربك من المعاونة والمكانفة على ما حمّله الله، وقلده من أمور عبادته وبلاده، وفكر فيما كان أمير المؤمنين الرشيد أوجب لك من الولاية، وأمر به من افرادك على ما يصير إليك منها، فرجا أمير المؤمنين ألا يدخل عليه وكف في دينه، ولا نكث في يمينه، إذ كان إشتاؤه إياك فيما يعود على المسلمين نفعه، ويصل إلى عامتهم صلاحه وفضله وعلم أمير المؤمنين أن مكانك بالقرب منه أسد للثغور، وأصلح للجنود، وأكد للفيء، وأرد على العامة من مقامك ببلاد خراسان منقطعا عن أهل بيتك، متغيبا عن أمير المؤمنين وما يجب الاستمتاع به من رأيك وتديرك وقد رأى أمير المؤمنين أن يولي موسى بن أمير المؤمنين فيما يقلده من خلافتك ما يحدث إليه من أمرك ونهيك فاقدم على أمير المؤمنين على بركة الله وعونه، بأبسط أمل وأفسح رجاء وأحمد عاقبة، وأنفذ بصيرة، فإنك أولى من استعان به أمير المؤمنين على أموره، واحتمل عنه النصب فيما فيه من صلاح أهل ملته وذمته والسلام ودفع الكتاب إلى العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي، وإلى عيسى بن جعفر بن أبي جعفر، وإلى محمد بن عيسى بن نبيك، وإلى صالح صاحب المصلى، وأمرهم أن يتوجهوا به إلى عبد الله المأمون، والا يدعوا وجهها من اللين والرفق إلا بلغوه، وسهلوا الأمر عليه فيه، وحمل بعضهم الأموال والأطاف والهدايا، وذلك في سنة أربع وتسعين ومائة فتوجهوا بكتابها، فلما وصلوا إلى عبد الله، أذن لهم، فدفعوا إليه كتاب محمد، وما كان بعث به معهم من الأموال والأطاف والهدايا ثم تكلم العباس بن موسى بن عيسى، فحمد الله وأثنى عليه، ثُمَّ قَالَ:

أيها الأمير، إن أخاك قد تحمل من الخلافة ثقلا عظيما، ومن النظر في أمور الناس عبئا جليلا، وقد صدقت نيته في الخير، فأعوزه الوزراء والأعوان والكفاه في العدل، وقليل ما يأنس بأهل بيته، وأنت أخوه وشقيقه، وقد فرغ إليك في أموره، واملك للوزراء والمكانفة، ولسنا نستبطئك في بره اتهامنا لنصرك له، ولا نحضك على طاعة تخوفا لخلافك عليه، وفي قدومك عليه أنس عظيم، وصلاح لدولته وسلطانه، فأجب أيها الأمير دعوة أخيك وآثر طاعته، وأعنه على ما استعانك عليه في أمره، فإن في ذلك قضاء الحق، وصلة الرحم، وصلاح الدولة، وعز الخلافة عزم الله للأمير على الرشد في أموره، وجعل له الخيرة والصلاح في عواقب رأيه

وتكلم عيسى بن جعفر بن أبي جعفر، فقال: ان الاكثار على الأمير- ايده الله- في القول خرق، والاقتصاد في تعريفه ما يجب من حق أمير المؤمنين تقصير، وقد غاب الأمير أكرمه الله عن أمير المؤمنين، ولم يستغن عن قرب، ومن شهد غيره من أهل بيته فلا يجد عنده غناء، ولا يجد منه خلفا ولا عوضا، والأمير أولى من بر أخاه، وأطاع إمامه، فليعمل الأمير فيما كتب به إليه أمير المؤمنين، بما هو أَرْضَى وأقرب من موافقة أمير المؤمنين ومحبته، فإن القدوم عليه فضل وحظ عظيم، والإبطاء عنه وكف في الدين، وضرر ومكروه على المسلمين.

وتكلم محمد بن عيسى بن نبيك، فقال: أيها الأمير، إنا لا نزيدك بالإكثار والتطويل فيما أنت عليه من المعرفة بحق أمير المؤمنين، ولا نشحذ نيتك بالأساطير والخطب فيما يلزمك من النظر والعناية بأمور المسلمين وقد أعوز أمير المؤمنين الكفاة والنصحاء بحضرته، وتناولك فرعا إليك في المعاونة والتقوية له على أمره، فإن تجب أمير المؤمنين فيما دعاك فنعمة عظيمة تتلافى بها رعيته وأهل بيتك، وإن تقعد يغن الله أمير المؤمنين عنك، ولن يضعه ذلك مما هو عليه من البر بك والاعتماد على طاعتك ونصيحتك.

وتكلم صاحب المصلى، فقال: أيها الأمير، إن الخلافة ثقيلة والأعوان قليل، ومن يكيد هذه الدولة وينطوي على غشها والمعاندة لأوليائها

من أهل الخلاف والمعصية كثير، وأنت أخو أمير المؤمنين وشقيقه، وصلاح الأمور وفسادها راجع عليك وعليه، إذ أنت ولي عهده، والمشارك في سلطانه وولايته، وقد تناولك أمير المؤمنين بكتاب، ووثق بمعاونتك على ما استعانك عليه من أموره، وفي إجابتك إياه إلى القدوم عليه صلاح عظيم في الخلافة، وأنس وسكون لأهل الملة والذمة وفق الله الأمير في أموره، وقضى له بالذي هو أحب إليه وأنفع له! فحمد الله المأمون وأثنى عليه، ثم قال: قد عرفتموني من حق أمير المؤمنين أكرمه الله ما لا أنكره، ودعوتوني من الموازنة والمعونة إلى ما أوثره ولا أدفعه، وأنا لطاعة أمير المؤمنين مقدم، وعلى المسارعة إلى ما سره ووافقه حريص، وفي

الروية تبيان الرأي، وفي أعمال الرأي نصح الاعتزام، والأمر الذي دعاني إليه أمير المؤمنين أمر لا أتأخر عنه ثبطاً ومدافعة، ولا أتقدم عليه اعتسافاً وعجلة، وأنا في ثغر من ثغور المسلمين كلب عدوه، شديد شوكته، وإن أهملت أمره لم آمن دخول الضرر والمكره على الجنود والرعية، وإن اقت لم آمن فوت ما أحب من معونة أمير المؤمنين وموازرتة، وإيثار طاعته، فأنصرفوا حتى أنظر في أمري، ونصح الرأي فيما أعتزم عليه من مسيري إن شاء الله ثم أمر بإكرامهم والإحسان إليهم.

فذكر سفيان بن محمد أن المأمون لما قرأ الكتاب أسقط في يده، وتعاظمه ما ورد عليه منه، ولم يدر ما يرد عليه، فدعا الفضل بن سهل، فأقرأه الكتاب، وقال: ما عندك في هذا الأمر؟ قال: أرى أن تتمسك بموضعك، ولا تجعل عليك سيلاً، وأنت تجد من ذلك بداً قال: وكيف يمكنني التمسك بموضعي ومخالفة محمد، وعظم القواد والجنود معه، وأكثر الأموال والخزائن قد صارت إليه، مع ما قد فرق في أهل بغداد من صلاته وفوائده! وإنما الناس مائلون مع الدراهم، منقادون لها، لا ينظرون إذا وجدوها حفظ بيعة، ولا يرغبون في وفاء عهد ولا أمانة فقال له الفضل: إذا وقعت التهمة حق الاحتراس، وأنا الغدر محمد متخوف، ومن شرهه إلى ما في يديك مشفق، ولأن تكون في جندك وعزك مقيماً بين ظهري أهل ولايتك أخرى، فإن دهمك منه أمر جردت له وناجزته وكايدته، فإما أعطاك الله الظفر عليه بوفائك ونيتك، أو كانت الأخرى فت محافظاً مكرماً، غير ملق بيديك، ولا ممكن عدوك من الاحتكام في نفسك ودمك قال: إن هذا الأمر لو كان أتاناً وأنا في قوة من أمري، وصلاح من الأمور، كان خطبه يسيراً، والاحتياط في دفعه ممكناً، ولكنه أتان بعد إفساد خراسان واضطراب عامرها وغامرها، ومفارقة جبغويه الطاعة، والتواء خاقان صاحب التبت، وتهيؤ ملك كابل للغارة على ما يليه من بلاد خراسان، وامتناع ملك ابراز بنده بالضريبة التي كان يؤديها، وما لي بواحدة من هذه الأمور يد، وأنا أعلم أن محمداً لم يطلب قدومي

إلا لشرير يده، وما أرى إلا تخلية ما أنا فيه، والحق بخاقان ملك الترك، والاستجارة به وبيلاده، فبالخرى أن آمن على نفسي، وأمتنع ممن أراد قهري والغدر بي.

فقال له الفضل: أيها الأمير، إن عاقبة الغدر شديدة، وتبعه الظلم والبغي غير مأمون شرها، ورب مستذل قد عاد عزيزاً، ومقهور قد عاد قاهراً مستطيلاً، وليس النصر بالقلة والكثرة، وخرج الموت أيسر من حرج الذل والضيم، وما أرى أن تفارق ما أنت فيه وتصير إلى طاعة محمد متجرداً من قوادك وجندك كالرأس المختزل عن بدنه، يجري عليك حكمه، فتدخل في جملة أهل مملكته من غير أن تبلي عذراً في جهاد ولا قتال، ولكن اكتب إلى جبغويه وخاقان، فولهما بلادهما، وعدهما التقوية لهما في محاربة الملوك، وابعث إلى ملك كابل بعض هدايا خراسان وطرفها، وسله المودعة تجده على ذلك حريصاً، وسلم الملك ابراز بنده ضريبتة في هذه السنة، وصيرها صله منك وصلته بها، ثم اجمع إليك أطرافك، واضم إليك من شذ من جندك، ثم اضرب الخليل بالخليل، والرجال بالرجال، فإن ظفرت وإلا كنت على ما تريد من اللحق بخاقان قادراً فعرف عبد الله صدق ما قال، فقال: اعمل في هذا الأمر وغيره من أموري بما ترى، وأنفذ الكتب إلى أولئك العصاة، فرضوا وأذعنوا، وكتب إلى من كان شاذاً عن مرو من القواد والجنود، فأقدمهم عليه، وكتب إلى طاهر بن الحسين وهو يومئذ عامل عبد الله علي الري، فأمره أن يضبط ناحيته، وأن يجمع إليه أطرافه، ويكون على حذر وعده من جيش ان طريقه، أو عدوان هجم عليه واستعد للحرب، وتبياً لدفع محمد عن بلاد خراسان.

ويقال: إن عبد الله بعث إلى الفضل بن سهل فاستشاره في أمر محمد، فقال: أيها الأمير، انظرني في يومي هذا أغد عليك برأي، فبات يدبر الرأي ليلته، فلما أصبح غدا عليه، فأعلمه أنه نظر في النجوم فرأى أنه سيغلبه، وأن العاقبة له فأقام عبد الله بموضعه، ووطن نفسه

على محاربة محمد ومناجزته

فلما فرغ عبد الله مما أراد إحكامه من امر خراسان، كتب الى محمد:

لعبد الله محمد أمير المؤمنين من عبد الله بن هارون، أما بعد، فقد وصل إلي كتاب أمير المؤمنين، وإنما أنا عامل من عماله وعون من أعوانه، أمرني الرشيد صلوات الله عليه بلزوم هذا الثغر، ومكيدة من كايده أهله من عدو أمير المؤمنين، ولعمري أن مقامي به، أرد على أمير المؤمنين وأعظم غناء عن المسلمين من الشخوص إلى أمير المؤمنين، وإن كنت مغتبطا بقربه، مسرورا بمشاهدة نعمة الله عنده، فإن رأى أن يقربني على عملي، ويعفيني من الشخوص إليه، فعل إن شاء الله والسلام.

ثم دعا العباس بن موسى وعيسى بن جعفر ومحمدا وصالحا، فدفع الكتاب إليهم، وأحسن إليهم في جوائزهم، وحمل إلى محمد ما تهيأ له من الطاف خراسان، وسألهم أن يحسنوا أمره عنده، وأن يقوموا بعذرهم.

قال سفيان بن محمد: لما قرأ محمد كتاب عبد الله، عرف أن المأمون لا يتابعه على القدوم عليه، فوجه عصمة بن حماد بن سالم صاحب حرسه، وأمره أن يقيم مسلحة فيما بين همدان والري، وأن يمنع التجار من حمل شيء إلى خراسان من الميرة، وأن يفتش المارة، فلا يكون معهم كتب باخباره وما يريد، وذلك سنة أربع وتسعين ومائة ثم عزم على محاربته، فدعا على ابن عيسى بن ماهان، فعقد له على خمسين الف فارس ورجل من أهل بغداد، ودفع إليه دفاتر الجند، وأمره أن ينتقي ويتخير من أراد على عينه، ويخص من أحب ويرفع من أراد إلى الثمانين، وأمكنه من السلاح وبيوت الأموال، ثم وجهوا إلى المأمون.

فذكر يزيد بن الحارث، قال: لما أراد علي الشخوص إلى خراسان ركب إلى باب أم جعفر، فودعها، فقالت: يا علي، إن أمير المؤمنين وإن كان ولدي، إليه تناهت شفقتي، وعليه تكامل حذري، فإني على عبد الله منعطفة مشفقة، لما يحدث عليه من مكروه وأذى، وإنما ابني ملك نافس أخاه في

سلطانه، وغاره على ما في يده، والكريم يأكل لحمه ويمنعه غيره، فاعرف لعبد الله حق والده وأخوته، ولا تجهه بالكلام، فإنك لست نظيره، ولا تقتصره اقتسار العبيد، ولا ترهقه ب قيد ولا غل، ولا تمنع منه جارية ولا خادما، ولا تعنف عليه في السير، ولا تساوه في المسير، ولا تركب قبله، ولا تستقل على دابتك حتى تأخذ بركابه، وإن شمتك فاحتمل منه، وإن سفه عليك فلا تراده ثم دفعت إليه قيدا من فضة، وقالت: إن صار في يدك فقيده بهذا القيد فقال لها: سأقبل أمرك، وأعمل في ذلك بطاعتك.

وأظهر محمد خلع المأمون، وبايع لابنيه- في جميع الآفاق إلا خراسان- موسى وعبد الله، وأعطى عند بيعتهما بني هاشم والقواد والجند الأموال والجوائز، وسمى موسى الناطق بالحق، وسمى عبد الله القائم بالحق ثم خرج علي بن عيسى لسبع ليال خلون من شعبان سنة خمس وتسعين ومائة من بغداد حتى عسكر بالنهروان، وخرج معه يشيعه محمد، وركب القواد والجنود، وحشرت الأسواق، وأشخص معه الصناع والفعلة، فيقال: أن عسكره كان فرسخا بفسطاطيه وأهبطه وأثقاله، فذكر بعض أهل بغداد أنهم لم يروا عسكرا كان أكثر رجالا، وأفره كراعا، وأظهر سلاحا، وأتم عدة، وأكل هيئة، من عسكره.

وذكر عمرو بن سعيد أن محمدا لما جاز باب خراسان نزل على قترجل، وأقبل يوصيه، فقال: امنع جندك من العبث بالرعية والغارة على أهل القرى وقطع الشجر وانتهاك النساء، وول الري يحيى بن علي، وأضم إليه جندا كثيفا، ومره ليدفع إلى جنده أرزاقهم مما يجبي من خراجها، وول كل كورة ترحل عنها رجلا من أصحابك، ومن خرج إليك من جند أهل خراسان ووجوهها فأظهر إكرامه وأحسن جائزته، ولا تعاقب أخا بأخيه، وضع عن أهل خراسان ربع الخراج، ولا تؤمن أحدا رماك بسهم، أو طعن في أصحابك برمح، ولا تأذن لعبد الله في المقام أكثر من ثلاثة من اليوم الذي تظهر فيه عليه، فإذا اشخصته فليكن مع أوثق أصحابك عندك، فإن غره الشيطان فनावيك

فأحرص على أن تأسره أسرا، وإن هرب منك إلى بعض كور خراسان، فتول إليه المسير بنفسك أفهمت كل ما أوصيك به؟ قال: نعم، أصلح الله أمير المؤمنين! قال: سر على بركة الله وعونه! وذكر أن منجمه أتاه فقال: أصلح الله الأمير! لو انتظرت بمسيرك صلاح القمر، فإن النحوس عليه عالية، والسعود عنه ساقطة منصرفة! فقال لغلام له: يا سعيد، قل لصاحب المقدمة يضرب بطله ويقدم عليه، فإنا

لا ندري ما فساد القمر من صلاحه، غير أنه من نازلنا نازلناه، ومن وادعنا وادعناه وكففنا عنه، ومن حاربنا وقاتلنا لم يكن لنا إلا ارواء السيف من دمه إنا لا نعتد بفساد القمر، فإنا وطننا أنفسنا على صدق اللقاء ومناجزة الأعداء.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ فِيمَنْ خَرَجَ فِي عَسْكَرِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى بْنِ مَاهَانَ، فَلَمَّا جَازَ حُلُوانَ لَقِيْتَهُ الْقَوَافِلَ مِنْ خِرَاسَانَ، فَكَانَ يَسْأَلُهَا عَنِ الْأَخْبَارِ، يَسْتَطْلِعُ عِلْمَ أَهْلِ خِرَاسَانَ، فَيَقَالُ لَهُ: إِنَّ طَاهِرًا مَقِيمٌ بِالرِّيِّ يَعْرِضُ أَصْحَابَهُ، وَيَرْمِ آلَتَهُ، فَيَضْحَكُ ثُمَّ يَقُولُ: وَمَا طَاهِرُ! فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا شَوْكَةٌ مِنْ أَغْصَانِي، أَوْ شَرَارَةٌ مِنْ نَارِي، وَمَا مِثْلُ طَاهِرٍ يَتَوَلَّى عَلَى الْجِيُوشِ، وَيَلْقَى الْحُرُوبَ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَنْقُصَ انْقِصَافُ الشَّجَرِ مِنَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ، إِلَّا أَنْ يَبْلُغَهُ عُبُورُنَا عَقِبَةَ هَمْدَانَ، فَإِنَّ السَّخَالَ لَا تَقْوَى عَلَى النَّطَاحِ، وَالثَّعَالِبِ لَا صَبْرَ لَهَا عَلَى لِقَاءِ الْأَسَدِ، فَإِنْ يَقُمْ طَاهِرٌ بِمَوْضِعِهِ يَكُنْ أَوَّلَ مَعْرِضٍ لَطَبَاةِ السِّيُوفِ وَأَسْنَةِ الرِّمَاحِ.

وَذَكَرَ يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى لَمَّا صَارَ إِلَى عَقِبَةِ هَمْدَانَ اسْتَقْبَلَ قَافِلَةً قَدِمَتْ مِنْ خِرَاسَانَ، فَسَأَلَهُمْ عَنِ الْخَبَرِ، فَقَالُوا: إِنَّ طَاهِرًا مَقِيمٌ بِالرِّيِّ، وَقَدْ اسْتَعَدَّ لِلْقِتَالِ، وَاتَّخَذَ آلَةَ الْحَرْبِ، وَإِنَّ الْمَدَدَ يَتَرَى عَلَيْهِ مِنْ خِرَاسَانَ وَمَا يَلِيهَا مِنَ الْكُورِ، وَإِنَّهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَعْظُمُ أَمْرَهُ، وَيَكْثُرُ

أَصْحَابَهُ، وَإِنَّهُمْ يَرُونَ أَنَّهُ صَاحِبُ جَيْشِ خِرَاسَانَ قَالَ عَلِيٌّ: فَهَلْ شَخْصٌ مِنْ أَهْلِ خِرَاسَانَ أَحَدٌ يَعْتَدُّ بِهِ؟ قَالُوا: لَا، غَيْرَ أَنَّ الْأُمُورَ بِهَا مُضْطَرِبَةٌ، وَالنَّاسُ رَعِبُونَ، فَأَمَرَ بِطِيِّ الْمَنَازِلِ وَالْمَسِيرِ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِنَّ نَهَايَةَ الْقَوْمِ الرِّيِّ، فَلَوْ قَدْ صَبَرْنَا هَا خَلْفَ ظَهْرِنَا فَتَ ذَلِكَ فِي أَعْضَادِهِمْ، وَانْتَشَرَ نِظَامُهُمْ، وَتَفَرَّقَتْ جَمَاعَتُهُمْ ثُمَّ أُنْفَذَ الْكُتُبُ إِلَى مَلُوكِ الدَّيْلَمِ وَجِبَالِ طَبْرِسْتَانَ وَمَا وَالِهَا مِنَ الْمُلُوكِ، يَعْدُهُمُ الصَّلَاتُ وَالْجَوَائِزُ وَأَهْدَى إِلَيْهِمُ التَّيْجَانَ وَالْأَسُورَةَ وَالسِّيُوفَ الْمُحَلَّلَةَ بِالذَّهَبِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقْطَعُوا طَرِيقَ خِرَاسَانَ، وَيَمْنَعُوا مَنْ أَرَادَ الْوُصُولَ إِلَى طَاهِرٍ مِنَ الْمَدَدِ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ، وَسَارَ حَتَّى صَارَ فِي أَوَّلِ بِلَادِ الرِّيِّ، وَأَتَاهُ صَاحِبُ مَقْدَمَتِهِ، فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ - أَبْقَى اللَّهُ الْأَمِيرَ - أَذَكَيْتَ الْعَيُونَ، وَبَعَثْتَ الطَّلَاعَ، وَارْتَدَّتْ مَوْضِعًا تَعْسَكَرَ فِيهِ، وَتَتَخَذُ خَنْدَقًا لِأَصْحَابِكَ يَأْمَنُونَ بِهِ، كَانَ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي الرَّأْيِ، وَأَنْسَ لِلْجَنْدِ قَالَ: لَا، لَيْسَ مِثْلُ طَاهِرٍ يَسْتَعِدُّ لَهُ بِالْمَكَايِدِ وَالتَّحْفِظِ، إِنَّ حَالَ طَاهِرٍ تَوَوَّلَ إِلَى أَحَدٍ أَمْرَيْنِ:

إِمَّا أَنْ يَتَحَصَّنَ بِالرِّيِّ فَيُجِيبُهُ أَهْلُهَا فَيَكْفُونَا مَوْتَهُ، أَوْ يَخْلِيهَا وَيُدِيرُ رَاجِعًا لَوْ قَرِبَتْ خِيُولُنَا وَعَسَاكِرُنَا مِنْهُ وَأَتَاهُ يُحْيِي بْنُ عَلِيٍّ، فَقَالَ: اجْمَعْ مَتَفَرِّقَ الْعَسْكَرِ، وَاحْذَرِ عَلَى جَنْدِكَ الْبِيَاتِ، وَلَا تَسْرَحِ الْخَيْلَ إِلَّا وَمَعَهَا كَنْفٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَإِنَّ الْعَسَاكِرَ لَا تَسَاسُ بِالتَّوَانِي، وَالْحُرُوبُ لَا تَدْبُرُ بِالْإِغْتِرَارِ، وَالثَّقَّةُ أَنْ تَحْتَرِزَ، وَلَا تَقُلْ: إِنَّ الْحَارِبَ لِي طَاهِرٌ، فَالْشَّرَارَةُ الْخَفِيَّةُ رُبَّمَا صَارَتْ ضَرَامًا، وَالثَّلَاثَةُ مِنَ السَّيْلِ رُبَّمَا اغْتَرَبَهَا وَتَهَوَّنَ فَصَارَتْ بَحْرًا عَظِيمًا، وَقَدْ قَرِبَتْ عَسَاكِرُنَا مِنْ طَاهِرٍ، فَلَوْ كَانَ رَأْيُهُ الْهَرَبَ لَمْ يَتَأَخَّرْ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا قَالَ:

اسْكُتْ، فَإِنَّ طَاهِرًا لَيْسَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي تَرَى، وَإِنَّمَا تَحْفَظُ الرِّجَالَ إِذَا لَقِيتَ أَقْرَانَهَا، وَتَسْتَعِدُّ إِذَا كَانَ الْمَنَاوِيُّ لَهَا أَكْفَاءَهَا وَنَظَرَاءَهَا وَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَجَالِدٍ، قَالَ: أَقْبَلَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى حَتَّى نَزَلَ مِنَ الرِّيِّ عَلَى عَشْرَةِ فَرَاسِخٍ، وَبِهَا طَاهِرٌ قَدْ سَدَّ أَبْوَابَهَا، وَوَضَعَ الْمَسَاحَ عَلَى طَرَفِهَا، وَاسْتَعَدَّ لِمُحَارَبَتِهِ، فَشَاوَرَ طَاهِرَ أَصْحَابَهُ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ أَنْ يَقِيمَ بِمَدِينَةِ الرِّيِّ، وَيُدَافِعَ الْقِتَالَ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْ خِرَاسَانَ الْمَدَدُ مِنَ الْخَيْلِ، وَقَائِدُ

يَتَوَلَّى الْأَمْرَ دُونَهُ، وَقَالُوا: إِنَّ مَقَامَكَ بِمَدِينَةِ الرِّيِّ أَرْفَقَ بِأَصْحَابِكَ، وَأَقْدَرُ لَهُمْ عَلَى الْمِيرَةِ، وَأَكْنَ مِنَ الْبَرْدِ، وَأُخْرَى إِنْ دَهَمَكَ قِتَالُ أَنْ يَعْتَصِمُوا بِالْبِيوتِ، وَتَقْوَى عَلَى الْمَمَاطِلَةِ وَالْمَطَاوِلَةِ، إِلَى أَنْ يَأْتِيَكَ مَدَدٌ، أَوْ تَرُدَّ عَلَيْكَ قُوَّةٌ مِنْ خَلْفِكَ فَقَالَ طَاهِرٌ: إِنَّ الرَّأْيَ لَيْسَ مَا رَأَيْتُمْ، إِنَّ أَهْلَ الرِّيِّ لَعَلِيَّ هَائِبُونَ، وَمِنْ مَعْرَتِهِ وَسَطَوْتِهِ مَتَقُونَ، وَمَعَهُ مِنْ قَدْ بَلَغَكُمْ مِنْ أَعْرَابِ الْبُؤَادِيِّ وَصَعَالِيكِ الْجِبَالِ وَلَفِيْفِ الْقُرَى، وَلَسْتُ أَمِنُ إِنْ هَجَمَ عَلَيْنَا مَدِينَةُ الرِّيِّ أَنْ يَدْعُو أَهْلُهَا خَوْفَهُمْ إِلَى الْوُثُوبِ بِنَا، وَيَعِينُوهُ عَلَى قِتَالِنَا، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَوْمٌ قَطُّ رَوَعُوا فِي دِيَارِهِمْ، وَتَوَرَّدَ عَلَيْهِمْ عَسَاكِرُهُمْ إِلَّا وَهْنًا وَذُلًا، وَذَهَبَ عِزُّهُمْ، وَاجْتَرَأَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ وَمَا الرَّأْيُ إِلَّا أَنْ نَصِيرَ مَدِينَةَ الرِّيِّ قَفَا ظَهْرِنَا، فَإِنْ أَعْطَانَا اللَّهُ الظَّفَرَ، وَإِلَّا عَوَّلْنَا عَلَيْهَا فَقَاتَلْنَا فِي سَكْكِهَا، وَتَحَصَّنَا فِي مَنَعَتِهَا إِلَى أَنْ يَأْتِيَنَا مَدَدٌ أَوْ قُوَّةٌ مِنْ خِرَاسَانَ قَالُوا: الرَّأْيُ مَا رَأَيْتَ فَنَادَى طَاهِرٌ فِي أَصْحَابِهِ نَفَرُوا فَعَسَكُوا عَلَى خَمْسَةِ فَرَاسِخٍ مِنَ الرِّيِّ بِقَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا كَلَوَاصُ، وَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ فَقَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنَّ جَنْدَكَ قَدْ هَابُوا هَذَا الْجَيْشَ، وَامْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ خَوْفًا وَرَعْبًا مِنْهُ، فَلَوْ أَقَمْتَ بِمَكَانِكَ، وَدَافَعْتَ الْقِتَالَ إِلَى أَنْ يَشَاهِمَ أَصْحَابَكَ، وَيَأْنَسُوا بِهِمْ، وَيَعْرِفُوا وَجْهَ الْمَأْخِذِ فِي قِتَالِهِمْ! فَقَالَ: لَا، إِنِّي لَا أَوْتَى مِنْ قِلَّةِ تَجَرُّبَةٍ وَحَزْمٍ، إِنَّ أَصْحَابِي قَلِيلٌ، وَالْقَوْمُ عَظِيمٌ سَوَادُهُمْ كَثِيرٌ

عددهم، فإن دافعت القتال، وأخرت المناجزة لم آمن أن يطلعوا على قتلنا وعورتنا، وأن يستميلوا من معي برغبة أو رهبة، فينفر عني أكثر أصحابي، ويخذلني أهل الحفاظ والصبر، ولكن ألف الرجال بالرجال، وألحم الخيل بالخيول، واعتمد على الطاعة والوفاء، واصبر صبر محتسب للخير، حريص على الفوز بفضل الشهادة، فإن يرزق الله الظفر والفالج فذلك الذي نريد ونرجو، وإن تكن الأخرى، فلست بأول من قاتل فقتل، وما عند الله أجزل وأفضل.

وقال علي لأصحابه: بادروا القوم، فإن عددهم قليل، ولو زحفتم إليهم لم يكن لهم صبر على حرارة السيوف وطعن الرماح وعبا جنده ميمنة

وميسرة وقلبا، وصبر عشر رايات، في كل راية ألف رجل، وقدم الرايات راية راية، فصير بين كل راية وراية غلوة، وأمر أمراءها: إذا قاتلت الأولى فصبرت وحمت وطال بها القتال أن تقدم التي تليها وتؤخر التي قاتلت حتى ترجع إليها أنفسها، وتستريح وتنشط للمحاربة والمعاودة وصبر أصحاب الدروع والجواشن والخذوذ أمام الرايات، ووقف في القلب في أصحابه من أهل البأس والحفاظ والنجدة منهم وكتب طاهر بن الحسين كتابه وكردس كراديسه، وسوى صفوفه، وجعل يمر بقائد قائد، وجماعة جماعة، فيقول: يا أولياء الله واهل الوفاء والشكر، انكم لستم كهؤلاء الذين ترون من أهل النكث والغدر، إن هؤلاء ضيعوا ما حفظتم وصغروا ما عظمت، ونكثوا الإيمان التي رعيتم، وإنما يطلبون الباطل ويقاثلون على الغدر والجهل، أصحاب سلب ونهب، فلو قد غضضتم الأبصار، وأثبتم الأقدام! قد أنجز الله وعده، وفتح عليكم أبواب عزه ونصره، فجالدوا طواغيت الفتنة ويعاسيب النار عن دينكم، ودافعوا بحقكم باطلهم، فإنما هي ساعة واحدة حتى يحكم الله بينكم وهو خير الحاكمين.

وقلق قلقا شديدا، وأقبل يقول: يا أهل الوفاء والصدق، الصبر الصبر الحفاظ الحفاظ! وتزاحف الناس بعضهم الى بعض، ووثب أهل الري، فغلغوا أبواب المدينة، ونادى طاهر: يا أولياء الله، اشتغلوا بمن أمامكم عن خلفكم، فإنه لا ينجيكم إلا الجد والصدق وتلاحموا واقتتلوا قتالا شديدا، وصبر الفريقان جميعا، وعلت ميمنة علي على ميسرة طاهر ففضتها فضا منكرا، وميسرته على ميمنته فأزالها عن موضعها وقال طاهر: اجعلوا بأسكم وجدكم على كراديس القلب، فإنكم لو فضضتم منها راية واحدة رجعت أوائلها على أواخرها فصبر أصحابه صبرا صادقا، ثم حملوا على أوائل رايات القلب فهزموهم، وأكثروا فيهم القتل، ورجعت الرايات بعضها على بعض، وانتقضت ميمنة علي ورأى أصحاب ميمنة طاهر وميسرته ما عمل أصحابه، فرجعوا على من كان في وجوههم، فهزموهم، وانتهت الهزيمة إلى علي فجعل ينادي أصحابه: أين أصحاب الأسورة والأكايل! يا معشر الأبناء، إلى الكرة بعد الفرقة، معاودة الحرب من الصبر فيها ورماء رجل من أصحاب طاهر بسهم فقتله، ووضعوا فيهم السيوف يقتلونهم ويأسرونهم، حتى حال الليل بينهم وبين الطلب، وغنموا غنيمة كثيرة، ونادى طاهر في أصحاب علي:

من وضع سلاحه فهو آمن، فطرحوا أسلحتهم، ونزلوا عن دوابهم، ورجع طاهر إلى مدينة الري، وبعث بالأسرى والرءوس إلى المأمون. وذكر أن عبد الله بن علي بن عيسى طرح نفسه في ذلك اليوم بين القتلى، وقد كانت به جراحات كثيرة، فلم يزل بين القتلى متشبها بهم يومه وليلته، حتى أمن الطلب، ثم قام فانضم إلى جماعة من فل العسكر، ومضى إلى بغداد، وكان من أكابر ولده.

وذكر سفيان بن محمد أن عليا لما توجه إلى خراسان بعث المأمون إلى من كان معه من القواد يعرض عليهم قتاله رجلا رجلا، فكلهم يصرح بالهيبة، ويعتل بالعلل، ليجدوا إلى الإعفاء من لقائه ومحاربتة سبيلا.

وذكر بعض أهل خراسان أن المأمون لما أتاه كتاب طاهر، بخبر علي وما أوقع الله به، قعد للناس، فكانوا يدخلون فيهنثونه ويدعون له بالعز والنصر.

وإنه في ذلك اليوم أعلن خلع محمد، ودعى له بالخلافة في جميع كور خراسان وما يليها، وسر أهل خراسان، وخطب بها الخطباء، وأنشدت الشعراء، وفي ذلك يقول شاعر من اهل خراسان:

أصبحت الأمة في غبطة ... من أمر دنياها ومن دينها
إذ حفظت عهد إمام الهدى ... خير بني حواء مأمونها
على شفا كانت فلما وفّت ... تخلصت من سوء تحيينها

قامت بحق الله إذ زيرت ... في ولده كتب دواوينها
ألا تراها كيف بعد الردى ... وفقها الله لتزيينها!
وهي أبيات كثيرة

٨٠٤٩٠٤ توجيه الامين عبد الرحمن بن جبلة لحرب طاهر

وذكر علي بن صالح الحربي أن علي بن عيسى لما قتل، أرجف الناس ببغداد إرجافاً شديداً، وندم محمد علي ما كان من نكثه وغدره، ومشى القواد بعضهم إلى بعض، وذلك يوم الخميس للنصف من شوال سنة خمس وتسعين ومائة، فقالوا: إن علينا قد قتل، ولسنا نشك أن محمداً يحتاج إلى الرجال واصطناع أصحاب الصنائع، وإنما يحرك الرجال أنفسهم، ويرفعها بأسها وإقدامها، فليأمر كل رجل منكم جنده بالشغب وطلب الأرزاق والجوائز، فلعلنا أن نصيب منه في هذه الحالة ما يصلحنا، ويصلح جندنا فاتفق على ذلك رأيهم وأصبحوا، فتوافوا إلى باب الجسر وكبروا، فطلبوا الأرزاق والجوائز وبلغ الخبر عبد الله بن خازم، فركب إليهم في أصحابه وفي جماعة غيره من قواد الأعراب، فتراموا بالشباب والحجارة، واقتتلوا قتالاً شديداً، وسمع محمد التكبير والضجيج، فأرسل بعض مواليه أن يأتيه بالخبر، فرجع إليه فأعلمه أن الجند قد اجتمعوا وشغبوا لطلب أرزاقهم قال: فهل يطلبون شيئاً غير الأرزاق؟ قال: لا، قال: ما أهون ما طلبوا! أرجع إلى عبد الله ابن خازم فره فلينصرف عنهم، ثم أمر لهم بأرزاق أربعة أشهر، ورفع من كان دون الثمانين إلى الثمانين، وأمر للقواد والخواص بالصلوات والجوائز

• توجيه الامين عبد الرحمن بن جبلة لحرب طاهر

وفي هذه السنة وجه محمد المخلوع عبد الرحمن بن جبلة الأبنواوي إلى همدان لحرب طاهر.
ذكر الخبر عن ذلك:

ذكر عبد الله بن صالح أن محمداً لما انتهى إليه قتل علي بن عيسى بن ماهان، واستباحة طاهر عسكره، وجه عبد الرحمن الأبنواوي في عشرين ألف رجل من الأبناء، وحمل معه الأموال، وقواه بالسلاح والخيول، وأجازه بجوائز، وولاه حلوان إلى ما غلب عليه من أرض خراسان، وندب معه فرسان الأبناء وأهل البأس والنجدة والغناء منهم، وأمره بالإكاش في السير، وتقليل اللبث والتضجع، حتى ينزل مدينة همدان، فيسبق طاهراً إليها، ويخندق عليه وعلى أصحابه، ويجمع إليه آله الحرب، ويغادي طاهراً وأصحابه إلى القتال وبسط يده وأنفذ أمره في كل ما يريد العمل به، وتقدم إليه في التحفظ والاحتراس، وترك ما عمل به علي من الاغترار والتضجع، فتوجه عبد الرحمن حتى نزل مدينة همدان، فضبط طرقها، وحصن سورها وأبوابها، وسد ثلها، وحشر إليها الأسواق والصنائع، وجمع فيها الآلات والمير، واستعد للقاء طاهر ومحاربه وكان يحيى بن علي لما قتل أبوه هرب في جماعة من أصحابه، فأقام بين الري وهمدان، فكان لا يمر به أحد من فل أبيه إلا احتبسه، وكان يرى أن محمداً سيوليه مكان أبيه، ويوجه إليه الخيل والرجال، فأراد أن يجمع الفل إلى أن يوافيه القوة والمدد، وكتب إلى محمد يستمده ويستجده، فكتب إليه محمد يعلمه توجيه عبد الرحمن الأبنواوي، ويأمره بالمقام موضعه، وتلقى طاهر فيمن معه، وإن احتاج إلى قوة ورجال كتب إلى عبد الرحمن فقواه وأعانه.

فلما بلغ طاهراً الخبر توجه نحو عبد الرحمن وأصحابه، فلما قرب من يحيى، قال يحيى لأصحابه: إن طاهراً قد قرب منا ومعه من تعرفون من رجال خراسان وفرسانها، وهو صاحبكم بالأمس، ولا آمن إن لقيته بمن معي من هذا الفل أن يصدعنا صدعاً يدخل وهنه على من خلفنا، وأن يعتل عبد الرحمن بذلك، ويقلدي به العار والوهن والعجز عند أمير المؤمنين، وأن أستنجد به واقمت على انتظار مدده، لم آمن أن يمسك عنا ضناً برجاله وإبقاء عليهم، وشحاً بهم على القتل، ولكن نتزاحف إلى مدينة همدان فنعسكر قريباً من عبد الرحمن، فإن استعنا به قرب منا عون، وإن احتاج إلينا أعناه وكنا بفنائهم، وقاتلنا معه قالوا: الرأي ما رأيت، فانصرف يحيى، فلما قرب من مدينة همدان خذله أصحابه، وتفرق أكثر من كان اجتمع إليه، وقصد طاهر لمدينة همدان، فأشرف عليها، ونادى عبد الرحمن في أصحابه، فخرج على تعبته، فصادف طاهراً، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وصبر الفريقان جميعاً، وكثر القتلى والجرحى فيهم ثم إن عبد الرحمن انهزم، فدخل مدينة همدان، فأقام بها أياماً حتى قوي أصحابه، واندمل جرحاهم، ثم أمر بالاستعداد،

وزحف إلى طاهر، فلما رأى طاهر أعلامه وأوائل أصحابه قد طلوعوا، قَالَ لأصحابه: إن عبد الرحمن يريد أن يتراءى لكم، فإذا قربتم منه قاتلكم، فإن هزمتموه بادر إلى المدينة فدخلها، وقاتلكم على خندقها، وامتنع بأبوابها وسورها، وإن هزمتكم اتسع لهم المجال عليكم، وأمكنته سعة المعترك من قتالكم، وقتل من انهزم، وولى منكم، ولكن قفوا من خندقنا وعسكرنا قريباً، فإن تقارب منا قاتلناه، وإن بعد من خندقهم قربنا منه فوقف طاهر مكانه، وظن عبد الرحمن أن الهيبة بطأت به من لقائه والنهوض إليه، فبادر قتاله فاقتتلوا قتالاً شديداً، وصبر طاهر، وأكثر القتل في أصحاب عبد الرحمن، وجعل عبد الرحمن يقول لأصحابه: يا معشر الأبناء، يا أبناء الملوك وألغاف السيوف، إنهم العجم، وليسوا بأصحاب مطاولة ولا صبر، فاصبروا لهم فداكم أبي وأمي! وجعل يمر على راية رايه، فيقول: اصبروا، انما صبرنا ساعه، هذا أول الصبر والظفر وقاتل بيديه قتالاً شديداً، وحمل حملات منكراً ما منها حملة إلا وهو يكثر في أصحاب طاهر القتل، فلا يزول أحد ولا يتزحج ثم إن رجلاً من أصحاب طاهر حمل على أصحاب عبد الرحمن فقتله، وزحهم أصحاب طاهر زحمة شديدة، فولوهم أكثافهم، فوضعوا فيهم السيوف، فلم يزلوا يقتلونهم حتى انتهوا بهم إلى باب مدينة همدان، فأقام طاهر على باب المدينة محاصراً لهم وله، فكان عبد الرحمن يخرج في كل يوم فيقاتل على أبواب المدينة، ويرمي أصحابه بالحجارة من فوق السور، واشتد بهم الحصار، وتأذى بهم أهل المدينة، وتبرموا بالقتال والحرب، وقطع طاهر عنهم المادة من كل وجه فلما رأى عبد الرحمن، ورأى أصحابه قد هلكوا وجهدوا، وتخوف أن يثب به أهل همدان أرسل إلى طاهر فسأله

٨٠٤٩٠٥ تسميه طاهر بن الحسين ذا اليمينين

٨٠٤٩٠٦ ظهور السفيناني بالشام

٨٠٤٩٠٧ طرد طاهر عمال الامين عن قزوين وكور الجبال

الأمان له ولمن معه، فأمنه طاهر ووفى له، واعتزل عبد الرحمن فيمن كان استأمن معه من أصحابه وأصحاب يحيى بن علي. تسميه طاهر بن الحسين ذا اليمينين وفي هذه السنة سمي طاهر بن الحسين ذا اليمينين. ذكر الخبر عن ذلك:

قد مضى الخبر عن السبب الذي من أجله سمي بذلك، ونذكر الذي سماه بذلك.

ذكر أن طاهراً لما هزم جيش علي بن عيسى بن ماهان، وقتل علي بن عيسى، كتب إلى الفضل بن سهل: أطل الله بقاءك، وكبت أعداءك، وجعل من يشنؤك فداك! كتبت إليك ورأس علي بن عيسى في حجري، وخاتمه في يدي، والحمد لله رب العالمين فنهض الفضل، فسلم على المأمون بأمر المؤمنين، فأمد المأمون طاهر بن الحسين بالرجال والقواد، وسماه ذا اليمينين، وصاحب جبل الدين، ورفع من كان معه في دون الثمانين إلى الثمانين. ظهور السفيناني بالشام

وفي هذه السنة ظهر السفيناني علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية، فدعا إلى نفسه، وذلك في ذي الحجة منها، فطرد عنها سليمان بن أبي جعفر بعد حصره إياه بدمشق - وكان عامل محمد عليها - فلم يفلت منه إلا بعد اليأس، فوجه إليه محمد المخلوع الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان، فلم ينفذ إليه، ولكنه لما صار إلى الرقة أقام بها.

طرد طاهر عمال الامين عن قزوين وكور الجبال

وفي هذه السنة طرد طاهر عمال محمد عن قزوين وسائر كور الجبال.

ذكر الخبر عن سبب لك:

ذكر علي بن عبد الله بن صالح أن طاهراً لما توجه إلى عبد الرحمن

٨٠٤٩٠٨ ذكر قتل عبد الرحمن بن جبلة الأبنوي

الأبنوي بهمدان، تخوف أن يثب به كثير بن قاده- وهو بقزوين عامل من عمال محمد- في جيش كثيف إن هو خلفه وراء ظهره، فلما قرب طاهر من همدان أمر أصحابه بالنزول فنزلوا ثم ركب في ألف فارس وألف راجل، ثم قصد قصد كثير بن قاده، فلما قرب منه هرب كثير وأصحابه، وأخلى قزوين، وجعل طاهر فيها جندا كثيفا، وولاهها رجلا من أصحابه، وأمر أن يحارب من أراد دخولها من أصحاب عبد الرحمن الأبنوي وغيرهم.

ذكر قتل عبد الرحمن بن جبلة الأبنوي
وفي هذه السنة قتل عبد الرحمن بن جبلة الأبنوي بأسداباذ.
ذكر الخبر عن مقتله:

ذكر عبد الرحمن بن صالح أن محمدا المخلوع لما وجه عبد الرحمن الأبنوي إلى همدان، أتبعه بابني الحرشي: عبد الله وأحمد، في خيل عظيمة من أهل بغداد، وأمرهما أن ينزلا قصر اللصوص، وأن يسمعا ويطيعا لعبد الرحمن، ويكونا مددا له إن احتاج إلى عونهما فلما خرج عبد الرحمن إلى طاهر في الأمان أقام عبد الرحمن يري طاهرا وأصحابه أنه له مسلم، راض بعهودهم وأيمانهم، ثم اغترهم وهم آمنون فركب في أصحابه، فلم يشعر طاهر وأصحابه حتى هجموا عليهم، فوضعوا فيهم السيوف، فثبت لهم رجاله أصحاب طاهر بالسيوف والتراس والنشاب، وجثوا على الركب، فقاتلوه كأشد ما يكون من القتال، ودافعهم الرجال إلى أن أخذت الفرسان عدتها وأهبتها، وصدقوهم القتال، فاقتتلوا قتالا منكرا، حتى تقطعت السيوف، وتقصفت الرماح ثم إن أصحاب عبد الرحمن هربوا، وترجل هو في ناس من أصحابه، فقاتل حتى قتل، فجعل أصحابه يقولون له: قد أمكنك الحرب فاهرب، فإن القوم قد كلوا من القتال، وأتعبتهم الحرب، وليس بهم حراك ولا قوة على الطلب، فيقول: لا أرجع أبدا، ولا يرى أمير المؤمنين وجهي منهزما وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة، واستبيح عسكره، وانتهى من أفلت من أصحابه إلى عسكر عبد الله وأحمد ابني الحرشي، فدخلهم الوهن والفشل، وامتلات قلوبهم خوفا ورعبا فولوا منهزمين لا يلوون على شيء من غير أن يلقاهم أحد، حتى صاروا إلى بغداد، وأقبل طاهر وقد خلت له البلاد، يجوز بلدة بلدة، وكورة وكورة، حتى نزل بقرية من قرى حلوان يقال لها شلاشان، فنقدق بها، وحصن عسكره، وجمع إليه أصحابه وقال رجل من الأبناء يرثي عبد الرحمن الأبنوي:

ألا إنما تبكي العيون لفارس نفى العار عنه بالمناصل والقنا تجلى غبار الموت عن صحن وجهه وقد أحرز العليا من المجد واقتنى فتى لا يبالي أن دنا من مروءة أصاب مصون النفس أو ضيع الغنى يقيم لأطراف الذوايل سوقها ولا يرهب الموت المتاح إذا دنا وكان العامل في هذه السنة على مكة والمدينة من قبل محمد بن هارون داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وهو الذي حج بالناس في هذه السنة وستين قبلها وذلك سنة ثلاث وتسعين ومائة، وأربع وتسعين ومائة.

وعلى الكوفة العباس بن موسى الهادي من قبل محمد.

وعلى البصرة منصور بن المهدي من قبل محمد.

وبخراسان المأمون، وببغداد أخوه محمد.

٨٠٥٠ سنه ست وتسعين ومائة

٨٠٥٠١ ذكر توجيه الامين الجيوش لحرب طاهر بن الحسين

ثم دخلت

سنة ست وتسعين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر توجيه الامين الجيوش لحرب طاهر بن الحسين

فما كان من ذلك حبس محمد بن هارون أسد بن يزيد بن مزيد، وتوجيهه أحمد بن مزيد وعبد الله بن حميد بن قحطبة إلى حلوان لحرب طاهر.

ذكر الخبر عن سبب حبسه وتوجيهه من ذكرت:

ذكر عن عبد الرحمن بن وثاب أن أسد بن يزيد بن يزيد حدثه، أن الفضل بن الربيع بعث إليه بعد مقتل عبد الرحمن الأبنائي قال: فأتيته، فلما دخلت عليه وجدته قاعدا في صحن داره، وفي يده رقعة قد قرأها، واحمرت عيناه، واشتد غضبه، وهو يقول: ينام نوم الظربان، وينتبه انتباه الذئب، همه بطنه، يخاتل الرعاء والكلاب ترصده. لا يفكر في زوال نعمة، ولا يروي في إمضاء رأي ولا مكيدة، قد ألماه كأسه، وشغله قدحه، فهو يجري في لهوه، والأيام توضع في هلاكه، قد شمر عبد الله له عن ساقه، وفوق له اصوب أسهمه، يرميه على بعد الدار بالحتف النافذ، والموت القاصد، قد عي له المنيا على متون الخيل، وناط له البلاء في أسنة الرماح وشفار السيوف ثم استرجع، وتمثل بشعر البعيث:

ومجدولة جدل العنان خريدة ... لها شعر جعد ووجه مقسم
وثغر نقي اللون عذب مذاقه ... تضيء لها الظلماء ساعة تبسم
وثديان كالحقين، والبطن ضامر ... خميص، وجههم ناره تنضم
لهوت بها ليل التمام ابن خالد ... وأنت بمرور الروذ غيظا تجرم
أظل أناغيها وتحت ابن خالد ... أمية نهد المركلين عثم
طواها طراد الخيل في كل غارة ... لها عارض فيه الأسنة ترزم
يقارع أتراك ابن خاقان ليلة ... إلى أن يرى الإصباح لا يتلثم
فيصبح من طول الطراد، وجسمه ... نخيل واضح في النعيم اصمم
أباكرها صهباء كالسك ريجها ... لها ارج في دنيا حين ترشم
فشتان ما بيني وبين ابن خالد ... أمية في الرزق الذي الله قاسم

ثم التفت إلي فقال: يا أبا الحارث، إنا وإياك نجري إلى غاية، إن قصرنا عنها ذمنا، وإن اجتهدنا في بلوغها انقطعنا، وإنما نحن شعب من أصل، إن قوي قويننا، وإن ضعف ضعفنا، إن هذا قد ألقى بيده إلقاء الأمة الوكعاء، يشاور النساء، ويعتزم على الرؤيا، وقد امكن مسامعه من أهل اللهو والجسارة، فهم يعدونه الظفر، ويمنونه عقب الأيام، والهلاك أسرع إليه من السيل إلى قيعان الرمل، وقد خشيت والله أن نهلك بهلاكه، ونعطب بعطبه، وأنت فارس العرب وابن فارسها، قد فرغ إليك في لقاء هذا الرجل واطمعه فيما قبلك أمران، أما أحدهما فصدق طاعتك وفضل نصيحتك، والثاني يمن نقيبتك وشدة بأسك، وقد أمرني بإزاحة علتك وبسط يدك فيما أحببت، غير أن الاقتصاد رأس النصيحة ومفتاح اليمن والبركة، فأنجز حوائجك، وعجل المبادرة إلى عدوك، فإني أرجو أن يوليكم الله شرف هذا الفتح، ويلم بك شعث هذه الخلافة والدولة فقلت: أنا لطاعة أمير المؤمنين - أعزه الله - وطاعتك مقدم، ولكل ما أدخل الوهن والذل على عدوه وعدوك حريص، غير أن المحارب لا يعمل بالغرور، ولا يفتح أمره بالتقصير والخلل، وإنما ملاك المحارب الجنود، وملاك الجنود المال، وقد ملأ أمير المؤمنين أعزه الله أيدي من شهد العسكر من جنوده، وتابع لهم الأرزاق الدارة والصلوات والفوائد الجزيلة، فإن سرت بأصحابي وقلوبهم متطلعة إلى من خلفهم من إخوانهم لم أنتفع بهم في لقاء من أمانى، وقد فضل أهل السلم على أهل الحرب، وجاز باهل الدعة منازل أهل النصب والمشقة، والذي أسأل أن يؤمر لأصحابي برزق سنة، ويحمل معهم أرزاق سنة، ويخص من لا خاصة له منهم من أهل الغناء والبلاء، وأبدل من فيهم من الزمنى والضعفاء، وأحمل ألف رجل ممن معي على الخيل، ولا أسأل عن محاسبة ما افتتحت من المدن والكور.

فقال: قد اشتطت، ولا بد من مناظرة أمير المؤمنين ثم ركب وركبت معه، فدخل قبلي على محمد، وأذن لي فدخلت، فما كان بيني وبينه إلا كلمتان حتى غضب وأمر بحبسي.

وذكر عن بعض خاصة محمد أن أسدا قال لمحمد: ادفع إلي ولدي عبد الله المأمون حتى يكونا أسيرين في يدي، فإن أعطاني الطاعة، وألقى إلي بيده، وإلا عملت فيهما بحكمي، وأنفذت فيهما أمري فقال: أنت أعرابي مجنون، أدعوك إلى ولاء أعنة العرب والعجم،

وأطعمك خراج كور الجبال إلى خراسان، وأرفع منزلتك عن نظرائك من أبناء القواد والملوك، وتدعونني إلى قتل ولدي، وسفك دماء أهل بيتي! إن هذا للخرق والتخليط وكان ببغداد ابنان لعبد الله المأمون، وهما مع أم عيسى ابنة موسى الهادي، نزولا في قصر المأمون ببغداد، فلما ظفر المأمون ببغداد خرجا إليه مع أمهما إلى خراسان، فلم يزالا بها حتى قدموا ببغداد، وهما أكبر ولده.

وذكر زياد بن علي، قال: لما غضب محمد على أسد بن يزيد، وأمر بحبسه، قال: هل في أهل بيت هذا من يقوم مقامه، فاني اكره ان استفسدهم مع سابقتهم وما تقدم من طاعتهم ونصيحتهم؟ قالوا: نعم، فيهم أحمد بن مزيد، وهو أحسنهم طريقة، وأصحهم نية في الطاعة، وله مع هذا بأس ونجدة وبصر بسياسة الجنود ولقاء الحروب، فأنفذ إليه محمد بريدا يأمره بالقدوم عليه، فذكر بكر بن أحمد، قال: كان أحمد

متوجها إلى قرية تدعى إسحاقية، ومعه نفر من أهل بيته ومواليه وحشمه، فلما جاوز نهر أبان سمع صوت بريد في جوف الليل، فقال: ان هذا لعجيب، بريد في مثل هذه الساعة وفي مثل هذا الموضع! إن هذا الأمر لعجيب ثم لم يلبث البريد أن وقف، ونادى الملاح: هل معك احمد ابن مزيد؟ قال: نعم، فنزل فدفع إليه كتاب محمد، فقراه ثم قال: اني قد بلغت ضيعتي، وإنما بيني وبينها ميل، فدعني أقعها وقعة فأمر فيها بما أريد ثم أغدو معك، فقال: لا، إن أمير المؤمنين أمرني ألا أنظرك ولا أرفهك، وأن أخصك أي ساعة صادفتك فيها، من ليل أو نهار.

فانصرف معه حتى أتى الكوفة، فأقام بها يوما حتى تجمل وأخذ أهبة السفر، ثم مضى إلى محمد. فذكر عن أحمد، قال: لما دخلت ببغداد، بدأت بالفضل بن الربيع، فقلت: أسلم عليه، وأستعين بمنزلته ومحضره عند محمد، فلما أذن لي دخلت عليه، وإذا عنده عبد الله بن حميد بن حنيفة، وهو يريد على الشخص إلى طاهر، وعبد الله يشط عليه في طلب المال والإثثار من الرجال، فلما رأيته راح بي وأخذ بيدي، ورفعني حتى صيرني معه على صدر المجلس، وأقبل على عبد الله يداعبه ويمارحه، فتبسم في وجهه، ثم قال:

إنا وجدنا لكم إذ رث حبلكم ... من آل شيبان أما دونكم وأبا
الأكثرين إذا عد الحصى عددا ... والأقربون إلينا منكم نسبا

فقال عبد الله: إنهم لكذلك، وإن منهم لسد الخلل ونكاء العدو، ودفع معرة أهل المعصية عن أهل الطاعة ثم أقبل على الفضل، فقال: إن أمير المؤمنين أجرى ذكرك، فوصفتك له بحسن الطاعة وفضل النصيحة والشدة على أهل المعصية، والتقدم بالرأي، فأحب اصطناعك والتنويه باسمك، وأن يرفعك إلى منزلة لم يبلغها أحد من أهل بيتك والتفت إلى خادمه، فقال:

يا سراج، مر دوابي، فلم ألبث أن أسرج له، ففضى ومضيت معه، حتى دخلنا على محمد وهو في صحن داره، له ساج، فلم يزل يأمرني بالدنو حتى كدت

الأصقه، فقال: إنه قد كثر علي تخليط ابن أخيك وتكره، وطال خلافه علي حتى أوحشني ذلك منه، وولد في قلبي التهمة له، وصيرني لسوء المذهب وخبث الطاعة إلى أن تناولته من الأدب والحبس بما لم أحب أن أكون أتناوله به، وقد وصفت لي بخير، ونسبت إلي جميل، فأحببت أن أرفع قدرك، وأعلي منزلتك، وأقدمك على أهل بيتك، وإن أوليك جهاد هذه الفئة الباغية الناكثة، وأعرضك للأجر والثواب في قتالهم ولقائهم، فانظر كيف تكون، وصح نيتك، وأعني أمير المؤمنين على اصطناعك، وسره في عدوه ينعم سرورك وتشريفك فقلت: سأبذل في طاعة أمير المؤمنين أعزه الله مهجتي، وأبلغ في جهاد عدوه أفضل ما أمله عندي، ورجاه من غنائني وكفايتي، إن شاء الله فقال: يا فضل، قال: لبيك يا أمير المؤمنين! قال: ادفع إليه دفاتر أصحاب أسد، واخضع إليه من شهد العسكر من رجال الجزيرة والأعراب، وقال: أكمش على أمرك، وعجل المسير إليه نفرت فانتخب الرجال واعترضت الدفاتر، فبلغت عدة من صححت اسمه عشرين ألف رجل ثم توجهت بهم إلى حلوان.

وذكر أن أحمد بن مزيد لما أراد الشخص دخل على محمد، فقال: أوصني أكرم الله أمير المؤمنين! فقال: أوصيك بخصال عدة: إياك والبغي، فإنه عقال النصر، ولا تقدم رجلا إلا باستخارة، ولا تشهر

سيفا الا بعد اعدار، ومهما قدرت باللين فلا تتعده إلى الخرق والشرة، وأحسن صحابة من معك من الجند، وطالعي بأخبارك في كل يوم، ولا تخاطر بنفسك طلب الزلفه عندي، ولا تستقها فيما تتخوف رجوعه علي، وكن لعبد الله أخا مصافيا، وقرينا برا، وأحسن مجامعته وصحبته ومعاشرته، ولا تخذله إن استنصرك، ولا تبطن عنه إذا استصرحك، ولتكن أيديكما واحدة، وكلمتكما متفقة ثم قال: سل حوائجك، وعجل السراح إلى عدوك فدعا له أحمد، وقال: يا أمير المؤمنين، كثري الدعاء ولا تقبل في قول باغ، ولا ترفضني قبل المعرفة بموضع قدمي لك، ولا تنقض على ما استجمع من رأي، ومن على بالصفح عن ابن أخي، قال: ذلك لك ثم بعث إلى أسد فخل قيوده وخلي

سبيله، فقال أبو الأسد الشيباني في ذلك يمدح احمد ويذكر حاله ومنزلته.

لين أبا العباس رأي إمامه ... وما عنده منه القضا بمزيد
دعاه أمير المؤمنين إلى التي ... يقصر عنها ظل كل عميد
فبادرها بالرأي والحزم والحجى ... ورأي أبي العباس رأي سديد
نهضت بما أعياء الرجال بحمله ... وأنت بسعد حاضر وسعيد
رددت بها للرائدين أعزهم ... ومثلك وإلى طارفا بتليد
كفى أسدا ضيق الكبول وكرها ... وكان عليه عاطفا كيزيد
وحصله فيها كليث غضنفر ... أبي أشبل عبل الذراع مديد

وذكر يزيد بن الحارث أن محمدا وجه أحمد بن مزيد في عشرين ألف رجل من الأعراب، وعبد الله بن حميد بن قحطبة في عشرين ألف رجل من الأبناء، وأمرهما أن ينزلا حلوان، ويدفعا طاهرا وأصحابه عنها، وإن أقام طاهر بشلاشان أن يتوجها إليه في أصحابهما حتى يدفعاه، وينصبا له الحرب، وتقدم إليهما في اجتماع الكلمة والتواد والتحاب على الطاعة، فتوجها حتى نزلا قريبا من حلوان بموضع يقال له خانقين، وأقام طاهر بموضعه، وخندق عليه وعلى أصحابه، ودس الجواسيس والعيون إلى عسكريهما، فكانوا يأتونهم بالأراجيف، ويخبرونهم أن محمدا قد وضع العطاء لأصحابه، وقد أمر لهم من الأرزاق بكذا وكذا، ولم يزل يحتال في وقوع الاختلاف والشغب بينهم حتى اختلفوا، وانتقض أمرهم، وقاتل بعضهم بعضا، فأخلوا خانقين، ورجعوا عنها من غير أن يلقوا طاهرا، ويكون بينهم وبينه قتال وتقدم طاهر حتى نزل حلوان، فلما دخل طاهر حلوان لم يلبث إلا يسيرا حتى أتاه هرثمة ابن اعين بكتاب المأمون والفضل بن سهل، يأمرانه بتسليم ما حوى من المدن والكور إليه، والتوجه إلى الأهواز، فسلم ذلك إليه، وأقام هرثمة بحلوان فحصنها ووضع مسالحه ومراصده في طرقها وجبالها، وتوجه طاهر إلى الأهواز

٨٠٥٠٠٢ ذكر رفع منزله الفضل بن سهل عند المأمون

٨٠٥٠٠٣ ذكر خبر ولاية عبد الملك بن صالح على الشام

ذكر رفع منزله الفضل بن سهل عند المأمون

وفي هذه السنة رفع المأمون منزلة الفضل بن سهل وقدره.

(ذكر الخبر عما كان من المأمون إليه في ذلك:) ذكر أن المأمون لما انتهى إليه الخبر عن قتل طاهر علي بن عيسى واستيلائه على عسكره وتسميته إياه أمير المؤمنين، وسلم الفضل بن سهل عليه بذلك، وصح عنده الخبر عن قتل طاهر عبد الرحمن بن جبلة الأبنأوي وغلبته على عسكره، دعا الفضل بن سهل، فعقد له في رجب من هذه السنة على المشرق، من جبل همدان إلى جبل سقينان والتبت طولا، ومن بحر فارس والهند إلى بحر الديلم وجرجان عرضا، وجعل عمالاته ثلاثة آلاف ألف درهم، وعقد له لواء على سنان ذي شعبتين، وأعطاه علما، وسماه ذا الرياستين، فذكر بعضهم أنه رأى سيفه عند الحسن بن سهل مكتوبا عليه بالفضة من جانب: رياسه الحرب، ومن الجانب الآخر: رياسه التدبير فحمل اللواء علي بن هشام، وحمل العلم نعيم بن حازم، وولى الحسن بن سهل ديوان الخراج

. ذكر خبر ولاية عبد الملك بن صالح على الشام

وفي هذه السنة ولى محمد بن هارون عبد الملك بن صالح بن علي على الشام وأمره بالخروج إليها، وفرض له من رجالها جنودا يقاتل بها طاهرا وهرثمة.

(ذكر الخبر عن سبب توليته ذلك:) ذكر داود بن سليمان أن طاهرا لما قوي واستعلى أمره، وهزم من هزم من قواد محمد وجيوشه، دخل عبد الملك بن صالح على محمد- وكان عبد الملك محبوسا في حبس الرشيد، فلما توفي الرشيد، وأفضى الأمر إلى محمد امر بتخليه سبيله، وذلك في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين ومائة، فكان عبد الملك يشكر ذلك لمحمد، ويوجب به على نفسه طاعته ونصيحته- فقال: يا أمير المؤمنين، إني أرى الناس قد طمعوا فيك وأهل العسكرين قد اعتمدوا ذلك، وقد بذلت سماحتك، فإن أتممت على أمرك أفستهم وأبطرتهم، وإن كفت أمرك عن العطاء والبذل أسخطتهم وأغضببتهم، وليس تملك الجنود بالإمساك، ولا يبقى ثبوت الأموال على الإنفاق والسرف، ومع هذا فإن جندك قد رعبتهم الهزائم، ونهكتهم وأضعفتهم الحرب والوقائع، وامتألت قلوبهم هيبة لعدوهم، ونكولا عن لقاءهم ومناهضتهم، فإن سيرتهم إلى طاهر غلب بقليل من معه كثيرهم، وهزم بقوة نيته ضعف نصائحهم ونياتهم، وأهل الشام قوم قد خسرستهم الحروب، وأدبتهم الشدائد، وجلهم منقاد إلي، مسارع إلى طاعتي، فإن وجهني أمير المؤمنين اتخذت له منهم جندا تعظم نكايتهم في عدوه، ويؤيد الله بهم أوليائه وأهل طاعته فقال محمد: إني موليك أمرهم، ومقويك بما سألت من مال وعدة، فعجل الشخصوص إلى ما هنالك، فاعمل عملا يظهر أثره، ويحمد بركته برأيك ونظرك فيه إن شاء الله فولاه الشام والجزيرة، واستحثه بالخروج استحثا شديدا، ووجه معه كنفا من الجند والأبناء وفي هذه السنة سار عبد الملك بن صالح إلى الشام، فلما بلغ الرقة اقام بها. وانفذ رسله وكتبه إلى رؤساء اجناد اهل الشام بجمع الرجال بها، وامداد محمد بهم لحرب طاهر.

ذكر الخبر عن ذلك:

قد تقدم ذكرى سبب توجيه محمد إياه لذلك، فذكر داود بن سليمان أنه لما قدم عبد الملك الرقة، أنفذ رسله، وكتب إلى رؤساء أجناد الشام ووجوه الجزيرة، فلم يبق أحد ممن يرجى ويذكر بأسه وغناؤه إلا وعده وبسط له في أمله وأمنيته، فقدموا عليه رئيسا بعد رئيس، وجماعة بعد جماعة، فكان لا يدخل عليه أحد إلا أجازه وخلع عليه وحمله، فأتاه أهل الشام: الزواquil والأعراب من كل فج، واجتمعوا عنده حتى كثروا ثم ان

بعض جند أهل خراسان نظر إلى دابة كانت أخذت منه في وقعة سليمان بن أبي جعفر تحت بعض الزواquil، فتعلق بها، فجري الأمر بينهما إلى أن اختلفا، واجتمعت جماعة من الزواquil والجند، فتلاحموا، وأعان كل فريق منهم صاحبه، وتلاطموا وتضاربوا بالأيدي، ومشي بعض الأبناء إلى بعض، فاجتمعوا إلى محمد بن أبي خالد، فقالوا: أنت شيخنا وفارسنا، وقد ركب الزواquil منا ما قد بلغك، فاجمع أمرنا وإلا استدلونا، وطمعوا فينا، وركبوا بمثل هذا في كل يوم فقال: ما كنت لأدخل في شغب، ولا أشاهدكم على مثل الحالة فاستعد الأبناء وتهيؤوا، وأتوا الزواquil وهم غارون، فوضعوا فيهم السيوف، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وذبحوهم في رحالهم، وتنادى الزواquil، فركبوا خيولهم، ولبسوا أسلحتهم، ونشبت الحرب بينهم وبلغ ذلك عبد الملك بن صالح، فوجه إليهم رسولا يأمرهم بالكف ووضع السلاح، فرموه بالحجارة، واقتتلوا يومهم ذلك قتالا شديدا، وأكثر الأبناء القتل في الزواquil، فأخبر عبد الملك بكثرة من قتل- وكان مريضا مدنفا- ف ضرب بيده على يد، ثم قال: وا ذلاه! تستضام العرب في دارها ومحلها وبلادها! فغضب من كان أمسك عن الشر من الأبناء، وتفاقم الأمر فيما بينهم، وقام بأمر الأبناء الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان، وأصبح الزواquil، فاجتمعوا بالركة، واجتمع الأبناء وأهل خراسان بالرافقة، وقام رجل من أهل حمص، فقال: يا أهل حمص، الحرب أهون من العطب، والموت أهون من الذل، إنكم بعدتم عن بلادكم، وخرجتم من أقاليمكم، ترجون الكثرة بعد القلة والعزة بعد الذلة! ألا وفي الشر وقعتم، وإلى حومة الموت أنتم إن المنايا في شوارب المسودة وقلانسهم النفير النفير، قبل أن ينقطع السبيل، وينزل الأمر الجليل، ويفوت المطلب، ويعسر المذهب، ويبعد العمل، ويقترب الأجل! وقام رجل من كلب في غرز ناقته، ثم قال:

شؤبوب حرب خاب من يصلها... قد شرعت فرسانها قناها

فأورد الله لظى لظاها... إن غمرت كلب بها لحاها

ثم قال: يا معشر كلب، إنها الراية السوداء، والله ما ولت ولا عدلت ولا ذل ناصرها، ولا ضعف وليها، وإنكم لتعرفون مواقع سيوف أهل خراسان في رقابكم، وآثار أسنتهم في صدوركم اعتزلوا الشر قبل أن يعظم، وتخطوه قبل أن يضطرم شامكم شأمكم، داركم داركم! الموت الفلسطيني خير من العيش الجزري ألا وإني راجع، فمن أراد الانصراف فلينصرف معي.

ثم سار وسار معه عامة أهل الشام، وأقبلت الزواquil حتى أضرموا ما كان التجار جمعوا من الأعلاف بالنار، وأقام الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان مع جماعة أهل خراسان والأبناء على باب الرافقة تخوفاً لطوق بن مالك.

فأتى طوقاً رجل من بني تغلب، فقال: ألا ترى ما لقيت العرب من هؤلاء! انهض فإن مثلك لا يقعد عن هذا الأمر، قد مد أهل الجزيرة أعينهم إليك، وأملوا عونك ونصرك فقال: والله ما أنا من قيسها ولا يمنها، ولا كنت في أول هذا الأمر لأشهد آخره، وإني لأشد إبقاء على قومي، وأنظر لعشيرتي من أن أعرضهم للهلاك بسبب هؤلاء السفهاء من الجند وجهال قيس، وما أرى السلامة إلا في الاعتزال وأقبل نصر بن شيبث في الزواquil على فرس كميث أغر، عليه دراعة سوداء قد ربطها خلف ظهره، وفي يده رمح وترس، وهو يقول:

فرسان قيس اصمدن للهوت ... لا ترهبنى عن لقاء الفوت
دعى التمنى بعسى وليت.

ثم حمل هو وأصحابه، فقاتل قتالاً شديداً، فصبر لهم الجند، وكثر القتل في الزواquil، وحملت الأبناء حملات، في كلها يقتلون ويجرحون، وكان أكثر القتل والبلاء في تلك الدفعة لكثير بن قاذرة وأبي الفيل وداود بن موسى ابن عيسى الخراساني، وانهزمت الزواquil، وكان على حاميتهم يومئذ نصر ابن شيبث وعمرو السلي والعباس بن زفر

٨٠٥٠٠٤ ذكر خلع الامين والمبايعة للمأمون

وتوفي في هذه السنة عبد الملك بن صالح
. ذكر خلع الامين والمبايعة للمأمون

وفي هذه السنة خلع محمد بن هارون، وأخذت عليه البيعة لأخيه عبد الله المأمون ببغداد.
وفيها حبس محمد بن هارون في قصر أبي جعفر مع أم جعفر بنت جعفر.
ابن أبي جعفر.

ذكر الخبر عن سبب خلعه:

ذكر عن داود بن سليمان أن عبد الملك بن صالح لما توفي بالرقعة، نادى الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان في الجند، فصير الرجال في السفن والفرسان على الظهر ووصلهم، وقوى ضعفاءهم، ثم حملهم حتى أخرجهم من بلاد الجزيرة، وذلك في سنة ست وتسعين ومائة. وذكر أحمد بن عبد الله، أنه كان فيمن شهد مع عبد الملك الجزيرة لما انصرف بهم الحسين بن علي، وذلك في رجب من سنة ست وتسعين ومائة وذكر أنه تلقاه الأبناء وأهل بغداد بالكرمة والتعظيم، وضربوا له القباب، واستقبله القواد والرؤساء والأشراف، ودخل منزله في أفضل كرامة وأحسن هيئة، فلما كان في جوف الليل بعث إليه محمد يأمره بالركوب إليه، فقال للرسول: والله ما أنا بمغن ولا بمسامر ولا مضحك، ولا وليت له عملاً، ولا جرى له على يدي مال، فلأي شيء يريدني في هذه الساعة! انصرف، فإذا أصبحت غدوت إليه إن شاء الله.

فانصرف الرسول، وأصبح الحسين فوافي باب الجسر، واجتمع إليه الناس، فأمر بإغلاق الباب الذي يخرج منه إلى قصر عبد الله بن علي وباب سوق يحيى، وقال: يا معشر الأبناء، إن خلافة الله لا تجاور بالبطر، ونعمه

لا تستصحب بالتجبر والتكبر، وأن محمداً يريد أن يوتغ أديانكم، وينكث بيعتكم، ويفرق جمعكم، وينقل عزكم إلى غيركم، وهو صاحب الزواquil بالأمس، وبالله إن طالت به مدة وراجعته من أمره قوة، ليرجعن وبال ذلك عليكم، وليعرفن ضرره ومكروهه في دولتكم

ودعوتكم، فاقطعوا أثره قبل أن يقطع أثاركم، وضعوا عزه قبل أن يضع عزكم، فوالله لا ينصره منكم ناصر إلا خذل، ولا يمنعه مانع إلا قتل، وما عند الله لأحد هودة، ولا يراقب على الاستخفاف بعهوده والحث بأيمانه ثم أمر الناس بعبور الجسر فعبروا، حتى صاروا إلى سكة باب خراسان، واجتمعت الحربية وأهل الأرباض مما يلي باب الشام، وباب الأنبار وشط الصراة مما يلي باب الكوفة. وتسمرت خيول من خيول محمد من الأعراب وغيرهم إلى الحسين بن علي، فاقتتلوا قتالا شديدا مليا من النهار، وأمر الحسين من كان معه من قواده وخاصة أصحابه بالنزول فنزلوا إليهم بالسيوف والرماح، وصدقوهم القتال، وكشفوهم حتى تفرقوا عن باب الخلد. قَالَ: نفلح الحسين بن علي محمدا يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وتسعين ومائة، وأخذ البيعة لعبد الله المأمون من غد يوم الاثنين إلى الليل، وغدا إلى محمد يوم الثلاثاء، فوثب بعد الواقعة التي كانت بين الحسين وبين أصحاب محمد العباس بن موسى بن عيسى الهاشمي على محمد، ودخل عليه فأخرجه من قصر الخلد إلى قصر أبي جعفر، فحبسه هناك إلى صلاة الظهر، ثم وثب العباس بن موسى بن عيسى على أم جعفر فأمرها بالخروج من قصرها إلى مدينة أبي جعفر، فأبت، فدعا لها بكرسي، وأمرها بالجلوس فيه، فقتعها بالسوط وساءها، وأغلظ لها القول، فجلست فيه، ثم أمر بها فأدخلت المدينة مع ابنها وولدها فلما أصبح الناس من الغد طلبوا من الحسين بن علي الأرزاق وماج الناس بعضهم في بعض، وقام محمد بن أبي خالد بباب الشام، فقال: أيها الناس، والله ما أدري بأي سبب يتأمر الحسين بن علي علينا، ويتولى هذا الأمر دوننا! ما هو بأكبرنا سنا، ولا أكرمنا حسبا، ولا أعظمنا منزلة، وإن فينا من لا يرضى بالدنية، ولا يقاد بالخذاعة،

وانى أولكم نقض عهده، واظهر التغيير عليه، والإنكار لفعله، فمن كان رأيه رأيي فليعتزل معي. وقام أسد الحربي، فقال: يا معشر الحربية، هذا يوم له ما بعده، إنكم قد نتمم وطال نومكم، وتأخرتم فقدم عليكم غيركم، وقد ذهب أقوام بذكر خلع محمد وأسرهم، فاذهبوا بذكر فكه وإطلاقه.

فأقبل شيخ كبير من أبناء الكفاية على فرس، فصاح بالناس: اسكتوا، فسكتوا، فقال: أيها الناس، هل تعتدون على محمد بقطع منه لأرزاقكم؟ قالوا: لا، قَالَ: فهل قصر بأحد منكم أو من رؤسائكم وكبرائكم؟

قالوا: ما علمنا، قَالَ: فهل عزل أحدا من قوادكم؟ قالوا: معاذ الله أن يكون فعل ذلك! قَالَ: فما بالكم خذلتوه وأعنتم عدوه على اضطهاده وأسرهم! أما والله ما قتل قوم خليفهم قط إلا سلط الله عليهم السيف القاتل، والحتف الجارف، انهضوا إلى خليفتم وادفعوا عنه، وقتلوا من أراد خلعه والفتك به.

ونهضت الحربية، ونهض معهم عامه اهل الارباض في المشهرات والعدة الحسنة فقاتلوا الحسين بن علي وأصحابه قتالا شديدا منذ ارتفاع النهار إلى انكسار الشمس، وأكثروا في أصحابه الجراح، وأسر الحسين بن علي، ودخل أسد الحربي على محمد، فكسر قيوده وأقعده في مجلس الخلافة، فنظر محمد إلى قوم ليس عليهم لباس الحرب والجند، ولا عليهم سلاح، فأمرهم فأخذوا من السلاح الذي في الخزائن حاجتهم ووعدهم ومناهم، وانتهب الغوغاء بذلك السبب سلاحا كثيرا ومتاعا من خز وغير ذلك، وأتى بالحسين بن علي، فلامه محمد على خلافه وقال له: ألم أقدم أباك على الناس، وأوله أعنة الخيل وأملأ يده من الأموال، وأشرف أقدارك في أهل خراسان، وأرفع منازلكم على غيركم من القواد! قَالَ: بلى، قَالَ: فما الذي استحققت به منك أن تخلع طاعتي، وتؤلب الناس علي، وتندبهم إلى قتالي! قَالَ: الثقة بغفو أمير المؤمنين وحسن الظن بصفحه وتفضله قَالَ: فإن أمير المؤمنين قد فعل ذلك بك، وولاك الطلب بئارك، ومن قتل من أهل بيتك ثم دعا له بخلعة فخلعها

عليه، وحمله على مراكب، وأمره بالمسير إلى حلوان، وولاه ما وراء بابه. وذكر عن عثمان بن سعيد الطائي، قَالَ: كانت لي من الحسين بن علي ناحية خاصة، فلما رضي عنه محمد، ورد إليه قيادته ومنزلته، عبرت إليه مع المهنتين، فوجدته واقفا بباب الجسر، فهنأته ودعوت له، ثم قلت له:

إنك قد أصبحت سيد العسكرين، وثقة أمير المؤمنين، فاشكر العفو والإقالة، ثم داعبته ومازحته، ثم أنشأت أقول:

هم قتلوه حين تم تمامه ... وصار معزا بالندى والتجدد
أغر كأن البدر سنة وجهه ... إذا جاء يمشي في الحديد المسرد
إذا جشأت نفس الجبان وهلت ... مضى قدما بالمشرقي المهند
حليم لدى النادي جهول لدى الوغى ... عكور على الأعداء قليل التزيد
فتأرك أدركه من القوم إنهم ... رموك على عمد بشنعا مزند

فضحك، ثم قال: ما أحرصني على ذلك إن ساعدني عمر، وأيدت بفتح ونصر ثم وقف على باب الجسر، وهرب في نفر من خدمه ومواليه، فنادى محمد في الناس، فركبوا في طلبه، فأدركوه بمسجد كوثر، فلما بصر بالخييل نزل وقيد فرسه، وصلى ركعتين وتحرم، ثم لقيهم فحمل عليهم حملات في محلها يهزمهم ويقتل فيهم ثم أن فرسه عثر به وسقط، وابتدره الناس طعنا وضربا وأخذوا راسه، وفي ذلك يقول علي بن جبلة- وقيل الخريمي:

الا قاتل الله الالى كفروا به ... وفازوا برأس الهرثمي حسين
لقد أوردوا منه قناه صليبه ... بشطب يمانى وريح رديني
رجا في خلاف الحق عزا وإمرة ... فألبسه التأميل خف حنين
وقيل: إن محمدا لما صفح عن الحسين استوزره ودفع إليه خاتمه.
وقتل الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان للنصف من رجب من هذه

٨٠٥٠٥ ذكر الخبر عن مقتل محمد بن يزيد المهلبى ودخول طاهر إلى الأهواز

السنة في مسجد كوثر، وهو على فرسخ من بغداد في طريق النهرين.
وجد البيعة لمحمد يوم الجمعة لست عشرة خلت من رجب من هذه السنة، وكان حبس الحسين محمدا في قصر أبي جعفر يومين.
وفي الليلة التي قتل فيها حسين بن علي هرب الفضل بن الربيع.

وفي هذه السنة توجه طاهر بن الحسين حين قدم عليه هرثة من حلوان إلى الأهواز، فقتل عامل محمد عليها، وكان عامله عليها محمد بن يزيد المهلبى بعد تقديم طاهر جيوشا أمامه إليها قبل انفصاله إليه لحربه.

ذكر الخبر عن مقتل محمد بن يزيد المهلبى ودخول طاهر إلى الأهواز

ذكر عن يزيد بن الحارث، قال: لما نزل طاهر شلاشان، وجه الحسين ابن عمر الرستمي إلى الأهواز، وأمره أن يسير سيرا مقتصدا، ولا يسير إلا بطلائع، ولا ينزل إلا في موضع حصين يأمن فيه على أصحابه فلما توجه أتت طاهرا عيونه، فأخبروه أن محمد بن يزيد المهلبى- وكان عاملا لمحمد على الأهواز- قد توجه في جمع عظيم يريد نزول جندي سابور- وهو حد ما بين الأهواز والجل- ليحمي الأهواز، ويمنع من أراد دخولها من أصحاب طاهر، وإنه في عدة وقوة، فدعا طاهر عدة من أصحابه، منهم محمد بن طالوت ومحمد بن العلاء والعباس بن بخار اخذاه والحارث بن هشام وداود بن موسى وهادي بن حفص، وأمرهم أن يكمشوا السير حتى يتصل أولهم بآخر أصحاب الحسين بن عمر الرستمي، فإن احتاج إلى إمداد أمدوه، أو لقيه جيش كانوا ظهرا له.

فوجه تلك الجيوش، فلم يلقهم أحد حتى شارفوا الأهواز.

وبلغ محمد بن يزيد خبرهم، فعرض أصحابه، وقوى ضعفاءهم، وحمل الرجال على البغال، وأقبل حتى نزل سوق عسكر مكرم، وصير العمران والماء وراء ظهره، وتخوف طاهر أن يعجل إلى أصحابه، فأمدهم بقريش بن شبل، وتوجه هو بنفسه حتى كان قريبا منهم، ووجه الحسن بن علي المأموني،

وأمره بمضامة قريش بن شبل والحسين بن عمر الرستمي، وسارت تلك العساكر حتى قاربوا محمد بن يزيد بعسكر مكرم، فجمع أصحابه فقال: ما ترون؟

أطاول القوم القتال وأماطلهم اللقاء، أم أناجزهم كانت لي أم علي؟ فوالله ما أرى أن أرجع إلى أمير المؤمنين إبداء، ولا انصرف عن الأهواز، فقالوا له: الرأي أن ترجع إلى الأهواز، فتتحصن بها وتغادى طاهرا القتال وتبعث إلى البصرة فتفرض بها الفروض، وتستجيش من قدرت عليه وتابعك من قومك فقبل ما أشاروا عليه، وتابعه قومه، فرجع حتى صار بسوق الأهواز وأمر طاهر قريش بن شبل أن يتبعه، وأن يعاجله قبل أن يتحصن بسوق الأهواز، وأمر الحسن بن علي المأموني والحسين بن عمر الرستمي أن يسيرا بعقبه، فإن احتاج إلى معونتهما أعاناه ومضى قريش بن شبل يقفو محمد بن يزيد، كلما ارتحل محمد بن يزيد من قرية نزلها قريش، حتى صاروا إلى سوق الأهواز.

وسبق محمد بن يزيد إلى المدينة فدخلها، واستند إلى العمران، فصيره وراء ظهره، وعي أصحابه، وعزم على موافقتهم، ودعا بالأموال فصبت بين يديه، وقال لأصحابه: من أحب منكم الجائزة والمنزلة فليعرفني أثره وأقبل قريش بن شبل حتى صار قريبا منه، وقال لأصحابه: الزموا مواضعكم ومصافكم، وليكن أكثر ما قاتلتموهم وأنتم مريحون، فقاتلوهم بنشاط وقوة، فلم يبق أحد من أصحابه إلا جمع بين يديه ما قدر عليه من الحجارة، فلم يعبر إليهم محمد بن يزيد، حتى أوهنهم بالحجارة، وجرحوهم جراحات كثيرة بالنشاب، وعبرت طائفة من أصحاب محمد بن يزيد، فأمر قريش أصحابه أن ينزلوا إليهم فنزلوا إليهم، فقاتلوهم قتالا شديدا حتى رجعوا، وتراد الناس بعضهم إلى بعض. والتفت محمد بن يزيد إلى نفر كانوا معه من مواليه، فقال: ما رأيكم؟ قالوا:

فيما ذا؟ قال: إني أرى من معي قد انهزم، ولست آمن من خذلانهم، ولا آمل رجعتهم، وقد عزمت على النزول والقتال بنفسي، حتى يقضي الله ما أحب، فن أراد منكم الانصراف فليصرف، فوالله لأن تبقوا أحب إلي من أن تعطبوا وتهلكوا فقالوا: والله ما أنصفناك، إذا تكون أعتقتنا من الرق

ورفعتنا من الضعة، ثم أغنيتنا بعد القلة، ثم نخذلك على هذه الحال، بل نتقدم أمامك ونموت تحت ركابك، فلعن الله الدنيا والعيش بعدك ثم نزلوا فعرقوا دوابهم، وحملوا على أصحاب قريش حملة منكزة، فأكثروا فيهم القتل، وشدخوهم بالحجارة وغير ذلك، وانتهى بعض أصحاب طاهر إلى محمد بن يزيد، فطعنه بالرمح فصرعه، وتبادروا إليه بالضرب والطعن حتى قتله، فقال بعض أهل البصرة يرثيه، ويذكر مقتله:

من ذاق طعم الرقاد من فرح ... فإنني قد أضربني سهرى

ولى فتى الرشد فافتقدت به ... قلبي وسمعي وغرني بصري

كان غياثا لدى المحول فقد ... ولى غمام الربيع والمطر

وفي العيني للإمام ولم ... يرهبه وقع المشطب الذكر

ساور ريب المنون داهية ... لولا خضوع العباد للقدر

فامض حميدا فكل ذي أجل ... يسعى إلى ما سعت بالأثر

وقال بعض المهالبة، وجرح في تلك الوقعة جراحات كثيرة وقطعت يده:

فما لمت نفسي غير أني لم أطق ... حراكا وأني كنت بالضرب مثخنا

ولو سلمت كفاي قاتلت دونه ... وضاربت عنه الطاهري الملعا

فتى لا يرى أن يخذل السيف في الوغى ... إذا ادرع الهيجاء في النقع واكتفى

وذكر عن الهيثم بن عدي، قال: لما دخل ابن أبي عيينة على طاهر فأشده قوله:

من آتسته البلاد لم يرم ... منها ومن أوحشته لم يقم

حتى انتهى إلى قوله:

ما ساء ظني إلا لواحدة ... في الصدر محصورة عن الكلم

فتبسم طاهر، ثم قال: أما والله لقد ساءني من ذلك ما ساءك، وآلني ما آلك، ولقد كنت كارها لما كان، غير أن الحتف واقع، والمنيا نازله،

ولا بد من قطع الأواصر والتكر للأقارب في تأكيد الخلافة، والقيام بحق الطاعة، فظننا أنه يريد محمد بن يزيد بن حاتم.

وذكر عمر بن أسد، قال: أقام طاهر بالأهواز بعد قتله محمد بن يزيد ابن حاتم، وأنفذ عماله في كورها، وولى على اليمامة والبحرين وعمان مما يلي الأهواز، ومما يلي عمل البصرة، ثم أخذ على طريق البر متوجها إلى واسط، وبها يومئذ السندي بن يحيى بن الحرشي والهيثم خليفة خزيمه بن خازم، فجعلت المسالحو والعمال نتقوض، مسلحة مسلحة، وعاملا عاملا، كلما قرب طاهر منهم تركوا أعمالهم وهربوا عنها، حتى قرب من واسط، فنادى السندي بن يحيى والهيثم بن شعبة في أصحابهما، فجمعاهم إليهما، وهما بالقتال، وأمر الهيثم بن شعبة صاحب مراكبه أن يسرج له دوابه، فقرب إليه فرسا، فأقبل يقسم طرفه بينها، واستقبلته عدة، فرأى المراكبي التغير والفرع في وجهه فقال: إن أردت الحرب فعليك بها، فإنها أبسط في الركض، وأقوى على السفر فضحك ثم قال: قرب فرس الحرب، فإنه طاهر، ولا عار علينا في الحرب منه، فتركوا واسطا، وهربا عنها ودخل طاهر واسطا، وتخوف إن سبق الهيثم والسندي إلى فم الصلح فيتحصنا بها فوجه محمد بن طالوت، وأمره أن يبادرهما إلى فم الصلح، ويمنعهما من دخولها إن أرادا ذلك، ووجه قائدا من قواده يقال له أحمد بن المهلب نحو الكوفة، وعليها يومئذ العباس بن موسى الهادي، فلما بلغ العباس خبر أحمد بن المهلب خلع محمدا، وكتب بطاعته إلى طاهر وبيعهته للمأمون، ونزلت خيل طاهر فم النيل، وغلب على ما بين واسط والكوفة، وكتب المنصور بن المهدي - وكان عاملا لمحمد على البصرة - إلى طاهر بطاعته، ورحل طاهر حتى نزل طرنايا، فأقام بها يومين فلم يرها موضعا للعسكر، فأمر بجسر فعقد وخذق له، وأنفذ كتبه بالتولية إلى العمال.

وكانت بيعة المنصور بن المهدي بالبصرة وبيعة العباس بن موسى الهادي

٨٥٥٠٦ ذكر خبر استيلاء طاهر على المدائن ونزوله بصرى

بالكوفة، وبيعة المطلب بن عبد الله بن مالك بالموصل للمأمون، وخلعهم محمدا في رجب من سنة ست وتسعين ومائة. وقيل: إن الذي كان على الكوفة حين نزل طاهر من قبل محمد الفضل بن العباس بن موسى بن عيسى. ولما كتب من ذكرت إلى طاهر بيعتهم للمأمون وخلعهم محمدا، أقرهم طاهر على أعمالهم، وولى داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي الهاشمي مكة والمدينة، ويزيد بن جرير البجلي اليمن، ووجه الحارث بن هشام وداود ابن موسى إلى قصر ابن هبيرة. ذكر خبر استيلاء طاهر على المدائن ونزوله بصرى

وفي هذه السنة أخذ طاهر بن الحسين من أصحاب محمد المدائن، ثم صار منها إلى صرصر، فعقد جسرا، ومضى إلى صرصر. ذكر الخبر عن سبب دخوله المدائن ومصيره إلى صرصر:

ذكر أن طاهرا لما وجه إلى قصر ابن هبيرة الحارث بن هشام وداود بن موسى، وبلغ محمدا خبر عامله بالكوفة وخلعه إياه وبيعهته للمأمون، وجه محمد ابن سليمان القائد ومحمد بن حماد البربري، وأمرهما أن يبيتا الحارث وداود بالقصر، فقبل لهما: إن سلكتما الطريق الأعظم لم يخف ذلك عليهما، ولكن اختصر الطريق إلى فم الجامع، فإنه موضع سوق ومعسكر، فانزلا وبيتاهما إن أردتما ذلك، وقد قربتما منهما، فوجها الرجال من الياصرية إلى فم الجامع.

وبلغ الحارث وداود الخبر، فركبا في خيل مجرد، وتهيا للرجالة، فعبرا من مخاضة في سورا إليهم، وقد نزلوا إلى جنبها، فأوقعا بهم وقعة شديدة.

ووجه طاهر محمد بن زياد ونصير بن الخطاب مددا للحارث وداود، فاجتمعت العساكر بالجامع، وساروا حتى لقوا محمد بن سليمان ومحمد بن حماد فيما ما بين نهر درقيط والجامع، فاقتتلوا قتالا شديدا، وانهمز أهل بغداد، وهرب

محمد بن سليمان حتى صار إلى قرية شاهي، وعبر الفرات، وأخذ على طريق البرية إلى الأنبار، ورجع محمد بن حماد إلى بغداد، وقال ابو يعقوب الخريجي في ذلك:

هما عدوا بالنكث كي يصدعا به ... صفا الحق فانفضا بجمع مبدد

وأفلتنا ابن البربري مضمهر ... من الخيل يسمو للجياد ويهتدى

وذكر يزيد بن الحارث، أن محمد بن حماد البربري لما دخل بغداد، وجه محمد المخلوع الفضل بن موسى بن عيسى الهاشمي إلى الكوفة،

وولاه عليها، وضم إليه أبا السلاسل وإياس الحراي وجمهورا النجاري، وأمره بسرعة السير، فتوجه الفضل، فلما عبر نهر عيسى عثر به فرسه، فتحول منه إلى غيره وتطير، وقال: اللهم إني أسألك بركة هذا الوجه وبلغ طاهرا الخبر، فوجه محمد بن العلاء، وكتب إلى الحارث بن هشام وداود بن موسى بالطاعة له، فلقني محمد بن العلاء الفضل بقرية الأعراب، فبعث إليه الفضل: إني سامع مطيع لطاهر، وإنما كان مخرجي بالكيد مني لمحمد، نخل لي الطريق حتى أصير إليه، فقال له محمد: لست أعرف ما تقول ولا أقبله ولا أنكره، فإن أردت الأمير طاهرا فارجع وراءك، نخذ أسهل الطريق وأقصدها، فرجع وقال محمد لأصحابه: كونوا على حذر، فإني لست آمن مكر هذا، فلم يلبث أن كبر وهو يرى أن محمد بن العلاء قد آمنه، فوجده على عدة وأهبة، واقتتلوا كأشد ما يكون من القتال، وكجا بالفضل فرسه، فقاتل عنه أبو السلاسل حتى ركب، وقال: أذكر هذا الموقف لأمر المؤمنين وحمل أصحاب محمد ابن العلاء على أصحاب الفضل فهزموه، ولم يزالوا يقتلونهم إلى كوثي، وأسر في تلك الوقعة إسماعيل بن محمد القرشي وجمهور النجاري، وتوجه طاهر إلى المدائن، وفيها جند كثير من خيول محمد، عليهم البرمكي قد تحصن بها، والمدد يأتيه في كل يوم، والصلوات والخلع من قبل محمد فلما قرب طاهر من المدائن- وكان منها على رأس فرسخين- نزل فصلى ركعتين، وسبح فأكثر التسبيح، فقال: اللهم إنا نسألك نصرا كنصرك المسلمين يوم المدائن ووجه

٨٠٥٠٧ ذكر خبر خلع داود بن عيسى الأمين

الحسن بن علي المأموني وقريش بن شبل، ووجه الهادي بن حفص على مقدمته وسار فلما سمع أصحاب البرمكي صوت طبوله، أخرجوا الدواب، وأخذوا في تعييتهم، وجعل من في أوائل الناس ينضم إلى أواخرهم، وأخذ البرمكي في تسوية الصفوف، فكلما سوى صفا انتقض واضطرب عليه أمرهم، فقال: اللهم إنا نعوذ بك من الخذلان، ثم التفت إلى صاحب ساقته، فقال: خل سبيل الناس، فإني أرى جندا لا خير عندهم، فركب بعضهم بعضا نحو بغداد، فنزل طاهر المدائن، وقدم منها قريش بن شبل والعباس بن بخار اخذاه إلى الدرزيجان، وأحمد بن سعيد الحرشي ونصر بن منصور بن نصر بن مالك معسكران بنهر دياثي، فنعا أصحاب البرمكي من الجواز إلى بغداد، وتقدم طاهر حتى صار إلى الدرزيجان حيال أحمد ونصر بن منصور، فسير إليهما الرجال، فلم يجر بينهما كثير قتال حتى انهزموا، وأخذ طاهر ذات اليسار إلى نهر صرصر، ففقد بها جسرا ونزلها . ذكر خبر خلع داود بن عيسى الأمين

وفي هذه السنة خلع داود بن عيسى عامل مكة والمدينة محمدا- وهو عامله يومئذ عليهما- وبايع للمأمون، وأخذ البيعة بهما على الناس له، وكتب بذلك إلى طاهر والمأمون، ثم خرج بنفسه إلى المأمون. ذكر الخبر عن ذلك وكيف جرى الأمر فيه:

ذكر أن الأمين لما أفضت الخلافة إليه، بعث إلى مكة والمدينة داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وعزل عامل الرشيد على مكة، وكان عامله عليها محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحزومي، وكان إليه الصلاة بها وأحداثها والقضاء بين أهلها، فعزل محمد عن ذلك كله بداود ابن عيسى، سوى القضاء فإنه أقره على القضاء فأقام داود واليا على مكة والمدينة لمحمد، وأقام للناس أيضا الحج سنة ثلاث وأربع وخمسة وتسعين ومائة، فلما دخلت سنة ست وتسعين ومائة، بلغه خلع عبد الله المأمون أخاه، وما كان فعل طاهر بقواد محمد، وقد كان محمد كتب إلى داود بن عيسى يأمره بخلع عبد الله المأمون والبيعة لابنه موسى، وبعث محمد إلى الكتابين اللذين كان الرشيد كتبهما وعلقهما في الكعبة فأخذهما، فلما فعل ذلك جمع داود حجة الكعبة والقرشيين والفقهاء ومن كان شهد على ما في الكتابين من الشهود- وكان داود أحدهم- فقال داود: قد علمتم ما أخذ علينا وعليكم الرشيد من العهد والميثاق عند بيت الله الحرام حين بايعنا لابنيه، لنكونن مع المظلوم منهما على الظالم، ومع المبغي عليه على الباغي، ومع المغدور به على الغادر، فقد رأينا ورأيتم أن محمدا قد بدأ بالظلم والبغي والغدر على أخويه عبد الله المأمون والقاسم المؤتمن، وخلعهما وبايع لابنه الطفل، رضيع صغير لم يفطم، واستخرج الشرطين من الكعبة عاصيا ظالما، فخرقهما بالنار وقد رأيت خلعه، وإن أباع لعبد الله المأمون بالخلافة، إذ كان

مظلوما مبعيا عليه.

فقال له أهل مكة: رأينا تبع لرأيك، ونحن خالعه معك، فوعدهم صلاة الظهيرة، وأرسل في فجاج مكة صائحا يصيح: الصلاة جامعة! فلما جاء وقت صلاة الظهر- وذلك يوم الخميس لسبع وعشرين ليلة خلت من رجب سنة ست وتسعين ومائة- خرج داود بن عيسى، فصلى بالناس صلاة الظهر، وقد وضع له المنبر بين الركن والمقام، فصعد فجلس عليه، وأمر بوجوه الناس وأشرفهم فقربوا من المنبر، وكان داود خطيبا فصيحاً جهير الصوت، فلما اجتمع الناس قام خطيباً، فقال:

الحمد لله مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قديرٌ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالدين، وختم به النبيين، وجعله رحمة للعالمين، صلى الله عليه في الأولين والآخرين أما بعد يا أهل مكة، فأنتم الأصل والفرع، والعشيرة والأسرة، والشركاء في النعمة، إلى بلدكم نفذ وفد الله، وإلى قبلتكم يأتيتم المسلمون، وقد علمتم ما أخذ عليكم الرشيد هارون رحمه الله عليه وصلاته حين بايع لا بينه محمد وعبد الله بين أظهركم من العهد والميثاق

لتنصرون المظلوم منهما على الظالم، والمبغى عليه على الباغي، والمغدور به على الغادر، ألا وقد علمتم وعلمنا أن محمد بن هارون قد بدأ بالظلم والبغي والغدر، وخالف الشروط التي أعطاها من نفسه في بطن البيت الحرام، وقد حل لنا ولكم خلعه من الخلافة وتصييرها إلى المظلوم المبغى عليه المغدور به.

ألا وإني أشهدكم أنني قد خلعت محمد بن هارون من الخلافة كما خلعت قلنسوتي هذه من رأسي- وخلع قلنسوته عن رأسه فرمى بها إلى بعض الخدم تحته، وكانت من برود حبرة مسلسلة حمراء، وأتى بقلنسوة سوداء هاشمية فلبسها- ثم قال: قد بايعت لعبد الله عبد الله المأمون أمير المؤمنين بالخلافة، ألا فقوموا إلى البيعة لخليفتم فصعد جماعة من الوجوه إليه إلى المنبر، رجل فرجل، فبايعه لعبد الله المأمون بالخلافة، وخلع محمداً، ثم نزل عن المنبر، وحانت صلاة العصر، فصلى بالناس، ثم جلس في ناحية المسجد، وجعل الناس يبايعونه جماعة بعد جماعة، يقرأ عليهم كتاب البيعة، ويصافحونه على كفه، ففعل ذلك أياماً.

وكتب إلى ابنه سليمان بن داود بن عيسى وهو خليفته على المدينة، يأمره أن يفعل بأهل المدينة مثل ما فعل هو بأهل مكة، من خلع محمد والبيعة لعبد الله المأمون فلما رجع جواب البيعة من المدينة إلى داود وهو بمكة، رحل من فوره بنفسه وجماعة من ولده يريد المأمون بمرور على طريق البصرة، ثم على فارس، ثم على كرمان، حتى صار إلى المأمون بمرور، فأعلمه ببيعته وخلعه محمداً ومسارة أهل مكة وأهل المدينة إلى ذلك، فسر بذلك المأمون، وتبين ببركة مكة والمدينة، إذ كانوا أول من بايعه، وكتب إليهم كتاباً لينا لطيفاً يعدهم فيه الخبر، ويبسط أملهم وأمر أن يكتب لداود عهد على مكة والمدينة وأعمالها من الصلاة والمعاون والجباية، وزيد له ولاية عك، وعقد له على ذلك ثلاثة ألوية، وكتب له إلى الري بمعونة خمسمائة ألف درهم، وخرج داود بن عيسى مسرعاً مغذاً مبادراً لإدراك الحج، ومعه ابن أخيه العباس بن موسى ابن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وقد عقد

٨٠٥٠٨ ذكر خبر شغب الجند على طاهر بن الحسين

المأمون للعباس بن موسى بن عيسى على ولاية الموسم، فسار هو وعمه داود حتى نزلا بغداد على طاهر بن الحسين، فأكرمهما وقربهما، وأحسن معونتهما، ووجه معهما يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري، وقد عقد له طاهر على ولاية اليمن، وبعث معه خيلاً كثيفة، وضمن لهم يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري أن يستميل قومه وعشيرته من ملوك أهل اليمن وأشرفهم، ليخلعوا محمداً ويبايعوا عبد الله المأمون.

فساروا جميعاً حتى دخلوا مكة وحضر الحج، ففج باهل الموسم العباس بن موسى بن عيسى، فلما صدروا عن الحج انصرف العباس حتى أتى طاهر ابن الحسين- وهو على حصار محمد- وأقام داود بن عيسى على عمله بمكة والمدينة، ومضى يزيد بن جرير إلى اليمن، فدعا أهلها

إلى خلع محمد وبيعة عبد الله على المأمون، وقرأ عليهم كتاباً من طاهر بن الحسين يعدمهم العدل والإنصاف، ويرغبهم في طاعة المأمون، ويعلمهم ما بسط المأمون من العدل في رعيته، فأجاب أهل اليمن إلى بيعة المأمون، واستبشروا بذلك، وبايعوا للمأمون، وخلعوا محمد، فسار فيهم يزيد بن جرير بن يزيد بأحسن سيرة، وأظهر عدلاً وإنصافاً، وكتب بإجابتهم وبيعتهم إلى المأمون وإلى طاهر بن الحسين. وفي هذه السنة عقد محمد في رجب وشعبان منها نحواً من أربعمئة لواء لقواد شتى، وأمر على جميعهم علي بن محمد بن عيسى بن نهيك، وأمرهم بالمسير إلى هرثمة بن أعين، فساروا فالتقوا بجللتا في رمضان على أميال من النهروان، فهزمهم هرثمة، وأسر علي بن محمد بن عيسى بن نهيك، وبعث به هرثمة إلى المأمون، وزحف هرثمة فنزل النهروان. ذكر خبر شغب الجند على طاهر بن الحسين.

٤ وفي هذه السنة استأمن إلى محمد من طاهر جماعة كثيرة، وشغب الجند على طاهر، ففرق محمد فيمن صار إليه من أصحاب طاهر مالا عظيماً، وقود رجالاً، وغلف لحاهم بالغالية، فسموا بذلك قواد الغالية. ذكر الخبر عن سبب ذلك وإلى ما آل إليه الأمر فيه:

ذكر عن يزيد بن الحارث، قال: أقام طاهر على نهر صرصر لما صار إليها، وشمر في محاربة محمد وأهل بغداد، فكان لا يأتيه جيش إلا هزمه، فاشتد على أصحابه ما كان محمد يعطي من الأموال والكساء، فخرج من عسكره نحو من خمسة آلاف رجل من أهل خراسان ومن التف إليهم، فسر بهم محمد، ووعدهم ومناهم، وأثبت أسماءهم في الثمانين قال: فكثوا بذلك أشهراً، وقود جماعة من الحرية وغيرهم ممن تعرض لذلك وطلبه، وعقد لهم، ووجههم إلى دسكرة الملك والنهروان، ووجه إليهم حبيب بن جهم النمري الأعرابي في أصحابه، فلم يكن بينهم كثير قتال، وندب محمد قواداً من قواد بغداد، فوجههم إلى الياسرية والكوثرية والسفينتين، وحمل إليهم الأطعمة، وقواهم بالأرزاق، وصيرهم رداء لمن خلفهم، وفرق الجواسيس في أصحاب طاهر، ودس إلى رؤساء الجند الكتب بالأطماع والترغيب، فشغبوا على طاهر، واستأمن كثير منهم إلى محمد، ومع كل عشرة أنفس منهم طبل، فارعدوا وابقوا واجلبوا، ودنوا حتى أشرفوا على نهر صرصر، فعبي طاهر أصحابه كراديس، ثم جعل يمر على كل كردوس منهم، فيقول: لا يغرنكم كثرة من ترون، ولا يمنعنكم استئمان من استأمن منهم، فإن النصر مع الصدق والثبات، والفتح مع الصبر، ورب فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ثم أمرهم بالتقدم، فتقدموا واضطربوا بالسيوف ملياً ثم إن الله ضرب أكثاف أهل بغداد فولوا منهزمين، وأخلوا موضع عسكرهم، فانتهب أصحاب طاهر كل ما كان فيه من سلاح ومال وبلغ الخبر محمداً، فأمر بالعطاء فوضع، وأخرج خزائنه وذخائره، وفرق الصلوات وجمع أهل الأرباض، واعترض الناس على عينه، فكان لا يرى أحداً وسيماً حسن الرواء إلا خلع عليه وقوده، وكان لا يقود أحداً إلا غلفت لحيته بالغالية، وهم الذين

يسمون قواد الغالية قال: وفرق في قواده المحدثين لكل رجل منهم خمسمئة درهم وقارورة غالية، ولم يعط جند القواد وأصحابهم شيئاً وأتت عيون طاهر وجواسيسه طاهراً بذلك، فراسلهم وكتبهم، ووعدهم واستمالهم، وأغرى أصاغرهم بأكابرهم، فشغبوا على محمد يوم الأربعاء لست خلون من ذي الحجة سنة ست وتسعين ومائة، فقال رجل من أبناء أهل بغداد في ذلك:

قل للأمين الله في نفسه ... ما شئت الجند سوى الغالية
وطاهر نفسي تقي طاهراً ... برسله والعدة الكافية
أضحي زمام الملك في كفه ... مقاتلاً للفئة الباغية
يا ناكماً أسلمه نكته ... عيوبه من خبثه فاشية
قد جاءك الليث بشداته ... مستكبلاً في أسد ضاريه
فاهرب ولا مهرب من مثله ... إلا إلى النار أو الهاوية

قال: ولما شغب الجند، وصعب الأمر على محمد شاور قواده، فقليل له: تدارك القوم، فتلاف امرك، فان بهم قوام ملك، وهم بعد الله أزالوه عنك أيام الحسين، وهم ردوه عليك، وهم من قد عرفت نجاتهم وبأسهم.

فلج في أمرهم وأمر بقتلهم، فوجه إليهم التنوخي وغيره من المستأمنة والأجناد الذين كانوا معه، فعاجل القوم القتال وراسلهم طاهر وراسلوه، فأخذ رهائهم على بذل الطاعة له، وكتب إليهم، فأعطاهم الأمان، وبذل لهم الأموال، ثم قدم فصار إلى البستان الذي على باب الأنبار يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، فنزل البستان بقواده وأجناده وأصحابه، ونزل من لحق بطاهر من المستأمنة من قواد محمد وجنده في البستان وفي الأرباض، وألحقهم جميعا بالثمانين في الأرزاق، وأضعف للقواد وأبناء القواد الخواص، وأجرى عليهم وعلى كثير من رجالهم الأموال، ونقب أهل السجون السجون وخرجوا منها، وفتن الناس، ووثب على أهل الصلاح الدعار والشطار، فعز الفاجر، وذلل المؤمن، واختل الصالح، وساءت حال الناس إلا من كان في عسكر طاهر لتفقدته أمرهم، وأخذ على أيدي سفهائهم وفساقهم، واشتد في ذلك عليهم، وغادى القتال وراوحه، حتى تواكل الفريقان، وخرت الدار. وجج بالناس في هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي من قبل طاهر، ودعا للمأمون بالخلافة، وهو أول موسم دعي له فيه بالخلافة بمكة والمدينة.

٨٠٥١ سنه سبع وتسعين ومائه

٨٠٥١٠١ ذكر خبر حصار الامين ببغداد

ثم دخلت

سنة سبع وتسعين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) ففي هذه السنة لحق القاسم بن هارون الرشيد ومنصور بن المهدي بالمأمون من العراق، فوجه المأمون القاسم الى جرجان.

ذكر خبر حصار الامين ببغداد

وفيها حاصر طاهر وهرثمة وزهير بن المسيب محمد بن هارون ببغداد.

ذكر الخبر عما آل إليه أمر حصارهم في هذه السنة، وكيف كان الحصار فيها:

ذكر محمد بن يزيد التميمي وغيره أن زهير بن المسيب الضبي نزل قصر رقة كلواذي، ونصب المجانيق والعرادات واحتفر الخنادق، وجعل يخرج في الأيام عند اشتغال الجند بحرب طاهر، فيرمي بالعرادات من أقبل وأدبر، ويعشر أموال التجار ويحبي السفن، وبلغ من الناس كل مبلغ، وبلغ أمره طاهرا وأتاه الناس فشكوا إليه ما نزل بهم من زهير بن المسيب، وبلغ ذلك هرثمة، فأمد به بالجند، وقد كاد يؤخذ، فأمسك عنه الناس، فقال الشاعر من أهل الجانب الشرقي - لم يعرف اسمه - في زهير وقتله الناس بالمجانيق:

لا تقرب المنجنيق والحجرا ... فقد رأيت القتل إذ قربا

باكر كي لا يفوته خبر ... راح قتيلًا وخلف الخبرا

ماذا به كان من نشاط ومن ... صحة جسم به إذا ابتكرا

أراد ألا يقال كان له ... أمر فلم يدر من به امرا

يا صاحب المنجنيق ما فعلت ... كفأك، لم تبقي ولم تدر

كان هواه سوى الذي قدرا ... هيات لن يغلب الهوى القدرا

ونزل هرثمة نهر بين، وجعل عليه حائطا وخندقا، وأعد المجانيق والعرادات، وأنزل عبيد الله بن الواضح الشماسية، ونزل طاهر البستان بباب الأنبار، فذكر عن الحسين الخليل أنه قال: لما تولى طاهر البستان بباب الأنبار، دخل محمدا أمر عظيم من دخوله بغداد، وتفرق ما كان في يده من الأموال، وضاق ذرعا، وتحرق صدرا، فأمر ببيع كل ما في الخزائن من الأمتعة، وضرب آنية الذهب والفضة دنانير ودراهم، وحملها إليه لأصحابه وفي نفقاته، وأمر حينئذ برمي الحربية بالنفط والنيران والمجانيق والعرادات، يقتل بها المقبل والمدبر، ففي ذلك يقول عمرو بن عبد الملك العتري الوراق:

يا رماة المنجنيق ... كلكم غير شفيق
 ما تبالون صديقا ... كان او غير صديق
 ويلكم تدرون ما ... ترمون مرار الطريق
 رب خود ذات دل ... وهي كالغصن الوريق
 اخرجت من جوف دنياها ... ومن عيش أنيق
 لم تجد من ذاك بدا ... أبرزت يوم الحريق

وذكر عن محمد بن منصور الباوردي، قال: لما اشتدت شوكة طاهر على محمد، وهزمت عساكره، وتفرق قواده كان فيمن استأمن إلى طاهر سعيد بن مالك بن قادم، فلحق به، فولاه ناحية البغيين والأسواق هنالك وشاطئ دجلة، وما اتصل به أمامه إلى جسور دجلة، وأمره بحفر الخنادق وبناء الحيطان في كل ما غلب عليه من الدور والدروب، وأمدّه بالنفقات والفعلة والسلاح، وأمر الحرية بلزومه على النواصب، ووكل بطريق دار الرقيق وباب الشام واحدا بعد واحد، وأمر بمثل الذي أمر به سعيد بن مالك، وكثر الخراب والهدم حتى درست محاسن بغداد، ففي ذلك يقول العتري:

من ذا أصابك يا بغداد بالعين ... ألم تكوني زمانا قرة العين!
 ألم يكن فيك قوم كان مسكنهم ... وكان قربهم زينا من الزين
 صاح الغراب بهم بالبين فاقتروا ... ماذا لقيت بهم من لوعة البين!
 أستودع الله قوما ما ذكرتهم ... إلا تحدر ماء العين من عيني
 كانوا ففرقهم دهر وصدعهم ... والدهر يصدع ما بين الفريقين

قال: ووكل محمد عليا فراهمرد، فيمن ضم إليه من المقاتلة، بقصر صالح وقصر سليمان بن أبي جعفر إلى قصور دجلة وما والاها، فألح في إحراق الدور والدروب وهدمها بالمجانيق والعرادات على يدي رجل كان يعرف بالسمرقندي، فكان يرمي بالمنجنيق، وفعل طاهر مثل ذلك، وأرسل إلى أهل الأرباض من طريق الأنبار وباب الكوفة وما يليها، وكلما أجابه أهل ناحية خندق عليهم، ووضع مسالحه وأعلامه، ومن أبي إجابته والدخول في طاعته ناصبه وقاتله، وأحرق منزله، فكان كذلك يغدو ويروح بقواده وفرسانه ورجاله، حتى أوحشت بغداد، وخاف الناس أن تبقى خرابا، وفي ذلك يقول الحسين الخليع:

اتسرع الرجله إغذاذا ... عن جانبي بغداد أم ماذا!
 ألم تر الفتنة قد ألفت ... الى اولى الفتنة شذاذا

وانتقضت بغداد عمرانها ... عن رأي لا ذاك ولا هذا
 هدماء وحرقا قد أبيد أهلها ... عقوبة لا ذت بمن لاذا
 ما أحسن الحالات إن لم تعد ... بغداد في القلة بغدادا

قال: وسمى طاهر الأرباض التي خالفه أهلها ومدينة أبي جعفر الشرقية، وأسواق الكرخ والخلد وما والاها دار النكث، وقبض ضياع من

لم يخز إليه من بني هاشم والقواد والموالي وغلاتهم، حيث كانت من عمله، فذلوا وانكسروا وانقادوا، وذلت الأجناد وتواكلت عن القتال، إلا باعة الطريق والعراة وأهل السجون والأوباش والرعا والطارين وأهل السوق وكان حاتم بن الصقر قد أباحهم النهب، وخرج الهرش والأفارقة، فكان طاهر يقاتلهم لا يفتر عن ذلك ولا يمل، ولا ينني فيه فقال الخريمي يذكر بغداد، ويصف ما كان فيها:

قالوا: ولم يلعب الزمان ببغداد ... وتعثر بها عواثرها
 إذ هي مثل العروس باطنها ... مشوق للفتى وظاهرها
 جنه خلد ودار مغبطه ... قل من النائبات واطرها
 درت خلوف الدنيا لساكنها ... وقل معسورها وعاسرها
 وانفرجت بالنعيم واتجعت ... فيها بلذاتها حواضرها
 فالقوم منها في روضه انف ... اشرق غب القطار زاهرها

من غره العيش في بلهنية ... لو أن دنيا يدوم عامرها
 دار ملوك رست قواعدها ... فيها وقرت بها منابرها
 اهل العلا والندى وأندية الفخر ... إذا عدت مفاخرها
 أفراخ نعمى في إرث مملكة ... شد عراها لها أكبرها
 فلم يزل والزمان ذو غير ... يقدح في ملكها أصاغرها
 حتى تسافت كأسا مثملة ... من فتنة لا يقال عاثرها
 واقترقت بعد ألفة شيعة ... مقطوعه بينها اواصرها
 يا هل رأيت الأملاك ما صنعت ... إذ لم يرعها بالنصح زاجرها
 أورد أملاكها نفوسهم ... هوة غي اعيت مصادرها
 ما ضرها لو وفّت بموثقها ... واستحكمت في التقى بصائرنا
 ولم تسافك دماء شيعتها ... وتبتعث فتية تكبرها
 وأقنعتها الدنيا التي جمعت ... لها ورعب النفوس ضائرنا
 ما زال حوض الأملاك يحفره ... مسجورها بالهوى وساجرنا
 تبغى فضول الدنيا مكاثرة ... حتى أيجت كرها ذخائرنا
 تبيع ما جمع الأبوة ... للأبناء لا أربحت متاجرنا
 يا هل رأيت الجنان زاهرة ... يروق عين البصير زاهرنا!
 وهل رأيت القصور شارعة ... تكن مثل الدمى مقاصرنا
 وهل رأيت القرى التي غرس ... الأملاك مخضرة دساكرنا
 محفوفة بالكروم والنخل و ... الريحان ما يستغل طائرنا
 فإنها أصبحت خلايا من ... الإنسان قد ادميت محاجرنا
 قفرا خلاء تعوي الكلاب بها ... ينكر منها الرسوم زائرنا
 وأصبح البؤس ما يفارقها ... إلغا لها والسرور هاجرنا
 بزندورد والياسرية والشطين ... حيث انتهت معابرنا
 ويا ترلخى والخيزرانية العليا ... التي أشرفت قناطرنا
 وقصر عبدويه عبره وهدى ... لكل نفس زكت سرائرها
 فأين حراسها وحارسها ... وأين مجبورها وجايرها!
 وأين خصيانها وحشوتها ... وأين سكانها وعامرنا
 أين الجرادية الصقالب والأحباش ... تعدو هدلا مشايرها
 ينصدع الجند عن مواكبيها ... تعدو بها سربا ضوايرها
 بالسند والهند والصقالب و ... النوبة شيببت بها برايرها
 طيرا أبابيل أرسلت عبثا ... يقدم سودانها أحامرنا
 أين الظباء الأبقار في روضة الملك ... تهادى بها غرائرها!
 أين غضاراتها ولذتها ... وأين مجبورها وحابرنا!
 بالمسك والعنبر اليمان و ... اليلنجوج مشبوبة مجامرنا
 يرفلن في الخز والمجاسد و ... الموشى محطومه مزامرنا
 فأين رقاصها وزامرنا ... يجين حيث انتهت حناجرنا
 تكاد اسماعهم تسك إذا ... عارض عيدانها مزاهرنا
 أمست كجوف الحمار خالية ... يسعرها بالبحيم ساعرنا

كأنما أصبحت بساحتهم ... عاد ومستهم صراصرها
 لا تعلم النفس ما يبايتها ... من حادث الدهر أو يباكرها
 تضحى وتمسي درية غرضا ... حيث استقرت بها شرارها
 لأنهم الدهر وهو يرشقها ... مخطئها مرة وباقرها
 يا بؤس بغداد دار مملكة ... دارت على أهلها دوائرها
 أمهلها الله ثم عاقبها ... لما أحاطت بها كجائرها
 بالخنس والقذف والحريق و ... بالحرب التي أصبحت تساورها
 كم قد رأينا من المعاصي ببغداد ... فهل ذو الجلال غافرها!
 حلت ببغداد وهي آمنة ... داهية لم تكن تحاذرها
 طالعها السوء من مطالعه ... وأدركت أهلها جرائرها
 رق بها الدين واستخف بذي ... الفضل وعز النسك فاجرها
 وخطم العبد أنف سيده ... بالرغم واستعبدت حرائرها.
 وصار رب الجيران فاسقهم ... وابتز أمر الدروب ذاعرها
 من ير بغداد والجنود بها ... قد رقت حولها عساكرها
 كل طحون شهباء بأسلة ... تسقط أحبالها زماجرها
 تلقى بغى الردى أو انسها ... يرهقها للقاء طاهرها
 والشيخ يعدو حزما كئابه ... يقدم اعجازها يعاورها
 ولزهير بالفرك مأسدة ... مرقومة صلبة مكاسرها
 كتائب الموت تحت ألوية ... أبرح منصورها وناصرها
 يعلم أن الأقدار واقعة ... وقعا على ما أحب قادرها
 فتلك بغداد ما يبني من ... الذلة في دورها عصافرها
 محفوفة بالردى منطقة ... بالصغر محصورة جبايرها
 ما بين شط الفرات منه الى ... دجلة حيث انتهت معابرها
 بارك هادي الشقراء نافرهم ... تركض من حولها أشاقرها
 يحرقها ذا وذاك يهدمها ... ويشتفي بالنهاب شاطرها
 والكرخ أسواقها معطلة ... يستن عيارها وعائرها
 أخرجت الحرب من سواقطها ... آساد غيل غلبا تساورها
 من البواري تراسها ومن ... الخوص إذا استلأمت مغافرها
 تغدو إلى الحرب في جواشنها ... الصوف إذا ما عدت أساورها
 كتائب الهرش تحت رايتها ... ساعد طرارها مقامرها
 لا الرزق تبغي ولا العطاء ولا ... يحشرها للقاء حاشرها
 في كل درب وكل ناحية ... خطارة يستهل خاطرها
 بمثل هام الرجال من فلق ... الصخر يزود المقلاع بأثرها.
 كأنما فوق هامها فرق ... من القطا الكدر هاج نافرها
 والقوم من تحتها لهم زجل ... وهي ترامي بها خواطرها
 بل هل رأيت السيوف مصلتة ... أشهرها في الأسواق شاهرها
 واخليل تستن في أزقتها ... بالترك مسنونة خناجرها
 والنفط والنار في طرائقها ... وهابيا للدخان عامرها

والنهب تعدو به الرجال وقد ... أبدت خلايلها حرائرها
معصوبات وسط الأزقة قد ... أبرزها للعيون ساترها
كل رقاد الضحى مخبأة ... لم تبد في أهلها محاجرها
بيضة خدر مكنونة برزت ... للناس منشورة غدائرها
تعثر في ثوبها وتعجلها ... كبه خيل ريعت حوافرها
تسأل أين الطريق والهة ... والنار من خلفها تبادرها
لم تجتل الشمس حسن بهجتها ... حتى اجتلتها حرب تباشرها
يا هل رأيت الثكلي مولولة ... في الطرق تسعى والجهد باهرها!
في إثر نعش عليه واحدا ... في صدره طعنه يساورها
فرغاء ينقى الشنار مردها ... يهزها بالسنان شاجرها
تنظر في وجهه وتهتف بالثكل ... وجارى الدموع حادرها
غرغر بالنفس ثم أسلمها ... مطلولة لا يخاف نائرها
وقد رأيت الفتیان في عرصة ... المعرك معفوره مناخرها
كل فتى مانع حقيقته ... تشقى به في الوغى مساعرها
باتت عليه الكلاب تنهشه ... مخضوبة من دم أظافرها
أما رأيت الخيول جائلة ... بالقوم منكوبة دوائرها
تعثر بالأوجه الحسان من ... القتلى وغلّت دما أشاعرها
يطآن أبكاد فتية نجد ... يفلق هاماتهم حوافرها
أما رأيت النساء تحت المجانيق ... تعادي شعنا ضفائرها
عقائل القوم والعجائز و ... العنس لم تحتبر معاصرها
يحملن قوتا من الطحين على ... الأكتاف معصوبه مهاجرها
وذات عيش ضنك ومقعدة ... تشدخها صخرة تعاورها
تسأل عن أهلها وقد سلبت ... وابتز عن رأسها غفائرها
يا ليت شعري والدهر ذو دول ... يرجى وأخرى تخشى بوادرها
هل ترجعن أرضنا كما غنيت ... وقد تناهت بنا مصايرها
من مبلغ ذا الرياستين رسا ... لات تأتى للنصح شاعرها
بأن خير الولاة قد علم ... الناس إذا عدت مآثرها
خليفة الله في بريته ... المأمون منتاشها وجابرها
سمت إليه آمال أمته ... منقادة برها وفاجرها
شاموا حيا العدل من مخايله ... وأصحرت بالتقى بصائرها
وأحمدوا منك سيرة جلت ... الشك وأخرى صحت معاذرها
واستجمعت طاعة برفقك ... للمأمون نجديها وغائرها
وأنت سمع في العالمين له ... ومقلة ما يكل ناظرها
فاشكر لذي العرش فضل نعمته ... اوجب فضل المزيد شاكرها
واحذر فداء لك الرعية و ... الأجناد مأمورها وأمرها
لا تردن غمرة بنفسك لا ... يصدر عنها بالرأي صادرها
عليك ضحضاحها فلا تلج الغمرة ... ملتجة زواجرها
والقصد أن الطريق ذو شعب ... أشأمها وعثا وجائرها

٨٠٥١٠٢ ذكر خبر وقعه قصر صالح

أصبحت في أمة أوائلها ... قد فارقت هديها وأواخرها
وأنت سرسورها وسائسها ... فهل على الحق أنت قاسرها!
أدب رجالا رأيت سيرتهم ... خالف حكم الكتاب سائرهما
وامدد إلى الناس كف مرحمة ... تسد منهم بها مفارقها
أمكنك العدل إذ هممت به ... ووافقت مده مقاديرها
وأبصر الناس قصد وجههم ... وملكك أمة أخيرها
تشرع أعناقها إليك إذ ... السادات يوما جمت عشائرها
كم عندنا من نصيحة لك في الله ... وقربى عزت زوافرها
وحرمة قربت أواصرها ... منك، وأخرى هل أنت ذاكرها!
سعي رجال في العلم مطلبهم ... رأنحها باكر وباكرها
دونك غراء كالوذيلة لا ... تفقد في بلدة سوائرها
لا طمعا قلتها ولا بطرا ... لكل نفس هوى يؤامرها
سيرها الله بالنصيحة و ... الخشيته فاستدجعت مرائرها
جاءتك تحكي لك الأمور كما ... ينشر بز التجار ناشرها
حملتها صاحباً أختة ... يظل عجباً بها يحاضرها
وفي هذه السنة استأمن الموكلون بقصر صالح من قبل محمد
ذكر خبر وقعه قصر صالح
وفيهما كانت الوقعة التي كانت على أصحاب طاهر بقصر صالح.

ذكر الخبر عن هذه الوقعة:

ذكر عن محمد بن الحسين بن مصعب، أن طاهراً لم يزل مصابراً محمداً وجنده على ما وصفت من أمره، حتى مل أهل بغداد من قتاله، وأن علي

فراهمرد الموكل بقصري صالح وسليمان بن أبي جعفر من قبل محمد، كتب إلى طاهر يسأله الأمان، ويضمن له أن يدفع ما في يده من تلك الأموال ومن الناحية إلى الجسور وما فيها من المجانيق والعرادات إليه، وأنه قبل ذلك منه، وأجابه إلى ما سأل، ووجه إليه أبا العباس يوسف بن يعقوب الباذغيسي صاحب شرطه فيمن ضم إليه من قواده وذوي البأس من فرسانه ليلاً، فسلم إليه كل ما كان محمد وكله به من ذلك ليلة السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ومائة واستأمن إليه محمد بن عيسى صاحب شرطه محمد، وكان يقاتل مع الأفارقة وأهل السجون والأوباش، وكان محمد بن عيسى غير مداهن في أمر محمد، وكان مهيباً في الحرب، فلما استأمن هذان إلى طاهر، أشفى محمد على الهلاك، ودخله من ذلك ما أقامه وأقعه حتى استسلم، وصار على باب أم جعفر يتوقع ما يكون، وأقبلت الغواة من العيارين وباعة الطرق والأجناد، فاقتتلوا داخل قصر صالح وخارجه إلى ارتفاع النهار قال: فقتل في داخل القصر أبو العباس يوسف بن يعقوب الباذغيسي ومن كان معه من القواد والرؤساء المعدودين، وقاتل فراهمرد وأصحابه خارجاً من القصر حتى فل وانحاز إلى طاهر، ولم تكن وقعة قبلها ولا بعدها أشد على طاهر وأصحابه منها، ولا أكثر قتيلًا وجريحاً معقوراً من أصحاب طاهر من تلك الوقعة، فأكثر الشراء فيها القول من الشعر، وذكر ما كان فيها من شدة الحرب وقال فيها الغوغاء والرعا، وكان مما قيل في ذلك قول الخليل:

أمين الله ثق بالله ... تعط الصبر والنصره
كل الأمر إلى الله ... كلاك الله ذو القدره
لنا النصر بعون الله ... والكرة لا الفره

وللمراق أعدائك ... يوم السوء والديره
وكأس تلفظ الموت ... كرية طعمها مره
سقيننا وسقيناهم ... ولكن بهم الحره
كذلك الحرب أحيانا ... علينا ولنا مره

فذكر عن بعض الأبناء أن طاهرا بث رسله، وكتب إلى القواد والهاشميين وغيرهم بعد أن حاز ضياعهم وغلاتهم يدعوهم إلى الأمان والدخول في خلع محمد والبيعة للمأمون، فلحق به جماعة، منهم عبد الله بن حميد بن قحطبة الطائي وإخوته، وولد الحسن بن قحطبة ويحيى بن علي بن ماهان ومحمد بن أبي العاص، وكتبه قوم من القواد والهاشميين في السر، وصارت قلوبهم وأهواؤهم معه.
قال: ولما كانت وقعة قصر صالح أقبل محمد على اللهو والشرب، ووكل الأمر إلى محمد بن عيسى بن نهيك وإلى الهرش، فوضعا مما يليهما من الدروب والأبواب وكلاءهما بأبواب المدينة والأرباض وسوق الكرخ وفرض دجلة وباب الحول والكاسية، فكان لصوصها وفساقها يسلبون من قدروا عليه من الرجال والنساء والضعفاء من اهل الملة والذمة، فكان منهم في ذلك ما لم يبلغنا أن مثله كان في شيء من سائر بلاد الحروب.

قال: ولما طال ذلك بالناس، وضاحت بغداد بأهلها، خرج عنها من كانت به قوة بعد الغرم الفادح والمضايقة الموجعة والخطر العظيم، فأخذ طاهر أصحابه بخلاف ذلك، واشتد فيه، وغلظ على اهل الريب وامر محمد ابن أبي خالد بحفظ الضعفاء والنساء وتجويزهم وتسهيل أمرهم، فكان الرجل والمرأة إذا تخلص من أيدي أصحاب الهرش، وصار إلى أصحاب طاهر ذهب عنه الروع وأمن، وأظهرت المرأة ما معها من ذهب وفضة أو متاع أو بز، حتى قيل: إن مثل أصحاب طاهر ومثل أصحاب الهرش وذويه ومثل الناس إذا تخلصوا، مثل السور الذي قال الله تعالى ذكره: «فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ بُسُورَ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ» فلما طال على الناس ما بلوا به ساءت حالهم، وضاقوا به ذرعا، وفي ذلك يقول بعض فتيان بغداد:

بكيت دما على بغداد لما ... فقدت غضارة العيش الأنيق
تبدلنا هموما من سرور ... ومن سعة تبدلنا بضيق
أصابتها من الحساد عين ... فافتت أهلها بالمنجيق
فقوم أحرقوا بالنار قسرا ... ونائحة تنوح على غريق
وصائح تنادى وا صباحا ... وباكية لفقدان الشفيق
وحوراء المدامع ذات دل ... مضمخة المجاسد بالخلوق
تفر من الحريق إلى انتهاب ... ووالدها يفر إلى الحريق
وسالبة الغزاة مقتلتيها ... مضاحكها كلالاة البروق
حيارى كلهدايا مفكرات ... عليهم القلائد في الخلق
ينادين الشفيق ولا شفيق ... وقد فقد الشقيق من الشقيق
وقوم أخرجوا من ظل دنيا ... متاعهم يباع بكل سوق
ومغترب قريب الدار ملقى ... بلا رأس بقارعة الطريق
توسط من قتالهم جميعا ... فما يدرون من أي الفريق
فلا ولد يقيم على أبيه ... وقد هرب الصديق بلا صديق
ومهما أنس من شيء تولى ... فإني ذاكر دار الرقيق

وذكر أن قائدا من قواد أهل خراسان ممن كان مع طاهر من أهل النجدة والبأس، خرج يوما إلى القتال، فنظر إلى قوم عراة، لا سلاح معهم، فقال لأصحابه: ما يقاتلنا إلا من أرى، استهانة بأمرهم واحتقاراً لهم، فقليل له: نعم هؤلاء الذين ترى هم الآفة، فقال: أف لكم حين تنكصون عن هؤلاء وتخيّمون عنهم، وأنتم في السلاح الظاهر، والعدو والقوة، ولكم ما لكم من

٨٠٥١٠٣ ذكر خبر منع طاهر الملاحين من ادخال شيء إلى بغداد

الشجاعة والنجدة! وما عسى أن يبلغ كيد من أرى من هؤلاء ولا سلاح معهم ولا عدة لهم ولا جنة تقيمهم! فأوتر قوسه وتقدم، وابصره بعضهم فقصد نحوه وفي يده بارية مقيرة، وتحت إبطه مخلاة فيها حجارة، فجعل الخراساني كلما رمى بسهم استتر منه العيار، فوقع في باريته أو قريباً منه، فيأخذه فيجعله في موضع من باريته، قد هياؤه لذلك، وجعله شبيهاً بالجعبة وجعل كلما وقع سهم أخذه، وصاح: دائق، أي ثمن النشابة دائق قد أحرزه، ولم يزل تلك حالة الخراساني وحال العيار حتى أنفذ الخراساني سهامه، ثم حمل على العيار ليضربه بسيفه، فأخرج من مخلاته حجراً، فجعله في مقلاع ورماه فما أخطأ به عينه، ثم ثناه بآخر، فكاد يصرعه عن فرسه لولا تحاميه، وكر راجعاً وهو يقول: ليس هؤلاء يأنس، قال: فحدث أن طاهراً حدث بحديثه فاستضحك وأعفى الخراساني من الخروج إلى الحرب، فقال بعض شعراء بغداد في ذلك:

خرجت هذه الحروب رجالاً ... لا لقحطانها ولا لتزار
معشراً في جواشن الصوف يغدون ... إلى الحرب كالأسود الضواري
وعليهم مغافر الخوص تجزيهم ... عن البيض، والتراس البواري
ليس يدرون ما الفرار إذا الأبطال ... عاذوا من القنا بالفرار
واحد منهم يشد على الفين ... عريان ماله من إزار
ويقول الفتى إذا طعن الطعنة ... خذها من الفتى العيار
كم شريف قد أحملته وكم قد ... رفعت من مقامر طرار
ذكر خبر منع طاهر الملاحين من ادخال شيء إلى بغداد

قال محمد بن جرير: وفي هذه السنة منع طاهر الملاحين وغيرهم من ادخال شيء إلى بغداد إلا إلى من كان من عسكره منهم، ووضع الرصيد عليهم بسبب ذلك.

٨٠٥١٠٤ ذكر الخبر عما كان منه ومن اصحاب محمد المخلوع في ذلك

ذكر الخبر عما كان منه ومن أصحاب محمد المخلوع في ذلك
وعن السبب الذي من أجله فعل ذلك طاهر:
أما السبب في ذلك فإنه- فيما ذكر- كان أن طاهراً لما قتل من قتل في قصر صالح من أصحابه، ونالهم فيه من الجراح ما نالهم، مضه ذلك وشق عليه، لأنه لم يكن له وقعة إلا كانت له لا عليه، فلها شق عليه أمر بالهدم والإحراق عند ذلك، فهدم دور من خالفه ما بين دجلة ودار الرقيق وباب الشام وباب الكوفة، إلى الصراة وارجاء أبي جعفر وربض حميد ونهر كرخايا والكاسية، وجعل يبايت أصحاب محمد ويدالجهم، ويحوي في كل يوم ناحية، ويخندق عليها المراسد من المقاتلة، وجعل أصحاب محمد ينقصون، ويزيدون، حتى لقد كان اصحاب طاهر يهدمون الدار وينصرفون، فيقلع أبوابها وسقوفها أصحاب محمد، ويكونون أضر على أصحابهم من أصحاب طاهر تعدياً، فقال شاعر منهم- وذكر أنه عمرو بن عبد الملك الوراق العتري- في ذلك:

لنا كل يوم ثلثة لا نسدها ... يزدون فيما يطلبون وتنقص
إذا هدموا داراً أخذنا سقوفها ... ونحن لأخرى غيرها نتربص
وإن حرصوا يوماً على الشر جهدهم ... فغوغاؤنا منهم على الشر أحرص
فقد ضيقوا من أرضنا كل واسع ... وصار لهم أهل بها، وتعرضوا
يثيرون بالبطل القنيص فإن بدا ... لهم وجه صيد من قريب تقنصوا
لقد أفسدوا شرق البلاد وغربها ... علينا فما ندري إلى أين نشخص!
إذا حضروا قالوا بما يعرفونه ... وإن يروا شيئاً قبيحاً تخرصوا
وما قتل الأبطال مثل مجرب ... رسول المنيا ليلة يتلصص

ترى البطل المشهور في كل بلدة ... إذا ما رأى العريان يوما يبصص
إذا ما رآه الشمري مقزلا ... على عقبه للمخافة ينكص
يبيعك رأسا للصبي بدرهم ... فإن قال إني مرخص فهو مرخص
فكم قاتل منا لآخر منهم ... بمقتله عنه الذنوب تحص
تراه إذا نادى الأمان مبارزا ... ويغمزنا طورا وطورا يخصص
وقد رخصت قراؤنا في قتالهم ... وما قتل المقتول إلا المرخص
وقال أيضا في ذلك:

الناس في الهدم وفي الانتقال ... قد عرض الناس بقليل وقال
يا أيها السائل عن شأنهم ... عينك تكفيك مكان السؤال
قد كان للرحمن تكبيرهم ... فالיום تكبيرهم للقتال
اطرح بعينيك إلى جمعهم ... وانتظر الروح وعد الليال
لم يبق في بغداد إلا امرؤ ... حالفه الفقر كثير العيال
لا أم تحمي عن حماها ولا ... خال له يحيي ولا غير خال
ليس له مال سوى مطرد ... مطرده في كفه رأس مال
هان على الله فأجرى على ... كفيه للشقوة قتل الرجال
إن صار ذا الأمر إلى واحد ... صار إلى القتل على كل حال
ما بالناس نقتل من أجلهم ... سبحانك اللهم يا ذا الحلال!

وقال أيضا:

ولست بتارك بغداد يوما ... ترحل من ترحل أو أقاما
إذا ما العيش ساعدنا فلسنا ... نبالي بعد من كان الإماما

قال عمرو بن عبد الملك العتري: لما رأى طاهر أنهم لا يحفلون بالقتل والهدم والحرق امر عند ذلك بمنع التجار ان يجوزوا بشيء من الدقيق وغيره من

٨٠٥١٠٥ ذكر خبر وقعه الكاسية

المنافع من ناحيته إلى مدينة أبي جعفر والشرقية والكرخ، وأمر بصرف سفن البصرة وواسط بطرنايا إلى الفرات، ومنه إلى المحول الكبير وإلى الصراة، ومنها إلى خندق باب الأنبار، بما كان زهير بن المسيب يذرقه إلى بغداد، وأخذ من كل سفينة فيها حمولة ما بين الألف درهم إلى الألفين والثلاثة، وأكثر وأقل، وفعل عمال طاهر وأصحابه ببغداد في جميع طرقها مثل ذلك وأشد، فغلت الأسعار، وصار الناس في أشد الحصار، فيئسوا أو كثير منهم من الفرج والروح، واغتبط من كان خرج منها، وأسف على مقامه من أقام. وفي هذه السنة استأمن ابن عائشة إلى طاهر، وكان قد قاتل مع محمد حينما بالياسريه . ذكر خبر وقعه الكاسية

وفيها جعل طاهر قوادا من قواده بنواحي بغداد، فجعل العلاء بن الوضاح الأزدي في أصحابه ومن ضم إليه بالوضاحيه على المحول الكبير، وجعل نعيم بن الوضاح أخاه فيمن كان معه من الأتراك وغيرهم مما يلي ربض أبي أيوب على شاطئ الصراة، ثم غادى القتال وراوح أشهر، وصبر الفريقان جميعا، فكانت لهم فيها وقعة بالكاسية، باشرها طاهر بنفسه، قتل فيها بشر كثير من أصحاب محمد، فقال عمرو بن عبد الملك:

وقعة يوم الأحد ... صارت حديث الأبد
كم جسد أبصرته ... ملقى وكم من جسد
وناظر كانت له ... منيه بالرصد

أناه سهم عائر ... فشك جوف الكبد
 وصائح يا والدي ... وصائح يا ولدي!
 وكم غريق سائح ... كان متين الجلد!
 لم يفتقده أحد ... غير بنات البلد
 وكم فقيد بئس ... عز على المفتقد
 كان من النظارة ... الأولى شديد الحرد
 لو أنه عاين ما ... عاينه لم يعد
 لم يبق من كهمل لهم ... فات ولا من أمرد
 وطاهر ملتهم ... مثل التهام الأسد
 خيم لا يبرح في ... العرصة مثل اللبد
 تقذف عيناه لدى ... الحرب بنار الوقد
 فقائل قد قتلوا ... ألفا ولما يزد
 وقائل أكثر بل ... ما لهم من عدد
 وهارب نحوهم ... يهرب من خوف غد
 هيات لا تبصر ممن ... قد مضى من احد
 لا يرجع الماضي الى ... الباقي طوال الأبد
 قلت لمطعون وفيه ... روحه لم تبد
 من أنت يا ويلك يا ... مسكين من محمد
 فقال لا من نسب ... دان ولا من بلد
 لم أره قط ولم ... أجد له من صفد
 وقال لا للغي ... قاتلت ولا للرشد
 إلا لشيء عاجل ... يصير منه في يدي

٨٠٥١٠٦ ذكر خبر وقعه درب الحجارة

وذكر عن عمرو بن عبد الملك أن محمدا أمر زريحا غلامه بتتبع الأموال وطلبها عند أهل الودائع وغيرهم، وأمر الهرش بطاعته، فكان يهجم على الناس في منازلهم، ويبيتهم ليلا، ويأخذ بالظنة، فجئ بذلك السبب أموالا كثيرة، وأهلك خلقا، فهرب الناس بعلقة الحج، وفر الأغنياء، فقال القراطيسي في ذلك:

أظهروا الحج وما ينوونه ... بل من الهرش يريدون الهرب
 كم أناس أصبحوا في غبطة ... وكل الهرش عليهم بالعطب
 كل من راد زريح بيته ... لقي الذل ووافاه الحرب
 ذكر خبر وقعه درب الحجارة
 وفيها كانت وقعة درب الحجارة.
 ذكر الخبر عنها:

ذكر أن هذه الوقعة كانت بحضرة درب الحجارة، وكانت لأصحاب محمد علي أصحاب طاهر، قتل فيها خلق كثير، فقال في ذلك عمرو بن عبد الملك العتري:

وقعة السبت يوم درب الحجارة ... قطعت قطعة من النظارة
 ذاك من بعد ما تفانوا ولكن ... أهلكتهم غوغاؤنا بالحجارة
 قدم الشورجين للقتل عمدا ... قال إني لكم أريد الإماره

فتلقاه كل لص مريب ... عمر السجن دهره بالشطاره
ما عليه شيء يواريه منه ... أيره قائم كمثل المنارة
فتولوا عنهم وكانوا قديما ... يحسنون الضراب في كل غاره

٨٠٥١٠٧ ذكر خبر وقعه باب الشماسيه

هؤلا مثل هؤلاك لدينا ... ليس يرعون حق جار وجاره
كل من كان خاملا صار رأسا ... من نعيم في عيشه وغضاره
حامل في يمينه كل يوم ... مطردا فوق رأسه طياره
أخرجته من بيتها أم سوء ... طلب النهب أمه العياره
يشتم الناس ما يبالي ... بإفصاح لذي الشتم لا يشير إشاره
ليس هذا زمان حر كريم ... ذا زمان الأنذال أهل الزعاره
كان فيما مضى القتال قتالا ... فهو اليوم يا علي تجاره

وقال أيضا:

بارية قيرت ظاهرها ... محمد فيها ومنصور
العز والأمن أحاديثهم ... وقولهم قد أخذ السور
وأي نفع لك في سورهم ... وأنت مقتول وما سور؟
قد قتلت فرسانكم عنوة ... وهدمت من دوركم دور
هاتوا لكم من قائد واحد ... مهذب في وجهه نور
يأبها السائل عن شأننا ... محمد في القصر محصور.

ذكر خبر وقعه باب الشماسيه

وفيها أيضا كانت وقعة بباب الشماسية، أسر فيها هرثمة.

ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف كان وإلى ما آل الأمر فيه:

ذكر عن علي بن يزيد أنه قال: كان ينزل هرثمة نهر بين، وعليه حائط وخندق، وقد أعد المجانيق والعرادات، وأنزل عبيد الله بن الوضاح الشماسية، وكان يخرج أحيانا، فيقف بباب خراسان مشفقا من اهل

العسكر، كارها للحرب، فيدعو الناس إلى ما هو عليه فيشتمه، ويستخف به فيقف ساعة ثم ينصرف وكان حاتم بن الصقر من قواد محمد، وكان قد واعد أصحابه الغزاة والعيارين ان يوافوا عبيد الله بن الوضاح ليلا، ففضوا إلى عبيد الله مفاجأة وهو لا يعلم، فأوقعوا به وقعة أزالوه عن موضعه، وولى منهزما، فأصابوا له خيلا وسلاحا ومتاعا كثيرا، وغلب على الشماسيه حاتم ابن الصقر وبلغ الخبر هرثمة، فأقبل في أصحابه لنصرته، وليرد العسكر عنه إلى موضعه، فوافاه أصحاب محمد، ونشب الحرب بينهم، وأسر رجل من الغزاة هرثمة ولم يعرفه، فحمل بعض أصحاب هرثمة على الرجل، فقطع يده وخلصه، فر منهزما، وبلغ خبره أهل عسكره، فتقوض بما فيه، وخرج أهله هاربين على وجوههم نحو حلوان، وحجز أصحاب محمد الليل عن الطلب، وما كانوا فيه من النهب والأسر فحدث أن عسكر هرثمة لم يتراجع أهله يومين، وقويت الغزاة بما سار في أيديهم.

وقيل في تلك الوقعة أشعار كثيرة، فمن ذلك قول عمرو الوراق:

عريان ليس بذي قيص ... يغدو على طلب القميص
يعدو على ذي جوشن ... يعمي العيون من البصيص
في كفه طرادة ... حمراء تلعب كالفصوص

حرصا على طلب القتال ... أشد من حرص الحريص
سلس القياد كأنما ... يغدو على أكل الخبيص

ليثا مغيرا لم يزل ... رأسا يعد من اللصوص
أجرى وأثبت مقدما ... في الحرب من أسد رهيص
يدنو على سنن الهوان ... وعيصبه من شر عيص
ينجو إذا كان النجاء ... على أخف من القلوص
ما للكبي إذا لمقتله ... تعرض من محيص
كم من شجاع فارس ... قد باع بالثمن الرخيص
يدعو: ألا من يشتري ... رأس الكبي بكف شيص!
وقال بعض أصحاب هرثة:
يفنى الزمان وما يفنى قتالهم ... والدور تهدم والأموال تنتقص
والناس لا يستطيعون الذي طلبوا ... لا يدفعون الردى عنهم وإن حرصوا
يأتوننا بحديث لا ضياء له ... في كل يوم لأولاد الزنا قصص
قال: ولما بلغ طاهرا ما صنع الغزاة وحاتم بن الصقر عبید الله بن الوضاح وهرثة اشتد ذلك عليه، وبلغ منه، وأمر بعقد جسر على دجلة
فوق الشماسية، ووجه أصحابه وعبأهم، وخرج معهم إلى الجسر، فعبروا إليهم وقاتلوهم أشد القتال، وأمدهم بأصحابه ساعة بعد ساعة
حتى ردوا أصحاب محمد، وأزالوهم عن الشماسية، ورد المهاجر عبید الله بن الوضاح وهرثة.
قال: وكان محمد أعطى بنقض قصوره ومجالسه الخيزرانيه بعد ظفر الغزاة ألفي ألف درهم، فخرقها أصحاب طاهر كلها، وكانت السقوف
مذهبه، وقتلوا من الغزاة والمنتهين بشرا كثيرا، وفي ذلك يقول عمرو الوراق:
ثقلان وطاهر بن الحسين ... صبحونا صبيحة الاثنين
جمعوا جمعهم بليل ونادوا ... اطلبوا اليوم ثأركم بالحسين
ضربوا طلبهم فثار إليهم ... كل صلب القناة والساعدين
يا قتيلا بالقاع ملقى على الشط ... هواه بطيء الجبلين
ما الذي في يدك أنت إذا ما ... اصطلح الناس أنت بالخلتين
أوزير أم قائد، بل بعيد ... أنت من ذين موضع الفرقدين
كم بصير غدا بعينين كي ... يبصر ما حالهم فعاد بعين
ليس يخطون ما يريدون ما ... يعمد راميهم سوى الناظرين
سائلي عنهم هم شر من ... أبصرت في الناس ليس غير كذين
شر باق وشر ماض من الناس ... مضى أو رأيت في الثقلين
قال: وبلغ ذلك من فعل طاهر محمدا، فاشتد عليه وغمه واحزنه، فذكر كاتب لكوثر أن محمدا قال- أو قيل على لسانه هذه الأبيات:
منيت بأشجع الثقلين قلبي ... إذا ما طال ليس كما يطول
له مع كل ذي بدن رقيب ... يشاهده ويعلم ما يقول
فليس بمغفل أمرا عنادا ... إذا ما الأمر ضيعه الغفول
وفي هذه السنة ضعف أمر محمد، وأيقن بالهلاك، وهرب عبد الله بن خازم بن خزيمه من بغداد إلى المدائن، فذكر عن الحسين بن
الضحاك أن عبد الله بن خازم بن خزيمه ظهرت له التهمة من محمد والتحامل عليه من السفلة والغوغاء، فهم على نفسه وماله، فلحق
بالمدائن ليلا في السفن بعياله وولده، فأقام بها ولم يحضر شيئا من القتال.
وذكر غيره أن طاهرا كاتبه وحذره قبض ضياعه واستئصاله، فحذره ونجا من تلك الفتنة وسلم، فقال بعض قرائبه في ذلك:
وما جبن ابن خازم من رعا ... وأوباش الطغام من الأنام
ولكن خاف صولة ضيغمي ... هصور الشد مشهور العرام

فداع أمره في الناس، ومشى تجار الكرخ بعضهم إلى بعض، فقالوا:

ينبغي لنا أن نكشف أمرنا لطاهر ونظهر له براءتنا من المعونة عليه، فاجتمعوا وكتبوا كتابا أعلموه فيه أنهم أهل السمع والطاعة والحب له، لما يبلغهم من إثارة طاعة الله والعمل بالحق، والأخذ على يد المريب، وأنهم غير مستحلي النظر إلى الحرب، فضلا عن القتال، وأن الذي يكون حربه من جانبهم ليس منهم، قد ضاقت بهم طرق المسلمين، حتى أن الرجال الذين بلوا من حربه من جانبهم ليس منهم، ولا لهم بالكرخ دور ولا عقار، وإنما هم

بين طرار وسواط ونطاف، وأهل السجون وإنما مأواهم الحمامات والمساجد، والتجار منهم إنما هم باعه الطريق يتجرون في محقرات البيوع، قد ضاقت بهم طرق المسلمين، حتى إن الرجل ليستقبل المرأة في زحمة الناس فيلتثان قبل التخلص، وحتى أن الشيخ ليسقط لوجهه ضعفا، وحتى أن الحامل الكيس في حوزته وكفه ليطر منه، وما لنا بهم يدان ولا طاقة، ولا نملك لأنفسنا معهم شيئا، وأن بعضنا يرفع الحجر عن الطريق لما جاء فيه من الحديث عن النبي ص، فكيف لو اقتدرنا على من في إقامته عن الطريق، وتخليده السجن، وتنفيته عن البلاد وحسم الشر والشغب ونفى الزعارة والطر والسرق، وصلاح الدين والدنيا، وحاش لله أن يحاربك منا أحد! فذكر أنهم كتبوا بهذا قصه، واتعد قوم على الانسلاخ إليه بها، فقال لهم أهل الرأي منهم والحزم: لا تظنوا أن طاهرا غيبي عن هذا أو قصر عن إذكاء العيون فيكم وعليكم، حتى كأنه شاهدكم، والرأي ألا تشهروا أنفسكم بهذا، فإننا لا نؤمن إن رآكم أحد من السفلة أن يكون به هلاككم وذهاب أموالكم، والخوف من تعرضكم لهؤلاء السفلة أعظم من طلبكم براءة الساحة عند طاهر خوفا، بل لو كنتم من أهل الآثام والذنوب لكنتم إلى صفحه وتغمده وعفوه أقرب، فتوكلوا على الله تبارك وتعالى وأمسكوا فأجابوهم وأمسكوا وقال ابن أبي طالب المكفوف:

دعوا أهل الطريق فعن قليل ... تنالهم مخالب المصور

فتهتك حجب أفئدة شداد ... وشيكا ما تصير إلى القبور

فإن الله مهلكهم جميعا ... بأسباب التمني والفجور

وذكر أن الهرش خرج ومعه الغوغاء والغزاة ولفيفهم حتى صار إلى جزيرة

العباس، وخرجت عصابة من أصحاب طاهر، فاقتتلوا قتالا شديدا، وكانت ناحية لم يقاتل فيها، فصار ذلك على الوجه بعد ذلك اليوم موضعا للقتال، حتى كان الفتح منه، وكان أول يوم قاتلوا فيه استعلى أصحاب محمد على أصحاب طاهر حتى بلغوا بهم دار أبي يزيد الشروى وخاف أهل الأرباض في تلك النواحي مما يلي طريق باب الأنبار، فذكر أن طاهرا لما رأى ذلك وجه إليهم قائدا من أصحابه، وكان مشغلا بوجوه كثيرة يقاتل منها أصحاب محمد، فوقع بهم فيها وقعة صعبة، وغرق في الصراة بشر كثير، وقتل آخرون، فقال في هزيمة طاهر في أول يوم عمرو الوراق:

نادى منادي طاهر عندنا ... يا قوم كفوا واجلسوا في البيوت

فسوف يأتيكم غد فاحذروا ... ليثا هريت الشدق فيه عيوت

فتارت الغوغاء في وجهه ... بعد انتصاف الليل قبل القنوت

في يوم سبت تركوا جمعه ... في ظلمة الليل سمودا خفوت

وقال في الوقعة التي كانت على أصحاب محمد:

كم قتيل قد رأينا ... ما سألناه لايش

دارعا يلقاه عريان ... بجهل وبطيش

إن تلقاه برمح ... يتلقاه بفيش

حبشيا يقتل الناس ... على قطعة خيش

مرتد بالشمس راض ... بالمنى من كل عيش

يحمل الحملة لا يقتل ... إلا رأس جيش

كعلي أفرامرد ... أو علاء أو قریش

احذر الرمية يا ... طاهر من كف الحبيشي
وقال أيضا عمرو الوراق في ذلك:
ذهبت بهجة بغداد ... وكانت ذات بهجة
فلها في كل يوم ... رجة من بعد رجه
ضجت الأرض إلى الله ... من المنكر ضجه
أيها المقتول ما أنت ... على دين المحجه
ليت شعري ما الذي نلت ... وقد أدلجت دلجه
ألى الفردوس وجهت ... أم النار توجه
حجر أرداك أم ... أردت قسرا بالأزجه
إن تكن قاتلت برا ... فعلينا ألف حجه

وذكر عن علي بن يزيد أن بعض الخدم حدثه أن محمدا أمر ببيع ما بقي في الخزائن التي كانت أنهبت، فكتم ولايتها ما فيها لتسرق، فتضايق على محمد أمره، وفقد ما كان عنده، وطلب الناس الأرزاق، فقال يوما وقد ضجر مما يرد عليه: وددت أن الله عز وجل قتل الفريقين جميعا، وأراح الناس منهم، فما منهم إلا عدو ممن معنا وممن علينا، أما هؤلاء فيريدون مالي، وأما أولئك فيريدون نفسي وذكرت أبياتا قيل إنه قالها:

تفرقوا ودعوني ... يا معشر الأعوان
فكلكم ذو وجوه ... تكلقة الإنسان
وما أرى غير إفك ... وترهات الأمانى
ولست أملك شيئا ... فسائلوا خزاني
فالويل لي ما دهاني ... من ساكن البستان

قال: وضعف أمر محمد، وانتشر جنده وارتاع في عسكره، وأحس من طاهر بالعلو عليه وبالظفر به.
وجج بالناس في هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى بتوجيه طاهر إياه على الموسم بأمر المأمون بذلك وكان على مكة في هذه السنة داود بن عيسى.

٨٠٥٢ سنة ثمان وتسعين ومائه

٨٠٥٢٠١ ذكر خبر استيلاء طاهر على بغداد

ثم دخلت

سنة ثمان وتسعين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر خبر استيلاء طاهر على بغداد

فمن ذلك ما كان من خلاف خزيمة بن خازم محمد بن هارون ومفارقتة إياه واستئمانه إلى طاهر بن الحسين ودخول هرثمة الجانب الشرقي.

ذكر الخبر عن سبب فراقه إياه وكيف كان الأمر في مصيره والدخول في طاعة طاهر:

ذكر أن السبب في ذلك كان أن طاهرا كتب إلى خزيمة يذكر له أن الأمر إن يقطع بينه وبين محمد ولم يكن له اثر في نصرته، لم يقصر في أمره.

فلما وصل كتابه إليه شاور ثقات أصحابه وأهل بيته، فقالوا له: نرى والله أن هذا الرجل أخذ بقفا صاحبنا، فاحتل لنفسك ولنا، فكتب إلى طاهر بطاعته، وأخبره أنه لو كان هو النازل في الجانب الشرقي مكان هرثمة لكان يحمل نفسه له على كل هول، وأعلمه قلة ثقته بهرثمة، ويناشده ألا يحمله على مكروه من أمره إلا أن يضمن له القيام دونه، وإدخال هرثمة إليه ليقطع الجسور، ويتبع هو أمرا يؤثر

رأيه ورضاه، وأنه إن لم يضمن له ذلك، فليس يسعه تعريضه للسفلة والغوء والرعا والتلف فكتب طاهر إلى هرثة يلومه ويعجزه، ويقول: جمعت الأجناد، وأتلفت الأموال، وأقطعتها دون أمير المؤمنين ودوني، وفي مثل حاجتي إلى الكلف والنفقات، وقد وقفت على قوم هينة شوكتهم، يسير أمرهم، وقوف المحجم الهائب، إن في ذلك جرما، فاستعد للدخول، فقد أحكمت الأمر على دفع العسكر وقطع الجسور،

وأرجو ألا يختلف عليك في ذلك اثنان إن شاء الله.

قَالَ: وكتب إليه هرثة: أنا عارف ببركة رأيك، ويمن مشورتك، فمر بما أحببت، فلن أخالفك، قَالَ: فكتب طاهر بذلك إلى خزيمة. وقد ذكر أن طاهرا لما كتب خزيمة كتب أيضا إلى محمد بن علي بن عيسى بن ماهان بمثل ذلك قيل: فلما كانت ليلة الأربعاء ثمان بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وثب خزيمة بن خازم ومحمد بن علي بن عيسى على جسر دجلة فقطعاه، وركزا أعلامهما عليه، وخلعا محمدا، ودعوا لعبد الله المأمون، وسكن أهل عسكر المهدي ولزموا منازلهم وأسواقهم في يومهم ذلك، ولم يدخل هرثة حتى مضى إليه نفر يسير غيرهما من القواد، فخلفوا له أنه لا يرى منهم مكروها، فقبل ذلك منهم، فقال حسين الخليل في قطع خزيمة الجسر:

علينا جميعا من خزيمة منة ... بها أحمد الرحمن نائرة الحرب

تولى أمور المسلمين بنفسه ... فذب وحامى عنهم أشرف الذب

ولولا أبو العباس ما انفك دهرنا ... يبيت على عتب ويغدو على عتب

خزيمة لم ينكر له مثل هذه ... إذا اضطربت شرق البلاد مع الغرب

أناخ بجسري دجلة القطع والقنا ... شوارع والأرواح في راحة العضب

وأم المنايا بالمنايا مخيلة ... تفجع عن خطب، وتضحك عن خطب

فكانت نكار ما كرتها سخابة ... فأطفأت اللهب الملفف باللهب

وما قتل نفس في نفوس كثيرة ... إذا صارت الدنيا إلى الأمن والخصب

بلاء أبي العباس غير مكفر ... إذا فرع الكرب المقيم إلى الكرب

فذكر عن يحيى بن سلمة الكاتب أن طاهرا غدا يوم الخميس على المدينة الشرقية وأرباضها، والكرخ وأسواقها، وهدم قنطري الصراة العتيقة والحديثة

واشتد عندهما القتال، واشتد طاهر على أصحابه، وباشر القتال بنفسه، وقاتل من كان معه بدار الرقيق فهزمهم حتى ألحقهم بالكرخ، وقاتل طاهر بباب الكرخ وقصر الواضح، فهزمهم أصحاب محمد وردوا على وجوههم، ومر طاهر لا يلوي على أحد حتى دخل قسرا بالسيف وأمر مناديه فنادى بالأمان لمن لزم منزله، ووضع بقصر الواضح وسوق الكرخ والأطراف قوادا وجندا في كل موضع على قدر حاجته منهم، وقصد إلى مدينة أبي جعفر، فأحاط بها وبقصر زبيدة وقصر الخلد من لدن باب الجسر إلى باب خراسان وباب الشام وباب الكوفة وباب البصرة وشاطئ الصراة إلى مصبها في دجلة بالخيول والعدة والسلاح، وثبت على قتال طاهر حاتم بن الصقر والهرش والأفارقة، فنصب المجانيق خلف السور على المدينة وبإزاء قصر زبيدة وقصر الخلد ورمى، وخرج محمد بأمه وولده إلى مدينة أبي جعفر، وتفرق عنه عامة جنده وخصيانه وجواريه في السكك والطرق، لا يلوي منهم أحد على أحد، وتفرق الغوء والسفلة، وفي ذلك يقول عمرو الوراق:

يا طاهر الظهر الذي ... مثاله لم يوجد

يا سيد بن السيد ... بن السيد بن السيد

رجعت إلى أعمالها ... الأولى غزاة محمد

من بين نطاف وسواط ... وبين مقرد

ومجرد يأوي إلى ... عيارة ومجرد

ومقيد نقب السجون ... فعاد غير مقيد

ومسود بالذهب ساد ... وكان غير مسود

ذلوا لعزك واستكانوا ... بعد طول تمرد

وذكر عن علي بن يزيد، أنه قال: كنت يوما عند عمرو الوراق أنا وجماعة، فجاء رجل، فحدثنا بوقعة طاهر بباب الكرخ وانهزام الناس عنه، فقال عمرو: ناولني قدحا، وقال في ذلك:

خذها فللخمرة أسماء ... لها دواء ولها داء
يصلحها الماء إذا صفقت ... يوما وقد يفسدها الماء
وقائل كانت لهم وقعة ... في يومنا هذا وأشياء

قلت له: أنت امرؤ جاهل ... فيك عن الخيرات إبطاء
اشرب ودعنا من أحاديثهم ... يصطلح الناس إذا شاءوا
قال: ودخل علينا آخر، فقال: قاتل فلان الغزاة، وأقدم فلان، وانتهب فلان قال: فقال أيضا:

أي دهر نحن فيه ... مات فيه الكبراء
هذه السفلة والغوغاء ... فينا أمناء
ما لنا شيء من الأشياء ... إلا ما يشاء
ضجت الأرض وقد ضجت ... إلى الله السماء
رفع الدين وقد هانت ... على الله الدماء
يا أبا موسى لك الخيرات ... قد حان اللقاء
هاكها صرفا عقارا ... قد أتاك الندماء
وقال أيضا عمرو الوراق في ذلك:

إذا ما شئت أن تغضب ... جنديا وتستأمر
فقل: يا معشر الأجناد ... قد جاءكم طاهر

قال وتحصن محمد بالمدينة هو ومن يقاتل معه، وحصره طاهر وأخذ عليه الأبواب، ومنع منه ومن أهل المدينة الدقيق والماء وغيرهما فذكر عن الحسين بن أبي سعيد أن طارقا الخادم- وكان من خاصة محمد، وكان المأمون بعد مقدمه أخبره أن محمدا سأله يوما من الأيام وهو محصور، أو قال في آخر يوم من أيامه، أن يطعمه شيئا- قال: فدخلت المطبخ فلم أجد شيئا، فجئت إلى جمره العطار- وكانت جارية الجوهر- فقلت لها: إن أمير المؤمنين جائع، فهل عندك شيء، فإني لم أجد في المطبخ شيئا؟ فقالت لجارية لها يقال لها بنان: أي شيء عندك؟ فجاءت بدجاجة ورغيف، فأتيته بهما فأكل، وطلب ماء يشربه فلم يوجد في خزانة الشراب، فأمسى وقد كان عزم على لقاء هرثمة، فما شرب ماء حتى أتى عليه.

وذكر عن محمد بن راشد أن إبراهيم بن المهدي أخبره أنه كان نازلا مع محمد المخلوع في مدينة المنصور في قصره بباب الذهب، لما حصره طاهر.

قال: نخرج ذات ليلة من القصر يريد أن يتفرج من الضيق الذي هو فيه، فصار إلى قصر القرار- في قرن الصراة، أسفل من قصر الخلد- في جوف الليل، ثم أرسل إلي فصرت إليه، فقال: يا إبراهيم، أما ترى طيب هذه الليلة، وحسن القمر في السماء، وضوءه في الماء! ونحن حينئذ في شاطئ دجلة، فهل لك في الشرب! فقلت: شأئك، جعلني الله فداك! فدعا برطل نبيذ فشربه، ثم أمر فسقيت مثله قال: فابتدأت أغنيه من غير أن يسألني، لعلمي بسوء خلقه، فغنيت ما كنت أعلم أنه يحبه، فقال لي:

ما تقول فيمن يضرب عليك؟ فقلت: ما أحوجني إلى ذلك، فدعا بجارية متقدمة عنده يقال لها ضعف، فتطيرت من اسمها، ونحن في تلك الحال التي هو عليها، فلما صارت بين يديه، قال: تغني، فغنيت بشعر النابغة الجعدي:

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا ... وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم

قال: فاشتد ما غنت به عليه، وتطير منه، وقال لها: غني غير هذا، فتغنيت:
أبكي فراقهم عيني وأرقها ... إن التفرق للأحباب بكاء

ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم ... حتى تفانوا وريب الدهر عدا

فقال لها: لعنك الله! أما تعرفين من الغناء شيئا غير هذا! قالت:

يا سيدي، ما تغنيت إلا بما ظننت أنك تحبه، وما أردت ما تكرهه، وما هو إلا شيء جاءني ثم أخذت في غناء آخر:

أما ورب السكون والحرك ... إن المنايا كثيرة الشرك

ما اختلف الليل والنهار ولا ... دارت نجوم السماء في الفلك

إلا لنقل النعيم من ملك ... عان بحب الدنيا إلى ملك

وملك ذي العرش دائم أبدا ... ليس بفان ولا بمشترك

فقال لها: قومي غضب الله عليك! قال: فقامت وكان له قدح بلور حسن الصنعة، وكان محمد يسميه زب رباح، وكان موضوعا بين

يديه، فقامت الجارية منصرفة فتعثر بالقدح فكسرتة - قال إبراهيم: والعجب أنا لم نجلس مع هذه الجارية قط إلا رأينا ما نكره في

مجلسنا ذلك - فقال لي:

ويحك يا إبراهيم! ما ترى ما جاءت به هذه الجارية، ثم ما كان من أمر القدح! والله ما أظن أمري إلا وقد قرب، فقلت: يطيل

الله عمرك، ويعز ملكك، ويديم لك، ويكبت عدوك فما استتم الكلام حتى سمعنا صوتا من دجلة: «قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ»،

فقال: يا إبراهيم، ما سمعت ما سمعت! قلت: لا والله، ما سمعت شيئا - وقد كنت سمعت - قال:

تسمع حسا! قال: فدنوت من الشط فلم أر شيئا، ثم عاودنا الحديث، فعاد الصوت: «قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ»، فوثب من

مجلسه ذلك مغتما، ثم ركب فرجع إلى موضعه بالمدينة، فما كان بعد هذا إلا ليلة أو ليلتان حتى حدث ما حدث من قتله، وذلك يوم

الأحد لست - أو لأربع - خلون من صفر، سنة ثمان وتسعين ومائة

٨٠٥٢٠٢ ذكر الخبر عن قتل الامين

وذكر عن أبي الحسن المدائني، قال: لما كان ليلة الجمعة لسبع بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة، دخل محمد بن هارون مدينة السلام

هاربا من القصر الذي كان يقال له الخلد، مما كان يصل إليه من حجارة المنجنيق، وأمر بجالسه وبسطه أن تحرق فأحرقت، ثم صار إلى

المدينة، وذلك لأربع عشرة شهرا، منذ ثارت الحرب مع طاهر الا اثني عشر يوما

. ذكر الخبر عن قتل الامين

وفي هذه السنة قتل محمد بن هارون.

ذكر الخبر عن مقتله:

ذكر عن محمد بن عيسى الجلودي أنه قال: لما صار محمد إلى المدينة، وقر فيها، وعلم قواده أنه ليس لهم ولا له فيها عدة للحصار، وخافوا

أن يظفر بهم، دخل على محمد حاتم بن الصقر ومحمد بن إبراهيم بن الأغلب الإفريقي وقواده، فقالوا: قد آلت حالك وحالنا إلى ما ترى،

وقد رأينا رأيا نعرضه عليك، فانظر فيه واعتزم عليه، فإننا نرجو أن يكون صوابا، ويجعل الله فيه الخيرة إن شاء الله قال: ما هو؟ قالوا:

قد تفرق عنك الناس، وأحاط بك عدوك من كل جانب، وقد بقي من خيلك معك ألف فرس من خيارها وجيادها، فنرى أن نختار

من قد عرفناه بحببتك من الأبناء سبعمائة رجل، فنحملهم على هذه الخيل ونخرج ليلا على باب من هذه الأبواب فإن الليل لأهله،

ولن يثبت لنا أحد إن شاء الله، فنخرج حتى نلحق بالجزيرة والشام فتفرض الفروض، وتجي الخراج، وتصير في مملكة واسعة، وملك

جديد، فيسارع إليك الناس، وينقطع عن طلبك الجنود، وإلى ذلك ما قد أحدث الله عز وجل في مكر الليل والنهار أمورا فقال لهم:

نعم ما رأيتم، واعتزم على ذلك.

ونخرج الخبر إلى طاهر، فكتب إلى سليمان بن أبي جعفر، وإلى محمد بن

عيسى بن نهيك وإلى السندي بن شاهك: والله لئن لم تقروه وتردوه عن هذا الرأي لا تركت لكم ضيعة إلا قبضتها، ولا تكون لي همة

إلا أنفسكم.

فدخلوا على محمد، فقالوا: قد بلغنا الذي عزمت عليه، فنحن نذكرك الله في نفسك! إن هؤلاء صعاليك، وقد بلغ الأمر إلى ما ترى من الحصار، وضاق عليهم المذهب، وهم يرون ألا أمان لهم على أنفسهم وأموالهم عند أخيك وعند طاهر وهرثمة لما قد انتشر عنهم من مباشرة الحرب والجد فيها، ولسنا نأمن إذا برزوا بك، وحصلت في أيديهم أن يأخذوك أسيرا، ويأخذوا رأسك فيقتربوا بك، ويجعلوك سبب أمانهم، وضربوا له فيه الأمثال.

قَالَ محمد بن عيسى الجلودي: وكان أبي وأصحابه قعودا في رواق البيت الذي محمد وسليمان وأصحابه فيه قَالَ: فلما سمعوا كلامهم، ورأوا أنه قد قبله مخافة أن يكون الأمر على ما قالوا له، هموا أن يدخلوا عليهم فيقتلوا سليمان وأصحابه، ثم بدا لهم وقالوا: حرب من داخل، وحرب من خارج.

فكفوا وأمسكوا.

قَالَ محمد بن عيسى: فلما نكت ذلك في قلب محمد، ووقع في نفسه ما وقع منه، أضرب عما كان عزم عليه، ورجع إلى قبول ما كانوا بذلوا له من الأمان والخروج، فأجاب سليمان والسندي ومحمد بن عيسى إلى ما سألوهم من ذلك، فقالوا: إنما غايتك اليوم السلامة واللهم، وأخوك يتركك حيث أحببت، ويفردك في موضع، ويجعل لك كل ما يصلحك وكل ما تحب وتهوى، وليس عليك منه بأس ولا مكروه فركن إلى ذلك، وأجابهم إلى الخروج إلى هرثمة.

قَالَ محمد بن عيسى: وكان أبي وأصحابه يكرهون الخروج إلى هرثمة، لأنهم كانوا من أصحابه، وقد عرفوا مذاهبه، وخافوا أن يجفوههم ولا يخصهم، ولا يجعل لهم مراتب، فدخلوا على محمد فقالوا له: إذ آيت أن تقبل منا ما أشرنا عليك- وهو الصواب- وقبلت من هؤلاء المداهنين، فأنخرجهم إلى

طاهر خير لك من الخروج إلى هرثمة قَالَ محمد بن عيسى: فقال لهم: ويحكم! أنا أكره طاهرا، وذلك أني رأيت في منامي كأني قائم على حائط من آجر شاقق في السماء، عريض الأساس وثيق، لم أر حائطا يشبهه في الطول والعرض والوثاقة، وعلى سوادي ومنطقتي وسيفي وقلنسوتي وخفي، وكان طاهر في أصل ذلك الحائط، فما زال يضرب أصله حتى سقط الحائط وسقطت، وندرت قلنسوتي من رأسي، وأنا أتطير من طاهر، وأستوحش منه، وأكره الخروج إليه لذلك، وهرثمة مولانا وبمنزلة الوالد، وأنا به أشد أنسا وأشد ثقة وذكر عن محمد بن إسماعيل، عن حفص بن أرميايل، أن محمدا لما أراد أن يعبر من الدار بالقرار إلى منزل كان في بستان موسى- وكان له جسر في ذلك الموضع- أمر أن يفرش في ذلك المجلس ويطيب قَالَ: فكثت ليلتي أنا وأعواني نتخذ الروائح والطيب ونكشبت التفتح والرمال والأترج، ونضعه في البيوت، فسهرت ليلتي أنا وأعواني، ولما صليت الصبح دفعت إلى عجوز قطعة بخور من عنبر، فيها مائة مثقال كالبطيخة، وقلت لها: إني سهرت ونعست نعاسا شديدا، ولا بد لي من نومة، فإذا نظرت إلى أمير المؤمنين قد أقبل على الجسر، فضعي هذا العنبر على الكانون وأعطيها كانونا من فضة صغيرا عليه جمر، وأمرتها أن تنفخ حتى تحرقها كلها، ودخلت حراقة فتمت، فما شعرت إلا وبالعجوز قد جاءت فزعة حتى أيقظتني، فقالت لي:

قم يا حفص، فقد وقعت في بلاء، قلت: وما هو؟ قالت: نظرت إلى رجل مقبل على الجسر منفرد، شبيه الجسم بجسم أمير المؤمنين، وبين يديه جماعة وخلفه جماعة، فلم أشك أنه هو، فأحرقت العنبرة، فلما جاء، فإذا هو عبد الله بن موسى، وهذا أمير المؤمنين قد أقبل قَالَ: فشتمتها وعنفتها قَالَ: وأعطيها أخرى مثل تلك لتحرقها بين يديه، ففعلت، وكان هذا من أوائل الأدبار.

وذكر علي بن يزيد، قَالَ: لما طال الحصار على محمد، فارقه سليمان بن أبي جعفر وإبراهيم بن المهدي ومحمد بن عيسى بن نهيك، ولحقوا جميعا

بعسكر المهدي، ومكث محمد محصورا في المدينة يوم الخميس ويوم الجمعة والسبت وناظر محمد أصحابه ومن بقي معه في طلب الأمان، وسألهم عن الجهة في النجاة من طاهر، فقال له السندي: والله يا سيدي، لئن ظفر بنا المأمون لعلی رغم منا وتعس جدودنا، وما أرى فرجا إلا هرثمة قَالَ له:

وكيف بهرثة وقد أحاط الموت بي من كل جانب! وأشار عليه آخرون بالخروج إلى طاهر وقالوا: لو حلفت له بما يتوثق به منك أنك مفوض إليه ملكك، فلعله كان سيركن إليك فقال لهم: أخطأتم وجه الرأي، وأخطأت في مشاورتكم، هل كان عبد الله أخي لو جهد نفسه وولى الأمور برأيه بالغاً عشر ما بلغه له طاهر! وقد محصته وبحث عن رأيه، فما رأيت يميل إلى غدر به، ولا طمع فيما سواه، ولو أجاب إلى طاعتي، وانصرف إلي ثم ناصبني أهل الأرض ما اهتممت بأمر، ولوددت أنه أجاب إلى ذلك، فنحتة خزائني وفوضت إليه أمري، ورضيت أن أعيش في كنفه، ولكني لا أطمع في ذلك منه فقال له السندي: صدقت يا أمير المؤمنين، فبادر بنا إلى هرثة، فإنه يرى ألا سبيل عليك إذا خرجت إليه من الملك، وقد ضمن إلي أنه مقاتل دونك إن هم عبد الله بقتلك، فخرج ليلاً في ساعة قد نوم الناس فيها، فإني أرجو أن يغبي على الناس أمرنا.

وقال أبو الحسن المدائني: لما هم محمد بالخروج إلى هرثة، وأجابه إلى ما أراد، اشتد ذلك على طاهر، وأبى أن يرفه عنه ويدعه يخرج، وقال: هو في حيزي والجانب الذي أنا فيه، وأنا أخرجته بالحصار والحرب، حتى صار إلى طلب الأمان، ولا أرضى أن يخرج إلى هرثة دوني، فيكون الفتح له.

ولما رأى هرثة والقواد ذلك، اجتمعوا في منزل خزيمة بن خازم، فصار إليهم طاهر وخاصة قواده، وحضرهم سليمان بن المنصور ومحمد بن عيسى بن نهيك والسندي بن شاهك، وأداروا الرأي بينهم، ودبروا الأمر، وأخبروا طاهراً أنه لا يخرج إليه أبداً، وأنه إن لم يجب إلى ما سأل لم يؤمن أن يكون الأمر في أمره مثله في أيام الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان، فقالوا له:

يخرج ببذنه إلى هرثة- إذ كان يأمن به ويثق بناحيته، وكان مستوحشاً منك، ويدفع إليك الخاتم والقضيب والبردة- وذلك الخلافة- ولا تفسد هذا الأمر واغتنمه إذ يسره الله فأجاب إلى ذلك ورضي به ثم قيل: إن الهرش لما علم بالخبر، أراد التقرب إلى طاهر، فخبره أن الذي جرى بينهم وبينه مكر، وأن الخاتم والبردة والقضيب تحمل مع محمد إلى هرثة فقبل طاهر ذلك منه، وظن أنه كما كتب به إليه، فاغتاظ وكن حول قصر أم جعفر وقصور الخلد كمناء بالسلاح ومعهم العتل والفؤوس، وذلك ليلة الأحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة، وفي الشهر السرياني خمسة وعشرون من أيلول.

فذكر الحسن بن أبي سعيد، قال: أخبرني طارق الخادم، قال: لما هم محمد بالخروج إلى هرثة عطش قبل خروجه، فطلبت له في خزانة شرابه ماء فلم أجده قال: وأمسى فبادر يريد هرثة للوعد الذي كان بينه وبينه، ولبس ثياب الخلافة، دراعة وطيلسانا والقلنسوة الطويلة، وبين يديه شمعة.

فلما انتهينا إلى دار الحرس من باب البصرة، قال: اسقني من جباب الحرس، فناولته كوزاً من ماء، فعافه لزهوكته فلم يشرب منه، وصار إلى هرثة.

فوثب به طاهر، وأكن له نفسه في الخلد، فلما صار إلى الحراقة، خرج طاهر وأصحابه فرموا الحراقة بالسهم والحجارة، فمالوا ناحية الماء، وانكفأت الحراقة، فغرق محمد وهرثة ومن كان فيها، فسبح محمد حتى عبر وصار إلى بستان موسى، وظن أن غرقه إنما كان حيلة من هرثة، فعبّر دجلة حتى صار إلى قرب الصراة، وكان على المسلحة إبراهيم بن جعفر البلخي ومحمد بن حميد هو ابن أخي شكلة أم إبراهيم بن المهدي- وكان طاهر ولاءه وكان إذا ولى رجلاً من أصحابه خراسانيا ضم إليه قوماً- فعرفه محمد بن حميد وهو المعروف بالطاهري، وكان طاهر يقدمه في الولايات، فصاح بأصحابه فنزلوا، فأخذوه، فبادر محمداً لما، فأخذ بساقيه فجذبه، وحمل على

برذون، وألقي عليه إزار من أزر الجند غير مفتول، وصار به إلى منزل إبراهيم بن جعفر البلخي، وكان ينزل بباب الكوفة، وأردف رجلاً خلفه يمسكه لئلا يسقط، كما يفعل بالأسير.

فذكر عن الحسن بن أبي سعيد، أن خطاب بن زياد حدثه أن محمداً وهرثة لما غرقا، بادر طاهر إلى بستان مؤنسة، بإزاء باب الأنبار، موضع معسكره لئلا يتهم بغرق هرثة قال: فلما انتهى طاهر- ونحن معه في الموكب والحسن ابن علي المأموني والحسن الكبير الخادم للرشد- إلى باب الشام، لحقنا محمد بن حميد، فترجل ودنا من طاهر، فأخبره أنه قد أسر محمداً، ووجه به إلى باب الكوفة إلى منزل إبراهيم البلخي قال: فالتفت إلينا طاهر، فأخبرنا الخبر، وقال: ما تقولون؟ فقال له المأموني: مكن، أي لا تفعل فعل حسين ابن علي

قَالَ: فدعا طاهر بمولى له يقال له قريش الدنداني، فأمره بقتل محمد قَالَ: وأتبعه طاهر يريد باب الكوفة إلى الموضع. وأما المدائني فإنه ذكر عن محمد بن عيسى الجلودي، قَالَ: لما تهيأ للخروج- وكان بعد عشاء الآخرة من ليلة الأحد- خرج إلى صحن القصر، فقعده على كرسي، وعليه ثياب بيض وطيلسان أسود، فدخلنا عليه، فقمنا بين يديه بالأعمدة قَالَ: فجاء سَكَمَةُ الخادم، فقال: يا سيدي، أبو حاتم يقرئك السلام، ويقول: يا سيدي وافيت للبيعاد لملك، ولكني أرى ألا تخرج الليلة، فإني رأيت في دجلة على الشط أمرا قد رابني، وأخاف أن أغلب فتؤخذ من يدي أو تذهب نفسك، ولكن أقم بمكانك حتى أرجع ثم استعد ثم آتيك القابلة فأخرجك، فإن حوربت حاربت دونك ومعني عدي قَالَ: فقال له محمد: ارجع إليه، فقل له: لا تبرح، فإني خارج إليك الساعة لا محالة، ولست أقيم إلى غد قَالَ: وقلق وقال: قد تفرق عني الناس ومن على بابي من الموالي والحرس، ولا آمن إن أصبحت وانتهى الخبر بتفريقهم إلى طاهر أن يدخل علي فيأخذني ودعا بفرس له أدهم محذوف أغر محجل، كان يسميه الزهري، ثم دعا بابنيه فضمهما إليه، وشمهما وقبلهما،

وقال: أستودعكما الله، ودمعت عيناه، وجعل يمسح دموعه بكمه، ثم قام فوثب على الفرس، وخرجنا بين يديه إلى باب القصر، حتى ركبنا دوابنا، وبين يديه شمعة واحدة فلما صرنا إلى الطاقات مما يلي باب خراسان، قَالَ لي أبي: يا محمد، ابسط يدك عليه، فإني أخاف أن يضربه إنسان بالسيف، فإن ضرب كان الضرب بك دونه قَالَ: فألقيت عنان فرسي بين معرفته، وبسطت يدي عليه حتى انتبهنا إلى باب خراسان، فأمرنا به ففتح، ثم خرجنا إلى المشرعة، فإذا حراقة هرثمة، فرقي إليها، فجعل الفرس يتلأأ وينفر، وضربه بالسوط وحمله عليها، حتى ركبها في دجلة، فنزل في الحراقة، وأخذنا الفرس، ورجعنا إلى المدينة، فدخلناها وأمرنا بالباب فأغلق، وسمعنا الواعية فصعدنا على القبة التي على الباب، فوقفنا فيها نسمع الصوت.

فذكر عن أحمد بن سلام صاحب المظالم أنه قَالَ: كنت فيمن ركب مع هرثمة من القواد في الحراقة، فلما نزلها محمد قننا على أرجلنا إعظاما، وجئى هرثمة على ركبتيه، وقال له: يا سيدي، ما أقدر على القيام لمكان النقرس الذي بي، ثم احتضنه وصيره في حجره، ثم جعل يقبل يديه ورجليه وعينه، ويقول: يا سيدي ومولاي وابن سيدي ومولاي قَالَ: وجعل يتصفح وجونها، قَالَ: ونظر إلى عبيد الله بن الوضاح، فقال له: أيهم أنت؟ قَالَ:

أنا عبيد الله بن الوضاح، قَالَ: نعم، فجزاك الله خيرا، فما أشكرني لما كان منك من أمر الثلج! ولو قد لقيت أخى أبواه الله لم أدع أن أشكرك عنده، وسألته مكافأتك عني قَالَ: فبينما نحن كذلك- وقد أمر هرثمة بالحراقة أن تدفع- إذ شد علينا أصحاب طاهر في الزواريق والشذوات وعطعوا وتعلقوا بالسكان، فبعض يقطع السكان، وبعض ينقب الحراقة، وبعض يرمي بالآجر والنشاب قَالَ: فنقبت الحراقة، فدخلها الماء فغرقت، وسقط هرثمة إلى الماء، فأخرجه ملاح، وخرج كل واحد منا على حيله، ورايت محمدا حين صار إلى تلك الحال قد شق عليه ثيابه، ورمى بنفسه إلى الماء.

قَالَ: فخرجت إلى الشط، فعلقني رجل من أصحاب طاهر، فضى بي إلى رجل قاعد على كرسي من حديد على شط دجلة في ظهر قصر أم جعفر، بين يديه نار توقد، فقال بالفارسية: هذا رجل خرج من الماء ممن غرق من أهل الحراقة، فقال لي: من أنت؟ قلت: من أصحاب هرثمة، انا أحمد ابن سلام صاحب شرطة مولى أمير المؤمنين، قَالَ: كذبت فاصدقي، قَالَ: قلت قد صدقتك، قَالَ: فما فعل المخلوع؟ قلت: قد رأيته حين شق عليه ثيابه، وقذف بنفسه في الماء قَالَ: قدموا دابتي، فقدموا دابته، فركب وأمر بي أن أجنب قَالَ: فجعل في عنقي حبل وجنبت، وأخذ في درب الرشدية، فلما انتهى إلى مسجد أسد بن المرزبان، انبهرت من العدو فلم أقدر أن أعدو، فقال الذي يجنبني: قد قام هذا الرجل، وليس يعدو، قال: انزل، فخذ رأسه، فقلت له: جعلت فداك! لم تقتلني وأنا رجل علي من الله نعمة، ولم أقدر على العدو، وأنا أفدي نفسي بعشرة آلاف درهم قَالَ: فلما سمع ذكر العشرة آلاف درهم، قلت: تحبسنى عندك حتى تصبح وتدفع إلي رسولا حتى أرسله إلى وكي في منزلي في عسكر المهدي، فإن لم يأتك بالعشرة آلاف فاضرب عنقي قَالَ: قد أنصفت، فأمر بحمل، فحملت ردفا لبعض أصحابه، فضى بي إلى دار صاحبه، دار أبي صالح الكاتب، فأدخلني الدار، وأمر غلمانه أن يحتفظوا بي، وتقدم إليهم، وأوعز وتفهم مني خبر محمد ووقوعه في الماء، ومضى إلى طاهر ليخبره خبره، فإذا هو إبراهيم البلخي قَالَ: فصيرني غلمانه

في بيت من بيوت الدار فيه بوار ووسادتان أو ثلاث- وفي رواية حصر مدرجة- قَالَ: فقعدت في البيت، وصبروا فيه سراجا، وتوثقوا من باب الدار، وقعدوا يتحدثون قَالَ: فلما ذهب من الليل ساعة، إذا نحن بحركة الخيل فدقوا الباب، ففتح لهم، فدخلوا وهم يقولون: يسر زبيدة قَالَ: فأدخل علي رجل عريان عليه سراويل وعمامة مثلث بها، وعلى كتفيه خرقة خلقة، فصيروه معي، وتقدموا إلى من في الدار في حفظه، وخلفوا معهم قوما آخرين أيضا منهم

قَالَ: فلما استقر في البيت حسر العمامة عن وجهه، فإذا هو محمد، فاستعبرت واسترجعت فيما بيني وبين نفسي قَالَ: وجعل ينظر إلي، ثم قَالَ:

أيهم أنت؟ قَالَ: قلت: أنا مولاك يا سيدي، قَالَ: وأي الموالي؟ قلت:

أحمد بن سلام صاحب المظالم، فقال: وأعرفك بغير هذا، كنت تأتيني بالركة؟

قَالَ: قلت: نعم، قَالَ: كنت تأتيني وتلطفني كثيرا، لست مولاي بل أنت أخي ومني ثم قَالَ: يا أحمد، قلت: لبيك يا سيدي، قال: ادن مني وضمني إليك، فاني أجد وحشة شديدة قَالَ: فضممته إلي، فإذا قلبه يخفق خفقا شديدا كاد أن يفرج عن صدره فيخرج قَالَ: فلم أزل أضمه إلي وأسكنه قَالَ: ثم قَالَ: يا أحمد، ما فعل أخي؟ قَالَ: قلت: هو حي، قَالَ: قبح الله صاحب بريدهم ما أكذبه! كان يقول: قد مات، شبه المعتذر من محاربتة، قال: قلت: بل قبح الله وزراءك! قَالَ: لا تقل لوزرائي إلا خيرا، فإلهم ذنب، ولست بأول من طلب أمرا فلم يقدر عليه قَالَ: ثم قَالَ: يا أحمد، ما تراهم يصنعون بي؟ أتراهم يقتلونني أو يفون لي بأيمانهم؟ قَالَ:

قلت: بل يفون لك يا سيدي قَالَ: وجعل يضم على نفسه الخرقة التي على كتفيه، ويضمها ويمسكها بعضده يمنة ويسرة قَالَ: فنزعت مبطنة كانت علي ثم قلت: يا سيدي، ألق هذه عليك قَالَ: ويحك! دعني، هذا من الله عز وجل، لي في هذا الموضع خير.

قَالَ: فبينما نحن كذلك، إذ دق باب الدار، ففتح، فدخل علينا رجل عليه سلاحه، فطلع في وجهه مستتبثا له، فلما أثبتته معرفة، انصرف وغلق الباب، وإذا هو محمد بن حميد الطاهري، قَالَ: فعلت أن الرجل مقتول. قَالَ: وكان بقي علي من صلاتي الوتر، فخفت أن أقتل معه ولم أوتر، قَالَ:

فقممت أوتر، فقال لي: يا أحمد، لا تتباعد مني، وصل إلى جانبي، أجد وحشة شديدة قَالَ: فاقتربت منه، فلما انتصف الليل أو قارب، سمعت حركة الخيل، ودق الباب، ففتح، فدخل الدار قوم من العجم بأيديهم السيوف مسللة، فلما رآهم قام قائما، وقال: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! ذهبت والله

نفسي في سبيل الله! أما من حيلة! أما من مغيث! أما من أحد من الأبناء! قَالَ: وجاءوا حتى قاموا على باب البيت الذي نحن فيه، فأجموا عن الدخول، وجعل بعضهم يقول لبعض: تقدم، ويدفع بعضهم بعضا قَالَ: فقممت فصرت خلف الحصر المدرجة في زاوية البيت، وقام محمد، فأخذ بيده وسادة، وجعل يقول: ويحكم! إني ابن عم رسول الله ص، أنا ابن هارون، وأنا أخو المأمون، الله الله في دمي! قَالَ: فدخل عليه رجل منهم يقال له نهارويه- غلام لقريش الدنداني مولى طاهر- فضربه بالسيف وضربة وقعت على مقدم رأسه، وضرب محمد وجهه بالسادة التي كانت في يده، واتكأ عليه ليأخذ السيف من يده فصاح نهارويه: قتلتني قتلتني- بالفارسية قَالَ: فدخل منهم جماعة، فنخسه واحد منهم بالسيف في خاصرته، وركبوه فذبجوه ذبجا من قفاه، وأخذوا رأسه، ففضوا به إلى طاهر، وتركوا جثته.

قَالَ: ولما كان في وقت السحر جاءوا إلى جثته فأدرجوها في جل، وحملوها.

قَالَ: فأصبحت فقيل لي: هات العشرة آلاف درهم وإلا ضربنا عنقك.

قَالَ: فبعثت إلى وكلي فأتاني، فأمرته فأتاني بها، فدفعتها إليه قَالَ: وكان دخول محمد المدينة يوم الخميس، وخرج إلى دجلة يوم الأحد وذكر عن أحمد بن سلام في هذه القصة أنه قَالَ: قلت لمحمد لما دخل علي البيت وسكن: لا جزى الله وزراءك خيرا، فإنهم أوردوك هذا المورد! فقال لي: يا أخي، ليس بموضع عتاب ثم قَالَ: أخبرني عن المأمون أخي، أخي هو؟ قلت: نعم، هذا القتال عمن إذا! هو

إلا عنه! قَالَ: فقال لي:

أخبرني يحيى أخو عامر بن إسماعيل بن عامر- وكان يلي الخبر في عسكر هرثمة- أن المأمون مات، فقلت له: كذب قَالَ: ثم قلت له: هذا الإزار الذي عليك إزار غليظ فالبس إزارى وقيصني هذا فإنه لين، فقال لي: من كانت حاله مثل حالي فهذا له كثير قَالَ: فلقتنه ذكر الله والاستغفار، فجعل يستغفر قَالَ: وبيننا نحن كذلك، إذ هدة تكاد الأرض ترجف منها، وإذا أصحاب طاهر قد دخلوا الدار وأرادوا البيت، وكان في الباب ضيق، فدافعهم محمد بمحنة كانت معه في البيت، فم وصلوا إليه حتى عرقبوه، ثم

هجموا عليه، فحزوا رأسه واستقبلوا به طاهرا، وحملوا جثته إلى بستان مؤنسة إلى معسكره، إذ أقبل عبد السلام بن العلاء صاحب حرس هرثمة فأذن له- وكان عبر إليه على الجسر الذي كان بالشماسية- فقال له: أخوك يقرئك السلام، فما خبرك؟ قَالَ: يا غلام، هات الطس، فجاءوا به وفيه رأس محمد، فقال: هذا خبري فأعلمه فلما أصبح نصب رأس محمد على باب الأنبار، وخرج من أهل بغداد للنظر إليه ما لا يحصى عددهم، وأقبل طاهر يقول: رأس المخلوع محمد.

وذكر محمد بن عيسى أنه رأى المخلوع على ثوبه قملة، فقال: ما هذا؟

فقالوا: شيء يكون في ثياب الناس، فقال: أعوذ بالله من زوال النعمة! فقتل من يومه.

وذكر عن الحسن بن أبي سعيد أن الجندين: جند طاهر وجند أهل بغداد، ندموا على قتل محمد، لما كانوا يأخذون من الأموال. وذكر عنه أنه ذكر أن الخزانة التي كان فيها رأس محمد ورأس عيسى ابن ماهان ورأس أبي السرايا كانت إليه قَالَ: فنظرت في رأس محمد، فإذا فيه ضربة في وجهه، وشعر رأسه ولحيته صحيح لم يتحات منه شيء، ولونه على حاله قَالَ: وبعث طاهر برأس محمد إلى المأمون مع البردة والقضيب والمصلى- وهو من سعف مبطن- مع محمد بن الحسن بن مصعب ابن عمه، فامر له بألف ألف درهم، فرايت ذا الرياستين، وقد أدخل رأس محمد على ترس بيده إلى المأمون، فلما رآه سجد.

قَالَ الحسن: فأخبرني ابن أبي حمزة، قَالَ: حدثني علي بن حمزة العلوي، قَالَ: قدم جماعة من آل أبي طالب على طاهر وهو بالبستان حين قتل محمد بن زبيدة ونحن بالحضرة، فوصلهم ووصلنا، وكتب إلى المأمون بالإذن لنا أو لبعضنا، فخرجنا إلى مرو، وانصرفنا إلى المدينة، فهنتونا بالنعمة، ولقينا من بها من أهلها وسائر أهل المدينة، فوصفنا لهم قتل محمد، وأن طاهر بن الحسين دعا مولى يقال له قريش الدنداني، وأمره بقتله قَالَ: فقال لنا شيخ منهم:

كيف قلت! فأخبرته، فقال الشيخ: سبحان الله! كما نروي هذا أن قريشا يقتله، فذهبنا إلى القبيلة، فوافق الاسم الاسم! وذكر عن محمد بن أبي الوزير أن علي بن محمد بن خالد بن برمك أخبره أن إبراهيم بن المهدي لما بلغه قتل محمد، استرجع وبكى طويلا، ثم قَالَ:

عوجا بمغنى طلل دائر بالخلد ذات الصخر والآجر والمرمر المسنون يطلى به والباب باب الذهب الناضر عوجا بها فاستيقنا عندها على يقين قدرة القادر وأبلغا عني مقالا إلى المولى على المأمور والأمر قولاً له: يا بن ولي الهدى طهر بلاد الله من طاهر لم يكفه أن حز أوداجه ذبح الهدايا بمدى الجازر حتى أتى يسحب أوصاله في شطن يفنى مدى السائر قد برد الموت على جنبه وطرفه منكسر الناظر قَالَ: وبلغ ذلك المأمون فاشتد عليه.

وذكر عن المدائني أن طاهرا كتب إلى المأمون بالفتح:

أما بعد، فالحمد لله المتعالي ذي العزة والجلال، والملك والسلطان، الذي إذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم.

كان فيما قدر الله فأحكم، ودبر فأبرم، انتكاث المخلوع ببيعته، وانتقاضه بعهدده، وارتكاسه في فتنته، وقضاؤه عليه القتل بما كسبت يده وما الله بظلام للعبيد* وقد كتبت إلى أمير المؤمنين- أطال الله بقاءه- في

إحاطة جند الله بالمدينة والخلد، وأخذهم بأفواها وطرقها ومسالكها في دجلة نواحي أزقة مدينة السلام وانتظام المسالح حوالها وحدرى السفن والزواريق بالعرادات والمقاتلة، إلى ما واجه الخلد وباب خراسان، تحفظا بالمخلوع، وتخوفاً من أن يروغ مراغا، ويسلك مسلكا يجد به السبيل إلى اثاره فتنه، واحياء ثأره، أو يهاج قتالا بعد أن حصره الله عز وجل وخذله، ومتابعة الرسل بما يعرض عليه

هرثمة بن أعين مولى أمير المؤمنين، ويسألني من تخلية الطريق له في الخروج إليه واجتماعي وهرثمة بن أعين، لنتناظر في ذلك، وكراهي ما أحدث وراءه من أمره بعد إرهاب الله إياه، وقطعه رجاءه من كل حيلة ومتعلق، وانقطاع المنافع عنه، وحيل بينه وبين الماء، فضلا عن غيره، حتى هم به خدمه وأشياعه من أهل المدينة ومن نجا معه إليها، وتحزبوا على الوثوب به للدفع عن أنفسهم والنجاة بها، وغير ذلك مما فسرت لأمر المؤمنين أطال الله بقاءه مما أرجو أن يكون قد أتاه.

وإني أخبر أمير المؤمنين أني رويت فيما دبر هرثمة بن أعين مولى أمير المؤمنين في المخلوع، وما عرض عليه وأجابه إليه، فوجدت الفتنة في تخلصه من موضعه الذي قد أنزله الله فيه بالذلة والصغار وصيره فيه إلى الضيق والحصار تزداد، ولا يزيد أهل التربص في الأطراف إلا طمعا وانتشارا، وأعلنت ذلك هرثمة بن أعين، وكراهي ما أطمعه فيه وأجابه إليه، فذكر أنه لا يرى الرجوع عما أعطاه، فصادرته بعد يأس من انصرافه - عن رأيه، على أن يقدم المخلوع رداء رسول الله ص وسيفه وقضيبه قبل خروجه، ثم أخلى له طريق الخروج إليه، كراهة أن يكون بيني وبينه اختلاف نصير منه إلى أمر يطمع الأعداء فينا، أو فراق القلوب بخلاف ما نحن عليه من الائتلاف والاتفاق على ذلك، وعلى أن نجتمع لمعادنا عشية السبت.

فتوجهت في خاصة ثقتائي الذين اعتمدت عليهم، وأثق بهم، بربط الجأش، وصدق البأس، وصحة المناصحة، حتى طالعت جميع أمر كل من كنت وكلت بالمدينة والخلد برا وبحرا، والتقدمة إليهم في التحفظ والتيقظ والحراسة والحذر، ثم انكفأت إلى باب خراسان، وكنت أعددت حراقات وسفنا، سوى العدة التي كانت لأركبها بنفسي لوقت ميعادي بيني وبين هرثمة، فنزلتها في عدة ممن كان ركب معي من خاصة ثقتائي وشاكريتي، وصيرت عدة منهم فرسانا ورجالة بين باب خراسان والمشرعة وعلى الشط وأقبل هرثمة بن أعين حتى صار بقرب باب خراسان معدا مستعدا، وقد خاتلني بالرسالة إلى المخلوع إلى أن يخرج إليه إذا وافى المشرعة، ليحمله قبل أن أعلم، أو يبعث إلي بالرداء والسيف والقضيب، على ما كان فارقني عليه من ذلك فلما وافى خروج المخلوع على من وكلت بباب خراسان، نهضوا عند طلوعه عليهم ليعرفوا الطابع لأمرهم كان أتاها، وتقدمي إليهم ألا يدعو أحدا يجوزهم إلا بأمرهم فبادرهم نحو المشرعة، وقرب هرثمة إليه الحراقة، فسبق الناكث أصحابي إليها، وتأخر كوثر، فظفر به قريش مولاي، ومعه الرداء والقضيب والسيف، فأخذه وما معه، فنفر أصحاب المخلوع عند ما رأوا من إرادة أصحابي منع مخلوعهم من الخروج، فبادر بعضهم حراقة هرثمة، فتكفأت بهم حتى أغرقت في الماء ورسبت، فانصرف بعضهم إلى المدينة، ورمى المخلوع عند ذلك بنفسه من الحراقة في دجلة متخلصا إلى الشط، نادما على ما كان من خروجه، ناقضا للعهد، داعيا بشعاره، فابتدره عدة من أوليائي الذين كنت وكلتهم بما بين مشرعة باب خراسان وركن الصراة، فأخذوه عنوة قهرا بلا عهد ولا عقد، فدعا بشعاره، وعاد في نكته، فعرض عليهم مائة حبة، ذكر أن قيمة كل حبة مائة ألف درهم، فأبوا إلا الوفاء لخليفتهم أبقاه الله، وصيانة لدينهم، وإيثارا للحق الواجب عليهم، فتعلقوا به، قد أسلمه الله وأفرده، كل يرغبه، ويريد أن يفوز بالخطوة عندي دون صاحبه، حتى اضطربوا فيما بينهم، وتناولوه

بأسياهم منازعة فيه، وتشاحا عليه، إلى أن اتيج له مغيط لله ودينه ورسوله وخليفته، فأتى عليه وأتاني الخبر بذلك، فأمرت بحمل رأسه إلي، فلما أتيت به تقدمت إلى من كنت وكلت بالمدينة والخلد وما حوالها وسائر من في المساح، في لزوم مواضعهم، والاحتفاظ بما يليهم، إلى أن يأتيهم أمري.

ثم انصرف فاعظم الله لأمر المؤمنين الصنع والفتح عليه وعلى الإسلام به وفيه. فلما أصبحت هاج الناس واختلفوا في المخلوع، فصدق بقتله، ومكذب وشاك وموقن، فرأيت أن أطرح عنهم الشبهة في أمره، فضيت برأسه، لينظروا إليه فيصح بعينهم، وينقطع بذلك بعل قلوبهم، ودخل التياث المستشرفين للفساد والمستوفزين للفتنة، وغدوت نحو المدينة فاستسلم من فيها، وأعطى أهلها الطاعة، واستقام لأمر المؤمنين شرقي ما يلي مدينة السلام وغربيه وأرباعه وأرباضه ونواحيه، وقد وضعت الحرب أوزارها وتلافي بالسلام والإسلام أهله، وبعد الله الدغل عنهم، وأصارهم ببركة أمير المؤمنين إلى الأمن والسكون والدعة والاستقامة والاعتباط، والصنع من الله جل وعز والخيرة، والحمد لله على ذلك.

فكثبت إلى أمير المؤمنين حفظه الله، وليس قبلي داع إلى فتنة، ولا متحرك ولا ساع في فساد، ولا أحد إلا سامع مطيع باخع حاضر،

قد أذاقه الله حلاوة أمير المؤمنين ودعة ولايته، فهو يتقلب في ظلها، يغدو في متجره ويروح في معاشه، والله ولي صنع من ذلك، والمتمم له، والمأن بالزيادة فيه برحمته.

وانا اسأل الله ان تهني أمير المؤمنين نعمته، ويتابع له فيها مزيده ويوزعه عليها شكره، وأن يجعل منته لديه متواليه دائماً متواصلة، حتى يجمع الله له خير الدنيا والآخرة، ولأوليائه وأنصار حقه وجماعة المسلمين ببركته وبركة ولايته ويمن خلافته، إنه ولي ذلك منهم وفيه، إنه سميع لطيف لما يشاء

وكتب يوم الأحد لأربع بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة.

وذكر عن محمد المخلوع انه قبل مقتله، وبعد ما صار في المدينة، ورأى الأمر قد تولى عنه، وأنصاره يتسللون فيخرجون إلى طاهر، فقد في الجناح الذي كان عمله على باب الذهب- وكان تقدم في بنائه قبل ذلك- وأمر بإحضار كل من كان معه في المدينة من القواد والجنود، فجمعوا في الرحبة، فأشرف عليهم، وقال:

الحمد لله الذي يرفع ويضع، ويعطي ويمنع، ويقبض ويبسط، وإليه المصير أحده على نوائب الزمان، وخذلان الأعوان، وتشتت الرجال، وذهاب الأموال، وحلول النوائب، وتوفد المصائب، حمدا يدخر لي به أجزل الجزاء، ويرفدني أحسن العزاء وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما شهد لنفسه، وشهدت له ملائكته، وأن محمدا عبده الأمين، ورسوله إلى المسلمين، ص، آمين رب العالمين.

أما بعد يا معشر الأبناء، وأهل السبق إلى الهدى، فقد علمتم غفلي كانت أيام الفضل بن الربيع وزير علي ومشير، فادت به الأيام بما لزميني به من الندامة في الخاصة والعامة، إلى ان نهتموني فانتبهت، واستعتموني في جميع ما كرهتهم من نفسي وفيكم، فبذلت لكم ما حواه ملكي، ونالته مقدرتي، مما جمعته وورثته عن آبائي، فقودت من لم يحجز، واستكفيت من لم يكف، واجتهدت- علم الله- في طلب رضاكم بكل ما قدرت عليه، واجتهدت- علم الله- في مساءتي في كل ما قدرتم عليه، من ذلك توجيهم إليكم علي بن عيسى شيخكم وكبيركم وأهل الرأفة بكم والتحنن عليكم، فكان منكم ما يطول ذكره، فغفرت الذنب، وأحسنمت واحتملت، وعزيت نفسي عند معرفتي بشرود الظفر، وحرصي على مقامكم مسلحة بجحوان مع ابن كبير صاحب دعوتكم، ومن على يدي أبيه كان فخركم، وبه تمت طاعتكم: عبد الله بن حميد بن قطبة، فصرتم من التائب عليه إلى ما لا طاقة

له به، ولا صبر عليه يقودكم رجل منكم وأنتم عشرون ألفا، إلى عامدين، وعلى سيدكم متوثبين مع سعيد الفرد، سامعين له مطيعين ثم وثبتم مع الحسين علي، نفعلتموني وشمتموني، وانتبهتموني وحبستموني، وقيدتموني، وأشياء منعتموني من ذكرها، حقد قلوبكم وتلكؤ طاعتكم أكبر وأكثر.

فالحمد لله حمد من أسلم لأمره، ورضي بقدره، والسلام وقيل: لما قتل محمد، وارتفعت الثائرة، وأعطى الأمان الأبيض والأسود، وهذا الناس، ودخل طاهر المدينة يوم الجمعة، فصلى بالناس، وخطبهم خطبة بليغة، نزع فيها من قوارع القرآن، فكان مما حفظ من ذلك أن قال:

الحمد لله مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير. في آي من القرآن أتبع بعضها بعضا، وحض على الطاعة ولزوم الجماعة، ورغبهم في التمسك بحبل الطاعة وانصرف إلى معسكره. وذكر أنه لما صعد المنبر يوم الجمعة، وحضره من بني هاشم والقواد وغيرهم جماعة كثيرة، قال:

الحمد لله مالك الملك، يؤتيه من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير لا يصلح عمل المفسدين، ولا يهدي كيد الخائنين، إن ظهور غلبتنا لم يكن من أيدينا ولا كيدنا، بل اختار الله للخلافة إذ جعلها عمادا لدينه، وقواما لعباده، وضبط الأطراف وسد الثغور، وإعداد العدة، وجمع الفيء، وإنفاذ الحكم، ونشر العدل، وإحياء السنة، بعد إذبال البطالات، والتلذذ بموبق الشهوات والمخلد إلى الدنيا مستحسن لداعي غرورها، محتلب دره نعمتها، الف لزهرة روضتها، كلف بروتق بهجتها وقد رأيت من وفاء موعود الله عز وجل لمن بغى عليه، وما أحل به من بأسه ونقمته، لما نكب عن عهده، وارتكب معصيته، وخالف أمره، وغيره ناهيه، وعظته مرديه، فتمسكوا بوثائق عصم الطاعة، واسلكوا مناجي سبيل الجماعة، واحذروا مصارع أهل الخلاف

٨٠٥٢٠٣ وثوب الجند بطاهر بن الحسين بعد مقتل الامين

والمعصية، الذين قدحوا زناد الفتنة، وصدعوا شعب الألفة، فأعقبهم الله خسار الدنيا والآخرة. ولما فتح طاهر بغداد كتب إلى أبي إسحاق المعتصم - وقد ذكر بعضهم أنه إنما كتب بذلك إلى إبراهيم بن المهدي، وقال الناس: كتبه إلى أبي إسحاق المعتصم:

أما بعد، فإنه عزيز علي أن أكتب إلى رجل من أهل بيت الخلافة بغير التأمير، ولكنه بلغني أنك تميل بالرأي، وتصغي بالهوى، إلى الناكث المخلوع، وإن كان كذلك فكثير ما كتبت به إليك، وإن كان غير ذلك فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته وكتب في أسفل الكتاب هذه الأبيات:

ركوبك الأمر ما لم تبل فرصته ... جهل ورأيك بالتغريب

أقبح بدنيا ينال المخطئون بها ... حظ المصيبين والمغرور مغرور.

وثوب الجند بطاهر بن الحسين بعد مقتل الامين

وفي هذه السنة وثب الجند بعد مقتل محمد بطاهر، فهرب منهم وتغيب أياما حتى أصلح أمرهم.

ذكر الخبر عن سبب وثوبهم به وإلى ما آل أمره وأمرهم:

ذكر عن سعيد بن حميد، أنه ذكر أن أباه حدثه، أن أصحاب طاهر

بعد مقتل محمد بن خمسة أيام، وثبوا به، ولم يكن في يديه مال، فضاق به أمره، وظن أن ذلك عن مواطأة من أهل الأرباض إياهم، وانهم معهم عليه، ولم يكن تحرك في ذلك من أهل الأرباض أحد، فاشتدت شوكة أصحابه، وخشي على نفسه، فهرب من البستان، وانتهبوا بعض متاعه، ومضى إلى عرقوف وكان قد أمر بحفظ أبواب المدينة وباب القصر على أم جعفر، وموسى وعبد الله ابني محمد، ثم أمر بتحويل زبيدة وموسى وعبد الله ابني محمد معها من قصر أبي جعفر إلى قصر الخلد، فخلوا ليلة الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول، ثم مضى بهم من ليلتهم في حراقة إلى همينيا على الغربي من الزاب الأعلى، ثم أمر بحمل موسى وعبد الله إلى عمهما بخراسان على طريق الأهواز وفارس.

قال: ولما وثب الجند بطاهر، وطلبوا الأرزاق، أحرقوا باب الأنبار الذي على الخندق وباب البستان، وشهروا السلاح، وكانوا كذلك يومهم ومن الغد، ونادوا موسى: يا منصور وصوب الناس إخراج طاهر موسى وعبد الله، وقد كان طاهر انحاز ومن معه من القواد، وتعباً لقتالهم ومحاربتهم، فلما بلغ ذلك القواد والوجوه صاروا إليه واعتذروا، وأحالوا على السفهاء والأحداث، وسألوه الصفع عنهم وقبول عذرهم والرضا عنهم، وضمنوا له ألا يعودوا لمكروه له ما أقام معهم فقال لهم طاهر: والله ما خرجت عنكم إلا لوضع سيفي فيكم، وأقسم بالله لئن عدتم لمثلها لأعودن إلى رأيي فيكم، ولأخرجن إلى مكروهمكم، فكسرهم بذلك، وأمر لهم برزق أربعة أشهر، فقال في ذلك بعض الأبناء:

آلى الأمير - وقوله وفعاله ... حق - بجمع معاصر الزعار

إن حاج هاتجهم وشغب شاغب ... من كل ناحية من الأقطار

ألا يناظر معشرا من جمعهم ... إمهال ذي عدل وذو إنظار

حتى ينيخ عليهم بعظيمة ... تدع الديار بلاقع الآثار

فذكر عن المدائني أن الجند لما شغبوا، وانحاز طاهر، ركب إليه سعيد ابن مالك بن قادم ومحمد بن أبي خالد وهبيرة بن خازم، في مشيخة من أهل الأرباض، فحلفوا بالمغلظة من الأيمان، أنه لم يتحرك في هذه الأيام أحد من أبناء الأرباض، ولا كان ذلك عن رأيهم، ولا أرادوه، وضمنوا له صلاح نواحيهم من الأرباض، وقيام كل إنسان منهم في ناحيته بكل ما يجب عليه، حتى لا يأتيه من ناحية أمر يكرهه وأتاه عميرة - أبو شيخ بن عميرة الأسدي - وعلى ابن يزيد، في مشيخة من الأبناء، فلقوه بمثل ما لقيه به ابن أبي خالد وسعيد ابن مالك وهبيرة، وأعلموه حسن رأي من خلفهم من الأبناء ولين طاعتهم له، وأنهم لم يدخلوا في شيء مما صنع أصحابه في البستان فطابت

نفسه إلا أنه قال لهم: إن القوم يطلبون أرزاقهم، وليس عندي مال فضمن لهم سعيد ابن مالك عشرين ألف دينار، وحملها إليه، فطابت بها نفسه، وانصرف إلى معسكره بالبستان وقال طاهر لسعيد: إني أقبلها منك على أن تكون علي ديناً، فقال له: بل هي إنما صلة وقليل لغلامك وفيما أوجب الله من حقه.

فقبلها منه، وأمر للجند برزق أربعة أشهر، فرضوا وسكنوا. قال المدائني: وكان مع محمد رجل يقال له السمرقندي، وكان يرمي عن مجانيق كانت في سفن من باطن دجلة، وربما كان يشتد أمر أهل الأرباض على من يبرزهم من أصحاب محمد في الخنادق، فكان يبعث إليه، فيجيء به فيرميهم - وكان رامياً لم يكن حجره يخطئ - ولم يقتل الناس يومئذ بالحجارة كما قيل، فلما قتل محمد قطع الجسر، وأحرقت المجانيق التي كانت في دجلة يرمي عنها، فأشفق على نفسه، وتحوف من بعض من وتره أن يطلبه، فاستخفى، وطلبه الناس، فتكارى بغلا، وخرج إلى ناحية خراسان هارباً، فمضى حتى إذا كان في بعض الطريق استقبله رجل فعرفه، فلما جازاه قال الرجل للمكاري:

ويحك! أين تذهب مع هذا الرجل! والله لئن ظفرك بك معه لتقتلن، وأهون ما هو مصيبك أن تحبس، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! قد والله عرفت اسمه، وسمعت به قتله الله! فانطلق المكاري إلى أصحابه - أو مسلحة انتهى إليها - فاخبرهم خبره، وكانوا من أصحاب كند غوش من أصحاب هرثة،

٨٠٥٢٠٤ ذكر الخبر عن صفه محمد ابن هارون وكنيته وقدر ما ولي ومبلغ عمره

فأخذوه وبعثوا به إلى هرثة، وبعث به هرثة إلى خزيمة بن خازم بمدينة السلام، فدفعه خزيمة إلى بعض من وتره فأخرجه إلى شاطئ دجلة من الجانب الشرقي فصلب حياً، فذكروا أنه لما أرادوا شدة على خشبته، اجتمع خلق كثير، فجعل يقول قبل أن يشدوه: أتم بالأمس تقولون: لا قطع الله يا سمرقندي يدك، واليوم قد هيأتم حجاركم ونشابكم لترموني! فلما رفعت الخشبة أقبل الناس عليه رمياً بالحجارة والنشاب وطعنوا بالرماح حتى قتلوه، وجعلوا يرمونه بعد موته، ثم أحرقوه من غد، وجاءوا بنار ليحرقوه بها، وأشعلوها فلم تشتعل، وألقوا عليه قصبا وحطبا، فأشعلوها فيه، فاحترق بعضه، وتمزقت الكلاب بعضه، وذلك يوم السبت لليلتين خلتا من صفر.

ذكر الخبر عن صفه محمد ابن هارون وكنيته وقدر ما ولي ومبلغ عمره

قال هشام بن محمد وغيره: ولي محمد بن هارون وهو أبو موسى يوم الخميس لإحدى عشرة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة، وقتل ليلة الأحد لست بقين من صفر سنة سبع وتسعين ومائة وأمه زبيدة ابنة جعفر الأكبر بن أبي جعفر، فكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام:

وقد قيل: كانت كنيته أبا عبد الله.

وأما محمد بن موسى الخوارزمي فإنه ذكر عنه أنه قال: أتت الخلافة محمد بن هارون للنصف من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة، وجج بالناس في هذه السنة التي ولي فيها داود بن عيسى بن موسى، وهو على مكة وأبو البختری على ولايته، وبعد ولايته بعشره أشهر وخمسة أيام وجه عصمه ابن أبي عصمة إلى ساوة، وعقد ولايته لابنه موسى بولاية العهد لثلاث خلون من شهر ربيع الأول، وكان على شرطه علي بن عيسى بن ماهان.

وجج بالناس سنة أربع وتسعين ومائة على بن الرشيد، وعلى المدينة إسماعيل بن العباس بن محمد، وعلى مكة داود بن عيسى، وكان بين ان عقد لابنه إلى التقاء علي بن عيسى بن ماهان وطاهر بن الحسين وقتل علي بن عيسى بن ماهان سنة خمس وتسعين ومائة، سنة وثلاثة أشهر وتسعة وعشرون يوماً قال: وقتل المخلوع ليلة الأحد لخمس بقين من المحرم، قال: فكانت ولايته مع الفتنة أربع سنين وسبعة أشهر وثلاثة أيام.

ولما قتل محمد ووصل خبره إلى المأمون في خريطة من طاهر يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثمان وتسعين ومائة أظهر المأمون الخبر، وأذن للقواد فدخلوا عليه وقام الفضل بن سهل فقرا الكتاب بالخبر، فهنيء بالظفر، ودعوا الله له وورد الكتاب من

المأمون بعد قتل محمد على طاهر وهرثمة بخلع القاسم بن هارون، فأظهرها ذلك، ووجها كتبهما به، وقرأ الكتاب بخلعه يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول سنة سبع وتسعين ومائة، وكان عمر محمد كله- فيما بلغني- ثمانيا وعشرين سنة وكان سبطا أنزع أبيض صغير العينين أقنى، جميلا، عظيم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين وكان مولده بالرصافة.

وذكر أن طاهرا قال حين قتله:

قتلت الخليفة في داره ... وأنهبت بالسيف أمواله

وقال أيضا:

ملكتم الناس قسرا واقتدارا ... وقتلت الجبابة الكبارا

ووجهت الخلافة نحو مرو ... إلى المأمون تبتدر ابتدارا.

٨٠٥٢٠٥ ذكر ما قيل في محمد بن هارون ومرثيته

ذكر ما قيل في محمد بن هارون ومرثيته

فما قيل في هجائه:

لم نبكيك لماذا؟ للطرب! ... يا أبا موسى وترويح اللعب

ولترك الخمس في أوقاتها ... حرصا منك على ماء العنب

وشنيف أنا لا أبكي له ... وعلى كوثر لا أخشى العطب

لم تكن تعرف ما حد الرضا ... لا ولا تعرف ما حد الغضب

لم تكن تصلح للملك ولم ... تعطك الطاعة بالملك العرب

أيها الباكي عليه لا بكت ... عين من أبكاك إلا للعجب

لم نبكيك لما عرضتنا ... للمجانيق وطورا للسلب

ولقوم صيروننا عبدا ... لهم ينزو على الرأس الذنب

في عذاب وحصار مجهد ... سدد الطرق فلا وجه طلب

زعموا أنك حي حاشر ... كل من قال بهذا قد كذب

ليت من قد قاله في وحدة ... من جميع ذاهب حيث ذهب

أوجب الله علينا قتله ... فإذا ما أوجب الأمر وجب

كان والله علينا فتنة ... غضب الله عليه وكتب

وقال عمرو بن عبد الملك الوراق يبكي بغداد، ويهجو طاهرا ويعرض به:

من ذا أصابك يا بغداد بالعين ... ألم تكوني زمانا قرة العين!

ألم يكن فيك أقوام لهم شرف ... بالصالحات وبالمعروف يلقوني

ألم يكن فيك قوم كان مسكنهم ... وكان قريهم زينا من الزين

صاح الزمان بهم بالبين فانقضوا ... ماذا الذي فجعتني لوعة البين

أستودع الله قوما ما ذكرتهم ... إلا تحدر ماء العين من عيني

كانوا ففرقهم دهر وصدعهم ... والدهر يصدع ما بين الفريقين

كم كان لي مسعد منهم على زمي ... كم كان منهم على المعروف من عون

لله در زمان كان يجمعنا ... أين الزمان الذي ولى ومن اين!

يا من يخرب بغدادا ليعمرها ... أهلكت نفسك ما بين الطريقين

كانت قلوب جميع الناس واحدة ... عينا، وليس لكون العين كالدين

لما أشتهم فرقتهم فرقا ... والناس طرا جميعا بين قلبين
 وذكر عمر بن شبة أن محمد بن أحمد الهاشمي حدثه، ان لبانه ابنه على ابن المهدي قالت:
 أبكيك لا للنعيم والأنس ... بل للمعالي والرحم والترس
 أبكي على هالك فجعت به ... أرملني قبل ليلة العرس
 وقد قيل إن هذا الشعر لابنة عيسى بن جعفر، وكانت مملكة بمحمد.
 وقال الحسين بن الضحاك الأشقر، مولى باهلة، يرثي محمدا، وكان من ندمائه، وكان لا يصدق بقتله، ويطمع في رجوعه:
 يا خير أسرته وإن زعموا ... إني عليك لمثبت أسف
 الله يعلم أن لي كبدا ... حرى عليك ومقلة تكف
 ولئن شجيت بما رزئت به ... إني لأضمر فوق ما أصف
 هلا بقيت لسد فافتنا ... أبدا، وكان لغيرك التلف!
 فلقد خلفت خلائفا سلفوا ... ولسوف يعوز بعدك الخلف
 لا بات رهطك بعد هفوتهم ... إني لرهطك بعدها شنف
 هتكوا بحرمك التي هتكت ... حرم الرسول ودونها السجف
 وثبت أقاربك التي خذلت ... وجميعها بالذل معترف
 لم يفعلوا بالشط إذ حضروا ... ما تفعل الغيرة الأنف
 تركوا حريم أبيهم نفلا ... والمحصنات صوارخ هتف
 أبدت مخلخلها على دهش ... أبكارهن ورنث النصف
 سلبت معاجرهن واجتليت ... ذات النقاب ونوزع الشنف
 فكأنهن خلال منتهب ... در تكشف دونه الصدف
 ملك نخون ملكه قدر ... فوهى وصرف الدهر مختلف
 هيات بعدك أن يدوم لنا ... عز وأن يبقى لنا شرف
 لا هيبوا صحفا مشرفة ... للغادرين وتحتها الجدف
 أفبعد عهد الله تقتله ... والقتل بعد أمانة سرف
 فستعرفون غدا بعاقبة ... عز الإله فأوردوا وقفوا
 يا من يخون نومه أرق ... هدت الشجون وقلبه لهف
 قد كنت لي أملا غنيت به ... ففضى وحل محله الأسف
 مرج النظام وعاد منكنا ... عرفا وأنكر بعدك العرف
 فالشمل منتشر لفقدك والدنيا ... سدى والبال منكسف
 وقال أيضا يرثيه:
 إذا ذكر الأمين نعي الأمينا ... وإن رقد انخلي حمى الجفونا
 وما برحت منازل بين بصرى ... وكلواذى تهيج لي شجونا
 عراض الملك خاوية تهادى ... بها الأرواح تنسجها فنونا
 تخون عز ساكنها زمان ... تلعب بالقرون الأولينا
 فشئت شملهم بعد اجتماع ... وكنت بحسن ألفتهم ضنينا
 فلم أر بعدهم حسنا سواهم ... ولم ترهم عيون الناظرينا
 فوا أسفا وإن شمت الأعادي ... وآه على أمير المؤمنين
 أضل العرف بعدك متبعوه ... ورفه عن مطايا الراغبينا

وكن الى جنابك كل يوم ... يرحن على السعود ويغتدينا
 هو الجبل الذي هوت المعالي ... لهدته وريع الصالحونا
 ستندب بعدك الدنيا جوارا ... وتندب بعدك الدين المصونا
 فقد ذهبت بشاشة كل شيء ... وعاد الدين مطروحا مهينا
 تعقد عز متصل بكسرى ... وملته وذل المسلهونا
 وقال أيضا يرثيه:
 أسفا عليك سلاك أقرب قربة ... مني وأحزاني عليك تزيد
 وقال عبد الرحمن بن أبي الهذاهد يرثي محمدا:
 يا غرب جودي قد بت من وذمه ... فقد فقدنا العزيز من ديمه
 ألوت بدنياك كف نائبة ... وصرت مغضى لنا على نقمه
 أصبح للهوت عندنا علم ... يضحك سن المنون من علمه
 ما استنزلت درة المنون على ... أكرم من حل في ثرى رحمه
 خليفة الله في بريته ... تقصر أيدي الملوك عن شيمه
 يفتر عن وجهه سنا قر ... ينشق عن نوره دجى ظلمه
 زلزلت الأرض من جوانبها ... إذ أولغ السيف من نجيع دمه
 من سكتت نفسه لمصرعة ... من عمم الناس أو ذوي رحمه
 رأيته مثل ما رآه به ... حتى تذوق الأمر من سقمه
 كم قد رأينا عزيز مملكة ... ينقل عن أهله وعن خدمه
 يا ملكا ليس بعده ملك ... نلخاتم الأنبياء في أمه
 جاد وحيا الذي أقمت به ... سخ غزير الوكيف من ديمه
 لو أجم الموت عن أخي ثقة ... أسوي في العز مستوى قدمه
 أو ملك لا ترام سطوته ... إلا مرام الشتم في أجمه
 خلدك العز ما سرى سدف ... أو قام طفل العشى في قدمه
 أصبح ملك إذا اتزرت به ... يقرع سن الشقاة من ندمه
 أثر ذو العرش في عداك كما ... أثر في عادته وفي إرمه
 لا يبعد الله سوره تليت ... لخير داع دعاه في حرمه
 ما كنت إلا كحلم ذي حلم ... أولج باب السرور في حلمه
 حتى إذا أطلقته رقدته ... عاد إلى ما اعتراه من عدمه
 وقال أيضا يرثيه:
 أقول وقد دنوت من الفرار ... سقيت الغيث يا قصر القرار
 رمتك يد الزمان بسهم عين ... فصرت ملوحا بدخان نار
 أبني عن جميعك أين حلوا ... وأين مزارهم بعد المزار
 وأين محمد وابناه ما لي ... أرى أطلالهم سود الديار!
 كأن لم يؤنسوا بأنيس ملك ... يصون على الملوك بخير جار
 إمام كان في الحدثن عونا ... لنا والغيث يمنح بالقطار
 لقد ترك الزمان بني أبيه ... وقد غمرتهم سود البحار
 أضاعوا شمسهم فحرت بنحس ... فصاروا في الظلام بلا نهار

وأجلوا عنهم قرا منيرا ... وداستهم خيول بني الشرار
ولو كانوا لهم كفوا ومثلا ... إذا ما توجوا تيجان عار
ألا بان الإمام ووارثاه ... لقد ضرما الحشا منا بنار
وقالوا انخلد بيع فقلت ذلا ... يصير بيائعيه إلى صغار
كذلك الملك يتبع أوليه ... إذا قطع القرار من القرار
وقال مقدس بن صيفي يرثيه:

خليلي ما أبتك به انخطوب ... فقد أعطتك طاعته النحيب
تدلت من شماريخ المنايا ... منايا ما تقوم لها القلوب
خلال مقابر البستان قبر ... يجاور قبره أسد غريب
لقد عظمت مصيبتيه على من ... له في كل مكزمة نصيب
على أمثاله العبرات تدرى ... وتهتك في مآتمه الجيوب
وما اذخرت زبيدة عنه دمعا ... تخص به النسيبة والنسيب
دعوا موسى ابنه لبكاء دهر ... على موسى ابنه دخل الحزيب
رأيت مشاهد الخلفاء منه ... خلاء ما بساحتها مجيب
ليهنك أنني كهل عليه ... أذوب، وفي الحشا كبذ تذوب
أصيب به البعيد نحر حزنا ... وعابن يومه فيه المريب
أنادي من بطون الأرض شخصا ... يحركه النداء فما يجيب
لئن نعت الحروب إليه نفسا ... لقد فجعت بمصرعه الحروب
وقال خزيمة بن الحسن يرثيه على لسان أم جعفر:

لخير إمام قام من خير عنصر ... وأفضل سام فوق أعواد منبر
لوارث علم الأولين وفهمهم ... وللملك المأمون من أم جعفر
كتبت وعيني مستهل دموعها ... إليك ابن عمي من جفوني ومحجري
وقد مسني ضر وذل كابه ... وارق عيني يا بن عمي تفكري
وهمت لما لاقيت بعد مصابه ... فأمرني عظيم منكر جد منكر
سأشكو الذي لاقيته بعد فقدته ... إليك شكاة المستهام المقهر
وأرجو لما قد مر بي مذ فقدته ... فأنت لبني خير رب مغير
أتى طاهر لا طهر الله طاهرا ... فما طاهر فيما أتى بمطهر
فأخرجني مكشوفة الوجه حاسرا ... وأنهب أموالي وأحرق آدري
يعز على هارون ما قد لقيته ... وما مر بي من ناقص الخلق أعور
فإن كان ما أسدى بأمر أمرته ... صبرت لأمر من قدير مقدر
تذكر أمير المؤمنين قرايتي ... فديتك من ذي حرمة متذكر
وقال أيضا يرثيه:

سبحان ربك رب العزة الصمد ... ماذا أصبنا به في صبيحة الأحد
وما أصيب به الإسلام قاطبة ... من التضعع في ركنيه والادود
من لم يصب بأمر المؤمنين ولم ... يصبح بمهلكة والهيم في صعد
فقد أصبت به حتى تبين في ... عقلي وديني وفي دنياي والجسد
يا ليلة يشتكي الإسلام مدتها ... والعالمون جميعا آخر الأبد

غدرت بالملك الميمون طائره ... وبالإمام وبالضغامة الأسد
سارت إليه المنايا وهي ترهبه ... فواجهته بأوغاد ذوي عدد
بشورجين واغنام يقودهم ... قریش بالبيض في قصص من الزرد
فصادفوه وحيدا لا معين له ... عليهم غائب الأنصار بالمدد
فجرعوه المنايا غير ممتنع ... فردا فيا لك من مستسلم فرد
يلقى الوجوه بوجه غير مبتذل ... ابهى وانقى من القوهية الجدد
واحسرتا وقریش قد أحاط به ... والسيف مرتعد في كف مرتعد
فما تحرك بل ما زال منتصبا ... منكس الرأس لم ييدي ولم يعد
حتى إذا السيف وافي وسط مفرقه ... أذرتة عنه يداه فعل متدد
وقام فاعتلقت كفاه لبتة ... كضیغم شرس مستبسل لبد
فاحتزته ثم أهوى فاستقل به ... للأرض من كف ليث محرج حرد
فكاد يقتله لو لم يكاثره ... وقام منفلتا منه ولم يكد
هذا حديث أمير المؤمنين وما ... نقصت من أمره حرفا ولم أزد
لا زلت أندبه حتى الممات وإن ... أخنى عليه الذي أخنى على لبد
وذكر عن الموصلي أنه قال: لما بعث طاهر برأس محمد إلى المأمون بكى ذو الرياستين، وقال: سل علينا سيوف الناس والسنتهم، أمرناه أن يبعث به أسيرا فبعث به عقيرا! وقال له المأمون: قد مضى ما مضى فاحتل في الاعتذار منه، فكتب الناس فأطالوا، وجاء أحمد بن يوسف بشبر من قرطاس فيه:
أما بعد، فإن المخلوع كان قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة، وقد فرق الله بينه وبينه في الولاية والحرمة، لمفارقتة عصم الدين، وخروجه من الأمر الجامع للمسلمين، يقول الله عز وجل حين اقتص علينا نبا ابن نوح: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ»، فلا طاعة لأحد في معصية

٨٠٥٢٠٦ ذكر الخبر عن بعض سير المخلوع محمد بن هارون

الله، ولا قطيعة إذا كانت القطيعة في جنب الله وكناي إلى أمير المؤمنين وقد قتل الله المخلوع، ورداه رداء نكته، وأحصد لأمر المؤمنين أمره، وأنجز له وعده، وما ينتظر من صادق وعده حين رد به الإلفة بعد فرقها، وجمع الأمة بعد شتاتها، وأحيا به أعلام الإسلام بعد دروسها.

ذكر الخبر عن بعض سير المخلوع محمد بن هارون

ذكر عن حميد بن سعيد، قال: لما ملك محمد، وكاتبه المأمون، وأعطاه بيعته، طلب الخصيان وابتاعهم، وغالى بهم، وصيرهم خلوته في ليله ونهاره، وقوام طعامه وشرابه، وأمره ونهيه، وفرض لهم فرضا سماهم الجرادية، وفرضا من الحبشان سماهم الغرابية، ورفض النساء الحرائر والإماء حتى رمى بهن، ففي ذلك يقول بعضهم:

ألا يا مزمن المثوى بطوس ... عزيبا ما يفادى بالنفوس

لقد أبقيت للخصيان بعلا ... تحمل منهم شؤم البسوس

فأما نوفل فالشأن فيه ... وفي بدر، فيا لك من جليس!

وما العصمي بشار لديه ... إذا ذكروا بذى سهم خسيس

وما حسن الصغير أخس حالا ... لديه عند مخترق الكئوس

لهم من عمره شطر وشرط ... يعاقر فيه شرب الخندريس

وما للغايات لديه حظ ... سوى التقطيب بالوجه العبوس

إذا كان الرئيس كذا سقيما ... فكيف صلاحنا بعد الرئيس!

فلو علم المقيم بدار طوس ... لعز على المقيم بدار طوس
 قَالَ حميد: ولما ملك محمد وجهه إلى جميع البلدان في طلب الملهين وضمهم إليه، وأجرى لهم الأرزاق، ونافس في ابتياع فره الدواب، وأخذ

الوحوش والسباع والطير وغير ذلك، واحتجب عن إخوته وأهل بيته وقواده، واستخف بهم، وقسم ما في بيوت الأموال وما بحضرته من الجوهر في خصيانه وجلسائه ومحدثيه، وحمل إليه ما كان في الرقة من الجوهر والخزائن والسلاح، وأمر ببناء مجالس لمتنزهاته ومواضع خلوته وهواه ولعبه بقصر الخلد والخيزرانية وإستان موسى وقصر عبدويه وقصر المعلى ورقة كلواذى وباب الأنبار وبنورى والهوب، وأمر بعمل خمس حراقات في دجلة على خلقة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس، وأنفق في عملها مالا عظيما، فقال أبو نواس يمدحه:

سخر الله للأمين مطايا ... لم تسخر لصاحب المحراب
 فإذا ما ركبه سرن برا ... سار في الماء رابجا ليث غاب
 أسدا باسقا ذراعيه يهوى ... اهت الشدق كالح الأنيا
 لا يعانیه بالجمام ولا السوط ... ولا غمز رجله في الركاب
 عجب الناس إذ رأوك على صورة ... ليث تمر مر السحاب
 سبحوا إذ رأوك سرت عليه ... كيف لو أبصروك فوق العقاب
 ذات زور ومنسر وجناحين ... تشق العباب بعد العباب
 تسبق الطير في السماء إذا ما ... استعجلوها بجيئة وذهاب
 بارك الله للأمر وأبقاه ... وأبقى له رداء الشباب
 ملك تقصر المدايح عنه ... هاشمي موفق للصواب

وذكر عن الحسين بن الضحاك، قال: ابنتي الأمير سفينة عظيمة، أنفق عليها ثلاثة آلاف ألف درهم، واتخذ أخرى على خلقة شيء يكون في البحر يقال له الدلفين، فقال في ذلك أبو نواس الحسن بن هاني:

قد ركب الدلفين بدر الدجى ... مقتحما في الماء قد لججا
 فأشرقت دجلة في حسنه ... وأشرق الشيطان واستبججا
 لم تر عيني مثله مركبا ... أحسن ان سار وان احنجا
 إذا استحثثته مجاديفه ... أعنت فوق الماء أو هملجا
 خص به الله الأمين الذي ... أضحى بتاج الملك قد توجا

وذكر عن أحمد بن إسحاق بن برصوما المغني الكوفي أنه قال: كان العباس بن عبد الله بن جعفر بن أبي جعفر من رجال بني هاشم جدًا وعقلا وصنيعا، وكان يتخذ الخدم، وكان له خادم من آثر خدمه عنده يقال له منصور، فوجد الخادم عليه، فهرب إلى محمد، وأتاه وهو بقصر أم جعفر المعروف بالقرار، فقبله محمد أحسن قبول، وحظي عنده حظوة عجيبة.

قال: فركب الخادم يوما في جماعة خدم كانوا لمحمد يقال لهم السيفاء، فرباب العباس بن عبد الله، يريد بذلك أن يري خدم العباس هيئته وحاله التي هو عليها وبلغ ذلك الخبر العباس، فخرج محضرا في قيص حاسرا، في يده عمود عليه كيمخت، فلحقه في سويقة أبي الورد، فعلق بلجامه، ونازعه أولئك الخدم، فجعل لا يضرب أحدا منهم إلا أوهنة، حتى تفرقوا عنه، وجاء به يقوده حتى أدخله داره وبلغ الخبر محمدًا، فبعث إلى داره جماعه، فوقفوا حياها، وصف العباس غلبانه ومواليه على سور داره، ومعهم الترسه والسهام، فقام أحمد بن إسحاق: نخفنا والله النار أن تحرق منازلنا، وذلك أنهم أرادوا أن يحرقوا دار العباس قال: وجاء رشيد الهاروني، فاستأذن عليه فدخل إليه، فقال: ما تصنع! أتدري ما أنت فيه وما قد جاءك! لو أذن لهم لاقتلعوا دارك بالأسنة، ألسنت في الطاعة! قال: بلى، قال: فقم فاركب قال: فخرج في سواده، فلما صار على باب داره، قال: يا غلام، هلم دابتي

فقال رشيد: لا ولا كرامة! ولكن تمضي راجلا قال: فضى، فلما صار إلى الشارع نظر، فإذا العالمون قد جاءوا، وجاءه الجلودي

والإفريقي وأبو البط وأصحاب الهرش قَالَ: فجعل ينظر إليهم، وأنا أراه راجلا ورشيد راكب قَالَ: وبلغ أم جعفر الخبر، فدخلت على محمد، وجعلت تطلب إلى محمد، فقال لها: نفيت من قرابتي من رسول الله ص إن لم أقتله! وجعلت تلح عليه، فقال لها: والله إني لأظني سأسطوبك قَالَ: فكشفت شعرها، وقالت: ومن يدخل علي وأنا حاسر! قَالَ: فينا محمد كذلك- ولم يأت العباس بعد- إذ قدم صاعد الخادم عليه بقتل علي بن عيسى بن ماهان، فاشتغل بذلك، وأقام العباس في الدهليز عشرة أيام، ونسيه ثم ذكره، فقال:

يحبس في حجرة من حجر داره، ويدخل عليه ثلاثة رجال من مواليه من مشايخهم يخدمونه، ويجعل له وظيفة في كل يوم ثلاثة ألوان قَالَ: فلم يزل على هذه الحال حتى خرج حسين بن علي بن عيسى بن ماهان، ودعا إلى المأمون، وحبس محمد قَالَ: ففر إسحاق بن عيسى بن علي ومحمد بن محمد المعبدي بالعباس بن عبد الله وهو في منظره، فقالا له: ما قعودك؟ اخرج إلى هذا الرجل- يعنينا حسين بن علي- قَالَ: نخرج فأتي حسينا، ثم وقف عند باب الجسر، فما ترك لأم جعفر شيئا من الشتم إلا قاله، وإسحاق بن موسى يأخذ البيعة للمأمون قَالَ: ثم لم يكن إلا يسيرا حتى قتل الحسين، وهرب العباس إلى نهر بين إلى هريثة، ومضى ابنه الفضل بن العباس إلى محمد، فسعى إليه بما كان لأبيه، ووجه محمد إلى منزله، فأخذ منه أربعة آلاف درهم وثلاثمائة ألف دينار، وكانت في قمام في بئر، وأنسوا قمقمين من تلك القمام، فقال: ما بقي من ميراث أبي سوى هذين القمقمين، وفيهما سبعون ألف دينار.

فلما انقضت الفتنة وقتل محمد رجع إلى منزله فأخذ القمقمين وجعلهما.

وجع في تلك السنة، وهي سنة ثمان وتسعين ومائة.

قَالَ أحمد بن إسحاق: وكان العباس بن عبد الله يحدث بعد ذلك،

فيقول: قَالَ لي سليمان بن جعفر ونحن في دار المأمون: أما قتلت ابنك بعد؟

فقلت: يا عم، جعلت فداك! ومن يقتل ابنه! فقال لي: اقتله، فهو الذي سعى بك وبمالك فأفقرت.

وذكر عن أحمد بن إسحاق بن برصوما، قَالَ: لما حصر محمد وضغطه الأمر، قَالَ: ويحكم! ما أحد يستراح إليه! فقليل له: بلي، رجل من العرب من أهل الكوفة، يقال له وضاح بن حبيب بن بديل التيمي، وهو بقية من بقايا العرب، وذو رأي أصيل، قَالَ: فأرسلوا إليه، قَالَ: فقدم علينا، فلما صار إليه قَالَ له: إني قد خبرت بمذهبك ورأيك، فأشر علينا في أمرنا، قَالَ له: يا أمير المؤمنين، قد بطل الرأي اليوم وذهب، ولكن استعمل الأراجيف، فإنها من آلة الحرب، فنصب رجلا كان ينزل دجيلا يقال له بكير بن المعتمر، فكان إذا نزلت بمحمد نازلة وحادثة هزيمة قَالَ له:

هات، فقد جاءنا نازلة، فيضع له الأخبار، فإذا مشى الناس تبينوا بطلانها.

قَالَ أحمد بن إسحاق: كأني أنظر إلى بكير بن المعتمر شيخ عظيم الخلق.

وذكر عن العباس بن أحمد بن أبان الكاتب، قَالَ: حدثنا إبراهيم بن الجراح، قَالَ: حدثني كوثر، قَالَ: أمر محمد بن زبيدة يوما أن يفرش له على دكان في الخلد، فبسط له عليه بساط زرعي، وطرحت عليه ثمارق وفرش مثله، وهيئ له من آنية الفضة والذهب والجوهر أمر عظيم، وأمر قيمه جواريه أن تهيئ له مائة جارية صانعة، فتصعد إليه عشرا عشرا، بأيديهن العيدان يغنين بصوت واحد، فأصعدت إليه عشرا، فلما استوين على الدكان اندفعن فغنين:

هم قتلوه كي يكونوا مكانه ... كما غدرت يوما بكسرى مرازيه

قَالَ: فتأفف من هذا، ولعنها ولعن الجواري، فأمر بهن فأنزلن، ثم لبث هنيهة وأمرها أن تصعد عشرا، فلما استوين على الدكان اندفعن فغنين:

من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسرا يندبنه ... يلطمن قبل تبليج الأسرار

قَالَ: فضجر وفعل مثل فعلته الأولى، وأطرق طويلا، ثم قَالَ:

أصعدي عشرا، فأصعدتهن، فلما وقفن على الدكان، اندفعن يغنين بصوت واحد:

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا ... وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم

قَالَ: فقام من مجلسه، وأمر بهدم ذلك المكان تطيرا مما كان.
وذكر عن محمد بن عبد الرحمن الكندي، قَالَ: حدثني محمد بن دينار، قَالَ: كان محمد المخلوع قاعدا يوما، وقد اشتد عليه الحصار، فاشتد اغتمامه، وضاق صدره، فدعا بندمائه والشراب ليتسلى به، فأتى به، وكانت له جارية يتحطاها من جواريه، فأمرها أن تغني، وتناول كأسا ليشربه، فخبس الله لسانها عن كل شيء، فغنت:

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا ... وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم
فرماها بالكأس الذي في يده، وأمر بها فطرحته للأسد، ثم تناول كأسا أخرى، ودعا بأخرى فغنت:
هم قتلوه كي يكونوا مكانه ... كما غدرت يوما بكسرى مراربه
فرمى وجهها بالكأس، ثم تناول كأسا أخرى ليشربها، وقال لأخرى:
غني، فغنت:

قومي هم قتلوا اميم أخي
قال: فرمى وجهها بالكأس، ورمى الصينية برجله، وعاد إلى ما كان فيه من همه، وقتل بعد ذلك بأيام يسيرة.
وذكر عن أبي سعيد أنه قَالَ: ماتت فطيم - وهي أم موسى بن محمد بن هارون المخلوع - فجزع عليها جزعا شديدا، وبلغ أم جعفر، فقالت:
احملوني إلى أمير المؤمنين، قَالَ: فحملت إليه، فاستقبلها، فقال: يا سيدتي، ماتت فطيم، فقالت:
نفسي فداؤك لا يذهب بك اللفف ... ففي بقائك ممن قد مضى خلف
عوضت موسى فهانت كل مرزئة ... ما بعد موسى على مفقودة أسف
وقالت: أعظم الله أجرك، ووفر صبرك، وجعل العزاء عنها ذخر! وذكر عن إبراهيم بن إسماعيل بن هاني، ابن أخي أبي نواس، قَالَ:
حدثني أبي قَالَ: هجا عمك أبو نواس مضر في قصيدته التي يقول فيها:

أما قریش فلا افتخار لها ... إلا التجارات من مكاسبها
وأنها إن ذكرت مكربة ... جاءت قریش تسعي بغالبها
إن قریشا إذا هي انتسبت ... كان لها الشطر من مناسبتها
قَالَ: يريد أن أكرمها يغالب قَالَ: فبلغ ذلك الرشيد في حياته، فأمر بحبسها، فلم يزل محبوسا حتى ولي محمد، فقال يمدحه، وكان انقطاعه إليه أيام إمارته، فقال:

تذكر أمين الله والعهد يذكر ... مقامي وإنشاديك والناس حضر
ونثري عليك الدرا در هاشم ... فيأمن رأى درا على الدر ينثر!
أبوك الذي لم يملك الأرض مثله ... وعمك موسى عدله المتخير
وجدك مهدي الهدى وشقيقه ... أبو أمك الأدنى أبو الفضل جعفر
وما مثل منصوريك: منصور هاشم ... ومنصور قطان إذا عد مفخر
فمن ذا الذي يرمي بسهميك في العلا ... وعبد مناف والداك وحمير
قَالَ: فتغنت بهذه الأبيات جارية بين يدي محمد، فقال لها: لمن الأبيات؟ فقيل له: لأبي نواس، فقال: وما فعل؟ فقيل له: محبوس، فقال: ليس عليه بأس قَالَ: فبعث إليه إسحاق بن فراشة وسعيد بن جابر أخا محمد من الرضاة، فقالا: إن أمير المؤمنين ذكرك البارحة فقال:

ليس عليه بأس، فقال أبياتا، وبعث بها إليه، وهي هذه الأبيات:
أرقت وطار عن عيني النعاس ... ونام السامرون ولم يؤاسوا
أمين الله قد ملكت ملكا ... عليك من التقى فيه لباس
ووجهك يستهل ندى فيحيا ... به في كل ناحية أناس
كأن الخلق في تمثال روح ... له جسد وأنت عليه راس

أمين الله إن السجن بأس ... وقد أرسلت: ليس عليك بأس
فلما أنشده قال: صدق، علي به، فخيء به في الليل، فكسرت قيوده، وأخرج حتى أدخل عليه، فأنشأ يقول:
مرحبا مرحبا بخير إمام ... صيغ من جوهر الخلافة نحتا
يا أمين الإله يكلؤك الله ... مقيما وظاعنا حيث سرتا
إنما الأرض كلها لك دار ... فلك الله صاحب حيث كنتا
قال: نفلع عليه، وخلي سبيله، وجعله في ندمائه.

وذكر عن عبد الله بن عمرو التيمي، قال: حدثني أحمد بن إبراهيم الفارسي، قال: شرب أبو نواس الخمر، فرفع ذلك إلى محمد في أيامه، فأمر بحبسه، فحبسه الفضل بن الربيع ثلاثة أشهر، ثم ذكره محمد، فدعا به وعنده بنو هاشم وغيرهم، ودعا له بالسيف والنطع يهدده بالقتل، فأنشده أبو نواس هذه الأبيات:
تذكر أمين الله والعهد يذكر.
الشعر الذي ذكرناه قبل، وزاد فيه:

تحسنت الدنيا بحسن خليفة ... هو البدر إلا أنه الدهر مقمر
إمام يسوس الناس سبعين حجة ... عليه له منها لباس ومئزر
يشير إليه الجود من وجناته ... وينظر من أعطافه حين ينظر
أيا خير مأمول يرجي، أنا امرؤ ... رهين أسير في سجونك مقفر
مضى أشهر لي مذ حبست ثلاثة ... كأني قد أذنت ما ليس يغفر
فإن كنت لم أذنب فقيم تعقي! ... وإن كنت ذا ذنب فعفوك أكثر

قال: فقال له محمد: فإن شربتها؟ قال: دمي لك حلال يا أمير المؤمنين، فأطلقه قال: فكان أبو نواس يشمها ولا يشربها وهو قوله:
لا أذوق المدام إلا شميما

وذكر عن مسعود بن عيسى العبدى، قال: أخبرني يحيى بن المسافر القرقسائي، قال: أخبرني دحيم غلام أبي نواس، أن أبا نواس عتب عليه محمد في شرب الخمر، فطبق به- وكان للفضل بن الربيع خال يستعرض أهل السجون ويتعاهدهم ويتفقدهم- ودخل في حبس الزنادقة، فرأى فيه أبا نواس- ولم يكن يعرفه- فقال له: يا شاب، أنت مع الزنادقة! قال:

معاذ الله، قال: فلعلك ممن يعبد الكباش! قال: أنا أكل الكباش بصوفه،
قال: فلعلك ممن يعبد الشمس؟ قال: إني لأتجنب القعود فيها بغضا لها، قال: فبأي جرم حبست؟ قال: حبست بتهمة أنا منها بريء،
قال: ليس إلا هذا؟ قال: والله لقد صدقتك قال: فجاء إلى الفضل، فقال له:
يا هذا، لا تحسنون جوار نعم الله عز وجل! أيحبس الناس بالتهمة! قال: وما ذاك؟ فأخبره بما ادعى من جرمه، فتبسم الفضل، ودخل على محمد، فأخبره بذلك، فدعا به، وتقدم إليه أن يجتنب الخمر والسكر، قال:

نعم، قيل له: فبعهد الله! قال: نعم، قال: فأخرج، فبعث إليه فتیان من قریش فقال لهم: إني لا أشرب، قالوا: وإن لم تشرب فآنسنا بحديثك، فأجاب، فلما دارت الكأس بينهم، قالوا: ألم ترتح لها؟ قال: لا سبيل والله إلى شربها، وأنشأ يقول:

أيها الرائحان باللوم لوما ... لا أذوق المدام إلا شميما

نالني بالملام فيها إمام ... لا أرى في خلافة مستقيما

فاصرفاها إلى سواي فإني ... لست إلا على الحديث نديما

إن حظي منها إذا هي دارت ... أن أراها وأن أشم النسيما

فكأنني وما أحسن منها ... قعدي يزين التحكيما

كل عن حملة السلاح إلى الحرب ... فأوصى المطيق ألا يقيما

وذكر عن أبي الورد السبيعي أنه قال: كنت عند الفضل بن سهل بخراسان، فذكر الأمين، فقال: كيف لا يستحل قتال محمد وشاعره يقول في مجلسه:

ألا سقني خمرًا وقل لي هي الخمر ... ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر
قال: فبلغت القصة محمدًا، فأمر الفضل بن الربيع فأخذ أبا نواس فحبسه
وذكر كامل بن جامع عن بعض أصحاب أبي نواس ورواته، قال:
كان أبو نواس قال أبياتا بلغت الأمين في آخرها:
وقد زادني تيبها على الناس أنني ... أراني أغناهم إذا كنت ذا عسر
ولو لم أنل نغرا لكنت صيانتني ... ففي عن جميع الناس حسبي من الفخر
ولا يطمعن في ذاك مني طامع ... ولا صاحب التاج المحجب في القصر
قال: فبعث إليه الأمين- وعنده سليمان بن أبي جعفر- فلما دخل عليه، قال: يا عاض بظر أمه العاهره! يا بن الخناء- وشمته أقبح الشتم-
أنت تكسب بشعرك أوساخ أيدي اللثام، ثم تقول:
ولا صاحب التاج المحجب في القصر.

أما والله لا نلت مني شيئا أبدا فقال له سليمان بن أبي جعفر: والله يا أمير المؤمنين، وهو من كبار الثنوية، فقال محمد: هل يشهد عليه بذلك شاهد؟

فاستشهد سليمان جماعة، فشهد بعضهم أنه شرب في يوم مطير، ووضع قدحه تحت السماء، فوقع فيه القطر، وقال: يزعمون أنه ينزل مع كل قطرة ملك، فكم ترى أنني أشرب الساعة من الملائكة! ثم شرب ما في القدح، فأمر محمد بحبسه، فقال أبو نواس في ذلك:
يا رب إن القوم قد ظلموني ... وبلا اقتراف تعطل حبسوني
وإلى الجحود بما عرفت خلافة ... مني إليه بكيدهم نسبوني
ما كان إلا الجري في ميدانهم ... في كل جري والخافة ديني
لا العذر يقبل لي فيفرق شاهدي ... منهم ولا يرضون حلف يميني
ولكان كوثر كان أولى محبسا ... في دار منقصة ومنزل هون
أما الأمين فلست أرجو دفعه ... عني، فمن لي اليوم بالمأمون!

قال: وبلغت المأمون أبياته، فقال: والله لئن لحقته لأغنيته غنى لا يؤمله، قال: فمات قبل دخول المأمون مدينة السلام.
قال: ولما طال حبس أبي نواس، قال في حبسه- فيما ذكر- عن دعامة:

احمدوا الله جميعا ... يا جميع المسلمينا

ثم قولوا لا تملوا ... ربنا أبق الأئمة

صير الخصيان حتى ... صير التعنين دينا

فاقتدى الناس جميعا ... بأمر المؤمنين

قال: وبلغت هذه الأبيات أيضا المأمون وهو بخراسان، فقال: إني لأتوكفه أن يهرب إلي.

وذكر يعقوب بن إسحاق، عمن حدثه، عن كوثر خادم المخلوع، أن محمدا أرق ذات ليلة، وهو في حربه مع طاهر، فطلب من يسامره فلم يقرب إليه أحد من حاشيته، فدعا حاجبه، فقال: ويلك! قد خطرت بقلبي خطرات فأحضرني شاعرا ظريفا أقطع به بقية ليلتي، فخرج الحاجب، فاعتمد أقرب من بحضرته، فوجد أبا نواس، فقال له: أجب أمير المؤمنين، فقال له: لعلك أردت غيري! قال: لم أرد أحدا سواك فأثابه به، فقال: من أنت؟ قال: خادمك الحسن بن هاني، وطليقتك بالأمس، قال: لا ترع، إنه عرضت بقلبي أمثال أحببت أن تجعلها في شعر، فإن فعلت ذلك أجزت حكمك فيما تطلب، فقال: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: قولهم: عفا الله عما سلف، وبئس والله ما جرى فرسي، واكسري عودا على أنفك، وتمنعي أشهى لك قال: فقال أبو نواس حكيم أربع وصائف مقدودات، فأمر بإحضارهن، فقال:

فقدت طول اعتلاك ... وما أرى في مطالك
لقد أردت جفائي ... وقد أردت وصالك
ماذا أردت بهذا! ... تمنعي أشي لك
وأخذ بيد وصيفة فعزلها، ثم قال:

قد صحت الأيمان من حلفك ... وصحت حتى مت من خلفك
بالله يا ستي احثني مرة ... ثم اكسري عودا على أنفك
ثم عزل الثانية، ثم قال:

فديتك ماذا الصلف ... وشمك أهل الشرف!
صلى عاشقا مدنفا ... قد أعتب مما اقترف
ولا تذكرني ما مضى ... عفا الله عما سلف
ثم عزل الثالثة، وقال:

وباعثات إلي في الغلس ... أن ائتنا واحترس من العسس
حتى إذا نوم العداة ولم ... أخش رقيبا ولا سنا قبس
ركبت مهري وقد طربت إلى ... حور حسان نواغم لعس
فجئت والصبح قد نهضت له ... فبئس والله ما جرى فرسي

فقال: خذهن لا بارك الله لك فيهن! وذكر عن الموصلي، عن حسين خادم الرشيد، قال: لما صارت الخلافة إلى محمد هيئ له منزل من منازل على الشط، بفرش أجود ما يكون من فرش الخلافة وأسواه، فقال: يا سيدي، لم يكن لأبيك فرش يباهي به الملوك والوفود الذين يردون عليه أحسن من هذا، فأحببت أن أفرشه لك، قال: فأحببت أن يفرش لي في أول خلافتي المردراج، وقال: مزقوه، قال: فرأيت والله الخدم والفراشين قد صبروه ممزقا وفرقوه.

وذكر عن محمد بن الحسن، قال: حدثني أحمد بن محمد البرمكي أن إبراهيم بن المهدي غنى محمد بن زيبيده: هجرتك حتى قيل لا يعرف القلي ... وزرتك حتى قيل ليس له صبر فطرب محمد، وقال: أوقروا زورقه ذهباً.

وذكر عن علي بن محمد بن إسماعيل، عن مخارق، قال: اني لعند محمد بن زيبيده يوما ما طرا، وهو مصطبج، وأنا جالس بالقرب منه، وأنا أغني وليس معه أحد، وعليه جبة وشي، لا والله ما رأيت أحسن منها فأقبلت أنظر إليها، فقال: كأنك استحسنتها يا مخارق! قلت: نعم يا سيدي، عليك لأن وجهك حسن فيها، فأنا أنظر إليه وأعوذك قال: يا غلام، فأجابه الخادم، قال: فدعا بجبة غير تلك، فلبسها وخلع التي عليه علي، ومكثت هنيهة ثم نظرت إليه، فعاودني بمثل ذلك الكلام، وعاودته، فدعا بأخرى حتى فعل ذلك ثلاث جباب ظاهرت بينها قال: فلما رآها علي ندم وتغير وجهه، وقال: يا غلام، اذهب إلى الطباخين فقل لهم: يطبخوا لنا مصلية، ويجيدوا صنعتها، وأتني بها الساعة، فما هو إلا أن ذهب الغلام حتى جاء الخوان، وهو لطيف صغير، في وسطه غضارة ضخمة ورغيفان، فوضعت بين يديه، فكسر لقمة فأهوى بها إلى الصحيفة، ثم قال: كل يا مخارق، قلت: يا سيدي، أعفني من الأكل، قال: لست أعفيك فكل، فكسرت لقمة، ثم تناولت شيئا، فلما وضعته في فمي، قال: لعنك الله! ما أشرك! نغصتها علي وأفسدتها، وأدخلت يدك فيها، ثم رفع الغضارة بيده، فإذا هي في ججري، وقال: قم لعنك الله! فقمتم، وذاك الودك والمرق يسيل من الجباب، نخلعتها وأرسلت بها الى منزلي، ودعوت القصارين والوشاءين، فجهدت جهدي أن تعود كما كانت فما عادت.

وذكر عن البحري أبي عبادة، عن عبيد الله بن أبي غسان، قال: كنت عند محمد في يوم شات شديد البرد، وهو في مجلس له مفرد مفروش بفرش، قلما رأيت أرفع قيمة مثله ولا أحسن، وأنا في ذلك اليوم طاو ثلاثة أيام وليالين إلا من النبذ، والله لا أستطيع أن أتكلم ولا أعقل، فنهض نهضة

البول، فقلت لخادم من خدم الخاصة: ويلك! قد والله مت، فهل من حيلة إلى شيء تلقيه في جوفي يبرد عني ما أنا فيه! فقال: دعني حتى أحتال لك وأنظر ما أقول، وصدق مقالتي، فلما رجع محمد وجلس نظر الخادم إلى نظرة، فتبسم، فراه محمد، فقال: مم تبسمت؟ قَالَ: لا شيء يا سيدي، فغضب قَالَ البحرى: فقال: شيء في عبيد الله بن أبي غسان، لا يستطيع أن يشم رائحة البطيخ ولا يأكله، ويجزع منه جزعا شديدا فقال: يا عبيد الله هذا فيك؟ قَالَ: قلت: إي والله يا سيدي، ابتليت به، قَالَ: ويحك! مع طيب البطيخ وطيب ريحه! قَالَ: فقلت: أنا كذا، قَالَ: فتعجب ثم قَالَ: علي ببطيخ، فأتى منه بعدة، فلما رأيته أظهرت القشعريرة منه، وتختت قَالَ: خذوه، وضعوا البطيخ بين يديه، قَالَ: فأقبلت أريه الجزع والاضطراب من ذلك، وهو يضحك، ثم قَالَ: كل واحدة، قَالَ:

فقلت: يا سيدي، تقتلني وترمي بكل شيء في جوفي وتهيج علي العلل، الله الله في! قَالَ: كل بطيخة ولك فرش هذا البيت، علي عهد الله بذلك وميثاقه، قلت: ما أصنع بفرش بيت، وأنا اموت ان أكلت! قَالَ: فتأيت، وألح علي، وجاء الخادم بالسكاكين فقطعوا بطيخة، فجعلوا يحسونها في في، وأنا أصرخ وأضطرب، وأنا مع ذلك أبلع، وأنا أريه أني بكرة أفعل ذلك وألطم رأسي، وأصبح وهو يضحك، فلما فرغت تحول إلى بيت آخر، ودعا الفراشين، فحملوا فرش ذلك البيت إلى منزلي، ثم عاودني في فرش ذلك البيت في بطيخة أخرى، ثم فعل كفعله الأول، وأعطاني فرش البيت، حتى أعطاني فرش ثلاثة أبيات، وأطعمني ثلاث بطيخات، قَالَ: وحسنت والله حالي، واشتد ظهري.

قَالَ: وكان منصور بن المهدي يريه أنه ينصح له، فجاء وقد قام محمد يتوضأ، وعلمت ان محمدا سيعقبني بشر ندامة على ما خرج من يديه، فأقبل علي منصور ومحمد غائب عن المجلس، وقد بلغه الخبر، فقال: يا بن الفاعلة، تخدع أمير المؤمنين، فتأخذ متاعه! والله لقد هممت أفعل وأفعل، فقلت:

يا سيدي، قد كان ذاك، وكان السبب فيه كذا وكذا، فإن احببت ان تقتلني فتأثم فشأنك، وإن تفضلت فأهل لذلك أنت، ولست أعود قَالَ:

فإني أتفضل عليك قَالَ: وجاء محمد، فقال: افرشوا لنا على تلك البركة، ففرشوا له عليها، فجلس وجلسنا وهي مملوءة ماء، فقال: يا عم، اشتبهت أن اصنع شيئا، أرمي بعبيد الله إلى البركة وتضحك منه قَالَ: يا سيدي إن فعلت هذا قتلته لشدة برد الماء وبرد يومنا هذا، ولكني أدلك على شيء خيرت به، طيب، قَالَ: ما هو؟ قَالَ: تأمر به يشد في تحت، وي طرح على باب المتوضأ، ولا يأتي باب المتوضأ أحد إلا بال على رأسه فقال: طيب والله، ثم أتى بتخت فأمر فشددت فيه، ثم أمر فحملت والقيت على باب المتوضأ، وجاء الخدم فأرخوا الرباط عني، وأقبلوا يرونه أنهم يبولون علي وأنا أصرخ، فكث بذلك ما شاء الله وهو يضحك ثم أمر بي فخلت وأريته أني تنظفت وأبدلت ثيابي وجاوزت عليه وذكر عن عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع عن أبيه وكان حاجب المخلوع- قَالَ: كنت قائما على رأسه، فأتي بغداء فتغدى وحده، وأكل أكلا عجيبا، وكان يوما يعد للخلفاء قبله على هيئة ما كان يهيا لكل واحد منهم يأكل من كل طعام، ثم يؤتى بطعامه قَالَ: فأكل حتى فرغ ثم رفع رأسه إلى أبي العنبر- خادم كان لأمه- فقال: اذهب إلى المطبخ، فقل لهم يهئون لي بزماءورد، ويتركوه طوالا لا يقطعونه، ويكون حشوة شحوم الدجاج والسمن والبقل والبيض والجبن والزيتون والجوز، ويكثر من ويحجلونه، فما مكث إلا يسيرا حتى جاءوا به في خوان مربع، وقد جعل عليه البزماءورد الطوال، على هيئة القبة العبد صمدية، حتى صير أعلاها بزماءوردة واحدة، فوضع بين يديه، فتناول واحدة فأكلها، ثم لم يزل كذلك حتى لم يبق على الخوان شيئا.

وذكر عن علي بن محمد أن جابر بن مصعب حدثه، قَالَ: حدثني مخارق، قَالَ: مرت بي ليلة ما مرت بي مثلها قط، إني لفي منزلي بعد ليل،

إذ أتاني رسول محمد- وهو خليفة- فركض بي ركضا، فانتهى بي إلى داره، فأدخلت فإذا إبراهيم بن المهدي قد أرسل إليه كما أرسل إلي، فوافينا جميعا، فانتهى إلى باب مفض إلى صحن، فإذا الصحن مملوء شمعا من شمع محمد العظام، وكأن ذلك الصحن في نهار، وإذا محمد في كرج، وإذا الدار مملوءة وصائف وخداما، وإذا اللعابون يلعبون، ومحمد وسطهم في الكرج يرقص فيه، فجاءنا رسول يقول: قَالَ لكما: قوما في هذا الموضع على هذا الباب مما يلي الصحن، ثم ارفعا أصواتكما معبرا ومقصرا عن السورناني، واتبعا في لحنة قَالَ: وإذا

السورناني والجواري واللعايون في شيء واحد:
هذي دنانير تنساني واذكرها.

تبع الزمار قال: فوالله ما زلت وإبراهيم قائمين نقولها، نشق بها حلوقنا حتى انفلق الصبح، ومحمد في الكرج ما يسأمه ولا يمله حتى أصبح
يدنو منا، أحيانا نراه، وأحيانا يحول بيننا وبينه الجواري والخدم.
وذكر الحسين بن فراس مولى بني هاشم، قال: غزا الناس في زمان محمد على أن يرد عليهم الخمس، فرد عليهم، فأصاب الرجل ستة
دنانير، وكان ذلك مالا عظيما.
وذكر عن ابن الإعرابي، قال: كنت حاضر الفضل بن الربيع، وأتي بالحسن بن هاني، فقال: رفع إلى أمير المؤمنين إنك زنديق، فجعل
يبرأ من ذلك ويحلف، وجعل الفضل يكرر عليه، وسأله أن يكلم الخليفة فيه، ففعل وأطلقه، فخرج وهو يقول:

أهلي أتيتكم من القبر ... والناس محتبسون للحشر

لولا أبو العباس ما نظرت ... عيني إلى ولد ولا وفر

فالله ألبسني به نعما ... شغلت حسابتها يدي شكري

لقتها من مفهم فهم ... فمدتها بأنامل عشر

وذكر عن الرياشي أن أبا حبيب الموشى حدثه، قال: كنت مع مؤنس ابن عمران، ونحن نريد الفضل بن الربيع ببغداد، فقال لي مؤنس:
لو دخلنا على أبي نواس! فدخلنا عليه السجن، فقال لمؤنس: يا أبا عمران، أين تريد؟
قال: أردت أبا العباس الفضل بن الربيع، قال: فتبلغه رقعة أعطيكمها؟
قال: نعم، قال: فأعطاه رقعة فيها:

ما من يد في الناس واحدة ... إلا أبو العباس مولاها

نام الثقات على مضاجعهم ... وسرى إلى نفسي فأحياها

قد كنت خفتك ثم أمني ... من أن أخافك خوفك الله

فغفوت عني عفو مقتدر ... وجبت له نعم فألغاها

قال: فكانت هذه الأبيات سبب خروجه من الحبس وذكر عن محمد بن خالد الشروي، قال: حدثني أبي قال: سمع محمد شعر أبي نواس
وقوله:

ألا سقني خمرا وقل لي هي الخمر.

وقوله:

اسقنيها يا ذفافه ... مزة الطعم سلافه

ذل عندي من قلاها ... لرجاء أو مخافه

مثل ما ذلت وضاعت ... بعد هارون الخلافه

قال: ثم أنشد له:

فجاء بها زيتية ذهبية ... فلم نستطع دون السجود لها صبرا

قال: فحبسه محمد على هذا، وقال: إيه! أنت كافر، وأنت زنديق.

فكتب في ذلك إلى الفضل بن الربيع:

أنت يا بن الربيع علمتني الخير ... وعودتني والخير عاده

فارعوى باطلا وأقصر جهلي ... وأظهرت رهبة وزهاده

لو تراني شبت بي الحسن البصري ... في حال نسكه وقتاده

بركوع أزيته بسجود ... واصفرار مثل اصفرار الجراده

فادع بي لا عدمت تقويم مثلي ... فتأمل بعينك السجاده

لو رآها بعض المرائين يوما ... لا اشتراها يعدها للشهادة.

٨٠٥٢٠٧ خلافة المأمون عبد الله بن هارون

خلافة المأمون عبد الله بن هارون

وفي هذه السنة وضعت الحرب - بين محمد وعبد الله ابني هارون الرشيد - أوزارها، واستوسق الناس بالمشرق والعراق والحجاز لعبد الله المأمون بالطاعة.

وفيها خرج الحسن بن الهرش في ذي الحجة منها يدعو إلى الرضى من آل محمد - بزعمه - في سفلة الناس، وجماعة كثيرة من الأعراب، حتى أتى النيل، فجفى الأموال، وأغار على التجار، وانتهب القرى، واستاق المواشي.

وفيها ولى المأمون كل ما كان طاهر بن الحسين افتتحه من كور الجبال وفارس والأهواز والبصرة والكوفة والحجاز واليمن الحسن بن سهل أخا الفضل ابن سهل، وذلك بعد مقتل محمد الخلع ودخول الناس في طاعة المأمون.

وفيها كتب المأمون إلى طاهر بن الحسين، وهو مقيم ببغداد بتسليم جميع ما بيده من الأعمال في البلدان كلها إلى خلفاء الحسن بن سهل، وأن يشخص عن ذلك كله إلى الرقة، وجعل إليه حرب نصر بن شيبث وولاه الموصل والجزيرة والشام والمغرب.

وفيها قدم علي بن أبي سعيد العراق خليفة للحسن بن سهل على خراجها، فدافع طاهر عليا بتسليم الخراج إليه، حتى وفى الجند أرزاقهم، فلما وفاهم سلم إليه العمل.

وفيها كتب المأمون إلى هرثمة يأمره بالشخص إلى خراسان.

وجج بالناس في هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي

٨٠٥٣ سنة تسع وتسعين ومائه

٨٠٥٣٠١ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث المشهورة

٨٠٥٣٠٢ ذكر الخبر عن سبب خروج محمد بن ابراهيم بن طباطبا

ثم دخلت

سنة تسع وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث المشهورة

فمن ذلك قدوم الحسن بن سهل فيها ببغداد من عند المأمون، وإليه الحرب والخراج، فلما قدما فرق عماله في الكور والبلدان.

وفيها شخص طاهر إلى الرقة في جمادى الأولى، ومعه عيسى بن محمد بن أبي خالد وفيها شخص أيضا هرثمة إلى خراسان.

وفيها خرج أزهر بن زهير بن المسيب إلى الهرش، فقتله في الحرم.

وفيها خرج بالكوفة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب يوم الخميس لعشر خلون من

جمادى الآخرة يدعو إلى الرضى من آل محمد والعمل بالكتاب والسنة، وهو الذي يقال له ابن طباطبا، وكان القيم بأمره في الحرب

وتدبيرها وقيادة جيوشه ابو السرايا، واسمه السري بن منصور، وكان يذكر أنه من ولد هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود بن عامر بن

عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان.

ذكر الخبر عن سبب خروج محمد بن إبراهيم بن طباطبا

اختلف في ذلك، فقال بعضهم: كان سبب خروجه صرف المأمون طاهر ابن الحسين عما كان إليه من أعمال البلدان التي فتحها

وتوجيهه إلى ذلك الحسن بن سهل، فلما فعل ذلك تحدث الناس بالعراق بينهم أن الفضل بن سهل قد غلب على المأمون، وأنه قد انزله

قصرًا حجب فيه عن أهل بيته ووجوه قواده من الخاصة والعامة، وأنه يبرم الأمور على هواه، ويستبد بالرأي دونه.

فغضب لذلك بالعراق من كان بها من بني هاشم ووجوه الناس، وأنفوا من

٨٠٥٣.٣ ذكر الوقعة بين اهل الكوفة وزهير بن المسيب

غلبة الفضل بن سهل على المأمون، واجتروا على الحسن بن سهل بذلك، وهاجت الفتن في الأمصار، فكان أول من خرج بالكوفة ابن طباطبا الذي ذكرت.

وقيل كان سبب خروجه أن أبا السرايا كان من رجال هرثمة، فطله بأرزاقه وأخره بها، فغضب أبو السرايا من ذلك، ومضى إلى الكوفة فباع محمد بن ابراهيم وأخذ الكوفة، واستوسق له أهلها بالطاعة، وأقام محمد بن إبراهيم بالكوفة، وأتاه الناس من نواحي الكوفة والاعراب وغيرهم.

ذكر الوقعة بين أهل الكوفة وزهير بن المسيب

وفيها وجه الحسن بن سهل زهير بن المسيب في أصحابه إلى الكوفة- وكان عامل الكوفة يومئذ حين دخلها ابن طباطبا سليمان بن أبي جعفر المنصور- من قبل الحسن بن سهل، وكان خليفة سليمان بن أبي جعفر بها خالد بن مجمل الضبي- فلما بلغ الخبر الحسن بن سهل عن سليمان وضعفه، ووجه زهير بن المسيب في عشرة آلاف فارس وراجل، فلما توجه إليهم وبلغهم خبر شخوصه إليهم تهيئوا للخروج إليه، فلم تكن لهم قوة على الخروج، فأقاموا حتى إذا بلغ زهير قرية شاهی خرجوا فأقاموا حتى إذا بلغوا القنطرة أتاهاهم زهير، فنزل عشية الثلاثاء صعبا، ثم واقعهم من الغد فهزموه واستباحوا عسكره، وأخذوا ما كان معه من مال وسلاح ودواب وغير ذلك يوم الأربعاء. فلما كان من غد اليوم الذي كانت فيه الوقعة بين اهل الكوفة وزهير ابن المسيب- وذلك يوم الخميس لليلة خلت من رجب سنة تسع وتسعين ومائة- مات محمد بن إبراهيم بن طباطبا فجاءه، فذكر أن أبا السرايا سمع، وكان السبب في ذلك- فيما ذكر- أن ابن طباطبا لما أحرز ما في عسكر زهير من المال والسلاح والدواب وغير ذلك منعه أبا السرايا، وحظره عليه، وكان الناس له مطيعين، فعلم أبو السرايا أنه لا أمر له معه فسمه، فلما مات ابن طباطبا أقام أبو السرايا مكانه غلاما أمرد حدثا يقال له محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فكان أبو السرايا هو الذي ينفذ

الأمر، ويولي من رأى، ويعزل من أحب، وإليه الأمور كلها، ورجع زهير من يومه الذي هزم فيه إلى قصر ابن هبيرة، فأقام به وكان الحسن بن سهل قد وجه عبدوس بن محمد بن أبي خالد المروزي إلى النيل حين وجه زهير إلى الكوفة، فخرج بعد ما هزم زهير عبدوس يريد الكوفة بأمر الحسن بن سهل، حتى بلغ الجامع هو وأصحابه، وزهير مقيم بالقصر، فتوجه أبو السرايا إلى عبدوس، فواقعه بالجامع، يوم الأحد لثلاث عشرة بقيت من رجب فقتله، وأسر هارون بن محمد بن أبي خالد، واستباح عسكره وكان عبدوس- فيما ذكر- في أربعة آلاف فارس، فلم يفلت منهم أحد، كانوا بين قتيل وأسير، وانتشر الطالبيون في البلاد، وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة، ونقش عليها: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِيَانٌ مَرُصُوصٌ»، ولما بلغ زهيراً قتل أبي السرايا عبدوسا وهو بالقصر، انحاز بمن معه إلى نهر الملك.

ثم إن أبا السرايا أقبل حتى نزل قصر ابن هبيرة بأصحابه، وكانت طلائعته تأتي كوثى ونهر الملك، فوجه أبو السرايا جيوشا إلى البصرة وواسط فدخلوها، وكان بواسط ونواحيها عبد الله بن سعيد الحرشي واليا عليها من قبل الحسن ابن سهل، فواقعه جيش أبي السرايا قريبا من واسط فهزموه، فانصرف راجعا إلى بغداد، وقد قتل من أصحابه جماعة وأسر جماعة فلما رأى الحسن ابن سهل أن أبا السرايا ومن معه لا يلقون له عسكرا إلا هزموه، ولا يتوجهون إلى بلدة إلا دخلوها، ولم يجد فيمن معه من القواد من يكفيه حربه، اضطروا إلى هرثمة- وكان هرثمة حين قدم عليه الحسن بن سهل العراق واليا عليها من قبل المأمون، سلم ما كان بيده من الأعمال، وتوجه نحو خراسان مغاضبا للحسن، فسار حتى بلغ حلوان- فبعث إليه السندي وصالحا صاحب المصلى يسأله الانصراف إلى بغداد لحرب أبي السرايا، فامتنع وأبى وانصرف الرسول إلى الحسن ببائته، فأعاد إليه السندي بكتب لطيفة، فأجاب، وانصرف إلى بغداد، فقدمها في شعبان، فتهيأ للخروج إلى الكوفة، وأمر الحسن بن سهل علي بن أبي سعيد أن يخرج إلى ناحية المدائن وواسط والبصرة،

فتبيثوا لذلك.

وبلغ الخبر أبا السرايا وهو بقصر ابن هبيرة، فوجه إلى المدائن، فدخلها أصحابه في رمضان، وتقدم هو بنفسه وبمن معه حتى نزل نهر صرصر مما يلي طريق الكوفة في شهر رمضان وكان هرثمة لما احتبس قدومه على الحسن ببغداد أمر المنصور بن المهدي أن يخرج فيعسكر بالياسرية إلى قدوم هرثمة، فخرج فعسكر، فلما قدم هرثمة خرج فعسكر بالسفينتين بين يدي منصور، ثم مضى حتى عسكر بنهر صرصر بإزاء أبي السرايا، والنهر بينهما، وكان على ابن أبي سعيد معسكرا بكلواذي، فشخص يوم الثلاثاء بعد الفطر بيوم، ووجه مقدمته إلى المدائن، فقاتل بها أصحاب أبي السرايا غداة الخميس إلى الليل قتالا شديدا فلما كان الغد غدا وأصحابه على القتال فأنكشف أصحاب أبي السرايا وأخذ ابن أبي سعيد المدائن وبلغ الخبر أبا السرايا وأخذ ابن أبي سعيد المدائن، فلما كان ليلة السبت لخمس خلون من شوال رجع أبو السرايا من نهر صرصر إلى قصر ابن هبيرة، فنزل به، وأصبح هرثمة فجذ في طلبه، فوجد جماعة كثيرة من أصحابه فقتلهم، وبعث برءوسهم إلى الحسن ابن سهل، ثم صار هرثمة إلى قصر ابن هبيرة، فكانت بينه وبين أبي السرايا وقعة قتل فيها من أصحاب أبي السرايا خلق كثير، فأنحاز أبو السرايا إلى الكوفة، فوثب محمد بن محمد ومن معه من الطالبين على دور بني العباس ودور مواليهم وأتباعهم بالكوفة، فأنهبوها وخربوها وأخرجوهم من الكوفة، وعملوا في ذلك عملا قبيحا، واستخرجوا الودائع التي كانت لهم عند الناس فأخذوها وكان هرثمة- فيما ذكر- يخبر الناس أنه يريد الحج، فكان قد حبس من يريد الحج من خراسان والجبال والجزيرة وحاج بغداد وغيرهم، فلم يدع أحدا يخرج، رجاء أن يأخذ الكوفة، ووجه أبو السرايا إلى مكة والمدينة من يأخذهما، ويقم الحج للناس.

وكان الوالي على مكة والمدينة داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وكان الذي وجهه أبو السرايا إلى مكة حسين بن حسن الأفطس بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب والذي وجهه إلى المدينة محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فدخلها ولم يقاتله بها أحد، ومضى حسين بن حسن يريد مكة فلما قرب منها وقف هنيئة لمن فيها وكان داود بن عيسى لما بلغه توجيه أبي السرايا حسين بن حسن إلى مكة لإقامة الحج للناس جمع موالي بني العباس وعبيد حوائطهم، وكان مسرور الكبير الخادم قد حج في تلك السنة في مائتي فارس من أصحابه، فتعبا لحرب من يريد دخول مكة وأخذها من الطالبين، فقال لداود بن عيسى: أقم لي شخصك أو شخص بعض ولدك، وأنا أكفيك قتالهم، فقال له داود: لا أستحل القتال في الحرم، والله لئن دخلوا من هذا الفج لأخرجن من هذا الفج الآخر، فقال له مسرور: تسلم ملكك وسلطانك إلى عدوك ومن لا يأخذه فيك لومة لائم في دينك ولا حرمك ولا مالك! قال له داود: أي ملك لي! والله لقد أقت معهم حتى شيخت فما ولوني ولاية حتى كبرت سني، وفي عمري، فولوني من الحجاز ما فيه القوت، إنما هذا الملك لك وأشباهك، فقاتل إن شئت أو دع فأنحاز داود من مكة إلى ناحية المشاش، وقد شد أثقاله على الإبل، فوجه بها في طريق العراق، وافتعل كتابا من المأمون بتولية ابنه محمد بن داود على صلاة الموسم، فقال له: اخرج فصل بالناس الظهر والعصر بمنى، والمغرب والعشاء، وبت بمنى، وصل بالناس الصبح، ثم اركب دوابك فانزل طريق عرفة، وخذ على يسارك في شعب عمرو، حتى تأخذ طريق المشاش، حتى تلحقني ببستان ابن عامر.

ففعل ذلك، واقترب الجمع الذي كان داود بن عيسى معهم بمكة من موالي بني العباس وعبيد الحوائط، وفت ذلك في عضد مسرور الخادم، وخشي إن قاتلهم أن يميل أكثر الناس معهم، فخرج في أثر داود راجعا إلى العراق، وبقي الناس بعرفة، فلما زالت الشمس وحضرت الصلاة، تدافعها قوم من أهل مكة، فقال أحمد بن محمد بن الوليد الردي- وهو المؤذن وقاضي الجماعة والإمام بأهل المسجد الحرام: إذ لم تحضر الولاية- لقاضي مكة محمد بن عبد الرحمن

الخزومي: تقدم فاخطب بالناس، وصل بهم الصلاتين، فإنك قاضي البلد.

قال: فلن أخطب وقد هرب الإمام، وأطل هؤلاء القوم على الدخول! قال: لا تدع لأحد، قال له محمد: بل أنت فتقدم واخطب، وصل بالناس، فأبى، حتى قدموا رجلا من عرض أهل مكة، فصلى بالناس الظهر والعصر بلا خطبة، ثم مضوا فوقفوا جميعا بالموقف من عرفة حتى غربت الشمس، فدفع الناس لأنفسهم من عرفة بغير إمام، حتى أتوا مزدلفة، فصلى بهم المغرب والعشاء رجل أيضا من عرض الناس وحسين بن حسن يتوقف بسرف يهرب أن يدخل مكة، فيدفع عنها ويقاتل دونها، حتى خرج إليه قوم من أهل

مكة ممن يميل إلى الطالبين، ويتخوف من العباسيين، فأخبروه أن مكة ومنى وعرفة قد خلت ممن فيها من السلطان، وأنهم قد خرجوا متوجهين إلى العراق.

فدخل حسين بن حسن مكة قبل المغرب من يوم عرفة، وجميع من معه لا يبلغون عشرة، فطافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة، ومضوا إلى عرفة في الليل، فوقفوا بها ساعة من الليل، ثم رجع إلى مزدلفة فصلى بالناس الفجر، ووقف على قرح، ودفع بالناس منه. وأقام بمنى أيام الحج، فلم يزل مقيما حتى انقضت سنة تسع وتسعين ومائة، وأقام محمد بن سليمان بن داود الطالبي بالمدينة السنة أيضا، فانصرف الحاج ومن كان شهد مكة والموسم، على أن أهل الموسم قد أفاضوا من عرفة بغير إمام.

وقد كان هرثمة لما تخوف أن يفوته الحج - وقد نزل قرية شاهي - واقع أبا السرايا وأصحابه في المكان الذي واقعه فيه زهير، فكانت الهزيمة على هرثمة في أول النهار، فلما كان آخر النهار كانت الهزيمة على أصحاب أبي السرايا، فلما رأى هرثمة أنه لم يصبر إلى ما أراد، أقام بقرية شاهي، ورد الحاج وغيرهم، وبعث إلى المنصور بن المهدي فأثابه بقرية شاهي، وصار يكاتب رؤساء أهل الكوفة، وقد كان علي بن أبي سعيد لما أخذ المدائن توجه إلى واسط فأخذها، ثم إنه توجه إلى البصرة فلم يقدر على أخذها حتى انقضت سنة تسع وتسعين ومائة.

٨٠٥٤ سنة مائتين

٨٠٥٤.١ ذكر الخبر عن هرب أبي السرايا وما آل إليه امره

ثم دخلت

سنة مائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر الخبر عن هرب أبي السرايا وما آل إليه امره

فما كان فيها من ذلك هرب أبي السرايا من الكوفة ودخول هرثمة إليها.

ذكر أن أبا السرايا هرب هو ومن معه من الطالبين من الكوفة ليلة الأحد لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرم من سنة مائتين، حتى أتى القادسية ودخل منصور ابن المهدي وهرثمة الكوفة صبيحة تلك الليلة، وآمنوا أهلها، ولم يعرضوا لأحد منهم، فأقاموا بها يومهم إلى العصر، ثم رجعوا إلى معسكرهم، وخلفوا بها رجلا منهم يقال له غسان بن أبي الفرج أبو إبراهيم بن غسان صاحب حرس صاحب خراسان، فنزل في الدار التي كان فيها محمد بن محمد وأبو السرايا ثم أن أبا السرايا خرج من القادسية هو ومن معه حتى أتوا ناحية واسط، وكان بواسط علي بن أبي سعيد، وكانت البصرة بيد العلويين بعد، فجاء أبو السرايا حتى عبر دجلة أسفل من واسط، فأتى عبدسي، فوجد بها مالا كان حمل من الأهواز، فأخذه ثم مضى حتى أتى السوس، فترها ومن معه، وأقام بها أربعة أيام، وجعل يعطى الفارس ألفا والراجل خمسمائة، فلما كان اليوم الرابع أتاهم الحسن بن علي الباذغيسي المعروف بالمأموني فأرسل إليهم: اذهبوا حيث شئتم، فإنه لا حاجة لي في قتالكم، وإذا خرجتم من عملي فلست أتبعكم فأبى أبو السرايا إلا القتال، فقاتلهم، فهزمهم الحسن، واستباح عسكرهم، وجرح أبو السرايا جراحة شديدة، فهرب، واجتمع هو ومحمد بن محمد وأبو الشوك، وقد تفرق أصحابهم، فأخذوا ناحية طريق الجزيرة يريدون منزل أبي السرايا برأس العين، فلما انتهوا إلى جلولاء عثر بهم، فأتاهم حماد الكندغوش فأخذهم، فجاء بهم إلى الحسن بن سهل، وكان مقيما بالنهروان

٨٠٥٤.٢ ذكر الخبر عن خروج إبراهيم بن موسى باليمن

حين طردته الحربية، فقدم بأبي السرايا، فضرب عنقه يوم الخميس لعشر خلون من ربيع الاول وذكروا أن الذي تولى ضرب عنقه هارون بن محمد بن أبي خالد، وكان أسيرا في أيدي أبي السرايا وذكروا أنه لم يروا أحدا عند القتل أشد جزعا من أبي السرايا، كان يضطرب بيديه ورجليه، ويصيح أشد ما يكون من الصياح، حتى جعل في رأسه حبل، وهو في ذلك يضطرب ويلتوي ويصيح، حتى

ضربت عنقه ثم بعث برأسه فطيف به في عسكر الحسن بن سهل، وبعث بجسده إلى بغداد، فصلب نصفين على الجسر، في كل جانب نصف، ٤ وكان بين خروجه بالكوفة وقتله عشرة أشهر.

وكان علي بن أبي سعيد حين عبر أبو السرايا توجه إليه، فلما فاته توجه إلى البصرة فافتتحها والذي كان بالبصرة من الطالبين زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ومعه جماعة من أهل بيته، وهو الذي يقال له زيد النار- وإنما سمي زيد النار لكثرة ما حرق من الدور بالبصرة من دور بني العباس وأتباعهم، وكان إذا أتى برجل من المسودة كانت عقوبته عنده أن يحرقه بالنار- وانتهبوا بالبصرة أموالا، فأخذه علي بن أبي سعيد أسيرا وقيل إنه طلب الأمان فأمنه وبعث علي بن أبي سعيد ممن كان معه من القواد عيسى بن يزيد الجلودي وورقاء بن جميل وحمويه بن علي بن عيسى بن ماهان وهارون بن المسيب إلى مكة والمدينة واليمن، وأمرهم بحاربة من بها من الطالبين وقال التيمي في قتل الحسن بن سهل أبا السرايا:

ألم تر ضربة الحسن بن سهل ... بسيفك يا أمير المؤمنين

أدارت مرو رأس أبي السرايا ... وأبقت عبرة للعابرينا

وبعث الحسن بن سهل محمد بن محمد حين قتل أبو السرايا إلى المأمون بخراسان

. ذكر الخبر عن خروج إبراهيم بن موسى باليمن

وفي هذه السنة خرج إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب باليمن

٨٠٥٤٣ ذكر ما فعله الحسين بن الحسن الأفطس بمكة

ذكر الخبر عنه وعن أمره:

وكان إبراهيم بن موسى- فيما ذكر- وجماعة من أهل بيته بمكة حين خرج أبو السرايا وأمره وأمر الطالبين بالعراق ما ذكر وبلغ إبراهيم بن موسى خبرهم، فخرج من مكة مع من كان معه من أهل بيته يريد اليمن، ووالي اليمن يومئذ المقيم بها من قبل المأمون إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فلما سمع بإقبال إبراهيم بن موسى العلوي وقربه من صنعاء، خرج منصرفا عن اليمن، في الطريق النجدية بجميع من في عسكره من الخيل والرجل، وخلي لإبراهيم بن موسى بن جعفر اليمن وكره قتاله، وبلغه ما كان من فعل عمه داود بن عيسى بمكة والمدينة، ففعل مثل فعله، وأقبل يريد مكة، حتى نزل المشاش، فعسكر هناك، وأراد دخول مكة، فمنعه من كان بها من العلويين، وكانت أم إسحاق بن موسى بن عيسى متوارية بمكة من العلويين، وكانوا يطلبونها فتوالت منهم، ولم يزل إسحاق بن موسى معسكرا بالمشاش، وجعل من كان بمكة مستخفيا يتسللون من رؤوس الجبال، فأتوا بها ابنها في عسكره وكان يقال لإبراهيم بن موسى:

الجزار، لكثرة من قتل باليمن من الناس وسي وأخذ من الأموال

. ذكر ما فعله الحسين بن الحسن الأفطس بمكة

وفي هذه السنة في أول يوم من المحرم منها بعد ما تفرق الحاج من مكة جلس حسين بن حسن الأفطس خلف المقام على ثمرقة مثنية، فأمر بثياب الكعبة التي عليها فجردت منها حتى لم يبق عليها من كسوتها شيئا، وبقيت حجارة مجردة، ثم كساها ثوبين من قز رقيق، كان أبو السرايا وجه بهما معه مكتوب عليهما: أمر به الأصفر بن الأصفر أبو السرايا داعية آل محمد، لكسوة بيت الله الحرام، وأن يطرح عنه كسوة الظلمه من ولد العباس، لتظهر من كسوتهم وكتب في سنة تسع وتسعين ومائة.

ثم أمر حسين بن حسن بالكسوة التي كانت على الكعبة فقسمت بين أصحابه من العلويين وأتباعهم على قدر منازلهم عنده، وعمد إلى ما في خزانة

الكعبة من مال فأخذه، ولم يسمع بأحد عنده وديعة لأحد من ولد العباس وأتباعهم إلا هجم عليه في داره، فإن وجد من ذلك شيئا أخذه وعاقب الرجل، وإن لم يجد عنده شيئا حبسه وعذبه حتى يفتدي نفسه بقدر طوله، ويقر عند الشهود أن ذلك للمسودة من بني

العباس وأتباعهم، حتى عم هذا خلقا كثيرا.

وكان الذي يتولى العذاب لهم رجلا من أهل الكوفة يقال له محمد بن مسلمة، كان ينزل في دار خالصة عند الخناطين، فكان يقال لها دار العذاب، وأخافوا الناس، حتى هرب منهم خلق كثير من أهل النعم، فتعقبوهم بهدم دورهم حتى صاروا من أمر الحرم، وأخذ أبناء الناس في أمر عظيم، وجعلوا يحكون الذهب الرقيق الذي في رءوس أساطين المسجد، فيخرج من الأسطوانة بعد التعب الشديد قدر مثقال ذهب أو نحوه، حتى عم ذلك أكثر أساطين المسجد الحرام، وقلعوا الحديد الذي على شبائك زمزم، ومن خشب الساج، فبيع بالثمن الخسيس فلما رأى حسين بن حسن ومن معه من أهل بيته تغير الناس لهم بسيرتهم، وبلغهم أن أبا السرايا قد قتل، وأنه قد طرد من الكوفة والبصرة وكور العراق من كان بها من الطالبيين، ورجعت الولاية بها لولد العباس، اجتمعوا إلى محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب- وكان شيخا وداعا محبا في الناس، مفارقا لما عليه كثير من أهل بيته من قبح السيرة، وكان يروي العلم عن أبيه جعفر بن محمد، وكان الناس يكتبون عنه، وكان يظهر سمنا وزهدا- فقالوا له: قد تعلم حالك في الناس، فأبرز شخصك نبايع لك بالخلافة، فإنك إن فعلت ذلك لم يختلف عليك رجلان، فأبى ذلك عليهم، فلم يزل به ابنه علي بن محمد بن جعفر وحسين بن حسن الأفضس حتى غلبا الشيخ على رأيه، فأجابهم فأقاموه يوم صلاة الجمعة بعد الصلاة لست خلون من ربيع الآخر، فباعوه بالخلافة، وحشروا إليه الناس من أهل مكة والمجاورين، فباعوه طوعا وكرها، وسموه بإمرة المؤمنين، فأقام بذلك أشهرا، وليس له من الأمر إلا اسمه، وابنه علي وحسين بن حسن وجماعة منهم أسوأ ما كانوا سيرة، وأقبح ما كانوا فعلا، فوثب حسين بن حسن على امرأة من قريش من بني فهر- وزوجها رجل من بني مخزوم، وكان لها

جمال بارع- فأرسل إليها لتأتيه، فامتنعت عليه، فأخاف زوجها وأمر بطلبها فتواتر منه، فأرسل ليلا جماعة من أصحابه فكسروا باب الدار، واغتصبوها نفسها، وذهبوا بها إلى حسين، فلبثت عنده إلى قرب خروجه من مكة، فهربت منه، ورجعت إلى أهلها وهم يقاتلون بمكة ووثب علي بن محمد بن جعفر على غلام من قريش، ابن قاض بمكة يقال له إسحاق بن محمد، وكان جميلا بارعا في الجمال- فاقتحم عليه بنفسه نهارا جهارا في داره على الصفا مشرفا على المسعى، حتى حمله على فرسه في السرج وركب علي بن محمد على عجز الفرس، وخرج به يشق السوق حتى أتى بئر ميمون- وكان ينزل في دار داود بن عيسى في طريق منى- فلما رأى ذلك أهل مكة ومن بها من المجاورين، خرجوا فاجتمعوا في المسجد الحرام، وغلقت الدكاكين، ومال معهم أهل الطواف بالكعبة، حتى أتوا محمد بن جعفر بن محمد، وهو نازل دار داود، فقالوا: والله لنخلعنك ولنقتلك، أو تردن إلينا هذا الغلام الذي ابنك أخذه جهرة فأغلق باب الدار، وكلهم من الشباك الشارع في المسجد، فقال: والله ما علمت، وأرسل إلى حسين بن حسن يسأله أن يركب إلى ابنه علي فيستنقذ الغلام منه فأبى ذلك حسين، وقال: والله إنك لتعلم أني لا أقوى على ابنك، ولو جئت لقاتلني وحاربي في أصحابه فلما رأى ذلك محمد قال لأهل مكة: آمنوني حتى أركب إليه وأخذ الغلام منه فأمنوه وأذنوا له في الركوب، فركب بنفسه حتى صار إلى ابنه، فأخذ الغلام منه وسلمه إلى أهله قال: فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى أقبل إسحاق بن موسى بن عيسى العباسي مقبلا من اليمن حتى نزل المشاش، فاجتمع العلويون إلى محمد بن جعفر بن محمد، فقالوا له: يا أمير المؤمنين، هذا إسحاق بن موسى مقبلا إلينا في الخيل والرجال، وقد رأينا أن نخندق خندقا بأعلى مكة، وتبرز شخصك ليراك الناس ويحاربوا معك وبعثوا إلى من حولهم من الأعراب، وفرضوا لهم، وخندقوا على مكة ليقاتلوا إسحاق بن موسى من ورائه، فقاتلهم إسحاق أياما ثم أن إسحاق كره القتال والحرب، وخرج يريد العراق، فلقه ورقاء بن جميل في أصحابه ومن كان معه من اصحاب الجلودي، فقالوا:

ارجع معنا إلى مكة ونحن نكفيك القتال فرجع معهم حتى أتوا مكة

فنزلا المشاش واجتمع إلى محمد بن جعفر من كان معه من غوغائها، ومن سودان أهل المياه، ومن فرض له من الأعراب، فعبأهم ببئر ميمون، وأقبل إليهم إسحاق بن موسى وورقاء بن جميل بمن معه من القواد والجند، فقاتلهم ببئر ميمون، فوقع بينهم قتلى وجراحات ثم رجع إسحاق وورقاء إلى معسكرهم، ثم عاودهم بعد ذلك بيوم فقاتلهم، فكانت الهزيمة على محمد بن جعفر وأصحابه، فلما رأى ذلك محمد،

بعث رجالا من قريش فيهم قاضي مكة يسألون لهم الأمان، حتى يخرجوا من مكة، ويذهبوا حيث شاءوا، فأجابهم إسحاق وورقاء بن جميل إلى ذلك، وأجلوهم ثلاثة أيام، فلما كان في اليوم الثالث، دخل إسحاق وورقاء إلى مكة في جمادى الآخرة وورقاء الوالي على مكة للجلودي، وتفرق الطالبون من مكة، فذهب كل قوم ناحية، فأما محمد بن جعفر فأخذ ناحية جده، ثم خرج يريد الجحفة، فعرض له رجل من موالي بني العباس يقال له محمد بن حكيم بن مروان، قد كان الطالبون انتهبوا داره بمكة، وعذبه عذابا شديدا، وكان يتوكل لبعض العباسيين بمكة لآل جعفر بن سليمان، فجمع عبيد الحوائط من عبيد العباسيين حتى لحق محمد بن جعفر بين جدة وعسفان، فانتهب جميع ما معه مما خرج به من مكة، وجرده حتى تركه في سراويل، وهم بقتله، ثم طرح عليه بعد ذلك قيصا وعمامة ورداء ودرهمات يتسبب بها، فخرج محمد بن جعفر حتى أتى بلاد جهينة على الساحل، فلم يزل مقيما هنالك حتى انقضى الموسم، وهو في ذلك يجمع الجموع وقد وقع بينه وبين هارون بن المسيب والي المدينة وقعات عند الشجرة وغيرها، وذلك أن هارون بعث ليأخذه، فلما رأى ذلك أثاره بمن اجتمع حتى بلغ الشجرة، فخرج إليه هارون فقاتله، فهزم محمد بن جعفر، وفقت عينه بنشابة، وقتل من أصحابه بشر كثير، فرجع حتى أقام بموضعه الذي كان فيه ينتظر ما يكون من أمر الموسم، فلم يأت من كان وعده فلما رأى ذلك وانقضى الموسم، طلب الأمان من الجلودي ومن رجاء ابن عم الفضل بن سهل، وضمن له رجاء على المأمون وعلى الفضل بن سهل ألا يهاج، وأن يوفي له بالأمان، فقبل ذلك ورضيه، ودخل به إلى مكة، يوم الأحد بعد النفر الأخير بثمانية أيام لعشر بقين من ذي الحجة، فأمر عيسى بن يزيد

الجلودي ورجاء بن أبي الضحاك ابن عم الفضل بن سهل بالمنبر، فوضع بين الركن والمقام حيث كان محمد بن جعفر يبيع له فيه، وقد جمع الناس من القرشيين وغيرهم، فصعد الجلودي رأس المنبر، وقام محمد بن جعفر تحته بدرجة، وعليه قباء أسود وقلنسوة سوداء، وليس عليه سيف ليخلع نفسه. ثم قام محمد، فقال:

أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب، فإنه كان لعبد الله عبد الله أمير المؤمنين في رقبتى بيعة بالسمع والطاعة، طائعا غير مكروه، وكنت أحد الشهود الذين شهدوا في الكعبة في الشرطين لهارون الرشيد على ابنه: محمد المخلوع وعبد الله المأمون أمير المؤمنين ألا وقد كانت فتنة غشيت عامة الأرض منا ومن غيرنا وكان غمي إلي خبر، أن عبد الله عبد الله المأمون أمير المؤمنين كان توفي، فدعاني ذلك إلى أن بايعوا لي بإمرة المؤمنين، واستحللت قبول ذلك لما كان علي من العهود والمواثيق في بيعتي لعبد الله عبد الله الإمام المأمون، فبايعتموني - أو من فعل منكم - ألا وقد بلغني وصح عندي أنه حي سوي ألا وإني أستغفر الله مما دعوتكم إليه من البيعة، وقد خلعت نفسي من بيعتي التي بايعتموني عليها، كما خلعت خاتمي هذا من أصبعي، وقد صرت كرجل من المسلمين فلا بيعة لي في رقابهم، وقد أخرجت نفسي من ذلك، وقد رد الله الحق إلى الخليفة المأمون عبد الله عبد الله المأمون أمير المؤمنين، والحمد لله رب العالمين، والصلاة على محمد خاتم النبيين والسلام عليكم أيها المسلمون ثم نزل فخرج به عيسى بن يزيد الجلودي إلى العراق، واستخلف على مكة ابنه محمد بن عيسى في سنة إحدى ومائتين، وخرج عيسى ومحمد بن جعفر حتى سلمة إلى الحسن بن سهل، فبعث به الحسن بن سهل إلى المأمون بمرو مع رجاء بن أبي الضحاك.

وفي هذه السنة وجه إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد الطالبي بعض ولد عقيل بن أبي طالب من اليمن في جند كثيف إلى مكة ليحج بالناس، فحورب العقيلي فهزم، ولم يقدر على دخول مكة.

٨٠٥٤٠٤ ذكر الخبر عن امر ابراهيم والعقيلي الذي ذكرنا امره

ذكر الخبر عن امر ابراهيم والعقيلي الذي ذكرنا أمره

ذكر أن أبا إسحاق بن هارون الرشيد حج بالناس في سنة مائتين، فسار حتى دخل مكة، ومعه قواد كثير، فيهم حمدويه بن علي بن عيسى

بْنُ مَاهَانَ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ عَلَى الْيَمَنِ، وَدَخَلُوا مَكَّةَ، وَبِهَا الْجُلُودِي فِي جَنْدِهِ وَقَوَادِهِ، وَوَجَّهَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعُلُويِّ مِنَ الْيَمَنِ رَاجِلًا مِنْ وَلَدِ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَحْجِيَ بِالنَّاسِ، فَلَمَّا صَارَ الْعَقِيلِيُّ إِلَى بَيْسْتَانَ ابْنِ عَامِرٍ، بَلَغَهُ أَنَّ أَبَا إِسْحَاقَ بْنَ هَارُونَ الرَّشِيدَ قَدْ وَلِيَ الْمَوْسِمَ، وَأَنَّ مَعَهُ مِنَ الْقَوَادِ وَالْجُنُودِ مَا لَا قَبْلَ لِأَحَدٍ بِهِ، فَأَقَامَ بِبَيْسْتَانَ ابْنَ عَامِرٍ، فَمَرَّتْ بِهِ قَافِلَةٌ مِنَ الْحَاجِّ وَالتَّجَارِ، فِيهَا كَسَوَةُ الْكَعْبَةِ وَطَيِّبُهَا، فَأَخَذَ أَمْوَالَ التَّجَارِ وَكَسَوَةُ الْكَعْبَةِ وَطَيِّبُهَا، وَقَدَّمَ الْحَاجَّ وَالتَّجَارَ مَكَّةَ عَرَاةَ مُسْلِمِينَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا إِسْحَاقَ بْنَ الرَّشِيدِ وَهُوَ نَازِلٌ بِمَكَّةَ فِي دَارِ الْقَوَارِيرِ، فَجَمَعَ إِلَيْهِ الْقَوَادِ فَشَاوَرَهُمْ، فَقَالَ لَهُ الْجُلُودِي - وَذَلِكَ قَبْلَ التَّرْوِيَةِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ! أَنَا أَكْفِيكَهُمْ، أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ فِي خَمْسِينَ مِنْ نَجْدَةِ أَصْحَابِي، وَخَمْسِينَ أُنْتُخِبُوا مِنْ سَائِرِ الْقَوَادِ.

فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ، فَخَرَجَ الْجُلُودِي فِي مِائَةٍ حَتَّى صَبَحَ الْعَقِيلِيُّ وَأَصْحَابَهُ بِبَيْسْتَانَ ابْنَ عَامِرٍ، فَأَحْدَقَ بِهِمْ، فَأَسْرَأَ أَكْثَرَهُمْ وَهَرَبَ مِنْ هَرَبٍ مِنْهُمْ يَسْعَى عَلَى قَدَمَيْهِ، فَأَخَذَ كَسَوَةَ الْكَعْبَةِ إِلَّا شَيْئًا كَانَ هَرَبَ بِهِ مِنْ هَرَبٍ قَبْلَ ذَلِكَ بِيَوْمٍ وَاحِدٍ، وَأَخَذَ الطَّيِّبَ وَأَمْوَالَ التَّجَارِ وَالْحَاجِّ، فَوَجَّهَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ، وَدَعَا بَيْنَ أَسْرَ مِنْ أَصْحَابِ الْعَقِيلِيِّ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَقَنَعَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَشْرَةَ أَسْوَاطٍ، ثُمَّ قَالَ: اعْزَبُوا يَا كِلَابَ النَّارِ، فَوَاللَّهِ مَا قَتَلْتُمْ وَعَرَّ، وَلَا فِي أَسْرَكُمْ جَمَالَ وَخَلَى سَبِيلَهُمْ، فَرَجَعُوا إِلَى الْيَمَنِ يَسْتَطْعَمُونَ فِي الطَّرِيقِ حَتَّى هَلَكَ أَكْثَرُهُمْ جُوعًا وَعَرِيًا.

وَخَالَفَ ابْنَ أَبِي سَعِيدٍ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ، فَبِعَثَ الْمَأْمُونُ بِسَرَّاجِ الْخَادِمِ، وَقَالَ لَهُ: إِنْ وَضَعَ عَلَى يَدِهِ فِي يَدِ الْحَسَنِ أَوْ شَخْصٍ إِلَى بَمُرٍ وَلَا فَاضْرَبَ عُنُقَهُ فَشَخْصٍ إِلَى الْمَأْمُونِ مَعَ هَرِثْمَةَ بْنِ أَعِينٍ. وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ شَخْصَ هَرِثْمَةَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْهَا مِنْ مَعْسِكَرِهِ إِلَى الْمَأْمُونِ بِمُرٍ.

٨٠٥٤٠٥ ذكر الخبر عن شخوص هَرِثْمَةَ إِلَى الْمَأْمُونِ وَمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ فِي مَسِيرِهِ ذَلِكَ

ذَكَرَ الْخَبْرَ عَنْ شَخْصِ هَرِثْمَةَ إِلَى الْمَأْمُونِ وَمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ فِي مَسِيرِهِ ذَلِكَ
ذَكَرَ أَنَّ هَرِثْمَةَ لَمَّا فَرَّغَ مِنْ أَمْرِ أَبِي السَّرَّائِي وَمُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعُلُويِّ، وَدَخَلَ الْكُوفَةَ، أَقَامَ فِي مَعْسِكَرِهِ إِلَى شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، فَلَمَّا أَهْلَ الشَّهْرَ خَرَجَ حَتَّى أَتَى نَهْرَ صَرْصَرٍ، وَالنَّاسُ يَرُونَ أَنَّهُ يَأْتِي الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ بِالْمَدَائِنِ، فَلَمَّا بَلَغَ نَهْرَ صَرْصَرٍ خَرَجَ عَلَى عَقْرِقُوفٍ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى الْبَرْدَانَ، ثُمَّ أَتَى النَّهْرَوَانَ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى خِرَاسَانَ، وَقَدِ انْتَهَى كَتَبَ الْمَأْمُونُ فِي غَيْرِ مَنْزِلٍ، أَنَّ يَرْجِعَ فِئِلِي الشَّامِ أَوْ الْحِجَازِ، فَأَبَى وَقَالَ: لَا أَرْجِعُ حَتَّى أَلْقَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْلَالًا مِنْهُ عَلَيْهِ، لَمَّا كَانَ يَعْرِفُ مِنْ نَصِيحَتِهِ لَهُ وَلَا بَأْثَهُ، وَأَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ الْمَأْمُونُ مَا يَدْبُرُ عَلَيْهِ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ، وَمَا يَكْتُمُ عَنْهُ مِنَ الْأَخْبَارِ، وَأَلَّا يَدْعُهُ حَتَّى يَرُدَّهُ إِلَى بَغْدَادٍ، دَارَ خِلَافَةِ آبَائِهِ وَمُلْكِهِمْ لِيَتَوَسَّطَ سُلْطَانُهُ، وَيَشْرَفَ عَلَى أَطْرَافِهِ فَعَلِمَ الْفَضْلُ مَا يَرِيدُ، فَقَالَ لِلْمَأْمُونِ: إِنْ هَرِثْمَةُ قَدْ أَنْغَلَ عَلَيْكَ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ، وَظَاهَرَ عَلَيْكَ عَدُوَّكَ، وَعَادَى وَلِيَّكَ، وَدَسَّ أَبَا السَّرَّائِي، وَهُوَ جَنْدِيٌّ مِنْ جَنْدِهِ حَتَّى عَمِلَ مَا عَمِلَ، وَلَوْ شَاءَ هَرِثْمَةُ أَلَّا يَفْعَلَ ذَلِكَ أَبُو السَّرَّائِي مَا فَعَلَهُ وَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عِدَّةَ كُتُبٍ، أَنَّ يَرْجِعَ فِئِلِي الشَّامِ أَوْ الْحِجَازِ فَأَبَى، وَقَدْ رَجَعَ إِلَى بَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَاصِيًا مَشَاقًا، يَظْهَرُ الْقَوْلُ الْغَلِيظُ، وَيَتَوَاعَدُ بِالْأَمْرِ الْجَلِيلِ، وَإِنْ أَطْلَقَ هَذَا كَانَ مَفْسَدَةً لَغَيْرِهِ فَأَشْرَبَ قَلْبَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ.

وَأَبْطَأَ هَرِثْمَةُ فِي الْمَسِيرِ فَلَمْ يَصِلْ إِلَى خِرَاسَانَ حَتَّى كَانَ ذُو الْقَعْدَةِ، فَلَمَّا بَلَغَ مَرَوْ خَشِيَ أَنْ يَكْتُمَ الْمَأْمُونُ قُدُومَهُ، فَضْرَبَ بِالطُّبُولِ لِكَيْ يَسْمَعَهَا الْمَأْمُونُ، فَسَمِعَهَا فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَرِثْمَةُ قَدْ أَقْبَلَ يَرْعُدُ وَيَبْرِقُ، وَظَنَّ هَرِثْمَةُ أَنَّ قَوْلَهُ الْمَقْبُولُ فَأَمَرَ بِإِدْخَالِهِ، فَلَمَّا أَدْخَلَ - وَقَدْ أَشْرَبَ قَلْبَهُ مَا

٨٠٥٤٠٦ ذكر الخبر عن وثوب الحربية ببغداد

أَشْرَبَ - قَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: مَا لَأَتَ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَالْعُلُويِّينَ وَدَاهَنْتَ وَدَسَسْتَ إِلَى أَبِي السَّرَّائِي حَتَّى خَرَجَ وَعَمِلَ مَا عَمِلَ، وَكَانَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ، وَلَوْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْخُذَهُمْ جَمِيعًا لَفَعَلْتَ، وَلَكِنَّكَ أَرَخَيْتَ خَنَاقَهُمْ، وَأَجَرْتَ لَهُمْ رَسْنَهُمْ فَذَهَبَ هَرِثْمَةُ لِيَتَكَلَّمَ وَيَعْتَذِرَ، وَيُدْفَعُ

عن نفسه ما قرف به فلم يقبل ذلك منه، وأمر به فوجئ على أنفه، وديس بطنه، وسحب من بين يديه وقد تقدم الفضل بن سهل إلى الأعوان بالغلظ عليه والتشديد حتى حبس، فمكث في الحبس أياماً، ثم دسوا إليه فقتلوه وقالوا له: انه مات.
ذكر الخبر عن وثوب الحريرة ببغداد
وفي هذه السنة هاج الشغب ببغداد بين الحريرة والحسن بن سهل.
ذكر الخبر عن ذلك وكيف كان:

ذكر أن الحسن بن سهل كان بالمدائن حين شخص هرثمة إلى خراسان، ولم يزل مقيماً بها إلى أن اتصل بأهل بغداد والحريرة ما صنع به، فبعث الحسن ابن سهل إلى علي بن هشام - وهو والي بغداد، من قبله: إن أمطل الجند من الحريرة والبغداديين أرزاقهم، ومنهم ولا تعطهم وقد كان الحسن قبل ذلك اتعدهم أن يعطيهم أرزاقهم، وكانت الحريرة حين خرج هرثمة إلى خراسان وثبوا وقالوا: لا نرضى حتى نطرد الحسن بن سهل عن بغداد، وكان من عماله بها محمد بن أبي خالد وأسد بن أبي الأسد، فوثبت الحريرة عليهم فطردوهم، وصيروا إسحاق بن موسى بن المهدي خليفة للمأمون ببغداد، فاجتمع أهل الجانبين على ذلك، ورضوا به، فدس الحسن إليهم، وكتب قوادهم حتى وثبوا من جانب عسكر المهدي، وجعل يعطي الجند أرزاقهم لستة أشهر عطاء نزراً، فحول الحريرة إسحاق إليهم، وأنزلوه على دجيل.

وجاء زهير بن المسيب فنزل في عسكر المهدي، وبعث الحسن بن سهل علي بن هشام، فجاء من الجانب الآخر، حتى نزل نهر صرصر، ثم جاء هو

ومحمد بن أبي خالد وقوادهم ليلاً، حتى دخلوا بغداد، فنزل علي بن هشام دار العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعي على باب المحول لثمان خلون من شعبان، وقبل ذلك ما كان الحريرة حين بلغهم أن أهل الكرخ يريدون أن يدخلوا زهيراً وعلي بن هشام، شدوا على باب الكرخ فاحرقوه، وانهبوا من حد قصر الوضاح إلى داخل باب الكرخ إلى أصحاب القراطيس ليلة الثلاثاء، ودخل علي بن هشام صبيحة تلك الليلة، فقاتل الحريرة ثلاثة أيام على قنطرة الصراة العتيقة والجديدة والأرحاء.

ثم أنه وعد الحريرة أن يعطيهم رزق ستة أشهر إذا أدركت الغلة، فسألوه أن يعجل لهم خمسين درهما لكل رجل لينفقوها في شهر رمضان، فأجابهم إلى ذلك، وجعل يعطي، فلم يتم لهم إعطاءهم، حتى خرج زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب، الخارج بالبصرة المعروف بزيد النار، كان أفلت من الحبس عند علي بن أبي سعيد، فخرج في ناحية الأنبار ومعه أخو أبي السرايا في ذي القعدة سنة مائتين، فبعثوا إليه، فأخذ، فأقى به علي بن هشام، فلم يلبث إلا جمعة حتى هرب من الحريرة، فنزل نهر صرصر، وذلك أنه كان يكذبهم، ولم يف لهم بإعطاء الخمسين، إلى أن جاء الأضخى، وبلغهم خبر هرثمة وما صنع به، فشدوا على علي فطردوه.

وكان المتولي ذلك والقائم بأمر الحرب محمد بن أبي خالد، وذلك ان علي ابن هشام لما دخل بغداد كان يستخف به، فوقع بين محمد بن أبي خالد وبين زهير بن المسيب إلى أن قنعه زهير بالسوط فغضب محمد من ذلك، وتحول إلى الحريرة في ذي القعدة، ونصب لهم الحرب، واجتمع إليه الناس فلم يقو بهم علي بن هشام حتى أخرجه من بغداد، ثم اتبعه حتى هزمهم من نهر صرصر.

وفي هذه السنة وجه المأمون رجاء بن أبي الضحاك وفرناس الخادم لإشخاص علي بن موسى بن جعفر بن محمد ومحمد بن جعفر وأحصى في هذه السنة ولد العباس، فبلغوا ثلاثة وثلاثين ألفاً ما بين ذكر واثني.

وفي هذه السنة قتلت الروم ملكها ليون، فكان قد ملك عليهم سبع سنين وستة أشهر، وملكوا عليهم ميخائيل بن جورجس ثانية. وفيها قتل المأمون يحيى بن عامر بن إسماعيل، وذلك أن يحيى أغلظ له، فقال له: يا أمير الكافرين، فقتل بين يديه. وأقام للناس الحج في هذه السنة أبو إسحاق بن الرشيد.

٨٠٥٥ سنة إحدى ومائتين

٨٠٥٥.١ ولاية منصور بن المهدي ببغداد

ثم دخلت

سنة إحدى ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ولاية منصور بن المهدي ببغداد

فما كان فيها من ذلك مراودة أهل بغداد منصور بن المهدي على الخلافة وامتناعه عليهم، فلما امتنع من ذلك راوده على الإمرة عليهم، على أن يدعو لهم بمون بالخلافة، فأجابهم إلى ذلك.

ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه:

قد ذكرنا قبل ذلك سبب إخراج أهل بغداد علي بن هشام من بغداد.

ويذكر عن الحسن بن سهل أن الخبر عن إخراج أهل بغداد علي بن هشام من بغداد لما اتصل به وهو بالمدائن، انهزم حتى صار إلى واسط، وذلك في أول سنة إحدى ومائتين.

وقد قيل إن سبب إخراج أهل بغداد علي بن هشام من بغداد، كان أن الحسن بن سهل وجه محمد بن خالد المروزي بعد ما قتل أبو السرايا، أفسده وولي علي بن هشام الجانب الغربي من بغداد وزهير بن المسيب يلي الجانب الشرقي، وأقام هو بالخيزرانية، وضرب الحسن عبد الله بن علي بن عيسى ابن ماهان حدا بالسياط، فغضب الأبناء، فشغب الناس، فهرب إلى برنجنا ثم إلى باسلاما، وأمر بالأرزاق لأهل عسكر المهدي، ومنع أهل الغربي، واقتتل أهل الجانبين، ففرق محمد بن أبي خالد على الحرية مالا، فهزم على ابن هشام، فانهزم الحسن بن سهل بانهزام علي بن هشام، فلاحق بواسط، فتبعه محمد بن أبي خالد بن الهندوان مخالفا له، وقد تولى القيام بأمر الناس، وولي سعيد بن الحسن بن قحطبة الجانب الغربي ونصر بن حمزة بن مالك الشرقي، وكنفه ببغداد منصور بن المهدي وخزيمة بن خازم والفضل بن الربيع

وقد قيل إن عيسى بن محمد بن أبي خالد قدم في هذه السنة من الرقة، وكان عند طاهر بن الحسين، فاجتمع هو وأبوه على قتال الحسن، ففضيا حتى انتهيا ومن معهما من الحرية وأهل بغداد إلى قرية أبي قريش قرب واسط، وكان كلما أتيا موضعا فيه عسكر من عساكر الحسن فيكون بينهما فيه وقعة، تكون الهزيمة فيه على أصحاب الحسن.

ولما انتهى محمد بن خالد إلى دير العاقول، أقام به ثلاثا، وزهير بن المسيب حينئذ مقيم بإسكاف بني الجعيد، وهو عامل الحسن على جوخي مقيم في عمله، فكان يكتب قواد أهل بغداد فبعث ابنه الأزهر، ففضى حتى انتهى إلى نهر النهروان، فلقى محمد بن أبي خالد، فركب إليه، فأتاه بإسكاف، فأحاط به فأعطاه الأمان، وأخذ أسيرا، فجاء به إلى عسكره بدير العاقول، وأخذ أمواله ومتاعه وكل قليل وكثير وجد له ثم تقدم محمد بن أبي خالد، فلما صار إلى واسط بعث به إلى بغداد، فحبسه عند ابن له مكفوف، يقال له جعفر، فكان الحسن مقيما بجرجايا، فلما بلغه خبر زهير، وأنه قد صار في يد محمد بن أبي خالد ارتحل حتى دخل واسط، فنزل بضم الصلح، ووجه محمد من دير العاقول ابنه هارون إلى النيل وبها سعيد بن الساجور الكوفي، فهزمه هارون، ثم تبعه حتى دخل الكوفة، فأخذها هارون، وولى عليها وقدم عيسى ابن يزيد الجلودي من مكة، ومعه محمد بن جعفر، فخرجوا جميعا حتى أتوا واسط في طريق البر، ثم رجع هارون إلى أبيه، فاجتمعوا جميعا في قرية أبي قريش ليدخلوا واسط، وبها الحسن بن سهل، فتقدم الحسن بن سهل، فنزل خلف واسط في أطرافها.

وكان الفضل بن الربيع مختفيا من حين قتل المخلوع، فلما رأى أن محمد بن أبي خالد قد بلغ واسط بعث إليه يطلب الأمان منه، فأعطاه إياه وظهر.

ثم تعبأ محمد بن أبي خالد للقتال، فتقدم هو وابنه عيسى وأصحابهما، حتى صاروا على ميلين من واسط، فوجه إليهم الحسن أصحابه وقواده، فاقتلوا قتالا شديدا عند أبيات واسط فلما كان بعد العصر هبت ريح شديدة وغبرة حتى اختلط القوم بعضهم ببعض، وكانت الهزيمة

على أصحاب محمد بن أبي خالد، فثبت للقوم فأصابته جراحات شديدة في جسده، فانهمز هو وأصحابه هزيمة شديدة قبيحة، فهزم أصحابه الحسن، وذلك يوم الأحد لسبع بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى ومائتين.

فلما بلغ محمد فم الصلح خرج عليهم أصحاب الحسن فصافهم للقتال، فلما جنهم الليل، ارتحل هو وأصحابه حتى نزلوا المبارك، فأقاموا به، فلما أصبحوا غدا عليهم أصحاب الحسن فصافوهم، واقتتلوا.

فلما جنهم الليل ارتحلوا حتى أتوا جبل، فأقاموا بها، ووجه ابنه هارون إلى النيل، فأقام بها، وأقام محمد بجرجايا، فلما اشتدت به الجراحات خلف قواده في عسكره، وحمله ابنه أبو زنبيل حتى أدخله بغداد ليلة الاثنين لست خلون من شهر ربيع الآخر، فدخل أبو زنبيل ليلة الاثنين، ومات محمد بن أبي خالد من ليلته من تلك الجراحات، ودفن من ليلته في داره سرا.

وكان زهير بن المسيب محبوسا عند جعفر بن محمد بن أبي خالد، فلما قدم أبو زنبيل أتى خزيمة بن خازم يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الآخر، فأعلمه أمر أبيه، فبعث خزيمة إلى بني هاشم والقواد وأعلمهم ذلك، وقرأ عليهم كتاب عيسى بن محمد بن أبي خالد، وأنه يكفهم الحرب فرضوا بذلك، فصار عيسى مكان أبيه على الحرب، وانصرف أبو زنبيل من عند خزيمة حتى أتى زهير بن المسيب، فأخرجه من حبسه، فضرب عنقه.

ويقال: إنه ذبحه ذبحا وأخذ رأسه، فبعث به إلى عيسى في عسكره، فنصبه على رمح وأخذوا جسده، فشدوا في رجله حبلا، ثم طافوا به في بغداد، ومروا به على دوره ودور أهل بيته عند باب الكوفة، ثم طافوا به في الكرخ، ثم ردوه إلى باب الشام بالعشي، فلما جنهم الليل طرحوه في دجلة، وذلك يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الآخر.

ثم رجع أبو زنبيل حتى انتهى إلى عيسى فوجهه عيسى إلى فم الصراة.

وبلغ الحسن بن سهل موت محمد بن أبي خالد، فخرج من واسط حتى

انتهى إلى المبارك، فأقام بها فلما كان جمادى الآخرة وجه حميد بن عبد الحميد الطوسي ومعه عركو الأعرابي وسعيد بن الساجور وأبو البط ومحمد بن إبراهيم الإفريقي، وعدة سواهم من القواد، فلقوا أبا زنبيل بفم الصراة فهزموه، وانحاز إلى أخيه هارون بالنيل، فالتقوا عند بيوت النيل، فاقتتلوا ساعة، فوكت الهزيمة على أصحاب هارون، وأبي زنبيل، فخرجوا هاربين حتى أتوا المدائن، وذلك يوم الاثنين لخمس بقين من جمادى الآخرة ودخل حميد وأصحابه النيل فانتهبوها ثلاثة أيام، فانتهبوا أموالهم وأمتعتهم، وانتهبوا ما كان حولهم من القرى، وقد كان بنو هاشم والقواد حين مات محمد بن أبي خالد تكلموا في ذلك، وقالوا: نصير بعضنا خليفة ونخلع المأمون، فكانوا يتراضون في ذلك، إذ بلغهم خبر هارون وأبي زنبيل وهزيمتهم، فجدوا فيما كانوا فيه، وأرادوا منصور بن المهدي على الخلافة، فأبى ذلك عليهم، فلم يزالوا به حتى صبروه أميرا خليفة للمأمون ببغداد والعراق، وقالوا: لا نرضى بالمجوسي ابن المجوسي الحسن بن سهل، ونظرده حتى يرجع إلى خراسان.

وقد قيل: إن عيسى بن محمد بن أبي خالد لما اجتمع إليه أهل بغداد، وساعدوه على حرب الحسن بن سهل، رأى الحسن أنه لا طاقة له بعيسى، فبعث إليه وهب بن سعيد الكاتب، وبذل له المصاهرة ومائة ألف دينار والأمان له ولأهل بيته ولأهل بغداد وولاية أي النواحي أحب، فطلب كتاب المأمون بذلك بخطه، فرد الحسن بن سهل وهبا بإجابته، فغرق وهب بين المبارك وجبل، فكتب عيسى إلى أهل بغداد: إني مشغول بالحرب عن جباية الخراج، فولوا رجلا من بني هاشم، فولوا منصور بن المهدي، وعسكر منصور بن المهدي بكلواذي، وأرادوه على الخلافة فأبى، وقال: أنا خليفة أمير المؤمنين حتى يقدم أو يولي من أحب، فرضي بذلك بنو هاشم والقواد والجنود، وكان القيم بهذا الأمر خزيمة بن خازم، فوجه القواد في كل ناحية، وجاء حميد الطوسي من فوره في طلب بني محمد حتى انتهى إلى المدائن، فأقام بها يومه، ثم انصرف إلى النيل

فلما بلغ منصورا خبره خرج حتى عسكر بكلواذي، وتقدم يحيى بن علي بن عيسى بن ماهان إلى المدائن.

ثم أن منصورا وجه إسحاق بن العباس بن محمد الهاشمي من الجانب الآخر، فعسكر بنهر صرصر، ووجه غسان بن عباد بن أبي الفرج أبا

إبراهيم بن غسان صاحب حرس صاحب خراسان ناحية الكوفة، فتقدم حتى أتى قصر ابن هبيرة، فأقام به فلما بلغ حميدا الخبر لم يعلم غسان إلا وحميد قد أحاط بالقصر، فأخذ غسان أسيرا، وسلب أصحابه، وقتل منهم، وذلك يوم الاثنين لأربع خلون من رجب. ثم لم يزل كل قوم مقيمين في عساكرهم، إلا أن محمد بن يقطين بن موسى كان مع الحسن بن سهل، فهرب منه إلى عيسى، فوجهه عيسى إلى منصور، فوجهه منصور إلى ناحية حميد، وكان حميد مقيما بالنيل إلا أن له خيلا بالقصر.

وخرج ابن يقطين من بغداد يوم السبت لليلتين خلتا من شعبان حتى أتى كوثي وبلغ حميدا الخبر، فلم يعلم ابن يقطين حتى أتاه حميد وأصحابه إلى كوثي، فقاتلوه فهزموه، وقتلوا من أصحابه، وأسروا، وغرق منهم بشر كثير، وانتهب حميد وأصحابه ما كان حول كوثي من القرى وأخذوا البقر والغنم والحخير وما قدروا عليه من حلى ومتاع وغير ذلك، ثم انصرف حتى النيل، وراجع ابن يقطين، فأقام بنهر صرصر.

وفي محمد بن أبي خالد قال أبو الشداخ:

هوى خيل الأبناء بعد محمد ... وأصبح منها كاهل العز أخضعا

فلا تسمتوا يا آل سهل بموته ... فإن لكم يوما من الدهر مصرعا

وأحصى عيسى بن محمد بن أبي خالد ما كان في عسكره، فكانوا مائة ألف وخمسة وعشرين ألفا بين فارس وراجل، فأعطى الفارس أربعين درهما، والراجل عشرين درهما.

٨٠٥٥٢ ذكر خبر خروج المطوعة للنكير على الفساق

ذكر خبر خروج المطوعة للنكير على الفساق

وفي هذه السنة تجردت المطوعة للنكير على الفساق ببغداد، ورئيسهم خالد الدريوش وسهل بن سلامة الأنصاري أبو حاتم من أهل خراسان.

ذَكَرَ الْخَبْرَ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ فَعَلَتِ الْمَطْوَعَةُ مَا ذَكَرْتُ:

كان السبب في ذلك أن فساق الحربية والسطار الذين كانوا ببغداد والكرخ آذوا الناس أذى شديدا، وأظهروا الفسق وقطع الطريق وأخذ الغلمان والنساء علانية من الطرق، فكانوا يجتمعون فيأتون الرجل، فيأخذون ابنه، فيذهبون به فلا يقدر أن يمتنع، وكانوا يسألون الرجل أن يقرضهم أو يصلحهم فلا يقدر أن يمتنع عليهم، وكانوا يجتمعون فيأتون القرى، فيكاثرون أهلها، ويأخذون ما قدروا عليه من متاع ومال وغير ذلك، لا سلطان يمنعهم، ولا يقدر على ذلك منهم، لأن السلطان كان يعتز بهم، وكانوا بطائنه، فلا يقدر أن يمنعهم من فسق يركبونه، وكانوا يجوبون المارة في الطرق وفي السفن وعلى الظهر ويخفرون البساتين، ويقطعون الطرق علانية، ولا أحد يعدو عليهم، وكان الناس منهم في بلاء عظيم، ثم كان آخر أمرهم أنهم خرجوا إلى قطربل، فأنتهبوا علانية، وأخذوا المتاع والذهب والفضة والغنم والبقر والحخير وغير ذلك، وأدخلوها ببغداد، وجعلوا يبيعونها علانية، وجاء أهلها فاستعدوا السلطان عليهم، فلم يمكنه اعداؤهم عليهم، ولم يرد عليهم شيئا مما كان أخذ منهم، وذلك آخر شعبان.

فلما رأى الناس ذلك وما قد أخذ منهم، وما بيع من متاع الناس في أسواقهم، وما قد أظهروا من الفساد في الأرض والظلم والبغي وقطع الطريق، وأن السلطان لا يغير عليهم، قام صلحاء كل ربض وكل درب، فشئى بعضهم إلى بعض، وقالوا: إنما في الدرب الفاسق والفساقان إلى العشرة، وقد غلبوكم وأنتم أكثر منهم، فلو اجتمعتم حتى يكون أمركم واحدا، لقمعتم هؤلاء.

الفساق، وصاروا لا يفعلون ما يفعلون من إظهار الفسق بين أظهرهم.

فقام رجل من ناحية طريق الأنبار يقال له خالد الدريوش، فدعا جيرانه وأهل بيته وأهل محلته على أن يعاونوه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأجابوه إلى ذلك، وشد على من يليه من الفساق والسطار، فنعمهم مما كانوا يصنعون، فامتنعوا عليه، وأرادوا قتاله، فقاتلهم فهزمهم وأخذ بعضهم، فضر بهم وحبسهم ورفعهم إلى السلطان، إلا أنه كان لا يرى أن يغير على السلطان شيئا، ثم قام من بعده رجل من أهل الحربية، يقال له سهل بن سلامة الأنصاري من أهل خراسان، يكنى أبا حاتم، فدعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر، والعمل بكتاب الله جل وعز سنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلق مصحفاً في عنقه، ثم بدأ بجيرانه وأهل محله، فأمرهم ونهاهم فقبلوا منه، ثم دعا الناس جميعاً إلى ذلك، الشريف منهم والوضيع، بني هاشم ومن دونهم، وجعل له ديواناً يثبت فيه اسم من أتاه منهم، فبايعه على ذلك، وقتال من خالفه وخالف ما دعا إليه كائناً من كان، فأتاه خلق كثير، فبايعوا.

ثم إنه طاف ببغداد وأسواقها وأرباضها وطرقها، ومنع كل من يخفر ويحجي المارة والمختلفة، وقال: لا خفارة في الإسلام- والخفارة أنه كان يأتي الرجل بعض أصحاب البساتين فيقول: بستانك في خفري، أدفع عنه من أراده بسوء، ولي في عنقك كل شهر كذا وكذا درهماً، فيعطيه ذلك شيئاً وآيياً- فقوي على ذلك إلا أن الدريوش خالفه، وقال: أنا لا أعيب على السلطان شيئاً ولا غيره، ولا أقاتله، ولا أمره بشيء ولا أنهاه وقال سهل بن سلامة:

لكني أقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كائناً من كان، سلطاناً أو غيره، والحق قائم في الناس أجمعين، فن بايعني على هذا قبلته، ومن خالفني قاتلته فقام في ذلك سهل يوم الخميس لأربع خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين في مسجد طاهر بن الحسين، الذي كان بناه في الحربية

وكان خالد الدريوش قام قبله بيومين أو ثلاثة، وكان منصور بن المهدي مقيماً بعسكره بجبل، فلما كان من ظهور سهل بن سلامة وأصحابه ما كان، وبلغ ذلك منصوراً وعيسى- وإنما كان عظم أصحابهما الشطار، ومن لا خير فيه- كسرهما ذلك، ودخل منصور بغداد. وقد كان عيسى يكتب الحسن بن سهل، فلما بلغه خبر بغداد، سأل الحسن بن سهل أن يعطيه الأمان له ولأهل بيته ولأصحابه، على أن يعطي الحسن أصحابه وجنده وسائر أهل بغداد رزق ستة أشهر إذا أدركت له الغلة، فأجابته الحسن، وارتحل عيسى من معسكره، فدخل بغداد يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من شوال، وتقوضت جميع عساكرهم، فدخلوا بغداد، فأعلمهم عيسى ما دخل لهم فيه من الصلح، فرضوا بذلك.

ثم رجع عيسى إلى المدائن، وجاء يحيى بن عبد الله، ابن عم الحسن بن سهل، حتى نزل دير العاقول، فولوه السواد، وأشركوا بينه وبين عيسى في الولاية، وجعلوا لكل عدة من الطساسيج وأعمال بغداد فلما دخل عيسى فيما دخل فيه- وكان أهل عسكر المهدي مخالفين له- وثب المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي يدعو إلى المأمون وإلى الفضل والحسن ابني سهل، فامتنع عليه سهل بن سلامة، وقال: ليس على هذا بايعتني.

وتحول منصور بن المهدي وخزيمة بن خازم والفضل بن الربيع- وكانوا يوم تحولوا بايعوا سهل بن سلامة على ما يدعو إليه من العمل بالكتاب والسنة- فنزلوا بالحربية فراراً من الطلب، وجاء سهل بن سلامة إلى الحسن، وبعث إلى المطلب أن يأتيه، وقال: ليس على هذا بايعتني، فأبى المطلب أن يجيئه، فقاتله سهل يومين أو ثلاثة قتالاً شديداً، حتى اصطاح عيسى والمطلب، فдس عيسى إلى سهل من اغتاله فضره ضربة بالسيف، إلا أنها لم تعمل فيه، فلما اغتيل سهل رجع إلى منزله، وقام عيسى بأمر الناس، فكفوا عن القتال. وقد كان حميد بن عبد الحميد مقيماً بالنيل، فلما بلغه هذا الخبر

٨٥٥٠٣ ذكر خبر البيعة لعلى بن موسى بولاية العهد

دخل الكوفة، فأقام بها أياماً ثم أنه خرج منها حتى أتى قصر ابن هبيرة، فأقام به، واتخذ منزلاً وعمل عليه سورا وخندقاً، وذلك في آخر ذي القعدة.

وأقام عيسى ببغداد يعرض الجند ويصححهم، إلى أن تدرك الغلة، وبعث إلى سهل بن سلامة فاعتذر إليه مما كان صنع به، وبايعه وأمره أن يعود إلى ما كان عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه عوناً على ذلك، فقام سهل بما كان قام به أولاً من الدعاء إلى العمل بالكتاب والسنة

. ذكر خبر البيعة لعلى بن موسى بولاية العهد

وفي هذه السنة جعل المأمون علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولي عهد المسلمين والخليفة من بعده، وسماه الرضى من آل محمد ص، وأمر جنده بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة، وكتب بذلك إلى الآفاق.

ذكر الخبر عن ذلك وعما كان سبب ذلك وما آل الأمر فيه إليه:
 ذكر أن عيسى بن محمد بن أبي خالد، بينما هو فيما هو فيه من عرض أصحابه بعد منصرفه من عسكره إلى بغداد، إذ ورد عليه كتاب من الحسن بن سهل يعلمه أن أمير المؤمنين المأمون قد جعل علي بن موسى بن جعفر بن محمد ولي عهده من بعده، وذلك أنه نظر في بني العباس وبني علي، فلم يجد أحدا هو أفضل ولا أروع ولا أعلم منه، وأنه سماه الرضى من آل محمد، وأمره بطرح لبس الثياب السود ولبس ثياب الخضر، وذلك يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين، ويأمره أن يأمر من قبله من أصحابه والجند والقواد وبني هاشم بالبيعة له، وأن يأخذهم بلبس الخضر في أقيبتهم وقلانسهم وأعلامهم، ويأخذ أهل بغداد جميعا بذلك. فلما أتى عيسى الخبر دعا أهل بغداد إلى ذلك على أن يعجل لهم رزق شهر، والباقي إذا أدركت الغلة، فقال بعضهم: نبايع ونلبس الخضر، وقال

٨٠٥٥٤ ذكر الدعوة لمبايعه ابراهيم بن المهدي وخلع المأمون

بعضهم: لا نبايع ولا نلبس الخضر، ولا نخرج هذا الأمر من ولد العباس، وإنما هذا دسيس من الفضل بن سهل، فكثوا بذلك أياما وغضب ولد العباس من ذلك، واجتمع بعضهم إلى بعض، وتكلموا فيه، وقالوا: نولي بعضنا، ونخلع المأمون، وكان المتكلم في هذا والمختلف والمتقلد له إبراهيم ومنصور ابنا المهدي.
 ذكر الدعوة لمبايعه ابراهيم بن المهدي وخلع المأمون
 وفي هذه السنة بايع أهل بغداد إبراهيم بن المهدي بالخلافة وخلعوا المأمون.
 ذكر السبب في ذلك:

قد ذكرنا سبب إنكار العباسيين ببغداد على المأمون ما أنكروا عليه، واجتماع من اجتمع على محاربة الحسن بن سهل منهم، حتى خرج عن بغداد ولما كان من بيعة المأمون لعلي بن موسى بن جعفر - وأمره الناس بلبس الخضر ما كان، وورود كتاب الحسن على عيسى بن محمد بن أبي خالد يأمره بذلك، وأخذ الناس به ببغداد، وذلك يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذي الحجة - أظهر العباسيون ببغداد أنهم قد بايعوا إبراهيم بن المهدي بالخلافة، ومن بعده ابن أخيه إسحاق بن موسى بن المهدي، وأنهم قد خلعوا المأمون، وأنهم يعطون عشرة دنائير كل إنسان، أول يوم من المحرم أول يوم من السنة المستقبلية.
 فقبل بعض ولم يقبل بعض حتى يعطى، فلما كان يوم الجمعة وأرادوا الصلاة أرادوا أن يجعلوا إبراهيم خليفة للمأمون مكان منصور، فأمرهم رجلا يقول حين أذن المؤذن: إنا نريد أن ندعو للمأمون ومن بعده لإبراهيم يكون خليفة، وكانوا قد دسوا قوما، فقالوا لهم: إذا قام يقول: ندعو للمأمون، فقوموا أنتم فتقولوا:

لا نرضى إلا أن تبايعوا لإبراهيم ومن بعده لإسحاق، وتخلعوا المأمون أصلا، ليس نريد أن تأخذوا أموالنا كما صنع منصور، ثم تجلسوا في بيوتكم فلما قام من يتكلم أجابه هؤلاء، فلم يصل بهم تلك الجمعة صلاة الجمعة، ولا خطب أحد، إنما صلى الناس أربع ركعات ثم انصرفوا، وذلك يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة إحدى ومائتين
 وفي هذه السنة افتتح عبد الله بن خرداذ به وهو والي طبرستان الاربز والشيرز، من بلاد الديلم، وزادهما في بلاد الإسلام، وافتتح جبال طبرستان، وأنزل شيريار بن شروين عنها، فقال سلام الخاسر:

إنا لنأمل فتح الروم والصين ... بمن ادال لنا من ملك شروين

فاشدد يدك بعبد الله إن له ... مع الأمانة رأي غير موهون

وأشخص مازيار بن قارن إلى المأمون، وأسر أبا ليلى ملك الديلم بغير عهد في هذه السنة.

وفيهما مات محمد بن محمد صاحب أبي السرايا.

وفيها تحرك بابك الخرمي في الجاويذانية أصحاب جاويذان بن سهل، صاحب البذ، وادعى أن روح جاويذان دخلت فيه، وأخذ في العيث والفساد.
وفيها أصاب أهل خراسان والري وأصبهان مجاعة، وعز الطعام، ووقع الموت.
وجج بالناس فيها إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي.

٨٠٥٦ سنة اثنتين ومائتين

٨٠٥٦.١ ذكر الخبر ببيعة ابراهيم بن المهدي

ثم دخلت

سنة اثنتين ومائتين

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث)

ذكر الخبر ببيعة ابراهيم بن المهدي

فما كان فيها من ذلك بيعة أهل بغداد لإبراهيم بن المهدي بالخلافة، وتسميتهم إياه المبارك وقيل إنهم بايعوه في أول يوم من المحرم بالخلافة، وخلعوا المأمون، فلما كان يوم الجمعة صعد إبراهيم المنبر، فكان أول من بايعه عبيد الله بن العباس بن محمد الهاشمي، ثم منصور بن المهدي، ثم سائر بني هاشم، ثم القواد وكان المتولي لأخذ البيعة المطلب بن عبد الله بن مالك، وكان الذي سعى في ذلك وقام به السندي وصالح صاحب المصلى ومنجباب ونصير الوصيف وسائر الموالي، إلا أن هؤلاء كانوا الرؤساء والقادة غضبا منهم على المأمون حين أراد إخراج الخلافة من ولد العباس إلى ولد علي، ولتركه لباس آبائه من السواد ولبسه الخضرة.

ولما فرغ من البيعة وعد الجند أن يعطيهم أرزاق ستة الأشهر، فدافعهم بها، فلما رأوا ذلك شغبوا عليه، فأعطاهم مائتي درهم لكل رجل، وكتب لبعضهم إلى السواد بقيمة بقية ما لهم حنطة وشعير نخرجوا في قبضها فلم يمروا بشيء إلا انتهبوه، فأخذوا النصيبين جميعا، نصيب أهل البلاد ونصيب السلطان وغلب إبراهيم مع أهل بغداد على أهل الكوفة والسواد كله، وعسكر بالمدائن وولى الجانب الشرقي من بغداد العباس بن موسى الهادي والجانب الغربي إسحاق بن موسى الهادي وقال إبراهيم بن المهدي:
ألم تعلموا يا آل فهر بأنني ... شريت بنفسي دونكم في المهالك.

٨٠٥٦.٢ خبر تحكيم مهدي بن علوان الحروري

٨٠٥٦.٣ ذكر الخبر عن تببيض أخي أبي السرايا وظهوره بالكوفة

خبر تحكيم مهدي بن علوان الحروري

وفي هذه السنة حكم مهدي بن علوان الحروري، وكان خروجه ببزرجسابور، وغلب على طساسيج هنالك وعلى نهر بوق والراذانيين وقد قيل: إن خروج مهدي كان في سنة ثلاث ومائتين في شوال منها، فوجه إليه إبراهيم بن المهدي أبا إسحاق بن الرشيد في جماعة من القواد، منهم أبو البط وسعيد بن الساجور، ومع أبي إسحاق غلمان له أترار، فذكر عن شبيل صاحب السلبة، أنه كان معه وهو غلام، فلقوا الشراة، فطعن رجل من الأعراب أبا إسحاق، فخامى عنه غلام له تركي، وقال له: أشناس مرا، أي اعرفني، فسماه يومئذ أشناس، وهو أبو جعفر أشناس، وهزم مهدي إلى حولايا.

وقال بعضهم: إنما وجه إبراهيم إلى مهدي بن علوان الدهقاني الحروري المطلب، فسار إليه، فلما قرب منه أخذ رجلا من قعد الحرورية يقال له أقدى، فقتله، واجتمعت الأعراب فقاتلوه فهزموه حتى أدخلوه بغداد.

وفي هذه السنة وثب أخو أبي السرايا بالكوفة، فيبيض، واجتمعت إليه جماعة، فلقية غسان بن أبي الفرج في رجب فقتله، وبعث برأسه إلى إبراهيم ابن المهدي

. ذكر الخبر عن تبييض أخي أبي السرايا وظهوره بالكوفة

ذكر أن الحسن بن سهل أتاح وهو مقيم بالمبارك في معسكره كتاب المأمون يأمره بلبس الخضر، وأن يبايع علي بن موسى بن جعفر بن محمد بولاية العهد من بعده، ويأمره أن يتقدم إلى بغداد حتى يحاصر أهلها، فارتحل حتى نزل سمر، وكتب إلى حميد بن عبد الحميد أن يتقدم إلى بغداد حتى يحاصر أهلها من ناحية أخرى، ويأمره بلباس الخضر، ففعل ذلك حميد وكان سعيد بن الساجور وأبو البط وغسان بن أبي الفرج ومحمد بن إبراهيم الإفريقي وعدة من قواد حميد كاتبوا إبراهيم بن المهدي، على أن يأخذوا له قصر ابن هبيرة.

وكان قد تباعد ما بينهم وبين حميد، فكانوا يكتبون إلى الحسن بن سهل يخبرونه أن حميدا يكتب إبراهيم، وكان يكتب فيهم بمثل ذلك، وكان الحسن يكتب إلى حميد يسأله أن يأتيه فلم يفعل، وخاف إن هو خرج إلى الحسن أن يثب الآخرون بعسكره، فكانوا يكتبون إلى الحسن أنه ليس يمنعه من إتيانك إلا أنه مخالف لك، وأنه قد اشترى الضياع بين الصراة وسورا والسواد فلما ألح عليه الحسن بالكتب، خرج إليه يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الآخر فكتب سعيد وأصحابه إلى إبراهيم يعلمونه، ويسألون أن يبعث إليهم عيسى بن محمد بن أبي خالد، حتى يدفعوا إليه القصر وعسكر حميد، وكان إبراهيم قد خرج من بغداد يوم الثلاثاء حتى عسكر بكلواذى يريد المدائن، فلما أتاح الكتاب وجه عيسى إليهم.

فلما بلغ أهل عسكر حميد خروج عيسى ونزوله قرية الأعراب على فرسخ من القصر تهيئوا للهرب، وذلك ليلة الثلاثاء، وشد أصحاب سعيد وأبي البط والفضل بن محمد بن الصباح الكندي الكوفي على عسكر حميد، فانتهبوا ما فيه، وأخذوا لحميد- فيما ذكر- مائة بدره أموالا ومتاعا، وهرب ابن حميد ومعاذ بن عبد الله، فأخذ بعضهم نحو الكوفة وبعض نحو النيل، فأما ابن حميد، فإنه انحدر بجواري أبيه إلى الكوفة، فلما أتى الكوفة اكترى بغالا ثم أخذ الطريق، ثم لحق بأبيه بعسكر الحسن، ودخل عيسى القصر وسلمه له سعيد وأصحابه، وصار عيسى وأخذه منهم، وذلك يوم الثلاثاء لعشر خلون من ربيع الآخر وبلغ الحسن بن سهل وحميد عنده، فقال له حميد: ألم أعلمك بذلك! ولكن خدعت، وخرج من عنده حتى أتى الكوفة، فأخذ أموالا له كانت هنالك ومتاعا وولى على الكوفة العباس بن موسى بن جعفر العلوي، وأمره بلباس الحضرة، وأن يدعو للمأمون ومن بعده لأخيه علي بن موسى، وأعانه بمائة ألف درهم، وقال له: قاتل عن أخيك، فإن أهل الكوفة يجيبونك إلى ذلك، وأنا معك.

فلما كان الليل خرج حميد من الكوفة وتركه، وقد كان الحسن وجه حكيما الحارثي حين بلغه الخبر إلى النيل، فلما بلغ ذلك عيسى وهو بالقصر تهيأ هو وأصحابه، حتى خرجوا إلى النيل، فلما كان ليلة السبت لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر طلعت حمرة في السماء، ثم ذهبت الحمرة، وبقي عمودان أحمران في السماء إلى آخر الليل، وخرج غداة السبت عيسى وأصحابه من القصر إلى النيل، فواقعهم حكيم، وأتاهم عيسى وسعيد وهم في الوقعة، فانهزم حكيم، ودخلوا النيل.

فلما صاروا بالنيل، بلغهم خبر العباس بن موسى بن جعفر العلوي، وما يدعو إليه أهل الكوفة، وأنه قد أجابه قوم كثير منهم، وقال له قوم آخرون:

إن كنت تدعو للمأمون ثم من بعده لأخيك فلا حاجة لنا في دعوتك، وإن كنت تدعو إلى أخيك أو بعض أهل بيتك أو إلى نفسك أجبنك فقال:

أنا أدعو إلى المأمون ثم من بعده لأخي، فقعد عنه الغالية من الرافضة وأكثر الشيعة وكان يظهر أن حميدا يأتيه فيعينه ويقويه، وأن الحسن يوجه إليه قوما من قبله مددا، فلم يأتهم أحد، وتوجه إليه سعيد وأبو البط من النيل إلى الكوفة، فلما صاروا بدير الأعور، أخذوا طريقا يخرج بهم إلى عسكر هرثمة عند قرية شاهي.

فلما التأم إليه أصحابه، خرجوا يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الأولى.

فلما صاروا قرب القنطرة خرج عليهم علي بن محمد بن جعفر العلوي، ابن المبايع له بمكة، وأبو عبد الله أخو أبي السرايا ومعهم جماعة كثيرة، وجههم مع علي بن محمد ابن عمه صاحب الكوفة العباس بن موسى بن جعفر، فقاتلوهم ساعة، فانهزم علي وأصحابه حتى دخلوا

الكوفة، وجاء سعيد وأصحابه حتى نزلوا الحيرة، فلما كان يوم الثلاثاء غدوا فقاتلوهم مما يلي دار عيسى بن موسى، وأجابهم العباسيون ومواليهم، نخرجوا إليهم من الكوفة، فاقتتلوا يومهم إلى الليل، وشعارهم: يا إبراهيم يا منصور، لا طاعة للمأمون، وعليهم السواد، وعلى العباس وأصحابه من أهل الكوفة الخضرة.

فلما كان يوم الأربعاء اقتتلوا في ذلك الموضع، فكان كل فريق منهم إذا

ظهروا على شيء أحرقوه فلما رأى ذلك رؤساء أهل الكوفة، أتوا سعيدا وأصحابه، فسألوه الأمان للعباس بن موسى بن جعفر وأصحابه، على أن يخرج من الكوفة، فأجابوهم إلى ذلك، ثم أتوا العباس فأعلموه، وقالوا: إن عامة من معك غوغاء، وقد ترى ما يلقي الناس من الحرق والنهب والقتل، فأخرج من بين أظهرنا، فلا حاجة لنا فيك فقبل منهم، وخاف أن يسلبوه، وتحول من منزله الذي كان فيه بالكاسية، ولم يعلم أصحابه بذلك، وانصرف سعيد وأصحابه إلى الحيرة، وشد أصحاب العباس بن موسى على من بقي من أصحاب سعيد وموالي عيسى بن موسى العباسي، فهزمهم حتى بلغوا بهم الخندق، ونهبوا ربض عيسى بن موسى، فأحرقوا الدور، وقتلوا من ظهوروا به فبعث العباسيون ومواليهم إلى سعيد يعلمونه بذلك، وأن العباس قد رجع عما كان طلب من الأمان فركب سعيد وأبو البط وأصحابهما حتى أتوا الكوفة عتمة، فلم يظفروا بأحد منهم ينتهب إلا قتلوه، ولم يظهروا على شيء مما كان في أيدي أصحاب العباس إلا أحرقوه، حتى بلغوا الكاسية، فكثروا بذلك عامة الليل حتى خرج إليهم رؤساء أهل الكوفة، فأعلموهم أن هذا من عمل الغوغاء، وأن العباس لم يرجع عن شيء فانصرفوا عنهم.

فلما كان غداة الخميس خمس خلون من جمادى الأولى، جاء سعيد وأبو البط حتى دخلوا الكوفة، ونادى مناديتهم: أمن الأبيض والأسود، ولم يعرضوا لأحد من الخلق إلا بسبيل خير، وولوا على الكوفة الفضل بن محمد بن الصباح الكندي، من أهلها فكتب إليهم إبراهيم بن المهدي يأمرهم بالخروج إلى ناحية واسط، وكتب إلى سعيد أن يستعمل على الكوفة غير الكندي، لميله إلى أهل بلده، فولاه غسان بن أبي الفرج، ثم عزله بعد ما قتل أبا عبد الله أخا أبي السرايا، فولاه سعيد ابن أخيه الهول، فلم يزل واليا عليها حتى قدها حميد ابن عبد الحميد، وهرب الهول منها، وأمر إبراهيم بن المهدي عيسى بن محمد ابن أبي خالد أن يسير إلى ناحية واسط على طريق النيل، وأمر ابن عائشة الهاشمي ونعيم بن خازم أن يسيرا جميعا، فخرجا مما يلي جونخ، وبذلك

٨٠٥٦٠٤ ظفر إبراهيم بن المهدي بسهل بن سلامة المطوعي

أمرهما، وذلك في جمادى الأولى ولحق بهما سعيد وأبو البط والإفريقي حتى عسكروا بالصيداء قرب واسط، فاجتمعوا جميعا في مكان واحد، وعليهم عيسى بن محمد بن أبي خالد، فكانوا يركبون حتى يأتوا عسكر الحسن وأصحابه بواسط في كل يوم، فلا يخرج إليهم من أصحاب الحسن أحد، وهم متحصنون بمدينة واسط.

ثم أن الحسن أمر أصحابه بالتهيؤ للخروج للقتال، فخرجوا إليهم يوم السبت لأربع بقين من رجب، فاقتتلوا قتالا شديدا إلى قريب الظهر ثم وقعت الهزيمة على عيسى وأصحابه، فانهزموا حتى بلغوا طرنايا والنيل، وأخذ أصحاب الحسن جميع ما كان في عسكرهم من سلاح ودواب وغير ذلك

• ظفر إبراهيم بن المهدي بسهل بن سلامة المطوعي

وفي هذه السنة ظفر إبراهيم بن المهدي بسهل بن سلامة المطوعي فحبسه وعاقبه.

ذكر الخبر عن سبب ظفره به وحبسه إياه:

ذكر أن سهل بن سلامة كان مقيما ببغداد، يدعو إلى العمل بكتاب الله وسنه نبيه ص، فلم يزل كذلك حتى اجتمع إليه عامة أهل بغداد ونزلوا عنده، سوى من هو مقيم في منزله، وهواه ورأيه معه، وكان إبراهيم قد هم بقتاله قبل الواقعة، ثم أمسك عن ذلك، فلما كانت هذه الواقعة وصارت الهزيمة على أصحاب عيسى ومن معه أقبل على سهل بن سلامة، فدرس إليه وإلى أصحابه الذين بايعوه على العمل بالكتاب والسنة، وألا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فكان كل من أجابه إلى ذلك قد عمل على باب داره برجا بجص وآجر،

ونصب عليه السلاح والمصاحف، حتى بلغوا قرب باب الشام، سوى من أجابه من أهل الكرخ وسائر الناس، فلما رجع عيسى من الهزيمة إلى بغداد، أقبل هو وإخوته وجماعة أصحابه نحو سهل

ابن سلامة، لأنه كان يذكرهم بأسوأ أعمالهم وفعلهم، ويقول: الفساق، لم يكن لهم عنده اسم غيره، فقاتلوه أياماً، وكان الذي تولى قتاله عيسى ابن محمد بن أبي خالد، فلما صار إلى الدروب التي قرب سهل أعطى أهل الدروب الالف درهم والألفين درهماً، على أن يتنحوا له عن الدروب، فأجابوه إلى.

ذلك، فكان نصيب الرجل الدرهم والدرهمين ونحو ذلك، فلما كان يوم السبت لخمس بقين من شعبان تهيئوا له من كل وجه، وخذله أهل الدروب حتى وصلوا إلى مسجد طاهر بن الحسين وإلى منزله، وهو بالقرب من المسجد، فلما وصلوا إليه اختفى منهم، وألقى سلاحه، واختلط بالنظارة، ودخل بين النساء فدخلوا منزله.

فلما لم يظفروا به جعلوا عليه العيون، فلما كان الليل أخذوه في بعض الدروب التي قرب منزله، فأثوا به إسحاق بن موسى الهادي - وهو ولي العهد بعد عمه إبراهيم بن المهدي وهو بمدينة السلام - فكله وحاجه، وجمع بينه وبين أصحابه، وقال له: حرضت علينا الناس، وعبت أمرنا! فقال له:

إنما كنت دعوتي عباسية، وإنما كنت أدعو إلى العمل بالكتاب والسنة، وأنا على ما كنت عليه أدعوكم إليه الساعة فلم يقبلوا ذلك منه ثم قالوا له:

اخرج إلى الناس، فقل لهم: إن ما كنت أدعوكم إليه باطل فأخرج إلى الناس وقال: قد علمتم ما كنت أدعوكم إليه من العمل بالكتاب والسنة، وأنا أدعوكم إليه الساعة فلما قال لهم هذا وجئوا عنقه، وضربوا وجهه، فلما صنعوا ذلك به قال: المغرور من غررتوه يا أصحاب الحرية، فأخذ فأدخل إلى إسحاق، فقيده، وذلك يوم الأحد فلما كان ليلة الاثنين خرجوا به إلى إبراهيم بالمداين، فلما دخل عليه كله بما كلم به إسحاق، فرد عليه مثل ما رد على إسحاق وقد كانوا أخذوا رجلاً من أصحابه يقال له محمد الرواعي، فضربه إبراهيم، وتنف لحيته، وقيده وحبسه، فلما أخذ سهل ابن سلامه حبسه أيضاً، وادعوا أنه كان دفع إلى عيسى، وأن عيسى قتله،

٨٠٥٦٠٥ ذكر خبر شيوخ المأمون إلى العراق

وإنما أشاعوا ذلك تخوفاً من الناس أن يعلموا بمكانه فيخرجوه، فكان بين خروجه وبين أخذه وحبسه اثنا عشر شهراً.

ذكر خبر شيوخ المأمون إلى العراق

وفي هذه السنة شخص المأمون من مرو يريد العراق.

ذكر الخبر عن شخصه منها:

ذكر أن علي بن موسى بن جعفر بن محمد العلوي أخبر المأمون بما فيه الناس من الفتنة والقتال منذ قتل أخوه، وبما كان الفضل بن سهل يستر عنه من الأخبار، وأن أهل بيته والناس قد نقموا عليه أشياء، وأنهم يقولون إنه مسحور مجنون، وأنهم لما رأوا ذلك بايعوا لعمه إبراهيم بن المهدي بالخلافة.

فقال المأمون: إنهم لم يبايعوا له بالخلافة، وإنما صيروهم أميراً يقوم بأمرهم، على ما أخبره به الفضل، فأعلمه أن الفضل قد كذبه وغشه، وأن الحرب قائمة بين إبراهيم والحسن بن سهل، وأن الناس ينقمون عليك مكانه ومكان أخيه ومكاني ومكان بيعتك لي من بعدك، فقال: ومن يعلم هذا من أهل عسكري؟ فقال له: يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وعدة من وجوه أهل العسكر، فقال له: أدخلهم علي حتى أسألتهم عما ذكرت، فأدخلهم عليه، وهم يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وموسى وعلي بن أبي سعيد - وهو ابن أخت الفضل - وخلف المصري، فسألتهم عما أخبره، فأبوا أن يخبروه حتى يجعل لهم الأمان من الفضل بن سهل، ألا يعرض لهم، فضمن ذلك لهم، وكتب لكل رجل منهم كتاباً بخطه، ودفعه إليهم، فأخبروه بما فيه الناس من الفتنة، وبينوا ذلك له، وأخبروه بغضب أهل بيته ومواليه وقواده عليه في أشياء كثيرة، وبما موه عليه الفضل من أمر هرثمة، وأن هرثمة إنما جاء لينصحه وليبين له ما يعمل عليه،

وأنه إن لم يتدارك أمره خرجت الخلافة منه ومن أهل بيته، وأن الفضل دس إلى هرثمة من قتله، وأنه أراد نصحه، وأن طاهر بن الحسين قد أبل في طاعته ما أبل، وافتتح ما افتتح، وقاد إليه الخلافة مزمومة، حتى إذا وطأ الأمر أخرج من ذلك كله، وصير في زاوية من الأرض بالرقعة، قد حظرت عليه الأموال حتى ضعف أمره فشغب عليه جنده، وأنه لو كان علي خلافتك ببغداد لضبط الملك، ولم يجترأ عليه بمثل ما اجترأ به علي الحسن بن سهل، وأن الدنيا قد تفتقت من أقطارها، وأن طاهر بن الحسين قد تنوسي في هذه السنين منذ قتل محمد في الرقة، لا يستعان به في شيء من هذه الحروب، وقد استعين بمن هو دونه أضعافاً، وسألوا المأمون الخروج إلى بغداد في بني هاشم والموالي والقواد، والجند لو رأوا عزتك سكنوا إلى ذلك، وبخعوا بالطاعة.

فلما تحقق ذلك عند المأمون أمر بالرحيل إلى بغداد، فلما أمر بذلك علم الفضل بن سهل ببعض ذلك من أمرهم، فتعنتهم حتى ضرب بعضهم بالسياط وحبس بعضاً، وتنف لحي بعض، فعاوده علي بن موسى في أمرهم، وأعلمه ما كان من ضمانه لهم، فأعلمه أنه يداري ما هو فيه ثم ارتحل من مرو فلما أتى سرخس شد قوم على الفضل بن سهل وهو في الحمام، فضربوه بالسيوف حتى مات، وذلك يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان سنة اثنتين ومائتين فأخذوا وكان الذين قتلوا الفضل من حشم المأمون وهم أربعة نفر:

أحدهم غالب المسعودي الأسود، وقسطنطين الرومي، وفرج الديلمي، وموفق الصقلي، وقتلوه وله ستون سنة، وهربوا فبعث المأمون في طلبهم، وجعل لمن جاء بهم عشرة آلاف دينار، فجاء بهم العباس بن الهيثم بن بزرجهر الدينوري، فقالوا للمأمون: أنت أمرتنا بقتله، فأمر بهم فضربت أعناقهم.

وقد قيل: إن الذين قتلوا الفضل لما أخذوا ساء لهم المأمون، فمنهم من قال: إن علي بن أبي سعيد، ابن أخت الفضل دسهم، ومنهم من أنكر ذلك.

وأمر بهم فقتلوا ثم بعث إلى عبد العزيز بن عمران وعلي وموسى وخلف فساء لهم فأنكروا أن يكونوا علموا بشيء من ذلك، فلم يقبل ذلك منهم وأمر بهم فقتلوا، وبعث برءوسهم إلى الحسن بن سهل إلى واسط، وأعلمه ما دخل عليه من المصيبة بقتل الفضل، وأنه قد صيره مكانه ووصل الكتاب بذلك إلى الحسن.

٨٠٥٦٠٦ وفي هذه السنة تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل

في شهر رمضان، فلم يزل الحسن وأصحابه حتى أدركت الغلة وجبي بعض الخراج، ورحل المأمون من سرخس نحو العراق يوم الفطر، وكان إبراهيم ابن المهدي بالمداين وعيسى وأبو البط وسعيد بالنيل وطرنايا يراوحن القتال ويغادونه، وقد كان المطلب بن عبد الله بن مالك بن عبد الله قدم من المداين، فاعتل بأنه مريض، وجعل يدعو في السر إلى المأمون، على أن المنصور بن المهدي خليفة المأمون، ويخلعون إبراهيم، فأجابه إلى ذلك منصور وخزيمة بن خازم وقواد كثير من أهل الجانب الشرقي، وكتب المطلب إلى حميد وعلي ابن هشام أن يتقدما فينزل حميد نهر صرصر وعلي النهروان، فلما تحقق عند إبراهيم الخبر خرج من المداين إلى بغداد، فنزل زندورد يوم السبت لأربع عشرة خلت من صفر، وبعث إلى المطلب ومنصور وخزيمة، فلما أتاهم رسوله اعتلوا عليه، فلما رأى ذلك بعث إليهم عيسى بن محمد بن أبي خالد وإخوته، فأما منصور وخزيمة فأعطوا بأيديهما، وأما المطلب فإن مواليه وأصحابه قاتلوا عن منزله حتى كثر الناس عليهم، وأمر إبراهيم منادياً فنادى:

من أراد النهب فليأت دار المطلب، فلما كان وقت الظهر وصلوا إلى داره، فانتهبوا ما وجدوا فيها، وانتهبوا دور أهل بيته، وطلبوه فلم يظفروا به، وذلك يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من صفر.

فلما بلغ حميدا وعلي بن هشام الخبر بعث حميد قائداً فأخذ المداين، وقطع الجسر، ونزل بها، وبعث علي بن هشام قائداً فنزل المداين، وأتى نهر ديايلى فقطعه، وأقاموا بالمداين، وندم إبراهيم حيث صنع بالمطلب ما صنع، ثم لم يظفر به.

وفي هذه السنة تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل

• وفيها زوج المأمون علي بن موسى الرضى ابنته أم حبيب، وزوج محمد ابن علي بن موسى ابنته أم الفضل وجج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد، فدعا لأخيه بعد المأمون بولاية العهد. وكان الحسن بن سهل كتب إلى عيسى بن يزيد الجلودي، وكان بالبصرة فوافي مكة في أصحابه، فشهد الموسم، ثم انصرف ومضى إبراهيم بن موسى إلى اليمن، وكان قد غلب عليها حمدويه بن علي بن عيسى بن ماهان

٨٠٥٧ سنة ثلاث ومائتين

٨٠٥٧.١ موت علي بن موسى الرضى

ثم دخلت

سنة ثلاث ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

موت علي بن موسى الرضى

ذكر أن مما كان فيها موت علي بن موسى بن جعفر ذكر الخبر عن سبب وفاته:

ذكر أن المأمون شخص من سرخس حتى صار إلى طوس، فلما صار بها أقام بها عند قبر أبيه أياما ثم أن علي بن موسى أكل عنباً فأكثر منه، فمات فجأة، وذلك في آخر صفر، فامر به المأمون فدفن عند قبر الرشيد، وكتب في شهر ربيع الأول إلى الحسن بن سهل يعلمه أن علي بن موسى بن جعفر مات، ويعلمه ما دخل عليه من الغم والمصيبة بموته، وكتب إلى بني العباس والموالي وأهل بغداد يعلمهم موت علي بن موسى، وأنهم إنما نعموا بيعته له من بعده، ويسألهم الدخول في طاعته فكتبوا إليه وإلى الحسن جواب الكتاب بأغلظ ما يكتب به إلى أحد وكان الذي صلى على علي بن موسى المأمون.

ورحل المأمون في هذه السنة من طوس يريد بغداد، فلما صار إلى الري أسقط من وظيفتها ألف درهم. وفي هذه السنة غلبت السوداء على الحسن بن سهل، فذكر سبب ذلك أنه كان مرضاً شديداً، فهاج به من مرضه تغير عقله، حتى شد في الحديد وحبس في بيت وكتب بذلك قواد الحسن إلى المأمون، فأتاهم

٨٠٥٧.٢ خبر حبس إبراهيم بن المهدي عيسى بن محمد بن أبي خالد

جواب الكتاب أن يكون على عسكره دينار بن عبد الله، ويعلمهم أنه قادم على اثر كتابه

• خبر حبس إبراهيم بن المهدي عيسى بن محمد بن أبي خالد

وفي هذه السنة ضرب إبراهيم بن المهدي عيسى بن محمد بن أبي خالد وحبسه.

ذكر الخبر عن سبب ذلك:

ذكر أن عيسى بن محمد بن أبي خالد كان ي كاتب حميدا والحسن، وكان الرسول بينهم محمد بن محمد المعبدى الهاشمي، وكان يظهر لإبراهيم الطاعة والنصيحة، ولم يكن يقاتل حميدا ولا يعرض له في شيء من عمله، وكان كلما قال إبراهيم: تهباً للخروج لقتال حميد، يعتل عليه بأن الجند يريدون أرزاقهم، ومرة يقول: حتى تدرك الغلة، فما زال بذلك حتى إذا توثق مما يريد مما بينه وبين الحسن وحميد فارقه، على أن يدفع إليهم إبراهيم بن المهدي يوم الجمعة لانسلاخ شوال وبلغ الخبر إبراهيم، فلما كان يوم الخميس، جاء عيسى إلى باب الجسر، فقال للناس: إني قد سألت حميدا، وضمنت له الا ادخل عمله، وضمن لي الا يدخل عملي ثم أمر أن يحفر خندق بباب الجسر وباب الشام، وبلغ إبراهيم ما قال وما صنع، وقد كان عيسى سأل إبراهيم أن يصلي الجمعة بالمدينة، فأجابه إلى ذلك، فلما تكلم عيسى بما تكلم به، وبلغ إبراهيم الخبر وأنه يريد أخذه حذر.

وذكر أن هارون أخا عيسى أخبر إبراهيم بما يريد أن يصنع به عيسى، فلما أخبره، بعث إليه أن يأتيه حتى يناظره في بعض ما يريد، فاعتل عليه عيسى، فلم يزل إبراهيم يعيد إليه الرسل حتى أتاه إلى قصره بالرصافة، فلما دخل عليه حجب الناس، وخلا إبراهيم وعيسى، وجعل يعاتبه، وأخذ عيسى يعتذر إليه مما يعتبه به، ويتكر بعض ما يقول، فلما قرره بأشياء أمر به فضرب. ثم أنه حبسه وأخذ عدة من قواده فحبسهم، وبعث إلى منزله، فأخذ أم ولده

٨٠٥٧٠٣ ذكر خبر خلع اهل بغداد ابراهيم بن المهدي

وصبياناً له صغاراً، فحبسهم، وذلك ليلة الخميس لليلة بقيت من شوال.

وطلب خليفة له يقال له العباس فاختنى فلما بلغ حبس عيسى أهل بيته وأصحابه، مشى بعضهم إلى بعض، وحرص أهل بيته وإخوته الناس على إبراهيم واجتمعوا، وكان رأسهم عباس خليفة عيسى، فشدوا على عامل إبراهيم على الجسر فطردوه، وعبر إلى إبراهيم فأخبره الخبر، وأمر بقطع الجسر فطردوا كل عامل كان لإبراهيم في الكرخ وغيره، وظهر الفساد والسطار، فقعدوا في المساح وكتب عباس إلى حميد يسأله أن يقدم إليهم حتى يسلموا إليه بغداد، فلما كان يوم الجمعة صلوا في مسجد المدينة أربع ركعات، صلى بهم المؤذن بغير خطبه

. ذكر خبر خلع اهل بغداد ابراهيم بن المهدي

وفي هذه السنة خلع أهل بغداد إبراهيم بن المهدي، ودعوا للمأمون بالخلافة. ذكر الخبر عن سبب ذلك:

قد ذكرنا قبل ما كان من إبراهيم وعيسى بن محمد بن أبي خالد وحبس إبراهيم إياه، واجتماع عباس خليفة عيسى وإخوة عيسى على إبراهيم، وكتابهم إلى حميد يسأله المصير إليهم ليسلموا بغداد إليه، فذكر أن حميدا لما أتاه كتابهم، وفيه شرط منهم عليه أن يعطي جند أهل بغداد، كل رجل منهم خمسين درهماً، فأجابهم إلى ذلك، وجاء حتى نزل صرصر بطريق الكوفة يوم الأحد، وخرج إليه عباس وقواد أهل بغداد، فلقوه غداة الاثنين، فوعدهم ومناهم، وقبلوا ذلك منه، فوعدهم أن يضع لهم العطاء يوم السبت في الياسرية، على أن يصلوا الجمعة فيدعو للمأمون، ويخلعوا إبراهيم، فأجابوه إلى ذلك فلما بلغ إبراهيم الخبر أخرج عيسى وإخوته من الحبس، وسأله أن يرجع إلى منزله، ويكفيه أمر هذا الجانب، فأبى ذلك عليه.

فلما كان يوم الجمعة بعث عباس إلى محمد بن أبي رجاء الفقيه، فصلى بالناس الجمعة، ودعا للمأمون، فلما كان يوم السبت جاء حميد إلى الياسرية

٨٠٥٧٠٤ ذكر خبر اختفاء ابراهيم بن المهدي

فعرض حميد جند أهل بغداد، وأعطاهم الخمسين التي وعدهم، فسأله أن ينقصهم عشرة عشرة، فيعطيهم أربعين أربعين درهما لكل رجل منهم، لما كانوا تشاءوا به من علي بن هشام حين أعطاهم الخمسين فغدر بهم، وقطع العطاء عنهم، فقال لهم حميد: لا بل أزيدكم وأعطيتكم ستين درهما لكل رجل فلما بلغ ذلك إبراهيم دعا عيسى فسأله أن يقتل حميدا، فأجابه إلى ذلك، نفلى سبيله، وأخذ منه كفلاء، فكلم عيسى الجند أن يعطيهم مثل ما أعطى حميد، فأبوا ذلك عليه، فلما كان يوم الاثنين عبر إليهم عيسى وإخوته وقواد أهل الجانب الشرقي، فعرضوا على أهل الجانب الغربي أن يزيدوهم على ما أعطى حميد، فشتوا عيسى وأصحابه، وقالوا: لا نريد إبراهيم.

نفرج عيسى وأصحابه حتى دخلوا المدينة، وأغلقت الأبواب، وصعدوا السور، وقاتلوا الناس ساعة فلما كثر عليهم الناس انصرفوا راجعين، حتى أتوا باب خراسان، فركبوا في السفن، ورجع عيسى كأنه يريد أن يقتلهم، ثم احتال حتى صار في أيديهم شبه الأسير، فأخذه بعض قواده فأتي به منزله، ورجع الباقيون إلى إبراهيم فأخبروه الخبر، فاغتم لذلك غما شديداً، وقد كان المطلب ابن عبد الله بن مالك اختفى من إبراهيم، فلما قدم حميد أراد العبور إليه فأخذه المعبر، فذهب إلى إبراهيم فحبسه عنده ثلاثة أيام أو أربعة، ثم أنه خلى عنه

ليلة الاثنين ليلة خلت من ذي الحجة.

ذكر خبر اختفاء إبراهيم بن المهدي

وفي هذه السنة اختفى إبراهيم بن المهدي، وتغيب بعد حرب بينه وبين حميد بن عبد الحميد، وبعد أن أطلق سعد بن سلامة من حبسه. ذكر الخبر عن اختفائه والسبب في ذلك:

ذكر أن سهل بن سلامة كان الناس يذكرون أنه مقتول، وهو عند إبراهيم محبوس، فلما صار حميد إلى بغداد ودخلها أخرجه إبراهيم وكان يدعو في مسجد الرصافة كما كان يدعو، فإذا كان الليل رده إلى حبسه، فكث بذلك أياما، فأتاه أصحابه ليكونوا معه، فقال لهم: الزموا بيوتكم، فاني ارزا هذا- يعني إبراهيم- فلما كان ليلة الاثنين ليلة خلت من ذي الحجة خلى سبيله، فذهب فاخفى، فلما رأى أصحاب إبراهيم وقواده أن حميدا قد نزل في ارحاء عبد الله بن مالك، تحول عامتهم إليه، وأخذوا له المدائن، فلما رأى ذلك إبراهيم، أخرج جميع من عنده حتى يقاتلوا، فالتقوا على جسر نهر دياي، فاقتتلوا، فهزمهم حميد، فقطعوا الجسر، فتبعهم أصحابه حتى أدخلوهم بيوت بغداد، وذلك يوم الخميس لانسلاخ ذي القعدة.

فلما كان يوم الأضحى أمر إبراهيم القاضي أن يصلي بالناس في عيساباذ، فصلى بهم فانصرف الناس، واخفى الفضل بن الربيع، ثم تحول الى حميد، ثم تحول على بن ريطة إلى عسكر حميد، وجعل الهاشميون والقواد يلحقون بحميد واحدا بعد واحد، فلما رأى ذلك إبراهيم أسقط في يديه، فشق عليه.

وكان المطلب يكتب حميدا على أن يأخذ له الجانب الشرقي، وكان سعيد ابن الساجور وأبو البط وعبدويه وعدة معهم من القواد يكتبون علي بن هشام، على أن يأخذوا له إبراهيم، فلما علم إبراهيم بأمرهم وما اجتمع عليه كل قوم من أصحابه، وأنهم قد أحدقوا به، جعل يداريهم، فلما جنة الليل اختفى ليلة الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث ومائتين، وبعث المطلب إلى حميد يعلمه أنه قد أحدق بدار إبراهيم هو وأصحابه، فإن كان يريد فليأته.

وكتب ابن الساجور وأصحابه إلى علي بن هشام، فركب حميد من ساعته، وكان نازلا في ارحاء عبد الله، فأتى باب الجسر، وجاء علي بن هشام حتى نزل نهر بين، وتقدم الى مسجد كوثر، وخرج إليه ابن الساجور وأصحابه، وجاء المطلب إلى حميد، فلقوه بباب الجسر، فقتلهم ووعدهم ونبأهم أن يعلم المأمون ما صنعوا، فأقبلوا إلى دار إبراهيم، وطلبوه فيها فلم يجدوه، فلم يزل إبراهيم متواريا حتى قدم المأمون وبعد ما قدم، حتى كان من أمره ما كان

وقد كان سهل بن سلامة حيث اختفى وتحول إلى منزله وظهر، وبعث إليه حميد، فقربه وأدناه، وحمله على بغل، ورده إلى أهله، فلم يزل مقيما حتى قدم المأمون، فأتاه فأجازه ووصله، وأمره أن يجلس في منزله.

وفي هذه السنة انكسفت الشمس يوم الأحد لليلتين بقيتا من ذي الحجة حتى ذهب ضوءها، وكان غاب أكثر من ثلثها، وكان انكسافها ارتفاع النهار، فلم يزل كذلك حتى قرب الظهر ثم انجلت.

فكانت أيام إبراهيم بن المهدي كلها سنة وأحد عشر شهرا واثنى عشر يوما.

وغلب علي بن هشام على شرقي بغداد وحميد بن عبد الحميد على غربيها، وصار المأمون إلى همدان في آخر ذي الحجة وجج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي.

٨٠٥٨ سنه اربع ومائتين

٨٠٥٨٠١ خبر قدوم المأمون إلى بغداد

ثم دخلت

سنة أربع ومائتين

(ذكر الأحداث التي كانت فيها)

خبر قدوم المأمون الى بغداد

فما كان فيها من ذلك قدوم المأمون العراق، وانقطاع مادة الفتن ببغداد.

ذكر الخبر عن مقدمه العراق وما كان فيه بها عند مقدمه:

ذكر عن المأمون أنه لما قدم جرجان أقام بها شهرا، ثم خرج منها، فصار إلى الري في ذي الحجة، فأقام بها أياما، ثم خرج منها، فجعل يسير المنازل، ويطعم اليوم واليومين حتى صار إلى النهروان، وذلك يوم السبت، فأقام فيه ثمانية أيام، وخرج إليه أهل بيته والقواد ووجوه الناس، فسلموا عليه، وقد كان كتب إلى طاهر بن الحسين من الطريق وهو بالرقعة، أن يوافيه إلى النهروان، فوافاه بها، فلما كان السبت الآخر دخل بغداد ارتفاع النهار، لأربع عشرة ليلة بقيت من صفر سنة أربع ومائتين، ولباسه ولباس أصحابه، أقيبتهم وقلانسهم وطراداتهم وأعلامهم كلها الخضرة فلما قدم نزل الرصافة، وقدم معه طاهر، فأمره بنزول الخيزرانية مع أصحابه، ثم تحول فنزل قصره على شط دجلة، وأمر حميد بن عبد الحميد وعلي بن هشام وكل قائد كان في عسكره أن يقيم في عسكره، فكانوا يختلفون إلى دار المأمون في كل يوم، ولم يكن يدخل عليه أحد إلا في الثياب الخضراء، ولبس ذلك أهل بغداد وبنو هاشم أجمعون، فكانوا يخرجون كل شيء يروونه من السواد على إنسان إلا القلنسوة، فإنه كان يلبسها الواحد بعد الواحد على خوف ووجل، فأما قباء أو علم فلم يكن أحد يجترئ أن يلبس شيئا من ذلك ولا يحمله فكثوا بذلك ثمانية أيام، فتكلم في ذلك بنو هاشم وولد العباس خاصة، وقالوا له:

يا أمير المؤمنين، تركت لباس آبائك وأهل بيتك ودولتهم، ولبست الخضرة.

وكتب إليه في ذلك قواد أهل خراسان.

وقيل إنه أمر طاهر بن الحسين أن يسأله حوائجه، فكان أول حاجة سأله أن يطرح لباس الخضرة، ويرجع إلى لبس السواد وزي دولة الآباء، فلما رأى طاعة الناس له في لبس الخضرة وكراهتهم لها، وجاء السبت قعد لهم وعليه ثياب خضر، فلما اجتمعوا عنده دعا بسواد فلبسه، ودعا بخلعه سواد فألبسها طاهرا، ثم دعا بعبدة من قواده، فألبسهم أقبية وقلانس سوداء، فلما خرجوا من عنده وعليهم السواد، طرح سائر القواد والجند لبس الخضرة، ولبسوا السواد، وذلك يوم السبت لسبع بقين من صفر.

وقد قيل: إن المأمون لبس الثياب الخضراء بعد دخوله بغداد سبعة وعشرين، ثم مرقت.

وقيل: إنه لم يزل مقيما ببغداد في الرصافة حتى بنى منازل على شط دجلة عند قصره الأول، وفي بستان موسى.

وذكر عن إبراهيم بن العباس الكاتب، عن عمرو بن مسعده، أن أحمد بن أبي خالد الأحول قال: لما قدمنا من خراسان مع المأمون وصرنا في عقبة حلوان - وكنت زميله - قال لي: يا أحمد، إني أجد رائحة العراق، فأجبت بغير جوابه، وقلت: ما أخلقه! قال: ليس هذا جوابي، ولكنني أحسبك سهوت أو كنت مفكرا، قال: قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فم فكرت؟

قال: قلت: يا أمير المؤمنين، فكرت في هجومنا على أهل بغداد وليس معنا إلا خمسون ألف درهم، مع فتنة غلبت على قلوب الناس، فاستعذبوها، فكيف يكون حالنا إن هاج هائج، أو تحرك متحرك! قال: فأطرق مليا، ثم قال: صدقت يا أحمد، ما أحسن ما فكرت، ولكنني أخبرك، الناس على طبقات ثلاث في هذه المدينة: ظالم، ومظلوم، ولا ظالم ولا مظلوم، فأما الظالم فليس يتوقع إلا عفونا وإمساكنا، وأما المظلوم فليس يتوقع أن ينتصف إلا بنا، ومن كان لا ظلما ولا مظلوما فبيته يسعه فوالله ما كان إلا كما قال وأمر المأمون في هذه السنة بمقاسمة أهل السواد على الخمسين، وكانوا يقاسمون على النصف، واتخذ القفيز الملقب - وهو عشرة مكايك بالملك الهاروني - كيلا مرسلا.

وفي هذه السنة واقع يحيى بن معاذ بابك، فلم يظفر واحد منهما بصاحبه.

وولى المأمون صالح بن الرشيد البصرة، وولى عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب الحرمين.

وجج بالناس في هذه السنة عبيد الله بن الحسن.

٨٠٥٩ سنة خمس ومائتين

٨٠٥٩٠١ ولاية طاهر بن الحسين خراسان

ثم دخلت

سنة خمس ومائتين

(ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث)

ولاية طاهر بن الحسين خراسان

فمن ذلك تولية المأمون فيها طاهر بن الحسين من مدينة السلام إلى أقصى عمل المشرق، وقد كان قبل ذلك ولاه الجزيرة والشرط وجانبي بغداد ومعاون السواد، وقعد للناس. ذكر الخبر عن سبب توليته:

وكان سبب توليته إياه خراسان والمشرق، ما ذكر عن حماد بن الحسن، عن بشر بن غياث المريسي، قال: حضرت عبد الله المأمون أنا وثمامة ومحمد بن أبي العباس وعلي بن الهيثم، فتناظروا في التشيع، فنصر محمد بن أبي العباس الإمامة، ونصر علي بن الهيثم الزيدية، وجرى الكلام بينهما، إلى أن قال محمد لعلي: يا نبطي، ما أنت والكلام! قال: فقال المأمون- وكان متكئا جالس: الشتم على، والبذاء لؤم، إنا قد أبحنا الكلام، وأظهرنا المقالات، فمن قال بالحق حمدناه، ومن جهل ذلك وقفناه، ومن جهل الأمرين حكمنا فيه بما يجب، فاجعلا بينكما أصلا، فإن الكلام فروع، فإذا اقرعتم شيئا رجعتم إلى الأصول قال: فإننا نقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وذكرنا الفرائض والشرائع في الإسلام، وتناظرا بعد ذلك.

فأعاد محمد لعلي بمثل المقالة الأولى، فقال له علي: والله لولا جلالة مجلسه وما وهب الله من رأفته، ولولا ما نهى عنه لأعرت جبينك، وبحسبك من جهلك غسلك المنبر بالمدينة.

قال: فجلس المأمون- وكان متكئا- فقال: وما غسلك المنبر؟

التقصير مني في أمرك أو لتقصير المنصور كان في أمر أبيك؟ لولا أن الخليفة

إذا وهب شيئا استحيا أن يرجع فيه لكان أقرب شيء بيني وبينك إلى الأرض رأسك، قم وإياك ما عدت.

قال: فخرج محمد بن أبي العباس، ومضى إلى طاهر بن الحسين- وهو زوج أخته- فقال له: كان من قصتي كيت وكيت، وكان يجب المأمون على النبيذ فتح الخادم، ويأسر يتولى الخلع، وحسين يسقي، وأبو مريم غلام سعيد الجوهري يختلف في الحوائج فركب طاهر إلى الدار، فدخل فتح، فقال: طاهر بالباب، فقال: إنه ليس من أوقاته، ائذن له: فدخل طاهر فسلم عليه، فردع، وقال: اسقوه رطلا، فأخذه في يده اليمنى، وقال له: اجلس، فخرج فشربه ثم عاد، وقد شرب المأمون رطلا آخر، فقال: اسقوه ثانيا، ففعل كفعله الأول، ثم دخل، فقال له المأمون:

اجلس، فقال يا أمير المؤمنين، ليس لصاحب الشرطة أن يجلس بين يدي سيده، فقال له المأمون: ذلك في مجلس العامة، فأما مجلس الخاصة فطلق، قال: وبكى المأمون، وتغرغرت عيناه، فقال له طاهر: يا أمير المؤمنين، لم تبكي لا أبكي الله عينيك! فوالله لقد دانت لك البلاد، وأذعن لك العباد، وصرت إلى المحبة في كل أمرك فقال: أبكي لأمر ذكره ذل، وستره حزن، ولن يخلو أحد من شجن، فتكلم بحاجة إن كانت لك، قال: يا أمير المؤمنين، محمد بن أبي العباس أخطأ فأقله عثرته، وارض عنه قال: قد رضيت عنه، وأمرت بصلته، ورددت عليه مرتبته، ولولا أنه ليس من أهل الإنس لأحضرتة.

قال: وانصرف طاهر، فأعلم ابن أبي العباس ذلك، ودعا بهارون بن جبغويه، فقال له: إن للكاتب عشيرة، وإن أهل خراسان يتعصب بعضهم لبعض، نفذ معك ثلاثمائة ألف درهم، فأعط الحسين الخادم مائتي ألف، وأعط كاتبه محمد بن هارون مائة ألف، وسله ان يسأل المأمون: لم بكى؟

قال: ففعل ذلك، قال: فلها تغدى قال: يا حسين اسقني، قال: لا والله

لاسقينك أو تقول لي: لم بكيت حين دخل عليك طاهر؟ قال: يا حسين، وكيف عنيت بهذا حتى سألتني عنه! قال: لغمي بذاك،

قَالَ: يا حسين هو أمر إن خرج من رأسك قتلتك، قَالَ: يا سيدي، ومتى أخرجت لك سرا! قَالَ: إني ذكرت محمدا أخي، وما ناله من الذلة، نفقتني العبرة فاسترحت إلى الإفاضة، ولن يفوت طاهرا مني ما يكره قَالَ: فأخبر حسين طاهرا بذلك، فركب طاهر إلى أحمد بن أبي خالد، فقال له: إن الثناء مني ليس برخيص، وإن المعروف عندي ليس بضائع، فغيبني عن عينه، فقال له: سأفعل، فبكر إلى غدا قَالَ: فركب ابن أبي خالد إلى المأمون، فلما دخل عليه قَالَ: ما نمت البارحة، فقال: لم ويحك! فقال: لأنك وليت غسان خراسان، وهو ومن معه أكلة رأس، فأخاف أن يخرج عليه خارجة من الترك فتصطلبه، فقال له: لقد فكرت فيما فكرت فيه، قَالَ: فمن ترى؟ قَالَ: طاهر بن الحسين، قَالَ: ويلك يا أحمد! هو والله خالع، قَالَ:

أنا الضامن له، قَالَ: فأنفذه، قَالَ: فدعا بطاهر من ساعته، فعقد له، فشخص من ساعته، فنزل في بستان خليل بن هاشم، فحمل إليه في كل يوم ما أقام فيه مائة ألف فأقام شهرا، فحمل إليه عشرة آلاف ألف، التي تحمل إلى صاحب خراسان. قَالَ أبو حسان الزيادي: وكان قد عقد له على خراسان والجبال من حلوان إلى خراسان، وكان شخوصه من بغداد يوم الجمعة لليلة بقيت من ذي القعدة سنة خمس ومائتين، وقد كان عسكر قبل ذلك بشهرين، فلم يزل مقيما في عسكره قَالَ أبو حسان: وكان سبب ولايته- فيما اجتمع الناس عليه- أن عبد الرحمن المطوعي جمع جموعا بنيسابور ليقاتل بهم الحرورية بغير أمر والي خراسان، فتخوفوا أن يكون ذلك لأصل عمله عليه وكان غسان بن عباد يتولى خراسان من قبل الحسن بن سهل، وهو ابن عم الفضل بن سهل. وذكر عن علي بن هارون أن طاهر بن الحسين قبل خروجه إلى خراسان وولايته لها، ندبه الحسن بن سهل للخروج إلى محاربة نصر بن شيبث، فقال:

حاربت خليفة، وسقت الخلافة إلى خليفة، وأمر بمثل هذا! وإنما كان ينبغي أن توجه لهذا قائدا من قوايدي، فكان سبب المصارمة بين الحسن وطاهر.

قَالَ: وخرج طاهر إلى خراسان لما تولاها، وهو لا يكلم الحسن بن سهل، فقليل له في ذلك، فقال: ما كنت لأحل عقدة عقدها لي في مصارمته.

وفي هذه السنة ورد عبد الله بن طاهر بغداد منصرفا من الرقة، وكان أبوه طاهر استخلفه عليها، وأمره بقتال نصر بن شيبث، وقدم يحيى بن معاذ فولاه المأمون الجزيرة.

وفيهما ولي المأمون عيسى بن محمد بن أبي خالد أرمينية وأذربيجان ومحاربة بابك.

وفيهما مات السري بن الحكم بمصر، وكان واليها.

وفيهما مات داود بن يزيد عامل السند، فولاه المأمون بشر بن داود على أن يحمل إليه في كل سنة ألف ألف درهم.

وفيهما ولي المأمون عيسى بن يزيد الجلودي محاربة الزط.

وفيهما شخص طاهر بن الحسين إلى خراسان في ذي القعدة، وأقام شهرين حتى بلغه خروج عبد الرحمن النيسابوري المطوعي بنيسابور، فشخص ووافي التغرغزие أشروسنة.

وفيهما أخذ فرج الرنخي عبد الرحمن بن عمار النيسابوري.

وجج بالناس في هذه السنة عبيد الله بن الحسن، وهو والي الحرمين.

٨٠٦٠ سنه ست ومائتين

٨٠٦٠٠١ ولايه عبد الله بن طاهر على الرقة

ثم دخلت

سنة ست ومائتين

(ذكر ما كان فيها من الأحداث) فما كان فيها من ذلك توليه المأمون داود بن ماسبور محاربة الزط وأعمال البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين.

وفيهما كان المد الذي غرق منه السواد وكسكر وقطيعة أم جعفر وقطيعة العباس وذهب بأكثرها.
وفيهما نكب بابك بعيسى بن محمد بن أبي خالد.

ولايه عبد الله بن طاهر على الرقة

وفيهما ولي المأمون عبد الله بن طاهر الرقة لحرب نصر بن شبث ومضر.
ذكر الخبر عن سبب توليته إياه:

وكان السبب في ذلك - فيما ذكر - أن يحيى بن معاذ كان المأمون ولاء الجزيرة، فمات في هذه السنة، واستخلف ابنه أحمد على عمله، فذكر عن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، أن المأمون دعا عبد الله بن طاهر في شهر رمضان، فقال بعض: كان ذلك في سنة خمس ومائتين، وقال بعض: في سنة ست وقال بعض: في سنة سبع فلما دخل عليه، قال: يا عبد الله أستخير الله منذ شهر، وأرجو أن يخير الله لي، ورأيت الرجل يصف ابنه لي طريه لرأيه فيه، وليرفعه، ورأيتك فوق ما قال ابوك فيك، وقد مات يحيى ابن معاذ، واستخلف ابنه أحمد بن يحيى، وليس بشيء، وقد رأيت توليتك مضر ومحاربة نصر بن شبث، فقال: السمع والطاعة يا أمير المؤمنين، وأرجو أن يجعل الله الخيرة لأمر المؤمنين والمسلمين.

قال: فعقد له، ثم أمر أن تقطع جبال القصارين عن طريقه، وتختي عن الطرقات المظال، كيلا يكون في طريقه ما يرد لواءه، ثم عقد له لواء

٨٠٦٠٠٢ وصيه طاهر إلى ابنه عبد الله

مكتوبا عليه بصفرة ما يكتب على الأولوية، وزاد فيه المأمون: يا منصور، وخرج ومعه الناس فصار إلى منزله، ولما كان من غد ركب إليه الناس، وركب إليه الفضل بن الربيع، فأقام عنده إلى الليل، فقام الفضل، فقال عبد الله: يا أبا العباس، قد تفضلت وأحسن، وقد تقدم أبي وأخوك إلى الأقطع أمرا دونك، وأحتاج أن أستطلع رأيك، وأستضيء بمشورتك، فإن رأيت أن تقيم عندي إلى أن نفطر فافعل.

فقال له: إن لي حالات ليس يمكنني معها الإفطار هاهنا قال: إن كنت تكره طعام أهل خراسان فابعث إلى مطبخك يأتون بطعامك، فقال له:

إن لي ركعات بين العشاء والعتمة، قال: ففي حفظ الله، وخرج معه إلى صحن داره يشاوره في خاص أموره.

وقيل: كان خروج عبد الله الصحيح إلى مضر، لقتال نصر بن شبث بعد خروج أبيه إلى خراسان، بستة أشهر.

وصيه طاهر إلى ابنه عبد الله

وكان طاهر حين ولي ابنه عبد الله ديار ربيعه، كتب إليه كتابا نسخته:

(بسم الله الرحمن الرحيم) عليك بتقوى الله وحده لا شريك له، وخشيته ومراقبته ومزايلة سخطه وحفظ رعيته، والزم ما ألبسك الله من العافية بالذكر لمعادك، وما أنت صائر إليه، وموقوف عليه، ومسئول عنه، والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله، وينجيك يوم القيامة من عذابه وأليم عقابه، فإن الله قد أحسن إليك وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده، وألزمك العدل عليهم، والقيام بحقه وحدوده فيهم، والذب عنهم، والدفع عن حريمهم ويضتهم، والحقن لدمائهم، والأمن لسبيلهم، وإدخال الراحة عليهم في معاشهم، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك، وموقفك عليه، ومسائلك عنه، ومثيبك عليه بما قدمت

واخرت، ففرغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك ورؤيتك، ولا يذهلك عنه ذاهل، ولا يشغلك عنه شاغل، فإنه رأس أمرك، وملاك شأنك، وأول ما يوفقك الله به لرشدك.

وليكن أول ما تلزم به نفسك، وتنسب إليه فعالك، المواظبة على ما اقترض الله عليك من الصلوات الخمس، والجماعة عليها بالناس قبلك في مواقيتها على سننها، في إسباغ الوضوء لها، واقتراح ذكر الله فيها وترتل في قراءتك، وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك، ولتصدق فيها لربك نيتك.

واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك، واداب عليها فإنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ثم أتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله ص والمثابرة على خلائفه، واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده، وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله وتقواه ولزوم ما أنزل الله في كتابه، من أمره ونهيه، وحلاله وحرامه، وأتمام ما جاءت به الآثار على النبي ص، ثم قم فيه بما يحق لله عليك، ولا تمل عن العدل فيما أحببت أو كرهت لقريب من الناس أو بعيد وآثر الفقه واهله، والدين وحملته، وكتاب الله والعاملين به، فإن أفضل ما تزين به المرء الفقه في دين الله، والطلب له، والحث عليه، والمعرفة بما يتقرب فيه منه إلى الله، فإنه الدليل على الخير كله، والقائد له، والامر به، والناهي عن المعاصي والموبقات كلها وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله عز وجل، وإجلالا له، ودركا للدرجات العلا في المعاد، مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمرك، والهيبه لسلطانك، والأنسه بك والثقة بعدلك.

وعليك بالاقتصاد في الأمور كلها، فليس شيء أبين نفعاً، ولا أحضر أمناً، ولا أجمع فضلاً من القصد، والقصد داعية إلى الرشد، والرشد دليل على التوفيق، والتوفيق منقاد إلى السعادة، وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد، فأثره في دينك كلها، ولا تقصر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة والسنن المعروفة، ومعالم الرشد فلا غاية للاستكثار من البر والسعي له، إذا كان يطلب به وجه الله ومرضاته، ومرافقة أوليائه في دار كرامته.

واعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز، ويحصن من الذنوب، وإنك لن تحوط نفسك ومن يليك، ولا تستصلح أمورك بأفضل منه، فاته واهتد به، تتم أمورك، وتزداد مقدرتك، وتصلح خاصتك وعامتك.

وأحسن الظن بالله عز وجل تستقم لك رعيتك، والتمس الوسيلة إليه في الأمور كلها تستدم به النعمة عليك، ولا تنهض أحداً من الناس فيما توليه من عملك قبل تكشف أمره بالتهمة، فإن إيقاع التهم بالبراء والظنون السيئة بهم مأثم واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك واطرد عنهم سوء الظن بهم، وارفضه عنهم يعنيك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم.

ولا يجدن عدو الله الشيطان في أمرك مغمزا، فإنه إنما يكتفي بالقليل من وهنك فيدخل عليك من الغم في سوء الظن ما ينغصك لذاذة عيشك.

واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة، وتكفي به ما أحببت كفايته من أمورك، وتدعو به الناس إلى محبتك والاستقامة في الأمور كلها لك ولا يمنحك حسن الظن بأصحابك والرافة برعيتك أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك، والمباشرة لأمر الأولياء، والحيطة للرعية والنظر فيما يقيمها ويصلحها، بل لتكن المباشرة لأمر الأولياء والحيطة للرعية والنظر في حوائجهم وحمل مؤناتهم أثر عندك مما سوى ذلك، فإنه أقوم للدين، وأحيا للسنة.

وأخلص نيتك في جميع هذا، وتفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم أنه مسئول عما صنع، ومجزي بما أحسن، ومأخوذ بما أساء، فإن الله جعل الدين حرزا وعزا، ورفع من اتبعه وعزره، فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدى وأقم حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم، وما استحقوه.

ولا تعطل ذلك ولا تهاون به ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة، فإن في تفريطك في ذلك لما يفسد عليك حسن ظنك واعزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة، وجانب الشبه والبدعات، يسلم لك دينك، وتقم لك مروءتك وإذا عاهدت عهدا فف به، وإذا وعدت الخير فأنجزه، واقل الحسنه، وادفع بها، واغض عن عيب كل ذي عيب من رعيتك، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور، وابغض أهله، وأقص أهل النيمه، فإن أول فساد أمرك في عاجل الأمور وآجلها تقريب الكذب والجراة على الكذب، لأن الكذب رأس المآثم، والزور والنيمه خاتمتهما، لأن النيمه لا يسلم صاحبها، وقائلها لا يسلم له صاحب، ولا يستقيم لمطيعها أمر.

وأحب أهل الصدق والصلاح، وأعز الأشراف بالحق، وواصل الضعفاء، وصل الرحم، وابتغ بذلك وجه الله وعزة أمره، والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة.

واجتنب سوء الأهواء والجور، واصرف عنهما رأيك، وأظهر براءتك من ذلك لرعيتك، وانعم بالعدل سياستهم، وقم بالحق فيهم

وبالمعرفة التي تنتهي بك إلى سبيل الهدى، واملِك نفسك عند الغضب، وآثر الوقار والحلم، وإياك والحدة والطيرة والغرور فيما أنت بسبيله.

وإياك أن تقول إني مسلط أفعل ما أشاء، فإن ذلك سريع فيك إلى نقص الرأي، وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له وأخلص لله النية فيه واليقين به، واعلم أن الملك لله يعطيه من يشاء، وينزعه من يشاء، ولن تجد تغير النعمة وحلول النعمة إلى أحد أسرع منه إلى حملة النعمة من أصحاب السلطان والمبسوط لهم في الدولة إذا كفروا بنعم الله وإحسانه، واستطالوا بما آتاهم الله من فضله. ودع عنك شره نفسك ولتكن ذخائرك وكنوزك التي تدخر وتكنز البر والتقوى والمعدلة واستصلاح الرعية، وعمارة بلادهم، والتفقد لأموارهم، والحفظ لدهمائهم، والإغاثة للمهوفهم.

واعلم أن الأموال إذا كثرت وذهرت في الخزائن لا تثمر، وإذا كانت في إصلاح الرعية وإعطاء حقوقهم وكف المؤنة عنهم نمت وربت، وصلحت

به العامة، وتزينت الولاية، وطاب به الزمان، واعتقد فيه العز والمنعة، فليكن كنز خزائلك تفريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله، ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم، وأوف رعيته من ذلك حصصهم، وتعهد ما يصلح أمورهم ومعايشهم، فإنك إذا فعلت ذلك قرت النعمة عليك، واستوجبت المزيد من الله، وكنت بذلك على جباية خراجك وجمع أموال رعيته وعملك أقدر، وكان الجمع لما شملهم من عدلك وإحسانك أسلس لطاعتك، وأطيب أنفسا لكل ما أردت.

فاجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب، ولتعظم حسبتك فيه، فإنما يبقى من المال ما أنفق في سبيل حقه، واعرف للشاكرين شكرهم وأثبهم عليه وإياك أن تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة فتهاون بما يحق عليك، فإن التهاون يوجب التفريط، والتفريط يورث البوار وليكن عملك لله وفيه تبارك وتعالى، وارج الثواب، فإن الله قد أسغ عليك نعمته في الدنيا، وأظهر لديك فضله، فاعتصم بالشكر، وعليه فاعتمد يزدك الله خيرا وإحسانا، فإن الله يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين، وقض الحق فيما حمل من النعم، وألبس من العافية والكرامة ولا تحقرن ذنبا، ولا تمايلن حاسدا، ولا ترحمن فاجرا، ولا تصلن كفورا، ولا تداهنن عدوا، ولا تصدقن غما، ولا تأمنن غدارا، ولا توالين فاسقا، ولا تتبعن غاويا، ولا تتحدن مرائيا، ولا تحقرن إنسانا، ولا تردن سائلا فقيرا، ولا تجبن باطلا، ولا تلاحظن مضحكا، ولا تخلفن وعدا، ولا ترهبن فجرا، ولا تعملن غضبا، ولا تأتين بذخا، ولا تمشين مرحا، ولا تركبن سفها، ولا تفرطن في طلب الآخرة، ولا تدفع الأيام عيانا، ولا تغمضن عن الظالم رهبة أو مخافة، ولا تطبن ثواب الآخرة بالدنيا وأكثر مشاورة الفقهاء، واستعمل نفسك بالحلم، وخذ عن أهل التجارب وذوي العقل والرأي والحكمة،

ولا تدخلن في مشورتك أهل الدقة والبخل، ولا تسمعن لهم قولا، فإن ضررهم أكثر من منفعتهم، وليس شيء أسرع فسادا لما استقبلت في أمر رعيته من الشح واعلم إنك إذا كنت حريصا كنت كثير الأخذ، قليل العطية، وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلا، فإن رعيته إنما تعتقد على محبتك بالكف عن أموالهم وترك الجور عنهم، ويدوم صفاء أوليائك لك بالأفضال عليهم وحسن العطية لهم، فاجتنب الشح، واعلم إنه أول ما عصى به الإنسان ربه، وأن العاصي بمنزلة خزي، وهو قول الله عز وجل: «وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ*»، فسهل طريق الجود بالحق، واجعل للمسلمين كلهم من نيتك حظا ونصيبا، وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد، فاعده لنفسك خلقا، وارض به عملا ومذهبا.

وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتبهم، وأدرر عليهم أرزاقهم، ووسع عليهم في معاشهم، ليذهب بذلك الله فاقتهم، ويقوم لك أمرهم، ويزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصا وانشراحا، وحسب ذي سلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمة في عدله وحيطة وإنصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسعته، فزایل مكروه إحدى البليتين باستشعار تكلة الباب الآخر، ولزوم العمل به تلق إن شاء الله نجاحا وصلاحا وفلاحا.

واعلم إن القضاء من الله بالمكان الذي ليس به شيء من الأمور، لأنه ميزان الله الذي تعتدل عليه الأحوال في الأرض، وبإقامة العدل في القضاء والعمل، تصلح الرعية، وتأمين السبل، وينتصف المظلوم، ويأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة، ويؤدي حق الطاعة،

ويرزق الله العافية والسلامة، ويقوم الدين، وتجري السنن والشرائع، وعلى مجاريها ينتجز الحق والعدل في القضاء. واشتد في أمر الله، وتورع عن النطف وامض لإقامة الحدود، وأقلل العجلة، وابتعد من الضجر والقلق، واقنع بالقسم، ولتسكن ريحك، ويقر جدك، وانتفع بتجربتك، وانتبه في صمتك، واسدد في منطقك، وأنصف الخصم،

وقف عند الشبهة، وأبلغ في الحجّة، ولا يأخذك في أحد من رعيّتك محاباة ولا محاماة، ولا لوم لائم، وثبت وتأن، وراقب وانظر، وتدبر وتفكر، واعتبر، وتواضع لربك، وارأف بجميع الرعية، وسلط الحق على نفسك، ولا تسرعن إلى سفك دم- فإن الدماء من الله بمكان عظيم- انتهاكا لها بغير حقها وانظر هذا الخراج الذي قد استقامت عليه الرعية، وجعله الله للإسلام عزا ورفعة، ولأهله سعة ومنعة، ولعدوه وعدوهم كبتا وغيطا، ولأهل الكفر من معادتهم ذلا وصغارا، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل، والتسوية والعموم فيه، ولا ترفعن منه شيئا عن شريف لشرفه، وعن غني لغناه، ولا عن كاتب لك، ولا أحد من خاصتك، ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له، ولا تكلفن أمرا فيه شطط واحمل الناس كلهم على مر الحق، فإن ذلك أجمع لألفتهم وألزم لرضا العامة واعلم أنك جعلت بولايتك خازنا وحافظا وراعيا، وإنما سمي أهل عملك رعيّتك، لأنك راعيهم وقيمهم، تأخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ومقدرتهم، وتتفقه في قوام أمرهم وصلاحيهم، وتقويم أودهم، فاستعمل عليهم في كور عملك ذوي الرأي والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل والعلم بالسياسة والعفاف، ووسع عليهم في الرزق، فإن ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأسند إليك، ولا يشغلنك عنه شاغل، ولا يصرفنك عنه صارف، فإنك متى أثرته وقت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك، وحسن الاحدوثة في اعمالك، واحتترزت النصيحة من رعيّتك، وأعنت على الصلاح، فدرت الخيرات ببلدك، وفشت العمارة بناحيّتك، وظهر الخصب في كورك، فكثرت خراجك، وتوفرت أموالك، وقويت بذلك على ارتباط جندك، وإرضاء العامة بإقامة العطاء فيهم من نفسك، وكنت محمود السياسة، مرضي العدل في ذلك عند عدوك، وكنت في أمورك كلها

ذا عدل وقوه، وآله وعده، وفنافس في هذا ولا تقدم عليه شيئا تحمد مغبة أمرك إن شاء الله.

واجعل في كل كورة من عملك أمينا يخبرك أخبار عمالك، ويكتب إليك بسيرتهم وأعمالهم، حتى كأنك مع كل عامل في عمله، معاين لأمره كله وإن أردت أن تأمره بأمر فانظر في عواقب ما أردت من ذلك، فإن رأيت السلامة فيه والعافية، ورجوت فيه حسن الدفاع والنصح والصنع فأمضه، وإلا فتوقف عنه وراجع أهل البصر والعلم، ثم خذ فيه عدته، فإنه ربما نظر الرجل في أمر من أمره قد واتاه على ما يهوى، فقواه ذلك وأعجبه، وإن لم ينظر في عواقبه أهلكه، ونقض عليه أمره.

فاستعمل الحزم في كل ما أردت، وباشره بعد عون الله بالقوة، وأكثر استخارة ربك في جميع أمورك، وافرج من عمل يومك ولا تؤخره لغدك، وأكثر مباشرته بنفسك، فإن لغد أمورا وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي أخرت وأعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه، وإذا أخرت عمله اجتمع عليك أمر يومين، فشغلك ذلك حتى تعرض عنه، فإذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك وبدنك، وأحكمت أمور سلطانك.

وانظر أحرار الناس وذوي الشرف منهم، ثم استيقن صفاء طويتهم وتهذيب مودتهم لك، ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على أمرك، فاستخلصهم وأحسن إليهم، وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة، فاحتمل مؤنتهم، وأصلح حالهم، حتى لا يجدوا لخلتهم مسا وأفرد نفسك للنظر في أمور الفقراء والمساكين، ومن لا يقدر على رفع مظلمة إليك والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه، فاسأل عنه احفى مسألة، وוכל بأمثاله أهل الصلاح من رعيّتك، ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك، لتنظر فيها بما يصلح الله أمرهم وتعاهد ذوي البأساء ويتامهم وأراملهم، واجعل لهم أرزاقا من بيت المال اقتداء بأمر المؤمنين أعزه الله، في العطف عليهم، والصلة لهم، ليصلح

الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة واجر للإضراء من بيت المال، وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لأكثره في الجراية على غيرهم، وانصب لمرضى المسلمين دورا تؤويهم، وقواما يرفقون بهم، وأطباء يعالجون أسقامهم، وأسعفهم بشهواتهم ما لم يؤد ذلك إلى

سرف في بيت المال واعلم أن الناس إذا أعطوا حقوقهم وأفضل أمانهم لم يرضهم ذلك، ولم تطب أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى ولاتهم طمعا في نيل الزيادة، وفضل الرفق منهم، وربما يرم المتصفح لأمر الناس لكثرة ما يرد عليه، ويشغل فكره وذهنه منها ما يناله به مؤنة ومشقة، وليس من يرغب في العدل، ويعرف محاسن أموره في العاجل وفضل ثواب الآجل، كالذي يستقبل ما يقربه إلى الله، ويلتمس رحمته به وأكثر الإذن للناس عليك، وأبرز لهم وجهك، وسكن لهم أحراسك، واخفض لهم جناحك، وأظهر لهم بشرك، ولن لهم في المسألة والمنطق، واعطف عليهم بجودك وفضلك، وإذا أعطيت فأعط بسماحة وطيب نفس، واتمس الصنعة والأجر غير مكر ولا منان، فإن العطية على ذلك تجارة مربحة إن شاء الله.

واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى من قبلك من أهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والأمم البائدة، ثم اعتصم في أحوالك كلها بأمر الله، والوقوف عند محبته، والعمل بشريعتة وسنته وإقامة دينه وكتابه، واجتنب ما فارق ذلك وخالفه، ودعا إلى سخط الله واعرف ما يجمع عمالك من الأموال وينفقون منها ولا تجمع حراما، ولا تنفق إسرافا، وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم وليكن هواك اتباع السنن وإقامتها، وإيثار مكارم الأمور ومعاليها، وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من إذا رأى عيبا فيك لم تمنعه هيبتك من إنهاء ذلك إليك في سر، وإعلامك ما فيه من النقص، فإن أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك. وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك، فوقت لكل رجل منهم في كل

يوم وقتا يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامراته، وما عنده من حوائج عمالك، وأمر كورك ورعيتك، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك، وكرر النظر إليه والتدبير له، فما كان موافقا للحزم والحق فأمضه واستخر الله فيه، وما كان مخالفا لذلك فاصرفه إلى التثبت فيه، والمسألة عنه.

ولا تمن على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه إليهم، ولا تقبل من أحد منهم إلا الوفاء والاستقامة والعون في أمور أمير المؤمنين، ولا تضعن المعروف إلا على ذلك.

وتفهم كتابي إليك، وأكثر النظر فيه والعمل به، واستعن بالله على جميع أمورك واستخره، فإن الله مع الصالح وأهله، وليكن أعظم سيرتك وأفضل رغبتك ما كان لله رضا ولدينه نظاما، ولأهله عزا وتمكينا، ولذمة والملة عدلا وصلاحا. وأنا أسأل الله أن يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءك، وأن ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك وكرامته لك، حتى يجعلك أفضل مثالك نصيبا، وأوفرهم حظا، وأسناهم ذكرا، وأمرا، وأن يهلك عدوك ومن ناوأك وبغى عليك، ويرزقك من رعيتك العافية، ويحجز الشيطان عنك وساوسه، حتى يستعلي أمرك بالعز والقوة والتوفيق، إنه قريب مجيب.

وذكر أن طاهرا لما عهد إلى ابنه عبد الله هذا العهد تنازعه الناس وكتبوه، وتدارسوه وشاع أمره، حتى بلغ المأمون فدعا به وقرئ عليه، فقال: ما بقي أبو الطيب شيئا من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأي والسياسة وإصلاح الملك والرعية وحفظ البيضة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلا وقد أحكمه، وأوصى به وتقدم، وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال في نواحي الأعمال.

وتوجه عبد الله إلى عمله فسار بسيرته، واتبع أمره وعمل بما عهد إليه

وفي هذه السنة ولى عبد الله بن طاهر إسحاق بن إبراهيم الجسرين، وجعله خليفته على ما كان طاهر أبوه استخلفه فيه من الشرط وأعمال بغداد، وذلك حين شخص إلى الرقة لحرب نصر بن شبث.

وجج بالناس في هذه السنة عبيد الله بن الحسن، وهو والي الحرمين.

٨٠٦١ سنه سبع ومائتين

٨٠٦١.١ ذكر خروج عبد الرحمن بن احمد العلوي باليمن

٨٠٦١.٢ ذكر الخبر عن وفاه طاهر بن الحسين

ثم دخلت

سنة سبع ومائتين

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث)

ذكر خروج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ببلادك من اليمن يدعو إلى الرضى من آل

محمد ص. فمن ذلك خروج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ببلادك من اليمن يدعو إلى الرضى من آل محمد ص.

ذكر الخبر عن سبب خروجه:

وكان السبب في خروجه أن العمال باليمن أساءوا السيرة، فبايعوا عبد الرحمن هذا، فلما بلغ ذلك المأمون وجهه إليه دينار بن عبد الله في عسكر كثيف، وكتب معه بأمانه، فحضر دينار بن عبد الله الموسم وحج، فلما فرغ من حجه سار إلى اليمن حتى أتى عبد الرحمن، فبعث إليه بأمانه من المأمون، فقبل ذلك، ودخل ووضع يده في يد دينار، فخرج به إلى المأمون، فنع المأمون عند ذلك الطالبين من الدخول عليه، وأمر بأخذهم بلبس السواد، وذلك يوم الخميس لليلة بقيت من ذي القعدة

. ذكر الخبر عن وفاة طاهر بن الحسين

وفي هذه السنة كانت وفاة طاهر بن الحسين.

ذكر الخبر عن وفاته:

ذكر عن مطهر بن طاهر، أن وفاة ذي اليمنين كانت من حمى وحرارة أصابته، وأنه وجد في فراشه ميتا وذكر أن عميه علي بن مصعب وأخاه أحمد بن مصعب، صارا إليه يعودانه، فسألا الخادم عن خبره - وكان يغسل بصلاة الصبح - فقال الخادم هو نائم لم ينتبه، فانتظراه ساعة، فلما انبسط الفجر، وتأخر عن الحركة في الوقت الذي كان يقوم فيه للصلاة، أنكرا ذلك، وقالوا للخادم:

أيقظه، فقال الخادم: لست أجسر على ذلك، فقالا له: اطرق لنا لندخل إليه، فدخل فوجداه ملقيا في دواج، قد أدخله تحته، وشده عليه من عند رأسه ورجليه، فحركاه فلم يتحرك، فكشفنا عن وجهه فوجداه قد مات.

ولم يعلم الوقت الذي توفي فيه، ولا وقف أحد من خدمه على وقت وفاته، وسألا الخادم عن خبره وعن آخر ما وقف عليه منه، فذكر أنه صلى المغرب والعشاء الآخرة، ثم التفت في دواجه قال الخادم: فسمعتة يقول بالفارسية كلاما وهو در مرك ينز مردى ويز، تفسيره أنه يحتاج في الموت أيضا إلى الرحلة.

وذكر عن كثوم بن ثابت بن أبي سعد - وكان يكنى أبا سعدة - قال: كنت على بريد خراسان، ومجلسي يوم الجمعة في أصل المنبر، فلما كان في سنة سبع ومائتين، بعد ولاية طاهر بن الحسين بسنتين، حضرت الجمعة، فصعد طاهر المنبر، فخطب، فلما بلغ إلى ذكر الخليفة أمسك عن الدعاء له، فقال: اللهم أصلح أمة محمد بما أصلحت به أوليائك، واكفها مؤنة من بغى فيها، وحشد عليها، بلم الشعث، وحقق الدماء، وإصلاح ذات البين قال: فقلت في نفسي: أنا أول مقتول، لأنني لا أكتم الخبر، فانصرفت واغتسلت بغسل الموتى، وانتزرت بإزار الموتى، ولبست قيصا، وارتديت رداء، وطرحت السواد، وكتبت إلى المأمون قال: فلما صلى العصر دعاني، وحدث به حادث في جفن عينه وفي مآقه، فخر ميتا قال: فخرج طلحه ابن طاهر، فقال: ردوه ردوه - وقد خرجت - فردوني، فقال: هل كتبت

بما كان؟ قلت: نعم، قال: فاكتب بوفاته، وأعطاني خمسمائة ألف ومائتي ثوب، فكتبت بوفاته وبقيام طلحة بالجيش.

قال: فوردت الخريطة على المأمون بخلعه غدوة، فدعا ابن أبي خالد فقال له: اشخص: فأث به - كما زعمت، وضمنت - قال: أبيت ليلتي، قال: لا لعمري لا تبئت إلا على ظهر فلم يزل ينأشه حتى أذن له في المبيت قال: ووافت الخريطة بموته ليلا، فدعاه فقال: قد مات، فمن ترى؟ قال: ابنه طلحة، قال: الصواب ما قلت، فاكتب بتوليته فكتب بذلك، وأقام طلحة واليا على خراسان في أيام المأمون سبع سنين بعد موت طاهر، ثم توفي، وولي عبد الله خراسان - وكان يتولى حرب بابك - فأقام بالدينور، ووجه الجيوش، ووردت وفاة طلحة على المأمون، فبعث إلى عبد الله يحيى بن أكرم يعزیه عن أخيه ويهنته بولاية خراسان، وولى علي بن هشام حرب بابك.

وذكر عن العباس أنه قال: شهدت مجلسا للمأمون، وقد أتاه نعي الطاهر، فقال: لليدين واللفم! الحمد لله الذي قدمه وأخرنا.

وقد ذكر في أمر ولاية طلحة خراسان بعد أبيه طاهر غير هذا القول، والذي قيل من ذلك، أن طاهرا لما مات- وكان موته في جمادى الأولى- وثب الجند، فانتهبوا بعض خزائنه، فقام بأمرهم سلام الأبرش الخصي، فأمر فأعطوا رزق ستة أشهر فصير المأمون عمله إلى طلحة خليفة لعبد الله بن طاهر، وذلك أن المأمون ولى عبد الله في قول هؤلاء بعد موت طاهر عمل طاهر كله- وكان مقيما بالرقعة على حرب نصر بن شبث- وجمع له مع ذلك الشام، وبعث إليه بعهد على خراسان وعمل أبيه، فوجه عبد الله أخاه طلحة بخراسان، واستخلف بمدينة السلام إسحاق بن إبراهيم، وكاتب المأمون طلحة باسمه، فوجه المأمون أحمد بن أبي خالد إلى خراسان للقيام بأمر طلحة، فشخص أحمد إلى ما وراء النهر، فافتتح أشروسنة، وأسر كاوس بن خاراخره وابنه الفضل، وبعث بهما إلى المأمون، ووهب طلحة لابن أبي خالد ثلاثة آلاف ألف درهم وعروضا بألفي ألف، ووهب لإبراهيم بن العباس كاتب أحمد بن أبي خالد خمسمائة ألف درهم وفي هذه السنة غلا السعر ببغداد والبصرة والكوفة حتى بلغ سعر القفيز من الخنطة بالهاروني أربعين درهما إلى الخمسين بالقفيز الملجم. وفي هذه السنة ولي موسى بن حفص طبرستان والرويان ودناوند. ووج بالناس في هذه السنة أبو عيسى بن الرشيد.

٨٠٦٢ سنة ثمان ومائتين

ثم دخلت

سنة ثمان ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فما كان فيها من ذلك مصير الحسن بن الحسين بن مصعب من خراسان إلى كرمان ممتعا بها، ومصير أحمد بن خالد إليه حتى أخذه، فقدم به على المأمون، فعفا عنه. وفيها ولى المأمون محمد بن عبد الرحمن الخزومي قضاء عسكر المهدي في الحرم. وفيها استعفى محمد بن سماعة القاضي من القضاء فأعفي، وولي مكانه إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة. وفيها عزل محمد بن عبد الرحمن عن القضاء بعد أن وليه فيها في شهر ربيع الأول، ووليه بشر بن الوليد الكندي، فقال بعضهم: يأبى الملك الموحد ربه ... قاضيك بشر بن الوليد حمار ينفي شهادة من يدين بما به ... نطق الكتاب وجاءت الأخبار ويعد عدلا من يقول بأنه ... شيخ يحيط بجسمه الأقطار ومات موسى بن محمد المخلوع في شعبان، ومات الفضل بن الربيع في ذي القعدة. ووج بالناس في هذه السنة صالح بن الرشيد.

٨٠٦٣ سنة تسع ومائتين

٨٠٦٣٠١ خبر الظفر بنصر بن شبث

ثم دخلت

سنة تسع ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

خبر الظفر بنصر بن شبث

فمن ذلك ما كان من حصر عبد الله بن طاهر نصر بن شبث وتضييقه عليه، حتى طلب الأمان، فذكر عن جعفر بن محمد العامري أنه قال: قال المأمون لثمامة: ألا تدلني على رجل من أهل الجزيرة له عقل وبيان ومعرفة، يؤدي عني ما أوجهه به إلى نصر بن شبث؟ قال:

بلى يا أمير المؤمنين، رجل من بنى عامر يقال له جعفر بن محمد، قال له: أحضرني، قال جعفر: فأحضرني ثمامة، فأدخلني عليه، فكلمني بكلام كثير، ثم أمرني أن أبلغه نصر بن شبث.

قال: فأتيت نصرا وهو بكفر عزون بسروج، فأبلغته رسالته، فأذعن وشرط شروطا، منها ألا يطاء له بساطا قال: فأتيت المأمون فأخبرته، فقال:

لا أجيئه والله إلى هذا أبدا، ولو أفضيت إلى بيع قيصي حتى يطاء بساطي، وما باله ينفر مني! قال: قلت: لجرمه وما تقدم منه، فقال: أترأه أعظم جرما عندي من الفضل بن الربيع ومن عيسى بن أبي خالد! أتدري ما صنع بي الفضل! أخذ قوادي وجنودي وسلاحي وجميع ما أوصى به لي أبي، فذهب به إلى محمد وتركني بمرور وحيدا فريدا وأسلمني، وأفسد علي أخي، حتى كان من أمره ما كان، وكان أشد علي من كل شيء أتدري ما صنع بي عيسى بن أبي خالد! طرد خيلتي من مدينتي ومدينة آبائي، وذهب بخراجي وفيي، وأحرب علي ديار، وأقعد إبراهيم خليفة دوني، ودعاه باسمي.

قال: قلت: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في الكلام فأتكلم؟ قال: تكلم، قلت: الفضل بن الربيع رضيعكم ومولاكم، وحال سلفه حالكم، وحال سلفكم حاله، ترجع عليه بضروب كلها تردك إليه، وأما عيسى بن أبي خالد فرجل

من أهل دولتك، وسابقتة وسابقة من مضى من سلفه سابقتهم ترجع عليه بذلك، وهذا رجل لم تكن له يد قط فيحمل عليها، ولا لمن مضى من سلفه، إنما كانوا من جند بني أمية قال: إن كان ذلك كما تقول، فكيف بالحق والغيط، ولكني لست أقنع عنه حتى يطاء بساطي، قال: فأتيت نصرا فأخبرته بذلك كله، قال: فصاح بالخیل صيحة فجالت، ثم قال: ويلى عليه! هو لم يقو على أربعمئة ضفدع تحت جناحه- يعني الزط- يقوى على حلبة العرب! فذكر أن عبد الله بن طاهر لما جاده القتال وحصره وبلغ منه، طلب الأمان فأعطاه، وتحول من معسكره إلى الرقة سنة تسع ومائتين، وصار إلى عبد الله بن طاهر، وكان المأمون قد كتب إليه قبل ذلك بعد أن هزم عبد الله ابن طاهر جيوشه كتابا يدعوه إلى طاعته ومفارقة معصيته، فلم يقبل، فكتب عبد الله إليه- وكان كتاب المأمون إليه من المأمون كتبه عمرو بن مسعدة:

أما بعد، فإنك يا نصر بن شبث قد عرفت الطاعة وعزها وبرد ظلها وطيب مرتعها وما في خلافتها من الندم والخسار، وإن طالت مدة الله بك، فإنه إنما يملئ لمن يلمس مظاهرة الحجة عليه لتقع عبره بأهلها على قدر إصرارهم واستحقاقهم وقد رأيت إذكارك وتبصيرك لما رجوت أن يكون لما أكتب به إليك موقع منك، فإن الصدق صادق والباطل باطل، وإنما القول بخارجه وبأهله الذين يعنون به، ولم يعاملك من عمال أمير المؤمنين أحد أنفع لك في مالك ودينك ونفسك، ولا احرص على استنقاذك والانتياش لك من خطائك مني، فبأي أول أو آخر أو سطة أو إمرة إقدامك يا نصر على أمير المؤمنين! تأخذ أمواله، وتولى دونه ما ولاه الله، وتريد أن تبيت آمنا أو مطمئنا، أو وادعا أو ساكنا أو هادئا! فو عالم السر والجهر، لئن لم تكن للطاعة مراجعا وبها خانعا، لتستوبلن وخم العاقبه، ثم لا بد ان بك قبل كل عمل، فإن قرون الشيطان إذا لم تقطع كانت في الأرض فتنه وفساد

كبير، ولأطان بمن معي من أنصار الدولة كواهل رعاع أصحابك، ومن تأشب إليك من أداني البلدان وأقاصيها وطغاما وأوباشها، ومن انضوى إلى حوزتك من خراب الناس، ومن لفظه بلده، ونفته عشيرته، لسوء موضعه فيهم وقد أعذر من أنذر والسلام.

وكان مقام عبد الله بن طاهر على نصر بن شبث محاربا له- فيما ذكر- خمس سنين حتى طلب الأمان، فكتب عبد الله إلى المأمون يعلمه أنه حصره وضيق عليه، وقتل رؤساء من معه، وأنه قد عاذ بالأمان وطلبه، فأمره أن يكتب له كتاب أمان، فكتب إليه، أمانا نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإن الإعذار بالحق حجة الله المقرون بها النصر، والاحتجاج بالعدل دعوة الله الموصول بها العز، ولا يزال المعذر بالحق، المحتج بالعدل في استفتاح أبواب التأييد، واستدعاء أسباب التمكين، حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين، ويمكن وهو خير الممكنين، ولست تعدو أن تكون فيما لهجت به أحد ثلاثة:

طالب دين، أو ملتمس دنيا، أو متهورا يطلب الغلبة ظلما، فإن كنت للدين تسعى بما تصنع، فأوضح ذلك لأمير المؤمنين يغتنم قبوله إن كان حقا، فلعمري ما همته الكبرى، ولا غايته القصوى إلا الميل مع الحق حيث مال، والزوال مع العدل حيث زال، وإن كنت

للدنيا تقصد، فأعلم أمير المؤمنين غايتك فيها، والأمر الذي تستحقها به، فإن استحققتها وأمكنه ذلك فعله بك. فلعمري ما يستجيز منع خلق ما يستحقه وإن عظم، وإن كنت متهورا فسيكفي الله أمير المؤمنين مؤنتك، ويعجل ذلك كما عجل كفايته مؤن قوم سلكوا مثل طريقك كانوا أقوى يدا، وأكثر جمعا وعددا ونصرا منك فيما أصارهم إليه من مصارع الخاسرين، وأنزل بهم من جوائح الظالمين وأمير المؤمنين يختم كتابه بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وإن محمدا عبده ورسوله ص، وضمانه لك في دينه وذمته الصفح عن سوائف جرائمك، ومتقدما لجرائمك، وإنزالك ما تستأهل من منازل العز والرفعة إن أتيت وراجعت، إن شاء الله والسلام

ولما خرج نصر بن شبيب إلى عبد الله بن طاهر بالأمان هدم كيسوم وخربها. وفي هذه السنة ولى المأمون صدقة بن علي المعروف بزريق أرمينية وأذربيجان ومحاربة بابك، وانتدب للقيام بأمره أحمد بن الجعيد بن فرزندى الأسكافي، ثم رجع أحمد بن الجعيد بن فرزندى إلى بغداد، ثم رجع إلى الخرمية، فأسره بابك، فولى إبراهيم بن الليث بن الفضل التجيبي أذربيجان.

وجج بالناس في هذه السنة صالح بن العباس بن محمد بن علي، وهو والي مكة. وفيها مات ميخائيل بن جورجس صاحب الروم، وكان ملكه تسع سنين، وملك الروم عليهم ابنه توفيل بن ميخائيل.

٨٠٦٤ سنة عشر ومائتين

٨٠٦٤.١ ذكر الخبر عن ظفر المأمون بابن عائشة ورفقائه

ثم دخلت

سنة عشر ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فمن ذلك وصول نصر بن شبيب فيها إلى بغداد، وجه به عبد الله بن طاهر إلى المأمون، فكان دخوله إليها يوم الاثنين لسبع خلون من صفر، فأنزله مدينة أبي جعفر ووكل به من يحفظه.

ذكر الخبر عن ظفر المأمون بابن عائشة ورفقائه

وفيها ظهر المأمون على إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام، الذي يقال له ابن عائشة ومحمد بن إبراهيم الأفريقي ومالك بن شاهي وفرج البغاري ومن كان معهم ممن كان يسعى في البيعة لإبراهيم بن المهدي، وكان الذي أطلعه عليهم وعلى ما كانوا يسعون فيه من ذلك عمران القطريلي، فأرسل إليهم المأمون يوم السبت - فيما ذكر - لخمس خلون من صفر سنة عشر ومائتين، فأمر المأمون بإبراهيم بن عائشة أن يقام ثلاثة أيام في الشمس على باب دار المأمون، ثم ضربه يوم الثلاثاء بالسياط، ثم حبسه في المطبق، ثم ضرب مالك بن شاهي وأصحابه، وكتبوا للمأمون أسماء من دخل معهم في هذا الأمر من القواد والجند وسائر الناس، فلم يعرض المأمون لأحد ممن كتبوا له، ولم يأمن أن يكونوا قد قذفوا أقواما براء، وكانوا اتعدوا أن يقطعوا الجسر إذا خرج الجند يتلقون نصر بن شبيب، فغمر بهم فأخذوا، ودخل نصر بن شبيب بعد ذلك وحده، ولم يوجه إليه أحد من الجند، فأُنزل عند إسحاق بن إبراهيم، ثم حول إلى مدينة أبي جعفر.

٨٠٦٤.٢ ذكر خبر الظفر بإبراهيم بن المهدي

٨٠٦٤.٣ ذكر خبر قتل ابن عائشة

ذكر خبر الظفر بإبراهيم بن المهدي

وفيها أخذ إبراهيم بن المهدي ليلة الأحد لثلاث عشرة من ربيع الآخر، وهو منتقب مع امرأتين في زي امرأة، أخذه حارس أسود

ليلاً، فقال: من أنت؟ وأين تردن في هذا الوقت؟ فأعطاه إبراهيم - فيما ذكر - خاتم ياقوت كان في يده، له قدر عظيم، ليخليهن، فلما نظر الحارس إلى الخاتم استراب بهن، وقال: هذا خاتم رجل له شأن، فرفعهن إلى صاحب المسلحة، فأمرهن أن يسفرن، فتمنع إبراهيم، فحبذه صاحب المسلحة، فبدت لحيته، فرفعه إلى صاحب الجسر فعرفه، فذهب به إلى باب المأمون، فأعلم به، فأمر بالاحتفاظ به في الدار، فلما كان غداة الأحد أقعد في دار المأمون لينظر إليه بنو هاشم والقواد والجند، وصيروا المقنعة التي كان متنقبا بها في عنقه، والملحفة التي كان ملتحقا بها في صدره، ليراه الناس ويعلموا كيف أخذ فلما كان يوم الخميس حوله المأمون إلى منزل أحمد بن أبي خالد فحبسه عنده، ثم أخرجه المأمون معه حيث خرج إلى الحسن بن سهل بواسط، فقال الناس: إن الحسن كله فيه، فرضي عنه وخلي سبيله، وصيره عند أحمد بن أبي خالد، وصير معه أحمد بن يحيى بن معاذ وخالد بن يزيد بن مزيد يحفظانه، إلا أنه موسع عليه، عنده أمه وعياله، ويركب إلى دار المأمون، وهؤلاء معه يحفظونه .

ذكر خبر قتل ابن عائشة

وفي هذه السنة قتل المأمون إبراهيم بن عائشة وصلبه.

ذكر الخبر عن سبب قتله إياه:

كان السبب في ذلك أن المأمون حبس ابن عائشة ومحمد بن إبراهيم الأفريقي ورجلين من الشطار، يقال لأحدهما أبو مسمار وللآخر عمار، وفرج البغاري ومالك بن شاهي وجماعة معهم ممن كان سعى في البيعة لإبراهيم، بعد أن

٨٠٦٤٠٤ العفو عن إبراهيم بن المهدي

ضربوا بالسياط ما خلا عماراً، فانه او من لما كان من إقراره على القوم في المطبق، فرفع بعض أهل المطبق أنهم يريدون أن يشغبوا وينقبوا السجن - وكانوا قبل ذلك بيوم قد سدوا باب السجن من داخل فلم يدعوا أحداً يدخل عليهم - فلما كان الليل وسمعوا شغبهم، بلغ المأمون خبرهم، فركب إليهم من ساعته بنفسه، فدعا بهؤلاء الأربعة فضرب أعناقهم صبرا، وأسمعه ابن عائشة شتما قبيحا، فلما كانت الغداة صلبوا على الجسر الأسفل، فلما كان من الغداة يوم الأربعاء انزل إبراهيم بن عائشة، فكفن وصلي عليه، ودفن في مقابر قریش، وأنزل ابن الأفريقي فدفن في مقابر الخيزران وترك الباقيون.

العفو عن إبراهيم بن المهدي

وذكر أن إبراهيم بن المهدي لما أخذ صير به إلى دار أبي إسحاق بن الرشيد - وأبو اسحق عند المأمون - فحمل رديفاً لفرج التركي، فلما أدخل على المأمون قال له: هيه يا إبراهيم! فقال: يا أمير المؤمنين، ولي الثأر محكم في القصاص، والعفو أقرب للتقوى، ومن تناوله الاغترار بما مد له من أسباب الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه، وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب، كما جعل كل ذي ذنب دونك، فإن تعاقب فبحقك، وأن تعف بففضلك، قال: بل أعفو يا إبراهيم، فكبر ثم خر ساجداً.

وقيل ان إبراهيم كتب بهذا الكلام إلى المأمون وهو مختف، فوقع المأمون في حاشية رقعة: القدرة تذهب الحفيظة، والندم توبة، وبينهما عفو الله، وهو أكبر ما نسأله، فقال إبراهيم يمدح المأمون:

يا خير من ذملت يمانية به ... بعد الرسول لآيس ولطامع

وأبر من عبد الإله على التقى ... عينا وأقوله بحق صادق

عسل الفوارع ما أطعت فإن تهج ... فالصاب يمزج بالسمام النافع

متيقظا حذرا وما يخشى العدى ... نهان من وسنات ليل الهاجع

ملئت قلوب الناس منك مخافة ... وتبيت تكلؤهم بقلب خاشع

بأبي وأمي فدية وبنيهما ... من كل معضلة وريب واقع

ما ألين الكنف الذي بوأتي ... وطننا وأمرع رتعه للرائع

للمصالحات أخوا جعلت وللتقى ... وأبا رءوفا للفقير القانع
 نفسي فداؤك إذ تضل معاذري ... وألوذ منك بفضل حلم واسع
 أملا لفضلك والفواضل شيمة ... رفعت بناءك بالحمل اليافع
 فبذلت أفضل ما يضيق ببذله ... وسع النفوس من الفعال البارع
 وعفوت عمن لم يكن عن مثله ... عفو، ولم يشفع إليك بشافع
 الا العلو عن العقوبة بعد ما ... ظفرت يداك بمستكين خاضع
 فرحمت أطفالا كأفراخ القطا ... وعويل عانسة كقوس النازع
 وعطفت آصرة على كما وعى ... بعد انهياض الوشى عظم الظالع
 الله يعلم ما أقول فإنها ... جهد الألية من حنيف راع
 ما أن عصيتك والغواة تقودني ... أسبابها إلا بنية طائع
 حتى إذا علقت حبال شقوتي ... بردى إلى حفر المهالك هائع
 لم أدر أن لمثل جرمي غافرا ... فوقفت أنظر أي حتف صارعي
 رد الحياة علي بعد ذهابها ... ورع الإمام القادر المتواضع
 أحياء من ولاك أطول مدة ... ورمى عدوك في الوتين بقاطع
 كم من يد لك لم تحدثني بها ... نفسي إذا آلت إلي مطامعي

٨٠٦٤٥ ذكر الخبر عن بناء المأمون ببوران

أسديتها عفوا إلي هنيئة ... فشكرت مصطنعا لأكرم صانع
 إلا يسيرا عند ما أوليتني ... وهو الكثير لدى غير الضائع
 إن أنت جدت بها علي تكن لها ... أهلا، وأن تمنع فأعدل مانع
 إن الذي قسم الخلافة حازها ... في صلب آدم للإمام السابع
 جمع القلوب عليك جامع أمرها ... وحوى رداؤك كل خير جامع
 فذكر أن المأمون حين أنشده إبراهيم هذه القصيدة، قال: أقول ما قال يوسف لإخوته: «لا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»

ذكر الخبر عن بناء المأمون ببوران

وفي هذه السنة بنى المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل في رمضان منها.
 ذكر الخبر عن أمر المأمون في ذلك وما كان في أيام بنائه:

ذكر أن المأمون لما مضى إلى فم الصلح إلى معسكر الحسن بن سهل، حمل معه إبراهيم بن المهدي، وشخص المأمون من بغداد حين شخص إلى ما هنالك للبناء ببوران، راجعا زورقا، حتى أرسى على باب الحسن، وكان العباس بن المأمون قد تقدم أباه على الظهر، فتلقاه الحسن خارجا عسكره في موضع قد اتخذ له على شاطئ دجلة، بني له فيه جوسق، فلما عاينه العباس ثنى رجله لينزل، فحلف عليه الحسن الا يفعل، فلما ساواه ثنى رجله الحسن لينزل، فقال له العباس: بحق أمير المؤمنين لا تنزل، فاعتنقه الحسن وهو راكب ثم أمر أن يقدم إليه دابته، ودخلا جميعا منزل الحسن، ووافى المأمون في وقت العشاء، وذلك في شهر رمضان من سنة عشر ومائتين، فأفطر هو والحسن والعباس - ودينار بن عبد الله قائم على رجله - حتى فرغوا من الإفطار،

وغسلوا أيديهم، فدعا المأمون بشارب، فأتى بجام ذهب فصب فيه وشرب، ومد يده بجام فيه شراب إلى الحسن، فتباطأ عنه الحسن، لأنه لم يكن يشرب قبل ذلك، فغمز دينار بن عبد الله الحسن، فقال له الحسن: يا أمير المؤمنين، أشربه بإذنك وأمرك؟ فقال له المأمون:

لولا أمري لم أمدد يدي إليك، فأخذ الجاه فشربه فلما كان في الليلة الثانية، جمع بين محمد بن الحسن بن سهل والعباسة بنت الفضل ذي الرئاستين، فلما كان في الليلة الثالثة دخل على بوران، وعندها حمدونة وأم جعفر وجدتها، فلما جلس المأمون معها نثرت عليها جدتها ألف درة كانت في صينية ذهب، فأمر المأمون أن تجمع، وسألها عن عدد ذلك الدر كم هو؟ فقالت: ألف حبة، فأمر بعدها فنقصت عشرا، فقال: من أخذها منكم فليردها، فقالوا: حسين زجلة، فأمره بردها، فقال: يا أمير المؤمنين، إنما نثر لناخذه، قال: ردها فإني أخلفها عليك، فردها وجمع المأمون ذلك الدر في الآنية كما كان، فوضع في حجرها، وقال: هذه نخلتك، وسلي حوائجك، فأمسكت فقالت لها جدتها: كلبي سيدك، وسليه حوائجك فقد أمرك، فسألته الرضا عن إبراهيم بن المهدي، فقال: قد فعلت، وسألته الإذن لأم جعفر في الحج، فأذن لها وألبستها أم جعفر البدنة الأموية، وابتنى بها في ليلته، وأوقد في تلك الليلة شمعة عنبر، فيها أربعون منا في تور ذهب فأنكر المأمون ذلك عليهم، وقال: هذا سرف، فلما كان من الغد دعا بإبراهيم بن المهدي فجاء يمشي من شاطئ دجلة، عليه مبطنة ملحم، وهو معتم بعمامة، حتى دخل، فلما رفع الستر عن المأمون رمى بنفسه، فصاح المأمون:

يا عم، لا بأس عليك، فدخل فسلم عليه تسليم الخلافة، وقبل يده، وأنشد شعره، ودعا بالخلع نخلع عليه خلعه ثانية، ودعا له بمركب وقلده سيفاً، وخرج فسلم الناس، ورد إلى موضعه

وذكر أن المأمون أقام عند الحسن بن سهل سبعة عشر يوما يعد له في كل يوم لجميع من معه جميع ما يحتاج إليه، وأن الحسن خلع على القواد على مراتبهم، وحملهم ووصلهم، وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين ألف ألف درهم قال: وأمر المأمون غسان بن عباد عند منصرفه أن يدفع إلى الحسن عشرة آلاف ألف من مال فارس، وأقطعه الصلح فحملت إليه على المكان، وكانت معدة عند غسان بن عباد، فجلس الحسن ففرقها في قواده وأصحابه وحشمه وخدمه، فلما انصرف المأمون شيعه الحسن، ثم رجع إلى فم الصلح.

فذكر عن أحمد بن الحسن بن سهل، قال: كان أهلنا يتحدثون أن الحسن بن سهل كتب رقاعا فيها أسماء ضياعه، ونثرها على القواد وعلى بني هاشم، فمن وقعت في يده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث فتسلبها. وذكر عن أبي الحسن علي بن الحسين بن عبد الأعلى الكاتب، قال:

حدثني الحسن بن سهل يوما بأشياء كانت في أم جعفر، ووصف رجاحة عقلها وفهمها، ثم قال: سألتها يوما المأمون بفم الصلح حيث خرج إلينا عن النفقة على بوران، وسأل حمدونة بنت غضيض عن مقدار ما أنفقت في ذلك الأمر. قالت فقالت حمدونة: أنفقت خمسة وعشرين ألف ألف، قال: فقالت أم جعفر: ما صنعت شيئا، قد أنفقت ما بين خمسة وثلاثين ألف ألف إلى سبعة وثلاثين ألف ألف درهم قال: وأعددنا له شمعتين من عنبر، قال:

فدخل بها ليلا، فأوقدتا بين يديه، فكثرت دخانها، فقال: ارفعوهما قد أذانا الدخان، وهاتوا الشمع قال: ونخلتها أم جعفر في ذلك اليوم الصلح قال: فكان سبب عود الصلح إلى ملكي، وكانت قبل ذلك لي، فدخل علي يوما حميد الطوسي فأقرأني أربعة آيات امتدح بها ذا الرئاستين، فقلت له: نفذها لك ذي الرئاستين، وأقطعك الصلح في العاجل إلى أن تأتي مكافأتك من قبله فأقطعته إياها، ثم ردها المأمون على أم جعفر فخلتها بوران.

وروى علي بن الحسين أن الحسن بن سهل كان لا ترفع الستور عنه، ولا يرفع الشمع من بين يديه حتى تطلع الشمس ويتبينها إذا نظر إليها وكان متطيرا يحب أن يقال له إذا دخل عليه: انصرفنا من فرح وسرور، ويكره أن يذكر له جنازة أو موت أحد قال: ودخلت عليه يوما فقال له قائل: إن علي بن الحسين أدخل ابنه الحسن اليوم الكتاب، قال: فدعا لي وانصرفت، فوجدت في منزلي عشرين ألف درهم هبة للحسن وكتابا بعشرين ألف درهم.

قال: وكان قد وهب لي من أرضه بالبصرة ما قوم بخمسين ألف دينار، فقبضه عني بغا الكبير، وأضافه إلى أرضه. وذكر عن أبي حسان الزياتي أنه قال: لما صار المأمون إلى الحسن بن سهل، أقام عنده أياما بعد البناء ببوران، وكان مقامه في مسيره وذهابه ورجوعه أربعين يوما ودخل إلى بغداد يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال.

وذكر عن محمد بن موسى الخوارزمي أنه قال: خرج المأمون نحو الحسن ابن سهل إلى فم الصلح لثمان خلون من شهر رمضان، ورحل

من فم الصلح لتسع بقين من شوال سنة عشر ومائتين.
وهلك حميد بن عبد الحميد يوم الفطر من هذه السنة، وقالت جاريته عدل:
من كان أصبح يوم الفطر مغتبطا ... فما غبطنا به والله محمود
أو كان منتظرا في الفطر سيده ... فإن سيدنا في الترب ملحود
وفي هذه السنة افتتح عبد الله بن طاهر مصر، واستأمن إليه عبيد الله بن السري بن الحكم.

٨٠٦٤٠٦ ذكر الخبر عن سبب شخوص عبد الله بن طاهر من الرقة إلى مصر وسبب خروج ابن السري إليه في الأمان

ذكر الخبر عن سبب شخوص عبد الله بن طاهر من الرقة إلى مصر وسبب خروج ابن السري إليه في الأمان
ذكر أن عبد الله بن طاهر لما فرغ من نصر بن شيبان العقيلي، ووجهه إلى المأمون فوصل إليه ببغداد كتب المأمون يأمره بالمصير إلى مصر، فحدثني أحمد بن محمد بن مخلد، أنه كان يومئذ بمصر، وأن عبد الله بن طاهر لما قرب منها، وصار منها على مرحلة، قدم قائدا من قواده إليها ليرتاد لمعسكره موضعا يعسكر فيه، وقد خندق ابن السري عليها خندقا، فاتصل الخبر بابن السري عن مصير القائد إلى ما قرب منها، ففرج بمن استجاب له من أصحابه إلى القائد الذي كان عبد الله بن طاهر وجهه لطلب موضع معسكره، فالتقى جيش ابن السري وقائد عبد الله وأصحابه وهم في قلة، فجال القائد وأصحابه جولة، وأورد القائد إلى عبد الله يريد أن يخبره بخبره وخبر ابن السري، فحمل رجاله على البغال، على كل بغل رجلين بالتهما وادواتهما، وجنبا الخيل، وأسرعوا السير حتى لحقوا القائد وابن السري، فلم تكن من عند الله وأصحابه إلا جملة واحدة حتى انهزم ابن السري وأصحابه، وتساقطت عامة أصحابه - يعني ابن السري - في الخندق، فن هلك منهم بسقوط بعضهم على بعض في الخندق كان أكثر ممن قتله الجند بالسيف، وانهزم ابن السري، فدخل الفسطاط، وأغلق على نفسه وأصحابه ومن فيها الباب، وحاصره عبد الله بن طاهر، فلم يعاوده ابن السري الحرب بعد ذلك حتى خرج إليه في الأمان.

وذكر عن ابن ذي القلمين، قال: بعث ابن السري إلى عبد الله بن طاهر لما ورد مصر ومأمنه من دخولها بألف وصيف ووصيفة، مع كل وصيف ألف دينار في كيس حرير، وبعث بهم ليلا قال: فرد ذلك عليه عبد الله وكتب إليه: لو قبلت هديتك نهارا لقبلتها ليلا
«بَلْ أَنْتُمْ هَدَيْتُكُمْ تَفْرَحُونَ

أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ» قال: فحينئذ طلب الأمان منه، وخرج إليه.
وذكر أحمد بن حفص بن عمر، عن أبي السمراء، قال: خرجنا مع الأمير عبد الله بن طاهر متوجهين إلى مصر، حتى إذا كنا بين الرملة ودمشق، إذا نحن بأعرابي قد اعترض، فإذا شيخ فيه بقية على بعير له أورك، فسلم علينا فرددنا قال أبو السمراء: وأنا وإسحاق بن إبراهيم الرافقي وإسحاق بن أبي ربيعي، ونحن نساير الأمير، وكنا يومئذ أفره من الأمير دواب، وأجود منه كسا قال: فجعل الأعرابي ينظر في وجوهنا، قال:

فقلت: يا شيخ، قد ألححت في النظر، أعرفت شيئا أم أنكرته؟ قال:
لا والله ما عرفتكم قبل يومي هذا، ولا أنكركم لسوء أراه فيكم، ولكني رجل حسن الفراسة في الناس، جيد المعرفة بهم، قال: فأشرت له إلى إسحاق بن أبي ربيعي، فقلت: ما تقول في هذا؟ فقال:

أرى كاتباً داهي الكتابة بين ... عليه وتأديب العراق منير
له حركات قد يشاهدن أنه ... عليم بتقسيط الخراج بصير

ونظر إلى إسحاق بن إبراهيم الرافقي، فقال:
ومظهر نسك ما عليه ضميره ... يحب الهدايا، بالرجال مكور
أخال به جبنا وبخلا وشيمة ... تخبر عنه أنه لوزير

ثم نظر إلي وأنشأ يقول:

وهذا نديم للأمر ومؤنس ... يكون له بالقرب منه سرور

أخاله للإشعار والعلم راويا ... فبعض نديم مرة وسمير

ثم نظر إلى الأمير وأنشأ يقول:

وهذا الأمير المرتجى سيب كفه ... فما إن له فيمن رأيت نظير

عليه رداء من جمال وهيبة ... ووجه بإدراك النجاح بشير

لقد عصم الإسلام منه بدابد ... به عاش معروف ومات نكير

ألا إنما عبد الإله بن طاهر ... لنا والد بر بنا، وأمير

قال: فوق ذلك من عبد الله أحسن موقع، وأعجبه ما قال الشيخ، فامر له بخمسمائة دينار، وأمره أن يصحبه.

وذكر عن الحسن بن يحيى الفهري، قال: لقينا البطين الشاعر الحمصي، ونحن مع عبد الله بن طاهر فيما بين سلبية وحمص، فوقف على

الطريق، فقال لعبد الله بن طاهر:

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا ... بابن ذي الجود طاهر بن الحسين

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا ... بابن ذي الغرتين في الدعوتين

مرحبا مرحبا بمن كفه البحر ... إذا فاض مزبد الرجوين

ما يبالي المأمون أيده الله ... إذا كنتما له باقيين

أنت غرب وذاك شرق مقيما ... أي فتق أتى من الجانبين

وحقيق إذ كنتما في قديم ... لزريق ومصعب وحسين

أن تنالا ما نلتماه من المجد ... وأن تعلوا على الثقلين

قال: من أنت ثكلتك أمك! قال: أنا البطين الشاعر الحمصي، قال:

اركب يا غلام وانظر كم بيتا؟ قال: قال: سبعة، فأمر له بسبعة آلاف درهم او بسبعمائة دينار، ثم لم يزل معه حتى دخلوا مصر

والإسكندرية، حتى انخسف به وبدابته مخرج، فمات فيه بالإسكندرية.

٨٠٦٤٠٧ ذكر الخبر عن فتح عبد الله بن طاهر الإسكندرية

ذكر الخبر عن فتح عبد الله بن طاهر الإسكندرية

وفي هذه السنة فتح عبد الله بن طاهر الإسكندرية- وقيل كان فتحه إياها في سنة إحدى عشرة ومائتين- وأجلى من كان تغلب عليها

من أهل الأندلس عنها.

(ذكر الخبر عن أمره وأمرهم) :

حدثني غير واحد من أهل مصر، أن مراكب أقبلت من بحر الروم من قبل الأندلس، فيها جماعة كبيرة أيام شغل الناس قبلهم بفتنة

الجروي وابن السري، حتى أرسوا مراكبهم بالإسكندرية، ورئيسهم يومئذ رجل يدعى أبا حفص، فلم يزالوا بها مقيمين حتى قدم عبد

الله بن طاهر مصر قال لي يونس بن عبد الأعلى: قدم علينا من قبل المشرق فتى حدث- يعني عبد الله بن طاهر- والدنيا عندنا مفتونة،

قد غلب على كل ناحية من بلادنا غالب، والناس منهم في بلاء، فأصلح الدنيا، وأمن البريء، واخاف السقيم، واستوسقت له الرعية

بالطاعة ثم قال: أخبرنا عبد الله بن وهب، قال: أخبرني عبد الله بن لهيعة، قال: لا أدري رفعه إلي قبل أم لا! فلم نجد فيما قرأنا من

الكتب أن لله بالمشرق جندا لم يطع عليه أحد من خلقه إلا بعثهم عليه، وانتقم بهم منه- أو كلاما هذا معناه- فلما دخل عبد الله

بن طاهر بن الحسين مصر، أرسل إلى من كان بها من الأندلسيين، وإلى من كان انضوى إليهم، يؤذنه بالحرب إن هم لم يدخلوا في

الطاعة، فأخبروني أنهم أجابوه إلى الطاعة، وسألوه الأمان، على أن يرتحلوا من الإسكندرية إلى بعض أطراف الروم التي ليست من

بلاد الإسلام، فأعطاهم الأمان على ذلك، وأنهم رحلوا عنها، فنزلوا جزيرة من جزائر البحر، يقال لها إقريطش، فاستوطنوها وأقاموا بها، وفيها بقايا أولادهم الى اليوم.

٨٠٦٤٠٨ ذكر الخبر عن خروج اهل قم على السلطان

ذكر الخبر عن خروج اهل قم على السلطان

وفي هذه السنة خلع أهل قم السلطان ومنعوا الخراج.

ذكر الخبر عن سبب خلعهم السلطان ومآل أمرهم في ذلك:

ذكر أن سبب خلعهم إياه كان أنهم كانوا استكثروا ما عليهم من الخراج، وكان خراجهم ألفي ألف درهم، وكان المأمون قد حط عن أهل الري حين دخلها منصرفاً من خراسان إلى العراق، ما قد ذكرت قبل، فطمع أهل قم من المأمون في الفعل بهم في الحط عنهم والتخفيف مثل الذي فعل من ذلك بأهل الري، فرفعوا إليه يسألونه الحط، ويشكون إليه ثقله عليهم، فلم يجبه المأمون إلى ما سألوه، فامتنعوا من أدائه، فوجه المأمون إليهم علي بن هشام، ثم أمده بعجيف بن عنبسة، وقدم قائد لحميد يقال له محمد بن يوسف الكح بعرض من خراسان، فكتب إليه بالمصير إلى قم لحرب أهلها مع علي بن هشام، فخاربههم علي فظفر بهم، وقتل يحيى بن عمران وهدم سور قم، وجباها سبعة آلاف ألف درهم بعد ما كانوا يتظلمون من ألفي ألف درهم.

ومات في هذه السنة شهر يار، وهو ابن شروين، وصار في موضعه ابنه سابور، فنارعه مازيار بن قارن فأسره وقتله، وصارت الجبال في يدي مازيار ابن قارن.

وجج بالناس في هذه السنة صالح بن العباس بن محمد وهو يومئذ والي مكة.

٨٠٦٥ سنة إحدى عشرة ومائتين

٨٠٦٥٠١ امر عبيد الله بن السري

ثم دخلت

سنة إحدى عشرة ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

امر عبيد الله بن السري

فمن ذلك خروج عبيد الله بن السري إلى عبد الله بن طاهر بالأمان، ودخول عبد الله بن طاهر مصر - وقيل إن ذلك في سنة عشر ومائتين - وذكر بعضهم أن ابن السري خرج إلى عبد الله بن طاهر يوم السبت لخمس بقين من صفر سنة إحدى عشرة ومائتين، وأدخل بغداد لسبع بقين من رجب سنة إحدى عشرة ومائتين، وأنزل مدينة أبي جعفر، وأقام عبد الله بن طاهر بمصر واليا عليها وعلى سائر الشام والجزيرة، فذكر عن طاهر بن خالد ابن نزار الغساني، قال: كتب المأمون إلى عبد الله بن طاهر وهو بمصر حين فتحها في أسفل كتاب له:

أخي أنت ومولاي ... ومن أشكر نعماه

فما أحبيت من أمر ... فإني الدهر أهواه

وما تكره من شيء ... فإني لست أرفضه

لك الله على ذاك ... لك الله لك الله

وذكر عن عطاء صاحب مظالم عبد الله بن طاهر، قال: قال رجل من أخوة المأمون للمأمون: يا أمير المؤمنين، إن عبد الله بن طاهر يميل إلى ولد أبي طالب، وكذا كان أبوه قبله قال: فدفع المأمون ذلك وأنكره، ثم عاد بمثل هذا القول، فدرس إليه رجلاً ثم قال له:

امض في هيئة القراء والنسك إلى مصر، فادع جماعة من كبرائها إلى القاسم بن إبراهيم بن طباطبا، واذكر مناقبه وعلمه وفضائله، ثم صر بعد ذلك إلى بعض بطانة عبد الله بن طاهر، ثم اثته فادعه ورغبه في استجابته له، والبحث عن دفين نيته بحثا شافيا، واثني بما تسمع منه قَالَ: ففعل الرجل ما قَالَ له، وأمره به، حتى إذا

دعا جماعة من الرؤساء والأعلام، قعد يوما بباب عبد الله بن طاهر، وقد ركب إلى عبيد الله بن السري بعد صلحه وأمانه، فلما انصرف قام إليه الرجل، فأخرج من كمه رقعة فدفعها إليه، فأخذها بيده، فما هو إلا أن دخل نخرج الحاجب إليه، فأدخله عليه وهو قاعد على بساطه، ما بينه وبين الأرض غيره، وقد مد رجله، وخفاه فيهما، فقال له: قد فهمت ما في رقعتك من جملة كلامك، فهات ما عندك، قَالَ: ولي أمانك وذمة الله معك؟ قَالَ: لك ذلك، قَالَ: فأظهر له ما أراد، ودعاه إلى القاسم، وأخبره بفضائله وعلمه وزهده، فقال له عبد الله: أمتصني؟ قَالَ: نعم، قَالَ: هل يجب شكر الله على العباد؟

قَالَ: نعم، قَالَ: فهل يجب شكر بعضهم لبعض عند الإحسان والمنة والتفضل؟ قَالَ: نعم، قَالَ: فتجنيء إلي وأنا في هذه الحالة التي ترى، لي خاتم في المشرق جائز وفي المغرب كذلك، وفيما بينهما أمرى مطاع، وقولي مقبول، ثم ما التفت يميني ولا شمالي وورائي وقد أحي إلا رأيت نعمة لرجل أنعمها علي، ومنة ختم بها رقبتي، ويذا لائحة بيضاء ابتدأني بها تفضلا وكرما، فتدعوني إلى الكفر بهذه النعمة وهذا الإحسان، وتقول: اغدر بمن كان أولا لهذا وآخر، واسع في إزالة خيط عنقه وسفك دمه! تراك لو دعوتني إلى الجنة عيانا من حيث أعلم، أكان الله يحب أن اغدر به، وأكفر إحسانه ومنته، وأنكث بيعته! فسكت الرجل، فقال له عبد الله: أما إنه قد بلغني أمرك، وتالله ما أخاف عليك إلا نفسك، فارحل عن هذا البلد، فإن السلطان الأعظم إن بلغه أمرك- وما آمن ذلك عليك- كنت ألاجاني على نفسك ونفس غيرك.

فلما أيس الرجل مما عنده جاء إلى المأمون، فأخبره الخبر، فاستبشر وقال: ذلك غرس يدي، وإلف أدبي، وترب تلقحي، ولم يظهر من ذلك لأحد شيئا، ولا علم به عبد الله إلا بعد موت المأمون. وذكر عن عبد الله بن طاهر أنه قَالَ وهو محاصر بمصر عبيد الله بن السري:

بكرت تسبل دمعا ... إن رأيت وشك براحي

وتبدلت صقيلا ... يمينيا بوشاحي

وتماديت بسير ... لغدو ورواح

زعمت جهلا بأني ... تعب غير مراح

أقصري عني فإني ... سالك قصد فلاحي

أنا للمأمون عبد ... منه في ظل جناح

إن يعاف الله يوما ... فقريب مستراحي

أو يكن هلك فتولي ... بعويل وصياحي

حل في مصر قتيل ... ودعي عنك التلاحي

وذكر عن عبد الله بن أحمد بن يوسف أن أباه كتب إلى عبد الله بن طاهر عند خروج عبيد الله بن السري إليه يهنئه بذلك الفتح: بلغني أعز الله الأمير ما فتح الله عليك، وخروج ابن السري إليك، فالحمد لله الناصر لدينه، المعز لدولة خليفته على عبادته، المذل لمن عند عنه وعن حقه، ورغب عن طاعته ونسأل الله أن يظاها له النعم، ويفتح له بلدان الشرك، والحمد لله على ما وليك به مذ طعنت لوجهك، فإننا ومن قبلنا نتذاكر سيرتك في حربك وسلحك، ونكثر التعجب لما وفقت له من الشدة والليان في مواضعهما، ولا نعلم سائس جند ورعية عدل بينهم عدلك، ولا عفا بعد القدرة عمن آسفه وأضغنه عفوك، ولقل ما رأينا ابن شرف لم يلق بيده متكلا على ما قدمت له أبوته، ومن أوتي حظا وكفاية وسلطانا وولاية لم يخلد إلى ما عفا حتى يخل بمساماة ما أمامه ثم لا نعلم سائسا استحق النجح لحسن السيرة وكف معرة الاتباع استحقاقتك وما يستجيز أحد من قبلنا أن يقدم عليك أحدا يهوى عند الحاجة والنازلة المعضلة

فليهنك منة الله ومزيده، ويسوغك الله هذه النعمة التي حواها لك بالمحافظة على ما به تمت لك، من التمسك بجبل إمامك ومولاك ومولى جميع المسلمين، وملاك وإيانا العيش ببقائه.

وأنت تعلم أنك لم تزل عندنا وعند من قبلنا مكرما مقدما معظما، وقد زادك الله في أعين الخاصة والعامة جلاله وبجلاله، فأصبحوا يرجونك لأنفسهم، ويعدونك لأحداثهم ونوائهم، وأرجو أن يوفقك الله لمحابه كما وفق لك صنعه وتوفيقه، فقد أحسنت جوار النعمة فلم تطغك، ولم تزد إلا تذلا وتواضعا، فالحمد لله على ما انا لك وأبلاك، وأودع فيك والسلام.

وفي هذه السنة قدم عبد الله بن طاهر بن الحسين مدينه السلام من المغرب، فتلقيه العباس بن المأمون وأبو إسحاق المعتصم وسائر الناس، وقدم معه بالمتغلبين على الشام كبن السرج وابن أبي الجمل وابن أبي الصفر ومات موسى بن حفص، فولي محمد بن موسى طبرستان مكان أبيه.

وولي حاجب بن صالح الهند فهزمه بشر بن داود، فأنحاز إلى كرمان.

وفيها أمر المأمون مناديا فنادى: برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير، أو فضله على احد من اصحاب رسول الله ص. وجج بالناس في هذه السنة صالح بن العباس وهو والي مكة. وفيها مات أبو العتاهية الشاعر.

٨٠٦٦ سنة اثنى عشره ومائتين

ثم دخلت

سنة اثنى عشرة ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فن ذلك ما كان من توجيه المأمون محمد بن حميد الطوسي إلى بابك لمحاربه على طريق الموصل وتقويته إياه، فأخذ محمد بن حميد يعلى بن مرة ونظراءه من المتغلبة بأذربيجان، فبعث بهم إلى المأمون.

وفيها خلع أحمد بن محمد العمري المعروف بالأحمر العين باليمن.

وفيها ولي المأمون محمد بن عبد الحميد المعروف بأبي الرازي اليمن.

وفيها أظهر المأمون القول بخلق القرآن وتفضيل علي بن ابى طالب ع، وقال: هو أفضل الناس بعد رسول الله ص، وذلك في شهر ربيع الأول منها.

وجج بالناس في هذه السنة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد

٨٠٦٧ سنة ثلاث عشره ومائتين

٨٠٦٧.١ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

٨٠٦٧.٢ ذكر الخبر عن ولايه غسان بن عباد السند

ثم دخلت

سنة ثلاث عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فن ذلك ما كان من خلع عبد السلام وابن جليس بمصر في القيسية واليمانية ووثوبهما بها.

وفيها مات طلحة بن طاهر بخراسان.

وفيها ولي المأمون أخاه أبا إسحاق الشام ومصر، وولى ابنه العباس بن المأمون الجزيرة والثغور والعواصم، وأمر لكل واحد منهما ومن

عبد الله بن طاهر بخسمائة ألف دينار.

وقيل: إنه لم يفرق في يوم من المال مثل ذلك.

ذكر الخبر عن ولاية غسان بن عباد السند
وفيهما ولي غسان بن عباد السند.

ذكر الخبر عن سبب توليته إياه السند:

وكان السبب في ذلك - فيما بلغني - أن بشر بن داود بن يزيد خالف المأمون، وجي الخراج فلم يحمل إلى المأمون شيئاً منه، فذكر أن المأمون قال يوماً لأصحابه: أخبروني عن غسان بن عباد، فإني أريده لأمر جسيم - وكان قد عزم على أن يوليه السند لما كان من أمر بشر بن داود - فتكلم من حضر، وأطنبوا في مدحه، فنظر المأمون إلى أحمد بن يوسف وهو ساكت، فقال له: ما تقول يا أحمد؟ قال: يا أمير المؤمنين ذاك رجل محاسنه أكثر من مساويه، لا تصرف به إلى طبقة إلا انتصف منهم، فهما تخوفت عليه، فإنه لن يأتي أمراً يعتذر منه، لأنه قسم أيامه بين أيام الفضل، فجعل لكل خلق نويه، إذا نظرت في أمره لم تدر أي حالته أعجب! أما هداه إليه عقله، أم أما اكتسبه بالأدب، قال: لقد مدحته على سوء رأيك فيه! قال:

لأنه فيما قلت كما قال الشاعر:

كفى شكراً بما أسديت أني ... مدحتك في الصديق وفي عداي

قال: فأعجب المأمون كلامه، واسترح أده.

وجج بالناس في هذه السنة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد.

٨٠٦٨ سنة أربع عشرة ومائتين

ثم دخلت

سنة أربع عشرة ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فما كان فيها من ذلك مقتل محمد بن حميد الطوسي، قتله بابك بهشتادسر، يوم السبت خمس ليال بقين من شهر ربيع الأول، ورفض عسكره، وقتل جمعا كثيرا ممن كان معه. وفيها قتل أبو الرازي باليمن.

وفيها قتل عمير بن الوليد الباذغيسي عامل أبي إسحاق بن الرشيد بمصر بال خوف في شهر ربيع الأول، فخرج أبو إسحاق إليها فافتتحها، وظفر بعبد السلام وابن جليس، فقتلها فضرِب المأمون بن الحروري ورده إلى مصر وفيها خرج بلال الضبابي الشاري، فشخص المأمون إلى العلت، ثم رجع إلى بغداد، فوجه عباسا ابنه في جماعة من القواد، فيهم علي بن هشام وعجيف وهارون بن محمد بن أبي خالد، فقتل هارون بلالا.

وفيها خرج عبد الله بن طاهر إلى الدينور، فبعث المأمون إليه إسحاق ابن إبراهيم ويحيى بن أكثم يخيرانه بين خراسان والجلال وأرمينية وأذربيجان، ومحاربة بابك، فاختار خراسان، وشخص إليها.

وفيها تحرك جعفر بن داود القمي، فظفر به عزيز مولى عبد الله بن طاهر، وكان هرب من مصر فرد إليها.

وفيها ولي علي بن هشام الجبل وقم وإصبهان وأذربيجان.

وجج بالناس في هذه السنة إسحاق بن العباس بن محمد.

٨٠٦٩ سنة خمس عشرة ومائتين

٨٠٦٩.١ ذكر خبر شخوص المأمون لحرب الروم

ثم دخلت

سنة خمس عشرة ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر خبر شخص المأمون لحرب الروم

وفي هذه السنة شخص المأمون من مدينة السلام لغزو الروم، وذلك يوم السبت - فيما قيل - لثلاث بقين من المحرم - وقيل كان ارتحاله من الشماسية إلى البردان يوم الخميس بعد صلاة الظهر، لست بقين من المحرم سنة خمس عشرة ومائتين - واستخلف حين رحل عن مدينة السلام عليها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، وولي مع ذلك السواد وحلوان وكور دجلة.

فلما صار المأمون بتكريت قدم عليه محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمه الله، من المدينة في صفر ليلة الجمعة من هذه السنة، ولقيه بها فأجازه، وأمره أن يدخل بابنته أم الفضل وكان زوجها منه، فأدخلت عليه في دار أحمد بن يوسف التي على شاطئ دجلة، فأقام بها، فلما كان أيام الحج خرج بأهله وعياله حتى أتى مكة، ثم أتى منزله بالمدينة، فأقام بها، ثم سلك المأمون طريق الموصل، حتى صار إلى منبج، ثم إلى دابق، ثم إلى أنطاكية، ثم إلى المصيصة، ثم خرج منها إلى طرسوس، ثم دخل من طرسوس إلى بلاد الروم للنصف من جمادى الأولى ورحل العباس بن المأمون من ملطية، فأقام المأمون على حصن يقال له قره، حتى فتحه عنوة، وأمر بهدمه، وذلك يوم الأحد لأربع بقين من جمادى الأولى، وكان قد افتتح قبل ذلك حصنا يقال له ماجدة، فمن على أهلها.

وقيل إن المأمون لما أناخ على قره، فخارب أهلها طلبوا الأمان، فأمنهم المأمون، فوجه أشناس إلى حصن سندس، فأتاه برئيسه، ووجهه عجيفا وجعفرًا

٨٠٦٩٠٢ أخبار متفرقة

الخياط إلى صاحب حصن سنان، فسمع وأطاع.

[أخبار متفرقة]

وفي هذه السنة انصرف أبو إسحاق بن الرشيد من مصر، فلقي المأمون قبل دخوله الموصل، ولقيه متويل وعباس ابنه برأس العين. وفيها شخص المأمون بعد خروجه من أرض الروم إلى دمشق. وجج بالناس في هذه السنة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد.

٨٠٧٠ سنة ست عشرة ومائتين

٨٠٧٠٠١ عود إلى ذكر غزو المأمون أرض الروم

ثم دخلت

سنة ست عشرة ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

عود إلى ذكر غزو المأمون أرض الروم

فمن ذلك كرم المأمون إلى أرض الروم.

ذكر السبب في كره إليها:

اختلف في ذلك، فقيل: كان السبب فيه ورود الخبر على المأمون بقتل ملك الروم قوما من أهل طرسوس والمصيصة، وذلك - فيما ذكر - ألف وستائه.

فلما بلغه ذلك شخص حتى دخل أرض الروم يوم الاثنين لإحدى عشرة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة، فلم يزل مقيما فيها إلى النصف من شعبان.

وقيل: أن سبب ذلك أن توفيل بن ميخائيل كتب إليه، فبدأ بنفسه، فلما ورد الكتاب عليه لم يقرأه، وخرج إلى أرض الروم، فوفاه رسل توفيل بن ميخائيل بأذنه، ووجهه بخمسمائة رجل من أسارى المسلمين إليه، فلما دخل المأمون أرض الروم، ونزل على أنطيوخا،

نفرج أهلها على صلح وصار إلى هرقله.
 نفرج أهلها إليه على صلح، ووجه أخاه أبا إسحاق، فافتتح ثلاثين حصنا ومطمورة ووجه يحيى بن أكثم من طوانة، فأغار وقتل وحرقت، وأصاب سببا ورجع إلى العسكر ثم خرج المأمون إلى كيسوم، فأقام بها يومين أو ثلاثة، ثم ارتحل إلى دمشق.
 وفي هذه السنة ظهر عبدوس الفهري، فوثب بمن معه على عمال أبي إسحاق، فقتل بعضهم، وذلك في شعبان، فشخص المأمون من دمشق يوم الأربعاء لأربع عشرة بقيت من ذي الحجة إلى مصر.
 وفيها قدم الأفشين من برقة منصرفا عنها، فأقام بمصر
 وفيها كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم يأمره بأخذ الجند بالتكبير إذا صلوا، فبدءوا بذلك في مسجد المدينة والرصافة يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان من هذه السنة، حين قضاوا الصلاة، فقاموا قياما، فكبروا ثلاث تكبيرات، ثم فعلوا ذلك في كل صلاة مكتوبة.
 وفيها غضب المأمون على علي بن هشام، فوجه إليه عفيف بن عنبسة وأحمد بن هشام، وأمر بقبض أمواله وسلاحه.
 وفيها ماتت أم جعفر ببغداد في جمادى الأولى.
 وفيها قدم غسان بن عباد من السند، وقد استأمن إليه بشر بن داود المهلي، وأصلح السند، واستعمل عليها عمران بن موسى البرمكي، فقال الشاعر:
 سيف غسان رونق الحرب فيه ... وسام الختوف في ظبتيه
 فإذا جره إلى بلد السند ... فألقى المقاد بشر إليه
 مقسما لا يعود ما حج لله ... مصل وما رمى جمرتيه
 غادرا يخلع الملوك ويغتال ... جنودا تأوي إلى ذروتيه
 فرجع غسان إلى المأمون، وهرب جعفر بن داود القمي إلى قم، وخلع بها وفي هذه السنة كان البرد الشديد.
 وحج بالناس - في قول بعضهم - في هذه السنة سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وفي قول بعضهم: حج بهم في هذه السنة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وكان المأمون ولاءه اليمن، وجعل إليه ولاية كل بلدة يدخلها حتى يدخل إلى اليمن، فخرج من دمشق حتى قدم بغداد، ففصل بالناس بها يوم الفطر، فشخص من بغداد يوم الاثنين ليلة خلت من ذي القعدة، وأقام الحج للناس.

٨٠٧١ سنة سبع عشرة ومائتين

٨٠٧١.١ ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

٨٠٧١.٢ ذكر الخبر عن قتل علي وحسين ابني هشام

ثم دخلت

سنة سبع عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ظفر الأفشين فيها بالبيما، وهي من أرض مصر، ونزل أهلها بأمان على حكم المأمون، قرئ كتاب فتحها لليلة بقيت من شهر ربيع الآخر.

وورد المأمون فيها مصر في الحرم، فأتى بعبدوس الفهري فضرب عنقه، وانصرف إلى الشام.

ذكر الخبر عن قتل علي وحسين ابني هشام

وفيها قتل المأمون ابني هشام عليا وحسينا بأذنة في جمادى الأولى ذكر الخبر عن سبب قتله عليا:

وكان سبب ذلك، أن المأمون للذي بلغه من سوء سيرته في أهل عمله الذي كان المأمون ولاه- وكان ولاه كور الجبال- وقتله الرجال، وأخذه الأموال، فوجه إليه عجيف، فأراد أن يفتك به ويلحق ببابك، فظفر به عجيف، فقدم به على المأمون، فأمر بضرب عنقه، فتولى قتله ابن الجليل وتولى ضرب عنق الحسين محمد بن يوسف ابن أخيه بأذنة، يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى، ثم بعث رأس علي بن هشام إلى بغداد وخراسان، فطيف به، ثم رد إلى الشام والجزيرة فطيف به كورة كورة، فقدم به دمشق في ذي الحجة، ثم ذهب به إلى مصر، ثم ألقى بعد ذلك في البحر.

وذكر أن المأمون لما قتل علي بن هشام، أمر أن يكتب رقعة وتعلق على رأسه ليقرأها الناس، فكتب:

أما بعد، فإن أمير المؤمنين كان دعا علي بن هشام فيمن دعا من أهل خراسان أيام المخلوع، إلى معاونته والقيام بحقه، وكان فيمن أجاب وأسرع الإجابة، وعاون فأحسن المعاونة فرعى أمير المؤمنين ذلك له واصطنعه، وهو يظن به تقوى الله وطاعته والانتهاى إلى أمر أمير المؤمنين في عمل إن أسند إليه في حسن السيرة وعفاف الطعمة، وبدأه أمير المؤمنين بالإفضال عليه، فولاه الأعمال السنية، ووصله بالصلوات الجزيلة التي أمر أمير المؤمنين بالنظر في قدرها، فوجدها أكثر من خمسين ألف ألف درهم، فد يده إلى الخيانة والتضييع لما استرعه من الأمانة، فباعده عنه وأقصاه، ثم استقال أمير المؤمنين عثرته فأقاله إياها، وولاه الجبل وأذربيجان وكور أرمينية، ومحاربه أعداء الله الخرمية، على الا يعود لما كان منه، فعاود أكثر ما كان بتقديمه الدينار والدرهم على العمل لله ودينه، وأساء السيرة وعسف الرعية وسفك الدماء المحرمة، فوجه أمير المؤمنين عجيف بن عنبسة مباشرة لأمره، وداعيا إلى تلافي ما كان منه، فوثب بعجيف يريد قتله، فقوى الله عجيفا بنيته الصادقة في طاعة أمير المؤمنين، حتى دفعه عن نفسه، ولو تم ما أراد بعجيف لكان في ذلك ما لا يستدرك ولا يستقال، ولكن الله إذا أراد أمرا كان مفعولا فلما أمضى أمير المؤمنين حكم الله في علي بن هشام، رأى الا يؤاخذ من خلفه بذنبه، فأمر أن يجري لولده ولعياله ولمن أتصل بهم ومن كان يجري عليهم مثل الذي كان جاريا لهم في حياته، ولولا أن علي بن هشام أراد العظمى بعجيف، لكان في عداد من كان في عسكره ممن خالف وخان، كعيسى بن منصور ونظرائه.

وفي هذه السنة دخل المأمون أرض الروم، فأناخ على لؤلؤة مائة يوم، ثم رحل عنها وخلف عليها عجيفا، فاخذته أهلها وأسروه، فكث أسيرا في أيديهم ثمانية أيام، ثم أخرجوه، وصار توفيل إلى لؤلؤة، فأحاط بعجيف، فصرف المأمون الجنود إليه، فارتحل توفيل قبل موافاتهم، وخرج أهل لؤلؤة الى عجيف بأمان.

٨٠٧١٠٣ كتاب توفيل إلى المأمون ورد المأمون عليه

كتاب توفيل الى المأمون ورد المأمون عليه

وفيها كتب توفيل صاحب الروم إلى المأمون يسأله الصلح، وبدأ بنفسه في كتابه، وقدم بالكتاب الفضل وزير توفيل يطلب الصلح، وعرض الفدية.

وكانت نسخة كتاب توفيل إلى المأمون:

أما بعد، فإن اجتماع المختلفين على حظهما أولى بهما في الرأي مما عاد بالضرر عليهما، ولست حريا أن تدع لحظ يصل إلى غيرك حظا تحوزه إلى نفسك، وفي علمك كاف عن إخبارك، وقد كنت كتبت إليك داعيا إلى المسالمة، راغبا في فضيلة المهادنة، لتضع أوزار الحرب عنا، ونكون كل واحد لكل واحد وليا وحزبا، مع اتصال المرافق والفسح في المتاجر، وفك المستأسر، وأمن الطرق والبيضة، فإن أبيت فلا أدب لك في الخمر، ولا ازخرف لك في القول، فإني لخائض إليك غمارها، آخذ عليك أسدادها، شان خيلها ورجالها، وأن أفعل فبعد أن قدمت المذرة، وأقت بيني وبينك علم الحجة والسلام.

(فكتب إليه المأمون:) أما بعد، فقد بلغني كتابك فيما سألت من الهدنة، ودعوت إليه من المودعة، وخلطت فيه من اللين والشدّة، مما استعظفت به، من شرح المتاجر واتصال المرافق، وفك الأسارى، ورفع القتل والقتال، فلولا ما رجعت إليه من أعمال التؤدة والأخذ

بالخط في قلب الفكر، وألا أعتقد الرأي في مستقبله إلا في استصلاح ما أوتره في معتقه، لجعلت جواب كتابك خيلاً تحمل رجالاً

٨٠٧١٠٤ أخبار متفرقة

من أهل البأس والنجدة والبصيرة ينازعونكم عن ثلكم ويتقربون إلى الله بدمائكم، ويستقلون في ذات الله ما نالهم من ألم شوكتكم، ثم أوصل إليهم من الأمداد، وأبلغ لهم كافياً من العدة والعتاد، هم أظماً إلى موارد المنايا منكم إلى السلامة من مخوف معرفتهم عليكم، موعدهم إحدى الحسينين: عاجل غلبة، أو كريم منقلب، غير أنني رأيت أن اتقدم إليك بالموعة التي يثبت الله بها عليك المحبة، من الدعاء لك ولمن معك إلى الوحدة والشرعية الخفيفة، فإن أبيت ففدية توجب ذمة، وثبت نظرة، وإن تركت ذلك، ففي يقين المعاينة لنعوتنا ما يغني عن الإبلاغ في القول والإغراق في الصفة والسلام على من اتبع الهدى.

[أخبار متفرقة]

وفيها صار المأمون إلى سلغوس. وفيها بعث علي بن عيسى القمي جعفر بن داود القمي فضرب أبو إسحاق ابن الرشيد عنقه. وجج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي.

٨٠٧٢ سنة ثمان عشرة ومائتين

٨٠٧٢٠١ ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

٨٠٧٢٠٢ ذكر خبر المحنة بالقرآن

ثم دخلت

سنة ثمان عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من شيوخ المأمون من سلغوس إلى الرقة، وقتله بها ابن أخت الداري. وفيها أمر بتفريغ الرافقة لينزلها حشمه، فضج من ذلك أهلها فاعفاهم.

وفيها وجه المأمون ابنه العباس إلى أرض الروم، وأمره بنزول الطوانة وبنائها، وكان قد وجه الفعلة والفروض، فابتدأ البناء، وبنائها ميلاً في ميل، وجعل سورها على ثلاثة فرائخ، وجعل لها أربعة أبواب، وبنى على كل باب حصناً، وكان توجيهه ابنه العباس في ذلك في أول يوم من جمادى.

وكتب إلى أخيه أبي إسحاق بن الرشيد، أنه قد فرض على جند دمشق وحمص والأردن وفلسطين أربعة آلاف رجل، وأنه يجري على الفارس مائة درهم، وعلى الراجل أربعين درهماً، وفرض على مصر فرضاً، وكتب إلى العباس بمن فرض على قنشرين والجزيرة، وإلى إسحاق بن إبراهيم بمن فرض على أهل بغداد وهم ألفاً رجلاً، وخرج بعضهم حتى وافى طوانه ونزلها مع العباس.

ذكر خبر المحنة بالقرآن

وفي هذه السنة كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم في امتحان القضاة والمحدثين، وأمر بإشخاص جماعة منهم إليه إلى الرقة، وكان ذلك أول كتاب كتب في ذلك، ونسخة كتابه إليه:

أما بعد، فإن حق الله على أئمة المسلمين وخلفائهم الاجتهاد في إقامة دين الله الذي استحفظهم، وموارث النبوة التي أورثهم، وأثر العلم الذي استودعهم، والعمل بالحق في رعيتهم والتشمير لطاعة الله فيهم، والله

يسأل أمير المؤمنين أن يوفقه لعزيمة الرشد وصريمته والإقسط فيما ولاه الله من رعيته برحمته ومنته وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم والسواد الأكبر من حشو الرعية وسفلة العامة ممن لا نظر له ولا روية ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته والاستضاء بنور

العلم وبرهانه في جميع الأقطار والآفاق أهل جهالة بالله، وعمى عنه، وضلالة عن حقيقة دينه وتوحيده والإيمان به. ونكوب عن واضحاته وأعلامه وواجب سبيله، وقصور أن يقدروا الله حق قدره، ويعرفوه كنه معرفته، ويفرقوا بينه وبين خلقه، لضعف آرائهم ونقص عقولهم وجفائهم عن التفكير والتذكر، وذلك أنهم ساووا بين الله تبارك وتعالى وبين ما أنزل من القرآن، فأطبقوا مجتمعين، واتفقوا غير متعاجمين، على أنه قديم أول لم يخلقه الله ويحدثه ويخترعه، وقد قال الله عز وجل في محكم كتابه الذي جعله لما في الصدور شفاء، وللمؤمنين رحمة وهدي: «إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا»، فكل ما جعله الله فقد خلقه، وقال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ»، وقال عز وجل:

«كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ»، فأخبر أنه قصص لأمر أحدثه بعدها وتلا به متقدمها، وقال: «الرَّكَّابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ»، وكل محكم مفصل فله محكم مفصل، والله محكم كتابه ومفصله، فهو خالقه ومبتدعه.

ثم هم الذين جادلوا بالباطل فدعوا إلى قولهم، ونسبوا أنفسهم إلى السنة، وفي كل فصل من كتاب الله قصص من تلاوته مبطل قولهم، ومكذب دعواهم، يرد عليهم قولهم ونخلتهم ثم أظهروا مع ذلك أنهم أهل الحق والدين والجماعة، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر والفرقة، فاستطالوا بذلك على الناس، وغروا به الجهال حتى مال قوم من أهل السمات الكاذب، والتخشع لغير الله، والتعشف لغير الدين إلى موافقتهم عليه، ومواطأتهم على سيئ آرائهم، تزينا

بذلك عندهم وتصنعا للرئاسة والعدالة فيهم، فتركوا الحق إلى باطلهم، واتخذوا دون الله وليجة إلى ضلالهم، فقبلت بتزكيتهم لهم شهادتهم، ونفذت أحكام الكتاب بهم على دغل دينهم، ونغل أديهم، وفساد نياتهم ويقينهم.

وكان ذلك غايتهم التي إليها أجروا، وإياها طلبوا في متابعتهم والكذب على مولاهم، وقد أخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق، ودرسوا ما فيه، أولئك الذين أصمهم الله واعمى أبصارهم، «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا».

فأرى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأمة ورءوس الضلالة، المنقوصون من التوحيد حظاً، والخصوسون من الإيمان نصيباً، وأوعية الجهالة وأعلام الكذب ولسان إبليس الناطق في أوليائه، والهائل على أعدائه، من أهل دين الله، وأحق من يتهم في صدقه، وتطرح شهادته، لا يوثق بقوله ولا عمله، فإنه لا عمل إلا بعد يقين، ولا يقين إلا بعد استكمال حقيقة الإسلام، وإخلاص التوحيد، ومن عمى عن رشفه وحظه من الإيمان بالله وتوحيده، كان عما سوى ذلك من عمله والقصد في شهادته أعمى وأضل سبيلاً ولعمر أمير المؤمنين إن أحجى الناس بالكذب في قوله، وتخرص الباطل في شهادته، من كذب على الله ووحيه، ولم يعرف الله حقيقة معرفته، وإن أولاهم برد شهادته في حكم الله ودينه من رد شهادة الله على كتابه، وبهت حق الله بباطله.

فاجمع من بحضرتك من القضاة، وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا إليك، فابدأ بامتحانهم فيما يقولون وتكشيفهم عما يعتقدون، في خلق الله القرآن وإحداثه، وأعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين في عمله، ولا واثق فيما قلده الله، واستحفظه من أمور رعيته بمن لا يوثق بدينه وخلوص توحيده ويقينه، فإذا أقرروا بذلك ووافقوا أمير المؤمنين فيه، وكانوا على سبيل الهدى والنجاة فرهم بنص من يحضرهم من الشهود على الناس ومسألتهم عن علمهم في القرآن، وترك إثبات شهادة من لم يقر أنه مخلوق محدث ولم يره، والامتناع من توقيعها

عنده واكتب إلى أمير المؤمنين بما يأتيك عن قضاة أهل عملك في مسألتهم، والأمر لهم بمثل ذلك، ثم أشرف عليهم وتفقد آثارهم حتى لا تنفذ أحكام الله إلا بشهادة أهل البصائر في الدين والإخلاص للتوحيد، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون في ذلك، إن شاء الله. وكتب في شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة ومائتين.

وكتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم في أشخاص سبعة نفر، منهم محمد ابن سعد كاتب الواقدي، وأبو مسلم مستملي يزيد بن هارون، ويحيى بن معين، وزهير بن حرب أبو خيثمة، وإسماعيل بن داود، وإسماعيل بن أبي مسعود، وأحمد بن الدورقي، فأشخصوا إليه، فامتحنهم وسألهم عن خلق القرآن، فأجابوا جميعاً أن القرآن مخلوق، فأشخصهم إلى مدينة السلام وأحضرهم إسحاق بن إبراهيم داره، فشر أمرهم

وقولهم بحضرة الفقهاء والمشايخ من أهل الحديث، فأقروا بمثل ما أجابوا به المأمون، نخل سبيلهم وكان ما فعل من ذلك إسحاق بن إبراهيم بأمر المأمون.

وكتب المأمون بعد ذلك إلى إسحاق بن إبراهيم:

أما بعد، فإن من حق الله على خلفائه في أرضه، وأمنائه على عباد، الذين ارتضاهم لإقامة دينه، وحملهم رعاية خلقه وإمضاء حكمه وسننه والائتمام بعدله في بريته، أن يجهدوا لله أنفسهم، وينصحوا له فيما استحفظهم وقلدهم، ويدلوا عليه - تبارك اسمه وتعالى - بفضل العلم الذي أودعهم، والمعرفة التي جعلها فيهم، ويهدوا إليه من زاغ عنه، ويردوا من أدبر عن أمره، وينهجوا لرعاياهم سمت نجاتهم، ويقفوه على حدود إيمانهم وسبيل فوزهم وعصمتهم ويكشفوا لهم مغطيات أمورهم ومشتبهاتها عليهم، بما يدفعون الريب عنهم، ويعود بالضيء والبيئة على كافتهم، وأن يؤثروا ذلك من إرشادهم وتبصيرهم، إذ كان جامعا لفنون مصانعهم، ومنتظما لحظوظ عاجلتهم وأجلتهم، ويتذكروا ما الله مرصد من مساءلتهم عما حملوه، ومجازاتهم بما أسلفوه وقدموا عنده، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله وحده، وحسبه الله وكفى به ومما بينه أمير المؤمنين برؤيته، وطالعه بفكره، فتبين عظيم خطره، وجليل ما يرجع في الدين من وكفه وضرره، ما ينال المسلمون بينهم من القول في القرآن الذي جعله الله إماما لهم، وأثرا من رسول الله ص وصفه محمد ص باقيا لهم، واشتباهه على كثير منهم، حتى حسن عندهم، وتزين في عقولهم ألا يكون مخلوقا، فتعرضوا بذلك لدفع خلق الله الذي بان به عن خلقه، وتفرّد بجلالته، من ابتداع الأشياء كلها بحكمته وإنشائها بقدرته، والتقدم عليها بأوليته التي لا يبلغ أولاهها، ولا يدرك مداها، وكان كل شيء دونه خلقا من خلقه، وحدثا هو المحدث له، وإن كان القرآن ناطقا به ودالا عليه، وقاطعا للاختلاف فيه، وضاهوا به قول النصارى في دعائهم في عيسى بن مريم: أنه ليس بخلق، إذ كان كلمة الله، والله عز وجل يقول: «إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا»، وتأويل ذلك إنا خلقناه كما قال جل جلاله: «وَجَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا» وقال: «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا»، «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ» فسوى عز وجل بين القرآن وبين هذه الخلائق التي ذكرها في شية الصنعة، وأخبر أنه جاعله وحده، فقال: «بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ»، فدل ذلك على إحاطة اللوح بالقرآن، ولا يحاط الا بخلق، وقال لنبيه ص: «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَجْعَلَ بِهِ» وقال: «مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ»،

وقال: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ»، وأخبر عن قوم ذمهم بكذبهم إنهم قالوا: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ»، ثم أكذبهم على لسان رسوله فقال لرسوله: «قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى»، فسمى الله تعالى القرآن قرآنا وذكرنا وإيماننا ونورا وهدى ومباركا وعربيا وقصصا، فقال: «لَنْ نَقُصَّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ»، وقال: «قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ»، وقال: «قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ»، وقال: «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ» فجعل له أولا وآخرا، ودل عليه أنه محدود مخلوق وقد عظم هؤلاء الجهلة بقولهم في القرآن الثلم في دينهم، والخرج في أمانتهم، وسهلوا السبيل لعدو الإسلام، واعترفوا بالتبديل والإلحاد على قلوبهم حتى عرفوا ووصفوا خلق الله وفعله بالصفة التي هي لله وحده، وشبهوه به، والاشتباه أولى بخلق الله وليس يرى أمير المؤمنين لمن قال بهذه المقالة حظا في الدين، ولا نصيبا من الإيمان واليقين، ولا يرى أن يحل أحدا منهم محل الثقة في أمانة، ولا عدالة ولا شهادة ولا صدق في قول ولا حكاية، ولا تولية لشيء من أمر الرعية، وإن ظهر قصد بعضهم، وعرف بالسداد مسدد فيهم، فإن الفروع مردودة إلى أصولها، ومحمولة في الحمد والذم عليها، ومن كان جاهلا بأمر دينه الذي أمره الله به من وحدانيته فهو بما سواه أعظم جهلا، وعن الرشد في غيره أعمى وأضل سبيلا.

فاقرأ على جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن إسحاق القاضي كتاب

امير المؤمنين بما كتب به إليك، وانصصها عن عليهما في القرآن، وأعلمهما أن أمير المؤمنين لا يستعين على شيء من أمور المسلمين إلا

بمن وثق بإخلاصه وتوحيده، وأنه لا توحيد لمن لم يقر بأن القرآن مخلوق فإن قالوا بقول أمير المؤمنين في ذلك، فتقدم إليهما في امتحان من يحضر مجالسهما بالشهادات على الحقوق، ونصهم عن قولهم في القرآن، فمن لم يقل منهم أنه مخلوق أبطلاً شهادته، ولم يقطعاً حكماً بقوله، وإن ثبت عفافه بالقصد والسداد في أمره.

وافعل ذلك بمن في سائر عملك من القضاة، وأشرف عليهم إشرافاً يزيد الله به ذا البصيرة في بصيرته، ويمنع المرتاب من إغفال دينه، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون منك في ذلك إن شاء الله.

قَالَ: فَأَحْضَرُ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ لَذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْحُكَّامِ وَالْمُحَدِّثِينَ، وَأَحْضَرُ أَبَا حَسَانَ الزِّيَادِيَّ وَبَشَرَ بْنَ الْوَلِيدِ الْكِنْدِيَّ وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي مِقَاتِلٍ وَالْفَضْلَ بْنَ غَانِمٍ وَالذِّيَالَ بْنَ الْهَيْثَمِ وَبِجَادَةَ وَالْقَوَارِيرِيَّ وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ وَقَتِيْبَةَ وَسَعْدُوِيَةَ الْوَاسِطِيَّ وَعَلِيَّ بْنَ الْجَعْدِ وَإِسْحَاقَ بْنَ أَبِي إِسْرَائِيلَ وَابْنَ الْهَرَشِ وَابْنَ عَلِيَةَ الْأَكْبَرَ وَيَحْيَى بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَمْرِيَّ وَشَيْخَا آخَرَ مِنْ وَلَدِ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ - كَانَ قَاضِي الرِّقَةِ - وَأَبَا نَصْرٍ التَّمَارِ وَأَبَا مَعْمَرٍ الْقَطِيعِيَّ وَمُحَمَّدَ بْنَ حَاتِمٍ وَمِيمُونَ وَمُحَمَّدَ بْنَ نُوحٍ الْمَضْرُوبَ وَابْنَ الْفَرَّخَانَ، وَجَمَاعَةً مِنْهُمْ النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ وَابْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَاصِمٍ وَأَبُو الْعَوَامِ الْبَزَازَ وَابْنَ شِجَاعٍ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ إِسْحَاقَ، فَأَدْخَلُوا جَمِيعًا عَلَى إِسْحَاقَ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ الْمَأْمُونِ هَذَا مَرَّتَيْنِ حَتَّى فَهِمُوهُ، ثُمَّ قَالَ لِبَشَرَ بْنِ الْوَلِيدِ: مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟ فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُ مَقَالَتِي لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ مَرَّةٍ، قَالَ: فَقَدْ تَجَدَّدَ مِنْ كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا قَدْ تَرَى، فَقَالَ: أَقُولُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، قَالَ: لَمْ أَسْأَلْكَ عَنْ هَذَا، أَخْلُوقُ هُوَ؟

قَالَ: اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، قَالَ: مَا الْقُرْآنُ شَيْءٌ؟ قَالَ: هُوَ شَيْءٌ، قَالَ:

فَخْلُوقٌ؟ قَالَ: لَيْسَ بِخَالِقٍ، قَالَ: لَيْسَ أَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا، أَخْلُوقُ هُوَ؟

قَالَ: مَا أَحْسَنَ غَيْرَ مَا قُلْتَ لَكَ، وَقَدْ اسْتَعْهَدْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا اتَّكَلَمَ

فِيهِ، وَلَيْسَ عِنْدِي غَيْرَ مَا قُلْتَ لَكَ فَأَخَذَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ رَقْعَةً كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ، وَوَقَفَهُ عَلَيْهَا، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَحَدًا فَرْدًا، لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ شَيْءٌ وَلَا بَعْدَهُ شَيْءٌ، وَلَا يَشْبَهُهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي، وَلَا وَجْهَ مِنَ الْوُجُوهِ، قَالَ: نَعَمْ، وَقَدْ كُنْتُ أَضْرِبُ النَّاسَ عَلَى دُونَ هَذَا، فَقَالَ لِلْكَاتِبِ: اكْتُبْ مَا قَالَ.

ثُمَّ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي مِقَاتِلٍ: مَا تَقُولُ يَا عَلِيُّ؟ قَالَ: قَدْ سَمِعْتُ كَلَامِي لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذَا غَيْرَ مَرَّةٍ وَمَا عِنْدِي غَيْرَ مَا سَمِعْتُ، فَامْتَحَنَهُ بِالرَّقْعَةِ فَأَقْرَبَ بِمَا فِيهَا، ثُمَّ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؟ قَالَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، قَالَ: لَمْ أَسْأَلْكَ عَنْ هَذَا، قَالَ: هُوَ كَلَامُ اللَّهِ، وَإِنْ أَمَرْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِشَيْءٍ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا فَقَالَ لِلْكَاتِبِ: اكْتُبْ مَقَالَته.

ثُمَّ قَالَ لِلذِّيَالَ نَحْوًا مِنْ مَقَالَته لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي مِقَاتِلٍ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ لِأَبِي حَسَانَ الزِّيَادِيَّ: مَا عِنْدَكَ؟ قَالَ: سَلْ عَمَّا شِئْتُ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الرَّقْعَةَ وَوَقَفَهُ عَلَيْهَا، فَأَقْرَبَ بِمَا فِيهَا، ثُمَّ قَالَ: مَنْ لَمْ يَقُلْ هَذَا الْقَوْلَ فَهُوَ كَافِرٌ، فَقَالَ:

الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ هُوَ؟ قَالَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَا دُونَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِمَامُنَا وَبِسَبَبِهِ سَمِعْنَا عَامَةَ الْعِلْمِ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا لَمْ نَسْمَعْ، وَعِلْمُ مَا لَمْ نَعْلَمْ، وَقَدْ قَلَدَهُ اللَّهُ أَمْرُنَا، فَصَارَ يَقِيمُ حِجَابِ وَصَلَاتِنَا، وَنُؤَدِّي إِلَيْهِ زَكَاةَ أَمْوَالِنَا، وَنُجَاهِدُ مَعَهُ، وَنَرَى إِمَامَتَهُ إِمَامَةً، إِنْ أَمَرْنَا أَتَمَرْنَا، وَإِنْ نَهَانَا انْتَهَيْنَا، وَإِنْ دَعَانَا أَجَبْنَا قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ هُوَ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ أَبُو حَسَانَ مَقَالَته، قَالَ: إِنْ هَذِهِ مَقَالَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: قَدْ تَكُونُ مَقَالَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَأْمُرُ بِهَا النَّاسُ وَلَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهَا، وَإِنْ أَخْبَرْتَنِي أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَكَ أَنْ أَقُولَ، قُلْتَ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ، فَإِنَّكَ الثَّقَةُ الْمَأْمُونُ فِيمَا أُبَلِّغْتَنِي عَنْهُ مِنْ شَيْءٍ، فَإِنْ أُبَلِّغْتَنِي عَنْهُ بِشَيْءٍ صَرْتُ إِلَيْهِ، قَالَ: مَا أَمَرْنِي أَنْ أَبْلُغَكَ شَيْئًا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي مِقَاتِلٍ: قَدْ يَكُونُ قَوْلُهُ كَاخْتِلَافِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي الْفَرَائِضِ وَالْمَوَارِيثِ، وَلَمْ يَحْمِلُوا النَّاسَ عَلَيْهَا، قَالَ لَهُ أَبُو حَسَانَ: مَا عِنْدِي إِلَّا السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، فَرِنِي آتَمَرُ، قَالَ: مَا أَمَرْنِي أَنْ أَمَرَكَ، وَإِنَّمَا أَمَرْنِي أَنْ أَمْتَحِنَكَ

ثُمَّ عَادَ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، فَقَالَ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ:

هُوَ كَلَامُ اللَّهِ، قَالَ: أَخْلُوقُ هُوَ؟ قَالَ: هُوَ كَلَامُ اللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَيْهِ، فَامْتَحَنَهُ بِمَا فِي الرَّقْعَةِ، فَلَمَّا اتَى عَلَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «لَيْسَ

كَثْلَهُ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» وأمسك عن لا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني، ولا وجه من الوجوه، فاعترض عليه ابن البكاء الأصغر، فقال: أصلحك الله! إنه يقول: سميع من أذن، بصير من عين، فقال إسحاق لأحمد بن حنبل: ما معنى قوله: «سميع بصير»؟ قال: هو كما وصف نفسه، قال: فما معناه؟ قال: لا أدري، هو كما وصف نفسه.

ثم دعا بهم رجلا رجلا، كلهم يقول: القرآن كلام الله، إلا هؤلاء نفر:

قتيبة وعبيد الله بن محمد بن الحسن وابن عليه الأكبر وابن البكاء وعبد المنعم ابن إدريس ابن بنت وهب بن منبه والمظفر بن مرجأ، ورجلا ضريرا ليس من أهل الفقه، ولا يعرف بشيء منه، إلا أنه دس في ذلك الموضع، ورجلا من ولد عمر بن الخطاب قاضي الرقة، وابن الأحمر، فأما ابن البكاء الأكبر فإنه قال: القرآن مجعول لقول الله تعالى: «إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا» والقرآن محدث لقوله: «مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ» قال له إسحاق: فالجعول مخلوق؟ قال: نعم، قال: فالقرآن مخلوق؟ قال:

لا أقول مخلوق، ولكنه مجعول، فكتب مقاله.

فلما فرغ من امتحان القوم، وكتب مقالاتهم اعترض ابن البكاء الأصغر، فقال: أصلحك الله! إن هذين القاضيين أئمة، فلو أمرتهما فأعادا الكلام! قال له إسحاق: هما ممن يقوم بحجة أمير المؤمنين، قال: فلو أمرتهما أن يسمعا مقالتهما، لنحكي ذلك عنهما! قال له إسحاق: إن شهدت

عندهما بشهادة، فستعلم مقالتهما إن شاء الله.

فكتب مقالة القوم رجلا رجلا، ووجهت إلى المأمون، فكث القوم تسعة أيام، ثم دعا بهم وقد ورد كتاب المأمون جواب كتاب إسحاق بن إبراهيم في أمرهم، ونسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك جواب كتابه كان إليك، فيما ذهب إليه متصنعة أهل القبلة وملتمسو الرئاسة، فيما ليسوا له بأهل من أهل الملة من القول في القرآن، وأمرك به أمير المؤمنين من امتحانهم، وتكشيف أحوالهم وأحلالهم محالهم تذكر إحضارك جعفر بن عيسى وعبد الرحمن ابن إسحاق عند ورود كتاب أمير المؤمنين مع من أحضرت ممن كان ينسب إلى الفقه، ويعرف بالجلوس للحديث، وينصب نفسه للفتيا بمدينة السلام، وقراءتك عليهم جميعا كتاب أمير المؤمنين، ومسألتك إياهم عن اعتقادهم في القرآن، والدلالة لهم على حظهم، وإطباقهم على نفي التشبيه واختلافهم في القرآن، وأمرك من لم يقل منهم أنه مخلوق بالإمسك عن الحديث والفتوى في السر والعلانية، وتقدمك إلى السندي وعباس مولى أمير المؤمنين بما تقدمت به فيهم إلى القاضيين بمثل ما مثل لك أمير المؤمنين من امتحان من يحضر مجالسهما من الشهود، وبث الكتب إلى القضاة في النواحي من عملك بالقدوم عليك، لتحملهم وتمتحنهم على ما حده أمير المؤمنين، وثبيتك في آخر الكتاب أسماء من حضر ومقالاتهم، وفهم أمير المؤمنين ما اقتضت. وأمير المؤمنين يحمد الله كثيرا كما هو أهله، ويسأله أن يصلي على عبده ورسوله محمد ص، ويرغب إلى الله في التوفيق لطاعته، وحسن المعونة على صالح نيته برحمته وقد تدبر أمير المؤمنين ما كتبت به من أسماء من سألت عن القرآن، وما رجع إليك فيه كل امرئ منهم، وما شرحت من مقالاتهم.

فأما ما قال المغرور بشر بن الوليد في نفي التشبيه، وما أمسك عنه من أن القرآن

مخلوق، وادعى من تركه الكلام في ذلك واستعهاد أمير المؤمنين، فقد كذب بشر في ذلك وكفر، وقال الزور والمنكر، ولم يكن جرى بين أمير المؤمنين وبينه في ذلك ولا في غيره عهد ولا نظر أكثر من إخباره أمير المؤمنين من اعتقاده كلمة الإخلاص، والقول بأن القرآن مخلوق، فادع به إليك، وأعلمه ما أعلمك به أمير المؤمنين من ذلك، وأنصحه عن قوله في القرآن، واستتبه منه، فإن أمير المؤمنين يرى أن تستتيب من قال بمقالته، إذ كانت تلك المقالة الكفر الصراح، والشرك المحض عند أمير المؤمنين، فإن تاب منها فأشهر أمره، وأمسك عنه، وإن أصر على شركه، ودفع أن يكون القرآن مخلوقا بكفره وإلحاده، فاضرب عنقه، وابعث إلى أمير المؤمنين برأسه، إن شاء الله.

وكذلك إبراهيم بن المهدي فامتحنه بمثل ما تمتحن به بشرا، فإنه كان يقول بقوله وقد بلغت أمير المؤمنين عنه ببالغ، فإن قال: إن القرآن

مخلوق فأشهر أمره واكشفه، وإلا فاضرب عنقه وابعث إلى أمير المؤمنين برأسه، إن شاء الله.
وأما علي بن أبي مقاتل، فقل له: ألسنت القائل لأمر المؤمنين: إنك تحلل وتحرم، والمكلم له بمثل ما كلمته به، مما لم يذهب عنه ذكره!
وأما الذيال بن الهيثم، فأعلمه أنه كان في الطعام الذي كان يسرقه في الأنبار وفيما يستولي عليه من أمر مدينة أمير المؤمنين أبي العباس ما يشغله، وأنه لو كان مقتنيا آثار سلفه، وسالكا مناهجهم، ومحتذيا سبيلهم لما خرج إلى الشرك بعد إيمانه.
وأما أحمد بن يزيد المعروف بأبي العوام، وقوله إنه لا يحسن الجواب في القرآن، فأعلمه أنه صبي في عقله لا في سنه، جاهل، وإنه إن كان لا يحسن الجواب في القرآن فسيحسنه إذا أخذه التأديب، ثم إن لم يفعل كان السيف من وراء ذلك، إن شاء الله.
وأما أحمد بن حنبل وما تكتب عنه، فأعلمه أن أمير المؤمنين قد عرف خفى تلك المقالة وسبيله فيها، واستدل على جهله وأفته بها.

وأما الفضل بن غانم، فأعلمه أنه لم يخف على أمير المؤمنين ما كان منه بمصر، وما اكتسب من الأموال في أقل من سنة، وما شجر بينه وبين المطلب ابن عبد الله في ذلك، فإنه من كان شأنه شأنه، وكانت رغبته في الدينار والدرهم رغبته، فليس بمستنكر أن يبيع إيمانه طمعا فيهما، وإيثارا لعاجل نفعهما، وأنه مع ذلك القائل لعلي بن هشام ما قال، والمخالف له فيما خالفه فيه، فما الذي حال به عن ذلك ونقله إلى غيره! وأما الزيادة، فأعلمه أنه كان منتحلا، ولا كاول دعي كان في الإسلام خولف فيه حكم رسول الله ص، وكان جديرا أن يسلك مسلكه، فأنكر أبو حسان أن يكون مولى لزيد أو يكون مولى لأحد من الناس، وذكر أنه إنما نسب إلى زياد لأمر من الأمور.

وأما المعروف بأبي نصر التمار، فإن أمير المؤمنين شبه خساسة عقله بخساسة متجره.
وأما الفضل بن الفرخان، فأعلمه أنه حاول بالقول الذي قاله في القرآن أخذ الودائع التي أودعها إياه عبد الرحمن بن إسحاق وغيره تربصا بمن استودعه، وطمعا في الاستكثار لما صار في يده، ولا سبيل عليه عن تقادم عهده، وتطاول الأيام به، فقل لعبد الرحمن بن إسحاق: لا جزاك الله خيرا عن تقويتك مثل هذا واتمناك إياه، وهو معتقد للشرك منسلخ من التوحيد.

وأما محمد بن حاتم وابن نوح والمعروف بأبي معمر، فأعلمهم أنهم مشاغل بأكل الربا عن الوقوف على التوحيد، وأن أمير المؤمنين لو لم يستحل محاربتهم في الله ومجاهدتهم إلا لإربائهم، وما نزل به كتاب الله في أمثالهم، لاستحل ذلك، فكيف بهم وقد جمعوا مع الأرباء شركا، وصار للنصارى مثالا! وأما أحمد بن شجاع، فأعلمه أنك صاحبه بالأمس، والمستخرج منه

ما استخرجته من المال الذي كان استحلّه من مال علي بن هشام، وأنه ممن الدينار والدرهم دينه وأما سعدويه الواسطي، فقل له: قبح الله رجلا بلغ به التصنع للحديث، والتزين به، والحرص على طلب الرئاسة فيه، أن يتنى وقت المحنة، فيقول بالتقرب بها متى يمتحن، فيجلس للحديث! وأما المعروف بسجادة، وإنكاره أن يكون سمع ممن كان يجالس من أهل الحديث وأهل الفقه القول بأن القرآن مخلوق، فأعلمه أنه في شغله بإعداد النوى وحكه لإصلاح سجادته وبالودائع التي دفعها إليه علي بن يحيى وغيره ما أذهله عن التوحيد وألهاه، ثم سلّه عما كان يوسف بن أبي يوسف ومحمد بن الحسن يقولانه، إن كان شاهدهما وجالسهما.

وأما القواريري، ففيما تكشف من أحواله وقبوله الرشا والمصانعات، ما أبان عن مذهبه وسوء طريقته وبخافة عقله ودينه، وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أنه يتولى لجعفر بن عيسى الحسيني مسألة، فتقدم إلى جعفر بن عيسى في رفضه، وترك الثقة به والاستئمان إليه.

وأما يحيى بن عبد الرحمن العمري، فإن كان من ولد عمر بن الخطاب، فجوابه معروف.
وأما محمد بن الحسن بن علي بن عاصم، فإنه لو كان مقتديا بمن مضى من سلفه، لم ينتحل النحلة التي حكيت عنه، وإنه بعد صبي يحتاج إلى تعلم.

وقد كان أمير المؤمنين وجه إليك المعروف بأبي مسهر بعد أن نصه أمير المؤمنين عن محنته في القرآن، فجمع عنها ولجلج فيها، حتى دعا له أمير المؤمنين بالسيف، فأقر ذميما، فأنصصه عن إقراره، فإن كان مقيما عليه فأشهر ذلك وأظهره، إن شاء الله.
ومن لم يرجع عن شركه ممن سميت لأمر المؤمنين في كتابك، وذكره

أمير المؤمنين لك، أو أمسك عن ذكره في كتابه هذا، ولم يقل إن القرآن مخلوق، بعد بشر بن الوليد وإبراهيم بن المهدي فاحملهم أجمعين موثقين إلى عسكر أمير المؤمنين، مع من يقوم بحفظهم وحراستهم في طريقهم، حتى يؤديهم إلى عسكر أمير المؤمنين، ويسلمهم إلى من يؤمن بتسليمهم إليه، لينصهم أمير المؤمنين، فإن لم يرجعوا ويتوبوا حملهم جميعا على السيف، إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله. وقد أنفذ أمير المؤمنين كتابه هذا في خريطة بندارية، ولم ينظر به اجتماع الكتب الخرائطية، معجلا به، تقربا إلى الله عز وجل بما أصدر من الحكم ورجاء ما اعتمد، وإدراك ما أمل من جزيل ثواب الله عليه، فأنفذ لما أتاك من أمر المؤمنين، وعجل إجابة أمير المؤمنين بما يكون منك في خريطة بندارية مفردة عن سائر الخرائط، لتعرف أمير المؤمنين ما يعملونه إن شاء الله. وكتب سنة ثمان عشرة ومائتين.

فأجاب القوم كلهم حين أعاد القول عليهم إلى أن القرآن مخلوق، إلا أربعة نفر، منهم أحمد بن حنبل وسجادة والقواريري ومحمد بن نوح المضروب.

فأمر بهم إسحاق بن إبراهيم فشدوا في الحديد، فلما كان من الغد دعا بهم جميعا يساقون في الحديد، فأعاد عليهم الحنة، فأجابه سجادة إلى أن القرآن مخلوق، فأمر بإطلاق قيده وخلي سبيله، وأصر الآخرون على قولهم، فلما كان من بعد الغد عاودهم أيضا، فأعاد عليهم القول، فأجاب القواريري إلى أن القرآن مخلوق، فأمر بإطلاق قيده، وخلي سبيله، وأصر أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح على قولهما، ولم يرجعا، فشدوا جميعا في الحديد، ووجهها إلى طرسوس، وكتب معهما كتابا بإشخاصهما، وكتب كتابا مفردا بتأويل القوم فيما أجابوا إليه فمكثوا أياما، ثم دعا بهم فإذا كتاب قد ورد من المأمون على إسحاق بن إبراهيم، أن قد فهم أمير المؤمنين ما أجاب القوم إليه، وذكر سليمان بن يعقوب صاحب الخبر أن بشر بن الوليد تأول الآية التي أنزلها الله تعالى في عمار بن ياسر: «إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ»

٨٠٧٢٠٣ كتب المأمون إلى عماله ووصيته في كتبه

وقد أخطأ التأويل، إنما عنى الله عز وجل بهذه الآية من كان معتقدا بالإيمان، مظهر الشك، فأما من كان معتقدا بالشك مظهر الإيمان، فليس هذه له فأشخصهم جميعا إلى طرسوس، ليقبضوا بها إلى خروج أمير المؤمنين من بلاد الروم.

فأخذ إسحاق بن إبراهيم من القوم الكفلاء ليوافوا العسكر بطرسوس، فأشخص أبا حسان وبشر بن الوليد والفضل بن غانم وعلي بن أبي مقاتل والذغال بن الهيثم ويحيى بن عبد الرحمن العمري وعلي بن الجعد وأبا العوام وسجادة والقواريري وابن الحسن بن علي بن عاصم وإسحاق بن أبي إسرائيل والنضر بن شميل وأبا نصر التمار وسعدويه الواسطي ومحمد بن حاتم بن ميمون وأبا معمر وابن الهرش وابن الفرخان وأحمد بن شجاع وأبا هارون بن البكاء.

فلما صاروا إلى الرقة بلغتهم وفاة المأمون، فأمر بهم عنبة بن إسحاق - وهو والي الرقة - أن يصيروا إلى الرقة، ثم أشخصهم إلى إسحاق بن إبراهيم بمدينة السلام مع الرسول المتوجه بهم إلى أمير المؤمنين، فسلمهم إليه، فأمرهم إسحاق بلزوم منازلهم، ثم رخص لهم بعد ذلك في الخروج، فأما بشر بن الوليد والذغال وأبو العوام وعلي بن أبي مقاتل، فإنهم شخصوا من غير أن يؤذن لهم حتى قدموا بغداد، فلقوا من إسحاق بن إبراهيم في ذلك أذى، وقدم الآخرون مع رسول إسحاق بن إبراهيم، فخلي سبيلهم.

كتب المأمون إلى عماله ووصيته في كتبه

وفي هذه السنة نفذت كتب المأمون إلى عماله في البلدان: من عبد الله عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين وأخيه الخليفة من بعده إبي إسحاق بن أمير المؤمنين الرشيد وقيل إن ذلك لم يكتبه المأمون كذلك، وإنما كتب في حال إفاقة من غشية أصابته في مرضه بالبدندون، عن امر المأمون إلى

٨٠٧٢٠٤ ذكر الخبر عن وفاه المأمون

العباس بن المأمون، وإلى إسحاق وعبد الله بن طاهر، أنه إن حدث به حدث الموت في مرضه هذا، فالخليفة من بعده أبو إسحاق بن أمير المؤمنين الرشيد.

فكتب بذلك محمد بن داود، وختم الكتب وأنفذها.

فكتب أبو إسحاق إلى عماله: من أبي إسحاق أخي أمير المؤمنين والخليفة من بعد أمير المؤمنين.

فورد كتاب من أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد إلى إسحاق بن يحيى بن معاذ عامله على جند دمشق يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب، عنوانه: من عبد الله عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين والخليفة من بعد أمير المؤمنين أبي إسحاق ابن أمير المؤمنين الرشيد: أما بعد، فإن أمير المؤمنين أمر بالكتاب إليك في التقدم إلى عمالك في حسن السيرة وتخفيف المؤنة وكف الأذى عن أهل عمك، فتقدم إلى عمالك في ذلك أشد التقدم، واكتب إلى عمال الخراج بمثل ذلك.

وكتب إلى جميع عماله في أجناد الشام، جند حمص والأردن وفلسطين بمثل ذلك، فلما كان يوم الجمعة لإحدى عشرة بقيت من رجب صلى الجمعة إسحاق بن يحيى بن معاذ في مسجد دمشق، فقال في خطبته بعد دعائه لأمر المؤمنين: اللهم وأصلح الأمير أخا المؤمنين والخليفة من بعد أمير المؤمنين أبا إسحاق بن أمير المؤمنين الرشيد.

ذكر الخبر عن وفاه المأمون

وفي هذه السنة توفي المأمون.

ذكر الخبر عن سبب المرض الذي كانت فيه وفاته:

ذكر عن سعيد العلاف القارئ، قال: أرسل إلي المأمون وهو ببلاد الروم- وكان دخلها من طرسوس يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة- فحملت إليه وهو في البدندون، فكان يستقرئني، فدعاني يوما، فجلست فوجدته جالسا على شاطئ البدندون، وأبو إسحاق المعتصم جالس عن يمينه، فأمرني فجلست نحوه منه، فإذا هو وأبو إسحاق مديان

أرجلهم في ماء البدندون، فقال: يا سعيد، دل رجلك في هذا الماء وذقه، فهل رأيت ماء قط أشد بردا، ولا أعذب ولا أصفى صفاء منه! ففعلت وقلت: يا أمير المؤمنين، ما رأيت مثل هذا قط، قال: أي شيء يطيب أن يؤكل ويشرب هذا الماء عليه؟ فقلت: أمير المؤمنين أعلم، فقال: رطب الآزاد، فيينا هو يقول هذا إذا سمع وقع لجم البريد فالتفت، فنظر فإذا بغال من بغال البريد، على أعجازها حقائب فيها الألفاظ، فقال لخادم له: اذهب فانظر: هل في هذه الألفاظ رطب؟ فانظره، فانظره، فان كان آزاد فأت به، فجاء يسعي بسلتين فيهما رطب آزاد، كأثما جني من النخل تلك الساعة، فأظهر شكرا لله تعالى، وكثر تعجبنا منه، فقال: ادن فكل، فأكل هو وأبو إسحاق، وأكلت معهما، وشربنا جميعا من ذلك الماء، فما قام منا أحد إلا وهو محموم، فكانت منية المأمون من تلك العلة، ولم يزل المعتصم عليلا حتى دخل العراق، ولم أزل عليلا حتى كان قريبا.

ولما اشتدت بالمأمون علته بعث إلى ابنه العباس، وهو يظن أن لن يأتيه، فأتاه وهو شديد المرض متغير العقل، قد نفذت الكتب بما نفذت له في أمر أبي إسحاق بن الرشيد، فأقام العباس عند أبيه أياما، وقد أوصى قبل ذلك إلى أخيه أبي إسحاق.

وقيل: لم يوص إلا والعباس حاضر، والقضاة والفقهاء والقواد والكتاب، وكانت وصيته: هذا ما أشهد عليه عبد الله بن هارون أمير المؤمنين بحضرة من حضره، أشهدهم جميعا على نفسه أنه يشهد ومن حضره أن الله عز وجل وحده لا شريك له في ملكه، ولا مدبر لأمره غيره، وأنه خالق وما سواه مخلوق، ولا يخلو القرآن أن يكون شيئا له مثل، ولا شيء مثله تبارك وتعالى، وإن الموت حق، والبعث حق، والحساب حق، وثواب المحسن الجنة وعقاب المسيء، النار، وإن محمدا ص قد بلغ عن ربه شرائع دينه، وأدى نصيحته إلى أمته، حتى قبضه الله إليه صلى الله عليه أفضل صلاه

صلاها على أحد من ملائكته المقربين وأنبيائه والمرسلين، وإني مقرر مذنب، أرجو وأخاف، إلا أني إذا ذكرت عفو الله رجوت، فإذا أنا مت فوجهوني وغمضوني، وأسبغوا وضوئي وطهروني، وأجيدوا كفني، ثم أكثروا حمد الله على الإسلام ومعرفة حقه عليكم في محمد،

إذ جعلنا من أمته المرحومة، ثم أضجعوني على سريري، ثم عجّلوا بي، فإذا أنتم وضعتوني للصلاة، فليتقدم بها من هو أقربكم بي نسباً، وأكبركم سناً، فليكبر نحساً، يبدأ في الأولى في أولها بالحمد لله والثناء عليه والصلاة على سيدي وسيد المرسلين جميعاً، ثم الدعاء للمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، ثم الدعاء للذين سبقونا بالإيمان، ثم ليكبر الرابعة، فيحمد الله ويهلله ويكبره ويسلم في الخامسة، ثم أقولوني فأبلغوا بي حفرتي، ثم لينزل أقربكم إلي قرابة، وأودكم محبة، وأكثروا من حمد الله وذكره، ثم ضعنوني على شقي الأيمن واستقبلوا بي القبلة، وحلوا كفني عن رأسي ورجلي، ثم سدوا اللحد باللبن، واحثوا تراباً على، واخرجوا عني وخلوني وعلمي، فكلكم لا يغني عني شيئاً، ولا يدفع عني مكروهاً، ثم قفوا بأجمعكم فقولوا خيراً إن علمتم، وأمسكوا عن ذكر شر إن كنتم عرفتم، فإني مأخوذ من بينكم بما تقولون وما تلفظون به، ولا تدعوا باكية عندي، فإن المعول عليه يعذب رحم الله امرأ اتعتظ وفكر فيما حتم الله على جميع خلقه من الفناء، وقضى عليهم من الموت الذي لا بد منه، فالحمد لله الذي توحد بالبقاء، وقضى على جميع خلقه الفناء ثم لينظر ما كنت فيه من عز الخلافة، هل أغنى ذلك عني شيئاً إذ جاء أمر الله! لا والله، ولكن أضعف علي به الحساب، فيا ليت عبد الله بن هارون لم يكن بشراً، بل ليته لم يكن خلقاً! يا أبا إسحاق، ادن مني، واتعظ بما ترى، وخذ بسيرة أخيك في القرآن، واعمل في الخلافة إذا طوقكها الله عمل المريد لله، الخائف من عقابه وعذابه، ولا تغتر بالله ومهلته، فكان قد نزل بك الموت ولا تغفل أمر الرعية الرعية! العوام العوام! فإن الملك بهم وبتعهدك المسلمين والمنفعة لهم الله الله فيهم وفي غيرهم من المسلمين!

ولا ينين إليك أمر فيه صلاح للمسلمين ومنفعة لهم إلا قدمته وآثرته على غيره من هواك، وخذ من أقويائهم لضعفائهم، ولا تحمل عليهم في شيء، وأنصف بعضهم من بعض بالحق بينهم، وقربهم وتأتمهم، وعجل الرحلة عني، والقُدوم إلى دار ملكك بالعراق، وانظر هؤلاء القوم الذين أنت بساحتهم فلا تغفل عنهم في كل وقت والخرمية فأغزهم ذا حزمة وصرامة وجلد، وأكفهم بالأموال والسلاح والجنود من الفرسان والرجالة، فإن طالبت مدتهم فتجرد لهم بمن معك من أنصارك وأولياك، واعمل في ذلك عمل مقدم النية فيه، راجياً بثواب الله عليه واعلم أن العظة إذا طالبت أوجبت على السامع لها والموصي بها الحجة، فاتق الله في أمرك كله، ولا تفتن.

ثم دعا أبا إسحاق بعد ساعة حين اشتد به الوجع، وأحس بحجيء أمر الله فقال له: يا أبا إسحاق، عليك عهد الله وميثاقه وذمه رسول الله ص لتقومن بحق الله في عبادته، ولتؤثرن طاعته على معصيته، إذ أنا نقلتها من غيرك إليك؟ قال: اللهم نعم، قال: فانظر من كنت تسمعي أقدمه على لساني فأضعف له التقدم، عبد الله بن طاهر أقره على عمله ولا تهجه، فقد عرفت الذي سلف منك أيام حياتي وبحضرتي، استعطفه بقلبك، وخصه ببرك، فقد عرفت بلاءه وغناؤه عن أخيك وإسحاق بن إبراهيم فأشركه في ذلك، فإنه أهل له وأهل بيتك، فقد علمت إنه لا بقية فيهم وإن كان بعضهم يظهر الصيانة لنفسه عبد الوهاب عليك به من بين أهلك، فقدمه عليهم، وصير أمرهم إليه وابو عبد الله بن أبي داود فلا يفارقك، وأشركه في المشورة في كل أمرك، فإنه موضع لذلك منك، ولا تتخذن بعدي وزيراً تلقى إليه شيئاً، فقد علمت ما نكبتني به يحيى بن أكرم في معاملة الناس وخبث سيرته حتى أبان الله ذلك منه في صحة مني، فصرت إلى مفارقتة! قالوا له غير راض بما صنع في أموال الله وصدقاته، لا جزاه الله عن الإسلام خيراً! وهؤلاء بنو عمك من ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه،

٨٠٧٢٠٥ ذكر الخبر عن وقت وفاته والموضع الذي دفن فيه ومن صلى عليه ومبلغ سنه وقدر مده خلافته

فأحسن صحبتهم، وتجاوز عن مسيئتهم، وأقبل من محسنهم، وصلاتهم فلا تغفلها في كل سنة عند محلها، فإن حقوقهم تجب من وجوه شتى اتقوا الله ربكم حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون اتقوا الله واعملوا له، اتقوا الله في أموركم كلها أستودعكم الله ونفسي وأستغفر الله مما سلف، وأستغفر الله مما كان مني، إنه كان غفاراً، فإنه ليعلم كيف ندمي على ذنوبي، فعليه توكلت من عظيمها، وإليه أنيب ولا قوة إلا بالله، حسبي الله ونعم الوكيل، وصلى الله على محمد نبي الهدى والرحمة!

ذكر الخبر عن وقت وفاته والموضع الذي دفن فيه ومن صلى عليه ومبلغ سنه وقدر مده خلافته قال ابو جعفر: وأما وقت وفاته، فإنه اختلف فيه، فقال بعضهم:

توفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب بعد العصر سنة ثمان عشرة ومائتين.

وقال آخرون: بل توفي في هذا اليوم مع الظهر، ولما توفي حمله ابنه العباس واخوه ابو إسحاق محمد بن الرشيد إلى طرسوس، فدفناه في دار كانت لخاقان خادم الرشيد، وصلى عليه أخوه أبو إسحاق المعتصم، ثم وكلوا به حرسا من أبناء أهل طرسوس وغيرهم مائة رجل، وأجري على كل رجل منهم تسعون درهما.

وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوما، وذلك سوى سنتين كان دعي له فيهما بمكة واخوه الامين محمد بن الرشيد محصور ببغداد.

وكان ولد للنصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة

٨٠٧٢٠٦ ذكر بعض اخبار المأمون وسيره

وكان يكنى - فيما ذكر ابن الكلبي - أبا العباس.

وكان ربعة أبيض جميلا، طويل اللحية، قد وخطه الشيب وقيل كان أسمر تعلوه صفرة، أحنى أعين طويل اللحية رقيقها، أشيب، ضيق الجبهة، بخده خال أسود.

واستخلف يوم الخميس لخمس ليال بقين من المحرم.

ذكر بعض أخبار المأمون وسيره

ذكر عن محمد بن الهيثم بن عدي، أن إبراهيم بن عيسى بن بريمة بن المنصور، قال: لما أراد المأمون الشيوخ إلى دمشق هيأت له كلاما، مكثت فيه يومين وبعض آخر، فلما مثلت بين يديه قلت: أطل الله بقاء أمير المؤمنين، في أدوم العز وأسبغ الكرامة، وجعلني من كل سوء فداه! أن من أمسى وأصبح يتعرف من نعمة الله، له الحمد كثيرا عليه برأي أمير المؤمنين أيده الله فيه، وحسن تأنيسه له، حقيق بأن يستديم هذه النعمة، ويلتمس الزيادة فيها بشكر الله وشكر أمير المؤمنين، مد الله في عمره عليها وقد أحب أن يعلم أمير المؤمنين أيده الله إني لا أرغب بنفسني عن خدمته أيده الله بشيء من الخفض والدعة، إذ كان هو أيده الله يتجشم خشونة السفر ونصب الظعن، وأولى الناس بمواساته في ذلك وبذل نفسه فيه أنا، لما عرفني الله من رأيه، وجعل عندي من طاعته ومعرفه ما أوجب الله من حقه، فإن رأى أمير المؤمنين أكرمه الله أن يكرمني بلزوم خدمته، والكينونة معه فعل فقال لي مبتدئا من غير تروية: لم يعزم أمير المؤمنين في ذلك على شيء، وإن استصحب أحدا من أهل بيتك بدأ بك، وكنت المقدم عنده في ذلك، ولا سيما إذ أنزلت نفسك بحيث أنزلك أمير المؤمنين من نفسه، وإن ترك ذلك فن غير قلا لمكانك، ولكن بالحاجة إليك قال: فكان والله ابتداءه أكثر من ترويتي

وذكر عن محمد بن علي بن صالح السرخسي، قال: تعرض رجل للمأمون بالشام مرارا، فقال له: يا أمير المؤمنين، انظر لعرب الشام كما نظرت لعجم أهل خراسان! فقال: أكثرت علي يا أبا أهل الشام، والله ما أنزلت قيسا عن ظهور الخليل إلا وأنا أرى إنه لم يبق في بيت مالي درهم واحد، وأما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحببني قط، وأما قضاة فسادتها تنتظر السفياي وخروجه فتكون من أشياعه، وأما ربيعة فساخطة على الله منذ بعث نبيه من مضر، ولم يخرج اثنان إلا خرج أحدهما شاريا، اعزب فعل الله بك! وذكر عن سعيد بن زياد أنه لما دخل على المأمون بدمشق قال له: أرني الكتاب الذي كتبه رسول الله ص لكم، قال: فأريته، قال:

فقال: إني لأشتهي أن أدري أي شيء هذا الغشاء على هذا الخاتم؟ قال:

فقال له أبو إسحاق: حل العقد حتى تدري ما هو، قال: فقال: ما أشك ان النبي ص عقد هذا العقد، وما كنت لأحل عقدا عقده رسول الله ص ثم قال للواثق: خذه فضعه على عينك، لعل الله أن يشفيك قال: وجعل المأمون يضعه على عينه ويبيكي وذكر عن العيشي صاحب إسحاق بن إبراهيم، أنه قال: كنت مع المأمون بدمشق، وكان قد قل المال عنده حتى ضاق، وشكا ذلك إلى أبي إسحاق

المتعصم، فقال له: يا أمير المؤمنين، كأنك بالمال وقد وافك بعد جمعه قَالَ: وكان حمل إليه ثلاثون ألف ألف من خراج ما يتولاه له، قَالَ: فلما ورد عليه ذلك المال، قَالَ المأمون ليحيى بن أكرم: اخرج بنا ننظر إلى هذا المال، قَالَ: نفرجا حتى أصبحنا، ووقفنا ينظرانه، وكان قد هيئ بأحسن هيئة، وحليت أباعره، وألبست الأحلاس الموشاة والجلال المصبغة وقلدت العهن، وجعلت البدر بالحرير الصيني الأحمر والأخضر والأصفر، وأبدت رءوسها قَالَ: فنظر المأمون إلى شيء حسن، واستكثر ذلك، فعظم في عينه، واستشرفه الناس ينظرون إليه، ويعجبون منه، فقال المأمون ليحيى:

يا أبا محمد، ينصرف أصحابنا هؤلاء الذين تراهم الساعة خائبين إلى منازلهم،

ونصرف بهذه الأموال قد ملكناها دونهم! إنا إذا للثام ثم دعا محمد بن يزداد، فقال له: وقع لآل فلان بألف ألف، ولآل فلان بمثلها، ولال فلان بمثلها قال: فوالله إن زال كذلك حتى فرق أربعة وعشرين ألف ألف درهم ورجله في الركاب، ثم قَالَ: ادفع الباقي إلى المعلى يعطي جندنا قَالَ العيشي: فجئت حتى قتت نصب عينه، فلم أرد طرفي عنها، لا يلحطني إلا رأيي بتلك الحال فقال: يا أبا محمد، وقع لهذا بخمسين ألف درهم من الستة الآلاف الف، لا يختلس ناظري قَالَ: فلم يأت علي ليلتان حتى أخذت المال.

وذكر عن محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان، أنه كان بالبصرة رجل من بني تميم، وكان شاعرا ظريفا خبيثا منكرا، وكنت أنا والي البصرة، أنس به وأستحليه، فأردت أن أخدعه واستنزله، فقلت له: أنت شاعر وأنت ظريف، والمأمون أجود من السحاب الحافل والريح العاصف، فما يمنعك منه؟ قَالَ: ما عندي ما يقلني، قلت: فأنا أعطيك نجيبا فارها، ونفقة سابعة، وتخرج إليه وقد امتدحتة، فإنك إن حظيت بلقائه، صرت إلى أمنيته قَالَ: والله أيها الأمير ما أخالك أبعدت، فأعد لي ما ذكرت.

قَالَ: فدعوت له بنجيب فاره، فقلت: شأنك به فامتطه، قَالَ: هذه إحدى الحسنين، فما بال الأخرى! فدعوت له بثلاثمائة درهم، وقلت: هذه نفقتك، قَالَ: أحسبك أيها الأمير قصرت في النفقة، قلت: لا، هي كافية، وإن قصرت عن السرف قَالَ: ومتى رأيت في أكبر سعد سرفا حتى تراه في أصاغرهما! فأخذ النجيب والنفقة، ثم عمل أرجوزه ليست بالطويله، فانشد فيها وحذف منها ذكري والثناء علي- وكان ماردا- فقلت له: ما صنعت شيئا قَالَ: وكيف؟ قلت: تأتي الخليفة ولا تثني على أميرك! قال: أيها الأمير أردت أن تحددني فوجدتني خداعا، ولمثلها ضرب هذا المثل: من ينك العير ينك نياكا، أما والله ما لكرامتي حملتني على نجيبك، ولا جدت لي بمالك الذي ما رame أحد قط إلا جعل الله خده الأسفل، ولكن لأذكرك

في شعري وأمدحك عند الخليفة، أفهم هذا قلت: قد صدقت، فقال:

أما إذ أبدت ما في ضميرك، فقد ذكرتك، وأثنت عليك، فقلت: فأنشدني ما قلت، فأنشدني، فقلت: أحسنت، ثم ودعني وخرج فأتى الشام، وإذا المأمون بسلغوس قَالَ: فأخبرني، قَالَ: بينا أنا في غزاة قره، قد ركبت نجيبا ذاك، ولبست مقطعاتي، وأنا أروم العسكر، فإذا أنا بكهل على بغل فاره ما يقر قراره، ولا يدرك خطاه قال: فلتقاني مكافئة ومواجهة، وأنا أردد نشيد أرجوزتي، فقال: سلام عليكم- بكلام جهوري ولسان بسيط- فقلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، قَالَ: قف إن شئت، فوقف فتضوعت منه رائحة العنبر والمسك الأذفر، فقال: ما أولك؟

قلت: رجل من مضر، قَالَ: ونحن من مضر، ثم قَالَ: ثم ماذا؟

قلت: رجل من بني تميم، قَالَ: وما بعد تميم؟ قلت: من بني سعد، قَالَ:

هيه، فما أقدمك هذا البلد؟ قَالَ: قلت: قصدت هذا الملك الذي ما سمعت بمثله أندى رائحة، ولا أوسع راحة، ولا أطول باعا، ولا أمد يفاعا منه.

قَالَ: فما الذي قصدته به؟ قلت: شعر طيب يلذ على الأفواه، وتقفيه الرواة، ويحلوا في آذان المستمعين، قَالَ: فأنشدني، فغضبت وقلت: يا ركيك، أخبرتك أنني قصدت الخليفة بشعر قلته، ومدح خبرته، تقول:

أنشدني! قَالَ: فتغافل والله عنها، وتطأمن لها، وألغى عن جوابها، قَالَ: وما الذي تأمل منه؟ قلت: إن كان على ما ذكر لي عنه فألف دينار، قَالَ: فأنا أعطيك ألف دينار إن رأيت الشعر جيدا والكلام عذبا وأضع عنك العناء، وطول الترداد، ومنى تصل إلى الخليفة

وبينك وبينه عشرة آلاف راح ونابل! قلت: فلي الله عليك أن تفعل! قَالَ: نعم لك الله علي أن أفعل، قلت: ومعك الساعة مال؟ قَالَ: هذا بغلي وهو خير من ألف دينار، أنزل لك عن ظهره، قَالَ: فغضبت أيضا وعارضني نرق سعد وخفة أحلامها، فقلت: ما يساوي هذا البغل هذا النجيب! قَالَ:

فدع عنك البغل، ولك الله علي أن أعطيك الساعة ألف دينار، قَالَ:

فأنشدته:

مأمون يا ذا المنن الشريفه ... وصاحب المرتبة المنيفه
وقائد الكتيبة الكثيفه ... هل لك في أرجوزة ظريفه
أظرف من فقه أبي حنيفه ... لا والذي أنت له خليفه
ما ظلمت في أرضنا ضعيفه ... أميرنا مؤنته خفيفه
وما اجتبي شيئا سوى الوظيفه ... فالذئب والنعجة في سقيفه
واللص والتاجر في قطيفه.

قال: فو الله ما عدا ان انشدته، فإذا زهاء عشرة آلاف فارس قد سدوا الأفق، يقولون: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ! قَالَ:

فأخذني أفكل، ونظر إلي بتلك الحال، فقال: لا بأس عليك أي أخي، قلت: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك! أتعرف لغات العرب؟ قَالَ: أي لعمر الله، قلت: فمن جعل الكاف منهم مكان القاف؟ قَالَ:

هذه حمير، قلت: لعننا الله، ولعن من استعمل هذه اللغة بعد اليوم! فضحك المأمون، وعلم ما أردت، والتفت إلى خادم إلى جانبه، فقال: أعطه ما معك، فأخرج إلي كيسا فيه ثلاثة آلاف دينار، فقال: هاك، ثم قَالَ: السلام عليك، ومضى فكان آخر العهد به.

وقال أبو سعيد الخزومي:

هل رأيت النجوم أغنت عن المأمون ... شيئا أو ملكه المأسوس
خلفوه بعرصتي طرسوس ... مثل ما خلفوا أباه بطوس
وقال علي بن عبيدة الرياحي:

ما أقل الدموع للمأمون ... لست أرضى إلا دما من جفوني

وذكر أبو موسى هارون بن محمد بن اسماعيل بن موسى الهادي ان علي ابن صالح حدثه، قَالَ: قَالَ لي المأمون يوما: أبغني رجلا من أهل الشام، له أدب، يجالسني ويحدثني، فالتفت ذلك فوجدته، فدعوته فقلت له:

إني مدخلك على أمير المؤمنين، فلا تسأله عن شيء حتى يبتدئك، فإني أعرف الناس بمسألتكم يا أهل الشام، فقال: ما كنت متجاوزا ما أمرتني به.

فدخلت على المأمون، فقلت له: قد أصبت الرجل يا أمير المؤمنين، فقال:

أدخله، فدخل فسلم، ثم استدناه- وكان المأمون على شغله من الشراب- فقال له: إني أردتك لمجالستي ومحادثتي، فقال الشامي: يا أمير المؤمنين، إن المجلس إذا كانت ثيابه دون ثياب جلسه دخله لذلك غضاضة، قَالَ: فأمر المأمون أن يخلع عليه، قَالَ: فدخلني من ذلك ما الله به أعلم، قَالَ: فلما خلع عليه، ورجع إلى مجلسه، قَالَ: يا أمير المؤمنين، إن قلبي إذا كان متعلقا بعيالي لم تنتفع بمحادثتي، قَالَ: نحسون ألفا تحمل إلى منزله، ثم قَالَ: يا أمير المؤمنين، وثلاثة، قَالَ: وما هي؟ قَالَ: قد دعوت بشيء يحول بين المرء وعقله، فإن كانت مني هنة فاغفرها، قَالَ: وذلك! قَالَ علي: فكأن الثالثة جلت عني ما كان بي.

وذكر أبو حشيشة محمد بن علي بن أمية بن عمرو، قَالَ: كما قدام أمير المؤمنين المأمون بدمشق، فغنى علويه:

برئت من الإسلام إن كان ذا الذي ... أذاك به الواشوان عني كما قالوا

ولكنهم لما رأوك سريعة ... إلي، تواصلوا بالنيمة واحتالوا

فقال: يا علويه، لمن هذا الشعر؟ فقال: للقاضي، قال: أي قاض ويحك! قال: قاضي دمشق، فقال: يا أبا إسحاق، اعزله، قال: قد عزلته، قال: فيحضر الساعة قال: فأحضر شيخ مخضوب قصير، فقال له المأمون: من تكون؟ قال: فلان ابن فلان الفلاني، قال: تقول الشعر؟

قال: قد كنت أقوله، فقال: يا علويه، أنشده الشعر، فأنشده، فقال:

هذا الشعر لك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، ونسأوه طواق وكل ما يملك في سبيل الله إن كان قال الشعر منذ ثلاثون سنة إلا في زهد أو معاتبة صديق، فقال: يا أبا إسحاق اعزله، فما كنت أولى رقاب المسلمين من يبدأ في هزله بالبراءة من الإسلام ثم قال: استقوه، فأتي بقدر فيه شراب، فأخذه وهو يرتعد، فقال: يا أمير المؤمنين ما ذقته قط، قال: فلعلك تريد غيره! قال:

لم أذق منه شيئاً قط، قال: فحرام هو؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال:

أولى لك! بها نجوت، أخرج ثم قال: يا علويه، لا تقل: برئت من الإسلام، ولكن قل:

حرمت مناي منك إن كان ذا الذي ... أذاك به الواشون عني كما قالوا

قال: وكنا مع المأمون بدمشق، فركب يريد جبل الثلج، فبركة عظيمة من برك بني أمية، وعلى جوانبها أربع سروات، وكان الماء يدخلها سيحاً، ويخرج منها، فاستحسن المأمون الموضع، فدعا بيزماورد ورطل، وذكر بني أمية، فوضع منهم وتقصهم، فأقبل علويه على العود، واندفع يغني:

أولئك قومي بعد عز وثروة ... تفانوا فلا أذرف العين أكمد

فضرب المأمون الطعام برجله، ووثب وقال لعلويه: يا بن الفاعلة، لم يكن لك وقت تذكر فيه مواليك إلا في هذا الوقت! فقال: مولاكم زرياب عند موالي يركب في مائة غلام، وأنا عندكم أموت من الجوع! فغضب عليه عشرين يوماً، ثم رضي عنه.

قال: وزرياب مولى المهدي، صار إلى الشام ثم صار إلى المغرب، إلى بني أمية هناك.

وذكر السليطي أبو علي، عن عمارة بن عقيل، قال: أشدت المأمون قصيدة فيها مديح له، هي مائة بيت، فابتدئ بصدر البيت فيبادرني إلى قافيته

كما قفيتها، فقلت: والله يا أمير المؤمنين، ما سمعها مني أحد قط، قال: هكذا ينبغي أن يكون، ثم أقبل علي، فقال لي: أما بلغك أن عمر بن أبي ربيعة أنشد عبد الله بن العباس قصيدته التي يقول فيها.

تشط غدا دار جيراننا.

فقال ابن العباس

وللدار بعد غد أبعد.

حتى أنشده القصيدة، يقفها ابن عباس! ثم قال: أنا ابن ذاك.

وذكر عن أبي مروان كازر بن هارون، أنه قال: قال المأمون:

بعثتك مرتادا ففرت بنظرة ... وأغفلتني حتى أسأت بك الظنا

فناجيت من أهوى وكنت مباعدا ... فيا ليت شعري عن دنوك ما اغنى!

أرى أثرا منه بعينيك بينا ... لقد أخذت عينك من عينه حسنا

قال أبو مروان: وإنما عول المأمون في قوله في هذا المعنى على قول العباس ابن الأحنف، فإنه اخترع:

إن تشق عيني بها فقد سعدت ... عين رسولي، وفزت بالخبر

وكلما جاءني الرسول لها ... رددت عمدا في طرفه نظري

تظهر في وجهه محاسنها ... قد أثرت فيه أحسن الأثر

خذ مقلتي يا رسول عارية ... فانظر بها واحتكم على بصري

قال أبو العتاهية: وجه إلي المأمون يوماً، فصرت إليه، فألفيته مطرقاً مفكراً، فأجمت عن الدنو منه في تلك الحال، فرفع رأسه، فنظر إلي وأشار بيده، أن ادن، فدنوت ثم أطرق ملياً، ورفع رأسه، فقال: يا أبا إسحاق، شأن النفس الملل وحب الاستطراف، تأنس بالوحدة

كما تأنس بالألفة، قلت: أجل يا أمير المؤمنين، ولي في هذا بيت، قال: وما هو؟ قلت: لا يصلح النفس إذ كانت مقسمة ... إلا التنقل من حال إلى حال وذكر عن أبي نزار الضرير الشاعر أنه قال: قال لي علي بن جبلة:

قلت لحميد بن عبد الحميد: يا أبا غانم، قد امتدحت أمير المؤمنين بمدح لا يحسن مثله أحد من أهل الأرض، فاذكرني له، فقال: أنشدني، فأنشدته، فقال: أشهد أنك صادق، فأخذ المديح فأدخله على المأمون، فقال:

يا أبا غانم، الجواب في هذا واضح، إن شاء عفونا عنه وجعلنا ذلك ثوابا بمدحيه، وإن شاء جمعنا بين شعره فيك وفي أبي دلف القاسم بن عيسى، فإن كان الذي قال فيك وفيه أجود من الذي مدحنا به ضربنا ظهره، وأطلقنا حبسه، وإن كان الذي قال فينا أجود أعطيته بكل بيت من مديحه ألف درهم، وإن شاء ألقناه فقلت: يا سيدي، ومن أبو دلف! ومن أنا حتى يمدحنا بأجود من مديحك! فقال: ليس هذا الكلام من الجواب عن المسألة في شيء، فاعرض ذلك على الرجل قال علي بن جبلة: فقال لي حميد: ما ترى؟

قلت: الا قاله أحب إلي، فأخبر المأمون، فقال: هو أعلم، قال حميد:

فقلت لعلي بن جبلة: إلى أي شيء ذهب في مدحك أبا دلف وفي مدحك لي؟ قال: إلى قول في أبي دلف:

إنما الدنيا أبو دلف ... بين مغزاه ومحتضره

فإذا ولي أبو دلف ... ولت الدنيا على أثره
وإلى قولي فيك:

لولا حميد لم يكن ... حسب يعد ولا نسب

يا واحد العرب الذي ... عزت بعزته العرب

قال: فأطرق حميد ساعة، ثم قال: يا أبا الحسن، لقد انتقد عليك أمير المؤمنين وأمر لي بعشرة آلاف درهم وحملان وخلعة وخادم، وبلغ ذلك

أبا دلف فأضعف لي العطية، وكان ذلك منهما في ستر لم يعلم به أحد إلى أن حدثك يا أبا نزار بهذا.

قال أبو نزار: وظننت أن المأمون تعقد عليه هذا البيت في أبي دلف:

تحدّر ماء الجود من صلب آدم ... فأثبتته الرحمن في صلب قاسم

وذكر عن سليمان بن رزين الخزاعي، ابن أخي دعبل، قال: هجا دعبل المأمون، فقال:

ويسومني المأمون خطة عارف ... أو ما رأى بالأمس رأس محمد

يوفي على هام الخلائف مثل ما ... يوفي الجبال على رءوس القرد

ويحل في أكثاف كل ممنع ... حتى يذل شاهقا لم يصعد

إن الترات مسهد طلابها ... فاكفف لعابك عن لعاب الأسود

فقل للمأمون: إن دعبلا هجأك، فقال: هو يهجو أبا عباد لا يهجونني.

يريد حدة أبي عباد، وكان أبو عباد إذا دخل على المأمون كثيرا ما يضحك المأمون، ويقول له: ما أراد دعبل منك حين يقول:

وكأنه من دير هزقل مفلت ... حرد يحجر سلاسل الأقياد

وكان المأمون يقول لإبراهيم بن شكلة إذا دخل عليه: لقد أوجعك دعبل حين يقول:

إن كان إبراهيم مضطلعا بها ... فلتصلحن من بعده لمخارق

ولتصلحن من بعد ذاك لزلزل ... ولتصلحن من بعده للبارق

أنى يكون ولا يكون ولم يكن ... لينال ذلك فاسق عن فاسق!

وذكر محمد بن الهيثم الطائي أن القاسم بن محمد الطيفوري حدثه، قال:

شكا إليزيدي إلى المأمون خلة أصابته، وديننا لحقه، فقال: ما عندنا في هذه الأيام ما أن أعطيناكه بلغت به ما تريد، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الأمر قد ضاق علي، وإن غرمائي قد أرهقوني قال: فرم لنفسك أمرا تنال به نفعا فقال: لك منادمون فيهم من أن حركته

نلت منه ما أحب، فأطلق لي الحيلة فيهم، قَالَ: قل ما بدا لك، قَالَ: فإذا حضروا وحضرت فمر فلانا الخادم أن يوصل إليك رقعتي، فإذا قرأتها، فأرسل إلي: دخولك في هذا الوقت متعذر، ولكن اختر لنفسك من أحببت قَالَ: فلما علم أبو محمد بجلوس المأمون واجتماع ندمائه إليه، وتيقن أنهم قد ثملوا من شربهم، أتى الباب، فدفع إلى ذلك الخادم رقعة قد كتبها، فأوصلها له إلى المأمون، فقرأها فإذا فيها:

يا خير إخواني وأصحابي ... هذا الطفيلي لدى الباب

خبر أن القوم في لذة ... يصبو إليها كل أواب

فصبروني واحدا منكم ... أو أخرجوا لي بعض أترابي

قَالَ: فقرأها المأمون على من حضره، فقالوا: ما ينبغي أن يدخل هذا الطفيلي على مثل هذه الحال فأرسل إليه المأمون: دخولك في هذا الوقت متعذر، فاختر لنفسك من أحببت تناديه، فقال: ما أرى لنفسي اختيارا غير عبد الله بن طاهر، فقال له المأمون: قد وقع اختياره عليك، فصر إليه، قَالَ: يا أمير المؤمنين، فأكون شريك الطفيلي! قَالَ: ما يمكن رد أبي محمد عن أمرين، فإن أحببت أن تخرج، وإلا فافتد نفسك، قَالَ: فقال:

يا أمير المؤمنين، له علي عشرة آلاف درهم، قَالَ: لا أحسب ذلك يقنعه منك ومن مجالستك، قَالَ: فلم يزل يزيد عشرة عشرة، والمأمون يقول له: لا أرضى له بذلك، حتى بلغ المائة ألف قَالَ: فقال له المأمون: فعجلها له، قَالَ:

فكتب له بها إلى وكيله، ووجه معه رسولا، فأرسل إليه المأمون: قبض هذه في هذه الحال أصلح لك من منادمته على مثل حاله، وأنفع عاقبة.

وذكر عن محمد بن عبد الله صاحب المراكب قَالَ: أخبرني أبي عن صالح بن الرشيد، قَالَ: دخلت على المأمون، ومعي بيتان للحسين بن الضحاك، فقلت: يا أمير المؤمنين، أحب أن تسمع مني بيتين، قَالَ:

أنشدتهما، قَالَ: فأنشده صالح:

حمدنا الله شكرا إذ حبانا ... بنصرك يا أمير المؤمنين

فأنت خليفة الرحمن حقا ... جمعت سماحة وجمعت دينا

فاستحسنهما المأمون، وقال: لمن هذان البيتان يا صالح؟ قلت: لعبدك يا أمير المؤمنين الحسين بن الضحاك، قَالَ: قد أحسن، قلت: وله

يا أمير المؤمنين ما هو أجود من هذا، قَالَ: وما هو؟ فأنشدته:

أبخل فرد الحسن فرد صفاته ... علي، وقد أفردته بهوى فردا!

رأى الله عبد الله خير عباده ... فلكه والله أعلم بالعبد

وذكر عن عمارة بن عقيل، أنه قَالَ: قَالَ لي عبد الله بن أبي السمط:

علمت أن المأمون لا يبصر الشعر، قَالَ: قلت: ومن ذا يكون اعلم منه! فوالله إنك لترانا ننشده أول البيت فيسبقنا إلى آخره، قال:

أنشدته بيتا أجدت فيه، فلم أره تحرك له، قَالَ: قلت: وما الذي أنشدته؟ قَالَ:

أنشدته:

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا ... بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

قَالَ: فقلت له: إنك والله ما صنعت شيئا، وهل زدت على أن جعلته عجوزا في محرابها، في يدها سبحتها! فمن القائم بأمر الدنيا إذا

تشاغل عنها، وهو المطوق بها! هلا قلت فيه كما قَالَ عمك جرير في عبد العزيز ابن الوليد:

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ... ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

فقال: الآن علمت أنني قد أخطأت.

وذكر عن محمد بن إبراهيم السيارى قَالَ: لما قدم العتابي على المأمون مدينة السلام أذن له، فدخل عليه، وعنده إسحاق بن إبراهيم الموصلي - وكان شيخا جليلا - فسلم عليه، فردع، وأدناه وقربه حتى قرب منه، فقبل يده، ثم أمره بالجلوس فجلس، وأقبل عليه يسأله عن حاله،

فجعل يحببه بلسان طلق، فاستطرف المأمون ذلك، فأقبل عليه بالمداعبة والمزاح، فظن الشيخ أنه استخف به، فقال: يا أمير المؤمنين، الإيساس قبل الإيناس قال: فاشتبه على المأمون الإيساس، فنظر إلى إسحاق بن إبراهيم، ثم قال:

نعم، يا غلام ألف دينار، فأتى بها، ثم صبت بين يدي العتابي، ثم أخذوا في المفاوضة والحديث، وغمز عليه إسحاق بن إبراهيم، فأقبل لا يأخذ العتابي في شيء إلا عارضه إسحاق بأكثر منه، فبقي متعجباً، ثم قال:

يا أمير المؤمنين، ائذن لي في مسألة هذا الشيخ عن اسمه، قال: نعم، سله، قال: يا شيخ، من أنت؟ وما اسمك؟ قال: أنا من الناس، واسمي كل بصل، قال: أما النسبة فعروفة، وأما الاسم فمفكر، وما كل بصل من الأسماء؟ فقال له إسحاق: ما أقل إنصافك! وما كل ثوم من الأسماء! البصل أطيب من الثوم، فقال العتابي: لله درك! ما أحجك! يا أمير المؤمنين، ما رأيت كالشيخ قط، أتأذن لي في صلته بما وصلني به أمير المؤمنين، فقد والله غلبني! فقال المأمون: بل هذا موفر عليك، ونأمر له بمثله، فقال له إسحاق: أما إذا أقررت بهذه فتوهمني تجدني، فقال:

والله ما أظنك إلا الشيخ الذي يتناهى إلينا خبره من العراق، ويعرف بابن الموصلي! قال: أنا حيث ظننت، فأقبل عليه بالتحية والسلام، فقال المأمون وقد طال الحديث بينهما: أما إذا اتفقتما على الصلح والمودة، فقوموا فانصرفا متنادمين، فانصرف العتابي إلى منزل إسحاق فأقام عنده.

وذكر عن محمد بن عبد الله بن جشم الربيعي أن عمارة بن عقيل قال: قال لي المأمون يوماً وأنا أشرب عنده: ما أخبثك يا أعرابي! قال: قلت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ وهمتني نفسي، قال: كيف قلت:

قالت مفده لما أن رأته أرقى ... والهمل يعتادني من طيفه لم
نهبت مالك في الأدين آصرة ... وفي الأبعاد حتى حنك العدم
فاطلب إليهم ترى ما كنت من حسن ... تسدي إليهم فقد بات لهم صرم
فقلت بذلك قد أكثرت لائمتي ... ولم يمت حاتم هزلاً ولا هرم

فقال لي المأمون: أين رميت بنفسك إلى هرم بن سنان سيد العرب وحاتم الطائي! فعلاً كذاً وفعلاً كذاً، وأقبل ينثال علي بفضلتهما، قال: فقلت:

يا أمير المؤمنين، أنا خير منهما، أنا مسلم وكنا كافرين، وأنا رجل من العرب.

وذكر عن محمد بن زكرياء بن ميمون الفرغاني، قال: قال المأمون لمحمد بن الجهم: أنشدني ثلاثة أبيات في المديح والهجاء والمرثي، ولك بكل بيت كورة، فأنشده في المديح:

يجود بالنفس إذ ضن الجواد بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود
وأنشده في الهجاء:

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم ... حسنت مناظرهم لقبح الخبر
وأنشده في المرثي:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه ... فطيب تراب القبر دل على القبر

وذكر عن العباس بن أحمد بن أبان بن القاسم الكاتب، قال: أخبرني الحسين بن الضحاك، قال: قال لي علويه: أخبرك أنه مر بي مرة ما أيسر من نفسي معه لولا كرم المأمون، فإنه دعا بنا، فلما أخذ فيه النبيذ، قال:

غنوني، فسبقتني مخارق، فاندفع فغنى صوتاً لابن سريج في شعر جرير:

لما تذكرت بالديرين أرقني ... صوت الدجاج وضرب بالنواقيس

فقلت للركب إذ جد المسير بنا ... يا بعد يبرين من باب الفرديس!

قال: فحين لي ان تغنيت، وكان قد هم بالخروج إلى دمشق يريد الثغر:

الحين ساق إلى دمشق وما ... كانت دمشق لأهلها بلدا
فضرب بالقدح الأرض، وقال: ما لك! عليك لعنة الله ثم قال: يا غلام، أعط مخارقا ثلاثة آلاف درهم، وأخذ بيدي فأقمت وعيناه
تدمعان، وهو يقول للمعتصم: هو والله آخر خروج، ولا أحسبني أن أرى العراق أبدا، فكان والله آخر عهده بالعراق عند خروجه كما
قال.

٨٠٧٢٠٧ خلافة أبي إسحاق المعتصم محمد بن هارون الرشيد

خلافة أبي إسحاق المعتصم محمد بن هارون الرشيد
وفي هذه السنة بويج لأبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ابن عبد الله المنصور بالخلافة، وذلك يوم الخميس لاثنتي عشرة
ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين وذكر أن الناس كانوا قد أشفقوا من منازعه العباس بن المأمون له في الخلافة، فسلخوا
من ذلك.
ذكر أن الجند شغبوا لما بويج لأبي إسحاق بالخلافة، فطلبوا العباس ونادوه باسم الخلافة، فأرسل أبو إسحاق إلى العباس فأحضره، فبايعه
ثم خرج إلى الجند، فقال: ما هذا الحب البارد! قد بايعت عمي، وسلمت الخلافة إليه، فسكن الجند.
وفيها أمر المعتصم بهدم ما كان المأمون أمر ببنائه بطوانة، وحمل ما كان بها من السلاح والآلة وغير ذلك مما قدر على حمله، وأحرق
ما لم يقدر على حمله، وأمر بصرف من كان المأمون أسكن ذلك من الناس إلى بلادهم.
وفيها انصرف المعتصم إلى بغداد، ومعه العباس بن المأمون، فقدمها- فيما ذكر- يوم السبت مستهل شهر رمضان.
وفيها دخل- فيما ذكر- جماعة كثيرة من أهل الجبال من همدان وأصبهان وماسبدان ومهرجاندق في دين الخرمية، وتجمعوا، فعسكروا
في عمل همدان، فوجه المعتصم إليهم عساكر، فكان آخر عسكر وجه إليهم

٨٠٧٢٠٨ أخبار متفرقة

عسكر وجهه مع إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، وعقد له على الجبال في شوال في هذه السنة، فشخص إليهم في ذي القعدة، وقرئ
كتابه بالفتح يوم التروية، وقتل في عمل همدان ستين ألفا، وهرب باقيهم إلى بلاد الروم.
[أخبار متفرقة]
وجج بالناس في هذه السنة صالح بن العباس بن محمد، وضحي أهل مكة يوم الجمعة، واهل بغداد يوم السبت.

٩ الجزء التاسع

٩٠١ سنه تسع عشره ومائتين

٩٠١٠١ ذكر خلاف محمد بن القاسم العلوي

الجزء التاسع

سنه ٢١٩ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت

سنة تسع عشرة ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر خلاف محمد بن القاسم العلوي

فمن ذلك ما كان من ظهور محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالطالقان من خراسان، يدعو إلى الرضا من آل محمد ص، فاجتمع إليه بها ناس كثير، وكانت بينه وبين قواد عبد الله بن طاهر وقعات بناحية الطالقان وجبالها، فهزم هو وأصحابه، ففرج هاربا يريد بعض كور خراسان، كان أهله كاتبوه، فلما صار بنساء، وبها والد لبعض من معه، مضى الرجل الذي معه من أهل نسا إلى والده ليسلم عليه، فلما لقي أباه سأله عن الخبر، فأخبره بأمرهم، وأنهم يقصدون كورة كذا، فضى أبو ذلك الرجل إلى عامل نسا، فأخبره بأمر محمد بن القاسم، فذكر أن العامل بذل له عشرة آلاف درهم على دلالته عليه فدلّه عليه، فجاء العامل إلى محمد بن القاسم، فأخذه واستوثق منه، وبعث به إلى عبد الله بن طاهر، فبعث به عبد الله بن طاهر إلى المعتصم، فقدم به عليه يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر، فحبس - فيما ذكر - بسامرا عند مسرور الخادم الكبير في محبس ضيق، يكون قدر ثلاث أذرع في ذراعين، فكث فيه ثلاثة أيام، ثم حول إلى موضع أوسع من ذلك، وأجري عليه طعام، ووكل به قوم يحفظونه، فلما كان ليلة الفطر، واشتغل الناس بالعيد والتهنئة احتال للخروج، ذكر أنه هرب من الحبس بالليل، وأنه دلي إليه جبل من كوة كانت في أعلى البيت، يدخل عليه منها الضوء، فلما أصبحوا أتوا بالطعام

٩٠١٢ ذكر الخبر عن محاربه الزط

للغداء افتقد، فذكر أنه جعل لمن دل عليه مائة ألف درهم، وصاح بذلك الصائح، فلم يعرف له خبر. وفي هذه السنة قدم إسحاق بن إبراهيم بغداد من الجبل، يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى، ومعه الأسرى من الحرمة والمستأمنة.

وقيل: إن إسحاق بن إبراهيم قتل منهم في محاربته إياهم نحو من مائة ألف، سوى النساء والصبيان . ذكر الخبر عن محاربه الزط

وفي هذه السنة وجه المعتصم عجيف بن عنبسة في جمادى الآخرة منها لحرب الزط الذين كانوا قد عاثوا في طريق البصرة، فقطعوا فيه الطريق، واحتملوا الغلات من البيادر بكسكروما يليها من البصرة، وأخافوا السبيل، ورتب الخيل في كل سكة من سكة البرد تركض بالأخبار، فكان الخبر يخرج من عند عجيف، فيصل إلى المعتصم من يومه، وكان الذي يتولى النفقة على عجيف من قبل المعتصم محمد بن منصور كاتب إبراهيم بن البخري، فلما صار عجيف إلى واسط، ضرب عسكره بقرية أسفل واسط يقال لها الصافية في خمسة آلاف رجل، وصار عجيف إلى نهر يحمل من دجلة يقال له بردودا، فلم يزل مقيما عليه حتى سده وقيل إن عجيفا إنما ضرب عسكره بقرية أسفل واسط يقال لها نجيدا، ووجه هارون بن نعيم ابن الوضاح القائد الخراساني إلى موضع يقال له الصافية في خمسة آلاف رجل، ومضى عجيف في خمسة آلاف إلى بردودا، فأقام عليه حتى سده وسد أنهارا أخر كانوا يدخلون منها ويخرجون، فحصرهم من كل وجه، وكان من الأنهار التي سدها عجيف، نهر يقال له العروس، فلما أخذ عليهم طرقهم حاربهم، وأسر منهم خمسمائة رجل، وقتل منهم في المعركة ثلاثمائة

رجل، فحضر أعناق الأسرى، وبعث برءوس جميعهم إلى باب المعتصم، ثم أقام عجيف بإزاء الزط خمسة عشر يوما، فظفر منهم بخلق كثير وكان رئيس الزط رجلا يقال له محمد بن عثمان، وكان صاحب أمره والقائم بالحرب سملق، ومكث عجيف يقاتلهم - فيما قيل - تسعة أشهر.

وجج بالناس في هذه السنة صالح بن العباس بن محمد.

٩٠٢ سنه عشرين ومائتين

٩٠٢٠١ ذكر ظفر عجيف بالزط

ثم دخلت

سنة عشرين ومائتين

(ذكر ما كان فيها من الاحداث)

ذكر ظفر عجيف بالزط

فمن ذلك ما كان من دخول عجيف بالزط بغداد، وقهره إياهم حتى طلبوا منه الأمان فأمنهم، فخرجوا إليه في ذي الحجة سنة تسع عشرة ومائتين على أنهم آمنون على دمائهم وأموالهم، وكانت عدتهم - فيما ذكر - سبعة وعشرين ألفاً، المقاتلة منهم اثنا عشر ألفاً، وأحصاهم عجيف سبعة وعشرين ألف إنسان، بين رجل وامرأة وصبي، ثم جعلهم في السفن، وأقبل بهم حتى نزل الزعفرانية، فأعطى أصحابه دينارين دينارين جائزه، وأقام بها يوماً، ثم عباهم في زواريقهم على هيئتهم في الحرب، معهم البوقات، حتى دخل بهم بغداد يوم عاشوراء سنة عشرين ومائتين والمعتصم بالشماسية في سفينة يقال لها الزو، حتى مر به الزط على تعبئتهم ينفخون بالبوقات، فكان أولهم بالقفص وآخرهم بحذاء الشماسية، وأقاموا في سفنهم ثلاثة أيام، ثم عبر بهم إلى الجانب الشرقي، فدفعوا إلى بشر بن السميدع، فذهب بهم إلى خانقين، ثم نقلوا إلى الثغر إلى عين زربة، فأغارت عليهم الروم، فاجتاحوهم فلم يفلت منهم أحد، فقال شاعرهم:

يا أهل بغداد موتوا دام غيظكم ... شوقاً إلى تمر برني وشهريز

نحن الذين ضربناكم مجاهرة ... قسراً وسقناكم سوق المعاجيز

لم تشكروا الله نعماء التي سلفت ... ولم تحوطوا إياديه بتعزيز

فاستصروا العبد من أبناء دولتكم ... من يازمان ومن بلج ومن توز

ومن شناس وأفشين، ومن فرج ... المعلمين بديباج وابريز

٩٠٢٠٢ ذكر خبر مسير الافشين لحرب بابك

واللاسى كيمخار الصين قد خرطت ... أردانه درز برواز الدخاريز

والحاملين الشكي نيطت علائقها ... إلى مناطق خاص غير مخروز

يفري ببيض من الهندي هامهم ... بنو بهلة في أبناء فيروز

فوارس خيلها دهم مودعة ... على انخراطيم منها والفراريز

مسخرات لها في الماء أجنحة ... كالآبنوس إذا استحضرن والشيز

متى تروموا لنا في غمر لجتنا ... حذرا نصيدكم صيد المعافيز

او اختطافا وازهاقا كما اختطففت ... طير الدحال حثاثا بالمناقيز

ليس الجلالاد جلال الزط فاعترفوا ... أكل الثريد ولا شرب القواقيز

نحن الذين سقينا الحرب درتها ... ونقتننا مقاساه الكواليز

لنسفعنكم سفعاً يذل له ... رب السرير ويشجي صاحب التيز

فابكوا على التمر أبكى الله أعينكم ... في كل اضحى، وفي فطر ونيروز

ذكر خبر مسير الافشين لحرب بابك

وفي هذه السنة عقد المعتصم للافشين خيدر بن كاوس على الجبال، ووجه به لحرب بابك، وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى

الآخرة، فعسكر بمصلى بغداد، ثم صار إلى برزند.

ذكر الخبر عن أمر بابك ومخرجه:

ذكر أن ظهور بابك كان في سنة احدى ومائتين، وكانت قريته ومدينته البذ، وهزم من جيوش السلطان، وقتل من قواده جماعة، فلما

أفضى الأمر إلى المعتصم، وجه أبا سعيد محمد بن يوسف إلى أردبيل، وأمره أن يبني الحصون التي خربها بابك فيما بين زنجان وأردبيل،

ويجعل فيها الرجال مسلح لحفظ الطريق لمن يجلب الميرة إلى أردبيل، فتوجه أبو سعيد لذلك، وبني الحصون التي خربها بابك، ووجه

بابك سرية له في بعض غاراته، وصير أميرهم رجلاً

يقال له معاوية، فخرج فأغار على بعض النواحي، ورجع منصوراً، فبلغ ذلك أبا سعيد محمد بن يوسف، فجمع الناس وخرج إليه يعترضه

في بعض الطريق، فواقعه، فقتل من أصحابه جماعة، وأسر منهم جماعة، واستنقذ ما كان حواه، فهذه أول هزيمة كانت على أصحاب بابك ووجه ابو سعيد الرءوس والأسرى إلى المعتصم بالله.

ثم كانت الأخرى لمحمد بن البعيث، وذلك أن محمد بن البعيث كان في قلعة له حصينة تسمى شاهي، كان ابن البعيث أخذها من الوجناء بن الرواد، عرضها نحو من فرسخين، وهي من كورة أذربيجان، وله حصن آخر في بلاد أذربيجان يسمى تبريز، وشاهي أمتعهما، وكان ابن البعيث مصالحا لبابك، إذا توجهت سراياه نزلت به فأضافهم، وأحسن إليهم حتى أنسوا به، وصارت لهم عادة ثم أن بابك وجه رجلا من أصحابه يقال له عصمة من اصبهذته في سرية، فنزل بابن البعيث، فأنزل إليه ابن البعيث على العادة الجارية الغنم والإنزال وغير ذلك، وبعث إلى عصمة أن يصعد إليه في خاصته ووجوه أصحابه، فصعد فغداهم وسقاهم حتى أسكرهم، ثم وثب على عصمة فاستوثق منه، وقتل من كان معه من أصحابه، وأمره أن يسمى رجلا رجلا من أصحابه باسمه، فكان يدعى بالرجل باسمه فيصعد، ثم يأمر به فيضرب عنقه، حتى علموا بذلك، فهربوا ووجه ابن البعيث بعصمة إلى المعتصم - وكان البعيث أبو محمد صعلوكا من صعاليك ابن الرواد - فسأل المعتصم عصمة عن بلاد بابك، فأعلمه طرقها ووجوه القتال فيها، ثم لم يزل عصمة محبوسا إلى أيام الواصل ولما صار الأفشين إلى برزند عسكر بها، ورم الحصون فيما بين برزند وأردبيل، وأنزل محمد بن يوسف بموضع يقال له خش، فاحتفر فيه خندقا، وأنزل الهيثم الغنوي القائد من أهل الجزيرة في رستاق يقال له أرشق، فرم حصنه، وحفر حوله خندقا، وأنزل علويه الأعور من قواد الأبناء في حصن مماليي أردبيل يسمى حصن النهر، فكانت السابلة

٩٠٢٠٣ ذكر خبر وقعه الأفشين مع بابك بارشق

والقوافل تخرج من أردبيل معها من يبذرقها حتى تصل إلى حصن النهر، ثم يبذرقها صاحب حصن النهر إلى الهيثم الغنوي، ويخرج هيثم فيمن جاء من ناحيته حتى يسلمه إلى أصحاب حصن النهر، ويبذرق من جاء من أردبيل حتى يصير الهيثم وصاحب حصن النهر في منتصف الطريق، فيسلم صاحب حصن النهر من معه إلى هيثم، ويسلم هيثم من معه إلى صاحب حصن النهر، فيسير هذا مع هؤلاء. وهذا مع هؤلاء وإن سبق أحدهما صاحبه إلى الموضع لم يجزه حتى يجيء الآخر، فيدفع كل واحد منهما من معه إلى صاحبه ليبذرقهم، هذا إلى أردبيل، وهذا إلى عسكر الأفشين، ثم يبذرق الهيثم الغنوي من كان معه إلى أصحاب أبي سعيد، وقد خرجوا فوقفوا على منتصف الطريق، معهم قوم، فيدفع أبو سعيد وأصحابه من معهم إلى الهيثم، ويدفع الهيثم من معه إلى أصحاب أبي سعيد، فيصير أبو سعيد وأصحابه بمن في القافلة إلى خش، وينصرف الهيثم وأصحابه بمن صار في أيديهم إلى أرشق حتى يصيروا به من غد، فيدفعوهم إلى علوية الأعور وأصحابه ليوصلوهم إلى حيث يريدون، ويصير أبو سعيد ومن معه إلى خش، ثم إلى عسكر الأفشين، فتلقاه صاحب سيارة الأفشين، فيقبض منه من في القافلة، فيؤديهم إلى عسكر الأفشين، فلم يزل الأمر جاريا على هذا، وكلما صار إلى أبي سعيد أو إلى أحد من المسالح أحد من الجواسيس وجهوا به إلى الأفشين، فكان الأفشين لا يقتل الجواسيس ولا يضربهم، ولكن يهب لهم ويصلهم ويسألهم ما كان بابك يعطيهم، فيضعفه لهم، ويقول للجاسوس: كن جاسوسا لنا.

سنه ٢٢٠

ذكر خبر وقعه الأفشين مع بابك بارشق

وفيها كانت وقعة بين بابك وأفشين بأرشق، قتل فيها الأفشين من أصحاب بابك خلقا كثيرا، قيل أكثر من ألف، وهرب بابك إلى موقان، ثم شخص منها إلى مدينته التي تدعى البذ.

ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة بين الأفشين وبابك:

ذكر أن سبب ذلك أن المعتصم وجه مع بغا الكبير بمال إلى الأفشين عطاء لجنده وللنفقات، فقدم بغا بذلك المال إلى أردبيل، فلما نزل أردبيل بلغ بابك وأصحابه خبره، فتهياأ بابك وأصحابه ليقطعوا عليه قبل وصوله إلى الأفشين، فقدم صالح الجاسوس على الأفشين، فأخبره أن بغا الكبير قد قدم بمال، وإن بابك وأصحابه تهيأوا ليقطعوه قبل وصوله إليك.

وقيل: كان محيي صالح إلى أبي سعيد، فوجه به أبو سعيد إلى الأفشين وهياً بابك كميناً في مواضع، فكتب الأفشين إلى أبي سعيد يأمره أن يحتال لمعرفة صحة خبر بابك، فضى أبو سعيد متنكراً هو وجماعة من أصحابه، حتى نظروا إلى النيران والوقود في المواضع التي وصفها لهم صالح، فكتب الأفشين إلى بغا، أن يقيم بأردبيل حتى يأتيه رأيته، وكتب أبو سعيد إلى الأفشين بصحة خبر صالح، فوجد الأفشين صالحاً وأحسن إليه ثم كتب الأفشين إلى بغا أن يظهر أنه يريد الرحيل، ويشد المال على الإبل ويقطرها، ويسير متوجهاً من أردبيل، كأنه يريد برزند، فإذا صار إلى مسلحة النهر، أو سار شبيهاً بفرسخين، احتبس القطار حتى يجوز من صبح المال إلى برزند، فإذا جازت القافلة رجع بالمال إلى أردبيل ففعل ذلك بغا، وسارت القافلة حتى نزلت النهر، وانصرف جواسيس بابك إليه يعلمونه أن المال قد حمل، وعانيه محمولا حتى صار إلى النهر، ورجع بغا بالمال إلى أردبيل، وركب الأفشين في اليوم الذي وعد فيه بغا عند العصر من برزند، فوافي خش مع غروب الشمس، فنزل معسكراً خارج خندق أبي سعيد، فلما أصبح ركب في سر، لم يضرب طبلًا ولا نشر علماً، وأمر أن يلف الأعلام، وأمر الناس بالسكوت، وجد في السير، ورحلت القافلة التي كانت توجهت في ذلك اليوم من النهر إلى ناحية الهيثم الغنوي، ورحل الأفشين

من خش يريد ناحية الهيثم ليصادفه في الطريق، ولم يعلم الهيثم بمن كان معه، فرحل بمن كان معه من القافلة يريد بها النهر. وتعباً بابك في خيله ورجاله وعساكره، وصار على طريق النهر، وهو يظن أن المال موافيه، وخرج صاحب النهر ببذرق من قبله إلى الهيثم، فخرجت عليه خيل بابك، وهم لا يشكون أن المال معه، فقاتلهم صاحب النهر، فقتلوه وقتلوا من كان معه من الجند والسابلة، وأخذوا جميع ما كان معهم من المتاع وغيره، وعلموا أن المال قد فاتهم، وأخذوا علمه، وأخذوا لباس أهل النهر ودراريهم وطراداتهم وخفاتيهم فلبسوها، وتنكروا ليأخذوا الهيثم الغنوي ومن معه أيضاً، ولا يعلمون بخروج الأفشين، وجاءوا كأنهم أصحاب النهر، فلما جاءوا لم يعرفوا الموضع الذي كان يقف فيه علم صاحب النهر، فوقفوا في غير موضع صاحب النهر، وجاء الهيثم فوقف في موقفه، فأنكر ما رأى، فوجه ابن عم له، فقال له: اذهب إلى هذا البغيض، فقل له: لأي شيء وقوفك؟ فجاء ابن عم الهيثم، فلما رأى القوم أنكرهم لما دنا منهم، فرجع إلى الهيثم، فقال له: إن هؤلاء القوم لست أعرفهم، فقال له الهيثم: أخزأك الله! ما أجبنك! ووجه خمسة فرسان من قبله، فلما جاءوا وقربوا من بابك، خرج من الخرمية رجالان فتلقوهما وأنكروهما، وأعلموهما أنهم قد عرفوهما، ورجعوا إلى الهيثم ركضاً، فقالوا: إن الكافر قد قتل علويه وأصحابه، وأخذوا أعلامهم ولباسهم، فرحل هيثم منصرفاً، فأتى القافلة التي جاء بها معه، وأمرهم أن يركضوا ويرجعوا، لئلا يؤخذوا، ووقف هو في أصحابه، يسير بهم قليلاً قليلاً، ويقف بهم قليلاً، ليشتغل الخرمية عن القافلة، وصار شبيهاً بالحامية لهم، حتى وصلت القافلة إلى الحصن الذي يكون فيه الهيثم - وهو أرشق - وقال لأصحابه: من يذهب منكم إلى الأمير وإلى أبي سعيد فيعلمهما وله عشرة آلاف درهم وفرس بدل فرسه أن نفق فرسه فله مثل فرسه على مكانه؟

فتوجه رجالان من أصحابه على فرسين فارهين يركضان، ودخل الهيثم الحصن، وخرج بابك فيمن معه، فنزل بالحصن، ووضع له كرسي وجلس على شرف

بجبال الحصن، وأرسل إلى الهيثم: خل عن الحصن وانصرف حتى أهدهم.

فأبى الهيثم وحاربه وكان مع الهيثم في الحصن ستمائة فارس، وله خندق حصين فقاتله، وقعد بابك فيمن معه، ووضع الخمر بين يديه ليشربها، والحرب مشتبكة كعادته، ولقي الفارسان الأفشين على أقل من فرسخ من أرشق، فساعة نظر إليهما من بعيد قال لصاحب مقدمته: أرى فارسين يركضان ركضاً شديداً، ثم قال: اضربوا الطبل، وانثروا الأعلام، واركضوا نحو الفارسين ففعل أصحابه ذلك، وأسرعوا السير، وقال لهم:

صيحوا بهما: لبيك لبيك! فلم يزل الناس في طلق واحد متراكضين، يكسر بعضهم بعضاً حتى لحقوا بابك، وهو جالس، فلم يتدارك أن يتحول ويركب حتى وافته الخيل والناس، واشتبكت الحرب، فلم يفلت من رجالة بابك أحد، وأفلت هو في نفر يسير، ودخل موقان، وقد تقطع عنه أصحابه، وأقام الأفشين في ذلك الموضع، وبات ليلته، ثم رجع إلى معسكره ببرزند، فأقام بابك بموقان أياماً ثم أنه بعث إلى البذ، فجاءه في الليل عسكر فيه رجالة، فرحل بهم من موقان حتى دخل البذ، فلم يزل الأفشين معسكراً ببرزند، فلما كان في بعض

الأيام مرت به قافلة من خش إلى برزند، ومعها رجل من قبل أبي سعيد يسمى صالح آب كش - تفسيره السقاء - فخرج عليه أصهبذ بابك، فأخذ القافلة، وقتل من فيها، وقتل مع صالح، وأفلت صالح بلا خوف مع من أفلت، وقتل جميع أهل القافلة، وانتهب متاعهم، ففحط عسكر الأفشين من أجل تلك القافلة التي أخذت من الآب كش، وذلك أنها كانت تحمل الميرة، فكتب الأفشين إلى صاحب المراغة يأمره بحمل الميرة وتعليها عليه، فإن الناس قد ققطوا وجاعوا، فوجه إليه صاحب المراغة بقافلة ضخمة، فيها قريب من ألف ثور سوى الحمير والدواب وغير ذلك، تحمل الميرة، ومعها جند يبذرقونها، فخرجت عليهم أيضا سرية لبابك، كان عليها طرخان - أو آذين - فاستباحوها عن آخرها بجميع ما فيها، وأصاب الناس ضيق شديد، فكتب الأفشين إلى صاحب السيروان

٩٠٢٠٤ ذكر الخبر عن خروج المعتصم إلى القاطول

أن يحمل إليه طعاما، فحمل إليه طعاما كثيرا، وأغاث الناس في تلك السنة، وقدم بغا على الأفشين بمال ورجال . ذكر الخبر عن خروج المعتصم إلى القاطول وفي هذه السنة خرج المعتصم إلى القاطول، وذلك في ذي القعدة منها. ذكر الخبر عن سبب خروجه إليها:

ذكر عن أبي الوزير أحمد بن خالد، أنه قال: بعثني المعتصم في سنة تسع عشرة ومائتين، وقال لي: يا أحمد، اشتر لي بناحية سامرا موضعا أبني فيه مدينة، فإني أتخوف أن يصبح هؤلاء الخرمية صيحة، فيقتلوا غلاني، حتى أكون فوقهم، فإن رابني منهم ريب أتيتهم في البر والبحر، حتى آتي عليهم وقال لي: خذ مائة ألف دينار، قال: قلت: آخذ خمسة آلاف دينار، فكلما احتجت إلى زيادة بعثت إليك فاستزدت؟ قال:

نعم، فأتيت الموضع، فاشتريت سامرا بخمسمائة درهم من النصاري أصحاب الدير، واشترت موضع البستان الخاقاني بخمسة آلاف درهم، واشترت عدة مواضع حتى أحكت ما أردت، ثم انحدرت فأتيته بالصكك، فعزم على الخروج إليها في سنة عشرين ومائتين، فخرج حتى إذا قارب القاطول، ضربت له فيه القباب والمضارب، وضرب الناس الأخبية، ثم لم يزل يتقدم، وتضرب له القباب حتى وضع البناء بسامرا في سنة إحدى وعشرين ومائتين.

فذكر عن أبي الحسن بن أبي عباد الكاتب، أن مسرورا الخادم الكبير، قال: سألتني المعتصم: أين كان الرشيد يتنزه إذا ضجر من المقام ببغداد؟

قال: قلت له: بالقاطول، وقد كان بنى هناك مدينة آثارها وسورها قائم، وقد كان خاف من الجند ما خاف المعتصم، فلها وثب أهل الشام بالشام وعصوا، خرج الرشيد إلى الرقة فأقام بها، وبقيت مدينة القاطول لم تستم، ولما خرج المعتصم إلى القاطول استخلف ببغداد ابنه هارون الواثق

٩٠٢٠٥ ذكر الخبر عن غضب المعتصم على الفضل بن مروان

وقد حدثني جعفر بن محمد بن بوازة الفراء، أن سبب خروج المعتصم إلى القاطول، كان أن غلماه الأتراك كانوا لا يزالون يجدون الواحد بعد الواحد منهم قتيلا في أرباضها، وذلك أنهم كانوا عجماء جفاه يركبون الدواب، فيتراكضون في طرق بغداد وشوارعها، فيصدمون الرجل والمرأة ويطنون الصبي، فيأخذهم الأبناء فينكسونهم عن دوابهم ويجرحون بعضهم، فربما هلك من الجراح بعضهم، فشكت الأتراك ذلك إلى المعتصم، وتأذت بهم العامة، فذكر أنه رأى المعتصم راكبا منصرفا من المصلى في يوم عيد أضحى أو فطر، فلما صار في مربعة الحرشي، نظر إلى شيخ قد قام إليه، فقال له: يا أبا إسحاق، قال: فابتدره الجند ليضربوه، فأشار إليهم المعتصم فكفهم عنه، فقال للشيخ:

مالك! قال: لا جزاك الله عن الجوار خيرا! جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج فأسكتهم بين أظهرنا، فأيتت بهم صبياننا، وأرملت بهم نسواننا، وقتلت بهم رجالنا! والمعتصم يسمع ذلك كله، قال: ثم دخل داره فلم يراكم إلى السنة القابلة في مثل ذلك اليوم، فلما كان في

العام المقبل في مثل ذلك اليوم خرج فصلى بالناس العيد، ثم لم يرجع إلى منزله ببغداد، ولكنه صرف وجهه دابته إلى ناحية القاطول، وخرج من بغداد ولم يرجع إليها . ذكر الخبر عن غضب المعتصم على الفضل بن مروان

وفي هذه السنة غضب المعتصم على الفضل بن مروان وحبسه ذكر الخبر عن سبب غضبه عليه وحبسه إياه وسبب اتصاله بالمعتصم: ذكر أن الفضل بن مروان - وهو رجل من أهل البردان - كان متصلاً برجل من العمال يكتب له، وكان حسن الخط، ثم صار مع كاتب كان للمعتصم يقال له يحيى الجرمقاني، وكان الفضل بن مروان يخط بين يديه، فلما مات الجرمقاني صار الفضل في موضعه، وكان يكتب للفضل علي بن

حسان الأنباري، فلم يزل كذلك حتى بلغ المعتصم الحال التي بلغها، والفضل كاتبه، ثم خرج معه إلى معسكر المأمون، ثم خرج معه إلى مصر، فاحتوى على أموال مصر، ثم قدم الفضل قبل موت المأمون ببغداد، ينفذ أمور المعتصم، ويكتب على لسانه بما أحب حتى قدم المعتصم خليفة، فصار الفضل صاحب الخلافة، وصارت الدواوين كلها تحت يديه وكنز الأموال، وأقبل أبو إسحاق حين دخل بغداد يأمره بإعطاء المغني والمهلي، فلا ينفذ الفضل ذلك، فثقل على أبي إسحاق.

فحدثني إبراهيم بن جهرويه أن إبراهيم المعروف بالهفتي - وكان مضحكا - أمر له المعتصم بمال، وتقدم إلى الفضل بن مروان في إعطائه ذلك، فلم يعطه الفضل ما أمر به المعتصم، فبينما الهفتي يوماً عند المعتصم، بعد ما بنيت له داره التي ببغداد، واتخذ له فيها بستان، قام المعتصم يتمشى في البستان ينظر إليه وإلى ما فيه من أنواع الرياحين والغروس، ومعه الهفتي، وكان الهفتي يصحب المعتصم قبل أن تفضي الخلافة إليه، فيقول فيما يداعبه: والله لا تفلح أبداً! قال:

وكان الهفتي رجلاً مربوعاً ذا كدنة، والمعتصم رجلاً معرقاً خفيف اللحم، فجعل المعتصم يسبق الهفتي في المشي، فإذا تقدمه ولم ير الهفتي معه التفت إليه، فقال له: ما لك لا تمشي! يستعجله المعتصم في المشي ليلحق به، فلما كثر ذلك من أمر المعتصم على الهفتي، قال له الهفتي، مداعباً له: كنت أصلحك الله، أراني أماشي خليفة، ولم أكن أراني أماشي فيجاء، والله لا أفلحت! فضحك منها المعتصم، وقال: ويلك! هل بقي من الفلاح شيء لم أدركه! أبعد الخلافة تقول هذا لي! فقال له الهفتي: أنتحسب أنك قد أفلحت الآن! إنما لك من الخلافة الاسم، والله ما يجاوز أمرك أذنك، وإنما الخليفة الفضل بن مروان، الذي يأمر فينفذ أمره من ساعته، فقال له المعتصم: وأي أمر لي لا ينفذ! فقال له: الهفتي: أمرت لي بكذا وكذا منذ شهرين، فما أعطيت مما أمرت به منذ ذاك حبه!

قال: فاحتجتها على الفضل المعتصم حتى أوقع به.

فقيل: إن أول ما أحدثه في أمره حين تغير له أن صير أحمد بن عمار الخراساني زماماً عليه في نفقات الخاصة، ونصر بن منصور بن بسام زماماً عليه في الخراج وجميع الأعمال، فلم يزل كذلك، وكان محمد بن عبد الملك الزيات يتولى ما كان أبوه يتولاه للمأمون من عمل المشمس والفساطيط وآلة الجمارات ويكتب على ذلك مما جرى على يدي محمد بن عبد الملك، وكان يلبس إذا حضر الدار دراعة سوداء وسيفاً بجمائل، فقال له الفضل بن مروان: إنما أنت تاجر، فما لك وللسواد والسيوف! فترك ذلك محمد، فلما تركه أخذه الفضل برفع حسابه إلى دليل بن يعقوب النصراني، فرفعه، فأحسن دليل في أمره، ولم يرزأه شيئاً، وعرض عليه محمد هدايا، فأبى دليل أن يقبل منها شيئاً، فلما كانت سنة تسع عشرة ومائتين - وقيل سنة عشرين، وذلك عندي خطأ - خرج المعتصم يريد القاطول، ويريد البناء بسامرا، فصرفه كثرة زيادة دجلة، فلم يقدر على الحركة، فانصرف إلى بغداد إلى الشماسية، ثم خرج بعد ذلك، فلما صار بالقاطول غضب على الفضل بن مروان وأهل بيته في صفر، وأمرهم برفع ما جرى على أيديهم، وأخذ الفضل وهو مغضوب عليه في عمل حسابه، فلما فرغ من الحساب لم يناظر فيه، وأمر بحبسه، وأن يحمل إلى منزله ببغداد في شارع الميدان، وحبس أصحابه، وصير مكانه محمد بن عبد الملك الزيات، فحبس دليلاً، ونفى الفضل إلى قرية في طريق الموصل يقال لها السن، فلم يزل بها مقيماً، فصار محمد بن عبد الملك وزيراً كاتباً، وجرى على يديه عامة ما بنى المعتصم بسامرا من الجانيين الشرقي والغربي، ولم يزل في مرتبته حتى استخلف المتوكل، فقتل محمد بن عبد الملك.

وذكر أن المعتصم لما استوزر الفضل بن مروان حل من قبله المحل الذي لم يكن أحد يطمع في ملاحظته، فضلاً عن منازعته ولا في

الاعتراض في أمره

ونبيه، وإرادته وحكمه، فكانت هذه صفته ومقداره، حتى حملته الدالة، وحركته الحرمة على خلافه في بعض ما كان يأمره به، ومنعه ما كان يحتاج إليه من الأموال في مهم أموره، فذكر عن ابن أبي داود أنه قال: كنت أحضر مجلس المعتصم، فكثيرا ما كنت أسمع يقول للفضل بن مروان: احمل إلى كذا وكذا من المال، فيقول: ما عندي، فيقول: فاحتلها من وجه من الوجوه، فيقول: ومن أين احتلها! ومن يعطيني هذا القدر من المال؟ وعند من أجده؟ فكان ذلك يسوءه وأعرفه في وجهه، فلما كثر هذا من فعله ركبت إليه يوما فقلت له مستخليا به: يا أبا العباس، إن الناس يدخلون بيني وبينك بما أكره وتكره، وأنت أمرؤ قد عرفت أخلاقك، وقد عرفها الداخلون بيننا، فإذا حركت فيك بحق فاجعله باطلا، وعلى ذلك فما أدع نصيحتك وأداء ما يجب علي في الحق لك، وقد أراك كثيرا ما ترد على أمير المؤمنين أجوبة غليظة ترمضه، وتقذح في قلبه، والسلطان لا يحتمل هذا لابنه، لا سيما إذا كثر ذلك وغلظ قال: وما ذاك يا أبا عبد الله؟ قلت: أسمع كثير ما يقول لك: نحتاج إلى كذا من المال لنصرفه في وجه كذا، فتقول: ومن يعطيني هذا! وهذا ما لا يحتمله الخلفاء، قال: فما أصنع إذا طلب مني ما ليس عندي؟ قلت:

تصنع أن تقول: يا أمير المؤمنين، نحتاج في ذاك بحيلة، فتدفع عنك أياما إلى أن يتهبأ، وتحمل إليه بعض ما يطلب وتسوفه بالباقي، قال: نعم أفعل وأصير إلى ما أشرت به قال: فوالله لكأني كنت أغريه بالمنع، فكان إذا عاوده بمثل ذلك من القول، عاد إلى مثل ما يكره من الجواب قال: فلما كثر ذلك عليه، دخل يوما إليه وبين يديه حزمة نرجس غض، فأخذها المعتصم فhezها، ثم قال: حياك الله يا أبا العباس! فأخذها الفضل بيمنه، وسل المعتصم خاتمه من أصبعه بيساره، وقال له بكلام خفي: أعطني خاتمي، فانتزعه من يده، ووضع في يد ابن عبد الملك. وجج بالناس في هذه السنة صالح بن العباس بن محمد.

٩٠٣ سنه احدى وعشرين ومائتين

٩٠٣٠١ ذكر الخبر عن وقعه الأفشين مع بابك في هذه السنة

ثم دخلت

سنة إحدى وعشرين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فياً من الأحداث) فن ذلك الوقعة التي كانت بين بابك وبغا الكبير من ناحيه هشتاد سر، فهزم بغا واستبيح عسكره.

ذكر الخبر عن وقعه الأفشين مع بابك في هذه السنة

وفيها واقع الأفشين بابك وهزمه.

ذكر الخبر عن هذه الوقعة وكيف كان السبب فيها:

ذكر أن بغا الكبير قدم بالمال الذي قد مضى ذكره، وأن المعتصم وجهه معه إلى الأفشين عطاء للجند الذي كان معه ولنفقات الأفشين، على الأفشين، وبالرجال الذين توجهوا معه إليه، فأعطى الأفشين أصحابه، وتجهز بعد النيروز، ووجه بغا في عسكر ليدور حول هشتاد سر، وينزل في خندق محمد بن حميد ويحفره ويحكمه وينزله فتوجه بغا إلى خندق محمد بن حميد، وصار إليه، ورحل الأفشين من برزند، ورحل أبو سعيد من خش يريد بابك، فتوافوا بموضع يقال له درود، فاحتفر الأفشين بها خندقا، وبني حوله سورا، ونزل هو وأبو سعيد في الخندق مع من كان صار إليه من المطوعة، فكان بينه وبين البذ ستة أميال ثم إن بغا تجهز، وحمل معه الزاد من غير أن يكون الأفشين كتب إليه ولا أمره بذلك، فدار حول هشتاد سر حتى دخل إلى قرية البذ، فنزل في وسطها، وأقام بها يوما واحدا، ثم وجه ألف رجل في علافه له، نفرج عسكر من عساكر بابك، فاستباح العلافة، وقتل جميع من قاتله منهم، وأسر من قدر عليه، وأخذ بعض الأسرى، فأرسل

منهم رجلين مما يلي الأفشين، وقال لهما: اذهبا إلى الأفشين، وأعلماه ما نزل بأصحابكم فأشرف الرجلان، فنظر إليهما صاحب الكوهانية،

فحرك العلم، فصاح أهل العسكر: السلاح السلاح! وركبوا يريدون البذ، فتلقاهم الرجال عريانيين، فأخذهما صاحب المقدمة، فضى بهما إلى الأفشين، فأخبراه بقضيتهما، فقال: فعل شيئاً من غير أن تأمره ورجع بغا إلى خندق محمد بن حميد شبيها بالمنهزم، وكتب إلى الأفشين يعلمه ذلك، ويسأله المدد، ويعلمه أن العسكر مفلول، فوجه إليه الأفشين أخاه الفضل بن كاوس وأحمد بن الخليل بن هشام وابن جوشن وجناحا الأعور السكري وصاحب شرطة الحسن بن سهل - وأحد الأخوين قرابة الفضل بن سهل - فداروا حول هشتاد سر، فسر أهل عسكره بهم، ثم كتب الأفشين إلى بغا يعلمه أنه يغزو بابك في يوم سماه له، ويأمره أن يغزوه في ذلك اليوم بعينه، ليحاربه من كلا الوجهين، فخرج الأفشين في ذلك اليوم من درود يريد بابك، وخرج بغا من خندق محمد بن حميد، فصعد إلى هشتاد سر، فعسكر على دعوة بجانب قبر محمد بن حميد، فهاجت ريح باردة ومطر شديد، فلم يكن للناس عليها صبر لشدة البرد وشدة الريح، فانصرف بغا إلى عسكره، وواقعهم الأفشين من الغد، وقد رجع بغا إلى عسكره، فهزمه الأفشين، وأخذ عسكره وخيمته وامرأة كانت معه في العسكر ونزل الأفشين في معسكر بابك.

ثم تجهز بغا من الغد، وصعد هشتاد سر، فأصاب العسكر الذي كان مقيماً بإزائه بهشتادسر، قد انصرف إلى بابك، ورحل بغا إلى موضعه، فأصاب خريثاً وقاشاً، وانحدر من هشتاد سر يريد البذ، فأصاب رجلاً وغلاماً نائمين فأخذهما داود سياه - وكان على مقدمته - فساءلهما، فذكرا أن رسول بابك أتاهم في الليلة التي انهزم فيها بابك، فأمرهم أن يوافوه بالبذ، فكان الرجل والغلام سكرانين، فذهب بهما النوم، فلا يعرفان من الخبر غير

هذا، وكان ذلك قبل صلاة العصر فبعث بغا إلى داود سياه: قد توسطنا الموضع الذي نعرفه - يعني الذي كنا فيه في المرة الأولى - وهذا وقت المساء، وقد تعب الرجال، فانظر جبلاً حصيناً يسع عسكرنا حتى نعسكر فيه ليلتنا هذه فالتمس داود سياه ذلك، فصعد إلى بعض الجبال، فالتمس أعلاه فأشرف، فرأى اعلام الأفشين ومعسكره شبه الخيال فقال: هذا موضعنا إلى غدوة، ونحدر من الغد إلى الكافر إن شاء الله فجاءهم في تلك الليلة سحاب وبرد ومطر وثلج كثير، فلم يقدر أحد حين أصبحوا أن ينزل من الجبل يأخذ ماء، ولا يسقي دابته من شدة البرد وكثرة الثلج، وكأنهم كانوا في ليل من شدة الظلمة والضباب فلما كان اليوم الثالث قال الناس لبغا:

قد فني ما معنا من الزاد، وقد اضربنا البرد، فانزل على أي حالة كانت، إما راجعين وإما إلى الكافر وكان في أيام الضباب فبيت بابك الأفشين ونقض عسكره، وانصرف الأفشين عنه إلى معسكره، فضرب بغا بالطل، وانحدر يريد البذ حتى صار إلى البطن، فنظر إلى السماء منجلية، والدنيا طيبة، غير رأس الجبل الذي كان عليه بغا، فعجب بغا أصحابه ميمنة وميسرة ومقدمة، وتقدم يريد البذ، وهو لا يشك أن الأفشين في موضع معسكره، فضى حتى صار بلزق جبل البذ، ولم يبق بينه وبين أن يشرف على آيات البذ إلا صعود قدر نصف ميل، وكان على مقدمته جماعة فيهم غلام لابن البعيث، له قرابة بالبذ، فلقيتهم طلائع لبابك، فعرف بعضهم الغلام، فقال له: فلان، فقال: من هذا هاهنا؟ فسمي له من كان معه من أهل بيته، فقال: ادن حتى أكلحك، فدنا الغلام منه، فقال له: ارجع وقل لمن تعني به يتنحى، فإننا قد بيتنا الأفشين، وانهزم إلى خندقه وقد هيأنا لكم عسكرين، فعجل الانصراف لعلك أن تفلت فرجع الغلام فأخبر ابن البعيث بذلك، وسمي له الرجل، فعرفه ابن البعيث، فأخبر ابن البعيث بغا بذلك، فوقف بغا شاور أصحابه، فقال بعضهم: هذا باطل، هذه

خدعة ليس من هذا شيء، فقال بعض الكوهبانين: إن هذا رأس جبل أعرفه، من صعد إلى رأسه نظر إلى عسكر الأفشين فصعد بغا والفضل بن كاوس وجماعة منهم ممن نشط، فأشرفوا على الموضع، فلم يروا فيه عسكر الأفشين فتيقنوا أنه قد مضى، وتشاؤروا، فأرأوا أن ينصرف الناس راجعين في صدر النهار قبل أن يجنهم الليل، فأمر بغا داود سياه بالانصراف، فتقدم داود وجد في السير، ولم يقصد الطريق الذي كان دخل منه إلى هشتاد سر مخافة المضايق والعقاب، وأخذ الطريق الذي كان دخل منه في المرة الأولى، يدور حول هشتاد سر، وليس فيه مضيق إلا في موضع واحد فسار بالناس، وبعث بالرجال، فطرحوا رماحهم وأسلحتهم في الطريق، ودخلتهم وحشة شديدة ورعب، وصار بغا والفضل بن كاوس وجماعة القواد في الساقة، وظهرت طلائع بابك، فكلما نزل هؤلاء جبلاً صعدته طلائع بابك، يتراءون لهم مرة ويغيبون عنهم مرة، وهم في ذلك يقفون آثارهم، وهم قدر عشرة فرسان، حتى كان بين الصلاتين: الظهر والعصر، فنزل بغا ليتوضأ ويصلي، فتدانت منهم طلائع بابك، فبرزوا لهم، وصلى بغا، ووقف في وجوههم، فوقفوا حين رأوه،

فتخوف بغا على عسكره أن يواقعه الطلائع من ناحية، ويدور عليهم في بعض الجبال والمضايق. قوم آخرون، فشاو من حضره وقال: لست آمن أن يكونوا جعلوا هؤلاء مشغلة، يحبسونا عن المسير، ويقدمون أصحابهم ليأخذوا على أصحابنا المضايق فقال له الفضل بن كاوس: ليس هؤلاء أصحاب نهار، وإنما هم أصحاب ليل، وإنما يتخوف على أصحابنا من الليل، فوجه إلى داود سياه ليسرع السير ولا ينزل، ولو صار إلى نصف الليل حتى يجاوز المضيق، ونقف نحن هاهنا، فإن هؤلاء ما داموا يروننا في وجوههم لا يسرون، فمناطلهم وندافعهم قليلا قليلا حتى تجيء الظلمة، فإذا جاءت الظلمة لم يعرفوا لنا موضعا، وأصحابنا يسرون فينفذون أولا فأولا، فإن أخذ علينا نحن المضيق تخلصنا من طريق هشتاد سر أو من طريق آخر وأشار غيره على بغا فقال: إن العسكر قد تقطع، وليس يدرك أوله آخره، والناس قد رموا بسلاحهم، وقد بقي المال والسلاح على البغال، وليس معه أحد، ولا نأمن أن يخرج عليه من يأخذ المال والأسير- وكان ابن جويدان معهم أسيرا أرادوا أن يفادوا به كاتبا لعبد الرحمن بن حبيب، أسره بابك- فعزم بغا على أن يعسكر بالناس حين ذكر له المال والسلاح والأسير، فوجه إلى داود سياه: حيثما رأيت جبلا حصينا، فعسكر عليه.

فعدل داود إلى جبل مؤرب، لم يكن للناس موضع يقعدون فيه من شدة هبوطه، فعسكر عليه، فضرب مضربا لبغا على طرف الجبل في موضع شبيه بالحائط، ليس فيه مسلك، وجاء بغا فتنزل، وأنزل الناس وقد تعبوا وكلوا، وفنيت أزوادهم، فباتوا على تعبئة وتحارس من ناحية المصعد، فجاءهم العدو من الناحية الأخرى، فتعلقوا بالجبل حتى صاروا إلى مضرب بغا، فكبسوا المضرب، وبيتوا العسكر، وخرج بغا راجلا حتى نجا، وجرح الفضل بن كاوس، وقتل جناح السكري، وقتل ابن جوشن، وقتل أحد الأخوين قرابه الفضل بن سهل، وخرج بغا من العسكر راجلا، فوجد دابة فركبها، ومر بابن البعيث فأصعده على هشتاد سر، حتى انحدر به على عسكر محمد بن حميد، فوافاه في جوف الليل، وأخذ الخرمية المال والسلاح والأسير ابن جويدان، ولم يتبعوا الناس، ومر الناس منهزمين منقطعين حتى وافوا بغا، وهو في خندق محمد بن حميد، فأقام بغا في خندق محمد بن حميد خمسة عشر يوما، فأتاه كتاب الأفشين يأمره بالرجوع إلى المراغة، وأن يرد إليه المدد الذي كان امده به، ففضى بغا إلى المراغة، وانصرف الفضل بن كاوس وجميع من كان جاء معه من معسكر الأفشين إلى الأفشين، وفرق الأفشين الناس في مشاتهم تلك السنة، حتى جاء الربيع من السنة المقبلة.

خبر مقتل طرخان قائد بابك

خبر مقتل طرخان قائد بابك
وفي هذه السنة قتل قائد لبابك كان يقال له طرخان.
ذكر سبب قتله:

ذكر أن طرخان هذا كان عظيم المنزلة عند بابك، وكان أحد قواده، فلما دخل الشتاء من هذه السنة، استأذن بابك في الإذن له أن يشتو في قرية له بناحية المراغة- وكان الأفشين يرصده، ويحب الظفر به، لمكانه من بابك- فأذن له بابك، فصار إلى قريته ليشتو بها بناحية هشتاد سر، فكتب الأفشين إلى ترك مولى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب وهو بالمراغة، أن يسري إلى تلك القرية- ووصفها له- حتى يقتل طرخان، أو يبعث به إليه أسيرا فأسرى ترك إلى طرخان، فصار إليه في جوف الليل، فقتل طرخان وبعث برأسه إلى الأفشين وفي هذه السنة قدم صول أرتكين وأهل بلاده في قيود فنزعت قيودهم، وحمل على الدواب منهم نحو من مائتي رجل. وفيها غضب الأفشين على رجاء الحضاري وبعث به مقيدا.

وجج بالناس في هذه السنة محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وهو والي مكة

٩٠٤ سنه اثنتين وعشرين ومائتين

٩٠٤.١ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

٩٠٤.٢ ذكر خبر الوقعه بين اصحاب الافشين واذين قائد بابك

ثم دخلت

سنة اثنتين وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من توجيه المعتصم جعفر بن دينار الخياط إلى الأفشين مددا له، ثم إتباعه بعد ذلك بإيتاخ وتوجيهه معه ثلاثين ألف ألف درهم عطاء للجند وللنفقات

. ذكر خبر الوقعه بين اصحاب الافشين واذين قائد بابك وفيها كانت وقعة بين أصحاب الأفشين وقائد لبابك يقال له آذين. ذكر الخبر عن هذه الوقعة وما كان سببها:

ذكر أن الشتاء لما انقضى من سنة إحدى وعشرين ومائتين وجاء الربيع، ودخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين، ووجه المعتصم إلى الأفشين ما وجهه إليه من المدد والمال، فوافاه ذلك كله وهو ببرزند، سلم إيتاخ إلى الأفشين المال والرجال الذين كانوا معه وانصرف، وأقام جعفر الخياط مع الأفشين مدة، ثم رحل الأفشين عند إمكان الزمان، فصار إلى موضع يقال له كلان رود، فاحتفر فيه خندقا، وكتب إلى أبي سعيد، فرحل من برزند إلى إزائه على طرف رستاق كلان رود، وتفسيره: نهر كبير، بينهما قدر ثلاثة أميال، فأقام معسكرا في خندق، فأقام بكلان رود خمسة أيام، فأتاه من أخبره أن قائدا من قواد بابك يدعى آذين، قد عسكر بإزاء الأفشين، وأنه قد صير عياله في جبل يشرف على رود الروذ، وقال: لا أتحصن من اليهود- يعني المسلمين- ولا أدخل عيالي حصنا، وذلك أن بابك قال له: أدخل عيالك الحصن، قال: أنا أتحصن من اليهود! والله لا أدخلهم حصنا أبدا، فنقلهم إلى هذا الجبل، فوجه الأفشين ظفر بن العلاء السعدي والحسين بن خالد المدائني من قواد أبي سعيد في جماعة من الفرسان والكوهبانية،

فساروا ليلتهم من كلان رود، حتى انحدروا في مضيق لا يمر فيه راكب واحد إلا بجهد، فأكثر الناس قادوا دوابهم، وانسلوا رجلا خلف رجل، فأمرهم أن يصيروا قبل طلوع الفجر على رود الروذ، فيعبر الكوهبانية رجالة، لأنه لا يمكن الفارس أن يتحرك هناك، ويتسلقوا الجبل، فصاروا على رود الروذ قبل السحر، ثم امر من اطاق من الفرسان أن يترجل وينزع ثيابه، فترجل عامة الفرسان، وعبروا وعبر معهم الكوهبانية جميعا، وصعدوا الجبل، فأخذوا عيال آذين وبعض ولده، وعبروا بهم، وبلغ آذين الخبر بأخذ عياله، وكان الأفشين عند توجه هؤلاء الرجالة ودخولهم المضيق يخاف أن يؤخذ عليهم المضيق، فأمر الكوهبانية أن يكون معهم أعلام، وأن يكونوا على رؤوس الجبال الشواحق في المواضع التي يشرفون منها على ظفر بن العلاء وأصحابه، فإن رأوا أحدا يخافونه حركوا الأعلام، فبات الكوهبانية على رؤوس الجبال، فلما رجع ابن العلاء والحسين بن خالد بمن أخذوا من عيال آذين، وصاروا في بعض الطريق قبل أن يصيروا إلى المضيق، انحدر عليهم رجالة آذين فخاربوهم قبل أن يدخلوا المضيق، فوقع بينهم قتلى، واستنقذوا بعض النساء ونظر إليهم الكوهبانية الذين رتبهم الأفشين، وكان آذين قد وجه عسكريين، وعسكرا يقاتلهم، وعسكرا يأخذ عليهم المضيق، فلما حركوا الأعلام وجه الأفشين مظفر بن كيدر في كردوس من أصحابه، فأسرع الركض.

ووجه أبا سعيد خلف المظفر، وأتبعهما بخارخاذه، فوافوا، فلما نظر إليهم رجالة آذين الذين كانوا على المضيق انحدروا عن المضيق، وانضموا إلى أصحابهم، ونجا ظفر بن العلاء والحسين بن خالد ومن معهم من أصحابهما، ولم يقتل منهم إلا من قتل في الوقعة الأولى، وجاءوا جميعا إلى عسكر الافشين، ومعهم النساء اللواتي اخذوهن.

٩٠٤.٣ ذكر خبر فتح البذ مدينه بابك

ذكر خبر فتح البذ مدينه بابك

وفي هذه السنة فتحت البذ مدينة بابل، ودخلها المسلمون، واستباحوها، وذلك في يوم الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان في هذه السنة. ذكر الخبر عن أمرها وكيف فتحت والسبب في ذلك:

ذكر أن الأفشين لما عزم على الدنو من البذ والارتحال من كلان روذ جعل يزحلف قليلا قليلا- على خلاف زحفه قبل ذلك- إلى المنازل التي كان ينزلها، فكان يتقدم الأميال الأربعة، فيعسكر في موضع على طريق المضيق الذي ينحدر إلى روذ الروذ، ولا يحفر خندقا، ولكنه يقيم معسكرا في الحسك، وكتب إليه المعتصم يأمره أن يجعل الناس نواب كراديس تقف على ظهور الخيل، كما يدور العسكر بالليل، فبعض القوم معسكرون وبعض وقوف على ظهور دوابهم على ميل كما يدور العسكر بالليل والنهار مخافة البيات، كي إن دهمهم امر يكون الناس على تعبئة والرجالة في العسكر، فضج الناس من التعب، وقالوا: كم نقعدها هنا في المضيق ونحن قعود في الصحراء، وبيننا وبين العدو أربعة فراسخ، ونحن نفعل فعلا، كان العدو بازائنا! قد استحيينا من الناس والجواسيس الذين يميرون بيننا وبين العدو أربعة فراسخ، ونحن قد متنا من الفزع، أقدم بنا، فإما لنا وإما علينا، فقال: أنا والله أعلم أن ما تقولون حق، ولكن أمير المؤمنين أمرني بهذا ولا أجد منه بدا.

فلم يلبث أن جاءه كتاب المعتصم يأمره أن يتحرى بدراجه الليل على حسب ما كان، فلم يزل كذلك أياما، ثم انحدر في خاصته حتى نزل إلى روذ الروذ، وتقدم حتى شارف الموضع الذي به الركوة التي واقعه عليها بابل في العام الماضي، فنظر إليها، ووجد عليها كردوسا من الخرمية، فلم يحاربوه ولم يحاربهم، فقال بعض العلوج: ما لكم تحيئون وتفرون! أما تستحيون! فأمر الأفشين ألا يجيئوهم ولا يبرز إليهم أحد، فلم يزل مواقفهم إلى قريب

من الظهر، ثم رجع إلى عسكره، فكث فيه يومين، ثم انحدر أيضا في أكثر مما كان انحدر في المرة الأولى، فأمر أبا سعيد أن يذهب فيواقفهم على حسب ما كان واقفهم في المرة الأولى، ولا يحركهم ولا يهجم عليهم.

وقام الأفشين بروذ الروذ، وأمر الكوهبانية أن يصعدوا إلى رءوس الجبال التي يظنون أنها حصينة، فيتراوا له فيها، ويختاروا له في رءوس الجبال مواضع يتحصن فيها الرجالة، فاختاروا له ثلاثة أجبل، قد كانت عليها حصون فيما مضى، نفرت فرفرها، ثم بعث إلى أبي سعيد، فصرفه يومه ذلك، فلما كان بعد يومين انحدر من معسكره إلى روذ الروذ، وأخذ معه الكلغرية- وهم الفعلة- وحملوا معهم شكاء الماء والكعك، فلما صاروا إلى روذ الروذ وجهه أبا سعيد، وأمره أن يواقفهم أيضا على حسب ما كان أمره به في اليوم الأول، وأمر الفعلة بنقل الحجارة وتحصين الطرق التي تسلك إلى تلك الثلاثة الأجبل، حتى صارت شبه الحصون، وأمر فاحتفر على كل طريق وراء تلك الحجارة إلى المصعد خندقا، فلم يترك مسلكا إلى جبل منها إلا مسلكا واحدا ثم أمر أبا سعيد بالانصراف، فانصرف، ورجع الأفشين إلى معسكره قال: فلما كان في اليوم الثامن من الشهر، واستحكم الحصر، دفع إلى الرجالة كعكا وسويقا، ودفع إلى الفرسان الزاد والشعير، ووكّل بمعسكره ذلك من يحفظه وانحدروا، وأمر الرجالة أن يصعدوا إلى رءوس تلك الجبال، وأن يصعدوا معهم بالماء، وجميع ما يحتاجون إليه، ففعلوا ذلك، وعسكر ناحية، ووجهه أبا سعيد ليوافق القوم على حسب ما كان يواقفهم، وأمر الناس بالنزول في سلاحهم، والا يأخذ الفرسان سروج دوابهم ثم خط الخندق، وأمر الفعلة بالعمل فيه، ووكّل بهم من يستحثهم، ونزل هو والفرسان فوقفوا تحت الشجر في ظل يرعون دوابهم، فلما صلى العصر، أمر الفعلة بالصعود إلى رءوس الجبال التي حصنها مع الرجالة، وأمر الرجالة أن

يتحارسوا ولا يناموا، ويدعوا الفعلة فوق الجبال ينامون، وأمر الفرسان بالركوب عند اصفرار الشمس، فصيرهم كراديس وقفها حيالهم، بين كل كردوس وكردوس قدر رمية سهم، وتقدم إلى جميع الكراديس الا يلتفتن كل واحد منكم إلى الآخر، ليحفظ كل واحد منكم ما يليه، فإن سمعتم هدة فلا يلتفتن أحد منكم إلى أحد، وكل كردوس منكم قائم بما يليه، فإنه لا بهدة يأخذ فلم يزل الكراديس وقوفا على ظهور دوابهم إلى الصباح، والرجالة فوق رءوس الجبال يتحارسون وتقدم إلى الرجالة: متى ما أحسوا في الليل بأحد فلا يكثرثوا، ويلزم كل قوم منهم المواضع التي لهم، وليحفظوا جبلهم وخندقهم فلا يلتفتن أحد إلى أحد فلم يزلوا كذلك إلى الصباح، ثم أمر من يتعاهد الفرسان والرجالة بالليل، فينظر إلى حالتهم، فلبثوا في حفر الخندق عشرة أيام، ودخله اليوم العاشر فقسمه بين الناس، وأمر

القواد أن يبعثوا إلى أثقالهم وأثقال أصحابهم على الرفق، وأتاه رسول بابل ومعه قثاء وبطيخ وخيار، يعلمه أنه في أيامه هذه في جفاء، إنما يأكل الكعك والسويق هو وأصحابه، وأنه أحب أن يلطفه بذلك فقال الأفشين للرسول: قد عرفت أي شيء أراد أخي بهذا، إنما أراد أن ينظر إلى العسكر، وأنا أحق من قبل بره، وأعطاه شوته، فقد صدق، أنا في جفاء وقال للرسول: أما أنت فلا بد لك أن تصعد حتى ترى معسكرنا، فقد رأيت ما هاهنا، وترى ما وراءنا أيضا، فأمر بحمله على دابة، وأن يصعد به حتى يرى الخندق، ويرى خندق كلان رود وخندق برزند، ولينظر إلى الخنادق الثلاثة ويتأملها، ولا يخفى عليه منها شيء ليخبر به صاحبه ففعل به ذلك، حتى صار إلى برزند، ثم رده إليه، فأطلقه وقال له: اذهب، فأقرئه مني السلام- وكان من الخرمية الذين يتعرضون لمن يجلب الميرة إلى العسكر- ففعل ذلك مرة أو مرتين، ثم جاءت الخرمية بعد ذلك في ثلاثة كرايس، حتى صاروا قريبا من سور خندق الأفشين يصيحون، فأمر الأفشين الناس ألا ينطق أحد منهم، ففعلوا

ذلك ليلتين أو ثلاث ليال، وجعلوا يركضون دوابهم خلف السور، ففعلوا ذلك غير مرة، فلما أنسوا هيا لهم الأفشين أربعة كرايس من الفرسان والرجالة، فكانت الرجالة ناشبة، فكمنوا لهم في الأودية، ووضع عليهم العيون، فلما انحدروا في وقتهم الذي كانوا ينحدرون فيه في كل مرة، وصاحوا وجلبوا كعادتهم شدت عليهم الخيل والرجالة الذين رتبوا، فأخذوا عليهم طريقهم. وأخرج الأفشين إليهم كردوسين من الرجالة في جوف الليل، فأحسوا أن قد أخذت عليهم العقبة، ففترقوا في عدة طرق، حتى أقبلوا يتسلقون الجبال، فمروا فلم يعودوا إلى ما كانوا يفعلون، ورجع الناس من الطلب مع صلاة الغداة إلى الخندق بروذ الروذ، ولم يلحقوا من الخرمية أحدا.

ثم إن الأفشين كان في كل أسبوع يضرب بالطبول نصف الليل، ويخرج بالشمع والنفط إلى باب الخندق، وقد عرف كل إنسان منهم كردوسه، من كان في الميمنة ومن كان في الميسرة، فيخرج الناس فيقفون في مواقفهم ومواضعهم وكان الأفشين يحمل أعلاما سودا كجارا، اثني عشر علما يحملها على البغال، ولم يكن يحملها على الخيل لثلاث تزعزع، يحملها على اثني عشر بغلا، وكانت طبوله الكبار واحدا وعشرين طبلا، وكانت الأعلام الصغار نحو من خمسمائة علم، فيقف أصحابه كل فرق على مرتبتهم من ربيع الليل، حتى إذا طلع الفجر ركب الأفشين من مضربه، فيؤذن المؤذن بين يديه ويصلي، ثم يصلي الناس بغلس، ثم يأمر بضرب الطبول، ويسير زحفا وكانت علامته في المسير والوقوف تحريك الطبول وسكونها، لكثرة الناس ومسيرهم في الجبال والأزقة على مصافهم، كلما استقبلوا جبلا صعدوه، وإذا هبطوا إلى واد مضوا فيه، إلا أن يكون جبلا منيعا لا يمكنهم صعوده وهبوطه، فإنهم كانوا ينضمون إلى العساكر، ويرجعون إذا جاءوا إلى الجبل إلى مصافهم ومواضعهم، وكانت علامة المسير ضرب الطبول، فان أراد أن يقف أمسك عن ضرب الطبول، فيقف الناس جميعا من كل ناحية على جبل، أو في واد أو في مكانهم، وكان يسير قليلا قليلا، كلما جاءه كوهباني بخبر وقف قليلا، وكان يسير هذه الستة الأميال التي بين رود الروذ، وبين البذ، ما بين طلوع الفجر إلى الضحى الأكبر، فإذا أراد أن يصعد إلى الركوة التي كانت الحرب تكون عليها في العام الماضي، خلف بخاراخذاه على راس العقبة مع الف فارس وسمائه راجل، يحفظون عليه الطريق، لا يخرج أحد من الخرمية، فيأخذ عليه الطريق وكان بابل إذا أحس بالعسكر أنه وارد عليه وجهه عسكرا له فيه رجالة إلى واد تحت تلك العقبة التي كان عليها بخاراخذاه، ويكمنون لمن يريد أن يأخذ عليه الطريق سنة ٢٢٢ وكان الأفشين يقف بخاراخذاه يحفظ هذه العقبة التي وجهه بابل عسكره إليها ليأخذها على الأفشين، وكان بخاراخذاه يقف بها أبدا، ما دام الأفشين داخل البذ على الركوة، وكان الأفشين يتقدم إلى بخاراخذاه أن يقف على واد فيما بينه وبين البذ شبه الخندق.

وكان يأمر أبا سعيد محمد بن يوسف أن يعبر ذلك الوادي في كردوس من أصحابه، ويأمر جعفرا الخياط أن يقف أيضا في كردوس من أصحابه، ويأمر أحمد بن الخليل فيقف في كردوس آخر، فيصير في جانب ذلك الوادي ثلاثة كرايس في طرف أبياتهم، وكان بابل يخرج عسكرا مع آذين، فيقف على تل بإزاء هؤلاء الثلاثة الكرايس خارجا من البذ لثلاث يتقدم أحد من عساكر الأفشين إلى باب البذ وكان الأفشين يقصد إلى باب البذ، ويأمرهم إذا عبروا بالوقوف فقط، وترك المحاربة، وكان بابل إذا أحس بعساكر الأفشين أنها قد تحركت من الخندق تريده فرق أصحابه كمناء، ولم يبق معه إلا نفير يسير، وبلغ ذلك الأفشين، ولم يكن يعرف الواضع التي يكمنون

فيها ثم أتاه الخبر بأن الخرمية قد خرجوا جميعاً، ولم يبق مع بابك إلا شردمة من أصحابه وكان الأفشين إذا صعد إلى ذلك الموضع بسط له نطع، ووضع له كرسي، وجلس على تل مشرف يشرف على باب قصر بابك، والناس كرايس وقوف، من كان معه من جانب الوادي هذا امره بالنزول

عن دابته، ومن كان من ذاك الجانب مع أبي سعيد وجعفر الخياط وأصحابه وأحمد بن الخليل لم ينزل لقربه من العدو، فهم وقوف على ظهور دوابهم، ويفرق رجالته الكوهبانية ليفتشوا الأودية، طمع أن يقع على مواضع الكمائن فيعرفها، فكانت هذه حالته في التفتيش إلى بعد الظهر، والخرمية بين يدي بابك يشربون النبيذ، ويمرون بالسرنيات، ويضربون بالطبول، حتى إذا صلى الأفشين الظهر، تقدم فأنحدر إلى خندقه بروذ الروذ، فكان أول من ينحدر أبو سعيد ثم أحمد بن الخليل ثم جعفر بن دينار، ثم ينصرف الأفشين، وكان مجيئه ذلك مما يغيظ بابك، وانصرافه فإذا دنا الانصراف، ضربوا بصنوجهم، ونفخوا بوقاتهم استهزاء، ولا يبرح بخاراخذه من العقبة التي هو عليها، حتى تجوزه الناس جميعاً، ثم ينصرف في آثارهم، فلما كان في بعض أيامهم ضجرت الخرمية من المعادلة والتفتيش الذي كان يفتش عليهم، فانصرف الأفشين كعادته، وانصرف الكرايس أولاً فأولاً، وعبر أبو سعيد الوادي، وعبر أحمد بن الخليل، وعبر بعض أصحاب جعفر الخياط، وفتح الخرمية باب خندقهم، وخرج منهم عشرة فوارس، وحملوا على من بقي من أصحاب جعفر الخياط في ذلك الموضع، وارتفعت الضجة في العسكر، فرجع جعفر مع كردوس من أصحابه بنفسه، فحمل على أولئك الفرسان حتى ردهم إلى باب البذ، ثم وقعت الضجة في العسكر، فرجع الأفشين وجعفر وأصحابه من ذلك الجانب يقاتلون، وقد خرج من أصحاب جعفر عدة، وخرج بابك بعدة فرسان لم يكن معهم رجاله، لا من أصحاب الأفشين، ولا من أصحاب بابك، كان هؤلاء يحملون، وهؤلاء يحملون، فوقعت بينهم جراحات، ورجع الأفشين حتى طرح له النطع والكرسي، فجلس في موضعه الذي كان يجلس فيه، وهو يتلظى على جعفر، ويقول: قد أفسد علي تعبتي وما أريد

وارتفعت الضجة، وكان مع أبي دلف في كردوس قوم من المطوعة من أهل البصرة وغيرهم، فلما نظروا إلى جعفر يحارب، انحدر أولئك المطوعة بغير أمر الأفشين، وعبروا إلى ذلك جانب الوادي، حتى صاروا إلى جانب البذ، فتعلقوا به، وأثروا فيه آثاراً، وكادوا يصعدونه فيدخلون البذ، ووجه جعفر إلى الأفشين: ان امدني بخسمائة راجل من الناشبة، فإني أرجو أن أدخل البذ إن شاء الله، ولست أرى في وجهي كثير أحد إلا هذا الكردوس الذي تراه أنت فقط - يعني كردوس آذين - فبعث إليه الأفشين أن قد أفسدت علي أمري، فتخلص قليلاً قليلاً، وخلص أصحابك وانصرف وارتفعت الضجة من المطوعة حين تعلقوا بالبذ، وظن الكمائن الذين أخرجهم بابك أنها حرب قد اشتبكت، فنعروا ووثبوا من تحت عسكر بخاراخذه، ووثب كمين آخر من وراء الركوة التي كان الأفشين يقعد عليها، فتحركت الخرمية، والناس وقوف على رؤوسهم لم يزل منهم أحد، فقال الأفشين: الحمد لله الذي بين لنا مواضع هؤلاء.

ثم انصرف جعفر وأصحابه والمطوعة، فجاء جعفر إلى الأفشين، فقال له: إنما وجهني سيدي أمير المؤمنين للحرب التي ترى، ولم يوجهني للعودة هاهنا، وقد قطعت بي في موضع حاجتي ما كان يكفيني إلا خمسمائة راجل حتى أدخل البذ أو جوف داره، لأنني قد رأيت من بين يدي فقال له الأفشين: لا تنظر إلى ما بين يديك، ولكن انظر إلى ما خلفك وما قد وثبوا بخاراخذه وأصحابه فقال الفضل بن كاوس لجعفر الخياط: لو كان الأمر إليك ما كنت تقدر أن تصعد إلى هذا الموضع الذي أنت عليه واقف، حتى تقول: كنت وكنت فقال له جعفر: هذه الحرب، وها أنا واقف لمن جاء فقال له الفضل: لولا مجلس الأمير لعرفت نفسك الساعة، فصاح بهما الأفشين، فأمسكا، وأمر أبا دلف أن يرد المطوعة عن السور، فقال أبو دلف للمطوعة: انصرفوا فجاء رجل منهم ومعه صخرة، فقال: أتردنا وهذا الحجر أخذته من السور! فقال له: الساعة، إذا انصرفت تدري من على طريقك جالس - يعني العسكر الذي وثب على بخاراخذه من وراء الناس.

ثم قال الأفشين لأبي سعيد في وجه جعفر: أحسن الله جزاءك عن نفسك وعن أمير المؤمنين، فإني ما علمتك علماً بأمر هذه العساكر وسياستها، ليس كل من حف رأسه يقول: إن الوقوف في الموضع الذي يحتاج إليه خير.

من المحاربة في الموضع الذي لا يحتاج إليه، لو وثب هؤلاء الذين تحتك - وأشار إلى الكمين الذي تحت الجبل - كيف كنت ترى هؤلاء المطوعة الذين هم في القمص؟ أي شيء كان يكون حالهم، ومن كان يجمعهم؟ الحمد لله الذي سلمهم، فقف هاهنا فلا تبرح حتى

لا يبقى هاهنا أحد وانصرف الأفشين، وكان من سنته إذا بدا بالانصراف يخدر علم الكراديس وفرسانه ورجالته، والكردوس الآخر واقف بينه وبينه قدر رمية سهم، لا يدنو من العقبة، ولا من المضيق، حتى يرى أنه قد عبر كل من في الكردوس الذي بين يديه وخلا به الطريق، ثم يدنو بعد ذلك فينحدر في الكردوس الآخر بفرسانه ورجالته، ولا يزال كذلك، وقد عرف كل كردوس من خلف من ينصرف، فلم يكن يتقدم أحد منهم بين يدي صاحبه، ولا يتأخر هكذا، حتى إذا نفذت الكراديس كلها ولم يبق أحد غير بخاراخذاه، انحدر بخاراخذاه وخلي العقبة.

فانصرف ذلك اليوم على هذه الهيئة، وكان أبو سعيد آخر من انصرف، وكلما مر العسكر بموضع بخاراخذاه، ونظروا إلى الموضع الذي كان فيه الكمين، علموا ما كان وطيء لهم، وتفرق أولئك الأعلاج الذين أرادوا أخذ الموضع الذي كان بخاراخذاه يحفظه، ورجعوا إلى مواضعهم، فأقام الأفشين في خندقه بروذ الروذ أياما، فشكا إليه المطوعة الضيق في العلوقة والأزواد والنفقات، فقال لهم: من صبر منكم فليصبر، ومن لم يصبر فالطريق واسع فليصرف بسلام، معي جند أمير المؤمنين، ومن هو في أرزاقه يقيمون معي في الحر والبرد، ولست ابرح من هاهنا حتى يسقط الثلج فانصرف المطوعة وهم يقولون: لو ترك الأفشين جعفرًا وتركنا لأخذنا البذ، هذا لا يشتهي إلا المماطلة، فبلغه ذلك وما كثر المطوعة فيه، ويتناولونه بالسنتهم وأنه لا يحب المناجزة، وإنما يريد التطويل، حتى قال بعضهم إنه رأى في المنام، أن رسول الله ص قال له: قل للأفشين: إن أنت حاربت هذا الرجل وجددت في أمره وإلا أمرت الجبال أن ترجمك بالحجارة، فتحدث الناس بذلك في العسكر علانية، كأنه مستور، فبعث الأفشين إلى رؤساء المطوعة، فأحضرهم وقال لهم: أحب أن تروني هذا الرجل، فإن الناس يرون في المنام أبوابا، فأتوه بالرجل في جماعة من الناس، فسلم عليه، فقربه وأدناه، وقال له:

قص علي رؤياك، لا تحتشم ولا تستحي، وإنما تؤدي قال: رأيت كذا ورأيت كذا، فقال: الله يعلم كل شيء قبل كل أحد، وما أريد بهذا الخلق إن الله تبارك وتعالى لو أراد أن يأمر الجبال أن ترجم أحدا لرجم الكافر، وكفنا مؤنته، كيف يرجمني حتى أكفيه مؤنة الكافر كان يرجمه، ولا يحتاج أن أقاتله أنا، وأنا أعلم أن الله عز وجل لا يخفى عليه خافية، فهو مطلع على قلبي، وما أريد بكم يا مساكين! فقال رجل من المطوعة من اهل الدين:

يا أيها الأمير، لا تحرمنا شهادة إن كانت قد حضرت، وإنما قصدنا وطلبنا ثواب الله ووجهه، فدعنا وحدنا حتى نتقدم بعد أن يكون بإذنك، فلعل الله أن يفتح علينا فقال الأفشين: إني أرى نياتكم حاضرة، وأحسب هذا الأمر يريده الله، وهو خير إن شاء الله، وقد نشطتم ونشط الناس، والله أعلم ما كان هذا رأيي، وقد حدث الساعة لما سمعت من كلامكم، وأرجو أن يكون أراد هذا الأمر وهو خير، اعزموا على بركة الله أي يوم أحببتهم حتى نناهضهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله! فخرج القوم مستبشرين فبشروا أصحابهم، فن كان أراد أن ينصرف أقام، ومن كان في القرب وقد خرج مسيرة أيام فسمع بذلك رجع، ووعد الناس ليوم، وأمر الجند والفرسان والرجالة وجميع الناس بالأهبة، وأظهر أنه يريد الحرب لا محالة وخرج الأفشين وحمل المال والزاد، ولم يبق في العسكر بغل إلا وضع عليه محمل للجرحى، وأخرج معه المتطبين، وحمل الكعك والسويق وغير ذلك، وجميع ما يحتاج إليه، وزحف الناس حتى صعد إلى البذ، وخلف بخاراخذاه في موضعه الذي كان يخلفه عليه على العقبة، ثم طرح النطع ووضع له الكرسي، وجلس عليه كما كان يفعل، وقال لأبي دلف: قل للمطوعة: أي ناحية هي أسهل عليكم، فاقصروا عليها وقال لجعفر: العسكر كله بين يديك، والناشبة والنفاطون، فإن أردت رجالا دفعتهم إليك، فخذ حاجتك وما تريد، واعزم على بركة الله، فاذن من أي موضع تريد قال: أريد أن أقصد الموضع الذي كنت عليه، قال:

امض إليه ودعا أبا سعيد، فقال له: قف بين يدي، أنت وجميع أصحابك، ولا يبرحن منكم أحد ودعا أحمد بن الخليل فقال له: قف أنت وأصحابك هاهنا، ودع جعفرًا يعبر وجميع من معه من الرجال، فإن أراد رجالا أو فرسانا أمددناه، ووجهنا بهم إليه، ووجه أبا دلف وأصحابه من المطوعة، فانحدروا إلى الوادي، وصعدوا إلى حائط البذ من الموضع الذي كانوا صعدوا عليه تلك المرة، وعلقوا بالحائط على حسب ما كانوا فعلوا ذلك اليوم، وحمل جعفر حملة حتى ضرب باب البذ، على حسب ما كان فعل تلك المرة الأولى، ووقف على الباب، وواقفه الكفرة ساعة صالحة، فوجه الأفشين برجل معه بدرة دنانير، وقال له: اذهب إلى أصحاب جعفر، فقل: من تقدم،

فاحت له ملء كفك، ودفع بدرة أخرى إلى رجل من أصحابه، وقال له:

اذهب الى المطوعة ومعك هذا المال واطواق واسوره، وقل لأبي دلف: كل من رأيته محسنا من المطوعة وغيرهم فأعطه ونادى صاحب الشراب، فقال له: اذهب فتوسط الحرب معهم حتى أراك بعيني معك السوق والماء، لئلا يعطش القوم فيحتاجوا إلى الرجوع، وكذلك فعل بأصحاب جعفر في الماء والسوق، ودعا صاحب الكلغرية، فقال له: من رأيته في وسط الحرب من المطوعة في يده فأس فله عندي نحسون درهما، ودفع إليه بدرة دراهم، وفعل مثل ذلك بأصحاب جعفر، ووجه إليهم الكلغرية بأيديهم الفئوس، ووجه إلى جعفر بصندوق فيه أطواق وأسورة، فقال له: ادفع إلى من اردت من

أصحابك هذا سوى ما لهم عندي، وما تضمن لهم علي من الزيادة في أرزاقهم والكتاب إلى أمير المؤمنين بأسمائهم فاشتبكت الحرب على الباب طويلا، ثم فتح الخرمية لباب، وخرجوا على أصحاب جعفر، فنحوهم عن الباب، وشدوا على المطوعة من الناحية الأخرى، فأخذوا منهم علمين طرحوهم عن السور، وجرحوهم بالصخر حتى أثروا فيهم، فرقوا عن الحرب، ووقفوا، وصاح جعفر بأصحابه، فبدر منهم نحو من مائة رجل، فبركوا خلف تراسهم التي كانت معهم، وواقفوهم متحاجزين، لا هؤلاء يقدمون على هؤلاء، ولا هؤلاء يقدمون على هؤلاء، فلم يزلوا كذلك حتى صلى الناس الظهر، وكان الأفشين قد حمل عرادات، فنصب عرادة منها مما يلي جعفرا على الباب، وعرادة أخرى من طرف الوادي من ناحية المطوعة، فأما العرادة التي من ناحية جعفر، فدافع عنها جعفر حتى صارت العرادة فيما بينهم وبين الخرمية ساعة طويلة، ثم تخلصها أصحاب جعفر بعد جهد، فقلعوها وردوها إلى العسكر، فلم يزل الناس متواقفين متحاجزين، يختلف بينهم النشاب والحجارة أولئك على سورهم والباب، وهؤلاء قعود تحت أتراسهم، ثم تناجزوا بعد ذلك، فلما نظر الأفشين إلى ذلك كره أن يطمع العدو في الناس، فوجه الرجال الذين كان أعدهم قبله، حتى وقفوا في موضع المطوعة، وبعث إلى جعفر بكردوس فيه رجالة، فقال جعفر: لست اوتى من قله الرجاله معي رجال فرة ولكني لست أرى للحرب موضعا يتقدمون، انما هاهنا موضع مجال رجل أو رجلين قد وقفوا عليه، وانقطعت الحرب، فبعث إليه: انصرف على بركة الله، فانصرف جعفر، وبعث الأفشين بالبالغال التي كان جاء بها معه، عليها المحامل، فجعلت فيها الجرحى ومن كان به وهن من الحجارة ولا يقدر على المشي، وأمر الناس بالانصراف، فانصرفوا إلى خندقهم بروذ الروذ، وأيس الناس من الفتح في تلك السنة، وانصرف أكثر المطوعة سنة ٢٢٢ ثم أن الأفشين تجهز بعد جمعيتين، فلما كان في جوف الليل، بعث الرجالة الناشبة، وهم مقدار ألف رجل، فدفع إلى كل واحد منهم شكرة وكعكا، ودفع إلى بعضهم أعلاما سودا وغير ذلك، وأرسلهم عند مغيب الشمس، وبعث معهم أدلاء، فساروا ليلتهم في جبال منكرة صعبة على غير الطريق، حتى داروا، فصاروا خلف التل الذي يقف آذين عليه - وهو جبل شاهق - وأمرهم ألا يعلم بهم أحد، حتى إذا رأوا أعلام الأفشين وصلوا الغداة ورأوا الوقعة، ركبوا تلك الأعلام في الرماح، وضربوا الطبول، وانحدروا من فوق الجبل، ورموا بالنشاب والصخر على الخرمية، وإن هم لم يروا الأعلام لم يتحركوا حتى يأتيهم خبره، ففعلوا ذلك فوافوا رأس الجبل عند السحر، وجعلوا في تلك الشكاء الماء من الوادي، وصاروا فوق الجبل، فلما كان في بعض الليل وجه الأفشين إلى القواد أن يتهيأ في السلاح، فإنه يركب في السحر، فلما كان في بعض الليل، وجه بشيرا التركي وقوادا من الفراغة كانوا معه، فأمرهم أن يسيروا حتى يصيروا تحت التل مع أسفل الوادي الذي حملوا منه الماء، وهو تحت الجبل الذي كان عليه آذين، وقد كان الأفشين علم أن الكافريكمين تحت ذلك الجبل كلما جاءه العسكر، فقصده بشير والفراغة إلى ذلك الموضع الذي علم أن للخرمية فيه عسكرا كامنين، فساروا في بعض الليل، ولا يعلم بهم أكثر أهل العسكر ثم بعث للقواد:

تأهبوا للركوب في السلاح، فإن الأمير يغدو في السحر، فلما كان السحر خرج وأخرج الناس، وأخرج النفاطين والنفاطات والشمع على حسب ما كان يخرج، فصلى الغداة، وضرب الطبل، وركب حتى وافى الموضع الذي كان يقف فيه في كل مرة، وبسط له النطع، ووضع له الكرسي كعادته.

وكان بخاراخذاه يقف على العقبة التي كان يقف عليها في كل يوم، فلما كان ذلك اليوم صير بخاراخذاه في المقدمة مع أبي سعيد وجعفر الخياط وأحمد بن الخليل، فأنكر الناس هذه التعبئة في ذلك الوقت، وأمرهم أن يدنوا من التل الذي عليه آذين، فيحدقوا به،

وقد كان ينههم عن هذا قبل ذلك اليوم، فمضى الناس مع هؤلاء القواد الأربعة الذين سمينا، حتى صاروا حول التل وكان جعفر الخياط مما يلي باب البذ، وكان أبو سعيد مما يليه، وبخاراخذه مما يلي أبا سعيد، وأحمد بن الخليل بن هشام مما يلي بخاراخذه، فصاروا جميعا حلقة حول التل، وارتفعت الضجة من أسفل الوادي، وإذا الكمين الذي تحت التل الذي كان يقف عليه آذين قد وثب ببشير التركي والفراغنة، فخاربوهم واشتبكت الحرب بينهم ساعة.

وسمع أهل العسكر ضجتهم، فتحرك الناس، فأمر الأفشين أن ينادوا:

أيها الناس، هذا بشير التركي والفراغنة قد وجهتهم، فأثاروا كميناً فلا تتحركوا فلها سمع الرجال الناشبة الذين كانوا تقدموا، وصاروا فوق الجبل ركبوا الأعلام كما أمرهم الأفشين، فنظر الناس إلى أعلام تجيء من جبل شاهق، أعلام سود، وبين العسكر وبين الجبل نحو فرسخ، وهم ينحدرون على جبل آذين من فوقهم، قد ركبوا الأعلام، وجعلوا ينحدرون يريدون آذين، فلها نظر إليهم أهل عسكر آذين وجهه آذين إليهم بعض رجالته الذين معه من الخرمية ولما نظر الناس إليهم راعوهم، فبعث إليهم الأفشين: أولئك رجالنا أنجدتنا على آذين، فحمل جعفر الخياط وأصحابه على آذين وأصحابه، حتى صعدوا إليهم، فحملوا عليهم حملة شديدة، قلبوه وأصحابه في الوادي، وحمل عليهم رجل ممن في ناحية أبي سعيد من أصحاب أبي سعيد، يقال له معاذ بن محمد - أو محمد بن معاذ - في عدة معه، فإذا تحت حوافر دوابهم آبار محفورة تدخل أيدي الدواب فيها، فتساقطت فرسان أبي سعيد فيها، فوجه الأفشين الكلغرية يقلعون حيطان منازلهم، ويطمون بها تلك الآبار، ففعلوا ذلك، فحمل الناس عليهم حملة واحدة، وكان آذين قد هياً فوق الجبل عجلاً عليها صخر، فلها حمل الناس عليه، دفع العجل على الناس فأفرجوا عنها، فقد خرجت، ثم حمل الناس من كل وجه.

فلها نظر بابك إلى أصحابه قد أحرق بهم، خرج من طرف البذ، من باب مما يلي الأفشين، يكون بين هذا الباب وبين التل الذي عليه الأفشين قدر ميل فأقبل بابك في جماعة معه يسألون عن الأفشين، فقال لهم أصحاب أبي دلف: من هذا؟ فقالوا: هذا بابك يريد الأفشين، فأرسل أبو دلف

إلى الأفشين يعلمه ذلك، فأرسل الأفشين رجلاً يعرف بابك، فنظر إليه، ثم عاد إلى الأفشين، فقال: نعم هو بابك، فركب إليه الأفشين، فدنا منه حتى صار في موضع يسمع كلامه وكلام أصحابه، والحرب مشتبكة في ناحية آذين، فقال له: أريد الأمان من أمير المؤمنين، فقال له الأفشين: قد عرضت عليك هذا، وهو لك مبدول متى شئت، فقال: قد شئت الآن، على أن تؤجلني أجلاً أحمل فيه عيالي، وأتجهز فقال له الأفشين: قد والله نصحتك غير مرة فلم تقبل نصيحتي، وأنا أنصحك الساعة، خروجه اليوم في الأمان خير من غد قال: قد قبلت أيها الأمير، وأنا على ذلك، فقال له الأفشين: فابعث بالرهائن الذين كنت سألتك قال: نعم، أما فلان وفلان فهم على ذلك التل، فمر أصحابك بالتوقف.

قال: فجاء رسول الأفشين ليرد الناس، فقبل له: إن أعلام الفراغنة قد دخلت البذ وصعدوا بها القصور فركب وصاح بالناس، فدخل ودخلوا، وصعد الناس بالأعلام فوق قصور بابك، وكان قد كمن في قصوره - وهي أربعة - ستمائة رجل، فوافاهم الناس، فصعدوا بالأعلام فوق القصور، وامتألت شوارع البذ وميدانها من الناس، وفتح أولئك الكمناء أبواب القصور، وخرجوا رجالاً يقاتلون الناس ومر بابك حتى دخل الوادي الذي يلي هشتاد سر، واشتغل الأفشين وجميع قواده بالحرب على أبواب القصور، فقاتل الخرمية قتالاً شديداً، وأحضر النفاطين، فجعلوا يصبون عليهم النفط والنار، والناس يهدمون القصور، حتى قتلوا عن آخرهم وأخذ الأفشين أولاد بابك ومن كان معهم في البذ من عيالاتهم، حتى أدركهم المساء، فأمر الأفشين بالانصراف فانصرفوا، وكان عامة الخرمية في البيوت، فرجع الأفشين إلى الخندق بروذ الروذ.

فذكر أن بابك وأصحابه الذين نزلوا معه الوادي حين علموا أن الأفشين قد رجع إلى خندقه، رجعوا إلى البذ، فحملوا من الزاد ما أمكنهم حمله، وحملوا أموالهم، ثم دخلوا الوادي الذي يلي هشتاد سر فلها كان في الغد خرج

الأفشين حتى دخل البذ، فوقف في القرية، وأمر بهدم القصور، ووجه الرجال يطوفون في أطراف القرية، فلم يجدوا فيها أحداً من العلوج، فأصعد الكلغرية، فهدموا القصور وأحرقوها، فعل ذلك ثلاثة أيام حتى أحرق خزائنه وقصوره، ولم يدع فيها بيتاً ولا قصراً إلا

أحرقه وهدمه، ثم رجع وعلم أن بابك قد أفلت في بعض أصحابه، فكتب الأفشين إلى ملوك أرمينية وبطارقتها يعلمهم أن بابك قد هرب وعدة معه، وصار إلى واد، وخرج منه إلى ناحية أرمينية، وهو مار بكم، وأمرهم أن يحفظ كل واحد منهم ناحيته، ولا يسلكها أحد إلا أخذوه حتى يعرفوه فجاء الجواسيس إلى الأفشين، فأخبروه بموضعه في الوادي، وكان واديا كثير العشب والشجر، طرفه بأرمينية وطرفه الآخر بأذربيجان، ولم يمكن الخيل أن تنزل إليه، ولا يرى من يستخفي فيه لكثرة شجره ومياهه، إنما كانت غيضة.

واحدة، ويسمى هذا الوادي غيضة فوجه الأفشين إلى كل موضع يعلم أن منه طريقا ينحدر منه إلى تلك الغيضة، أو يمكن بابك أن يخرج من ذلك الطريق، فصير على كل طريق وموضع من هذه المواضع عسكريا فيه ما بين أربعمئة إلى خمسمئة مقاتل، ووجه معهم الكوهبانية ليقفوه على الطريق، وأمرهم بحراسة الطريق في الليل لئلا يخرج منه أحد.

وكان يوجه إلى كل عسكري من هذه العساكر الميرة من عسكريه، وكانت هذه العساكر خمسة عشر عسكريا، فكانوا كذلك حتى ورد كتاب أمير المؤمنين المعتمد بالذهب محتوما، فيه أمان لبابك فدعا الأفشين من كان استأمن إليه من أصحاب بابك، وفيهم ابن له كبير، أكبر ولده، فقال له وللأسرى: هذا ما لم أكن أرجوه من أمير المؤمنين، ولا أطمع له فيه أن يكتب إليه وهو في هذه الحال بأمان، فمن يأخذه منكم ويذهب به إليه؟ فلم يجسر على ذلك أحد منهم، فقال بعضهم: أيها الأمير، ما فينا أحد يجترئ أن يلقاه بهذا، فقال له الأفشين: ويحك! إنه يفرح بهذا، قالوا: أصلح الله الأمير! نحن أعرف بهذا منك، قال: فلا بد لكم من أن تهبوا لي أنفسكم، وتوصلوا هذا الكتاب إليه فقام رجلان منهم، فقالا له: اضمن لنا أنك تجري على عيالاتنا، فضمن لهما الأفشين ذلك، وأخذ الكتاب وتوجها فلم يزالا يدوران في الغيضة حتى أصاباه، وكتب معهما ابن بابك بكتاب يعلمه الخبر، ويسأله أن يصير إلى الأمان، فهو أسلم له وخير فدفعوا إليه كتاب ابنه، فقرأه، وقال: أي شيء كنتم تصنعون؟ قالوا: أسر عيالاتنا في تلك الليلة وصبياننا، ولم نعرف موضعك فنأتيك، وكنا في موضع نخوفنا أن يأخذونا، فطلبنا الأمان فقال للذي كان الكتاب معه: هذا لا اعرفه، ولكن أنت يا بن الفاعلة، كيف اجترأت على هذا أن تجيئي من عند ذاك ابن الفاعلة! فأخذه وضرب عنقه، وشد الكتاب على صدره محتوما لم يفضه، ثم قال للآخر: اذهب وقل لذك ابن الفاعلة- يعني ابنه- حيث يكتب إلي، وكتب إليه: لو أنك لحقت بي واتبعت دعوتك حتى يجيئك الأمر يوما كنت ابني، وقد صح عندي الساعة فساد أمك الفاعلة يا بن الفاعلة، عسى أن أعيش بعد اليوم! قد كنت باسم هذه الرياسة وحيثما كنت أو ذكرت كنت ملكا، ولكنك من جنس لا خير فيه، وأنا أشهد أنك لست يا بني، تعيش يوما واحدا وأنت رئيس خير، أو تعيش أربعين سنة وأنت عبد ذليل! ورحل من موضعه، ووجه مع الرجل ثلاثة نفر حتى أصعدوه من موضع من المواضع، ثم لحقوا ببابك، فلم يزل في تلك الغيضة حتى فني زاده، وخرج مما يلي طريقا كان عليه بعض العساكر، وكان موضع الطريق جبلا ليس فيه ماء، فلم يقدر العسكر أن يقيم على الطريق لبعده عن الماء، فتنحى العسكر عن الطريق إلى قرب الماء، وصيروا كوهبانين وفارسين على طرف الطريق يحرسونه، والعسكر بينه وبين الطريق نحو من ميل ونصف، كان ينوب على الطريق كل يوم فارسان وكوهبانان، فيينا هم ذات يوم نصف النهار، إذ خرج بابك وأصحابه، فلم يروا أحدا، ولم يروا الفارسين والكوهبانين، وظنوا أن ليس هناك عسكري، فخرج هو وأخواه: عبد الله ومعاوية، وأمه وامرأة له

يقال لها ابنة الكلندانية فخرجوا من الطريق، وساروا يريدون أرمينية، ونظر إليهم الفارسان والكوهبانان، فوجهوا إلى العسكر، وعليه أبو الساج: إنا قد رأينا فرسانا يميرون ولا ندري من هم فركب الناس، وساروا، فنظروا إليهم من بعد وقد نزلوا على عين ماء يتغدون عليها، فلما نظروا إلى الناس بادر الكافر فركب وركب من كان معه، فأفلت وأخذ معاوية وأم بابك والمرأة التي كانت معه، ومع بابك غلام له، فوجه أبو الساج بمعاوية والمرأتين إلى العسكر، ومر بابك متوجها حتى دخل جبال أرمينية يسير في الجبال متمكنا، فاحتاج إلى طعام، وكان جميع بطارقة أرمينية قد تحفظوا بنواحيهم وأطرافهم، وأوصوا مسالحهم ألا يجتاز عليهم أحد إلا أخذوه حتى يعرفوه، فكان أصحاب المسالح كلهم متحفظين، وأصاب بابك الجوع، فأشرف فإذا هو بحراث يحرق على فدان له في بعض الأودية، فقال لغلامه: انزل إلى هذا الحراث، وخذ معك دنائير ودراهم، فإن كان معه خبز نخذه وأعطه، وكان للحراث شريك ذهب لحاجته، فنزل الغلام إلى الحراث، فنظر إليه شريكه من بعيد، فوقف بالبعد يفرق من أن يجيء إلى شريكه وهو ينظر ما يصنع شريكه، فدفع الغلام إلى

الحراث شيئا، فجاء الحراث فأخذ الخبز، فدفعه إلى الغلام وشريكه قائم ينظر إليه، ويظن إنما اغتصبه خبزه، ولم يظن أنه أعطاه شيئا، فعدا إلى المسلحة، فأعلمهم أن رجلا جاءهم عليه سيف وسلاح، وأنه أخذ خبز شريكه من الوادي، فركب صاحب المسلحة- وكان في جبال ابن سنباط- ووجه إلى سهل بن سنباط بالخبر، فركب ابن سنباط وجماعة معه حتى جاءه مسرعا، فوافى الحراث والغلام عنده، فقال له: ما هذا؟ قال له الحراث: هذا رجل مر بي، فطلب مني خبزا فأعطيته، فقال للغلام: وابن مولاك؟ قال: هاهنا- وأومى إليه- فاتبعه فأدركه وهو نازل، فلما رأى وجهه عرفه، فترجل له ابن سنباط عن دابته، ودنا منه فقبل يده، ثم قال له: يا سيداه، إلى أين؟ قال:

أريد بلاد الروم- أو موضعا سماه- فقال له: لا تجد موضعا ولا أحدا أعرف بحقك، ولا أحق أن تكون عنده مني، تعرف موضعي، ليس بيني وبين

السلطان عمل، ولا تدخل على احد من أصحاب السلطان وأنت عارف بقضيتي وبلدي، وكل من هاهنا من البطارقة إنما هم أهل بيتك، قد صار لك منهم أولاد، وذلك أن بابك كان إذا علم أن عند بعض البطارقة ابنة أو أختا جميلة وجه إليها يطلبها، فإن بعث بها إليه والإا بيته وأخذها، وأخذ جميع ماله من متاع وغير ذلك، وصار به إلى بلده غصبا سنة ٢٢٢ ثم قال ابن سنباط له: صر عندي في حصني، فإنما هو منزلك، وأنا عبدك، كن فيه شتوتك هذه ثم ترى رأيك وكان بابك قد أصابه الضر والجهد، فركن إلى كلام سهل بن سنباط، وقال له: ليس يستقيم أن أكون أنا وأخي في موضع واحد، فلعله أن يعثر بأحدنا فيبقى الآخر، ولكن أقيم عندك أنا، ويتوجه عبد الله أخي إلى ابن اصطفانوس، لا ندري ما يكون، وليس لنا خلف يقوم بدعوتنا فقال له ابن سنباط: ولدك كثير، قال:

ليس فيهم خير وعزم على أن يصير أخاه في حصن ابن اصطفانوس- وكان يثق به- فصار هو مع ابن سنباط في حصنه، فلما أصبح عبد الله مضى إلى حصن ابن اصطفانوس، وأقام بابك عند ابن سنباط، وكتب ابن سنباط إلى الأفشين يعلمه أن بابك عنده في حصنه فكتب إليه: إن كان هذا صحيحا فلك عندي وعند أمير المؤمنين- أيده الله- الذي تحب، وكتب يحزبه خيرا، ووصف الأفشين صفة بابك لرجل من خاصته، ممن يثق به، ووجه به إلى ابن سنباط وكتب إليه يعلمه أنه قد وجه إليه رجل من خاصته، يحب أن يرى بابك ليحكي للأفشين ذلك فكره ابن سنباط أن يوحش بابك، فقال للرجل: ليس يمكن أن تراه إلا في الوقت الذي يكون منكبا على طعامه يتغدى، فإذا رأيتنا قد دعونا بالغداء فالبس ثياب الطباخين الذين معنا على هيئة علوجنا وتعال كأنك تقدم الطعام، أو تناول شيئا، فإنه يكون منكبا على الطعام، فتفقد منه ما تريد، فاذهب فاحكه لصاحبك.

ففعل ذلك في وقت الطعام، فرفع بابك رأسه فنظر إليه فأنكره، فقال:

من هذا الرجل؟ فقال له ابن سنباط: هذا رجل من أهل خراسان، منقطع

إلينا منذ زمان، نصراني فلقن ابن سنباط الأثروسي ذلك، فقال له بابك:

منذ كم أنت هاهنا؟ قال: منذ كذا وكذا سنة، قال: وكيف ائت هاهنا؟

قال: تزوجت هاهنا، قال: صدقت إذا قيل للرجل: من أين أنت؟ قال:

من حيث امرأتي.

ثم رجع إلى الأفشين فأخبره، ووصف له جميع ما رأى ثم من بابك.

ووجه الأفشين أبا سعيد وبوزباره إلى ابن سنباط، وكتب إليه معهما، وأمرهما إذا صارا إلى بعض الطريق قد ما كتبه إلى ابن سنباط مع علاج من الأعلاج، وأمرهما ألا يخالفا ابن سنباط فيما يشير به عليهما ففعلا ذلك، فكتب إليهما ابن سنباط في المقام بموضع- قد سماه ووصفه لهما- إلى أن يأتيهما رسوله فلم يزالا مقيمين بالموضع الذي وصفه لهما، ووجه إليهما ابن سنباط بالميرة والزاد، حتى تحرك بابك للخروج إلى الصيد، فقال له: هاهنا واد طيب، وأنت مغموم في جوف هذا الحصن! فلو خرجنا ومعنا بازري وباشق وما يحتاج إليه، فنتفرج إلى وقت الغداء بالصيد! فقال له بابك: إذا شئت فانفذ ليركبا بالغداة، وكتب ابن سنباط إلى أبي سعيد وبوزباره يعلمهما ما قد عزم عليه، ويأمرهما أن يوافياه، واحد من هذا الجانب من الجبل والآخر من الجانب الآخر في عسكرهما وأن يسيرا متكئين مع صلاة الصبح، فإذا جاءهما رسوله أشرفا على الوادي، فأنحدروا عليه إذا رأوهم وأخذوهم.

فلما ركب ابن سنباط وبابك بالغداة وجه ابن سنباط رسولا إلى أبي سعيد ورسولا إلى بو زباره، وقال لكل رسول: جئ بهذا إلى موضع كذا، وجئ بهذا إلى موضع كذا، فأشرفا علينا، فإذا رأيتونا فقولوا: هم هؤلاء خذوهم، وأراد أن يشبه على بابك، فيقول: هذه خيل جاءت، فأخذتنا، ولم يحب أن يدفعه إليهما من منزله، فصار الرسولان إلى أبي سعيد وبو زباره، فضيا بهما حتى أشرفا على الوادي، فإذا هما ببابك وابن سنباط، فنظرا إليه وانحدرا وأصحابهما عليه، هذا من هاهنا، وهذا من هاهنا، وأخذاهما ومعهما البواشيق، وعلى بابك دراعة بيضاء وعمامة بيضاء، وخف قصير ويقال كان بيده باسق، فلما نظر إلى العساكر قد أهدت به وقف، فنظر إليهما، فقالا له: انزل، فقال: ومن أنتم؟ فقال أحدهما: أنا أبو سعيد، والآخر: أنا بو زباره، فقال: نعم، وثني رجله، فنزل، وكان ابن سنباط ينظر إليه، ورفع رأسه إلى ابن سنباط فشمته، وقال: إنما بعثني لليهود بالشيء اليسير، لو أردت المال وطلبت له لأعطيتك أكثر مما يعطيك هؤلاء، فقال له أبو سعيد: قم فاركب، قال: نعم.

فحملوه وجاءوا به إلى الأفشين، فلما قرب من العسكر صعد الأفشين برزند، فضربت له خيمة على برزند، وأمر الناس فاصطفوا صفين، وجلس الأفشين في فارة، وجاءوا به، وأمر الأفشين ألا يتركوا عربيا يدخل بين الصفين فرقا أن يقتله إنسان أو يجرحه ممن قتل أولياءه، أو صنع به داهية.

وكان قد صار إلى الأفشين نساء كثير وصبيان، ذكروا أن بابك كان أسرهم، وأنهم أحرار من العرب والدهاقين، فأمر الأفشين فجعلت لهم حظيرة كبيرة، وأسكنهم فيها، وأجرى لهم الخبز، وأمرهم أن يكتبوا إلى أوليائهم حيث كانوا، فكان كل من جاء فعرف امرأة أو صبيا أو جارية، وأقام شاهدين أنه يعرفها وأنها حرمة له أو قرابة دفعها إليه، فجاء الناس، فأخذوا منهم خلقا كثيرا، وبقي منهم ناس كثير ينتظرون أن يجيء أوليائهم.

ولما كان ذلك اليوم الذي أمر الأفشين الناس أن يصطفوا، فصار بين بابك وبينه قدر نصف ميل، أنزل بابك يمشي بين الصفين في دراعته وعمامته وخفيه، حتى جاء فوقف بين يدي الأفشين فنظر إليه الأفشين، ثم قال: انزلوا به إلى العسكر، فنزلوا به راكبا، فلما نظر النساء والصبيان الذين في الحظيرة إليه لطموا على وجوههم، وصاحوا وبكوا حتى ارتفعت أصواتهم، فقال لهم الأفشين: أنتم بالأمس، تقولون أسرنا، وأنتم اليوم تبكون عليه! عليكم لعنة الله قالوا: كان يحسن إلينا فأمر به الأفشين فأدخل بيتا، ووكل به رجالا من أصحابه. وكان عبد الله أخو بابك لما أقام بابك عند ابن سنباط، صار إلى عيسى

ابن يوسف بن اصطفانوس، فلما أخذ الأفشين بابك، وصيره معه في عسكره ووكل به، أعلم بمكان عبد الله أنه عند ابن اصطفانوس، فكتب الأفشين إلى ابن اصطفانوس أن يوجه إليه بعبد الله، فوجه به ابن اصطفانوس إلى الأفشين، فلما صار في يد الأفشين حبسه مع أخيه في بيت واحد، ووكل بهما قوما يحفظونهما.

وكتب الأفشين إلى المعتصم بأخذه بابك وأخاه، فكتب المعتصم إليه يأمره بالقدوم بهما عليه، فلما أراد أن يسير إلى العراق وجه إلى بابك فقال: إني أريد أن أسافر بك، فانظر ما تشتهي من بلاد أذربيجان، فقال: أشتهي أن أنظر إلى مدينتي فوجه معه الأفشين قوما في ليلة مغمرة إلى البذ حتى دار فيه، ونظر إلى القتلى والبيوت إلى وقت الصبح، ثم رده إلى الأفشين، وكان الأفشين قد وكل به رجلا من أصحابه فاستعفاه منه بابك، فقال له الأفشين: لم استعفيت منه؟ قال: يجيء ويده ملأى غمرا، حتى ينام عند رأسي فيؤذني ريحها فأعفاه منه وكان وصول بابك إلى الأفشين ببرزند لعشر خلون من شوال بين بو زباره وديوداذ. وجج بالناس في هذه السنة محمد بن داود.

٩٠٥ سنه ثلاث وعشرين ومائتين

٩٠٥١ ذكر خبر قدوم الافشين ببابك على المعتصم

ثم دخلت

سنة ثلاث وعشرين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر خبر قدوم الأفشين ببابك على المعتصم

فمن ذلك قدوم الأفشين على المعتصم ببابك وأخيه، ذكر أن قدومه عليه به كان ليلة الخميس لثلاث خلون من صفر بسامرا، وأن المعتصم كان يوجه إلى الأفشين كل يوم من حين فصل من برزند إلى أن وافى سامرا فرسا وخلعة، وأن المعتصم لعنائه بأمر بابك وأخباره ولفساد الطريق بالثلج وغيره، جعل من سامرا إلى عقبة حلوان خيلا مضمرة، على رأس كل فرسخ فرسا معه مكر مرتب، فكان يركض بالخبر ركضا حتى يؤديه من واحد إلى واحد، يدا يدا، وكان ما خلف حلوان إلى أذربيجان قد رتبوا فيه المرح، فكان يركض بها يوما أو يومين ثم تبدل ويصير غيرها، ويحمل عليها غلمان من أصحاب المرح كل دابة على رأس فرسخ، وجعل لهم دياذبة على رؤوس الجبال بالليل والنهار، وأمرهم أن ينعموا إذا جاءهم الخبر، فإذا سمع الذي يليه النعيم تهيأ فلا يبلغ إليه صاحبه الذي نعر حتى يقف له على الطريق، فيأخذ الخريطة منه، فكانت الخريطة تصل من عسكر الأفشين إلى سامرا في أربعة أيام وأقل، فلما صار الأفشين بقناطر حذيفة تلقاه هارون بن المعتصم وأهل بيت المعتصم، فلما صار الأفشين ببابك إلى سامرا أنزله الأفشين في قصره بالمطيرة، فلما كان في جوف الليل ذهب أحمد بن أبي دواد متنكرا، فرآه وكلمه، ثم رجع إلى المعتصم، فوصفه له، فلم يصبر المعتصم حتى ركب إليه بين الحائطين في الحير، فدخل إليه متنكرا، ونظر إليه وتأمله، وبابك لا يعرفه، فلما كان من غد قعد له المعتصم يوم اثنين أو خميس، واصطف الناس من باب العامة إلى المطيرة، وأراد المعتصم أن يشهره ويريه الناس، فقال: على أي شيء يحمل هذا؟ وكيف يشهر! فقال حزام: يا أمير المؤمنين، لا شيء أشهر من الفيل، فقال: صدقت، فأمر بتهيئة الفيل، وأمر به فجعل في قباء ديباج وقلنسوة سمور مدورة، وهو وحده، فقال محمد بن عبد الملك الزيات:

قد خضب الفيل كمعاداته ... يحمل شيطان خراسان

والفيل لا تخضب أعضائه ... إلا لذي شأن من الشأن

فاستشرفه الناس من المطيرة إلى باب العامة، فأدخل دار العامة إلى أمير المؤمنين، وأحضر جزارا ليقطع يديه ورجليه، ثم أمر أن يحضر سيفه، فخرج الحاجب من باب العامة، وهو ينادى: نودنود- وهو اسم سيف بابك- فارتفعت الصيحة بنودنود حتى حضر، فدخل دار العامة، فأمره أمير المؤمنين أن يقطع يديه ورجليه، فقطعهما فسقط، وأمر أمير المؤمنين بذبحه وشق بطن أحدهما، ووجه برأسه إلى خراسان، وصلب بدنه بسامرا عند العقبة، فوضع خشبته مشهور، وأمر بحمل أخيه عبد الله مع ابن شروين الطبري إلى إسحاق بن إبراهيم خليفته بمدينة السلام، وأمره بضرب عنقه، وأن يفعل به مثل ما فعل بأخيه، وصلبه، فلما صار به الطبري إلى البردان، نزل به ابن شروين في قصر البردان، فقال عبد الله أخو بابك لابن شروين: من أنت؟

فقال: ابن شروين ملك طبرستان، فقال: الحمد لله الذي وفق لي رجلا من الدهاقين يتولى قتلي قال: إنما يتولى قتلك هذا- وكان عنده نودنود، وهو الذي قتل بابك- فقال له: أنت صاحبي، وإنما هذا علي، فأخبرني، أأمرت أن تطعمني شيئا أم لا؟ قال: قل ما شئت، قال: اضرب لي فالودجة، قال: فأمر فضربت له فالودجة في جوف الليل، فأكل منها حتى تملأ، ثم قال: يا أبا فلان، ستعلم غدا أنني دهقان إن شاء الله ثم قال: تقدر أن تسقيني نبيذا؟ قال: نعم، ولا تكثر، قال: فإني لا أكثُر، قال: فأحضر أربعة أرطال نحر، فقعد فشربها على مهل إلى قريب من الصبح، ثم رحل

في السحر، فوافى به مدينة السلام، ووافى به راس الجسر، وأمر إسحاق ابن إبراهيم بقطع يديه ورجليه، فلم ينطق ولم يتكلم، وأمر بصلبه فصلب في الجانب الشرقي بين الجسرين بمدينة السلام وذكر عن طوق بن أحمد، أن بابك لما هرب صار إلى سهل بن سنباط فوجه الأفشين أبا سعيد وبو زباره، فأخذه منه، فبعث سهل مع بابك بمعاوية ابنه إلى الأفشين، فأمر لمعاوية بمائة ألف درهم، وأمر لسهل بألف ألف درهم استخرجها له من أمير المؤمنين، ومنطقة مغرقة بالجواهر وتاج البطرقة، فبطرق سهل بهذا السبب، والذي كان عنده عبد الله أخو بابك عيسى بن يوسف المعروف بابن أخت اصطفانوس ملك البيلقان.

وذكر عن محمد بن عمران كاتب علي بن مر، قال: حدثني علي بن مر، عن رجل من الصعاليك يقال له مطر، قال: كان والله يا أبا الحسن بابك ابني، قلت: وكيف؟ قال: كما مع ابن الرواد، وكانت أمه ترتوميد العوراء من علوج ابن الرواد، فكنت انزل عليها، وكانت

مصكة، فكانت تخدمني وتغسل ثيابي، فنظرت إليها يوما، فواثبتها بشبق السفر وطول الغربة، فأقررت في رحمها ثم قال: غبنا غيبة بعد ذلك، ثم قدمنا فإذا هي تطلبني، فنزلت في منزل آخر، فصارت إلي يوما، فقالت: حين ملات بطني تنزل هاهنا وتتركني! فأذاعت أنه مني، فقلت: والله لئن ذكرتني لأقتلنك، فأمسكت عني، فهو والله ابني.

وكان يجزي الأفشين في مقامه بإزاء بابك سوى الأرزاق، والأنزال والمعاون في كل يوم يركب فيه عشرة آلاف درهم. وفي كل يوم لا يركب فيه خمسة آلاف درهم وكان جميع من قتل بابك في عشرين سنة مائتي ألف وخمسة وخمسين

٩٠٥٢ ذكر خبر إيقاع الروم باهل زبطره

ألفا وخمسمائة إنسان وغلب يحيى بن معاذ وعيسى بن محمد بن أبي خالد وأحمد بن الجنيد، وأسرهم وزريق بن علي بن صدقة ومحمد بن حميد الطوسي وإبراهيم بن الليث، وأسر مع بابك ثلاثة آلاف وثلاثمائة وتسعة أناس، واستنقذ ممن كان في يده من المسلمات وأولادهم سبعة آلاف وستمائة إنسان، وعدة من صار في يد الأفشين من بني بابك سبعة عشر رجلا ومن البنات والكات ثلاث وعشرون امرأة، فتوج المعتصم الأفشين وألبسه وشاحين بالجواهر، ووصله بعشرين ألف ألف درهم، منها عشرة آلاف ألف صلة وعشرة آلاف ألف درهم يفرقها في أهل عسكره، وعقد له على السند وأدخل عليه الشعراء يمدحونه، وأمر للشعراء بصلات، وذلك يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر، وكان مما قيل فيه قول أبي تمام الطائي:

بذ الجلال البذ فهو دفين ... ما ان به إلا الوحوش قطين
لم يقر هذا السيف هذا الصبر في ... هيجاء إلا عز هذا الدين
قد كان عذرة سودد فافتضاها ... بالسيف فحل المشرق الأفشين
فأعادها تعوي الثعالب وسطها ... ولقد ترى بالأمس وهي عرين
هطلت عليها من جماجم أهلها ... ديم إمارتها طلى وشئون
كانت من المهجات قبل مفازة ... عسرا، فأضحت وهي منه معين.

ذكر خبر إيقاع الروم باهل زبطره

وفي هذه السنة أوقع توفيل بن ميخائيل صاحب الروم بأهل زبطرة، فأسرهم وخرّب بلدهم، ومضى من فوره إلى ملطية فأغار على أهلها وعلى أهل حصون من حصون المسلمين، إلى غير ذلك، وسبا من المسلمات - فيما قيل - أكثر من ألف امرأة، ومثل بمن صار في يده من المسلمين، وسمل أعينهم، وقطع آذانهم وآنافهم.

ذكر الخبر عن سبب فعل صاحب الروم بالمسلمين ما فعل من ذلك:

ذكر الخبر عن سبب فعل صاحب الروم بالمسلمين ما فعل من ذلك:

ذكر أن السبب في ذلك كان ما لحق بابك من تضيق الأفشين عليه وإشرافه على الهلاك، وقهر الأفشين إياه، فلما أشرف على الهلاك، وأيقن بالضعف من نفسه عن حربه، كتب إلى ملك الروم توفيل بن ميخائيل بن جورجس، يعلمه أن ملك العرب قد وجه عساكره ومقاتلته إليه حتى وجه خياطه - يعني جعفر بن دينار - وطباخه - يعني إيتاخ - ولم يبق على بابه أحد، فإن أردت الخروج إليه فاعلم أنه ليس في وجهك أحد يمنحك، طمعا منه بكتابه ذلك إليه في أن ملك الروم أن تحرك انكشف عنه بعض ما هو فيه بصرف المعتصم بعض من بإزائه من جيوشه إلى ملك الروم، واشتغاله به عنه.

فذكر أن توفيل خرج في مائة ألف - وقيل أكثر - فيهم من الجند نيف وسبعون ألفا، وبقيتهم أتباع حتى صار إلى زبطرة، ومعه من الحمرة الذين كانوا خرجوا بالجبال فلحقوا بالروم حين قاتلهم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب جماعة رئيسهم بارسيس وكان ملك الروم قد فرض لهم، وزوجهم وصيرهم مقاتلة يستعين بهم في أهم أموره إليه، فلما دخل ملك الروم زبطرة وقتل الرجال الذين فيها، وسبي

الذراي والنساء التي فيها وأحرقها، بلغ النفير- فيما ذكر- إلى سامرا، وخرج أهل ثغور الشام والجزيرة وأهل الجزيرة إلا من لم يكن عنده دابة ولا سلاح، واستعظم المعتصم ذلك.

فذكر أنه لما انتهى إليه الخبر بذلك صاح في قصره النفير، ثم ركب دابته وسمط خلفه شكالا وسكة حديد وحقيية، فلم يستقم له أن يخرج إلا بعد التعبئة، فجلس- فيما ذكر- في دار العامة، وقد أحضر من أهل مدينة السلام قاضيا عبد الرحمن بن إسحاق وشعيب بن سهل، ومعهما ثلاثمائة وثمانية وعشرون رجلا من أهل العدالة، فأشهدهم على ما وقف من الضياع، فجعل ثلثا لولده، وثلثا لله، وثلثا لمواليه ثم عسكر بغربي دجلة، وذلك يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الأولى

٩٥٠٣ ذكر الخبر عن فتح عموريه

ووجه عجيف بن عنبسة وعمرا الفرغاني ومحمد كوته وجماعة من القواد إلى زبطرة إعانة لأهلها، فوجدوا ملك الروم قد انصرف إلى بلاده بعد ما فعل ما قد ذكرناه، فوقفوا قليلا، حتى تراجع الناس إلى قراهم، واطمأنوا فلما ظفر المعتصم ببابك، قال: أي بلاد الروم أمني وأحصن؟

فقال: عمورية، لم يعرض لها أحد من المسلمين منذ كان الإسلام، وهي عين النصرانية وبنكها، وهي اشرف عندهم من القسطنطينية. ذكر الخبر عن فتح عموريه

وفي هذه السنة شخص المعتصم غازيا إلى بلاد الروم وقيل كان شخصه إليها من سامرا في سنة أربع وعشرين ومائتين- وقيل في سنة اثنتين وعشرين ومائتين- بعد قتله ببابك.

فذكر أنه تجهز جهازا لم يتجهز مثله قبله خليفة قط، من السلاح والعدد والآلة وحياض الأدم والبغال والروايا والقرب وآلة الحديد والنفظ، وجعل على مقدمته أشناس، ويتلوه محمد بن إبراهيم، وعلى ميمنته إيتاخ، وعلى ميسرته جعفر بن دينار بن عبد الله الخياط، وعلى القلب عجيف بن عنبسة.

ولما دخل بلاد الروم أقام على نهر اللبس، وهو على سلوقية قريبا من البحر، بينه وبين طرسوس مسيرة يوم، وعليه يكون الفداء إذا فودي بين المسلمين والروم، وأمضى المعتصم الأفشين خيذر بن كاوس إلى سروج، وأمره بالبروز منها والدخول من درب الحدث، وسمى له يوما أمره أن يكون دخوله فيه، وقدر لعسكره وعسكر أشناس يوما جعله بينه وبين اليوم الذي يدخل فيه الأفشين، بقدر ما بين المسافتين إلى الموضع الذي رأى أن يجتمع العساكر فيه- وهو أنقرة- ودير النزول على أنقرة، فإذا فتحها الله عليه صار إلى عمورية، إذ لم يكن شيء مما يقصد له من بلاد الروم أعظم من هاتين المدينتين، ولا أخرى أن تجعل غايته التي يؤمها.

وأمر المعتصم أشناس أن يدخل من درب طرسوس، وأمره بانتظاره بالصفصاف فكان شخص أشناس يوم الأربعاء ثمان بقين من رجب، وقدم المعتصم وصيفا في أثر أشناس على مقدمات المعتصم، ورحل المعتصم يوم الجمعة لست بقين من رجب.

فلما صار أشناس بمرج الأسقف، ورد عليه كتاب المعتصم من المطامير يعلمه أن الملك بين يديه، وأنه يريد أن يجوز العساكر اللبس، فيقف على المخاضة، فيكبسهم، ويأمره بالمقام بمرج الأسقف- وكان جعفر بن دينار على ساقعة المعتصم- وأعلم المعتصم أشناس في كتابه أن ينتظر موافاة الساقعة، لأن فيها الأثقال والمجانيق والزاد وغير ذلك، وكان ذلك بعد في مضيق الدرب لم يخلص، ويأمره بالمقام إلى أن يتخلص صاحب الساقعة من مضيق الدرب بمن معه، ويصح حتى يصير في بلاد الروم.

فأقام أشناس بمرج الأسقف ثلاثة أيام، حتى ورد كتاب المعتصم، يأمره أن يوجه قائدا من قواده في سرية يلتمسون رجلا من الروم، يسألونه عن خبر الملك ومن معه، فوجه أشناس عمرا الفرغاني في مائتي فارس، فساروا ليلتهم حتى أتوا حصن قرة نفرجوا يلتمسون رجلا من حول الحصن، فلم يمكن ذلك، ونذر بهم صاحب قرة، نفرج في جميع فرسانه الذين كانوا معه بالقرة، وكمن في الجبل الذي فيما بين قرة ودرة، وهو جبل كبير يحيط برستاق يسمى رستاق قرة، وعلم عمرو الفرغاني أن صاحب قرة قد نذر بهم، فتقدم إلى درة، فكمن بها ليلته، فلما انفجر عمود الصبح صير عسكره ثلاثة كرايس، وأمرهم أن يركضوا ركضا سريعا، بقدر ما يأتونه بأسير عنده خبر

الملك، ووعدهم أن يوافوه به في بعض المواضع التي عرفها الأدلاء، ووجه مع كل كردوس دليلين وخرجوا مع الصبح، فتفرقوا في ثلاثة وجوه، فأخذوا عدة من الروم، بعضهم من أهل عسكر الملك، وبعضهم من الضواحي، وأخذ عمرو رجلا من الروم من فرسان أهل القرة، فسأله عن الخبر، فأخبره أن الملك وعسكره بالقرب منه وراء اللبس بأربعة فرائخ، وأن صاحب قرة نذر بهم في ليلتهم هذه، وأنه ركب فكمّن في هذا الجبل فوق رؤوسهم، فلم يزل عمرو في الموضع الذي كان وعد فيه أصحابه، وأمر الأدلاء الذين معه أن يتفرقوا في رؤوس الجبال، وأن يشرفوا على الكراديس الذين وجههم إشفافا أن يخالفهم صاحب قرة إلى أحد الكراديس، فرآهم الأدلاء، ولوحوا لهم، فأقبلوا فتوافوا هم وعمرو في موضع غير الموضع الذي كانوا اتعدوا له، ثم نزلوا قليلا، ثم ارتحلوا يريدون العسكر، وقد أخذوا عدة ممن كان في عسكر الملك، فصاروا إلى أشناس في اللبس، فسألهم عن الخبر، فأخبروه أن الملك مقيم منذ أكثر من ثلاثين يوما ينتظر عبور المعتصم ومقدمته باللبس، فيواقعهم من وراء اللبس، وأنه جاء الخبر قريبا، أنه قد رحل من ناحية الأرمنياق عسكر ضخم، وتوسط البلاد- يعني عسكر الأفشين- وأنه قد صار خلفه.

فأمر الملك رجلا من أهل بيته ابن خاله، فاستخلفه على عسكره، وخرج ملك الروم في طائفة من عسكره يريد ناحية الأفشين، فوجه أشناس بذلك الرجل الذي أخبره بهذا الخبر إلى المعتصم، فأخبره بالخبر، فوجه المعتصم من عسكره قوما من الأدلاء، وضمن لهم لكل رجل منهم عشرة آلاف درهم، على أن يوافوا بكتاب الأفشين، وأعلمه فيه أن أمير المؤمنين مقيم، فليقم إشفافا من أن يواقع ملك الروم وكتب إلى أشناس كتابا يأمره أن يوجه من قبله رسولا من الأدلاء الذين يعرفون الجبال والطرق والمشبهة بالروم، وضمن لكل رجل منهم عشرة آلاف درهم إن هو أوصل الكتاب، ويكتب إليه أن ملك الروم قد أقبل نحوه فليقم مكانه حتى يوافيه كتاب أمير المؤمنين. فتوجهت الرسل إلى ناحية الأفشين، فلم يلحقه أحد منهم، وذلك أنه كان

وغل في بلاد الروم، وتوافت آلات المعتصم وأثقاله مع صاحب الساقة إلى العسكر، فكتب إلى أشناس يأمره بالتقدم، فتقدم أشناس والمعتصم من ورائه، بينهم مرحلة، ينزل هذا ويرحل هذا ولم يرد عليهم من الأفشين خبر، حتى صاروا من أنقرة على مسيرة ثلاث مراحل، وضاق عسكر المعتصم ضيقا شديدا من الماء والعلف سنة ٢٢٣ وكان أشناس قد أسر عدة أسرى في طريقه، فأمر بهم فضربت أعناقهم حتى بقي منهم شيخ كبير، فقال الشيخ: ما تنتفع بقتلي، وأنت في هذا الضيق، وعسكرك أيضا في ضيق من الماء والزاد، وهاهنا قوم قد هربوا من أنقرة خوفا من أن ينزل بهم ملك العرب، وهم بالقرب منا هاهنا، معهم من الميرة والطعام والشعير شيء كثير، فوجه معي قوما لأدفعهم إليهم، وخل سبيلي! فنادى منادي أشناس: من كان به نشاط فليركب، فركب معه قريب من خمسمائة فارس، فخرج أشناس حتى صار من العسكر على ميل، وبرز معه من نشط من الناس، ثم برز فضرب دابته بالسوط، فركض قريبا من ميلين ركضا شديدا، ثم وقف ينظر إلى أصحابه خلفه، فن لم يلحق بالكردوس لضعف دابته رده إلى العسكر، ودفع الرجل الأسير إلى مالك بن كيدر، وقال له: متى ما أراك هذا سبيا وغنيمة كثيرة نخل سبيله على ما ضمنا له فسار بهم الشيخ إلى وقت العتمة، فأوردتهم على واد وحشيش كثير، فأمرج الناس دوابهم في الحشيش حتى شبت، وتعثى الناس وشربوا حتى رووا، ثم سار بهم حتى أخرجهم من الغيضة، وسار أشناس من موضعه الذي كان به متوجها إلى أنقرة.

وأمر مالك بن كيدر والأدلاء الذين معه أن يوافوه بأنقرة، فسار بهم الشيخ العليج بقية ليلتهم يدور بهم في جبل ليس يخرجهم منه، فقال الأدلاء

لمالك بن كيدر: هذا الرجل يدور بنا، فسأله مالك عما ذكر الأدلاء، فقال: صدقوا، القوم الذين تريدكم خارج الجبل، وأخاف أن أخرج من الجبل بالليل فيسمعوا صوت حوافر الخيل على الصخر، فيهربوا، فإذا خرجنا من الجبل ولم نر أحدا قتلي، ولكن أدور بك في هذا الجبل إلى الصبح، فإذا أصبحنا خرجنا إليهم، فأريتكم إياهم حتى آمن ألا تقتلني فقال له مالك:

ويحك! فأنزلنا في هذا الجبل حتى نستريح، فقال: رأيك، فنزل مالك ونزل الناس على الصخرة، وأمسكوا لجم دوابهم حتى انفجر الصبح، فلما طلع الفجر قال: وجهوا رجلين يصعدان هذا الجبل، فينظران ما فوقه، فيأخذان من أدركا فيه، فصعد أربعة من الرجال، فأصابوا رجلا وامرأة، فانزلوهما، فسألهما العليج: أين بات أهل أنقرة؟ فسموا لهم الموضع الذي باتوا فيه، فقال للملك: خل عن هذين،

فإننا قد أعطيناها الأمان حتى دلونا، نفلى مالك عنهما، ثم سار بهم العليج إلى الموضع الذي سماه لهم، فأشرف بهم على العسكر عسكر أهل أنقرة، وهم في طرف ملاحه، فلما رأوا العسكر صاحوا بالنساء والصبيان، فدخلوا الملاحه، ووقفوا لهم على طرف الملاحه يقاتلون بالقنا، ولم يكن موضع حجارة ولا موضع خيل، وأخذوا منهم عدة أسرى، وأصابوا في الأسرى عدة بهم جراحات عتق من جراحات متقدمة، فساءلوه عن تلك الجراحات، فقالوا: كنا في وقعة الملك مع الأفشين، فقالوا لهم:

حدثونا بالقضية فأخبروهم أن الملك كان معسكرا على أربعة فراسخ من اللبس، حتى جاءه رسول، أن عسكرا ضخما قد دخل من ناحية الأرمنياق، فاستخلف على عسكره رجلا من أهل بيته، وأمره بالمقام في موضعه، فإن ورد عليه مقدمة ملك العرب، واقعه إلى أن يذهب هو فيواقع العسكر الذي دخل الأرمنياق- يعني عسكر الأفشين- فقال أميرهم: نعم، وكنت ممن سار مع الملك، فواقعنهم صلاة الغداة فهزمنهم، وقتلنا رجالهم كلهم، وتقطعت عساكرنا في طلبهم، فلما كان الظهر رجع فرسانهم، فقاتلونا قتالا شديدا حتى حرقوا عسكرنا، واختلطوا بنا واختلطنا بهم، فلم ندر في أي كردوس الملك! فلم نزل كذلك إلى وقت العصر، ثم رجعنا إلى موضع عسكر الملك الذي كنا فيه فلم نصادفه، فرجعنا إلى موضع معسكر الملك الذي خلفه على اللبس، فوجدنا العسكر قد انتقض، وانصرف الناس عن الرجل قرابة الملك الذي كان الملك استخلفه على العسكر، فأقننا على ذلك ليلتنا، فلما كان الغد، وافانا الملك في جماعة يسيرة، فوجد عسكره قد اختل، وأخذ الذي استخلفه على العسكر، فضرب عنقه، وكتب إلى المدن والحصون ألا يأخذوا رجلا ممن انصرف من عسكر الملك إلا ضربه بالسياط، أو يرجع إلى موضع سماه لهم الملك انحاز إليه ليجمع إليه الناس، ويعسكر به، ليناهض ملك العرب، ووجه خادما له خصيا إلى أنقرة على أن يقيم بها، ويحفظ أهلها إن نزل بها ملك العرب.

قال الأسير: فجاء الخصي إلى أنقرة، وجئنا معه، فإذا أنقرة قد عطلها أهلها، وهربوا منها، فكتب الخصي إلى ملك الروم يعلمه ذلك، فكتب إليه الملك يأمره بالمسير إلى عمورية.

قال: وسألت عن الموضع الذي قصد إليه أهلها- يعني أهل أنقرة- فقالوا لي: إنهم بالملاحه فلحقنا بهم.

قال مالك بن كيدر: فدعوا الناس كلهم، خذوا ما أخذتم، ودعوا الباقي، فترك الناس السبي والمقاتلة وانصرفوا راجعين يريدون عسكر أشناس، وساقوا في طريقهم غنما كثيرا وبقرا، وأطلق ذلك الشيخ الأسير مالك، وسار إلى عسكر أشناس بالأسرى، حتى لحق بأنقرة، فمكث أشناس يوما واحدا، ثم لحقه المعتصم من غد، فأخبره بالذي أخبره به الأسير، فسر المعتصم بذلك.

فلما كان اليوم الثالث جاءت البشرى من ناحية الأفشين يخبرون بالسلامة، وأنه وارد على أمير المؤمنين بأنقرة.

قال: ثم ورد على المعتصم الأفشين بعد ذلك اليوم بيوم بأنقرة، فأقاموا بها

أياما، ثم صير العسكر ثلاثة عساكر: عسكر فيه أشناس في الميسرة، والمعتصم في القلب، والأفشين في الميمنة، وبين كل عسكر وعسكر فرسخان، وأمر كل عسكر منهم أن يكون له ميمنة وميسرة، وأن يحرقوا القرى ويخربوها، ويأخذوا من لحقوا فيها من السبي، وإذا كان وقت النزول توافى كل أهل عسكر إلى صاحبهم ورئيسهم، يفعلون ذلك فيما بين أنقرة إلى عمورية، وبينهما سبع مراحل، حتى توافى العساكر بعمورية.

قال: فلما توافى العساكر بعمورية، كان أول من وردها أشناس، وردها يوم الخميس ضحوه، فدار حولها دورة، ثم نزل على ميلين منها بموضع فيه ماء وحشيش، فلما طلعت الشمس من الغد، ركب المعتصم، فدار حولها دورة، ثم جاء الأفشين في اليوم الثالث، فقسمها أمير المؤمنين بين القواد كما تدور، صير إلى كل واحد منهم أبراجا منها على قدر كثرة أصحابه وقتهم، وصار لكل قائد منهم ما بين البرجين إلى عشرين برجا، وتحصن أهل عمورية وتحزروا.

وكان رجل من المسلمين قد أسره أهل عمورية، فتنصر وتزوج فيهم، فحبس نفسه عند دخولهم الحصن، فلما رأى أمير المؤمنين ظهر وصار إلى المسلمين، وجاء إلى المعتصم، وأعلمه أن موضعا من المدينة حمل الوادي عليه من مطر جاءهم شديد، فحمل الماء عليه، فوقع السور من ذلك الموضع، فكتب ملك الروم إلى عامل عمورية أن يبني ذلك الموضع، فتوانى في بنائه حتى كان خروج الملك من القسطنطينية إلى بعض المواضع، فتخوف الوالي أن يمر الملك على تلك الناحية فيمر بالسور، فلا يراه بني، فوجه خلف الصانع فبنى وجهه السور بالحجارة حجرا حجرا، وصير وراءه من جانب المدينة حشوا، ثم عقد فوقه الشرف كما كان، فوقف ذلك الرجل المعتصم على هذه

الناحية التي وصف، فأمر المعتصم فضرب مضربه في ذلك الموضع، ونصب المجانيق على ذلك البناء، فانفرج السور من ذلك الموضع، فلما رأى أهل عمورية انفراج

السور، علقوا عليه الخشب الكبار، كل واحد بلزق الأخرى، فكان حجر المنجنيق إذا وقع على الخشب تكسر، فعلقوا خشبا غيره، وصيروا فوق الخشب البراذع ليرسوا السور.

فلما ألحت المجانيق على ذلك الموضع، انصدع السور، فكتب ياطس والخصي إلى ملك الروم، كتابا يعلمانه أمر السور، ووجها الكتاب مع رجل فصيح بالعربية وغلّام رومي، وأخرجاهما من الفصيل، فعبرا الخندق، ووقعا إلى ناحية أبناء الملوك المضمومين إلى عمرو الفرغاني، فلما خرجا من الخندق أنكروهما، فسألوهما، من أين أنتما؟ قالا لهم: نحن من أصحابكم، قالوا:

من أصحاب من أنتم؟ فلم يعرفا أحدا من قواد أهل العسكر يسميانه لهم، فأنكروهما، وجاءوا بهما إلى عمرو الفرغاني بن أربنخا، فوجه بهما عمرو إلى أشناس، فوجه بهما أشناس إلى المعتصم، فسألهما المعتصم، وقتشهما، فوجد معهما كتابا من ياطس إلى ملك الروم، يعلمه فيه أن العسكر قد أحاط بالمدينة في جمع كثير، وقد ضاق بهم الموضع وقد كان دخوله ذلك الموضع خطأ - وأنه قد اعتزم على أن يركب، ويحمل خاصة أصحابه على الدواب التي في الحصن، ويفتح الأبواب ليلا غفلة، ويخرج فيحمل على العسكر كائنا فيه ما كان، أفلت فيه من أفلت، وأصيب فيه من أصيب، حتى يتخلص من الحصار، ويصير إلى الملك.

فلما قرأ المعتصم الكتاب أمر للرجل الذي يتكلم منهما بالعربية والغلّام الرومي الذي معه بيدرة، فأسلها وخلع عليهما، وأمر بهما حين طلعت الشمس فأداروهما حول عموريه، فقالا: يا طس يكون في هذا البرج، فأمر بهما فوقا بجذء البرج الذي فيه ياطس طويلا، وبين أيديهما رجلان يحملان لهما الدراهم وعليهما الخلع، ومعهما الكتاب حتى فهمهما ياطس وجميع الروم، وشمّوهما من فوق السور، ثم أمر بهما المعتصم فنحوهما، وأمر المعتصم أن يكون الحراسة بينهم نواب، في كل ليلة يحضرها الفرسان، يبيتون على دوابهم بالسلاح وهم وقوف عليها، لئلا يفتح الباب ليلا، فيخرج من عمورية إنسان، فلم يزل الناس يبيتون كذلك نواب على ظهور الدواب في السلاح ودوابهم بسرّوجها، حتى انهدم السور ما بين برجين من الموضع الذي وصف للمعتصم أنه لم يحكم عمله.

وسمع أهل العسكر الوجبة فتشوفوا، وظنوا أن العدو قد خرج على بعض الكراديس حتى أرسل المعتصم من طاف على الناس في العسكر يعلمهم أن ذلك صوت السور وقد سقط، فطيبوا نفسا.

وكان المعتصم حين نزل عمورية ونظر إلى سعة خندقها وطول سورها، وكان قد استاق في طريقه غنما كثيرة، فدبر في ذلك أن يتخذ مجانيق كبارا على قدر ارتفاع السور، يسع كل منجنيق منها أربعة رجال، وعملها أوثق ما يكون وأحكمه، وجعلها على كراسي تحتها عجل، ودبر في ذلك أن يدفع الغنم إلى أهل العسكر إلى كل رجل شاة، فيأكل لحمها، ويحشو جلودها ترابا ثم يؤتى بالجلود مملوءة ترابا، حتى تطرح في الخندق.

ففعل ذلك بالخندق، وعمل دبابات كبارا تسع كل دبابة عشرة رجال، وأحكمها على أن يدرجها على الجلود المملوءة ترابا حتى يمتلئ الخندق، ففعل ذلك، وطرحت الجلود فلم تقع الجلود، مستوية منضدة خوفا منهم من حجارة الروم، فوقعت مختلفة، ولم يمكن تسويتها، فأمر أن يطرح فوقها التراب حتى استوت، ثم قدمت دبابة فدرجها، فلما صارت من الخندق في نصفه تعلقت بتلك الجلود، وبقي القوم فيها، فما تخلصوا منها إلا بعد جهد ثم مكثت تلك العجلة مقيمة هناك، لم يمكن فيها حيلة حتى فتحت عمورية، وبطلت الدبابات والمنجنيقات والسلايم وغير ذلك، حتى أحرقت.

فلما كان من الغد قاتلهم على الثلثة، وكان أول من بدأ بالحرب أشناس وأصحابه، وكان الموضع ضيقا، فلم يمكنهم الحرب فيه، فأمر المعتصم بالمنجنيقات الكبار التي كانت متفرقة حول السور، فجمع بعضها إلى بعض،

وصيرها حول الثلثة، وأمر أن يرمى ذلك الموضع، وكانت الحرب في اليوم الثاني على الأفشين وأصحابه، فأجادوا الحرب وتقدموا وكان المعتصم واقفا على دابته بإزاء الثلثة وأشناس وأفشين وخواص القواد معه، وكان باقي القواد الذين دون الخاصة وقوا رجالة، فقال المعتصم: ما كان أحسن الحرب اليوم! فقال عمرو الفرغاني: الحرب اليوم أجود منها أمس، وسمعها أشناس فأمسك، فلما انتصف

النهار، وانصرف المعتصم إلى مضربه، فتغدى وانصرف القواد إلى مضاربهم يتغدون، وقرب أشناس من باب مضربه، ترجل له القواد كما كانوا يفعلون، وفيهم عمرو الفرغاني وأحمد بن الخليل بن هشام، فمشوا بين يديه كعادتهم عند مضربه، فقال لهم أشناس: يا أولاد الزنا، أيش تمشون بين يدي! كان ينبغي أن تقاتلوا أمس حيث تقفون بين يدي أمير المؤمنين، فتقولون: أن الحرب اليوم أحسن منها أمس، كان أمس يقاتل غيركم، انصرفوا إلى مضاربكم فلما انصرف عمرو الفرغاني وأحمد بن الخليل بن هشام، قال أحدهما للآخر: أما ترى هذا العبد ابن الفاعلة- يعني أشناس- ما صنع بنا اليوم! أليس الدخول إلى بلاد الروم أهون من هذا الذي سمعناه اليوم! فقال عمرو الفرغاني لأحمد بن الخليل- وكان عند عمرو خبر-: يا أبا العباس، سيكفيك الله أمره، عن قريب أبشر فأوهم أحمد أن عنده خبراً، فأخ عليه أحمد يسأله، فأخبره بما هم فيه، وقال: إن العباس بن المأمون قد تم أمره، وسنباع له ظاهراً، ونقتل المعتصم وأشناس وغيرهما عن قريب ثم قال له: أشير عليك أن تأتي العباس، فتقدم فتكون في عداد من مال إليه فقال له أحمد:

هذا أمر لا أحسبه يتم، فقال له عمرو: قد تم وفرغ، وأرشدته إلى الحارث السمرقندي- قرابة سلمة بن عبيد الله بن الوضاح، وكان المتولي لإيصال الرجال إلى العباس وأخذ البيعة عليهم- فقال له عمرو: أنا أجمع بينك وبين الحارث حتى تصير في عداد أصحابنا، فقال له أحمد: أنا معكم إن كان هذا الأمر

يتم فيما بيننا وبين عشرة أيام، وإن جاوز ذلك فليس بيني وبينكم عمل، فذهب الحارث، فلقى العباس فأخبره أن عمرا قد ذكره لأحمد بن الخليل، فقال له:

ما كنت أحب أن يطلع الخليل على شيء من أمرنا، أمسكوا عنه.

ولا تتركوه في شيء من أمركم، دعوه بينهما فأمسكوا عنه فلما كان في اليوم الثالث كانت الحرب على أصحاب أمير المؤمنين خاصة، ومعهم المغاربة والأتراك، والقيم بذلك إيتاخ، فقاتلوا فأحسنوا واتسع لهم الموضع المنثل، فلم تزل الحرب كذلك حتى كثرت في الروم الجراحات.

وكان قواد ملك الروم عند ما نزل بهم عسكر المعتصم اقتسموا البروج، لكل قائد وأصحابه عدة أبرجة، وكان الموكل بالموضع الذي انثلم من السور رجلاً من قواد الروم يقال له وندوا، وتفسيره بالعربية ثور، فقاتل الرجل وأصحابه قتالاً شديداً بالليل والنهار والحرب عليه وعلى أصحابه، لم يمهده ياطس ولا غيره بأحد من الروم، فلما كان بالليل مضى القائد الموكل بالثلة إلى الروم، فقال: إن الحرب علي وعلى أصحابي، ولم يبق معي أحد إلا قد جرح، فصبروا أصحابكم على الثلة يرمون قليلاً، وإلا افتضحتم وذبحت المدينة فأبوا أن يمدوه بأحد، فقالوا: سلم السور من ناحيتنا، وليس نسألك أن تمدنا، فشأنك وناحيتك، فليس لك عندنا مدد فاعتزم هو وأصحابه على أن يخرجوا إلى أمير المؤمنين المعتصم، ويسألوه الأمان على الذرية، ويسلموا إليه الحصن بما فيه من الخرثي والمتاع والسلاح وغير ذلك.

فلما أصبح وكل أصحابه بجني الثلة، وخرج فقال: إني أريد أمير المؤمنين، وأمر أصحابه ألا يحاربوا حتى يعود إليهم، فخرج حتى وصل إلى المعتصم، فصار بين يديه، والناس يتقدمون إلى الثلة، وقد أمسك الروم عن الحرب حتى وصلوا إلى السور، والروم يقولون بأيديهم: لا تحيوا، وهم يتقدمون، ووندوا بين يدي المعتصم جالس، فدعا المعتصم

بفرس فحمله عليه، وقابل حتى صار الناس معهم على حرف الثلة، وعبد الوهاب ابن علي بين يدي المعتصم، فأوماً إلى الناس بيده: أن ادخلوا، فدخل الناس المدينة، فالتفت وندوا، وضرب بيده إلى لحيته، فقال له المعتصم: مالك؟

قال: جئت أريد أن أسمع كلامك وتسمع كلامي، فغدرت بي، فقال المعتصم: كل شيء تريد أن تقوله فهو لك علي، قل ما شئت، فإني لست أخالفك قال: أيش لا تخالفني وقد دخلوا المدينة! فقال المعتصم:

اضرب بيدك إلى ما شئت فهو لك، وقل ما شئت فإني أعطيكه فوقف في مضرب المعتصم وكان ياطس في برجه الذي هو فيه وحوله جماعة من الروم مجتمعين، وصارت طائفة منهم إلى كنيسة كبيرة في زاوية عمورية، فقاتلوا قتالاً شديداً، فأحرق الناس الكنيسة عليهم فاحترقوا عن آخرهم، وبقي ياطس في برجه حوله أصحابه، وباقي الروم وقد أخذتهم السيوف، فبين مقتول ومجروح، فركب المعتصم عند ذلك حتى جاء فوقف حذاء ياطس، وكان مما يلي عسكر أشناس، فصاحوا: يا ياطس، هذا أمير المؤمنين، فصاح الروم من فوق

البرج: ليس ياطس هاهنا، قالوا: بلى، قولوا له: إن أمير المؤمنين واقف، فقالوا: ليس ياطس هاهنا فر أمير المؤمنين مغضبا، فلما جاوز صاح الروم: هذا ياطس، هذا ياطس! فرجع المعتصم إلى حيال البرج حتى وقف، ثم أمر بتلك السلايم التي هيئت، فحمل سلم منها، فوضع على البرج الذي هو فيه، وصعد عليه الحسن الرومي- غلام لأبي سعيد محمد بن يوسف- وكله ياطس، فقال: هذا أمير المؤمنين، فانزل على حكمه، فنزل الحسن، فأخبر المعتصم أنه قد رآه وكله، فقال المعتصم:

قل له فلينزل، فصعد الحسن ثانية، فخرج ياطس من البرج متقلدا سيفاً حتى وقف على البرج والمعتصم ينظر إليه، فخلع سيفه من عنقه، فدفعه إلى الحسن، ثم نزل ياطس، فوقف بين يدي المعتصم، فقتله سوطاً، وانصرف المعتصم إلى مضربه، وقال: هاتوه، فشى قليلاً، ثم جاءه رسول المعتصم، أن احموه، فحموه، فذهب به إلى مضرب أمير المؤمنين

ثم أقبل الناس بالأسرى والسبي من كل وجه حتى امتلأ العسكر، فأمر المعتصم بسيل الترجمان أن يميز الأسرى، فيعزل منهم أهل الشرف والقدر من الروم في ناحية، ويعزل الباقين في ناحية، ففعل ذلك بسيل ثم أمر المعتصم فوكل بالمقاسم قواده، ووكل أشناس بما يخرج من ناحيته، وأمره أن ينادي عليه، ووكل الأفشين بما يخرج من ناحيته، وأمره أن ينادي ويبيع، وأمر إيتاخ بناحيته مثل ذلك، وجعفر الخياط بمثل ذلك في ناحيته، ووكل مع كل قائد من هؤلاء رجلاً من قبل أحمد بن أبي دودا يحصي عليه، فبيعت المقاسم في خمسة أيام، بيع منها ما استباح، وأمر بالباقي فضرب بالنار، وارتحل المعتصم منصرفاً إلى أرض طرسوس.

ولما كان يوم إيتاخ قبل أن يرتحل المعتصم منصرفاً، وثب الناس على المغنم الذي كان إيتاخ على بيعه، وهو اليوم الذي كان عجيف وعد الناس فيه أن يثب بالمعتصم، فركب المعتصم بنفسه ركضاً، وسل سيفه، فتنحى الناس عنه من بين يديه، وكفوا عن انتهاب المغنم، فرجع إلى مضربه، فلما كان من الغد أمر ألا ينادى على السبي إلا ثلاثة أصوات، ليتزوج البيع، فن زاد بعد ثلاثة أصوات، وإلا بيع العلق، فكان يفعل ذلك في اليوم الخامس، فكان ينادي على الرقيق خمسة خمسة، وعشرة عشرة، والمتاع الكثير جملة واحدة.

قال: وكان ملك الروم قد وجه رسولا في أول ما نزل المعتصم على عمورية فأمر به المعتصم فأنزل على موضع الماء الذي كان الناس يستقون منه، وكان بينه وبين عمورية ثلاثة أميال، ولم يأذن له في المصير إليه حتى فتح عمورية، فلما فتحها أذن له في الانصراف إلى ملك الروم، فانصرف وانصرف المعتصم يريد الثغور، وذلك أنه بلغه أن ملك الروم يريد الخروج في أثره، أو يريد التعث بالعسكر، فضى في طريق الجادة مرحلة، ثم رجع إلى عمورية، وأمر الناس بالرجوع، ثم عدل عن طريق الجادة إلى طريق وادي الجور،

ففرق الأسرى على القواد، ودفع إلى كل قائد من القواد طائفة منهم يحفظهم، ففرقهم القواد على أصحابهم، فساروا في طريق نحو من أربعين ميلاً، ليس فيه ماء، فكان كل من امتنع من الأسرى أن يمشي معهم لشدة العطش الذي أصابهم ضربوا عنقه، فدخل الناس في البرية في طريق وادي الجور فأصابهم العطش، فتساقط الناس والدواب وقتل بعض الأسرى بعض الجند وهرب.

وكان المعتصم قد تقدم العسكر، فاستقبل الناس، ومعه الماء قد حمله من الموضع الذي نزل، وهلك الناس في هذا الوادي من العطش، وقال الناس للمعتصم: إن هؤلاء الأسرى قد قتلوا بعض جندنا، فأمر عند ذلك بسيل الرومي بتمييز من له القدر منهم، فعزلوا ناحية، ثم أمر بالباقيين فأصعدوا إلى الجبال، وأنزلوا إلى الأودية فضربت أعناقهم جميعاً، وهم مقدار ستة آلاف رجل، قتلوا في موضعين بوادي الجور وموضع آخر.

ورحل المعتصم من ذلك الموضع يريد الثغر حتى دخل طرسوس، وكان قد نصب له الحياض من الأدم حول العسكر من الماء إلى العسكر بعمورية والحياض مملوءة، والناس يشربون منها لا يتعبون في طلب الماء.

وكانت الوقعة التي وقعت بين الأفشين وملك الروم- فيما ذكر- يوم الخميس لخمس بقين من شعبان وكانت إناخة المعتصم على عمورية يوم الجمعة لست خلون من شهر رمضان، وقفل بعد خمسة وخمسين يوماً.

وقال الحسين بن الضحاك الباهلي يمدح الأفشين، ويذكر وقعته التي كانت بينه وبين ملك الروم:

أثبت المعصوم عزاً لأبي ... حسن أثبت من ركن إضم
كل مجد دون ما أثله ... لبني كاوس أملاك العجم

إنما الأفشين سيف سله ... قدر الله بكف المعتصم

٩٠٥٠٤ ذكر خبر المعتصم مع العباس بن المأمون

لم يدع بالبد من ساكنة ... غير أمثال كأمثال إرم
ثم أهدى سلها بابكه ... رهن جليلين نجيا للندم
وقرا توفيل طعنا صادقا ... فض جميعه جميعا وهزم
قتل الأكثر منهم ونجا ... من نجا لحما على ظهر وضم
ذكر خبر المعتصم مع العباس بن المأمون

وفي هذه السنة حبس المعتصم العباس بن المأمون وأمر بلعنه.
ذكر الخبر عن سبب فعله ذلك:

ذكر أن السبب كان في ذلك أن عجيف بن عنبرة حين وجهه المعتصم إلى بلاد الروم، لما كان من أمر ملك الروم بزبطرة مع عمرو بن أربخا الفرغاني ومحمد كوته، لم يطلق يد عجيف في النفقات كما أطلقت يد الأفشين، واستقصر المعتصم أمر عجيف وأفعاله، واستبان ذلك لعجيف، فوَجَّع عجيف العباس على ما تقدم من فعله عند وفاة المأمون حين بايع أبا إسحاق وعلى تفريطه فيما فعل، وشجعه على أن يتلافى ما كان منه.

فقبل العباس ذلك، ودس رجلا يقال له الحارث السمرقندي، قرابة عبيد الله بن الوضاح - وكان العباس يأنس به، وكان الحارث رجلا أديبا له عقل ومدارة - فصوره العباس رسوله وسفيره إلى القواد، فكان يدور في العسكر حتى تألف له جماعة من القواد، وبايعوه وبايعه منهم خواص، وسمى لكل رجل من قواد المعتصم رجلا من ثقات أصحابه ممن بايعه، ووكله بذلك، وقال: إذا أمرنا بذلك، فليتب كل رجل منكم على من ضمنه أن يقتله، فضمنوا له ذلك، فكان يقول للرجل ممن بايعه: عليك يا فلان أن تقتل فلانا، فيقول: نعم، فوكل من بايعه من خاصة المعتصم بالمعتصم ومن خاصة الأفشين بالأفشين، ومن خاصه اشناس باشناس، ممن بايعه من

الأتراك، فضمنوا ذلك جميعا فلما أرادوا أن يدخلوا الدرب وهم يريدون أنقرة وعمورية، ودخل الأفشين من ناحية ملطية، أشار عجيف على العباس أن يثب على المعتصم في الدرب وهو في قلة من الناس، وقد تقطعت عنه العساكر، فيقتله ويرجع إلى بغداد، فكان الناس يفرحون بانصرافهم من الغزو، فأبى العباس عليه، وقال: لا أفسد هذه الغزاة، حتى دخلوا بلاد الروم، وافتتحوها عمورية، فقال عجيف للعباس: يا نائم، كم تنام! قد فتحت عمورية، والرجل ممكن، دس قوما ينتهبون هذا الخري، فإنه إذا بلغه ذلك ركب بسرعة، فتأمر بقتله هناك، فأبى عليه العباس، وقال، أنتظر حتى يصير إلى الدرب، فيخلو كما خلا في البداية، فهو أمكن منه هاهنا وكان عجيف قد أمر من ينتهب المتاع، فانتهب بعض الخري في عسكر إيتاخ.

فركب المعتصم وجاء ركضا، فسكن الناس، ولم يطلق العباس أحدا من أولئك الرجال الذين كان واعدهم، فلم يحدثوا شيئا، وكرهوا أن يفعلوا شيئا بغير أمره.

وكان عمرو الفرغاني قد بلغه الخبر ذلك اليوم، ولعمرو الفرغاني قرابة، غلام أمرد في خاصة المعتصم، فجاء الغلام إلى ولد عمرو يشرب عندهم تلك في الليلة، فأخبرهم أن أمير المؤمنين ركب مستعجلا، وأنه كان يعدو بين يديه، وقال: إن أمير المؤمنين قد غضب اليوم، فأمرني أن أسل سيفي، وقال:

لا يستقبلك أحد إلا ضربته، فسمع عمرو ذلك من الغلام، فأشفق عليه أن يصاب، فقال له: يا بني، أنت أحق، أقل من الكينونة عند أمير المؤمنين بالليل، والزم خيمتك، فإن سمعت صيحة مثل هذه الصيحة، أو شغبا أو شيئا فلا تبرح من خيمتك، فإنك غلام غر، لست تعرف بعد العساكر.
فعرف الغلام مقالة عمرو.

وارتحل المعتصم من عمورية يريد الثغر، ووجه الأفشين ابن الأقطع في طريق خلاف طريق المعتصم، وأمره أن يغير على موضع سماه له، وأن يوافيه في بعض الطريق، فضى ابن الأقطع، وتوجه المعتصم يريد الثغر، فسار حتى صار إلى موضع أقام فيه ليريح ويستريح، وليسلك الناس من المضيق الذي

بين أيديهم ووافى ابن الأقطع عسكر الأفشين بما أصاب من الغنائم، وكان عسكر المعتصم على حدة وعسكر الأفشين على حدة، بين كل عسكر قدر ميلين أو أكثر، واعتل أشناس فركب المعتصم صلاة الغداة يعود، فجاء إلى مضربه فعاذه، ولم يكن الأفشين لحقه بعد. ثم خرج المعتصم منصرفاً، فتلقيه الأفشين في الطريق، فقال له المعتصم:

تريد أبا جعفر وكان عمرو الفرغاني وأحمد بن الخليل عند منصرف المعتصم من عيادة أشناس توجهها إلى ناحية عسكر الأفشين لينظرا ما جاء به ابن الأقطع من السبي فيشتريا منه ما أعجبهما، فتوجهنا ناحية عسكر الأفشين ولقيهما الأفشين يريد أشناس - فترجلا، وسلما عليه، ونظر إليهما حاجب أشناس من بعد، فدخل الأفشين إلى أشناس، ثم انصرف، وتوجهنا إلى عسكر الأفشين، فلم يكن السبي أخرج بعد، فوقفا ناحية ينتظران أن ينادي على السبي، فيشتريا منه، ودخل حاجب أشناس على أشناس، فقال: إن عمرا الفرغاني وأحمد بن الخليل تلقيا الأفشين، وهما يريدان عسكره، فترجلا وسلما عليه، وتوجهنا إلى عسكره سنة ٢٢٣ فدعا أشناس محمد بن سعيد السعدي، فقال له: اذهب إلى عسكر الأفشين، فانظر هل ترى هناك عمرا الفرغاني وأحمد بن الخليل! وانظر عند من نزلا، وأي شيء قصتهما؟ فجاء محمد بن سعيد، فأصابهما واقفين على ظهور دوابهما فقال: ما أوقفكما هاهنا؟ قالوا: وقفنا ننتظر سبي ابن الأقطع يخرج، فنشتري بعضه، فقال لهما محمد بن سعيد: وكلا وكلا يشتري لكما، فقال:

لا نحب أن نشترى إلا ما نراه، فرجع محمد، فأخبر أشناس بذلك، فقال لحاجبه: قل لهؤلاء الزموا عسكركم: فهو خير لكم - يعني عمرا وابن الخليل - ولا تذهبوا هاهنا وهاهنا فذهب الحاجب إليهما، فأعلمهما، فاعتما لذلك واتفقا على أن يذهبا إلى صاحب خبر العسكر، فيستعفياه من أشناس، فصارا إلى صاحب الخبر، فقالوا: نحن عبيد أمير المؤمنين، يضمننا إلى من شاء، فإن هذا الرجل يستخف بنا، قد شتمنا وتوعدنا، ونحن نخاف أن يقدم علينا، فليضمننا أمير المؤمنين إلى من أحب

فأنهى صاحب الخبر ذلك إلى المعتصم من يومه، واتفق الرحيل صلاة الغداة، وكان إذا ارتحل الناس سارت العساكر على حياها، وسار أشناس والأفشين وجميع القواد في عسكر أمير المؤمنين، ووكلا خلفاءهم بالعساكر، فيسيرون بها وكان الأفشين على الميسره وأشناس على الميمنة، فلما ذهب أشناس إلى المعتصم، قال له: أحسن أدب عمرو الفرغاني وأحمد بن الخليل، فإنهما قد حمقا أنفسهما، فجاء اشناس ركضا إلى معسكره، فسأل عن عمرو وابن الخليل، فأصاب عمرا، وكان ابن الخليل قد مضى في الميسرة يبادر الروم، فجاءوه بعمرو الفرغاني، وقال: هاتوا سياطا، فكث طويلا مجردا ليس يؤتى بالسياط، فتقدم عمه إلى أشناس، فكله في عمرو - وكان عمه أعجميا - وعمرو واقف، فقال: احملاه، فالبسوه قباء طاق، فحملوه على بغل في قبة، وساروا به إلى العسكر، وجاء أحمد بن الخليل وهو يركض، فقال:

احبسوا هذا معه، فأنزل عن دابته، وصير عديله، ودفعنا إلى محمد بن سعيد السعدي يحفظهما، فكان يضرب لهما مضربا في فاقة وحجرة ومائدة، ويفرش لهما فرشاً وطية، وحوضاً من ماء وأثقالهما وغلانتهما في العسكر، لم يحرك منها شيء، فلم يزالا كذلك حتى صارا إلى جبل الصفصاف وكان أشناس على الساقة، وكان بغا على ساقه عسكر المعتصم، فلما صار بالصفصاف، وسمع الغلام الفرغاني قرابة عمرو بجبس عمرو، ذكر الغلام للمعتصم ما دار بينه وبين عمرو من الكلام في تلك الليلة، مما قال له عمرو، إذا رأيت شغبا فالزم خيمتك، فقال المعتصم لبغا: لا ترحل غدا حتى تجيء أشناس، فتأخذ منه عمرا، وتلحقني به، وكان هذا بالصفصاف.

فوقف بغا بأعلامه ينتظر أشناس، وجاء محمد بن سعيد ومعه عمرو وأحمد بن الخليل، فقال بغا لأشناس: أمرني أمير المؤمنين أن أوافيه بعمرو الساعة، فأنزل عمرو، وجعل مع أحمد بن الخليل في القبة رجل يعادله، ومضى بغا بعمرو إلى المعتصم، فأرسل أحمد بن الخليل غلاما من غلمانهم إلى عمرو، لينظر ما يصنع به، فرجع الغلام فاخبره انه ادخل على أمير المؤمنين، فكث ساعة

ثم دفع إلى إيتاخ، وكان أمير المؤمنين لما دخل ساء له عن الكلام الذي قاله للغلام قرابته، فأنكر وقال: هذا الغلام كان سكران، ولم يفهم ولم أقل شيئا مما ذكره، فأمر به فدفع إلى إيتاخ، وسار المعتصم حتى صار إلى باب مضايق البدندون، وأقام أشناس ثلاثة أيام

على مضيق البدندون ينتظر أن تتخلص عساكر أمير المؤمنين، لأنه كان على الساقية، فكتب أحمد بن الخليل إلى أشناس رقعة يعلمه أن لأمر المؤمنين عنده نصيحة، وأشناس مقيم على مضيق البدندون، فبعث إليه أشناس بأحمد بن الخصيب وابن سعيد محمد بن يوسف يسألانه عن النصيحة، فذكر أنه لا يخبر بها إلا أمير المؤمنين، فرجعا فأخبرا أشناس بذلك، فقال: أرجعا فاحلفا له: إني حلفت بحياة أمير المؤمنين، إن هو لم يخبرني بهذه النصيحة أن أضربه بالسياط حتى يموت، فرجعا فأخبرا أحمد بن الخليل بذلك.

فأخرج جميع من عنده، وبقي أحمد بن الخصيب وأبو سعيد فأخبرهما بما ألقى إليه عمرو الفرغاني من أمر العباس، وشرح لهما جميع ما كان عنده، وأخبرهما بخبر الحارث السمرقندي، فانصرفا إلى أشناس، فأخبراه بذلك، فبعث أشناس في طلب الحدادين، فجاءوا بحدادين من الجند، فدفع إليهما حديدا، فقال: اعملا لي قيدا مثل قيد أحمد بن الخليل، وعجلا به الساعة، ففعلا ذلك، فلما كان عنده حبسه، وكان حاجب أشناس يبيت عند أحمد بن الخليل مع محمد بن سعيد السعدي.

فلما كان تلك الليلة عند العتمة ذهب الحاجب إلى خيمته الحارث السمرقندي فأخبره منها، وجاء به إلى أشناس فقيده، وأمر الحاجب أن يحمله إلى أمير المؤمنين، فحمله الحاجب إليه، واتفق رحيل أشناس صلاة الغداة، فجاء أشناس إلى موضع معسكره، فتلقيه الحارث معه رجل من قبل المعتصم، وعليه خلع، فقال له أشناس: مه، فقال: القيد الذي كان في رجلي صار في

رجل العباس وسأل المعتصم الحارث حين صار إليه عن أمره، فأقر أنه كان صاحب خبر العباس، وأخبره بجميع أمره وجميع من بايع العباس من القواد فأطلق المعتصم الحارث وخلع عليه، ولم يصدق على أولئك القواد لكثرتهم وكثرة من سمي منهم.

وتحير المعتصم في أمر العباس، فدعا به حين خرج إلى الدرب فأطلقه ومناه، وأوهمه أنه قد صفح عنه، وتغدى معه، وصرفه إلى مضربه، ثم دعاه بالليل، فنادمه على النبيذ، وسقاه حتى أسكره، واستحلفه ألا يكتمه من أمره شيئا، فشرح له قصته، وسمى له جميع من كان دب في أمره، وكيف كان السبب في ذلك في كل واحد منهم، فكتبه المعتصم وحفظه، ثم دعا الحارث السمرقندي بعد ذلك، فسأله عن الأسباب، فقص عليه مثل ما قص عليه العباس، ثم أمر بعد ذلك بتقييد العباس، ثم قال للحارث: قد رضتكم على أن تكذب، فأجد السبيل إلى سفك دمك فلم تفعل، فقد أفلت، فقال له:

يا أمير المؤمنين، لست بصاحب كذب.

ثم دفع العباس إلى الأفشين، ثم تبع المعتصم أولئك القواد، فأخذوا جميعا، فأمر أن يحمل أحمد بن الخليل على بغل بإكاف بلا وطاء، ويطرح في الشمس إذا نزل، ويطعم في كل يوم رغيفا واحدا، وأخذ عجيف بن عنبسة فيمن أخذ من القواد، فدفع من سائر القواد إلى إيتاخ، ودفع ابن الخليل إلى أشناس، فكان عجيف وأصحابه يحملون في الطريق على بغال بإكاف بلا وطاء، وأخذ الشاه بن سهل - وهو الرأس ابن الرأس من أهل قرية من خراسان يقال لها سجستان - فدعا به المعتصم والعباس بين يديه، فقال له: يا بن الزانية، أحسنت إليك فلم تشكرا! فقال له الشاه بن سهل:

ابن الزانية هذا الذي بين يديك - يعني العباس - لو تركني هذا كنت أنت الساعة لا تقدر أن تقعد في هذا المجلس وتقول لي: يا بن الفاعلة؟ فأمر به المعتصم، فضربت عنقه، وهو أول من قتل من القواد ومعه صحبه، ودفع عجيف إلى إيتاخ فعلق عليه حديدا كثيرا وحمله على بغل في محمل بلا وطاء.

وأما العباس فكان في يدي الأفشين، فلما نزل المعتصم منبج - وكان العباس جائعا - سأل الطعام، فقدم إليه طعام كثير، فأكل فلما طلب الماء منع وأدرج في مسح، فمات بمنبج، وصلى عليه بعض إخوته.

وأما عمرو الفرغاني، فإنه لما نزل المعتصم بنصيبين في بستان، دعا صاحب البستان، فقال له: احفر بئرا في موضع أوماً إليه بقدر قامة، فبدأ صاحب البستان فحفرها، ثم دعا بعمرو والمعتصم جالس في البستان، قد شرب أقداحا من نبيذ، فلم يكلمه المعتصم، ولم يتكلم عمرو حتى مثل بين يديه، فقال: جردوه، فجرد، وضرب بالسياط ضربة الأتراك، والبئر تحفر، حتى إذا فرغ من حفرها قال صاحب البستان: قد حفرتها، فأمر المعتصم عند ذلك فضرب وجه عمرو وجسده بالخشب، فلم يزل يضرب حتى سقط، ثم قال:

جروه إلى البئر فاطرحوه فيها، فلم يتكلم عمرو ولم ينطق يومه ذلك، حتى مات فطرح في البئر، وطمت عليه.

وأما عجيف بن عنبسة، فلما صار بباعيناثا، فوق بلد قليلا، مات في المحمل، فطرح عند صاحب المسلحة، وأمر أن يدفن فيها، فجاء به إلى جانب حائط خرب فطرحه عليه فقبر هناك.

وذكر عن علي بن حسن اليريداني أنه قال: كان عجيف في يد محمد ابن إبراهيم بن مصعب، فسأله المعتصم عنه، فقال له: يا محمد، لم يمت عجيف؟ قال: يا سيدي اليوم يموت، ثم أتى محمد مضربه، فقال لعجيف يا أبا صالح، أي شيء تشتهي؟ قال أسفيدباج وحلوى فالودج، فأمر أن يعمل له من كل طعام، فأكل وطلب الماء فنع، فلم يزل يطلب وهو يسوق حتى مات، فدفن بباعيناثا.

قال: وأما التركي الذي كان ضمن للعباس قتل أشناس متى ما أمره العباس - وكان كريما على أشناس يناديه ولا يحجب عنه في ليل ولا نهار - فإنه أمر بحبسه، فحبسه أشناس قبله في بيت، وطين عليه الباب، وكان يلقي إليه في كل يوم رغيفا وكوز ماء، فأثاه ابنه في بعض أيامه، فكله من وراء الحائط، فقال له: يا بني، لو كنت تقدر لي على سكين كنت أقدر أن أتخلص من موضعي هذا، فلم يزل ابنه يتلطف في ذلك حتى أوصل إليه سكيناً، فقتل به نفسه.

وأما السندي بن بختاشه، فأمر المعتصم أن يوهب لأبيه بختاشه - لأن بختاشه لم يكن يتلطح بشيء من أمر العباس - فقال المعتصم: لا ينجع هذا الشيخ بابنه، فأمر بتخلية سبيله.

وأما أحمد بن الخليل، فإنه دفعه أشناس إلى محمد بن سعيد السعدي، فحفر له بئرا في الجزيرة بسامرا، فسأل عنه المعتصم يوما من الأيام، فقال لأشناس: ما فعل أحمد بن الخليل؟ فقال له أشناس: هو عند محمد بن سعيد السعدي، قد حفر له بئرا وأطبق عليه، وفتح له فيها كوة ليرمي إليه بالخبز والماء فقال المعتصم: هذا أحسبه قد سمن على هذه الحال، فأخبر أشناس محمد بن سعيد بذلك، فأمر محمد بن سعيد أن يسقي الماء، ويصب عليه في البئر حتى يموت: ويمتلئ البئر، فلم يزل يصب عليه الماء، والرمل ينشف الماء، فلم يغرق ولم يمتلئ البئر، فأمر أشناس بدفعه إلى غطريف النجدي، فدفع إليه، فكث عنده أياما، ثم مات فدفن.

وأما هرثمة بن النضر الختلي، فكان واليا على المراغة، وكان في عداد من سماه العباس أنه من أصحابه، فكتب في حمله في الحديد، فتكلم فيه الأفشين، واستوهبه من المعتصم، فوهبه له، فكتب الأفشين كتابا إلى هرثمة ابن النضر يعلمه أن أمير المؤمنين قد وهبه له، وأنه قد ولاه البلد الذي يصل إليه الكتاب فيه، فورد به الدينور عند العشاء مقيدا، فطرح في الخان، وهو موثق في الحديد، فوافاه الكتاب في جنح الليل، فأصبح وهو والي الدينور.

وقتل باقي القواد ومن لم يحفظ اسمه من الأتراك والفراغة وغيرهم، قتلوا جميعا. وورد المعتصم سامرا سالما بأحسن حال، فسمي العباس: اللعين يومئذ، ودفع ولد سندس من ولد المأمون إلى إيتاخ، فحبسوا في سرداب من داره ثم ماتوا بعد.

وجرح في هذه السنة في شوال إسحاق بن إبراهيم، جرحه خادم له. وجج بالناس فيها محمد بن داود.

٩٠٦ سنة أربع وعشرين ومائتين

٩٠٦٠١ ذكر الخبر عن مخالفه مازيار بطبرستان

ثم دخلت

سنة أربع وعشرين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر الخبر عن مخالفه مازيار بطبرستان

فما كان فيها من ذلك إظهار مازيار بن قارن بن وندا هرمز بطبرستان الخلفاء على المعتصم، ومحاربتة أهل السفح والأمصار منها. ذكر الخبر عن سبب إظهاره الخلفاء على المعتصم وفعله ما فعل من الوثوب بأهل السفح:

ذكر أن السبب في ذلك، كان أن مازيار بن قارن كان منافرا لآل طاهر، لا يحمل إليهم الخراج، وكان المعتصم يكتب إليه يأمره بحمله إلى عبد الله بن طاهر، فيقول: لا أحمله إليه، ولكني أحمله إلى أمير المؤمنين، فكان المعتصم إذا حمل المازيار إليه الخراج، يأمر: إذا بلغ المال همدان رجلا من قبله أن يستوفيه ويسلمه إلى صاحب عبد الله بن طاهر ليرده إلى خراسان، فكانت هذه حالة في السنين كلها ونافر آل طاهر حتى تفاقم الأمر بينهم.

وكان الأفشين يسمع من المعتصم أحيانا كلاما يدل على أنه يريد عزل آل طاهر عن خراسان، فلما ظفر الأفشين ببابك، ونزل من المعتصم المنزلة التي لم يتقدمه فيها أحد، طمع في ولاية خراسان، وبلغته منافرة مازيار آل طاهر، فرجا أن يكون ذلك سببا لعزل عبد الله بن طاهر، فدرس الأفشين الكتب إلى المازيار يستميله بالدهقنة، ويعلمه ما هو عليه من المودة له، وأنه قد وعد ولاية خراسان، فدعا ذلك المازيار إلى ترك حمل خراجه إلى عبد الله ابن طاهر، وواتر عبد الله بن طاهر الكتب فيه إلى المعتصم، حتى أوحش المعتصم منه وأغضبه عليه، وحمل ذلك المازيار إلى أن وثب وخالف، ومنع الخراج، وضبط جبال طبرستان وأطرافه.

وكان ذلك مما يسر الأفشين ويطمعه في الولاية، فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر يأمره بحاربة مازيار، وكتب الأفشين إلى المازيار يأمره بحاربة عبد الله بن طاهر، ويعلمه أنه يقوم له عند المعتصم بما يحب، وكتبه المازيار أيضا، فلا يشك الأفشين أن المازيار سيواقف عبد الله بن طاهر ويقاومه، حتى يحتاج المعتصم إلى أن يوجهه وغيره إليه.

فذكر عن محمد بن حفص الثقفي الطبري أن المازيار لما عزم على الخلاف، دعا الناس إلى البيعة، فباعوه كرها، وأخذ منهم الرهائن، فحبسهم في برج الأصهبذ، وأمر أكرة الضياع بالوثوب بأرباب الضياع وانتهاب أموالهم، وكان المازيار يكتب بابك، ويحرضه ويعرض عليه النصرة فلما فرغ المعتصم من أمر بابك، أشاع الناس أن أمير المؤمنين يريد المسير إلى قرماسين، ويوجه الأفشين إلى الري لمحاربة مازيار، فلما سمع المازيار بإرجاف الناس بذلك، أمر أن يمسح البلد، خلا من قاطع على ضياعه بزيادة العشرة ثلاثة، ومن لم يقاطع رجع عليه، فحسب ما عليه من الفضل ولم يحسب له النقصان.

ثم أنشأ كتابا إلى عامله على الخراج، وكان عامله عليه رجلا يقال له شاذان بن الفضل، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الأخبار تواترت علينا، وصحت عندنا بما يرجف به جهال أهل خراسان وطبرستان فينا، ويولدون علينا من الاخبار ويحملون عليه رءوسهم، من التعصب لدولتنا والطعن في تدبيرنا، والمراسلة لأعدائنا وتوقع الفتن، وانتظار الدوائر فينا، جاحدين للنعم مستقلين للأمن والدعة والرفاهية والسعة التي آثرهم الله بها، فما يرد الري قائد ولا مشرق ولا مغرب، ولا يأتينا رسول صغير ولا كبير إلا قالوا كيت وكيت، ومدوا أعناقهم نحوه،

وخاضوا فيما قد كذب الله أهدوتهم، وخيب أمانهم فيه مره بعد مره، فلا تنهاهم الأولى عن الآخرة، ولا يزجرهم عن ذلك تقية ولا خشية، كل ذلك غرضي عليه، وتجرع مكروهه، استبقاء على كافتهم، وطلبا للصالح والسلامة لهم إلحاحا، فلا يزيدهم استبقاؤنا إلا لجاجا، ولا كفنا عن تأديهم إلا إغراء، إن أخرنا عنهم افتتاح الخراج نظرا لهم ورفقا بهم قالوا: معزول، وإن بادرنا به قالوا: لحادث أمر، لا يزدجرون عن ذلك بالشدة إن أغلظنا، ولا برفق إن أنعمنا، والله حسبنا وهو ولينا، عليه نتوكل وإليه ننيب وقد أمرنا بالكتاب إلى بندار أمل والرويان في استغلاق الخراج في عملهما، وأجلناهما في ذلك إلى سلخ تير ماه، فاعلم ذلك، وجرّد جبايتك، واستخرج ما على أهل ناحيتك كملا، ولا يمضين عنك تير ماه، ولك درهم باق، فإنك إن خالفت ذلك إلى غيره لم يكن جزاؤك عندنا إلا الصلب، فانظر لنفسك، وحام عن مهجتك، وثمر في أمرك، وتابع كتابك إلى العباس وإياك والتغريض، واكتب بما يحدث منك من الانكماش والتشمير، فإننا قد رجونا أن يكون في ذلك مشغلة لهم عن الأراجيف، ومانع عن التسوييف، فقد أشاعوا في هذه الأيام أن أمير المؤمنين أكرمه الله صائر إلى قرماسين، وموجه الأفشين إلى الري ولعمري لئن فعل أيده الله ذلك، أنه لما يسرنا الله به، ويؤنسنا بجواره، ويبسط الأمل فيما قد عودنا من فوائده وأفضاله، ويكتب أعداءه وأعدائنا، ولن يهمل أكرمه الله أموره، ويرفض ثغوره، والتصرف في نواحي ملكه، لأراجيف مرجف بعماله، وقول قائل في خاصته، فإنه لا يسرب أكرمه الله جنده إذا سرب، ولا يندب قواده إذا ندب، إلا

إلى المخالف فاقراً كتابنا هذا على من بحضرتك من أهل الخراج، ليلبغ شاهدهم غائبهم، وعنف عليهم في استخراجهم، ومن هم بكسره فليبد بذلك صفحته، لينزل الله به ما أنزل بأمثاله، فإن لهم أسوة في الوظائف وغيرها بأهل جرجان والري وما والاها، فإنما خفف الخلفاء عنهم خراجهم، ورفعت الرافع عنهم للحاجة التي كانت إليهم في محاربة أهل

الجبال ومغازي الديلم الضلال، وقد كفى الله أمير المؤمنين أعزاه الله ذلك كله، وجعل أهل الجبال والديلم جندا وأعوانا، والله المحمود. قال: فلما ورد كتاب المازيار على شاذان بن الفضل عامله على الخراج، أخذ الناس بالخراج، فجبي جميع الخراج في شهرين، وكان يجبي في اثني عشر شهراً، في كل أربعة أشهر الثلث، وإن رجلاً يقال له علي بن يزداد العطار، وهو ممن أخذ منه رهينة، هرب وخرج من عمل المازيار، فأخبر أبو صالح سرخستان بذلك، وكان خليفة المازيار على سارية، فجمع وجوه أهل مدينة سارية، وأقبل يوبخهم، ويقول: كيف يطمئن الملك إليكم! أم كيف يثق بكم! وهذا علي بن يزداد ممن قد حلف وبايع، وأعطى الرهينة ثم نكث وخرج، وترك رهينه، فأنتم لا تفنون بيمين، ولا تكرهون الخلف والحنث، فكيف يثق بكم الملك، أم كيف يرجع لكم إلى ما تحبون! فقال بعضهم: نقتل الرهينة حتى لا يعود غيره إلى الهرب، فقال لهم: أتفعلون ذلك؟ قالوا: نعم، فكتب إلى صاحب الرهائن، فأمره أن يوجه بالحسن بن علي بن يزداد وهو رهينة أبيه، فلما صاروا به إلى سارية ندم الناس على ما قالوا لأبي صالح، وجعلوا يرجعون على الذي أشار بقتله بالتعنيف ثم جمعهم سرخستان، وقد أحضر الرهينة، فقال لهم: إنكم قد ضمنتم شيئاً، وهذا الرهينة فاقتلوه، فقال له عبد الكريم بن عبد الرحمن الكاتب: أصلحك الله! إنك أجلت من خرج من هذا البلد شهرين، وهذا الرهينة قبلك، نسألك أن تؤجله شهرين، فإن رجع أبوه وإلا أمضيت فيه رأيك.

قال: فغضب على القوم، ودعا بصاحب حرسه - وكان يقال له رستم ابن بارويه - فأمره بصلب الغلام وإن الغلام سأله أن يأذن له أن يصلي ركعتين، فأذن له، فطول في صلاته وهو يردد، وقد مد له جذع، فجذبوا الغلام من صلاته، ومدوه فوق الجذع، وشدوا حلقه معه حتى اختنق، وتوفي فوقه، وأمر سرخستان أهل مدينة سارية أن يخرجوا إلى آمل، وتقدم إلى أصحاب المسالخ في إحضار أهل الخنادق من الأبناء والعرب، فأحضروا ومضى مع أهل سارية إلى آمل، وقال لهم: إني أريد أن أشهدكم على أهل آمل، وأشهد أهل آمل عليكم، وأرد ضياعكم وأموالكم، فإن لزمتم الطاعة والمناصحة زدناكم من عندنا ضعف ما كنا أخذنا منكم فلما وافوا آمل جمعهم بقصر الخليل بن وندا سنجان، وصير أهل سارية ناحية عن غيرهم ووكل بهم اللوزجان، وكتب أسماء جميع أهل آمل حتى لم يخف منهم أحد عليه، ثم عرضهم بعد ذلك على الأسماء حتى اجتمعوا، ولم يتخلف منهم أحد، واحدق الرجال في السلاح بهم، وصفوا جميعاً، ووكل بكل واحد منهم رجلين بالسلاح، وأمر الموكل بهم أن يحمل رأس كل من كاع عن المشي، وساقهم مكتفين حتى وافي بهم جبلاً يقال له هرمز داباذ، على ثمانية فراسخ من آمل وثمانية فراسخ من مدينة سارية، وكتبهم بالحديد، وحبسهم. وبلغت عدتهم عشرين ألفاً، وذلك في سنة خمس وعشرين ومائتين فيما ذكر عن محمد بن حفص.

فأما غيره من أهل الأخبار وجماعة ممن أدرك ذلك فإنهم قالوا: كان ذلك في سنة أربع وعشرين ومائتين، وهذا القول عندي أولى بالصواب، وذلك أن مقتل مازيار كان في سنة خمس وعشرين ومائتين وكان فعله ما فعل بأهل طبرستان قبل ذلك بسنة. رجع الحديث إلى الخبر عن قصة مازيار وفعله بأهل آمل على ما ذكر عن محمد بن حفص قال: وكتب إلى الدري ليفعل ذلك بوجه العرب والأبناء ممن كان معه بمرو، وكتبهم بالحديد، وحبسهم، ووكل بهم الرجال في حبسهم، فلما تمكن المازيار، واستوى له أمره وأمر القوم، جمع أصحابه، وأمر سرخستان بتخريب سور مدينة آمل، ونخر به بالطبول والمزامير، ثم سار إلى مدينة سارية، ففعل بها مثل ذلك. ثم وجه مازيار أخاه فوهيار إلى مدينة طميس - وهي على حد جرجان من عمل طبرستان - ونخر سورها ومدينتها، وأباح أهلها، فهرب منهم من

هرب، وبلي من بلي ثم توجه بعد ذلك إلى طميس سرخستان، وانصرف عنها فوهيار، فلحق بأخيه المازيار، فعمل سرخستان سورا من طميس إلى البحر، ومدته في البحر مقدار ثلاثة أميال وكانت الأكاسرة بنته بينها وبين الترك، لان الترك كانت تغير على أهل طبرستان في أيامها، ونزل معسكرها بطميس سرخستان وصير حولها خندقاً وثيقاً وإراجاً للحرس، وصير عليها باباً وثيقاً، ووكل به الرجال

الثقات، ففرع أهل جرجان وخافوا على أموالهم ومدينتهم، فهرب منها نفر إلى نيسابور، وانتهى الخبر إلى عبد الله بن طاهر وإلى المعتصم، فوجه إليه عبد الله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين بن مصعب، وضم إليه جيشا كثيفا يحفظ جرجان، وأمره أن يعسكر على الخندق، فنزل الحسن بن الحسين معسكرا على الخندق الذي عمله سرخستان، وصار بين العسكرين عرض الخندق، ووجه أيضا عبد الله بن طاهر حيان بن جبلة في أربعة آلاف إلى قومس معسكرا على حد جبال شروين، ووجه المعتصم من قبله محمد بن إبراهيم بن مصعب أخا إسحاق بن إبراهيم في جمع كثيف، وضم إليه الحسن بن قارن الطبري القائد ومن كان بالبواب من الطبرية، ووجه منصور بن الحسن هار صاحب ديباوند إلى مدينة الري ليدخل طبرستان من ناحية الري، ووجه أبا الساج إلى الالارز وديباوند، فلما أحذقت الخيل بالمازير من كل جانب بعث عند ذلك إبراهيم بن مهران صاحب شرطته وعلي بن ربن الكاتب النصراني، ومعهما خليفة صاحب الحرس إلى أهل المدن المحتسبين عنده، أن الخيل قد زحفت إلى من كل جانب، وإنما حبستكم ليعث إلي هذا الرجل فيكم - يعني المعتصم - فلم يفعل، وقد بلغني أن الحجاج ابن يوسف غضب على صاحب السند في امرأة أسرت من المسلمين، وأدخلت إلى بلاد السند حتى غزا السند، وأنفق بيوت الأموال حتى استنفذ المرأة وردها إلى مدينتها، وهذا الرجل لا يكثر بعشرين ألفا، ولا يبعث إلي يسأل فيكم، وإني لا أقدم على حربته، وأتم ورائي، فأدوا إلي خراج سنتين، وأخلي سبيلكم، ومن كان منكم شابا قويا قدمته للقتال، فمن وفي لي منكم رددت عليه ماله، ومن لم يف أكون قد أخذت ديتي، ومن كان شيخا أو ضعيفا صيرته من الحفظه والبوابين

فقال رجل يقال له موسى بن هرمز الزاهد - كان يقال أنه لم يشرب الماء منذ عشرين سنة - أنا أؤدي إليك خراج سنتين، وأقوم به، فقال خليفة صاحب الحرس لأحمد بن الصقير: لم لا نتكلم، وقد كنت أحظى القوم عند الأصهبذ، وقد كنت أراك تتغذى معه، وتكفي على وسادته! وهذا شيء لم يفعله الملك بأحد غيرك، فأنت أولى بالقيام بهذا الأمر من موسى، قال أحمد: إن موسى لا يقدر على القيام بجباية درهم واحد، وإنما أجابكم بجهل وبما هو عليه وعلى الناس أجمع، ولو علم صاحبكم أن عندنا درهما واحدا لم يحبسنا، وإنما حبسنا بعد ما استنطف كل ما عندنا من الأموال والذخائر، فإن أراد الضياع بهذا المال أعطيناه فقال له علي بن ربن الكاتب: الضياع للملك لا لكم، فقال له إبراهيم بن مهران: أسألك بالله يا أبا محمد، لما سكت عن هذا الكلام! فقال له أحمد: لم أزل ساكنا حتى كلمني هذا بما قد سمعت سنة ٢٢٤ ثم انصرف الرسل على ضمان موسى الزاهد، وأعلموا المازير ضمانه، وانضم إلى موسى الزاهد قوم من السعاة، فقالوا: فلان يحتمل عشرة آلاف، وفلان يحتمل عشرين ألفا وأقل وأكثر، وجعلوا يستأكلون الناس أهل الخراج وغيرهم، فلما مضى لذلك أيام، رد مازير الرسل مقتضيا المال، ومنتجزا ما كان من ضمان موسى الزاهد، فلم يزل ذلك أثرا ولا تحقيقا، وتحقق قول أحمد، وألزمه الذنب وعلم المازير أن ليس عند القوم ما يؤدون، وإنما أراد أن يلقي الشر بين أصحاب الخراج، ومن لا خراج عليه من التجار والصناع.

قال: ثم إن سرخستان كان معه ممن اختار من أبناء القواد وغيرهم من أهل آمل فتیان لهم جلد وشجاعة، فجمع منهم في داره مائتين وستين فتى ممن يخاف ناحيته، وأظهر أنه يريد جمعهم للمناظرة، وبعث إلى الأكره المختارين من الدهاقين، فقال لهم: إن الأبناء هواهم مع العرب والمسودة، ولست آمن غدرهم ومكرهم، وقد جمعت أهل الظنة ممن أخاف ناحيته، فاقتلوهم لتأمنوا، ولا يكون في عسكركم ممن يخالف هواه هواكم ثم أمر بكتفهم

ودفعهم إلى الأكره ليلا، فدفعوهم إليهم، وصاروا بهم إلى قناة هناك، فقتلوهم ورموا بهم في آبار تلك القناة وانصرفوا فلما ثاب إلى الأكره عقولهم ندموا على فعلهم، وفرعوا من ذلك، فلما علم المازير أن القوم ليس عندهم ما يؤدونه إليه، بعث إلى الأكره المختارين الذين قتلوا المائتين والستين فتى، فقال لهم: إني قد أبحثكم منازل أرباب الضياع وحرهم - إلا ما كان من جارية جميلة من بناتهم، فإنها تصير للملك - وقال لهم: صيروا إلى الحبس فاقتلوا أرباب الضياع جميعهم قبل ذلك، ثم حوزوا بعد ذلك، ما وهبت لكم من المنازل والحر، فخب القوم عن ذلك وخافوا وحذروا فلم يفعلوا ما أمرهم به.

قال: وكان الموكلون بالسور من أصحاب سرخستان يتحدثون ليلا مع حرس الحسن بن الحسين بن مصعب، وبينهم عرض الخندق، حتى

استأنس بعضهم ببعض، وتآمروا وحرس سرخاستان بتسليم السور إليهم، فسلموه، ودخل أصحاب الحسن بن الحسين من ذلك الموضع إلى عسكر سرخاستان في غفلة من الحسن بن الحسين ومن سرخاستان، فنظر أصحاب الحسن إلى قوم يدخلون من الحائط، فدخلوا معهم، فنظر الناس بعضهم إلى بعض، فثاروا.

وبلغ الحسن بن الحسين بن مصعب، فجعل يصيح بالقوم ويمنعهم، ويقول:

يا قوم، إني أخاف عليكم أن تكونوا مثل قوم داوندان، ومضى أصحاب قيس بن زنجويه- وهو من أصحاب الحسن بن الحسين- حتى نصبوا العلم على السور في معسكر سرخاستان، وانتهى الخبر إلى سرخاستان أن العرب قد كسروا السور، ودخلوا بغتة، فلم تكن له همة إلا الهرب، وكان سرخاستان في الحمام، فسمع الصباح، فخرج هاربا في غلالة وقال الحسن بن الحسين حين لم يقدر على رد أصحابه: اللهم إنهم قد عصوني وأطاعوك، اللهم فاحفظهم وانصرهم، ولم يزل أصحاب الحسن يتبعون القوم حتى صاروا إلى الدرب الذي على السور فكسروه، ودخل الناس من غير مانع حتى استولوا على جميع ما في العسكر، ومضى قوم في الطلب.

وذكر عن زراره بن يوسف السجزي أنه قال: مررت في الطلب، فبينما أنا كذلك، إذ صرت إلى موضع عن يسرة الطريق، فوجلت من الممر فيه، ثم تقحمت بالرحم من غير أن أرى أحدا، وصحت: من أنت؟ ويلك! فإذا شيخ جسيم قد صاح زينهار- يعني الأمان- قال: فحملت عليه، فأخذته، وشدت ككافه، فإذا هو شهر يار أخو أبي صالح سرخاستان، صاحب العسكر، قال: فدفعته إلى قائدي يعقوب بن منصور، وحال الليل بيننا وبين الطلب، فرجع الناس إلى المعسكر، وأتى شهر يار إلى الحسن بن الحسين فضرب عنقه وأما أبو صالح فمضى حتى صار على خمسة فراسخ من معسكره، وكان عليلا، فجفده العطش والفرح، فنزل في غيضة يمنية الطريق إلى سفح جبل، وشد دابته واستلقى، فبصر به غلام له ورجل من أصحابه يقال له جعفر بن ونداميد، فنظر إليه نائما، فقال سرخاستان:

يا جعفر، شربة ماء، فقد جهدني العطش، قال: فقلت: ليس معي إناء أغرف به من هذا الموضع، فقال سرخاستان: خذ رأس جعبي فاسقني به، قال جعفر: وملت إلى عداد من أصحابي، فقلت لهم: هذا الشيطان قد أهلكنا فلم لا نتقرب به إلى السلطان، ونأخذ لأنفسنا الأمان! فقالوا لجعفر: كيف لنا به؟ قال: فوقفهم عليه، وقال لهم: أعينوني ساعة، وأنا أثأوره، فأخذ جعفر خشبة عظيمة وسرخاستان مستلق، فألقى نفسه عليه، وملكوه وشدوه ككافا مع الخشبة، فقال لهم أبو صالح: خذوا مني مائة ألف درهم واتركوني، فإن العرب لا تعطيكم شيئا، قالوا له: أحضرها، قال: هاتوا ميزانا، قالوا:

ومن اين هاهنا ميزان؟ قال: فن اين هاهنا ما أعطيكم! ولكن صيروا معي إلى المنزل، وأنا أعطيكم العهود والمواثيق أني أفي لكم بذلك، وأوفر عليكم، فصاروا به إلى الحسن بن الحسين، فاستقبلتهم خيل للحسن بن الحسين، فضربوا رؤوسهم، وأخذوا سرخاستان منهم، فهمتهم أنفسهم، ومضى أصحاب الحسن بأبي صالح إلى الحسن، فلما وقفوه بين يديه، دعا الحسن قواد طبرستان، مثل محمد بن المغيرة بن شعبة الأزدي وعبد الله بن محمد القططبي الضبي والفتح بن قراط وغيرهم، فسألهم: هذا سرخاستان؟ قالوا: نعم، فقال لمحمد

٩٠٦٠٢ ذكر خبر أبي شاس الشاعر

ابن المغيرة، قم فاقتله بابنك وأخيك، فقام إليه فضربه بالسيف، وأخذته السيوف فقتل.

ذكر خبر أبي شاس الشاعر

وكان أبو شاس الشاعر، وهو الغطريف بن حصين بن حنش فتى من أهل العراق، ربي بخراسان، أديبا فهما، وكان سرخاستان ألزمه نفسه يتعلم منه أخلاق العرب ومذاهبها، فلما نزل بسرخاستان ما نزل به، وأبو شاس في معسكره، ومعه دواب واثقال، هجم عليه قوم البخارية، من أصحاب الحسن، فانتهبوا جميع ما كان معه، وأصابته جراحات، فبادر أبو شاس فأخذ جرة كانت معه، فوضعها على عاتقه، وأخذ بيده قدحا، وصاح: الماء للسبيل، حتى أصاب غفلة من القوم، فهرب من مضربه، وقد أصابته جراحة، فبصر به غلام- وقد كان مر بمضرب عبد الله بن محمد بن حميد القططبي الطبري، وكان كاتب الحسن بن الحسين- فعرفوه، عرفه خدمه، وعلى عاتقه

الجرة وهو يسقي الماء، فأدخلوه خيمتهم، وأخبروا صاحبهم بمكانه، فأدخل عليه، فحمله وكساه، وأكرمه غاية الإكرام، ووصفه للحسن بن الحسين، وقال له: قل في الأمير قصيدة، فقال أبو شاس: والله لقد أحمى ما في صدري من كتاب الله من الهول، فكيف أحسن الشعر! ووجه الحسن برأس أبي صالح سرخاستان إلى عبد الله بن طاهر، ولم يزل من معسكره وذكر عن محمد بن حفص أن حيان بن جبلة مولى عبد الله بن طاهر، كان أقبل مع الحسن بن الحسين إلى ناحية طميس، فكتب قارن بن شهريار، ورغبه في الطاعة، وضمن له أن يملكه على جبال أبيه وجده، وكان قارن من قواد مازيار وهو ابن أخيه وكان مازيار صيره مع أخيه عبد الله بن قارن، وضم إليهما عدة من ثقات قواده وقرباته، فلما استماله حيان، وكان قارن قد ضمن له أن يسلم له الجبال، ومدينة سارية إلى حد جرجان، على أن يملكه على جبال أبيه وجده إذا وفي له بالضمان، وكتب بذلك حيان إلى عبد الله بن طاهر، سئل له عبد الله بن طاهر بكل ما سأل، وكتب إلى حيان بأن

يتوقف ولا يدخل الجبل ولا يوغل حتى يكون من قارن ما يستدل به على الوفاء، لئلا يكون منه مكر، فكتب حيان إلى قارن بذلك، فدعا قارن بعبد الله ابن قارن وهو أخو مازيار، ودعا جميع قواده إلى طعامه، فلما أكلوا ووضعوا سلاحهم واطمأنوا أحرق بهم أصحابه في السلاح الشاك، وكتفهم ووجه بهم إلى حيان بن جبلة، فلما صاروا إليه استوثق منهم، وركب حيان في جمعه حتى دخل جبال قارن.

وبلغ مازيار الخبر فاعتم لذلك، وقال له القوهيار أخوه: في حبسك عشرون ألفا من المسلمين، من بين إسكاف وخياط، وقد شغلت نفسك بهم، وإنما أتيت من مأمك وأهل بيتك وقربتك، فما تصنع بهؤلاء المحبسين عندك؟ قال: فأمر مازيار بتخية جميع من في حبسه، ثم دعا إبراهيم بن مهران صاحب شرطته، وعلي بن ربن النصراني كاتبه، وشاذان بن الفضل صاحب خراجه، ويحيى بن الروذبهار جهبذه، وكان من أهل السهل عنده، فقال لهم: إن حرمكم ومنازلكم وضياكم بالسهل، وقد دخلت العرب إليكم، وأكره أن أشومكم، فاذهبوا إلى منازلكم، وخذوا لأنفسكم الأمان ثم وصلهم، وأذن لهم في الانصراف، فصاروا إلى منازلهم وأخذوا الأمان لأنفسهم.

ولما بلغ أهل مدينة سارية أخذ سرخاستان واستباحة عسكره ودخول حيان ابن جبلة جبل شروين، وثبوا على عامل مازيار بسارية- وكان يقال له مهربستاني بن شهريز- فهرب منهم، ونجا بنفسه، وفتح الناس باب السجن، وأخرجوا من فيه، ووافى حيان بعد ذلك مدينة سارية وبلغ قوهيار أخا مازيار موافاة حيان سارية، فأطلق محمد بن موسى بن حفص الذي كان عامل طبرستان من حبسه، وحمله على بغل بسر، ووجه به إلى حيان ليأخذ له الأمان، ويجعل له جبال أبيه وجده على أن يسلم إليه مازيار، ويوثق

له بذلك بضمن محمد بن موسى بن حفص وأحمد بن الصقير، فلما صار محمد بن موسى إلى حيان، وأخبره برسالة قوهيار إليه، قال له حيان: من هذا؟

يعني أحمد، قال: شيخ البلاد، وبقية الخلفاء والأمير عبد الله بن طاهر به عارف، فبعث حيان إلى أحمد، فأثاه فأمره بالخروج إلى مسلحة خرماباذ مع محمد بن موسى وكان لأحمد ابن يقال له إسحاق، وكان قد هرب من مازيار، يأوي نهاره الغياض، ويصير بالليل إلى ضيعة يقال لها ساواشريان، وهي على طريق الجادة من قلع الأصبهذ الذي فيه قصر مازيار.

فذكر عن إسحاق، أنه قال: كنت في هذه الضيعة، فربي عدة من أصحاب مازيار، معهم دواب تقاد وغير ذلك، قال: فوثبت على فرس منها هجين ضخم، فركبته عربا، وصرت إلى مدينة سارية، فدفعته إلى أبي، فلما أراد أحمد الخروج إلى خرماباذ ركب ذلك الفرس، فنظر إليه حيان، فأعجبه، فالتفت حيان إلى اللوزجان- وكان من أصحاب قارن- فقال له:

رأيت هذا الشيخ على فرس نبيل قل ما رأيت مثله، فقال له اللوزجان: هذا الفرس كان لمازيار، فبعث حيان إلى أحمد يسأله البعثة بالفرس إليه، لينظر إليه، فبعث به إليه، فلما تأمل النظر وقتشه وجده مشطب اليدين، فزهده فيه، ودفعه إلى اللوزجان، وقال لرسول أحمد: هذا لمازيار، ومال مازيار لأمر المؤمنين، فرجع الرسول فأخبر أحمد، فغضب على اللوزجان من ذلك، فبعث إليه أحمد بالشتيمة، فقال اللوزجان: ما لي في هذا ذنب! ورد الفرس إلى أحمد، ومعه برذون وشهري فاره، فأمر رسوله فدفعهما إليه.

وغضب أحمد من فعل حيان به، وقال: هذا الحائك يبعث إلى شيخ مثلي فيفعل به ما فعل! ثم كتب إلى قوهيار: ويحك! لم تغلط في أمرك وتترك مثل الحسن بن الحسين عم الأمير عبد الله بن طاهر، وتدخل في أمان هذا العبد الحائك، وتدفع أخاك، وتضع قدرك،

وتحقد عليك الحسن بن الحسين

بتركك إياه وميلك إلى عبد من عبيده! فكتب إليه قوهيار: قد غلظت في أول الأمر، وواعدت الرجل أن أصير إليه بعد غد، ولا آمن إن خالفته أن يناهضني ويحاربني، ويستبيح منازل وأموالي، وإن قاتلته فقتلت من أصحابه، وجرت الدماء بيننا وقعت الشحنة، ويبطل هذا الأمر الذي التسته.

فكتب إليه أحمد: إذا كان يوم الميعاد فابعث إليه رجلا من أهل بيتك، واكتب إليه أنه قد عرضت لك علة منعك من الحركة، وإنك تتعالج ثلاثة أيام، فإن عوفيت وإلا صرت إليه في محمل، وسنحمله نحن على قبول ذلك منك، والمصير في الوقت.

وإن أحمد بن الصقير ومحمد بن موسى بن حفص كتبوا إلى الحسن بن الحسين وهو في معسكره بطميس ينتظر أمر عبد الله بن طاهر وجواب كتابه بقتل سرخاستان وفتح طميس، فكتبوا إليه أن اركب إلينا لندفع إليك مازيار والجبل، والا فأتك، فلا تقم ووجهها الكتاب مع شاذان بن الفضل الكاتب، وامراه أن يعجل السير.

فلما وصل الكتاب إلى الحسن ركب من ساعته، وسار مسيرة ثلاثة أيام في ليلة، حتى انتهى إلى سارية، فلما أصبح سار إلى خرماباد- وهو يوم موعده قوهيار- وسمع حيان وقع طبول الحسن، فركب فتلقيه على راس فرسخ، فقال له الحسن: ما تصنع هاهنا! فما يؤمنك أن يبدو للقوم، فيغدروا بك، فينتقض عليك جميع ما عملت ارجع إلى الجبل، فصير مسالحك في النواحي والأطراف، وأشرف على القوم أشرفا لا يمكنهم الغدر، إن هموا به.

فقال له حيان: أنا على الرجوع، وأريد أن أحمل أثقال، وأتقدم إلى رجالي بالرحلة، فقال له الحسن: امض أنت، فأنا باعث بأثقالك ورجالك خلفك، وبت الليلة بمدينة سارية حتى يوافوك، ثم تبكر من غد، فخرج حيان من فوره كما أمره الحسن إلى سارية، ثم ورد عليه كتاب عبد الله بن طاهر أن

يعسكر بلبورة- وهي من جبال ونداهرمز، وهي أحصن موضع من جباله، وكان أكثر مال مازيار بها- وأمره عبد الله ألا يمنع قارن مما يريد من تلك الجبال والأموال فاحتمل قارن ما كان لمازيار هنالك من المال، والذي كان بأسباندرة من ذخائر مازيار، وما كان لسرخاستان بقدر السلطان، واحتوى على ذلك كله.

فانتقض على حيان جميع ما كان سرح له بسبب ذلك الفرس، وتوفي بعد ذلك حيان بن جبلة فوجه عبد الله مكانه على أصحابه محمد الحسين بن مصعب، وتقدم إليه عبد الله ألا يضرب على يدي قارن في شيء يريده، وصار الحسن ابن الحسين إلى خرماباد، فأتاه محمد بن موسى بن حفص واحمد بن الصقير، فتناظروا سرا، فجزأها خيرا، وكتب هو إلى قوهيار، وفأف إلى خرماباد، وصار إلى الحسن، فبره وأكرمه وأجابه إلى كل ما سال، واتعدا على يوم، ثم صرفه وصار قوهيار إلى مازيار، فأعلمه أنه قد أخذ له الأمان، واستوثق له وكان الحسين بن قارن قد كاتب قوهيار من ناحية محمد بن إبراهيم بن مصعب، وضمن له الرغائب عن أمير المؤمنين، فأجابه قوهيار، وضمن له ما ضمن لغيره، كل ذلك ليردهم عن الحرب ومال إليه فركب محمد بن إبراهيم من مدينة آمل، وبلغ الحسن بن الحسين الخبر فذكر عن إبراهيم بن مهران أنه كان يتحدث عند أبي السعدي، فلما قرب وكان طريقه على باب مضرب الحسن قال: فلما حاذيت مضربه، إذا بالحسن الزوال انصرف يريد منزله راكب وحده، لم يتبعه إلا ثلاثة غلمان له أتراك، قال: فرميت بنفسي، وسلمت عليه، فقال: اركب، فلما ركب قال: أين طريق آرم؟ قلت: هي على هذا الوادي، فقال لي: امض أمامي، قال: فضيت حتى بلغت دربا على ميلين من آرم، قال: ففزعت، وقلت: أصلح الله الأمير! هذا موضع مهول، ولا يسلكه إلا الف فارس، فأرى لك أن تنصرف

ولا تدخله قال: فصاح بي: امض، فضيت وأنا طائش العقل، ولم نر في طريقنا أحدا حتى وافينا آرم، فقال لي: أين طريق هرمزداباد؟ قلت: على هذا الجبل في هذا الشراك، قال: فقال لي: سر إليها، فقلت: أعز الله الأمير! الله الله في نفسك وفينا وفي هذا الخلق الذي معك! قال: فصاح بي:

امض يا بن الخنساء، قال: فقلت له: أعزك الله! اضرب أنت عنقي، فإنه أحب إلي من أن يقتلني مازيار، ويلزمني الأمير عبد الله بن طاهر الذنب.

قال: فاتهرني حتى ظننت أنه سيبطش بي، ومضيت وأنا خلع الفؤاد، وقلت في نفسي: الساعة تؤخذ جميعا، او نوقف بين يدي مازيار

فيوبخني، ويقول: جئت دليلاً علي! فبينما نحن كذلك إذ وافينا هرمزداباذ مع اصفرار الشمس، فقال لي: أين كان سجن المسلمين هاهنا؟ فقلت له: في هذا الموضع.

قال: فنزل لجلس ونحن صيام، والتحليل تلحقنا متقطعة، وذلك أنه ركب من غير علم الناس، فعلوها بعد ما مضى، فدعا الحسن بيعقوب بن منصور، فقال له: يا أبا طلحة، أحب أن تصير إلى الطالقانية، فتلطف بحيلك لجيش أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن مصعب هنالك ساعتين أو ثلاث ساعات أو أكثر، ما أمكنك وكان بينه وبين الطالقانية فرسخان أو ثلاثة فراسخ، قال إبراهيم: فبينما نحن وقوف بين يدي الحسن، إذ دعا بقرين بن زنجويه، فقال له: امض إلى درب لبورة، وهو على أقل من فرسخ، فابرز بأصحابك على الدرب. قال: فلما صلينا المغرب وأقبل الليل، إذا أنا بفرسان بين أيديهم الشمع مشتعلًا مقبلين من طريق لبورة، فقال لي: يا إبراهيم، أين طريق لبورة؟

فقلت: أرى نيرانا وفرسانا قد أقبلوا من ذلك الطريق، قال: وأنا داهش لا أقف على ما نحن فيه، حتى قربت النيران منا، فأنظر فإذا المازيار مع القوهيار، فلم

أشعر حتى نزلا، وتقدم المازيار، فسلم على الحسن بالإمرة، فلم يرد عليه، وقال لطاهر بن إبراهيم وأوس البلخي: خذاه إليكما. وذكر عن أخي وميدوار بن خواست جيلان، أنه في تلك الليلة صار مع نفر إلى قوهيار، وقال له: اتق الله، قد خلفت سرواتنا، فأذن لي أكنف هؤلاء العرب كلهم، فإن الجند حيارى جياح، وليس لهم طريق يهربون، فتذهب بشرفها ما بقي الدهر، ولا نثق بما يعطيك العرب، فليس لهم وفاء! فقال قوهيار: لا تفعلوا، وإذا قوهيار قد عبي علينا العرب، ودفع مازيار وأهل بيته إلى الحسن لينفرد بالملك، ولا يكون أحد ينازعه ويضاده.

فلما كان في السحر، وجه الحسن بالمازيار مع طاهر بن إبراهيم وأوس البلخي إلى خرماباد، وأمرهما أن يرا به إلى مدينة سارية، وركب الحسن، وأخذ على وادي بابك إلى الكانية مستقبلاً محمد بن إبراهيم بن مصعب، فالتقيا ومحمد يريد المصير إلى هرمزداباذ لأخذ المازيار، فقال له الحسن: يا أبا عبد الله، أين تريد؟ قال: أريد المازيار، فقال: هو بسارية، وقد صار إلي، ووجهت به إلى هنالك، فبقي محمد بن إبراهيم متحيراً وكان القوهيار قد هم بالغدر بالحسن، ودفع المازيار إلى محمد بن إبراهيم، فسبق الحسن إلى ذلك، وتخوف القوهيار منه أن يحاربه حين رآه متوسطا الجبل أن أحمد بن الصقير كتب إلى القوهيار: لا أرى لك التخليط والمناسبة لعبد الله بن طاهر، وقد كتب إليه بخبرك وضمنك فلا تكن ذا قلبين، فعند ذلك حذره ودفعه إلى الحسن، وصار محمد بن إبراهيم والحسن بن الحسين إلى هرمزداباذ، فأحرقا قصر المازيار بها، وأنهبها ماله، ثم صارا إلى معسكر الحسن بخرماباذ، ووجهها إلى إخوة المازيار، فحبسوا هناك في داره، ووكل بهم ثم رحل الحسن إلى مدينة سارية، فأقام بها، وحبس المازيار بقرب خيمة الحسن، وبعث الحسن إلى محمد بن موسى بن حفص يسأله عن القيد الذي كان قيده به المازيار، فبعث به محمد إليه، فقيد المازيار بذلك القيد، ووافى محمد بن إبراهيم الحسن بمدينة سارية لينظره في مال المازيار وأهل بيته، فكتبنا بذلك

إلى عبد الله بن طاهر، وانتظرا أمره، فورد كتاب عبد الله إلى الحسن بتسليم المازيار وإخوته وأهل بيته إلى محمد بن إبراهيم، ليحملهم إلى أمير المؤمنين المعتصم، ولم يعرض عبد الله لأموالهم، وأمره أن يستصفي جميع ما للمازيار ويحرزه، فبعث الحسن إلى المازيار فأحضره، وسأله عن أمواله فذكر أن ماله عند قوم سماهم، من وجوه أهل سارية وصلحاءهم عشرة نفر، وأحضر القوهيار، وكتب عليه كتاباً، وضمنه توفير هذه الأموال التي ذكرها المازيار أنها عند خزانه وأصحاب كنوزه، فضمن القوهيار ذلك وأشهد على نفسه.

ثم أن الحسن أمر الشهود الذين أحضرهم أن يصيروا إلى المازيار، فيشهدوا عليه، فذكر عن بعضهم، أنه قال: لما دخلنا على المازيار، تخوفت من أحمد بن الصقير أن يفزعه بالكلام، فقلت له: أحب أن تمسك عنه، ولا تذكر ما كنت أشرت به، فسكت أحمد عند ذلك، فقال المازيار: اشهدوا أن جميع ما حملت من أموالي وصحبي ستة وتسعون ألف دينار، وسبع عشرة قطعة زمرد، وست عشرة قطعة ياقوت أحمر، وثمانية أوقار سلال مجلدة، فيها ألوان الثياب، وتاج وسيف من ذهب وجوهر، وخنجر من ذهب مكلل بالجوهر، وحق كبير مملوء جوهرًا، وقد وضعه بين أيدينا، وقد سلمت ذلك إلى محمد بن الصباح، وهو خازن عبد الله بن طاهر وصاحب خبره على

العسكر وإلى القوهيار قال: نخرجنا إلى الحسن بن الحسين، فقال: أشهدتم على الرجل؟ قال: قلنا: نعم، قال: هذا شيء كنت اخترته لي، فأحببت أن يعلم قتلته وهو انه عندي.

وذكر عن علي بن ربن النصراني الكاتب أن ذلك الحق كان شري جوهره على المازيار وجده وشهريار ثمانية عشر ألف ألف درهم، وكان المازيار حمل ذلك كله إلى الحسن بن الحسين، على أن يظهر أنه خرج إليه في الأمان، وأنه قد آمنه على نفسه وماله وولده، وجعل له جبال أبيه، فامتنع الحسن بن

الحسين من هذا وعف عنه- وكان أعف الناس عن أخذ درهم أو دينار- فلما أصبح أنفذ المازيار مع طاهر بن إبراهيم وعلي بن إبراهيم الحربي، وورد كتاب عبد الله بن طاهر في إنفاذه مع يعقوب بن منصور، وقد ساروا بالمازيار ثلاث مراحل، فبعث الحسن فرده، وأنفذه مع يعقوب بن منصور ثم أمر الحسن بن الحسين القوهيار أخا المازيار أن يحمل الأموال التي ضمنها، ودفع إليه بغالا من العسكر، وأمر بإنفاذ جيش معه، فامتنع القوهيار، وقال:

لا حاجة لي بهم، وخرج بالبغال هو وغلماناه، فلما ورد الجبل وفتح الخزائن، وأخرج الأموال وعباها ليحملها، وثب عليه ممالك المازيار من الديلمة- وكانوا ألفا ومائتين- فقالوا له: غدرت بصاحبنا، وأسلمته إلى العرب، وجئت لتحمل أمواله! فأخذوه وكبلوه بالحديد، فلما جنة الليل قتلوه، وانتهبوا تلك الأموال والبغال، فانتفى الخبر إلى الحسن، فوجه جيشا إلى الذين قتلوا القوهيار، ووجه قارن جيشا من قبله في أخذهم، فأخذ منهم صاحب قارن عدة، منهم ابن عم للمازيار، يقال له شهريار بن المصمغان- وكان رأس العبيد ومحرضهم- فوجه به قارن إلى عبد الله بن طاهر، فلما صار بقومس مات، وكان جماعة أولئك الديلمة أخذوا على السفح والغیضة يريدون الديلم، فنذر بهم محمد بن إبراهيم بن مصعب، فوجه من قبله الطبرية وغيرهم حتى عارضوهم، وأخذوا عليهم الطريق، فأخذوا، فبعث بهم إلى مدينة سارية مع علي بن إبراهيم، وكان مدخل محمد بن إبراهيم حين دخل من شلنة على طريق الروذبار إلى الوريان.

وقيل: إن فساد أمر مازيار وهلاكه كان من قبل ابن عم له يقال له كان في يديه جبال طبرستان كلها، وكان في يد المازيار السهل، وكان ذلك كالقسمة بينهم يتوارثونه، فذكر عن محمد بن حفص الطبري أن الجبال بطبرستان ثلاثة: جبل ونداهرمز في وسط جبال طبرستان، والثاني جبل أخيه

وندا سبجان بن الأنداد بن قارن، والثالث جبل شروين بن سرخاب ابن باب، فلما قوي أمر المازيار بعث إلى ابن عمه ذلك، وقيل هو أخوه القوهيار، فألزمه بابه، وولى الجبل واليا من قبله.

يقال له دري، فلما احتاج المازيار إلى الرجال لمحاربة عبد الله بن طاهر، دعا بابن عمه أو أخيه القوهيار، فقال له: أنت أعرف بجبلك من غيرك، وأظهره على أمر الأفشين ومكاتبته له، وقال له: صر في ناحية الجبل، فاحفظ علي الجبل.

وكتب المازيار إلى الدري يأمره بالقدوم عليه، فقدم عليه، فضم إليه العساكر، ووجهه في وجه عبد الله بن طاهر، وظن أنه قد توثق من الجبل بابن عمه أو أخيه القوهيار، وذلك أن الجبل لم يظن أنه يؤتى منه لأنه ليس فيه للعساكر والمحاربة طريق لكثرة المضايق والشجر الذي فيه، وتوثق من المواضع التي يتخوف منها بالدري وأصحابه، وضم إليه المقاتلة وأهل عسكره، فوجه عبد الله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين بن مصعب في جيش كثيف من خراسان إلى المازيار، ووجه المعتصم محمد بن إبراهيم بن مصعب، ووجه معه صاحب خبر يقال له يعقوب بن إبراهيم البوشنجي مولى الهادي، ويعرف بقوصرة، يكتب بخبر العسكر، فوافى محمد بن إبراهيم الحسن بن الحسين، وزحفت العساكر نحو المازيار حتى قربوا منه، والمازيار لا يشك أنه قد توثق من الموضع الذي تلقاه الجبل فيه.

وكان المازيار في مدينته في نفر يسير، فدعا ابن عم المازيار الحقد الذي كان في قلبه على المازيار وصنيعه به وتخيته إياه عن جبله، أن كاتب الحسن ابن الحسين، وأعلمه جميع ما في عساكره، وأن الأفشين كاتب المازيار.

فأنفذ الحسن كتاب ابن عم المازيار إلى عبد الله بن طاهر، فوجه به عبد الله برجل إلى المعتصم، وكاتب عبد الله والحسن بن الحسين ابن عم المازيار- وقيل القوهيار- وضمنا له جميع ما يريد، وكان ابن عم المازيار أعلم عبد الله

ابن طاهر أن الجبل الذي هو عليه كان له ولأبيه ولآبائه من قبل المازيار، وأن المازيار عند تولية الفضل بن سهل إياه طبرستان انتزع

الجليل من يديه، وألزمه بابه، واستخف به، فشرط له عبد الله بن طاهر إن هو وثب بالمازيار، واحتال له أن يصير الجبل في يديه على حسب ما لم يزل، ولا يعرض له فيه، ولا يحارب.

فرضي بذلك ابن عم المازيار، فكتب له عبد الله بن طاهر بذلك كتاباً، وتوثق له فيه، فوعد ابن عم المازيار الحسن بن الحسين ورجلهم أن يدخلهم الجبل، فلما كان وقت الميعاد، أمر عبد الله بن طاهر الحسن بن الحسين أن يزحف للقاء الدرّي، ووجهه عسكراً ضخماً عليه قائد من قواده في جوف الليل، فوافوا ابن عم المازيار في الجبل، فسلم الجبال إليهم، وأدخلهم إليها، وصاف الدرّي العسكر الذي بإزائه، فلم يشعر المازيار وهو في قصره حتى وقفت الرجالة والخليل على باب قصره، والدرّي يحارب العسكر الآخر، فحسروا المازيار، وأنزلوه على حكم أمير المؤمنين المعتصم.

وذكر عمرو بن سعيد الطبري أن المازيار كان يتصيد، فوافته الخيل في الصيد، فأخذ أسيراً، ودخل قصره عنوة، وأخذ جميع ما فيه، وتوجه الحسن بن الحسين بالمازيار، والدرّي يقاتل العسكر الذي بإزائه، لم يعلم بأخذ المازيار، فلم يشعر إلا وعسكر عبد الله بن طاهر من ورائه، فتقطعت عساكره، فانهزم ومضى يريد الدخول إلى بلاد الديلم، فقتل أصحابه، واتبعوه فلحقوه في نفر من أصحابه، فرجع يقاتلهم، فقتل وأخذ رأسه، فبعث به إلى عبد الله بن طاهر وقد صار المازيار في يده، فوعده عبد الله بن طاهر إن هو أظهره على كتب الأفشين أن يسأل أمير المؤمنين الصفح عنه، وأعلمه عبد الله أنه قد علم أن الكتب عنده فأقر المازيار بذلك، فطلبت الكتب فوجدت، وهي عدة كتب، فأخذها عبد الله بن طاهر،

فوجه بها مع المازيار إلى إسحاق بن إبراهيم، وأمره ألا يخرج الكتب من يده ولا المازيار إلا إلى يد أمير المؤمنين، لئلا يحتال للكتب والمازيار، ففعل إسحاق ذلك، فأوصلها من يده إلى يد المعتصم، فسأل المعتصم المازيار عن الكتب، فلم يقر بها، فأمر بضرب المازيار حتى مات، وصلب إلى جانب بابك.

وكان المأمون يكتب إلى المازيار: من عبد الله المأمون إلى جيل جيلان أصهبذ أصهبذان بشوار جرشاه محمد بن قارن مولى أمير المؤمنين. وقد ذكر أن بدء وهي أمر الدرّي، كان أنه لما بلغه بعد ما ضم إليه المازيار الجيش نزول جيش محمد بن إبراهيم دنباوند، وجه أخاه بزرجشنس، وضم إليه محمداً وجعفر ابني رستم الكلاري ورجالا من أهل الثغر وأهل الرويان، وأمرهم أن يصيروا إلى حد الرويان والري لمنع الجيش، وكان الحسن بن قارن قد كاتب محمداً وجعفر ابني رستم، ورغبهما، وكانا من رؤساء أصحاب الدرّي، فلما التقى جيش الدرّي وجيش محمد بن إبراهيم، انقلب ابنا رستم وأهل الثغر وأهل الرويان على بزرجشنس أخيه الدرّي، فأخذوه أسيراً، وصاروا مع محمد بن إبراهيم على مقدمته، وكان الدرّي بموضع يقال له مزن في قصره مع أهله وجميع عسكره فلما بلغه غدر محمد وجعفر ابني رستم ومتابعة أهل الثغر والرويان لهما وأسر أخيه بزرجشنس، اغتم لذلك غماً شديداً، وأذعن أصحابه، وهتهم أنفسهم، وتفرق عامتهم يطلبون الأمان، ويحتالون لأنفسهم فبعث الدرّي إلى الديلمة فصار ببابه مقدار أربعة آلاف رجل منهم، فرغبهم ومناهم ووصلهم ثم ركب وحمل الأموال معه، ومضى كأنه يريد أن يستنقذ أخاه ويحارب محمد بن إبراهيم، وإنما أراد الدخول إلى الديلم، والاستظهار بهم على محمد بن إبراهيم.

فاستقبله محمد بن إبراهيم في جيشه، فكانت بينهم وقعة صعبة، فلما

٩٠٦٣ أخبار متفرقة

مضى الدرّي هرب الموكلون بالسجن، وكسر أهل السجن أقيادهم، وخرجوا هاربين، ولحق كل إنسان ببلده واتفق خروج أهل سارية الذين كانوا في حبس المازيار وخروج هؤلاء الذين كانوا في حبس الدرّي في يوم واحد، وذلك في شعبان لثلاث عشرة ليلة خلت منه سنة خمس وعشرين ومائتين في قول محمد بن حفص وقال غيره: كان ذلك في سنة أربع وعشرين ومائتين.

وذكر عن داود بن قحذم أن محمد بن رستم، قال: لما التقى الدرّي ومحمد بن إبراهيم بساحل البحر، بين الجبل والغيزة والبحر، والغيزة متصلة بالديلم، وكان الدرّي شجاعاً بطلاً، فكان يحمل بنفسه على أصحاب محمد حتى يكشفهم، ثم يحمل معارضة من غير هزيمة، يريد

دخول الغيضة، شد عليه رجل من أصحاب محمد بن إبراهيم يقال له فند بن حاجبة، فأخذه أسيرا واسترجع، واتبع الجند أصحابه وأخذ جميع ما كان معه من الأثاث والمال والدواب والسلاح، فأمر محمد بن إبراهيم بقتل بزرجشنس أخي الدري، ودعي بالدري فده فقطعت من مرفقه، ومدت رجله فقطعت من الركبة، وكذا باليد الأخرى والرجل الأخرى، فقعد الدري على استه، ولم يتكلم ولم يتزعزع، فأمر بضرب عنقه وظفر محمد بن إبراهيم بأصحاب الدري فحملهم مكبلين.

[أخبار متفرقة]

وفي هذه السنة ولي جعفر بن دينار اليمن. وفيها تزوج الحسن بن الأفشين أترنجة بنت أشناس، ودخل بها في العمري، قصر المعتصم في جمادى الآخرة، وأحضر عرسها عامة أهل سامرا فحدث أنهم كانوا يغلفون العامة فيها بالغالية في تغار من فضة، وأن المعتصم كان يباشر بنفسه تفقد من حضرها. وفيها امتنع عبد الله الورثاني بورثان.

٩٠٦٠٤ ذكر الخبر عن خلاف منكجور الاشروسي

ذكر الخبر عن خلاف منكجور الاشروسي
وفيها خالف منكجور الاشروسي قرابة الأفشين بأذربيجان.

ذكر الخبر عن سبب خلافة:

ذكر أن الأفشين عند فراغه من أمر بابك ومنصرفه من الجبال ولي أذربيجان- وكانت من عمله- وإليه منكجور هذا، فأصاب في قرية بابك في بعض منازلها مالا عظيما، فاحتجته لنفسه، ولم يعلم به الأفشين ولا المعتصم، وكان على البريد بأذربيجان رجل من الشيعة يقال له عبد الله بن عبد الرحمن، فكتب إلى المعتصم بخبر ذلك المال، وكتب منكجور يكذب ذلك، فوقع المناظرة بين منكجور وعبد الله بن عبد الرحمن، حتى هم منكجور بقتل عبد الله بن عبد الرحمن، فاستغاث عبد الله بأهل أردبيل، فنعوه مما أراد به منكجور، وبلغ ذلك المعتصم، فأمر الأفشين أن يوجه رجلا من قبله بعزل منكجور، فوجه رجلا من قواده في عسكر ضخم، فلما بلغ منكجور ذلك، خلع وجمع إليه الصعاليك، وخرج من أردبيل، فرآه القائد فواقعه، فانهزم منكجور، وصار إلى حصن من حصون أذربيجان- التي كان بابك أحربها- حصين في جبل منيع، فبناه وأصلحه، وتحصن فيه، فلم يلبث إلا أقل من شهر حتى وثب به أصحابه الذين كانوا معه في الحصن، فأسلوه ودفعوه إلى القائد الذي كان يحاربه، فقدم به إلى سامرا، فأمر المعتصم بحسبه، فاتهم الأفشين في أمره. وقيل: إن القائد الذي وجه لحرب منكجور هذا كان بغا الكبير.

وقيل: إن بغا لما لقي منكجور خرج منكجور إليه بأمان.

وفيها مات ياطس الرومي، وصلب بسامرا إلى جانب بابك.

وفيها مات إبراهيم بن المهدي في شهر رمضان وصلى عليه المعتصم.

وجج بالناس في هذه السنة محمد بن داود.

٩٠٧ سنه خمس وعشرين ومائتين

٩٠٧٠١ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

ثم دخلت

سنة خمس وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك كان قدوم الورثاني على المعتصم في الحرم بالأمان.

وفيها قدم بغا الكبير بمنكجور سامرا.

وفيه خرج المعتصم إلى السن، واستخلف أشناس.
وفيه أجلس المعتصم أشناس على كرسي، وتوجه ووشحه في شهر ربيع الأول.
وفيه أحرق غنام المرتد.

وفيه غضب المعتصم على جعفر بن دينار، وذلك من أجل وثوبه على من كان معه من الشاكرية، وحبسه عند أشناس خمسة عشر يوماً، وعزله عن اليمن، وولاه إيتاخ، ثم رضي عن جعفر.
وفيه عزل الأفشين عن الحرس ووليه إسحاق بن يحيى بن معاذ.
وفيه وجه عبد الله بن طاهر بمازيار، فخرج إسحاق بن إبراهيم إلى الدسكرة، فأدخله سامرا في شوال، وأمر بحمله على الفيل، فقال محمد بن عبد الملك الزيات:

قد خضب الفيل كعادته ... يحمل جيلان خراسان

والفيل لا تخضب أعضاؤه ... إلا لذي شأن من الشأن

فأبى مازيار أن يركب الفيل، فأدخل على بغل بكاف، فجلس المعتصم في دار العامة، لخمس ليال خلون من ذي القعدة، وأمر فجمع بينه وبين الأفشين، وقد كان الأفشين حبس قبل ذلك بيوم، فأقر المازيار أن

٩٠٧٢ ذكر الخبر عن غضب المعتصم على الأفشين وحبسه

الأفشين كان يكاثره، ويصوب له الخلاف والمعصية، فأمر برد الأفشين إلى محبسه، وأمر بضرب مازيار، ف ضرب أربعمئة سوط وخمسين سوطاً، وطلب ماء فسقي، فمات من ساعته.

ذكر الخبر عن غضب المعتصم على الأفشين وحبسه

وفيه غضب المعتصم على الأفشين فحبسه.

ذكر الخبر عن سبب غضبه عليه وحبسه إياه:

ذكر أن الأفشين كان أيام حربه بابك ومقامه بأرض الخرمية، لا يأتيه هدية من أهل أرمينية إلا وجه بها إلى أشروسنة، فيجتاز ذلك بعبد الله بن طاهر، فيكتب عبد الله إلى المعتصم بخبره، فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر يأمر بتعريف جميع ما يوجه به الأفشين من الهدايا إلى أشروسنة، ففعل عبد الله بذلك، وكان الأفشين كلما تهيأ عنده مال حمله أوساط أصحابه من الدنانير في وسطه، فأخبر عبد الله بذلك، فبينما هو في يوم من الأيام، وقد نزل رسل الأفشين معهم الهدايا نيسابور وجه إليهم عبد الله بن طاهر، وأخذهم ففتشهم، فوجد في أوساطهم همائين، فأخذها منهم، وقال لهم: من أين لكم هذا المال؟ فقالوا: هذه هدايا الأفشين، وهذه أمواله فقال:

كذبتم، لو أراد أخي الأفشين أن يرسل بمثل هذه الأموال لكتب إلي يعلمني ذلك لأمر بحراسته وبذرقته، لأن هذا مال عظيم، وإنما أنتم لصوص.

فأخذ عبد الله بن طاهر المال، وأعطاه الجند قبله، وكتب إلى الأفشين يذكر له ما قال القوم، وقال: أنا أنكر أن تكون وجهت بمثل هذا المال إلى أشروسنة، ولم تكتب إلي تعلمني لأبذرقه، فإن كان هذا المال ليس لك فقد أعطيته الجند مكان المال الذي يوجهه إلي أمير المؤمنين في كل سنة، وإن كان المال لك - كما زعم القوم فإذا جاء المال من قبل أمير المؤمنين رددته إليك، وإن يكن غير ذلك فأمر المؤمنين أحق بهذا المال، وإنما دفعته إلى الجند لأنني أريد أن أوجههم إلى بلاد الترك.

فكتب إليه الأفشين يعلمه أن ماله ومال أمير المؤمنين واحد، ويسأله إطلاق القوم ليمضوا إلى أشروسنة، فأطلقهم عبد الله بن طاهر، فمضوا، فكان ذلك سبب الوحشة بين عبد الله بن طاهر وبين الأفشين.

ثم جعل عبد الله يتبع عليه، وكان الأفشين يسمع أحياناً من المعتصم كلاماً يدل على أنه يريد أن يعزل آل طاهر عن خراسان، فطمع الأفشين في ولايتها، فجعل يكتب مازيار، ويبعثه على الخلاف، ويضمن له القيام بالدفع عنه عند السلطان، ظناً منه أن مازيار إن

خالف احتاج المعتصم إلى أن يوجهه لمحاربته، ويعزل عبد الله بن طاهر ويوليه خراسان، فكان من أمر مازيار ما قد مضى ذكره. وكان من أمر منكجور بأذريجان ما قد وصفنا قبل، فتحقق عند المعتصم - بما كان من أمر الأفشين ومكاتبته مازيار بما كان يكاتبه به - ما كان اتهمه به من أمر منكجور، وأن ذلك كان عن رأي الأفشين وأمره إياه به، فتغير المعتصم للأفشين لذلك، وأحس الأفشين بذلك، وعلم تغير حاله عنده، فلم يدر ما يصنع، فعزم - فيما ذكر - على أن يهني أطوافا في قصره، ويحتال في يوم شغل المعتصم وقواده أن يأخذ طريق الموصل، ويعبر الزاب على تلك الأطواف، حتى يصير إلى بلاد أرمينية، ثم إلى بلاد الخزر، فحسر ذلك عليه، فهاجماً سما كثيراً، وعزم على أن يعمل طعاماً ويدعو المعتصم وقواده فيسقيهم، فإن لم يجبه المعتصم استأذنه في قواد الأتراك، مثل أشناس وإيتاخ وغيرهم في يوم تشاغل أمير المؤمنين، فإذا صاروا إليه أطعمهم وسقاهم وسمهم، فإذا انصرفوا من عنده خرج من أول الليل، وحمل تلك الأطواف والآلة التي يعبر بها على ظهور الدواب حتى يجيء إلى الزاب فيعبر باثقاله على الأطواف، ويعبر الدواب سباحة كما أمكنه، ثم يرسل الأطواف حتى يعبر في دجلة، ويدخل هو بلاد أرمينية، وكانت ولاية أرمينية إليه، ثم يصير هو إلى بلاد الخزر مستأمناً، ثم يدور من بلاد الخزر إلى بلاد الترك، ويرجع من بلاد الترك إلى بلاد أشروسنة، ثم يستميل الخزر على أهل الإسلام، فكان في تهيئة ذلك.

وطال به الأمر فلم يمكنه ذلك وكان قواد الأفشين ينوبون في دار أمير المؤمنين كما ينوب القواد، فكان واجن الأشروسي قد جرى بينه وبين من قد اطلع على أمر الأفشين حديث، فذكر له واجن أن هذا الأمر لا أراه يمكن ولا يتم، فذهب ذلك الرجل الذي سمع قول واجن، فحكاه للأفشين وسمع بعض من يميل إلى واجن من خدم الأفشين وخاصته ما قال الأفشين في واجن، فلما انصرف واجن من النوبة في بعض الليل أتاه فأخبره أن قد ألقى ذلك إلى الأفشين، فحذر واجن على نفسه، فركب من ساعته في جوف الليل حتى أتى دار أمير المؤمنين، وقد نام المعتصم، فصار إلى إيتاخ، فقال: إن لأمر المؤمنين عندي نصيحة، فقال له إيتاخ: أليس الساعة كنت هاهنا! قد نام أمير المؤمنين فقال له واجن: ليس يمكنني أن أصبر إلى غد، فدق إيتاخ الباب على بعض من يعلم المعتصم بالذي قال واجن، فقال المعتصم: قل له ينصرف الليلة إلى منزله، ويكر علي في غد فقال واجن: إن انصرفت الليلة ذهبت نفسي، فأرسل المعتصم إلى إيتاخ: بيته الليلة عندك فبيته إيتاخ عنده، فلما أصبح بكر به مع صلاة الغداة، فأوصله إلى المعتصم، فأخبره بجميع ما كان عنده، فدعا المعتصم محمد بن حماد بن دنقش الكاتب، فوجهه يدعو الأفشين، فجاء الأفشين في سواد، فأمر المعتصم بأخذ سواده، وحبسه، فحبس في الجوسق، ثم بنى له حبساً مرتفعاً، وسماه لؤلؤه داخل الجوسق، وهو يعرف إلى الآن بالأفشين.

وكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر في الاحتياط للحسن بن الأفشين - وكان الحسن قد كثرت كتبه إلى عبد الله بن طاهر في نوح بن أسد - يعلمه تحامله على ضياعه وناحيته، فكتب عبد الله بن طاهر إلى نوح بن أسد يعلمه ما كتب به أمير المؤمنين في أمره، ويأمره بجمع أصحابه والتأهب له، فإذا قدم عليه الحسن ابن الأفشين بكتاب ولايته استوثق منه، وحمله إليه فكتب عبد الله بن طاهر إلى الحسن بن الأفشين يعلمه أنه عزل نوح بن أسد، وأنه قد ولاه الناحية، ووجه إليه بكتاب عزل نوح بن أسد. ففرج الحسن بن الأفشين في قلة من أصحابه وسلاحه، حتى ورد على نوح بن أسد، وهويظن أنه والي الناحية، فأخذه نوح بن أسد، وشده وثاقاً.

ووجه به إلى عبد الله بن طاهر، فوجه به عبد الله إلى المعتصم وكان الحبس الذي بني للأفشين شبيهاً بالمنارة، وجعل في وسطها مقدار مجلسه، وكان الرجال ينوبون تحتها كما تدور وذكر عن هارون بن عيسى بن المنصور، أنه قال: شهدت دار المعتصم وفيها أحمد بن أبي دواد وإسحاق بن إبراهيم بن مصعب ومحمد بن عبد الملك الزيات، فأتى بالأفشين ولم يكن بعد في الحبس الشديد، فأحضر قوم من الوجوه لتبكي الأفشين بما هو عليه ولم يترك في الدار أحد من أصحاب المراتب إلا ولد المنصور، وصرف الناس.

وكان المناظر له محمد بن عبد الملك الزيات، وكان الذين أحضروا المازيار صاحب طبرستان والموبذ والمرزبان بن تركش - وهو أحد ملوك السغد - ورجلان من أهل السغد، فدعا محمد بن عبد الملك بالرجلين، وعليهما ثياب رثة، فقال لهما محمد بن عبد الملك: ما شأنكما؟ فكشفا عن ظهورهما وهي عارية من اللحم، فقال له محمد: تعرف هذين؟ قال: نعم، هذا مؤذن، وهذا إمام، بنيا مسجداً بأشروسنة

فضربت كل واحد منهما ألف سوط، وذلك أن بيني وبين ملوك السغد عهدا وشرطا، أن أترك كل قوم على دينهم وما هم عليه، فوثب هذان على بيت كان فيه أصنامهم- يعني أهل أشروسنة- فأخرجوا الأصنام، واتخذوا مسجدا، فضربتهما على هذا ألفا ألفا لتعديهما، ومنعهما القوم من بيعتهما فقال له محمد: ما كتاب عندك قد زينته بالذهب والجواهر والديباج، فيه الكفر بالله؟ قال: هذا كتاب ورثته عن أبي، فيه أدب من آداب العجم، وما ذكرت من الكفر، فكنت أستمع منه بالأدب، وأترك ما سوى ذلك، ووجدته محلي، فلم تضطرنني الحاجة إلى

أخذ الحلية منه، فتركته على حاله، ككتاب كليلة ودمنة وكتاب مزدك في منزلك، فما ظننت أن هذا يخرج من الإسلام. قال: ثم تقدم الموبذ، فقال: إن هذا كان يأكل المخنوقة، ويحملني على أكلها، ويزعم أنها أرطب لحما من المذبوحة، وكان يقتل شاة سوداء كل يوم أربعاء، يضرب وسطها بالسيف يمشي بين نصفها ويأكل لحما. وقال لي يوما: إني قد دخلت لهؤلاء القوم في كل شيء أكرهه، حتى أكلت لهم الزيت وركبت الجمل، ولبست النعل، غير أنني إلى هذه الغاية لم تسقط عني شعرة- يعني لم يطل ولم يختتن.

فقال الأفشين: خبروني عن هذا الذي يتكلم بهذا الكلام، ثقة هو في دينه؟ - وكان الموبذ مجوسيا أسلم بعد على يد المتوكل وناممه- قالوا: لا، قال: فما معنى قبولكم شهادة من لا تثقون به ولا تعدلونه! ثم أقبل على الموبذ، فقال: هل كان بين منزلي ومنزلك باب أو كوة تطلع علي منها وتعرف أخباري منها؟ قال: لا، قال: أفليس كنت ادخلك إلى وابثك سري وأخبرك بالأعجمية وميلي إليها وإلى أهلها؟ قال: نعم، قال: فلست بالثقة في دينك ولا بالكريم في عهدك، إذا أفشيت علي سرا أسرته إليك.

ثم تنحى الموبذ، وتقدم المرزبان بن تركش، فقالوا للأفشين: هل تعرف هذا؟ قال: لا، فقل للمرزبان: هل تعرف هذا؟ قال: نعم، هذا الأفشين، قالوا له: هذا المرزبان، فقال له المرزبان: يا مخرق، كم تدافع وتموه! قال له الأفشين: يا طويل الحية، ما تقول؟ قال: كيف يكتب إليك أهل مملكتك؟ قال: كما كانوا يكتبون إلى أبي وجدي قال: فقل، قال: لا أقول، فقال المرزبان: أليس يكتبون إليك بكذا وكذا بالأشروسنية؟ قال: بلى، قال: أفليس تفسيره بالعربية إلى إله الآلهة من

عنده فلان بن فلان، قال: بلى! قال محمد بن عبد الملك: والمسلمون يحتملون أن يقال لهم هذا! فما بقيت لفرعون حين قال لقومه: «أنا رَبُّكُمْ الأعلى»! قال: كانت هذه عادة القوم لأبي وجدي، ولي قبل أن أدخل في الإسلام، فكرهت أن أضع نفسي دونهم ففسد علي طاعتهم فقال له إسحاق بن إبراهيم بن مصعب: ويحك يا خيذر! كيف تحلف بالله لنا فنصدقك ونصدق يمينك ونجريك مجرى المسلمين، وأنت تدعي ما ادعى فرعون! قال: يا أبا الحسين، هذه سورة قرأها عجيف على علي بن هشام، وأنت تقرؤها علي، فانظر غدا من يقرؤها عليك! قال: ثم قدم مازيار صاحب طبرستان، فقالوا للأفشين: تعرف هذا؟

قال: لا، قالوا للمازيار: تعرف هذا؟ قال: نعم، هذا الأفشين، فقالوا له: هذا المازيار؟ قال: نعم، قد عرفته الآن، قالوا: هل كاتبته؟ قال: لا، قالوا للمازيار: هل كتب إليك؟ قال: نعم، كتب أخوه خاش إلى أخي قوهيار، أنه لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض غيري وغيرك وغير بابك، فاما بابك فانه بحمقه قتل نفسه ولقد جهدت أن أصرف عنه الموت فأبى حمقه إلا أن دلاه فيما وقع فيه، فإن خالفت لم يكن للقوم من يرمونك به غيري ومعني الفرسان وأهل النجدة والبأس، فإن وجهت إليه لم يبق أحد يحاربنا إلا ثلاثة: العرب، والمغاربة، والأتراك، والعربي بمنزلة الكلب اطرح له كسرة ثم اضرب رأسه بالدبوس، وهؤلاء الذباب- يعني المغاربة- إنما هم أكلة رأس، وأولاد الشياطين- يعني الأتراك- فإنما هي ساعه حتى تنفذ سهامهم، ثم تجول الخيل عليهم جولة فتأتي على آخرهم، ويعود الدين إلى ما لم يزل عليه أيام العجم فقال الأفشين: هذا يدعي على أخيه وأخي دعوى لا تجب علي، ولو كنت كتبت بهذا الكتاب إليه لأستيله إلي ويثق بناحيته كان غير مستنكر، لأنني إذا نصرت الخليفة بيدي، كنت بالحيلة أخرى أن أنصره لأخذ بقفاه، وآتي به الخليفة لأحظى به عنده، كما حظي

٩٠٧.٣ أخبار متفرقة

به عبد الله بن طاهر عند الخليفة ثم نحى المازيار.
ولما قال الأفشين للهرزبان التركشي ما قال، وقال لإسحاق بن إبراهيم ما قال، زجر ابن أبي دواد الأفشين، فقال له الأفشين: أنت يا أبا عبد الله ترفع طيلسانك بيدك، فلا تضعه على عاتقك حتى تقتل به جماعة، فقال له ابن أبي دواد: أمطهر أنت؟ قال: لا، قال: فما منعك من ذلك، وبه تمام الإسلام، والظهور من النجاسة! قال: أوليس في دين الإسلام استعمال التقية؟ قال: بلى، قال: خفت أن أقطع ذلك العضو من جسدي فأموت، قال: أنت تطعن بالرمح، وتضرب بالسيف، فلا يمنعك ذلك من أن تكون في الحرب وتجنز من قطع قلعة! قال: تلك ضرورة تعينني فأصبر عليها إذا وقعت، وهذا شيء أستجلبه فلا آمن معه خروج نفسي، ولم أعلم أن في تركها الخروج من الإسلام، فقال ابن أبي دواد: قد بان لكم أمره يا بغا- لبغا الكبير أبي موسى التركي- عليك به! قال: فضرب بيده بغا على منطقتة فجذبها، فقال قد كنت أتوقع هذا منكم قبل اليوم، فقلب بغا ذيل القباء على رأسه، ثم أخذ بجامع القباء من عند عنقه، ثم أخرجه من باب الوزيري إلى محبسه.

[أخبار متفرقة]

وفي هذه السنة حمل عبد الله بن طاهر الحسن بن الأفشين وأترنجة بنت أشناس إلى سامرا.
وجج بالناس في هذه السنة محمد بن داود

٩٠٨ سنة ست وعشرين ومائتين

٩٠٨.١ خبر وثوب على بن إسحاق برجاء بن أبي الضحاك

٩٠٨.٢ ذكر الخبر عن موت الأفشين

ثم دخلت

سنة ست وعشرين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

خبر وثوب على بن إسحاق برجاء بن أبي الضحاك

فمن ذلك ما كان فيها من وثوب علي بن إسحاق بن يحيى بن معاذ- وكان على المعونة بدمشق من قبل صول أرتكين- برجاء بن أبي الضحاك، وكان على الخراج، فقتله، وأظهر الوسواس، ثم تكلم أحمد بن أبي دواد فيه، فأطلق من محبسه، فكان الحسن بن رجاء يلقاه في طريق سامرا، فقال البحراني الطائي:

عفا علي بن إسحاق بفتكته ... على غرائب تيه كن في الحسن

أنسته تنقيعه في اللفظ نازلة ... لم تبق فيه سوى التسليم للزمن

فلم يكن كابن حجر حين ثار ولا ... أنخي كليب ولا سيف بن ذي يزن

ولم يقل لك في وتر طلبت به ... تلك المكارم لا قعبان من لبن

وفيها مات محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، فصلى عليه المعتصم في دار محمد

. ذكر الخبر عن موت الأفشين

وفيها مات الأفشين.

ذكر الخبر عن موته وما فعل به عند موته وبعده:

ذكر عن حمدون بن إسماعيل، أنه قال: لما جاءت الفاكهة الحديثة، جمع المعتصم من الفواكه الحديثة في طبق، وقال لابنه هارون الواصل: اذهب

بهذه الفاكهة بنفسك إلى الأفشين، فأدخلها إليه فحملت مع هارون الواصل حتى صعد بها إليه في البناء الذي بنى له الذي يسمى لؤلؤه،

فحبس فيه، فنظر إليه الأفشين، فافتقد بعض الفاكهة، إما الإجاص وإما الشاهلوج، فقال للوائق: لا إله الا الله، ما أحسنه من طبق، ولكن ليس لي فيه إجاص ولا شاهلوج! فقال له الوائق: هو ذا، انصرف أوجه به إليك، ولم يمس من الفاكهة شيئاً، فلما أراد الوائق الانصراف قال له الأفشين: أقرئ سيدي السلام، وقل له: أسألك أن توجه إلي ثقة من قبلك يؤدي عني ما أقول، فأمر المعتصم حمدون بن إسماعيل - وكان حمدون في أيام المتوكل في حبس سليمان بن وهب في حبس الأفشين هذا، فحدث بهذا الحديث وهو فيه: قال حمدون: فبعث بي المعتصم إلى الأفشين، فقال لي: إنه سيطول عليك فلا تحتبس قال: فدخلت عليه، وطبق الفاكهة بين يديه لم يمس منه واحدة فما فوقها، فقال لي: اجلس، فجلست فاستمالي بالدهقنة، فقلت: لا تطول، فإن أمير المؤمنين قد تقدم إلي ألا أحتبس عندك، فأوجز.

فقال: قل لأمر المؤمنين، أحسنت إلي وشرفني، وأوطأت الرجال عقبي، ثم قبلت في كلاما لم يتحقق عندك، ولم تندبره بعقلك، كيف يكون هذا، وكيف يجوز لي أن أفعل هذا الذي بلغك! تخبر بأني دسست إلى منكجور أن يخرج، وتقبله، وتخبر أنني قلت للقائد الذي وجهته إلى منكجور:

لا تخاربه، واعذر، وإن أحسست بأحد منا فانهزم من بين يديه، أنت رجل قد عرفت الحرب، وحاربت الرجال، وسست العساكر، هذا يمكن رأس عسكر يقول لجند يلقون قوما: افعلوا كذا وكذا، هذا ما لا يسوغ لأحد أن يفعله، ولو كان هذا يمكن ما كان ينبغي أن تقبله من عدو قد عرفت سببه، وأنت أولى بي، إنما أنا عبد من عبيدك، وصنيعك، ولكن مثلي ومثلك يا أمير المؤمنين مثل رجل ربى عجلا له حتى أسمنه وكبر، وحسنت

حاله، وكان له أصحاب اشتوا أن يأكلوا من لحمه، فعرضوا له بذبح العجل فلم يجبههم إلى ذلك، فاتفقوا جميعا على أن قالوا له ذات يوم: ويحك! لم تربي هذا الأسد؟ هذا سبع، وقد كبر، والسبع إذا كبر يرجع إلى جنسه! فقال لهم: ويحك هذا عجل بقر، ما هو سبع، فقالوا: هذا سبع، سل من شئت عنه، وقد تقدموا إلى جميع من يعرفونه، فقالوا له: إن سألكم عن العجل، فقولوا له: هذا سبع، فكلما سأل الرجل إنسانا عنه، وقال له: أما ترى هذا العجل ما أحسنه! قال الآخر: هذا سبع، هذا أسد، ويحك! فأمر بالعجل فذبح، ولكني أنا ذلك العجل، كيف أقدر أن أكون أسدا! الله الله في امرى، اصطنعتني وشرفني وأنت سيدي ومولاي، أسأل الله أن يعطف بقلبك علي قال حمدون: فقممت فانصرفت، وتركت الطبق على.

حاله لم يمس منه شيئا، ثم ما لبثنا إلا قليلا، حتى قيل: إنه يموت أو قد مات، فقال المعتصم: أروه ابنه، فأخرجوه فطرحوه بين يديه، فنتف لحيته وشعره، ثم أمر به فحمل إلى منزل إيتاخ. قال: وكان أحمد بن أبي دواد دعا به في دار العامة من الحبس، فقال له: قد بلغ أمير المؤمنين أنك يا خيدر، أقلف، قال: نعم، وإنما أراد ابن أبي دواد أن يشهد عليه، فإن تكشف نسب إلى الخرج، وإن لم يتكشف صح عليه أنه أقلف، فقال: نعم، أنا أقلف، وحضر الدار ذلك اليوم جميع القواد والناس، وكان ابن أبي دواد أخرجه إلى دار العامة قبل مصير الوائق إليه بالفاكهة، وقبل مصير حمدون بن إسماعيل إليه.

قال حمدون: فقلت له: أنت أقلف كما زعمت؟ فقال الأفشين: أخرجني إلى مثل ذلك الموضع، وجميع القواد والناس قد اجتمعوا، فقال لي ما قال، وإنما أراد أن يفضحني، إن قلت له: نعم لم يقبل قولي، وقال لي: تكشف، فيفضحني بين الناس، فالموت كان أحب إلي من أن أتكشف بين أيدي الناس، ولكن يا حمدون إن أحببت أن أتكشف بين يديك حتى تراني فعلت، قال حمدون: فقلت له: أنت عندي صدوق، وما أريد أن تكشف.

فلما انصرف حمدون فأبلغ المعتصم رسالته، أمر بمنع الطعام منه إلا القليل، فكان يدفع إليه في كل يوم رغيف حتى مات، فلما ذهب به بعد موته إلى دار إيتاخ، أخرجه فصلبوه على باب العامة ليراه الناس، ثم طرح بباب العامة مع خشبته، فأحرق وحمل الرماد، وطرح في دجلة.

وكان المعتصم حين أمر بحبسه وجه سليمان بن وهب الكاتب يحصي جميع ما في دار الأفشين ويكتبه في ليلة من الليالي، وقصر الأفشين

بالمطيرة، فوجد في داره بيت فيه تمثال إنسان من خشب، عليه حلية كثيرة وجوهر، وفي أذنيه حجران أبيضان مشتبكان، عليهما ذهب، فأخذ بعض من كان مع سليمان أحد الحجرين، وظن أنه جوهر له قيمة، وكان ذلك ليلاً، فلما أصبح ونزع عنه شباك الذهب، وجده حجراً شبيهاً بالصدف الذي يسمى الحبرون، من جنس الصدف الذي يقال له البوق، من صدف أخرج من منزله صور السماجة وغيرها وأصنام وغير ذلك، والاطواف والخشب التي كان أعدها، وكان له متاع بالوزيرية، فوجد فيه أيضاً صنم آخر، ووجدوا في كتبه كتاباً من كتب المجوس يقال له زراوه وأشياء كثيرة من الكتب، فيها ديانتته التي كان يدين بها ربه.

وكان موت الأفشين في شعبان من سنة ست وعشرين ومائتين. ورجع بالناس في هذه السنة محمد بن داود بأمر أشناس، وكان أشناس حاجاً في هذه السنة، فولي كل بلدة يدخلها فدعي له على جميع المناير التي مر بها من سامرا إلى مكة والمدينة.

وكان الذي دعا له على منبر الكوفة محمد بن عبد الرحمن بن عيسى بن موسى، وعلى منبر فيد هارون بن محمد بن أبي خالد المروزي، وعلى منبر المدينة محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان، وعلى منبر مكة محمد بن داود بن عيسى بن موسى، وسلم عليه في هذه الكور كلها بالإمارة، وكانت له ولايتها إلى أن رجع إلى سامرا.

٩٠٩ سنه سبع وعشرين ومائتين

٩٠٩٠١ ذكر خبر خروج أبي حرب المبرقع

ثم دخلت

سنة سبع وعشرين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر خبر خروج أبي حرب المبرقع

فمن ذلك ما كان من خروج أبي حرب المبرقع اليماني بفلسطين وخلافه على السلطان.

ذكر الخبر عن سبب خروجه وما آل إليه أمره:

ذكر لي بعض أصحابي ممن ذكر أنه خبير بأمره، أن سبب خروجه على السلطان كان أن بعض الجند أراد النزول في داره وهو غائب عنها، وفيها إما زوجته وإما أخته، فمانعته ذلك، فضر بها بسوط كان معه، فائقته بذراعها، فأصاب السوط ذراعها، فأثر فيها، فلما رجع أبو حرب إلى منزله بكت وشكت إليه ما فعل بها، وأرته الأثر الذي بذراعها من ضربه، فأخذ أبو حرب سيفه ومشى إلى الجندي وهو غار، فضر به حتى قتله، ثم هرب وألبس وجهه برقاً كي لا يعرف، فصار إلى جبل من جبال الأردن، فطلبه السلطان فلم يعرف له خبر، وكان أبو حرب يظهر بالنهار فيقعد على الجبل الذي أوى إليه متبرقعا، فيراه الرائي فيأتيه، فيذكره ويحرضه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويذكر السلطان وما يأتي إلى الناس ويعيبه، فما زال ذلك دأبه حتى استجاب له قوم من حراثي أهل تلك الناحية وأهل القرى، وكان يزعم أنه أموي، فقال الذين استجابوا له: هذا هو السفياي، فلما كثرت غاشيته وتباعه من هذه الطبقة من الناس، دعا أهل البيوتات من أهل تلك الناحية، فاستجاب له منهم جماعة من رؤساء اليمانية، منهم رجل يقال له ابن بييس، كان مطاعاً في أهل اليمن ورجلان آخران من أهل دمشق، فاتصل الخبر

بالمعتصم وهو عليل، علته التي مات فيها، فبعث إليه رجاء بن أيوب الحضاري في زهاء ألف من الجند، فلما صار رجاء إليه وجده في عالم من الناس.

فذكر الذي أخبرني بقصته أنه كان في زهاء مائة ألف، فكره رجاء مواقفته وعسكر بجذائه، وطاوله، حتى كان أول عمارة الناس الأرضين وحراثتهم، وانصرف من كان من الحراثين مع أبي حرب إلى الحراثة وأرباب الأرضين إلى أراضيهم، وبقي أبو حرب في نفر زهاء ألف أو ألفين، ناجزه رجاء الحرب، فالتقى العسكران: عسكر رجاء وعسكر المبرقع، فلما التقوا تأمل رجاء عسكر المبرقع، فقال لأصحابه: ما

أرى في عسكره رجلا له فروسية غيره، وإنه سيظهر لأصحابه من نفسه بعض ما عنده من الرجلة، فلا تعجلوا عليه قال: وكان الأمر كما قال رجاء، فما لبث المبرقع أن حمل على عسكر رجاء، فقال رجاء لأصحابه: أفرجوا له، فأفرجوا له، حتى جاوزهم ثم كر راجعا، فأمر رجاء أصحابه أن يفرجوا له، فأفرجوا له حتى جاوزهم، ورجع إلى عسكر نفسه، ثم أهل رجاء، وقال لأصحابه: إنه سيحمل عليكم مرة أخرى، فأفرجوا له، فإذا أراد الرجوع فحولوا بينه وبين ذلك، وأخذوه ففعل المبرقع ذلك، فحمل على أصحاب رجاء، فأفرجوا له حتى جاوزهم، ثم كر راجعا فأحاطوا به، فأخذوه فأنزله عن دابته.

قال: وقد كان قدم على رجاء حين ترك معالجة المبرقع الحرب من قبل المعتصم مستحث، فأخذ الرسول فقيده إلى أن كان من أمره، وأمر أبي حرب ما كان مما ذكرنا، ثم أطلقه.

قال: فلما كان يوم قدوم رجاء بأبي حرب على المعتصم، عزله المعتصم على ما فعل برسوله، فقال له رجاء: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك! وجهتني في ألف إلى مائة ألف، فكرهت أن أعاجله فأهلك ويهلك من معي، ولا نغني شيئا، فتمهل حتى خف من معه، ووجدت فرصة،

٩٠٩٢ ذكر الخبر عن وفاه المعتصم والعه التي مات بها

ورأيت لحربه وجهها وقيامها، فناهضته وقد خف من معه وهو في ضعف، ونحن في قوة، وقد جئتكم بالرجل أسيرا. قال أبو جعفر: وأما غير من ذكرت أنه حدثني حديث أبي حرب على ما وصفت، فإنه زعم أن خروجه إنما كان في سنة ست وعشرين ومائتين بالرملة، فقالوا: إنه سفياني، فصار في خمسين ألفا من أهل اليمن وغيرهم، واعتقد ابن بيهس وآخران معه من أهل دمشق، فوجه إليهم، المعتصم رجاء الحضاري في جماعة كبيرة، فواقعهم بدمشق، فقتل من أصحاب ابن بيهس وصاحبيه نحو من خمسة آلاف، وأخذ ابن بيهس أسيرا، وقتل صاحبيه، وواقع أبا حرب بالرملة، فقتل من أصحابه نحو من عشرين ألفا، وأسر أبا حرب، فحمل إلى سامرا، فجعل وابن بيهس في المطبخ وفي هذه السنة أظهر جعفر بن مهران الكندي الخلاف، فبعث إليه المعتصم في المحرم إيتاخ إلى جبال الموصل لحربه، فوثب بجعفر بعض أصحابه فقتله.

وفيها كانت وفاة بشر بن الحارث الحافي في شهر ربيع الأول وأصله من مرو ذكر الخبر عن وفاه المعتصم والعه التي مات بها

وفيها كانت وفاة المعتصم وذلك- فيما ذكر- يوم الخميس، فقال بعضهم: ثلثاني عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول لساعتين مضتا من النهار.

ذكر الخبر عن العلة التي كانت منها وفاته وقدر مدة عمره وصفته:

ذكر أن بدء علته أنه احتجم أول يوم من المحرم، واعتل عندها، فذكر عن محمد بن أحمد بن رشيد عن زنام الزامر، قال: قد وجد المعتصم في علته التي توفي فيها افاقه، فقال: هيثوا إلى الزلال لاركب، فركب وركبت معه، ففر في دجلة بإزاء منازلهم، فقال: يا زنام، ازمري: يا منزلا لم تبل أطلاله ... حاشي لأطلاك أن تبل

لم أبك أطلاك لكنني ... بكيت عيشي فيك إذ ولي

والعيش أولى ما بكاه الفتى ... لا بد للمحزون أن يسلي

قال: فما زلت أزمر هذا الصوت حتى دعا برطلية، فشرب منها قدحا وجعلت أزمره وأكرره، وقد تناول منديلا بين يديه، فما زال يبكي ويمسح دموعه فيه وينتحب، حتى رجع إلى منزله، ولم يستم شرب الرطلية.

وذكر عن علي بن الجعدانة، قال: لما احتضر المعتصم جعل يقول:

ذهبت الحيل ليست حيلة، حتى أصمت.

وذكر عن غيره أنه جعل يقول: إني أخذت من بين هذا الخلق.

وذكر عنه أنه قال: لو علمت أن عمري هكذا قصير ما فعلت.

ما فعلت فلها مات دفن بسامرا، فكانت خلافته ثمانين سنين وثمانية أشهر ويومين.
 وقيل: كان مولده سنة ثمانين ومائة في شعبان وقيل: كان في سنة تسع وسبعين ومائة، فإن كان مولده سنة ثمانين ومائة فإن عمره كله كان ستا وأربعين سنة وسبعة أشهر وثمانية عشر يوما.
 وإن كان مولده سنة تسع وسبعين ومائة، فإن عمره كان سبعا وأربعين سنة وشهرين وثمانية عشر يوما وكان- فيما ذكر- أبيض أصهب اللحية طويلها، مربوعا مشرب اللون حمرة، حسن العينين.
 وكان مولده بالخلد وقال بعضهم: ولد سنة ثمانين ومائة في الشهر الثامن.
 وهو ثامن الخلفاء، والثامن من ولد العباس، وعمره كان ثمانيا وأربعين سنة.
 ومات عن ثمانية بنين وثمان بنات، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر، فقال محمد بن عبد الملك الزيات:
 قد قلت إذ غيبوك واصطفقت ... عليك أيد بالترب والطين
 اذهب فنعم الحفيظ كنت على ... الدنيا ونعم الظهير للدين
 لا جبر الله أمة فقدت ... مثلك إلا بمثل هارون

٩٠٩٣ ذكر الخبر عن بعض اخلاق المعتصم وسيره

وقال مروان بن أبي الجنوب وهو ابن أبي حفصة:
 أبو إسحاق مات ضحى فتنا ... وأمسينا بهارون حيننا
 لئن جاء الخميس بما كرهنا ... لقد جاء الخميس بما هونا
 ذكر الخبر عن بعض أخلاق المعتصم وسيره
 ذكر عن ابن ابى دواد أنه ذكر المعتصم بالله، فأسهب في ذكره، وأكثر في وصفه، وأطنب في فضله، وذكر من سعة أخلاقه وكرم أعراقه وطيب مركبه ولين جانبه، وجميل عشرته، فقال: قال لي يوما ونحن بعمورية: ما تقول في البسريا أبا عبد الله؟ قلت: يا أمير المؤمنين، نحن ببلاد الروم والبسر بالعراق، قال: صدقت قد وجهت إلى مدينة السلام، فجاءوا بكباستين، وعلت أنك تشتهيه ثم قال: يا إيتاخ، هات إحدى الكباستين، فجاء بكباسة بسر، فد ذراعه، وقبض عليها بيده، وقال:
 كل بحياقي عليك من يدي، فقلت: جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين! بل تضعها فأكل كما أريد، قال: لا والله إلا من يدي، قال: فوالله ما زال حاسرا عن ذراعه، ومادا يده، وأنا اجتني من العذق، وأكل حتى رمى به خاليا ما فيه بسرة.
 قال: وكنت كثيرا ما أزامله في سفره ذلك، إلى أن قلت له يوما: يا أمير المؤمنين، لو زاملك بعض مواليك وبطانتك فاسترحمت مني إليهم مرة، ومنهم إلي مرة أخرى، كان ذلك أنشط لقلبك، وأطيب لنفسك، وأشد لراحتك، قال: فإن سيما الدمشقي يزاملني اليوم، فمن يزاملك أنت؟ قلت: الحسن ابن يونس، قال: فأنت وذاك قال: فدعوت الحسن فزاملني وتهيا أن ركب المعتصم بغلا، فاختر أن يكون منفردا، قال: فجعل يسير بسير بعيري، فإذا أراد أن يكلمني رفع رأسه إلي، وإذا أردت أن أكله خفضت رأسي، قال: فانتبهنا إلى واد ولم نعرف غوره، وقد خلفنا العسكر وراءنا، فقال لي: مكانك حتى أتقدم فأعرف غور الماء وأطلب قلته، واتبع أنت موضع سيرى، قال: فتقدم فدخل الوادي.

وجعل يطلب قلة الماء، فره يخرف عن يمينه، ومره يخرف عن شماله، وتارة يمشي لسننه، وأنا خلفه متبع لأثره حتى قطعنا الوادي قال: واستخرجت منه لأهل الشاش ألف درهم لكري نهر لهم اندفن في صدر الإسلام، فأضر ذلك بهم، فقال لي: يا أبا عبد الله، ما لي ولك، تأخذ مالي لأهل الشاش وفرغانة! قلت: هم رعيتك يا أمير المؤمنين، والأقصى والأدنى في حسن نظر الإمام سواء.
 وقال غيره: إنه إذا غضب لا يبالي من قتل ولا ما فعل.

وذكر عن الفضل بن مروان أنه قال: لم يكن للمعتصم لذة في تزيين البناء، وكانت غايته فيه الأحكام قال: ولم يكن بالنفقة على شيء أسمح منه بالنفقة في الحرب.

وذكر محمد بن راشد، قال: قال لي أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم:

دعاني أمير المؤمنين المعتصم يوما، فدخلت عليه وعليه صدره وشي ومنطقة ذهب وخف أحمر، فقال لي: يا إسحاق، أحببت أن أضرب معك بالصوالة، فبحياتي عليك إلا لبست مثل لباسي، فاستعفيته من ذلك فأبى، فلبست مثل لباسه، ثم قدم إليه فرس محلاة بحلية الذهب، ودخلنا الميدان، فلما ضرب ساعة، قال لي: أراك كسلان، وأحسبك تكره هذا الزي، فقلت:

هو ذاك يا أمير المؤمنين، فنزل وأخذ بيدي، ومضى يمشي وأنا معه إلى أن صار إلى حجرة الحمام، فقال: خذ ثيابي يا إسحاق، فأخذت ثيابه حتى تجرد، ثم أمرني بنزع ثيابي ففعلت، ثم دخلنا أنا وهو الحمام، وليس معنا غلام، فقمت عليه ودلكته، وتولى أمير المؤمنين المعتصم مني مثل ذلك، وأنا في كل ذلك أستعفيه، فيأبى علي، ثم خرج من الحمام فأعطيته ثيابه، ولبست ثيابي، ثم أخذ بيدي ومضى يمشي، وأنا معه حتى صار إلى مجلسه فقال:

يا إسحاق، جئني بمصلى ومحدثين، فحجته بذلك، فوضع المحدثين، ونام على وجهه، ثم قال: هات مصلى ومحدثين، فجئت بهما، فقال: ألقه ونم عليه بجذائي، فخلفت ألا أفعل، فجلست عليه، ثم حضر إيتاخ التركي وأشناس، فقال لهما: امضيا إلى حيث إذا صحت سمعتما، ثم قال: يا إسحاق، في قلبي أمر أنا مفكر فيه منذ مدة طويلة، وإنما بسطتك في هذا الوقت لأفشيهِ إليك، فقلت: قل يا سيدي يا أمير المؤمنين، فإنما أنا عبدك وابن عبدك، قال: نظرت إلى أخي المأمون وقد اصطنع أربعة أنجبوا، واصطنعت أنا أربعة لم يفلح أحد منهم، قلت: ومن الذين اصطنعهم أخوك؟ قال: طاهر بن الحسين، فقد رأيت وسمعت، وعبد الله بن طاهر، فهو الرجل الذي لم ير مثله، وأنت، فأنت والله لا يعتاض السلطان منك أبدا، وأخوك محمد بن إبراهيم، وأين مثل محمد! وأنا فاصطنعت الأفشين فقد رأيت إلى ما صار أمره، وأشناس ففشل أيهِ وإيتاخ فلا شيء، ووصيف فلا معنى فيه، فقلت: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك! أجيب على أمان من غضبك، قال: قل، قلت: يا أمير المؤمنين أعزك الله نظر أخوك إلى الأصول، فاستعملها، فأنجبت فروعها، واستعمل أمير المؤمنين فروعها لم تنجب إذ لا أصول لها، قال: يا إسحاق لمقاساة ما مر بي في طول هذه المدة أسهل علي من هذا الجواب.

وذكر عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، أنه قال: أتيت أمير المؤمنين المعتصم بالله يوما وعنده قينة كان معجبا بها، وهي تغنيه، فلما سلمت وأخذت مجلسي، قال لها: خذي فيما كنت فيه، فغنت فقال لي: كيف تراها يا إسحاق؟ قلت: يا أمير المؤمنين، أراها تقهره بحذق وتحتله برفق، ولا تخرج من شيء إلا إلى أحسن منه، وفي صوتها قطع شذور أحسن من نظم الدر على النحور، فقال: يا إسحاق، لصفقتك لها احسن منها ومن غنائها، وقال لابنه هارون: اسمع هذا الكلام.

وذكر عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنه قال: قلت للمعتصم في شيء، فقال لي: يا إسحاق، إذا نصر الهوى بطل الرأي، فقلت له: كنت أحب

٩٠٩٤ خلافة هارون الواثق أبي جعفر

يا أمير المؤمنين أن يكون معي شبابي، فأقوم من خدمتك بما أنويه، قال لي: أولست كنت تبلغ إذ ذاك جهدا؟ قلت: بلى، قال: فأنت الآن تبلغ جهدا فسيان إذا.

وذكر عن أبي حسان أنه قال: كانت أم أبي إسحاق المعتصم من مولدات الكوفة يقال لها ماردة.

وذكر عن الفضل بن مروان، أنه قال: كانت أم المعتصم ماردة سغدية، وكان أبوها نشأ بالسواد، قال: أحسبه بالبندنجين.

وكان للرشيد من ماردة مع أبي إسحاق، أبو إسماعيل، وأم حبيب، وآخرا لم يعرف اسمهما.

وذكر عن أحمد بن أبي دواد أنه قال: تصدق المعتصم ووهب على يدي وبسببي بقيمة مائة ألف ألف درهم

. خلافة هارون الواثق أبي جعفر

وبويع في يوم توفي المعتصم ابنه هارون الواثق بن محمد المعتصم، وذلك في يوم الأربعاء ثمان ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين وكان يكنى أبا جعفر، وأمه أم ولد رومية تسمى قراطيس.

وهلك هذه السنة توفيل ملك الروم وكان ملكه اثنتي عشرة سنة وفيها ملكت بعده امرأته تذكوره، وابنها ميخائيل بن توفيل صبي.

وجج بالناس فيها جعفر بن المعتصم، وكانت أم الواثق خرجت معه تريد الحج، فماتت بالخير لأربع خلون من ذي القعدة ودفنت بالكوفة في دار داود بن عيسى.

٩٠١٠ سنة ثمان وعشرين ومائتين

ثم دخلت

سنة ثمان وعشرين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فن ذلك ما كان من الواثق إلى أشناس أن توجه وألبسه وشاحين بالجواهر في شهر رمضان. وفيها مات أبو الحسن المدائني في منزل إسحاق بن إبراهيم الموصلي وفيها مات حبيب بن أوس الطائي أبو تمام الشاعر. وفيها حج سليمان بن عبد الله بن طاهر وفيها غلا السعر بطريق مكة، فبلغ رطل خبز بدرهم وراوية ماء بأربعين درهما وأصاب الناس في الموقف حر شديد ثم مطر شديد فيه برد، فأضر بهم شدة الحر، ثم شدة البرد في ساعه واحده، ومطروا بمنى في يوم النحر مطرا شديدا لم يروا مثله، وسقطت قطعة من الجبل عند جمرة العقبة قتلت عدة من الحاج. وجج بالناس في هذه السنة محمد بن داود.

٩٠١١ سنة تسع وعشرين ومائتين

٩٠١١.١ ذكر الخبر عن حبس الواثق الكتاب والزاهم الأموال

٩٠١١.٢ ذكر الخبر عن السبب الذي بعث الواثق على فعله ما ذكرت بالكتاب في هذه السنة:

ثم دخلت

سنة تسع وعشرين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر الخبر عن حبس الواثق الكتاب والزاهم الأموال

فن ذلك ما كان من حبس الواثق بالله الكتاب والزاهم أموالا، فدفن أحمد بن إسرائيل إلى إسحاق بن يحيى بن معاذ صاحب الحرس، وأمر بضربه كل يوم عشرة أسواط، فضربه - فيما قيل - نحو من ألف سوط، فأدى ثمانين ألف دينار، وأخذ من سليمان بن وهب كاتب ايتاخ أربعمئة ألف دينار، ومن الحسن بن وهب أربعة عشر ألف دينار، وأخذ من أحمد بن الخصيب وكتابه ألف دينار، ومن إبراهيم بن رباح وكتابه مائة ألف دينار، ومن نجاح ستين ألف دينار، ومن أبي الوزير صلحا مائة ألف وأربعين ألف دينار، وذلك سوى ما أخذ من العمال بسبب عمالاتهم ونصب محمد بن عبد الملك لابن ابى دواد وسائر أصحاب المظالم العداوة، فكشفوا وحبسوا، وأجلس إسحاق بن إبراهيم، فنظر في أمرهم وأقيموا للناس ولقوا كل جهد.

ذكر الخبر عن السبب الذي بعث الواثق على فعله ما ذكرت بالكتاب في هذه السنة:

ذكر عن عزون بن عبد العزيز الأنصاري، أنه قال: كنا ليلة في هذه السنة عند الواثق، فقال: لست أشتي الليلة النبذ، ولكن هلموا نتحدث الليلة، فجلس في رواقه الأوسط في الهاروني في البناء الأول الذي كان إبراهيم ابن رباح بناه، وقد كان في أحد شقي ذلك الرواق قبة مرتفعة في السماء بيضاء، كأنها بيضه الا قدر ذراع - فيما ترى العين - حولها في وسطها ساج منقوش مغشى باللازورد والذهب، وكانت تسمى قبة المنطقة، وكان ذلك الرواق يسمى رواق قبة المنطقة

قال: فتحدثنا عامة الليل، فقال الواثق: من منكم يعلم السبب الذي به وثب جدي الرشيد على البرامكة فأزال نعمتهم؟ قال عزون: فقلت: أنا والله أحدثك يا أمير المؤمنين، كان سبب ذلك أن الرشيد ذكرت له جارية لعون الخياط، فأرسل إليها فاعترضها، فرضي جمالها وعقلها وحسن أدبها، فقال لعون: ما تقول في ثمنها؟ قال: يا أمير المؤمنين، أمر ثمنها واضح مشهور، حلفت بعثتها وعتق رقيقي

جميعا وصدقة مالي الأيمان المغلظة التي لا مخرج منها لي، وأشهدت علي بذلك العدول الا انقص ثمنها عن مائة ألف دينار، ولا أحتال في ذلك بشيء من الحيل، هذه قضيتها فقال أمير المؤمنين:

قد أخذتها منك بمائة ألف دينار، ثم أرسل إلى يحيى بن خالد يخبره بخبر الجارية، ويأمره أن يرسل إليه بمائة ألف دينار، فقال يحيى: هذا مفتاح سوء، إذا اجترأ في ثمن جارية واحدة على طلب مائة ألف دينار فهو أخرى أن يطلب المال على قدر ذلك، فأرسل يخبره أنه لا يقدر على ذلك، فغضب عليه الرشيد، وقال: ليس في بيت مالي مائة ألف دينار، فأعاد عليه: لا بد منها، فقال يحيى: اجعلوها دراهم، ليراها فيستكثرها، ففعله يردها، فأرسل بها دراهم، وقال: هذه قيمة مائة ألف دينار، وأمر أن توضع في رواقه الذي يمر فيه إذا أراد المتوضأ لصلاة الظهر قال: نخرج الرشيد في ذلك الوقت، فإذا جبل من بدر، فقال: ما هذا؟ قالوا: ثمن الجارية، لم تحضر دنائير، فأرسل قيمتها دراهم، فاستكثر الرشيد ذلك، ودعا خادما له، فقال: اضمم هذه إليك، واجعل لي بيت مال لا ضم إليه ما أريده وسماه بيت مال العروس، وأمر برد الجارية إلى عون، وأخذ في التفتيش عن المال، فوجد البرامكة قد استهلكوه، فأقبل بهم ويمسك، فكان يرسل إلى الصحابة وإلى قوم من أهل الأدب من غيرهم فيسأرونهم، ويتعشى معهم، فكان فيمن يحضر إنسان كان معروفا بالأدب، وكان يعرف بكنيته يقال له أبو العود، فحضر ليلة فيمن حضره، فأعجبه حديثه، فأمر خادما له أن يأتي يحيى بن خالد إذا أصبح، فيأمره أن يعطيه ثلاثين ألف درهم ففعل، فقال يحيى لأبي العود: أفعّل، وليس بحضرتنا اليوم مال، غدا يحيى المال، ونعطيك إن شاء الله ثم دفعه حتى طالت به الأيام، قال: فأقبل أبو العود يحتال أن يجد من الرشيد وقتا يحرضه فيه على البرامكة- وقد كان شاع في الناس ما كان يهيم به الرشيد في أمرهم- فدخل عليه ليلة، فتحدثوا، فلم يزل أبو العود يحتال للحديث حتى وصله بقول عمر بن أبي ربيعة:

وعدت هند وما كانت تعد ... ليت هذا أنجزتنا ما تعد
واستبدت مرة واحدة ... إنما العاجز من لا يستبد

فقال الرشيد: أجل والله، إنما العاجز من لا يستبد، حتى انقضى المجلس وكان يحيى قد اتخذ من خدم الرشيد خادما يأتيه بأخباره، وأصبح يحيى غاديا على الرشيد، فلما رآه قال: قد أردت البارحة أن أرسل إليك بشعر أنشدني بعض من كان عندي، ثم كرهت أن أزعجك، فأأنشده البيتين، فقال:

ما أحسنهما يا أمير المؤمنين! وفطن لما أراد، فلما انصرف أرسل إلى ذلك الخادم، فسأله عن إنشاد ذلك الشعر، فقال: أبو العود أنشده، فدعا الوزير يحيى بأبي العود، فقال له: إنا كنا قد لويناك بمالك، وقد جاءنا مال، ثم قال لبعض خدمه: اذهب فأعطه ثلاثين ألف درهم من بيت مال أمير المؤمنين، وأعطه من عندي عشرين ألف درهم لمطلنا إياه، واذهب إلى الفضل وجعفر فقتل لهما هذا رجل مستحق أن يبر، وقد كان أمير المؤمنين أمر له بمال فأطلت مطله، ثم حضر المال، فأمرت أن يعطى ووصلته من عندي صلة، وقد أحببت أن تصلاه، فسألا: بكم وصله قال: بعشرين ألف درهم، فوصله كل واحد منهما بعشرين ألف درهم، فانصرف بذلك المال كله إلى منزله وجد الرشيد في أمرهم حتى وثب عليهم، وأزال نعمتهم، وقتل جعفرًا وصنع ما صنع فقال الواثق: صدق والله جدي، إنما العاجز من لا يستبد! وأخذ في ذكر الخيانة وما يستحق أهلها.

قال عزون: أحسبه: سيوقع بكتابه، فما مضى أسبوع حتى أوقع بكتابه، وأخذ إبراهيم بن رباح وسليمان بن وهب وأبا الوزير وأحمد بن الخصب وجماعتهم.

قال: وأمر الواثق بحبس سليمان بن وهب كاتب ايتاخ، واخذه بمائتي ألف درهم- وقيل دينار- فقيد وألبس مدرعة من مدارع الملاحين، فأدى مائة ألف درهم، وسال ان يؤخذ بالباقي عشرين شهرا، فأجابه الواثق إلى ذلك، وأمر بتخلية سبيله ورده إلى كتابة ايتاخ، وأمره بلبس السواد.

وفي هذه السنة ولي شارباميان لإيتاخ اليمن وشخص إليها في شهر ربيع الآخر. وفيها ولي محمد بن صالح بن العباس المدينة. وجج بالناس في هذه السنة محمد بن داود.

٩٠١٢ سنة ثلاثين ومائتين

٩٠١٢٠١ ذكر مسير بغا إلى الاعراب بالمدينة

ثم دخلت

سنة ثلاثين ومائتين

(ذكر خبر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر مسير بغا إلى الاعراب بالمدينة

فمن ذلك ما كان من توجيه الواصلين إلى الاعراب الذين عاثوا بالمدينة وما حوالها.

ذكر الخبر عن ذلك: ذكر ان بدء ذلك كان أن بني سليم كانت تطاول على الناس حول المدينة بالشر، وكانوا إذا وردوا سوقا من أسواق الحجاز أخذوا سعرها كيف شاءوا، ثم ترقى بهم الأمر إلى ان أوقعوا بالحجاز بناس من بني كنانة وباهلة، فأصابوهم وقتلوا بعضهم، وذلك في جمادى الآخرة سنة ثلاثين ومائتين، وكان رأسهم عزيزة بن قطاب السلمي فوجه إليهم محمد بن صالح بن العباس الهاشمي، وهو يومئذ عامل المدينة، مدينة الرسول ص حماد بن جرير الطبري- وكان الواصل وجه حمادا مسلحة للمدينة لثلاثا يتطرقها الاعراب، في مائتي فارس من الشاكرية- فتوجه إليهم حماد في جماعة من الجند ومن تطوع للخروج من قريش والأنصار ومواليهم وغيرهم من أهل المدينة، فسار إليهم فلقيتهم طلائعهم وكانت بنو سليم كارهة للقتال، فأمر حماد بن جرير بقتلهم، وحمل عليهم بموضع يقال له الرويثة من المدينة على ثلاث مراحل، وكانت بنو سليم يومئذ وامدادها جاءوا من البادية في ستمائة وخمسين، وعامة من لقيهم من بني عوف من بني سليم، ومعهم اشهب

ابن دويكل بن يحيى بن حمير العوفي وعمه سلمه بن يحيى وعزيره بن قطاب اللبيدي من بني لبيد بن سليم، فكان هؤلاء قوادهم، وكانت خيلهم مائة وخمسين فرسا، فقاتلهم حماد واصحابه، ثم أتت بني سليم امدادها خمسمائة من موضع فيه بدوهم، وهو موضع يسمى أعلى الرويثة، بينها وبين موضع القتال أربعة أميال، فاقتتلوا قتالا شديدا، فانهزمت سودان المدينة بالناس، وثبت حماد واصحابه وقريش والأنصار، فصلوا بالقتال حتى قتل حماد وعامة أصحابه، وقتل ممن ثبت من قريش والأنصار عدد صالح، وحازت بنو سليم الكراع والسلاح والثياب، وغلظ أمر بني سليم، فاستباح القرى والمناهل، فيما بينها وبين مكة والمدينة، حتى لم يمكن أحدا أن يسلك ذلك الطريق، وتطرقوا من يليهم من قبائل العرب.

فوجه إليهم الواصلين بغا الكبير أبا موسى التركي في الشاكرية والأتراك والمغاربة، فقدمها بغا في شعبان سنة ثلاثين ومائتين، وشخص إلى حرة بني سليم، لأيام بقين من شعبان، وعلى مقدمته طردوش التركي، فلقيتهم ببعض مياه الحرة، وكانت الوقعة بشق الحرة من وراء السوارقية، وهي قريتهم التي كانوا يأوون إليها- والسوارقية حصون- وكان جل من لقيه منهم من بني عوف فيهم عزيزة بن قطاب والأشهب- وهما رأسا القواد يومئذ- فقتل بغا منهم نحو من خمسين رجلا، وأسر مثلهم، فانهزم الباقون، وانكشف بنو سليم لذلك، ودعاهم بغا بعد الوقعة إلى الأمان على حكم أمير المؤمنين الواصل، واقام بالسوارقية فاتوه، واجتمعوا إليه، وجمعهم من عشرة وائتين وخمسة وواحد، وأخذ من جمعت السوارقية من غير بني سليم من أفناء الناس، وهربت خفاف بني سليم إلا أقلها، وهي التي كانت تؤذي الناس، وتطرق الطريق، وجل من صار في يده ممن ثبت من بني عوف، وكان آخر من أخذ منهم من بني حبشي من بني سليم، فاحتبس عنده من وصف بالشر

٩٠١٢٠٢ ذكر الخبر عن وفاه عبد الله بن طاهر

والفساد، وهم زهاء ألف رجل، وخلي سبيل سائرهم، ثم رحل عن السوارقية بمن صار في يده من أسارى بني سليم ومستأمنهم إلى المدينة في ذي القعدة سنة ثلاثين ومائتين، فحبسهم فيها في الدار المعروفة بيزيد بن معاوية، ثم شخص إلى مكة حاجا في ذي الحجة، فلما انقضى الموسم انصرف إلى ذات عرق، ووجه إلى بني هلال من عرض عليهم مثل الذي عرض على بني سليم فأقبلوا، فأخذ من مردتهم وعتاتهم نحو من ثلاثمائة رجل، وخلي سائرهم، ورجع من ذات عرق وهي على مرحلة من البستان، بينها وبين مكة مرحلتان

. ذكر الخبر عن وفاه عبد الله بن طاهر
وفي هذه السنة مات أبو العباس عبد الله بن طاهر بنيسابور يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول بعد موت أشناس التركي بتسعة أيام.
ومات عبد الله بن طاهر وإليه الحرب والشرطة والسواد وخراسان وأعمالها والري وطبرستان وما يتصل بها وكرمان، وخراج هذه الأعمال كان يوم مات ثمانية وأربعين ألف ألف درهم، فولى الواثق أعمال عبد الله بن طاهر كلها ابنه طاهرا.
وجج في هذه السنة إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، فولى أحداث الموسم.
وجج بالناس في هذه السنة محمد بن داود.

٩٠١٣ سنه احدى وثلاثين ومائتين

٩٠١٣٠١ ذكر الخبر عن امر بنى سليم وغيرهم من القبائل

ثم دخلت

سنة إحدى وثلاثين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فن ذلك ما كان من أمر الفداء الذي جرى على يد خاقان الخادم بين المسلمين والروم في الحرم منها، فبلغت عدة المسلمين - فيما قيل - أربعة آلاف وثلاثمائة واثنين وستين إنسانا.
ذكر الخبر عن امر بنى سليم وغيرهم من القبائل
وفيها قتل من قتل من بني سليم بالمدينة في حبس بغا.
ذكر الخبر عن سبب قتلهم وما كان من أمرهم:

ذكر أن بغا لما صار إليه بنو هلال بذات عرق، فأخذ منهم من ذكرت أنه أخذ منهم، شخص معتمرا عمرة المحرم، ثم انصرف الى المدينة، فجمع كل من أخذ من بني هلال واحتبسهم عنده مع الذين كان أخذ من بني سليم، وجمعهم جميعا في داريزيد بن معاوية في الأغلال والأقياد وكانت بنو سليم حبست قبل ذلك بأشهر ثم سار بغا إلى بني مرة، وفي حبس المدينة نحو من ألف وثلاثمائة رجل من بني سليم وهلال، فنقبوا الدار ليخرجوا، فرأت امرأة من أهل المدينة النقب، فاستصرخت أهل المدينة فجاءوا، فوجدوهم قد وثبوا على الموكلين بهم، فقتلوا منهم رجلا أو رجلين، وخرج بعضهم أو عامتهم، فأخذوا سلاح الموكلين بهم، واجتمع عليهم أهل المدينة، أحرارهم وعبيدهم - وعامل المدينة يومئذ عبد الله بن أحمد بن داود الهاشمي - فنعهوهم الخروج، وباتوا محاصريهم حول الدار حتى أصبحوا، وكان وثوبهم عشية الجمعة، وذلك أن عزيزة بن قطاب قال لهم: إني أتشاءم بيوم السبت،

ولم يزل أهل المدينة يعتقبون القتال، وقاتلتهم بنو سليم، فظهر أهل المدينة عليهم، فقتلوهم أجمعين، وكان عزيزة يرتجز، ويقول:

لا بد من زحم وإن ضاق الباب ... إني أنا عزيزة بن القطاب

لهوت خير للفتى من العاب ... هذا وربى عمل للبواب

وقيده في يده قد فكه، فرمى به رجلا، فخر صريعا وقتلوا جميعا، وقتلت سودان المدينة من لقيت من الأعراب في أزقة المدينة ممن دخل يمتار، حتى لقوا أعرابيا خارجا من قبر النبي ص فقتلوه، وكان أحد بني أبي بكر بن كلاب من ولد عبد العزيز بن زرارة وكان بغا غائبا عنهم، فلما قدم فوجدوهم قد قتلوا شق ذلك عليه، ووجد منه وجدا شديدا.

وذكر أن البواب كان قد ارتشى منهم، ووعدهم أن يفتح لهم الباب، ففعلوا قبل ميعاده، فكانوا يرتجزون ويقولون وهم يقاتلون:

الموت خير للفتى من العار ... قد أخذ البواب ألف دينار

وجعلوا يقولون حين أخذهم بغا:

يا بغية الخير وسيف المنتبه ... وجانب الجور البعيد المشتبه

من كان منا جانبا فلست به ... افعل هداك الله ما أمرت به

فقال: أمرت أن أقتلكم وكان عزيزة بن قطاب رأس بني سليم حين قتل أصحابه صار إلى بئر، فدخلها، فدخل عليه رجل من أهل المدينة فقتله، وصفت القتلى على باب مروان بن الحكم، بعضها فوق بعض. وحدثني أحمد بن محمد أن مؤذن أهل المدينة أذن ليلة حراستهم بني سليم بليل ترهيبا لهم بطلوع الفجر، وأنهم قد أصبحوا، فجعل الأعراب يضحكون، ويقولون: يا شريرة السويق، تعلموننا بالليل، ونحن أعلم به منكم! فقال رجل من بني سليم:

متى كان ابن عباس أميرا ... يصل لصقل نايه صريف
يجور ولا يرد الجور منه ... ويسطو ما لوقعته ضعيف
وقد كنا نرد الجور عنا ... إذا انتضيت بأيدينا السيوف
أمير المؤمنين سما إلينا ... سمو الليث ثار من الغريف
فإن يمن فغفو الله نرجو ... وإن يقتل فقاتلنا شريف

وكان سبب غيبة بغا عنهم أنه توجه إلى فذك لمحاربة من فيها ممن كان تغلب عليها من بني فزارة ومرة، فلما شارفهم وجه إليهم رجلا من فزارة يعرض عليهم الأمان، ويأتيه بأخبارهم، فلما قدم عليهم الفزاري حذرهم سطوته، وزين لهم الحرب، فهربوا ودخلوا في البر، ودخلوا فذك إلا نفرا بقوا فيها منهم، وكان قصدهم خير وجنفاء ونواحيها، فظفر ببعضهم، واستأمن بعضهم، وهرب الباقون مع رأس لهم يقال له الركاض إلى موضع من اللقاء من عمل دمشق، وأقام بغا بجنفاء وهي قرية من حد عمل الشام، مما يلي الحجاز نحو من أربعين ليلة، ثم انصرف إلى المدينة بمن صار في يديه من بني مرة وفزارة.

وفي هذه السنة صار إلى بغا من بطون غطفان وفزارة وأشجع جماعة، وكان وجه إليهم وإلى بني ثعلبة، فلما صاروا إليه - فيما ذكر - امر محمد بن يوسف الجعفري، فاستحلفهم الايمان المؤكدة ألا يتخلفوا عنه متى دعاهم لحلفوا، ثم شخص إلى ضرية لطلب بني كلاب، ووجه إليهم رسله، فاجتمع إليه منهم - فيما قيل - نحو من ثلاثة آلاف رجل، فاحتبس منهم من أهل الفساد نحو من ألف رجل وثلاثمائة رجل، وخلى سائرهم، ثم قدم بهم المدينة في شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين ومائتين، فحبسهم في داريزيد بن معاوية، ثم شخص إلى مكة بغا، وأقام بها حتى شهد الموسم، فبقي

٩٠١٣٠٢ ذكر مقتل احمد بن نصر الخزاعي على يد الواصل

بنو كلاب في الحبس لا يجري عليهم شيء مدة غيبة بغا، حتى رجع إلى المدينة، فلما صار إلى المدينة أرسل إلى من كان استحلف من ثعلبة وأشجع وفزارة فلم يجيبوه، وتفرقوا في البلاد، فوجه في طلبهم فلم يلحق منهم كثير احد.

ذكر مقتل احمد بن نصر الخزاعي على يد الواصل

وفي هذه السنة تحرك ببغداد قوم في ريبض عمرو بن عطاء، فأخذوا على أحمد بن نصر الخزاعي البيعة.

ذكر الخبر عن سبب حركة هؤلاء القوم وما آل إليه أمرهم وأمر أحمد بن نصر:

وكان السبب في ذلك أن أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي - ومالك بن الهيثم أحد نقباء بني العباس، وكان ابنه أحمد يغشاه أصحاب الحديث، كيحيى بن معين وابن الدورق وابن خيثمة، وكان يظهر المباينة لمن يقول: القرآن مخلوق، مع منزلة أبيه كانت من السلطان في دولة بني العباس، ويسطو لسانه فيمن يقول ذلك، مع غلظة الواصل كانت على من يقول ذلك وامتحانه إياهم فيه، وغلبه أحمد بن أبي دواد عليه - فحدثني بعض أشياخنا، عمن ذكره، أنه دخل على أحمد بن نصر في بعض تلك الأيام وعنده جماعة من الناس، فذكر عنده الواصل، فجعل يقول: ألا فعل هذا الخنزير! أو قال: هذا الكافر، وفشا ذلك من أمره، فخوف بالسلطان، وقيل له: قد اتصل أمرك به، فخافه.

وكان فيمن يغشاه رجل - فيما ذكر - يعرف بأبي هارون السراج وآخر يقال له طالب، وآخر من أهل خراسان من أصحاب إسحاق بن إبراهيم بن

مصعب صاحب الشرطة ممن يظهر له القول بمقاتلته، فحرك المطيفون به - يعني أحمد بن نصر - من أصحاب الحديث، ومن ينكر القول

بخلق القرآن من أهل بغداد- أحمد، وحملوه على الحركة لإنكار القول بخلق القرآن، وقصدوه بذلك دون غيره، لما كان لأبيه وجده في دولة بني العباس من الأثر، ولما كان له ببغداد، وأنه كان أحد من بايع له أهل الجانب الشرقي على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسمع له في سنه إحدى ومائتين، لما كثر الدعار بمدينة السلام، وظهر بها الفساد والمأمون بخراسان، وقد ذكرنا خبره فيما مضى وأنه لم يزل أمره على ذلك ثابتاً إلى أن قدم المأمون بغداد في سنة أربع ومائتين، فرجوا استجابة العامة له إذا هو تحرك للأسباب التي ذكرت. فذكر أنه أجاب من سألته ذلك، وأن الذي كان يسعى له في دعاء الناس له الرجلان اللذان ذكرت اسميهما قبل وأن أبا هارون السراج وطالبا فرقا في قوم مالا، فأعطيا كل رجل منهم دينارا ديناراً، وواعداهم ليلة يضربون فيها الطبل للاجتماع في صبيحتها للوثوب بالسلطان، فكان طالب بالجانب الغربي من مدينة السلام فيمن عاقده على ذلك، وأبو هارون بالجانب الشرقي فيمن عاقده عليه، وكان طالب وأبو هارون أعطيا فيمن أعطيا رجلين من بني أشرس القائد دنانير يفرقانهما في جيرانهم، فانتبذ بعضهم نبيذاً، واجتمع عدة منهم على شربه، فلما ثملوا ضربوا بالطبل ليلة الأربعاء قبل الموعد بليلة، وكان الموعد لذلك ليلة الخميس في شعبان سنة إحدى ومائتين، لثلاث تخلو منه، وهم يحسبون ليلة الخميس التي اتعدوا لها، فأكثروا ضرب الطبل، فلم يجبه أحد وكان إسحاق بن إبراهيم غائباً عن بغداد وخليفته بها أخوه محمد بن إبراهيم، فوجه إليهم محمد بن إبراهيم غلاماً له يقال له رحش، فأتاهم فسألهم عن قصتهم، فلم يظهر له أحد ممن ذكر بضرب الطبل، فدل على رجل يكون في الحمامات مصاب بعينه، يقال له

عيسى الأعور، فهدده بالضرب، فأقر على ابني أشرس وعلى أحمد بن نصر بن مالك وعلى آخرين سماهم، ففتح القوم من ليلتهم، فأخذ بعضهم، وأخذ طالبا ومنزله في الربض من الجانب الغربي، وأخذ أبا هارون السراج ومنزله في الجانب الشرقي، وتبع من سماه عيسى الأعور في أيام وليال، فصيروا في الحبس في الجانب الشرقي والغربي، كل قوم في ناحيتهم التي أخذوا فيها، وقيد أبو هارون وطالب بسبعين رطلا من الحديد كل واحد منهما، وأصيب في منزل ابني أشرس علمان أخضران فيهما حمرة في بئر، فتولى إخراجهما رجل من أعوان محمد بن عياش- وهو عامل الجانب الغربي، وعامل الجانب الشرقي العباس بن محمد بن جبريل القائد الخراساني- ثم أخذ خصي لأحمد ابن نصر فتهدد، فأقر بما أقر به عيسى الأعور، ففضى إلى أحمد بن نصر وهو في الحمام، فقال لأعوان السلطان: هذا منزلي، فإن أصبتم فيه علماً أو عدة أو سلاحاً لفتنة فأنتم في حل منه ومن دمي، ففتش فلم يوجد فيه شيء، فحمل إلى محمد بن إبراهيم بن مصعب وأخذوا خصيين وابنين له ورجلاً ممن كان يغشاه يقال له إسماعيل بن محمد بن معاوية بن بكر الباهلي، ومنزله بالجانب الشرقي، فحمل هؤلاء الستة إلى أمير المؤمنين الواثق وهو بسامرا على بغال باكف ليس تحتهم وطاء، فقيد أحمد بن نصر بزوج قيود، وأخرجوا من بغداد يوم الخميس ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى ومائتين، وكان الواثق قد أعلم بمكانهم، وأحضر ابن أبي دواد وأصحابه، وجلس لهم مجلساً عاماً ليمتحنوا امتحاناً مكشوفاً، فحضر القوم واجتمعوا عنده.

وكان أحمد بن أبي دواد- فيما ذكر- كارها قتله في الظاهر، فلما أتى بأحمد بن نصر لم ينظره الواثق في الشعب ولا فيما رفع عليه من إرادته الخروج عليه، ولكنه قال له: يا أحمد، ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله- وأحمد بن نصر مستقتل قد تنور وتطيب، قال: أفخلق هو؟ قال: هو

كلام الله، قال: فما تقول في ربك، أترأه يوم القيامة؟ قال: يا أمير المؤمنين [جاءت الآثار عن رسول الله ص أنه قال: ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته،] فنحن على الخبر قال: [وحدثني سفيان ابن عيينة بحديث يرفعه: أن قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الله يقبله،] وكان النبي ص يدعو: يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك، فقال له إسحاق بن إبراهيم: ويلك! انظر ماذا تقول! قال: أنت أمرتني بذلك، فأشفق إسحاق من كلامه، وقال: أنا أمرتك بذلك! قال: نعم، أمرتني أن أنصح له إذ كان أمير المؤمنين، ومن نصيحتي له الا يخالف حديث رسول الله ص فقال الواثق لمن حوله: ما تقولون فيه؟

فأكثروا، فقال عبد الرحمن بن إسحاق- وكان قاضياً على الجانب الغربي فعزل، وكان حاضراً وكان أحمد بن نصر ودا له:- يا أمير المؤمنين، هو حلال الدم، وقال أبو عبد الله الأرميني صاحب ابن أبي دواد: اسقني دمه يا أمير المؤمنين، فقال الواثق: القتل يأتي على ما تريد، وقال ابن أبي دواد:

يا أمير المؤمنين كافر يستتاب، لعل به عاهة أو تغير عقل - كأنه كره أن يقتل بسببه - فقال الواثق: إذا رأيتوني قد قتت إليه، فلا يقوم أحد معي، فإني أحتسب خطاي إليه ودعا بالصمصامة - سيف عمرو بن معديكرب الزبيدي وكان في الخزانة، كان أهدي إلى موسى الهادي، فأمر سلما الخاسر الشاعر أن يصفه له، فوصفه فأجازه - فأخذ الواثق الصمصامة - وهي صفيحة موصولة من أسفلها مسمورة بثلاثة مسامير تجمع بين الصفيحة والصلة - فمشى إليه وهو في وسط الدار، ودعا بنطع فصير في وسطه، وحبل فشده رأسه، ومد الحبل، فضربه الواثق ضربة، فوقعت على حبل العائق، ثم ضربه أخرى على رأسه، ثم انتضى سيفا الدمشقي سيفه، فضرب عنقه وحز رأسه. وقد ذكر أن بغا الشرايى ضربه ضربة أخرى، وطعنه الواثق بطرف

الصمصامة في بطنه، فحمل معترضا حتى أتى به الحظيرة التي فيها بابك، فصلب فيها وفي رجله زوج قيود، وعليه سراويل وقيص، وحمل رأسه إلى بغداد، فنصب في الجانب الشرقي أياما، وفي الجانب الغربي أياما، ثم حول إلى الشرقي، وحظر على الرأس حظيرة، وضرب عليه فسطاط، وأقيم عليه الحرس، وعرف ذلك الموضع برأس أحمد بن نصر، وكتب في أذنه رقعة:

هذا رأس الكافر المشرك الضال، وهو أحمد بن نصر بن مالك، ممن قتله الله على يدي عبد الله هارون الإمام الواثق بالله أمير المؤمنين، بعد أن أقام عليه الحجة في خلق القرآن ونفي التشبيه، وعرض عليه التوبة، ومكنه من الرجوع إلى الحق، فأبى إلا المعاندة والتصريح، والحمد لله الذي عجل به إلى ناره وأليم عقابه وإن أمير المؤمنين سأله عن ذلك، فأقر بالتشبيه وتكلم بالكفر، فاستحل بذلك أمير المؤمنين دمه، ولعنه وأمر أن يتبع من وسم بصحبة أحمد بن نصر، ممن ذكر أنه كان متشايعا له، فوضعوا في الحبوس، ثم جعل نيف وعشرون رجلا وسموا في حبوس الظلمة، ومنعوا من أخذ الصدقة التي يعطاها أهل السجون، ومنعوا من الزوار، وثقلوا بالحديد وحمل أبو هارون السراج وآخر معه إلى سامرا، ثم ردوا إلى بغداد، فجعلوا في المحابس.

وكان سبب أخذ الذين أخذوا بسبب أحمد بن نصر، أن رجلا قصارا كان في الربض جاء إلى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، فقال: أنا أدلك على أصحاب أحمد بن نصر، فوجه معه من يتبعهم، فلما اجتمعوا وجدوا على القصار سببا حبسوه معهم، وكان له في المهرزار نخل، فقطع واتهب منزله، وكان ممن حبس بسببه قوم من ولد عمرو بن اسفنديار، فأتوا في الحبس، فقال بعض الشعراء في أحمد بن أبي دواد:

ما إن تحولت من إباد ... صرت عذابا على العباد

أنت كما قلت من إباد ... فارق بهذا الخلق يا إبادي

وفي هذه السنة أراد الواثق الحج، فاستعد له، ووجه عمر بن فرج إلى الطريق لإصلاحه، فرجع فأخبره بقلعة الماء فبدا له وحج بالناس فيها محمد بن داود بن عيسى وفيها ولي الواثق جعفر بن دينار الين، فشخص إليها في شعبان وحج هو وبغا الكبير، وعلى أحداث الموسم بغا الكبير، وكان شخوص جعفر إلى اليمن في أربعة آلاف فارس وألفي راجل وأعطى رزق ستة أشهر وعقد محمد بن عبد الملك الزياد لإسحاق بن إبراهيم بن أبي خميسة مولى بني قشير من أهل أضاخ فيها على اليمامة والبحرين وطريق مكة، مما يلي البصرة في دار الخلافة، ولم يذكر أن أحدا عقد لأحد في دار الخلافة إلا الخليفة غير محمد بن عبد الملك الزياد وفي هذه السنة نقب قوم من اللصوص بيت المال الذي في دار العامة في جوف القصر، وأخذوا اثنين وأربعين ألفا من الدراهم، وشيئا من الدنانير يسيرا، فأخذوا بعد وتبع أخذهم يزيد الحلواني، صاحب الشرطة خليفة إيتاخ وفيها خرج محمد بن عمرو الخارجي من بني زيد بن تغلب في ثلاثة عشر رجلا في ديار ريعة، فخرج إليه غانم بن أبي مسلم بن حميد الطوسي، وكان على حرب الموصل في مثل عدته، فقتل من الخوارج أربعة، وأخذ محمد ابن عمرو أسيرا فبعث به إلى سامرا، فبعث به إلى مطبق بغداد، ونصبت رءوس أصحابه وأعلامه عند خشبة بابك وفي هذه السنة قدم وصيف التركي من ناحية أصبهان والجبال وفارس، وكان شخص في طلب الأكراد، لأنهم قد كانوا تطرقوا إلى هذه النواحي، وقدم معه منهم بنحو من خمسمائة نفس، فيهم غلمان صغار، جمعهم في قيود

خبر الفداء بين المسلمين والروم

وفي هذه السنة، تم الفداء بين المسلمين وصاحب الروم، واجتمع فيها المسلمون والروم على نهر يقال له. اللمس على سلوكية على مسيرة يوم من طرسوس. ذكر الخبر عن سبب هذا الفداء وكيف كان:

ذكر عن أحمد بن أبي قحطبة صاحب خاقان الخادم- وكان خادم الرشيد، وكان قد نشأ بالثغر- أن خاقان هذا قدم على الواثق، وقدم معه نفر من وجوه أهل طرسوس وغيرها يشكون صاحب مظالم كان عليهم، يكنى أبا وهب، فأحضر، فلم يزل محمد بن عبد الملك يجمع بينه وبينهم في دار العامة عند انصراف الناس يوم الاثنين والخميس، فيمكثون إلى وقت الظهر، وينصرف محمد بن عبد الملك وينصرفون، فعزل عنهم، وأمر الواثق بامتحان أهل الثغور في القرآن، فقالوا بخلفه جميعاً، إلا أربعة نفر، فأمر الواثق بضرب أعناقهم إن لم يقولوه، وأمر لجميع أهل الثغور بجوائز على ما رأى خاقان، وتعجل أهل الثغور إلى ثغورهم، وتأخر خاقان بعدهم قليلاً، فقدم على الواثق رسل صاحب الروم- وهو ميخائيل بن توفيل بن ميخائيل ابن اليون بن جورجس- يسأله أن يفادي بمن في يده من أسارى المسلمين، فوجه الواثق خاقان في ذلك، فخرج خاقان ومن معه في فداء أسارى المسلمين في آخر سنة ثلاثين ومائتين على موعد بين خاقان ورسول صاحب الروم للالتقاء للفداء في يوم عاشوراء، وذلك في العاشر من المحرم سنة إحدى وثلاثين ومائتين ثم عقد الواثق لأحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي على الثغور والعواصم، وأمره بحضور الفداء، فخرج على سبعة عشر من البرد وكان الرسل الذين قدموا في طلب الفداء قد جرى بينهم وبين ابن الزيات اختلاف في الفداء، قالوا: لا نأخذ في الفداء امرأة عجوزاً ولا شيخاً كبيراً ولا صبياً، فلم يزل ذلك بينهم أياماً حتى رضوا عن كل نفس بنفس.

فوجه الواثق إلى بغداد والرقعة في شري من يباع من الرقيق من ممالك، فاشترى من قدر عليه منهم، فلم تتم العدة، فأخرج الواثق من قصره من النساء الروميات العجائز وغيرهن، حتى تمت العدة، ووجه ممن مع ابن أبي دواد رجلين، يقال لأحدهما يحيى بن آدم الكرخي، ويكنى أبا رملة، وجعفر بن أحمد بن الحذاء، ووجه معهما كاتباً من كتاب العرض، يقال له طالب بن داود، وأمره بامتحانهم هو وجعفر، فن قال: القرآن مخلوق فودي به، ومن أبى ذلك ترك في أيدي الروم، وأمر لطالب بخمسة آلاف درهم، وأمر أن يعطوا جميع من قال: إن القرآن مخلوق، ممن فودي به ديناراً لكل إنسان من ماله حمل معهم، ففضى القوم.

فذكر عن أحمد بن الحارث أنه قال: سألت ابن أبي قحطبة صاحب خاقان الخادم- وكان السفير الموجه بين المسلمين والروم، وجه ليعرف عدة المسلمين في بلاد الروم فأتى ملك الروم وعرف عدتهم قبل الفداء- فذكر أنه بلغت عدتهم ثلاثة آلاف رجل وخمسمائة امرأة، فأمر الواثق بفدائهم، وعجل أحمد بن سعيد على البريد ليكون الفداء على يديه، ووجه من يمتحن الأسراء من المسلمين، فن قال منهم: إن القرآن مخلوق، وإن الله عز وجل لا يرى في الآخرة فودي به، ومن لم يقل ذلك ترك في أيدي الروم، ولم يكن فداء منذ أيام محمد بن زبيدة في سنة أربع أو خمس وتسعين ومائة.

قال: فلما كان يوم عاشوراء، لعشر خلون من المحرم سنة إحدى وثلاثين ومائتين، اجتمع المسلمون ومن معهم من العلوج وقائدان من قواد الروم، يقال لأحدهما انقاس وللآخر لمسنوس، والمسلمون والمطوعة في أربعة آلاف بين فارس وراجل، فاجتمعوا بموضع يقال له اللمس، فذكر عن محمد بن أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي أن كتاب أبيه أتاه، أن من فودي به من المسلمين ومن كان معهم من أهل ذمتهم أربعة آلاف وستمائه إنسان، منهم صبيان ونساء ستمائة، ومنهم من أهل الذمة أقل من خمسمائة والباقون رجال من جميع الآفاق.

وذكر أبو قحطبة- وكان رسول خاقان الخادم إلى ملك الروم لينظر كم عدد الأسرى، ويعلم صحة ما عزم عليه ميخائيل ملك الروم- أن عدد المسلمين قبل الفداء كان ثلاثة آلاف رجل وخمسمائة امرأة وصبي، ممن كان بالقسطنطينية وغيرها، إلا من أحضره الروم ومحمد بن عبد الله الطرسوسي- وكان عندهم- فأوفده أحمد بن سعيد بن سلم وخاقان مع نفر من وجوه الأسرى على الواثق، فحملهم الواثق على فرس فرس، وأعطى لكل رجل منهم ألف درهم.

وذكر محمد هذا أنه كان أسيراً في أيدي الروم ثلاثين سنة، وأنه كان أسراً في غزاة رامية كان في العلافه فأسر، وكان فيمن فودي به في

هذا الفداء، وقال: فودي بنا في يوم عاشوراء على نهر يقال له اللامس، على سلوقية قريبا من البحر، وأن عدتهم كانت أربعة آلاف وأربعمائة وستين نفسا، النساء وازواجهن وصبيانهن ثمانمائة وأهل ذمة المسلمين مائة أو أكثر، فوقع الفداء كل نفس عن نفس صغيرة أو كبيرا، فاستفرغ خاقان جميع من كان في بلد الروم من المسلمين ممن علم موضعه.

قال: فلما جمعوا للفداء، وقف المسلمون من جانب النهر الشرقي والروم من الجانب الغربي - وهو مخاضه - فكان هؤلاء يرسلون من هاهنا رجلا وهؤلاء من هاهنا رجلا، فيلتقيان في وسط النهر، فإذا صار المسلم إلى المسلمين كبر وكبروا وإذا صار الرومي إلى الروم تكلم بكلامهم، وتكلموا شبيها بالتكبير.

وذكر عن السندي مولى حسين الخادم، أنه قال: عقد المسلمون جسرا على النهر، وعقد الروم جسرا، فكانا يرسل الرومي على جسرا ويرسل الروم المسلم على جسره، فيصير هذا إلينا وذاك إليهم، وأنكر أن يكون مخاضة.

وذكر عن محمد بن كريم أنه قال: لما صرنا في أيدي المسلمين، امتحننا جعفر ويحيى، فقلنا، وأعطينا دينارين دينارين قال: وكان البطريقان اللذان قدما بالأسرى لا بأس بهما في معاشرتهما.

قال: وخاف الروم عدد المسلمين لقتلهم وكثرة المسلمين، فأمنهم خاقان من ذلك، وضرب بينهم وبين المسلمين أربعين يوما لا يغزون حتى يصلوا إلى بلادهم ومأمنهم، وكان الفداء في أربعة أيام، ففضل مع خاقان ممن كان أمير المؤمنين أعد لفداء المسلمين عدة كبيرة، وأعطى خاقان صاحب الروم ممن كان قد فضل في يده مائة نفس، ليكون عليهم الفضل استظهارا مكان من يخشى أن يأسروه من المسلمين إلى انقضاء المدة، ورد الباقي إلى طرسوس، فباعهم.

قال: وكان خرج معنا ممن كان تنصر ببلاد الروم من المسلمين نحو من ثلاثين رجلا فودي بهم.

قال محمد بن كريم: ولما انقضت المدة بين خاقان والروم الأربعون يوما، غزا أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة، فأصاب الناس الثلج والمطر، فمات منهم قدر مائتي إنسان وغرق منهم في البدندون قوم كثير، وأسر منهم نحو من مائتين، فوجد أمير المؤمنين الواثق عليه لذلك، وحصل جميع من مات وغرق خمسمائة إنسان، وكان أقبل إلى أحمد بن سعيد وهو في سبعة آلاف بطريق من عظمائهم فجن عنه، فقال له وجوه الناس: إن عسكرا فيه سبعة آلاف لا يتخوف عليه، فإن كنت لا تواجه القوم فتطرق بلادهم.

فأخذ نحو من ألف بقرة وعشرة آلاف شاة، وخرج فعزله الواثق، وعقد لنصر بن حمزة الخزاعي يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة.

وفي هذه السنة مات الحسن بن الحسين، أخو طاهر بن الحسين بطبرستان في شهر رمضان.

وفيها مات الخطاب بن وجه الفلس وفيها مات أبو عبد الله الأعرابي الراوية يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من شعبان وهو ابن ثمانين سنة.

وفيها مات أم أبيها بنت موسى أخت علي بن موسى الرضى وفيها مات مخارق المعني، وأبو نصر أحمد بن حاتم راوية الأصمعي، وعمرو ابن أبي عمرو الشيباني ومحمد بن سعدان النحوي.

٩٠١٤ سنه اثنتين وثلاثين ومائتين

٩٠١٤٠١ ذكر الخبر عن مسير بغا الكبير إلى حرب بني نمير

ثم دخلت

سنة اثنتين وثلاثين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر الخبر عن مسير بغا الكبير إلى حرب بني نمير

فمن ذلك ما كان من مسير بغا الكبير إلى بني نمير حتى أوقع بهم.

ذكر الخبر عن سبب مسيره إليهم وكيف كان الأمر بينه وبينهم:

حدثني أحمد بن محمد بن مخلد بمعظم خبرهم، وذكر أنه كان مع بغا في ذلك السفر، وأما سياق الكلام فلغيره ذكر أن سبب شخوص بغا إلى بني نمير كان أن عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفي امتدح الواثق بقصيدة، فدخل عليه فأشده إياها، فامر له بثلاثين ألف درهم، وبذل فكلّم عمارة الواثق في بني نمير، وأخبره بعينهم وفسادهم في الأرض، وإغارتهم على الناس وعلى اليمامة وما قرب منها، فكتب الواثق إلى بغا يأمره بحريهم.

فذكر أحمد بن محمد أن بغا لما أراد الشخوص من المدينة إليهم حمل معه محمد بن يوسف الجعفري دليلاً له على الطريق، ففضى نحو اليمامة يريداهم، فلقي منهم جماعة بموضع يقال له الشريف، فخاربوه، فقتل بغا منهم نيفاً وخمسين رجلاً، وأسر نحواً من أربعين، ثم سار إلى حظيان، ثم سار إلى قرية لبني تميم من عمل اليمامة تدعى مرأة، فنزل بها، ثم تابع إليهم رسله، يعرض عليهم الأمان، ودعاهم إلى السمع والطاعة، وهم في ذلك يمتنعون عليه، ويشتمون رسله، ويتفلتون إلى حربته، حتى كان آخر من وجه إليهم رجلين، أحدهما من بني عدي من تميم والآخر من بني نمير، فقتلوا التيمي وأثبتوا النيري جراحاً، فسار بغا إليهم من مرأة وكان مسيره إليهم في أول صفر من سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، فورد بطن نخل، وسار حتى دخل نخيلة، وأرسل

إليهم أن اثوني، فاحتملت بنو ضبة من نمير، فركبت جبالها مياسر جبال السود- وهو جبل خلف اليمامة أكثر أهله باهلة- فأرسل إليهم فأبوا أن يأتوه، فأرسل إليهم سرية فلم تدركههم، فوجه سرايا، فأصابته فيهم وأسرت منهم.

ثم إنه أتبعهم بجماعة من معه وهم نحو من ألف رجل سوى من تخلف في العسكر من الضعفاء والأتباع، فلقيهم وقد جمعوا له، وحشدوا لحربه، وهم يومئذ نحو من ثلاثة آلاف، بموضع يقال له روضة الأبان وبطن السر من القرنين على مرحلتين، ومن أضاح على مرحلة، فهزموا مقدمته، وكشفوا ميسرته، وقتلوا من أصحابه نحواً من مائة وعشرين أو مائة وثلاثين رجلاً، وعقروا من ابل عسكره نحواً من سبعمائة بعير ومائة دابة، وانتهبوا الأثقال وبعض ما كان مع بغا من الأموال.

قال لي أحمد: لقيهم بغا وهجم عليهم، وغلبه الليل، فجعل بغا يناشدهم، ويدعوهم إلى الرجوع وإلى طاعه أمير المؤمنين، ويكلهم بذلك محمد ابن يوسف الجعفري، فجعلوا يقولون له: يا محمد بن يوسف، قد والله ولدناك فراعيت حرمة الرحيم، ثم جئتنا بهؤلاء العبيد والعلاج تقتالنا بهم! والله لنرينك العبر، ونحو ذلك من القول فلما دنا الصبح قال محمد بن يوسف لبغا: أوقع بهم من قبل أن يضيء الصبح، فيروا قلة عددنا، فيجترئوا علينا، فأبى بغا عليه، فلما أضاء الصبح ونظروا إلى عدد من مع بغا- وكانوا قد جعلوا رجالهم أمامهم وفرسانهم وراءهم ونعمهم ومواشيهم من وراءهم- حملوا علينا، فهزمونا حتى بلغت هزيمتنا معسكرنا، وأيقنا بالهلكة.

قال: وكان قد بلغ بغا أن خيلاً لهم بمكان من بلادهم، فوجه من أصحابه نحواً من مائتي فارس إليها قال: فبينما نحن فيما نحن فيه من الإشراف على العطب، وقد هزم بغا ومن معه إذ خرجت الجماعة التي كان بغا وجهها من الليل إلى تلك الخيل، وقد أقبلت منصرفة من الموضع الذي وجهت

إليه من العسكر في ظهور بني نمير، وقد فعلوا ما فعلوا ببغا وأصحابه، فنفخوا في صفاراتهم، فلما سمعوا نفخ الصفارات، ونظروا إلى من خرج عليهم في أدبارهم، قالوا: غدر والله العبد، وولوا هاربين، وأسلم فرسانهم رجالهم بعد أن كانوا على غاية المحاماة عليهم.

قال لي أحمد بن محمد: فلم يفلت من رجالهم كثير أحد، حتى قتلوا عن آخرهم، وأما الفرسان فطاروا هرباً على ظهور الخيل. وأما غير أحمد بن محمد فإنه قال: لم تزل الهزيمة على بغا وأصحابه منذ غدوة إلى انتصاف النهار، وذلك يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ثنتين وثلاثين ومائتين، ثم تشاغلو بالنهب وعقر الإبل والدواب حتى ثاب إلى بغا من كان انكشف من أصحابه، واجتمع إليه من كان تفرق عنه، فكروا على بني نمير، فهزموهم وقتل منهم منذ زوال الشمس إلى وقت العصر زهاء ألف وخمسمائة رجل وأقام بغا بموضع الوقعة على الماء المعروف ببطن السر، حتى جمعت له رؤوس من قتل من بني نمير، واستراح هو وأصحابه ثلاثة أيام.

فحدثني أحمد بن محمد أن من هرب من فرسان بني نمير من الوقعة أرسلوا إلى بغا يطلبون منه الأمان، فأعطاهم الأمان، فصاروا إليه، فقيدهم وأشخصهم معه.

وأما غيره فإنه قال: سار بها من موضع الوقعة في طلب من شذ عنه منهم، فلم يدرك إلا الضعيف ممن لم يكن له نهوض منهم وبعض المواشي والنعم، ورجع إلى حصن باهلة قال: وإنما قاتل بها من بني نمير بنو عبد الله بن نمير وبنو بسر وبلحجاج وبنو قطن وبنو سلاه وبنو شريح وبطون من الخوالب - وهم من بني عبد الله بن نمير، ولم يكن في القتال من بني عامر بن نمير إلا القليل - وبنو عامر بن نمير أصحاب نخل وشاء، وليسوا أصحاب خيل، وعبد الله بن نمير هي التي تحارب العرب - فقال عماره ابن عقيل لبغا:

تركت الأعقفين ويطن قو... وملأت السجون من القماش

فحدثني أحمد بن محمد أن الذين دخلوا إلى بها بالأمان من بني نمير لما قيدهم وحبسهم وأشخصهم معه شغبوا في الطريق، وحاولوا كسر قيودهم والهرب، فأمر بإحضارهم واحدا بعد واحد، فكان إذا حضر الواحد يضربه ما بين الأربعمئة إلى الخمسمئة وأقل من ذلك وأكثر، فزعم أحمد أنه حضر ضربهم ولم ينطق منهم ناطق يتوجع من الضرب، وأنه أحضر منهم شيخ قد علق في عنقه مصحفا، ومحمد بن يوسف جالس إلى جنب بها، فضحك منه محمد بن يوسف، وقال لبغا: هذا أخبث ما كان - أصلحك الله - حين علق المصحف في عنقه! فضربه أربعمئة أو خمسمئة، فما توجع وما استغاث.

وذكر أن فارسا من بني نمير لقي بها في وقعتهم التي ذكرت امرها يدعى المجنون، فطعن بها ورمى المجنون رجل من الأتراك فأفلت، وعاش أياما ثلاثة، ثم مات من رميته.

قال: ثم قدم عليه واجن الاشروسي الصغد في سبعمئة رجل مددا له من الأشروسنية الإشتيخنية، فوجهه بها ومحمد بن يوسف الجعفري في أثرهم، فلم يزل يتبعهم حتى غلوا في البلاد، وصاروا بتالة وما يليها من حد عمل اليمن وفاتوه، فانصرف ولم يصرف في يديه منهم إلا ستة نفر أو سبعة، وأقام بحصن باهلة، ووجه إلى جبال بني نمير وسهلها من هلالان والسود وغيرها من عمل اليمامة سرايا في محاربه من امتنع ممن قبل الامان منهم، فقتلوا جماعة وأسروا جماعة، وأقبل عدة من ساداتهم، كلهم يطلب الامان لنفسه والبطن الذي هو منه، فقبل ذلك منهم وبسطهم وأنسهم، ولم يزل مقيما إلى أن جمع إليه كل من ظن أنه كان في هذه النواحي منهم، وأخذ منهم زهاء ثمانمئة رجل، فأثقلهم بالحديد وحملهم إلى البصرة، في ذي القعدة من سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وكتب إلى صالح العباسي بالمسير بمن قبله في المدينة

٩٠١٤٠٢ ذكر خبر موت الواثق

من بني كلاب وفزارة ومرة وثعلبة وغيرهم والحق به، فوافاه صالح العباسي ببغداد، وصاروا جميعا في المحرم إلى سامرا سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، وكانت عدة من قدم به بها وصالح العباسي من الأعراب سوى من مات منهم وهرب وقتل في هذه الوقائع التي وصفناها الفتي رجل ومائتي رجل من بني نمير ومن بني كلاب ومن مرة وفزارة ومن ثعلبة وطبي وفي هذه السنة أصاب الحاج في المرجع عطش شديد في أربعه منازل إلى الربدة، فبلغت الشربة عدة دنائير ومات خلق كثير من العطش.

وفيها ولي محمد بن إبراهيم بن مصعب فارس.

وفيها أمر الواثق بترك جباية أعشار سفن البحر.

وفيها اشتد البرد في نيسان حتى جمد الماء لخمس خلون منه.

ذكر خبر موت الواثق

وفيها مات الواثق.

ذكر الخبر عن العلة التي كانت بها وفاته:

ذكر لي جماعة من أصحابنا أن علته التي توفي منها كانت الاستسقاء، فعولج بالإقعاد في تنور مسخن، فوجد لذلك راحة وخفة مما كان به، فأمرهم من غد ذلك اليوم بزيادة في إسخان التنور، ففعل ذلك وقعد فيه أكثر من قعوده في اليوم الذي قبله، فحمي عليه، فأخرج منه، وصير في محفة، وحضره الفضل بن إسحاق الهاشمي وعمر بن فرج وغيرهم، ثم حضر ابن الزيات وابن أبي دواد، فلم يعلموا بموته حتى ضرب بوجهه المحفة، فعملوا أنه قد مات.

وقد قيل: إن أحمد بن أبي دواد حضره وقد أغمى عليه، فقضي وهو

٩٠١٤٠٣ ذكر الخبر عن صفه الواثق وسنه وقدر مده خلافته

٩٠١٤٠٤ ذكر بعض اخباره

عنده فأقبل يغمضه ويصلح من شأنه وكانت وفاته لست بقين من ذي الحجة ودفن في قصره بالهاروني وكان الذي صلى عليه وأدخله قبره وتولى أمره أحمد بن أبي دواد، وكان الواثق امر أحمد بن أبي دواد أن يصلي بالناس يوم الأضحى في المصلى، فصلى بهم العيد، لأن الواثق كان شديد العلة فلم يقدر على الحضور إلى المصلى، ومات من علته تلك.

ذكر الخبر عن صفه الواثق وسنه وقدر مده خلافته

ذكر من رآه وشاهده انه كان أبيض مشربا حمرة، جميلا ربعة، حسن الجسم، قائم العين اليسرى، وفيها نكتة بياض.

وتوفي- فيما زعم بعضهم- وهو ابن ست وثلاثين سنة، وفي قول بعضهم: وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة، فقال الذين زعموا أنه كان ابن ست وثلاثين: كان مولده سنة ست وتسعين ومائة، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام وقال بعضهم: وسبعة أيام واثنين عشرة ساعة.

وكان ولد بطريق مكة، وأمه أم ولد رومية، يقال لها قراطيس.

واسمه هارون وكنيته أبو جعفر.

وذكر أنه لما اعتل علته التي مات فيها وسقي بطنه أمر بإحضار المنجمين، فأحضروا، وكان ممن حضر الحسن بن سهل، أخو الفضل بن سهل، والفضل بن إسحاق الهاشمي وإسماعيل بن نوبخت ومحمد بن موسى الخوارزمي المجوسي القطريلي وسند صاحب محمد بن الهيثم وعامة من ينظر في النجوم، فنظروا في علته ونجمه ومولده، فقالوا: يعيش دهرًا طويلا، وقدروا له خمسين سنة مستقبلة، فلم يلبث إلا عشرة أيام حتى مات.

ذكر بعض أخباره

ذكر الحسين بن الضحاك أنه شهد الواثق بعد أن مات المعتصم بأيام،

وقد قعد مجلسا كان أول مجلس قعده، فكان أول ما تغني به من الغناء في ذلك المجلس، ان تغنت شاريه جارية إبراهيم بن المهدي:

ما درى الحاملون يوم استقلوا ... نعشه للثواء أم للقاء

فليقل فيك باكياتك ما شئت ... صباحا ووقت كل مساء

قال: فبكى والله وبكىنا حتى شغلنا البكاء عن جميع ما كنا فيه، ثم اندفع بعض المغنين فغنى:

ودع هريرة إن الركب مرتحل ... وهل تطيق وداعا أيها الرجل!

قال: فازداد والله في البكاء، وقال: ما سمعت كاليوم قط تعزیه باب ونعى نفس، ثم ارفض ذلك المجلس.

وذكر عن عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع أن علي بن الجهم قال في الواثق بعد أن ولي الخلافة:

قد فاز ذو الدنيا وذو الدين ... بدولة الواثق هارون

أفاض من عدل ومن نائل ... ما أحسن الدنيا مع الدين!

قد عم بالإحسان في فضله ... فالناس في خفض وفي لين

ما أكثر الداعي له بالبقا ... وأكثر التالي بآمين

وقال علي بن الجهم أيضا فيه:

وثقت بالملك الواثق ... بالله النفوس

ملك يشقى به المال ... ولا يشقى الجليس

أنس السيف به واستوحش ... العلق النفيس

أسد تضحك عن ... شداته الحرب العبوس

يا بني العباس يَأْبَى الله إلا أن تسوسوا
 فغنت قلم جارية صالح بن عبد الوهاب في هذين الشعرين، وغنت في شعر محمد بن كُثاسة:
 في انقباض وحشمة فإذا ... جالست أهل الوفاء والكرم
 أرسلت نفسي على سجيته ... وقلت ما شئت غير محتشم
 فغنته الواثق، فاستحسنه، فبعث إلى ابن الزيات: ويحك من صالح ابن عبد الوهاب هذا! فابعث إليه فأشخصه، وليحمل جاريته، فغدا
 بها صالح إلى الواثق، فأدخلت عليه، فلما تغنت ارتضاها، فبعث إليه، فقال: قل، فقال: مائة ألف دينار يا أمير المؤمنين وولاية مصر،
 فردها، ثم قال أحمد بن عبد الوهاب أخو صالح في الواثق:
 أبت دار الأحبة أن تبينا ... أجذك ما رأيت لها معينا
 تقطع حسرة من حب ليلي ... نفوس ما أثبت ولا جزينا
 فصنعت فيه قلم جارية صالح، فغناه زرزر الكبير للواثق، فقال: لمن ذا؟ فقال: لقلم، فبعث إلى ابن الزيات، فاشخص صالحا ومعه قلم،
 فلما دخلت عليه، قال: هذا لك؟ قالت: نعم يا أمير المؤمنين، قال:
 بارك الله عليك! وبعث إلى صالح: استم وقل قولاً يتيهاً أن تعطاه، فبعث إليه: قد أهديتها إلى أمير المؤمنين، فبارك الله لأمر المؤمنين
 فيها.
 قال: قد قبلتها، يا محمد، عوضه خمسة آلاف دينار، وسماها اغتباط فمطله ابن الزيات، فأعادت الصوت وهو:
 أبت دار الأحبة أن تبينا ... أجذك هل رايت لها معينا
 فقال لها: بارك الله عليك وعلى من رباك، فقالت: يا سيدي وما ينتفع من رباني، وقد أمرت له بشيء لم يصل إليه! فقال الواثق: يا
 سمانه، الدواة، فكتب إلى ابن الزيات: ادفع إلى صالح بن عبد الوهاب ما عوضناه من ثمن

٩٠١٤٠٥ خلافة جعفر المتوكل على الله

٩٠١٤٠٦ ذكر الخبر عن سبب خلافته ووقتها

اغتباط خمسة آلاف دينار، وأضعفها قال صالح: فصرت إلى ابن الزيات فقربني، وقال: هذه الخمسة الأولى، خذها، والخمسة آلاف
 الأخرى أدفعها إليك بعد جمعة، فإن سئلت، فقل: إني قبضت المال قال: فكرهت أن أسأل فأقر بالقبض، فاخفيت في منزلي حتى
 دفع إلي المال، فقال لي سمانه:
 قبضت المال؟ قلت: نعم، وترك عمل السلطان، وتجر بها، حتى توفي.
 خلافة جعفر المتوكل على الله

وفي هذه السنة بويج لجعفر المتوكل على الله بالخلافة، وهو جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد ذي الثفنت بن علي
 السجاد ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب.
 ذكر الخبر عن سبب خلافته ووقتها

حدثني غير واحد، أن الواثق لما توفي حضر الدار أحمد بن أبي دواد وإيتاخ ووصيف وعمر بن فرج وابن الزيات وأحمد بن خالد أبو
 الوزير، فعزموا على البيعة لمحمد بن الواثق، وهو غلام أمرد، فألبسوه دراعة سوداء وقلنسوة رصافية، فإذا هو قصير، فقال لهم وصيف:
 أما نثقون الله! تولون مثل هذا الخلافة، وهو لا يجوز معه الصلاة! قال: فتناظروا فيمن يولونها، فذكروا عدة، فذكر عن بعض من
 حضر الدار مع هؤلاء، أنه قال: خرجت من الموضع الذي كنت فيه، فمررت بجعفر المتوكل، فإذا هو في قميص وسروال قاعد مع أبناء
 الأتراك، فقال لي: ما الخبر؟ فقلت: لم ينقطع أمرهم، ثم دعوا به، فأخبره بغا الشرايين الخبر، وجاء به، فقال: أخاف أن يكون الواثق
 لم يمت، قال: فمر به، فنظر إليه مسجى، فجاء لجلس، فألبسه أحمد بن أبي دواد الطويلة وعممه وقبله بين عينيه، وقال: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا
 أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ! ثم غسل الواثق وصلي عليه ودفن، ثم صاروا من فورهم إلى دار العامة، ولم يكن لقب المتوكل

وذكر أنه كان يوم بويج له ابن ست وعشرين سنة، ووضع العطاء للجند ثمانية أشهر، وكان الذي كتب البيعة له محمد بن عبد الملك الزييات، وهو إذ ذاك على ديوان الرسائل، واجتمعوا بعد ذلك على اختيار لقب له، فقال ابن الزييات: نسميه المنتصر بالله، وخاض الناس فيها حتى لم يشكوا فيها، فلما كان غداة يوم بكر أحمد بن أبي دواد إلى المتوكل، فقال: قد رويت في لقب أرجو أن يكون موافقا حسنا إن شاء الله، وهو المتوكل على الله، فأمر بإمضائه، وأحضر محمد بن عبد الملك، فأمر بالكتاب بذلك إلى الناس، فنفذت إليهم الكتب، نسخة ذلك:

بسم الله الرحمن الرحيم، امر- ابقاك الله- أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، أن يكون الرسم الذي يجري به ذكره على أعواد منابره، وفي كتبه إلى قضاته وكتابه وعماله وأصحاب دواوينه وغيرهم من سائر من تجرى المكاتبه بينه وبينه: من عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين، فأريك في العمل بذلك وإعلامي بوصول كتابي إليك موافقا إن شاء الله.

وذكر أنه لما أمر للأتراك برزق أربعة أشهر وللجند والشاكرية ومن يجري مجراهم من الهاشميين برزق ثمانية أشهر، أمر للمغاربة برزق ثلاثة أشهر، فأبوا أن يقبضوا، فأرسل إليهم: من كان منكم مملوكا، فليمض إلى أحمد بن أبي دواد حتى يبيعه، ومن كان حرا صيرناه أسوة الجند، فرضوا بذلك، وتكلم وصيف فيهم حتى رضي عنهم، فأعطوا ثلاثة، ثم أجروا بعد ذلك مجرى الأتراك وبويج للمتوكل ساعة مات الواثق بيعة الخاصة وبايعته العامة حين زالت الشمس من ذلك اليوم.

وذكر عن سعيد الصغير أن المتوكل قبل أن يستخلف ذكر له ولجماعة معه أنه رأى في المنام أن سكرا سليمانيا يسقط عليه من السماء، مكتوبا عليه جعفر المتوكل على الله، فعبرها علينا، فقلنا: هي والله أيها الأمير أعزك الله الخلافة، قال: وبلغ الواثق ذلك فحبسه، وحبس سعيدا معه، وضيق على جعفر بسبب ذلك. وجج بالناس في هذه السنة محمد بن داود.

٩٠١٥ سنة ثلاث وثلاثين ومائتين

٩٠١٥٠١ ذكر خبر حبس محمد بن عبد الملك الزييات ووفاته

ثم دخلت

سنة ثلاث وثلاثين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر خبر حبس محمد بن عبد الملك الزييات ووفاته

فمن ذلك ما كان من غضب المتوكل على محمد بن عبد الملك الزييات وحبسه إياه.

ذكر الخبر عن سبب ذلك وإلى ما آل إليه الأمر فيه:

أما السبب في غضبه عليه، فإنه كان- فيما ذكر- أن الواثق كان استوزر محمد بن عبد الملك الزييات وفوض إليه الأمور، وكان الواثق قد غضب على أخيه جعفر المتوكل لبعض الأمور، فوكل عليه عمر بن فرج الرنجي ومحمد بن العلاء الخادم، فكانا يحفظانه ويكتبان بأخباره في كل وقت، فصار جعفر إلى محمد بن عبد الملك يسأله أن يكلم له أخاه الواثق ليرضى عنه، فلما دخل عليه مكث واقفا بين يديه مليا لا يكلمه، ثم أشار إليه أن يقعد فقعد، فلما فرغ من نظره في الكتب، التفت إليه كالمتهدد له، فقال:

ما جاء بك؟ قال: جئت لتسأل أمير المؤمنين الرضا عني، فقال لمن حوله:

انظروا إلى هذا، يغضب أخاه، ويسألني أن أسترضيه له! اذهب فإنك إذا صلحت رضي عنك، فقام جعفر كئيبا حزينا لما لقيه به من قبح اللقاء والتقصير به، فخرج من عنده، فأقى عمر بن فرج ليسأله أن يختم له صكه ليقبض أرزاقه، فلقبه عمر بن فرج بالخيلية، وأخذ الصك، فرمى به إلى صحن المسجد.

وكان عمر يجلس في مسجد، وكان أبو الوزير أحمد بن خالد حاضرا، فقام لينصرف، فقام معه جعفر، فقال: يا أبا الوزير، أرأيت ما صنع بي عمر ابن فرج؟ قال: جعلت فداك! أنا زمام عليه، وليس يختم صكي بارزاق

إلا بالطلب والترفق به، فابعث إلي بوكيالك، فبعث جعفر بوكياله، فدفع إليه عشرين ألفاً، وقال: أنفق هذا حتى يهين الله أمرك، فأخذها ثم أعاد إلى أبي الوزير رسوله بعد شهر، يسأله إعادته، فبعث إليه بعشرة آلاف درهم، ثم صار جعفر من فوره حين خرج من عند عمر إلى أحمد بن أبي دواد، فدخل عليه، فقام له أحمد، واستقبله على باب البيت، وقبله والتمسه، وقال: ما جاء بك، جعلت فداك! قال: قد جئت لتسترضي لي أمير المؤمنين، قال: أفعل ونعمة عين وكرامة، فكلّم أحمد بن أبي دواد الوائق فيه، فوعده ولم يرض عنه، فلما كان يوم الحلبة كلم أحمد بن أبي دواد الوائق، وقال: معروف المعتصم عندي معروف، وجعفر ابنه، فقد كلمتك فيه، ووعدت الرضا، فبحق المعتصم يا أمير المؤمنين إلا رضيت عنه! فرضي عنه من ساعته وكساه، وانصرف الوائق وقد قلد أحمد بن أبي دواد جعفرًا بكلامه حتى رضي عنه أخوه شكراً، فأحظاه ذلك عنده حين ملك.

وذكر أن محمد بن عبد الملك كان كتب إلى الوائق حين خرج جعفر من عنده: يا أمير المؤمنين، أتاني جعفر بن المعتصم يسألني أن أسأل أمير المؤمنين الرضا عنه في زي الخنثين له شعر قفا، فكتب إليه الوائق: ابعث إليه فأحضره، ومر من يجر شعر قفاه، ثم مر من يأخذ من شعره ويضرب به وجهه، واصرفه إلى منزله فذكر عن المتوكل أنه قال: لما أتاني رسوله، لبست سواداً لي جديداً، وأتيت رجاء أن يكون قد أتاه الرضا عني، فقال: يا غلام، ادع لي حجاماً، فدعي به، فقال: خذ شعره واجمع، فأخذه على السواد الجديد ولم يأت به بمنديل، فأخذ شعره وشعر قفاه وضرب به وجهه. قال المتوكل: فما دخلني من الجزع على شيء مثل ما دخلني حين أخذني على السواد الجديد، وقد جئت فيه طامعاً في الرضا، فاخذ شعري عليه.

ولما توفي الوائق أشار محمد بن عبد الملك بابن الوائق، وتكلم في ذلك

وجعفر في حجة غير الحجرة التي يتشاورون فيها، فيمن يعقدون، حتى بعث إليه، فعقد له هناك، فكان سبب هلاك ابن الزيات وكان بغا الشرايبي الرسول إليه يدعوه، فسلم عليه بالخلافة في الطريق، فعقدوا له وبايعوا، فأهل حتى إذا كان يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر، وقد عزم المتوكل على مكروه أن يناله به، أمر إيتاخ بأخذه وعذابه، فبعث إليه إيتاخ، فظن أنه دعي به، فركب بعد غدائه مبادراً يظن أن الخليفة دعا به، فلما حاذى منزل إيتاخ قيل له: اعدل إلى منزل أبي منصور، فعدل وأوجس في نفسه خيفة، فلما جاء إلى الموضع الذي كان ينزل فيه إيتاخ عدل به يمنة، فأحس بالشر، ثم أدخل حجرة، وأخذ سيفه ومنطقته وقلنسوته ودراسته، فدفع إلى غلمانه، وقيل لهم: انصرفوا، فانصرفوا لا يشكون أنه مقيم عند إيتاخ ليشرب النبيذ.

قال: وقد كان إيتاخ أعد له رجلين من وجوه أصحابه، يقال لهما يزيد ابن عبد الله الحلواني وهرثمة شارباميان فلما حصل محمد بن عبد الملك خرجا يركضان في جندهما وشاكريتهما، حتى أتيا دار محمد بن عبد الملك، فقال لهم غلمان محمد: أين تريدون؟ قد ركب أبو جعفر، فهجما على داره، وأخذوا جميع ما فيها.

فذكر عن ابن الحلواني أنه قال: أتيت البيت الذي كان محمد بن عبد الملك يجلس فيه، فرأيت رث الهيئة قليل المتاع، ورأيت فيه طنافس أربعة وقناني رطليات، فيها شراب، ورأيت بيتاً ينام فيه جواريه، فرأيت فيه بورياً ومخاد منضدة في جانب البيت، على أن جواريه كن يخن فيه بلا فرش.

وذكر أن المتوكل وجه في هذا اليوم من قبض ما في منزله من متاع ودواب وجوار وغلمان، فصير ذلك كله في الماروني، ووجه راشداً المغربي إلى بغداد في قبض ما هنالك من أمواله وخدمه، وأمر أبا الوزير بقبض ضياعه وضياع أهل بيته حيث كانت فأما ما كان بسامراً فحمل إلى خزائن

مسرور سمانه، بعد أن اشترى للخليفة، وقيل لمحمد بن عبد الملك: وكل ببيع متاعك وأتوه بالعباس بن أحمد بن رشيد كاتب عجيف، فوكله بالبيع عليه، فلم يزل أياماً في حبسه مطلقاً، ثم أمر بتقييده فقيد، وامتنع من الطعام، وكان لا يذوق شيئاً، وكان شديد الجزع في حبسه، كثير البكاء، قليل الكلام، كثير التفكير، فكث أياماً ثم سهر، ومنع من النوم، يساهر وينخس بمسلة، ثم ترك يوماً وليلة، فنام وانبته، فاشتوى فاكهة وعنباً، فأتي به، فأكل ثم أعيد إلى المساهرة، ثم أمر بتنور من خشب فيه مسامير حديد قيام فذكر عن ابن أبي دواد وأبي الوزير أنهما قالوا: هو أول من أمر بعمل ذلك، فعذب به ابن أسباط المصري حتى استخرج منه جميع ما عنده، ثم ابتلي به

فغذب به أياما.

فذكر عن الدناداني الموكل بعذابه أنه قال: كنت أخرج وأقفل الباب عليه، فيمد يديه إلى السماء جميعا حتى يدق موضع كتفيه، ثم يدخل التنور فيجلس، والتنور فيه مسامير حديد وفي وسطه خشبة معترضة، يجلس عليها المعذب، إذا أراد أن يستريح، فيجلس على الخشبة ساعة، ثم يجيء الموكل به، فإذا هو سمع صوت الباب يفتح قام قائما كما كان، ثم شددوا عليه.

قال المعذب له: خاتلته يوما، واريته اني اقفلت الباب ولم أقفله، إنما أغلقته بالقفل، ثم مكثت قليلا، ثم دفعت الباب غفلة، فإذا هو قاعد في التنور على الخشبة، فقلت: أراك تعمل هذا العمل! فكنت إذا خرجت بعد ذلك شددت خناقه، فكان لا يقدر على القعود، واستللت الخشبة حتى كانت تكون بين رجله، فما مكث بعد ذلك إلا أياما حتى مات.

واختلف في الذي قتل به، فقيل: بطح، فضرب على بطنه خمسين مفرعة، ثم قلب فضرب على استه مثلها، فمات وهو يضرب، وهم لا يعلمون، فأصبح ميتا قد التوت عنقه، وتفت لحيته وقيل: مات بغير ضرب وذكر عن مبارك المغربي أنه قال: ما أظنه أكل في طول حبسه الا رغيفا

واحدا، وكان يأكل العنبة والعنبتين قال: وكنت أسمع قبل موته بيومين أو ثلاثة يقول لنفسه: يا محمد بن عبد الملك، لم يقنعك النعمة والدواب الفرة والدار النظيفة والكسوة الفاخرة، وأنت في عافية حتى طلبت الوزارة، ذق ما عملت بنفسك! فكان يكرر ذلك على نفسه، فلما كان قبل موته بيوم، ذهب عنه عتاب نفسه، فكان لا يزيد على التشهد وذكر الله، فلما مات احضر ابنه سليمان وعبيد الله- كانا محبوسين- وقد طرح على باب من خشب في قيصه الذي حبس فيه، وقد اتسخ فقالا:

الحمد لله الذي أراح من هذا الفاسق، فدفعت جثته إليهما، فغسلاه على الباب الخشب، ودفناه وحفرا له، فلم يعمقا، فذكر أن الكلاب نبشته، وأكلت لحمه وكان إبراهيم بن العباس على الأهواز، وكان محمد بن عبد الملك له صديقا، فوجه إليه محمد أحمد بن يوسف أبا الجهم، فأقامه للناس فصالحه عن نفسه بألف الف درهم وخمسمائة ألف درهم، فقال إبراهيم:

وكنت أخي بإخاء الزمان ... فلما نبا عدت حربا عوانا
وكنت أذم إليك الزمان ... فأصبحت منك أذم الزمانا
وكنت أعدك للنائبات ... فهذا أنا أطلب منك الأمانا
وقال:

أصبحت من رأي أبي جعفر ... في هيئة تنذر بالصيلم
من غير ما ذنب ولكنها ... عداوة الزنديق للمسلم

وأحدر بعد ما قبض عليه مع راشد المغربي إلى بغداد، لأخذ ماله بها، فوردها، فأخذ روحا غلامه- وكان قهرمانه- في يده أمواله يتجر بها، وأخذ عدة من أهل بيته، وأخذ معهم حمل بغل، ووجدت له بيوت فيها أنواع التجارة من الخنطة والشعير والدقيق والحبوب والزيت والزبيب والتين وبيت

٩٠١٥٠٢ ذكر غضب المتوكل على عمر بن فرج

مملوء ثوما، فكان جميع ما قبض له مع قيمته تسعين ألف دينار، وكان حبس المتوكل إياه يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر ووفاته يوم الخميس لإحدى عشره بقيت من شهر ربيع الاول.

ذكر غضب المتوكل على عمر بن فرج

وفيها غضب المتوكل على عمر بن فرج، وذلك في شهر رمضان، فدفع إلى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، فحبس عنده، وكتب في قبض ضياعه وأمواله، وصار نجاح بن سلمة إلى منزله، فلم يجد فيه إلا خمسة عشر ألف درهم، وحضر مسرور سمانه، فقبض جواريه، وقيد عمر ثلاثين رطلا، وأحضر مولاه نصر من بغداد، فحمل ثلاثين ألف دينار، وحمل نصر من مال نفسه أربعة عشر ألف دينار، وأصيب له بالأهواز أربعون ألف دينار، ولأخيه محمد بن فرج مائة ألف دينار وخمسون ألف دينار، وحمل من داره من المتاع ستة عشر بعيرا فرشا، ومن الجوهر قيمة أربعين ألف دينار، وحمل من متاعه وفرشه على خمسين جملا، كرت مرارا، وألبس فرجية صوف وقيد،

فكث بذلك سبعا، ثم أطلق عنه وقبض قصره، وأخذ عياله، ففتشوا وكن مائة جارية، ثم صولح على عشرة آلاف ألف درهم، على أن يرد عليه ما حيز عنه من ضياع الأهواز فقط، ونزعت عنه الجبة الصوف والقيد، وذلك في شوال وقال علي بن الجهم بن بدر لنجاح بن سلمة يحرضه على عمر بن فرج:

أبلغ نجاحا فتى الكتاب مالكة ... تمضى بها الريح اصدرا وإيرادا
لا يخرج المال عفوا من يدي عمر ... أو يغمد السيف في فوديه إغهادا
الرنجيون لا يوفون ما وعدوا ... والرنجيات لا يخلفن ميعادا
وقال أيضا يهجو:

جمعت أمرين ضاع الحزم بينهما ... تيه الملوك وأفعال الممالك

٩٠١٥٣ ذكر غضب المتوكل على أبي الوزير وغيره

٩٠١٥٤ أخبار متفرقة

أردت شكرا بلا بر ومرزئة ... لقد سلكت سبيلا غير مسلوكة
ظننت عرضك لم يقرع بقارعة ... وما أراك على حال بمترك
وفي هذه السنة أمر المتوكل بإبراهيم بن الجنيد النصراني، أخي أيوب كاتب سمانه، فضرب.
له بالأعمدة حتى أقر بسبعين ألف دينار، فوجه معه مباركا المغربي إلى بغداد حتى استخرجها من منزله، وجيء به فحبس.
. ذكر غضب المتوكل على أبي الوزير وغيره

وفيها غضب المتوكل على أبي الوزير في ذي الحجة، وأمر بحاسبته، فحمل نحو من ستين ألف دينار، وحمل بدور دراهم وحليا، وأخذ له من متاع مصر اثنين وستين سقطا واثنين وثلاثين غلاما وفرشا كثيرا، وحبس بخيانتته محمد بن عبد الملك أخا موسى بن عبد الملك والهيثم بن خالد النصراني وابن أخيه سعدون بن علي، وصولح سعدون على أربعين ألف دينار، وصولح ابنا أخيه عبد الله وأحمد على نيف وثلاثين ألف دينار، وأخذت ضياعهم بذلك.

[أخبار متفرقة]

وفي هذه السنة استكتب المتوكل محمد بن الفضل الجرجاني.

وفي هذه السنة عزل المتوكل يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان عن ديوان الخراج الفضل بن مروان، وولاه يحيى بن خاقان الخراساني مولى الأزدي، وولى إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول في هذا اليوم ديوان زمام النفقات وعزل عنه أبا الوزير وفيها ولى المتوكل ابنه محمدا المنتصر الحرمين واليمن والطائف، وعقد له يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان.

وفيها فلج أحمد بن أبي دواد لست خلون من جمادى الآخرة.

وفيها قدم يحيى بن هرثمة مكة وهو والي طريق مكة بعلي بن محمد بن علي الرضى بن موسى بن جعفر من المدينة.

وفيها وثب ميخائيل بن توفيل على أمه تذورة فشمسها وأدخلها الدير، وقتل اللغيط لأنه اتهمها به، وكان ملكها ست سنين.
وجج بالناس في هذه السنة محمد بن داود.

٩٠١٦ سنة أربع وثلاثين ومائتين

٩٠١٦٠١ ذكر الخبر عن هرب محمد بن البعث

ثم دخلت

سنة أربع وثلاثين ومائتين

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث)

ذكر الخبر عن هرب محمد بن البعيث

فمن ذلك ما كان من هرب محمد بن البعيث بن حلبس، جيء به أسيرا من قبل أذربيجان فحبس.

ذكر الخبر عن سبب هربه وما كان آل إليه أمره:

ذكر أن السبب في ذلك كان أن المتوكل كان اعتل في هذه السنة، وكان مع ابن البعيث رجل يخدمه يسمى خليفة، فأخبره بأن المتوكل قد توفي، واعد له دواب، فهرب هو وخليفة الذي أخبره الخبر إلى موضعه من أذربيجان، وموضعه منها مرند- وقيل: كانت له قلعتان، تدعى إحداهما شاهي والأخرى يكدر- ويكدر خارج البحيرة، وشاهي في وسط البحيرة، والبحيرة قدر خمسين فرسخا من حد أرمية، إلى رستاق داخرقان بلاد محمد بن الرواد، وشاهي قلعة ابن البعيث حصينة يحيط بها ماء قائم ثم، يركب الناس من أطراف المراغة إلى أرمية وهي بحيرة لا سمك فيها ولا خير.

وذكر أن ابن البعيث كان في حبس إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، فتكلم فيه بغا الشراي، وأخذ منه الكفلاء نحو من ثلاثين كفيلة، منهم محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني، فكان يتردد بسامرا، فهرب إلى مرند، فجمع بمروند الطعام، وفيها عيون ماء، فرم ما كان وهي من سورها، وأتاه من أراد الفتنة من كل ناحية، من ربيعة وغيرهم، فصار في نحو من ألفين ومائتي رجل.

وكان الوالي بأذربيجان محمد بن حاتم بن هرثمة، فقصر في طلبه، فولى

المتوكل حمدويه بن علي بن الفضل السعدي أذربيجان، ووجهه من سامرا على البريد، فلما صار إليهما جمع الجند والشاكرية ومن استجاب له، فصار في عشرة آلاف، فزحف إلى ابن البعيث، فألجأه إلى مدينة مرند- وهي مدينة استدارتها فرسخان وفي داخلها بساتين كثيرة، ومن خارجها كما تدور شجر إلا في موضع أبوابها- وقد جمع فيها ابن البعيث آلة الحصار، وفيها عيون ماء، فلما طالت مدته، وجه المتوكل زيرك التركي في مائتي ألف فارس من الأتراك، فلم يصنع شيئا، فوجه إليه المتوكل عمرو بن سيسل بن كال في تسعمائة من الشاكرية، فلم يغن شيئا، فوجه إليه بغا الشراي في أربعة آلاف ما بين تركي وشاكري ومغربي، وكان حمدويه بن علي وعمر بن سيسل وزيرك زحفوا إلى مدينة مرند، وقطعوا ما حولها من الشجر، فقطعوا نحو من مائة ألف شجرة وغير ذلك من شجر الغياض، ونصبوا عليها عشرين منجنيقا، وبنوا بحذاء المدينة ما يستكنون فيه، ونصب عليهم ابن البعيث من المجانيق مثل ذلك، وكان معه من علوج رساتيقه يرمون بالمقاييع، فكان الرجل لا يقدر على الدنو من سور المدينة، فقتل من أولياء السلطان في حربه في ثمانية أشهر نحو من مائة رجل، وجرح نحو من أربعمائة، وقتل وجرح من أصحابه مثل ذلك.

وكان حمدويه وعمرو وزيرك يغادونه القتال ويراهونه، وكان السور من قبل المدينة ذليلا، ومن القرار نحو من عشرين ذراعا، وكانت الجماعة من أصحاب ابن البعيث يتدلون بالحبال معهم الرماح فيقاتلون، فإذا حمل عليهم من أصحاب السلطان لجئوا إلى الحائط، وكانوا ربما فتحوا بابا يقال له باب الماء، فيخرج منه العدة يقاتلون ثم يرجعون.

ولما قرب بغا الشراي من مرند بعث- فيما ذكر- عيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني، ومعه أمانات لوجوه أصحاب ابن البعيث، ولابن البعيث أن ينزلوا وينزل على حكم أمير المؤمنين، وإلا قاتلهم، فإن ظفر بهم لم يستبق منهم أحدا، ومن نزل فله الامان، وكان عامة من مع ابن البعيث من ربيعة من قوم عيسى بن الشيخ، فنزل منهم قوم كثير بالحبال، ونزل ختن ابن البعيث

٩٠١٦٠٢ ذكر الخبر عن حج ايتاخ وسببه

على أخته أبو الأغر.

وذكر عن أبي الأغر هذا أنه قال: ثم فتحوا باب المدينة، فدخل أصحاب حمدويه وزيرك، وخرج ابن البعيث من منزله هاربا يريد أن يخرج من وجه آخر، فلحقه قوم من الجند، معهم منصور قهرمانه، وهو راكب دابة، يريد أن يصير إلى نهر عليه رحا ليستخفي في الرحا، وفي عنقه السيف، فأخذوه أسيرا وانتهب الجند منزله ومنازل أصحابه وبعض منازل أهل المدينة، ثم نودي بعد ما انتهب الناس: برئت الذمة ممن انتهب وأخذوا له أختين وثلاث بنات وخالته والبواقي سراري، فحصل في يد السلطان من حرمه ثلاث عشرة امرأة،

وأخذ من وجوه أصحابه المذكورين نحو من مائتي رجل، وهرب الباقون، فوافاهم بغا الشرايين من غد، فنادى مناديه بالمنع من النهب، فكتب بغا الشرايين بالفتح لنفسه.

وخرج المتوكل فيها إلى المدائن في جمادى الأولى

. ذكر الخبر عن حج إيتاخ وسببه

وجج في هذه السنة إيتاخ، وكان والي مكة والمدينة والموسم، ودعي له على المنابر.

ذكر الخبر عن سبب حجه في هذه السنة:

ذكر أن إيتاخ كان غلاماً خزرياً لسلام الأبرش طباحاً، فاشتره منه المعتصم في سنة تسع وتسعين ومائة، وكان لإيتاخ رحلة وبأس، فرفعه المعتصم ومن بعده الواثق، حتى ضم إليه من أعمال السلطان أعمالاً كثيرة، وولاه المعتصم معونة سامراً مع إسحاق بن إبراهيم، وكان من قبله رجل، ومن قبل إسحاق رجل، وكان من أراد المعتصم أو الواثق قتله فعند إيتاخ

يقتل، ويده يحبس، منهم محمد بن عبد الملك الزيات، وأولاد المأمون من سندس، وصالح بن عجيف وغيرهم، فلما ولي المتوكل كان إيتاخ في مرتبته، إليه الجيش والمغاربة والأتراك والموالي والبريد والحجبة ودار الخلافة، فخرج المتوكل بعد ما استوت له الخلافة متنزهاً إلى ناحية القاطول، فشرب ليلة، فعربد على إيتاخ، فهم إيتاخ بقتله، فلما أصبح المتوكل قيل له، فاعتذر إليه والتزمه، وقال له: أنت أبي وربيتني، فلما صار المتوكل إلى سامرا دس إليه من يشير عليه بالاستئذان للحج، ففعل وأذن له، وصيره أمير كل بلدة يدخلها، وخلع عليه، وركب جميع القواد معه، وخرج معه من الشاكرية والقواد والغلمان سوى غلمانه وحشمه بشر كثير، فحين خرج صيرت الحجبة إلى وصيف، وذلك يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة وقد قيل إن هذه القصة من أمر إيتاخ كانت في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وأن المتوكل إنما صير إلى وصيف الحجبة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة من سنة ثلاث وثلاثين ومائتين. وجج بالناس في هذه السنة محمد بن داود بن عيسى بن موسى.

٩٠١٧ سنه خمس وثلاثين ومائتين

٩٠١٧٠١ ذكر الخبر عن مقتل إيتاخ

ثم دخلت

سنة خمس وثلاثين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر الخبر عن مقتل إيتاخ

فمن ذلك مقتل إيتاخ الخزري.

ذكر الخبر عن صفة مقتله:

ذكر عن إيتاخ أنه لما انصرف من مكة راجعاً إلى العراق، وجه المتوكل إليه سعيد بن صالح الحاجب مع كسوة والطف، وأمره أن يلقيه بالكوفة أو ببعض طريقه، وقد تقدم المتوكل إلى عامله على الشرطة ببغداد بأمره فيه.

فذكر عن إبراهيم بن المدبر، أنه قال: خرجت مع إسحاق بن إبراهيم حين قرب إيتاخ من بغداد، وكان يريد أن يأخذ طريق الفرات إلى الأنبار، ثم يخرج إلى سامرا، فكتب إليه إسحاق بن إبراهيم: أن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، قد أمر أن تدخل بغداد، وأن يلقاك بنو هاشم ووجوه الناس، وأن تقعد لهم في دار خزيمه بن خازم، فتأمر لهم بجوائز قال: نفخرنا حتى إذا كنا بالياسرية، وقد شحن ابن إبراهيم الجسر بالجند والشاكرية، وخرج في خاصته، وطرح له بالياسرية صفة، فجلس عليها حتى قالوا: قد قرب منك فركب فاستقبله، فلما نظر إليه أهوى إسحاق لينزل، فحلف عليه إيتاخ ألا يفعل.

قال: وكان إيتاخ في ثلاثمائة من أصحابه وغلمانه، عليه قباء أبيض، متقلداً سيفاً بمائل، فساروا جميعاً، حتى إذا صاروا عند الجسر تقدمه إسحاق عند الجسر، وعبر حتى وقف على باب خزيمه بن خازم، وقال لإيتاخ تدخل أوصلي الله الأمير! وكان الموكلون بالجسر كلها مر

بهم غلام من غلمانه قدموه، حتى بقي في خاصة غلمانه، ودخل بين يديه قوم، وقد فرشت له دار خزيمة، وتأخر إسحاق، وأمر ألا يدخل الدار من غلمانه الا

ثلاثة أو أربعة، وأخذت عليه الأبواب، وأمر بحراسته من ناحية الشط، وكسرت كل درجة في قصر خزيمة بن خازم، فحين دخل أغلق الباب خلفه، فنظر فإذا ليس معه إلا ثلاثة غلمان، فقال: قد فعلوها! ولو لم يؤخذ ببغداد ما قدروا على أخذه، ولو دخل إلى سامرا، فأراد بأصحابه قتل جميع من خالفه امكنه ذلك قال: فأتي بطعام قرب الليل، فأكل فكث يومين أو ثلاثة، ثم ركب إسحاق في حراقة وأعد لإيتاخ أخرى، ثم أرسل إليه أن يصير إلى الحراقة، وأمر بأخذ سيفه، فحذروه إلى الحراقة، وصير معه قوم في السلاح وصاعد إسحاق، حتى صار إلى منزله، وأخرج إيتاخ حين بلغ دار إسحاق، فأدخل ناحية منها، ثم قيد فأثقل بالحديد في عنقه ورجليه، ثم قدم بابنيه منصور ومظفر، وبكاتبه سليمان بن وهب وقدامة بن زياد النصراني ببغداد.

وكان سليمان على أعمال السلطان، وقدامة على ضياع إيتاخ خاصة، فحبسوا ببغداد، فأما سليمان وقدامة فضربا، فأسلم قدامة وحبس منصور ومظفر.

وذكر عن ترك مولى إسحاق أنه قال: وقفت على باب البيت الذي فيه إيتاخ محبوس، فقال لي: يا ترك، قلت: ما تريد يا منصور؟ قال: أقرئ الأمير السلام، وقل له: قد علمت ما كان يأمرني به المعتصم والواق في أمرك، فكنت أدفع عنك ما أمكنني، فلينفعني ذلك عندك، أما أنا فقد مر بي شدة ورخاء، فما أبالي ما أكلت وما شربت، وأما هذان الغلامان، فإنهما عاشا في نعمة ولم يعرفا البؤس، فصير لهما مرقعة ولحما وشيئا يأكلان منه قال:

ترك فوقفت على باب مجلس إسحاق، قال لي: ما لك يا ترك؟ أتريد أن نتكلم بشيء؟ قلت: نعم، قال لي إيتاخ كذا، كذا، قال: وكانت وظيفة إيتاخ رغيفا وكوزا من ماء، ويأمر لابنيه بخوان فيه سبعة أرغفة وخمس غرف، فلم يزل ذلك قائما حياة إسحاق، ثم لا أدري ما صنع بهما، فأما إيتاخ فقيد وصير في عنقه ثمانون رطلا، وقيد ثقيل، فمات يوم الأربعاء لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين ومائتين، وأشهد إسحاق على موته أبا الحسن إسحاق بن ثابت بن أبي عباد وصاحب بريد بغداد والقضاة، وأراهم إياه لا ضرب به ولا أثر

٩٠١٧٠٢ ذكر خبر اسر ابن البعيث وموته

وحدثني بعض شيوخنا أن إيتاخ كان موته بالعطش، وأنه أطعم فاستسقى فنع الماء، حتى مات عطشا، وبقي ابنه في الحبس حياة المتوكل، فلما أفضى الأمر إلى المنتصر أخرجهما، فأما مظفر فإنه لم يعيش بعد أن أخرج من السجن إلا ثلاثة أشهر حتى مات، وأما منصور فعاش بعده.

ذكر خبر اسر ابن البعيث وموته

وفي هذه السنة قدم بغا الشرابي بابن البعيث في شوال وبخليفته أبي الأغر وبأخوي ابن البعيث صقر وخالد- وكانا نزلا بأمان- وبابن لابن البعيث، يقال له العلاء، خرج بأمان، وقدم من الأسرى بنحو من مائة وثمانين رجلا، ومات باقيهم قبل أن يصلوا، فلما قربوا من سامرا حملوا على الجمال يستشرفهم الناس، فأمر المتوكل بحبسه وحبسهم، وأثقله حديدا فذكر عن علي بن الجهم، أنه قال: أتى المتوكل بمحمد بن البعيث، فأمر بضرب عنقه، فطرح على نطع، وجاء السيفون فلوحوا له، فقال المتوكل، وغلظ عليه: ما دعاك يا محمد إلى ما صنعت؟ قال: الشقوة، وأنت الحبل الممدود بين الله وبين خلقه، وإن لي فيك لظنين أسبقهما إلى قلبي أولاها بك، وهو العفو، ثم اندفع بلا فضل، فقال:

أبي الناس إلا أنك اليوم قاتلي ... إمام الهدى والصفح بالناس أجمل

وهل أنا إلا جبلة من خطية ... وعفوك من نور النبوه يجبل

فإنك خير السابقين الى العلا ... ولا شك أن خير الفعالين تفعل

قال علي: ثم التفت إلي المتوكل، فقال: إن معه لأدبا، وبادرت فقلت: بل يفعل أمير المؤمنين خيرهما ويمن عليك، فقال: ارجع إلى منزلك.

وحدثني أنه أنشدني بالمراغة جماعة من أشياخها أشعارا لابن

٩٠١٧٠٣ امر المتوكل مع النصارى

البعيث بالفارسية، ويذكرون أدبه وشجاعته، وله أخبار وأحاديث. وحدثني بعض من ذكر أنه شهد المتوكل حين أتى بابن البعيث، وكله ابن البعيث بما كلمه به، فتكلم فيه المعتز، وهو جالس مع أبيه المتوكل، فاستوهبه فوهب له، وعفي عنه.

وكان ابن البعيث حين هرب قال:

كم قد قضيت أمورا كان أهلها ... غيري وقد أخذ الإفلاس بالكظم
لا تعذليني فيما ليس ينفعني ... إليك عني جرى المقدار بالقلم

سأتلف المال في عسر وفي يسر ... إن الجواد الذي يعطي على العدم

وكان ابن البعيث حين هرب خلف في منزله ثلاثة بنين له، يقال لهم:

البعيث وجعفر وحلبس، وجواري، فحبسوا ببغداد في قصر الذهب، فتكلم بغا الشرايبي بعد موت ابن البعيث - ومات بعد دخوله سامرا بشهر - في أبي الأغر خنته، فأطلق وأطلقت خالة لابن البعيث، فخرجت من السجن، فماتت فرحا من يومها، وبقي الباقيون في الحبس. وذكر أن ابن البعيث صير في عنقه مائة رطل، فلم يزل مكبوبا على وجهه حتى مات.

ولما أخذ ابن البعيث أخرج من الحبس من كان محبوسا بسبب كفالته به، وقد كان بعضهم مات في الحبس، فأخرج بعد باقي عياله وصير بنوه:

حلبس والبعيث وجعفر في عداد الشاكريه مع عبيد الله بن خاقان، واجريت عليهم الأنزال.

امر المتوكل مع النصارى

وفي هذه السنة أمر المتوكل بأخذ النصارى وأهل الذمة كلهم بلبس الطيالة العسلية والزنانير وركوب السروج بركب الخشب وبتصيير كرتين على مؤخر السروج، وبتصيير زرين على قلانس من لبس منهم قلنسوة مخالفة لون القلنسوة التي يلبسها المسلمون، وبتصيير رقعتين على ما ظهر من لباس

مما ليكهم مخالف لونهما لون الثوب الظاهر الذي عليه، وأن تكون إحدى الرقعتين بين يديه عند صدره، والأخرى منهما خلف ظهره، وتكون كل واحدة من الرقعتين قدر أربع أصابع، ولونهما عسليا، ومن لبس منهم عمامة فكذلك يكون لونها لون العسلي، ومن خرج من نسائهم فبرزت فلا تبرز إلا في إزار عسلي، وأمر بأخذ مما ليكهم بلبس الزنانير وبمنعهم لبس المناطق، وأمر بهدم بيعهم المحدثه، وبأخذ العشر من منازلهم، وإن كان الموضع واسعا صير مسجدا، وإن كان لا يصلح أن يكون مسجدا صير فضاء، وأمر أن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب مسمورة، تفريقا بين منازلهم وبين منازل المسلمين، ونهى أن يستعان بهم في الدواوين وأعمال السلطان التي يجري أحكامهم فيها على المسلمين، ونهى أن يتعلم أولادهم في كتاتيب المسلمين، ولا يعلمهم مسلم، ونهى أن يظهروا في شعائهم صليبا، وأن يشمعلوا في الطريق، وأمر بتسوية قبورهم مع الأرض، لئلا تشبه قبور المسلمين. وكتب إلى عماله في الآفاق:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن الله تبارك وتعالى بعزته التي لا تحاول وقدرته على ما يريد، اصطفى الإسلام فرضيه لنفسه، وأكرم به ملائكته، وبعث به رسلا، وأيد به أوليائه، وكفنه بالبر، وحاطه بالنصر، وحرسه من العاهة، وأظهره على الأديان، مبرا من الشبهات، معصوما من الآفات، محبوا بمناقب الخير، مخصوصا من الشرائع بأطهرها وأفضلها، ومن الفرائض بأزكاها وأشرفها، ومن الأحكام بأعدلها وأقنعها، ومن الأعمال بأحسنها وأقصدتها، وأكرم أهله بما أحل لهم من حلاله، وحرم عليهم من حرامه، وبين لهم من شرائعه وأحكامه، وحد لهم من حدوده ومناهجه، وأعد لهم من سعة جزائه وثوابه، فقال في كتابه فيما أمر به ونهى عنه، وفيما حض عليه فيه ووعظ:

«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» ، وقال فيما حرم على أهله

مما غمط فيه أهل الأديان من رديء المطعم والمشرب والمنكح ليزههم عنه وليظهر به دينهم، ليفضلهم عليهم تفضيلاً: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ» إلى آخر الآية، ثم ختم ما حرم عليهم من ذلك في هذه الآية بحراسة دينه، ممن عند عنه وبإتمام نعمته على أهله الذين اصطفاهم، فقال عز وجل: «الْيَوْمَ يَكْفُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» الآية، وقال عز وجل: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ» وقال:

«إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلاَ يَضُرُّكُمْ شَيْئاً وَأَنْتُمْ عَنْ ذَلِكَ غَافِلُونَ» الآية، فحرم على المسلمين من مآكل أهل الأديان أرجسها وأنجسها، ومن شراهم أدعاه إلى العداوة والبغضاء، وأصده عن ذكر الله وعن الصلاة، ومن مناكهم أعظمها عنده وزراً، وأولاها عند ذوي الحجة والألباب تحريماً، ثم حباهم محاسن الأخلاق وفضائل الكرامات، فجعلهم أهل الإيمان والأمانة، والفضل والترحام واليقين والصدق، ولم يجعل في دينهم التقاطع والتدابير، ولا الحمية ولا التكبر، ولا الخيانة ولا الغدر، ولا التباعى ولا الظالم، بل أمر بالأولى ونهى عن الأخرى، ووعد وأوعدها جنته وناره، وثوابه وعقابه، فالمسلمون بما اختصهم الله من كرامته، وجعل لهم من الفضيلة بدينهم الذي اختاره لهم، باثون على الأديان بشرائعهم الزاكية، وأحكامهم المرضية الطاهرة، وبراهينهم المنيرة، وبتطهير الله دينهم بما أحل وحرّم فيه لهم وعليهم، قضاء من الله عز وجل في إعزاز دينه، حتماً ومشئته منه في إظهار حقه ماضية، وإرادته منه في إتمام نعمته على أهله نافذة «لِيَلْكَ مِنْ هَٰذَا عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مِنْ حَيٍّ عَنْ بَيِّنَةٍ» ، وليجعل الله الفوز والعاقبة للمتقين، والخزي في الدنيا والآخرة على الكافرين. وقد رأى أمير المؤمنين - وبالله توفيقه وإرشاده - أن يحمل أهل الذمة جميعاً

بحضرتة وفي نواحي أعماله، أقربها وأبعدها، وأخصهم وأخسهم على تصوير طيبالستهم التي يلبسونها، من لبسها من تجارهم وكّابهم، وكبيرهم وصغيرهم، على ألوان الثياب العسلية، لا يتجاوز ذلك منهم متجاوز إلى غيره، ومن قصر عن هذه الطبقة من أتباعهم وأرذالهم، ومن يقعد به حاله عن لبس الطيالة منهم أخذ بتركيب خرقتين صبغهما ذلك الصبغ يكون استدارة كل واحدة منهما شبرا تاما في مثله، على موضع أمام ثوبه الذي يلبسه، تلقاء صدره، ومن وراء ظهره، وإن يؤخذ الجميع منهم في قلائسهم بتركيب أزرة عليها تخالف ألوانها ألوان القلائس، ترتفع في أماكنها التي تقع بها، لئلا تلتصق فتستر ولا ما يركب منها على حباك فتخفى، وكذلك في سروجهم باتخاذ ركب خشب لها، ونصب أكر على قرايسها، تكون نائثة عنها، وموفية عليها، لا يرخص لهم في إزالتها عن قرايسهم، وتأخيرها إلى جوانبها، بل يتفقد ذلك منهم، ليقع ما وقع من الذي أمر أمير المؤمنين بحملهم عليه ظاهراً يتبينه الناظر من غير تأمل، وتأخذه الأعين من غير طلب، وأن تؤخذ عبيدهم وإماؤهم، ومن يلبس المناطق من تلك الطبقة بشد الزنانير والكسايح مكان المناطق التي كانت في أوساطهم، وأن توغر إلى عمالك فيما أمر به أمير المؤمنين في ذلك إيعازاً تحذوهم به إلى استقصاء ما تقدم إليهم فيه، وتحذوهم إدهانا وميلاً، وتقدم إليهم في إنزال العقوبة بمن خالف ذلك من جميع أهل الذمة عن سبيل عناد وتهوين إلى غيره، ليقصر الجميع منهم على طبقاتهم وأصنافهم على السبيل التي أمر أمير المؤمنين بحملهم عليها، وأخذهم بها إن شاء الله.

فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين وأمره، وانفذ إلى عمالك في نواحي عملك ما ورد عليك من كتاب أمير المؤمنين بما تعمل به إن شاء الله، وأمير المؤمنين يسأل الله ربه ووليه أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وملائكته، وأن يحفظه فيما استخلفه عليه من أمر دينه، ويتولى ما ولاه مما لا يبلغ حقه فيه إلا بعونه، حفظاً يحمل به ما حمّله، وولاية يقضي بها حقه منه ويوجب بها له أكل ثوابه، وأفضل مزيده، أنه كريم رحيم.

وكتب إبراهيم بن العباس في شوال سنة خمس وثلاثين ومائتين

٩٠١٧٠٤ ظهور محمود بن الفرّج النيسابوري

٩٠١٧٠٥ ذكر عقد المتوكل البيعه لبنيه الثلاثة

فقال علي بن الجهم:

العسليات التي فرقت ... بين ذوي الرشدة والغي

وما على العاقل ان تكثروا ... فانه اكثر للغيء

ظهور محمود بن الفرّج النيسابوري

وفي هذه السنة ظهر بسامرا رجل يقال له محمود بن الفرّج النيسابوري فزعم أنه ذو القرنين، ومعه سبعة وعشرون رجلا عند خشبة بابك، وخرج من أصحابه بباب العامة رجلا، وبغداد في مسجد مدينتها آخرا، وزعم أنها نبي، وأنه ذو القرنين، فأتي به وبأصحابه المتوكل، فأمر بضربه بالسياط، فضرِب ضربا شديدا، فمات من بعد من ضربه ذلك، وحبس أصحابه، وكانوا قدموا من نيسابور، ومعهم شيء يقرءونه، وكان معهم عيالاتهم، وفيهم شيخ يشهد له بالنبوة، ويزعم أنه يوحى إليه، وأن جبريل يأتيه بالوحي، فضرِب محمود مائة سوط، فلم ينكر نبوته حين ضرب، وضرب الشيخ الذي كان يشهد له أربعين سوطا، فأنكر نبوته حين ضرب وحمل محمود إلى باب العامة، فأكذب نفسه، وقال: الشيخ قد اختدعني، وأمر أصحاب محمود أن يصفعوه فصفعوه، كل واحد منهم عشر صفعات، وأخذ له مصحف فيه كلام قد جمعه ذكر أنه قرأه، وان جبريل ع كان يأتيه به، ثم مات يوم الأربعاء لثلاث خلون من ذي الحجة في هذه السنة ودفن في الجزيرة.

ذكر عقد المتوكل البيعه لبنيه الثلاثة

وفي هذه السنة عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة: لمحمد وسماء المنتصر، ولأبي عبد الله بن قبيصة - ويختلف في اسمه، فقيل إن اسمه محمد، وقيل:

اسمه الزبير، ولقبه المعتز - ولإبراهيم وسماء المؤيد بولاية العهد، وذلك - فيما قيل - يوم السبت لثلاث بقين من ذي الحجة - وقيل لليلتين بقيتا منه - وعقد لكل واحد منهم لواءين، أحدهما أسود وهو لواء العهد، والآخر أبيض وهو لواء العمل، وضم إلى كل واحد من العمل ما أنا ذاكره.

فكان ما ضم إلى ابنه محمد المنتصر من ذلك إفريقية والمغرب كله من عريش مصر إلى حيث بلغ سلطانه من المغرب وجند قنسرين والعواصم والثغور الشامية والجزيرة وديار مضر وديار ربيعة والموصل وهيت وعانات والخابور وقرقيسيا وكورباجرى وتكريت وطساسيج السواد وكور دجلة والحرمين واليمن وعك وحضر موت واليمامة والبحرين والسند ومكران وقدايل وفرج بيت الذهب وكور الأهواز والمستغلات بسامرا وماه الكوفة وماه البصرة وماسبذان ومهرجاندق وشهرزور ودراباذ والصامغان وأصبهان وقم وقاشان وقزوین وأمور الجبل والضياع المنسوبة إلى الجبال وصدقات العرب بالبصرة.

وكان ما ضم إلى ابنه المعتز كور خراسان وما يضاف إليها، وطبرستان والري وأرمينية وأذربيجان وكور فارس ضم إليه في سنة أربعين خزن بيوت الأموال في جميع الآفاق، ودور الضرب، وأمر بضرب اسمه على الدراهم.

وكان ما ضم إلى ابنه المؤيد جند دمشق وجند حمص وجند الأردن وجند فلسطين، فقال أبو الغصن الأعرابي:

إن ولاية المسلمين الجله ... محمد ثم أبو عبد الله

ثم إبراهيم آبي الذله ... بورك في بني خليفة الله

وكتب بينهم كتابا نسخته:

هذا كتاب كتبه عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين، وأشهد الله على نفسه بجميع ما فيه ومن حضر من أهل بيته وشيعته وقواده وقضاته وكفاته وفقهائه وغيرهم من المسلمين لمحمد المنتصر بالله، ولأبي عبد الله المعتز بالله، وإبراهيم المؤيد بالله، بني أمير المؤمنين، في أصالة من رأيه، وعموم من عافيه بدنه، واجتماع من فهمه، مختارا لما شهد به، متوخيا بذلك طاعة ربه، وسلامة رعيته واستقامتها وانقياد طاعتها، واتساع كلمتها،

وصلاح ذات بينها، وذلك في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ومائتين انه جعل، إلى محمد المنتصر بالله بن جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ولاية عهد المسلمين في حياته والخلافة عليهم من بعده، وأمره بتقوى الله التي هي عصمة من اعتصم بها ونجاة من لجأ إليها، وعز من اقتصر عليها، فإن بطاعة الله تتم النعمة، وتجب من الله الرحمة، والله غفور رحيم وجعل عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين اخلافة من بعد محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين إلى أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين، ثم من بعد أبي عبد الله المعتز ابن أمير المؤمنين اخلافة إلى إبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين وجعل عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين لمحمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين على أبي عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين السمع والطاعة والنصيحة والمشايعة والموالاة لأوليائه والمعاداة لأعدائه، في السر والجاه، والغضب والرضا، والمنع والإعطاء، والتسك ببيعته، والوفاء بعهده، لا يغيانه غائلة، ولا يحاولانه مخالفة، ولا يمالئان عليه عدوا، ولا يستبدان دونه بأمر يكون فيه نقض لما جعل إليه أمير المؤمنين من ولاية العهد في حياته والخلافة من بعده.

وجعل عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين لأبي عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين الوفاء بما عقده لهما، وعهد به إليهما من اخلافة بعد محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين، وإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين الخليفة من بعد أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين، والإتمام على ذلك، والا يخلعهما ولا واحدا منهما، ولا يعقد دونهما ولا دون واحد منهما بيعة لولد، ولا لأحد من جميع البرية، ولا يؤخر منهما مقدما، ولا يقدم منهما مؤخرا، ولا ينقصهما ولا واحدا منهما شيئا من أعمالهما التي ولاهما عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين وكل واحد منهما، من الصلاة والمعاون والقضاء

والمظالم والخراج والضياح والغنيمة والصدقات وغير ذلك من حقوق أعمالهما، وما في عمل كل واحد منهما، من البريد والطرر وخزن بيوت الأموال والمعاون ودور الضرب وجميع الأعمال التي جعلها أمير المؤمنين، ويجعلها إلى كل واحد منهما، ولا ينقل عن واحد منهما أحدا من ناحيته من القواد والجند والشاكرية والموالي والغلمان وغيرهم، ولا يعترض عليه في شيء من ضياحه وإقطاعاته وسائر أمواله وذخائره وجميع ما في يده، وما حواه وملكت يده من تالد وطارف، وقديم ومستأنف، وجميع ما يستفيدة ويستفاد له بنقص، ولا يحرم ولا يجنف، ولا يعرض لأحد من عماله وكتابه وقضاته وخدمه ووكلائه وأصحابه، وجميع أسبابه بمنظرة ولا محاسبة، ولا غير ذلك من الوجوه والأسباب كلها، ولا يفسخ فيما وكده أمير المؤمنين لهما في هذا العقد والعهد، بما يزيل ذلك عن جهته، أو يؤخره عن وقته، أو يكون ناقضا لشيء منه.

وجعل عبد الله جعفر المتوكل على الله أمير المؤمنين على أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين إن أفضت إليه اخلافة بعد محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين مثل الشرائط التي اشترطها على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين بجميع ما سمي فيه ووصف في هذا الكتاب، وعلى ما بين وفسر، مع الوفاء من أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين، بما جعله أمير المؤمنين لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين من اخلافة وتسليم ذلك راضيا به ممضيا له، مقدما ما فيه حق الله عليه وما أمره به أمير المؤمنين، غير ناكث ولا ناكب بذلك، ولا مبدل، فإن الله تعالى جده وعز ذكره يتوعد من خالف أمره، وعند عن سبيله في محكم كتابه: «فَنَّ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَنَّمَا إِنَّمَا عَلَى الَّذِينَ يَبْدِلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

« على أن لأبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين وإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين، الامان، وهما مقيمان بحضرته أو أحدهما، أو كانا غائبين عنه، أو مجتمعين كانا أو متفرقين ويستمر أبو عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين في ولايته بخراسان وأعمالها المتصلة بها والمضمومة إليها، ويستمر إبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين في ولايته بالشام وأجنادها، فعلى محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين، أن يمضي أبا عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين إلى خراسان وأعمالها المتصلة بها والمضمومة إليها، وأن يسلم له ولايتها وأعمالها كلها وأجنادها والكور الداخلة فيما ولي جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين أبا

عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين، فلا يعوقه عنها، ولا يحبس قبله ولا في شيء من البلدان دون خراسان والكور والأعمال المضمومة إليها، وإن يعجل إشخاصه إليها واليا عليها وعلى جميع أعمالها، مفردا بها مفوضا إليه أعمالها كلها، لينزل حيث أحب من كور عمله، ولا ينقله عنها، وأن يشخص معه جميع من ضم إليه أمير المؤمنين، ويضم من مواليه وقواده وشاكريته وأصحابه وكتابه وعماله وخدمه ومن اتبعه من صنوف الناس بأهاليهم وأولادهم وعيالهم وأموالهم، ولا يحبس عنه أحدا، ولا يشرك في شيء من أعماله أحدا، ولا يوجه عليه أميننا ولا كاتبنا ولا بريدا، ولا يضرب على يده في قليل ولا كثير.

وأن يطلق محمد المنتصر بالله لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين الخروج إلى الشام وأجنادها فيمن ضم أمير المؤمنين ويضمه إليه من مواليه وقواده وخدمه وجنوده وشاكريته وصحابته وعماله وخدمه ومن اتبعه من صنوف الناس بأهاليهم وأولادهم وأموالهم، ولا يحبس عنهم أحدا، ويسلم اليه ولايتها وأعمالها وجنودها كلها، لا يعوقه عنها، ولا يحبس قبله ولا في شيء من البلدان دونها، وأن يعجل إشخاصه إلى الشام وأجنادها واليا عليها، ولا ينقله عنها، وأن عليه له فيمن ضم إليه من القواد والموالي والغلمان والجنود والشاكرية وأصناف الناس وفي جميع الأسباب والوجوه مثل الذي اشترط على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين لأبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين في خراسان وأعمالها على ما رسم من ذلك، وبين ونخلص، وشرح في هذا الكتاب.

ولإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين على أبي عبد الله المعتز بالله ابن

أمير المؤمنين- إذا أفضت الخلافة إليه، وإبراهيم المؤيد بالله مقيم بالشام- أن يقره بها أو كان بحضرته، أو كان غائبا عنه، أن يمضيه إلى عمله من الشام، ويسلم إليه أجنادها وولايتها وأعمالها كلها، ولا يعوقه عنها، ولا يحبس قبله ولا في شيء من البلدان دونها، وأن يعجل إشخاصه إليها واليا عليها وعلى جميع أعمالها، على مثل الشرط الذي أخذ لأبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين في خراسان وأعمالها، على ما رسم ووصف وشرط في هذا الكتاب، لم يجعل أمير المؤمنين لواحد ممن وقعت عليه وله هذه الشروط، من محمد المنتصر بالله، وأبي عبد الله المعتز بالله، وإبراهيم المؤيد بالله، بني أمير المؤمنين، أن يزيل شيئا مما اشترطنا في هذا الكتاب، ووكدنا، وعليهم جميعا الوفاء به، لا يقبل الله منهم إلا ذلك، ولا التمسك إلا بعهد الله فيه، وكان عهد الله مسؤولا.

أشهد الله رب العالمين جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ومن حضره من المسلمين بجميع ما في هذا الكتاب على إمضائه إياه، على محمد المنتصر بالله، وأبي عبد الله المعتز بالله، وإبراهيم المؤيد بالله، بني أمير المؤمنين بجميع ما سمي ووصف فيه، وكفى بالله شهيدا ومعينا لمن أطاعه راجيا، ووفى بعهد خائفا وحسيبا، ومعاقبا من خالفه معاندا، أو صدف عن أمره مجاهدا. وقد كتب هذا الكتاب أربع نسخ، وقعت شهادة الشهود بحضرة أمير المؤمنين في كل نسخة منها، في خزانة أمير المؤمنين نسخة، وعند محمد المنتصر ابن أمير المؤمنين نسخة، وعند أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين نسخة، ونسخة عند إبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين.

وقد ولي جعفر الإمام المتوكل على الله أبا عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين أعمال فارس وأرمينية وأذربيجان إلى ما يلي أعمال خراسان وكورها والأعمال المتصلة بها والمضمومة إليها، على أن يجعل له على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين في ذلك الذي جعل له في الحياطة في نفسه والوثاق في أعماله، والمضمومين إليه، وسائر من يستعين به من الناس جميعا في خراسان والكور المضمومة إليها والمتصلة بها على ما سمي ووصف في هذا الكتاب

وقال إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول يمدح بني المتوكل الثلاثة:
المنتصر، والمعتز، والمؤيد:

أضحت عرى الإسلام وهي منوطة ... بالنصر والإعزاز والتأييد
بخليفة من هاشم وثلاثة ... كنفوا الخلافة من ولادة عهود

قمر توات حول أقماره ... يكنفن مطلع سعدة بسعود

كنفتهم الآباء واكتفت بهم ... فسعوا بأكرم أنفس وجدود

وله في المعتز بالله:

أشرك المشرق بالمعتز بالله ولا حا... إنما المعتز طيب بث في الناس ففاحا

وله أيضا فيها:

الله أظهر دينه وأعزه بمحمد... والله أكرم بالخلافة جعفر بن محمد

والله أيد عهده بمحمد ومحمد... ومؤيد لمؤيدين إلى النبي محمد

وفيهما كانت وفاة إسحاق بن إبراهيم صاحب الجسر في يوم الثلاثاء لست بقين من ذي الحجة وقيل كانت وفاته لسبع بقين منه، وصير ابنه مكانه، وكسي خمس خلع، وقلد سيفاً، وبعث المتوكل حين انتهى إليه خبر مرضه بابنه المعتز لعيادته مع بغا الشرايبي وجماعة من القواد والجند وذكر أن ماء دجلة تغير في هذه السنة إلى الصفرة ثلاثة أيام، ففرع الناس لذلك، ثم صار في لون ماء المدود وذلك في ذي الحجة.

وفيهما أتى المتوكل يحمي بن عمر بن حسين بن زيد بن علي بن أبي طالب ع من بعض النواحي، وكان- فيما ذكر- قد جمع قوماً، فضربه عمر بن فرج ثمان عشرة مقرعة، وحبس ببغداد في المطبق.

وجج بالناس في هذه السنة محمد بن داود.

٩٠١٨ سنه ست وثلاثين ومائتين

٩٠١٨٠١ خبر مقتل محمد بن إبراهيم بن مصعب

ثم دخلت

سنة ست وثلاثين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

خبر مقتل محمد بن إبراهيم بن مصعب

فمن ذلك ما كان من مقتل محمد بن إبراهيم بن مصعب بن زريق، أخي إسحاق بن إبراهيم بفارس.

ذكر الخبر عن مقتله وكيف قتل:

حدثني غير واحد، عن محمد بن إسحاق بن إبراهيم، أن أباه إسحاق بلغه عنه أنه أكل لا يملأ جوفه شيء، وأنه أمر باتخاذ الطعام والإثثار منه، ثم أرسل إليه فدعاه، ثم أمره أن يأكل، وقال له: إني أحب أن أرى أكلك، فأكل وأكثر حتى عجب إسحاق منه، ثم قدم إليه بعد ما ظن أنه شبع وامتلاً من الطعام حمل مشوي، فأكل منه حتى لم يبق منه إلا عظامه، فلما فرغ من أكله، قال: يا بني، مال أبيك لا يقوم بطعام بطنك، فالحق أمير المؤمنين، فإن ماله أحمل لك من مالي فوجهه إلى الباب والزمه الخدمه، فكان في خدمة السلطان حياة أبيه، وخليفة أبيه ببابه، حتى مات أبوه إسحاق، فعقد له المعتز على فارس، وعقد له المنتصر على اليمامة والبحرين وطريق مكة، في المحرم من هذه السنة، وضم إليه المتوكل أعمال أبيه كلها، وزاده المنتصر ولاية مصر، وذلك أنه كان- فيما ذكر- حمل إلى المتوكل وأولياء عهده مما كان في خزائن أبيه من الجواهر والأشياء النفيسة ما حظي به عندهم، فرفعوه ورفعوا مرتبته.

فلما بلغ محمد بن إبراهيم ما فعل بآبائه أخيه محمد بن إسحاق تنكر للسلطان، وبلغ المتوكل عنه أمور أنكرها، فأخبرني بعضهم أن تنكر محمد بن إبراهيم إنما كان لابن أخيه محمد بن إسحاق، واعتلاله عليه بحمل خراج فارس

٩٠١٨٠٢ ذكر خبر وفاه الحسن بن سهل

إليه وأن محمداً شكاً إلى المتوكل ما كان من تنكر عمه محمد بن إبراهيم في ذلك، فبسط يده عليه، وأطلق له العمل فيه بما أحب، فولى محمد بن إسحاق الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم بن مصعب فارس، وعزل عمه، وتقدم محمد إلى الحسين بن إسماعيل في قتل عمه محمد بن إبراهيم، فذكر أنه لما صار إلى فارس أهدى إليه في يوم النيروز هدايا، فكان فيما أهدى إليه حلواء، فأكل محمد بن إبراهيم منها،

ثم دخل الحسين بن إسماعيل عليه، فأمر بإدخاله إلى موضع آخر واعاده الخلاء عليه، فأكل أيضا منها، فعطش فاستسقى، فنع الماء، ورام الخروج من الموضع الذي أدخل إليه، فإذا هو محبوس لا سبيل له إلى الخروج، فعاش يومين وليلتين، ومات فحمل ماله وعياله إلى سامرا على مائة جمل ولما ورد نعي محمد بن إبراهيم على المتوكل أمر بالكاتب فيه إلى طاهر بن عبد الله بن طاهر بالتعزية فكتب: أما بعد، فإن أمير المؤمنين يوجب لك مع كل فائدة ونعمة تهنتك بمواهب الله وتعزيتك عن ملهات أقداره، وقد قضى الله في محمد بن إبراهيم مولى أمير المؤمنين ما هو قضاؤه في عبادته، حتى يكون الفناء لهم والبقاء له.

وأمير المؤمنين يعزبك عن محمد بما أوجب الله لمن عمل بما أمره به في مصائبه، من جزيل ثوابه وأجره، فليكن الله وما قريك منه أولى بك في أحوالك كلها، فإن مع شكر الله مزيده، ومع التسليم لأمر الله رضاه، وبالله توفيق أمير المؤمنين.

والسلام

. ذكر خبر وفاه الحسن بن سهل

وفي هذه السنة توفي الحسن بن سهل في قول بعضهم في أول ذي الحجة منها، وقال قائل هذه المقالة: مات محمد بن إسحاق بن إبراهيم في هذا الشهر لأربع بقين منه وذكر عن القاسم بن أحمد الكوفي، أنه قال: كنت في خدمة الفتح بن خاقان في سنة خمس وثلاثين ومائتين، وكان الفتح يتولى للمتوكل أعمالا، منها أخبار الخاصة والعامة بسامرا والهاروني وما يليها، فورد

٩٠١٨٠٣ ذكر خبر هدم قبر الحسين بن علي

كتاب إبراهيم بن عطاء المتولي الأخبار بسامرا يذكر وفاة الحسن بن سهل، وأنه شرب شربة دواء في صبيحة يوم الخميس خمس ليل بقين من ذي القعدة من سنة خمس وثلاثين ومائتين أفرطت عليه، وأنه توفي في هذا اليوم وقت الظهر، وأن المتوكل أمر بتجهيز جهازه من خزائنه فلما وضع على سريره تعلق به جماعة من التجار من غرماء الحسن بن سهل، ومنعوه من دفنه، فتوسط أمرهم يحيى بن خاقان وإبراهيم بن عتاب ورجل يعرف ببرغوث، فقطعوا أمرهم، ودفن فلما كان من الغد ورد كتاب صاحب البريد بمدينة السلام ب وفاة محمد بن إسحاق بن إبراهيم بعد الظهر يوم الخميس خمس خلون من ذي الحجة، فخرج عليه المتوكل جزعا، وقال: تبارك الله وتعالى! كيف توافت منية الحسن ومحمد بن إسحاق في وقت واحد!

ذكر خبر هدم قبر الحسين بن علي

وفيهما أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يحرق ويذرق ويسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه، فذكر أن عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به إلى المطبق، فهرب الناس، وامتنعوا من المصير إليه، وحرث ذلك الموضع، وزرع ما حوالبه.

وفيهما استكتب المتوكل عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وصرف محمد بن الفضل الجرجاني وفيها حج محمد المنتصر، وحجت معه جدته شجاع أم المتوكل، فشيعها المتوكل إلى النجف.

وفيهما هلك أبو سعيد محمد بن يوسف المروزي الكبيج فجاءه، ذكر أن فارس بن بغا الشراي وهو خليفة أبيه، عقد لأبي سعيد هذا، وهو مولى طيء على أذربيجان وأرمينية، فعسكر بالكرخ، كرخ فيروز، فلما كان لسبع بقين من شوال وهو بالكرخ مات فجاءه، لبس أحد خفيه ومد الآخر ليلبسه

فسقط ميتا، فولى المتوكل ابنه يوسف ما كان أبوه وليه من الحرب، وولاه بعد ذلك خراج الناحية وضياعها، فشخص إلى الناحية فضبطها، ووجه عماله في كل ناحية.

وجج بالناس في هذه السنة المنتصر محمد بن جعفر المتوكل.

٩٠١٩ سنة سبع وثلاثين ومائتين

٩٠١٩٠١ ذكر وثوب اهل أرمينية بعاملهم يوسف بن محمد

ثم دخلت

سنة سبع وثلاثين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر وثوب اهل أرمينية بعاملهم يوسف بن محمد

فمن ذلك ما كان من وثوب اهل أرمينية بيوسف بن محمد فيها.

ذكر الخبر عن سبب وثوبهم به:

قد ذكرنا فيما مضى قبل سبب استعمال المتوكل يوسف بن محمد هذا اياه على أرمينية، فأما سبب وثوب اهل أرمينية به، فإنه كان- فيما ذكر- أنه لما صار إلى عمله من أرمينية خرج رجل من البطارقة يقال له بقراط بن أشوط، وكان يقال له بطريق البطارقة، يطلب الإمارة، فأخذه يوسف بن محمد، وقيده وبعث به إلى باب الخليفة، فأسلم بقراط وابنه، فذكر أن يوسف لما حمل بقراط بن أشوط اجتمع عليه ابن أخي بقراط بن أشوط وجماعة من بطارقة أرمينية، وكان الثلج قد وقع في المدينة التي فيها يوسف، وهي- فيما قيل- طرون، فلما سكن الثلج أناخوا عليها من كل ناحية، وحاصروا يوسف ومن معه في المدينة، فخرج يوسف إلى باب المدينة، فقاتلهم فقتلوه وكل من قاتل معه، فأما من لم يقاتل معه، فإنهم قالوا له: ضع ثيابك، وانج عريانا، فطرح قوم منهم كثير ثيابهم، ونجوا عراة حفاة، فمات أكثرهم من البرد، وسقطت أصابع قوم منهم ونجوا، وكانت البطارقة لما حمل يوسف بقراط بن أشوط تحالفوا على قتله، ونذروا دمه، ووافقهم على ذلك موسى بن زرارة، وهو على ابنة بقراط، فنهى سودة بن عبد الحميد الحجافي يوسف بن أبي سعيد عن المقام بموضعه، وأعلمه بما أتاه من أخبار البطارقة، فأبى أن يفعل، فوافاه القوم في شهر رمضان، فأحدقوا بسور المدينة والثلج ما بين عشرين ذراعا إلى أقل حول المدينة إلى خلاط إلى ديبيل، والدنيا كلها ثلج

وكان يوسف قبل ذلك قد فرق أصحابه في رساتيق عمله، فتوجه إلى كل ناحية منها قوم من أصحابه، فوجه إلى كل طائفة منهم من البطارقة، ومن معهم جماعة، فقتلوه في يوم واحد، وكانوا قد حاصروه في المدينة أياما، فخرج إليهم فقاتل حتى قتل، فوجه المتوكل بغا الشرايبي إلى أرمينية طالبا بدم يوسف، فشنخص إليها من ناحية الجزيرة، فبدأ بأرزن بموسى بن زرارة، وهو ابو الحر وله إخوة: إسماعيل وسليمان وأحمد وعيسى ومحمد وهارون، فحمل بغا موسى بن زرارة إلى باب الخليفة، ثم سار فأناخ بجبل الخويثية، وهم جمعة اهل أرمينية، وقتله يوسف بن محمد، فخاربهم فظفر بهم، فقتل زهاء ثلاثين ألفا، وسبى منهم خلقا كثيرا، فباعهم بأرمينية، ثم سار إلى بلاد الباق فأسر أشوط بن حمزة أبا العباس وهو صاحب الباق- والباقي من كور البسفرجان وبني النشوى، ثم سار إلى مدينة ديبيل من أرمينية، فأقام بها شهرا، ثم سار إلى تغليس.

وفي هذه السنة ولي عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بغداد ومعاون السواد.

وفيه قدم محمد بن عبد الله بن طاهر من خراسان، لثمان بقين من شهر ربيع الآخر، فولي الشرطة والجزية وأعمال السواد وخلافة أمير المؤمنين بمدينة السلام، ثم صار إلى بغداد.

وفيه عزل المتوكل محمد بن أحمد بن أبي دواد عن المظالم، وولاه محمد بن يعقوب المعروف بأبي الربيع.

وفيه رضي عن ابن أكم، وكان ببغداد فأشخص إلى سامرا، فولي القضاء على القضاة، ثم ولي أيضا المظالم، وكان عزل المتوكل محمد بن أحمد ابن أبي دواد عن مظالم سامرا لعشر بقين من صفر من هذه السنة.

٩٠١٩٠٢ ذكر غضب المتوكل على ابن أبي دواد

ذكر غضب المتوكل على ابن أبي دواد

وفيه غضب المتوكل على ابن أبي دواد، وأمر بالتوكيل على ضياع أحمد بن أبي دواد لخمس بقين من صفر، وحبس يوم السبت لثلاث خلون من شهر ربيع الأول ابنه أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبي دواد في ديوان الخراج، وحبس إخوته عند عبيد الله بن السري خليفة صاحب الشرطة فلما كان يوم الاثنين حمل أبو الوليد مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار وجواهر بقيمة عشرين ألف دينار، ثم صولح بعد ذلك على ستة عشر ألف درهم، وأشهد عليهم جميعا ببيع كل ضيعة لهم، وكان أحمد بن أبي دواد قد فليج، فلما كان يوم الأربعاء لسبع خلون من شعبان، أمر المتوكل بولد أحمد بن أبي دواد، فحذروا إلى بغداد، فقال أبو العتاهية:

لو كنت في الرأي منسوباً إلى رشد ... وكان عزمك عزماً فيه توفيق
 لكان في الفقه شغل لو قنعت به ... عن أن تقول: كلام الله مخلوق
 ماذا عليك وأصل الدين يجمعهم ... ما كان في الفرع لولا الجهل والموق
 وأقيم فيها الخلعنجي للناس في جمادى الآخرة.

وفيهما ولي ابن أكرم قضاء الشرقية حيان بن بشر، وولى سوار بن عبد الله العنبري قضاء الجانب الغربي، وكلاهما أعور، فقال الجمار:

رأيت من الكجائر قاضيين ... هما أحذوثة في الخافقين
 هما اقتسما العمى نصفين قدا ... كما اقتسما قضاء الجانبين
 وتحسب منهما من هز رأساً ... لينظر في موارث ودين
 كأنك قد وضعت عليه دنا ... فتحت بزاله من فرد عين
 هما فال الزمان بهلك يحيى ... إذ افتتح القضاء بأعورين

٩٠١٩٣٣ خبر انزال جثته ابن نصر ودفعه إلى أوليائه

خبر انزال جثته ابن نصر ودفعه إلى أوليائه

وفيهما أمر المتوكل في يوم الفطر منها بإنزال جثة أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي، ودفعه إلى أوليائه ذكر الخبر عما فعل به وما كان من الأمر بسبب ذلك:

ذكر أن المتوكل لما أمر بدفع جثته إلى أوليائه لدفنه، فعل ذلك، فدفع إليهم، وقد كان المتوكل لما أفضت إليه الخلافة، نهى عن الجدل في القرآن وغيره، ونفذت كتبه بذلك إلى الآفاق، وهم بإنزال أحمد بن نصر عن خشبته، فاجتمع الغوغاء والرعا إلى موضع تلك الخشبة، وكثروا وتكلموا، فبلغ ذلك المتوكل، فوجه إليهم نصر بن الليث، فأخذ منهم نحواً من عشرين رجلاً، فضر بهم وحبسهم، وترك إنزال أحمد بن نصر من خشبته لما بلغه من تكثير العامة في أمره، وبقي الذين أخذوا بسببه في الحبس حيناً، ثم أطلقوا، فلما دفع بدنه إلى أوليائه في الوقت الذي ذكرت، حمله ابن أخيه موسى إلى بغداد، وغسل ودفن، وضم رأسه إلى بدنه، وأخذ عبد الرحمن بن حمزة جسده في منديل مصري، فضى به إلى منزله، فكفنه وصلى عليه، وتولى إدخاله القبر مع بعض أهله رجل من التجار، ويقال له الأبرزاري فكتب صاحب البريد ببغداد - وكان يعرف بابن الكلبي، من موضع بناحية واسط، يقال له الكلبانية - إلى المتوكل بخبر العامة، وما كان من اجتماعها وتمسحها بالجنازة، جنازة أحمد بن نصر وبخشبه رأسه، فقال المتوكل ليحيى بن أكرم: كيف دخل ابن الأبرزاري القبر على كبرة خراعة! فقال:

يا أمير المؤمنين، كان صديقاً له فأمر المتوكل بالكتاب إلى محمد بن عبد الله ابن طاهر بمنع العامة من الاجتماع والحركة في مثل هذا وشبهه، وكان

بعضهم أوصى ابنه عند موته أن يهرب العامة، فكتب المتوكل ينهى عن الاجتماع.

وغزا الصائفة في هذه السنة علي بن يحيى الأرمني وجج بالناس فيها علي بن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور، وكان والي مكة.

٩٠٢٠ سنة ثمان وثلاثين ومائتين

٩٠٢٠٠١ ذكر ظفر بغا بإسحاق بن إسماعيل وإحراقه مدينة تفليس

ثم دخلت

سنة ثمان وثلاثين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر ظفر بغا بإسحاق بن إسماعيل وإحراقه مدينة تفليس

فمن ذلك ما كان من ظفر بغا بإسحاق بن إسماعيل مولى بني أمية بتفليس وإحراقه مدينة تفليس.

ذكر الخبر عما كان من بغا في ذلك:

ذكر أن بغا لما صار إلى ديبيل بسبب قتل القاتلين من أهل أرمينية يوسف ابن محمد، أقام بها شهرا، فلما كان يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الأول من سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وجه بغا زيرك التركي، فجاوز الكر- وهو نهر عظيم مثل الصراة ببغداد وأكبر، وهو ما بين المدينة وتفليس في الجانب الغربي وصغدييل في الجانب الشرقي- وكان معسكر بغا في الشرقي، فجاوز زيرك الكر إلى ميدان تفليس، ولتفليس خمسة أبواب: باب الميدان، وباب قرىس، وباب الصغير، وباب الربض، وباب صغدييل- والكر نهر يتحدر مع المدينة- ووجه بغا أيضا أبا العباس الواثي النصراني إلى أهل أرمينية عربها وعجمها، فأتاهم زيرك مما يلي الميدان وأبو العباس مما يلي باب الربض، فخرج إسحاق بن إسماعيل إلى زيرك، ففاوضه القتال، ووقف بغا على تل مطل على المدينة مما يلي صغدييل، لينظر ما يصنع زيرك وأبو العباس، فبعث بغا النفاطين فضربوا المدينة بالنار، وهي من خشب الصنوبر، فهاجت الريح في الصنوبر، فأقبل إسحاق بن إسماعيل إلى المدينة لينظر، فإذا النار قد أخذت في قصره وجواريه، وأحاطت به النار، ثم أتاه الأتراك والمغاربة فأخذوه أسيرا، وأخذوا ابنه عمرا، فأتوا بهما بغا، فأمر بغا به، فرد إلى باب

٩٠٢٠٠٢ ذكر مقدم الروم بمراكبهم إلى دمياط

الحسك، فضربت عنقه هناك صبرا، وحمل رأسه إلى بغا، وصلبت جيفته على الكر، وكان شيخا محدودا ضخم الرأس، يخضب بالوسمة، آدم أصلع أحول، فنصب رأسه على باب الحسك.

وكان الذي تولى قتله غامش خليفة بغا، واحترق في المدينة نحو من خمسين ألف انسان، واطفئت النار في يوم وليلة، لأنها نار الصنوبر، لا بقاء لها، وصحبهم المغاربة، فأسروا من كان حيا، وسلبوا الموتى.

وكانت امرأة إسحاق نازلة بصغدييل، وهي حذاء تفليس في الجانب الشرقي، وهي مدينة بناها كسرى أنوشروان، وكان إسحاق قد حصنها وحفر خندقها، وجعل فيها مقاتلة من الخويثية وغيرهم وأعطاهم بغا الأمان على أن يضعوا أسلحتهم، ويذهبوا حيث شاء وكانت امرأة إسحاق ابنة صاحب السرير.

ثم وجه بغا- فيما ذكر- زيرك إلى قلعة الجردمان- وهي بين برذعة وتفليس- في جماعة من جنده، ففتح زيرك الجردمان، وأخذ بطريقها القطريج أسيرا، فحمله إلى العسكر ثم نهض بغا إلى عيسى بن يوسف ابن أخت اصطفانوس، وهو في قلعة كتيش من كورة البيلقان، وبينها وبين البيلقان عشرة فراسخ، وبينها وبين برذعة خمسة عشر فرسخا، فخاربه، ففتحها، وأخذه وحمله وحمل ابنه معه وأباه، وحمل أبا العباس الواثي- واسمه سنباط بن أشوط- وحمل معه معاوية بن سهل بن سنباط بطريق اران، وحمل آذر نرسی بن إسحاق النخاشي .

ذكر مقدم الروم بمراكبهم إلى دمياط . وفي هذه السنة جاءت للروم ثلاثمائة مركب مع عرفا وابن قطونا وامردناقه- وهم كانوا الرؤساء في البحر- مع كل واحد منهم مائة مركب، فأناخ ابن قطونا

بدمياط، وبينها وبين الشط شبيهة بالبحيرة يكون فيها الماء إلى صدر الرجل، فمن جازها إلى الأرض أمن من مراكب البحر، فجازها قوم فسلموا، وغرق قوم كثير من نساء وصبيان، واحتمل من كانت له قوة في السفن، فنجوا إلى ناحية القسقاط، وبينها وبين القسقاط

مسيرة أربعة أيام وكان والي معونة مصر عنبة بن إسحاق الضبي، فلما قرب العيد، أمر الجند الذين بدمياط أن يحضروا الفسطاط لتحمل لهم في العيد، وأخل دمياط من الجند، فانتفى مراكب الروم من ناحية شطا التي يعمل فيها الشطوي، فأناخ بها مائة مركب من الشلنديه، تحمل كل مركب ما بين الخمسين رجلا إلى المائة، فخرجوا اليه وأحرقوا ما وصلوا إليه من دورها وأخصاصها، واحتملوا سلاحا كان فيها أرادوا حمله إلى أبي حفص صاحب إقريطش نحو من ألف قناة وآلتها، وقتلوا من أمكنهم قتله من الرجال، وأخذوا من الأمتعة والقند والكتان ما كان عبئ ليحمل إلى العراق، وسبوا من المسلمات والقبليات نحو من ستمائة امرأة، ويقال إن المسلمات منهن مائة وخمس وعشرون امرأة والباقي من نساء القبط.

ويقال إن الروم الذين كانوا في الشلنديات التي أناخت بدمياط كانوا نحو من خمسة آلاف رجل، فأوقروا سفنهم من المتاع والأموال والنساء، وأحرقوا خزانة القلوع وهي شرع السفن، وأحرقوا مسجد الجامع بدمياط، وأحرقوا كنائس، وكان من حزر منهم ممن غرق في بحيرة دمياط من النساء والصبيان أكثر ممن سباه الروم ثم رحل الروم عنها.

وذكر أن ابن الأكشف كان محبوبا في سجن دمياط، حبسه عنبة، فكسر قيده وخرج، فقاتلهم، وأعانه قوم، فقتل من الروم جماعة، ثم صاروا إلى أشتوم تيس، فلم يحمل الماء سفنهم إليها، فحشوا أن توحد، فلما لم يحملهم الماء صاروا إلى أشتومها- وهي مرسى بينه وبين تيس أربعة فراسخ وأقل، وله سور وباب حديد كان المعتصم أمر بعمله- فغربوا عامته، وأحرقوا ما فيه من

المجانيق والعرادات، وأخذوا بابيه الحديد، فحملوها، ثم توجهوا إلى بلادهم، لم يعرض لهم أحد. وخرج المتوكل في هذه السنة يوم الاثنين لخمس خلون من جمادى الآخرة من سامرا يريد المدائن، فصار إلى الشماسية يوم الثلاثاء ثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة، فأقام هنالك إلى يوم السبت، وعبر بالعشي إلى قطربل، ثم رجع ودخل بغداد يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت منه فمضى في سوقها وشارعها حتى نزل الزعفرانية، ثم صار إلى المدائن. وغزا الصائفة فيها علي بن يحيى الأرمني وجج بالناس فيها علي بن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر.

٩٠٢١ سنة تسع وثلاثين ومائتين

ثم دخلت

سنة تسع وثلاثين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فما كان فيها من ذلك أمر المتوكل بأخذ أهل الذمة بلبس دراعتين عسليتين على الأقبية والدراريع في المحرم منها، ثم أمره في صفر بالاقتصار في مراكبهم على ركوب البغال والحمير دون الخيل والبراذين. وفيها نفى المتوكل على بن الجهم بن بدر إلى خراسان.

وفيها قتل صاحب الصنارية بباب العامة في جمادى الآخرة منها.

وفيها أمر المتوكل بهدم البيع المحدث في الإسلام.

وفيها مات أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبي دواد ببغداد في ذي الحجة.

وفيها غزا الصائفة علي بن يحيى الأرمني وجج بالناس فيها عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد ابن علي، وكان والي مكة.

وفيها حج جعفر بن دينار، وكان والي طريق مكة مما يلي الكوفة فولي أحداث الموسم.

وفيها اتفق شعانين النصارى ويوم النيروز، وذلك يوم الأحد لعشرين ليلة خلت من ذي القعدة، فذكر أن النصارى زعمت أنهما لم يجتمعا في الاسلام قط.

٩٠٢٢ سنة أربعين ومائتين

٩٠٢٢٠١ ذكر الخبر عن وثوب أهل حمص بعاملهم

٩٠٢٢٠٢ أخبار متفرقة

ثم دخلت

سنة أربعين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر الخبر عن وثوب أهل حمص بعاملهم

٤ فما كان فيها من ذلك وثوب أهل حمص بعاملهم على المعونة.

ذكر الخبر عن سبب ذلك وما آل إليه أمرهم ووثوبهم:

ذكر أن عاملهم على المعونة قتل رجلاً كان من رؤسائهم، وكان العامل يومئذ أبو المغيث الرافعي موسى بن إبراهيم، فوثب أهل حمص في جمادى الآخرة من هذه السنة، فقتلوا جماعة من أصحابه، ثم أخرجوه وأخرجوا صاحب الخراج من مدينتهم، فبلغ ذلك المتوكل، فوجه إليهم عتاب بن عتاب، ووجه معه محمد بن عبدويه كرداس الأنباري، وأمره أن يقول لهم: إن أمير المؤمنين قد أبدلكم رجلاً مكان رجل، فإن سمعوا وأطاعوا ورضوا، فول عليهم محمد بن عبدويه، وإن أبوا وثبتوا على الخلاف فأقم بمكانك، واكتب إلى أمير المؤمنين حتى يوجه إليك رجاء، أو محمد بن رجاء الحضاري أو غيره من الخليل لمحاربتهم، فخرج عتاب بن عتاب من سامرا يوم الاثنين لخمس بقين من شهر جمادى الآخرة، فرضوا بمحمد بن عبدويه، فولاه عليهم ففعل فيهم الأعاجيب.

[أخبار متفرقة]

وفيها مات أحمد بن أبي دواد ببغداد في المحرم بعد ابنه أبي الوليد محمد، وكان ابنه محمد توفي قبله بعشرين يوماً في ذي الحجة ببغداد.

وفيها عزل يحيى بن أكرم عن القضاء في صفر، وقبض منه ما كان له

ببغداد ومبلغه خمسة وسبعون ألف دينار، ومن أسطوانة في داره ألفا دينار وأربعة آلاف جريب بالبصرة.

وفيها ولي جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي القضاء على القضاة في صفر.

وجج بالناس في هذه السنة عبد الله بن محمد بن داود وجج جعفر بن دينار وهو والي الأحداث بالموسم

٩٠٢٣ سنة إحدى وأربعين ومائتين

٩٠٢٣٠١ ذكر الخبر عن وثوب أهل حمص بعاملهم مره أخرى

ثم دخلت

سنة إحدى وأربعين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر الخبر عن وثوب أهل حمص بعاملهم مره أخرى

فمن ذلك ما كان من وثوب أهل حمص بعاملهم على المعونة، وهو محمد ابن عبدويه.

ذكر الخبر عما كان من أمرهم فيها وما آل إليه الأمر بينهم.

ذكر أن أهل حمص وثبوا في جمادى الآخرة من هذه السنة بمحمد بن عبدويه عاملهم على المعونة، وأعانهم على ذلك قوم من نصارى حمص، فكتب بذلك إلى المتوكل، فكتب إليه يأمره بمناقضتهم، وأمره بجند من راتبة دمشق، مع صالح العباسي التركي، وهو عامل دمشق وجند من جند الرملة، فأمره أن يأخذ من رؤسائهم ثلاثة نفر فيضربهم بالسياط ضرب التلف، فإذا ماتوا صلبهم على أبوابهم، وأن يأخذ بعد ذلك من وجوههم عشرين إنساناً فيضربهم ثلاثمائة سوط، كل واحد منهم، ويحملهم في الحديد إلى باب أمير المؤمنين،

وأن يخرب ما بها من الكائس والبيع، وأن يدخل البيعة التي الى جانب مسجدتها في المسجد، والا يترك في المدينة نصرانيا إلا أخرجه منها، وينادى فيهم قبل ذلك، فمن وجده فيها بعد ثلاثة أحسن أدبه وأمر لمحمد بن عبدويه بخمسين ألف درهم، وأمر لقواده ووجوه أصحابه بصلات، وأمر لخليفته علي بن الحسين بخمسة عشر ألف درهم، ولقواده بخمسة آلاف خمسة آلاف درهم، وأمر بخلع، فأخذ محمد بن عبدويه عشرة منهم، فكتب بأخذهم، وأنه قد حملهم إلى دار أمير المؤمنين ولم

٩٠٢٣٠٢ ذكر الخبر عن ضرب عيسى بن جعفر وما آل إليه امره

يضرهم، فوجه المتوكل رجلا من أصحاب الفتح بن خاقان يقال له محمد بن رزق الله، ليرد من الذين وجه بهم ابن عبدويه محمد بن عبد الحميد الحميدى والقاسم بن موسى بن فوعوس إلى حمص، وأن يضرهم ضرب التلف، ويصلبهما على باب حمص، فردهما وضرهما بالسياط حتى ماتا، وصلبهما على باب حمص، وقدم بالآخرين سامرا وهم ثمانية، فلما صاروا بنصيبين مات واحد منهم، فأخذ المتوكل بهم رأسه، وقدم بسبعة منهم سامرا ورأس الميت ثم كتب محمد بن عبدويه أنه أخذ عشرة نفر منهم بعد ذلك، وضرب منهم خمسة نفر بالسياط فماتوا، ثم ضرب خمسة فلم يموتوا ثم كتب محمد بن عبدويه بعد ذلك أنه ظفر برجل منهم من المخالفين يقال له عبد الملك بن إسحاق ابن عمارة- وكان فيما ذكر- رأسا من رؤوس الفتنة، فضره بباب حمص بالسياط حتى مات، وصلبه على حصن يعرف بتل العباس.

قال ابو جعفر: وفي هذه السنة مطر الناس- فيما ذكر- بسامرا مطرا جودا في آب وفيها ولي القضاء بالشرقية في المحرم أبو حسان الزياتي . ذكر الخبر عن ضرب عيسى بن جعفر وما آل إليه امره

وفيها ضرب عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم صاحب خان عاصم ببغداد- فيما قيل- ألف سوط.

ذكر الخبر عن سبب ضربه وما كان من أمره في ذلك: وكان السبب في ذلك أنه شهد عند أبي حسان الزياتي قاضي الشرقية عليه أنه شتم أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة، سبعة عشر رجلا، شهادتهم- فيما ذكر- مختلفة من هذا النحو، فكتب بذلك صاحب بريد بغداد إلى عبيد الله ابن يحيى بن خاقان، فأنبى عبيد الله ذلك إلى المتوكل، فأمر المتوكل أن

يكتب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر يأمره بضرب عيسى هذا بالسياط، فإذا مات رمى به في دجلة، ولم تدفع جيفته إلى أهله.

فكتب عبيد الله إلى الحسن بن عثمان جواب كتابه إليه في عيسى:

بسم الله الرحمن الرحيم، أبقاك الله وحفظك، وأتم نعمته عليك، وصل كتابك في الرجل المسمى عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم صاحب الخانات، وما شهد به الشهود عليه من شتم أصحاب رسول الله ص ولعنهم وإكفارهم، ورميهم بالكبائر، ونسبتهم إلى النفاق، وغير ذلك مما خرج به إلى المعاندة لله ولرسوله ص، وثبتك في أمر أولئك الشهود وما شهدوا به، وما صح عندك من عدالة من عدل منهم، ووضح لك من الأمر فيما شهدوا به، وشرحك ذلك في رقعة درج كتابك، فعرضت على أمير المؤمنين أعزه الله ذلك، فأمر بالكتاب إلي أبي العباس محمد بن طاهر مولى أمير المؤمنين أبقاه الله بما قد نفذ إليه، مما يشبه ما عنده أبقاه الله، في نصره دين الله، وإحياء سنته، والانتقام ممن ألحد فيه، وأن يضرب الرجل حدا في مجمع الناس حد الشتم، ونحسمائة سوط بعد الحد للأموال العظام التي اجتراً عليها، فإن مات القى في الماء من غير صلاة ليكون ذلك ناهيا لكل ملحد في الدين، خارج من جماعة المسلمين، وأعلمتك ذلك لتعرفه إن شاء الله تعالى- والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وذكر أن عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم هذا- وقد قال بعضهم:

إن اسمه أحمد بن محمد بن عاصم- لما ضرب ترك في الشمس حتى مات، ثم رمى به في دجلة.

وفي هذه السنة انقضت الكواكب ببغداد وتناثرت، وذلك ليلة الخميس لليلة خلت من جمادى الآخرة وفيها وقع بها الصدام فنفتت الدواب والبقر.

وفيها أغارت الروم على عين زربة، فأسرت من كان بها من الزط، مع نسائهم وذرائعهم وجواميسهم وبقرهم

خبر الفداء بين المسلمين والروم في هذه السنة وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم.
ذكر الخبر عن السبب الذي كان ذلك من أجله:

ذكر أن تذورة صاحبة الروم أم ميخائيل، وجهت رجلا يقال له جورجس بن قريافس يطلب الفداء لمن في أيدي الروم من المسلمين، وكان المسلمون قد قاربوا عشرين ألفا، فوجه المتوكل رجلا من الشيعة يقال له نصر بن الأزهري فرج، ليعرف صحة من في أيدي الروم من أسارى المسلمين، ليأمر بمفاداتهم، وذلك في شعبان من هذه السنة بعد أن أقام عندهم حيناً فذكر أن تذورة امرت بعد خروج نصر بعرض من في أسارها من المسلمين على النصرانية، فمن تنصر منهم كان أسوة من تنصر قبل ذلك، ومن أبى قتلته، فذكر أنها قتلت من الأسرى اثني عشر ألفاً، ويقال أن قتله الخبي كان يقتلهم من غير أمرها ونفذ كتاب المتوكل إلى عمال الثغور الشامية والجزرية أن شنيفا الخادم قد جرى بينه وبين جورجس رسول عظيم الروم في أمر الفداء قول، وقد اتفق الأمر بينهما، وسأل جورجس هذا هدنة لخمس ليال تخلو من رجب سنة إحدى وأربعين ومائتين إلى سبع ليال بقين من شوال من هذه السنة، ليجمعوا الأسرى، ولتكون مدة لهم إلى إنصرافهم إلى مأمنهم فنفذ الكتاب بذلك يوم الأربعاء لخمس خلون من رجب، وكان الفداء يقع في يوم الفطر من هذه السنة وخرج جورجس رسول ملكة الروم إلى ناحية الثغور يوم السبت لثمان بقين من رجب على سبعين بغلا اكتريت له، وخرج معه أبو قطبة المغربي الطرطوسي لينظروا وقت الفطر، وكان جورجس قدم معه جماعة من البطارقة وغلبلانه بنحو من خمسين إنساناً، وخرج شنيف الخادم للفداء في النصف من شعبان، معه مائة فارس: ثلاثون من الأتراك، وثلاثون من المغاربة، وأربعون من فرسان الشاكزية، فسأل جعفر بن عبد الواحد- وهو قاضي القضاة- أن يؤذن

٩٠٢٣٠٣ ذكر غاره البجة على حرس من ارض مصر

له في حضور الفداء، وأن يستخلف رجلا يقوم مقامه- فأذن له، وأمر له بمائة وخمسين ألفاً معونة وأرزاق ستين ألفاً، فاستخلف ابن أبي الشوارب- وهو يومئذ فتى حدث السن- وخرج فلحق شنيفاً، وخرج أهل بغداد من أوساط الناس، فذكر أن الفداء وقع من بلاد الروم على نهر اللامس، يوم الأحد لاثني عشرة ليلة خلت من شوال سنة إحدى وأربعين ومائتين، فكان أسرى المسلمين سبعمائة وخمسة وثمانين إنساناً، ومن النساء مائة وخمسة وعشرين امرأة.

وفي هذه السنة جعل المتوكل كورة شمشاط عشراً، ونقلهم من الخراج إلى العشر، وخرج لهم بذلك كتاباً.

ذكر غاره البجة على حرس من ارض مصر

وفي هذه السنة غارت البجة على حرس من أرض مصر، فوجه المتوكل لحربهم محمد بن عبد الله القمي ذكر الخبر عن أمرهم وما آلت إليه حالهم:

ذكر أن البجة كانت لا تغزو المسلمين ولا يغزوهم المسلمون لهدنة بينهم قديمة، قد ذكرناها فيما مضى قبل من كتابنا هذا، وهم جنس من أجناس الحبش بالمغرب، وبالمغرب من السودان- فيما ذكر- البجة وأهل غانة الغافر وبينور ورعوين والفرويه وبكسوم ومكاره أكرم والنوبه والحبش وفي بلاد البجة معادن ذهب، فهم يقاسمون من يعمل فيها، ويؤدون إلى عمال السلطان في مصر في كل سنة عن معادهم أربعمائة مثقال تبر قبل أن يطبخ ويصفى فلما كان أيام المتوكل امتنعت البجة عن أداء ذلك الخراج سنين متوالية فذكر أن المتوكل ولى بريد مصر رجلاً من خدمه يقال له يعقوب بن إبراهيم الباذغيسي مولى الهادي، وهو المعروف بقوصرة، وجعل إليه بريد مصر والإسكندرية وبرقة ونواحي المغرب، فكتب يعقوب إلى المتوكل أن البجة قد نقضت العهد

الذي كان بينها وبين المسلمين، وخرجت من بلادها إلى معادن الذهب والجوهر، وهي على التخوم فيما بين أرض مصر وبلاد البجة، فقتلوا عدة من المسلمين ممن كان يعمل في المعادن ويستخرج الذهب والجوهر، وسبوا عدة من ذرائعهم ونسائهم، وذكروا أن المعادن لهم في بلادهم، وأنهم لا يأذنون للمسلمين في دخولها، وأن ذلك أوحش جميع من كان يعمل في المعادن من المسلمين، فانصرفوا عنها خوفاً على أنفسهم وذرائعهم فانقطع بذلك ما كان يؤخذ للسلطان بحق الخمس من الذهب والفضة والجوهر الذي يستخرج من المعادن، فاشتد إنكار المتوكل لذلك وأحفظه، وشاور في أمر البجة، فأنتهى إليه أنهم قوم أهل بدو وأصحاب إبل وماشية، وأن الوصول إلى

بلادهم صعب لا يمكن أن يسلك إليهم الجيوش، لأنها مفاوز وصحاري، وبين أرض الإسلام وبينها مسيره شهر، في أرض قفر وجبال وعمر، لا ماء فيها ولا زرع ولا معقل، ولا حصن، وأن من يدخلها من أولياء السلطان يحتاج أن يتزود لجميع المدة التي يتوهم أن يقيمها في بلادهم إلى أن يخرج إلى أرض الإسلام، فإن امتد به المقام حتى يتجاوز تلك المدة هلك وجميع من معه، وأخذتهم البجة بالأيدي دون المحاربة، وأن أرضهم أرض لا ترد على السلطان شيئاً من خراج ولا غيره.

فأمسك المتوكل عن التوجيه إليهم، وجعل أمرهم يتزايد، وجرأتهم على المسلمين تشتد حتى خاف أهل الصعيد من أرض مصر على أنفسهم وذراريهم منهم، فولى المتوكل محمد بن عبد الله المعروف بالقمي محاربتهم، وولاه معاون تلك الكور- وهي فقط والأقصر وإسنا وأرمنت وأسوان- وتقدم إليه في محاربة البجة، وأن يكتب عنبسة بن إسحاق الصبي العامل على حرب مصر وكتب إلى عنبسة بإعطائه جميع ما يحتاج إليه من الجند والشاكرية المقيمين بمصر.

فأزاح عنبسة علقته في ذلك، وخرج إلى أرض البجة، وانضم إليه

جميع من كان يعمل في المعادن وقوم كثير من المتطوعة، فكانت عدة من معه نحو من عشرين ألف إنسان، بين فارس وراجل، ووجه إلى القلزم، فحمل في البحر سبعة مراكب موقرة بالدقيق والزيت والتمر والسويق والشعير، وأمر قوماً من أصحابه أن يلججوا بها في البحر حتى يوافوه في ساحل البحر من أرض البجة، فلم يزل محمد بن عبد الله القمي يسير في أرض البجة حتى جاوز المعادن التي يعمل فيها الذهب، وصار إلى حصونهم وقلاعهم، وخرج إليه ملكهم- واسمه علي بابا واسم ابنه لعيس- في جيش كثير وعدد أضعاف من كان مع القمي من الناس، وكانت البجة على إبلهم ومعهم الحراب وإبلهم فرة تشبه بالمهاري في النجابة، فجعلوا يلتقون أياماً متوالية، فيتناوشون ولا يصححون المحاربة، وجعل ملك البجة يتطارد للقمي لكي تطول الأيام طمعاً في نفاذ الزاد والعلوفة التي معهم، فلا يكون لهم قوة، ويموتون هزلاً، فيأخذهم البجة بالأيدي.

فلما توهم عظيم البجة أن الأزواد قد نفذت، أقبلت السبع المراكب التي حملها القمي حتى خرجت إلى ساحل من سواحل البحر في موضع يعرف بصنجة، فوجه القمي إلى هنالك جماعة من أصحابه يحمون المراكب من البجة، وفرق ما كان فيها على أصحابه، فالتسوا في الزاد والعلوفة، فلما رأى ذلك علي بابا رئيس البجة قصد لمحاربتهم، وجمع لهم، والتفوا فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكانت الإبل التي يحاربون عليها إبلا زعرة، تكثر الفزع والرعب من كل شيء، فلما رأى ذلك القمي جمع أجراس الإبل والخيول التي كانت في عسكره كلها، فجعلها في أعناق الخيل، ثم حمل على البجة، فنفرت إبلهم لأصوات الأجراس، واشتد رعبها، فحملتهم على الجبال والأودية، ففرقتهم كل ممزق، واتبعهم القمي بأصحابه، فأخذهم قتلاً وأسراً حتى أدركه الليل، وذلك في أول سنة إحدى وأربعين، ثم رجع إلى معسكره ولم يقدر على إحصاء القتلى لكثرتهم، فلما أصبح القمي وجدهم قد جمعوا جميعاً من الرجالة، ثم صاروا إلى موضع أمنوا فيه طلب القمي، فوافاهم القمي في

الليل في خيله، فهرب ملكهم، فأخذ تاجه ومناحه، ثم طلب علي بابا الأمان على أن يرد إلى مملكته وبلاده، فأعطاه القمي ذلك، فأدى إليه الخراج للدة التي كان منعها- وهي أربع سنين- لكل سنة أربعمئة مثقال، واستخلف علي بابا على مملكته ابنه لعيس، وانصرف القمي بعلي بابا إلى باب المتوكل، فوصل إليه في آخر سنة إحدى وأربعين ومائتين، فكسا علي بابا هذا دراعة ديباج وعمامة سوداء، وكسا جملة رحلا مدبجا وجلال ديباج، ووقف بباب العامة مع قوم من البجة نحو من سبعين غلاماً على الإبل بالرحال، ومعهم الحراب في رؤوس حرابهم رؤوس القوم الذين قتلوا من عسكرهم، قتلهم القمي فأمر المتوكل أن يقبضوا من القمي يوم الأضحي من سنة إحدى وأربعين ومائتين وولى المتوكل البجة وطريق ما بين مصر ومكة سعداً الخادم الإيتاخي، فولى سعد محمد بن عبد الله القمي، فخرج القمي بعلي بابا، وهو مقيم على دينه، فذكر بعضهم أنه رأى معه صنماً من حجارة كهيفة الصبي يسجد له.

ومات في هذه السنة يعقوب بن إبراهيم المعروف بقوصرة في جمادى الآخرة.

وجج بالناس في هذه السنة عبد الله بن محمد بن داود، وجج جعفر بن دينار فيها، وهو والي طريق مكة وأحداث الموسم.

٩٠٢٤ سنة اثنتين وأربعين ومائتين

٩٠٢٤٠١ ذكر أحداث الزلازل بالبلاد

٩٠٢٤٠٢ ذكر خروج الروم من ناحية شمشاط

ثم دخلت

سنة اثنتين وأربعين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر أحداث الزلازل بالبلاد

فما كان فيها من ذلك الزلازل الهائلة التي كانت بقومس ورساتيقها في شعبان، فتهدمت فيها الدور، ومات من الناس بها مما سقط عليهم من الحيطان وغيرها بشر كثير، ذكر أنه بلغت عدتهم خمسة وأربعين ألفاً وستة وتسعين نفساً، وكان عظم ذلك بالدامغان وذكر أنه كان بفارس وخراسان والشام في هذه السنة زلازل وأصوات منكرة، وكان باليمن أيضاً مثل ذلك مع خسف بها.

ذكر خروج الروم من ناحية شمشاط

وفيها خرجت الروم من ناحية شمشاط بعد خروج علي بن يحيى الأرمني من الصائفة حتى قاربوا آمد، ثم خرجوا من الثغور الجزرية، فانتهبوا عدة قرى، وأسروا نحواً من عشرة آلاف إنسان، وكان دخولهم من ناحية أبريق، قرية قرياس، ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم، ففرج قرياس وعمر بن عبد الله الأقطع وقوم من المتطوعة في أثرهم، فلم يلحقوا منهم أحداً، فكتب إلى علي بن يحيى أن يسير إلى بلادهم شاتياً.

وفيها قتل المتوكل عطارداً - رجلاً كان نصرانياً فأسلم - فمكث مسلماً

سنتين كثيرة ثم ارتد فاستتيب، فأبى الرجوع إلى الإسلام، فضربت عنقه لليلتين خلتا من شوال، وأحرق بباب العامة.

وفي هذه السنة مات أبو حسان الزياتي قاضي الشرقية في رجب.

وفيها مات الحسن بن علي بن الجعد قاضي مدينة المنصور.

وجج بالناس فيها عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن علي، وهو والي مكة.

وجج فيها جعفر بن دينار وهو والي طريق مكة وأحداث الموسم.

٩٠٢٥ سنة ثلاث وأربعين ومائتين

ثم دخلت

سنة ثلاث وأربعين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) ففيها كان شخوص المتوكل إلى دمشق لعشر بقين من ذي القعدة، فضحى ببلد، فقال يزيد بن محمد المهلب حين خرج:

أظن الشام تشمت بالعراق ... إذا عزم الإمام على انطلاق

فإن تدع العراق وساكنيها ... فقد تلى المليحة بالطلاق

وفيها مات إبراهيم بن العباس، فولي ديوان الضياع الحسن بن مخلد بن الجراح، خليفة إبراهيم في شعبان، ومات هاشم بن بنجور في ذي الحجة.

وجج بالناس فيها عبد الصمد بن موسى.

وجج جعفر بن دينار، وهو والي طريق مكة وأحداث الموسم.

٩٠٢٦ سنة أربع وأربعين ومائتين

ثم دخلت

سنة أربع وأربعين ومائتين

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث) فن ذلك دخول المتوكل دمشق في صفر، وكان من لدن شخص من سامرا إلى أن دخلها سبعة وتسعون يوما- وقيل سبعة وسبعون يوما- وعزم على المقام بها، ونقل دواوين الملك إليها، وأمر بالبناء بها فتحرك الأتراك في أرزاقهم وأرزاق عيالاتهم، فأمر لهم بما أرضاهم به ثم استوبأ البلد، وذلك أن الهواء بها بارد ندي والماء ثقیل، والريح تهب فيها مع العصر، فلا تزال تشتد حتى يمضي عامة الليل، وهي كثيرة البراغيث، وغلت فيها الأسعار، وحال الثلج بين السابلة والميرة.

وفيها وجه المتوكل بغا من دمشق لغزو الروم في شهر ربيع الآخر، فغزا الصائفة فافتتح صملة، وأقام المتوكل بدمشق شهرين وأياما، ثم رجع إلى سامرا، فأخذ في منصرفه على الفرات، ثم عدل إلى الأنبار، ثم عدل من الأنبار على طريق الحرف إليها، فدخلها يوم الاثنين لسبع بقين من جمادى الآخرة.

وفيها عقد المتوكل لأبي الساج على طريق مكة مكان جعفر بن دينار- فيما زعم بعضهم- والصواب عندي أنه عقد له على طريق مكة في سنة ثنتين وأربعين ومائتين.

وفيها أتى المتوكل- فيما ذكر- بحربة كانت للنبي ص تسمى العنزة، ذكر أنها كانت للنجاشي ملك الحبشة، فوهبها للزبير بن العوام، فأهداها الزبير لرسول الله ص، فكانت عند المؤذنين، وكان يمشى بها بين يدي رسول الله ص في العيدين، وكانت تركز بين يديه في الفناء فيصلي إليها فأمر المتوكل بحملها بين يديه، فكان يحملها بين يديه صاحب الشرطة، ويحمل حربته خليفة صاحب الشرطة.

وفيها غضب المتوكل على بختيشوع، وقبض ماله، ونفاه إلى البحرين، فقال أعرابي:

يا سخطه جاءت على مقدار ... ثار له الليث على اقتدار

منه وبختيشوع في اغترار ... لما سعى بالسادة الأقدار

بالأمراء القادة الأبرار ... ولالة عهد السيد المختار

وبالموالي وبني الأحرار ... رمى به في موحش القفار

بساحل البحرين للصغار.

وفي هذه السنة اتفق عيد المسلمين الأضحى وشعائين النصراني وعيد الفطر لليهود.

وجج بالناس فيها عبد الصمد بن موسى.

٩٠٢٧ سنه خمس واربعين ومائتين

٩٠٢٧٠١ ذكر خبر بناء الماحوزه

ثم دخلت

سنة خمس وأربعين ومائتين

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث)

ذكر خبر بناء الماحوزه

ففيها أمر المتوكل ببناء الماحوزه، وسماها الجعفري، وأقطع القواد وأصحابه فيها، وجد في بنائها، وتحول إلى الحمدي ليم أمر الماحوزه، وأمر بنقض القصر المختار والبديع، وحمل ساجهما إلى الجعفري، وأنفق عليها- فيما قيل- أكثر من ألفي ألف دينار، وجمع فيها القراء فقرءوا، وحضر أصحاب الملاهي فوهب لهم ألفي ألف درهم، وكان يسميها هو وأصحابه الخاصة المتوكلية، وبني فيها قصرا سماه لؤلؤة، لم ير مثله في علوه، وأمر بحفر نهر يأخذ رأسه خمسة فراسخ فوق الماحوزه من موضع يقال له كرمي يكون شربا لما حولها من فوهه النهر إليها، وأمر بأخذ جبلتا والخصاصة العليا والسفلى وكرمي، وحمل أهلها على بيع منازلهم وأرضهم، فأجبروا على ذلك حتى تكون الأرض والمنازل في تلك القرى كلها له، ويخرجهم عنها، وقدر للنهر من النفقة مائتي ألف دينار، وصير النفقة عليه إلى دليل بن يعقوب النصراني

كاتب بغا في ذي الحجة من سنة خمس وأربعين ومائتين، وألقى في حفر النهر اثني عشر ألف رجل يعملون فيه، فلم يزل دليل يعمل فيه، ويحمل المال بعد المال ويقسم عامته في الكتاب، حتى قتل المتوكل، فبطل النهر، وأخربت الجعفرية، ونقضت ولم يتم أمر النهر. وزلزلت في هذه السنة بلاد المغرب حتى تهدمت الحصون والمنازل والقناطر، فأمر المتوكل بتفرقة ثلاثة آلاف درهم في الذين أصيبوا بمنزلهم، وزلزلهم، وزلزل عسكر

المهدي ببغداد فيها، وزلزلت المدائن وبعث ملك الروم فيها بأسرى من المسلمين، وبعث يسأل المفاداة بمن عنده، وكان الذي قدم من قبل صاحب الروم رسولا إلى المتوكل شيخا يدعى اطرويليليس معه سبعة وسبعون رجلا من أسرى المسلمين، اهداهم ميخائيل ابن توفيل ملك الروم إلى المتوكل، وكان قدومه عليه لخمس بقين من صفر من هذه السنة، فأنزله على شنيف الخادم ثم وجهه المتوكل نصر بن الأزره الشيعي مع رسول صاحب الروم، فشخص في هذه السنة، ولم يقع الفداء إلا في سنة ست وأربعين. وذكر أنه كانت في هذه السنة بأنطاكية زلزلة ورجفة في شوال، قتلت خلقا كثيرا، وسقط منها الف ونحو مائة دار، وسقط من سورها نيف وتسعون برجاً، وسمعوا أصواتا هائلة لا يحسنون وصفها من كوي المنازل، وهرب أهلها إلى الصحارى، وتقطع جبلها الأقرع، وسقط في البحر، فهاج البحر في ذلك اليوم، وارتفع منه دخان أسود مظلم منتن، وغار منها نهر على فرسخ لا يدرى أين ذهب وسمع فيها - فيما قيل - أهل تيس في مصر ضجة دائمة هائلة، فمات منها خلق كثير وفيها زلزلت بالس والرقعة وحران ورأس عين وحمص ودمشق والرها وطرسوس والمصيصة واذنه وسواحل الشام ورجفت اللاذقية، فما بقي منها منزل، ولا أفلت من أهلها إلا اليسير، وذبحت جيلة بأهلها وفيها غارت مشاش - عين مكة - حتى بلغ ثمن القربة بمكة ثمانين درهما، فبعثت أم المتوكل فانفقت عليها. وفيها مات إسحاق بن أبي إسرائيل وسوار بن عبد الله وهلال الرازي.

٩٠٢٧٠٢ ذكر الخبر عن هلاك نجاح بن سلمه

ذكر الخبر عن هلاك نجاح بن سلمه
وفيها هلك نجاح بن سلمه.

ذكر الخبر عن سبب هلاكه:

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ بِبَعْضِ مَا أَنَا ذَاكَرُهُ مِنْ أَحْبَابِهِ وَبِبَعْضِ ذَلِكَ غَيْرِهِ، أَنَّ نَجَاحَ بْنَ سَلْمَةَ كَانَ عَلَى دِيْوَانِ التَّوْقِيعِ وَالتَّتَبُّعِ عَلَى الْعَمَالِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ كَاتِبَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَبَاحِ الْجَوْهَرِيِّ، وَكَانَ عَلَى الضِّيَاعِ، فَكَانَ جَمِيعُ الْعَمَالِ يَتَّقُونَهُ وَيَقْضُونَ حَوَائِجَهُ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى مَنَعِهِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيدُهُ، وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ رُبَّمَا نَادَمَهُ، وَكَانَ انْقِطَاعُ الْحَسَنِ بْنِ مَخْلَدٍ وَمُوسَى بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ وَهُوَ وَزِيرُ الْمُتَوَكِّلِ، وَكَانَا يَحْمِلَانِ إِلَيْهِ كُلَّ مَا يَأْمُرُهُمَا بِهِ، وَكَانَ الْحَسَنِ بْنُ مَخْلَدٍ عَلَى دِيْوَانِ الضِّيَاعِ، وَمُوسَى عَلَى دِيْوَانِ الْخُرَاجِ، فَكَتَبَ نَجَاحُ بْنُ سَلْمَةَ رَقْعَةً إِلَى الْمُتَوَكِّلِ فِي الْحَسَنِ وَمُوسَى يَذْكُرُ أَنَّهُمَا قَدْ خَانَا وَقَصُرَا فِيمَا هُمَا بِسَبِيلِهِ، وَأَنَّهُ يَسْتَخْرِجُ مِنْهُمَا أَرْبَعِينَ أَلْفَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ، فَأَدَانَاهُ الْمُتَوَكِّلُ وَشَارِبَهُ تِلْكَ الْعَشِيَّةَ، وَقَالَ: يَا نَجَاحُ، خَذَلُ اللَّهُ مِنْ يَخْذَلُكَ، فَكَبَّرَ إِلَيَّ غَدَا حَتَّى أَدْفَعَهُمَا إِلَيْكَ، فَغَدَا وَقَدْ رَتَبَ أَصْحَابَهُ، وَقَالَ: يَا فُلَانُ خُذْ أَنْتَ الْحَسَنَ، وَيَا فُلَانُ خُذْ أَنْتَ مُوسَى، فَغَدَا نَجَاحُ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ، فَلَقِيَ عبيد الله، وَقَدْ أَمَرَ عبيد الله أَنْ يَحْجُبَ نَجَاحَ عَنِ الْمُتَوَكِّلِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الْفَضْلِ، انصرف حتى ننظر وتنظر في هذا الأمر، وأنا أشير عليك بأمر لك فيه صلاح، قال: وما هو؟ قال: أصلح بينك وبينهما، وتكتب رقعة تذكر فيها أنك كنت شاربا، وأنت تكلمت بأشياء تحتاج إلى معاودة النظر فيها، وأنا أصلح الأمر عند أمير المؤمنين، فلم يزل يخدعه حتى كتب رقعة بما أمره به، فأدخلها على المتوكل، وقال: يا أمير المؤمنين قد رجع نجاح عما قال البارحة، وهذه رقعة موسى والحسن يتقبلان به بما كتبنا، فتأخذ ما ضمنا عنه، ثم تعطف عليهما، فتأخذ منهما قريبا مما ضمن لك عنهما.

فسر المتوكل، وطمع فيما قال له عبيد الله، فقال: ادفعه إليهما،

فانصرفا به، وأمرأ بأخذ قلنسوته عن رأسه وكانت خزا، فوجد البرد، فقال:

ويحك يا حسن! قد وجدت البرد، فأمر بوضع قلنسوته على رأسه، وصار به موسى إلى ديوان الخراج، ووجها إلى ابنه أبي الفرج وأبي محمد، فأخذ أبو الفرج وهرب أبو محمد، ابن بنت حسن بن شنيف، وأخذ كاتبه إسحاق بن سعد بن مسعود القطريلي وعبد الله بن مخلد المعروف بابن البواب- وكان انقطاعه إلى نجاح- فأقر لهما نجاح وابنه بنحو من مائة وأربعين ألف دينار سوى قيمة قصورهما وفرشتهما ومستغلاتهما بسامرا وبغداد، وسوى ضياع لهما كثيرة، فأمر بقبض ذلك كله، وضرب مرارا بالمقارع في غير موضع الضرب نحو من مائتي مقرة، وغمز وخنق، خنقه موسى الفرائق والمعلوف.

فأما الحارث فإنه قال: عصر خصيتيه حتى مات، فأصبح ميتا يوم الاثنين لثمان بقين من ذي القعدة من هذه السنة، فأمر بغسله ودفنه، فدفن ليلا، وضرب ابنه محمد وعبد الله بن مخلد وإسحاق بن سعد نحو من خمسين خمسين، فأقر إسحاق بخمسين ألف دينار، وأقر عبد الله بن مخلد بخمسة عشر ألف دينار.

وقيل عشرين ألف دينار وكان ابنه أحمد بن بنت حسن قد هرب فظفر به بعد موت نجاح، فحبس في الديوان، وأخذ جميع ما في دار نجاح وابنه أبي الفرج من متاع، وقبضت دورهما وضياعهما حيث كانت وأخرجت عيالهما، وأخذ وكيله بناحية السواد، وهو ابن عياش، فأقر بعشرين ألف دينار، وبعث إلى مكة في طلب الحسن بن سهل بن نوح الأهوازي وحسن بن يعقوب البغدادي، وأخذ بسببه قوم فحبسوا.

وقد ذكر في سبب هلاكه غير ما قد ذكرناه، ذكر أنه كان يضاد عبيد الله بن يحيى بن خاقان- وكان عبيد الله متمكنا من المتوكل، وإليه الوزارة وعامة أعماله، وإلى نجاح توقيع العامة- فلما عزم المتوكل على بناء الجعفري قال له نجاح- وكان في الندماء- يا أمير المؤمنين، أسمي

لك قوما تدفعهم إلي حتى أستخرج لك منهم أموالا تبني بها مدينتك هذه، أنه يلزمك من الأموال في بنائها ما يعظم قدره، ويحل ذكره فقال له: سمهم، فرفع رقعة يذكر فيها موسى بن عبد الملك وعيسى بن فرخان شاه خليفة الحسن بن مخلد، والحسن بن مخلد وزيدان بن إبراهيم، خليفة موسى بن عبد الملك، وعبيد الله بن يحيى وأخويه: عبد الله بن يحيى وزكرياء وميمون بن إبراهيم ومحمد بن موسى المنجم وأخاه أحمد بن موسى، وعلي بن يحيى بن أبي منصور وجعفر المملوك مستخرج ديوان الخراج وغيرهم نحو من عشرين رجلا، فوقع ذلك من المتوكل موقعا أعجبه، وقال له: اغد غدوة، فلما أصبح لم يشك في ذلك وناظر عبيد الله بن يحيى المتوكل، فقال له: يا أمير المؤمنين، أراد ألا يدع كاتبنا ولا قائدا إلا أوقع بهم، فن يقوم بالأعمال يا أمير المؤمنين! وغدا نجاح، فأجلسه عبيد الله في مجلسه، ولم يؤذن له، وأحضر موسى بن عبد الملك والحسن بن مخلد، فقال لهما عبيد الله: أنه إن دخل إلي أمير المؤمنين دفعكما إليه فقتلكما وأخذ ما تملكان، ولكن اكتبان إلى أمير المؤمنين رقعة تقبلان به فيها بألفي ألف دينار، فكتبنا رقعة بخطوطهما، وأوصلها عبيد الله ابن يحيى، وجعل يختلف بين أمير المؤمنين ونجاح وموسى بن عبد الملك والحسن بن مخلد، فلم يزل يدخل ويخرج ويعين موسى والحسن، ثم أدخلهما على المتوكل، فضمننا ذلك، وخرج معهما فدفعه إليهما جميعا، والناس جميعا الخواص والعوام، وهما لا يشكان أنهما وعبيد الله بن يحيى مدفوعون إلى نجاح، للكلام الذي دار بينه وبين المتوكل، فأخذه، وتولى تعذيبه موسى بن عبد الملك، فحبسه في ديوان الخراج بسامرا، وضربه دررا وأمر المتوكل بكاتبه إسحاق بن سعد- وكان يتولى خاص أموره وأمر ضياع بعض الولد- أن يغرم واحدا وخمسين ألف دينار، وحلف على ذلك، وقال: أنه أخذ مني في أيام الواثق وهو يخلف عن عمر بن فرج خمسين دينارا، حتى أطلق أرزاق، نفذوا لكل دينار ألفا وزيادة ألف فضلا كما أخذ فضلا فحبس ونجم عليه في ثلاثة

أنجم، ولم يطلق حتى أدى تعجيل سبعة عشر ألف دينار، وأطلق بعد أن أخذ منه كفلاء بالباقي، وأخذ عبد الله بن مخلد، فأغرم سبعة عشر ألف دينار ووجه عبيد الله الحسين بن إسماعيل- وكان أحد حجاب المتوكل- وعتاب ابن عتاب عن رسالة المتوكل أن يضرب نجاح خمسين مقرة إن هو لم يقر ويؤد ما وصف عليه، فضربه ثم عاوده في اليوم الثاني بمثل ذلك، ثم عاوده في اليوم الثالث بمثل ذلك، فقال: أبلغ أمير المؤمنين اني ميت وامر موسى ابن عبد الملك جعفر المملوك ومعه عونان من أعوان ديوان الخراج، فعصروا مذاكيره حتى برد فمات وأصبح فركب إلى المتوكل فأخبره بما حدث من وفاة نجاح، فقال لهما المتوكل: اني اريد مالي الذي ضمنته،

فاحتلّاه، فقبضوا من أمواله وأموال ولده جملة، وحبسوا أبا الفرج - وكان على ديوان زمام الضياع من قبل أبي صالح بن يزداد - وقبضوا أمتعته كلها وجميع ملكه، وكتبوا على ضياعه لأمر المؤمنين، وأخذوا ما أخذوا من أصحابه، فكان المتوكل كثيرا ما يقول لهما كلما شرب: ردوا على كاتبني، وإلا فهاتوا المال، وضم توقيع ديوان العامة إلى عبيد الله بن يحيى، فاستخلف عليه يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان، ابن عمه، ومكث موسى بن عبد الملك والحسن بن مخلد على ذلك يطالبهما المتوكل بالأموال التي ضمنها من قبل نجاح، فما أتى على ذلك إلا يسيرا حتى ركب موسى بن عبد الملك إشيع المنتصر من الجعفري، وهو يريد سامرا إلى منزله الذي ينزله بالجوسق، فبلغه معه ساعة، ثم انصرف راجعا، فبينما هو يسير إذ صاح بمن معه خذوني، فبدروه فسقط على أيديهم مفلوجا، فحمل إلى منزله، فمكث يومه وليلته، ثم توفي، فصير على ديوان الخراج أيضا عبيد الله بن يحيى بن خاقان، فاستخلف عليه أحمد بن إسرائيل كاتب المعتز، وكان أيضا خليفته على كتابة المعتز فقال القصافي:

ما كان يخشى نجاح صولة الزمن ... حتى أديل لموسى منه والحسن
غدا على نعم لا حرار يسلبها ... فراح وهو سليب المال والبدن

٩٠٢٧٠٣ غاره الروم على سميساط

وفيها ضرب بختيشوع المتطبب مائة وخمسين مقرعة، وأثقل بالحديد، وحبس في المطبق في رجب . غاره الروم على سميساط

وفيها أغارت الروم على سميساط، فقتلوا وسبوا نحو من خمسمائة وغزا علي بن يحيى الأرمني الصائفة ومنع أهل لؤلؤة رئيسهم من الصعود إليها ثلاثين يوما، فبعث ملك الروم إليهم بطريقا يضمن لكل رجل منهم ألف دينار، على أن يسلموا إليه لؤلؤة، فأصعدوه إليهم ثم أعطوا أرزاقهم الفائتة وما أرادوا، فسلموا لؤلؤة والبطريق إلى بلكاجور في ذي الحجة، وكان البطريق الذي كان صاحب الروم وجهه إليهم يقال له لغثيط، فلما دفعه أهل لؤلؤة إلى بلكاجور وقيل: إن علي بن يحيى الأرمني حمله إلى المتوكل إلى الفتح بن خاقان، فعرض عليه الإسلام فأبى، فقالوا: نقتلك، فقال: أنتم أعلم، وكتب ملك الروم يبذل مكانه ألف رجل من المسلمين.

وجج بالناس في هذه السنة محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام، وهو يعرف بالزيني، وهو والي مكة. وكان نيروز المتوكل الذي أرفق أهل الخراج بتأخيرهم إياه عنهم فيها يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، ول سبع عشرة ليلة خلت من حزيران ولثمان وعشرين من أربو هشت ماه، فقال البحري الطائي: إن يوم النيروز عاد إلى العهد ... الذي كان سنه أردشير.

٩٠٢٨ سنة ست وأربعين ومائتين

٩٠٢٨٠١ ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

٩٠٢٨٠٢ ذكر خبر الفداء بين الروم والمسلمين في هذه السنة

ثم دخلت

سنة ست وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزو عمر بن عبد الله الأقطع الصائفة، فأخرج سبعة آلاف رأس وغزوة قرياس، فأخرج خمسة آلاف رأس، وغزو الفضل بن قارن بجرا في عشرين مركبا، فافتتح حصن انطاليه وغزوة بلكاجور فغنم وسبي.

وغزو علي بن يحيى الأرمني الصائفة، فأخرج خمسة آلاف رأس ومن الدواب والرمك والحير نحو من عشرة آلاف وفيها تحول المتوكل إلى المدينة التي بناها الماحوزه، فزها يوم عاشوراء من هذه السنة.

ذكر خبر الفداء بين الروم والمسلمين في هذه السنة

وفيهما كان الفداء في صفر على يدي علي بن يحيى الأرمني، ففودي بألفين وثلاثمائة وسبعة وستين نفسا وقال بعضهم: لم يتم الفداء في هذه السنة إلا في جمادى الأولى.

وذكر عن نصر بن الأزهري الشيعي- وكان رسول المتوكل إلى ملك الروم في أمر الفداء- أنه قال: لما صرت إلى القسطنطينية حضرت دار ميخائيل الملك بسوادي وسيفي وخنجرني وقلنسوتي، فجرت بيني وبين خال الملك بطرناس المناظرة- وهو القيم بشأن الملك- وأبوا أن يدخلوني بسيفي وسوادي، فقلت:

أنصرف، فانصرفت فرددت من الطريق ومعني الهدايا نحو من ألف نالفة مسك وثياب حرير وزعفران كثير وطرائف، وقد كان أذن لوفود برجان وغيرهم ممن ورد عليه، وحملت الهدايا التي معي، فدخلت عليه، فإذا هو على سرير فوق سرير، وإذا البطارقة حوله قيام، فسلمت ثم جلست على طرف السرير الكبير، وقد هيئ لي مجلس، ووضعت الهدايا بين يديه، وبين يديه ثلاثة تراجم: غلام فراش كان لمسور الخادم، وغلام لعباس بن سعيد الجوهري، وترجمان له قديم يقال له سرحون، فقالوا لي: ما نبغاه؟ قلت:

لا تزيدون علي ما أقول لكم شيئا، فأقبلوا يترجمون ما أقول، فقبل الهدايا ولم يأمر لأحد منها بشيء، وقربني وأكرماني، وهيا لي منزلا بقربه، فخرجت فنزلت في منزلي، وأتاه أهل لؤلؤة برغبتهم في النصرانية، وأنهم معه، ووجهوا برجلين ممن فيها رهينة من المسلمين. قال: فتغافل عني نحو من أربعة أشهر، حتى أتاه كتاب مخالفة أهل لؤلؤة، وأخذهم رسله واستيلاء العرب عليها، فراجعوا مخاطبتي، وانقطع الأمر بيني وبينهم في الفداء، على أن يعطوا جميع من عندهم وأعطي جميع من عندي، وكانوا أكثر من ألف قليلا، وكان جميع الأسرى الذين في أيديهم أكثر من ألفين، منهم عشرون امرأة، معهن عشرة من الصبيان، فأجابوني إلى المخالفة، فاستحلفت خاله، فحلف عن ميخائيل، فقلت: أيها الملك قد حلف لي خالك، فهذه اليمين لازمة لك؟ فقال برأسه: نعم، ولم اسمعه يتكلم بكلمة منذ دخلت بلاد الروم إلى أن خرجت منها، وإنما يقول الترجمان وهو يسمع، فيقول برأسه: نعم أولا، وليس يتكلم وخاله المدير أمره، ثم خرجت من عنده بالأسرى بأحسن حال، حتى إذا جئنا موضع الفداء أطلقنا هؤلاء جملة وهؤلاء جملة، وكان عداد من صار في أيدينا من المسلمين أكثر من ألفين منهم عدة ممن كان تنصر وصار في أيديهم أكثر من ألف قليلا، وكان قوم تنصروا، فقال لهم ملك الروم: لا أقبل منكم حتى تبلغوا موضع الفداء، فمن أراد أن أقبله في النصرانية فليرجع من موضع الفداء، وإلا فليضمن ويمض مع أصحابه، وأكثر من تنصر أهل المغرب، وأكثر من تنصر بالقسطنطينية، وكان هنالك صائغان قد تنصرا، فكانا يحسنان إلى الأسرى، فلم يبق في بلاد الروم من المسلمين ممن ظهر عليه الملك إلا سبعة نفر، خمسة أتي بهم من سقلية، أعطيت فداءهم على أن يوجه بهم إلى سقلية، ورجلان كانا من رهائن لؤلؤة، فتركتهما، وقلت: اقتلوهما، فإنهما رغبا في النصرانية.

ومطر أهل بغداد في هذه السنة واحدا وعشرين يوما في شعبان ورمضان، حتى نبت العشب فوق الأجاجير. وصلى المتوكل فيها صلاة الفطر بالجعفرية، وصلى عبد الصمد بن موسى في مسجد جامعها، ولم يصل بسامرا أحد. وورد فيها الخبر أن سكة بناحية بلخ تنسب إلى الدهاقين مطرت دما عبيطا.

وجج بالناس في هذه السنة محمد بن سليمان الزيني. وجج فيها محمد بن عبد الله بن طاهر، فولي أعمال الموسم. وضحي أهل سامرا فيها يوم الاثنين على الرؤية وأهل مكة يوم الثلاثاء.

٩٠٢٩ سنه سبع واربعين ومائتين

٩٠٢٩٠١ ذكر الخبر عن مقتل المتوكل

ثم دخلت

سنة سبع وأربعين ومائتين

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث)

ذكر الخبر عن مقتل المتوكل

فما كان فيها من ذلك مقتل المتوكل.

ذكر الخبر عن سبب مقتله وكيف قتل:

قال أبو جعفر: ذكر لي أن سبب ذلك كان أن المتوكل كان أمر بإنشاء الكتب بقبض ضياع وصيف بأصبهان والجبل وإقطاعها الفتح بن خاقان، فكتبت الكتب بذلك، وصارت إلى الخاتم على أن تنفذ يوم الخميس لخمس خلون من شعبان، فبلغ ذلك وصيفا، واستقر عنده الذي أمر به في أمره، وكان المتوكل أراد أن يصلي بالناس يوم الجمعة في شهر رمضان في آخر جمعة منه، وكان قد شاع في الناس في أول رمضان أن أمير المؤمنين يصلي في آخر جمعه من الشهر بالناس، فاجتمع الناس لذلك واحتشدوا، وخرج بنو هاشم من بغداد لرفع القصص وكلامه إذا هو ركب فلما كان يوم الجمعة أراد الركوب للصلاة، فقال له عبيد الله بن يحيى والفتح بن خاقان: يا أمير المؤمنين، إن الناس قد اجتمعوا وكثروا، من أهل بيتك وغيرهم، وبعض متظلم وبعض طالب حاجة، وأمير المؤمنين يشكو ضيق الصدر ووعكة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بعض ولاية العهود بالصلاة، ونكون معه جميعا ليفعل فقال: قد رأيت ما رأيتم، فأمر المنتصر بالصلاة، فلما نهض المنتصر ليركب للصلاة قالوا: يا أمير المؤمنين، قد رأينا رأيا، وأمير المؤمنين أعلى عينا، قال: وما هو؟ عرضاه علي، قالوا: يا أمير المؤمنين، مر أبا عبد الله المعتز بالله للصلاة

لتشرفه بذلك في هذا اليوم الشريف، فقد اجتمع أهل بيته، والناس جميعا فقد بلغ الله به.

قال: وقد كان ولد للمعتز قبل ذلك بيوم، فأمر المعتز، فركب وصلى بالناس، فأقام المنتصر في منزله - وكان بالجعفرية - وكان ذلك مما زاد في اغرائه به، فلما فرغ المعتز من خطبته قام إليه عبيد الله بن يحيى والفتح بن خاقان، فقبلا يديه ورجليه، وفرغ المعتز من الصلاة، فانصرف وانصرفا معه، ومعهم الناس في موكب الخلافة، والعالم بين يديه، حتى دخل على أبيه وهما معه، ودخل معه داود بن محمد بن أبي العباس الطوسي، فقال داود:

يا أمير المؤمنين، ائذن لي فأتكلم، قال: قل، فقال: والله يا أمير المؤمنين، لقد رايت الامين والمأمون ورايت المعتصم صلوات الله عليهم، ورايت الواثق بالله، فوالله ما رأيت رجلا على منبر أحسن قواما، ولا أحسن بديها، ولا أجهر صوتا، ولا أعذب لسانا، ولا أخطب من المعتز بالله، أعزه الله يا أمير المؤمنين ببقائك، وأمتعتك الله وإيانا بحياتك! فقال له المتوكل: أسمعك الله خيرا، وأمتعنا بك، فلما كان يوم الأحد، وذلك يوم الفطر وجد المتوكل فترة، فقال:

مروا المنتصر فليصل بالناس، فقال له عبيد الله بن يحيى بن خاقان: يا أمير المؤمنين، قد كان الناس تطلعوا إلى رؤية أمير المؤمنين في يوم الجمعة فاجتمعوا واحتشدوا، فلم يركب أمير المؤمنين، ولا نأمن إن هو لم يركب أن يرجف الناس بعلته، ويتكلموا في أمره، فإن رأى أمير المؤمنين أن يسر الأولياء ويكتب الأعداء بركوبه فعل فأمرهم بالتأهب والتهيؤ لركوبه، فركب فصلى بالناس وانصرف إلى منزله، فأقام يومه ذلك ومن الغد لم يدع بأحد من ندمائه.

وذكر أنه ركب يوم الفطر، وقد ضربت له المصاف نحو من أربعة أميال، وترجل الناس بين يديه، فصلى بالناس، ورجع إلى قصره، فأخذ حفنة من تراب، فوضعها على رأسه، ففعل، فقال: إني رايت

كثرة هذا الجمع، ورأيتهم تحت يدي، فأحببت أن أتواضع لله عز وجل، فلما كان من غد يوم الفطر لم يدع بأحد من ندمائه، فلما كان اليوم الثالث وهو يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شوال - أصبح نشيطا فرحا مسرورا، فقال: كأني أجد مس الدم، فقال الطيفوري وابن الأبرش - وهما طبيبا:

يا أمير المؤمنين، عزم الله لك على الخير، افعل، ففعل، واشتبه لحم جزور، فأمر به فأحضر بين يديه، فاتخذ به يده.

وذكر عن ابن الحفصي المغني أنه كان حاضر المجلس، قال ابن الحفصي: وما كان أحد ممن يأكل بين يديه حاضرا غيري وغير عثث وزنام وبنان غلام أحمد بن يحيى بن معاذ، فإنه جاء مع المنتصر قال: وكان المتوكل والفتح بن خاقان يأكلان معا، ونحن في ناحية بإزائهم والندماء مفترقون في حجرهم، لم يدع بأحد منهم بعد قال ابن الحفصي: فالتفت إلي أمير المؤمنين، فقال:

كل أنت وعثت بين يدي ويأكل معكما نصر بن سعيد الجهمي، قال: فقلت: يا سيدي، نصر والله يأكلني، فكيف ما يوضع بين أيدينا! فقال: كلوا بحياتي، فأكلنا ثم علقنا أيدينا بجذائه قال: فالتفت أمير المؤمنين التفاته، فنظر إلينا معلقي الأيدي، فقال: ما لكم لا تأكلون؟ قلت: يا سيدي، قد نفذ ما بين أيدينا، فأمر أن يزاد، فغرف لنا من بين يديه.

قال ابن الحفصي: ولم يكن أمير المؤمنين في يوم من الأيام أسر منه في ذلك اليوم قال: وأخذ مجلسه، ودعا بالندماء والمغنين فحضروا، وأهدت إليه قبيحة أم المعتز مطرف خز أخضر، لم ير الناس مثله حسنا، فنظر إليه فأطال النظر، فاستحسنه وكثر تعجبه منه، وأمر به فقطع نصفين، وأمر برده عليها، ثم قال لرسولها: أذكرتني به، ثم قال: والله إن نفسي لتحدثني أني لا ألبسه، وما أحب أن يلبسه أحد بعدي، وإنما أمرت بشقه لئلا يلبسه أحد بعدي، فقلنا له: يا سيدنا، هذا يوم سرور يا أمير المؤمنين نعيذك بالله أن تقول هذا يا سيدنا، قال: وأخذ في الشراب واللهو، ولهج بان يقول: أنا والله مفارقم عن قليل، قال: فلم يزل في لهوه وسروره إلى الليل.

وذكر بعضهم أن المتوكل عزم هو والفتح أن يصيرا غداءهما عند عبد الله ابن عمر البازيار يوم الخميس لخمس ليال خلون من شوال، على أن يفتك المنتصر، ويقتل وصيفا وبغا وغيرهما من قواد الأتراك ووجههم، فكثر عبثه يوم الثلاثاء قبل ذلك بيوم- فيما ذكر ابن الحفصي- بابنه المنتصر مرة يشتمه، ومرة يسقيه فوق طاقته، ومرة يأمر بصفعه، ومرة يتهده بالقتل.

فذكر عن هارون بن محمد بن سليمان الهاشمي أنه قال: حدثني بعض من كان في الستارة من النساء، أنه التفت إلى الفتح، فقال له: برئت من الله ومن قرابتي من رسول الله ص إن لم تلطمه- يعني المنتصر- فقام الفتح ولطمه مرتين، يمر يده على قفاه، ثم قال المتوكل لمن حضر:

اشهدوا جميعا أني قد خلعت المستعجل- المنتصر- ثم التفت إليه، فقال: سميتك المنتصر، فسماك الناس لحقك المنتظر، ثم صرت الآن المستعجل، فقال المنتصر: يا أمير المؤمنين، لو أمرت بضرب عنقي كان أسهل علي مما تفعله بي، فقال: اسقوه، ثم أمر بالعشاء فأحضر وذلك في جوف الليل، فخرج المنتصر من عنده، وأمر بنانا غلام أحمد ابن يحيى أن يلحقه، فلما خرج وضعت المائدة بين يدي المتوكل، وجعل يأكلها ويلقم وهو سكران.

وذكر عن ابن الحفصي أن المنتصر لما خرج إلى حجرته أخذ بيد زرافة، فقال له: امض معي، فقال: يا سيدي، إن أمير المؤمنين لم يقم، فقال:

إن أمير المؤمنين قد أخذه النيزد، والساعة يخرج بغا والندماء، وقد أحببت أن تجعل أمر ولدك الي، فان اوتامش سألني أن أزوج ابنه من ابنتك، وابنتك من ابنته، فقال له زرافة: نحن عبيدك يا سيدي، فزنا بأمرك وأخذ المنتصر

بيده وانصرف به معه قال: وكان زرافة قد قال لي قبل ذلك: ارفق بنفسك، فإن أمير المؤمنين سكران والساعة يفيق، وقد دعاني تمرة، وسألني أن أسألك أن تصير إليه فقصير جميعا إلى حجرته قال: فقلت له: أنا أتقدمك إليه، قال: ومضى زرافة مع المنتصر إلى حجرته.

فذكر بنان غلام أحمد بن يحيى أن المنتصر قال له: قد املك ابن زرافه من ابنه اوتامش وابن اوتامش من ابنة زرافة؟ قال بنان: فقلت للمنتصر: يا سيدي، فأين النار فهو يحسن الإملاك؟ فقال: غدا إن شاء الله، فإن الليل قد مضى قال: وانصرف زرافة إلى حجره تمرة، فلما دخل دعا بالطعام فأتي به، فما أكل إلا أسر ذلك حتى سمعنا الضجة والصراخ، فقمنا، فقال بنان: فما هو إلا أن خرج زرافة من منزل تمرة، إذا بغا استقبل المنتصر، فقال المنتصر: ما هذه الضجة؟ قال: خير يا أمير المؤمنين، قال: ما تقول، ويلك! قال: أعظم

الله أجرك في سيدنا امير المؤمنين! كان عبدا لله دعاه فأجابه، قال: فجلس المنتصر، وأمر بباب البيت الذي قتل فيه المتوكل والمجلس، فأغلق وأغلقت الأبواب كلها، وبعث إلى وصيف يأمره بإحضار المعتز والمؤيد عن رسالة المتوكل.

وذكر عن عثت أن المتوكل دعا بالمائدة بعد قيام المنتصر وخروجه ومعه زرافة، وكان بغا الصغير المعروف بالشرابي قائما عند الستر، وذلك اليوم كان نوبة بغا الكبير في الدار، وكان خليفته في الدار ابنه موسى- وموسى هذا هو ابن خالة المتوكل، وبغا الكبير يومئذ بسميساط- فدخل بغا الصغير إلى المجلس، فأمر الندماء بالانصراف إلى حجرهم، فقال له الفتح: ليس هذا وقت انصرافهم، وأمير المؤمنين لم يرتفع، فقال له بغا: إن أمير المؤمنين أمرني إذا جاوز السبعة ألا أترك في المجلس أحدا، وقد شرب أربعة عشر رطلا، فكره

الفتح قيامهم، فقال له بغا: إن حرم أمير المؤمنين خلف الستارة، وقد سكر، فقوموا فاخرجوا، فخرجوا جميعا، فلم يبق إلا الفتح وعتث وأربعة من خدم الخاصة، منهم شفيق وفرج الصغير ومؤنس وأبو عيسى مارد الحزري قال: ووضع الطباخ المائدة بين يدي المتوكل، فجعل يأكل ويلقم، ويقول لمارد: كل معي حتى أكل بعض طعامه وهو سكران، ثم شرب أيضا بعد ذلك.

فذكر عتث أن أبا أحمد بن المتوكل أخوا المؤيد لأمه- كان معهم في المجلس، فقام إلى الخلاء، وقد كان بغا الشرايبي أغلق الأبواب كلها غير باب الشط، ومنه دخل القوم الذين عينوا لقتله، فبصر بهم أبو أحمد، فصاح بهم: ما هذا يا سفل! وإذا بسيف مسللة، قال: وقد كان تقدم نفر الذين تولوا قتله بغلون التركي وباغر وموسى بن بغا وهارون بن صوارتكين وبغا الشرايبي، فلما سمع المتوكل صوت أبي أحمد رفع رأسه، فرأى القوم، فقال: يا بغا، ما هذا؟ قال: هؤلاء رجال النوبة التي تبيت على باب سيدي أمير المؤمنين، فرجع القوم إلى ورائهم عند كلام المتوكل لبغا، ولم يكن واجن وأصحابه وولد وصيف حضروا معهم بعد قال عتث: فسمعت بغا يقول لهم: يا سفل، أنتم مقتولون لا محالة، فوتوا كراما، فرجع القوم إلى المجلس، فابتدره بغلون فضربه ضربة على كتفه وأذنه فقده، فقال: مهلا قطع الله يدك! ثم قام وأراد الوثوب به، فاستقبله بيده فأبانها، وشركه باغر، فقال الفتح:

ويلكم، أمير المؤمنين! فقال بغا: يا حلقي، لا تسكت! فرمى الفتح بنفسه على المتوكل، فبجعه هارون بسيفه، فصاح: الموت! واعتوره هارون وموسى بن بغا بأسيا فهما، فقتلاه وقطعاه، وأصاب عتث ضربة في رأسه وكان مع المتوكل خادم صغير، فدخل تحت الستارة، فنجأ، وتهارب الباقون قال:

وقد كانوا قالوا لوصيف في وقت ما جاءوا إليه: كن معنا فإننا نتخوف ألا يتم ما نريد فنقتل، فقال: لا بأس عليكم، فقالوا له: فأرسل معنا بعض ولدك، فأرسل معهم خمسة من ولده: صالحا، وأحمد، وعبد الله، ونصرا، وعبيد الله، حتى صاروا إلى ما أرادوا.

وذكر عن زرقان خليفة زرافة على البوابين وغيرهم أن المنتصر لما أخذ بيد زرافة فأخرجه من الدار ودخل القوم، نظر إليهم عتث، فقال للمتوكل:

قد فرغنا من الأسد والحيات والعقارب، وصرنا إلى السيوف، وذلك أنه كان ربما أشلى الحية والعقرب أو الأسد، فلما ذكر عتث السيوف، قال له:

ويلك! أي شيء تقول؟ فما استتم كلامه حتى دخلوا عليه، فقام الفتح في وجوهم، فقال لهم: يا كلاب، وراءكم وراءكم! فبدر إليه بغا الشرايبي، فبجع بطنه بالسيف، وبدر الباقون إلى المتوكل، وهرب عتث على وجهه.

وكان أبو أحمد في حجرته، فلما سمع الضجة خرج فوقع على أبيه، فبادره بغلون فضربه ضربتين، فلما رأى السيوف تأخذه خرج وتركهم، وخرج القوم إلى المنتصر، فسلموا عليه بالخلافة، وقالوا: مات أمير المؤمنين، وقاموا على رأس زرافة بالسيوف، فقالوا له: بايع، فبايعه وأرسل المنتصر إلى وصيف: أن الفتح قتل ابني، فقتلته، فاحضر في وجوه أصحابك فحضر وصيف وأصحابه فبايعوا قال: وكان عبيد الله بن يحيى في حجرته لا يعلم بشيء من أمر القوم ينفذ الأمور وقد ذكر أن امرأة من نساء الأتراك ألفت رقعة تخبر ما عزم عليه القوم، فوصلت الرقعة إلى عبيد الله، فشاور الفتح فيها، وكان ذلك وقع إلى أبي نوح عيسى بن إبراهيم كاتب الفتح بن خاقان، فأنهاه إلى الفتح، فاتفق رأيهم على كتمان المتوكل لما رأوا من سروره، فكروهوا أن ينغصوا عليه يومه، وهان عليهم أمر القوم، ووثقوا بأن ذلك لا يجسر عليه أحد ولا يقدر.

فذكر أن أبا نوح احتال في الهرب من ليلته، وعبيد الله جالس في عمله ينفذ الأمور، وبين يديه جعفر بن حامد، إذ طلع عليه بعض الخدم، فقال:

يا سيدي، ما يجلسك؟ قال: وما ذاك! قال: الدار سيف واحد، فأمر جعفرا بالخروج، فخرج وعاد، فأخبره أن أمير المؤمنين والفتح قد قتلا، فخرج فيمن معه من خدمه وخاصته، فأخبر أن الأبواب مغلقة، فأخذ نحو الشط، فإذا أبوابه أيضا مغلقة، فأمر بكسر ما كان مما يلي الشط، فكسرت ثلاثة أبواب حتى

خرج إلى الشط، فصار إلى زورق، فقعده فيه ومعه جعفر بن حامد، وغلام له، فصار إلى منزل المعتز، فسأل عنه فلم يصادفه، فقال: **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!** قتلني وقتل نفسه، وتلهف عليه، واجتمع إلى عبيد الله أصحابه غداة يوم الأربعاء من الأبناء والعجم والأرمن والزواquil والاعراب والصعاليك وغيرهم وقد اختلف في عدتهم، فقال بعضهم: كانوا زهاء عشرين ألف فارس وقال آخرون: كان معه ثلاثة عشر ألف رجل، وقال آخرون:

كان معه ثلاثة عشر ألف لجام، وقال المقللون: ما بين الخمسة آلاف إلى العشرة آلاف، فقالوا له: إنما كنت تصطنعنا لهذا اليوم، فأمر بأمرك، وأذن لنا نمل على القوم ميلاً، نقتل المنتصر ومن معه من الأتراك وغيرهم فأبى ذلك، وقال: ليس في هذا حيلة، والرجل في أيديهم- يعني المعتز وذكر عن علي بن يحيى المنجم أنه قال: كنت أقرأ على المتوكل قبل قتله بأيام كتاباً من كتب الملاحم، فوقفت عن قراءته وقطعته، فقال لي:

ما لك قد وقفت! قلت: خير، قال: لا بد والله من أن تقرأه، فقرأته وحدت عن ذكر الخلفاء، فقال المتوكل: ليت شعري من هذا الشقي المقتول! وذكر عن سلمة بن سعيد النصراني أن المتوكل رأى أشوط بن حمزة الأرمني قبل قتله بأيام، فتأفف برؤيته، وأمر بإخراجه، فقيل له:

يا أمير المؤمنين، أليس قد كنت تحب خدمته؟ قال: بلى، ولكني رأيت في المنام منذ ليال كأني قد ركبته، فالتفت إلي وقد صار رأسه مثل رأس البغل فقال لي: إلى كم تؤذينا! إنما بقي من أجلك تمام خمسة عشر سنة غير أيام قال: فكان بعدد أيام خلافته. وذكر عن ابن أبي ربيعي أنه قال: رأيت في منامي كأن رجلاً دخل من باب الرستن على عجلة ووجهه إلى الصحراء وقفاه إلى المدينة، وهو ينشد:

٩٠٢٩٠٢ ذكر الخبر عن بعض أمور المتوكل وسيرته:

يا عين ويلك فاهلي ... بالدمع سخا واسبلي
دلت على قرب القيامة ... قتلة المتوكل
وذكر أن حبشي بن أبي ربيعي مات قبل قتل المتوكل بسنتين.
وذكر عن محمد بن سعيد، قال: قال أبو الوارث قاضي نصيبين:
رأيت في النوم أتيا أتانِي، وهو يقول:
يا نائم العين في جثمان يقظان ... ما بال عينك لا تبكي بهتان!
أما رأيت صروف الدهر ما فعلت ... بالهاشي وبالفتح بن خاقان!
وسوف يتبعهم قوم لهم غدروا ... حتى يصيروا كأمس الذاهب الفاني
فأتى البريد بعد أيام بقتلهما جميعاً.

قال أبو جعفر: وقتل ليلة الأربعاء بعد العتمة بساعة لأربع خلون من شوال- وقيل: بل قتل ليلة الخميس- فكانت خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام وقتل يوم قتل وهو- فيما قيل- ابن أربعين سنة، وكان ولد بفهم الصلح في شوال من سنة ست ومائتين. وكان أسمر حسن العينين خفيف العارضين نحيفاً . ذكر الخبر عن بعض أمور المتوكل وسيرته:

ذكر عن مروان بن أبي الجنوب أبي السمط، أنه قال: أنشدت أمير المؤمنين فيه شعراً، وذكرت الرافضة فيه، فعقد لي على البحرين واليامة، وخلع علي أربع خلع في دار العامة، وخلع علي المنتصر وأمر لي بثلاثة آلاف دينار، فنثرت على رأسي، وأمر ابنه المنتصر وسعدا الإيتاخي يلقطانها لي، ولا أمس منها شيئاً، فجمعاها، فانصرفت بها
قال: والشعر الذي قال فيه:

ملك الخليفة جعفر ... للدين والدنيا سلامه
لكم تراث محمد ... وبعدلکم تنفی الظلامه

يرجو التراث بنو البنات ... وما لهم فيها قلامه
والصهر ليس بوارث ... والبنت لا ترث الإمامه
ما للذين تخلوا ... ميراثكم إلا الندامه
أخذ الوراثة أهلها ... فعلام لومكم علامه!
لو كان حقكم لما ... قامت على الناس القيامه
ليس التراث لغيركم ... لا والإله ولا كرامه
أصبحت بين محبكم ... والمبغضين لكم علامه
ثم نثر على رأسي - بعد ذلك لشعر قلته في هذا المعنى - عشرة آلاف درهم.
وذكر عن مروان بن أبي الجنوب، أنه قال: لما استخلف المتوكل بعثت بقصيدة - مدحت فيها ابن أبي دواد - الى ابن أبي دواد، وكان في آخرها بيتان ذكرت فيهما أمر ابن الزيات وهما:
وقيل لي الزيات لاقى حمامه ... فقلت أتاني الله بالفتح والنصر
لقد حفر الزيات بالغدر حفرة ... فألقي فيها بالخيانة والغدر
قال: فلما صارت القصيدة إلى ابن أبي دواد ذكرها للمتوكل، وأنشده البيتين فأمره بإحضاره، فقال: هو باليمامة، كان الواثق نفاه لمودته
لأمير المؤمنين قال: يحمل، قال: عليه دين، قال: كم هو؟ قال:
سنة آلاف دينار، قال: يعطاها، فأعطي وحمل من اليمامة، فصار إلى سامرا، وامتدح المتوكل بقصيدة يقول فيها:
رحل الشباب وليته لم يرحل ... والشيب حل وليته لم يحل
فلما صار إلى هذين البيتين من القصيدة:
كانت خلافة جعفر كنبوة ... جاءت بلا طلب ولا بتحل
وهب الإله له الخلافة مثل ما ... وهب النبوة للنبي المرسل
أمر له بخمسين ألف درهم.
وذكر عن أبي يحيى بن مروان بن محمد الشني الكلبي، قال: أخبرني أبو السمط مروان بن أبي الجنوب، قال: لما صرت إلى أمير المؤمنين المتوكل على الله مدحت ولاية العهد، وأنشدته:
سقى الله نجدا والسلام على نجد ... ويا حبذا نجد على النأي والبعد!
نظرت إلى نجد وبغداد دونها ... لعلني أرى نجدا وهيات من نجد!
ونجد بها قوم هواهم زيارتي ... ولا شيء أحلى من زيارتهم عندي
قال: فلما استتممت إنشادها، أمر لي بعشرين ومائة ألف درهم وخمسين ثوبا وثلاثة من الظهر: فرس وبغلة وحمار، فما برحت حتى قلت في شكره:
تخير رب الناس للناس جعفرا ... فملكه أمر العباد تخيرا
قال: فلما صرت إلى هذا البيت:
فأمسك ندى كفيك عني ولا تزد ... فقد خفت أن أطغى وأن أتجبرا
قال: لا والله، لا أمسك حتى أعرفك بجودي، ولا برحت حتى تسأل حاجة، قلت: يا أمير المؤمنين، الضيعة التي أمرت بإقطاعي إياها باليمامة، ذكر ابن المدير أنها وقف من المعتصم على ولده، ولا يجوز إقطاعها قال:
فإني أقبلكها بدرهم في السنة مائة سنة، قلت: لا يحسن يا أمير المؤمنين أن يؤدي درهم في الديوان، قال: فقال ابن المدير: فالف درهم؟ فقلت:
نعم، فأفذه لي ولعقبتي، ثم قال: ليس هذه حاجة، هذه قبالة، قلت: فضياعي التي كانت لي كان الواثق أمر بإقطاعي إياها، فنفاني ابن الزيات، وحال بيني وبينها، فتنفذه لي فأمر بإنفاذها بمائة درهم في السنة وهي السيوح

وذكر عن أبي حشيشة أنه كان يقول: كان المأمون يقول: إن الخليفة بعدي في اسمه عين، فكان يظن أنه العباس ابنه فكان المعتصم، وكان يقول: وبعده هاء، فيظن أنه هارون، فكان الواثق، وكان يقول: وبعده اصفر الساقين، فكان يظن أنه أبو الحائز العباس فكان المتوكل ذلك، فلقد رأيته إذا جلس على السرير يكشف ساقيه، فكانا أصفرين، كأنما صبغا بزعفران.

وذكر عن يحيى بن أكرم، أنه قال: حضرت المتوكل، فجرى بيني وبينه ذكر المأمون وكتبه إلى الحسن بن سهل، فقلت بتفضيله وتقريضه ووصف محاسنه وعلمه ومعرفته ونباهته قولاً كثيراً، لم يقع بموافقة بعض من حضر، فقال المتوكل: كيف كان يقول في القرآن؟ قلت: كان يقول: ما مع القرآن حاجة إلى علم فرض، ولا مع سنه الرسول ص وحشة إلى فعل أحد، ولا مع البيان والإفهام حجة لتعلم، ولا بعد الجود للبرهان والحق إلا السيف لظهور الحجة فقال له المتوكل: لم أرد منك ما ذهبت إليه من هذا المعنى، قال له يحيى: القول بالمحسن في المغيب فريضة على ذي نعمة، قال: فما كان يقول خلال حديثه، فإن المعتصم بالله يرحمه الله كان يقوله، وقد أنسيته؟ فقال: كان يقول: اللهم إني أحمدك على النعم التي لا يحصيها أحد غيرك، وأستغفرك من الذنوب التي لا يحيط بها إلا عفوك.

قال: فما كان يقول إذا استحسّن شيئاً أو بشر بشيء، فقد كان المعتصم بالله أمر علي بن يزداد أن يكتبه لنا، فكتبه فعلناه ثم أنسيناه؟ قال: كان يقول: إن ذكر آلاء الله ونشرها وتعداد نعمه والحديث بها فرض من الله على أهلها، وطاعة لأمره فيها، وشكر له عليها، فالحمد لله العظيم الآلاء، السابغ النعماء بما هو أهله، ومستوجه من محامده القاضية حقه، البالغة شكره، الموجبة مزیده على ما لا يحصيه تعدادنا، ولا يحيط به ذكرنا، من ترادف مننه، ونتاج فضله، ودوام طوله، حمد من يعلم أن ذلك منه، والشكر له عليه فقال المتوكل: صدقت، هذا هو الكلام بعينه، وهذا كله حكم من ذي حكمة وعلم، وانقضى المجلس

٩٠٢٩٠٣ خلافة المنتصر محمد بن جعفر

وقدم في هذه السنة محمد بن عبد الله بن طاهر بغداد منصرفاً من مكة في صفر، فشكا ما ناله من الغم بما وقع من الخلاف في يوم النحر، فأمر المتوكل بإفاد خريطة صفراء من الباب إلى أهل الموسم برؤية هلال ذي الحجة، وأن يسار بها كما يسار بالخريطة الواردة بسلامة الموسم، وأمر أن يقام على المشعر الحرام وسائر المشاعر الشمع مكان الزيت والنفط.

وفيها ماتت أم المتوكل بالجعفرية لست خلون من شهر ربيع الآخر وصلى عليها المنتصر، ودفنت عند المسجد الجامع . خلافة المنتصر محمد بن جعفر

وفيها بويج للمنتصر محمد بن جعفر بالخلافة في يوم الأربعاء لأربع خلون من شوال- وقيل لثلاث خلون منه- وهو ابن خمس وعشرين سنة وكنيته أبو جعفر بالجعفرية، فأقام بها بعد ما بويج له عشرة أيام، ثم تحول منه بعياله وقواده وجنوده إلى سامرا. وكان قد بايعه ليلة الأربعاء الذين ذكرناهم قبل، فذكر عن بعضهم، أنه قال: لما كان صبيحة يوم الأربعاء، حضر الناس الجعفرية من القواد والكتاب والوجوه والشاكرية والجنود وغيرهم، فقرأ عليهم أحمد بن الخصيب كتاباً يخبر فيه عن أمير المؤمنين المنتصر، أن الفتح بن خاقان قتل أباه جعفراً المتوكل، فقتله به، فبايع الناس، وحضر عبيد الله بن يحيى بن خاقان، فبايع وانصرف.

وذكر عن أبي عثمان سعيد الصغير أنه قال: لما كانت الليلة التي قتل فيها المتوكل، كنا في الدار مع المنتصر، فكان كلما خرج الفتح خرج معه، وكلما رجع قام لقيامه وجلس لجلوسه، وخرج في أثره، وكلما ركب أخذ بركابه، وسوى عليه ثيابه في سرج دابته، وكان اتصل بنا الخبر أن عبيد الله بن يحيى قد أعد له قوماً في طريقه ليغتالوه عند انصرافه، وقد كان

المتوكل أسمع وأحفظه قبل انصرافه، ووثب به، فانصرف على غضب، وانصرفنا معه، فلما صار إلى داره أرسل إلى ندمائه وخاصته- وقد كان واعد الأتراك على قتل المتوكل قبل انصرافه إذا ثمل من النبيذ- قال: فلم ألبث أن جاءني الرسول: أن أحضر فقد جاءت رسل أمير المؤمنين إلى الأمير، وهو على الركوب، فوقع في نفسي ما كان دار بيننا أنهم على اغتيال المنتصر، وأنه إنما يدعى لذلك، فركبت في سلاح وعدة، وصرت إلى باب الأمير، فإذا هم يموجون، وإذا واجن قد جاءه فأخبره أنه قد فرغ من أمره، فركب فلحقته في بعض الطريق وأنا مرعوب، فرأى ما بي، فقال: ليس عليك! إن أمير المؤمنين قد شرب به بعد انصرافنا، فمات رحمه الله.

فأكبرت ذلك، وشق علي، ومضينا وأحمد بن الخصيب وجماعة من القواد معنا حتى دخلنا الحير، وثابتت الأخبار بقتل المتوكل، فأخذت الأبواب، ووكل بها، وقلت: يا أمير المؤمنين، وسلمت عليه بالخلافة، وقلت: لا ينبغي أن نفارقك لموضع الشفقة عليك من مواليك في هذا الوقت، قال:

أجل، فكن أنت من ورائي وسليمان الرومي وألقي مندبل، فجلس عليه، وأحطنا به، وحضر أحمد بن الخصيب وكتابه سعيد بن حميد لأخذ البيعة.

فذكر عن سعيد بن حميد أن أحمد بن الخصيب، قال له: ويلك يا سعيد! معك كلمتان أو ثلاث تأخذ بها البيعة، قلت: نعم، وكلمات وعملت كتاب البيعة، وأخذتها على من حضر وكل من جاء حتى جاء سعيد الكبير، فأرسله إلى المؤيد، وقال لسعيد الصغير: امض أنت إلى المعتز حتى تحضره، قال سعيد الصغير: فقلت: أما ما دمت يا أمير المؤمنين في قلة ممن معك فلا أبرح والله من وراء ظهره، حتى يجتمع الناس.

قال أحمد بن الخصيب: هاهنا من يكفيك، فامض، فقلت: لا أمضي حتى يجتمع من يكفي، فإني الساعة أولى به منك! فلها كثر القواد، وبايعوا، ومضيت وأنا آيس من نفسي، ومعني غلامان، فلها صرت إلى باب أبي نوح، والناس يموجون ويذهبون ويحيئون، وإذا على الباب جمع كبير في سلاح وعدة، فلها أحسوا بي لحقني فارس منهم، فسألني وهو لا يعرفني: من أنت؟

فعميت عليه خبري، وأخبرته أنني من بعض أصحاب الفتح، ومضيت حتى صرت إلى باب المعتز، فلم أجد به أحدا من الحرس والبوابين والمكبرين ولا خلقا من خلق الله حتى صرت إلى الباب الكبير، فدققتة دقا عنيفا مفرطا، فأجبت بعد مدة طويلة، فقيل لي: من هذا؟ فقلت: سعيد الصغير، رسول أمير المؤمنين المنتصر، فضى الرسول، وأبطأ علي، وأحسست بالمنكر وضائق علي الأرض ثم فتح الباب فإذا بييدون الخادم قد خرج، وقال لي: ادخل وأغلق الباب دوني، فقلت: ذهبت والله نفسي، ثم سألتني عن الخبر، فأخبرته أن أمير المؤمنين شرق بكأس شربها ومات من ساعته، وأن الناس قد اجتمعوا وبايعوا المنتصر، وأنه أرسلني إلى الأمير أبي عبد الله المعتز بالله ليحضر البيعة فدخل ثم خرج إلي، فقال: ادخل، فدخلت على المعتز، فقال لي: ويلك يا سعيد! ما الخبر؟ فأخبرته بمثل ما أخبرته به بييدون، وعزيت به وبكيت، وقلت: تحضر يا سيدي، وتكون في أوائل من بايع، فتستدعي بذلك قلب أخيك، فقال لي: ويلك حتى نصبح! فما زلت افثله في الحبل والغارب، ويعينني عليه بييدون الخادم، حتى تهيا للصلاة، ودعا بثيابه فلبسها، وأخرج له دابة، وركب وركبت معه، وأخذت طريقا غير طريق الجادة، وجعلت أحدثه وأسهل الأمر عليه، وأذكره أشياء يعرفها من أخيه، حتى إذا صرنا إلى باب عبيد الله بن يحيى بن خاقان سألتني عنه، فقلت:

هو يأخذ البيعة على الناس، والفتح قد بايع، فيئس حينئذ، وإذا بفارس قد لحق بنا، وصار إلى بييدون الخادم، فساره بشيء لا أعلمه، فصاح به بييدون، فمضى ثم رجع ثلاثا، كل ذلك يرد به بييدون ويصيح به: دعنا، حتى وافينا باب الحير فاستفتحه فقيل لي: من أنت؟ قلت: سعيد الصغير والأمير المعتز، ففتح لي الباب، وصرنا إلى المنتصر، فلها رآه قربه وعانقه وعزاه، وأخذ البيعة عليه، ثم وافى المؤيد مع سعيد الكبير، ففعل به مثل

٩٠٢٩٠٤ أخبار متفرقة

ذلك، وأصبح الناس، وصار المنتصر إلى الجعفري فأمر بدفن المتوكل والفتح، وسكن الناس، فقال سعيد الصغير: ولم أزل أطلب المعتز بالبشرى بخلافة المنتصر وهو محبوب في الدار، حتى وهب لي عشرة آلاف درهم.

[أخبار متفرقة]

وفي هذه السنة خلع المعتز والمؤيد أنفسهما، وظهر خلعهما في القصر الجعفري المحدث وكانت نسخة البيعة التي أخذت للمنتصر: بسم الله الرحمن الرحيم تباعون عبد الله المنتصر بالله أمير المؤمنين بيعة طوع واعتقاد ورضا، ورغبة بإخلاص من سرائركم، وانسراح من

صدوركم، وصدق من نياتكم، لا مكرهين ولا مجبرين، بل مقرين عالمين بما في هذه البيعة وتأكيدها من طاعة الله وتقواه، وإعزاز دين الله وحقه، ومن عموم صلاح عباد الله، واجتماع الكلمة، ولم الشعث، وسكون الدهماء، وأمن العواقب، وعز الأولياء، وقمع الملحدين، على أن محمدا الإمام المنتصر بالله عبد الله وخليفته المفترض عليكم طاعته ومناصحته والوفاء بحقه وعقده، لا تشكون ولا تدهنون، ولا تميلون ولا ترتابون، وعلى السمع له، والطاعة والمسالمة، والنصرة والوفاء والاستقامة، والنصيحة في السر والعلانية، والخفوف والوقوف عند كل ما يأمر به عبد الله الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين، وعلى أنكم أولياء أوليائه، وأعداء أعدائه، من خاص وعام، وأبعد وأقرب، وتمسكون ببيعته بوفاء العقد، وذمة العهد، سرائركم في ذلك مثل علانيتكم، وضمايركم مثل ألسنتكم، راضين بما يرضاه لكم أمير المؤمنين في عاجلكم وآجلكم وعلى إعطائكم أمير المؤمنين بعد تجديدكم بيعته هذه على أنفسكم، وتأكيدهم إياها في أعناقكم، صفقة أيمانكم، راغبين طائعين، عن سلامة من قلوبكم وأهوائكم ونياتكم، وعلى ألا تسعوا في نقض شيء مما أكد الله عليكم، وعلى ألا يميل بكم ميل في ذلك عن نصرته وإخلاص، ونصح وموالاته، وعلى ألا تبدلوا، ولا يرجع منكم راجع عن نيته، وانطوائه إلى غير علانيته، وعلى أن تكون بيعتكم التي أعطيتكم بها ألسنتكم وعهودكم بيعة يطلع الله من قلوبكم على اجتباؤها واعتقادها، وعلى الوفاء بدمته بها، وعلى إخلاصكم في نصرتها وموالاته أهلها، لا يشوب ذلك منكم دغل ولا إدهان ولا احتيال ولا تأول، حتى تلقوا الله، موفين بعهده، ومؤدين حقه عليكم، غير مستشرفين ولا ناكثين، إذ كان الذين يبايعون منكم أمير المؤمنين إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً.

عليكم بذلك وبما أكدت هذه البيعة في أعناقكم، وأعطيتكم بها من صفقة أيمانكم، وبما اشترط عليكم بها من وفاء ونصر، وموالاته واجتهاد ونصح، وعليكم عهد الله، إن عهده كان مسئولا، وذمة الله وذمة رسوله وأشد ما أخذ على أنبيائه ورسله، وعلى أحد من عباده من متأكد وثائقه، أن تسمعوا ما أخذ عليكم في هذه البيعة ولا تبدلوا، وأن تطيعوا ولا تعصوا، وأن تخلصوا ولا ترتابوا، وأن تمسكوا بما عاهدتم عليه تمسك أهل الطاعة بطاعتهم وذوي العهد والوفاء بوفائهم وحققهم، لا يلفتكم عن ذلك هوى ولا ميل، ولا يزيغ بكم فيه ضلال عن هدى، باذلين في ذلك أنفسكم واجتهادكم، ومقدمين فيه حق الدين والطاعة بما جعلتم على أنفسكم، لا يقبل الله منكم في هذه البيعة إلا الوفاء بها.

فمن نكث منكم ممن بايع أمير المؤمنين هذه البيعة عما أكد عليه مسرا أو معلنا، أو مصرحا أو محتالا، فأدهن فيما أعطى الله من نفسه، وفيما أخذت به موثيق أمير المؤمنين، وعهود الله عليه، مستعملا في ذلك الهوينى دون الجد، والركون إلى الباطل دون نصرته الحق، وزاغ عن السبيل التي يعتصم بها أولو الوفاء منهم بعهودهم، فكل ما يملك كل واحد ممن خان في ذلك بشيء نقض عهده من مال أو عقار أو سائمة، أو زرع أو ضرع صدقة على المساكين في وجوه سبيل الله، محرم عليه أن يرجع شيء من ذلك إلى ماله عن حيلة يقدمها لنفسه أو يحتال بها وما أفاد في بقية عمره من فائدة مال يقل خطرها أو يجلب قدرها، فتلك سبيله إلى أن توافيه منيته، ويأتي عليه أجله، وكل مملوك يملكه اليوم إلى ثلاثين سنة من ذكر أو أنثى أحرار لوجه الله، ونساؤه في يوم يلزمه الحنث، ومن يتزوجه بعدهن إلى ثلاثين سنة طوالق البتة طلاق الحرج والسنة، لا مشنوية فيه ولا رجعة وعليه المشي إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجة، لا يقبل الله منه إلا الوفاء بها، وهو بريء من الله ورسوله، والله ورسوله منه بريئان، ولا قبل الله منه صرفا ولا عدلا، والله عليكم بذلك شهيد، وكفى بالله شهيدا.

* وذكر أنه لما كانت صبيحة اليوم الذي بويع فيه المنتصر شاع الخبر في الماحوزة- وهي المدينة التي كان جعفر بناها في أهل سامرا- بقتل جعفر، وتوافى الجند والشاكرية بباب العامة بالجعفري وغيرهم من الغوغاء والعوام، وكثر الناس وتسامعوا، وركب بعضهم بعضا، وتكلموا في أمر البيعة، فخرج إليهم عتاب بن عتاب- وقيل: إن الذي خرج إليهم زرافة- فأبلغهم عن المنتصر ما يحبون، فاسمعوه، فدخل إلى المنتصر فأخبره، فخرج وبين يديه جماعة من المغاربة، فصاح بهم: يا كلاب! خذوهم، فحملوا على الناس فدفعوهم إلى الثلاثة الأبواب، فازدحم الناس ووقع بعضهم على بعض، ثم تفرقوا عن عدة قد ماتوا من الزحمة والدوس، فمنهم من ذكر أنهم كانوا ستة نفر، ومنهم من قال: كانوا ما بين الثلاثة إلى الستة.

وفيه ولي المنتصر أبا عمرة أحمد بن سعيد- مولى بني هاشم، بعد البيعة له بيوم- المظالم، فقال قائل:
يا ضيعة الإسلام لما ولي ... مظالم الناس أبو عمره
صير مأمونا على أمة ... وليس مأمونا على بعره
وفي ذي الحجة من هذه السنة أخرج المنتصر علي بن المعتصم من سامرا إلى بغداد ووكل به.
وجج بالناس فيها محمد بن سليمان الزيني.

٩٠٣٠ سنة ثمان وأربعين ومائتين

٩٠٣٠٠١ ذكر غزاه وصيف التركي الروم

ثم دخلت

سنة ثمان وأربعين ومائتين
(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر غزاه وصيف التركي الروم

فمن ذلك ما كان من إغزاه المنتصر وصيفا التركي صائفة أرض الروم.
ذكر الخبر عن سبب ذلك، وما كان في ذلك من وصيف:

ذكر أن السبب في ذلك أنه كان بين أحمد بن الخصيب ووصيف شخاء وتباغض، فلما استخلف المنتصر، وابن الخصيب وزيره، حرض أحمد بن الخصيب المنتصر على وصيف، وأشار عليه بإخراجه من عسكره غازيا إلى الثغر، فلم يزل به حتى أحضره المنتصر، فأمره بالغزو. وقد ذكر عن المنتصر أنه لما عزم على أن يغزي وصيفا الثغر الشامي، قال له أحمد بن الخصيب: ومن يجترئ على الموالي حتى تأمر وصيفا بالشخص! فقال المنتصر لبعض من الحجة: ائذن لمن حضر الدار، فاذن لهم وفيهم وصيف، فأقبل عليه، فقال له: يا وصيف، أأنا عن طاغية الروم أنه أقبل يريد الثغور، وهذا أمر لا يمكن الإمساك عنه، فإما شخصت وإما شخصت، فقال وصيف: بل أشخص يا أمير المؤمنين، قال: يا أحمد، انظر ما يحتاج إليه على أبلغ ما يكون فأقنه له قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: ما نعم! قم الساعة لذلك، يا وصيف مر كاتبك يوافقه على ما يحتاج إليه، ويلزمه حتى يزيح علتك فيه فقام أحمد بن الخصيب، وقام وصيف، فلم يزل في جهازه حتى خرج، فما أفلح ولا أنجح.

وذكر أن المنتصر لما أحضر وصيفا وأمره بالغزو، قال له: إن الطاغية- يعني ملك الروم- قد تحرك، ولست آمنه أن يهلك كل ما يمر به من بلاد

الإسلام، ويقتل ويسبي الذراري، فإذا غزوت وأردت الرجعة انصرفت إلى باب أمير المؤمنين من فورك وأمر جماعة من القواد وغيرهم بالخروج معه وانتخب له الرجال، فكان معه من الشاكرية والجند والموالي زهاء عشرة آلاف رجل، فكان على مقدمته في بدأته مزاحم بن خاقان، أخو الفتاح بن خاقان، وعلى الساقة محمد بن رجاء، وعلى الميمنة السندي بن بختاشة، وعلى الدراجة نصر بن سعيد المغربي، واستعمل على الناس والعسكر أبا عون خليفته، وكان على الشرطة بسامرا.

وكتب المنتصر عند إغزائه وصيفا مولاه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر كآبا نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله محمد المنتصر بالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين.

سلام عليك، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله أما بعد:

فإن الله وله الحمد على آلائه، والشكر بحمائل بلائه، اختار الإسلام وفضله، وأتمه وأكمله، وجعله وسيلة إلى رضاه ومثوبته، وسبيلا نهجا إلى رحمته، وسببا إلى مذخور كرامته، فقهر له من خالفه، وأذل له من عند عن حقه، وابتغى غير سبيله، وخصه بأتم الشرائع وأكملها، وأفضل الأحكام وأعد لها، وبعث به خيرته من خلقه وصفوته من عباده محمدا صلى الله عليه وسلم، وجعل الجهاد أعظم فرائضه منزلة

عنده، وأعلاها رتبة لديه، وأنجحها وسيلة إليه، لأن الله عز وجل أعز دينه، وأذل عتاة الشرك، قال عز وجل أمرا بالجهاد، ومفترضا له: «انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ»، وليست تمضي بالجهاد في سبيل الله حال لا يكابد في الله نصبا ولا أذى، ولا ينفق نفقة ولا يقارع عدوا، ولا يقطع بلدا، ولا يطاء أرضا، إلا وله بذلك امر

مكتوب، وثواب جزيل، وأجر مأمول، قال الله عز وجل: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«ثم أثنى عز وجل بفضل منزلة المجاهدين على القاعدين عنده، وما وعدهم من جزائه ومثوبته، وما لهم من الزلفى عنده، فقال: «لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا» فبالجهاد اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، وجعل جنته ثمنا لهم، ورضوانه جزاء لهم على بذلها، وعدا منه حقا لا ريب فيه، وحكما عدلا لا تبديل له، قال الله عز وجل: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» وحكم الله عز وجل لإحياء المجاهدين بنصره، والفوز برحمته، وأشهد لموتاهم بالحياة الدائمة، والزلفى لديه، والحظ الجزيل من ثوابه، فقال:

«وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ».

«وليس من شيء يتقرب به المؤمنون إلى الله عز وجل من أعمالهم، ويسعون به في حط أوزارهم، وفكك رقابهم، ويستوجبون به الثواب من ربهم، إلا والجهاد عنده أعظم منه منزلة، وأعلى لديه رتبة، وأولى بالفوز في العاجلة والآجلة، لان اهله بذلوا الله أنفسهم، لتكون كلمة الله هي العليا، وسمحوا بها دون من وراءهم من إخوانهم وحریم المسلمين وبيضتهم، ووقوا بجهادهم العدو.

وقد رأى أمير المؤمنين- لما يحبه من التقرب إلى الله بجهاد عدوه، وقضاء حقه عليه فيما استحفظه من دينه، والتاس الزلفى له في إعزاز أوليائه، وإحلال البأس والنقمة بمن حاد عن دينه، وكذب رسله، وفارق طاعته- أن ينهض وصيفا مولى أمير المؤمنين في هذا العام إلى بلاد أعداء الله الكفرة والروم، غازيا لما عرف الله أمير المؤمنين من طاعته ومناصحته ومحمود نقيته وخلوص نيته، في كل ما قربه من الله ومن خليفته.

وقد رأى أمير المؤمنين- والله ولي معونته وتوقيته- أن تكون موافاة وصيف فيمن أنهض أمير المؤمنين معه من مواليه وجنده وشاكرتيه ثغر ملطية لاثنتي عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين، وذلك من شهر العجم للنصف من حزيران ودخوله بلاد أعداء الله في أول يوم من تموز، فاعلم ذلك واكتب إلى عمالك على نواحي عمالك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هذا، ومرهم بقراءته على من قبلهم من المسلمين وترغيبهم في الجهاد، وحثمهم عليه واستنفارهم إليه، وتعريفهم ما جعل الله من الثواب لأهله، ليعمل ذوو النيات والحسبة والرغبة في الجهاد على حسب ذلك في النهوض إلى عدوهم والخوف إلى معاونته وإخوانهم والزيادة عن دينهم والرمي من وراء حوزتهم بموافاة عسكر وصيف مولى أمير المؤمنين ملطية في الوقت الذي حده أمير المؤمنين لهم إن شاء الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب أحمد بن الخصيب لسبع ليال خلون من المحرم سنة ثمان وأربعين

٩٠٣٠٠٢ ذكر خبر خلع المعتز والمؤيد أنفسهما

ومائتين، وصير على ما ذكر على نفقات عسكر وصيف والمغانم والمقاسم المعروف بأبي الوليد الجريري البجلي.

وكتب معه المنتصر كتاباً إلى وصيف يأمره بالمقام ببلاد الثغر إذا هو انصرف من غزاته أربع سنين، يغزو في أوقات الغزو منها إلى أن يأتيه رأي أمير المؤمنين.

ذكر خبر خلع المعتز والمؤيد أنفسهما

وفي هذه السنة خلع المعتز والمؤيد أنفسهما، وأظهر المنتصر خلعهما في القصر الجعفري المحدث.

ذكر الخبر عن خلعهما أنفسهما:

ذكر أن محمداً المنتصر بالله لما استقامت له الأمور، قال أحمد بن الخصيب لوصيف وبغا: إنا لا نأمن الحدثان، وأن يموت أمير المؤمنين، فيلي الأمر المعتز، فلا يبقى منا باقية، ويبعد خضراءنا، والرأي أن نعمل في خلع هذين الغلامين قبل أن يظفروا بنا فجاء الأتراك في ذلك، وألحوا على المنتصر وقالوا: يا أمير المؤمنين، تخلعهما من الخلافة، وتبايع لابنك عبد الوهاب، فلم يزالوا به حتى فعل، ولم يزل مكرما المعتز والمؤيد، على ميل منه شديد إلى المؤيد، فلما كان بعد أربعين يوماً من ولايته، أمر بإحضار المعتز والمؤيد بعد انصرافهما من عنده، فأحضرا وجعلا في دار، فقال المعتز للمؤيد: يا أخي، لم ترانا أحضرنا؟ فقال: يا شقي، للخلع! فقال: لا أظنه يفعل بنا ذلك، فيينا هم كذلك، إذ جاءهم الرسل بالخلع، فقال المؤيد: السمع والطاعة، وقال المعتز:

ما كنت لأفعل، فإن أردتم القتل فشانكم، فرجعوا إليه، فأعلموه ثم عادوا بغلظة شديدة، فأخذوا المعتز بعنف، وأدخلوه إلى بيت، وأغلقوا عليه الباب.

فذكر عن يعقوب بن السكيت، أنه قال: حدثني المؤيد، قال: لما رأيت ذلك قلت لهم بجرأة واستطالة: ما هذا يا كلاب! فقد ضربتم على دمائنا، تثبون على مولاكم هذا الوثوب! اعزبوا قبحكم الله! دعوني اكلمه، فكاعوا

عن جوابي بعد تسرع كان منهم، وأقاموا ساعة، ثم قالوا لي: القه إن أحببت، فظننت أنهم استأمروا، فقامت إليه، فإذا هو في البيت يبكي، فقلت: يا جاهل، تراهم قد نالوا من أبيك - وهو هو - ما نالوا، ثم تمتنع عليهم! اخلع ويلك ولا تراجعهم! قال: سبحان الله! أمر قد مضيت عليه، وجرى في الآفاق أخلعه من عنقي! فقلت: هذا الأمر قتل أباك، فليته لا يقتلك! اخلعه ويلك! فوالله لئن كان في سابق علم الله أن تلي لتلين.

قال: أفعل قال: فخرجت فقلت: قد أجاب، فأعلموا أمير المؤمنين، ففضوا ثم عادوا فجزوني خيراً، ودخل معهم كاتب قد سماه، ومعه دواة وقرطاس، فجلس، ثم أقبل على أبي عبد الله، فقال: اكتب بخطك خلعتك، فتلكتاً، فقلت للكاتب: هات قرطاساً، أملل ما شئت، فأملى علي كتاباً إلى المنتصر، أعلمه فيه ضعفي عن هذا الأمر، وأني علمت أنه لا يحل أن أتقلده، وكرهت أن يأثم المتوكل بسببي إذ لم أكن موضعاً له، وأسأله الخلع، وأعلمه أنني خلعت نفسي، وأحللت الناس من بيعتي فكتبت كل ما أراد، ثم قلت: اكتب يا أبا عبد الله، فامتنع، فقلت: اكتب ويلك! فكتب وخرج الكاتب عنا، ثم دعانا فقلت: نجدد ثيابنا أو نأتي في هذه؟ فقال:

بل جدداً، فدعوت بثياب فلبستها، وفعل أبو عبد الله كذلك، وخرجنا فدخلنا، وهو في مجلسه، والناس على مراتبهم، فسلمنا فردوا، وأمر بالجلوس، ثم قال: هذا كتابكم؟ فسكت المعتز، فبدت فقلت: نعم يا أمير المؤمنين! هذا كتابي بمسألتي ورغبتني، وقلت للمعتز: تكلم، فقال مثل ذلك، ثم أقبل علينا والأتراك وقوف، وقال: أتراني خلعتكما طمعا في أن أعيش حتى يكبر ولدي وأبايع له! والله ما طمعت في ذلك ساعة قط، وإذا لم يكن في ذلك طمع، فوالله لأن يليها بنو أبي أحب إلي من أن يليها بنو عمي، ولكن

هؤلاء - وأما إلى سائر الموالي ممن هو قائم وقاعد - ألحوا علي في خلعتكما، خفت إن لم أفعل أن يعترضكما بعضهم بحديدة، فيأتي عليكما، فما ترياني صانعا! اقتله؟ فوالله ما تفي دماؤهم كلهم بدم بعضكم، فكانت إجابتهم إلى ما سألوها أسهل علي قال: فأبكا عليه، فقبلا يده، فضمهما إليه، ثم انصرفا.

وذكر أنه لما كان يوم السبت لسبع بقين من صفر سنة ثمان وأربعين ومائتين خلع المعتز والمؤيد أنفسهما، وكتب كل واحد منها رقعة بخطه أنه خلع نفسه من البيعة التي بويع له، وأن الناس في حل من حلها ونقضها، وأنهما يعجزان عن القيام بشيء منها، ثم قاما بذلك على رؤوس الناس والأتراك والوجوه والصحابة والقضاة، وجعفر بن عبد الواحد قاضي القضاة، والقواد وبني هاشم، وولاة الدواوين

والشيعة ووجوه الحرس، ومحمد بن عبد الله بن طاهر، ووصيف وبغا الكبير وبغا الصغير، وجميع من حضر دار الخاصة والعامة، ثم انصرف الناس بعد ذلك. والنسخة التي كتبهاها:

بسم الله الرحمن الرحيم: إن أمير المؤمنين المتوكل على الله رضي الله عنه قلدي هذا الأمر، وبائع لي وأنا صغير، من غير إرادتي ومحبي، فلما فهمت أمري علمت أنني لا أقوم بما قلدي، ولا أصلح لخلافة المسلمين، فن كنت بيعتي في عنقه فهو من نقضها في حل، وقد احللتكم منها، وأبرأتكم من أيمانكم، ولا عهد لي في رقابكم ولا عقد، وأنتم براء من ذلك. وكان الذي قرأ الرقاع أحمد بن الخصيب ثم قام كل واحد منهما قائماً، فقال لمن حضر: هذه رقعتي وهذا قولي، فاشهدوا علي، وقد أبرأتكم من

نسخه كتاب المنتصر بالله إلى أبي العباس محمد بن عبد الله

أيمانكم، وحللتكم منها، فقال لهما المنتصر عند ذلك: قد خار الله لكما وللمسلمين، وقام فدخل وكان قد قعد للناس، وأقعدهما بالقرب منه، فكتب كتاباً إلى العمال بخلعهما وذلك في صفر سنة ثمان وأربعين ومائتين.

نسخة كتاب المنتصر بالله إلى أبي العباس محمد بن عبد الله

ابن طاهر مولى أمير المؤمنين في خلع أبي عبد الله المعتز وإبراهيم المؤيد من عبد الله محمد الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين، أما بعد، فإن الله وله الحمد على آلائه، والشكر بحمائل بلائه، جعل ولاية الأمر من خلفائه القائمين بما بعث به رسوله ص والذابين عن دينه، والداعين إلى حقه والممضين لأحكامه، وجعل ما اختصهم به من كرامته قواماً لعباده، وصلاًحاً لبلاده، ورحمة غمر بها خلقه وافترض طاعتهم، ووصلها بطاعته وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وأوجبها في محكم تنزيله، لما جمع فيها من سكون الدهماء، واتساق الأهواء، ولم الشعث، وأمن السبل، ووقم العدو، وحفظ الحريم، وسد الثغور، وانتظام الأمور، فقال: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»، فن الحق على خلفاء الله الذين حباهم بعظيم نعمته، واختصهم بأعلى رتب كرامته، واستحفظهم فيما جعله وسيلة إلى رحمته، وسبباً لرضاه ومثوبته، لأن يؤثروا طاعته في كل حال تصرف بهم، وقيموا حقه في أنفسهم والأقرب فالأقرب منهم، وأن يكون محلهم من الاجتهاد في كل ما قرب من الله عز وجل حسب موقعهم من الدين وولاية أمر المسلمين.

وأمر المؤمنين يسأل الله مسألة رغبة إليه، وتذلاً لعظمته، أن يتولاه فيما استرعاه ولاية يجمع له بها صلاح ما قلده، ويحمل عنه أعباء ما حملة، ويعينه بتوفيقه على طاعته، أنه سميع قريب.

وقد علمت ما حضرت من رفع أبي عبد الله وإبراهيم ابني أمير المؤمنين المتوكل على الله رضي الله عنه إلى أمير المؤمنين رقعتين بخطوطهما، يذكران فيهما ما عرفهما الله من عطف أمير المؤمنين عليهما، ورأفته بهما، وجميل نظره لهما، وما كان أمير المؤمنين المتوكل على الله عقده لأبي عبد الله من ولاية عهد أمير المؤمنين وإبراهيم من ولاية العهد بعد أبي عبد الله وإن ذلك العقد كان وأبو عبد الله طفلاً لم يبلغ ثلاث سنين، ولم يفهم ما عقد له ولا وقف على ما قلده، وإبراهيم صغير لم يبلغ الحلم، ولم يجز أحكامهما ولا جرت أحكام الإسلام عليهما، وإنه قد يجب عليهما إذ بلغا ووقفاً على عجزهما عن القيام بما عقد لهما من العهد، وأسند إليهما من الأعمال أن ينصحا لله ولجماعة المسلمين، بأن يخرجوا من هذا الأمر الذي عقد لهما أنفسهما، ويعتزلا الأعمال التي قلداها، ويجعلا كل من في عنقه لهما بيعة وعليه يمين في حل، إذ كانا لا يقومان بما رشحا له، ولا يصلحان لتقلده، وأن يخرج من كان ضم إليهما ممن في نواحيهما من قواد أمير المؤمنين ومواليه وغلبنه وجنده وشاكريته وجميع من مع أولئك القواد بالحضرة وخراسان وسائر النواحي عن رسومهما، ويزال عنهم جميعاً ذكر الضم إليهما، وأن يكونا سوقاً من سوق المسلمين وعامتهم، ويصفان ما لم يزالا يذكران لأمر المؤمنين من ذلك، ويسألانه فيه،

منذ أفضى الله بخلافته إليه، وانهما قد خلعا أنفسهما من ولاية العهد، وخرجا منها، وجعلا كل من لهما عليه بيعة ويمين من قواد أمير المؤمنين وجميع أوليائه ورعيته، قريهم وبعيدهم، وحاضرهم وغائبهم، في حل وسعة من بيعتهم وأيمانهم، ليخلعوهما كما خلعا أنفسهما. وجعلا لأمر المؤمنين على أنفسهما عهد الله، وأشد ما أخذ على ملائكته وأنبياؤه وعباده من عهد وميثاق، وجميع ما أكده أمير المؤمنين عليهما من الأيمان، بإقامتهما على طاعته ومناصحته وموالاته في السر والعلانية، ويسألان أمير المؤمنين أن يظهر ما فعلاه، وينشره، ويحضر جميع أوليائه، ليسمعوا ذلك منهما طالبين راغبين، طائعين غير مكهرين ولا مجبرين، ويقرأ عليهم الرقعتان اللتان رفعاها بخطوطهما، بما ذكرنا من وقوع الأمر لهما من ولاية العهد، وهما صبيان، وخلعهما أنفسهما بعد بلوغهما، وما سألا من صرفهما عن الأعمال التي يتوليانها وإخراج من كان بها ممن ضم إليهما في نواحيهما من قواد أمير المؤمنين وجنده وغلباه وشاكريته وجميع من مع أولئك القواد بالحضرة وخراسان وسائر النواحي عن رسومهما وإزالة ذكر الضم إليهما عنهم، وأن يكتب بالكتاب بذلك إلى جميع عمال النواحي وإن أمير المؤمنين وقف على صدقهما فيما ذكرنا ورفعنا، وتقدم في إحضار جميع إخوته ومن بحضرته من أهل بيته وقواده ومواليه وشيعته ورؤساء جنده وشاكريته وكتابه وقضاته والفقهاء وغيرهم، وسائر أوليائه الذين كانت وقعت البيعة لهما بذلك عليهم وحضر أبو عبد الله وإبراهيم ابنا أمير المؤمنين المتوكل على الله رضي الله عنه، وقرئت رقعتاهما بخطوطهما بحضرتهم، إلى مجلس أمير المؤمنين عليهما وعلى جميع من حضر، وأعادا من القول بعد قراءة الرقعتين مثل الذي كتبنا به ورأى أمير المؤمنين أن يجمع في إجابتهما إلى نشر ما فعلاه وإظهاره، وإمضائه ذلك، قضاء حقوق ثلاثة: منها حق الله عز وجل فيما استحفظه من خلافته، وأوجب عليه من النظر لأوليائه فيما يجمع لهم كلمتهم في يومهم وغدهم، ويؤلف بين قلوبهم ومنها حق الرعية الذين هم ودائع الله عنده حتى يكون المتقلد لأمرهم ممن يراعيهم آناء الليل والنهار بعنايته ونظره وتفقدته وعدله ورأفته، ومن يقوم بأحكام الله في خلقه، ومن يضطلع بثقل السياسة وصواب التدبير ومنها حق أبي عبد الله وإبراهيم فيما يوجهه أمير المؤمنين لهما بأخوتهم وماس رحمهما، لأنهما لو أقاما على ما خرجا منه، لم

يؤمن أن يؤدي ذلك إلى ما يعظم في الدين ضرره، ويعم المسلمين مكروهه، ويرجع عليهما عظيم الوزر فيه، فخلعهما أمير المؤمنين إذ خلعا أنفسهما من ولاية العهد، وخلعهما جميع إخوة أمير المؤمنين ومن بحضرته، من أهل بيته، وخلعهما جميع من حضر من قواد أمير المؤمنين ومواليه وشيعته ورؤساء جنده وشاكريته وكتابه وقضاته والفقهاء وغيرهم من سائر أولياء أمير المؤمنين، الذين كانت أخذت لهما البيعة عليهم وأمر أمير المؤمنين بإنشاء الكتب بذلك إلى جميع العمال، ليتقدموا في العمل بحسب ما فيها، ويخلعوا أبا عبد الله وإبراهيم من ولاية العهد، إذ كانا قد خلعا أنفسهما من ذلك، وحللا الخاص العام، والحاضر والغائب، والداني والقاصي منه، ويسقطوا ذكرهما بولاية العهد، وذكر ما نسبنا إليه من نسب ولاية العهد من المعتز بالله والمؤيد بالله من كتبهم وألفاظهم، والدعاء لهما على المنابر، ويسقطوا كل ما ثبت في دواوينهم من رسومهما القديمة والحديثة الواقعة على من كان مضموما إليهما، ويزيلوا ما على الأعلام والمطارد من ذكرهما، وما سميت به دواب الشاكرية والرابطة من أسمائهما ومهلك من أمير المؤمنين وحالك عنده على حسب ما أخلص الله لأمر المؤمنين من طاعتك ومناصحتك، وموالاتك ومشايعتك، ما أوجب الله لك بسلفك ونفسك، وما عرف الله أمير المؤمنين من طاعتك ويمين نقيبتك، واجتهادك في قضاء الحق وقد أفردك أمير المؤمنين بقيادتك، وإزالة الضم إلى أبي عبد الله عنك وعن في ناحيتك بالحضرة وسائر النواحي.

ولم يجعل أمير المؤمنين بينك وبينه احد يرؤسك، وخرج أمره بذلك إلى ولاية دواوينه.

فاعلم ذلك واكتب إلى عمالك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هذا إليك، وأوعز إليهم في العمل على حسبه إن شاء الله، والسلام

٩٠٣٠٣ ذكر الخبر عن وفاه المنتصر

وكتب أحمد بن الخصب يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثمان وأربعين ومائتين.
ذكر الخبر عن وفاه المنتصر

وفي هذه السنة توفي المنتصر.

ذكر الخبر عن العلة التي كانت فيها وفاته والوقت الذي توفي فيه وقدر المدة التي كانت فيها حياته: فأما العلة التي كانت بها وفاته، فإنه اختلف فيها، فقال بعضهم:

أصابته الذبحة في حلقه يوم الخميس لخمس بقين من شهر ربيع الأول، ومات مع صلاة العصر من يوم الأحد لخمس ليال خلون من شهر ربيع الآخر.

وقيل: توفي يوم السبت وقت العصر لأربع خلون من شهر ربيع الآخر، وإن علته كانت من ورم في معدته، ثم تصعد إلى فؤاده فمات، وإن علته كانت ثلاثة أيام أو نحوها.

وحدثني بعض أصحابنا أنه كان وجد حرارة، فدعا بعض من كان يتطبب له، وأمره بفصده، ففصده بمبضع مسموم، فكان فيه منيته، وإن الطبيب الذي فصده انصرف إلى منزله، وقد وجد حرارة، فدعا تلميذا له، فأمره بفصده ووضع مباضعه بين يديه ليتخير أجودها، وفيها المبضع المسموم الذي فصده به المنتصر، وقد نسيه فلم يجد التلميذ في المباضع التي وضعت بين يديه مبضعا أجود من المبضع المسموم، ففصده به أستاذه وهو لا يعلم أمره، فلما فصده به نظر إليه صاحبه فعلم أنه هالك، فأوصى من ساعته، وهلك من يومه.

وقد ذكر أنه وجد في رأسه علة فقطر ابن الطيفوري في أذنه دهنا، فورم رأسه، وعوجل فمات وقد قيل: إن ابن الطيفوري إنما سمه في محامجه.

قال أبو جعفر: ولم أزل أسمع الناس حين أفضت إليه الخلافة من لدن ولي إلى أن مات يقولون: إنما مدة حياته ستة أشهر، مدة شيرويه ابن كسرى قاتل أبيه، مستفيضا ذلك على ألسن العامة والخاصة.

وذكر عن يسر الخادم، وكان- فيما ذكر- يتولى بيت المال للمنتصر في أيام إمارته، أنه قال: كان المنتصر يوما من الأيام في خلافته نائما في إيوانه، فأنبته وهو يبكي وينتخب، قال: فهبته أن أسأله عن بكائه، ووقفت وراء الباب، فإذا عبد الله بن عمر البازيار قد وافى فسمع نحيبه وشقيقه، فقال لي: ما له؟ ويحك يا يسر! فأعلمته أنه كان نائما فأنبته باكيا، فدنا منه، فقال له: ما لك يا أمير المؤمنين تبكي لا أبكي الله عينك؟! قال:

ادن مني يا عبد الله، فدنا منه فقال له: كنت نائما، فرأيت فيما يرى النائم كأن المتوكل قد جاءني، فقال لي: ويلك يا محمد! قتلتي وظلمتني وغبنتنى في خلافتي، والله لا تمتعت بها بعدي إلا أياما يسيرة، ثم مصيرك إلى النار.

فأنبته، وما أملك عيني ولا جزعي فقال له عبد الله: هذه رؤيا، وهي تصدق وتكذب، بل يعمرك ويسرك الله، فادع الآن بالنبيذ، وخذ في اللهو، ولا تعبأ بالرؤيا قال: ففعل ذلك، وما زال منكسرا إلى أن توفي.

وذكر أن المنتصر كان شاور في قتل أبيه جماعة من الفقهاء، وأعلمهم بمذاهبه، وحكي عنه أمورا قبيحة كرهت ذكرها في الكتاب، فأشاروا عليه بقتله، فكان من أمره ما ذكرنا بعضه.

وذكر عنه أنه لما اشتدت به علته، خرجت إليه أمه فسألته عن حاله، فقال: ذهبت والله مني الدنيا والآخرة.

قال إبراهيم بن جيش: حدثني موسى بن عيسى الكاتب، كاتب عمي يعقوب وابن عمي يزيد، أن المنتصر لما أفضت الخلافة إليه، كان يكثر إذا سكر قتل أبيه المتوكل، ويقول في الاتراك: هؤلاء قتله الخلفاء، ويذكر من ذلك ما تخوفوه، فجعلوا الخادم له ثلاثين ألف دينار على أن يحتال في سمه،

وجعلوا لعل بن طيفور جملة، وكان المنتصر يكثر أكل الكمثرى إذا قدمت إليه الفاكهة، فعمد ابن طيفور إلى كثره كبيره نضيجه، فادخل في رأسها خلاله، ثم سقاها سما، فجعلها الخادم في أعلى الكمثرى الذي قدمه إليه، فلما نظر إليها المنتصر أمره أن يقشرها ويطعمه إياها، فقشرها وقطعها، ثم أعطاه قطعة قطعه حتى أتى عليها، فلما أكلها وجد قتره، فقال لابن طيفور: أجد حراره، فقال: يا أمير المؤمنين، احتجم تبراً من عله الدم، وقدر أنه إذ خرج الدم قوى عليه السم فحجم فحم، وغلظت علته عليه فتخوف هو والاتراك أن تطول علته، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن الحجامه لم يكن فيها ما قدرنا في عافيتك، وتحتاج إلى الفصد، فانه انجح لما تريد، فقال: افعل، ففصده بمبضع مسموم، ودهش، فالتقاء في مباضعه- وكان أحدها وأجودها ثم إن علي بن طيفور، وجد حراره، فدعا تلميذا له ليفصده، فنظر في المباضع فلم يجد أحدا منه، ولا أخير ففصده، فكانت منيته فيه.

وذكر عن ابن دهقانه أنه قال: كنا في مجلس المنتصر يوما بعد ما قتل المتوكل، فتحدث المسدود الطنبوري بحديث، فقال المنتصر: متى كان هذا؟

فقال: ليلة لا ناه ولا زاجر، فأحفظ ذلك المنتصر.

وذكر عن سعيد بن سلمة النصراني أنه قال: خرج علينا أحمد بن الخصيب مسرورا يذكر أن أمير المؤمنين المنتصر رأى في ليلة في المنام، أنه صعد درجة حتى انتهى إلى خمس وعشرين مرقة منها، فقيل له:

هذا ملكك، وبلغ الخبر ابن المنجم، فدخل عليه محمد بن موسى وعلي بن يحيى المنجم مهئين له بالرؤيا، فقال: لم يكن الأمر على ما ذكر لكم أحمد ابن الخصيب، ولكنني حين بلغت آخر المراقي، قيل لي: قف فهذا آخر عمرك، واغتم لذلك غما شديدا، فعاش بعد ذلك أياما تامة سنة، ثم مات وهو ابن خمس وعشرين سنة وقيل: توفي وهو ابن خمس وعشرين سنة. وستة أشهر وقيل: بل كان عمره أربعاً وعشرين سنة، وكانت مدة خلافته ستة أشهر

٩٠٣٠٠٤ ذكر بعض سيره

في قول بعضهم ويومين.

وقيل: كانت ستة أشهر سواء.

وقيل: كانت مائة يوم وتسعة وسبعين يوما.

وكان وفاته بسامرا بالقصر المحدث، بعد أن أظهر في إخوته ما أظهر بأربع وأربعين ليلة، وذكر أنه لما حضرته الوفاة قال:

فما فرحت نفسي بدنيا أخذتها ... ولكن إلى الرب الكريم أصير

وصلى عليه أحمد بن محمد بن محمد بن المعتصم بسامرا، وبها كان مولده.

وكان أعين أقنى قصيرا جيد البضعة وكان - فيما ذكر - مهيبا.

وهو أول خليفة من بني العباس - فيما بعد - عرف قبره.

وذلك أن أمه طلبت إظهار قبره وكانت كنيته أبا جعفر واسم أمه حبشية وهي أم ولد رومية

. ذكر بعض سيره

ذكر أن المنتصر لما ولي الخلافة كان أول شيء أحدث من الأمور عزل صالح عن المدينة وتوليه علي بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد إياها، فذكر عن علي بن الحسين، أنه قال: دخلت عليه أودعه، فقال لي:

يا علي، إني أوجهك إلى لحي ودمي - ومد جلد ساعده - وقال: إلى هذا وجهتك، فانظر كيف تكون للقوم، وكيف تعاملهم! يعني آل

أبي طالب، فقلت: أرجو أن أمثل رأي أمير المؤمنين أيده الله فيهم إن شاء الله، فقال: إذا تسعد بذلك عندي وذكر عن محمد بن

هارون، كاتب محمد بن علي برد الخيار وخليفته على ديوان ضياع إبراهيم المؤيد، أنه أصيب مقتولا على فراشه، به عدة ضربات

بالسيف، فأحضر ولده خادما أسود كان له ووصيفا، ذكر أن الوصيف أقر على الأسود، فأدخل على المنتصر، وأحضر جعفر بن عبد

الواحد، فسئل عن قتله مولاه، فأقر به، ووصف فعله به وسبب قتله إياه، فقال له المنتصر: ويلك! لم قتله؟ فقال له الأسود: لما قتلت

أنت أباك المتوكل! فسأل الفقهاء في أمره، فأشاروا بقتله، ف ضرب عنقه وصلبه، عند خشبة بابك ٤ وفي هذه السنة حكم محمد بن عمرو

الشاري، وخرج بناحية الموصل، فوجه إليه المنتصر إسحاق بن ثابت الفرغاني، فأخذه أسيرا مع عدة من أصحابه، فقتلوا وصلبوا ٣٤ وفيها

تحرك يعقوب بن الليث الصفار من سجستان، فصار إلى هراة.

وذكر عن أحمد بن عبد الله بن صالح صاحب المصلى أنه قال: كان لأبي مؤذن، فرآه بعض أهلنا في المنام كأنه أذن أذانا لبعض

الصلوات، ثم دنا من بيت فيه المنتصر، فنادى: يا محمد، يا منتصر، إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِرْصَادٍ.

وذكر عن بنان المغني - وكان فيما قيل أخص الناس بالمنتصر في حياة أبيه وبعد ما ولي الخلافة - أنه قال: سألت المنتصر أن يهب لي

ثوب ديباج وهو خليفة، فقال: أو خير لك من الثوب الديباج؟ قلت: وما هو؟ قال:

تتارض حتى أعودك، فإنه سيهدى لك أكثر من الثوب الديباج، قال: فمات في تلك الأيام، ولم يهب لي شيئا.

وفي هذه السنة بوع بالخلافة أحمد بن محمد بن المعتصم.

٩٠٣٠٠٥ خلافة أحمد بن محمد بن المعتصم وهو المستعين ويكنى أبا العباس

خلافة أحمد بن محمد بن المعتصم وهو المستعين ويكنى أبا العباس

ذكر الخبر عن سبب ولايته والوقت الذي بوع له فيه:

ذكر أن المنتصر لما توفي، وذلك يوم السبت عند العصر لأربع خلون من شهر ربيع الآخر من سنة ثمان وأربعين ومائتين، اجتمع الموالي إلى الهاروني يوم الأحد، وفيهم بغا الصغير وبغا الكبير أوتامش ومن معهم، فاستحلفوا قواد الأتراك والمغاربة والأشروسنية- وكان الذي يستحلفهم على بن الحسين ابن عبد الأعلى الإسكافي كاتب بغا الكبير- على أن يرضوا بمن يرضى به بغا الصغير وبغا الكبير أوتامش، وذلك بتدبير أحمد بن الخصيب، فحلف القوم وتشاوروا بينهم، وكرهوا أن يتولى الخلافة أحد من ولد المتوكل، لقتلهم أباه، وخوفهم أن يغتالهم من يتولى الخلافة منهم، فأجمع أحمد بن الخصيب ومن حضر من الموالي على أحمد بن محمد بن المعتصم، فقالوا: لا نخرج الخلافة من ولد مولانا المعتصم، وقد كانوا قبله ذكروا جماعة من بني هاشم، فبايعوه وقت العشاء الآخرة من ليلة الاثنين، ليست خلون من شهر ربيع الآخر من السنة، وهو ابن ثمان وعشرين سنة، ويكنى أبا العباس.

فاستكتب أحمد بن الخصيب، واستوزر أوتامش فلما كان يوم الاثنين لست خلون من شهر ربيع الآخر صار إلى دار العامة من طريق العمري بين البساتين، وقد ألبسوه الطويلة وزي الخلافة، وحمل إبراهيم بن إسحاق بين يديه الحربة قبل طلوع الشمس، ووافى واجن الأشروسني باب العامة من طريق الشارع على بيت المال، فصف أصحابه صفين، وقام في الصف هو وعدة من وجوه أصحابه، وحضر الدار أصحاب المراتب من ولد المتوكل والعباسيين والطلبين وغيرهم ممن لهم مرتبه، فبينما هم كذلك، وقد مضى من النهار ساعة ونصف، جاءت صيحة من ناحية الشارع والسوق، فإذا نحو من خمسين فارسا من الشاكرية، ذكروا أنهم من أصحاب أبي العباس محمد بن عبد الله، ومعهم قوم من فرسان طبرية وأخلاط من الناس ومعهم من الغوغاء والسوقة نحو من ألف رجل، فشهروا السلاح، وصاحوا:

يا معتزيا منصور، وشدوا على صفي الأشروسنية اللذين صفهما واجن، فتضعضوا، وانضم بعضهم إلى بعض، ونفر من على باب العامة من المبيضة مع الشاكرية، فكثروا، فشد عليهم المغاربة والأشروسنية، فهزمهم حتى أدخلوهم الدرب الكبير المعروف بزرافة وعزّون وحمل قوم منهم على المعتزية، فكشفوهم، حتى جاوزوا بهم دار أخي عزّون بن إسماعيل وهم في مضيق الطريق، فوقف المعتزية هنالك، ورمى الأشروسنية عدة منهم بالنشاب، وضربوهم بالسيوف، ونشبت الحرب بينهم، وأقبلت المعتزية والغوغاء يكبرون، فوقعت بينهم قتلى كثيرة، إلى أن مضى من النهار ثلاث ساعات ثم انصرف الأتراك وقد بايعوا أحمد بن محمد بن المعتصم، وانصرفوا مما يلي العمري والبساتين، وأخذ الموالي قبل انصرافهم البيعة على من حضر الدار من الهاشميين وغيرهم وأصحاب المراتب وخرج المستعين من باب العامة منصرفا إلى الهاروني، فبات هنالك ومضى الأشروسنية إلى الهاروني، وقد قتل من الفريقين عدد كثير، ودخل قوم من الأشروسنية دورا، فظفرت بهم الغوغاء، فأخذوا دروعهم وسلاحهم وجواشئهم ودوابهم، ودخل الغوغاء والمنتبهة دار العامة منصرفين إلى الهاروني، فانتهبوا الخزانة التي فيها السلاح والدروع والجواشئ والجمع المغربية وأكثرها منها، وربما مر أحدهم بالجواشئ والحراب فأكثر، وانتهبوا في دار أرمش ابن أبي أيوب بحضرة أصحاب الفقاع ترأس خيزران وقنا بلا أسنة، فكثرت الرماح والتراس في أيدي الغوغاء وأصحاب الحمامات وغلبلان الباقي، ثم جاءتهم جماعة من الأتراك منهم بغا الصغير من درب زرافة، فاحلّوهم من الخزانة، وقتلوا منهم عدة، وأمسكوا قليلا ثم انصرف الفريقان، وقد كثرت القتلى بينهم، وأقبل الغوغاء لا يمر أحد من الأتراك من أسفل سامرا يريد باب العامة إلا انتهبوا سلاحه، وقتلوا جماعة منهم عند دار مبارك المغربي، وعند دار حبش

أخي يعقوب قوصرة في شوارع سامرا، وعامة من انتهب- فيما ذكر- هذا السلاح أصحاب الفقاع والناطف وأصحاب الحمامات والسقاءون

وغوغاء الأسواق، فلم يزل ذلك أمرهم إلى نصف النهار، وتحرك أهل السجن بسامرا في هذا اليوم، فهرب منهم جماعة، ثم وضع العطاء على البيعة، وبعث بكتاب البيعة إلى محمد بن عبد الله بن طاهر في اليوم الذي يبيع له فيه، وكان وصوله إلى محمد في اليوم الثاني، ووافى به أخ لأتامش ومحمد بن عبد الله في نزهة له، فوجه الحاجب إليه، وأعلمه مكانه، فرجع من ساعته، وبعث إلى الهاشميين والقواد والجند، ووضع لهم الأرزاق وورد في هذه السنة على المستعين وفاة طاهر بن عبد الله بن طاهر بخراسان في رجب، فعقد المستعين لابنه محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر على خراسان، ولمحمد بن عبد الله على العراق، وجعل إليه الحرمين والشرطة ومعاون السواد برأسه وأفرده به، وعقد في الجوسق لمحمد بن طاهر بن عبد الله ابن طاهر على خراسان والاعمال المضمومة إليها خاصة يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان.

ومرض بغا الكبير في جمادى الآخرة، فعاده المستعين في النصف منها، ومات بغا من يومه، فعقد لموسى ابنه على أعماله وعلى أعمال أبيه كلها وولي ديوان البريد.

وفي هذه السنة وجه انوجو التركي إلى أبي العمود الثعلبي، فقتله يوم السبت بكفرتوتى لخمس بقين من شهر ربيع الآخر.

وفيها خرج عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى الحج، فوجه خلفه رسول من الشيعة اسمه شعيب بنفیه إلى برقة، ومنعه من الحج. وفيها ابتاع المستعين من المعتز والمؤيد في جمادى الأولى منها جميع ما كان لهما، خلا شيئا استثنى منه المعتز قيمته مائة ألف دينار، وأخذ له ولإبراهيم غلة بثمانين ألف دينار في السنة، فلما كان يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت

من رمضان ابتاع من المعتز والمؤيد جميع ما لهما من الدور والمنازل والضياع والقصور والفرش والآلة وغير ذلك بعشرين ألف دينار، وأشهدا عليهما بذلك الشهود والعدول والقضاة وغيرهم وقيل: ابتاع ما لهما من الضياع وترك إلى أبي عبد الله ما يكون غلته من العين في السنة عشرين ألف دينار، ولإبراهيم ما تبلغ قيمة غلته في السنة خمسة آلاف دينار، فكان ما ابتاع من أبي عبد الله بعشرة آلاف ألف دينار وعشر حبات لؤلؤ، ومن إبراهيم بثلاثة آلاف ألف درهم وثلاث حبات لؤلؤ، وأشهدا عليهما بذلك الفقهاء والقضاة وكان الشراء باسم الحسن بن مخلد للمستعين، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين وحبسوا في حجرة الجوسق، ووكّل بهما، وجعل أمرهما إلى بغا الصغير، وكان الأتراك قد أرادوا حين شغب الغوغاء والشاكرية قتلتهما، فنعمهم من ذلك أحمد بن الخصيب، وقال: ليس لهما ذنب ولا المشغبة من أصحابهما، وإنما المشغبة من أصحاب ابن طاهر، ولكن احبسوهما فحبسا.

وفيها غضب الموالي على أحمد بن الخصيب، وذلك في جمادى الأولى منها، واستصفي ماله ومال ولده، ونفي إلى أقرطش.

وفيها صرف علي بن يحيى عن الثغور الشامية، وعقد له على أرمينية وأذربيجان في شهر رمضان من هذه السنة.

وفيها شغب أهل حمص على كيدر بن عبيد الله عامل المستعين عليها فأخرجوه منها، فوجه إليهم الفضل بن قارن، ففكر بهم حتى أخذهم، وقتل منهم خلقا كثيرا، وحمل منهم مائة رجل من عيونهم إلى سامرا، وهدم سورهم.

وفيها غزا الصائفة وصيف، وكان مقيما بالثغر الشامي حتى ورد عليه موت

المنتصر، ثم دخل بلاد الروم، فافتتح حصنا يقال له فروريه، وعقد المستعين فيها لاوتامش على مصر والمغرب واتخذ وزيراً. وفيها عقد لبغا الشرايبي على حلوان وماسبذان ومهرجاندق، وصير المستعين شاهك الخادم على داره وكراعه وحرمة وخزائنه وخاص أموره، وقدمه اوتامش على جميع الناس.

وجج بالناس في هذه السنة محمد بن سليمان الزيني.

٩٠٣١ سنة تسع وأربعين ومائتين

٩٠٣١٠١ ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

٩٠٣١٠٢ خبر قتل علي بن يحيى الأرمني

٩٠٣١٠٣ شغب الجند والساكريه ببغداد

ثم دخلت

سنة تسع وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك غزو جعفر بن دينار الصائفة، فافتتح حصنا ومطامير، واستأذنه عمر بن عبيد الله الأقطع في المصير إلى ناحية من بلاد الروم، فأذن له، فسار ومعه خلق كثير من أهل ملطية، فلقه الملك في جمع من الروم عظيم بموضع، يقال له أرز من مرج الأسقف، فخاربه بمن معه محاربة شديدة، قتل فيها خلق كثير من الفريقين، ثم أحاطت به الروم وهم خمسون ألفا، فقتل عمر وألفا رجل من المسلمين، وذلك في يوم الجمعة للنصف من رجب.

خبر قتل علي بن يحيى الأرمني

وفيه قتل علي بن يحيى الأرمني.

ذكر الخبر عن سبب قتله:

ذكر أن الروم لما قتل عمر بن عبيد الله، خرجوا إلى الثغور الجزرية، وكتبوا عليها وعلى حرم المسلمين بها، فبلغ ذلك علي بن يحيى وهو قافل من أرمينية إلى ميفارقين، فنفر إليهم في جماعة من أهل ميفارقين والسلسلة، فقتل في نحو من أربعمئة رجل، وذلك في شهر رمضان.

شغب الجند والساكريه ببغداد

وشغب الجند والساكريه ببغداد في هذه السنة في أول يوم من صفر

ذكر الخبر عن السبب في ذلك:

وكان السبب في ذلك أن الخبر لما اتصل بأهل مدينة السلام وسامرا وسائر ما قرب منهما من مدن الإسلام بمقتل عمر بن عبيد الله الأقطع وعلي بن يحيى الأرمني - وكانا نابين من أنياب المسلمين، شديدا بأسهما، عظيما غناؤهما عنهم في الثغور التي هما بها - شق ذلك عليهم، وعظم مقتلهما في صدورهم، مع قرب مقتل أحدهما من مقتل الآخر، ومع ما لحقهم من استفظاعهم من الأتراك قتل المتوكل واستيلائهم على أمور المسلمين، وقتلهم من أرادوا قتله من الخلفاء، واستخلافهم من أحبوا استخلافه من غير رجوع منهم إلى ديانة، ولا نظر للمسلمين، فاجتمعت العامة ببغداد بالصراخ والنداء بالنفير، وانضمت إليها الأبناء والساكريه تظهر أنها تطلب الأرزاق، وذلك أول يوم من صفر، ففتحوا سجن نصر بن مالك، وأخرجوا من فيه وفي القنطرة بباب الجسر، وكان فيها جماعة - فيما ذكر - من رفوف خراسان والصعاليك من أهل الجبال والحمره وغيرهم، وقطعوا أحد الجسرين وضربوا الآخر بالنار، وانحدرت سفنه، وانتهب ديوان قصص الحبسين، وقطعت الدفاتر، وألقيت في الماء، وانتهبوا دار بشر وإبراهيم ابني هارون النصرانيين كاتب محمد بن عبد الله، وذلك كله بالجانب الشرقي من بغداد وكان والي الجانب الشرقي حينئذ أحمد بن محمد بن خالد بن هرثمة ثم أخرج أهل اليسار من أهل بغداد وسامرا أموالا كثيرة من أموالهم، فقتلوا من خف للنهوض إلى الثغور لحرب الروم بذلك، وأقبلت العامة من نواحي الجبل وفارس والأهواز وغيرها لغزو الروم، فلم يبلغنا أنه كان للسلطان فيما كان من الروم إلى المسلمين من ذلك تغيير، ولا توجيه جيش إليهم لحربهم في تلك الأيام.

ولتسع بقين من شهر ربيع الأول، وثب نفر من الناس لا يدري من هم يوم الجمعة بسامرا، ففتحوا السجن بها، وأخرجوا من فيه، فوجه في طلب النفر الذين فعلوا ذلك زرافة في جماعة من الموالي، فوثبت بهم العامة فهزموهم، ثم ركب في ذلك

٩٠٣١٠٤ ذكر خبر قتل اوتامش وكتابه

اوتامش ووصيف وبغا وعامة الأتراك، فقتلوا من العامة جماعة، وألقي على وصيف- فيما ذكر لي- قدر مطبوخ، ويقال: بل رماه قوم من العامة عند السريجه بحجر، فأمر وصيف النفاطين، فقتلوا ما هنالك من حوانيت التجار ومنازل الناس بالنار، فأنا رأيت ذلك الموضع محترقا، وذلك بسامرا عند دار إسحاق.

وذكر أن المغاربة انتهت منازل جماعة من العامة في ذلك اليوم، ثم سكن الأمر في آخر ذلك اليوم، وعزل بسبب ما كان من العامة والنفر الذين ذكرت في ذلك اليوم من الحركة، أحمد بن جميل عما كان إليه من المعونة بسامرا، وولى مكانه ابراهيم بن سهل الدارج . ذكر خبر قتل اوتامش وكتابه

وفي هذه السنة قتل اوتامش وكتابه شجاع بن القاسم، وذلك يوم السبت لأربع عشرة خلون من شهر ربيع الآخر منها. ذكر الخبر عن سبب مقتله:

ذكر أن المستعين لما أفضت إليه الخلافة، اطلق يد اوتامش وشاهك الخادم في بيوت الأموال، وأباحهما فعل ما أرادا فعله فيها، وفعل ذلك أيضا بأمر نفسه، فلم يمنعها من شيء تريده، وكان كاتبها سلمه بن سعيد النصراني، وكانت الأموال التي ترد على السلطان من الآفاق إنما يصير معظمها إلى هؤلاء الثلاثة الأنفس، فعمد اوتامش إلى ما في بيوت الأموال من الأموال فاكتسحه، وكان المستعين قد جعل ابنه العباس في حجر اوتامش، فكان ما فضل من الأموال عن هؤلاء الثلاثة الأنفس يؤخذ للعباس، فيصرف في نفقاته وأسبابه- وصاحب ديوان ضياعه يومئذ دليل- فاقتطع من ذلك أموالا جلية لنفسه، وجعلت الموالي تنظر إلى الأموال تستهلك، وهم في ضيقة، وجعل اوتامش وهو صاحب المستعين وصاحب أمره، والمستولي عليه ينفذ أمور الخلافة، ووصيف

٩٠٣١٠٥ مقتل على بن الجهم

وبغا من ذلك كله بمعزل، فأغريا الموالي به، ولم يزالا يدبران الأمر عليه حتى احكما التدبير، فتدمرت الاتراك والفراغنه على اوتامش، وخرج إليه منهم يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من هذه السنة أهل الدور والكرخ، فعسكروا وزحفوا إليه وهو في الجوسق مع المستعين.

وبلغه الخبر، فأراد الحرب، فلم يمكنه، واستجار بالمستعين فلم يجره فأقاموا على ذلك من أمرهم يوم الخميس ويوم الجمعة، فلما كان يوم السبت دخلوا الجوسق، فاستخرجوا اوتامش من موضعه الذي توارى فيه، فقتل وقتل كاتبه شجاع بن القاسم، وانتهت دار اوتامش، فأخذ منها- فيما بلغني- أموال جلية ومتاع وفرش وآله.

ولما قتل اوتامش استوزر المستعين أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد، وعزل الفضل بن مروان عن ديوان الخراج، وولى عيسى بن فرخان شاه، وولي وصيف الأهواز، وبغا الصغير فلسطين في شهر ربيع الآخر ثم غضب بغا الصغير وحزبه على أبي صالح بن يزداد، فهرب أبو صالح إلى بغداد في شعبان، وصير المستعين مكانه محمد بن الفضل الجرجاني، فصير ديوان الرسائل إلى سعيد بن حميد رياسة، فقال في ذلك الحمدوني:

ليس السيف سعيد بعد ما ... عاش ذا طمرين لا نوبة له

إن لله لآيات وذا ... آية لله فينا منزله

مقتل على بن الجهم

وفيها قتل علي بن الجهم بن بدر، وكان سبب ذلك أنه توجه من بغداد إلى الثغر، فلما كان بقرب حلب بموضع يقال له خساف، لقيته خيل لكلب، فقتلته، وأخذ الأعراب ما كان معه، فقال وهو في السياق:

أزيد في الليل ليل ... أم سال بالصبح سيل

ذكرت أهل دجيل ... وأين مني دجيل!

وكان منزله في شارع الدجيل.

وفيهما عزل جعفر بن عبد الواحد عن القضاء، ووليه جعفر بن محمد بن عمار البرجمي من أهل الكوفة، وقد قيل إن ذلك في سنة خمسين ومائتين.

وفيهما أصاب أهل الري في ذي الحجة زلزلة شديدة ورجفة تهدمت منها الدور، ومات خلق من أهلها وهرب الباقيون من أهلها من المدينة، فنزلوا خارجها ومطر أهل سامرا يوم الجمعة لخمس بقين من جمادى الأولى، وذلك يوم السادس عشر من تموز مطر جود برعد وبرق، فأطبق الغيم ذلك اليوم، ولم يزل المطر جودا سائلا يومئذ إلى اصفرار الشمس ثم سكن.

وتحركت المغاربة في هذه السنة يوم الخميس لثلاث خلون من جمادى الأولى، وكانوا يجتمعون قرب الجسر بسامرا، ثم تفرقوا يوم الجمعة. وجج بالناس في هذه السنة عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام وهو والي مكة.

٩٠٣٢ سنه خمسين ومائتين

٩٠٣٢٠١ ظهور يحيى بن عمر الطالبي ثم مقتله

ثم دخلت

سنة خمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ظهور يحيى بن عمر الطالبي ثم مقتله

فمن ذلك ما كان من ظهور يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، المكنى بأبي الحسين بالكوفة، وفيها كان مقتله رضي الله عنه.

ذكر الخبر عن سبب ظهوره وما آل إليه أمره:

ذكر أن أبا الحسين يحيى بن عمر - وأمه أم الحسين فاطمة بنت الحسين ابن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب - نالته ضيقة شديدة، ولزمه دين ضاق به ذرعا، فلقي عمر بن فرج - وهو يتولى امر الطالبين - عند مقدمه من خراسان أيام المتوكل، فكله في صلبته، فأغلظ عليه عمر القول، فقذفه يحيى بن عمر في مجلسه، فحبس، فلم يزل محبوبا إلى أن كفل به أهله، فأطلق، فشخص إلى مدينة السلام، فأقام بها بحال سيئة، ثم صار إلى سامرا، فلقي وصيفا في رزق يجري له، فأغلظ له وصيف في القول، وقال: لأي شيء يجري على مثلك! فانصرف عنه.

فذكر ابن أبي طاهر أن ابن الصوفي الطالبي حدثه، أنه أتاه في الليلة التي كان خروجه في صبيحتها، فبات عنده، ولم يعلمه بشيء مما عزم عليه، وأنه عرض عليه الطعام، وتبين فيه أنه جائع، فأبى أن يأكل، وقال:

إن عشنا أكلنا، قال: فتبينت أنه قد عزم على فتكة، وخرج من عندي،

فجعل وجهه إلى الكوفة، وبها أيوب بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان عاملا عليها من قبل محمد بن عبد الله بن طاهر، فجمع يحيى بن عمر جمعا كثيرا من الأعراب، وضوى إليه جماعة من أهل الكوفة، فأتى الفلوجة، فصار إلى قرية تعرف بالعمد، فكتب صاحب البريد بخبره، فكتب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى أيوب بن الحسن وعبد الله بن محمود السرخسي - وكان عامل محمد بن عبد الله على معاون السواد - يأمرهما بالاجتماع على محاربه يحيى بن عمر - وكان على الخراج بالكوفة بدر بن الأصبغ - فضى يحيى بن عمر في سبعة نفر من الفرسان إلى الكوفة فدخلها، وصار إلى بيت مالها، فأخذ ما فيه، والذي وجد فيه ألفا دينار وزيادة شيء، ومن الورق سبعون ألف درهم، وأظهر أمره بالكوفة وفتح السجنين، وأخرج جميع من كان فيهما، وأخرج عمالها عنها، فلقية عبد الله بن محمود السرخسي - وكان في عداد الشاكزية، فضربه يحيى بن عمر ضربة على قصاص شعره في وجهه أثختته، فانهزم ابن محمود مع أصحابه، وحوى يحيى ما كان مع ابن محمود من الدواب والمال ثم خرج يحيى بن عمر من الكوفة إلى سوادها، فصار إلى موضع يقال له بستان - أو قريبا منه - على ثلاثة فراسخ من جنبلأ، ولم يقيم بالكوفة، وتبعته جماعة من الزيدية، واجتمعت على نصرته جماعة من قرب من تلك الناحية من الأعراب وأهل الطفوف والسيب الأسفل، وإلى ظهر واسط ثم أقام بالبستان، فكثرت جمعه، فوجه محمد بن عبد الله لمحاربه

الحسين بن اسماعيل ابن إبراهيم بن مصعب، وضم إليه من ذوي البأس والنجدة من قواده جماعة، مثل خالد بن عمران وعبد الرحمن بن الخطاب المعروف بوجه الفلس، وأبي السناء الغنوي، وعبد الله بن نصر بن حمزة، وسعد الضبابي، ومن الاتحاقية أحمد ابن محمد بن الفضل وجماعة من خاصة الخراسانية وغيرهم.

وشخص الحسين بن إسماعيل، فنزل بإزاء هفندي في وجه يحيى بن عمر، لا يقدم عليه الحسين بن إسماعيل ومن معه، وقصد يحيى نحو البحرية

- وهي قرية بينها وبين قسين خمسة فراسخ، ولو شاء الحسين أن يلحقه لحقه - ثم مضى يحيى بن عمر في شرقي السيب والحسين في غربيه، حتى صار إلى أحمداباذ فعبّر إلى ناحية سورا، وجعل الجند لا يلحقون ضعيفا عجز عن اللحاق يحيى إلا أخذه، وأوقعوه بمن صار إلى يحيى بن عمر من أهل تلك القرى.

وكان أحمد بن الفرّج المعروف بابن الفزاري يتولى معونة السيب لمحمد ابن عبد الله، فحمل ما اجتمع عنده من حاصل السيب قبل دخول يحيى بن عمر أحمداباذ، فلم يظفر به.

ومضى يحيى بن عمر نحو الكوفة، فلقى عبد الرحمن بن الخطاب وجه الفلس، فقاتله بقرب جسر الكوفة قتالا شديدا، فانهزم عبد الرحمن بن الخطاب، وانحاز إلى ناحية شاهي، ووافاه الحسين بن إسماعيل، فحسبها، ودخل يحيى بن عمر الكوفة، واجتمعت إليه الزيدية، ودعا إلى الرضا من آل محمد وكثف أمره، واجتمعت إليه جماعة من الناس وأحبوه، وتولاه العامة من أهل بغداد - ولا يعلم أنهم تولوا من أهل بيته غيره - وبايعه بالكوفة جماعة لهم بصائر وتدير في تشيعهم، ودخل فيهم أخلاط لا ديانة لهم.

وأقام الحسين بن إسماعيل بشاهي، واستراح وأراح أصحابه دوابهم، ورجعت إليهم أنفسهم، وشربوا العذب من ماء الفرات، واتصلت بهم الأمداد والميرة والأموال وأقام يحيى بن عمر بالكوفة يعد العدد، ويطلع السيوف، ويعرض الرجال، ويجمع السلاح.

وإن جماعة من الزيدية ممن لا علم له بالحرب، أشاروا على يحيى بمعالجة الحسين، وألحت عليه عوام أصحابه بمثل ذلك، فزحف إليه من ظهر الكوفة من وراء الخندق ليلة الاثنين لثلاث عشرة خلت من رجب، ومعه الهيزم العجلي، في فرسان من بني عجل وأناس من بني أسد ورجالة من أهل الكوفة ليسوا بذوي علم ولا تدبير ولا شجاعة، فأسروا ليلتهم، ثم صبحوا حسينا وأصحابه - وأصحاب حسين مستريحون ومستعدون - فثاروا إليهم في الغلس

فرموا ساعة، ثم حمل عليهم أصحاب الحسين فانهزموا، ووضع فيهم السيف، فكان أول أسير الهيزم بن العلاء بن جمهور العجلي، فانهزم رجالة أهل الكوفة، وأكثرهم عزل بغير سلاح، وضعفي القوى، خلقان الثياب، فداستهم الخليل، وانكشف العسكر عن يحيى بن عمر، وعليه جوشن تيتي، وقد تقطر به البرذون الذي أخذه من عبد الله بن محمود، فوقف عليه ابن لخالد بن عمران يقال له خير، فلم يعرفه، وظن أنه رجل من أهل خراسان، لما رأى عليه الجوشن، ووقف عليه أيضا أبو الغور بن خالد بن عمران، فقال لخير بن خالد: يا أخي، هذا والله أبو الحسين قد انفرج قلبه، وهو نازل لا يعرف القصة لانفراج قلبه، فأمر خير رجلا من أصحابه المواصلين من العرفاء يقال له محسن بن المنتاب، فنزل إليه فذبجه، وأخذ رأسه وجعله في قوصرة، ووجهه مع عمر بن الخطاب، أخي عبد الرحمن بن الخطاب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر.

وادعى قتله غير واحد، فذكر عن العرس بن عراهم أنهم وجدوه باركا، ووجدوا خاتمه مع رجل يعرف بالعسقلاني مع سيفه، وادعى أنه طعنه وسلبه، وادعى سعد الضبابي أنه قتله.

وذكر عن أبي الحسين خال أبي السناء أنه طعن في الغلس رجلا في ظهره لا يعرفه، فأصابوا في ظهر أبي الحسين طعنة ولا يدري من قتله، لكثرة من ادعاه، وورد الرأس دار محمد بن عبد الله بن طاهر، وقد تغبر، فطلبوا من يقور ذلك اللحم، ويخرج الحدة والغصمة، فلم يوجد، وهرب الجزارون، وطلب ممن في السجن من الحرمية الذباحين من يفعل ذلك فلم يقدم عليه أحد، إلا رجل من عمال السجن الجديد، يقال له سهل بن الصغدي، فإنه تولى إخراج دماغه وعينه وقوره بيديه، وحشي بالصبر والمسك والكافور بعد أن غسل وصير في القطن وذكر أنهم رأوا بجنبه ضربة بالسيف منكرا

ثم إن محمد بن عبد الله بن طاهر أمر بحمل رأسه إلى المستعين من غد اليوم الذي وافاه فيه، وكتب إليه بالفتح بيده، ونصب رأسه

بباب العامة بسامرا، واجتمع الناس لذلك، وكثروا وتذمروا، وتولى إبراهيم الديرج نصبه، لأن إبراهيم بن إسحاق خليفة محمد بن عبد الله أمره فنصبه لحظة، ثم حط، ورد إلى بغداد لينصب بها بباب الجسر، فلم يتهياً ذلك لمحمد بن عبد الله لكثرة من اجتمع من الناس وذكر لمحمد بن عبد الله أنهم على أخذه اجتمعوا، فلم ينصبه، وجعله في صندوق في بيت السلاح في داره، ووجه الحسين ابن إسماعيل بالأسرى ورءوس من قتل معه مع رجل يقال له أحمد بن عصمويه، ممن كان مع إسحاق بن إبراهيم، فكدهم وأجاعهم وأساء بهم، فأمر بهم فحبسوا في سجن الجديد، وكتب فيهم محمد بن عبد الله يسأل الصفح عنهم، فأمر بتخليتهم، وأن تدفن الرءوس ولا تنصب، فدفنت في قصر بباب الذهب.

وذكر عن بعض الطاهرين أنه حضر مجلس محمد بن عبد الله وهو يهناً بمقتل يحيى بن عمرو بالفتح وجماعة من الهاشميين والطلبين وغيرهم حضور، فدخل عليه داود بن القاسم أبو هاشم الجعفري فيمن دخل، فسمعهم يهثونه، فقال: أيها الأمير، إنك لتنهأ بقتل رجل لو كان رسول الله ص حيا لعزي به! فما رد عليه محمد بن عبد الله شيئا، فخرج أبو هاشم الجعفري، وهو يقول:

يا بني طاهر كلوه وبيا... إن لحم النبي غير مري

إن وترا يكون طالبه الله... لو تر نجاحه بالحري

وكان المستعين قد وجه كلباتكين مددا للحسين ومستظهرا به، فلحق حسينا بعد ما هزم القوم وقتل يحيى بن عمر، فضى ومعهم صاحب بريد الكوفة فلقي جماعة ممن كان مع يحيى بن عمر، ومعهم أسوقة وأطعمة يريدون عسكر يحيى، فوضع فيهم السيف فقتلهم، ودخل الكوفة، فأراد أن

٩٠٣٢٠٢ ذكر خبر خروج الحسن بن زيد العلوي

ينبها ويضع السيف في اهلهم، فنعاه الحسين وآمن الأسود والأبيض بها، وأقام أياما ثم انصرف عنها

ذكر خبر خروج الحسن بن زيد العلوي

وفي هذه السنة كان خروج الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب في شهر رمضان منها.

ذكر الخبر عن سبب خروجه:

حدثني جماعة من أهل طبرستان وغيرهم، أن سبب ذلك كان أن محمد بن عبد الله بن طاهر لما جرى على يده ما جرى من قتل يحيى بن عمر، ودخول أصحابه وجيشه الكوفة بعد فراغهم من قتل يحيى، أقطعه المستعين من صوافي السلطان بطبرستان قطائع، وأن من تلك القطائع التي أقطعها قطيعة فيما قرب من ثغري طبرستان مما يلي الديلم، وهما كلار وسالوس، كان بجذائها أرض لأهل تلك الناحية فيها مرافق، منها محتطبهم ومراعي مواشيهم ومسرح سارحتهم، وليس لأحد عليها ملك، وإنما هي صحراء من موتان الأرض، غير أنها ذات غياض وأشجار وكلاً.

فوجه- فيما ذكر لي- محمد بن عبد الله بن طاهر أخا لكاتبه بشر بن هارون النصراني يقال له جابر بن هارون، لحيازة ما أقطع هنالك من الأرض، وعامل طبرستان يومئذ سليمان بن عبد الله خليفة محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر، أخو محمد بن عبد الله بن طاهر، والمستولي على سليمان، والغالب على أمره محمد بن أوس البلخي، وقد فرق محمد بن أوس ولده في مدن طبرستان، وجعلهم ولايتها، وضم إلى كل واحد منهم مدينة منها، وهم أحداث سفهاء، قد تأذى بهم وبسفههم من تحت أيديهم من الرعية واستنكروا منهم ومن والدهم ومن سليمان بن عبد الله سفههم وسيرهم فيهم، وغلظ عليهم سوء

أثرهم فيهم، بقصص يطول الكتاب بشرح أكثرها.

ووتر مع ذلك- فيما ذكر لي- محمد بن أوس الديلم بدخوله إلى ما قرب من بلادهم من حدود طبرستان، وهم أهل سلم وموادعة لأهل طبرستان على اغترار من الديلم بما يلتمس بدخوله إليهم بغارة، فسبى منهم وقتل، ثم انكفأ راجعا إلى طبرستان، فكان ذلك مما زاد أهل

طبرستان عليه حنقا وغيظا، فلما صار رسول محمد بن عبد الله - وهو جابر بن هارون النصراني - إلى طبرستان لحيازة ما أقطعه هنالك محمد، عمد - فيما قيل لي - جابر بن هارون إلى ما أقطع محمد بن عبد الله من صوافي السلطان فخازه، وحاز ما اتصل به من موات الأرض التي يترفق بها أهل تلك الناحية - فيما ذكر - فكان فيما رام حيازته من ذلك الموات الذي بقرب من الثغرين اللذين يسمى أحدهما كلار والآخر سالوس، وكان في تلك الناحية يومئذ رجلان معروفان بالبأس والشجاعة، وكنا مذكورين قديما بضبط تلك الناحية ممن رامها من الديلم، وبإطعام الناس بها وبالإفضال عن من ضوى إليهما، يقال لأحدهما محمد ولآخر جعفر، وهما ابنا رستم أخوان، فأنكرا ما فعل جابر بن هارون من حيازته الموات الذي وصفت أمره، ومانعه ذلك وكان ابنا رستم في تلك الناحية مطاعين فاستنهما من أطاعهما ممن في ناحيتهما لمنع جابر بن هارون من حيازة ما رام حيازته من الموات الذي هو مرفق لأهل تلك الناحية - فيما ذكر - وغير داخل فيما أقطعه صاحبه محمد بن عبد الله، فنهضوا معهما، وهرب جابر بن هارون خوفا على نفسه منهما ومن قد نهض معهما، لإنكار ما رام جابر النصراني فعله فلحق بسليمان بن عبد الله ابن طاهر، وأيقن محمد وجعفر ابنا رستم ومن نهض معهما في منع جابر عما حاول من حيازة ما حاول حيازته من الموات الذي ذكرت بالشر، وذلك أن عامل طبرستان كلها سليمان بن عبد الله، وهو أخو محمد بن عبد الله بن طاهر وعم محمد ابن طاهر بن عبد الله عامل المستعين على خراسان وطبرستان والري والمشرق كله يومئذ

فلما ايقن القوم بذلك، راسلوا جيرانهم من الديلم، وذكروهم وفاءهم لهم بالعهد الذي بينهم وبينهم، وما ركبهم به محمد بن أوس من الغدر والقتل والسي، وأنهم لا يأمنون من ركوبه إياهم بمثل الذي ركبهم به، ويسألونهم مظاهرتهم عليه وعلى من معه، فأعلمهم الديلم أن ما يلي أرضهم من جميع نواحيها من الأرضين والبلاد، إنما عمالها إما عمال لطاهر، وأما عمال من يتخذ آل طاهر إن احتاجوا إلى إنجادهم، وإن ما سألوا من معاونتهم لا سبيل لهم إليه إلا بزوال الخوف عنهم من أن يؤتوا من قبل ظهورهم إذا هم اشتغلوا بحرب من بين أيديهم من عمال سليمان بن عبد الله، فأعلمهم الذين سألوهم المظاهرة على حرب سليمان وعماله أنهم لا يغفلون عن كفايتهم ذلك، حتى يأمنوا مما خافوا منه فأجابهم الديلم إلى ما سألوهم من ذلك، وتعاقدا هم وأهل كلار وسالوس على معاونته بعضهم بعضا على حرب سليمان بن عبد الله وابن أوس وغيرهم ممن قصدهم بحرب.

ثم أرسل ابنا رستم محمد وجعفر - فيما ذكر - إلى رجل من الطالبين المقيمين كانوا يومئذ بطبرستان، يقال له محمد بن إبراهيم، يدعونه إلى البيعة له، فأبى وامتنع عليهم، وقال لهم: لكني أدلكم على رجل منا هو أقوم بما دعوتوه إليه مني، فقالوا: من هو؟ فأخبرهم أنه الحسن بن زيد، ودلهم على منزله ومسكنه بالري فوجه القوم إلى الري عن رسالة محمد بن إبراهيم العلوي إليه من يدعوه إلى الشخص معه إلى طبرستان، فشخص معه إليها، فوافاهم الحسن بن زيد، وقد صارت كلمة الديلم وأهل كلار وسالوس ورويان على بيعته وقتال سليمان بن عبد الله واحدة، فلما وافاهم الحسن بن زيد بايع له ابنا رستم، وجماعة أهل الثغور ورؤساء الديلم: كجاي ولاشام ووهسودان بن جستان، ومن أهل رويان عبد الله بن ونداميد - وكان عندهم من أهل التآله والتعبد - ثم ناهضوا من في تلك النواحي من عمال ابن أوس فطردوهم عنها، فلحقوا بابن أوس وسليمان بن عبد الله، وهما بمدينه ساريه، وانضم إلى الحسن ابن زيد مع من بايعه من أهل النواحي التي ذكرت، لما بلغهم ظهوره بها

حوزيه جبال طبرستان كما صمغان وفادسبان وليث بن قباذ، ومن أهل السفح خشكجستان بن ابراهيم بن الخليل بن وندا سفجان، خلا ما كان من سكان جبل فريم، فإن رئيسهم كان يومئذ والمتملك عليهم قارن بن شهریار، فإنه كان ممتنعا ببجبله وأصحابه، فلم ينقد للحسن بن زيد ولا من معه حتى مات ميتة نفسه، مع موادة كانت بينهما في بعض الاحوال، ومخاتته ومصاهرة كفا من قارن بذلك من فعله عادية الحسن بن زيد ومن معه.

ثم زحف الحسن بن زيد وقواده من أهل النواحي التي ذكرت نحو مدينة آمل، وهي أول مدن طبرستان مما يلي كلار وسالوس من السفح - وأقبل ابن أوس من سارية إليها يريد دفعه عنها، فالتقى جيشاهما في بعض نواحي آمل، ونشبت الحرب بينهما وخالف الحسن بن زيد وجماعة ممن معه من أصحابه موضع معركة القوم إلى ناحية أخرى، فدخلوها فاتصل الخبر بدخوله مدينة آمل بابن أوس، وهو مشغل بحرب من هو في وجهه من رجال الحسن بن زيد، فلم يكن له هم إلا النجاء بنفسه والحق بسليمان بسارية، فلما دخل

الحسن بن زيد آمل كشف جيشه، وغلظ أمره، وانقض إليه كل طالب نهب ومريد فتنة من الصعاليك والحوزية وغيرهم، فأقام- فيما حدثت- الحسن بن زيد بآمل أياما، حتى جبي الخراج من أهلها، واستعد ثم نهض بمن معه نحو سارية مريدا سليمان بن عبد الله، فخرج سليمان وابن أوس بمن معهما من جيوشهما، فالتقى الفريقان خارج مدينة سارية، ونشبت الحرب بينهما، فخالف الوجه الذي التقى فيه الجيشان بعض قواد الحسن بن زيد إلى وجه آخر من وجوه سارية، فدخلها برجاله وأصحابه، فانتهى الخبر إلى سليمان بن عبد الله ومن معه من الجند، فلم يكن لهم هم غير النجاة بأنفسهم.

ولقد حدثني جماعة من أهل تلك الناحية وغيرها، أن سليمان بن عبد الله هرب وترك أهله وعياله وثقله وكل ما كان له بسارية من مال وأثاث وغير ذلك بغير مانع ولا دافع، فلم يكن له ناهية دون جرجان وغلب على ما كان له ولغيره بها من جنده الحسن بن زيد وأصحابه

فأما عيال سليمان وأهله وأثاثه فإنه بلغني أن الحسن بن زيد أمر لهم بمركب حملهم فيه حتى ألحقهم بسليمان وهو بجرجان، وأما ما كان لأصحابه فإن من كان مع الحسن بن زيد من التابع انتهبه، فاجتمع للحسن بن زيد بلحاق سليمان بن عبد الله بجرجان إمرة طبرستان كلها.

فلما اجتمعت للحسن بن زيد طبرستان، وأخرج عنها سليمان ابن عبد الله وأصحابه وجهه إلى الري خيلا مع رجل من أهل بيته، يقال له الحسن بن زيد، فصار إليها، فطرد عنها عاملها من قبل الطاهرية، فلما دخل الموجه به من قبل الطالبين الري هرب منها عاملها، فاستخلف بها رجلا من الطالبين يقال له محمد بن جعفر، وانصرف عنها، فاجتمعت للحسن بن زيد مع طبرستان الري إلى حد همدان، وورد الخبر بذلك على المستعين، ومدير أمره يومئذ وصيف التركي، وكاتبه أحمد بن صالح بن شیرزاد، وإليه خاتم المستعين ووزارته فوجه إسماعيل بن فراشة في جمع إلى همدان، وأمره بالمقام بها وضبطها إلى أن يتجاوز إليها خيل الحسن بن زيد، وذلك أن ما وراء عمل همدان كان إلى محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر، وبه عماله، وعليه صلاحه.

فلما استقر بمحمد بن جعفر الطالبي القرار بالري ظهرت منه- فيما ذكر- أمور كرهها أهل الري، فوجه محمد بن طاهر بن عبد الله قائدا له من قبله، يقال له محمد بن ميكال- وهو أخو الشاه بن ميكال- في جمع من الخيل والرجالة إلى الري، فالتقى هو ومحمد بن جعفر الطالبي، خارج الري، فذكر أن محمد بن ميكال أسر محمد بن جعفر الطالبي، وفض جيشه، ودخل الري، فأقام بها، ودعا بها للسلطان، فلم يتناول بها مكثه حتى وجه الحسن بن زيد إليه خيلا، عليها قائد له من أهل اللاز، يقال له واجن فلما صار واجن إلى الري خرج إليه محمد بن ميكال، فاقتلا، فهزم واجن وأصحابه محمد بن ميكال وجيشه، والتجأ محمد بن ميكال إلى مدينة الري معتصما بها، فاتبعه واجن وأصحابه حتى قتلوه، وصارت الري إلى أصحاب الحسن بن زيد فلما كان يوم عرفة من هذه السنة بعد مقتل محمد بن ميكال، ظهر بالري أحمد بن عيسى بن علي بن حسين الصغير بن علي بن حسين بن علي بن

٩٠٣٢٠٣ أخبار متفرقة

أبي طالب رضي الله عنه وإدريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله ابن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، فصلى أحمد بن عيسى بأهل الري صلاة العيد، ودعا للرضا من آل محمد، فخاربه محمد بن علي بن طاهر، فهزمه أحمد بن عيسى، فصار إلى قزوین . [أخبار متفرقة]

وفي هذه السنة غضب على جعفر بن عبد الواحد، لأنه كان بعث إلى الشاكرية، فزعم وصيف أنه أفسدهم، فنفي إلى البصرة لسبع بقين من شهر ربيع الأول.

وفيها أسقطت مرتبة من كانت له مرتبة في دار العامة من بني أمية، كابن أبي الشوارب والعثمانين. وأخرج في هذه السنة من الحبس الحسن بن الأفشين.

وأجلس فيها العباس بن أحمد بن محمد، فعقد لجعفر بن الفضل بن عيسى ابن موسى المعروف ببشاشات على مكة في جمادى الأولى. وفيها وثب أهل حمص وقوم من كلب- عليهم رجل يقال له عطيف ابن نعمة الكلبي- بالفضل بن قارن أخي مازيار بن قارن، وهو

يومئذ عامل السلطان على حمص، فقتلوه في رجب، فوجه المستعين إليهم موسى بن بغا الكبير، فشخص موسى من سامرا يوم الخميس ثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، فلما قرب موسى تلقاه أهلها فيما بينها وبين الرستن، فخار بهم فهزمهم، وافتتح حمص وقتل من أهلها مقتلة عظيمة، وأحرقها وأسر جماعة من رؤساء أهلها، وكان عطيف قد لحق بالبدو. وفيها مات جعفر بن أحمد بن عمار القاضي يوم الأحد لسبع بقين من شهر رمضان. وفيها مات أحمد بن عبد الكريم الجواري والتميمي قاضي البصرة.

وفيها ولي أحمد بن الوزير قضاء سامرا وفيها وثبت الشاكرية والجند بفارس بعد الله بن إسحاق بن إبراهيم، فانتهبوا منزله، وقتلوا محمد بن الحسن بن قارن، وهرب عبد الله بن إسحاق.

وفيها وجه محمد بن طاهر من خراسان بفيلين كان وجه بهما إليه من كابل وأصنام وفوائح. وغزا الصائفة فيها بلكاجور. وجج بالناس في هذه السنة جعفر بن الفضل بشاشات وهو والي مكة.

٩٠٣٣ سنه احدى ونحسين ومائتين

٩٠٣٣٠١ ذكر خبر قتل باغر التركي

ثم دخلت

سنة إحدى ونحسين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر خبر قتل باغر التركي

فما كان فيها من ذلك قتل وصيف وبغا الصغير باغر التركي واضطراب أمر الموالي.

ذكر الخبر عن سبب قتلها باغر:

ذكر أن سبب ذلك كان أن باغر كان أحد قتلة المتوكل، فزيد لذلك في أرزاقه، وأقطع قطائع، فكان مما أقطع ضياع بسواد الكوفة، فتضمن تلك الضياع التي أقطعها باغر هنالك من كاتب كان لباجر يهودي- رجل من دهاقين باروسما ونهر الملك- بألفي دينار في السنة، فعدا رجل بتلك الناحية، يقال له ابن مارمة على وكيل لباجر هنالك، فتناوله أو دس إليه من تناوله، فحبس ابن مارمة، وقيد، ثم عمل حتى تخلص من الحبس، فصار إلى سامرا، فلقي دليل بن يعقوب النصراني وهو يومئذ كاتب بغا الشرايبي وصاحب أمره، وإليه أمر العسكر، يركب إليه القواد والعمال، لمكانه من بغا وكان ابن مارمة صديقا لدليل، وكان باغر أحد قواد بغا، فنع دليل باغر من ظلم أحمد بن مارمة، وانتصف له منه، فأوغر ذلك من فعله بصدر باغر، وبين كل واحد من دليل وباغر صاحبه بذلك السبب، وباغر شجاع بطل معروف القدر في الاتراك، يتوقاه بغا وغيره، ويخافون شره.

فذكر أن باغر جاء يوم الثلاثاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة خمس مائتين إلى بغا، وبغا في الحمام، وباغر سكران شديد السكر، وانتظره حتى خرج من الحمام، ثم دخل عليه، فقال له: والله ما من قتل دليل بد

ثم سبه، فقال له بغا: لو أردت قتل ابني فارس ما منعك، فكيف دليل النصراني! ولكن أمري وأمر الخلافة في يديه فتنتظر حتى اصير مكانه إنسانا، وشأنك به ثم وجه بغا إلى دليل يأمره ألا يركب، وقيل: بل تلقاه طيب لبغا، يقال له ابن سرجويه، فأخبره بالقصة، فرجع إلى منزله، فاستخفى، وبعث بغا إلى محمد بن يحيى بن فيروز، وكان ابن فيروز يكتب له قبل ذلك، فجعله مكان دليل، فيوهم باغر أنه قد عزل دليلا، فسكن باغر، ثم أصلح بغا بين دليل وباغر، وباغر يتهدد دليلا بالقتل إذا خلا بأصحابه، ثم تلطف باغر للمستعين، ولزم الخدمة في الدار، وكره المستعين مكانه، فلما كان يوم نوبة بغا في منزله قال المستعين: أي شيء كان إلى إيتاخ من الأعمال؟ فأخبره وصيف، فقال: ينبغي أن تصيروا هذه الأعمال إلى أبي محمد باغر، فقال وصيف: نعم، وبلغت القصة دليلا، فركب إلى بغا فقال له: أنت في بيتك، وهم في تدبير عزلك عن كل أعمالك، فإذا عزلت فما بقاؤك إلا أن يقتلوك! فركب بغا إلى دار الخلافة في اليوم الذي

نوبته في منزله بالعشي، فقال لوصيف: أردت أن تزيلي عن مرتبتي، وتجيء بباغر فتصيره مكاني، وإنما باغر عبد من عبيدي ورجل من أصحابي، فقال له وصيف: ما علمت ما أراد الخليفة من ذلك فتعاقد وصيف وبغا على تخية باغر من الدار والاحتيا لهُ، وأرجفوا له انه يؤمر ويضم إليه جيش سوى جيشه، ويخلع عليه، ويجلس في الدار مجلس بغا ووصيف- وهما يسميان الأميرين- ودافعه بذلك وإنما كان المستعين تقرب إليه بذلك ليأمن ناحيته، فأحس هو ومن في ناحيته بالشر، فجمع إليه الجماعة الذين كانوا بايعوه على قتل المتوكل أو بعضها مع غيرهم، فلما جمعهم ناظرهم ووكد البيعة عليهم كما وكدها في قتل المتوكل، فقالوا: نحن على بيعتنا، فقال: الزموا الدار حتى نقتل المستعين وبغا ووصيفاً، ونجيء بعلي بن المعتصم أو بابن الواثق، فنقعه خليفة حتى يكون الأمر لنا، كما هو لهُذين اللذين قد

استولوا على أمر الدنيا، وبقينا نحن في غير شيء، فأجابوه إلى ذلك، وانتهى الخبر إلى المستعين فبعث إلى بغا ووصيف، وذلك يوم الاثنين، فقال لهما: ما طلبت إليكما أن تجعلاني خليفة، وإنما جعلتاني وأصحابكما، ثم تريدان أن تقتلاني! خلفا له أنهما ما علما بذلك، فأعلمهما الخبر.

وقيل: إن امرأة لباجر كانت مطلقة منه، سعت إلى أم المستعين وإلى بغا بذلك، وبكر دليل إلى بغا، وحضر وصيف إلى منزل بغا ومع وصيف أحمد بن صالح كاتبه، فاتفق رأيهم على أخذ باغر واثنين من الأتراك معه وحبسهم حتى يروا رأيهم فيهم، فأحضروا باغر، فأقبل في عدة حتى دخل الدار إلى بغا فذكر عن بشر بن سعيد المرثدي أنه قال: كنت حاضرا دخوله، فنع من الوصول إلى بغا ووصيف، وعطف به إلى حمام لبغا، ودعي له بالقيود، فامتنع عليهم، فحبسه في الحمام، وبلغ ذلك الأتراك في الهاروني والكرخ والدور، فوثبوا على إصطبل السلطان، فأخذوا ما كان فيه من الدواب فانتهبوها وركبوها، وحضروا الجوسق بالسلاح، فلما أمسوا أمر وصيف وبغا رشيد بن سعاد أخت وصيف أن يقتل باغر، فأتاه في عدة، فشدخوه بالطبرزيات حتى أسكنوه، فلما علم المستعين باجتماعهم، ركب ووصيف وبغا حراقة، وصاروا إلى دار وصيف جميعا، وتراكم الناس يومهم- وهو يوم الثلاثاء وليلته- بالسلاح جائين وذاهبين، فقال لهم وصيف:

ترفقوا حتى تنظروا، فإن ثبتوا على المقاومة رمينا إليهم برأسه فلما انتهى قتله إلى الأتراك المشغبة، أقاموا على ما هم عليه من الشغب حتى علموا أن المستعين وبغا ووصيف قد انحدروا إلى بغداد، وقد كان وصيف أعطى قوما من المغاربة فرسانا ورجالة السلاح والرماح، ووجه بهم إلى هؤلاء المشغبة، وبعث

إلى الشاكزية أن يكونوا على عدة إن احتيج إليهم، وسكن الناس عند الظهر، وهدأت الأمور، وقد كان عدة من قواد الأتراك صاروا إلى هؤلاء المشغبين وسألوهم الانصراف، فقالوا: يوق يوق، أي لا لا فذكر عن بشر بن سعيد عن جامع بن خالد- وكان أحد خلفاء وصيف من الأتراك- أنه كان المتولي مخاطبتهم مع عدة ممن يعرف التركية، فأعلموهم أن المستعين وبغا ووصيف قد خرجوا إلى بغداد، فأظهروا التندم، وانصرفوا منكسرين، فلما انتشر الخبر بخروج المستعين صار الأتراك إلى دور دليل ابن يعقوب ودور أهل بيته ممن قرب منه وجيرانه، فانتهبوا ما فيها حتى صاروا إلى الخشب والدروندات، وقتلوا ما قدروا عليه من البغال، وانتهبوا علف الدواب والخمر التي في خزانة الشراب، ودفع عن دار سلمة بن سعيد النصراني جماعة كان وكلهم بها، من المصارعين وغيرهم من جيرانهم، ومنعوهم من دخول الدار، لأنهم أرادوا دار إبراهيم بن مهران النصراني العسكري، فدفعوهم عنها، وسلم سلمة وإبراهيم من النهب.

وقال في قتل باغر والفتنة التي هاجت بسببه بعض الشعراء، ذكر أن قائله أحمد بن الحارث اليمامي:

لعمرى لئن قتلوا باغرا ... لقد هاج باغر حربا طحونا
وفر الخليفة والقائدان ... بالليل يلتمسان السفينا
وصاحوا بميسان ملاحهم ... فجاءهم يسبق الناظرينا
فألزمهم بطن حراقة ... وصرت مجاذيفهم سائرنا
وما كان قدر ابن مارمه ... فتكسب فيه الحروب الزبونا
ولكن دليل سعى سعية ... فأخزى الإله بها العالمينا
فحل ببغداد قبل الشروق ... فحل بها منه ما يكرهونا

فليت السفينة لم تأتتا ... وغرقها الله والراكبين

٩٠٣٣٠٢ وقوع الفتنة ببغداد بين أهلها وبين جند السلطان

وأقبلت الترك والمغربون ... وجاء الفراخنة الدارغونا
تسير كراديسهم في السلاح ... يروحون خيلا ورجلا ثبين
فقام بحريهم عالم ... بأمر الحروب تولاه حيناً
فجدد سورا على الجانبين ... حتى أحاطهم أجمعينا
وأحكم أبوابها المصمتات ... على السور يحمي بها المستعينا
وهيا مجانيق خطارة ... تفيت النفوس وتحمي العرينا
وعبي فروضا وجيشية ... ألوف ألوف إذ تحسبونا
وعبي المجانيق منظومة ... على السور حتى أغار العيون
فذكر أنهم لما قدموا ببغداد اعتل ابن مارمة، فعاده دليل بن يعقوب، فقال له: ما سبب علتك؟ قال: عقر القيد انتقض علي، فقال دليل:
لئن عقرك القيد، لقد نقضت الخلافة، وبعثت فتنة ومات ابن مارمة في تلك الأيام، فقال أبو علي اليمامي الحنفي في شخص المستعين
إلى بغداد:

ما زال إلا لزوال ملكه ... وحته من بعده وهلكه
ومنع الأتراك الناس من الانحدار إلى بغداد، فذكر أنهم أخذوا ملاحا قد أكرى سفينته، فضربوه مائتي سوط، وصلبوه على دقل
سفينته، فامتنع أصحاب السفن من الانحدار إلا سرا أو بمؤنه ثقيله.
وقوع الفتنة ببغداد بين أهلها وبين جند السلطان
وفي هذه السنة هاجت الفتنة ووقعت الحرب بين أهل بغداد وجند السلطان الذين كانوا بسامرا، فبايع كل من كان بسامرا منهم المعتز،
وأقام من ببغداد منهم على الوفاء ببيعة المستعين.
ذكر الخبر عن سبب هيج هذه الفتنة، وسبب بيعة من كان بسامرا من الجند المعتز وخلعهم المستعين، ونصبهم الحرب لمن أقام على
الوفاء ببيعته:

قال أبو جعفر: قد ذكرنا قبل موافاة المستعين وشاهك الخادم ووصيف وبغا وأحمد بن صالح بن شيرزاد ببغداد، وكانت موافاتهم إياها
يوم الأربعاء لثلاث ساعات مضين من النهار لأربعة أيام- وقيل لخمس أيام- خلون من الحرم من هذه السنة، فلما وافاها، نزل المستعين
على محمد بن عبد الله بن طاهر في داره، ثم وافى ببغداد خليفة لوصيف على أعماله، يعرف بسلام، فاستعلم ما عنده، ثم انصرف راجعا
إلى منزله بسامرا، فوافى القواد خلا جعفر الخياط وسليمان بن يحيى بن معاذ ببغداد مع جلة الكتاب والعمال وبني هاشم، ثم وافى بعد
ذلك من قواد الأتراك الذين في ناحيه وصيف كلباتكين القائد وطيفج الخليفة، تركي، وابن عجوز الخليفة، نسائي، ومن في ناحيه بغا
بايكاك القائد من غلمان الخدمة مع عدة من خلفاء بغا.

وكان- فيما ذكر- وجه إليهم وصيف وبغا قبل قدومهم رسولا، يأمرانهم أن يصيروا إذا قدموا ببغداد إلى الجزيرة التي حذاء دار محمد بن
عبد الله بن طاهر، ولا يصيروا إلى الجسر، فيربعوا العامة بدخولهم ففعلوا وصاروا إلى الجزيرة، فنزلوا عن دوابهم، فوجهت إليهم زواريق
حتى عبروا فيها، فصعد كلباتكين وبايكاك والقواد من أهل الدور وأرنا تجور التركي، فدخلوا على المستعين، فرموا بأنفسهم بين يديه،
وجعلوا مناطقهم في أعناقهم تذلا وخضوعا، وكلما المستعين وسأله الصفح عنهم والرضا، فقال لهم: أتمم أهل بغي وفساد واستقلال
للنعم، ألم ترفعوا إلي في أولادكم، فألحقتم بكم، وهم نحو من ألفي غلام، وفي بناتكم فأمرت بتصييرهن في عداد المتزوجات وهن نحو من
أربعة آلاف امرأة في المدركين والمولودين! وكل هذا قد أجبتمكم إليه، وأدررت لكم الأرزاق حتى سبكت لكم آنية الذهب والفضة،
ومنعت نفسي لذتها وشهوتها، كل ذلك إرادة لصلاحكم ورضاكم، وأنتم تزدادون بغيا وفسادا وتهددوا وإبعادا! فتضرعوا، وقالوا: قد

أخطأنا، وأمير المؤمنين الصادق في كل قوله، ونحن نسأله العفو عنا والصفح عن زلتنا! فقال المستعين: قد صفحت عنكم ورضيت، فقال له بايكاك: فإن كنت قد رضيت عنا وصفحنا، فقم فاركب معنا إلى سامرا، فإن الأتراك ينتظرونك، فأوماً محمد بن عبد الله إلى محمد بن أبي عون، فلكز في حلق بايكاك وقال له محمد بن عبد الله: هكذا يقال لأمر المؤمنين، قم فاركب معنا! فضحك المستعين من ذلك وقال: هؤلاء قوم عجم، ليس لهم معرفة بحدود الكلام وقال لهم المستعين، تصيرون إلى سامرا، فإن أرزاقكم دارة عليكم، وأنظر في امرى هاهنا ومقامي.

فانصرفوا آيسين منه، وأغضبهم ما كان من محمد بن عبد الله، وأخبروا من وردوا عليه من الأتراك خبرهم، وخالفوا فيما رد عليهم تحريضا لهم على خلعه والاستبدال به، وأجمع رأيهم على إخراج المعتز والبيعة له، وكان المعتز والمؤيد في حبس في الجوسق في حجرة صغيرة، مع كل واحد منهما غلام يخدمه، موكل بهم رجل من الأتراك يقال له عيسى خليفة بليار ومعه عدة من الأعوان، فأخرجوا المعتز من يومهم، فأخذوا من شعره، وقد كان بويج له بالخلافة، وأمر للناس برزق عشرة أشهر للبيعة، فلم يتم المال، فأعطوا شهرين لقلّة المال عندهم.

وكان المستعين خلف بسامرا في بيت المال مما كان طلحجور وأساتكين القائدان قدما به من ناحية الموصل من مال الشام نحو من خمسمائة ألف دينار، وفي بيت مال أم المستعين قيمة ألف ألف دينار، وفي بيت مال العباس ابن المستعين قيمه ستمائة ألف دينار، فذكر أن نسخة البيعة التي أخذت:

بسم الله الرحمن الرحيم تباعون عبد الله الإمام المعتز بالله أمير المؤمنين بيعة طوع واعتقاد، ورضا ورغبة وإخلاص من سرائركم، وانشراح من صدوركم، وصدق من نياتكم، لا مكرهين ولا مجبرين، بل مقرين عالمين بما في هذه البيعة وتأكيدها من تقوى الله وإيثار طاعته، وإعزاز حقه ودينه، ومن عموم صلاح عباد الله واجتماع الكلمة، ولم الشعث، وسكون الدهماء، وأمن العواقب، وعز الأولياء، وقمع الملحدين، على أن أبا عبد الله المعتز بالله عبد الله وخليفته المفترض عليكم طاعته ونصيحته والوفاء بحقه وعهده، لا تشكون ولا تدهنون، ولا تميلون ولا ترتابون، وعلى السمع والطاعة، والمشايعة والوفاء، والاستقامة والنصيحة في السر والعلانية، والخفوف والوقوف عند كل ما يأمر به عبد الله أبو عبد الله الإمام المعتز بالله أمير المؤمنين، من موالاته وأوليائه، ومعاداة أعدائه، من خاص وعام، وقريب وبعيد، متمسكين ببيعته وبوفاء العقد وذمة العهد، سرائركم في ذلك كعلائتكم، وضمايركم فيه كمثل ألسنتكم، راضين بما يرضى به أمير المؤمنين بعد بيعتكم هذه على أنفسكم، وتأكيديكم إياها في أعناقكم صفقة، راغبين طائعين، عن سلامة من قلوبكم وأهوائكم ونياتكم، وبولاية عهد المسلمين لإبراهيم المؤيد بالله أخي أمير المؤمنين، وعلى ألا تسعوا في نقض شيء مما أكد عليكم، وعلى ألا يميل بكم في ذلك ميل عن نصرته وإخلاص وموالاته، وعلى ألا تبدلوا ولا تغيروا، ولا يرجع منكم راجع عن بيعته وانطوائه على غير علانيته، وعلى أن تكون بيعتكم التي أعطيتموها بألسنتكم وعهودكم بيعة يطلع الله من قلوبكم على اجتباؤها واعتمادها.

وعلى الوفاء بذمة الله فيها، وعلى إخلاصكم في نصرتها وموالاته أهلها، لا يشوب ذلك منكم نفاق ولا إدهان ولا تأول، حتى تلقوا الله موفين بعهده، مؤدين حقه عليكم، غير مستريبين ولا ناكثين، إذ كان الذين يبايعون منكم أمير المؤمنين بيعة خلافته وولاية العهد من بعده لإبراهيم المؤيد بالله أخي أمير المؤمنين: «إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا».

« عليكم بذلك وبما أكدت عليكم به هذه البيعة في أعناقكم، وأعطيتكم بها من صفقة أيمانكم، وبما اشترط عليكم من وفاء ونصرة، وموالاته واجتهاد وعلوكم عهد الله إن عهده كان مسئولا، وذمة الله عز وجل وذمة محمد ص، وما أخذ الله على أنبيائه ورسله، وعلى أحد من عبادته من مواعيده ومواريثه،

أن تسمعوا ما أخذ عليكم في هذه البيعة ولا تبدلوا ولا تميلوا، وأن تمسكوا بما عاهدتم الله عليه تمسك أهل الطاعة بطاعتهم، وذوي الوفاء والعهد بوفائهم، ولا يلفتكم عن ذلك هوى ولا ميل، ولا يزيغ قلوبكم فتنة أو ضلالة عن هدى، باذلين في ذلك أنفسكم واجتهادكم،

ومقدمين فيه حق الدين والطاعة والوفاء بما جعلتم على أنفسكم، لا يقبل الله منكم في هذه البيعة إلا الوفاء بها. فمن نكث منكم ممن بايع أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين أخا أمير المؤمنين هذه البيعة على ما أخذ عليكم، مسرا أو معلنا، مصرحا أو محتالا أو متأولا، وادهن فيما أعطى الله من نفسه، وفيما أخذ عليه من موثيق الله وعهوده، وزاغ عن السبيل التي يعتصم بها أولو الرأي، فكل ما يملك كل واحد منكم ممن ختر في ذلك منكم عهده، من مال أو عقار أو سائمة أو زرع أو ضرع صدقة على المساكين في وجوه سبيل الله، محبوس محرم عليه أن يرجع شيئا من ذلك إلى ماله، عن حيلة يقدمها لنفسه، أو يحتال له بها، وما أفاد في بقية عمره من فائدة مال يقل خطرهما أو يجل، فذلك سبيلها، إلى أن توافيه منيته، ويأتي عليه أجله وكل مملوك يملكه اليوم وإلى ثلاثين سنة، ذكر أو أنثى، أحرار لوجه الله، ونساؤه يوم يلزمه فيه الخنث ومن يتزوج بعدهن إلى ثلاثين سنة طلاق الحرج، لا يقبل الله منه إلا الوفاء بها، وهو بريء من الله ورسوله، والله ورسوله منه بريان، ولا قبل الله منه صرفا ولا عدلا، والله عليكم بذلك شهيد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وأحضر- فيما ذكر- البيعة أبو أحمد بن الرشيد وبه النقرس محمولا في محفة، فأمر بالبيعة فامتنع، وقال للمعتز: خرجت إلينا خروج طائع نخلعتها، وزعمت أنك لا تقوم بها، فقال المعتز: أكرهت على ذلك وخفت السيف فقال أبو أحمد: ما علينا أنك أكرهت، وقد بايعنا هذا الرجل، فتريد أن نطلق نساءنا، ونخرج من أموالنا، ولا ندري ما يكون! إن تركتني على أمري حتى يجتمع الناس، وإلا فهذا السيف فقال المعتز اتركوه، فرد إلى منزله من غير بيعة.

وكان ممن بايع إبراهيم الديرج وعتاب بن عتاب، فهرب فصار إلى بغداد وأما الديرج فخلع عليه، وأقر على الشرطة، وخلع على سليمان بن يسار الكاتب، وصير على ديوان الضياع، وأقام يومه يأمر وينهى وينفذ الأعمال، ثم توارى في الليل، وصار إلى بغداد ولما بايع الأتراك المعتز ولي عماله، فولى سعيد بن صالح الشرطة، وجعفر ابن دينار الحرس، وجعفر بن محمود الوزارة، وأبا الحمار ديوان الخراج، ثم عزل وجعل مكانه محمد بن إبراهيم منقار، وولى ديوان جيش الأتراك المعروف بأبي عمر كاتب سيما الشراي، وولى مقلا كيد الكلب أخا أبي عمر بيوت الأموال وإعطاء الأتراك والمغاربة والشاكرية، وولى بريد الآفاق والخاتم سيما الساربان، واستكتب أبا عمر، فكان في حد الوزارة.

ولما اتصل بمحمد بن عبد الله خبر البيعة للمعتز وتوجيه العمال، أمر بقطع الميرة عن أهل سامرا، وكتب إلى مالك بن طوق في المصير إلى بغداد هو ومن معه من أهل بيته وجنده، وإلى نجوبة بن قيس وهو على الأنبار في الاحتشاد والجمع، وإلى سليمان بن عمران الموصلي في جمع أهل بيته ومنع السفن أو شيء من الميرة أن يبحر إلى سامرا، ومنع أن يصعد شيء من الميرة من بغداد إلى سامرا، وأخذت سفينة فيها أرز وسقط، فهرب الملاح منها وبقيت السفينة حتى غرقت، وأمر المستعين محمد بن عبد الله بن طاهر بتحصين بغداد، فتقدم في ذلك، فأدير عليها السور من دجلة من باب الشماسية إلى سوق الثلاثاء حتى أوردته دجلة ومن دجلة من باب قطيعة أم جعفر، حتى أوردته قصر حميد بن عبد الحميد، ورتب على كل باب قائدا في جماعة من أصحابه وغيرهم وأمر بحفر الخنادق حول السورين كما يدوران في الجانبين جميعا ومظلات يأوي إليها الفرسان في الحر والأمطار، فبلغت النفقة- فيما ذكر- على السورين وحفر الخنادق والمظلات ثلاثمائة ألف دينار وثلاثين ألف دينار، وجعل على باب الشماسية خمس شداخت بعرض الطريق، فيها

العوارض والألواح والمسامير الطوال الظاهرة، وجعل من خارج الباب الثاني باب معلق بمقدار الباب ثخين، قد ألبس بصفائح الحديد، وشد بالحبال كي إن وافى أحد ذلك الباب أرسل عليه الباب المعلق، فقتل من تحته وجعل على الباب الداخل عرادة، وعلى الباب الخارج خمسة مجانيق كبار، وفيها واحد كبير سموه الغضبان، وست عرادات ترمي بها إلى ناحية رقة الشماسية، وصير على باب البردان ثماني عرادات، في كل ناحية أربع، وأربع شداخت وكذلك على كل باب من أبواب بغداد في الجانب الشرقي والغربي، وجعل على كل باب من أبوابها قوادا برجالهم وجعل لكل باب من أبوابها دهليزا بسقائف تسع مائة فارس ومائة راجل، ولكل منجنيق وعرادة رجالا مرتبين يمدون بحباله وراميا يرمي إذا كان القتال وفرض فروضا ببغداد ومر قوم من أهل خراسان قدموا حجاجا، فسألوا المعونة على قتال الأتراك.

فأعينوا وأمر محمد بن عبد الله بن طاهر أن يفرض من العيارين فرض، وأن يجعل عليهم عريف، ويعمل لهم تراس من البواري

المقيرة، وأن يعمل لهم محال تملأ حجارة ففعل ذلك وتولى- فيما ذكر- عمل البواري المقيرة محمد بن أبي عون وكان الرجل منهم يقوم خلف البارية فلا يرى منها.

عملت نساآت، أنفق عليها زيادة على مائة دينار، وكان العريف على أصحاب البواري المقيرة من العيارين رجلا يقال له ينتويه وكان الفراغ من عمل السور يوم الخميس لسبع بقين من المحرم.

وكتب المستعين إلى عمال الخراج بكل بلدة وموضع أن يكون حملهم ما يحملون من الأموال إلى السلطان إلى بغداد، ولا يحملون إلى سامرا شيئا، وإلى عمال معاون في رد كتب الأتراك وأمر بالكتاب إلى الأتراك والجند الذين بإسمرا يأمرهم بنقض بيعة المعتز ومراجعة الوفاء ببيعتهم إياه، ويذكرهم أياديه عندهم، وينهاهم عن معصيته ونكث بيعته، وكان كتابه بذلك إلى سيما الشرايبي

ثم جرت بين المعتز ومحمد بن عبد الله بن طاهر مكاتبات ومراسلات، يدعو المعتز محمدا إلى الدخول فيما دخل فيه من بايعه بالخلافة وخلع المستعين، ويذكره ما كان أبوه المتوكل أخذ له عليه بعد أخيه المنتصر من العهد وعقد الخلافة، ودعوة محمد بن عبد الله المعتز إلى ما عليه من الأوبة إلى طاعة المستعين، واحتجاج كل واحد منهما على صاحبه فيما يدعوه إليه من ذلك بما يراه حجة له، تركت ذكرها كراهة الإطالة بذكرها.

وأمر محمد بن عبد الله بكسر القناطر وبثق المياه بطسوج الأنبار وما قرب منه من طسوج بادوريا، ليقطع طريق الأتراك حين تخوف من ورودهم الأنبار.

وكان الذي تولى ذلك نجوبة بن قيس ومحمد بن حمد بن منصور السعدي. وبلغ محمد بن عبد الله توجيه الأتراك لاستقبال الشمسة التي كانت مع البيروق الفرغاني من يحجها من أصحابه فوجه محمد ليلة الأربعاء لعشر بقين من المحرم خالد بن عمران وبندار الطبري إلى ناحية الأنبار.

ثم وجه بعدهما رشيد بن كاوس، فصادفوا البيروق ومن معه من الأتراك والمغاربة، وطالبهم خالد وبندار بالشمسة، فصار البيروق وأصحابه مع خالد وبندار إلى بغداد إلى المستعين وكان محمد بن الحسن بن جيلويه الكردي يتولى معونة عكبراء، وكان على الراذان رجل من المغاربة قد اجتمع عنده مال، فتوجه إليه ابن جيلويه، ودعاه إلى حمل مال الناحية، فامتنع عليه، ونصب له الحرب، فأسر ابن جيلويه المغربي، وحمله إلى باب محمد بن عبد الله، ومعه من مال الناحية اثنا عشر ألف دينار وثلاثون ألف درهم، فأمر محمد بن عبد الله لابن جيلويه بعشرة آلاف درهم وكتب كل واحد من المستعين والمعتز إلى موسى بن بغا، وهو مقيم بأطراف الشام قرب الجزيرة- وكان خرج إلى حمص لحرب أهلها- يدعوه إلى نفسه، وبعث كل واحد منهما إليه بعدة ألوية يعقدها لمن أحب، ويأمره المستعين بالانصراف إلى مدينة السلام، ويستخلف على عمله من رأى فأنصرف

إلى المعتز وصار معه وقدم عبد الله بن بغا الصغير بغداد على أبيه، وكان قد تخلف بإسمرا حين خرج أبوه منها مع المستعين، وصار إلى المستعين، فاعتذر إليه وقال لأبيه: إنما قدمت إليك لأموت تحت ركابك وأقام ببغداد أياما، ثم استأذن ليخرج إلى قرية بقرب بغداد على طريق الأنبار، فأذن له، فأقام فيها إلى الليل، ثم هرب من تحت ليلته، فضى في الجانب الغربي إلى سامرا مجانبا لأبيه، ومماثا عليه، واعتذر إلى المعتز من مصيره إلى بغداد، وأخبره أنه إنما صار إليها ليعرف أخبارهم، وليصير إليه فيعرفه صحتها فقبل ذلك منه، ورده إلى خدمته.

وورد الحسن بن الأفشين بغداد، نفع عليه المستعين، وضم إليه من الأشروسنية وغيرهم جماعة كثيرة، وزاد في أرزاقه ستة عشر ألف درهم في كل شهر.

ولم يزل أسد بن داود سياه مقيما بإسمرا، حتى هرب منها، فذكر أن الأتراك بعثوا في طلبه إلى ناحية الموصل والأنبار والجانب الغربي في كل ناحية خمسين فارسا، فوافى مدينة السلام، فدخل على محمد بن عبد الله، فضم إليه من أصحاب إبراهيم الديرج مائة فارس ومائتي راجل، ووكله بباب الأنبار مع عبد الله بن موسى بن أبي خالد.

وعقد المعتز لأخيه أبي أحمد بن المتوكل يوم السبت لسبع بقين من المحرم من هذه السنة- وهي سنة إحدى وخمسين ومائتين- على حرب المستعين وابن طاهر، وولاه ذلك، وضم إليه الجيش، وجعل إليه الأمر والنهي، وجعل التدبير إلى كلباتكين التركي، فعسكر بالقاطول

في خمسة آلاف من الأتراك والفراغنة وألفين من المغاربة، وضم المغاربة إلى محمد بن راشد المغربي، فوافوا عكبراء ليلة الجمعة لليلة بقيت من الحرم، فصرى أبو أحمد، ودعا للمعتز بالخلافة، وكتب بذلك نسخا إلى المعتز، فذكر جماعة من أهل عكبراء أنهم رأوا الأتراك والمغاربة وسائر أتباعهم، وهم على خوف شديد، يرون أن محمد بن

عبد الله قد خرج إليهم فسبقهم إلى حربهم، وجعلوا ينتهبون القرى ما بين عكبراء وبغداد وأوانا وسائر القرى من الجانب الغربي، تخوفا على أنفسهم وخلوا عن الغلات والضياح، فحربت الضياح، وانتهبت الغلات والأمتعة وهدمت المنازل، وسلب الناس في الطريق. ولما وافى أبو أحمد عكبراء ومن معه خرج جماعة من الأتراك الذين كانوا مع بغا الشرايى بمدينة السلام من مواليه والمضمومين إليه، فهربوا ليلا، فاجتازوا بباب الشماسية، وكان على الباب عبد الرحمن بن الخطاب، ولم يعلم بخبرهم، وبلغ محمد بن عبد الله ذلك، فأكره عليه وعنفه، وتقدم في حفظ الأبواب وحراستها والنفقة على من يتولاها. ولما وافى الحسن بن الأفشين مدينة السلام وكل بباب الشماسية.

ثم وافى أبو أحمد وعسكره الشماسية ليلة الأحد لسبع خلون من صفر، ومعه كاتبه محمد بن عبد الله بن بشر بن سعد المرثدي، وصاحب خبر العسكر من قبل المعتز الحسن بن عمرو بن قماش ومن قبله، صاحب خبر له يقال له جعفر بن أحمد البناقي، يعرف بابن الخبازة، فقال رجل من البصريين كان في عسكره ويعرف بباذنجانة:

يا بني طاهر أنتكم جنود الله ... والموت بينها منشور

وجيوش أمامهن أبو أحمد ... نعم المولى ونعم النصير

ولما صار أبو أحمد بباب الشماسية ولّى المستعين الحسين بن اسماعيل باب الشماسية، وصير من هناك من القواد تحت يده، فلم يزل مقيما هناك مدة الحرب إلى أن شخّص إلى الأنبار، فولى مكانه إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم، وثلاث عشرة مضت من صفر، صار إلى محمد بن عبد الله جاسوس له، فأعلمه أن أبا أحمد قد عبي قوما يحرقون ظلال الأسواق من جانبي بغداد، فكشطت في ذلك اليوم وذكر أن محمد بن عبد الله وجه محمد بن موسى المنجم والحسين بن اسماعيل، وأمرهما أن يخرجوا من الجانب الغربي، وأن يرتفعا حتى يجاوزا عسكر أبي أحمد ويحزرا: كم في عسكره؟ فزعم محمد بن موسى أنه حرّهم ألفي إنسان، معهم ألف دابة، فلما كان يوم الاثنين لعشر خلون من صفر وافت طلائع الأتراك إلى باب الشماسية، فوقفوا بالقرب منه، فوجه محمد بن عبد الله الحسين بن اسماعيل والشاه بن ميكال وبندار الطبري فيمن معهم، وعزم على الركوب لمقاتلتهم، فانصرف إليه الشاه، فأعلمه أنه وافى بمن معه باب الشماسية.

فلما عين الأتراك الأعلام والرايات وقد أقبلت نحوهم انصرفوا إلى معسكرهم، فانصرف الشاه والحسين، وترك محمد الركوب يومئذ. فلما كان يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر عزم محمد بن عبد الله على توجيه الجيوش إلى القفص ليعرض جنده، هنالك، ويرهب بذلك الأتراك، وركب معه وصيف وبغا في الدروع، وعلى محمد درع، وفوق الدرع صدرية من درع طاهر، وعليه ساعد حديد، ومضى معه بالفقهاء والقضاة، وعزم على دعائهم إلى الرجوع عما هم عليه من التمادي في الطغيان والجحاح والعصيان، وبعث يبذل لهم الأمان على أن يكون أبو عبد الله ولي العهد بعد المستعين، فإن قبلوا الأمان وإلا باكرهم بالقتال يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة تخلو من صفر، فضى نحو باب قطربل، فنزل على شاطئ دجلة هو ووصيف وبغا، ولم يمكنه التقدم لكثرة الناس، وعارضهم من جانب دجلة الشرقي محمد بن راشد المغربي.

ثم انصرف محمد، فلما كان من الغد وافته رسل عبد الرحمن بن الخطاب وجه الفلس وعلك القائد ومن معهما من القواد، يعلمونه أن القوم قد دنوا منهم، وأنهم قد رجعوا إلى عسكرهم إلى رقة الشماسية، فنزلوا وضربوا مضاربهم فأرسل إليهم ألا تبدءوهم، وإن قاتلوكم فلا تقتلوههم، وادفعوهم اليوم فوافى باب الشماسية اثنا عشر فارسا من عسكر الأتراك - وكان على باب الشماسية

باب وسرب، وعلى السرب باب، فوقف الاثنا عشر الفارس بإزاء الباب، وشتموا من عليه، ورموا بالسهام، ومن باب الشماسية سكوت عنهم، فلما أكثروا أمر علك صاحب المنجنيق أن يرميهم، فرماهم فأصاب منهم رجلا فقتله، فنزل أصحابه إليه، فحملوه وانصرفوا إلى عسكرهم بباب الشماسية.

وقدم عبد الله بن سليمان خليفة وصيف التركي الموجه إلى طريق مكة لضبط الطريق مع أبي الساج في ثلاثمائة رجل من الشاكرية، فدخل على محمد بن عبد الله، فخلع عليه خمس خلع، وعلى آخر ممن معه أربع خلع.

ودخل أيضا في هذا اليوم رجل من الأعراب من أهل الثعلبية يطلب الفرض معه خمسون رجلا، وورد الشاكرية القادمون من سامرا من قيادات شتى، وهم أربعون رجلا، فأمر بإعطائهم وإنزالهم فأعطوا.

ووافى الأتراك في هذا اليوم باب الشماسية، فرموا بالسهم والمنجنيق والعرادات، وكان بينهم قتلى وجرحى كثير، وكان الأمير الحسين بن اسماعيل لمحاربتهم، ثم أمد بأربعمائة رجل من الملقين مع رجل يعرف بأبي السنا الغنوي وهو ابن أخت الهيثم الغنوي، ثم أمدهم بقوم من الأعراب نحو من ثلاثمائة رجل، وحمل في هذا اليوم من الصلات لمن أبلى في الحرب.

خمسة وعشرين ألف درهم، واطوقه واسوره من ذهب، فصار ذلك إلى الحسين بن اسماعيل وعبد الرحمن بن الخطاب وعلك ويحيى بن هرثمة والحسن بن الأفشين وصاحب الحرب الحسين بن اسماعيل، فكان الجرحى من أهل بغداد أكثر من مائتي إنسان، والقتلى عدة، وكذلك الجراحات في الأتراك والقتلى أكثرهم بالمجانيق، وانهزم أكثر عامة أهل بغداد، وثبت أصحاب البواري وانصرفوا جميعا، وهم في القتلى والجرحى شبيه بالسوء، وجرح من هؤلاء - فيما ذكر - مائتان، ومن هؤلاء مائتان، وقتل جماعة من الفريقين.

وجاء كردوس من الفراغة والأتراك في هذا اليوم إلى باب خراسان من الجانب الشرقي ليدخلوا منه، وأتى الصريح محمد بن عبد الله، وثبت لهم المبيضة والغوغاء فردوهم وقد كان محمد أمر أن يخرج تلك الناحية، فلما أرادوا الانصراف، وحلت عامة دوابهم، ونجا أكثرهم، أحضر الأتراك منجنيقا، فغلبهم الغوغاء عليه والمبيضة، وكسروا قائمة من قوائمه، وقتل اثنان من الشاشية من الحجاج، وأمر بحمل الآجر من قصر الطين وتلك الناحية إلى باب الشماسية، وفتحوا باب الشماسية، وأخرجوا إلى الآجر من لقطه، وردوه إلى هذا الجانب من السور.

وكان محمد بن عبد الله اتصل به أن جماعة من الأتراك قد صاروا إلى ناحية النهروان، فوجه قائدين من قواده يقال لهما عبد الله بن محمود السرخسي ويحيى بن حفص المعروف بجبوس في خمسمائة من الفرسان والرجالة إلى هذه الناحية، ثم اردفهم بسبعمائة رجل أيضا، وأمرهم بالمقام هناك، ومنع من أراده من الأتراك، فتوجه آخرهم إلى هذه الناحية يوم الجمعة لسبع خلون من صفر.

فلما كان ليلة الاثنين لثلاث عشرة بقيت من صفر، صار قوم من الأتراك إلى النهروان، ففرج جماعة ممن كان مع عبد الله بن محمود، فرجعوا هرابا، وأخذت دوابهم، وانصرف من نجا منهم إلى مدينة السلام مفلولين، وقتل زهاء خمسين رجلا، وأخذوا ستين دابة، وعدة من البغال قد كانت جاءت من ناحيته حلوان عليها الثلج، فوجهوا بها إلى سامرا، ووجهوا برءوس من قتلوا من الجند، فكانت أول رءوس وافت في تلك الحرب سامرا.

وانصرف عبد الله بن محمود مفلولا في شردمة، وصار طريق خراسان في أيدي الأتراك، وانقطع الطريق من بغداد إلى خراسان. وكان اسماعيل بن فراشة وجه إلى همدان للمقام بها، فكتب إليه بالانصراف، فانصرف، فأعطى هو وأصحابه استحقاقهم ووجه المعتز عسكرا من الأتراك والمغاربة والفراغة ومن هو في عدادهم.

وعلى الأتراك والفراغة الدرغمان الفرغاني، وعلى المغاربة ربله المغربي، فساروا إلى مدينة السلام من الجانب الغربي، فجازوا قطربل إلى بغداد، وضربوا عسكرهم بين قطربل وقطيعة أم جعفر، وذلك عشية الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر فلما كان يوم الأربعاء من غد هذه الليلة، وجه محمد بن عبد الله بن طاهر الشاه بن ميكال من باب القطيعة وبندارا وخالد بن عمران فيمن معهم من أصحابهم من الفرسان والرجالة فصافهم الشاه وأصحابه، فتراموا بالحجارة والسهم، وألجئوا الشاه إلى مضيق عند باب القطيعة، وكثر المبيضة من أهل بغداد، ثم حمل الشاه والمبيضة حملة واحدة أزالوا بها الأتراك والمغاربة ومن معهم عن موضعهم، وحمل عليهم المبيضة، وأصحروا بهم، وحمل عليهم الطبرية نخلطوهم، وخرج عليهم بندار وخالد بن عمران من الكمين، وكانوا كمنوا في ناحية قطربل، فوضعوا في أصحاب أبي أحمد الأتراك منهم وغيرهم السيف، فقتلواهم أبرح قتل، فلم يفلت منهم إلا القليل، وانتهب المبيضة عسكرهم وما كان فيه من المتاع والأهل والأثقال والمضارب والخرثي، فكل من أفلت منهم من السيف رمى بنفسه في دجلة ليعبر إلى عسكر أبي أحمد، فأخذ أصحاب

الشبارت، وكانت الشبارت قد شخت بالمقاتلة- فقتلوا وأسروا، وجعل القتل والرءوس من الأتراك والمغاربة وغيرهم في الزوارق، فنصبت بعضها في الجسرين، وعلى باب محمد بن عبد الله، فأمر محمد بن عبد الله لمن أبلى في هذا اليوم بالأسورة، فسور قوم كثير من الجند وغيرهم، فطلب المنهزمة، فبلغ بعضهم أوانا، وبلغ بعضهم ناحية عسكر أبي أحمد عبر دجلة، وبعضهم نفذ إلى سامرا. وذكر أن عسكر الأتراك يوم هزموا بباب القطيعة كانوا أربعة آلاف، فقتل منهم يوم الواقعة هنالك ألفان، وكان وضع فيهم بالسيف من باب

القطيعة إلى القفص، فقتلوا من قتلوا، وغرق من غرق، وأسر منهم جماعة، نفلح محمد بن عبد الله على بندار أربع خلع ملحم، ووشي وسواد وخز، وطوقه طوقا من ذهب، وخلع على أبي السنا أربع خلع، وعلى خالد بن عمران وجميع القواد، كل رجل أربع خلع وكان انصرفهم من الواقعة مع المغرب، وسخرت البغال، وأخذ لها الجواليق لتحمل فيها الرءوس إلى بغداد.

وكان كل من وافى دار محمد برأس تركي أو مغربي أعطوه خمسين درهما، وكان أكثر ذلك العمل للبيضة والعيارين، ثم وافى عيار وبغداد قطربل، فانتهبوا ما تركه الأتراك من متاع أهل قطربل وأبواب دورهم، فوجه محمد في آخر هذا اليوم أخاه أبا أحمد عبيد الله بن عبد الله والمظفر بن سيسل في أثر المنهزمين حيطة لأهل بغداد، لأنه لم يأمن رجعتهم عليه فبلغا القفص، وانصرفا سالمين، وزعجا من اقام من الرجال والعيار بن بناحية قطربل، وأشير على محمد بن عبد الله أن يتبعهم بعسكر في اليوم الثاني وفي تلك الليلة، ليوغل في آثارهم، فأبى ذلك ولم يتبع موليا، ولم يأمر أن يجهز على جريح، وقبل أمان من استأمن، وأمر سعيد بن حميد فكتب كتابا يذكر فيه هذه الواقعة، فقرأ على أهل بغداد في مسجد جامعها، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فالحمد لله المنعم فلا يبلغ أحد شكر نعمته، والقادر فلا يعارض في قدرته، والعزيز فلا يغالب في امره، والحكم العدل فلا يرد حكمه، والناصر فلا يكون نصره إلا للحق وأهله، والمالك لكل شيء فلا يخرج أحد عن أمره، والهادي إلى الرحمة فلا يضل من انقاد لطاعته، والمقدم إعداره ليظهر به حجته، الذي جعل دينه لعباده رحمة، وخلافته لدينه عصمة، وطاعة خلفائه فرضا واجبا على كافة الأمة، فهم المستحفظون في أرضه على

ما بعث به رسله، وأمنائه على خلقه فيما دعاهم إليه من دينه، والحاملون لهم على منهاج حقه، لئلا يتشعب بهم الطريق إلى المخالفة لسبيله، والهادي لهم إلى صراطه، ليجمعهم على الجادة التي ندب إليها عباده الذين بهم يحى الدين من الغواة والمخالفين، محتجين على الأمم بكتاب الله الذي استعملهم به، ودعا الأمة بحق الله الذي اختارهم له، إن جاهدوا كانت حجة الله معهم، وإن حاربوا حكم بالنصر لهم، وإن بغاهم عدو كانت كفاية الله حائلة دونهم ومعقلا لهم، وإن كادهم كائد فالله من وراء عونهم، نصبهم الله لإعزاز دينه، فن عاداهم فأما عادى الدين الذي أعزاه وحرسه بهم، ومن ناوهم فأما طعن على الحق الذي يكلؤه بحراستهم، جيوشهم بالنصر والعز منصوره، وكنايتهم بسلطان الله من عدوهم محفوظة، وأيديهم عن دين الله دافعة، وأشياهم بتناصرهم في الحق عالية، وأحزاب أعدائهم ببغيهم مقموعة، وحجتهم عند الله وعند خلقه داحضة، ووسائلهم إلى النصر مردودة، تجمعهم مواطن التحاكم، وأحكام الله بخذلانهم واقعة، وأقداره بإسلامهم إلى أوليائه جارية، وعاداتهم في الأمم السالفة والقرون الخالية ماضية، ليكون أهل الحق على ثقة من انجاز سابق الوعد، وأعداؤه محجوبون بما قدم إليهم من الإنذار، معجلة لهم نقمة الله بأيدي أوليائه، معد لهم العذاب عند ربهم، والخزي موصول بنواصيرهم في دنياهم، وعذاب الآخرة من ورائهم وما الله بظلام للعبيد.

وصلى الله على نبيه المصطفى، ورسوله المرتضى، والمنقذ من الضلالة إلى الهدى، صلاة تامة نامية بركاتها، دائمة اتصالها، وسلم تسليمًا. والحمد لله تواضعا لعظمته، والحمد لله إقرارا بربوبيته، والحمد لله اعترافا بقصور أقصى منازل الشكر عن أدنى منزلة من منازل كرامته والحمد لله الهادي إلى حمده، والموجب به مزيدة، والمحصي به عوائد إحسانه، حمدا يرضاه ويتقبله، ويوجب طولوه وأفضاله والحمد لله الذي حكم بالخذلان على من

بغى على أهل دينه، وسبق وعده بالنصر لمن بغى عليه من أنصار حقه.

وأُنزل بذلك كتابه العزيز، موعظة للباغين، فإن أقلعوا كانت التذكرة نافعة لهم، والحجة عند الله لمن قام بها فيهم، ثم أوجب بعد التذكرة

والإصرار جهادهم، فقال فيما قدم من وعده، وأبان من برهانه: «ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِنَصْرَتِهِ اللَّهُ»، وعدا من الله حقا نهى به أعداءه عن معصيته، وثبت به أوليائه على سبيله، والله لا يخلف الميعاد والله عند أمير المؤمنين في رئيس دعوته، وسيف دولته، والحامي عن سلطانه ومحل ثقته، والمتقدم في طاعته ونصيحته لأوليائه، والذاب عن حقه، والقائم مجاهدة أعدائه، محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين، نعمة يرغب إلى الله في إتمامها، والتوفيق لشكرها، والتطول بمن أراد المزيد فيها، فإن الله قدر لآبائه القيام بالدعوة الأولى لآباء أمير المؤمنين، ثم جمع له آثارهم بقيامه بالدولة الثانية، حين حاول أعداء الله أن يطمسوا معالم دينه ويعفوها، فقام بحق الله وحق خليفته، محاميا عنها، ومراميا من ورائها، متناولا للبعيد برأيه ونظره، مباشرا للقريب بإشرافه وتفقدته، باذلا نفسه في كل ما قر به من الله، وأوجب له الزلفة عنده، وسمي الله أمير المؤمنين به وليا، مكافئا على الحق، وناصرا موازرا على الخير، وظهيرا مجاهدا لعدو الدين وقد علمتم ما كان كتاب أمير المؤمنين تقدم به إليكم فيما أحدثته الفرقة الضالة عن سبيل ربها، المفارقة لعصمة دينها، الكافرة لنعم الله ونعم خليفته عندها، المبينة لجماعة الأمة التي ألف الله بخلافته نظامها، المحاولة لتشتيت الكلمة بعد اجتماعها، الناكثة لبيعته، الخالعة لربقة الإسلام من أعناقها، الموالي الأتراك، وما صارت إليه من نصر الغلام المعروف بأبي عبد الله بن المتوكل لإقامتها عند مصير أمير المؤمنين إلى مدينة السلام، محل سلطانه، ومجتمع أنصاره وأبناء أنصار آبائه، وما قابل به أمير المؤمنين خيانتهم وآثره من الأناة في أمرهم ثم إن هؤلاء الناكثين جمعوا جمعا من الأتراك والمغاربة، ومن ولج في سوادهم، ودخل في غمارهم، مؤاتيا للفتنة من ألفاف الغي، ورأسوا عليهم المعروف بأبي أحمد بن المتوكل، ثم ساروا نحو مدينة السلام في الجانب الشرقي، معلنين للبغي والاعتدار، مظهرين للغي والإصرار، فتأناهم أمير المؤمنين، وفسح لهم في النظرة لهم، وأمر بالكتاب إليهم بما فيه تبصيرهم الرشد، وتذكيرهم بما قدموا من البيعة، وإفهامهم ما لله عليهم وله في ذلك من الحق، وأن خروجهم مما دخلوا فيه من بيعتهم طوعا، الخروج من دين الله والبراءة منه ومن رسوله، وتحريمهم أموالهم ونساءهم عليهم، وأن في تمسكهم به سلامة أديانهم، وبقاء نعمتهم، والاحتباس من حلول النقم بهم، وأن يبين لهم ما سلف من بلائه عندهم، من أسنى المواهب، وأرفع الرغائب، والاختصاص بسني المراتب، والتقدم في المحافل، فأبوا إلا تماديا ونفارا، وتمسكا بالغبي وإصرارا.

فقلد أمير المؤمنين نصيحة المؤمن ووليه محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين تدير أمورهم ودعائهم إلى الحق ما كانت الإنابة أو محاربتهم أن جنح بهم غيهم، وتنبعوا في ضلالهم، فلم يألهم نظرا وإفهاما، وتبيينا وإرشادا، وهم في ذلك رافعون أصواتهم بالتوعد لأهل لمدينه السلام، بسفك دمائهم وسبي نسائهم وتغنم أموالهم، وقبل ذلك ما كانوا في مسيرهم على السبيل التي يستعملها أهل الشرك في غاراتهم، ويميلون إليها عند إمكان النزهة لهم، لا يجتازون بعامر إلا أخربوه، ولا بحريم لمسلم ولا غيره إلا أباحوه، ولا بمسلم يعجز عنهم إلا قتلوه، ولا بمال لمسلم ولا ذمي إلا أخذوه، حتى انتقل كثير ممن سبقت إليه أخبارهم ممن أمامهم عن أوطانهم، وفارقوا منازلهم ورباعهم، وفزعوا إلى باب أمير المؤمنين تحصنا من معرفتهم، لا يملون بغبي إلا خلعوا عنه لباس الغنى، ولا بمستور إلا هتكوا عن الذرية والنساء ستره، لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، ولا يتوقفون عن مسلم بهتك ولا مثله، ولا يرغبون عما حرم الله من دم ولا حرمة. ثم تلقوا التذكرة بالحرب، وقابلوا الموعظة بالإصرار على الذنب، وعارضوا

التبصير بالاستبصار في الباطل، فذلّفوا نحو باب الشماسيه، وقد رتب محمد ابن عبد الله مولى أمير المؤمنين بذلك الباب والأبواب التي سبيلها سبيله من أبواب مدينة السلام الجيوش في العدة الكاملة، والعدة المتظاهرة، معاقلم التوكل على ربهم، وحصونهم الاعتصام بطاعته، وشعارهم التكبير والتهليل أمام عدوهم.

ومحمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين، يأمرهم بتحسين ما يليهم والإمساك عن الحرب ما كانت مندوحة لهم، فباداهم الأولياء بالموعظة، وبدأهم الغواة الناكثون بحريهم، وعادوهم أياما بمجموعهم وعدادهم، مدلين بعدتهم ومقدرين ألا غالب لهم، ولا يعلمون بالله أن قدرته فوق قدرتهم، وأن أقداره نافذة بخلاف إرادتهم، وأحكامه عادلة ماضية لأهل الحق عليهم، حتى إذا كان يوم السبت للنصف من صفر وافوا باب الشماسية بأجمعهم، قد نشروا أعلامهم، وتنادوا بشعارهم، وتحصنوا بأسلحتهم، وبدا الأمر منهم لمن عاينهم، ليس لهم

وعيد دون سفك الدماء، وسبي النساء، واستباحة الأموال، فبدأهم الأولياء بالموعظة فلم يسمعوا، وقابلوهم بالتذكرة فلم يصغوا إليها، وبدءوا بالحرب منابذين لها، فتسرع الأولياء عند ذلك إليهم، واستنصروا عليهم، واستحكت بالله ثقتهم، ونفذت به بصائرهم، فلم تزل الحرب بينهم إلى وقت العصر من هذا اليوم، فقتل الله من حماهم وفرسانهم ورؤسائهم وقاده باطلهم جماعه كثيرا عددها، ونالت الجراحة المشخنة التي تأتي على من نالته أكثر عامتهم.

فلما رأى أعداء الله وأعداء دينه أن قد أكذب ظنونهم، وحال بينهم وبين أمانيتهم، وجعل عواقبها حشرات عليهم، استنهضوا جيشا من سامرا من الأتراك والمغاربة في العتاد والعدة والجلد والأسلحة في الجانب الغربي، طالبين المعرة، ومؤملين أن ينالوا نيلا من أهله باشتغال إخوانهم في الجانب الشرقي بأعدائهم.

وقد كان محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين شخ الجانين جميعا بالرجال والعدة، ووكل بكل ناحية من يقوم بحفظها وحراستها، وكيف عن الرعية بوائق أعدائهم، ووكل بكل باب من الأبواب قائدا في جمع كثيف، ورتب على السور من يراعيه في الليل والنهار وبث الرجال ليعرف أخبار أعداء الله في حركاتهم ونهوضهم ومقامهم وتصرفهم، فيعامل كل حال لهم بحال يفت الله في أعضادهم بها.

فلما كان يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر، وافى الجيش الذي أنهضوه من الجانب الغربي الباب المعروف بباب قطربل، فوقفوا بإزاء الناكثين المعسكرين بالجانب الشرقي من دجلة في عدد لا يسعه إلا الفضاء، ولا يحمله إلا المجال الفسيح، وقد تواعدوا أن يكون دنوهم من الأبواب معا لشغل الأولياء بحربهم من الجهات، فيضعفوا عنهم ويغلبوا حقهم بباطلهم، املا كاذبا كادهم الله فيه غير صادق، وظنا خائبا لله فيه قضاء نافذ.

وأنهض محمد بن عبد الله نحوهم محمد بن أبي عون وبندار بن موسى الطبري مولى أمير المؤمنين وعبد الله بن نصر بن حمزة من باب قطربل، وأمرهم بتقوى الله وطاعته، والاتباع لأمره والتصرف مع كتابه، والتوقف عن الحرب حتى تسبق التذكرة الاسماع، وتزول الحجة بالتتابع منهم والإصرار، فنفذوا في جمع يقابل جمعهم، مستبصرين في حق الله عليهم، مسارعين إلى لقاء عدوهم، محتسبين خطاهم ومسيرهم، واثقين بالثواب الآجل والجزاء العاجل فتلقاهم ومن معهم أعداء الله، قد أطلقوا نحوهم أعنتهم، وأشرعوا لنحورهم أمنتهم، لا يشكون أنهم نهزة المختلس، وغنيمة المنتهب، فنادوهم بالموعظة نداء مسمعا، فمجتها أسمعاهم، وعميت عنها أبصارهم، وصدقهم أولياء الله في لقاءهم، بقلوب مستجمعة لهم، وعلم بأن الله لا يخلف وعده فيهم، فجالت الخيل بهم جولة، وعادت كرة بعد كرة عليهم، طعنا بالرمح، وضربا بالسيوف، ورشقا بالسهام، فلما مسهم ألم جراحها، وكلمتهم الحرب بأنبيائها، ودارت

عليهم رحاها، وصمم عليهم أنباؤها، ظمأ إلى دمائهم، ولوا أدبارهم، ومنح الله أكفاهم، وأوقع بأسه بهم، فقتلت منهم جماعة لم يحترسوا من عذاب الله بتوبة، ولم يتحصنوا من عقابه بأمانة، ثم ثابت ثانية، فوقفوا بإزاء الأولياء، وعبر إليهم أشياعهم الغاؤون من عسكرهم بباب الشماسية ألف رجل من أنجادهم في السفن، معاوين لهم على ضلالتهم، فانهض لهم محمد بن عبد الله خالد بن عمران والشاه بن ميكال مولى طاهر نحوهم، فنفذوا ببصيرة لا يتخونها فتور، ونية لا يلحقها تقصير، ومعهما العباس بن قارن مولى أمير المؤمنين.

فلما وافى الشاه فيمن معه أعداء الله، وكل بالمواضع التي يتخوف منها مدخل الكمنا، ثم حمل من توجه معه من القواد المسمين ماضين لا يغويهم الوعيد، ولا يشكون من الله في النصر والتأييد، فوضعوا أسيافهم فيهم، تمضي أحكام الله عليهم، حتى ألحقوهم بالمعسكر الذي كانوا عسكروا فيه وجاوزوه، وسلبوهم كل ما كان من سلاح وكراع وعتاد الحرب، فن قتل غودرت جثته بمصرعه، ونقلت هامته إلى مصير فيه معتبر لغيره، ومن لاجئ من السيف إلى الغرق لم يجره الله من حذاره، ومن أسير مصفود يقاد إلى دار أولياء الله وحزبه، ومن هارب بحشاشة نفسه، قد أسكن الله الخوف قلبه، فكانت النعمة بحمد الله واقعة بالفريقين ممن وافى الجانب الغربي قادما، ومن عبر إليهم من الجانب الشرقي منجدا، لم ينبج منهم ناج، ولم يعتصم منهم بالتوبة معصم، ولا أقبل إلى الله مقبل، فرقا أربعا يجمعها النار، ويشملها عاجل النكال، عظة ومعتبرا لأولي الأبصار، فكانوا كما قال الله عز وجل: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا

قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ.

« ولم تزل الحرب بين الأولياء وبين الفرقة التي كانت في الجانب الشرقي والقتل محتفل في أعلامهم، والجراح فاشية فيهم، حتى إذا عاينوا ما أنزل الله بأشياعهم من البوار، وأحل بهم من النعمة والاستئصال، ما لهم من الله من عاصم، ولا من أوليائه ملجأ ولا موئل، ولوا منهزمين مفلولين منكوبين، قد

أراهم الله العبر في إخوانهم الغاوية، وطوائفهم المضلة، وضل ما كان في أنفسهم لما رأوا من نصر الله لجنده، وإعزازه لأوليائه، والحمد لله رب العالمين، قامع الغواة الناكبين عن دينه، والبغاة الناقضين لعهدده، والمراق الخارجين من جملة أهل حقه، حمدا مبلغا رضاه، وموجبا أفضل مزيده وصلى الله أولا وآخرا على محمد عبده ورسوله، الهادي إلى سبيله، والداغي إليه بإذنه، وسلم تسليما.

وكتب سعيد بن حميد يوم السبت لسبع خلون من صفر سنة إحدى وخمسين ومائتين وركب محمد بن عبد الله بن طاهر يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر إلى باب الشماسية، وأمر بهدم ما وراء سور بغداد من الدور والخوانيت والبساتين وقطع النخل والشجر من باب الشماسية إلى ثلاثة أبواب، لتتسع الناحية على من يحارب فيها، وكان وجهه من ناحية فارس والأهواز نيف وسبعون حمرا بمال إلى بغداد، قدم به- فيما ذكر- منكجور بن قارن الأشروسي القائد، فوجه الأتراك وأبو أحمد بن بابك إلى طارستان في ثلاثمائة فارس وراجل، ليلتقى ذلك المال إذا صار إليها فوجه محمد بن عبد الله قائدا له يقال له يحيى بن حفص، يحمل ذلك المال، فعدل به عن طارستان، خوفا من ابن بابك، فلما علم ابن بابك أن المال قد فاته صار بمن معه إلى النهروان، فأوقع من كان معه من الجند بأهلها، وأخرج أكثرهم، وأحرق سفن الجسر، وهي أكثر من عشرين سفينة، وانصرف إلى سامرا.

وقدم محمد بن خالد بن يزيد- وكان المستعين قلده الثغور الجزرية، وكان مقيما بمدينة بلد ينتظر من يصير إليه من الجند والمال- فلما كان من اضطراب أمر الأتراك ودخول المستعين بغداد ما كان، لم يمكنه المصير إلى بغداد إلا من طريق الرقة، فصار إليها بمن معه من خاصته وأصحابه، وهم زهاء أربعمائة فارس وراجل، ثم انحدر منها إلى مدينة السلام، فدخلها يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر، فصار إلى دار محمد بن عبد الله بن طاهر، نخلع عليه خمس خلع: ديبقي، وملحم، وخز، ووشي، وسواد،

ثم وجهه في جيش كثيف لمحاربة أيوب بن أحمد، فأخذ على ظهر الفرات فخاربه في نفر يسير، فهزم وصار إلى ضيعته بالسواد. فذكر عن سعيد بن حميد أنه قال: لما انتهى خبر هزيمة محمد بن عبد الله، قال: ليس يفلح أحد من العرب إلا أن يكون معه نبي ينصره به.

وفي هذا اليوم كانت للأتراك وقعة بباب الشماسية، كانوا صاروا إلى الباب، فقاتلوا عليه قتالا شديدا حتى كشفوا من عليه، ورموا المنجنيق المنصوب بسره الباب بالنفط والنار، فلم يعمل فيه نارهم، وكثرهم من على الباب من الجند حتى أزالوهم عن موقفهم، ودفعوهم عن الباب بعد قتلهم عدة يسيرة من أهل بغداد، وجرحهم منهم جماعة كثيرة بالسهم فوجه محمد بن عبد الله إليهم عند ذلك العرادات التي كانت تحمل في السفن والزواريق، فرموهم بها رميا شديدا، فقتلوا منهم جماعة كثيرة نحو من مائة إنسان، ففتحوا عن الباب، وكان بعض المغاربة صار في هذا اليوم إلى سور باب الشماسية، فرمى كلاب إلى السور، وتعلق به وصعد، فأخذه الموكلون بالسور فقتلوه، ورموا برأسه في المنجنيق إلى عسكر الأتراك، وانصرفوا عند ذلك إلى معسكرهم.

وذكر أن بعض الموكلين بسور باب الشماسية من الأبناء هاله ما رأى من كثرة من ورد باب الشماسية في هذا اليوم من الأتراك والمغاربة، وكانوا قربوا من الباب بأعلامهم وطبولهم، ووضع بعض المغاربة كلابا على السور، فأراد بعض الموكلين بالسور أن يصيح: يا مستعين، يا منصور، فغلط، فصاح: يا معتز، يا منصور، فظنه بعض الموكلين بالباب من المغاربة، فقتلوه وبعثوا برأسه إلى دار محمد بن عبد الله، فأمر بنصبه، فجاءت أمه وأخوه في عشية هذا اليوم بجثته في محمل يصيحان ويطلبان رأسه، فلم يدفع إليهما، ولم يزل منصوبا على الجسر إلى أن أنزل مع ما أنزل من الرؤوس.

ووافي ليلة الجمعة لسبع بقين من صفر جماعة من الأتراك باب البردان، وكان الموكل به محمد بن رجاء، وذلك قبل شخوصه إلى ناحية واسط، فقتل منهم

سنة نفر، وأسر أربعة، وكان الدرغمان شجاعاً بطلاً، وصار في بعض الأيام مع الأتراك إلى باب الشماسية، فرمى بحجر منجنيق، فأصاب صدره، فانصرف به إلى سامرا، فمات بين بصرى وعكبراء، فحمل إلى سامرا، فذكر يحيى بن العكي القائد المغربي أنه كان إلى جنب الدرغمان في يوم من أيامهم، إذ وافاه ناوكي، فأصاب عينه، ثم أصابه بعد ذلك حجر فأطار رأسه، فحمل ميتاً.

وذكر عن علي بن حسن الرامي، أنه قال: كما قد جمعنا على السور على باب الشماسية من الرماة جماعة، وكان مغربي يجيء حتى يقرب من الباب، ثم يكشف استه ثم يضطر ويصيح، قال: فانتخب له سهماً فأنفذته في دبره حتى خرج من حلقه، وسقط ميتاً وخرج من الباب جماعة فنصبوه كالمصلوب، وجاءت المغاربة بعد ذلك، فاحتملوه.

وذكر أن الغوغاء اجتمعوا بسامرا بعد هزيمة الأتراك يوم قطربل، ورأوا ضعف أمر المعتز، فانتهبوا سوق أصحاب الحلي والسيوف والصيارفة، وأخذوا جميع ما وجدوا فيها من متاع وغيره، فاجتمع التجار إلى إبراهيم المؤيد أخي المعتز، فشكوا ذلك إليه، وأعلموه أنهم قد كانوا ضمنوا لهم أموالهم وحفظها عليهم قال: فقال لهم: كان ينبغي لكم أن تحولوا متاعكم إلى منازلكم، وكبر عنده ذلك وقدم بحونه بن قيس بن أبي السعدي يوم السبت لثمان بقين من صفر بمن فرض من الأعراب وهم ستمائة رجل ومائتا فارس وقدم في هذا اليوم عشرة نفر من وجوه أهل طرسوس يشكون بلكاجور، ويزعمون أن بيعة المعتز وردت عليه، فخرج بعد ساعتين من وصول الكتاب، ودعا إلى بيعة المعتز، وأخذ القواد وأهل الثغر بذلك.

فبايع أكثرهم، وامتنع بعض، فأقبل على من امتنع بالضرب والقيد والحبس، وذكر أنهم امتنعوا وهربوا لما أخذهم بالبيعة كرهاً، فقال وصيف: ما أظن الرجل إلا اغترموه عليه وإن الوارد عليه بكتاب المعتز هو الليث بن بابك، وذكر له أن المستعين مات، وأقاموا المعتز مكانه، فتكلم هؤلاء النفر يشكون بلكاجور، ونسبوه إلى أنه فعل ذلك على عمد، ورفعوا عليه أنه كان يرى في بني الواثق، وقد ورد كتاب بلكاجور يوم الأربعاء لأربع بقين من صفر مع رجل يقال له علي الحسين المعروف بابن الصعلوك، يذكر فيه أنه ورد عليه كتاب من أبي عبد الله بن المتوكل، أنه قد ولي الخلافة، وبايع له فلما ورد عليه كتاب المستعين بصحة الأمر، جدد أخذ البيعة على من قبله، وأنه على السمع والطاعة له فأمر للرسول بألف درهم فقبضها، وقد كان أمر بالكتاب إلى محمد بن علي الأرمني المعروف بأبي نصر بولايته على الثغور الشامية فلما ورد كتاب بلكاجور بالطاعة أمسك عن إنفاذ كتاب محمد بن علي الأرمني بالولاية.

وفي يوم الاثنين لست بقين من صفر من هذه السنة قدم إسماعيل بن فراشة من ناحية همدان في نحو ثلاثمائة فارس، وكان جنده ألفاً وخمسمائة، فتقدم بعضهم وتأخر بعض، وتفرقوا، وقدم معه برسول للمعتز، كان وجهه إليه لأخذ البيعة، فقيده الرسول، وصار به إلى مدينة السلام على بغل بلا أكاف، فخلع على إسماعيل خمس خلع وورد برجل ذكر أنه علوي أخذ بناحية الري وطبرستان، متوجهاً إلى من هناك من العلوية، وكان معه دواب وغللمان، فأمر به فحبس في دار العامة أشهراً، ثم أخذ منه كفيل وأطلق.

وقرئ في هذا اليوم كتاب موسى بن بغا يذكر فيه أنه ورد كتاب المعتز، وأنه دعا أصحابه، وأخبرهم بما حدث، وأمرهم بالانصراف معه إلى مدينة السلام، فامتنعوا، وأجابته الشاكرية والأبناء، واعتزله الأتراك ومن كانفهم، وحاربوه فقتل منهم جماعة وأسر أسرى، فهم قادمون معه فكبروا في دار ابن طاهر عند قراءتهم كتابه.

ولخمس بقين من صفر دخل من البصرة عشر سفائن بحرية، تسمى البوارج، في كل سفينة اشتيام وثلاثة نفاطين ونجار وخباز وتسعة وثلاثون رجلاً من الجذافين والمقاتلة، فذلك في كل سفينة خمسة وأربعون رجلاً.

فدلت إلى الجزيرة التي بجذاء دار ابن طاهر، ولعب أصحابها بالنيران، ثم مدت إلى ناحية الشماسية في هذه الليلة، فرمى فيها من الأتراك بالنيران، فغزموا على الانتقال من معسكرهم بركة الشماسية إلى بستان أبي جعفر بالحير، ثم بدا لهم فارتفعوا فوق عسكرهم في موضع لا ينالهم شيء من النار.

وليلة بقيت من صفر صار الأتراك والمغاربة إلى أبواب مدينة السلام من الجانب الشرقي، فأغلقت الأبواب في وجوههم، ورموا بالسهم والمنجنيقات والعرادات، فقتل من الفريقين وجرح جماعة كثيرة، فلم يزالوا كذلك إلى العصر.

وفي هذه السنة كر سليمان بن عبد الله راجعاً من جرجان إلى طبرستان وشخص من آمل، وخرج بجمع كثير وخيل وسلاح، ففتح

الحسن بن زيد ولحق بالديلم، فكتب إلى السلطان ابن أخيه محمد بن طاهر بدخوله طبرستان، فقرأ كتابه ببغداد، وكتب نسخة ذلك المستعين إلى بغا الصغير مولى أمير المؤمنين بفتح طبرستان على يدي محمد بن طاهر وهزيمة الحسن بن زيد، وأن سليمان بن عبد الله دخل سارية على حال من السلامة، وأنه ورد عليه ابنان لقارن بن شهریار مولى أمير المؤمنين، يقال لهما مازيار ورستم، في خمسمائة رجل، إلى ما ذكر من غير ذلك في الفتح، وأن أهل آمل أتوه منيبيين مظهرين إنايتهم، مستقيلين عثراتهم، فلقبهم بما زاد في سكونهم وثقتهم، ونهض بعسكره على تعيينه، مستقرًا للقرى والطرق، وتقدم بالنهي عن القتل، وترك العرض لأحد في سلب وغيره، وتوعد من جاوز ذلك، وأن كتاب أسد بن جندان وافاه بهزيمة علي بن عبد الله الطالبي المسمى بالمرعشي فيمن كان معه، وهم أكثر من ألفي رجل ورجلين من رؤساء الجبل، في جمع عظيم عند تأدي الخبر إليهم بانزهاض الحسن بن زيد ودخوله بالأولياء إلى تلك الناحية، وأنه دخل مدينة آمل في أحسن هيئة، وظهر عزه وسلامه شامله،

وانقطعت عنه أسباب الفتنة ونمست بقين من المحرم من هذه السنة ورد كتاب العلاء بن أحمد عامل بغا الشرايبي على الخراج والضياح بأرمينية، بما كان من خروج رجلين بتلك الناحية، سماهما وذكر إيقاعه بهما، وأنهما التجأ إلى قلعة، فوضع عليها المجانيق حتى جهدها، وأنهما خرجا من القلعة هاربين، وخفي أمرهما وصارت القلعة في أيدي الأولياء.

وفيهما أيضا ورد كتاب مؤرخ لإحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم بانتقاض أهل أردبيل، وكتاب الطالبي إليهم، وأنه بعث أربعة عساكر على أربعة أبواب مدينتهم ليحاصروهم وفيها ورد كتاب مخبر عن الحرب التي كانت بين عيسى بن الشيخ والموفق الخارجي وأسر عيسى الموفق، ومسألة عيسى المستعين توجيه ما يحتاج إليه من السلاح، ليكون عدة له في البلد، يقوى به الجند على الغزو، وأن يكتب إلى صاحب الصور في توجيه أربع مراكب إليه بجميع آلتها، تكون قبله مع ما قبله منها وفيها أيضا ورد كتاب محمد بن طاهر بخبر الطالبي الذي ظهر بالري ونواحيها، وما أعد له من العساكر، ووجه إليه من المقاتلة، وبهرب الحسن بن زيد عند مصيره إلى الحمديّة وإحاطة عسكره بها، وأنه عند دخوله الحمديّة وكل بالمسالك والطرق، وبث أصحابه، وأن الله أظفروهم بمحمد بن جعفر أسيرا على غير عقد ولا عهد والذي صار إلى الري من العلوية في المرة الثانية بعد ما أسر محمد بن جعفر أحمد بن عيسى بن علي بن حسين الصغير بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وإدريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن

عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب، وهو الذي خرج في مصعد الحاج، والذي بطبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رحمة الله عليه ورضوانه وفيها أيضا ورد كتاب من محمد بن طاهر على المستعين، يذكر فيه انهزام الحسن بن زيد منه، وأنه لقيه في زهاء ثلاثين ألفا، فجرت فيما بينه وبينه حرب، وأنه قتل من رءوس أصحابه ثلاثمائة ونيفا وأربعين رجلا وأمر المستعين أن يقرأ نسخة كتابه في الآفاق ٤ وفيها خرج يوسف بن إسماعيل العلوي ابن أخت موسى بن عبد الله الحسيني وفي شهر ربيع الأول منها أمر محمد بن عبد الله أن يتخذ لعياري أهل بغداد كافر كوبات، وأن يصير فيها مسامير الحديد، ويجعل ذلك في دار المظفر بن سيسل، لأنهم كانوا يحضرون القتال بغير سلاح، وكانوا يرمون بالآجر، ثم أمر مناديا، فنادى: من أراد السلاح فليحضر دار المظفر، فوافاه العيارون من كل جانب، فقسم ذلك فيهم، وأثبت أسماءهم، ورأس العيارون عليهم رجلا يدعى ينتويه، ويكنى أبا جعفر وعدة آخر، يدعى أحدهم دونل، والآخر دمحال، والآخر أبا ثملة، والآخر أبا عصارة، فلم يثبت منهم إلا ينتويه، فإنه لم يزل رئيسا على عياري الجانب الغربي، حتى انقضى امر هذه الفتنة ولما أعطى العيارون الكافر كوبات تفرقوا على أبواب بغداد، فقتلوا من الأتراك ومن أتباعهم نحوًا من خمسين نفسا في ذلك اليوم، وقتل منهم عشرة أنفس وجرح منهم خمسمائة بالنشاب، وأخذوا من الأتراك علمين وسلحين.

وفيها كانت لبحونه بن قيس وقعة مع جماعة من الأتراك بناحية بزوغى، لقيهم هو ومحمد بن أبي عون وغيرهما، فأسروا منهم سبعة، وقتلوا ثلاثة، ورمى بعضهم بنفسه في الماء، فغرق بعضهم ونجا بعضهم. وذكر عن أحمد بن صالح بن شيرزاد، أنه سأل رجلا من الأسرى عن عدة القوم الذين لقيهم ببحونه، قال: كنا أربعين رجلا، فلقينا ببحونه وأصحابه سحرا، فقتل منا ثلاثة، وغرق ثلاثة، وأسروا ثمانية، وأفلت الباقون، وأخذ ثمانين عشرة دابة وجواشن وراية لعامل أوانا، وهو أخو

هارون بن شعيب.

وكانت الوقعة بأوانا يوم الأربعاء، وأقام جند بجونه وعبد الله بن نصر بن حمزة بقطربل مسلحة.

ونخرج- فيما ذكر- ينتويه وأصحابه من العيارين في بعض هذه الأيام من باب قطربل، ففضوا يشتمون الأتراك حتى جازوا قطربل، فعبروا إلىهم من الأتراك ناشبة في الزواريق، فقتلوا منهم رجلا، وجرحوا منهم عشرة، وكاثرهم العيارون بالحجارة فأثخنوهم، فرجعوا إلى معسكرهم، فأحضر ينتويه دار ابن طاهر، فأمر ألا يخرج إلا في يوم قتال، وسور، وأمر له بخمسمائة درهم.

ولأربع عشرة خلت من ربيع الأول منها، قدم من ناحية الرقة مزاحم بن خاقان، وأمر القواد وبني هاشم وأصحاب الدواوين بتلقيه، وقدم معه من كان معه من أصحابه من الخراسانية والأتراك والمغاربة، وكانوا زهاء ألف رجل، معهم عتاد الحرب من كل صنف، ودخل بغداد، ووصيف عن يمينه وبغا عن شماله، وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن يسار بغا، وإبراهيم بن إسحاق خلفهم، وهو بوقار ظاهر، فلما وصل خلع عليه سبع خلع، وقلد سيفاً، وخلع على ابنه، على كل واحد منهما خمس خلع ثم أمر أن يفرض له ثلاثة آلاف رجل من الفرسان والرجالة، ووجه المعتز موسى بن شناس ومعه حاتم بن داود بن بخور في ثلاثة آلاف رجل من الفرسان والرجالة فمسكروا بإزاء عسكر أبي أحمد من الجانب الغربي بباب قطربل لليلة خلت

من ربيع الأول ونخرج رجل من العيارين يعرف بديكويه على حمار وخليفته على حمار، ومعهم ترسة وسلاح، ونخرج آخر في الجانب الشرقي يكنى أبا جعفر ويعرف بالخرمي في خمسمائة رجل في سلاح ظاهر، معهم الترسة وبواري مقيره وسيوف وسكاكين في مناطقهم، ومعهم كافر كوبات، وقرب العسكر الوارد من سامرا إلى الجانب الغربي من بغداد فركب محمد بن عبد الله ومعه أربعة عشر قائداً من قواده في عدة كاملة، ونخرج من المبيضة والنظارة خلق كثير، فسار حتى حاذى عسكر أبي أحمد، وكانت بينهم في الماء جولة قتل من عسكر أبي أحمد أكثر من خمسين رجلاً، ومضى المبيضة حتى جازت العسكر بأكثر من نصف فرسخ، فعبرت إليهم شبارات من عسكر أبي أحمد، فكانت بينهم مناوشة، وأخذوا عدة من الشبارات بما فيها من المقاتلة والملاحين، فاستوثق منهم، وانصرف محمد بن عبد الله، وأمر ابن أبي عون أن يصرف الناس، فوجه ابن أبي عون إلى النظارة والعامية من صرفهم وأغلظ لهم القول، وشتمهم وشتموه، وضرب رجلاً منهم فقتله وحملت عليه العامة، فانكشف من بين أيديهم، وقد كان أربع شبارات من شبارات أهل بغداد تخلفت، فلما انصرف ابن أبي عون منهزماً من العامة نظر إليها أهل عسكر أبي أحمد فوجهوا في طلبها شبارات، فأخذوها وأحرقوا سفينة فيها عرادة لأهل بغداد وصار العامة من فورهم إلى دار ابن أبي عون لينهبوها، وقالوا:

مايل الأتراك، وأعانهم وانهمز بأصحابه، وكلوا محمد بن عبد الله في صرفه وضجوا، فوجه المظفر بن سيسل في أصحابه، وأمره أن يصرف العامة ويمنعهم أن يأخذوا لابن أبي عون شيئاً من متاعه، وأعلمهم أنه قد عزله عن امر الشبارات والبحريات والحرب، وصير ذلك إلى أخيه عبيد الله بن عبد الله، ففضى مظفر، فصرف الناس عن دار محمد بن أبي عون.

وفي يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول وافى عسكر الأتراك الشاخص من سامرا إلى بغداد عكبراء، فأخرج ابن طاهر بندار الطبري وأخاه عبيد الله وأبا السنا ومزاحم بن خاقان وأسد بن داود سياه وخالد

ابن عمران وغيرهم من قواده، ففضوا حتى بلغوا قطربل، وفيها كمين الأتراك فأوقع بهم، ونشبت الحرب بينهم، فدفعهم الأتراك حتى بلغوا الحائطين بطريق قطربل وقاتل أبو السنا وأسد بن داود قتالاً شديداً، وقتل كل واحد منهما عدة من الأتراك والمغاربة، ومال أبو السنا ميلاً، وتبعه الناس، فقتل قائداً من قواد الأتراك يقال له سور، ورفع رأسه فصار من فوره إلى دار ابن طاهر، وأعلمه هزيمة الناس وسأله المدد، فأمر ابن طاهر به فطوق- وكان وزن الأطواق كل طوق ثلاثين ديناراً، وكل سوار سبعة مثاقيل ونصف- وانصرف أبو السنا راجعاً إلى الناس فيمن أخرج إليهم من المدد من جميع الأبواب، فذكر أن محمد بن عبد الله عنف أبا السنا بإخلاله بموضعه ومجيئه نفسه بالراس، وقال له: اخلت بالفاس، فقبح الله هذا الرأس ومجيئك به! ولما انصرف محمد بن عبدوس قاتل أسد بن داود أشد قتال بعد تفرق الناس عنه، فقتل وثاب إلى موضعه قوم من أهل بغداد بعد ما أخذ الأتراك رأسه، فدافعوه عن جثته، فحملوه إلى بغداد في زورق، وبلغ الأتراك باب قطربل، فخرج الناس إليهم فدفعوهم عن الباب دفعا شديداً، واتبعوهم حتى نحوهم، فأتي دار ابن طاهر

بعده رءوس ممن قتل من الأتراك والمغاربة في هذا اليوم، فأمر بنصبها بباب الشماسية، فنصبت هنالك، ثم رجع الاتراك والمغاربه على اهل بغداد ممن ناحية قطربل، فقتل من أهل بغداد خلق كثير، وقتل من الأتراك جمع كثير، ولم يزل بNDAR ومن معه يقاتلونهم حتى أمسوا وانصرف بNDAR بالناس، وغلقت الأبواب، وأمر ابن طاهر المظفر بن سيسل ورشيد ابن كاوس وقائدا معهم فتوجهوا في نحو من خمسمائة فارس من باب قطربل إلى ناحية عسكر ابن أشناس، فوافوهم على حال سكون وأمن، فقتلوا منهم نحو من ثلاثمائة، وأسروا عدة وانصرفوا.

وذكر أن الأتراك والمغاربة وافوا في هذا اليوم باب القطيعة، فنقبوا نقبا

بقرب الحمام الذي يعرف بباب القطيعة، فقتل أول من خرج منهم من النقب، وكان القتل في هذا اليوم أكثر في الأتراك والمغاربة والجراح بالسهم في أهل بغداد.

وسمعت جماعة يذكرون أنه حضر هذه الوقعة غلام لم يبلغ الحلم، ومعه مخلاة فيها حجارة ومقلع في يده، يرمي عنه فلا يخطئ وجوه الأتراك ووجوه دوابهم وأن أربعة من فرسان الأتراك الناشبة جعلوا يرمونه فيخطئون، وجعل يرميهم فلا يخطئ، وتقطر بهم دوابهم، ففضوا حتى جاءوا معهم بأربعة من رجالة المغاربة بأيديهم الرماح والتراس، فجعلوا يحملون عليه، ثم داخله اثنان منهم، فرمى بنفسه في الماء، ودخلا خلفه فلم يلحقاه، وعبر إلى الجانب الشرقي، وصيح بهما، وكبر الناس، فرجعوا ولم يصلوا إليه.

وذكر أن عبيد الله بن عبد الله دعا القواد في هذا اليوم وهم خمسة نفر، فأمر كل واحد منهم بناحية، ثم مضى الناس إلى الحرب، وانصرف هو إلى الباب، فقال لعبد الله بن جهم وهو موكل بباب قطربل: إياك أن تدع منهم أحدا يدخل منهزما من الباب ونشبت الحرب، وتشئت الناس، ووقعت الهزيمة، وثبت أسد بن داود، حتى قتل وقتل بيده ثلاثة، ثم أتاه سهم غرب، فوقع في حلقه فولى، وجاء سهم آخر فوقع في كفل دابته فشبت به فصرعته، ولم يثبت معه أحد إلا ابنه، فخرج، وكان إغلاق الباب على المنهزمين أشد من عدوهم، وحمل - فيما ذكر - إلى سامرا من أهل بغداد سبعون أسيرا، ومن الرءوس ثلاثمائة رأس.

وذكر أن الاسرى لما قربوا من سامرا أمر الذي وجه به معهم ألا يدخلهم سامرا إلا مغطي الوجوه، وأن أهل سامرا لما رأوهم كثر ضجيجهم وبكاؤهم، وارتفعت أصواتهم وأصوات نسائهم بالصراخ والدعاء، فبلغ ذلك المعتز، فكره ان تغلظ قلوب من بحضرته من الناس عليه، فأمر لكل أسير بدينارين،

وتقدم إليهم بترك معاودة القتال، وأمر بالرءوس فدفت.

وكان في الأسرى ابن محمد بن نصر بن حمزة وأخ لقسطنطينية جارية أم حبيب وخمسة من وجوه بغداد ممن كان في النظارة، فأما ابن محمد بن نصر، فذكر أنه قتل وصلب بإزاء باب الشماسية لمكان أبيه.

وفي يوم الخميس لأربع بقين من شهر ربيع الأول، قدم أبو الساج من طريق مكة في نحو من سبعمائة فارس ومعه ثمانية عشر محملا فيها ستة وثلاثون أسيرا من أسارى الأعراب في الأغلال، ودخل هو وأصحابه بغداد في زي حسن وسلاح ظاهر، فصار إلى الدار، فخلع عليه خمس خلع، وقلد سيفا، وانصرف إلى منزله مع أصحابه.

وقد خلع على أربع نفر من أصحابه وفي يوم الاثنين لانسلاخ شهر ربيع الأول، وافى باب الشماسية - فيما قيل - جماعة من الأتراك، معهم من المعتز كتاب إلى محمد بن عبد الله، وسألوا إيصاله إليه، فامتنع الحسين بن إسماعيل من قبوله حتى استأمر، فأمر بقبوله، فوافى يوم الجمعة ثلاثة فوارس، فأخرج إليهم الحسين بن إسماعيل رجلا معه سيف وترس، فأخذ الكتاب من خريطة، فأخرج، فأوصله إلى محمد، فإذا فيه تذكير محمد بما يجب عليه من حفظه لقديم العهد بينه وبين المعتز والحرمة، وأن الواجب كان عليه أن يكون أول من سعى في أمره وتوجيه خلافته، وذكر أن ذلك أول كتاب ورد عليه من المعتز بعد الحرب.

وفي يوم السبت خمس خلون من ربيع الآخر وافى بغداد حبشون ابن بغا الكبير ومعه يوسف بن يعقوب قوصرة مولى الهادي فيمن كان مع موسى ابن بغا من الشاكرية، وانضم إليهم عامة الشاكرية المقيمين بالرقعة، وهم في نحو من ألف وثلاثمائة، فخلع عليه خمس خلع، وعلى يوسف أربع خلع، وعلى نحو من عشرين من وجوه الشاكرية، وانصرفوا إلى منازلهم

وقدم بغداد رجل ذكر أن عدة الأتراك والمغاربة وحشوههم في الجانب الغربي اثنا عشر ألف رجل ورأسهم بإيكاك القائد، وأن عدة من مع أبي أحمد في الجانب الشرقي سبعة آلاف رجل خليفته عليهم الدرغمان الفرغاني، وأنه ليس بسامرا من قواد الأتراك ولا من قواد المغاربة إلا ستة نفر، وكلوا بحفظ الأبواب وكانت بين الفريقين وقعة يوم الأربعاء لسبع خلون من شهر ربيع الآخر، فقتل - فيما ذكر- فيها من أصحاب المعتز مع من غرق منهم أربعمئة رجل، وقتل من أصحاب ابن طاهر مع من غرق ثلاثمئة رجل، لم يكن فيهم إلا جندي، وذلك أنه لم يخرج في ذلك اليوم من الغوغاء أحد وقتل الحسن بن علي الحربي، وكان يوما صعبا على الفريقين جميعا. وذكر أن مزاحم بن خاقان رمى فيه موسى بن أشناس بسهم فأصابه، فانصرف مجروحا، وافتقد من عسكر أبي أحمد نحو من عشرين قائدا من الأتراك والمغاربة.

ولما كان يوم الخميس لأربع عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر خلع على أبي الساج خمس خلع، وعلى ابن فراشة أربع خلع، وعلى يحيى بن حفص حبوس ثلاث خلع وعسكر أبو الساج في سوق الثلاثاء، وأعطى الجند بغالا من بغال السلطان يحمل عليها الرجال، وحول مزاحم بن خاقان من باب حرب إلى باب السلامة، وصار مكان مزاحم خالد بن عمران الطائي الموصلية. وذكر أن أبا الساج لما أمره ابن طاهر بالشخص قال له: أيها الأمير، عندي مشورة أشير بها، قال: قل يا أبا جعفر، فإنك غير متهم، قال:

إن كنت تريد أن تجاد هؤلاء القوم فالرأي لك ألا تفارق قوادك ولا تفرقهم، واجمعهم حتى تفض هذا العسكر المقيم بإزائك، فإنك إذا فرغت من هؤلاء فما أقدرك على من وراءك! فقال: ان لي تديرا، ويكفي ان شاء فقال أبو الساج: السمع والطاعة، ومضى لما أمر به.

وذكر أن المعتز كتب إلى أبي أحمد يلومه للتقصير في قتال أهل بغداد، فكتب إليه:

لأمر المنايا علينا طريق ... وللدهر فيه اتساع وضيق
فأيامنا عبر للأنام ... فنها البكور ومنها الطروق
ومنها هنات تشيب الوليد ... ويخذل فيها الصديق الصديق
وسور عريض له ذروة ... تفوت العيون وبحر عميق
قتال مبيد، وسيف عتيد ... وخوف شديد، وحصن وثيق
وطول صياح لداعي الصباح ... السلاح السلاح، فما يستفيق
فهذا قتيل وهذا جريح ... وهذا حريق وهذا غريق
وهذا قتيل وهذا تليل ... وآخر يشدخه المنجنيق
هناك اغتصاب وثم انتهاب ... ودور خراب وكانت تروق
إذا ما سمونا إلى مسلك ... وجدناه قد سد عنا الطريق
فبالله نبلغ ما نرتجيه ... وبالله ندفع ما لا نطبق
فأجابه محمد بن عبد الله - أو قيل على لسانه:
ألا كل من زاغ عن أمره ... وجار به عن هداه الطريق
ملاق من الأمر ما قد وصفت ... وهذا بأمثال هذا خليق
ولا سيما ناكث بيعة ... وتوكيدها فيه عهد وثيق
يسد عليه طريق الهدى ... ويلقى من الأمر ما لا يطيق
وليس ببالغ ما يرتجيه ... من كان عن غيه لا يفيق

٩٠٣٣٠٣ ذكر خبر المدائن في هذه الفتنة

أتانا به خبر سائر ... رواه لنا عن خلوق خلوق
وهذا الكتاب لنا شاهد ... يصدقه ذا النبي الصدوق
أما الشعر الأول، فإنه ينشد لعلي بن أمية في فتنة المخلوع والمأمون، والجواب لا يعرف قائله.

وفي ربيع الآخر من هذه السنة ذكر أن مائتي نفس من بين فارس وراجل مضوا من قبل المعتز الى ناحيه البندنجين ورئيسهم تركي يدعى أبلج، فقصدها الحسن بن علي، فانتهبوا داره، وأغاروا على قريته، ثم صاروا إلى قرية قريبة منها، فأكلوا وشربوا، فلما اطمأنوا استصرخ عليهم الحسن بن علي أكرادا من أخواله وقوما من قرى حوله، فصاروا إليهم وهم غارون، فأوقع بهم وقتل أكثرهم، وأسر سبعة عشر رجلا منهم، وقتل أبلج، وهرب من بقي منهم ليلا، ثم بعث الحسن بن علي الأسرى ورأس أبلج ورءوس من قتل معه إلى بغداد.

والحسن بن علي هذا رجل من شيبان كان يخلف - فيما ذكر - يحيى بن حفص في عمله، وأمه من الأكراد. ذكر خبر المدائن في هذه الفتنة

ذكر أن أبا الساج وإسماعيل بن فراشة ويحيى بن حفص، لما خلع عليهم للشخص نحو المدائن، عسكروا بسوق الثلاثاء، فلما كان يوم الأحد لعشر بقين من شهر ربيع الأول، حمل رجالته على البغال، وصاروا إلى المدائن، ثم إلى الصيادة، وابتدأ في حفر خندق المدائن - وهو خندق كسرى - وكتب يستمد، فوجه اليه خمسمائة رجل من رجاله الجيشية، وكان شخوصه في ثلاثة آلاف فارس وراجل، ثم استمده فأمدته، فحصل في عسكره ثلاثة آلاف فارس وألفا راجل، ثم أمد بمائتي راجل من الشاكرية القدماء، وحملوا في السفن، وانحدروا إليه يوم الأحد لأربع خلون من جمادى الآخرة

ذكر الخبر عن أمر الأنبار وما كان فيها من هذه الفتنة فما كان بها ان محمد بن عبد الله وجه بحونه بن قيس في الأعراب إلى الأنبار، وأمره بالمقام بها والفرض لأعراب الناحية، ففرض قوما منهم ومن المشبهة بهم نحو من ألفي رجل، فأقام بالأنبار وضبطها، فبلغه أن قوما من الأتراك قد قصدوه، فبثق الماء من الفرات إلى خندق الأنبار، فامتلاً الخندق لزيادة الماء، وفاض على ما يليه من الصحاري، فصار الماء إلى السالحين فصار ما يلي الأنبار بطيخة واحدة، وقطع القناطر التي توصل إلى الأنبار، وكتب يستمد فندب للخروج إليه رشيد بن كاوس أخو الأفشين، وضم إليه ممن كان معه من رجاله تمة ألف رجل، خمسمائة فارس وخمسمائة راجل، فشخص وعسكر في قصر عبدويه، وأمدته ابن طاهر بثلاثمائة راجل من الملقطين القادمين من الثغور، وانتخبوا، ودفع إليهم استحقاقهم، ونفذوا إليه يوم الثلاثاء ورحل من قصر عبدويه يوم الاثنين سلخ ربيع الآخر في نحو من ألف وخمسمائة رجل، وأخرج المعتز أبا نصر بن بغا من سامرا على طريق الإسحاق يوم الثلاثاء، فسار يومه وليته، فصبح الأنبار ساعة نزلها رشيد بن كاوس.

وكان بحونه نازلا في المدينة ورشيد خارجها، فلما وافى أبو نصر عاجل رشيدا وأصحابه وهم غارون على غير تعبئة، فوضع أصحابه فيهم السيف، ورموهم بالنشاب فقتلوا عدة، وثار بعض أصحاب رشيد إلى أسلحتهم، فقاتلوا الاتراك والمغاربه قتالا شديدا، وقتلوا منهم جماعة، ثم انهزم الشاكرية ورشيد على الطريق الذي جاءوا فيه منصرفين إلى بغداد.

ولما بلغ بحونه ما لقيه أصحاب رشيد، وأن الأتراك قد مالوا عند انهزام رشيد إلى الأنبار عبر إلى الجانب الغربي، وقطع جسر الأنبار، وعبر معه جماعة من أصحابه، وصار رشيد إلى المحول في ليلته، وسار بحونه

في الجانب الغربي حتى وافى بغداد يوم الخميس بالعشي ثم دخل رشيد في هذه العشية إلى دار ابن طاهر، فاعلم بحونه محمد بن عبد الله أنه عند مصير الأتراك إلى الأنبار وجه إلى رشيد يسأله أن يوجه إليه مائة رجل من الناشبة ليرتبهم قدام أصحابه، فامتنع من ذلك، وسأله أن يضم إليه ناشبة من الفرسان والرجالة ليصير إلى بني عمه، وذكر أنهم مقيمون هنالك في الجانب الغربي على الطاعة وانتظار أمير المؤمنين، وضمن أن يتلافى ما كان منه فضم اليه ثلاثمائة رجل من فرسان الشاكرية الناشبة ورجالتهم، وخلع عليه خمس خلع، ومضى إلى قصر ابن هبيرة يستعد هنالك.

ثم اختار محمد بن عبد الله الحسين بن إسماعيل للأنبار، ووجه محمد بن رجاء الحضاري معه وعبد الله بن نصر بن حمزة ورشيد بن كاوس ومحمد بن يحيى وجماعة من الناس، وأمر بإخراج المال لمن يخرج مع الحسين ومع هؤلاء القوم، فامتنع من كان قدم من ملطية من الشاكرية وهم عظم الناس من قبض رزق أربعة أشهر، لأن أكثرهم كان بغير دواب، وقالوا: نحتاج إلى أن نقوى في أنفسنا، ونشتري الدواب وكان الذي أطلق لهم أربعة آلاف دينار، ثم رضوا بقبض أربعة أشهر، فجلس الحسين في مجلس على باب محمد بن عبد الله، وتقدم في تصحيح الجرائد، ليكون عرضه الناس وأصحابه في مدينة أبي جعفر، فأعطى في ذلك اليوم جماعة من خاصته ثم صار الحسين

وأصحاب الدواوين بعد ذلك الى مدينة أبي جعفر، ووضع العطاء لمن يخرج معه من الجند في ثلاثة مجالس، واستتم إعطاؤهم يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى.

فلما كان يوم الاثنين أحضر الحسين بن إسماعيل الدار ومعه القواد الخارجون معه: رشيد بن كاوس، ومحمد بن رجاء، وعبد الله بن نصر بن حمزه، وارمش الفرغاني، ومحمد بن يعقوب أخو حزام، ويوسف بن منصور بن يوسف البرم، والحسين بن علي بن يحيى الأرمي، والفضل بن محمد بن الفضل، ومحمد بن هرثمة بن النصر، وخلع على الحسين، وقدمت مرتبته إلى الفوج الثاني- وكان في الفوج الرابع- وخلع على هؤلاء القواد، وصير رشيد بن كاوس على المقدمة، ومحمد بن رجاء على الساقة، ومضى الحسين ومن ضم إليه من عشيرته وقواده إلى معسكرهم، وأمر وصيف وبغا أن يسبقا الحسين إلى معسكره، وشيعة عبيد الله بن عبد الله وجميع قواد ابن طاهر وكتابه وبنو هاشم والوجوه إلى الياصرية، وأخرج لأهل العسكر من المال ستة وثلاثون ألف دينار، وحمل إلى معسكر الياصرية بعد لاعطاء من بقي الف وثمانمائة دينار، تمام استحقاقهم.

فلما كان يوم الخميس سارت مقدمة الحسين والمقلد لها عبد الله بن نصر ومحمد بن يعقوب في ألف فارس وراجل، فنزلوا البثق المعروف بالقاطوفة، وكان الأتراك قد وجهوا إلى المنصورية على خمسة فراسخ من بغداد جماعة منهم ومن المغاربة والغوغاء زهاء مائة إنسان، فظفر بسبعة من المغاربة، فوجه بهم إلى الحسين، فأنفذهم إلى الباب، وسار الحسين يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الأولى وقد كان أهل الأنبار حين تنحى بجونه ورشيد، وصار الأتراك والمغاربة إلى الأنبار ونادوا الأمان، فأعطوه، وأمروا بفتح حوانيتهم والتسوق فيها والانتشار في أمورهم، واطمأنوا إلى ذلك منهم وسكنوا، وطمعوا فيهم أن يفوا لهم، فأقاموا بذلك يومهم وليلتهم حتى أصبحوا، وكان في وقت غلبتهم عليها وافتهم سفن من الرقة فيها دقيق وأطواف فيها زيت وغير ذلك، فأخذوه وجمعوا ما وجدوا فيها من إبل ودواب وبغال وحمير، ووجهوا بذلك مع من يؤديه إلى منازلهم بسامرا، وانتهبوا ما وجدوا، ووجهوا براءوس من قتل من أصحاب رشيد وبجونه وأهل بغداد وبمن أسروا وكانوا مائة وعشرين رجلا، والراءوس سبعون رأسا، وجعلوا الأسرى في الجوالقات، قد أخرجوا منها رءوسهم حتى صاروا إلى سامرا، وصار الأتراك إلى فم الأستانة، وحاولوا سدها ليقطعوا ماء الفرات عن بغداد، فوجهوا رجلا، ودفعوا إليه مالا لآلة السكر وسده مع القلوس والصواري، ففطن به وهو يبتاع ذلك، فحمل إلى دار

ابن طاهر بعد أن نالته العامة بالضرب والشتم، حتى أشفى على الموت، فسئل عن أمره فصدق، فوجه به إلى الحبس.

وكان ابن طاهر قد وجه الحارث خليفة أبي الساج، فكان على طريق مكة إلى قصر ابن هبيرة، وضم إليه خمسمائة رجل من فرسان الشاكرية القادمين معه، فنفذ ومن معه لسبع خلون من جمادى الأولى، ووجه ابن أبي دلف هشام ابن القاسم في مائتي راجل وفارس إلى السيبين، ليقم هناك، فلما توجه الحسين إلى الأنبار كتب إليه بالحق بعسكر الحسين ليصير معه إلى الأنبار، ونودي ببغداد في أصحاب الحسين ومزاحم بن خاقان أن يلحقوا بقواده فصار الحسين، وتقدم خالد بن عمران حتى نزل دما، فأراد أن يعقد على نهر أبق جسرا ليعبر عليه أصحابه، فنانعه الأتراك، فعبر إليهم جماعة من الرجالة فكشفوهم، وعقد خالد الجسر، فعبر هو وأصحابه، وصار الحسين إلى دما فعسكر خارجها، وأقام في معسكره يوما، ووافته طلائع الأتراك مما يلي نهر أبق ونهر ريفيل فوق قرية دما، فصف الحسين أصحابه من جانب النهر والأتراك من الجانب الآخر، وهم زهاء ألف رجل، وتراشقوا بالسهم، فخرج بينهم عداد، وانصرف الأتراك إلى الأنبار. وكان بجونه مقيما بقصر ابن هبيرة، فانضم إلى الحسين في جميع من كان معه من الأعراب وغيرهم، وكتب بجونه يسأل مالا لإعطاء أصحابه، فأمر أن يحمل إلى معسكر الحسين لاعطاء أصحاب بجونه ثلاثة آلاف دينار، وحمل إلى الحسين مال وأطواق واسوره وجوائز لمن أبل في الحرب، وكان الحسين وعد أن يمد بالرجال حتى يكمل عسكره عشرة آلاف رجل، فكتب ينتجز ذلك، فأمر بتوجيه أبي السنا محمد بن عبدوس الغنوي والحجاف بن سواد في ألف فارس وراجل من الملقطين وجند انتخبوا من قيادات شتى، فقبضوا أنزلهم لليلتين بقيتا من جمادى وساروا مع أبي السنا والحجاف على نهر كرخيا إلى المحول، ثم إلى دما، ونزل الحسين بعسكره في موضع يعرف بالقطيعة واسع يحتمل العسكر، فأقام فيه يومه، ثم عزم على الرحلة منه إلى قرب الأنبار، فأشار عليه رشيد والقواد أن ينزل عسكره بهذا الموضع لسعته وحصانته، ويسير هو وقواده في خيل جريدة، فإن كان الأمر له كان قادرا أن ينقل عسكره، وإن كان عليه انحاز

إلى عسكره وراجع عدوه، فلم يقبل الرأي، وحملهم على المسير من موضعهم، فساروا بين الموضعين فرسخان أو نحوهما فلما بلغوا الموضع الذي أراد الحسين النزول فيه، أمر الناس بالنزول، وكان جواسيس الأتراك في عسكر الحسين، فساروا إليهم، وأعلموهم رحلة الحسين، وضيق العسكر بالموضع الذي نزل فيه، فوافوهم والناس يحيطون أثقالهم، فسار أهل العسكر، ونادوا السلاح، فصافوهم، فكانت بينهم قتلى من الفريقين، وحمل أصحاب الحسين عليهم فكشفوهم كشفاً قبيحاً، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وغرق منهم خلق كثير في الفرات وكان الأتراك قد كمنوا قوماً، فخرج الكمين عند ذلك على بقية العسكر، فلم يكن لهم ملجأ إلا الفرات وغرق من أصحاب الحسين خلق كثير، وقتل جماعة وأسروا من الرجال جماعة، وأما الفرسان فضربوا دوابهم هراباً لا يلوون على شيء، والقواد ينادونهم يسألونهم الرجعة، فلم يرجع منهم أحد، وأبلى محمد بن رجاء ورشيد يومئذ بلاء حسناً، ولم يكن لمن انهزم معقل دون الياسرية على باب بغداد، فلم يملك القواد أمور أصحابهم، فأشفقوا حينئذ على أنفسهم، فاثنتوا راجعين وراءهم، يحمونهم من أدبارهم أن يتبعوا، وحوى الأتراك جميع عسكر الحسين بما فيه من المضارب وأثاث الجند وتجارات أهل السوق، وكان معه في السفن سلاح سلم، لأن الملاحين حرزوا سفنهم، فلم ما كان معهم من السلاح ومن تجارات التجار.

وذكر عن ابن زبور كاتب الحسين أنه أخذ للحسين اثنا عشر صندوقاً فيها كسوة ومال من مال السلطان مبلغه ثمانية آلاف دينار، ونحو من أربعة آلاف دينار لنفسه، ونحو من مائة بغل، وانتهب فروض الحسين مضارب الحسين وأصحابه، وطاروا مع من طار، فوافوا الياسرية، وكان أكثر النهب مع أصحاب أبي السنا ووافي الحسين والفل الياسرية يوم الثلاثاء لست خلون من جمادى الآخرة.

ولقي الحسين رجل من التجار في جماعة ممن ذهبت أموالهم في عسكره، فقال: الحمد لله الذي بيض وجهك! أصعدت في اثني عشر يوماً، وانصرفت في يوم واحد! فتغافل عنه.

قال أبو جعفر: وما انتهى إلينا من خبر الحسين بن إسماعيل ومن كان معه من القواد والجند الذين كان محمد بن عبد الله بن طاهر استنهمهم من بغداد في هذه السنة لحرب من كان قصد الأنبار وما اتصل بها من البلاد من الأتراك والمغاربة، أنه لما صار إلى الياسرية منصرفه مهزوماً من دما، أقام بها في بستان ابن الحروري، وأقام من وافي الياسرية من المنهزمة في الجانب الغربي من الياسرية، ومنعوا من العبور، ونودي ببغداد فيمن دخلها من الجند الذين في عسكر الحسين أن يلحقوا بالحسين في معسكره، وأجلوا ثلاثة أيام، فمن وجد منهم ببغداد بعد ثلاثة ضرب ثلاثمائة سوط، ومحى اسمه من الديوان.

فخرج الناس، وأمر خالد بن عمران في الليلة التي قدم فيها الحسين أن يعسكر في أصحابه بالحوّل، وأعطى أصحابه أرزاقهم في تلك الليلة في الشرج، ونودي في أصحابه بالحوّل بالحقاق به.

ونودي في الفرض القدماء الذين كانوا فرضوا بسبب أبي الحسين يحيى بن عمر بالكوفة وهم خمسمائة رجل، وأصحاب خالد وهم نحو من ألف رجل، فعسكروا بالحوّل يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادى الآخرة وأمر ابن طاهر الشاه بن ميكال في صبيحة الليلة التي وافي فيها الحسين أن يتلقاه ويمنعه من دخول بغداد فلقية في الطريق، فردّه إلى بستان ابن الحروري، وأقاموا يومهم، فلما كان الليل صاروا إلى دار ابن طاهر، فوبخه ابن طاهر وأمره بالرجوع إلى الياسرية لينفذ إلى الأنبار مع من ينفذ إليها من الجند، فصار من ليلته إلى الياسرية، ثم أمر بإخراج مال لإعطاء شهر واحد لآل هذا العسكر

فحمل تسعة آلاف دينار، وصار كتاب ديوان العطاء وديوان العرض إلى الياسرية لعرض الجند وإعطائهم.

فلما كان يوم الجمعة لسبع خلون من جمادى الآخرة توجه خالد بن عمران مصعباً إلى قنطرة بهلايا- وهي موضع السكر- وخرجت معه نحو من عشرين سفينة وركب عبيد الله بن عبد الله وأحمد بن إسرائيل والحسن بن محمد إلى عسكر الحسين بن إسماعيل بالياسرية، فقرأوا على الحسين والقواد كتاباً كتب به عن المستعين، يخبرهم فيه بسوء طاعتهم وما ركبوا من العصيان والتخاذل، فقرأ عليهم والعسكر مقيم، والعراض يعرضونهم ليتعرفوا من قتل ومن غرق من كل قيادة، ونودي بالحقاق بعسكرهم، فخرجوا.

وأثامهم كتاب بعض عيونهم بالأنبار يخبر أن القتلى كانت من الأتراك أكثر من مائتين، والجرحى نحو من أربعمائة، وأن جميع من أسره الأتراك من أهل بغداد الجيشية والفروض من الرجال مائتان وعشرون إنساناً، وأنه عد رءوس من قتل فوجدها سبعين رأساً،

وكانوا أخذوا جماعة من أهل الأسواق.

فصاحوا لأبي نصر: نحن أهل السوق، فقال: ما بالكُم معهم! فقالوا:

أكرهنا نفرجنا، شئنا أو أيننا فأطلق من كان منهم يشبه السوق، وأمر بحبس الأسرى في القطيعة.

وذكر عن صاحب بغال السلطان: أن جميع ما ذهب من بغال السلطان مائة وعشرون بغلا.

ورحل الحسين يوم الاثنين لاثنتي عشرة بقية من جمادى الآخرة، وكتب إلى خالد بن عمران وهو مقيم على السكر، أن يرسل متقدما أمامه، فامتنع خالد من ذلك، وذكر أنه لا يبرح من موضعه إلا أن يأتيه قائد في جند كثيف فيقيم مكانه، لأنه يتخوف أن يأتيه الأتراك من خلفه من عسكرهم بناحية قطربل وأمر ابن طاهر بمال، فحمل إلى الحسين بن إسماعيل لإعطاء جميع من في عسكره رزق شهر واحد، ليفرق فيهم بدما، وأمر أن يخرج معه الكتاب والعراض لأصحابه هنالك، وقد أمر نفقات

عسكره وإعطاء الجند من قبل ديوان الخراج الفضل بن مظفر السبعي، وحمل المال مع السبعي إلى معسكر الحسين، لينفذ.

معه إذا نفذ وقد قيل: إن الحسين ارتحل إلى الأنبار في النصف من ليلة الأربعاء لعشر بقين من جمادى الآخرة، فصار وتبعه من في عسكره يوم الأربعاء، ونودي في أصحابه بالحقاق به، فصار حتى نزل دما، وأراد أن يعقد على نهر أنق جسرًا ليعبر عليه، فأنعه الأتراك فعبّر إليهم جماعة من أصحابه من الرجال، فخاربوهم حتى كشفوهم وعقد خالد الجسر، فعبّر أصحابه ووجه محمد بن عبد الله بكاتبه محمد بن عيسى بشيء شافه به، فيقال: أنه حمل معه أطواقا وأسورة، وانصرف إلى منزله، وصار إلى الحسين يوم السبت ثمان خلون من رجب رجل، فأخبره أن الأتراك قد دلوا على عدة مواضع في الفرات، تخاض إلى عسكره، فأمر بضرب الرجل مائتي سوط، ووكل بالخواض رجلا من قواده، يقال له الحسين بن علي بن يحيى الأرمني في مائة راجل ومائة فارس، فطلع أول القوم، فخرج عليهم وقد أتاه منهم أربعة عشر علما، فقاتل أصحابه ساعة، ووكل بالقنطرة أبا السنا، وأمره أن يمنع من انهزم من العبور، فأتى الأتراك المخاضة، فأروا الموكل بها، فتركوه واقفا، وصاروا إلى مخاضة أخرى خلف الموكل فقاتلوهم، فصبر الحسين بن علي وقاتل، فقتل للحسين بن إسماعيل، فقصده نحوه، ولم يصل إليه حتى انهزم، وانهزم خالد بن عمران معه ومن معه، ومنعهم أبو السنا من العبور على القنطرة، فرجع الرجالة والخراسانية فرموا بأنفسهم في الفرات، فغرق من لم يحسن السباحة، وعبر من كان يحسن السباحة، فنجوا عريانا، وخرج إلى جزيرة لا يصل منها إلى الشط، لما على الشط من الأتراك، فذكر عن بعض جند الحسين، أنه قال: بعث الحسين بن علي الأرمني إلى الحسين بن إسماعيل أن الأتراك قد وافوا المخاضة، فأتاه الرسول، فقتل: الأمير نائم، فرجع الرسول فأعلمه، فرد آخر، فقال له الحاجب: الأمير في المخرج، فرجع فأخبره، فرد

رسولا ثالثا، فقال: قد خرج من المخرج ونام، فعلت الصيحة فعبّر الأتراك، فقعد الحسين في زورق أو شبارة، وانحدر واستأثر قوم من الخراسانية، ورموا ثيابهم وسلاحهم، وقعدوا على الشط عراة، وشد أصحاب أعلام الأتراك حتى ضربوا أعلامهم على مضرب الحسين بن إسماعيل، واقتطعوا السوق، وانحدرت عامة السفن، فسلمت إلا ما كان موكلا به منها، ولحق الأتراك أصحاب الحسين، فوضعوا فيهم السيف، فقتلوا وأسروا نحو من مائتين، وغرق خلق كثير، ووافى الحسين والمنهزمة بغداد نصف الليل، ووافى فلهم وبقيتهم في النهار، وفيهم جرحى كثيرة، فلم يزلوا إلى نصف النهار يتتابعون عراة مجرحين، وفقد من قواد الحسين بن يوسف البرم وغيره. ثم جاء كتابه أنه أسير في أيدي الأتراك عند مفلح، وأن عدة الأسرى من وقعة الحسين الثانية مائة ونيف وسبعون إنسانا، والقتلى مائة، والدواب نحو من ألفي دابة ومائتي بغل وأكثر، وقيمة السلاح والثياب وغير ذلك أكثر من مائة ألف دينار، فقال الهندواني في الحسين بن إسماعيل:

يا أحزم الناس رأيا في تخلفه ... عن القتال خلطت الصفو بالكدر

لما رأيت سيوف الترك مصلثة ... علمت ما في سيوف الترك من قدر

فصرت منحجزا ذلا ومنقصة ... والنجح يذهب بين العجز والضيح

ولحق بالمعتز في جمادى الآخرة منها من بغداد جماعة من الكتاب وبني هاشم، ومن القواد مزاحم بن خاقان أرتوج، ومن الكتاب

عيسى بن ابراهيم ابن نوح ويعقوب بن إسحاق وثناري ويعقوب بن صالح بن مرشد ومقله وابن لأبي مزاحم بن يحيى بن خاقان ومن بني هاشم على ومحمد ابنا الوثاق، ومحمد ابن هارون بن عيسى بن جعفر، ومحمد بن سليمان من ولد عبد الصمد بن علي وفيها كانت وقعة بين محمد بن خالد بن يزيد وأحمد المولد وأيوب بن أحمد بالسكير من أرض بني تغلب، قتل بين الفريقين جماعه كثيره، وانهزم محمد ابن خالد، وانتهب الآخرون متاعه، وهدم أيوب دور آل هارون بن معمر.

وقتل من ظفر به من رجالهم وفيها كانت لبلكاجور غزوة فتح- فيما ذكر- فيها مطمورة أصاب فيها غنيمة كثيرة، وأسر جماعة من الأعلاج، وورد بذلك على المستعين كتاب تاريخه يوم الأربعاء لثلاث ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وخمسين ومائتين وفي يوم السبت لثمان بقين من رجب من هذه السنة كانت وقعة بين محمد ابن رجاء وإسماعيل بن فراشة وبين جعلان التركي بناحية بادرايا وباكسايا، فهزم ابن رجاء وابن فراشة جعلان، وقتلا من أصحابه جماعة.

وأسرا جماعة وفي رجب منها كان- فيما ذكر- وقعة بين ديوداد أبي الساج وبين بايكاك بناحية جرجايا، قتل فيها أبو الساج بايكاك، وقتل من رجاله جماعة، وأسر منهم جماعة، وغرق منهم في النهران جماعة.

وفي النصف من رجب منها اجتمع من كان ببغداد من بني هاشم من العباسيين، فصاروا إلى الجزيرة التي بإزاء دار محمد بن عبد الله، فصاحوا بالمستعين وتناولوا محمد بن عبد الله بالشم القبيح، وقالوا: قد منعنا أرزاقنا، وتدفع الأموال إلى غيرنا ممن لا يستحقها، ونحن نموت هزلا وجوعا! فإن دفعت إلينا أرزاقنا وإلا قصدنا إلى الأبواب ففتحنها، وأدخلنا الأتراك، فليس يخالفنا أحد من أهل بغداد فعبر إليهم الشاه بن ميكال، فكلهم ورفق بهم، وسألهم أن يعبر معه منهم ثلاثة أنفس ليدخلهم على ابن طاهر، فامتنعوا من ذلك، وأبوا إلا الصياح وشم محمد بن عبد الله، فانصرف عنهم الشاه، فلم يزلوا على حالهم إلى قرب الليل، ثم انصرفوا واجتمعوا من غد ذلك اليوم، فوجه إليهم محمد بن عبد الله، فأمرهم بحضور الدار يوم الاثنين ليأمر من يناظرهم،

٩٠٣٣٠٤ خروج الحسين بن محمد الطالبي وما آل إليه امره

فصاروا إلى الدار، فأمر محمد بن داود الطوسي بمنازرتهم، وبذل لهم رزق شهر واحد، وأمرهم أن يقبضوا ذلك، ولا يكلفوا الخليفة أكثر من هذا، فأبوا أن يقبضوا رزق شهر، وانصرفوا. خروج الحسين بن محمد الطالبي وما آل إليه امره

وفيها خرج بالكوفة رجل من الطالبين يقال له الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب، فاستخلف بها رجلا منهم يقال له محمد بن جعفر بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن حسن، ويكنى أبا أحمد، فوجه إليه المستعين مزاحم بن خاقان أرطوج، وكان العلوي بسواد الكوفة في ثلاثمائة رجل من بني اسد وثلاثمائة رجل من الجارودية والزيدية وعامتهم صوافية، وكان العامل يومئذ بالكوفة احمد ابن نصر بن مالك الخزاعي، فقتل العلوي من أصحاب ابن نصر أحد عشر رجلا، منهم من جند الكوفة أربعة، وهرب أحمد بن نصر إلى قصر ابن هبيرة، فاجتمع هو وهشام بن أبي دلف، وكان يلي بعض سواد الكوفة- فلما صار مزاحم إلى قرية شاهي كتب إليه في المقام حتى يوجه إلى العلوي من يرده إلى الفيئة والرجوع فوجه إليه داود بن القاسم الجعفري، وأمر له بمال، فتوجه إليه وأبطأ داود وخبره على مزاحم، فزحف مزاحم إلى الكوفة من قرية شاهي، فدخلها وقصد العلوي فهرب، فوجه في طلبه قائدا، وكتب بفتح الكوفة في خريطة مريشة ٤ وقد ذكر أن أهل الكوفة عند ورود مزاحم حملوا العلوي على قتاله، ووعدوه النصر، نفرج في غربي الفرات، فوجه مزاحم قائدا من قواده في الشرقي من الفرات، وأمره أن يمضي حتى يعبر قطرة الكوفة ثم يرجع، فمضى القائد لذلك، وأمر مزاحم بعض أصحابه الذين بقوا معه أن يعبروا مخاضة الفرات في

قرية شاهي، وأن يتقدموا حتى يحاربوا أهل الكوفة ويصافوهم من أمامهم فصاروا ومعهم مزاحم، وعبر الفرات، وخلف أثقاله ومن بقي معه من أصحابه، فلما رآهم أهل الكوفة نأوشوهم الحرب، ووافاهم قائد مزاحم، فقاتلهم من ورائهم ومزاحم من أمامهم، فأطبقوا

عليهم جميعا فلم يفلت منهم أحد.

وذكر عن ابن الكردية أن مزاحما قتل من أصحابه قبل دخوله الكوفة ثلاثة عشر رجلا، وقتل من الزيدية أصحاب الصوف سبعة عشر رجلا، ومن الأعراب ثلاثمائة رجل، وأنه لما دخل الكوفة رمي بالحجارة فضرب ناحيتي الكوفة. بالنار، وأحرق سبعة أسواق، حتى خرجت النار إلى السبيع، وهجم على الدار التي فيها العلوي فهرب، ثم أتى به وقتل في المعركة من العلوية رجل وذكر أنه حبس جميع من بالكوفة من العلوية، وحبس أبناء هاشم، وكان العلوي فيهم. وذكر عن أبي إسماعيل العلوي أن مزاحما أحرق بالكوفة ألف دار، وأنه أخذ ابنة الرجل منهم فعنفها. وذكر أنه أخذ للعلوي جوار، فيهم امرأة حرة مضمومة، فأقامها على باب المسجد ونادى عليها. وفي النصف من رجب من هذه السنة، ورد على مزاحم كتاب من المعتز يأمره بالمصير إليه، ويعدّه وأصحابه ما يحب ويحبون فقراً الكتاب مزاحم على أصحابه، فأجابه الأتراك والفراغنة والمغاربة، وأبي الشاكزية ذلك، فمضى فيمن أطاعه منهم وهم زهاء أربعمائة إنسان وقد كان أبو نوح تقدمه إلى سامرا، فأشار بالكتاب إليه، وكان مزاحم ينتظر أمر الحسين بن إسماعيل، فلما انهزم الحسين مضى إلى سامرا، وقد كان المستعين وجهه إلى مزاحم عند فتح الكوفة عشرة آلاف دينار وخمس خلع وسيفا ونفذ الرسول إليه، والفي الجند الذين كانوا معه في الطريق، فردوا جميع ذلك معهم، وصاروا إلى باب محمد بن عبد الله، وأعلموه ما فعل مزاحم وكان في الجند والشاكزية خليفة

٩٠٣٣٠٥ أخبار متفرقة

الحسين بن يزيد الحراني وهشام بن أبي دلف والهارث خليفة أبي الساج، فأمر ابن طاهر أن يخلع على كل واحد منهم ثلاث خلع وذكر أن هذا العلوي كان قد ظهر بنينوى في آخر جمادى الآخرة من هذه السنة، فاجتمع إليه جماعة من الأعراب، وفيهم قوم ممن كان خرج مع يحيى بن عمر في سنة خمسين ومائتين، وقد كان قدم إلى تلك الناحية هشام ابن أبي دلف، فواقعهم العلوي في جماعه نحو من خمسين رجلا، فهزمه وقتل عدة من أصحابه، وأسر عشرين رجلا وغلاما، وهرب العلوي إلى الكوفة، فاخفى بها، ثم ظهر بعد ذلك وحمل الأسرى والرءوس إلى بغداد، فعرف خمسة نفر ممن كان مع أصحاب أبي الحسين يحيى بن عمر، فأطلقوا. وأمر محمد بن عبد الله أن يضرب كل واحد ممن اطلق وعاد خمسمائة سوط، فضربوا في آخر يوم من جمادى الآخرة وذكر أن كتب أبي الساج لما وردت بما كان من إيقاعه ببايكاك، وذلك لاثنتي عشرة بقية من رجب من هذه السنة، وجه إليه عشرة آلاف دينار معونة له، وبخلعه فيها خمسة أثواب وسيف.

[أخبار متفرقة]

وفيها كانت وقعة - فيما ذكر - بين منكجور بن خيدر وبين جماعة من الأتراك بباب المدائن هزمهم فيها منكجور، وقتل منهم جماعة وفيها كانت لبلكاجور صائفة، فتح فيها فتوحا فيما ذكر وفيها كانت وقعة بين يحيى بن هرثة وأبي الحسين بن قريش، قتل من الفريقين جماعة، ثم انهزم أبو الحسين بن قريش وفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان كانت بباب بغواريا وقعة بين الأتراك وأصحاب ابن طاهر، وكان السبب في ذلك أن الموكل كان بباب بغواريا إبراهيم بن محمد بن حاتم والقائد المعروف بالنساوي في نحو من ثلاثمائة فارس وراجل، فجاءت الأتراك والمغاربة في جمع كثير، فنقبوا السور في موضعين، فدخلوا منهما، فقاتلهم النساوي فهزموه، ووافوا باب الأنبار، وعليه إبراهيم بن مصعب وابن أبي خالد وابن أسد بن داود سياه، وهم لا يعلمون بدخولهم باب بغواريا، فقاتلهم قتالا شديدا، فقتل من الفريقين جماعة ثم إن من كان على باب الأنبار من أهل بغداد انهزموا لا يلوون على شيء، فضرب الأتراك والمغاربة باب الأنبار بالنار فاحترق، وأحرقوا ما كان على باب الأنبار من المجانيق والعرادات، ودخلوا بغداد حتى صاروا إلى باب الحديد ومقابر الرهينة ومن ناحية الشارع إلى موضع أصحاب الدواليب، فأحرقوا ما هنالك وأحرقوا كل ما قرب من ذلك من أمامهم وورائهم، ونصبوا أعلامهم على الحوائث التي تقرب من ذلك الموضع، وانهزم الناس، حتى لم يقف بين أيديهم أحد، وكان ذلك مع صلاة الغداة، فوجه ابن طاهر إلى القواد، ثم ركب في السلاح فوقف على باب درب صالح المسكين، ووافاه القواد، فوجههم إلى باب

الأنبار وباب بغواريا وجميع الأبواب التي في الجانب الغربي، وشحنها بالرجال، وركب بغا ووصيف، فتوجه بغا في أصحابه وولده إلى باب بغواريا، وصار الشاه بن ميكال والعباس بن قارن والحسين بن إسماعيل إلى باب الأنبار والغوغاء، فالتقوا والأتراك في داخل الباب، فبادرهم العباس بن قارن، فقتل - فيما ذكر- في مقام واحد جماعة من الأتراك، ووجه برءوسهم إلى باب ابن طاهر، وكاثرهم الناس على هذه الأبواب، فدفعوهم حتى أخرجوهم بعد أن قتل منهم جماعة، وكان بغا الشرايبي خرج إلى باب بغواريا في جمع كثير، فوافاهم وهم غارون، فقتل منهم جماعة كثيرة، وهرب الباقون، فخرجوا من الباب، فلم يزل بغا يحاربهم إلى العصر، ثم انهزموا وانصرفوا، ووكل بالباب من يحفظه، وانصرف إلى باب الأنبار، ووجه في حمل الجص والآجر، وأمر بسده.

وفي هذا اليوم أيضا كانت حرب شديدة بباب الشماسية، قتل من الفريقين - فيما ذكر- جماعة كثيرة، وجرح آخرون، وكان الذي قاتل الأتراك في هذا اليوم - فيما ذكر- يوسف بن يعقوب قوصرة

٩٠٣٣٠٦ ذكر خبر قتل بالفردل

وفيها أمر محمد بن عبد الله المظفر بن سيسل أن يعسكر بالياسرية، ففعل ذلك، ثم انتقل إلى الكاسية إلى أن وافاه بالفردل بن إيزنكجيك الأشروسي، فأمر له بفرض، وضم إليه رجالا من الشاكرية وغيرهم، وأمر أن يضم المظفر ويعسكر بالكاسية، ويكون أمرهما واحدا، ويضبط تلك الناحية، فأقاما هنالك حيناً، ثم أمر بالفردل المظفر بالمضي، ليعرف خبر الأتراك ليدبر في أمرهم بما يراه، فامتنع من ذلك المظفر، وزعم أن الأمير لم يأمره بشيء مما سأله، وكتب كل واحد منهما يشكو صاحبه، وكتب المظفر يستعفي من المقام بالكاسية، ويزعم أنه ليس بصاحب حرب، فأعفي، وأمر بالانصراف ولزوم البيت، وقد أمر ذلك العسكر ومن فيه من الجند النائية والأثبت بالفردل، وضم إليه أثبات المظفر وأفرد بالناحية.

وفي شهر رمضان من هذه السنة التقى هشام بن أبي دلف والعلوي الخارج بنينوى، ومعه رجل من بني أسد، فاقتتلوا فقتل من أصحاب العلوي - فيما ذكر- نحو من أربعين رجلا، ثم افترقا، فدخل العلوي الكوفة فباع أهلها المعتز، ودخل هشام بن أبي دلف بغداد وفي شهر رمضان من هذه السنة كانت بين أبي الساج والأتراك وقعة بناحية جرجرايا، هزم فيها أبو الساج، وقتل منهم جماعة كثيرة، واسر منهم جماعة أخرى.

ذكر خبر قتل بالفردل

وليلة بقيت من شهر رمضان منها قتل بالفردل، وكان سبب قتله أن أبا نصر بن بغا لما غلب على الأنبار وما قرب منها، وهزم جيوش ابن طاهر من تلك الناحية وأجلاهم عنها، بث خيله ورجاله في أطراف بغداد من الجانب الغربي، وصار إلى قصر ابن هبيرة، وبها بحونه بن قيس من قبل ابن طاهر، فهرب منه من غير قتال جرى بينه وبينه، ثم صار أبو نصر إلى نهر صرصر، واتصل بابن طاهر خبره وخبر الوقعة التي كانت بين أبي الساج والأتراك بجزجرايا وخذلان من معه من الفروض إياه عند احمرار البأس فندب بالفردل إلى اللحاق بأبي الساج والمسير بمن معه إليه، فسار بالفردل فيمن معه غداة يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان، فسار يومه وصبح المدائن، فوافاه مع موافاة الأتراك ومن هو مضموم إليهم من غيرهم، وبالمدائن رجال ابن طاهر وقواده، فقاتلهم الأتراك، فانهزموا ولحق من فيها من القواد بأبي الساج، وقاتل بالفردل قتالا شديدا، ولما رأى انهزام من هنا لك من أصحاب ابن طاهر مضى متوجها نحو أبي الساج بمن معه فأدرك فقتل.

وذكر عن ابن القواريري - وكان أحد القواد - قال: كنت وأبو الحسين ابن هشام موكلين بباب بغداد ومنكجور منفرد بباب ساباط، وكان يقرب بابه ثلثة في سور المدائن، فسألت منكجور أن يسدها فأبى، فدخل الأتراك منها، وتفرق أصحابه قال: وبقيت في نحو من عشرة أنفس، ووافى بالفردل هو وأصحابه، فقال: أنا الأمير، أنا فارس ومعني فرسان، نمضي على الشط، وتكون الرجالة على السفن، فدافع ساعه ثم مضى لوجهه وعسكره في السفن على حالهم يريد أبا الساج، أو تلك الناحية، وأقت بعده ساعة تامة، وتحتي أشقر عليه حلية، فصرت إلى نهر فعثري، فسقطت عنه، وقصدوني يقولون: صاحب الأشقر! فخرجت من النهر رجلا قد طرحت عني السلاح، فنجوت.

وغضب ابن طاهر على ابن القواريري وأصحابه، وأمرهم بلزوم منازلهم، وغرق بالفردل. ولأربع خلون من شوال من هذه السنة، جمع - فيما ذكر - مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طاهر جميع قواده الموكلين بأبواب بغداد وغيرهم، فشاورهم جميعا في الأمور، وأعلمهم ما ورد عليهم من الهزائم، فكل أجاب بما أحب من بذل النفس والدم والأموال، فجزاهم خيرا وأدخلهم إلى المستعين، وأعلمه ما ناظرهم

٩٠٣٣٠٧ ذكر خبر هزيمة الأتراك ببغداد

فيه وما ردوا عليه من الجواب، فقال لهم المستعين: والله يا معشر القواد، لئن قاتلت عن نفسي وسلطاني ما أقاتل إلا عن دولتكم وعامتكم، وأن يرد الله إليكم أموركم قبل مجيء الأتراك وأشباههم، فقد يجب عليكم المناصحة والجهد في قتال هؤلاء الفسقة، فردوا أحسن مرد، وجزاهم الخير، وأمرهم بالانصراف إلى مراكزهم فانصرفوا. ذكر خبر هزيمة الأتراك ببغداد

وفي يوم الاثنين لأيام خلت من ذي القعدة من هذه السنة كانت وقعة عظيمة لأهل بغداد، هزموا فيها الأتراك، وانتهبوا عسكرهم، وكان سبب ذلك أن الأبواب كلها من الجانبين فتحت ونصبت المجانيق والعرادات في الأبواب كلها والشبارات في دجلة، وخرج منها الجند كلهم، وخرج ابن طاهر وبغا ووصيف حين تراحف الفريقان، واشتدت الحرب إلى باب القطيعة، ثم عبروا إلى باب الشماسية، وقعد ابن طاهر في قبة ضربت له، وأقبلت الرماة من بغداد بالنواكية في الزواريق، ربما انتظم السهم الواحد عدة منهم فقتلهم، فهزمت الأتراك، وتبعهم أهل بغداد حتى صاروا إلى عسكرهم، وانتهبوا سوقهم هنالك، وضربوا زورقا لهم كان يقال له الحديدي، كان آفة على أهل بغداد بالنار، وغرق من فيه، وأخذوا لهم شبارتين، وهرب الأتراك على وجوههم لا يلوون على شيء، وجعل وصيف وبغا يقولان كلما جيء برأس: ذهب والله الموالي واتبعهم أهل بغداد إلى الروذبار، ووقف أبو أحمد بن المتوكل يرد الموالي، ويخبرهم أنهم إن لم يكروا لم يبق لهم بقية، وأن القوم يتبعونهم إلى سامرا فتراجعوا، وثاب بعضهم، وأقبلت العامة تحز رؤوس من قتل، وجعل محمد بن عبد الله يطوق كل من جاء برأس ويصله، حتى كثر ذلك، وبدت الكراهة في وجوه من مع بغا ووصيف من الأتراك والموالي، ثم ارتفعت غبرة من ريح جنوب، وارتفع الدخان مما احترق،

٩٠٣٣٠٨ خبر وقعه ابى السلاسل مع المغاربة

٩٠٣٣٠٩ ذكر خبر وقوع الصلح بين الموالي وابن طاهر

وأقبلت أعلام الحسن بن الأفشين مع أعلام الأتراك يقدمها علم أحمر، قد استلبه غلام لشاهك، فنسي أن ينكسه، فلما رأى الناس العلم الأحمر ومن خلفه، توهموا أن الأتراك قد رجعوا عليهم وانهزموا، وأراد بعض من وقف أن يقتل غلام شاهك، ففهمه، فنكس العلم، والناس قد ازدحموا منهزمين، وتراجع الأتراك إلى معسكرهم ولم يعلموا بهزيمة أهل بغداد، فتحملوا عليهم، فانصرف الفريقان بعضهم عن بعض. خبر وقعه ابى السلاسل مع المغاربة

وفيها كانت وقعة لأبي السلاسل وكيل وصيف بناحية الجبل مع المغاربة، وكان سبب ذلك - فيما ذكر - أن رجلا من المغاربة يقال له نصر سلهب، صار بجماعة من المغاربة إلى عمل بعض ما إلى أبي الساج من الأرض، وانتهب هو وأصحابه ما هنالك من القوى، فكتب أبو السلاسل إلى أبي الساج يعلمه ذلك، فوجه أبو الساج إليه - فيما ذكر - بنحو من مائة نفس بين فارس وراجل، فلما صاروا إليه كبس أولئك المغاربة، فقتل منهم تسعة، وأسر عشرين، وأفلت نصر سلهب ساريا. ذكر خبر وقوع الصلح بين الموالي وابن طاهر

ووضعت الحرب أوزارها بعد هذه الوقعة بين الموالي وابن طاهر، فلم يعودوا لها، وكان السبب في ذلك - فيما ذكر - أن ابن الطاهر قد

كان كاتب المعتز قبل ذلك في الصلح، فلما كانت هذه الواقعة أنكرت عليه، فكتب إليه، فذكر أنه لا يعود بعدها لشيء يكرهه، ثم أغلقت بعد ذلك على أهل بغداد أبوابها، فاشتد عليهم الحصار، فصاحوا في أول ذي القعدة من هذه السنة في يوم الجمعة: الجوع! ومضوا إلى الجزيرة التي هي تلقاء دار ابن طاهر، فأرسل إليهم ابن طاهر: وجهوا إلي منكم خمسة مشايخ، فوجهوا بهم، فأدخلوا عليه، فقال لهم: إن من الأمور أموراً لا يعلم بها العامة، وأنا عليل، ولعلي

أعطي الجند أرزاقهم ثم أخرج بهم إلى عدوكم فطابت أنفسهم، وخرجوا عن غير شيء، وعادت العامة والتجار بعد إلى الجزيرة التي بجذاء دار ابن طاهر، فصاحوا وشكوا ما هم فيه من غلاء السعر، فبعث إليهم فسكنهم، ووعدهم ومناهم وأرسل ابن طاهر إلى المعتز في الصلح واضطرب أمر أهل بغداد، فوافى بغداد للنصف من ذي القعدة من هذه السنة حماد بن إسحاق ابن حماد بن زيد، ووجه مكانه أبو سعيد الأنصاري إلى عسكر أبي أحمد رهينة، فلقى حماد بن إسحاق ابن طاهر، فخفا به فلم يذكر ما جرى بينهما.

ثم انصرف حماد إلى عسكر أبي أحمد، ورجع أبو سعيد الأنصاري، ثم رجع حماد إلى ابن طاهر، فجرت بين ابن طاهر وبين أبي أحمد رسائل مع حماد.

ولتسع بقين من ذي القعدة خرج أحمد بن إسرائيل إلى عسكر أبي أحمد مع حماد وأحمد بن إسحاق وكيل عبيد الله بن يحيى بإذن ابن طاهر لمناظرة أبي أحمد في الصلح.

ولسبع بقين من ذي القعدة أمر ابن طاهر بإطلاق جميع من في الحبوس ممن كان حبس بسبب ما كان بينه وبين أبي أحمد من الحروب ومعاونته إياه عليه فأطلقه ومن غد هذا اليوم اجتمع قوم من رجالة الجند وكثير من العامة، فطلب الجند أرزاقهم، وشكت العامة سوء الحال التي هم بها من الضيق وغلاء السعر وشدة الحصار، وقالوا: إما خرجت فقاتلت، وإما تركتنا، فوعدهم أيضاً الخروج أو فتح الباب للصلح، ومناهم فانصرفوا.

فلما كان بعد ذلك، وذلك لخمس بقين من ذي القعدة شح السجون والجسر وباب داره والجزيرة بالجند والرجال، فحضر الجزيرة بشر كثير، فطردوا من كان ابن طاهر صيرهم فيها، ثم صاروا إلى الجسر من الجانب الشرقي، ففتحوا سجن النساء، وأخرجوا من فيه، ومنعهم علي بن جهشيار ومن معه من الطبرية من سجن الرجال، ومنعهم أبو مالك الموكل بالجسر الشرقي، فشجوه وجرحوا دابتين لأصحابه، فدخل داره وخلاهم، فانتبهوا ما في

٩٠٣٣٠١٠ ذكر بدء عزم ابن طاهر على خلع المستعين والبيعه للمعتز

٩٠٣٣٠١١ خروج العامة ونصره المستعين على ابن طاهر

مجلسه، وشد عليهم الطبرية فنحوهم حتى أخرجوهم من الأبواب، وأغلقوها دونهم، وخرج منهم جماعة، ثم عبر إليهم محمد بن أبي عون، فضمن للجند رزق أربعة أشهر، فانصرفوا على ذلك، وأمر ابن طاهر بإعطاء أصحاب ابن جهشيار أرزاقهم لشهرين من يومهم فأعطوا. ذكر بدء عزم ابن طاهر على خلع المستعين والبيعه للمعتز

ووجه أبو أحمد خمس سفائن من دقيق وحنطة وشعير وقت وتبن إلى ابن طاهر في هذه الأيام، فوصلت إليه ولما كان يوم الخميس لأربع خلون من ذي الحجة علم الناس ما عليه ابن طاهر من خلع المستعين وبيعه للمعتز، ووجه ابن طاهر قواده إلى أبي أحمد حتى بايعوه للمعتز، فنقل على كل واحد منهم أربع خلع، وظنت العامة أن الصلح جرى بإذن الخليفة المستعين، وإن المعتز ولي عهده. خروج العامة ونصره المستعين على ابن طاهر

ولما كان يوم الأربعاء خرج رشيد بن كاوس - وكان موكلًا بباب السلامة - مع قائد يقال له نهشل بن صخر بن خزيمه بن خازم وعبد الله بن محمود، ووجه إلى الأتراك بأنه على المصير إليهم ليكون معهم، فوافاه من الأتراك زهاء ألف فارس، نفرج إليهم على سبيل التسليم عليهم، على أن الصلح قد وقع، فسلم عليهم، وعانق من عرف منهم، وأخذوا بلجام دابته، ومضوا به وبابنه في أثره، فلما كان يوم الاثنين صار رشيد إلى باب الشماسية فكلم الناس، وقال: إن أمير المؤمنين وأبا جعفر يقرئان عليكم السلام، ويقولان لكم: من دخل في طاعتنا

قربناه ووصلناه، ومن أثر غير ذلك فهو أعلم، فشتمه العامة ثم طاف على جميع أبواب الشرقية بمثل ذلك، وهو يشتم في كل باب، ويشتم المعتز فلما فعل رشيد ذلك علمت العامة ما عليه ابن طاهر، فضمت إلى الجزيرة التي بجذاء دار ابن طاهر، فصاحوا به وشتموه أقبح شتم، ثم صاروا إلى بابه، ففعلوا مثل ذلك، فخرج إليهم راغب الخادم، فحضرهم على ما فعلوا، وسألهم الزيادة فيما هم فيه من نصرة المستعين، ثم مضى إلى الحظيرة

التي فيها الجيش، ففضى بهم وجماعة آخر غيرهم وهم زهاء ثلاثمائة في السلاح، فصاروا إلى باب ابن طاهر، فكشفوا من عليه وردوهم، فلم يبرحوا يقتلونهم، حتى صاروا إلى دهليز الدار، وأرادوا إحراق الباب الداخل فلم يجدوا نارا، وقد كانوا باتوا بالجزيرة الليل كله يشتمونه ويتناولونه بالقبيح.

وذكر عن ابن شجاع البلخي أنه قال: كنت عند الأمير وهو يحدثني ويسمع ما يقذف به من كل إنسان، حتى ذكروا اسم أمه، فضحك وقال:

يا أبا عبد الله، ما أدري كيف عرفوا اسم أمي! ولقد كان كثير من جواري أبي العباس عبد الله بن طاهر لا يعرفون اسمها، فقلت له: أيها الأمير، ما رأيت أوسع من حلمك، فقال لي: يا أبا عبد الله، ما رأيت أوفق من الصبر عليهم، ولا بد من ذلك فلما أصبحوا وافوا الباب، فصاحوا، فصار ابن طاهر إلى المستعين يسأله أن يطلع إليهم ويسكنهم ويعلمهم ما هو عليه لهم، فأشرف عليهم من أعلى الباب وعليه البردة والطويلة، وابن طاهر إلى جانبه، فحلف لهم بالله ما اتهمه، وإني لفي عافية ما علي منه بأس، وإنه لم يخلع، ووعدهم أنه يخرج في غد يوم الجمعة ليصلي بهم، ويظهر لهم فأنصرف عامتهم بعد قتلى وقعت ولما كان يوم الجمعة بكر الناس بالصياح يطلبون المستعين، وانتهوا دواب علي بن جهشيار- وكانت في الخراب، على باب الجسر الشرقي- وانتهب جميع ما كان في منزله وهرب، وما زال الناس وقوفا على ما هم عليه إلى ارتفاع النهار، فوافى وصيف وبغا وأولادهما ومواليهما وقوادهما وأخوال المستعين، فصار الناس جميعا إلى الباب، فدخل وصيف وبغا في خاصتهما، ودخل أخوال المستعين معهم إلى الدهليز، ووقفوا على دوابهم، وأعلم ابن طاهر بمكان الأخوال، فأذن لهم.

بالنزل فأبوا، وقالوا: ليس هذا يوم نزولنا عن ظهور دوابنا حتى نعلم نحن والعامه ما نحن عليه، ولم تزل الرسل تختلف إليهم، وهم يأبون،

فخرج إليهم محمد بن عبد الله نفسه، فسألهم النزول والدخول إلى المستعين، فأعلموه أن العامة قد ضجت مما بلغها وصح عندها ما أنت عليه من خلع المستعين والبيعة للمعتز، وتوجيهك القواد بعد القواد للبيعة للمعتز، وإرادتك التحويل ليصير الأمر اليه وادخاله الأتراك والمغاربة بغداد، فيحكموا فيهم بحكمهم فيمن ظهروا عليه من أهل المدائن والقرى، واستراب بك أهل بغداد.

واتهموك على خليفتهم وأموالهم وأولادهم وأنفسهم، وسألوا إخراج الخليفة إليهم ليروه ويكذبوا ما بلغهم عنه فلما تبين محمد بن عبد الله صحة قولهم، ونظر إلى كثرة اجتماع الناس وضييقهم سأل المستعين الخروج إليهم، فخرج إلى دار العامة التي كان يدخلها جميع الناس، فنصب له فيها كرسي، وأدخل إليه جماعة من الناس فنظروا إليه، ثم خرجوا إلى من وراءهم، فأعلموهم صحة أمره، فلم يقنعوا بذلك، فلما تبين له أنهم لا يسكنون دون أن يخرج إليهم- وقد كان عرف كثرة الناس- أمر بإغلاق الباب الحديد الخارج فأغلق، وصار المستعين وأخواله ومحمد بن موسى المنجم ومحمد بن عبد الله إلى الدرجة التي تفضي إلى سطوح دار العامة وخزائن السلاح، ثم نصب لهم سلاليم على سطح المجلس الذي يجلس فيه محمد بن عبد الله والفتح بن سهل، فأشرف المستعين على الناس وعليه سواد، وفوق السواد برده النبي ص، ومعه القضيب، فكلم الناس وناشدهم، وسألهم بحق صاحب البردة إلا انصرفوا، فإنه في أمن وسلامة، وإنه لا بأس عليه من محمد بن عبد الله، فسأله الركوب معهم والخروج من دار محمد بن عبد الله لأنهم لا يأمنونه عليه، فأعلمهم أنه على النقلة منها إلى دار عمته أم حبيب ابنة الرشيد، بعد أن يصلح له ما ينبغي أن يسكن فيه، وبعد أن يحول أمواله وخزائنه وسلاحه وفرشه وجميع ماله في دار محمد بن عبد الله، فأنصرف أكثر الناس، وسكن أهل بغداد ولما فعل أهل بغداد ما فعلوا من اجتماعهم على ابن طاهر مرة بعد مرة وإسماعهم إياه المكروه، تقدم إلى أصحاب المعاون ببغداد بتسخير ما قدروا

٩٠٣٣٠١٢ ذكر خبر انتقال المستعين إلى دار رزق الخادم بالرصافة

عليه من الإبل والبغال والحمير لينتقل عنها. وذكروا أنه أراد أن يقصد المدائن، واجتمع على بابه جماعة من مشايخ الحرية والأرباض جميعا، يعتذرون إليه، ويسألونه الصفح عما كان منهم، ويذكرون أن الذي فعل ذلك الغوءاء والسفهاء لسوء الحال التي كانوا بها والفاقة التي نالتهم، فرد عليهم- فيما ذكر- مردا جيلا، وقال لهم قولا حسنا، وأثنى عليهم، وصفح عما كان منهم، وتقدم إليهم بالتقدم إلى شبابهم وسفهاءهم في الأخذ على أيديهم، وأجابهم إلى ترك النقلة، وكتب إلى أصحاب المعاون بترك السخرة. ذكر خبر انتقال المستعين إلى دار رزق الخادم بالرصافة

ولأيام خلون من ذي الحجة انتقل المستعين من دار محمد بن عبد الله، وركب منها، فصار إلى دار رزق الخادم في الرصافة، ومر بدار علي بن المعتصم، فخرج إليه علي، فسأله النزول عنده، فأمره بالركوب، فلما صار إلى دار رزق الخادم نزلها، فوصل إليها- فيما ذكر- مساء، فأمر للفرسان من الجند حين صار إليها بعشرة دنانير لكل فارس منهم، وبخمسة دنانير لكل راجل وركب بركوب المستعين ابن طاهر، وبيده الحربة يسير بها بين يديه، والقواد خلفه، وأقام- فيما ذكر- مع المستعين ليلة انتقل إلى دار رزق محمد بن عبد الله إلى ثلث الليل، ثم انصرف، وبات عنده وصيف وبغا حتى السحر، ثم انصرفا إلى منازلهما ولما كان صبيحة الليلة التي انتقل المستعين فيها من دار ابن طاهر اجتمع الناس في الرصافة، وأمر القواد وبنو هاشم بالمصير إلى ابن طاهر والسلام عليه، وأن يسيروا معه إذا ركب إلى الرصافة فصاروا إليه، فلما كان الضحى الأكبر من ذلك اليوم، ركب ابن طاهر وجميع قواده في تعبته وحوله ناشبة رجالة، فلما خرج من داره وقف للناس، فعاتبهم وحلف أنه ما أضمر لأمر المؤمنين- أعزّه الله- ولا لولي له ولا لأحد من الناس سوءا، وأنه ما يريد إلا إصلاح أحوالهم، وما تدوم به النعمة عليهم، وأنهم قد توهّموا عليه ما لا يعرفه، حتى أبكى الناس فدعا له من حضر، وعبر الجسر، وصار إلى المستعين، وبعث فأحضر جيرانه ووجوه أهل الأرباض من الجانب الغربي، نفاطهم بكلام عاتبهم فيه، واعتذر إليهم مما بلغهم، ووجه وصيف وبغا من طاف على أبواب بغداد، ووكلا صالح بن وصيف بباب الشماسية. وذكر أن المستعين كان كارها لنقله عن دار محمد، ولكنه انتقل عنها من أجل أن الناس ركبوا الزواريق بالنفاطين ليضربوا روشن ابن طاهر بالنار لما صعب عليهم فتح بابه يوم الجمعة.

وذكر أن قوما منهم كنجور، وقفوا بباب الشماسية من قبل أبي أحمد، فطلبوا ابن طاهر ليكلّموه، فكتب إلى وصيف يعلمه خبر القوم، ويسأله أن يعلم المستعين ذلك ليأمر فيه بما يرى، فرد المستعين الأمر في ذلك إليه، وأن التدبير في جميع ذلك مردود إليه، فيتقدم في ذلك بما رأى وذكر أن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم كلم محمد بن عبد الله في ذلك بكلام غليظ، فوثب عليه محمد بن أبي عون فأسمعه وتناوله.

وذكر عن سعيد بن حميد أن أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد وعبيد الله بن يحيى خلوا بابن طاهر، فما زالوا يفتلونه في الذروة والغارب، ويشيرون عليه بالصلح، وأنه ربما كان عنده قوم فأجروا الكلام في خلاف الصلح، فيكشر في وجوههم، ويعرض عنهم، فإذا حضر هؤلاء الثلاثة أقبل عليهم وحادثهم وشاورهم.

وذكر عن بعضهم أنه قال: قلت لسعيد بن حميد يوما: ما ينبغي إلا أن يكون قد كان انطوى على المداينة في أول أمره، قال: وددت أنه كان كذلك، لا والله ما هو إلا أن هزم أصحابه من المدائن والأنبار حتى

٩٠٣٣٠١٣ ذكر بدء المفاوضة في امر خلع المستعين

كاتب القوم، وأجابهم بعد أن كان قد جادهم.

وحدثني أحمد بن يحيى النحوي- وكان يؤدب ولد ابن طاهر- أن محمد بن عبد الله لم يزل جادا في نصرة المستعين حتى أحفظه عبيد الله بن يحيى ابن خاقان، فقال له: أطل الله بقاءك! إن هذا الذي تنصره وتجد في أمره من أشد الناس نفاقا، وأخبثهم دينًا، والله لقد

أمر وصيفا وبغا بقتلك، فاستعظما ذلك ولم يفعلاه، وإن كنت شاكا فيما وصفت من أمره، فسل تخبره، وإن من ظاهر نفاقه أنه كان وهو بسامرا لا يجهر في صلاته بيسم الله الرحمن الرحيم، فلما صار إلى ما قبلك، جهر بها مراعاة لك، وترك نصرة وليك وصهرك وتريبتك، ونحو ذلك من كلام كله به، فقال محمد بن عبد الله: أخزى الله هذا، لا يصلح لدين ولا دنيا، قال: وكان أول من تقدم على صرف محمد بن عبد الله عن الجد في أمر المستعين عبيد الله بن يحيى في هذا المجلس، ثم ظاهر عبيد الله بن يحيى على ذلك أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد، فلم يزالوا به حتى صرفوه عما كان عليه من الرأي في نصرة المستعين.

وفي يوم الأضحى من هذه السنة صلى بالناس المستعين صلاة الأضحى في الجزيرة التي بجذاء دار ابن طاهر، وركب وبين يديه عبيد الله بن عبد الله، معه الحربة التي لسليمان، وبيد الحسين بن إسماعيل حربة السلطان، وبغا ووصيف يكتفانه، ولم يركب محمد بن عبد الله بن طاهر، وصلى عبد الله ابن إسحاق في الرصافة.

ذكر بدء المفاوضة في أمر خلع المستعين

وفي يوم الخميس ركب محمد بن عبد الله إلى المستعين، وحضره عدة من الفقهاء والقضاة، فذكر أنه قال للمستعين: قد كنت فارقتي على أن

تتفد في كل ما أعزم عليه، ولك عندي بخطك رقعة بذلك، فقال المستعين:

أحضر الرقعة فأحضرها، فإذا فيها ذكر الصلح، وليس فيها ذكر الخلع، فقال: نعم، أنفذ الصلح، فقام الحلنجي فقال: يا أمير المؤمنين، أنه يسألك أن تخلع قيصا قيصك به الله وتكلم علي بن يحيى المنجم فاغلظ محمد ابن عبد الله.

ثم ركب بعد ذلك محمد بن عبد الله - وذلك للنصف من ذي الحجة - إلى المستعين بالرصافة، ثم انصرف ومعه وصيف وبغا، ففضوا جميعا حتى صاروا إلى باب الشماسية، فوقف محمد بن عبد الله على دابته، ومضى وصيف وبغا إلى دار الحسن بن الأفشين، وانحدرت الميضة والغوغاء من السور، ولم يطلق لأحد فتح الأبواب، وقد كان خرج قبل ذلك جماعة كثيرة إلى عسكر أبي أحمد، فاشتروا ما أرادوا، فلما خرج من ذكرنا إلى باب الشماسية نودي في أصحاب أبي أحمد ألا يباع من أحد من أهل بغداد شيء، فنعوا من الشراء، وكان قد ضرب لمحمد بن عبد الله بباب الشماسية مضرب كبير أحمر، وكان مع ابن طاهر بندار الطبرى وأبو السنا ونحو من مائتي فارس ومائتي راجل، وجاء أبو أحمد في زلال حتى قرب من المضرب، ثم خرج ودخل المضرب مع محمد بن عبد الله، ووقف الذين مع كل واحد منهما من الجند ناحية، فتناظر ابن طاهر وأبو أحمد طويلا، ثم خرجا من المضرب، وانصرف ابن طاهر من مضربه إلى داره في زلال، فلما صار إليها خرج من الزلال، فركب ومضى إلى المستعين ليخبره بما دار بينه وبين أبي أحمد، وأقام عنده إلى العصر، ثم انصرف، فذكر أنه فارقه على أن يعطى خمسين ألف دينار، ويقطع غلة ثلاثين ألف دينار في السنة، وأن يكون مقامه بغداد حتى يجتمع لهم مال يعطون الجند، وعلى أن يولي بغا مكة والمدينة والحجاز، ووصيف الجبل وما والاها، ويكون ثلث ما يجيء من المال لمحمد بن عبد الله، وجند بغداد والثلثان للموالي والأتراك

وذكر أن أحمد بن إسرائيل لما صار إلى المعتز وولاه ديوان البريد، وفارقه على أن يكون هو الوزير وعيسى بن فرخان شاه على ديوان الخراج وأبو نوح على الخاتم والتوقيع، فافتسموا الأعمال، فوردت خريطة الموسم إلى بغداد بالسلامة، فبعث بها إلى أبي أحمد، ثم ركب ابن طاهر - فيما قيل - لأربع عشرة بقية من ذي الحجة من هذه السنة إلى المستعين، لمناظرته في الخلع، فناظره فامتنع عليه المستعين، وظن المستعين أن بغا ووصيفا معه، فكشفاه، فقال المستعين: هذا عنقي والسيف والنطع، فلما رأى امتناعه انصرف عنه، فبعث المستعين إلى ابن طاهر بعلي بن يحيى المنجم وقوم من ثقاته، وقال: قولوا له:

اتق الله، فإنما جئتك لتدفع عني، فإن لم تدفع عني فكف عني فرد عليه، أما أنا فأقعد في بيتي، ولكن لا بد لك من خلعتها طائعا أو مكرها.

وذكر عن علي بن يحيى أنه قال له: قل له: إن خلعتها فلا بأس، فوالله لقد تمزقت تمزقا لا يرقع، وما تركت فيها فضلا فلما رأى المستعين ضعف أمره وخذلان ناصريه أجاب إلى الخلع، فلما كان يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة، وجه ابن طاهر ابن الكردية

وهو محمد بن إبراهيم بن جعفر الأصغر بن المنصور والخلنجي وموسى بن صالح بن شيخ وأبا سعيد الأنصاري وأحمد بن إسرائيل ومحمد بن موسى المنجم إلى عسكر أبي أحمد ليوصلوا كتاب محمد إليه بأشياء سأها المستعين من حين ندب إلى أن يخلع نفسه فأوصلوا الكتاب، فأجاب إلى ما سأل وكتب الجواب بأن يقطع وينزل مدينة الرسول ص، وأن يكون مضطربه من مكة إلى المدينة ومن المدينة إلى مكة فأجابه إلى ذلك، فلم يقنع المستعين إلا بخروج ابن الكردية بما سأل إلى المعتز، حتى يكتب بإجابته بذلك بخطه بعد مشافهة ابن الكردية المعتز بذلك، فتوجه ابن الكردية بها.

وكان سبب إجابة المستعين إلى الخلع - فيما ذكر - أن وصيفا وبغا وابن طاهر ناظروه في ذلك وأشاروا عليه، فأغظ لهم، فقال له وصيف: أنت أمرتنا بقتل باغر، فصرنا إلى ما نحن فيه، وأنت عرضتنا لقتل اوتامش، وقلت: إن محمدا ليس بناصح، وما زالوا يفرعون ويحتالون له، فقال محمد بن عبد الله: وقد قلت لي إن أمرنا لا يصطالح إلا باستراحتنا من هذين، فلما اجتمعت كلمتهم أذعن لهم بالخلع، وكتب بما اشترط لنفسه عليهم، وذلك لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة.

ولما كان يوم السبت لعشر بقين من ذي الحجة، ركب محمد بن عبد الله إلى الرصافة وجميع القضاة والفقهاء، وأدخلهم على المستعين فوجا فوجا، واشهدهم عليه أنه قد صير أمره إلى محمد بن عبد الله بن طاهر، ثم أدخل عليه البوابين والخدم، وأخذ منه جوهر الخلافة، وأقام عنده حتى مضى هوي من الليل، وأصبح الناس يرجفون بألوان الأراجيف، وبعث ابن طاهر إلى قواده في موافاته، مع كل قائد منهم عشرة نفر من وجوه أصحابه، فوافوه، فأدخلهم ومناهم، وقال لهم: إنما أردت بما فعلت صلاحكم وسلامتكم وحقن الدماء وأعد للخروج إلى المعتز في الشروط التي اشترطها للمستعين ولنفسه ولقواده قوما ليوقع المعتز في ذلك بخطه ثم أخرجهم إلى المعتز، فضوا إليه حتى وقع في ذلك بخطه إمضاء كل ما سأل المستعين وابن طاهر لأنفسهما من الشروط، وشهدوا عليه بإقراره بذلك كله، وخلع المعتز على الرسل، وقلدهم سيوفا، وانصرفوا بغير جائزة ولا نظر في حاجة لهم، ووجه معهم لأخذ البيعة له على المستعين جماعة من عنده، ولم يأمر للجند بشيء.

وحمل إلى المستعين أمه وابنته وعياله بعد ما فتش عياله، وأخذ منهم بعض ما كان معهم مع سعيد بن صالح، فكان دخول الرسل بغداد منصرفهم من عند المعتز يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين. وذكر أن رسل المعتز لما صاروا بالشماسية، قال ابن سباجة: أنا أخاف من أهل بغداد، فيما أن يحمل المستعين إلى الشماسية أو إلى دار محمد بن عبد الله ليباع المعتز، ويخلع نفسه ويؤخذ منه القضيب والبردة

٩٠٣٣٠١٤ ذكر خبر خروج اسماعيل بن يوسف بمكة

وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة كان ظهور المعروف بالكوكبي بقزوين وزنجان وغلبته عليها وطرده عنها آل طاهر، واسم الكوكبي الحسين بن أحمد ابن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل الأرقط بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه. وفيها قطعت بنو عقيل طريق جدة، فخارهم جعفر بشاشات، فقتل من أهل مكة نحو من ثلاثمائة رجل، وبعض بني عقيل القائل: عليك ثوبان وأمي عاريه ... فالق لي ثوبك يا بن الزانية فلما فعل بنو عقيل ما فعلوا غلت بمكة الأسعار، وأغارت الأعراب على القرى. ذكر خبر خروج اسماعيل بن يوسف بمكة

وفيها ظهر اسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب بمكة، فهرب جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى العاملي على مكة، فانتبه اسماعيل بن يوسف منزل جعفر ومنزل أصحاب السلطان، وقتل الجند وجماعة من أهل مكة، وأخذ ما كان حمل لإصلاح العين من المال وما كان في الكعبة من الذهب، وما في خزائنها من الذهب والفضة والطيب وكسوة الكعبة، وأخذ من الناس نحو من مائتي ألف دينار، وأتته بمكة، وأحرق بعضها في شهر ربيع الأول منها ثم خرج منها بعد خمسين يوما، ثم صار إلى المدينة، فتوارى علي بن الحسين بن اسماعيل العامل عليها، ثم رجع اسماعيل إلى مكة في رجب، فحصرهم حتى تماوت

أهلها جوعا وعطشا، وبلغ الخبز ثلاث أواق بدرهم، واللحم رطل بأربعة دراهم، وشربة ماء ثلاثة دراهم، ولقي أهل مكة منه كل بلاء ثم رحل بعد مقام سبعة وخمسين يوما إلى جدة، فحبس عن الناس الطعام، وأخذ أموال التجار وأصحاب المراكب، فحمل إلى مكة الحنطة والذرة من اليمن، ثم وافت المراكب من القلزم، ثم وافى إسماعيل بن يوسف الموقف، وذلك يوم عرفة، وبه محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور الملقب كعب البقر، وعيسى بن محمد المخزومي صاحب جيش مكة- وكان المعتز وجههما إليها- فقاتلهم، فقتل نحو من ألف ومائة من الحاج، وسلب الناس، وهربوا إلى مكة، ولم يقفوا بعرفة ليلا ولا نهارا، ووقف إسماعيل وأصحابه، ثم رجع إلى جدة فأفنى أموالها

٩٠٣٤ سنة اثنتين وخمسين ومائتين

٩٠٣٤٠١ ذكر خبر خلع المستعين وبيعه المعتز

ثم دخلت

سنة اثنتين وخمسين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر خبر خلع المستعين وبيعه المعتز

فمن ذلك ما كان من خلع المستعين أحمد بن محمد بن المعتصم نفسه من الخلافة، وبيعه للمعتز محمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم، والدعاء للمعتز على منبري بغداد ومسجدي جانبها الشرقي منها والغربي، يوم الجمعة لأربع خلون من المحرم من هذه السنة، وأخذ البيعة له بها على من كان يومئذ بها من الجند.

وذكر أن ابن طاهر دخل على المستعين ومعه سعيد بن حميد حين كتب له بشروط الأمان، فقال له: يا أمير المؤمنين، قد كتب سعيد كتب الشروط وأكد غاية التأکید، فنقرؤه عليك فتسمعه؟ فقال له المستعين: لا عليك! ألا تركتها يا أبا العباس، فما القوم بأعلم بالله منك، قد أكدت على نفسك قبلهم فكان ما قد علمت، فما رد عليه محمد شيئا.

ولما بايع المستعين المعتز، وأخذ عليه البيعة ببغداد، وأشهد عليه الشهود من بني هاشم والقضاة والفقهاء والقواد نقل من الموضع الذي كان به من الرصافة إلى قصر الحسن بن سهل بالخرم هو وعياله وولده وجواريه، فأنزولهم فيه جميعا، ووكل بهم سعيد بن رجاء الحضاري في أصحابه، وأخذ المستعين البردة والقضيب والخاتم، ووجه مع عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وكتب معه:

أما بعد، فالحمد لله متمم النعم برحمته، والهادي إلى شكره بفضله، وصلى

الله على محمد عبده ورسوله، الذي جمع له ما فرق من الفضل في الرسل قبله، وجعل تراثه راجعا إلى من خصه بخلافته، وسلم تسليمًا كتابي إلى أمير المؤمنين وقد تم الله له أمره، وتسليت تراث رسول الله ص ممن كان عنده، وأنفذته إلى أمير المؤمنين مع عبيد الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين وعبيده.

ومنع المستعين الخروج إلى مكة، واختار أن ينزل البصرة فذكر عن سعيد ابن حميد أن محمد بن موسى بن شاكر قال: البصرة وية، فكيف اخترت أن تنزلها! فقال المستعين: هي أوبى، أو ترك الخلافة! وذكر أن قرب جارية قبيحة جاءت برسالة إلى المستعين من المعتز، يسأله أن ينزل عن ثلاث جوار كان المستعين تزوجهن من جوارى المتوكل، فنزل عنهن، وجعل أمرهن إليهن، وكان احتبس عنده من الجوهر خاتمين يقال لأحدهما البرج وللآخر الجبل، فوجه إليه محمد بن عبد الله بقرب خاصية المعتز وجماعة، فدفعهما إليهم، وانصرفوا بذلك إلى محمد بن عبد الله، فوجه به إلى المعتز.

ولست خلون من المحرم دخل - فيما قيل - بغداد أكثر من مائتي سفينة، فيها من صنوف التجارات وغنم كثير، وأشخص المستعين مع محمد بن مظفر ابن سيسل وابن أبي حفصة إلى واسط في نحو من أربعمائة فرسان ورجالة.

وقدم بعد ذلك على ابن طاهر عيسى بن فرخان شاه وقرب، فأخبراه أن ياقوتة من جوهر الخلافة قد حبسها أحمد بن محمد عنده، فوجه ابن طاهر الحسين ابن إسماعيل فأخرجها، فإذا ياقوتة بهية، أربع أصابع طولًا في عرض مثل ذلك، وإذا هو قد كتب عليها اسمه،

فدفعت إلى قرب، فبعثت بها إلى المعتز. واستوزر المعتز أحمد بن إسرائيل، وخلع عليه، ووضع تاجا على رأسه، وشخص أبو أحمد إلى سامرا يوم السبت لاثنتي عشرة خلت من المحرم منها، وشيعه محمد بن عبد الله والحسن بن مخلد، نخلع على محمد بن عبد الله خمس خلع وسيفا، ورجع من الروذبار وقال بعض الشعراء في خلع المستعين:

خلع الخلافة أحمد بن محمد ... وسيقتل التالي له أو يخلع
ويزول ملك بني أبيه ولا يرى ... أحد تملك منهم يستمتع
إيها بني العباس إن سبيلكم ... في قتل أعبدكم طريق مبيع
رقتكم دنياكم فتمزقت ... بكم الحياة تمرقا لا يرقع
وقال بعض البغداديين:

إني أراك من الفراق جزوعا ... أضحي الإمام مسيرا مخلوعا
كانت به الآفاق تضحك بهجة ... وهو الربيع لمن أراد ريعا
لا تتكري حدث الزمان وريبه ... إن الزمان يفرق المجموعا
لبس الخلافة واستجد محبة ... يقضي أمور المسلمين جميعا
فجنت عليه يد الزمان بصرفه ... حربا وكان عن الحروب شسوعا
وتجائف الأثرأ عنه تمردا ... أضحي، وكان ولا يراع مروعا
فنزأ بهم، فنزوا به وتعاورت ... أيدي الكماة من الرؤوس نجيعا
فأزاله المقدار عن رتب العلا ... فتوى بواسط لا يحس رجوعا
غدروا به، مكروا به، خانوا به ... لزم الفراش، وحالف التضجيعا
وتكنفوا بغداد من أقطارها ... قد ذلوا ما كان قبل منيعا
ولو أنه سعر الحروب بنفسه ... متلبا للقائهن دروعا
حتى يصادم بالكماة كياته ... فيكون من قصد الحروب صريعا
لغدا على ريب الزمان محرما ... ولكان إذ غدر اللثام منيعا
لكن عصي رأي الشفيق وعذله ... وغدا لأمر الناكثين مطيعا
والملك ليس بمالك سلطانه ... من كان للرأي السديد مضيعا
ما زال يخذع نفسه عن نفسه ... حتى غدا عن ملكه مخدوعا
باع ابن طاهر دينه عن بيعة ... أمسى بها ملك الإمام منيعا
خلع الخلافة والرعية فاغتدي ... من دين رب محمد مخلوعا
فليجرعن بذاك كأسا مرة ... وليلفين لتابعيه تبيعا

وقال محمد بن مروان بن أبي الجنوب بن مروان حين خلع المستعين، وصار إلى واسط:

إن الأمور إلى المعتز قد رجعت ... والمستعان إلى حالاته رجعا
وكان يعلم أن الملك ليس له ... وأنه لك لكن نفسه خدعا
ومالك الملك مؤتيه ونازعه ... آتاك ملكا ومنه الملك قد نزعا
إن الخلافة كانت لا تلائمه ... كانت كذات حليل زوجت متعا
ما كان أقبح عند الناس بيعته ... وكان أحسن قول الناس قد خلعا
ليت السفين إلى قاف دفعن به ... نفسي الفداء لملاح به دفعا
كم ساس قبلك أمر الناس من ملك ... لو كان حمل ما حملته ظلعا
أمسى بك الناس بعد الضيق في سعة ... والله يجعل بعد الضيق متسعا

والله يدفع عنك السوء من ملك ... فإنه بك عنا السوء قد دفعا
ما ضاع مدحي ولا ضاع اصطناعك لي ... وقد وجدت بحمد الله مصطنعا
فاردد علي بنجد ضيعة قبضت ... فإن مثلك مثلي يقطع الضيعة
فإن رددت إمام العدل غلتها ... فالله آنف حسادي به جدعا
وقال يمدح المعتز بعد خلع المستعين:

قد عادت الدنيا إلى حالها ... وسرنا الله بإقبالها
دنيا بك الله كفى أهلها ... ما كان من شدة أهوالها
وكان قد ملكها جاهل ... لا تصلح الدنيا لجهالها
قد كانت الدنيا به قفلت ... فكنت مفتاحا لأقفالها
إن التي فزت بها دونه ... عادت إلى أحسن أحوالها
خلافة كنت حقيقا بها ... فضلك الله بسر بالها
فرده الله إلى حاله ... وردها الله إلى حالها
ولم تكن أول عارية ... ردت على رغم إلى آله
والله لو كان على قرية ... ما كان يجزي بعض أعمالها
أدخل في الملك يدا رعدة ... أخرجها من بعد إدخالها
بدلنا الله به سيدا ... أسكن دنيا بعد زلزالها
بدلت الأمة هذا بذا ... كأنها في وقت دجالها
وقام بالملك وأثقاله ... وقام بالحرب وأثقالها
أبطل ما كان العدا أملوا ... رميك بالخيال وأبطالها
تعمل خيلا طالما نجحت ... ما عملت خيل كأعمالها
وقال الوليد بن عبيد البحر في خلع المستعين ومدح المعتز:
ألا هل أتاها أن مظلمة الدجى ... تجلت وأن العيش سهل جانبها
وأنا رددنا المستعار مذمما ... على أهله واستأنف الحق صاحبه
عجبت لهذا الدهر أعيت صروفه ... وما الدهر إلا صرفه وعجائبه
متى امل الدياك أن يصطفى له ... عرى التاج أو يثني عليه عصائبه
وكيف ادعى حق الخلافة غاصب ... حوى دونه إرث النبي أقاربه
بكى المنبر الشرقي إذ خار فوقه ... على الناس ثور قد تدلت غباغبه
ثقل على جنب الثريد مراقب ... لشخص اللعان يبتدي فيوائبه
إذا ما احتشى من حاضر الزاد لم يبل ... أضواء شهاب الملك أم كل ثاقبه
إذا بكر الفراش ينثو حديثه ... تضاءل مطريه وأطنب عائبه
تخطى إلى الأمر الذي ليس أهله ... فطورا يناغيه وطورا يشاغبه
فكيف رأيت الحق قر قراره ... وكيف رأيت الظلم زالت عواقبه
ولم يكن المعتز بالله إذ سرى ... ليعجز والمعتز بالله طالبه
رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر ... وعري من برد النبي مناكبه
وقد سرنى أن قيل وجه مسرعا ... إلى الشرق تحدى سفنه وركائبه
إلى كسكر خلف الدجاج ولم يكن ... لتنشب إلا في الدجاج مخالبه
وما لحية القصار حيث تنفشت ... بجالبة خيرا على من يناسبه

يحوز ابن خلاد على الشعر عنده ... ويضحى شجاع وهو للجهل كاتبه
فأقسمت بالوادي الحرام وما حوت ... أباطحه من محرم وأخاشبه
لقد حمل المعتز أمة أحمد ... على سنن يسري إلى الحق لاجبه
تدارك دين الله من بعد ما عفت ... معالمة فينا وغارت كواكبه
وظم شعاع الملك حتى تجمعت ... مشاركته موفورة ومغاربه

وانصرف أبو الساج ديوداد بن ديودست إلى بغداد لسبع بقين من المحرم من هذه السنة، فقلده محمد بن عبد الله معاون ما سقى الفرات من السواد، فوجه أبو الساج خليفة له يقال له كربه إلى الأنبار، ووجه قوما من أصحابه إلى قصر ابن هبيرة مع خليفة له، ووجه الحارث بن اسد في خمسمائة فارس وراجل، يستقرئ أعماله، ويترد الأتراك والمغاربة عنها، وقد كانوا عاثوا في النواحي وتلصصوا ثم شخص أبو الساج من بغداد لثلاث خلون من ربيع الأول، ففرق أصحابه في طساسبج الفرات، ونزل قصر ابن هبيرة، ثم صار إلى الكوفة، ووافى أبو أحمد سامرا منصورا من معسكره إليها لإحدى

٩٠٣٤٠٢ ذكر خبر قتل شريح الحبشي

٩٠٣٤٠٣ ذكر حال بغا ووصيف

عشرة بقيت من المحرم، فخلع المعتز عليه ستة أثواب وسيفا، وتوج تاج ذهب بقلنسوة مجوهرة، ووشح وشاحي ذهب بجوهر، وقلد سيفاً آخر مرصعا بالجوهر، وأجلس على كرسي، وخلع على الوجوه من القواد.

ذكر خبر قتل شريح الحبشي

وفيها قتل شريح الحبشي، وكان سبب ذلك أنه حين وقع الصلح، هرب في عدة من الحبشة، فقطع الطريق فيما بين واسط وناحية الجبل والأهواز، ونزل قرية من قرى أم المتوكل يقال لها ديري، فنزل في خانها في خمسة عشر رجلا، فشرّبوا وسكروا، فوثب عليهم أهل القرية فكتفوه، وحملوهم إلى واسط، إلى منصور بن نصر، فحملهم منصور إلى بغداد، فأنفذهم محمد بن عبد الله إلى العسكر، فلما وصلوا قام بايكاك إلى شريح فوسطه بالسيف وصلب على خشبة بابك، وضرب أصحابه بالسياط ما بين الخمسمائة إلى الألف.

وفي شهر ربيع الآخر منها توفي عبيد الله بن يحيى بن خاقان في مدينه ابى جعفر.

ذكر حال بغا ووصيف

وفيها كتب المعتز إلى محمد بن عبد الله في إسقاط اسم بغا ووصيف ومن كان في رسمهما من الدواوين.

وذكر أن محمد بن أبي عون أحد قواد محمد بن عبد الله ناظره لما صار أبو أحمد إلى سامرا في قتل بغا ووصيف، فوعده أن يقتلها، فبعث المعتز إلى محمد بن عبد الله بلواء، وعقد لمحمد بن أبي عون لواء على البصرة واليمامة والبحرين،

فكتب قوم من أصحاب بغا ووصيف إليهما بذلك، وحذروهما محمد بن عبد الله، فركب وصيف وبغا إليه يوم الثلاثاء لخمس بقين من ربيع الأول، فقال له بغا: بلغنا أيها الأمير ما ضمنه ابن أبي عون من قتلنا، والقوم قد غدروا وخالفوا ما فارقونا عليه، والله لو أرادوا أن يقتلونا ما قدروا عليه فحلف لهما أنه ما علم بشيء من ذلك، وتكلم بغا بكلام شديد، ووصيف يكفه، وقال وصيف: أيها الأمير، قد غدر القوم ونحن نمسك وننقعد في منازلنا حتى يجيء من يقتلنا! وكنا دخلا مع جماعة، ثم رجعا إلى منازلهما، فجمعا جندهما ومواليهما، وأخذوا في الاستعداد وشرى السلاح وتفريق الأموال في جيرانهما إلى سلخ ربيع وكان وصيف وبغا عند قدوم قرب، وجه إليهما محمد بن عبد الله كاتبه محمد بن عيسى، فأقبلا معه حتى صارا عند دار محمد بن عبد الله بقرب الجسر، فلقيهما جعفر الكردي وابن خالد البرمكي، فتعلق كل واحد منهما بلجام واحد منهما، وقال لهما: إنما دعيتما لتحملا إلى العسكر، وقد أعد لكما لذلك قوم أو لتقتلا، فرجعا وجمعا جمعا، وأجريا على كل رجل كل يوم درهمين، فأقاما في منزلهما.

وكان وصيف وجه أخته سعاد إلى المؤيد، وكان المؤيد في حجرها، فأخرجت من قصر وصيف ألف الف دينار كانت مدفونة فيه، فدفعها إلى المؤيد، فكلّم المؤيد المعتز في الرضا عن وصيف، فكتب إليه بالرضا عنه، فضرِب مضاربه بباب الشماسية على أن يخرج،

وتكلم ابو احمد ابن المتوكل في الرضا عن بغا، فكتب إليه بالرضا، واضطرب أمرهما وهما مقيمان ببغداد. ثم اجتمع على المعتز الأتراك فسألوه الأمر بإحضارهما، وقالوا: هما كبيرانا ورئيسانا، فكتب إليهما بذلك، فجاء بالكتاب بإيكاك في نحو من ثلاثمائة رجل، فأقام بالبردان، ووجه إليهما الكتاب لسبع بقين من شهر رمضان من هذه السنة، فكتب إلى محمد بن عبد الله بمنعهما، فوجها بكتابيهما احمد

٩٠٣٤٠٤ ذكر الفتنة بين جند بغداد واصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر

ابن صالح ودليل بن يعقوب إلى محمد بن عبد الله ليستأذناه، فأتاهما جيش من الأتراك، فنزلوا بالمصل، وخرج وصيف وبغا وأولادهما وفرسانهما في نحو من أربعمائة إنسان، وخلفا في دورهما الثقل والعيال، ودعا أهل بغداد لهما ودعوا لهم. وقد كان ابن طاهر وجه محمد بن يحيى الوائقي وبندار الطبري الى باب الشماسيه وباب البرد ان لينعوهما، ومضيا من باب خراسان، ونفذا ولم يعلم كتابهما حتى قال محمد بن عبد الله لأحمد ودليل: ما صنع صاحبكما؟ فقال احمد ابن صالح: خلفت وصيفا في منزله قال: فإنه قد شخص الساعة، قال:

ما علمت، فلما صار إلى سامرا بكر أحمد بن إسرائيل يوم الأحد لتسع بقين من شوال من هذه السنة في السحر إلى وصيف، وأقام عنده مليا، ثم انصرف إلى بغا، فأقام عنده مليا، ثم صار إلى الدار، فاجتمع الموالي وسألوا ردهما إلى مراتبهما، فأجيبوا إلى ذلك، وبعث إليهما، فحضرا ورتبا في مرتبتهما التي كانت قبل مصيرهما إلى بغداد، وأمر يرد ضياعهما، وخلع عليهما خلع المرتبة ثم ركب المعتز إلى دار العامة، وعقد لبغا ووصيف على أعمالهما ورد ديوان البريد كما كان قبل إلى موسى بن بغا الكبير، فقبل موسى ذلك.

ذكر الفتنة بين جند بغداد وأصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر
وفي شهر رمضان من هذه السنة كانت وقعة بين جند بغداد وأصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر، ورئيس الجند يومئذ ابن الخليل وكان السبب في ذلك- فيما ذكر- أن المعتز كتب إلى محمد بن عبد الله في بيع غله طساسيج ضياع بادوريا وقطربل ومسكن وغيرها، كل كرين بالمعدل بخمسة وثلاثين دينارا من غلة سنة اثنتين وخمسين ومائتين، وكان المعتز ولي يريد بغداد رجلا يقال له صالح بن الهيثم، وكان أخوه منقطعا إلى أتماش أيام

المتوكل، فارتفع أمر صالح هذا أيام المستعين، وكان ممن أقام بسامرا، وهو من أهل المحرم، وكان أبوه حائكا ثم صار يبيع الغزل، ثم انتقل أخوه إليه لما ارتفع فلما اقام ببغداد كتب اليه يؤمر أن يقرأ الكتاب على قواد أهل بغداد كعتاب بن عتاب ومحمد بن يحيى الوائقي ومحمد بن هرثمة ومحمد بن رجاء وشعيب ابن عجيف ونظرائهم، فقرأه عليهم، فصاروا إلى محمد بن عبد الله، فأخبروه، فأمر محمد بن عبد الله فأحضر صالح بن الهيثم، وقال: ما حملك على هذا بغير علي! وتهده وأسمعه وقال للقواد: انتظروا حتى أرى رأيي، وأمركم بما أعزم عليه، فانصرفوا من عنده على ذلك، وشخص بعد ذلك، واجتمع الفروض والشاكرية والنائبة إلى باب محمد بن عبد الله يطلبون أرزاقهم لعشر خلون من شهر رمضان، فأخبرهم أن كتاب الخليفة ورد عليه، جواب كتاب له كان كتب بمسألة أرزاق جند بغداد، إن كنت فرضت الفروض لنفسك، فأعطهم أرزاقهم، وإن كنت فرضت لنا فلا حاجة لنا فيهم فلما ورد الكتاب عليه أخرج لهم بعد شغبهم بيوم ألفي دينار، فوضعت لهم ثم سكنوا.

ثم اجتمعوا لإحدى عشرة خلت من شهر رمضان، ومعهم الأعلام والطبول، وضربوا المضارب وانخيم على باب حرب وباب الشماسية وغيرهما، وبنوا بيوتا من بوازي وقصب، وباتوا ليلتهم فلما أصبحوا كثر جمعهم، وبيت ابن طاهر قوما من خاصته في داره، وأعطاهم درهما درهما، فلما أصبحوا مضوا من داره إلى المشغبة، فصاروا معهم فجمع ابن طاهر جنده القادمين معه من خراسان، وأعطاهم لشهرين، وأعطى جند بغداد القدماء، الفارس دينارين والراجل ديناراً، وشحن داره بالرجال، فلما كان يوم الجمعة اجتمع من المشغبة خلق كثير بباب حرب بالسلاح والأعلام والطبول، ورئيسهم رجل يقال له عبدان بن الموفق، ويكنى أبا القاسم، وكان من أثبات عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وكان ديوان عبدان في ديوان وصيف، فقدم بغداد، فباع دارا له بمائة ألف دينار، فشخص إلى سامرا،

فلما وثبت الشاكرية بباب العامة كان معهم، فضربه سعيد الحاجب خمسمائة سوط، وحبسه حبسا طويلا، ثم أطلق فلما كان فتنة المستعين صار إلى بغداد، وانضم إليه هؤلاء المشغبة، فحضرهم على الطلب بأرزاقهم وفاتتهم، وضمن لهم أن يكون لهم رأسا يدير أمرهم فأجابوه إلى ذلك، فأنفق عليهم يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة نحو من ثلاثين دينارا فيما أقام لهم من الطعام، ومن كانت لهم كفاية لم يحتج إلى نفقته، فكان ينصرف إلى منزله، فلما كان يوم الجمعة اجتمعت منهم جماعة كثيرة، وعزموا على المصير إلى المدينة ليمضوا إلى الأمام فيمنعوه من الصلاة والدعاء للمعز، فساروا على تعبئة في شارع باب حرب، حتى انتهوا إلى باب المدينة في شارع باب الشام، وجعل أبو القاسم هذا على كل درب يمر به قوما من المشغبة، من بين راح وصاحب سيف ليحفظوا الدروب، كيلا يخرج منها أحد لقتالهم.

ولما انتهى إلى باب المدينة دخل معهم المدينة جماعة كثيرة، فصاروا بين البابين وبين الطاقات، فأقاموا هناك ساعة، ثم وجهوا جماعه منهم يكونون نحو من ثلاثمائة رجل بالسلح إلى رحبة الجامع بالمدينة، ودخل معهم من العامة خلق كثير، فأقاموا في الرحبة، وصاروا إلى جعفر بن العباس الإمام، فأعلموه أنهم لا يمنعونه من الصلاة، وأنهم يمنعونه من الدعاء للمعز فأعلمهم جعفر أنه مريض لا يقدر على الخروج إلى الصلاة، فانصرفوا عنه، وصاروا إلى درب أسد بن مرزبان، فشحنوا الشارع النافذ إلى درب الرقيق، ووكلوا بباب درب سليمان بن أبي جعفر جماعة، ثم مضوا يريدون الجسر في شارع الحدادين، فوجه إليهم ابن طاهر عدة من قواده فيهم الحسين بن اسماعيل والعباس ابن قارن وعلي بن جهشيار وعبد الله بن الأفشين في جماعة من الفرسان، فناظروهم ودفعوهم دفعا رفيقا، وحمل عليهم الجند والشاكرية حملة جرحوا فيها جماعة من قواد ابن طاهر، وأخذوا دابة ابن قارن وابن جهشيار ورجل من فرض عبید الله بن يحيى من الشاميين يقال له سعد الضبابي، وجرحوا المعروف بأبي السنا، ودفعوهم عن الجسر حتى صيروهم إلى باب عمرو بن مسعدة فلما رأى الذين بالجانب الشرقي منهم أن أصحابهم قد أزالوا أصحاب ابن طاهر عن الجسر كبروا، وحملوا يريدون العبور إلى أصحابهم، وكان ابن طاهر قد أعد سفينة فيها شوك وقصب ليضرم فيها النار، ويرسلها على الجسر الأعلى، ففعل ذلك، فأحرقت عامة سفنه وقطعته، وصارت إلى الآخر، فأدركها أهل الجانب الغربي، ففرقوها وأطفئوا النار التي تعلقت بسفن الجسر وعبر من الجانب الشرقي إلى الجانب الغربي خلق كثير، ودفعوا أصحاب ابن طاهر عن ساباط عمرو بن مسعدة، وصاروا إلى باب ابن طاهر، وصار الشاكرية والجند إلى ساباط عمرو بن مسعدة، وقتل من الفريقين إلى الظهر نحو من عشرة نفر، وصار جماعة من الغوغاء والعامة إلى المجلس الذي يعرف بمجلس الشرطة في الجسر.

من الجانب الغربي إلى بيت يقال له بيت الرفوع، فكسروا الباب، وانتهبوا ما فيه، وكان فيه أصناف من المتاع، فاقتتلوا عليه فلم يتركوا فيه شيئا، وكان كثيرا جليلا وأحرق ابن طاهر الجسر لما رأى الجند قد ظهروا على أصحابه، وأمر بالخوانيت التي على باب الجسر التي تتصل بدرب سليمان أن تحرق يمنة ويسرة، ففعل فاحترق فيها للتجار متاع كثير، وتهدم حيطان مجلس صاحب الشرطة، فلما ضربت الخوانيت بالنار حالت النار بين الفريقين، وكبرت الجند عند ذلك تكبيرة شديدة، ثم انصرفوا إلى معسكرهم بباب حرب، وصار الحسين بن إسماعيل مع جماعة من القواد والشاكرية إلى باب الشام، فوقف على التجار والعامة فوبخهم على معونتهم الجند، وقال:

هؤلاء قاتلوا على خبزهم وهم معذورون، وأنتم جيران الأمير ومن يجب عليه نصرته، فلم فعلتم ما فعلتم، وأعنتم الشاكرية عليه ورميتم بالحجارة، والأمير متحول عنكم! ثم صار محمد بن أبي عون إليهم، فقال لهم مثل ذلك، وانصرف إلى ابن طاهر، فكث الجند المشتغبون في مواضعهم ومعسكرهم، وانضم إلى ابن طاهر جماعة من الأثبات وجمع جميع أصحابه، فجعل بعضهم في داره، وبعضهم في الشارع النافذ من الجسر إلى داره، قد عباهم تعبئة الحرب، حذارا من كرة الجند عليه أياما، فلم يكن لهم عودة، فصار في بعض الأيام

التي كان من عودتهم ابن طاهر على وجل - فيما ذكر - رجلان من المشغبة استأمننا إليه، فأخبراه بعورة أصحابهما، فأمر لهما بمائتي دينار، ثم أمر الشاه بن ميكال والحسين بن إسماعيل بعد العشاء الآخرة بالمصير في جماعة من أصحابهما إلى باب حرب، فتلفا لأبي القاسم رئيس القوم وابن الخليل - وكان من أصحاب محمد بن أبي عون - فصاروا إلى ما هناك، وكان أبو القاسم وابن الخليل قد صار كل واحد منهما عند مفارقة الرجلين اللذين صارا إلى ابن طاهر ورجل آخر يقال له القمي، وتفرق الشاكرية عنهما إلى ناحيه خوفا على انفسهم،

فرضى الشاه والحسين في طلبهما حتى خرجا من باب الأنبار، وتوجها نحو جسر بطاطيا، فذكر أن ابن الخليل استقبلهما قبل أن يصيرا إلى جسر بطاطيا، فصاح بهما ابن الخليل وبمن معهما من هؤلاء، وصاحوا به، فلما عرفهم حمل عليهم، فخرج منهم عدة، فأحدقوا به، وصار في وسط القوم، فطعنه رجل من أصحاب الشاه، فرمى به إلى الأرض، فبعجه علي بن جهشيار بالسيف وهو في الأرض، ثم حمل على بغل وبه رمق، فلم يصلوا به إلى ابن طاهر حتى قضى وأمر الشاه بطرحه في كنيف في دهليز الدار إلى أن حمل إلى الجانب الشرقي، وأما عبدان بن الموفق فإنه كان قد صار إلى منزله وإلى موضع اختفى فيه، فدل عليه، وأخذ وحمل إلى ابن طاهر، وتفرق الشاكرية الذين كانوا بباب حرب، وصاروا إلى منازلهم، وقيد عبدان بن الموفق بقيدين فيهما ثلاثون رطلا ثم صار الحسين بن إسماعيل إلى الحبس الذي هو فيه في دار العامة، وقعد على كرسي، ودعا به، فسأله:

هل هو دسيس لأحد، أو فعل ما فعل من قبل نفسه؟ فأخبره أنه لم يدسه أحد، وإنما هو رجل من الشاكرية طلب بخبزه فرجع الحسين إلى ابن طاهر فأعلمه ذلك، فخرج طاهر بن محمد وأخوه إلى دار العامة الداخلة، فقعدا وأحضرا من بات في الدار من القواد والحسين بن إسماعيل والشاه بن ميكال، وأحضرا عبدان، فحمله رجلا، فكان المخاطب له الحسين، فقال: أنت رئيس القوم؟ فقال: لا، إنما أنا رجل منهم، طلبت ما طلبوا، فشتمه

٩٠٣٤٥ ذكر الخبر عن خلع المؤيد ثم موته

الحسين، وقال حرب بن محمد بن عبد الله بن حرب: كذبت، بل أنت رئيس القوم، وقد رأيناك تعبهم بباب حرب وفي المدينة وباب الشام، فقال:

ما كنت لهم برأس، وإنما أنا رجل منهم، طلبت ما طلبوا، فأعاد عليه الحسين الشتم، وأمر بصفعه فصفع، وأمر بسحبه فسحب بقيوده إلى أن أخرج من الدار، وشمته كل من لحقه، ودخل طاهر بن محمد إلى أبيه فأخبره خبره، وحمل عبدان على بغل، ومضى به إلى الحبس، وحمل ابن الخليل في زورق عبر به إلى الجانب الشرقي، وصلب، وأمر بعبدان فجرد وضرب مائة سوط بئارها وأراد الحسين قتله، فقال لمحمد بن نصر: ما ترى في ضربه خمسين سوطا على خاصرته؟ فقال له محمد: هذا شهر عظيم، ولا يحل لك أن تصنع به هذا، فأمر به فصلب حيا، وحمل على سلم حتى صلب على الجسر، وربط بالحبال، فاستسقى بعد ما صلب، فنعه الحسين فقبل له: إن شرب الماء مات، قال: فاسقوه إذا، فسقوه، فترك مصلوبا إلى وقت العصر، ثم حبس، فلم يزل في الحبس يومين ثم مات اليوم الثالث مع الظهر، وأمر بصلبه على الخشبة التي كان صلب عليها ابن الخليل، ودفع ابن الخليل إلى أوليائه فدفن.

ذكر الخبر عن خلع المؤيد ثم موته

وفي رجب من هذه السنة خلع المعتز المؤيد أخاه من ولاية العهد بعده.

ذكر الخبر عن سبب خلعه إياه: كان السبب في ذلك - فيما بلغنا - أن العلاء بن أحمد عامل أرمينية بعث إلى إبراهيم المؤيد بخمسة آلاف دينار ليصلح بها أمره، فبعث ابن فرخان شاه إليه، فأخذها، فأغرى المؤيد الأتراك بعبسى بن فرخان شاه، وخالفهم المغاربة، فبعث المعتز إلى أخويه: المؤيد وأبي أحمد، فحبسهما في الجوسق، وقيد المؤيد وصيره في حجرة ضيقة، وأدر العطاء للأتراك والمغاربة، وحبس كنجور حاجب المؤيد، وضربه خمسين مقرعه، وضرب خليفته أبا الهول خمسمائة

٩٠٣٤٦ ذكر الخبر عن مقتل المستعين

سوط وطوف به على جمل، ثم رضي عنه وعن كنجور، فصرف إلى منزله. وقد ذكر أنه ضرب أخاه المؤيد أربعين مقرعة، ثم خلع بسامرا يوم الجمعة لسبع خلون من رجب، وخلع ببغداد يوم الأحد لإحدى عشرة خلت من رجب، وأخذت رقعة بخطه بخلع نفسه. ولست بقين من رجب من هذه السنة - وقيل لثمان بقين منه - كانت وفاة إبراهيم بن جعفر المعروف بالمؤيد ذكر الخبر عن سبب وفاته:

ذكر أن امرأة من نساء الأتراك جاءت محمد بن راشد المغربي، فأخبرته أن الأتراك يريدون إخراج إبراهيم المؤيد من الحبس، وركب محمد بن راشد إلى المعتز، فأعلمه ذلك، فدعا بموسى بن بغا، فسأله فأنكر، وقال:

يا أمير المؤمنين، إنما أرادوا أن يخرجوا أبا أحمد بن المتوكل لأنهم به كان في الحرب التي كانت، وأما المؤيد فلا فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من رجب دعا بالقضاة والفقهاء والشهود والوجوه، فأخرج إليهم إبراهيم المؤيد ميتا لا أثر به ولا جرح، وحمل إلى أمه إسحاق- وهي أم أبي أحمد- على حمار، وحمل معه كفن وحنوط وأمر بدفنه، وحول أبو أحمد إلى الحجرة التي كان فيها المؤيد.

وذكر أن المؤيد أدرج في لحاف سمور، ثم أمسك طرفاه حتى مات.

وقيل: أنه أقعد في حجر من ثلج، ونضدت عليه حجارة الثلج فمات بردا.

ذكر الخبر عن مقتل المستعين

وفي شوال منها قتل أحمد بن محمد المستعين.

ذكر الخبر عن قتله:

ذكر أن المعتز لما هم بقتل المستعين، ورد كتابه على محمد بن عبد الله

ابن طاهر بنكبته، وأمره بتوجيه أصحاب معاونه في الطساسيج، ثم ورد عليه منه بعد ذلك كتاب مع خادم يدعى سيما، يؤمر فيه بالكتاب إلى منصور ابن نصر بن حمزة- وهو على واسط- بتسليم المستعين إليه، وكان المستعين بها مقيما، وكان الموكل به ابن أبي خميصه وابن المظفر بن سيسل ومنصور ابن نصر بن حمزة وصاحب البريد، فكتب محمد في تسليم المستعين إليه، ثم وجه- فيما قيل- أحمد بن طولون التركي في جيش، فأخرج المستعين لست بقين من شهر رمضان، فوافى به القاطول لثلاث خلون من شوال.

وقيل أن أحمد بن طولون كان موكلا بالمستعين، فوجه سعيد بن صالح إلى المستعين في حمله، فصار إليه سعيد فحمله.

وقيل أن سعيدا إنما تسلم المستعين من ابن طولون في القاطول بعد ما صار به ابن طولون إليها، ثم اختلف في أمرهما، فقال بعضهم: قتله سعيد بالقاطول، فلما كان غد اليوم الذي قتله فيه أحضر جواريه وقال: انظرن إلى مولا كن قد مات، وقد قال بعضهم: بل أدخله سعيد وابن طولون سامرا، ثم صار به سعيد إلى منزل له فعذبه حتى مات.

وقيل: بل ركب معه في زورق ومعه عدة حتى حاذى به فم دجيل، وشد في رجله حجرا، وألقاه في الماء.

وذكر عن متطبب كان مع المستعين نصراني يقال له فضلان، أنه قال:

كنت معه حين حمل، وأنه أخذ به على طريق سامرا، فلما انتهى إلى نهر نظر إلى موكب وأعلام وجماعة، فقال لفضلان: تقدم فانظر من هذا، فإن كان سعيدا فقد ذهبت نفسي، قال فضلان فتقدمت إلى أول الجيش، فسألتهم فقالوا: سعيد الحاجب، فرجعت إليه فأعلمته- وكان في قبة تعادله امرأة- فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! ذهبت نفسي والله! وتأخرت عنه قليلا.

قال: فلقى أول الجيش، فأقاموا عليه وأنزله ودابته، فضربه بالسيف، فصاح وصاحت دابته، ثم قتل، فلما قتل انصرف الجيش. قال: فصرت إلى الموضع، فإذا هو مقتول في سراويل بلا رأس، وإذا المرأة مقتولة، وبها عدة ضربات، فطرحنا عليهما نحن تراب النهر حتى واريناهما، ثم انصرفنا.

قال: وأتى المعتز برأسه وهو يلعب بالشطرنج، فقيل: هذا رأس المخلوع فقال: ضعه هنالك، ثم فرغ من لعبه، ودعا به فنظر إليه، ثم أمر بدفنه، وأمر لسعيد بخمسين ألف درهم وولي معونة البصرة.

وذكر عن بعض غلمان المستعين ان سعيدا لما استقبله أنزله، ووكل به رجلا من الأتراك يقتله، فسأله، أن يمهل حتى يصلي ركعتين، وكانت عليه جبة، فسأل سعيد التركي الموكل بقتله أن يطلبها منه قبل قتله، ففعل ذلك، فلما سجد في الركعة الثانية قتله واحتز رأسه، وأمر بدفنه، وخفي مكانه.

وقال محمد بن مروان بن أبي الجنوب بن مروان بن أبي حفصة في أمر المؤيد، ويمدح المعتز:

أنت الذي يمسك الدنيا إذا اضطربت ... يا ممسك الدين والدنيا إذا اضطربا

إن الرعية- أبقاك الإله لها ... - ترجو بعدلك أن تبقى لها حقبا

لقد عنيت بحرب غير هينة ... وكان عودك نبعا لم يكن غربا
 ما كنت أول رأس خانة ذنب ... والرأس كنت وكان الناكث الذنبا
 لو كان تم له ما كان دبره ... لأصبح الملك والإسلام قد ذهب
 أراد يهلك دنيانا ويعطيها ... وقد أراد هلاك الدين والعطبا
 لما أراد وثوبا من سفاهته ... أمسى عليه إمام العدل قد وثبا
 لقد رماك بسهم لم يصيبك به ... ومن رماك عليه سهمه انقلبا
 لقد رعيت له ما كان من سبب ... فما رعى لك إحسانا ولا سببا
 كحسن فعلك لم يفعل أخ بأخ ... كذا لذاك شهودا لم تكن غيبا
 قد كنت مشغولا بالحرب ذا تعب ... وكان يلعب ما كلفته تعب
 قد كان يا ذا الندى يعطى بلا طلب ... وكنت يا ذا الندى تعطيه ما طلبا
 وكنت أكثر برا من أبيه به ... ولم تكن بأخ في البر، كنت أبا
 وكان قرب سرير الملك مجلسه ... فقد تباعد منه بعد ما اقتربا
 وكان في نعم زالت وكان له ... باب يزار فأمسى اليوم محتجبا
 أمسى وحيدا وقد كانت مواكبه ... عشرين ألفا تراهم خلفه عصبا
 أين الصفوف التي كانت تقوم له ... كما يقوم إذا ما جاء أو ذهب
 وذل بعد تماديه ونخوته ... كالحوت أصبح عنه الماء قد نضبا
 وقد فسخت عن الأعناق بيعته ... فلا خطيب له يدعو إذا اختطبا
 لقبته نقبا من بعد إمرته ... والله بدله بالإمرة اللقبا
 كسوته ثوب عز فاستهان به ... ولم يصنه فأمسى عنه مغتصبا
 كم نعمة لك فيها كنت تشركه ... والله أخرجه منها بما اكتسبا
 شبهته بسراج كان ذا لهب ... فما تركت له نورا ولا لهبا
 أمسيت قطيعة إبراهيم قد قطعت ... جبل الصفاء وجبل الود فانقضبا
 وما تؤاخذ يا حلف الندى أحدا ... حتى تبين فيه النكث والريبا
 إني بمدح بني العباس ذو حسب ... وكان مدح بني العباس لي حسبا

٩٠٣٤٠٧ امر المعتز مع اهل بغداد

إن التقى يا بني العباس أدبكم ... حتى استفادت قريش منكم الأدبا
 من كان مقتضبا في حول مدحكم ... فلست فيه بحمد الله مقتضبا.
 امر المعتز مع اهل بغداد

ذكر عن أبي عبد الرحمن الفاني أن فتى من اهل سامرا املى عليه مما عمله بعض أهلها عن ألسن الأتراك أن المعتز لما أفضت إليه
 الخلافة، وقلده الله القيام بأمر عبادته في المشارق والمغرب، والبر والبحر، والبدو والحضر، والسهل والجبل، تألم بسوء اختيار أهل بغداد
 وفتنتهم، فأمر المعتز بالله بإحضار جماعة ممن صفت أذهانهم، وورقت طبائعهم، ولطف ظنهم، وصحت نحائزهم، وجادت غرائزهم،
 وكملت عقولهم بالمشورة، فقال أمير المؤمنين:

أما تنظرون إلى هذه العصابة التي ذاع نفاقهم، وغار شأوهم، اهدج الطغام، والأوغاد الذين لا مسكة بهم، ولا اختيار لهم، ولا تمييز
 معهم، قد زين لهم تقحم الخطا سوء أعمالهم، فهم الأقلون وإن كثروا والمذمومون إن ذكروا، وقد علمت أنه لا يصلح لقود الجيوش
 وسد الثغور وإبرام الأمور وتدبير الأقاليم إلا رجل قد تكاملت فيه خلال أربع: حزم يقف به عند موارد الأمور حقائق مصادرها، وعلم

يحجزه عن التهور والتغريز في الأشياء إلا مع إمكان فرصتها، وشجاعة لا ينقصها الملمات مع تواتر حوائجها، وجود يهون به تبذير جلائل الأموال عند سؤالها وأما الثلاث: فسرعة مكافأة الإحسان إلى صالح الأعوان، وثقل الوطأة على أهل الزيغ والعدوان، والاستعداد للحوادث، إذ لا تؤمن من نوائب الزمان وأما الاثنتان، فإسقاط الحاجب عن الرعية، والحكم بين القوي والضعيف بالسوية وأما الواحدة فالتيقظ في الأمور مع عدم تأخير عمل اليوم لغد، فما ترون، وقد اخترت رجالاً لهم من موالي، أحدهم شديد الشكيمة، ماضي العزيمة، لا تبطره السراء، ولا تدهشه الضراء، لا يهاب ما وراءه، ولا يهوله ما تلقاه، وهو كالخريش في أصل السلام، إن حرك حمل، وإن نهش قتل، عدته عتيدة، ونقمة شديدة، يلقي الجيش في النفر القليل العدد بقلب أشد من الحديد طالب للثأر، لا يفله العساكر، بأسل البأس، مقتضب الأنفاس لا يعوزه ما طلب، ولا يفوته من هرب، واري الزناد، مطلع العماد، لا تشهره الرغائب، ولا تعجزه النوائب، إن ولي كفى، وإن وعد وفى، وإن نازل فبطل، وإن قال فعل، ظله لوليه ظليل، وبأسه في الهياج عليه دليل، يفوق من ساماه، ويعجز من ناواه، ويتعب من جراه، وينعش من والآه.

فقام إليه رجل من القوم، فقال: قد جمع الله لك يا أمير المؤمنين فضائل الأدب، وخصك بإرث النبوة، وألقى إليك أزمة الحكمة، ووفر نصيبك من حباء الكرامة، وفسح لك في الفهم، ونور قلبك بأنفس العلوم وصفاء الذهن، فأفصح عن القلب البيان، وأدرك فهمك يا أمير المؤمنين ما والله خبيء على من لم يحب بما حببت من المزن العظام، والأأيادي الجسام، والفضائل المحموده، وشرف الطباع فنطقت الحكمة على لسانك، فما ظننته فهو صواب، وما فهمته فهو الحق الذي لا يعاب، وأنت والله يا أمير المؤمنين نسيج وحده، وقريع دهره، لا يبلغ كلية فضله الوصف، ولا يحصر أجزاء شرف فضله النعت.

ثم أمر أمير المؤمنين بالعقد لأنصاره على النواحي، وأطلقهم في أشعار أعدائهم وأبشارهم ودمائهم، فلما بلغ محمد بن عبد الله ما أمر به في النواحي أنشأ كتاباً بنسخته:

أما بعد فإن زيغ الهوى صدف بكم عن حزم الرأي، فأقمكم حبال الخطأ، ولو ملكتم الحق عليكم، وحكمتكم به فيكم لا وردكم البصيرة، ونفى عنكم غياهب الخيرة، والآن فإن تجنحوا للسلم تحقنوا دماءكم، وترغدوا عيشكم، ويصفح أمير المؤمنين عن جريرة جارمكم، وأخلي لكم ذروة سبوغ النعمة عليكم، وإن مضيت على غلوائكم، وسول لكم الأمل أسوأ أعمالكم، فأذنبوا بحرب من الله ورسوله، بعد نبذ المعذرة إليكم، وإقامة الحججة عليكم،

ولئن شنت الغارات، وشب ضرام الحرب، ودارت رحاها على قطبها، وحسنت الصوارم أوصال حمايتها، واستجرت العوالي من نهما، ودعيت نزال، والتحم الأبطال، وكلحت الحرب عن أنيابها أشداقها، وألقت للتجرد عنها قناعها، واختلفت أعناق الخيل، وزحف أهل النجدة إلى أهل البغي، لتعلن أي الفريقين أسمع بالموت نفسا، وأشد عند اللقاء بطشا، ولات حين معذرة، ولا قبول فدية! وقد أعذر من أنذر، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون! فبلغ كتاب محمد بن عبد الله الأتراك، فكتبوا جواب كتابه:

إن شخص الباطل تصور لك في صورة الحق، فتخيل لك الغي رشدا كسرابٍ بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجد شيئا، ولو راجعت عزوب عقلك أنار لك برهان البصيرة، وحسم عنك مواد الشبهة، لكن حصت عن سنه الحقيقة، ونكصت على عقبيك لما ملك طباعك من دواعي الخيرة، فكنت في الإصغاء لهتافه والتجرد إلى وروده كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران ولعمرك يا محمد، لقد ورد وعدك لنا ووعدك إيانا، فلم يدنا منك، ولم يثنا عنك، إذ كان فخص اليقين قد كشف عن مكنون ضميرك، وألفاك كالمكتفي بالبرق نهجا، إذا أضاء له مشى فيه، وإذا أظلم عليه قام ولعمرك لئن اشتد في البغي شاوك، ومتعت بصبابه من الأمل ليكون أمرك عليك غمة، ولنأتينك بجنود لا قبل لك بها، ولنخرجك منها ذليلا، وأنت من الصاغرين ولولا انتظارنا كتاب أمير المؤمنين بأعلامنا ما نعمل في شاكلته، بلغنا بالسياط النياط، وغمدنا السيوف وهي كالة، وجعلنا عاليها سافلها، وجعلناها مأوى الظلمان والحيات والبوم، وقد ناديناك من كذب، وأسمعناك إن كنت حيا، فإن تجب تفلح، وإن تأب إلا غيا نخزك به، وعمّا قليل لتصبحن نادمين.

٩٠٣٤٠٨ وقوع الفتنة بين الأتراك والمغاربة

٩٠٣٤٠٩ ذكر خبر حمل الطالبين من بغداد إلى سامرا

وقوع الفتنة بين الأتراك والمغاربة

وفي أول يوم من رجب من هذه السنة كانت بين المغاربة والأتراك ملحمة، وذلك أن المغاربة اجتمعت فيه مع محمد بن راشد ونصر بن سعيد، فغلبوا الأتراك على الجوسق، وأخرجوهم منه، وقالوا لهم: في كل يوم تقتلون خليفة، وتخلعون آخر، وتقتلون وزيراً! وكانوا قد وثبوا على عيسى بن فرخان شاه، فتناولوه بالضرب، وأخذوا دوابه ولما أخرجت المغاربة الأتراك من الجوسق، وغلبوهم على بيت المال، أخذوا خمسين دابة مما كان الأتراك يركبونها، فاجتمع الأتراك، وأرسلوا إلى من بالكرخ والدور منهم، فتلاقوا هم والمغاربة، فقتل من المغاربة رجل، فأخذت المغاربة قاتله، وأعانت المغاربة الغوغاء والشاكريه، فضعف الأتراك، وانقادوا للمغاربة فأصلح جعفر بن عبد الواحد بين الفريقين، فاصطلحوا على ألا يحدثوا شيئاً، ويكون في كل موضع يكون فيه رجل من قبل أحد الفريقين يكون فيه آخر من الفريق الآخر، فكتبوا على ذلك مديده.

وبلغ الأتراك اجتماع المغاربة إلى محمد بن راشد ونصر بن سعيد، واجتمع الأتراك إلى بايكاك، فقالوا: نطلب هذين الرأسين، فإن ظفرنا بهما فلا أحد ينطق، وكان محمد بن راشد ونصر بن سعيد قد اجتمعا في صدر اليوم الذي عزم الأتراك فيه على الوثوب بهما، ثم انصرفا إلى منازلهما، فبلغهما أن بايكاك قد صار إلى منزل ابن راشد، فعدل محمد بن راشد ونصر بن سعيد إلى منزل محمد بن عزون ليكونا عنده حتى يسكن الأتراك، ثم يرجعا إلى جمعتهما، فغمز إلى بايكاك رجل، ودله عليهما وقيل إن ابن عزون هو الذي دس من دل بايكاك والأتراك عليهما، فأخذهما الأتراك فقتلوهما، فبلغ ذلك المعتز، فأراد قتل ابن عزون، فكلّم فيه فنفاه إلى بغداد.

ذكر خبر حمل الطالبين من بغداد إلى سامرا

وفيها حمل محمد بن علي بن خلف العطار وجماعة من الطالبين من بغداد إلى سامرا، فيهم أبو أحمد محمد بن جعفر بن حسن بن جعفر بن حسن بن

حسن بن علي بن أبي طالب، وحمل معهم أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري وذلك لثمان خلون من شعبان منها ذكر السبب في حملهم: وكان السبب - فيما ذكر - أن رجلاً من الطالبين شخص من بغداد في جماعة من الجيشية والشاكريه إلى ناحية الكوفة، وكانت الكوفة وسوادها من عمل أبي الساج في تلك الأيام، وكان مقيماً ببغداد لمناظرة ابن طاهر إياه في الخروج إلى الري، فلما بلغ ابن طاهر خبر الطالب الشاخص من بغداد إلى ناحية الكوفة، أمر أبا الساج بالشخص إلى عمله بالكوفة، فقدم أبو الساج خليفته عبد الرحمن إلى الكوفة، فلقى أبا الساج أبو هاشم الجعفري مع جماعة معه من الطالبين ببغداد، فكلّمه في أمر الطالب الشاخص إلى الكوفة، فقال لهم أبو الساج: قولوا له يتنحى عني، ولا أراه فلما صار عبد الرحمن خليفة أبي الساج إلى الكوفة ودخلها رمي بالحجارة حتى صار إلى المسجد، فظنوا أنه جاء لحرب العلوي، فقال لهم: إني لست بعامل، إنما أنا رجل وجهت لحرب الأعراب، فكفوا عنه، وأقام بالكوفة وكان أبو أحمد محمد بن جعفر الطالب الذي ذكرت أنه حمل من الطالبين إلى سامرا كان المعتز ولاء الكوفة بعد ما هزم مزاحم بن خاقان العلوي الذي كان وجه لقتاله بها الذي قد مضى ذكره قبل في موضعه، فعاث - فيما ذكر - أبو أحمد هذا في نواحي الكوفة وآذى الناس، وأخذ أموالهم وضياعهم فلما أقام خليفة أبي الساج بالكوفة لطف لأبي أحمد العلوي هذا وآتسه حتى خالطه في المؤاكلة والمشاربة، وداخله ثم خرج متنزها معه إلى بستان من بساتين الكوفة، فأمسى وقد عجب له عبد الرحمن أصحابه، فقيده وحمله مقيداً بالليل على بغال الدخول، حتى ورد به بغداد في أول شهر ربيع الآخر، فلما أتى به محمد بن عبد الله حبسه عنده، ثم أخذ منه كفيلاً وأطلقه، ووجدت مع ابن أخ لمحمد بن علي بن خلف العطار كتب من الحسن بن زيد، فكتب بخبره إلى المعتز، فورد الكتاب بحمله مع عتاب بن عتاب، وحمل هؤلاء الطالبين، فحملوا جميعاً

مع خمسين فارساً، وحمل أبو أحمد هذا وأبو هاشم الجعفري وعلي بن عبيد الله ابن عبد الله بن حسن بن جعفر بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، وتحدث الناس في علي بن عبيد الله أنه إنما استأذن في المصير إلى منزله بسامرا، فأذن له ووصله - فيما قيل - محمد

بن عبد الله بألف درهم، لأنه شكاً إليه ضيقه، وودع أبو هاشم أهله.

وقيل إن سبب حمل أبي هاشم، إنما كان ابن الكردية وعبد الله بن داود بن عيسى بن موسى قالوا للمعتز: إنك إن كتبت إلى محمد بن عبد الله في حمل داود بن القاسم لم يحمله، فاكتب إليه، وأعلمه أنك تريد توجيهه إلى طبرستان لإصلاح أمرها، فإذا صار إليك رأيت فيه رأيك، فحمل على هذا السبيل ولم يعرض له بمكروه.

وفيها ولي الحسن بن أبي الشوارب قضاء القضاة، وكان محمد بن عمران الضبي مؤدب المعتز قد سمى رجلاً للمعتز للقضاء نحو ثمانية رجال، فيهم الخلنجي والخصاف، وكتب كتبهم، فوقع فيه شفيع الخادم ومحمد بن إبراهيم بن الكردية وعبد السميع بن هارون بن سليمان بن أبي جعفر، وقالوا:

انهم من أصحاب ابن أبي داود، وهم رافضة وقدرية وزيدية وجهمية.

فأمر المعتز بطردهم وإخراجهم إلى بغداد، ووثب العامة بالخصاف، وخرج الآخرون إلى بغداد، وعزل الضبي إلا عن المظالم. وذكر أن أرزاق الأتراك والمغاربة والساكرية قدرت في هذه السنة، فكان مبلغ ما يحتاجون إليه في السنة مائتي ألف ألف دينار، وذلك خراج المملكة كلها لسنتين.

وفيها توجه أبو الساج إلى طريق مكة، وكان سبب ذلك - فيما ذكر - إن وصيفاً لما صلح أمره، ودفع المعتز إليه خاتمه كتب إلى أبي الساج يأمره

بالخروج إلى طريق مكة ليصلحه، ووجه إليه من المال ما يحتاج إليه، فأخذ في الجهاز، فكتب محمد بن عبد الله يسأل أن يصير طريق مكة إليه، فأجيب إلى ذلك، فوجه أبا الساج من قبله.

وفي أول ذي الحجة عقد لعيسى بن الشيخ بن السليل على الرملة، فأنفذ خليفته أبا المغراء إليها، فقبل: أنه أعطى بغاً أربعين ألف دينار على ذلك، أو ضمنها إليه.

وفيها كتب وصيف إلى عبد العزيز بن أبي دلف بتوليته الجبل، وبعث إليه بخلع، فتولى ذلك من قبله.

وفيها قتل محمد بن عمرو الشاري بديار ربيعة، قتله خليفة لأيوب بن أحمد في ذي القعدة.

وفيها سخط على كنجور، وأمر بحبسه في الجوسق، ثم حمل إلى بغداد مقيداً، ثم وجه به إلى اليمامة فحبس هنالك وفيها أغار ابن جستان صاحب الديلم مع أحمد بن عيسى العلوي والحسين بن أحمد الكوكبي على الري فقتلوا وسبوا، وكان ما بها حين قصدوها عبد الله ابن عزيز، فهرب منها، فصالحهم أهل الري على الفى درهم، فأدوها، وارتحل عنها ابن جستان، وعاد إليها ابن عزيز، فأسر أحمد بن عيسى وبعث به إلى نيسابور.

وفيها مات إسماعيل بن يوسف الطالبي الذي كان فعل بمكة ما فعل.

وجج فيها بالناس محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور من قبل المعتز.

٩٠٣٥ سنه ثلاث وخمسين ومائتين

٩٠٣٥٠١ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

٩٠٣٥٠٢ ذكر خبر أخذ الكرج من ابن ابى دلف

ثم دخلت

سنه ثلاث وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من عقد المعتز في اليوم الرابع من رجب لموسى بن بغا الكبير على الجبل، ومعه من الجيش يومئذ من الأتراك ومن يجري مجراهم الفان وأربعمائة وثلاثة وأربعون رجلاً، منهم مع مفلح ألف ومائة وثلاثون رجلاً.

ذكر خبر أخذ الكرج من ابن ابى دلف

وفيها أوقع مفلح وهو على مقدمة موسى بن بغا بعبد العزيز بن أبي دلف ثمان ليال بقين من رجب من هذه السنة وعبد العزيز في زهاء عشرين ألفا من الصعاليك وغيرهم، وكانت الوقعة بينهما - فيما قيل - خارج همدان على نحو من ميل، فهزمه مفلح ثلاثة فرائخ يقتلون ويأسرون، ثم رجع مفلح ومن معه سالمين، وكتب بالفتح في ذلك اليوم فلما كان في شهر رمضان عبا مفلح خيله نحو الكرج، وجعل لهم كمين، ووجه عبد العزيز عسكرا فيه أربعة آلاف فقاتلهم مفلح، وخرج كمين مفلح على أصحاب عبد العزيز فانهزموا، ووضع أصحاب مفلح فيهم السيف، فقتلوا وأسروا، وأقبل عبد العزيز معينا لأصحابه، فانهزم بانهزام أصحابه، وترك الكرج، ومضى إلى قلعة له في الكرج يقال له زز، متحصنا بها، ودخل مفلح الكرج، فأخذ جماعة من آل أبي دلف أسرا، وأخذ نساء من نسائهم، يقال أنه كان فيهم أم عبد العزيز، فأوثقهم.

وذكر أنه وجه سبعين حملا من الرءوس إلى سامرا وأعلاما كثيرة. وشخص فيها موسى بن بغا من سامرا إلى همدان فنزلها. وفيها خلع المعتز على بغا الشراي في شهر رمضان، وألبسه التاج والوشاحين، فخرج فيهما إلى منزله.

٩٠٣٥٠٣ ذكر الخبر عن قتل وصيف

٩٠٣٥٠٤ ذكر الخبر عن قتل بندار الطبري

ذكر الخبر عن قتل وصيف

وفيها قتل وصيف التركي، وذلك لثلاث بقين من شوال منها، وكان السبب في ذلك - فيما ذكر - أن الأتراك والفراغنة والأشروسنية شغبوا وطلبوا أرزاقهم لاربعة اشهر، فخرج إليهم بغا ووصيف وسيما الشراي في نحو من مائة إنسان من أصحابهم، فكلهم وصيف، وقال: ما تريدون؟ قالوا:

أرزاقنا، فقال: خذوا ترابا، وهل عندنا مال! وقال بغا: نعم، نسأل أمير المؤمنين في ذلك، وتناظر في دار أشناس، وينصرف عنكم من ليس منكم، فدخلوا دار أشناس، ومضى سيما الشراي منصرفا إلى سامرا، ثم تبعه بغا لاستمارة الخليفة في إعطائهم، وكان وصيف في أيديهم، فوثب عليه بعضهم، فضربه بالسيف ضربتين، ووجه آخر بسكين، فاحتمله نوشر بن طاجبك - وهو أحد قواده - إلى منزله، فلما أبطأ عليهم بغا ظنوا أنهم في التعبئة عليهم، فاستخرجوه من منزل نوشر، فضربوه بالطبرزيات حتى كسروا عضديه، ثم ضربوا عنقه، ونصبوا رأسه على محراك تنور، وقصدت العامة بسامرا الانتهاب لمنازل وصيف وولده، فرجع بنو وصيف، فنعوا منازلهم، ثم جعل المعتز ما كان إلى وصيف من الأمور إلى بغا الشراي.

ذكر الخبر عن قتل بندار الطبري

وفي يوم الفطر من هذه السنة قتل بندار الطبري.

ذكر سبب قتله:

فكان سبب ذلك أنه حكم بالبوازيح محكم يدعى مساور بن عبد الحميد، في رجب من هذه السنة، فوجه المعتز إليه في شهر رمضان ساتكين، فقال إلى ناحية طريق خراسان، فوجه محمد بن عبد الله إليه، وذلك أن طريق خراسان كان إليه بندار ومظفر بن سيسل مسلحة، فلما صارا بدسكرة الملك أقاما، فذكر أن بندار خرج في آخر يوم من شهر رمضان متصيذا، فبعد في

طلب الصيد حتى جاوز دور الدسكرة بنحو فرسخ، فبينما هو كذلك، إذ نظر إلى علمين مقبلين معهما جماعة مقبلة نحو الدسكرة، فوجه بعض أصحابه لينظر ما الأعلام، فأخبره صاحب الجماعة أنه عامل كرخ جدان، وأنه انتهى إليه أن رجلا يقال له مساور بن عبد الحميد من الدهاقين من أهل البوازيح شرى، وأنه بلغه أنه يصير إلى كرخ جدان، فلما بلغه ذلك خرج هاربا إلى الدسكرة ليأنس بقرب بندار ومظفر، فانصرف بندار من ساعته إلى المظفر فقال له: إن الشاري يقصد كرخ جدان، ويريدنا، فامض بنا لنلقاه، فقال له المظفر: قد أمسينا ونريد أن نصلي الجمعة، وغدا العيد، فإذا انقضى العيد قصدناه فأبى بندار، ومضى من ساعته طمعا بالمظفر الشاري وحده دون مظفر، فأقام مظفر ولم يبرح من الدسكرة - وبين الدسكرة وتل عكبراء ثمانية فرائخ، وبين تل عكبراء وموضع الوقعة أربعة فرائخ - فصار بندار إلى تل عكبراء، فوافاها عند العتمة ليلة الفطر فغلف دوابه شيئا، ثم ركب، فسار حتى أشرف على عسكر الشاري ليلا وهم

يصلون ويقرءون القرآن، فأشار عليه بعض أصحابه وخاصته أن يبيتهم وهم غارون، فأبى وقال: لا، حتى أنظر إليهم وينظروا إلي فوجه فارسين أو ثلاثة ليأتوه بخبرهم، فلما قربوا من عسكرهم نذروا بهم، فصاحوا: السلاح! وركبوا فتواقفوا إلى أن أصبحوا، ثم اقتتلوا، فلم يمكن أصحاب بNDAR أن يرموا بسهم واحد، وكانوا زهاء ثلاثمائة فارس وراجل فعباهم ميمنة وميسرة وساقفة، وأقام هو في القلب، فحمل عليهم مساور وأصحابه، فثبت لهم بNDAR وأصحابه، ثم انحدر لهم الشراة عن موضع عسكرهم ومبيتهم، ليطلع بNDAR وأصحابه في النهب، فلم يعرض بNDAR وأصحابه لعسكرهم ثم كر الشراة عليهم بالسيوف والرماح، وهم زهاء سبعمائة، فصر الفريقان، فصار الشراة إلى السيوف دون الرماح، فقتل من الشراة نحو من خمسين رجلا، ومن أصحاب بNDAR مثلهم، ثم حمل الشراة حملة، فاقتطعوا من أصحاب بNDAR نحو من

٩٠٣٥٥ ذكر خبر موت محمد بن عبد الله بن طاهر

مائة رجل، فصر لهم المائة ساعة، ثم قتلوا جميعا، وانهمز بNDAR وأصحابه، فجعلوا يقتطعونهم قطعة بعد قطعة فيقتلونهم وأمعن بNDAR في الحرب، فطلبوه فلحقوه بقرب تل عكبراء على قدر أربعة فراسخ من موضع الوقعة، فقتلوه ونصبوا رأسه، ونجا من أصحاب بNDAR نحو من خمسين رجلا- وقيل مائة رجل- انحازوا عن الوقعة عند اشتغال الخوارج بمن كانوا يقتطعون منهم، وانتهى خبره إلى مظفر وهو مقيم بالدسكرة، فتنحى من الدسكرة إلى ما قرب من بغداد، ووصل خبر مقتله إلى محمد بن عبد الله بغد الفطر، فذكر أنه لم يشرب ولم يله كما كان يفعل، غما بما ورد عليه من مقتله.

ثم مضى مساور من فوره إلى حلوان، ففرج إليه أهلها فقاتلوه، فقتل منهم أربعمائة إنسان، وقتلوا جماعة من أصحاب الشاري، وقتل عدة من حجاج خراسان كانوا بحلوان، فأعانوا أهل حلوان، ثم انصرفوا عنهم.

. ذكر خبر موت محمد بن عبد الله بن طاهر

وليلة أربع عشرة من ذي القعدة منها، انخسف القمر، فغرق كله أو غاب أكثره، ومات محمد بن عبد الله بن طاهر مع انتهاء خسوفه- فيما ذكر- وكانت علته التي مات فيها قروحا أصابته في حلقه ورأسه فذبخته وذكر أن القروح التي كانت في حلقه ورأسه كانت تدخل فيها الفتائل، فلما مات تنازع الصلاة عليه أخوه عبيد الله وابنه طاهر، فصلى عليه ابنه وكان أوصى بذلك- فيما قيل ثم وقع بين عبيد الله بن عبد الله أخي محمد بن عبد الله وبين حشم محمد بن عبد الله تنازع حتى سلوا السيوف عليه، ورمي بالحجارة، ومالت الغوغاء والعامه وموالي إسحاق بن إبراهيم مع طاهر بن محمد بن عبد الله بن طاهر، ثم صاحوا: طاهر يا منصور، فعبر عبيد الله إلى ناحية الشرقية إلى داره،

٩٠٣٥٦ أخبار متفرقة

ومال معه القواد لاستخلاف محمد بن عبد الله كان إياه على أعماله ووصيته بذلك، وكتابه بذلك إلى عماله، ثم وجه المعتز الخلع وولاية بغداد إلى عبيد الله، وأمر عبيد الله للذي أتاه بالخلع من قبل المعتز فيما قيل بخمسين ألف درهم.

نسخة الكتاب الذي كتبه محمد بن عبد الله إلى عماله باستخلافه أخاه عبيد الله بعده:

أما بعد فإن الله عز وجل جعل الموت حتما مقضيا جاريا على الباقيين من خلقه، حسبما جرى على الماضين، وحقيق على من أعطي حظا من توفيق الله، أن يكون على استعداد لحلول ما لا بد منه ولا محيص عنه في كل الأحوال.

وكتابي هذا وأنا في علة قد اشتد الإشفاق منها، وكاد الإياس يغلب على الرجاء فيها، فإن يبل الله ويدفع فقدرته وكريم عادته، وإن يحدث بي الحدث الذي هو سبيل الأولين والآخرين، فقد استخلفت عبيد الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين أخي الموثوق باقتفائه أثري، وأخذ به ما أنا بسبيله من سلطان أمير المؤمنين إلى أن يأتيه من أمره ما يعمل بحسبه، فاعلم ذلك وأثمر فيما تتولاه بما يرد به كتب عبيد الله وأمره إن شاء الله.

وكتب يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين ومائتين.

[أخبار متفرقة]

وفيهما نفى المعتز أبا أحمد بن المتوكل إلى واسط، ثم إلى البصرة، ثم رد إلى بغداد، وأنزل إلى الجانب الشرقي في قصر دينار بن عبد الله. وفيها نفى أيضا علي بن المعتصم إلى واسط ثم رد إلى بغداد فيها. وفيها مات مزاحم بن خاقان بمصر في ذي الحجة.

وجج بالناس في هذه السنة عبد الله بن محمد بن سليمان الزيني.

وفيهما غزا محمد بن معاذ بالمسلمين في ذي القعدة من ناحية ملطية، فهزموا وأسر محمد بن معاذ. وفيها التقى موسى بن بغا والكوكبي الطالبي على فرسخ من قزوين يوم الاثنين سلخ ذي القعدة منها، فهزم موسى الكوكبي، فلحق بالديلم، ودخل موسى بن بغا قزوين.

وذكر لي بعض من شهد الواقعة، أن أصحاب الكوكبي من الديلم لما التقوا بموسى وأصحابه صفوا صفوفا، وأقاموا ترستهم في وجوههم يتقون بذلك سهام أصحاب موسى، فلما رأى موسى أن سهام أصحابه لا تصل إليهم مع ما قد فعلوا، أمر بما معه من النفط أن يصب في الأرض التي التقى هو وهم فيها، ثم أمر أصحابه بالاستطرد لهم، وإظهار هزيمة منهم، ففعل ذلك أصحابه، فلما فعلوا ذلك ظن الكوكبي وأصحابه أنهم انهزموا، فبعوهم فلما علم موسى أن أصحاب الكوكبي قد توسطوا النفط امر بالنار فاشعلت فيه، فأخذت فيه النار، وخرجت من تحت أصحاب الكوكبي، فجعلت تحرقهم، وهرب الآخرون وكان هزيمة القوم عند ذلك ودخل موسى قزوين وفيها لقي خطارمش مساور الشاري بناحية جلولا في ذي الحجة، فهزمه مساور.

٩٠٣٦ سنه اربع وخمسين ومائتين

٩٠٣٦٠١ ذكر خبر مقتل بغا الشراي

ثم دخلت

سنة أربع وخمسين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فن ذلك ما كان من مقتل بغا الشراي.

ذكر الخبر عن سبب مقتله:

ذكر خبر مقتل بغا الشراي

ذكر أن السبب في ذلك كان أنه كان يحض المعتز على المصير إلى بغداد، والمعتز يأبى ذلك عليه ثم إن بغا اشتغل مع صالح بن وصيف في خاصته بعرس جمعة بنت بغا، كان صالح بن وصيف تزوجها للنصف من ذي القعدة، فركب المعتز ليلا، ومعه أحمد بن إسرائيل إلى كرخ سامرا يريد بايكاك ومن كان معه على مثل ما هو عليه من انحرافه عن بغا وكان سبب انحرافه عنه - فيما ذكر - أنهما كانا في شراب لهما يشربانه، فعربد أحدهما على صاحبه، فتهاجرا لذلك، وكان بايكاك بسبب ذلك هاربا من بغا مستخفيا منه، فلما وافى المعتز بمن معه الكرخ اجتمع مع بايكاك أهل الكرخ وأهل الدور، ثم أقبلوا مع المعتز إلى الجوسق بسامرا، وبلغ ذلك بغا، فخرج في غلبانه وهم زهاء خمسمائة ومثلهم من ولده وأصحابه وقواده، وصار إلى نهر نيزك، ثم انتقل إلى مواضع، ثم صار إلى السن، ومعه من العين تسع عشرة بدرة دنانير ومائة بدرة دراهم، أخذها من بيت ماله وبيوت أموال السلطان، فأنفق منها شيئا يسيرا حتى قتل.

وذكر أنه لما بلغه أن المعتز قد صار إلى موضع الكرخ مع أحمد بن إسرائيل خرج في خاصة قواده حتى صار إلى تل عكبراء، ثم مضى فصار إلى السن، فشكا أصحابه بعضهم إلى بعض ما هم فيه من العسف، وأنهم

لم يخرجوا معهم بمضارب، ولا ما يتدفئون به من البرد، وأنهم في شتاء وكان بغا في مضرب له صغير على دجلة، كان يكون فيه، فأتاه ساتكين، فقال: أصلح الله الأمير! قد تكلم أهل العسكر، وخاضوا في كذا وأنا رسولهم إليك، فقال: كلهم يقول مثل قولك؟ قال: نعم، وإن شئت فابعث إليهم حتى يقولوا مثل قولي، قال: دعني الليلة حتى أنظر، ويخرج إليكم أمري بالغداة، فلما جن عليه الليل دعا بزورق، فركبه مع خادمين معه، وحمل معه شيئا من المال، ولم يحمل معه سلاحا ولا سكيانا ولا عمودا، ولا يعلم أهل عسكره بذلك

من أمره، والمعتز في غيبة بغا لا ينام إلا في ثيابه، وعليه السلاح، ولا يشرب نبيذاً، وجميع جواريه على رجل فصار بغا إلى الجسر في الثلث الأول من الليل، فلما قارب الزورق الجسر بعث الموكلون به من في الزورق، فصاح بالغلام، فرجع إليهم وخرج بغا في البستان الخاقاني، فلحقه عدة منهم، فوقف لهم وقال: أنا بغا ولحقه وليد المغربي، فقال له: ما لك جعلت فداك! فقال: إما أن تذهب بي إلى منزل صالح بن وصيف، وإما أن تصيروا معي إلى منزلي، حتى أحسن إليكم فوكل به وليد المغربي، ومر يركض إلى الجوسق، فاستأذن على المعتز، فأذن له، فقال: يا سيدي هذا بغا قد أخذته ووكلت به، قال: ويلك! جئني برأسه، فرجع وليد، فقال للموكلين به: تنحوا عنه حتى أبلغه الرسالة، فتنحوا عنه، فضربه ضربة على جبهته ورأسه، ثم تناهى على يديه فقطعهما، ثم ضربه حتى صرعه وذبحه، وحمل رأسه في بركة قبائه، وأتى به المعتز، فوهب له عشرة آلاف دينار، وخلع عليه خلعة، ونصب رأسه بسامرا، ثم ببغداد، ووثبت المغاربة على جثته، فأحرقوه بالنار، وبعث المعتز من ساعته إلى أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد وأبي نوح، فأحضرهم وأخبرهم، وتبع عبيد الله بن طاهر بنيه ببغداد، وكانوا صاروا إليها هراباً مع قوم يثقون بهم، فاستتر ما عندهم

٩٠٣٦٠٢ أخبار متفرقة

فذكر أنه حبس في قصر الذهب من ولده وأصحابه، خمسة عشر إنساناً، وفي المطبق عشرة. وقيل: إن بغا لما انحدر إلى سامرا ليلة أخذ شاور أصحابه في الانحدار إليها مكتتماً، فيصير إلى منزل صالح بن وصيف، وإذا قرب العيد دخل أهل العسكر، وخرج هو وصالح بن وصيف وأصحابه، فوثبوا بالمغاربة، فوثبوا بالمعتز.

[أخبار متفرقة]

وفيها عقد صالح بن وصيف لديوداد على ديار مضر وقنسرين والعواصم فوثبوا بالمعتز في ربيع الأول منها. وفيها عقد بابك لأحمد بن طولون على مصر. وفيها أوقع مفلح وباجور بأهل قم، فقتلا منهم مقتلة عظيمة، وذلك في شهر ربيع الأول منها. وفيها مات علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا يوم الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة، وصلى عليه أبو أحمد بن المتوكل في الشارع المنسوب إلى أبي أحمد، ودفن في داره. وفيها في جمادى الآخرة وفي الأهواز دلف بن عبد العزيز بن أبي دلف بتوجيه والده عبد العزيز إياه إليها وجندي سابور وتستر، فجباها مائتي ألف دينار ثم انصرف. وفي شهر رمضان منها شخص نوشرى إلى مساور الشاري فلقية وهزمه، وقتل من أصحابه جماعة كثيرة. وجج بالناس في هذه السنة علي بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد.

٩٠٣٧ سنه خمس وخمسين ومائتين

٩٠٣٧٠١ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

٩٠٣٧٠٢ ذكر خبر استيلاء يعقوب بن الليث على كرمان

ثم دخلت

سنة خمس وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من دخول مفلح طبرستان ووقعة كانت بينه وبين الحسن بن زيد الطالبي، هزم فيها مفلح الحسن بن زيد، فلحق بالديلم، ثم دخل مفلح آمل، وأحرق منازل الحسن بن زيد، ثم توجه نحو الديلم في طلب الحسن بن زيد. ذكر خبر استيلاء يعقوب بن الليث على كرمان

وفيها كانت وقعة بين يعقوب بن الليث وطوق بن المغلس خارج كرمان أسر فيها يعقوب طوقا، وكان السبب في ذلك - فيما ذكر - علي بن الحسين بن قريش بن شبل كتب إلى السلطان يخطب كرمان - وكان قبل من عمال آل طاهر - وكتب يذكر ضعف آل طاهر وقلة ضبطهم، بما إليهم من البلاد، وأن يعقوب بن الليث قد غلبهم على سجستان، وتباطأ على السلطان بتوجيه خراج فارس، فكتب السلطان إليه بولاية كرمان، وكتب إلى يعقوب بولايتها يلتبس بذلك إغراء كل واحد منهما بصاحبه ليسقط مئة المالك منهما عنه ويتفرد بمؤونه الآخر، إذ كان كل واحد منهما عنده حربا له وفي غير طاعته، فلما فعل ذلك بهما زحف يعقوب بن الليث من سجستان يريد كرمان، ووجه علي بن الحسين طوق بن المغلس وقد بلغه خبر يعقوب وقصده كرمان في جيش عظيم من فارس، فصار طوق بكرمان، وسبق يعقوب إليها فدخلها، وأقبل يعقوب من سجستان، فصار من كرمان على مرحلة.

فحدثني من ذكر أنه كان شاهدا أمرهما، أن يعقوب بقي مقيما في الموضوع الذي أقام به من كرمان على مرحلة لا يرتحل عنه شهرا أو شهرين، يتجسس أخبار طوق، ويسأل عن أمره كل من مر به خارجا من كرمان إلى ناحيته، ولا يدع أحدا يجوز عسكره من ناحيته إلى كرمان، ولا يزحف طوق إليه ولا هو إلى طوق فلما طال ذلك من أمرهما كذلك أظهر يعقوب الارتحال عن معسكره إلى ناحية سجستان، فارتحل عنه مرحلة. وبلغ طوقا ارتحاله، فظن أنه قد بدا له في حربه، وترك عليه كرمان وعلى علي بن الحسين، فوضع آلة الحرب، وقعد للشرب، ودعا بالملاهي، ويعقوب في كل ذلك لا يغفل عن البحث عن أخباره فاتصل به ووضع طوق آلة الحرب وإقباله على الشراب واللهو بارتحاله، ففكر راجعا، فطوى المرحلتين إليه في يوم واحد، فلم يشعر طوق وهو في لهوه وشربه في آخر نهاره إلا بغبرة قد ارتفعت من خارج المدينة التي هو فيها من كرمان، فقال لأهل القرية:

ما هذه الغبرة؟ فقيل له: غبرة مواشي أهل القرية منصرفة إلى أهلها، ثم لم يكن الا كلا ولا، حتى وفاه يعقوب في أصحابه، فأحاط به وبأصحابه، فذهب أصحاب طوق لما أحيط بهم يريدون المدافعة عن أنفسهم، فقال يعقوب لأصحابه: أفرجوا للقوم، فأفرجوا لهم، ففروا هاربين على وجوههم، وخلوا كل شيء لهم مما كان معهم في معسكرهم، وأسرى يعقوب طوقا.

فحدثني ابن حماد البربري أن علي بن الحسين لما وجه طوقا حمله صناديق في بعضها أطواقه وأسورة ليطوق ويسور من أبلى معه من أصحابه، وفي بعضها أموال ليجيز من استحق الجائزة منهم، وفي بعضها قيود وأغلال ليقيد بها من أخذ من أصحاب يعقوب، فلما أسر يعقوب طوقا ورؤساء الجيش الذين كانوا معه أمر بجيازة كل ما كان مع طوق وأصحابه من المال والأثاث والكرع والسلاح، فحيز ذلك كله، وجمع إليه، فلما أتى بالصناديق أتى بها مقفلة،

٩٠٣٧٠٣ ذكر خبر دخول يعقوب بن الليث فارس

فأمر ببعضها أن يفتح، ففتح فإذا فيه القيود والأغلال، فقال لطوق: يا طوق، ما هذه القيود والأغلال؟ قال: حملنيها علي بن الحسين لأقيد بها الأسرى وأغلهم بها، فقال: يا فلان، انظر أكبرها وأثقلها فاجعله في رجلي طوق وغله بغل ثم جعل يفعل مثل ذلك بمن أسر من أصحاب طوق قال:

ثم أمر بصناديق آخر ففتحت، فإذا فيها أطوق وأسورة، فقال: يا طوق، ما هذه؟ قال: حملنيها علي لأطوق بها وأسور أهل البلاء من أصحابي، قال: يا فلان، خذ من ذلك طوق كذا وسوار كذا، فطوق فلانا وسوره، ثم جعل يفعل ذلك بأصحاب نفسه حتى طوقهم وسورهم، ثم جعل يفعل كذلك بالصناديق قال: ولما أمر يعقوب بمديد طوق ليضعها في الغل، إذا على ذراعه عصابة، فقال له: ما هذا يا طوق؟ قال: أصلح الله الأمير! إني وجدت حرارة ففصدتها، فدعا بعض من معه فامر بمد خفه من رجله ففعل ذلك، فلما نزع من رجله تناثر من خفه كسر خبز يابسة فقال: يا طوق هذا خفي لم أنزعه من رجلي منذ شهرين، وخبزي في خفي منه أكل لا أظأ فراشا، وأنت جالس في الشرب والملاهي! بهذا التدبير أردت حربي وقتالي! فلما فرغ يعقوب بن الليث من أمر طوق دخل كرمان وحازها وصارت مع سجستان من عمله.

ذكر خبر دخول يعقوب بن الليث فارس

وفيها دخل يعقوب بن الليث فارس وأسر علي بن الحسين بن قريش.

ذكر الخبر عن سبب أسره إياه وكيف وصل إليه:

حدثني ابن حماد البربري، قال: كنت يومئذ بفارس عند علي بن الحسين بن قريش، فورد عليه خبر وقعة يعقوب بن الليث بصاحبه طوق ابن المغلس ودخول يعقوب كرمان واستيلائه عليها، ورجع إليه الفل، فأيقن بإقبال يعقوب إلى فارس، وعلي يومئذ بشيراز من أرض فارس، فضم إليه

جيشه ورجالة الفل من عند طوق وغيرهم، وأعطاهم السلاح، ثم برز من شیراز، فصار إلى كر خارج شیراز بين آخر طرفه عرضاً مما يلي أرض شیراز، وبين عرض جبل بها من الفضاء قدر ممر رجل أو دابة، لا يمكن من ضيقه أن يمر فيه أكثر من رجل واحد فأقام في ذلك الموضع، وضرب عسكره على شط ذلك الكر: مما يلي شیراز، وأخرج معه المتسوقة والتجار من مدينة شیراز إلى معسكره، وقال: إن جاء يعقوب لم يجد موضعاً يجوز الفلاة إلينا، لأنه لا طريق له إلا الفضاء الذي بين الجبل والكر، وإنما هو قدر ممر رجل، إذا أقام عليه رجل واحد منع من يريد أن يجوزه، وإن لم يقدر أن يجوز إلينا بقي في البر بحيث لا طعام له ولا لأصحابه ولا علف لدوابهم. قال ابن حماد: فأقبل يعقوب حتى قرب من الكر، فأمر أصحابه بالنزول أول يوم على نحو من ميل من الكر مما يلي كرمان، ثم أقبل هو وحده وبيده رمح عشاري، يقول ابن حماد: كأني أنظر إليه حين أقبل وحده على دابته، ما معه إلا رجل واحد، فنظر إلى الكر والجبل والطريق، وقرب من الكر، وتأمل عسكر علي بن الحسين، فجعل أصحاب علي يشتمونه، ويقولون: لنردنك إلى شعب المراحل والقماقم، يا صفار- وهو ساكت لا يرد عليهم شيئاً- قال: فلما تأمل ما أراد من ذلك ورآه، انصرف راجعاً إلى أصحابه قال: فلما كان من الغد عند الظهر أقبل بأصحابه ورجاله حتى صار على شط كر مما يلي بر كرمان، فأمر أصحابه فنزلوا عن دوابهم، وحطوا أثقالهم قال: ثم فتح صندوقاً كان معه.

قال ابن حماد: كأني أنظر إليهم وقد أخرجوا كلباً ذئبياً، ثم ركبوا دوابهم أعراء، وأخذوا رماحهم بأيديهم قال: وقبل ذلك كان قد عبأ علي بن الحسين أصحابه، فأقامهم صفوفاً على الممر الذي بين الجبل والكر، وهم يرون أنه لا سبيل ليعقوب، ولا طريق له يمكنه أن يجوزه غيره قال: ثم

جاءوا بالكلب، فرموا به في الكر، ونحن وأصحاب علي ينظرون إليهم يضحكون منهم ومنه قال: فلما رموا بالكلب فيه، جعل الكلب يسبح في الماء إلى جانب عسكر علي بن الحسين، وأقم أصحاب يعقوب دوابهم خلف الكلب، وبأيديهم رماحهم، يسرون في أثر الكلب فلما رأى علي بن الحسين أن يعقوب قد قطع عامة الكر إليه وإلى أصحابه، انتقض عليه تدييره، وتحير في أمره، ولم يلبث أصحاب يعقوب إلا أيسر ذلك حتى خرجوا من الكر من وراء أصحاب علي بن الحسين، فلم يكن بأسرع من أن خرج أوائلهم منه حتى هرب أصحاب علي يطلبون مدينة شیراز، لأنهم كانوا يصيرون إذا خرج أصحاب يعقوب من الكر بين جيش يعقوب وبين الكر، ولا يجدون ملجأً إن هزموا وانهمز علي بن الحسين بانهمز أصحابه، وقد خرج أصحاب يعقوب من الكر، فكبت به دابته، فسقط إلى الأرض ولحقه بعض السجزية فهم عليه بسيفه ليضربه، فبلغ إليه خادم له، فقال: الأمير.

فنزل إليه السجزي، فوضع في عنقه عمامته، ثم جره إلى يعقوب، فلما أتى به أمر بتقييده، وأمر بما كان في عسكره من آلة الحرب من السلاح والكرع وغير ذلك، فجمع إليه، ثم أقام بموضعه حتى أمسى، وهجم عليه الليل، ثم رحل من موضعه ودخل مدينة شیراز ليلاً وأصحابه يضربون بالطبول، فلم يتحرك في المدينة أحد، فلما أصبح أنهب أصحاب دار علي بن الحسين ودور أصحابه، ثم نظر إلى ما اجتمع في بيت المال من مال الخراج والضيايع، فاحتمله ووضع الخراج، فجابه، ثم شخص منها متوجهاً إلى سجستان، وحمل معه ابن قريش ومن أسره معه.

وفيها وجه يعقوب بن الليث إلى المعتز بدواب ووزاة ومسك هدية.

وفيها ولي سليمان بن عبد الله بن طاهر شرطة بغداد والسواد، وذلك لست خلون من شهر ربيع الآخر، وكانت موافاته سامرا من خراسان- فيما ذكر-

٩٠٣٧٠٤ ذكر فعل صالح بن وصيف مع احمد بن إسرائيل ورفيقه

يوم الخميس ثمان خلون من شهر ربيع الأول، وصار إلى الإيتاخية، ثم دخل على المعتز يوم السبت، نفلع عليه وانصرف. وفيها كانت وقعة بين مساور الشاري ويارجوخ، فهزمه الشاري وانصرف إلى سامرا مفلولا. ومات المعلى بن أيوب في شهر ربيع الآخر منها.

ذكر فعل صالح بن وصيف مع احمد بن إسرائيل ورفيقه

وفيها أخذ صالح بن وصيف أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد وأبا نوح عيسى بن إبراهيم فقيدهم، وطالبهم بأموال، وكان سبب ذلك- فيما ذكر- أن هؤلاء الكتاب الذين ذكرت كانوا اجتمعوا يوم الأربعاء لليلتين خلتا من جمادى الآخرة من هذه السنة على شراب لهم يشربونه، فلما كان يوم الخميس غد ذلك اليوم، ركب ابن إسرائيل في جمع عظيم إلى دار السلطان التي يقعد فيها، وركب ابن مخلد إلى دار قبيحة أم المعتز- وهو كاتبها- وحضر أبو نوح الدار، والمعتز نائم، فانتبه قريبا من انتصاف النهار، فأذن لهم، فحمل صالح بن وصيف على أحمد بن إسرائيل، وقال للمعتز: يا امير المؤمنين، ليس للأتراك عطاء ولا في بيت المال مال، وقد ذهب ابن إسرائيل وأصحابه بأموال الدنيا، فقال له احمد: يا عاصي يا بن العاصي! ثم لم يزل يتراجعان الكلام حتى سقط صالح مغشيا عليه، فرش على وجهه الماء وبلغ ذلك أصحابه وهم على الباب، فصاحوا صيحة واحدة، واختلطوا سيوفهم، ودخلوا على المعتز مصليتين، فلما رأى ذلك المعتز دخل وتركهم، وأخذ صالح بن وصيف ابن إسرائيل وابن مخلد وعيسى بن إبراهيم فقيدهم، وأثقلهم بالحديد، وحملهم إلى داره، فقال المعتز لصالح قبل أن يحملهم: هب لي أحمد، فإنه كاتب، وقد رباني، فلم يفعل ذلك صالح، ثم ضرب ابن إسرائيل، حتى كسرت أسنانه، وبطح ابن مخلد فضرب مائة سوط، وكان عيسى بن إبراهيم محتجما فلم يزل يصفع حتى جرت الدماء من محاجمه، ثم لم يتركوا حتى أخذت رقاعهم بمال جليل قسط عليهم

وتوجه قوم من الأتراك إلى إسكاف ليأتوا بجعفر بن محمود، فقال المعتز:

أما جعفر فلا أرب لي فيه ولا يعمل لي فوضوا، فبعث المعتز إلى أبي صالح عبد الله بن محمد بن يزداد المروزي، فحمل ليصيره وزيرا، وبعث إلى إسحاق ابن منصور، فأشخص وبعث قبيحة إلى صالح بن وصيف في ابن إسرائيل: إما حملته إلى المعتز وإما ركبت إليك فيه.

وقد ذكر أن السبب في ذلك كان أن الأتراك طلبوا أرزاقهم، وأنهم جعلوا ذلك سببا لما كان من أمرهم، وأن الرسل لم تزل تختلف بينهم وبين هؤلاء الكتاب، إلى أن قال أبو نوح لصالح بن وصيف: هذا تدبيرك على الخليفة، فغشي على صالح حينئذ مما داخله من الحرد والغيط حتى رشوا على وجهه الماء، فلما أفاق جرى بين يدي المعتز كلام كثير، ثم خرجوا إلى الصلاة، وخلا صالح بالمعتز، ثم دعي بالقوم فلم يلبثوا إلا قليلا، حتى أخرجوا إلى قبة في الصحن، ثم دعي بأبي نوح وابن مخلد فأخذت سيوفهما وقلانسهما ومزقت ثيابهما، وحلقهما ابن إسرائيل فألقى نفسه عليهما، فثلث به، ثم أخرجوا إلى الدهليز وحملوا على الدواب والبغال، وارتدف خلف كل واحد منهم تركي، وبعث بهم إلى دار صالح على طريق الخير، وانصرف صالح بعد ساعة، وتفرق الأتراك، فانصرفوا فلما كان بعد ذلك بأيام جعل في رجل كل واحد منهم ثلاثون رطلا، وفي عنق كل واحد منهم عشرون رطلا من حديد، وطولبوا بالأموال، فلم يجب واحد منهم إلى شيء، ولم ينقطع أمرهم إلى أن دخل رجب، فوجهوا في قبض ضياعهم ودورهم وضياع أسبابهم وأموالهم، وسماوا الكتاب الخونة، فقدم جعفر بن محمود يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة فولي الأمر والنهي.

ولليلتين خلتا من رجب ظهر بالكوفة عيسى بن جعفر وعلي بن زيد الحسينان، فقتلا بها عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى

٩٠٣٧٠٥ ذكر الخبر عن خلع المعتز ثم موته

ذكر الخبر عن خلع المعتز ثم موته

ولثلاث بقين من رجب منها خلع المعتز ولليلتين خلتا من شعبان أظهر موته، وكان سبب خلعه- فيما ذكر- ان الكتاب الذي ذكرنا

أمرهم، لما فعل بهم الأتراك ما فعلوا، ولم يقرؤا لهم بشيء، صاروا إلى المعتز يطلبون أرزاقهم، وقالوا له: أعطنا أرزاقنا حتى نقتل لك صالح بن وصيف، فأرسل المعتز إلى أمه يسألها أن تعطيه ما لا يعطيهم، فأرسلت إليه: ما عندي شيء، فلها رأى الأتراك ومن بسامرا من الجند أن قد امتنع الكتاب من أن يعطوهم شيئا، ولم يجدوا في بيت المال شيئا، والمعتز وأمه قد امتنعا من أن يسمحا لهم بشيء، صارت كلمة الأتراك والفراغنة والمغاربة واحدة، فاجتمعوا على خلع المعتز، فصاروا إليه ثلاث بقين من رجب، فذكر بعض أسباب السلطان أنه كان في اليوم الذي صاروا إليه عند تحرير الخادم في دار المعتز، فلم يرعه إلا صياح القوم من أهل الكرخ والدور، وإذا صالح بن وصيف وبايكك ومحمد بن بغا المعروف بأبي نصر، قد دخلوا في السلاح، فجلسوا على باب المنزل الذي ينزله المعتز، ثم بعثوا إليه: اخرج إلينا، فبعث إليهم: إني أخذت الدواء أمس، وقد أجفاني اثنتي عشرة مرة، ولا أقدر على الكلام من الضعف، فإن كان أمرا لا بد منه، فليدخل إلي بعضكم فليعلمني وهو يرى أن أمره واقف على حاله فدخل إليه جماعة من أهل الكرخ والدور من خلفاء القواد، فجزوا برجله إلى باب الحجرة، قال: وأحسبهم كانوا قد تناولوه بالضرب بالدبايس، فخرج وقيصه مخرق في مواضع، وآثار الدم على منكبه، فأقاموه في الشمس في الدار في وقت شديد الحر قال: فجعلت أنظر إليه يرفع قدمه ساعة بعد ساعة من حرارة الموضع الذي قد أقيم فيه قال: فرأيت بعضهم يلطمه وهو يتقي يده، وجعلوا يقولون: اخلعها، فأدخلوه حجرة على باب حجرة المعتز كان موسى بن بغا يسكنها حين كان حاضرا، ثم بعثوا

إلى ابن أبي الشوارب، فأحضره مع جماعة من أصحابه، فقال له صالح وأصحابه: أكتب عليه كتاب خلع، فقال: لا أحسنه، وكان معه رجل أصباني، فقال: أنا أكتب، فكتب وشهدوا عليه وخرجوا وقال ابن أبي الشوارب لصالح: قد شهدوا أن له ولأخته وابنه وأمه الأمان، فقال صالح بكفه: أي نعم، ووكلا بذلك المجلس وبأمره نساء يحفظنها.

فذكر أن قبيصة كانت اتخذت في الدار التي كانت فيها سربا، وأنها احتالت هي وقرب وأخت المعتز، فخرجوا من السرب، وكانوا أخذوا عليها الطرق، ومنعوا الناس أن يجوزوا من يوم فعلوا بالمعتز ما فعلوا، وذلك يوم الاثنين إلى يوم الأربعاء ليلة بقيت من رجب. فذكر أنه لما خلع دفع إلى من يعذبه ومنع الطعام والشراب ثلاثة أيام، فطلب حسوة من ماء البئر، فنعه ثم جصصوا سردابا بالحصص الثخين، ثم أدخلوه فيه، وأطبقوا عليه بابه، فأصبح ميتا.

وكانت وفاته لليلتين خلتا من شعبان من هذه السنة فلما مات أشهد على موته بنو هاشم والقواد، وأنه صحيح لا أثر فيه، فدفن مع المنتصر في ناحية قصر الصوامع، فكانت خلافته من يوم بويج له بسامرا إلى أن خلع أربع سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوما وكان عمره كله أربعاً وعشرين سنة.

وكان أبيض أسود الشعر كثيفه، حسن العينين والوجه، ضيق الجبين، أحمر الوجنتين، حسن الجسم، طويلا. وكان مولده بسامرا

٩٠٣٧٠٦ خلافة ابن الواثق المهتدي بالله

خلافة ابن الواثق المهتدي بالله

وفي يوم الأربعاء ليلة بقيت من رجب من هذه السنة، بويج محمد بن الواثق، فسمي بالمهتدي بالله، وكان يكنى أبا عبد الله، وأمه رومية، وكانت تسمى قرب.

وذكر عن بعض من كان شاهدا أمرهم، أن محمد بن الواثق لم يقبل بيعة أحد، حتى أتى بالمعتز فخلع نفسه، وأخبر عن عجزه عن القيام بما أسند إليه، ورغبته في تسليمها إلى محمد بن الواثق، وأن المعتز مد يده فبايع الواثق، فسموه بالمهتدي، ثم تنحى وبايع خاصة الموالي. وكانت نسخة الرقعة بخلع المعتز نفسه:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أشهد عليه الشهود المسمون في هذا الكتاب، شهدوا أن أبا عبد الله بن أمير المؤمنين المتوكل على الله أقر عندهم، وأشهدهم على نفسه في صحة من عقله، وجواز من أمره، طائعا غير مكره، أنه نظر فيما كان تقلده من أمر الخلافة والقيام

بأمر المسلمين، فرأى أنه لا يصلح لذلك، ولا يكمل له، وأنه عاجز عن القيام بما يجب عليه منها، ضعيف عن ذلك، فأخرج نفسه، وتبرأ منها، وخلعها من رقبته، وخلع نفسه منها، وبرأ كل من كانت له في عنقه بيعة من جميع أوليائه وسائر الناس مما كان له في رقابهم من البيعة والعهود والمواثيق والإيمان بالطلاق والعناق والصدقة والحج وسائر الأيمان، وحللهم من جميع ذلك وجعلهم في سعة منه في الدنيا والآخرة، بعد أن تبين له أن الصلاح له وللمسلمين في خروجه عن الخلافة والتبرؤ منها، وأشهد على نفسه بجميع ما سمي، ووصف في هذا الكتاب جميع الشهود المسمين فيه، وجميع من حضر، بعد أن قرئ عليه حرفا حرفا، فأقر بفهمه ومعرفته جميع ما فيه طائعا غير مكره، وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة

٩٠٣٧٠٧ قيام الشغب ببغداد ووثوب العامه بسليمان بن عبد الله

خمس وخمسين ومائتين.

فوقع المعتز في ذلك: أقر أبو عبد الله بجميع ما في هذا الكتاب، وكتب بخطه.

وكتب الشهود شهادتهم: شهد الحسن بن محمد ومحمد بن يحيى واحمد ابن جناب ويحيى بن زكرياء بن أبي يعقوب الأصهباني وعبد الله بن محمد العامري وأحمد بن الفضل بن يحيى وحماة بن إسحاق وعبد الله بن محمد وإبراهيم ابن محمد، وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين.

قيام الشغب ببغداد ووثوب العامه بسليمان بن عبد الله

وفي سلخ رجب من هذه السنة، كان ببغداد شغب ووثوب العامة بسليمان بن عبد الله بن طاهر.

ذكر الخبر عن سبب ذلك وإلى ما آل الأمر إليه:

وكان السبب في ذلك، أن الكتاب من محمد بن الواثق ورد يوم الخميس سلخ رجب على سليمان ببغداد ببيعة الناس له، وبها أبو أحمد بن المتوكل، وكان أخوه المعتز سيره إلى البصرة حين سخط على أخيه من أمه المؤيد، فلما وقعت العصية بالبصرة نقله إلى بغداد، فكان مقيما بها، فبعث سليمان بن عبد الله بن طاهر وإليه الشرطة يومئذ ببغداد، فأحضره داره، وسمع من ببغداد من الجند والغوغاء بأمر المعتز وابن الواثق، فاجتمعوا إلى باب سليمان، وضجوا هنالك، ثم انصرفوا على أنه قيل لهم: لم يرد علينا من الخبر ما نعلم به ما عمل به القوم، فغدوا يوم الجمعة على ذلك من الصباح والقول الذي كان قيل لهم يوم الخميس، وصلى الناس في المسجدين، ودعي فيهما للمعتز، فلما كان يوم السبت غدا القوم، فهجموا على دار سليمان، وهتفوا باسم أبي أحمد، ودعوا إلى بيعته، وخلصوا إلى سليمان في داره، وسألوه أن يريهم أبا أحمد

٩٠٣٧٠٨ ذكر خبر ظهور قبيحه أم المعتز

ابن المتوكل، فأظهره لهم، ووعدهم المصير إلى محبتهم إن تأخر عنهم ما يحبون، فانصرفوا عنه بعد أن أكدوا عليه في حفظه. وقدم يارجوخ فنزل البردان ومعه ثلاثون ألف دينار لإعطاء الجند ممن بمدينة السلام، ثم صار إلى الشماسية، ثم غدا ليدخل بغداد، فبلغ الناس الخبر، فضجوا وتبادروا بالخروج إليه، وبلغ يارجوخ الخبر، فرجع إلى البردان، فأقام بها، وكتب إلى السلطان، واختلفت الكتب حتى وجه إلى أهل بغداد بمال رضوا به، ووقعت بيعة الخاصة ببغداد للمهتدي يوم الخميس لسبع ليال خلون من شعبان، ودعي له يوم الجمعة ثمان خلون من شعبان بعد أن كانت ببغداد فتنة، قتل فيها وغرق في دجلة قوم، وجرح آخرون لأن سليمان كان يحفظ داره قوم من الطبرية بالسلاح، فخاربهم أهل بغداد في شارع دجلة وعلى الجسر، ثم استقام الأمر بعد ذلك وسكنوا.

ذكر خبر ظهور قبيحه أم المعتز

وفي شهر رمضان من هذه السنة ظهرت قبيحة للأتراك، ودلتهم على الأموال التي عندها والذخائر والجوهر، وذلك أنها- فيما ذكر- قد قدرت الفتك بصالح، وواطأت على ذلك النفر من الكتاب الذين أوقع بهم صالح، فلما أوقع بهم صالح، وعلمت أنهم لم يطووا عن صالح

شيئا من الخبر بسبب ما نالهم من العذاب، أيقنت بالهلاك، فعملت في التخلص، فأخرجت ما في الخزائن داخل الجوسق من الأموال والجواهر وفاخر المتاع، فأودعت ذلك كله مع ما كانت أودعت قبل ذلك مما هو في هذا المعنى، ثم لم تأمن المعاجلة إلى ما نزل بها وبابنها، فاحتالت للهرب وجهها، فخفرت سرّيا من داخل القصر من حجرة لها خاصة ينفذ إلى موضع يفوت التفتيش، فلما علمت بالحادثة بادرت من غير تلبث ولا تلوم، حتى صارت في ذلك السرب، ثم خرجت من القصر، فلما فرغ الذين شغبوا في أمر ابنها مما أرادوا إحكامه، فصاروا إلى طلبها غير شاكين في القدرة عليها، وجدوا القصر منها خاليا، وأمرها عنهم مستترا، لا يقفون منه على شيء، ولا ما يؤديهم إلى معرفته، حتى وقفوا على السرب، فعلموا حينئذ أنهم منه أوتوا فسلكوه، وانتهاوا إلى موضع لا يوقف منه على خبر ولا أثر، فأيقنوا بالفوت، ثم رجعوا الظنون، فلم يجدوا لها معقلا أعز ولا أمتع إن هي لجأت إليه من حبيب حرة موسى بن بغا التي تزوجها من جوارى المتوكل، فأحالوا على تلك الناحية، وكرهوا التعرض لشيء من أسبابها، ووضعوا العيون والأرصاد عليها، وأظهروا التوعد لمن وقفوا على معرفته بأمرها، ثم لم يظهرهم عليها، فلم يزل الأمر منظويا عنهم، حتى ظهرت في شهر رمضان، وصارت إلى صالح بن وصيف، ووسطت بينها وبين صالح العطار، وكانت تثق بها، وكانت لها أموال ببغداد، فكتبت في حملها، فاستخرج وحمل منها إلى سامرا فذكر أنه وافى سامرا يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان من هذه السنة قدر خمسمائة ألف دينار، ووقعوا لها على خزائن ببغداد فوجه في حملها، فاستخرج وحمل منها، فحمل إلى السلطان من ذلك متاع كثير، وأحيل من ببغداد من الجند والشاكرية المرتزقة بمال عظيم عليه ولم تزل تباع تلك الخزائن متصلا ببغداد وسامرا عده شهور، حتى نفدت.

ولم تزل قبيحة مقيمة إلى أن شخص الناس إلى مكة في هذه السنة، فسيرت إليها مع رجاء الربابي ووحش مولى المهدي، فذكر عن سمعها في طريقها وهي تدعو الله على صالح بن وصيف بصوت عال وتقول: اللهم اخز صالح ابن وصيف، كما هتك ستري، وقتل ولدي، وبدد شملي، وأخذ مالي، وغربني عن بلدي، وركب الفاحشة مني! فانصرف الناس عن الموسم واحتبست بمكة.

وذكر أن الأتراك لما تحركوا، وثاروا بالمعز أرسلوا إليه يطلبون منه خمسين ألف دينار، على أن يقتلوا صالحا، ويستوي لهم الأمر فأرسل إلى أمه يعلمها اضطرابهم عليه، وأنه خائف على نفسه منهم، فقالت: ما عندي مال، وقد وردت لنا سفائح، فلينتظروا حتى نقبض ونعطيم، فلما قتل المعز، أرسل صالح إلى رجل جوهرى قال الرجل: فدخلت إليه وعنده أحمد ابن خاقان، فقال: ويحك! هو ذا ترى ما أنا فيه! وكان صالح قد أخافوه وطالبوه بالمال، ولم يكن عنده شيء، فقال لي: قد بلغني أن لقبيحة خزانة في موضع يرشدك إليه هذا الرجل - وإذا رجل بين يديه - فامض ومعك أحمد ابن خاقان، فإن أصبتم شيئا فائتبه عندك، وسلّمه إلى أحمد بن خاقان، وصر إلي معه قال: فضيت إلى الصفوف بحضرة المسجد الجامع، فجاء بنا ذلك الرجل إلى دار صغيرة معمورة نظيفة، فدخلنا ففتشنا كل موضع فيها فلم نجد شيئا، وجعل ذلك يغلظ على أحمد بن خاقان، وهو يتهدد الرجل ويتوعده، ويغلظ له، وأخذ الرجل فاسا ينقر به الحيطان يطلب موضعا قد ستر فيه المال، فلم يزل كذلك حتى وقع الفأس على مكان في الحائط استدل بصوته على أن فيه شيئا، فهدمه وإذا من ورائه باب، ففتحنه ودخلنا إليه، فأدانا إلى سرب، وصرنا إلى دار تحت الدار التي دخلناها على بنائها وقسمتها، فوجدنا من المال على رفوف في أسفاط زهاء ألف ألف دينار، فأخذ أحمد منها ومن كان معه قدر ثلاثمائة ألف دينار، ووجدنا ثلاثة أسفاط: سفاط فيه مقدار مكوك زمرد إلا أنه من الزمرد الذي لم أر للمتوكل مثله ولا غيره، وسفاط دونه فيه نصف مكوك حب كبار، لم أر والله للمتوكل ولا لغيره مثله، وسفاط دونه فيه مقدار كيلجة ياقوت أحمر لم أر مثله، ولا ظننت أن مثله يكون في الدنيا، فقومت الجميع على البيع، فكانت قيمته ألفي ألف دينار، فحملناه كله إلى صالح، فلما رآه جعل لا يصدق ولا يوقن حتى أحضر بحضرته ووقف عليه، فقال عند ذلك:

فعل الله بها وفعل، عرضت ابنها للقتل في مقدار خمسين ألف دينار، وعندها مثل هذا في خزانة واحدة من خزائنها!

٩٠٣٧٠٩ ذكر الخبر عن قتل أحمد بن إسرائيل وإبن نوح

وكانت أم محمد بن الوائلي توفيت قبل أن يبيع، وكانت تحت المستعين، فلما قتل المستعين صيرها المعتز في قصر الرصافة الذي فيه الحرم، فلما ولي الخلافة المهدي قال يوما للجماعة من الموالي: أما أنا فليس لي أم أحتاج لها إلى غلة عشرة آلاف ألف في كل سنة لجوارها وخدمها والمتصلين بها، وما أريد لنفسي وولدي إلا القوت، وما أريد فضلا إلا لإخوتي فإن الضيق قد مستهم

. ذكر الخبر عن قتل أحمد بن إسرائيل وإبن نوح

ولثلاث بقين من رمضان من هذه السنة قتل أحمد بن إسرائيل وأبو نوح.

ذكر الخبر عن صفة القتلة التي قتلا بها:

فأما السبب الذي أداها إلى القتل، فقد ذكرناه قبل، وأما القتلة التي قتلا بها، فإنه ذكر أن صالح بن وصيف لما استصفى أموالهما ومال الحسن ابن مخلد، وعذبهم بالضرب والقيد وقرب كوانين الفحم في شدة الحر منهم، ومنعهم كل راحة، وهم في يده على حالهم، ونسبهم إلى أمور عظام من الخيانة والقصد لذل السلطان والحرص على دوام الفتن والسعي في شق عصا المسلمين، فلم يعارضه المهدي في شيء من أمورهم، ولم يوافق على شيء أنكره من فعله بهم ثم وجه إليهم الحسن بن سليمان الدوشابي في شهر رمضان، ليتولى استخراج شيء إن كان زوي عنه من أموالهم.

قال: فأخرج إلي أحمد بن إسرائيل، فقلت له: يا فاجر، تظن أن الله يهلك، وأن أمير المؤمنين لا يستحل قتلك، وأنت السبب في الفتن، والشريك في الدماء، مع عظيم الخيانة وفساد النية والطوية! إن في أقل من هذا ما تستوجب به المثلة كما استوجب من كان قبلك، والقتل في العاجلة والعذاب

والخزي في الآجلة، إن لم تسعد من الله بعفو وإمهال، ومن إمامك بصفح واحتمال، فاستر نفسك من نزول ما تستحق بالصدق عما عندك من المال، فإنك إن تفعل ويوقف على صدقك تسلم بنفسك قال: فذكر أنه لا شيء عنده، ولا ترك له إلى هذا الوقت مال ولا عقدة قال: فدعوت بالمقارع وأمرت أن يقام في الشمس، وأرعدت وأبرقت، وإن كان ليفوتني الظفر منه بشيء من صرامة ورجلة حتى أومي إلى قدر تسعة عشر ألف دينار، فأخذت رقعة بها قال: ثم أحضرت أبا نوح عيسى بن إبراهيم فقلت له مثل الذي قلت لأحمد أو نحوه، وزدت في ذلك بأن قلت: وأنت مع هذا مقيم على دينك النصرانية، مرتكب فروج المسلمات تشفيا من الإسلام وأهله! ولا دلالة أدل على ذلك ممن لم يزل في منزل على حال النصرانية من أهل وولد، ومن كان ذا عقدة فقد أباح الله دمه.

قال: فلم يجب إلى شيء، وأظهر ضعفا وفقرا.

قال: وأما الحسن بن مخلد فأخرجته، فلما خاطبته خاطبت رجلا موضعا رخوا، قال: فبكته بما ظهر منه، وقلت: من كان له الرضا بين يديه إذا سار على الشماري وقدر ما قدرت، وأراد ما أردت، لم يكن موضعا رطبا ولا مخنثا رخوا قال: ولم أزل به حتى كتب رقعة بجوهر قيمته نيف وثلاثون ألف دينار، قال: وردوا جميعا إلى موضعهم، وانصرفت.

فكانت مناظرة الحسن بن سليمان الدوشابي لهم آخر مناظرة كانت معهم، ولم يناظروا أيام المهدي فيما بلغني مناظرة غيرها.

فلما كان يوم الخميس لثلاث بقين من شهر رمضان أخرج أحمد بن إسرائيل وأبو نوح عيسى بن إبراهيم إلى باب العامة، فقعد صالح بن وصيف

في الدار، ووكل بضربهما حماد بن محمد بن حماد بن دنقش، فأقام أحمد بن إسرائيل وإبن دنقش يقول: أوجع، وكان كل جلد يضربه سوطين، وينتحي حتى وفوه خمسمائة سوط ثم أقاموا أبا نوح أيضا فضرب خمسمائة سوط ضرب التلف، ثم حملا على بغلين من بغال السقائين على بطونهما، منكسة رءوسهما، ظاهرة ظهورهما للناس فأما أحمد فحين بلغ خشبة بابك مات، وحين وصلوا بأبي نوح مات، فدفن أحمد بين الحائطين ويقال إن أبا نوح مات من يومه في حبس السرخسي خليفة طلمجور على شرط الخاصة، وبقي الحسن بن مخلد في الحبس.

وذكر عن بعض من حضر أنه قال: لقد رأيت حماد بن محمد بن حماد بن دنقش وهو يقول للجلادين: أنفسكم يا بني الفاعلة- لا يكتفي- ويقول: أوجعوا وغيروا السياط، وبدلوا الرجال، وأحمد بن إسرائيل وعيسى يستغيثان، فذكر أن المهدي لما بلغه ذلك قال: أما عقوبة

إلا السوط أو القتل! أما يقوم مقام هذا شيء! أما يكفي! إنا لله وإنا إليه راجعون، يقول ذلك ويسترجع مرارا. وذكر عن الحسن بن مخلد أنه قال: لم يكن الأمر فينا عند صالح إذا لم يحضره عبد الله بن محمد بن يزيد على ما كان يكون عليه من الغلظة إذا حضر قال: وكان يقول لصالح: اضرب وعذب فإن الأصلح من وراء ذلك القتل، فإنهم إن أفلتوا لم تؤمن بوائقهم في الأعقاب، فضلا عن الواترين، ويذكره قبيح ما بلغه عنهم وكان يسر بذلك. قال: وكان داود بن أبي العباس الطوسي يحضرنا عند صالح فيقول: وما هؤلاء، أعزك الله، فبلغ منك الغضب بسببهم هذا المبلغ! فظنه يرققه علينا حتى يقول: على أي والله أعلم انهم ان تخلصوا انتشر منهم شر كبير وفساد في الإسلام عظيم، فينصرف وقد أفتاه بقتلنا، وأشار عليه بإهلاكنا،

٩٠٣٧٠١٠ شغب الجند والعامه ببغداد وولايه سليمان بن عبد الله بن طاهر عليها

فيزداد برأيه وما قال له علينا غيظا، وإلى الإساءة بنا أنسا، فسل بعض من كان يخبر أمرهم: كيف نجا الحسن بن مخلد مما صلي به صاحبا؟ فقال:

بخصلتين، إحداهما أنه صدقه عن الخبر في أول وهله ووجد الدلائل على ما قاله له أنه حق، وقد كان وعده العفو إن صدقه، وحلف له على ذلك، والأخرى أن أمير المؤمنين كلمه فيه وأعلمه حرمة أهله به، وأوما إلى محبته لإصلاح شأنه، فرده عن عظيم المكروه فيه، وقد كنت أرى أنه لو طالت لصالح مدة وهو في يده، أطلقه واصطنعه، ولم يكن صالح بن وصيف اقتصر في أمر الكتاب على أخذ أموالهم وأموال أولادهم، حتى أخاف أسبابهم وقرباتهم بأخذ أموالهم، وتخطى إلى المتصلين بهم

. شغب الجند والعامه ببغداد وولايه سليمان بن عبد الله بن طاهر عليها
ولثلاث عشرة خلت من شهر رمضان منها فتح السجن ببغداد، ووثبت الشاكرية والنائبة ببغداد من جندوها بمحمد بن أوس البلخي: ذكر الخبر عن سبب ذلك وما آل الأمر إليه فيه:

ذكر أن السبب في ذلك كان أن محمد بن أوس، قدم بغداد مع سليمان بن عبد الله بن طاهر وهو على الجيش القادمين من خراسان مع سليمان والصعاليك الذين تألفهم سليمان بالري، ولم تكن أسماؤهم في ديوان السلطان بالعراق، ولا أمر سليمان فيهم بشيء، وكانت السنة فيهم أن يقام لمن قدم معه من خراسان بالعراق حسب ما يقام بخراسان لنظرائهم من مال ضياع ورثة ذي اليمينين، ويكتب بذلك إلى خراسان ليعارض الورثة هناك من مال العامة، بدل ما كان دفع من مالهم بالعراق فلما قدم سليمان بن عبد الله العراق، وجد بيت مال الورثة فارغا وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر قد تقدم عند ما صح عنده من الخبر بتصيير الأمر فيما كان يتولاه إلى أخيه سليمان بن عبد الله،

فأخذ ما كان حاصلا لورثة أبيه وجده في بيت ما لهم، واستسلف على ما لم يرتفع، وتعجل من المتقبلين أموال نجوم لم تحل حتى استنظفت ذلك أجمع، وشخص فأقام بالجويث في شرقي دجلة، ثم عبر حتى صار في غربها، فضاقت بسليمان الدنيا، وتحرك الشاكرية والجند في طلب الأرزاق، وكتب سليمان إلى أبي عبد الله المعز بذلك وقدر أموالهم، وأدخل في المال تقدير القادمين معه، ووجه محمد بن عيسى بن عبد الرحمن الكاتب الخراساني كاتبه في ذلك فأجيب بعد مناظرات إلى أن سبب له على عمال السواد مال صودر عليه لطمع من بمدينة السلام وشحن السواد لا يقوم بما يجب للنائبة فضلا عن القادمين مع النائبة، فلم يتهبأ لسليمان الوصول إلى شيء من المال، وقدم ابن أوس والصعاليك وأصحابه، فقصر المال عنه وعمن كان يقدر وصوله إليه من النائبة، فوقفوا على ذلك وعلى السبب المضربهم فيه وكان القادمون مع سليمان من الصعاليك وغيرهم لما قدموا بغداد أساءوا المجاورة لأهلها، وجاهروا بالفاحشة، وتعرضوا للحرم والعبيد والغلمان، وعادوهم لمكانهم من السلطان، حتى امتلأوا عليهم غيظا وحنقا وقد كان سليمان بن عبد الله وحر على الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم بن مصعب بن رزيق، لمكانه كان من عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ونصرته له وكفايته، وانصرافه عن سليمان وأسبابه فلما انصرف الحسين بن إسماعيل إلى بغداد بعقب ما كان يتولاه لعبيد الله من أمر الجند والشاكرية، فخبس كاتبه في المطبق

وحاجبه في سجن باب الشام، ووكّل بباب الحسين ابن إسماعيل جنّدا من قبل إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم، لأن سليمان ولى إبراهيم ما كان الحسين بن إسماعيل يتولاه لعبيد الله من أمر جسري بغداد وطساسبج قطربل ومسكن والأنبار، فلما حدث ما حدث من بيعة المهتدي وشغب الجند والشاكرية بمدينة السلام، ووقعت الحرب في تلك الأيام، شدّ محمد بن أوس على رجل من المراززة، كان من الشيعة، فضربه في دار سليمان ثلاثمائة

سوط ضربا مبرحا، وحبسه بباب الشام، وكان هذا الرجل من خاصة الحسين بن إسماعيل، فلما حدث هذا الحادث احتيج إلى الحسين بن إسماعيل، لفضل جلده وإقدامه فنجي من كان ببابه موكلا فظهر، فتراجع أصحابه من غير أمر، وقد كانوا فرقوا على القواد، وضمّ منهم جمع كبير إلى محمد بن أبي عون القائد، فذكر أن المضمومين إلى ابن أبي عون لما صاروا إلى بابه، فرق فيهم من ماله، للراجل عشرة دراهم، ولل فارس ديناراً، فلما رجعوا إلى الحسين رفع ابن أبي عون بذلك، فلم يخرج في ذلك تعيين ولا أمر، فلم يزل الحال على هذا والجند والشاكرية يصيحون في طلب مال البيعة وما بقي لهم من مال الطمع المتقدم، وقد رد أمرهم في تقسيط مالهم، وقبضهم إلى الحسين على ما كان الأمر عليه أيام عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وكان الحسين لا يزال يلقي إليهم ما عليه محمد بن أوس ومن قدم مع سليمان من القصد لاخذ أموالهم والفوز بها دونهم، حتى امتلأت قلوبهم فلما كان يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان، اجتمع جماعة من الجند والشاكرية، ومعهم جماعة من العامة حتى صاروا إلى سجن باب الشام ليلاً، فكسروا بابه، وأطلقوا في تلك الليلة أكثر من كان فيه، ولم يبق فيه من أصحاب الجرائم أحد إلا الضعيف والمريض والمثقل، فكان ممن خرج في تلك الليلة نفر من أهل بيت مساور بن عبد الحميد الشاري، وخرج معهم المروزي مضروب محمد بن أوس وجماعة ممن قد لزم السلطان إلى أن صاروا إلى قبضته زهاء خمسين ألفاً، وأصبح الناس في يوم الجمعة وباب الحبس مفتوح، فمن قدر أن يمشي مشى، ومن لم يقدر اكرت له ما يركبه، وما يمنع من ذلك مانع، ولا يدفع دافع، فكان ذلك من أقوى الأمور التي بعثت الخاصة والعامة على دفع الهيبة بينهم وبين سليمان بن عبد الله وسد باب السجن بباب الشام بآجر وطين، ولم يعلم أنه كان لإبراهيم بن إسحاق في هذه الليلة ولا لأحد من أصحابه حركة أصلاً، فتحدث الناس أن الذي جني على سجن باب الشام بمكان المروزي الذي ضربه ابن أوس فيه

حتى يخلص ثم لم يمض بعد ذلك خمسة أيام، حتى نافر ابن أوس الحسين بن إسماعيل في أمر مال النائبة أرادته محمد بن أوس لأصحابه ومنعه الحسين، وتجارياً في ذلك كلاماً غلط بينهما، ففرج محمد متكرراً، فلما كان الغد من ذلك اليوم غدا محمد بن أوس إلى دار سليمان، وغدا الحسين بن إسماعيل والشاه بن ميكال مولى طاهر، وحضر الناس باب سليمان، وكان بين من حضر من أصحاب ابن أوس وبين النائبة محادثة، علت فيها الأصوات، فتبادر أصحاب ابن أوس والقادمون إلى الجزيرة، وعبر إليهم ابن أوس وولده، وتصايح الناس بالسلاح، وخرج الحسين بن إسماعيل والشاه بن ميكال والمظفر ابن سيسل في أصحابهم، وصاح الناس بالعامة: من أراد النهب فليلحق بنا، فقيل: أنه عبر الجسرين من العامة في ذلك الوقت مائة ألف إنسان في الزواريق، وتوافى الجند والشاكرية بالسلاح، فوافى أوائل الناس الجزيرة، فلم يكن إلا قدر اللحظة حتى حمل رجل من أهل سرخس على الكبير من ولد محمد بن أوس، وطعنه، فاراده عن شهري كان تحته، ثم أخذته السيوف فانهزم عنه أصحابه، فلم يعمل أحد منهم شيئاً، وسلب الجريح وحمل في زورق، حتى عبر به إلى دار سليمان بن عبد الله بن طاهر، فألقى هناك فذكر بعض من حضر سليمان، أنه لما رآه اغرورقت عيناه من الدمع، ومهد له، وأحضر له الأطباء، ومضى ابن أوس من وجهه إلى منزله، وكان ينزل في دار لآل أحمد بن صالح بن شيرزاد بالدور، مما يلي قصر جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك وجد أهل بغداد في آثارهم والقواد معهم حتى تلقوهم، فكانت بينهم وقعة بالدور، أولها في آخر الساعة الثانية وآخرها في أول الساعة السابعة، فلم يزالوا يتراشقون بالنشاب، ويتطاعنون بالرماح، ويتخابطون بالسيوف وأعان ابن أوس جيرانه من أهل سويقة قطوطا وأصحاب الزواريق من ملاحي الدور واشتدت الحرب، ووجه أهل بغداد يطلبون نفاطين

من دار سليمان فذكروا أن حاجبه دخل، فأعلمه ذلك، فأمر بمنعهم منه، وقتل ابن أوس قتلاً شديداً، فثله جراح من سهام وطعن، فانهزم وأصحابه، وقد كان أخرج حرمه من داره، فلم يزل أهل بغداد يتبعونهم حتى أخرجوهم من باب الشماسية، ووصل الناس إلى منزل ابن أوس، فانتهبوا جميع ما كان فيه، فذكر أنه انتهب له بقيمة ألفي درهم، والمقلل يقول:

ألف ألف وخمسين ألفاً، وأنه انتهب له زهاء مائة سراويل مبطن بسمور، سوى ما كان مبطناً بغيره من الوبر مما يشاكل ذلك، وانتهب له من الفرش الطبري الخام والمقصور والمدرج والمقطوع ما يكون قيمته ألف ألف درهم، وانصرف الناس، فجعل الجند يدخلون دار سليمان، وهم يكثرُونَ، ومعهم النهب وهم يصيحون، وما لهم مانع ولا زاجر وأقام ابن أوس ليلته تلك بالشماسية مع من لحق به من أصحابه وقد كان أهل بغداد وثبوا بمنازل الصعاليك التي كانوا فيها سكاناً، فنهبوا، وتعرضوا لمن كان تخلف منهم، فتلاحق القوم هرباً، ولم يبق منهم في اليوم الثاني ببغداد أحد ظاهراً.

فذكر أن سليمان وجه تلك الليلة إلى ابن أوس ثياباً وفرشاً وطعاماً، فيقال:

إن محمداً قبله، وقيل: أنه رده وأصبح الناس في اليوم الثاني وغدا الحسين بن إسماعيل والمظفر بن سيسل إلى دار الشاه بن ميكال، ولحق به وجوه الشاكرية والنائبة وغيرهم، فأقاموا هناك مراغمين سليمان بن عبد الله بن طاهر وخت دار سليمان فلم يحضرها إلا جميعه فبعث إليهم سليمان مع محمد بن نصر بن حمزة بن مالك الخزاعي، وهو لا يعلم ما عليه عقد القوم، يعلمهم قبح ما ركبوا من محمد بن أوس، وما يجب لمحمد بحرمته وقديمه، وأنهم لو أنهم إليه ما أنكروا منه لتقدم في ذلك بما يكفيهم معه الحال التي ركبوها، فضج الشاكرية الذين حضروا دار الشاه جميعاً وقالوا: لا نرضى بمجاورة ابن أوس ولا بمجاورة أحد من أصحابه ولا من الصعاليك المنضمين إليه، وإنهم إن

أكرهوا على ذلك تعاقدوا مباينته، وخلع من يسومهم إياه، وأحال الشاه بن ميكال والحسين بن إسماعيل والمظفر بن سيسل على كراهة القوم، فرجع الرسول بذلك إلى سليمان، فردّه إليهم بكلام دون ذلك، ووعدهم وقال: أنا أثق بقولكم وضمانكم دون أيمانكم وعهودكم ثم استوى جالساً.

وذكر أنه لم يزل مستثقلاً محمد بن أوس ومن لحق به من الصعاليك وغيرهم، عارفاً بسوء رغبتهم ورداءة مذاهبهم، وبسوم محمد بن أوس في نفسه خاصة ومحبتة وشروعه في كل ما دعا إلى خلاف وفرقة، وأسبغ هذا المعنى، وكثر فيه حتى خرج به إلى الإغراق فيه، إلى أن قال: لقد كنت أدخل في قنوتي في الصلاة طلب الراحة من ابن أوس ثم التفت إلى محمد بن علي بن طاهر، فأمره بالمصير إلى ابن أوس، والتقدم إليه في العزم على الانصراف إلى خراسان، وأن يعلمه أنه لا سبيل له إلى الرجوع إلى مدينة السلام، ولا إلى تولي شيء من الأمور التي يتولاها لسليمان.

فلما تنهى الخبر إلى ابن أوس رحل من الشامسيه، فصار في رقه البردان على دجلة، فأقام بها أياماً حتى اجتمع إليه من تفرق من أصحابه، رحل فنزل النهروان، فلم يزل بها مقيماً وقد كان كتب إلى بابكك وصالح ابن وصيف يعرض عليهما نفسه، ويشكو إليهما ما نزل به، فلم يجد عنده شيئاً مما قصد، وقد كان محمد بن عيسى بن عبد الرحمن مقيماً بسامرا لينجز أمور سليمان، وكان كارها لابن أوس، منحرفاً عنه وكان ابن أوس مضطرب الأمر لسوء محضر محمد بن عيسى الكاتب، فلما انقطعت عن ابن أوس وأصحابه المادة، تعبثوا بأهل القرى والسبلة، وأكثروا الغارات والنهب، ورحل حتى نزل النهروان.

فذكر عن بعض من قصدوه لينتهبوه، فذكرهم المعاد، وخوفهم الله أنهم ردوا عليه أن قالوا له: إن كان النهب والقتل جائزاً في مدينة السلام، وهي قبة الإسلام، ودار عز السلطان، فما استنكار ذلك في الصحاري والبراري!

ثم رحل ابن أوس عن النهروان بعد أن أثر في تلك الناحية آثاراً قبيحة، وأخذ أهل البلاد بأداء الأموال، وحمل منها الطعام في السفن في بطن النهروان إلى إسكاف بني جنيد لبيعه هناك.

وكان محمد بن المظفر بن سيسل بالمدائن، فلما بلغه مصير ابن أوس إلى نهروان صير إقامته بالنعمانية من عمل الزوابي خوفاً على نفسه منه لحضور أبيه كان في يوم الوقعة.

فذكر عن محمد بن نصر بن منصور بن بسام - وعبرتا ضعيفته - أن وكيه انصرف عنها هارباً بعد أن أدى إلى ابن أوس تحت العذاب وخوف الموت قريباً من ألف وخمسمائة دينار، ولم يزل ابن أوس مقيماً هناك، يقرب ويباعد، ويقبض وييسط، وليشد ويلين، ويرهب، حتى أتاه كتاب بابكك بولاية طريق خراسان من قبله، فكان من وقت خروجه من مدينة السلام إلى وقت ورود الكتاب عليه بالولاية شهران وخمسة عشر يوماً.

وذكر عن بعض ولد عاصم بن يونس العجلي أن أباه كان يتولى ضياعاً للنوشرى بناحية طريق خراسان، وأنه كتب إلى النوشرى يذكر ما

عائنه من قوة عسكر ابن أوس وظاهر عدتهم، ويشير بأن يذكر ذلك لبابكك، ويصف خلاء طريق خراسان من سلطان يتولاه ويحوط أهله، وأن هذا عسكر مشحن بالرجال والعدة والعتاد، مقيم في العمل، وأن النوشي ذكر ذلك لبابكك، وأشار عليه بتوليته طريق خراسان، وتخفيف المؤنة عن السلطان، فقبل ما أشار به عليه، وأمر بكتبه فكتبت، وولي طريق خراسان في ذي القعدة من هذه السنة- وهي سنة خمس وخمسين ومائتين- وكان موسى خليفه مساور ابن عبد الحميد الشاري مقيما بالسكر ونواحيها في زهاء ثلاثمائة رجل، قد ولاه مساور ما بين حلوان إلى السوس على طريق خراسان وبطن جوخي وما قرب ذلك من طساسيج السواد

٩٠٣٧٠١١ ذكر خبر استيلاء مفلح على طبرستان ثم انصرافه عنها

وفيه أمر المهدي بإخراج القيان والمغنين والمغنيات من سامرا ونفيهم منها إلى بغداد، بعد أمر كان قد تقدم من قبيحة في ذلك قبل أن ينزل بابنها ما نزل، وأمر بقتل السباع التي كانت في دار السلطان وطرده الكلاب وإبطال الملاهي ورد المظالم، وجلس لذلك للعامه، وكانت ولايته والدنيا كلها من أرض الإسلام مفتونه.

ذكر خبر استيلاء مفلح على طبرستان ثم انصرافه عنها

وفيه شخص موسى بن بعا ومن معه من الموالي وجند السلطان من الري وانصرف مفلح عن طبرستان بعد أن دخلها، وهزم الحسن بن زيد، وأخرجه عنها إلى أرض الديلم.

ذكر الخبر عن شخوصه عنها:

ذكر أن السبب في ذلك أن قبيحة أم المعتز، لما رأت من الأتراك اضطرابا، وأنكرت أمرهم، كتبت إلى موسى بن بعا تسأله القدوم إلى ما قبلها، وأملت وروده عليها قبل حدوث ما حدث عليها وعلى ابنها المعتز، فعزم موسى على الانصراف إليها، وكان ورود كتابها عليه ومفلح بطبرستان.

فكتب موسى إلى مفلح يأمره بالانصراف إليها وهو بالري، فحدثني بعض أصحابنا من أهل طبرستان، أن كتاب موسى ورد على مفلح بذلك، وقد توجه نحو أرض الديلم في طلب الحسن بن زيد الطالبي فلما ورد عليه الكتاب انصرف راجعا إلى حيث توجه منه، فعظم ذلك على قوم كانوا معه من رؤساء أهل طبرستان ممن كان هاربا قبل مقدم مفلح عليهم من الحسن بن زيد، لما كانوا قد رجوا من مقدمه عليهم وكفائتهم أمر الحسن بن زيد والرجوع إلى منازلهم وأوطانهم، وذلك أن مفلحا كان يعدهم اتباع الحسن بن زيد حيث توجه حتى يظفر به أو يخترم دونه، ويقول لهم- فيما ذكر لي-

لو رميت قلنسوتي في أرض الديلم ما اجتأ أحد منهم أن يدنو منها فلما رأى القوم انصرافه عن الوجه الذي توجه له من غير عسكر للحسن بن زيد ولا أحد من الديلم صده، سأله- فيما ذكر لي- عن السبب الذي صرفه عما كان يعدهم به من اتباع ابن زيد، وجعلوا يكلمونه- فيما أخبرت- وهو كالمسبوت لا يجيبهم بشيء، فلما أكثروا عليه قال لهم: ورد على كتاب الأمير موسى بعزيمة منه إلا أضع كتابه من يدي بعد ما يصل إلي حتى أقبل إليه.

وأنا مغموم بأمرهم، ولكن لا سبيل إلى مخالفة الأمير فلم يتهأ لموسى الشخص من الري إلى سامرا حتى وافاه الكتاب بهلاك المعتز وقيام المهدي بعده بالأمر، ففتأه ذلك عما كان عزم عليه من الشخص، لفوته ما قدر إدراكه من أمر المعتز.

ولما وردت عليه بيعة المهدي، امتنع أصحابه عليه من بيعته، ثم بايعوا.

فورد خبر بيعتهم سامرا ثلاث عشرة خلت من شهر رمضان من هذه السنة.

ثم إن الموالي الذين في عسكر موسى بلغهم ما استخرج صالح بن وصيف من أموال الكتاب وأسباب المعتز والمتوكل، فشحوا بذلك على المقيمين بسامرا، فدعوا موسى إلى الانصراف بهم إلى سامرا.

وقدم مفلح على موسى بالري تاركا طبرستان على الحسن بن زيد، فذكر عن القاشاني أنه قال: كتب إلي ابن أخي من الري يذكر أنه لقي مفلحا بالري، فسأله عن سبب انصرافه فذكر أن الموالي قد أبوا أن يقيموا، وأنهم إذا انصرفوا لم يغن مقامه شيئا.

ثم أن موسى افتتح خراج سنة ست وخمسين ومائتين يوم الأحد مستهل شهر رمضان سنة ست وخمسين ومائتين، فاجتنى- فيما ذكر- في

يوم الأحد قدر خمسمائة ألف درهم، فاجتمع أهل الري، فقالوا، أعز الله الأمير! إنك تزعم أن الموالي يرجعون إلى سامرا لما يقدرونه من كثرة العطاء هناك، وأنت وأصحابك في أكثر وأوسع مما القوم هناك فيه، فإن رأيت أن تسد هذا الثغر، وتحتسب في أهله الأجر والثواب، وتلزمنا من خراجنا في خاص أموالنا لمن معك ما ترى أن نحتمله فعلت فلم يجبهم إلى ما سألوا، فقالوا:

أصلح الله الأمير! فإذا كان الأمير عزم على تركنا، والانصراف عنا، فما معنى أخذنا بالخراج لسنة لم نبتدئ بعمارته، وأكثر غلة سنة خمس وخمسين ومائتين، التي قد أخذ الأمير خراجها في الصحاري لا يمكننا الوصول إليها إن رحل الأمير عنا! فلم يلتفت إلى شيء مما وصفوه له، وسأله إياه.

واتصل خبر انصرافه بالمهتدي، فكتب إليه في ذلك كتباً كثيرة، لم تؤثر أثراً فلما انتهى إليه قفول موسى من الري، ولم تغن الكتب شيئاً وجه رجلين من بني هاشم، يقال لأحدهما عبد الصمد بن موسى، ويعرف الآخر بأبي عيسى يحيى بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس، وحملوا رسالة إلى موسى وإلى من ضم عسكرة من الموالي، يصدقهم فيها عن الحال بالحضرة وضيق الأموال بها، وما يحاذر من ذهاب ما يخلفونه وراء ظهورهم، وغلبه الطالبين عليه واتساع آثارهم إلى ناحية الجبل فشخص بذلك الهاشميان في جماعه من الموالي وتابعهم من الديلم، وأقبل موسى ومن معه، وصالح بن وصيف في ذلك يعظم على المهتدي انصرافه، وينسبه إلى المعصية والخلاف، ويبتهل عليه في أكثر ذلك، ويبرأ إلى الله من فعله.

فذكر أن كتاب صاحب البريد بهمدان لما ورد على المهتدي بفصول موسى عنها، رفع المهتدي يديه إلى السماء، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

اللهم إني أبرأ إليك من فعل موسى بن بغا وإخلاله بالثغر وإباحته العدو، فإني قد أعذرت إليه فيما بيني وبينه اللهم تول كيد من كاید المسلمين، اللهم انصر جيوش المسلمين حيث كانوا، اللهم إني شاخص بنيتي واختياري إلى حيث نكب المسلمون فيه، ناصرا لهم ودافعا عنهم اللهم فأجرني بنيتي إذ عدمت صالح الأعوان! ثم انحدرت دموعه يبكي.

وذكر عن بعض من حضر المهتدي في بعض مجالسه التي يقول فيها هذا القول، وحضره سليمان بن وهب، فقال: أيأمرني أمير المؤمنين أن اكتب إلى موسى بما اسمع منه، فقال له: نعم، اكتب بما تسمع مني، وإن أمكنك أن تنقشه في الصخر فافعل فلقية الهاشميان في الطريق ولم يغنيا شيئاً،

٩٠٣٧٠١٢ ذكر الخبر عن مفارقه كنجور على بن الحسين بن قريش

وضج الموالي، وكادوا يثبون بالرسل، ورد موسى في جواب الرسالة يعتذر بتخلف من معه عن الرجوع إلى قوله دون ورود باب أمير المؤمنين، وأنه إن رام التخلف عنهم لم يأمنهم على نفسه، ويحتج بما عاين الرسل الموجهون إليه.

فورد الرسل بذلك، وأوفد مع الرسل موسى وفداً من عسكره، فوافوا سامرا لأربع خلون من المحرم سنة ست وخمسين ومائتين. ذكر الخبر عن مفارقه كنجور على بن الحسين بن قريش

وفي هذه السنة فارق كنجور علي بن الحسين بن قريش، وكان قد نفى أيام المعتز إلى فارس، فوكل به علي بن الحسين، وحبسه، فلما أراد علي ابن الحسين محاربة يعقوب بن الليث أخرجه من الحبس، وضم إليه خيلاً ورجالاً، فلما انهزم الناس عن علي بن الحسين لحق كنجور بناحية الأهواز، فأثر في ناحية رامهرمز أثراً، ثم لحق بابن أبي دلف، فوافاه بهمدان، وأساء السيرة في أسباب وصيف وضياعه ووكلاته في تلك الناحية، ثم لحق بعد ذلك بعسكر موسى فلما أقبل موسى فيمن ضمه العسكر، بلغ ذلك صالحاً، فكتب عن المهتدي في حمل كنجور إلى الباب مقيداً، فأبى ذلك الموالي، ثم لم تزل الكتب تختلف فيه إلى أن نزل العسكر القاطول ثم ظهر أن صالحاً قعد لمراغمته، وأن موسى ترحل إلى سامرا على المبانية لصالح ومن مال إليه، ولحق بابن بكك بعسكر موسى، وأقام موسى هناك يومين ووجه المهتدي إليه أخاه إبراهيم لأمره في أمر كنجور يعلمه أن الموالي بسامرا قد أبوا أن يقاروا على دخول كنجور، ويأمره بتقييده وحمله إلى مدينة السلام، فلم يتهبأ في ذلك ما قدره صالح، وكان جوابهم أن قالوا: إذا دخلنا سامرا امتثلنا ما أمر به أمير المؤمنين في كنجور وغيره.

٩٠٣٧٠١٣ خروج أول علوي بالبصرة

خروج أول علوي بالبصرة

وللنصف من شوال من هذه السنة، ظهر في فرات البصرة رجل زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب، وجمع إليه الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ، ثم عبر دجلة، فنزل الديناري. ذكر الخبر عن أمره والسبب الذي بعثه على الخروج هنالك:

وكان اسمه ونسبه - فيما ذكر - علي بن محمد بن عبد الرحيم، ونسبه في عبد القيس، وأمه قرّة ابنة علي بن رحيب بن محمد بن حكيم، من بني اسد ابن خزيمية، من ساكني قرية من قرى الري، يقال لها ورزنين، بها مولده ومنشؤه، فذكر عنه أنه كان يقول: جدي محمد بن حكيم من أهل الكوفة أحد الخارجين على هشام بن عبد الملك مع زيد بن علي بن الحسين فلما قل زيد هرب فلحق بالري، فلجأ إلى ورزنين، فأقام بها وإن أبا أبيه عبد الرحيم رجل من عبد القيس، كان مولده بالطالقان، وأنه قدم العراق فأقام بها، واشترى جارية سندية، فأولدها محمداً أباه، فهو علي بن محمد هذا، وأنه كان متصلاً قبل بجماعة من آل المنتصر، منهم غانم الشطرنجي وسعيد الصغير ويسر الخادم، وكان منهم معاشه ومن قوم من أصحاب السلطان وكنابه يمدحهم ويستميحهم بشعره.

ثم أنه شخص - فيما ذكر - من سامرا سنة تسع وأربعين ومائتين إلى البحرين، فادعى بها أنه علي بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، ودعا الناس بهجر إلى طاعته، واتبعه جماعة كثيرة من أهلها، وأبته جماعة أخرى، فكانت بسببه بين الذين اتبعوه والذين أبوه عصبية قتلت بينهم جماعة، فانتقل عنهم لما حدث ذلك إلى الأحساء، وضوى إلى حي من بني تميم ثم من بني سعد، يقال لهم بنو الشماس، فكان بينهم مقامه وقد كان أهل البحرين أحلوه من أنفسهم محل النبي - فيما ذكر - حتى جبي له الخراج هنالك ونفذ حكمه بينهم، وقتلوا أسباب السلطان بسببه ووتر منهم جماعة كثيرة، فتنكروا له، فتحول عنهم إلى البادية ولما انتقل إلى البادية صحبه جماعة من أهل البحرين، منهم رجل كمال من أهل الأحساء، يقال له يحيى بن محمد الأزرق المعروف بالبحراني، مولى لبني دارم ويحيى بن أبي ثعلب، وكان تاجراً من أهل هجر، وبعض موالي بني حنظلة أسود يقال له سليمان بن جامع، وهو قائد جيشه، ثم كان ينتقل في البادية من حي.

إلى حي فذكر عنه أنه كان يقول: أوتيت في تلك الأيام آيات من آيات إمامتي ظاهرة للناس، منها - فيما ذكر عنه - أنه قال: إني لقيت سورا من القرآن لا أحفظها، فجرى بها لساني في ساعة واحدة، منها سبحان والكهف وص.

قال: ومن ذلك اني لقيت نفسي على فراشي، فجعلت أفكر في الموضع الذي أقصد له، وأجعل مقامي به، إذ نبت بي البادية، وضقت بسوء طاعة أهلها، فأظلتني سخابة، فبرقت ورعدت، واتصل صوت الرعد منها بسمعي، فخطبت فيه، فقيل: اقصد البصرة، فقلت لأصحابي وهم يكفونني:

إني أمرت بصوت هذا الرعد بالمصير إلى البصرة.

وذكر أنه عند مصيره إلى البادية أوهم أهلها أنه يحيى بن عمر أبو الحسين المقتول بناحية الكوفة، فاختدع بذلك قوما منهم، حتى اجتمع بها منهم جماعة كثيرة، فزحف بهم إلى موضع بالبحرين يقال له الردم، فكانت بينهم وقعة عظيمة، كانت الدائرة فيها عليه وعلى أصحابه، قتلوا فيها قتلاً ذريعاً، فنفرت عنه العرب وكرهته، وتجنبت صحبته فلما تفرقت عنه العرب، ونبت به البادية، شخص عنها إلى البصرة، فنزل بها في بني ضبيعة، فاتبعه بها جماعة، منهم علي بن أبان المعروف بالمهلي وأخواه محمد والخليل وغيرهم.

وكان قدومه البصرة في سنة أربع وخمسين ومائتين، ومحمد بن رجاء الحضاري عامل السلطان بها، ووافق ذلك فتنة أهل البصرة بالبلالية والسعدية، فطمع في أحد الفريقين أن يميل إليه، فأمر أربعة نفر من أصحابه، نفرجوا بمسجد عباد، أحدهم يسمى محمد بن سلم القصاب الهجري، والآخر بريش القريعي، والثالث علي الضراب، والرابع الحسين الصيدناني، وهم الذين كانوا صحبه

بالبحرين، فدعوا إليه، فلم يجبه من أهل البلد أحد، وثاب إليهم الجند، ففترقوا ولم يظفر بأحد منهم نفرج من البصرة هارباً، فطلبه ابن

رجاء فلم يقدر عليه، وأخبر ابن رجاء بميل جماعة من أهل البصرة إليه، فأخذهم فحبسهم، فكان فيمن حبس يحيى بن أبي ثعلب ومحمد بن الحسن الإيادي وابن صاحب الزنج علي بن محمد الأكبر وزوجته أم ابنه ومعها ابنة له وجارية حامل، فحبسهم ومضى هو لوجهه يريد بغداد، ومعه من أصحابه محمد بن سلم ويحيى بن محمد وسليمان بن جامع وبريش القريعي فلما صاروا بالبطيحة نذر بهم بعض موالي الباهليين، كان يلي أمر البطيحة، يقال له عمير بن عمار، فأخذهم وحملهم إلى محمد بن أبي عون، وهو عامل السلطان بواسط، فاحتال لابن أبي عون حتى تخلص هو وأصحابه من يده، ثم صار إلى مدينة السلام، فأقام بها حولا، وانتسب فيها إلى أحمد بن عيسى بن زيد، وكان يزعم أنه ظهر له أيام مقامه بها آيات، وعرف ما في ضمائر أصحابه، وما يفعله كل واحد منهم، وأنه سأل ربه بها آية أن يعلم حقيقة أمره، فرأى كتابا يكتب له، وهو ينظر إليه على حائط، ولا يرى شخص كاتبه.

وذكر عن بعض تباعه أنه بمقامه بمدينة السلام استمال جماعة، منهم جعفر بن محمد الصوحاني - كان ينتسب إلى زيد بن صوحان - ومحمد بن القاسم وغلاما يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان: مشرق ورفيق، فسمى مشرقا حمزة وكناه أبا أحمد، وسمى رفيقا جعفرا وكناه أبا الفضل ثم لم يزل عامه ذلك بمدينة السلام حتى عزل محمد بن رجاء عن البصرة، فخرج عنها، فوثب رؤساء الفتنة من البلالية والسعدية، ففتحوا المحابس، وأطلقوا من كان فيها، فتخلصوا فيمن تخلص فلما بلغه خلاص أهله، شئخص إلى البصرة، فكان رجوعه إليها في شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين، ومعه علي بن أبان - وقد كان لحق به وهو بمدينة السلام - ويحيى بن محمد، ومحمد بن سلم، وسليمان بن جامع، وغلاما يحيى بن عبد الرحمن: مشرق ورفيق، وكان يحضر

هؤلاء الستة رجل من الجند يكنى أبا يعقوب، ولقب نفسه بعد ذلك بجربان، فساروا جميعا حتى وافوا برنخل، فنزلوا قصرًا هنالك يعرف بقصر القرشي، على نهر يعرف بعمود ابن المنجم، كان بنو موسى بن المنجم احتفروه، وأظهر أنه وكيل لولد الواثق في بيع السباخ، وأمر أصحابه أن يخلوه ذلك، فأقام هنالك.

فذكر عن ربحان بن صالح أحد غلمان الشورجيين - وهو أول من صحبه منهم - أنه قال: كنت موكلا بـغلمان مولاي، أنقل الدقيق إليهم من البصرة، وأفرقه فيهم، فحملت ذلك إليهم كما كنت أفعل، ففرت به وهو مقيم ببرنخل في قصر القرشي، فأخذني أصحابه، فصاروا بي إليه، وأمروني بالتسليم عليه بالإمرة، ففعلت ذلك، فسألني عن الموضع الذي جئت منه، فأخبرته أنني أقبلت من البصرة، فقال: هل سمعت لنا بالبصرة خبرا؟ قلت:

لا، قال: فما خبر الزيني؟ قلت: لا علم لي به، قال: فخير البلالية والسعدية؟ قلت: ولا أعرف أخبارهم أيضا، فسألني عن أخبار غلمان الشورجيين وما يجري لكل غلام منهم من الدقيق والسويق والتمر وعمن يعمل في الشورج من الأحرار والعبيد، فأعلمته ذلك، فدعاني إلى ما هو عليه، فأجبتة، فقال لي: احتل فيمن قدرت عليه من الغلمان، فأقبل بهم إلي ووعدني أن يقودني على من آتبه به منهم، وأن يحسن إلي، واستحلفني ألا أعلم أحدا بموضعه، وأن أرجع إليه نفلي سبيلي، فأتيت بالدقيق الذي معي الموضع الذي كنت قصده به، وأقمت عنده يومي، ثم رجعت إليه من غد، فوافيته وقد قدم عليه رفيق غلام يحيى بن عبد الرحمن، وكان وجهه إلى البصرة في حوائج من حوائجه، ووافاه بشبل بن سالم - وكان من غلمان الدباسين - وبحيرة كان أمره بابتياعها ليتخذها لواء، فكتب فيها بحمرة وخضرة: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، إلى آخر الآية، وكتب اسمه واسم أبيه، وعلقها في رأس مردي، وخرج في السحر من ليلة السبت لليلتين بقيتا من شهر رمضان

فلما صار إلى مؤخر القصر الذي كان فيه، لقيه غلمان رجل من الشورجيين يعرف بالعطار، متوجهين إلى أعمالهم، فأمر بأخذهم فأخذوا، وكتف وكيكهم، وأخذ معهم، وكانوا خمسين غلاما، ثم صار إلى الموضع الذي يعمل فيه السنائي، فأخذ منه خمسمائة غلام، فيهم المعروف بأبي حديد، وأمر بوكيكلهم فأخذ معهم مكتوفا، وكانوا في نهر يعرف بنهر المكاث، ثم مضى إلى موضع السيراني، فأخذ منه خمسين ومائة غلام، فيهم زريق وأبو الخنجر.

ثم صار إلى موضع ابن عطاء، فأخذ طريقا وصبيحا الأعسر وراشدا المغربي وراشدا القرماطي، وأخذ معهم ثمانين غلاما ثم أتى موضع إسماعيل المعروف بغلام سهل الطحان، ثم لم يزل يفعل ذلك كذلك في يومه، حتى اجتمع إليه بشر كثير من غلمان الشورجيين، ثم

جمعهم وقام فيهم خطيباً، ففناهم ووعدهم أن يقودهم ويرأسهم، ويملكهم الأموال، وحلف لهم الأيمان الغلاظ ألا يغدر بهم، ولا يخذلهم، ولا يدع شيئاً من الإحسان إلا أتى إليهم ثم دعا مواليتهم، فقال: قد أردت ضرب أعناقكم لما كنتم تأتون إلى هؤلاء الغلمان الذين استضعفتموهم وقهرتموهم، وفعلتم بهم ما حرم الله عليكم أن تفعلوه بهم، وجعلتم عليهم ما لا يطيقون، فكلمني أصحابي فيكم، فرأيت إطلاقكم، فقالوا: إن هؤلاء الغلمان أباق، وهم يهربون منك فلا يبقون عليك ولا علينا، نخذ منا مالا وأطلقهم لنا فأمر غلمانهم فأحضروا شطبا ثم بطح كل قوم مولاهم وويلكهم، فضرب كل رجل منهم خمسمائة شطبة، وأحلفهم بطلاق نسائهم ألا يعلموا أحداً بموضعه، ولا بعدد أصحابه، وأطلقهم ففضوا نحو البصرة.

ومضى رجل منهم يقال له عبد الله، ويعرف بكريخا، حتى عبر دجيلا، فأذذر الشورجيين ليحرزوا غلمانهم، وكان هناك خمسة عشر ألف غلام.

ثم سار بعد ما صلى العصر حتى وافى دجيلا، فوجد سفن سماد تدخل في المد، فقدمها، فركب فيها، وركب أصحابه حتى عبروا دجيلا، وصاروا إلى نهر ميمون، فنزل المسجد الذي في وسط السوق الشارع على نهر ميمون، وأقام هناك ولم يزل ذلك دأبه، يجتمع إليه السودان إلى يوم الفطر.

فلما أصبح نادى في أصحابه بالاجتماع لصلاة الفطر فاجتمعوا، وركز المردى الذي عليه لواؤه، وصلى بهم وخطب خطبة ذكر فيها ما كانوا عليه من سوء الحال، وأن الله قد استنقذهم به من ذلك، وأنه يريد أن يرفع أقدارهم، ويملكهم العبيد والأموال والمنازل، ويبلغ بهم أعلى الأمور، ثم حلف لهم على ذلك فلما فرغ من صلاته وخطبته، أمر الذين فهموا عنه قوله أن يفهموه من لا فهم له من عجمهم، لتطيب بذلك أنفسهم ففعلوا ذلك، ودخل القصر فلما كان بعد يوم قصد نهر بور، فوافى جماعة من أصحابه هناك الحميري في جماعة، فدفعوهم حتى أخرجوهم إلى الصحراء، فلحقهم صاحب الزنج فيمن معه، فأوقع بالحميري وأصحابه، فانهزموا حتى صاروا إلى بطن دجلة واستأمن إليه رجل من رؤساء الزنج يكنى بأبي صالح، يعرف بالقصير، في ثلاثمائة من الزنج، ففناهم ووعدهم فلما كثر من اجتمع اليه من الزنج قود قواده، وقال لهم: كل من أتى منكم برجل فهو مضموم إليه وقيل أنه لم يقود قواده إلا بعد واقعة الخول ببيان ومصيره إلى سبحة القندل.

وكان ابن أبي عون نقل عن ولاية واسط إلى ولاية الأبله وكور دجلة، فذكر أنه انتهى إليه في اليوم الذي قود فيه قواده أن الحميري وعقيلاً مع خليفة ابن أبي عون المقيم كان بالأبله، قد أقبلوا نحوه، ونزلوا نهر طين، فأمر أصحابه بالمصير إلى الرزيفية وهي في مؤخر الباذورد، فصار إليها في وقت صلاة الظهر، فصلوا بها، واستعدوا للقتال، وليس في عسكره يومئذ إلا ثلاثة أسياف: سيفه، وسيف علي بن أبان، وسيف محمد بن سلم ونهض بأصحابه فيما بين الظهر والعصر راجعا نحو المحمدية، وجعل علي بن أبان في آخر أصحابه، وأمره أن يعرف خبر من يأتيه من ورائه، وتقدم في أوائل الناس حتى وافى المحمدية، فقعده على النهر، وأمر الناس فشرّبوا منه، وتوافى إليه أصحابه، فقال له علي بن أبان: قد كنا نرى من ورائنا بارقة ونسمع

حس قوم يتبعوننا، فلسنا ندري: أرجعوا عنا أم هم قاصدون إلينا؟ فلم يستم كلامه حتى لحق القوم، وتنادى الزنج السلاح، فبدر مفرج النوبى المكنى بابى صالح، وريحان ابن صالح، وفتح الحجام - وكان فتح يأكل - فلما نهض تناول طبقاً كان بين يديه، وتقدم أصحابه، فلقية رجل من الشورجيين، يقال له بلبل، فلما رآه فتح حمل عليه وحذفه بالطبق الذي كان في يده، فرمى بلبل بسلاحه، وولى هارباً، وانهزم أصحابه، وكانوا أربعة آلاف رجل، فذهبوا على وجوههم، وقتل من قتل منهم، ومات بعضهم عطشا، وأسر منهم قوم، فأتي بهم صاحب الزنج، فأمر بضرب أعناقهم فضربت، وحملت الرءوس على بغال كان أخذها من الشورجيين، كانت تنقل الشورج، ومضى حتى وافى القادسية، وذلك وقت المغرب، فخرج من القرية رجل من موالى بعض الهاشميين على أصحابه، فقتل رجلاً من السودان، فأتاه الخبر، فقال له أصحابه: ائذن لنا في انتهاب القرية وطلب قاتل صاحبنا، فقال: لا سبيل إلى ذلك دون أن نعرف ما عند القوم، وهل فعل القاتل ما فعل عن رأيهم، ونسألهم أن يدفعوه إلينا، فإن فعلوا وإلا ساغ لنا قتالهم وأعجلهم المسير، فصاروا إلى نهر ميمون راجعين، فأقام في المسجد الذي كان أقام فيه في بدأته وأمر بالرءوس المحمولة معه فنصبت، وأمر بالأذان أبا صالح النوبى فأذن، وسلم

عليه بالإمرة، فقام فصل بأصحابه العشاء الآخرة، وبات ليلته بها، ثم مضى من الغد حتى مر بالكرخ فطواها، وأتى قرية تعرف بجي في وقت صلاة الظهر، فعبّر دجيلاً من مخاضة دل عليها، ولم يدخل القرية، وأقام خارجاً منها، وأرسل إلى من فيها، فأتاه كبارهم وكبراء أهل الكرخ، فأمرهم بإقامة الأتزال له ولأصحابه فأقيم له ما أراد، وبات عندهم ليلته تلك، فلما أصبح أهدى له رجل من أهل جي فرساً كميّتا، فلم يجد سرجاً

ولا لجاماً، فركبه بجبل وسنّفه بليف، وسار حتى انتهى إلى المعروف بالعباسي العتيق، فأخذ منه دليلاً إلى السيب، وهو نهر القرية المعروفة بالجعفرية، ونذر به أهل القرية، فهربوا عنها، ودخلها فنزل دار جعفر بن سليمان وهي في السوق، وتفرق أصحابه في القرية، فأتوه برجل وجدوه، فسأله عن وكلاء الهاشميين، فأخبره أنهم في الأجمة، فوجه الملقب بجربان، فأتاه برئيسهم وهو يحيى بن يحيى المعروف بالزبيرى أحد موالي الزيايين، فسأله عن المال، فقال:

لا مال عندي، فأمر بضرب عنقه، فلما خاف القتل أقر بشيء قد كان أخفاه، فوجه معه، فأتاه بمائتي دينار وخمسين دينارا وألف درهم، فكان هذا أول ما صار إليه، ثم سأله عن دواب وكلاء الهاشميين فدلّه على ثلاثة براذين:

كميت، وأشقر، وأشهب، فدفع أحدها إلى ابن سلم، والآخر إلى يحيى بن محمد، وأعطى مشرقاً غلام يحيى بن عبد الرحمن الثالث. وكان رفيق يركب بغلاً كان يحمل عليه الثقل، ووجد بعض السودان داراً لبعض بني هاشم فيها سلاح، فانتبهوه، فجاء النوبي الصغير بسيف، فأخذه صاحب الزنج، فدفعه إلى يحيى بن محمد، فصار في أيدي الزنج سيوف وبالات وزقايات وتراس، وبات ليلته تلك بالسبب، فلما أصبح أتاه الخبر أن رميسا والحيري وعقيل الأيلي قد وافوا السيب، فوجه يحيى بن محمد في خمسمائة رجل، فيهم سليمان وريحان بن صالح وأبو صالح النوبي الصغير، فلقوا القوم فهزموهم، وأخذوا سميرية وسلاحاً، وهرب من كان هنالك، ورجع يحيى بن محمد فأخبره الخبر، فأقام يومه، وسار من غد يريد المذار، بعد أن اتخذ على أهل الجعفرية ألا يقتلوه، ولا يعينوا عليه أحداً، ولا يستروا عنه فلما عبر السيب صار إلى قرية تعرف بقرية اليهود شارعة على دجلة، فوافق هنالك رميسا في جمع، فلم يزل يقتلهم

يومه ذلك، وأسر من أصحابه عدة، وعقر منهم جماعة بالنشاب وقتل غلام لمحمد بن أبي عون كان مع رميس، وغرقت سميرية كان فيها ملاحها، فأخذ وضربت عنقه، وسار من ذلك الموضع يريد المذار فلما صار إلى النهر المعروف بباب مداد جاوزه حتى أصحر، فرأى بستاناً، وتلا يعرف بجبل الشياطين، فقصده للتلقع عليه، وأثبت أصحابه في الصحراء، وجعل لنفسه طليعة.

فذكر عن شبل أنه قال: أنا كنت طليعته على دجلة، فأرسلت إليه أخبره أن رميسا بشاطئ دجلة يطلب رجلاً يؤدي عنه رسالة، فوجه إليه علي بن أبان ومحمد بن سلم وسليمان بن جامع، فلما أتوه قال لهم: اقرءوا على صاحبكم السلام، وقولوا له: أنت آمن على نفسك حيث سلكت من الأرض، لا يعرض لك أحد، واردد هؤلاء العبيد على مواليهم، وأخذ لك عن كل رأس خمسة دنانير فأتوه فأعلموه ما قال لهم رميس، فغضب من ذلك وآلى ليرجعن فليقرن بطن امرأة رميس، وليحرقن داره، وليخوضن الدماء هنالك فانصرفوا إليه، فأجابوه بما أمروا به، فانصرف إلى مقابل الموضع الذي هو به من دجلة، فأقام به، فوافاه في ذلك اليوم إبراهيم بن جعفر المعروف بالهمداني، ولم يكن لحق به إلا في ذلك الوقت، وأتاه بكتب فقرأها، فلما صلى العشاء الآخرة، أتاه إبراهيم، فقال له: ليس الرأي لك إتيان المذار، قال: فما الرأي؟

قال: ترجع، فقد بايع لك أهل عبادان وميان رودان وسليمانان، وخلفت جمعا من البلالية بفوهة القندل وأبرسان ينتظرونك فلما سمع السودان ذلك من قول إبراهيم مع ما كان رميس عرض عليه في ذلك اليوم خافوا إن يكون احتال عليهم ليردهم إلى مواليهم، فهرب بعضهم، واضطرب الباقيون فجاءه محمد بن سلم فأعلمه اضطرابهم، وهرب من هرب منهم، فأمر بجمعهم في ليلته تلك، ودعا مصلحاً، وميز الزنج من الفراتية ثم أمر مصلحاً أن يعلمهم أنه لا يرددهم ولا أحداً منهم إلى مواليهم، وحلف لهم على ذلك بالآيمان الغلاظ، وقال: ليحيط بي منكم جماعة، فإن أحسوا مني غدرا فتكوا بي ثم جمع

الباقيين، وهم الفراتية والقرمطيون والتوبة وغيرهم ممن يفصح بلسان العرب، فخلف لهم على مثل ذلك، وضمن ووثق من نفسه، وأعلمهم أنه لم يخرج لعرض من أعراض الدنيا، وما خرج إلا غضباً لله، ولما رأى ما عليه الناس من الفساد في الدين، وقال: ها أنا ذا معكم

في كل حرب، أشرككم فيها بيدي، وأخطر معكم فيها بنفسي فرضوا ودعوا له بخير فلما أسحر أمر غلاما من الشورجيين يكنى أبا منارة، فنفخ في بوق لهم كانوا يجتمعون بصوته، وسار حتى أتى السيب راجعا، فالتى هناك الحميري وميسا وصاحب ابن أبي عون، فوجه إليهم مشرقا برسالة أخفاها، فرجع إليه بجوابها، فصار صاحب الزنج إلى النهر، فتقدم صاحب محمد بن أبي عون، فسلم عليه، وقال له: لم يكن جزاء صاحبنا منك أن تفسد عليه عمله، وقد كان منه إليك ما قد علمت بواسطه، فقال: لم آت لقتالكم، فقل لأصحابك يوسعون لي في الطريق، حتى أجاوزكم.

فخرج من النهر إلى دجلة، ولم يلبث أن جاء الجند ومعهم أهل الجعفرية في السلاح الشاك، فتقدم المكتنى بأبي يعقوب المعروف بجربان، فقال لهم: يا أهل الجعفرية، أما علمتم ما أعطيتمونا من الأيمان المغلظة ألا تقاتلونا، ولا تعينوا علينا أحدا، وأن تعينونا متى اجتاز بكم أحد منا! فارتفعت أصواتهم بالنعير والضجيج، ورموه بالحجارة والنشاب وكان هناك موضع فيه زهاء ثلاثمائة زرنوق، فأمر بأخذها فأخذت، وقرن بعضها ببعض حتى صارت كالشاشات، وطرحت إلى الماء، وركبها المقاتلة فلاحقوا القوم، فقال بعضهم: عبر علي بن أبان يومئذ قبل أخذ الزرائق سباحة، ثم جمعت الزرائق، وعبر الزنج، وقد زالوا عن شاطئ النهر فوضعوا فيهم السيف، فقتل منهم خلق كثير، وأتى منهم بأسرى، فوبخهم وخلي سبيلهم، ووجه غلاما من غلمان الشورجيين يقال له سالم يعرف بالزغاوي، إلى من كان دخل الجعفرية من أصحابه، فردهم، ونادى: ألا برئت الذمة ممن انتهب شيئا من هذه القرية، أو سبي منها أحدا، فمن فعل ذلك فقد حلت به العقوبة الموجهة.

ثم عبر من غربي السيب إلى شرقيه، واجتمع أصحابه الرؤساء حتى إذا جاوز القرية بمقدار غلوة سمع النعير من ورائه في بطن النهر، فترجع الزنج، فإذا رميس والحميري وصاحب ابن أبي عون قد وافوه لما بلغهم حال أهل الجعفرية فألقى السودان أنفسهم عليهم، فأخذوا منهم أربع سميريات بملاحيا ومقاتليا، فأخرجوا السميريات بمن فيها، ودعا بالمقاتلة فسألهم، فأخبروه أن رميسا وصاحب ابن أبي عون لم يدعاهم حتى حملهم على المصير إليه، وأن أهل القرى حضوا رميسا وضمنوا له ولصاحب ابن أبي عون مالا جليلا، وضمن له الشورجيون على رد غلمانهم، لكل غلام خمسة دنانير، فسألهم عن الغلام المعروف بالتميري المأسور والمعروف بالحجام، فقالوا: أما التميري فأسير في أيديهم، وأما الحجام فإن أهل الناحية ذكروا أنه كان يتلصص في ناحيتهم، ويسفك الدماء، فضربت عنقه، وصلب على نهر أبي الأسد.

فلما عرف خبرهم أمر بضرب أعناقهم، فضربت إلا رجلا يقال له محمد بن الحسن البغدادي، فإنه حلف له أنه جاء في الأمان، لم يشهر عليه سيفاً، ولا نصب له حرباً، فأطلقه وحمل الرؤوس والأعلام على البغال، وأمر بإحراق سفنهم فأحرقت.

وسار حتى أتى نهر فريد، فأنهى إلى نهر يعرف بالحسن بن محمد القاضي وعليه مسناة تعترض بين الجعفرية ورستاق القفص، فجاءه قوم من أهل القرية من بني عجل، فعرضوا عليه أنفسهم، وبذلوا له ما لديهم، فجزاهم خيراً، وأمر بترك العرض لهم.

وسار حتى أتى نهرا يعرف بباقتا، فنزل خارجا من القرية التي على النهر وهي قرية تشرع على دجيل، فأتاه أهل الكرخ، فسلموا عليه، ودعوا له بخير، وأمدوه من الأنزال بما أراد وجاءه رجل يهودي خيربي يقال له ماندويه فقبل يده، وسجد له - زعم - شكرا لرؤيته إياه، ثم سأل عن مسائل كثيرة، فأجابه عنها، فزعم أنه يجد صفته في التوراة، وأنه يرى القتال معه، وسأله عن علامات في بدنه ذكر أنه عرفها فيه، فأقام معه ليلته تلك يحادثه.

وكان إذا نزل اعتزل عسكره بأصحابه الستة، ولم يكن يومئذ ينكر النبذ على أحد من أصحابه، وكان يتقدم إلى محمد بن سلم في حفظ عسكره، فلما كان في تلك الليلة أتاه في آخر الليل رجل من أهل الكرخ، فأعلمه أن رميسا وأهل المفتح والقرى التي تتصل بها وعقيلًا وأهل الأيلة قد أتوه ومعهم الديبلا بالسلاح الشاك، وأن الحميري في جمع من أهل الفرات وقد صاروا في تلك الليلة إلى قطرة نهر ميمون، فقطعوها لينعوه العبور فلما أصبح أمر، فصيح بالزنج، فعبروا دجيلا، وأخذ في مؤخر الكرخ حتى وافى نهر ميمون، فوجد القنطرة مقطوعة، والناس في شرقي النهر والسميريات في بطنه، والديبلا في السميريات، وأهل القرى في الجربيات والمجونحات، فأمر أصحابه بالإمساك عنهم، وأن يرحلوا عن النهر توقيا للنشاب، ورجع فقعده على مائة ذراع من القرية، فلما لم يروا أحدا يقاتلهم خرج منهم

قوم ليعرفوا الخبر، وقد كان أمر جماعة من أصحابه، فأتوا القرية، فكمنوا فيها مخفين لأشخاصهم، فلما أحسوا خروج من خرج منهم، شدوا عليهم، فأسروا اثنين وعشرين رجلا، وسعوا نحو الباقين، فقتلوا منهم جماعة على شاطئ النهر، ورجعوا إليه بالرهوس والأسرى، فأمر بضرب أعناقهم بعد مناظرة جرت بينه وبينهم، وأمر بالاحتفاظ بالرهوس، وأقام إلى نصف النهار، وهو يسمع أصواتهم، فأتاه رجل من أهل البادية مستأمنا، فسأله عن غور النهر، فأعلمه أنه يعرف موضعا منه يخاض، وأعلمه أن القوم على معاودته بجمعهم يقاتلون، فنهض مع الرجل حتى أتى به موضعا على مقدار ميل من المحمدية، فخاض النهر بين يديه، وخاض الناس خلفه، وحمله ناصح المعروف بالرملي، وعبر بالدواب، فلما صار في شرقي النهر كر راجعا نحو نهر ميمون، حتى أتى المسجد فنزل فيه، وأمر بالرهوس فنصبت، وأقام يومه، وانحدر جيش رميس بجمعه في بطن دجيل، فأقاموا بموضع يعرف بأقشى بإزاء النهر المعروف

ببرد الخيار، ووجه طليعة فرجع إليه، فأخبره بمقام القوم هناك، فوجه من ساعته ألف رجل، فأقاموا بسبخة هناك على فوهة هذا النهر، وقال لهم: إن أتوكم إلى المغرب، وإلا فأعلموني وكتب كتابا إلى عقيل، يذكره فيه انه قد بايعه في جماعة من أهل الأبله، وكتب إلى رميس يذكره حلفه له بالسيب أنه لا يقاتله، وأنه ينهي أخبار السلطان إليه، ووجه بالكاتبين إليهما مع بعض الأكرة بعد أن أحلفه أن يوصلهما.

وسار من نهر ميمون يريد السبخة التي كان هيا فيها طليعة، فلما صار إلى القادسية والشفيا، سمع هناك نعيرا، ورأى رميا، وكان إذا سار يتنكب القرى، فلم يدخلها، وأمر محمد بن سلم أن يصير إلى الشفيا في جماعة، فيسأل أهلها أن يسلموا إليه قاتل الرجل من أصحابه في مره كان بهم، فرجع إليه، فأخبره أنهم زعموا أنه لا طاقة لهم بذلك الرجل لولائه من الهاشمين ومنعهم له، فصاح بالغلان، وأمرهم بانتهاج القريتين، فانتهب منهما مالا عظيما، عينا وورقا وجوهرها وحليا وأواني ذهب وفضة، وسبي منهما يومئذ غلاما ونسوة، وذلك أول سبي سبي، ووقفوا على دار فيها أربعة عشر غلاما من غلمان الشورج، قد سد عليهم باب، فأخذهم وأتى بمولى الهاشمين القاتل صاحبه فأمر محمد بن سلم بضرب عنقه، ففعل ذلك، وخرج من القريتين في وقت العصر، فنزل السبخة المعروفة ببرد الخيار.

فلما كان في وقت المغرب أتاه أحد أصحابه الستة، فأعلمه أن أصحابه، قد شغلوا بخمر وأنبذة وجدوها في القادسية، فصار ومعه محمد بن سلم ويحيى ابن محمد إليهم، فأعلمهم أن ذلك مما لا يجوز لهم، وحرّم النبذ في ذلك اليوم عليهم، وقال لهم: إنكم تلاقون جيوشا تقتاتلونهم، فدعوا شرب النبذ والتشاغل به، فأجابوه إلى ذلك، فلما أصبح جاءه غلام من السودان، يقال له قاقويه، فأخبره أن أصحاب رميس قد صاروا إلى شرقي دجيل، وخرجوا إلى الشط، فدعا علي بن أبان، فتقدم إليه أن يمضي بالزنج، فيوقع بهم،

ودعا مشرقا، فأخذ منه اصطربا، ففاس به الشمس، ونظر في الوقت، ثم عبر وعبر الناس خلفه القنطرة التي على النهر المعروف ببرد الخيار، فلما صاروا في شرقيه، تلاحق الناس بعلي بن أبان، فوجدوا أصحاب رميس وأصحاب عقيل على الشط، والديلا في السفن يرمون بالنشاب، فحملوا عليهم، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وهبت ريح من غربي دجيل، فحملت السفن، فأدنتها من الشط، فنزل السودان إليها، فقتلوا من وجدوا فيها، وانحاز رميس ومن كان معه إلى نهر الدير على طريق أقشى، وترك سفنه لم يحركها ليظن أنه مقيم، وخرج عقيل وصاحب ابن أبي عون إلى دجلة مبادرين، لا يلويان على شيء وأمر صاحب الزنج بإخراج ما في السفن التي فيها الديلا، وكانت مقرونا بعضها ببعض، فنزل فيها قاقويه ليفتشها، فوجد رجلا من الديلا، فحاول إخراجه فامتنع عليه، وأهوى إليه بسرقي كان معه، فضربه ضربة على ساعده، فقطع بها عرقا من عروقه، وضربه ضربة على رجله، فقطعت عصبه من عصبه، وأهوى له قاقويه، فضربه ضربة على هامته فسقط، فأخذ بشعره، واحتز رأسه، فأتى به صاحب الزنج، فأمر له بدينار خفيف، وأمر يحيى بن محمد أن يقوده على مائة من السودان ثم سار صاحب الزنج إلى قرية تعرف بالمهلي تقابل قياران، ورجع السودان الذين كانوا اتبعوا عقिला وخليفة ابن أبي عون، وقد أخذ سميرية فيها ملاحان، فسألهم عن الخبر، فقالوا: اتبعناهم فطرحوا أنفسهم إلى الشط، وتركوا هذه السميرية، فجئنا بها. فسأل الملاحين، فأخبراه أن عقिला حملهما على إتباعه قهرا، وحبس نساءهما حتى اتبعاه، وفعل ذلك بجميع من تبعه من الملاحين، فسألهم عن سبب مجيء الديلا، فقالوا: إن عقिला وعدهم مالا، فتبعوه، فسألهم عن السفن الواقعة بأقشى، فقالوا: هذه سفن رميس وقد تركها، وهرب في أول النهار، فرجع حتى إذا حاذها أمر السودان فعبروا، فأتوه بها، فأنتههم ما كان فيها، وأمر بها فأحرقت، ثم

صار إلى القرية المعروفة بالمهلبية واسمها تنغت، فنزل قريبا منها، وأمر بانتهاها وإحراقها، فانتهبت وأحرقت، وسار على نهر الماديان، فوجد فيها تمورا، فأمر بإحراقها. وكان لصاحب الزنج بعد ذلك أمور من عيته هو وأصحابه في تلك الناحية تركا ذكرها، إذ لم تكن عظيمة. وإن كان كل أموره كانت عظيمة ثم كان من عظيم ما كان له من الوقائع مع أصحاب السلطان وقعة كانت مع رجل من الأتراك يكنى أبا هلال في سوق الريان، ذكر عن قائد من قواده يقال له ريحان، أن هذا التركي وافاهم في هذا السوق، ومعه زهاء أربعة آلاف رجل أويزيون، وفي مقدمته قوم عليهم ثياب مشهرة وأعلام وطبول، وأن السودان حملوا عليه حملة صادقة، وأن بعض السودان ألقى صاحب علم القوم فضربه بخشبتيْن كانتا معه في يده فصرعه، وانهمز القوم، وتلاحق السودان، فقتلوا من أصحاب أبي هلال زهاء ألف وخمسمائة وإن بعضهم اتبع أبا هلال فقاته بنفسه على دابة عري، وحال بينهم وبين من أفلت ظلمة الليل، وأنه لما أصبح أمر بتتبعهم، ففعلوا ذلك فجاءوا بأسرى وروءوس، فقتل الأسرى كلهم.

ثم كانت له وقعة أخرى بعد هذه الوقعة مع أصحاب السلطان، هزمهم فيها، وظفر بهم، وكان مبتدأ الأمر في ذلك - فيما ذكر عن قائد لصاحب الزنج من السودان يقال له ريحان - أنه قال: لما كان في بعض الليل من ليالي هذه السنة التي ذكرنا أنه ظهر فيها، سمع نباح كلب في أبواب تعرف بعمر بن مسعدة، فأمر بتعرف الموضع الذي يأتي منه النباح، فوجه لذلك رجلا من أصحابه، ثم رجع فأخبره أنه لم ير شيئا، وعاد النباح قال ريحان: فدعاني، فقال لي: صر إلى موضع هذا الكلب النابح، فإنه إنما نبح شخصا يراه، فصرت فإذا أنا بالكلب على المسناة، ولم أر شيئا، فأشرفت فإذا أنا برجل قاعد في درجات هنا لك، فكلمته، فلما سمعني أفصح بالعربية كلني، فقال: أنا سيران بن عفو الله، أتيت صاحبكم بكتب من شيعته بالبصرة، وكان سيران هذا أحد من صحب صاحب الزنج أيام مقامه بالبصرة، فأخذته فأتيته به، فقرأ الكتب التي كانت معه، وسأله عن الزيني

وعن عدة من كان معه، فقال: إن الزيني قد أعد لك الخول والمطوعة والبلالية والسعدية، وهم خلق كثير، وهو على لقائك بهم ببيان، فقال له: اخفض صوتك، لئلا يرتاع الغلمان بخبرك وسأله عن الذي يقود هذا الجيش، فقال: قد ندب لذلك المعروف بأبي منصور، وهو أحد موالي الهاشميين: قال له: أفرأيت جمعهم؟ قال: نعم، وقد أعدوا الشرط لكنتف من ظفروا به من السودان، فأمره بالانصراف إلى الموضع الذي يكون فيه مقامه، فانصرف سيران إلى علي بن أبان ومحمد بن سلم ويحيى بن محمد، فجعل يحدثهم إلى أن أسفر الصبح، ثم سار صاحب الزنج إلى أن أشرف عليهم فلما انتهى إلى مؤخر ترسي ورسونا وسندادان بيان، عرض له قوم يريدون قتاله، فأمر علي بن أبان فأتاهم فهزمهم، وكان معهم مائة أسود، فظفر بهم قال ريحان: فسمعتة يقول لأصحابه: من أمارات تمام أمركم ما ترون من إتيان هؤلاء القوم بعبيدهم فيسلمونهم إليكم، فيزيد الله في عددكم. ثم سار حتى صار إلى بيان.

قال ريحان: فوجهني وجماعة من أصحابه إلى الحجر لطلب الكاروان وعسكرهم في طرف النخل في الجانب الغربي من بيان، فوجهنا إلى الموضع الذي امرنا بالمصير إليه، فالفينا هناك ألفا وتسعمائة سفينة، ومعها قوم من المطوعة قد احتبسوها، فلما رأونا خلوا عن السفن، وعبروا سلبان عرايا ماضين نحو جوبك وسقنا السفن حتى وافيناه بها، فلما أتيناه بها أمر فبسط له على نشز من الأرض وقعد، وكان في السفن قوم حجاج أرادوا سلوك طريق البصرة، فناظرهم بقية يومه إلى وقت غروب الشمس، فجعلوا يصدقونه في جميع قوله، وقالوا: لو كان معنا فضل نفقة لأقنا معك، فردهم إلى سفنهم، فلما أصبحوا أخرجهم، فأحلفهم ألا يخبروا أحدا بعودة أصحابه، وأن يقللوا أمره عند من سألهم عنه وعرضوا عليه بساطا كان معهم، فأبدله ببساط كان معه، واستحلفهم أنه لا مال

للسلطان معهم ولا تجارة، فقالوا: معنا رجل من أصحاب السلطان، فأمر بإحضاره، فأحضر، فحلف الرجل أنه ليس من أصحاب السلطان، وأنه رجل معه نقل أراد به البصرة، فأحضر صاحب السفينة التي وجد فيها، فحلف له أنه إنما اتجر فيه، فحمله نفلى سبيله، واطلق الحجاج فذهبوا، وشرع أهل سليمانان على بيان بإزائه في شرقي النهر، فكلهم أصحابه وكان فيهم حسين الصيدناني الذي كان صحبه بالبصرة، وهو أحد الأربعة الذين ظهروا بمسجد عباد، فلحق به يومئذ، فقال له: لم أبطأت عني إلى هذه الغاية؟ قال: كنت محتفيا،

فلما خرج هذا الجيش دخلت في سواده قال:

فأخبرني عن هذا الجيش، ما هم؟ وما عدة أصحابه؟ قال: خرج من الخول بحضرتي ألف ومائتا مقاتل، ومن أصحاب الزينبي ألف، ومن البلالية والسعدية زهاء ألفين، والفرسان مائتا فارس ولما صاروا بالأبلة وقع بينهم وبين أهلها اختلاف، حتى تلاعنوا، وشم الخول محمد بن أبي عون، وخلفتهم بشاطئ عثمان وأحسبهم مصبيحك في غد قال: فكيف يريدون أن يفعلوا إذا أتونا؟ قال: هم على إدخال الخليل من سندادان بيان، ويأتيك رجالهم من جنبي النهر.

فلما أصبح وجه طليعة ليعرف الخبر، واختاره شيخا ضعيفا زمنا لثلا يعرض له، فلم يرجع إليه طليعته فلما أبطأ عنه وجه فتحا الحجام ومعه ثلاثمائة رجل، ووجه يحيى بن محمد إلى سندادان، وأمره أن يخرج في سوق بيان، فجاءه فتح فأخبره أن القوم مقبلون إليه في جمع كثير، وأنهم قد أخذوا جنوبي النهر، فسأل عن المد، فقيل: لم يأت بعد، فقال: لم تدخل خيلهم بعد، وأمر محمد بن سلم وعلي بن أبان أن يقعدا لهم في النخل، وقعد هو على جبل مشرف عليهم، فلم يلبث أن طلعت الأعلام والرجال حتى صاروا إلى الأرض المعروفة بأبي العلاء البلخي، وهي عطفة على ديران، فأمر الزنج فكبروا ثم حملوا عليهم فوافوا بهم ديران، ثم حمل الحول يقدمهم أبو العباس بن أيمن المعروف بأبي الكباش وبشير القيسي، فترجع الزنج حتى بلغوا الجبل الذي هو عليه، ثم رجعوا عليهم، فثبتوا لهم، وحمل أبو الكباش على فتح الحجام فقتله، وأدرك غلاما يقال له دينار من السودان فضربه

ضربات، ثم حمل السودان عليهم، فوافوا بهم شاطئ بيان، وأخذتهم السيوف.

قال ريحان: فعهدي بمحمد بن سلم وقد ضرب أبا الكباش، فألقى نفسه في الطين، فلحقه بعض الزنج، فاحتر رأسه وأما علي بن أبان، فإنه كان ينتحل قتل أبي الكباش وبشير القيسي، وكان يتحدث عن ذلك اليوم فيقول: كان أول من لقيني بشير القيسي، فضر بني وضربته، فوقعت ضربته في ترسي، ووقعت ضربتي في صدره وبطنه، فانتظمت جوانح صدره، وفريت بطنه، وسقط فأتيته، فاحترزت رأسه ولقيني أبو الكباش، فشغل بي، وأتاه بعض السودان من ورائه فضربه بعضا كانت في يده على ساقه، فكسرها فسقط، فأتيته ولا امتناع به، فقتلته واحترزت رأسه، فأتيته بالرأسين صاحب الزنج.

قال محمد بن الحسن بن سهل: سمعت صاحب الزنج يخبر أن عليا أتاه برأس أبي الكباش ورأس بشير القيسي - قال: ولا اعرفهما - فقال: كان هذان يقدمان القوم، فقتلتهما فانهزم أصحابهما لما رأوا مصرعهما.

قال ريحان - فيما ذكر عنه: وانهزم الناس فذهبوا كل مذهب، واتبعهم السودان إلى نهر بيان، وقد جزر النهر، فلما وافوه انغمسوا في الوحل، فقتل أكثرهم قال: وجعل السودان يملون بصاحبهم دينار الأسود الذي كان أبو الكباش ضربه، وهو جريح ملقى، فيحسبونه من الخول فيضربونه بالمناجل حتى أثخن، ومر به من عرفه، فحمل إلى صاحب الزنج، فأمر بمدواة كلومه.

قال ريحان: فلما صار القوم إلى فوهة نهر بيان، وغرق من غرق، وأخذت السفن التي كانت فيها الدواب، إذا ملوح يلوح من سفينة، فأتيته فقال: ادخلوا النهر المعروف بشريكان، فإن لهم كميناً هناك، فدخل يحيى ابن محمد وعلي بن أبان، فأخذ يحيى في غربي النهر، وسلك علي بن أبان في شرقيه، فإذا كمين في زهاء ألف من المغاربة، ومعهم حسين الصيداني

أسيرا قال: فلما رأونا شدوا على الحسين، فقطعوه قطعاً، ثم أقبلوا إلينا، ومدوا رماحهم، فقاتلوا إلى صلاة الظهر، ثم أكب السودان عليهم فقتلهم أجمعين، وحووا سلاحهم، ورجع السودان إلى عسكرهم، فوجدوا صاحبهم قاعداً على شاطئ بيان، وقد أتى بنيف وثلاثين علماً وزهاء ألف رأس، فيها رؤوس أنجاد الخول وأبطالهم، ولم يلبث أن أتوه بزهر يومئذ.

قال ريحان: فلم أعرفه، فأتي يحيى وهو بين يديه، فعرفه فقال لي: هذا زهير الخول، فما استبقاؤك إياه! فأمر به فضربت عنقه وأقام صاحب الزنج يومه وليلته فلما أصبح وجه طليعة إلى شاطئ دجلة، فأتاه طليعته، فأعلمه أن بدجلة شداتين لاصقتين بالجزيرة، والجزيرة يومئذ على فوهة القندل، فرد الطليعة بعد العصر إلى دجلة ليعرف الخبر، فلما كان وقت المغرب أتاه المعروف بأبي العباس خال ابنه الأكبر، ومعه رجل من الجند يقال له عمران، وهو زوج أم أبي العباس هذا، فصف لهما أصحابه، ودعا بهما، فأدى إليه عمران رسالة ابن أبي عون، وسأله أن يعبر بيانا ليفارق عمله، وأعلمه أنه قد نحى الشذا عن طريقه، فأمر بأخذ السفن التي تخترق بيانا من جي، فصار

أصحابه إلى الحجر، فوجدوا في سلبان مائتي سفينة، فيها أعدال دقيق، فأخذت، ووجد فيها أكسية وبركانات، وفيها عشرة من الزنج، وأمر الناس بركوب السفن، فلما جاء المد- وذلك في وقت المغرب- عبر وعبر أصحابه حيال فوهة القندل، واشتدت الريح، فانقطع عنه من أصحابه المكنى بابي دلف، وكان معه السفن التي فيها الدقيق، فلما أصبح وافاه أبو دلف فأخبره أن الريح حملته إلى حस्क عمران، وأن أهل القرية هموا به، وبما كان معه، فدفعهم عن ذلك وأتاه من السودان خمسون رجلا، فسار عند موافاة السفن والسودان إياه حتى دخل القندل، فصار إلى قرية للمعلى بن أيوب، فنزلها، وابث أصحابه إلى دبا، فوجدوا هناك ثلاثمائة رجل من الزنج، فأتوه بهم، ووجدوا ويلا للمعلى بن أيوب، فطالبه بمال، فقال: أعبر إلى برسان، فأتيتك بالمال، فأطلقه، فذهب ولم يعد إليه، فلما أبطأ عليه أمر بانتهاب القرية فانتبهت.

قال ريحان- فيما ذكر عنه: فلقد رأيت صاحب الزنج يومئذ ينتهب معنا، ولقد وقعت يدي ويده على جبة صوف مضربة، فصار بعضها في يده وبعضها في يدي، وجعل يجاذبني عليها حتى تركتها له ثم سار حتى صار إلى مسلحة الزيني على شاطئ القندل في غربي النهر، فثبت له القوم الذين كانوا في المسلحة، وهم يرون أنهم يطبقونه، فعجزوا عنه، فقتلوا أجمعين، وكانوا زهاء مائتين، وبات ليلته في القصر، ثم غدا في وقت المد قاصدا إلى سبخة القندل، واكتنف أصحابه حافتي النهر، حتى وافوا منذران، فدخل أصحابه القرية فانتبهوها، ووجدوا فيها جمعا من الزنج، فأتوه بهم، ففرقهم على قواده، ثم صار إلى مؤخر القندل، فأدخل السفن النهر المعروف بالحسني النافذ إلى النهر المعروف بالصالحى، وهو نهر يؤدي إلى دبا، فأقام بسبخة هناك.

فذكر عن بعض أصحابه انه قال: هاهنا قود القواد، وأنكر أن يكون قود قبل ذلك وتفرق أصحابه في الأنهار حتى صاروا إلى أربعة دبا، فوجدوا رجلا من التمارين من أهل كلاء البصرة، يقال له محمد بن جعفر المريدي، فأتوه به، فسلم عليه وعرفه، وسأله عن البلاية، فقال: إنما أتيتك برسالتهم، فلقيني السودان، فأتوك بي، وهم يسألونك شروطا إذا أعطيتهم إياها سمعوا لك وأطاعوا، فأعطاه ما سأل لهم، وضمن القيام له بأمرهم، حتى يصيروا في حيزه، ثم خلى سبيله، ووجه معه من صيره إلى الفياض، ورجع عنه، فأقام أربعة أيام ينتظره، فلم يأت، فسار في اليوم الخامس وقد سرح السفن التي كانت معه في النهر، وأخذ هو على الظهر فيما بين نهر يقال له الداورداني والنهر المعروف بالحسني والنهر المعروف بالصالحى، فلم يتعد حتى رأى خيلا مقبلة من نحو نهر الأمير زهاء ستمائة فارس، فأسرع أصحابه إلى النهر الداورداني، وكان الخيل في غربيه، فكلوهم طويلا، وإذا هم قوم من الأعراب فيهم عنترة بن حنينا وثمان، فوجه إليهم محمد بن سلم، فكلم ثمالا وعنترة، وسألا عن صاحب الزنج، فقال: ها هو ذا، فقال: نريد كلامه، فأتاه فأخبره بقولهما، وقال له: لو كلمتهما! فزجره، وقال: إن هذا مكيدة، وأمر السودان بقتلهم، فعبروا النهر، فعدلت الخيل عن السودان، ورفعوا علما أسود، وظهر سليمان أخو الزيني- وكان معهم- ورجع أصحاب صاحب الزنج، وانصرف القوم، فقال لمحمد بن سلم: ألم أعلمك أنهم إنما أرادوا كيدنا! وسار حتى صار إلى دبا، وابث أصحابه في النخل، فجاءوا بالغنم والبقر، فجعلوا يذبحون ويأكلون، وأقام ليلته هناك، فلما أصبح سار حتى دخل الأرنج المعروف بالمطهري، وهو أرنج ينفذ إلى نهر الأمير المقابل للفياض من جانبه، فوجدوا هناك شهاب بن العلاء العنبري، ومعه قوم من الخول، فأوقعوا به، وأفلت شهاب في نفر ممن كان معه، وقتل من أصحابه جماعة، ولحق شهاب بالمنصف من الفياض، ووجد أصحاب صاحب الزنج ستمائة غلام من غلمان الشورجيين هناك، فاخذوهم، وقتلوا وكلاءهم، وأتوه بهم، ومضى حتى انتهى إلى قصر يعرف بالجوهري على السبخة المعروفة بالبرامكة، فأقام فيه ليلته تلك، ثم سار حيث أصبح حتى وافى السبخة التي تشرع على النهر المعروف بالديناري، ومؤخرها يفضي إلى النهر المعروف بالحدث، فأقام بها، وجمع أصحابه، وأمرهم ألا يعجلوا بالذهاب إلى البصرة حتى يأمرهم وتفرق أصحابه في انتهاب كل ما وجدوا، وبات هناك ليلته تلك.

٩٠٣٧٠١٤ ذكر الخبر عن مسير صاحب الزنج بزوجه وجيوشه فيها إلى البصرة

ذكر الخبر عن مسير صاحب الزنج بزوجه وجيوشه فيها إلى البصرة
ذكر أنه سار من السبخة التي تشرع على النهر المعروف بالديناري، ومؤخرها يفضي إلى النهر المعروف بالحدث، بعد ما جمع بها أصحابه

يريد البصرة، حتى إذا قابل النهر المعروف بالرياحي أتاه قوم من السودان، فأعلموه أنهم رأوا في الرياحي بارقة، فلم يلبث إلا يسيرا حتى تنادى الزنج السلاح، فامر على بن أبان بالعبور إليهم، وكان القوم في شرقي النهر المعروف بالديناري، فعبر في زهاء ثلاثة آلاف، وحش صاحب الزنج عنده أصحابه، وقال لعل: إن احتجت إلى مزيد في الرجال فاستمدي فلها مضى، صاح الزنج: السلاح! لحركة رأوها من غير الجهة التي صار إليها علي، فسأل عن الخبر، فأخبر أنه قد أتاه قوم من ناحية القرية الشارعة على نهر حرب المعروفة بالجعفرية، فوجه محمد بن سلم إلى تلك الناحية.

فذكر عن صاحبه المعروف بريحان، أنه قال: كنت فيمن توجه مع محمد، وذلك في وقت صلاة الظهر، فوافينا القوم بالجعفرية، فنشب القتال بيننا وبينهم إلى آخر وقت العصر، ثم حمل السودان عليهم حملة صادقة، فولوا منهزمين وقتل من الجند والأعراب وأهل البصرة البلاليه والسعديه خمسمائة رجل، وكان فتح المعروف بغلام أبي شيث معهم يومئذ، فولى هاربا، فاتبعه فيروز الكبير، فلما رآه جادا في طلبه رماه بببضة كانت على رأسه، فلم يرجع عنه، فرماه بترسه فلم يرجع عنه، فرماه بتور حديد كان عليه فلم يرجع عنه، ووافى به نهر حرب، فألقى فتح نفسه فيه، فأفلت ورجع فيروز، ومعه ما كان فتح القاه من سلاحه، حتى أتى به صاحب الزنج.

قال محمد بن الحسن: قال شبيل: حكى لنا أن فتحا ظفر يومئذ نهر حرب، قال: فحدث هذا الحديث الفضل بن عدي الدارمي، فقال: أنا يومئذ مع السعدية، ولم يكن على فتح تور حديد، وما كان عليه إلا صدره حرير صفراء، ولقد قاتل يومئذ حتى لم يبق أحد يقاتل، وأتى نهر حرب، فوثبه حتى صار إلى الجانب الغربي منه ولم يعرف ما حكى ريحان من خبر فيروز.

قال: وقال ريحان: لقيت فيروز قبل انتهائه إلى صاحب الزنج، فاقصص علي قصته وقصه فتح، وأراني السلاح وأقبل الزنج على أخذ الأسلاب، وأخذت على النهر المعروف بالديناري، فإذا أنا برجل تحت نخلة عليه قلنسوة خز، وخف أحمر ودراعة، فأخذته فأراني كتبها معه، وقال لي: هذه كتب لقوم من أهل البصرة، وجهوني بها، فألقيت في عنقه عمامة، وقدته إليه، وأعلمته خبره، فسأله عن اسمه فقال: أنا محمد بن عبد الله، وأكنى بأبي الليث، من أهل أصبهان، وإنما أتيتك راغبا في صحبتك، فقبله، ولم يلبث أن سمع تكبيرا، فإذا علي بن أبان قد وافته ومعه رأس البلالي المعروف بأبي الليث القواريري.

قال: وقال شبيل: الذي قتل أبا الليث القواريري وصيف المعروف بالزهري وهو من مذكوري البلالية، ورأس المعروف بعبدان الكسبي، وكان له في البلالية صوت في رؤوس جماعة منهم، فسأله عن الخبر فأخبره أنه لم يكن فيمن قاتله أشد قتالا من هذين - يعني أبا الليث وعبدان - وأنه هزمهم حتى ألقاهم في نهر نافذ، وكانت معهم شدة غرقها، ثم جاءه محمد بن سلم ومعه رجل من البلالية أسيرا، أسره شبيل يقال له محمد الأزرق القواريري، ومعه رؤوس كثيرة، فدعا الأسير فسأله عن أصحاب هذين الجيشين، فقال له: أما الذين كانوا في الرياحي فإن قائدهم كان أبا منصور الزيني، وأما الذين كانوا مما يلي نهر حرب، فإن قائدهم كان سليمان أخا الزيني من ورائهم مصحرا، فسأله عن عددهم فقال له: لا أحصيهم، إلا أني أعلم أنهم كثير عددهم فأطلق محمد القواريري، وضمه إلى شبيل، وسار حتى وافي سبخة

الجعفرية، فأقام ليلته بين القتلى، فلما أصبح جمع أصحابه فحذرهم أن يدخل أحد منهم البصرة، وسار فتسرع منهم أنكلويه وزريق وأبو الخنجر - ولم يكن قود يومئذ - وسليم ووصيف الكوفي فوافوا النهر المعروف بالشاذاني، وأتاهم أهل البصرة، وكثروا عليهم، وانتهى الخبر إليه، فوجه محمد بن سلم وعلي بن أبان ومشرقا غلام يحيى في خلق كثير، وجاء هو يسايرهم، ومعه السفن التي فيها الدواب المحمولة ونساء الغلمان حتى أقام بقنطرة نهر كثير قال ريحان: فأتيته وقد رميت بحجر، فأصاب ساقي، فسألني عن الخبر فأخبرته أن الحرب قائمة، فأمرني بالرجوع، وأقبل معي حتى أشرف على نهر السياج ثم قال لي: امض إلى أصحابنا، فقل لهم يستأخروا عنهم، فقلت له: ابعث عن هذا الموضع فإني لست آمن عليك الخول فتتجى، ومضيت فأخبرت القواد بما أمر به، فترجعوا، وأكب أهل البصرة عليهم، وكانت هزيمة وذلك عند العصر، ووقع الناس في النهرين: نهر كثير ونهر شيطان، فجعل يهتف بهم ويردهم فلا يرجعون، وغرق جماعة من أصحابه في نهر كثير، وقتل منهم جماعة على شط النهر وفي الشاذاني، فكان ممن غرق يومئذ من قواده أبو الجون ومبارك البحراني وعطاء البربري وسلام الشامي، ولحقه غلام أبي شيث وحارث القيسي وسحيل، ففعلوا القنطرة، فرجع إليهم وانهزموا عنه حتى صاروا

إلى الأرض، وهو يومئذ في دراعة وعمامة ونعل وسيف، وترسه في يده، ونزل عن القنطرة وصعداها البصريون يطلبونه، فرجع فقتل منهم بيده رجلا على خمس مراق من القنطرة، وجعل يهتف بأصحابه ويعرفهم مكانه، ولم يكن بقي معه في ذلك الموضع من أصحابه إلا أبو الشوك ومصلح ورفيق غلام يحيى قال ريحان: فكنت معه فرجع، حتى صار إلى المعلى، فنزل في غربي نهر شيطان قال محمد بن الحسن: فسمعت صاحب الزنج يحدث، قال: لقد

رأيتني في بعض نهار هذا اليوم، وقد ضللت عن أصحابي، وضلوا عني، فلم يبق معي إلا مصلح ورفيق، وفي رجلي نعل سندي، وعلي عمامة قد انحل كور منها فأنا أتعجبها من ورائي، ويعجلني المشي عن رفعها، ومعني سيفي وترسي وأسرع مصلح ورفيق في المشي وقصرت، فغابا عني، ورأيت في أثري رجلين من أهل البصرة، في يد أحدهما سيف، وفي يد الآخر حجارة، فلها رأياني عرفاني، فجدا في طلي، فرجعت إليهما، فانصرفا عني، ومضيت حتى خرجت إلى الموضع الذي فيه مجمع أصحابي، وكانوا قد تحيروا لفقدي، فلها رأوني سكنوا إلى رؤيتي قال ريحان: فرجع بأصحابه إلى موضع يعرف بالمعلى في غربي نهر شيطان، فنزل به، وسأل عن الرجال، فإذا قد هرب كثير منهم، ونظر فإذا هو من جميع أصحابه في مقدار خمسمائة رجل، فأمر بالنفخ في البوق الذي كانوا يجتمعون لصوته، فلم يرجع إليه أحد، وبات ليلته، فلما كان في بعض الليل جاء الملقب بجربان، وقد كان هرب فيمن هرب، ومعه ثلاثون غلاما فسأله: أين كانت غيبته؟ فقال: ذهبت إلى الزوارقة طليعة قال ريحان: ووجهني لا تعرف له من في قنطرة نهر حرب، فلم أجده هناك أحدا، وقد كان أهل البصرة انتهوا السفن التي كانت معه، وأخذوا الدواب التي كانت فيها في هذا اليوم، وظفروا بمتاع من متاعه، وكتب من كتبه، واصطربلابات كانت معه، فلما أصبح من غد هذا اليوم نظر في عدة أصحابه، فإذا هم ألف رجل قد كانوا ثابوا إليه في ليلتهم تلك قال ريحان: فكان فيمن هرب شبل، وكان ناصح الرمي ينكر هرب شبل قال ريحان: فرجع شبل من غد، ومعه عشرة غلمان، فلامه وعنفه، وسأل عن غلام كان يقال له نادريكني بأبي نعجة، وعن عنبر البريري، فأخبر أنهما هربا فيمن هرب، فأقام في موضعه، وأمر محمد بن سلم أن يصير إلى قنطرة نهر كثير، فيعظ الناس ويعلمهم ما الذي دعاه إلى الخروج، فصار محمد بن سلم وسليمان بن جامع ويحيى بن محمد، فوقف سليمان ويحيى، وعبر

محمد بن سلم حتى توسط أهل البصرة، وجعل يكلمهم، ورأوا منه غرة فانطوا عليه، فقتلوه قال الفضل بن عدي: عبر محمد بن سلم إلى أهل البصرة ليعظهم وهم مجتمعون في أرض تعرف بالفضل بن ميمون، فكان أول من بدر إليه وضربه بالسيف فتح غلام أبي شيث، وأتاه ابن التومني السعدي، فاحتز رأسه، فرجع سليمان ويحيى إليه، فأخبراه الخبر، فأمرهما بطي ذلك عن الناس حتى يكون هو الذي يقوله لهم، فلما صلى العصر نعى محمد بن سلم لأصحابه، وعرف خبره من لم يكن عرفه، فقال لهم: إنكم تقتلون به في غد عشرة آلاف من أهل البصرة ووجه زريقا وغلاما له يقال له سقلبتويا، وأمرهما بمنع الناس من العبور، وذلك في يوم الأحد ثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وخمسين ومائتين قال محمد بن الحسن: فحدثني محمد بن سمعان الكاتب، قال: لما كان في يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة جمع له أهل البصرة، وحشدوا له لما رأوا من ظهورهم عليه في يوم الأحد، وانتدب لذلك رجل من أهل البصرة يعرف بجماد الساجي- وكان من غزاة البحر- في الشذا، وله علم بركوبها والحرب فيها، فجمع المطوعة ورماة الأهداف وأهل المسجد الجامع ومن خف معه من حزبي البلالية والسعدية، ومن أحب النظر من غير هذه الأصناف من الهاشميين والقرشيين وسائر أصناف الناس، فشحن ثلاثة مراكب من الشذا من الرماة، وجعلوا يزدحمون في الشذا حرصا على حضور ذلك المشهد، ومضى جمهور الناس رجالة، منهم من معه السلاح، ومنهم نظارة لا سلاح معهم، فدخلت الشذا والسفن النهر المعروف بأمر حبيب بعد زوال الشمس من ذلك اليوم في المد ومرت الرجالة والنظارة على شاطئ النهر، قد سدوا ما ينفذ فيه البصر تكاثفا وكثرة، وكان صاحب الزنج مقيما بموضعه من النهر المعروف بشيطان قال محمد بن الحسن: فأخبرنا صاحب الزنج أنه لما أحس بمصير الجمع إليه، وأنته طلائعه بذلك وجه زريقا وأبا الليث الأصهباني في جماعه

معهما في الجانب الشرقي من النهر كمينا وشبلا وحسينا الحماي في جماعة من أصحابه في الجانب الغربي بمثل ذلك، وأمر علي بن أبان ومن بقي معه من جمعه بتلقى القوم، وان يجثوا لهم فيمن معه، ويستتروا بتراسهم فلا يثور إليهم منهم ثائر حتى يوافيهم القوم ويوموا إليهم

بأسيا فهم، فإذا فعلوا ذلك ثاروا إليهم وتقدم إلى الكمينين: إذا جاوزهما الجمع وأحسا بثورة أصحابهم إليهم أن يخرجوا من جنبي النهر، ويصيحا بالناس وأمر نساء الزنج بجمع الآجر وإمداد الرجال به قال: وكان يقول لأصحابه بعد ذلك: لما أقبل إلي الجمع يومئذ وعايته رأيت أمرا هائلا راعني، وملا صدري رهبة وجزعا، وفزعت إلى الدعاء، وليس معي من أصحابي إلا نفر يسير، منهم مصلح، وليس منا أحد إلا وقد خيل له مصرعه في ذلك فجعل مصلح يعجيني من كثرة ذلك الجمع، وجعلت أومي إليه أن يمكك فلما قرب القوم مني قلت: اللهم إن هذه ساعة العسرة، فأعني، فرأيت طيورا بيضا تلقت ذلك الجمع، فلم أستم كلامي حتى بصرت بسميرية قد انقلبت بمن فيها، فغرقوا ثم تلتها الشدا، وثار أصحابي إلى القوم الذين قصدوا لهم فصاحوا بهم وخرج الكمينان عن جنبي النهر من وراء السفن والرجالة، وخطبوا من ولى من الرجالة والنظارة الذين كانوا على شاطئ النهر المعروف، فغرقت طائفة، وقتلت طائفة، وهربت طائفة نحو الشط طمعا في النجاة، فأدركها السيف، فن ثبت قتل، ومن رجع إلى الماء غرق، ولجأ من كان على شاطئ النهر من الرجال إلى النهر فغرقوا وقتلوا، حتى ابير أكثر ذلك الجمع، ولم ينج منهم إلا الشريد، وكثر المفقودون بالبصرة، وعلا العويل من نساءهم وهذا يوم الشدا الذي ذكره الناس، وأعظموا ما كان فيه من القتل وكان فيمن قتل من بني هاشم جماعة من ولد جعفر ابن سليمان وأربعون رجلا من الرماة المشهورين، في خلق كثير لا يحصى عددهم.

وانصرف الخبيث وجمعت له الرؤوس، فذهب إليه جماعة من أولياء القتلى، فعرضها عليهم، فأخذوا ما عرفوا منها، وعبأ ما بقي عنده من الرؤوس التي لم يأت لها طالب في جريبة ملأها منها، وأخرجها من النهر المعروف بأمر حبيب في الجزر، وأطلقها فوافت البصرة، فوفقت في مشرعة تعرف بمشرعة القيّار، فجعل الناس يأتون تلك الرؤوس، فيأخذ رأس كل رجل أولياؤه، وقوي عدو الله بعد هذا اليوم، وتمكن الرعب في قلوب أهل البصرة منه، وأمسكوا عن حربه وكتب إلى السلطان بخبر ما كان منه، فوجه جعلان التركي مددا لأهل البصرة، وأمر أبا الأحوص الباهلي بالمصير إلى الأبله واليا، وأمدّه برجل من الأتراك يقال له جريح.

فزعم الخبيث أن أصحابه قالوا له بعقب هذه الوقعة: إنا قد قتلنا مقاتلة أهل البصرة، ولم يبق فيها إلا ضعفاؤهم ومن لا حراك به، فأذن لنا في تقحّمها.

فزبرهم وهجن آراءهم، وقال لهم: لا بل ابعدوا عنها، فقد أربعناهم وأخفناهم وأمنتم جانبهم، فالرأي الآن أن تدعوا حربهم حتى يكونوا هم الذين يطلبونكم.

ثم انصرف بأصحابه إلى سبخه بماخير أنهارهم، إردب يقارب النهر المعروف بالحاجر قال شبل: هي سبخة أبي قرة وقعها بين النهرين: نهر أبي قرة والنهر المعروف بالحاجر.

فأقام هناك، وأمر أصحابه باتخاذ الأكواخ، وهذه السبخة متوسطة النخل والقرى والعمارات، وبث أصحابه يمينا وشمالا يغير بهم على القرى، ويقتل بهم الأكرّة وينهب أموالهم، ويسوق مواشيهم.

فهذا ما كان من خبره وخبر الناس الذين قربوا من موضع مخرجه في هذه السنة. وليلتين بقيتا من ذي القعدة منها حبس الحسن بن محمد بن أبي الشوارب القاضي، وولي عبد الرحمن بن نائل البصري قضاء سامرا في ذي الحجة منها.

وجج بالناس فيها علي بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علي.

٩٠٣٨ سنة ست وخمسين ومائتين

٩٠٣٨٠١ ذكر الخبر عن وصول موسى بن بغا إلى سامرا واختفاء صالح

ثم دخلت

سنة ست وخمسين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة)

ذكر الخبر عن وصول موسى بن بغا إلى سامرا واختفاء صالح

فمن ذلك ما كان من موافاة موسى بن بغا سامرا واختفاء صالح بن وصيف لمقدمه، وحمل من كان مع موسى من قواد المهتدي من الجوسق إلى دار ياجور.

ذكر أن دخول موسى بن بغا سامرا بمن معه كان يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم من هذه السنة، فلما دخلها أخذ في الحير، وعباً أصحابه ميمنة وميسرة وقلبا في السلاح، حتى صار إلى باب الحير مما يلي الجوسق والقصر الأحمر، وكان ذلك يوماً جلس فيه المهتدي للناس للمظالم، فكان ممن أحضره في ذلك اليوم بسبب المظالم أحمد بن المتوكل بن فتيان، فكان في الدار إلى أن دخل الموالي، فحملوا المهتدي إلى دار ياجور، واتبعه أحمد بن المتوكل إلى ما هناك، فلم يزل موكلًا به في مضرب مفلح إلى أن انقطع الأمر، ورد المهتدي إلى الجوسق، ثم أطلق وكان القيم بأمر دار الخلافة بإيكاك، فصيرها إلى ساتكين قبل ذلك بأيام، فظن الناس أنه إنما فعل ذلك لثقتهم بساتكين، وأنه على أن يغلب على الدار والخليفة وقت قدوم موسى فلما كان في ذلك اليوم لزم منزله، وترك الدار خالية، وصار موسى في جيشه إلى الدار، والمهتدي جالس للمظالم، فأعلم بمكانه، فأمسك ساعة عن الإذن، ثم أذن لهم، فدخلوا فجرى من الكلام نحو ما جرى يوم قدم الوفد والرسول، فلما طال الكلام تواطنوا فيما بينهم بالتركية، وأقاموه من مجلسه، وحملوه على دابة من دواب الشاكرية، وانتهبوا ما كان في الجوسق من دواب الخاصة، ومضوا يريدون الكرخ، فلما صاروا عند باب الحير في القطائع عند دار ياجور أدخلوه دار ياجور.

فذكر عن بعض الموالي ممن حضرهم ذلك اليوم، أن سبب أخذهم المهتدي

ذلك اليوم كان أن بعضهم قال لبعض: إن هذه المطاولة إنما هي حيلة عليكم حتى يكبسكم صالح بن وصيف بجيشه يخافوا ذلك، فحملوه وذهبوا به إلى الموضع الآخر، فذكر عن سمع المهتدي يقول لموسى: ما تريد ويحك! اتق الله وخفه، فإنك تركب أمراً عظيماً قال: فرد عليه موسى: إنا ما نريد إلا خيراً، ولا وتربة المتوكل لا نالك منا شر البتة. قال الذي ذكر ذلك: فقلت في نفسي: لو أراد خيراً لحلف بتربة المعتصم أو الواثق.

ولما صاروا به إلى دار ياجور أخذوا عليه العهود والمواثيق ألا يميل صالحاً عليهم، ولا يضمهم لهم إلا مثل ما يظهر، ففعل ذلك، فحددوا له البيعة ليلة الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرم، وأصبحوا يوم الثلاثاء، فوجهوا إلى صالح أن يحضرهم للمناظرة، فوعدهم أن يصير إليهم.

فذكر عن بعض رؤساء الفراغة، أنه قيل له: ما الذي تطالبون به صالح ابن وصيف؟ فقال: دماء الكآب وأمواهم ودم المعتز وأموا له وأسبابه ثم أقبل القوم على إبرام الأمور وعسكرهم خارج باب الحير عند باب ياجور، فلما كانت ليلة الأربعاء استتر صالح، فذكر عن طلحجور أنه قال: لما كانت ليلة الأربعاء اجتمعنا عند صالح، وقد أمر أن يفرق أرزاق أصحاب النوبة عليهم، فقال لبعض من حضره: اخرج فاعرض من حضر من الناس، فكانوا بالغداة زهاء خمسة آلاف قال: فعاد إليه، وقال: يكونون ثمانمائة رجل، أكثرهم غلمانك ومواليك فأطرق ملياً، ثم قام وتركنا، ولم يأمر بشيء وكان آخر العهد.

وذكر عن سمع بختيشوع يقول وهو يعرض بصالح قبل قدوم موسى. حركنا هذا الجيش الخشن، وأرغمناه، حتى إذا أقبل إلينا تشاغلنا بالنرد والشرب، كنا بنا وقد اختفينا إذا ورد القاطول! فكان الأمر كذلك.

وغدا طغتا إلى باب ياجور سحر يوم الأربعاء فلقية مفلح، فضربه بطبرزين، فشجه في جانب جبينه الأيمن، فكان الذين أقاموا مع صالح الليلة

٩٠٣٨٠٢ ذكر الخبر عن قتل صالح بن وصيف

التي استتر فيها من القواد الكبار طغتا بن الصيغون وطلحجور صاحب المؤيد ومحمد بن تركش ونموش والنوشرى، ومن الكآب الكبار أبو صالح عبد الله ابن محمد بن يزداد وعبد الله بن منصور وأبو الفرج وأصبح الناس يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من المحرم وقد استتر صالح، وغدا أبو صالح إلى دار ياجور، وجاء عبد الله بن منصور، فدخل الدار مع سليمان بن وهب، وتنصح إليهم أن عنده سفاتج بخمسة آلاف دينار.

وذكر أن صالحاً أرادته على حملها، فأبى أن يقر الأمر قراره.
 وخلع في هذا اليوم على كنجور ليتولى أمر دار صالح وتفتيشها، ومضى ياجور صاحب موسى فأتى بالحسن بن مخلد من الموضع الذي كان فيه محبوساً من دار صالح.

وفي هذا اليوم من هذا الشهر ولي سليمان بن عبد الله بن طاهر مدينة السلام والسواد، ووجه إليه بخلع، وزيد على ما كان يخلع على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر.

وفيه رد المهتدي إلى الجوسق، ودفع عبد الله بن محمد بن يزداد إلى الحسن ابن مخلد.
 وفيه أظهر النداء على صالح

. ذكر الخبر عن قتل صالح بن وصيف

ولثمان بقين من صفر من هذه السنة قتل صالح بن وصيف.

ذكر الخبر عن سبب قتله وسبب الوصول إليه بعد اختفائه:

ذكر أن سبب ذلك كان أن المهتدي لما كان يوم الأربعاء لثلاث بقين من المحرم سنة ست وخمسين ومائتين أظهر كتاباً، ذكر أن سيما الشرابي زعم أن امرأة جاءت به مما يلي القصر الأحمر، ودفعته إلى كافور الخادم الموكل

بالحرم، وقالت له: إن فيه نصيحة، وإن منزلي في موضع كذا فإن أردتموني فاطلبوني هناك، فأوصل الكتاب إلى المهتدي، فلما طلبت في الموضع الذي وصفت حين احتيج إلى بحثها عن الكتاب لم توجد، ولم يعرف لها خبر.

وقد ذكر أن المهتدي أصاب ذلك الكتاب، ولم يدر من رمى به، فذكر أن المهتدي دعا سليمان بن وهب بحضرة جماعه من الموالي فيهم موسى ابن بغا ومفلح وبايكاك وياجور وبكالبا وغيرهم، فدفع الكتاب إلى سليمان، وقال له: تعرف هذا الخط؟ قال: نعم، هذا خط صالح بن وصيف، فأمره أن يقرأه عليهم، فإذا صالح يذكر فيه أنه مستخف بسامرا، وأنه إنما استتر متخيراً للسلامة وإبقاء على الموالي، وخوفاً من إيصال الفتن بحرب إن حدث بينهم، وقصداً لأن يبيت القوم، ويكون ما يأتونه بعد بصيرة مما ذكر في هذا الباب.

ثم ذكر ما صار إليه من أموال الكتاب، وقال: إن علم ذلك عند الحسن ابن مخلد، وهو أحدهم، وهو في أيديكم ثم ذكر من وصل إليه ذلك المال وتولى تفريقه، وذكر ما صار إليه من أمر قبيحة، وأشار إلى أن علم ذلك عند أبي صالح بن يزداد وصالح العطار، ثم ذكر أشياء في هذا المعنى، بعضها يعتذر به وبعضها يحتج به، ومخرج القول في ذلك يدل على قوة في نفسه.

فلما فرغ سليمان من قراءة الكتاب وصله المهتدي بقول منه يحث على الصلح والهدنة والألفة والاتفاق، ويكره إليهم الفرقة والتفاني والتباغض، فدعا ذلك القوم إلى تهمته، وأنه يعلم بمكان صالح، وأنه يتقدمهم عنده، فكان بينهم في ذلك كلام كثير ومناظرات طويلة، ثم أصبحوا يوم الخميس لليلتين بقيتا من المحرم سنة ست وخمسين ومائتين، فصاروا جميعاً إلى دار موسى بن بغا في داخل الجوسق يتراطنون ويتكلمون واتصل الخبر بالمهتدي.

فذكر عن أحمد بن خاقان الواثق أنه قال: من ناحيتي انتهى الخبر إلى

المهتدي، وذلك أني سمعت بعض من كان حاضر المجلس وهو يقول: أجمع القوم على خلع الرجل.

قال: فصرت إلى أخيه إبراهيم، فأعلمته بذلك، فدخل عليه فأعلمه ذلك، وحكاها عني، فلم أزل خائفاً أن يجعل أمير المؤمنين فيخبرهم عني بالخبر، فرزق الله السلامة وذكر أن أخا بايكاك قال لهم في هذا المجلس لما أطلعوه على ما كانوا عزموا عليه: إنكم قتلتم ابن المتوكل، وهو حسن الوجه، سخي الكف، فاضل النفس، وتريدون أن تقتلوا هذا وهو مسلم يصوم ولا يشرب النبيذ من غير ذنب! والله لئن قتلتم هذا لألحقن بخراسان، ولأشيعن أمركم هناك.

فلما اتصل الخبر بالمهتدي خرج إلى مجلسه متقلداً سيفاً، وقد لبس ثياباً نظافاً، وتطيب، ثم أمر بإدخالهم إليه، فأبوا ذلك ملياً، ثم دخلوا عليه، فقال لهم: أنه قد بلغني ما أنتم عليه من أمري، ولست كمن تقدمني مثل أحمد بن محمد المستعين، ولا مثل ابن قبيحة، والله ما خرجت إليكم إلا وأنا متحنط، وقد أوصيت إلى أخي بولدي، وهذا سيفي، والله لأضربن به ما استمسك قائمه بيدي، والله لئن سقط من شعري شعرة ليهلكن أو ليذهبن بها أكثركم إما دين! إما حياء! إما رعة! كم يكون هذا الخلاف على الخلفاء والإقدام والجرأة على

الله! سواء عليكم من قصد الإبقاء عليكم ومن كان إذا بلغه مثل هذا عنكم دعا بارطال الشراب فشربها مسرورا بمكروهم وحباً لبواركم! خبروني عنكم، هل تعلمون أنه وصل إلي من دنياكم هذه شيء! أما إنك تعلم يا بايكاك أن بعض المتصلين بك أيسر من جماعة إخوتي وولدي، وإن أحببت أن تعرف ذلك فانظر: هل ترى في منازلهم فرشاً أو وصائف أو خدماً أو جوارى! أو لهم ضياع أو غلات! سوءة لكم! ثم تقولون: إني أعلم على صالح، وهل صالح إلا رجل من الموالي، وكواحد منكم! فكيف الإقامة معه إذا ساء رأيكم فيه! فإن آثرتم الصلح كان ذلك ما أهوى لجمعكم،

٩٠٣٨٠٣ ذكر الخبر عن خروج العامه على المهتدي

وإن أبيتم إلا الإقامة على ما أنتم عليه فشأنكم، فاطلبوا صالحاً، ثم ابلغوا شفاء أنفسكم، وأما أنا فما أعلم عليه قالوا: فاحلف لنا على ذلك قال: أما اليمين فإني أبذلها لكم، ولكني أؤخرها حتى تكون بحضرة الهاشميين والقضاة والمعدلين وأصحاب المراتب غداً إذا صليت الجمعة فكأنهم لانوا قليلاً، ووجه في إحضار الهاشميين فحضروا في عشيته، فأذن لهم، فسلموا ولم يذكر لهم شيئاً، وأمروا بالمصير إلى الدار لصلاة الجمعة، فانصرفوا، وغداً الناس يوم الجمعة ولم يحدثوا شيئاً، وصلى المهتدي، وسكن الناس وانصرفوا هادنين. وذكر عن بعض من سمع الكلام في يوم الأربعاء يقول: إن المهتدي لما خون صالح قال: إن بايكاك قد كان حاضراً ما عمل به صالح في أمر الكتاب ومال ابن قبيصة، فإن كان صالح قد أخذ من ذلك شيئاً فقد أخذ مثل ذلك بايكاك، فكان ذلك الذي أحفظ بايكاك. وقال آخر: أنه سمع هذا القول، وأنه ذكر محمد بن بغا، وقال: قد كان حاضراً وعالماً بما أجروا عليه الأمر، والشريك في ذلك أجمع فأحفظ ذلك أبا نصر.

وقد قيل: إن القوم من لدن قدم موسى كانوا مضميرين هذا المعنى، منطوين على الغل، وإنما كان يمنعهم منه خوف الاضطراب وقلة الأموال، فلما ورد عليهم مال فارس والأهواز تحركوا، وكان ورود ذلك عليهم يوم الأربعاء لثلاث بقين من المحرم، ومبلغه سبعة عشر ألف الف درهم وخمسمائة الف درهم ذكر الخبر عن خروج العامه على المهتدي

فلما كان يوم السبت انتشر الخبر في العامة أن القوم على أن يخلعوا المهتدي، ويفتكوا به، وأنهم أرادوه على ذلك، وأرهقوه، وكتبوا الرقاع وألقوها في المسجد الجامع والطرقات، فذكر بعض من زعم أنه قرأ رقعة منها فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم، يا معشر المسلمين، ادعوا الله لخليفتم العدل الرضى المضاهي لعمر بن الخطاب أن ينصره على عدوه، ويكفيه مؤنة ظالمه، ويتم النعمة عليه وعلى هذه الأمة ببقائه، فإن الموالي قد أخذوه بأن يخلع نفسه وهو يعذب منذ أيام، والمدير لذلك أحمد بن محمد بن ثوبة والحسن بن مخلد، رحم الله من أخلص النية ودعا وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم! فلما كان يوم الأربعاء لأربع خلون من صفر من هذه السنة، تحرك الموالي بالكرخ والدور، ووجهوا إلى المهتدي على لسان رجل منهم يقال له عيسى: إنا نحتاج أن نلقي إلى أمير المؤمنين شيئاً، وسألوا أن يوجه أمير المؤمنين إليهم أحد إخوته، فوجه إليهم أخاه عبد الله أبا القاسم، وهو أكبر إخوته، ووجه معه محمد بن مباشر المعروف بالكرخي، ففضيا إليهم، فسألهم عن شأنهم، فذكروا أنهم سامعون مطيعون لأمر المؤمنين، وأنه بلغهم أن موسى ابن بغا وبايكاك وجماعة من قوادهم يريدونه على الخلع، وأنهم يبدلون دماءهم دون ذلك، وأنهم قد قرءوا بذلك رقاعاً ألقيت في المسجد والطرقات، وشكوا مع ذلك سوء حالهم، وتأخر أرزاقهم، وما صار من الإقطاعات إلى قوادهم التي قد أبجفت بالضياح والخراج، وما صار لكبرائهم من المعاون والزيادات من الرسوم القديمة مع أرزاق النساء والدخلاء الذين قد استغرقوا أكثر أموال الخراج وكثير كلامهم في ذلك، فقال لهم أبو القاسم عبد الله ابن الواثق: اكتبوا هذا في كتاب إلى أمير المؤمنين، أتولى إيصاله لكم، فكتبوا ذلك، وكتبهم في الذي يكتبون محمد بن ثقيف الأسود، وكان يكتب لعيسى صاحب الكرخ أحياناً وانصرف أبو القاسم ومحمد بن مباشر، فأوصلا الكتاب إلى المهتدي، فكتب جوابه بخطه، وختمه بخاتمه، وغداً أبو القاسم إلى الكرخ، فوافاهم فصاروا به إلى

دار أشناس وقد صيروها مسجدا جامعاً لهم، فوقف ووقفوا له في الرحبة، واجتمع منهم زهاء مائة وخمسين فارساً ونحو من خمسمائة راجل، فأقرأهم من المهتدي السلام، وقال: يقول

لكم أمير المؤمنين: هذا كتابي إليكم بخطي وخاتمي، فاسمعوه وتدبروه، ثم دفع الكتاب إلى كاتبهم فقرأه، فإذا فيه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، والحمد لله، وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً، أرشدنا الله وإياكم، وكان لنا ولكم ولياً وحافظاً فهِمَّتْ كُتَابُكُمْ، وسرني ما ذكرتم من طاعتكم وما أنتم عليه، فأحسن الله جزاءكم، وتولى حياتكم، فأما ما ذكرتم من خلتكم وحاجتكم، فعزى علي ذلك فيكم، ولوددت والله أن صلاحكم يهياً بالأكل ولا أطعم ولدي وأهلي إلا القوت الذي لا شبع دونه، ولا ألبس أحداً من ولدي إلا ما ستر العورة، ولا والله - حاطكم الله - ما صار إلي منذ تقلدت أمركم لنفسي وأهلي وولدي ومتقدمي غلماني وحشمي إلا خمسة عشر ألف دينار، وأنتم تقفون على ما ورد ويرد، كل ذلك مصروف إليكم، غير مدخر عنكم وأما ما ذكرتم مما بلغكم، وقرأتم به الرقاع التي ألقيت في المساجد والطرق، وما بذلتم من أنفسكم، فأنتم أهل ذلك وأين تعتذرون مما ذكرتم ونحن وأنتم نفس واحدة! فجزاكم الله عن أنفسكم وعهودكم وأمانتكم خيراً وليس الأمر كما بلغكم، فعلى ذلك فليكن عملكم إن شاء الله وأما ما ذكرتم من الإقطاعات والمعاون وغيرها، فأنا أنظر في ذلك وأصير منه إلى محبتكم إن شاء الله والسلام عليكم أرشدنا الله وإياكم، وكان لنا ولكم حافظاً، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليماً كثيراً.

فلما بلغ القارئ من الكتاب إلى الموضع الذي قال: ولم يصل إلي إلا قدر خمسة عشر ألف دينار، أشار أبو القاسم إلى القارئ، فسكت ثم قال:

وهذا ما قدر، هذا قد كان أمير المؤمنين في أيام إمارته يستحق في أقل من هذه المدة ما هو أكثر منه بأرزاقه وإنزاله ومعونته، وقد تعلمون ما كان من تقدمه يصرفه في صلوات الخنثين والمغنين وأصحاب الملاهي وبناء القصور وغير ذلك، فادعوا الله لأمر المؤمنين ثم قرأ الكتاب حتى أتى على الكتاب

فلما فرغ كثر الكلام وقالوا قولاً، فقال لهم أبو القاسم: اكتبوا بذلك كتاباً صدروه على مجاري الكتب إلى الخلفاء، واكتبوه عن القواد وخلفائهم والعرفاء بالكرخ والدور وسامرا فكتبوا- بعد أن دعوا الله فيه لأمر المؤمنين:

إن الذي يسألون، أن ترد الأمور إلى أمير المؤمنين في الخاص والعام، ولا يعترض عليه معترض، وأن ترد رسومهم إلى ما كانت عليه أيام المستعين بالله، وهو أن يكون على كل تسعة منهم عريف، وعلى كل خمسين خليفة، وعلى كل مائة قائد، وأن تسقط النساء والزيادات والمعاون، ولا يدخل مولى في قبالة ولا غيرها، وأن يوضع لهم العطاء في كل شهرين على ما لم يزل، وأن تبطل الإقطاعات، وأن يكون أمير المؤمنين يزيد من شاء ويرفع من شاء وذكروا أنهم صائرون في أثر كتابهم إلى باب أمير المؤمنين، ومقيمون هناك إلى أن تقضى حوائجهم وأنه إن بلغهم أن أحداً اعترض أمير المؤمنين في شيء من الأمور أخذوا رأسه، وإن سقط من رأس أمير المؤمنين شجرة قتلوا به موسى بن بغا وبايكجاك ومفلحا وياجور وبكالبا وغيرهم.

ودعوا الله لأمر المؤمنين ودفعوا الكتاب إلى أبي القاسم فانصرف به حتى أوصله، وتحرك الموالي بسامرا، واضطرب القواد جداً، وقد كان المهتدي قعد للمظالم وأدخل الفقهاء والقضاة، وأخذوا مجالسهم، وقام القواد في مراتبهم، وسبق دخول أبي القاسم دخول المتظلمين. فقرأ المهتدي الكتاب قراءة ظاهرة، وخلا بموسى بن بغا، ثم أمر سليمان بن وهب أن يوقع في رقعتهم بإجابتهم إلى ما سألوا، فلما فعل ذلك في فصل من الكتاب أو فصلين، قال أبو القاسم: يا أمير المؤمنين، لا يقنعهم إلا خط أمير المؤمنين وتوقيعه، فأخذ المهتدي كتابهم فضرب على ما كان سليمان وقع في ذلك، ووقع في كل باب بإجابتهم إلى ما سألوا، وبأن يفعل ذلك ثم كتب كتاباً مفرداً بخطه وختمه بخاتمه، ودفعه إلى أبي القاسم، فقال أبو القاسم لموسى وبايكجاك ومحمد بن بغا: وجهوا إليهم معي رسلاً يعتذرون إليهم مما بلغهم عنكم فوجه كل واحد منهم رجلاً، وصار أبو القاسم إليهم وهم في مواضعهم، وقد صاروا زهاء ألف فارس وثلاثة آلاف راجل، وذلك.

في وقت الظهر من يوم الخميس لخمس ليال خلون من صفر من هذه السنة، فأقرأهم من أمير المؤمنين السلام، وقال لهم: إن أمير المؤمنين، قد أجابكم إلى كل ما سألتهم، فادعوا الله لأمر المؤمنين ثم دفع كتابهم إلى كاتبهم، فقرأ عليهم ما فيه من التوقيعات، ثم قرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم، أرشدكم الله وحاطكم، وأمتع بكم، وأصلح أموركم وأمور المسلمين بكم، وعلى أيديكم فهمت كتابكم، وقرأته على رؤسائكم، فذكروا مثل الذي ذكرتم، وسألوا مثل الذي سألتهم، وقد أجبتكم إلى جميع ما سألتهم محبة لصلاحكم وألفتكم واجتماع كلمتكم، وقد أمرت بتقرير أرزاقكم، وأن تصير دارة عليكم، فليست لكم حاجة إلى حركة، فطيبوا نفوسا، والسلام أرشدكم الله وحاطكم وأمتع بكم، وأصلح أموركم وأمور المسلمين بكم، وعلى أيديكم! فلما فرغ القارئ من الكتاب، قال لهم أبو القاسم: وهؤلاء رسل رؤسائكم يعتذرون إليكم من شيء إن كان بلغكم عنهم، وهم يقولون: إنما أنتم إخوة، وأنتم منا وإلينا. وتكلم الرسل بمثل ذلك، فتكلموا أيضا كلاما كثيرا، ثم كتبوا كتابا يعتذرون فيه بمثل العذر الأول إلى أمير المؤمنين، وذكروا فيه خصالا مما ذكروه في الكتاب الذي قبله، ووصفوا أنه لا يقنعهم إلا أن ينفذ إليهم خمس توقيعات، توقيعا بحط الزيادات، وتوقيعا برد الإقطاعات، وتوقيعا بإخراج الموالي البوايين من الخاصة إلى عداد البرانيين، وتوقيعا برد الرسوم إلى ما كانت عليه أيام المستعين، وتوقيعا برد التلاجئ حتى يدفعوها إلى رجل يضمون إليه خمسين رجلا من أهل الدور، وخمسين رجلا من أهل سامرا ينتجزون من الدواوين، ثم يصير أمير المؤمنين الجيش إلى أحد إخوته أو غيرهم ممن يرى ليسفر بينه وبينهم بأمورهم، ولا يكون رجلا من الموالي، وأن يؤمر صالح بن وصيف فيحاسب هو وموسى بن بغا على ما عندهم من الأموال، وأنه لا يرضيهم دون ما سألوا في كتبهم كلها مع تعجيل العطاء، وإدراار أرزاقهم عليهم في كل شهرين،

وأنهم قد كتبوا إلى أهل سامرا والمغاربة في موافاتهم، وأنهم صائرون إلى باب أمير المؤمنين لينجز ذلك لهم، ودفعوا الكتاب إلى أبي القاسم أخي أمير المؤمنين، وكتبوا كتابا آخر إلى موسى بن بغا وبايكك ومحمد بن بغا ومفلح وياجور وبكالبا وغيرهم من القواد الذين ذكروا أنهم كتبوا كتابا، ذكروا فيه أنهم قد كتبوا إلى أمير المؤمنين بما كتبوا، وأن أمير المؤمنين لا يمنعهم ما سألوا إلا أن يعترضوا عليه، وأنهم إن فعلوا ذلك وخالفوهم لم يوافقوهم على شيء، وأن أمير المؤمنين إن شاكته شوكة أو أخذ من رأسه شعرة، أخذوا رؤوسهم جميعا، وأنه ليس يقنعهم إلا أن يظهر صالح بن وصيف حتى يجمع بينه وبين موسى ابن بغا، حتى ينظر أين موضع الأموال، فإن صالحا قد كان وعدهم قبل استناره أن يعطيهم أرزاق ستة أشهر.

ثم دفعوا هذا الكتاب إلى رسول موسى، ووجهوا مع أبي القاسم عدة نفر منهم، ليوصلوا إلى أمير المؤمنين كتابهم، وليستمعوا كلامه. فلما رجع أبو القاسم وجه موسى زهاء خمسمائة فارس، فوقفوا على باب الحير بين الجوسق والكرخ، فقال إليهم أبو القاسم ورسل القوم ورسل أنفسهم، فدفع رسول موسى إلى موسى كتاب القوم إليه وإلى أصحابه- وفي الجماعة سليمان بن وهب وولده وأحمد بن محمد بن ثوبة وغيرهم من الكتاب- فلما قرأ الكتاب عليهم أعلمهم أبو القاسم أن معه كتابا من القوم إلى أمير المؤمنين، ولم يدفعه إليهم فركبوا جميعا وانصرفوا إلى المهتدي، فوجدوه في الشمس قاعدا على لبد، قد صلى المكتوبة، وكسر جميع ما كان في القصر من الملاهي والآلات وآلات اللعب والهزل، فدخلوا فأوصلوا إليه الكتب، وخلوا مليا ثم أمر المهتدي سليمان بن وهب بإنشاء الكتب على ما سألوا في خمس رقاع، فأنفذها المهتدي في درج كتاب منه بخطه، ودفعه إلى أخيه، وكتب القواد إليهم جواب كتابهم، ودفعوه إلى صاحب موسى، فصار إليهم أبو القاسم في وقت المغرب، فأقرأهم من المهتدي السلام، وقرأ عليهم كتابه، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم وفقنا الله وإياكم لطاعته وما يرضيه فهمت كتابكم حاطكم الله، وقد أنفذت إليكم التوقيعات الخمس على ما سألتهم، فوكلوا من ينتجزها من الدواوين إن شاء الله وأما ما سألتهم من تصيير أمركم إلى أحد إخواني ليوصل إلى أخباركم، ويؤدي إلى حوائجكم، فوالله إني لأحب أن أتفقد ذلك بنفسي، وأن أطلع على كل أمركم وما فيه مصلحتكم، وأنا مختار لكم الرجل الذي سألتهم، من إخواني أو غيرهم إن شاء الله، فاكتبوا إلي بحوائجكم وما تعلمون أن فيه صلاحكم، فإني صائر من ذلك إلى ما تحبون إن شاء الله، وفقنا الله

وإياكم لطاعته وما يرضيه وأوصل إليهم رسول موسى كتاب موسى وأصحابه، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم أبقاكم الله وحفظكم، وأتم نعمته عليكم، فهمنا كتابكم، وإنما أنتم إخواننا وبنو عمنا، ونحن صائرون إلى ما تحبون، وقد أمر أمير المؤمنين أعزه الله في كل ما سألتكم بما تحبون وأنفذ التوقيعات به إليكم.

وأما ذكرتم من أمر صالح مولى أمير المؤمنين وتغيرنا له فهو الأخ وابن العم، وما أردنا من ذلك ما تكرهون، فإن وعدكم أن يعطيكم أرزاق ستة أشهر فقد رفعنا إلى أمير المؤمنين رقاعاً، نسأله مثل الذي سألتكم وأما ما قلتم من ترك الاعتراض على أمير المؤمنين وتفويض الأمر إليه، فنحن سامعون مطيعون لأمر المؤمنين، والأمور مفوضة إلى الله وهو مولانا ونحن عبيده، وما نعترض عليه في شيء من الأمور أصلاً وأما ما ذكرتم أننا نريد بأمير المؤمنين سوءاً، فمن أراد ذلك فجعل الله دائرة السوء عليه، وأخزاه في دنياه وآخزته أبقاكم الله وحفظكم، وأتم نعمته عليكم! فلما قرأ الكتابات عليهم، قالوا لأبي القاسم: هذا المساء قد أقبل، ننظر في أمرنا الليلة، ونعود بالغداة لنعرفك رأينا فافترقوا، وانصرف أبو القاسم إلى أمير المؤمنين

ثم أصبح القوم من غداة يوم الجمعة، فلما كان في آخر الساعة الأولى، ركب موسى بن بغا من دار أمير المؤمنين، وركب الناس معه وهم قدر الف وخمسمائة رجل، حتى خرج من باب الخير الذي يلي القطائع من الجوسق والكرخ، فعسكر هناك، وخرج أبو القاسم أخو المهدي، ومعه الكرخي، حتى صار إلى القوم، وهم زهاء خمسمائة فارس وثلاثة آلاف راجل، وقد كان أبو القاسم انصرف في الليل ومعه التوقيعات، فلما صار بينهم أخرج كتاباً من المهدي نسخته شبيه بالكتاب الذي في درجه التوقيعات فلما قرأ الكتاب ضجوا، واختلفت أقاويلهم، وكثر من يلحق بهم من رجالة الموالي من ناحية سامرا في الخير، فلم يزل أبو القاسم ينتظر أن ينصرف من عندهم بجواب يحصله يؤديه إلى أمير المؤمنين، فلم يتهياً ذلك إلى الساعة الرابعة، وانصرفوا، فطائفة يقولون: نريد أن يعز الله أمير المؤمنين، ويوفر علينا أرزاقنا، فإننا قد هلكنا بتأخيرها عنا وطائفة يقولون: لا نرضى حتى يولي علينا أمير المؤمنين إخوته، فيكون واحد بالكرخ، وآخر بالدور، وآخر بسامرا، ولا نريد أحداً من الموالي يكون علينا رأساً وطائفة تقول:

نريد أن يظهر صالح بن وصيف - وهي الأقل.

فلما طال الكلام بهذا منهم، انصرف أبو القاسم إلى المهدي بجملة من الخبر، وبدأ بموسى في الموضع الذي هو معسكر فيه، فانصرف بانصرافه، فلما صلى المهدي الجمعة صير الجيش إلى محمد بن بغا، وأمره بالمصير إلى القوم مع أخيه أبي القاسم، فركب معه محمد بن بغا في زهاء خمسمائة فارس، ورجع موسى إلى الموضع الذي كان فيه بالغداة، ومضى أبو القاسم ومحمد بن بغا حتى خالطا القوم، وأحاط الجميع به، فقال أبو القاسم لهم: إن أمير المؤمنين يقول: قد أخرجت التوقيعات لكم بجميع ما سألتكم، ولم يبق لكم مما تحبون شيء إلا وأمير المؤمنين يبلغ فيه الغاية، وهذا أمان لصالح بن وصيف بالظهور وقرأ عليهم أماناً لصالح، بأن موسى وبايكاك سألوا أمير المؤمنين أعزه الله ذلك، فأجابهما إليه، وأكده بغاية التأكيد، ثم قال: فعلام

اجتماعكم! فأكثروا الكلام، فكان الذي حصله عند انصرافه أن قالوا: نريد أن يكون موسى في مرتبة بغا الكبير، وصالح في مرتبة وصيف أيام بغا، وبايكاك في مرتبته الأولى، ويكون الجيش في يد من هو في يده، إلى أن يظهر صالح ابن وصيف، فيوضع لهم العطاء، وتتنجز لهم الأرزاق بما في التوقيعات.

فقال: نعم فانصرف القوم، فلما صاروا على قدر خمسمائة ذراع اختلفوا، فقال قوم: قد رضينا، وقال قوم: لم نرض، وانصرف رسل المهدي إليه: إن القوم قد تفرقوا، وهم على أن ينصرفوا، فانصرف موسى عند ذلك، وتفرق الناس إلى مواضعهم من الكرخ والدور وسامرا فلما كان غداة يوم السبت، ركب ولد وصيف وجماعة من مواليهم وغلماهم، وتنادى الناس: السلاح! وانتهب دواب العامة الرجال، رجالة أصحاب صالح بن وصيف، ومضوا فعسكروا بسامرا في طرف وادي إسحاق بن إبراهيم، عند مسجد لجين أم ولد المتوكل وركب أبو القاسم عند ذلك يريد دار المهدي، فربهم في طريقه، فتعلقوا به وبمن كان معه من حشمه وغلماهم، فقالوا له: تؤدي إلى أمير المؤمنين عنا رسالة؟

فقال لهم: قولوا، نخلطوا ولم يتحصل من قولهم شيئا إلا: إنا نريد صالحا، فمضى حتى أدى إلى أمير المؤمنين ذلك وإلى موسى، وجماعة القواد حضور.

فذكر عن حضر المجلس أن موسى بن بغا، قال: يطلبون صالحا مني، كأني أنا أخفيته وهو عندي! فإن كان عندهم فينبغي لهم أن يظهره.

وتأكد عندهم الخبر باجتماع القوم، وتحلب الناس إليهم، وتهايجوا من دار أمير المؤمنين، فركبوا في السلاح، وأخذوا في الخير حتى اجتمعوا ما بين الدكة وظهر المسجد الجامع، فاتصل الخبر بالأترار ومن كان ضوى إليهم، فأنصرفوا ركضا وعدوا لا يلوي فارس على راجل، ولا كبير على صغير حتى دخلوا الدروب والأزقة، ولحقوا بمنزلهم، وزحف موسى وأصحابه جميعا، فلم يبق بسامرا قائد يركب إلى دار أمير المؤمنين إلا ركب معه، ولزموا الخير.

حتى خرجوا مما يلي الحائطين ثم خرجوا، فأما مفلىح وواجن ومن انضم إليهما فسلخوا شارع بغداد حتى بلغوا سوق الغنم، ثم عطفوا إلى شارع أبي أحمد، حتى لحقوا بجيش موسى وأما موسى وجماعة القواد الذين كانوا معه مثل ياجور وساتكين ويارجوخ وعيسى الكرخي، فإنهم سلخوا على سمت شارع أبي أحمد، حتى صاروا إلى الوادي، وأنصرفوا إلى الجوسق، فكان تقدير الجيش الذين كانوا مع موسى في هذا اليوم- وهو يوم السبت- أربعة آلاف فارس في السلاح والقسى الموترة والدروع والجواشن والرماح والطبرزينات.

وكان أكثر القواد الذين كانوا بالكرك يطلبون صالحا مع موسى في هذا الجيش يريدون محاربة من يطلب صالحا. وقد ذكر عن بعض من تخير أمرهم، أن أكثر من كان راجبا مع موسى كان هواه مع صالح، ولم يكن للكرخيين والدوريين في هذا اليوم حركة، فلما وصل القوم إلى الجوسق كان أول ما ظهر منهم النداء بأن من لم يحضر دار أمير المؤمنين في غداة يوم الأحد من قواد صالح وأهله وغلماؤه وأصحابه أسقط اسمه، وخرّب منزله، وضرب وقيد وحذر إلى المطبخ، ومن وجد بعد ثلاثة من هذه الطبقة ظاهرا بعد استتار، فقد حل به مثل ذلك، ومن أخذ دابة لعامي أو تعرض له في طريق، فقد حلت به العقوبة الموجهة.

وبات الناس ليلة الأحد لثمان خلون من صفر على ذلك، فلما كان غداة يوم الاثنين انتهى إلى المهتدي أن مساورا الشاري صار إلى بلد، فقتل بها وحرق، فنادى في مجلسه بالنفير، وأمر موسى ومفلىحا وبايكجا بالخروج، وأخرج موسى مضاربه، فلما كان يوم الأربعاء لإحدى عشرة مضت من صفر بطل أمر موسى ومحمد بن بغا ومفلىح في الخروج، وقالوا: لا يبرح أحد منا حتى ينقطع أمرنا وأمر صالح، وهم مجمعون على ذلك، يخافون من صالح أن يخلفهم بمكره.

وذكر عن بعض الموالي أنه قال: رأيت بعض بني وصيف- وهو الذي كان جمع تلك الجموع- يلعب مع موسى وبايكجا بالصوالة في ميدان بغا الصغير يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر ثم جد هؤلاء في طلب صالح بن وصيف، فهجم بسببه على جماعة ممن كان متصلا به قبل ذلك ومن اتهموه أنه آواه، منهم إبراهيم بن سعدان النحوي وإبراهيم الطالبي وهارون بن عبد الرحمن بن الأزهر الشيعي وأبو الأحوص بن أحمد بن سعيد ابن سلم بن قتيبة وأبو بكر ختن أبي حرملة الحجام وشارية المغنية والسرخسي صاحب شرطة الخاصة وجماعة غيرهم.

فذكر عن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مصعب بن زريق، قال: حدثني صاحب ربع القبة- وهو ربع تلقاء دار صالح بن وصيف- قال:

بينما نحن قعود يوم الأحد، إذا غلام قد خرج من زقاق، وأراه مذعورا، فأنكرناه، فأردنا مسألته عن شأنه، ففألتنا، فلم نلبث أن أقبل عيار من موالي صالح بن وصيف يعرف بروزبه، ومعه ثلاثة نفر أو أربعة، فدخلوا الزقاق، فأنكرناهم، فلم يلبثوا أن خرجوا، وأخرجوا صالح بن وصيف، فسألنا عن الخبر، فإذا الغلام قد دخل دارا في الزقاق يطلب ماء ليشربه قال: فسمع قائلا يقول بالفارسية: أيها الأمير تنح، فإن غلاما قد جاء يطلب ماء، فسمع الغلام ذلك، وكان بينه وبين هذا العيار معرفة، فجاء فأخبره، فجمع العيار ثلاثة أناسي، وهجم عليه فأخرجه.

وذكر عن العيار الذي هجم عليه، أنه قال: قال لي الغلام ما قال، فأقبلت ومعي ثلاثة نفر، فإذا بصالح بن وصيف بيده مرآة ومشط، وهو يسرح لحيته، فلما رأيته بادر فدخل بيتا، خفت أن يكون قصد لأخذ سيف أو سلاح، فتلومت ثم نظرت إليه، فإذا هو قد لجأ إلى

زاوية، فدخلت إليه فاستخرجته فلم يزدني على التضرع شيئاً قال: فلما تضرع إلي قلت:

ليس إلى تركك سبيل، ولكني أمر بك على أبواب إخوتك وأصحابك وقوادك وصنائعك، فإن اعترض لي منهم اثنان أطلقتك في أيديهم قال: فأخرجته فما لقيت إلا من هو عوني على مكروهه.

فذكر أنه لما أخذ مضى به نحو ميلين، ليس معه إلا أقل من خمسة نفر من أصحاب السلطان وذكر أنه أخذ حين أخذ، وعليه قيص ومبطنة ملحم وسراويل، وليس على رأسه شيء وهو حاف.

وقيل أنه حمل على بردون صنبائي والعامية تعدو خلفه وخمسة من الخاصة يمنعون منه، حتى انتهوا به إلى دار موسى بن بغا، فلما صاروا به إلى دار موسى بن بغا أتاه بايكاك ومفلح وياجور وساتكين وغيرهم من القواد، ثم أخرجوه من باب الخير الذي يلي قبلة المسجد الجامع، ليذهبوا به إلى الجوسق، وهو على بغل بإكاف، فلما صاروا به إلى حد المنارة، ضربه رجل من أصحاب مفلح ضربة من ورائه على عاتقه كاد يقذه منها، ثم احتزوا رأسه وتركوا جيفته هناك، وصاروا به إلى المهتدي، فوافوا به قبيل المغرب وهو في بركة قباء رجل من غلمان مفلح يقطر دما، فوصلوا به إليه، وقد قام لصلاة المغرب، فلم يره، فأخرجوه ليصلح، فلما قضى المهتدي صلاته، وخبروه أنهم قتلوا صالحا، وجاءوا برأسه لم يزداهم على أن قال: واروه، وأخذ في تسبيحه.

ووصل الخبر إلى منزله، فارتفعت الواعية وباتوا ليلتهم.

فلما كان يوم الاثنين لسبع بقين من صفر حمل رأس صالح بن وصيف على قناة، وطيف به، ونودي عليه: هذا جزاء من قتل مولاه، ونصب بباب العامة ساعة ثم نحي، وفعل به ذلك ثلاثة أيام متتابعاً، وأخرج رأس بغا الصغير في وقت صلب رأس صالح يوم الاثنين، فدفع إلى أهله ليدفوه.

فذكر عن بعض الموالي أنه قال: رأيت مفلحا وقد نظر إلى رأس بغا، فبكى وقال: قتلي الله إن لم أقتل قاتلك، فلما كان يوم الخميس لأربع بقين من صفر، وجه موسى بالرأس إلى أم الفضل ابنة وصيف، وهي امرأة النوشري، وكانت قبله عند سلمة بن خاقان.

فذكر عن بعض بني هاشم أنه قال: هنأت موسى بن بغا بقتل صالح فقال: كان عدو أمير المؤمنين استحق القتل قال: وهنأت بايكاك بذلك، فقال: ما لي أنا وهذا! إنما كان صالح أخي، فقال السلوي لموسى إذ قتل صالح بن وصيف:

ونلت وترك من فرعون حين طغى ... وجئت إذ جئت يا موسى على قدر

ثلاثة كلهم باغ أخو حسد ... يرميك بالظلم والعدوان عن وتر

وصيف بالكرخ ممشول به وبغا ... بالجسر محترق بالجر والشر

وصالح بن وصيف بعد منعفر ... في الخير جيفته، والروح في سقر

وفي مستهل جمادى الأولى من هذه السنة رحل موسى بن بغا وبايكاك إلى مساور، وشيعهم محمد بن الواثق.

وفي جمادى الأولى أيضا منها التقى مساور بن عبد الحميد وعبدة العمروسي الشاري بالكحيل، وكانا مختلفي الآراء، فظفر مساور بعبدة فقتله.

وفي هذا الشهر من هذه السنة التقى مساور الشاري ومفلح، فحدثت عن مساور، أنه انصرف من الكحيل بعد قتله العمروسي، وقد كلم كثير من أصحابه فلم تندمل كلمهم، ولغبوا من الحرب التي كانت جرت بين الفريقين إلى عسكر موسى ومن ضمه ذلك العسكر وهم حامون، فأوقع بهم، فلما لم يصل إلى ما أراد منهم من الظفر بهم، وكان التقاؤهم بجبل زيني تعلق هو وأصحابه بالجبل فصاروا إلى ذروته، ثم أوقدوا النيران، وركزوا رماحهم،

٩٠٣٨٠٤ ذكر الخبر عن خلع المهتدي ثم موته

وعسكر موسى بسفح الجبل ثم هبط مساور وأصحابه من الجبل، من غير الوجه الذي عسكر به موسى، ففضى وموسى وأصحابه يحسبون أنهم فوق الجبل فقاتوهم.

ذكر الخبر عن خلع المهدي ثم موته

وفي رجب من هذه السنة لأربع عشرة ليلة خلت منه خلع المهدي، وتوفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب. ذكر الخبر عن سبب خلعه ووفاته:

ذكر أن ساكني الكرخ بسامرا والدور تحركوا لليلتين خلتا من رجب من هذه السنة، يطلبون أرزاقهم، فوجه إليهم المهدي طباعه الرئيس عليهم وعبد الله أخا المهدي، فكلهم فلم يقبلوا منهما، وقالوا: نحن نريد أن نكلم أمير المؤمنين مشافهة وخرج أبو نصر بن بغا تحت ليلته إلى عسكر أخيه، وهو بالنسب بالقرب من الشاري، ودخل دار الجوسق جماعة منهم، وذلك يوم الأربعاء، فكلهم المهدي بكلام كثير، وقطع العطاء عن الناس يوم الأربعاء والخميس والناس متوقفون حتى يعرفوا ما يصنع موسى بن بغا، وكان موسى وضع العطاء في عسكره لشهر، وكان على مناجزة الشاري إذ استوى أصحابه، فوقع الاختلاف، ومضى موسى يريد طريق خراسان.

واختلف في سبب الاختلاف الذي جرى، فصار من أجله موسى إلى طريق خراسان، والسبب الذي من أجله خرج المهدي لحرب من حاربه من الأتراك، فقال بعضهم: كان السبب الذي من أجله تنهى موسى عن وجه الشاري وترك حربه وصار إلى طريق خراسان، أن المهدي استمال بابكجك، وهو مع موسى مقيم في وجه الشاري مساور، وكتب إليه يأمره أن يضم العسكر الذي مع موسى إلى نفسه، وأن يكون هو الأمير عليهم، وأن يقتل موسى بن بغا ومفلح، أو يحملهما إليه مقيدين فلما وصل الكاب إلى بابكجك، أخذه ومضى به إلى موسى بن بغا، فقال: إني لست أفرح بهذا، وإنما هذا تدبير علينا جميعا، وإذا فعل بك اليوم شيء فعل بي غدا مثله، فما ترى؟

قال: أرى أن تصير إلى سامرا، فتخبره أنك في طاعته، وناصره على موسى ومفلح، فإنه يطمئن إليك، ثم تدبر في قتله. فقدم بابكجك فدخل على المهدي، وقد مضوا إلى منازلهم كما قدموا من عند الشاري، فأظهر له المهدي الغضب، وقال: تركت العسكر، وقد أمرتك أن تقتل موسى ومفلح، وداهنت في أمرهما! قال: يا أمير المؤمنين، وكيف لي بهما؟ وكيف يتبأ لي قتلتهما؟ وهما أعظم جيشا مني، وأعز مني! ولقد جرى بيني وبين مفلح شيء في بعض الأمر، فما انتصفت منه، ولكني قد قدمت بجيشي وأصحابي ومن أطاعني لأنصرك عليهما، وأقوي أمرك، وقد بقي موسى في أقل العدد قال: ضع سلاحك، وأمر بإدخاله دارا، فقال: يا أمير المؤمنين، ليس هذا سبيل مثلي إذا قدم من مثل هذا الوجه، حتى أصير إلى منزلي، وأمر أصحابي وأهلي بأمرهم قال: ليس إلى ذلك سبيل، أحتاج إلى مناظرتك فأخذ سلاحه، فلما أبطأ خبره على أصحابه سعى فيهم أحمد بن خاقان حاجب بابكجك، فقال: اطلبوا صاحبكم قبل أن يحدث به حدث، فحاشت الترك، وأحاطوا بالجوسق فلما رأى ذلك المهدي وعنده صالح بن علي بن يعقوب بن أبي جعفر المنصور شاوره، وقال:

ما ترى؟ قال: يا أمير المؤمنين، أنه لم يبلغ أحد من آبائك ما بلغته من الشجاعة والإقدام، وقد كان أبو مسلم أعظم شأنا عند أهل خراسان من هذا التركي عند أصحابه، فما كان إلا أن طرح رأسه إليهم حتى سكنوا، وقد كان فيهم من يعبد ويتخذ ربا، فلو فعلت مثل ذلك سكنوا، فأنت أشد من المنصور إقداما، وأشجع قلبا فأمر المهدي الكرخي - واسمه محمد ابن المباشر، وكان حدادا بالكرخ يطرق المسامير، فانقطع إلى المهدي ببغداد فوثق به ولزمه - فأمره بضرب عنق بابكجك، فضرِب عنقه، والأتراك مصطفون في الجوسق في السلاح، يطلبون بابكجك، فأمر المهدي عتاب بن عتاب القائد

أن يرميهم برأسه فأخذ عتاب الرأس، فرمى به إليهم، فتأخروا وجاشوا، ثم شد رجل منهم على عتاب، فقتله، فوجه المهدي إلى الفراغنه والمغاربة والاكشبية والأشروسنية والأتراك الذين بايعوه على الدرهمين والسويق، فجاءوا، فكانت بينهم قتلى كثيرة، كثر فيها الناس، فقليل: قتل من الأتراك الذين قاتلوا نحو من أربعة آلاف، وقيل ألفان وقيل ألف، وذلك يوم السبت لثلاث عشرة خلت من رجب من هذه السنة ثم تمام القوم يوم الأحد، فاجتمع جميع الأتراك، فصار أمرهم واحدا، فجاء منهم زهاء عشرة آلاف رجل، وجاء طوغيتا أخو بابكجك وأحمد بن خاقان حاجب بابكجك في نحو من خمسمائة، مع من جاء مع طوغيتا من الأتراك والعجم، وخرج المهدي ومعه صالح بن علي، والمصحف في عنقه، يدعو الناس إلى أن ينصروا خليفته فلما التحم الشر مال الأتراك الذين مع المهدي إلى أصحابهم

الذين مع أخي بايكاك، وبقي المهتدي في الفراغة والمغاربة ومن خف معه من العامة، فحمل عليهم طوغيتا أخو بايكاك حملة ثائر حران موتور، فنقض تعبيتهم، وهزمهم، وأكثر فيهم القتل وولوا منهزمين، ومضى المهتدي يركض منهزماً، والسيوف في يده مشهور، وهو ينادي: يا معشر الناس، انصروا خليفتم، حتى صار إلى دار أبي صالح عبد الله بن محمد بن يزداد وهي بعد خشبة بابك، وفيها أحمد بن جميل صاحب المعونة، فدخلها ووضع سلاحه، ولبس البياض ليعلو داراً وينزل أخرى ويهرب فطلب فلم يوجد، وجاء أحمد بن خاقان في ثلاثين فارساً يسأل عنه حتى وقف على خبره في دار ابن جميل، فبادرهم ليصعد، فرمى بسهم وبعج بالسيوف، ثم حمله أحمد بن خاقان على دابة أو بغل، وأردف خلفه سائساً حتى صار به إلى داره، فدخلوا عليه، فجعلوا يصفعونه ويبرزقون في وجهه، وسألوه عن ثمن ما باع من المتاع والخرثى، فأقر لهم بستمائة ألف قد أودعها الكرخي الناس ببغداد، وأصابوا عنده خسف الواضحة مغنية، فأخذوا رقعته بستمائة ألف دينار، ودفعوه إلى رجل، فوطئ على خصيه حتى قتله

وقال بعضهم: كان السبب وأول الخلاف، أن اللاحقين من أولاد الأتراك اجتمعوا، وقالوا: لا نرضى أن يكون علينا رئيس غير أمير المؤمنين، وكتبوا إلى موسى بن بغا وبايكاك، وهما في وجه الشاري، فوافى موسى في رجاله حتى صار إلى قنطرة في ناحية الوزيرية يوم الجمعة، وعسكر المهتدي في الحير، وقرب منهم، ثم خرج إلى الجوسق، وعليه السلاح، فلما كان يوم السبت لثلاث عشرة خلت من رجب، دخل بايكاك طائعا، ومضى موسى إلى ناحية طريق خراسان في نحو من ألفي رجل، وجاء المهتدي رجل من الموالي، فقال له: إن بايكاك قد وعد موسى أن يفتك بك في الجوسق، فأخذ المهتدي بايكاك، وأمر بنزع سلاحه وحبسه، فحبس يوم السبت إلى وقت العصر، ثم خرج أهل الكرخ وأهل الدور يطلبونه، وانصرفوا وبكروا يوم الأحد، فلم يتخلف منهم أحد إلا حضر راكبا وراجلا في السلاح، فلما صاروا إلى الجوسق، صلى المهتدي الظهر، وخرج إليهم في الفراغة والمغاربة، فتطارد لهم الأتراك، فحملوا عليهم فلما تبعوهم خرج كمين لهم، فقتل من الفراغة والمغاربة جماعة كبيرة، وهرب المهتدي، ومر على باب أبي الوزير وغلام له يصيح: يا معشر الناس، هذا خليفتم، وتراكم الأتراك خلفه، فدخل دار أحمد بن جميل، وتسلق المهتدي من دار إلى دار، وأحرق الأتراك بتلك الناحية كلها، فأخرجوه من دار غلام لعبد الله بن عمر البازيار، وحملوه وبه طعنة في خاصرته على برذون أعجف، في قيص وسراويل، وانتهوا دار الكرخي ودور بني ثوبة وجماعة من الناس، فلما كان يوم الاثنين حمل أحمد بن المتوكل المعروف بابن فتيان إلى دار يارجوخ، والأتراك يدورون في الشوارع، ويحمدون العامة إذ لم يتعرضوا لهم.

وقال آخرون: بل كان السبب في ذلك، أن أهل دور سامرا والكرخي تحركوا في يوم الاثنين ليلة خلت من رجب من هذه السنة، واجتمعوا بالكرخي وفوقها، فوجه المهتدي إليهم كيغلغ وطبايعو بن صول أرتكين وعبد الله أخا نفسه، فلم يزالوا بهم حتى سكنوا ورجعوا إلى الدار، وبلغ أبا نصر محمد بن

بغا الكبير أن المهتدي قد تكلم فيه وفي أخيه موسى، وقال للموالي: إن الأموال عندهم، فتخوفه وإياهم، فهرب في ليلة الأربعاء لثلاث خلون من رجب، فكتب إليه المهتدي أربعة كتب يعطيه فيها الأمان على نفسه ومن معه، ووصل كتابان إليه وهو بالمحمدية مع أرتكين بن برمكاتكين، ووصل الآخرا إلى مع فرج الصغير، فوثق بذلك، فرجع حتى دخل الدار هو وأخوه حبشون وبكالبا، فحبسوا وحبس معهم كيغلغ، فأفرد أبو نصر عنهم، فطلب منه المال، فقبض من وكيه خمسة عشر ألف دينار، وقتل يوم الثلاثاء لثلاث خلون من رجب، ورمي به في بئر من آبار القناة، وأخرج من البئر يوم الاثنين للنصف من رجب، ومضى به إلى منزله وقد أراح، فاشترى له ثلاثمائة مثقال مسك وستمائة مثقال كافور، وصير عليه فلم تقطع الرائحة، وصلى عليه الحسن بن المأمون، وكتب المهتدي إلى موسى بن بغا عند حبسه أبا نصر يأمره بتسليم العسكر إلى بايكاك والإقبال إلى سامرا في مواليه، وكتب إلى بايكاك في تسلم العسكر والقيام بقتال الشاري، فصار بايكاك بالكتاب إلى موسى فقرأه، فاجتمعوا على الانصراف إلى سامرا، وبلغ المهتدي ذلك، وأنهم على خلافه، فجمع الموالي، فحضرهم على الطاعة، وأمرهم بلزومه في الدار وترك الإخلال به، وأجرى على كل رجل من الأتراك ومن يجري مجراهم في كل يوم درهمين، وعلى كل رجل من المغاربة درهما فاجتمع له من الفريقين وأخذانهم زهاء خمسة عشر ألف إنسان، منهم من الأتراك المعروف بالكامل في الجوسق وغيره من المقاصير وكان القيم بأمر الدار بعد حبس كيغلغ مسرور البلخي والرئيس من القواد

طبايعو، والقيم بحبس من حبس من هؤلاء عبد الله بن تكين.

وبلغ موسى ومفلح وبايبك حبس أبي نصر وحبشون ومن حبس، فأخذوا حذرهم. وجرت الرسل والكتب بينهم وبين المهتدي يوم الخميس، وخرج المهتدي يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب بجمعة متوقعا ورود القوم عليه، فلم يأت أحد فلما كان يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب صح الخبر بأن موسى قد عرج عن طريق سامرا إلى ناحية الجبل مع مفلح،

ودخل يوم السبت بايبك ويارجوخ وأساتكين وعلي بن بارس وسيما الطويل وخطارمش إلى الدار، فحبس بايبك وأحمد بن خاقان خليفته، وصرف الباكون، فاجتمع أصحاب بايبك وغيره من الأتراك، وقالوا: لم يحبس قائدنا؟

ولم قتل أبو نصر؟ نفرج إليهم المهتدي يوم السبت - ولم يكن بينهم حرب - فرجع، وخرج يوم الأحد وقد اجتمعوا له، وجمع هو المغاربة والأتراك البرانيين والفراغة فصير على الميمنة مسرورا البلخي، وعلى الميسرة يارجوخ، والمهتدي في القلب مع أساتكين وطبايعو وغيرهما من القواد.

فلما حمت الشمس، قرب القوم بعضهم من بعض، وهاجت الحرب، وطلبوا بايبك، فرمى إليهم المهتدي برأسه - وكان عتاب بن عتاب أخرجه من بركة قبائه - فلما رآوه شد أخوه طغوتيا في جماعة من خاصته على جمع المهتدي، وعطفت الميمنة والميسرة من عسكر المهتدي، فصاروا معهم، وانهزم الباكون عن المهتدي، وقتل جماعة من الفريقين.

فذكر عن حبشون بن بغا، أنه قال: قتل سبعمائة وثمانون إنسانا، وتفرق الناس، ودخل المهتدي الدار، فأغلق الباب الذي دخل منه، وخرج من باب المصاف حتى خرج من الباب المعروف بإيتاخ، ثم إلى سويقة مسرور، ثم درب الواصل، حتى خرج إلى الباب العامة، وهو ينادي: يا معشر الناس، أنا أمير المؤمنين، قاتلوا عن خليفكم فلم تجبه العامة إلى ذلك، وهو يمر في الشارع وينادي، فلم يرههم ينصرونه، فصار إلى باب السجن، فاطلق من فيه، وهو يظن أنهم يعينونه، فلم يكن منهم إلا الهرب، ولم يجبه أحد فلما لم يجيبوه، صار إلى دار أبي صالح عبد الله بن محمد بن يزداد، وفيها أحمد بن جميل صاحب الشرطة نازل، فدخل عليه، فأخرج من ناحية ديوان الضياع، ثم صير به إلى الجوسق، فحبس فيه عند أحمد بن خاقان، وانتهب دار أحمد ابن جميل.

وكان ممن قتل في المعركة من قواد المغاربة نصر بن أحمد الزبيري، ومن

قواد الشاكرية عتاب بن عتاب حين جاء برأس بايبك إليهم، وقتل المهتدي - فيما قيل - في الوقعة عدة كثيرة بيده، ثم جرى بينهم وبينه بعد أن حبس كلام شديد، وأرادوه على الخلع فأبى، واستسلم للقتل، فقالوا: أنه كان كتب رقعة بيده لموسى بن بغا وبايبك وجماعة من القواد، أنه لا يغدر بهم ولا يغتالهم، ولا يفتك بهم، ولا يهزم بذلك، وأنه متى فعل ذلك بهم أو بأحد منهم ووقفوا عليه فهم في حل من بيعته، والأمر إليهم يقعدون من شاءوا.

فاستحلوا بذلك نقض أمره.

وقد كان يارجوخ بعد انهزام الناس صار إلى الدار، فأخرج من ولد المتوكل جماعة، فصار بهم إلى داره، فباعوا أحمد بن المتوكل المعروف بابن فتيان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من رجب، وسمي المعتمد على الله، وأشهد يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب على وفاة المهتدي محمد بن الواصل، وأنه سليم ليس به إلا الجراحتان اللتان نالتاه يوم الأحد في الوقعة، إحداها من سهم والأخرى من ضربة، وصلى عليه جعفر بن عبد الواحد وعدة من إخوة أمير المؤمنين، ودفن في مقبرة المنتصر، ودخل موسى بن بغا ومفلح سامرا يوم السبت لعشر بقين من رجب، فسلم على المعتمد فخلع عليه، وصار إلى منزله وسكن الناس.

وقال بعضهم - وذكر أنه كان شاهدا أمرهم: لما كان ليلة الاثنين لليلة خلت من رجب ثار أهل الكرخ والدور جميعا، فاجتمعوا، وكان المهتدي يوجه إليهم إذا تحركوا أخاه عبد الله، فوجه إليهم في هذا اليوم عبد الله أخاه كما كان يوجهه، فصار إليهم، فوجدتهم قد أقبلوا يريدون الجوسق، فكلهمهم، وضمن لهم القيام بجوائجهم، فأبوا وقالوا: لا نرجع حتى نصير إلى أمير المؤمنين ونشكو إليه قصتنا فانصرف منهم عبد الله، وفي الدار في هذا الوقت أبو نصر محمد بن بغا وحبشون وكيغلغ ومسرور البلخي وجماعة، فلما أدى عبد الله إلى المهتدي ما دار بينه وبينهم، أمره بالرجوع إليهم، وأن يأتي بجماعة منهم فيوصلهم إليه، نفرج فتلقاهم قريبا من الجوسق، فأدارهم على أن يقفوا

بموضعهم، ويوجهوا معه جماعة منهم فأبوا فلما تناهى ظهر إلى أبي نصر ومن كان معه في الدار بأن جمعهم قد أقبل، خرجوا جميعا من الدار مما يلي باب النزلة، فلم يبق في الدار إلا مسرور البلخي والطنون خليفه كيغلغ، ومن الكّاب عيسى بن فرخان شاه، ودخل الموالي مما يلي باب القصر الأحمر، فثلثوا الدار زهاء أربعة آلاف، فصاروا إلى المهتدي، فشكوا إليه حالهم.

وكان اعتمادهم في مسألتهم أن يعزل عنهم أمراءهم، ويضم أمورهم إلى إخوة أمير المؤمنين، وأن يؤخذ الأمراء والكّاب بالخروج مما اختانوه من أموال السلطان، وذكروا أن قدره خمسون ومائة ألف ألف فوعدهم النظر في أمرهم وإجابتهم إلى ما سألوا، فأقاموا يومهم ذلك في الدار، فوجه المهتدي محمد ابن مباشر الكرخي، فاشتري لهم الأسوقة، ومضى أبو نصر بن بغا من فوره ذلك، حتى عسكر في الحير بالقرب من موضع الحلبة، فلحق به زهاء خمسمائة رجل، ثم تفرقوا عنه في ليلتهم، فلم يبق إلا في أقل من مائة، ومضى فصار إلى المحمدية، وأصبح الموالي في غداة يوم الأربعاء يطالبون بما كانوا يطالبون به أولا، فقبل لهم: إن هذا الأمر الذي تريدونه أمر صعب، وإخراج الأمر عن أيدي هؤلاء الأمراء ليس بسهل عليكم، فكيف إذا جمع إلى ذلك أخذهم بالأموال! فانظروا في أموركم، فإن كنتم تظنون أنكم تصبرون على هذا الأمر حتى يبلغ منه غايته أجابكم إليه أمير المؤمنين، وإن تكن الأخرى فإن أمير المؤمنين يحسن لكم النظر فأبوا إلا ما سألوه أولا، فدعوا إلى إيمان البيعة على أن يقيموا على هذا القول، ولا يرجعوا عنه، وأن يقاتلوا من قاتلهم فيه، وينصحو لأمر المؤمنين ويوالوه فأجابوه إلى ذلك، فأخذت عليهم أيمان البيعة، فبايع في ذلك اليوم زهاء ألف رجل وعيسى بن فرخان شاه الذي تجرى على يده الأمور، ومقامه مقام الوزير ثم كتبوا إلى أبي نصر كُتابا عن أنفسهم، كتبه لهم عيسى بن فرخان شاه، يذكرون فيه إنكارهم خروجه من الدار عن غير سبب، وأنهم إنما قصدوا أمير المؤمنين ليشكوا إليه حاجتهم، وأنهم لما وجدوا الدار فارغة أقاموا فيها، وأنهم إذا عاد ردوه إلى حاله، ولم يهيجوه وكتب عيسى عن الخليفة بمثل ذلك إليه، فأقبل من المحمدية بين العصر والعشاء، فدخل الدار، ومعه أخوه حبشون وكيغلغ وبكالبا وجماعة منهم، فقام الموالي في وجوههم معهم السلاح، وقعد المهتدي، فوصل إليه أبو نصر ومن معه، فسلم عليه، ودنا فقبل يد المهتدي ورجله والبساط، وتأخر نخطبه المهتدي بأن قال له: يا محمد، ما عندك فيما يقول الموالي؟ قال: وما يقولون؟ قال:

يذكرون أنكم احتجتم الأموال، واستبدتم بالأعمال، فما تنظرون في شيء من أمورهم، ولا فيما عاد لمصلحتهم فقال محمد: يا أمير المؤمنين، وما أنا والأموال! ما كنت كاتب ديوان، ولا جرت علي يدي أعمال فقال له:

فأين هي الأموال؟ وهل هي إلا عندك وعند أخيك، وكُتابكم وأصحابكم! ودنا الموالي، فتقدم عبد الله بن تكين وجماعة منهم، فأخذوا بيد أبي نصر وقالوا: هذا عدو أمير المؤمنين، يقوم بين يديه بسيف، فأخذوا سيفه، ودخل غلام لأبي نصر كان حاضرا يقال له ثيتل، فسل سيفه، وخطا لينعهم من أبي نصر، وكانت خطوته تلي الخليفة، فسبقه عبد الله بن تكين، فضرب رأسه بالسيف، فما بقي في الدار أحد إلا سل سيفه، وقام المهتدي، فدخل بيتا كان بقربه، وأخذ محمد بن بغا، فأدخل حجرة في الدار، وحبس أصحابه الباقون، وأراد القوم قتل الغلام، فنعهم المهتدي، وقال: إن لي في هذا نظرا ثم أمر فأعطي قيصا من الخزانة، وأمر بغسل رأسه من الدم، وحبس. فأصبح الناس يوم الأربعاء وقد كثروا، والبيعة تؤخذ، ثم امر عبد الله ابن الواثق بالخروج إلى الرفيف في ألف رجل من الشاكرية والفراغنة وغيرهم، وكان ممن أمر بالخروج من قواد خراسان محمد بن يحيى الواثقي وعتاب بن عتاب وهارون بن عبد الرحمن بن الأزهر وإبراهيم أخو أبي عون ويحيى بن محمد بن داود وولد نصر بن شيث وعبد الرحمن بن دينار وأحمد بن فريدون وغيرهم.

ثم إن عبد الله بن الواثق بلغه عن هؤلاء القواد أنهم يقولون: أنه ليس بصواب شخوصهم إلى تلك الناحية، فترك الخروج إليها ثم إنهم أرادوا أن يكتبوا إلى موسى ومفلح بالانصراف وتسليم العسكر إلى من فيه من القواد، فأجمعوا على أن يكتبوا إليهما بذلك كُتابا، وكتبوا إلى بعض القواد في تسلم العسكر منهما، وكتبوا إلى الصغار بما سأل أصحابهم بسامرا وما أجيوا إليه، وأمر بنسخ الكتب التي كتبت إلى القواد، وأن ينظروا، فإن سارع موسى ومفلح إلى ما أمرا به من الإقبال إلى الباب في غلمانهم وتسليم العسكر إلى من أمرا بتسليمه

إليه، وإلا شدوهما وثاقا، وحملوهما إلى الباب، ووجهوا هذه الكتب مع ثلاثين رجلا منهم، فشخصوا عن سامرا ليلة الجمعة لخمس خلون من رجب من هذه السنة، وأجرى على من أخذت عليه البيعة في الدار على كل رجل منهم في اليوم درهمان، فكان المتولي لتفرقة ذلك عليهم عبد الله بن تكين، وهو خال ولد كنجور.

ولما تنهى الخبر إلى موسى وأصحابه اتهم كنجور، وأمر بحبسه بعد أن ناله بالضرب، وموسى حينئذ بالسن ولما انتهى الخبر إلى بايكاك وهو بالحديثة أقبل إلى السن، فاستخرج كنجور من الحبس، واجتمع العسكر بالسن، ووصل إليهم الرسل، وأوصلوا الكتب، وقرأوا بعضها على أهل العسكر، وأخذوا عليهم البيعة بالنصرة لهم، فارتحلوا حتى نزلوا قنطرة الرفيف يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب، وخرج المهتدي في هذا اليوم إلى الحير، وعرض الناس، وسار قليلا، ثم عاد وأمر أن تخرج الخيام والمضارب فتضرب في الحير، وأصبح الناس يوم الجمعة، وقد انصرف من عسكر موسى زهاء ألف رجل، منهم كوتكين وخشنج. ثم خرج المهتدي إلى الحير، ثم صير ميمنته عليها كوتكين، وميسرته عليها حشنج، وصار هو في القلب، ثم رجع الرسل تختلف بين العسكرين.

والذي يريد موسى بن بغا أن يولى ناحية ينصرف إليها، والذي يريد القوم من موسى أن يقبل في غلانه لينظرهم، فلم يتهيا بينهم في ذلك اليوم شيء فلما كان ليلة السبت، انصرف من أراد الانصراف عن موسى، ورجع موسى ومفلح يريدان طريق خراسان في زهاء ألف رجل، ومضى بايكاك

وجماعة من قواده في ليلتهم مع عيسى الكرخي، فباتوا معه، ثم أصبحوا يوم السبت، وأقبل بايكاك ومن معه حتى دخلوا الدار، فأخذت سيوفهم بايكاك ويارجوخ وأساتكين وأحمد بن خاقان وخطارمش وغيرهم فوصلوا جميعا إلى المهتدي، فسلخوا، فأمروا بالانصراف إلا بايكاك، فإن المهتدي أمر أن يوقف بين يديه، ثم أقبل يعدد عليه ذنوبه، وما ركب من أمر المسلمين والإسلام.

ثم إن الموالي اعترضوه، فأدخلوه حجرة في الدار، وأغلقوا عليه الباب، ثم لم يلبث إلا قدر خمس ساعات حتى قتل يوم السبت من الزوال واستوى الأمر، فلم تكن حركة، ولا تكلم أحد إلا نفر يسير أنكروا أمر بايكاك، ولم يظهروا كل الجزع فلما كان يوم الأحد، أنكر الأتراك مساواة الفراغنة لهم في الدار ودخولهم معهم، ووضح عندهم أن التدبير إنما جرى في قتل رؤسائهم حتى يقدم عليهم الفراغنة والمغاربة، فخرجوا من الدار بأجمعهم، وبقيت الدار على الفراغنة والمغاربة، وأنكر الأتراك بناحية الكرخ ذلك، وأضافوا إليه طلب بايكاك لاجتماع أصحاب بايكاك معهم، فأدخل المهتدي إليه جماعة من الفراغنة، وأخبرهم بما أنكره الأتراك، وقال لهم: إن كنتم تعلمون أنكم تقومون بهم، فما يكره أمير المؤمنين قربكم، وإن كنتم بأنفسكم تظنون عجزا عنهم أرضيناهم بالمصير إلى محبتهم من قبل تفاقم الأمر فذكر الفراغنة أنهم يقومون بهم ويقهرونها، إذا اجتمعت كلمتهم وكلمة المغاربة، وعددوا أشياء كثيرة من تقديمهم عليهم وأرادوا المهتدي على الخروج إليهم، فلم يزل كذلك إلى الظهر، ثم ركب وأكثر الفرسان الفراغنة وأكثر الرجال المغاربة، ووجه إليهم وهم بين الكرخ والقطائع والأتراك زهاء عشرة آلاف، وهم في ستة آلاف لم يكن معهم من الأتراك إلا أقل من ألف، وهم أصحاب صالح ابن وصيف وجماعة مع يارجوخ فلما التقى الزحفان، انحاز يارجوخ بمن معه من الأتراك، وانهمز أصحاب صالح بن وصيف، فرجعوا إلى منازلهم وخرج طاشمر من خلف الدكة، وكانوا جعلوا كميناً، وتصادم القوم، فكانت الحرب بينهم ساعة من النهار، ضربا وطعنا ورميا. ثم وقعت الهزيمة على أصحاب المهتدي، فثبت وأقبل يدعوهم إلى نفسه،

ويقاتل حتى يئس من رجوعهم، ثم انهزم وبيده سيف مشطب، وعليه درع وقباء، ظاهر به حرير أبيض معين، ففضى حتى صار إلى موضع خشبة بابك، وهو يحث الناس على مجاهدة القوم ونصرتهم، فلم يتبعه أحد إلا جماعة من العيارين، فلما صاروا إلى باب السجن تعلقوا بلجامه، وسألوه إطلاق من في السجن، فانصرف بوجهه عنهم، فلم يتركوه حتى أمر بإطلاقهم، فانصرفوا عنه، واشتغلوا بباب السجن، وبقي وحده، فرح حتى صار إلى موضع دار أبي صالح بن يزداد، وفيها أحمد بن جميل، فدخل الدار وأغلقت الأبواب، فترع ثيابه وسلاحه، وكانت به طعنة في وركه، فطلب قيصا وسراويل، فأعطاه أحمد بن جميل، وغسل الدم عن نفسه، وشرب ماء وصلى، فأقبل جماعة من الأتراك مع يارجوخ نحو من ثلاثين رجلا، حتى صاروا إلى دار أبي صالح، فضربوا الباب حتى دخلوها، فلما أحس

بهم أخذ السيف وسعى، فصعد على درجة في الدار، ودخل القوم، وقد علا السطح، فأراد بعضهم الصعود لأخذه، فضربه بالسيف فأخطأه، وسقط الرجل عن الدرجة، فرموه بالنشاب، فوقعت نشابة في صدره، فجرحته جراحة خفيفة، وعلم أنه الموت، فأعطى يده، ونزل فرمى بسيفه فأخذه، فجعلوه على دابة بين يدي أحدهم، وسلوكوا الطريق الذي جاء منه، حتى صبروه إلى دار يارجوخ في القطائع، وأنهبوا الجوسق، فلم يبق فيه شيء، وأخرجوا أحمد بن المتوكل المعروف بابن فتيان- وكان محبوبا في الجوسق- وكتبوا إلى موسى بن بغا وسألوه الانصراف إليهم، فأقام المهتدي عندهم لم يحدثوا في أمره شيئا، فلما كان يوم الثلاثاء بايعوا أحمد بن المتوكل في القطائع، وصاروا به يوم الأربعاء إلى الجوسق فبايعه الهاشميون والخاصة، وأرادوا المهتدي على الخلع في هذه الأيام، فأبى ولم يجبه، ومات يوم الأربعاء، وأظهروه يوم الخميس لجماعة الهاشميين والخاصة، فكشفوا عن وجهه وغسلوه، وصلى عليه جعفر بن عبد الواحد يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين.

وقدم موسى بن بغا يوم السبت لعشر بقين من رجب وركب أحمد بن فتيان إلى دار العامة يوم الاثنين لثمان بقين من رجب، فبايعوه بيعة العامة. فذكر عن محمد بن عيسى القرشي أنه قال: لما صار المهتدي في أيديهم أبى أن يخلع نفسه، نفلوا أصابع يديه ورجليه من كفيه وقدميه، حتى ورمت كفاه وقدماه، وفعلوا به غير شيء حتى مات.

وقد ذكر في سبب قتل أبي نصر محمد بن بغا أنه كان خرج من سامرا يريد أخاه موسى، فوجه إليه المهتدي أخاه عبد الله في جماعة من المغاربة والفراغنة، فلحقوه بالرقيق، فجاء به فحبس، وكان قد دخل على المهتدي مسلما قبل خلافهم، فقال له: يا محمد، إنما قدم أخوك موسى في جيشه وعبيده حتى يقتل صالح بن وصيف وينصرف، قال: يا أمير المؤمنين، أعيدك بالله! موسى عبدك وفي طاعتك، وهو مع هذا في وجه عدو كلب، قال: قد كان صالح أنفع لنا منه، وأحسن سياسة للملك، وهذا العلوي قد رجع إلى الري، قال: وما حيلته يا أمير المؤمنين؟ قد هزمه وقتل أصحابه وشرد به كل مشرد، فلما انصرف عاد، وهذا فعله أبدا، اللهم إلا أن تأمره بالمقام بالري دهره قال: دع هذا عنك، فإن أخاك ما صنع شيئا أكثر من أخذ الأموال واحتجائها لنفسه فأغلظ له أبو نصر، وقال: ينظر فيما صار إليه وإلى أهل بيته منذ وليت الخلافة فيرد، وينظر ما صار إليك وإلى إختوتك فيرد فأمر به فأخذ وضرب وحبس، وانتهت داره ودار ابن ثوبة، ثم أباح دم الحسن بن مخلد وابن ثوبة وسليمان بن وهب القطان كاتب مفلح، فهربوا فانتبهت دورهم ثم جاء المهتدي بالفراغنة والأشروسنية والطبرية والديلمية والإشتاخية ومن بقي من أتراك الكرخ وولد وصيف، فسألهم النصر على موسى ومفلح، وضرب بينهم، وقال: قد أخذوا الأموال واستأثروا بالفيء، وأنا أخاف أن يقتلوني، وإن نصرتموني أعطيتكم جميع ما فاتكم، وزدتكم في أرزاقكم فأجابوه إلى نصره والخلاف على موسى وأصحابه، ولزموا

الجوسق، وبايعوه بيعة جديدة وأمر بالسويق والسكر فاشترى لهم، وأجرى على كل رجل منهم في كل يوم درهمين، وأطعموا في بعض أيامهم الخبز واللحم وتولى أمر جيشه أحمد بن وصيف وعبد الله بن بغا الشراي والتفت، معهم بنو هاشم، وجعل يركب في بني هاشم، ويدور في الأسواق، ويسأل الناس النصر، ويقول: هؤلاء الفساق يقتلون الخلفاء، ويثبون على مواليتهم، وقد استأثروا بالفيء، فأعينوا أمير المؤمنين وانصروه وتكلم صالح بن يعقوب ابن المنصور وغيره من بني هاشم، ثم كتب بعد إلى بابكك يأمره أن يضم الجيش كله إليه، وأنه الأمير على الجيش أجمع، ويأمره بأخذ موسى ومفلح.

ولما هلك المهتدي طلبوا أبا نصر بن بغا، وهم يظنون أنه حي، فدلوا على موضعه، فنبش فوجدوه مذبوحا، فحمل إلى أهله، وحملت جثة بابكك فدفنت وكسرت الأتراك على قبر محمد بن بغا ألف سيف، وكذلك يفعلون بالسيد منهم إذا مات وقيل إن المهتدي لما أبى أن يخلعها، أمروا من عصر خصيته حتى مات، وقيل: إن المهتدي لما احتضر قال:

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والتزوان

وقيل إن محمد بن بغا لم يحدثوا في أمره يوم حبس شيئا، وطالبوه بالأموال، فدفع إليهم نيفا وعشرين ألف دينار، ثم قتلوه بعد، بعجوا بطنه، وعصروا حلقة، وألقي في بئر من القناة، فلم يزل هنالك حتى أخرجه الموالي بعد أسرهم المهتدي بيوم، فدفن.

وكانت خلافة المهدي كلها إلى أن انقضى أمره أحد عشر شهرا وخمسة وعشرين يوما، وعمره كله ثمان وثلاثون سنة وكان رحب الجبهة، اجلح، جهم الوجه، اشهل، عظيم البطن، عريض المنكبين، قصيرا، طويل اللحية. وكان ولد بالقاطول.

٩٠٣٨٠٥ ذكر اخبار صاحب الزنج مع جعلان

ذكر اخبار صاحب الزنج مع جعلان
وفي هذه السنة وافى جعلان البصرة لحرب صاحب الزنج.
ذكر الخبر عما كان من أمرهما هنالك:
ذكر أن جعلان لما صار إلى البصرة زحف بعسكره منها، حتى صار بينه وبين عسكر صاحب الزنج فرسخ، فخذق على نفسه ومن معه، فأقام ستة أشهر في خندقه، فوجه الزيني وبريه وبنو هاشم ومن خف لحرب الخبيث من أهل البصرة في اليوم الذي تواعدهم جعلان للقائه، فلما التقوا لم يكن بينهم إلا الرمي بالحجارة والنشاب، ولم يجد جعلان إلى لقائه سبيلا لضيق الموضع بما فيه من النخل والدغل عن مجال الخيل، وأصحابه أكثرهم فرسان.

فذكر عن محمد بن الحسن أن صاحب الزنج قال: لما طال مقام جعلان في خندقه، رأيت أن أخفي له من أصحابي جماعة يأخذون عليه مسالك الخندق، ويبيتونه فيه، ففعل ذلك، وبيته في خندقه، فقتل جماعة من رجاله، وريع الباقون روعا شديدا فترك جعلان عسكره ذلك، وانصرف إلى البصرة، وقد كان الزيني قبل بيات الخبيث جعلان جمع مقاتلة البلالية والسعدية، ثم وجه لهم من ناحية نهر نافذ وناحيه هزار در، فواقعه من وجهين، ولقيهم الزنج، فلم يثبتوا لهم، وقهرهم الزنج، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وانصرفوا مفلولين، وانحاز جعلان إلى البصرة، فأقام بها وظهر عجزه للسلطان.

وفيها صرف جعلان عن حرب الخبيث، وأمر سعيد الحاجب بالشخص إلى لها لحربه.
وفيها تحول صاحب الزنج من السبخة التي كان ينزلها إلى الجانب الغربي

٩٠٣٨٠٦ ذكر الخبر عن دخول الزنج الأبله

من النهر المعروف بأبي الخصيب.
وفيها أخذ صاحب الزنج- فيما ذكر- أربعة وعشرين مركبا من مراكب البحر، كانت اجتمعت تريد البصرة، فلما انتهى إلى أصحابها خبره وخبر من معه من الزنج وقطعهم السبيل، اجتمعت آراؤهم على أن يشدوا مراكبهم بعضها إلى بعض، حتى تصير كالجزيرة، يتصل أولها بآخرها، ثم يسيروا بها في دجلة فاتصل به خبرها، فندب إليها أصحابه، وحرضهم عليها، وقال لهم: هذه الغنيمة الباردة.
قال أبو الحسن: فسمعت صاحب الزنج يقول: لما بلغني قرب المراكب مني نهضت للصلاة، وأخذت في الدعاء والتضرع، فخطبت بان قيل لي:

قد اطلق فتح عظيم، والتفت فلم ألبث أن طلعت المراكب، فنهض أصحابي إليها في الجريبات، فلم يلبثوا أن حووها وقتلوا مقاتلتها، وسبوا ما فيها من الرقيق، وغنموا منها أموالا عظاما لا تحصى ولا يعرف قدرها، فأذهب ذلك أصحابه ثلاثة أيام، ثم أمر بما بقي فحيز له.
ذكر الخبر عن دخول الزنج الأبله

ونخس بقين من رجب من هذه السنة، دخل الزنج الأبله، فقتلوا بها خلقا كثيرا وأحرقوها.
ذكر الخبر عنها وعن سبب الوصول إليها:

ذكر أن صاحب الزنج لما تنحى جعلان عن خندقه بشاطئ عثمان الذي كان فيه، وانحاز إلى البصرة ألح بالسرايا على أهل الأبله، فجعل يحاربهم من ناحية شاطئ عثمان بالرجالة، وبما خف له من السفن من ناحية دجلة، وجعلت سراياه تضرب إلى ناحية نهر معقل.
فذكر عن صاحب الزنج، أنه قال: ميلت بين عبادان والأبله، فلت

٩٠٣٨٠٧ ذكر خبر استيلاء صاحب الزنج على عبادان

٩٠٣٨٠٨ ذكر خبر دخول اصحاب صاحب الزنج الاهواز

إلى التوجه إلى عبادان، وندبت الرجال لذلك، فقبل لي: إن أقرب العدو دارا، وأولاه بألا تتشاغل بغيره عنه أهل الأبله، فرددت الجيش الذي كنت سيرت نحو عبادان إلى الأبله فلم يزالوا يحاربون أهل الأبله إلى ليلة الأربعاء لخمس بقين من رجب سنة ست وخمسين ومائتين فلما كان في هذه الليلة اقتحمها الزنج مما يلي دجلة ونهر الأبله، فقتل بها أبو الأحوص وابنه، وأضرمت نارا، وكانت مبنية بالساج محفوفة بناء متكائفا فأسرعت فيها النار، ونشأت ريح عاصف، فأطارت شرر ذلك الحريق حتى وصلت بشاطئ عثمان، فاحترق وقتل بالأبله خلق كثير، وغرق خلق كثير، وحويت الأسلاب، فكان ما احترق من الأمتعة أكثر مما انتهب. وقتل في هذه الليلة عبد الله بن حميد الطوسي وابن له، كانا في شدة بنهر معقل مع نصير المعروف بابي حمزه.

ذكر خبر استيلاء صاحب الزنج على عبادان

وفيها استسلم أهل عبادان لصاحب الزنج فسلموا إليه حصنهم.

ذكر الخبر عن السبب الذي دعاهم إلى ذلك:

ذكر أن السبب في ذلك أن الخبيث لما فعل أصحابه من الزنج بأهل الأبله ما فعلوا، ضعفت قلوبهم، وخافوهم على أنفسهم وحرهم، فأعطوا بأيديهم، وسلموا إليه بلدهم، فدخلها أصحابه، فأخذوا من كان فيها من العبيد، وحملوا ما كان فيها من السلاح إليه، ففرقه عليهم. ذكر خبر دخول اصحاب صاحب الزنج الاهواز. وفيها دخل أصحابه الأهواز وأسروا إبراهيم بن المدبر. ذكر الخبر عن سبب ذلك:

وكان الخبيث لما أوقع أصحابه بالأبله وفعلوا بها ما فعلوا، واستسلم له

أهل عبادان، فأخذ مماليكهم، فضمهم إلى أصحابه من الزنج، وفرق بينهم ما أخذ من السلاح الذي كان بها، طمع في الأهواز، فاستنص أصحابه نحو جبي، فلم يثبت لهم أهلها، وهربوا منهم، فدخلوا وأحرقوا، ونهبوا وأخربوا ما وراءها، حتى وافوا الأهواز، وبها يومئذ سعيد بن يكسين وال وإليه حربها، وإبراهيم بن محمد بن المدير وإليه الخراج والضياح، فهرب الناس منهم أيضا فلم يقاتلهم كثير أحد، وانحاز سعيد ابن تكسين فيمن كان معه من الجند، وثبت إبراهيم بن المدير فيمن كان معه من غلمانه وخدمه، فدخلوا المدينة، فاحتوها، وأسروا إبراهيم بن محمد بعد أن ضرب ضربة على وجهه، وحووا كل ما كان يملك من مال وأثاث ورقيق، وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ست وخمسين ومائتين.

ولما كان من أمره ما كان بالأهواز بعد الذي كان منه بالأبله، رعب أهل البصرة رعبا شديدا، فانتقل كثير من أهلها عنها، وتفرقوا في بلدان شتى، وكثرت الأراجيف من عوامها. وفي ذي الحجة من هذه السنة وجه صاحب الزنج إلى شاهين بن بسطام جيشا عليهم يحيى بن محمد البحراني لحربه، فلم ينل يحيى من شاهين ما أمل وانصرف عنه.

وفي رجب من هذه السنة وافى البصرة سعيد بن صالح المعروف بالحاجب من قبل السلطان لحرب صاحب الزنج. وفيها كانت بين موسى بن بغا الذين كان توجهوا معه إلى ناحية الجبل مخالفين لمحمد بن الواثق وبين مساور بن عبد الحميد الشاري وقعة بناحية خائقين ومساور في جمع كثير وموسى وأصحابه في مائتين، فهزموا مساورا وقتلوا من أصحابه جماعة كثيرة.

٩٠٣٨٠٩ خلافة المعتمد على الله

خلافة المعتمد على الله

وفيها بويع أحمد بن ابى جعفر المعروف بابن فتيان، وسمي المعتمد على الله، وذلك يوم الثلاثاء لأربع عشرة بقيت من رجب.

وفيهما بعث إلى موسى بن بغا وهو بخانقين بموت محمد بن الواثق وبيعة المعتمد، فوافى سامرا لعشر بقين من رجب. وليلتين خلتا من شعبان، ولى الوزارة عبيد الله بن يحيى بن خاقان وفيها ظهر بالكوفة علي بن زيد الطالبي، فوجه إليه الشاه بن ميكال في عسكر كثيف، فلقيه علي بن زيد في أصحابه، فهزمه وقتل جماعة كثيرة من أصحابه، ونجا الشاه ٤ وفيها وثب محمد بن واصل بن إبراهيم التميمي، وهو من أهل فارس، ورجل من أكرادها يقال له أحمد بن الليث بالحارث بن سيما الشرايبي عامل فارس، فخارباه، فقتل الحارث، وغلب محمد بن واصل على فارس وفيها وجه مفلح لحرب مساور الشاري وكنجور لحرب علي بن زيد الطالبي بالكوفة وفيها غلب جيش الحسن بن زيد الطالبي على الري، في شهر رمضان منها. وفيها شخص موسى بن بغا- لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال منها- من سامرا إلى الري، وشيعه المعتمد. وفيها كانت بين أماجور وابن لعيسى بن الشيخ على باب دمشق وقعة، فسمعت من ذكر أنه حضر أماجور، وقد خرج في اليوم الذي كانت فيه هذه الوقعة من مدينة دمشق مرتادا لنفسه عسكرا وابن عيسى بن الشيخ وقائد لعيسى يقال له أبو الصهباء في عسكر لهما بالقرب من مدينة دمشق، فاتصل بهما خبر خروج أماجور، وأنه خرج في نفر من أصحابه يسير، فطمعا فيه، فرحفا بمن معهما إليه، ولا يعلم أماجور بزحوفهما إليه حتى لقياه، والتحمت الحرب بين الفريقين، فقتل أبو الصهباء، وهزم الجمع الذي كان معه ومع ابن عيسى، ولقد سمعت من يذكر أن عيسى وأبا الصهباء كانا يومئذ في زهاء عشرين ألفا من رجالهما، وأن أماجور في مقدار مائتين إلى أربعمائة. وفي يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة منها قدم أبو أحمد ابن المتوكل من مكة إلى سامرا. وفيها وجه إلى عيسى بن الشيخ إسماعيل بن عبد الله المروزي المعروف بأبي النصر ومحمد بن عبيد الله الكريزي القاضي والحسين الخادم المعروف بعرق الموت، بولاية أرمينية، على أن ينصرف عن الشام آمنا، فقبل ذلك وشخص عن الشام إليها. ووج بالناس في هذه السنة محمد بن أحمد بن عيسى بن أبي جعفر المنصور.

٩٠٣٩ سنة سبع وخمسين ومائتين

٩٠٣٩٠١ ذكر خبر مسير يعقوب بن الليث إلى فارس وانصرافه عنها

٩٠٣٩٠٢ ذكر خبر انهزام الزنج امام سعيد بن الحاجب

ثم دخلت

سنة سبع وخمسين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليلة)

ذكر خبر مسير يعقوب بن الليث إلى فارس وانصرافه عنها

فمن ذلك ما كان من مصير يعقوب بن الليث إلى فارس، وبعثة المعتمد إليه طغتا وإسماعيل بن إسحاق وأبا سعيد الأنصاري في شعبان منها، وكتاب أبي أحمد بن المتوكل إليه بولاية بلخ وطخارستان إلى ما يلي ذلك من كرمان وسجستان والسند وغيرها، وما جعل له من المال في كل سنة، وقبوله ذلك وانصرافه.

وفي ربيع الآخر منها قدم رسول يعقوب بن الليث بأصنام ذكر أنه أخذها من كابل.

ولاثنتي عشرة خلت من صفر عقد المعتمد لأخيه أبي أحمد على الكوفة وطريق مكة والحرمين واليمن، ثم عقد له أيضا بعد ذلك لسبع خلون من شهر رمضان على بغداد والسواد وواسط وكور دجلة والبصرة والأهواز وفارس، وأمر أن يولى صاحب بغداد أعماله، وأن يعقد ليارجوخ على البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين مكان سعيد بن صالح، فولى يارجوخ منصور بن جعفر بن دينار البصرة وكور دجلة إلى ما يلي الأهواز.

ذكر خبر انهزام الزنج امام سعيد بن الحاجب

وفيهما أمر بغراج باستحثاث سعيد الحاجب في المصير إلى دجلة والإنابة بإزاء عسكر صاحب الزنج، ففعل ذلك بغراج- فيما قيل-

ومضى سعيد الحاجب لما أمر به من ذلك في رجب من هذه السنة

٩٠٣٩٠٣ خلاص ابن المدير من صاحب الزنج

فذكر أن سعيداً لما صار إلى نهر معقل وجد هنالك جيشاً لصاحب الزنج بالنهر المعروف بالمرغاب- وهو أحد الأنهار المعترضة في نهر معقل- فأوقع بهم فهزمهم، واستنقذ ما في أيديهم من النساء والنهب، وأصاب سعيداً في تلك الوقعة جراحات، منها جراحة في فيه ثم سار سعيد حتى صار إلى الموضع المعروف بعسكر أبي جعفر المنصور، فأقام به ليلة، ثم سار حتى أتاه بموضع يقال له هطمة من أرض الفرات، فأقام هنالك أياماً يعي أصحابه، ويستعد للقاء صاحب الزنج وبلغه في أيام مقامه هنالك، أن جيشاً لصاحب الزنج بالفرات، فقصدهم بجماعة من أصحابه، فهزمهم، وكان فيهم عمران زوج جدة ابن صاحب الزنج المعروف بأنكلاي، فاستأمن عمران هذا إلى بغراج، وتفرق ذلك الجمع قال محمد بن الحسن: فلقد رأيت المرأة من سكان الفرات تجد الزنجي مستترا بتلك الأدغال، فتقبض عليه حتى تأتي به عسكر سعيد ما به منها امتناع ثم قصد سعيد حرب الخبيث فعبر إلى غربي دجلة، فأوقع به وقعات في أيام متوالية، ثم انصرف سعيد إلى معسكره بهطمة، فأقام به يحاربه باقي رجب وعامه شعبان.

خلاص ابن المدير من صاحب الزنج

وفيها تخلص إبراهيم بن محمد بن المدير من حبس الخبيث، وكان سبب تخلصه منه- فيما ذكر- أنه كان محبوساً في غرفة في منزل يحيى بن محمد البحراني، فضايق مكانه على البحراني، فأنزله إلى بيت من أبيات داره، فخبسه فيه، وكان موكلًا به رجلان، ملاصق مسكنهما المنزل الذي فيه إبراهيم، فبذل لهما، ورغبهما، فسرّبا له سرّبا إلى الموضع الذي فيه إبراهيم من ناحيتهما، فخرج هو وابن أخ له يعرف بأبي غالب ورجل من بني هاشم كان محبوساً معهما.

٩٠٣٩٠٤ ذكر خبر إيقاع صاحب الزنج بسعيد وأصحابه

٩٠٣٩٠٥ خبر الوقعة بين منصور بن جعفر وصاحب الزنج

ذكر خبر إيقاع صاحب الزنج بسعيد وأصحابه

وفيها أوقع أصحاب الخبيث بسعيد وأصحابه فقتلوه ومن معه.

ذكر الخبر عن هذه الوقعة: ذكر أن الخبيث وجه إلى يحيى بن محمد البحراني وهو مقيم بنهر معقل في جيش كثيف يأمره بالتوجه بألف رجل من أصحابه، يرأس عليهم سليمان ابن جامع وأبا الليث، ويأمرهما بالقصد لعسكر سعيد ليلاً حتى يوقعا به في وقت طلوع الفجر ففعل ذلك، فصارا إلى عسكر سعيد، فصادفا منهم غرة وغفلة، فأوقعا بهم وقعة، فقتلا منهم مقتلة عظيمة، وأحرق الزنج يومئذ عسكر سعيد، فضعف سعيد ومن معه، ودخل أمرهم خلل للبيات الذي تهيأ عليهم، ولاحتباس الأرزاق عنهم، وكانت سببت لهم من مال الأهواز، فأبطأ بها عليهم منصور بن جعفر الخياط، وكان إليه يومئذ حرب الأهواز، وله من ذلك يد في الخراج.

ولما كان من أمر سعيد بن صالح ما كان، أمر بالانصراف إلى باب السلطان وتسليم الجيش الذي معه وما إليه من العمل هنالك إلى منصور بن جعفر، وذلك أن سعيداً ترك بعد ما كان من بيات الزنج أصحابه وإحراقهم عسكره، فلم يكن له حركة إلى أن صرف عما كان إليه من العمل هنالك.

خبر الوقعة بين منصور بن جعفر وصاحب الزنج

وفيها كانت وقعة بين منصور بن جعفر الخياط وبين صاحب الزنج، قتل فيها من أصحاب منصور جماعة كثيرة.

ذكر الخبر عن صفه هذه الوقعة:

ذكر أن سعيداً الحاجب لما صرف عن البصرة، أقام بغراج بها يحيى أهلها، وجعل منصور يجمع السفن التي تأتي بالميرة، ثم يذرقها في الشذا إلى البصرة، فضايق بالزنج الميرة ثم عبأ منصور أصحابه، وجمع إلى الشذا

٩٠٣٩٠٦ خبر مقتل شاهين بن بسطام وهزيمة ابراهيم بن سيما

التي كانت معه الشذا الجنائيات والسفن، وقصد صاحب الزنج في عسكره، فصعد قصرا على دجلة، فأحرقه وما حوله، ودخل عسكر الخبيث من ذلك الوجه، ووافاه الزنج، وكنوا له كميناً، فقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة.

وألجئ الباقون إلى الماء، فغرق منهم خلق كثير، وحمل من الرؤوس يومئذ - فيما ذكر - زهاء خمسمائة رأس إلى عسكر يحيى بن محمد البحراني بنهر معقل، وأمر بنصبها هنالك.

٤ وفيها ظهر من بغداد بموضع يقال له بركة زلزل، على خناق، وقد قتل خلقا كثيرا من النساء ودفنهن في دار كان فيها ساكنا، فحمل إلى المعتمد، فبلغني أنه أمر بضربه، ف ضرب الفى سوط وأربعمئة أرزن فلم يمت حتى ضرب الجلادون أنثييه بخشب العقابين، فمات، فرد إلى بغداد فصلب بها ثم احرقت جثته ٤.

خبر مقتل شاهين بن بسطام وهزيمة ابراهيم بن سيما
وفيها قتل شاهين بن بسطام وهزم ابراهيم بن سيما.

ذكر الخبر عن سبب مقتل شاهين وانهزام ابراهيم: ذكر أن البحراني كان كتب إلى الخبيث يشير عليه بتوجيه جيش إلى الأهواز للمقام بها، ويرغبه في ذلك، وأن يبدأ بقطع قنطرة أربك، لئلا يصل الخيل إلى الجيش وإن الخبيث وجه علي بن أبان لقطع القنطرة، فلقبه ابراهيم ابن سيما منصرفا من فارس، وكان بها مع الحارث بن سيما في الصحراء المعروفة بدست أربك، وهي صحراء بين الأهواز والقنطرة فلما انتهى علي بن أبان إلى القنطرة، أقام مخفيا نفسه ومن معه، فلما أصحرت الخيل، خرجت عليه من جهات، فقتلت من الزنج خلقا كثيرا، وانهزم علي، وتبعته الخيل إلى الفندم، وأصابته طعنة في أنحصره، فأمسك عن التوجه إلى الأهواز، وانصرف على وجهه إلى جبي، وصرف سعيد بن يكسين وولي ابراهيم بن

سيما، وكتبه شاهين، فأقبلا جميعا، ابراهيم بن سيما على طريق الفرات قاصدا لذنابه نهر جبي، وعلي بن أبان بالخيزرانية، فأقبل شاهين بن بسطام على طريق نهر موسى، يقدر لقاء ابراهيم في الموضع الذي قصد إليه، وقد اتعدا لمواقعة علي بن أبان، فسبق شاهين، وأتى علي بن أبان رجل من نهر موسى فأخبره بإقبال شاهين إليه، فوجه علي نحوه، فالتقيا في وقت العصر على نهر يعرف بأبي العباس - وهو نهر بين نهر موسى ونهر جبي - ونشبت الحرب بينهما، وثبت أصحاب شاهين، وقاتلوا قتالا شديدا، ثم صدمهم الزنج صدمة صادقة، فولوا منهزمين، فكان أول من قتل يومئذ شاهين وابن عم له يقال له حيان، وذلك أنه كان في مقدمة القوم، وقتل معه من أصحابه بشر كثير وأتى علي بن أبان مخبر فأخبره بورود ابراهيم بن سيما، وذلك بعد فراغه من أمر شاهين، فسار من فوره إلى نهر جبي، و ابراهيم بن سيما معسكر هنالك لا يعلم خبر شاهين، فوافاه علي في وقت العشاء الآخرة، فأوقع بهم وقعة غليظة قتل فيها جمعا كثيرا، وكان قتل شاهين والإيقاع بإبراهيم فيما بين العصر والعشاء الآخرة.

قال محمد بن الحسن: فسمعت علي بن أبان يحدث عن ذلك، قال:

لقد رأيتني يومئذ، وقد ركبني حمى نافض كانت تعتادني، وقد كان اصحابي حين نالوا ما نالوا من شاهين تفرقوا عني، فلم يصبر إلى عسكر ابراهيم بن سيما معي إلا نحو من خمسين رجلا، فوصلت إلى العسكر، فألقيت نفسي قريبا منه، وجعلت أسمع ضجيج أهل العسكر وكلامهم، فلما سكنت حركتهم، نهضت فأوقعت بهم.

ثم انصرف علي بن أبان عن جبي لما قتل شاهين، وهزم ابراهيم بن سيما، لورود كتاب الخبيث عليه بالمصير الى البصرة لحرب أهلها.

٩٠٣٩٠٧ ذكر خبر دخول الزنج البصرة هذا العام

ذكر خبر دخول الزنج البصرة هذا العام

وفيها دخل أصحاب الخبيث البصرة.

ذكر الخبر عن سبب وصولهم إلى ذلك وما عملوا بها حين دخلوها:

ذكر أن سعيد بن صالح لما شخص من البصرة ضم السلطان عمله إلى منصور بن جعفر الخياط، وكان من أمر منصور وأمر أصحاب الخبيث ما قد ذكرناه قبل، وضعف أمر منصور، ولم يعد لقتال الخبيث في عسكره، واقتصر على بذرقه القيروانات، واتسع أهل البصرة لوصول المير إليهم، وكان انقطاع ذلك عنهم قد أضر بهم، وانتهى إلى الخبيث الخبر بذلك، واتسع أهل البصرة، فعظم ذلك على الخبيث، فوجه علي بن أبان إلى نواحي جبي، فعسكر بالخيزرانية، وشغل منصور بن جعفر عن بذرقه القيروانات إلى البصرة، فعاد حال أهل البصرة إلى ما كانت عليه من الضيق وألح أصحاب الخبيث على أهل البصرة بالحرب صباحا ومساء.

فلما كان في شوال من هذه السنة أزمع الخبيث على جمع أصحابه للهجوم على أهل البصرة، والجد في خرابها، وذلك لعله بضعف أهلها وتفرقهم، وإضرار الحصار بهم، وخراب ما حولها من القرى، وكان قد نظر في حساب النجوم، ووقف على انكساف القمر ليلة الثلاثاء لأربع عشرة ليلة تخلو من الشهر.

فذكر عن محمد بن الحسن بن سهل أنه قال: سمعته يقول: اجتهدت في الدعاء على أهل البصرة، وابتلت إلى الله في تعجيل خرابها، فخطبت، فقيل لي: إنما البصرة خبزة لك تأكلها من جوانبها، فإذا انكسر نصف الرغيف خربت البصرة، فأولت انكسار نصف الرغيف انكساف القمر المتوقع في هذه الأيام، وما أخلق أمر البصرة أن يكون بعده.

قال: فكان يحدث بهذا حتى أفاض فيه أصحابه، وكثر تردده في أسماعهم وإحالة إياه بينهم ثم ندب محمد بن يزيد الدارمي، وهو أحد من كان صحبه بالبحرين للخروج إلى الأعراب، وأنفذه فأتاه منهم خلق كثير، فأناخوا بالقنديل، ووجه إليهم الخبيث سليمان بن موسى الشعراني، وأمرهم بتطرق البصرة، والإيقاع بها، وتقدم إلى سليمان بن موسى في تمرين الأعراب على ذلك، فلما وقع الكسوف أنهض علي بن أبان، وضم إليه طائفة من الأعراب، وأمره بإتيان البصرة مما يلي بني سعد، وكتب إلى يحيى بن محمد البحراني - وهو يومئذ محاصر أهل البصرة - في إتيانها مما يلي نهر عدي، وضم سائر الأعراب إليه قال محمد بن الحسن: قال شبل: فكان أول من واقع أهل البصرة علي بن أبان، وبغراج يومئذ بالبصرة في جماعة من الجند، فأقام يقاتلهم يومين، ومال الناس نحوه.

وأقبل يحيى بمن معه مما يلي قصر انس قاصدا نحو الجسر، فدخل على ابن أبان المهلب وقت صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال، فأقام يقتل ويحرق يوم الجمعة وليلة السبت ويوم السبت وغادى يحيى البصرة يوم الأحد، فتلقاه بغراج وبريه في جمع فرداه، فرجع فأقام يومه ذلك، ثم غاداهم يوم الاثنين، فدخل وقد تفرق الجند، وهرب بريه، وانحاز بغراج بمن معه، فلم يكن في وجهه أحد يدافعه، ولقيه إبراهيم بن يحيى المهلب، فاستأمنه لأهل البصرة فآمنهم، ونادى منادي إبراهيم بن يحيى: من أراد الأمان فليحضر دار إبراهيم، فحضر أهل البصرة قاطبة حتى ملئوا الرحاب.

فلما رأى اجتماعهم انتهز الفرصة في ذلك منهم، فأمر بأخذ السكك والطرق والدروب لثلاث يتفرقوا، وغدر بهم، وأمر أصحابه بقتلهم، فقتل كل من شهد ذلك المشهد إلا الشاذ ثم انصرف يومه ذلك، فأقام بقصر عيسى بن جعفر بالخريبة قال محمد: وحدثني الفضل بن عدي الدارمي، قال: أنا حين وجه الخائن لحرب أهل البصرة في حيز أهل البصرة مقيم في بني سعد قال:

فأتانا آت في الليل، فذكر أنه رأى خيلا مجتازة تؤم قصر عيسى بالخريبة،

فقال لي أصحابي: اخرج فتعرف لنا خبر هذه الخيل، فخرجت فإذا جماعة من بني تميم وبني أسد، فسألتهم عن حالهم، فزعموا أنهم أصحاب العلوي المضمومون إلى علي بن أبان، وأن عليا يوافي البصرة في غد تلك الليلة، وأن قصده لناحية بني سعد، وأن يحيى بن محمد بجمعه قاصد لناحية آل المهلب، فقالوا: قل لأصحابك من بني سعد: إن كنتم تريدون تحصين حرمكم، فبادروا بإخراجهم قبل إحاطة الجيش بكم.

قال الفضل: فرجعت إلى أصحابي، فأعلمتهم خبر الأعراب فاستعدوا، فوجهوا إلى بريه يعلمونه الخبر، فوافاهم فيمن كان بقي من الخول وجماعة من الجند وقت طلوع الفجر، فساروا حتى انتهوا إلى خندق يعرف ببني حمان، ووافاهم بنو تميم ومقاتلة السعدية، فلم يلبثوا أن طلع عليهم على ابن أبان في جماعة الزنج والأعراب على متون الخيل، فذهل بريه قبل لقاء القوم، فرجع إلى منزله، فكانت هزيمة،

وتفرق من كان اجتمع من بني تميم، ووافى علي فلم يدافعه أحد، ومر قاصدا إلى المربد، ووجه بريه إلى بني تميم يستصرخهم، فنهض إليه منهم جماعة، فكان القتال بالمربد بحضرة دار بريه، ثم انهزم بريه عن داره، وتفرق الناس لانهزامه، فأحرق الزنج داره، وانتهبوا ما كان فيها، فأقام الناس يقتلون هنالك، وقد ضعف أهل البصرة، وقوي عليهم الزنج، واتصلت الحرب بينهم إلى آخر ذلك اليوم، ودخل علي المسجد الجامع فأحرقه، وأدركه فتح غلام أبي شيث في جماعة من البصريين، فأنكشف علي وأصحابه عنهم، وقتل من الزنج قوم، ورجع علي فعسكر في الموضع المعروف بمقبرة بني شيبان، فطلب الناس سلطانا يقاتلون معه فلم يجدوه، وطلبوا بريها، فوجدوه قد هرب، وأصبح أهل البصرة يوم السبت، فلم يأتهم علي بن أبان، وغاداهم يوم الأحد، فلم يقف له أحد، وظفر بالبصرة.

قال محمد بن الحسن: وحدثني محمد بن سمعان، قال: كنت مقيما بالبصرة في الوقت الذي دخلها الزنج، وكنت أحضر مجلس إبراهيم بن محمد ابن إسماعيل المعروف ببريه، فحضرته وحضر يوم الجمعة لعشر ليال خلون من شوال سنة سبع وخمسين ومائتين وعنده شهاب بن العلاء العبدي، فسمعت شهابا يحدثه أن الخائن قد وجه بالأموال إلى البادية ليعرض بها رجال العرب، وأنه قد جمع جمعا كثيرا من الخيل، وهو يريد تورّد البصرة بهم وبرجالته من الزنج، وليس بالبصرة يومئذ من جند السلطان إلا نيف وخمسون فارسا مع بغراج، فقال بريه لشهاب: إن العرب لا تقدم علي بمساءة، وكان بريه مطاعا في العرب، محببا إليهم.

قال ابن سمعان: فأنصرفت من مجلس بريه، فلقيت أحمد بن أيوب الكاتب، فسمعتة يحكي عن هارون بن عبد الرحيم الشيعي، وهو يومئذ يلي بريد البصرة، أنه صح عنده أن الخائن جمع لثلاث خلون من شوال في تسعة أنفس، فكان وجوه أهل البصرة وسلطانها المقيم بها من الغبا عن حقيقة خبر الخائن على ما وصفت وقد كان الحصار عض أهل البصرة، وكثر الوباء بها، واستعرت الحرب فيها بين الحزبين المعروفين بالبلالية والسعدية.

فلما كان يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من شوال من هذه السنة، أغارت خيل الخائن على البصرة صباحا في هذا اليوم، من ثلاثة أوجه من ناحية بني سعد والمربد والخريبة، فكان يقود الجيش الذي سار إلى المربد علي بن أبان، وقد جعل أصحابه فرقتين، فرقة ولي عليها رفيقا غلام يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان، وأمرهم بالمصير إلى بني سعد، والفرقة الأخرى سار هو فيها إلى المربد، وكان يقود الخيل التي أتت من ناحية الخريبة يحيى بن محمد الأزرق البحراني، وقد جمع أصحابه من جهة واحدة، وهو فيهم، نفرج إلى كل فرقة من هؤلاء من خف من ضعف أهل البصرة، وقد جهدهم الجوع والحصار، وتفرقت الخيل التي كانت مع بغراج فرقتين: فرقة صارت إلى ناحية المربد وفرقة صارت إلى ناحية الخريبة، وقاتل من ورد ناحية بني سعد جماعة من مقاتلة السعدية فتح غلام أبي شيث وصحبه، فلم يغن قليل من أهل البصرة إلى جموع الخبيث شيئا، وهجم القوم بخيلهم ورجلهم.

قال ابن سمعان: فإني يومئذ لفي المسجد الجامع، إذ ارتفعت نيران ثلاث من ثلاثة أوجه: زهران والمربد وبني حمان في وقت واحد، كأن موقديها كانوا على ميعاد، وذلك صدر يوم الجمعة، وجل الخطب، وأيقن أهل البصرة بالهلاك، وسعى من كان في المسجد الجامع إلى منازلهم، ومضيت مبادرا إلى منزلي، وهو يومئذ في سكة المربد، فلقيني منهزم أهل البصرة في السكة راجعين نحو المسجد الجامع، وفي آخرهم القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمي، وهو على بغل متقلد سيفا يصيح بالناس: ويحكم! أتسلمون بلدكم وحرمتكم! هذا عدوكم قد دخل البلد، فلم يلووا عليه، ولم يسمعوا منه، ففضى وانكشفت سكة المربد، فصار بين المنهزمين والزنج فيها فضاء يسافر فيه البصر.

قال محمد: فلما رأيت ذلك دخلت منزلي، وأغلقت بابي، وأشرفت فإذا خيل من الأعراب ورجالة الزنج، تقدمهم رجل على حصان كبيت، بيده رمح، عليه عذبة صفراء، فسألت بعد أن صير بي إلى مدينة الخائن عن ذلك الرجل، فادعى علي بن أبان أنه ذلك الرجل، وأن الراية الصفراء رايته، ودخل القوم، فغابوا في سكة المربد إلى أن بلغوا باب عثمان، وذلك بعد الزوال ثم انصرفوا، فظن الناس من رعا أهل البصرة وجهالهم أن القوم قد مضوا لصلاة الجمعة، وكان الذي صرفهم أنهم خشوا أن يخرج عليهم جمع السعدية والبلالية من المربعة، وخافوا الكمناء هناك، فانصرفوا وانصرف من كان بناحية زهران وبني حصن، وذلك بعد أن أحرقوا وأنهبوا واقتدروا على البلد، وعلخوا أنه لا مانع لهم منه، فأغبوا السبت والأحد، ثم غادوا البصرة يوم الاثنين، فلم يجدوا عنها مدافعا، وجمع الناس إلى باب إبراهيم بن يحيى المهلي وأعطوا الأمان.

قال محمد بن سمعان: فحدثني الحسن بن عثمان المهلب الملقب بمندلقة- وكان من أصحاب يحيى بن محمد- قال: أمرني يحيى في تلك الغداة بالمصير

إلى مقبره بني يشكر، وحمل ما كان هناك من التناير، فصرت إليها، فحملت نيفا وعشرين تنورا على رؤوس الرجال، حتى أتيت بها دار إبراهيم ابن يحيى، والناس يظنون أنها تعد لاتخاذ طعام لهم، وهم من الجوع وشدة الحصار والجهد على أمر عظيم، وكثر الجمع بباب إبراهيم بن يحيى، وجعلوا ينوبون ويزدادون، حتى أصبحوا وارتفعت الشمس.

قال ابن سمعان: وأنا يومئذ قد انتقلت من سكة المربد من منزلي إلى دار جد أُمي هشام المعروف بالذاف، وكانت في بني تميم، وذلك للذي استفاض في الناس من دخول بني تميم في سلم الخائن، فإني لهنالك إذ أتى المخبرون بخبر الواقعة بحضرة دار إبراهيم بن يحيى، فذكروا أن يحيى بن محمد البحراني أمر الزنج، فأحاطوا بذلك الجمع، ثم قال: من كان من آل المهلب فليدخل دار إبراهيم بن يحيى، فدخلت جماعة قليلة، وأغلقت الباب دونهم ثم قيل للزنج:

دونكم الناس فاقتلوهم، ولا تبقوا منهم أحدا نفرج إليهم محمد بن عبد الله المعروف بأبي الليث الأصبهاني، فقال للزنج: كيلوا- وهي العلامة التي كانوا يعرفونها فيمن يؤمرون بقتله- فأخذ الناس السيف.

قال الحسن بن عثمان: فإني لأسمع تشهدهم وضجيجهم، وهم يقتلون، ولقد ارتفعت أصواتهم بالتشهد، حتى لقد سمعت بالطفافة، وهم على بعد من الموضع الذي كانوا به قال: ولما أتى على الجمع الذي ذكرنا أقبل الزنج على قتل من أصابوا، ودخل علي بن أبان يومئذ، فأحرق المسجد الجامع، وراح إلى الكلا، فأحرقه من الجبل إلى الجسر، والنار في كل ذلك تأخذ في كل شيء مرت به من إنسان وبهيمة وأثاث ومتاع، ثم ألحوا بالغدو والرواح على من وجدوا يسوقونهم إلى يحيى بن محمد، وهو يومئذ نازل بسيحان، فن كان ذا مال قرره حتى يستخرج ماله، ويقتله.

ومن كان مملقا قتله وذكر عن شبل أنه قال: باكر يحيى البصرة يوم الثلاثاء بعد قتل من قتل بباب إبراهيم بن يحيى، فجعل ينادي بالأمان في الناس ليظهروا، فلم يظهر له أحد، وانتهى الخبر إلى الخبيث، فصرف علي بن أبان عن البصرة، وأفرد يحيى بها لموافقة ما كان أتى يحيى من القتل إياه ووقوعه لمحبه، وأنه استقصر ما كان من علي بن أبان المهلب من الإمساك عن العيث بناحية بني سعد.

وقد كان علي بن أبان أوفد إلى الخبيث من بني سعد وفدا، فصاروا إليه، فلم يجدوا عنده خيرا، فخرجوا إلى عبادان، وأقام يحيى بالبصرة، فكتب إليه الخبيث يأمره بإظهار استخلاف شبل على البصرة ليسكن الناس، ويظهر المستخفي ومن قد عرف بكثرة المال، فإذا ظهروا أخذوا بالدلالة على ما دفنوا وأخفوا من أموالهم ففعل ذلك يحيى، فكان لا يخلو في يوم من الأيام من جماعة يؤتى بهم، فمن عرف منهم باليسار استنظف ما عنده وقتله، ومن ظهرت له خلته عاجله بالقتل، حتى لم يدع أحدا ظهر له إلا أتى عليه، وهرب الناس على وجوههم، وصرف الخبيث جيشه عن البصرة.

قال محمد بن الحسن: ولما أخرب الخائن البصرة، وانتهى إليه عظيم ما فعل أصحابه فيها، سمعته يقول: دعوت على أهل البصرة في غداة اليوم الذي دخلها أصحابي، واجتهدت في الدعاء، وسجدت، وجعلت ادعو في سجودي، فرفعت إلى البصرة، فرأيتها ورأيت أصحابي يقتلون فيها، ورأيت بين السماء والأرض رجلا واقفا في الهواء في صورة جعفر المعلوم المتولي كان للاستخراج في ديوان الخراج بسامرا، وهو قائم قد خفض يده اليسرى، ورفع يده اليمنى، يريد قلب البصرة بأهلها، فعلمت أن الملائكة تولت إخراجها دون أصحابي، ولو كان أصحابي تولوا ذلك لما بلغوا هذا الأمر العظيم الذي يحكى عنها وإن الملائكة لتنصرني وتؤيدني في حربي، وثبت من ضعف قلبه من أصحابي.

قال محمد بن الحسن: وانتسب الخبيث إلى يحيى بن زيد بن علي بعد إخراجه بالبصرة، وذلك لمصير جماعة من العلوية الذين كانوا بالبصرة إليه، وأنه كان فيمن أتاها منهم علي بن أحمد بن عيسى بن زيد، وعبد الله بن علي في

٩٠٣٩٠٨ ذكر الخبر عن الحرب بين محمد المولد والزنج

جماعة من نسائهم وحرهم، فلما جاءوه ترك الانتساب إلى أحمد بن عيسى، وانتسب إلى يحيى بن زيد. قال محمد بن الحسن: سمعت الخبيث وقد حضره جماعة من النوفليين، فقال القاسم بن الحسن النوفلي: أنه قد كان انتهى إلينا أنك من ولد أحمد بن عيسى بن زيد، فقال: لست من ولد عيسى، أنا من ولد يحيى بن زيد. وهو في ذلك كاذب، لأن الإجماع في يحيى أنه لم يعقب إلا بنتا ماتت وهي ترضع. ذكر الخبر عن الحرب بين محمد المولد والزنج وفيها أشخص السلطان محمدا المولد إلى البصرة لحرب صاحب الزنج، فشخص من سامرا يوم الجمعة لليلة خلت من ذي القعدة. ذكر الخبر عما كان من أمر المولد هناك:

ذكر أن محمدا المعروف بالمولد لما صار إلى ما هنالك نزل الأبله، وجاء بريه، فنزل البصرة، واجتمع إلى بريه من أهل البصرة خلق كثير ممن كان هرب، وكان يحيى حين انصرف عن البصرة أقام بالنهر المعروف بالغوثي قال محمد: قال شبل: فلما قدم محمد المولد كتب الخبيث إلى يحيى يأمره بالمصير إلى نهراوا، فصار إليه بالجيش، وأقام يحارب المولد عشرة أيام، ثم أوطن المولد المقام، واستقر وقتر عن الحرب، فكتب الخبيث إلى يحيى يأمره بتبنيته، ووجه إليه الشذا مع المعروف بأبي الليث الأصهباني، فبيته ونهض المولد بأصحابه، فقاتلهم بقية ليلته ومن غد إلى العصر، ثم ولى منصرفا، ودخل الزنج عسكره، فغنموا ما فيه فكتب يحيى إلى الخبيث بخبره، فكتب إليه يأمره باتباعه، فاتبعه إلى الحوانيت، وانصرف، فر بالجامة، فأوقع بأهلها، وانتهب كل ما كان في تلك القرى، وسفك ما قدر على سفكه من الدماء، ثم عسكر بالجاله، فأقام هناك مدة، ثم عاد إلى نهر معقل

وفيها أخذ محمد المولد سعيد بن أحمد بن سعيد بن سلم الباهلي، وكان قد تغلب على البطائح، هو وأصحابه من باهلة وأفسدوا الطريق. وفيها خالف محمد بن واصل السلطان بفارس، وغلب عليها. وجج بالناس في هذه السنة الفضل بن إسحاق بن الحسن بن إسماعيل بن العباس.

بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وفيها وثب بسيل المعروف بالصقلي - وقيل له الصقلي وهو من أهل بيت المملكة، لأن أمه صقلية - على ميخائيل بن توفيل ملك الروم فقتله، وكان ميخائيل منفردا بالمملكة أربعاً وعشرين سنة، وتملك الصقلي بعده على الروم.

٩٠٤٠ سنه ثمان وخمسين ومائتين

٩٠٤٠٠١ ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليله

ثم دخلت

سنة ثمان وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليله

فن ذلك ما كان من الموافاة بسعيد بن أحمد بن سعيد بن سلم الباهلي باب السلطان، وأمر السلطان بضربه بالسياط، فضرب سبعمائة سوط - فيما قيل - في شهر ربيع الآخر منها، فمات فصلب.

وفيها ضرب عنق قاض لصاحب الزنج، كان يقضي له بعبادان، وأعناق أربعة عشر رجلا من الزنج بباب العامة بسامرا، كانوا أسروا من ناحية البصرة.

وفيها أوقع مفلح بأعراب بتكريت، ذكر أنهم كانوا مايلاو الشاري مساورا وفيها أوقع مسرور البلخي بالأكراد اليعقوبية فهزمهم، وأصاب فيهم.

وفيها دخل محمد بن واصل في طاعة السلطان، وسلم الخراج والضياح بفارس إلى محمد بن الحسين بن الفياض.

وعقد المعتمد يوم الاثنين لعشر بقين من شهر ربيع الأول لأبي أحمد أخيه على ديار مضر وقنسرين والعواصم، وجلس يوم الخميس مستهل شهر ربيع الآخر، فخلف عليه وعلى مفلح، فشخصا نحو البصرة وركب ركوبا عاما، وشيع أبا أحمد إلى بركوار، وانصرف.

٩٠٤٠٠٢ ذكر الخبر عن قتل منصور بن جعفر الخياط

ذكر الخبر عن قتل منصور بن جعفر الخياط وفيها قتل منصور بن جعفر بن دينار الخياط. ذكر الخبر عن سبب مقتله وكيف كان أمره: ذكر أن الخبيث لما فرغ أصحابه من أمر البصرة، أمر علي بن أبان المهلب بالمصير إلى جبي لحرب منصور بن جعفر، وهو يومئذ بالأهواز، فخرج إليه، فأقام بإزائه شهرا، وجعل منصور يأتي عسكر علي وهو مقيم بالخيزرانية، ومنصور إذ ذاك في خوف من الرجال، فوجه الخبيث إلى علي ابن أبان باثنتي عشرة شذاة مشحونة بجلد أصحابه، وولى أمرها المعروف بأبي الليث الأصبهاني، وأمره بالسمع والطاعة لعلي بن أبان، فصار المعروف بأبي الليث إلى علي، فأقام مخالفا له، مستبدا بالرأي عليه، وجاء منصور كما كان يبغي للحرب، ومعه شذوات، فبدر إليه أبو الليث عن غير مؤامرة منه لعلي بن أبان، فظفر منصور بالشذوات التي كانت معه، وقتل فيها من البيضان والزنج خلقا كثيرا، وأفلت أبو الليث، فانصرف إلى الخبيث، فانصرف علي بن أبان وجميع من كان معه، فأقاموا شهرا، ثم رجع علي لمحاربة منصور في رجاله، فلما استقر علي وجه طلائع يأتونه بأخبار منصور وعساكره، وكان لمنصور وال مقيم بكنبا، فبيت علي بن أبان ذلك القائد، فقتله وقتل عامة من كان معه، وغنم ما كان في عسكره، وأصاب أفراسا، وأحرق العسكر، وانصرف من ليلته حتى صار في ذنابة نهر جبي وبلغ الخبر منصورا، فسار حتى انتهى إلى الخيزرانية، فخرج إليه علي في نفر من أصحابه، وكانت الحرب بينهما منذ ضحى ذلك اليوم إلى وقت الظهر، ثم انهزم منصور، وتفرق عنه أصحابه، وانقطع عنهم، وأدركته طائفة من الزنج اتبعوا أثره إلى نهر يعرف بعمر بن مهران، فلم يزل يكر عليهم حتى تقصفت رماحه، ونفدت سهامه، ولم يبق معه سلاح، ثم حمل نفسه على

٩٠٤٠٠٣ ذكر الخبر عن قتل مفلح

النهر ليعبر، فصاح بحصان كان تحته، فوثب وقصرت رجلاه، فانغمس في الماء. قال شبل: كان سبب تقصير الفرس عن عبور النهر بمنصور، أن رجلا من الزنج كان ألقى نفسه لما رأى منصورا قاصدا نحو النهر يريد عبوره فسبقه سباحة، فلما وثب الفرس تلقاه الأسود، فنكص به، فغاضا معا، ثم أطلع منصور رأسه، فنزل إليه غلام من السودان من عرفاء مصلح يقال له أبرون، فاحتز رأسه، وأخذ سلبه، وقتل ممن كان معه جماعة كثيرة، وقتل مع منصور أخوه خلف بن جعفر، فولى يارجوخ ما كان إلى منصور من العمل اصبعجون. ذكر الخبر عن قتل مفلح

ولاثنتي عشرة بقيت من جمادى الأولى منها، قتل مفلح بسهم أصابه بغير نصل في صدغه يوم الثلاثاء، فأصبح ميتا يوم الأربعاء في غد ذلك اليوم، وحملت جثته إلى سامرا، فدفن بها. ذكر الخبر عن سبب مقتله وكيف كان الوصول إليه: قد مضى ذكرى شخص أبي أحمد بن المتوكل من سامرا إلى البصرة لحرب اللعين لما تناهى إليه وإلى المعتمد ما كان من فطيع ما ركب من المسلمين بالبصرة، وما قرب منها من سائر أرض الإسلام، فعایت أنا الجيش الذي شخص فيه أبو أحمد ومفلح ببغداد، وقد اجتازوا بباب الطاق، وأنا يومئذ نازل هنالك، فسمعت جماعة من مشايخ أهل بغداد يقولون: قد رأينا جيوشا كثيرة من الخلفاء، فما رأينا مثل هذا الجيش أحسن عدة، وأكل سلاحا وعتادا، وأكثر عددا وجمعا، وأتبع ذلك الجيش من متسوقة أهل بغداد خلق كثير وذكر عن محمد بن الحسن أن يحيى بن محمد البحراني كان مقيما بنهر معقل قبل موافاة أبي أحمد موضع الخبيث، فاستأذنه في المصير إلى نهر العباس، فكره ذلك، وخاف أن يوافيه جيش السلطان، وأصحابه متفرقون، فألح عليه يحيى حتى أذن له، فخرج واتبعه أكثر أهل عسكر الخبيث.

وكان علي بن أبان مقيما بجبي في جمع كثير من الزنج، والبصرة قد صارت مغنما لأهل عسكر الخبيث، فهم يغادونها ويراحونها لنقل ما نالته أيديهم منها، فليس بعسكر الخبيث يومئذ من أصحابه إلا القليل، فهو على ذلك من حاله حتى وافى أبو أحمد في الجيش الذي كان

معه فيه مفلح، فوافى جيش عظيم هائل لم يرد على الخبيث مثله، فلما انتهى إلى نهر معقل هرب من كان هناك من جيش الخبيث، فلاحقوا به مرعوبين، فراح ذلك الخبيث، فدعا برئيسين من رؤساء جيشه الذي كان هناك، فسألهما عن السبب الذي له تركا موضعهما، فأخبراه بما عاينا من عظم أمر الجيش الوارد، وكثرة عدد أهله وإحكام عدتهم، وأن الذي عاينا من ذلك لم يكن في قوتهم الوقوف له في العدة التي كانا فيها، فسألهما: هل علما من يقود الجيش، فقالا: لا قد اجتهدنا في علم ذلك، فلم نجد من يصدقنا عنه فوجه الخبيث طلائعه في سميريات لتعرف الخبر، فرجعت رسله إليه بتعظيم أمر الجيش وتفخيمه، ولم يقف أحد منهم على من يقوده ويرأسه، فزاد ذلك في جزعه وارتياحه، فبادر بالإرسال إلى علي بن أبان، يعلمه خبر الجيش الوارد، ويأمره بالمصير إليه فيمن معه، ووافى الجيش، فأناخ بإزائه، فلما كان اليوم الذي كانت فيه الوقعة وهو يوم الأربعاء، خرج الخبيث ليطوف في عسكره ماشيا، ويتأمل الحال فيمن هو مقيم معه من حربه ومن هو مقيم بإزائه من أهل حربه، وقد كانت السماء مطرت في ذلك اليوم مطرا خفيفا والأرض ثرية تزل عنها الأقدام، فطوف ساعة من أول النهار، ثم رجع فدعا بدواة وقرطاس لينفذ كتابا إلى علي بن أبان، يعلمه ما قد أطله من الجيش ويأمره بتقديم من قدر على تقديمه من الرجال، فإنه لفي ذلك إذ أتاه المكتنى أبا دلف - وهو أحد قواد السودان - فقال له: إن القوم قد صعدوا وانهمز عنهم الزنج، وليس في وجوههم من يردهم حتى انتهوا إلى الجبل الرابع.

فصاح به وانتهره، وقال: اغرب عني فإنك كاذب فيما حكيت، وإنما ذلك جزع دخلك لكثرة ما رأيت من الجمع، فأنخل قلبك، ولست تدري ما تقول.

نفرج أبو دلف من بين يديه، وأقبل على كاتبه، وقد كان أمر جعفر بن إبراهيم السجان بالنداء في الزنج وتحريكهم للخروج إلى موضع الحرب، فأتاه السجان، فأخبره أنه قد ندب الزنج، نفرجوا وإن أصحابه قد ظفروا بسميريتين، فأمره بالرجوع لتحريك الرجال، فرجع ولم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا، حتى أصيب مفلح بسهم غرب لا يعرف الرامي به، ووقعت الهزيمة، وقوي الزنج على أهل حربهم، فنالوهم بما نالوهم به من القتل ووافى الخبيث زنجه بالراءوس قابضين عليها بأسنانهم حتى ألقوها بين يديه، فكثرت الراءوس يومئذ حتى ملأت كل شيء، وجعل الزنج يقتسمون لحوم القتلى ويتهادونها بينهم.

وأتي الخائن بأسير من أبناء الفراغنة، فسأله عن رأس الجيش، فأعلمه بمكان أبي أحمد ومفلح، فارتاع لذكر أبي أحمد - وكان إذا راعه أمر كذب به - فقال: ليس في الجيش غير مفلح! لأنني لست أسمع الذكر إلا له، ولو كان في الجيش من ذكر هذا الأسير لكان صوته أبعد، ولما كان مفلح إلا تابعا له، ومضافا إلى صحبته.

وقد كان أهل عسكر الخبيث لما خرج عليهم أصحاب أبي أحمد، جزعوا جزعا شديدا، وهربوا من منازلهم، ولجئوا إلى النهر المعروف بنهر أبي الخصيب ولا جسر يومئذ عليه، فغرق فيه يومئذ خلق كثير من النساء والصبيان، ولم يلبث الخبيث بعد الوقعة إلا يسيرا، حتى وافاه علي بن أبان في جمع من أصحابه، فوافاه وقد استغنى عنه، ولم يلبث مفلح أن مات، وتحيز أبو أحمد

٩٠٤٠٠٤ ذكر خبر اسريحي بن محمد البحراني ثم قتله

إلى الأبله، ليجمع ما فرقت الهزيمة منه، ويجدد الاستعداد، ثم صار إلى نهر أبي الأسد فأقام به. قال محمد بن الحسن: فكان الخبيث لا يدري كيف قتل مفلح، فلما بلغه أنه أصيب بسهم، ولم ير أحدا ينتحل رميه ادعى أنه كان الرامي له.

قال: فسمعته يقول: سقط بين يدي سهم، فأتاني به واح خادمي، فدفعه إلي، فرميت به فأصبت مفلحا. قال محمد: وكذب في ذلك، لأنني كنت حاضرا ذلك المشهد، وما زال عن فرسه حتى أتاه المخبر بخبر الهزيمة، وأتى بالراءوس وانقضت الحرب.

وفي هذه السنة وقع الوباء في الناس في كور دجلة، فهلك فيها خلق كثير في مدينة السلام وسامرا وواسط وغيرها.

وفيها قتل خريخارس ببلاد الروم في جماعة من أصحابه.

ذكر خبر اسريحي بن محمد البحراني ثم قتله

وفيهما أسري يحيى بن محمد البحراني صاحب قائد الزنج، وفيها قتل.

ذكر الخبر عن أسره وقتله وكيف كان ذلك: ذكر عن محمد بن سمعان الكاتب أنه قال: لما وافى يحيى بن محمد نهر العباس، لقيه بفوهه النهر ثلاثمائة وسبعون فارساً من أصحاب أصمجنون العامل - كان عامل الأهواز في ذلك الوقت، كانوا مرتبين في تلك الناحية - فلما بصر بهم يحيى استقلهم، ورأى كثرة من معه من الجمع مما لا خوف عليه معهم، فلقيتهم أصحابه غير مستجنيين بشيء يرد عنهم عاديتهم، ورشقتهم أصحاب أصمجنون بالسهم، فأكثرُوا الجراح فيهم فلما رأى ذلك

يحيى عبر إليهم عشرين ومائة فارس كانت معه، وضم إليهم من الرجال جمعا كثيرا، وانحاز أصحاب أصمجنون عنهم، وولج البحراني ومن معه نهر العباس، وذلك وقت قلة الماء في النهر، وسفن القبروانات جانحة على الطين.

فلما أبصر أصحاب تلك السفن بالزنج تركوا سفنهم، وحازها الزنج، وغنموا ما كان فيها غنائم عظيمة جليلة، ومضوا بها متوجهين نحو البطيحة المعروفة ببطيحة الصحناء، وتركوا الطريق النهج، وذلك للتحاسد الذي كان بين البحراني وعلي بن أبان المهلبى وإن أصحاب يحيى أشاروا عليه ألا يسلك الطريق الذي يمر فيها بعسكر علي، فأصغى إلى مشورتهم، فشرعوا له الطريق المؤدي إلى البطيحة التي ذكرنا، فسلكها حتى ولج البطيحة، وسرح الخيل التي كانت معه، وجعل معها أبا الليث الأصبهاني، وأمره بالمصير بها إلى عسكر قائد الزنج.

وكان الخبيث وجهه إلى يحيى البحراني يعلمه ورود الجيش الذي ورد عليه، ويأمره بالتحرز في منصرفه من أن يلقاه أحد منهم، فوجه البحراني الطلائع إلى دجلة، فانصرفت طلائعه وجيش أبي أحمد منصرف من الأبله إلى نهر أبي الأسد، وكان السبب في رجوع الجيش إلى نهر أبي الأسد، أن رافع بن بسطام وغيره من مجاوري نهر العباس وبطيحة الصحناء كتبوا إلى أبي أحمد يعرفونه خبر البحراني وكثرة جمعه، وأنه يقدر أن يخرج من نهر العباس إلى دجلة، فيسبق إلى نهر أبي الأسد ويعسكر به، ويمنعه الميرة، ويحول بينه وبين من يأتيه أو يصدر عنه، فرجعت إليه طلائعه بخبره، وعظم أمر الجيش عنده، وهيبته منه، فرجع في الطريق الذي كان سلكه بمشقة شديدة نالته ونالت أصحابه، وأصابهم وباء من ترددهم في تلك البطيحة، فكثرت المرض فيهم فلما قربوا من نهر العباس جعل يحيى بن محمد سليمان بن جامع على مقدمته، فضى يقود أوائل الزنج، وهم يجرون سفنهم، يريدون الخروج من نهر العباس، وفي النهر للسلطان شدوات وسميريات تحمي فوهته من قبل أصمجنون، ومعها جمع من الفرسان والرجالة، فراحه وأصحابه ذلك،

نفلوا سفنهم، وألقوا أنفسهم في غربي نهر العباس، وأخذوا على طريق الزيدان ماضين نحو عسكر الخبيث، ويحيى غار بما أصابهم، لم يأتهم علم شيء من خبرهم، وهو متوسط عسكره، قد وقف على قنطرة قورج العباس في موضع ضيق تشتد فيه جرية الماء، فهو مشرف على أصحابه الزنج، وهم في جرتلك السفن التي كانت معهم، فنها ما يغرق، ومنها ما يسلم.

قال محمد بن سمعان: وأنا في تلك الحال معه واقف، فأقبل علي متعجبا من شدة جرية الماء وشدة ما يلقي أصحابه من تلقيه بالسفن، فقال لي:

أرأيت لو هجم علينا غدونا في هذه الحال، من كان أسوأ حالا منا! فما انقضى كلامه حتى وافاه طاشمتر التركي في الجيش الذي أنفذه إليهم أبو أحمد عند رجوعه من الأبله إلى نهر أبي الأسد، ووقعت الضجة في عسكره.

قال محمد: فهضمت متشوقا للنظر، فإذا الأعلام الحمر قد أقبلت في الجانب الغربي من نهر العباس ويحيى به، فلما رآها الزنج ألقوا أنفسهم في الماء جملة، فعبروا إلى الجانب الشرقي، وعري الموضع الذي كان فيه يحيى، فلم يبق معه إلا بضعة عشر رجلا، فهض يحيى عند ذلك، فأخذ درقته وسيفه، واحتزم بمنديل، وتلقى القوم الذين أتوه في النفر الذين معه، فرشقهم أصحاب طاشمتر بالسهم، وأسرع فيهم الجراح، وجرح البحراني بأسهم ثلاثة في عضديه وساقه اليسرى فلما رآه أصحابه جريحا تفرقوا عنه، فلم يعرف فيقصد له فرجع حتى دخل بعض تلك السفن، وعبر به إلى الجانب الشرقي من النهر، وذلك وقت الضحى من ذلك اليوم، وأثقلت يحيى الجراحات التي أصابته فلما رأى الزنج ما نزل به اشتد جزعهم، وضعفت قلوبهم، فتركوا القتال وكانت همتهم النجاة بأنفسهم، وحاز أصحاب السلطان الغنائم التي كانت في السفن بالجانب الغربي من النهر، فلما حووها أقعدوا في بعض تلك السفن النفاطين، وعبروهم إلى شرقي النهر، فأحرقوا ما كان هناك من السفن

التي كانت في أيدي الزنج، وانفض الزنج عن يحيى، فجعلوا يتسللون بقية نهارهم بعد قتل فيهم ذريع، وأسر كثير، فلما أمسوا وأسدف الليل طاروا على وجوههم، فلما رأى يحيى تفرق أصحابه، ركب سميرية كانت لرجل من المقاتلة البيضاء، وأقعد معه فيها متطببا يقال له عباد يعرف بأبي جيش، وذلك لما كان به من الجراح، وطمع في التخلص إلى عسكر الخبيث، فسار حتى قرب من فوهه النهر، فبصر ملاحو السميرية بالشذا والسميريات واعتراضها في النهر، فجزعوا من المرور بهم، وأيقنوا أنهم مدركون، فعبروا إلى الجانب الغربي، فألقوه ومن معه على الأرض في زرع كان هناك، فخرج يمشي وهو مثقل، حتى ألقى نفسه، فأقام بموضعه ليلته تلك، فلما أصبح بموضعه ذلك نهض عباد المتطبب الذي كان معه، فجعل يمشي متشوقا لأن يرى إنسانا، فرأى بعض أصحاب السلطان، فأشار إليهم فأخبرهم بمكان يحيى، وأتاه بهم حتى سلمه إليهم.

وقد زعم قوم أن قوما مروا به، فأروه فدلوا عليه، فأخذ فانتى خبره إلى الخبيث صاحب الزنج، فاشتد لذلك جزعه، وعظم عليه توجعه. ثم حمل يحيى بن محمد الأزرق البحراني إلى أبي أحمد، فحمله أبو أحمد إلى المعتمد بسامرا، فأمر ببناء دكة بالحير، بحضرة مجرى الحلبة فبنيت، ثم رفع للناس حتى أبصروه، فضرب بالسياط.

وذكر أنه دخل سامرا يوم الأربعاء لتسع خلون من رجب على جمل، وجلس المعتمد من غد ذلك اليوم- وذلك يوم الخميس- فضرب بين يديه مائتي سوط بثمارها، ثم قطعت يداه ورجلاه من خلاف، ثم خبط بالسيوف ثم ذبح ثم أحرق. قال محمد بن الحسن: لما قتل يحيى البحراني وابتى خبره إلى صاحب الزنج، قال: عظم علي قتله، واشتد اهتمامي به، فخطبت فقبل لي: قتله خير لك، أنه كان شرها ثم أقبل على جماعة كنت أنا فيهم، قال: ومن شره أنا غنمنا غنيمة من بعض ما كنا نصيبه، فكان فيه عقدان، فوقعا في

٩٠٤٠٠٥ ذكر خبر انخياز أبي أحمد بن المتوكل إلى واسط

يد يحيى، فأخفى عني أعظمهما خطرا، وعرض علي أحسهما، واستوهبنيه فوهبته له، فرفع لي العقد الذي أخفاه، فدعوته فقلت: أحضرنى العقد الذي أخفيته، فأتاني بالعقد الذي وهبته له، وحمد أن يكون أخذه غيره، فرفع لي العقد، فجعلت أصفه وأنا أراه، فبهت، وذهب فأتاني به، واستوهبنيه فوهبته له، وأمرته بالاستغفار.

وذكر عن محمد بن الحسن أن محمد بن سميان حدثه أن قائد الزنج قال لي في بعض أيامه: لقد عرضت علي النبوة فأبيتها، فقلت: ولم ذاك؟ قال: لأن لها أعباء خفت ألا اطيق حملها!

ذكر خبر انخياز أبي أحمد بن المتوكل إلى واسط

وفي هذه السنة انحاز أبو أحمد بن المتوكل من الموضع الذي كان به من قرب موضع قائد الزنج إلى واسط. ذكر الخبر عن سبب الحيازة ذلك إليها: ذكر أن السبب في ذلك كان أن أبا أحمد لما صار إلى نهر أبي الأسد، فأقام به، كثر العلل فيمن معه من جنده وغيرهم، وفشا فيهم الموت، فلم يزل مقيما هنالك حتى أبل من نجا منهم من الموت من علته، ثم انصرف راجعا إلى باذاورد، فعسكر به، وأمر بتجديد الآلات وإعطاء من معه من الجند أرزاقهم وإصلاح الشدوات والسميريات والمعاير، وشحنها بالقواد من مواله وغلمان، ونهض نحو عسكر الخبيث، وأمر جماعة من قواده بقصد مواضع سماها لهم من نهر أبي الخصيب وغيره، وأمر جماعة منهم بلزومه والمحاربة معه في الموضع الذي يكون فيه، قال أكثر القوم حين وقعت الحرب، والتقى الفريقان إلى نهر أبي الخصيب، وبقي أبو أحمد في قلة من أصحابه، فلم يزل عن موضعه إشفافا من أن يطمع فيه الزنج، وفيمن بإزائهم من أصحابه وهم بسبخة

٩٠٤٠٠٦ أخبار متفرقة

نهر منكى، وتأمل الزنج تفرق أصحاب أبي أحمد عنه، وعرفوا موضعه، فكثروا عليه، واستعرت الحرب، وكثر القتل والجراح بين الفريقين، وأحرق أصحاب أبي أحمد قصورا ومنازل من منازل الزنج، واستنقذوا من النساء جمعا كثيرا، وصرف الزنج جمعهم إلى الموضع الذي

كان به أبو أحمد فظهر الموفق على الشذا، وتوسط الحرب محرضا أصحابه حتى أتاه من جمع الزنج ما علم أنه لا يقاوم بمثل العدة اليسيرة التي كان فيها، فرأى أن الحزم في محاربتهم، فأمر أصحابه عند ذلك بالرجوع إلى سفنهم على تودة ومهل، فصار أبو أحمد إلى الشذا التي كان فيها بعد أن استقر أكثر الناس في سفنهم، وبقيت طائفة من الناس، ولجئوا إلى تلك الأدغال والمضايق، فانقطعوا عن أصحابهم، فخرج عليهم كمناء الزنج، فاقتطعوه ووقعوا بهم، فحاموا عن أنفسهم، وقاتلوا قتالا شديدا، وقتلوا عددا كثيرا من الزنج، وأدركتهم المنيا فقتلوا، وحملوا إلى قائد الزنج مائة رأس وعشرة رؤوس، فزاد ذلك في عتوه ثم انصرف أبو أحمد إلى البذاورد في الجيش، وأقام يعي أصحابه للرجوع إلى الزنج، فوقعت نار في طرف من أطراف عسكره، وذلك في أيام عصوف الريح، فاحترق العسكر، ورحل أبو أحمد منصرفا، وذلك في شعبان من هذه السنة إلى واسط، فلما صار إلى واسط تفرق عنه عامه من كان معه من أصحابه.

[أخبار متفرقة]

ولعشر خلون من شعبان كانت هدة صعبة هائلة بالصيمرة ثم سمع من غد ذلك اليوم وذلك يوم الأحد، هدة هي أعظم من التي كانت في اليوم الأول، فهدم من ذلك أكثر المدينة، وتساقطت الحيطان وهلك من أهلها - فيما قيل - زهاء عشرين ألفا وضرب بباب العامة بسامرا رجل يعرف بأبي فقعس، قامت عليه البينة - فيما قيل - بستم السلف ألف سوط وعشرين سوطا، فمات وذلك يوم الخميس لسبع خلون من شهر رمضان ومات يارجوخ يوم الجمعة لثمان خلون من شهر رمضان، فصلى عليه أبو عيسى بن المتوكل، وحضر جعفر بن المعتمد وفيها كانت وقعة بين موسى بن بغا وأصحاب الحسن بن زيد، فهزم موسى أصحاب الحسن وفيها انصرف مسرور البلخي عن مساور الشاري إلى سامرا، ومعه أسراء من الشراة، واستخلف على عسكره بالحديثة جعلان ثم شخص أيضا مسرور البلخي إلى ناحية البوازيج، فلقى مساورا بها، فكانت بينهما وقعة بها أسر مسرور من أصحابه جماعة، ثم انصرف لليال بقيت من ذي الحجة وفي هذه السنة حدث في الناس ببغداد داء كان أهلها يسمونه القفاح.

وفيها رجع أكثر الحاج من القرعاء خوف العطش، وسلم من سار منهم إلى مكة.

وجج بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن.

٩٠٤١ سنة تسع وخمسين ومائتين

٩٠٤١٠١ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

٩٠٤١٠٢ ذكر الخبر عن مقتل كنجور

ثم دخلت

سنة تسع وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك منصرف أبي أحمد بن المتوكل من واسط، وقدمه سامرا يوم الجمعة لأربع بقين من شهر ربيع الأول، واستخلافه على واسط وحرب الخبيث بتلك الناحية محمدا المولد.

. ذكر الخبر عن مقتل كنجور

ومن ذلك مقتل كنجور.

ذكر الخبر عن سبب مقتله:

وكان سبب ذلك أنه كان والي الكوفة، فانصرف عنها يريد سامرا بغير إذن، فأمر بالرجوع فأبى، فحمل إليه - فيما ذكر - مال ليفرق في أصحابه أرزاقهم منه، فلم يقنع بذلك، ومضى حتى ورد عكبراء في ربيع الأول، فتوجه إليه من سامرا عدة من القواد، فيهم: ساتكين وتكين وعبد الرحمن ابن مفلح وموسى بن أتماش وغيرهم، فذبجوه ذبحا، وحمل رأسه إلى سامرا، لليلة بقيت من شهر ربيع الأول، وأصيب معه نيف وأربعون ألف دينار، وألزم كاتب له نصراني مالا، ثم ضرب هذا الكاتب في شهر ربيع الآخر بباب العامة ألف سوط، فمات.

وفيها غلب شركب الجمال على مرو وناحياتها وأنهاها.

وفيهما انصرف يعقوب بن الليث عن بلخ، فأقام بقمستان، وولى عماله هراة وبوشنج وباذغيس، وانصرف إلى سجستان

٩٠٤١٠٣ ذكر خبر دخول المهلبى ويحيى بن خلف سوق الاهواز

وفيهما فارق عبد الله السجزي يعقوب بن الليث مخالفا له، وحاصر نيسابور، فوجه محمد بن طاهر إليه الرسل والفقهاء، فاختلفوا بينهما، ثم ولاه الطبرسين وقهستان

. ذكر خبر دخول المهلبى ويحيى بن خلف سوق الاهواز

ولست خلون من ارجب منها، دخل المهلبى ويحيى بن خلف النهر بطى سوق الأهواز، فقتلوا بها خلقا كثيرا، وقتلوا صاحب المعونة بها.

ذكر الخبر عن سبب هذه الواقعة وكيف كان هلاك صاحب الحرب من قبل السلطان فيها:

ذكر أن قائد الزنج خفي عليه أمر الحريق الذي كان في عسكر أبي أحمد بالبازاورد، فلم يعلم خبره إلا بعد ثلاثة أيام، ورد به عليه رجلا من أهل عبادان فأخبراه، فعاد للعيث، وانقطعت عنه الميرة، فانفض على ابن أبان المهلبى، وضم إليه أكثر الجيش، وسار معه سليمان بن جامع، وقد ضم إليه الجيش الذي كان مع يحيى بن محمد البحراني وسليمان بن موسى الشعراني، وقد ضمت إليه الخيل وسائر الناس مع علي بن أبان المهلبى والمتولي للأهواز يومئذ رجل يقال له أصعجون، ومعه نيزك في جماعة من القواد، فسار إليهم علي بن أبان في جمعه من الزنج، ونذر به أصعجون، فنهض نحوه في أصحابه، فالتقى العسكران بصحراء تعرف بدستاران، فكانت الدبرة يومئذ على أصعجون، فقتل نيزك في جمع كثير من أصحابه، وغرق أصعجون، وأسر الحسن بن هرثمة المعروف بالشار يومئذ، والحسن بن جعفر المعروف براوشار.

قال محمد بن الحسن: فحدثني الحسن بن الشار، قال: خرجنا يومئذ مع أصعجون للقاء الزنج، فلم يثبت أصحابنا، وانهزموا، وقتل نيزك، وفقد أصعجون، فلما رأيت ذلك نزلت عن فرس محذوف كان تحتي، وقدرت

٩٠٤١٠٤ شخص موسى بن بغا لحرب صاحب الزنج

أن أتناول بذنب جنينة كانت معي، وأقمها النهر، فأنجو بها فسبقني إلى ذلك غلامي، فنجنا وتركني، فأثيت موسى بن جعفر لأتخلص معه، فركب سفينة، ومضى فيها، ولم يبق علي، وبصرت بزورق فأثيته فركبته، فكثرت الناس علي وجعلوا يطلبون الركوب معي فيتعلقون بالزورق حتى غرقوه، فانقلب، وعلوت ظهره، وذهب الناس عني، وأدركني الزنج، فجعلوا يرموني بالنشاب، فلما خفت التلف قلت: أمسكوا عن رمي، وألقوا إلي شيئا أتعلق به، وأصير إليكم، فمدوا إلي رحا، فتناولته بيدي وصرت إليهم.

وأما الحسن بن جعفر، فإن أخاه حمله على فرس، واعد له ليسفر بينه وبين أمير الجيش، فلما وقعت الهزيمة بادر في طلب النجاة، فعثر به فرسه فأخذه.

فكتب علي بن أبان إلى الخبيث بأمر الوقعة، وحمل إليه رؤسا وأعلاما كثيرة، ووجه الحسن بن الشار والحسن بن جعفر وأحمد بن روح، فأمر بالأسرى إلى السجن، ودخل علي بن أبان الأهواز، فأقام يعيث بها إلى أن ندب السلطان موسى بن بغا لحرب الخبيث.

شخص موسى بن بغا لحرب صاحب الزنج وفيها شخص موسى بن بغا عن سامرا لحربه، وذلك لثلاث عشر بقيت من ذي القعدة، وشيعه المعتمد إلى خلف الحائطين، وخلع عليه هناك.

وفيهما وافى عبد الرحمن بن مفلح الأهواز وإسحاق بن كنداج البصرة وإبراهيم بن سيما بازاورد لحرب قائد الزنج من قبل موسى بن بغا. ذكر الخبر عما كان من أمر هؤلاء في النواحي التي ضمت إليهم مع أصحاب قائد الزنج في هذه السنة:

ذكر أن ابن مفلح لما وافى الأهواز، أقام بقنطرة أربك عشرة أيام، ثم

مضى إلى المهلبى، فواقعه، فهزمه المهلبى وانصرف، واستعد ثم عاد لمحاربتة، فأوقع به وقعة غليظة، وقتل من الزنج قتلا ذريعا، وأسر أسرى كثيرة، وانهزم علي بن أبان، وأفلت ومن معه من الزنج، حتى وافوا بيانا، فأراد الخبيث ردهم، فلم يرجعوا للذعر الذي خالط

قلوبهم فلما رأى ذلك أذن لهم في دخول عسكره، فدخلوا جميعا، فأقاموا بمدينةته ووافى عبد الرحمن حصن المهدي ليعسكر به، فوجه إليه الخليلي علي بن أبان، فواقعه فلم يقدر عليه، ومضى علي يريد الموضع المعروف بالذكر، وإبراهيم بن سيما يومئذ بالبازاورد، فواقعه إبراهيم، فهزم علي بن أبان، وعأوده فهزمه أيضا إبراهيم، ففضى في الليل، وأخذ معه أدلاء، فسلكوا به الآجام والأدغال، حتى وافى نهر يحيى، وانتهى خبره إلى عبد الرحمن، فوجه إليه طاشمتر في جمع من الموالي، فلم يصل إلى علي ومن معه لوعورة الموضع الذي كانوا فيه، وامتناعه بالقصب والحلافي، فأضرمه عليهم نارا، فخرجوا منه هاربين، فأسر منهم أسرى، وانصرف إلى عبد الرحمن بن مفلح بالأسرى والظفر، ومضى علي ابن أبان حتى وافى نسوخا، فأقام هناك فيمن معه من أصحابه، وانتهى الخبر بذلك إلى عبد الرحمن بن مفلح، فصرف وجهه نحو العمود، فوافاه وأقام به.

وصار علي بن أبان إلى نهر السدرة، وكتب إلى الخليلي يستمده ويسأله التوجيه إليه بالشذات، فوجه إليه ثلاث عشرة شذاة، فيها جمع كثير من أصحابه فسار علي ومعه الشذاة حتى وافى عبد الرحمن، وخرج إليه عبد الرحمن بمن معه، فلم يكن بينهما قتال، وتواقف الجيشان يومهما ذلك، فلما كان الليل، انتخب علي بن أبان من أصحابه جماعة يثق بجلدهم وصبرهم، ومضى فيهم ومعه سليمان بن موسى المعروف بالشعراني، وترك سائر عسكره مكانه ليخفى أمره، فسار من وراء عبد الرحمن، ثم بيته في عسكره، فنال منه ومن أصحابه نيلا، وانحاز عبد الرحمن عنه، وخلى عن أربع شذوات من شذواته،

فأخذها علي وانصرف، ومضى عبد الرحمن لوجهه حتى وافى الدولاب فأقام به، وأعد رجالا من رجاله، وولى عليهم طاشمتر، وأنفذهم إلى علي ابن أبان فوافوه بنواحي بياب آزر، فأوقعوا به وقعة، انهزم منها إلى نهر السدرة، وكتب طاشمتر إلى عبد الرحمن بانضمام علي عنه، فأقبل عبد الرحمن بجيشه حتى وافى العمود، فأقام به، واستعد أصحابه للحرب، وهيا شذواته، وولى عليها طاشمتر، فسار إلى فوهة نهر السدرة، فواقع علي بن أبان وقعة عظيمة، انهزم منها علي، وأخذ منه عشر شذوات، ورجع علي إلى الخليلي مفلولا مهزوما، وسار عبد الرحمن من فوره، فعسكر ببيان، فكان عبد الرحمن ابن مفلح وإبراهيم بن سيما يتناوبان المصير إلى عسكر الخليلي، فيوقعان به، ويخفيان من فيه، وإسحاق بن كنداج يومئذ مقيم بالبصرة، قد قطع الميرة عن عسكر الخليلي، فكان الخليلي يجمع أصحابه في اليوم الذي يخاف فيه موافاة عبد الرحمن بن مفلح وإبراهيم بن سيما حتى ينقضي الحرب، ثم يصرف فريقا منهم إلى ناحية البصرة، فيواقع بهم إسحاق بن كنداج، فأقاموا في ذلك بضعة عشر شهرا إلى أن صرف موسى بن بعا عن حرب الخليلي، ووليا مسرور البلخي، وانتهى الخبر بذلك إلى الخليلي.

وفيا غلب الحسن بن زيد على قومس، ودخلها أصحابه وفيها كانت وقعة بين محمد بن الفضل بن سنان القزويني وهوسودان بن جستان الديلي، فهزم محمد بن الفضل وهوسودان.

وفيا ولي موسى بن بعا الصلابي الري حين وثب كيغلغ على تكين، فقتله فسار إليها.

وفيا غلب صاحب الروم على سميساط، ثم نزل على ملطية، وحاصر أهلها، فخاربه أهل ملطية فهزموه، وقتل أحمد بن محمد القابوس نصرا الإقريطشي بطريق البطارقة.

وفيا وجه من الأهواز جماعة من الزنج أسروا إلى سامرا، فوثبت العامة بهم بسامرا، فقتلوا أكثرهم وسلبوهم.

٩٠٤١٠٥ ذكر الخبر عن دخول يعقوب بن الليث نيسابور

٩٠٤١٠٦ أخبار متفرقة

ذكر الخبر عن دخول يعقوب بن الليث نيسابور

وفيا دخل يعقوب بن الليث نيسابور.

ذكر الخبر عن الكائن الذي كان منه هناك:

ذكر أن يعقوب بن الليث صار إلى هراة، ثم قصد نيسابور، فلما قرب منها وأراد دخولها، وجه محمد بن طاهر يستأذنه في تلقيه، فلم يأذن له، فبعث بعمومته وأهل بيته، فتلقوه، ثم دخل نيسابور لأربع خلون من شوال بالعشي، فنزل طرفا من أطرافها يعرف بدواداباذ،

فركب إليه محمد بن طاهر، فدخل عليه في مضربه، فسأله، ثم أقبل على تأنيبه وتوبيخه على تفريطه في عمله، ثم انصرف وأمر عزيز بن السري بالتوكيل به، وصرف محمد بن طاهر وولى عزيزا نيسابور، ثم حبس محمد بن طاهر وأهل بيته وورد الخبر بذلك على السلطان، فوجه إليه حاتم بن زيرك بن سلام، ووردت كتب يعقوب على السلطان لعشر بقين من ذي القعدة، فقعد- فيما ذكر- جعفر ابن المعتمد وأبو أحمد بن المتوكل في إيوان الجوسق، وحضر القواد، وأذن لرسل يعقوب فذكر رسله ما تنهى إلى يعقوب من حال أهل خراسان، وأن الشراة والمخالفين قد غلبوا عليها، وضعف محمد بن طاهر، وذكروا مكاتبة أهل خراسان يعقوب ومسألتهم إياه قدومه عليهم واستعانتهم، وأنه صار إليها، فلما كان على عشرة فرائخ من نيسابور، سار إليه أهلها، فدفعوها إليه فدخلها فتكلم أبو أحمد وعبيد الله بن يحيى، وقالوا للرسل: أن أمير المؤمنين لا يقار يعقوب على ما فعل، وأنه يأمره بالانصراف إلى العمل الذي ولاه إياه، وأنه لم يكن له أن يفعل ذلك بغير أمره فليرجع، فإنه إن فعل كان من الأولياء، وإلا لم يكن له إلا ما للمخالفين وصرف إليه رسله بذلك ووصلوا، وخلع على كل واحد منهم خلة فيها ثلاثة أثواب، وكانوا أحضروا رأسا على قناة فيه رقعة فيها: هذا رأس عدو الله عبد الرحمن الخارجي بهراة، ينتحل الخلافة منذ ثلاثين سنة، قتله يعقوب بن الليث [أخبار متفرقة]

وجج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس المعروف ببيريه

٩٠٤٢ سنة ستين ومائتين

٩٠٤٢٠١ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

٩٠٤٢٠٢ خبر الوقعة بين يعقوب بن الليث والحسن بن زيد الطائي

ثم دخلت

سنة ستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك قتل رجل من أكرد مساور الشاري محمد بن هارون بن المعمر، وجده في زورق يريد سامرا، فقتله وحمل رأسه إلى مساور، فطلبت ربيعة بدمه في جمادى الآخرة، فندب مسرور البلخي وجماعة من القواد إلى أخذ الطريق على مساور. وفيها قتل قائد الزنج علي بن زيد العلوي صاحب الكوفة.

خبر الوقعة بين يعقوب بن الليث والحسن بن زيد الطائي

وفيها واقع يعقوب بن الليث الحسن بن زيد الطائي، فهزمه ودخل طبرستان.

ذكر الخبر عن هذه الوقعة وعن سبب مصير يعقوب إلى طبرستان:

أخبرني جماعة من أهل الخبرة ببيع يعقوب أن عبد الله السجزي كان يتنافس الرياسة بسجستان، فقهره يعقوب، فتخلص منه عبد الله، فلحق بمحمد بن طاهر بنيسابور، فلما صار يعقوب إلى نيسابور وهرب عبد الله، فلحق بالحسن بن زيد، فشخص يعقوب في اثره بعد ما كان من أمره وأمر محمد بن طاهر ما قد ذكرت قبل، فمر في طريقه إلى طبرستان بأسفرائيم ونواحيها، وبها رجل كنت أعرفه يطلب الحديث، يقال له بديل الكشي، يظهر التطوع والأمر بالمعروف، وقد استجاب له عامة أهل تلك الناحية، فلما نزلها يعقوب راسله، وأخبره أنه مثله في التطوع وأنه معه، فلم يزل يرفق به حتى صار إليه بديل، فلما تمكن منه قيده، ومضى به معه إلى طبرستان، فلما صار إلى قرب سارية لقيه الحسن بن زيد.

ف قيل لي: إن يعقوب بعث إلى الحسن بن زيد يسأله أن يبعث إليه بعبد الله

السجزي حتى ينصرف عنه، فإنه إنما قصد طبرستان من أجله لا لحربه، فأبى الحسن بن زيد تسليمه إليه، فأذنه يعقوب بالحرب، فالتقى عسكريهما، فلم تكن إلا كلا ولا، حتى هزم الحسن بن زيد، ومضى نحو الشرز وأرض الديلم، ودخل يعقوب سارية، ثم تقدم منها إلى آمل، فجفى أهلها خراج سنة، ثم شخص من آمل نحو الشرز في طلب الحسن بن زيد حتى صار إلى بعض جبال طبرستان، فأدرسته فيه الأمطار، وثابت عليه- فيما ذكر لي- نحو من أربعين يوما، فلم يتخلص من موضعه ذلك إلا بمشقة شديدة.

وكان- فيما قيل لي- قد صعد جبلا، لما رام النزول عنه لم يمكنه ذلك إلا محمولا على ظهور الرجال، وهلك عامة ما كان معه من الظهر. ثم رام الدخول خلف الحسن بن زيد إلى الشرز، فحدثني بعض أهل تلك الناحية أنه انتهى إلى الطريق الذي أراد سلوكه إليه، فوقف عليه، وأمر أصحابه بالوقوف، ثم تقدم أمامهم يتأمل الطريق، ثم رجع إلى أصحابه، فأمرهم بالانصراف، وقال لهم: إن لم يكن إليه طريق غير هذا فلا طريق إليه فأخبرني الذي ذكر لي ذلك، أن نساء أهل تلك الناحية قلن لرجلهن: دعوه يدخل هذا الطريق، فإنه إن دخل كفيناكم أمره، وعلينا أخذه وأسره لكم فلما انصرف راجعا، وشخص عن حدود طبرستان، عرض رجاله، ففقد منهم- فيما قيل لي- أربعين ألفا، وانصرف عنها، وقد ذهب عظم ما كان معه من الخيل والإبل والأثقال وذكر أنه كتب إلى السلطان كتابا يذكر فيه مسيره إلى الحسن بن زيد، وأنه سار من جرجان إلى طميس فافتتحها ثم سار إلى سارية، وقد أخرب الحسن بن زيد القناطر، ورفع المعابر، وعور الطريق، وعسكر الحسن بن زيد على باب سارية متحصنا بأودية عظام، وقد ماله خرشاد بن جيلاو، صاحب الديلم، فزحف باقتدار فيمن جمع إليه من الطبرية والديلمة والخراسانية والقمية والجلبية والشامية والجزرية، فهزمته وقتلت عدة لم يبلغها بعهدي عدة،

٩٠٤٢٠٣ ذكر خبر مقتل العلاء بن احمد الأزدي

وأسرت سبعين من الطالبين، وذلك في رجب، وسار الحسن بن زيد إلى الشرز ومعه الديلم وفي هذه السنة اشتد الغلاء في عامة بلاد الإسلام، فانجلى- فيما ذكر- عن مكة من شدة الغلاء من كان بها مجاورا إلى المدينة وغيرها من البلدان، ورحل عنها العامل الذي كان بها مقيما وهو بريه، وارتفع السعر ببغداد، فبلغ الكر الشعير عشرين ومائة دينار، والحنطة خمسين ومائة، ودام ذلك شهرا ٤ وفيها قتلت الأعراب منجور والي حمص، فاستعمل عليها بكتمر وفيها صار يعقوب بن الليث حين انصرف عن طبرستان إلى ناحية الري، وكان السبب في مصيره إليها- فيما ذكر لي- مصير عبد الله السجزي إلى الصلابي مستجيرا به من يعقوب، لما هزم يعقوب الحسن بن زيد، فلما صار يعقوب إلى خوار الري كتب إلى الصلابي يخيره بين تسليم عبد الله السجزي إليه.

حتى ينصرف عنه، ويرتحل عن عمله، وبين أن يأذن بحربه فاختر الصلابي- فيما قيل لي- تسليم عبد الله، فسلمه إليه، فقتله يعقوب، وانصرف عن عمل الصلابي

. ذكر خبر مقتل العلاء بن احمد الأزدي

وفيها قتل العلاء بن أحمد الأزدي.

ذكر الخبر عن سبب مقتله: ذكر أن العلاء بن أحمد فليج وتعطل، فكتب السلطان إلى أبي الرديني عمر بن علي بن مر بولاية أذربيجان، وكانت قبل إلى العلاء، فصار أبو الرديني إليها ليتسلمها من العلاء، فخرج العلاء في قبة في شهر رمضان

لحرب أبي الرديني، ومع أبي الرديني جماعة من الشراة وغيرهم، فقتل العلاء.

فذكر أنه وجه عدة من الرجال في حمل ما خلف العلاء، فحمل من قلعتة ما بلغت قيمته ألفي وسبعمائة ألف درهم.

وفيها أخذت الروم لؤلؤة من المسلمين.

وجج بالناس فيها إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي المعروف ببريه.

٩٠٤٣ سنه احدى وستين ومائتين

٩٠٤٣٠١ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

٩٠٤٣٠٢ ذكر خبر وقعه كانت برامهرمز في هذا العام

ثم دخلت

سنة إحدى وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من انصراف الحسن بن زيد من أرض الديلم إلى طبرستان وإحراقه شالوس لما كان من مملأتهم يعقوب وإقطاعه ضياعهم الديلمية.

ومن ذلك ما كان من أمر السلطان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بجمع من كان ببغداد من حاج خراسان والري وطبرستان وجرجان، فجمعهم في صفر منها، ثم قرئ عليهم كتاب يعلون فيه أن السلطان لم يول يعقوب بن الليث خراسان، ويأمرهم بالبراءة منه لإنكاره دخوله خراسان وأسرهم محمد بن طاهر وفي هذه السنة توفي عبد الله بن الواثق في عسكر الصفار يعقوب.

وفيها قتل مساور الشاري يحيى بن حفص الذي كان يلي خراسان بكرخ جدان في جمادى الآخرة، فشخص مسرور البلخي في طلبه، ثم تبعه أبو أحمد ابن المتوكل، وتغنى مساور فلم يلحق.

وفي جمادى الأولى منها هلك أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري.

ذكر خبر وقعه كانت برامهرمز في هذا العام

وفيها كانت بين محمد بن واصل وعبد الله بن مفلح وطاشتمر وقعة برامهرمز، فقتل ابن واصل طاشتمر، وأسر ابن مفلح. ذكر الخبر عن هذه الوقعة والسبب فيها:

كان السبب في ذلك - فيما ذكر لي - أن ابن واصل قتل الحارث بن سيما وهو عامل السلطان بفارس وتغلب عليها، فضمت إلى موسى بن بغا فارس

والأهواز والبصرة والبحرين واليمامة، مع ما كان إليه من عمل المشرق، فوجه موسى بن بغا عبد الرحمن بن مفلح إلى الأهواز، وولاه إياها وفارس، وضم إليه طاشتمر، فاتصل بابن واصل ذلك من فعل موسى، وإن ابن مفلح قد توجه إلى فارس يريد، وكان قبل مقيما بالأهواز على حرب الخارجي بناحية البصرة فزحف إليه ابن واصل، فالتقى برامهرمز، وانضم أبو داود الصعلوك إلى ابن واصل معينا له على ابن مفلح، فظفر ابن واصل بابن مفلح، فأسرهم وقتل طاشتمر، واصطم عسكر ابن مفلح، ثم لم يزل ابن مفلح في يده حتى قتله، وقد كان السلطان وجه إسماعيل بن إسحاق إلى ابن واصل في إطلاق ابن مفلح، فلم يجبه إلى ذلك ابن واصل ولما فرغ ابن واصل من ابن مفلح أقبل مظهرًا أنه يريد واسطًا لحرب موسى بن بغا حتى انتهى إلى الأهواز، وبها إبراهيم بن سيما في جمع كثير فلما رأى موسى بن بغا شدة الأمر وكثرة المتغلبين على نواحي المشرق، وأنه لا قوام له بهم، سأل أن يعفى من أعمال المشرق، فأعفي منها، وضم ذلك إلى أبي أحمد، وولاه أبو أحمد بن المتوكل، فانصرف موسى بن بغا من واسط إلى باب السلطان مع عماله عن أعمال المشرق.

وفيها ولي أبو الساج الأهواز وحرب قائد الزنج، فصار إليها أبو الساج بعد شيوخ عبد الرحمن بن مفلح إلى ناحية فارس. وفيها كانت بين عبد الرحمن صهر أبي الساج وعلي بن أبان المهلب وقعة بناحية الدولاب، قتل فيها عبد الرحمن، وانحاز أبو الساج إلى عسكر مكرم، ودخل الزنج الأهواز، فقتلوا أهلها، وسبوا وانهبوا، وأحرقوا دورها.

ثم صرف أبو الساج عما كان إليه من عمل الأهواز وجرب الزنج، وولي ذلك إبراهيم بن سيما، فلم يزل مقيما في عمله ذلك حتى انصرف عنه بانصراف موسى بن بغا، عما كان إليه من عمل المشرق وفيها ولي محمد بن أوس البلخي طريق خراسان.

ولما ضم عمل المشرق إلى أبي أحمد ولي مسرورا البلخي الأهواز والبصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين في شعبان من هذه السنة، وحرب قائد الزنج وفيها ولي نصر بن أحمد بن أسد الساماني ما وراء نهر بلخ، وذلك في شهر رمضان منها، وكتب إليه بولايته ذلك.

وفي شوال منها زحف يعقوب بن الليث إلى فارس، وابن واصل مقيم بالأهواز، فانصرف منها إلى فارس، فالتقى هو ويعقوب بن الليث في ذي القعدة، فهزمه يعقوب وقل عسكره، وبعث إلى خرمة إلى قلعة ابن واصل، فأخذ ما كان فيها، فذكر أنه بلغت قيمة ما أخذ يعقوب منها أربعين ألف درهم، وأسر مرداسا خال ابن واصل وفيها أوقع أصحاب يعقوب بن الليث بأهل زم موسى بن مهران الكردي، لما كان من مملأتهم محمد بن واصل، فقتلوه، وانهزم موسى بن مهران وفيها لاثنتي عشرة مضت من شوال منها، جلس المعتمد في دار العامة، فولى ابنه جعفرًا العهد، وسماه المفوض إلى الله، وولاه المغرب، وضم إليه موسى بن بغا، وولاه إفريقية ومصر والشام والجزيرة والموصل وأرمينية وطريق خراسان ومهرجانتقذ وحلوان، وولى أخاه أبا أحمد العهد بعد جعفر، وولاه المشرق، وضم

إليه مسرورا البلخي، وولاه بغداد والسواد والكوفة وطريق مكة والمدينة واليمن وكسكر وكور دجلة والأهواز وفارس وأصبهان وقم والكرج والدينور والري وزنجان وقزوين وخراسان وطبرستان وجرجان وكرمان وسجستان والسند، وعقد لكل واحد منهما لواءين: أسود وأبيض، وشرط إن حدث به حدث الموت وجعفر لم يكل للأمر، أن يكون الأمر لأبي أحمد ثم لجعفر وأخذت البيعة على الناس بذلك، وفرقت نسخ الكتاب، وبعث بنسخة مع الحسن بن محمد بن أبي الشوارب ليعلقها في الكعبة، فعقد جعفر المفوض لموسى بن بغا على المغرب في شوال وبعث إليه بالعقد مع محمد المولد

وفيها فارق محمد بن زيدويه يعقوب بن الليث، فاعتزل عسكره في آلاف من أصحابه، فصار إلى أبي الساج فقبله، وأقام معه بالأهواز، وبعث إليه من سامرا بخلعة، ثم سأل ابن زيدويه السلطان توجيه الحسين بن طاهر بن عبد الله معه إلى خراسان.

وسار مسرور البلخي مقدمة لأبي أحمد من سامرا، لسبع خلون من ذي الحجة، وخلع عليه وعلى أربعة وثلاثين من قواده- فيما ذكر- وشيعه وليا العهد، واتبه الموفق شاخصا من سامرا لتسع بقين من ذي الحجة.

وجج بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

ومات الحسن بن محمد بن أبي الشوارب فيها بمكة بعد ما حج.

٩٠٤٤ سنه اثنتين وستين ومائتين

٩٠٤٤٠١ ذكر خبر دخول يعقوب بن الليث رامهرمز

ثم دخلت

سنة اثنتين وستين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر خبر دخول يعقوب بن الليث رامهرمز

فما كان فيها من ذلك موافاة يعقوب بن الليث رامهرمز في المحرم وتوجيه السلطان إليه إسماعيل بن إسحاق وبغراج، وإخراج السلطان من كان محبوسا من أسباب يعقوب بن الليث من السجن، لأنه لما كان من أمره ما كان في أمر محمد بن طاهر، حبس السلطان غلامه وصيفا ومن كان قبله من أسبابه، فاطلق عنهم بعد ما وافى يعقوب رامهرمز، وذلك لخمس خلون من شهر ربيع الأول ثم قدم إسماعيل بن إسحاق من عند يعقوب، وخرج إلى سامرا برسالة من عنده، فجلس أبو أحمد ببغداد، ودعا بجماعة من التجار، وأعلمهم أن أمير المؤمنين أمر بتولية يعقوب بن الليث خراسان وطبرستان وجرجان والري وفارس والشرطة بمدينة السلام، وذلك بحضر من درهم بن نصر صاحب يعقوب وكان المعتمد قد صرف درهما هذا من سامرا إلى يعقوب بجواب ما كان يعقوب أرسله، يسأله لنفسه، فأرسل معه إليه عمر بن سيما ومحمد بن تركشة، ووافى فيها رسل ابن زيدويه ببغداد في شهر ربيع الأول منها برسالة من عنده، نفلع عليه أبو أحمد، ثم انصرف في هذه السنة الذين توجهوا إلى يعقوب بن الليث إلى السلطان، فأعلموه أنه يقول: أنه لا يرضيه ما كتب إليه دون أن يصير إلى باب السلطان، وارتحل يعقوب من عسكر مكرم، فصار أبو الساج إليه، فقبله وأكرمه ووصله.

ولما رجعت الرسل بما كان من جواب يعقوب عسكر المعتمد يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة بالقائم بسامرا، واستخلف على سامرا ابنه جعفرا، وضم إليه محمدا المولد، ثم سار منها يوم الثلاثاء لست خلون من جمادى

الآخرة، ووافى ببغداد يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة، فاشتقها حتى جازها، وصار إلى الزعفرانية فنزلها، وقدم أخاه أبا أحمد من الزعفرانية فسار يعقوب بجيشه من عسكر مكرم، حتى صار من واسط على فرسخ، فصادف هنالك بثقا قد بثقه مسرور البلخي من دجلة لثلاثين على جوازه، فأقام عليه حتى سده وعبره، وذلك لست بقين من جمادى الآخرة، وصار إلى باذين، ثم وافى محمد بن كثير من قبل يعقوب عسكر مسرور البلخي، فصار بإزائه، فصار مسرور بعسكره إلى النعمانية، ووافى يعقوب واسطا، فدخلها لست بقين من جمادى الآخرة.

وارتحل المعتمد من الزعفرانية يوم الخميس لليلة بقيت من جمادى الآخرة، حتى صار إلى سيب بني كوما، فوافاه هنالك مسرور البلخي، وكان مسير مسرور البلخي إليه في الجانب الغربي من دجلة، فعبر إلى الجانب الذي فيه العسكر، فأقام المعتمد بسيب بني كوما أياما،

حتى اجتمعت إليه عساكره، وزحف يعقوب من واسط إلى دير العاقول، ثم زحف من دير العاقول نحو عسكر السلطان، فأقام المعتمد بالسبب، ومعه عبيد الله بن يحيى، وأنهض أخاه أبا أحمد لحرب يعقوب، فجعل أبو أحمد موسى بن بغا على ميمنته، ومسرورا البلخي على ميسرته، وصار هو في خاصته، ونخبة رجاله في القلب.

والتقى العسكران يوم الأحد لليل خلون من رجب بموضع يقال له اضطربد بين سيب بني كوما ودير العاقول فشدت ميسرة يعقوب على ميمنة أبي أحمد فهزمتها، وقتلت منها جماعه كثيره منهم من قوادهم ابراهيم بن سيما التركي وطباغوا التركي ومحمد طغتيا التركي والمعرف بالمبرقع المغربي وغيرهم ثم ثاب المنهزمون وسائر عسكر أبي أحمد ثابت، فحملوا على يعقوب وأصحابه، فثبتوا وحاربوا حربا شديدا، وقتل من أصحاب يعقوب جماعة من أهل البأس، منهم الحسن الدرهمي ومحمد بن كثير وكان على مقدمة يعقوب - والمعروف بلبادة - فأصاب يعقوب ثلاثة أسهم في حلقه ويديه، ولم تزل الحرب بين الفريقين - فيما قيل - إلى آخر وقت صلاة العصر.

ثم وافى أبا أحمد الديراني ومحمد بن أوس، واجتمع جميع من في عسكر أبي أحمد، وقد ظهر من كثير ممن مع يعقوب كراهة القتال معه إذ رأوا السلطان قد حضر لقتاله، فحملوا على يعقوب ومن قد ثبت معه للقتال، فانهزم أصحاب يعقوب، وثبت يعقوب في خاصة أصحابه، حتى مضوا وفارقوا موضع الحرب.

فذكر أنه أخذ من عسكره من الدواب والبغال أكثر من عشرة آلاف رأس، ومن الدنانير والدرهم ما يكل عن حملة، ومن جرب المسك أمر عظيم، وتخلص محمد بن طاهر بن عبد الله، وكان مثقلا بالحديد، خلصه الذي كان موكلا به.

ثم أحضر محمد بن طاهر، نخلع عليه على مرتبته، وقرئ على الناس كتاب فيه:

ولم يزل الملعون المارق المسمى يعقوب بن الليث الصفار ينتحل الطاعة، حتى أحدث الأحداث المنكرة، من مصيره إلى صاحب خراسان، وغلبته إياه عليها، وتقلده الصلاة والإحداث بها، ومصيره إلى فارس مرة بعد مرة، واستيلائه على أموالها، وإقباله إلى باب أمير المؤمنين مظهر المسألة في أمور اجابه أمير المؤمنين منها ما لم يكن يستحقه، استصلاحا له، ودفع بالتي هي أحسن، فولاه خراسان والري وفارس وقزوین وزنجان والشرطة بمدينة السلام، وأمر بتكنيته في كتبه، وأقطع الضياع النفيسة، فما زاده ذلك إلا طغيانا وبغيا، فأمره بالرجوع فأبى، فنهض أمير المؤمنين لدفع الملعون حين توسط الطريق بين مدينة السلام وواسط، وأظهر يعقوب أعلاما على بعضها الصلبان، فقدم أمير المؤمنين أخاه أبا أحمد الموفق بالله ولي عهد المسلمين في القلب، ومعه أبو عمران موسى بن بغا في الميمنة وفي جناح الميمنة ابراهيم ابن سيما، وفي الميسرة أبو هاشم مسرور البلخي، وفي جناح الميسرة الديراني، فتسرع وأشياعه في المحاربة، فخاربه حتى أثنى بالجراح، وحتى انتزع

أبو عبد الله محمد بن طاهر سالما من أيديهم، وولوا منهزمين مجروحين مسلوبين، وسلم الملعون كل ما حواه ملكه.

كثابا مؤرخا بيوم الثلاثاء لإحدى عشرة خلت من رجب.

ثم رجع المعتمد إلى معسكره وكتب إلى ابن واصل بتولية فارس، وقد كان صار إليها وجمع جماعة.

ثم رجع المعتمد إلى المدائن، ومضى أبو أحمد ومعه مسرور وساتكين وجماعه من القواد، وقبض على ما لأبي الساج من الضياع والمنازل، وأقطعها مسرورا البلخي وقدم محمد بن طاهر بن عبد الله بغداد يوم الاثنين لأربع عشرة بقيت من رجب، وقد رد إليه العمل، نخلع عليه في الرصافة، فنزل دار عبد الله بن طاهر، فلم يعزل أحدا، ولم يول وامر له بنجسمائة ألف درهم.

وكانت الوقعة التي كانت بين السلطان والصفاريين يوم الشعانين.

وقال محمد بن علي بن فيد الطائي يمدح أبا أحمد ويذكر أمر الصفار:

نعب الغراب عدمته من ناعب ... وصبا فؤادي لادكار حبائي

نادى بينهم فجادت مقلتي ... لزيال أرحلهم بدمع ساكب

بانوا بأتراب أوانس كالدمى ... مثل المهاقب البطون كواعب

فأولئكن غرائر تيننى ... بسوالف وقوائم وحواجب

لولي عهد المسلمين مناسب ... شرفت وأشرق نورها بمناصب
ومراتب في ذروة لا ترتقي ... أكرم بها من ذروة ومراتب
ولقد أتى الصفار في عدد لها ... حسن فواقتهن نكبة ناكب
جلب القضاء إليه حتفا عاجلا ... سقيا ورعيا للقضاء الجالب
أغواه إبليس اللعين بكيده ... واغتره منه بوعد كاذب

٩٠٤٤٠٢ ذكر خبر توجه رجال الزنج إلى البطيحة ودست ميسان

حتى إذا اختلفوا وظن بأنه ... قد عز بين عساكر وكثائب
دلفت إليه عساكر ميمونة ... يلقون زحفا باللواء الغالب
في جفل لجب ترى أبطاله ... من دارع أو راح أو ناشب
وبدا الإمام براية منصور ... لمحمد سيف الإله القاضب
وولي عهد المسلمين موفق ... بالله أمضى من شهاب ثاقب
وكأنه في الناس بدر طالع ... متهلل بالنور بين كواكب
لما التقوا بالمشرفية والقنا ... ضربا وطعن محارب لمحارب
ثار العجاج وفوق ذاك غمامة ... غراء تسكب وبل صوب صائب
فل الجموع بجزم رأي ثاقب ... منه وأفرد صاحباً عن صاحب
لله در موفق ذي بهجة ... ثبت المقام لدى الهياج موائب
يا فارس العرب الذي ما مثله ... في الناس يعرف آخر لنوايب
من فادح الزمن العضوض ومن لقا ... جيش لدى غدر خئون غاصب.
ذكر خبر توجه رجال الزنج إلى البطيحة ودست ميسان
وفيها وجه قائد الزنج جيوشه إلى ناحية البطيحة ودست ميسان.
ذكر الخبر عن سبب توجيهه إياهم إليها:

ذكر أن سبب ذلك كان أن المعتمد لما صرف موسى بن بغا عن أعمال المشرق وما كان متصلاً بها، وضمها إلى أخيه أبي أحمد، وضم أبو أحمد عمل كور دجلة إلى مسرور البلخي، وأقبل يعقوب بن الليث مريداً أبا أحمد، وصار إلى واسط، خلت كور دجلة من أسباب السلطان، خلا المدائن وما فوق ذلك وكان مسرور قد وجه قبل ذلك إلى الباذورد مكان موسى بن أتامش جعلان التركي، وكان بإزاء موسى بن أتامش، من قبل قائد الزنج سليمان بن جامع، وقد كان سليمان قبل أن يصرف ابن أتامش عن الباذورد، قد نال من عسكره، فلما صرف ابن أتامش وجعل موضعه جعلان، وجه سليمان من قبله رجلاً من البحرانيين يقال له ثعلب بن حفص، فأوقع به، وأخذ منه خيلاً ورجلاً، ووجه قائد الزنج من قبله رجلاً من أهل جبي يقال له أحمد ابن مهدي في سميريات، فيها رماة من أصحابه، فأنفذه إلى نهر المرأة، فجعل الجبائي يوقع بالقرى التي بنواحي المذار - فيما ذكر - فيعيث فيها، ويعود إلى نهر المرأة فيقيم به.
فكتب هذا الجبائي إلى قائد الزنج يخبر بأن البطيحة خالية من رجال السلطان، لانصراف مسرور وعساكره عند ورود يعقوب بن الليث واسطاً فأمر قائد الزنج سليمان بن جامع وجماعة من قواده بالمصير إلى الحوانيت، وأمر رجلاً من الباهليين يقال له عمير بن عمار، كان عالماً بطرق البطيحة ومسالكها، أن يسير مع الجبائي حتى يستقر بالحوانيت.

فذكر محمد بن الحسن أن محمد بن عثمان العباداني قال: لما عزم صاحب الزنج على توجيه الجيوش إلى ناحية البطيحة ودست ميسان أمر سليمان بن جامع أن يعسكر بالمطوعة وسليمان بن موسى أن يعسكر على فوهة النهر المعروف باليهودي، ففعلاً ذلك، وأقاما إلى أن أتاهما إذنه، فنهضا، فكان مسير سليمان بن موسى إلى القرية المعروفة بالقادسية، ومسير سليمان بن جامع إلى الحوانيت والجبائي في السميريات أمام جيش سليمان بن جامع، ووافى أبا التركي دجلة في ثلاثين شذاة، فأنحدر يريد عسكر قائد الزنج، فر بالقرية التي كانت داخلية في

سلم الخبيث فنال منها، وأحرق، فكتب الخبيث إلى سليمان بن موسى في منعه الرجوع، وأخذ عليه سليمان الطريق، فأقام شهرا يقاتل حتى تخلص فصار إلى البطيحة. وذكر محمد بن عثمان أن جاشا الخادم زعم أن أبا التركي لم يكن صار إلى دجلة في هذا الوقت، وأن المقيم كان هناك نصير المعروف بأبي حمزة.

وذكر أن سليمان بن جامع لما فصل متوجها إلى الحوانيت، انتهى إلى موضع

يعرف بنهر العتيق وقد كان الجبائي سار في طريق الماديان، فتلقيه رميس، فواقعه الجبائي، فهزمه، وأخذ منه أربعاً وعشرين سميرية ونيفا وثلاثين صلغة، وأفلت رميس، فاعتصم بأجمة لجأ إليها، فأتاه قوم من الجوخانيين، فأخرجوه منها فنجوا ووافق المنهزمين من أصحاب رميس خروج سليمان بن النهر العتيق، فتلقيهم فأوقع بهم، ونال منهم نيلا، ومضى رميس حتى لحق بالموضع المعروف ببر مساور، وانحاز إلى سليمان جماعة من مذكوري البلالين وأنجدهم في خمسين ومائة سميرية، فاستخبرهم عما أمامه، فقالوا: ليس بينك وبين واسط أحد من عمال السلطان وولاته فاغتر سليمان بذلك، وركن إليه، فسار حتى انتهى إلى الموضع الذي يعرف بالجازرة، فتلقيه رجل يقال له أبو معاذ القرشي، فواقعه، فانهزم سليمان عنه، وقتل أبو معاذ جماعة من أصحابه، وأسر قائدا من قواد الزنج، يقال له رباح القنذلي فانصرف سليمان إلى الموضع الذي كان معسكره به، فأتاه رجالان من البلالية، فقالا له: ليس بواسط أحد يدفع عنها غير أبي معاذ في الشدوات الخمس التي لقيك بها فاستعد سليمان وجمع أصحابه وكتب إلى الخبيث كتابا مع البلالية الذين كانوا استأمنوا إليه وأنقذهم إلا جميعا يسيرة في عشر سميريات، انتخبهم للمقام معه، واحتبس الاثنين معه اللذين أخبراه عن واسط بما أخبراه به، وصار قاصدا لنهر أبان، فاعترض له أبو معاذ في طريقه، وشبت الحرب بينهما، وعصفت الريح، فاضطربت شذا أبي معاذ، وقوي عليه سليمان وأصحابه، فأدبر عنهم معددا، ومضى سليمان حتى انتهى إلى نهر أبان، فاقتحمه، وأحرق وأنهب، وسبي النساء والصبيان، فأنهى الخبر بذلك إلى وكلاء كانوا لأبي أحمد في ضياع من ضياعه مقيمين بنهر سنداد، فساروا إلى سليمان في جماعة، فأوقعوا به وقعة، قتلوا فيها جمعا كثيرا من الزنج، وانهزم سليمان وأحمد بن مهدي ومن معهما إلى معسكرهما قال محمد بن الحسن: قال محمد بن عثمان: لما استقر سليمان بن جامع بالحوانيت، ونزل بنهر يعرف ببعقوب بن النضر، وجه رجلا يعرف خبر واسط

ومن فيها من أصحاب السلطان، وذلك بعد خروج مسرور البلخي وأصحابه عنها، لورود يعقوب إياها فرجع إليه، فأخبره بمسير يعقوب نحو السلطان، وقد كان مسرور قبل شخوصه عن واسط إلى السيب وجه إلى سليمان رجلا يقال له وصيف الرحال في شدوات، فواقعه سليمان فقتله، وأخذ منه سبع شدوات، وقتل من ظفر به، وألقى القتلى بالحوانيت ليدخل الرهبة في قلوب المجتازين بهم من أصحاب السلطان.

فلما ورد على سليمان خبر مسير مسرور عن واسط، دعا سليمان عمير ابن عمار خليفته ورجلا من رؤساء الباهليين يقال له أحمد بن شريك، فشاورهما في التنحي عن الموضع الذي تصل إليه الخيل والشدوات، وأن يلتمس موضعا يتصل بطريق متى أراد الهرب منه إلى عسكر الخبيث سلكه، فأشارا عليه بالمصير إلى عقر ماور، والتحصن بطهيتا والأدغال التي فيها وكره الباهليون خروج سليمان بن جامع من بين أظهرهم لغمسهم أيديهم معه، وما خافوا من تعقب السلطان إياهم، فحمل سليمان بأصحابه ماضيا في نهر البرور إلى طهيتا، وأنفذ الجبائي إلى النهر المعروف بالعتيق في السميريات، وأمره بالبدار إليه بما يعرف من خبر الشذا، ومن ياتي فيها ومن أصحاب السلطان، وخلف جماعة من السودان لإشخاص من تخلف من أصحابه، وسار حتى وافى عقر ماور، فنزل القرية المعروفة بقرية مروان بالجانب الشرقي من نهر طهيتا في جزيرة هناك.

وجمع إليه رؤساء الباهليين وأهل الطفوف، وكتب إلى الخبيث يعلمه ما صنع، فكتب إليه يصوب رأيه، ويأمره بإنفاذ ما قبله من ميرة ونعم وغنم، فأنفذ ذلك إليه، وسار مسرور إلى موضع معسكر سليمان الأول، فلم يجد هناك كثير شيء، ووجد القوم قد سبقوه إلى نقل ما كان في معسكرهم، وانحدر أبا التركي إلى البطائح في طلب سليمان، وهو يظن أنه قد ترك الناحية، وتوجه نحو مدينة الخبيث فمضى فلم يقف لسليمان على أثر، وكر راجعا، فوجد سليمان قد أنفذ جيشا إلى الحوانيت ليطلق من شذ من عسكر مسرور، فخالف الطريق الذي خاف أن يؤديه إليهم، ومضى في طريق آخر

انتهى إلى مسرور، فأخبره أنه لم يعرف لسليمان خبراً. وانصرف جيش سليمان إليه بما امتاروا، وأقام سليمان، فوجه الجبائي في السميريات للوقوف على مواضع الطعام والمير والاحتياال في حملها.

فكان الجبائي لا ينتهي إلى ناحية فيجد فيها شيئاً من الميرة إلا أحرقه، فساء ذلك سليمان، فناه عنه فلم ينته، وكان يقول: إن هذه الميرة مادة لعدونا، فليس الرأي ترك شيء منها.

فكتب سليمان إلى الخبيث يشكو ما كان من الجبائي في ذلك، فورد كتاب الخبيث على الجبائي يأمره بالسمع والطاعة لسليمان، والائتمار له فيما يأمره به.

وورد على سليمان أن أغرتمش وخشيشا قد أقبلا قاصدين إليه في الخليل والرجال والشذا والسميريات، يريدان مواقعه بفزع جزعا شديداً، وأنفذ الجبائي ليعرف أخبارهما، وأخذ في الاستعداد للقاءهما، فلم يلبث أن عاد إليه الجبائي مهزوماً، فأخبره أنهما قد وافيا باب طنج، وذلك على نصف فرسخ من عسكر سليمان حينئذ، فأمره بالرجوع والوقوف في وجه الجيش، وشغله عن المصير إلى العسكر إلى أن يلحق به، فلما أنفذ الجبائي لما وجه له صعد سليمان سطحا، فأشرف منه، فرأى الجيش مقبلاً، فنزل مسرعاً، فعبر نهر طهيشا، ومضى راجلاً، وتبعه جمع من قواد السودان حتى وافوا باب طنج، فاستدبر أغرتمش، وتركهم حتى وجدوا في المسير إلى عسكره وقد كان أمر الذي استخلفه على جيشه ألا يدع أحداً من السودان يظهر لأحد من أهل جيش أغرتمش، وأن يخفوا أشخاصهم ما قدروا، ويدعوا القوم حتى يتوغلوا النهر إلى أن يسمعوا أصوات طبوله، فإذا سمعوا خرجوا عليهم، وقصدوا أغرتمش.

فجاء أغرتمش بجيشه حتى لم يكن بينه وبين العسكر إلا نهر يأخذ من طهيشا يقال له جارورة بني مروان فانهزم الجبائي في السميريات حتى وافي

طهيشا، فخلف سميرياته بها، وعاد راجلاً إلى جيش سليمان، واشتد جزع أهل عسكر سليمان منه، ففترقوا أيادي سبأ، ونهضت منهم شرذمة فيها قائد من قواد السودان يقال له أبو النداء، فتلقوهم فواقعوهم، وشغلوهم عن دخول العسكر، وشد سليمان من وراء القوم، وضرب الزنج بطبولهم، وألقوا أنفسهم في الماء للعبور إليهم، فانهزم أصحاب أغرتمش وشد عليهم من كان بطهيشا من السودان، ووضعوا السيوف فيهم، وأقبل خشيش على أشهب كان تحته يريد الرجوع إلى عسكره، فتلقاه السودان، فصرعوه وأخذته سيوفهم، فقتل وحمل رأسه إلى سليمان، وقد كان خشيش حين انتزعوا إليه، قال لهم: أنا خشيش، فلا تقتلوني، وأمضوا بي إلى صاحبكم فلم يسمعو لقوله وانهزم أغرتمش، وكان في آخر أصحابه، ومضى حتى ألقى نفسه إلى الأرض، فركب دابة ومضى، وتبعهم الزنج حتى وصلوا إلى عسكرهم، فنالوا حاجتهم منه، وظفروا بشدوات كانت مع خشيش، وظفر الذين اتبعوا الجيش المولي بشدوات كانت مع أغرتمش فيها مال فلما انتهى الخبر إلى أغرتمش، كر راجعاً حتى انتزعها من أيديهم، ورجع سليمان إلى عسكره، وقد ظفر بأسلاب ودواب، وكتب بخبر الواقعة إلى قائد الزنج، وما كان منه فيها وحمل إليه رأس خشيش وخاتمه، وأقر الشدوات التي أخذها في عسكره.

فلما وافي كتاب سليمان ورأس خشيش، أمر فطيف به في عسكره، ونصب يوماً، ثم حمله إلى علي بن أبان، وهو يومئذ مقيم بنواحي الأهواز، وأمر بنصبه هناك، وخرج سليمان والجبائي معه وجماعة من قواد السودان إلى ناحية الحوانيت متطرفين، فتوافقوا هناك ثلاث عشرة شذاة مع المعروف بأبي تميم أخى المعروف بأبي عون صاحب وصيف التركي، فأوقعوا به، فقتل وغرق، وظفروا من شذواته بإحدى عشرة شذاة.

قال محمد بن الحسن: هذا خبر محمد بن عثمان العباداني، فأما جباش، فزعم أن الشذا التي كانت مع أبي تميم كانت ثمانية، فافلت منها شذاتان كانتا

متأخرتين، فضتا بمن فيهما وأصاب سلاحا ونهبا، وأتى على أكثر من كان في تلك الشدوات من الجيش، ورجع سليمان إلى عسكره، وكتب إلى الخبيث بما كان منه من قتل المعروف بأبي تميم، ومن كان معه، واحتبس الشدوات في عسكره.

وفيها كبس ابن زيدويه الطيب، فأنهبها.

وفيها ولي القضاء علي بن محمد بن أبي الشوارب.

وفيهما خرج الحسين بن طاهر بن عبد الله بن طاهر من بغداد ليلال بقين منه، فصار إلى الجبل.
وفيهما مات الصلابي، وولي الري كيغلغ.
ومات صالح بن علي بن يعقوب بن المنصور في ربيع الآخر منها.
وولي إسماعيل بن إسحاق قضاء الجانب الشرقي من بغداد، فجمع له قضاء الجانبين.
وفيهما قتل محمد بن عتاب بن عتاب، وكان ولي السيين فصار إليها، فقتلته الأعراب.
وللنصف من شهر رمضان صار موسى بن بغا إلى الأنبار متوجها إلى الرقة.
وفيهما قتل أيضا القطان صاحب مفلح، وكان عاملا بالموصل على الخراج، فانصرف منها، فقتل في الطريق.
وعقد فيها لكفتمر علي بن الحسين بن داود كاتب أحمد بن سهل اللطفي على طريق مكة في شهر رمضان.
وفيهما وقع بين الحناتين والجزارين بمكة قتال قبل يوم التروية بيوم، حتى خاف الناس أن يبطل الحج، ثم تجاوزوا إلى أن يحج الناس،
وقد قتل

٩٠٤٤٣ ذكر خبر الوقعة بين الزنج وأحمد بن ليثويه

منهم سبعة عشر رجلا.

وفيهما غلب يعقوب بن الليث على فارس وهرب ابن واصل.

ذكر خبر الوقعة بين الزنج وأحمد بن ليثويه

وفيهما كانت وقعة بين الزنج وأحمد بن ليثويه، فقتل منهم خلقا كثيرا، وأسر أبا داود الصعلوك وقد كان صار معهم.

ذكر الخبر عن هذه الوقعة وسبب أسر الصعلوك:

ذكر أن مسروا البلخي وجه أحمد بن ليثويه إلى ناحية كور الأهواز، فلما وصل إليها نزل السوس، وكان الصفار قد قلد محمد بن عبيد الله بن أزاز مرد الكردي كور الأهواز، فكتب محمد بن عبيد الله إلى قائد الزنج يطمعه في الميل إليه، وقد كانت العادة جرت بمكاتبة محمد إياه من أول مخرجه، وأوممه أنه يتولى له كور الأهواز ويداري الصفار حتى يستوي له الأمر فيها، فأجابه الخبيث إلى ذلك على أن يكون علي بن أبان المتولي لها، ويكون محمد بن عبيد الله يخلفه عليها، فقبل محمد بن عبيد الله ذلك، فوجه علي بن أبان أخاه الخليل بن أبان، في جمع كثير من السودان وغيرهم، وأيدهم محمد بن عبيد الله بأبي داود الصعلوك، ففضوا نحو السوس، فلم يصلوا إليها، ودفعهم ابن ليثويه ومن كان معه من أصحاب السلطان عنها، فانصرفوا مفلولين، وقد قتل منهم مقتلة عظيمة، وأسر منهم جماعة، وسار أحمد بن ليثويه حتى نزل جندي سابور.

وسار علي بن أبان من الأهواز منجدا محمد بن عبيد الله على أحمد بن ليثويه، فتلقيه محمد بن عبيد الله في جمع من الأكراد والصعاليك،

فلما قرب منه محمد بن عبيد الله سارا جميعا، وجعلا بينهما المسرقان، فكانا يسيران

عن جانبيه، ووجه محمد بن عبيد الله رجلا من أصحابه في ثلاثمائة فارس، فانضم إلى علي بن أبان، فسار علي بن أبان ومحمد بن عبيد

الله إلى أن وافيا عسكر مكرم، فصار محمد بن عبيد الله إلى علي بن أبان وحده، فالتقيا وتحادثا، وانصرف محمد إلى عسكره، ووجه إلى

علي بن أبان القاسم بن علي ورجلا من رؤساء الأكراد، يقال له حازم، وشيخا من أصحاب الصفار يعرف بالطالقاني، وأتوا عليا، فسلموا

عليه، ولم يزل محمد وعلي على ألفة، إلى أن وافى علي قنطرة فارس، ودخل محمد بن عبيد الله تستر، وانتهى إلى أحمد بن ليثويه تضافر

علي بن أبان ومحمد بن عبيد الله على قتاله، فخرج عن جندي سابور، وصار إلى السوس وكانت موافاة علي قنطرة فارس في يوم الجمعة،

وقد وعده محمد بن عبيد الله أن يخطب الخاطب يومئذ، فیدعو لقائد الزنج، وله على منبر تستر، فأقام علي منتظرا ذلك، ووجه بهبود بن

عبد الوهاب لحضور الجمعة وإتيانه بالخبر، فلما حضرت الصلاة قام الخطيب، فدعا للمعتمد والصفار ومحمد بن عبيد الله، فرجع بهبود

إلى علي بالخبر، فنهض علي من ساعته، فركب دوابه، وأمر أصحابه بالانصراف إلى الأهواز، وقدمهم أمامه، وقدم معهم ابن أخيه محمد

بن صالح ومحمد بن يحيى الكرمانى خليفته، وكاتبه وأقام حتى إذا جاوزوا كسر قنطرة كانت هناك لثلا يتبعه الخليل.

قال محمد بن الحسن: وكنت فيمن انصرف مع المتقدمين من أصحاب علي، ومر الجيش في ليلتهم تلك مسرعين، فانتهاوا إلى عسكر مكرم في وقت طلوع الفجر، وكانت داخلة في سلم الخبيث، فنكث أصحابه، وأوقعوا بعسكر مكرم، ونالوا منها ووافى علي بن أبان في أثر أصحابه، فوقف على ما أحدثوا فلم يقدر على تغييره، فضى حتى صار إلى الأهواز ولما انتهى إلى أحمد بن ليثويه انصرف علي، كر راجعا حتى وافي تستر، فأوقع بمحمد بن عبيد الله ومن معه، فأفلت محمد، ووقع في يده المعروف بأبي داود الصعلوك، فحمله إلى باب السلطان المعتمد، وأقام أحمد بن ليثويه بتستر

قال محمد بن الحسن: فحدثني الفضل بن عدي الدارمي - وهو أحد من كان من أصحاب قائد الزنج انضم إلى محمد بن أبان أخي علي بن أبان قال: لما استقر أحمد بن ليثويه بتستر، خرج إليه علي بن أبان بجيشه، فنزل قرية يقال لها برنجان، ووجه طلائع يأتونه بأخباره، فرجعوا إليه، فأخبروه أن ابن ليثويه قد أقبل نحوه، وأن أوائل خيله قد وافت قرية تعرف بالباهليين، فزحف علي بن أبان إليه، وهو يبشر أصحابه، ويعدهم الظفر، ويحكى لهم ذلك عن الخبيث فلما وافي الباهليين تلقاه ابن ليثويه في خيله، وهي زهاء أربعمئة فارس، فلم يلبثوا أن أتاهم مدد خيل، فكثرت خيل أصحاب السلطان واستأمن جماعة من الأعراب الذين كانوا مع علي بن أبان إلى ابن ليثويه، وانهمز باقي خيل علي بن أبان، وثبت جمیعة من الرجالة، وتفرق عنه أكثرهم، واشتد القتال بين الفريقين، وترجل علي بن أبان، وباشر القتال بنفسه راجلا، وبين يديه غلام من أصحابه يقال له فتح، يعرف بغلام أبي الحديد، فجعل يقاتل معه وبصر بعلي أبو نصر سلهب وبدر الرومي المعروف بالشعراني فعرفاه، فانذر الناس به، فانصرف هاربا حتى لجأ إلى المسرقان، فألقى بنفسه فيه، وتلاه فتح، فألقى نفسه معه، فغرق فتح، ولحق علي بن أبان نصر المعروف بالرومي، فتخلصه من الماء، فألقاه في سميرية ورمي علي بسهم، وأصيب به في ساقه، وانصرف مفلولا، وقتل من أنجاد السودان وأبطالهم جماعة كثيرة. وجج بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن بن العباس بن محمد.

٩٠٤٥ سنة ثلاث وستين ومائتين

٩٠٤٥٠١ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

٩٠٤٥٠٢ ذكر الوقعة بين ابن ليثويه مع أخي علي بن أبان

ثم دخلت

سنة ثلاث وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من ظفر عزيز بن السرى صاحب يعقوب بن الليث بمحمد ابن واصل وأخذه أسيرا. وفيها كانت بين موسى دالجويه والأعراب بناحية الأنبار وقعة، فهزموه وفلوه، فوجه أبو أحمد ابنه أحمد في جماعة من قواده في طلب الأعراب الذين فلوا موسى دالجويه وفيها وثب الديراني بآبن أوس فبيته ليلا، وفرق جمعه، ونهب عسكره، وأفلت ابن أوس، ومضى نحو واسط.

وفيها خرج في طريق الموصل رجل من الفراغنة، فقطع الطريق، فظفر به فقتل

. ذكر الوقعة بين ابن ليثويه مع أخي علي بن أبان

وفيها أقبل يعقوب بن الليث من فارس، فلما صار إلى النوبندجان انصرف أحمد بن ليثويه عن تستر، وصار فيها يعقوب إلى الأهواز، وقد كان لابن ليثويه قبل ارتحاله عن تستر وقعة مع أخي علي بن أبان، ظفر فيها بجماعة كثيرة من زوجه.

ذكر الخبر عن هذه الوقعة:

ذكر عن علي بن أبان، أن ابن ليثويه لما هزمه في الوقعة التي كانت بينهما في الباهليين، فأصابه ما أصابه فيها، ووافى الأهواز، لم يقيم بها، ومضى

٩٠٤٥٠٣ ذكر الخبر عما كان من امر الصفار هنالك في هذه السنة:

إلى عسكر صاحبه قائد الزنج، فعالج ما قد أصابه من الجراح حتى برأ، ثم كر راجعا إلى الأهواز، ووجه أخاه الخليل بن أبان وابن أخيه محمد بن صالح المعروف بأبي سهل، في جيش كثيف إلى ابن ليثويه، وهو يومئذ مقيم بعسكر مكرم، فسارا فيمن معهما، فلقبهما ابن ليثويه على فرسخ من عسكر مكرم، قاصدا إليهما، فالتقى الجمعان، وقد كمن ابن ليثويه كميناً فلما استحر القتال تطارد ابن ليثويه، فطمع الزنج فيه، فنبعوه حتى جاوزوا الكمين، فخرج من ورائهم، فانهزموا وتفرقوا، وكر عليهم ابن ليثويه، فنال حاجته منهم، ورجعوا مفلولين فانصرف ابن ليثويه بما أصاب من الرءوس إلى تستر، ووجه علي بن أبان أنكلويه مسلحة إلى المسرقان إلى أحمد بن ليثويه، فوجه إليه ثلاثين فارساً من جلد أصحابه، وانتهى إلى الخليل بن أبان مسير أصحاب ابن ليثويه إلى المسلحة، فكمن لهم فيمن معه، فلما وافوه خرج إليهم، فلم يفلت منهم أحد، وقتلوا عن آخرهم، وحملت رءوسهم إلى علي بن أبان، وهو بالأهواز، فوجهها إلى الخبيث، وحينئذ أتى الصفار الأهواز، وهرب عنها ابن ليثويه.

ذكر الخبر عما كان من أمر الصفار هنالك في هذه السنة:

ذكر أن يعقوب بن الليث لما صار إلى جندي سابور، نزلها وارتحل عن تلك الناحية كل من كان بها من قبل السلطان، ووجه إلى الأهواز رجلاً من قبله يقال له الحصن بن العنبر، فلما قاربها خرج عنها علي بن أبان صاحب قائد الزنج، فنزل نهر السدرة، ودخل حصن الأهواز، فأقام بها، وجعل أصحابه وأصحاب علي بن أبان يغير بعضهم على بعض، فيصيب كل فريق منهم من صاحبه، إلى أن استعد علي بن أبان، وسار إلى الأهواز، فأوقع بالحصن ومن معه وقعة غليظة، قتل فيها من أصحاب يعقوب خلقاً كثيراً، وأصاب خيلاً، وغنم غنائم كثيرة، وهرب الحصن ومن معه إلى عسكر مكرم، وأقام علي بالأهواز حتى استباح ما كان فيها، ثم رجع عنها إلى

٩٠٤٥٠٤ أخبار متفرقة

نهر السدرة، وكتب إلى بهبوذ يأمره بالإيقاع برجل من الأكراذ من أصحاب الصفار كان مقيماً بدورق، فأوقع به بهبوذ، فقتل رجاله وأسره، فمن عليه وأطلقه، فكان علي بعد ذلك يتوقع مسير يعقوب إليه فلم يسر، وأمد الحصن ابن العنبر بأخيه الفضل بن العنبر، وأمرهما بالكف عن قتال أصحاب الخبيث، والاقتصار على المقام بالأهواز وكتب إلى علي بن أبان يسأله المهادنة، وأن يقر أصحابه بالأهواز، فأبى ذلك على دون نقل طعام كان هناك، فتجافى له الصفار عن نقل ذلك الطعام، وتجافى علي للصفار عن علف كان بالأهواز، فنقل علي الطعام، وترك العلف، وتكاف الفريقان، أصحاب علي وأصحاب الصفار.

وفيها توفي مساور بن عبد الحميد الشاري وفيها مات عبيد الله بن يحيى بن خاقان، سقط عن دابته في الميدان من صدمة خادم له، يقال له رشيق، يوم الجمعة لعشر خلون من ذي القعدة، فسأل من منخره وأذنه دم، فمات بعد أن سقط بثلاث ساعات، وصلى عليه أبو أحمد بن المتوكل، ومشى في جنازته، واستوزر من الغد الحسن بن مخلد ثم قدم موسى بن بغا سامراً ثلاث بقين من ذي القعدة، فهرب الحسن بن مخلد إلى بغداد، واستوزر مكانه سليمان بن وهب، لست ليال خلون من ذي الحجة، ثم ولي عبيد الله بن سليمان كتبة المفوض والموفق إلى ما كان يلي من كتبة موسى بن بغا، ودفعت دار عبيد الله بن يحيى إلى كيغلغ.

وفيها أخرج أخو شركب الحسين بن طاهر عن نيسابور، وغلب عليها، وأخذ أهلها بإعطائه ثلث أموالهم، وصار الحسين إلى مرو، وبها أخو خوارزم شاه يدعو لمحمد بن طاهر

[أخبار متفرقة]

وفي هذه السنة سلمت الصقالبة لؤلؤة إلى الطاغية. وجج بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن بن إسماعيل.

٩٠٤٦٦ سنة أربع وستين ومائتين

٩٠٤٦٠١ ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

٩٠٤٦٠٢ خبر أسر الروم لعبد الله بن رشيد

ثم دخلت

سنة أربع وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك توجيه يعقوب الصفار جيشاً إلى الصيمرة، فتقدمه إليها، وأخذوا صيغون ومضي به إليه أسيراً، فمات عنده. وإحدى عشرة خلت من المحرم، عسكر أبو أحمد ومعه موسى بن بغا بالقائم، وشييعهما المعتمد، ثم شخصاً من سامرا لليلتين خلتا من صفر، فلما صارا ببغداد، مات بها موسى بن بغا، وحمل إلى سامرا، فدفن بها. وفيها في شهر ربيع الأول ماتت قبيصة أم المعتز. وفيها صار ابن الديلمي إلى الدينور، وتعاون ابن عياض ودلف بن عبد العزيز بن أبي دلف عليه، فهزماه وأخذوا أمواله وضياعه، ورجع إلى حلوان مفلولاً.

خبر أسر الروم لعبد الله بن رشيد

وفيها أسرت الروم عبد الله بن رشيد بن كاوس.

ذكر الخبر عن سبب أسرهم إياه: ذكر أن سبب ذلك كان، أنه دخل أرض الروم في أربعة آلاف من أهل الثغور الشامية، فصار إلى حصنين والمسكنين، فغتم المسلمون، وقتل، فلما رحل عن البدندون، خرج عليه بطريق سلوقية وبطريق قذيذية وبطريق قرّة وكوكب وخرشنة، فأحرقوا بهم، فنزل المسلمون فعرقبوا دوابهم، وقاتلوا، فقتلوا، الا نحسمائة او ستمائة، وضعوا السياط في خواصر دوابهم، وخرجوا،

٩٠٤٦٠٣ ذكر خبر الوقعة بين محمد المولد وقائد الزنج

فقتل الروم من قتلوا، وأسر عبد الله بن رشيد بعد ضربات أصابته، وحمل إلى لؤلؤة، ثم حمل إلى الطاغية على البريد. ذكر خبر الوقعة بين محمد المولد وقائد الزنج

وفيها ولي محمد المولد واسطاً، فخاربه سليمان بن جامع، وهو عامل على ما يلي تلك الناحية من قبل قائد الزنج، فهزمه وأخرجه عن واسط فدخلها.

ذكر الخبر عن هذه الوقعة وسببها:

ذكر أن السبب في ذلك كان أن سليمان بن جامع الموجه كان من قبل قائد الزنج إلى ناحية الحوانيت والبطائح، لما هزم جعلان التركي عامل السلطان، وأوقع بأغرتمش، فقل عسكره، وقتل خشيشا، ونهب ما كان معهم، كتب إلى صاحبه قائد الزنج يستأذنه في المصير إليه، ليحدث به عهداً، ويصلح أموراً من أمور منزله، فلما أنفذ الكتاب بذلك، أشار عليه أحمد بن مهدي الجبائي بتطرق عسكر البخاري، وهو يومئذ مقيم ببردودا، فقبل ذلك، وسار إلى بردودا، فوافى موضعاً يقال له أكرمهر، وذلك على خمسة فراسخ من عسكر تكين فلما وافى ذلك الموضع، قال الجبائي لسليمان: إن الرأي أن تقيم أنت هاهنا، وأمضي أنا في السميريات، فأجر القوم إليك، وأتعبهم فيأتوك وقد لغبوا، فتتال حاجتك منهم ففعل سليمان ذلك، فعجب خيله ورجالته في موضعه ذلك، ومضى أحمد بن مهدي في السميريات مسحراً، فوافى عسكر تكين، فقاتله ساعة، وأعد تكين خيله ورجاله، وتطارد الجبائي له، وأنفذ غلاماً إلى سليمان يعلمه أن أصحاب تكين واردون عليه بخيلهم فلقى الرسول سليمان، وقد أقبل يقفوا أثر الجبائي لما أبطأ عليه خبره.

فردّه إلى معسكره، ووافى رسول آخر للجبائي بمثل الخبر الأول، فلما رجع سليمان إلى عسكره، أنفذ ثعلب بن حفص البحراني وقائداً من قواد الزنج، يقال

له منينا في جماعة من الزنج، فجعلهما كميناً في الصحراء مما يلي ميسرة خيل تكين، وأمرهما إذا جاوزهم خيل تكين أن يخرجوا من ورائهم فلما علم الجبائي أن سليمان قد أحكم لهم خيله وأمر الكمين، رفع صوته ليرسم أصحاب تكين، يقول لأصحابه: غررتموني وأهلكتموني، وقد كنت أمرتكم ألا تدخلوا هذا المدخل، فايتم الا القائي وأنفسكم هذا الملقى الذي لا أرانا نجو منه فطمع أصحاب تكين لما سمعوا قوله، ووجدوا في طلبه، وجعلوا ينادون: بلبل في قفص وسار الجبائي سيرا حثيثاً، وأتبعوه يرشقونه بالسهم، حتى جاوزوا موضع الكمين، وقاربوا عسكر سليمان، وهو كامن من وراء الجدر في خيله وأصحابه، فزحف سليمان، فتلقي الجيش، وخرج الكمين من وراء الخيل، وثنى الجبائي صدور سميرياته إلى من في النهر، فاستحكمت الهزيمة عليهم من الوجوه كلها، وركبهم الزنج يقتلونهم ويسلبونهم، حتى قطعوا نحواً من ثلاثة فراسخ.

ثم وقف سليمان وقال للجبائي: نرجع فقد غنمنا وسلمنا، والسلامة أفضل من كل شيء فقال الجبائي: كلا، قد نخبنا قلوبهم، ونفذت حيلتنا فيهم، والرأي أن نكسبهم في ليلتنا هذه، فلعلنا أن نزيلهم عن عسكرهم، ونفض جمعهم فاتبع سليمان رأي الجبائي، وصار إلى عسكر تكين، فوافاه في وقت المغرب، فأوقع به، ونهض تكين فيمن معه، فقاتل قتالا شديداً، فانكشف عنه سليمان وأصحابه ثم وقف سليمان وعباً أصحابه، فوجه شبلا في خيل من خيله، وضم إليه جمعا من الرجال إلى الصحراء، وأمر الجبائي، فسار في السميريات في بطن النهر، وسار هو فيمن معه من أصحابه الخيالة والرجال، فتقدم أصحابه حتى وافى تكين، فلم يقف له أحد، وانكشفوا جميعاً وتركوا عسكرهم، فغتم ما وجد فيه، وأحرق العسكر، وانصرف إلى معسكره بما أصاب من الغنيمة ووافى عسكره، فألقى كتاب الخبيث قد ورد بالإذن له في المصير إلى منزله، فاستخلف الجبائي، وحمل الأعلام التي أصابها من عسكر تكين والشذوات التي أخذها من المعروف بأبي تميم ومن خشيش ومن

٩٠٤٦٠٤ ذكر الخبر عن السبب الذي من أجله تهيأ للزنج دخول واسط، وذكر الخبر عن الأحداث الجلية في سنة أربع وستين ومائتين:

تكين، وأقبل حتى ورد عسكر الخبيث، وذلك في جمادى الأولى من سنة أربع وستين ومائتين.
 ذَكَرَ الْخَبْرَ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ تَهَيَّأَ لِلزَّنْجِ دُخُولَ وَاسْطَ، وَذَكَرَ الْخَبْرَ عَنِ الْأَحْدَاثِ الْجَلِيلَةِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ وَمِائَتَيْنِ:
 ذَكَرَ أَنَّ الْجَبَائِيَّ يُحْيَى بْنَ خَلْفٍ لَمَّا شَخَّصَ سُلَيْمَانَ بْنَ جَامِعٍ مِنْ مَعْسَكِهِ بَعْدَ الْوَقْعَةِ الَّتِي أَوْقَعَهَا بِتَكِينَ إِلَى صَاحِبِ الزَّنْجِ، خَرَجَ فِي السَّمِيرِيَّاتِ بِالْعَسْكَرِ الَّذِي خَلْفَهُ سُلَيْمَانٌ مَعَهُ إِلَى مَازِرْوَانَ لَطَلَبِ الْمِيرَةِ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ السُّودَانِ، فَاعْتَرَضَهُ أَصْحَابُ جَعْلَانَ، فَأَخَذُوا سَفِينًا كَانَتْ مَعَهُ، وَهَزَمُوهُ، فَجَرَعَ مَقْلُولًا حَتَّى وَافَى طَهِيثًا، وَوَافَقَهُ كَتَبُ أَهْلِ الْقَرْيَةِ، يُخْبِرُونَهُ أَنَّ مَنُجُورَ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ حَبِيبٍ الْيَشْكِرِيِّ لَمَّا اتَّصَلَ بِهِمَا خَبَرُ غِيْبَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ جَامِعٍ عَنْ طَهِيثًا، اجْتَمَعَا وَجَمَعَا أَصْحَابَهُمَا، وَقَصَدَا الْقَرْيَةَ، فَقَتَلَا فِيهَا وَأَحْرَقَا وَانْصَرَفَا، وَجَلَا مِنْ أَفْلَتَ مَنْ كَانَ فِيهَا، فَصَارُوا إِلَى الْقَرْيَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْحُجَاجِيَّةِ، فَأَقَامُوا بِهَا فَكَتَبَ الْجَبَائِيُّ إِلَى سُلَيْمَانَ يُخْبِرُهُ مَا وَرَدَتْ بِهِ كَتَبُ أَهْلِ الْقَرْيَةِ، مَعَ مَا نَالَهُ مِنْ أَصْحَابِ جَعْلَانَ، فَأَنْهَضَ قَائِدَ الزَّنْجِ سُلَيْمَانَ إِلَى طَهِيثًا مَعْجَلًا، فَوَافَاهَا، فَأَظْهَرَ أَنَّهُ يَقْصِدُ لِقَاتِلَ جَعْلَانَ، وَعَبَّأَ جَيْشَهُ، وَقَدَّمَ الْجَبَائِيَّ أَمَامَهُ فِي السَّمِيرِيَّاتِ، وَجَعَلَ مَعَهُ خِيَلًا وَرِجَالًا، وَأَمَرَهُ بِمُؤَاظَةِ مَازِرْوَانَ وَالْوُقُوفِ بِإِزَاءِ عَسْكَرِ جَعْلَانَ، وَأَنَّ يَظْهَرَ الْخَيْلَ وَيُرْعَاهَا بِحَيْثُ يَرَاهَا أَصْحَابُ جَعْلَانَ، وَلَا يُوقِعَ بِهِمْ، وَرَكِبَ هُوَ فِي جَيْشِهِ أَجْمَعَ إِلَّا نَفَرًا يَسِيرُ خَلْفَهُمْ فِي عَسْكَرِهِ، وَمَضَى فِي الْأَهْوَازِ حَتَّى خَرَجَ عَلَى الْهُورِيِّينَ الْمَعْرُوفِينَ بِالرَّبَّةِ وَالْعَمْرَقَةِ ثُمَّ مَضَى نَحْوَ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ حَبِيبٍ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ تَلْفَخَارٌ، فَوَافَاهُ فَأَوْقَعَ بِهِ وَقْعَةً غَلِيظَةً، قَتَلَ فِيهَا قَتْلًا كَثِيرًا، وَأَخَذَ خِيَلًا كَثِيرًا وَحَازَ غَنَائِمَ جَزِيلَةً، وَقَتَلَ أَخَا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ، وَأَفْلَتَ مُحَمَّدٌ، وَرَجَعَ سُلَيْمَانٌ،

فلما صار في صحراء بين البزاق والقرية وافته خيل لبني شيبان، وقد كان فيمن أصاب سليمان بتلفخار سيد من سادات بني شيبان، فقتله وأسر ابنا له صغيراً، واخذ حجراً كانت تحته، فانتهى خبره إلى عشيرته، فعارضوا سليمان بهذه الصحراء في أربعمئة فارس وقد كان سليمان وجهه إلى عمير بن عمار خليفته بالطف حين توجه إلى ابن حبيب، فصار إليه، فجعله دليلاً لعله بتلك الطريق، فلما رأى

سليمان خيل بني شيبان قدم أصحابه أجمعين إلا عمير بن عمار فإنه انفراد، فظفرت به بنو شيبان فقتلوه، وحملوا رأسه، وانصرفوا. وانتهى الخبر إلى الخبيث، فعظم عليه قتل عمير، وحمل سليمان إلى الخبيث ما كان أصاب من بلد محمد بن علي بن حبيب، وذلك في آخر رجب من هذه السنة فلما كان في شعبان نهض سليمان في جمع من أصحابه، حتى وافى قرية حسان، وبها يومئذ قائد من قواد السلطان يقال له جيش ابن حمرتين، فأوقع به، فأجفل عنه، وظفر بالقرية فانتهبها، وأحرق فيها وأخذ خيلا، وعاد إلى عسكره ثم خرج لعشر خلون من شعبان إلى الحوائت، وأصعد الجبائي في السميريات إلى برمساور، فوجد هنالك صلاغا فيها خيل من خيل جعلان، كان أراد أن يوافي بها نهر أبان وقد كان خرج إلى ما هناك متصيذا، فأوقع الجبائي بتلك الصلاغ، فقتل من فيها، وأخذ الخيل - وكانت اثني عشر فرسا - وعاد إلى طهيتا ثم نهض سليمان إلى تل رمانا، لثلاث بقين من شعبان فأوقع بها، وجلا عنها أهلها، وحاز ما مكان فيها ثم رجع إلى عسكره، ونهض لعشر ليال خلون من شهر رمضان إلى الموضع المعروف بالجازرة، وأبا يومئذ هناك، وجعلان بمازروان. وقد كان سليمان كتب إلى الخبيث في التوجيه إليه بالشذا، فوجه إليه عشر شذوات، مع رجل من أهل عبادان يقال له الصقر بن الحسين، فلما وافى سليمان الصقر بالشذا أظهر أنه يريد جعلان، وبادرت الأخبار إلى جعلان بأن سليمان يريد موافاته، فكانت همته ضبط عسكره فلما قرب سليمان من موضع أبا مال إليه، فأوقع به، وألفاه غارا بجيئه، فنال حاجته، وأصاب ست شذوات.

قال محمد بن الحسن: قال جباش: كانت الشذوات ثمانية، وجدها في عسكره، وأحرق شذاتين كانتا على الشط، وأصاب خيلا وسلاحا وأسلابا، وانصرف إلى عسكره، ثم أظهر أنه يريد قصد تكين البخاري، وأعد مع الجبائي وجعفر بن أحمد خال ابن الخبيث الملعون المعروف بأنكلاي سفنا فلما وافى السفن عسكر جعلان، نهض إليها، فأوقع بها، وحازها وأوقع سليمان من جهة البر، فهزمه إلى الرصافة، واسترجع سفنه، وحاز سبعة وعشرين فرسا ومهرين من خيل جعلان وثلاثة أبغل، وأصاب منها كثيرا وسلاحا، ورجع إلى طهيتا.

قال محمد: أنكر جباش أن يكون لتكين في هذا الموضع ذكر، ولم يعرف خبر العباداني في تكين، وزعم أن القصد لم يكن إلا إلى جعلان، وقد كان خبره خفي على أهل عسكره حتى أرجفوا بأنه قد قتل وقتل الجبائي معه، فجزعوا أشد الجزع، ثم ظهر خبره وما كان منه من الإيقاع بجعلان، فسكنوا وقرروا إلى أن وافى سليمان، وكتب بما كان منه إلى الخبيث، وحمل أعلاما وسلاحا، ثم صار سليمان إلى الرصافة في ذي القعدة، فأوقع بمطر بن جامع، وهو يومئذ مقيم بها، فغنم غنائم كثيرة، وأحرق الرصافة، واستباحها، وحمل أعلاما إلى الخبيث، وانحدر لخمس ليال خلون من ذي الحجة سنة أربع وستين ومائتين إلى مدينة الخبيث، فأقام ليعيد هناك ويقم في منزله، ووافى مطر بن جامع القرية المعروفة بالمحاجية، فأوقع بها، وأسر جماعة من أهلها.

وكان القاضي بها من قبل سليمان رجلا من أهلها يقال له سعيد بن السيد العدوي، فأسر وحمل إلى واسط هو وثعلب بن حفص وأربعة قواد كانوا معه، فصاروا إلى الحرجلية على فرسخين ونصف من طهيتا، ومضى الجبائي في الخيل والرجل لمعارضة مطر، فوافى الناحية وقد نال مطر ما نال منها، فانصرف عنها، وكتب إلى سليمان بالخبر، فوافى سليمان يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة من هذه السنة، ثم صرف جعلان، ووافى أحمد بن ليثويه، فأقام بالشديدة، ومضى سليمان إلى موضع يقال له نهر أبان، فوجد هناك قائدا من قواد ابن ليثويه يقال له طرنج، فأوقع به وقتله.

قال محمد: قال جباش: المقتول بهذا الموضع بينك، فأما طرنج فإنه قتل بمازروان ثم وافى الرصافة، وبها يومئذ عسكر مطر بن جامع، فأوقع به، فاستباح عسكره، وأخذ منه سبع شذوات، وأحرق شذاتين، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ومائتين قال محمد: قال جباش: كانت هذه الوقعة بالشديدة، والذي أخذ يومئذ ست شذوات، ثم مضى سليمان في خمس شذوات، ورتب فيها صناديد قواده وأصحابه، فواقعه تكين البخاري بالشديدة، وقد كان ابن ليثويه حينئذ صار إلى ناحية الكوفة وجنبلاء، فظهر تكين على سليمان، وأخذ منه الشذوات التي كانت معه بآلتها وسلاحها ومقاتلتها، وقتل في هذه الوقعة جلة قواد سليمان.

ثم زحف ابن ليثويه إلى الشديدة، وضبط تلك النواحي إلى أن ولى أبو أحمد محمدا المولد واسطا. قال محمد: قال جباش: لما وافى ابن ليثويه الشديدة سار إليه سليمان، فأقام يومين يقاتله، ثم تطارد له سليمان في اليوم الثالث، وتبعه

ابن ليثويه فيمن تسرع معه، فرجع إليه سليمان، فألقاه في فوهة بردودا، فتخلص بعد أن أشفى على الغرق وأصاب سليمان سبع عشرة دابة من دواب ابن ليثويه.

قال: وكتب سليمان إلى الخبيث يستمده، فوجه إليه الخليل بن أبان في زهاء ألف وخمسمائة فارس، ومعه المذوب، فقصده عند موافاة هذا المدد إياه لمحاربة محمد المولد، فأوقع به فهرب المولد، ودخل الزنج واسطاً، فقتل بها

٩٠٤٦٥ ذكر خبر خروج سليمان بن وهب من بغداد إلى سامرا

خلق كثير، وانتهت وأحرقت، وكان بها إذ ذاك كنجور البخاري، فخامى يومه ذلك إلى وقت العصر، ثم قتل وكان الذي يقود الخليل يومئذ في عسكر سليمان بن جامع الخليل بن أبان وعبد الله المعروف بالمذوب وكان الجبائي في السميريات، وكان الزنجي بن مهربان في الشذوات، وكان سليمان بن جامع في قواده من السودان ورجاله منهم، وكان سليمان بن موسى الشعراني وأخواه في خيله ورجله مع سليمان بن جامع، فكان القوم جميعاً يدا واحدة ثم انصرف سليمان بن جامع عن واسط، ومضى بجميع الجيش إلى جنبلأء ليعيث ويخرب، ووقع بينه وبين الخليل بن أبان اختلاف، فكتب الخليل بذلك إلى أخيه علي بن أبان، فاستعفى له قائد الزنج من المقام مع سليمان، وأذن للخليل بالرجوع إلى مدينة الخبيث مع أصحاب علي بن أبان وغلته، وتخلف المذوب في الأعراب مع سليمان، وأقام بمعسكره أياماً، ثم مضى إلى نهر الأمير، فعسكر به، ووجه الجبائي والمذوب إلى جنبلأء، فأقاما هنالك تسعين ليلة، وسليمان معسكر بنهر الأمير.

قال محمد: قال جبأش: كان سليمان معسكراً بالشديديه.

ذكر خبر خروج سليمان بن وهب من بغداد إلى سامرا

وفي هذه السنة خرج سليمان بن وهب من بغداد إلى سامرا، ومعه الحسن ابن وهب، وشيعه أحمد بن الموفق ومسروور البلخي وعامة القواد، فلما صار بسامرا غضب عليه المعتمد وحبسه وقيدته، وانتهب داره وداري ابنيه وهب وإبراهيم، واستوزر الحسن بن مخلد لثلاث بقين من ذي القعدة، فشخص الموفق من بغداد ومعه عبيد الله بن سليمان، فلما قرب أبو أحمد من سامرا تحول المعتمد إلى الجانب الغربي، فعسكر به، ونزل أبو أحمد ومن معه جزيرة المؤيد، واختلفت الرسل بينهما فلما كان بعد أيام خلون من ذي الحجة، صار المعتمد إلى حراقة في دجلة، وصار إليه أخوه أبو أحمد في زلال، فخلع على أبي أحمد وعلى مسروور البلخي وكيغلع واحمد بن موسى

٩٠٤٦٦ أخبار متفرقة

ابن بغا فلما كان يوم الثلاثاء ثمان خلون من ذي الحجة يوم التروية عبر أهل عسكر أبي أحمد إلى عسكر المعتمد، وأطلق سليمان بن وهب، ورجع المعتمد إلى الجوسق، وهرب الحسن بن مخلد وأحمد بن صالح بن شيرزاد، وكتب في قبض أموالهما وأموال أسبأبهما، وحبس أحمد بن أبي الأصبغ، وهرب القواد المقيمون كانوا بسامرا إلى تكريت، وتغيب أبو موسى بن المتوكل، ثم ظهر ثم شخص القواد الذين كانوا صاروا إلى تكريت إلى الموصل، ووضعوا أيديهم في الجباية.

[أخبار متفرقة]

وجج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي الكوفي.

٩٠٤٧ سنه خمس وستين ومائتين

٩٠٤٧٠١ ذكر الوقعه بين احمد بن ليثويه وسليمان قائد الزنج

ثم دخلت

سنة خمس وستين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر الوقعه بين احمد بن ليثويه وسليمان قائد الزنج

فمن ذلك ما كان من وقعة كانت بين أحمد بن ليثويه وسليمان بن جامع قائد صاحب الزنج بناحية جنبلاء. ذكر الخبر عن هذه الوقعة وسببها:

ذكر أن سليمان بن جامع كتب إلى صاحب الزنج، يخبره بحال نهر يعرف بالزهيري، ويسأله الإذن له في النفقة على إنفاذ كرية إلى سواد الكوفة والبرار، ويعلمه أن المسافة في ذلك قريبة، وأنه متى أنفذه تهيأ له بذلك حمل كل ما بنواحي جنبلاء وسواد الكوفة من الميرة فوجه الخبيث بذلك رجلاً يقال له محمد بن يزيد البصري، وكتب إلى سليمان بإزاحة عله في المال والإقامة معه في جيشه إلى وقت فراغه، مما وجه له، فضى سليمان بجميع جيشه حتى أقام بالشريطية نحواً من شهر، وألقى الفعلة في النهر، وخلال ذلك ما كان سليمان يتطرق ما حوله من أهل خسر سابور، وكانت الميرة تتصل به من ناحية الصين وما والاها إلى أن واقعه ابن ليثويه عامل أبي أحمد على جنبلاء، فقتل له أربعة عشر قائداً.

قال محمد بن الحسن: قتل سبعة وأربعين قائداً وخلقا من الخلق لا يحصى كثرة، واستبيح عسكره، وأحرقت سفنه، وكانت مقيمة في هذا النهر الذي كان مقيماً على إنفاذه، فضى مفلولاً حتى وافى طهيثاً، فأقام بها، ووافى الجبائي في عقب ذلك، ثم أصدع فأقام بالموضع المعروف ببرتمرتا واستخلف

٩٠٤٧٠٢ أخبار متفرقة

على الشذوات الاشتيام الذي يقال له الزنجي بن مهربان، وقد كان السلطان وجه نصيراً لتقييد شامرج، وحمله إلى الباب، وتقلد ما كان يتقلده، فوافى نصير الزنجي بن مهربان بعد حمله شامرج مقيداً بنهر برتمرتا، وأخذ منه تسع شذوات، واسترد الزنجي منها ستاً. قال محمد بن الحسن: أنكر جباش أن يكون الزنجي بن مهربان استرد من الشذوات شيئاً، وزعم أن نصيراً ذهب بالشذوات أجمع، وانصرف إلى طهيثاً، وبادر بالكتاب إلى سليمان، ووافاه فأقام سليمان بطهيثاً إلى أن اتصل به خبر اقبال الموفق. [أخبار متفرقة]

وفيها أوقع أحمد بن طولون بسيماء الطويل بأنطاكية، فحصره بها، وذلك في المحرم منها، فلم يزل ابن طولون مقيماً عليها حتى افتتحها، وقتل سيماء وفيها وثب القاسم بن مماء بدلف بن عبد العزيز بن أبي دلف بأصبهان، فقتله ثم وثب جماعة من أصحاب دلف على القاسم، فقتلوه ورأسوا عليهم أحمد بن عبد العزيز.

وفيها لحق محمد المولد بيعقوب بن الليث، فصار إليه، وذلك في المحرم منها، فأمر السلطان بقبض أمواله وعقاراته. وفيها قتلت الأعراب جعلان المعروف بالعيار بدما، وكان خرج لبذرة قافلة، فقتلوه، وذلك في جمادى الأولى، فوجه السلطان في طلب الذين قتلوه جماعة من الموالي، فهرب الأعراب، وبلغ الذين شخصوا في طلبهم عين التمر، ثم رجعوا إلى بغداد، وقد مات منهم من البرد جماعة، وذلك أن البرد اشتد في تلك الأيام ودام أياماً، وسقط الثلج ببغداد.

وفيها أمر أبو أحمد بحبس سليمان بن وهب وابنه عبيد الله، فحبسا وعدة من أسابهم في دار أبي أحمد، وانتهت دور عدة من أسبائه، ووكل بحفظ دارى سليمان وابنه عبيد الله، وأمر بقبض ضياعهما وأموالهما وأموال أسبائهما وضياعهم خلا أحمد بن سليمان ثم صولح سليمان وابنه عبيد الله على تسعمائة ألف دينار، وصيرا في موضع يصل إليهما من أحباب.

وفيها عسكر موسى بن أتامش وإسحاق بن كنداجيق وبنغجور بن أرخوز والفضل بن موسى بن بغا بباب الشماسية، ثم عبروا جسر بغداد، فصاروا إلى السفينتين، وتبعهم أحمد بن الموفق، فلم يرجعوا، ونزلوا صرصر.

وفيها استكتب أبو أحمد صاعد بن مخلد، وذلك لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الآخرة، وخلع عليه، فضى صاعد إلى القواد بصرصر، ثم بعث أبو أحمد ابنه أحمد إليهم، فناظرهم فانصرفوا معه نخلع عليهم.

وفيها خرج - فيما ذكر - خمسة من بطارقة الروم في ثلاثين ألفاً من الروم إلى أذنة، فصاروا إلى المصلى. وأسرروا أرخوز - وكان والي الثغور - ثم عزل، فربط هناك فأسر، وأسر معه نحو من أربعمئة رجل، وقتلوا ممن نفر إليهم نحو من ألف

وأربعمئة رجل، وانصرفوا اليوم الرابع، وذلك في جمادى الأولى منها.

وفي رجب منها عسكر موسى بن اتامش وإسحاق بن كنداجيق وبنغجور ابن أرخوز بنهر ديالى.

وفيهما غلب أحمد بن عبد الله النخجستاني على نيسابور، وصار الحسين ابن طاهر عامل محمد بن طاهر إلى مرو، فأقام بها وأخو شركب الجمال بين الحسين والنخجستاني أحمد بن عبد الله.

وفيهما أحرقت طوس.

وفيهما استوزر إسماعيل بن بلبل.

وفيهما مات يعقوب بن الليث بالأهواز وخلفه أخوه عمرو بن الليث، وكتب عمرو إلى السلطان بأنه سامع له ومطيع، فوجه إليه أحمد بن أبي الأصبع في ذي القعدة منها

وفيهما قتلت جماعة من أعراب بني أسد علي بن مسرور البلخي بطريق مكة قبل مصيره إلى المغيبة، وكان أبو أحمد ولى محمد بن مسرور البلخي طريق مكة، فولاه أخاه علي بن مسرور.

وفيهما بعث ملك الروم بعبد الله بن رشيد بن كاوس الذي كان عامل الثغور فأسر، إلى أحمد بن طولون مع عدة من أسراء المسلمين وعدة مصاحف هدية منه له.

وفيهما صارت جماعة من الزنج في ثلاثين سميرية إلى جبل، فأخذوا أربع سفن فيها طعام، ثم انصرفوا.

وفيهما لحق العباس بن أحمد بن طولون مع من تبعه ببرقة، مخالفا لأبيه أحمد، وكان أبوه أحمد استخلفه - فيما ذكر - على عمله بمصر لما توجه إلى الشام، فلما انصرف أحمد عن الشام راجعا إلى مصر حمل العباس ما في بيت مال مصر من الأموال، وما كان لأبيه هناك من الأثاث وغير ذلك ثم مضى إلى برقة، فوجه إليه أحمد جيشا، فظفروا به وردوه إلى أبيه أحمد، فحبسه عنده، وقتل لسبب ما كان منه جماعة كانوا شايعوا ابنه على ذلك.

وفيهما دخل الزنج النعمانية، فأحرقوا سوقها، وأكثر منازل أهلها، وسبوا، وصاروا إلى جرجايا، ودخل أهل السواد بغداد.

وفيهما ولي أبو أحمد عمرو بن الليث خراسان وفارس وأصبهان وسجستان وكرمان والسند، واشهد له بذلك، ووجه بكتابته إليه بتوليته ذلك مع أحمد ابن أبي الأصبع، ووجه إليه مع ذلك العهد والعقد والخلع.

وفي ذي الحجة منها صار مسرور البلخي إلى النيل، فتنحى عنها عبد الله ابن ليثويه في أصحاب أخيه، وقد أظهر الخلاف على السلطان، فصار ومن معه إلى أحمد أباز، فتبعهم مسرور البلخي يريد محاربتهم، فبدر عبد الله ابن ليثويه ومن كان معه، فترجلوا لمسرور، وانقادوا له بالسمع والطاعة،

٩٠٤٧٠٣ ذكر خبر شخص تكين البخارى إلى الاهواز

وعبد الله بن ليثويه نزع سيفه ومنطقته فعلقهما في عنقه، يعتذر إليه، ويخلف أنه حمل على ما فعل، فقبل منه، وأمر نفلع عليه وعلى عدة من القواد معه.

ذكر خبر شخص تكين البخارى الى الاهواز

وفيهما شخص تكين البخاري إلى الأهواز مقدمة لمسور البلخي.

ذكر الخبر عما كان من أمر تكين بالأهواز حين صار إليها: ذكر محمد بن الحسن أن تكين البخاري ولاء مسرور البلخي كور الأهواز حين ولاء أبو أحمد عليها، فتوجه تكين إليها، فوافاها، وقد صار إليها علي بن أبان المهلي، فقصده تستر، فأحاط بها في جمع كثير من أصحابه الزنج وغيرهم، فراح ذلك أهلها، وكادوا أن يسلموها، فوافاها تكين في تلك الحال، فلم يضع عنه ثياب السفر، حتى واقع علي بن أبان وأصحابه، فكانت الدبرة على الزنج، فقتلوا وهزموا وتفرقوا، وانصرف علي فيمن بقي معه مفلولا مدحورا، وهذه وقعة باب كودك المشهورة.

ورجع تكين البخاري، فنزل تستر، وانضم إليه جمع كثير من الصعاليك وغيرهم، ورحل إليه علي بن أبان في جمع كثير من أصحابه، فنزل شرقي المسرقان، وجعل أخاه في الجانب الغربي في جماعة من الخليل، وجعل رجاله الزنج معه، وقدم جماعة من قواد الزنج، منهم

أنكوليه وحسين المعروف بالحمامي وجماعة غيرهما، فأمرهم بالمقام بقنطرة فارس.

وانتهى الخبر بما دبره علي بن أبان إلى تكين، وكان الذي نقل إليه الخبر غلاما يقال له وصيف الرومي، وهرب إليه من عسكر علي بن أبان، فأخبره بمقام هؤلاء القوم بقنطرة فارس، وأعلمه تشاغلهم بشرب النبيذ وتفرق أصحابهم في جمع الطعام، فسار إليهم تكين في الليل في جمع من أصحابه، فأوقع بهم، فقتل من قواد الزنج أنكوليه والحسين المعروف بالحمامي ومفرج

المكنى أبا صالح وأندرون، وانهزم الباكون، فلحقوا بالخليل بن أبان، فأعلموه ما نزل بهم، وسار تكين على شرقي المسرقان حتى لقي علي بن أبان في جمعه، فلم يقف له علي وانهزم عنه، وأسر غلام لعلي من الخيالة يعرف بجعفرويه، ورجع علي والخليل في جمعهما إلى الأهواز، ورجع تكين إلى تستر، وكتب علي بن أبان إلى تكين يسأله الكف عن قتل جعفرويه فخبسه، وجرت بين تكين وعلي بن أبان مراسلات وملاطفات، وانتهى الخبر بها إلى مسرور، فأنكرها وانتهى إلى مسرور أن تكين قد ساءت طاعته، وركن إلى علي بن أبان ومايله.

قال محمد بن الحسن: لحدثني محمد بن دينار، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي المأموني الباذغيسي - وكان من أصحاب تكين البخاري - قال: لما انتهى إلى مسرور الخبر بالتيث تكين عليه توقف حتى عرف صحة أمره، ثم سار يريد كور الأهواز وهو مظهر الرضا عن تكين والإحاحاد لأمره، فجعل طريقه على شابرزان، ثم سار منها حتى وافى السوس، وتكين قد عرف ما انتهى إلى مسرور من خبره، فهو مستوحش من ذلك ومن جماعة كانت تتبعه عند مسرور من قواده، فجرت بين مسرور وتكين رسائل حتى أمن تكين، فصار مسرور إلى وادي تستر، وبعث إلى تكين، فعبّر إليه مسلما، فأمر به فأخذ سيفه، ووكّل به، فلما رأى ذلك جيش تكين انفضوا من ساعتهم، ففرقة منهم صارت إلى ناحية صاحب الزنج، وفرقة صارت إلى محمد بن عبيد الله الكردي وانتهى الخبر إلى مسرور، فبسط الأمان لمن بقي من جيش تكين، فلحقوا به.

قال محمد بن عبد الله بن الحسن المأموني: فكنت أحد الصائرين إلى عسكر مسرور، ودفع مسرور تكين إلى إبراهيم بن جعلان، فأقام في يده محبوسا، حتى وافاه أجله فتوفي. وكان بعض أمر مسرور وتكين الذي ذكرناه في سنة خمس وستين، وبعضه في سنة ست وستين.

٩٠٤٧٠٤ أخبار متفرقة

[أخبار متفرقة]

وجج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن اسحق بن موسى بن عيسى الهاشمي. وفيها كانت موافاة المعروف بأبي المغيرة بن عيسى بن محمد المخزومي متغلبا بزنج معه على مكة.

٩٠٤٨ سنة ست وستين ومائتين

٩٠٤٨٠١ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

ثم دخلت

سنة ست وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من تولية عمرو بن الليث عبيد الله بن عبد الله بن طاهر خلافته على الشرطة ببغداد وسامرا في صفر، وخلع أبي أحمد عليه، ثم مصير عبيد الله بن عبد الله إلى منزله، فخلع عليه فيه خلعة عمرو بن الليث، وبعث إليه عمرو بعمود من ذهب.

وفي صفر منها غلب أساتكين على الري، وأخرج عنها طليحور العامل كان عليها، ثم مضى هو وابنه اذكوتكين الى قزوین، وعليها أبرون أخو كيغغ، فصالحاه ودخلا قزوین، وأخذ محمد بن الفضل بن سنان العجلي، فأخذ أمواله وضياعه، وقتله أساتكين ثم رجع إلى الري، فقاتله أهلها فغلبهم ودخلها.

وفيها وردت سريه من سرايا الروم تل بسمى من ديار ربيعة، فقتلت من المسلمين، وأسرت نحو من مائتين ونحسين إنسانا، فنفر أهل نصيبين وأهل الموصل، فرجعت الروم.

وفيها مات أبو الساج بجنديسابور في شهر ربيع الآخر، منصرفا عن عسكر عمرو بن الليث إلى بغداد، ومات قبله في الحرم منها سليمان بن عبد الله ابن طاهر.

وولي عمرو بن الليث فيها أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف أصبهان وولي فيها محمد بن أبي الساج الحرمين وطريق مكة. وفيها ولي أغرتمش ما كان تكنين البخاري يليه من عمال الأهواز، فسار أغرتمش إليها، ودخلها في شهر رمضان، فذكر محمد بن الحسن أن مسرورا وجه أغرتمش وأبا ومطر بن جامع لقتال علي بن أبان، فساروا حتى انتهوا إلى تستر، فأقاموا بها، واستخرجوا من كان في حبس تكنين، وكان فيه جعفرويه في جماعة من أصحاب قائد الزنج، فقتلوا جميعا وكان مطر بن

جامع المتولي قتلهم، ثم ساروا حتى وافوا عسكر مكرم، ورحل إليهم علي بن أبان، وقدم أمامه إليهم الخليل أخاه، فصار إليهم الخليل، فوافقهم وتلاه علي، فلما كثر عليهم جمع الزنج، قطعوا الجسر وتحاجزوا، وجنهم الليل، فانصرف علي بن أبان في جميع أصحابه، فصار إلى الأهواز، وأقام الخليل فيمن معه بالمسرقان وأتاه الخبر بأن أغرتمش وأبا ومطر بن جامع قد أقبلوا نحوه، ونزلوا الجانب الشرقي من قنطرة أربك ليعبروا إليه، فكتب الخليل بذلك إلى أخيه علي بن أبان، فرحل علي إليهم حتى وافاهم بالقنطرة، ووجه إلى الخليل يأمره بالمصير إليه، فوافاه وارتاع من كان بالأهواز من أصحاب علي، فقلعوا عسكره، ومضوا إلى نهر السدرة، ونشبت الحرب بين علي بن أبان وقواد السلطان هناك، وكان ذلك يومهم، ثم تحاجزوا.

وانصرف علي بن أبان إلى الأهواز، فلم يجد بها أحدا، ووجد أصحابه أجمعين قد لحقوا بنهر السدرة، فوجه إليهم من يردهم، فعسر ذلك عليه فتبعهم، فأقام بنهر السدرة، ورجع قواد السلطان حتى نزلوا عسكر مكرم، وأخذ علي بن أبان في الاستعداد لقتالهم وأرسل إلى بهبوذ بن عبد الوهاب، فأتاه فيمن معه من أصحابه، وبلغ أغرتمش وأصحابه ما أجمع عليه من المسير إليهم علي، فساروا نحوه، وقد جعل علي بن أبان أخاه علي مقدمته، وضم إليه بهبوذ وأحمد بن الزرنجي، فالتقى الفريقان بالدولاب فأمر علي الخليل بن أبان أن يجعل بهبوذ كميناً، فجعله وسار الخليل حتى لقي القوم، ونشب القتال بينهم، فكان أول نهار ذلك اليوم لأصحاب السلطان، ثم جالوا جولة وخرج عليهم الكمين، وأكب الزنج إكجابه، فهزموهم، وأسر مطر بن جامع، صرع عن فرس كان تحته، فأخذه بهبوذ، فأتى به عليا، وقتل سيما المعروف بصغراج في جماعة من القواد.

ولما وافى بهبوذ عليا بمطر، سأله مطر استبقاءه، فأبى ذلك علي، وقال:

لو كنت أبقيت على جعفرويه لأبقينا عليك وأمر به فأدني إليه، فضرب عنقه بيده

ودخل علي بن أبان الأهواز، وانصرف أغرتمش وأبا فيمن أفلت معهما، حتى وافيا تستر، ووجه علي بن أبان بالرءوس إلى الخبيث، فأمر بنصبها على سور مدينته.

قال: وكان علي بن أبان بعد ذلك يأتي أغرتمش وأصحابه، فتكون الحرب بينهم سجالا عليه وله، وصرف الخبيث أكثر جنوده إلى ناحية علي بن أبان، فكثروا على أغرتمش، فركن إلى المودة، وأحب علي بن أبان مثل ذلك، فتهادنا وجعل علي بن أبان يغير على النواحي، فمن غاراته مصيره إلى القرية المعروفة ببهرود، فظهر عليها، ونال منها غنائم كثيرة، فكتب بما كان منه من ذلك إلى الخبيث، ووجه بالغنائم التي أصابها وأقام.

وفيها فارق إسحاق بن كنداجيق عسكر أحمد بن موسى بن بغا، وذلك أن أحمد بن موسى بن بغا لما شخص إلى الجزيرة ولي موسى بن أتامش ديار ربيعة، فأنكر ذلك إسحاق، وفارق عسكره لسبب ذلك، وصار إلى بلد، فأوقع بالأكراد اليعقوبية فهزموهم، وأخذ أموالهم فقوي بذلك، ثم لقي ابن مساور الشاري فقتله.

وفي شوال منها قتل أهل حمص عاملهم عيسى الكرخي وفيها أسر لؤلؤ غلام أحمد بن طولون موسى بن أتامش، وذلك أن لؤلؤا كان مقيما بربابة بني تميم، وكان موسى بن أتامش مقيما برأس العين، فخرج ليلا سكران ليكبسهم، فكمّنوا له، فأخذوه أسيرا، وبعثوا به إلى الرقة.

ثم لقي لؤلؤ أحمد بن موسى وقواده ومن معهم من الأعراب في شوال، فهزم لؤلؤ، وقتل من أصحابه جماعة كثيرة، ورجع ابن صفوان العقيلي.

والأعراب إلى ثقل عسكر أحمد بن موسى لينتهبوه، وأكب عليهم أصحاب لؤلؤ، فبلغت هزيمة المنفلت منهم قرقيسيا، ثم صاروا إلى بغداد وسامرا، فوافوها في ذي القعدة، وهرب ابن صفوان إلى البادية

٩٠٤٨٠٢ ذكر الخبر عن الفتنة بين الجعفرية والعلوية

وفيها كانت بين أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف وبكتمر وقعة، وذلك في شوال منها، فهزم أحمد بن عبد العزيز بكتمر فصار إلى بغداد. وفيها أوقع الخجستاني بالحسن بن زيد بجرجان على غرة من الحسن، فهرب منه الحسن، فلحق بآمل، وغلب الخجستاني على جرجان وبعض أطراف طبرستان، وذلك في جمادى الآخرة منها ورجب.

وفيها دعا الحسن بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن حسن الأصغر العقيلي أهل طبرستان إلى البيعة له، وذلك أن الحسن بن زيد عند شخصه إلى جرجان كان استخلفه بسارية، فلما كان من أمر الخجستاني وأمر الحسن ما كان بجرجان، وهرب الحسن منها، أظهر العقيلي بسارية أن الحسن قد أسر، ودعا من قبله إلى بيعته، فبايعه قوم، ووافاه الحسن بن زيد فخاربه، ثم احتال له الحسن حتى ظفر به فقتله. وفيها نهب الخجستاني أموال تجار أهل جرجان، وأضرهم النار في البلد.

وفيها كانت وقعة بين الخجستاني وعمرو بن الليث، علا فيها الخجستاني على عمرو وهزمه، ودخل نيسابور، فأخرج عامل عمرو بها عنها، وقتل جماعة مما كان يميل إلى عمرو بها.

ذكر الخبر عن الفتنة بين الجعفرية والعلوية
وفيها كانت فتنة بالمدينة ونواحيها بين الجعفرية والعلوية.
ذكر الخبر عن سبب ذلك:

وكان سبب ذلك - فيما ذكر - أن القيم بأمر المدينة ووادي القرى ونواحيها كان في هذه السنة إسحاق بن محمد بن يوسف الجعفري، فولى وادي القرى عاملا من قبله، فوثب أهل وادي القرى على عامل إسحاق بن محمد، فقتلوه، وقتلوا أخوين لإسحاق، نفرج إسحاق إلى وادي القرى، فرض به ومات فقام بأمر المدينة أخوه موسى بن محمد، نفرج عليه الحسن بن موسى بن

٩٠٤٨٠٣ أخبار متفرقة

جعفر، فارضاه بثمانمائة دينار ثم خرج عليه أبو القاسم أحمد بن اسماعيل ابن الحسن بن زيد، ابن عم الحسن بن زيد صاحب طبرستان، فقتل موسى، وغلب على المدينة وقدمها أحمد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد، فضبط المدينة، وقد كان غلا بها السعر، فوجه إلى الجار، وضمن للتجار أموالهم، ورفع الجباية، فرخص السعر، وسكنت المدينة، فولى السلطان الحسني المدينة إلى أن قدمها ابن أبي الساج. [أخبار متفرقة]

وفيها وثبت الأعراب على كسوة الكعبة، فانتهبوها، وصار بعضها إلى صاحب الزنج، وأصاب الحاج فيها شدة شديدة. وفيها خرجت الروم إلى ديار ربيعة، فاستنفر الناس، فنفروا في برد ووقت لا يمكن الناس فيه دخول الدرب.

وفيها غزا سيما خليفة أحمد بن طولون على الثغور الشامية في ثلاثمائة رجل من أهل طرسوس، نفرج عليهم العدو في بلاد هرقلية، وهم نحو من أربعة آلاف، فاقتتلوا قتالا شديدا، فقتل المسلمون من العدو خلقا كثيرا، وأصيب من المسلمين جماعة كثيرة وفيها كانت بين إسحاق بن كنداجيق وإسحاق بن أيوب وقعة، هزم فيها ابن كنداجيق إسحاق بن أيوب، فألحقه بنصيبين، وأخذ ما في عسكره، وقتل من أصحابه جماعة كثيرة، وتبعه ابن كنداجيق، وصار إلى نصيبين، فدخلها، وهرب إسحاق بن أيوب منه، واستنجد عليه عيسى ابن الشيخ وهو بآمد وأبا المغراء بن موسى بن زرارة، وهو بأزرن، فتظاهروا على ابن كنداجيق، وبعث السلطان إلى ابن كنداجيق بخلع ولواء على الموصل وديار ربيعة وأرمينية مع يوسف بن يعقوب، ففزع عليه، فبعثوا يطلبون الصلح، ويبدلون له مالا على أن يقرهم على أعمالهم مائتي ألف دينار.

وفيه وافى محمد بن أبي الساج مكة، فخاربه ابن المخزومي، فهزمه ابن

٩٠٤٨٠٤ ذكر خبر دخول اصحاب قائد الزنج رامهرمز

٩٠٤٨٠٥ ذكر الخبر عن وقعه اكراد داربان مع صاحب الزنج

أبي الساج، واستباح ماله، وذلك يوم التروية من هذه السنة.

وفيه شخص كيغلغ إلى الجبل، ورجع بكتمر إلى الدينور.

ذكر خبر دخول اصحاب قائد الزنج رامهرمز

وفيه دخل اصحاب قائد الزنج رامهرمز.

ذكر الخبر عن سبب مصيرهم إليها:

قد ذكرنا قبل ما كان من أمر محمد بن عبيد الله الكردي وعلي بن أبان صاحب الخبيث، حين تلاقيا على صلح منهما، فذكر أن عليا كان قد احتجن على محمد ضغنا في نفسه، لما كان في سفره ذلك، وكان يرصده بشر، وقد عرف ذلك منه محمد بن عبيد الله، وكان يروم النجاة منه، فكتب ابن الخبيث المعروف بأنكلاي، وسأله مسألة الخبيث ضم ناحيته إليه لتزول يد علي منه، وهاداه، فزاد ذلك علي بن أبان عليه غيظا وحنقا، فكتب إلى الخبيث يعرفه به، ويصحح عنده أنه مصر على غدره، ويستأذنه في الإيقاع به، وأن يجعل الذريعة إلى ذلك مسألته حمل خراج ناحيته إليه، فأذن له الخبيث في ذلك، فكتب علي إلى محمد بن عبيد الله في حمل المال، فلواه به، ودافعه عنه، فاستعد له علي، وسار إليه، فأوقع برامهرمز، ومحمد بن عبيد الله يومئذ مقيم بها، فلم يكن لمحمد منه امتناع، فهرب ودخل علي رامهرمز، فاستباحها، ولحق محمد بن عبيد الله بأقصى معاقله من أربق والبيلم، وانصرف على غائما، وراع ما كان من ذلك من علي محمدا، فكتب يطلب المسألة، فأنهى ذلك علي إلى الخبيث، فكتب إليه يأمره بقبول ذلك، وإرهاق محمد بحمل المال، فحمل محمد بن عبيد الله مائتي ألف درهم، فأنفذها علي إلى الخبيث، وأمسك عن محمد بن عبيد الله وعن أعماله.

ذكر الخبر عن وقعه اكراد داربان مع صاحب الزنج

وفيه كانت وقعة لأكراد الداربان مع زنج الخبيث، هزموا فيها وفلوا.

ذكر الخبر عن سبب ذلك:

ذكر عن محمد بن عبيد الله بن أزارمرد أنه كتب إلى علي بن أبان بعد حمله إليه المال الذي ذكرنا مبلغه قبل، وكف علي عنه وعن أعماله، يسأله المعونة على جماعة من الأكراد كانوا بموضع يقال له الداربان، على أن يجعل له ولأصحابه غنائمهم فكتب علي إلى الخبيث يسأله الإذن له في النهوض لذلك، فكتب إليه أن وجه الخليل بن أبان وبهبوذ بن عبد الوهاب، وأقم أنت، ولا تنفذ جيشك حتى تتوثق من محمد بن عبيد الله برهائن تكون في يدك منه، تأمن بها من غدره فقد وترته، وهو غير مأمون على الطلب بثأره.

فكتب علي محمد بن عبيد الله بما أمره به الخبيث، وسأله الرهائن، فأعطاه محمد ابن عبد الله الأيمان والعهود، ودافعه على الرهائن فدعا عليا الحرص على الغنائم التي أطمعه فيها محمد بن عبيد الله إلى أن أنفذ الجيش، فساروا ومعهم رجال محمد بن عبيد الله، حتى وافوا الموضع الذي قصدوا له، فخرج إليهم أهلهم، ونشبت الحرب، فظهر الزنج في ابتداء الأمر على الأكراد، ثم صدقهم الأكراد، وخذلهم أصحاب محمد بن عبيد الله، فتصدعوا وانهمزوا مفلولين مقهورين، وقد كان محمد بن عبيد الله أعد لهم قوما أمرهم بمعارضتهم إذا انهمزوا، فعارضوهم وأوقعوا بهم، ونالوا منهم أسلابة، وأرجلوا طائفة منهم عن دوابهم فأخذوها، فرجعوا بأسوأ حال، فكتب المهلي إلى الخبيث بما نال أصحابه فكتب إليه يعنفه، ويقول: قد كنت تقدمت إليك إلا تركن إلى محمد ابن عبيد الله، وأن تجعل الوثيقة بينك وبينه الرهائن، فتركت أمري، واتبعت هواك، فذاك الذي أرداك وأردى جيشك.

وكتب الخبيث إلى محمد بن عبيد الله، أنه لم يخف علي تدبيرك على جيش علي بن أبان، ولن تعدم الجزاء على ما كان منك.

فارتاع محمد بن عبيد الله مما ورد به عليه كتاب الخبيث، وكتب إليه بالتضرع والخضوع، ووجه بما كان أصحابه أصابوا من خيل أصحاب علي حيث عورضوا وهم منهزمون، فقال: إني صرت بجميع من معي إلى هؤلاء القوم الذين أوقعوا بالخليل وبهبوذ، فتوعدتهم وأخفتهم، حتى ارتجعت هذه الخيل منهم، ووجهت بها فأظهر الخبيث غضبا، وكتب إليه يتهده بجيش كثيف يرميه به، فأعاد محمد الكتاب بالتضرع والاستكانة، فأرسل إلى بهبوذ، فضمن له مالا، وضمن لمحمد بن يحيى الكرمانى مثل ذلك، ومحمد بن يحيى يومئذ الغالب على علي بن أبان، والمصرف له برأيه، فصار بهبوذ إلى علي بن أبان، وظاهره محمد بن يحيى الكرمانى على أمره حتى أصلحا رأي علي في محمد بن عبيد الله وسلاما في قلبه من الغيظ والحق عليه، ثم مضى إلى الخبيث ووافق ذلك ورود كتاب محمد بن عبيد الله عليه، فصوبا وصعدا حتى أظهر لهما الخبيث قبول قولهما، والرجوع لمحمد بن عبيد الله إلى ما أحب، وقال: لست قابلا منه بعد هذا إلا أن يخطب لي على منابر أعماله.

فانصرف بهبوذ والكرمانى بما فارقهما عليه الخبيث، وكتب به إلى محمد ابن عبيد الله، فأصدر جوابه إلى كل ما أراده الخبيث، وجعل يراوغ عن الدعاء له على المنابر وأقام علي بعد هذا مدة، ثم استعد لمتو، وسار إليها، فرامها فلم يطقها لخصانتها وكثرة من يدافع عنها من أهلها، فرجع خائبا، فاتخذ سلايم وآلات ليرقى بها السور، وجمع أصحابه واستعد.

وقد كان مسرور البلخي عرف قصد علي متو، وهو يومئذ مقيم بكور الأهواز. فلما عاود المسير إليها، سار إليه مسرور، فوافاه قبيل غروب الشمس، وهو مقيم عليها، فلما عين أصحاب علي أوائل خيل مسرور، انهزموا أفبح هزيمة، وتركوا جميع آلاتهم التي كانوا حملوها، وقتل منهم جمع كثير، وانصرف علي بن أبان مدحورا، ولم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا حتى تابعت الأخبار بإقبال أبي أحمد، ثم لم يكن لعلي بعد رجوعه من متو وقعة حتى فتحت سوق الخميس وطهيتا على أبي أحمد، فانصرف بكتاب ورد عليه من الخبيث يحفره فيه حفرا شديدا بالمصير إلى عسكره. وجج بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي الكوفي.

٩٠٤٩ سنة سبع وستين ومائتين

٩٠٤٩٠١ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

٩٠٤٩٠٢ ذكر خبر غلبه ابى العباس بن الموفق على سليمان بن جامع

ثم دخلت

سنة سبع وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك حبس السلطان محمد بن طاهر بن عبد الله وعدة من أهل بيته بعقب هزيمة أحمد بن عبد الله النجستاني عمرو بن الليث وتهمة عمرو بن الليث محمد بن طاهر بمكاتبة النجستاني والحسين بن طاهر، ودعا الحسين والنجستاني لمحمد بن طاهر على منابر خراسان.

ذكر خبر غلبه ابى العباس بن الموفق على سليمان بن جامع

وفيهما غلب أبو العباس بن الموفق على عامة ما كان سليمان بن جامع صاحب قائد الزنج غلب عليه من قرى كور دجلة كعبدسى ونحوها. ذكر الخبر عن سبب غلبة أبي العباس على ذلك، وما كان من أمره وأمر الزنج في تلك الناحية: ذكر محمد بن الحسن أن محمد بن حماد حدثه أن الزنج لما دخلوا واسطا وكان منهم بها ما قد ذكرناه قبل، واتصل الخبر بذلك إلى أبي أحمد بن المتوكل ندب ابنه أبا العباس للشخص إلى ناحية واسط لحرب الزنج، نخف لذلك أبو العباس فلما حضر خروج أبي العباس ركب أبو أحمد إلى بستان موسى الهادي في شهر ربيع الآخر سنة ست وستين ومائتين، فعرض أصحاب أبي العباس، ووقف على عدتهم، فكان جميع الفرسان والرجالة عشرة آلاف رجل في أحسن زي وأجمل هيئة وأكل عدة، ومعهم الشذا والسميريات والمعامر للرجالة، كل ذلك قد أحكمت صنعته فنهض

أبو العباس من بستان الهادي وركب أبو أحمد مشيعا له حتى نزل الفرق، ثم انصرف.
وأقام أبو العباس بالفرق أياما، حتى تكاملت عدده، وتلاحق أصحابه،
ثم رحل إلى المدائن، وأقام بها أيضا، ثم رحل إلى دير العاقول.

قال محمد بن حماد: فحدثني أخني إسحاق بن حماد وإبراهيم بن محمد ابن إسماعيل الهاشمي المعروف ببريه، ومحمد بن شعيب الاشتيام، في
جماعة كثيرة ممن صحب أبا العباس في سفره- دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي حَدِيثِ بَعْضٍ- قَالُوا: لما نزل أبو العباس دير العاقول، ورد عليه
كتاب نصير المعروف بأبي حمزة صاحب الشذا والسميريات، وقد كان أمضاه على مقدمته، يعلمه فيه أن سليمان بن جامع قد وافى في
خيل ورجالة وشدوات وسميريات، والجبائي يقدمه، حتى نزل الجزيرة التي بحضرة بردودا، وأن سليمان بن موسى الشعراي قد وافى نهر
أبان برجالة وفرسان وسميريات، فرحل أبو العباس حتى وافى جرجايا، ثم فم الصلح، ثم ركب الظهر، فسار حتى وافى الصلح، ووجه
طلائعه ليعرف الخبر، فأتاه منهم من أخبره بموافاة القوم وجمعهم وجيشهم، وأن أولهم بالصلح وآخرهم ببستان موسى بن بغا، أسفل
واسط فلما عرف ذلك عدل عن سنن الطريق، واعترض في مسيره، ولقي أصحابه أوائل القوم، فطاردوا لهم حتى طمعوا واغتروا،
فأمعنوا في اتباعهم، وجعلوا يقولون لهم:

اطلبوا أميرا للحرب، فإن أميركم قد شغل نفسه بالصيد فلما قربوا من أبي العباس بالصلح، خرج عليهم فيمن معه من الخيل والرجل،
وأمر فصيح بنصير: إلى أين تتأخر عن هؤلاء الأكلب! ارجع إليهم، فرجع نصير إليهم.

وركب أبو العباس سميرية، ومعه محمد بن شعيب الاشتيام، وحف بهم أصحابه من جميع جهاتهم، فانهزموا، ومنح الله أبا العباس
وأصحابه أكتافهم، يقتلونهم ويطردونهم، حتى وافوا قرية عبد الله، وهي على ستة فراسخ من الموضع الذي لقوهم فيه، وأخذوا منهم خمس
شدوات وعدة سميريات، واستأمن منهم قوم، وأسر منهم أسرى، وغرق ما أدرك من سفنهم، فكان ذلك أول الفتح على العباس بن
أبي أحمد

ولما انقضت الحرب في هذا اليوم، أشار على أبي العباس قواده وأوليائه، أن يجعل معسكره بالموضع الذي كان انتهى إليه من الصلح،
إشفاقا عليه من مقاربة القوم، فأبى إلا نزول واسط.

ولما انهزم سليمان بن جامع ومن معه، وضرب الله وجوههم، انهزم سليمان بن موسى الشعراي عن نهر أبان، حتى وافى سوق الخميس،
ولحق سليمان بن جامع بنهر الأمير، وقد كان القوم حين لقوا أبا العباس أجالوا الرأي بينهم، فقالوا: هذا فتى حدث، لم تطل ممارسته
الحروب وتدربه بها، فالرأي لنا أن نزميه بجدنا كله، ونجتهد في أول لقيه نلقاه في إزالته، ففعل ذلك أن يروعه، فيكون سببا لانصرافه
عنا ففعلوا ذلك، وحشدوا واجتهدوا، فأوقع الله بهم بأسه ونقمتهم وركب أبو العباس من غد يوم الوقعة، حتى دخل واسط في أحسن
زي، وكان يوم الجمعة، فأقام حتى صلى بها صلاة الجمعة، واستأمن إليه خلق كثير، ثم انحدر إلى العمر- وهو على فرسخ من واسط- فقدم
فيه معسكره، وقال: اجعل معسكري أسفل واسط، ليأمن من فوقه الزنج وقد كان نصير المعروف بأبي حمزة والنشاه بن ميكال أشارا عليه
أن يجعل مقامه فوق واسط فامتنع من ذلك، وقال لهما: لست نازلا إلا العمر، فانزلا أتما في فوهة بردودا وأعرض أبو العباس عن
مشاورة أصحابه واستماع شيء من آرائهم، فنزل العمر، وأخذ في بناء الشدوات، جعل يراوح القوم القتال ويغاديهم، وقد رتب خاصة
غلماة في سميريات فجعل في كل سميرية اثنين منهم ثم أن سليمان استعد وحشد وجمع وفرق أصحابه فجعلهم في ثلاثة أوجه: فرقة أتت
من نهر أبان، وفرقة من برتمرتا، وفرقة من بردودا، فلقبهم أبو العباس، فلم يلبثوا أن انهزموا، فخلفت طائفة منهم بسوق الخميس وطائفة
بمازروان، وأخذ قوم منهم في برتمرتا وآخرون أخذوا الماديان، وقوم منهم اعتصموا للقوم الذين سلكوا الماديان، فلم يرجع عنهم حتى
وافى نهر برمساور، ثم انصرف، فجعل يقف على القرى والمسالك، ومعه الأدلاء، حتى وافى معسكره، فأقام به مريحا نفسه وأصحابه ثم
أتاه مخبر فأخبره أن

الزنج قد جمعوا واستعدوا لكبس معسكره، وأنهم على إتيان معسكره من ثلاثة أوجه، وأنهم قالوا: أنه حدث غريغرين نفسه، وأجمع رأيهم
على تكمين الكمنا والمصير إليه من الجهات الثلاث التي ذكرنا، فحذر لذلك، واستعد له، وأقبلوا إليه وقد كمنوا زهاء عشرة آلاف في

برتمرتا ونحوا من هذه العدة في قس هثا وقداموا عشرين سميرية إلى العسكر ليغتر بها أهله، ويحيزوا المواضع التي فيها كمنائهم، فنع أبو العباس الناس من اتباعهم، فلما علموا أن كيدهم لم ينفذ، خرج الجبائي وسليمان في الشدوات والسميريات، وقد كان أبو العباس أحسن تعبئة أصحابه، فأمر نصيرا المعروف بأبي حمزة أن يبرز للقوم في شدواته، ونزل أبو العباس عن فرس كان ركبته، ودعا بشذاة من شدواته قد كان سماها الغزال، وأمر اشتيامه محمد بن شعيب باختيار الجذافين لهذه الشذاة، وركبها، واختار من خاصة أصحابه وغلماؤه جماعة دفع إليهم الرماح، وأمر أصحاب الخليل بالمسير بإزائه على شاطئ النهر، وقال لهم:

لا تدعوا المسير ما أمكنكم إلى أن تقطعكم الأنهار، وأمر بتعبير بعض الدواب التي كانت يردودا، ونشبت الحرب بين الفريقين، فكانت معركة القتال من حد قرية الرمل إلى الرصافة، فكانت الهزيمة على الزنج، وحاز أصحاب أبي العباس أربع عشرة شذاة، وأفلت سليمان والجبائي في ذلك اليوم بعد أن أشفيا على الهلاك راجلين، وأخذت دوابهما بجلاها وآلتها، ومضى الجيش أجمع لا ينثني أحد منهم حتى وافوا طهيثا، وأسلموا ما كان معهم من أثاث وآلة، ورجع أبو العباس، وأقام بمعسكره في العمر، وأمر بإصلاح ما أخذ منهم من الشذا والسميريات وترتيب الرجال فيها، وأقام الزنج بعد ذلك عشرين يوما، لا يظهر منهم أحد وكان الجبائي ينجي في الطلائع في كل ثلاثة أيام وينصرف، وحفر آبارا فوق نهر سنداد، وصير فيها سفايد حديد، وغشاها بالبوراري، وأخفى مواضعها، وجعلها على سنن مسير الخليل ليتهور فيها المجتازون بها، وكان يوافي طرف العسكر متعرضا لأهله، فتخرج الخليل طالبة له، فجاء في بعض أيامه، وطلبت الخليل كما كانت تطلبه، فقطر فرس رجل من قواد الفراغنة في بعض تلك الآبار، فوقف أصحاب أبي العباس بما ناله من ذلك على ما دير الجبائي، فخذروا ذلك، وتنكبوا سلوك ذلك الطريق، وألح الزنج في مغادة العسكر في كل يوم للحرب، وعسكروا بنهر الأمير في جمع كثير، فلما لم يجد ذلك عليهم أمسكوا عن الحرب قدر شهر.

وكتب سليمان إلى صاحب الزنج يسأله إمداده بسميريات، لكل واحد منهن أربعون مجدافا، فوافاه من ذلك في مقدار عشرين يوما أربعون سميرية، في كل سميرية مقاتلان، ومع ملاحيا السيوف والرماح والتراس، وجعل الجبائي موقفه حيال عسكر أبي العباس، وعاودوا التعرض للحرب في كل يوم، فإذا خرج إليهم أصحاب أبي العباس انهزموا عنهم، ولم يثبتوا لهم، وخلال ذلك ما تأتي طلائعهم، فتقطع القناطر، وتري ما ظهر لها من الخليل بالنشاب، وتضرم ما وجدت في النوبة من المراكب التي مع نصير بالنار، فكانوا كذلك قدر شهرين.

ثم رأى أبو العباس أن يكمن لهم كميناً في قرية الرمل، ففعل ذلك، وقدم لهم سميريات أمام الجيش ليطمعوا فيها، وأمر أبو العباس فأعدت له سميرية ولزيرك سميرية وحمل جماعة من غلمانه الذين اختارهم، وعرفهم بالنجدة في السميريات، فحمل بدرا ومؤنسا في سميرية ورشيقا الحجاجي وبمنا في سميرية وخفيفا ويسرا في سميرية، ونذيرا ووصيفا في سميرية، وأعد خمس عشرة سميرية، وجعل في كل سميرية مقاتلين، وجعلها أمام الجيش.

قال محمد بن شعيب الاشتيام: وكنت فيمن تقدم يومئذ، فأخذ الزنج من السميريات المتقدمة عدة، وأسروا أسرى، فانطلقت مسرعا، فناديت بصوت عال: قد أخذ القوم سميرياتنا فسمع أبو العباس صوتي وهو يتغدى، فنهض إلى سميريته التي كانت أعدت له، وتقدم العسكر، ولم ينتظر لحاق أصحابه، فتبعه منهم من خف لذلك قال: فأدركنا الزنج، فلما رأونا قَدَفَ * الله الرعب في قلوبهم، * فألقوا أنفسهم في الماء، وانهزموا فتخلصنا أصحابنا، وحوينا يومئذ إحدى وثلاثين سميرية من سميريات الزنج، وأفلت الجبائي في ثلاث سميريات، ورمى أبو العباس يومئذ عن قوس كانت في يده حتى دमित إبهامه، فانصرف، ولو أنا جددنا في طلب الجبائي في ذلك اليوم ظننت أنا أدركاه، فنعنا من ذلك شدة اللغوب ورجع أبو العباس وأكثر أصحابه بمواضعهم من فوهة بردودا لم يرم أحد منهم، فلما وافى عسكره أمر لمن كان صحبه بالأطواق والخلع والأسورة، وأمر بإصلاح السميريات المأخوذة من الزنج، وأمر أبا حمزة أن يجعل مقامه بما معه من الشذا في دجلة بجذاء خسر سابور.

ثم إن أبا العباس رأى أن يتوغل في مازروان حتى يصير إلى القرية المعروفة بالحجاجية، وينتهي إلى نهر الأمير، ويقف على تلك المواضع، ويتعرف الطرق التي تجتاز فيها سميريات الزنج، وأمر نصيرا فقدمه بما معه من الشذا والسميريات، فسار نصير لذلك، فترك طريق مازروان، وقصد ناحية نهر الأمير، فدعا أبو العباس سميريته، فركبها ومعه محمد بن شعيب، ودخل مازروان وهو يرى أن نصيرا أمامه،

وقال لمحمد: قدمني في النهر لأعرف خبر نصير وأمر الشذا والسميريات بالمصير خلفه.

قال محمد بن شعيب: فضينا حتى قاربنا الحجاجية، فعرضت لنا في النهر صلعة فيها عشرة زنوج، فأسرعنا إليها، فألقى الزنوج أنفسهم في الماء، وصارت الصلعة في أيدينا، فإذا هي مملوءة شعيرا، وأدركنا فيها زنجا فأخذناه، فسألناه عن خبر نصير وشذواته فقال: ما دخل هذا النهر شيء من الشذا والسميريات فأصابتنا حيرة، وذهب الزنج الذين أفلتوا من أيدينا فأعلموا أصحابهم بمكاننا، وعرض للملاحين الذين كانوا معنا غم فخرجوا لانتهاها.

قال محمد بن شعيب: وبقيت مع أبي العباس وحدي، فلم نلبث أن وافانا قائد من قواد الزنج، يقال له منتاب، في جماعة من الزنج من أحد جانبي

النهر، ووافانا من الجانب الآخر عشرة من الزنج، فلما رأينا ذلك خرج أبو العباس، ومعه قوسه وأ سهمه، وخرجت برح كان في يدي، وجعلت أحمية بالرح وهو يرمي الزنج، ففرح منهم زنجين، وجعلوا يثوبون ويكثرون، وأدركنا زيرك في الشذا ومعه الغلمان، وقد كان أحاط بنا زهاء ألفي زنجي من جانبي مازروان، وكفى الله امرهم، وردهم بذله وصغار، ورجع أبو العباس إلى عسكره، وقد غم أصحابه من الغنم والبقر والجواميس شيئا كثيرا، وأمر أبو العباس بثلاثة من الملاحين الذين كانوا معه، فتركوه لانتهاها الغنم، فضربت أعناقهم، وأمر لمن بقي بالأرزاق لشهر، وأمر بالنداء في الملاحين الا يبرح احد من السميريات في وقت الحرب، فمن فعل ذلك فقد حل دمه. وانهم الزنج أجمعون حتى لحقوا بطهيتا، وأقام أبو العباس بمعسكره في العمر، وقد بث طلائعه في جميع النواحي فكث بذلك حينا، وجمع سليمان بن جامع عسكره وأصحابه، وتحصن بطهيتا، وفعل الشراني مثل ذلك بسوق الخميس، وكان بالصينية لهم جيش كثيف أيضا، يقود أهله رجل منهم يقال له نصر السندي، وجعلوا يخربون كل ما وجدوا إلى إخراجه سبيلا، ويحملون ما قدروا على حمله من الغلات، ويعمرون مواضعهم التي هم مقيمون بها فوجه أبو العباس جماعة من قواده، منهم الشاه وكشجور والفضل بن موسى بن بغا، وأخوه محمد على الخليل إلى ناحية الصينية، وركب أبو العباس ومعه نصير وزيرك في الشذا والسميريات، وأمر بخيل فعبر بها من برمسور إلى طريق الظهر.

وسار الجيش حتى صار إلى الهرث، فأمر أبو العباس بتعبير الدواب إلى الهرث، فعبرت، فصارت إلى الجانب الغربي من دجلة، وأمر بأن يسلك بها طريق دير العمال فلما أبصر الزنج الخيل دخلتهم منها رهبة شديدة، فلجئوا إلى الماء والسفن، ولم يلبثوا أن وافتهم الشذا والسميريات، فلم يجدوا ملجأ واستسلموا، فقتل منهم فريق، وأسر فريق، وألقى بعضهم نفسه في الماء فأخذ أصحاب أبي العباس سفنهم، وهي مملوءة أرزا، فصارت في

أيديهم، وأخذوا سميرية رئيسهم المعروف بنصر السندي، وانهمز الباكون، فصارت طائفة منهم إلى طهيتا وطائفة إلى سوق الخميس، ورجع أبو العباس غائما إلى عسكره، وقد فتح الصينية وأجلى الزنج عنها قال محمد بن شعيب: وبيننا نحن في حرب الزنج بالصينية إذ عرض لأبي العباس كركي طائر، فرماه بسهم، فشكه فسقط بين أيدي الزنج، فأخذوه، فلما رأوا موضع السهم منه، وعلموا أنه سهم أبي العباس زاد ذلك في رعبهم، فكان سببا لانهمزهم يومئذ.

وقد ذكر عن لا يتهم أن خبر السهم الذي رمى به أبو العباس الكركي في غير هذا اليوم، وانتهى إلى أبي العباس أن بعدسى جيشا عظيما يرأسهم ثابت بن أبي دلف ولؤلؤ الزنجيان، فصار أبو العباس إلى عبدسي قاصدا للايقاع بهما ومن معهما في خيل جريدة، قد انتخب من جلد غلثانه وحماه اصحابه، فوافى الموضع الذي فيه جمعهم في السحر، فأوقع بهم وقعة غليظة، قتل فيها من أبطالهم، وجلد من رجالهم خلق كثير، وانهمزوا وظفر أبو العباس برئيسهم ثابت بن أبي دلف، فمن عليه واستبقاه، وضمه إلى بعض قواده، وأصاب لؤلؤا سهم فهلك منه، واستنقذ يومئذ من النساء اللواتي كن في أيدي الزنج خلق كثير، فأمر أبو العباس بإطلاقهن وردهن إلى أهلهن، وأخذ كل ما كان الزنج جمعه.

ثم رجع أبو العباس إلى معسكره، فأمر أصحابه أن يريحوا أنفسهم ليسير بهم إلى سوق الخميس، ودعا نصيرا فأمره بتعبئة أصحابه للمسير إليها، فقال له نصير: إن نهر سوق الخميس ضيق، فأقم أنت وائذن لي في المسير إليه حتى أعينه، فأبى أن يدعه حتى يعينه، ويقف على

علم ما يحتاج إليه منه قبل موافاة أبيه أبي أحمد، وذلك عند ورود كتاب أبي أحمد عليه بعزمه على الانحدار قال محمد بن شعيب: فدعاني أبو العباس، فقال لي: أنه لا بد لي من دخول سوق الخميس، فقلت: إن كنت لا بد فاعلا ما تذكر فلا تكثر عدد من تحمل معك في الشذا، ولا تزد على ثلاثة عشر غلاما عشرة رماة وثلاثة في أيديهم الرماح، فإني أكره الكثرة في الشذا مع ضيق النهر، فاستعد أبو العباس لذلك، وسار إليه ونصير بين يديه حتى وافى فم برمساور، فقال له نصير: قدمني أمامك، ففعل ذلك، فدخل نصير في خمس عشرة شذاة.

واستأذنه رجل من قواد الموالي يقال له موسى دالجويه في التقدم بين يديه، فأذن له، فسار وسار أبو العباس حتى انتهى به مسيره إلى بسامي، ثم إلى فوهة براطق ونهر الرق والنهر الذي ينفذ إلى رواط وعبدسي، وهذه الأنهار الثلاثة تؤدي إلى ثلاث طرق مفترقة، فأخذ نصير في طريق نهر براطق وهو النهر المؤدي إلى مدينة سليمان بن موسى الشعراني التي سماها المنيرة بسوق الخميس. وأقام أبو العباس على فوهة هذا النهر، وغاب عنه نصير حتى خفي عنه خبره.

وخرج علينا في ذلك الموضع من الزنج خلق كثير، فتمعنوا من دخول النهر، وحالوا بيننا وبين الانتهاء إلى السور- وبين هذا الموضع الذي انتهينا إليه والسور المحيط بمدينة الشعراني مقدار فرسخين- فأقاموا هناك يحاربوننا، واشتدت الحرب بيننا وبينهم وهم على الأرض، ونحن في السفن من أول النهار إلى وقت الظهر، وخفي علينا خبر نصير، وجعل الزنج يهتفون بنا: قد أخذنا نصيرا ماذا تصنعون؟ ونحن تابعوكم حيثما ذهبتم فاغتم أبو العباس لما سمع منهم هذا القول، فأستأذنه محمد بن شعيب في المسير ليتعرف خبر نصير، فأذن له، ففضى في سميرية بعشرين جذافا حتى وافى نصيرا أبا حمزة، وقد قرب من سكر كان الفسقة سكره، ووجده قد أضرم النار فيه وفي مدينتهم، وحارب حربا شديدا ورزق الظفر بهم، وكان الزنج ظفروا ببعض شذوات أبي حمزة، فقاتل حتى انتزع ما كانوا أخذوا من أيديهم، فرجع محمد بن شعيب إلى أبي العباس، فبشره بسلامة نصير ومن معه، وأخبره خبره فسر بذلك وأسر نصير يومئذ من الزنج جماعة كثيرة، ورجع حتى وافى أبا العباس بالموضع الذي كان واقفا به فلما رجع نصير قال أبو العباس: لست زائلا عن موضعي

هذا حتى أراوهم القتال في عشي هذا اليوم، ففعل ذلك، وأمر بإظهار شذاة واحدة من الشذوات التي كانت معه لهم، وأخفى باقيها عنهم، فطمعوا في الشذاة التي رأوها، فتبعوها، وجعل من كان فيها يسرون سيرا ضعيفا حتى أدركوها، فعلقوا بسكانها، وجعل الملاحون يسرون حتى وافوا المكان الذي كانت فيه الشذوات المكنة.

وقد كان أبو العباس ركب سميرية، وجعل الشذا خلفه، فسار نحو الشذاة التي علق بها الزنج لما أبصرها، فأدركها، والزنج مسكون بسكانها يحيطون بها من جوانبها، يرمون بالنشاب والآجر، وعلى أبي العباس كيز تحته درع.

قال محمد: فزعرنا يومئذ من كيز أبي العباس خمسا وعشرين نشابة، ونزعت من لعباده كانت علي أربعين نشابة، ومن لبايد سائر الملاحين الخمس والعشرين والثلاثين وأظفر الله أبا العباس بست سميريات من سميريات الزنج، وتخلص الشذا من أيديهم، وانهمزوا، ومال أبو العباس وأصحابه نحو الشط، وخرج من الزنج المقاتلة بالسيوف والتراس، فانهمزوا لا يلوون على شيء للرهبنة التي وصلت إلى قلوبهم، ورجع أبو العباس سالما غائما، نفلح على الملاحين ووصلهم، ثم صار إلى معسكره بالعمر، فأقام به إلى أن وافى الموفق.

ولاحدى عشرة ليلة خلت من صفر منها، عسكر أبو أحمد بن المتوكل بالفرك، وخرج من مدينة السلام يريد الشخصوص إلى صاحب الزنج لحربه، وذلك أنه- فيما ذكر- كان اتصل به أن صاحب الزنج كتب إلى صاحبه على ابن أبان المهلبى يأمره بالمصير بجميع من معه إلى ناحية سليمان بن جامع، ليجمعهما على حرب أبي العباس بن أبي أحمد، وأقام أبو أحمد بالفرك أياما، حتى تلاحق به أصحابه ومن أراد النهوض به إليه، وقد أعد قبل ذلك الشذا والسميريات والمعابر والسفن، ثم رحل من الفرك- فيما ذكر- يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول في مواليه وغلمانته وفرسانه ورجالته فصار إلى رومية المدائن، ثم صار منها، فنزل السيب ثم دير العاقول ثم جرجرايا، ثم قنى، ثم نزل جبل، ثم نزل الصلح، ثم نزل على فرسخ من واسط، فأقام

هنالك يومه وليلته، فتلقيه ابنه أبو العباس به في جريدة خيل فيها وجوه قواده وجنده، فسأله أبو أحمد عن خبر أصحابه، فوصف له بلاءهم ونصحهم، فأمر أبو أحمد له ولهم بخلع نفلعت عليهم، وانصرف أبو العباس إلى معسكره بالعمر، فأقام يومه فلما كانت صبيحة الغد رحل أبو أحمد منحدرًا في الماء، وتلقاه ابنه أبو العباس بجميع من معه من الجند في هيئة الحرب والزي الذي كانوا يلقبون به أصحاب

الخائن، فجعل يسير أمامه حتى وافى عسكره بالنهر المعروف بشيرزاد، فنزل به أبو أحمد، ثم رحل منه يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول، فنزل على النهر المعروف بسنداد بإزاء القرية المعروفة بعبد الله، وأمر ابنه أبا العباس، فنزل شرقي دجلة بإزاء فوهة بردودا، وولاه مقدمته، ووضع العطاء فأعطى الجيش، ثم أمر ابنه بالمسير أمامه بما معه من آله الحرب إلى فوهة برمساور فرحل أبو العباس في المختارين من قواده ورجاله، منهم زيرك التركي صاحب مقدمته، ونصير المعروف بأبي حمزة صاحب الشذا والسميريات.

ورحل أبو أحمد بعد ذلك في الفرسان والرجالة المنتخبين، وخلف سواد عسكره وكثيرا من الفرسان والرجالة بمعسكره، فتلقيه ابنه أبو العباس بأسرى ورءوس وقتلى قتلهم من أصحاب الشرعاني، وذلك أنه وافى عسكره الشرعاني في ذلك اليوم قبل مجيء أبيه أبي أحمد، فأوقع به وأصحابه، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وأسر منهم جماعة، فأمر أبو أحمد بضرب أعناق الأسرى فضربت، ونزل أبو أحمد فوهة برمساور، وأقام به يومين، ثم رحل يريد المدينة التي سماها صاحب الزنج المنيعة من سوق الخميس في يوم الثلاثاء لثماني ليال خلون من شهر ربيع الآخر من هذه السنة بمن معه من الجيش وما معه من آلة الحرب، وسلك في السفن في برمساور، وجعلت الخليل تسير بازائه شرقي برمساور، حتى حاذى النهر المعروف ببراطق الذي يوصل إلى مدينة الشرعاني.

وانما بدأ أبو أحمد بحرب سليمان بن موسى الشرعاني قبل حرب سليمان بن جامع من أجل أن الشرعاني كان وراءه، نخاف إن بدأ بابن جامع ان يأتيه

الشرعاني من ورائه، ويشغله عمن هو أمامه، فقصد من أجل ذلك، وأمر بتعبير الخليل وتصييرها على جانبي النهر المعروف ببراطق، وأمر ابنه أبا العباس بالتقدم في الشذا والسميريات، واتبعه أبو أحمد في الشذا بعمامة الجيش. فلما بصر سليمان ومن معه من الزنج وغيرهم بقصد الخليل والرجالة سائرين على جنبتي النهر ومسير الشذا والسميريات في النهر، وقد لقيهم أبو العباس قبل ذلك، فخاربه حربا ضعيفة، انهزموا وتفرقوا.

وعلا أصحاب أبي العباس السور، ووضعوا السيوف فيمن لقيهم وتفرق الزنج وأتباعهم، ودخل أصحاب أبي العباس المدينة، فقتلوا فيها خلقا كثيرا، وأسروا بشرا كثيرا، وحووا ما كان في المدينة، وهرب الشرعاني ومن أفلت منهم معه، وأتبعهم أصحاب أبي أحمد حتى وافوا بهم البطائح، فغرق منهم خلق كثير، ونجا الباقيون إلى الآجام، وأمر أبو أحمد أصحابه بالرجوع إلى معسكرهم قبل غروب الشمس من يوم الثلاثاء، وانصرف وقد استنقذ من المسلمات زهاء خمسة آلاف امرأة، سوى من ظفر به من الزنجيات اللواتي كن في سوق الخميس فأمر أبو أحمد بحياطة النساء جميعا، وحملهن إلى واسط ليدفعن إلى أوليائهن وبات أبو أحمد بحيال النهر المعروف ببراطق، ثم باكر المدينة من غد، فأذن للناس في حياطة ما فيها من أمتعة الزنج، وأخذ ما كان فيها أجمع، وأمر بهدم سورها وطم خندقها وإحراق ما كان بقي فيها من السفن، ورحل إلى معسكره ببرمساور بالظفر بما بالرساتيق والقرى التي كانت في يد الشرعاني وأصحابه من غلات الخنطة والشعير والأرز، فأمر ببيع ذلك، وصرف ثمنه في أعطيات مواليه وغللانه وجنده وأهل عسكره.

وانهزم سليمان الشرعاني وأخواه ومن أفلت، وسلب الشرعاني ولده وما كان بيده من مال، ولحق بالمدار، فكتب إلى الخائن بخبره وما نزل به واعتصامه بالمدار.

فذكر محمد بن الحسن، أن محمد بن هشام المعروف بأبي واثلة الكرمانى قال: كنت بين يدي الخائن وهو يتحدث، إذ ورد عليه كتاب سليمان الشرعاني بخبر الوقعة وما نزل به، وانتهزم إلى المدار، فما كان إلا أن فض الكتاب، ف وقعت عينه على موضع الهزيمة حتى انحل وكاء بطنه، ثم نهض لحاجته، ثم عاد فلما استوى به مجلسه أخذ الكتاب وعاد يقرؤه، فلما انتهى إلى الموضع الذي أنهضه، نهض حتى فعل ذلك مرارا قال: فلم أشك في عظم المصيبة، وكرهت أن أسأله، فلما طال الأمر تجاسرت، فقلت: أليس هذا كتاب سليمان بن موسى؟ قال: نعم، ورد بقاصمة الظهر، أن الذين أناخوا عليه أوقعوا به وقعة لم تبق منه ولم تذر، فكتب كتابه هذا وهو بالمدار، ولم يسلم بشيء غير نفسه قال: فأكبرت ذلك، والله أعلم مكروه ما أخفي من السرور الذي وصل إلى قلبي، وأمسك مبشرا بدنو الفرج وصبر الخائن على ما وصل إليه، وجعل يظهر الجلد، وكتب إلى سليمان بن جامع يحذره مثل الذي نزل بالشرعاني، ويأمره بالتيقظ في أمره وحفظ ما قبله.

وذكر محمد بن الحسن أن محمد بن حماد قال: أقام الموفق بعسكره ببرمساور يومين، لتعرف أخبار الشرعاني وسليمان بن جامع والوقوف

على مستقره، فأتاه بعض من كان وجهه لذلك، فأخبره أنه معسكر بالقرية المعروفة بالخوانيت. فأمر عند ذلك بتعبير الخيل إلى أرض كسكر في غربي دجلة، وسار على الظهر، وأمر بالشذا وسفن الرجالة فحدرت إلى الكثيفة، وخلف سواد عسكره وجمعا كثيرا من الرجال والكرع بفوهه برمساور، وأمر بغراج بالمقام هناك، فوافى أبو أحمد الصينية، وأمر أبا العباس بالمصير في الشذا والسميريات إلى الخوانيت مخفا لتعرف حقيقة خبر سليمان بن جامع في مقامه بها، وإن وجد منه غرة أوقع به فساد أبو العباس في عشي ذلك اليوم إلى الخوانيت، فلم يلف سليمان هنالك، وألفى من قواد السودان المشهورين بالبأس والنجدة شبلا وأبا النداء وهما من قدماء أصحاب الفاسق الذين كان استتبعهم في بدء مخرجه.

وكان سليمان بن جامع خلف هذين القائدين في موضعهما لحفظ غلات كثيرة كانت هناك، فخاربهما أبو العباس، وأدخل الشذا موضعا ضيقا من النهر، فقتل من رجالهما، وجرح بالسهم خلقا كثيرا- وكانوا أجلد رجال سليمان بن جامع ونخبته الذين يعتمد عليهم- ودامت الحرب بينهم إلى أن حجز الليل بين الفريقين.

قال: وقال محمد بن حماد: في هذا اليوم كان من أمر أبي العباس في الكركي الذي ذكره محمد بن شعيب في يوم الصينية، وقد مر به سانحا، قال: واستامن في هذا اليوم رجل إلى أبي العباس، فسأله عن الموضع الذي فيه سليمان بن جامع، فأخبره أنه مقيم بطهيثا، فانصرف أبو العباس حينئذ إلى أبيه بحقيقة مقام سليمان بمدينته التي سماها المنصورة، وهي في الموضع الذي يعرف بطهيثا، وأن معه هنالك جميع أصحابه غير شبل وأبي النداء، فإنهما بموضعهما من الخوانيت لما أمروا بحفظه فلما عرف ذلك أبو أحمد، أمر بالرحيل إلى بردودا، إذ كان المسلك إلى طهيثا منه، وتقدم أبو العباس في الشذا والسميريات، وأمر من خلفه بمرساور أن يصيروا جميعا إلى بردودا، ورحل أبو أحمد في غد ذلك اليوم الذي أمر أبا العباس فيه بما أمره به إلى بردودا، وسار إليها يومين، فوافاها يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين ومائتين، فأقام بها يصلح ما يحتاج إلى إصلاحه من أمر عسكره، وأمر بوضع العطاء وإصلاح سفن الجسور ليحدرها معه، واستكثر من العمال والآلات التي تسد بها الأنهار، وتصلح بها الطرق للخيال، وخلف ببردودا بغراج التركي، وقد كان لما عزم على الرجوع إلى بردودا أرسل إلى غلام له يقال له جعلان وكان مخلصا مع بغراج في عسكره، فأمر بقلع المضارب وتقديمها مع الدواب المخلقة قبله والسلاح إلى بردودا، فأظهر جعلان ما أمر به في وقت العشاء الآخرة، ونادى في العسكر والناس غارون، فألقي في قلوبهم أن ذلك لهزيمة كانت نخرجوا على وجوههم، وترك الناس أسواقهم وأمتعتهم، ظنا منهم أن العدو قد أظلمهم، ولم يلو منهم أحد على أحد، وقصدوا قصد الرجوع إلى عسكرهم ببردودا، وساروا في سواد ليلتهم تلك، ثم ظهر لهم بعد ذلك حقيقة الخبر، فسكنوا واطمأنوا

٩٠٤٩٣ ذكر الخبر عن سبب دخول أبي أحمد وأصحابه طهيثا ومقتل الجبائي

وفي صفر من هذه السنة كان بين أصحاب كيغلق التركي وأصحاب أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف وقعة بناحية قرماسين، فهزمهم كيغلق، وصار إلى همدان، فوافاه أحمد بن عبد العزيز فيمن قد اجتمع من أصحابه في صفر، فخاربه فانهمز كيغلق، وانحاز إلى الصيمرة. وفي هذه السنة لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر دخل أبو أحمد وأصحابه طهيثا، وأخرجوا منها سليمان بن جامع، وقتل بها أحمد بن مهدي الجبائي.

ذكر الخبر عن سبب دخول أبي أحمد وأصحابه طهيثا ومقتل الجبائي
ذكر محمد بن الحسن أن محمد بن حماد حدثه أن أبا أحمد لما أعطى أصحابه ببردودا، فأصلح ما أراد إصلاحه من عدة حرب من قصد لحربه في مخرجه، سار متوجها إلى طهيثا، وذلك يوم الأحد لعشر بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين ومائتين، وكان مسيره على الظهر في خيله.

وحدرت السفن بما فيها من الرجالة والسلاح والآلات، وحدرت المعابر والشذوات والسميريات، إلى أن وافى بها النهر المعروف بمهرود بحضرة القرية المعروفة بقرية الجوزية، فنزل أبو أحمد هناك، وأمر بعقد الجسر على النهر المعروف بمهرود، وأقام يومه وليلته ثم غدا فعبر الفرسان والأثقال بين يديه على الجسر، ثم عبر بعد ذلك، وأمر القواد والناس بالمسير إلى طهيثا، فصاروا إلى الموضع الذي ارتضاه أبو

أحمد لنفسه منزلاً على ميلين من مدينة سليمان بن جامع، فأقام هنالك بإزاء أصحاب الخائن يوم الاثنين والثلاثاء لثمان بقين من شهر ربيع الآخر، ومطر السماء مطراً جوداً، واشتد البرد أيام مقامه هنالك، فشغل بالمطر والبرد عن الحرب، فلم يحارب هذه الأيام وبقية الجمعة فلما كان عشية يوم الجمعة ركب أبو أحمد في نفر من قواده ومواليه لارتداد موضع لجال الخيل، فأتته إلى قريب من سور سليمان بن جامع، فتلقيهم منهم جمع كثير وخرج عليه كمناء من مواضع شتى، ونشبت الحرب واشتدت، فترجل جماعة من الفرسان، ودافعوا حتى خرجوا عن المضايق التي كانوا وغلوها، وأسر من غلمان أبي أحمد وقواده غلام يقال له وصيف عهدهار وعدة من قواد زيرك، ورمى أبو العباس أحمد بن مهدي الجبائي بسهم في إحدى منخريه، ففرق كل شيء وصل إليه حتى خالط دماغه، فخر صريعاً، وحمل إلى عسكر الخائن وهو لما به، فعظمت المصيبة به عليه، إذ كان أعظم أصحابه غنى عنه، وأشدهم بصيرة في طاعته، فكث الجبائي يعالج أياماً، ثم هلك، فاشتد جزع الخائن عليه، فصار إليه، فولي غسله وتكفينه والصلاة عليه والوقوف على قبره إلى أن دفن، ثم أقبل على أصحابه فوعظهم، وذكر موت الجبائي وكانت وفاته في ليلة ذات رعود وبروق وقال فيما ذكر: علمت وقت قبض روحه قبل وصول الخبر إليه بما سمع من زجل الملائكة بالدعاء له والترحم عليه.

قال محمد بن الحسن: فانصرف إلي أبو وائلة- وكان فيمن شهد- فجعل يعجبني مما سمع، وجاءني محمد بن سمعان فأخبرني بمثل خبر محمد ابن هشام، وانصرف الخائن من دفن الجبائي منكسراً عليه الكآبة.

قال محمد بن الحسن: وحدثني محمد بن حماد أن أبا أحمد انصرف من الوقعة التي كانت عشية يوم الجمعة لأربع ليال بقين من شهر ربيع الآخر، وكان خبره قد انتهى إلى عسكره، فنهض إليه عامة الجيش، فتلقيه منصرفاً، فردهم إلى عسكره، وذلك في وقت المغرب، فلما اجتمع أهل العسكر أمروا بالتحارس ليلتهم والتأهب للحرب، فأصبحوا يوم السبت لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر، فعبا أبو أحمد أصحابه، وجعلهم كتائب يتلو بعضها بعضاً، فرساناً ورجالاً، وأمر بالشذا والسميريات أن يسار بها معه في النهر الذي يشق مدينة طهيتا المعروف بنهر المنذر، وسار نحو الزنج حتى انتهى إلى سور المدينة، فرتب قواد غلمانه في المواضع التي يخاف خروج الزنج عليه منها، وقدم الرجال أمام الفرسان، ووكل بالمواضع التي يخاف خروج الكمناء منها، ونزل فصلي أربع ركعات، وابتل إلى الله عز وجل في النصر له وللمسلمين ثم دعا بسلاحه فلبسه، وأمر ابنه أبا العباس بالتقدم إلى السور وتحضيض الغلمان على الحرب، ففعل ذلك، وقد كان سليمان بن جامع أعد أمام سور مدينته التي سماها المنصورة خندقاً، فلما انتهى إليه الغلمان تهبوا عبوره، وأجموا عنه، فخرضهم قوادهم وترجلوا معهم، فاقتحموه متجاسرين عليه، فعبروه، وانتهاوا إلى الزنج وهم مشرفون من سور مدينتهم، فوضعوا السلاح فيهم، وعبرت شرذمة من الفرسان الخندق خوفاً.

فلما رأى الزنج خبر هؤلاء القوم الذين لقوهم وكرهم عليهم ولوا منهزمين، واتبعهم أصحاب أبي أحمد، ودخلوا المدينة من جوانبها وكان الزنج قد حصنها بخمسة خنادق، وجعلوا أمام كل خندق منها سورا يمتنعون به، فجعلوا يقفون عند كل سور وخندق إذا انتهاوا إليه، وجعل أصحاب أبي أحمد يكشفونهم في كل موقف وقفوه، ودخلت الشذا والسميريات مدينتهم من النهر المشقق لها بعد انهزامهم، فجعلت تغرق كل ما مرت لهم به من شذاه وسميرية، واتبعوا من بحافتي النهر، يقتلون ويؤسرون، حتى أجلاوا عن المدينة وعما اتصل بها، وكان زهاء ذلك فرسخاً، نفى أبو أحمد ذلك كله، وأفلت سليمان بن جامع في نفر من أصحابه، فاستحرق القتل فيهم والأسر، واستنقذ أبو أحمد من نساء أهل واسط وصبيانهم ومما اتصل بذلك من القرى ونواحي الكوفة زهاء عشرة آلاف فأمر أبو أحمد بحياطتهم والإنفاق عليهم، وحملوا إلى واسط، ودفعوا إلى أهلهم واحتوى أبو أحمد وأصحابه على كل ما كان في تلك المدينة من الذخائر والأموال والأطعمة والمواشي، وكان ذلك شيئاً جليل القدر، فأمر أبو أحمد ببيع ما أصاب من الغلات وغير ذلك، وحمله إلى بيت ماله، وصرفه في أعطيات من في عسكره من مواليه وجنوده، فحملوا من ذلك ما تهيأ لهم حمله، وأسر من نساء سليمان وأولاده عدة، واستنقذ يومئذ وصيف عهدهار ومن كان أسر معه عشية يوم الجمعة، فأخرجوا من الحبس، وكان الأمر أعجل الزنج عن قتلهم، ولجأ

جمع كثير ممن أفلت إلى الآجام المحيطة بالمدينة فأمر أبو أحمد فعقد جسر على هذا النهر المعروف بالمنذر، فعبى الناس إلى غريبه، وأقام أبو أحمد بطهيتا سبعة عشر يوماً، وأمر بهدم سور المدينة وطم خنادقها، ففعل ذلك، وأمر بتتبع من لجأ إلى الآجام، وجعل لكل من أتاه برجل منهم جعلاً، فتسارع الناس إلى طلبهم، فكان إذا أتى بالواحد منهم عفا عنه، وخلع عليه وضمه إلى قواد غلمانه لما دبر

من استمالتهم وصرفهم عن طاعة صاحبهم، وندب أبو أحمد نصيرا في الشذا والسميريات لطلب سليمان بن جامع والهرب معه من الزنج وغيرهم، وأمره بالجد في اتباعهم حتى يجاوز البطائح، وحتى يلج دجلة المعروفة بالعوراء، وتقدم في فتح الكور التي كان الفاسق أحدثها، ليقطع بها الشذا عن دجلة فيما بينه وبين النهر المعروف بأبي الخصيب، وتقدم إلى زيرك في المقام بطهيتا ليتراجع إليها الذين كان الفاسق أجلاهم عنها من أهلها، وأمره بتتبع من بقي في الآجام من الزنج حتى يظفر بهم.

وفي شهر ربيع الآخر منها ماتت أم حبيب بنت الرشيد ورحل أبو أحمد بعد إحكامه ما أراد إحكامه إلى معسكره ببردودا، مزما على التوجه نحو الأهواز ليصلحها، وقد كان اضطرب أمر المهلبى وإيقاعه بمن أوقع عليه من الجيوش التي كانت بها وغلبته على أكثر كورها، وقد كان أبو العباس تقدمه في مسيره ذلك فلما وافى بردودا أقام أياما، وأمر بإعداد ما يحتاج إليه للمسير على الظهر إلى كور الأهواز، وقدم من يصلح الطريق والمنازل ويعد فيها المير للجيوش التي معه، ووافاه قبل أن ترحل عن واسط زيرك منصرفا عن طهيتا، بعد أن تراجع إلى النواحي التي كان بها الزنج أهلها، وخلفهم آمنين فأمره أبو أحمد بالاستعداد والانحدار في الشذا والسميريات في نخبة أصحابه وأنجاهم، ليصير بهم إلى دجلة العوراء، فتجتمع يده

ويد أبي حمزة على نفص دجلة واتباع المنهزمين من الزنج والإيقاع بكل من لقوا من أصحاب الفاسق، إلى أن ينتهى بهم السير إلى مدينته بنهر أبي الخصيب، وإن رأوا موضع حرب حاربوه في مدينته، وكتبوا بما كان منهم إلى أبي أحمد ليرد عليهم من أمره ما يعملون بحبسه واستخلف أبو أحمد على من خلف في عسكره بواسط ابنه هارون، وأزمع على الشخصوص فيمن خف من رجاله وأصحابه، ففعل ذلك بعد أن تقدم إلى ابنه هارون في أن يحدر الجيش الذي خلفه معه في السفن إلى مستقره بدجلة إذا وافى كتابه بذلك وفي يوم الجمعة ليلة خلت من جمادى الآخرة من هذه السنة- وهي سنة سبع وستين ومائتين ارتحل أبو أحمد من واسط شاخصا إلى الأهواز وكورها، فنزل بأذين ثم جوخي ثم الطيب ثم قرقوب ثم درستان ثم على وادي السوس، وقد كان عقد له عليه جسر، فأقام به من أول النهار إلى آخر وقت الظهر، حتى عبر أهل عسكره أجمع، ثم سار حتى وافى السوس، فنزلها- وقد كان أمر مسرورا- وهو عامله على الأهواز- بالقدوم عليه، فوافاه في جيشه وقواده من غد اليوم الذي نزل فيه السوس، فخلع عليه وعليهم، وأقام السوس ثلاثا.

وكان ممن أسر بطهيتا من أصحاب الفاسق أحمد بن موسى بن سعيد المصرى المعروف بالقلوص، وكان أحد عدده وقدماء أصحابه، أسر بعد أن أثنى جراحا كانت منها منيته، فلما هلك امرأه باحتزاز رأسه ونصبه على جسر واسط.

وكان ممن أسر يومئذ عبد الله بن محمد بن هشام الكرمانى، وكان الخبيث اغتصبه أباه، فوجهه إلى طهيتا، وولاه القضاء والصلاة بها وأسر من السودان جماعة كان يعتمد عليهم، أهل نجدة وبأس وجلد، فلما اتصل به الخبر بما نال هؤلاء انتقض عليه تديره، وضلت حيله، فحمله فرط الملح على أن كتب إلى المهلبى وهو يومئذ مقيم بالأهواز في زهاء ثلاثين ألفا مع رجل كان صحبه، يأمره بترك كل ما قبله من المير والأثاث، والإقبال إليه، فوصل

الكتاب إلى المهلبى وقد أتاها الخبر بإقبال أبي أحمد إلى الأهواز وكورها، فهو لذلك طائر العقل، فترك جميع ما كان قبله، واستخلف عليه محمد بن يحيى ابن سعيد الكربائى، فدخل قلب الكربائى من الوجل، فأخلى ما استخلف عليه، وتبع المهلبى، وبجى والأهواز ونواحيها يومئذ من أصناف الحبوب والتمر والمواشي شيء عظيم، فخرجوا عن ذلك كله.

وكتب أيضا الفاسق إلى بهوذ بن عبد الوهاب، وإليه يومئذ عمل الفندم والباسيان وما اتصل بهما من القرى التي بين الأهواز وفارس، وهو مقيم بالفندم، يأمره بالقدوم عليه، فترك بهوذ ما كان قبله من الطعام والتمر- وكان ذلك شيئا عظيما- فحوى جميع ذلك أبو أحمد، فكان ذلك قوة له على الفاسق، وضعفا للفاسق.

ولما فصل المهلبى عن الأهواز تفرق أصحابه في القرى التي بينها وبين عسكر الخبيث فانتبهوها، وأجلوا عنها أهلها، وكانوا في سلبهم، وتخلف خلق كثير ممن كان مع المهلبى من الفرسان والرجالة عن اللحاق به، فأقاموا بنواحي الأهواز وكتبوا يسألون أبا أحمد الامان لما انتهى اليهم من عفوه عمن ظفر به من أصحاب الخبيث بطهيتا، ولحق المهلبى ومن اتبعه من أصحابه بنهر أبي الخصيب.

وكان الذي دعا الفاسق إلى أمر المهلبى وبهوذ بسرعة المصير إليه خوفه موافاة أبي أحمد وأصحابه إياه على الحال التي كانوا عليها من

الوجل وشدة الرعب مع انقطاع المهلي وبهبوذ فيمن كان معهما عنه، ولم يكن الأمر كما قدر. وأقام أبو أحمد حتى أحرز ما كان المهلي وبهبوذ خلفاه، وفتحت السكور التي كان الخبيث أحدثها في دجلة، وأصلحت له طريقه ومسالكه ورحل أبو أحمد عن السوس الى جنديسابور، فأقام بها ثلاثا، وقد كانت الأعلاف ضاقت على أهل العسكر، فوجه في طلبها، وحملها ورحل عن

جنديسابور إلى تستر، وأمر بحماية الأموال من كور الأهواز، وأنفذ إلى كل كورة قائدا ليروج بذلك حمل الأموال ووجه أحمد بن أبي الأصبع إلى محمد ابن عبيد الله الكردي، وقد كان خائفا أن يأتيه صاحب الفاسق قبل موافاة أبي أحمد كور الأهواز، وأمره بإيناسه وإعلامه ما عليه رأيه من العفو عنه، والتغمد لزلته، وأن يتقدم إليه في تعجيل حمل الأموال والمسير إلى سوق الأهواز، وأمر مسرورا البلخي عامله بالأهواز بإحضار من معه من الموالي والغلمان والجند ليعرضهم، ويأمر بإعطائهم الأرزاق، وينهضهم معه لحرب الخبيث. فأحضرهم، وعرضوا رجلا رجلا، وأعطوا ثم رحل إلى عسكر مكرم، فجعله منزلا اجتازه ورحل منه فوافي الأهواز، وهو يرى أنه قد تقدمه إليها من الميرة ما يحمل عساكره فغلظ الأمر في ذلك اليوم، واضطرب له الناس اضطرابا شديدا، وأقام ثلاثة أيام ينتظر ورود المير، فلم ترد، فسألت أحوال الناس، وكاد ذلك يفرق جماعتهم، فبحث أبو أحمد عن السبب المؤخر ورودها، فوجد الجند قد كانوا قطعوا قنطرة قديمة أعجمية كانت بين سوق الأهواز ورام هرمز يقال لها قنطرة أربك، فامتنع التجار ومن يحمل الميرة من تطرقه لقطع تلك القنطرة فركب أبو أحمد إليها وهي على فرسخين من سوق الأهواز، فجمع من كان بقي في العسكر من السودان، وأمرهم بنقل الحجارة والصخر لإصلاح هذه القنطرة وبذل لهم الأموال الرغبة، فلم يرم حتى أصلحت في يومه ذلك، وردت إلى ما كانت عليه فسلكتها الناس، ووافت القوافل بالمير، فخي أهل العسكر، وحسنت أحوالهم.

وأمر أبو أحمد بجمع السفن لعقد الجسر على دجيل، فجمعت من كور الأهواز وأخذ في عقد الجسر، وأقام بالأهواز أياما حتى أصلح أصحابه أمورهم، وما احتاجوا من آلاتهم، وحسنت أحوال دوابهم، وذهب عنها ما كان نالها من الضر بتخلف الأعلاف، ووافت كتب القوم الذين كانوا تخلفوا عن المهلي، وأقاموا بسوق الأهواز يسألونه الأمان، فأمنهم، فأتاه نحو

من ألف رجل، فأحسن إليهم، وضمهم إلى قواد غلمانهم، وأجرى لهم الأرزاق، وعقد الجسر على دجيل، فرحل بعد أن قدم جيوشه، فعبر الجسر، وعسكر بالجانب الغربي من دجيل في الموضع المعروف بقصر المأمون، فأقام هنالك ثلاثا، وأصابته الناس في هذا الموضع من الليل زلزلة هائلة، وقى الله شرها، وصرف مكروها وقد كان أبو أحمد قبل عبور الجسر المعقود على دجيل قدم أبا العباس ابنه إلى الموضع الذي كان عزم على نزوله من دجلة العوراء، وهو الموضع المعروف بنهر المبارك من فرات البصرة، وكتب إلى ابنه هارون بالانحدار في جميع الجيش المتخلف معه إلى نهر المبارك أيضا لتجتمع العساكر هناك، فرحل أبو أحمد عن قصر المأمون، فنزل بقورج العباس، ووافاه أحمد بن أبي الأصبع هنالك بما صالح عليه محمد بن عبيد الله وبهدايا أهداها إليه من دواب وضوار وغير ذلك ثم رحل عن القورج، فنزل بالجعفرية، ولم يكن بهذه القرية ماء إلا من آبار كان أبو أحمد تقدم بحفرها في عسكره، وأنفذ لذلك سعدا الأسود مولى عبيد الله بن محمد بن عمار من قورج العباس، فحفرت، فأقام بهذا الموضع يوما وليلة، وألقى هناك ميرا مجموعة، واتسع الناس بها، وتزودوا منها.

ثم رحل إلى الموضع المعروف بالبشير، وألقى فيه غديرا من المطر، فأقام به يوما وليلة، ورحل في آخر الليل يريد نهر المبارك، فوافاه بعد صلاة الظهر، وكان منزلا بعيد المسافة، وتلقاه ابنه أبو العباس وهارون في طريقه، فسلما عليه، وسارا بسيه حتى ورد نهر المبارك، وذلك يوم السبت للنصف من رجب سنة سبع وستين ومائتين.

وكان لزيرك ونصير في الذي كان أبو أحمد وجه فيه زيرك من تتبع فل الخبيث من طهيثا أثر فيما بين فصول أبي أحمد من واسط إلى حال مصيره إلى نهر المبارك، وذلك ما ذكره محمد بن الحسن عن محمد بن حماد، قال:

لما اجتمع زيرك ونصير بدجلة العوراء انحدرنا حتى وافيا الأبله، فاستأمن إليهما رجل من أصحاب الخبيث، فأعلمهما أن الخبيث قد أنفذ عددا كثيرا من السميريات والزواريق والصلاخ مشحونة بالزنج، يرأسهم رجل من أصحابه، يقال له محمد بن إبراهيم، يكنى أبا عيسى، ومحمد بن إبراهيم هذا رجل من أهل البصرة، كان جاء به رجل من الزنج عند خراب البصرة يقال له يسار، كان على شرطة الفاسق،

فكان يكتب ليسار على ما كان يلي حتى مات، وارتفعت حال أحمد بن مهدي الجبائي عند الخبيث، فولاه أكثر أعماله، وضم محمد بن إبراهيم هذا إليه، فكان كاتبه إلى أن هلك الجبائي- فطمع محمد بن إبراهيم هذا في مرتبته، وأن يحله الخبيث محل الجبائي، فبذ الدواة والقلم، ولبس آلة الحرب، وتجرد للقتال، فأنهضه الخبيث في هذا الجيش، وأمره بالاعتراض في دجلة لمداغمة من يردّها من الجيوش، فكان في دجلة أحيانا، وأحيانا يأتي بالجمع الذي معه إلى النهر المعروف بنهر يزيد، ومعه في ذلك الجيش شبيل بن سالم وعمرو المعروف بغلام بوذي وأجلاد من السودان وغيرهم، فاستأمن رجل كان في ذلك الجيش إلى زيرك ونصير، وأخبرهما خبره، وأعلمهما أن محمد بن إبراهيم على القصد لسواد عسكر نصير، ونصير يومئذ معسكر بنهر المرأة، وأنهم على أن يسلكوا الأنهار المعترضة على نهر معقل وبتق شيرين، حتى يوافوا الموضع المعروف بالشرطة، ليخرجوا من وراء العسكر فيكبوا على طرفيه، فرجع نصير عند وصول هذا الخبر إليه من الأبلّة مبادرا إلى معسكره، وسار زيرك قاصدا لبتق شيرين، حتى صار من مؤخرة في موضع يعرف بالميشان، وذلك أنه قدر أن محمد بن إبراهيم ومن معه يأتون عسكر نصير من ذلك الطريق، فكان ذلك كما ظن، ولقيهم في طريقهم فوهب الله له العلو عليهم بعد صبر منهم له ومجاهدة شديدة، فانهزموا ولجئوا إلى النهر الذي كانوا وضعوا الكمين فيه، وهو نهر يزيد، فدل زيرك عليهم، فتوغلت عليهم سميرياته وشذواته، فقتل منهم طائفة، وأسر طائفة، وكان ممن ظفر به منهم محمد بن إبراهيم المكنى أبا عيسى وعمرو المعروف بغلام بوذي، وأخذ ما كان معهم من السميريات، وذلك نحو من ثلاثين سميرية، وأفلت شبيل في الذين نجوا، فلحق بعسكر الخبيث، وخرج زيرك من بتق شيرين ظافرا ومعه الأسارى ورءوس من قتل مع ما حوى من السميريات والزواريق وسائر السفن، فانصرف زيرك من دجلة العوراء إلى واسط، وكتب إلى أبي أحمد بما كان من حربه والنصر والفتح.

وكان فيما كان من زيرك في ذلك وصول الجزع إلى كل من كان بدجلة وكورها من اتباع الفاسق، فاستأمن إلى أبي حمزة وهو مقيم بنهر المرأة منهم زهاء ألفي رجل- فيما قيل- فكتب بخبرهم إلى أبي أحمد، فأمره بقبولهم وإقرارهم على الأمان وإجراء الأرزاق عليهم، وخلطهم بأصحابه ومناهضته العدو بهم.

وكان زيرك مقيما بواسط إلى حين ورود كتاب أبي أحمد على ابنه هارون بالمصير بالجيش المتخلف معه إلى نهر المبارك، فأنحدر زيرك مع هارون، وكتب أبو أحمد إلى نصير وهو بنهر المرأة يأمره بالإقبال إليه إلى نهر المبارك، فوافاه هنالك، وكان أبو العباس عند مصيره إلى نهر المبارك انحدر إلى عسكر الفاسق في الشذا والسميريات، فأوقع به في مدينته بنهر أبي الخصيب.

وكانت الحرب بينه وبينهم من أول النهار إلى آخر وقت الظهر، واستأمن إليه قائد من قواد الخبيث المضمومين كانوا إلى سليمان بن جامع، يقال له منتاب، ومعه جماعة من أصحابه، فكان ذلك مما كسر الخبيث وأصحابه، وانصرف أبو العباس بالظفر، وخلع على منتاب ووصله وحمله، ولما لقي أبو العباس أباه أعلمه خبر منتاب، وذكر له خروجه إليه بالأمان، فأمر أبو أحمد لمنتاب بخلة وصلة وحملان، وكان منتاب أول من استأمن من قواد الزنج ولما نزل أبو أحمد نهر المبارك يوم السبت للنصف من رجب سنة سبع وستين ومائتين،

كان أول ما عمل به في أمر الخبيث- فيما ذكر محمد بن الحسن بن سهل، عن محمد بن حماد بن إسحاق بن حماد بن زيد- أن كتب إليه كتابا يدعوه فيه إلى التوبة والإنابة إلى الله تعالى مما ركب من سفك الدماء وانتهاك المحارم وإخراص البلدان والأمصار، واستحلال الفروج والأموال، وانتحال ما لم يجعله الله له أهلا من النبوة والرسالة، ويعلمه أن التوبة له مبسوبة، والأمان له موجود، فإن هو نزع عما هو عليه من الأمور التي يسخطها الله، ودخل في جماعة المسلمين، محا ذلك ما سلف من عظيم جرائمه، وكان له به الحظ الجزيل في دنياه وأنفذ ذلك مع رسوله إلى الخبيث، واتمس الرسول إيصاله، فامتنع أصحاب الخبيث من إيصال الكتاب، فلقاه الرسول إليهم، فاخذوه وأتوا به إلى الخبيث، فقراه فلم يزد ما كان فيه من الوعظ إلا نفورا وإصرارا، ولم يجب عن الكتاب بشيء، وأقام على اغتراره، ورجع الرسول إلى أبي أحمد فأخبره بما فعل، وترك الخبيث الإجابة عن الكتاب وأقام أبو أحمد يوم السبت والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء متشاعلا بعرض الشذا والسميريات وترتيب قواده ومواليه وغلماة فيها، وتخير الرماة وترتيبهم في الشذا والسميريات، فلما كان يوم الخميس سار أبو أحمد في أصحابه، ومعه ابنه أبو العباس إلى مدينة الخبيث التي سماها المختارة من نهر أبي الخصيب، فأشرف عليها وتأمّلها، فرأى من منعها وحصانها بالسور والخنادق المحيطة بها وما عور من الطرق المؤدية إليها واعد من المجانيق والعرادات

والقسي الناوكية وسائر الآلات على سورها ما لم ير مثله ممن تقدم من منازعي السلطان، ورأى من كثرة عدد مقاتلتهم واجتماعهم ما استغلظ أمره فلما عين أصحابه أبا أحمد، ارتفعت أصواتهم بما ارتجت له الأرض، فأمر أبو أحمد عند ذلك ابنه أبا العباس بالتقدم إلى سور المدينة ورشق من عليه بالسهم، ففعل ذلك ودنا حتى ألصق شذواته بمسناة قصر الخائن، وانحازت الفسقة إلى الموضع الذي دنت منه الشذا، وتحاشدوا، وثابت سهامهم وحجارة مجانيقهم وعراداتهم ومقاليعهم، ورمى عوامهم بالحجارة عن أيديهم، حتى ما يقع طرف ناظر من الشذا على موضع إلا رأى فيه سهما أو حجرا، وثبت أبو العباس، فرأى الخائن وأشياعه من جدهم واجتهادهم وصبرهم ما لا عهد لهم بمثله من أحد حاربهم

فأمر أبو أحمد أبا العباس ومن معه بالرجوع إلى مواقعهم ليروحوا عن أنفسهم ويداؤوا جراحهم، ففعلوا ذلك. واستأمن إلى أبي أحمد في تلك الحال مقاتلان من مقاتلة السميريات، فأتوه بسميريتيها وما فيها من الآلات والملاحين، فأمر للمقاتلين بخلع ديباج ومناطق محلاة، ووصلهما، وأمر للملاحين بخلع من خلع الحرير الأحمر والثياب البيض بما حسن موقعه منهم وعمهم جميعا بصلاته، وأمر بإدنائهم من الموضع الذي يراهم فيه نظرائهم، فكان ذلك من أبجع المكاييد التي كيد بها الفاسق فلما رأى الباكون ما صار إليه أصحابهم من العفو عنهم والإحسان إليهم، رغبوا في الأمان وتنافسوا فيه، فابتدروه مسرعين نحوه، راغبين فيما شرع لهم منه فصار إلى أبي أحمد في ذلك اليوم عدد من أصحاب السميريات، فأمر فيهم بمثل ما أمر به في أصحابهم فلما رأى الخبيث ركون أصحاب السميريات إلى الأمان واغتنامهم له أمر برد من كان منهم في دجلة إلى نهر أبي الخصيب، ووكل بفوهة النهر من يمنعهم من الخروج، وأمر بإظهار شذواته، وندب لهم بهبوذ بن عبد الوهاب وهو من أشد حماة بأساء، وأكثرهم عددا وعدة، فانتدب بهبوذ لذلك في أصحابه، وكان ذلك في وقت إقبال المد وقوته، وقد تفرقت شذوات أبي أحمد، ولحق أبو حمزة فيما معه منها بشرقي دجلة، فأقام هنالك وهو يرى أن الحرب قد انقضت، واستغنى عنه.

فلما ظهر بهبوذ فيما معه من الشذوات أمر أبو أحمد بتقديم شذواته، وأمر أبا العباس بالحمل على بهبوذ بما معه من الشذا، وتقدم إلى قواده وغلماؤه بالحمل معه، وكان الذي صلي بالحرب من الشذوات التي مع أبي العباس وزيرك من الشذوات التي رتب فيها قواد العلما اثنتي عشرة شذاة فنشبت الحرب، وطمع أصحاب الفاسق في أبي العباس وأصحابه لقلّة عدد شذواتهم.

فلما صدموا انهزموا ووجه أبو العباس ومن معه في طلب بهبوذ، فألجئوه إلى فناء قصر الخبيث، وأصابته طعنتان، وجرح بالسهم جراحات، واوهنت

أعضاؤه بالحجارة، وخلى ما كان عليه مع أصحابه، فأولجوه نهر أبي الخصيب وقد أشفى على الموت، وقتل يومئذ ممن كان مع بهبوذ قائد من قواده ذوبأس ونجدة وتقدم في الحرب، يقول له عميرة، وظفر أصحاب أبي العباس بشذاة من شذوات بهبوذ، فقتل أهلها، وغرقوا، وأخذت الشذاة، وصار أبو العباس ومن معه بشذواتهم بعد أن أتاهاهم أمر أبي أحمد بذلك، وبإلحاق الشذا بشرقي دجلة وصرف الجيش فلما رأى الفاسق جيش أبي أحمد منصرفا أمر من كان انهزم في شذواته إلى نهر أبي الخصيب بالظهور ليسكن بذلك روعة أصحابه، وليكون صرفه إياهم إذا صرفهم عن غير هزيمة فأمر أبو أحمد جماعة من غلماؤه بأن يثبتوا صدور شذواتهم إليهم، ويقصدوهم فلما رأوا ذلك ولوا منهزمين مذعورين، وتأخرت عنهم شذاة من شذواتهم، فاستأمن أهلها إلى أبي أحمد، ونكسوا علما أبيض كان معهم، فصاروا إليه في شذاتهم، فأومنوا وحبوا ووصلوا وكسوا فأمر الفاسق عند ذلك برد شذواتهم إلى النهر ومنعها من الخروج، وكان ذلك في آخر النهار، وأمر أبو أحمد أصحابه بالرجوع إلى معسكرهم بنهر المبارك.

واستأمن إلى أبي أحمد في هذا اليوم عند منصرفه خلق كثير من الزنج وغيرهم، فقبلهم، وحملهم في الشذا والسميريات، وأمر أن يخلع عليهم ويوصلوا ويحبوا، وتكتب أسماؤهم في المضمومين إلى أبي العباس.

وسار أبو أحمد، فوافى عسكره بعد العشاء الأخيرة، فأقام به يوم الجمعة والسبت والأحد، ثم عزم على نقل عسكره إلى حيث يقرب منه عليه القصد لحرب الخبيث، فركب الشذا في يوم الاثنين لست ليال بقين من رجب سنة سبع وستين ومائتين، ومعه أبو العباس والقواد من مواله وغلماؤه، فيهم زيرك ولصير حتى وافى النهر المعروف بنهر جطى في شرقي دجلة، وهو حيال النهر المعروف باليهودي، فوقف

عليه، وقدر فيه ما أراد وانصرف، وخلف به أبا العباس وزيرك ونصيرا، وعاد إلى معسكره فأمر فنودي في الناس بالرحيل إلى الموضع الذي اختار من نهر جطى، وتقدم في قود الدواب بعد أن أصلحت لها الطرق، وعقدت القناطر على الأنهار، وغدا في يوم الثلاثاء لخمس بقين من رجب في جميع عساكره حتى نزل نهر جطى، فأقام به إلى يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من شعبان سنة سبع وستين ومائتين، ولم يحارب في شيء من هذه الأيام، وركب في هذا اليوم في الخيل والرجالة، ومعه جميع الفرسان، وجعل الرجالة والمطوعة في السفن والسميريات، على كل رجل منهم لأتمته وزيه، وسار حتى وافى الفرات، ووازي عسكر الفاسق وأبو أحمد من أصحابه وأتباعه في زهاء خمسين ألف رجل أوزيدون، والفاسق يومئذ في زهاء ثلاثمائة ألف إنسان، كلهم يقاتل أو يدافع، فمن ضارب بسيف، وطاعن برمح، ورام بقوس، وقاذف بمقلاع، ورام بعراذه أو منجنيق، واضعفهم امر الرماة بالحجارة عن أيديهم وهم النظارة المكثرون السواد، والمعتنون بالنعير والسياح، والنساء يشركنهم في ذلك.

فأقام أبو أحمد في هذا اليوم بإزاء عسكر الفاسق إلى أن أضحى، وأمر فنودي أن الأمان مبسوط للناس، أسودهم وأحمرهم إلا الخبيث، وأمر بسهام فعلقت فيها رقائق مكتوب فيها من الأمان مثل الذي نودي به، ووعد الناس فيها الإحسان، ورمى بها إلى عسكر الخبيث، فمالت إليه قلوب أصحاب المارق بالرهبة والطمع فيما وعدهم من إحسانه وعفوه، فأتاه في ذلك اليوم جمع كثير يحملهم الشذا إليه، فوصلهم وحباهم ثم انصرف إلى معسكره بنهر جطى، ولم يكن في هذا اليوم حرب.

وقدم عليه قائدان من مواليه، أحدهما بكتمر والآخر جعفر بن بغلاغر، في جمع من أصحابهما فكان ورودهما زائدا في قوة من مع أبي أحمد.

ورحل أبو أحمد عن نهر جطى إلى معسكر قد كان تقدم في إصلاحه، وعقد القناطر على أنهاره، وقطع النهر ليوسعه بفرات البصرة بإزاء مدينة الفاسق، فكان نزوله هذا المعسكر في يوم الأحد للنصف من شعبان سنة سبع وستين.

ومائتين، وأوطن هذا المعسكر، وأقام به، ورتب قواده ورؤساء أصحابه مراتبهم فيه، فجعل نصيرا صاحب الشذا والسميريات في جيشه في أول العسكر وآخره بالموضع الموازي النهر المعروف بجوى كور، وجعل زيرك التركي صاحب مقدمة أبي العباس في أصحابه موازيا ما بين نهر أبي الخصيب وهو النهر الموسوم بنهر الأتراك والنهر المعروف بالمغيرة، ثم تلاه علي بن جهشيار حاجبه في جيشه وكانت مضارب أبي أحمد وابنيه حيال الموضع المعروف بدير جابيل، وأنزل راشدا مولاه في مواليه وغلمانته الأتراك والخزر والروم والديلمة والطبرية والمغاربة والزنج على النهر المعروف بهطمة، وجعل صاعد بن مخلد وزيره في جيشه من الموالي والغلمان فويق عسكر راشد، وأنزل مسرورا البلخي في جيشه على النهر المعروف بسندادان، وأنزل الفضل ومحمدا، ابني موسى ابن بغا في جيشهما على النهر المعروف بهالة، وتلاههما موسى دالجويه في جيشه وأصحابه، وجعل بغراج التركي على ساقته نازلا على نهر جطى، وأوطنوه، وأقاموا به ورأى أبو أحمد من حال الخبيث وحصانة موضعه وكثرة جمعه ما علم أنه لا بد له من الصبر عليه ومحاصرته وتفريق أصحابه عنه، ببذل الأمان لهم، والإحسان إلى من أناب منهم، والغلظة على من أقام على غيه منهم، واحتاج إلى الاستكثار من الشذا وما يحارب به في الماء.

فأمر بإنفاذ الرسل في حمل المير في البر والبحر وإدارها إلى معسكره بالمدينة التي سماها الموقية، وكتب إلى عماله في النواحي في حمل الأموال إلى بيت ماله في هذه المدينة وأنفذ رسولا إلى سيراف وجنابا في بناء الشذا والاستكثار منها لما احتاج إليه من ترتيبها في المواضع التي يقطع بها المير عن الخائن وأشياعه.

وأمر بالكاتب إلى عماله في النواحي بإنفاذ كل من يصلح للإثبات في الديوان، ويرغب في ذلك، وأقام ينتظر شهرا أو نحوه، فوردت المير متتابعة يتلو بعضها بعضا، وجهاز التجار صنوف التجارات والأمتعة وحملوها إلى المدينة الموقية، واتخذت بها الأسواق، وكثر بها التجار والمتجهزون من كل بلد، ووردتها.

مراكب البحر، وقد كانت انقطعت لقطع الفاسق وأصحابه سبلها قبل ذلك بأكثر من عشر سنين، وبني أبو أحمد مسجد الجامع، وأمر الناس بالصلاة فيه، واتخذ دور الضرب، فضرب فيها الدنانير والدراهم، فجمعت مدينة أبي أحمد جميع المرافق، وسيق إليها صنوف المنافع حتى كان ساكنوها لا يفقدون بها شيئا مما يوجد في الأمصار العظيمة القديمة، وحملت الأموال، وأدر للناس العطاء في أوقاته، فأتسعوا وحسنت أحوالهم، ورغب الناس جميعا في المصير إلى المدينة الموقية والمقام فيها.

وكان الخبيث بعد ليلتين من نزول أبي أحمد مدينته الموقية أمر بهوذ بن عبد الوهاب، فعبر والناس غارون في سميريات إلى طرف عسكر أبي حمزة، فأوقع به، وقتل جماعة من أصحابه، وأسر جماعة، وأحرق كوخات كانت لهم قبل أن يبني الناس هنالك فأمر أبو أحمد نصيرا عند ذلك بجمع أصحابه، وألا يطلق لأحد مفارقة عسكره، وأن يحرس أقطار عسكره بالشذا والسميريات والزواريق فيها الرجال إلى آخر ميان رودان والقندل وأبرسان، للإيقاع بمن هنالك من أصحاب الفاسق.

وكان بميان رودان من قواده أيضا إبراهيم بن جعفر الهمداني في أربعة آلاف من الزنج، ومحمد بن أبان المعروف بأبي الحسن أخو علي بن أبان بالقندل في ثلاثة آلاف، والمعروف بالدور في ابرسان في ألف وخمسمائة من الزنج والجبايين، فبدأ أبو العباس بالهمداني فأوقع به، وجرت بينهما حروب، قتل فيها خلق كثير من أصحاب الهمداني، وأسر منهم جماعة، وأفلت الهمداني في سميرية قد كان أعدها لنفسه، فلحق فيها بأخي المهلب المكنى بأبي الحسن، واحتوى أصحاب أبي العباس على ما كان في أيدي الزنج وحملوه إلى عسكرهم.

وقد كان أبو أحمد تقدم إلى ابنه أبي العباس في بذل الأمان لمن رغب فيه، وأن يضمن لمن صار إليه الإحسان، فصار إليه طائفة منهم في الأمان فآمنهم، فصار بهم إلى أبيه، فأمر لكل واحد منهم من الخلع والصلوات على أقدارهم في أنفسهم، وأن يوقفوا بإزاء نهر أبي الخصب ليعاينهم أصحابهم وأقام

أبو أحمد يكاد الخائن ببذل الأمان لمن صار إليه من الزنج وغيرهم، ومحاصرة الباقيين والتضييق عليهم، وقطع المير والمنافع عنهم، وكانت ميرة الأهواز وما يرد من صنوف التجارات منها ومن كورها ونواحي أعمالها يسلك به النهر المعروف ببيان، فسرى بهوذ في جلد رجاله ليلة من الليالي، وقد غمي إليه خبر قيروان ورد بصنوف من التجارات والمير وكمن في النخل، فلما ورد القيروان خرج إلى أهله، وهم غارون، فقتل منهم وأسر، وأخذ ما أحب أن يأخذ من الأموال.

وقد كان أبو أحمد أنفذ لبذرة ذلك القيروان رجلا من أصحابه في جمع، فلم يكن للموجه لذلك بهوذ طاقة، لكثرة عدد من معه وضيق الموقع على الفرسان، وأنه لم يكن بهم فيه غناء فلما انتهى ذلك إلى أبي أحمد، غلظ عليه ما نال الناس في أموالهم وأنفسهم وتجارته، وأمر بتعويضهم، وأخلف عليهم مثل الذي ذهب لهم، ورتب الشذا على فوهة بيان وغيره من الأنهار التي لا يتبها للفرسان سلوكها في بنائها والإقبال بها إليه، فورد عليه منها عدد صالح، فرتب فيها الرجال، وقلد أمرها أبا العباس ابنه، وأمره أن يوكل بكل موضع يرد إلى الفسقة منه ميرة، فأنحدر أبو العباس لذلك إلى فوهة البحر في الشذوات، ورتب في جميع تلك المسالك القواد، وأحكم الأمر فيه غاية الإحكام.

وفي شهر رمضان منها كانت وقعة بين اسحق بن كنداج وإسحاق بن أيوب وعيسى بن الشيخ وأبي المغراء وحمدان الشاري ومن تأشب إليهم من قبائل ربيعة وتغلب وبكر واليمن، فهزمهم ابن كنداج إلى نصبيين، وتبعهم إلى قريب من آمد، واحتوى على أموالهم، ونزلوا آمد، فكانت بينه وبينهم وقعات.

٩٠٤٩٠٤ ذكر خبر مقتل صندل الزنجي

٩٠٤٩٠٥ ذكر خبر استئمان الزنج إلى أبي أحمد

ذكر خبر مقتل صندل الزنجي

وفي شهر رمضان منها قتل صندل الزنجي، وكان سبب قتله أن أصحاب الخبيث عبروا لليلتين خلتا من شهر رمضان من هذه السنة فيما ذكر- أعني سنة سبع وستين ومائتين- يريدون الإيقاع بعسكر نصير وعسكر زيرك، فنذر بهم الناس، نفرجوا إليهم، فردوهم خائبين، وظفروا بصندل هذا وكان- فيما ذكروا- يكشف وجوه الحرائر المسلمات ورءوسهن ويقبلهن تقليب الإماء، فإن امتنعت منهن امرأة ضرب وجهها ودفعها إلى بعض علوج الزنج يبيعها بأوكس الثمن فلما أتى به أبو أحمد، أمر به فشد بين يديه، ثم رمى بالسهم، ثم امر به فقتل.

ذكر خبر استئمان الزنج إلى أبي أحمد

وفي شهر رمضان من هذه السنة استأمن إلى أبي أحمد خلق كثير من عند الزنج. ذكر سبب ذلك:

وكان السبب في ذلك أنه كان- فيما ذكر- استأمن إلى أبي أحمد رجل من المذكوري أصحاب الخبيث ورؤسائهم وشجعانهم، يقال له مهذب، فحمل في الشذا إلى أبي أحمد، فأتي به في وقت إفطارة، فأعلمه أنه جاء متنصحا راغبا في الأمان، وأن الزنج على العبور في ساعتهم تلك إلى عسكره للبيات، وأن الذين ندب الفاسق لذلك أنجادهم وأبطالهم، فأمر أبو أحمد بتوجيه من يحاربهم إليهم ومن يمنعهم من العبور وأن يعارضوا بالشذا فلما علم الزنج أن قد نذر بهم انصرفوا منهزمين، فكثرت المستأمنة من الزنج وغيرهم واتباعوا، فبلغ عدد من وافى عسكر أبي أحمد منهم إلى آخر شهر رمضان سنة سبع وستين ومائتين خمسة آلاف رجل من بين أبيض واسود

٩٠٤٩٠٦ ذكر خبر الإيقاع بالزنج في هذا العام

وفي شوال من هذه السنة ورد الخبر بدخول النجستاني نيسابور وانهزام عمرو بن الليث وأصحابه، فأساء السيرة في أهلها، وهدم دور آل معاذ بن مسلم، وضرب من قدر عليه منهم واقتطع ضياعهم، وترك ذكر محمد بن طاهر، ودعا له على منابر ما غلب عليه من مدن خراسان وللمعتد، وترك الدعاء لغيرهما.

ذكر خبر الإيقاع بالزنج في هذا العام

وفي شوال من هذه السنة كانت لأبي العباس وقعة بالزنج، قتل فيها منهم جمع كثير. ذكر سبب ذلك:

وكان السبب في ذلك- فيما بلغني- أن الفاسق انتخب من كل قيادة من أصحابه أهل الجلد والبأس منهم، وأمر المهلب بالعبور بهم لبيت عسكر أبي أحمد، ففعل ذلك، وكانت عدة من عبر من الزنج وغيرهم زهاء خمسة آلاف رجل أكثرهم من الزنج، وفيهم نحو من مائتي قائد، فعبروا إلى شرقي دجلة، وعزموا على أن يصير القواد منهم إلى آخر النخل مما يلي السبخة، فيكونوا في ظهر عسكر أبي أحمد، ويعبر جماعة كثيرة منهم في الشذا والسميريات والمعاير قبالة عسكر أبي أحمد، فإذا نشبت الحرب بينهم انكب من كان عبر من قواد الخبيث، فصار إلى السبخة على عسكر أبي أحمد الموفق، وهم غارون مشاغيل بحرب من بإزائهم، وقدر أن يتهبأ له في ذلك ما أحبه فأقام الجيش في الفرات ليلتهم، ليغادوا الإيقاع بالعسكر.

فاستأمن إلى أبي أحمد غلام كان معهم من الملاحين، فأنبأ إليه خبرهم وما اجتمعت عليه آراؤهم، فأمر أبو أحمد أبا العباس والقواد والغلمان بالنهوض إليهم، وقصد الناحية التي فيها أصحاب الخبيث، وأنفذ جماعة من قواد غلمانه في الخيل إلى السبخة التي في مؤخر النخل بالفرات، لتقطعهم عن

الخروج إليها، وأمر أصحاب الشذا والسميريات، فاعترضوا في دجلة، وأمر الرجالة بالزحف إليهم من النخل فلما رأى الفجار ما أتاها من التدبير الذي لم يحتسبوه كروا راجعين في الطريق الذي أقبلوا منه طالبين التخلص، فكان قصدهم لجويث بارويه، وانتهى خبر رجوعهم إلى الموفق، فأمر أبا العباس وزيرك بالانحذار في الشذوات يسبقونهم إلى النهر، لينعولهم من عبوره.

وأمر غلاما من غلمانه، يقال له ثابت، له قيادة على جمع كثير من غلمانه السودان أن يحمل أصحابه في المعابر والزواريق وينحدر معهم إلى الموضع الذي فيه أعداء الله للإيقاع بهم حيث كانوا، فأدركهم ثابت في أصحابه بجويث بارويه، فخرج إليهم فحاربهم محاربة طويلة، وثبتوا له، واستقبلوا جمعه وهو من أصحابه في زهاء خمسمائة رجل، لأنهم لم يكونوا تكاملوا وطمعوا فيه، ثم صدقهم وأكب عليهم، ففحقه الله أكتافهم، فن مقتول وأسير وغريق وملجج في الماء بقدر اقتداره على السباحة التقطته الشذا والسميريات في دجلة والنهر، فلم يفلت من ذلك الجيش إلا أقله وانصرف أبو العباس بالفتح، ومعه ثابت وقد علقت الرؤوس في الشذوات وصلب الأسارى فيها، فاعترضوا بهم مدينتهم ليرهبوا بهم أشياعهم، فلما رأوهم ألبسوا وأيقنوا بالبوار، وأدخل الأسارى والرؤوس إلى الموقية، وانتهى إلى أبي أحمد أن صاحب الزنج موه على أصحابه، وأوهمهم أن الرؤوس المرفوعة مثل مثلت لهم ليراعوا، وأن الأسارى من المستأمنة فأمر الموفق عند ذلك أبا العباس بجمع الرؤوس والمسير بها إلى إزاء قصر الفاسق والقذف بها في منجنيق منصوب في سفينة إلى عسكره، ففعل أبو

العباس ذلك، فلما سقطت الرؤوس في مدينتهم، عرف أولياء القتلى رؤوس أصحابهم، فظهر بكأؤهم، وتبين لهم كذب الفاجر وتمويهه. وفي شوال من هذه السنة كانت لأصحاب ابن أبي الساج وقعة بالهيصم العجلي، قتلوا فيها مقدمته، وغلبوا على عسكره فاحتوه.

٩٠٤٩٠٧ ذكر خبر الوقعة مع الزنج بنهر ابن عمر

ذكر خبر الوقعة مع الزنج بنهر ابن عمر
وفي ذي القعدة منها كانت لزيرك وقعة مع جيش لصاحب الزنج بنهر ابن عمر، قتل زيرك منهم فيها خلقا كثيرا. ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة: ذكر أن صاحب الزنج كان أمر باتخاذ شذوات، فعملت له، فضمها إلى ما كان يحارب به، وقسم شذواته ثلاثة أقسام بين بهبوذ ونصر الرومي وأحمد ابن الزنجي، وألزم كل واحد منهم غرم ما يصنع على يديه منها، وكانت زهاء خمسين شذاة، ورتب فيها الرماة وأصحاب الرماح، واجتهدوا في إكمال عدتهم وسلاحهم، وأمرهم بالمسير في دجلة والعبور إلى الجانب الشرقي والتعرض لحرب أصحاب الموفق، وعدة شذوات الموفق يومئذ قليلة، لأنه لم يكن وافاه كل ما كان أمر باتخاذها، وما كان عنده منها فمفرق في فوهه الانهار التي يأتي الزنج منها المير فغلظ أمر أعوان الفاجر، وتهايا له أخذ شذاة بعد شذاة من شذا الموفق، وأججم نصير المعروف بأبي حمزة عن قتالهم والإقدام عليهم، كما كان يفعل لقلّة ما معه من الشذا، وأكثر شذوات الموفق يومئذ مع نصير، وهو المتولي لأمرها فارتاع لذلك أهل عسكر الموفق، وخافوا أن يقدم على عسكرهم الزنج بما معهم من فضل الشذا، فورد عليهم في هذه الحال شذوات كان الموفق تقدم في بنائها بجنابا، فأمر أبا العباس بتلقيها فيما معه من الشذا حتى يوردها العسكر، إشفاقا من اعتراض الزنج عليها في دجلة، فسلمت، وأتي بها حتى إذا وافت عسكر نصير، فبصر بها الزنج طمعوا فيها، فأمر الخليلي بإخراج شذواته، وأمر أصحابه بمعارضتها والاجتهاد في اقتطاعها، فنهضوا لذلك فتسرع غلام من غلمان أبي العباس شجاع يقال له وصيف يعرف بالحجراي، في شذوات كن معه، فشد على الزنج فانكشفوا، وتبعهم حتى وافى بهم نهر أبي الخصيب، وانقطع عن أصحابه، فكروا عليه شذواتهم، وانتهى إلى مضيق، فعلقت مجاديف بعض شذواته

بمجاديف بعض شذواتهم، فجنحت وتقصفت بالشط، وأحاط به الآخرون واكتنفوه من جوانبه، وانحدر عليه الزنج من السور، فخارهم بمن كان معه حربا شديدا حتى قتلوا وأخذ الزنج شذواتهم، فأدخلوها نهر أبي الخصيب ووافى أبو العباس بالشذوات الجنابية سالمة بما فيها من السلاح والرجال، فأمر أبو أحمد أبا العباس بتقلد أمر الشذوات كلها والمخاربة بها، وقطع مواد المير عنهم من كل جهة. ففعل ذلك، فأصلحت الشذوات، ورتب فيها المختارون من الناشبة والراحة، حتى إذا أحكم أمرها أجمع، ورتبها في المواضع التي كانت تقصد إليها شذوات الخليلي، وتعيث فيها، أقبلت شذواته على عاداتها التي كانت قد جرت عليها.

نفرج إليهم أبو العباس في شذواته، وأمر سائر أصحاب الشذا أن يحملوا بحملته، ففعلوا ذلك وخالطوهم، وطفقوا يرشقونهم بالسهم، ويطعنونهم بالرمح، ويقذفونهم بالحجارة، وضرب الله وجوههم، فولوا منهزمين، وتبعهم أبو العباس وأصحابه حتى أولجهم نهر أبي الخصيب، وغرق لهم ثلاث شذوات، وظفر بشذاتين من شذواتهم بما فيها من المقاتلة والملاحين. فأمر أبو العباس بضرب أعناق من ظفر به منهم.

فلما رأى الخليلي ما نزل بأصحابه، امتنع من إخراج الشذا عن فناء قصره، ومنع أصحابه أن يجاوزوا بها الشط إلا في الأوقات التي يخلو دجلة فيها من شذوات الموفق.

فلما أوقع بهم أبو العباس هذه الوقعة اشتد جزعهم، وطلب وجوه أصحاب الخليلي الأمان فأومنوا، فكان ممن استأمن من وجوههم - فيما ذكر - محمد بن الحارث العمي، وكان إليه حفظ عسكر منكى والسور الذي يلي عسكر الموفق، وكان خروجه ليلا مع عدة من أصحابه، فوصله الموفق بصلات كثيرة، وخلع عليه، وحمله على عده دواب بخليتها وآلتها، وأسنى له الرزق، وكان محمد بن الحارث حاول إخراج زوجته معه، وهي إحدى بنات عمه،

فعبزت المرأة عن اللحاق به، فأخذها الزنج فردوها إلى الخليلي، فحبسها مدة، ثم أمر بإخراجها والنداء عليها في السوق، فبيعت، ومنهم أحمد المعروف بالبرذعي.

وكان- فيما قيل- من أشجع رجال الخبيث الذين كانوا في حيز المهلبى ومن قواده الزنج مدبد وابن أنكلويه ومنينة، نفلع عليهم جميعا، ووصلوا بصلات كثيرة، وحملوا على الخليل، وأحسن إلى جميع من جاءوا به معهم من أصحابهم، وانقطعت عن الخبيث مواد الميرة، وسدت عليه وعلى من أقام معه المذاهب وأمر شبلا وأبا النداء- وهما من رؤساء قواده وقدماء أصحابه الذين كان يعتمد عليهم ويثق بمناصحتهم- بالخروج في عشرة آلاف من الزنج وغيرهم، والقصد لنهر الدير ونهر المرأة ونهر ابى الأسد، والخروج من هذه الأنهار إلى البطيحة للغارة على المسلمين، وأخذ ما وجدا من طعام وميرة ليقطع عن عسكر الموفق ما يرده من الميرة وغيرها من مدينة السلام وواسط ونواحيها.

فندب الموفق لقصدهم حين انتهى إليه خبر مسيرهم مولاه زيرك صاحب مقدمة أبى العباس، وأمره بالنهوض في أصحابه إليهم، وضم إليه من اختار من الرجال، فضى في الشدوات والسميريات، وحمل الرجال في الزواريق والسفن الخفاف حثيثا، حتى صار إلى نهر الدير، فلم يعرف لهم هنالك خبرا، فصار منه إلى بئق شيرين ثم سلك في نهر عدي حتى خرج إلى نهر ابن عمر، فالتقى به جيش الزنج في جمع راعته كثرته، فاستخار الله في مجاهدتهم، وحمل عليهم في ذوي البصائر والثبات من أصحابه، فقذف الله الرعب في قلوبهم، فانفضوا، ووضع فيهم السلاح، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وغرق منهم مثل ذلك، وأسر خلقا كثيرا، وأخذ من سفنهم ما أمكنه أخذه، وغرق منها ما أمكن تغريقه، فكان ما أخذ من سفنهم نحو من أربعمئة سفينة، وأقبل بمن معه من الأسارى وبالرءوس إلى عسكر الموفق.

٩٠٤٩٠٨ خبر عبور الموفق إلى مدينه صاحب الزنج لحربه

خبر عبور الموفق الى مدينه صاحب الزنج لحربه
وفي ذي الحجة لست بقين منه عبر الموفق بنفسه إلى مدينة الفاسق وجيشه لحربه.
ذكر السبب الذي من أجله كان عبوره إليها:

وكان السبب في ذلك- فيما ذكر- أن الرؤساء من أصحاب الفاسق، لما رأوا ما قد حل بهم من البلاء من قتل من يظهر منهم وشدة الحصار على من لزم المدينة، فلم يظهر منهم أحد، وحال من خرج منهم بالأمان من الإحسان إليه، والصفح عن جرمه، مالوا إلى الأمان، وجعلوا يهربون في كل وجه، ويخرجون إلى أبي أحمد في الأمان كلما وجدوا إليه السبيل.
فئى الخبيث من ذلك رعبا، وأيقن الهلاك، فوكل بكل ناحية كان يرى أن فيها طريقا للهرب من عسكره أحراسا وحفظة، وأمرهم بضبط تلك النواحي، ووكل بفوهة الأنهار من يمنع السفن من الخروج منها، واجتهد في سد كل ملك وطريق وثلة، لئلا يطمع في الخروج عن مدينته.

وأرسل جماعة من قواد الفاجر صاحب الزنج إلى الموفق يسألونه الأمان، وأن يوجه لمحاربة الخبيث جيشا ليجدوا إلى المصير إليه سبيلا، فأمر الموفق أبا العباس بالمصير في جماعة من أصحابه إلى الموضع المعروف بنهر الغربي، وعلي بن أبان حينئذ يحوط ذلك النهر، فنهض أبو العباس في المختارين من أصحابه، ومعه الشدا والسميريات والمعاير، فقصد النهر الغربي، وانتدب المهلبى وأصحابه لحربه، فاستعرت الحرب بين الفريقين، وعلا أصحاب أبي العباس، وقهر الزنج، وأمد الفاسق المهلبى بسليمان بن جامع في جمع من الزنج كثير، واتصلت الحرب يومئذ من أول النهار إلى وقت العصر، وكان الظفر في ذلك اليوم لأبى العباس وأصحابه، وصار إليه القوم الذين كانوا طلبوا الأمان من قواد الخبيث، ومعهم جمع كثير من الفرسان وغيرهم من الزنج، فأمر أبو العباس عند ذلك أصحابه بالرجوع إلى الشدا والسفن، وانصرف فاجتاز في منصرفه بمدينة الخبيث، حتى انتهى إلى الموضع المعروف بنهر الأتراك، فرأى أصحابه من قلة عدد الزنج في هذا الموضع من النهر ما طمعوا له فيمن كان هناك، فقصدوا نحوهم، وقد انصرف أكثر أصحابهم إلى المدينة الموفقية، فقربوا إلى الأرض، وصعدوا وأمعنوا في دخول تلك المسالك، وعلت جماعة منهم السور، وعليه فريق من الزنج وأشياهم، فقتلوا من أصابوا منهم هنالك، ونذر الفاسق بهم، فاجتمعوا لحربهم، وأنجد بعضهم بعضا.

فلما رأى أبو العباس اجتماع الخبيثاء وتحاشدهم وكثرة من تاب إلى ذلك الموضع منهم، مع قلة عدد من هنالك من أصحابه، كر راجعا

إليهم فيمن كان معه في الشذا، وأرسل إلى الموفق يستمده، فوافاه لمعنته من خف لذلك من الغلمان في الشذا والسميريات، فظهروا على الزنج وهزمهم، وقد كان سليمان بن جامع لما رأى ظهور أصحاب أبي العباس على الزنج، وغل في النهر مصاعدا في جمع كثير، فانتفى إلى النهر المعروف بعبد الله، واستدبر أصحاب أبي العباس وهم في حربهم، مقبلين على من يلزائهم ممن يحاربهم، فيمعنون في طلب من انهزم عنهم من الزنج فخرج عليهم من ورائهم، وخفقت طبوله، فانكشف أصحاب أبي العباس، ورجع عليهم من كان انهزم عنهم من الزنج، فأصبحت جماعة من غلمان الموفق وغيرهم من جنده، وصار في أيدي الزنج عدة أعلام ومطارد، وحامى أبو العباس عن الباقين من أصحابه، فسلم أكثرهم، فانصرف بهم، فأطمعت هذه الوقعة الزنج وتباعهم، وشدت قلوبهم، فأجمع الموفق على العبور بجيشه أجمع لمحاربة الخبيث، وأمر أبا العباس وسائر القواد والغلمان بالتأهب للعبور، وأمر بجمع السفن والمعاير وتفريقها عليهم، ووقف على يوم بعينه أراد العبور فيه، فعصفت رياح منعت من ذلك، واتصل عصوفها أياما كثيرة، فأهل الموفق حتى انقضى هبوب تلك الرياح، ثم أخذ في الاستعداد للعبور ومناجزة الفاجر

فلما تهيأ له ما أراد من ذلك عبر يوم الأربعاء لست ليال بقين من ذي الحجة من سنة سبع وستين ومائتين في أكثف جمع وأكل عدة، وأمر بجمل خيل كثيرة في السفن، وتقدم إلى أبي العباس في المسير في الخيل ومعه جميع قواده الفرسان ورجالتهم، ليأتي الفجرة من ورائهم من مؤخر النهر المعروف بمنكى، وأمر مسرورا البلخي مولاه بالقصد الى نهر الغربي ليضطر الخبيث بذلك إلى تفريق أصحابه، وتقدم إلى نصير المعروف بأبي حمزة ورشيق غلام أبي العباس وهو من أصحابه - وشذواته في مثل العدة التي فيها نصير - بالقصد لفوهة نهر أبي الخصيب والمحاربة لما يظهر من شذوات الخبيث، وقد كان استكثر منها، وأعد فيها المقاتلة وانتخبهم وقصد أبو أحمد بجميع من معه لركن من أركان مدينة الخبيث قد كان حصنه بابنه المعروف بأنكلاي، وكفنه بعلي بن أبان وسليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمداني وحفه بالجانيق والعرادات والقسي الناكية، وأعد فيه الناشبة وجمع فيه أكثر جيشه.

فلما التقى الجمعان أمر الموفق غلمانه: الناشبة والراحة والسودان، بالدنو من الركن الذي فيه جمع الفسقة، وبينه وبينهم النهر المعروف بنهر الأتراك، وهو نهر عريض غزير الماء فلما انتهوا إليه أجموا عنه، فصيح بهم، وحرصوا على العبور فعبروا سباحة، والفسقة يرمونهم بالجانيق والعرادات والمقاليع والحجارة عن الأيدي، وبالسهم عن القسي النواكية، وقسي الرجل وصنوف الآلات التي يرمى عنها، فصبروا على جميع ذلك حتى جاوزوا النهر، وانتهاوا إلى السور، ولم يكن لحقهم من الفعلة من كان أعد لهدمه فتولى الغلمان تشييث السور بما كان معهم من سلاحهم ويسر الله ذلك، وسهلوا لأنفسهم السبيل إلى علوه، وحضرهم بعض السلايم التي كانت أعدت لذلك، فعلموا الركن، ونصبوا هنالك علما من أعلام الموفق، وأسلم الفسقة سورهم، وخلوا عنه بعد أن حوربوا عليه أشد حرب، وقتل من الفريقين خلق كثير، وأصيب غلام من غلمان الموفق يقال له ثابت بسهم في بطنه فمات، وكان من قواد الغلمان وجلتهم.

ولما تمكن أصحاب الموفق من سور الفسقة، أحرقوا ما كان عليه من منجنيق وعرادة وقوس ناوكية، وخلوا عن تلك الناحية وأسلموها وقد كان أبو العباس قصد بأصحابه في الخيل النهر المعروف بمنكى، ففضى على بن أبان المهلي في أصحابه، قاصدا لمعارضته ودفعه عما صمد له، والتقى، فظهر أبو العباس عليه وهزمه، وقتل جمعا كثيرا من أصحابه، وأفلت المهلي راجعا، وانتفى أبو العباس إلى الموضع الذي قدر أن يصل منه إلى مدينة الفاسق من مؤخر نهر منكى، وهو يرى أن المدخل من ذلك الموضع سهل، فدخل إلى الخندق فوجده عريضا ممتعا، فحمل أصحابه على أن يعبروه بخيولهم، وعبره الرجال سباحة حتى وافوا السور، فثلموا فيه ثلما اتسع لهم منه الدخول فدخلوا، فلقى أوائلهم سليمان بن جامع، وقد أقبل للدفاع عن تلك الناحية لما انتهى إليه انهزام المهلي عنها، فخاربه، وكان أمام القوم عشرة من غلمان الموفق، فدافعوا سليمان وأصحابه، وهم خلق كثير، وكشفوهم مرارا كثيرة، وحاموا عن سائر أصحابهم حتى رجعوا إلى مواضعهم.

وقال محمد بن حماد: لما غلب أصحاب الموفق على الموضع الذي كان الفاسق حرسه بابنه والمذكورين من أصحابه وقواده، وشعثوا من السور الذي أفضوا إليه ما أمكنهم تشييثه، وافاهم الذين كانوا أعدوا للهدم بمعاولهم وآلاتهم، فثلموا في السور عدة ثلم، وقد كان الموفق أعد الخندق الفسقة جسرا يمد عليه، فد عليه، وعبر جمهور الناس فلما عاين الخبيثة ذلك، ارتاعوا فانهمزوا عن سور لهم ثان قد كانوا اعتصموا

به، ودخل أصحاب الموفق مدينة الخائن، فولى الفاجر وأشياعه منهزمين، وأصحاب الموفق يتبعونهم ويقتلون من انتهوا إليه منهم، حتى انتهوا إلى النهر المعروف بابن سمعان، وصارت دار ابن سمعان في أيدي أصحاب الموفق، وأحرقوا ما كان فيها وهدموها، ووقف الفجرة على نهر ابن سمعان ووقفا طويلا، ودافعوا مدافعة شديدة، وشد بعض غلمان الموفق على علي بن أبان المهلي، فأدبر عنه هاربا، فقبض على مئزره، نفلى عن المئزر، ونبذه إلى الغلام، ونجا بعد أن أشفى على الهلكة، وحمل أصحاب الموفق على الزنج حملة صادقة، فكشفوهم عن النهر المعروف بابن سمعان،

حتى وافوا بهم طرف ميدان الفاسق، وانتهى إليه خبر هزيمة أصحابه ودخول أصحاب الموفق مدينته من أقطارها، فركب في جمع من أصحابه، فتلقاء أصحاب الموفق، وهم يعرفونه في طرف ميدانه، فحملوا عليه، فتفرق عنه أصحابه ومن كان معه وأفردوه، وقرب منه بعض الرجالة حتى ضرب وجه فرسه بترسه، وكان ذلك مع مغيب الشمس، فأمر الموفق أصحابه بالرجوع إلى سفنهم، فرجعوا سالمين، قد حملوا من رءوس الخبثاء شيئا كثيرا، ونالوا كل الذي أحبوا منهم من قتل وجراح وتحريق منازل وأسواق، وقد كان استأمن إلى أبي العباس في أول النهار عدد من قواد الفاجر وفرسانه، فاحتاج إلى التوقف على حملهم في السفن، وأظلم الليل، وهبت ريح شمال عاصف، وقوي الجزر، فلصق أكثر السفن بالطين.

وحرص الخبيث أشياعه واستنجدهم، فبانت منهم جماعة، وشدوا على السفن المتخلفة، فقالوا منها نيلا، وقتلوا فيها نفرا، وقد كان بهبود بإزاء مسرور البلخي وأصحابه في هذا اليوم في نهر الغربي، فأوقع بهم، وقتل جماعة منهم، وأسر أسارى، وصارت في يده دواب من دوابهم، فكسر ذلك نشاط أصحاب الموفق وقد كان الخبيث أخرج في هذا اليوم جميع شدواته إلى دجلة محاربين فيها رشيقا، وضرب منها رشيق على عدة شدوات، وغرق منها وحرق، وانهزم الباقيون إلى نهر أبي الخصيب.

وذكر أنه نزل في هذا اليوم بالفاسق وأصحابه ما دعاهم إلى التفرق والهرب على وجوههم نحو نهر الأمير والقندل وإبرسان وعبادان وسائر القرى، وهرب يومئذ أخوا سليمان بن موسى الشعراني: محمد وعيسى، فضيا يؤمان البادية، حتى انتهى إليهما رجوع أصحاب الموفق، فرجعا، وهرب جماعة من العرب الذين كانوا في عسكر الفاسق، وصاروا إلى البصرة، وبعثوا يطلبون الأمان من أبي أحمد، فأمنهم، ووجه إليهم السفن، فحملهم إلى الموقية، وأمر أن يخلع عليهم، ويوصلوا، ويجري عليهم الأرزاق والأنزال، ففعل ذلك بهم

وكان فيمن رغب في الأمان من جلة قواد الفاجر ريحان بن صالح المغربي، وكانت له رياسة وقيادة، وكان يتولى حجة ابن الخبيث المعروف بأنكلاي، فكتب ريحان يطلب الأمان لنفسه ولجماعة من أصحابه، فأجيب إلى ذلك، وأنفذ إليه عدد كثير من الشذا والسميريات والمعابر مع زيرك القائد صاحب مقدمة أبي العباس، فسلك النهر المعروف باليهودي، حتى وافى الموضع المعروف بالمطوعة، فألقى به ريحان ومن معه من أصحابه، وقد كان الموعد تقدم في موافاة ذلك الموضع زيرك ريحان ومن معه، فوافى بهم دار الموفق، فأمر لريحان بخلع، وحمل على عدة من أفراس بآلتها، وأجيز بجائزة سنية، وخلع على أصحابه، وأجيزوا على أقدارهم، وضم إلى أبي العباس، وأمر بحمله وحمل أصحابه والمصير بهم إلى إزاء دار الخبيث، فوقفوا هنالك في الشذا، فعفروا خروج ريحان وأصحابه في الأمان، وما صاروا إليه من الإحسان، فاستأمن في ساعتهم تلك من اصحاب ريحان الذين كانوا تخلفوا وغيرهم جماعة، فألحقوا في البر والإحسان بأصحابهم، وكان خروج ريحان بعد الوقعة التي كانت يوم الأربعاء في يوم الأحد ليلة بقيت من ذي الحجة سنة سبع وستين ومائتين.

وفي هذه السنة أقبل أحمد بن عبد الله الخجستاني يريد العراق بزعمه، حتى صار إلى سمنان، وتحصن منه أهل الري وحصنوا مدينتهم، ثم انصرف من سمنان راجعا إلى خراسان.

وفيها انصرف خلق كثير من طريق مكة في البداية لشدة الحر، ومضى خلق كثير، فمات ممن مضى خلق كثير من شدة الحر، وكثير منهم من العطش، وذلك كله في البداية، وأوقعت فزارة فيها بالتجار، فأخذوا- فيما ذكر- منهم سبعمائة حمل بز.

وفيها اجتمع بالموسم عامل لأحمد بن طولون في خيله وعامل لعمر بن الليث في خيله، فنازع كل واحد منهما صاحبه في ركز عليه على يمين المنبر في مسجد إبراهيم خليل الرحمن، وادعى كل واحد منهما أن الولاية

لصاحبه، وسلا السيوف، فخرج معظم الناس من المسجد، واعان موالي هارون ابن محمد من الزنج صاحب عمرو بن الليث، فوقف

حيث أراد، وقصر هارون- وكان عامل مكة- الخطبة وسلم الناس، وكان المعروف بأبي المغيرة المخزومي حينئذ يحرس في جميعه. وفيها نفي الطباع عن سامرا.

وفيها ضرب الخجستاني لنفسه دنائير ودراهم ووزن الدينار منها عشرة دوانيق، ووزن الدرهم ثمانية دوانيق، عليه: الملك والقدرة لله، والحول والقوة بالله، لا إله الا الله محمد رسول الله، وعلى جانب منه: المعتمد على الله باليمن والسعادة، وعلى الجانب الآخر: الوافي أحمد بن عبد الله. وجج بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي.

٩٠٥٠ سنة ثمان وستين ومائتين

٩٠٥٠١ ذكر خبر استئمان جعفر بن ابراهيم إلى ابى احمد الموفق

ثم دخلت

سنة ثمان وستين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

ذكر خبر استئمان جعفر بن ابراهيم الى ابى احمد الموفق

فمن ذلك ما كان من استئمان جعفر بن إبراهيم المعروف بالسجان إلى أبي أحمد الموفق في يوم الثلاثاء في غرة المحرم منها وذكر أن السبب كان في ذلك الوقعة التي كانت لأبي أحمد في آخر ذي الحجة من سنة سبع وستين ومائتين التي ذكرناها قبل، وهرب ريحان بن صالح المغربي من عسكر الفاجر وأصحابه ولحقه بأبي أحمد، فنخب قلب الخبيث لذلك، وذلك أن السجان كان- فيما قيل- أحد ثقاته، فأمر أبو أحمد للسجان هذا بخلع وجوائز وصلات وحملات وأرزاق، وأقيمت له أنزال، وضم إلى أبي العباس، وأمره بحمله في الشدة إلى إزاء قصر الفاسق، حتى رآه وأصحابه، وكلهم السجان، وأخبرهم أنهم في غرور من الخبيث، وأعلمهم ما قد وقف عليه من كذبه وفجوره، فاستأمن في هذا اليوم الذي حمل فيه السجان من عسكر الخبيث خلق كثير من قواده الزنج وغيرهم، وأحسن إليهم، وبتابع الناس في طلب الأمان والخروج من عند الخبيث، ثم أقام أبو أحمد بعد الوقعة التي ذكرت أنها كانت لليلة بقيت من ذي الحجة من سنة سبع وستين ومائتين، لا يعبر إلى الخبيث لحرب، يحجم بذلك أصحابه إلى شهر ربيع الآخر.

وفي هذه السنة صار عمرو بن الليث إلى فارس لحرب عامله محمد بن الليث عليها، فهزمه عمرو، واستباح عسكره، وأفلت محمد بن الليث في نفر، ودخل عمرو إصطخر، فانتهبها أصحابه، ووجه عمرو في طلب محمد بن الليث فظفر به، وأتي به أسيرا، ثم صار عمرو إلى شيراز فأقام بها

٩٠٥٠٢ ذكر خبر عبور الموفق إلى مدينه الزنج

وفي شهر ربيع الأول منها زلزلت بغداد لثمان خلون منه، وكان بعد ذلك ثلاثة أيام مطر شديد، ووقعت بها أربع صواعق وفيها زحف العباس بن أحمد بن طولون لحرب أبيه، فخرج إليه أبوه أحمد إلى الإسكندرية، فظفر به وورده إلى مصر فرجع معه إليها. ذكر خبر عبور الموفق الى مدينه الزنج

ولأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر منها عبر أبو أحمد الموفق إلى مدينة الفاجر، بعد أن أوهى قوته في مقامه بمدينه الموفقيه، بالتضييق عليه والحصار، ومنعه وصول المير إليه، حتى استأمن إليه خلق كثير من أصحابه، فلما أراد العبور إليها أمر- فيما ذكر- ابنه أبا العباس بالقصد للموضع الذي كان قصده من ركن مدينة الخبيث الذي يحوطه بابنه وجلة أصحابه وقواده، وقصد أبو أحمد موضعا من السور فيما بين النهر المعروف بمنكى والنهر المعروف بابت سمعان، وأمر صاعدا وزيره بالقصد لفوهة النهر المعروف بجري كور، وتقدم إلى زيرك في مكافئته، وأمر مسرورا البلخي بالقصد النهر الغربي، وضم إلى كل واحد منهم من الفعلة جماعة لهدم ما يليهم من السور، وتقدم إلى جميعهم ألا يزيدوا على هدم السور، وألا يدخلوا مدينة الخبيث.

وكل بكل ناحية من النواحي التي وجه إليها القواد شذوات فيها الرماة، وأمرهم أن يحمو بالسهم من يهدم السور من الفعلة والرجالة الذين يخرجون للمدافعة عنهم، فثلم في السور ثلم كثيرة، ودخل أصحاب أبي أحمد مدينة الفاجر من جميع تلك الثلم، وجاء أصحاب الخبيث يحاربونهم، فهزمهم أصحاب أبي أحمد، وأتبعوهم حتى وغلوا في طلبهم، واختلفت بهم طرق المدينة، وفرقت بينهم السكك والفجاج، فانتهاوا إلى أبعد من الموضع الذي كانوا وصلوا إليه في المرة التي قبلها، وحرقوا وقتلوا.

ثم تراجع أصحاب الخبيث، فشدوا على أصحاب أبي أحمد، وخرج كمنائهم من نواح يهتدون لها ولا يعرفها الآخرون، فتحير من كان داخل

٩٥٥٠٣ ذكر وقعه ابى العباس بمن كان يمد الزنج من الاعراب

المدينة من أصحاب أبي أحمد، ودافعوا عن أنفسهم، وتراجعوا نحو دجلة حتى وافاها أكثرهم، فنهض من دخل السفينة، ومنهم من قذف نفسه في الماء، فأخذه أصحاب الشذا، ومنهم من قتل وأصاب أصحاب الخبيث أسلحة وأسلابا، وثبت جماعة من غلمان أبي أحمد بحضرة دار ابن سمعان، ومعهم راشد وموسى بن أخت مفلح، في جماعة من قواد الغلمان كانوا آخر من ثبت من الناس، ثم أحاط بهم الزنج وكثروهم، وحالوا بينهم وبين الشذا، فدافعوا عن أنفسهم وأصحابهم، حتى وصلوا إلى الشذا فركبوا.

وأقام نحو من ثلاثين غلاما من الديلمة في وجوه الزنج وغيرهم، يحمون الناس، ويدفعون عنهم حتى سلموا، وقتل الثلاثون من الديلمة عن آخرهم، بعد ما نالوا من الفجار ما أحبوا، وعظم على الناس ما نالهم في هذه الواقعة، وانصرف أبو أحمد بمن معه إلى مدينته الموقية، وأمر يجمعهم وعذلهم على ما كان منهم من مخالفة أمره، والافتيات عليه في رأيه وتدييره، وتوعدهم بأغلظ العقوبة إن عادوا لخلاف أمره بعد ذلك، وأمر بإحصاء المفقودين من أصحابه فاحصوا له، فأتي بأسمائهم، وأقر ما كان جاريا لهم على أولادهم وأهاليهم، فحسن موقع ذلك منهم، وزاد في صحة نياتهم لما رأوا من حياطته خلف من أصيب في طاعته.

ذكر وقعه ابى العباس بمن كان يمد الزنج من الاعراب

وفيها كانت لأبي العباس وقعة يقوم من الأعراب الذين كانوا يميرون الفاسق اجتاحتهم فيها.

ذكر الخبر عن السبب الذي كانت من أجله هذه الواقعة:

ذكر أن الفاسق لما خرب البصرة ولاها رجلا من قدماء أصحابه يقال له أحمد بن موسى بن سعيد المعروف بالقلوص، فكان يتولى أمرها، وصارت

فرصة للفاسق يردها الأعراب والتجار، ويأتونها بالمير وأنواع التجارات، ويحمل ما يردها إلى عسكر الخبيث، حتى فتح أبو أحمد طهيثا، وأسر القلوص فولى الخبيث ابن أخت القلوص - يقال له مالك بن بشران - البصرة وما يليها: فلما نزل أبو أحمد فرات البصرة خاف الفاجر إيقاع أبي أحمد بمالك هذا، وهو يومئذ نازل بسيحان على نهر يعرف بنهر ابن عتبة فكتب إلى مالك يأمره بنقل عسكره إلى النهر المعروف بالديناري، وأن ينفذ جماعة ممن معه لصيد السمك وإدراار حمله إلى عسكره، وإن يوجه قوما إلى الطريق التي يأتي منها الأعراب من البادية، ليعرف ورود من يرد منهم بالمير، فإذا وردت رفقة من الأعراب خرج إليها بأصحابه، حتى يحمل ما تأتي به إلى الخبيث، ففعل ذلك مالك ابن أخت القلوص، ووجه إلى البطيحة رجلين من أهل قرية بسمى، يعرف أحدهما بالريان والآخر الخليل، وكانا مقيمين بعسكر الخبيث، فنهض الخليل والريان وجمعا جماعة من أهل الطف، وأتيا قرية بسمى، فأقاما بها يحملان السمك من البطيحة أولا أولا إلى عسكر الخبيث في الزواريق الصغار التي تسلك بها الأنهار الضيقة والأرخبجان التي لا تسلكها الشذا والسميريات، فكانت مواد سمك البطيحة متصلة إلى عسكر الخبيث بمقام هذين الرجلين بحيث ذكرنا، واتصلت أيضا مير الأعراب وما كانوا يأتون به من البادية فاتسع أهل عسكره، ودام ذلك إلى أن استأمن إلى الموفق رجل من أصحاب الفاجر الذين كانوا مضمومين إلى القلوص، يقال له علي بن عمر، ويعرف بالنقاب، فأخبر بخبر مالك بن بشران ومقامه بالنهر المعروف بالديناري، وما يصل إلى عسكر الخبيث بمقامه هناك من سمك البطيحة وجلب الأعراب فوجه الموفق زيرك مولاه في الشذا والسميريات إلى الموضع الذي به ابن أخت القلوص، فأوقع به وبأهل عسكره، فقتل منهم فريقا وأسر فريقا، وتفرق أهل ذلك العسكر، وانصرف مالك إلى الخبيث مفلولا، فرده الخبيث في جمع إلى

مؤخر النهر المعروف باليهودي، فعسكر هنالك بموضع قريب من النهر المعروف بالفياض، فكانت المير تتصل بعسكر الخبيث مما يلي سبخة الفياض فانتهى خبر مالك ومقامه بمؤخر نهر اليهودي ووقع المير من تلك الناحية إلى عسكر الفاجر إلى الموفق، فأمر ابنه أبا العباس بالمصير إلى نهر الأمير، والنهر المعروف بالفياض لتعرف حقيقة ما انتهى إليه من ذلك، فنفذ الجيش، فوافق جماعة من الأعراب يرأسهم رجل قد أورد من البادية إبلا وغنما وطعاما، فأوقع بهم أبو العباس، فقتل منهم جماعة وأسر الباقين، ولم يفلت من القوم إلا رئيسهم، فإنه سبق على حجر كانت تحته، فأمعن هربا، وأخذ كل ما كان أولئك الأعراب أتوا به من الإبل والغنم والطعام، وقطع أبو العباس يد أحد الأسرى وأطلقه، فصار إلى معسكر الخبيث، فأخبرهم بما نزل به، فريح مالك ابن أخت القلوص بما كان من إيقاع أبي العباس بهؤلاء الأعراب فاستأمن إلى أبي أحمد، فأومن وحيي وكسي وضم إلى أبي العباس وأجريت له الأرزاق، وأقيمت له الأنزال وأقام الخبيث مقام مالك رجلا كان من أصحاب القلوص، ويقال له أحمد بن الجنيد، وأمره أن يعسكر بالموضع المعروف بالدهرشير ومؤخر نهر أبي الخصيب، وأن يصير في أصحابه إلى ما يقبل من سمك البطيحة، فيحمله إلى عسكر الخبيث، وتأدى إلى أبي أحمد خبر أحمد بن الجنيد، فوجه قائدا من قواد الموالي يقال له الترمدان في جيش، فعسكر بالجزيرة المعروفة بالروحية، فانقطع ما كان يأتي إلى عسكر الخبيث من سمك البطيحة، ووجه الموفق شهاب بن العلاء ومحمد بن الحسن العنبريين في خيل لمنع الأعراب من حمل المير إلى عسكر الخبيث، وأمر بإطلاق السوق لهم بالبصرة، وحمل ما يريدون امتياريه من التمر، إذ كان ذلك سبب مصيرهم إلى عسكر الخبيث، فتقدم شهاب ومحمد لما أمرا به، فأقاما بالموضع المعروف بقصر عيسى، فكان الأعراب يوردون إليهما ما يجلبونه من البادية، ويمتارون التمر مما قبلهما.

ثم صرف أبو أحمد الترمدان عن البصرة، ووجه مكانه قائدا من قواد الفراغنة، يقال له قيصر بن أرخوز إخشاذ فراغنة، ووجه نصيرا المعروف بأبي حمزة في الشذا والسميريات، وأمره بالمقام بفيض البصرة ونهر ديبس

٩٠٥٠٠٤ أخبار متفرقة

وأن يحترق نهر الأبله ونهر معقل ونهر غربي، ففعل ذلك.

قال محمد بن الحسن: وحدثني محمد بن حماد، قال: لما انقطعت المير عن الخبيث وأشياعه بمقام نصير وقيصر بالبصرة، ومنعهم الميرة من البطيحة والبحر بالشذا، صرفوا الحيلة إلى سلوك نهر الأمير إلى القندل، ثم سلوك المسيحي إلى الطرق المؤدية إلى البر والبحر، فكانت ميره من البر والبحر، وامتيازهم سمك البحر من هذه الجهة، فانتهى ذلك إلى الموفق، فأمر رشيقا غلام أبي العباس باتخاذ عسكر بجويث بارويه في الجانب الشرقي من دجلة بإزاء نهر الأمير، وأن يحفر له خندقا حصينا، وأمر أبا العباس أن يضم إلى رشيق من خيار أصحابه خمسة آلاف رجل وثلاثين شذاة، وتقدم إلى رشيق في ترتيب هذه الشذا على فوهة نهر الأمير، وأن يجعل على كل خمس عشرة شذاة منها نوبة يلج فيها نهر الأمير، حتى ينتهي إلى المعترض الذي كان الزنج يسلكونه إلى دبا والقندل والنهر المعروف بالمسيحي، فيكون هناك، فإن طلع عليهم من الخبثاء طالع أوقعوا به، فإذا انقضت نوبتهم انصرفوا وعاقبهم أصحابهم المقيمون على فوهة النهر ففعلوا مثل هذا الفعل فعسكر رشيق في الموضع الذي أمر بترتيبه به، فانقطعت طرق الفجرة التي كانوا يسلكونها إلى دبا والقندل والمسيحي، فلم يكن لهم سبيل إلى بر ولا بحر، فضاقت عليهم المذاهب، واشتد عليهم الحصار.

[أخبار متفرقة]

وفيهما أوقع أخو شركب بالنجستان وأخذ أمه.

وفيهما وثب ابن شبيب بن الحسن، فأخذ عمر بن سيما والي حلوان وفيها انصرف أحمد بن أبي الأصبع من عند عمرو بن الليث، وكان عمرو قد وجهه إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف، فقدم معه بمال، فوجه عمرو مما صودر عليه ثلاثمائة ألف دينار ونيفا وهدية فيها خمسون منا مسكا وخمسون منا عنبرا، ومائتا من عودا، وثلاثمائة ثوب وشي وغيره، وآتية ذهب وفضة ودواب وغللمان بقيمة مائتي ألف دينار، فكان ما حمل واهدى بقيمة خمسمائة ألف دينار

٩٥٠٠٥ ذكر خبر إيقاع رشيق بمن اعان الزنج من تميم

وفيهما ولي كيغلغ الخليل بن ريمال حلوان، فنالهم بالمكاره بسبب عمر ابن سيما وأخذهم بجزيرة ابن شبت، فضمنوا له خلاص ابن سيما وإصلاح أمر ابن شبت.

سنه ٢٦٨

ذكر خبر إيقاع رشيق بمن اعان الزنج من تميم

وفيهما أوقع رشيق غلام أبي العباس بن الموفق يقوم من بني تميم، كانوا أعانوا الزنج على دخول البصرة وإحراقها، وكان السبب في ذلك انه كان انتهى إليه أن قوما من هؤلاء الأعراب قد جلبوا ميرة من البر إلى مدينة الخبيث، طعاما وإبلا وغنما، وأنهم في مؤخر نهر الأمير ينتظرون سفنا تأتيهم من مؤخر عسكر الفاجر تحملهم وما معهم فسرى إليهم رشيق في الشذا، فوافى الموضع الذي كانوا حلوا به، وهو النهر المعروف بالإسحاق، فأوقع بهم وهم غارون، فقتل أكثرهم وأسر جماعة منهم وهم تجار كانوا خرجوا من عسكر الخبيث لجلب الميرة، وحوى ما كان معهم من أصناف المير والشاء والإبل والخمير التي كانوا حملوا عليها الميرة فحمل الأسرى والرءوس في الشذا وفي سفن كانت معه إلى الموفقية، فأمر الموفق فعلمت الرءوس في الشذا، وصلب الأسارى هنالك، وأظهر ما صار إلى رشيق وأصحابه، وطيف بذلك في أقطار العسكر، ثم أمر بالرءوس والأسارى، فاجتيز بهم على عسكر الخبيث حتى عرفوا ما كان من رشيق من الإيقاع بجالي المير إليهم، ففعل ذلك وكان فيمن ظفر به رشيق رجل من الأعراب، كان يسفر بين صاحب الزنج والأعراب في جلب الميرة، فأمر به الموفق فقطعت يده ورجله، وألقي في عسكر الخبيث ثم أمر بضرب أعناق الأسارى فضربت، وسوغ أصحاب رشيق ما أصابوا من أموالهم، وأمر لرشيق بخلع وصلة، وردّه إلى عسكره، فكثرت المستأمنون إلى رشيق فأمر أبو أحمد بضم من خرج منهم إلى رشيق إليه، فكثروا حتى كان كأكثر العساكر جمعا، وانقطعت عن

الخبيث وأصحابه المير من الوجوه كلها، وانسد عليهم كل مسلك كان لهم، فأضر بهم الحصار، وأضعف أبدانهم، فكان الأسير منهم يؤسر، والمستأمن يستأمن، فيسأل عن عهده بالخيز، فيعجب من ذلك، ويذكر أن عهده بالخيز مذ سنة وستين فلما صار أصحاب الخائن إلى هذه الحال، رأى الموفق أن يتابع الإيقاع بهم، ليزيدهم بذلك ضرا وجهدا، فخرج إلى أبي أحمد في هذا الوقت في الأمان خلق كثير، واحتاج من كان مقيما في حيز الفاسق إلى الحيلة لقوته، فتفرقوا في القرى والأنهار النائية عن معسكرهم في طلب القوت، فتأدى الخبر بذلك إلى أبي أحمد، فأمر جماعة من قواد غلمانه السودان وعرفائهم بأن يقصدوا المواضع التي يعتادها الزنج، وأن يستميلوهم ويستدعوا طاعتهم، فن أبى الدخول منهم في ذلك قتلوه وحملوا رأسه، وجعل لهم جعلا، فحرصوا وواظبوا على الغدو والرواح، فكانوا لا يخلون في يوم من الأيام من جماعة يجلبونهم، ورءوس يأتون بها، وأسارى يأسرونهم.

قال محمد بن الحسن: قال محمد بن حماد: ولما كثرت أسارى الزنج عند الموفق، أمر باعتراضهم، فن كان منهم ذا قوة وجلد ونهوض بالسلاح من عليه، وأحسن إليه، وخطه بغلمانه السودان، وعرفهم ما لهم عنده من البر والإحسان، ومن كان منهم ضعيفا لا حراك به، أو شيخا فانيا لا يطيق حمل السلاح، أو مجروحا جراحة قد أزمته، أمر بأن يكسى ثوبين، ويوصل بدراهم، ويزود ويحمل إلى عسكر الخبيث، فيلقى هناك بعد ما يؤمر بوصف ما عين من إحسان الموفق إلى كل من يصير إليه، وأن ذلك رأيه في جميع من يأتيه مستأمنا ويأسره منهم، فتهبأ له من ذلك ما أراد من استمالة أصحاب صاحب الزنج، حتى استشعروا الميل إلى ناحيته والدخول في سلمه وطاعته، وجعل الموفق وابنه أبو العباس يغاديان حرب الخبيثة ومن معه، ويراوحانها بأنفسهما ومن معهما، فيقتلان ويأسران ويجرحان، وأصاب أبا العباس في بعض تلك الوقعات سهم جرحه فبرا منه.

٩٥٠٠٦ ذكر الخبر عن قتل بهوذ بن عبد الوهاب

ذكر الخبر عن قتل بهوذ بن عبد الوهاب
وفي رجب من هذه السنة قتل بهوذ صاحب الخبيث.
ذكر الخبر عن سبب مقتله:

ذكر أن أكثر أصحاب الفاسق غارات، وأرشدتهم تعرضا لقطع السبيل وأخذ الأموال، كان بهبوذ بن عبد الوهاب، وكان قد جمع من ذلك مالا جليلا، وكان كثير الخروج في السميريات الخفاف، فيخترق الأنهار المؤدية إلى دجلة، فإذا صادف سفينة لأصحاب الموفق أخذها فأدخلها النهر الذي خرج منه، فإن تبعه تابع حتى توغل في طلبه خرج عليه من النهر قوم من أصحابه قد أعدهم لذلك، فاقتطعوه وأوقعوا به، فلما كثر ذلك وتحرز منه ركب شذاة، وشبهها بشذوات الموفق، ونصب عليها مثل أعلامه، وسار بها في دجلة، فإذا ظفر بغرة من أهل العسكر أوقع بهم، فقتل وأسر، ويتجاوز إلى نهر الأبله ونهر معقل وبتق شيرين ونهر الدير فيقطع السبل، ويعبث في أموال السابلة ودمائهم، فرأى الموفق عند ما انتهى إليه من أفعال بهبوذ أن يسكر جميع الانهار التي يخف سكرها، ويرتب الشذاه على فوهة الأنهار العظام، ليأمن عبث بهبوذ وأشيعاه، ويأمن سبل الناس ومسالكتهم فلما حرست هذه المسالك، وسكر ما أمكن سكره من الأنهار، وحيل بين بهبوذ وبين ما كان يفعل، أقام منتهزا فرصة في غفلة أصحاب الشذا الموكلين بفوهة نهر الأبله، حتى إذا وجد ذلك اجتاز من مؤخر نهر أبي الخصيب في شذوات مثل أصحاب الموفق وسميرياتهم، ونصب عليها مثل أعلامهم، وشحنها بجلد أصحابه وأنجدهم وشجعانهم، واعترض بها في معترض يؤدي إلى النهر المعروف باليهودي، ثم سلك نهر نافذ حتى خرج منه إلى نهر الأبله، وانتهى إلى الشذوات والسميريات المرتبة لحفظ النهر، وأهلها غارون غافلون، فأوقع بهم، وقتل جمعا، وأسر أسرى، وأخذ ست شذوات، وكر راجعا في نهر الأبله، وانتهى الخبر بما كان من بهبوذ

إلى الموفق، فأمر أبا العباس بمعارضته في الشذا من النهر المعروف باليهودي، ورجا أن يسبقه إلى المعترض فيقطعه عن الطريق المؤدي إلى مأمته.

فوافى أبو العباس الموضع المعروف بالمطوعة، وقد سبق بهبوذ، فوج النهر المعروف بالسعيدى، وهو نهر يؤدي إلى نهر أبي الخصيب وبصر أبو العباس بشذوات بهبوذ، وطمع في إدراكها، فجد في طلبها، فأدركها ونشبت الحرب، فقتل أبو العباس من أصحاب بهبوذ جمعا، وأسر جمعا، واستأمن إليه فريق منهم، وتلقى بهبوذ من أشيعاه خلق كثير، فعاونوه ودافعوا عنه دفعا شديدا، وقد كان الماء جزر، فجرت شذواته في الطين في المواضع التي نضب الماء عنها من تلك الأنهار والمعارضات، فأقلت بهبوذ والباقون من أصحابه بجريرة الذقن. وأقام الموفق على حصار الخبيث ومن معه، وسد المسالك التي كانت المير تأتيم منها، وكثر المستأمنون منهم، فأمر الموفق لهم بالخلع والجوائز، وحملوا على الخيل الجياد بسروجها ولجها وآلتها، وأجريت لهم الأرزاق، وانتهى الخبر إلى الموفق بعد ذلك أن الضر والبؤس قد أحوج جماعة من أصحاب الخبيث إلى التفرق في القرى لطلب القوت من السمك والتمر، فأمر ابنه أبا العباس بالمصير إلى تلك القرى والنواحي والإسراع إليها في الشذا والسميريات، وما خف من الزواريق وأن يستصحب جلد أصحابه وشجعانهم وأبطالهم ليحول بين هؤلاء الرجال والرجوع إلى مدينة صاحب الزنج، فتوجه أبو العباس لذلك، وعلم الخبيث بمسير أبي العباس له، فأمر بهبوذ أن يسير في أصحابه في المعارضات والأنهار الغامضة ليخفي خبره، إلى أن يوافي القندل وبراسان ونواحيها، فهض بهبوذ لما أمره به الخبيث من ذلك فاعترضت له في طريقه سميرية من سميريات أبي العباس، فيها غلمان من غلمانه الناشبة في جماعة الزنج، فقصد بهبوذ لهذه السميرية طامعا فيها، فخاربه أهلها،

٩٠٥٠٧ أخبار متفرقة

فأصابته طعنة في بطنه من يد غلام من مقاتلة السميرية أسود، فهوى إلى الماء، فابتدره أصحابه، فحملوه، وولوا منهزمين إلى عسكر الخبيث، فلم يصلوا به إليه، حتى أراح الله منه، فعظمت الفجيعة به على الفاسق وأوليائه، واشتد عليه جزعهم، وكان قتله الخبيث من أعظم الفتوح، وخفي هلاكه على أبي أحمد، حتى استأمن رجل من الملاحين، فأنبى إليه الخبر، فسر بذلك، وأمر بإحضار الغلام الذي ولي قتله، فأحضر، فوصله وكساه وطوقه، وزاد في أرزاقه، وأمر لجميع من كان في تلك السميرية بجوائز وخلع وصلات.

[أخبار متفرقة]

وفي هذه السنة كان أول شهر رمضان منها يوم الأحد، وكان الأحد الثاني من السعانيين وفي الأحد الثالث الفصح، وفي الأحد الرابع

النيروز، وفي الأحد الخامس انصلاح الشهر.
 وفيها ظفر أبو أحمد بالذوائبي، وكان مميلا لصاحب الزنج.
 وفيها كانت وقعة بين يدكوتكين بن أساتكين وأحمد بن عبد العزيز، فهزمه يدكوتكين وغلبه على قم وفيها وجه عمرو بن الليث قائدا بأمر أبي أحمد إلى محمد بن عبيد الله بن أزارمرد الكردي، فأسره القائد وحمله إليه.
 وفي ذي القعدة منها خرج رجل من ولد عبد الملك بن صالح الهاشمي بالشام يقال له بكار بين سلمية وحلب وحمص، فدعا لأبي أحمد، فخاربه ابن عباس الكلابي، فانهزم الكلابي، ووجه إليه لؤلؤ صاحب ابن طولون قائدا يقال له بودن في عسكر وجيش كثيف، فرجع وليس معه كثير أحد ٤ وفيها أظهر لؤلؤ الخلاف على ابن طولون.
 وفيها قتل صاحب الزنج ابن ملك الزنج، وكان بلغه أنه يريد اللحاق بأبي أحمد وفيها قتل أحمد بن عبد الله الخجستاني، قتله غلام له في ذي الحجة.
 وفيها قتل أصحاب ابن أبي الساج محمد بن علي بن حبيب اليشكري بالقرية ناحية واسط، ونصب رأسه ببغداد وفيها حارب محمد بن كمشجور علي بن الحسين كفتمر، فأسر ابن كمشجور كفتمر ثم أطلقه، وذلك في ذي الحجة.
 وفيها أسر العلوي الذي يعرف بالحرون، وذلك أنه اعترض الخريطة التي يوجه بها بخبر الموسم فأخذها، فوجه خليفة ابن أبي الساج على طريق مكة من أخذ الحرون، ووجهه إلى الموفق.
 وفيها كان مصير أبي المغيرة المخزومي إلى مكة، وعاملها هارون بن محمد بن إسحاق الهاشمي، فجمع هارون جمعا نحو من ألفين، فامتنع بهم منه فصار المخزومي إلى عين مشاش فعورها، وإلى جدة، فنهب الطعام، وحرقت بيوت أهلها، فصار الخبز بمكة أوقيتان بدرهم.
 وفيها خرج ابن الصقلبية طاغية الروم، فأناخ على ملطية، وأعانهم أهل مرعش والحدث، فانهزم الطاغية، وتبعوه إلى السريع وغزا الصائفة من ناحية الثغور الشامية خلف الفرغاني عامل ابن طولون، فقتل من الروم بضعة عشر ألفا، وغنم الناس، فبلغ السهم أربعين دينارا.
 ووج بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق الهاشمي، وابن أبي الساج على الأحداث والطريق.

٩٠٥١ سنة تسع وستين ومائتين

٩٠٥١.١ ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ثم دخلت

سنة تسع وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من إدخال العلوي المعروف بالحرون عسكر أبي أحمد في المحرم على جمل، وعليه قباء ديباج وقلنسوة طويلة، ثم حمل في شذاة، ومضي به حتى وقف به حيث يراه صاحب الزنج، ويسمع كلام الرسل.
 وفي المحرم منها قطع الأعراب على قافلة من الحاج بين توز وسميراء، فسلبهم واستاقوا نحو من خمسة آلاف بعير بأحمالها وأناسا كثيرين.
 وفي المحرم منها في ليلة أربع عشرة انخسف القمر وغاب منخسفا، وانكسفت الشمس يوم الجمعة لليلتين بقيتا من المحرم وقت المغيب، وغابت منكسفة، فاجتمع في المحرم كسوف الشمس والقمر.
 وفي صفر منها كان ببغداد وثوب العامة بإبراهيم الخليجي، فانتهبوا داره، وكان السبب في ذلك أن غلاما له رمى امرأة بسهم فقتلها، فاستعدى السلطان عليه، فبعث إليه في إخراج الغلام، فامتنع ورمى غلمانه الناس، فقتلوا جماعه وجرحوا جماعه، فنعهم من أعوان السلطان رجلا، فهرب وأخذ غلمانه، ونهب منزله ودوابه، فجمع محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر - وكان على الجسر من قبل أبيه - دواب إبراهيم، وما قدر عليه مما نهب له، وأمر عبيد الله بتسليم ذلك إليه، وأشهد عليه.

برده عليه وفيها وجه ابن أبي الساج بعد ما صار إلى الطائف منصرفاً من مكة إلى جدة جيشاً، فأخذوا للمخزومي مركبين فيهما مال وسلاح.

وفيها أخذ رومي بن حسنج ثلاثة نفر من قواد الفراغة، يقال لأحدهم صديق، والآخر طخشي، ولثالث طغان، فقيدهم، وجرح صديق جراحات وأفلت.

وفيها كان وثوب خلف صاحب أحمد بن طولون في شهر ربيع الاول

٩٠٥١٠٢ ذكر خبر اصابه الموفق

منها بالثغور الشامية، وهو عامله عليها، بيازمان الخادم مولى الفتح بن خاقان فخبسه، فوثبت جماعه من اهل الثغر بخلف، وتخلصوا بيازمان، وهرب خلف، وتركوا الدعاء لابن طولون، ولعنوه على المنابر، فبلغ ذلك ابن طولون، فخرج من مصر، حتى صار إلى دمشق، ثم صار إلى الثغور الشامية، فنزل أذنة، وسد بيازمان وأهل طرسوس أبوابها، خلا باب الجهاد وباب البحر، وبثقوا الماء، فجري إلى قرب أذنة وما حولها، فتحصنوا بها، فأقام ابن طولون بأذنة، ثم انصرف فرجع إلى أنطاكية، ثم مضى إلى حمص، ثم إلى دمشق فأقام بها.

وفيها خالف لؤلؤ غلام ابن طولون مولاه، وفي يده حين خالفه حمص وحلب وقنسرين وديار مصر، وسار لؤلؤ إلى بالس فنهبا، وأسر سعيداً وأخاه ابني العباس الكلبي ثم كتب لؤلؤ أبا أحمد في المصير إليه ومفارقة ابن طولون، ويشترط لنفسه شروطاً، فأجابه أبو أحمد إلى ما سأل، وكان مقيماً بالرقعة، فشخص عنها، وحمل جماعة من أهل الرافقة وغيرهم معه، وصار إلى قرقيسيا، وبها ابن صفوان العقيلي، فخاربه فأخذ لؤلؤ قرقيسيا، وسلّمها إلى أحمد بن مالك بن طوق، وهرب ابن صفوان، واقتل لؤلؤ يريد بغداد.

ذكر خبر اصابه الموفق

وفيها رمى أبو أحمد الموفق بسهم - رماه غلام رومي، يقال له قرطاس - للخيث بعد ما دخل أبو أحمد مدينته التي كان بناها لهدم سورها، وكان السبب في ذلك - فيما ذكر - أن الخيث بهوذ لما هلك، طمع الزنج فيما كان بهوذ قد جمع من الكنوز والأموال، وكان قد صح عنده أن ملكه قد حوى مائتي ألف دينار وجوهرها وذهباً وفضة لها قدر، فطلب ذلك بكل حيلة، وحرص عليه،

وحبس أوليائه وقرابته وأصحابه، وضربهم بالسياط، وأثار دوراً من دور، وهدم أبنية من أبنيته، طمعا في أن يجد في شيء منها دفيناً، فلم يجد من ذلك شيئاً، وكان فعله الذي فعله بأوليائه بهوذ في طلب المال أحد ما أفسد قلوب أصحابه، ودعاهم إلى الحرب منه والزهد في صحبتته، فأمر الموفق بالنداء في أصحاب بهوذ بالأمان، فنودي بذلك، فسارعوا إليه راغبين فيه، فألحقوا في الصلات والجوائز والخلع والأرزاق بنظرائهم ورأى أبو أحمد لما كان يتعذر عليه من العبور إلى عسكر الفاجر في الأوقات التي تهب فيها الرياح وتحرك فيها الأمواج في دجلة أن يوسع لنفسه وأصحابه موضعاً في الجانب الغربي من دجلة ليعسكر به فيما بين دير جابيل ونهر المغيرة، وأمر بقطع النخل وإصلاح موضع الخندق، وأن يحف بالخنادق، ويحصن بالسور ليأمن بيات الفجار واغتيالهم إياه، وجعل على قواده نواب، فكان لكل واحد منهم نوبة يغدو إليها برجاله، ومعه العمال في كل يوم لإحكام أمر العسكر الذي عزم على اتخاذه هنالك، فقابل الفاسق ذلك بأن جعل على علي بن أبان المهلي وسليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمداني نوباً، فكان لكل واحد منهم يوم ينوب فيه.

وكان ابن الخيث المعروف بأنكلاي يحضر في كل يوم نوبة سليمان، وربما حضر في نوبة إبراهيم ثم أقامه الخيث مقام إبراهيم بن جعفر، وكان سليمان بن جامع يحضر معه في نوبته، وضم إليه الخيث سليمان بن موسى الشعراني وأخويه، وكانوا يحضرون بحضوره، ويغيبون بغيته وعلم الخيث أن الموفق إذا جاوره في محاربتة، وقرب على من يريد اللحاق به المسافة فيما يحاول من الحرب إليه، مع ما يدخل قلوب أصحابه من الرهبة بتقارب العسكرين أن في ذلك انتقاض تدبيره، وفساد جميع أموره، فأمر أصحابه بحاربة من يعبر من القواد في كل يوم، ومنعهم من إصلاح ما يحاولون إصلاحه من أمر عسكرهم الذي يريدون الانتقال إليه، وعصفت الرياح في بعض تلك

الأيام وبعض قواد الموفق في الجانب الغربي لما كان يعبر له فاتنزه الفاسق الفرصة في انفراد هذا القائد وانقطاعه عن أصحابه، وامتناع دجلة بعصوف الريح من أن يرام عبورها، فرمى القائد المقيم في غربي دجلة بجميع جيشه، وكأثره برجاله، ولم تجد الشدوات التي كانت

تكون مع القائد الموجه سبيلا إلى الوقوف بحيث كانت تقف لمل الرياح إياها على الحجارة، وما خاف أصحابها عليها من التكرس، فقوي الزنج على ذلك القائد وأصحابه، فأزالوهم من موضعهم، وأدركوا طائفة منهم، فثبتوا فقتلوا عن آخرهم، ولجأت طائفة إلى الماء، فنبعهم الزنج، فأسروا منهم أسارى، وقتلوا منهم نفرا، وأفلت أكثرهم، وأدركوا سفنهم، فألقوا أنفسهم فيها، وعبروا إلى المدينة الموفقية، فاشتد جزع الناس لما تهباً للفسقة، وعظم بذلك اهتمامهم وتأمل أبو أحمد فيما كان دبر من النزول في الجانب الغربي من دجلة أنه أكدى، وما لا يؤمن من حيلة الفاسق وأصحابه في انتهاز فرصة، فيوقع بالعسكر بياتا، أو يجد مساعا إلى شيء مما يكون له فيه متنفس، لكثرة الأدغال في ذلك الموضع وصعوبة المسالك، وأن الزنج على التوغل إلى المواضع الوحشة أقدر، وهو عليهم أسهل من أصحابه.

فانصرف عن رأيه في نزول غربي دجلة، وجعل قصده لهدم سور الفاسق وتوسعه الطرق والمسالك منها لأصحابه، فأمر عند ذلك أن يبدأ بهدم السور مما يلي النهر المعروف بمنكى، فكان تدمير الخبيث في ذلك توجيه ابنه المعروف بأنكلاي وعلي بن أبان وسليمان بن جامع للنع من ذلك، كل واحد منهم في نوبته في ذلك اليوم، فإذا كثر عليهم أصحاب الموفق اجتمعوا جميعا لمداغمة من يأتهم.

فلما رأى الموفق تحاشد الخبيثاء وتعاونهم على المنع من الهدم للسور، أزمع على مباشرة ذلك وحضوره ليستدعي به جد أصحابه واجتهادهم، ويزيد في عنايتهم ومجاهدتهم، ففعل ذلك، واتصلت الحرب، وغلظت على الفريقين، وكثر القتلى والجراح في الحزبين كليهما، فأقام الموفق أياما يغادي الفسقة ويرأوهم، فكانوا لا يفترقون من الحرب في يوم من الأيام، وكان أصحاب أبي أحمد لا يستطيعون الولوج على الخبيثة لقنطرتين كانتا على نهر منكى كان الزنج يسلكونهما في وقت استعار الحرب، فينتهون منهما إلى طريق يخرجهم في ظهور أصحاب أبي أحمد، فينالون منهم، ويحجزونهم عن استتمام ما يحاولون من هدم السور، فرأى الموفق أعمال الحيلة في هدم هاتين القنطرتين لينزع الفسقة عن الطريق الذي كانوا يصيرون منه إلى استدبار أصحابه في وقت احتدام الحرب، فأمر قوادا من قواد غلمانه بقصد هاتين القنطرتين، وأن يختلوا الزنج، وينتهزوا الفرصة في غفلتهم عن حراستهما، وتقدم إليهم في أن يعدوا لهما من القووس والمناشير والآلات التي يحتاج إليها لقطعهما ما يكون عوناً لهم على الإسراع فيما يقصدون له من ذلك.

فانتفى الغلمان إلى ما أمروا به، وصاروا إلى نهر منكى وقت نصف النهار، فبرز لهم الزنج، فبادروا وتسرعوا، فكان ممن تسرع إليهم أبو النداء في جماعه من أصحابه يزدون على الخمسمائة، ونشبت الحرب بين أصحاب الموفق والزنج، فاقتتلوا صدر النهار، ثم ظهر غلمان أبي أحمد على الفسقة فكشفوهم عن القنطرتين، فأصاب المعروف بأبي النداء سهم في صدره وصل إلى قلبه فصرعه، وحامى أصابه على جيفته فاحتملوا، وولوا منهزمين، وتمكن قواد غلمان الموفق من قطع القنطرتين، ففقطعوها وأخرجوها إلى دجلة، وحملوا خشبها إلى أبي أحمد، وانصرفوا على حال سلامة، وأخبروا الموفق بقتل أبي النداء وقطع القنطرتين، فعظم سروره وسرور أهل العسكر بذلك، وأمر لرامي أبي النداء بصلة وافرة.

وألح أبو أحمد على الخبيث وأشياعه بالحرب، وهدم من السور ما أمكنهم به الولوج عليهم، فشغلوهم بالحرب في مدينتهم عن المدافعة عن سورهم، فأسرع

الهدم فيه، وانتهى منه إلى داري ابن سمعان وسليمان بن جامع، فصار ذلك أجمع في أيدي أصحاب الموفق، لا يستطيع الفسقة دفعهم عنه ولا منعهم من الوصول إليه، وهدمت هاتان الداران، وانتهب ما فيهما، وانتهى أصحاب الموفق إلى سوق لصاحب الزنج كان اتخذها مظلة على دجلة، سماها الميمونة، فأمر الموفق زيرك صاحب مقدمة أبي العباس بالقصد لهذه السوق، فقصد بأصحابه لذلك، وأكب عليها، فهدمت تلك السوق وأخربت، فقصد الموفق الدار التي كان صاحب الزنج اتخذها للجباية فهدمها، وانتهب ما كان فيها وفي خزائن الفاسق كانت متصلة بها.

وأمر أصحابه بالقصد إلى الموضع الذي كان الخبيث اتخذ فيه بناء سماه مسجد الجامع، فاشتدت محاماة الفسقة عن ذلك والذب عنه، بما كان الخبيث يحضهم عليه، ويوهمهم أنه يجب عليهم من نصره المسجد وتعظيمه، فيصدقون قوله في ذلك، ويتبعون فيه رأيه وصعب على أصحاب الموفق ما كانوا يرومون من ذلك، وتطاولت الأيام بالحرب على ذلك الموضع والذي حصل مع الفاسق يومئذ نخبة أصحابه وأبطالهم والموطنون أنفسهم على الصبر معه، فحاموا جهدهم، حتى لقد كانوا يقفون الموقف فيصيب أحدهم سهم أو الطعنة أو الضربة

فيسقط، فيجذبه الذي إلى جنبه ويقف موقفه إشفاقاً من أن يخلو موقف رجل منهم، فيدخل الخلل على سائر أصحابه. فلما رأى أبو أحمد صبر هذه العصابة ومحاماتها، وتطاول الأيام بمدافعتها، أمر أبا العباس بالقصد لركن البناء الذي سماها الخبيث مسجداً، وأن يندب لذلك أنجاد أصحابه وغلماؤه، وأضاف إليهم الفعلة الذين كانوا أعدوا للهدم، فإذا تهيأ لهم هدم شيء أسرعوا فيه، وأمر بوضع السلالم على السور فوضعوها، وصعد الرماة فجعلوا يرشقون بالسهم من وراء السور من الفسقة، ونظم الرجال من حد الدار المعروفة بالجباي إلى الموضع الذي رتب فيه أبا العباس، وبذل الموفق الأموال والأطوق والأسورة لمن سارع إلى هدم سور الفاسق وأسواقه ودور أصحابه، فتسهل ما كان يصعب بعد محاربة طويلة وشدة، فهدم البناء الذي كان الخبيث سماه مسجداً، ووصل إلى منبره فاحتمل، فأتي به الموفق، وانصرف به إلى مدينته الموقية جذلاً مسروراً ثم عاد الموفق لهدم السور فهدمه من حد الدار المعروفة بأنكلاي إلى الدار المعروفة بالجباي.

وأفضى أصحاب الموفق إلى دواوين من دواوين الخبيث وخزائن من خزائنه، فانتهت وأحرقت، وكان ذلك في يوم ذي ضباب شديد، قد ستر بعض الناس عن بعض، فما يكاد الرجل يبصره صاحبه فظهر في هذا اليوم للموفق تبشير الفتح، فإنهم لعل ذلك، حتى وصل سهم من سهام الفسقة إلى الموفق، رماه به غلام رومي كان مع الفاسق يقال له قرطاس، فأصابه في صدره، وذلك في يوم الاثنين لخمس بقين من جمادى الأولى سنة تسع وستين ومائتين، فستر الموفق ما ناله من ذلك السهم، وانصرف إلى المدينة مع الموقية، فعولج في ليلته تلك من جراحته، وبات ثم عاد إلى الحرب على ما به من ألم الجراح، يشد بذلك قلوب أوليائه من أن يدخلها وهم أو ضعف، فزاد ما حمل نفسه عليه من الحركة في قوة عنته، فغلظت وعظم امرها حتى خيف عليه، واحتاج إلى علاجه بأعظم ما يعالج به الجراح، واضطرب لذلك العسكر والجند والرعية، وخافوا قوة الفاسق عليهم، حتى خرج عن مدينته جماعة ممن كان مقيماً بها، لما وصل إلى قلوبهم من الرهبة، وحدثت في حال صعوبة العلة عليه حادثة في سلطانه، فأشار عليه مشيرون من أصحابه وثقاته بالرحلة عن معسكره إلى مدينة السلام، ويخلف من يقوم مقامه، فأبى ذلك، وخاف أن يكون فيه ائتلاف ما قد تفرق من شمل الخبيث فأقام على صعوبة عنته عليه، وغلظ الأمر الحادث في سلطانه، فن الله بعافيته، وظهر لقواده وخاصته، وقد كان أطال الاحتجاب عنهم، فقويت بذلك منتهم، وأقام متماثلاً مودعاً نفسه إلى شعبان من هذه السنة، فلما أبل وقوي على النهوض لحرب الفاسق، تيقظ لذلك، وعاد ما كان مواظباً عليه من الحرب، وجعل الخبيث لما صح عنده

٩٠٥١٣ ذكر عزم المعتمد على اللحاق بمصر

الخبر عما أصاب أبا أحمد يعد أصحابه العدا، ويمنيهم الأماني الكاذبة، وجعل يحلف على منبره- بعد ما اتصل به الخبر بظهور أبي أحمد وركوبه الشذا- أن ذلك باطل لا أصل له، وأن الذي رأوه في الشذا مثال موه لهم وشبه لهم.

ذكر عزم المعتمد على اللحاق بمصر

وفيها في يوم السبت للتصف من جمادى الأولى، شخص المعتمد يريد اللحاق بمصر، وأقام يتصيد بالكحيل، وقدم صاعد بن مخلد من عند أبي أحمد، ثم شخص إلى سامرا في جماعة من القواد في جمادى الآخرة، وقدم قائدان لابن طولون- يقال لأحدهما أحمد بن جبقويه وللآخر محمد بن عباس الكلابي- الرقة، فلما صار المعتمد إلى عمل إسحاق بن كنداج- وكان العامل على الموصل وعامة الجزيرة- وثب ابن كنداج بمن شخص مع المعتمد من سامرا يريد مصر، وهم تينك وأحمد بن خاقان وخطارمش، فقيدهم وأخذ أموالهم ودوابهم وريقهم وكان قد كتب إليه بالقبض عليهم وعلى المعتمد، وأقطع إسحاق بن كنداج ضياعهم وضياع فارس بن بغا. وكان سبب وصوله إلى القبض على من ذكرت، أن ابن كنداج لما صار إلى عمله، وقد نفذت إليه الكتب من قبل صاعد بالقبض عليهم، أظهر أنه معهم، وعلى مثل رأيهم في طاعة المعتمد، إذ كان الخليفة، وأنه غير جائز له الخلاف عليه وقد كان مع المعتمد من القواد حذروا المعتمد المرور به، وخوفوه وثوبه بهم، فأبى إلا المرور به- فيما ذكر- وقال لهم: إنما هو مولاي وغلالي، وأريد أن أتصيد، فإن في الطريق إليه صيدا كثيراً فلما صاروا في عمله، لقيهم وسار معهم كي يرد المعتمد- فيما ذكر- منزلاً قبل وصوله إلى عمل ابن طولون، فلما أصبح ارتحل التباع والغلمان الذين كانوا مع المعتمد ومن شخص معه من سامرا، وخلا ابن كنداج بالقواد الذين مع

المعتمد، فقال لهم: إنكم قد قربتم من عمل ابن طولون والمقيم بالركة من قواده، وأنتم

٩٠٥١٠٤ أخبار متفرقة

إذا صرتم إلى ابن طولون، فالأمر أمره، وأنتم من تحت يده ومن جنده، أفترضون بذلك، وقد علمتم أنه إنما هو كواحد منكم! وجرت بينه وبينهم في ذلك مناظرة حتى تعالى النهار، ولم يرتحل المعتمد بعد لاشتغال القواد بالمناظرة بينهم بين يديه، ولم يجتمع رأيهم بعد على شيء فقال لهم ابن كنداج:

قوموا بنا حتى نتناظر في هذا في غير هذا الموضع، وأكرموا مجلس أمير المؤمنين عن ارتفاع الصوت فيه فأخذ بأيديهم، وأخرجهم من مضرب المعتمد فأدخلهم مضرب نفسه، لأنه لم يكن بقي مضرب إلا قد مضى به غير مضربه، لما كان من تقدمه إلى فراشيه وغللانه وحاشيته وأصحابه في ذلك اليوم ألا تبرحوا إلا ببراحه فلما صاروا إلى مضربه دخل عليه وعلى من معه من القواد جلة غللانه وأصحابه، وأحضرت القيود، وشد غللانه على كل من كان شخص مع المعتمد من سامرا من القواد، فقيدوهم، فلما قيدوا وفرغ من أمرهم مضى إلى المعتمد، فعذله في شؤسه عن دار ملكه وملك آبائه وفراقه أخاه على الحال التي هو بها من حرب من يحاول قتله وقتل أهل بيته وزوال ملكهم، ثم حمله والذين كانوا معه في قيودهم حتى وافى بهم سامرا.

[أخبار متفرقة]

وفيها قام رافع بن هرثمة بما كان الخجستاني غلب عليه من كور خراسان وقراها، وكان رافع بن هرثمة قد اجتبى عدة من كور خراسان خراجها سلفا لبضع عشرة سنة، فأفقر أهلها وخربها.

وفيها كانت وقعة بين الحسينيين والحسينيين والجعفرين، فقتل من الجعفرين ثمانية نفر، وعلا الجعفريون فتخلصوا الفضل بن العباس العباسي العامل على المدينة.

وفي جمادى الآخرة عقد هارون بن الموفق لابن أبي الساج على الأنبار وطريق الفرات ورحبة طوق، وولى أحمد بن محمد الطائي الكوفة وسواها المعاون والخراج، فصير المعاون باسم علي بن الحسين المعروف بكفتمر، فلقني

٩٠٥١٠٥ ذكر الخبر عن احراق قصر صاحب الزنج

أحمد بن محمد الهيصم العجلي فيها، فانهزم الهيصم واستباح الطائي أمواله وضياعه.

ولأربع خلون من شعبان منها رد إسحاق بن كنداج المعتمد إلى سامرا فنزل الجوسق المطل على الخير. ولثمان خلون من شعبان خلع على ابن كنداج، وقلد سيفين بمحائل:

أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره، وسمي ذا السيفين وخلع عليه بعد ذلك بيومين قباء ديباج ووشاحان، وتوج بتاج، وقلد سيفاً كل ذلك مفصص بالجواهر، وشيعه إلى منزله هارون بن الموفق وصاعد بن مخلد والقواد، وتغدوا عنده.

ذكر الخبر عن احراق قصر صاحب الزنج

وفي شعبان من هذه السنة أحرقت أصحاب أبي أحمد قصر الفاسق، وانتهبوا ما فيه.

ذكر الخبر عن سبب ذلك وسبب وصولهم إليه: ذكر محمد بن الحسن، أن أبا أحمد لما برأ الجرح الذي كان أصابه، عاد للذي كان عليه من مغادة الفاسق الحرب ومراوحتة، وكان الخبيث قد أعاد بناء بعض الثلم التي ثلمت في السور، فأمر الموفق بهدم ذلك، وهدم ما يتصل به، وركب في عشية من العشايا في أول وقت العصر، وقد كانت الحرب متصلة في ذلك اليوم مما يلي نهر منكى، والفسقة مجتمعون في تلك الناحية قد شغلوا أنفسهم بها، وظنوا أنهم لا يحاربون إلا فيها، فوافى الموفق وقد أعد الفعلة، وقرب على نهر منكى وناول الفسقة فيه، حتى إذا استعرت الحرب أمر الجذافين والاشتيايين أن يحثوا السير حتى ينتهوا إلى النهر المعروف بجوى كور، وهو نهر يأخذ من دجلة أسفل من النهر المعروف بنهر أبي الخصيب، ففعلوا ذلك، فوافى جوى كور، وقد خلا من المقاتلة والرجال، فقرب وأخرج الفعلة،

فهدموا من السور ما كان يلي ذلك النهر، وصعد المقاتله وولجوا النهر، فقتلوا فيه مقتلة عظيمة، وانتهاوا إلى قصور من قصور الفسقة، فانتهبوا ما كان فيها وأحرقوها، واستنقذوا عددا من النساء اللواتي كن فيها، وأخذوا خيلا من خيل الفجرة، فحملوها إلى غربي دجلة، فانصرف الموفق في وقت غروب الشمس بالظفر والسلامة، وغاداهم الحرب والقصد لهدم السور، فأسرع فيه حتى اتصل بدار المعروف بأنكلي، وكانت متصلة بدار الخبيث، فلما أعيت الحيل الخبيث في المنع من هدم السور، ودفع أصحاب الموفق عن ولوج مدينته، أسقط في يديه، ولم يدر كيف يحتال لحسم ذلك، فأشار عليه علي بن أبان المهلي بإجراء الماء على السباخ التي يسلكها أصحاب الموفق لئلا يجدوا إلى سلوكها سبيلا، وأن يحفر خنادق في مواضع عدة يعوقهم بها عن دخول المدينة، فإن حملوا أنفسهم على اقتحامها فوقعت عليهم هزيمة، لم يسهل عليهم الرجوع إلى سفنهم، ففعلوا ذلك في عدة مواضع من مدينتهم، وفي الميدان الذي كان الخبيث جعله طريقا حتى انتهت تلك الخنادق إلى قريب من داره فرأى الموفق بعد ما هيا الله له من هدم سور مدينة الفاسق ما هيا أن جعل قصده لطم الخنادق والأنهار والمواضع المعورة كي تصلح فيها مسالك الخيل والرجالة فرام ذلك، فخامى عنه الفسقة ودامت الحرب وطالت ووصل إلى الفريقين من القتل والجراح أمر عظيم، حتى لقد عد الجرحى في بعض تلك الأيام زهاء ألفي جريح، وذلك لتقارب الفريقين في وقت القتال، ومنع الخنادق كل فريق منهم عن إزالة من يارائه عن موضعهم.

فلما رأى ذلك الموفق قصد لإحراق دار الخبيث والهجوم عليها من دجلة، وكان يعوق عن ذلك كثرة ما أعد الخبيث من المقاتلة والحماة عن داره، فكانت الشدا إذا قربت من قصره رموا من سوره ومن أعلى القصر بالحجارة والنشاب والمقاليق والجانيق والعرادات، وأذيب الرصاص، وأفرغ عليهم، فكان إحراق داره يتعذر عليهم لما وصفنا، فأمر الموفق بإعداد ظلال من خشب للشدا والباسا جلود الجواميس، وتغطية ذلك بالخيش المطلي بصنوف العقاقير والأدوية التي تمنع النار من الإحراق، فعمل ذلك، وطلبت به عدة شدوات ورتب فيها جميعا شجعاء غلمانا: الراحمة والناشبة، وجعما من حذاق النفاطين وأعدهم لإحراق دار الفاسق صاحب الزنج.

فاستأمن إلى الموفق محمد بن سمعان كاتب الخبيث ووزيره في يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة تسع وستين ومائتين، وكان سبب استمائه - فيما ذكر محمد بن الحسن - أنه كان ممن امتحن بصحبته، وهو لها كاره على علم منه بضلالته قال: وكنت له على ذلك مواصلا، وكنا جميعا ندبر الحيلة في التخلص، فيتعذر علينا، فلما نزل بالخبيث من الحصار ما نزل، وتفرق عنه أصحابه، وضعف أمره، شمر في الحيلة للخلاص، وأطلعني على ذلك، وقال: قد طببت نفسا بالا استصحب ولدا ولا أهلا، وأن أنجو وحيدا، فهل لك في مثل ما عزمت عليه؟ فقلت له: الرأي لك ما رأيت، إذ كنت انما تخلف ولدا صغيرا لا سبيل للخائن عليه إلى أن يصول به، أو أن يحدث عليك فيه حدثا يلزمك عاره، فأما أنا فإن معي نساء يلزمني عارهن، ولا يسعني تعريضهن لسطوة الفاجر، فامض لشأنك، فأخبر عني بما علمت من نيتي في مخالفة الفاجر وكراهة صحبتته، وإن هيا الله لي الخلاص بولدي، فأنا سريع اللحاق بك، وإن جرت المقادير فينا بشيء كما معا وصبرنا.

فوجه محمد بن سمعان ويكلا له يعرف بالعراقي، فأتى عسكر الموفق، فأخذ له ما أراد من الأمان، وأعد له الشدا، فوافته في السبخة في اليوم الذي ذكرنا، فصار إلى عسكر الموفق وأعاد الموفق محاربة الخبيث والقصد للإحراق من غد اليوم الذي استأمن فيه محمد بن سمعان، وهو يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة تسع وستين ومائتين، في أحسن زى، وأكل عدة، ومعه الشدوات المطليه بما وصفنا، وسائر شدواته وسميريته فيها مواليه وغلمانا والمعاير التي فيها الرجالة فأمر الموفق ابنه أبا العباس بالقصد إلى دار محمد بن يحيى المعروف بالكربائي، وهي بإزاء دار الخائن في شرقي النهر المعروف بأبي الخصيب، يشرع على النهر وعلى دجلة، وتقدم إليها في إحراقها وما يليها

من منازل قواد الخائن، وشغلهم بذلك عن إنجاده ومعاونته، وأمر المرتبين في الشدا المظلمة بالقصد، لما كان مطلا على دجلة من رواشين الخبيث وأبنيتة، ففعلوا ذلك، وألصقوا شدواتهم بسور القصر، وحاربوا الفجرة أشد حرب، ونضحوهم بالنيران، وصبر الفسقة وقتلوا، فرزق الله النصر عليهم، فتزحزحوا عن تلك الرواشين والأبنية التي كانوا يحامون عليها، وأحرقها غلمان الموفق، وسلم من كان في الشدا مما كان الخبيثاء يكيدونهم به من النشاب والحجارة وصب الرصاص المذاب وغير ذلك بالظلال التي كان اتخذها على الشدا،

فكان ذلك سببا لتمكنها من دار الخبيث. وأمر الموفق من كان في الشذا بالرجوع فرجعوا، فأخرج من كان فيها من الغلمان، ورتب فيها آخرين، وانتظر إقبال المد وعلوه، فلما تهيأ ذلك عادت الشذوات المظلة إلى قصر الخبيث، فأمر الموفق من كان فيها بإحراق بيوت كانت تشرع على دجلة من قصر الفاسق، ففعلوا ذلك، فاضطربت النار في هذه البيوت، واتصلت بما يليها من الستارات التي كان الخبيث ظلل بها داره، وستور كانت على أبوابه، فقويت النار عند ذلك على الإحراق، وأعجلت الخبيث ومن كان معه عن التوقف على شيء مما كان في منزله من أمواله وذخائره وأثاثه وسائر أمتعته، فخرج هاربا، وترك ذلك كله.

وعلا غلمان الموفق قصر الخبيث مع أصحابهم، فانتهبوا ما لم تأت النار عليه من الأمتعة الفاخرة والذهب والفضة والجوهر والحلي وغير ذلك، واستنقذوا جماعة من النساء اللواتي كان الخبيث استرقهن، ودخل غلمان الموفق سائر دور الخبيث ودور ابنه أنكلاي، فأضرموها نارا، وعظم سرور الناس بما هيا الله لهم في هذا اليوم فأقام جماعة يحاربون الفسقة في مدينتهم وعلى باب قصر الخبيث، مما يلي الميدان، فأثخنوا فيهم القتل والجراح والأسر، وفعل أبو العباس في دار المعروف بالكربائي وما يتصل بها من الإحراق والهدم والنهب مثل ذلك. وقطع أبو العباس يومئذ سلسلة حديد عظيمة وثيقة كان الخبيث قطع بها نهر أبي الخصيب لينع الشذا من دخوله، وحازها، فحملت في بعض شذواته

٩٠٥١٦ ذكر الخبر عن غرق نصير المعروف بأبي حمزه

وانصرف الموفق بالناس صلاة المغرب بأجمل ظفر، وقد نال الفاسق في ذلك اليوم في نفسه وماله وولده وما كان غلب عليه من نساء المسلمين مثل الذي أصاب المسلمين منه من الذعر والجلاء وتشيت الشمل والمصيبة في الأهل والولد، وجرح ابنه المعروف بأنكلاي في هذا اليوم جراحة شديدة في بطنه اشفى منها على التلف.

ذكر الخبر عن غرق نصير المعروف بأبي حمزه

وفي غد هذا اليوم وهو يوم الأحد لعشر بقين من شعبان من هذه السنة غرق نصير. ذكر سبب غرقه:

ذكر محمد بن الحسن أنه لما كان غد هذا اليوم، باكر الموفق محاربة الخبيث، وأمر نصيرا المعروف بأبي حمزة بالقصد لقنطرة كان الخائن عملها بالسياج على النهر المعروف بأبي الخصيب، دون الجسرين اللذين اتخذهما عليه، وأمر زيرك بإخراج أصحابه مما يلي دار الجبائي لمحاربة من هناك من الفجرة، وأخرج جمعا من قوادها مما يلي دار أنكلاي لمحاربتهم أيضا، فتسرع نصير، فدخل نهر أبي الخصيب في أول المد في عدة من شذواته، فحملها المد فألصقها بالقنطرة، ودخلت عدة من شذوات موالي الموفق وغلمانهم ممن لم يكن أمر بالدخول، فحملهم المد فألقاهم على شذوات نصير، فصكت الشذوات بعضها بعضا، حتى لم يكن للاشتيامين والجذافين فيها حيلة ولا عمل ورأى الزنج ذلك، فاجتمعوا على الشذوات، وأحاطوا بها من جانبي نهر أبي الخصيب، فألقى الجذافون أنفسهم في الماء ذعرا ووجلا،

٩٠٥١٧ أخبار متفرقة

ودخل الزنج الشذوات، فقتلوا بعض المقاتلة، وغرق أكثرهم، وحاربهم نصير في شذواته حتى خاف الاسر، فقفذ نفسه في الماء فغرق، وأقام الموفق في يومه يحارب الفسقة، وينهب ويحرق منازلهم، ولم يزل باقي يومه مستعليا عليهم، وكان ممن حامى على قصر الخائن يومئذ وثبت في أصحابه سليمان بن جامع، فلم تزل الحرب بين أصحاب الموفق وبينه، وهو مقيم بموضعه لم يزل عنه إلى أن خرج في ظهره كمين من غلمان الموفق السودان، فانهزم لذلك، واتبعه الغلمان يقتلون أصحابه، ويأسرون منهم، وأصاب سليمان في هذا الوقت جراحة في ساقه، فهوى لفيه في موضع، قد كان الحريق ناله ببعض جمر فيه، فاحترق بعض جسده، وحامى عليه جماعة من أصحابه، فنجوا بعد أن كاد الأسر يحيط به، وانصرف الموفق ظافرا سالما، وضعفت الفسقة، واشتد خوفهم لما رأوا من إدارار أمرهم، وعرضت لأبي أحمد علة من وجع المفاصل، فأقام فيها بقية شعبان وشهر رمضان وأياما من شوال ممسكا عن حرب الفاسق فلما استبل من علة

ومتائل، أمر بإعداد ما يحتاج إليه للقاء الفسقه، فتأهب لذلك جميع أصحابه.
[أخبار متفرقة]

وفي هذه السنة كانت وفاة عيسى بن الشيخ بن السليل.
وفيها لعن ابن طولون المعتمد في دار العامة، وأمر بلعنه على المنابر، وصار جعفر المفوض إلى مسجد الجامع يوم الجمعة، ولعن ابن طولون وعقد لإسحاق ابن كنداج على أعمال ابن طولون، وولي من باب الشماسية إلى إفريقية وولي شرطة الخاصة.
وفي شهر رمضان منها كتب أحمد بن طولون إلى أهل الشام يدعوهم إلى نصر الخليفة، ووجد فيج يريد ابن طولون معه كتب من خليفته، جواب بأخبار، فأخذ جواب فحبس وأخذ له مال ورقيق ودواب.
وفي شوال منها كانت وقعة بين أبي الساج والأعراب، فهزموه فيها، ثم يبتهم فقتل منهم وأسر، ووجه بالراءوس والأسارى إلى بغداد، فوصلت في شوال منها

٩٠٥١٠٨ ذكر الخبر عن الوقعة التي كانت بين الموفق وبين الزنج

ولإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال منها عقد جعفر المفوض لصاعد بن مخلد على شهرزور وداباذ والصامغان وحلوان وماسبذان ومهرجاندق وأعمال الفرات، وضم إليه قواد موسى بن بغا خلا أحمد بن موسى وكيغليغ وإسحاق ابن كنداجيق وأساتكين، فعقد صاعد للؤلؤ على ما عهد له عليه من ذلك المفوض يوم السبت لثمان بقين من شوال، وبعث إلى ابن أبي الساج بعقد من قبله على العمل الذي كان يتولاه، وكان يتولى الأنبار وطريق الفرات ورحبة طوق بن مالك من قبل هارون بن الموفق، وكان شخص إليها في شهر رمضان، فلما ضم ذلك إلى صاعد أقره صاعد على ما كان إليه من ذلك.

وفي آخر شوال منها دخل ابن أبي الساج رحبة طوق بن مالك بعد أن حاربه أهلها، فغلبهم وهرب أحمد بن مالك بن طوق إلى الشام، ثم صار ابن أبي الساج إلى قرقيسياء، فدخلها وتنجى عنها ابن صفوان العقيلي .
ذكر الخبر عن الوقعة التي كانت بين الموفق وبين الزنج

وفي يوم الثلاثاء لعشر خلون من شوال من هذه السنة، كانت بين أبي أحمد وبين الزنج وقعة في مدينة الفاسق أثر فيها آثارا، وصل بها إلى مراده منها.
ذكر السبب في هذه الوقعة وما كان منها:

ذكر محمد بن الحسن أن الخبيث عدو الله كان في مدة اشتغال الموفق بعلته أعاد القنطرة التي كانت شذوات نصير لمجت فيها، وزاد فيها ما ظن أنه قد أحكمها، ونصب دونها ادقال ساج وصل بعضها ببعض، وألبسها الحديد، وسكر أمام ذلك سكرًا بالحجارة ليضيق المدخل على الشذا، وتحتد جرية الماء في النهر المعروف بأبي الخصيب، فيهاب الناس دخوله، فندب الموفق قائدين من قواد غلمانه في أربعة آلاف من الغلمان، وأمرهما أن يأتيا نهر أبي الخصيب، فيكون أحدهما في شقيه والآخر في غريبه، حتى يوافيا القنطرة التي أصلحها الفاجر وما عمل في وجهها من السكر فيحاربا أصحاب الخبيث حتى يجلباهم عن القنطرة، وأعد معهما النجارين والفعلة لقطع القنطرة والبدود التي كانت جعلت أمامها، وأمر بإعداد سفن محشوة بالقصب المصبوب عليه النفط، لتدخل ذلك النهر المعروف بأبي الخصيب، وتضرم نارا لتحترق بها القنطرة في وقت المد فركب الموفق في هذا اليوم في الجيش حتى وافى فوهة نهر أبي الخصيب، وأمر بإخراج المقاتلة في عدة مواضع من أعلى عسكر الخبيث وأسفله، ليشغلهم بذلك عن التعاون على المنع عن القنطرة، وتقدم القائدان في أصحابهما، وتلقاهما أصحاب الخائن من الزنج وغيرهم، يقودهم ابنه أنكلاي وعلي بن أبان المهلي وسليمان بن جامع، فاشتبكت الحرب بين الفريقين، ودامت، وقاتل الفسقة أشد قتال، محامية عن القنطرة، وعلموا ما عليهم في قطعها من الضرر، وأن الوصول إلى ما بعدها من الجسرين العظيمين اللذين كان الخبيث اتخذهما على نهر أبي الخصيب سهل مرامه، فكثرت القتل والجراح بين الفريقين، واتصلت الحرب إلى وقت صلاة العصر ثم إن غلمان الموفق أزالوا الفسقه عن القنطرة وجاوزوها، فقطعها التجارون والفعلة، ونقضوها وما كان اتخذ من البدود التي ذكرناها.

وكان الفاسق أحكم أمر هذه القنطرة والبدود إحكاما تعذر على الفعلة والتجارين الإسراع في قطعها، فأمر الموفق عند ذلك بإدخال السفن التي فيها القصب والنفط، وضربها بالنار وإرسالها مع الماء، ففعل ذلك، فوافت السفن القنطرة فأحرقتها، ووصل التجارون إلى ما أرادوا من قطع البدود فقطعوها، وأمكن أصحاب الشذا دخول النهر فدخلوه، وقوي نشاط الغلمان بدخول الشذا، فكشفوا أصحاب الفاجر عن موافقهم حتى بلغوا بهم الجسر الأول الذي يتلو هذه القنطرة، وقتل من الفجرة خلق كثير، واستأمن فريق منهم، فأمر الموفق أن يخلع عليهم في ساعتهم تلك، وأن يوقفوا بحيث يراهم أصحابهم، ليرغبوا في مثل ما صاروا إليه، وانتهى الغلمان إلى الجسر الأول، وكان ذلك

٩٠٥١٠٩ خبر انتقال صاحب الزنج إلى شرقي نهر أبي الخصب

قبيل المغرب، فكر الموفق أن يظلم الليل، والجيش موغل في نهر أبي الخصب، فيتهيأ للفجرة بذلك انتهاز فرصة، فأمر الناس بالانصراف، فانصرفوا سالمين إلى المدينة الموقية، وأمر الموفق بالكتاب إلى النواحي بما هيا الله له من الفتح والظفر، ليقرأ بذلك على المنابر، وأمر بإثابة المحسنين من غلمانه على قدر غنائمهم وبلائهم وحسن طاعتهم، ليزدادوا بذلك جدا واجتهادا في حرب عدوهم. ففعل ذلك، وعبر الموفق في نفر من مواليه وغلمانه في الشدوات والسميريات وما خف من الزواريق إلى فوهة نهر أبي الخصب، وقد كان الخبيث ضيقها ببرجين عملهما بالحجارة ليضيق المدخل وتحتد الجرية، فإذا دخلت الشذا النهر لمجت فيه، ولم يسهل السبيل إلى إخراجها منه، فأمر الموفق بقطع ذينك البرجين، فعمل فيهما نهار ذلك اليوم، ثم انصرف العمال وعادوا من غد لاستتمام قلع ما بقي من ذلك، فوجدوا الفجرة قد أعادوا ما قلع منهما في ليلتهم تلك، فأمر بنصب عرادتين قد كانتا أعدتا في سفينتين، نصبتا حيال نهر أبي الخصب، وطرحت لهما الأناجر حتى استقرتا، ووكل بهما من أصحاب الشذا، وأمر بقطع هذين البرجين، وتقدم إلى أصحاب العرادتين في رمي كل من دنا من أصحاب الفاسق، لإعادة شيء من ذلك في ليل أو نهار، فتحامى الفجرة الدنو من الموضع، وأجموا عنه، وألح الموكلون بقلع هذه الحجارة بعد ذلك، حتى استتموا ما أرادوا، واتسع المسلك للشذا في دخول النهر والخروج منه. خبر انتقال صاحب الزنج إلى شرقي نهر أبي الخصب وفي هذه السنة تحول الفاسق من غربي نهر أبي الخصب إلى شرقيه وانقطعت عنه الميرة من كل وجهة.

٩٠٥١٠١٠ ذكر الخبر عن حاله وحال أصحابه وما آل إليه أمرهم عند انتقاله من الجانب الغربي

ذكر الخبر عن حاله وحال أصحابه وما آل إليه أمرهم عند انتقاله من الجانب الغربي ذكر أن الموفق لما أخرب منازل صاحب الزنج وحرقها، لجأ إلى التحصن في المنازل الواغلة في نهر أبي الخصب، فنزل منزلا كان لأحمد بن موسى المعروف بالقلوص، وجمع عياله وولده حوله هناك، ونقل أسواقه إلى السوق القريبة من الموضع الذي اعتصم به، وهي سوق كانت تعرف بسوق الحسين، وضعف أمره ضعفا شديدا، وتبين للناس زوال أمره، فتهيبوا جلب الميرة إليه، فانقطعت عنه كل مادة، فبلغ عنده الرطل من خبز البر عشرة دراهم، فأكلوا الشعير، ثم أكلوا أصناف الحبوب، ثم لم يزل الأمر بهم إلى أن كانوا يتبعون الناس، فإذا خلا أحدهم بامرأة أو صبي أو رجل ذبحه وأكله، ثم صار قوي الزنج يعدو على ضعيفهم، فكان إذا خلا به ذبحه وأكل لحمه، ثم أكلوا لحوم أولادهم، ثم كانوا ينبشون الموتى، فيبيعون أكفانهم ويأكلون لحومهم، وكان لا يعاقب الخبيث أحدا ممن فعل شيئا من ذلك إلا بالحبس، فإذا تطاول حبسه أطلقه.

وذكر أن الفاسق لما هدمت داره وأحرق، وانتهب ما فيها، وأخرج طريدا سليبا من غربي نهر أبي الخصب، تحول إلى شرقيه، فرأى أبو أحمد أن يخرب عليه الجانب الشرقي لتصير حال الخبيث فيه كحاله في الغربي في الجلاء عنه، فأمر ابنه أبا العباس بالوقوف في جمع من أصحابه في الشذا في نهر أبي الخصب، وأن يختار من أصحابه وغلمانه جمعا يخرجهم في الموضع الذي كانت فيه دار الكربائي من شرقي نهر أبي الخصب، ويخرج معهم الفعلة لهدم كل ما يلقاتهم من دور أصحاب الفاجر ومنازلهم، ووقف الموفق على قصر المعروف

بالهمداني- وكان الهمداني يتولى حياطة هذا الموضع، وهو أحد قادة جيوش الخبيث وقدماء أصحابه- وأمر الموفق جماعة من قواده ومواليه فقصدوا

لدار الهمداني، ومعهم الفعلة، وقد كان هذا الموضع محصنا بجمع كثير من أصحاب الخبيث من الزنج وغيرهم، وعليه عرادات ومجانيق منصوبة وقسي ناوكية، فاشتبكت الحرب وكثر القتلى والجراح إلى أن كشف أصحاب الموفق الخبيثاء، ووضعوا فيهم السلاح، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وفعل أصحاب أبي العباس مثل ذلك بمن مر بهم من الفسقة.

والتقى أصحاب الموفق وأصحاب أبي العباس، فكانوا يدا واحدة على الخبيثاء، فولوا منهزمين، وانتهوا إلى دار الهمداني، وقد حصنها ونصب عليها العرادات، وحفها بأعلام بيض من أعلام الفاجر، مكتوب عليها اسمه، فتعذر على أصحاب الموفق تسور هذه الدار لعلو سورها وحصانتها، فوضعوا عليها السلايل الطوال، فلم تبلغ آخره، فرمى بعض غلمان الموفق بكلايب كانوا أعدوها، وجعلوا فيها الحبال لمثل هذا الموضع، فأثبتوها في أعلام الفاسق وجذبوها، فانقلبت الأعلام منكوسة من أعلى السور، حتى صارت في أيدي أصحاب الموفق، فلم يشك المحامون عن هذه الدار أن أصحاب أبي أحمد قد علوها، فوجلوا فانهزموا، وأسلموها وما حولها، وصعد النفاطون فأحرقوا ما كان عليها من المجانيق والعرادات، وما كان فيها للهمداني من متاع وأثاث، وأحرقوا ما كان حولها من دور الفجرة، واستنقذوا في هذا اليوم من نساء المسلمين المأسورات عددا كثيرا، فأمر الموفق بحملهن في الشدا والسميريات والمعاير إلى الموقية والإحسان إلين.

ولم تزل الحرب في هذا اليوم قائمة من أول النهار إلى بعد صلاة العصر، واستأمن يومئذ جماعة من أصحاب الفاسق وجماعة من خاصة غلمانه الذين كانوا في داره يلون خدمته والوقوف على رأسه، فآمنهم الموفق وأمر بالإحسان إليهم، وأن يخلع عليهم، ويوصلوا وتجري لهم الأرزاق، وانصرف الموفق، وأمر أن تنكس أعلام الفاسق في صدور الشدوات ليراها أصحابه، ودلت جماعة من المستأمنة الموفق على سوق عظيمة كانت للخبيث في ظهر دار

الهمداني متصلة بالجسر الأول المعقود على نهر أبي الخصيب، كان الخبيث سماها المباركة، وأعلموه أنه إن تهيأ له إحراقها لم يبق لهم سوق، وخرج عنهم تجارهم الذين بهم قواهم، واستوحشوا لذلك واضطروا إلى الخروج في الأمان.

فغزم الموفق عند ذلك على قصد هذه السوق وما يليها بالجيوش من ثلاثة أوجه، فأمر أبا العباس بقصد جانب من هذه السوق مما يلي الجسر الأول، وأمر راشدا مولاه بقصدها مما يلي دار الهمداني، وأمر قوادا من قواد غلمانه السودان بالقصد لها من نهر أبي شاكر، ففعل كل فريق ما أمر به، ونذر الزنج بمسير الجيوش إليهم، فنهضوا في وجوههم، واستعرت الحرب وغلظت، فأمد الفاجر أصحابه وكان المهلي وأنكلاي وسليمان بن جامع في جميع أصحابهم بعد أن تكاملوا ووافتهم أمداد الخبيث بهذه السوق يحامون عنها، ويحاربون فيها أشد حرب. وقد كان أصحاب الموفق في أول خروجهم إلى هذا الموضع وصلوا إلى طرف من أطراف هذه السوق، فأضرموه نارا فاحترق، فاتصلت النار بأكثر السوق، فكان الفريقان يتحاربون والنار محيطة بهم، ولقد كان ما علا من ظلال يحترق فيقع على رؤوس المقاتلة، فرمى أحرق بعضهم، وكانت هذه حالهم إلى مغيب الشمس وإقبال الليل ثم تحاجزوا، وانصرف الموفق وأصحابه إلى سفنهم، ورجع الفسقة إلى طاغيتهم بعد أن احترق السوق، وجلا عنها أهلها ومن كان فيها من تجار عسكر الخائن وسوقتهم، فصاروا في أعلى مدينته بما تخلصوا به من أموالهم وأمتعتهم وقد كانوا تقدموا في نقل جل تجارتهم وبضائعهم من هذه السوق خوفا من مثل الذي نالهم في اليوم الذي أظفر الله فيه الموفق بدار الهمداني وهياً له إحراق ما أحرق حولها.

ثم أن الخبيث فعل في الجانب الشرقي من حفر الخنادق وتعوير الطرق ما كان فعل في الجانب الغربي بعد هذه الواقعة، واحتفر خندقا عريضا من حد جوى كور إلى نهر الغربي، وكان أكثر عنايته بتحصين ما بين دار

الكرنبائي إلى النهر المعروف بجوى كور، لأنه كان في هذا الموضع جل منازل أصحابه ومساكنهم، وكان من حد جوى كور إلى نهر الغربي بساتين ومواقع قد أدخلوها، والسور والخندق محيطان بها، وكانت الحرب إذا وقعت في هذا الموضع قصدوا من موضعهم إليه للحماية عنه والمنع منه، فرأى الموفق عند ذلك أن يخرب باقي السور إلى نهر الغربي، ففعل ذلك بعد حرب طويلة في مدة بعيدة.

وكان الفاسق في الجانب الشرقي من نهر الغربي في عسكر فيه جمع من الزنج وغيرهم متحصنين بسور منيع وخنادق، وهم أجلد أصحاب

الخبث وشجعانهم، فكانوا يحامون عما قرب من سور نهر الغربي، وكانوا يخرجون في ظهور أصحاب الموفق في وقت الحرب على جوى كور وما يليه، فأمر الموفق بقصد هذا الموضع ومحاربة من فيه وهدم سوره وإزالة المتحصنين به، فتقدم عند ذلك إلى أبي العباس وعدة من قواد غلمانه ومواليه في التأهب لذلك، ففعلوا ما أمروا به، وصار الموفق بمن أعده إلى نهر الغربي، وأمر بالشذا فنظمت من حد النهر المعروف بجوى كور إلى الموضع المعروف بالدباسين، وخرج المقاتلة على جنوبي نهر الغربي، ووضعت السلايم على السور. وقد كانت لهم عليه عدة عرادات، ونشبت الحرب، ودامت مذ أول النهار إلى بعد الظهر، وهدم من السور مواضع، وأحرق ما كان عليه من العرادات، وتحاجز الفريقان، وليس لأحدهما فضل على صاحبه إلا ما وصل إليه أصحاب الموفق من هذه المواضع التي هدموها وإحراق العرادات، ونال الفريقين من ألم الجراح أمر غليظ موجه.

فانصرف الموفق وجميع أصحابه إلى الموقية، فأمر بمداواة الجرحى، ووصل كل امرئ على قدر الجراح التي أصابته، وعلى ذلك كان أجرى التدبير في جميع وقائعه منذ أول محاربه الفاسق إلى أن قتله الله. وأقام الموفق بعد هذه الوقعة مدة، ثم رأى معاودة هذا الموضع والتشاغل به دون المواضع، لما رأى من حصانته وشجاعة من فيه وصبرهم، وأنه لا يتهياً

ما يقدر فيما بين نهر الغربي وجوى كور إلا بعد إزالة هؤلاء، فأعد ما يحتاج إليه من آلات الهدم، واستكثر من الفعلة، وانتخب المقاتلة الناشئة والرايحة والسودان أصحاب السيوف، وقصد هذا الموضع على مثل قصده له المرة الأولى، فأخرج الرجالة في المواضع التي رأى إخراجهم فيها، وأدخل عددا من الشذا النهر، ونشبت الحرب ودامت، وصبر الفسقة أشد صبر، وصبر لهم أصحاب الموفق. واستمد الفسقة طاغيتهم، فوافاهم المهلي وسليمان بن جامع في جيشهما، فقويت قلوبهم عند ذلك، وحملوا على أصحاب الموفق، وخرج سليمان كميناً مما يلي جوى كور، فأزالوا أصحاب الموفق حتى انتهوا إلى سفنهم، وقتلوا منهم جماعة وانصرف الموفق ولم يبلغ كل الذي أراد، وتبين أنه قد كان يجب أن يحارب الفسقة من عدة مواضع، ليفرق جمعهم، فيخف وطؤهم على من يقصد لهذا الموضع الصعب، وينال منه ما يحب، فعزم على معاودتهم، وتقدم إلى أبي العباس وغيره من قواده في العبور واختيار أنجاد رجالهم، ووكل مسرورا مولاه بالنهر المعروف بمنكى، وأمره أن يخرج رجاله في ذلك الموضع وما يتصل به من الجبال والنخل، لتشتغل قلوب الفجرة، وليروا أن عليهم تدبيراً من تلك الجهة وأمر أبا العباس بإخراج أصحابه على جوى كور، ونظم الشذا على هذه المواضع حتى انتهى إلى الموضع المعروف بالدباسين، وهو أسفل نهر الغربي، وصار الموفق إلى نهر الغربي، وأمر قواده وغلمانه أن يخرجوا في أصحابهم فيحاربوا الفسقة في حصنهم ومعقلهم، وألا ينصرفوا عنهم حتى يفتح الله لهم، أو يبلغ إرادته منهم ووكل بالسور من يهدمه، وتسرع الفسقة كعادتهم، وأطمعهم ما تقدم من الوقعتين اللتين ذكرناهما، فثبت لهم غلمان الموفق، وصدقوهم اللقاء، فأنزله الله عليهم نصره، فأزالوا الفسقة عن مواقفهم، وقوي أصحاب الموفق، فحملوا عليهم حملة كشفوهم بها، فانهزموا وخلوا عن حصنهم، وصار في أيدي غلمان الموفق فهدموه، وأحرقوا

٩٠٥١٠١١ ذكر خبر دخول الموفق مدينه صاحب الزنج

منازلهم، وغنموا ما كان فيها، واتبعوا المنهزمين منهم، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا، واستنقذوا من هذا الحصن من النساء المأسورات خلقاً كثيراً، فأمر الموفق بحملهن والإحسان إليهن، وأمر أصحابه بالرجوع إلى سفنهم ففعلوا، وانصرف إلى عسكره بالموقية، وقد بلغ ما حاول من هذا الموضع.

ذكر خبر دخول الموفق مدينه صاحب الزنج

وفيها دخل الموفق مدينة الفاسق، وأحرق منازل من الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب.

ذكر الخبر عن سبب وصوله إلى ذلك:

ذكر أن أبا أحمد لما أراد ذلك بعد هدمه سور داره ذلك، أقام يصلح المسالك في جنوبي نهر أبي الخصيب وفي قصر الفاسق، ليتسع على

المقاتلة الطريق في الدخول والخروج للحرب، وأمر بقلع باب قصر الخبيث الذي كان انتزعه من حصن أروخ بالبصرة، فقلع وحمل إلى مدينة السلام ثم رأى القصد لقطع الجسر الأول الذي كان على نهر أبي الخصيب، لما في ذلك من منع معاونة بعضهم بعضاً عند وقوع الحرب في نواحي عسكرهم، فأمر بإعداد سفينة كبيرة تملأ قصباً قد سقي النفط، وأن ينصب في وسط السفينة دقل طويل يمنعها من مجاوزة الجسر إذا لصقت به، وانتهاز الفرصة في غفلة الفسقة وتفرقهم.

فلما وجد ذلك في آخر النهار قدمت السفينة، فجرها الشدا حتى وردت النهر، وأشعل فيها النيران، وأرسلت وقد قوي المد، فوافت القنطرة، ونذر الزنج بها، وتجمعوا وكثروا حتى ستروا الجسر وما يليه، وجعلوا يقذفون السفينة بالحجارة والآجر، ويهيلون عليها التراب، ويصبون الماء، وغاص بعضهم فنقبها، وقد كانت أحرقت من الجسر شيئاً يسيراً، فأطفأه الفسقة، وغرقوا السفينة وحازوها، فصارت في أيديهم.

فلما رأى أبو أحمد فعلهم ذلك، عزم على مجاهدتهم على هذا الجسر

حتى يقطعه، فسمى لذلك قائدين من قواد غلمانه، وأمرهما بالعبور في جميع أصحابهما في السلاح الشاك والألأمة الحصينة والآلات المحكمة، وإعداد النفاطين والآلات التي تقطع بها الجسور، فأمر أحد القائدين أن يقصد غربي النهر، وجعل الآخر في شرقيه، وركب الموفق في مواليه وخدامه وغلمانه الشذوات والسميريات، وقصد فوهة نهر أبي الخصيب، وذلك في غداة يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من شوال سنة تسع وستين ومائتين، فسبق إلى الجسر القائد الذي كان أمر بالقصد له من غربي نهر أبي الخصيب، فأوقع بمن كان موكلاً به من أصحاب الفاسق، وقتلت منهم جماعة، وضرب الجسر بالنار، وطرح عليه القصب وما كان أعد له من الأشياء المحرقة، فانكشف من كان هناك من أعوان الخبيث، ووافى بعد ذلك من كان أمر بالقصد للجسر من الجانب الشرقي، ففعلوا ما أمروا به من إحراقه وقد كان الخبيث أمر ابنه أنكلاي وسليمان بن جامع بالمقام في جيشهما للمحاربة عن الجسر، والمنع من قطعه، ففعلوا ذلك، فقصد إليهما من كان بإزائهما، وحاربوهم حرباً غليظاً حتى انكشفوا، وتمكنوا من إحراق الجسر فأحرقوه، وتجاوزوه إلى الحظيرة التي كان يعمل فيها شذوات الفاسق وسميرياته وجميع الآلات التي كان يحارب بها، فأحرق ذلك عن آخره إلا شيئاً يسيراً من الشذوات والسميريات كان في النهر، وانهزم أنكلاي وسليمان بن جامع، وانتهى غلمان الموفق إلى سجن كان للخبيث في غربي نهر أبي الخصيب، فخامى عنه الزنج ساعة من النهار حتى أخرجوا منه جماعة، وغلبهم عليه غلمان الموفق، فتخلصوا من كان فيه من الرجال والنساء، وتجاوز من كان في الجانب الشرقي من غلمان الموفق، بعد أن أحرقوا ما ولوا من الجسر إلى الموضع المعروف بدار مصلح، وهو من قدماء قواد الفاسق، فدخلوا داره وأنهبوا، وسبوا ولده ونساءه، وأحرقوا ما تهيأ لهم إحراقه في طريقهم، وبقيت من الجسر في وسط منه أدقار قد كان الخبيث أحكمها، فامر

الموفق أبا العباس بتقديم عدة من الشدا إلى ذلك الموضع، ففعل ذلك، فكان فيمن تقدم زيرك في عدد من أصحابه، فوافى هذه الأدقار، وأخرجوا إليها قوماً قد كانوا أعدوهم لها معهم الفتوس والمناشير، فقطعوها، وجذبت وأخرجت عن النهر، وسقط ما بقي من القنطرة، ودخلت شذوات الموفق النهر، وسار القائدان في جميع أصحابهما على حافتيه فهزم أصحاب الفاجر في الجانبين، وانصرف الموفق وجميع أصحابه سالمين، واستنقذ خلق كثير وأتى الموفق بعدد كثير من رؤوس الفسقة، فأثاب من أتاها بها، وأحسن إليه ووصله.

وكان انصرافه في هذا اليوم على ثلاث ساعات من النهار، بعد أن انحاز الفاسق وجميع أصحابه من الزنج وغيرهم إلى الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب، وأخلوا غريبه، واحتوى عليه أصحاب الموفق، فهدموا ما كان يعوق عن محاربة الفجرة من قصور الفاسق وقصور أصحابه، ووسعوا محترقات ضيقة كانت على نهر أبي الخصيب، فكان ذلك مما زاد في رعب أصحاب الخائن ومال جمع كثير من قواده وأصحابه الذين كان لا يرى أنهم يفارقونه إلى طلب الأمان، فبذل ذلك لهم، فخرجوا أرسالا، فقبلوا، وأحسن إليهم وألحقوا بنظرائهم في الأرزاق والصلوات والخلع.

ثم إن الموفق واطب على إدخال الشدا النهر، وتقحمه في غلمانه، وأمر بإحراق ما على حافتيه من منازل الفجرة وما في بطنه من السفن، وأحب تمرين أصحابه على دخول النهر وتسهيل سلوكه لهم لما كان يقدر من إحراق الجسر الثاني، والتوصل إلى أقصى مواضع الفجرة فيينا

الموقف في بعض أيامه- التي ألح فيها على حرب الخبيث وولج نهر أبي الخصيب- واقف في موضع من النهر، وذلك في يوم جمعه، إذ استأمن إليه رجل من أصحاب الفاجر، وأتاه بمنبر كان للخبيث في الجانب الغربي، فأمره بنقله إليه، ومعه قاض كان للخبيث في مدينته، فكان ذلك مما فت في أعضادهم، وكان الخبيث جمع ما كان بقي له من السفن البحرية وغيرها،

فجعلها عند الجسر الثاني، وجمع قواده وأصحابه وأنجاد رجاله هنالك، فأمر الموقف بعض غلمانه بالدنو من الجسر وإحراق ما تهيأ إحراقه من المراكب البحرية التي تليه، وأخذ ما أمكن أخذه منها ففعل ذلك المأمورون به من الغلمان، فزاد فعلهم في تحرز الفاجر ومحاماته عن الجسر الثاني، فألزم نفسه وجميع أصحابه حفظه وحراسته خوفا من أن تهيأ حيله، فيخرج الجانب الغربي عن يده، ويوطئه أصحاب الموقف، فيكون ذلك سببا لاستئصاله، فأقام الموقف بعد إحراق الجسر الأول أياما يعبر بجمع بعد جمع من غلمانه إلى الجانب الغربي من نهر أبي الخصيب، فيحرقون ما بقي من منازل الفجرة. ويقربون من الجسر الثاني فيحاربهم عليه الزنج.

وقد كان تخلف منهم جمع في منازلهم في الجانب الغربي المقاربة للجسر الثاني، وكان غلمان الموقف يأتون هذا الموضع ويقفون على الطرق والمسالك التي كانت تخفى عليهم من عسكر الخبيث، فلما وقف الموقف على معرفة غلمانه وأصحابه بهذه الطريق واهتدائهم لسلوكها، عزم على القصد لإحراق الجسر الثاني ليحوز الجانب الغربي من عسكر الخبيث، وليتهيأ لأصحابه مساواتهم على أرض واحدة، لا يكون بينهما فيها حائل غير نهر أبي الخصيب، فأمر الموقف عند ذلك أبا العباس بقصد الجانب الغربي في أصحابه وغلمانه، وذلك في يوم السبت لثمان بقين من شوال سنة تسع وستين ومائتين، وتقدم إليه أن يجعل خروجه بأصحابه في موضع البناء الذي كان الفاجر سماه مسجد الجامع، وأن يأخذ الشارع المؤدي إلى الموضع الذي كان الخبيث اتخذ مصلى بحضره في أعياده، فإذا انتهى إلى موضع المصلى عطف منه إلى الجبل المعروف بجبل المكتني بأبي عمرو أخي المهلي، وضم إليه من قواد غلمانه الفرسان والرجالة زهاء عشرة آلاف، وأمره أن يرتب زيرك صاحب مقدمته في أصحابه في صحراء المصلى، ليأمن خروج كمين إن كان للفسقة من ذلك الموضع، وامر

جماعة من قواد الغلمان أن يتفرقوا في الجبال التي فيها بين الجبل المعروف بالمكتني بأبي عمرو وبين الجبل المعروف بالمكتني أبا مقاتل الزنجي، حتى توافوا جميعا من هذه الجبال موضع الجسر الثاني في نهر أبي الخصيب، وتقدم إلى جماعة من قواد الغلمان المضمومين إلى أبي العباس أن يخرجوا في أصحابهم بين دار الفاسق ودار ابنه أنكلاي، فيكون مسيرهم على شاطئ نهر أبي الخصيب وما قاربه، ليتصلوا بأوائل الغلمان الذين يأتون على الجبال، ويكون قصد الجميع إلى الجسر وامرهم بحمل الآلات من المعاول والفؤوس والمناشير مع جمع من النفاطين لقطع ما يتهيأ قطعه، وإحراق ما يتهيأ إحراقه، وأمر راشدا مولاه بقصد الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب في مثل العدة التي كانت مع أبي العباس وقصد الجسر ومحاربة من يدافع عنه، ودخل أبو أحمد نهر أبي الخصيب في الشدا، وقد أعد منها شذوات رتب فيها من أنجاد غلمانه الناشبة والراحة من ارتضاه، وأعد معهم من الآلات التي يقطع بها الجسر ما يحتاج إليه لذلك، وقدمهم أمامه في نهر أبي الخصيب، واشتبكت الحرب في الجانبين جميعا بين الفريقين، واشتد القتال وكان في الجانب الغربي بإزاء أبي العباس ومن معه أنكلاي ابن الفاسق في جيشه، وسليمان بن جامع في جيشه، وفي الجانب الشرقي بإزاء راشد ومن معه الفاجر صاحب الزنج والمهلي في باقي جيشهم، فكانت الحرب في ذلك اليوم إلى مقدار ثلاث ساعات من النهار ثم انهزمت الفسقة لا يلوون على شيء، وأخذت السيوف منهم مأخذها، وأخذ من رءوس الفسقة ما لم يقع عليه إحصاء لكثرتهم، فكان الموقف إذا أتى برأس من الرءوس أمر بإلقائه في نهر أبي الخصيب، ليدع المقاتلة الشغل بالرءوس، ويجدوا في اتباع عدوهم، وأمر أصحاب الشدا الذين رتبهم في نهر أبي الخصيب بالدنو من الجسر وإحراقه، ودفع من تحامى عنه من الزنج بالسهم، ففعلوا ذلك وأضرمو الجسر نارا، ووافى أنكلاي وسليمان في ذلك الوقت جريحين مهزومين، يريدان العبور إلى

شرقي نهر أبي الخصيب، فحالت النار بينهما وبين الجسر، فألقوا أنفسهما ومن كان معهما من حماهم في نهر أبي الخصيب، فغرق منهم خلق كثير، وأفلت أنكلاي وسليمان بعد أن أشفيا على الهلاك، واجتمع على الجسر من الجانبين خلق كثير، فقطع بعد أن ألقيت عليه سفينة مملوءة قصبا مضروما بالنار، فأعانت على قطعه وإحراقه، وتفرق الجيش في نواحي مدينة الخبيث من الجانبين جميعا، فأحرقوا من

دورهم وقصورهم وأسواقهم شيئاً كثيراً، واستنقذوا من النساء المأسورات والأطفال ما لا يحصى عدده، وأمر الموفق المقاتلة بحملهم في سفنهم والعبور بهم إلى الموقية.

وقد كان الفاجر سكن بعد إحراق قصره ومنازله الدار المعروفة بأحمد بن موسى القلوص والدار المعروفة بمحمد بن إبراهيم أبي عيسى، وأسكن ابنه أنكلياي الدار المعروفة بمالك ابن أخت القلوص، فقصده جماعة من غلمان الموفق الموضع التي كان الخبيث يسكنها فدخلوها، وأحرقوا منها مواضع، وانتهبوا منها ما كان سلم للفاسق من الحريق الأول، وهرب الخبيث ولم يوقف في ذلك اليوم على مواضع أمواله واستنقذ في هذا اليوم نسوة علويات كن محتبسات في موضع قريب من داره التي كان يسكنها، فأمر الموفق بحملهن إلى عسكره، وأحسن إليهن، ووصلهن، وقصد جماعة من غلمان الموفق من المستأمنة المضمومين إلى أبي العباس سجننا كان الفاسق اتخذ في الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب، ففتحوه وأخرجوا منه خلقاً كثيراً ممن كان أسر من العساكر التي كانت تحارب الفاسق وأصحابه، ومن سائر الناس غيرهم فأخرج جميعهم في قيودهم وأغللهم حتى أتى بهم الموفق، فأمر بفك الحديد عنهم وحملهم إلى الموقية، وأخرج في ذلك اليوم كل ما كان بقي في نهر أبي الخصيب من شذا ومراكب بحرية وسفن صغار وكبار وحراقات وزلايات وغير ذلك من أصناف السفن من النهر إلى دجلة، وأباحها الموفق أصحابه وغلبانه مع ما فيها من السلب والنهب الذي حازوا في ذلك اليوم من

٩٠٥١٠١٢ ذكر طلب رؤساء صاحب الزنج الامان

عسكر الخبيث، وكان ذلك قدر جليل وخطر عظيم.

وفيها كان إحداد المعتمد إلى واسط، فسار إليها في ذي القعدة وأنزل دار زيرك.

وفيها سأل أنكلياي ابن الفاسق أبا أحمد الموفق الأمان، وأرسل إليه في ذلك رسولا، وسأل أشياء فأجابه الموفق إلى كل ما سأل، ورد إليه رسوله، وعرض للموفق بعقب ذلك ما شغله عن الحرب وعلم الفاسق أبو أنكلياي بما كان من ابنه فعذله - فيما ذكر - على ذلك، حتى ثناه عن رأيه في طلب الأمان، فعاد للجد في قتال أصحاب الموفق، ومباشرة الحرب بنفسه.

ذكر طلب رؤساء صاحب الزنج الامان

وفيها وجه أيضا سليمان بن موسى الشعراني - وهو أحد رؤساء أصحاب الفاسق - من يطلب الأمان له من أبي أحمد، فتنعه أبو أحمد ذلك، لما كان سلف منه من العبث وسفك الدماء، ثم اتصل به أن جماعة من أصحاب الخبيث قد استوحشوا لمنعه ذلك الشعراني، فأجابه أبو أحمد إلى إعطائه الأمان، استصلاحا بذلك غيره من أصحاب الفاسق، وأمر بتوجيه الشذا إلى الموضع الذي واعدهم الشعراني، ففعل ذلك، فخرج الشعراني وأخوه وجماعة من قواده، فحملهم في الشذا، وقد كان الخبيث حرس به مؤخر نهر أبي الخصيب، فحمله أبو العباس إلى الموفق، فن عليه، ووفى له بأمانه، وأمر به فوصل ووصل أصحابه، وخلع عليهم، وحمل على عدة أفراس بسروجها وآلتها، ونزله وأصحابه أنزالا سنية، وضمه وإياهم إلى أبي العباس، وجعله في جملة أصحابه، وأمره بإظهاره في الشذا لأصحاب الخائن ليزدادوا ثقة بأمانه، فلم يرح الشذا من موضعها من نهر أبي الخصيب، حتى استأمن جمع كثير من قواد الزنج وغيرهم، فحملوا إلى أبي أحمد، فوصلهم

وألحقهم في الخلع والجوائز بمن تقدمهم.

ولما استأمن الشعراني اختل ما كان الخبيث يضبط به من مؤخر عسكره، ووهى أمره وضعف، فقلد الخبيث ما كان إلى الشعراني من حفظ ذلك شبل بن سالم، وأنزله مؤخر نهر أبي الخصيب، فلم يمس الموفق من اليوم الذي أظهر فيه الشعراني لأصحاب الخبيث حتى وافاه رسول شبل بن سالم يطلب الأمان، ويسأل أن يوقف شذوات عند دار ابن سمعان، ليكون قصده فيمن يصحبه من قواده ورجاله في الليل إليها.

فأعطي الأمان، ورد إليه رسوله، ووقفت له الشذا في الموضع الذي سأل أن توقف له، فوافاه في آخر الليل ومعه عياله وولده وجماعة من قواده ورجاله، وشهر أصحابه سلاحهم، وتلقاهم قوم من الزنج قد كان الخبيث وجههم لمنعه من المصير إلى الشذا وقد كان خبره انتهى إليه، فخار بهم شبل وأصحابه، وقتلوا منهم نفرا، فصاروا إلى الشذا سالمين، فصير بهم إلى قصر الموفق بالموقية، فوافاه وقد ابتلع

الصباح، فأمر الموفق أن يوصل شبل بصلّة جزيلة، وخلع عليه خلعا كثيرة، وحمله على عدة أفراس بسروجها ولجمها. وكان شبل هذا من عدد الخبيث وقدماء أصحابه وذوي الغناء والبلاء في نصرته، ووصل أصحاب شبل، وخلع عليهم، وأسّنت له ولهم الأرزاق والأنزال، وضموا جميعا إلى قائد من قواد غلمان الموفق، ووجه به وبأصحابه في الشدا، فوقفوا بحيث يراهم الخبيث وأشياءه فعظم ذلك على الفاسق وأوليائه، لما رأوا من رغبة رؤسائهم في اغتنام الأمان، وتبين الموفق من مناصحة شبل وجودة فهمه ما دعاه إلى أن يستكفيه بعض الأمور التي يكد بها الخبيث، فأمره بتبنييت عسكر الخبيث في جمع أمر بضمهم إليه من أبطال الزنج المستأمنة، وأفرده وإياهم بما أمرهم به من البيات، لعلهم بالمسالك في عسكر الخبيث، فنفذ شبل لما أمر به، فقصد موضعا كان عرفه، فكبسه في السحر،

فوافى به جمعا كثيفا من الزنج في عدة من قوادهم وحماهم، قد كان الخبيث رتبهم في الدفع عن الدار المعروفة بأبي عيسى، وهي منزل الخبيث حينئذ، فأوقع بهم وهم غارون، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وأسر جمعا من قواد الزنج، وأخذ لهم سلاحا كثيرا، وانصرف ومن كان معه سالمين، فأتي بهم الموفق، فأحسن جائزتهم، وخلع عليهم، وسور جماعة منهم. ولما أوقع أصحاب شبل بأصحاب الخائن هذه الواقعة ذعرهم ذلك ذعرا شديدا، وأخافهم ومنعهم النوم، فكانوا يتحارسون في كل ليلة، ولا تزال النفرة تقع في عسكرهم لما استشعروا من الخوف، ووصل إلى قلوبهم من الوحشة، حتى لقد كان ضجيجهم وتحارسهم يسمع بالموقية.

ثم أقام الموفق بعد ذلك ينفذ السرايا إلى الخبثة ليلا ونهارا من جانبي نهر أبي الخصيب، ويكدهم بالحرب، ويسهر ليلهم، ويحول بينهم وبين طلب أقواتهم، وأصحابه في ذلك يتعرفون المسالك، ويتدربون بالوغول في مدينة الخبيث وتقحمها، ويصرون من ذلك على ما كانت الهيبة تحول بينهم وبينه، حتى إذا ظن الموفق أن قد بلغ أصحابه ما كانوا يحتاجون إليه، صح عزمه على العبور إلى محاربة الفاسق في الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب، فجلس مجلسا عاما، وأمر بإحضار قواد المستأمنة ووجوه فرسانهم ورجالهم من الزنج والبيضان، فأدخلوا إليه، ووقفوا بحيث يسمعون كلامه ثم خاطبهم فعرفهم ما كانوا عليه من الضلالة والجهل وانتهاك المحارم، وما كان الفاسق دين لهم من معاصي الله، وأن ذلك قد كان أباح له دماءهم، وأنه قد غفر الزلة، وعفا عن الهفوة، وبذل الأمان، وعاد على من لجأ إليه بفضله، فأجزل الصلات، وأسنى الأرزاق، وألحقهم بالأولياء وأهل الطاعة، وأن ما كان منه من ذلك يوجب عليهم حقه وطاعته، وأنهم لن يأتوا شيئا يتعرضون به لطاعة ربهم والاستدعاء لرضا سلطانهم، أولى بهم من الجد والاجتهاد في مجاهدة عدو الله الخائن وأصحابه، وأنهم من الخبرة بمسالك

٩٠٥١٠١٣ خبر دخول الموفق مدينه صاحب الزنج وتخريب داره

عسكر الخبيث ومضايق طرق مدينته والمعاقل التي أعدها للهرب إليها على ما ليس عليه غيرهم، فهم أحرى أن يحضوه نصيحتهم، ويجهتدوا في الولوج على الخبيث، والتوغل إليه في حصونه، حتى يمكنهم الله منه ومن أشياعه، فإذا فعلوا ذلك فلهم الإحسان والمزيد وإن من قصر منهم استدعى من سلطانه إسقاط حاله وتصغير منزلته، ووضع مرتبته فارتفعت أصواتهم جميعا بالدعاء للموفق والإقرار بإحسانه، وبما هم عليه من صحة الضمائر في السمع والطاعة والجد في مجاهدة عدوه، وبذل دمائهم ومهجمهم في كل ما يقر بهم منه، وأن ما دعاهم إليه قد قوى نيتهم، ودلهم على ثقته بهم وإحلاله إياهم محل أوليائه، وسألوهم أن يفردهم بناحية يحاربون فيها، فيظهر من حسن نياتهم ونكايتهم في العدو ما يعرف به إخلاصهم وتورعهم عما كانوا عليه من جهلهم فأجابهم الموفق إلى ما سألوهم، وعرفهم حسن موقع ما ظهر له من طاعتهم، وخرجوا من عنده مبتهجين بما أجيبوا به من حسن القول وجميل الوعد.

خبر دخول الموفق مدينه صاحب الزنج وتخريب داره

وفي ذي القعدة من هذه السنة دخل الموفق مدينة الفاسق بالجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب، فخرّب داره، وانتهب ما كان فيها. ذكر الخبر عن هذه الواقعة:

ذكر أن أبا أحمد لما عزم على الهجوم على الفاسق في مدينته بالجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب، أمر بجمع السفن والمعاير من دجلة

والبطيخة ونواحيها ليضيفها إلى ما في عسكره، إذ كان ما في عسكره مقصرا عن الجيش لكثرتة، وأحصى ما في الشذا والسميريات والرقيات التي كانت تعبر فيها الخيل، فكانوا زهاء عشرة آلاف ملاح، ممن يجري عليه الرزق من بيت المال مشاهرة، سوى سفن أهل العسكر التي يحمل فيها الميرة، ويركبها الناس في حوائجهم، وسوى ما كان لكل قائد ومن يحضر من أصحابه من

السميريات والجربيات والزواريق التي فيها الملاحون الرتبة فلما تكاملت له السفن والمعاير، ورضي عددها، تقدم إلى أبي العباس وإلى قواد مواليه وغلماه في التأهب والاستعداد للقاء عدوهم، وأمر بتفرقة السفن والمعاير إلى حمل الخيل والرجالة، وتقدم إلى أبي العباس في أن يكون خروجه في جيشه في الجانب الغربي من نهر أبي الخصيب، وضم إليه قواد من قواد غلمانه في زهاء ثمانية آلاف من أصحابهم، وأمره أن يعتمد مؤخر عسكر الفاسق حتى يتجاوز دار المعروف بالمهلي، وقد كان الخبيث حصنها وأسكن بقربها خلقا كثيرا من أصحابه، ليأمن على مؤخر عسكره، وليصعب على من يقصده المسلك إلى هذا الموضع.

فأمر أبو أحمد أبا العباس بالعبور بأصحابه إلى الجانب الغربي من نهر أبي الخصيب، وأن يأتي هذه الناحية من ورائها، وأمر راشدا مولاه بالخروج في الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب في عدد كثير من الفرسان والرجالة زهاء عشرين ألفا، وأمر بعضهم بالخروج في ركن دار المعروف بالكربائي كاتب المهلي، وهي على قرنة نهر أبي الخصيب في الجانب الشرقي منه، وأمرهم أن يجعلوا مسيرهم على شاطئ النهر حتى يوافوا الدار التي نزلها الخبيث، وهي الدار المعروفة بأبي عيسى وأمر فريقا من غلمانه بالخروج على فوهة النهر المعروف بأبي شاكر، وهو أسفل من نهر أبي الخصيب، وأمر آخرين منهم بالخروج في أصحابهم على فوهة النهر المعروف بجوى كور، وأوعز إلى الجميع في تقديم الرجالة أمام الفرسان، وأن يزحفوا بجميعهم نحو دار الخائن، فإن أظفرهم الله به وبمن فيها من أهله وولده وإلا قصدوا دار المهلي ليلقاهم هناك من أمر بالعبور مع أبي العباس، فتكون أيديهم يدا واحدة على الفسقة.

فعمل أبو العباس وراشد وسائر قواد الموالي والغلمان بما أمروا به، فظهروا جميعا، وأبرزوا سفنهم في عشيهِ يوم الاثنين لسبع ليال خلون من ذي القعدة سنة تسع وستين ومائتين، وسار الفرسان يتلو بعضهم بعضا، ومشت الرجالة وسارت السفن في دجلة منذ صلاة الظهر من يوم الاثنين إلى آخر وقت عشاء الآخرة من ليلة الثلاثاء، فانتهاوا إلى موضع من أسفل العسكر، وكان الموقف أمر بإصلاحه وتنظيفه وتنقية ما فيه من خراب ودغل، وطم سواقيه وأنهاره حتى استوى واتسع، وبعدت أقطاره واتخذ فيه قصرا وميدانا لعرض الرجال والخيل بإزاء قصر الفاسق، وكان غرضه في ذلك إبطال ما كان الخبيث يعد به أصحابه من سرعة انتقاله عن موضعه، فأراد أن يعلم الفريقين أنه غير راحل حتى يحكم الله بينه وبين عدوه، فبات الجيش ليلة الثلاثاء في هذا الموضع بإزاء عسكر الفاسق، وكان الجميع زهاء خمسين ألف رجل من الفرسان والرجالة في أحسن زي وأكل هيئة، وجعلوا يكبرون ويهللون، ويقرءون القرآن، ويصلون، ويوقدون النار فرأى الخبيث من كثرة الجمع والعدة والعدد ما بهر عقله وعقول أصحابه، وركب الموقف في عشيهِ يوم الاثنين الشذا، وهي يومئذ مائة وخمسون شذاة قد شخها بأنجاد غلمانه ومواليه الناشبة والراحمة، ونظمها من أول عسكر الخائن إلى آخره، لتكون حصنا للجيش من ورائه، وطرحت أناجرها بحيث تقرب من الشط، وأفرد منها شذوات اختارها لنفسه، ورتب فيها من خاصة قواد غلمانه ليكونوا معه عند تقحمه نهر أبي الخصيب، وانتخب من الفرسان والرجالة عشرة آلاف، وأمرهم أن يسيروا على جانبي نهر أبي الخصيب بمسيره، ويقفوا بوقوفه، ويتصرفوا فيما رأى أن يصرفهم فيه في وقت الحرب.

وغدا الموقف يوم الثلاثاء لقتال الفاسق صاحب الزنج، وتوجه كل رئيس من رؤساء قواده نحو الموضع الذي أمر بقصده، وزحف الجيش نحو الفاسق وأصحابه، فتلقاهم الخبيث في جيشه، واشتبكت الحرب، وكثر القتل والجراح بين الفريقين، وحامى الفسقة عما كانوا اقتصروا عليه من مدينتهم أشد محاماة، واستماتوا، وصبر أصحاب الموقف، وصدقوا القتال، فمن الله عليهم بالنصر، وهزم الفسقة، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وأسروا من مقاتلتهم وأنجادهم جمعا كثيرا.

وأتي الموقف بالأسارى، فأمر بهم فضربت أعناقهم في المعركة، وقصد بجمعه لدار الفاجر فوافاها، وقد لجأ الخبيث إليها، وجمع أنجاد أصحابه للدفاع عنها، فلما لم يغنوا عنها شيئا أسلمها، وتفرق أصحابه عنها، ودخلها غلمان الموقف، وفيها بقايا ما كان سلم للخبيث من ماله وأثاثه، فانتهبوا ذلك كله، وأخذوا حرمة وولده الذكور والإناث، وكانوا أكثر من مائة بين امرأة وصبي، وتخلص الفاسق ومضى هاربا

نحو دار المهلي، لا يلوي على أهل ولا مال، وأحرقت داره وما بقي فيها من متاع وأثاث، وأتى الموفق بنساء الخبيث وأولاده، فأمر بحملهم إلى الموقية والتوكيل بهم، والإحسان إليهم.

وكان جماعة من قواد أبي العباس عبروا نهر أبي الخصيب، وقصدوا الموضع الذي أمروا بقصده من دار المهلي، ولم ينتظروا إلحاق أصحابهم بهم، فوافوا دار المهلي، وقد لجأ إليها أكثر الزنج بعد انكشافهم عن دار الخبيث، فدخل أصحاب أبي العباس الدار، وتشاغلو بالنهب وأخذ ما كان غلب عليه المهلي من حرم المسلمين وأولاده منهم، وجعل كل من ظفر بشيء انصرف به إلى سفينته في نهر أبي الخصيب.

وتبين الزنج قلة من بقي منهم وتشاغلوهم بالنهب، فخرجوا عليهم من عدة مواضع قد كانوا كنوا فيها، فأزالوهم عن مواضعهم، فأنكشفوا، واتبعهم الزنج حتى وافوا نهر أبي الخصيب وقتلوا من فرسانهم ورجالهم جماعة يسيرة، وارتجعوا بعض ما كانوا أخذوا من النساء والمتاع. وكان فريق من غلمان الموفق وأصحابه الذين قصدوا دار الخبيث في شرقي نهر أبي الخصيب تشاغلو بالنهب وحمل الغنائم إلى سفنهم، فأطمع ذلك الزنج فيهم، فأكبوا عليهم، فكشفوهم واتبعوا آثارهم إلى الموضع المعروف بسوق الغنم من عسكر الزنج، فثبتت جماعة من قواد الغلمان في أنجاد

أصحابهم وشجعانهم، فردوا وجوه الزنج حتى ثاب الناس، وتراجعوا إلى مواقعهم، ودامت الحرب بينهم إلى وقت صلاة العصر فأمر أبو أحمد عند ذلك غلمانه أن يحملوا على الفسقة بأجمعهم حملة صادقة، ففعلوا ذلك، فانهزم الزنج وأخذتهم السيوف حتى انتهوا إلى دار الخبيث، فرأى الموفق عند ذلك أن يصرف غلمانه وأصحابه على إحسانهم، فأمرهم بالرجوع، فانصرفوا على هدو وسكون، فأقام الموفق في النهر ومن معه في الشذا يحميهم، حتى دخلوا سفنهم، وأدخلوها خيلهم، وأحجم الزنج عن اتباعهم لما نالهم في آخر الوقعة وانصرف الموفق ومعه أبو العباس وسائر قواده وجميع جيشه قد غنموا أموال الفاسق، واستنقذوا جمعا من النساء اللواتي كان غلب عليهن من حرم المسلمين كثيرا، جعلن يخرجن في ذلك اليوم أرسالا إلى فوهة نهر أبي الخصيب، فيحملن في السفن إلى الموقية إلى انقضاء الحرب. وكان الموفق تقدم إلى أبي العباس في هذا اليوم أن ينفذ قائدا من قواده في خمس شذوات إلى مؤخر عسكر الخبيث بنهر أبي الخصيب، لإحراق بيادر ثم جليل قدرها، كان الخبيث يقوت أصحابه منها من الزنج وغيرهم، ففعل ذلك وأحرق أكثره وكان إحراق ذلك من أقوى الأشياء على إدخال الضعف على الفاسق وأصحابه، إذ لم يكن لهم معول في قوتهم غيره، فأمر أبو أحمد بالكتاب بما تهيأ له على الخبيث وأصحابه في هذا اليوم إلى الآفاق ليقرا على الناس، ففعل ذلك.

وفي يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ذي الحجة من هذه السنة وافى عسكر أبي أحمد صاعد بن مخلد كاتبه منصرفا إليه من سامرا، ووافى معه بجيش كثيف قيل إن عدد الفرسان والرجالة الذين قدموا كان زهاء عشرة آلاف، امر الموفق بإراحة أصحابه وتجديد أسلحتهم وإصلاح أمورهم، وأمرهم بالتأهب لمحاربة الخبيث فأقام أياما بعد قدومه لما أمر به

فهم في ذلك من أمرهم، إذ ورد كتاب لؤلؤ صاحب ابن طولون مع بعض قواده، يسأله فيه الإذن له في القدوم عليه، ليشهد عليه حرب الفاسق فأجابه إلى ذلك، فأذن له في القدوم عليه، وأخر ما كان عزم عليه من مناجزة الفاجر انتظارا منه قدوم لؤلؤ، وكان لؤلؤ مقيما بالركة في جيش عظيم من الفراغنة والأترار والروم والبربر والسودان وغيرهم، من نخبة أصحاب ابن طولون، فلما ورد على لؤلؤ كتاب أبي أحمد بالإذن له في القدوم عليه، شخص من ديار مضر حتى ورد مدينة السلام في جميع أصحابه، وأقام بها مدة، ثم شخص إلى أبي أحمد فوافاه بعسكره يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرم سنة سبعين ومائتين، فجلس له أبو أحمد، وحضر ابنه أبو العباس وصاعد والقواد على مراتبهم، فأدخل عليه لؤلؤ في زي حسن، فأمر أبو العباس أن ينزل معسكرا كان أعد له بإزاء نهر أبي الخصيب، فنزله في أصحابه، وتقدم إليه في مباركه المصير إلى دار الموفق، ومعه قواده وأصحابه للسلام عليه فغدا لؤلؤ يوم الجمعة لثلاث خلون من المحرم، وأصحابه معه في السواد، فوصل إلى الموفق وسلم عليه فقربه وأداناه، ووعد وأصحابه خيرا، وأمر أن يخلع عليه وعلى خمسين ومائة قائد من قواده، وحمله على خيل كثيرة بالسروج والجمل المحلاة بالذهب والفضة، وحمل بين يديه من أصناف الكسب والأموال في البدور ما يحمله مائة غلام، وأمر لقواده من الصلات والجلان والكسب على قدر محل كل إنسان منهم عنده، وأقطعه ضياعا جليلا القدر، وصرفه

إلى عسكره بإزاء نهر أبي الخصيب بأجل حال، وأعدت له ولأصحابه الأنزال والعلوفات، وأمره برفع جرائد لأصحابه بمبلغ أرزاقهم على مراتبهم، فرفع ذلك، فأمر لكل إنسان منهم بالضعف مما كان يجرى له وأمر لهم بالعطاء عند رفع الجرائد، ووفوا ما رسم لهم. ثم تقدم إلى لؤلؤ في التأهب والاستعداد للعبور إلى غربي دجلة لمحاربة الفاسق وأصحابه، وكان الخبيث لما غلب على نهر أبي الخصيب، وقطعت

القناطر والجسور التي كانت عليه أحدث سكرًا في النهر من جانبيه، وجعل في وسط السكر بابا ضيقا ليحتد فيه جرية الماء، فيمتنع الشذا من دخوله في الجزر، ويتعذر خروجها منه في المد، فرأى أبو أحمد أن حربه لا تنهيا له إلا بقلع هذا السكر، فحاول ذلك، فاشتدت محاماة الفسقة عنه، وجعلوا يزيّدون فيه في كل يوم وليلة، وهو متوسط دورهم، والمثونة لذلك تسهل عليهم وتغلظ على من حاول قلعه. فرأى أبو أحمد أن يحارب بفريق بعد فريق من أصحاب لؤلؤ، ليضروا لمحاربة الزنج، ويقفوا على المسالك والطرق في مدينتهم، فأمر لؤلؤ أن يحضر في جماعة من أصحابه للحرب على هذا السكر، وأمر بإحضار الفعلة لقلعه، ففعل فرأى الموفق من نجدة لؤلؤ وإقدامه وشجاعة أصحابه وصبرهم على ألم الجراح وثبات العدة اليسيرة منهم، في وجوه الجمع الكثير من الزنج ما سره فأمر لؤلؤ بصرف أصحابه إشفاقا عليهم، وضنا بهم، فوصلهم الموفق، وأحسن إليهم، وردهم إلى معسكرهم، وألح الموفق على هذا السكر، فكان يحارب المحامين عنه من أصحاب الخبيث بأصحاب لؤلؤ وغيرهم، والفعلة يعملون في قلعه، ويحارب الفاجر وأشباهه من عدة وجوه، فيحرق مساكنهم، ويقتل مقاتلتهم، ويستأن إلى الجماعة من رؤسائهم.

وكانت قد بقيت للخبيث وأصحابه أرضون من ناحية نهر الغربي، كان لهم فيها مزارع وخضر وقنطريتان على نهر الغربي، يعبرون عليها إلى هذه الأرضين، فوقف أبو العباس على ذلك فقصد لتلك الناحية، واستأذن الموفق في ذلك، فأذن له، وأمره باختيار الرجال، وأن يجعلهم شجعاء أصحابه وغلما، ففعل أبو العباس ذلك، وتوجه نحو نهر الغربي، وجعل زيرك كمينًا في جمع من أصحابه في غربي النهر، وأمر رشيكا غلامه أن يقصد في جمع كثير من أنجاد رجاله ومختاريهم للنهر المعروف بنهر العميسيين، ليخرج في ظهور الزنج وهم غارون، فيوقع بهم في هذه الأرضين وأمر زيرك أن يخرج في

٩٠٥١٠١٤ أخبار متفرقة

وجوههم إذا أحس بانهمزاهم من رشيكا.

وأقام أبو العباس في عدة شذوات قد انتخب مقاتلتها واختارهم في فوهة نهر الغربي، ومعه من غلمانه البيضان والسودان عدد قد رضيه، فلما ظهر رشيكا للفجرة في شرقي نهر الغربي، راعهم فأقبلوا يريدون العبور إلى غربيه ليهربوا إلى عسكرهم، فلما عاينهم أبو العباس اقتحم النهر بالشذوات، وبث الرجال على جافتيه، فأدركوهم ووضعوا السيوف فيهم، فقتل منهم في النهر وعلى ضفتيه خلق كثير، وأسر منهم أسرى، وأفلت آخرون، فتلقاهم زيرك في أصحابه فقتلوهم، ولم يفلت منهم إلا الشريد، وأخذ أصحاب أبي العباس من أسلحتهم ما ثقل عليهم حمله، حتى ألقوا أكثره وقطع أبو العباس القنطريتين، وأمر بإخراج ما كان فيهما من البدود والخنشب إلى دجلة وانصرف إلى الموفق بالأسارى والرءوس، فطيف بها في العسكر، وانقطع عن الفسقة ما كانوا يرتفقون به من المزارع التي كانت بنهر الغربي.

[أخبار متفرقة]

وفي ذي الحجة من هذه السنة أعني سنة تسع وستين ومائتين - أدخل عيال صاحب الزنج وولده بغداد.

وفيها سمي صاعد ذا الوزارتين وفي ذي الحجة منها كانت وقعة بين قائدين وجيش معهما لابن طولون كان أحدهما يسمى محمد بن السراج والآخر منهما يعرف بالغنوي، كان ابن طولون وجههما، فوافيا مكة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي القعدة في أربعمئة وسبعين فارسا وألفي راجل، فأعطوا الجزارين والحناطين دينارين دينارين، والرؤساء سبعة سبعة، وهارون بن محمد عامل مكة إذ ذاك ببستان ابن عامر، فوافي مكة جعفر بن الباغمردي لثلاث خلون من ذي الحجة في نحو من مائتي فارس، وتلقاه هارون في مائة وعشرين فارسا ومائتي

أسود وثلاثين فارسا من أصحاب عمرو بن الليث ومائتي راجل ممن قدم من العراق، فقوي بهم جعفر، فالتقوا هم وأصحاب ابن طولون،

وأعان جعفرًا حاج أهل خراسان، فقتل من أصحاب ابن طولون بيطن مكة نحو من مائتي رجل، وانهزم الباقون في الجبال وسلبوا دوابهم وأموالهم، ورفع جعفر السيف. وحوى جعفر مضرب الغنوي وقيل: أنه كان فيه مائتا ألف دينار، وآمن المصريين والحناطين والجزارين، وقرأ كتاب في المسجد الحرام ولعن ابن طولون، وسلم الناس وأموال التجار. وجج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق الهاشمي، ولم يبرح إسحاق بن كنداج- وقد ولي المغرب كله في هذه السنة- سامرا حتى انقضت السنة.

٩٠٥٢ سنه سبعين ومائتين

٩٠٥٢٠١ ذكر الخبر عن قتل صاحب الزنج واسر من معه

ثم دخلت

سنة سبعين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة) ففي المحرم منها كانت وقعة بين أبي أحمد وصاحب الزنج اضعفت اركان صاحب الزنج. ذكر الخبر عن قتل صاحب الزنج واسر من معه وفي صفر منها قتل الفاجر، وأسر سليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمداني واستريح من أسباب الفاسق. ذكر الخبر عن هاتين الوقعتين:

قد ذكرنا قبل أمر السكر الذي كان الخبيث أحدثه، وما كان من أمر أبي أحمد وأصحابه في ذلك ذكر أن أبا أحمد لم يزل ملحا على الحرب على ذلك السكر حتى تهيأ له فيه ما أحب، وسهل المدخل للشذا في نهر أبي الخصب في المد والجزر، وسهل لأبي أحمد في موضعه الذي كان مقيما فيه كل ما أراحه من رخص الأسعار وثناب المير وحمل الأموال إليه من البلدان ورغبة الناس في جهاد الخبيث ومن معه من أشياعه، فكان ممن صار إليه من المطوعة أحمد بن دينار عامل إيذج ونواحيها من كور الأهواز في جمع كثير من الفرسان والرجالة، فكان يباشر الحرب بنفسه وأصحابه إلى أن قتل الخبيث ثم قدم بعده من أهل البحرين- فيما ذكر- خلق كثير، زهاء ألفي رجل، يقودهم رجل من عبد القيس، فجلس لهم أبو أحمد، ودخل إليه رئيسهم ووجوههم، فأمر أن يخلع عليهم، واعترض رجالهم أجمعين وأمر بإقامة الأتزال لهم، وورد بعدهم زهاء ألف رجل من كور فارس، يرأسهم شيخ من المطوعة يكنى أبا سلمة، فجلس لهم الموفق، فوصل إليه هذا الشيخ ووجوه

أصحابه، فأمر لهم بالخلع، وأقر لهم الأتزال، ثم ثابعت المطوعة من البلدان، فلما تيسر له ما أراد من السكر الذي ذكرنا، عزم على لقاء الخبيث، فأمر بإعداد السفن والمعاير وإصلاح آلة الحرب في الماء وعلى الظهر، واختار من يثق ببأسه ونجدته في الحرب فارسا وراجلا، لضيق المواضع التي كان يحارب فيها وصعوبتها وكثرة الخنادق والأنهار بها، فكانت عدة من تخير من الفرسان زهاء ألفي فارس، ومن الرجالة خمسين ألفا أويزيديون، سوى من عبر من المطوعة وأهل العسكر، ممن لا ديوان له، وخلف بالموفقية من لم يتسع السفن بحمله جما كثيرا أكثرهم من الفرسان.

وتقدم الموفق إلى أبي العباس في القصد للموضع الذي كان صار إليه في يوم الثلاثاء لعشر خلون من ذي القعدة سنة تسع وستين ومائتين من الجانب الشرقي بإزاء دار المهلي في أصحابه وغلبلانه ومن ضمهم إليه من الخيل والرجالة والشذا وأمر صاعد بن مخلد بالخرج على النهر المعروف بأبي شاكر في الجانب الشرقي أيضا، ونظم القواد من مواليه وغلبلانه من فوهة نهر أبي الخصب إلى نهر الغربي وكان فيمن خرج من حد دار الكرنباي إلى نهر أبي شاكر راشد ولؤلؤ، موليا الموفق، في جمع من الفرسان والرجالة زهاء عشرين ألفا، يتلو بعضهم بعضا، ومن نهر أبي شاكر إلى النهر المعروف بجوى كور جماعة من قواد الموالي والغلبلان، ثم من نهر جوى كور إلى نهر الغربي مثل ذلك وأمر شبلا أن يقصد في أصحابه ومن ضم إليه إلى نهر الغربي، فيأتي منه مؤازيا لظهر دار المهلي، فيخرج من ورائها عند اشتباك الحرب، وأمر الناس أن يزحفوا بجمعهم إلى الفاسق، لا يتقدم بعضهم بعضا، وجعل لهم أمانة الزحف، تحريك علم أسود أمر بنصبه

على دار الكربائي بفوهة نهر أبي الخصيب في موضع منها مشيد عال، وأن ينفخ لهم ببوق بعيد الصوت، وكان عبوره يوم الاثنين ثلاث ليال بقين من المحرم سنة سبعين ومائتين، فجعل بعض من كان على النهر المعروف بجوى كوريزحف قبل ظهور العلامة، حتى قرب من دار المهلي، فلقبه وأصحابه الزنج فردوهم إلى مواضعهم، وقتلوا منهم جمعا، ولم يشعر سائر الناس بما حدث على هؤلاء المتسرعين للقتال لكثرتهم وبعد المسافة فيما بين بعضهم وبعض.

فلما خرج القواد ورجالهم من المواضع التي أمروا بالخروج منها، واستوى الفرسان والرجالة في أماكنهم، أمر الموفق بتحريك العلم والنفخ في البوق، ودخل النهر في الشذا، وزحف الناس يتلو بعضهم بعضا، فلقبهم الزنج قد حشدوا وجموا واجتروا بما تهيأ لهم على من كان تسرع إليهم، فلقبهم الجيش بنات صادقة وبصائر نافذة، فأزالوهم عن مواضعهم بعد كرات كانت بين الفريقين، صرع فيها منهم جمع كثير وصبر أصحاب أبي أحمد، فن الله عليهم بالنصر، ومنحهم أكثاف الفسقة، فولوا منهزمين، واتبعهم أصحاب الموفق، يقتلون ويأسرون وأحاط أصحاب أبي أحمد بالفجرة من كل موضع، فقتل الله منهم في ذلك اليوم ما لا يحيط به الإحصاء، وغرق منهم في النهر المعروف بجوى كور مثل ذلك، وحوى أصحاب الموفق مدينة الفاسق بأسرها، واستنقذوا من كان فيها من الأسرى من الرجال والنساء والصبيان، وظفروا بجميع عيال علي بن أبان المهلي وأخويه الخليل ومحمد ابني أبان وسليمان بن جامع وأولادهم، وعبر بهم إلى المدينة الموقية.

ومضى الفاسق في أصحابه ومعه المهلي وابنه أنكلياي وسليمان بن جامع وقواد من الزنج وغيرهم هرابا، عامدين لموضع قد كان الخبيث رآه لنفسه ومن معه ملجأ إذا غلبوا على مدينته، وذلك على النهر المعروف بالسفياني. وكان أصحاب أبي أحمد حين انهزم الخبيث، وظفروا بما ظفروا به، أقاموا عند دار المهلي الواغلة في نهر أبي الخصيب، وتشاغلو بانتهاج ما كان في الدار وإحراقها وما يليها، وتفرقوا في طلب النهب، وكل ما بقي للفاسق وأصحابه مجموعا في تلك الدار. وتقدم أبو أحمد في الشذا قاصدا للنهر المعروف بالسفياني، ومعه لؤلؤ في

أصحابه الفرسان والرجالة، فانقطع عن باقي الجيش، فظنوا أنه قد انصرف، فانصرفوا إلى سفنهم بما حووا، وانتهى الموفق فيمن معه إلى معسكر الفاسق وأصحابه وهم منهزمون، فاتبعهم لؤلؤ وأصحابه حتى عبروا النهر المعروف بالسفياني، فاقتحم لؤلؤ النهر بفرسه، وعبر أصحابه خلفه، ومضى الفاسق حتى انتهى إلى النهر المعروف بالقريري، فوصل إليه لؤلؤ وأصحابه، فأوقعوا به وبمن معه، فكشفوهم، فولوا هاربين وهم يتبعونهم، حتى عبروا النهر المعروف بالقريري، وعبر لؤلؤ وأصحابه خلفهم والجثوهم إلى النهر المعروف بالمساوان، فعبروه واعتصموا بجبل وراءه.

وكان لؤلؤ وأصحابه الذين انفردوا بهذا الفعل دون سائر الجيش، فاتته بهم الجد في طلب الفاسق وأشياعه إلى هذا الموضع الذي وصفنا في آخر النهار، فأمره الموفق بالانصراف محمود الفعل، فحمله الموفق معه في الشذا، وجد له من البر والكرامة ورفع المرتبة، لما كان منه في أمر الفسقة حسب ما كان مستحقا ورجع الموفق في الشذا في نهر أبي الخصيب وأصحاب لؤلؤ يسايرونه فلما حاذى دار المهلي، لم ير بها أحدا من أصحابه، فعلم أنهم قد انصرفوا، فاشتد غيظه عليهم، وسار قاصدا لقصره، وأمر لؤلؤ بالمضي بأصحابه إلى عسكره، وأيقن بالفتح لما رأى من أمارته، واستبشر الناس جميعا بما هيا الله من هزيمة الفاسق وأصحابه وإخراجهم عن مدينتهم، واستباحة كل ما كان لهم من مال وذخيرة وسلاح، واستنفاد جميع من كان في أيديهم من الأسرى وكان في نفس أبي أحمد على أصحابه من الغيظ لمخالفتهم أمره، وتركهم الوقوف حيث وقفهم، فأمر بجمع قواد مواليه وغلماؤه وجوهرهم، فجمعوا له، فوبخهم على ما كان منهم وعجزهم، وأغلظ لهم، فاعتذروا بما توهما من انصرافه، وأنهم لم يعلموا بمسيره إلى الفاسق وانتهائه إلى حيث انتهى من عسكره، وأنهم لو علموا ذلك لأسرعوا نحوه، ولم يبرحوا موضعهم حتى تحالفوا وتعاقدوا على ألا ينصرف منهم أحد إذا توجهوا نحو

الخبيث حتى يظفرهم الله به، فإن أعياهم ذلك أقاموا بمواضعهم حتى يحكم الله بينهم وبينه وسألوا الموفق أن يأمر برد السفن التي يعبرون فيها إلى الموقية عند خروجهم منها للحرب، لتقطع أطماع الذين يريدون الرجوع عن حرب الفاسق من ذلك، فجزاهم أبو أحمد الخير على تنصلهم من خطئهم، ووعدهم الإحسان، وأمرهم بالتأهب للعبور، وأن يعظوا أصحابهم بمثل الذي وعظوا به وأقام الموفق بعد ذلك

يوم الثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة لإصلاح ما يحتاج إليه، فلما كمل ذلك تقدم إلى من يثق إليه من خاصته وقواد غلمانه ومواليه، بما يكون عليه عملهم في وقت عبورهم.

وفي عشي يوم الجمعة، تقدم إلى أبي العباس وقواد غلمانه ومواليه بالنهوض إلى مواضع سماها لهم، فأمر أبا العباس بالقصد في أصحابه إلى الموضع المعروف بعسكر ريحان، وهو بين النهر المعروف بالسفياني والموضع الذي لجأ إليه، وأن يكون سلوكه بجيشه في النهر المعروف بنهر المغيرة، حتى يخرج بهم في معترض نهر أبي الخصيب، فيوافي بهم عسكر ريحان من ذلك الوجه، وأنفذ قائداً من قواد غلمانه السودان، وأمره أن يصير إلى نهر الأمير فيعترض في المنصف منه، وأمر سائر قواده وغلمانه بالمبيت في الجانب الشرقي من دجلة بإزاء عسكر الفاسق متأهبين للغزو على محاربتة وجعل الموفق يطوف في الشذا على القواد ورجالهم في عشي يوم الجمعة وليلة السبت، ويفرقهم في مراكزهم والمواضع التي رتبهم فيها من عسكر الفاسق، ليياكروا المصير إليها على ما رسم لهم.

وغدا الموفق يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين، فوافي نهر أبي الخصيب في الشذا، فأقام بها حتى تكامل عبور الناس وخروجهم عن سفنهم، وأخذ الفرسان والرجالة مراكزهم، وأمر بالسفن والمعابر فردت إلى الجانب الشرقي، وأذن للناس في الزحف إلى الفاسق، وسار يقدمهم حتى وافى الموضع الذي قدر أن يثبت الفسقة فيه لمداغة الجيش عنهم.

وقد كان الخائن وأصحابه نخبهم رجعوا إلى المدينة يوم الاثنين بعد انصراف

الجيش عنها، وأقاموا بها، وأملوا أن تتناول بهم الأيام، وتندفع عنهم المناجزة، فوجد الموفق المتسرعين من فرسان غلمانه ورجالتهم قد سبقوا أعظم الجيش، فأوقعوا بالفاجر وأصحابه وقعة أزالوهم بها عن مواقعهم، فانهمزوا وتفرقوا لا يلوي بعضهم على بعض، واتبعهم الجيش يقتلون ويأسرون من لحقوا منهم، وانقطع الفاسق في جماعة من حماته من قواد الجيش ورجالهم، وفيهم المهليبي.

وفارقه ابنه أنكلاي وسليمان بن جامع، فقصد لكل فريق ممن سمينا جمع كثيف من موالي الموفق وغلمانه الفرسان والرجالة، ولقي من كان رتبة الموفق من أصحاب أبي العباس في الموضع المعروف بعسكر ريحان المنهزمين من أصحاب الفاجر، فوضعوا فيهم السلاح ووافى القائد المرتب في نهر الأمير، فاعترض الفجرة، فأوقع بهم وصادف سليمان بن جامع فخاربه، فقتل جماعة من حماته، فظفر بسليمان فأسره، فأتى به الموفق بغير عهد ولا عقد، فاستبشر الناس بأسر سليمان، وكثر التكبير والضجيج، وأيقنوا بالفتح إذ كان أكثر أصحابه غناء عنه وأسر بعده إبراهيم بن جعفر الهمداني - وكان أحد أمراء جيوشه - وأسر نادر الأسود المعروف بالحفار، وهو أحد قدماء أصحاب الفاجر - فأمر الموفق بالاستيثاق منهم وتصييرهم في شدة لأبي العباس. ففعل ذلك.

ثم أن الزنج الذين انفردوا مع الفاسق عطفوا على الناس عطفة أزالوهم بها عن مواقعهم، ففتروا لذلك، وأحس الموفق بفتورهم، فجذ في طلب الخبيث، وأمعن في نهر أبي الخصيب، فشد ذلك من قلوب مواليه وغلمانه، ووجدوا في الطلب معه.

وانتهى الموفق إلى نهر أبي الخصيب، فوافاه البشير بقتل الفاجر، ولم يلبث أن وافاه بشير آخر ومعه كف زعم أنها كفه، فقوي الخبر عنده بعض القوة ثم أتاه غلام من أصحاب لؤلؤ يركض على فرس، ومعه رأس الخبيث،

فأدناه منه، فعرضه على جماعة ممن كان بحضرته من قواد المستأمنة، فعرفوه.

نفر الله ساجدا على ما أولاه وأبلاه، وسجد أبو العباس وقواد موالي الموفق وغلمانه شكرا لله، وأكثروا حمد الله والثناء عليه، وأمر الموفق برفع رأس الفاجر على قناة ونصبه بين يديه، فتأمله الناس وعرفوا صحة الخبر بقتله، فارتفعت أصواتهم بالحمد لله وذكر أن أصحاب الموفق لما أحاطوا بالخبيث، ولم يبق معه من رؤساء أصحابه إلا المهليبي، ولى عنه هاربا واسلمه وقصد النهر المعروف بنهر الأمير، فقذف نفسه فيه يريد النجاة، وقبل ذلك ما كان ابن الخبيث أنكلاي فارق أباه، ومضى يؤم النهر المعروف بالديناري، فأقام فيه متحصنا بالأدغال والآجام، وانصرف الموفق ورأس الخبيث منصوب بين يديه على قناة في شدة، يخترق بها نهر أبي الخصيب، والناس في جنبتي النهر ينظرون إليه حتى وافى دجلة، فخرج إليها فأمر برد السفن التي كان عبر بها في أول النهار إلى الجانب الشرقي من دجلة، فردت ليعبر الناس فيها.

ثم سار ورأس الخبيث بين يديه على القناة، وسليمان بن جامع والهمداني مصلوبان في الشذا، حتى وافى قصره بالموفقية وأمر أبا العباس

يركوب الشذا وإقرار الرأس وسليمان والهمداني على حالهم والسير بهم إلى نهر جطى، وهو أول عسكر الموفق، ليقع عليهم عيون الناس جميعاً في العسكر، ففعل ذلك وانصرف إلى أبيه أبي أحمد فأمر بحبس سليمان والهمداني وإصلاح الرأس وتنقيته. وذكر أنه نتاج مجيء الزنج الذين كانوا أقاموا مع الخبيث وآثروا صحبته، فوافى ذلك اليوم زهاء ألف منهم، ورأى الموفق بذل الأمان، لما رأى من كثرتهم وشجاعتهم، لثلا تبقى منهم بقية تخاف معرفتها على الإسلام وأهله، فكان من وافى من قواد الزنج ورجالهم في بقية يوم السبت وفي يوم الأحد

٩٠٥٢٠٢ ذكر خبر استئمان درمويه الزنجي إلى أبي أحمد

والاثني زهاء خمسة آلاف زنجي، وكان قد قتل في الوقعة وغرق وأسر منهم خلق كثير لا يوقف على عددهم، وانقطعت منهم قطعه زهاء ألف رنجي مالوا نحو البر، فمات أكثرهم عطشاً، فظفر الأعراب بمن سلم منهم واسترقوهم. وانتهى إلى الموفق خبر المهلي وأنكلاي ومقامهما بحيث أقاما مع من تبعهما من جلة قواد الزنج ورجالهم، فبث أنجاد غلمانهم في طلبهم، وأمرهم بالتضييق عليهم، فلما أيقنوا بأن لا ملجأ لهم أعطوا بأيديهم، فظفر بهم الموفق وبمن معهم، حتى لم يشذ أحد وقد كانوا على نحو العدة التي خرجت إلى الموفق بعد قتل الفاجر في الأمان، فأمر الموفق بالاستيثاق من المهلي وأنكلاي وحبسهما، ففعل. وكان فيمن هرب من عسكر الخبيث يوم السبت ولم يركن إلى الأمان قرطاس الذي كان رمى الموفق بالسهم، فانتبه به الهرب إلى رامهرمز، فعرفه رجل قد كان رآه في عسكر الخبيث فدل عليه عامل البلد، فأخذه وحمله في وثاق، فسأل أبو العباس أباه أن يولييه قتله فدفعه إليه فقتله.

ذكر خبر استئمان درمويه الزنجي إلى أبي أحمد

وفيها استأمن درمويه الزنجي إلى أبي أحمد، وكان درمويه هذا- فيما ذكر- من أنجاد الزنج وأبطالهم، وكان الفاجر وجهه قبل هلاكه بمدة طويلة إلى أواخر نهر الفهريج، وهي من البصرة في غربي دجلة، فأقام هنالك بموضع وعمر كثير النخل والدغل والآجام متصل بالبطيحة، وكان درمويه ومن معه هنالك يقطعون على السابلة في زواريق خفاف وسميريات اتخذوها لأنفسهم، فإذا طلبهم أصحاب الشذا ولجوا الأنهار الضيقة، واعتصموا بمواضع الأدغال منها، وإذا تعذر عليهم مسلك نهر منها لضيقها خرجوا من سفنهم وحملوها على ظهورهم، ولجئوا إلى هذه المواضع الممتنة.

وفي خلال ذلك يغيرون على قرى البطيحة وما يليها، فيقتلون ويسلبون

من ظفروا به، فكث درمويه ومن معه يفعلون هذه الأفعال إلى أن قتل الفاجر وهم بموضعهم الذي وصفنا أمره، لا يعلمون بشيء مما حدث على صاحبهم فلما فتح بقتل الخبيث موضعه، وأمن الناس وانتشروا في طلب المكاسب وحمل التجارات، وسلكت السابلة دجلة، أوقع درمويه بهم، فقتل وسلب، فأوحش الناس ذلك، واشترأب لمثل ما فيه درمويه جماعة من شرار الناس وفساقهم، وحدثوا أنفسهم بالمصير إليه وبالمقام معه على مثل ما هو عليه، فعزم الموفق على تسريح جيش من غلمانهم السودان ومن جرى مجراهم من أهل البصر بالحرب في الأدغال ومضايق الأنهار، وأعد لذلك صغار السفن وصنوف السلاح، فبينما هو في ذلك وافى رسول درمويه يسأل الأمان له على نفسه وأصحابه، فرأى الموفق أن يؤمنه ليقطع مادة الشر الذي كان فيه الناس من الفاجر وأشياعه.

وذكر أن سبب طلب درمويه الأمان كان أنه كان فيمن أوقع به قوم ممن خرج من عسكر الموفق للقصد إلى منازلهم بمدينة السلام، فيهم نسوة، فقتلهم وسلبهم، وغلب على النسوة اللاتي كن معهم، فلما صرن في يده بحثن عن الخبر، فأخبرنه بقتل الفاسق والظفر بالمهلي وأنكلاي وسليمان بن جامع وغيرهم من رؤساء أصحاب الفاسق وقواده ومصير أكثرهم إلى الموفق في الأمان وقبوله إياهم وإحسانه إليهم، فأسقط في يده، ولم ير لنفسه ملجأ إلا التعوذ بالأمان ومسألة الموفق الصفح عن جرمه، فوجه في ذلك، فأجيب إليه. فلما ورد عليه الأمان خرج وجميع من معه حتى وافى عسكر الموفق، فوافت منهم قطعة حسنة كثيرة العدد لم يصيبها يؤس الحصار وضره مثل ما أصاب سائر أصحاب الخبيث، لما كان يصل إليهم من أموال الناس وميرهم.

فذكر أن درمويه لما أومن وأحسن إليه وإلى أصحابه، أظهر كل ما كان في يده وأيديهم من أموال الناس وأمتعتهم، ورد كل شيء منه إلى أهله ردا ظاهرا مكشوفاً، فووفق بذلك على إنابته، نفلع عليه وعلى وجوه أصحابه وقواده، ووصلوا فضمهم الموفق إلى قائد من قواد غلنانه، وأمر الموفق أن يكتب إلى أمصار الإسلام بالنداء في أهل البصرة والأبلة وكور دجلة وأهل الأهواز وكورها وأهل واسط وما حولها مما دخله الزنج بقتل الفاسق، وأن يؤمروا بالرجوع إلى أوطانهم ففعل ذلك، فسارع الناس إلى ما أمروا به، وقدموا المدينة الموفقية من جميع النواحي. وأقام الموفق بعد ذلك بالموفقية ليزداد الناس بمقامه أماناً وإيناساً، وولى البصرة والأبلة وكور دجلة رجالاً من قواد مواليه قد كان حمد مذهبه، ووقف على حسن سيرته، يقال له العباس بن تركس، فأمره بالانتقال إلى البصرة والمقام بها. وولى قضاء البصرة والأبلة وكور دجلة وواسط محمد بن حماد وقدم ابنه أبا العباس إلى مدينة السلام، ومعه رأس الخبيث صاحب الزنج ليراه الناس، فاستبشروا، فنفذ أبو العباس في جيشه حتى وافى مدينة السلام يوم السبت لاثنتي عشرة بقية من جمادى الأولى من هذه السنة، فدخلها في أحسن زي، وأمر برأس الخبيث فسير به بين يديه على قناة، واجتمع الناس لذلك. وكان خروج صاحب الزنج في يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين، وقتل يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين، فكانت أيامه من لدن خرج إلى اليوم الذي قتل فيه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام، وكان دخوله الأهواز ثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ست وخمسين ومائتين، وكان دخوله البصرة وقتله أهلها وإحراقه ثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال سنة سبع وخمسين ومائتين، فقال- فيما كان من أمر الموفق، وأمر المخذول- الشعراء أشعاراً كثيرة، فما قيل في ذلك قول يحيى بن محمد الأسلمي:

أقول وقد جاء البشير بوقعة ... أعزت من الإسلام ما كان واهياً

جزى الله خير الناس للناس بعد ما ... أبيح حماهم خير ما كان جازياً

تفرد إذ لم ينصر الله ناصر ... بتجديد دين كان أصبح بالياً

وتشديد ملك قد وهى بعد عزه ... وإدراك ثارات تبهر الأعادياً

ورد عمارات أزيلت وأخرت ... ليرجع فيء قد تحرم وافياً

ويرجع أمصار أبيضت وأحرق ... مرارا فقد أمتست قواء عوافياً

ويشفي صدور المؤمنين بوقعه ... يقر بها منا العيون البواكياً

ويتلى كتاب الله في كل مسجد ... ويلقى دعاء الطالبين خاسياً

فأعرض عن أحبابه ونعيمه ... وعن لذة الدنيا وأقبل غازياً

في قصيدة طويلة ومن ذلك أيضاً قوله:

أين نجوم الكاذب المارق ... ما كان بالطب ولا الحاذق

صبحه بالنحس سعد بدا ... لسيد في قوله صادق

نفر في مأزقه مسلماً ... إلى أسود الغاب في المأزق

وذاق من كأس الردى شربة ... كرهية الطعم على الذائق

وقال فيه يحيى بن خالد:

يا بن الخلائف من أرومة هاشم ... والغامرين الناس بالأفضال

والذائدين عن الحريم عدوهم ... والمعلمين لكل يوم نزال

ملك أعاد الدين بعد دروسه ... واستنقذ الأسرى من الأغلال

أنت المحير من الزمان إذا سطا ... وإليك يقصد راغب بسؤال

أطفأت نيران النفاق وقد علت ... يا واهب الآمال والآجال

لله درك من سليل خلائف ... ماضي العزيمة طاهر السربال
أفنت جمع المارقين فأصبحوا ... متلدين قد أيقنوا بزوال
أمطرهم عزمات رأي حازم ... ملأت قلوبهم من الأهوال
لما طغى الرجس اللعين قصدته ... بالمشرفي وبالقنا الجوال
وتركت والطير يحجل حوله ... متقطع الأوداج والأوصال
يهوي إلى حر الجحيم وقعرها ... بسلاسل قد أوهنته ثقال
هذا بما كسبت يده وما جنى ... وبما أتى من سيئ الأعمال
أقررت عين الدين ممن قاده ... وادلته من قاتل الأطفال
صال الموفق بالعراق فافزعت ... من بالمغرب صولة الأبطال
وفيه يقول أيضا يحيى بن خالد بن مروان:
أبن لي جوابا أيها المنزل القفر ... فلا زال منها بساحاتك القطر
أبن لي عن الجيران أين تحملوا ... وهل عادت الدنيا، وهل رجع السفر!
وكيف تجيب الدار بعد دروسها ... ولم يبق من أعلام ساكنها سطر
منازل أبكاني مغاني أهلها ... وضائق بي الدنيا وأسلمني الصبر
كأنهم قوم رغا البكر فيهم ... وكان على الأيام في هلكهم نذر
وعاثت صروف الدهر فيهم فأسرعت ... وشر ذوي الأصعاد ما فعل الدهر
فقد طابت الدنيا وأينع نبتها ... بين ولي العهد وانقلب الأمر
وعاد إلى الأوطان من كان هاربا ... ولم يبق للملعون في موضع إثر
بسيف ولي العهد طالت يد الهدى ... وأشرق وجه الدين واصطم الكفر
وجاهدتهم في الله حق جهاده ... بنفس لها طول السلامة والنصر
وهي طويلة وقال يحيى بن محمد:
عني اشتغالك إني عنك في شغل ... لا تعذلي من به وقر عن العذل
لا تعذلي في ارتحالي إني رجل ... وقف على الشد والإسفار والرحل
فيم المقام إذا ما ضاق بي بلد ... كأنني لحجال العين والكلل
ما استيقظت همة لم تلف صاحبها ... يقظان قد جانبته لذة المقل
ولم يبت أمنا من لم يبت وجلا ... من أن يبيت له جار على وجل
وهي أيضا طويلة.

وفي هذه السنة في شهر ربيع الأول منها، ورد مدينة السلام الخبر أن الروم نزلت بناحية باب قلبية على ستة أميال من طرسوس، وهم زهاء مائة ألف، يرأسهم بطريق البطارقة أندرياس، ومعه أربعة آخر من البطارقة، نخرج إليهم يازمان انلخادم ليلا، فبيتهم، فقتل بطريق البطارقة وبطريق القباذيق وبطريق الناطلق، وأفلت بطريق قره وبه جراحات، وأخذ لهم سبعة صلبان من ذهب وفضة، فيها صليبيهم الأعظم من ذهب مكلل بالجواهر، وأخذ خمسة عشر ألف دابة وبغل، ومن السروج نحو من ذلك، وسيوف محلاة بذهب وفضة وآنية كثيرة، ونحو من عشرة آلاف علم ديباج، وديباج كثير وبزبون ولحف سمور، وكان النفير إلى أندرياس يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر ربيع الأول، فكبس ليلا وقتل من الروم خلق كثير، فزعم بعضهم أنه قتل منهم سبعون ألفا وفيها توفي هارون بن أبي أحمد الموفق بمدينة السلام يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الأولى.

ولست خلون من شعبان منها، ورد الخبر بموت أحمد بن طولون مدينة السلام- فيما ذكر وقال بعضهم: كانت وفاته يوم الاثنين ثمان عشرة مضت من ذي القعدة منها.

وفيه مات الحسن بن يزيد العلوي بطبرستان، إما في رجب، وإما في شعبان.

وللنصف من شعبان دخل المعتمد بغداد، وخرج من المدينة حتى نزل بجذاء قطربل في تعبئة، ومحمد بن طاهر يسير بين يديه بالحربة، ثم مضى إلى سامراء.

وفيه كان فداء أهل ساتيدما على يدي يازمان في سلخ رجب منها.

وفي يوم الأحد لتسع بقين من شعبان من هذه السنة شغب أصحاب أبي العباس بن الموفق ببغداد على صاعد بن مخلد وهو وزير الموفق، فطلبوا الأرزاق، فخرج إليهم أصحاب صاعد ليدفعوهم، فصارت رجالة أبي العباس إلى رحبة الجسر، وأصحاب صاعد داخل الأبواب بسوق يحيى، واقتتلوا، فقتل بينهم قتلى، وجرحت جماعة، ثم حجز بينهم الليل، وبكروا من الغد، فوضع لهم العطاء واصطلحوا.

وفي شوال منها كانت وقعة بين إسحاق بن كنداج وابن دعباش، وكان ابن دعباش على الرقة وأعمالها، وعلى الثغور والعواصم من قبل ابن طولون، وابن كنداج على الموصل من قبل السلطان.

وفيه انبثق ببغداد في الجانب الغربي منها من نهر عيسى من الياسرية بثق، فغرق الدباغين وأصحاب الساج بالكرخ، ذكر أنه دق سبعة آلاف دار ونحوها وقتل في هذه السنة ملك الروم المعروف بابن الصقلي وجج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق الهاشمي بن عيسى ابن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس.

١٠ الجزء العاشر

١٠٠١ سنه احدى وسبعين ومائتين

١٠٠١٠١ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث الجليلة:

الجزء العاشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت

سنة إحدى وسبعين ومائتين

وأولها يوم الاثنين للتاسع والعشرين من حزيران، وخمس وتسعين ومائة وألف من عهد ذي القرنين.

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة:

فمن ذلك ما كان فيها من ورود الخبر في غرة صفر بدخول محمد وعلي ابني الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين المدينة وقتلها جماعة من أهلها ومطالبتهما أهلها بمال، وأخذهما من قوم منهم مالا وأن أهل المدينة لم يصلوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع جمع، لا جمعة ولا جماعة، فقال أبو العباس بن الفضل العلوي:

أخربت دار هجرة المصطفى البر ... فأبكي إخراجها المسلمين

عين فابكي مقام جبريل والقبر ... فبكي والمنبر الميمونا

وعلى المسجد الذي أسه التقوى ... خلاء أضخى من العابدينا

وعلى طيبة التي بارك الله ... عليها بخاتم المرسلينا

قبح الله معشرا أخربوها ... وأطاعوا متبرثا ملعونا

وفيهما ادخل على المعتمد من كان حصر بغداد من حاج خراسان، فأعلمهم أنه قد عزل عمرو بن الليث عما كان قلده، ولعنه بحضرتهم، وأخبرهم أنه قد قلده خراسان محمد بن طاهر، وكان ذلك لأربع بقين من شوال. وأمر أيضا بلعن عمرو بن الليث على المنابر، فلعن.

ولثمان بقين من شعبان من هذه السنة شخص صاعد بن مخلد من معسكر أبي أحمد بواسط إلى فارس لحرب عمرو بن الليث. ولعشر خلون من شهر رمضان منها عقد لأحمد بن محمد الطائي على المدينة وطريق مكة. وفيها كانت بين أبي العباس بن الموفق وبين نهارويه بن أحمد بن طولون وقعة بالطواحين، فهزم أبو العباس نهارويه، فركب نهارويه حمارا هاربا منه إلى مصر، ووقع أصحاب أبي العباس في النهب ونزل أبو العباس مضرب نهارويه، ولا يرى أنه بقي له طالب، فخرج عليه كمين نهارويه كان كمنه لهم نهارويه، وفيهم سعد الأعسر وجماعة من قواده وأصحابه، وأصحاب أبي العباس قد وضعوا السلاح ونزلوا فشد كمين نهارويه عليهم فانهزموا، وتفرق القوم، ومضى أبو العباس إلى طرسوس في نفر من أصحابه قليل، وذهب كل ما كان في العسكرين، عسكر أبي العباس وعسكر نهارويه من السلاح والكراع والأثاث والأموال، وانتهب ذلك كله، وكانت هذه الوقعة يوم السادس عشر من شوال من هذه السنة- فيما قيل.

وفيها وثب يوسف بن أبي الساج- وكان والي مكة- على غلام للطائي يقال له بدر، وخرج واليا على الحاج فقيدته، فخارب ابن أبي الساج جماعة من الجند، وأغاثهم الحاج، حتى استنقذوا غلام الطائي، وأسروا ابن أبي الساج، فقيد وحمل إلى مدينة السلام، وكانت الحرب بينهم على أبواب المسجد الحرام.

وفيها خربت العامة الدير العتيق الذي وراء نهر عيسى، وانتهبوا كل ما كان فيه من متاع، وقلعوا الأبواب والخشب وغير ذلك، وهدموا بعض حيطانته وسقفه، فصار إليهم الحسين بن إسماعيل صاحب شرطة بغداد من قبل محمد بن طاهر، فنعمهم من هدم ما بقي منه، وكان يتردد إليه أياما هو والعامة، حتى يكاد يكون بين أصحاب السلطان وبينهم قتال، ثم بنى ما كانت العامة هدمته بعد أيام، وكانت إعادة بنائه- فيما ذكر- بقوة عبدون بن مخلد، أخي صاعد بن مخلد. وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى العباسي.

١٠٠٢ سنة اثنتين وسبعين ومائتين

ثم دخلت

سنة اثنتين وسبعين ومائتين

أولها يوم الجمعة للثامن عشر من حزيران، سنة ست وتسعين ومائة وألف لذي القرنين. (ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث:) فمما كان فيها من ذلك إخراج أهل طرسوس أبا العباس بن الموفق من طرسوس، لخلاف كان وقع بينه وبين يازمان، فخرج عنها يريد بغداد للنصف من المحرم من هذه السنة وفيها توفي سليمان بن وهب في حبس الموفق يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة بقيت من صفر.

وفيها تجمعت العامة، فهدموا ما كان بني من البيعة يوم الخميس لثمان خلون من شهر ربيع الآخر.

٤ وفيها حكم شارفي طريق خراسان، وصار إلى دسكرة الملك، فقتل وانتهب.

وفيها ورد الخبر مدينة السلام بدخول حمدان بن حمدون وهارون الشاري مدينة الموصل، وصلى الشاري بهم في مسجد الجامع.

وفيها قدم أبو العباس بن الموفق بغداد منصرفا من وقعته مع ابن طولون بالطواحين لتسع بقين من جمادى الآخرة.

وفيها نقب المطبق من داخله، وأخرج الذوائبي العلوي ونفسان معه، وكانوا قد أعدت لهم دواب توقف في كل ليلة ليخرجوا فيركبوها هاربين.

فندبر بهم، وغلقت أبواب مدينة أبي جعفر المنصور، فأخذ الذوائبي ومن خرج معه، وركب محمد بن طاهر، وكتب بالخبر إلى الموفق وهو مقيم بواسط، فأمر أن تقطع يد الذوائبي ورجله من خلاف، فقطع في مجلس الجسر بالجانب الغربي، ومحمد بن طاهر واقف على دابته، وكوي يوم الاثنين لثلاث

خلون من جمادى الآخرة.

وفيها قدم صاعد بن مخلد من فارس، ودخل واسط في رجب، فأمر الموفق جميع القواد أن يستقبلوه، فاستقبلوه، وترجلوا له، وقبلوا كفه.

وفيها قبض الموفق على صاعد بن مخلد بواسط وعلى أسبابه، وانتهب منازلهم يوم الاثنين لتسع خلون من رجب، وقبض على ابنه أبي عيسى وأبي صالح ببغداد، وعلى أخيه عبدون وأسبابه بسامرا، وذلك كله في يوم واحد، وهو اليوم الذي قبض فيه على صاعد، واستكتب الموفق إسماعيل بن بلبل، واقتصر به على الكتابة دون غيرها.

ووردت الأخبار فيها أن مصر زلزلت في جمادى الآخرة زلازل أخرت الدور والمسجد الجامع، وإنه أحصى في يوم واحد بها ألف جنازة.

وفيها غلا السعر ببغداد، وذلك أن أهل سامرا منعوا- فيما ذكر- سفن الدقيق من الانحدار إليها، ومنع الطائي أرباب الضياع من دياس الطعام وقسمه، يتربص بذلك غلاء الأسعار، فنع أهل بغداد الزيت والصابون والتمر وغير ذلك من حملة إلى سامرا، وذلك في النصف من شهر رمضان.

وفيها ضجت العامة بسبب غلاء السعر، واجتمعت للوثوب بالطائي، فانصرفوا من مسجد الجامع للنصف من شوال إلى داره بين باب البصرة وباب الكوفة، وجاءوه من ناحية الكرخ، فأصعد الطائي أصحابه على السطوح، فرموهم بالنشاب، وأقام رجاله على بابه وفي فناء داره بالسيوف والرماح، فقتل بعض العامة، وجرح منهم جماعة، ولم يزالوا يقاتلونهم إلى الليل، فلما كان الليل انصرفوا، وباكروه من غد، فركب محمد بن طاهر، فسكن الناس وصرفهم عنه.

وفيها توفي إسماعيل بن بريه الهاشمي، يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال منها.

ولثمان بقين منها توفي عبيد الله بن عبد الله الهاشمي

وفيها كانت للزنج بواسطة حركة، فصاحوا: أنكلاي، يا منصور! وكان أنكلاي والمهلي وسليمان بن جامع والشعراني والهمداني وآخر معهم من قواد الزنج محتبسين في دار محمد بن عبد الله بن طاهر بمدينة السلام في دار البطيخ، في يد غلام من غلمان الموفق، يقال له: فتح السعدي، فكتب الموفق إلى فتح أن يوجه برءوس هؤلاء الستة، فدخل اليهم، فجعل يخرج الأول فالأول منهم، فذبجهم غلام له، وقلع راس بالوعة في الدار، وطرح أجسادهم فيها، وسد راسها، ووجه رءوسهم إلى الموفق وفيها ورد كتاب الموفق على محمد بن طاهر في جثث هؤلاء الستة المقتولين، فأمره بصلبها بحضرة الجسر، فانخرجوا من البالوعة، وقد انتفخوا، وتغيرت روائحهم، وتقتشر بعض جلودهم، فحملوا في الحامل: المحمل بين رجلين، وصلب ثلاثة منهم في الجانب الشرقي، وثلاثة في الجانب الغربي، وذلك لسبع بقين من شوال من هذه السنة، وركب محمد بن طاهر حتى صلبوا بحضرته.

وفيها صلح امر مدينه رسول الله ص، وعمرت، وتراجع الناس إليها.

وفيها غزا الصائفة يازمان.

وجج بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى الهاشمي.

١٠٠٣ سنه ثلاث وسبعين ومائتين

ثم دخلت

سنه ثلاث وسبعين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) ففيها كانت وقعه بين أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف وعمرو بن الليث الصفار يوم السادس عشر من شهر ربيع الأول.

وفيها كانت أيضا وقعه بين إسحاق بن كنداج ومحمد بن أبي الساج بالرقه، فانهزم إسحاق، وكان ذلك يوم الثلاثاء لتسع خلون من جمادى الأولى.

وفيها قدمت رسل يازمان من طرسوس، فذكروا أن ثلاثة بنين لطاغية الروم وثبوا عليه، فقتلوه وملكوا أحدهم عليهم.

وفيها قيد أبو أحمد لؤلؤا القادم عليه بالأمان من عند ابن طولون، واستصفى ماله، لثمان بقين من ذي القعدة من هذه السنة وذكر أن الذي أخذ من ماله كان أربعمائة ألف دينار.

وذكروا عن لؤلؤ أنه قال: ما عرفت لنفسي ذنبا استوجبت به ما فعل بي الا كثره مالي.

وفيه كانت بين محمد بن أبي الساج وإسحاق بن كنداج وقعه أخرى لاربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، وكانت الدبره فيها على بن كنداج.

وجج بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله بن عباس.

١٠٠٤ سنه اربع وسبعين ومائتين

ثم دخلت

سنه اربع وسبعين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فن ذلك شخص ابى احمد الى كرمان لحرب عمرو بن الليث لاثنتي عشرة بقيت من شهر ربيع الاول.

وفيه غزا يازمان، فبلغ المسكنين، فاسر وغنم، وسلم والمسلمون، وذلك في شهر رمضان منها.

وفيه دخل صديق الفرغاني دور سامرا، فاغار على اموال التجار، واكثر العيث في الناس، وكان صديق هذا يخفر أولا الطريق، ثم تحول لصا خارباً يقطع الطريق.

وجج بالناس فيها هارون بن محمد الهاشمي.

١٠٠٥ سنه خمس وسبعين ومائتين

ثم دخلت

سنه خمس وسبعين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فن ذلك ما كان من توجيه الطائي جيشا الى سامرا بسبب ما احدث صديق بها واطلاقه أخاه من السجن، وكان أسيرا عنده، وذلك في المحرم من هذه السنه: ثم خرج الطائي الى سامرا، وارسل صديقا ووعدته ومنه وامنه،

فعزم على الدخول اليه في الامان، فحذره ذلك غلام له يقال له هاشم، وكان- فيما ذكر- شجاعا، فلم يقبل منه، ودخل سامرا مع اصحابه، وصار الى الطائي، فأخذه الطائي، ومن دخل معه منهم، ففقط يد صديق ورجله ويد هاشم ورجله وأيدي جماعه من اصحابه وارجلهم

وحبسهم، ثم حملهم في محامل الى مدينه السلام، وقد ابرزت ايديهم وارجلهم المقطعه ليراها الناس، ثم حبسوا.

وفيه غزا يازمان في البحر، فاخذ للروم اربعة مراكب.

وفيه تصعلك فارس العبدى، فعاث بناحية سامرا، وصار الى كوخها، فانتهب دور آل حسننج، فشخص الطائي اليه، فلاحقه بالحديثه، فاقتتلا، فهزمه الطائي وأخذ سواده، وصار الطائي الى دجلة، فدخل طيارة ليعبرها، فادركه اصحاب العبدى فتعلقوا بكوثل الطيار،

فرمى الطائي بنفسه في دجلة، فعبرها سباحه، فلما خرج منها نفص لحيته من الماء، وقال: ايش ظن العبدى؟ اليس انا اسبح من سمكه! ثم نزل الطائي الجانب الشرقى والعبدى بازائه في الجانب الغربى وفي انصراف الطائي قال على بن محمد بن منصور بن نصر بن بسام:

قد اقبل الطائي، لا اقبلا ... قبح في الافعال ما اجملا

كأنه من لين ألفاظه ... صبيه تمضغ جهد البلا

وفيه امر ابو احمد بتقييد الطائي وحبسه، ففعل ذلك لاربع عشرة خلت من شهر رمضان، وختم على كل شيء له، وكان يلى الكوفه وسوادها وطريق خراسان وسامرا والشرطه ببغداد، وخراج بادوريا وقطربل ومسكن وشيئا من ضياع الخاصة.

وفيه حبس ابو احمد ابنه أبا العباس، فشغب اصحابه، وحملوا السلاح، وركب غلماناه، واضطربت بغداد لذلك، فركب ابو احمد لذلك حتى بلغ باب الرصافه، وقال لأصحاب ابى العباس وغلماناه فيما ذكر: ما شأنكم؟

اترونكم اشفق على ابني مني! هو ولدى، واحتجت الى تقويمه، فانصرف الناس، ووضعوا السلاح، وذلك يوم الثلاثاء لست خلون من شوال من هذه السنه.

وجج بالناس فيها هارون بن محمد الهاشمي.

١٠٠٦ سنة ست وسبعين ومائتين

ثم دخلت

سنة ست وسبعين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيا من الأحداث) فن ذلك ضم الشرطه بمدينه السلام الى عمرو بن الليث، وكتب فيها على الاعلام والمطارد والترسه- التي تكون في مجلس الجسر- اسمه، وذلك في المحرم.

ولاربع عشره خلت من شهر ربيع الاول من هذه السنه شخص ابو احمد من مدينه السلام الى الجبل، وكان سبب شخصه إليها- فيما ذكر- ان الماذرائي كاتب اذكوتكين، اخبره ان له هنالك مالا عظيما، وانه ان شخص صار ذلك اليه، فشخص اليه فلم يجد من المال الذي اخبره به شيئا، فلما لم يجد ذلك شخص الى الكرج، ثم الى أصبهان يريد أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف، ففتحى له احمد بن عبد العزيز عن البلد بجيشه وعياله، وترك داره بفرشها لينزلها ابو احمد إذا قدم.

وقدم محمد بن ابى الساج على ابى احمد قبل شخصه من مضربه بباب خراسان هاربا من ابن طولون، بعد وقعات كانت بينهما، ضعف في آخر ذلك ابن ابى الساج عن مقاومته، لقله من معه وكثره من مع ابن طولون من الرجال، فلحق بابى احمد، فانضم اليه، فخلع ابو احمد عليه، واخرجه معه الى الجبل.

وفيا ولى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر شرطه بغداد، من قبل عمرو بن الليث في شهر ربيع الآخر. وفيها ورد الخبر بانفراج تل بنهر الصلة- ويعرف بتل بنى شقيق- عن سبعة اقبر فيها سبعة ابدان صحيحة، عليها اكفان جدد لينه، لها اهداب، تفوح منها رائحة المسك، احدهم شاب له جمه، وجبهته وأذناه وخداه وانفه وشفته وذقنه واشفار عينيه صحيحة، وعلى شفثيه بلل، كأنه قد شرب ماء، وكأنه قد كحل، وبه ضربه في خاصرته، فردت عليه أكفانه

وحدثني بعض أصحابنا انه جذب من شعر بعضهم، فوجده قوى الأصل نحو قوه شعر الحى، وذكر ان التل انفرج عن هذه القبور عن شبه الحوض من حجر في لون المسن، عليه كتاب لا يدري ما هو! وفيها امر بطرح المطارد والاعلام والترسه التي كانت في مجالس الشرطه التي عليها اسم عمرو بن الليث، واسقاط ذكره، وذلك لإحدى عشره خلت من شوال. وجج بالناس في هذه السنه هارون بن محمد بن إسحاق الهاشمي، وكان واليا على مكة والمدينة والطائف.

١٠٠٧ سنة سبع وسبعين ومائتين

ثم دخلت

سنة سبع وسبعين ومائتين

(ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيا) فن ذلك دعاء يازمان بطرسوس لخمارويه بن احمد بن طولون، وكان سبب ذلك- فيما ذكر- ان خمارويه وجه اليه بثلاثين الف دينار وخمسمائة ثوب وخمسين ومائه دابه وخمسين ومائه ممطر وسلاح، فلما وصل ذلك اليه دعا له، ثم وجه اليه بخمسين الف دينار.

وفي أول شهر ربيع الآخر كان بين وصيف خادم ابن ابى الساج والبرابره اصحاب ابى الصقر شر، فاقتتلوا، فقتل من غلمان الخادم اربعة غلمان ومن البرابره سبعة، فكانت الحرب بينهم بباب الشام الى شارع باب الكوفة، فركب اليهم ابو الصقر، فكلهمم ففترقوا، ثم عادوا للشر بعد يومين، فركب اليهم ابو الصقر فسكنهم.

وفيا ولى يوسف بن يعقوب المظالم، فامر ان ينادى: من كانت له مظلمه قبل الأمير الناصر لدين الله او احد من الناس فليحضر وتقدم الى صاحب الشرطه الا يطلق أحدا من المحبسین الا من رأى اطلاقه يوسف، بعد ان يعرض عليه قصصهم.

وفي أول يوم من شعبان قدم قائد من قواد ابن طولون في جيش عظيم من الفرسان والرجال بغداد وجج بالناس في هذه السنه هارون بن محمد الهاشمي.

١٠٠٨ سنة ثمان وسبعين ومائتين

١٠٠٨.١ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

ثم دخلت

سنة ثمان وسبعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك الحرب التي كانت بين اصحاب وصيف الخادم والبربر واصحاب موسى، ابن اخت مفلح اربعة ايام تباعا، ثم اصطالحوا، وقد قتل بينهم بضعة عشر رجلا، وذلك في أول المحرم، ثم وقع في الجانب الشرقي حرب بين النصريين واصحاب يونس، قتل فيها رجل، ثم اقترقوا.

وفيها انحدر وصيف خادم ابن ابى الساج الى واسط بأمر ابى الصقر لتكون عده له- فيما ذكر- وذلك انه اصطنعه واصحابه، واجازته بجواز كبيره، وادر على اصحابه أرزاقهم، وكان قد بلغه قدوم ابى احمد، فخافه على نفسه لما كان من اتلافه ما كان في بيوت اموال ابى احمد، حتى لم يبق فيها شيء بالهبة التي كان يهب، والجوائز التي كان يجيز، والخلع التي كان يخلع على القواد، وانفاقه على القواد، فلما نفذ ما في بيت المال، طالب ارباب الضياع بخراج سنه مبهمه عن ارضيهم، وحبس منهم بذلك جماعه، وكان الذى يتولى له القيام بذلك الزغل، فعسف على الناس في ذلك وقدم ابو احمد قبل ان يستوظف أداء ذلك منهم، فشغل عن مطالبه الناس بما كان يطالبهم به وكان انحدر وصيف في يوم الجمعة لثلاث عشره بقيت من المحرم. ولليلتين بقيتا من المحرم منها، طلع كوكب ذو جمه، ثم صارت أجمه ذؤابه.

١٠٠٨.٢ ذكر الخبر عن مرض ابى احمد الموفق ثم موته

ذكر الخبر عن مرض ابى احمد الموفق ثم موته

وفيها انصرف ابو احمد من الجبل الى العراق، وقد اشتد به وجع النقرس حتى لم يقدر على الركوب، فاتخذ له سرير عليه قبة، فكان يقعد عليه، ومعه خادم يبرد رجله بالأشياء الباردة، حتى بلغ من امره انه كان يضع عليها الثلج، ثم صارت عله رجله داء الفيل، وكان يحمل سريره اربعون حمالا يتناوب عليه عشرون عشرون، وربما اشتد به أحيانا، فيأمرهم ان يضعوه.

فذكر انه قال يوما للذين يحملونه: قد ضجرتم بحملى، بودى انى أكون كواحد منكم احمل على راسى واكل وانى في عافيه وانه قال في مرضه هذا: اطبق دفترى على مائه الف مرتزق، ما اصبحت فيهم اسوا حالا منى.

وفي يوم الاثنين لثلاث بقين من المحرم منها وافى ابو احمد النهروان، فتلقياه اكثر الناس، فركب الماء، فسار في النهروان، ثم في نهر دىالى، ثم في دجلة الى الزعفرانيه، وصار ليله الجمعة الى الفك، ودخل داره يوم الجمعة ليلتين خلتا من صفر.

ولما كان في يوم الخميس لثمان خلون من صفر، شاع موته بعد انصراف ابى الصقر من داره، وقد كان تقدم في حفظ ابى العباس، فغلقت عليه أبواب دون أبواب، وأخذ ابو الصقر ابن الفياض معه الى داره، وكان يبقى بناحيته واقام ابو الصقر في داره يومه ذلك، وازداد الارجاف بموت ابى احمد، وكانت اعترته غشيه، فوجه ابو الصقر يوم الجمعة الى المدائن، فحمل منها المعتمد وولده، فجاء بهم الى داره، واقام ابو الصقر في داره ولم يصير الى دار ابى احمد، فلما رأى غلمان ابى احمد المائلون الى ابى العباس والرؤساء من غلمان ابى العباس الذين كانوا حضروا ما قد نزل بابى احمد، كسروا أقفال الأبواب المغلقة على ابى العباس.

فذكر عن الغلام الذى كان مع ابى العباس في الحجرة انه قال لما سمع

ابو العباس صوت الأقفال تكسر قال: ليس يريد هؤلاء الا نفسي.

وأخذ سيفاً كان عنده، فاستله، وقعد مستوفزا والسيف في حجره، وقال لى: تنح أنت، والله لا وصلوا الى وفي شيء من الروح قال: فلما فتح الباب كان أول من دخل عليه وصيف موشكير- وهو غلام ابى العباس- فلما رآه رمى السيف من يده، وعلم انهم لم يقصدوا الا الخير، فاخرجوه حتى أقعدوه عند ابيه، وهو بعقب غشيته فلما فتح ابو احمد عينيه، وافاق رآه، فأدناه وقربه ووافى المعتمد- ذلك اليوم الذى وجه اليه في حمله، وهو يوم الجمعة نصف النهار قبل صلاه الجمعة- مدينه السلام، لتسع خلون من صفر، ومعه ابنه جعفر

المفوض الى الله ولى العهد وعبد العزيز ومحمد وإسحاق بنوه، فنزل على ابى الصقر ثم بلغ أبا الصقر ان أبا احمد لم يمت، فوجه اسماعيل بن إسحاق يتعرف له الخبر، وذلك يوم السبت وجمع ابو الصقر القواد والجند، وشحن داره وما حولها بالرجال والسلاح، ومن داره الى الجسر كذلك، وقطع الجسر، ووقف قوم على الجسر في الجانب الشرقى يحاربون اصحاب ابى الصقر، فقتل بينهم قتلى، وكانت بينهم جراحات.

وكان ابو طلحة أخو شركب مع اصحابه مقيمين بباب البستان، فرجع اسماعيل، فاعلم أبا الصقر ان أبا احمد حي، فكان أول من مضى اليه من القواد محمد بن ابى الساج، عبر من نهر عيسى، ثم جعل الناس يتسللون، منهم من يعبر الى باب ابى احمد، ومنهم من يرجع الى منزله، ومنهم من يخرج من بغداد، فلما رأى ابو الصقر ذلك، وصحت عنده حياه ابى احمد، انحدر هو وابناه الى دار ابى احمد، فما ذاكره ابو احمد شيئاً مما جرى، ولا ساء له عنه واقام في دار ابى احمد. فلما رأى المعتمد انه قد بقي في الدار وحده، نزل هو وبنيه وبكتمر، فركبوا زورقا، ثم لقيهم طيار ابى ليلي بن عبد العزيز بن ابى دلف، فحملهم في طيارة، ومضى بهم الى داره، وهي دار على بن جهشيار برأس

١٠٠٨٠٣ ذكر خبر البيعه للمعتضد بولاية العهد

الجسر، فقال له المعتمد: اريد ان امضى الى أخى فاحدره ومن معه من بيته الى دار ابى احمد وانتهت دار ابى الصقر وكل ما حوته حتى خرج حرمه حفاه بغير إزار، وانتهت دار محمد بن سليمان كاتبه، ودار ابن الواثقى انتهت واحرقت، وانتهت دور أسبابه، وكسرت أبواب السجون، ونقبت الحيطان، وخرج كل من كان فيها، وخرج كل من كان في المطبق، وانتهت مجلسا الجسر، وأخذ كل ما كان فيهما، وانتهت المنازل التي تقرب من دار ابى الصقر وخلع ابو احمد على ابنه ابى العباس وعلى ابى الصقر، فركبا جميعا، وانخلع عليهما من سوق الثلاثاء الى باب الطاق، ومضى ابو الصقر مع ابى العباس الى داره، دار صاعد ثم انحدر ابو الصقر في الماء الى منزله وهو منتهب، فاتوه من دار الشاه بحصير فقعد عليه، فولى ابو العباس غلامه بدار الشرطه، واستخلف محمد بن غانم بن الشاه على الجانب الشرقى، وعيسى النوشري على الجانب الغربى، وذلك لاربع عشره خلت من صفر منها.

وفيها في يوم الأربعاء ثمان بقين من صفر، كانت وفاه ابى احمد الموفق ودفن ليله الخميس في الرصافه عند قبر والدته، وجلس ابو العباس يوم الخميس للناس للتعزية

. ذكر خبر البيعه للمعتضد بولاية العهد

وفيها بايع القواد والعلماء لأبى العباس بولاية العهد بعد المفوض، ولقب بالمعتضد بالله، في يوم الخميس، واخرج للجند العطاء، وخطب يوم الجمعة للمعتضد، ثم للمفوض، ثم لأبى العباس المعتضد، وذلك لسبع ليال بقين من صفر.

وفيها في يوم الاثنين لاربع بقين من صفر قبض على ابى الصقر وأسبابه وانتهت منازلهم، وطلب بنو الفرات - وكان اليهم ديوان السواد - فاخففوا، وخلع على عبيد الله بن سليمان بن وهب يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر منها، وولى الوزارة. وفيها بعث محمد بن ابى الساج الى واسط ليرد غلامه وصيفا الى مدينه

١٠٠٨٠٤ ذكر ابتداء امر القرامطة

السلام، فضى وصيف الى الاهواز، وابى الانصراف الى بغداد، وانهب الطيب، وعاث بالسوس. وفيها ظفر بابى احمد بن محمد بن الفرات، فحبس وطولب باموال، وظفر معه بالزغل، فحبس، وظفر معه بمال. وفيها وردت الاخبار بقتل على بن الليث، أخى الصفار، قتله رافع بن هرثمة، كان لحق به، وترك أخاه.

ووردت الاخبار فيها عن مصر ان النيل غار ماؤه وغلت الأسعار عندهم

. ذكر ابتداء امر القرامطة

وفيها وردت الاخبار بحركة قوم يعرفون بالقرامطة بسواد الكوفة، فكان ابتداء امرهم قدوم رجل من ناحيه خوزستان الى سواد الكوفة ومقامه بموضع منه يقال له النهرين، يظهر الزهد والتقشف، ويسف الخوص، ويأكل من كسبه، ويكثر الصلاة، فأقام على ذلك مده، فكان إذا قعد اليه انسان ذاكره امر الدين، وزهده في الدنيا، واعلمه ان الصلاة المفترضة على الناس خمسون صلاه في كل يوم وليله،

حتى فشا ذلك عنه بموضعه، ثم اعلمهم انه يدعو الى امام من اهل بيت الرسول، فلم يزل على ذلك يقعد اليه الجماعه فيخبرهم من ذلك بما تعلق قلوبهم، وكان يقعد الى بقال في القرية، وكان بالقرب من البقال نخل اشتراه قوم من التجار، واتخذوا حظيرة جمعوا فيها ما صرموا من حمل النخل، وجاءوا الى البقال فسألوه ان يطلب لهم رجلا يحفظ عليهم ما صرموا من النخل، فاومى لهم الى هذا الرجل، وقال: ان أجابكم الى حفظ ثمرتكم فانه بحيث تحبون، فناظروه على ذلك، فأجابهم الى حفظه بدراهم معلومه، فكان يحفظ لهم، ويصلى اكثر نهاره ويصوم، ويأخذ عند إفطاره من البقال رطل تمر، فيفطر عليه، ويجمع نوى ذلك التمر.

فلما حمل التجار ما لهم من التمر، صاروا الى البقال، فحاسبوا اجيرهم هذا على اجرتهم، فدفعوها اليه، فحاسب الأجير البقال على ما أخذ منه من التمر، وحط من ذلك ثمن النوى الذي كان دفعه الى البقال، فسمع التجار ما جرى بينه وبين البقال في حق النوى، فوثبوا عليه فضربوه، وقالوا: الم ترض ان اكلت تمرنا حتى بعت النوى! فقال لهم البقال: لا تفعلوا، فانه لم يمس تمركم، وقص عليهم قصته، فندموا على ضربهم اياه، وسألوه ان يجعلهم في حل، ففعل وازداد بذلك نبلا عند اهل القرية لما وقفوا عليه من زهده.

ثم مرض، فكث مطروحا على الطريق، وكان في القرية رجل يحمل على اثار له، احمر العينين شديده حمريتهما، وكان اهل القرية يسمونه كرميته لخمرة عينيه، وهو بالنبطية احمر العينين، فكلم البقال كرميته هذا، في ان يحمل هذا العليل الى منزله، ويوصي اهله بالإشراف عليه والعناية به، ففعل واقام عنده حتى برا، ثم كان يأوي الى منزله، ودعا اهل القرية الى امره، ووصف لهم مذهبه، فأجابه اهل تلك الناحية، وكان يأخذ من الرجل إذا دخل في دينه ديناراً، ويزعم انه يأخذ ذلك للإمام، فكث بذلك يدعو اهل تلك القرى فيجيئونه واتخذ منهم اثني عشر نقيباً، امرهم ان يدعو الناس الى دينهم، وقال لهم: أنتم كحاربي عيسى بن مريم، فاشتغل اكره تلك الناحية عن اعمالهم بما رسم لهم من الخمسين الصلاة التي ذكر انها مفترضة عليهم.

وكان للمهيصم في تلك الناحية ضياع، فوقف على تقصير اكرته في العمارة، فسأل عن ذلك، فاخبر ان إنساناً طرا عليهم، فأظهر لهم مذهبا من الدين، واعلمهم ان الذي افترضه الله عليهم خمسون صلاه في اليوم والليلة، فقد شغلوا بها عن اعمالهم، فوجه في طلبه، فاخذ وجيء به اليه، فسأله عن امره، فاخبره بقصته، فحلف انه يقتله.

فامر به فحبس في بيت، واقفل عليه الباب، ووضع المفتاح تحت وسادته، وتشاغل بالشرب، وسمع بعض من في داره من الجوارى بقصته، ففرقت له.

فلما نام الهيصم أخذت المفتاح من تحت وسادته، وفتحت الباب واخرجته، واقفلت الباب، وردت المفتاح الى موضعه فلما اصبح الهيصم دعا بالمفتاح ففتح الباب فلم يجده، وشاع بذلك الخبر، ففتن به اهل تلك الناحية، وقالوا:

رفع ثم ظهر في موضع آخر ولقى جماعه من اصحابه وغيرهم فسألوه عن قصته، فقال: ليس يمكن أحدا ان يبدأني بسوء، ولا يقدر على ذلك مني،

فعظم في اعينهم، ثم خاف على نفسه، فخرج الى ناحيه الشام، فلم يعرف له خبر، وسمى باسم الرجل الذي كان في منزله صاحب الاثار كرميته، ثم خفف فقالوا: قرمط ذكر هذه القصة بعض أصحابنا عن حدثه، انه حضر محمد بن داود بن الجراح، وقد دعا بقوم من القرامطة من الحبس، فسألهم عن زكرويه، وذلك بعد ما قتله، وعن قرمط وقصته، وانهم اوموا له الى شيخ منهم، وقالوا له:

هذا سلف زكرويه، وهو اخبر الناس بقصته، فسله عما تريد، فسأله فاخبره بهذه القصة.

وذكر عن محمد بن داود انه قال: قرمط رجل من سواد الكوفة، كان يحمل غلات السواد على اثار له، يسمى حمدان ويلقب بقرمط ثم فشا امر القرامطة ومذهبيهم، وكثروا بسواد الكوفة، ووقف الطائي احمد بن محمد على امرهم، فوظف على كل رجل منهم في كل سنه ديناراً، وكان يجبي من ذلك مالا جليلا، فقدم قوم من الكوفة فرفعوا الى السلطان امر القرامطة، وانهم قد أحدثوا دينا غير الاسلام، وانهم يرون السيف على أمه محمد الا من بايعهم على دينهم، وان الطائي يخفي امرهم على السلطان فلم يلتفت اليهم، ولم يسمع منهم، فانصرفوا، واقام رجل منهم مده طويله بمدينة السلام، يرفع ويزعم انه لا يمكنه الرجوع الى بلده خوفا من الطائي وكان فيما حكوا عن هؤلاء القرامطة من مذهبهم ان جاءوا بكتاب فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم يقول الفرج بن عثمان، وهو من قريه يقال لها نصرانه، داعيه الى المسيح، وهو عيسى، وهو الكله، وهو المهدي،

وهو احمد بن محمد بن الحنفية، وهو جبريل وذكر ان المسيح تصور له في جسم انسان، وقال له: انك الداعية، وانك الحجة، وانك الناقة، وانك الدابة، وانك روح القدس، وانك يحيى بن زكرياء وعرفه ان الصلاة اربع ركعات: ركعتان قبل طلوع الشمس، وركعتان قبل غروبها، وان الاذان في كل صلاة ان يقول: الله اكبر، الله اكبر، الله اكبر، الله اكبر، اشهد ان لا اله الا الله، مرتين اشهد ان آدم رسول الله، اشهد ان نوحا رسول الله، اشهد ان ابراهيم رسول الله، اشهد ان موسى رسول الله، واشهد ان عيسى رسول الله، واشهد ان محمدا رسول الله، واشهد ان احمد بن محمد بن الحنفية رسول الله، وان يقرأ في كل ركعة الاستفتاح، وهي من المنزل على احمد بن محمد بن محمد بن الحنفية. والقبلة الى بيت المقدس، والحج الى بيت المقدس، ويوم الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء، والسورة الحمد لله بكلمته، وتعالى باسمه، المتخذ لأوليائه باوليائه قل ان الأهلّة مواقيت للناس، ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام، وباطنها أوليائي الذين عرفوا عبادى سبيل اتقون يا اولى الألباب، وانا الذى لا اسأل عما افعل، وانا العليم الحكيم، وانا الذى ابلوا عبادى، وامتحن خلقى، فمن صبر على بلائى ومحنتى واختبارى القيتة في جنتى، واخذته في نعمتي، ومن زال عن امرى، وكذب رسلي، اخذته مهانا في عذابى، واتممت اجلى، واظهرت امرى، على السنه رسلي، وانا الذى لم يعل على جبار الا وضعته، ولا عزيز الا اذلته، وليس الذى أصر على امره ودوام على جهالته، وقالوا: لن نبرح عليه عاكفين، وبه مؤمنين: أولئك هم الكافرون.

ثم يركع ويقول في ركوعه: سبحان ربى رب العزه وتعالى عما يصف الظالمون! يقولها مرتين، فإذا سجد قال: الله اعلى، الله اعلى، الله اعظم. الله اعظم ومن شرائعه ان الصوم يومان في السنه، وهما المهرجان والنوروز، وان النبيذ حرام والخمر حلال، ولا غسل من جنبه الا الوضوء كوضوء الصلاة، وان من حاربه وجب قتله، ومن لم يحاربه ممن خالفه أخذت منه الجزية ولا يؤكل كل ذي ناب، ولا كل ذي مخلب

١٠٠٨٠٥ ذكر خبر غزو الروم ووفاه يازمان في هذه الغزوة

وكان مصير قرمط الى سواد الكوفة قبل قتل صاحب الزنج، وذلك ان بعض أصحابنا ذكر عن سلف زكويه انه قال: قال لي قرمط: صرت الى صاحب الزنج، ووصلت اليه، وقلت له: انى على مذهب، وورائى مائه الف سيف، فناظرني، فان اتفقنا على المذهب ملت بمن معى إليك، وان تكن الاخرى انصرفت عنك وقلت له: تعطيني الامان؟ ففعل. قال: فناظرته الى الظهر، فتبين لي في آخر مناظرتي اياه انه على خلاف امرى، وقام الى الصلاة، فانسلت، ففضيت خارجا من مدينته، وصرت الى سواد الكوفة

. ذكر خبر غزو الروم ووفاه يازمان في هذه الغزوة

ونخمس بقين من جمادى الآخرة من هذه السنه، دخل احمد العجيفى مدينه طرسوس، وغزا مع يازمان غزاه الصائفة، فبلغ سلندو وفي هذه الغزاة مات يازمان، وكان سبب موته ان شظية من حجر منجنيق أصاب أضلاعه وهو مقيم على حصن سلندو، فارتحل العسكر، وقد كانوا أشرفوا على فتحه، فتوفى في الطريق من غده يوم الجمعة، لاربعة عشره ليلة خلت من رجب، وحمل الى طرسوس على اكثاف الرجال فدفن هناك. وجج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد الهاشمى.

١٠٠٩ سنة تسع وسبعين ومائتين

١٠٠٩١ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

١٠٠٩٢ ذكر خبر الفتنة بطرسوس

ثم دخلت

سنة تسع وسبعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من أمر السلطان بالنداء بمدينه السلام، الا يقعد على الطريق ولا في مسجد الجامع قاص ولا صاحب نجوم ولا زاجر، وحلف الوراقون الا يبيعوا كتب الكلام والجدل والفلسفه.

وفيها خلع جعفر المفوض من العهد لثمان بقين من المحرم.

وفي ذلك اليوم بويع للمعتضد بانه ولي العهد من بعد المعتمد، وانشئت الكتب بخلع جعفر وتولية المعتضد، ونفذت الى البلدان، وخطب يوم الجمعة للمعتضد بولاية العهد، وانشئت عن المعتضد كتب الى العمال والولاة، بان امير المؤمنين قد ولاه العهد، وجعل اليه ما كان الموفق يليه من الأمر والنهى والولاية والعزل وفيها قبض على جراحه، كاتب ابى الصقر لخمس خلون من شهر ربيع الاول، وكان الموفق وجهه الى رافع بن هرثمة، فقدم مدينه السلام قبل ان يقبض عليه بايام.

وفيها انصرف ابو طلحه منصور بن مسلم من شهرزور لست بقين من جمادى الاولى - وكانت ضمت اليه - فقبض عليه وعلى كاتبه عقامه، وأودعا السجن، وذلك لاربع بقين من جمادى الاولى.

ذكر خبر الفتنة بطرسوس

وفيها كانت الملحمه بطرسوس بين محمد بن موسى ومكنون غلام راغب مولى الموفق، في يوم السبت لتسع بقين من جمادى الاولى، وكان سبب ذلك - فيما ذكر - ان طغج بن جف، لقي راغبا بحلب، فاعلمه ان

١٠٠٩٣ خبر وفاه المعتمد

نخارويه بن احمد يحب لقاءه، ووعدته عنه بما يحب، فخرج راغب من حلب ماضيا الى مصر في خمسه غلمان له، وانفذ خادمه مكنونا مع الجيش الذى كان معه وأمواله وسلاحه الى طرسوس فكتب طغج الى محمد بن موسى الاعرج يعلمه انه قد انفذ راغبا، وان كل ما معه من مال وسلاح وغلمان مع غلامه مكنون، وقد صار الى طرسوس، وانه ينبغي له ان يقبض عليه ساعه يدخل وعلى ما معه فلما دخل مكنون طرسوس وثب به الاعرج، فقبض عليه ووكل بما معه، فوثب اهل طرسوس على الاعرج، فخالوا بينه وبين مكنون، وقبضوا على الاعرج فحبسوه في يد مكنون، وعلموا ان الحيله قد وقعت براغب، فكتبوا الى نخارويه بن احمد يعلمونه بما فعل الاعرج، وانهم قد وكلوا به، وقالوا: اطلق راغبا لينفذ إلينا حتى نطلق الاعرج، فاطلق نخارويه راغبا، وانفذه الى طرسوس، وانفذ معه احمد بن طغان واليا على الثغور، وعزل عنهم الاعرج، فلما وصل راغب الى طرسوس اطلق محمد بن موسى الاعرج، ودخل طرسوس احمد بن طغان واليا عليها وعلى الثغور ومعه راغب، يوم الثلاثاء ثلاث عشره خلت من شعبان.

خبر وفاه المعتمد

وفيها توفي المعتمد ليله الاثنين لإحدى عشره ليله بقيت من رجب، وكان شرب على الشط في الحسنى يوم الأحد شرابا كثيرا، وتعشى فاكثر، فمات ليلا، فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وستة ايام - فيما ذكر.

١٠٠٩٤ خلافة المعتضد

١٠٠٩٥ أخبار متفرقة

خلافة المعتضد

وفي صبيحة هذه الليلة بويع لأبى العباس المعتضد بالله بالخلافة، فولى غلامه بدر الشطره وعبيد الله بن سليمان بن وهب الوزارة ومحمد بن الشاد بن ميكال الحرس، وحجبه الخاصة والعامه صالحا المعروف بالأمين، فاستخلف صالح خفيفا السمرقندي.

ولليلتين خلتا من شعبان فيها قدم على المعتضد رسول عمرو بن الليث الصفار بهدايا، وسال ولاية خراسان، فوجه المعتضد عيسى النوشري مع الرسول، ومعه خلع ولواء عقده له على خراسان، فوصلوا اليه في شهر رمضان من هذه السنة، وخلع عليه، ونصب اللواء في صحن داره ثلاثة ايام.

[أخبار متفرقة]

وفيهما ورد الخبر بموت نصر بن احمد، وقام بما كان اليه من العمل وراء نهر بلخ اخوه اسماعيل بن احمد.

وفيهما قدم الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص من مصر رسولا لخمارويه بن احمد بن طولون، ومعه هدايا من العين، عشرون حملا على بغال وعشره من الخدم وصندوقان فيهما طراز وعشرون رجلا على عشرين نجيبا، بسروج محلاه بحليه فضه كثيره، ومعهم حراب فضه، وعليهم أقبية الديباج والمناطق المحلاه وسبع عشره دابه، بسروج ولجم، منها خمسه بذهب والباقي بفضه، وسبع وثلاثون دابه بجلال مشهره، وخمسه ابغل بسروج ولجم وزرافه، يوم الاثنين لثلاث خلون من شوال، فوصل الى المعتضد، نخلع عليه وعلى سبعة نفر معه وسفر ابن الجصاص في تزويج ابنه خمارويه من علي بن المعتضد، فقال المعتضد: انا أتزوجها، فتزوجها

وفيهما ورد الخبر بأخذ احمد بن عيسى بن الشيخ قلعه مارددين من محمد بن إسحاق بن كنداج.

وفيهما مات ابراهيم بن محمد بن المدبر، وكان يلي ديوان الضياع، فولى مكانه محمد بن عبد الحميد، وكان موته يوم الأربعاء لثلاث او اربع عشره بقيت من شوال.

وفيهما عقد لراشد مولى الموفق على الدينور، وخلع عليه يوم السبت لسبع بقين من شوال، ثم خرج راشد الى عمله يوم الخميس لعشر خلون من ذي القعدة.

وفي يوم النحر منها ركب المعتضد الى المصلى الذي اتخذه بالقرب من الحسنى، وركب معه القواد والجيش فصلى بالناس، فذكر عنه انه كبر في الركعة الاولى ست تكبيرات، وفي الركعة الثانية تكبيره واحده، ثم صعد المنبر، فلم تسمع خطبته، وعطل المصلى العتيق فلم يصل فيه.

وفيهما كتب إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف بحاربه رافع بن هرثمة ورافع بالري، فزحف اليه احمد، فالتقوا يوم الخميس لسبع بقين من ذي القعدة، فانهزم رافع بن هرثمة، وخرج عن الري، ودخلها ابن عبد العزيز.

وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد الهاشمي، وهي آخر حجه حجهها، وحج بالناس ست عشره سنه، من سنه اربع وستين الى هذه السنه.

١٠٠١٠ سنه ثمانين ومائتين

١٠٠١٠١ ذكر الخبر عن الاحداث التي كانت فيها

١٠٠١٠٢ ذكر خبر قصد المعتضد بنى شيبان وصلحه معهم

ثم دخلت

سنه ثمانين ومائتين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك ما كان من أخذ المعتضد عبد الله بن المهتدي ومحمد بن الحسن بن سهل المعروف بشيلبه - وكان شيلبه هذا مع صاحب الزنج الى آخر ايامه، ثم لحق بالموفق في الامان فآمنه - وكان سبب اخذه إياهما ان بعض المستأمنه سعى به الى المعتضد، واعلمه انه يدعو الى رجل لم يوقف على اسمه، وانه قد استفسد جماعه من الجند وغيرهم، وأخذ معه رجل صيدناني وابن أخ له من المدينة، فقرره المعتضد فلم يقر بشيء، وساله عن الرجل الذي يدعو اليه، فلم يقر بشيء، وقال: لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه، ولو عملتني كردناك لما اخبرتك به، فامر بنار فاوقدت، ثم شد على خشبة من خشب الخيم، وادير على النار حتى تقطع جلده، ثم ضربت عنقه، وصلب عند الجسر الأسفل في الجانب الغربي.

وحبس ابن المهتدي الى ان وقف على براءته، فاطلق، وكان صلبه لسبع خلون من المحرم.

فذكر ان المعتضد قال لشيلبه: قد بلغني انك تدعو الى ابن المهتدي، فقال: الماثور عني غير هذا، واني اتولى آل ابن ابى طالب - وقد كان

قرر ابن أخيه فاجر- فقال له: قد اقر ابن أخيك، فقال له: هذا غلام حدث تكلم بهذا خوفا من القتل، ولا يقبل قوله ثم اطلق ابن أخيه والصيد ناني بعد مده طويله
 . ذكر خبر قصد المعتضد بن شيبان وصلحه معهم
 وليلة خلت من صفر يوم الأحد شخص المعتضد من بغداد يريد بنى شيبان، فنزل بستان بشر بن هارون، ثم سار يوم الأربعاء منه، واستخلف على داره

١٠٠١٠٠٣ أخبار متفرقة

وبغداد صالحا الامين حاجبه، فقصد الموضع الذى كانت شيبان تتخذه معقلا من ارض الجزيرة، فلما بلغهم قصده إياهم، ضموا اليهم أموالهم وعيالاتهم.
 ثم ورد كتاب المعتضد انه اسرى الى الاعراب من السن، فوقع بهم، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وغرق منهم خلق كثير في الزابين، وأخذ النساء والذراري، وغنم اهل العسكر من أموالهم ما اعجزهم حمله، وأخذ من غنمهم وابلهم ما كثر في أيدي الناس حتى بيعت الشاه بدرهم والجمل بخمسة دراهم، وامر بالنساء والذراري ان يحفظوا حتى يحدروا الى بغداد ثم مضى المعتضد الى الموصل، ثم الى بلد، ثم رجع الى بغداد، فلقية بنو شيبان يسألونه الصفح عنهم، وبذلوا له الرهائن، فاخذ منهم خمسمائة رجل - فيما قيل ورجع المعتضد يريد مدينة السلام، فوفاه احمد بن ابى الأصبع بما فارق عليه احمد ابن عيسى بن الشيخ من المال الذى اخذه من مال إسحاق بن كنداج، وبهدايا ودواب وبغال في يوم الأربعاء لسبع خلون من شهر ربيع الاول.
 [أخبار متفرقة]

وفي شهر ربيع الاول ورد الخبر بان محمد بن ابى الساج افتتح المراغه بعد حصار شديد وحرب غليظة كانت بينهم، وانه أخذ عبد الله بن الحسين بعد ان آمنه واصحابه، فقيده وحبسه، وقرره بجميع أمواله، ثم قتله بعد وفي شهر ربيع الآخر ورد الخبر بوفاه احمد بن عبد العزيز بن أبي دلف.

وكانت وفاته في آخر شهر ربيع الاول، فطلب الجند أرزاقهم، وانتهبوا منزل اسماعيل بن محمد المنشئ، وتنازع الرئاسة عمر وبكر ابنا عبد العزيز، ثم قام بالأمر عمر، ولم يكتب اليه المعتضد بالولاية.

وفيها افتتح محمد بن ثور عمان، وبعث برءوس جماعه من أهلها.

وذكر ان جعفر بن المعتمد توفى في يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الآخر منها، وانه كان مقامه في دار المعتضد لا يخرج ولا يظهر، وقد كان المعتضد نادمه مرارا وفيها انصرف المعتضد الى بغداد من خرجته الى الاعراب.

وفيها، في جمادى الآخرة ورد الخبر بدخول عمرو بن الليث نيسابور، في جمادى الاولى منها.
 وفيها وجه يوسف بن ابى الساج اثنين وثلاثين نفسا من الخوارج، من طريق الموصل، فضربت اعناق خمسة وعشرين رجلا منهم، وصلبوا، وحبس سبعة منهم في الحبس الجديد.

وفيها دخل احمد بن أبا طرسوس لغزاه الصائفة، فنجس خلون من رجب من قبل نهارويه، ودخل بعده بدر الحماني، فغزوا جميعا مع العجيفي امير طرسوس حتى بلغوا البلقسور وفيها ورد الخبر بغزو اسماعيل بن احمد بلاد الترك وافتتاحه - فيما ذكر - مدينة ملكهم، واسره اياه وامراته خاتون ونحو من عشرة آلاف، وقتل منهم خلقا كثيرا، وغنم من الدواب دواب كثيرة لا يوقف على عددها، وانه أصاب الفارس من المسلمين من الغنيمه في المقسم الف درهم وليلتين بقيتا من شهر رمضان منها، توفى راشد مولى الموفق بالدينور، وحمل في تابوت الى بغداد.

ولثلاث عشرة خلت من شوال منها مات مسرور البلخي وفيها - فيما ذكر - في ذي الحجة ورد كتاب من ديبيل بانكساف القمر في شوال لاربعة عشرة خلت منها، ثم تجلى في آخر الليل، فأصبحوا صبيحة تلك الليلة والدنيا مظلمه، ودامت الظلمه عليهم، فلما كان عند العصر هبت ريح سوداء شديده، فدامت الى ثلث الليل، فلما كان ثلث الليل زلزلوا، فأصبحوا وقد ذهبت المدينة فلم ينج من منازلها الا اليسير، قدر مائه دار، وانهم دفنوا الى حين كتب الكتاب ثلاثين الف نفس يخرجون من تحت الهدم،

ويدفنون، وانهم زلزلوا بعد الهدم خمس مرات.
وذكر عن بعضهم ان جمله من اخرج من تحت الهدم خمسون ومائه الف ميت.
وجج بالناس في هذه السنة أبو بكر محمد بن هارون المعروف بابن ترنجه.

١٠٠١١ سنه احدى وثمانين ومائتين

١٠٠١١٠١ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

ثم دخلت

سنه احدى وثمانين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من موافاه ترك بن العباس عامل السلطان على ديار مضر مدينه السلام لتسع خلون من المحرم بنيف واربعين نفسا من اصحاب ابى الأغر صاحب سميساط، على جمال، عليهم برانس ودراريع حرير.
فضى بهم الى دار المعتضد، ثم ردوا الى الحبس الجديد فحبسوا به، وخلع على ترك، وانصرف الى منزله.
وفيهما ورد الخبر بوقعه كانت لوصيف خادم ابن ابى الساج بعمر بن عبد العزيز بن ابى دلف وهزيمته اياه، ثم صار وصيف الى مولاه محمد ابن ابى الساج، في شهر ربيع الآخر منها.
وفيهما دخل طعج بن جف طرسوس لغزاه الصائفة من قبل نهارويه يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة- فيما قيل- وغزا، فبلغ طرايون، وفتح ملوريه.

ونخمس ليال بقين من جمادى الآخرة مات احمد بن محمد الطائي بالكوفة، ودفن بها في موضع يقال له مسجد السهلة.
وفيهما غارت المياه بالري وطبرستان.

ولليلتين خلتا من رجب منها شخص المعتضد الى الجبل، فقصد ناحيه الدينور، وقلد أبا محمد على بن المعتضد الري وقزوين وزنجان وابهر وقم وهمدان والدينور، وقلد كتبه احمد بن ابى الأصبع، ونفقات عسكره والضياح بالري الحسين بن عمرو النصراني، وقلد عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف أصبهان ونهاوند والكرج، وتعجل للانصراف من اجل غلاء السعر

١٠٠١١٠٢ ذكر خبر الوقعه بين الأكراد والاعراب

وقله الميرة، فوافي بغداد يوم الأربعاء لثلاث خلون من شهر رمضان.
وفيهما استامن الحسن بن على كوره عامل رافع على الري الى على بن المعتضد في زهاء الف رجل، فوجهه الى ابيه المعتضد.
وفيهما دخل الاعراب سامرا فأسروا ابن سيما انف في ذي القعدة منها وانتهبوا.

ذكر خبر الوقعه بين الأكراد والاعراب

ولست ليال بقين من ذي القعدة خرج المعتضد انخرجه الثانيه الى الموصل عامدا لحمدان بن حمدون، وذلك انه بلغه انه مايل هارون الشاري الوازقي، ودعا له فورد كتاب المعتضد من كرخ جدان على نجاح الحرمي الخادم بالوقعه بينه وبين الاعراب والأكراد، وكانت يوم الجمعة سلخ ذي القعدة:

بسم الله الرحمن الرحيم كتابي هذا وقت العتمه ليله الجمعة، وقد نصر الله- وله الحمد- على الأكراد والاعراب، واطفرنا بعالم منهم وبعيالاتهم، ولقد رايتنا ونحن نسوق البقر والغنم كما كنا نسوقها عاما أولا، ولم تزل الأسنة والسيوف تأخذهم، وحال بيننا وبينهم الليل، واولقت النيران على رؤوس الجبال، ومن غد يومنا، فيقع الاستقصاء، وعسكرى يتبعني الى الكرخ وكان وقاعنا بهم وقتلنا إياهم خمسين ميلا، فلم يبق منهم مخبر والحمد لله كثيرا، فقد وجب الشكر لله علينا والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد نبيه وآله وسلم كثيرا.
وكانت الاعراب والأكراد لما بلغهم خروج المعتضد، تحالفوا انهم يقتلون على دم واحد، واجتمعوا، وعبوا عسكرهم ثلاثة كراديس، كردوسا دون كردوس، وجعلوا عيالاتهم وأولادهم في آخر كردوس، وتقدم المعتضد عسكره في خيل جريدة، فوقع بهم، وقتل

منهم، وغرق في الزاب منهم خلق كثير، ثم خرج الى الموصل عامدا لقلعه ماردین، وكانت في يد حمدان ابن حمدون، فلما بلغه مجيء المعتضد هرب وخلف ابنه بها، فنزل عسكر المعتضد على القلعة، فخار بهم من كان فيها يومهم ذلك، فلما كان من الغد ركب المعتضد، فصعد القلعة حتى وصل الى الباب، ثم صاح: يا بن حمدون، فأجابه: لبيك! فقال له: افتح الباب، ويلك! ففتحه، فقع المعتضد في الباب، وأمر من دخل فنقل ما في القلعة من المال والأثاث، ثم أمر بهدمها فهدمت، ثم وجه خلف حمدان بن حمدون، فطلب أشد الطلب، وأخذت اموال كانت له مودعه، وجيء بالمال الى المعتضد، ثم ظفر به ثم مضى المعتضد الى مدينه يقال لها الحسنيه، وفيها رجل يقال له شداد، في جيش كثيف، ذكر انهم عشره آلاف رجل، وكان له قلعه في المدينه فظفر به المعتضد، فأخذه فهدم قلعه. وفيها ورد الخبر من طريق مكة انه أصاب الناس في المصعد برد شديد ومطر جود وبرد أصيب فيه اكثر من خمسمائة انسان وفي شوال منها غزا المسلمون الروم، فكانت بينهم الحرب اثني عشر يوما، فظفر المسلمون وغنموا غنيمه كثيره وانصرفوا.

١٠٠١٢ سنه اثنتين وثمانين ومائتين

١٠٠١٢٠١ ذكر امر النيروز المعتضدي

١٠٠١٢٠٢ ذكر امر المعتضد مع حمدان بن حمدون

ثم دخلت

سنه اثنتين وثمانين ومائتين
(ذكر الاحداث التي كانت فيها)

ذكر امر النيروز المعتضدي

فمن ذلك ما كان من امر المعتضد في الحرم منها بإنشاء الكتب الى جميع العمال في النواحي والأمصار بترك افتتاح الخراج في النيروز الذي هو نيروز العجم، وتاخير ذلك الى اليوم الحادي عشر من حزيران، وسمى ذلك النيروز المعتضدي، فانشئت الكتب بذلك من الموصل والمعتضد بها، وورد كتابه بذلك على يوسف بن يعقوب يعلمه انه اراد بذلك الترفيه على الناس، والرفق بهم، وأمر ان يقرأ كتابه على الناس، ففعل.

وفيها قدم ابن الجصاص من مصر بابنه ابى الجيش نهارويه بن احمد بن طولون التي تزوجها المعتضد، ومعها احد عمومتها، فكان دخولهم بغداد يوم الأحد لليلتين خلتا من الحرم، وادخلت للحرم ليله الأحد، ونزلت في دار صاعد ابن مخلد، وكان المعتضد غائبا بالموصل.

وفيها منع الناس من عمل ما كانوا يعملون في نيروز العجم من صب الماء ورفع النيران وغير ذلك.

ذكر امر المعتضد مع حمدان بن حمدون

وفيها كتب المعتضد من الموصل الى إسحاق بن أيوب وحمدان بن حمدون بالمصير اليه، فاما إسحاق بن أيوب فسارع الى ذلك، واما حمدان بن حمدون فتحصن في قلاعه، وغيب أمواله وحرمه فوجه اليه المعتضد الجيوش مع وصيف موشكير ونصر القشورى وغيرهما، فصادفوا الحسن بن على كوره واصحابه منيخين على قلعه لحمدان، بموضع يعرف بدير الزعفران من ارض الموصل، وفيها الحسين بن حمدان، فلما رأى الحسين اوائل العسكر مقبلين طلب الامان فأومن وصار الحسين الى المعتضد، وسلم القلعة، فأمر بهدمها،

١٠٠١٢٠٣ أخبار متفرقة

واغذ وصيف موشكير السير في طلب حمدان، وكان قد صار بموضع يعرف بياسورين بين دجلة ونهر عظيم، وكان الماء زائدا، فعبّر اصحاب وصيف اليه ونذر بهم، فركب واصحابه ودافعوا عن انفسهم، حتى قتل اكثرهم، فالتقى حمدان نفسه في زورق كان معدا له في دجلة، ومعه كاتب له نصراني يسمى زكرياء بن يحيى، وحمل معه مالا، وعبر الى الجانب الغربي من دجلة من ارض ديار ربيعه، وقدر الخلق بالاعراب لما حيل بينه وبين اكراده الذين في الجانب الشرقي، وعبر في اثره نفريسير من الجند فاقتصوا اثره، حتى أشرفوا على دير كان قد نزل، فلما بصر بهم خرج من الدير هاربا ومعه كاتبه، فألقيا أنفسيهما في زورق، وخلفا المال في الدير، فحمل الى المعتضد، وانحدر اصحاب السلطان في طلبه على الظهر وفي الماء، فلحقوه، فخرج عن الزورق خاسرا الى ضيعة له بشرقي دجلة، فركب

دابه لوكيله، وسار ليله اجمع الى ان وافى مضرب إسحاق بن أيوب في عسكر المعتضد، مستجيرا به، فاحضره إسحاق مضرب المعتضد، وامر بالاحتفاظ به، وبث الخليل في طلب أسبابه، فظفر بكاتبه وعده من قراباته وغلماه، وتتابع رؤساء الأكراد وغيرهم في الدخول في الامان، وذلك في آخر المحرم من هذه السنه.

[أخبار متفرقة]

وفي شهر ربيع الاول منها قبض على بكتمر بن طاشتر، وقيد وحبس، وقبض ماله وضياعه ودوره.

وفيها نقلت ابنة خمارويه بن احمد الى المعتضد لاربع خلون من شهر ربيع الآخر، ونودي في جانبي بغداد الا يعبر احد في دجلة يوم الأحد، وغلقت أبواب الدروب التي تلى الشط، ومد على الشوارع النافذة الى دجلة شراع، ووكل بحافتي دجلة من يمنع ان يظهروا في دورهم على الشط.

فلما صليت العتمه وافت الشذا من دار المعتضد، وفيها خدم معهم الشمع، فوقفوا بإزاء دار صاعد، وكانت اعدت اربع حراقات شدت مع دار صاعد، فلما جاءت الشذا احدثت الحراقات، وصارت الشذا بين ايديهم، واقامت الحرة يوم الاثنين في دار المعتضد، وجليت عليه يوم الثلاثاء خميس خلون من شهر ربيع الاول.

وفيها شخص المعتضد الى الجبل، فبلغ الكرج، وأخذ اموالا لابن ابي دلف وكتب الى عمر بن عبد العزيز بن ابي دلف يطلب منه جوهر كان عنده، فوجه به اليه، وتخي من بين يديه.

وفيها اطلق لؤلؤ غلام ابن طولون بعد خروج المعتضد، وحمل على دواب وبغال.

وفيها وجه يوسف بن ابي الساج الى الصيمرة مددا لفتح القلاني، فهرب يوسف بن ابي الساج بمن أطاعه الى أخيه محمد بالمرافة، ولقي مالا للسلطان طريقه فأخذه، فقال في ذلك عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

امام الهدى انصاركم آل طاهر ... بلا سبب يحفون والذهب

وقد خلطوا صبرا بشكر ورابطوا ... وغيرهم يعطى ويحجي ويهرب

وفيها وجه المعتضد الوزير عبيد الله بن سليمان الى الري الى ابي محمد ابنه.

وفيها وجه محمد بن زيد العلوي من طبرستان الى محمد بن ورد العطار باثنين وثلاثين الف دينار، ليفرقها على اهله ببغداد والكوفة، ومكة والمدينة، فسعى به، فاحضر دار بدر، وسئل عن ذلك، فذكر ان يوجه اليه في كل بمثل هذا المال، فيفرقه على من يأمره بالتفرقة عليه من اهله فاعلم بدر المعتضد ذلك، واعلمه ان الرجل في يديه والمال، واستطلع رايه وما يأمر به.

فذكر عن ابي عبد الله الحسنى ان المعتضد قال لبدر: يا بدر، اما تذكر الرؤيا التي خبرتك بها؟ فقال: لا يا امير المؤمنين، فقال: الا تذكر اني حدثك ان الناصر دعاني، فقال لي: اعلم ان هذا الأمر سيصير إليك، فانظر كيف تكون مع آل علي بن ابي طالب! ثم قال: رايت في النوم كأني خارج من بغداد اريد ناحيه النهروان في جيشي، وقد تشوف الناس الى، إذ مررت برجل واقف على تل يصلي، لا يلتفت الى، فعجبت منه ومن قله اكترائه بعسكري، مع تشوف الناس الى العسكر، فاقبلت اليه حتى وقفت بين يديه، فلما فرغ من صلاته قال لي: اقبل، فاقبلت اليه، فقال:

اتعرفني؟ قلت: لا، قال: انا علي بن ابي طالب، خذ هذه المسحاة، فاضرب بها الارض - لمسحاه بين يديه - فأخذتها فضربت بها ضربات، فقال لي: انه سيلي من ولدك هذا الأمر بقدر ما ضربت بها، فاوصهم بولدي خيرا قال بدر: فقلت: بلى يا امير المؤمنين، قد ذكرت قال: فاطلق المال، واطلق الرجل وتقدم اليه ان يكتب الى صاحبه بطبرستان ان يوجه ما يوجه به اليه ظاهرا، وان يفرق محمد بن ورد ما يفرقه ظاهرا، وتقدم بمعونة محمد على ما يريد من ذلك.

وفي شعبان لإحدى عشره بقيت منها، توفي ابو طلحه منصور بن مسلم في حبس المعتضد وفيها ثمان خلون من شهر رمضان منها، وافى عبيد الله بن سليمان الوزير بغداد قادما من الري، نفلح عليه المعتضد.

ولثمان بقين من شهر رمضان منها، ولدت ناعم جاريه أم القاسم بنت محمد ابن عبد الله للمعتضد ابنا سماه جعفرا، فسمى المعتضد هذه الجارية شغب.

وفيها قدم ابراهيم ابن احمد الماذرائي لاثنتي عشره بقيت من ذي الحجة من دمشق على طريق البر، فوافى بغداد في احد عشر يوما، فاخبر

المعتضد ان نهارويه بن احمد ذبح على فراشه، ذبحه بعض خدمه من نلصاة، وقيل: ان قتله كان لثلاث خلون من ذي الحجة وقيل ان ابراهيم وافى بغداد من دمشق في سبعة ايام، وقتل من خدمه الذين اتهموا بقتله نيف وعشرون خادما. وكان المعتضد بعث مع ابن الجصاص الى نهارويه بهدايا، واودعه اليه رساله، فشخص ابن الجصاص لما وجه له، فلما بلغ سامرا بلغ المعتضد مهلك نهارويه، فكتب اليه يأمره بالرجوع اليه فرجع، ودخل بغداد لسبع بقين من ذي الحجة.

١٠٠١٣ سنه ثلاث وثمانين ومائتين

١٠٠١٣٠١ خبر هارون الشاري والظفر به

ثم دخلت

سنه ثلاث وثمانين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

خبر هارون الشاري والظفر به

فمن ذلك ما كان من شلخص المعتضد لثلاث عشره بقيت من المحرم منها- بسبب الشاري هارون- الى ناحيه الموصل، فظفر به، وورد كتاب المعتضد بظفره به الى مدينه السلام يوم الثلاثاء لتسع خلون من شهر ربيع الاول وكان سبب ظفره به انه وجه الحسين بن حمدان بن حمدون في جماعه من الفرسان والرجال من اهل بيته وغيرهم من اصحابه اليه، وذكر ان الحسين بن حمدان قال للمعتضد: ان انا جئت به الى امير المؤمنين في ثلاث حوائج الى امير المؤمنين، فقال: اذكرها، قال: أولها اطلاق ابني، وحاجتان اساله إياهما بعد مجيئي به اليه فقال له المعتضد: لك ذلك فامض، فقال الحسين: احتاج الى ثلاثمائة فارس انتخبهم، فوجه المعتضد معه ثلاثمائة فارس مع موشكير، فقال: اريد ان يأمره امير المؤمنين الا يخالفني فيما أمره به، فامر المعتضد موشكير بذلك.

فمضى الحسين حتى انتهى الى مخاضه دجلة، فتقدم الى وصيف ومن معه بالوقوف على المخاضة، وقال له: ليس لهارون طريق ان هرب غير هذا، فلا تبرحن من هذا الموضع حتى يمر بك هارون، فتمنعه العبور، وأجبتك انا، او يبلغك اني قد قتلت ومضى حسين في طلب هارون فلقيه وواقعه، وكانت بينهما قتلى، وانهمز الشاري هارون، واقام وصيف على المخاضة ثلاثة ايام، فقال له اصحابه: قد طال مقامنا بهذا المكان القفر، وقد أضر ذلك بنا، ولسنا نأمن ان يأخذ حسين الشاري فيكون الفتح له دوننا، والصواب ان نمضي في آثارهم، فطاعهم ومضى وجاء هارون الشاري منهزما الى موضع المخاضة، فعبر، وجاء حسين في اثره، فلم ير وصيفا واصحابه بالموضع الذي تركهم فيه، ولا عرف لهارون خبرا، ولا رأى له أثرا، وجعل يسال عن

خبر هارون حتى وقف على عبوره، فعبر في اثره، وجاء الى حي من احياء العرب، فسألهم عنه فكتموه امره، فاراد ان يوقع بهم، واعلمهم ان المعتضد في اثره، فاعلموه انه اجتاز بهم، فاخذ بعض دوابهم، وترك دوابه عندهم- وكانت قد كلت واعيت- واتبع اثره، فلقه بعد ايام والشاري في نحو من مائه، فناشده الشاري، وتوعده، فأبى الا محاربته، فخاربه، فذكر ان حسين ابن حمدان رمى بنفسه عليه، فابتدره اصحاب حسين فاخذوه، وجاء به الى المعتضد سلما بغير عقد ولا عهد، فامر المعتضد بحل قيود حمدان بن حمدون، والتوسعه عليه والاحسان اليه ان يقدم فيطلقه ويخلع عليه، فلما اسر الشاري، وصار في يد المعتضد، انصرف راجعا الى مدينه السلام، فوافاه ثمان بقين من شهر ربيع الاول، فنزل باب الشماسيه، وعبا الجيش هنالك، وخلع المعتضد على الحسين بن حمدان، وطوقه بطوق من ذهب، وخلع على جماعه من رؤساء اهله، وزين الفيل بثياب الديباج، واتخذ للشاري على الفيل كالحفة، واقعد فيها، والبس دراعه ديباج، وجعل على راسه برنس حرير طويل.

ولعشر بقين من جمادى الاولى منها، امر المعتضد بالكتاب الى جميع النواحي برد الفاضل من سهام المواريث على ذوى الارحام، وابطال ديوان المواريث، وصرف عمالها، فنفذت الكتب بذلك، وقرئت على المنابر وفيها خرج عمرو بن الليث الصفار من نيسابور، نخالفه رافع بن هرثمة إليها، فدخلها وخطب بها لمحمد بن زيد الطالبي وابيه، فقال: اللهم اصلح الداعي الى الحق، فرجع عمرو الى نيسابور، فعسكر خارج المدينة، وخندق على عسكره لعشر خلون من شهر ربيع الآخر، فأقام محاصرا اهل نيسابور.

وفي يوم الاثنين لاربع خلون من جمادى الآخرة منها، وافى بغداد محمد ابن إسحاق بن كنداجيق وخاقان المفلحي ومحمد بن كمشجور المعروف ببندقه وبدر بن جف أخو طنجع وابن حسنح في جماعه من القواد من مصر في الامان.

وذكر ان سبب مجيئهم الى المعتضد في الامان كان انهم أرادوا ان يفتكوا

١٠٠١٣٠٢ خبر حصر الصقالبه القسطنطينية

١٠٠١٣٠٣ خلاف جند جيش بن خمارويه عليه

بجيش بن خمارويه بن احمد بن طولون، فسعى بهم اليه، وكان راكبا، وكانوا في موكبه، وعلموا انه قد وقف على امرهم، فخرجوا من يومهم وسلكوا البريه، وتركوا أموالهم وأهاليهم، فهاهوا أياما، ومات منهم جماعه من العطش، وخرجوا على طريق مكة فوق الكوفه بمرحلتين او ثلاثة ووجه السلطان محمد بن سليمان صاحب الجيش الى الكوفه حتى كتب اسماءهم، وأقيمت لهم الوظائف من الكوفه، فلما قربوا من بغداد، خرجت اليهم الوظائف والخيم والطعام، ووصلوا الى المعتضد يوم دخلوا، فخلع عليهم، وحمل كل قائد منهم على دابه بسرجه ولجامه، وخلع على الباقين، وكان عددهم ستين رجلا.

وفي يوم السبت لاربع عشره بقيت منها شخص الوزير عبيد الله بن سليمان الى الجبل لحرب ابن ابي دلف بأصبهان.

خبر حصر الصقالبه القسطنطينية

وفيها- فيما ذكر- ورد كتاب من طرسوس ان الصقالبه غزت الروم في خلق كثير، فقتلوا منهم وخرّبوا لهم قرى كثيره حتى وصلوا الى قسطنطينيه والجنوا الروم إليها، واغلقت أبواب مدينتهم، ثم وجه طاغيه الروم الى ملك الصقالبه ان ديننا ودينكم واحد، فعلام تقتل الرجال بيننا! فأجابه ملك الصقالبه ان هذا ملك آبائي، ولست منصرفا عنك الا بغلبه أحدنا صاحبه، فلما لم يجد ملك الروم خلاصا من صاحب الصقالبه، جمع من عنده من المسلمين، فأعطاهم السلاح، وسألهم معوثته على الصقالبه، ففعلوا، وكشفوا الصقالبه، فلما رأى ذلك ملك الروم خافهم على نفسه، فبعث اليهم فردهم، وأخذ منهم السلاح، وفرقهم في البلدان، حذرا من ان يجنوا عليه.

خلاف جند جيش بن خمارويه عليه

وللنصف من رجب من هذه السنه ورد الخبر من مصر ان الجند من المغاربه والبربر وثبوا على جيش بن خمارويه، وقالوا: لا نرضى بك أميرا علينا ففتح عنا حتى نولي عمك، فكلهم كاتبه على بن احمد الماذرائي، وسألهم ان ينصرفوا عنه يومهم ذلك، فانصرفوا وعادوا من غد، فعدا جيش على عمه الذي ذكروا انهم يؤمرونه، فضرب عنقه وعنق له آخر، ورمى بارؤسهما

١٠٠١٣٠٤ ذكر الفداء بين المسلمين والروم

١٠٠١٣٠٥ ذكر امر المعتضد مع عمر بن عبد العزيز بن ابي دلف وأخيه بكر

اليهم، فهجم الجند على جيش بن خمارويه، فقتلوه وقتلوا أمه وانتهبوا داره، وانتهبوا مصر وأحرقوها، واقعدوا هارون بن خمارويه مكان أخيه.

وفي رجب منها امر المعتضد بكرى دجيل والاستقصاء عليه، وقلع صخر في فوهته كان يمنع الماء، فجفى لذلك من ارباب الضياع والاقطاعات اربعة آلاف دينار، وكسر- فيما ذكر- وانفق عليه، وولى ذلك كاتب زيرك وخادم من خدم المعتضد.

ذكر الفداء بين المسلمين والروم

وفي شعبان منها، كان الفداء بين المسلمين والروم على يدي احمد بن طغان، وذكر ان الكتاب الوارد بذلك من طرسوس كان فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم:

اعلمك ان احمد بن طغان نادى في الناس يحضرون الفداء يوم الخميس لاربع خلون من شعبان سنه ثلاث وثمانين ومائتين، وانه قد خرج الى لامس- وهو معسكر المسلمين- يوم الجمعة لخمس خلون من شعبان، وامر الناس بالخروج معه في هذا اليوم، فصلى الجمعة، وركب من مسجد الجامع ومعه راغب ومواليه، وخرج معه وجوه البلد والموالي والقواد والمطوعة باحسن زي، فلم يزل الناس خارجين الى لامس الى يوم الاثنين ثمان خلون من شعبان، فجرى الفداء بين الفريقين اثني عشر يوما، وكانت جملة من فودى به من المسلمين من الرجال والنساء والصبيان الفين وخمسمائة واربعه انفس، واطلق المسلمون يوم الثلاثاء لسبع بقين من شعبان سميون رسول ملك الروم، واطلق الروم فيه يحيى بن عبد الباقي رسول المسلمين المتوجه في الفداء، وانصرف الأمير ومن معه.

وخرج- فيما ذكر- احمد بن طغان بعد انصرافه من هذا الفداء في هذا الشهر في البحر، او خلف دميانه على عمله على طرسوس، ثم وجه بعده يوسف ابن الباغمردى على طرسوس ولم يرجع هو إليها . ذكر امر المعتضد مع عمر بن عبد العزيز بن ابي دلف وأخيه بكر وفي يوم الجمعة لعشر خلون من شهر رمضان من هذه السنة قرئ كتاب

على المنبر بمدينة السلام في مسجد جامعها، بان عمر بن عبد العزيز بن ابي دلف صار الى بدر وعبيد الله بن سليمان في الامان يوم السبت لثلاث بقين من شعبان سامعا مطيعا منقادا لأمر المؤمنين، مدعنا بالطاعة والمصير معهما الى بابه، وان عبيد الله بن سليمان خرج اليه فتلقيه، وصار به الى مضرب بدر، فاخذ عليه وعلى اهل بيته واصحابه البيعه لأمر المؤمنين، وخلع عليه بدر وعلى الرؤساء من اهل بيته، وانصرفوا الى مضرب قد اعد لهم، وكان قبل ذلك قد دخل بكر بن عبد العزيز في الامان على بدر وعبيد الله بن سليمان، فولياه عمل أخيه عمر، على ان يخرج اليه ويحاربه، فلما دخل عمر في الامان قالوا لبكر: ان اخاك قد دخل في طاعه السلطان، وانما كنا وليناك عمله على انه عاص، والان فأمر المؤمنين اعلى عينا فيما يرى من أمركما، فامضيا الى بابه.

وولى عيسى النوشري أصبهان، واطهر انه من قبل عمر بن عبد العزيز، فهرب بكر بن عبد العزيز في اصحابه، فكتب بذلك الى المعتضد، فكتب الى بدر يأمره بالمقام بموضعه الى ان يعرف خبر بكر وما اليه يصير امره، فأقام وخرج الوزير عبيد الله بن سليمان الى ابي محمد على بن المعتضد بالري، ولحق بكر بن عبد العزيز بن ابي دلف بالاهواز، فوجه المعتضد في طلبه وصيفا موشكير، فخرج من بغداد في طلبه حتى بلغ حدود فارس، وقد كان لحقه- فيما ذكر- ولم يواقعه، وباتا، كل واحد منهما قريب من صاحبه، فارتحل بكر بالليل فلم يتبعه وصيف، ومضى بكر الى أصبهان، ورجع وصيف الى بغداد، فكتب المعتضد الى بدر يأمره بطلب بكر وعربه، فتقدم بدر الى عيسى النوشري بذلك، فقال بكر بن عبد العزيز:

عنى ملاملك ليس حين ملام ... هيات احدث زائدا للوام
طارت غيايات الصبا عن مفرفى ... ومضى أوان شراستى وعرامى
القي الأحبة بالعراق عصيهم ... وبقيت نصب حوادث الأيام
وتقاذفت بأخي النوى ورمت به ... مرمى البعيد قطيعه الارحام
وتشعب العرب الذين تصدعوا ... فذبيت عن احسابهم بحسامى
فيه تماسك ما وهى من امرهم ... والسمر عند تصادم الأقوام
فلاقعن صفاه دهر نابهم ... قرعا يهد رواسى الاعلام
ولا ضربن الهام دون حريمهم ... ضرب القدار نقيعه القدام
ولا تركن الواردين حياضهم ... بقراره لمواطئ الاقدام
يا بدر انك لو شهدت موافقى ... والموت يلحظ والصفاح دوامى
لذمت رأيك في اضاعه حرمتي ... ولضاق ذرعك في اطراح ذمامي
حركتني بعد السكون وانما ... حركت من حصني جبال تهام
وعجمتني فعجمت منى مرجما ... خشن المناكب كل يوم زحام
قل للأمر ابى محمد الذى ... يجلو بغرته دجى الاظلام
اسكنتني ظل العلا فسكنته ... في عيشه رغد وعز نامى
حتى إذا حلت عنه نابني ... ما نابني وتكرت ايامي
فلأشكرن جميل ما أوليتني ... ما غردت في الأيك ورق حمام
هذا ابو حفص يدي وذخيرتي ... للنائبات وعدتى وسنامى
ناديته فأجابني، وهزرتة ... فهزرت حد الصارم الصمصام
من رام ان يغضى الجفون على القذى ... او يستكين يروم غير مرام
ويخيم حين يرى الأسنة شرعا ... والبيض مصلته لضرب الهام

وقال بكر بن عبد العزيز يذكر هرب النوشري من بين يديه ويعير وصيفا

١٠٠١٣٠٦ أخبار متفرقة

بالاجام عنه ويتهدد بدرا:

قالت البيض قد تغير بكر ... وبدا بعد وصله منه هجر
ليس كالسيف مونس حين يعرو ... حادث معضل ويفدح امر
أوقدوا الحرب بيننا فاصطلوها ... ثم حاصوا، فأين منها المفر!
ويغوا شرنا فهذا أوان ... قد بدا شره ويتلوه شر
قد رأى النوشري لما التقينا ... من إذا اشرع الرماح يفر
جاء في قسطل لهام فصلنا ... صوله دونها الكماة تهر
ولواء الموشجير افضى إلينا ... رويت عند ذاك بيض وسمر
غر بدرا حلبي وفضل اناقي ... واحتمالي، وذاك مما يغر
سوف يأتينه شواذب قب ... لاحقات البطون جون وشقر
يتبارين كالسعالى عليها ... من بنى وائل اسود تكرر
لست بكرا ان لم ادعهم حديثا ... ما سرى كوكب وما كر دهر.

[أخبار متفرقة]

وفي يوم الجمعة لسبع خلون من شوال من هذه السنة مات على بن محمد ابن ابى الشوارب، فحمل الى سامرا من يومه في تابوت، وكانت ولايته للقضاء على مدينه ابى جعفر ستة اشهر.
وفي يوم الاثنين لاربع بقين من شوال منها دخل بغداد عمر بن عبد العزيز بن ابى دلف قادما من أصبهان، فامر المعتضد- فيما ذكر- القواد باستقباله، فاستقبله القاسم بن عبيد الله والقواد، وقعد له المعتضد، فوصل اليه، وخلع عليه، وحمله على دابه بسرج ولجام محلى بذهب، وخلع معه على ابنين له وعلى ابن أخيه احمد بن عبد العزيز وعلى نفسين من قواده، وانزل في الدار التي كانت لعبيد الله بن عبد الله عند راس الجسر، وكانت قد فرشت له.
وفي هذه السنة قرئ على القواد في دار المعتضد كتاب ورد من عمرو بن الليث الصفار، بانه واقع رافع بن هرثمة وهزمه، وانه مر هاربا، وانه على ان يتبعه.
وكانت الوقعة لخمس بقين من شهر رمضان، وقرئ الكتاب يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة خلت من ذي القعدة.
وفي يوم الأحد لثلاث عشرة بقيت من ذي القعدة، وردت خريطة- فيما ذكر- من عمرو بن الليث على المعتضد، وهو في الحلبة، فانصرف الى دار العامه، وقرئ الكتاب على القواد من عمرو بن الليث يخبر فيه انه وجه في اثر رافع بعد الهزيمة محمد بن عمرو البلخي مع قائد آخر من قواده، وقد كان رافع صار الى طوس فواقعه، فانهزم واتبعوا اثره، فلحق بخوارزم، فقتل بخوارزم فأرسل بخاتمه مع الكتاب، وذكر انه قد حمل الرسول في امر الراس ما يخبر به السلطان.
وفي يوم الجمعة لثمان بقين من ذي القعدة منها قرئت الكتب على المنابر بقتل رافع بن هرثمة.

١٠٠١٤ سنه اربع وثمانين ومائتين

١٠٠١٤٠١ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث الجليله

ثم دخلت

سنه اربع وثمانين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليله

فمن ذلك ما كان من قدوم رسول عمرو بن الليث الصفار برأس رافع بن هرثمة في يوم الخميس لاربع خلون من المحرم على المعتضد، فامر بنصبه في المجلس بالجانب الشرقي الى الظهر، ثم تحويله الى الجانب الغربي، ونصبه هنالك الى الليل، ثم رده الى دار السلطان وخلع على الرسول وقت وصوله الى المعتضد بالراس.

وفي يوم الخميس لسبع خلون من صفر كانت ملحمة بين راغب ودميانه بطرسوس، وكان سبب ذلك- فيما ذكر- ان راغباً مولى الموفق ترك الدعاء لخمرويه بن احمد، ودعا ليدر مولى المعتضد، فوقع بينه وبين احمد بن طغان الخلاف، فلما انصرف ابن طغان من القضاء الذي كان في سنة ثلاث وثمانين ومائتين ركب البحر ولم يدخل طرسوس، ومضى وخلف دميانه للقيام بأمر طرسوس، فلما كان في صفر من هذه السنة، وجه يوسف بن الباغمردي ليخلفه على طرسوس، فلما دخلها وقوى به دميانه، كرهوا ما يفعله راغب من الدعاء ليدر، ف وقعت بينهم الفتنة، وظفر بهم راغب، فحمل دميانه وابن الباغمردي وابن اليتيم مقيدين الى المعتضد.

ولعشر بقين من صفر في يوم الاثنين من هذه السنة وردت خريطة من الجبل، بان عيسى النوشري اوقع بيكر بن عبد العزيز بن ابي دلف في حدود أصهبان، فقتل رجاله، واستباح عسكره، وافلت في نفر يسير. وفي يوم الخميس لاربع عشره خلت من شهر ربيع الاول منها، خلع على ابي عمريوسف بن يعقوب، وقلد قضاء مدينه ابي جعفر المنصور مكان علي ابن محمد بن ابي الشوارب، وقضاء قطر بل ومسكن وبزرجسابور

١٠١٤٠٢ أخبار متفرقة

والردانين وقعد للخصوم في هذا اليوم في المسجد الجامع، ومكثت مدينه ابي جعفر من لدن مات ابن ابي الشوارب الى ان وليها ابو عمر بغير قاض، وذلك خمسة اشهر واربعه ايام.

وفي يوم الأربعاء لثلاث عشره خلت منه في هذه السنة، أخذ خادم نصراني لغالب النصراني متطرب السلطان يقال له وصيف، فرفع الى الحبس، وشهد عليه انه شتم النبي ص فحبس، ثم اجتمع من غد هذا اليوم ناس من العامة بسبب هذا الخادم، فصاحوا بالقاسم بن عبيد الله، وطالبوه باقامه الحد عليه بسبب ما شهد عليه، فلما كان يوم الأحد لثلاث عشره بقيت منه اجتمع اهل باب الطاق الى قطره البردان وما يليها من الاسواق، وتداعوا، ومضوا الى باب السلطان، فلقبهم ابو الحسين ابن الوزير، فصاحوا به، فاعلمهم انه قد انهى خبره الى المعتضد، فكذبوه واسمعوه ما كره، ووثبوا باعوانه ورجاله حتى هربوا منهم، ومضوا الى دار المعتضد بالثريا، فدخلوا من الباب الاول والثاني فنعوا من الدخول، فوثبوا على من منعهم، فخرج اليهم من سألهم عن خبرهم، فاخبروه فكتب به الى المعتضد، فادخل اليه منهم جماعه، وسألهم عن الخبر فذكروه له، فأرسل معهم خفيفا السمرقندي الى يوسف القاضي، وتقدم الى خفيف ان يأمر يوسف بالنظر في امر الخادم، وان ينهى اليه ما يقف عليه من امره، ففضى معهم خفيف الى يوسف، فكادوا يقتلونه ويقتلون يوسف لما دخلوا عليه مما ازدحموا، حتى افلت يوسف منهم، ودخل بابا واغلقه دونهم، ولم يكن بعد ذلك للخادم ذكر، ولا كان للعامة في امره اجتماع.

[أخبار متفرقة]

وفي هذا الشهر من هذه السنة قدم- فيما ذكر- قوم من اهل طرسوس على السلطان يسألونه ان يولى عليهم وال، ويذكرون ان بلدهم بغير وال، وكانت طرسوس قبل في يدي ابن طولون، فأساء اليهم، فاخرجوا عامله عن البلد، وراسلهم في ذلك، ووعدهم الاحسان، فأبوا ان يتركوا له غلاما يدخل بلدهم، وقالوا: من جاءنا من قبلك حاربناه، فكف عنهم.

وفي يوم الخميس لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر من هذه السنة- فيما ذكر- ظهرت ظلمه بمصر، وحمرة في السماء شديده، حتى كان الرجل ينظر الى وجه الآخر، فيراه احمر، وكذلك الحيطان وغير ذلك، ومكثوا كذلك من العصر الى العشاء الآخرة، وخرج الناس من منازلهم يدعون الله ويتضرعون اليه.

وفي يوم الأربعاء لثلاث خلون من جمادى الاولى، ولإحدى عشره ليله خلت من حزيران، نودى في الارباع والاسواق ببغداد بالنهي عن وقود النيران ليله النيروز، وعن صب الماء في يومه، ونودى بمثل ذلك في يوم الخميس، فلما كان عشيه يوم الجمعة نودى على باب سعيد بن يكسين صاحب الشرطه بالجانب الشرقي من مدينه السلام، بان امير المؤمنين قد اطلق للناس في وقود النيران وصب الماء،

ففعلت العامه من ذلك ما جاوز الحد، حتى صبوا الماء على اصحاب الشرطه في مجلس الجسر- فيما ذكر.
وفيه اغريت العامه بالصياح بمن رأوا من الخدم السود: يا عقيق، فكانوا يغضبون من ذلك، فوجه المعتضد خادما اسود عشيهِ الجمعه
برقعة الى ابن حمدون النديم، فلما بلغ الخادم راس الجسر من الجانب الشرقى صاح به صائح من العامه: يا عقيق! فشم الخادم الصائح،
وقعته، فاجتمعت جماعه من العامه على الخادم فنكسوه وضربوه، وضاعت الرقعة التي كانت معه فرجع الى السلطان فاخبره بما صنع
به، فامر المعتضد طريفا المخلدي الخادم بالركوب والقبض على كل من تولع بالخدم وضربه بالسياط فركب طريف يوم السبت لثلاث
عشره خلت من جمادى الاولى في جماعه من الفرسان والرجاله، وقدم بين يديه خادما اسود، فصار الى باب الطاق لما امر به من
القبض على من صاح بالخادم: يا عقيق، فقبض فيما ذكر بباب الطابق على سبعة انفس، ذكر ان بعضهم كان بزيا، فضربوا بالسياط في
مجلس الشرطه

١٠١٤٠٣ ذكر كتاب المعتضد في شان بنى اميه

بالجانب الشرقى وعبر طريف فضى الى الكرخ، ففعل مثل ذلك، وأخذ خمسة انفس فضربهم في مجلس الشرطه بالشرقيه، وحمل الجميع
على جمال، ونودى عليهم: هذا جزء من اولع بخدم السلطان، وصاح بهم: يا عقيق، وحبسوا يومهم، وأطلقوا بالليل.
وفي هذه السنه عزم المعتضد بالله على لعن معاويه بن ابى سفيان على المنابر، وامر بإنشاء كتاب بذلك يقرأ على الناس، فخوفه عبيد الله
بن سليمان بن وهب اضطراب العامه، وانه لا يامن ان تكون فتنه، فلم يلتفت الى ذلك من قوله.

وذكر ان أول شيء بدا به المعتضد حين اراد ذلك الأمر بالتقدم الى العامه بلزوم اعمالهم، وترك الاجتماع والقضية والشهادات عند
السلطان، الا ان يسألوا عن شهاده ان كانت عندهم، وبمنع القصاص من القعود على الطرقات، وعملت بذلك نسخ قرئت بالجانبين
بمدينه السلام في الارباع والمحال والاسواق، فقرئت يوم الأربعاء لست بقين من جمادى الاولى من هذه السنه، ثم منع يوم الجمعه
لاربع بقين منها القصاص من القعود في الجامعين، ومنع اهل الحلق في الفتيا او غيرهم من القعود في المسجدين، ومنع الباعه من
القعود في رحابهما.

وفي جمادى الآخرة نودى في المسجد الجامع بنهي الناس عن الاجتماع على قاص او غيره، ومنع القصاص واهل الحلق من القعود.
وفي يوم الحادي عشر- وذلك يوم الجمعة- نودى في الجامعين بان الذمة بريه ممن اجتمع من الناس على مناظره او جدل، وان من فعل
ذلك أحل بنفسه الضرب، وتقدم الى الشراب والذين يسقون الماء في الجامعين الا يترحموا على معاويه، ولا يذكروه بخير.

ذكر كتاب المعتضد في شان بنى اميه

وتحدث الناس ان الكتاب الذى امر المعتضد بإنشائه بلعن معاويه يقرأ بعد صلاه الجمعة على المنبر، فلما صلى الناس الجمعة بادروا الى
المقصورة ليسمعوا قراءة الكتاب فلم يقرأ.

فذكر ان المعتضد امر باخراج الكتاب الذى كان المأمون امر بإنشائه بلعن

معاويه، فخرج له من الديوان، فاخذ من جوامعه نسخه هذا الكتاب، وذكر انها نسخه الكتاب الذى أنشئ للمعتضد بالله:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله العلى العظيم، الحليم الحكيم، العزيز الرحيم، المنفرد بالوحدانية، الباهر بقدرته، الخالق بمشيئته وحكمته،
الذى يعلم سوابق الصدور، وضماير القلوب، لا يخفى عليه خافية، ولا يغرب عنه مثقال ذره في السموات العلا، ولا في الارضين
السفلى، قد احاط بكل شيء علما، واحصى كل شيء عددا، وضرب لكل شيء أمدا، وهو العليم الخبير والحمد لله الذى برا خلقه
لعبادته، وخلق عباده لمعرفة، على سابق علمه في طاعه مطيعهم، وماضى امره في عصيان عاصيهم، فبين لهم ما يأتون وما يتقون، ونهج
لهم سبل النجاة، وحذرهم مسالك الهلكة، وظاهر عليهم الحجة، وقدم اليهم المذرة، واختار لهم دينه الذى ارتضى لهم، واکرمهم به،
وجعل المعتصمين بحبله والمتمسكين بعروته أولياءه واهل طاعته، والعائدين عنه والمخالفين له اعداءه واهل معصيته، ليهلك من هلك
عن بينه، ويحيى من حي عن بينه، وان الله لسميع عليم والحمد لله الذى اصطفى محمدا رسوله من جميع بريته، واختاره لرسالته، وابتعثه
بالهدى والدين المرتضى الى عباده اجمعين، وانزل عليه الكتاب المبين المستبين، وتاذن له بالنصر والتحسين، وايده بالعز والبرهان المتين،
فاهتدى به من اهتدى، واستنقذ به من استجاب له من العمى، وأضل من ادبر وتولى، حتى اظهر الله امره، وأعز نصره، وقهر من

خالقه، وانجز له وعده، وختم به رسله، وقبضه مؤدياً لأمره، مبلغاً لرسالته، ناصحاً لأمته، مرضياً مهتدياً الى اكرم مآب المنقلين، واعلى منازل انبيائه المرسلين، وعباده الفائزين، فضلى الله عليه افضل صلاه وأتمها، وأجلها وأعظمها، وأزكاها وأطهرها، وعلى آله الطيبين. والحمد لله الذى جعل امير المؤمنين وسلفه الراشدين المهتدين ورثه

خاتم النبيين وسيد المرسلين والقائمين بالدين، والمقومين لعباده المؤمنين، والمستحفظين ودائع الحكمة، وموارث النبوه، والمستخلفين في الامه، والمنصورين بالعز والمنعه، والتأييد والغلبه، حتى «يظهر الله دينه على الدين كله ولو كره المشركون» * وقد انتهى الى امير المؤمنين ما عليه جماعه من العامه من شبهه قد دخلتهم في اديانهم، وفساد قد لحقهم في معتقدهم، وعصبيه قد غلبت عليها هواؤهم، ونطقت بها سنتهم، على غير معرفه ولا رويه، وقدوا فيها قاده الضلالة بلا بينه ولا بصيره، وخالفوا السنن المتبعه، الى الأهواء المبتدعه، قال قال الله عز وجل: «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»، خروجاً عن الجماعه، ومسارعه الى الفتنة وإثارة للفرقة، وتشتيها للكلمة وإظهاراً لموالاة من قطع الله عنه الموالاة، وبتر منه العصمة، واخرجه من الملة، واوجب عليه اللعنه، وتعظيماً لمن صغر الله حقه، واوهن امره، واضعف ركنه، من بنى اميه الشجرة الملعونه، ومخالفه لمن استنقذهم الله به من الهلكة، واسبع عليهم به النعمه، من اهل بيت البركه والرحمه، قال الله عز وجل: «يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» * فأعظم امير المؤمنين ما انتهى اليه من ذلك، ورأى في ترك إنكاره حرجاً عليه في الدين، وفساداً لمن قلده الله امره

من المسلمين، وإهمالاً لما أوجبه الله عليه من تقويم المخالفين وتبصير الجاهلين، واقامه الحجه على الشاكين، وبسط اليد على العاندين. وامير المؤمنين يرجع إليكم معشر الناس بان الله عز وجل لما ابتعث محمداً دينه، وامره ان يصدع بامرهم، بدا باهله وعشيرته، فدعاهم الى ربه، وانذرهم وبشرهم، ونصح لهم وارشدهم، فكان من استجاب له وصدق قوله واتبع امره نفر يسير من بنى ابيه، من بين مؤمن بما اتى به من ربه، وبين ناصر له وان لم يتبع دينه، إعزازاً له، وإشفاقاً عليه، لماضى علم الله فيمن اختار منهم، ونفذت مشيئته فيما يستودعه اياه من خلافته وارث نبيه، فمؤمنهم مجاهد بنصرته وحميته، يدفعون من نابذه، وينهرون من عاره وعانده، ويتوثقون له ممن كانفه وعاضده، ويبايعون له من سمح بنصرته، ويتجسسون له اخبار اعدائه، ويكيدون له بظهر الغيب كما يكيدون له براى العين، حتى بلغ المدى، وحن وقت الاهتداء، فدخلوا في دين الله وطاعته وتصديق رسوله، والايمان به، باثبات بصيره، واحسن هدى ورغبه، فجعلهم الله اهل بيت الرحمة، واهل بيت الدين - «اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» - ومعدن الحكمة، وورثه النبوه وموضع الخلافة، واوجب لهم الفضيلة، والزهم العباد لهم الطاعة.

وكان ممن عانده ونابذه، وكذبه وحاربه من عشيرته، العدد الأكثر، والسواد الأعظم، يتلقونه بالتكذيب والتثريب، ويقصدونه بالأذية والتخويف، ويبادونه بالعداوة، وينصبون له المحاربة، ويصدون عنه من قصده، وينالون بالتعذيب من اتبعه واشدهم في ذلك عداوة واعظمهم له مخالفة، واولهم في كل حرب ومناصبه، لا يرفع على الاسلام رايه الا كان صاحبها وقائدها ورئيسها، في كل مواطن الحرب، من بدر واحد والخذق والفتح ابو سفيان بن حرب واشياعه من بنى اميه، الملعونين في كتاب الله، ثم الملعونين على لسان رسول الله في عده مواطن، وعده مواضع، لماضى علم الله فيهم وفي امرهم، ونفاقهم وكفر أحلامهم، فحارب مجاهداً، ودافع مكابداً، واقام منابذاً حتى قهره السيف، وعلا امر الله وهم كارهون، فتقول بالإسلام غير منطو عليه، واسر الكفر غير مقلع عنه، فعرفه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون، وميز له المؤلفه قلوبهم، فقبله وولده على علم منه، فما لعنهم الله به على لسان نبيه ص، وانزل به كتاباً قوله:

«وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا» ولا اختلاف بين احد انه اراد بها بنى اميه.

[ومنه قول الرسول ع وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوليه يقود به ويزيد ابنه يسوق به: لعن الله القائد والراكب والسائق] ومنه ما يرويه الرواه من قوله:

يا بنى عبد مناف تلقفوها تلقف الكره، فما هناك جنه ولا نار وهذا كفر صراح يلحقه به اللعنه من الله كما لحقت «الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ» ومنه ما يروون من وقوفه على ثنية احد بعد ذهاب بصره،

وقوله لقائده: هاهنا ذبينا محمدا واصحابه ومنه الرؤيا التي رآها النبي ص فوجم لها، فما رأى ضاحكا بعدها، فانزل الله: «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ»، فذكروا انه رأى نفرا من بنى اميه ينزون على منبره ومنه طرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم بن ابى العاص لحكايته اياه، والحقه الله بدعوه رسوله آيه باقيه حين رآه يتخلج، فقال له: كن كما أنت، فبقى على ذلك سائر عمره، الى ما كان من مروان في افتتاحه أول فتنه كانت في الاسلام، واحتقابه لكل دم حرام سفك فيها او أريق بعدها.

ومنه ما انزل الله على نبيه في سورة القدر: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»، من ملك بنى اميه [ومنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا بمعاويه ليكتب بامرہ بين يديه، فدافع بامرہ، واعتل بطعامه، فقال النبي: لا اشبع الله بطنه، فبقى لا يشبع]، ويقول: والله ما اترك الطعام شعبا، ولكن اعياء [ومنہ ان رسول الله ص قال: يطلع من هذا الفج رجل من امتي يحشر على غير ملتي، فطلع معاويه] [ومنہ ان رسول الله ص، قال: إذا رايتم معاويه على منبري فاقتلوه] [ومنہ الحديث المرفوع المشهور انه قال: ان معاويه في تابوت من نار في اسفل

درك منها ينادى: يا حنان يا منان، الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين. [ومنہ انبرأؤه بالمحاربة لافضل المسلمين في الاسلام مكانا، واقدمهم اليه سبقا، واحسنهم فيه أثرا وذكرًا، على بن ابى طالب، ينازعه حقه بباطله، ويجاهد انتصاره بضلاله وغواته، ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه، من إطفاء نور الله وخود دينه، و«يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» .

يستوى اهل الغباوة، ويموه على اهل الجهالة بمكره وبغيه، [الذين قدم رسول الله ص الخبر عنهما، فقال لعمار: تقتلك الفئة الباغية تدعوهم الى الجنة ويدعونك الى النار] مؤثرا للعاجلة، كافرا بالآجلة، خارجا من ربه الاسلام، مستحلا للدم الحرام، حتى سفك في فتنته، وعلى سبيل ضلالته ما لا يحصى عدده من خيار المسلمين الذابين عن دين الله والناصرين لحقه، مجاهدا لله، مجتهدا في ان يعصى الله فلا يطاع، وتبطل احكامه فلا تقام، ويخالف دينه فلا يدان وان تعلو كلمه الضلالة، وترتفع دعوه الباطل، وكلمة الله هي العُلْيَا، ودينه المنصور، وحكمه المتبع النافذ، وامره الغالب، وكيد من حاده المغلوب الداحض، حتى احتمل أوزار تلك الحروب وما اتبعها، وتطوق تلك الدماء وما سفك بعدها، وسن سنن الفساد التي عليه إثمها واثم من عمل بها الى يوم القيامة، وأباح المحارم لمن ارتكبها، ومنع الحقوق أهلها، واغتره الاملاء، واستدرجه الامهال، «والله له بالمرصاد» .

ثم مما اوجب الله له به اللعنه، قتله من قتل صبرا من خيار الصحابة والتابعين واهل الفضل والديانة، مثل عمرو بن الحمق وجبر بن عدى، فيمن قتل من أمثالهم، في ان تكون له العزه والملك والغلبه، والله العزه والملك والقدره، والله عز وجل يقول: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا» .

ومما استحق به اللعنه من الله ورسوله ادعاؤه زياد بن سميه، جراه على الله، والله يقول: «ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ» [ورَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم، يقول: ملعون من ادعى إلى غير أبيه، أو انتفى الى غير مواليه،] [ويقول: الولد للفراش وللعاهر الحجر،] يخالف حكم الله عز وجل وسنه نبيه ص جهارا، وجعل الولد لغير الفراش، والعاهر لا يضره عهره، فادخل بهذه الدعوة من محارم الله ومحارم رسوله في أم حبيبه زوجه النبي ص وفي غيرها من سفور وجوه ما قد حرمه الله، واثبت بها قربى قد باعدها الله، وأباح بها ما قد حظره الله، مما لم يدخل على الاسلام خلل مثله، ولم ينل الدين تبديل شبهه.

ومنہ إثارة بدين الله، ودعاؤه عباد الله الى ابنه يزيد المتكبر الخبير، صاحب الديوك والفهود والقروود، واخذه البيعه له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهدد والرهبه، وهو يعلم سفهه ويطلع على خبثه ورهقه، ويعيان سكرانه وجفوره وكفره فلما تمكن منه ما مكنه منه، ووطأة له، وعصى الله ورسوله فيه، طلب بثارات المشركين وطوائلهم عند المسلمين، فوقع باهل الحره الوقيعه التي لم يكن في الاسلام اشنع منها ولا اخفش، مما ارتكب من الصالحين فيها، وشفى بذلك عبد نفسه وغليله، وظن ان قد انتقم من أولياء

الله، وبلغ النوى لأعداء الله، فقال مجاهرا بكفره ومظهرها لشركه:

ليت أشياخي بدر شهدوا ... جزع الخرج من وقع الأسل

قد قتلنا القوم من ساداتكم ... وعدلنا ميل بدر فاعتدل

فأهلوا واستهلوا فرحا ... ثم قالوا: يا يزيد لا تسل

لست من خندف ان لم انتقم ... من بنى احمد ما كان فعل

ولعت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء، ولا وحى نزل

هذا هو المروق من الدين، وقول من لا يرجع الى الله ولا الى دينه ولا الى كتابه ولا الى رسوله، ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند

الله ثم من اغلظ ما انتهك، واعظم ما اخترم سفكه دم الحسين بن علي

وابن فاطمه بنت رسول الله.

ص مع موقعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه منه ومنزلته من الدين والفضل، وشهادته رسول الله ص له ولأخيه بسيادة

شباب اهل الجنة، اجترأ على الله، وكفرا بدينه، وعداوة لرسوله، ومجاهده لعترته، واستهانة بحرمته، فكأنما يقتل به وباهل بيته قوما

من كفار اهل الترك والديلم، لا يخاف من الله نقمه، ولا يرقب منه سطوه، فبتر الله عمره، واجتث اصله وفرعه، وسلبه ما تحت يده،

واعد له من عذابه وعقوبته ما استحقه من الله بمعصيته.

هذا الى ما كان من بنى مروان من تبديل كتاب الله وتعطيل احكامه، واتخاذ مال الله دولا بينهم، وهدم بيته، واستحلال حرامه،

ونصبهم المجانيق عليه، ورميهم اياه بالنيران، لا يألون له إحراقا وإخرابا، ولما حرم الله منه استباحه وانهاكا، ولمن لجأ اليه قتلا وتنكيلا،

ولمن امنه الله به اخافه وتشريدا، حتى إذا حقت عليهم كله العذاب، واستحقوا من الله الانتقام، وملئوا الارض بالجور والعدوان،

وعموا عباد الله بالظلم والاقسار، وحلت عليهم السخطه، ونزلت بهم من الله السطوة، اتاح الله لهم من عتره نبيه، واهل وراثته من

استخلصهم منهم بخلافته، مثل ما اتاح الله من أسلافهم المؤمنين وآبائهم المجاهدين لا وائلهم الكافرين، فسفك الله بهم دماءهم مرتدين،

كما سفك بابائهم دماء آباء الكفرة المشركين، وقطع الله دابر القوم الظالمين، والحمد لله رب العالمين ومكن الله المستضعفين، ورد الله

الحق الى اهله المستحقين، كما قال جل شانه: «وَنَزِيدُ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ».

«واعلموا ايها الناس، ان الله عز وجل انما امر ليطاع، ومثل ليمثل، وحكم ليقبل، والزم الأخذ بسنه نبيه ص ليتبع، وان كثيرا ممن

ضل فالتوى، وانتقل من اهل الجهالة والسفاه ممن اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وقد قال الله عز وجل: «فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ

الْكُفْرِ»

فانتخوا معاشر الناس عما يسخط الله عليكم، وراجعوا ما يرضيه عنكم، وارضوا من الله بما اختار لكم، والزموا ما امركم به، وجانبوا ما

نهاكم عنه، واتبعوا الصراط المستقيم، والحجج البينة، والسبل الواضحة، واهل بيت الرحمة، الذين هداكم الله بهم بديئا، واستنقذكم بهم من

الجور والعدوان أخيرا، واصاركم الى الخفض والأمن والعز بدولتهم، وشملكم الصلاح في اديانكم ومعايشكم في ايامهم، والعنوا من لعنه الله

ورسوله، وفارقوا من لا تتالون القربه من الله الا بمفارقة.

اللهم العن أبا سفيان بن حرب، ومعاوية ابنه، ويزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم وولده، اللهم العن أئمة الكفر، وقاده الضلالة،

وأعداء الدين، ومجاهدى الرسول، ومغيرى الأحكام، ومبديى الكتاب، وسفاكى الدم الحرام.

اللهم انا نتبرأ إليك من موالاه اعدائك، ومن الاغماض لأهل معصيتك، كما قلت: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ

حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ».

«يا ايها الناس، اعرفوا الحق تعرفوا اهله، وتأمّلوا سبل الضلالة تعرفوا سابلها، فانه انما يبين عن الناس اعمالهم، ويلحقهم بالضلال

والصلاح آبائهم، فلا يأخذكم في الله لومه لائم، ولا يميلن بكم عن دين الله استهواء من يستهويكم وكيد من يكيدكم، وطاعه من تخرجكم

طاعته الى معصية ربكم.

ايها الناس، بنا هداكم الله، ونحن المستحفظون فيكم، امر الله ونحن ورثه رسول الله والقائون بدين الله، فقفوا عند ما نقفكم عليه، وانفذوا لما نأمركم به، فإنكم ما أطعتم خلفاء الله وأئمة الهدى على سبيل الايمان والتقوى، وامير المؤمنين يستعصم الله لكم، ويسأله توفيقكم، ويرغب الى الله في هدايتكم لرشدكم، وفي حفظ دينه عليكم، حتى تلقوه به مستحقين طاعته، مستحقين لرحمته، والله حسب امير المؤمنين فيكم، وعليه توكله، وبالله على ما قلده من أموركم استعانته، ولا حول لأمر المؤمنين ولا قوة الا بالله والسلام عليكم.

وكتب ابو القاسم عبيد الله بن سليمان في سنة اربع وثمانين ومائتين

١٠١٤٠٤ أخبار متفرقة

وذكر ان عبيد الله بن سليمان احضر يوسف بن يعقوب القاضي، وامره ان يعمل الحيلة في ابطال ما عزم عليه المعتضد، فضى يوسف بن يعقوب، فكلم المعتضد في ذلك، وقال له: يا امير المؤمنين، انى اخاف ان تضطرب العامه، ويكون منها عند سماعها هذا الكتاب حركه فقال: ان تحركت العامه او نطقت وضعت سيفي فيها، فقال: يا امير المؤمنين، فما تصنع بالطالبيين الذين هم في كل ناحيه يخرجون، ويميل اليهم كثير من الناس لقرابتهم من الرسول وماثرهم، وفي هذا الكتاب اطراؤهم، او كما قال، وإذا سمع الناس هذا كانوا اليهم اميل، وكانوا هم ابسط السنه، واثبت حجه منهم اليوم فامسك المعتضد فلم يرد عليه جوابا، ولم يأمر في الكتاب بعده بشيء.

[أخبار متفرقة]

وفي يوم الجمعة لاربع عشره بقيت من رجب منها شخص جعفر بن بغلاغر الى عمرو بن الليث الصفار وهو بنيسابور بخلع ولواء لولايته على الري وهدايا من قبل المعتضد.

وفي هذه السنه لحق بكر بن عبد العزيز بن ابي دلف بمحمد بن زيد العلوي بطبرستان، فأقام بدر وعبيد الله بن سليمان ينتظران امر بكر الام يؤول وعلى اصلاح الجبل.

وفيها- فيما ذكر- فتحت من بلاد الروم قره، على يد راغب مولى الموفق وابن كلوب، وذلك في يوم الجمعة من رجب.

وفي ليلة الأربعاء لاثنتي عشره خلت من شعبان- او ليله الخميس فيما ذكر- ظهر شخص انسان في يده سيف في دار المعتضد بالثريا، فضى اليه بعض الخدم لينظر ما هو، فضربه الشخص بالسيف ضربه قطع بها منطقته، ووصل السيف الى بدن الخادم، ورجع الخادم منصرفا عنه هاربا، ودخل الشخص في زرع في البستان، فتوارى فيه، فطلب باقى ليلته ومن غد، فلم يوقف له على اثر، فاستوحش المعتضد لذلك، وكثر الناس في امره رجما

بالظنون، حتى قالوا: انه من الجن، ثم عاد هذا الشخص للظهور بعد ذلك مرارا كثيره، حتى وكل المعتضد بسور داره، واحكم السور وراسه، وجعل عليه كالبرنج، لئلا يقع عليه الكلاب ان رمى به، وجيء باللصوص من الحبس ونواظروا في ذلك، وهل يمكن احد الدخول اليه بنقب او تسلق.

وفي يوم السبت لثمان بقين من شعبان من هذه السنه، وجه كرامة بن مر من الكوفه بقوم مقيدين، ذكر انهم من القرامطة، فأقروا على ابي هاشم بن صدقه الكاتب انه كان يكاتبهم، وانه احد رؤسائهم، فقبض على ابي هاشم، وقيد وحبس في المطامير.

وفي يوم السبت لسبع خلون من شهر رمضان من هذه السنه جمع المجانين والمعزومون، ومضى بهم الى دار المعتضد في الثريا بسبب الشخص الذى كان يظهر له، فادخلوا الدار، وصعد المعتضد عليه له، فأشرف عليهم، فلما رآهم صرعت امراه كانت معهم من المجانين واضطربت، وتكشفت، فضجر وانصرف عنهم، ووهب لكل واحد منهم خمسة دراهم- فيما ذكر- وصرفوا.

وقد كان وجهه الى المعزومين قبل ان يشرف عليهم من يسألهم عن خبر الشخص الذى ظهر له: هل يمكنهم ان يعلموا علمه؟ فذكر قوم منهم انهم يعزومون على بعض المجانين، فإذا سقط سال الجنى عن خبر ذلك الشخص وما هو، فلما رأى المرأة التي صرعت امر بصرفهم وفي ذي القعدة منها ورد الخبر من أصهبان، بوثوب الحارث بن عبد العزيز ابن ابي دلف المعروف بابى ليلى بشفيح الخادم الموكل كان به فقتله، وكان اخوه عمر بن عبد العزيز بن ابي دلف اخذه فقيده، وحمله الى قلعه لال ابي دلف بالرز، فحبسه فيها، وكان كل ما لال ابي دلف من مال ومتاع نفيس وجوهر في القلعة، وشفيح مولاها موكل بحفظ ذلك وحفظ القلعة، ومعه جماعه من غلمان عمر

وخاصته، فلما استامن عمر الى السلطان، وهرب بكر عاصيا للسلطان بقيت القلعة بما فيها في يد شفيع، فكلمه ابو ليلي في اطلاقه فأبى، وقال: لا افعل فيك وفيما في يدي الا بما يأمرني به عمر.

فذكر عن جاريه لأبي ليلي انها قالت: كان مع ابى ليلي في الحبس غلام

صغير يخدمه، وآخر يخرج ويدخل في حوائجه ولا يبيت عنده، ويبيت عنده الغلام الصغير، فقال ابو ليلي لغلامه الذى يخرج في حوائجه: احتل لي في مبرد تدخله الى، ففعل وادخله في شيء من طعامه وكان شفيع الخادم يجيء في كل ليلة إذا اراد ان ينام الى البيت الذى فيه ابو ليلي حتى يراه، ثم يقفل عليه باب البيت هو بيده ويمضى فينام، وتحت فراشه سيف مسلول وكان ابو ليلي قد سال ان تدخل اليه جاريه، فادخلت اليه جاريه حدثه السن، فذكر عن ذلفاء جاريه ابى ليلي عن هذه الجارية انها قالت: برد ابو ليلي المسمار الذى في القيد، حتى كان يخرج من رجله إذا شاء قالت: وجاء شفيع الخادم عشيته من العشايا الى ابى ليلي، فقعد معه يحدثه، فسأله ابو ليلي ان يشرب معه اقداحا، ففعل، ثم قام الخادم لحاجته قالت: فأمرني ابو ليلي، ففرشت فراشه، فجعل عليه ثيابا في موضع الإنسان من الفراش، وغطى على الثياب باللحف، وأمرني ان اقعد عند رجل الفراش، وقال لي: إذا جاء شفيع لينظر الى ويقفل الباب، فسألك عنى فتولي: هو نائم وخرج ابو ليلي من البيت، فاختمني في جوف فرش ومتاع في صفه فيها باب هذا البيت، وجاء شفيع فنظر الى الفراش، وسال الجارية فاخبرته انه قد نام، فاقفل الباب، فلما نام الخادم ومن معه في الدار التي في القلعة خرج ابو ليلي، فاخذ السيف من تحت فراش شفيع، وشد عليه فقتله، فوثب الغلمان الذين كانوا ينامون حوله فزعين، فاعتزلهم ابو ليلي والسيف في يده، وقال لهم: انا ابو ليلي قد قتلت شفيعا، ولئن تقدم الى منكم احد لاقتله وأنتم آمنون، فاخرجوا من الدار حتى أكلهم بما اريد، ففتحوا باب القلعة، وخرجوا، وجاء حتى قعد على باب القلعة، واجتمع الناس ممن كان في القلعة، فكلهم ووعدهم الاحسان، وأخذ عليهم الايمان فلما اصبح نزل من القلعة، ووجه الى الأكراد واهل الزموم، فجمعهم واعطاهم، وخرج مخالفا على السلطان وقيل ان قتله الخادم كان في ليلة السبت لاثنتي عشرة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة، وقيل: انه ذبح الخادم ذبحا بسكين كان أدخلها اليه غلامه، ثم أخذ السيف من تحت فراش الخادم وقام به الى الغلمان.

وفي هذه السنة- وهي سنة اربع وثمانين ومائتين- كان المنجمون يوعدون الناس بغرق اكثر الأقاليم، وان إقليم بابل لا يسلم منه الا اليسير، وان ذلك يكون بكثرة الامطار وزيادة المياه في الانهار والعيون والابار، فقحط الناس فيها فلم يروا فيها من المطر الا اليسير، وغارت المياه في الانهار، والعيون والابار، حتى احتاج الناس الى الاستسقاء فاستسقوا ببغداد مرات وليلة بقيت من ذي الحجة من هذه السنة كانت- فيما ذكر- وقعه بين عيسى النوشري وبين ابى ليلي بن عبد العزيز بن ابى دلف، وذلك يوم الخميس دون أصبهان بفرسخين، فأصاب أبا ليلي سهم في حلقه- فيما ذكر- فحره، فسقط عن دابته، وانهمز اصحابه، وأخذ راسه فحمل الى أصبهان. وجج بالناس في هذه السنة محمد بن عبد الله بن داود الهاشمي المعروف بترجه.

١٠٠١٥ سنة خمس وثمانين ومائتين

١٠٠١٥٠١ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

ثم دخلت

سنة خمس وثمانين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من قطع صالح بن مدرك الطائي في جماعه من طيء على الحاج بالأجفريوم الأربعاء لاثنتي عشرة بقيت من المحرم، فخاربه الجنى الكبير، وهو امير القافلة، فظفر الاعراب بالقافلة، فأخذوا ما كان فيها من الأموال والتجارات، وأخذوا جماعه من النساء الحرائر والممالك وقيل ان الذى أخذوا من الناس بقيمة الف دينار. ولسبع بقين من المحرم منها قرئ على جماعه من حاج خراسان في دار المعتضد بتولية عمرو بن الليث الصفار ما وراء نهر بلخ، وعزل اسماعيل بن احمد عنه.

ولخمس خلون من صفر منها ورد مدينه السلام وصيف كامه مع جماعه من القواد من قبل بدر مولى المعتضد وعبيد الله بن سليمان من

الجليل، معهم راس الحارث بن عبد العزيز بن ابي دلف المعروف بابي ليلي، فمضوا به الى دار المعتضد بالثريا، فاستوهبه اخوه فوهبه، واستاذنه في دفنه فاذن له، وخلع على عمر بن عبد العزيز في هذا اليوم وعلى جماعه من القواد القادمين. وفيها- فيما ذكر- كتب صاحب البريد من الكوفة، يذكر ان ريحا صفراء ارتفعت بنواحي الكوفة في ليله الأحد لعشر بقين من شهر ربيع الاول، فلم تزل الى وقت صلاه المغرب، ثم استحالت سوداء، فلم يزل الناس في تضرع الى الله. وان السماء مطرت بعقب ذلك مطرا شديدا برعود هائلة وبروق متصله، ثم سقط بعد ساعه بقرية تعرف بأحمداباذ ونواحيها حجارة بيض وسود مختلفه الألوان، في أوساطها ضغطة شبه افهار العطارين، فانفذ منها حجرا، فانخرج الى الدواوين والناس حتى راوه

١٠٠١٥٠٢ أخبار متفرقة

ولتسع بقين منه شخص ابن الاخشاد أميراً على طرسوس من بغداد مع نفر الذين كانوا قدموا منها يسألون ان يولى عليهم وال. وخرج أيضاً في هذا اليوم من بغداد فانتك مولى المعتضد للنظر في امور العمال بالموصل وديار ربيع وديار مضر والشغور الشامية والجزرية واصلاح الأمور بها الى ما كان يتقلده من اعمال البريد بهذه النواحي. وفي هذه السنه ورد الخبر- فيما ذكر- من البصرة ان ريحا ارتفعت بها بعد صلاه الجمعة لخمس بقين من شهر ربيع الاول صفراء، ثم استحالت خضراء ثم سوداء، ثم تثابت الامطار بما لم يروا مثلها، ثم وقع برد كبار كان وزن البرده الواحدة مائه وخمسين درهما- فيما قيل- وان الريح اقلعت من نهر الحسين خمسمائة نخله واكثر، ومن نهر معقل مائه نخله عددا. [أخبار متفرقة]

وفيها كانت وفاه الخليل بن ريمال بجلوان. ونخمس خلون من جمادى الآخرة ورد الخبر على السلطان ان بكر بن عبد العزيز بن ابي دلف توفي بطبرستان من عله اصابته، ودفن هنالك. فاعطى الذي جاء بالخبر- فيما ذكر- الف دينار وفيها ولى المعتضد محمد بن ابي الساج اعمال اذربيجان وأرمينية، وكان قد تغلب عليها وخالف، وبعث اليه بخلع وحملا. وفيها ورد الخبر لثلاث خلون من شعبان ان راغباً الخادم مولى الموفق غزا في البحر، فاظفره الله بمراكب كثيره، وبجميع من فيها من الروم، فحرب اعناق ثلاثة آلاف من الروم الذين كانوا في المراكب، واحرق المراكب، وفتح حصونا كثيره من حصون الروم، وانصرفوا سالمين. وفي ذي الحجه منها ورد الخبر بوفاه احمد بن عيسى بن شيخ وقيام ابنه محمد بن احمد بن عيسى بما كان في يد ابيه بأمد، وما يليها على سبيل التغلب. ولإحدى عشره بقيت من ذي الحجه منها خرج المعتضد من بغداد قاصدا الى آمد، وخرج معه ابنه ابو محمد والقواد والغلمان، واستخلف ببغداد صالحا

الأمين الحاجب، وقلده النظر في المظالم وامر الجسرين وغير ذلك. وفيها وجه هارون بن خمارويه بن احمد بن طولون ومن معه من قواد المصريين الى المعتضد وصيف قاطرميز، يسالونه مقاطعتهم عما في ايديهم من مصر والشام، واجرى هارون على ما كان يجري عليه أبوه، فقدم وصيف بغداد، فرده المعتضد، ووجه معه عبد الله بن الفتح ليشافهم برسائل، ويشترط عليهم شروطا، فخرجا لذلك في آخر هذه السنه. وفيها غزا ابن الاخشاد باهل طرسوس وغيرهم في ذي الحجه، وبلغ سلندو. وفتح عليه، وكان انصرافه الى طرسوس في سنه ست وثمانين ومائتين. وجج بالناس في هذه السنه محمد بن عبد الله بن داود الهاشمي.

١٠٠١٦ سنة ست وثمانين ومائتين

١٠٠١٦.١ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث الجليله

ثم دخلت

سنة ست وثمانين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليله

فمن ذلك ما كان من توجيه محمد بن ابى الساج ابنه المعروف بابى المسافر الى بغداد رهينه بما ضمن للسلطان من الطاعة والمناصحة، فقدم فيما ذكر- يوم الثلاثاء، لسبع خلون من المحرم منها، معه هدايا من الدواب والمتاع وغير ذلك، والمعتضد يومئذ غائب عن بغداد.

وفي شهر ربيع الآخر منها ورد الخبر ان المعتضد بالله وصل الى آمد، فأناخ بجنده عليها، واغلق محمد بن احمد بن عيسى بن شيخ عليه أبواب مدينه آمد، وعلى من فيها من اشباعه ففرق المعتضد جيوشه حولها وحاصره، وذلك لايام بقيت من شهر ربيع الاول، ثم جرت بينهم حروب، ونصب عليهم المجانيق، ونصب اهل آمد على سورهم المجانيق، وتراموا بها.

وفي يوم السبت لإحدى عشره بقيت من جمادى الاولى وجه محمد بن احمد بن عيسى الى المعتضد يطلب لنفسه ولأهله ولأهل آمد الامان، فأجابه الى ذلك، فخرج محمد بن احمد بن عيسى في هذا اليوم ومن معه من اصحابه واوليائه فوصلوا الى المعتضد، فخلع عليه وعلى رؤساء اصحابه، وانصرفوا الى مضرب قد اعد لهم، وتحول المعتضد من عسكره الى منازل ابن عيسى بن شيخ ودوره، وكتب بذلك كتابا الى مدينه السلام مؤرخا بيوم الأحد لعشر بقين من جمادى الاولى ونمئس بقين من جمادى الاولى منها ورد الكتاب من المعتضد بفتحه آمد الى مدينه السلام، وقرئ على المنبر بالجامع وفيها انصرف عبد الله بن الفتح الى المعتضد وهو مقيم بأمد من مصر باجوبه كتبه الى هارون بن خمارويه، واعلمه ان هارون قد بذل ان يسلم اعمال قنسرين والعواصم، ويحمل الى بيت المال ببغداد في كل سنة أربعمائة الف

وخمسين الف دينار، وانه يسال ان يحدد له ولايه على مصر والشام، وان يوجه المعتضد بخادم من خدمه اليه بذلك، فأجابه الى ما سال، وانفذ اليه بدرا القدامى وعبد الله بن الفتح بالولاية والخلع، فخرجا من آمد الى مصر بذلك، وتسلم عمال المعتضد اعمال قنسرين والعواصم من اصحاب هارون في جمادى الاولى، واقام المعتضد بأمد بقيه جمادى الاولى وثلاثة وعشرين يوما من جمادى الآخرة ثم ارتحل منها يوم السبت لسبع بقين منها نحو الرقة، وخلف ابنه عليا بأمد مع جيوش ضمهم اليه لضبط الناحية واعمال قنسرين والعواصم وديار ربيع ديار مضر وكان كاتب على بن المعتضد يومئذ الحسين بن عمرو النصراني، وقلد الحسين بن عمرو النظر في امور هذه النواحي ومكاتبه العمال بها، وامر المعتضد بهدم سور آمد فهدم.

وفيها وافت هديه عمرو بن الليث الصفار من نيسابور الى بغداد، فكان مبلغ المال الذى وجهه اربعة آلاف الف درهم، وعشرين من الدواب، بسروج ولجم محلاه مغرقه ومائه وخمسين دابه بجلال مشهره وكسوه وطيب وبزاه، وذلك في يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة.

وفي هذه السنه ظهر رجل من القرامطة يعرف بابى سعيد الجنابى بالبحرين، فاجتمع اليه جماعه من الاعراب والقرامطة، وكان خروجه- فيما ذكر- في أول هذه السنه، وكثر اصحابه في جمادى الآخرة، وقوى امره، فقتل من حوله من اهل القرى، ثم صار الى موضع يقال له القطيف، بينه وبين البصره مراحل، فقتل من بها وذكر انه يريد البصره، فكتب احمد بن محمد بن يحيى الوائقى- وكان يتقلد معاون البصره وكور دجلة في ذلك الوقت- الى السلطان بما اتصل به من عزم هؤلاء القرامطة، فكتب اليه والى محمد بن هشام المتولى اعمال الصدقات والخراج والضيايع بها، في عمل سور على البصره، فقدرت النفقة على ذلك اربعة عشر الف دينار، فامر بالإتفاق عليه فبنى ٤ وفي رجب من هذه السنه صار الى الأنبار جماعه من اعراب بنى شيبان،

فأغاروا على القرى، وقتلوا من لحقوا من الناس، واستاقوا المواشى فخرج اليهم احمد بن محمد بن كمشجور المتولى المعاونه بها، فلم يطقهم فكتب الى السلطان يخبره بأمرهم فوجه من مدينه السلام نفيسا المولى واحمد بن محمد الزرنجى والمظفر بن حاج مددا له في زهاء الف رجل، فصاروا الى موضع الاعراب، فواقعوهم بموضع يعرف بالمنقبه من الأنبار، فهزمهم الاعراب، وقتلوا اصحابهم وغرق اكثرهم في الفرات، وتفرقوا فورد كتاب ابن حاج يوم الاثنين لست بقين من رجب بخبر هذه الوقعه وهزيمة الاعراب إياهم، فأقام

الاعراب يعيشون في الناحية، ويتخفرون القرى، فكتب الى المعتضد بخبرهم، فوجه اليهم لقتالهم من الرقة العباس بن عمرو الغنوي وخفيفا الازكوتكي وجماعه من القواد فصار هؤلاء القواد الى هيت في آخر شعبان من هذه السنة.

وبلغ الاعراب خبرهم، فارتحلوا عن موضعهم من سواد الأنبار، وتوجهوا نحو عين التمر، فنزلوها، ودخل القواد الأنبار، فأقاموا بها، وعاث الاعراب بعين التمر ونواحي الكوفة، مثل عيهم بنواحي الأنبار، وذلك بقية شعبان وشهر رمضان.

وفيها وجه المعتضد الى راغب مولى ابي احمد وهو بطرسوس، يأمره بالمصير اليه بالرقعة، فصار اليه وهو بها، فلما وصل اليه تركه في عسكره يوما ثم اخذه من الغد فحبسه، وأخذ جميع ما كان معه، وورد الخبر بذلك مدينه السلام يوم الاثنين لتسع خلون من شعبان، ثم مات راغب بعد ايام، وقبض على مكنون غلام راغب وعلى اصحابه، وأخذ ماله بطرسوس يوم الثلاثاء لست بقين من رجب، وكان المتولى اخذهم ابن الاخشاد.

ولعشر بقين من شهر رمضان منها وجه المعتضد مؤنسا الخازن الى الاعراب بنواحي الكوفة وعين التمر، وضم اليه العباس بن عمرو وخفيفا الازكوتكي وغيرهما من القواد، فسار مؤنس ومن معه حتى بلغ الموضع المعروف بنينوى، فوجد الاعراب قد ارتحلوا عن موضعهم، ودخل بعضهم الى بريه طريق مكة

وبعضهم الى بريه الشام، فأقام بموضعه أياما، ثم شخص الى مدينه السلام.

وفي شوال منها قلد المعتضد وعبيد الله بن سليمان ديوان المشرق محمد بن داود ابن الجراح، وعزل عنه احمد بن محمد بن الفرات، وقلد ديوان المغرب على بن عيسى بن داود بن الجراح، وعزل عنه ابن الفرات.

١٠٠١٧ سنة سبع وثمانين ومائتين

١٠٠١٧٠١ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

ثم دخلت

سنة سبع وثمانين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من قبض المعتضد على محمد بن احمد بن عيسى بن شيخ وعلى جماعه من اهله وتقييده إياهم، وحبسه لهم في دار ابن طاهر، وذلك انه صار بعض اقربائه - فيما ذكر - الى عبيد الله بن سليمان، فاعلمه ان محمدا على الهرب في جماعه من اصحابه واهله، فكتب بذلك عبيد الله الى المعتضد، فكتب اليه المعتضد يأمره بالقبض عليه، ففعل ذلك يوم الأربعاء لاربع خلون من المحرم منها.

وفي هذا الشهر من هذه السنة ورد كتاب ابي الأغر على السلطان ان طيئا تجمعت له، وحشدوا واستعانوا بمن قدروا عليه من الاعراب، واعترضوا قافلة الحاج، فواقعوهم لما جاوزوا المعدن منصرفين الى مدينه السلام من مكة ببضعة عشر ميلا، واقبل اليهم فرسان الاعراب ورجالهم ومعهم بيوتهم وحرهم وابلهم، وكانت رجالتهم اكثر من ثلاثة آلاف، فالتحمت الحرب بينهم، ولم تزل الحرب بينهم يومهم اجمع، وهو يوم الخميس لثلاث بقين من ذي الحجة، فلما جنهم الليل باينهم، فلما أصبحوا غادوهم الحرب غداه يوم الجمعة الى حين انتصاف النهار ثم انزل الله النصر على اوليائه وولى الاعراب منهزمين، فما اجتمعوا بعد تفرقهم، وانه سار هو وجميع الحاج سالمين، وانفذ كتابه مع سعيد بن الأصفر بن عبد الأعلى، وهو احد وجوه بني عمه والمتولى كان للقبض على صالح بن مدرك.

وفي يوم السبت لثلاث بقين من المحرم وافي ابو الأغر مدينه السلام، وبين يديه راس صالح بن مدرك، وراس جحش، وراس غلام لصالح اسود، واربعه أسارى من بني عم صالح، ففضى الى دار المعتضد، نفلع

عليه، وطوق بطوق من ذهب، ونصبت الرؤوس على راس الجسر الأعلى ٦٧ ٠٠١٥

بالجانب الشرقى، وادخل الأسرى المطامير.

ولاربع ليال بقين من صفر منها، دخل المعتضد من منزله ببراز الروز الى بغداد، وامر ببناء قصر في موضع اختاره من براز الروز، فحمل اليه الآلات، وابتدأ في عمله وفي شهر ربيع الاول منها غلظ امر القرامطة بالبحرين، فأغاروا على نواحي حجر، وقرب بعضهم من

نواحي البصرة، فكتب احمد بن محمد بن يحيى الواثقى يسال المدد، فوجه اليه في آخر هذا الشهر بثمانى شذوات، فيها ثلاثمائة رجل، وامر المعتضد باختيار جيش لينفذه الى البصرة.

وفي يوم الأحد لعشر خلون من شهر ربيع الآخر، قعد بدر مولى المعتضد في داره، ونظر في امور الخاصة والعامة من الناس والخراج والضياح والمعاون.

وفي يوم الاثنين لإحدى عشره خلت من شهر ربيع الآخر، مات محمد بن عبد الحميد الكاتب المتولى ديوان زمام المشرق والمغرب.

وفي يوم الأربعاء لثلاث عشره خلت منه ولى جعفر بن محمد بن حفص هذا الديوان، فصار من يومه الى الديوان وقعد فيه.

وفي شهر ربيع الآخر منها ولى المعتضد عباس بن عمرو الغنوي اليمامة والبحرين ومحاربه ابى سعيد الجنابى ومن معه من القرامطة، وضم اليه زهاء الفى رجل، فعسكر العباس بالفرك أياما حتى اجتمع اليه اصحابه، ثم مضى الى البصرة، ثم شخص منها الى البحرين واليمامة.

وفيها- فيما ذكر- وافى العدو باب قلميه من طرسوس، ففر ابو ثابت وهو امير طرسوس بعد موت ابن الاخشاد- وكان استخلفه على البلد حين غزا- فمات وهو على ذلك، فبلغ في نفيه الى نهر الریحان في طلب العدو، فاسر ابو ثابت واصيب الناس، فكان ابن كلوب غازيا في درب السلامة، فلما

قفل من غزاته جمع المشايخ من اهل الثغر ليتراضوا بامير يلى أمورهم، فاتفق رأيهم على على بن الأعرابي، فولوه امرهم بعد اختلاف من ابن ابى ثابت.

وذكر ان أباه استخلفه، وجمع جمعا لمحاربه اهل البلد حتى توسط الأمر ابن كلوب، فرضى ابن ثابت، وذلك في شهر ربيع الآخر، وكان النغيل حينئذ غازيا ببلاد الروم، فانصرف الى طرسوس، وجاء الخبر ان أبا ثابت حمل الى القسطنطينية من حصن قونية، ومعه جماعه من المسلمين.

وفي شهر ربيع الآخر مات إسحاق بن أيوب الذى كان اليه المعاونه بديار ربيعه، فقلد ما كان اليه عبد الله بن الهيثم بن عبد الله بن المعتز.

وفي يوم الأربعاء لخمس بقين من جمادى الاولى، ورد كتاب- فيما ذكر- على السلطان بان اسماعيل بن احمد اسر عمرا الصفار، واستباح عسكره، وكان من خبر عمرو واسماعيل، ان عمرا سال السلطان ان يوليه ما وراء النهر، فولاه ذلك، ووجه اليه وهو مقيم بنيسابور بالخلع، واللواء على ما وراء النهر، فخرج لمحاربه اسماعيل بن احمد، فكتب اليه اسماعيل بن احمد: انك قد وليت دنيا عريضه، وانما في يدي ما وراء النهر، وانا في ثغر، فاقنع بما في يدك، واتركني مقيما بهذا الثغر فأبى اجابته الى ذلك، فذكر له امر نهر بلخ وشده عبوره، فقال: لو أشاء ان اسكره ببدر الأموال واعبره لفعلت، فلما ايس اسماعيل من انصرافه عنه جمع من معه والتناء والدهاقين، وعبر النهر الى الجانب الغربي، وجاء عمرو فنزل بلخ، وأخذ اسماعيل عليه النواحي، فصار كالمحاصر، وندم على ما فعل، وطلب المحاجزة- فيما ذكر- فأبى اسماعيل عليه ذلك، فلم يكن بينهما كثير قتال حتى هزم عمرو فولى هاربا، ومر باجمه في طريقه، قيل له انها اقرب، فقال لعامة من معه: امضوا في الطريق الواضح ومضى في نفر يسير، فدخل الأجمة، فوحلت دابته، فوقع، ولم يكن له في نفسه حيلة، ومضى من معه، ولم يلووا عليه، وجاء اصحاب اسماعيل، فاخذوه أسيرا ولما وصل الخبر الى

١٠٠١٧٠٢ خروج العباس بن عمرو الغنوي من البصرة

المعتضد بما كان من امر عمرو واسماعيل، مدح اسماعيل- فيما ذكر- وذم عمرا.

وليلة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة، ورد الخبر على السلطان ان وصيفا خدام ابن ابى الساج، هرب من برذعه، ومضى الى ملطيه مراغما لمحمد بن ابى الساج في اصحابه، وكتب الى المعتضد يسأله ان يوليه الثغور، ليقوم بها، فكتب اليه المعتضد يأمره بالمصير اليه، ووجه اليه رشيقا الحرمي ولسبع خلون من رجب من هذه السنة توفيت ابنة خمارويه بن احمد بن طولون، وزوجه المعتضد، ودفنت داخل قصر الرصافه.

ولعشر خلون من رجب وفد على السلطان ثلاثة انفس وجههم وصيف خدام ابن ابى الساج الى المعتضد، يسأله ان يوليه الثغور، ويوجه اليه الخلع، فذكر ان المعتضد امر بتقرير الرسل بالسبب الذى من اجله فارق وصيف صاحبه ابن ابى الساج، وقصد الثغور، فقرروا بالضرب، فذكروا انه فارقه على مواطاه بينه وبين صاحبه، على انه متى صار الى الموضع الذى هو به متى لحق به صاحبه، فصارا جميعا

الى مضر وتغلبا عليها، وشاع ذلك في الناس وتحدثوا به.
ولاحدى عشرة خلت من رجب من هذه السنة ولى حامد بن العباس الخراج والضياع بفارس، وكانت في يد عمرو بن الليث الصفار،
ودفعت كتبه بالولاية الى أخيه احمد بن العباس، وكان حامد مقيما بواسط، لأنه كان يليها وكور دجلة، وكتب الى عيسى النوشري
وهو بأصبهان بالمصير الى فارس واليا على معونتها.
خروج العباس بن عمرو الغنوي من البصرة

وفي هذه السنة كان خروج العباس بن عمرو الغنوي- فيما ذكر- من البصرة بمن ضم اليه من الجند، مع من خف معه من مطوعة
البصرة نحو ابى سعيد الجنابي ومن انضوى اليه من القرامطة، فلقبهم طلائع لأبي سعيد، خلف العباس سواده، وسار نحوهم، فلقى أبا
سعيد ومن

معه مساء، فتناوشوا القتال، ثم حجز بينهم الليل، فانصرف كل فريق منهما الى موضعهم فلما كان الليل انصرف من كان مع العباس
من اعراب بنى ضبة- وكانوا زهاء ثلاثمائة- الى البصرة، ثم تبعهم مطوعة البصرة، فلما اصبح العباس غادى القرامطة الحرب، فاقتلوا
قتالا شديدا.

ثم ان صاحب ميسره العباس- وهو نجاح غلام احمد بن عيسى بن شيخ- حمل في جماعه من اصحابه زهاء مائه رجل على ميمنه ابى
سعيد، فوغلوا فيهم، فقتل جميع من معه، وحمل الجنابي واصحابه على اصحاب العباس، فانهمزوا، فاستاسر العباس، واسر من اصحابه
زهاء سبعمائة رجل، واحتوى الجنابي على ما كان في عسكر العباس، فلما كان من غد يوم الوقعه احضر الجنابي من كان اسر من
اصحاب العباس، فقتلهم جميعا، ثم امر بحطب فطرح عليهم، واحرقهم.

وكانت هذه الوقعه- فيما ذكر- في آخر رجب، وورد خبرها بغداد لاربع خلون من شعبان.

وفيها- فيما ذكر- صار الجنابي الى هجر، فدخلها وآمن أهلها، وذلك بعد منصرفه من وقعه العباس، وانصرف فل اصحاب العباس بن
عمرو يريدون البصرة، ولم يكن افلت منهم الا القليل بغير ازواد ولا كساء، فخرج اليهم من البصرة جماعه بنحو من أربعمائة راحله، عليها
الاطعمه والكسا والماء، فخرج عليهم- فيما ذكر- بنو اسد، فأخذوا تلك الرواحل بما عليها، وقتلوا جماعه ممن كان مع تلك الرواحل ومن
افلت من اصحاب العباس، وذلك في شهر رمضان، فاضطربت البصرة لذلك اضطرابا شديدا وهموا بالانتقال عنها، فنعهم احمد بن محمد
الوائقي المتولى لمعاونها من ذلك، وتخوفوا هجوم القرامطة عليهم.

ولثمان خلون من شهر رمضان منها- فيما ذكر- وردت خريطة على السلطان من الأبله بموافاه العباس بن عمرو في مركب من مراكب
البحر، وان أبا سعيد الجنابي اطلقه وخادما له.

ولاحدى عشره خلت من شهر رمضان، وافى العباس بن عمرو مدينه

السلام، وصار الى دار المعتضد بالثريا، فذكر انه بقي عند الجنابي أياما بعد الوقعه، ثم دعا به، فقال له: اتحب ان اطلقك؟ قال: نعم،
قال:

امض وعرف الذى وجه بك الى ما رايت وحمله على رواحل، وضم اليه رجالا من اصحابه، وحملهم ما يحتاجون اليه من الزاد والماء،
وامر الرجال الذين وجههم معه ان يؤدوه الى مأمنه، فساروا به حتى وصل الى بعض السواحل، فصادف به مركبا، فحملة، فصار الى
الأبله، فخلع عليه المعتضد وصرفه الى منزله.

وفي يوم الخميس لإحدى عشره خلت من شوال ارتحل المعتضد من مضر به بباب الشماسيه في طلب وصيف خادم ابن ابى الساج،
وكنم ذلك، واظهر انه يريد ناحيه ديار مضر وفي يوم الجمعة لاثنتى عشره خلت منه، ورد الخبر- فيما ذكر- على السلطان ان القرامطة
بالسواد من اهل جنبله وثبوا بوالهم بدر غلام الطائي، فقتلوا من المسلمين جمعا فيهم النساء والصبيان، واحرقوا المنازل.

ولاربع عشره خلت من ذي القعدة نزل المعتضد كنيسه السوداء في طلب وصيف الخادم، فأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء،
حتى تلاحق به الناس، واراد الرحيل في طريق المصيصة، فائته العيون ان الخادم يريد عين زربه، فاحضر الركاضه الثغريين واهل
الخبره، فسألهم عن اقصد الطريق الى عين زربه، فقطعوا به جيحان غداه الخميس لسبع عشره خلت من ذي القعدة، فقدم ابنه عليا
ومعه الحسن بن على كوره، واتبعه بجعفر بن سحر، ثم اتبع جعفر بن محمد بن كمشجور، ثم اتبعه خاقان المفلاحى، ثم مؤنس الخادم، ثم
مؤنس الخازن، ثم مضى في آثارهم مع غلمان الحجر، ومر بعين زربه، وضرب له بها مضرب، وخلف بها خفيفا السمرقندي مع سواده،
وسار هو قاصدا للخادم في اثر القواد، فلما كان بعد صلاه العصر جاءته البشارات بأخذ الخادم، ووافوا به المعتضد، فسلمه الى مؤنس
الخادم

وهو يومئذ صاحب شرطه العسكر، وامر ببذل الامان لأصحاب الخادم والنداء في العسكر ببراءه الذمة ممن وجد في رحله شيء من نهب عسكر الخادم، ولم يرده على اصحابه، فرد الناس على كثير منهم ما انتهوا من عسكرهم وكانت الوقعه واسر وصيف الخادم- فيما قيل- يوم الخميس لثلاث عشره بقيت من ذي القعدة، وكان من اليوم الذي ارتحل المعتضد فيه من مضربه بباب الشماسيه الى ان قبض على الخادم سته وثلاثون يوما.

ولما قبض المعتضد على الخادم انصرف- فيما ذكر- الى عين زربه، فأقام بها يومين، فلما كان في صبيحة الثالث، اجتمع اليه اهل عين زربه، وسألوه ان يرحل عنهم لضيق الميرة ببلدهم، فرحل عنها في اليوم الثالث، فنزل المصيصة بجميع عساكره الا أبا الأغر خليفه بن المبارك، فانه كان وجهه ليأخذ على الخادم الطريق لثلا يصير الى مرعش وناحيه ملطيه، وكان الخادم قد انفذ عياله وعيال اصحابه الى مرعش، وبلغ اصحاب الخادم الذين كانوا قد هربوا ما بذل لهم المعتضد من الامان، وما امر برده عليهم من امتعتهم، فلحقوا بعسكر المعتضد داخلين في امانه وكان نزول المعتضد بالمصيصة- فيما قيل- يوم الأحد لعشر بقين من ذي القعدة، فأقام بها الى الأحد الآخر، وكتب الى وجوه اهل طرسوس في المصير اليه، فاقبلوا اليهم منهم النغيل- وكان من رؤساء الثغر- وابن له، ورجل يقال له ابن المهندس، وجماعه معهم، فحبس هؤلاء مع آخرين، واطلق اكثرهم فحمل الذين حبسهم معه الى بغداد، وكان قد وجد عليهم لانهم- فيما ذكر- كانوا كاتبوا وصيفا الخادم وامر المعتضد باحراق جميع المراكب البحرية التي كان المسلمون يغزون فيها وجميع آلاتها. وذكر ان دميانه غلام يازمان هو الذي اشار عليه لشيء كان في نفسه على اهل طرسوس، فاحرق ذلك كله، وكان في المراكب نحو من خمسين مركبا قديما قد انفق عليها اموال جليله لا يعمل مثلها في هذا الوقت فاحرقت، فأضر ذلك بالمسلمين، وكسر ذلك في اعضادهم، وقوى به الروم، وأمنا ان يغزوا في البحر وقد المعتضد الحسن بن علي كوره الثغور الشاميه بمسلم

١٠١٧٠٣ ذكر الخبر عن مقتل محمد بن زيد العلوي

من اهل الثغور واجتماع كلمتهم عليه، ورحل المعتضد- فيما قيل- من المصيصة فنزل فندق الحسين، ثم الإسكندرية، ثم بغراس ثم أنطاكية، لليلتين خلتا من ذي الحجه فأقام بها الى ان نحر، وبكر في ثاني النحر بالرحيل، فنزل ارتاح ثم الاثارب ثم حلب، فأقام بها يومين، ثم رحل الى الناعوره، ثم الى خساف وصفين هناك في الجانب الجزرى، وبیت مال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الجانب الآخر، ثم الى يالس، ثم الى دوسر، ثم الى بطن دامن، ثم الى الرقة، فدخلها لثمان بقين من ذي الحجه، فأقام بها الى ان بقي ليلتان منه.

ذكر الخبر عن مقتل محمد بن زيد العلوي

ونخمس بقين من شوال ورد الخبر على السلطان بان محمد بن زيد العلوي قتل.

ذكر الخبر عن سبب مقتله:

ذكر أن محمد بن زيد خرج لما اتصل به الخبر عن اسر اسماعيل بن احمد عمرو بن الليث في جيش كثيف نحو خراسان، طامعا فيها، ظنا منه ان اسماعيل بن احمد لا يتجاوز عمله الذي كان يتولاه ايام ولايه عمرو بن الليث الصفار خراسان، وانه لا دافع له عن خراسان، إذ كان عمرو قد اسر، ولا عامل للسلطان به، فلما صار الى جرجان واستقر به، كتب اليه يسأله الرجوع الى طبرستان، وترك جرجان له، فأبى ذلك عليه ابن زيد، فندب اسماعيل- فيما ذكر لي- خليفه كان لرافع بن هرثمة ايام ولايه رافع خراسان يدعى محمد بن هارون، لحرب محمد بن زيد، فانتدب له، فضم اليه جمعا كثيرا من رجاله وجنده، ووجهه الى ابن زيد لحربه، فشخص محمد بن هارون نحو ابن زيد، فالتقيا على باب جرجان، فاقتتلوا قتالا شديدا، فانهزم عسكر محمد بن هارون.

ثم ان محمد بن هارون رجع، وقد انتقضت صفوف العلوي، فانهزم عسكر محمد بن زيد، وولوا هاربين، وقتل منهم- فيما ذكر- بشر كثير، واصابت ابن زيد ضربات، واسر ابنه زيد، وحوى محمد بن هارون عسكره وما كان فيه ثم مات محمد بن زيد بعد هذه الوقعه بايام من الضربات التي كانت فيه، فدفن على باب جرجان، وحمل ابنه زيد الى اسماعيل بن احمد، وشخص محمد بن هارون الى طبرستان.

وفي يوم السبت لاثنتي عشره خلت من ذي القعدة اوقع بدر غلام الطائي بالقرامطة على غره منهم بنواحي رودميستان وغيرها، فقتل منهم- فيما ذكر- مقتله عظيمه، ثم تركهم خوفا على السواد ان يخرب، إذ كانوا فلاحيه وعماله، وطلب رؤساءهم في أماكنهم، فقتل من ظفر به منهم، وكان السلطان قد قوى بدرا بجماعه من جنده وغلمايه بسببهم للحدث الذي كان منهم.

وج بالناس في هذه السنة محمد بن عبد الله بن داود.

١٠١٨ سنه ثمان وثمانين ومائتين

ثم دخلت

سنه ثمان وثمانين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فمن ذلك ما كان من ورود الخبر على السلطان- فيما ذكر- بوقوع الوباء بأذربيجان، فمات منه خلق كثير الى ان فقد الناس ما يكفون به الموتى، فكفونوا في الأكسية واللبود، ثم صاروا الى ان لم يجدوا من يدفن الموتى، فكانوا يتركونهم مطروحين في الطرق.

وفيهما دخل اصحاب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث فارس، واخرجوا منها عمال السلطان، وذلك لاثنتي عشرة بقيت من صفر منها. وفيها توفي محمد بن ابى الساج الملقب بافشين بأذربيجان، فاجتمع غلمانه وجماعه من اصحابه، فأمرؤا عليهم ديوداد بن محمد، واعتزلهم يوسف بن ابى الساج على الخلاف لهم.

ولليلتين بقيتا من شهر ربيع الآخر ورد كتاب صاحب البريد بالاهواز، يذكر فيه ان اصحاب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث صاروا الى سنبل يريدون الاهواز.

وفي أول جمادى الاولى ادخل عمرو بن الليث عبد الله بن الفتح- الموجه كان الى اسماعيل بن احمد- بغداد واشناس غلام اسماعيل بن احمد وذكر لي ان اسماعيل بن احمد خبره بين المقام عنده أسيرا وبين توجيهه الى باب امير المؤمنين، فاختار توجيهه فوجهه.

ولليلتين خلتا من جمادى الآخرة، ورد- فيما ذكر- كتاب صاحب بريد الاهواز منها، يذكر ان كتاب اسماعيل بن احمد ورد على طاهر بن محمد بن عمرو يعلمه ان السلطان ولاء سجستان، وامره بالخروج إليها، وانه خارج اليه الى فارس ليوقع به، ثم ينصرف الى سجستان، وان طاهرا خرج لذلك،

وكتب الى ابن عمه وكان مقيما بارجان في عسكره يأمره بالانصراف اليه الى فارس بمن معه. وفيها ولى المعتضد مولاه بدرا فارس، وامره بالشخص إليها لما بلغه من تغلب طاهر بن محمد عليها، وخلع عليه لتسع خلون من جمادى الآخرة، وضم اليه جماعه من القواد، فشخص في جيش عظيم من الجند والغلمان.

ولعشر خلون من جمادى الآخرة منها خرج عبد الله بن الفتح واشناس غلام اسماعيل الى اسماعيل بن احمد بن سامان بخلع من المعتضد حملها اليه وببدنه وتاج وسيف من ذهب، مركب على جميع ذلك جوهر وبهدايا وثلاثة آلاف الف درهم، يفرقها في جيش من جيوش خراسان، يوجه الى سجستان لحرب من بها من اصحاب طاهر بن محمد بن عمرو.

وقد قيل: ان المال الذى وجهه اليه المعتضد كان عشرة آلاف الف درهم، وجه ببعض ذلك من بغداد، وكتب بباقيه على عمال الجبل، وأمرؤا ان يدفعوه الى الرسل.

وفي رجب منها وصل بدر مولى المعتضد الى ما قرب من ارض فارس، فتنحى عنها من كان بها من اسباب طاهر بن محمد بن عمرو، فدخلها اصحاب بدر، وجي عماله الخراج بها ولليلتين خلتا من شهر رمضان منها، ذكر ان كتاب عجم بن حاج عامل مكة ورد يذكر فيه ان

بنى يعفر أوقعوا برجل كان تغلب على صنعاء، وذكر انه علوي وانهم هزموه، فلجا الى مدينه تحصن بها، فصاروا اليه فاوقعوا به، فهزموه

أيضا، وأسرؤا ابنا له، وافلت هو في نحو من خمسين نفسا، ودخل بنو يعفر صنعاء وخطبوا بها للمعتضد وفيها اوقع يوسف بن ابى الساج وهو في نفر يسير بابن أخيه ديوداد بن محمد، ومعه جيش ابيه محمد بن ابى الساج، فهرب عسكره، فبقى ديوداد في جماعه قليله، فعرض

عليه يوسف المقام معه، فأبى وأخذ طريق الموصل فوافى

بغداد يوم الخميس لسبع بقين من شهر رمضان من هذه السنه، فكانت الوقعه بينهما بناحية اذربيجان وفيها غزا نزار بن محمد عامل الحسن بن على كوره الصائفة، ففتح حصونا كثيره للروم، وادخل طرسوس مائه عالج ونيفا وستين علجا من القوامسه والشمامسه وصلبانا

كثيرا واعلاما لهم، فوجهها كوره الى بغداد ولاثنتي عشرة خلت من ذي الحجه وردت كتب التجار من الرقة ان الروم وافت في مراكب كثيره، وجاء قوم منهم على الظهر الى ناحيه كيسون، فاستاقوا من المسلمين اكثر من خمسة عشر الف انسان، ما بين رجل

وامراه وصبي، ففضوا بهم، وأخذوا فيهم قوما من اهل الذمة.

وفيهما قرب اصحاب ابى سعيد الجنابى من البصرة، واشتد جزع اهل البصرة منهم حتى هموا بالهرب منها والنقله عنها، فنعهم من ذلك واليهيم.
وفي آخر ذي الحجه منها قتل وصيف خادم ابن ابى الساج، فحملت جثته فصولت بالجانب الشرقى وقيل انه مات ولم يقتل، فلما مات احتز راسه.
وجج بالناس فيها هارون بن محمد المكنى أبا بكر.

١٠٠١٩ سنة تسع وثمانين ومائتين

ثم دخلت

سنة تسع وثمانين ومائتين

(ذكر الخبر عن الكائن فيها من الأمور) فمن ذلك ما كان من انتشار القرامطة بسواد الكوفة، فوجه اليهم شبل غلام احمد بن محمد الطائي، وتقدم اليه في طلبهم، وأخذ من ظفر به منهم وحملهم الى باب السلطان وظفر برئيس لهم يعرف بابن ابى فوارس، فوجه به معهم، فدعا به المعتضد لثمان بقين من المحرم، فساءله، ثم امر به فقلعت أضراسه، ثم خلع بمد احدى يديه- فيما ذكر- ببكره، وعلق في الاخرى صخره، وترك على حاله تلك من نصف النهار الى المغرب، ثم قطعت يداه ورجلاه من غد ذلك اليوم، وضربت عنقه، وصلب بالجانب الشرقى، ثم حملت جثته بعد ايام الى الياصرية، فصلب مع من صلب هنالك من القرامطة.
ولليلتين خلنا من شهر ربيع الاول، اخرج من كانت له دار وحانوت بباب الشماسيه عن داره وحانوته، وقيل لهم: خذوا اقفاصكم واخرجوا، وذلك ان المعتضد كان قد قدر ان يبنى لنفسه دارا يسكنها، نخط موضع السور، وحفر بعضه، وابتدأ في بناء دكه على دجلة، كان المعتضد امر ببنائها لينتقل فيقيم فيها الى ان يفرغ من بناء الدار والقصر.

وفي ربيع الآخر منها في ليلة الأمير توفى المعتضد، فلما كان في صبيحتها حضر دار السلطان يوسف بن يعقوب وابو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز وابو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب، وحضر الصلاة عليه الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان، وابو خازم وابو عمر والحرم والخاصة، وكان اوصى ان يدفن في دار محمد بن عبد الله بن طاهر، فحفر له فيها، فحمل من قصره المعروف بالحسنى ليلا، فدفن في قبره هناك

ولسبع بقين من شهر ربيع الآخر من هذه السنة- وهي سنة تسع وثمانين ومائتين- جلس القاسم بن عبيد الله بن سليمان في دار السلطان في الحسنى، واذن للناس، فعزوه بالمعتضد، وهنئوه بما جدد له من امر المكتفى، وتقدم الى الكآب والقواد في تجديد البيعه للمكتفى بالله، فقبلوا.

١٠٠١٩٠١ خلافة المكتفى بالله

خلافة المكتفى بالله

ولما توفى المعتضد كتب القاسم بن عبيد الله بالخبر الى المكتفى كتباً، وأنفذها من ساعته، وكان المكتفى مقيماً بالرقعة، فلما وصل الخبر اليه امر الحسين بن عمرو النصراني كاتبه يومئذ بأخذ البيعه على من في عسكره، ووضع العطاء لهم، ففعل ذلك الحسين، ثم خرج شاخصاً من الرقة الى بغداد، ووجه الى النواحي بديار ربيعه وديار مضر ونواحي المغرب من يضبطها.
وفي يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الاولى دخل المكتفى الى داره بالحسنى، فلما صار الى منزله، امر بهدم المطامير التي كان أبوه اتخذها لأهل الجرائم.

وفي هذا اليوم كنى المكتفى بلسانه القاسم بن عبيد الله وخلع عليه.

وفي هذا اليوم مات عمرو بن الليث الصفار، ودفن في غد هذا اليوم بالقرب من القصر الحسنى، وقد كان المعتضد- فيما ذكر- عند موته بعد ما امتنع من الكلام امر صافيا الحرمي بقتل عمرو بالإيماء والإشارة، ووضع يده على رقبتة وعلى عينه، اراد ذبح الأعور فلم

يفعل ذلك صافي لعله بحال المعتضد وقرب وفاته، وكره قتل عمرو، فلما دخل المكتفي بغداد سال- فيما قيل- القاسم بن عبيد الله عن عمرو: احي هو؟ قال: نعم، فسر بحياته وذكر انه يريد ان يحسن اليه، وكان عمرو يهدي الى المكتفي ويبره برا كثيرا ايام مقامه بالري فاراد مكافاته، فذكروا ان القاسم بن عبيد الله كره ذلك، ودس الى عمرو من قتله.

وفي رجب منها ورد الخبر لاربع بقين منه ان جماعه من اهل الري كاتبوا محمد بن هارون الذي كان اسماعيل بن احمد صاحب خراسان استعمله على طبرستان بعد قتله محمد بن زيد العلوي، فخلع محمد بن هارون وبيض، فسأله المصير الى الري ليدخلوه إليها، وذلك ان اوكرتمش التركي المولى

١٠١٩٠٢ ذكر الخبر عن مقتل بدر غلام المعتضد

عليهم كان- فيما ذكر- قد أساء السيرة فيهم، فخاربه، فهزمه محمد بن هارون وقتله، وقتل ابنين له وقائدا من قواد السلطان يقال له ابرون أخو كيغلغ، ودخل محمد بن هارون الري واستولى عليها.

وفي رجب من هذه السنه زلزلت بغداد، ودامت الزلزلة فيها أياما وليالي كثيره.

ذكر الخبر عن مقتل بدر غلام المعتضد

وفي هذه السنه كان مقتل بدر غلام المعتضد.

ذكر سبب قتله:

ذكر ان سبب ذلك كان ان القاسم بن عبيد الله كان هم بتصيير الخلافه من بعد المعتضد في غير ولد المعتضد، وانه كان ناظر بدر في ذلك، فامتنع بدر عليه وقال: ما كنت لاصرفها عن ولد مولاي الذي هو ولي نعمتي.

فلما رأى القاسم ذلك وعلم انه لا سبيل الى مخالفه بدر، إذ كان بدر صاحب جيش المعتضد، والمستولى على امره، والمطاع في خدمه وغلانته، اضطغنها على بدر وحدث بالمعتضد حدث الموت وبدر بفارس، فعقد القاسم للمكتفي عقد الخلافه، وباع له وهو بالرقه، لما كان بين المكتفي وبين بدر من التباعد في حياه والده وكتب القاسم الى المكتفي لما بايع غلمان ابيه له بالخلافه، وأخذ عليهم البيعه بما فعل من ذلك، فقدم بغداد المكتفي وبدر بعد بفارس، فلما قدمها عمل القاسم في هلاك بدر، حذرا على نفسه- فيما ذكر- من بدر ان يقدم على المكتفي، فيطلعه على ما كان القاسم هم به، وعزم عليه في حياه المعتضد من صرف الخلافه عن ولد المعتضد إذا مات فوجه المكتفي- فيما ذكر- محمد بن كمشجور وجماعه من القواد برسائل، وكتب الى القواد الذين مع بدر يأمرهم بالمصير الى ما قبله ومفارقة بدر وتركه، فوصلت الكتب الى القواد في سر، ووجه اليه يانس خادم الموفق، ومعه عشره آلاف الف درهم ليصرفها في عطاء اصحابه لبيعه المكتفي، ففرج بها يانس.

فذكر انه لما صار بالاهواز، وجه اليه بدر من قبض المال منه فرجع يانس الى مدينه السلام، فلما وصلت كتب المكتفي الى القواد المضمومين الى بدر، فارق بدر جماعه منهم، وانصرفوا عنه الى مدينه السلام، منهم العباس بن عمرو الغنوي وخاقان المفلحي ومحمد بن إسحاق بن كنداج وخفيف الاذكوتكيني وجماعه غيرهم فلما صاروا الى مدينه السلام دخلوا على المكتفي، فخلع- فيما ذكر- على نيف وثلاثين رجلا منهم، واجاز جماعه من رؤسائهم، كل رجل منهم بمائه الف درهم، واجاز آخرين بدون ذلك، وخلع على بعضهم، ولم يجزه بشيء وانصرف بدر في رجب، عامدا المصير الى واسط واتصل بالمكتفي اقبال بدر الى واسط، فوكل بدار بدر، وقبض على جماعه من غلانه وقواده، فحبسوا، منهم نحرير الكبير، وعريب الجبلي، ومنصور، ابن اخت عيسى النوشري وادخل المكتفي على نفسه القواد، وقال لهم: لست اؤمر عليكم أحدا، ومن كانت له منكم حاجه فليلق الوزير، فقد تقدمت اليه بقضاء حوائجكم وامر بنحو اسم بدر من التراس والاعلام، وكان عليها ابو النجم مولى المعتضد بالله، وكتب بدر الى المكتفي كتابا دفعه الى زيدان السعدي، وحمله على الجمازات فلما وصل الكتاب الى المكتفي اخذه، ووكل بزيدان هذا، واشخص الحسن بن علي كوره في جيش الى ناحيه واسط وذكر انه قدمه المكتفي على مقدمته.

ثم احذر محمد بن يوسف مع المغرب لليلة بقيت من شعبان من هذه السنه برسالة الى بدر، وكان المكتفي ارسل الى بدر حين فصل من عمل فارس يعرض عليه ولايه اى النواحي شاء، ان شاء أصبهان وان شاء الري، وان شاء الجبال، ويأمره بالمصير الى حيث أحب من

هذه النواحي مع من أحب من الفرسان والرجال، يقيم بها معهم واليا عليها فأبى ذلك بدر، وقال: لا بد لي من المصير الى باب مولاي فوجد القاسم بن عبيد الله مساعدا للقول فيه، وقال للمكتفي: يا امير المؤمنين، قد عرضنا عليه ان نقلده اى النواحي شاء ان يمضى إليها، فأبى الا المجيء الى بابك، وخوفه غائلته، وحرص المكتفي على لقائه ومحاربتة، واتصل الخبر ببدر انه قد وكل بداره، وحبس غلمانه وأسبابه، فأيقن بالشهر، ووجه من يحتال في تخليص ابنه هلال واحداً الى، فوقف القاسم بن عبيد الله على ذلك، فامر بالحفظ به، ودعا أبا خازم القاضى على الشرقيه وامره بالمضي الى بدر ولقائه وتطبيب نفسه واعطائه الامان من امير المؤمنين، على نفسه وماله وولده، فذكر ان أبا خازم قال له: احتاج الى سماع ذلك من امير المؤمنين حتى أؤديه اليه عنه، فقال له: انصرف حتى استاذن لك في ذلك امير المؤمنين.

ثم دعا بابي عمر محمد بن يوسف، فأمره بمثل الذى امر به أبا خازم، فسارع الى اجابته الى ما امره به، ودفع القاسم بن عبيد الله الى ابى عمر كتاب أمان عن المكتفي، فمضى به نحو بدر، فلما فصل بدر عن واسط ارفض عنه اصحابه واكثر غلمانه، مثل عيسى التوشري وختنه يانس المستأمن واحمد بن سمعان وتحرير الصغير، وصاروا الى مضرب المكتفي في الامان فلما كان بعد مضي ليلتين من شهر رمضان من هذه السنه، خرج المكتفي من بغداد الى مضربه بنهر دىالى، وخرج معه جميع جيشه، فمسك هنالك، وخلع على من صار الى مضربه من الجماعه الذين سميت، وعلى جماعه من القواد والجند ووكل بجماعه منهم، ثم قيد تسعه منهم، وامر بحملهم مقيدين الى السجن الجديد، ولقى - فيما ذكر - ابو عمر محمد بن يوسف بدرًا بالقرب من واسط، ودفع اليه الامان وخبره عن المكتفي بما قال له القاسم بن عبيد الله، فصاعد معه في حراقة بدر، وكان قد سيره في الجانب الشرقى وغلمانه الذين بقوا معه في جماعه من الجند وخلق كثير من الأكراد واهل الجبل يسرون معه بمسيره على شط دجلة، فاستقر الأمر بين بدر وابى عمر على ان يدخل بدر بغداد سامعاً مطيعاً،

وعبر بدر دجلة، فصار الى النعمانية، وامر غلمانه واصحابه الذين يقوا معه ان ينزعوا سلاحهم، والا يحاربوا أحداً، واعلمهم ما ورد به عليه ابو عمر من الامان، فبينما هو يسير إذ وافاه محمد بن إسحاق بن كنداج في شذا، ومعه جماعه من الغلمان، فتحول الى الحراقة، وساله بدر عن الخبر، فطيب نفسه، وقال له قولاً جميلاً، وهم في كل ذلك يؤمرونه، وكان القاسم بن عبيد الله وجهه، وقال له: إذا اجتمعت مع بدر، وصرت معه في موضع واحد، فأعلمني فوجه الى القاسم، واعلمه، فدعا القاسم بن عبيد الله لؤلؤاً احد غلمان السلطان، فقال له: قد نديتكم لامر، فقال: سمعاً وطاعة، فقال له: امض وتسلم بدرًا من ابن كنداجيق، وجئني برأسه فمضى في طيار حتى استقبل بدرًا ومن معه بين سيب بنى كوما وبين اضطربد، فتحول من الطيار الى الحراقة، وقال لبدر: قم، فقال: وما الخبر؟ قال: لا بأس عليك، فحوله الى طيارة، ومضى به حتى صار به الى جزيرة بالصافية، فانخرجه الى الجزيرة، وخرج معه، ودعا بسيف كان معه فاستله، فلما ايقن بدر بالقتل ساله ان يمهل حتى يصلى ركعتين، فأمله، فصلاهما، ثم قدمه فضرب عنقه، وذلك في يوم الجمعة قبل الزوال لست خلون من شهر رمضان، ثم أخذ راسه ورجع الى طيارة، واقبل راجعاً الى معسكر المكتفي بنهر دىالى وراس بدر معه، وتركت جثته مكانها، فبقيت هنالك ثم وجه عياله من أخذ جثته سرا، فجعلها في تابوت، واخفوها عندهم، فلما كان ايام الموسم حملوها الى مكة، فدفنوها بها - فيما قيل - وكان اوصى بذلك، واعتق قبل ان يقتل مماليكه كلهم، وتسلم السلطان ضياع بدر ومستغلاته ودوره وجميع ماله بعد قتله وورد الخبر على المكتفي بما كان من قتل بدر، لسبع خلون من شهر رمضان من هذه السنه، فرحل منصرفاً الى مدينه السلام، ورحل معه من كان معه من الجند، وجيء برأس بدر اليه، فوصل اليه قبل ارتحاله من موضع معسكره، فامر به فتنظف، ورفع في الخزانة، ورجع ابو عمر القاضى

الى داره يوم الاثنين كثيباً حزيناً، لما كان منه في ذلك، وتكلم الناس فيه، وقالوا: هو كان السبب في قتل بدر، وقالوا فيه اشعاراً، فما قيل فيه منها:

قل لقاضى مدينه المنصور ... بم احللت أخذ راس الأمير!

بعد اعطائه الموائيق والعهد ... وعقد الايمان في منشور

اين ايمانك التي شهد الله ... على انها يمين فجور

ان كفئك لا تفارق كفيه ... الى ان ترى ملك السرير

يا قليل الحياء يا اكذب ... الا ما يا شاهداً شهاده زور

ليس هذا فعل القضاء ولا يحسن ... امثاله ولاه الجسور
اي امر ركبت في الجمعه الزهراء ... من شهر خير خير الشهور
قد مضى من قتلت في رمضان ... صائما بعد سجده التعفير
يا بنى يوسف بن يعقوب اضحى ... اهل بغداد منكم في غرور
بدد الله شملكم وأراني ... ذلكم في حياه هذا الوزير
فأعد الجواب للحكم العادل ... من بعد منكر ونكير
أنتم كلکم فدا لأبي خازم ... المستقيم كل الأمور

ولسبع خلون من شهر رمضان، حمل زيدان السعيدى الذى كان قدم رسولا من قبل بدر الى المكتفى مع التسعه الأنفس الذين قيدوا من قواد بدر، وسبعه انفس اخر من اصحاب بدر قبض عليهم بعدهم في سفينه مطبقة عليهم، واحدروا مقيدى الى البصره، فحبسوا في سجنها.
وذكر ان لؤلؤا الذى ولى قتل بدر كان غلاما من غلمان محمد بن هارون الذى قتل محمد بن زيد بطبرستان واكرتمش بالري، قدم مع جماعه من غلمان محمد بن هارون على السلطان في الامان.
وفي ليلة الاثنين لاربع عشره بقيت من شهر رمضان منها قتل عبد الواحد بن ابى احمد الموفق- فيما ذكر- وكانت والدته- فيما قيل- وجهت معه الى دار مؤنس لما قبض عليه دايه له، ففرق بينه وبين الدايه

١٠١٩٠٣ ذكر باقى الكائن من الأمور الجليله في سنه تسع وثمانين ومائتين

١٠١٩٠٤ ذكر خبر هذا الرجل الذى ظهر بالشام وما كان من سبب ظهوره بها

فكشكت يومين او ثلاثة، ثم صرفت الى منزل مولاتها، فكانت والده عبد الواحد إذا سالت عن خبره قيل لها: انه في دار المكتفى، وهو في عافيه.

وكانت طامعه في حياته، فلما مات المكتفى ايسر منه واقامت عليه مأتما

. ذكر باقى الكائن من الأمور الجليله في سنه تسع وثمانين ومائتين

فما كان من ذلك فيها لتسع بقين من شعبان منها، ورد كتاب من اسماعيل بن احمد صاحب خراسان على السلطان بخبر وقعه كانت بين اصحابه وبين ابن جستان الديلى بطبرستان، وان اصحابه هزموه، وقرئ بذلك كتابه بمسجدى الجامع ببغداد وفيها لحق رجل يقال له إسحاق الفرغانى من اصحاب بدر لما قتل بدر الى ناحيه البادية في جماعه من اصحابه على الخلاف على السلطان، فكانت بينه هنالك وبين ابى الأغر وقعه، هزم فيها ابو الأغر، وقتل من اصحابه ومن قواده عده، ثم اشخص مؤنس الخازن في جمع كثيف الى الكوفه لحرب إسحاق الفرغانى ولسلخ ذي القعدة خلع على خاقان المفلحى، وولى معونه الريحى، وضم اليه خمسة آلاف رجل وفيها ظهر بالشام رجل جمع جموعا كثيره من الاعراب وغيرهم فأتى بهم دمشق، وبها طعج بن جف من قبل هارون بن خمارويه بن احمد بن طولون على المعونة، وذلك في آخر هذه السنه، فكانت بين طعج، وبينه وقعات كثيره قتل فيها- فيما ذكر- خلق كثير

. ذكر خبر هذا الرجل الذى ظهر بالشام وما كان من سبب ظهوره بها

ذكر ان زكرويه بن مهرويه الذى ذكرنا انه كان داعيه قرمط لما نتابع من المعتضد توجيه الجيوش الى من بسواد الكوفه من القرامطة، والى طلبهم، واشتغل فيهم القتل، ورأى انه لا مدفع عن انفسهم عند اهل السواد

ولا غناء، سعى في استغواء من قرب من الكوفه من اعراب اسد وطبي وقيم وغيرهم من قبائل الاعراب، ودعاهم الى رايه، وزعم لهم ان من بالسواد من القرامطة يطابقونهم على امره ان استجابوا له فلم يستجيبوا له، وكانت جماعه من كلب تخفر الطريق على البر بالسماء فيما بين الكوفه ودمشق على طريق تدمر وغيرها، وتحمل الرسل وامتنعه التجار على ابلها، فأرسل زكرويه اولاده اليهم، فبايعوهم وخالطوهم، وانتوا الى على بن ابى طالب والى محمد بن اسماعيل بن جعفر، وذكروا انهم خائفون من السلطان، وانهم ملجئون اليهم، فقبلوهم على ذلك، ثم دبوا فيهم بالدعاء الى راي القرامطة، فلم يقبل ذلك احد منهم- اعنى من الكلبين- الا الفخذ المعروف ببني العليص ابن ضمزم بن عدى بن جناب ومواليهم خاصه، فبايعوا في آخر سنه تسع وثمانين ومائتين بناحية السماوه ابن زكرويه المسمى

يحيى والمكنى أبا القاسم، ولقبوه الشيخ، على امر احتال فيهم، ولقب به نفسه، وزعم لهم انه ابو عبد الله ابن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد وقد قيل: انه زعم انه محمد بن عبد الله بن يحيى وقيل انه زعم انه محمد ابن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن ابى طالب وقيل انه لم يكن لمحمد بن اسماعيل ابن يسمى عبد الله، وزعم لهم ان أباه المعروف بابى محمود داعيه له، وان له بالسواد والمشرق والمغرب مائه الف تابع، وان ناقته التي يركبها مأمورة، وانهم إذا اتبعوها في مسيرها ظفروا وتكهن لهم، وظهر عضدا له ناقصه، وذكر انها آية، وانحازت اليه جماعه من بنى الأصبع، وأخلصوا له وتسموا بالفاطميين، ودانوا بدينه، فقصدهم سبك الديلمي مولى المعتضد بالله بناحية الرصافه في غربي الفرات من ديار مضر، فاغتروه وقتلوه، وحرقوا مسجد الرصافه، واعترضوا كل قريه اجتازوا بها حتى اصعدوا الى اعمال الشام التي كان هارون بن خمارويه قوطع عليها، واسند امرها هارون الى طنج بن جف، فأناخ عليها، وهزم كل عسكر لقيه لطنج حتى حصره في مدينه دمشق، فانفذ المصريون اليه بدرا الكبير غلام ابن طولون، فاجتمع مع طنج على محاربتة، فواقعهم قريبا من دمشق، فقتل الله عدو الله يحيى بن زكرويه

وكان سبب قتله - فيما ذكر - ان بعض البرابره زرقة بمزراق واتبعة نفاط، فزرقة بالنار فأحرقة، وذلك في كبد الحرب وشدتها، ثم دارت على المصريين الحرب، فانحازوا، فاجتمعت موالي بنى العليص ومن معهم من الاصبغيين وغيرهم على نصب الحسين بن زكرويه أخى الملقب بالشيخ فنصبوا أخاه، وزعم لهم انه أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر ابن محمد، وهو ابن نيف وعشرين سنه، وقد كان الملقب بالشيخ حمل موالي بنى العليص على صريحهم، فقتلوا جماعه منهم، واستذلواهم، فبايعوا الحسين ابن زكرويه المسمى باحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بعد أخيه، فأظهر شامه في وجهه ذكر انها آية، وطرا اليه ابن عمه عيسى بن مهرويه المسمى عبد الله، وزعم انه عبد الله بن احمد بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد، فلقبه المدثر، وعهد اليه، وذكر انه المعنى في السورة التي يذكر فيها المدثر، ولقب غلاما من اهله المطوق، وقلده قتل اسرى المسلمين، وظهر على المصريين، وعلى جند حمص وغيرها من اهل الشام، وتسمى بامر المؤمنين على منابرهما، وكان ذلك كله في سنه تسع وثمانين، وفي سنه تسعين.

وفي اليوم التاسع من ذي الحجة من هذه السنه صلى الناس العصر في قص الصيف ببغداد، فهبت ريح الشمال عند العصر، فبرد الهواء حتى احتاج الناس بها من شده البرد الى الوقود والاصطلاء بالنار، ولبس الحشو والجباب، وجعل البرد يزداد حتى جمد الماء وفيها كانت وقعة بين اسماعيل بن احمد بالري ومحمد بن هارون وابن هارون - فيما قيل - حينئذ في نحو من ثمانية آلاف، فانهزم محمد بن هارون وتقدم اصحابه، وتبعه من اصحابه نحو من الف، ومضوا نحو الديلم، فدخلها مستجيرا بها، ودخل اسماعيل بن احمد الري، وصار زهاء الف رجل - فيما ذكر - ممن انهزم من اصحابه الى باب السلطان وفي جمادى الآخرة منها لاربع خلون منها ولى القاسم بن سيما غزو الصائفة بالثغور الجزرية، واطلق له من المال اثنا وثلاثون الف دينار.

وجج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

١٠٠٢٠ سنه تسعين ومائتين

ثم دخلت

سنه تسعين ومائتين

(ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها) فما كان فيها من ذلك توجيه المكتفي رسولا الى اسماعيل بن احمد لليلتين خلتا من الحرم منها بخلع، وعقد ولايه له على الري، وبهدايا مع عبد الله ابن الفتح ونخمس بقين من الحرم منها ورد - فيما ذكر - كتاب على بن عيسى من الرقة، يذكر فيه ان القرمطى بن زكرويه المعروف بالشيخ، وافى الرقة في جمع كثير، نفرج اليه جماعه من اصحاب السلطان ورئيسهم سبك غلام المكتفي، فواقعوه، فقتل سبك، وانهزم اصحاب السلطان ولست خلون من شهر ربيع الآخر ورد الخبر بان طنج بن جف اخرج من دمشق جيشا الى القرمطى، عليهم غلام له يقال له بشير، فواقعهم القرمطى، فهزم الجيش وقتل بشيرا وثلاث عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر خلع على ابى الأغر ووجه به لحرب القرمطى بناحية الشام، فضى الى حلب في عشره آلاف رجل.

ولاحدى عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر خلع على ابى العشائر احمد بن نصر وولى طرسوس، وعزل عنها مظفر بن حاج لشكاية اهل الثغور اياه.

وللنصف من جمادى الاولى من هذه السنة، وردت كتب التجار الى بغداد من دمشق مؤرخه لسبع بقين من ربيع الآخر يخبرون فيها ان القرمطى الملقب بالشيخ قد هزم طغج غير مره، وقتل اصحابه الا القليل، وانه قد بقي في قله، وامتنع من الخروج، وانما تجتمع العامه، ثم تخرج للقتال، وانهم قد

أشرفوا على الهلكة، فاجتمعت جماعه من تجار بغداد في هذا اليوم، فمضوا الى يوسف بن يعقوب، فاقروه كتبهم، وسألوه المضى الى الوزير ليخبره خبر اهل دمشق، فوعدهم ذلك.

ولسبع بقين من جمادى الاولى احضر دار السلطان ابو خازم ويوسف وابنه محمد، واحضر صاحب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث، فقوطع على مال فارس، ثم عقد المكتفي لطاهر على اعمال فارس، وخلع على صاحبه، وحملت اليه خلع مع العقد.

وفي جمادى الاولى هرب من مدينه السلام القائد المستأمن المعروف بابى سعيد الخوارزمي، وأخذ نحو طريق الموصل، فكتب الى عبد الله المعروف بغلام نون، وكان يتقلد معاون بتكريت والاعمال المتصلة بها الى حد سامرا والى الموصل في معارضته واخذه، فزعموا ان عبد الله عارضه، فاخذعه ابو سعيد حتى اجتمعا جميعا على غير حرب، فقتل به ابو سعيد فقتله، ومضى ابو سعيد نحو شهرزور، فاجتمع هو وابن ابى الربيع الكردي، وصاهره، واجتمعا على عصيان السلطان ثم ان أبا سعيد قتل بعد ذلك، وتفرق من كان اجتمع اليه.

ولعشر خلون من جمادى الآخرة، شخص ابو العشائر الى عمله بطرسوس، وخرج معه جماعه من المطوعة للغزو، ومعه هدايا من المكتفي الى ملك الروم.

ولعشر بقين من جمادى الآخرة خرج المكتفي بعد العصر عامدا سامرا، مريدا البناء بها للانتقال إليها، فدخلها يوم الخميس خمس بقين من جمادى الآخرة، ثم انصرف الى مضارب قد ضربت له بالجوسق، فدعا القاسم بن عبيد الله والقوام بالبناء، فقدروا له البناء وما يحتاج اليه من المال للنفقة عليه، فكثروا عليه في ذلك، وطولوا مده الفراغ مما اراد بناءه، وجعل القاسم يصرفه عن رايه في ذلك، ويعظم امر النفقة في ذلك وقدر مبلغ المال،

فثناه عن عزمه، ودعا بالغداء، فغدى ثم نام، فلما هب من نومه ركب الى الشط، وقعد في الطيار، وامر القاسم بن عبيد الله بالانحدار. ورجع اكثر الناس من الطريق قبل ان يصلوا الى سامرا حين تلقاهم الناس راجعين.

ولسبع خلون من رجب خلع على ابني القاسم بن عبيد الله، فولى الاكبر منهما ضياع الولد والحرم والنفقات، والاصغر منهما كتبه ابى احمد بن المكتفي، وكانت هذه الاعمال الى الحسين بن عمرو النصراني، فعزل بهما، وكان القاسم بن عبيد الله اتهم الحسين بن عمرو انه قد سعى به الى المكتفي.

ثم ان الحسين بن عمرو كاشف القاسم بن عبيد الله بحضره المكتفي، فلم يزل القاسم يدبر عليه، ويغلظ قلب المكتفي عليه، حتى وصل الى ما اراد من امره.

وفي يوم الجمعة لاربع عشره بقيت من شعبان قرئ كتابان في الجامعين بمدينة السلام بقتل يحيى بن زكرويه الملقب بالشيخ، قتله المصريون على باب دمشق، وقد كانت الحرب اتصلت بينه وبين من حاربه من اهل دمشق وجندها ومددهم من اهل مصر، وكسر لهم جيوشا، وقتل منهم خلقا كثيرا، وكان يحيى بن زكرويه هذا يركب جملا برحاله، ويلبس ثيابا واسعه ويعتم عمه اعرابه، ويتلثم، ولم يركب دابه من لدن ظهر الى ان قتل، وامر اصحابه الا يحاربوا أحدا، وان اتى عليهم حتى يبتعث الجمل من قبل نفسه، وقال لهم: إذا فعلتم ذلك لم تهزموا.

وذكر انه كان إذا اشار بيده الى ناحيه من النواحي التي فيها محاربوه، انهزم اهل تلك الناحية، فاستغوى بذلك الاعراب ولما كان في اليوم الذى قتل فيه يحيى بن زكرويه الملقب بالشيخ، وانحازوا الى أخيه الحسين بن زكرويه، فطلب أخاه الشيخ في القتلى، فوجده، فواراه وعقد الحسين بن زكرويه لنفسه، وتسمى باحمد بن عبد الله، وتكنى بابى العباس

وعلم اصحاب بدر بعد ذلك بقتل الشيخ، فطلبوه في القتلى فلم يجدوه، ودعا الحسين بن زكرويه الى مثل ما دعا اليه اخوه، فأجابه اكثر اهل البوادي وغيرهم من سائر الناس، واشتدت شوكته وظهر وصار الى دمشق، فذكر ان أهلها صالحوه على خراج دفعوه اليه، ثم انصرف عنهم، ثم سار الى اطراف حمص، فتغلب عليها، وخطب له على منابرها، وتسمى بالمهدى، ثم سار الى مدينه حمص، فاطاعه

أهلها، وفتحوا له بابها خوفاً منه على انفسهم فدخلها، ثم سار منها الى حماء ومعرة النعمان وغيرهما، فقتل أهلها، وقتل النساء والأطفال ثم سار الى بعلبك فقتل عامه أهلها حتى لم يبق منهم - فيما قيل - الا اليسير، ثم سار الى سلبيه فخاربه أهلها ومنعوه الدخول، ثم وادعهم واعطاهم الامان، ففتحوا له بابها، فدخلها، فبدا بمن فيها من بنى هاشم، وكان بها منهم جماعة فقتلهم، ثم ثنى باهل سلبيه فقتلهم اجمعين.

ثم قتل البهائم، ثم قتل صبيان الكنايب، ثم خرج منها، وليس بها عين تطرف - فيما قيل - وسار فيما حوالى ذلك من القرى يقتل ويسبي ويحرق ويخيف السبيل.

فذكر عن متطبب بباب المحول يدعى أبا الحسن انه قال: جاءتني امراه بعد ما ادخل القرمطى صاحب الشامة واصحابه بغداد، فقالت لي: انى اريد ان تعالج شيئاً في كتفي، قلت: وما هو؟ قالت: جرح، قلت:

انا كحال، وهاهنا امراه تعالج النساء، وتعالج الجراحات، فانتظري مجيئها. فقعدت، ورايتها مكروبه كئيبه باكيه، فسألها عن حالها، وقلت:

ما سبب جراحتك؟ فقالت: قصتي تطول، فقلت: حدثيني بها وصادقيني، وقد خلا من كان عندي، فقالت: كان لي ابن غاب عني، وطالت غيبته، وخلف على اخوات له، فضقت واحتجت واشتقت اليه، وكان شخص الى ناحيه الرقة، فخرجت الى الموصل والى بلد والى الرقة، كل ذلك اطلبه، واسال عنه، فلم ادل عليه، فخرجت عن الرقة في طلبه، فوقعت في عسكر القرمطى، فجعلت اطوف واطلبه، فيينا انا كذلك إذ رايتہ فتعلقت به، فقلت: ابني! فقال: أمي! فقلت: نعم، قال:

ما فعل أخواتي؟ قلت: بخير، وشكوت ما نالنا بعده من الضيق، فضى بي الى منزله، وجلس بين يدي، وجعل يسألني عن أخبارنا، فخببرته، ثم قال:

دعيني من هذا وأخبريني ما دينك؟ فقلت: يا بني اما تعرفني! فقال:

وكيف لا اعرفك! فقلت: ولم تسألني من ديني وأنت تعرفني وتعرف ديني! فقال: كل ما كفا فيه باطل، والدين ما نحن فيه الان، فاعظمت ذلك وعجبت منه، فلما رآني كذلك خرج وتركني ثم وجه الى بخبز ولحم وما يصلحني، وقال: اطبخيه، فتركته ولم امسه، ثم عاد فطبخه، واصلح امر منزله، فدق الباب داق، فخرج اليه فإذا رجل يسأله، ويقول له:

هذه القادمة عليك تحسن ان تصلح من امر النساء شيئاً؟ فسألني فقلت:

نعم، فقال: امضى معي، فضيت فأدخلني داراً، وإذا امراه تطلق، فقعدت بين يديها، وجعلت اكلها، فلا تكلمني، فقال لي الرجل الذى جاء بي إليها:

ما عليك من كلامها، اصلحى امر هذه، ودعى كلامها، فاقت حتى ولدت غلاماً، واصلحت من شأنه، وجعلت اكلها واتلطف بها واقول لها: يا هذه، لا تحتشميني، فقد وجب حقي عليك، أخبريني خبرك وقصتك ومن والد هذا الصبي، فقالت: تساليني عن ابيه لتطالبه بشيء يهبه لك! فقلت: لا، ولكن أحب ان اعلم خبرك، فقالت لي: انى امراه هاشمية - ورفعت راسها، فرايت احسن الناس وجهها - وان هؤلاء القوم أتونا، فذبخوا ابى وأمي واخوتي واهلى جميعاً، ثم أخذني رئيسهم، فاقت عنده نحسه ايام، ثم أخرجني، فدفعني الى اصحابه، فقال: طهروها فأرادوا قتلي، فبكيت وكان بين يديه رجل من قواده، فقال: هبها لي، فقال:

خذها، فأخذني، وكان بحضرته ثلاثة انفس قيام من اصحابه، فسلوا سيوفهم، وقالوا: لا نسلها إليك، اما ان تدفعها إلينا، والا قتلناها، وأرادوا قتلي، وضجوا، فدعاهم رئيسهم القرمطى، وسألهم عن خبرهم فخبروهم، فقال: تكون لكم اربعتم، فأخذوني، فانا مقيمهم معهم اربعتهم، والله ما ادرى ممن هو هذا الولد منهم!

قالت: فجاء بعد المساء رجل فقالت لي: هنيه فهناته بالمولود، فأعطاني سبيكة فضه، وجاء آخر وآخر، أهني كل واحد منهم فيعطيني سبيكة فضه، فلما كان في السحر جاء جماعه مع رجل وبين يديه شمع، وعليه ثياب خز تفوح منه رائحه المسك، فقالت لي: هنيه، فقممت اليه، فقلت: بيض الله وجهك، والحمد لله الذى رزقك هذا الابن، ودعوت له، فأعطاني سبيكة فيها الف درهم، وبات الرجل في بيت، وبت مع المرأة في بيت، فلما اصبحت قلت للمرأة: يا هذه، قد وجب عليك حقي، فالله الله في، خلصيني! قالت: مم أخلصك؟ فخببرتها خبر ابني، وقلت لها: انى جئت راغبه اليه، وانه قال لي كيت وكيت، وليس في يدي منه شيء، ولي بنات ضعاف خلفتهن

باسوا حال، نخلصيني من هاهنا لاصل الى بناتي، فقالت: عليك بالرجل الذي جاء آخر القوم، فسليه ذلك، فانه يخلصك فاقت يومى الى ان أمسيت، فلما جاء تقدمت اليه، وقبلت يده ورجله، وقلت: يا سيدي قد وجب حقي عليك، وقد أغثنى الله على يديك بما أعطيتني، ولي بنات ضعاف فقراء، فان أذنت لي ان امضى فاجيئك بيناتي حتى يخدمنك ويكن بين يديك! فقال: وتفعلين؟ قلت: نعم، فدعا قوما من غلمانه، فقال: امضوا معها حتى تبلغوا بها موضع كذا وكذا، ثم اتركوها وارجعوا.

فحملوني على دابه، ومضوا بي قالت: فبينما نحن نسير، وإذا انا بابني يركض، وقد كسا سرنا عشرة فراسخ- فيما خبرني به القوم الذين معي- فلحقني وقال: يا فاعله، زعمت انك تمضين وتجيئين ببنتك! وسل سيفه ليضربني، فثبته القوم، فلحقني طرف السيف، فوقع في كتفي، وسل القوم سيوفهم، فارادوه، فتنحى عنى وساروا بي حتى بلغوا بي الموضع الذى سماه لهم صاحبهم، فتركوني ومضوا، فتقدمت الى هاهنا وقد طفت لعلاج جرحي، فوصف لي هذا الموضع، فبحثت الى هاهنا قالت: ولما قدم امير المؤمنين بالقرمطى وبالأسارى من اصحابه خرجت لانظر اليهم، فرأيت ابني فيهم على جمل،

عليه برنس وهو يبكي وهو فتى شاب، فقلت له: لا خفف الله عنك ولا خلصك! قال المتطبب: فقمتم معها الى المتطبة لما جاءت، واولصيتها بها، فعالجت جرحها وأعطتها مرهما، فسالت المتطبة عنها بعد منصرفها، فقالت: قد وضعت يدي على الجرح، وقلت: انفحى، فنفحت فخرجت الريح من الجرح من تحت يدي، وما أراها تبرا منه، ومضت فلم تعد إلينا.

ولاحدى عشرة بقيت من شوال من هذه السنة، قبض القاسم بن عبيد الله على الحسين بن عمرو النصراني، وحبسه، وذلك انه لم يزل يسعى في امره الى المكتفي، ويقدر فيه عنده، حتى امره بالقبض عليه، وهرب كاتب الحسين ابن عمرو حين قبض على الحسين المعروف بالشيرازي، فطلب وكبست منازل جيرانه، ونودى: من وجده فله كذا وكذا، فلم يوجد ولسبع بقين منه صرف الحسين بن عمرو الى منزله، على ان يخرج من بغداد.

وفي الجمعة التي بعدها خرج الحسين بن عمرو وحذر الى ناحيه واسط على وجه النفي، ووجد الشيرازي كاتبه لثلاث خلون من ذي القعدة.

ولليلتين خلتا من شهر رمضان من هذه السنة امر المكتفي بإعطاء الجند أرزاقهم والتأهب للشخص لحرب القرمطى بناحية الشام، فاطلق للجند في دفعه واحده مائه الف دينار، وذلك ان اهل مصر كتبوا الى المكتفي يشكون ما لقوا من ابن زكرويه المعروف بصاحب الشامة، وانه قد اخرب البلاد، وقتل الناس، وما لقوا من أخيه قبله وقتلهم رجالهم، وانه لم يبق منهم الا العدد اليسير.

ونخمس خلون من شهر رمضان اخرجت مضارب المكتفي، فضربت بباب الشماسيه.

ولسبع خلون منه خرج المكتفي في السحر الى مضربه بباب الشماسيه، ومعه قواده وغلمانه وجيوشه.

ولاثنتي عشرة ليلة من شهر رمضان، رحل المكتفي من مضربه بباب الشماسيه في السحر، وسلك طريق الموصل وللنصف من شهر رمضان منها مضى ابو الأغر الى حلب، فزل وادي بطنان قريبا من حلب، ونزل معه جميع اصحابه، فزنع- فيما ذكر- جماعه من اصحابه ثيابهم، ودخلوا الوادي يتبردون بمائه، وكان يوما شديد الحر، فبينما هم كذلك إذ وافى جيش القرمطى المعروف بصاحب الشامة، وقد بدرهم المعروف بالمطوق، فكبسهم على تلك الحال، فقتل منهم خلقا كثيرا وانتهب العسكر، وافلت ابو الأغر في جماعه من اصحابه، فدخل حلب، وافلت معه مقدار الف رجل، وكان في عشرة آلاف بين فارس وراجل، وكان قد ضم اليه جماعه ممن كان على باب السلطان من قواد الفراغنه ورجالهم، فلم يفلت منهم الا اليسير ثم صار اصحاب القرمطى الى باب حلب، فخاربهم ابو الأغر ومن بقي معه من اصحابه واهل البلد، فانصرفوا عنه بما أخذوا من عسكره من الكراع والسلاح والأموال والأمتعة بعد حرب كانت بينهم، ومضى المكتفي بمن معه من الجيش حتى انتهى الى الرقة، فزله، وسرح الجيوش الى القرمطى جيشا بعد جيش.

ولليلتين خلتا من شوال ورد مدينه السلام كتاب من القاسم بن عبيد الله، يخبر فيه ان كتابا ورد عليه من دمشق من بدر الحامي صاحب ابن طولون، يخبر فيه انه واقع القرمطى صاحب الشامة، فهزمه ووضع في اصحابه السيف، ومضى من افلت منهم نحو البادية، وان امير المؤمنين وجه في اثره الحسين بن حمدان بن حمدون وغيره من القواد.

وورد أيضا في هذه الأيام- فيما ذكر- كتاب من البحرين من أميرها ابن بانوا، يذكر فيه انه كبس حصنا للقرامطة، فظفر بمن فيه.

ولثلاث عشره خلت من ذي القعدة منها- فيما ذكر- ورد كتاب آخر من ابن بانوا من البحرين، يذكر فيه انه واقع قرابه لأبي سعيد الجنابي، وولى عهده من بعده على اهل طاعته، فهزمه وكان مقام هذا المهزوم بالقطيف فوجد بعد ما انهزم اصحابه قتيلا بين القتلى، فاحتز راسه، وانه دخل القطيف فافتتحها ومن كتب صاحب الشامة الى بعض عماله:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله احمد بن عبد الله المهدي المنصور بالله الناصر لدين الله القائم بأمر الله الحاكم بحكم الله، الداعي الى كتاب الله، الذاب عن حرم الله، المختار من ولد رسول الله امير المؤمنين وامام المسلمين، ومذل المنافقين خليفه الله على العالمين، وحاصد الظالمين، وقاصم المعتدين، ومبيد الملحدن، وقاتل القاسطين، ومهلك المفسدين، وسراج المبصرين، وضياء المستضيئين، ومشتت المخالفين، والقيم بسنه سيد المرسلين، وولد خير الوصيين، صلى الله عليه وعلى اهل بيته الطيبين، وسلم كثيرا، الى جعفر بن حميد الكردى: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا اله الا هو، واساله ان يصلى على جدي محمد رسول الله ص اما بعد، فقد انهى إلينا ما حدث قلبك من اخبار أعداء الله الكفرة، وما فعلوه بناحيك، واطهروه من الظلم والعيث والفساد في الارض، فاعظمنا ذلك، ورأينا ان ننفذ الى ما هناك من جيوشنا من ينقم الله به من اعدائه الظالمين، الذين يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً* وأنفذنا عطيرا داعيتنا وجماعه من المؤمنين الى مدينه حمص، وامددناهم بالعساكر، ونحن في أثرهم، وقد اوعزنا اليهم في المصير الى ناحيتك لطلب أعداء الله حيث كانوا، ونحن نرجو ان يجربنا الله فيهم على احسن عوائده عندنا في أمثالهم، فينبغي ان تشد قلبك وقلوب من معك من أوليائنا، وثثق بالله وبنصره الذي لم يزل يعودنا في كل من مرق عن الطاعة وانحرف عن الايمان، وتبادر إلينا باخبار الناحية، وما يتجدد فيها، ولا تخف عنى شيئا من امرها ان شاء الله سبحانه اللهم، وتحييتهم فيها سلام، وآخر دَعْوَاهُمْ أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلى الله على جدي محمد رسول الله.

وعلى اهل بيته وسلم كثيرا.

نسخه كتاب عامل له إليه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لعبد الله احمد الامام المهدي المنصور بالله، ثم الصدر كله على مثال نسخه صدر كتابه الى عامله الذي حكينا في الكتاب الذي قبل هذا

الكتاب، الى ولد خير الوصيين صلى الله عليه وعلى اهل بيته الطيبين وسلم كثيرا.

ثم بعد ذلك من عامر بن عيسى العنقائي.

سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، أمّا بعدُ اطال الله بقاء امير المؤمنين، وادام الله عزه وتأييده، ونصره وسلامته، وكرامته ونعمته وسعادته، واسبغ نعمه عليه، وزاد في إحسانه اليه، وفضله لديه فقد كان وصل كتاب سيدي امير المؤمنين اطال الله بقاءه، يعلمه فيه ما كان من نفوذ بعض الجيوش المنصوره مع قائد من قواده الى ناحيتنا لمجاهده أعداء الله بنى الفصيصة والخنائن ابن دحيم، وطلبهم حيث كانوا، والإيقاع بهم وباسبابهم وضياعهم، ويأمرني ادام الله عزه عند نظري في كتابه بالنهوض في كل من قدرت عليه من اصحابي وعشائري للقاءهم ومكانفه الجيش ومعاضدتهم والمسير بسيرهم، والعمد كل ما يومون اليه ويأمرون به، وفهمته، ولم يصل الى هذا الكتاب أعز الله امير المؤمنين حتى وافت الجيوش المنصوره، فنالت طرفا من ناحيه ابن دحيم، وانصرفوا بالكتاب الوارد عليهم من مسرور بن احمد الداعيه ليلقوه بمدينه افاميه ثم ورد على كتاب مسرور بن احمد في درجه الكتاب الذي اقتصصت ما فيه في صدر كتابي هذا، يأمرني فيه بجمع من تهبأ من اصحابي وعشيرتي والنهوض الى ما قبله، ويحذرنى التخلف عنه وكان ورود كتابه على وقت صح عندنا نزول المارق سبك عبد مفلح مدينه عرقه في زهاء الف رجل، ما بين فارس وراجل وقد شارف بلدنا، واطل على ناحيتنا، وقد وجه احمد بن الوليد عبد امير المؤمنين اطال الله بقاءه الى جميع اصحابه، ووجهت الى جميع اصحابي، فجمعناهم إلينا، ووجهنا العيون الى ناحيه عرقه لنعرف اخبار هذا الخائن، واين يريد، فيكون قصدنا ذلك الوجه، ونرجو ان يظفر الله به، ويمكن منه بمنه وقدرته. ولولا هذا الحادث، ونزول هذا المارق في هذه الناحية، واشرافه على بلدنا لما تاخرت في جماعه اصحابي عن النهوض الى مدينه افاميه،

لتكون يدي مع أيدي القواد المقيمين بها لمجاهده من بتلك الناحية حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين واعلمت سيدي امير المؤمنين اطل الله بقاءه السبب في تخلفي عن مسرور بن احمد، ليكون على علم منه ثم ان أمرني ادام الله عزه بالنفوذ الى افاميه كان نفوذى برايه، وامثلت ما يأمرني به ان شاء الله اتم الله على امير المؤمنين نعمه وادام عزه وسلامته، وهناه كرامته، والبسه عفوه وعافيته. والسلام على امير المؤمنين ورحمه الله وبركاته، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد النبي وعلى اهل بيته الطاهرين الاختيار. وفيها وجه القاسم بن عبيد الله الجيوش الى صاحب الشامه، وولى حربه محمد بن سليمان الكاتب الذي كان اليه ديوان الجيش، وضم جميع القواد اليه، وامرهم بالسمع له والطاعة، فنفذ من الرقة في جيش كثيف، وكتب الى من تقدمه من القواد بالسمع له والطاعة وفيها ورد رسولا صاحب الروم، أحدهما خادم، والآخر فحل، يسأله الفداء بمن في يده من المسلمين اسير، ومعهما هدايا من صاحب الروم وأسارى من المسلمين بعث بهم اليه، فأجبا الى ما سالا، وخلع عليهما. وجج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس ابن محمد.

١٠٠٢١ سنة احدى وتسعين ومائتين

١٠٠٢١٠١ ذكر خبر الوقعه بين اصحاب السلطان وصاحب الشامه

ثم دخلت

سنة احدى وتسعين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليله)

ذكر خبر الوقعه بين اصحاب السلطان وصاحب الشامه

فمن ذلك ما كان من امر الوقعه بين اصحاب السلطان وصاحب الشامه.

ذكر الخبر عن هذه الوقعه:

قال ابو جعفر: قد مضى ذكرى شخوص المكتفي من مدينه السلام نحو صاحب الشامه لحربه ومصيره الى الرقة، وبثه جيوشه فيما بين حلب وحمص، وتوليته حرب صاحب الشامه محمد بن سليمان الكاتب وتصيره امر جيشه وقواده اليه، فلما دخلت هذه السنه كتب وزيره القاسم بن عبيد الله الى محمد ابن سليمان وقواد السلطان يأمره وإياهم بمناهضة ذي الشامه واصحابه، فساروا اليه حتى صاروا الى موضع بينهم وبين حماء- فيما قيل- اثنا عشر ميلا، فلقوا به اصحاب القرمطى في يوم الثلاثاء لست خلون من المحرم، وكان القرمطى قدم اصحابه وتخلف هو في جماعه من اصحابه، ومعه مال قد كان جمعه، وجعل السواد وراءه، فالتحمت الحرب بين اصحاب السلطان واصحاب القرمطى، واشتدت، فهزم اصحاب القرمطى، وقتلوا، واسر من رجالهم بشر كثير، وتفرق الباقيون في البوادي، وتبعهم اصحاب السلطان ليله الأربعاء لسبع خلون من المحرم فلما رأى القرمطى ما نزل باصحابه من الفلول والهزيمة حمل- فيما قيل- أخا له يكنى أبا الفضل مالا، وتقدم اليه ان يلحق بالبوادي الى ان يظهر في موضع، فيصير اليه، وركب هو وابن عمه المسمى المدثر والمطوق صاحبه وغلام له رومي، وأخذ دليلا، وسار يريد الكوفه عرضا في البريه، حتى انتهى الى موضع يعرف بالدالية من اعمال طريق الفرات، فنقد ما كان معهم من الزاد والعلف، فوجه بعض من كان معه ليأخذ له ما يحتاجون اليه، فدخل الدالية المعروفه بداليه ابن طوق لشراء حاجه، فأنكروا زيه، وسئل عن امره فجمع، فاعلم المتولى مسلحه هذه الناحية بخبره، وهو رجل يعرف بابى خبزه خليفه احمد بن محمد بن كشمرد عامل امير المؤمنين المكتفي على معاون بالرحبة وطريق الفرات فركب في جماعه، وسال هذا الرجل عن خبره، فاخبره ان الشامه خلف رايه هنالك في ثلاثة نفر.

فضى اليهم، فاخذهم وصار بهم الى صاحبه، فتوجه بهم ابن كشمرد وابو خبزه الى المكتفي بالرقة، ورجعت الجيوش من الطلب بعد ان قتلوا وأسروا جميع من قدروا عليه من أولياء القرمطى واشياعه، وكتب محمد بن سليمان الى الوزير بالفتح:

بسم الله الرحمن الرحيم قد تقدمت كتيبي الى الوزير اعزه الله في خبر القرمطى اللعين واشياعه، بما أرجو ان يكون قد وصل ان شاء الله ولما كان في يوم الثلاثاء لست ليال خلون من المحرم رحلت من الموضع المعروف بالقروانه، نحو موضع يعرف بالعليانه، في جميع

العسكر من الأولياء، وزحفنا بهم على مراتبهم في القلب والميمنه والميسره وغير ذلك، فلم ابعد ان وافاني الخبر بان الكافر القرمطي انفذ النعمان ابن أخي اسماعيل بن النعمان احد دعائه في ثلاثة آلاف فارس، وخلق من الرجاله، وانه نزل بموضع يعرف بتمنع، بينه وبين حماه اثنا عشر ميلا، فاجتمع اليه جميع من كان بمعره النعمان وبناحيه القصيصي وسائر النواحي من الفرسان والرجاله، فاسررت ذلك عن القواد والناس جميعا ولم اظهره، وسالت الدليل الذي كان معي عن هذا الموضع، وكم بيننا وبينه، فذكر انه سته اميال، فتوكلت على الله عز وجل، وتقدمت اليه في المسير نحوه، فمال بالناس جميعا، وسرنا حتى وافيت الكفره، فوجدتهم على تعبئه، ورأينا طلائعهم فلما نظروا إلينا مقبلين زحفوا نحونا، وسرنا اليهم، فافترقوا سته كرايس، وجعلوا على ميسرتهم- على ما أخبرني من ظفرت به من رؤسائهم- مسرورا العليصى وأبا الحمل وغلالم هارون العليصى، وأبا

العذاب ورجاء وصافي وأبا يعلى العلوي، في الف وخمسمائة فارس، وكنوا كميناً في أربعمائة فارس خلف ميسرتهم بإزاء ميمنتنا، وجعلوا في القلب النعمان العليصى والمعروف بابى الخطى، والحمارى وجماعه من بطلانهم في الف وأربعمائة فارس وثلاثة آلاف راجل، وفي ميمنتهم كليب العليصى والمعروف بالسديد العليصى والحسين بن العليصى وأبا الجراح العليصى وحמיד العليصى، وجماعه من نظرائهم في الف وأربعمائة فارس، وكنوا مائتي فارس، فلم يزلوا زفا إلينا ونحن نسير نحوهم غير متفرقين، متوكلين على الله عز وجل وقد استحثت الأولياء والغلبان وسائر الناس غيرهم، ووعدتهم فلما رأى بعضنا بعضا حمل الكردوس الذى كان في ميسرتهم، ضربا بالسياط، فقصد الحسين بن حمدان، وهو في جناح الميمنه، فاستقبلهم الحسين- بارك الله عليه واحسن جزاءه- بوجهه وبموضعه من سائر اصحابه برماحهم، فكسروها في صدورهم، فانفلوا عنهم، وعادوا القرامطة الحمل عليهم، فأخذوا السيوف، واعترضوا ضربا للوجوه، فصرع من الكفار الفجره ستمائة فرس في أول وقعه، وأخذ اصحاب الحسين خمسمائة فرس وأربعمائة طوق فضه، وولوا مدبرين مفلولين، واتبعهم الحسين، فرجعوا عليه، فلم يزلوا حمله وحمله، وفي خلال ذلك يصرع منهم الجماعه بعد الجماعه، حتى افناهم الله عز وجل، فلم يفلت منهم الا اقل من مائتي رجل.

وحمل الكردوس الذى كان في ميمنتهم على القاسم بن سيما ويمن الخادم ومن كان معهما من بنى شيبان وبنى تميم، فاستقبلوهم بالرماح حتى كسروها فيهم، واعتق بعضهم بعضا، فقتل من الفجره جماعه كثيره وحمل عليهم في وقت حملتهم خليفه بن المبارك ولؤلؤ، وكنت قد جعلته جناحا لخليفه في ثلاثمائة فارس، وجميع اصحاب خليفه، وهم يعاركون بنى شيبان وبنى تميم، فقتل من الكفره مقتله عظيمه، واتبعوهم، فاخذ بنو شيبان منهم ثلاثمائة فرس ومائه طوق، وأخذ اصحاب خليفه مثل ذلك، وزحف النعمان ومن معه في القلب إلينا، فحملت ومن معي، وكنت بين القلب والميمنه، وحمل خاقان

ونصر القشورى ومحمد بن كمشجور ومن كان معهم في الميمنه، ووصيف موشكير ومحمد بن إسحاق بن كنداجيق وابنا كيغلغ والمبارك القمي وربيعه بن محمد ومهاجر بن طليق والمظفر بن حاج وعبد الله بن حمدان وحي الكبير ووصيف البكتمرى وبشر البكتمرى ومحمد بن قراطغان.

وكان في جناح الميمنه جميع من حمل على من في القلب ومن انقطع ممن كان حمل على الحسين بن حمدان، فلم يزلوا يقتلون الكفار فرسانهم ورجالتهم حتى قتلوا اكثر من خمسه اميال ولما ان تجاوزت المصاف بنصف ميل خفت ان يكون من الكفار مكيدته في الاحتيال على الرجاله والسواد، فوقفت الى ان لحقوني وجمعتهم وجمعت الناس، الى وبين يدي المطرد المبارك، مطرد امير المؤمنين، وقد حملت في الوقت الاول، وحمل الناس ولم يزل عيسى النوشرى ضابطا للسواد من مصاف خلفهم مع فرسانه ورجاله على ما رسمته له، لم يزل من موضعه الى ان رجع الناس جميعا الى من كل موضع، وضربت مضربى في الموضع الذى وقفت فيه، حتى نزل الناس جميعا، ولم أزل واقفا الى ان صليت المغرب، حتى استقر العسكر باهله، ووجهت في الطلائع ثم نزلت، واكثر حمد الله على ما هنانا به من النصر، ولم يبق احد من قواد امير المؤمنين وغلمانه ولا العجم وغيرهم غاية في نصر هذه الدولة المباركه في المناصحه لها الا بلغوها، بارك الله عليهم جميعا! ولما استراح الناس خرجت والقواد جميعا لنقيم خارج العسكر الى ان يصبح الناس خوفا من حيله تقع، واسال الله تمام النعمه وايزاع الشكر، وانا- أعز الله سيدنا الوزير- راحل الى حماه، ثم اشخص الى سلبيه بمن الله تعالى وعونه، فن بقي من هؤلاء الكفار مع الكافر فهم بسلبيه، فانه قد صار إليها منذ ثلاثة ايام، واحتاج الى ان يتقدم الوزير بالكتاب الى جميع القواد وسائر

بطون العرب من بنى شيبان وتغلب وبنى تميم، يجزيهم جميعا الخير على ما كان في هذه الوقعة، فما بقي احد منهم- صغير ولا كبير- غاية، والحمد لله على ما تفضل به، وياه اسال تمام النعمة ولما تقدمت في جمع الرؤوس، وجد راس ابى الحمل وراس ابى العذاب وابى البغل وقيل ان النعمان قد قتل، وقد تقدمت في طلبه، وأخذ راسه وحمله مع الرؤوس الى حضره امير المؤمنين ان شاء الله.

وفي يوم الاثنين الأربع بقين من الحرم، ادخل صاحب الشامة الى الرقة ظاهرا للناس على فالج، عليه برنس حرير ودراعه ديباج، وبين يديه المدثر والمطوق على جملين.

ثم ان المكتفي خلف عساكره مع محمد بن سليمان، وشخص في خاصته وغلانته وخدمه، وشخص معه القاسم بن عبيد الله من الرقة الى بغداد، وحمل معه القرمطى والمدثر والمطوق وجماعه من أسارى الوقعة، وذلك في أول صفر من هذه السنة.

فلما صار الى بغداد عزم- فيما ذكر- على ان يدخل القرمطى مدينه السلام مصلوبا على دقل، والدقل على ظهر فيل، فامر بهدم طاقات الأبواب التي يجتاز بها الفيل، ان كانت اقصر من الدقل، وذلك مثل باب الطاق وباب الرصافه وغيرهما.

ثم استسمح المكتفي- فيما ذكر- فعل ما كان عزم عليه من ذاك، فعمل له دميانه- غلام يا زمان- كرسيًا، وركب الكرسي على ظهر الفيل، وكان ارتفاعه عن ظهر الفيل ذراعين ونصف ذراع- فيما قيل- ودخل المكتفي مدينه السلام بغداد صبيحة يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول، وقدم الأسرى بين يديه على جمال مقيدين، عليهم دراريع حرير وبرانس حرير، والمطوق في وسطهم، غلام ما خرجت لحيته، قد جعل في فيه خشبة مخروطة، وشدت الى قفاه كهيئة اللجام، وذلك انه لما ادخل الرقة كان يشتم الناس إذا دعوا عليه، ويزق عليهم، ففعل ذلك به لثلاثين إنسانا.

ثم امر المكتفي ببناء دكة في المصلى العتيق من الجانب الشرقى، تكسيها عشرون ذراعا في عشرين ذراعا، وارتفاعها نحو من عشرة اذرع، وبنى

لها درج يصعد منها إليها وكان المكتفي خلف مع محمد بن سليمان عساكره بالرقة عند منصرفه الى مدينه السلام، فتلقت محمد بن سليمان من كان في تلك الناحية من قواد القرمطى وقضاة واصحاب شرطه، فاخذهم وقيدهم، وانحدر والقواد الذين تخلفوا معه الى مدينه السلام على طريق الفرات، فوافى باب الأنبار ليلة الخميس لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الاول، ومعه جماعه من القواد، منهم خاقان الملفحي ومحمد بن إسحاق بن كنداجيق وغيرهما.

فامر القواد الذين ببغداد بتلقى محمد بن سليمان والدخول معه، فدخل بغداد وبين يديه نيف وسبعون أسيرا، حتى صار الى الثريا، فخلع عليه، وطوق بطوق من ذهب وسور بسوارين من ذهب، وخلع على جميع القواد القادمين معه، وطوقوا وسوروا وصرفوا الى منازلهم، وأمر بالأسرى الى السجن.

وذكر عن صاحب الشامة انه أخذ وهو في حبس المكتفي سكرجة من المائدة التي تدخل اليه فكسرها، وأخذ شظية منها فقطع بها بعض عروق نفسه، فخرج منه دم كثير، ثم شد يده فلما وقف المولى خدمته على ذلك سأل: لم فعل ذلك؟ فقال: هاج بي الدم فاخرجته فترك حتى صلح، ورجعت اليه قوته.

ولما كان يوم الاثنين لسبع بقين من شهر ربيع الاول امر المكتفي القواد والغلمان بحضور الدكة التي امر ببنائها، وخرج من الناس خلق كثير لحضورها، فحضرها، وحضر احمد بن محمد الواثقى وهو يومئذ يلى الشرطه بمدينه السلام ومحمد بن سليمان كاتب الجيش الدكة، فقعدا عليها، وحمل الأسرى الذين جاء بهم المكتفي معه من الرقة والذين جاء بهم محمد بن سليمان ومن كان في السجن من القرامطة الذين جمعوا من الكوفة، وقوم من اهل بغداد كانوا على رأى القرامطة، وقوم من الرفوغ من سائر البلدان من غير القرامطة- وكانوا قليلا- فجاء بهم على جمال، واحضروا الدكة، ووقفوا على جمالهم، ووكل بكل رجل منهم عونان، ففيل: انهم كانوا ثلاثمائة ونيفا وعشرين، وقيل ثلاثمائة وستين، وجيء بالقرمطى الحسين بن زكرويه المعروف

بصاحب الشامة، ومعه ابن عمه المعروف بالمدثر على بغل في عمارية، وقد اسبل عليهما الغشاء، ومعهما جماعه من الفرسان والرجاله، فصعد بهما الى الدكة واقعدا، وقدم اربعة وثلاثون إنسانا من هؤلاء الأسارى، فقطعت ايديهم وارجلهم، وضربت أعناقهم واحدا بعد واحد، كان يؤخذ الرجل فيبطح على وجهه فيقطع يمين يديه، ويحلق بها الى اسفل ليراها الناس، ثم تقطع رجله اليسرى، ثم يسرى يديه، ثم يميني رجله، ويرمى بما قطع منه الى اسفل، ثم يقعد فيمد راسه، فيضرب عنقه، ويرمى برأسه وجثته الى اسفل وكانت جماعه

من هؤلاء الأسرى قليله يضجون ويستغيثون، ويخلفون انهم ليسوا من القرامطة.

فلما فرغ من قتل هؤلاء الأربعة والثلاثين النفس - وكانوا من وجوه اصحاب القرمطى - فيما ذكر- وكبرائهم قدم المدثر، فقطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه، ثم قدم القرمطى ف ضرب مائتي سوط، ثم قطعت يداه ورجلاه، وكوى فغشى عليه، ثم أخذ خشب فأضرمت فيه النار، ووضع في خواصره وبطنه فجعل يفتح عينيه ثم يغمضهما، فلما خافوا ان يموت ضربت عنقه، ورفع راسه على خشبة، وكبر من على الدكة وكبر سائر الناس فلما قتل انصرف القواد ومن كان حضر ذلك الموضع للنظر الى ما يفعل بالقرمطى.

واقام الواصل في جماعه من اصحابه في ذلك الموضع الى وقت العشاء الآخرة، حتى ضرب اعناق باقى الأسرى الذين احضروا الدكة، ثم انصرف.

فلما كان من غد هذا اليوم حملت رءوس القتلى من المصلى الى الجسر، وصلب بدن القرمطى في طرف الجسر الأعلى ببغداد، وحفرت لأجساد القتلى في يوم الأربعاء آبار الى جانب الدكة، وطرحت فيها وطمت، ثم امر بعد ايام بهدم الدكة ففعل.

ولاربع عشره خلت من شهر ربيع الآخر وافى بغداد القاسم بن سيما منصرفا عن عمله بطريق الفرات، ومعه رجل من بنى العليص من اصحاب القرمطى صاحب الشامة، دخل اليه بأمان، وكان احد دعاه القرمطى،

١٠٢١٠٢ أخبار متفرقة

يكنى أبا محمد وكان سبب دخوله في الامان ان السلطان راسله، ووعد الاحسان ان هو دخل في الامان، وذلك انه لم يكن بقي من رؤساء القرامطة بنواحي الشام غيره، وكان من موالي بنى العليص، فر وقت الوقعه الى بعض النواحي الغامضة، فافلت ثم رغب في الدخول في الامان والطاعة خوفا على نفسه، فوافى هو ومن معه مدينه السلام، وهم نيف وستون رجلا، فاومنوا واحسن اليهم، ووصلوا بمال حمل اليهم، واخرج هو ومن معه الى رحبه مالك بن طوق مع القاسم بن سيما، واجريت لهم الأرزاق، فلما وصل القاسم بن سيما الى عمله وهم معه، أقاموا معه مده، ثم اجمعوا على الغدر بالقاسم بن سيما، وأثمروا به، ووقف على ذلك من عزمهم، فبادرهم ووضع السيف فيهم فابارهم، واسر جماعه منهم، فارتدع من بقي من بنى العليص ومواليهم، وذلوا، ولزموا ارض السماوه وناحيتها مده حتى راسلهم الخبيث زكرويه، واعلمهم ان مما اوحى اليه، ان المعروف بالشيخ وأخاه يقتلان، وان امامه الذى يوحى اليه يظهر بعدهما ويظفر.

[أخبار متفرقة]

وفي يوم الخميس لتسع خلون من جمادى الأولى زوج المكتفي ابنه محمدا ويكنى أبا احمد بابنه ابى الحسين القاسم بن عبيد الله على صداق مائه الف دينار وفي آخر جمادى الاولى من هذه السنه ورد- فيما ذكر- كتاب من ناحيه جبي، يذكر فيه ان جبي وما يليها جاءها سيل في واد من الجبل، فغرق نحو من ثلاثين فرسخا، غرق في ذلك خلق كثير، وغرقت المواشى والغلات، وخرجت المنازل والقرى، واخرج من الغرقى الف ومائتا نفس، سوى من لم يلحق منهم وفي يوم الأحد غره رجب خلع المكتفي على محمد بن سليمان كاتب الجيش وعلى جماعه من وجوه القواد، منهم محمد بن إسحاق بن كنداجيق، وخليفه بن المبارك المعروف بابى الأغر وابنا كيغلغ، وبندقة بن كمشجور وغيرهم من القواد، وامرهم بالسمع والطاعة لمحمد بن سلمان، وخرج محمد بن

سليمان والخلع عليه حتى نزل مضربه بباب الشماسيه، وعسكر هنالك، وعسكر معه جماعه القواد الذين اخرجوا وبرزوا، وكان خروجهم ذلك قاصدين لدمشق ومصر لقبض الاعمال من هارون بن نحارويه، لما تبين للسلطان من ضعفه وضعف من معه وذهاب رجاله بقتل من قتل منهم القرمطى.

ثم رحل لست خلون من رجب محمد بن سليمان من باب الشماسيه ومن ضم اليه من الرجال، وهم زهاء عشره آلاف رجل، وامر بالجد في المسير.

ولثلاث بقين من رجب قرئ في الجامعين بمدينه السلام كتاب ورد من اسماعيل بن احمد من خراسان، يذكر فيه ان الترك قصدوا المسلمين في جيش عظيم وخلق كثير، وانه كان في عسكرهم سبعمائة قبة تركية، ولا يكون ذلك الا للرؤساء منهم، فوجه اليه برجل من قواده في جيش ضمه اليه، ونودى في الناس بالنفير، فخرج من المطوعة ناس كثير، ومضى صاحب العسكر نحو الترك بمن معه، فوافاهم المسلمون وهم غارون، فكبسوهم مع الصبح، فقتل منهم خلق كثير، وانهمز الباقون، واستبيح عسكرهم، وانصرف المسلمون

الى موضعهم سالمين غاثمين.
وفي شعبان منها ورد الخبر ان صاحب الروم وجه عشره صلبان معها مائه الف رجل الى الثغور، وان جماعه منهم قصدت نحو الحدث، فأغاروا وسبوا من قدروا عليه من المسلمين، واحرقوا.
وفي شهر رمضان منها ورد كتاب من القاسم بن سيما من الرحبه على السلطان.
يذكر فيه ان الاعراب الذين استأمنوا الى السلطان واليه من بنى العليص ومواليهم ممن كان مع القرمطي نكثوا وغدروا، وانهم عزموا على ان يكبسوا الرحبه في يوم الفطر، عند اشتغال الناس بصلاة العيد، فيقتلوا من يلحقون، وان يحرقوا وينهبوا، واني اوقعت عليهم الحيله حتى قتلت منهم واسرت خمسين ومائه نفس، سوى من غرق منهم في الفرات، واني قادم بالأسرى وفيهم جماعه من رؤسائهم وبراءة من قتل منهم.
وفي آخر شهر رمضان من هذه السنه ورد كتاب من ابى معدان من الرقة- فيما قيل- باتصال الاخبار به من طرسوس ان الله اظهر المعروف بغلام زرافه في غزاه غزاها الروم في هذا الوقت بمدينة تدعى انطاليه، وزعموا انها تعادل قسطنطينيه، وهذه المدينة على ساحل البحر، وان غلام زرافه فتحها بالسيف عنوه، وقتل- فيما قيل- خمسة آلاف رجل، واسر شبيها بعدتهم، واستنقذ من الأسارى اربعة آلاف انسان وانه أخذ للروم ستين مركبا، فحملها ما غنم من الفضة والذهب والمتاع والرقيق، وانه قدر نصيب كل رجل حضر هذه الغزاة، فكان الف دينار فاستبشر المسلمون بذلك وبادرت بكباي هذا ليقف الوزير على ذلك.
وكتب يوم الخميس لعشر خلون من شهر رمضان واقام الحج للناس في هذه السنه الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس ابن محمد.

١٠٠٢٢ سنه اثنتين وتسعين ومائتين

ثم دخلت

سنه اثنتين وتسعين ومائتين

(ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليله) فمن ذلك ما كان من توجيه نزار بن محمد من البصره الى السلطان ببغداد رجلا ذكر انه اراد الخروج على السلطان، وصار الى واسط، وان نزارا وجه في طلبه من قبض عليه بواسط، واحدره الى البصره، وانه أخذ بالبصرة قوما، ذكر انهم بايعوه فوجه نزار جميعهم في سفينه الى بغداد، فوقفوا في فرضه البصريين، ووجه جماعه من القواد الى فرضه البصريين، فحمل هذا الرجل على الفالج، وبين يديه ابن له صبي على جمل، ومعه تسعه وثلاثون إنسانا على جمال، وعلى جماعتهم برانس الحرير ودراريع الحرير، واكثرهم يستغيث ويبيكي، ويخلف انه بريء، وانه لا يعرف مما ادعى عليه شيئا، وجازوا بهم في التمارين وباب الكرخ وانخلد حتى وصلوا الى دار المكتفي، فامر بردهم، وحبسهم في السجن المعروف بالجديد.
وفي المحرم منها اغار اندرونقس الرومي على مرعش ونواحيها، فنفر اهل المصيصة واهل طرسوس، فاصيب ابو الرجال بن ابى بكار في جماعه من المسلمين.
وفي المحرم منها صار محمد بن سليمان الى حدود مصر لحرب هارون بن نهارويه، ووجه المكتفي دميانه غلام يا زمان من بغداد، وامره بركوب البحر والمضى الى مصر ودخل النيل، وقطع المواد عمن بمصر من الجند، ففضى ودخل النيل حتى وصل الى الجسر، فأقام به، وضيق عليهم وزحف اليهم محمد بن سليمان في الجيوش على الظهر حتى دنا من القسطنطية، وكتب القواد الذين بها، فكان أول من خرج اليه بدر الحماني- وكان رئيس القوم- فكسرهم ذلك، ثم تتابع من يستامن اليه من قواد المصريين وغيرهم، فلما رأى ذلك هارون وبقيّة من معه، زحفوا الى محمد بن سليمان، فكانت بينهم وقعتات- فيما ذكر- ثم وقع بين اصحاب هارون في بعض الأيام عصبية فاقتتلوا، ففرج هارون ليسكتهم، فرماه بعض المغاربة بزانه فقتله.
وبلغ محمد بن سليمان الخبر، فدخل هو ومن معه القسطنطية، واحتوى على دور آل طولون وأسبابهم، واخذهم جميعا وهم بضعة عشر رجلا، فقيدهم وحبسهم، واستصفى أموالهم، وكتب بالفتح، وكانت الوقعة في صفر من هذه السنه.
وكتب الى محمد بن سليمان في اشخاص جميع آل طولون وأسبابهم من القواد، والا يترك أحدا منهم بمصر ولا بالشام، وان يبعث بهم الى بغداد.

ففعل ذلك.

ولثلاث خلون من شهر ربيع الاول منها سقط الحائط الذي على راس الجسر الاول من الجانب الشرقى من الدار التي كانت لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر على الحسين بن زكرويه القرمطي، وهو مصلوب بقرب ذلك الحائط، فطحنه، فلم يوجد بعد منه شيء.

٤ وفي شهر رمضان منها ورد الخبر على السلطان بان قائدا من قواد المصريين يعرف بالخليجي، يسمى ابراهيم، تخلف عن محمد بن سليمان في آخر حدود مصر مع جماعه استمالهم من الجند وغيرهم، ومضى الى مصر مخالفا للسلطان، وصار معه في طريقه جماعه تحب الفتنة، حتى كثر جمعه فلما صار الى مصر اراد عيسى النوشري محاربتة وكان عيسى النوشري العامل على المعونة بها يومئذ، فعجز عن ذلك لكثرة من مع الخليجي، فانحاز عنه الى الإسكندرية واخلى مصر فدخلها الخليجي وفيها ندب السلطان لمحاربه الخليجي واصلاح امر المغرب فاتكا مولى المعتضد، وضم اليه بدر الحامي، وجعله مشيرا عليه فيما يعمل به، وضم اليه جماعه من القواد وجندا كثيرا.

ولسبع خلون من شوال منها خلع على فاتك وبدر الحامي لما ندبا اليه من الخروج الى مصر، وامرا بسرعة الخروج ثم شخص فاتك وبدر الحامي لاثنتي عشره خلت من شوال. وللنصف من شوال منها دخل مدينه طرسوس رستم بن بردوا واليا عليها وعلى الثغور الشاميه.

وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم، وأول يوم من ذلك كان لست بقين من ذي القعدة منها، فكان جملة من فودى به من المسلمين - فيما قيل - ألفا ونحوها من مائتي نفس ثم غدر الروم، فانصرفوا، ورجع المسلمون بمن بقي معهم من أسارى الروم، فكان عهد الفداء والهدنة من ابى العشائر والقاضى ابن مكرم، فلما كان من امر اندرونقس ما كان من غارته على اهل مرعش وقتله أبا الرجال وغيره، عزل ابو العشائر وولى رستم، فكان الفداء على يديه، وكان المتولى امر الفداء من قبل الروم رجل يدعى اسطانه. وجج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس ابن محمد.

١٠٠٢٣ سنة ثلاث وتسعين ومائتين

١٠٠٢٣.١ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث

١٠٠٢٣.٢ ذكر الخبر عن ظهور أخى الحسين بن زكرويه

ثم دخلت

سنة ثلاث وتسعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من ورود الخبر لخمس بقين من صفر، بان الخليجي المتغلب على مصر، واقع احمد بن كيغلق وجماعه من القواد بالقرب من العريش، فهزمهم اقبح هزيمة، فندب للخروج اليه جماعه من القواد المقيمين بمدينة السلام، فيهم ابراهيم بن كيغلق، فخرجوا.

ولسبع خلون من شهر ربيع الاول منها، وافى مدينه السلام قائد من قواد طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث الصفار مستأمنا، يعرف بابى قابوس، مفارقا عسكر السجزيه، وذلك ان طاهر بن محمد - فيما ذكر - تشاغل باللهو والصيد، ومضى الى سجستان للصيد والنزهه، فغلب على الأمر بفارس الليث ابن علي بن الليث وسبكرى مولى عمرو بن الليث، ودبر الأمر في عمل طاهر والاسم له، فوقع بينهم وبين ابى قابوس تباعد، ففارقهم وصار الى باب السلطان، فقبله السلطان، وخلع عليه وعلى جماعه معه وحباه واكرمه، فكتب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث الى السلطان، يسأله رد ابى قابوس اليه، ويذكر انه استكفاه بعض اعمال فارس، وانه جبي المال، وخرج به معه، ويسال ان لم يرد اليه ان يحسب له ما ذهب به من مال فارس مما صودر عليه، فلم يجبه السلطان الى شيء من ذلك

. ذكر الخبر عن ظهور أخى الحسين بن زكرويه

وفي هذا الشهر من هذه السنه ورد الخبر ان أخا للحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ظهر بالدالية من طريق الفرات في نفر، وانه اجتمع اليه نفر من الاعراب والمتلصصة، فسار بهم نحو دمشق على طريق البر، وعاث بتلك الناحية، وحارب أهلها، فندب للخروج اليه الحسين بن حمدان بن

١٠٠٢٣٠٣ عاد الخبر إلى ما كان من امر أخي ابن زكرويه

حمدون، نخرج في جماعه كثيره من الجند، وكان مصير هذا القرمطى الى دمشق في جمادى الاولى من هذه السنه ثم ورد الخبر ان هذا القرمطى صار الى طبرية فامتنعوا من ادخاله، فحاربهم حتى دخلها، فقتل عامه من بها من الرجال والنساء، ونهبها، وانصرف الى ناحيه البادية.

وفي شهر ربيع الآخر ورد الخبر بان الداعيه الذي بنواحي اليمن صار الى مدينه صنعاء، فحاربه أهلها، فظفر بهم، فقتل أهلها، فلم ينفلت منهم الا القليل، وتغلب على سائر مدن اليمن.

عاد الخبر الى ما كان من امر أخي ابن زكرويه

فذكر عن محمد بن داود بن الجراح انه قال: انفذ زكرويه بن مهرويه بعد ما قتل ابنه صاحب الشامة رجلا كان يعلم الصبيان بقرية تدعى الزابوقه من عمل القلوجة، يسمى عبد الله بن سعيد، ويكنى أبا غانم، فتسمى نصرا ليعمى امره، فدار على احياء كلب يدعوهم الى رايه، فلم يقبله منهم احد سوى رجل من بنى زياد، يسمى مقدام بن الكيال، فانه استغوى له طوائف من الاصبغيين المنتمين الى الفواطم وسواقت من العليصيين وصعاليك من سائر بطون كلب، وقصد ناحيه الشام، وعامل السلطان على دمشق والأردن احمد بن كيغلغ، وهو مقيم بمصر على حرب ابن خليج، الذي كان خالف محمد بن سليمان، ورجع الى مصر، فغلب عليها، فاغتم ذلك عبد الله بن سعيد هذا، وسار الى مدينتي بصرى واذرعات من كورتي حوران والبتنية، فحارب أهلها ثم آمنهم، فلما استسلموا قتل مقاتلتهم، وسبي ذراريهم، واستصفي أموالهم، ثم ساريؤم دمشق، نخرج اليه جماعه ممن كان مرسوما بتسحينها من المصريين كان خلفهم احمد بن كيغلغ مع صالح بن الفضل، فظهروا عليهم، واثنوا فيهم ثم اغتروهم ببذل الامان لهم، فقتلوا صالحا، وفضوا عسكره، ولم يطمعوا في مدينه دمشق، وكانوا قد صاروا إليها، فدافعهم أهلها عنها، فقصدوا نحو طبرية مدينه جند الأردن، ولحق بهم جماعه افتتنت من

الجند بدمشق، فواقعهم يوسف بن ابراهيم بن بغامردى عامل احمد بن كيغلغ على الأردن، فكسروه وبذلوا الامان له، ثم غدروا به، فقتلوه ونهبوا مدينه الأردن، وسبوا النساء، وقتلوا طائفه من أهلها، فانفذ السلطان الحسين بن حمدان لطلبهم ووجوها من القواد، فورد دمشق وقد دخل أعداء الله طبرية، فلما اتصل خبره بهم عطفوا نحو السماوه، وتبعهم الحسين يطلبهم في بربه السماوه، وهم ينتقلون من ماء الى ماء، ويعورونه حتى لجئوا الى المائين المعروفين بالدمعانه والحاله، وانقطع الحسين من اتباعهم لعدم الماء، فعاد الى الرحبه واسرى القرامطة مع غاويهم المسمى نصرا الى قريه هيت، فصبحوها وأهلها غارون لتسع بقين من شعبان مع طلوع الشمس، فنهب ربضها، وقتل من قدر عليه من أهلها، واحرق المنازل، وانتهب السفن التي في الفرات في غرضتها، وقتل من اهل البلد - فيما قيل - زهاء مائتي نفس ما بين رجل وامراه وصبي، وأخذ ما قدر عليه من الأموال والمتاع، واورق - فيما قيل - ثلاثة آلاف راحله، كانت معه زهاء مائتي كر حنطه بالمعدل ومن البر والعطر والسقط جميع ما احتاج اليه، واقام بها بقية اليوم الذي دخلها والذي بعده، ثم رحل عنها بعد المغرب الى البريه وانما أصاب ذلك من ربضها، وتحصن منه اهل المدينه بسورها، فشخص محمد بن إسحاق بن كنداجيق الى هيت في جماعه من القواد في جيش كثيف بسبب هذا القرمطى، ثم تبعه بعد ايام مؤنس الخازن.

وذكر عن محمد بن داود، انه قال: ان القرامطة صبحوا هيت وأهلها غارون، فخماهم الله منه بسورها، ثم عجل السلطان محمد بن إسحاق بن كنداجيق نحوهم، فلم يقيموا بها الا ثلاثا، حتى قرب محمد بن إسحاق منهم، فهربوا منه نحو المائين، فنهض محمد نحوهم، فوجدهم قد عوروا المياه بينه وبينهم، فانفذت اليه من الحضرة الإبل والروايا والزاد وكتب الى الحسين ابن حمدان بالنفوذ من جهة الرحبه اليهم ليجمع هو ومحمد بن إسحاق على الإيقاع بهم، فلما احس الكليوب باشراف الجند عليهم، ائتمروا بعدو الله

المسمى نصرا، فوثبوا عليه، وفتكوا به، وتفرد بقتله رجل منهم يقال له الذئب ابن القائم، وشخص الى الباب متقربا بما كان منه، ومستأمنا لبقيتهم، فأسنيت له الجائزة، وعرف له ما أتاه، وكف عن طلب قومه، فكث أياما ثم هرب، وظفرت بطلائع محمد بن إسحاق برأس المسمى بنصر، فاحتزوه وادخلوه مدينه السلام، واقتلت القرامطة بعده، حتى وقعت بينهما الدماء، فصار مقدام بن الكيال الى ناحيه طيئ مفلتا بما احتوى عليه من الحطام، وصارت فرقه منهم كرهت أمورهم الى بنى اسد المقيمين بنواحي عين التمر، فجأورهم وأرسلوا الى السلطان وفدا يعتذرون مما كان منهم، ويسألون اقرارهم في جوار بنى اسد، فأجيبوا الى ذلك، وحصلت على المائين بقية الفسقه

المستبصره في دين القرامطة.

وكتب السلطان الى حسين بن حمدان في معاودتهم باجتثاث اصولهم، فانفذ زكرويه اليهم داعيه له من اكره اهل السواد يسمى القاسم بن احمد بن علي، ويعرف بابي محمد، من رستاق نهر تلحانا، فاعلمهم ان فعل الذئب بن القاسم قد اتقره عنهم، وثقل قلبه عليهم، وانهم قد ارتدوا عن الدين، وان وقت ظهورهم قد حضر وقد بايع له بالكوفه اربعون الف رجل، وفي سوادها أربعمئة الف رجل، وان يوم موعدهم الذي ذكره الله في كتابه في شان موسى كليمه ص، وعدوه فرعون إذ يقول: «مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخْشَرَ النَّاسُ ضُحًى» وان زكرويه يأمرهم ان يخفوا امرهم، ويظهروا الانقلاع نحو الشام، ويسيروا نحو الكوفه حتى يصبحوها في غداه يوم النحر، وهو يوم الخميس لعشر تخلو من ذي الحجه سنه ثلاث وتسعين ومائتين، فإنهم لا يمنعون منها.

وانه يظهر لهم، وينجز لهم وعده الذي كانت رسله تأتيهم به، وان يحملوا القاسم بن احمد معهم فامثلوا امره، ووافوا باب الكوفه، وقد انصرف الناس عن مصلاهم مع إسحاق بن عمران عامل السلطان بها، وكان الذين وافوا باب الكوفه في هذا اليوم- فيما ذكر- ثمانمئة فارس او نحوها، راسهم الذبلائي ابن مهبوبه من اهل الصوعر وقيل انه من اهل جنبله، عليهم الدروع والجواشن والإله الحسنه، ومعهم جماعه من الرجاله على الرواحل، فاوقعوا

بمن لحقوه من العوام، وسلبوا جماعه، وقتلوا نحو من عشرين نفسا، وبادر الناس الى الكوفه فدخلوها، وتنادوا السلاح فهض إسحاق بن عمران في اصحابه، ودخل مدينه الكوفه من القرامطة زهاء مائه فارس من الباب المعروف بباب كنده، فاجتمعت العوام وجماعه من اصحاب السلطان، فرموهم بالحجارة وحاربوهم، والقوا عليهم الستر، فقتل منهم زهاء عشرين نفسا، وأخرجوهم من المدينه، وخرج إسحاق بن عمران ومن معه من الجند، فصافوا القرامطة الحرب وامر إسحاق بن عمران اهل الكوفه بالتحارس لثلاثا يجتد القرامطة غره منهم، فيدخلوا المدينه، فلم يزل الحرب بينهم الى وقت العصريوم النحر، ثم انهزمت القرامطة نحو القادسية، واصلح اهل الكوفه سورهم وخندقهم، وقاموا مع اصحاب السلطان يحرسون مدينتهم ليلا ونهارا.

وكتب إسحاق بن عمران الى السلطان يستمده، فندب للخروج اليه جماعه من قواده، منهم طاهر بن علي بن وزير ووصيف بن صوارتكين التركي والفضل بن موسى بن بغا، وبشر الخادم الافشيني وجنى الصفواني ورائق الخزري.

وضم اليه جماعه من غلمان الحجر وغيرهم فشخص اولهم يوم الثلاثاء للنصف من ذي الحجه، ولم يراس واحد منهم، كل واحد منهم رئيس على اصحابه.

وامر القاسم بن سيما وغيره من رؤساء الاعراب بجمع الاعراب من البوادي بديار مضر وطريق الفرات ودقواء وخانيجار وغيرها من النواحي، لينهضوا الى هؤلاء القرامطة إذ كان اصحاب السلطان متفرقين في نواحي الشام ومصر، ففضت الرسائل بذلك اليهم، فحضروا ثم ورد الخبر فيها بان الذين شخصوا مددا لإسحاق بن عمران خرجوا الى زكرويه في رجالهم، وخلفوا إسحاق بن عمران بالكوفه مع من معه من رجاله ليضبطها، وصاروا الى موضع بينه وبين القادسية اربعة اميال، يعرف بالصور وهي في البريه في العرض، فلقيهم زكرويه هنالك فصافوه يوم الاثنين لتسع بقين من ذي الحجه.

وقد قيل كانت الوقعه يوم الأحد لعشر بقين منه، وجعل اصحاب السلطان بينهم وبين سوادهم نحو من ميل، ولم يخلفوا أحدا من المقاتله عنده، واشتدت

الحرب بينهم وكانت الدبره أول هذا اليوم على القرمطى واصحابه حتى كادوا ان يظفروا بهم، وكان زكرويه قد كمن عليهم كميناً من خلفهم، ولم يشعروا به فلما انتصف النهار خرج الكمين على السواد فانتبه، ورأى اصحاب السلطان السيف من ورائهم، فانهزموا اقبح هزيمة، ووضع القرمطى واصحابه السيف في اصحاب السلطان، فقتلوهم كيف شاءوا، وصبر جماعه من غلمان الحجر من الخزر وغيرهم، وهم زهاء مائه غلام، وقاتلوا حتى قتلوا جميعا بعد نكايه شديده نكوها في القرامطة، واحتوت القرامطة على سواد اصحاب السلطان فحازوه، ولم يفلت من اصحاب السلطان الا من كان في دابته فضل فنجا به، او من اتخن بالجراح، فطرح نفسه في القتلى، فتحامل بعد انقضاء الوقعه حتى دخل الكوفه وأخذ للسلطان في هذا السواد، مما كان وجه به مع رجاله من الجحازات، عليها السلاح والإله زهاء ثلاثمئة جهازه، ومن البغال خمسمئة بغل.

وذكر ان مبلغ من قتل من اصحاب السلطان في هذه الوقعه سوى غلمانهم والحمالين ومن كان في السواد الف وخمسمئة رجل، فقوى القرمطى واصحابه بما أخذوا في هذه الوقعه، وتطرف بيادر كانت الى جانبه، فاخذ منها طعاما وشعيرا، وحمله على بغال السلطان الى عسكره، وارتحل من موضع الوقعه نحو من خمسه اميال في العرض الى موضع يقرب من الموضع المعروف بنهر المثنية، وذلك ان روائح

القتلى آذتهم.

وذكر عن محمد بن داود بن الجراح انه قال: وافى باب الكوفة الاعراب الذين كان زكرويه راسلهم، وقد انصرف المسلمون عن مصلاتهم مع إسحاق بن عمران، فتفرقوا من جهتين، ودخلوا ابيات الكوفة، وقد ضربوا على القاسم بن احمد داعيه زكرويه قبة، وقالوا: هذا ابن رسول الله ص، ودعوا: يا لثارات الحسين! يعنون الحسين بن زكرويه المصلوب بباب جسر مدينة السلام، وشعارهم: يا احمد يا محمد- يعنون ابني زكرويه المقتولين.

وأظهروا الاعلام البيض، وقدروا ان يستغوا رعاك الكوفيين بذلك القول، فاسرع إسحاق بن عمران ومن معه المبادرة نحوهم، ودفعهم وقتل من ثبت له منهم،

وحضر جماعه من آل ابى طالب، فخاربوا مع إسحاق بن عمران، وحضر جماعه من العامه، فخاربوا فانصرف القرامطة خاسئين، وصاروا الى قريه تدعى العشيره من آخر عمل طسوج السالحين ونهر يوسف مما يلي البر من يومهم، وانفذوا الى عدو الله زكرويه بن مهرويه من استخرجه من نكير في الارض، كان متطمر فيه سنين كثيره بقرية الدرية واهل قريه الصوهر يتلفونه على ايديهم، ويسمونهم ولى الله فسجدوا له لما راوه، وحضر معه جماعه من دعاة وخصته، واعلمهم ان القاسم بن احمد اعظم الناس عليهم منه، وانه ردهم الى الدين بعد خروجهم منه، وانهم إذا امتثلوا امره انجز مواعيدهم، وبلغهم آمالهم.

ورمز لهم رموزا، وذكر فيها آيات من القرآن، نقلها عن الوجه الذى انزلت فيه، واعترف لزكرويه جميع من رشح حب الكفر في قلبه، من عربي ومولى ونبطي وغيرهم انه رئيسهم المقدم، وكهفهم وملأهم، وأيقنوا بالنصر وبلوغ الأمل وسار بهم وهو محبوب عنهم يدعونه السيد، ولا يبرزونه لمن في عسكرهم، والقاسم يتولى الأمور دونه، ويمضيها على رايه الى مؤخر سقى الفرات من عمل الكوفة واعلمهم ان اهل السواد قاطبه خارجون اليه، فأقام هنالك نيفا وعشرين يوما، يث رسله في السواديين مستلحقين، فلم يلحق بهم من السواديين الا من لحقته الشقوة، وهم زهاء خمسمائة رجل بنسائهم وأولادهم، وسرب اليه السلطان الجنود، وكتب الى كل من كان نفذ نحو الأنبار وهيت لضبطها خوفا من معاودة المقيمين، كانوا بالمائين إليها بالانصراف نحو الكوفة، فعجل اليهم جماعه من القواد منهم، بشر الافشينى وجنى الصفواني ونحرير العمرى، ورائق فتى امير المؤمنين والغلمان الصغار المعروفين بالحجرية، فوقعوا بأعداء الله بقرب قريه الصوهر، فقتلوا رجالهم وجماعه من فرسانهم، وأسلموا بيوتهم في ايديهم، فدخلوها، وتشاغلوا بها، فعطفت القرامطة عليهم فهزمهم وذكر عن بعض من ذكر انه حضر مجلس محمد بن داود بن الجراح، وقد ادخل اليه قوم من القرامطة، منهم سلف زكرويه، فكان مما حدثه ان قال: كان زكرويه محتفيا في منزلي في سرداب في دارى عليه باب حديد،

١٠٠٢٣٠٤ أخبار متفرقة

وكان لنا تنور ننقله، فإذا جاءنا الطلب وضعنا التنور على باب السرداب، وقامت امرأه تسجره، فكث كذلك اربع سنين، وذلك في ايام المعتضد وكان يقول: لا اخرج والمعتضد في الأحياء ثم انتقل من منزلي الى دار قد جعل فيها بيت وراء باب الدار، إذا فتح باب الدار انطبق على باب البيت، فدخل الداخل فلا يرى باب البيت الذى هو فيه، فلم يزل هذه حاله حتى مات المعتضد، فحينئذ انفذ الدعاء، وعمل في الخروج.

ولما ورد خبر الوقعة التي كانت بين القرمطى واصحاب السلطان بالصوهر على السلطان والناس، اعظموه، وندب للخروج الى الكوفة من ذكرت من القواد، وجعلت الرئاسة لمحمد بن إسحاق بن كنداج، وضم اليه جماعه من اعراب بنى شيبان والنمر زهاء الفى رجل، وأعطوا الأرزاق.

[أخبار متفرقة]

ولانتهى عشره بقيت من جمادى الاولى قدم بغداد من مكة جماعه نحو العشرة، فصاروا الى باب السلطان، وسألوه توجيه جيش الى بلدهم، لانهم على خوف من الخارج بناحية اليمن ان يطأ بلدهم، إذ كان قد قرب منها بزعمهم.

وفي يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب، قرئ على المنبر ببغداد كتاب ورد على السلطان، ان اهل صنعاء وغيرهم من مدن اليمن اجتمعوا على الخارجى الذى كان تغلب عليها، فخاربوه وهزموه، وفلوا جموعه، فانحاز الى موضع من نواحي اليمن، ثم خلع السلطان

ثلاث خلون من شوال على مظفر ابن حاج، وعقد له على اليمن، فخرج ابن حاج لخمس خلون من ذي القعدة، ومضى الى عمله باليمن، فأقام بها حتى مات.

ولسبع بقين من رجب من هذه السنة، اخرج مضرب المكتفي، فضر بباب الشماسيه على ان يخرج الى الشام بسبب ابن الخليج، فوردت خريطة لست بقين منه من مصر من قبل فاتك، يذكر انه والقواد زحفوا الى الخليجي، وكانت بينهم حروب كثيرة، وان آخر حرب جرت بينهم وبينه قتل فيها اكثر اصحابه،

ثم انهزم الباقون، فظفروا بهم، واحتوا على معسكرهم، فهرب الخليجي حتى دخل القسطنطينية، فاستتر بها عند رجل من اهل البلد، ودخل الأولياء القسطنطينية.

فلما استقروا بها دل على الخليجي، وعلى من كان استتر معه ممن شايعه، فقبض عليهم وحبسهم قبله، فكتب الى فاتك في حمل الخليجي ومن أخذ معه الى مدينه السلام، فردت مضارب المكتفي التي اخرجت الى باب الشماسه، ووجه في رد خزائنه، فردت وقد كانت جاوزت تكريت.

ثم وجه فاتك بالخليجي من مصر وجماعه ممن اسر معه مع بشر مولى محمد بن ابى الساج الى مدينه السلام. فلما كان في يوم الخميس للنصف من شهر رمضان من هذه السنه ادخل مدينه السلام من باب الشماسيه، وقدم بين يديه احدى وعشرون رجلا على جمال، وعليهم برانس ودراريع حرير، منهم ابنا بينك - فيما قيل - وابن اشكال الذى كان صار الى السلطان من عسكر عمرو الصفار في الامان، وصندل المزاحمي الخادم الأسود.

فلما وصل الخليجي الى المكتفي، فنظر اليه امر بحبسه في الدار، وامر بحبس الآخرين في الحديد، فوجه بهم الى ابن عمرويه، وكانت اليه الشرطه ببغداد، ثم خلع المكتفي على وزيره العباس بن الحسن خلعا، لحسن تدبيره في هذا الفتح، وخلع على بشر الافشينى. ونخمس خلون من شوال ادخل بغداد راس القرمطى المسمى نصرا الذى كان انتهب هيت منصوبا على قناه ولسبع خلون من شوال ورد الخبر مدينه السلام ان الروم أغاروا على قورس، فقاتلهم أهلها، فهزموهم، وقتلوا اكثرهم، وقتلوا رؤساء بنى تميم، ودخلوا المدينه، واحرقوا مسجدها، واستاقوا من بقي من أهلها. وجج بالناس في هذه السنه الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

١٠٠٢٤ سنه اربع وتسعين ومائتين

١٠٠٢٤٠١ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث الجليله

١٠٠٢٤٠٢ خبر زكرويه بن مهرويه القرمطى

ثم دخلت

سنه اربع وتسعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليله

فما كان فيها من ذلك دخول ابن كيغلق طرسوس غازيا في أول المحرم، وخرج معه رستم، وهي غزاه رستم الثانيه، فبلغوا سلندو، ففتح الله عليهم، وصاروا الى آلس، فحصل في ايديهم نحو من خمسه آلاف راس، وقتلوا من الروم مقتله عظيمه، وانصرفوا سالمين. خبر زكرويه بن مهرويه القرمطى

ولانثى عشره خلت من المحرم ورد الخبر مدينه السلام ان زكرويه بن مهرويه القرمطى ارتحل من الموضع المعروف بنهر المثنيه، يريد الحاج، وانه وافى موضعا بينه وبين واقصه اربعه اميال.

وذكر عن محمد بن داود انهم مضوا في البر من جهة المشرق، حتى صاروا بالماء المسمى سلمان وصار ما بينهم وبين السواد مفازة، فأقام بموضعه يريد الحاج ينتظر القافله الاولى، ووافت القافله واقصه لست - او سبع - خلون من المحرم، فانذرهم اهل المنزل، واخبروهم ان بينهم وبينهم اربعه اميال.

فارتحلوا ولم يقيموا، فنجوا وكان في هذه القافله الحسن بن موسى الربيعي وسيماء الابراهيمي، فلما امعنت القافله في السير صار القرمطى

الى واقصه، فسألهم عن القافلة فاخبروه انها لم تقم بواقصه، فاتهمهم بإنذارهم إياهم، فقتل من العلافين بها جماعه، واحرق العلف، وتحصن أهلها في حصنهم، فأقام بها أياما، ثم ارتحل عنها نحو زباله. وذكر عن محمد بن داود انه قال: ان العساكر سارت في طلب زكرويه نحو عيون الطف، ثم انصرفت عنه لما علمت بمكانه بسلمان، ونفذ علان بن كشمرد مع قطعه من فرسان الجيش متجرده على طريق جاده مكة نحو زكرويه، حتى نزلوا السبال، فمضى نحو واقصه حتى نزلها بعد ان جازت القافلة

الاولى، ومر زكرويه في طريقه بطوائف من بنى اسد، فأخذها من بيوتها معه، وقصد الحاج المنصرفين عن مكة، وقصد الجادة نحوهم. ووافى خبر الطير من الحوفه لاربع عشر بقيت من المحرم من هذه السنه بان زكرويه اعترض قافلة الخراسانيه يوم الأحد لإحدى عشره خلت من المحرم بالعقبه من طريق مكة، فخاربه حربا شديدا، فساء لهم: وقال: افيكم السلطان؟ قالوا: ليس معنا سلطان، ونحن الحاج، فقال لهم: فامضوا فلست أريدكم فلها سارت القافلة تبعها فوقع بها، وجعل اصحابه يخسسون الجمال بالرماح، ويبيعونها بالسيوف، فنفرت، واختلطت القافلة، وأكب اصحاب الخبيث على الحاج يقتلونهم كيف شاءوا، فقتلوا الرجال والنساء، وسبوا من النساء من أرادوا، واحتوا على ما كان في القافلة، وقد كان لقي بعض من افلت من هذه القافلة علان بن كشمرد، فسأله عن الخبر، فاعلمه ما نزل بالقافلة الخراسانيه، وقال له: ما بينك وبين القوم الا قليل، والليله او في غد توافي القافلة الثانيه، فان رأوا علما للسلطان قويت انفسهم والله الله فيهم! فرجع علان من ساعته، وامر من معه بالرجوع، وقال: لا اعرض اصحاب السلطان للقتل، ثم اصعد زكرويه، ووافته القافلة الثانيه.

وقد كان السلطان كتب الى رؤساء القافلتين الثانيه والثالثه ومن كان فيهما من القواد والكتاب مع جماعه من الرسل الذين تنكبوا طريق الجادة بخبر الفاسق وفعله بالحاج، ويأمرهم بالتحرز منه، والعدول عن الجادة نحو واسط والبصره، او الرجوع الى فيد او الى المدينة، الى ان يلحق بهم الجيوش.

ووصلت الكتب اليهم فلم يسمعوا ولم يقيموا، ولم يلبثوا وتقدم اهل القافلة الثانيه وفيها المبارك القمي واحمد بن نصر العقيلي واحمد بن علي بن الحسين الهمداني، فوافوا الفجره، وقد رحلوا عن واقصه، وعوروا مياهما، وملثوا بركها وبنارها بجيف الإبل والدواب التي كانت معهم، مشققه بطونها، ووردوا منزل العقبه في يوم الاثنين لاثنتي عشره خلت من المحرم، فخاربه اصحاب القافلة الثانيه وكان ابو العشائر مع اصحابه في أول القافلة ومبارك القمي فيمن معه في ساقتها، فحرت بينهم حرب شديده حتى كشفوهم، وأشرفوا على الظفر بهم، فوجد الفجره من ساقتهم غره، فركبوهم من جهتها، ووضعوا رماحهم في جنوب ابلهم وبطونها، فطحنتم الإبل وتمكنوا منهم، فوضعوا السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم، الا من استعبدوه ثم انفذوا الى ما دون العقبه باميال فوارس لحقوا المفلته من السيف، فأعطوهم الامان، فرجعوا فقتلوهم اجمعين، وسبوا من النساء ما أحبوا، واكتسحوا الأموال والأمتعة وقتل المبارك القمي والمظفر ابنه، واسر ابو العشائر، وجمع القتلى، فوضع بعضهم على بعض، حتى صاروا كالثلث العظيم ثم قطعت يدا ابى العشائر ورجلاه، وضربت عنقه، واطلق من النساء من لم يرغبوا فيه، وافلت من الجرحى قوم وقعوا بين القتلى، فتحاملوا في الليل ومضوا، فمنهم من مات، ومنهم من نجا وهم قليل وكان نساء القرامطة يطفن مع صبيانهم في القتلى يعرضون عليهم الماء، فمن كلهم أجازوا عليه.

وقيل انه كان في القافلة من الحاج زهاء عشرين الف رجل، قتل جميعهم غير نفر يسير ممن قوى على العدو، فنجأ بغير زاد ومن وقع في القتل وهو مجروح، وافلت بعد، او من استعبدوه لخدمتهم.

وذكر ان الذى أخذوا من المال والأمتعة الفاخره في هذه القافلة قيمه الف الف دينار.

وذكر عن بعض الضرايين انه قال: وردت علينا كتب الضرايين بمصر انكم في هذه السنه تستغنون، قد وجه آل ابن طولون والقواد المصريون الذين أشخصوا الى مدينه السلام، ومن كان في مثل حالهم في حمل ما لهم بمصر الى مدينه السلام، وقد سبكوا آنيه الذهب والفضه والحلى نقارا، وحمل الى مكة ليوافوا به مدينه السلام مع الحاج، فحمل في القوافل الشاخصه الى مدينه السلام، فذهب ذلك كله.

وذكر ان القرامطة بينا هم يقتلون وينهبون هذه القافلة يوم الاثنين، إذ اقبلت قافلة الخراسانيه، فخرج اليهم جماعه من القرامطة، فواقعوهم، فكان سبيلهم سبيل هذه فلما فرغ زكرويه من اهل القافلة الثانيه من الحاج.

وأخذ أموالهم، واستباح حريمهم، رحل من وقته من عقبه بعد ان ملا البرك والابار بها بالجيف من الناس والدواب وكان ورد خبر قطعه على القافلة الثانية من قوافل السلطان مدينه السلام في عشيهِ يوم الجمعة لاربع عشره بقيت من المحرم، فعظم ذلك على الناس جميعا وعلى السلطان، وندب الوزير العباس بن الحسن بن أيوب محمد بن داود بن الجراح الكاتب المتولى دواوين الخراج والضيايع بالمشرق وديوان الجيش للخروج الى الكوفة، والمقام بها لانفاذ الجيوش الى القرمطى نخرج من بغداد لإحدى عشره بقيت من المحرم، وحمل معه اموالا كثيره لاعطاء الجند. ثم سار زكرويه الى زباله فتزلها، وبث الطلائع امامه ووراءه خوفا من اصحاب السلطان المقيمين بالقادسية ان يلحقوه، ومتوقعا ورود القافلة الثالثه التي فيها الأموال والتجار ثم سار الى الثعلبية، ثم الى الشقوق، واقام بها بين الشقوق والبطان في طرف الرمل في موضع يعرف بالطليح، ينتظر القافلة الثالثه، وفيها من القواد نفيس المولدى وصالح الأسود، ومعه الشمسه وانخزانه وكانت الشمسه جعل فيها المعتضد جوهر نقيسا. وفي هذه القافلة، كان ابراهيم ابن ابى الاشعث- واليه كان قضاء مكة والمدينة وامر طريق مكة والنفقة فيه لمصالحه- وميمون بن ابراهيم الكاتب- وكان اليه امر ديوان زمام الخراج والضيايع- واحمد بن محمد بن احمد المعروف بابن الهزج، والفرات بن احمد بن محمد بن الفرات، والحسن بن اسماعيل قرابه العباس بن الحسن- وكان يتولى بريد الحرمين- وعلى بن العباس النيهكي. فلما صار اهل هذه القافلة الى فيد بلغهم خبر الخبيث زكرويه واصحابه، وأقاموا بفيد أياما ينتظرون تقويه لهم من قبل السلطان، وقد كان ابن كشمرد رجع من الطريق الى القادسية في الجيوش التي أنفذها السلطان معه وقبله وبعد. ثم سار زكرويه الى فيد، وبها عامل السلطان، يقال له حامد بن فيروز، فالتجأ منه حامد الى احد حصنها في نحو من مائه رجل كانوا معه في المسجد، وشحن الحصن الآخر بالرجال، فجعل زكرويه يرسل اهل فيد، ويسألهم ان يسلموا اليه عاملهم ومن فيها من الجند، وانهم ان فعلوا ذلك آمنهم فلم

١٠٠٢٤٠٣ أخبار متفرقة

يجيئوه الى ما سال ولما لم يجيئوه حاربهم، فلم يظفر منهم بشيء. قال: فلما رأى انه لا طاقه له بأهلها، تخبى فصار الى النجاج، ثم الى حفير ابى موسى الأشعري. وفي أول شهر ربيع الاول انهض المكتفي وصيف بن صوارتكين- ومعه من القواد جماعه- فنفذوا من القادسية على طريق خفان، فلقية وصيف يوم السبت ثمان بقين من شهر ربيع الاول، فاقتتلوا يومهم، ثم حجز بينهم الليل، فباتوا يتحارسون، ثم عاودهم الحرب، فقتل جيش السلطان منهم مقتله عظيمه، وخلصوا الى عدو الله زكرويه، فضربه بعض الجند بالسيف على قفاه وهو مول ضربه اتصلت بدماعه فاخذ أسيرا وخليفته وجماعه من خاصته واقربائه، فيهم ابنه وكتابه وزوجته، واحتوى الجند على ما في عسكره. وعاش زكرويه نحسه ايام ثم مات، فشق بطنه، ثم حمل بهيئته، وانصرف بمن كان بقي حيا في يديه من اسرى الحاج. [أخبار متفرقة]

وفيها غزا ابن كيغلغ من طرسوس، فأصاب من العدو اربعة آلاف راس سبي ودواب ومواشي كثيره ومتاعا ودخل بطريق من البطارقة اليه في الامان، واسلم وكان شخوصه من طرسوس لهذه الغزاة في أول المحرم من هذه السنه. وفيها كاتب اندرونقس البطريق السلطان يطلب الامان، وكان على حرب اهل الثغور من قبل صاحب الروم، فاعطى ذلك، نخرج، واخرج نحو من مائتي نفس من المسلمين كانوا اسرى في حصنه، وكان صاحب الروم قد وجه اليه من يقبض عليه، فاعطى المسلمين الذين كانوا في حصنه اسرى السلاح، واخرج معهم بعض بنيه، فكبسوا البطريق الموجه اليه للقبض عليه ليلا، فقتلوا ممن معه خلقا كثيرا، وغنموا ما في عسكره وكان رستم قد خرج في اهل الثغور في جمادى الاولى قاصدا اندرونقس ليتخلصه، فوافى رستم قونيه بعقب الوقعه وعلم البطارقة بمسير المسلمين اليهم فانصرفوا، ووجه اندرونقس ابنه الى رستم، ووجه رستم كتبه وجماعه من البحرين، فباتوا في الحصن، فلما أصبحوا خرج اندرونقس وجميع من معه من أسارى المسلمين، ومن صار اليهم منهم، ومن وافقه على رايه من النصارى، واخرج ماله ومتاعه الى معسكر المسلمين، وخرب المسلمون قونيه، ثم قفلوا الى طرسوس واندرونقس وأسارى المسلمين ومن

كان مع اندرونقس من النصارى. وفي جمادى الآخرة منها كانت بين اصحاب حسين بن حمدان بن حمدون وجماعه من اصحاب زكرويه كانوا هربوا من الوقعه التي اصابه فيها ما اصابه، وأخذوا طريق الفرات يريدون الشام، فوقع بهم وقعه، فقتل جماعه منهم، اسر جماعه من نساءهم وصبيانهم. وفيها وافى رسل ملك الروم احدهم خال ولده اليون وبسيل الخادم، ومعهم جماعه باب الشماسيه بكتاب منه الى المكتفي يسأله الفداء بمن في بلاده من المسلمين، من في بلاد الاسلام من الروم، وان يوجه المكتفي رسولا الى بلاد الروم ليجمع الأسرى من المسلمين الذين في بلاده، وليجتمع هو معه على امر يتفقان عليه، ويتخلف بسيل الخادم بطرسوس ليجمع اليه الأسرى من الروم في الثغور ليصيرهم مع صاحب السلطان الى موضع الفداء فأقاموا بباب الشماسيه أياما، ثم ادخلوا بغداد ومعهم هديه من صاحب الروم عشرة من أسارى المسلمين، فقبلت منهم واجيب صاحب الروم الى ما سال.

وفيها أخذ رجل بالشام- زعم انه السفياي- فحمل هو وجماعه معه من الشام الى باب السلطان، فقبل انه موسوس. وفيها أخذ الاعراب بطريق مكة رجلين يعرف أحدهما بالحداد والآخر بالمنتقم، وذكر ان المعروف بالمنتقم منهما أخو امراه زكرويه، فدفعوهما الى نزار بالكوفه، فوجههما نزار الى السلطان، فذكر عن الاعراب انهما كانا صارا إليهما يدعوانهم الى الخروج على السلطان. وفيها وجه الحسين بن حمدان من طريق الشام رجلا يعرف بالكيال مع ستين رجلا من اصحابه الى السلطان كانوا استأمنوا اليه من اصحاب زكرويه. وفيها وصل الى بغداد اندرونقس البطريق وفيها كانت وقعه بين الحسين بن حمدان واعراب كليب والنمر واسد وغيرهم، اجتمعوا عليه في شهر رمضان منها، فهزموه حتى بلغوا به باب حلب وفيها حاصر اعراب طيئ وصيف بن صوارتكين بفيد، وكان وجه أميرا على الموسم، فحصر ثلاثة ايام، ثم خرج اليهم، فوقعهم فقتل منهم قتلى، ثم انهزمت الاعراب ورحل وصيف من فيد بمن معه من الحاج. وجج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

١٠٠٢٥ سنه خمس وتسعين ومائتين

ثم دخلت

سنه خمس وتسعين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيا من الأحداث) فن ذلك ما كان من خروج عبد الله بن ابراهيم المسمعي عن مدينه أصبهان الى قريه من قراها على فراخ منها وانضمام نحو من عشرة آلاف من الأكراد وغيرهم- فيما ذكر- اليه مظهرا اخلاف على السلطان فامر بدر الحماني بالشخص اليه، وضم اليه جماعه من القواد ونحو من خمسة آلاف من الجند وفيها كانت وقعه للحسين بن موسى على اعراب طيئ الذين كانوا حاربوا وصيف بن صوارتكين على غره منهم، فقتل من رجالهم- فيما قيل- سبعين، واسر من فرسانهم جماعه. وفيها توفي ابو ابراهيم اسماعيل بن احمد عامل خراسان وما وراء النهر في صفر منها، لاربع عشره خلت منه، وقام ابنه احمد بن اسماعيل بن احمد في عمل ابيه مقامه، وولى اعمال ابيه وذكر ان المكتفي لاربع ليال خلون من شهر ربيع الآخر قعد، فعقد بيده لواء ودفعه الى طاهر بن علي بن وزير، وخلع عليه وامره بالخروج باللواء الى احمد بن اسماعيل.

وفيها وجه منصور بن عبد الله بن منصور الكاتب الى عبد الله بن ابراهيم المسمعي، وكتب اليه يخوفه عاقبه اخلاف اليه، فتوجه اليه، فلما صار اليه ناظره، فرجع الى طاعه السلطان، وشخص في نفر من غلمانه، واستخلف على عمله بأصبهان خليفه، ومعه منصور بن عبد الله، حتى صار الى باب السلطان، فرضى عنه المكتفي، ووصله وخلع عليه وعلى ابنه.

وفيها اوقع الحسين بن موسى بالكردى المتغلب كان على نواحي الموصل، فظفر باصحابه، واستباح عسكره وأمواله، وافلت الكردى فتعلق بالجبال فلم يدرك

وفيها فتح المظفر بن حاج بعض ما كان غلب عليه بعض الخوارج باليمن، وأخذ رئيسا من رؤسائهم يعرف بالحكيمة وفيها ثلاث عشره ليله بقيت من جمادى الآخرة امر خاقان المفلحي بالشخص الى اذريجان لحرب يوسف بن ابى الساج، وضم اليه نحو اربعة آلاف

رجل من الجند وثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان دخل بغداد رسول أبي مضر زياده الله بن الاغلف، ومعه فتح الأعجمي، ومعه هدايا وجه بها الى المكتفي.

وفيهما تم الفداء بين المسلمين والروم في ذي القعدة، وكانت عده من فودی به من الرجال والنساء ثلاثمائة آلاف نفس. وفي ذي القعدة لاثنتي عشرة ليله خلت منها توفي المكتفي بالله، وكانت خلافته ست سنين وستة اشهر وتسعه عشر يوما، وكان يوم توفي ابن اثنتين وثلاثين سنة يومئذ، وكان ولد سنه اربع وستين ومائتين، ويكنى أبا محمد، وأمه أم ولد تركية تسمى جيحك وكان ربه جميلا، رقيق اللون، حسن الشعر، وافر الجمه، وافر اللحية.

١٠٢٥١ خلافة المقتدر بالله

خلافة المقتدر بالله

ثم بويع جعفر بن المعتضد بالله، ولما بويع جعفر بن المعتضد لقب المقتدر بالله وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وشهر واحد وعشرين يوما وكان مولده ليله الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان من سنه اثنتين وثمانين ومائتين، وكنيته ابو الفضل، وأمه أم ولد يقال لها شغب، فذكر كان في بيت المال يوم بويع نحسه عشر الف دينار ولما بويع المقتدر غسل المكتفي وصلى عليه، ودفن في موضع من دار محمد بن عبد الله بن طاهر.

وفيهما كانت بين عجم بن حاج والجند وقعه في اليوم الثاني من ايام منى، قتل فيها جماعه، وجرح منهم، بسبب طلبهم جائزه بيعة المقتدر، وهرب الناس الذين كانوا بمبنى الى بستان ابن عامر، وانتهب الجند مضرب ابى عدنان ربيعه بن محمد بمبنى. وكان احد أمراء القوافل، وأصاب المنصرفين من مكة في منصرفهم في الطريق من القطع والعطش امر غليظ، مات من العطش - فيما قيل - منهم جماعه وسمعت بعض من يحكى ان الرجل كان يبول في كفه، ثم يشربه. وجج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

١٠٢٦ سنه ست وتسعين ومائتين

ثم دخلت

سنه ست وتسعين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فمن ذلك ما كان من اجتماع جماعه من القواد والكتاب والقضاة على خلع المقتدر، وتناظرهم فيمن يجعل في موضعه، فاجتمع رأيهم على عبد الله بن المعتز وناظروه في ذلك، فأجابهم الى ذلك على الا يكون في سفك ذلك دم ولا حرب، فاخبروه ان الأمر يسلم اليه عفوا، وان جميع من وراءهم من الجند والقواد والكتاب قد رضوا به فبايعهم على ذلك، وكان الراس في ذلك محمد بن داود ابن الجراح وابو المثنى احمد بن يعقوب القاضي، وواطى محمد بن داود بن الجراح جماعه من القواد على الفتك بالمقتدر والبيعه لعبد الله بن المعتز، وكان العباس بن الحسن على مثل رأيهم فلما رأى العباس امره مستوثقا له مع المقتدر، بدا له فيما كان عزم عليه من ذلك، فحينئذ وثب به الآخرون فقتلوه، وكان الذى تولى قتله بدر الأعجمي والحسين بن حمدان ووصيف بن صوارتكين، وذلك يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول.

ولما كان من غد هذا اليوم - وذلك يوم الأحد - خلع المقتدر القواد والكتاب وقضاة بغداد، وبايعوا عبد الله بن المعتز، ولقبوه الراضي بالله.

وكان الذى أخذ له البيعه على القواد وتولى استحلافهم والدعاء باسمائهم محمد بن سعيد الأزرق كاتب الجيش.

وفي هذا اليوم كانت بين الحسين بن حمدان وبين غلمان الدار حرب شديده من غدوه الى انتصاف النهار. وفيه انفضت الجموع التي كان محمد بن داود جمعها لبيعه ابن المعتز عنه، وذلك ان الخادم الذى يدعى مؤنسا حمل غلمانا من غلمان الدار في شدوات،

فصاعد بها وهم فيها في دجلة، فلما حاذوا الدار التي فيها ابن المعتز ومحمد بن داود صاحوا بهم، ورشقوهم بالنشاب، ففرقوا، وهرب من في الدار من الجند والقواد والكتاب، وهرب ابن المعتز، ولحق بعض الذين بايعوا ابن المعتز بالمقتدر، فاعتذروا بانه منع من المصير

اليه، واختفى بعضهم فأخذوا وقتلوا وانتهب العامه دور ابن داود والعباس بن الحسن، وأخذ ابن المعتز فيمن أخذ. وفي يوم السبت لاربع بقين من شهر ربيع الاول منها سقط الثلج ببغداد من غدوه الى قدر صلاه العصر، حتى صار في الدور والسطوح منه نحو من اربعة أصابع، وذكر انه لم ير ببغداد مثل ذلك قط.

وفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شهر ربيع الاول منها، سلم محمد بن يوسف القاضي ومحمد بن عمرويه وابو المثنى وابن الجصاص والأزرق كاتب الجيش في جماعه غيرهم الى مؤنس الخازن، فترك أبا المثنى في دار السلطان، ونقل الآخرين الى منزله، فافتدى بعضهم نفسه، وقتل بعضهم، وشفع في بعض فاطلق.

وفيها كانت وقعه بين طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث وسبكرى غلام عمرو بن الليث، فاسر سبكرى طاهرا، ووجهه مع أخيه يعقوب بن محمد الى السلطان وفيها وجه القاسم بن سيما مع جماعه من القواد والجند في طلب حسين بن حمدان بن حمدون، فشخص لذلك حتى صار الى قرقيسيا والرحبه والدالية، وكتب الى أخي الحسين عبد الله بن حمدان بن حمدون بطلب أخيه، فالتقى هو واخوه بموضع يعرف بالأعمى بين تكريت والسودقانيه بالجانب الغربي من دجلة، فانهزم عبد الله، وبعث الحسين يطلب الامان، فاعطى ذلك ولسع بقين من جمادى الآخرة منها وافى الحسين بن حمدان بغداد، فقل باب حرب، ثم صار الى دار السلطان من غد ذلك اليوم، فخلع عليه وعقد له على قم وقاشان.

ولست بقين من جمادى الآخرة، خلع على ابن دليل النصراني كاتب يوسف ابن ابى الساج ورسوله، وعقد ليوسف بن ابى الساج على المراغه واذريجان، وحملت اليه الخلع، وامر بالشخص الى عمله. وللنصف من شعبان منها خلع على مؤنس الخادم، وامر بالشخص الى طرسوس لغزو الصائفة، فنفذ لذلك وخرج في عسكر كثيف وجماعه من القواد وغلهمان الحجر. وجج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

١٠٠٢٧ سنه سبع وتسعين ومائتين

ثم دخلت

سنه سبع وتسعين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فن ذلك ما كان من غزو مؤنس الخادم الصائفة بلاد الروم من ثغر ملطيه في جيش كثيف، ومعه ابو الأغر السلمي وظفر بالروم، واسر اعلاجا في آخر سنه ست وتسعين ومائتين، وورد الخبر بذلك على السلطان لست خلون من المحرم.

وفيها صار الليث بن علي بن الليث الصفار الى فارس في جيش، فتغلب عليها، وطرد عنها سبكرى، وذلك بعد ما ولى السلطان سبكرى بعد ما بعث سبكرى طاهر بن محمد الى السلطان أسيرا، فامر المقتدر مؤنسا الخادم بالشخص الى فارس لحرب الليث بن علي، فشخص إليها في شهر رمضان منها.

وفيها وجه أيضا المقتدر القاسم بن سيما لغزوه الصائفة ببلاد الروم في جمع كثير من الجند في شوال منها. وفيها كانت بين مؤنس الخادم والليث بن علي بن الليث وقعه هزم فيها الليث، ثم اسر وقتل من اصحابه جماعه كثيره، واستامن منهم الى مؤنس جماعه كثيره، ودخل اصحاب السلطان النوبندجان، وكان الليث قد تغلب عليها. واقام الحج فيها للناس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن عبيد الله ابن العباس بن محمد.

١٠٠٢٨ سنه ثمان وتسعين ومائتين

ثم دخلت

سنه ثمان وتسعين ومائتين

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فن ذلك ما كان فيها من غزو القاسم بن سيما ارض الروم الصائفة.

وفيها وجه المقتدر وصيف كامه الديلمي في جيش وجماعه من القواد لحرب سبكرى غلام عمرو بن الليث وفيها كانت بين سبكرى ووصيف كامه وقعه هزمه فيها وصيف، وأخرجه من عمل فارس، ودخل وصيف كامه ومن معه فارس، واستامن اليه من اصحاب سبكرى جماعه كثيره، فاسر رئيس عسكره المعروف بالقتال، ومضى سبكرى هاربا الى احمد بن اسماعيل بن احمد بما معه من الأموال والذخائر فاخذ ما معه اسماعيل بن احمد، وقبض عليه فحبسه. وفيها كانت بين احمد بن اسماعيل بن احمد ومحمد بن علي بن الليث وقعه بناحية بست والرنج، اسره فيها احمد بن اسماعيل. وجج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك.

١٠٠٢٩ سنة تسع وتسعين ومائتين

ثم دخلت

سنة تسع وتسعين ومائتين

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث) فن ذلك ما كان من غزو رستم بن برود الصائفة من ناحيه طرسوس. وهو والى الثغور من قبل بنى نفيس، ومعه دميانه فحاصر حصن مليح الأرمني، ثم رحل عنه، واحرق ارباض ذي الكلاع وفيها ورد رسول احمد بن اسماعيل بن احمد بكتاب منه الى السلطان يخبر فيه انه فتح سجستان، وان اصحابه دخلوها، واخرجوا من كان بها من اصحاب الصفار، وان المعدل بن علي بن الليث صار اليه بمن معه من اصحابه في الامان، وكان المعدل يومئذ مقيما بزنج، فصار الى احمد بن اسماعيل وهو مقيم ببست والرنج، فوجه به ابن اسماعيل وبعياله ومن معه الى هراة، وبين سجستان وبست الرنج ستون فرسخا، فوردت الخريطة بذلك على السلطان يوم الاثنين لعشر خلون من صفر. وفيها وافى بغداد العطر صاحب زكرويه ومعه الأغر - وهو أيضا احد قواد زكرويه - مستأمنا. وفي ذي الحجة منها غضب على علي بن محمد بن الفرات لاربع خلون منه، وحبس ووكل بدوره ودور اهله وأخذ كل ما وجد له ولهم، وانتهت دوره ودور بنى اخوته وأهلهم، واستوزر محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان. وجج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك.

١٠٠٣٠ سنة ثلاثمائة

ثم دخلت

سنة ثلاثمائة

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث) فن ذلك ما كان من ورود بغداد رسول من العامل على برقه، وهي من عمل مصر، الى ما خلفها باربع فرائخ، ثم ما بعد ذلك من عمل المغرب بخبر خارجى خرج عليه، وانه ظفر بعسكره، وقتل خلقا من اصحابه، ومعه آذان وانوف من قتله في خيوط واعلام من اعلام الخارجي وفي هذه السنة كثرت الامراض والعلل ببغداد في الناس، وذكر ان الكلاب والذئاب كلبت فيها بالبادية، فكانت تطلب الناس والدواب والبهائم، فإذا عضت إنسانا اهلكته. وجج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

١٠٠٣١ سنة احدى وثلاثمائة

ثم دخلت

سنة احدى وثلاثمائة

(ذكر الخبر عما كَانَ فِيهَا من الأحداث) فن ذلك عزل المقتدر محمد بن عبيد الله عن الوزارة وحبسه اياه مع ابنه عبد الله وعبد الواحد وتصويره على بن عيسى بن داود بن الجراح له وزيرا وفيها كثر أيضا الوباء ببغداد، فكان بها منه نوع سموه حنينا، ومنه نوع سموه الماسرا، فاما الحنين فكانت سليمة، واما الماسرا فكانت طاعونا قتاله وفيها احضر دار الوزير على بن عيسى رجل - ذكر انه يعرف بالحلاج ويكنى أبا محمد - مشعوذ، ومعه صاحب له، سمعت جماعه من الناس يزعمون انه يدعى الربوبية فصلب هو وصاحبه ثلاثة ايام، كل يوم

من ذلك من اوله الى انتصافه، ثم ينزل بهما، فيؤمر بهما الى الحبس، فحبس مده طويله، فافتتن به جماعه منهم نصر القشورى وغيره، الى ان ضج الناس، ودعوا على من يعيبه، وخش امره، واخرج من الحبس، فقطعت يداه ورجلاه، ثم ضربت عنقه، ثم احرق بالنار. وفيها غزا الصائفة الحسين بن حمدان بن حمدون، فورد كتاب من طرسوس يذكر فيه انه فتح حصونا كثيره، وقتل من الروم خلقا كثيرا. وفيها قتل احمد بن اسماعيل بن احمد صاحب خراسان وما وراء النهر، قتله غلام له تركي- اخص غلمانه به- ذبحا، هو وغلامان معه، دخلوا عليه في قبته، ثم هربوا فلم يدركوا.

وفيها وقع الاختلاف بين نصر بن احمد بن اسماعيل بن احمد وعم ابيه إسحاق بن احمد، فكان مع نصر بن احمد غلمان ابيه وكتابه وجماعه من قواده والأموال والكرام والسلاح، وانحاز بعد قتل ابيه الى بخارى وإسحاق بن احمد بسمرقند وهو عليل من نقرس به، فدعا الناس بسمرقند الى مبايعته على الرئاسة عليهم، وبعث كل واحد منهما الى السلطان كتبه خاطبا على نفسه، عمل اسماعيل بن احمد، وانفذ إسحاق كتبه- فيما ذكر- الى عمران المرزباني لإيصالها الى السلطان، ففعل ذلك، وانفذ نصر بن احمد ابن اسماعيل كتبه الى حماد ابن احمد، ليتولى إيصالها الى السلطان، ففعل.

وفيها كانت وقعه بين نصر بن احمد بن اسماعيل واصحابه من اهل بخارى وإسحاق بن احمد عم ابيه واصحابه من اهل سمرقند، لاربعة عشره بقيت من شعبان منها، هزم فيها نصر واصحابه إسحاق واهل سمرقند ومن كان قد انضم اليه من اهل تلك النواحي، وتفرقوا عنه هاربين، وكانت هذه الوقعه بينهم على باب بخارى وفيها زحف اهل بخارى الى اهل سمرقند بعد ما هزموا إسحاق بن احمد ومن معه، فكانت بينهم وقعه اخرى ظفر فيها أيضا اهل بخارى باهل سمرقند، فهزموهم، وقتلوا منهم مقتله عظيمه، ودخلوا سمرقند قسرا، وأخذوا إسحاق بن احمد أسيرا، وولوا ما كان اليه من عمل ابنا لعمر بن نصر بن احمد.

وفيها دخل اصحاب ابن البصرى من اهل المغرب برقه، وطرده عنها عامل السلطان. وولى ابو بكر محمد بن علي بن احمد بن ابى زنبور الماذرائى اعمال مصر وخارجها. وفيها قتل ابو سعيد الجنابى الخارج كان بناحية لبحرين وهجر، قتله- فيما قيل- خادم له وفيها كثرت الامراض والعلل ببغداد، وفشا الموت في أهلها، وكان اكثر ذلك- فيما قيل- في الحريرة واهل الارباض وفيها وافى قائد من قواد ابن البصرى في البرابره والمغاربه الإسكندرية وفيها ورد كتاب تكين عامل السلطان من مصر يسأله المدد. وجج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك.

١٠٣٢ سنه اثنتين وثلاثمائة

ثم دخلت

سنه اثنتين وثلاثمائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث) فن ذلك ما كان من اشخاص الوزير على بن عيسى بن عبد الباقي في الفى فارس فيها لغزو الصائفة، معونه لبشر خادم ابن ابى الساج وهو والى طرسوس من قبل السلطان الى طرسوس، فلم يتيسر لهم غزو الصائفة، فغزوها شاتيه في برد شديد وتلج.

وفيها تنحى الحسن بن على العلوي الاطروش بعد غلبته على طبرستان عن آمل، وصار الى سالوس فأقام بها ووجه صعلوك صاحب الري اليه جيشا، فلم يكن لجيشه بها ثبات، وعاد الحسن بن على إليها، ولم ير الناس مثل عدل الاطروش وحسن سيرته واقامته الحق.

وفيها دخل حباسه صاحب ابن البصرى الإسكندرية، وغلب عليها، وذكر انه وردها في مائتي مركب في البحر. وفيها وافى حباسه صاحب ابن البصرى موضعا من فسطاط مصر على مرحلة، يقال لها سفط، ثم رجع منه الى وراء ذلك، فنزل منزلا بين الفسطاط والإسكندرية.

وفيها شخص مؤنس الخادم الى مصر لحرب حباسه، وقوى بالرجال والسلاح والمال.

وفيها لسبع بقين من جمادى الاولى قبض على الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص وعلى ابنه، واستصفى كل شيء له، ثم حبس وقيد.

وفيها كانت وقعه بمصر بين اصحاب السلطان وحباسه واصحابه لست بقين من جمادى الاولى منها، فقتل من الفريقين جماعه، وجرح منهم

جماعه ثم اخرى بعد ذلك بيوم نحو التي كانت في هذه، ثم ثلثه بعد ذلك في جمادى الآخرة منها ولاربعة عشره بقيت من جمادى الآخرة منها.

ورد كتاب بوقعه كانت بينهم، هزم اصحاب السلطان فيها المغاربة وفيها ورد كتاب من بشر عامل السلطان على طرسوس على السلطان، يذكر فيه غزوه ارض الروم، وما فتح فيها من الحصون، وما غنم وسي، وانه اسر من البطارقة مائه وخمسين، وان مبلغ السبي نحو من الفى راس ولإحدى عشره بقيت من رجب ورد الخبر من مصر ان اصحاب السلطان لقوا حباسه واهل المغرب يقاتلونهم، فكانت الهزيمة على المغاربة، فقتلوا منهم وأسروا سبعة آلاف رجل، وهرب الباقون مفلولين، وكانت الوقعه يوم الخميس بسلخ جمادى الآخرة. وفيها انصرف حباسه ومن معه من المغاربة عن الإسكندرية راجعين الى المغرب بعد ما ناظر- فيما ذكر- حباسه عامل السلطان بمصر على الدخول اليه بالأمان، وجرت بينهما في ذلك كتب وكان انصرافه- فيما ذكر- لاختلاف حدث بين اصحابه في الموضع الذى شخص منه. وفيها اوقع يانس الخادم بناحية وادي الذئاب، وما قرب من ذلك الموضع بمن هنالك من الاعراب، فقتل منهم مقتله عظيمه، ذكر انه قتل منهم سبعة آلاف رجل، ونهب بيوتهم، وأصاب في بيوتهم من اموال التجار وامتعهم التي كانوا أخذوها بقطع الطريق عليهم ما لا يحصى كثرتة.

ولست خلون من ذي الحجة هلكت بدعه مولاه المأمون ورجع بالناس فيها الفضل بن عبد الملك. وفي اليوم الثانى والعشرين من ذي الحجة منها خرج اعراب من الحاجر على ثلاثة فراسخ مما يلي البر على المنصرفين من مكة، فقطعوا عليهم الطريق، وأخذوا ما معهم من العين واستاقوا من جملهم ما أرادوا، وأخذوا- فيما قيل- مائتين وثمانين امراه حرائر سوى من أخذوا من الممالك والإماء. ثم الكتاب، وهو آخر تاريخ ابن جرير الطبرى رحمه الله، وقد ضمنا هذا الكتاب أبوابا من اوله الى آخره، حيث انتهينا اليه من يومنا هذا، فما كان متأخرا ذكرناه بروايه سماع ان اخر الله في الأجل

١١ صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي

١٢ الجزء الحادي عشر

١٢٠١ سنة احدى وتسعين ومائتين

الجزء الحادي عشر

[صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت

سنة احدى وتسعين ومائتين

(ذكر ما دار في هذه السنة من اخبار بنى العباس) (ذكر اخبار القرامطة وقتل صاحب الشامة) فيها كتب الوزير القاسم بن عبيد الله الى محمد بن سليمان الكاتب- وكان المكتفي قد ولاه حرب القرمطى صاحب الشامة، وصير اليه امر القواد والجوش- فأمره بمناهضة صاحب الشامة والجد في امره وجمع القواد والرجال على محاربته. فسار اليه محمد بن سليمان بجميع من كان معه واهل النواحي التي تليه من الاعراب وغيرهم حتى قربوا من حماه، وصار بينهم وبينها نحو اثني عشر ميلا، فلقوا اصحاب القرمطى هنالك يوم الثلاثاء لست خلون من المحرم. وكان القرمطى قد قدم بعض اصحابه في ثلاثة آلاف فارس وكثير من الرجاله في مقدمته، وتخلف هو في جماعه منهم، رداء لهم، وجعل السواد وراءه، وكان معه مال جمعه، فالتقى رجال السلطان بمن تقدم من القرامطة لحربهم، والتحم القتال بينهم، وصبر الفريقان.

ثم انهزم اصحاب القرمطى، واسر من رجالهم بشر كثير، وقتل منهم عدد عظيم، وتفرق الباقيون في البوادي، وتبعهم اصحاب السلطان ليله الأربعة يقتلونهم ويأسرونهم.

فلما رأى القرمطى ما نزل باصحابه من الانهزام والتفرق والقتل والاسر حمل أخا له يقال له ابو الفضل مالا، وتقدم اليه ان يلحق بالبوادي ويستتر بها، الى ان يظهر القرمطى بموضع، فيصير اليه اخوه بالمال، وركب هو وابن عمه المسمى بالمدثر، وصاحبه المعروف بالمطوق، و غلام له رومي وأخذ دليلا وسار يريد الكوفة عرضا في

البرية حتى انتهى الى موضع يعرف بالدالية من اعمال طريق الفرات، فنفذ ما كان معهم من الزاد والعلف، فوجه بعض من كان معه ليأخذ لهم ما احتاجوا اليه فدخل الدالية لشراء حاجته، فأنكر زيه، وسئل عن امره فاستراب وارتاب، واعلم المتولى لمسلحه تلك الناحية بخبره، وكان على المعاون رجل يعرف بابى خليفه بن كشمرد فركب في جماعه، وسال هذا الرجل عن خبره، فاعلمه ان صاحب الشامة بالقرب منه، في ثلاثة نفر، وعرفه بمكانه.

ففضى صاحب المعاون اليهم واخذهم ووجه بهم الى المكتفي وهو بالرقعة، ورجعت الجيوش من طلب القرامطة، بعد ان أفنوا اكثرهم قتلا واسرا وكتب محمد بن سليمان الكاتب الى الوزير القاسم بن عبيد الله بمحاربته للقرامطة، وما فتح الله له عليهم، وقتله واسره لاكثرهم، وانه تقدم في جمع الرؤوس وهو باعث منها بعدد عظيم.

وفي يوم الاثنين لاربع بقين من المحرم ادخل صاحب الشامة الى الرقة ظاهرا للناس على فالج، وعليه برنس جري، ودراعه ديباج، وبين يديه المدثر والمطوق على جملين ثم ان المكتفي خلف عساكره مع محمد بن سليمان، وشخص هو في خاصته وغلماؤه وخدمه، وشخص معه القاسم بن عبيد الله الوزير من الرقة الى بغداد، وحمل معه القرمطى والمدثر والمطوق وجماعه ممن اسر في الوقعة وذلك في أول صفر، فلما صار الى بغداد عزم على ان يدخل القرمطى مدينه السلام مصلوبا على دقل والدقل على ظهر فيل، فامر بهدم طاقات الأبواب التي يجتاز بها الفيل بالدقل ثم استسج ذلك، فعمل له دميانه، غلام يا زمان كرسيا، وركبه على ظهر الفيل، في ارتفاع ذراعين ونصف، واقعد فيه القرمطى صاحب الشامة، ودخل المكتفي مدينه السلام، صبيحة يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول وقد قدم بين يديه الأسرى مقيدون على جمال عليهم دراريع الحرير وبرانس الحرير، والمطوق وسطهم، وهو غلام ما نبتت لحيته بعد، قد جعل في فيه خشبة مخروطه والجم بها في فمه كهيئة اللجام ثم شدت الى قفاه، وذلك انه لما دخل الرقة كان يشتم الناس إذا دعوا عليه، ويزق في وجوههم، فجعل له هذا لئلا يتكلم ولا يشتم.

ثم امر المكتفي ببناء دكة في المصلى العتيق بالجانب الشرقي في ارتفاعها عشرة اذرع لقتل القرامطة، وكان خلف المكتفي وراءه محمد بن سليمان الكاتب بجمله من قواد القرامطة وقضاتهم ووجوههم فقيدهم جميعهم، ودخلوا بغداد بين يديه يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول، وقد امر القواد بتلقيه والدخول معه فدخل في اتم ترتيب حتى إذا صار بالثريا نزل بها وخلع عليه، وطوق بطوق من ذهب، وسور بسوارين من ذهب، وخلع على جميع القواد القاديين معه وطوقوا وسوروا. ثم صرفوا الى منازلهم وامر بالأسرى الى السجن.

وذكر عن صاحب الشامة انه أخذ وهو في حبس المكتفي سكرجة من المائدة التي كانت تدخل عليه وكسرها وأخذ شظية منها، فقطع بها بعض عروقه وخرج منه دم كثير، حتى شدت يده، وقطع دمه، وترك أياما حتى رجعت اليه قوته.

ولما كان يوم الاثنين لسبع بقين من ربيع الاول، امر المكتفي القواد والغلان بحضور الدكة في المصلى العتيق، وخرج من الناس خلق كثير، وحضر الواقفي وهو يلى الشرطه بمدينه السلام ومحمد بن سليمان كاتب الجيش، فقعدوا على الدكة في موضع هيئ لهم، وحمل الأسرى الذين جاء بهم المكتفي، والذين جاء بهم محمد بن سليمان ومن كان في السجن من القرامطة، وقوم من اهل بغداد ذكر انهم على مذاهبهم، وقوم من سائر البلدان من غير القرامطة حبسوا لجنايات مختلفه فاحضر جميعهم الدكة ووكل بكل رجل منهم عونان، وقيل انهم كانوا في نحو ثلاثمائة وستين.

ثم احضر صاحب الشامة والمدثر والمطوق، واقعدوا في الدكة وقدم اربعة وثلاثون رجلا من القرامطة فقطعت ايديهم وارجلهم، وضربت أعناقهم واحدا بعد واحد.

وكانت ترمى رؤوسهم وجثثهم وايديهم وارجلهم كل ما قطع منها الى اسفل الدكة.

فلما فرغ من قتل هؤلاء قدم المدثر فقطعت يداه ورجلاه، وضربت عنقه، ثم المطوق.

ثم قدم صاحب الشامة فقطعت يداه ورجلاه وأضرمت نار عظيمه، وادخل فيها خشب صليب، وكانت توضع الخشبة الموقدة في خواصره وبطنه، وهو يفتح

عينيه ويغمضهما، حتى خشي عليه ان يموت، فضربت عنقه ورفع راسه في خشبة وكبر من كان على الدكة وكبر سائر الناس في أسفلها، ثم ضربت اعناق باقي الأسرى وانصرف القواد ومن حضر ذلك الموضع وقت العشاء فلما كان بالغد حملت الرءوس الى الجسر، وصلب بدن القرمطى في الجسر الأعلى ببغداد، وحفرت لأبدان القتلى آبار الى جانب الدكة، فطرحوا فيها ثم امر بعد ذلك بايام بهدم الدكة ففعل ذلك.

واستامن على يدي القاسم بن سيما رجل من القرامطة، يسمى اسماعيل ابن النعمان، ويكنى أبا محمد، لم يكن بقي منهم بنواحي الشام غيره وغير من انضوى اليه، وكان هذا الرجل من موالي بني العليص، فرغب في الدخول في الطاعة، خوفا على نفسه، فأومن هو ومن معه، وهم نيف وستون رجلا، ووصلوا الى بغداد.

واجريت لهم الأرزاق، واحسن اليهم ثم صرفوا مع القاسم بن سيما الى عمله، وأقاموا معه مده فهموا بالغدر به فوضع السيف فيهم، وabad جميعهم.

وفي آخر جمادى الاولى من هذه السنة ورد كتاب من ناحيه جبي بان سيلا أتاها من الجبل، غرق فيه نحو من ثلاثين فرسخا وذهب فيه خلق كثير، وخربت به المنازل والقرى، وهلكت المواشي والغلات، واخرج من الغرقى الف ومائتان سوى من لم يوجد منهم.

وفي يوم الأحد غره رجب، خلع المكتفي على محمد بن سليمان كاتب الجيش وعلى وجوه القواد، وامرهم بالسمع والطاعة لمحمد بن سليمان، وبرز محمد الى مضربه بباب الشماسيه وعسكر هنالك، ثم خرج بالجيش الى جانب دمشق، لقبض الاعمال من هارون بن نحاريه إذ تبين ضعفه، وذهب رجاله في حرب القرامطة، ورحل محمد بن سليمان في زهاء عشرة آلاف، وذلك لست خلون من رجب، وامر بالجد في المسير.

ولثلاث بقين من رجب قرئ على الناس كتاب لإسماعيل بن احمد بان الترك قصدوا المسلمين في جيش عظيم، وان في عسكرهم سبعمائة قبة تركية لرؤساء منهم خاصه فنودي في الناس بالنفير وخرج مع صاحب العسكر خلق كثير فوافى الترك غارين، فكبسوهم ليلا، وقتل منهم خلق كثير، وانهزم الباقون، واستبيح عسكرهم وانصرف المسلمون سالمين غانمين.

وورد أيضا الخبر من الثغور، بان صاحب الروم وجه إليها عسكرا فيه عشرة صلبان ومائة الف رجل، فأغاروا وكبسوا واحرقوا ثم ورد كتاب ابى معد بان الاخبار اتصلت من طرسوس بان غلام زرافه خرج الى مدينه انطاليه على ساحل البحر. فافتتحها عنوه، وقتل بها خمسه آلاف رجل من الروم، واسر نحو هذه العده منهم، واستنقذ من أسارى المسلمين اربعة آلاف انسان، ووجد للروم ستين مراكبا فغرقها وأخذ ما كان فيها من الذهب والفضه والمتاع والانيه وان كل رجل حضر هذه الغزاة أصاب في فيئه الف دينار، فاستبشر المسلمون بذلك.

وجج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد

١٢٠٢ سنه اثنتين وتسعين ومائتين

ثم دخلت

سنه اثنتين وتسعين ومائتين

(ذكر ما دار في هذه السنه من اخبار بنى العباس) ففيها وجه صاحب البصره الى السلطان رجلا ذكر انه اراد الخروج عليه، وصار الى واسط مخالفا بها، فاقصد اليه من يقبض عليه وعلى قوم ذكروا انهم بايعوه، ووجه بهم الى بغداد، فحمل هذا الرجل على فالج، وبين يديه ابن له صبي على جمل، ومعه سبعة وثلاثون رجلا، على جمال عليهم برانس الحرير، واكثرهم يستغيث ويبيكي، ويحلف انه بريء فامر المكتفي بحبسهم وفي هذه السنه اغارت الروم على مرعش ونواحيها، فنفر اهل المصيصة وطرسوس، وأصببت جماعه من المسلمين فيهم ابو الرجال بن ابى بكار.

وفيها انتهى محمد بن سليمان الكاتب الى احواز مصر لحرب هارون، ووجه اليه المكتفي في البحر دميانه، وامره بدخول النيل، وقطع المواد عمن بمصر من الجند، ففضى وقطع عن اهل مصر الميرة، وزحف اليهم محمد بن سليمان على الظهر، حتى دنا من القسطنطينية،

وكتب القواد الذين بها، نخرج اليه بدر الحماني، وكان رئيس القوم، ثم نتابع قواد مصر بالخروج اليه، والاستئمان له، فلما رأى ذلك هارون ومن بقي معه خرجوا محاربين لمحمد بن سليمان، وكانت بينهم وقعات.

ثم انها وقعت بين اصحاب هارون في بعض الأيام عصبية اقتتلوا فيها، فخرج اليهم هارون ليسكنهم، فرماه بعض المغاربة بسهم فقتله وبلغ محمد بن سليمان الخبر، فدخل هو ومن معه الفسطاط، واحتوا على دور آل طولون وأموالهم، وتقبض على جميعهم، وهم بضعة عشر رجلا، فقيدهم وحبسهم، واستصفى أموالهم، وكتب بالفتح الى المكتفي، وكانت هذه الوقعة في صفر، وكتب الى محمد بن سليمان في اشخاص آل طولون الى بغداد، والا يبقى منهم أحدا بمصر ولا الشام، ففعل ذلك.

ولثلاث خلون من ربيع الاول، سقط الحائط من الجسر الاول على جثته القرمطي وهو مصلوب، فطحنه ولم يبق منه شيء. وفي شهر رمضان ورد الخبر على السلطان بان قائدا من القواد المصريين يعرف بالخليجي، ويسمى بابراهيم تخلف عن محمد بن سليمان في آخر حدود مصر، مع جماعه استمالهم من الجند وغيرهم، ومضى الى مصر مخالفا للسلطان، وكان معه في طريقه جماعه أحبوا الفتنة حتى كثر جمعهم، فلما صار الى مصر اراد عيسى النوشري محاربته، فعجز عن ذلك لكثرة من كان مع ابن الخليجي، فانحاز عنه الى الإسكندرية، واخلى مصر، فدخلها الخليجي.

وفيها ندب السلطان لمحاربه الخليجي واصلاح امر المغرب فاتكا مولى المعتضد، وضم اليه بدر الحماني، وجعله مشيرا عليه فيما يعمل به، وندب معه جماعه من القواد وجندا كثيرا، وخلع على فائق وعلى بدر الحماني لسبع خلون من شوال.

وامرا بسرعة الخروج وتعجيل السير فخرجا لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال. وللنصف من شوال دخل رستم مدينه طرسوس واليا عليها وعلى الثغور الشامية. وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم لست بقين من ذي القعدة، فقودى من المسلمين الف ومائتا نفس، ثم غدر الروم، وانصرفوا، ورجع المسلمون بمن في ايديهم من أسارى الروم.

وجج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد

١٢٠٣ سنه ثلاث وتسعين ومائتين

ثم دخلت

سنه ثلاث وتسعين ومائتين

(ذكر ما دار في هذه السنه من اخبار بنى العباس) ففيها ورد الخبر بان الخليجي المتغلب على مصر واقع احمد بن كيغلغ وجماعه من القواد بالقرب من العرش، فهزمهم الخليجي، اقبح هزيمه، فندب السلطان للخروج اليه جماعه من القواد المقيمين بمدينه السلام فيهم ابراهيم بن كيغلغ وغيره وفي شهر ربيع الأول من هذه السنه ورد الخبر بان أخا الحسين بن زكرويه، ظهر بالدالية من طريق الفرات في نفر من اصحابه، ثم اجتمع اليه جماعه من الاعراب والمتلصصة فسار بهم نحو دمشق، في جمادى الاولى وحارب أهلها، فندب السلطان للخروج اليه الحسين بن حمدان بن حمدون، في جمع كثير من الجند ثم ورد الخبر بان هذا القرمطي سار الى طبرية، فامتنع أهلها من ادخاله، فخاربههم حتى دخلها فقتل عامه من بها من الرجال والنساء، ونهبها وانصرف الى ناحيه البادية.

وذكر من حضر مجلس محمد بن داود بن الجراح، وقد ادخل اليه قوم من القرامطة بعد قتل الحسين بن زكرويه المصلوب بجسر بغداد فقال الرجل: كان زكرويه ابو حسين المقتول محتفيا عندي في منزلي، وقد اعد له سرداب تحت الارض، عليه باب حديد، وكان لنا تنور، فإذا جاءنا الطلب، وضعنا التنور على باب السرداب، وقامت امرأه تسخنه فكث زكرويه كذلك اربع سنين، في ايام المعتضد، ثم انتقل من منزلي الى دار قد جعل فيها بيت وراء باب الدار، فإذا فتح الباب انطبق على باب البيت، فيدخل الداخل، فلا يرى باب البيت الذي هو فيه، فلم تزل هذه حاله حتى مات المعتضد، فحينئذ انفذ الدعاء، واستهوى طوائف من اهل البادية، وصار اهل قريه صوهر يتفلونه على ايديهم، ويسجدون له واعترف لزكرويه جميع من رشح حب الكفر في قلبه من عربي ومولى ونبطي وغيرهم، بانه رئيسهم وكهفهم وملاذهم، وسموه السيد والمولى، وساروا به وهو محجوب عن اهل عسكره، والقاسم يتولى الأمور دونه، يمضيها على رايه

وذكر محمد بن داود ان زكرويه بن مهرويه هذا اقام رجلا كان يعلم الصبيان بقرية تدعى زابوقه، من عمل الفلوجة يسمى عبد الله بن

سعيد، ويكنى أبا غانم، فتسمى بنصر ليعمى امره، ويخفى خبره، فاستهوى طوائف من الاصبغيين والعليصيين وصعاليك من بطون كلب، وقصد بهم ناحيه الشام، وكان عامل السلطان على دمشق والأردن احمد بن كيغلق، وكان مقيما بمصر على حرب الخليج، فاغتم ذلك عبد الله ابن سعيد المتسمى بنصر وسار الى مدينه بصرى، فخارب أهلها، ثم آمنهم فلما استسلموا له قتل مقاتلتهم وسبي ذرارهم، واستاق أموالهم، ثم نهض الى دمشق، فخرج اليه من كان بقي بها مع صالح بن الفضل خليفه احمد بن كيغلق فقتل صالحا، وفض عسكره ولم يطمع في مدينه دمشق إذ دافعهم أهلها عنها ثم قصد القرمطى ومن معه مدينه طبرية، فقتلوا طائفة من أهلها، وسبوا النساء والذرية بها، فحينئذ انفذ السلطان لمحاربتهم الحسين بن حمدان في جماعه من القواد والرجال، فوردوا دمشق، وقد دخل القرامطة طبرية فلما اتصل بهم خروج القواد اليهم، عطفوا نحو السماوه، وتبعهم الحسين بن حمدان وهم ينتقلون من ماء الى ماء ويعورون ما وراءهم من المياه.

فانقطع الحسين عن اتباعهم لما عدم الماء، وعاد الى الرحبه، وقصدت القرامطة الى هيت، فصبحوها ولم يصلوا الى المدينه لحصانه سورها لسبع بقين من شعبان، مع طلوع الشمس، فنهبوا ربضها، وقتلوا من قدروا عليه من أهلها، واحرقوا المنازل وانهبت السفن التي في الفرات، وقتل من اهل البلد نحو مائتي نفس، وأوقروا ثلاثة آلاف بعير بالأمته والخنطة ثم رحلوا الى البادية. ثم شخص باثرهم محمد بن كنداج اليهم، فلما كان بقربه منهم، هربوا منه وعوروا المياه بينهم وبينه، فانفذت اليه الإبل والروايا والزاد، وكتب الى الحسين بن حمدان بالنفوذ اليهم من جهة الرحبه، والاجتماع مع محمد بن كنداج على الإيقاع بهم. فلما احسن الكليبيون الذين كانوا مع عبد الله بن سعيد القرمطى المتسمى بنصر، وثبوا عليه، وقتلوه، وتقربوا برأسه الى محمد بن كنداج، واقتتل القرامطة حتى وقعت بينهما الدماء. ثم انفذ زكرويه داعيه له يسمى القاسم بن احمد، الى اكره السواد، فاستهواهم

ووعدهم بان ظهوره قد حضر، وانه قد بايع له بالكوفه نحو اربعين الف رجل وفي سوادها أربعمئة الف رجل، وان يوم موعدهم الذي ذكره الله يوم الزينة وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى وامرهم بالمسير الى الكوفه ليفتتحوها في غداه يوم النحر، وهو يوم الخميس فإنهم لا يمنعون منها فتوجه القاسم بن احمد باهل السواد ومن يجتمع اليه من الصعاليك، حتى وافوا باب الكوفه في ثمانائه فارس، عليهم الدروع والجواشن والإله الحسنه، ومعهم جماعه من الرجال على الرواحل، وقد انصرف الناس عن مصلاهم، فوقعوا بمن لحقوه من العوام، وقتلوا منهم زهاء عشرين نفسا.

وخرج اليهم إسحاق بن عمران عامل الكوفه ومن كان معه من الجند فصافوا القرامطة الحرب الى وقت العصر، وكان شعار القرامطة: يا احمد يا محمد، وهم يدعون: يا لثارات الحسين! يعنون المصلوب بجسر بغداد، وأظهروا الاعلام البيض، وضربوا على القاسم بن احمد قبة، وقالوا: هذا ابن رسول الله، فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزمت القرامطة نحو القادسية، واصلح اهل الكوفه سورهم وخذقهم، وحرسوا مدينتهم وكتب إسحاق بن عمران الى السلطان يستمده، فندب اليه جماعه فيهم طاهر بن علي بن وزير ووصيف بن صوارتكين والفضل بن موسى بن بغا وبشر الخادم وجنى الصفواني ورائق الخزري، وضم اليهم جماعه من غلمان الحجر، وامر القاسم بن سيما ومن ضم اليه من رؤساء البوادي بديار ربيع وطريق الفرات وغيرهم بالنهوض الى القرامطة، إذ كان اصحاب السلطان متفرقين في نواحي الشام ومصر، فنفذت الكتب بذلك اليهم.

وفي يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب، قرئ على المنبر ببغداد كتاب بان اهل صنعاء وسائر اهل اليمن اجتمعوا على الخارجي وحاربوه وفلوا جموعه، فأنحاز الى بعض النواحي باليمن، نخلع السلطان على مظفر بن حاج، وعقد له على اليمن وخرج إليها لخمس خلون من ذي القعدة، فأقام بها حتى مات ولتسع بقين من رجب اخرجت مضارب المكتفي الى باب الشماسيه، فضربت هنالك ليخرج الى الشام، ويحاصر ابن الخليجي، فورد كتاب من قبل فاتك القائد واصحابه، يذكرون

محاربتهم له وظفرهم به، وانهم موجهون له الى مدينه السلام، فردت مضارب المكتفي، وصرفت خزائنه، وقد كانت جاوزت تكريت، ثم ادخل مدينه السلام للنصف من شهر رمضان ابن الخليجي واحد وعشرون رجلا معه على جمال، وعليهم برانس ودراريع حرير، فحبسوا ثم خلع المكتفي على وزيره العباس بن الحسن خلعا لحسن تدييره في امر هذا الفتح ثم لخمس خلون من شوال، ادخل بغداد راس القرمطى المتسمى بنصر الذي انتهب مدينه هيت منصوبا في قناه ولسبع خلون من شوال ورد الخبر مدينه السلام، بان الروم

أغاروا على قورس وقتلوا مقاتلتهم، ودخلوا المدينة، واخربوا مسجدتها، وسبوا من بقي فيها، وقتلوا رؤساء بني تميم المنضويين إليها وج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

١٢٠٤ سنه اربع وتسعين ومائتين

ثم دخلت

سنه اربع وتسعين ومائتين

(ذكر ما دار في هذه السنه من اخبار بني العباس) ففيها دخل ابن كيغلف طرسوس غازيا في أول المحرم، وخرج معه رستم، وهي غزاه رستم الثانيه، فبلغوا حصن سلندو، وافتتحوه وقتلوا من الروم مقتله عظيمه، وأسروا وسبوا نحو من خمسة آلاف راس، وانصرفوا سالمين.

ولإحدى عشره ليله خلت من المحرم، ورد الخبر بان زكرويه القرمطي، ارتحل من نهر المثنية يريد الحاج وانه وافى موضعا بينه وبين بعض مراحلهم اربعة اميال.

وذكر محمد بن داود انهم مضوا في جهة المشرق، حتى صاروا بماء سليم، وصار ما بينهم وبين السواد مفازة، فأقام بموضعه ينتظر قافلة الحاج حتى وافته لسبع خلون من المحرم، فانذرهم اهل المنزل بارتصاد القرامطة لهم، وان بينهم وبين موضعهم اربعة اميال فارتحلوا ولم يقيموا، وكان في هذه القافلة ابن موسى وسيماء الابراهيمي فلما امعنت القافلة في السير، صار القرمطي الى الموضع الذي انتقلت عنه القافلة.

وسال اهل القيروان عنها فاخبروه انها تنقلت ولم تقم، فاتهمهم بانذار القافلة وقتل من العلافين بها جماعه، واحرق العلف ثم ارتصد أيضا زكرويه قافلة خراسان، فوقع بأهلها وجعل اصحابه يخسون الجمال بالرماح، ويبيعونها بالسيوف، فنفرت واختلطت القافلة، وأكب اصحاب زكرويه على الحاج، فقتلوهم كيف شاءوا، وسبوا النساء، واحتوا على ما في القافلة.

ثم وافى عليهم اهل القافلة الثانيه، وفيها المبارك القمي واحمد بن نصر العقيلي واحمد بن علي بن الحسين الهمداني، وقد كان رحل القرامطة عن محلتهم، وعوروا مياهها وملأوا بركةا بجيف الإبل والدواب التي كانت معهم، وانتقلوا الى منزل العقبة فوافاهم بها اهل القافلة الثانيه، ودارت بينهم حرب شديده، حتى اشرف اهل القافلة على الظفر بالقرامطة، وكشفوهم ثم ان الفجره تمكنوا في ساقهم من غره، فركبوا ووضعوا

رماحهم في جنوب ابلهم وبطونها، فطرحتهم الإبل وتمكنوا منهم، فقتلوهم عن آخرهم الا من استفدوه، وسبوا النساء واكتسحوا الأموال والأمتعة، وقتل المبارك القمي والمظفر ابنه، وقتل ابو العشائر، ثم قطعت يداه ورجلاه ثم ضربت عنقه، وافلت من الجرحى قوم وقعوا بين القتلى، فتحاملوا في الليل ومضوا فنهزم من مات في الطريق، ومنهم من نجا، وهم قليل وكان نساء القرامطة وصبيانهم يطرفون بين القتلى ويعرضون عليهم الماء، فمن كان فيه رمق، او طلب الماء اجهزوا عليه وقيل انه كان في القافلة من الحاج نحو عشرين الف رجل فقتل جميعهم غير نفر يسير وذكر ان الذي أخذوا من المال والأمتعة في هذه القافلة قيمه الف الف دينار، وورد الخبر على السلطان بمدينة السلام، عشيه يوم الجمعة لاربع عشر ليله بقيت من المحرم بما كان من فعل القرامطة بالحاج، فعظم ذلك عليه، وعلى الناس، وندب السلطان محمد ابن داود بن الجراح الوزير للخروج الى الكوفه، والمقام بها، وانفذ الجيوش الى القرمطي، فخرج من بغداد لإحدى عشره ليله بقيت من المحرم، وحمل معه أموالا كثيره لاعطاء الجند ثم صار زكرويه الى زباله فهو لها وبث الطلائع امامه ووراءه خوفا من اصحاب السلطان وارتصادا لورود القافلة الاخرى التي كانت فيها الاثقال واموال التجار وجوهر نفيس للسلطان، وبها من القواد نفيس المولدى وصالح الأسود، ومعه الشمس والخزانة، وكان المعتضد قد جعل في الشمس جوهر نفيسا، ومعهم أيضا ابراهيم بن ابي الاشعث، قاضي مكة والمدينة، وميمون بن ابراهيم الكاتب والفرات بن احمد بن الحسن بن اسماعيل وعلي بن العباس النهيكي.

فلما صارت هذه القافلة بفيد، بلغهم خبر القرامطة فأقاموا أياما ينتظرون القوه من قبل السلطان، واقبل القرامطة الى موضع يعرف بالخليج، فلقوا القافلة، وحاربوا أهلها ثلاثة ايام ثم عطش اهل القافلة وكانوا على غير ماء، فلم يتمكنوا منها، فاستسلموا، فوضع القرامطة فيهم السيف، ولم يفلت منهم الا اليسير، وأخذ القرامطة جميع ما في القافلة، وسبوا النساء، واكتسحوا الأموال ثم توجه زكرويه بمن

معه الى فيد، وبها عامل السلطان فتحصن منه، وجعل زكرويه يرأسل اهل فيد بان يسلموا اليه عاملهم فلم يجيبوه الى ذلك ثم تنقل الى النجاج ثم الى حفير ابى موسى الأشعري

وفي أول شهر ربيع الاول انهض المكتفي وصيف بن سوارتكين ومعه جماعه من القواد الى القرامطة فنفذوا من القادسية على طريق خفان، والتقى وصيف بالقرامطة، يوم السبت لثمان بقين من ربيع الاول، فاقتتلوا يومهم ذلك، حتى حجز بينهم المساء، ثم عاودهم الحرب في اليوم الثاني، فظفر جيش السلطان بالقرامطة، وقتلوا منهم مقتله عظيمه، وخلصوا الى زكرويه، فضربه بعض الجند ضربه بالسيف، اتصلت بدماعه، وأخذ أسيرا، وأخذ معه ابنه وزوجته وكاتبه وجماعه من خاصته وقرباته واحتوى الجند على جميع ما في عسكره، وعاش زكرويه خمسة ايام ثم مات فشق بطنه، وحمل كذلك وانطلق من كان بقي في يديه من اسرى الحاج وفيها غزا ابن كيغلع من طرسوس، فأصاب من العدو اربعة آلاف راس سبي، ودواب ومواشي كثيرة ومتاعا، واسلم على يده بطريق من البطارقة. وفيها كتب أندرونقس البطريق، وكان على حرب اهل الثغور من قبل صاحب الروم الى السلطان يطلب الامان، فأجيب الى ذلك، وخرج بنحو مائتي نفس من المسلمين كانوا عنده اسرى، واخرج ماله ومتاعه الى طرسوس وفي جمادى الآخرة ظفر الحسين بن حمدان بجماعه من اصحاب زكرويه كانوا هربوا من الوقعه، فقتل اكثرهم واسر نساءهم وصبيانهم.

وفيها وافى رسل ملك الروم باب الشماسيه بكتاب الى المكتفي يسأله الفداء بمن معهم من المسلمين لمن في أيدي الاسلام من الروم، فدخلوا بغداد ومعهم هديه كبيره وعشره من أسارى المسلمين.

وفيها أخذ قوم من اصحاب زكرويه أيضا ووجهوا الى باب السلطان.

وفيها كانت وقعه بين الحسين بن حمدان واعراب كلب والنمر واسد وغيرهم كانوا خرجوا عليه فهزموه حتى بلغوا به باب حلب.

وفيها هزم وصيف بن سوارتكين الاعراب بفيد ثم رحل سالما بمن معه من الحاج.

وجج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك.

١٢٠٥ سنه خمس وتسعين ومائتين

١٢٠٥١ أخبار متفرقة

ثم دخلت

سنه خمس وتسعين ومائتين

(ذكر ما دار في هذه السنه من اخبار بنى العباس)

[أخبار متفرقة]

فمن ذلك ما كان من خروج عبد الله بن ابراهيم المسعى عن مدينه أصبهان الى قريه من قراها على فراخ منها، وانضمام نحو من عشره آلاف كردى اليه، مظهرها الخلف على السلطان، فامر المكتفي بدرا الحماني بالشخص اليه، وضم اليه جماعه من القواد في نحو من خمسه آلاف من الجند.

وفيها كانت وقعه للحرب بن موسى على اعراب طيء، فواقعهم على غره منهم، فقتل من رجالهم سبعين، واسر من فرسانهم جماعه وفيها توفي اسماعيل بن احمد في صفر، لاربع عشره ليله خلت منه، وقام ابنه احمد ابن اسماعيل في عمل ابيه مقامه وذكر ان المكتفي قعد له وعقد بيده لواءه، ودفعه الى طاهر بن على، وخلع عليه، وامره بالخروج اليه باللواء.

وفيها وجه منصور بن عبد الله بن منصور الكاتب الى عبد الله بن ابراهيم المسمعي وكتب اليه يخوفه عاقبه الخلف، فتوجه اليه فلما صار اليه ناظره، فرجع الى طاعه السلطان، وشخص في نفر من غلمانه، واستخلف بأصبهان خليفه له ومعه منصور بن عبد الله حتى صار الى باب السلطان، فرضى عنه المكتفي ووصله وخلع عليه وعلى ابنه.

وفيها اوقع الحرب بن موسى بالكردى المتغلب على تلك الناحية، فتعلق بالجبال فلم يدرك.

وفيها فتح المظفر بن حاج ما كان تغلب عليه بعض الخوارج باليمن، وأخذ رئيسا من رؤسائهم يعرف بالحكيمى.

وفيه ثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة امر خاقان المفلح بالخروج الى اذربيجان لحرب يوسف بن ابي الساج، وضم اليه نحو اربعة آلاف رجل من الجند. وثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان دخل بغداد رسول ابي مضر بن الاغلب، ومعه فتح الانجلى وهدايا وجه بها معه الى المكتفي

١٢٠٥٠٢ ذكر عله المكتفي بالله وما كان من امره الى وقت وفاته

وفيه كان الفداء بين المسلمين والروم في ذي القعدة ففدى ممن كان عندهم من الرجال ثلاثة آلاف نفس. ذكر عله المكتفي بالله وما كان من امره الى وقت وفاته

وكان المكتفي على بن احمد يشكو عله في جوفه، وفسادا في احشائه، فاشتدت العله به في شعبان من هذا العام، واخذته ضرب شديد افطر عليه، وأزال عقله، حتى أخذ صافي الحرمي خاتمه من يده، وانفذه الى وزيره العباس بن الحسن وهو لا يعقل شيئا من ذلك، وكان العباس يكره ان يلى الأمر عبد الله بن المعتز، ويخافه خوفا شديدا، فعمل في تصيير الخلفه الى ابي عبد الله محمد بن المعتمد على الله، فاحضره داره ليلا، واحضر القاضي محمد بن يوسف وحده، وكلمه بحضرته، وقال له:

ما لي عندك ان سقت هذا الأمر إليك؟ فقال له محمد بن المعتمد: لك عندي ما تستحقه من الجزاء والايتار وقرب المنزله، فقال له العباس: اريد ان تحلف لي الاتخليني من احدى حالتين، اما ان تريد خدمتي فانصح لك وابلغ جهدي في طاعتك وجمع المال لك، كما فعلته بغيرك، واما ان تؤثر غيري فتوقرنى وتحفظني، ولا تبسط على يدا في نفسي ومالي، ولا على احد بسبي، فقال له محمد بن المعتمد- وكان حسن العقل، جميل المذهب: لو لم تسق هذا الى ما كان لي معدل عنك في كفايتك وحسن اثرك فكيف إذا كنت السبب له، والسبيل اليه! فقال له العباس:

اريد ان تحلف لي على ذلك فقال: ان لم اوف لك بغير يمين لم اوف لك بيمين، فقال القاضي محمد بن يوسف للعباس: ارض منه بهذا، فانه اصلح من اليمين.

قال العباس: قد قنعت ورضيت ثم قال له العباس: مد يدك حتى ابايعك.

فقال له محمد: وما فعل المكتفي؟ قال: هو في آخر امره، واطنه، قد تلف فقال محمد: ما كان الله ليراني أمد يدي لبيعه وروح المكتفي في جسده، ولكن ان مات فعلت ذلك فقال محمد بن يوسف: الصواب ما قال، وانصرفوا على هذه الحال

١٢٠٥٠٣ ذكر وفاه المكتفي

ثم ان المكتفي افاق وعقل امره، فقال له صافي الحرمي: لو رأى امير المؤمنين ان يوجه الى عبد الله بن المعتز ومحمد بن المعتمد، فيوكل بهما في داره ويحبسهما فيها، فان الناس ذكروهما لهذا الأمر، وارجفوا بهما، فقال له المكتفي: هل بلغك ان أحدهما احدث بيعه علينا؟ فقال له صافي: لا، قال له: فما ارى لهما في ارجاف الناس ذنبا فلا تعرض لهما، ووقع الكلام بنفسه، وخاف ان يزول الأمر عن ولد ابيه، فكان إذا عرض له بشيء من هذا الأمر استجر فيه الحديث وتابع المعنى واهتبل به جدا.

وعرض لمحمد بن المعتمد في شهر رمضان فالج في مجلس العباس بن الحسن الوزير من غيظ اصابه في مناظره كانت بينه وبين ابن عمرويه صاحب الشرطه، فامر العباس ان يحمل في قبة من قبابه على افره بغاله، فحمل الى منزله في تلك الصورة، وانصرفت نفسه الى تأميل غيره.

ثم اشتدت العله بالمكتفي في أول ذي القعدة، فسأل عن أخيه ابي الفضل جعفر فصيح عنده انه بالغ، فاحضر القضاء واشهدهم بانه قد جعل العهد اليه من بعده.

ذكر وفاه المكتفي

ومات المكتفي بالله على بن احمد ليلة الأحد ثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنه خمس وتسعين ومائتين، ودفن يوم الاثنين في دار محمد بن عبد الله بن طاهر.

وكانت خلافته ست سنين وتسعة عشر يوما، وكان يوم توفي ابن اثنتين وثلاثين سنة.
 وكان ولد سنة اربع وستين ومائتين وكنيته ابو محمد، وأمّه أم ولد تركية، وكان جميلا رقيق اللون حسن الشعر، وافر الحية.
 وولد أبا القاسم عبد الله المستكفي، ومحمدا أبا احمد، والعباس، وعبد الملك، وعيسى، وعبد الصمد، والفضل، وجعفر، وموسى، وأم محمد، وأم الفضل، وأم سلمه، وأم العباس، وأم العزيز، وأسماء، وساره وأمّه الواحد.
 قال: وكان جعفر بن المعتضد بدار ابن طاهر التي هي مستقر اولاد الخلفاء فتوجه فيه صافي الحرمي لساعتين بقيتا من ليله الأحد واحضره القصر وقد كان العباس

١٢٠٥٤ ذكر خلافة المقتدر

ابن الحسن فاروق صافيا على ان يجيء بالمقتدر الى داره التي كان يسكنها على دجلة، لينحدر به معه الى القصر، فخرج به صافي عن دار العباس إذ خاف حيله تستعمل عليه، وعد ذلك من حزم صافي وعقله.
 ذكر خلافة المقتدر

وفيها بويج جعفر بن احمد المقتدر يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة واحد وعشرين يوما، وكان مولده يوم الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان من سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وكنيته ابو الفضل وأمّه أم ولد يقال لها شغب وكانت البيعه للمقتدر في القصر المعروف بالحسني، فلما دخله ورأى السرير منصوبا امر بحصير صلاه فبسط له، وصلى اربع ركعات وما زال يرفع صوته بالاستخارة ثم جلس على السرير، وباعه الناس ودارت البيعه على يدي صافي الحرمي وفاتك المعتضدي، وحضر العباس بن الحسن الوزير وابنه احمد حتى تمت البيعه ثم غسل المكتفي، ودفن في موضع من دار محمد بن عبد الله بن طاهر.

وذكر الطبري انه كان في بيت المال يوم بويج المقتدر خمسة عشر الف دينار، وذكر ذلك الصولي، وحكى انه كان في بيت مال العامه ستمائة الف دينار، وخلع المقتدر يوم الاثنين الثاني من بيعته على الوزير ابى احمد العباس بن الحسن خلعا مشهوره الحسن، وقلده كتابته وامر بتكنيته، وان تجرى الأمور مجراها على يده.

وقلد ابنه احمد بن العباس العرض عليه، وكتبه السيده أمّه وكتبه هارون ومحمد اخويه، وكتب العباس الى الكور والاطراف بالبيعه كتابا على نسخه واحده واعطى الجند مال البيعه، للفرسان ثلاثة اشهر، وللرجال ستة اشهر، وامر اصحاب الدواوين على ما كانوا عليه، وخلع المقتدر على سوسن مولى المكتفي الذي كان حاجبه، واقره على حجابته، وخلع على فاتك المعتضدي، ومؤنس الخازن ويمن غلام المكتفي، وابن عمرويه، صاحب الشرطة ببغداد، وعلى احمد بن كيغغ، وكان قد قدم

مبايعه المقتدر يقوم حاولوا فتق سجن دمشق، واقامه فتنه بها، فحملوا على جمال، وطوفوا، وخلع على كثير من الخدم، فن كان اليه منهم عمل جعلت الخلع عليه لإقراره على عمله، ومن لم يكن اليه عمل كانت الخلع تشريفا له، ورد المقتدر رسوم الخلافة الى ما كانت عليه من التوسع في الطعام والشراب، واجراء الوظائف، وفرق في بنى هاشم خمسة عشر الف دينار وزادهم في الأرزاق، واعاد الرسوم، في تفريق الاضاحى على القواد والعمال واصحاب الدواوين والقضاء والجلساء، ففرق عليهم يوم الترويه ويوم عرفه من البقر والغنم ثلاثون الف راس، ومن الإبل الف راس، وامر باطلاق من كان في السجون ممن لا خصم له ولا حق لله عز وجل عليه، وبعد ان امتحن محمد بن يوسف القاضي أمورهم.

ورفع اليه ان الحوائث والمستغلات التي بناها المكتفي في رحبه باب الطاق اضرت بالضعفاء، إذ كانوا يقعدون فيها لتجاراتهم بلا اجره لأنها افنيه واسعه، فسال عن غلتها فقليل: له تغل الف دينار في كل شهر، فقال: وما مقدار هذا في صلاح المسلمين واستجلاب حسن دعائهم! فامر بهدمها وإعادةها الى ما كانت عليه.

ولم يل الخلافة من بنى العباس اصغر سنا من المقتدر، فاستقل بالأمور، ونهض بها، واستصلح الى الخاصة والعامه وتحبب إليها، ولولا التحكم عليه في كثير من الأمور لكان الناس معه في عيش رغد، ولكن أمّه وغيرها من حاشيته كانوا يفسدون كثيرا من امره.
 وفي هذه السنة، كانت وقعه عج بن حاج مع الجند بمنى في اليوم الثاني من ايام منى، وقتل بينهم جماعه، وهرب الناس الذين كانوا بمنى الى بستان ابن عامر، وانتهب الجند مضرب ابى عدنان، وأصاب المنصرفين من الحاج في منصرفهم ببعض الطريق عطش، حتى مات

منهم جماعه قال الطبرى: سمعت بعض من يحكى ان الرجل كان يبول في كفه ثم يشربه.
وجج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك.

١٢٠٦ سنه ست وتسعين ومائتين

١٢٠٦٠١ أخبار متفرقة

ثم دخلت

سنه ست وتسعين ومائتين

(ذكر ما دار في هذه السنه من اخبار بنى العباس)

[أخبار متفرقة]

فمن ذلك ما كان من اجتماع جماعه من القواد والكتاب والقضاه على خلع جعفر المقتدر، وكانوا قد تناظروا وتأملوا عند موت المكتفي على من يقدمونه للخلافة، واجمع رأيهم على عبد الله بن المعتز، فاحضروه وناظروه في تقلدها، فأجابهم الى تولى الأمر، على الا يكون في ذلك سفك دماء ولا حرب، فاخبروه ان الأمر يسلم اليه عفوا، وان من وراءهم من الجند والقواد والكتاب قد رضوا به، فبايعهم على ذلك سرا، وكان الراس في هذا الأمر العباس بن الحسن الوزير، ومحمد بن داود ابن الجراح، وابو المثنى احمد بن يعقوب القاضي وغيرهم، فخالفهم على ذلك العباس، ونقض ما كان عقده معهم في امر ابن المعتز، وأحب ان يختبر امر المقتدر، وان كان فيه محمل للقيام بالخلافة مع حداثة سنه، وكيف يكون حاله معه، وعلم ان تحكمه عليه سيكون فوق تحكمه على غيره، فصدهم عن ابن المعتز، وانفذ عقد البيعه للمقتدر على ما تقدم ذكره.

ثم ان المقتدر اجرى الأمور مجراها في حياه المكتفي، وقلد العباس جميعها، وزاده في المنزله والخطوة وصير اليه الأمر والنهى، فتغير العباس على القواد، واستخف بهم واشتد كبره على الناس واحتجابه عنهم واستخفافه بكل صنف منهم، وكان قبل ذلك صافى النيه لعامه القواد والخدم منصفاهم في اذنه لهم ولقائه ثم تجبر عليهم، وكانوا يمشون بين يديه فلا يأمرهم بالركوب، وترك الوقوف على المتظلمين، والسماع منهم، فاستثقله الخاصة والعامة، وكثر الطعن عليه، والانكار لفعله والهجاء له، فقال بعض شعراء بغداد فيه:

يا أبا احمد لا تحسن بأيامك ظنا ... واحذر الدهر فكم اهلك املاكا وافنى

كم رأينا من وزير صار في الأحداث رهنا

١٢٠٦٠٢ ذكر البيعه لابن المعتز

اين من كنت تراهم درجوا قرنا فقرنا ... فتجنب مركب الكبر وقل للناس حسنا

ربما امسى بعزل من باصباح يهنأ ... وقبيح بمطاع الأمر الا يتأنى

اترك الناس وأيامك فيهم تمتنى

وكان مما يشنع به الحسين بن حمدان على العباس، انه شرب يوما عنده، فلما سكر الحسين، استخرج العباس خاتمه من اصبعه، وانفذه الى جاريته مع فتى له، وقال لها: يقول لك مولاك: اشتهى الوزير سماع غنائك، فاحضرى الساعة ولا تناخرى، فهذا خاتمي علامه إليك قال الحسين: وقد كنت خفت منه شيئا من هذا لبلاغات بلغتني عنه، وكتب رايت له إليها بخطه، فحفظت الجارية وحذرتها، فلم تصنع الى قول الفتى ولا اجابته.

وكان الحسين يحلف مجتهدا انه سمعه يكفر ويستخف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم، وانه قال في بعض ما جرى من القول: قد كان أجيرا لخديجة، ثم جاء منه ما رايت قال: فاعتقدت قتله من ذلك الوقت، واعتقد غيره من القواد فيه مثل ذلك، واجتمعت القلوب على بغضته، فحينئذ وثب به القوم فقتلوه، وكان الذى تولى قتله بدر الأعجمي والحسين بن حمدان ووصيف بن سوارتكين وذلك يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول من العام المؤرخ.

ذكر البيعه لابن المعتز

وفي غد هذا اليوم خلع المقتدر، خلعه القواد والكتاب وقضاه بغداد، ثم وجهوا في عبد الله بن المعتز، وادخل دار ابراهيم بن احمد الماذرائي التي على دجلة والصرافة ثم حمل منها الى دار المكتفي بظهر المخرم، واحضر القضاء، وبايعوا عبد الله بن المعتز فحضرهم ولقبوه المنتصف بالله، وهو لقب اختاره لنفسه.

واستوزر محمد بن داود بن الجراح، واستحلفه على الجيش، وكان الناس يحلفون بحضرة القضاء، وكان الذي يأخذ البيعة على الناس وعلى القواد ويتولى استحلافهم والدعاء باسمائهم محمد بن سعيد الأزرق كاتب الجيش، واحضر عبد الله بن علي بن ابي الشوارب القاضي وطولب بالبيعة لابن المعتز فلجلج، وقال: ما فعل جعفر المقتدر! فدفع في صدره وقتل ابو المثنى لما توقف عن البيعة، ولم يشك الناس ان الأمر تام له إذ اجتمع اهل الدولة عليه، وكان اجل من تخلف عن سوسن الحاجب، فانه بقي بدار المقتدر مثبتا لأمره وحاميا له.

وفي هذا اليوم كانت بين الحسين بن حمدان وبين غلمان الدار التي كان بها المقتدر حرب شديدة من غدوه الى انتصاف النهار، وثبت سوسن الحاجب به وحامى عنه، واحضر الغلمان ووعدهم الزيادة، وقوى نفس صافي ونفس مؤنس الخادم ومؤنس الخازن، فكلهم حماه ودافع عنه، حتى انفضت الجموع التي كان محمد بن داود جمعها لبيعه ابن المعتز، وذلك ان مؤنسا الخادم حمل غلاما من غلمان الدار الى الشذوات، فصاعد بها في دجلة فلما جازوا الدار التي كان فيها ابن المعتز ومحمد ابن داود صاحوا بهم، ورشقوهم بالنشاب، فنفروا وهرب من كان في الدار من الجند والقواد والكتاب، وهرب ابن المعتز ومن كان معه، ولحق بعض الذين كانوا بايعوا ابن المعتز بالمقتدر، فاعتذروا اليه بأنهم منعوا من المصير نحوه، واختفى بعضهم، فأخذوا وقتلوا وانتهت العامه دور محمد بن داود والعباس بن الحسن، وأخذ ابن المعتز فقتل وقتل معه جماعة، منهم احمد بن يعقوب القاضي، ذبح ذبحا، وقالوا له: تباع للمقتدر! فقال: هو صبي ولا يجوز المبايعه له.

وقال الطبري، ولم ير الناس عجب من امر ابن المعتز والمقتدر، فان الخاصة والعامه اجتمعت على الرضا بابن المعتز وتقديمه، وخلع المقتدر لصغر سنه، فكان امر الله قدرا مقدورا، ولقد تحير الناس في امر دوله المقتدر وطول أيامها على وهي أصلها وضعف ابتنائها ثم لم ير الناس ولم يسمعو بمثل سيرته وإيامه وطول خلافته.

وقال محمد بن يحيى الصولي: وفي يوم الاثنين لتسع ليال بقين من ربيع الاول خلع المقتدر على علي بن محمد بن الفرات للوزارة، وركب الناس معه الى داره بسوق العطش، وتكلم في اطلاق جماعه ممن كان بايع ابن المعتز، فاذن له المقتدر في ذلك،

نقل سبيل طاهر بن علي ونزار بن محمد وابراهيم بن احمد الماذرائي والحسين بن عبد الله الجوهرى المعروف بابن الجصاص، ووضع العطاء للغلمان والأولياء الذين بقوا مع المقتدر صلبه ثانيه للفرسان ثلاثة اشهر وللرجال ست نواب، وولى مؤنسا الخادم شرطه جانبي بغداد وما يليها، وتقدم اليه بالنداء على محمد بن داود ويمين ومحمد الرقاص، وان يبذل لمن جاء بمحمد بن داود عشرة آلاف دينار، وخلع على عبد الله بن علي بن محمد بن ابي الشوارب لقضاء جانبي بغداد، وقلد الوزير علي بن محمد أخاه جعفر بن محمد ديوان المشرق والمغرب، واشاع انه يخلفه عليهم وقلد نزار الكوفة وطساسيجها، وعزل عنها المسمعي، ثم عزل نزارا وولى الكوفة نجحا الطولوني، وخلع على ابي الأغر خليفه بن المبارك السلمي لغزاه الصائفة وعظم امر سوسن الحاجب وتجبر وطغى، فاتهمه المقتدر ولم يأمنه، وادار الرأي في امره مع ابن الفرات، فاوصى اليه المقتدر: خذ من الرجال من شئت ومن المال والسلاح ما شئت، وتول من الاعمال ما احببت، وخل عن الدار أولها من اريد فأبى عليه، وقال:

امر أخذته بالسيف لا اتركه الا بالسيف فاحكم المقتدر الرأي مع ابن الفرات في قتله فلما دخل معه الميدان في بعض الأيام اظهر صافي الحرمي العله، وجلس في بعض طرق الميدان متعلالا فنزل سوسن ليعوده، فوثب اليه جماعه فيهم تكين الخاصة وغيره من القواد، فأخذوا سيفه، وادخلوه بيتا، فلما سمع من كان معه بذلك من غلمانه واصحابه تفرقوا، ومات سوسن بعد ايام في الحبس.

وقل المجابه نصرا الحاجب المعروف بالقشورى، وكان موصوفا بعقل وفضل.

وكان النصرارى في آخر ايام العباس بن الحسن قد علا امرهم، وغلب عليهم الكتاب منهم، فرفع في امرهم الى المقتدر، فعهد فيهم بنحو ما كان عهد به المتوكل من رفضهم واطراحهم واسقاطهم عن الخدمه، ثم لم يدم ذلك فيهم.

وفي يوم السبت لاربع بقين من ربيع الاول سقط ببغداد الثلج من غدوه الى العصر، حتى صار في السطوح والدور منه نحو من اربعة

أصابع، وذلك امر لم ير مثله ببغداد.
وفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ربيع الاول سلم محمد بن يوسف القاضي ومحمد بن عمرويه وابن الجصاص والأزرق كاتب الجيش في جماعه غيرهم الى مؤنس الخازن، فقتل بعضهم، وشفع في بعض فاطلق. وفيها وجه القاسم بن سما في جماعه من القواد والجند في طلب الحسين بن حمدان، فشخص لذلك حتى صار الى قرقيسيا والرحبه، وكتب الى ابي الهيجاء عبد الله بن حمدان بان يطلب أخاه ويتبعه، فخرج في اثره، والتقى بأخيه بين تكريت والسودقانيه، بموضع يعرف بالأعمى، فانهزم عبد الله عن أخيه الحسين ثم بعث الحسين الى السلطان يطلب الامان لنفسه فاعطى ذلك. ولسبع بقين من جمادى الآخرة خلع على ابن دليل النصراني كاتب ابن ابى الساج ورسوله، وعقد ليوسف على اذربيجان والمراغه وحملت اليه الخلع، وامر بالشخص الى عمله وللنصف من شعبان خلع على مؤنس الخادم، وامر بالشخص الى طرسوس لغزو الروم، فخرج في عسكر كثيف وجماعه من القواد وكان مؤنس قد ثقل على صافي الحرمي، وأحب الا يجاوره ببغداد، فيسعى مع الوزير ابن الفرات في ابعاده، فاغزى في الصائفه، وضم اليه ابو الأغر خليفه بن المبارك فلم يرضه مؤنس، وكتب الى المقتدر يذمه، فكتب اليه في الانصراف فانصرف، وحبس واجتمع قول الناس بلا اختلاف بينهم، انه لم يكن في زمن ابى الأغر فارس للعرب ولا للعجم اثبج منه ولا اعظم ايدا وجلدا.
وجج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك.

١٢٠٧ سنه سبع وتسعين ومائتين

ثم دخلت
سنه سبع وتسعين ومائتين
(ذكر ما دار في هذه السنه من اخبار بنى العباس) في المحرم من هذا العام، ولد للمقتدر ابن فامر ان يكتب اسمه على الاعلام والتراس والدنانير والدراهم والسمات ولم يعيش ذلك المولود.
وفيها ورد كتاب مؤنس الخادم على السلطان لست خلون من المحرم بانه ظهر على الروم في غزاته اليهم التي تقدم ذكرها في سنه ست وتسعين، وهزمهم وقتل منهم مقتله عظيمه واسر لهم اعلاجا كثيره، وقرئ كتابه بذلك على العامه ببغداد، ثم قفل مؤنس منصرفا. وفي صفر من هذه السنه اخر طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث الصفار ايراد ما كان يلزمه من المال الموظف عليه من اموال فارس، ودافع به، فكتب سبكرى، غلام عمرو بن الليث، يتضمن حمل المال وايراده، واستاذن في توجيه طاهر واخويه اسرى الى باب السلطان، فأجيب الى ذلك، فاجتمع سبكرى ومن والاه عليهم، ودارت بينهم حرب شديده، حتى استولى سبكرى على فارس وكرمان، وبعث بطاهر واخويه الى السلطان فادخلوا في عماريات مكشوفة، وخلع على رسول سبكرى.
ثم ان الليث بن علي بن الليث لما بلغه فعل سبكرى بطاهر ويعقوب ابني محمد، غضب لذلك، وسار يريد فارس، فتلقاها سبكرى، واقتتلا قتالا شديدا، فانهزم سبكرى، وقدم على السلطان يستمده، فندب مؤنس الخادم الى فارس، وضم اليه زهاء خمسه آلاف من الأولياء والغلمان، وكتب الى اصحاب معاون بأصبهان والاهواز والجبل في معاونه مؤنس على محاربه الليث بن علي، واشتخص معه الوزير ابن الفرات محمد بن جعفر العبرتاي، وولاه الخراج والضيايع بفارس، فاحتاج الجند الى أرزاقهم، فوعدهم بها محمد بن جعفر فلم يرضوا وعده، ووشوا عليه ونهبوا عسكره، واصابته ضربه، وزعم بعض اصحاب مؤنس انه أخذ له مائه الف دينار.
وفي ليلة الأربعاء لخمس خلون من شهر ربيع الآخر سنه سبع وتسعين ولد للمقتدر ابو العباس محمد الراضي بالله بدير حنيناء قبل طلوع الفجر.
وفي ذي الحجه من هذا العام كانت بين مؤنس الخادم وبين الليث بن علي حرب بناحيه النوبندجان، فهزم الليث واصحابه، واسر مؤنس الليث وأخاه اسماعيل وعلى بن حسين بن درهم والفضل بن عنبر، وصاروا في قبضته، فحملهم بين يديه الى بغداد، وادخل الليث على فيل، ومن كان معه على جمال مشهورين، قد البسوا البرانس ثم حبسوا.
وفيها وجه المقتدر القاسم بن سيما غازيا في الصائفه الى الروم في جمع كثيف من الجند في شوال فغنم وسي.

وفيهما ولي ورقاء بن محمد الشيباني امر السواد بطريق مكة فرجع المؤمن عن الناس، وحسم عنها ضر الاعراب وما كانوا يفعلونه في الطريق من السلب والقتل، وحسن اثر ورقاء هنالك، ولم يزل مقيما بتلك الناحية الى ان رجع الحاج مسلمين شاكرين لفعله فيهم. ولجمادى الاولى من هذا العام ورد الخبر بان اركان البيت الأربعة غرقت في سيول كانت بمكة وغرق الطواف وفاضت بئر زمزم، وانه كان سيلا لم ير مثله في قديم الأيام وحديثها.

وفي شوال منها توفي محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر المعروف بالصناديقي، ودفن في مقابر قریش، وصلى عليه القاضي احمد بن إسحاق بن البهلول. وفي شهر رمضان منها توفي يوسف بن يعقوب القاضي ومحمد بن داود الاصبهاني الفقيه. وورد الخبر بوفاه عيسى النوشري عامل مصر، فولى السلطان مكانه تكين الخاصة، وتوجه من بغداد الى مصر. وفي شوال من هذه السنة توفي جعفر بن محمد بن الفرات أخو الوزير، وكان يلي ديوان المشرق والمغرب، فولى الوزير ابنه المحسن ديوان المغرب وولى ابنه الفضل ديوان المشرق. وفي هذا العام توفي القاسم بن زررور المغني، وكان من الخذاق المجيدين، واسن حتى قارب تسعين سنة. وجج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

١٢٠٨ سنة ثمان وتسعين ومائتين

ثم دخلت

سنة ثمان وتسعين ومائتين

(ذكر ما دار في هذه السنة من اخبار بني العباس) فيها قدم القاسم بن سيما من غزاه الصائفة الى الروم، ومعه خلق كثير من الأسرى، وخمسون علجا قد حملوا على الجمال مشهورين، بأيدي جماعه منهم اعلام الروم، عليها صلبان الذهب والفضة، وذلك يوم الخميس لاربع عشر ليلة بقيت من شهر ربيع الاول.

وفيهما خالف سبكرى والتوى بما عليه، فندب لمحاربتة وصيف كاهه غلام الموفق، وشخص معه وجوه القواد، وفيهم الحسين بن حمدان وبدر غلام النوشري وبدر الكبير المعروف بالحمامي، فواقوا سبكرى في باب شيراز وهزموه، وأسروا القتال صاحبه وهرب بعض قواده عنه وفتح عسكره بماله واثقاله الى ناحيه كرمان، وورد الخبر بان سبكرى اسر، وكان الذي اسره سيمجور غلام احمد بن اسماعيل، ثم قدم وصيف كاهه بالقتال صاحب سبكرى، فادخل على فيل وعليه برنس طويل، وبين يديه ثلاثة عشر أسيرا على الجمال، وعليهم دراريع وبرانس من ديباج، نفلع على وصيف وسور وطوق بطوق ذهب منظوم بجوهر، ثم دخل سبكرى وحضر دخوله الوزير ابن الفرات وسائر القواد يوم الاثنين لإحدى عشر ليلة بقيت من شوال، وكان قد حمل على فيل وشهر ببرنس طويل، وبين يديه الكرك ومن يضرب بالصنوج، وخلفه الليث بن علي على فيل آخر، نفلع على ابن الفرات وحمل وكان يوما مشهودا.

وحدث محمد بن يحيى الصولي انه شهد هذا اليوم قال: فتذكرت فيه حديثا كان حدثاه صافي الحرمي يوم بويج فيه المقتدر بالله، قال صافي: رايت الخليفة المقتدر بالله وهو صبي في حجر المعتضد، والمعتضد ينظر في دقتر كان كثيرا ما ينظر فيه، وهو يضرب على كتف المقتدر، ويقول له: كأني بملوك فارس قد ادخلوا إليك على الفيلة والجمال، عليهم البرانس، وكان صافي يوم يبيعه المقتدر يحدث بهذا، ويدعو الى الله ان يحقق هذا القول

وفيهما وردت على المقتدر هدايا من خراسان أنفذها اليه احمد بن اسماعيل بن احمد، فيها غلمان على دوابهم وخيولهم وثياب ومسك كثير وزهه وسمور وطرائف، لم يعهد بمثلها فيما اهدى من قبل.

وفيهما جلس ابن الفرات الوزير لكاتب العطاء، فحاسبهم واشرف لهم على خيانة نحو مائه الف دينار، فوري عن الأمر قليلا إذ كان كتابه منهم، واستخرج ما وجد من المال في رفق وستر.

وفي جمادى الآخرة من هذا العام فليج عبد الله بن علي بن ابى الشوارب القاضي، فامر المقتدر ابنه محمد بن عبد الله بتولى امور الناس خليفه لأبيه، حتى يظهر حاله وما يكون من علته فنظر كما كان ينظر أبوه، وانفذ الأمور مثل تنفيذ

١٢٠٩ سنة تسع وتسعين ومائتين

١٢٠٩٠١ أخبار متفرقة

١٢٠٩٠٢ ذكر القبض على ابن الفرات

ثم دخلت

سنة تسع وتسعين ومائتين

(ذكر ما دار في هذه السنة من اخبار بني العباس)

[أخبار متفرقة]

فمن ذلك غزوه رستم الصائفة من ناحيه طرسوس، وهو والى الثغور، فحاصر حصن مليح الأرميني، ثم دخل عليه واحرق ارباض ذي الكلاع.

وفيه ورد رسول احمد بن اسماعيل بكتاب منه الى السلطان بانه فتح سجستان، وان اصحابه دخلوها واخرجوا من كان فيها من اصحاب الصفار، وان المعدل بن علي ابن الليث صار اليه بمن معه من اصحابه في الامان، وكان المعدل يومئذ مقيما معهم بزرنج، وصار الى احمد بن اسماعيل وهو مقيم ببست والرنج، فوجه به احمد وبعياله ومن معه الى هراة، ووردت الخريطة بذلك على السلطان يوم الاثنين لعشر خلون من صفر.

وفيه وافى بغداد العطر صاحب زكرويه ومعه الأغر، وهو احد قواد زكرويه مستأمننا . ذكر القبض على ابن الفرات

وفي ذي الحجة غضب المقتدر على وزيره علي بن محمد بن الفرات لاربع خلون منه، وحبس ووكل بدوره، وأخذ كل ما وجد له ولأهله، وانتهت دوره اقيح نهب، وجفر الشرط بنسائه ونساء اهله، وكان ادعى عليه انه كتب الى الاعراب بان يكبسوا بغداد في خبر طويل. واستوزر محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان فكانت وزارة ابن الفرات ثلاث سنين وثمانية اشهر واثنى عشر يوما، وطولب ابن الفرات بأمواله وذخائره، فاجتمع منها مع ودائع كانت له سبعة آلاف الف دينار- فيما حكى عن الصولي- وكان مشاهدا ومشرفا على اخبارهم قال: وما سمعنا بوزير جلس في الوزارة وهو يملك من العين والورق والضياع والأثاث ما يحيط بعشره آلاف الف غير ابن الفرات.

قال: وكانت له ايام جليله وفضائل كثيره قد ذكرتها في كتاب الوزراء قال ولم ير وزير اودع وجوه الناس من الأموال ما اودع ابن الفرات من قبل ولايته الوزارة، وكانت غلته تبلغ الف الف دينار ولم يمكسك الناس ببغداد عن انتقاص ابن الفرات وهجوه مع حسن آثاره، واحضر محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان دار المقتدر في الوقت الذي ضم فيه علي بن الفرات، فقلد الوزارة، وانصرف الى منزله بباب الشماسيه في طيار، وركب يوم الخميس بعده، نفلع عليه وحمل وقلد سيفا.

وقيل ان السبب في ولايته كان بعناية أم ولد المعتضد بامرته علي ان ضمن لها مائة الف دينار، وقوى امره عندها رياء كان يظهره وكان الخدم من الدار يأتونه بالكتب، فلا يكلم الواحد منهم الا بعد مائه ركعة يصليها، فكانوا ينصرفون بوصفه وما رأوا منه، وخلع على ابنه عبد الله بن محمد لخلافه ابيه، واستبدل بالعمال، وعزل كل من كان خطوطه الى علي بن الفرات وآله.

وفي هذه السنة مات وصيف موثجير يوم الخميس لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان.

وفيه مات الخرقى المحدث.

وجج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك.

١٢٠١٠ سنة ثلاثمائة

ثم دخلت

سنة ثلاثمائة

(ذكر ما دار في هذه السنة من اخبار بني العباس) فيها امر جعفر المقتدر برفع مطالبه المواريث عن الناس، وان يورث ذوو الارحام، ولا يعرض لأحد في ميراث الا لمن صح انه غير وارث وكان الناس من قبل ذلك في بلاء وتعلل متصل من المستخرجين والعاملين.

وفيها اخرج محمد بن إسحاق بن كنداجيق بعض اصحابه لمحاربه قوم من القرامطة جاءوا الى سوق البصرة، فعاثوا بها، وبسطوا ايديهم وأسيافهم على الناس فيها، فلما واقفهم اصحاب ابن كنداجيق، صدمهم القرامطة صدمه شديده حتى هزموهم، وقتل من اصحاب ابن كنداجيق جماعه، وكان محمد بن إسحاق قد خرج كالممد لهم، فلما بلغه امرهم وشده شوكتهم انصرف مبادرا الى المدينة، فانفض السلطان محمد بن عبد الله الفارقي في رجل كثير معونه لابن كنداجيق ومددا له فأقاما بالبصرة ولم يتعرضا لمحاربه.

وفي شعبان من هذه السنه قبض على ابراهيم بن احمد الماذرائي، وعلى ابن أخيه محمد بن علي بن احمد، فطالبهم ابو الهيثم بن ثوبه بخسمائة الف، فحملوا منها خمسين ألفا الى بيت المال، وصانعوا الوزير ابن خاقان وابنه وابن ثوبه بمال كثير، وصادر ابن ثوبه جماعه على مائه الف دينار، فحمل منها ابن الجصاص عشرين ألفا، وفرضت البقية على جماعه، منهم ابن ابى الشوارب القاضي وغيره.

وظهر في هذا العام ضعف امر محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الوزير، وتغلب ابنه عبد الله عليه وتحكمه في الأمور دونه، وكثر التخليط من محمد في رايه وجميع امره، فكان يولى العمل الواحد جماعه في اسبوع من الأيام، وتقدم بالمصانع حتى قلد عماله بادوريا في احد عشر شهرا احد عشر عاملا، وكان يدخل الرجل الذى قد عرفه دهرا طويلا فيسلم عليه فلا يعرفه، حتى يقول له: انا فلان ابن فلان، ثم يلقاه بعد ساعه فلا يعرفه.

وفيها ورد الخبر بانخساف جبل بالدينور، يعرف بالتل وخروج ماء كثير من تحته غرقت فيه عده من القرى، وورد الخبر أيضا بانخساف قطعه عظيمه من جبل لبنان وسقوطها الى البحر، وكان ذلك حدثا لم ير مثله.

وفيها ورد كتاب صاحب البريد بالدينور، يذكر ان بغله هناك وضعت فلوله ونسخه كتابه:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الموقظ بعبره قلوب الغافلين، والمرشد بآياته الباب العارفين، الخالق ما يشاء بلا مثال، ذلك الله البارئ المصور في الارحام ما يشاء وان الموكل بخبر التطواف بقرماسين رفع يذكر ان بغله لرجل يعرف بابى برده من اصحاب احمد بن علي المري وضعت فلوله، ويصف اجتماع الناس لذلك، وتعجبهم لما عاينوا منه، فوجهت من أحضرتني البغله والفلوله فوجدت البغله كمتاء خلوقيه والفلوله سويه الخلق تامه الأعضاء منسدله الذنب سبحان الملك القدوس لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب.

وكان المقتدر لما راي عجز محمد بن عبيد الله الوزير وتبلده قد انفذ احمد بن العباس أخا أم موسى الهاشمية الى الاهواز، ليقدم باحمد بن يحيى المعروف بابن ابى البغل ليوليه الوزارة، فخرج اليه، واقبل به حتى صار بواسط، فلما قرب من دار السلطان سلم احمد بن العباس على احمد بن محمد بالوزارة، وحمل اليه ثلاثة آلاف دينار، فاتصل الخبر بمحمد بن عبيد الله الوزير من قبل حاشيته وعيونه، فركب الى الدار، وصانع جماعه من الخدم والحرم، وضمن لام ولد المعتضد التي كانت عنيت بولايته في أول امره خمسين الف دينار، فنقضت امر ابن ابى البغل، ورد واليا على فارس.

وفي شوال من هذا العام توفى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وكان اكثر الناس أدبا وجلاله وفهما ومروءة، وهو ابن احدى وثمانين سنه، وصلى عليه احمد بن عبد الصمد الهاشمي، ودفن في مقابر قریش وفيها مات ابو الفضل عبد الواحد بن الفضل بن عبد الوارث يوم السبت لسبع بقين من ذي الحجه.

واقام الحج للناس في هذه السنه الفضل بن عبد الملك بن عبد الله الهاشمي.

١٢٠١١ سنه احدى وثلاثمائة

ثم دخلت

سنه احدى وثلاثمائة

(ذكر ما دار في هذه السنه من اخبار بنى العباس) ففيها وافى بغداد على بن عيسى بن داود بن الجراح مقدمه من مكة، وذلك يوم الاثنين لعشر خلون من المحرم، فضى به من فوره الى دار المقتدر، فقلد الوزارة وخلع عليه لولايتها، وقلد سيفا، وقبض على محمد بن عبيد الله وابنيه عبد الله وعبد الواحد فحبسوا وكانوا قد ركبوا في ذلك النهار الى الدار، ووعدوا بان يخلع عليهم ويسلم على بن عيسى اليهم، فسلموا اليه، ووقع الأمر بضد ما ظنوه، وقعد على ابن عيسى لمحمد بن عبيد الله وناظره فقال له: اخربت الملك، وضيعت الأموال، ووليت بالعناية، وصانعت على الولايات بالرشوة، وزدت على السلطان اكثر من الف الف دينار في السنه، فقال: ما كنت افعل الا

ما أراه صوابا وكان محمد بن عبيد الله فيما ذكر من تسناه يأخذ المصانع على يدي أبي الهيثم بن ثوبه، ولا يفنى بعهد لكل من صانعه برشوه، حتى قُلت فيه اشعار كثيرة منها:

وزير ما يفنيق من الرقاعه ... يولى ثم يعزل بعد ساعه

إذا اهل الرشا صاروا اليه ... فاحظى القوم أوفرهم بضاعة

وليس بمنكر ذا الفعل منه ... لان الشيخ افلت من مجاعه

وكان محمد بن عبيد الله قبل ان يستحيل به الحال فيما ذكر اهل الخبر.

وحسن الرأي فيه ذا دهاء وعقل، وكان ابنه عبد الله كاتباً بليغاً حسن الكلام مليح اللفظ حسن الخط، جواداً يعطى العطايا الجزيله، ويقدم الأيادي الجليله، وصل عبد الله بن حمدون من ماله في مده ولايته بتسعين الف دينار الى ما وصل به غيره، واعطاه كثيراً ممن كان امهله.

وفي هذه السنه رضى عن القاضى محمد بن يوسف، وقلد الشرقيه، وعسكر المهدي وخلع عليه دراعه وطيلسان وعمامة سوداء، وركب من دار الخليفة الى مسجد الرصافه، فصلى ركعتين، ثم قرأ عليه عهده بالولاية

وفيها ورد الخبر بوثوب أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بالموصل ومعه جماعه من الأكراد، وكانوا أخواله لان أمه كرديه، واغاث الجند اهل الموصل، فقتلت بينهم مقتله عظيمه، وصار ابو الهيجاء الى الأكراد، وتامر عليهم كالخالع للطاعة.

وتظلم اهل البصره من عاملهم محمد بن إسحاق بن كنداج، وشكوا به الى على ابن عيسى الوزير، فعزله عنهم بعد ان استامر فيه المقتدر لئلا يستبد بالرأي دونه، وولى البصره نجحا الطولوني، ثم ولى محمد بن إسحاق بن كنداج الدينور، وولى سليمان بن مخلد ديوان الدار، وكتبه غريب خال المقتدر، وولى على بن عيسى ابراهيم أخاه ديوان الجيش، واستخلف عليه سعيد بن عثمان والحسين بن على.

وفي شهر ربيع الآخر من هذه السنه دخل مؤنس الخادم مدينه السلام، ومعه ابو الهيجاء قد اعطاه أماناً نفل على مؤنس وعليه. وقلد نصر القشورى مع الحجاب التي كان يتولاها ولايه السوس وجندى سابور ومناذر الكبرى ومناذر الصغرى، فاستخلف على جميع ذلك يمنا الهلالي الخادم.

وفي هذه السنه اغارت الاتراك على المسلمين بخراسان، فسبت منهم نحو عشرين ألفاً، الى ما ذهبت به من الأموال وقتلت من الرجال، نخرج اليهم احمد بن اسماعيل، وكان واليها في جيوش كثيره، واتبعهم فقتل منهم خلقاً كثيراً واستنقذ بعض الأسرى، ووافد الى السلطان رجلاً شيخاً يعرف بالحمادى يستحمد اليه بفعله بالاتراك، ويخطب اليه شرطه مدينه السلام واعمال فارس وكرمان فأجيب الى كerman وحدها وكتب له بها كتاب عهد.

وفي جمادى الآخرة من هذه السنه اطلق محمد بن عبيد الله الذى كان وزيراً وابنه عبد الله وامراً بلزوم منازلهم.

وفيها خلع على القاسم بن الحر وولى سيراف، وخلع على على بن خالد الكردي، وولى حلوان.

وفي هذه السنه ركب ابو العباس محمد بن المقتدر من القصر المعروف بالحسنى، وبين يديه لواء عقده له أبوه المقتدر على المغرب، ومعه القواد كلهم، والغلمان الحجرية وجماعه الخدم حول ركابه، وعلى بن عيسى عن يمينه ومؤنس الخادم عن يساره ونصر الحاجب بين يديه، فسار في الشارع الأعظم، ورجع في الماء والناس معه،

فاعترضه رجل بمربعه الحرشي، فنثر عليه دراهم مسيفه، وقال له: بحق امير المؤمنين الا أذنت لي في طلى الفرس بالغالية، فوقف له وجعل الرجل يطفى وجه الفرس، فنفر منه، وقيل له: دع وجهه، واطل سائر بدنه، فاقبل يطفى عرف الفرس وقوائمه بالغالية، فقال محمد بن المقتدر لمن حوله: اعرفوا لنا هذا الرجل.

وفي هذه السنه قلد ابو بكر محمد بن على الماذرائى اعمال مصر والاشراف على اعمال الشام وتدير الجيوش، وخلع عليه، وذلك يوم الخميس للنصف من شهر رمضان وخلع في هذا النهار أيضاً على القاسم بن سيماء، وعقد له على الإسكندرية واعمال برقه.

وفي هذه السنه في جمادى الآخرة، ورد الخبر بوفاة على بن احمد الراسبي، وكان يتقلد جندى سابور والسوس وماذرايا الى آخر حدودها، وكان يورد من ذلك الف الف دينار وأربعمائة الف دينار في كل سنه، ولم يكن معه احد يشركه في هذه الاعمال من اصحاب السلطان لأنه تضمن الحرب والخراج والضياح والشحنه وسائر ما في عمله، فتخلف - فيما وردت به الاخبار - من العين الف الف دينار ومن أنيه الذهب والفضه قيمه مائه الف دينار ومن الخليل والبالغ والجمال الف راس، ومن الخبز الرفيع الطاقى ازيد من الف ثوب، وكان

مع ذلك واسع الضيعة كثير الغلة وكان له ثمانون طرازا ينسج له فيها الثياب من الخبز وغيره فلما ورد الخبر بوفاه الراسبي، انفذ المقتدر عبد الواحد بن الفضل بن وارث في جماعه من الفرسان والرجال لحفظ ماله الى ان يوجه من ينظر فيه، ثم وجه مؤنس الخادم للنظر في ذلك، فيقال: انه صار اليه منه مال جليل، وخلع على ابراهيم بن عبد الله المسمعي، وولى النظر في دور الراسبي.

وتوفي مؤنس الخازن يوم الأحد ثمان بقين من شهر رمضان، ولم يتخلف احد عن جنازته من الرؤساء، وصلى عليه القاضي محمد بن يوسف، ودفن بطرف الرصافة، وكان جليل القدر عند السلطان، فلما مات قلد ابنه الحسن ما كان يتولاه من عرض الجيوش، فجلس ونظر، وعاقب واطلق، وفرق سائر الاعمال التي كانت الى مؤنس على جماعه من القواد الذين كانوا في رسمه، وضم اصحابه الى ملازمه ابى العباس بن المقتدر، ولم يخلع على الحسن بن مؤنس للولاية مكان ابيه، فعلم ان ولايته لا تتم وعزل بعد شهرين، وعزل محمد بن عبيد الله بن طاهر وكان خليفته على الجانب الشرقى، وقدم مكانه بدر الشرايى، وعزل خزرى بن موسى خليفه مؤنس على الجانب الغربى وولى مكانه إسحاق الاشروسنى، وولى شفيع اللؤلؤى البريد وسمى شفيعا الاكبر.

وورد الخبر في شعبان بان احمد بن اسماعيل بن احمد صاحب خراسان قتله غلمانه غيلة على فراشه، وكان قد اخاف بعضهم فتواطؤوا على قتله ثم اجتمع سائر غلمانه فضبطوا الأمر وبايعوا لابنه نصر بن احمد وورد كتابه على المقتدر يسأله تجديد العهد له، ووردت كتب عمومته وبني عمه يسال كل واحد منهم ناحيه من نواحي خراسان، فافرد الخليفة بالولاية ابنه وتم له الأمر.

قال الصولي: شهدت في هذا العام بين محمد بن عبيد الله الوزير مناظره كانت بين ابن الجصاص و ابراهيم بن احمد الماذرائى، فقال ابراهيم بن احمد الماذرائى في بعض كلامه: لابن الجصاص مائه الف دينار من مالي صدقه، لقد ابطلت في الذى حكيت وكذبت! فقال له ابن الجصاص: قفيز دنائير من مالي صدقه، لقد صدقت انا وابطلت أنت، فقال له ابن الماذرائى: من جهلك انك لا تعلم ان مائه الف دينار اكثر من قفيز دنائير، فصجب الناس من كلامهما قال الصولي: وانصرفت الى ابى بكر بن حامد فخبرته الخبر، فقال: نعتبر هذا بحمته، فاحضر كيلجه وملاها دنائير ثم وزنها فوجد فيها اربعة آلاف دينار، فنظرنا فإذا القفيز سته وتسعون الف دينار كما قال الماذرائى. وفي هذه السنه مات ابو بكر جعفر بن محمد المعروف بالفاريايى المحدث، لاربع بقين من المحرم وصلى عليه ابنه ودفن في مقابر الشونيزيه وفيها توفي عبد الله بن محمد بن ناجيه المحدث وكان مولده سنه عشر ومائتين.

وفيها مات الحسن بن الحسن بن رجاء، وكان يتقلد اعمال الخراج والضياع بحلب، مات فجاءه، وحمل تابوته الى مدينه السلام، ووصل يوم السبت لخمس بقين من شهر ربيع الاول.

وفيها مات محمد بن عبد الله بن على بن ابى الشوارب القاضى المعروف بالأحنف، وكان خليفه ابيه على قضاء عسكر المهدي والشرقيه والنهروانات والزوابي والتل وقصر ابن هبيرة والبصره وكور دجلة وواسط والاهواز، ودفن يوم الأحد لتسع ليال خلون من جمادى الاولى في حجره بمقام باب الشام وله ثمان وثلاثون سنه وفي هذه السنه بعد قتل احمد بن اسماعيل ورد الخبر بان رجلا طاليبا حسينيا خرج بطبرستان يدعو الى نفسه يعرف بالأطروش.

وفي آخر هذه السنه توفي احمد بن عبد الصمد بن طومار الهاشمى، وكان من قبل نقيب بنى هاشم العباسيين والطالبين، فقلد ما كان يتقلده أخو أم موسى، فضج الهاشميون من ذلك، وسألوا رد ما كان يتولاه ابن طومار الى ابنه محمد بن احمد، فأجيبوا الى ذلك، وكان لأحمد بن عبد الصمد يوم توفي اثنتان وثمانون سنه. واقام الحج للناس في هذه السنه الفضل بن عبد الملك الهاشمى.

١٢٠١٢ سنه اثنتين وثلاثمائة

ثم دخلت

سنه اثنتين وثلاثمائة

(ذكر ما دار في هذه السنه من اخبار بنى العباس) فيها ركب شفيع الخادم المعروف بالمقتدرى في جماعه من الجند والفرسان والرجال الى دار الحسين بن احمد المعروف بابن الجصاص، التي في سوق يحيى، ولحقه صاحب الشرطه بدر الشرايى، فوكل شفيع بالأبواب

وقبض على جميع ما تحويه داره من مال وجوهر وفرش واثاث ورقيق ودواب، وحمل في وقته ذلك صناديق محتومه، ذكر ان فيها جوهر وآنيه ذهب، ووجد في داره فرشاً سلطانيا من فرش أرمينية وطبرستان جليلا لا يعرف قدره، ووجد فيها من مرتفع ثياب مصر خمسمائة سفت وحفرت داره فوجدت له في بستانه اموال جليله مدفونة في جرار خضر وقماقم مرصصه الرؤوس، فحملت كهيئتها الى دار المقتدر، وأخذ هو فقيد بخمسين رطلا من حديد وغل، وتسمع الناس ما جرى عليه، فصودر على مائه الف دينار بعد هذا كله، واطلق الى منزله.

وقال ابو الحسن بن عبد الحميد كاتب السیده: ان الذي صح مما قبض من مال الحسين بن احمد بن الجصاص الجوهري من العين والورق والانيه والثياب والفرش والكرام والخدم- لا ثمن ضيعه في ذلك ولا ثمن بستان- ما قيمته ستة آلاف الف دينار.

وفي هذه السنه في رجب ورد كتاب محمد بن علي الماذرائي الى السلطان من مصر يزعم ان وقعه كانت بين اصحاب السلطان وبين جيش القيروان فقتل من اصحاب الشيعة سبعة آلاف واسر نحوهم، وانهم من بقي منهم، ومضوا على وجوههم، فمات اكثرهم قبل وصولهم الى برقه، ووردت كتب التجار بدخول الشيعة برقه، وعظم ما أحدثوا في تلك الناحية، وان الغلبه انما كانت لهم

قال الصولي: وفيها جلس على بن عيسى للمظالم في كل يوم ثلاثاء، فحضرتة يوما، وقد جيء برجل يزعم انه نبي، فناظره فقال: انا احمد النبي، وعلامتي ان خاتم النبوه في ظهري، ثم كشف عن ظهره فإذا سلعه صغيره، فقال له: هذه سلعه الحماقه، وليست بخاتم النبوه، ثم امر بصفعه وتقييده وحبسه في المطبق.

وفي شهر رمضان من هذه السنه وافى باب الشماسيه قائد من قواد صاحب القيروان يقال له ابو جده، ومعه من اصحابه مائتا فارس، نازعين الى الخليفة فاحضر القائد دار السلطان، وخلع عليه، واخرج هو واصحابه الى البصره ليكونوا مع محمد بن إحقاق بن كنداج.

وفيها اطلق المقتدر من سجنه الصفاري المعروف بالقتال، خلع عليه، واقطعه دارا ينزلها واجرى عليه الرزق، وامره بحضور الدار في يومى الموكب مع الأولياء، واطلق أيضا محمد بن الليث الكردي وخلع عليه، وهو ممن ادخل مع الليث، وطوف على جمل.

وفيها جاء رجل حسن البره طيب الرائحة الى باب غريب خال المقتدر، وعليه دراعه وخف احمر وسيف جديد بمخائل، وهو راكب فرسا ومعه غلام، فاستأذن للدخول، فمنعه البواب، فانتهره واغلظ عليه، ونزل فدخل، ثم قعد الى جانب الخال، وسلم عليه بغير الإمرة، فقال له غريب وقد استبشع امره: ما تقول اعزك الله؟ قال: انا رجل من ولد علي بن ابي طالب، وعندي نصيحه للخليفة لا يسعني ان يسمعها غيره، وهي من المهم الذي ان تأخر وصولي اليه حدث امر عظيم.

فدخل الخال الى المقتدر والى السیده، واعلمهما بامره، فبعث في الوزير علي بن عيسى واحضر الخال الرجل، فاجتهد الوزير والحاجب نصر والخال ان يعلمهم النصيحه ما هي، فأبى حتى ادخل الى الخليفة، وأخذ سيفه، وادنى منه، وتحنى الغلمان والخدم، فاخبر المقتدر بشيء لم يقف عليه احد، ثم امره بالانصراف الى منزل اقيم له وخلع عليه ما يلبسه، ووكل به خدم يخدمونه، وامر المقتدر ان يحضر ابن طومار نقيب الطالبين ومشايخ آل ابي طالب، فيسمعون منه ويفهمون امره، فدخلوا عليه وهو

على برذعه طبرية مرتفعه، فما قام الى واحد منهم، فسأله ابن طومار عن نسبته فزعم انه محمد بن الحسن بن علي بن موسى بن جعفر الرضا وانه قدم من البادية، فقال له ابن طومار: لم يعقب الحسن- وكان قوم يقولون انه اعقب، وقوم قالوا لم يعقب- فبقى الناس في حيره من امره، حتى قال ابن طومار: هذا يزعم انه قدم من البادية وسيفه جديد الحليه والصنعه، فابعثوا بالسيف الى دار الطاق، وسلوا عن صناعه وعن نصله، فبعث به الى اصحاب السيوف بباب الطاق، فعرفوه واحضروا رجلا ابتاعه من صيقل هناك، فقيل له: لمن ابتعت هذا السيف؟ فقال:

لرجل يعرف بابن الضبعي، كان أبوه من اصحاب ابن الفرات، وتقلد له المظالم بحلب، فاحضر الضبعي الشيخ، وجمع بينه وبين هذا المدعى الى بني ابي طالب فاقربانه ابنه، فاضطرب الدعي وتلجج في قوله، فبكى الشيخ بين يدي الوزير حتى رحمه ووعده بان يستوهب عقوبته ويحبسه او ينفيه، فضج بنو هاشم، وقالوا: يجب ان يشهر هذا بين الناس، ويعاقب أشد عقوبة، ثم حبس الدعي، وحمل بعد ذلك على جمل، وشهر في الجانبين يوم الترويه ويوم عرفه، ثم حبس في حبس المصريين بالجانب الغربي.

وفي هذه السنه اضطرب امر خراسان لما قتل احمد بن اسماعيل، واشتغل نصر بن احمد والده بحاربه عمه، ودارت بينهما فتوق، فكتب احمد بن علي المعروف بصعلوك، وكان يلي الري من قبل احمد بن اسماعيل ايام حياته الى المقتدر، ووجه اليه رسولا يخطب اليه اعمال الري وقزوین وجرجان وطبرستان، وما يستضيف الى هذه الاعمال، ويضمن في ذلك مالا كثيرا، وعنى به نصر الحاجب، حتى انفذ اليه الكتب بالولاية، ووصله المقتدر من المال الذي ضمن بمائه الف درهم، وامر بمائده تقام له في كل شهر من شهور الأهلة بخمسه

آلاف درهم، واقطعه من ضياع السلطان بالري ما يقوم في كل سنة بمائه الف درهم. وفي هذه السنة ركب المقتدر الى الميدان، وركب باثره على بن عيسى الوزير ليلحقه، فنفرت دابته وسقط سقطه مؤلمه، وأمر الخليفة اصحاب الركاب باقامته،

وحمله على دابته، فانهضوه وحملوه، وقيلت فيه اشعار منها:

سقوطك يا على لكسف بال ... وخزى عاجل وسقوط حال

فما قلنا لعا لك بل سررنا ... وكان لما رجونا خير فال

أضعت المال في شرق وغرب ... فلم يحظ الامام بجمع مال

قال: وكان على بن عيسى بخيلا، فابغضه الناس لذلك.

ووردت الاخبار بدخول صاحب إفريقية الإسكندرية وتغلبه على برقه وغيرها، وكتب تكين الخاصة الى مصر يطلب المدد، ويستصرخ السلطان، فعظم ذلك على المقتدر ورجاله وكانوا من قبل مستخفين بأمر عبيد الله الشيعي وبأبي عبد الله القائم بدعوته، وكانوا قد فحسوا عن نسبه ومكانه، وباطن امره.

قال محمد بن يحيى الصولي: حدثنا ابو الحسن على بن سراج المصري، وكان حافظا لخبار الشيعة ان عبيد الله هذا القائم بإفريقية هو عبيد الله بن عبد الله بن سالم من اهل عسكر مكرم بن سندان الباهلي صاحب شرطه زياد، ومن مواليه وسالم جده، قتله المهدي على الزندقة.

قال: وأخبرني غير ابن سراج ان جده كان ينزل بنى سهم من باهله بالبصرة، وكان يدعى انه يعرف مكان الامام القائم وله دعاه في النواحي، يجمعون له المال بسببه، فوجه الى ناحيه المغرب رجلا يعرف بأبي عبد الله الصوفي المحتسب، فأرى الناس نسكا، ودعاهم سرا الى طاعه الامام، فافسد على زياده الله بن الاغلب القيروان، وكان عبيد الله هذا مقيما بسلهيه مده، ثم خرج الى مصر فطلب بها، وظفر به محمد ابن سليمان، فاخذ منه مالا، واطلقه، ثم ثار المحتسب على ابن الاغلب وطرده عن القيروان، وقدم عليه عبيد الله، فقال المحتسب للناس: الى هذا كنت ادعو، وكان عبيد الله يعرف أول دخوله القيروان بابن البصري، فأظهر شرب الخمر والغناء، فقال المحتسب: ما على هذا خرجنا، وانكر فعله، ففس عليه عبيد الله رجلا من المغاربة يعرف بابن خنزير، فقتله، وملك عبيد الله البلاد، وحاصر اهل طرابلس حتى فتحها، وأخذ اموالا عظيمة ثم ملك برقه واقبل جيشه يريد مصر، وقدم ولد

عبيد الله الإسكندرية، وخطب فيها خطبا كثيره محفوظه، لولا كفر فيها لاجتلبت بعضها.

ولما وردت الاخبار باستطاله صاحب القيروان بجهة مصر، انهض المقتدر مؤنسا الخادم وندب معه العساكر، وكتب الى عمال اجناد الشام بالمصير الى مصر.

وكتب الى ابني كيغغ وذكا الأعور، وأبي قابوس الخراساني بالحق بتكين لمحاربتة.

وخلع على مؤنس في شهر ربيع الاول سنة ثنتين وثلاثمائة وخرج متوجها الى مصر، وتقدم على بن عيسى الوزير بترتيب الجمارات من مصر الى بغداد ليروح عليه الاخبار في كل يوم، فورد الخبر بان جيش عبيد الله الخارج مع ابنه، ومع قائده حباسه انهزموا وبشر على بن عيسى بذلك المقتدر، فتصدق في يومه بمائه الف درهم، ووصل على ابن عيسى بمال عظيم، فلم يقبله ثم رجع على وقد باع له ابن ما شاء الله ضيعه باربعه آلاف دينار، وفرقها كلها شكرا لله عز وجل، ودخل مؤنس الخادم بالجيش مصر في جمادى الآخرة، وقد انصرف كثير من اهل المغرب عن الإسكندرية ونواحيها، وانصرف ولد عبيد الله قافلا الى القيروان وكتب محمد بن على الماذرائي يذكر ضيق الحال بمصر وكثره الجيوش بها وما يحتاج اليه من الأموال لها، فانفذ اليه المقتدر مائتي بدره دراهم على مائتي جمازه مع جابر بن اسلم صاحب شرطه الجانب الشرقي ببغداد.

وورد الخبر من مصر في ذي القعدة بان الاخبار تواترت عليهم بموت عبيد الله الشيعي فانصرف مؤنس يريد بغداد، وعزل المقتدر تكين عن مصر، وولاه دمشق ونقل ذكا الأعور من حلب الى مصر.

وفي هذه السنة صرف ابو ابراهيم بن بشر بن زيد أبا بكر الكريزي العامل عن اعمال قصر ابن هبيرة ونواحيه، فطالبه وضربه بالمقارع حتى مات، وحمل الى مدينه السلام في تابوت.

وفيها مات القاسم بن الحسن بن الاشيب، ويكنى أبا محمد، وكان قد حدث وحمل عنه الناس توفي لليلتين بقيتا من جمادى الاولى، ولم

يتخلف عن جنازته قاض ولا فقيه ولا عدل.
وفيه ماتت بدعه جاريه عريب مولاه المأمون لست خلون من ذي الحجة
وصلى عليها ابو بكر بن المهدي، وخلفت مالا كثيرا وجوهرها وضياعا وعقارات، فامر المقتدر بالله بقبض ذلك كله، وتوفيت ولها ستون
سنة ما ملكها رجل قط.
وقطع في هذه السنة بطريق مكة على حاتم الخراساني وعلى خلق عظيم معه، خرج عليهم رجل من الحسينية مع بني صالح بن مدرك
الطائي، فأخذوا الأموال واستباحوا الحرم ومات من سلم عطشا، وسلمت القوافل غير قافلة حاتم.
واقام الحج للناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

١٢٠١٣ سنة ثلاث وثلاثمائة

ثم دخلت

سنة ثلاث وثلاثمائة

(ذكر ما دار في هذه السنة من اخبار بني العباس) فيها ورد الخبر بان رجلا من الطالبين ثار بجهة واسط وانضم اليه جماعه من
الاعراب والسواد، وكان للأعراب رئيس يقال له محرز بن رباح، وذلك انه بلغهم بان صاحب فارس والاهواز والبصرة بعث الى
حضرة السلطان من المال المجتمع قبله ثلاثمائة الف دينار، حملت في ثلاث شذوات، فطمعوا في انتهابها وأخذها، وكنوا للرسول في بعض
الطريق، ففطن بهم اهل الشذوات، فافلتت منها واحدة، وصاعدت، ورجعت الاثنتان الى البصرة، ولم يظفر الخارجون بشيء فصاروا
الى عقر واسط، وأوقعوا بأهلها، واحرقوا مسجدها، واستباحوا الحرم وبلغ حامد بن العباس خبرهم، وكان يتقلد اعمال الخراج والضياع
بكسكروكور دجلة وما اتصل بذلك، فوجه من قبله محمد بن يوسف المعروف بخزري، وكان يتقلد له معونه واسط، وضم اليه غلبانه
وقوما فرض لهم فرضا، وكتب الى السلطان بالخبر، فامده بلؤلؤ الطولوني، فلم يبلغ اليه لؤلؤ حتى قتل الطائي ومحرز بن رباح واكثر
الاعراب الخارجين معهم، واسر منهم نحو مائه اعرابي، وكتب حامد بالفتح الى المقتدر، وبعث بالأسرى، فادخلوا مدينه السلام في
جمادى الاولى وقد لبسوا البرانس، وحملوا على الجمال، فضجوا وعجوا وزعم قوم منهم انهم براء، فامر المقتدر بردهم الى حامد ليطلق
البريء، ويقتل النطف، فقتلهم اجمعين على جسر واسط، وصلبهم.

وفي هذه السنة في جمادى الاولى ورد الخبر بان الروم حشدوا وخرجوا على المسلمين، فظفروا بقوم غزاه من اهل طرسوس، وظفرت
طائفة منهم اخرى بخلق كثير من اهل مرعش وشمشاط، فسبوا من المسلمين نحو من خمسين ألفا، وعظم الأمر في ذلك، وعم حتى
وجه السلطان بمال ورجال الى ذلك الثغر، فدارت على الروم بعد ذلك وقعات كثيرة
وفيه كانت لهارون بن غريب الخال جناية وهو سكران بمدينه السلام، على رجل من الخزر يعرف بجوامرد، ولقيه ليلا فضرب راسه
بطبرزين كان في يده، فقتله بلا سبب، فشغب رفقائه الذين كان في جملتهم، وطلبوا هارون ليقتلوه، فنع منهم وكانوا نحو المائه، فشكوا
امره، وترددوا طالبين لاختد الحق منه، فلم ينظر لهم فلما أعوزهم ذلك، خرجوا باجمعهم الى عسكر ابن ابى الساج، وكان قد تحرك على
السلطان، وانفذ اليه المقتدر رشيقا الحرمي ختن نصر الحاجب رسولا ليصرفه عن مذهبه، فحبسه ابن ابى الساج عند نفسه، ومنعه ان
يكتب كتابا الى المقتدر ثم انه اطلقه بعد ذلك، وبعث بهدايا ومال فرضى عنه.

وفيه عظم امر الحسين بن حمدان بنواحي الموصل، فانفذ اليه السلطان أبا مسلم رائقا الكبير، وكان اسن الغلمان المعتضديه واعلاهم
رتبه، وكان فيه تصاون وتدين وحسن عقل، فشخص ومعه وجوه القواد والغلمان، فحارب الحسين بن حمدان، وهو في نحو خمسة عشر
ألفا، فقتل رائق من قواد ابن حمدان جماعه منهم الحسن بن محمد ابن أبا التركي، وكان فارسا شجاعا مقداما وابو شيخ ختن ابن ابى مسعر
الأرميني ووجه الحسين بن حمدان الى رائق جماعه يسأله ان يأخذ له الامان، وانما اراد ان يشغله بهذا عن محاربتة، ومضى الحسين
مصعبا ومعه الأكراد والاعراب وعشر عماريات، فيها حرمه وكان مؤنس الخادم قد انصرف من الغزاة وصار الى آمد، فوجه القواد
والغلمان في اثر الحسين، فلحقوه وقد عبر باصحابه واثقاله واديا، وهو واقف يريد العبور في خمسين فارسا، ومعه العماريات، فكابروهم
حتى اخذوه أسيرا، وسلم عياله وأخذ ابنه ابو الصقر أسيرا فلما رأى الأكراد هذا عطفوا على العسكر فنهبوه وهرب ابنه حمزه وابن أخيه
ابو الغطريف، ومعهما مال، ففطن بهما عامل آمد، وكان العامل سيما غلام نصر الحاجب، فاخذ ما معهما من المال وحبسهما.

ثم ذكر ان أبا الغطريف مات في الحبس، فاخذ راسه، وكان الظفر بحسين بن حمدان يوم الخميس للنصف من شعبان، ورحل مؤنس يريد بغداد، ومعه الحسين ابن حمدان وأخوته على مثل سبيله، وأكثر اهله، فصير الحسين على جمل مصلوباً على نقنق، وتحت كرسى، ويدير النقنق رجل، فيدور الحسين من موقفه يميناً وشمالاً، وعليه دراعه ديباج سابغة قد غطت الرجل الذى يدير النقنق، ما يراه احد، وابنه الذى كان هرب من مدينه السلام ابو الصقر قد حمل بين يديه على جمل، وعليه قباء ديباج وبرنس، وكان قد امتنع من وضع البرنس على راسه، فقال له الحسين: البسه يا بنى فان اباك البس البرانس اكثر هؤلاء الذين تراهم- وأوماً الى القتال وجماعه من الصفاريه- ونصبت القباب بباب الطاق، وركب ابو العباس محمد بن المقتدر بالله وبين يديه نصر الحاجب، ومعه الحربه وخلفه مؤنس وعلى بن عيسى وأخوه الحسين خلف جملة عظيمه، عليهم السواد في جملة الجيش.

ولما صار الحسين بسوق يحيى قال له رجل من الهاشميين: الحمد لله الذى امكن منك، فقال له الحسين: والله لقد امتلأت صنديقى من الخلع والالويه، وافنيت أعداء الدولة، وانما اصارنى الى هذا الخوف على نفسي، وما الذى نزل بي الا دون ما سينزل بالسلطان إذا فقد من اوليائه مثلي وبلغ الدار ووقف بين يدي المقتدر بالله، ثم سلم الى نذير الحرمي فحبسه في حجره من الدار، وشغب الغلمان والرجال يطلبون الزيادة، ومنعوا من الدخول على مؤنس او على احد من القواد، ومضوا الى دار على بن عيسى الوزير، فاحرقوا بابه، وذبحوا في اصطبله دوابه وعسكروا بالمصلى ثم سفر بالأمر بينهم، فدخلوا واعترفوا بخطئهم وكان الغلمان سبعمائة، وكان الرجال خلقاً كثيراً، فودعهم مؤنس الزيادة، فزيدوا شيئاً يسيراً، فرضوا.

وفي آخر شهر رمضان ادخل خمسة نفر أسارى من اصحاب الحسين، فيهم حمزه ابنه ورجل يقال له على بن الناجى لثلاث بقين من هذا الشهر، ثم قبض على عبيد الله وبرايم ابني حمدان، وحبسا في دار غريب الخال ثم أطلقا.

وفي هذه السنه في صفر قد ورقاء بن محمد الشيباني معونه الكوفه وطريق مكة، وعزل عن الكوفه إسحاق بن عمران، وكان عقده على طريق مكة وقصبه الكوفه واربعه من طسايسيجها: طسوج السيلحين، وطسوج فرات بادقلا، وطسوج بابل وخطرنه وانحرب، وطسوج سورا، وخلق عليه وعقد له لواء.

وفي هذه السنه اغلظ على بن عيسى لأحمد بن العباس أخى أم موسى، وقال له:

قد افنيت مال السلطان ترتق في كل شهر من شهور الأهلة سبعة آلاف دينار، وكتب رقعته بتفصيلها، فلم تزل أم موسى ترفق لعل بن عيسى الى ان امسك عنه.

وفي هذه السنه نظر على بن عيسى بعين رايه الى امر القرامطة نخافهم على الحاج وغيرهم، فشغلهم بالمكاتبة والمراسله والدخول في الطاعة، وهاداهم واطلق لهم التسوق بسيراف، فردهم بذلك وكفهم، فخطاه الناس فلما عاينوا بعد ذلك ما فعله القرامطة حين اخرجوا، علموا ان الذى فعله على صواب كله وشنع على بن عيسى بهذا السبب انه قرمطى، ووجد حساده السبيل الى مطالبته بذلك، وكان الرجل ارجح عقلا، واحسن مذهبا من الدخول فيما نسب اليه.

وفي هذه السنه مات ابو الهيثم بن ثوابه الاكبر بالكوفه في الحبس بعد ان أخذ منه إسحاق بن عمران مالا جليلا للسلطان ولنفسه وقيل انه احتال في قتله خوف ان يقر عليه يوما بما أخذ منه لنفسه.

وفيها مات الفضل بن يحيى بن فرخان شاه الديراي النصراني من ديرقنا فقبض السلطان على جميع املاكه، وكانت له عند رجل مائه وخمسون الف دينار، فأخذت من الرجل، ووجه شفيع المقتدرى ومعه غلمان وخدم الى قنا فاحصوا تركته وضياعه.

وفيها مات ادريس بن ادريس العدل في القادسية وهو حاج الى مكة، وكان امره قد علا في التجارة والمكانه عند السلطان، وكان يحج في كل سنه، ويحمل معه مالا ينفقه على من احتاج الى النفقة قال محمد بن يحيى الصولي: انا سمعته يوما يقول: يلزمني كل سنه في الحج نفقه غير ما اصرفه في أبواب البر خمسة آلاف دينار.

وفيها مات ابو الأغر السلى لجاءه لسبع خلون من ذي الحجه قال نصف النهار بعد ان تغدى ثم حرك للصلاة فوجد ميتا. واقام الحج للناس في هذه السنه الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

١٢٠١٤ سنة اربع وثلاثمائة

١٢٠١٤٠١ مخالفة خالد ابن محمد الشعرائي المعروف بابن يزيد على السلطان

ثم دخلت

سنة اربع وثلاثمائة

(ذكر ما دار في هذه السنة من اخبار بني العباس)

[مخالفة خالد ابن محمد الشعرائي المعروف بابن يزيد على السلطان]

وفي المحرم من هذه السنة ورد كتاب صاحب البريد بكرمان يذكر ان خالد ابن محمد الشعرائي المعروف بابن يزيد- وكان على بن عيسى الوزير وولاه الخراج بكرمان وسجستان- خالف على السلطان، ودعى أميرا، وجمع الناس الى نفسه، وضمن لهم الأموال على ان ينهضوا معه لمحاربة بدر الحماني صاحب فارس، وضمن القواد كانوا معه مالا عظيما، وعجل لهم منه بعضه حتى اجتمع له نحو عشرة آلاف فارس وراجل، وكان ضعيف الرأي ناقص القريحة، فكتب المقتدر الى بدر الحماني في انفاذ جيش اليه ومعاجلته، فوجه اليه بدر قائدا من قواده يعرف بدرك وضم اليه من جنده ورجال فارس عسكرا كثيرا، وكتب بدر قبل انفاذ الجيش الى ابى يزيد الشعرائي يرغبه في الطاعة، ويتضمن له العافية، مع الانهاض في المنزلة، وخوفه وبال المعصية، فجابه ابو يزيد: والله ما اخافك لاني فتحت المصحف فبدر الى منه قول الله عز وجل: لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى مَعَ ذَلِكَ فَنِي طَالَعِي كَوَكَبِ يَبْيَانِي لَا بَدَّ أَنْ يَبْلُغَنِي غَايَةَ مَا أَرِيدَ، فانفذ بدر الجيش اليه، وحاصر حتى أخذ أسيرا فقيلت فيه اشعار منها:

يا با يزيد قاتل البهتان ... لا تغترر بالكوكب البياني

واعلم بان القتل غاية جاهل ... باع الهدى بالغى والعصيان

قد كنت بالسلطان على رتبة ... من ذا الذي أغراك بالسلطان

ثم اتى الخبر بان أبا يزيد هذا مات في طريقه، فحمل راسه الى مدينته السلام ونصب على سور السجن الجديد، وعزل يمن الطولوني عن اماره البصرة، ووليها الحسن بن خليل بن ريمال، على يدي شفيع المقتدرى، إذ كانت امارتها اليه.

١٢٠١٤٠٢ ذكر التقبض على على بن عيسى الوزير وولايه على بن الفرات ثانيه

ذكر التقبض على على بن عيسى الوزير وولايه على بن الفرات ثانيه

وقبض في هذه السنة على الوزير على بن عيسى يوم الاثنين، ثمان ليال خلون من ذي الحجة، ونهبت منازل اخوته ومنازل حاشيته وذويه، وحبس في دار المقتدر، وقلد الوزارة في هذا اليوم على بن محمد بن موسى بن الفرات، وخلع عليه سبع خلع، وحمل على دابه بسرجه ولجامه، فجلس في داره بالخرم المعروفة بدار سليمان بن وهب، وردت عليه اكثر ضياعه التي كانت قبضت منه عند التسخط عليه، وظهر من كان استتر بسببه من صنائعه ومواليه.

وذكر عنه انه لما ولى ابن الفرات الوزارة وخلع عليه بالغداة، زاد ثمن الشمع في كل من منه قيراط ذهب، لكثرة ما كان ينفقه منه في وقيد، وينفق بسببه وزاد في ثمن القراطيس لكثرة استعماله إياها فعد الناس ذلك من فضائله، وكان اليوم الذى خلع عليه فيه يوما شديد الحر.

فحدثني ابن الفضل بن وارث انه سقى في داره في ذلك اليوم، وتلك الليلة اربعون الف رطل من الثلج، وركب على بن محمد الى المسجد الجامع ومعه موسى بن خلف صاحبه فصيح به الهاشميون: قد أسلمنا، وضجوا في امر أرزاقهم، فامر ابن الفرات من كان معه الا يكلمهم في شيء، فافرطوا في القول، فأنكر ذلك المقتدر وامر بان يحجب اصحاب المراتب عن الدار، فصار مشايخهم الى ابن الفرات واعتذروا اليه، وقالوا له: هذا فعل جهالنا، فكلم الخليفة فيهم حتى رضى عنهم، وضم الى ابن الفرات جماعه من الغلمان الحجريه، ليركبوا بركوبه ويكونوا معه في كل موضع يكون فيه.

وفيها ورد الكتاب من خراسان يذكر فيه انه وجد بالقندهار في ابراج سورها برج متصل بها فيه خمسة آلاف راس، في سلال من حشيش، ومن هذه الرؤوس تسعة وعشرون راسا، في اذن كل راس منها رقعه مشدودة بخيط ابريسم، باسم كل رجل منهم

والأسماء: شريح بن حيان، خباب بن الزبير، الخليل بن موسى التيمي، الحارث ابن عبد الله، طلق بن معاذ السلمي، حاتم بن حسنة، هاني بن عروه، عمر بن علان، جرير بن عباد المدني، جابر بن خبيب بن الزبير، فرقد بن الزبير السعدي، عبد الله ابن سليمان بن عماره، سليمان بن عماره، مالك بن طرخان صاحب لواء عقيل ابن السهيل بن عمرو، عمرو بن حيان، سعيد بن عتاب الكندي، حبيب بن انس، هارون بن عروه، غيلان بن العلاء، جبريل بن عباد، عبد الله البجلي، مطرف ابن صبح ختن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وجدوا على حالهم الا انهم قد جفت جلودهم والشعر عليها بحالته لم يتغير، وفي الرقاع من سنه سبعين من الهجره . [أخبار متفرقة]

وفي هذه السنه عزل يمن الطولوني عن شرطه بغداد، ووليها نزار بن محمد الضبي.

وفي المحرم من هذه السنه توفي عبد العزيز بن طاهر بن عبد الله بن طاهر أخو محمد بن طاهر، وكان عبدا صالحا حسن المذهب، كثير الخير، ودفن في مقابر قریش، وصلى عليه مطهر بن طاهر.

وفيه مات محدث عدل يعرف بابي نصر الخراساني في جمادى الاولى.

وفيه مات ابو الحسن احمد بن العباس بن الحسن الوزير في شعبان، وكان قد عني بالأدب ورشح نفسه للوزارة، واهله قوم لها. وفيها مات لؤلؤ غلام ابن طولون.

وفيه مات ابو سليمان داود بن عيسى بن داود بن الجراح قبل القبض على أخيه على بن عيسى بشهرين، فلم يتخلف احد عن جنازته من الاجلاء.

وفي هذه السنه قدم طرخان بن محمد بن إسحاق بن كنداجيق من الدينور حاجا في شهر رمضان، فركب الى الوزير على بن عيسى يوم الاثنين لإحدى عشره ليله بقيت من شوال، وليس عنده خبر، فعزاه الوزير عن ابيه، فخرج عليه جزعا شديدا وخلع عليه في يوم الخميس بعد ثلاثة ايام وعقد له لواء على اعمال ابيه، فكتب

الى أخيه يستخلفه على العمل، ونوظر عن الاعمال التي كانت الى ابيه، فقطع الأمر معه على ستين الف دينار، حملها عنه حمد كاتبه، وجيء بتابوت محمد بن إسحاق لاربع بقين من شوال، ودفن في داره بالجانب الغربي. واقام الحج للناس في هذه السنه الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

١٢٠١٥ سنه خمس وثلاثمائة

ثم دخلت

سنه خمس وثلاثمائة

(ذكر ما دار في هذه السنه من اخبار بني العباس) فيها دخل مدينه السلام رسل ملك الروم ورئيساهم: شيخ وحدث، ومعهما عشرون علجا، فانزلوا الدار التي كانت لصاعد، ووسع عليهم في الأتزال والوظائف، ثم ادخلوا بعد ايام الى دار الخليفة من باب العامه، وجيء بهم في الشارع الأعظم، وقد عبي لهم المصاف من باب المخرم الى الدار، فانزل الرئيسان عن دابتهما عند باب العامه، وادخلا الدار وقد زينت المقاصير بأنواع الفرش، ثم أقيما من الخليفة على نحو مائه ذراع، والوزير على بن محمد بين يديه قائم، والترجمان واقف يخاطب الوزير، والوزير يخاطب الخليفة، وقد اعد من آلات الذهب والفضه والجوهر والفرش ما لم ير مثله، وطيف بهما عليه ثم صير بهما الى دجلة، وقد اعدت على الشطوط الفيله والزرافات والسباع والفهود، وخلع عليهما، وكان في الخلع طياله ديباج مثقلة، وامر لكل واحد من الاثنين بعشرين الف درهم، وحمل في الشذا مع الذين جاءوا معهما، وعبر بهما الى الجانب الغربي وقد مد المصاف على سائر شراع دجلة الى ان مر بهما تحت الجسر الى دار صاعد، وذلك يوم الخميس لست بقين من المحرم.

وقدم ابراهيم بن احمد الماذرائي من مكة، فقبض عليه ابن الفرات واغلظ له وصادره على مال عجل بعضه، ونجم الباقي عليه، وكتب ابن الفرات الى على بن احمد ابن بسطام المتقلد لاعمال الشام في المصير الى مصر، والقبض على الحسين بن احمد المعروف بابي زنبور، وعلى ابن أخيه ابني بكر محمد بن على، وحملهما الى مدينه السلام على جمازات، ونفذ اليه بهما من بغداد بعد مصادرتهم والاستقصاء عليهما، وحمل مال المصادره الى مدينه السلام، وقد كانا قبل ذلك ظفرا بابن بسطام، فأحسننا اليه فجازاهما ابن بسطام أيضا، بان رفق

بهما وحسن أمرهما، وعنى بهما بعض حاشيه السلطان ببغداد وقيل للخليفة: ان الوزير انما وجه في قتلتهما، فانفذ خادما من ثقات خدمه على الجمازات في طريق البريه الى دمشق، ومنها الى مصر وامر ابن بسطام الا يناظرهما الا بحضره الخادم الموجه اليه، والا يعنف عليهما وكان ذلك مما يحبه ابن بسطام، لأنه كان أساء بهما غاية الإساءة، وأخذ منهما مالا جليلا يقال انه احتجنه، وتقلد ابو الطيب اخوه مناظره ابن بسطام، رفقا به أيضا ولم يشتدا عليه في شيء مما كان اليه واحسنا اليه، وسلماه الى تكين صاحب مصر لينظر بحضرتة، فنسب ابو الطيب بفعله ذلك الى العجز وقال فيه بعض الشعراء بمصر شعرا ذكرته لما فيه من مذهبه في شنه التعذيب والاستقصاء:

يا أبا الطيب الذي اظهر الله ... به العدل ليس فيك انتصار
قد تانيت وانتظرت فهل بعد ... تانيك وقفه وانتظار
جد بالخائن البخيل فكشفه ... ففي كشفه عليه دمار
اين ضرب المقارع الارزنيات ... واين الترهيب والانتهار
اين صفع القفا واين التهاويل ... إذا علقت عليه الثفار
اين ضيق القيود والالسن الفظه ... اين القيام والاحطار
اين عرك الاذان والطمم للهام ... وعصر الخصا واين الزيار
اين تنف اللحاشد الحيازيم ... واين الحبوس والمضمار
ليس يرضى بغير ذا منك سلطانك ... فاشدد فان رفقتك عار
فهذا يجيك مالك فاسمع ... وإليك الخيار والاختيار

وقبض ببغداد على ابن اخت ابراهيم بن احمد الماذرائي، وهو ابو الحسين محمد بن احمد، وكان يكتب ليدر الحمامي، ويخلف أبا زنبور وأبا بكر محمد بن علي وطالبه ابن الفرات باموال، فاغرمه وأخذ جميع ما وجد له في داره.

وفي هذه السنه ورد الخبر بان الحسن بن خليل بن ريمال امير البصره من قبل شفيع المقتدرى أساء السيرة في البصره، ومديده الى امور قبيله، ووظف على الاسواق وظائف، فوثبوا به، فركب واحرق السوق التي حول الجامع، وركضت خيله في المسجد، وقتلوا جماعه من العامه ممن كان في المسجد، ولم تصل الجمعه في ذلك اليوم ثم كثر اهل البصره فحاصروه في داره بموضع يعرف ببني نمير، واجتمع اصحابه اليه الى ان تقدم المقتدر الى شفيع المقتدرى بعزله، فعزله وولى رجلا من اصحابه يعرف بابن ابى دلف الخراعي، فأنحدر وافرج اهل البصره للحسن بن خليل حين خرج، وقد كان اهل البصره أطلقوا المحبوسين ومنعوا من صلاه الجمعه شهرا متواليا.

وفي هذه السنه ورد رجل من عسكر ابن ابى الساج يعرف بكلب الصحراء في الامان فذكر انه علوي، وان ابن ابى الساج كان يعتقله وانه هرب منه، فأجرى له ثلاثمائة دينار في المجتازين، وكتب الى ابن ابى الساج بذلك، فدرس اليه من يناظره عن نسبه، وكان قد تزوج بامرأة ابن ابى ناظره، وهي ابنة الحسن بن محمد بن ابى عون، فاحضر ابن طومار النقيب، فناظره، وكان دعيا فسلم الى نزار بن محمد صاحب الشرطه ببغداد فوضعه في الحبس.

وفي شوال من هذه السنه دخل مؤنس الخادم الى الري لمحاربه ابن ابى الساج، بعد ان هزم ابن ابى الساج خاقان المفلحي، فترك أحدا من اصحابه يتبعه، ولا يأخذ من اصحابه شيئا ودخل ابن الفرات الى المقتدر بالله، فاعلمه ان على ابن عيسى كتب الى ابن ابى الساج يأمره ان يصير الى الري، حيله على الخليفة وتديرا عليه، فسمع المقتدر بالله هذا الكلام من ابن الفرات، فلما خرج سال على ابن عيسى عنه، وكان محبوسا عنده في داره، فقال له على: الناحية التي انهضت إليها ابن ابى الساج منغلقة بأخي صعلوك، فكتبت اليه بمحاربه، ولا أبالي من قتل منهما، وقد استأذنت امير المؤمنين في فعلى هذا، فاذن فيه، وسألته التوقيع به فوقع، وتوقيعه عندي، فاحضر التوقيع، فحسن موقع ذلك له من المقتدر ووسع على على بن عيسى في محبسه ولم يضيق عليه.

وفيها ورد الخبر بقتل عثمان العنزي القائد والى طريق خراسان، وادخل بغداد في تابوت، ثم ظفر بقاتله، وكان رجلا كرديا من غلمان علان الكردى، فضرب وثقل بالحديد حتى مات.

وفيها وردت هدايا احمد بن هلال صاحب عمان على المقتدر بالله، وفيها الوان الطيب ورماح وطرائف من طرائف البحر، فيها طير صيني اسود يتكلم افصح من الببغاء بالهندية والفارسيه، وفيها ظباء سود.

وفيه قدم القاسم بن سيما الفرغاني من مصر بعد ان عظم بلاؤه، وحسن اثره في حرب حباسه قائد الشيعة بمصر، وكان اهل مصر قد هزموا ودار سيف اهل المغرب بهم

حتى لحقهم القاسم، ففجأهم كلهم وهزم حباسه واصحابه، فركبوا الليل، ووردت كتب اهل مصر وصاحب البريد بها يذكرون جليل فعله، وحسن مقامه وهو لا يشك في ان السلطان يجزل له العطاء ويقطعه الاقطاع الخطيره، ويولي اعماله العاليه فلما وصل الى باب الشماسيه أقاموه بها، ومنعوه الدخول الى ان مل وضجر ثم أذنوا له في الوصول، فاعتدوا بذلك نعمه عليه وكان القاسم رجل صدق، كثير الفتوح، حسن النيه، فلم يزل منذ دخل بغداد كمدا عليلا الى ان توفي في آخر هذه السنه يوم الجمعة لسبع ليال بقين من ذي الحجه. وفيها ماتت بنت للمقتدر، فدفت بالرصافه، وحضرها آل السلطان، وطبقات الناس.

وفيها مات القاسم بن زكرياء المطرز المحدث في صفرو.

وفي شهر ربيع الآخر مات القاسم بن غريب الخال، ولم يتخلف عن جنازته احد من القواد والاجلاء، وركب ابن الفرات الوزير الى غريب معزيا في عشى ذلك اليوم الذي دفن ابنه في غداته.

وفي هذا الشهر ورد الخبر بموت العباس بن عمرو الغنوي، وكان عامل ديار مضر، ومقيما بالرقه، فحمل ما تخلف من المال والأثاث والسلاح والكراع الى المقتدر، واضطرب بعد موته امر ديار مضر، فقلدها وصيف البكتمرى، فلم يظهر منه فيها اثر يرضى، فعزل، وقلدها جنى الصفواني فضبطها.

وفيها مات عبد الله بن ابراهيم المسمعي يوم السبت لتسع ليال بقين من شهر ربيع الآخر، ودفن في داره التي أقطعها بباب خراسان، وكان عبد الله بن ابراهيم المسمعي عاقلا عالما، قد كتب الحديث، وسمع عن الرياشي سمعا كثيرا، وكان حسن الحفظ، وكان ابنه عالما الا انه كان دونه.

وفيها مات سبكرى غلام عمرو بن الليث الصفار ببغداد.

وفيها مات غريب خال المقتدر يوم الأربعاء لثمان بقين من جمادى الآخرة، وصلى عليه احمد بن العباس الهاشمي أخو أم موسى، ودفن بقصر عيسى وحضر جنازته الوزير على بن محمد وجميع حاشيته والقواد والقضاة، وكان نصر الحاجب قد احس من المقتدر سوء رأى في الوزير ابن الفرات واستثقلا لمكانه، وعملا في الإيقاع به،

فوجه نصر الى المقتدر يشعره بان ابن الفرات قد حضر الجنازة في جميع اهله وحاشيته، وقال له: ان كنت عازما على انفاذ امرك فيهم، فاليوم امكنك إذ لا تقدر على جمعهم هكذا، فوجه المقتدر: اخر هذا فليس وقته، وخلع بعد جمعه من ذلك اليوم على هارون ابن غريب، وقلد ما كان يتقلد أبوه من الاعمال، وعقد له لواؤه بعد ذلك.

وفي هذه السنه مات مصعب بن إسحاق بن ابراهيم يوم الأحد سلخ شعبان، وقد بلغ سنا عاليه، وصلى عليه الفضل بن عبد الملك امام مكة، وكان آخر من بقي من ولد إسحاق بن ابراهيم، وانتهت اليه وصيته، وكان أعيان الناس لسانا واكثرهم في القول خطلا، وكان طويل اللحية مغفلا الا انه كان صالحا وكتب الحديث ورواه، وله اخبار وكتب مصحفه منها ما كتب به الى اهله من القادسية لما حج والفي هذا الكتاب بخطه، فحكيته على ألفاظه.

بسم الله الرحمن الرحيم كتابي إليكم من القادسية وكنت قد اغفلت امر الاضاحي فقولوا لابن ابى الورد- يعنى ويكلا له- يشترى لكم ثلاث بقرات يحضيا على احد وعشرين أمهات الأولاد اثني عشر وابتى وأمي تمام العشرين، وانا آخرهم الحادي والعشرين، فرأيكم في ذلك تعجيله ان شاء الله.

وقال فيه بعض جيرانه من الشعراء:

وصى إسحاق يا بنى صدقه ... عما قليل سياخذ الصدقه

ضد لإسحاق في براعته ... يظهر من غير منطق حمقه

وان اتى بالكلام بدله ... فقال في حلقه لنا لحقه

وورد الخبر من فارس بموت إسحاق الاشروسنى، وكان قد تقلد شرطه الجانب الشرقى من بغداد.

واقام الحج في هذه السنه ابن الفضل بن عبد الملك وأبوه حاضر معه.

ثم دخلت

سنة ست وثلاثمائة

(ذكر ما دار في هذه السنة من اخبار بنى العباس) فيها ورد الخبر بوقعه كانت بين مؤنس الخادم وبين يوسف بن ابى الساج، وذلك يوم الأربعاء لثمان ليال خلون من صفر، فكانت الهزيمة على مؤنس واصحابه.

ولحق نصر السبكي مؤنسا وهو منهزم، وبين يديه مال، فاراد اسره وأخذ المال الذى كان بيده فوجه اليه يوسف: لا تعرض له ولا لشيء مما معه، واسر في هذه الوقعه جماعه من القواد، فاکرمهم يوسف، وخلع عليهم وحملهم، ثم اطلقهم فود من كان في عسكر مؤنس انهم أسروا.

وفي هذه السنة امرت السیده أم المقتدر قهرمانه لها، تعرف بثل ان تجلس بالرصافة للمظالم، وتنظر في كتب الناس يوما في كل جمعه، فأنكر الناس ذلك، واستبشعوه، وكثر عييبهم له والطعن فيه وجلست أول يوم، فلم يكن لها فيه طائل، ثم جلست في اليوم الثاني، واحضرت القاضى أبا الحسن، فحسن امرها واصلح عليها، وخرجت التوقيعات على سداد، فانتفع بذلك المظلومون، وسكن الناس الى ما كانوا نافروه من قعودها ونظرها.

وفيها امر المقتدر يمنا الطولوني- وكانت اليه الشرطه ببغداد- بان يجلس في كل ربع من الارباع فقيها يسمع من الناس ظلاماتهم، ويفتى في مسائلهم حتى لا يجرى على احد ظلم، وامره الا يكلف الناس ثمن الكاغذ الذى تكتب فيه القصص، وان يقوم به، والا يأخذ الأعوان الذين يشخصون مع الناس اكثر من دانقين في اجعالمهم.

وفي هذه السنة استطاب المقتدر الزبيدي فسكنها، واقام بها مده، ونقل إليها بعض الحرم، ورتب القواد في مضاربهم حوالى الزبيدي، وجلس في يوم سبت لاطعامهم ووصل جماعه منهم وشرب مع الحرم، وفرق عليهم مالا كثيرا.

قال محمد بن يحيى الصولي: ووافق هذا اليوم قصدى الى نصر الحاجب مسلما عليه، فأمرني بعمل شعر اصف فيه حسن النهار، وان اوصله الى المقتدر، ففعلت

وما برحت من عنده حتى جاء خادم لام موسى، ومعه خمسة آلاف درهم فقال:

هذه للصولي، وقد استحسنت امير المؤمنين الشعر، وكان أولها:

لها كل يوم من تعبته عتب ... تحملني ذنبا وما كان لي ذنب

وفيها:

كواكب سعد قابلتها منيره ... فلا شخصها يخفى ولا نورها يخبو

واطلع أفق الغرب شمس خلافه ... وما خلت ان الشمس يطلعها الغرب

تلبس حسنا بالخليفة جعفر ... واشرق من اشراقه البعد والقرب

بمقتدر بالله عال على الهوى ... له من رسول الله منتسب رحب

ولما هزم ابن ابى الساج مؤنسا الخادم ارجف الناس بالوزير ابن الفرات، وأكثروا الطعن عليه، ونسبوا كل ما حدث الى تضييعه، وانكفى عليه اعداؤه ومن كان يحسده، واغرى الخليفة به، فكتبت رقعه واخرجت من دار السلطان الى على ابن عيسى وهو محبوس، وسمى له فيها جماعه ليقول فيهم بمعرفته، وليستوزر من يشير به منهم، وكان في جملة التسميه ابراهيم بن عيسى، فوقع تحته شره لا يصلح، ووقع تحت اسم ابن بسطام كاتب سفالك للدماء، ووقع تحت اسم ابن ابى البغل ظالم لا دين له، ووقع تحت اسم حامد بن العباس عامل موسر عفيف قد كبر، ووقع تحت اسم الحسين بن احمد الماذرائى لا علم لي به، وقد كفى ما في ناحيته، ووقع تحت اسم احمد بن عبيد الله بن خاقان احمق متهور ووقع تحت اسم سليمان بن الحسن بن مخلد كاتب حدث ووقع تحت اسم ابن ابى الحوارى لا اله الا الله فاجمع رأى المقتدر ومن كان يشاوره على تقليد حامد بن العباس الوزارة واعان على ذلك نصر الحاجب ورآه صوابا، فانفذ المقتدر حاجبه المعروف بابن بويج للإقبال بحامد، وقبض على على بن محمد بن الفرات يوم الخميس بعد العصر لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر، وعلى من ظفر به من آله وحاشيته، فكانت وزارته في هذه المده سنة وخمسة اشهر وتسعه عشر يوما.

وفرا بنه المحسن من ديوان المغرب وكان يليه، فدخل الى منزل الحسين بن ابى العلاء فلم يستتر امره، وأخذ فجيء به الى دار السلطان

ودخل حامد بن العباس بغداد يوم الاثنين ليلتين خلتا من جمادى الأولى عشياً، فبات في دار نصر الحاجب التي في دار السلطان، ووصل يوم الثلاثاء من غدوه الى المقتدر، وخلع عليه بعد ان تلقاه الناس من نهر سابس الى بغداد، ولم يتخلف عنه احد، وراى السلطان ومن حوله ضعف حامد وكبره، فعملوا انه لا بد له من معين، فانخرج على بن عيسى من محبسه، وانفذ الى الوزير حامد ومعه كتاب من الخليفة يعلمه فيه انه لم يصرف عليا عن الوزارة لخيانته ولا لشيء انكره، ولكنه واصل الاستعفاء، فعوفي، قال: وقد انفذته إليك لتولي الدواوين وتستخلفه وتستعين به فان ذلك اجمع لامورك، وأعون على جميل نيتك فسلم الكتاب الى الوزير شفيع المقتدرى، فتناول لعل بن عيسى حين دخل اليه واجلسه الى جانبه فأبى عليه وجلس منزويا قليلا، وقرأ الرقعة، وأجاب فيها بالشكر والقبول وركب الوزير حامد وعلى بن عيسى الى الجمعة، وكثر دعاء الناس لهما وولى ابن حماد الموصلى مناظره ابن الفرات بحضره شفيع اللؤلؤى، واحضر حامد بن العباس المحسن بن على بن محمد بن الفرات وموسى بن خلف فطالهما بالمال، واسرف في صفعهما وضربهما وشتمهما، فقال له موسى بن خلف: أعز الله الوزير! لا تسن هذا على اولاد الوزراء فان لك أولادا، فغاضه ذلك، فزاد في عقوبته، فحمل من بين يديه، وتلف ووقع بالمحسن، فامر المقتدر بالله باطلاق المحسن، فاطلق.

ولما بلغ ابن الفرات الخبر، اظهر انه رآى أخاه في النوم، كأنه يقول له:

أعطهم مالك، فإنك تسلم، فاستدعى ابن الفرات ان يسمع الخليفة منه، فاحضره فاق له فان قبل يوسف بن بنخاس وهارون بن عمران الجهذين اليهوديين سبعمائة الف دينار، فاحضرهما حامد، فاقرا بالمال، فأخذه منهما، وافر بمائه الف دينار له عند بعض أسبابه، فأخذت، وأخذوا قبل ذلك منه نحو مائتي الف دينار، فكانت الجملة التي أخذت منه ومن أسبابه الف الف دينار وكان السلطان انفذ جمازات الى الحسين بن احمد الماذرائى، يأمره بالقدوم، فارجف الناس ان ذلك للوزارة وقيل أيضا: ليحاسب عن اعماله، فقدم الى بغداد للنصف من شهر رمضان سنة ست واهدى الى الخليفة هدايا جليله، والى السيدة، وحمل مالا، واهدى الى على بن عيسى مالا وهدايا، فردها وامره ان يحملها الى السلطان، واخرج ابن الفرات، واجتمعت الجماعة لمناظرته، فافر للحسين بن احمد انه حمل اليه عند تقلده الوزارة في الدفعة

الثانية ستمائة الف دينار، فافر بوصول المال اليه، وذكر وجوها يترفه فيها، فقبل بعض ذلك، والزم الباقي، ورد الحسين بن احمد على مصر وأعمالها، واخوه على الشام، وشخص إليها لست بقين من ذي القعدة، وخرج توقيع الخليفة باسقاط جميع ما صودر عليه الحسين بن احمد وابن أخيه محمد بن على بن احمد والاقتصار بهما من جميع ذلك على مائتي الف دينار.

وورد الخبر يوم الترويه سنة ست وثلاثمائة بان احمد بن قدام، ابن اخت سبكرى - وكان احد قواد كثير بن احمد امير سجستان - وثب على كثير، فقتله وملك البلد، وكاتب السلطان بمقاطعته على البلد، وكان كثير هذا يحجب أبا يزيد خالد بن محمد المقتول الذى ذكرنا امره قبل هذا ٤.

وفيهما وثب جماعة من الهاشميين على على بن عيسى حين تأخرت أرزاقهم، وقد خرج من عند حامد بن العباس وشتموه وزنوه، وخرقوا دراعته وارجلوه، فخلصه القواد منهم، فخاربوهم وضربوا ضربا شديدا، واتصل ذلك بالمقتدر بالله، فامر فيهم بامور عظام، وان ينقوا الى البصرة مقيدى، فحملوا في سفينه مطبقة بعد ان ضرب بعضهم بالدرة، وامر بان يحبسوا في الحبس، فلما وصلوا اجلسهم سبك الطولونى امير البصرة على حمير مقيدى، وادخلهم الى دار في جانب الحبس، وكلهم بجمل، ووعدهم، وفرق فيهم اموالا الا انه اسر ذلك، ثم نفذ الكتاب باطلاقهم، فاحسن اليهم سبك الطولونى، واحضرهم وزادهم، وصنع لهم طعاما ثم وصلهم، واكرت لهم سميريات، فكان مقامهم بالبصرة عشرة ايام، ووصلهم حامد وأم موسى وأخوها وعلى بن عيسى.

وفي هذه السنة أخذ من القاضى محمد بن يوسف مائه الف دينار وديعة، كانت لابن الفرات، وزفت ابنه القاسم بن عبيد الله الى ابى احمد بن المكتفى بالله، فعملت لهما وليمة انفق فيها مال جليل يزيد على عشرين الف دينار.

وفيهما عزل نزار بن محمد عن شرطه بغداد ووليا محمد بن عبد الصمد ختن تكين من قواد نصر الحاجب.

وفيهما مات إسحاق بن عمران يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر.

وفيهما مات محمد بن خلف، وكان اليه قضاء الاهواز وولى ابن البهلولى قاضى الشرقيه مكانه

وفيهما ورد الخبر في أول جمادى الاولى بوفاه عجم بن حاج، امير الحجاز، فكتب السلطان الى أخيه ان يلى مكانه.

وفيهما مات القاضى احمد بن عمر بن سريج وكان اعلم من بقي بمذهب الشافعى واقومهم به، ودفن يوم الثلاثاء لخمس بقين من ربيع الآخر.

وفي هذه السنة مات الحسين بن حمدان في الحبس، وقد قيل قتل، وقد كان على بن محمد بن الفرات تضمن عنه قبل القبض عليه ان يغرم السلطان مالا عظيما يقيم به الكفلاء، فعورض في ذلك وقيل له: انما يريد الحيلة على الخليفة، فامسك. وجج بالناس في هذه السنة أبو بكر احمد بن العباس أخو أم موسى.

١٢٠١٧ سنة سبع وثلاثمائة

ثم دخلت

سنة سبع وثلاثمائة

(ذكر ما دار في هذه السنة من اخبار بني العباس) فيها اشخص عبد الله بن حمدان الى مؤنس الخادم لمعاونته على حرب يوسف ابن ابى الساج، فواقعه باردبيل، وانهزم ابن ابى الساج، فاسر وادخل مدينه السلام مشهرا، عليه الدراعه الديباج التي ألبسها عمرو بن الليث الصفار، واللبس برنسا طويلا بشفاشج وجلاجل، وحمل على الفالج، وادخل من باب خراسان، فساء الناس ما فعل به إذ لم تكن له فعله ذميمه في كل من اسره او ظفر به، وحمل مؤنس وكسى وخلع على وجوه اصحابه، ووكل المقتدر بابن ابى الساج، وحبس في الدار، وامر بالتوسع عليه في مطعمه ومشربه، وهرب سبك غلام ابن ابى الساج عند الوقيعه، وكان صاحب امره كله ومدير جيشه، وهرب معه اكثر رجال ابن ابى الساج، فقال مؤنس ليوسف: اكتب الى سبك في الاقبال إليك، فان ذلك مما يرفق الخليفة عليك. ففعل ابن ابى الساج، وكتب الى سبك، فجابه: اني لا افعل حتى اعلم صنعهم فيك، وإحسانهم إليك، فحينئذ آتى طائعا. وكانت لابن ابى الساج اشعار وهو محبوس منها:

اقول كما قال ابن حجر أخو الحجي ... وكان امرا راض الأمور ودوسا:

فلو انها نفس تموت سويه ... ولكنها نفس تساقط أنفسا

ولست بهيباب المنيه لو أتت ... ولم ابق رهنا للتأسف والاسى

اجازى على الاحسان فيما فعلته ... وقدمته ذخرا جزاء الذى اسا

وانى لأرجو ان أءوب مسلما ... كما سلم الرحمن في اليم يونسا

فاجزى امام الناس حق صنيعه ... وامنح شكرى ذا العناية مؤنسا

وفيه ركبت أم موسى القهرمانه بهديه امرت أم المقتدر بتهيئتها واهدائها عن بنات غريب الخال لأزواجهن بنى بدر الحامي، فسارت أم موسى في موكب عظيم

فيه الفرسان والرجال، وقيد بين يديها اثنا عشر فرسا بسروجها ولجمها، منها ستة بحليه ذهب، وستة بحليه فضه، مع كل فرس خادم بجنبه عليه منطقه ذهب وسيوف بمناطق ذهب، واربعون طختا من فاخر الثياب ومائه الف دينار مسيفه، كل ذلك هديه من قبل النساء الى أزواجهن.

وفيه قدم ابو القاسم بن بسطام من مصر الى بغداد، بعد ان كتب اليه في القدوم لإدارة أدارها على بن عيسى عليه، ومطالبه ذهب الى اخذه بها فلما قدم وجه الى الخليفة والى السيد بهديه نخمه، واموال جزيله، فقطعا عنه مطالبه على بن عيسى، وانقطع بنفسه الى الوزير حامد، فاعتنى به وكان ذلك سببا لفساد ما بين الوزير حامد وبين على بن عيسى، ووقعت بينهما ملاحاة، خرجا معها الى التهاتر والتساب، وبعث ذلك حامد الوزير الى ان يضمن للخليفة فيما كان يتقلده على واحمد ابنا عيسى اموالا عظيمة، فأجيب الى ذلك واستعمل حامد عليها عبيد الله بن الحسن بن يوسف، فبلغته عنه بعد ذلك خيانة أفلقتة، فاستأذن الخليفة وشخص من بغداد الى واسط، واقام بها أياما وانحدر منها الى الاهواز واحكم ما اراد، واوفى ما عليه من الأموال مقسطا في كل شهر سوى ما وهب وانفق فزعم انه وهب مائه الف دينار، وانفق مائه الف دينار.

وقدم الى بغداد في غره ذي القعدة وخلع عليه وحمل قال الصولي: رايته يوما وقد شكا اليه شفيح المقتدرى فناء شعيره، فجذب الدواة الى نفسه وكتب له بمائه كره، وكتب لام موسى بمائه كره، وكتب لمؤنس الخادم بمائه كره.

وفي هذه السنة نتابعت الاخبار من مصر باقبال صاحب المغرب إليها وموافاته الإسكندرية.

ثم ورد الخبر في جمادى الآخرة بوقعه كانت بين اصحاب السلطان وبينهم في جمادى الاولى، وانه قتل من البرابر نحو من اربعة آلاف، ومن اصحاب السلطان مثلهم، فندب المقتدر مؤنسا الخادم للخروج الى مصر مره ثانيه، فخرج في شهر رمضان سنة سبع، وشيعة الى

مضربه ابو العباس محمد بن امير المؤمنين المقتدر واجلاء الناس، وسار في آخر شهر رمضان فكان في الطريق باقى سنه سبع وفيها مات ابو احمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان لاياى مضت من صفر. وفي آخر صفر لست بقين منه توفي محمد بن عبد الحميد، كاتب السیده، وكان ممن عرضت عليه الوزارة فاباها، وكان موسرا بخيلا، وكان من مشايخ الكتاب الذين يعول عليهم في الأمور وفي احكام الدواوين، وأخذت السیده أم المقتدر بالله من مخلفيه من العين مائه الف دينار، واستكتبت السیده احمد بن عبيد الله بن احمد ابن الخصيب بعده وكان يكتب لثمل قهرمانتها، فضبط الأمر ضبطا شديدا وحمد اثره فيه. واقام الحج للناس في هذه السنه احمد بن العباس الهاشمي.

١٢٠١٨ سنه ثمان وثلاثمائة

ثم دخلت

سنه ثمان وثلاثمائة

(ذكر ما دار في هذه السنه من اخبار بنى العباس) وفيها ورد مؤنس الخادم مصريوم الخميس لاربع خلون من المحرم، وكان المقتدر قد وجهه إليها لمحاربه الشيعة بها على ما تقدم ذكره في العام قبله، فالفى مؤنس أبا القاسم الشيعي مضطربا بالقيوم، فخرج القضاء والقواد ووجوه اهل مصر الى مؤنس، ونزل خارج المدينة، واجتبي ابو القاسم خراج القيوم، وضياى مصر، ودفع مؤنس ارزاق الجند من اموال اهل مصر، وباع بعض ضياعها فيما اعطاهم، وضم مؤنس الجيوش اليه، وقويت بذلك نفوس اهل مصر، وجرت بين ابى القاسم الشيعي وبين اهل مصر مكاتبات واشعار بعث بها مؤنس الى الخليفة، وفيها تويخ لهم وتحامل عليهم، وسب كثير تركا ذكره لما فيه وقد اجتلبنا بعضها ما لم يكن فيه كبير رفق، وكذلك ما فعلنا في الجواب، وأول شعر الشيعي:

أيا اهل شرق الله زالت حلومكم ... أم اختدعت من قله الفهم والأدب

صلاتكم مع من؟ وحكم بمن؟ ... وغزوكم فيمن؟ أجيبوا بلا كذب

صلاتكم والحج والغزو ويلكم ... بشراب نمر عاكفين على الريب

الا ان حد السيف اشفى لذى الوصب ... واحرى بنيل الحق يوما إذا طلب

الم ترني بعث الرفاهة بالسرى ... وقت بأمر الله حقا كما وجب

صبرت وفي الصبر النجاح وربما ... تعجل ذو راي فأخطأ ولم يصب

الى ان اراد الله اعزاز دينه ... فقامت بأمر الله قومه محتسب

وناديت اهل الغرب دعوه واثق ... برب كريم من تولاه لم يخب

فجاءوا سراعا نحو اصيد ماجد ... يبادونه بالطوع من جملة العرب

وسرت بخيل الله تلقاء أرضكم ... وقد لاح وجه الموت من خلل الحجب

واردفتها خيلا عتاقا يقودها ... رجال كأمثال الليث لها جنب

شعارهم جدي ودعوتهم ابى ... وقولهم قولي على الناي والقرب

فكان بحمد الله ما قد عرفتم ... وفزت بسهم الفلج والنصر والغلب

وذلك دابى ما بقيت ودابكم ... فدونكم حربا تضرم كاللهب

فذكر الصولي انه امر بالجواب، فقال قصيده له طويله، كتبنا منها أبياتا وحذفنا منها مثل الذى حذفناه مما قبله:

عجبت وما يخلو الزمان من العجب ... لذى خطل في القول اهدى لنا الكذب

وجاء بملحون من الشعر ساقط ... فأخطأ فيما قال فيه ولم يصب

تباعد عن قصد الصواب طريقه ... فما عرفت تاويل اعرابه العرب

ولو كان ذا لب وراى موفق ... لقصر عن ذكر القصائد والخطب

فمن أنت يا مهدى السفاهه والحنأ ... ابن لي فقد حققت على وجهك الريب

فلو كنت من اولاد احمد لم يغب ... عن الناس ما تسمو اليه من النسب

ولو كنت منهم ما انتهكت محارما ... يذبون عنها بالاسنه كالشهب
ولم تقتل الأطفال في كل بلده ... فتركب من أماتهم شر مرتكب
ابحت فروج المحصنات وبعث من ... اصبت من الاسلام بيعك للجلب
وكم مصحف خرقة فرماده ... مثاره مسفى الريح من حيث ما تهب
كفرت بما فيه وبدلت آيه ... وقضبت جبل الدين كفرا فما انقضبت
وقد رويت أسيافا من دمائكم ... فلم ينجم منا سوى الجد في الهرب
تضيء بأيدينا وتظلم فيكم ... فكانت لنا نارا وكنتم لها حطب
فقل لي اى الناس أنتم وما الذى ... دعاكم الى ذكر المجاجة النجب
أولئك قوم خيم الملك فيهم ... فشدت أواخيه ومدت له الطنب
بهم غزونا اما سالت وجنا ... فشق لما اسمعت جييك وانتخب
أيا اهل غرب الله اظلم امركم ... عليكم فأنتم في نكوب وفي حرب
ولو كانت الدنيا مطيه راكب ... لكان لكم منها بما حزتم الذنب

قال محمد بن يحيى الصولي: فلما صنعت هذا الشعر عن عهد الخليفة الى أوصلني الى نفسه، فانشدته جميعه، فلما فرغت من الإنشاد قال
على بن عيسى للخليفة: يا سيدي، هذا عبدك الصولي- وكان جده محمد الصولي حادي عشر
القباء، وهو الذى أخذ البيعه للسفاح مع ابى حميد- قال: فنظر الى كالأذن لي في الكلام فتكلمت ودعوت قال: فامر لي بعشره آلاف
درهم.

وكتب ابو القاسم الى اهل مكة يدعوهم الى الدخول في طاعته، ويعدهم بحسن السيرة فيهم، فأجابوه: ان لهذا البيت ربا يدفع عنه،
ولن نؤثر على سلطاننا غيره.

وبقي ابو القاسم الشيعي بالقيوم ومؤنس بمصر، وكل واحد منهما محجم عن لقاء صاحبه، وساءت احوال من بينهما ومعهما.
وفي هذه السنه غلت الأسعار ببغداد، فظنت العامه ان ذلك من فعل حامد بن العباس، بسبب ضمانه للمقتدر، ما كان ضمنه، وانه
هو منع من حمل الاطعمه الى بغداد، فشغبوا عليه وسبوه، وفتحوا السجون وكبسوا دار صاحب الشرطه محمد بن عبد الصمد، وكان
ينزل في الجانب الشرقى في الدار المعروفه لعلى بن الجهشيار، وانتهبوا بعض دوابه وآلته حتى تحول الى باب خراسان الى الجانب الغربى،
ووثب الناس به في الجانب الغربى أيضا، حتى ركب اليهم محمد بن عبد الصمد في جيش كثيف في السلاح، فارتدعوا، وقتل قوم من
العامه بباب الطاق وسعر السلطان على الدقايق، فكان ذلك أشد على الناس واعظم، واثار نصر الحاجب ان يترك الناس، ولا يسعر
عليهم، فكان ذلك صوابا، وصلاح امر السعر.
واقام الحج للناس في هذه السنه احمد بن العباس أخو أم موسى.

١٢٠١٩ سنه تسع وثلاثمائة

ثم دخلت

سنه تسع وثلاثمائة

(ذكر ما دار في هذه السنه من اخبار بنى العباس) فيها زاد شغب الناس ببغداد على حامد بن العباس الوزير، بسبب غلاء الأسعار
حتى صاروا الى حد الخلعان، وحاربهم السلطان عند باب الطاق، وركب هارون ابن غريب الخال ونازوك وياقوت وغيرهم، بعد ان
فتحت العامه السجون، ووثبوا على ابن درهم خليفه صاحب المعونة، وأرادوا قتله حتى حماه بعضهم، فلما رأى ذلك حامد بن العباس
دخل الى المقتدر فقال له: لعبدك حوائج، ان رايت قضاءها له، اكدت بذلك إنعامك عليه، قال: افعل، فما هي؟ قال: أولها فسخ
ضمانى فقد جاء من العامه ما ترى، وظنوا ان هذا الغلاء من جهتي فأجاب المقتدر الى ذلك، وسأله ان يأذن له في الشخص الى
واسط، لينفذ عماله بما فيها من الاطعمه الى بغداد، فأجابته الى ذلك، وسأله ان يعفيه من الوزارة فلم يجبه الى ذلك، فشخص حامد الى

واسط ولم يبق غاية في حمل الاطعمه، حتى صلح امر الأسعار ببغداد ثم قدم في غره شهر ربيع الآخر، فتلقيه الناس، وشكروا فعله، وقد كان المقتدر عرض على علي بن عيسى الوزارة فاباها، فكساه ووصله، واعطاه سوادا يدخل به عليه، كما يفعل الوزير، فاستعفى من ذلك ولم يفارق الدراع.

وفي هذه السنه زحف ثل الفتى الى الإسكندرية، فخرج عنها قائد الشيعة ورجال كمامه، والفى لهم بها سلاحا كثيرا وأثانا ومتاعا واطعمه، فاحتوى على الجميع واطلق كل من كان في سجنهم ثم اقبل مددا لمؤنس واجتمعوا بفسطاط مصر، وزحفا الى الفيوم لملاقاه ابى القاسم الشيعي ومناجزته، ومعهما جنى الصفواني وغيره من القواد، فجعل مؤنس يقصر المحلات، فعوتب على ذلك، فقال لهم: انكم انما تمشون في طرق المنايا، فلعل الله يصرفهم عنا، ويكفينا امرهم كما فعل قبل هذا فلقي جنى الصفواني بعض قواد ابى القاسم، فهزمه وقتل كثيرا ممن كان معه، وانهزم الباقون الى ابى القاسم، فراه امرهم، وقتل عن الفيوم منصرفا الى إفريقية لليلة بقيت من صفر، وحمل ما

خف من امتعته، واحرق الباقي بالنار، وأخذ على طريق قليله الماء، فهلك كثير من رجاله عطشا بعد ضربه الف سوط، وقطع يديه ورجليه وكان العلاج هذا رجلا

غويا خبيثا، يتنقل في البلدان، ويموه على الجهال، ويرى قوما انه يدعو الى الرضا من آل محمد، ويظهر انه سني لمن كان من اهل السنه، وشيعي لمن كان مذهبه التشيع، ومعتزلي لمن كان مذهبه الاعتزال وكان مع ذلك خفيف الحركات شعوزيا قد حاول الطب، وجرب الكيمياء، فلم يزل يستعمل المخاريق حتى استهوى بها من لا تحصيل

عنده، ثم ادعى الربوبية، وقال بالحلول، وعظم اقتراؤه على الله عز وجل ورسله، ووجدت له كتب فيها حماقات، وكلام مقلوب وكفر عظيم وكان في بعض كتبه:

انى المغرق لقوم نوح والمهلك لعاد وثمود، وكان يقول لأصحابه: أنت نوح وأنت موسى،

وأنت محمد، قد اعدت ارواحهم الى أجسادكم ويزعم بعض الجهله المتبعين له بانه كان يغيب عنهم ثم ينزل عليهم من الهواء، اغفل ما كانوا، وحرك لقوم يده فنثر منها دراهم،

وكان في القوم ابو سهل بن نوبخت النوبختي فقال له: دع هذا وأعطني درهما واحدا عليه اسمك واسم ابيك، وانا أومن بك، وخلق كثير معي فقال له: كيف وهذا لم يصنع؟

فقال له: من احضر ما ليس يحاضر صنع غير مصنوع، قال محمد بن يحيى الصولي: انا رايت هذا الرجل مرات، وخاطبته، فرايته جاهلا يتعاقل، وعييا

يتفصح، وفاجرا يظهر التنسك، ويلبس الصوف، فأول من ظفر به على بن احمد الراسبي، لما اطلع منه على هذه الحال، فقيده وادخله بغداد على جمل قد شهره،

وكتب بقصته وما ثبت عنده في امره، فاحضره على بن عيسى ايام وزارته في سنه احدى وثلاثمائة، واحضر الفقهاء، ونوظر فاسقط في لفظه، ولم يحسن من القرآن شيئا

ولا من الفقه ولا من الحديث ولا من الشعر، ولا من اللغة، ولا من اخبار الناس فسحفه وصفعه، وامر به فصلب حيا في الجانب الشرقي ثم في الجانب

الغربي، ليراه الناس، ثم حبس في دار الخليفة، فجعل يتقرب اليهم بالسنه، فظنوا ما يقول حقا ثم انطلق، وقد كان ابن الفرات كبسه في وزارته الاولى وعنى بطلبه موسى ابن خلف فافلت هو وغلام له، ثم ظفر به في هذه السنه، فسلم الى الوزير حامد، وكان عنده يخرج به الى من حضره فيصفع وينتف لحيته.

واحضر يوما صاحب له يعرف بالسمرى فقال له حامد الوزير: أما زعمت بان صاحبكم هذا كان ينزل عليكم من الهواء، اغفل ما كنتم؟ قال: بلى، فقال له:

فلم لا يذهب حيث شاء، وقد تركته في دارى وحده، غير مقيد، ثم احضر حامد الوزير

القاضى والفقهاء واستفتاهم فيه، فحصلت عليه شهادات بما سمع منه اوجبت قتله، فعرف المقتدر بما ثبت عليه، وما افق به الفقهاء فيه، فوقع الى صاحب شرطته محمد ابن عبد الصمد بان يخرج به الى رحبه الجسر، ويضربه الف سوط، ويقطع يديه ورجليه، ففعل

ذلك به، ثم احرقه بالنار وذلك في آخر سنة ثلاثمائة وتسع. واقام الحج للناس في هذه السنة احمد بن العباس.

١٢٠٢٠ سنة عشر وثلاثمائة

ثم دخلت

سنة عشر وثلاثمائة

(ذكر ما دار في هذه السنة من اخبار بنى العباس) وفي هذه السنة اعتل المقتدر بالله عله شديده، فزعموا ان أم موسى القهرمانه أرسلت الى بعض اهله برسالة تقرب عليه ولايه الأمر، وانكشف ذلك له ولامه وجميع خاصته، وقبضوا عليها وعلى أختها أم محمد وأخيها احمد بن العباس، وأخذت منهم اموال، وأخذت لهم ودائع عند قوم وكثر الارجاف بحامد بن العباس، والطعن عليه، وسميت الوزارة لأقوام، فقليل يخرج على بن محمد بن الفرات فيولاهها، وقيل يجبر على بن عيسى على ولايتها، وقيل ابن ابى الحوارى، وقيل ابن ابى البغل، فكتبت رقعته وطرحت في الدار التي فيها السلطان، وفيها:

قل للخليفة قل لي ... ان كنت في الحكم تنصف

من الوزير علينا ... حتى نقر ونعرف

احامد فهو شيخ ... واهي القوى متخلف

أم البخيل ابن عيسى ... فهو المنوع المطفف

أم الذى عند زيدان ... للشورة يعلف

أم الفتى المتانى ... أم الظريف المغلف

أم ابن بسطام عجل ... أم الشيخ المغف

أم طارئ ليس ندري ... من اى وجه يلقف

الفتى المتانى ابن الخصبى، والشيخ المغف ابن ابى البغل.

وفي هذه السنة استضعف السلطان صاحب شرطه بغداد فيما كان من العامه، فعزله وولى شرطته نازوك المعتضدي، فبانت صرامته في أول يوم، وقام بالأمر قياما لم يقم مثله احد وفل من حد الرجاله، وكانت نارهم موقده، وحاربهم حتى أذعنوا وتناولوا حوائجهم منه بخضوع له بعد ان قصدوا داره ليحرقوها، وهو في وقته الذى ولى فيه نازل

على دجلة وعلى الزاهرية، فاستعان بالغللمان فشردهم واعانه نصر الحاجب عليهم، وهو كان سبب توليته، لأنه بلغه ان عروسا زفت الى زوجها بناحية سوق الشتاء، فخرج بعض اولاد الرجاله، ومعه جماعه منهم، فأخذها وأدخلها الى داره، وفجر بها.

ثم صرفها الى أهلها، فأظهر الناس شدة الانكار لهذا، وعظموه بحسب عظمه، وكل ما قدر عليه نصر الحاجب ان اسقط رزق هذا الرجل، ونفاه، ثم اشار بولاية نازوك فاشتد عليهم، وصلب في امرهم وشكر له فعله فيهم.

وجج بالناس في هذه السنة إسحاق بن عبد الملك.

١٢٠٢١ سنة احدى عشره وثلاثمائة

ثم دخلت

سنة احدى عشره وثلاثمائة

(ذكر ما دار في هذه السنة من اخبار بنى العباس) كانت هذه السنة ببغداد وما والاها شديده الوطأة على الناس، حتى سميت سنة الدمار وذلك أن على بن محمد بن الفرات ولى فيها الوزارة المره الثالثه، وتقبض على الوزير حامد بن العباس وعلى على بن عيسى وذلك يوم الخميس لتسع ليال بقين من شهر ربيع الآخر، فدخل الجنابى والقرامطة البصره ليله الاثنين بعد ولايته باربعه ايام وكان خبر ولايه ابن الفرات والقبض على حامد وعلى بن عيسى قد وصل الى الجنابى واصحابه من وقته من قبل من كان يكاتبهم، لان بعض البصريين الثقات حكوا ان القرامطة كانوا يقولون لهم يوم دخولهم: ويلكم ما ارك سليطينكم في ابعاد ذلك الشيخ عن نفسه، وليعلمن ما يلقي بعده

قالوا: ونحن لا ندري ما يقولون حتى وردنا الخبر بعد ذلك بالقبض على حامد وعلى وولايه ابن الفرات، فعلبنا ما ارادت القرامطة، وان الخبر أتاهم من وقته في جناح طائر على ما ازكن الناس آله، واعتقدوا صحته فعاثت القرامطة في البصرة، ودخلت الخليل المربد، وكان سبك المفلح القائد بها، فلما سمع الصيحة وقت الفجر نخرج وهو يظن انها لفزعه دارت فلما توسط المربد يريد الدرب رآته القرامطة وهم وقوف بجانب الشارع، فشدوا عليه فقتلوه، وقتلوا بعض من كان معه، وركض الباقون فافلتوا، وقتلهم اهل البصرة في شارع المربد الى عشي ذلك اليوم، ولا سلطان معهم فلم يظفروا بهم الا بالنار فإنهم كانوا كلما حووا موضعاً احرقوه، وانهزم اهل البصرة وجال القرامطة في شارع

المربد، ومروا بالمسجد الجامع وسكه بنى سمره حتى انتهوا الى شط نهر البصرة المعروف بنهر ابن عمر الذي كان انفذ حفرة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، وكانوا يخرجون من البصرة ليلاً الى معسكرهم بظهر البصرة، ولا يبيت بها منهم احد فرقا، فأقاموا أياماً على ذلك، ثم انصرفوا، وقد كان السلطان انفذ الى البصرة حين بلغه ذلك بنى بن نفيس وجعفر بن محمد الزرنجى في جيش. ثم ولى شرطه البصرة محمد بن عبد الله الفارقي وانفذه في جيش ثان.

ونخرج ابن الفرات في هذه الوقعة مغيظاً على الناس، واطلق يد ابنه المحسن، فقتل الناس، وأخذ أموالهم، وغلبا على أم المقتدر بالله وملكا امرها وكان الذى سفر لهما في ذلك مفلح الخادم الأسود، وكان الأمر كله اليه والى كاتبه النصراني المعروف ببشر بن عبد الله بن بشر، وكان محبوباً، فاحتالوا على مؤنس المظفر، حتى اخرجوه الى الرقة وازجوه من باب الشماسيه فكان كالنفي له وكان حامد بن العباس قد استتر وعليه من المال الذى عقده على نفسه الف الف دينار، فاحتال حامد الى ان وصل الى باب السلطان، فدخل الى نصر الحاجب، فقال له: قد تضمننى بألف الف دينار، فخذوا منى الف الف دينار وخمسمائة الف دينار واحبسوني عنديكم، واحتسبوا لابن الفرات بألف الف دينار التي تضمننى بها ولا تطلقوا ايديهم على فاخبر بذلك الخليفة، وأشار به عليه، وقال: هاهنا فضل مال، ويكون في حبسنا رجل هو بيت مال للسلطان، فتلوموا في ذلك وقال المحسن لمفلح الخادم يفسد على امرى كله، ولا بد من تسليمه الى، فلم يزل مفلح بالمقتدر والسيدة حتى زالا عن الصواب، وسلما حامدا الى ابن الفرات فكان يصفع ويضرب، ويخرجه المحسن إذا شرب فيلبسه جلد قرد، له ذنب، ويقم من يرقصه ويصفعه، ويشرب على ذلك، واجرى على حامد افاعيل قبيحه ليست من افاعيل الناس، ولا يستجيزها ذو دين ولا عقل، ولم يصل من ماله كثير شيء الى السلطان، وضاع ما كان بذله، وحدر الى واسط وسلم الى البزوفري العامل، فقتله، واخرجه الى اهل واسط، وسلمه الى من يجنه فاجتمع الناس، وصلوا عليه وعلى قبره أياماً متواليه.

وزعم ابن الفرات للسلطان ان على بن عيسى خائن مملئ للقرمطي، فصادره على مال استخرج بعضه من قبله، ثم نفاه الى اليمن ووكل به رجلاً من اصحابه، وامره

بالاحتيال لقتله، فقبض الله يده عن ذلك بصاحب لشفيح اللؤلؤى صاحب البريد، كان قد وكله به فلما خرج عن مكة لقيه اصحاب ابن يعفر، فخالوا بينه وبين الموكلين به، وأرادوا قتل الموكل به لأنه كان أضجعه بمكة ليدبحه، فخالفه عون كان معه، ودفع عنه، فنع على بن عيسى من قتل الموكل به ولما بلغ ابن يعفر تلقاه اخوه ومعه هدايا عظيمه القدر، فاكرمه وانزله في دار عظيمه، وانزل الموكل به في دار غيرها، ولم يزل على بن عيسى يجرى بعد ذلك على العون المخالف في قتله، وعلى عياله الجرايات دهرًا طويلاً.

ووجه المحسن ابن ابى الحوارى الى الاهواز، فقتل بموضع يعرف بحصن مهدى، وكان نصر الحاجب يدارى المحسن وأباه، ويطلب عنده الى نصف الليل القعود، وينصرف عنه حتى اتصل به ان المحسن ضمن لعشرين غلاماً الف دينار، على ان يقتلوا نصراً إذا خرج من عند ابيه في بعض الممرات فتحفظ منه، وكان لا يركب الا في غلمان كثيره وسلاح عتيد، واحتال في ازاله نصر بكل حيله، فما قدر على ذلك، واحتال على شفيح المقتدرى، فدرس من يقع فيه ويقول: انه ان خرج الى الثغرى يحصل عنده مال عظيم، فلم يجب الى ذلك، ونفى أبا القاسم سليمان ابن الحسن وأبا على محمد بن على بن مقله الى شيراز، وكتب الى ابراهيم بن عبد الله المسمعي في اتلافهما فسلمهما الله، ونفى النعمان بن عبد الله الكاتب، وكان رجل صدق، وقد اعتزل الاعمال، ولزم بيته وغله ضيعه له، فغربه الى واسط، ووجه المحسن رجلاً كان يصحب ابن ابى العذافر خلفه، فذبحه بواسط، ونفى ابراهيم بن عيسى وعبد الله ابن ما شاء الله الى واسط، ودس إليهما من قتلتهما، وطالب ابن حماد الموصلى الكاتب فقال له نصر الحاجب: سلمه الى وعلى مائة الف دينار من قبله، واسلمه بعد هذا إليكم على ان تلزموه بيته، فلم يفعل المحسن ذلك وعنف به وشتمه، فرد عليه ابن حماد القول فقتله.

وكان ابو بكر احمد بن محمد بن قرايه يتكلف للمحسن نفقاته كلها من ماله ايام نكبه ابيه ونحوه، فلما ولي الوزارة اكرمه أبوه، واقبل عليه ففسده المحسن، وجعل يحتال في تلفه، وعزم على ان يركبه معه ليلا في طيارة من داره التي يسكنها المحسن الى دار ابيه بالمخرم، فإذا توسط دجلة امر من يرمى بابن قرايه فيها، وكانت ايام مدود

قال الصولي: فعرفني بذلك سرا خادم للمحسن يقال له مريث لموده كانت بيني وبينه فاشعرت ابن قرايه بما ذهب اليه فيه، فلم يدخل له دارا ولا جلس معه في طيار الى ان فرج الله امرهم، ولم تطل المده قال الصولي: وكان المحسن مقيما عندي ايام نكوبهم، وكنت كثير الانحراف اليهم، فلما عادوا الى المنزل التي كانوا بعدوا عنها اختصني على بن الفرات وأمرني بملازمه مجلسه وزاد في رزقي سبعين دينارا وقال لي:

انظر ما تريد من الاعمال اقلدك اياه، فسعى بي المحسن الى ابيه بفعل واش وشى بي اليه، فنقل جانبي على الوزير، حتى قلت في ذلك قصيده فاصغى إليها وقبل اعتذارى فيها، وزال ما كان في نفسه، وبقي المحسن على غله، ومن الشعر إذا اختصرناه.

قل لرحا ملكا وللقطب ... وسيد وابن ساده نجب
وللوزير البعيد همته ... البالغ المجد غاية الرتب

لا والذي أنت من فواضله ... يا منقذ الملك من يد النوب
ما كان شيء مما وشى لكم ... ذو حسد مفتر وذو كذب
هل عله اوجبت على سوى ... مدحى وشكرى في الجد واللعب
اكفر نعماكم ويشكرها ... عدوكم ان ذا من العجب
فسائلوا علم ذاك انفسكم ... فليس رأيي عنكم بمحتجب

متى سمعتم من السعاة أراي ... الله أشلاءهم على الخشب
واوطن الحتف في ديارهم ... حتى يبادوا بالويل والحرب
وليكم راس مالكم ابدأ ... والراس ان ضاع ليس كالذنب

وفي هذه السنه توفي يانس الموفقي، وكان رفيع المكانه عند السلطان، عظيم الغناء عنه، ولقد عزى به نصر الحاجب يوم وفاته، فجعل يبكي ولا يتعزى، وقال: لقد اصيب الملك مصيبه لا تتجبر، وقال: من اين للخليفة رجل مثله! شيخ ناصح مطاع ينزل عند سور داره من خيار الفرسان والغلمان والخدم الف مقاتل، فلو حزب السلطان امر وصاح به صائح من القصر لوافاه من ساعته في هذا العدد قبل ان يعلم بذلك غيرهم من جنسه فلما توفي يانس انتصح نصر الحاجب الخليفة في أمواله

وكانت عظيمه، وكانت له ضياع ومستغلات وامتنعه ووطاء وكسوه لا يعرف لشيء منها قدر، فقال نصر الحاجب للمقتدر ان يأنسا خلف ضياعا تغل ثلاثين الف دينار الى ما خلف من سائر المال، وأشار عليه بان يوجه ابنه أبا العباس الى دار يانس، فيصل على عليه ويأمر بدفنه، ويحضر جميع فرسانه وخدمه وحاشيته فيقول لهم: انا مكان يانس لكم وفوقه، وزائد في الاحسان إليكم، والتفقد لأحوالكم ثم يحصى ما تخلفه ولا يفوت منه شيء، فيجمع بذلك الاستحمام الى الرجال والاحراز للمال فاصغى المقتدر الى نصيحه نصر الحاجب، وظهر له صواب قوله: فلما خرج عنه حوله ابن الفرات وولديه عن رايه، وامر المحسن بتحصيل التركة فاذهب أكثرها، وخان الخليفة فيها وأخذ اكثر ذلك لنفسه، حتى لقد كانت الشقاق الديقيقه الشقيريات التي اقل ثمن كل واحده منها سبعون دينارا، تحشى بها المخاد الأرمينية والمساور، وتباع فتشترى للمحسن على ان الذى داخلها حشو صوف، وكذلك فعل بالقصب المرتفع الرشيدى والملمح الشعبى والنيسابورى، ولقد أخذ من الوسائد الرفيعه والمساور المحكمه فخشاها بالندو العود، عتيا وطغيانا، وكذلك كان يتكئ عليها.

ومما يعتد به على ابن الفرات وولده ان احمد بن محمد بن خالد الكاتب المعروف بأخي ابى صخره كان قد ولي الدواوين وكان من مشايخ الكتاب ورؤسائهم فتوفى في هذا العام وخلف ورثه احدثا، فانهى كثره ما خلف من المال الى المقتدر، فامر بالتوكيل بخزائنه وداره، فسار بعض الورثه الى المحسن وضمنوا له مالا على ازاله التوكيل وحل الاعتقال، فكلم المحسن أباه في ذلك، وركب الى المقتدر، فقال له: ان المعتضد والمكتفي قد كانا قطعوا الدخول على الناس في الموارث، وانا ارى لمولاي ان يحى رسومهما، وان يأمر باثبات عهد الا يتعرض احد في ميراث، فأجابه المقتدر الى ذلك إذ ظن انها نصيحه منه، فسلمت الدار الى ورثه الكاتب، وأنشأ ابن الفرات كتابا عن المقتدر في اسقاط الموارث نسخته.

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإن امير المؤمنين المقتدر بالله يؤثر في الأمور كلها

ما قربه من الله عز وجل، واجتلب له جزيل مثوبته، وواسع رحمته، وحسنه العائده على كافه رعيته كما جعل الله في طبعه، واولج في بيته، من التعطف عليها وايصال المنافع إليها، وابطال رسوم الجور التي كانت تعامل بها، جاريا مع احكام الكتاب والسنة، عاملا بالآثار عن الافاضل من الأئمة، وعلى الله يتوكل امير المؤمنين، واليه يفوض وبه يستعين.

وانهى الى امير المؤمنين المقتدر بالله ابو الحسن على بن محمد الوزير ما يلحق كثيرا من الناس من التحامل في مواريتهم، وما يتناول على سبيل الظلم من أموالهم، وانه قد كان شكى الى المعتضد بالله مثل ذلك، فكتب الى القاضيين يوسف بن يعقوب وعبد الحميد يسألهم عن العمل في المواريت، فكتبوا اليه: ان عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن العباس وعبد الله بن مسعود ومن اتبعهم من الأئمة وعلما هذه الامه رحمهم الله رأوا ان يرد على اصحاب السهام من القرابة ما يفضل عن السهام المفروضة لهم في كتاب الله عز وجل من المواريت ان لم يكن للمتوفى عصبه يرثون ما بقي، ممثلين في ذلك كتاب الله عز وجل في قوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، * ومحتملين على سنة رسول الله في توريث من لا فرض له في كتاب الله من الخال وابن الاخت والجد، وان تقليد العمال امر المواريت دون القضاء شيء لم يكن الا في خلافه المعتمد على الله، فانه خلط في ذلك، فامر المعتضد بابطال ما كان الأمر جرى عليه ايام المعتمد في المواريت، وترك العمل فيها بما روى عن زيد بن ثابت بان يرد على ذوى الارحام ما اوجب الله رده وأولو العلم من الأئمة.

فامر امير المؤمنين المقتدر بالله ان يجرى الأمر على ذلك ويعمل به، وكتب يوم الخميس.

لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة احدى عشره وثلاثمائة، فلما نفذ كتاب المقتدر بهذا، واشهد على ورثه ابن خالد الكاتب بتسليم ما خلفه وقبضهم له وجه المحسن، اليهم من أخذ جميع مالهم وحبسهم واخافهم. وجج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك.

١٢٠٢٢ سنة اثنى عشره وثلاثمائة

١٢٠٢٢.١ أخبار متفرقة

ثم دخلت

سنة اثنى عشره وثلاثمائة

(ذكر ما دار في هذه السنة من اخبار بني العباس)

[أخبار متفرقة]

فيها ورد الخبر في أول المحرم على الخليفة ببغداد بقطع الجنابي والقرامطة على الحاج، وما حدث فيهم من القتل والاسر، وذهاب عامه الناس، آل السلطان وغيرهم، وان عبد الله بن حمدان قد قلد امر الطريق.

ففضى الناس في القافلة الاولى فسلموا في أول مسيرهم، حتى إذا صاروا بفيد اتصل بهم خبر القرامطة، فتوقفوا، وورد كتاب ابى الهيجاء على نزار بن محمد انخراساني، وكان في القافلة الاولى بان يتوقف عليه حتى يجتمعوا، فتوقف نزار وتلاحقت قوافل الشارية والزيرية وانخوارزمية، فلما صاروا باجمعهم بالهبير غشيم الجنابي واصحابه القرامطة، فقتلوا عامتهم واتصل الخبر بسائر القوافل، وقد اجتمعت بفيد، فتشاوروا في العدول الى وادي القرى، ولم يتفقوا على ذلك ثم عزموا على المسير، فقطع بهم الجنابي واسر ابو الهيجاء القائد، وافلت نزار وبه ضربات أثنى عشره، واسر ابن الحسين ابن حمدان واحمد بن بدر العم واحمد بن محمد بن قشمر وبنيه، واسر مازج الخادم صاحب الشمسه، وفلفل الفتى ونحير فتى السیده، وكان على القافلة الثالثه، وقتل بدر ومقبل غلاما الطائي، وكانا فارسين مشهورين ممن يسير بالقوافل ويدافع عنها، ولهما قدر وذكر، واسر خزرى وبنيه، وكانا من القواد، وقتل سائر الجند، وأخذت القرامطة الشمسه وجميع ما كان للسلطان من الجواهر والطرائف، وأخذوا من اموال الناس ما لا يحصى وتحدث من افلت بانه صار اليهم من الدنانير

والورق خاصه نحو الف الف دينار، ومن الأمتعة والطيب وسائر الأشياء ما قيمته اكثر من هذا، وان جميع عسكره انما كان ثمانمائة فارس، وسائرهم رجاله وكل من افلت من أيدي القرامطة،

١٢٠٢٢٠٢ ذكر التقبض على ابن الفرات وابنه وقتلها

اكلهم الاعراب، وسلبوا ما بقي معهم مما كان تخباه الناس من أموالهم، ومات اكثر الناس عطشا وجوعا. ولما صح عند المقتدر ما نال الناس وناله في رجاله وماله عظم ذلك عنده وعند الخاصة والعامة، وجل الاغتمام به على كل طبقه، وتقدم الخليفة الى ابن الفرات في الكتاب الى مؤنس الخادم بان يقدم من الرقة ليخرج الى القرمطى وكتب اليه نصر الحاجب بالاستعجال والبدار، فسلك الفرات في خاصته واسرع في مسيره، ووصل الى بغداد في غره شهر ربيع الاول.

ذكر التقبض على ابن الفرات وابنه وقتلها

وفي يوم الثلاثاء لتسع خلون من شهر ربيع الآخر، قبض على علي بن محمد ابن الفرات الوزير، واختفى المحسن ابنه، فاشتد السلطان في طلبته، وعزم على تفتيش منازل بغداد كلها بسببه، وامر بالنداء بهدر دم من وجد عنده وأخذ ماله، وهدم داره، وتشدد على الناس في ذلك التشدد الذي لم يسمع بمثله، فجاء من اعطى نصرا الحاجب خبره، ودله على موضعه، فوجه بالليل من كبسه واخذه، وقد تشبه بالنساء وحلق لحيته، وتقنع، فاتى به على هيئته وفي زيه لم تغير له حال، وضرب في الليل بالدابدب ليعلم الناس انه قد أخذ، وغدت العامة الى دار الخليفة ليرويه، وتكاثر الناس، وازدحموا للنظر اليه، وهو في ذلك الزي الذي وجد عليه ثم احضر ابو القاسم عبد الله بن محمد بن عبيد الله الخاقاني فاستوزر، واقعد، وخلع عليه للوزارة، فاستوزر منه رجل قد تكهل وفهم وجرب، وفارق ما كان عليه في ايام ابيه من الحداثة، وغلب عليه الوقار والسكينة.

وكان مؤنس الخادم هو الذي اشار به، وزين امره وحض المقتدر على استيزاره، فأول ما قعد نصب لمناظرة ابن الفرات وولده، ومحاسبتها رجلا يعرف بابن نقد الشر، فتشدد عليهما في الأموال فلم يدعنا الى شيء، إذ علما انهما تالفان، وكان في أول ضمهما قد دسسا الى من تضمن عنهما مالا عظيما على ان يحبسا في دار السلطان، ولا ينطلق عليهما أيدي اعدائهما، فهم المقتدر بذلك، واصغى اليه، فاجتمع الرؤساء:

مؤنس وشفيع اللؤلؤى ونصر وشفيع المقتدرى ونازوك وكلهم عدو لابن الفرات ومطالب له، فسعوا في احاله راي الخليفة عن ضمه الى الدار، وتقدموا الى الغلمان بان يشغبوا ويحملوا السلاح ويقولوا: قد عزم السلطان ان يستوزر ابن الفرات مره رابعه لا نرضى الا بقتله على عظيم ما احدث في الملك، وافسد من الأمور، واتلف من الرجال.

ففعّلوا، وكتب شفيع اللؤلؤى الى المقتدر، وكان صاحب البريد والثقة في ايراد الاخبار يشنع عليه قيام الغلمان، وتشوف الناس الى الخلعان، فامر المقتدر بقتل ابن الفرات وابنه، وتقدم الى نازوك بان يضرب أعناقهما في الدار التي كانت لابن الفرات، ويوجه اليه برأسيهما، فنفذ ذلك من وقته وبعث بالرأسين في سبط ثم رد السبط الى شفيع اللؤلؤى، فوضع الرأسين في مخلاه وثقلهما بالرمل وغرقهما في دجلة وفي هذا العام قبل القبض على ابن الفرات بايام توفي محمد بن نصر الحاجب، وكان خلفا من ابيه، قال الصولي: عرفته والله فتى كريما على الهمة، جميل الأمر، سرى الإله، كثير المحاسن، قد اشتهى جمع العلم وكتب الحديث، وتخلّف كتباً باكثر من الف دينار.

قال: وكان قد خرج على اماره الموصل ونواحيها، فدعاني الى الخروج معه على ان اقيم شهرا او شهرين بألف دينار معجلا عند الخروج والف مؤجلا عند الانصراف.

قال: فلم ينتظم لي امرى على الخروج معه، ففعل قريبا مما قال، وانا مقيم بمنزلي.

ثم ان أباه لم يصبر عنه فاقدمه بغداد، فقلت شعرا اذكر فيه مفارقتة وقدمه على عروض كان يعجبه، وهو هذا اختصرناه:

حرق ذابت لها الأحشاء ... من حر الفراق
بقيت وفقا على هم ... واحزان يواقي
آه من فجعه بين ... جلبت ماء المآقي

وتباريح اشتياق ... ساق قلبي للشياق
 ان صبري عن ابي نصر ... لضرب من نفاق
 عن امير جل عن اتيان ... افعال دقاق
 واسع الهمة في الافضال ... ممدود الرواق
 نشرب الصافي من جدواه ... في كاس دهاق
 هو بحر واعالى الناس ... في الجود سواقي
 ان أكن عنك تاخرت ... بجذ ذي محاق
 وزمان آخذ من ... كل حر بالحناق
 فلقد شد سروري ... ونشاطي في وثاق
 ووجدت الماء في بعدك ... كالمح الزعاق
 فحمدت الله إذ من ... بقرب وتلاق
 وعلى الحج مقرونا ... بغزو وعناق
 ان تسمحت لنفسي ... بعد هذا بفراق

وفي هذه السنة توفي محمد بن عبيد الله بن خاقان والد الوزير وعزى منه، فكان جميل العزاء، وملتزما للصبر واعتل الوزير عبد الله بن محمد في جمادى الآخرة من هذا العام بعد وفاه ابيه، فكان يتحامل على الجلوس للناس، فيدخلون عليه، وهو لقي شديد العله، فلم يزل على هذه الحال حتى استهل شهر رمضان، ثم صلحت حاله ونقه من علته، وكان الوزير قد نافر نصرا الحاجب وعمل عليه عند المقتدر، حتى هم بالقبض على نصر، وظن الوزير ان ذلك مما يسر به مؤنسا في نصر إذ كان توهم ان الذي بينهما فاسد، وكنا عند الناس متخالفين، وهما في الحقيقة كنفس واحده، فقدم مؤنس وبعث اليه نصر كاتبه، فتلقيه باسفل المدائن، وعرفه خبر نصر كله، فوجده لنصر كمنزله نفسه، وقال للكاتب: قل له عني: بحقي عليك، ان تلقيتني واخليت الدار، فلا مؤنه عليك مني، فان كنت لا بد فاعلا فبالقرب، فتلقيه نصر بسوق الأحد، وكان دخول مؤنس في أول سنة ثلاث عشره وسيقع خبره في موضعه ان شاء الله.

وفي ذي القعدة من هذه السنة قدم خلق كثير من انخراسانيه الى مدينه السلام للحج، واستعدوا بالخليل والسلاح، فانخرج السلطان القافلة الاولى مع جعفر بن ورقاء، وكان امير الكوفة يومئذ، فوقع اليه خبر القرمطي وتحركه مرتصدا للقوافل، فامر جعفر الناس بالتوقف والمقام حتى يتعرف حقائق الاخبار. وتقدم جعفر في اصحابه، ومن خف وتسرع من الحاج، فلما قرب من زبالة اتبعه الناس، وخالفوا امره، فوجدوا اصحاب الجنابي مقيمين ينتظرون موافاه القوافل، وقد منعوا ان يجوزهم احد يخبر بخبرهم، فلما راوه ناوشوه القتال، ثم حال بينهم الليل، وخلص ابن ورقاء بنفسه، وقتل خلق كثير ممن كان معه وترك الحاج المتسرعه جمالمهم ومحاملهم وفروا راجعين الى الكوفة واتبعهم القرمطي. وكان بالكوفة جنى الصفواني، وثمل الطرسوسي وطريف السبكري فاجتمعوا واجتمع اليهم بنو شيبان، فخاربوا القرمطي عشيه، فقاموا به وانتصفوا منه ثم باكرهم بالغدو، فهزمهم واسر جنيا الصفواني، وقتل خلقا من الجند، وانهمز الباقون الى بغداد، واقام القرامطة بالكوفة، وأخذوا اكثر ما كان في الاسواق، وقلعوا أبواب حديد كانت بالكوفة، ثم رحل الى البحرين، وبطل الحج من العراق في هذه السنة وصح حج اهل مصر والشام، وكان معهم بمكة على بن عيسى، فكتب الوزير عبد الله بن محمد الى علي ابن عيسى بان يتقلد اعمال مصر والشام، وجعل امر المغرب كله اليه، ففضى على لما تم الحج من مكة الى الشام ومصر، وندب المقتدر مؤنسا الخادم الى الكوفة، فوصل إليها وقد رحل الجنابي عنها، فأقام بها أياما ثم كتب اليه السلطان ان يعدل الى واسط، فيقيم بها، فرحل إليها، واستقر بها، ولم يغن شيئا في حركته هذه، على انه انفق في خروجه فيما حكاه نصر الحاجب ومن حصل ذلك معه نحو الف الف دينار. وجج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك.

١٢٠٢٣ سنة ثلاث عشره وثلاثمائة

١٢٠٢٣٠١ أخبار متفرقة

ثم دخلت

سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة
(ذكر ما دار في هذه السنة من اخبار بنى العباس)
[أخبار متفرقة]

فيها سعى الوزير عبد الله بن محمد الخاقاني على نصر الحاجب عند المقتدر، وحمله على الفتك به، والتقبض عليه، فكتب المقتدر الى مؤنس الخادم، وكان بواسط ان يقدم عليه، ليكون القبض على نصر الحاجب بمشاهدته وعن رأى منه ورضا، إذ كان المقتدر مصعبا اليه، ومحتاجا الى رايه وغناؤه فلما قدم مؤنس بغداد وشاوره المقتدر في امر نصر، قال له: والله يا سيدي لا اعتضت منه ابداء، ولولا مكانه من نصيحتك وخدمتك ما تهيأ لي ان افارق قصرك، ولا اغيب من مشاهدته امرك، وباينه في امره مباينه وقفته عنه ثم اوصل المقتدر نصرا الى نفسه، وقرب مكانه ومكان مؤنس، واصغى إليهما، ولقب مؤنس بالمظفر من حين قدومه من الغزاة، فكان مما قاله نصر للمقتدر وقد علم ما كان ذهب اليه فيه: كم من امر قد عقد على امير المؤمنين، وابتغى به ادخال الكدح في سلطانه: ولم يعلم به، فكفاه الله اياه بسعايتنا في صرفه عنه، خلف لهما المقتدر انه ما هم بسوء فيهما قط، ولا يفعل مكروها بأحدهما ما بقيا.

فقوى امر نصر وتأيد بمؤنس، وضعف امر الوزير عبد الله بن محمد، واعتل ولزم بيته، فكان الناس يدخلون عليه وهو لقي، وتولى اعماله ونظره عبيد الله بن محمد الكلواذي صاحب ديوان السواد، وبنان النصراني كاتبه، ومالك بن الوليد النصراني، وكان اليه ديوان الدار وابن القناني النصراني واخوه وكان اليه ديوان الخاصة وبيت المال وابنا سعد حاجباه ومما اوهن امر الوزير وكرهه الى الناس غلاء الأسعار في زمانه، ولم يكن عنده مادة من حيله يكثر بها ورود المير الى بغداد.

وكان مما اشار اليه نصر عند مكالمته للمقتدر بما كان يدار عليه، ويسعى فيه من الوثوب عليه، ولم يشرح ذلك له ان بعض القواد واطثوا قوما من الاعراب على ان يقدوا

١٢٠٢٣٠٢ ذكر التقبض على الوزير الخاقاني وولايه احمد الخصبى

عند ركوب الخليفة الى الثريا بالقرب من طريقه، فإذا وازاهم وثبوا من ثلم كانت تهدمت في سور الحلبه، وأوقعوا به، ثم يخرجون ويحكمون على انهم شراه، فكان نصر حينئذ قد اراد كشف ذلك للمقتدر، وشاور من وثق به فيه، فقال له: لا تفعل، فلست بآمن الا يتضح الأمر للخليفة فوحشه وترعبه، ثم يصير من اتهم بهذا عدوا لك وساعيا عليك، ولكن امنعه الركوب الى الثريا حتى تبني ثلم السور، وان عزم على الركوب استعددت بالغلمان والعهده، والزمهم تلك المواضع المخوفة، وعملت مع هذا في استتلاف كل من سمى لك من هؤلاء القواد ومن تابعهم على مذهبيهم، فمن كان منهم متعتلا من ولايه وليته ومن كان مستزيذا زدته، ومن كان خائفا آمنته، وان امكنتك تفريقهم في الاعمال فرقتهم فيها.

وكان نصر رجلا عاقلا، فعمل براى من اشار عليه بهذا وسعى في ولايه بعض القوم، فاخرج واحدا الى سواد الكوفه، واخرج آخر الى ديار ريبيعه ولما صفت الحال بين نصر ومؤنس واستالف نصر ثمل القهرمانه، وكانت متمكنه من المقتدر.

وظهر من امر الوزير عبد الله بن محمد ما ظهر، تكلموا في عزله، وشاوروا في رجل يصلح للوزارة مكانه، فالت ثمل برأيها وعنايتها الى احمد الخصبى، وكان يكتب لام المقتدر، وساعدها نصر على ذلك حتى تم له، وصح عزم المقتدر عليه.

ذكر التقبض على الوزير الخاقاني وولايه احمد الخصبى

وقبض على الوزير عبد الله بن محمد الخاقاني لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، ووكل به في منزله، فكانت ولايته ثمانية عشر شهرا، وخلع في هذا النهار على ابي العباس احمد بن عبيد الله بن احمد بن الخصبى للوزارة، وانصرف الى منزله بكنطرة الانصار، ثم جلس من الغد في دار سليمان بن وهب بمشرعه الصخر، فهابه الناس لموضعه من الخليفة بالوزارة التي صار إليها، لمحله من خدمه السيده وكتابتها، ولعناية ثمل القهرمانه به، وهابه كل منكوب من اصحاب الخاقاني وابن الفرات، فحصل له من ما لهم الف الف دينار، اصلح منها أسبابه، ثم ركب الوزير الخصبى الى القصر، فرماه الجند بالشباب من جزيرة بقرب قصر عيسى، فلجا الى الشط، وتخلص منهم بجهد، فلما جلس في مجلسه قال: لعن الله من اشار بي لهذا الأمر وحسن دخولي فيه، فقد كان كرهه لي من أتق به وبرايه، وكرهته لنفسي، ولكن القدر غالب، وامر الله نافذ.

واقر الخصبى عبيد الله بن محمد الكواذى على ديوان السواد وفارس والاهواز، واقر على الازمه وديوان الجند أبا الفرج محمد بن جعفر بن حفص، وقلد ابن عم له شيخا يعرف بإسحاق بن ابى الضحاك ديوان المغرب. ولم يكن للناس في هذا العام موسم لتغلب القرامطة على البلاد، وقله المال، وضيق الحال، فطولب بالأموال قوم لا حجه عليهم الا لفضل نعمه كانت عندهم، والح الوزير على الناس في ذلك حتى طلب امره المحسن ودوله أم على بن محمد بن الفرات وابنه موسى بن خلف، وامراه احمد بن الحجاج بن مخلد باموال جليله، وكثر الناس في ذلك وانكروه غاية الانكار.

١٢٠٢٤ سنه اربع عشره وثلاثمائة

١٢٠٢٤٠١ أخبار متفرقة

ثم دخلت

سنه اربع عشره وثلاثمائة

(ذكر ما دار في هذه السنه من اخبار بنى العباس)

[أخبار متفرقة]

فيها اشتدت مطالبه الخصبى الوزير الأموال عند الناس، واكثر التعلل عليهم فيها، ولم يدع عند احد مالا احس به الا اخذه باتعس ما يكون من الأخذ والشده، وكان نصر بن الفتح صاحب بيت مال العامه قد توفى في شهر ربيع الاول من هذا العام، فطالب الخصبى جاريته وابنته بالأموال، واحضرهما عند نفسه واشتد عليهما، فلم يجد عندهما كثير مال، إذ كان نصر رجلا صحيح الأمانة، وكان له معروف عند الناس وإياد حسنه.

وفيها امر المقتدر ابن الخصبى وزيره باستقدام ابن ابى الساج من الجبل لمحاربه القرمطى، فاستقدمه، واقبل يريد مدينه السلام، فاشتد على نصر الحاجب ونازوك وشفيع المقتدرى وهارون بن غريب الخال وغيرهم من الغلمان دخوله بغداد، فكتب اليه مؤنس بان يعدل الى واسط ليكون مقامه بها وغزوه القرامطة منها، فصار إليها ثم تأخر نفوذه الى القرمطى ولم يتم خروجه اليه لشروط شرطها واموال طلبها، وكانت الأموال في غاية التعذر فلم يجب الى ما اشترطه، وكان ذلك سببا لتوقفه.

وفيها اتخذت أم المقتدر كاتباً يقوم بأمر ضياعها وحشمها وأسبابها لما رات الخصبى قد اشتغل بالوزارة والنظر في اسباب المملكة، فقالت لثمل القهرمانه: ارتادى لي كاتباً يقوم مكانه ويحل محله، فاتخذت لها عبد الرحمن بن محمد بن سهل، وكان قد لزم بيته، واقتصر على ضيعه له، فاستخرج من منزله، وكتب لام المقتدر وتولى أمورها، وكانت فيه كفاية وأبوه شيخ من مشايخ الكتاب، وممن عنى بالعلم، فصعب امره على الخصبى الوزير، وتمنى انه لم يكن تولى الوزارة حين فارق خدمه أم المقتدر، وكانت انفع له من الخليفة، فجعل امره يضعف كلما قلت الأموال التي كان يتقرب بها ويشتد على الناس فيها.

١٢٠٢٤٠٢ ذكر التقبض على الوزير الخصبى وولايه على بن عيسى الوزارة

ذكر التقبض على الوزير الخصبى وولايه على بن عيسى الوزارة

ثم ان المقتدر امر بالتقبض على الخصبى احمد بن عبيد الله الوزير يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنه اربع عشره وثلاثمائة وعلى ابنه معه ومن لف لفه، وتولى ذلك فيه نازوك صاحب الشرطه، واستتر اصحاب دواوينه ومن افلت من اهله، وكان على بن عيسى بالمغرب متوليا للاشراف، فاستوزر واستخلف له عبيد الله بن محمد الكواذى الى وقت قدومه، وانفذ المقتدر سلامه أخا نجح الطولونى رسولا اليه ليأخذ به على طريق الرقة، ويتعجل استقدامه، فكانت مده وزارة الخصبى اربعة عشر شهرا، وضبط عبيد الله بن محمد الأمر وقام به بقية سنه اربع عشره.

وفيها مات احمد بن العباس أخو أم موسى وماتت أختها أم محمد، فأظهر المقتدر الرضا عن أم موسى، وردت عليها دورها وضياعها التي كانت اعتقلت عليها عند ما اتهمت به على ما تقدم ذكره.

وج بالناس في هذه السنه ابو طالب عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز.

١٢٠٢٥ سنه خمس عشره وثلاثمائة

ثم دخلت

سنه خمس عشره وثلاثمائة

(ذكر ما دار في هذه السنه من اخبار بني العباس) فيها قدم على بن عيسى بغداد يوم الأربعاء لخمس خلون من صفر، بعد ان تلقاه الناس جميعا بالأنبار وفوق الأنبار، ودخل الى المقتدر بالله، فاستوزره وامر بالخلع عليه فاستعفى فلم يعفه، وسلم اليه الخبيص لينظره عن الأموال، فلم يستبن عليه خيانة، ولا علم انه أخذ من مال السلطان شيئاً فقال له: ضيعت، والمضيع لا رزق له فرد ما ارتزقت وما اقطعت من الضياع، فرد ذلك وقال على بن عيسى الوزير للخليفة: ما فعلت سبحة جوهر أخذت من ابن الجصاص قيمتها ثلاثون الف دينار؟ قال له: هي في الخزانة، فسأله ان يأمر بتطلبها، فطلبت فلم توجد فأخرجها على من كره وقال له: عرضت على هذه السبحة بمصر فعرفتها واشتريتها، فإذا كانت خزانه الجوهر لا تحفظ، فما الذي حفظ بعدها! وامير المؤمنين يقطع خزانه وخدمته الأموال الجليله والضياع الواسعه فاشتد هذا الأمر على السيده أم المقتدر وعلى غيرها من بطانته واتهمت بالسبحة زيدان القهرمانه، وكان لا يصل الى خزانه الجوهر غيرها، وضبط على بن عيسى الأمر جهده، ونظر ليله ونهاره، وجلس للمظالم في كل يوم ثلاثاء وكان لا يأخذ مال احد، ولا يتعلل على الناس كما كان يفعل غيره، فأمن البراء في ايامه، وقطع الزيادات والتعلل، وتحفظ من ان تجرى عليه حيله، ودعته الضرورة بقله المال الى الاخلال ببعض الاقامات في طريق مكة وغيرها، وخرج اليه توقيع المقتدر بالايزيل الكلواذي عن ديوان السواد ولا محمد ابن يوسف عن القضاء، فقال: ما هممت بشيء من هذا، وان العهد فيه الى لتخليط على، وكدح في نظري واثار على بن عيسى على المقتدر بان يلزم خمسه آلاف فارس من بني اسد طريق مكة بعيالاتهم ويثبت لهم مال الموسم، فانه يكفيهم ويترك ابن ابى الساج مكانه، ويبعث لحرب القرمطى خمسه آلاف رجل من بني شيبان باقل من ربع المال الذي كان ينفق على ابن ابى الساج وكان على قد نظر الى ما طلبه ابن ابى الساج،

فوجده ثلاثة آلاف الف دينار، ووجد مال بني اسد وبني شيبان الف الف دينار.

والفي كاتب نازوك يرتزق تسعمائة دينار في النوبه، فأسقطها عنه، وقال: رزقه على صاحبه، واسقط من رزق مفلح الأسود الف دينار في جملة الغلمان، واقره على الف دينار كان يرتزق في النوبه. واراد مؤنس المظفر الخروج الى الثغر فتبعه على بن عيسى وساله المقام، وقال له: انما قويت على نظري بهيبتك ومقامك، فان رحلت انتقض على تديري، فأقام وقد شبرزاد ما كان يتقلد قلنسوة من امر الحبس، وضم اليه كاتب نازوك، واجرى له مائه وعشرين ديناراً، ولمن يخلفه ثلاثين ديناراً، وكان قلنسوة يرتزق لهذه الاعمال ثمانمائة دينار، وصرف ياقوتا عن الكوفه، وولاهها احمد بن عبد الرحمن بن جعفر الى ان يصير إليها ابن ابى الساج.

ولما رأى المقتدر اجتهاد على بن عيسى قال: لقد استحييت من ظلمي قبل هذا له، وأخذني المال منه، وامر بان يرد عليه ذلك، وأحال به على الحسين بن احمد الماذرائي فاشترى على بن عيسى بالمال ضياعاً، وضمها الى الضياع التي وقفها على اهل مكة والمدينة. وكان في ناحيه بني الفرات رجل يعرف بابي ميمون الأنباري، قد اصطنعوه وأحسنوا اليه، فوجد له على بن عيسى ارزاقاً كثيره، فاقصر على بعضها، فهجاه الأنباري ومن شعره المشهور فيه عند وزارته هذه:

قد اقبل الشؤم من الشام ... يركض في عسكر ابرام
مستعجلاً يسعى الى حتفه ... مدته تقصر عن عام

يا وزراء الملك لا تفرحوا ... أيامكم اقصر ايام

وكان على بن عيسى قد كتب الى ابن ابى الساج ان يقيم بالجبل، فلم يلتفت الى كتابه، وبادر بالاقبال الى حلوان يريد دخول بغداد، فكره اصحاب السلطان دخوله لها، وكتب اليه مؤنس في العدول الى واسط، وعرفه ان الأموال من ثم ترد عليه فصار الى واسط، وعاث اصحابه بها على الناس، وكثر الضجيج منهم والدعاء عليهم، فلم يغير ذلك، فقال الناس: من اراد محاربه عدوه عمل بالانصاف والعدل، ولم يفتتح امره بالجور والظلم، وانتصحه من عرفه فلم يقبل النصيحة وخرج ابن ابى الساج

الى القرمطى من واسط، فأبطأ في سيره وسبقه القرمطى الى الكوفة، ثم التقيا فهزمه القرمطى، واخذته أسيراً، وسار القرمطى يريد بغداد، فعبّر جسر الأنبار، وخرج مؤنس المظفر ونصر الحاجب وهارون بن غريب الخال وابو الهيجاء ومعهم جيش السلطان يريدون القرمطى، وقد بلغهم رحيله اليهم، وبادر نصر اصحابه، واختلف رأيهم، وجزع اصحاب السلطان، وامتألت قلوبهم رهبة للقرمطى، ووقفوا على قنطره تعرف بالقنطره الجديد، وأرادوا قطعها لئلا يجوز القرمطى اليهم، وتابعه اكثر اهل العسكر، فقطعت القنطرة فلما صار القرمطى واصحابه إليها رماهم اصحاب السلطان بالنشاب، ورأوا كثرة الخلق، فرجعوا وتبددوا في الموضع، فعزم نصر على العبور اليهم ومناجرتهم فلم يدعه مؤنس ووجه السلطان الى الفرات بطيارات، وشميليات فيها جماعه من الناشبة، وعليهم سبك غلام المكتفي، فخالوا بين القرامطة وبين العبور وكان ثقل القرمطى وسواد عسكره بحيال الأنبار، وابن ابى الساج محبوس عندهم، فاراد نصر ان يحتال للعبور في السفن ليلاً، وان يكبسوا السواد طمعاً في تخليص ابن ابى الساج فحم نصر الحاجب حمى ثقيله اذهبت عقله يومين وليلتين، وشاع ما اراد ان يفعله وقدم مؤنس غلامه يلبق في نحو الفين، فعبروا الفرات ليلاً ووافوا سواد القرمطى بالأنبار وكان يلبق في جيش عظيم، وسواد القرمطى في خيل يسيره، فانهمز اصحاب السلطان، واسر جماعه منهم، واسر ابن ابى الأغر في جملتهم فلما أتاها القرمطى جلس لهم، وضرب اعناق جميعهم، ودعا ابن ابى الساج من الموضع الذى كان محبوساً فيه، فقال له: انا اكرمك وانوى الصفع عنك، وأنت تحرض على أصحابك! فقال له: قد علمت انى ما اقدر على مكابتهم ولا مراسلتهم، فأى ذنب لي في فعلهم! فقال له: ما دمت حياً فلا أصحابك طمع فيك، فامر به فضربت عنقه.

وفيها اتصل بمؤنس المظفران أم المقتدر عامله على قتله، وانها قد نصبت له من يقتله إذا دخل الدار، فاستوحش واحترس، وطلب الخروج الى الثغر، فأجيب الى ذلك، ثم اضطرب امره لما حدث من امر القرمطى وفيها ورد الخبر بموت ابراهيم بن عبد الله المسمعي امير فارس، فخلع على ياقوت، وقلد مكانه، وولى محمد بن عبد الصمد كرمان. وجج بالناس في هذه السنه ابو احمد عبيد الله بن عبد الله بن سليمان من بنى العباس.

١٢٠٢٦ سنه ست عشره وثلاثمائة

١٢٠٢٦٠١ أخبار متفرقة

١٢٠٢٦٠٢ ذكر القبض على على بن عيسى الوزير وولايه محمد بن على بن مقله الوزارة

ثم دخلت

سنه ست عشره وثلاثمائة

[أخبار متفرقة]

(ذكر ما دار في هذه السنه من اخبار بنى العباس) فيها اوقع سليمان الجنابى القرمطى باهل الرحبه، وقتل منهم مقتله عظيمه، ووجه سريه الى ديار ربيعه، فوافقت ببوادي الاعراب واستباحتها، ثم عادوا الى الرحبه، واستاقوا خمسه آلاف جمل ومواشى كثيره، وزحف القرامطة الى الرقة للإيقاع بأهلها، فخاربوهم أشد محاربه، ورموهم من اعلى دورهم بالماء والتراب والاجر ورموهم بسهام مسمومه، فمات منهم نحو مائه رجل وانصرفوا عنها مفلولين.

ذكر القبض على على بن عيسى الوزير وولايه محمد بن على بن مقله الوزارة وفي هذه السنه قبض على على بن عيسى، ووكل به في دار الخليفة يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول، وتوجه هارون بن غريب الخال الى ابى على محمد بن على بن الحسن بن عبد الله المعروف بابن مقله، فحمله الى دار المقتدر بعد مراسلات كانت بينهما وضمانات فقلده المقتدر وزارته، وفوض اليه أموره، وخلع عليه الوزارة يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، فاقر عبيد الله ابن محمد بن عبد الله الكواذى على ديوان السواد، واقر الفضل بن جعفر بن محمد ابن موسى بن الفرات على ديوان المشرق، وانفذه ناظراً على اعمال فارس، وولى محمد ابن القاسم الكرخي ديوان المغرب- وكان قد قدم من ديار مضر- وقلد الوزير أخاه الحسن بن على ديوان الخاصة وديوان الدار الاصغر، الذى تنشأ منه الكتب بالزيادات والنقل، وقلد أخاه العباس بن على ديوان الفراتيه وديوان

الجيش، وافر عثمان بن سعيد الصيرفي على ديوان الجيش الأصل، وابراهيم بن خفيف على ديوان النفقات، واجرى الأمور احسن مجاريها، وامر الا يطالب احد بمصادره ولا غرم، ولا يعرض لصنائع احد، حتى اقر احمد بن جاني على ما كان يتقلده من ديوان اقطاع الوزراء، واجلس ابراهيم بن أيوب النصراني كاتب على بن عيسى بين يديه على رسمه، وافر على ديوان الجهبذه، وضمن امر الرجاله المصافيه الملازمين لدار الخليفة، وقد بلغت نوبتهم عشرين ومائه الف دينار في كل هلال فاستبشر الناس به، وسكنوا اليه، وأمنوا وانفسحت آمالهم، واتسعت همهم، وتباشروا بأيامه ثم خلع في غره جمادى الاولى على ابى القاسم وابى الحسين وابى الحسن بنى ابى على محمد بن على الوزير لتقلد الدواوين، ثم خلع على محمد بن على بعد ذلك لتكنيه امير المؤمنين اياه.

قال الصولي: ولا اعلم انه ولى الوزارة احد بعد عبيد الله بن يحيى بن خاقان مدح من الاشعار باكثر مما مدح به محمد بن على قبل الوزارة، وفي الوزارة، وبعد ذلك لشهرته في الشعر، وعلمه به واثابته عليه وظهر من ذكاء ابنه ابى الحسين واستقلاله بالأعمال، وتصرفه في الآداب وحسن بلاغته وخطه ما توافقه الناس، وكان اكثر ذلك في وزارته الثانية، حين انفجر عليه الشباب، وزالت الطفولة عنه قال: وما رأينا وزيرا مذ توفى القاسم بن عبيد الله احسن حركه ولا اظرف اشاره ولا اصلح خطأ، ولا اكثر حفظا، ولا اسلط قلبا، ولا اقصد بلاغه، ولا آخذ بقلوب الخلفاء من محمد بن على وله بعد هذا كله علم بالاعراب وحفظ باللغة وشعر مليح وتوقيعات حسان وولى الوزير ابنه أبا القاسم ديوان زمام القواد مكان عبيد الله بن محمد، وقلد ابنه أبا عيسى ديوان الضياع المقبوضة عن أم موسى والموروثة عن الخدم، وافر إسحاق بن اسماعيل على ما كان ضامنا له من اعمال واسط، وغير ذلك.

وفي هذه السنه رجع القرمطى الى الكوفة، فخرج اليه نصر الحاجب محتسبا وانفق من ماله مائه الف دينار الى ما اعطاه السلطان، واعانه به واجتهد في لقاء القرمطى ونصحه الجيش الذين كانوا معه، وحسنت نياتهم في محاربه القرمطى.

فاعتل نصر في الطريق، ومات في شهر رمضان، فحمل الى بغداد في تابوت وولى الحجاب مكره ابو الفوارس ياقوت مولى المعتضد، وهو إذ ذاك امير فارس، فاستخلف له ابنه ابو الفتوح الى ان يوافي ياقوت.

١٢٠٢٦٠٣ ذكر الحوادث التي أحدثها القرامطة بمكة وغيرها

ذكر الحوادث التي أحدثها القرامطة بمكة وغيرها

وفي هذه السنه سار الجنابي القرمطى لعنه الله الى مكة، فدخلها ووقع بأهلها عند اجتماع الموسم واهلال الناس بالحج، فقتل المسلمين بالمسجد الحرام، وهم متعلقون باستار الكعبة، واقتلع الحجر، وذهب به، واقتلع أبواب الكعبة وجردها من كسوتها، وأخذ جميع ما كان فيها من آثار الخلفاء التي زينوا بها الكعبة وذهبوا بذر اليتيم، وكانت تزن- فيما ذكر اهل مكة- اربعة عشر مثقالا، وبقرطى مارية، وقرن كبش ابراهيم، وعصا موسى، ملبسين بالذهب مرصعين بالجواهر، وطبق ومكبه من ذهب وسبعة عشر قنديلا، كانت بها من فضه وثلاث محاريب فضه كانت دون القامة منصوبه في صدر البيت، ثم رد الحجر بعد اعوام ولم يرد من سائر ذلك شيء.

وقيل ان الجنابي لعنه الله صعد الى سطح الكعبة ليقلع الميزاب، وهو من خشب ملبس بذهب، فرماه بنو هذيل الاعراب من جبل ابى قبيس بالسهم حتى ازالوهم عنه، ولم يصلوا الى قلعه وظهر قرامطه يعرفون بالنفليه بسواد الفرات، ومعهم قوم من الاعراب من بنى رفاعه وذهل وعبس فعاثوا وأفسدوا، وكان عليهم رؤساء منهم يقال لهم عيسى بن موسى ابن اخت عبدان القرمطى ومسعود بن حريث من بنى رفاعه ورجل يعرف بابن الأعمى فافوقوا وقائع عظيمه، وأخذوا الجزية ممن خالفهم على رسوم أحدثوها وجبوا الغلات، فانفذ المقتدر هارون بن غريب الى واسط فافوق بهم، وقتل كثيرا منهم، وحمل منهم الى مدينه السلام مائتي اسير، فقتلوا وصلبوا.

٤ وورد الخبر في شعبان بان الحسن بن القاسم الحسنى قام بالري ومعه ديلى يقال له ما كان بن كاكى، وان العامل عليها هرب الى خراسان منه، ثم ورد الخبر في شوال باقبال ديلى يقال له اسفار بن شيرويه من اصحاب الحسن بن القاسم الى الري أيضا، وان هارون بن غريب لقي اسفار هذا بناحية قزوین، فهزمه اسفار وقتل اكثر رجاله وافلت هارون وحده، ثم تلاحق به من بقي من اصحابه وفيها ولى ابراهيم بن ورقاء اماره البصره وشخص إليها من بغداد، فما رأى الناس في هذا العصر أميرا اعف منه ولما صار هارون بن غريب الى الكوفة، قلد كور الجبل كلها وضم اليه وجوه القواد فقلد أبا العباس بن كيغلف معاون همدان ونهاوند

مكان محمد بن عبد الصمد، وقد نحريرا الخادم الدينور مكان عبد الله بن حمدان، وخلع عليهما في دار السلطان، فاستوحش لذلك عبد الله بن حمدان، وكان هذا سبب معاونه عبد الله بن حمدان لنازوك عند ما أحدثاه على المقتدر مما سيأتي ذكره.

وفي هذه السنة ولى ابو عبد الله احمد بن محمد بن يعقوب بن إسحاق البريدى خراج الاهواز بعد اعمال كثيره تصرف فيها هو واخواه ابو يوسف وابو الحسين، فحمدت آثارهم، وشاعت كفايتهم، وحرص السلطان على اصطناعهم وزيادتهم فعملت أحوالهم، وزادت مراتبهم، وظهر من استقلال ابى عبد الله احمد بن محمد بالأعمال وقرب ماخذها عليه والمعرفة بوجوه النظر والاجتهاد في إرضاء السلطان ما تعارفه الناس وعلوه، مع تحرق في الكرم والسودد، وحسن الرعاية لمن خدمه، واتصل به ولمن امله وقصده، حتى انه لا يرضى لكل واحد منهم الا بغناه، فأحب السلطان ان يلى هو واخواه اكثر الاعمال الدنيا، فلم يحبوا ذلك، واقتصر كل واحد منهم على دون ما يستحق من الاعمال.

وفيهما ولى ابو الحسين عمر بن الحسن الأشناني قضاء المدينة مكان ابن البهلول إذ كبر واختلط عليه امره، ثم استعفى ابن الأشناني فاعفى، وولى الحسين بن عبد الله ابن على بن ابى الشوارب قضاء المدينة، وقلد ابو طالب محمد بن احمد بن إسحاق ابن البهلول قضاء الاهواز والأنبار، عوضا مما كان يليه أبوه من قضاء المدينة وفيها توفى ابو إسحاق بن الضحاك الخصبى والليث بن على بالرقعة. وجج بالناس في هذه السنة من تقدم ذكره.

١٢٠٢٧ سنة سبع عشرة وثلاثمائة

١٢٠٢٧.١ فيها ثار بالمقتدر بعض قواده،

ثم دخلت

سنة سبع عشرة وثلاثمائة

(ذكر ما دار في هذه السنة من اخبار بنى العباس)

فيها ثار بالمقتدر بعض قواده،

وخلعوه وهتك الجند داره، ونهبوا ماله ثم اعيد الى الخلافة، وجددت له البيعة، وذلك ان مؤنسا المظفر لما قدم من الرقة عند اخراجه الى القرامطة، وقرب من بغداد، لقيه عبد الله بن حمدان ونازوك الحاجب، فاغرياه بالمقتدر، واعلماه بانه يريد عزله عن الإمارة وتقديم هارون بن غريب مكانه، لما تقدم ذكره من عزل المقتدر لابن حمدان عن الدينور مع استفساده الى نازوك فعمل ذلك في نفس مؤنس، ودخل بغداد أول يوم من المحرم وعدل الى داره، ولم يمض الى دار الخليفة، فوجه اليه المقتدر أبا العباس ولده ومحمد بن مقله وزيره، فاعلماه تشوقه اليه ورغبته في رؤيته، فاعتذر بعلقة شكاهها، وان تخلفه لم يكن الا بسببها، فارجف الناس بتكرهه الاقبال اليه، وتجمعت الرجاله المصافيه الملازمة بالحضرة الى باب داره، فواثبهم اصحابه، ودافعوهم، ووقع بنفس مؤنس ان الذى فعله الرجاله انما كان عن امر المقتدر، فخرج من الدار، وجلس في طيار وصار الى باب الشماسيه، وعسكر وتلاحق به اصحابه وخرج اليه نازوك في جميع جيشه، فعسكر معه، وذلك يوم الأحد لتسع خلون من المحرم ولما بلغ المقتدر ذلك ارتاع له، ووعد به باخراج هارون بن غريب الى الثغر، وبذل له كل ما رجا به استمالته واذهاب وحشته وكتب المقتدر الى مؤنس واهل الجيش كتابا كان فيه:

واما نازوك فلست ادرى سبب عتبه واستيحاشه، فوالله ما اعنت عليه هارون حين حاربه، ولا قبضت يده حين طالبه، والله يغفر له سوء ظنه وامام عبد الله بن حمدان فلا اعرف شيئا احفظه الا عزله عن الدينور، وما كنا عرفنا رغبته فيها، وانما أردنا نقله الى ما هو اجل منها، وما لأحد عندي الا ما أحب لنفسه، فان اريد بي نقض البيعه، فاني مستسلم لامر الله، وغير مسلم حقا خصنى الله به، وافعل ما فعل

عثمان بن عفان رضى الله عنه ولا الزم نفسي حجه، لا آتى في سفك الدماء ما نهى الله عنه الا في المواطن التي حدها الله في الكافرين والبعاة من المسلمين ولست استنصر الا بالله، لما أومله من الفوز في الآخرة، وإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

فلما قرئ كتاب المقتدر في العسكر وثب وجوه الجيش، وقالوا: نمضي الى دار الخليفة لنسمع منه ما يقول وبلغ ذلك المقتدر، فخرج عن الدار كل من كان يحمل سلاحا، وجلس على سريرته، وفي حجره مصحف يقرأ فيه، واقام بنيه حوالى نفسه، وامر بفتح الأبواب،

والا يمنع احد الدخول فلما علم ذلك مؤنس المظفر اقبل الى باب الخلاصة ليعرف الحقيقة، ويستقرب مراسله الخليفة ثم كره ان يدخل عليه فيحدث من الأمر مالا يتلافاه فامر الحجاب بان يرجعوا الى الدار، والزّم معهم قوما من اصحابه، وصرف الناس الى منازلهم على حال جميله، وكلهم مسرور بالسلامة، ورجع هو الى داره ليزيد بذلك في تسكين الناس وتطبيب نفس الخليفة، وذلك يوم الاثنين لعشر خلون من المحرم.

فلما كان يوم الخميس لثلاث عشره خلت منه عاد اصحاب نازوك وسائر الفرسان الى الركوب في السلاح، وساروا الى دار مؤنس المظفر فاخرجوه عن كره منه الى المصلى العتيق، وغلبه نازوك على التدبير، واستأثر بالأمر، وباتوا في تلك الليلة على هذه الحال فلما اصبح نازوك ركب والناس معه في السلاح الى دار السلطان، فوجدوا الأبواب مغلقة، فاحرقوا بعضها ودخلوا الدار، وقد تكامل على بابها من الفرسان نحو اثني عشر ألفا فلما سمع المقتدر نفيهم دخل هو وولده داخل القصر، ونزل محمد بن مقله الى دجلة، فركب طيارة، وصار الى منزله، وتقحم نازوك واصحابه دخول الدار على دوابهم الى ان صاروا الى مجالس الخليفة، وهم يطلبونه ويكشفون عنه فلما رأى مؤنس ذلك دخل الدار، وسال بعض الخدم عن المقتدر، فاعلمه بمكانه، فاحتال في اخراجه واخراج أمه وولده ووجه معهم ثقاته الى داره ليستتروا فيها، واخرج على بن عيسى من المكان الذي كان محبوسا فيه، فصرفه الى منزله، واخرج الحسين بن روح- وكان محبوسا أيضا بسبب مال طوب به-

فصرفه الى منزله، ونهب الجند الدار ومحو رسوم الخلافة وهتكوا الحرمه، وصاروا من أخذ الجوهر والثياب والفرش والطيب الى مالا قدر له ثم وكل مؤنس اصحابه بالقصر وابوابه، واجمع رأى نازوك وعبد الله بن حمدان على اقعاد محمد بن المعتضد للخلافة، واحضروه الدار ليله السبت، وحضر معهما مؤنس المظفر، ودعا لمحمد بن المعتضد بكرسي، وخاطبه ثم انصرف مؤنس الى داره، واقام نازوك في الدار إذ كان يتولى الحجاب مع الشرطه، وانصرف عبد الله بن حمدان الى منزله، ووجه نازوك بالليل من نهب دار هارون بن غريب الخال بنهر المعلى وداره بالجانب الغربي، واحرقنا جميعا، ونهبت دور الناس طول ليله السبت، فكانت من اشام الليالى على اهل بغداد، وافلت كل لص وجانى جناية ومقتطع مال، وفتقوا السجون التي كانوا فيها، وافلت من دار السلطان عبد الله صاحب الجنابي، وعيسى بن موسى الديلمي وغيرهما من اهل الجزائر.

ثم اصبح الناس على مثل ذلك الى ان ركب نازوك واطهر الانكار لما حدث من النهب، وضرب اعناق قوم وجد معهم امتعه الناس، فكف الأمر قليلا، وسمى محمد بن المعتضد القاهر بأمر الله، وسلم عليه بالخلافة، ووجه القاضي محمد بن يوسف وجماعه معه الى دار مؤنس المظفر ليجبروا المقتدر على الخلع، فامتنع من ذلك.

ثم ان الرجاله المصافيه طالبوا بست نوب وزياده دينار، وكان يجب لهم في كل نوبه مائه وعشرون الف دينار عين، إذ كانوا في عشرين الف راجل، وكان عدد الفرسان اثني عشر ألفا، ومبلغ ما لهم في كل شهر خمسمائة الف دينار فضمن نازوك ثلاث نوب للرجال، ودافعهم عن الزيادة، فقالوا: لا نأخذ الا الست نوب والدينار الزائد، وخر نازوك إعطاء الجند، إذ لم يجتمع له المال، وألحوا في قبضه فلم يعطوا شيئا يوم السبت ولا يوم الأحد، وبكر الرجاله يوم الاثنين الى الدار للمطالبة بالمال، فدخل نازوك وخادمه عجيب الصقلي الى الصحن المعروف بالشعبي ودخل الرجاله الى الدهليز يشتمون نازوك، ويغلظون له، ويتواعدونه، لتأخير العطاء والزيادة عنهم. ثم انهم هجموا في الدار، وثاروا على نازوك لعداوتهم له وحربهم له في أول امارته فقتلوا عجيبا خادمه، وكان نازوك قد سد الطرق والممرات التي كانت في دار السلطان تحصينا على نفسه واستظهارا على امره فلما رأى فعل الرجاله وايقن بالشر دخل

١٢٠٢٧٠٢ ذكر صرف المقتدر إلى الخلافة

ليهرب من بعض الممرات، فوجدها مسدودة، ولحقه رجل من الرجاله اصفر يقال له مظفر وآخر يقال له سعيد بن يربوع، ويلقب بضفدع، فقتلاه ثم صلب جسده من وقته على بعض ادقال الستائر التي تلى دجلة، وصاحوا: لا نريد الا خليفتنا المقتدر بالله، ووثب القاهر مع جماعه من خدمه نفرج من بعض أبواب القصر، وجلس في طيار، ومضى الى موضعه في دار ابن طاهر. قال الصولي: ونحن نرى ذلك كله من دجلة، ونهبت دار نازوك في ذلك الوقت، ودار بنى بن نفيس وقد قيل ان مؤنسا المظفر لما رأى غلبه نازوك على الأمر وجه ليله الاثنين الى ثقباء الرجاله فواطهم على ما فعلوه، وكان لا يريد تمام خلع المقتدر، ولذلك ما ستره

ولم يبت عنه منذ ادخله داره وكان عبد الله بن حمدان في الوقت الذي قتل فيه نازوك بين يدي القاهر وهو يراه خليفه، فلها هرب القاهر طلب ابن حمدان من بعض الغلمان جبه صوف كانت عليه، وضمن له مالا، فلبسها وبادر يريد بعض الأبواب، فندربه قوم من الغلمان والخدم، فما زالوا يرمونه بالنشاب حتى قتلوه واحتزوا راسه.

سنه ٣١٧

ذكر صرف المقتدر الى الخلافة

واخرج مؤنس المظفر المقتدر بالله وساله الرجوع الى الدار، والظهور للناس فاستغفاه من ذلك فلم يدعه حتى رده في طيارة، مع خادمه بشرى، فلما صعد القصر سال عن عبد الله بن حمدان، فاخبر بقتله، فسأه ذلك، وكان قد صح عنده انه لم يرد من أول امره ما اراده نازوك، ولا ظن الحال تبلغ حيث بلغت ثم ان المقتدر قعد للناس، وخاطبهم بنفسه، وقال للرجال: لكم على ست نوب وزياده دينار، وقال للغلمان: لكم على ارزاق اربعة اشهر، وقال لسائر الجند: لكم على ارزاق اربعة اشهر وزياده خمسة دنائير لكل واحد منكم، وما عندي ما يفي بهذا ولكني أبيع ما بقي من ثيابي وفرشي وأبيع ضياعي وضياع من يجوز عليه امرى، فبايعه الناس بيعه مجده

١٢٠٢٧٠٣ أخبار متفرقة

واجتهد في توفيتهم ما ضمنه لهم، وصرف أواني الذهب والفضة، ثم اعجلوه عن صرفها فكان يزنها لهم مكان الدنانير والدرهم ووفى بكل الذي ضمنه، وكان القاهر لما اقعد للخلافة قد احضر محمد بن علي الوزير يوم السبت ويوم الأحد، وامره ان يجرى الأمور بمجاريها، فلم يحدث شيئا ولا حاول امرا فلما عاد المقتدر الى حالته احضره وشكر ما كان منه، فكتب محمد بن علي الى جميع الأمراء والعمال والاطراف بما جده الله للمقتدر بالله، وكفاه اياه، وارتجل الكتاب إملاء بلا نسخه، فاحسن فيها وأجاد.

واضطربت الأمور ببغداد الى ان ولى المقتدر شرطته ابراهيم ومحمد ابني رائق مولى المعتضد، وخلع عليهما، وذلك بمشوره مؤنس المظفر وعن امره، فقاما بالأمر احسن قيام وضبطا البلد أشد ضبط، وطاف كل واحد منهما بالليل في جانبه من بغداد، وكان اكثر الضبط لمحمد فهو الذي كان يقيم الحدود، ويستوفى الحقوق وكانت في ابراهيم رحمه ورقه قلب.

وقدم ياقوت من فارس في غره شهر ربيع الاول، فخلع عليه للحجابه وعلى محمد ولده لسبب هزيمتهم للسجستانيه بكرمان، وولى الاعمال جماعه ممن اشار بهم مؤنس ومحمد بن علي ولم يف مال المقتدر والانيه التي احضرها بارزاق الجند، فامر بارتجاع ما كان اقطعه الناس من الأموال والضياع والمستغلات، وافرد لها ديوانا، وقد الوزير ابن مقله ذلك الديوان عبد الله بن محمد بن روح، وسمى ديوان المرتجعة، فقتله في آخر الحرم، فعسف عليه الجند بالمطالبة بالمال، فاستغفى الوزير فأعفاه وقد مكانه الحسين بن احمد بن كردى الماذرائى ووردت الاخبار باستيلاء العدو على الثغور الجزرية، ونصبهم في كل مدينه رجلا منهم لقبض الجبايه، فاخرج السلطان طريفا السبكرى لدفعهم، وكتب الى من قارب تلك الناحية ان يسيروا معه.

وورد الخبر بان اصحاب ابى مسافر اضطربوا عليه باذريجان، فزال عنهم الى المراغه، فحصره بها حتى قتلوه، وتراضوا على قائد منهم اسمه مفلح، فراسوه عليهم، وترددت الأنباء الشاغله الغامه.

[أخبار متفرقة]

وتوفى في هذا العام ابو الحسين بن ابى العباس الخصبى والحسين بن احمد الماذرائى بمصر، وتوفيت ثمل القهرمانه التي كانت مع والده المقتدر

وفيها توفى ابو القاسم ابن بنت منيع المحدث، وهو ابن مائه سنه وثلاث سنين، مولده سنه اربع عشرة ومائتين.

وتوفى نحرير الصغير بالموصل وكان يتولى معاونتها.

وتوفى ابو معد نزار بن محمد الضبي.

وكان نصب الحج للناس في هذه السنه عمر بن الحسن بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس، خليفه لأبيه الحسن بن عبد العزيز فصدده الجنابي عن الحج.

١٢٠٢٨ سنة ثمان عشره وثلاثمائة

١٢٠٢٨٠١ أخبار متفرقة

ثم دخلت

سنة ثمان عشره وثلاثمائة

(ذكر ما دار في هذه السنة من اخبار بني العباس)

[أخبار متفرقة]

فيها اقبل مليح الأرميني الى ناحيه شمشاط للغارة على أهلها، فخرج اليه نجم غلام جنى الصفواني، وكان يلي المعاون بديار مضر، ويتولى اعمال الرقة، فوقع بمليح وباصحابه وقيعه عظيمه، فانفذ ابنا له يقال له منصور، ويكنى أبا الغنائم الى الخليفة ببغداد بأربعمائة اسير منهم عشره رؤساء مشاهير، فادخلهم بغداد في شهر ربيع الأول من هذه السنة مشاهير على الجمال ٤.

وفي هذه السنة خرج اعراب بنى نعيم بن عامر وبني كلاب بن ربيعة فعاثوا بظهر الكوفة، واستطالوا على المسلمين، وأخافوا السبيل، فخرج اليهم ابو الفوارس محمد بن ورقاء امير الكوفة في جمع من اشراف الكوفة وبني هاشم العباسيين والطلبين ولم يكن معه جند سواهم فقاتل الاعراب بنفسه، وصبر لمحاربتهم فأسروه وأسروا معه ابن عمر العلوي وابن عم شيان العباسي من ولد عيسى بن موسى، وسار بهم الاعراب في اخبائهم، ولم يجسروا على إيقاع سوء بهم فطلبوا منهم الفداء فاجابوهم اليه، وفدوا انفسهم وتخلصوا منهم. وفيها خلع على عبد الله بن عمرويه، وقد شرطه البصره مكان محمد بن القاسم بن سيماء، وخلع على علي بن يلق لمعاون النهروان وواسط مكان سعيد بن حمدان، فخرج الى واسط، وبلغه ان إسحاق الكردي المعروف بابي الحسين، خرج لقطع الطريق على عادته، ومعه جملة من الأكراد، فراسله على ولاطفه، ووعدته تقديم السلطان له على جميع الأكراد فاقبل اليه وبات عنده وخلع عليه وحمله ثم صرفه الى عسكره ليغدو عليه في اليوم الثاني، واجتمع رؤساء اهل واسط الى علي، فعرفوه بما قد هياه الله له في

١٢٠٢٨٠٢ ذكر الإيقاع بجند الرجال ببغداد

الكردي وانه لو انفق مائه الف دينار لما تمكن ما تمكن منه فيه، وانه ان افلت من يديه انكر السلطان ذلك عليه فلما بكر الكردي الى على بن يلق تقبض عليه وعلى من كان معه، وركب من وقته الى موضع عسكره، فقتل منهم خلقا واسر جماعه وادخل ابو الحسين الى بغداد مشهورا، ومعه اربعة عشر رجلا بين يدي يلق المؤنسي وابنه علي، وذلك لثمان خلون من جمادى الاولى، فحبسوا ولم يقتلوا وفيها خلع على محمد بن ياقوت وولى شرطه بغداد على الجانبين مكان ابراهيم ومحمد ابني رائق المعتضدي، وقد الحسبه.

ذكر الإيقاع بجند الرجال ببغداد

ومن الحوادث في هذه السنة التي عظمت بركتها على السلطان والمسلمين، ان الرجاله المصافيه لما قتلوا نازوك، وتهباً لهم ما فعلوه في امر المقتدر، وقبضوا الست النوايب والزيادة التي طلبوها، ملكوا امر الخلافة، وضربوا خياما حوالى الدار. وقالوا:

نحن اولى من الغلمان بحفظ الخليفة وقصره، وانضوى اليهم من لم يكن منهم، وزادت عدتهم على عشرين ألفا، وبلغ المال المدفوع اليهم لكل شهر مائه الف وثلثين الف دينار، وتحكموا على القضاء، وطالبوهم بجل الحباسات واخراج الوقوف من ايديهم، واكتنفوا الجناة، وعطلوا الأحكام، واستطالوا على المسلمين، وتدلل قوادهم على الخليفة وعلى الوزير، حتى كان لا يقدر ان يحتجب عن واحد منهم في اى وقت جاء من ليل او نهار، ولا يرد عن احد حاجه كائنا ما كانت، فلم يزالوا على هذه الحال الى ان شغب الفرسان، وطلبوا أرزاقهم، وعسكروا بالمصل، ودخل بعضهم بغداد يريد دار ابى القاسم بن الوزير محمد بن علي فلما قربوا منها دافعهم الرجاله الذين كانوا ملازمين بها، ومنعهم الجواز في الشارع، فتجمع الفرسان، ورشقوهم بالنشاب، وقتلوا منهم رجلا، فانهزم الرجاله اقبج هزيمة، فطمع الفرسان حينئذ فيهم، واقتصرصوا ذلك منهم، وراسلوا الغلمان الحجرية في امرهم وتأمرؤا معهم على الإيقاع بهم

وبلغ محمد بن ياقوت صاحب الشرطة الخبر، فحرص على نفاذه، واغرى الفرسان بالعزم فيه، وسفر في الأمر واحكمه، وأومى اليهم الوزير بوجه الرأي فيه، ودبره من حيث لا يظن به، إذ علم ما في نفس الخليفة عليهم من الغيظ لقبيح ما كانوا يحدثونه عليه فوثب الغلمان المجريه يوم الأربعاء لثمان ليال بقين من المحرم بالرجال المصافيه وطردهم عن المصاف، ورشقوهم بالنشاب، فانصرفوا منهزمين، وخرج ابن ياقوت صاحب شرطه بغداد غلمانا كثيرا في طيارات وتقدم اليهم الا يتركوا رجلا يعبر من جانب الى جانب الا قتلوه، ولا ملاحا يجيز احدهم الا رموه بالنشاب، واخافوه ومنعوا من عبور الجسر، والح عليهم بالطلب، ونودي فيهم الا يبقى ببغداد منهم احد، واعانت عليهم العامه، وانطلقت فيهم الأيدي، فلم يجتمع منهم اثنان، وحظر عليهم الا يخرجوا الى الكوفه والبصره والاهواز، فتخطفوا في كل وجه واميحوا بكل مكان، فهل ترى لهم من باقيه، وقصد الفرسان مع العامه الى الموضع الذي كان فيه مستقر السودان بباب عمار، فنهبهم واحرقوا منازلهم، فطلبوا الامان، وسألوا الصفح، فرفع عنهم القتل وحبس منهم الوجوه واسقطت عنهم الجرايات.

كتاب علي بن مقله الى القواد والعمال

وكتب الوزير محمد بن علي بن مقله فيهم نسخه انفذت الى القواد والعمال وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم: قد جرى اعزك الله من امر الرجال المصافيه بالحضرة ما قد اتصل بك، وعرفت جملته وتفصيله وجهته وسبيله، وقد خار الله عز وجل لسيدنا امير المؤمنين وللناس بعده بما تهيأ من قعهم وردعهم، خيره ظاهره متصله بالكفاية الشاملة التامة بمن الله وفضله، ولم ير سيدنا ايده الله استصلاح احد من هذه العصابة الا السودان فإنهم كانوا اخف جناية، وايسر جريره، فرأى اعلی الله رايه اقرارهم على أرزاقهم القديمه، وتصفييتهم بالعرض على المحنة لعله ان العساكر لا بد لها من رجاله وامر اعلی الله امره، ان يستخدم بحضرته من تؤمن باثقتة وتخف مؤنته، وترجى استقامته

١٢٠٢٨٠٤ ذكر صرف ابن مقله عن الوزارة وولايه ابن مخلد

وبالله ثقته امير المؤمنين وتوفيقه، وقبلك وقبل مثلك رجاله أنت اعلم بمن مرضت طاعته منهم، ومن يعود الى صحه وصلاح، فان قنع من ترصاه منهم بأصل الجاري عليه فتمسك به واقره على جاريه، ومن رايت الاستبدال به فأمره إليك والله المستعان.

ذكر صرف ابن مقله عن الوزارة وولايه ابن مخلد

وفي جمادى الاولى يوم الأربعاء لاربع عشره ليله بقيت منه صرف محمد بن علي ابن مقله عن الوزارة، ووكل به في الدار، وحبس فيها، واحضر محمد بن ياقوت صاحب الشرطة أبا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد، فوصل الى الخليفة وقلده وزارته، وخلع عليه، ومضى في الخلع التي كانت عليه الى الدار التي كان يسكنها ابن الفرات والوزراء بعده ثم نزل منها الى طيارة، ومضى الى منزله، فامر عبيد الله الكلواذي على دواوين السواد والاهواز وفارس وكرمان، واقر كثيرا ممن كان على سائر الدواوين وقلد ابنه احمد بن سليمان ديوان المشرق، واستخلف له عليه من يتولاه له، وقلد ابنه أبا محمد ديوان الفراتيه، وقلد أبا العباس احمد بن عبيد الله الخصبى الاشراف على اعمال فارس وكرمان، ورد التدبير اليه فكان يعزل ويولى، وقلد أبا بكر محمد بن علي الماذرائى اعمال مصر، فسار سيره جميله، وعضده على بن عيسى برايه، وكان على يجلس للمظالم منذ خرج من الحبس الى وقته ذلك، ثم اتصل قعوده مده.

وفي جمادى الآخرة من هذا العام شغب الفرسان وصاروا الى دار علي بن عيسى، فنهبوا اصطبله وقتلوا عبد الله بن سلامه حاجبه ٤. ثم ان الرجال السودان طلبوا الزيادة على ما كان رسم لهم، وشغبوا وحملوا السلاح، فسار اليهم محمد بن ياقوت ورفق بهم، ودارى امرهم فلم يقنعهم ذلك، وبقوا على حالهم، وامتدوا الى الفرسان وقتلواهم فتقدم اليهم سعيد بن حمدان وجماعه من اصحاب ابن ياقوت، ورشقوهم بالنشاب وادخلوا الى منازلهم النار فهربوا الى النهروان وقطعوا الجسر بعد ان قتل منهم خلق كثير، ثم ساروا الى واسط، وتجمع اليهم خلق كثير من البيضان، ولحق بهم جماعه من قوادهم، ورأسهم نصر الساجي، وطالبوا عمال ذلك

الجانِب بالأموال، فندب السلطان للشخص اليهم مؤنسا المظفر، فخرج اليهم ورفق بهم ودعاهم الى القناعه بما رسمه السلطان لهم، فأبوا ولجوا في غيهم، واجتمعوا في مصلى واسط من الجانب الغربي، وحفروا الابار حوالى عسكرهم، وجفروا المياه، وأقاموا النخل المقطوع منصوبه في الطريق المسلوكة اليهم لينع الخيل من التثحم عليهم، فعبّر مؤنس حتى نزل بقربهم، ثم سار اليهم بمن كان معه على الظهر وفي الماء على مخاضه وجدوها، ووضعوا فيهم السيف، فقتل اكثرهم، وغرق بعضهم واسر رئيسهم نصر الساجي، وأخذ ابن ابى الحسين الديراني واستامن بعض السودان، فنقلهم مؤنس وفرقهم في النواحي، واقر على بن يلبق على شرطه واسط وكانت هذه الوقيعه لخمس بقين من رجب، ورجع مؤنس الى بغداد لعشر بقين من شعبان.

[أخبار متفرقة]

وفي هذه السنه اسر الحسن بن حمدان شاريا خرج بكفر غرثا، يقال له: غزون، وانفذه الى السلطان، فحمل على فيل، وادخل بغداد مشهورا ثم حبس، وذلك في ذي الحجه. وقبل ذلك بشهر ما وجه ابو السرايا نصر بن حمدان بن سعيد بن حمدان شاريا خرج بالرادفيه من موالي بجيله، فادخل بغداد على فيل وبين يديه ولدان له على جملين ومائه راس من رءوس اصحابه، وسار رجل من وجوه البرابر يعرف بابى شيخ الى دار السلطان في ذي القعدة، فذكر ان جماعه من وجوه القواد والكتاب قد بايعوا أبا احمد محمد بن المكتفي بالله، واستجاب له نحو ثلاثة آلاف رجل من الجند، فامر السلطان بحفظ ابن المكتفي بالله في داره، وانتشر خبر ابى شيخ فخيّف عليه ان يقتله الجند، فبعث الى الجبل الى ابن الخال ليكون في جيشه.

وورد الخبر في ذي القعدة بوقوع الحرب بالبصرة بين البلاليه والسعديه، وان عبد الله بن محمد بن عمرويه والى المعونة بها اعان البلاليه فهزموا السعديه واحرقوا محالهم، فانخرجوا من البصره ثم ردوا إليها بعد مده عن سؤال منهم وتضرع. قال الصولي: ولما ورد الخبر بذلك، كتب على بن عيسى الى اهل البصره في ذلك كتابا بليغا ينهاهم فيه عن العصبية ويعرفهم سوء عاقبتها، فدخلت اليه وهو يلى الكتاب، فلما اوعب املاءه امر كاتبه بدفعه الى لأقرأه قال: فحسن عندي الكتاب، وقلت له: قد كان لإبراهيم بن العباس كتاب في العصبية فقال لي: ما اعرفه، فما هو؟

قلت: حدثني عون بن محمد الكندى قال: قدم علينا بسر من راي كاتب من اهل الشام، يقال له عبد الله بن عمرو من بنى عبد كان المصريين، فجعل يستصغر كتاب سر من راي، ولا يرضى احدهم قال عون: فحدثت ابى بحدِيثه فانف من ذلك، وقال: والله يا بنى لاضعفته ولاهونن نفسه اليه فضى به الى ابراهيم بن العباس، وادخله عليه، وهو يلى رساله في قتل إسحاق بن اسماعيل، وفيها ذكر العصبية، فسمع الشامي ما اعجبه، وقال لأبى: هذا من لم تلد النساء مثله فانى سمعته يلى شيئا كأنه فيه تدبر مبين قال عون فنسخ ابى ما املاه من الرسالة وهو:

وقسم الله عدوه اقساماً ثلاثة: روحا معجلة الى عذاب الله، وجثته منصوبه لأولياء الله، وراسا منقولاً الى دار خلافه الله، استنزله من معقل الى عقال، وبدلوه آجالاً من آمال، وقديما غدت العصبية أبناءها، فخلبت عليهم درها مرضعه، وركبت بهم مخاطرها موضعه، حتى إذا وثقوا فآمنوا وركبوا فاطمأنوا وامتد رضاع، وأن فطام، فجرت مكان لبنها دما وأعقبتهم من حلو غذائها مرا، ونقلتهم من عز الى ذل، ومن فرحه الى ترحه، ومن مسره الى خسره، قتلا واسرا، وغلبه وقسرا، وقل من وأضع في الفتنة مرهجا، واقتحم لها مؤجحا الا استلحمته آخذة بخنقه، وموهنه بالحق كيده، حتى جعلته لعاجله جزرا ولأجله حطبا، وللتحق موعظه وعن الباطل مزجره، أولئك لهم خزي في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وما الله بظلام للعبيد*.

وورد الخبر في ذي الحجه بوثوب اصحاب اسفار بن شيرويه الديلى المتغلب على الري عليه، واعتزامهم على قتله، وانه هرب في نفر من خاصته وغلماه، فصار مكانه الى الري ديلى يقال له مرداويج بن زيار

ومن الحوادث في هذه السنه ان الحريق وقع ليله الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى في دار محمد بن على بن مقله التي كان بناها بالزاهر على شاطئ دجلة، ويقال انه انفق فيها مائتي الف دينار، فاحترقت بجميع ما كان فيها، واحترقت معها دور له قديمه،

كان يسكنها قبل الوزارة، وانتهب الناس ما بقي من الخشب والحديد والرصاص، حتى صارت مستطرقا للسابلة من دجلة، وبطل على السلطان ما كان يصير اليه من اجارات الزاهر، وذلك جملة وافرة في السنة، ثم امر السلطان بسد أبوابها ومنع السابلة من تطرقها، وتحديث الناس بان محمد بن ياقوت فعل ذلك لضغن كان لمحمد بن علي بن مقله عنده في قلبه.

وفيهما خلع المقتدر على ابنه ابي عبد الله هارون لتقلد فارس وكرمان يوم الاثنين لست بقين من شوال، وركب في الخلع الى داره المعروفة بجراذه، بقرب الجسر، وكان المقتدر قد ثقف ولده هذا بنصر الحاجب، وجعله في حجره، فلما مات نصر تكفل امره ياقوت كما كان يتكفله نصر قبله، الا ان نصرا كان يهدى له، ويتقرب اليه.

قال الصولي: انا شهدت نصرا الحاجب قد اشترى ضيعه على نهر ديالى والنهروان يقال لها قرهاطيه، كانت للنوشجاني، فاشترها حصصا واقساما وقامت عليه بثمانية عشر الف دينار، ثم أهداها الى ابي عبد الله بن المقتدر، وهي تساوى ثلاثين الف دينار، وصنع له فيها ولأخيه ابي العباس يوم أهداها اليه وخرجا معه إليها في وجوه القواد والغلمان، فأقاموا بها يومين، وانفق عليهم نصر مالا جسيما، ووصل الغلمان والخدم بصلات سنهيه، وحمل بعضهم على خيل بسروجها ولجمها، قال: وحكى لي بعض وكلائه انه احصى ما ذبح في هذين اليومين من حمل وجدي وطير وغير ذلك من صنوف الدراج والطائر فبلغ ذلك اربعة آلاف راس.

قال الصولي: ولما خلع على ابي عبد الله هارون للولاية، وصح عزمه على الخروج، دعانى الى المسير معه والكون في عديد صحبه، فكره ذلك الأمير ابو العباس بن المقتدر، فاعتلك على ابي عبد الله، فغضب على وقطع اجراءه عنى قال: ثم بلغنى ان خروجه غير تام، فكتبت اليه بقصيده فيها تشبيب حسن ومدح مثله.

واجتلب الصولي جميع القصيده في كتاب الورقة الذى الفه باخبار الدولة، فرايت اثبات ابيات منها في هذا الكتاب ليستدل بمباطنه الصولي لهم، على علمه باخبارهم، وحفظه لما جرى في ايامهم، فليس المخبر الشاهد كالسامع الغائب، ومن قصيده الصولي:

ظلم الدهر والحبيب ظلوم ... اين من زين يهرب المظلوم
عطفك باللقاء ربح بعدا ... فاستهلت على فؤادى الهموم
يا سقيم الجفون اى صحيح ... لم يدعه هواك وهو سقيم
احرام عليك وصلى أم السائل ... وصلا مباعد محروم
قد كتمت الهوى واصعب شيء ... ان تأملته هوى مكتوم
فتى اخصم الحبيب واياى ... بما يشتهى على خصوم
لأبي عبد الله هارون عندي ... حادث من فعالة وقديم
هو بدر السماء يطلع في سعد ... المعالى والناس فيها نجوم
ورث المجد عن خلائف غر ... سبعة ما يعد فيهم بهيم
يا نسيم الحياه أنت لاياى ... إذا ما ركدن عنى نسيم
قد تذوقت منك طعم نوال ... مثله لا عدمته معدوم
لا تكلفني الى شواهد ظن ... ليس يقضى بها على عليم
ليس تمضى الا ومن اتهمت ... ناج مما ظننت سليم
فانا الان راحل ان ترحلت ... وثاؤا إذا اقتت مقيم
ارنى للرضا علامه انصاف ... فدهرى وقد كفك غسوم
نظم هذا المديح ان انصفوه ... لا يدانيه لؤلؤ منظوم
قد اتى ساحبا ذبول المعالى ... فيك والمدح بالنوال زعيم

وفيهما مات ابو بكر محمد بن ابراهيم بن المنذر بن الجارود النيسابورى بمكة يوم الأحد انسلاخ شعبان. ووج بالناس في هذه السنة عمر بن الحسن العباسي.

١٢٠٢٩ سنة تسع عشرة وثلاثمائة

١٢٠٢٩.١ أخبار متفرقة

ثم دخلت

سنة تسع عشرة وثلاثمائة

(ذكر ما دار في هذه السنة من اخبار بني العباس)

[أخبار متفرقة]

قال ابو محمد عبد الله بن احمد الفرغاني في كتابه الذي وصل به كتاب محمد بن جرير الطبري، وسماه المذيل: في هذه السنة في المحرم منها طالب قوم من الفرسان ببغداد الوزير سليمان بن الحسن بأرزاقهم، وشمته واغلظوا له، فرماهم غلبانه بالأجر من اعلى الدار، وقتلوا رجلا من الأولياء فهجموا في الدار بعد ان احرقوا الباب. فخرج الوزير على باب ثان، وجلس في طيار، وسار الى دار على بن عيسى. فانصرفوا عن بابه. وفيه قلد ابراهيم بن بطحا الحسبه بمدينة السلام.

وفي صفر ورد بغداد مؤنس الخادم الورقاني، منصرفا من الحج بالناس سالمين، فأظهر اهل مدينة السلام لذلك السرور والفرح، ونشروا الزينة في الاسواق، واخرجوا الثياب والحلى والجواهر، ونصبت القباب في الشوارع، وخلع السلطان على مؤنس واوصله نفسه وخلع على جماعه معه، وذلك يوم الخميس لعشر خلون من صفر، فذكر الحاج انها لحقتهم مجاعه عظيمه في الطريق، إذ كانت خاليه من العمارة، وكاد يأكل بعضهم بعضا من الجوع.

وللنصف من صفر قصد الشطار واهل الزعارة من العامه دار الخليفة فاحرقوا باب الميدان، ونقبوا في السور، وصعد الخليفة الى المجلس المثلث ومعه يلبق وسائر الغلمان، فضمن لهم يلبق ازاحه عليهم والافاق عليهم، فانصرفوا ثم شغبوا بعد ذلك وقصدوا دار ابى العلاء سعيد بن حمدان فحوربوا منها، وقتل منهم رجل فانصرفوا وبكروا إليها من الغد، وقد كان ابو العلاء وضع حرمه وجميع ما يملكه في الزوارق داخل الماء، فلم يصلوا الى ما املوه منه، فاحرقوا بابه وصاروا الى السجون والمطبخ ففتحت بعد محاربتهم لمن كان يمنع منها وقتل من طلاب الفتن من العامه خلق كثير وقعدوا بعد ذلك في مجلس الشرطه، وقتلوا رجلا يعرف بالذباح قيل انه ذبح ابن النامي، فلما اصبح الناس ركب ابن ياقوت اليهم زورقا، وبعث باصحابه وغلماه على الظهر، ثم وضع السيف والنشاب في اهل الزعارة من العامه، فلم يزل القتل يأخذهم من رحبه الحسين الى سوق الصاغة بباب الطاق، فارتدع الناس وكفوا.

وفي آخر صفر خرج طريف السبكري الى الثغر غازيا، وخرج في ربيع الاول نسيم الخادم الشرايبي الى الثغر أيضا، وشيعه مؤنس المظفر. وخرج من القسطنطين بمصر احد عشر مركبا للغزو في البحر الى بلاد الروم، وعليها ابو على يوسف الحجري.

وفي هذه السنة اجتمع نوروز الفرس والشعانيين في يوم واحد، وذلك يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول، وقل ما يجتمعان. ولثمان بقين منه خلع على ابى العلاء بن حمدان، وقلد ديار ربيع وما والاها، وتقدم اليه بالغزو، وفيه تقلد اعمال البصرة ابو إسحاق وابو بكر ابنا رائق.

٤ وفي شهر ربيع الآخر من هذه السنة ورد الخبر بان الاعراب صاروا في جمع كثير الى الأنبار فأفسدوا وقتلوا، فجرد اليهم على بن يلبق في جيش كثيف، وخرج يلبق أبوه في اثره، فلحقوهم وواقعوهم يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة بقيت منه بعد حرب شديده، وانهزم الاعراب، فقتلوا منهم وأسروا وغنم الأولياء غنيمه عظيمه.

وفي ربيع الآخر وقع حريق في مدينة القسطنطين بموضع يقال له خولان نهارا فذهبت فيه دور بنى عبد الوارث وغيرها. ولاربع عشره ليلة بقيت من جمادى الاولى ادخل الى مدينة السلام نحسه وسبعون رجلا من الأرمن، وجه بهم بدر الخرشني ممن حارب، فشهبوا وطيف بهم، وادخل أسارى القرامطة الخارجين بسواد الكوفه بعث بهم بشر النصرى وهم نحو مائه فشهبوا وطوفوا بمدينة السلام.

وفي جمادى الآخرة من هذه السنة ازدادت وحشه مؤنس المظفر من ياقوت وولده،

ودارت بينهم مدافعات، فصرف ابن ياقوت عن الشرطه، ورد امرها بالجانب الشرقى الى احمد بن خاقان، وبالجانب الغربى الى سرور مولى المقتدر.

وفي هذا الشهر قلد ابو بكر محمد بن طنج مدينة دمشق وأعمالها، وصرف الراشدى عنها، ورد اليه عمل الرملة ونفذ كتاب الخليفة الى ابن طنج بالولاية، فلما وصل اليه الكتاب سار من وقته الى دمشق، وخرج الراشدى الى الرملة، فسر اهل دمشق بقدوم ابن طنج، ودخلها احسن دخول.

وفي مستهل رجب من هذه السنه راسل مؤنس الخليفة، وساله اخراج ياقوت وابنه عن مدينه السلام، فلم يجبه الى ذلك، فآوحشه فعله، واستاذن هو في الخروج فلم يمنع، فخرج الى مضاربه برفقه الشماسيه مغاضبا واتصل به ان ياقوتا وابنه امرا بقصده والفتك به، فاستجلب مؤنس الرجاله المصافيه الى نفسه، فلحقوا به بالشماسيه وصاروا معه، ثم طالب الأولياء ابن ياقوت ببقايا أرزاقهم فنهدهم فلحق جميعهم بمؤنس بعد ان قطعوا خيامهم التي كانت حوالى دار الخليفة بالسيوف، فقوى امر مؤنس، وانضم عسكره على قريب من ستة آلاف فارس وسبعة آلاف راجل، فتقدم ابن ياقوت الى اصحاب السلاح الا يبيعوا منهم سلاحا ووجه اليهم مؤنس قواده يحذرهم ان يمنعوا أحدا من اصحابه بيع ما يلتمس من السلاح، وحمل يلبق وبشر واصطفن وابن الطبرى الى مؤنس مالا كثيرا وقالوا له: هذا المال افدناه معك، وهذا وقت حاجتك اليه، وحاجتنا، فشكرهم على ذلك وفرقه في اصحابه وعلى من قصده.

ولما قوى امر مؤنس وانحاز الجيش اليه ركب اليه الوزير سليمان بن الحسن وعلى بن عيسى وشفيع ومفلح، فلما حصلوا في مضربه بباب الشماسيه، شغبت عليهم حاشيه مؤنس، وضربوا وجوه دوابهم، وقبضوا عليهم، واظهرت حاشيه مؤنس انهم يريدون الفتك بهم، فاهتمهم نفوسهم، واعتقلوا يومهم، وبلغ المقتدر الخبر فآلقه، وجرى الأمر بينهما على اخراج ياقوت وابنيه عن بغداد ووجه الخليفة الى ياقوت وولده اخرجوا حيث شئتم، فخرجوا في الغلس يوم الأربعاء لثمان خلون من الشهر، وجميع حاشيتهم في الماء مع نيف واربعين سفينه محمله مالا وسلاحا وسروجا وسيوفا ومناطق وغير ذلك، وثمانية طيارات وشذاه نفلى مؤنس سبيل على بن عيسى، ومن اعتقله

١٢٠٢٩٠٢ ذكر القبض على سليمان بن الحسن الوزير وتقليد الكواذى الوزارة

معه، ورجع مؤنس الى داره، واحرقت دار ياقوت وابنه، ونودى بمدينه السلام الا يظهر احد ممن اثبت ابن ياقوت، واظهر من سائر الناس ونظر مؤنس فيمن يرد اليه الحجاب، فوقع اختياره على ابني رائق للمهانه التي كانت فيهما، وانهما كانا يلعبان بخديجة وأم الحسين، فبعث فيهما، وقدهما الحجاب، فقبلا يده ورجله، وقالوا له: نحن عبدا الأستاذ وأبونا من قبلنا، وانصرفا وغلبان مؤنس بين أيديهما حتى بلغا منازلهما.

وفي يوم الاثنين لعشر بقين من رجب ادخل مفرج بن مضر الشاري مع رجلين وجه بهم ابن ورقاء من طريق خراسان، فشهبوا على فيل وجملين.

ذكر القبض على سليمان بن الحسن الوزير وتقليد الكواذى الوزارة

وفي يوم السبت لست بقين من رجب قبض على الوزير سليمان بن الحسن، وذلك ان المال ضاق في ايامه، واتصل شغب الجند، وظهر من سليمان في وزارته ما كان مستورا من سخف الكلام وضرب الأمثال المضحكه، واظهار اللفظ القبيح بين يدي الخليفة مما يجلب الوزراء عنه، فاستنقصه الخلق، وهجاه الشعراء، واستعظموا الوزارة لمثله، وكانت لابن ياقوت فيه ابيات ضمن في آخرها هذا البيت:

يا سليمان غنى ... ومن الراح فاسقني

ولابن دريد فيه:

سليمان الوزير يزيد نقصا ... فاحر بان يعود بغير شخص

أعم مضره من ابى خلاط ... وأعي من ابى الفرج بن حفص

وولى الوزارة ابو القاسم عبيد الله بن محمد الكواذى واحضر الدار وخلع عليه، وذلك يوم الأحد لاربع بقين من رجب من هذه السنه. وفي شعبان من هذه السنه ورد الخبر بان أبا العباس احمد بن كيغلق لقي الاشكرى صاحب الديلم فهزمه الديلم وتفرق عنه اصحابه، حتى بقي في نحو من

عشرين، ومضى الديلم في آثار من انهزم من اصحابه، ودخلوا أصبهان، وملكوا دورها، وصاروا فيها ووافى الاشكرى على أثرهم في نفر من الديلم، فلما نظر اليهم ابن كيغلق قال لمن حوله: أوقعوا عيني على الاشكرى، فاروه اياه فقصده وحده، وكان الديلمى شديد الخلق

فلما نظر اليه مقبلا سال عنه فقيل له: هذا ابن كيغلغ، فبرز كل واحد منهما لصاحبه ورمى الديلمي أبا العباس بن كيغلغ بمزراق كان في يده، فأنفذ ما كان يلبسه، ووصل الى خفه، فأنفذ عضله ساقه وأثبتها في نداد سرجه، فحمل عليه ابن كيغلغ، وضربه بسيفه على أم راسه، فانصرع عن دابته وأخذ راسه وتوجه به بين يديه فتفرق اصحاب الديلمي وتراجع اصحاب ابن كيغلغ، ودخل أصبهان والراس قدماه، فوضع اهل المدينة سيوفهم ورماحهم في الديلمة الذين حصلوا بها، فقتلوا عن آخرهم ونزل ابن كيغلغ في داره، واستقام امره وحسن اثره عند المقتدر، وأعجب الناس ما ظهر من شجاعته وبأسه، مع كبر سنه.

ولعشر بقين من شعبان ورد الخبر بان القرامطة صاروا الى الكوفة ونزلوا المصلى العتيق، وعسكروا به، وأقاموا، وسارت قطعه منهم في مائتي فارس فدخلوا الكوفة، وأقاموا بها خمسة وعشرين يوما مطمئين، يقضون حوائجهم، وقتلوا بها خلقا كثيرا من بنى ثمر خاصة، واستبقوا بنى اسد، ونهبوا اهراء فيها غلات كثيرة للسلطان وغيره. وفي هذه السنة وصل زكري الخراساني الى عسكر سليمان بن ابي سعيد الجنابي فجازله عليهم من الحيلة والمخرقة ما اقتضوا به وعبدوه، ودانوا له بكل ما امرهم، به من تحليل المحارم وسفك الرجل دم أخيه وولده وذوى قرابته وغيرهم، وكان السبب في وصوله اليهم ان القرامطة لما انتشروا في سواد الكوفة، وانتهوا الى قصر ابن هبيرة فأسروا جماعه من الناس كانوا يستبدون من يأسرونه ويستخدمونهم، وكان له عرفاء، على كل طائفة منهم، فاسر زكري هذا فيمن اسر، وملكه بعض المتراسين عليهم، فلما اراد الاستخدام به تمتع عليه واسمعه ما كره فلما نظر الى قوه

١٢٠٢٩٠٣ ذكر صرف الكوازي عن الوزارة وتقليدها الحسين بن القاسم

كلامه وجراته هابه وامسك عنه، وانهى خبره الى الجنابي سليمان فاحضره من وقته وخلا به، وسمع كلامه ففتنه، ودان له وامر اصحابه بان يدينوا له ويتبعوا امره وحمله في قبة وستره عن الناس، وشغل خبره القرامطة وانصرفوا به راجعين الى بلادهم، وهم يعتقدون انه يعلم الغيب ويطلع على ما في صدورهم وضمائرهم، وهو كان بعد ذلك السبب لهلاكهم وفنائهم، على ما ياتي ذكره في الوقت الذي دار فيه ذلك.

وفي هذه السنة انحدر ياقوت وابنه من مدينه السلام في الماء، ومن تبعه من جيشه من الجانب الشرقي يريدان أعمالهما من بلد فارس، وكان على بن يلبق بواسط متقلدا لها ومعه من الغلمان الذين اشخصهم مؤنس اليه جمله مثل سيما المنخلي وكانجور وشفيق وتكين الخاقاني وغيرهم، فحملت هذه الطبقة ابن يلبق على تلقى ياقوت ومحاربه واتصل الخبر بيلق ابيه، فأنكر الأمر أشد الانكار، وكاتب ابنه يخوفه ركوب هذه الحال، ويأمره بان يتقدم الى خلفائه بواسط ان يتلقوا ياقوتا، ويخدموه ويكونوا بين يديه الى ان يخرج عن واسط وكاتب القواد الا يطاوعوا ابنه على مكروه ان هم به، وكاتب ياقوتا يسأله العبور الى الجانب الغربي خوفا من اجتماع العسكرين، ثم تحمل يلبق المصير الى ابنه وملازمته أياما الى ان جاز ياقوت وخرج عن واسط وفي شعبان من هذا العام شغب الرجال ببغداد، فخاربههم يلبق وسائر الجيش ولم تزل الحرب بينهم من غدوه الى صلاه العصر، وخرج من الفرسان جماعه، وقتل من الرجال عدد كثير، ثم تمزق الفريقان في الأزقة والدروب وانصرفوا

. ذكر صرف الكوازي عن الوزارة وتقليدها الحسين بن القاسم

وكان عبيد الله بن محمد الكوازي احد الكآب الكبار، وجليلا في نفوس الناس، فقدروا ان فيه كفاية وقياما بالأمر، فأقام على الوزارة شهرين وهو متبرم بها لضيق الأموال وكثره الاعتراضات واتصال الشغب وقعود العمال عن حمل المال فاستعفى وقال: ما اصلح ان أكون وزيرا، فصرف عنها ولم يعنف ولا نكب ولا تعرض احد من حاشيته،

١٢٠٢٩٠٤ أخبار متفرقة

وانصرف الى داره، واستقر فيها فامر الخليفة بحفظها وصيانتها. وكان ابو الجمال الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب يسعى دهره في طلب الوزارة، ويتقرب الى مؤنس وحاشيته ويصانعهم حتى جاز عندهم، وملا عيونهم، وكان يتقرب الى النصارى الكآب بان يقول لهم: ان اهلى منكم وأجدادي من كباركم،

وان صليبا سقط من يد عبيد الله بن سليمان جده في ايام المعتضد فلما رآه الناس، قال: هذا شيء نتبرك به عجائزنا، فتجعله في ثيابنا من حيث لا نعلم، تقربا اليهم بهذا وشبهه، يعنى الى مؤنس واصحابه.

وقلد الوزارة يوم السبت سلخ شهر رمضان وخلع عليه في هذا اليوم، وركب في خلعه وسائر القواد والناس على طبقاتهم معه واخذه بوله في الطريق، فنزل وهو في خلع الخليفة الى دار محمد بن فتح السعدي فبال عنده، وامر له بزيادة في رزقه ونزله، وركب منها الى داره

. [أخبار متفرقة]

ولسبع بقين من شوال اخرج على بن عيسى الى ديرقنا.

وفيه قرئت كتب في جامع الرصافه بما فتحه الله لثمل بطرسوس في البر والبحر.

وفيه خلع على ابى العباس احمد بن كيغلغ وطوق وسور، وعقد لابن الخال على اعمال فارس، ولياقوت على أصبهان، ولابنه محمد على الجبل، واخرجت إليهما الخلع للولاية.

وفي شوال من هذه السنه خلع على الوزير عميد الدولة وابن ولى الدولة الحسين بن القاسم لمنادمه المقتدر.

وفي يوم الجمعة لخمس بقين منه ظهرت في السماء فيما يلي القبله من مدينه السلام حمرة ناربه شديده لم ير مثلها، وصلى في هذا النهار الوزير عميد الدولة وابن ولى الدولة الحسين بن القاسم، في مسجد الرصافه، وعليه شاشيه وسيف بمائل، فعجب الناس منه.

وجج بالناس في هذه السنه جعفر بن على الهاشمي من اهل مكة المعروف برقطه خليفه لأبي حفص عمر بن الحسن بن عبد العزيز.

١٢٠٣٠ سنه عشرين وثلاثمائة

١٢٠٣٠٠١ مخالفة مؤنس المظفر على المقتدر

ثم دخلت

سنه عشرين وثلاثمائة

(ذكر ما دار في هذه السنه من اخبار بنى العباس)

[مخالفة مؤنس المظفر على المقتدر]

فيها خالف مؤنس المظفر على المقتدر، وخرج من بغداد الى الموصل، ثم خلعه بعد ذلك وقتله، وكان السبب في ذلك ان مؤنسا لما ابعد ياقوتا وولده عن الحجاب، وأخرجهما عن مدينه السلام، واختار ابنى رائق لملازمه المقتدر وحجابه، ورجا طوعهما له وقله مخالفتها اياه، وكان مؤنس عليلا من النقرس قاعدا في منزله كالمقعد، وكان يلبق غلامه الذى صيره مقام نفسه وعقد له الجيش، وضمه اليه ينوب عنه في لقاء الخليفة واقامه اسباب الجند والأمر والنهى، فقوى امر ابنى رائق وتمكنا من الخليفة لقربهما منه، وقيل لهما: ان مؤنسا يريد ان يصير الحجاب الى يلبق، فالتا على مؤنس واستوحشا منه، وباطنا عليه من كان بحضره الخليفة مثل مفلح والوزير ابن القاسم وغيرهما، وراسلا ياقوتا وولده وابن الخال وغيرهم واتصل ذلك بمؤنس وصح عنده، فاوحشه ذلك من المقتدر وممن كان معه، ثم سالت الحجريه والساجيه المقتدر بما احكمه لها ابنا رائق، بان يصلوا اليه كلها جلس للسلام، واستغفوه من يلبق، وطعنوا على مؤنس في ضمهم اليه. فلما كان يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم جلس المقتدر أيضا للسلام، ووصل اليه الناس، ووصلت اليه الحجريه والساجيه وصرف عنهم يلبق ولم يخلع عليه، واظهر المقتدر الانفراد بامرهم والاستبداد برايه، فانكشف لمؤنس الأمر، وصح عنده ما دبر عليه، وعلم انه مطلوب.

ولما كان يوم الخميس لثمان خلون من الشهر جلس المقتدر أيضا للسلام، فخرج مؤنس الى باب الشماسيه وعسكر بها ونهب اصحابه دار الوزير الحسين بن القاسم.

وبلغ ذلك المقتدر، فامر بشحن القصر بالرجال ونودى فيمن سخط عليه من

الرجال بالرضا عنهم، فظفروا ووعدوا بزيادة دينار على النوبه، ووعد الفرسان بزيادة خمسه دنانير على الرزق، فظهر الرجاله، وقوى امر الخليفة واستتر اصحاب مؤنس ولحق به خاصته وخرج اليه يلبق.

فلما كان يوم الجمعة لتسع خلون من الشهر، وتمت صلاه الناس في الجامع، ركب المقتدر بين الظهر والعصر في قباء تاخج وعمامة سوداء وعلى راسه شمس تظله وبين يديه اولاده الكبار ركبانا، وهم سبعة وجميع الأمراء والقواد معه وبين يديه، فسار من باب الخاصة

الى المجلس الذى فى طرف الميدان، وقد ضرب له قبة شراع ديباج فدخلها، ثم انصرف وظهر للعامة ودعا الناس له، وبعث مؤنس بشرى خليفته الى المقتدر يوم السبت مترضيا له، ومعتذرا اليه بانه لم يخرج خالعا ولا عاصيا، وانما خرج فارا من المطالبة له فقبض على بشرى وصفع وقيد، فلما اتصل الخبر بمؤنس زاد فى ايجاشه ونفاره، وامر بوضع العطاء فى اصحابه، ودخلوا السوق ليبتاوا السلاح وما يحتاجون اليه، فنعوا من ذلك حتى وجه مؤنس من قواده الى المدينة من حضر ابتياهم لما أرادوا، ثم انتقل مؤنس الى البردان، وزال عنه كثير من جيشه الى دار السلطان وكان ممن رجع عنه ابو دلف القاسم بن دلف ومحمد بن القاسم بن سيما وغيرهم من قواده، ودخل هارون بن غريب الخال الى بغداد للنصف من المحرم، ونزل فى النجى، ودخل ابن عمرويه قافلا من البصرة، ودخل نسيم الشرايى من الثغر، وخلع على سرور، وجمعت له الشرطتان ثم دخل محمد بن ياقوت لثمان بقين من المحرم، فجمع للمقتدر قواده وقوى امره وخلع على الوزير ابى الجمال، ولقب عميد الدولة، وكفى ونفذت الكتب بذلك الى العمال من الوزير ابى على عميد الدولة بن ولى الدولة القاسم بن عبيد الله، وكتب اسمه على السكك، وخلع على ابته لكتابه الأمير ابى العباس بن المقتدر، وهو الراضى ولما اجتمع الجيش ببغداد، واتفقت كلمه اصحاب المقتدر وانتقل عن مؤنس كثير من اصحابه الى دار السلطان، قلع مؤنس عن البردان فى الماء مضطرا ومعه نحو مائه غلام اكبر واصاغر من غلانه وأربعمائة غلام سودان، كانوا له وسار يلبق وابنه وباقي غلمان مؤنس على الظهر فى نحو الف وخمسمائة رجل، وكان معه من وجوه القرامطة نحو سبعين رجلا، منهم خطأ أخو هند وزيد بن صدام واسد بن جهور، وكلهم انجاد مبرزون فى لباس

لا يرد احدهم وجهها عن عدو، فسار مؤنس الى سر من راي، وعسكر بالجانب الشرقى. واجتمع الناس بقصر الحص الى مؤنس فكلهم ووعدهم، وقال لهم: ما انا بعاص لمولاي، ولا هارب عنه، وانما هذه طبقه عادتي، وغلبت على مولاي، فأثرت التباعد الى ان يفيقوا من سكرتهم، واتامل امرى معهم، ولست مع هذا التجاوز الموصل اللهم الا ان يختار مولاي مسيرى الى الشام، فاسير إليها وقال لهم فى خلال ذلك: من اراد الرجوع الى باب الخليفة فليرجع، ومن اراد المسير معى فليسر، فردوا عليه احسن مرد وقالوا له: نحن فى طاعتك، ان سرت سرتنا، وان عدت عدنا.

وبعث مؤنس أبا على المعروف بزعفران مع عشرة من القرامطة فى مال كان له مودعا عند بعض وكلائه بعكبراء، فأتاه منها بخمسين الف دينار، فدفع منها مؤنس ارزاق من كان معه، وزادهم خمسة دنائير واقام مؤنس يومه ذلك بقصر الحص، فاحترق سقف من سقوف القصر، فشق ذلك على مؤنس، واجتهد فى إطفاء النار فتعذر ذلك عليه، ثم سار وهو مغموم لما دار من الحريق فى القصر، يريد الموصل.

ونفذت كتب الوزير ابن القاسم من المقتدر الى جميع من فى الغرب من القواد كبنى حمدان وابن طنج صاحب دمشق، والى تكين صاحب مصر، والى ولاء ديار ربيعه والجزيرة وآذربيجان وملوك أرمينية والثغور الجزرية والشامية يأمرهم، بأخذ الطرق على مؤنس ويليق وولده وزعفران، ومن كان معهم ومحاربتهم والقبض عليهم.

وبلغ ذلك مؤنسا، فغمه الأمر، وكتبه عن جميع من كان معه وسار الى تكريت، وقد انصرف عنه اكثر من كان معه ثم ان مؤنسا فكر فى امره والى اين يكون توجهه، فلم يجد فى نفسه اوثق عنده ولا اشكر ليد من بنى حمدان فانه كان عند ذكره إياهم يقول: هم أولادي، وانا أظهرتهم وكانت له عند حسين بن حمدان وديعة، فاراد ان يجتاز به ويأخذها ويسير بها الى الرقة، وقد كان بلغه تجمع بنى حمدان وحشدهم لمحاربتة، فلم يصدق ذلك، ثقة منه بهم، فرحل عن تكريت الى بنى حمدان، بعد ان شاور من حضره فى الطرق

التي يأخذ عليها، فأشارت عليه طائفه بقطع البريه والخروج الى هيت ثم المسير الى شط الفرات وقال يلبق وزعفران لمؤنس: الصواب مسيرك الى الموصل كيف تصرفت الحال لوجوه من المصالح، اما واحده فلعجزك عن ركوب البريه فتتعجل الرفاهية فى الماء، واخرى لثلا يقال: جزع لما بلغه خبر بنى حمدان وتجمعهم، وثالثه انك ان بليت بقتالهم كانوا اسهل عليك من غيرهم، فوقع هذا الرأي من مؤنس بالموافقة، وسار يريد بنى حمدان فلم يلق لهم فى طريقه رسولا، ولا سمع لهم خبرا الى ان وافى عليه بشرى النصراني كاتب ابى سليمان داود بن حمدان، فاستأذن عليه يوم السبت لليلة بقيت من المحرم، وخلا بمؤنس وادى اليه رساله صاحبه ورساله الحسين بن حمدان وابى العلاء وابى السرايا بأنهم على شكره ومعرفته حق يده، ولكنهم لا يدرون كيف الخلاص مما وقعوا فيه، فان أطاعوا سلطانهم كانوا قد كفروا نعمه مؤنس اليهم، وان أطاعوا مؤنسا وعصوا سلطانهم، نسبوا الى الخلعان، وسألوه ان يعدل عن بلدهم لثلا يلتقوا به ولا يمتحنوا بحربه فقال له مؤنس: قل لهم عنى: قد كنت ظننت بكم غير هذا، وما أخذت نحوكم الا لثقتي بكم،

وطمعي في شكركم، فإذا خالفتهم الظن فليس إلى العدول عنكم سبيل، ونحن سائرون نحوكم بالغد، كائنا ما كان منكم وأرجوان إحساني إليكم سيكون من انصاري عليكم، وخذلناكم لي غير صارف لفضل الله عني وبات مؤنس بقصور مرج جهينة، وكان عسكر بني حمدان بحمصاء الموصل، وبات المحسن زعفران في الطلائع على المضيق الذي منه المدخل إلى الموصل، وباكر مؤنس المسير في الماء على رسمه قبل ذلك.

وسار أهل العسكر على الظهر، ووقع أبو علي المحسن زعفران في آخر الليل على مقدمه بنو حمدان التي كانوا أنفذوها نحو المضيق، فقتل منهم جماعة وأسر نحو ثلاثين رجلاً، وملك المضيق وأمدّه يلبق برجال زياده على من كان معه وصبح الناس القتال يوم الأحد لثلاث خلون من صفر، وما كان جميع من يضمه عسكر مؤنس إلا ثمانمائة وثلاثة وأربعين فارساً، وستمائة وثلاثين راجلاً بين أسود وأبيض. هكذا حكى الفرغاني عن أحمد بن المحسن زعفران وكان شاهداً مع أبيه في عسكر مؤنس، وعنه ينقل أكثر الحكايات وكان بنو حمدان في عساكر عظيمة قد حشدوها من العرب والعجم وقبائل الأعراب وغيرهم، فتلاقى الفريقان على تعبته، وأخذ مؤنس ويليق وابنه ومن كان معهم من القواد في حربهم أحزم ماخذ، وتوزعوا على مقدمه ويمينه وميسره وقلب، وجعلوا في كل مصاف منها ثقاتهم وأكابر قوادهم ثم

حملت مقدمتهم على مقدمه بنو حمدان، فضرب داود بن حمدان بنبله دخلت من كم درعه، فصرعته وحملت يمينه يلبق على ميسره بنو حمدان فقلعتها وطحنتها وغرق أكثرهم في دجلة.

ثم حمل يلبق بنفسه ورجاله الذين كانوا في القلب على قلب عسكر بنو حمدان، فهزموا من كان فيه، واتصل القتل فيهم، وأسر ابن لأبي السرايا ابن حمدان وغنم عسكرهم وتفرق جميعهم، ودخل مؤنس الموصل لأربع خلون من صفر وأعطى أصحابه الصلوات التي كان وعدهم بها مع الزيادة، وصار في عسكره خلق كثير من غلمان ابن حمدان ورجاله، وتوجه أبو العلاء بن حمدان وأبو السرايا إلى بغداد مستنجدين للسلطان، وانحاز الحسين بن عبد الله بن حمدان إلى جبال معلثايا واجتمع إليه بها بعض غلمانه وغلمان أهله، فسار إليه يلبق فهزمه وفرق جمعه، وعبر الحسين إلى الجانب الغربي هارباً مفلولاً، وقد يلبق ابنه نصيبين وما والاها، وانصرف هو إلى موضع يلبق وقلدها بمنى الأعور، وقد يأنسا جزيرة بنى عمر، وأبا عبيد الله بن خفيف الحديثه.

وبلغ أهل بغداد أخبار مؤنس وغلبته وفتوحاته، فأخذ كل من زال عنه في الرجوع إليه واتصل بمؤنس أن جيوشاً اجتمعت للروم، وفيها بنو ابن نفيس وكانوا قد هربوا إلى بلاد الروم عند خلع المقتدر أولاً، وأنهم قاصدون ملطيه للغارة على المسلمين، فكتب مؤنس إلى بلد الروم يستدعي بنى ابن نفيس ويعدّه ويمنيه، ويسأله صرف الروم عن ملطيه، فأقبل بنى إلى الموصل وصرف الجيش عن ملطيه، فسر به مؤنس سروراً شديداً، وخلع عليه، وأكرمه وأنس به، فكان يعاشره ويشاربه.

ووافاه أيضاً بدر الخرشنى من أرزن في نحو ثلاثمائة رجل، فسر به مؤنس ويليق ومن كان معهم، وقدم عليهم طريف السبكى من حلب في نحو أربعمائة فارس، فسروا به أيضاً، وتوالت الفتوحات على مؤنس ويليق، فلما طال مقام مؤنس بالموصل، ودامت فتوحه وعظمت هيئته، ابتدأ رجال السلطان الذين كانوا بالحضرة بالهرب إليه، وتأكدت محبتهم له، فكان أحد من جاءه بالدوا غلام ابن أبي الساج-

١٢٠٣٠٠٢ ذكر عزل الوزير الحسن بن القاسم وتقديم الفضل بن جعفر مكانه والقيام بالاحوال ببغداد

وكان بطلا شجاعاً- في نحو مائتي فارس، ولقى بالدوا في طريقه عسكراً للسلطان فكسره، وأخذ أحمال مال كانت معهم يريدون بها بغداد فجاء بها بالدوا إلى مؤنس ووهبها له ولرجاله، ثم استأمنه الحسين بن عبد الله بن حمدان لما ضاقت به الأرض، وانقطع رجاءه من إمداد السلطان، وأمنه مؤنس، وقدم عليه، ففرح مؤنس بقدمه، وقال له: نحن في ضيافتك منذ سبعة أشهر على كره لك، فشكره الحسين ولم يزل يخدم واقفاً بين يدي مؤنس في دراعه وعمامة بغير سيف مده مقام مؤنس بالموصل.

ذكر عزل الوزير الحسن بن القاسم وتقديم الفضل بن جعفر مكانه والقيام بالاحوال ببغداد

ولما ظن الوزير أبو الجمال الحسين بن القاسم أن الأمر قد صفا له بخروج مؤنس من بغداد، وأن قد تم له ما أراد، وقع فيما تكره، فكثير عليه الشغب، واشتدت مطالبه الجند له بالأموال، وخيب الله ظنه فيما أراد، ولازمه الحشم في دار الخليفة ملازمه قبيحه، وأهانوه

وأهانوا الخليفة بسببه، فثقل على قلب المقتدر، ولم يزل يقاسى منه كل صعب وذلول، فامر بالقبض عليه في عقب ربيع الآخر، وولى الفضل بن جعفر ابن الفرات مكانه، وقد كان مشهورا عند الخاص والعام بالفضل والعلم والكتابة وترك الهزل واللهو، وكان هو وابو الخطاب من خيار آل الفرات فلما صارت اليه الوزارة اظهر الحب له والرغبة فيها، فعجب الناس من ذلك، وقال فيه بعض الشعراء:
 اتطمع في الذي أعيا ابن مقله ... وقد أعيا على الوزراء قبله
 وادبر امر من ولاك حتى ... لما نرجو مع الادبار مهله
 كأنك بالحوادث قد توات ... عليك وجاءك المكروه جملة
 ولما خلع على الفضل بن جعفر سار في خلعه الى الدار التي بسوق العطش، فعطش في الطريق، واستسقى ماء، فشربه فأنكر ذلك عليه، إذ لم يكن في رسم من تقدمه

١٢٠٣٠٣ ذكر مسير مؤنس إلى بغداد وقتل المقتدر

وفي مستهل جمادى الاولى اجتمع اهل الثغور والجبال الى دار السلطان، واستنفروا الناس ببغداد، وذكروا ما ينالهم من الديلم والروم وان الخراج انما يؤخذ منهم ومن غيرهم ليصان به عامه الناس، ويدفع عدوهم عنهم، وانهم قد ضاعوا وضاعت ثغورهم، واستطال عليهم عدوهم ورققوا القلوب بهذا وأشباهه، فثار الناس معهم وساروا الى الجامع بمدينة المنصور وكسروا درابزين المقصورة واعواد المنبر، ومنعوا من الخطبة، ووشوا بحمزه الخطيب، ورجعوه حتى ادموه، وسلخوا وجهه، وجروا برجله، وقالوا له:
 يا فاجر، تدعو لرجل لا ينظر في امور المسلمين، قد اشتعل بالغناء والزنا عن النظر في امور الحرمين والثغور يفرق مال الله في أعداء الله، ولا يخاف عقابا، ولا ينتظر معادا فلم يزالوا في هذه الحال الى وقت صلاة العصر، وفعلوا بعد ذلك مثل فعلهم الاول في أول جمادى الآخرة ونهضوا الى باب الوزير الفضل بن جعفر وراموا كسره، فرموا بالسهم اعلى الدار، وقتل منهم نفر، فركب احمد بن خاقان وتوسط امرهم، وضمن لهم ما يصلحهم.
 وفي ثمان خلون من رجب نقب الحسين بن القاسم في دار الحاجبين نقبا اخرج منه غلمانه، واراد الخروج بنفسه ففطن به وقبض عليه، وحدر الى البصرة

. ذكر مسير مؤنس الى بغداد وقتل المقتدر

ولما كثر عند مؤنس من استامن اليه من قواد العراق ورجال الخليفة وبلغه الاضطراب بها، وانس الى الوزير الفضل بن جعفر، لما كان عليه من ترك المطالبة للناس، ودارت بين مؤنس وبين الوزير مكاتبات، ورجا الوزير ان تصلح الاحوال بمجيء مؤنس ويتأيد به على قمع المفسدين، ويتمكن بحضوره من صلاح امور الخليفة التي قد اضطربت، فراسل مؤنسا في القدوم ورغبه في الصلاح، وجنح مؤنس الى ذلك ورغب فيه، ورجا ما لم يعنه المقدار عليه فخرج مؤنس من الموصل يوم الأحد لثلاث عشره ليلة بقيت من شوال بعد ان ضم الى نفسه قواده ورجاله، وقلد من وثق به الموصل ونصيبين وبعربايا وسائر الاعمال في تلك الناحية، فلما انتهى مؤنس الى البردان، خرج اليه القواد وغيرهم مستأمنين اليه، مثل مفلح وبدر الحمال وابو على كاتب بشر الافشينى وابن هود وجماعه وبقي الغلمان الحجريه على الوزير وابن الخال في الشيعي يطالبونهما بالمال والزيادة لما علموا به من اقبال مؤنس.
 وكتب مؤنس الى المقتدر كتابا يقول فيها: لست بعاص لأمير المؤمنين ولا شققت عصاه، وانما تخيت عنه لمطالبه أعدائي لي عنده، وقد جئت الى بابه برجاله، وليس مذهبي الفتن ولا اراقه الدماء، وقد بلغني ان مولاى يحمل على محاربتى، ولا حظ في ذلك للفريقين، بل فيه الشتات والفرقة وذهاب العدد وحدوث البلاء، وفناء الرجال، فيأمر مولاى للجند الذين معى بأرزاقهم فندفع اليهم، ثم يصيرون اليه وتطيب نفوسهم عليه.

فاصغى المقتدر الى قوله وسربه، وقيل انه اصطحب مفلح وابن الخال في دورهما سرورا بذلك ثم قال للمقتدر ابنا رائق وياقوت ومفلح وغيرهم، ممن كان يكره مؤنسا، ولا يريد رجوعه: هذا عجز منك، ونقص بك، ولعلها حيله عليك وخدعه لك، وحمل على اخراج مضاربه الى باب الشماسيه والعزم على قتاله، وقالوا له: لو قد رآك كل من مع مؤنس لانصرفوا عنه، وتركوه وحده، واخذوه في ذلك بالوعيد والترهيب، فانخرج المقتدر مضاربه الى الشماسيه يوم الثلاثاء لاربع بقين من شوال وخرج بنفسه يوم الأربعاء لثلاث بقين منه بعد ان توضع للصلاة، وبرز الى دار العامه، فصلى بها، وكان كارها للخروج ومتبظا فيه، وانما خرج مكرها حتى لقد حدثت بأنهم قالوا له: ان

خرجت معنا الى حرب مؤنس والا تقربنا بك اليه.
وحدث ذكي عن المقتدر انه رأى في الليلة التي خرج في صبيحتها الى مؤنس كان النبي ص كان يقول له: يا جعفر، اجعل إفطارك الليلة عندي، ففرغ له وحدث به والدته، فجهدت به الا يخرج، وكشفت عن ثديها، وبكت، فغلب القضاء ونزل البلاء.
قال: فحدثني احد خلفاء الحجاب ممن أثنى به، قال: رايت المقتدر قبل خروجه الى مؤنس في دار العامه وابن رائق يستحبه ويقول له: عجل يا سيدي ليراك الناس، فقال له: الى اين عجل يا وجه الشؤم! قال: وحدثني ابن زعفران عن تكين الخادم ان المقتدر لما عمل على الخروج

الى مؤنس لبس ثيابه، وجلس على مسوره وقال لامه: يا أمه استودعك الله هذا يوم الحسين بن علي، ثم تمثل بقول علي بن الرومي:
طامن حشاك فان دهرك موقع ... بك ما تحب من الأمور وتكره
واذا حذرت من الأمور مقدرا ... فهربت منه فنحوه نتوجه

قال: وأخبرني جماعه من اهل بغداد ممن عاين المقتدر خارجا من داره وقد شق المدينة يريد رقه الشماسيه، فقالوا: كان عليه خفتان ديباج فضي تسترى، وعليه عمامة سوداء مصمت والبرده التي كانت للنبي ص على كتفيه وصدره وظهره، وهو متقلد بذى الفقار سيف رسول الله ص، وحمائله ادم احمر، وفي يده اليمنى الخاتم والقضيب، وتحت الفرس المعروف بالاقبال ويعرف بالقابوس، لان أبا قابوس اهداه اليه، وعلى الفرس سرج مغربي احمر، بحليه جديده، وتحت نخذه الأيسر سيف للركاب وبين يديه ابنه ابو احمد عبد الواحد عليه خفتان ديباج رومي منقوش، وعمامة بيضاء، وخلفه وزيره الفضل بن جعفر بن الفرات، وقدامه لواء ابيض ورايه سوداء يحملها ابن نصر اللابي، واللواء يحملها احمد بن خفيف السمرقندي، وعلمان أبيضان وعلمان اصفران، يحملها الانصار ومعهم رماح في رءوسها مصاحف، وسار المقتدر على حاله هذه حتى وافى الرقة بالشماسيه، وقد وقعت الحرب بين العسكرين، وكان الظهور أول النهار لعسكر المقتدر ثم عادت بعد ساعه لأصحاب مؤنس عليهم، فاسر ابو الوليد بن حمدان واحمد بن كيغلغ وكانا في ميمنه المقتدر في جماعه من قواد بغداد، فثبتا بأنفسهما لما خان المقتدر من كان حوله، حتى أخذوا اسيرين، وكانا في القلب من عسكر مؤنس بدر الخرشني وعلى بن يلبق ويمن الأعور وبازائهم المقتدر وعبد الواحد ابنه ومفلح الأسود، وشفيع المقتدرى، وابنا رائق، وهارون بن غريب الخال ومحمد بن ياقوت والحجريه، وكان في ميمنه مؤنس يلبق ويانس المونسي وغلمان يلبق ومن استامن اليهم من عسكر بغداد.

فلما اشتدت الحرب انكشف ابن يلبق قليلا، فراسله أبوه بالتوقف والانحياز اليه، وارسل الى ميمنته بان يحملوا، فحملوا وأخذوا على شط دجلة ليخرجوا في ظهر عسكر المقتدر، فقتلوا عسكره، وحمل يلبق وابنه ومن كان معهما حمله واحده، فانهزم جميع من كان مع المقتدر حتى لم يبق الا هو وحده، ولم يقتل بين يديه من غلمانه واوليائه احد الا رجل من خلفاء الحجاب، يقال له رشيق الهروي وقد كان المقتدر لما رأى الحرب قد وقعت بين علي بن يلبق وبين ابن الخال وابن ياقوت اراد العدول الى المضرب، او الى الحراقة فلقية سعيد بن حمدان، فقال له:

يا امير المؤمنين، قد وقعت العين على العين، فان رآك من حولك قد زلت انهزموا وانفلوا فرجع الى المصاف وذلك وقت صلاه الظهر ولم يكن في موكبه احد من اهله الا هارون بن عبد العزيز بن المعتمد على الله وعبد العزيز بن علي بن المنتصر بالله وابراهيم بن قصي بن المؤيد بالله وابراهيم بن عيسى بن موسى بن المتوكل على الله.

وكان أول من انهزم من اصحابه الحجريه ثم سائر الناس، وحمل عبد الواحد بن المقتدر في جماعه من الرجاله عده حملات، فاسر من رجال مؤنس يلبق النعماني الصفعان، وكان فارسا جيدا، فأرادوا قتله فنهاهم المقتدر عنه، ولم يزل ابن ياقوت في ذلك اليوم ثابتا بعد ان انهزم ابن الخال، وابلى بلاء حسنا فلما لم يجد ابن ياقوت مساعدا انهزم وانهمز عبد الواحد بن المقتدر، وبقي المقتدر وحده وحوله جماعه من العامه وهو يحض الناس على القتال، ويسألهم الثبات معه، ويتوسل اليهم بالله وبنبيه ويبردته، ويمسح المصحف على وجهه الى ان اقبل موكب علي بن يلبق - وكان قد اصابته جراح في الحرب فلم يهن لها - واقبل معه فارس تحت فرس ادهم، وعليه درع على راسه زرديه، فضرب المقتدر ضربه بالسيف في عاتقه الأيمن، فقطعت الضربه طاقا من حمائل السيف، وأثنته الضربه، وكان السيف بيد المقتدر مجردا وقد كان نافع صاحب ركاب مؤنس ضرب بيده الى عنان دابه المقتدر ليسير به الى مؤنس، فلما ضربه الفارس خلى نافع عنانه، ومضى الفارس بعد ان ضربه ولم يقف عليه، ووافى بعد هذا الفارس ثلاثة فوارس، يقال لأحدهم: بهلول، وللثاني: سيمجور ورفيق لهما لم احفظ اسمه، فوقفوا بالمقتدر يحاطبونه ويسمعون منه، فاخذ احدهم السيف من يده وانتزع الآخر البرده والخفتان منه،

وطالب الثالث بخاتمه فدفعه اليه، وكان الخاتم ياقوتا احمر مربعا، فضربه احد الثلاثة بالسيف على جبينه فألمه فانخرج المقتدر كم قيصره يمسح الدم عن وجهه، فضربه الآخر ضربه ثلثه، فتلقاها المقتدر بيده اليسرى، فقطعت ابهامه وانقلبت ابهامه وانقلبت الابهام الى ذراعه، وسقط الى الارض، واجتمعت عليه جماعه رجاله فاحتزوا راسه، وحمل الى مؤنس وذلك يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شوال سنه عشرين وثلاثمائة، وكان الذي حمله سراج البكمري. فلما نظر اليه مؤنس اشتد جزعه، وغمه وناله عليه امر عظيم.

وقيل: ان الذي قتل المقتدر نقيط غلام مؤنس، وان جثته بقيت مجردة، فطرح بعض المطوعة على سوءته خرقة ثم أخذها رجل من العجم، والقى عليها حشيشا، الى ان حملت الجثة الى مؤنس، فاضاف إليها الراس وسلمه الى ابن ابى الشوارب القاضي ليتولى امره، فقليل انه دفن مع ابيه، وقيل انه دفن في رقه الشماسيه، وقيل أيضا انه طرح في دجلة، ولم تزل الرعية يصلون في مصرعه ويدعون على قاتله وبني في الموضع مسجد وحظيرة كبيره، وكان عمر المقتدر يوم قتل ثمانية وثلاثين سنه وشهر وسته ايام وكانت ولايته الخلفاه أربعاً وعشرين سنه واحد عشر شهراً.

وولد أبا العباس الرازي محمداً والعباس أبا احمد، وهارون أبا عبد الله، وعبد الواحد أبا على وإبراهيم أبا إسحاق المتقى، والفضل أبا القاسم المطيع، وعلياً أبا الحسن، وإسحاق أبا يعقوب وعبد الملك أبا محمد وعبد الصمد ولم يذكر الفرغاني جميعهم وإنما ذكر ستة منهم. وبقي مؤنس في مضاربه بباب الشماسيه، ولم يدخل بغداد حتى اقام القاهر للخلافة.

واستامن اليه القواد المنهزمون عن المقتدر، فامنهم وانقطع الطلب عن جميعهم وسكن الناس، وهدنهم واطهر الأسف، لما دار في امر المقتدر وجمع القواد للمشورة في الخليفة بعده، ودار الرأي بينهم في ذلك.

وامر مؤنس باحضار بلال بواب دار ابن طاهر التي كان فيها اولاد الخلفاء، وساله عمن فيها من اولاد الخلفاء، فذكر جماعه فيهم محمد القاهر، فقال هواهم اليه- وكان مؤنس قد كرهه ونهاهم عنه- فقالوا: هو كهل، ولا أم له، ونرجو ان تستقيم أمورنا معه، فاطاعهم فيه، وأجابهم اليه واحضروه على ما سيقع بعد هذا ذكره.

قال: وحدثني ابو الفهم ذكى ان رشيقا الأيسر وكان الذي اقبل بالقاهر قال: وحدثني ابو الفهم ذكى ان رشيقا الأيسر وكان الذي اقبل بالقاهر من دار ابن طاهر لولاية الخلفاه، وكان مقدما على الحرم، حكى له بان رأيهم اجتمع بعد مفاوضه طويله على القاهر وعلى ابى احمد بن المكتفي.

قال ذكى: ووجهوني فيهما ليتكلم مؤنس مع كل واحد منهما خاليا، فن ظهر لهم تقديمه منهما قدم، فتوجه ذكى فيهما، فلما صار بهما في بعض الطريق قال القاهر لأبى احمد بن المكتفي: لست اشك في انا انما دعينا لتعرض على كل واحد منا الخلفاه، فعرفني بما عندك، فان كنت راغبا فيها أبيت انا منها، إذا دعيت إليها ثم كنت أول من يبايعك، فقال له ابو احمد: ما كنت بالذي اتقدمك، وأنت عمى وكبرى وشيخي، بل انا أول من يبايعك.

فلما تحقق عند القاهر مذهبه بنى امره عليه، ثم لما صار الى مؤنس وحاشيته بدءوا بخاطبه ابى احمد لفضل كان فيه، وعرضوا الأمر عليه فأبى من تقلده، ولم تكن رغبتهم فيه ثابتة إذ كانت له والده، وقد علموا ما كانت تحدته والده المقتدر في الخلفاه. فعقدوا الأمر للقاهر بالله.

قال: وذكر لي ابن زعفران انه حضر ذلك، وان القاهر اجلس في خيمه بإزاء خيمه مؤنس، ولم تزل المراسلات بينهما الشروط متخذة على القاهر الى ان أجاب الى جميعها الا النفقة التي كلفوه للجند على البيعه فانه ذكر الا مال له فعذروه.

قال: ولم يكن عليه يوم احضر للبيعه الا قيصان ورداء، فطلب ما يلبس من الثياب التي تشاركه للجلوس للعامه، وسيف ومنطقه، فلم يوجد ما يصلح لذلك، فنزع جعفر بن ورقاء ثيابه التي كان يلبسها، ولبسها القاهر، وهي عفاف وعمامة ومنطقه وسيف بمائل، ثم قد في الخيمة وسلموا عليه بالخلافة، وبويع له على ما سيأتي ذكره.

ذكر البيعه لمحمد القاهر بالله

وهو محمد بن احمد المعتضد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل، وكنية محمد القاهر ابو منصور، وكانت أمه تسمى بقبول، وبويع بالخلافة يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلاثمائة، وهو ابن خمس وثلاثين سنة، وذلك انه لما احضر من دار عبد الله بن طاهر التي كان فيها مع اولاد الخلفاء، ودار بينه وبين مؤنس المظفر ما تقدم ذكره من الشروط، وتم الأمر بينهم، انحدروا به الى دار الخلافة، في اليوم المؤرخ، فلما دخلها دعا بحصير فصلى اربع ركعات، وجلس على سرير الملك. ولقب القاهر بالله.

وحضر عبيد الله بن محمد الكلواذي فاستخلفه على الوزارة لمحمد بن علي بن مقله إذ كان غائبا بفارس وامر بان تكتب الكتب الى العمال باسم ابن مقله، وولى الحجاب على بن يلبق، ولم يمكنه الحضور لجراح كانت به، تخلف على الحجاب بدر الخرشني، وقلد احمد بن خاقان شرطه الجانبين.

ولما كان يوم الاثنين لليلتين خلتا من ذي القعدة، بعث القاهر في اولاد المتوكل على الله وغيرهم من أبناء الخلفاء وأبناء ابنائهم، فاوصلهم اليه واستدناهم، وامرهم بالجلوس، وأخذ عليهم الكلواذي البيعه، وخاطبه هارون بن عبد العزيز بن المعتضد بعد ان صاحفه وهناه ودعا له، فقال: قد نالت يا امير المؤمنين اهلك جفوه اضرت بهم واثرت في أحوالهم، وليس يسألون اقطاعا ورد ضيعه، وأحوالهم تصلح بادرار أرزاقهم، فقال: انا أمر بادرارها، ولا اقنع لكم بها، وقد كان يتصل بي من امركم ما يغمي، فشكرته العامه على هذا القول، وتكلم منهم ابو عبد الله محمد بن المنتصر ودعوا له جميعا.

ثم ان القاهر اظهر في أول قعوده في الخلافة من الجد وبعد الهمة والاختصار والقناعة ما هابه به الناس، واراد قطع ثوب يلبسه، فحمل اليه من داره، فقيل له: لو اخذك ثوب من خزانة الكسوة، فقال: لا تمسوا لهم شيئا، وعرضت عليه صنوف

الألوان والحلواء والفواكه التي كانت توضع بين أيدي الخلفاء في كل يوم فاستكثرها، وقال في الفاكهة: بكم تبتاع هذه كل يوم؟ فقيل له: بثلاثين دينارا، فقال: تقتصر من ذلك على دينار واحد ومن الطعام على اثني عشر لونا، وكان يصلح لغيره كل يوم ثلاثون لونا من حلواء، فاقصر على الكافي له.

وفي يوم الخميس خمس خلون من ذي القعدة حمل ابو العباس وابو عبد الله ابنا المقتدر مع أمهما الى دار عبد الله بن طاهر بعد عتمه. وفيه طولبت أم المقتدر بالأموال وضربت وعلقت، قال الفرغاني: حدثني ابو الحسين ابن العجمي قال حدثنا ذلفاء المنجمه التي كانت مع المقتدر، قالت: لما اراد المقتدر الخروج لمحاربه مؤنس قال لأمه: قد ترين ما وقعت فيه وليس معي دينار ولا درهم، ولا بد من مال يكون معي، فاعينيني بما معك، فقالت له: قد أخذت مني يوم سار القرمطى الى بغداد ثلاثة آلاف الف دينار، وما بقيت لي بعدها ذخيره الا ما ترى، واحضرته خمسين الف دينار، فقال المقتدر: وای شيء تغني عنى هذه الدنانير؟

وای مقام تقوم لي في عظيم ما استقبله؟ ثم قال لها: اما انا نفارج كيف كنت وعلى ما استطعت، ولعلی اقتل فاستريح، ولكن الشان فيمن يبقى بعدي، ويقبض عليها ويعذب ويعلق في هذه الشجرة دراجيه فقالت ذلفاء: وكانت في بعض دور الخلافة شجرة فو الله لقد قبض على أم المقتدر وعلقت في تلك الشجرة بعينها وفيه ضرب شفيع وطولب بمال، وصير بيع املاكه الى بشرى الخادم، فضاع اكثر ذلك، وقبض أيضا على اسباب خاله المقتدر، وقبض على شفيع المقتدر، وسلم المطبخ والبساتين الى رشيق الأيسر الحرمي، وسلم البريد والاصطبل الى علي بن يلبق، وصرف احمد بن خاقان عن الشرطه في الجانبين وقدها بمن الأعور وقبض الأعور، وقبض على يانس الخادم، ولم تزل الأمور مضطربه بقله المال ومطالبه الجند بالارزاق ومطالبتهم بمال البيعه حتى انهم شغبوا واجتمعوا الى باب الخليفة، ودخلوا الى الدهليز الشعبي من باب العامه وفتح السجن وحارب الموكلون عليه، وأيدتهم العامه على ذلك، فخرج بمن الأعور وأخذ رجلا من العامه وضربه بالسياط وصلبه، فتفرق العوام، وزاد امر الجند شغبا وجدا فأرسل القاهر اليهم: ليس عندي مال، والمال عند يلبق، واوصى القاهر الى مؤنس اما ان يرضى يلبق الرجال ويكفهم عنى والا اعتزلت، فليس على هذا الشرط تقلدت.

وقدم ابن مقله بغداد لتسع خلون من ذي الحجه وخلع عليه وقعد ودفع الى الجيش الذى بالحضرة عن البيعه لكل واحد منهم رزقا واحدا، ولجند اصحاب مؤنس ثلاثة ارزاق لكل واحد ثم ان ابن مقله بسط يده على الناس فاخذ أموالهم، وقبض على عيسى الطيب، فاخذ املاكه، ثم بدا في بيع املاك السلطان وأخذ المال من حيث لاح له، وابتدأ بإنشاء داره، وادخل فيها من بستان الزاهر نحو عشرين جريبا، ونقض دور بنى المقتدر، واستولى ابن يلبق وحاشيه مؤنس على القاهر، حتى صار لا يجوز له امر ولا نهى الا على اهل بيته، واولاد المقتدر المحبوسين عنده.

قال: وكان القاهر مستهترا بالشراب لا يكاد يفيق منه، فإذا شرب اقبل الى اولاد المقتدر والى الراضي واخوته، وكان قد اخذهم وضمهم الى دار تعرف بالفاجر، واحضر أبا احمد بن المكتفي واعتقله معهم، فكان القاهر يدخل عليهم بالليل ويتخلق لأولاد المقتدر ولأبي احمد بن المكتفي، ويسقيهم بيده، وكان يقول للراضي:

أنت المرشح للامر، والمسمى له، ثم يومى اليه بحربه كانت في يده، وبما ققع أصابعه بقضيب كان معه، والراضي في كل ذلك لا يخضع له ولا يقبل يده، والمقادير تدفعه عنه، واقام على بن يلبق وهو الحاجب يفتش جميع ما يدخل الدار على القاهر ويضيق عليه، والقاهر في ذلك يزداد غضبا وكدا ثم ان الراضي دس الى يلبق وابنه واهدى إليهما جوهرها وعرفهما انه واخوته خائفون على انفسهم من القاهر، وسألهما تخليص هؤلاء المحبوسين من يده فاجمع رأى يلبق وابنه على تخليصهم، وقعد يلبق في بعض العشايا في بعض مجالس الدار واخرجهم على غيبه، واخرج الجده معهم، وكان القاهر قد سامها سوء العذاب، وطالبها بالأموال، فوجه بهم الى داره، وافرد لهم موضعا في دار حرمه، وماتت الجده بها، فكفنها في احسن كفن، ودفنها بشارع الرصافه.

وفيها صرف ابو عثمان احمد بن ابراهيم بن حماد عن القضاء بمصر. وقلد القضاء بها عبد الله بن احمد بن زيد. وفي ذي القعدة من هذه السنه ورد الخبر بمصر بقتل المقتدر، فاضطربت الاحوال بها، وشغب الجند، ووكل التجار وطلوبوا بالأموال، وشغب الجند على تكين وطالبوه بمال البيعه، فجمع التجار بمصر واستسلف منهم الأموال بسبب البيعه على ان يطالب بدم المقتدر. وحج بالناس في هذه السنه ابو حفص عمر بن حسن الهاشمي.

وهذا ما انتهى إلينا من هذا التاريخ والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وآله الطاهرين الطيبين وسلم تسليما.

فرغ من نسخه الفقير المشكر المعترف بذنبه يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور ابن المعمر بن عبد السلام الزيراني في شهر ربيع الآخر من سنه سبع وعشرين وستمائه.

١٢٠٣١ تكلمة تاريخ الطبري لمحمد بن عبد الملك الهمداني

١٢٠٣١٠١ مقدمة

[تكلمة تاريخ الطبري لمحمد بن عبد الملك الهمداني]
[مقدمة]

(بسم الله الرحمن الرحيم) وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم اما بعد الحمد لله الذى وفقنا لهدايته، ووهب لنا التمسك بشريعته، والصلاة على نبيه محمد، الذى اختاره لرسالته، وفضله بنبوءته، صلى الله عليه وعلى آله وصحابه. والدعاء لمن الدنيا منهنا بمصادفه سلطانه، والفضائل مستفيدة من تيامن إحسانه، والدهر مفتخر بحصول عنانه في يديه، ومثوله في جملة العبيد لديه، سيدنا ومولانا الامام المستظهر بالله امير المؤمنين، لا زال سلطانه باذخ المكان، راسخ الأركان وایامه رفيعه العماد، منيعه البلاد ليؤرخ من مناقبها ما لا تتعلق النجوم باذباله، وتقصر عين الزمان عن شماله.

فان علم التاريخ، رغب في الاطلاع عليه ساده الأمم والقبائل، واهل المحامد والفضائل، الأئمة من ولد العباس رضوان الله عليهم، وهم الأسرة الطاهرة، والدوحه الزاهرة، هده الاعلام، وشموس الاسلام، وكانوا اكثر الخلق روايه لمن تقدمهم، وآثار من كان قبلهم، فما كان في ذلك من استقامة في الاحوال كان بالنعم مذكرا، وما شاهدوا فيه من الاختلال كان منها ومنذرا.

وقد روى ان رجلا سال سعيد بن المسيب رحمه الله عليه، فقال: رايت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي، فقال له: يا هذا ان الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا، فمن كان على خير بشره وامره بالزيادة، ومن كان على شر حذره وامره بالتوبة. والاطلاع في اخبار الناس، مرآه الناظر، تصدق عن المحاسن والمقايح، ويهذب ذوى البصائر والقرائح وبها يذكر الله تعالى من عباده ما يراه أهلا لذكره، ومستوجبا لكريم ثوابه واجره

هذا المنصور رضى الله عنه، وهو بازل الأئمة، وكافل الامه، قال لأصحابه: الملوك اربعة: معاويه وكفاه زياده، وعبد الملك وكفاه حجاجه، وهشام وكفاه مواليه، وانا ولا كافى لي، واجماله لذلك استنباض منه لهم على معرفه اخبارهم، حين انكر عليه الاسراف في ثمن عمامته، فقال له: أنت ابتعت جاريه باضعاف ذلك، لأخس اطرافك، فما تنكر من ابتياعى هذه لأكرم أطرافي! واخبر عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله، قال: لو كنت في قتله الحسين بن علي عليهما السلام، ثم امرت بدخول الجنه لم افعل حياء ان تقع عيني في عين محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذا الهادي رضوان الله، اخبر عن السندي بن شاهك، قال: كنت معه بجرجان فسمع بين بساينها صوت رجل يتغنى، فامر باحضاره، فقلت له: ما اشبه قصه هذا الجاني بقصة صاحب سليمان بن عبد الملك، فقال: وما ذاك؟ فقلت: خرج سليمان في منزله مع حرمه، فسمع صوت رجل يتغنى، فدعا صاحب شرطته، وقال: على بصاحب الصوت، فأتى به، فقال له: ما حملك على الغناء وأنت على القرب مني، وبجانب حرمي؟ اما علمت ان الفرس يصهل فتستأني له الرماك. وان الحمار ليعشر فتودق له الأذن، وان التيس ليهب فتزجج له الغنم، وان

الرجل ليغنى فتتغلم المرأة يا غلام جبه، فجبه فلما كان في العام المقبل رجع سليمان الى ذلك المنزل، فذكر الرجل وما صنع به، فقال لصاحب شرطته: على بالرجل الذي جيبته ان كان حيا فأتاه به، فقال له: إما بعت فوفيناك، وإما وهبت فكافأناك! فما دعاه الرجل الا باسمه، وقال: يا سليمان، قطعت نسلي، وزهبت بماء وجهي، وحرمتني لذتي، ثم تقول: إما بعت وإما وهبت! لا والله حتى أقف بين يدي الله عز وجل! فقال الهادي لصاحب الشرطه: لا تعرض للرجل.

وكان الرشيد رضوان الله عليه في بعض أسفاره، وقد نزل الثلج فاذاه، فقال له بعض اصحابه: الى متى سهرك يا امير المؤمنين؟ فقال: اسكت، للرعية المنام، وعلينا القيام، ولا بد للراعي من حراسه الاغنام.

وقد روى قطن بن وهب، عن ابيه، ان عمر بن الخطاب امير المؤمنين رضى الله عنه اجتاز في بعض أسفاره على صاحب غنم، فقال: يا ذا الرجل، ان كل راع مسئول عن رعيته، واني رايت في المكان الفلاني عسبا امثل من موضعك ثم اثنى على عمر رضى الله عنه، وذكر سيرته، يقول الشاعر فيه:

غضبت لغضبتك القواطع والقنا ... لما نهضت لنصره الاسلام
ناموا الى كنف لعدلك واسع ... وسهرت تحرس غفله النوم

ولو تتبعتم امثال هذا لأطلت، ولم أراجع لهذا العلم من كتاب محمد بن جرير الطبري، فرايت ان اضيف اليه مجموعا عولت فيه على ما نقلته من تصانيف المؤرخين وتاليف المحققين كالصولي والتنوخي والخطيب ابى بكر احمد بن ثابت المحدث وابى إسحاق الصابى، واولاده وابن سنان وغير هؤلاء، واضفت الى ذلك ما حفظته من شعر الشعراء وحكايات العلماء تشهد بالحال، واختصرته بجهدى، وخلصته بحسب طاقتي، واقتصرت فيه على الأمور المشهورة، والاحوال السائرة المأثورة.

وختمته ببيعه سيدنا ومولانا الامام المستظهر بالله امير المؤمنين، الذى قضى حق الله في بريته، وارتمى امره في رعيته فنظر في فضائله، داوى فكره العليل، وشخذ طبعه الكليل، وما من احد اوتى ذخيره تحصيل، وبصيره راي اصيل، يبدع في تدوين مناقبه، ولا يغرب في اثبات فضائله، ومن قصر في جمعها، فله في انعام التأمل لذلك مجال يحرسه عن الم التفرع وثقته تفصح الناظر، وتغنى عن التبذل والمعاذير.

فالرغبة الى الله تعالى في ان يمد ظلال ايامه التي بها اعتدل المائل، وارتع الجاهل، وامن السابل، وقصر المتطاول، وان يجعل له من سيدنا ومولانا عمده الدين عضدا ينوء بقوتها، ويذا تسطو ببسطها، وان يبلغه منه قاصيه الايثار وينيله منه غاية الاختيار وتبديد اعدائه تحت الذلة والصغار، والخيبة والخسار، لا يعتصمون بعصمه الا أباح الله حوزتها، ولا يعتصدون بفرقه الا شتت الله كلمتها.

ومن نظر في عزومات سيدنا ومولانا الامام المستظهر بالله امير المؤمنين رضوان الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائهم الاكرمين، علم انها تأتي بما لم تفرغ الاسماع من قبلها، ولا عثر في السير بمثلها، وتحقق انها ابعد مجدا، وان كانت اقرب عهدا، وارفع عمادا، وان كانت احدث ميلادا، فحفظ الله على الدنيا سياسته، وعلى أهلها حسن رأفته، حتى تضع له الدنيا حدودها ضارعه وتستجيب لأمره سامعه طائعة، انه ولي ذلك والقادر عليه، بمنه ولطفه.

ولما ختم ابن جرير تاريخه سنة اثنتين وثلاثمائة، وهي السنة السابعة من خلافة المقتدر بالله رضى الله عنه، وأشار الى الأمور اشارته خفيه، رآيت ان ابتدئ بخلافته ووقت بيعته، وبالله التوفيق.

١٢٠٣١٠٢ خلافة المقتدر بالله

خلافة المقتدر بالله

مدته خلافة المقتدر بالله ابى الفضل جعفر بن المعتضد بالله اربع وعشرون سنة وشهران وعشرة ايام، ومولده لثمان بقين من شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين، ولم يل الخلافة اصغر سنا منه.

وليها وسنه ثلاث عشرة سنة وشهر واحد وعشرون يوما بايع له لما مات المكتفي بالله ابو احمد العباس بن الحسن، وكان قد مال الى تقرير الأمر لعبد الله بن المعتز بمشوره ابى عبد الله محمد بن داود بن الجراح فثنى رايه عن ذلك ابن الفرات وقال: ان ابن المعتز يخبر نعم اصحاب السلطان، ويعرف اسرارهم وذخائرهم، وقد خالط الناس وفهم أمورهم، فعينه ممتدة الى ما في ايديهم، وان كان جعفر بن محمد المعتضد بالله صغيرا، فأنت تدبره، فقرر ذلك في نفسه.

ولما مات المكتفي بالله، انفذ الوزير العباس بن الحسن، بصافى الحرمي الى دار ابن طاهر، والمقتدر بالله بها، فاحداه الى دار الخلافة واجتازت الحراقة على دار الوزير فامر الوزير غلماناه فنادوا الملاحين بالدخول ليغير زيه، فظن صافى ان ذلك لتغير راي فيه، فجرد سيفه على الملاح، وامره الا يعرج على مكان غير دار الخلافة.

وبويع حينئذ على صلاه الاستخارة، واطال الدعاء، وكان العباس بن الحسن قد عول على ان ينصب في الخلافة أبا عبد الله بن المعتمد على الله، او أبا الخير ابن المتوكل على الله، فماتا مختلسين.

١٢٠٣١٠٣ سنة ست وتسعين ومائتين

سنة ست وتسعين ومائتين

قد ذكرت ميل ابى عبد الله محمد بن داود بن الجراح صاحب الديوان الى ابن المعتز فلما لم يجد عند الوزير ما يريد، عدل الى الحسين بن حمدان، فأشار عليه بالمعاضده على فسخ امر المقتدر بالله وتمهيد حال ابن المعتز، وبادر الحسين بن حمدان الى الوزير العباس بن الحسن وقد ركب من داره بدرج عمار عند الثريا، الى بستانه المعروف ببستان الورد، عند مقسم الماء، فاعترضه بالسيف فقتله، وقتل معه فاتكا المعتضدي وكان المقتدر بالله قد ركب لمشاهده اجراء الخليل، فسمع الضجة، فبادر الى الدار وكان الحسين قد قصد للفتك به، واغلقت الأبواب دونه، فانصرف الى المخرم، وجلس في دار سليمان بن وهب، وعبر اليه ابن المعتز، وكان نزل بدار على الصراة، وحضر ارباب الدولة من الكُتاب والقواد والقضاة فبايعوه ولقبوه المرتضى بالله.

واستخفى ابن الفرات واستوزر ابن المعتز ابن الجراح ومضى ابن حمدان الى دار الخلافة، فقابلته الخدم والغلمان على سورها ودفعوها.

وكان مع المقتدر بالله غريب الخال، ومؤنس الخادم، الذى لقبه بالمظفر ومؤنس الخازن.

ولما جن الليل مضى ابن حمدان باهله وماله واصعد الى الموصل واصعد غريب الخال ومؤنس المظفر في الزبازب الى المخرم فهرب الناس من عند ابن المعتز، وخرج وحده، واستجار بابن الجصاص.

واستتر على بن عيسى وابن الجراح عند بقل، فأخرجهما العامه وسبوها وسلبوها الى خادم اجتاز بهم فحملهما على بغل وقتل مؤنس المظفر جميع من بايع ابن المعتز غير على بن عيسى وابن عبدون والقاضى محمد بن خلف بن وكيع.

وانفذ المقتدر بالله مؤنسا الخازن لطلب ابن الفرات، وكان قد استتر عند جيرانه، فكتبوا امره، فخلف لهم ان السلطان يريد ان يستوزره، فظهره وحمله الى الخليفة، فولاه وزارته.

ونم خادم لابن الجصاص بخبر ابن المعتز الى صافي الحرمي، فكبس عليه واخذه وأخذ ابن الجصاص معه، فصودر على اموال جمه وسال ابن الفرات فيه.

واستنقذ ابن الفرات على بن عيسى ومحمد بن وكيع القاضي، وابن عبدون، ونفى ابن عبدون الى الاهواز، ونفى على بن عيسى الى واسط، فلما حصل بالموضعين قرر سوسن مع المقتدر بالله احضار ابن عبدون وتوليته الوزارة.

فلما حصل بواسط، بلغ ذلك ابن الفرات، فاغرى المقتدر سوسن حتى قتله وانفذ الى ابن عبدون من صادره واعتقله وكتب على بن عيسى الى ابن الفرات يسأله ابعاده الى مكة لتزول عنه التهم ففعل، وسار إليها على طريق البصرة.

وظهر موت ابن المعتز فسلم الى اهله ميتا.

وكان ابن الجراح مستترا، وعزم ابن الفرات على التوصل الى الصفح عنه، وأتاه رجل برقعته، فأمره بالاستتار حتى يدبر طريق العفو عن جرمه العظيم، واعلمه ان صافيا الحرمي يعاديه فلم يصبر ابن الجراح، فتتبع امراه نصرانية كانت تحمل رقاعه، فاخذ وحمل الى مؤنس فقتله.

واتى ابن الفرات رجل، فاخبره انه يعرف مكانه، فقال ان كان هذا صحيحا، فلك الف دينار، والا عوقبت لكذبك الف سوط، فرضى وامر ابن الفرات حاجبا

له بمراسته ليبعد عن المكان الذى هو فيه مستتر فلما علم انه قد تركه، ومضى الى غيره انفذ بالساعى به مع صاحب الشرطه، فلم يجده فامر ابن الفرات بضرب الساعى مائتي سوط واشهاره والنداء على نفسه: هذا جزاء من يسعى بالباطل، ثم امر له بمائتي دينار ونفاه الى البصرة سرا وقال: لو لم افعل هذا به، سعى بي الى الخليفة بأني توانيت في امره.

واما ابو عمر القاضي فسال فيه أبوه يوسف بن يعقوب القاضي، فاحترم لكبر سنه، وادى عنه مائه الف دينار على ان يلازم منزله.

وانفذ الخليفة بالقاسم بن سيماء وابى الهيجاء بن حمدان، لمحاربه أخيه الحسين ابن حمدان، فهزماه، ودبر ابن الفرات حتى كتب له أمانا وولاه قم.

وفي هذه السنه، قلد يوسف بن ابى الساج اعمال آذربيجان وأرمينية، على ان يحمل بعد إعطاء الجند والنفقات مائه وعشرين الف دينار في السنه.

وقدم بارس غلام اسماعيل بن احمد صاحب خراسان في اربعة آلاف تركي مفارقا لصاحبه، فقلد ديار ربيعه.

وكان للوزير العباس بن الحسن ابن كنيته ابو جعفر، واسمه محمد، ففضى بعد قتل ابيه الى بخارى واقام عند الملوك السامانيه، ومن شعره:

لئن اصبحت منبوذا ... باطراف خراسان
ومجفوا نبت عن لذة ... التغميض اجفاني
ومحمولا على الصعبه ... من اعراض سلطان
ومخصوصا بحرمان ... من الأعيان اعياني
ومكلوما باظفار ... ومكدوما باسنان
وملقى بين اخفاف ... وأظلاف توطآني
وما ذنبي الى من هو ... عنى عطفه ثاني
سوى انى ارى في الفضل ... فردا ليس لي ثاني
كان المجد إذ كشف ... عنى كان غطاني
ساسترفد صبري انه ... من خير أعواني
واستنجد عزمي انه ... والحزم سيان
وأنضو لهم من قلبي ... وان أنضيت جثماني
وانجو بنجاتي ان ... قضاء الله نجاني
الى ارضي التي ارضى ... وترضيني وترضاني
فان سلطني الله ... وبالصنع تولاني

واوطاني اوطاني ... وأعطاني أعطاني
واخلي ذرعي الدهر ... وخلاني وخلاني
فاني لا أجد العود ... ما عاد الجديدان
الى الغربه حتى تغرب ... الشمس بشروان
فان عدت لها يوما ... فسجاني سيجاني
وللموت الوحي الأحمر ... القاني القاني
وقال بعض الشعراء في العباس بن الحسين، وقد ساء خلقه بعلو سنه:
يا أبا احمد لا تحسن ... بأيامك ظنا
فاحذر الدهر فكم اهلك ... املاكا فافني
كم رأينا من وزير ... صار في الأجداث رهنا
اين من كنت تراهم ... درجوا قرنا فقرنا
فتجنب مركب الكبر ... وقل للناس حسنا
ربما امسى بعزل ... من باصباح يهني
وقبيح بمطاع الأمر ... الا يتأني
اترك الناس وأيامك ... فيهم تتني
قال حظه: اضقت مره اضاقه شديده، فجلست مع ملاح، ومعى طنبورى، وانحدرت حتى دار الوزارة بالخرم، والوزير إذ ذاك العباس بن الحسن، والسماء
متغيمه، والستائر منصوبه، والماء زائد على نيف وعشرين ذراعا، فأمرت الملاح، فشد السميريه في الروشن، وغنيتها:
عللاني بجامه وبطاس ... قهوة من ذخائر الشمس
سقياني فقد صرفت صروف الدهر ... عنى بدولة العباس
ملك ينثر الثمين من الدر ... بألفاظه على القرطاس
فامر بي، فاصعدت، وامر لي بألفي دينار.

١٢٠٣١٠٤ سنه سبع وتسعين ومائتين

سنه سبع وتسعين ومائتين

فيها انفذ السبكرى مقلد فارس، مع كاتبه الفضل عبد الرحمن بن جعفر الشيرازى طاهرا ويعقوب بن محمد بن عمرو بن الليث الصفار وكان قد أسرهما، ثم عزم السبكرى على الخلاف، فانفذ اليه ابن الفرات مؤنسا فصالحه على عشره آلاف الف درهم، فلم يرض بذلك ابن الفرات، وانفذ اليه جيشا، ومعه محمد بن جعفر العبرتائي، فواقعا السبكرى على باب شيراز، فهزموه الى سجستان، فاسره احمد بن اسماعيل، واسر معه بعض بنى عمرو بن الليث، وأنفذهما الى بغداد.
وتوفى العبرتائي بفارس، فقلد مكانه عبد الله بن ابراهيم المسمعي.
وفيها غرقت فاطمه القهرمانه في طيارها تحت الجسر في يوم ريح عاصف، فحضر صهرها بنى بن نفيس جنازتها، وجعلت السيده مكانها أم موسى.

١٢٠٣١٠٥ سنه ثمان وتسعين ومائتين

سنه ثمان وتسعين ومائتين

فيها اعتل صافي الحرمي، ووهب داره بقصر عيسى لغلامه قاسم، وابراه من كل امر، ومات فحمل الى ابن الفرات من ماله مائه وعشرون الف دينار وسبعمائه منطقه ذهبا وفضه، فحملها ابن الفرات الى المقتدر بالله، فاقر مرتبه استاذة.
وولى غريب الخال ما كان يتقلده صافي من الثغور الشاميه.
وفي هذه السنه مات المظفر بن حامد امير اليمن، وحمل الى مكة فدفن بها.

وكان ملاحظ قد انفذته الخليفة مددا فتولى مكانه.
وفي هذه السنة توفي احمد بن ابى عوف، وشارعه في الجانب الغربي معروف وكان احد العدول، وتوفى وسنه نيف وثمانون سنه وقال:
أصابني هم لم اعرف سببه في بعض الأيام، فخرجت الى بستان لي على نهر عيسى، فاجتاز بي ركابي، ثم وقف في ظل شجره، فتقدمت
له بما يأكله، لأنني رايتة والجوع غالب عليه، فأكل ثم نام فأخذت الكيس الذى فيه كتبه، فإذا فيه كتاب التجار من الرقة، الى
اصدقائهم ببغداد ومعارفهم، يأمرهم بشراء كل زيت ببغداد، ويخبرونهم انه معدوم عندهم، فبادرت وامرت وكلائي بابتياح ما
يقدران عليه من الزيت، فابتيع الى آخر النهار بعشره آلاف دينار، وكنت قد وعدت الركابي بدينارين ان اقام ليلته عندي، ولم اعرفه
السبب ولم يبت ببغداد زيت لغيري، فلما اصبحت سرحت الركابي، وانتشر الذين وصلت الكتب اليهم في طلب الزيت، فلم يجدوه،
فاربحوني في كل درهم درهما، فعلبت انه انما كان خروجي الى بستانى لاحوز عشره آلاف دينار من غير مشقة.

وفي هذه السنة توفي محمد بن داود الاصبهاني الفقيه، صاحب الكتاب المعروف بالزهرة.
حكى الشيخ ابو إسحاق الشيرازي في كتاب الفقهاء، عن القاضي ابى الطيب
الطبرى عن ابى العباس الخضرى قال: كنت جالسا عند ابن داود، فائته امراه فقالت: ما تقول في رجل له زوجه، لا هو ممسكها،
ولا هو مطلقها؟ فقال ابو بكر:
قد اختلف اهل العلم في ذلك، فقال قائلون: يؤمر بالصبر والاحتساب، ويبعث على الطلب والاكتساب وقائلون: يؤمر بالإنفاق، والا
يحمل على الطلاق فلم تفهم المرأة، فاعادت مسألتها، فقال: يا هذه، قد اجبتك الى مسألتك، وارشدتك الى طلبتك، ولست بسطان
فامضى، ولا زوج فارضى، ولا قاض فأقضي فذهبت المرأة ولم تعرف قوله.

ولما مات أبوه، قال الشيخ ابو إسحاق في كتاب الفقهاء: كان يحضر مجلس داود أربعمائة صاحب طيلسان واحتضر فجلس محمدا مكانه،
فاستصغره الناس، فسألوه عن حد السكر، فقال مبادرا: حد الكسر ان تغرب عنه الموموم، وان يبوح من سره المكتوم، فعلوا نجاته
حينئذ.

وكان يهوى محمد بن جامع، ولأجله صنف كتاب الزهرة وكان محمد بن جامع من احسن الناس، واكثرهم مالا، ولا يعرف معشوق
كان ينفق الأموال على عاشق الا ابن جامع مع ابن داود.
قال الخطيب في تاريخه وخرج ابن جامع من الحمام، فاخذ المرأة، فنظر الى وجهه، فغطاه وركب الى ابن داود، فلما رآه مغطى الوجه،
قال له ما الخبر؟

وخاف ان يكون قد لحقته آفه، فقال: رايت وجهي في المرأة، فغطيته واحببت الا يراه احد قبلك، فغشي على محمد بن داود.
وحضر ابن داود وابن سريج مجلس ابى عمر القاضي، فتكلموا في مساله العود، فقال ابن سريج: عليك بكتاب الزهرة فقال ابو داود:
ابكتاب الزهرة تعيرني وانا اقول فيه:

اكرر في روض المحاسن وجهه ... وامنع نفسي ان تنال المحرما
وينطق سرى عن مترجم خاطري ... فلولا اختلاسى رده لتكلمها
رايت الهوى دعوى من الناس كلهم ... فما ان ارى حبا صحيحا مسلما
فقال ابن سريج: او على تفخر بهذا القول؟ وانا الذى اقول:
ومساهر بالغنج من لحظاته ... قد بت امنعه لذيد سباته
ضنا بحسن حديثه وعتابه ... واكرر اللحظات في وجناته
حتى إذا ما الصبح لاح عموده ... ولى بخاتم ربه وبراته

فقال ابن داود لأبى عمر: أيد الله القاضي، قد اقر بالمبيت وادعى البراءة، فما توجه؟ قال ابن سريج: من مذهبي ان المقر إذا اقر إقرارا
وناظه بصفه، كان اقراره موكلا الى الصفة فقال ابن داود: للشافعى في هذه المسألة قولان، فقال ابن سريج: فهذا القول الذى قلته
اختياري الساعة.

١٢٠٣١٠٦ سنه تسع وتسعين ومائتين

سنه تسع وتسعين ومائتين

فيها قبض على ابن الفرات، وهتكت حرمة، ونهبت دوره ودور أسبابه، فكان صاحب الشرطه مؤنس الخازن المعروف بالفحل تحت يده تسعه آلاف فارس وراجل، وإذا كثر النهب وعظم الخطب يركب، فيسكن المنتهبون عند ركوبه، ويعودون الى النهب عند نزوله ودام ذلك ثلاثة ايام بلياليها.

وتقلد بعده ابو على محمد بن عبيد بن يحيى بن خاقان الوزارة وكان ابو على يتقلد ديوان الضياع بعد وفاه ابيه في وزارة الحسن بن مخلد. وكانت أم موسى القهرمانية تعني بابني ابى البغل فولى أبا الحسن منهما أصهبان، وولى الآخر الصلح والمبارك.

وكان ابن الفرات قد نفى أبا الهيثم العباس بن ثوابه الى الموصل لقربته من ابن عبدون، فاستدعاه ابن الخاقاني، وقلده مصادره بنى الفرات، فاسرف في المكروه بهم وغلب على الاحوال.

وكان في احوال الخاقاني تناقض، وكان يتقرب الى العامه، فانحدر يوما في زبزه الى دار السلطان، فرأى جماعه من الملاحين يصلون على دجلة، فصعد وصلى معهم.

وولى ابنه عرض الكتب على الخليفة، وكان مدمنا للشرب، ففسدت الأمور بذلك وكان اولاده وكتابه يرتفقون من العمال بما يولونهم به الولايات، ثم يعزلونهم إذا رأوا مطمعا فاجتمع بحلوان في خان بها سبعة عمال ولاهم في عشرين يوما ماء الكوفه وكان إذا ساله انسان حاجه قال: نعم وكرامة! ودق صدره.

وكتب الى بعض العمال: الزم وفقك الله المنهاج، واحذر عواقب الاعوجاج، واحمل ما امكن من الدجاج فحمل العامل دجاجا كثيرا، وقال: هذا دجاج وفره بركة السجع

١٢٠٣١٠٧ سنه ثلاثمائة

سنه ثلاثمائة

طالب القواد الخاقاني باستحقاقهم، فقصر واعتذر، فعزم المقتدر بالله على رد ابن الفرات، فاشار مؤنس ان يولى على بن عيسى، وذكر ديانته وثقته، وقال:

يقبح ان يعلم الناس ان الضرورة قادت الى ابن الفرات للطمع في ماله، فامر المقتدر الخاقاني ان يكتب على بن عيسى بالحضور، واظهر له الايثار لاستنابته له، فكان الخاقاني يقول: قد استدعيت على بن عيسى لينوب عن عبد الله ابني في الدواوين ثم ركب الى دار السلطان فقبض عليه وعلى أسبابه

١٢٠٣١٠٨ سنه احدى وثلاثمائة

سنه احدى وثلاثمائة

قدم فيها على بن عيسى من مكة، فقلده المقتدر وزارته وخلع عليه، وسلم الخاقاني اليه، فصادره وأسبابه مصادره قريبه، وصان حرم الخاقاني.

واعتمد على على بن عيسى لما اشتهر عنه من افاضه المعروف وعمارته الثغور والجوامع والمارستانات في سائر الأوقات، ورد المظالم بها، وكتب في ذلك كتابا اوله:

بسم الله الرحمن الرحيم، سبيل ما يرفعه إليك كل واحد من المتظلمين قبل النوروز من مظلمته، ويدعى انه تلف بالآفة من غلته، ان تعتمد في كشف حاله على اوثق ثقاتك، واصدق كفاتك حتى يصح لك امره، فتزيل الظلم عنه، وترفعه، وتضع الإنصاف موضعه، وتحتسب من المظالم بما يوجب الوقوف عليه حسبته، وتستوفى الخراج بعده، من غير محاباه للاقوياء، ولا حيف على الضعفاء واعمل بما رسم لك ما يظهر ويذيع ويشتهر ويشيع، ويكون العدل به على الرعية كاملا، ولانصاف شاملا ان شاء الله.

وساس على بن عيسى الدنيا السياسة المشهورة، التي عمرت البلاد، حتى قال له ابن الفرات لما ناظره: قد اسقطت من مال امير المؤمنين خمسمائة الف دينار في السنه، فقال: لم استكثر هذا المقدار في جنب ما حططته عن امير المؤمنين من الأوزار، لأنني حططت المكس بمكة، والتكلمه بفارس، وجبايه الخمر بديار ربيعه، ولكن انظر الى نفقاتي ونفقاتك، وضياعي وضياحك فاسكته.

وزادت في ايامه العمارة وتضاعف الزراعة، حين كتب اليه عامله: ان قوما يبادوروا لا يؤدون الخراج، فان امرت عاقبناهم، فكتب اليه: ان الخراج دين، ولا يجب فيمن امتنع عن أداء الدين غير الملازمة، فلا تتعد ذاك الى غيره والسلام.

وما استحسّن من افعال الخاقاني بعد عزله، ان قوما زوروا عليه باطلاقات ومسامحات، فانفذ بها علي بن عيسى يسأله عنها ليمضي منها ما اعترف به، فصادفه الرسول يصلي فلما رأى ابنه يتأمل التوقعات، قطع صلاته وقال: هذه توقعاتي صحيحة، الوزير يرى رايه فيمضي ما آثر منها، ويعرض علي ما أحب منها والتفت الى ابنه حين خرج الرسول فقال: اردت ان تنبغض الى الناس فتكون السبب في رد ما تضمنته، ويتنزه علي بن عيسى من ذلك، فلم لا نتجّب بالاعتراف بها، فان أمضاها حمدنا وان ردها عذرنا. وقصد القواد علي بن عيسى، بإسقاطه الزيادات التي زادها ابن الفرات، ووقعوا فيه وثلبوه. وفي هذه السنة، خلع علي الأمير ابني العباس بن المقتدر- وهو الذي ولي الخلافة ولقب بالراضي- واستخلف له مؤنس. وفيها انفذ علي بن احمد الراسبي الحسين بن منصور الحلاج وقد قبض عليه بالسوس، فشهّر علي جمل ببغداد، وصلب وهو حي وظهر عنه بانه ادعى انه الله. ومات الراسبي بعد قليل، فاخذ السلطان من ماله الف الف دينار. وفيها ورد الخبر بان اسماعيل بن احمد صاحب خراسان قتله غلمانة على شاطئ نهر بلخ، وقام ابنه ابو الحسن نصر مقامه وانفذ اليه الخليفة عهده. وفيها ورد الخبر بان خادما صقلابيا لأبي سعيد الجنابي قتله وخرج، فلم يزل يستدعي قائدا قائدا ويقتله، حتى قتل جماعه، ففطن به النساء فصحن بالأمر، فقام ابو طاهر سليمان بن الحسن مقام ابيه. واتى القرامطة في هذه السنة البصرة في ثلاثين فارسا، والناس في صلاه الجمعة، فقتلوا الموكلين بالباب ومن خرج اليهم من المطوعة وبلغ الخبر امير البصرة محمد بن إسحاق بن بنداحيق فغلق الأبواب

١٢٠٣١٠٩ سنة اثنتين وثلاثمائة

سنة اثنتين وثلاثمائة
ورد فيها كتاب ابني الحسن نصر بن احمد صاحب خراسان بانه واقع عمه إسحاق واسره. وفي هذه السنة خرج مؤنس الى مصر، وضم اليه علي بن عيسى أخاه عبد الرحمن، وقلده كتابته، وذلك عند سماعهم قرب الخارج بالقيروان، وواقعه مؤنس، فانهزم من بين يديه: وهذا الخارج، ذكر الصولي عن اصحاب النسب انه عبيد الله بن عبد الله ابن سالم، من اهل عسكر مكرم، وجده سالم قتله المهدي رضوان الله عليه على الزندقة ٤ وانفذ أبا عبد الله الصوفي الى المغرب، فأرى الناس زهدا وعبادة، وطرده زياده الله بن عبد الله بن الاغلب، وأتاه عبيد الله، فقال: الى هذا ادعوك. فلما اظهر عبيد الله شرب الخمر تبرأ الصوفي منه، فدرس عليه عبيد الله من قتله، وملك بلاد المغرب، فهزمه مؤنس، وتصدق المقتدر بالله عند هزيمته باموال كثيرة. وفي هذه السنة صودر ابن الجصاص، قال الصولي: وجد له بداره بسوق يحيى خمسمائة سفت من متاع مصر، ووجد فيها جرار خضر وقاقم مدفونة فيها دنانير، وأخذ منه الف الف دينار. قال الصولي: وحضرت مجلسا جرى فيه بين ابن الجصاص وابراهيم بن احمد الماذرائي خلف، فقال ابراهيم: مائة الف دينار من مالي صدقه، لقد ابطلت في الذي حكيت به، فقال ابن الجصاص: قفيز دنانير من مالي صدقه، انني صادق وانك مبطل، فقال ابن الماذرائي: من جهلك أنك لا تعلم ان مائة الف اكثر من قفيز، فانصرفت الى ابني بكر بن ابي حامد فاخبرته، فقال: نعتبر هذا، فاحضر كيلجه، فلأها دنانير، ثم وزنها، فكانت اربعة آلاف، فنظرنا فإذا القفيز سنة وتسعون الف دينار كما قال الماذرائي. وكان ابن الجصاص قد انفذ له من مصر مائة عدل خيشاء، في كل عدل الف دينار، فأخذت ايام نكبته وتركت بحالها، ولما اطلق سال فيها، فردت عليه، فاخذ المال منها، وكان إذا ضاق صدره اخرج جوهرًا يساوي خمسين الف دينار، وتركه في صينية ذهب ويلعب به، فلما قبض عليه وكبست داره، كان الجوهر في حجره، فرمى به الى البستان، فوقع بين شجره، فلما اطلق فتش عليه في البستان وقد جف نبتة وشجره، وهو بحاله.

وفي هذه السنة، ختن اولاد الخليفة، ونثر عليهم خمسة آلاف دينار، ومائة الف درهم وبلغت نفقة الطهر ستمائة الف دينار وادخلوا الى المكتب، وكان مؤدبهم ابو إسحاق ابراهيم بن السرى الزجاج.
وفي هذه السنة، غزا افسن الافشينى فاسر مائة وخمسين بطريقا، والفى فارس.
وفي ذي القعدة، خلع على ابى الهيجاء بن حمدان، وقلد الموصل وأعمالها.
وفيها ماتت بدعه جارية عريب، وكان إسحاق بن أيوب قد ضمن لأبى الحسن على بن يحيى المنجم عشرين الف دينار، ان باعها عريب منه بمائة الف دينار.
فجاء وخاطبها، فاستدعت بدعه وخيرتها بين المقام والبيع، فاخترت المقام، فأعتقتها ولم يملكها قط رجل.
وفي هذه السنة توفى ابو بكر جعفر بن محمد الغريانى، وهو ممن طوف شرقا وغربا لسماع الحديث، واستقبل لما قدم بغداد بالطيارات والزبازب واملى بشارع
المنار بباب الكوفة، فخر في مجلسه ثلاثون ألفا يكتب منهم عشرة آلاف، وكان في مجلسه ثلاثمائة وستة عشر يستملون، ومولده سنة سبع ومائتين ودفن بالشونيزي.
وفي هذه السنة، توفى احمد بن عبد العزيز بن طوما الهاشمي، نقيب العباسيين، وولى مكانه ابنه محمد، وتوفى وهو ابن اثنتين وتسعين سنة، وسمعت ان له عقبا بالحاذانية ذباله البطيحة

١٢٠٣١٠١٠ سنة ثلاث وثلاثمائة

سنة ثلاث وثلاثمائة
فيها اطلق السبكى من الحبس، وخلع عليه خلع الرضا.
ووقع حريق في سوق التجارين بباب الشام واحترق، وطار الشرار فاحرق ستاره جامع المدينة.
وعصى الحسين بن حمدان، واجتمع معه ثلاثون الف رجل من العرب وهزم رائقا الكبير، واقام بإزاء جزيرة ابن عمر وورد مؤنس من مصر، وقد استدعاه على بن عيسى لحرمه فأنهزم اصحاب الحسين، واسره مؤنس، وادخله الى بغداد، ومعه ابنه عبد الوهاب، فصلبه حيا على نقتق على ظهر فيل، ونقله ابنه على جمل، والأمير ابو العباس والوزير على بن عيسى ومؤنس وابو الهيجاء بن حمدان وابراهيم ابن حمدان يسرون بين يديه، وحبس عند زيدان القهرمانه وقبض بعد ذلك على ابى الهيجاء واخوته.
وطلب الجند الزيادة، فزيد الفارس ثلاثة دنانير، والراجل خمسة عشر قيراطا.
وفي هذه السنة، توفى ابو على الجبائي، ومولده سنة خمس وثلاثين ومائتين، وكان ابو على شيخ المعتزله في زمانه ومات بعسكر مكرم، وحمل الى منزله بجبي، ولما احتضر قال اصحابه: من يلقيه التوبة؟ فلم يتجاسر احد على ذلك إعظاما له، فقال اصغرهم سنا: انا القنه، وتقدم وقرأ: **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**، ففتح ابو على عينيه وقال: اللهم انى تائب إليك من كل قول نصرته كان الصواب عندك غيره، واشتبه على امره، فقال من حضره: لو كان على ذنب غير هذا لذكره وكان يذهب الى ان حكم النجوم صحيح على وجهه، وهو انه يجوز ان يكون الله تعالى، اجرى العادة إذا صار الكوكب الفلاني الذى جعله الله تعالى وخلقه سعدا الى الموضع الفلاني كان كذا.

وكان ينكر على المنجمين ان الكواكب تفعل بأنفسها ذلك، فاجتاز بعسكر مكرم على دار سمع فيها صيحه لأجل امره تلد، فقال: ان صح ما يقوله المنجمون، فهذا المولود ذو عاهة، فخرجت امره، فسالت أبا على الدخول وان يحنك المولود ويؤذن في اذنه، ففعل فإذا به احنف

١٢٠٣١٠١١ سنة اربع وثلاثمائة

سنة اربع وثلاثمائة
في فصل الصيف فزع الناس من شيء من الحيوان يسمى الزيزب ذكروا انهم كانوا يرونه على السطوح ليلا، وربما قطع يد النائم وئدي النائمة فكانوا يضربون بالهواوين ليفزعوه، وارتجت بغداد في الجانبين لذلك، وعمل الناس لأولادهم مكاب من سعف يكونها عليهم.

وفي هذه السنة، قبض على علي بن عيسى وعلى اهله، وصودر اخوه عبيد الله ابن علي على ستين الف دينار، وصودر اخوه ابراهيم بن عيسى على خمسين الف دينار.

وسال ان يؤذن له في المقام بدير العاقول، فأجيب الى ذلك.

والزم ابو بكر محمد بن عبد الله الشافعي اربعة آلاف دينار، وشفع القاضي ابو عمر فيه فاطلق بعد أدائها وتم ذلك عليهم في وزارة ابى الحسين بن الفرات الثانية.

وظهر ابو علي بن مقله من استتاره، وكان استتاره في ايام الخاقاني وعلى ابن عيسى، واختص بابن الفرات، وتولى كتابه السيده والأمراء اولاد المقتدر بالله.

وكان يوسف بن ابى الساج، قد قاطع على اعمال ابهر وزنجان والري وقزوين، واستبد بالمال، وظهر ان علي بن عيسى كاتبه بذلك، وانفذ اليه لوائين وخلعا، فأنكر علي بن عيسى، وقد عنفه ابن الفرات على ذلك، وقال: اللواء والخلع والكتاب على حامله وكاتبه لا من كتم ذلك فانفذ المقتدر خاقان المفلىح لمحاربتة، فهزمه يوسف، وشهر اصحابه بالري وقدم مؤنس من الثغر، فانفذه المقتدر بالله.

لحربه، فواصل ابن ابى الساج المكتبة بالرضا والسؤال في المقاطعه عما بيده من الاعمال، وان يؤدى في كل سنة سبعمائة الف دينار، فلم تقع له اجابه فسار من الري الى اذربيجان، وركب الأشد، وحارب مؤنسا، فهزمه، ومضى مؤنس الى زنجان، وقتل من اصحابه وقواده عدة.

وانفذ ابن ابى الساج يطلب الصلح، ومؤنس لا يجيبه، ولو اراد يوسف اسره لثم، ولكنه ابقى عليه فلما كان في الحرم سنة سبع وثلاثمائة في ايام حامد بن العباس واقعه مؤنس باردبيل، واستؤسر يوسف مجروحا، وحمل الى بغداد في شهر ربيع الآخر، وشهر على الفالج، وهو جمل له سنامان، يشهر عليه الخوارج على السلطان، وترك على راسه برنس، والقراء يقرءون بين يديه والجيش وراءه.

وحبس عند زيدان القهرمانه وخلع على مؤنس وطوق وسور، وزيد في ارزاق اصحابه.

ولما انكفأ مؤنس الى بغداد استولى سبك، غلام يوسف على الاعمال، فانفذ اليه مؤنس قائده الفارقى لحربه فهزمه وسال سبك ان يقاطع على الاعمال فأجيب.

واتصلت العداوة بين ابن الفرات وبين الحاجب نصر القشورى وشفيع المقتدرى.

وكان ابن الفرات قد قلد ابن مقله كتابه نصر، فاستوحش ابن مقله من ابن الفرات، فاطمعه صاحبه وابن الحوارى في تقلد الوزارة، وكان يهدى إليهما اخبار ابن الفرات

١٢٠٣١٠١٢ سنة خمس وثلاثمائة

سنة خمس وثلاثمائة

فيها مات السبكى بعد اطلاقه من الحبس.

وفيها اطلق ابو الهيجاء واخوته، وخلع عليهم.

وفيها مات غريب الخال المقتدر بالله، وعقد لابنه مكانه، وحضر ابن الفرات جنازته بداره، بالنجمى.

وفيها قلد ابو عمر قضاء الحرمين

١٢٠٣١٠١٣ سنة ست وثلاثمائة

أخبار متفرقة

وزارة حامد بن العباس

سنة ست وثلاثمائة

[أخبار متفرقة]

في هذه السنة، تاخرت ارزاق الجند، واحتج ابن الفرات بان المال صرف في نفقه الجيش الذى جهزه لمحاربه ابن ابى الساج، فقبض عليه فكانت وزارته هذه سنة وخمسة اشهر وتسعة عشر يوما.

ودخل على بحظه بعض اصدقائه، فقال له: ما تتمنى؟ فقال: لم يبق لي منى غير نجات الوزراء! فقال له: قد نكب ابن الفرات، فقال بحظه:

احسن من قهوة معتقه ... تخالها في انائها ذهباً
من كف مقدودة منعمه ... تقسم فينا الحاظها الوصبا
ومسمع نهض السرور إذا ... رجع فيما تقول او ضربا
نعمه قوم أزالها قدر ... لم يحظ حر فيها بما طلبا
وزارة حامد بن العباس

كان حامد يستدعى قسيما الجوهرى خادم السیده، إذا خرج الى واسط لمشارفه أعمالها بها، ويلاطفه، فعاد من عنده وقد نكب ابن الفرات، فاشار به، فوافق ذلك مشوره ابن الحواری أيضا فوصل وقد كوتب الى بغداد في اليوم الرابع من القبض على ابن الفرات وكان له أربعمائة غلام يحملون السلاح وعده حجاب تجرى مجرى القواد.

واشار ابن الحواری عليه بطلب على بن عيسى، ومساءله المقتدر بالله فيه ليخلفه على الدواوين، ففعل، فقال المقتدر بالله: ما احسب على بن عيسى يرضى ان يكون تابعا، بعد ان كان متبوعا فقال حامد: انا اعامل الوزراء منذ ايام الناصر لدين الله، فما رايت اعف من على بن عيسى، ولا اكبر نفسا منه، ولم لا يستجيب لخلافه الوزارة؟ وانما الكاتب كالخياط يخط يوما ثوبا قيمته الف دينار، ويخط يوما ثوبا قيمته عشرة دراهم فضحك منه من سمع قوله، وعيب بهذا.

وازرى عليه، ان أم موسى القهرمانه، خرجت اليه برقعة من الخليفة فقرأها، ووضعها بين يديه، وأخذ يتحدث حديث شق القرن المنفجر ايام الناصر لدين الله بواسط، وأم موسى مستعجله بالجواب، ولم يجب الى ان استوفى حديث الشق. وحكايته معها في قوله لها: والتقطي واحذرى ان تغلطي مشوره.

وكتب ابو الحسن محمد بن جعفر بن ثوابه، عن المقتدر بالله كتابا الى اصحاب الاطراف يذكر فيه وزارة حامد اوله: اما بعد، فان احمد الأمور ما عم صلاحه ومنفعته، وخير التدبير ما رعى سداده واصابته، وازكى الاعمال ما وصل الى الكافه يمنه وبركته، وافضل الاكوان ما كان اتباع الحق سبيله وعادته.

وخلع المقتدر بالله على على بن عيسى، وانفذ به مع صاحب نصر الحاجب وشفيع المقتدرى الى دار حامد على اعمال المملكة. وكتب اليه على بن عيسى في بعض الأيام رقعته خاطبه فيها بعده، فأنكر ذلك حامد وقال: لست اقرا له رقعته إذا خاطبني بهذا، بل يخاطبني بمثل ما اخاطبه به.

وكان يكتب كل واحد منهما الى صاحبه اسمه واسم ابيه، وشكر له على بن عيسى هذا الفعل.

وسقطت منزله حامد، وتفرد على بالأمر، وقيل فيهما، قال ابن بسم:

يا بن الفرات تعزى ... قد صار امرك آيه
لما عزلت حصلنا ... على وزير بدايه

وضمن على بن عيسى الحسين بن احمد الماذرائى، اعمال مصر والشام بثلاثة آلاف الف دينار، فاوصله الى المقتدر بالله، نفخ عليه وشخص الى عمله وقدم على بن احمد بن بسطام من مصر فولاه اعمال فارس.

قال ابو الفضل العباس بن الحسين وزير معز الدولة: رايت أبا القاسم بن بسطام وقد دخل إلينا فارس عاملا، ومعه اثقال لم ير مثلها، ورايت في جملة ائقاله اربعين نجيبا موقره اسره مشبكه، ذكروا انه يستعملها في الطرقات للمجلس والتمس يوما سجاده للصلاة بعينها، وكان يألفها، ففتشت رزم الفرش، فكان فيها نحو أربعمائة سجاده

ولما تبين حامد ان منزلته قد وهت، استاذن في الانحذار الى واسط، فاذن الخليفة له، وليس له من الوزارة غير الاسم.

واقطع المقتدر بالله ابنه أبا العباس دار حامد بالخرم، فانقل حامد الى داره في باب البصره.

ولما انحدر حامد استخلف مكانه صهره أبا الحسين محمد بن بسطام وأبا القاسم الكلوزانى، فظهرت كفاية الكلوزانى.

وتقلد ابو الهيجاء بن حمدان طريق خراسان

١٢٠٣١٠١٤ سنة سبع وثلاثمائة

سنة سبع وثلاثمائة

ضجت العامه من الغلاء، وكسروا المنابر، وقطعوا الصلاة، واحرقوا الجسور، وقصدوا دار الروم ونهبوها، فانفذ المقتدر بمن قبض على عده منهم، واستدعى حامدا لبييع الغلات التي له ببغداد، فاصعد، وباعها، ونقص في كل كره خمسة دنانير. وركب هارون بن غريب وابراهيم بن بطحاء المحتسب الى قطيعه أم جعفر، فسعروا الكره الدقيق بخمسين دينارا، فرضى الناس وسكتوا وانحل السعر

١٢٠٣١٠١٥ سنة ثمان وثلاثمائة

سنة ثمان وثلاثمائة

ورد الخبر بحركة الخارج بالقيروان الى مصر، فانخرج مؤنس الى هناك. ودخل صاحب السند بغداد، فاسلم على يدي المقتدر بالله. وفي هذه السنة، خلع على ابى الهيجاء، وقلد الدينور. وتحركت الأسعار فيها فافتتن الناس ببغداد لذلك. وبرد الهواء في تموز، فنزل الناس من السطوح وتدنثروا بالاكسيه والخف.

١٢٠٣١٠١٦ سنة تسع وثلاثمائة

سنة تسع وثلاثمائة

قرئت الكتب على المنابر بهزيمة المغربي، واستباحه عسكره ولقب مؤنس بالمظفر. وخلع على محمد بن نصر الحاجب، وقلد اعمال المعاين بالموصل، وعقد له لواء وخرج الى هناك. وهدمت دار على بن الجهمشيار ببغداد في عرصة باب الطاق، وكان هذا الباب علما ببغداد في الحسن والعلو وبني موضعه مستغل. وعقد لمؤنس المظفر على مصر والشام وخلع على ابى الهيجاء بن حمدان، وقلد اعمال المعاين بالكوفة وطريق مكة. وكبس سبعة من اللصوص دار ابن ابى عيسى الصيرفي، وأخذوا منه ثلاثين الف دينار، ثم عرفوا بعد ايام، فقتلوا، واسترد منهم نيفا وعشرين ألفا. وفي شوال دخل مؤنس المظفر بغداد قادما من مصر، فتلقيه الأمير ابو العباس ابن المقتدر، وخلع عليه، وطوق وسور على مائه واثنى عشر قائدا من قواده. وانفذ الى ابن ملاحظ عقد على اليمن وخلع ودعا المقتدر في يوم الاثنين لثمان بقين من ذي القعدة مؤنسا المظفر ونصرا الحاجب، وخلع على مؤنس خلع مناديه وسال في امر الليث بن علي وطاهر بن محمد ابن عمرو بن الليث، ويوسف بن ابى الساج فوهبوا له. وفي هذه السنة اهدى الوزير حامد بن العباس الى المقتدر البستان المعروف بالناعوره، انفق على بنائه مائه الف دينار، وفرشه باللبود الخراسانية. وبلغت زياده دجلة في نيسان ثمانية عشر ذراعا.

وانتهى الى حامد بن العباس امر الحسين بن منصور الحلاج، وانه قدموه على جماعه من الخدم والحشم والحجاب، وعلى خدم نصر، وانهم يذكرون عنه انه يحيى الموتى، وان الجن تخدمه واحضر السمري الكاتب ورجل هاشمي، مع جماعه من اصحاب الحلاج، واعترفوا بان الحلاج يدعى النبوه، وانهم صدقوه، وكذبهم الحلاج وقال: انما انا رجل اكثر الصلاة والصوم وفعل الخير واستحضر حامد ابن العباس القاضي أبا جعفر بن البهلول، فاستفتاهما في امره، فذكرا انهما لا يفتيان في امره بشيء، ولا يجوز ان يقبل قول من واجهه بما واجهه الا بينه او باقرار منه، وتقرب الى الله تعالى بكشف امره رجل يعرف بدباس تبع الحلاج ثم فارقه، والحلاج مقيم عند نصر القشوري مكرم هناك ودافع عنه نصر أشد مدافعه، وكان يعتقد فيه اجمل اعتقاد فتكلم على بن عيسى، فقال له الحلاج فيما بينه وبينه: قف حيث انتهيت، والا قلبت الارض عليك، فعزم حينئذ على بن عيسى على مناظرته.

وحضرت بنت السمري، فذكرت ان أباهما أهداها الى سليمان بن الحلاج وهو بنيسابور، وكانت امراه حسنه الوجه، عذبه الكلام جيده الألفاظ، وقال لها الحلاج: متى انكرت من ابني شيئا فصومي يوما، واقعدى في آخره على سطحك، وافطرى على ملح ورماد، واستقبلي واذكري ما كرهت منه، فاني اسمع وارى وحكت ان ابنه الحلاج أمرتها بالسجود له، وقالت: هذا اله الارض، واكثر في الاخبار عنه بما شاكل ذلك.

وحكى حامد انه قبض على الحلاج بدور الراسبي فادعى تاره الصلاح، وادعى اخرى انه المهدي، ثم قال له: كيف صرت الاله بعد هذا! وكان السمري في جملة من قبض عليه من اصحابه، فقال له حامد: ما الذي حداك على تصديقه؟ قال: خرجت معه الى اصطخر في الشتاء، فعرفته محبتي للخيار، فضرب يده الى سفح جبل، فاخرج من الثلج خياره خضراء، فدفعها الى، فقال حامد: أفأكلتها؟ قال: نعم، قال: كذبت يا بن الف زانية في مائه الف زانية، أوجعوا فكاه، فضربه الغلمان وهو يصيح: من هذا خفنا.

وحدث حامد، انه شاهد ممن يدعى النيرنجيات انه كان يخرج الفاكهة. وإذا حصلت في يد الإنسان صارت بعرا.

ومن جملة من قبض عليه انسان هاشمي كان يكنى بابي بكر، فكاه الحلاج، بابي مغيث حيث كان يمرض اصحابه ويراعيمهم وقبض على محمد بن علي بن القنائي، وأخذ من داره سفط مختوم فيه قوارير، فيها بول الحلاج ورجيعه، اخذه ليستشفى به. وكان الحلاج إذا حضر، لا يزيد على قوله: لا اله الا أنت، عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي، فانه لا يغفر الذنوب الا أنت. وظفر من كتب الحلاج بكتاب فيه: إذا اراد الإنسان الحج، فليفرد بيتا في داره طاهرا ويطوف به سبعا، ويجمع ثلاثين يتيما، ويعمل لهم ما يمكنه من الطعام، ويخدمهم بنفسه ويكسوهم، ويدفع الى كل واحد سبعة دراهم، فان ذلك يقوم مقام الحج. فالتفت القاضي ابو عمر الى الحلاج وقال: من اين لك هذا؟ قال: من كتاب الإخلاص للحسن البصري، فقال ابو عمر: كذبت يا حلال الدم، قد سمعنا بكتاب الإخلاص بمكة، ما فيه ما ذكرت فقال حامد لأبي عمر: اكتب هذا.

فتشاغل عنه بكلام الحلاج، واقبل حامد يطالب أبا عمر بالكتاب وهو متشاغل بالخطاب، حتى قدم الدواة من بين يديه الى ابى عمر، والى عليه إلحاحا لم يمكنه الدفع، فكتب بإحلال دمه وكتب من حضر المجلس، ولما تبين الحلاج الصورة قال: ظهري حمى ودمى حرام، وما يحل لكم ان تهتكوا منى ما لم يحج الاسلام، وكتبي موجوده في الوراقين، على مذهب اهل السنه وانفذ حامد بالفتيا والحضر الى المقتدر، فلم يخرج جوابهما، فلم يجد بدا من نصره نفسه، فكتب الى المقتدر: إذا أهمل امر الحلاج بعد إفتاء الفقهاء بإباحة دمه، افتتن الناس به فوقع المقتدر: إذا أفتى الفقهاء بقتله، فادفعه الى محمد ابن عبد الصمد، صاحب الشرطه، ومره ان يضربه الف سوط، فان تلف وإلا ضرب عنقه والحلاج يستطلع الى الاخبار، فلما اخبر ان ابن عبد الصمد عند الوزير قال: هلكا والله.

واخرج يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة الى رحبه الجسر، وقد اجتمع من العامه امم كثيره، فضرب الف سوط، فما تاوه ولا استعفى، وقطعت يداه ورجلاه، وحز راسه، واحرقت جثته، ونصب راسه يومين على الجسر، وحمل الى خراسان، فطيف به. وزادت دجلة زياده عظيمه، فادعى اصحابه ان ذلك لأجل ما القى فيها من رماد جثته. وادعى قوم من اصحابه، انهم راوه راجعا حمارا في طريق النهروان وقال لهم: انما حولت دابه في صورتي، ولست المقتول كما ظن هؤلاء البقر. وكان نصر الحاجب يقول: انما قتل ظلما. ومن شعر الحلاج:

وما وجدت لقلبي راحه ابدا ... وكيف ذاك وقد هيئت للذكر
لقد ركبت على التغرير وا عجا ... ممن يريد النجا في المسلك الخطر
كأنني بين امواج تقلبني ... مقلب بين اصعاد ومنحدر
الحزن في مهجتي والنار في كبدي ... والدمع يشهد لي فاستشهدوا بصري
ومن شعره:
الكاس سهل لي الشكوى فبحت بكم ... وما على الكاس من شرابها درك
هبنى ادعيت بانى مدنف سقم ... فما لمضجع جنبي كله حسك

هجر يسوء ووصل لا اسره به ... مالي يدور بما لا اشتى الفلك
فكلما زاد دمي زادي قلقا ... كأني شمعه تبكي فتنسبك
ومن شعره:

النفس بالشيء الممنوع مولعه ... والحادثات أصولها متفرعه
والنفس للشيء البعيد مريده ... والنفس للشيء القريب مضيعه
كل يحاول حيله يرجو بها ... دفع المضرة واجتلاب المنفعه
وله:

كل بلاء على مني ... فليتني قد أخذت عنى
أردت مني اختبار سرى ... وقد علمت المراد مني
وليس لي في سواك حظ ... فكيفما شئت فاخترني
وفي الصوفية من يدعى ان الحلاج كوشف حتى عرف السر، وعرف سر السر، وقد ادعى ذلك لنفسه في قوله:
مواجيد اهل الحق تصدق عن وجدي ... واسرار اهل السر مكشوفة عندي
وله:

الله يعلم ما في النفس جارحه ... الا وذكرك فيها نيل ما فيها
ولا تنفست الا كنت في نفسي ... تجرى بك الروح مني في مجاريها
ان كانت العين مذ فارقتها نظرت ... الى سواك فخانتها مآقيا
او كانت النفس بعد البعد آلفه ... خلقا عداك فلا نالت أمانيا
وحكى انه قال: الهى، انك تتودد الى من يؤذيك، فكيف لا تتودد الى من يؤذى فيك! وانشد:
نظري بدء علتى ... ويح قلبي وما جنى
يا معين الضنى على ... اعنى على الضنى

وكان ابن نصر القشورى قد مرض، فوصف له الطبيب تفاحه فلم توجد، فأوماً الحلاج بيده الى الهواء، واعطاهم تفاحه، فعجبوا من ذلك، وقالوا: من اين لك هذه؟ قال: من الجنة، فقال له بعض من حضر: ان فاكهة الجنة غير متغيره، وهذه فيها دوده، قال: لأنها خرجت من دار البقاء الى دار الفناء، فحل بها جزء من البلاء فاستحسنوا جوابه اكثر من فعله.
ويحكى ان الشبلى دخل اليه الى السجن، فوجده جالسا يخط في التراب، فجلس بين يديه حتى ضجر، فرفع طرفه الى السماء وقال: الهى لكل حق حقيقة، ولكل خلق طريقه، ولكل عهد وثيقة، ثم قال: يا شبلى، من اخذه مولاه عن نفسه، ثم اوصله الى بساط انسه، كيف تراه! فقال الشبلى: وكيف ذاك؟ قال: يأخذه عن نفسه ثم يرده على قلبه، فهو عن نفسه مأخوذ، وعن قلبه مردود، فأخذه عن نفسه تعذيب، وورده الى قلبه تقريب، وطوبى لنفس كانت له طائعة، وشموس الحقيقة في قلوبها طالعه، ثم انشد:

طلعت شمس من احبك ليلا ... فاستضاءت فما لها من غروب
ان شمس النهار تطلع بالليل ... وشمس القلوب ليس تغيب

ويذكرون انه سمى الحلاج، لأنه اطلع على سر القلوب، وكان يخرج لب الكلام، كما يخرج الحلاج لب القطن، بالحلج.
وقيل: كان يفعل بواسط بدران حلاج، ففضى الحلاج في حاجه ورجع فوجد القطن محلوجا مع كثرته، فسماه الحلاج.
وفي الصوفية من يقبله، ويقول: انه كان يعرف اسم الله الأعظم ومنهم من يرده، ويقول: كان موما.

ويذكرون ان الشبلى انفذ اليه بفاطمه النيسابورية، وقد قطعت يده، فقال لها: قولي له: ان الله ائتمك على سر من اسراره، فاذعته، فاذاقك حر الحديد، فان أجابك فاحفظى جوابه، ثم سليه عن التصوف، ما هو؟ فلما جاءت أنشأ يقول:

تجاسرت فكاشفتك لما غلب الصبر ... وما احسن في مثلك ان ينهتك الستر
وان عنفى الناس ... ففى وجهك لي عذر

كان البدر محتاج ... الى وجهك يا بدر
وهذا الشعر للحسين بن الضحاك الخليلع الباهلى.

ثم قال لها: امضي الى ابي بكر وقولي له: يا شبلي، والله ما اذعت له سرا.
فقلت له: ما التصوف؟ فقال: ما انا فيه، والله ما فرقت بين نعمه وبلواه ساعه
قط نجاءت الى الشبلي، واعادت اليه، فقال: يا معشر الناس، الجواب الاول لكم، والثاني لي.
وذكروا انه لما قطعت يده ورجله صاح، وقال:
وحرمة الود الذي لم يكن ... يطمع في افساده الدهر
ما نالني عند هجوم البلاء ... باس ولا مسنى الضر
ما قد لي عضو ولا مفصل ... الا وفيه لكم ذكر
وكتب بعض الصوفية على جذع الحلاج:
ليكن صدرك للاسرار ... حصنا لا يرام
انما ينطق بالسر ... ريفشيه اللثام.

١٢٠٣١٠١٧ سنة عشر وثلاثمائة

سنة عشر وثلاثمائة
في الحرم، اطلق يوسف بن ابي الساج، وحمل اليه مال وخلع وحكى انه انزل في دار دينار، وانه انفذ الى مؤنس المظفر، يستدعي منه
انفاذ ابي بكر ابن الادمي القاري، فتمنع ابو بكر وقال: انني قرأت بين يديه يوم شهر: وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ،
ورايته يبكي، فافضله حقد على ذلك، فقال له مؤنس لا تخف، فاني شريكك في جائزته، فمضى اليه وجلا، فلما دخل عليه، وقد أفيضت
عليه الخلع، والناس بحضرته والغلمان وقوف على راسه، قال لهم: هاتوا كرسيًا لأبي بكر، فاتوه به، وقال: اقراء، فاستفتح وقرأ قوله تعالى:
وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ اَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فقال: لا اريد هذا، بل اريد ان تقرا بين يدي ما كنت تقرأه يوم شهرت فامتنع، ثم قرأ حين
الزمه: وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ فبكى ثم قال: هذه الآية كانت سببا لتوبتي من كل محذور، ولو أمكنني ترك
خدمه السلطان لتركها وأمر له بمال جزيل وطيب كثير.
وحضر يوسف دار الخليفة بسواد، ووصل اليه، فقبل البساط وخلع عليه، وحمل على فرس بمركب ذهب، وذلك يوم الخميس ثامن
الحرم، وجلس المقتدر يوم السبت، وعقد له على اعمال الصلاة والمعاون والخراج بالري والجلال واذريجان، وزينت له دار السلطان
يومئذ، فركب معه مؤنس ومفلح ونصر والقواد، واستكتب أبا عبد الله محمد بن خلف النيرماني، وقرر ان يحمل الى السلطان في كل
سنة خمسمائة الف دينار.
وخلع على طاهر ويعقوب ابني محمد بن عمرو بن الليث الصفار، وعلى الليث
ابن علي وابنه خلع الرضا.

وقدم أخ لنصر الحاجب من بلاد الروم واسلم، فخلع عليه.
وتوالت الفتوح على المسلمين برا وبحرا، فقرئت الكتب على المنابر لذلك.
وفي جمادى الاولى تقلد نازوك الشرطة ببغداد وعزل ابن عبد الصمد عنها.
واملك ابو عمر القاضي مسرورا المحفلي بينت المظفر بن نصر الداعي، ومحمد بن ياقوت بابنه رائق الكبير، بحضره المقتدر وحكى انه
خطب خطبه طويله تعجب الناس من حسنها، ولما فرغ منها، وقد حمى الحر وتعالى النهار، قيل له ضجر الخليفة بالجلوس، فخطب خطبه
اوجزها بكلمتين، وعقد النكاح، فنهض المقتدر مبادرا لشدة الحر، ووقع فعل ابي عمر عنده الطف موقع، والتفت الى صاحب الديوان
فقال: ينبغي ان يزداد ابو عمر في رزقه، واثنى عليه.

فعاد صاحب الديوان الى داره، فقال لمن حضره من خاصته: قد جرى لأبي عمر كل جميل من الخليفة، وقد تقدم بالزيادة في رزقه.
قال صاحب الحكاية، وكان ابو عمر رجلا صديقي، فدعيتني نفسي الى التقرب بذلك اليه فحشته، فأنكر مجيئي في وقت خلوته، فحدثته
بالحديث على شرحه، فدعا للخليفة وقال: لا عدمتك، فاستقلت شكره وانصرفت.

فولد لي فكريا معمي، بان في وجهه من التعجب مني، وندمت ندما شديدا، وقلت: سر السلطان أفشاه الى من هو احظي عندي من
وزيره، ذكره الرجل لانسائه، بادرت باخراجه ان راح ابو عمر وشكره فعلم انه من فعل ما صورتني، فرجعت ودخلت بغير اذن، فلما

وقع ناظره على قال: يا فلان، ولا حرف، فكانه فشكرته وانصرفت.
وفي جمادى الأخيرة، خلع على ابى الهيجاء بن حمدان، وطوق وسور
وانفذ الحسين بن احمد الماذرائى من مصر هديه وفيها بغله معها فلو، وغلّام طويل اللسان يلحق طرفه انفه.
ودخل محمد بن نصر الحاجب، قادما من قاليقلا، في شهر رمضان وقد فتح عليه.
وفيه قبض على أم موسى القهرمانه، وأختها أم محمد، وأخيها ابى بكر احمد ابن العباس، لأنها زوجت بنت أخيها ابى بكر من ابى العباس
بن محمد بن إسحاق ابن المتوكل على الله، وكانت له نعم عظيمه، وكان لعل بن عيسى صديقا، واسرفت في الأموال التي نثرتها، والدعوات
التي عملتها، حتى دعت اهل المملكة ثمانية عشر يوما، وقالت لها السيده: انك قد دبرت ان يصير صهرك خليفه، وسلمتها الى ثمل
القهرمانه، وهي موصوفه بالشعر، وكانت قهرمانه أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف، فاستخرجت منها الف الف دينار.
وبلغت زياده دجلة ثمانية عشر ذراعا ونصفا.
وورد الخبر انه انبثق سبعة عشر بقا أكثرها الف ذراع، وأصغرها مائتا ذراع، وغرق من أمهات القرى الفان وثلاثمائة قريه.
وجج نصر الحاجب، فقلد ابن ملاحظ الحرمين، وصرف عنهما نزار بن محمد.

١٢٠٣١٠١٨ سنة احدى عشره وثلاثمائة

سنة احدى عشره وثلاثمائة
في صفر مات ابو النجم بدر الحامي بشيراز، وكان يتولى اعمال الحرب والمعاون بفارس وكرمان، ودفن بشيراز، ثم نبش وحمل الى
بغداد، واضطرب الجند لموته بفارس، فكتب على بن عيسى الى ابى عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي بضبط تلك البلدان، فضبطها
واستمال الجند.
وخلع على مؤنس المظفر، وعقد له على غزاه الصائفة وكان ابو الهيجاء ابن حمدان قد خلع عليه لولاية فارس وكرمان، ثم عدل عنه الى
ابراهيم بن عبد الله المسمعي، فقلد ذاك.
وعقدت الكوفة وطريق مكة على ورقاء بن محمد.
وفي شهر ربيع الآخر، صرف حامد بن العباس عن الوزارة، وعلى بن عيسى عن الدواوين، وكانت وزارة حامد اربع سنين وعشره
اشهر واربعه وعشرين يوما.
وكثرت عداوة الناس لحامد لاسقاطه لارزاقهم ونقصانهم، فكان ذلك سبب عزله.
وكان على بن عيسى يكتب ليطالب جهبذ الوزير: اسعده بكذا، فسقط بذلك.
وجرى بين مفلح وبين حامد مناكره، فقال حامد: صح عزمي على ابتياع مائه اسود اقودهم، واسمى كل واحد منهم مفلحا.
وكان المقتدر يستدعى ابن الفرات ويشاوره وهو محبوس.
واتفق انه انفذ الى المقتدر رساله ان يقرضه الف دينار باثني عشر الف دينار، فأجابه الى ذلك حياء من رده، مع ما أخذ من أمواله
فلما أخذ ابن الفرات المال،
جاء به الى المقتدر، فأفرغه بين يديه وقال: يا امير المؤمنين، ما تقول في رجل يسترزق في كل شهر هذا! فاستعظم المقتدر ذلك وقال:
ومن الرجل؟ فقال: ابن الحواري، هذا سوى ما يصله من المنافع، ويناله من الفوائد ورد ابن الفرات الدنانير، وسعى مفلح لتقليد ابن
الفرات الوزارة، واعتقل على بن عيسى وسلم الى زيدان القهرمانه.
وخلع على ابن الفرات لتقليد الوزارة الثالثة، وعلى ابنه وأخيه، وجلسوا في دورهم، بسوق العطش للتهنئه، وسال ان يعاد الى داره
بالخرم، وكانت قد اقطعت للأمير ابى العباس، فاذن له المقتدر في ذلك وقبض ابن الفرات على جماعه من اسباب على بن عيسى، فيهم
ابن مقله.
وأشير على ابن الحواري بالاستتار، وقيل له: ان المقتدر لم يطو عنك وزارة ابن الفرات الا لتغير رأى فيك، فقال: لا انكب نفسي،
وستر حرمة.
ثم قبض ابن الفرات على ابن الحواري، وقبض على صهره محمد بن خلف النيرمانى، وتوسط ابن قرابه حاله، فصادره على سبعمائة الف
دينار، وصادر أبا الحسين ابن بسطام صهر حامد على مائتي الف دينار.

وشرط المقتدر على ابن الفرات، الا ينكب حامدا، وان ينظره على ما عليه، فناظره بحضر الكآب والقضاه، وقال المقتدر: انه خدمني ولم يأخذ رزقا، وشرط على الا اسلمه لمكروه، فاضطر ابن الفرات الى اقرار حامد على واسط، وكان يتأول عليه تاوولا ديوانيا. وكان حامد يطالب بما حبسه من النفقة على البثوق في ايام الخاقاني، وهي مائتان وخمسون الف دينار، فكانت تتأخر المطالبة جديده الضمان، ولأنه شرط انه يحسب ذلك من ماله، لا من مال السلطان. فقلد ابن الفرات اعمال الصلح أبا العلاء محمد بن علي البزوفري.

وقلد أبا سهل اسماعيل بن علي النوبختي اعمال المبارك، وجعل الى كل واحد مطالبه حامد فاما ابو سهل فكان يخلط المطالبة برفق، وكان البزوفري يستعمل ضد ذلك، فكان حامد يقصده الى داره في رداء ونعل حذو، مع هيبه حامد العظيمه ومنزلته الجسميه منذ ستين سنه فلم ينفع ذلك في البزوفري، بل زاد عليه انه ابتاع ضياعات سلطانيه بنواحي الجامدة في ايام الخاقاني بمخمسائة الف دينار، وابن الفرات يحمل البزوفري على ما يعتمده.

وكتب ابن الفرات ان حامدا ممتنع من أداء ما عليه، مع ميل اهل البلد اليه، واحتواء يده على أربعمائة غلام لكل واحد منهم غلمان وسبعمائة رجل، فأجابه ابن الفرات ان المقتدر قد تقدم الى مفلح بالانحدار في جيش للقبض على حامد.

فأظهر البزوفري الكآب قبل وصول القوم. فحينئذ اصعد حامد في سائر جيشه وكآبه وغلمانه، وضربت البوقات يوم خروجه، وخروج اصحابه، بعضهم في الماء، وبعضهم على الطريق، ولم يقدر البزوفري على منعه، فكتب على اجنحه الطيور بالحال، فانفذ المقتدر نازوك الى المدائن للقبض عليه فاخذ نازوك ما وجده له فاستتر حامد.

وجاء احد الجهابذه فتقرب الى المقتدر بمائه الف دينار لحامد عنده. وارجف الناس ببغداد ان المقتدر امر حامدا بالاستتار ليقبض على ابن الفرات، ويعيده الى مرتبته.

فاستتر آل ابن الفرات وأسبابه، غير الوزير. وكانت سعادته حامد قد تنهت، فصار الى دار المقتدر، وعليه ثياب الرهبان، ومعه مؤنس خادمه، فصعد الى دار الحجية، فقال له نصر: لم جئت الى هاهنا؟ ولم يقيم له، واعتذر بانه تحت سخط الخليفة.

وقال لمفلح الأسود- وهو الذي يتولى الاستئذان على الخليفة- انه تحت رحمه، ومثلك من أزال ما يعانيه، وقال حامد لمفلح: تقول لمولانا امير المؤمنين عني:

إيثاري الاعتقال في الدار، كما اعتقل على بن عيسى، واناظر بحضرة الفقهاء والقضاه والقواد، وامكن من استيفاء حجبي وما يجب على من مال

فقلت السيده: لا يضر ان يعتقل في الدار ويحفظ نفسه، فقال لمفلح: ان فعل هذا، لم يتم لابن الفرات عمل وبطلت الاعمال، فقال المقتدر: صدقت، وامره بانفاذ حامد الى ابن الفرات، فبعد جهده، مكنه مفلح من تغيير زيه، وقال:

لا احمله الا في زي الرهبان وهذا الصوف الذي عليه، حتى تشفع فيه نصر، وانفذه مع ابن الزنداق الحاجب. فلما دخل على ابن الفرات، اسمع حامدا المكروه، وقال له: جئت بها طائيه، وكان الطائي قد ضمن اسماعيل بن بلبل من الناصر لدين الله، وأتاه في زي الرهبان، فسلمه الى اسماعيل بن بلبل فعامله باصناف المكاره، وأخذ منه مالا عظيما.

وامر ابن الفرات قهرمان داره، بان يفرد له دار أخيه، يفرشها فرشاً جميلاً وان يحضر بين يديه ما يختاره من الطعام، ويقطع له ما يؤثره من الكسوة، واستخدم له خادمين اعجميين ودخل اليه كل من عامله بالمكاره فوبخوه، فقال: قد اكثرتم، وانا اجمل الجواب، ان كان ما استعملته من الاحوال التي وصفتموها جميله العاقبه، قد اثمرت لي خيرا فاستعملوا مثله وزيدوا عليه، وان كان قبيحا- وهو الذي بلغ هذه الغاية- فتجنبوه، فان السعيد من وعظ بغيره.

فقال ابن الفرات لما بلغه ذلك: ما ادفع شهامته، ولكنه رجل من اهل النار، يقدم على الدماء ومكاره الناس.

ومثل هذه الحكاياه، حكاية زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس، قالت: كنت عند الخيزران، فدخلت جاريه وقالت: بالباب امراه لها جمال وخلقه حسنه، وليس وراء ما هي عليه من سوء الحال غاية، تستأذن عليك، وقد سالتها عن اسمها، فامتنعت ان تخبرني، فقلت: ائذني لها، فلن تعدى ثوابا.

فدخلت امراه من اجمل النساء وأكلهن، لا تتوارى بشيء، وقالت: انا مزنة امراه مروان بن محمد الاموى، فقلت لها: لا حيا الله ولا قرب، الحمد لله الذى أزال نعمتك وهتك سترك، تذكرين يا عدوه الله، حين أتاك عجائز اهلى يسالئك ان تكلمى صاحبك في الاذن في دفن ابراهيم الامام، فوثبت عليهن، فاسمعتن وامرت بإخراجهن على الجهة التي اخرجن عليها! قالت: فضحكت، فما الدر احسن من ثغرها، وعلا صوتها بالقهقهة، ثم قالت: اى بنت عمى، اى شيء اعجبك من حسن صنع الله بي على العقوق حتى اردت ان تتأسى به! انى فعلت ما فعلت باهل بيتك، وأسلمني الله إليك ذليله فقيره، فكان هذا مقدار شكرك لله على ما اولاك في، ثم قالت: السلام عليكم، وولت فصاحت الخيزران بها: انها على استأذنت، والى قصدت، فما ذنبي! فرجعت وقالت: لعمري، لقد صدقت يا أخيه، وان مما رديني إليك ما انا عليه من الضر والجهد، فقامت الخيزران تعانقها، وامرت بها الى الحمام وخلعت عليها وجاء المهدي فاخبر بالخال، فسر بذلك، وكثر انعامه عليها، وافرد لها مقصوره من مقاصير حرمه. وافر حامد بمائتي الف دينار، ولم يقر بغيرها، وسلمت منه.

وضرب المحسن مؤنسا خادما حامدا، فافر بأربعين الف دينار دفنها في داره بالمدينة، فحملت. وصور مؤنس الفحل حاجب حامد على عشرين الف دينار وصور محمد ابن عبد الله النصراني صاحبه، والحسن بن علي الخصيب كاتبه على ثمانين الف دينار.

واستعمل الخصيب مع حامد من المكاشفه، ما لم يستعمله كاتب مع حاجب، فرد ابن الفرات عليه ما صادره به لذلك واشخص ابن الفرات الفقهاء والقضاه والكتاب، فيهم النعمان بن عبد الله، وكان قد تاب من عمل السلطان، فحضر بطيلسان، وناظره ابن الفرات مناظره طالت، وكان عمد ابن الفرات ان قال له: الضمان الذى ضمنته من الخاقاني سنه تسع وتسعين ومائتين لا يمضيه الفقهاء والكتاب لأنه ضمان مجهول، وضمنت اثمان غلات لم تزرع، فقال له حامد: فقد عملت بي كذلك حين ضمننتى باعمال بالصدقات والضياع بالبصرة وكور دجلة، فقال ابن الفرات: الغلة بالبصرة يسيره، وانما ضمننت الثمره، فقال حامد فن أحل بيع الثمره قبل إدراكها، وهي خضره في الزرع؟ فقال المحسن لحامد: هذا الكلوذاني، كاتبك وكتابه يشهدون عليك بما اقتطعته، فقال: هؤلاء كتاب الوزير الان هواه.

ولزمت ابن الفرات حججه، حتى قال له حامد: لم امضيت ضمانى في وزارتك الثانيه؟ فقال ابن الفرات: لهذا نقلني امير المؤمنين الى حبسه.

وذكر حامد حججا كانت في يده، فقال ابن الفرات: انا فقتشت صناديقك، فلم أجد فيها ما ذكرت، وانا المقدم بإحضارها وتفتيشها فقال حامد: افقتشتها بعد ان فقتشتها الوزير، وقبضها نازوك وفتح أقفاها! ففجل ابن الفرات وتعجب الناس من استيفاء حامد الحججه. فانخرج ابن الفرات عملا وجده في صناديق غريب غلام حامد، وهذا الغلام كان يتولى بيع غلات حامد، وحمل ذلك سهوا لان حامدا كان يجمع حساباته، ويغرقها في دجلة، فرأى انه قد بيع غلات تلك السنه سوى القضم بخمسمائة الف دينار ونيف واربعين الف دينار، فبان الفضل، وظهر التضاعف، مع كون الأسعار رخيصه في تلك السنه، وعاليه فيما بعدها.

وقال حامد لابن الفرات: اننى اكرم الوزير عن اسماع ابنه جواب ما يشتمني، فحلف ابن الفرات برأس الخليفة، ان لم يمسك ابنه استغنى الخليفة في هذه القضية

فامسك المحسن حينئذ، واعيد حامدا الى محبسه وطولب بالمال، فأقام على انه لا مال عنده، وانه قد باع ضياعه، وباع داره من نازوك بمدينة السلام باثني عشر الف دينار، وباع خدمه، وباع اخصم به من نازوك بثلاثين الف دينار. فالتفت الخادم الى نازوك وقال له: لا تستضع بي، فلا تبتنعنى، فلم يقبل منه، وابتاعه، فلما كان في تلك الليلة شرب الخادم زرنیخا فمات من ليلته.

وخلا ابن الفرات بحامد، وقال: ان اخبرت باموالك، صنتك عن مكاره ابني، ووليتك فارس، وحلف له على ذلك، فافر بدفائه في بلايع بواسط، وقدرها خمسمائة الف دينار، وثلاثمائة الف عند قوم من العدول، وافر بقماش له عند ابن شاهده وابن المنتاب وإسحاق بن أيوب وعلى بن فرج بثلاثمائة الف دينار.

فعرِفَ المقتدر ذلك، وقال له ابن الفرات: قد اقر بذلك، عفو من غير مكروه. وما زال ابن الفرات مكروما لحامد، يلبسه لين الثياب، ويطعمه هنى الطعام، الى ان توصل المحسن على يدي مفلح الى المقتدر، ان يتقدم الى ابيه باستخلافه، فاستخلفه على كره من الأب لذلك، وخلع المقتدر عليه، وصار الى داره، فضى اليه الكتاب والعمال للتهنه،

فسقطوا من درجه ساج صعدوا عليها من زبازبهم، فلحقتهم العلل لذلك. وضمن حامدا الخمسمائة الف دينار، واحضره، فطالبه فقال: لم يبق غير ضياعي، وانا اوكل في بيعها، فامر بصفعه، فصفع خمسين صفعه، واحدره الى واسط مع خادم وعشره فرسان، وذلك في عاشر شهر رمضان سنة احدى عشره وثلاثمائة. وشاع ببغداد ان حامدا اشتهى بيضا، فطرح له الخادم فيه سما، فأكله، فلحقه ذرب، ودخل واسطا، وهو مثخن، فقام اكثر من مائه مجلس.

فاراد البزوفري الاستظهار لنفسه، فاحضر القاضي وشهوده وكتب: ان حامدا، وصل الى واسط، فتسلمه البزوفري وهو عليل من ذرب وان تلف من ذلك، فإنما مات حتف انفه. فلما دخل الشهود وقد قرر مع حامد الاشهاد على نفسه قال لهم: ان ابن الفرات

الكافر الفاجر المجاهر بالرفض وبغض بنى العباس رحمه الله عليهم، عاهدني وحلف بالطلاق وايمان البيعه، على اننى ان اقررت بأموالي لم يسلمني الى ابنه، وصانني على المكروه وولاني، فلما اقررت سلني الى ابنه فعذبني ودفعني الى خادمه فسقاني بيضا مسموما، ولا صنع للبزوفري في دمي الى وقتنا هذا، ولكنه، لعنه الله كفر إحساني ونسى اصطناعي، فاغرى ابن الفرات بي وسعى على دمي، ثم أخذ قطعه من أموالي، وجعل يحشوها في المساور البرتون، ويتتاع الواحدة منها بخمسة دراهم، وفيها امتعه تساوي ثلاثة آلاف دينار فاشهدوا على ما شرحته.

وتبين البزوفري انه قد أخطأ. وكتب ابن بطحاء صاحب الخبر بواسط الى ابن الفرات بالحال، فشق عليه. وتوفي ليلة الخميس لثلاث عشره خلت من شهر رمضان سنة احدى عشره وثلاثمائة، وغسل وكفن، وصلى عليه القاضي والشهود بواسط.

وأخذ منه ابن الفرات الف الف وثلاثمائة الف دينار. وقبض المحسن على ابى احمد محمد بن متتاب الواسطي، صاحب حامد، فصادره على مائه الف دينار. وحكى التنوخي، عن بعض الكُتاب قال: حضرت مائدة حامد بن العباس، وعليها عشرون نفسا، وكنت اسمع انه ينفق على مائدته مائتي دينار، فاستقلت ما رايت ثم خرجت فرايت في الدار نيفا وثلاثين مائدة منصوبة، على كل واحدة ثلاثون نفسا، وكل مائدة مثل المائدة التي كنت عليها، حتى البوارد والحلوى، وكان لا يستدعى أحدا الى طعامه، بل يقدم الى كل قوم في أماكنهم، وكانت الموائد في الدهاليز، وكان يقدم لكل من يحضر جديا، فتكون الجداء بعدد الناس، ويرفع ما بقي، فتقتسمه الغلمان.

وقال حامد: انما فعلت هذا لأنني حضرت قبل علو امرى على مائدة بعض اصدقائي، وقدم عليها جدي، فعولت على اكل كليته، فسبقني رجل فأكلها، فاعتقدت في الحال: ان وسع الله علي، وان اجعل جداء بعدد الحاضرين

وركب حامد، وهو عامل واسط الى بستان له، فرأى في طريقه دارا محترقة وشيخا يبكي وحوله نساء وصبيان على مثل حاله، فسأل عنه، فقيل هذا رجل تاجر احترقت داره، فافتقر، وافلت بنفسه وعياله على هذه الصورة، فوجم ساعه، ثم قال: فلان الوكيل! فجاء، فقال: اريد ان اندبك لامر ان عملته كما اريد، فعلت بك وصنعت وذكر جمिला، وان تجاوزت فيه رسمي فعلت بك وصنعت - وذكر قبيحا، فقال: مر بأمرك، فقال: ترى هذا الشيخ، قد آلمني قلبي له، وقد تنغصت على نزهي بسببه، وما تسمح نفسي بالتوجه الى بستانى الا بعد ان تضمن لي انى إذا عدت العشية مع النزهة وجدت الشيخ في داره، وهي كما كانت مبنية بمحصره، نظيفة، وفيها الفرش والصفير والمتاع من صنوفه وصنوف الآلات، مثل ما كان فيها، وعلى جميع عياله من كسوه الشتاء والصيف، مثل ما كان لهم.

قال الشيخ: فتقدم الى الخادم ان يطلق ما أريده، والى صاحب المعونة ان يقف معي، ويحضر كل ما أريده من الصناعات، فتقدم حامد بذلك، وكان الزمان صيفا، فاحضر اصناف الروزجايه والبنائين، فكانوا ينقضون بيتا ويطرحون فيه من بينيه وقيل لصاحب الدار: اكتب جميع ما ذهب منك، فكتب حتى المكسبه والمقدحة، واحضر جميع ذلك.

وصليت العصر، وقد سقفت الدار كلها، وجصصت وغلقت الأبواب ولم يبق الا البياض والطوايق، فانفذ الى حامد وساله التوقف في البستان، والا يركب منه الى ان يصلى العشاء الأخيرة، وقد بيضت الدار وكنت وفرشت، ولبس الشيخ وعياله الثياب، ودفعت اليهم الصناديق والخزانه مملوءة بالأمته.

واجتاز حامد، والناس مجتمعون له كأنه نهار في يوم عيد، فضجوا بالدعاء له، فتقدم الى الجهيز بخمسة آلاف درهم، يدفعها اليه، يزيدا

في بضاعته، وسار حامد الى داره.

وفي هذه السنه، توفي ابو إسحاق ابراهيم بن السرى الزجاج، صاحب المعاني، وكان يخرط الزجاج، فأتى المبرد، وكان يعلم لكل واحد بأجره على قدر معيشته،

وقال له: انى اكسب في كل يوم درهما ودانقين، وانى أعطيك درهما، ان تعلمت اولم اتعلم، حتى يفرق الموت بيننا، وأخذ منك، قال: قد رضيت قال: وانفذ اليه بنو مارمه من الصراة يطلبون مؤدبا لأولادهم، فانفذنى اليهم، وكنت اوجه اليه في كل شهر ثلاثين درهما وطلب عبيد الله بن سليمان منه مؤدبا لابنه القاسم، فقال: لا اعرف الا مؤدب بنى مارمه، فكتب اليه عبيد الله فاستنزلهم عنى وادبت القاسم، فكنت اقول له: ان ابلغك الله مبلغ ابيك تعطيني عشرين الف دينار؟ فيقول لي: نعم فما مضت الا سنون حتى ولى الوزارة، وانا على ملازمته، فقال لي باليوم الثالث: ما أراك ذكرتني بالنذر، فقلت: لا احتاج مع رعاية الوزير الى، اذكار خادم واجب الحق، فقال: انه المعتضد، ولولاه ما تعاطمني ان ادفع ذلك في مكان واحد، ولكنى اخاف ان يصير لي حديثا، نخذه مفترقا، فقلت: افعل، فقال: اجلس وخذ رقاع اصحاب الحوائج الكبار، ولا تمتنع من مساءلي في شيء، فكنت اقول ضمن لي في هذه القصة كذا، فكان يقول غبت فاستزد القوم، فحصل عندي عشرون الف دينار، فقال: حصل عندك مال النذر؟

قلت: لا، فلما حصل ضعفه، اخبرته، فوقع لي الى خازنه بثلاثة الاف دينار، فأخذتها وامتنعت ان اعرض عليه شيئا فلما كان من غد جئته، فأومأ الى، هات ما معك، فقلت: ما أخذت رقبه لان النذر قد وقع الوفاء به، ولم ادر كيف أقع مع الوزير! فقال: سبحان الله! اترانى كنت اقطع عنك شيئا قد صار لك به عادة، وصار لك به عند الناس منزله وغدو ورواح الى بابي، فيظن الناس ان انقطاعه لتغير رتبك! اعرض على رسمك وخذ بلا حساب، فكنت اعرض عليه الى ان مات.

وحدث والدى رحمه الله، قال أخبرنا القاضى ابو الطيب، قال: حدثني محمد بن طلحه الردادى، قال: حدثني القاضى محمد بن احمد بن المخرمى انه جرى بين الزجاج وبين المعروف بمسينه- وكان من اهل العلم- شر، فاتصل، ونسجه ابليس واحكمه، حتى خرج ابراهيم الى حد السفه، فقال مسينه:

ابى الزجاج الا شتم عرضي ... لينفعه فأثمه وضره
واقسم صادقا ما كان حر ... ليطلق لفظه في شتم حره
ولو انى كررت لفر منى ... ولكن للنون عليه كره
فاصبح قد وقاه الله شرى ... ليوم لا وقاه الله شره
فلما اتصل هذا بالزجاج قصده راجلا، حتى اعتذر وساله الصفح.

وورد الخبر بدخول ابى طاهر سليمان بن الحسن الجنابى البصره سحر يوم الاثنين لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشر وثلاثمائة، في الف وسبعمائة رجل، وانه وصل إليها بسلايم نصبها على سورها وقتل الحراس وطرح بين كل مصراعين حمل رمل وحصى.

وقتل سبك المفلحى امير البصره، واحرق المبرد، وبعض الجامع، ومسجد قبر طلحه رضى الله عنه، ولم يعرض للقرى وحاربه اهل البصره عشره ايام بالكلأ، وهربوا منه، فطرح فيهم السيف، وغرق منهم الكثير، واقام بها سبعة عشر يوما، يحمل على جماله أموالهم، وسار الى بلده.

وادعى ابن الفرات على على بن عيسى، انه كاتب القرامطة، على المصير الى البصره، واحضر ونوظر، فلم يصح عليه امره.

وقال الهمانى: سمعت على بن عيسى، يعنف أبا عبد الله، حين حلفت ان استغلال ضيعتك بواسطه عشره آلاف دينار، وقد وجد بها في حساب الهمانى انه يرتفع فيها ثلاثين الف دينار، فقال البريدى: تاسيت بسيدنا حين حلف لابن الفرات، ان استغلال ضيعتك الصافية عشرون الف دينار، واستغلالها خمسون ألفا.

وعلم انه مع ديارته، لو لم يعلم ان البقية مباحة عند من يخافه لما حلف، فكانه القم عليا حجرا

وامتنع المقتدر من تسليم على بن عيسى الى ابن الفرات، واراد حفظ نفسه، فادى ثمن دار كانت له بالجانب الغربى في سويقه ابى الورد، سبعة آلاف دينار، وقال للمحسن: ما يمكنني أداء مصادرتي في اعتقالى، فالبسه جبه صوف، وصفعه، فقام عند ذلك نازوك وقال: لا احضر مكروه من قبلت يده السنين الكثيره.

فلما علم ابن الفرات بفعل ابنه، لم يشك ان الخليفة ينكر ذلك، فبادر وكتب الى الخليفة، فسأله في علي بن عيسى، وقال: هو من مشايخ الكلاب، وعرفه خدمته، فخرج خط المقتدر، بان الصواب ما فعله المحسن، وانه قد شفعه فيه، وحل قيوده. وأشارت زيدان القهرمانه على ابن الفرات، بتسليمه الى شفيق، والا تسلمه الخليفة، فاستدعى وسلمه اليه. فخرج وقد أقيمت صلاه المغرب، فقدم على فصلي بالناس في المسجد الذي على دجلة. ومضى مع شفيق فجلس في صدر طيارة، وجلس شفيق بين يديه، واسعف ابن الفرات وابنه على في مصادرتة وحمل اليه ابو الهيجاء بن حمدان عشره آلاف دينار، فردها، فحلف ابو الهيجاء انها لا رجعت الى ملكه، ففرقت في الطالبين والفقراء، وبذل له شفيق اموالا فأبى من قبولها، وقال: لا اجمع عليك مئوتى ومعونتى. ولما صعد درجه شفيق، مد شفيق يده فاتكا عليها، ولما قبض على ابن الفرات، جعل يرجف، فقال له: لم لم تعطني يدك كما أعطيتها عليا؟ فقال: لان عليا اتقى الله منك. ولما ادى على مصادرتة، اذن المقتدر لابن الفرات في ابعاده الى مكة، فاستاجر له جمالا واعطاه نفقه، وانفذ معه ابن الكوثانى صاحبه، فاراد قتل على، فبلغ ذلك اهل مكة فهموا بقتل ابن الكوثانى، ففنع على منه، وحفظه. وصادر ابن الفرات جميع اسباب على، منهم ابن مقله والشافعى، ولما لم يجد على النعمان بن عبد الله، الذى تاب من التصرف، سبيلا في المصادره، وامتنع من الولاية، احدره الى واسط، وقبض البزوفري عليه من جامعها، لما رأى من اكرام اهل البلد له، وأخذ منه سبعة آلاف دينار، ونفى ابن الحوارى الى الأبله، وخنق بالمناره بعد ان عذب، ثم نبشه اهله، وحمل الى بغداد. وصادر المحسن أبا الحسن على بن مأمون الاسكافى على مائه الف دينار. وصادر الماذرائين حين قدموا من مصر على الف وسبعمائة الف دينار. ونفى ابن مقله الى البصره. وقدم مؤنس المظفر من الغزو وقد فتح عليه، فاخبر ابن الفرات ما تم على العمال منهم، فسعى به الى المقتدر، فقال له: ما شيء أحب الى من مقامك ببغداد، لاني اجمع بين الانس بقربك والتبرك برأيك، والصواب ان تقيم بالرقه، فتتوسط الاعمال، وتستحث على المال. فعلم ان ذلك من عمل ابن الفرات، فأجاب اليه، وسئل في الماذرائين فأطلقوا ونفذ في ذي القعدة. وشرع ابن الفرات في السعيه بنصر القشورى وشفيق المقتدرى، فالتجأ نصر الى السيده، فقالت للمقتدر: ان ابن الفرات، ابعد عنك مؤنسا، وهو سيفك، وقد حل له ابعاد حاجبك. واتفق انه وجد على سطح دار السر في يوم الثلاثاء لخمس خلون من محرم سنه اثنتى عشره وثلاثمائة رجلا أعجميا واقفا، عليه ثياب ديقه وتحته قيص صوف، ومعه محبره وأقلام وورق وحبل، قيل انه دخل مع الصناع وبقي أياما، وعطش فخرج لطلب الماء، فظفر به، وسئل عن حاله، فقال: لا اخاطب غير صاحب الدار، فقال له ابن الفرات: أخبرني عن حالك، فقال: لا اخاطب غير الخليفة، فضرب وهو يقول ندانم حتى قتل بالعقوبة. وخاطب ابن الفرات نصرا الحاجب بحضره المقتدر، وقال: كيف ترضى بهذا لأمر المؤمنين، وما يجوز ان ترضى به لنفسك، وما سمعنا ان هذا تم على خليفه قط، وهذا الرجل صاحب احمد بن على أخى صعلوك الذى قتله ابن ابى الساج، واما ان يكون قد دسسته ليفتك بامير المؤمنين، لتخوفك على نفسك منه. وعداوتك لابن ابى الساج، وصداقتك لأحمد بن على، فقال له نصر: ليت شعرى، ادبر على امير المؤمنين لأنه أخذ أموالى، ونكبتى وهتك حرمنى، وحسبى عشر سنين! ولم يزل امر نصر يضعف والسيد مدافعه عنه. وكان يوسف بن ابى الساج، حين قلد اعمال الري، قتل بها احمد بن على، أخا صعلوك، وانفذ برأسه الى مدينه السلام. ولليلتين خلتا من شعبان، قرئت الكتب على المنابر بمدينه السلام بفتح مؤنس المظفر في بلد الروم، وامر فيه المقتدر برفع الموارث الحشريه، كما فعل ذلك المعتضد بالله رحمه الله.

سنه اثنتى عشره وثلاثمائة

ورد الخبر بان أبا طاهر بن ابى سعيد الجنابى، ورد الهبير لتلقى حاج سنه احدى عشره وثلاثمائة في رجوعهم، فوقع بقافله بغداديه، واقام بقية القوافل بعيدا، فلما فئيت ازوادهم، ارتحلوا، فاشار ابو الهيجاء بن حمدان، واليه طريق الكوفه وطريق مكة، ان يعدل بهم الى وادي القرى، فامتنعوا وساروا، فسار معهم مخاطرا حتى بلغ الهبير، فلقبهم ابو طاهر، فقتل منهم خلقا، واسر أبا الهيجاء واحمد بن بدر عم السيده أم المقتدر، وجماعه من خدم السلطان وحرمة.

وسار ابو طاهر الى هجر، وسنه إذ ذاك سبع عشره سنه، ومات من استاسره بالخفاء والعطش فنال اهل بغداد منالا عظيما، وخرج النساء منشرات الشعور مسودات الوجوه في الجانبين، فانضاف اليهن من حرم الذين نكبهم ابن الفرات، فانبسط لسان نصر عليه، وشار على المقتدر بمكاتبه مؤنس.

ورجمت العامه طيار ابن الفرات، وامتنعوا من الصلوات في الجماعات.

وانفذ المقتدر بياقوت وابنيه محمد والمظفر الى الكوفه، ورجعوا حين علموا انصراف القرمطى الى بلده.

وجمع المقتدر بالله ابن الفرات ونصر وامرهما بالتظافر.

وقدم مؤنس الى بغداد، فركب اليه ابن الفرات، ولم تجر له عاده بذلك، فخرج مؤنس الى باب داره، وساله ان ينصرف، فلم يفعل، وصعد اليه من طيارة حتى هناه بمقدمه، وخرج معه مؤنس حتى نزل الطيار.

وانفذ المقتدر بناروك وبلقي فهجما على ابن الفرات، وهو في دار حرمة، فاخرجاه حاسرا، فاعطاه نازوك رداء قصب، فقال له مؤنس: الان تخاطبني بالاستاذ وبالأمس نفيتنى الى الرقة والمطريصب على راسى، ثم تذكر لأمير المؤمنين سعيي في فساد مملكته! ورجمت العامه طيار مؤنس، لكون ابن الفرات فيه، وسلم الى نصر، وقبض على ولده وأسبابه.

فكانت مده ابن الفرات في هذه الوزارة الثالثة عشره اشهر وثمانية عشر يوما.

واجمع وجوه القواد فقالوا: ان حبس ابن الفرات في دار الخلافة خرجنا بأسرنا، فسلم الى شفيق واعتقل عنده.

واشار مؤنس بتوليته ابى القاسم عبد الله بن محمد بن عبيد الله الخاقانى، فانفذ ابن الفرات الى المقتدر بمائه ونيف وستين الف دينار، وقال لشفيق: فعلت ذلك حتى لا يوهم الخاقانى للمقتدر انه استخرجها.

قال الجمل كاتب شفيق: ولم أر قلبا اقوى من قلب ابن الفرات، سألتني:

من قلد الخليفة وزارته؟ فقلت: الخاقانى، فقال: الخليفة نكب ولم انكب انا.

وسألتني عن استخلف في الدواوين؟ فقلت: في ديوان السواد ابن حفص، فقال: القدر رمى بحجره، وسميت له جماعه، فقال: لقد أيد الله هذا الوزير بالكفاءة.

واقر ابن الفرات بمائه وخمسين الف دينار اخرى، وطولب بالمكاره، فلم يستجب بمال، وكان لا يستجيب بمكروه، وانفذ الى الخاقانى: ايها الوزير، لست غرا جاهلا فتحتال على، وانا قادر على مال، إذا كتب الخليفة الى أمانا على نفسي لافديها بالمال، ويشهد عليه القضاء فيه، فقال الخاقانى: لو قدرت على ذلك فعلت، ولكن ان تكلمت عاداني خواص الدولة.

ورد الخليفة امره الى هارون بن غريب، فاخذ يداريه، وقال له: أنت اعرف بالأمر وان الوزراء لا يلاجون الخلفاء، فلم يزل به حتى أخذ خطه بألفي الف دينار، يعجل منها الربع، وان يطلق له بيع ضياعه، واذن له في احضار دواه، ليكتب

الى من يرى، او ان ينفذ الى دار شفيق اللؤلؤى، ويطلق الكلوذاني ليتصرف في أمواله.

وكانت حماء المحسن تخرجه في زي النساء الى مقابر قریش، فامست ليله عن المصير الى الكرخ، فصارت الى منزل امراه أخبرتها ان معها بنتا لم تتزوج، وسالت ان تفرد لها بيتا، ففعلت، وخلع المحسن ثيابه، فجاءت جاريه سوداء بسراج، فوضعت في الضفة، فرات المحسن، فاخبرت مولاتها فابصرت، وكانت مولاتها زوجه محمد بن نصر ويكل على بن عيسى، مات حين طالبه المحسن من الفزع، فمضت المرأة الى دار السلطان وشرحت الصورة لنصر، فاركب نازوك وقبض عليه، وضربت الدبادب لأجل الظفر به عند انتصاف الليل، فظن الناس ان القرمطى قد كسر بغداد وحمل الى دار مستخرج، يعرف بابن بعد شر، في المحرم بدار الوزارة، فأجرى عليه المكاره،

وأخذ خطه بثلاثة آلاف الف دينار، ثم ابتلع رقعته، وأقام على الامتناع من كتب شيء، فضرب بالدبابيس على راسه وعذب. واحضر ابن الفرات مجلس الخاقاني، فناظره أشد مناظره، فلج ابن الفرات فيها، فقال له الخاقاني: انك استغللت ضياعك التي استغلها على بن عيسى، أربعمائة الف دينار وقال: كان ذلك بعمارتى البلاد واعتمادى ما جلب الريع. ونوظر فيمن قتله ابنه، وقيل له: أنت قتلتهم، فقال هذا غير حكم الله، قال الله تعالى:

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * [والنبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل معه ابنه: لا يجنى عليك ولا تجنى عليه،] ومع هذا فان ابني لم يباشر قتلا ولا سفك دما، وأجاب مؤنسا حين قال: اخرجتني من بغداد فقال: انما اخرجك مولاك حين كتب الى يشكو ما يلاقه من تبسط، وفتحك البلدان بالمؤن الغليظة، واغلاقك إياها بسوء التدبير: وسئل احضار سفت فيه المهمات فاحضر وطلب الرقعة، فوجدت فأخذها مؤنس، وحملها الى

المقتدر بالله واقراه الرقعة، فزاد غيظه وامر بضربه، فضرب خمس درر فقط وسلم وابنه الى نازوك، فضربا حتى تدودت لحومهما وحمل الخاقاني القواد على خلع الطاعة ان حملا الى دار الخليفة ولما توقف الخاقاني في قتلتهما، وقال: لست ادخل في سفك الدماء، ولا اسهل على الخلفاء قتل خواصهم.

وحمل الى ابن الفرات ما يفطر عليه، فقال: رايت أخي أبا العباس في المنام يقول: إبطارك عندنا، وما أخبرني بشيء الا وصح، وانا مقتول.

فاخرج القواد توقيع المقتدر الى نازوك، بضرب أعناقهما، فقال: هذا امر عظيم لا اعمل فيه بتوقيع، فشافه المقتدر بذلك. وجاء نازوك، فامر السودان فضربوا عنق المحسن، واتى برأسه الى ابيه، فخرع وقال: يا أبا منصور، راجع امير المؤمنين، فان عندي اموالا جمه، فقال له:

جل الأمر عن هذا، وامر به فضرب عنقه، وحمل راسه ورأس ابنه الى المقتدر بالله، فامر بتغريقهما. وكان سن الحسن بن الفرات، يوم قتل، احدى وسبعين سنة وشهورا، وسن ابنه ثلاثا وثلاثين سنة.

وقال التنوخي: كان من عادة ابن الفرات ان يقول لكل من يخاطبه: بارك الله فيك، ولم يكن يفارق هذه اللفظه وكان على بن عيسى يقول في كلامه: وال وإليك فكان الناس يقولون: لو لم يكن بين الرجلين الا ما بين الكلامين من الخشونة واللفظ، لكان من اعظم فرق.

ويقال ان على بن عيسى خاطب الراضي يوما بوال.

وكان ابن الفرات إذا ولى، غلا معذاذ الشمع والكاغذ، لكثرة استعماله لهما فيعرف الناس ولايته لغلائهما.

قال الصولي: ابو الحسن على بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات من قريه يقال لها بايك قريه من صريفين، وكان أبوه محمد بن موسى، تولى اعمالا جليله، واكبر اولاده ابو العباس احمد وابو عبد الله وابو عيسى، من خيار المسلمين والزهاد، جاور بمكة وواصل بها الصوم والصلاة، ومات في وزارة أخيه.

وقد ذكرنا اسر القرمطي لالفي رجل ومائتين وعشرين وخمسمائة امراه، فاطلق منهم أبا الهيجاء واحمد بن بدر عم السیده، وانفذ رسلا يسال ان يفرج له عن البصره والاهواز فلم تقع اجابه.

وكان سليمان بن الحسن بن مخلد، وابو على بن مقله، وابو الحسن محمد بن محمد بن ابى البغل، معتقلين بشيراز، فاطلقهم ابو عبد الله الكرخي، حين وقف على مثل ابن الفرات فكتب ابن ابى البغل على جانب تقويمه.

وفي هذا اليوم، ولد احمد بن يحيى، وله احدى وثمانون سنة، واتفق ان سليمان هرب في زي الفيوجى، فاشتد الأمر على الخاقاني، وارجف له بالوزارة، ودخل بغداد مستترا، وصار ابن مقله الى الاهواز، واجرى له في كل شهر مائتي دينار، واذن له في المصير الى بغداد وسال موسى في على بن عيسى، فكتب صاحب الين بانفاذه الى مكة، وحمل اليه كسوه ومالا نحو خمسين الف دينار، ولما وصلها قلده الخاقاني الاشراف على الشام ومصر.

وتولى ابو العباس بن الخصبي استخراج سبعمائة الف دينار من زوجه المحسن.

وشغب الجند على الخاقاني، فلم يكن عنده ما يدفعه اليهم، وبقي شهرا لا يركب الى الموكب.

وكان مؤنس بواسط، وشار عند قدومه بعلى بن عيسى، واشارت السیده والخاله بابى العباس بن الخصبي، وهو احمد بن عبد الله،

فولاه المقتدر، وقبض على الخاقاني، وكانت وزارته سنة وستة أشهر.

وزارة أبي العباس الخصبي

وزارة أبي العباس الخصبي

استحضره المقتدر يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، فقلده وخلع عليه، وكان قبل كاتب القهرمانه، واستكتب مكانه أبا يوسف عبد الرحمن ابن محمد، وكان تائباً من العمل، فسماه الناس المرتد. واستدرك أموالاً، كان الخصبي أضاعها، فتكرت القهرمانه للخصبي، وضاعت الأمور بوزارته حين كان مواصلاً للشرب ليلاً ونهاراً ويبيت مخموراً.

فصادر الخاقاني على مائتي ألف وخمسين ألف دينار.

وصادر جعفر بن القاسم [الكرخي] على مائه وخمسين ألف دينار.

وتوجه جعفر بن ورقاء الشيباني بالحاج في ألف من بني عمه، وكان في القوافل الذين يذرقون الحاج ستة آلاف رجل، فلقبهم الجنباني فهزمهم بالعقبه وولوا إلى الكوفة، فخرج قواد السلطان فهزمهم، وأقام بالكوفة ستة أيام، وحمل منها أربعة آلاف ثوب وشي وثلاثمائة راويه زيت، وانصرف إلى بلده.

واضطرب الناس ببغداد، وعبر أهل الغربي منها إلى الجانب الشرقي.

وأتى موسى الكوفة، فاستخلف عليها ياقوت.

وسار مؤنس إلى واسط.

وقرئت الكتب بفتح ابن أبي الساج طبرستان.

ووردت خريطة الموسم لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة، بأن النحر كان بمكة يوم الثلاثاء، ونحر الناس ببغداد يوم الاثنين.

وجع على بن عيسى ثم ورد مكة من مصر.

١٢٠٣١٠٢٠ سنة ثلاث عشره وثلاثمائة

سنة ثلاث عشره وثلاثمائة

فيها فتح إبراهيم المسمعي ناحيه القفص، واسر منهم خمسة آلاف رجل، وحملهم إلى فارس وكثرت الارطاب ببغداد، حتى عملوا منها التمور، وجهازوا بذلك إلى البصرة، فنسبوا إلى البغي.

وأتى القرمطي النجف، فخرج مؤنس، فانصرف من بين يديه.

وفيها مات الخاقاني.

وفيها دخل الروم ملطيه.

وفي هذه السنه، توفي أبو الحسن علي بن محمد بن بشار الزاهد، وقبره ظاهر بالعقبه عند النجمي يتبرك به، وكان القادر بالله رضى الله

عنه يزوره دائماً، وقال في بعض الأيام: اني لاعرف رجلاً ما تكلم منذ ثلاثين سنه بكلمة يعتذر منها، فعلم الحاضرون انه اراد نفسه.

وجاءته امرأه، فقالت: ان ابني قد غاب، وقد طالت غيبته، فقال لها:

عليك بالصبر، فظنت انه يأمرها باكل الصبر، وكانت عندها برنيه مملوءة صبراً، فضت واكلت نصفها في مده، على مرارة من العيش،

وشده من الحال، ثم رجعت إليه فشكت إليه غيبته، فقال لها: عليك بالصبر، فقالت: قد وفي من البرنيه، قال لها: وأكلته! قالت: نعم

قال: اذهبي فابنك قد ورد، فرجعت إلى منزله فوجدت ابنها هناك.

وسمع ابن بشار من تاج المقتدر بالله غناء، فلما أصبح قال: هذا الامام ولا يمكننا الانكار على الامام، ولكن نتقل، فبلغ ذلك المقتدر

بالله فانفذ اليه:

ايها الشيخ لا تنزع فتزعجنا، ونحن اولى بالانتقال منك فكان هذا من عمل خادم وقد ادبناه وصرفناه عن دارنا، ولن ترى بعدها ولا

تسمع ما تكره.

١٢٠٣١٠٢١ سنة اربع عشره وثلاثمائة

سنة اربع عشره وثلاثمائة
فيها مات الخاقاني.

ودخل الروم ملطيه، فاخربوا سورها، وأقاموا سته عشر يوما، فدخل أهلها مستغيثين.

وبلغ اهل مكة مسير القرمطي نحوهم، فنقلوا حرمهم وأموالهم.

واستدعى ابن ابى الساج الى واسط، وقد اعمال المشرق، وكناه الخليفة بابى القاسم يتكنى بذلك على جميع القواد، الا على الوزير، ومؤنس المظفر، وحمل اليه المقتدر خلعا سلطانيه، وخيلا بمراكب ذهب وطييا وسلاحا. ودعى الى الري، واضطرب امر الخصبي لإحدى عشره ليله خلت من ذي القعدة.

واشار مؤنس بعلى بن عيسى، فاستدعى المقتدر أبا القاسم عبد الله بن محمد الكلواذى واستخلفه لعل، واستحضر سلامه الطولوني، فتقدم اليه بالنفوذ في البريه الى دمشق ليحضر عليا وظهر في ذلك اليوم ابن مقله وجماعه من الكآب، وسلهوا على الكلواذى وتمكنت هيبه على بن عيسى في الصدور.

ووصلت حمول من البلدان مشى بها الكلواذى الأمور.

واطلقت في شهر رمضان أم موسى الهاشمية من حبسها والزمت منزلها. ولم يحج احد من العراق.

١٢٠٣١٠٢٢ سنة خمس عشره وثلاثمائة وزارة على بن عيسى الثانيه

سنة خمس عشره وثلاثمائة وزارة على بن عيسى الثانيه

في صفر، وصل على بن عيسى الى بغداد، وانفذ اليه المقتدر في ليلته فرشاً وثياباً بعشرين الف دينار، وخلع عليه، وسار من الغد بين يديه كافة القواد الى دار بباب البستان، فاعتقد العفو عمن أساء اليه.

واشتغل بالعمل ليلا ونهاراً، فاستقامت الأمور.

وكان الى عبد الله البريدى الضياع الخاصة ضمانا واقطاع الوزارة الى ابى يوسف أخيه الخراج برامهرمز.

واحضر على بن عيسى الخصبي، وناظره مناظره جميله، وأخذ خطه بأربعين الف دينار.

ومات ابراهيم المسمعي بالنوبندجان، فقلد على بن عيسى مكانه ياقوتا، وقلد أبا طاهر محمد بن عبد الصمد كerman.

وقد اعمال الاهواز أبا الحسن احمد بن محمد بن مانبداذ فقال ابو عبد الله البريدى: تقلد هؤلاء هذه الاعمال، وتقصر بأخي ابى يوسف على بن مهرمز وبى على ضياع الوزراء! وكان قد كتب له بذلك منشورا: خذ يا بنى هذا الكآب فثل عليه في الكتب فان لطبلى صوتا تسمعه بعد ايام.

وانفذ ابو عبد الله البريدى أخاه أبا الحسين الى الحضرة، لما بلغه اضطراب امر على بن عيسى، وقال له: اضمن اعمال الاهواز، إذا ولى الوزارة من يرتفق.

فان عليا عفيف.

فلما ولى ابن مقله الوزارة اعطاه عشرين الف دينار، حتى ولاه الاهواز، ثم صرفه بابى محمد الحسين بن احمد الماذرائى، فبان من تخلفه ما صار به حديثا

وأخذ عليه البريدى الطرقات، فكان كل كآب يكتبه يؤخذ من رسله فما قرئ له كآب منذ دخل الاهواز الى ان خرج عنها، فصرفه ابو على بابى عبد الله البريدى، واعترف باحترازه بطلل الماذرائى.

وكان اقطاع الوزارة مائه وسبعين الف دينار، بعد نفقاتهم، فلم يأخذ ذلك على بن عيسى وقال: ضيعتى تكفيني.

ودخل الروم شمشاط، وضرب ملكهم في الجامع النواقيس وصلى فيه الروم صلواتهم.

ووقعت وحشه بين المقتدر بالله ومؤنس، سببها: انه حكى له، ان المقتدر تقدم الى خواص خدمه بحفر زيه تغطى بالقصب، فإذا اجتاز مؤنس وقع فيها، فهلك، فامتنع من المضى الى دار السلطان، وركب اليه القواد، فيهم عبد الله بن حمدان واخوته وقال له عبد الله

بن حمدان: نقاتل بين يديك ايها الأستاذ حتى تنبت لحيتك، فكاتبه المقتدر بالله على يدي نسيم الشراي، على بطلان ذلك، فجاء وقبل الارض، وحلف له المقتدر، على صفاء نيته، وامره بالخروج الى الروم، فخرج وشيعة الأمير ابو العباس، وعلى بن عيسى ونصر الحاجب وهارون بن غريب.

وفي هذه السنة كان ظهور الديلم، لما خرج ابن ابي الساج عن الري، غلب عليها ليلى بن النعمان، ثم ما كان بن كاكي، ودخل هذا الرجل في طاعه صاحب خراسان.

وغلب بعده اسفار بن شيرويه، وكان مزدوايچ احد قواده، فلما ظلم اسفار اهل قزوین، خرج رجالهم ونساؤهم مستغيثين الى المصلی داعين الله عليه، فخرج عليه مزدوايچ، فهزمه والجاء مزدوايچ، حين رأى آثار حوافر الفرس فدخل عليه فاحتز راسه، وعاد الى قزوین، ووعدهم الجليل واطهر الخوف من دعائهم

ثم تغلب على الري وأصبهان، وأساء السيرة بأصبهان حاجبه وعظمت هيئته، وجلس على سرير ذهب، وكان يتنقص الاتراك، وكان يقول: انا سليمان وهؤلاء الشياطين وكان إذا سار انفرد عنه عسكره خوفا منه، فاشتق العسكر شيخ على دابه وقال: زاد امر هذا الكافر، واليوم تكفونه، ويأخذه الله اليه قبل تصرم النهار، فدهشوا واتبعوه فلم يجدوه.

وعاد مزدوايچ الى داره، فنزع ثيابه، ودخل الحمام واطال، فهجم عليه الاتراك، فقاتلهم بكرتيب فضبه، فحزوا راسه بعد ان شقوا بطنه، وظنوا انهم قتلوه، فلما دخلوا عليه ثانيا راوه رد حشو بطنه، وأمسكها بيده، وكسر جامه الحمام وهم بالخروج.

وقبض ابن ابي الساج على كاتبه ابي عبد الله بن خلف البرقاني لما عرف سعايته به، وسله الى كاتبه حسن بن هارون وقيده وأخذ خطه بستمائة الف دينار.

وكتب المقتدر ابن ابي الساج لحرب القرمطى، لما عرف خروجه من هجر لثلاث بقين من شهر رمضان، واطلق له من بيت مال الخاصة فيما ينصرف الى علوفه بين واسط والكوفة، فحمل ذلك اليه سلامه الطولوني، وامر على بن عيسى عمال الكوفة باعداد الميرة لابن ابي الساج.

وسار ابن ابي الساج من واسط طالبا الكوفة لليلة بقيت من شهر رمضان.

واطلق ابو طاهر القرمطى أسارى الحاج، ووصل الكوفة، فاخذ ما اعد ليوسف وهو مائه كر دقيقا، والف كر شعيرا. ووافى يوسف الكوفة بعد وصول ابي طاهر إليها بيوم، وكان قد تقارب عسكر ابن ابي الساج، وعسكر ابي طاهر في يوم ضباب واحس به ابو طاهر وكف عنه، فالتقوا يوم السبت لتسع خلون من شوال على باب الكوفة، فاحتقر ابن ابي الساج عسكر ابي طاهر، وازرى عليهم، وتقدم يكتب كتاب الفتح قبل اللقاء، تهاونا بامرهم.

والتفت ابو طاهر الى رفيق له، وقد سمع صوت البوقات والدباب، وكانت عظيمه جدا فقال: ما هذا الزجل؟ فقال له صاحبه: فشل، فقال: اجل.

وعبا ابن ابي الساج رجاله، وكان القتال من ضحى النهار الى غروب الشمس، فثبت يوسف ثباتا حسنا، وجرح من اصحاب ابي طاهر بالشباب خلق، وكان ابو طاهر في عمارية مع مائتي فارس من اصحابه، فنزل حينئذ وركب، فسار وحمل بنفسه، وحمل يوسف بنفسه، واشتبكت الحرب، فاسر يوسف بن ابي الساج بعد ان ضرب على جنبه ضربه، وقد اجتهد به اصحابه في الانصراف فأبى، وقتل من اصحابه خلق وانهزم الباقون.

وحمل يوسف الى عسكر ابي طاهر فضرب له خيمه وفرشت، ووكل به، واستدعى بطبيب يعرف بابن السعي ليعالجه، فقال: قد جمد الدم على وجهه، واريد ماء حارا قال: فلم أجد عندهم ما اسخن فيه الماء، فغسله بالماء البارد وعالجه قال الطبيب: وسألني يوسف عن اسمي واهلي، فاخبرته فوجدته بهم عارفا ايام تقلده الكوفة، فعجبت من فهمه وقله اكترائه بما هو فيه.

ولما وصل الخبر بغداد دخل الناس كابه عظيمه وعولوا على الانحدار الى واسط، ثم ورد الخبر بان أبا طاهر رحل يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال، قاصدا عين التمر، فاستاجر على بن عيسى خمسمائة سميري، وجعل فيها الف رجل، وانفذ الطيارات والشذات وحوّلها الى الفرات واقعد فيها الحجريه، لمنع القرمطى من عبور الفرات، وتقدم الى القواد بالمسير الى الأنبار لحفظها.

فلما كان يوم الجمعة، رأى اهل الأنبار خيل ابي طاهر مقبلة في الجانب الغربي، فقطعوا الجسر، وعبر ابو طاهر في مائه رجل، ونشبت الحرب بينه وبين اصحاب

السلطان، وعقد الجسر وخالف سواد الذين في السفن الى الجسر، فاحرقوه، فبقى ابو طاهر في الجانب الشرقى وعسكره وسواده في

الغربي، وحالت السفن بينهما.
 وورد الخبر الى بغداد بقتل ابى طاهر القواد، فخرج نصر الحاجب، ومعه الحجريه والرجاله ومن ببغداد من القواد، وبين يديه علم الخلافة
 ومعه ابو الهيجاء عبد الله بن حمدان واخوته.
 فاجتمع مع نصر ما يزيد على الأربعين الف رجل، فنزل على قنطره النهر المعروف بزبارا، بناحية عقرقوف، على فرسخين، ولحق به
 موسى، وأشار ابو الهيجاء على نصر الحاجب وعلى مؤنس بقطع نهر زبارا، والح عليه في ذلك، فلما رآه متثاقلا عن قبول رايه، قال له:
 ايها الأستاذ أقطعها واقطع لحيتي معها، فقطعها حينئذ.
 وسار ابو طاهر، ومن معه من اصحابه في الجانب الشرقى من الفرات قاصدين نهر زبارا، فلما صار على فرسخ واحد من عسكر السلطان
 آخر يوم الاثنين لعشر خلون من ذي القعدة بات موضعه.
 وباكر المسير الى القنطرة، فوجدها مقطوعة، وتقدم احد رجاله اسود يقال له صبح، فما زال النشاب يأخذه حتى صار كالقنفذ وهو
 مقدم، فرأى القنطرة مقطوعة فرجع.
 ولما علم اصحاب ابى طاهر ان النهر لا يخيض، عادوا القهقرى من غير ان يولوا ظهرهم، وعادوا الى الأنبار ولم يجسر احد على اتباعهم.
 وكان الرأي فيما اشار به ابو الهيجاء من قطع القنطرة، ولولاها لعبير القرمطى غير مستهول بل جمع اصحاب السلطان.
 وطمع مؤنس المظفر في سواده وتخليص ابن ابى الساج من اقياده، فانفذ بليق حاجبه وجماعه من القواد، وستة آلاف من غلمان
 يوسف، فبلغ ذلك أبا طاهر، فانفرد من اصحابه ماشيا، وعبر في زورق صياد، دفع اليه الف دينار، فاجتمع مع قومه فلم يثبت له بليق،
 وبصر ابو طاهر بابن ابى الساج وقد خرج من الخيمة لما ناداه
 غلماناه، فقال له القرمطى: طمعت في تخليصهم لك! وامر به فضربت عنقه واعناق من كان معه من الأسرى.
 واحتال ابو طاهر في عبور اصحابه من الجانب الشرقى الى الجانب الغربى، وكان مع ابى طاهر سبعمائة فارس وثلاثمائة راجل.
 وتقدم على بن عيسى الى نازوك بالطواف ببغداد ليلا ونهارا، لكثرة العيارين، وأباح دم من ظهر منهم، ونقل الناس امتعتهم الى منازلهم
 خوفا منهم، واكثرى وجوه الناس السفن.
 وقصد القرمطى هيت، وبها هارون بن غريب وسعيد بن حمدان، فقاتلا من علا سورها بالمنجنقات، بعد ان قتلوا من اصحابه عدده
 فسكنت نفوس من ببغداد.
 وتصديق المقتدر بمائة الف درهم.
 وبادر على بن عيسى الى المقتدر بالله وقال له: انما جمع الخلفاء الأموال ليقمعوا بها الأعداء، ولم تلحق المسلمين مضره كهذه من هذا
 الكافر الذى اوقع بالحاج سنه اثنتى عشره وثلاثمائة، ولم يبق في بيت مال الخاصة شيء، فائق الله يا امير المؤمنين، وخاطب السيده
 حتى تطلق ما عندها من مال ادخرته لشديده، فهذه أمها، وان لم يكن هناك شيء فالحق خراسان.
 فدخل الى السيده، فأعطته خمسمائة الف دينار، وكان في بيت مال الخاصة مثلها.
 واخبر على بن عيسى، بحال رجل شيرازى يكاتب القرمطى واتباعه، فاحضره فاقرا انه من اصحابه، لم يتبعه الا لحق رآه معه وقال له:
 لسنا كالرافضة الحقى، الذين يدعون اماما منتظرا، وامامنا فلان ابن فلان ابن اسماعيل بن جعفر، فامر به فحبس بعد الضرب، فامتنع
 في حبسه من الطعام والشراب فمات بعد ثلاثة ايام.
 وكتب القرمطى الى مؤنس كتابا، في آخره:
 قولوا لمؤنسكم بالراح كن أنسا ... واستتبع الراح سرنابا ومزمارا
 وقد تمثلت عن شوق تقاذف بي ... بيتا من الشعر للماضين قد سارا
 نزورك لا نؤاخذكم بجفوتكم ... ان الكريم إذا لم يستزر زارا
 ولا نكون كأنتم في تخلفكم ... من عاجل الشوق لم يستبعد الدار
 وله اشعار كثيره تركاها لشياعتها.

١٢٠٣١٠٢٣ سنة ست عشرة وثلاثمائة

سنة ست عشرة وثلاثمائة

. دخل مؤنس المظفر بغداد، وبعده نصر.

وندب مؤنس للخروج الى الرقة، لما وصل الخبر باستيلاء القرمطي على الرحبة حربا وقتله أهلها ورهبت الاعراب أبا طاهر، حتى كانوا يتطايرون عند سماع ذكره، وجعل على كل بيت منهم دينارا بعد ان نهبهم.

وعاود القرمطي هيب، فلم يقدر عليها، فأتى الكوفة، وجاء الى قصر ابن هبيرة فخرج اليه نصر، فخم نصر حمى شديده حاده، فسار مع ذلك الى شورا وبينه وبين القرمطي نهرا، واستخلف على الجيش احمد بن كيغلغ، وانفذ معه الجيش.

وانصرف القرمطي من غير لقاء.

واشتدت عليه نصر، وجف لسانه من شدة الحمى، فاعيد الى بغداد، فمات في الطريق في عمارية، فانفذ المقتدر على الجيش هارون بن غريب، فدخل بهم بغداد.

واقام على بن عيسى حين رأى تنكر الأمور على الاستعفاء من الوزارة، والمقتدر يجلبه، ويستوقفه حتى اعفاه.

واستوزر المقتدر أبا علي بن مقله ضرورة، وذلك بمشوره نصر، فلما كان في النصف من شهر ربيع الاول، انفذ المقتدر هارون بن غريب، ومعه ابو جعفر بن شيرزاد للقبض على علي بن عيسى، فاستحيا هارون من لقائه بذلك، فانفذ أبا جعفر، فوجده مستعدا قد لبس خفا وعمامة وطيلسانا، واستصحب مصحفا ومقراضا، وسال هارون صيانة حرمه، ففعل وحمل مع أخيه ابى علي الى دار السلطان، فاعتقله في دار زيدان القهرمانه، وكانت وزارته هذه سنة واربعه اشهر ويومين.

وزارة ابى علي بن مقله

وزارة ابى علي بن مقله

وقد كان محمد بن خلف النيرمانى بذل في الوزارة ثلاثمائة الف دينار، فلم تقبل منه، لما عرف منه الجهل بالكاتبه والتهور في الافعال. واحضر ابن مقله يوم الخميس سادس عشر ربيع الاول، وقلد الوزارة، ووصل الى الخليفة وخلع عليه، وحمل اليه طعام على العادة التي جرت للوزارة إذا خلع عليهم.

ودس نصر الحاجب على علي بن عيسى من ادعى مكاتبته القرمطي على يده، وذلك لعداوة بينه وبينه، ولماياله على المؤنس. وعزم الخليفة على ضرب علي بن عيسى بالسياط على باب العامه، فوقفت السیده على بطلان الأمر فازالت من نفس المقتدر تصديق ذلك، وثنته عن رايه في معاقبته.

واتفق لابن مقله ما مشى به الأمور، انفاذه البريدى له- وكان بينهما موده- سفاتجا بثلاثمائة الف دينار، وغير ذلك من وجوه اخر. وتغايروا سواس هارون بن غريب على غلام امرد، فوقع الحرب بينهم، فاخذ نازوك سواس هارون وحبسهم، فسار اصحاب هارون الى مجلس الشرطه وضربوا خليفه نازوك، وأخذوا اصحابه فلم ينكر ذلك المقتدر فجمع نازوك رجاله وزحف الى دار هارون، فقتل من اصحابه قوما، ووقعت الحرب، فجاء ابن مقله ومفلح الأسود فاديا رساله إليهما عن المقتدر حتى كفا.

واقام مؤنس في داره مستوحشا، فأظهر ان ذلك لمرض في ساقه، وصار اليه هارون لابسا دراعه فاصطلحا.

واقام هارون ببستان النجمى، قاصدا للبعد من الفتن، فكتب اصحاب مؤنس

اليه وهو بالرقه، بان الأمر قد تم لهارون في امره الأمراء، فاسرع الى بغداد ولم يخدر الى المقتدر وصعد اليه الأمير ابو العباس والوزير ابو علي فسلما عليه.

وقدم عليه ابو الهيجاء من الجبل، وقلد احمد بن نصر الحجية، وأخذ منه ستين الف دينار، وذلك في شهر رمضان، وصرف في ذي الحجة. وقبض ابن مقله على ابى محمد بن عبد الله كاتب نصر، والزمه خمسين الف دينار.

١٢٠٣١٠٢٤ سنة سبع عشرة وثلاثمائة

سنة سبع عشرة وثلاثمائة

في يوم السبت ثالث المحرم، خرج مؤنس الى باب الشماسيه، وخرج الجيش معه، وعبر اليه نازوك في اصحابه، وخرج اليه ابو الهيجاء وسائر القواد، ثم انتقلوا الى المصلى.

وشحن المقتدر داره بهارون بن غريب واحمد بن كيغلغ والمجرية والرجاله المصافيه فما كان آخر النهار حتى مضوا الى مؤنس. وراسل مؤنس المقتدر ان الجيش عاتب بما يصير الى الخدم والحرم ودخولهم في الرأي، وهم يطالبون باخراجهم عن الدار، فأجابه المقتدر برقة طويلة فيها:

امتنعنى الله بك ولا أخلااني منك، ولا أراني سوءا فيك، تأملت الحال التي خرج اولياؤنا وصنائعنا وشيعتنا إليها وتمسكوا بها، وأقاموا عليها، فوجدتم لم يريدوا الا صيانة نفسي وولدى، واعزاز امرى وملكي، بارك الله عليهم، واحسن اليهم وأعاني على صالح ما انويه لهم واما أنت يا أبا الحسن المظفر- لا خلونا منك- فشيخي وكبيرى، ومن لا ازول ولا احول عن الميل اليه والتوفر عليه والتحقيق به، اعترض ما بيننا هذا الحادث لم يعترض، وانتقض هذا الأمر الذى لحقنا او لم ينتقض، وأرجو الا تشك في ذلك ان صدفت نفسك وحاسبتها، وازلت الظنون السيئه عنها، ادام الله حراستها.

والذى ذكره أصحابنا من امر الحرم والخدم قول إذا تبينوه حق تبينه، وتصفحوه حق تصفحه، علموا انه قول جاف، والبغى فيه على غير مستتر ولا خاف ولا يثارى موافقتهم واتباعى مصلحتهم اجبتهم الى المتيسر في امر هذه الطبقة، واتقدم بقبض اقطاعاتهم وحظر تسويغاتهم، واخراج من يجوز اخراجه من دارى، ولا اطلق للباقيين الدخول في تديبرى ورأى، واوعز بمكاتبه العمال في استيفاء حق بيت المال من ضياعهم الصحيحه الملك، دون ما يقال انه قد لابس الريب والشك، وانظر بنفسى في امر الخاصة والعامة وابلغ في انصافها والاحسان إليها الغاية.

واما أنتم، فعظم نعمكم منى، وما كنت لأعود عليكم في شيء سمحت به ورايته في وقته، وأراه الان زهيدا، في جنب استحقاقكم، وانا بتثميرو اولى وتوفيره اخرى.

اما نازوك، فلست ادرى لأي شيء عتب، ولا لأي حال استوحش واضطرب؟ فما غيرت له حالا، ولا حزت له مالا.

واما عبد الله بن حمدان، فالذى احفظه صرفه عن الدينور وتبيؤ اعادته إليها ان كان راغبا فيها، وما عندي له ولنازوك والعصاة كلها الا التجاوز والإبقاء وبعد هذا وقبله، فلي في أعناقكم بيعه قد وكدتموها على انفسكم دفعه بعد اخرى.

ومن بايعنى فإنما بايع الله سبحانه، ومن نكث فإنما نكث عهد الله، ولي عندكم أيضا نعم واياي وعندكم صنائع وعوارف، آمل ان تعترفوا بها وتلتزموها وتشكروها، فان راجعتم هذا الجميل، وتلقيتم هذا الخطب الجليل، وفرقتم جموعكم ومزقتموها وعدتم الى منازلكم واستوطنتموها، واقبلتم على شئونكم فلم تقصروا فيها كنتم بمنزله من لم يبرح من موضعه، ولم يأت بما يعود بتشتت محله وموقعه، وان ابيتم الا مكاشفه ومخالفه، فقد وليتكم ما توليتم، واغمدت سيفي عنكم، ولجات في نصرتي ومعونتي الى الله سبحانه، ولم اسلم الحق الذى جعله الله تعالى لي، واقتديت بعثمان بن عفان رضى الله عنه، حين لم يخرج من داره، ولم يسلم حقه لما خذله عامه ثقافته وانصاره، والله تعالى بصير بالعباد وللظالمين بالمرصاد.

ولما وقف مؤنس ونازوك وابو الهيجاء على الرقعة، طالبوه باخراج هارون، فاخرجه من يومه الى الثغور الشاميه والجزرية. وعاد مؤنس والجيش الى بغداد في يوم عاشوراء وزحفوا الى دار السلطان، فهرب المظفر بن ياقوت والخدم والحجاب وابن مقله واخرج المقتدر والدته وخالته وحرمة ليلا الى دار مؤنس، ودخل حينئذ من قطربل الى بغداد مستترا.

واصعد نازوك بغلامه مؤنس الى دار ابن طاهر، ففتح له كافور الموكل بها، وسلم اليه محمد بن المعتضد بالله، واحرق في طريقه دار هارون وبويع محمد بالخلافة، بايعه مؤنس والقواد ولقب القاهر بالله.

واخرج مؤنس على بن عيسى من دار السلطان، فاطلقه الى منزله وقلد أبا على بن مقله وزارة القاهر. وقلد نازوك الحجة والشرطه.

واضاف الى اعمال ابى الهيجاء اعمالا كثيرة.

ومضى بنى ابن نفيس، بعد ان وقع النهب في دار السلطان الى تربه السيده بالرصافة، فوجد لها هناك ستمائة الف دينار.

واشهد المقتدر على نفسه بالخلع القضاء وأخذ القاضى ابو عمر الكّتاب، فلم يطلع عليه أحدا، فكان هذا من اقوى ذرائعه عند المقتدر،

لما عاد الى الخلافة.

وسكن النهب عند ولاية القاهر، وجلس ابن مقله بين يديه، وكتب بخلافته الى الافاق. وتقدم الى نازوك بقلع خيم الرجاله، والمنع للحجريه من دخول الدار فاضطربوا.

فلما كان يوم الاثنين سابع عشر المحرم، بكر الناس الى دار الخلافة، لأنه يوم الموكب وحضر الخلق والعسكر بأسره، وطالبوا بالرزق والبيعه ولم يخذل مؤنس يومئذ.

وهجمت الرجاله تريد الصحن التسعيني، وكان نازوك نهى اصحابه عن معارضتهم، إشفافا من الفتنة، فقاربوا القاهر بالسلاح، وكان جالسا في الرواق، بين يديه ابن مقله ونازوك وابو الهيجاء، فانفذ بنازوك ليردهم وهو مخمور قد شرب ليلته، فقصدوه بالسلاح، فهرب منهم، فطمعوا فيه، وانتهى به الهرب الى باب كان

قد سده خوفا من الدخول منه فكانت منيته عنده، فقتلوه وصاحوا مقتدر يا منصور.

فهرب كل من في الدار، وصلبوا نازوك وعجيبا الخادم على خشب الستارة، وبادر الخدم الى أبواب الدار فغلقوها، لانهم خدما المقتدر وصنائعه.

وبادر ابو الهيجاء الخروج، فصاح القاهر به: تسلمي يا أبا الهيجاء! فأخذته الحمية فقال: لا والله لا اسلمك وعاد ابو الهيجاء ويده في يد القاهر الى دار السلام، وقصد الروشن فوجد الرجاله منتظمين، فنزل ابو الهيجاء معه وقال له: وتربه حمدان لا فارقتك يا مولاي او اقتل دونك! ومضى ابو الهيجاء الى الفردوس ونزع سواده ومنطقته واعطى ذلك غلامه، وأخذ جبه صوف مصريه عليه، وركب دابه غلامه، ومضى الى باب النوبى، فوجد الجيش وراءه وهو مغلق، فعاد الى القاهر، وقال: هذا امر من السماء، قد حمل راس نازوك الى هناك.

ودخلا من حيث خرجا، وأتيا دار الأترجة، وتأخر عنهما فائق وجه القصعة، وأشار على الخدم بقتل ابى الهيجاء، وذكرهم عداوته للمقتدر، فاتوه بقسي ودبابيس فجرد سيفه ونزع جبته، وحمل عليهم فاجفلوا منه ورموه ضرورة، ورماه احد الحجريه بنشابه وهو ينادى: يال تغلب! القتل بين الحيطان اين الكميث بن الدهماء! فرماه نمار جونه بسهمين: أحدهما نظم نخذه والآخر مال بترقوته، فانتزع السهام ومضى الى بيت فسقط فيه قبل ان يصل اليه.

فبادره اسود، فضرب يده فقطعها، وأخذ سيفه، وغشيه اسود آخر فخر راسه.

وامتنع المقتدر، وهو بدار ابن طاهر، من المضى الى دار السلطان، وخاف ان تكون حيله عليه، فحملوه على رقابهم الى الطيار.

فلما حصل في دار الخلافة سال عن ابى الهيجاء، فقيل له: هو في الأترجة، فكتب له أمانا بخطه، وقال لبعض الخدم: ويالك بادر به لا تتم عليه امره.

فلما حصل الخادم في الطريق، تلقاه خادم آخر برأسه، فعاد الى المقتدر فعزاه

عنه، فظهرت كاتبه وقال: ويالك من قتله؟ فغمزه مفلح الأسود، فقال: لا ادرى فكر: إنا لله وإنا إليه راجعون! وظهر من حزنه عليه امر عظيم.

وكان ابو الهيجاء في الشجاعة بمنزله كبيره، حكى عنه احدى حظاياه، انه كان يواقعها في سفر، فجاء السبع الى باب مضربه، فجرد سيفه وحمل عليه، وأتاها برأسه، وعاد الى الحال التي كان عليها، لم تفتر شهوته ولم تكل آله.

واتى المقتدر بالقاهر، واستدناه، وقبل جبينه، والقاهر يقول: نفسي نفسي يا امير المؤمنين، فقال له: لا ذنب لك لأنك اكرهت، وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا جرى عليك سوء منى ابدأ، فاطمان.

وشهر ببغداد راس نازوك وابى الهيجاء، ونودى عليهما: هذا جزاء من كفر نعمه مولاه.

وعاد ابن مقله الى الوزارة، وكتب باعاده الخلافة الى المقتدر وحكى ان بدر بن الهيثم القاضي، ركب للتهنئة ورجوع الخلافة الى المقتدر بالله، وقال لابن مقله: بين ركبتى هذه وركبه ركبتها مائه سنه، لأنني ركبت للتعزية بوفاه المأمون سنه سبع عشره ومائتين مع ابى، وقد ركبت اليوم للتهنئة بعود المقتدر سنه سبع عشره وثلاثمائة، وتوفى بدر بعد ايام سنه مائه واثنى عشره سنه.

وجددت البيعه على الناس، فاطلق للفرسان زياده ثلاثة دنائير في الشهر، وللرجال زياده دينار ونفدت الأموال في عطياتهم حتى بيعت الآلات والكسوة.

واشهد المقتدر بالله على نفسه، بتوكيل على بن العباس النوبختي في بيع الضياع.

وحضر على بن عيسى فقام اليه ابن مقله، وشاهد البيع، فأنتهى الى بيع ضياع جبريل والد بختيشوع، وقد بيعت بثمن نزر، فقال: لا اله الا الله! حدثني شيخنا القاسم عيسى بن داود- يعنى أباه- ان المتوكل رحمه الله، لما غضب على بختيشوع انفذ لإحصاء ما في داره، فوجد في خزانة كسوته رقعه فيها ثمن ضياعه، مبلغ ذلك بضعه عشر آلاف الف درهم. وخلع المقتدر على ابن مقله وكناه وقلد أبا عمر قضاء القضاء، وكتب عهده. ووقع في هذه السنه القرمطى بالحجيج في المسجد الحرام، وقتل امير مكة، وقلع الحجر الأسود، وسلب البيت، واصعد رجلا من اصحابه ليقلع الميزاب، فتردى فهلك، وطرح القتلى بزمزم، والقي من بقي في المسجد، وأخذ الأموال وحمل الحجر الى بلده. قال المقتدر: قال لي عقيل بن عصام العقيلي بقرية ابروده من الدجيل: حدثني ابي: انه رأى أبا طاهر وبين يديه خمسون يضربون الرقاب، فقتل من الحجيج نحو عشرة آلاف وهو يقول: ولو كان هذا البيت بيتا لربنا ... لصب علينا النار من فوقنا صبا وانا تركا بين زمزم والصفاء ... جنائز لا نبغى سوى كسبها ربا لعنه الله واتباعه لعنا ويلا! واتى اهل مكة على من عندهم من الحاج، فقتلوههم وسلبوهم. وقلد ابنا رائق شرطه بغداد، مكان نازوك. وورد ياقوت من فارس، نخلع المقتدر عليه، وعلى ابنه المظفر، وولى مكانه نجحا الطولوني بفارس وكرمان وعزل ياقوت، وجعل الاشراف بها لابن ابي مسلم. وانحدر بعد ذلك مؤنس الى المقتدر، نخلع عليه ونادمه، وساله في أم موسى الهاشمية، وفي أم دستنبويه، فأجيب ووصلت بسبعة آلاف دينار. ورتب على بن عيسى في المظالم، وجعلت الدواوين اليه. وفيها فتح هارون بن غريب شهرزور، وطالبهم بخراج عشرين سنه عصوا فيها، وصالحوه على سبعة وثلاثين الف دينار ومائتي الف درهم. وفيها رتب الحجريه على بن مقله، وضربوه بالدبابيس فافلت منهم. وفيها ملك اصحاب ما كان الديلمي قاسان.

١٢٠٣١٠٢٥ سنه ثمانى عشره وثلاثمائة

أخبار متفرقة

وزارة ابي القاسم عبد الله بن محمد الكلواذى

سنه ثمانى عشره وثلاثمائة

[أخبار متفرقة]

زاد امر الرجاله وكثر تسحبهم وادلاهم، بأنهم كانوا السبب في عود المقتدر الى داره. وطالب الفرسان بالمال، فاحتج عليهم السلطان، بانه يصرف الى الرجاله في كل شهر مائه وثلاثين الف دينار. وركبت الفرسان مع محمد بن ياقوت، فطردوهم ووقع بالسودان بباب عمار، وحرق دورهم، فهربت الرجاله الى واسط، ورئيسهم. نصر الساجي، فغلبوا عليها فانحدر مؤنس فوقع بهم، فلم ترتفع لهم رايه بعد ذلك. وكان بين محمد بن ياقوت ومؤنس تباعد، فلميله مؤنس ابن مقله، عاداه بالانضمام اليه، وقبض على الوزير سليمان بن الحسن، حين عرفت اضاقته، وكثرت المطالبات له، فكانت مده وزارته سنه وشهرين . وزارة ابي القاسم عبد الله بن محمد الكلواذى . كانت في يوم الاثنين سابع رجب، واقرضه ابن قرابه مائتي الف دينار بربح درهم في كل دينار. وملك مزداويح الجبل باسره الى حلوان.

وانهزم هارون بن غريب الى دير العاقول. واستامن يشكرى الديلمي الى هارون، وهو من اصحاب اسفار، وانهزم بانهزامة وصادر يشكرى اهل نهاوند في اسبوع، على ثلاثة آلاف الف درهم، وابنت

وزارة الكرخي

الاخبار، وصادر اهل الكرج وملك أصبهان، وكان بها احمد بن كيغلغ، نفرج هاربا في ثلاثين نفسا. فكان لأحمد من الاتفاق العجيب ان يشكرى تبعه الى قريه، فعاون أهلها احمد وتقارب احمد ويشكرى، فضربه احمد ضربه قدت مغفره وخودته، ونزلت في راسه فقتلته، وانهزم اصحابه، وسن احمد يومئذ سبعون سنه.

وركب الكلوزاني في طيارة، فرجمه قوم من الجند، طلبوا أرزاقهم، فجعل ذلك سببا لاغلاق بابه، وولى بعده الحسين بن القاسم الكرخي . وزارة الكرخي

كان ببغداد رجل يعرف بالدانيالى، يظهر كتباً عتيقه، وينسبها الى دانيال النبي عليه السلام، ويودع تلك الكتب أسماء قوم وحلاهم، فاستوى جاهه، وقامت سوقه بين اهل الدولة وعند القاضي ابى عمر وابنه.

وذكر لمفلح الأسود، انه من ولد جعفر بن ابى طالب، فنفق بذلك عليه، وأخذ منه مالا كثيرا، وأشار عليه ابن زنجى باثبات صفه الحسين بن القاسم، وذكر الجدري الذى في وجهه والعلامات التي في شفته العليا، فكتب ذلك، وانه ان وزر للثامن عشر من ولد العباس استقامت أموره، فعمل دقترا، وذكر ذلك في تضاعيفه وعتقه في التبن، وجعله تحت خفه ومشى عليه حتى اصفر وعتق. قال ابن زنجى: فلولا معرفتي من عمله له لم اشك في انه قديم وحمله الى مفلىح فعرضه على المقتدر، فقال له: اتعرف هذه الصفة لمن؟ قال: لا اعرفها الا للحسين بن القاسم، قال: فاستدعاه وشاوره.

قال ابن زنجى: ثم ان الدانيالى طالبنى بالمكافاه، فقلت: حتى يتم الأمر. فلما ولى الحسين الوزارة، ولاه الحسبه، واجرى له مائتي دينار في الشهر

وسعى له بليق في الوزارة، وتقلدها يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر رمضان، فتشاعل عن الجلوس بالتهنئة بجمع الأموال التي يحتاج إليها في نفقه العيد، وصار اليه على بن عيسى وهناه.

وكانت دمنه تعنى بأمر الحسين، فكانت توصل رقاعه، وكانت حظيه عند المقتدر فكان يخدمها ويخدم ابنها الأمير أبا احمد إسحاق في كل يوم بمائه دينار.

واختص به بنو البريدى وابو بكر بن قرابه، واقرضه اموالا بربح درهم في الدينار.

واختص به جعفر بن ورقاء، فقلد أبا عبد الله محمد بن خلف النيرمانى اعمال الحرب والخراج والضياح بحلوان، وغيرها من ماء الكوفه، ولبس القباء والسيف والمنطقه وتسمى بالاماره وسئل في اخراج على بن عيسى الى مصر، فدافع عنه مؤنس وقال: انه شيخ نرجع الى رايه حتى احدره الى الصافية.

وابتدا مؤنس في الاستيحاش وبلغ الحسين ان مؤنسا على كبسه ليلا، فكان ينتقل في كل ليله الى مكان، خوفا منه وراسل مؤنس المقتدر في صرف الحسين عن الوزارة فأجابه.

وسعى الحسين بمؤنس وقال للمقتدر: انه قد عزم على ان يخرج الأمير أبا العباس الى الشام ويقرر له الخلافه.

وكتب الحسين الى هارون بن غريب، وهو بدير العاقول، يأمره بالمبادره الى الحضرة فاستوحش مؤنس، وظهر الغضب وسار في اصحابه الى الموصل.

وجاء بشرى خادم شفيح برسالة الى المقتدر، فشتمه الحسين وشم صاحبه، وضربه بالمقارع، وأخذ خطه بثلاثمائة الف دينار.

ووقع الحسين بقبض املاك مؤنس وضياح أسبابه، وافرد له ديوانا سماه ديوان المخالفين.

وزاد محل الحسين من المقتدر، فكان ينفذ له الطعام من بين يديه، ولقبه عميد الدولة، وامر بذكر لقبه على الدنانير.

وقلد أبا يوسف محمد بن يعقوب البريدى البصره، والقيام بنفقتها فتقدم الى

الكتاب، باخراج خراج البصرة، فاخرجه من صلاه الفجر الى عتمه يومه، واحضر البريدى ووافقه على ذلك، وأخذ خطه بالقيام بمال الأولياء بالبصرة، وان يرتب لحفظ السور زياده على من عليه الف رجل، وان يحمل بعد النفقات سبعين الف دينار، وحمل الخط الى الوزير متبجحا به، فلم يقع من الوزير بموقع، وظن انه وبخه بذلك.

وعرف المقتدر فوقع موقعه عنده، وغلظ على الحسين، فخافه الفضل بن جعفر، فاستتر منه عند ابن قرابه، فقلد الحسين الديوان أبا القاسم الكلوذى.

وجد ابو الفتح في طلب الوزارة، وصودر ابن مقله عند بعد مؤنس عن مائتي الف دينار.

واراد الحسين مصادره على بن عيسى، وهو بالصفية مقيم، فنع منه هارون بن غريب وكان بدير العاقول.

ووصل هارون الى دار السلطان، فلقى المقتدر وساله في ابن مقله، فخط عنه خمسين الف دينار، فانصرف الى داره، فقصدته الوزير وابنا رائق ومحمد بن ياقوت ومفلح وشفيع.

وأخذ ابن مقله في استمache الناس، ففضل له عن الذى صودر عليه عشرون الف دينار فابتاع بها ضياعا وقفها على الطالبين وكان اتباعها باسم عبد الله بن على المقرئ.

وقبض المقتدر على ابى احمد بن المكتفي، ومحمد بن المعتضد، فاعتمدت السیده مراعاة محمد، واهدت اليه الجوارى وراعتة في نفقته، واعتقلا بدار السلطان واشتدت الإضافة بالحسين فباع ضياعا بخسمائة الف دينار، واستسلف من مال سنه عشرين وثلاثمائة قبل افتتاحها، فاخبر هارون حاله للمقتدر، فكتب للخصبي أمانا فظهر فحوطب بالوزارة، فذكر ان الحسين استسلف من مال سنه عشرين قطعه وافرة، وانه لا يغر السلطان من نفسه، فولاه ديوان الازمه، واجرى له ولكابه الف دينار وسبعمائة دينار في كل شهر، واقر الحسين على الوزارة وخلع عليه، ليزول الارجاف عنه

وزارة ابى الفتح الفضل بن جعفر

واجتمع الحسين والخصبي، فاخذ الحسين يعانده والخصبي ممسك، فلما بلغ ذلك المقتدر انحل امر الحسين عنده فقبض عليه، فكانت وزارته سبعة اشهر.

• وزارة ابى الفتح الفضل بن جعفر

وخلع عليه لليلتين بقيتا من شهر ربيع الآخر.

وصادر الحسين في نوب، أخذ منه في إحداها اربعين الف دينار، ثم ابعده الى البصرة واقام له في كل شهر خمسة آلاف درهم.

وانفذ مزدوايچ رسولا يسال ان يقاطع عن الاعمال التي غلب عليها من اعمال المشرق، فأجيب، وتكفل هارون بن غريب بامرهم، وكتب له العهد وانفذ اليه اللواء والخلع، ومشى الوزير ابو الفتح الأمور بمائه الف دينار الزمت للبريدى ونفى ابن مقله الى شيراز.

ومات ابو عمر القاضي، فاغرى ابو بكر بن قرابه بورثته، وقال للمقتدر: هاهنا من يعطى مائه الف دينار لقضاء القضاء! ويوفر هذا المال من جهته.

وانفذ المقتدر بكتاب الى ابى الحسين القاضي معه، وعرفه الحال، فاتوه وهو في العزاء، وأمسكوا، فقال ابن قرابه: ما لهذا حضرنا، قم معنا حتى نخلو، فنهض واستوفى عليه ابن قرابه الخطاب، فقال ابو الحسين: ان نعمنا من امير المؤمنين، واساله ان يمهلنا يومه، حتى يحصل امره.

فلما كان بالعشي، وكان شهر رمضان، مضى الى دار ابن قرابه، فدخل والمائدة بين يديه، وعنده البريديون، فأكل قاصدا لاستكفاء شهره، وقال: قد جئتكم مستسلما إليك فديرني بما ترى.

وقرب منه البريديون، وقالوا متوجعين: له عندنا ثلاثة آلاف دينار نعينك بها، واستصوبوا قصده لابن قرابه، فقال له ابن قرابه: امض مصاحبا، وتعطف عليه المقتدر بالله، وعاونوه البريديون واخوانه فقلده قضاء القضاء.

ووصف المقتدر لابن قرابه ما هو فيه من الإضافة، فقال له: لم لا يعاونك ابن خالك هارون بن غريب وعنده آراج مملوءة دنائير؟ فقال هارون: لو كنت املك

شيئا لما بخلت به عن امير المؤمنين، لان سلامتي معقودة بسلامته، ولكن مع ابن قرابه من المال ما لا يحتاج اليه، وانا استخرج لك منه خمسمائة الف دينار، فقال:

اذهب فتسلمه، فقبض عليه وجرى عليه من المكروه ما اشفى به على التلف، حتى قتل المقتدر بالله نخلص.

وحكى ابن سنان: ان ابن قرابه كان صديقا لأبيه، فدخل عليه بعد ما صودر فقال له: خلطت حتى صودرت، وقد حصل لي الان ما يرتفع منه عشرون الف دينار في السنه خالصه لي، ولي من الاملاك ما ليس لأحد مثله ومن الآلات والفرش والمخروط والصيني والجوهر ما ليس لأحد، وكذلك من الرقيق والخدم والغلمان والكراع، ومعى ثلاثمائة الف دينار صامت، لا احتاج إليها، وبينى وبين ابن مقله موده، وهو مقدم من فارس وزيرا، فهل ترى لي ترك التخليط ولزوم رب النعمه وإصلاحها! فقال له ابن سنان: ما رايت اعجب من امرك، انما يسال عن الأمر الخفى، واما عن الواضح الجلى فكلّا، وبعد فان اعقبك فائده واثرك صلاحا، فلازمه، والا فكف عنه وأيضا فان الإنسان يكده ليحصل له بعض ما حصل لك وقد أتاك هذا وادعا فاشكر الله وتمتع بنعمتك التي انعم الله سبحانه بها عليك، فقال:

صدقت ونصحت، ولكن لي نفس مشثومه لا تصبر، وساعود الى ما كنت فيه.
فلما خرج سنان من عنده، قال: لا يموت ابن قرابه الا فقيرا او مقتولا.

ولما ورد مؤنس، وكان هارون بن غريب قد وكل به غلمانه وقيده، وامرهم باخراجه الى واسط، فقتل المقتدر بالله رحمه الله في ذلك اليوم، فهرب الموكلون به وبقي معه خادمان وكان ابن قرابه اشتراهما لهارون، فتعطفوا عليه وصاروا به الى القرصه، وادخلاه مسجدا بها واحضرا حدادا، فكسر قيوده ومشى الى منزله بسويقه غالب، ووهبا له خمسمائة دينار.

ثم اداه التخليط الى ان قبض عليه القاهر، فأزال نعمته وقبض املاكه وهدمت داره، واراد قتله فزال امر القاهر فعاد الى تخليطه. ومضى الى البريدين لما خالفوا السلطان. ومضى الى معز الدولة من نهر دىالى، وصودر حتى لم يبق له بقية، واضطر الى ان خدم ناصر الدولة، في كل شهر بمائه دينار، وكان ينفق أمثالها ومات بالموصل.

وفي ذي الحجه من هذه السنه، عقد المقتدر لأبني العلاء سعيد بن حمدان على الموصل وديار ربيعه.
وفي هذه السنه توفي ابو القاسم البلخي المتكلم صاحب المقالات والتفسير ببلخ.

وفي سنه عشرين وثلاثمائة كاتب الحسين بن القاسم داود وسعيدا ابني حمدان والحسن بن عبد الله بن حمدان بحاربه مؤنس، فامتنع داود من لقاء مؤنس، لأنه لم يزل محسنا اليه، فما زال به اهله حتى لقيه وقال: هذه تغسل ما فعله الحسين بن حمدان وابو الهيجاء، فكان يقول: والله انى اخاف ان يحيى سهم نجار فيقع في حلقي فيقتلني، فكان حاله كذلك، قتل وحده بسهم.

وكان بنو حمدان في ثلاثين ألفا، ومؤنس في ثمانمائة رجل فانهمزوا، وتعجب مؤنس من محاربه داود له، وكان يقول: يا قوم في جري ختن، ولي عليه من الحقوق ما ليس لأبيه.

وملك مؤنس اموال بنى حمدان، واستولى على الموصل، وكثر خروج الناس اليه ولما اقام بها تسعه اشهر، حمله من خرج اليه على الانحدار الى الحضرة، وبلغ الجند بها انحداره، فشغبوا وطالبوا بأرزاقهم، فاطلق لهم المقتدر ذلك، واخرج مضرب الدم الى باب الشماسيه.

وتراجعت طلائع المقتدر، وبها سعيد بن حمدان ومحمد بن ياقوت ومؤنس الوراقاني واجتهد المقتدر بهارون ان يخرج للحرب وجاء محمد بن ياقوت، والوزير الفضل بن جعفر الى المقتدر ومعهما ابن رائق ومفلح، وقالوا: ان الرجال لا تقاتل الا بالمال، وسألوه في مائتي الف دينار من جهته وجهته والدته، فقال: ليس الى ذلك وجه، وتقدم بإصلاح الشذات والطيارات لينحدر هو وحرمة الى واسط، فقال له محمد بن ياقوت: اتق الله يا امير المؤمنين ولا تسلم بغداد بغير حرب، وان رجال مؤنس ان رأوك أجموا عن القتال، فقال له: أنت والله رسول ابليس.

وركب المقتدر، ومعه هارون بن غريب، ومحمد بن ياقوت، وسائر القواد، وعليه البرده ويده القضيب، وبين يديه ابنه الأمير ابو على، والانصار حافون به، معهم المصاحف منشوره، والقراء يقرءون القرآن، وكثر الدعاء له، واصعد الى الشماسيه، ووقف على موضع عال.

واشتبكت الحرب، ومؤنس بالراشديه لم يحضرها، وثبت هارون ومحمد، وصار ابو العلاء سعيد بن حمدان برسالتهم الى المقتدر يسألانه الحضور، ليشاهده اصحاب مؤنس فيستامنوا فلم يجبه.

وثابت رسالهما، حتى كان آخرهم محمد بن احمد القراريطي، كاتب هارون، وهو لا يجيهم، ووقف على ظهر دابته، ووراءه الوزير ابو

الفتح ومفلح وخواص غلمانه، فلما ألحوا عليه وقالوا: ان الغلمان يؤثرون رؤية امير المؤمنين. ففضى حينئذ كارها المضى، ومعه مفلح، وتخلف عنه الوزير، فلما قارب دجلة، انهمز اصحابه قبل وصولهم، واستأسر احمد بن كيغلغ وجماعه القواد، وآخر من ثبت محمد بن ياقوت. ولقى المقتدر على بن بليق، فترجل له وقبل الارض بين يديه، ووافى البربر من اصحاب مؤنس، فأحاطوا بالمقتدر، وضربه رجل منهم ضربه فسقط منها، فقال: ويحكم! انى الخليفة! فقالوا: فلك نطلب، واضجعوه وذبحه احدهم بالسيف، وطرح احد اصحابه نفسه عليه فذبح أيضا، ورفع راسه على خشبة، وسلب ثيابه،

خلافه القاهر بالله ابو منصور بن المعتضد

حتى مر به اكار، فستره بحشيش، وحفر له ودفنه وعفى اثره. ونزل على بن بليق وأبوه في المضارب، وانفذ الى دار السلطان من يحفظها. وانحدر مؤنس الى الشماسيه فبات بها. ومضى عبد الواحد بن المقتدر ومفلح وهارون ومحمد وابناه رائق على ظهر خيولهم الى الميدان. وكان ما فعله مؤنس من ضرب وجه المقتدر بالسيف سببا لجراه الأعداء على الخلفاء. وكانت مده وزارة ابي الفتح لأمير المؤمنين المقتدر بالله رحمه الله خمسة اشهر وعشرين يوما. ولما حمل راس المقتدر الى مؤنس بكى، وقال: والله لنقتلن كلنا، والصواب ان نرتب مكانه ابنه أبا العباس، فتسوخو نفس جدته السيده باخراج المال. فثنى رأيهم ابو يعقوب إسحاق بن يعقوب النوبختي وقال: الصواب ان تولوا القاهر محمد بن المعتضد بالله، مقدرا استقامه امره معه، فكان الأمر على خلاف ما حسب خلافه القاهر بالله ابو منصور بن المعتضد كانت سنه وستة اشهر وخمسه ايام. أمه تسمى قبول، وسبب خلافته، انه حمل الى مؤنس محمد بن المكتفي بالله، فخاطبه في تولى الخلافه فامتنع وقال: عمى أحق بالأمر، فخاطب عمه القاهر، فأجاب وحلف لمؤنس والقواد وبايعوه، وبايعه القضاء، وذلك سحر يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال. وأشار مؤنس ان يستوزر له على بن عيسى، فقال بليق: وابنه على الحال الحاضره لا يقتضى ذلك، لأنها تحتاج الى سمح الكف واسع الأخلاق فإشار بابى على بن مقله وبان يستخلف له الى ان يقدم من فارس ابو القاسم الكلواذى فرضى

وزارة ابن مقله

مؤنس بذلك، واستخلفوا له الكلواذى، وكتبوا الى ياقوت بحمله عاجلا. وانحدر القاهر الى دار الخلافه، واستدعى مؤنس على بن عيسى من الصافية، فاوصله الى القاهر، فخاطبه بكل جميل. وكانت والده المقتدر في عله عظيمه من فساد مزاج واستسقاء ولما وقفت على حال ابنها امتنعت من الاكل حتى كادت تئلف، فرفق بها حتى اغتذت بيسير من خبز وملح فاحضرها القاهر وقررها بالمال، باللين تاره وبالحشونه اخرى، فقالت: لو كان عندي مال ما اسلمت ولدى للقتل وتجرت بفراقه الثكل، وما لي غير صناديق فيها صياغات وثياب وطيب. فعلقها في حبل البراده بفرد رجلها، وتناولها بالضرب بيده في المواضع الغامضه من بدنها، ولم يذكر إحسانها اليه وقت اعتقال المقتدر اياه، وضربها اكثر من مائه مقرعه. ولما اوقع المكروه بها، لم يجد زياده على ما اعترفت به طوعا، وأخذ ما وجد لها فإذا هي صناديق فيها ما قيمته مائه الف وثلاثون الف دينار وتمثيل كافور قيمتها ثلاثمائة الف درهم. فرفع ذلك الى الكلواذى وبليق وامرهما بحمله الى مؤنس، ليصرف في مال البيعه. وصور جميع اسباب المقتدر.

وصادر الفضل بن جعفر على عشرين ألف دينار، فقال مؤنس: انا أؤديها عنه.
وحل القاهر ما وقفته السيدة على الحرمين والثغور، واشترى ذلك أصحاب مؤنس.
بخمسمائة ألف دينار
• وزارة ابن مقله

وقدم ابن مقله من شيراز يوم النحر، واختار لنفسه لقاء القاهر ليلا بطالع الجدى، وقال: فيه احد السعدين، وخلع عليه من الغد خلع الوزارة
وصار الى دار مؤنس المظفر، فسلم عليه وانصرف الى داره.

وحضر الناس للتهنئة، وأتاه على بن عيسى، فلم يقم له، فاستقبح الناس فعله، وصار اليه ابن قرابه وعاود تخليطه.
وظهرت دمنه والده الأمير إسحاق بأمان كتبه القاهر لها، وبذلت عن ولدها عشرين ألف دينار، ووجد اولاد المقتدر في دار على بن بليق.
وظهر شفيع المقتدرى بأمان، وقرر عليه نحسون ألف دينار، وكان مملوكا لمؤنس، فحلف ان لا بد من بيعه، فنودي عليه، فبلغ ثمنه سبعين ديناراً، فابتاعه الكواذى باسم القاهر وشهد الشهود في العهد.

١٢٠٣١٠٢٦ سنة احدى وعشرين وثلاثمائة

أخبار متفرقة

سنة احدى وعشرين وثلاثمائة

[أخبار متفرقة]

قبض ابن مقله على جماعه من العمال، منهم النوبختى إسحاق بن اسماعيل، وعلى الكواذى، وعتب عليه انه لم يراع اهله وقت غيبته، وأخذ خطه بمائتي ألف دينار، وسلمه الى ابى بكر بن قرابه.
وقبض على بنى البريدى، وضمن اعمالهم محمد بن خلف النيرمانى بزيادة ثلاثمائة ألف دينار، وضمن له ابن قرابه ان يصادرهم على ستمائة ألف دينار.
ولم يزل ابو عبد الله البريدى يدارى محمد بن خلف، ويعرفه انه يعمل بين يديه فرفهه من بين اخوته وتوصل ابو عبد الله حتى ضمنه ابن قرابه واطلق.
ومضى البريدى الى ابن مقله وقال: عرفت من ابن خلف انه يطلب الوزارة، فانفذ خدمه وحجابه للقبض عليه، فهزمهم محمد بن خلف، وحصلهم في بيت، واقفل عليهم بابه، وتسور السطوح وهرب، فلم يظهر الا بعد عزل ابن مقله.
ومضى البريدى الى الاهواز بتوسط ابن قرابه حاله.
وكان ابن مقله يعادى أبا الخطاب بن ابى العباس بن الفرات، فلم يجد للقبض عليه طريقاً، لأنه ترك التصرف منذ عشرين سنة، ولزم منزله وقنع بدخول ضيعته.

وكان ابن مقله استسغه ايام نكبته، فاعتذر بالإضافة ولم يسعفه، فأظهر ابو الخطاب اولاده ودعا اولاد ابن مقله، فعادوا الى ابيهم واخبروه بزينته فتركه.

حتى قصده للسلام، فقبض عليه وطالبه بثلاثمائة ألف دينار، فقال: بم يحتج على الوزير وقد تركت التصرف من عشرين سنة؟ وفي حال تصرفى كنت ازم الصحة، ولي على الوزير حقوق، مثله لا ينساها، ولولا تهجينه لي لقد كنت اظهر خطوطاً له عندي قبل هذه الحال، وما اريد من رعايتها الا السلامة، وان كان يعتقد اننى ورثت من ابى مالا فانتا كذا جماعه اولاد، ولو كان شيء لتقاسمناه

فقال ابن مقله للخصيبي: عاقبه، فعوقب، فلم يدعن، فقال: اضربوا عنقه، فقال للسياف: وجهني الى القبله، وأخذ يتشهد.

فقال مؤنس وقد بلغه الخبر: اى طريق لك على رجل لم يعمل منذ تسع وتسعين ومائتين، وتوسط امره على عشره آلاف دينار، وصرفه الى منزله.

وتوسط ابن شيرزاد حال هارون بن غريب، على مصادره بثلاثمائة ألف دينار، وعنى به مؤنس المظفر، فقبلت مصادرته وقلد اعمال ماه الكوفه وماسبذان.

وكان هارون بواسطه، فقارقه عبد الواحد بن المقتدر ومحمد بن ياقوت وأبناء رائق وسرور ومفلح، وقصدوا السوس، وأخرجوا البلاد في طريقهم، وأقاموا بسوق الاهواز، فنفذ لحرهم بليق.

وانحدر بدر الخرشني في الماء وكوتب احمد بن نصر القشوري، وهو يتقلد البصره فلما تحصلت الجيوش بواسطه، تغير اصحاب ابن ياقوت عليه، وصاحب البريدي بليق، وضمن تستر عسكره، وعمل بالاهواز كل عظيم من المصادر، وأخذ الأمتعة واتى بعده البريدي فعمل كعمله.

وقال ابو عبد الله البريدي: لما رايت انحلال امر بليق هممت بالتغلب، وصار بين محمد بن ياقوت وبليق نهر، فحلف بليق لمحمد بالا يناله من جهته سوء إذا عبر اليه، فعبر اليه محمد، في غلام واحد، وانفرد وحلف كل واحد منهما لصاحبه، فاصطلحا على ان يسيرا الى الحضرة ويكون بينهما منزل.

واشار البريدي على ابن الطبري كاتب بليق، بان يخاطب استاذه في القبض على محمد فلما خاطبه، قال: ما كنت لاخفر أمانتي. وخلف بليق بتستر البريدي، فعمل بها كل قبيح.

ورحل ابن ياقوت، وتبعه بليق الى مدينه السلام، فلما دخل بليق خلع القاهر عليه وطوقه وسوره، واطلق املاك ابن رائق ومحمد بن ياقوت ومفلح وسرور.

دون اقطاعهم

وبيعت دار الوزارة بالخرم، وكانت قديما لسليمان بن وهب، وذرعها اكثر من ثلاثمائة الف ذراع، وقطعت وصرف ثمنها في مال البيعه للقاهر بالله.

وورد الخبر من مصر بموت تكين الخاصة.

واشار ابن مقله بانفاذ على بن عيسى، فجاءه ليلا واستشفع الى كرمه به، وعرفه كبر سنه، فأعفاه عن الشخصوص لما تذلل له، وهم بتقبيل يده، ففنع من ذلك.

وورد كتاب محمد بن تكين، يخطب مكان ابيه، فأجيب اليه، فشغب الجند عليه بمصر وهزموه.

وانحرف ابن مقله عن محمد بن ياقوت، ومكن في قلب مؤنس المظفر وبليق وعلى ابنه انه في تدبير عليهم مع القاهر عليهم وان رسوله في ذلك عيسى الطيب.

فوجه مؤنس بعلي بن بليق الى دار الخلافه، وهجم غلمانه على عيسى الطيب، فاخذوه من بين يدي القاهر، ونفاه مؤنس من وقته الى الموصل.

واستتر محمد بن ياقوت، ووكل مؤنس بدار القاهر، وامر بتفتيش كل من يدخل إليها، حتى فتش لبنا مع احدى الجوارى وخاف ان تكون فيه رقعته.

وأخذ المحبوسين فيها، وسلم والده المقتدر الى والده على بن بليق، فاقامت عندها مرهفه عشره ايام، وماتت بعد ذلك وحملت الى التربة بالرصافه فدفنت بها.

وباع ابن مقله الضياع والاملاك السلطانيه، لتمام مال البيعه بألفي الف وأربعمائة الف دينار.

وتقدم بالقبض على البر بهارى ورئيس الخنابله، فهرب، وقبض على جماعه من كبار اصحابه، ونفاهم الى البصره.

قال بعض اهل العلم: خرجنا في يوم مطير، مع جنازة ابى هاشم عبد السلام ابن محمد بن عبد الوهاب الجبائي، الى باب البستان، فإذا نحن بجنازة معها جماعه فقلت: جنازة من هذه؟ فقالوا: جنازة ابى بكر بن دريد، فبكينا على الكلام والأدب وذلك في سنه احدى

وعشرين وثلاثمائة

فاما ابو هاشم فينه وبين ابى بكر بن دريد اثنا عشر سنه، وله الكتب المشهوره في الكلام وفي الرد على ابن الراوندي والملحده.

قال الخطيب: ساله بعض اصحابه عن مساله فأجابه، فقال: يا أبا هاشم الصاحي بموضع رجلي السكران اعرف من السكران بموضع رجلي نفسه، يعنى ان العالم اعلم بمقدار ما يحسنه الجاهل من الجاهل بقدر ما يحسن.

واما ابو بكر بن دريد، فهو صاحب كتاب الجهمرة، وهو اشعر العلماء.

ومن شعره المقصورة، نقلت من خط التميمي له:

اعاد من اجلك من ضنى ... وسائر العواد اشراكي

ولست اشكوك الى عائد ... اخاف ان اشكو الى شاكي

وله:

وحمرء قبل المزج صفراء بعده ... أتت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكمت وجنه المعشوق صرفا فسلطوا ... عليها مزاجا فاكنت لون عاشق
ومن شعره:

كل يوم يروعي بالتجنى ... من أراه مكان روجي منى
مشبه للهلل والظي والغصن ... بوجه ومقله وثنى
جمع الله شهوة الخلق فيه ... فهو في الحسن غاية المئني
امن العدل ان ارق ويجفوني ... واشتاقه ويصير عني
وفي هذه السنه، تم تدبير القاهر على مؤنس، وانعكس ما دبره مع ابن مقله من القبض على القاهر، وذلك انه لما عومل بما ذكرناه،
وضيق عليه التضييق الذي شرحناه راسل الساجيه وضربهم على مؤنس وبلق، وضمن لهم الضمانات الكثيره.
وكانت اختيار قهرمانه القاهر، تخرج من الدار، وتتوصل الى ان تمضى ليلا الى ابى جعفر محمد بن القيم بن عبيد الله وتشاوره في امور
القاهر

وزارة ابى جعفر محمد بن القاسم

وعزم ابن مقله وبلق وابو الحسن بن هارون على خلع القاهر، وتوليه ابى احمد بن المكتفي بالله، فاشار عليهم مؤنس بالتمهل، وامرهم
بالتلبث الى ان ينسط القاهر، ثم يقبضون عليه، فاتفق لبلق ان خادمه صدمه في الميدان صدمه اعتل فيها.
وبادر ابن مقله بمكاتبه القاهر، يعلمه ان القرمطى قد وافى الكوفة، وقد قررت انا ومؤنس مع على بن بليق الخروج اليه، وأمرناه بلقاء
امير المؤمنين في ليلتنا هذه وكان قصدهم انه اذا وصل اليه، قبض عليه، واتبع الرقعة بأخرى تتضمن الحال، فاستراب القاهر، وخاف
ان تكون حيله ونم الخبر اليه من جهة طريف السبرى.

فلما كان بعد العصر، حضر ابن بليق منتبذا، ومعه عدد يسير من غلمانه:
وكان الظاهر قد ارسل الساجيه يحضرون بالسلاح، وشموا عليا، وعملوا على القبض عليه، فخامى غلمانه عنه وطرح نفسه من الروشن
الى الطيار، وعبر واستتر من ليلته.
واستتر ابن مقله وابن قرابه.

وانحدر بليق ليعتذر لابنه، فقبض عليه القاهر، وراسل مؤنسا واعله الحال وساله في الحضور، فاعتذر بثقل الحركة، فعاوده في السؤال
في الحضور، فاستقبح له طريف السبرى التأخر، فلما حصل في دار السلطان قبض عليه، فكانت وزارة ابن مقله للقاهر تسعه اشهر
وثلاثة ايام.

وزارة ابى جعفر محمد بن القاسم

ووجه القاهر الى ابى جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله، فاستحضره في مستهل شعبان وقلده وزارته، وخلع عليه يوم الاثنين ثالث
شعبان خلع الوزارة.

ووجه القاهر من يومه من استقدم عيسى المتطبب من الموصل.
وانفذ الى دار ابن مقله بباب البستان فطرح فيها النار.

وظهر محمد بن ياقوت وصار الى دار السلطان، وخدم في الحجة، ثم علم كراهية طريف والساجيه والحجرية له، فاحتال في الهرب واستتر،
وانحدر الى ابيه بفارس وجلس بزي الصوفية في الماء وركب البحر، ووافى مهروبان، وجاء ليلا الى ارجان،

فنزّل على ابى العباس بن دينار، وانفذ اليه أبوه مالا وكسوه، وتلاحق به اصحابه، وقلده القاهر كور الاهواز ثم أصبهان واستحجب
القاهر سلامه الطولوني، وقلد أبا العباس احمد بن خاقان الشرطه بجانبى بغداد، وأخذ القاهر أبا احمد بن المكتفي من دار عبد الله بن
الفتح، فسد عليه باب البيت، وعرف باستتار على بن بليق في دار، فانفذ من كبسها فاستتر في تنور، فاطبق عليه غطاءه، فتأخر بعض
الرجال عن اصحابه حين لم يجدوه، واتى الى التنور، ففتحه وظن ان فيه خبزا يابسا، فلما رآه صاح، فعاد اصحابه فاخذوه، وضرب بين
يدي القاهر، وادى عشرة آلاف دينار، وحبسه.

وقبض الوزير ابو جعفر على أخيه الحسين، بعد ان امنه ونفاه الى الرقة، وقال:

انه يعتقد مذهب ابن ابي العزاقر.
ثم ان رجال مؤنس وبلق شغبوا وقصدوا دار الوزير ابي جعفر فاحرقوا روشنه.
وتقدم القاهر يذبح على بن بليق، وانفذه الى ابيه، فلما رآه بكى ثم ذبح بليق، وانفذ راسيهما الى مؤنس، فلما رأهما لعن قاتلهما، فذبح كما
تذبح الشاه، واخرج الرؤوس في ثلاث طسوت حتى شاهدها الناس وأعيدت الى خزانه الرءوس.
وكان وزن راس مؤنس بعد تفريغ دماغه ستة أرطال.
وسهل القاهر امر ابن مقله، حين أخذ من الاستنار فاطلقه.
وقبض الوزير على ابي جعفر بن شيرزاد، وأخذ خطه بعشرين الف دينار وكبس على بنى البريدى فلم يوجدوا.
واحضر القاهر على بن عيسى وقلده واسطا وسقى الفرات.
وقبض القاهر على الوزير محمد بن القاسم، فكانت وزارته ثلاثة اشهر واثنى عشر يوما.
وأخذ من داره ابو يوسف البريدى.
واستدعى القاهر عبد الوهاب بن عبيد الله الخاقاني وإسحاق بن على القناني، على ان يولى أحدهما الوزارة، وجلس القواد بين أيديهما،
نفرجت رساله بالقبض

وزارة الخصبي

عليهما وإدخالهما المطبق ثم وجه الى سليمان بن الحسن، واستحضره للوزارة، فحضر، وتلقاه القواد وقبلوا يده، ووجه بمن قبض عليه
وحبسه.
ثم وجه الى الفضل بن جعفر واستدعاه ليستوزره، فاستتر.
ثم استدعى الخصبي، وخلع عليه، وكتب للبريديين أمانا، بعد ان صادر أبا يوسف على اثني عشر الف الف درهم ولما أتاها عبد الله،
عاتبه وقال له: شمت أم أخي وهي أمي، وحقوقك عليك توجب صيانتها عن الذكر القبيح، فقال له:
دع ما مضى، فاني لم املك نفسي، وقد وصفتك لأمر المؤمنين ولا بد من الف الف درهم فقال ابو عبيد الله: لقد اعتبنتى ايها الوزير،
واحسنت التلاقى فقال: بحياتي عليك، اكتب خطك بهذا المبلغ، فكتب به خطه وانصرف.
وانحدر البريدى الى واسط، وعقدها القاهر عليه بثلاثة عشر الف درهم، وأتاها وبها على بن عيسى، وقد عمرها، وقال عيسى المتطرب
للبريدى: ان القاهر يريد القبض عليك فاستتر، ولم يظهر حتى خلع القاهر
. وزارة الخصبي
وكان ابن مقله، يرسل الساجيه والحجرية في استتاره، ويضريهم على القاهر.
وكان الحسن بن هارون يلقيهم ليلا بزي السؤال، وفي يده زيل حتى تمت له الحيلة.
وبذل لمنجم كان يخدم سيما مائتي دينار، حتى قال له من طريق النجوم: انه يخاف عليه من القاهر.
وبلغ الخبر باستيلاء اصحاب ابن رائق على الاهواز.
وبلغ الخصبي ما عول عليه الحجرية والساجيه، من قصد دار السلطان،
فانفذ عيسى المتطرب الى القاهر ليخبره بالحال، فوجده نائما مخمورا، واجتهد في انباهه فلم ينتبه لشدة سكره.
فقام سيما بهم، وركبوا معه الى دار السلطان، ورتب على كل باب من أبوابها جماعة من الحجرية والساجيه، وامرهم بالهجوم في وقت
عينه، وهجم من باب العامه، فوقف به ودخل اصحابه.
نفرج الخصبي في زي امراه واستتر.
وانحدر سلامه الى مشرعه الساج واستتر.
ولما علم القاهر بالحال، انتبه من سكره، وافاق، وهرب الى سطح حمام في دور الحرم، ووقع في ايديهم خادم صغير، فضربوه بالدبايس،
حتى دلمهم على موضعه، فاخذوه وعلى راسه منديل ديبقى ويده سيف مجرد، واجتهدوا به في النزول اليهم.
وقالوا: نحن عبيدك وما نريد غير التوثق لأنفسنا وهو ممتنع حتى فوق اليه احدهم سهما، فنزل.
وقبضوا عليه ضحوه يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

وأُتوا الى محبس طريف السبكرى فكسروا قيده، وحبسوا القاهر مكانه، ووكلوا به. وظفروا بيزيك خادمه، وعيسى المتطرب واختيار القهرمانه. واستدلوا على الموضع الذى فيه ابو العباس محمد بن المقتدر، فدلهم على مكانه خادم، فوجدوه ووالدته معتقلين، ففتحو عنهم. ووقع النهب ببغداد

خلافه الراضى بالله ابى العباس محمد بن المقتدر رحمه الله

خلافه الراضى بالله ابى العباس محمد بن المقتدر رحمه الله وأمه ظلوم وكانت مده خلافته ست سنين وعشره اشهر وعشره ايام. اجلسه الساجيه والحجرية على السرير، وباع له القواد وبدر الخرشنى، ولقب بالراضى بالله. واستحضر على بن عيسى وأخاه عبد الرحمن، وشاورهما، فعرفه ابو الحسن ان سبيله ان يعقد لواء لنفسه، على رسم الخلفاء، ففعل ذلك، واستحفظ باللواء في انخزانه وتسلم خاتم الخلافة، وهو خاتم فضه وفصه حديد صينى، عليه مكتوب ثلاثة اسطر محمد رسول الله. وانفذ الى القاهر بمن طالبه بتسليم خاتمه اليه، وكان فصه ياقوتا احمر وعليه منقوش: بالله محمد الامام القاهر بالله امير المؤمنين يثق فامر ان يسلم الى نقاش حاذق فحاه. ومضى القاضى ابو الحسين والقاضى ابو محمد الحسن بن عبد الله بن ابى الشوارب، فامتنع ان يخلع نفسه، فقال على بن عيسى: اخلعوه فان افعاله مشهوره واعماله معروفة وسمل في تلك الليلة. وأخذ البيعه للراضى على بن عيسى واخوه، وسال الراضى على بن عيسى ان يتقلد الوزارة فاستعفاه وقال: انى لا أفي بالأمر، وأشار بابن مقله، وكان مستترا وكتب له أمانا فظهر

وزارة ابن مقله

وزارة ابن مقله ومضى الناس اليه، وهو في دار ابن عبدوس الجهشياري، فهنئوه وخلع عليه خلع الوزارة. وظهر من الاستتار مفلح الأسود، خادم المقتدر، وسرور وفلفل والحسين ابن هارون، وابو بكر بن قرابه. وصاروا الى ابى على وهنئوه، وقال ابن مقله لما أتاها الناس: كنت مستترا في دار ابى الفضل بن مارى النصراني، فسعى بي القاهر، قبل زوال امره بشهرين، وعرف موضعي، وانى لجالس وقد مضى نصف الليل اتحدث مع ابن مارى، أخبرتنا زوجته ان الشارع قد امتلا بالمشاعل والشمع والفرسان، فطار عقلي، وادخلنى ابن مارى بيت تب، وكبست الدار وقتشوها، ودخلوا بيت التب وتتشوه بأيديهم، فلم اشك اننى مأخوذ، وعهدت وعاهدت الله تعالى على انه ان نجاني من يد القاهر بالله، ان انزع عن ذنوب كثيره، واننى ان تقلدت الوزارة امننت المستترين، واطلقت ضياع المنكوبين، ووقفت وقوفا على الطالبين، فما استتم نذرى، حتى خرج القوم وانتقلت الى مكان آخر.

وما نزع من الخلع، حتى وفي بالنذر. وكتب ابن ثوابه في خلع القاهر كتابا قرئ على المنابر واطلق ابن مقله المحبوسين. وقلد الراضى بالله الشرطه ببغداد بدرا الخرشنى. وكان زيرك القاهري قد اجمل عشره الراضى وقت اعتقاله، فكافاه بان قلده امر حرمه واكرمه.

وسلم ابن مقله عيسى المتطرب الى بنى البريدى فأخذوا منه ثلاثين الف دينار، ارتفق بها منهم، وردوه على ابن مقله وقالوا: انه قد امتنع من أداء شيء.

ولم يعترف القاهر بشيء سوى خمسين الف دينار، ففرقها الراضى في الجند.

وقلد ابن مقله أبا الفتح الفضل بن جعفر خلافته على سائر الاعمال.

وقلد أبا عبد الله البريدي خوزستان، وقلد اخوته البصره والسوس وجنديسابور وكور دجلة وبادوريا والأنبار ويبرسير وقطربل ومسكن وكتب الى علي بن خلف بن طياب باقراره على فارس وكرمان.

وقلد الحسن بن هارون ما قلده علي بن عيسى من اعمال واسط بمائه الف كر شعير وعشره آلاف كر أرز وأربعمائة كر سمسم والف الف وأربعمائة الف درهم.

وقلد القراريطي كتابه ابن ياقوت الزمام وديوان الفرات، فسفر حينئذ لصاحبه محمد بن ياقوت في الحجة.

وحمل الى سماء خمسة عشر الف دينار، حتى عرف الراضي بالله انهم لا يريدون غير محمد بن ياقوت، وانفق هذا الوجه بحجه على القواد مائه الف وعشرين الف دينار.

فغاضب ابن مقله، لأنه استدعى ابن رائق وهو بالباسيان لذلك ولم يمكنه تغييره، فلما صار ابن رائق بالمداين، امره الراضي بالانحدار الى واسط، وأضافها الى اعماله بالبصرة وغيرها.

وكان ابن ياقوت برامهرمز عازما على التوجه الى أصبهان، فكتب بالاصعاد، فالتقى ابن ياقوت في طيارة وابن رائق في حديديه، فسلم كل واحد منهما على صاحبه إيماء من غير قيام.

وتلقى ابن ياقوت الحجريه والساجيه، ودخل على الراضي، فخلع عليه وقلده الحجة، وصار اليه الناس الى داره بالزاهر، ولم يقيم لأحد الا لابن مقله ولعلي ابن عيسى.

واستولى ابن ياقوت على الأمر.

وحصل ابن مقله مع كاتبه القراريطي، وبقي متعطلا.

وأخذ خطوط البريديين بمائه الف دينار.

وكان هارون بن غريب بالدينور، فعرف الحال بينهما، وهي على عشره فراسخ من بغداد، عازما على ان يتقلد الجيش، فكره الناس ذلك واستحضر ابن ياقوت ابن شيرزاد، واوصله الى الراضي بالله، حتى حمله رساله اليه، يأمره بالرجوع الى الدينور.

فمضى ومعه القراريطي، فالتقى به بجسر النهروان، فلم يقبل، قال: ومن جعل ابن ياقوت أحق بالرياسة مني! وقد كان يجلس بين يدي، وأنا نسيب امير المؤمنين، وقال القراريطي: لولا انك رسول لقتلتك، فانصرفا الى بغداد واستخرج هارون اموال طريق خراسان ففسد الرعية وظلمهم وسار ابن ياقوت في الحين الى القنطرة فنزلها، وانفذ ابن شيرزاد برسالة جميله، وعرض عليه تسييب الأموال على النهروانات فلم يقبل.

ومضى كثير من الجند الى هارون مستأمنين، واشتد القتال وابن ياقوت يقرأ في مصحف ويسبح، وهو في عدد قليل، حتى انهزم اصحابه، ونهب سواده.

وبلغ هارون ان محمدا قد عبر قنطره نهر بين، فبادر وحده لياسره، فتمطر به فرسه فسقط عنه في ساقيه، فلحقه غلام ابيه يمن الغري، فضر به ضربه عظيمه وبادر غلام اسود فذبجه ورفع راسه، فتفرق اصحابه، ونهب الحجريه والساجيه سوادهم.

وامر ابن ياقوت بتكفينه، ودفن بهرس من غير ان يصل علىه، ودخل بغداد، وبين يديه راسه ورءوس اصحابه، فامر الراضي بنصبهما على باب العامه.

ثم ان والده الراضي، سالت ان تحمل جثته ويدفن راسه في تربته بقصر عيسى، فأجابها الى ذلك:

وأخذ ابن مقله لابنه ابي الفتح أمانا من الراضي، وقطع امره على ثلاثين الف دينار.

وفي رجب هذه السنه مات ابو جعفر السجزي، وبلغ من السن مائه واربعين سنه قال ابن سنان: ورأسه صحيح الحواس والبصر، منتصب الظهر، ملرز الأعضاء بغير معاون، وقال له علي بن عيسى يوما: انما قطعت مالك لكذبك في سنك، فقال: ايها الوزير استدع الجرائد من سر من راي، فإنك تجد اسمي فيها

واسم من كان قبلي وبعدي، فوجد الأمر كما قال وقال ابن ابي داود السجستاني:

اعرفه واهله وهم معمرين وحكى انه يذكر دخول هرثمة وهو في المكتب.

واراد الراضي توليه محمد بن الحسن بن ابي الشوارب، القضاء بمدينة المنصور، كما كان يتولى ذلك أبوه، فشفع محمد بن ياقوت في امر ابي الحسن، حتى لم يغير عليه، وكتب عهده حتى زال الارجاج عنه.

وضمن أبو يوسف البريدي أعمال واسط والصلح والمبارك، واستخلف عليها الحسين بن علي النوبختي، وكان يتقلدها لهارون بن غريب، وكان عفيفا خبيرا بالأعمال.

وكان ابن مقله قد أحذر الخصبى وسليمان بن الحسن إلى البصرة، وأمر البريدي بنفيهما في البحر، نخف بهما ليلة، فكادا يغرقان وإيسا من الحياة، فقال الخصبى:

اللهم اننى استغفرك من كل ذنب وخطيئة واتوب إليك من معاودة معاصيك الا من مكروه ابى على بن مقله ان قدرت عليك جازيته عن ليلتي هذه وما حل بي منه فيها، وتناهيت في الإساءة اليه، فقال سليمان: وفي هذا الموضع وأنت معائن للهلاك نقول هذا؟ فقال: ما كنت لاخادع ربي.

ولما وصلا إلى عمان، عدل بالخصبى إلى سرنديب، فعرف سليمان بن الحسن ابن وجيه خبره فامر برده إلى عمان.

ولما عزل الراضي ابن مقله وولى عبد الرحمن بن عيسى، ضمن الخصبى ابن مقله، فلما رآه تلفت نفسه، فاسمعه الخصبى نهاية ما كره، وسله إلى الدستوائى، وكان لابن مقله إليه إساءة، لأنه سلمه إلى ابن البريدي حين الولى نعمته، فعمل الدستوائى بآبن مقله صنوف المكاره.

وجاء أبو بكر بن قرابه، فضمن عنه مائه الف دينار والفى دينار، ودفعت الضرورة إلى ان وزن ابن قرابه المال من عنده وفي هذه السنة، ظهرت حال ابن أبى العزاقر، وكان يدعى ان اللاهوت قد حل فيه، وكان قد استتر عند بختيشوع بن يحيى المتطبب، وتبع حتى قتل وقتل جماعه صدقوه.

١٢٠٣١٠٢٧ سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة

سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة

في صفر، مات أبو عبيد الله إبراهيم بن عرفه بن سليمان بن المغيرة بن حبيب ابن المهلب بن أبى صفره الأزدي النحوي، المعروف بنقطويه، ومولده سنة خمسين ومائتين وصلى عليه أبو محمد البربهاري، ومن شعره:

استغفر الله مما يعلم الله ... ان الشقي لمن لم يرحم الله
هيه تجاوز لي عن كل مظهره ... وا حسرتا من حيائي حين القاه
وله:

اهوى الملاح واهوى ان اجالسهم ... وليس لي في حرام منهم وطر
وهكذا الحب لا اتيان معصية ... لا خير في لذة من بعدها سقر

واجتاز على بن بقلى فقال: كيف الطريق إلى درب الرواسين؟ فالتفت إلى جار له فقال: الا ترى إلى الغلام فعل الله بغلامى وصنع احتبس على قال: وكيف، قال: جعل السلق تحت البقل في اسفل البنيقه حتى اصفع هذا العاض بظرامه، فتركه ابن عرفه وانصرف ولم يجبه بشيء.

وفي هذا الشهر، صرف عبد الرحمن بن عيسى عن الدواوين، واحضر ابن مقله ابن شنبوذ، وقال له: بلغنى انك تقرا حروفا في القرآن بخلاف ما في المصحف، وكان ذلك بحضرة ابن مجاهد واهل القرآن، فاعترف بقراءة ما عزى إليه من الحروف، ومنها إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله.

واغلظ للوزير وللجماعة في الكلام، ونصر ما عزى إليه، فامر به ابن مقله فضرب، فدعا عليه بتشتيت الشمل وقطع اليد، ودعا على ابن مجاهد بشكل الولد وعلى الضارب له بالنار، فشوه قطع يد ابن مقله وثكل ابن مجاهد ولده.

ثم استتيب عن قراءة الحروف، فتاب منها.

ودعا الأئمة في الجوامع لابن ياقوت، فأنكر ذلك الراضي وصرفهم.

وقرر ابن مقله مع الراضي القبض على محمد بن ياقوت، لما غلب على الأمور، وانفرد بجباية الأموال وتضمين الأعمال.

فلما دخل ابن ياقوت دار الخلافه عدل به إلى حجره، فقبض عليه وعلى كاتبه القراريطى، ونهبت دار القراريطى وحده.

وتقلد الحجة ذكى مولى الراضي.

وأخذ خط القراريطى بخمسمائة الف دينار.

وكان ياقوت بواسط، فلما علم القبض على ابنه، انحدر الى السوس، فكتبه ابن مقله بالمصير الى فارس لفتحها وكان على بن بويه قد تغلب عليها.

وهذه حال الأمير ابى الحسين على بن بويه الملقب بعد عماد الدولة، لقبه بهذا اللقب المستكفى بالله، عند وصول أخيه الأمير ابو الحسين اليه.

هو احد قواد مزداويج بن زيار الديلمي، فانفذه ليستحث له مالا في الكرج، فأتاها فاخذ منها خمسمائة الف درهم، وصار الى همدان ففتحها عنه، وقتل كثيرا من أهلها، ثم صار الى أصبهان فتركها عليه المظفر بن ياقوت مسالما، ولم يلبث بها على بن بويه حتى اخرجها منها اصحاب مزداويج، فصار الى ارجان وكاتب ياقوت،

وخاطبه بالاماره، وساله ان يقبله، وكان قد استخرج من ارجان مائتي الف دينار، ووجد كنوزا كثيرة، واشتدت شوكته، وصار في الف، وخرج اليه ياقوت في بضع عشره آلاف من الغلمان الحجريه وغيرهم، فسأله على بن بويه ان يفرج له عن الطريق لينصرف الى باب السلطان، ففعله، وطمع فيه لقله عدده وما معه من المال، ولقيه على باب اصطخر، ونصر ياقوت في يومين عليه، وواقعه في اليوم الثالث، وهو يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وحمل ابو الحسين احمد بن بويه معز الدولة، في ثلاثين رجلا، على ياقوت حمله صادقه، فهزم ياقوت الى شيراز، ولم يصدق بهزيمته، بل ظنها مكيدة حتى عرف ذلك في آخر النهار.

فغضى وراءه، واقام على فرسخ من شيراز، ودخل معز الدولة في ثمانين من الديلم فقتل من السودان ألفا، ونادى في اصحاب ياقوت ففرجوا. واتى ياقوت الاهواز.

ولما ملك عماد الدولة شيراز، طالبه اصحابه بالمال، وكان مملقا، نخاف من فساد امره، فاستلقى على ظهره في مجلس من دار ياقوت وخلا فيه مفكرا، فرأى حيه قد خرجت من سقف منه الى سقف، نخاف ان تسقط عليه إذا نام، فامر الفراشين بالصعود، فوجدوا غرفه بين سقفين، فأمرهم بفتحها، فوجدوا بها صناديق فيها خمسمائة الف دينار، فقويت نفسه، واستدعى خياطا اطروشا ليخيط له ثيابا، وكان الخياط موصوفا بالحدق، وكان يخدم ياقوتا فلما خاطبه في تقطيع الثياب، حلف في الجواب انه لا وديعة عنده سوى اثني عشر صندوقا لا يدري ما فيها، فعجب، فوجه بمن حملها وعجب من الحال.

وكاتب الراضي بالله يسأله ان يقاطعه على فارس بثمانية آلاف درهم فأجيب.

وانفذ اليه ابن مقله أبا الحسين بن ابراهيم المالكي الكاتب، ومعه خلع ولواء، وأمره ابن مقله الا يسلم ذلك اليه الا عند تعجيل المال، فلما قاربه تلقاه على فرسخ، وأخذ منه الخلع فلبسها ودخل شيراز، واللواء بين يديه، ولم يدفع الى المالكي شيئا ومات بشيراز، فحمل تابوته الى بغداد في رجب سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة.

ووافى على بن خلف بن طيار بغداد، فقبض عليه ابن مقله، وصادته على ثلاثمائة الف دينار، وانفذ اليه بابى الحسن احمد بن محمد بن ميمون صاحب بيت المال، وقال له: يقول الوزير: لك عندي مائه الف دينار، فخطها من الجمله، واكتب الخط بالباقي، فقال على بن خلف: من اى جهة هذا الدين؟ فعاد ابن ميمون فقال له:

يقول لك الوزير، تذكر وانا بشيراز وقد سألتك على ابى طالب بدر بن على النوبدجاني من خراجة خمسمائة الف درهم فامتنعت، وعادتك وقلت: ان حططتها عوضتك عنها مائه الف دينار، ففعلت ولزمتني ضماني لك، وصار دينا لك على، وهذا وقت القضاء.

وقلد السلطان ياقوت الاهواز، وصار كاتبه ابو عبد الله البريدى.

وانفذ أخاه أبا الحسين للنيابة عن ياقوت وأخيه بالحضرة.

وكان مع عماد الدولة ابو سعيد النصراني الرازى يكتب له.

وضمن شيراز منه ابو الفضل العباس بن فسانحس.

وانتهى الى مزداويج خبر على، فقامت قيامته، وانفذ اصبهار عسكره شيراز ابن ليلى، في الفين وأربعمائة من الديلم والخليل الى الاهواز، فقطع ياقوت قطره نهر اربق، وأقاموا يازاء ياقوت اربعين يوما، لا يمكنهم العبور، ثم عبروا على اطواف بنهر المسرقان، فهرب البريدى واهل الاهواز الى البصرة.

واتى ياقوت واسطا، فاخرج له محمد بن رائق عن غربيها، فنزل فيه.

واقام على بن بويه عماد الدولة الخطبه لمزداويج، وانفذ اليه الرهون على طاعته، فسكنه بذلك.

فبينما هم كذلك، أتاهم الخبر، بان مزداويج في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة قتلوه في الحمام بأصبهان، وحمل تابوته الى الري، ومشى الديلم واختل حوله حفاه اربعة فراسخ، ووفى رجاله لأخيه وشمكير، فولاهم من غير عطاء فلما عرف شيرز بن ليلي خلو أصبهان سار إليها، واتى الري فباع وشمكير، واستوزر ابن وهبان القصباني، وكان يبيع القصب بالبصرة، وصار في جملة ابن الخال، فتنقلت به الحال، الى ان قلده همذان، واستامن الى مزداويج عن هزيمة هارون، فعفا عنه ونفق عليه، وجعل اليه كور الاهواز، وقال له: قد جعلت إليك الفى دينار في كل شهر فان أدبت الأمانة استوزرتك، ونصبت الرايات بين يديك، وان خنتي وشرهت معدتك العظيمة، وكركرتك الكبيرة، والحلاوات بخوزستان كثيرة، فلأشغن بطنك بهذه الدشنى العريضة، فقال له: ستعلم ايها الأمير نصحي وأمانتي واني مستحق لاصطناعك.

وكانت هذه الفتنة نعمه على البريدي، لأنه حصل من الأموال ما لم يحاسب عليه. وحصل ابو عبد الله وابو يوسف اربعة آلاف دينار خرجا بها على السلطان. وابعد ابن مقله خلقا من الجند عند ضيق الأموال، واحالهم على البريدي، فصاروا اليه، فقبلهم وأضافهم الى غلامه اقبال، فاجتمع معه ثلاثة آلاف رجل.

وخرج توقيع الراضي بالله في جمادى الاولى بتلقيب ابى الحسن على بن الوزير ابى على بن مقله بالوزير، وسنه إذ ذاك ثمانى عشره سنة، وان يكون الناظر في الأمور صغيرها وكبيرها، وخلع عليه الوزارة وطرح له مصلى في مجلس ابيه. وركب بدر الخرشنى صاحب الشرطة، فنادى ببغداد الا يجتمع من اصحاب ابى محمد البربهارى نفسان واستتر البربهارى. وخرج من الراضي توقيع طويل في معانهم، وكانت حال البربهارى قد زادت ببغداد، حتى انه اجتاز بالجانب الغربى، فعضس فشمته اصحابه، فارتفعت ضجتهم حتى سمعها الخليفة في الوقت وهو في روشنه، فسأل عن الحال فاخبر بها فاستهوا لها. واصحابه يذكرون عنه صلاحا كثيرا، واضداده يذكرون خلاف ذلك، حتى حكوا عنه، انه حمل في درج مقفول له منظر بعره وجاء الى بزاز في الكرخ فقال:

هذه بعره جمل أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، واريد ان ارهنها عندك على الف دينار فاعتذر الرجل، فتركه فلما كان من الغد، اجتاز عليه فصعد وقبل لحيته وقال:

رايت النبي ص في المنام، يقبلها، فتركه اصحابه امرد، وحكاياتهم في امثال هذا عنه كثيرة.

وكان سعيد بن حمدان شرع في ضمان الموصل وديار ربيعه سرا، ومضى إليها في خمسين غلاما، فقبض عليه حين وصل إليها ابن أخيه ابو محمد الحسن ابن عبد الله وقتله، فأنكر ذلك الراضي، فامر ابن مقله بالخروج اليه، فأظهر ابن مقله ان على بن عيسى هو الذى كاتبه حتى عصى، وصادر عليا على خمسين الف دينار واخرجه الى الصافية. واستخلف ابن مقله ابنه بالحضرة، وصار الى الموصل، فتركها ابو محمد، ورحل الى بلد الزوراء، فاستخرج ابن مقله مال البلد واستسلف من التجار على غلاته، فحصل معه أربعمائة الف دينار.

فبذل سهل بن هاشم كاتب ابى محمد بن حمدان للوزير ابى الحسين ابن الوزير ابى على عشرة آلاف دينار حتى كاتب أباه: ان الأمور بالحضرة مضطربة، فانزعج واستخلف على الموصل على بن خلف بن طياب، وانصرف الى بغداد.

وخرج اليه الأمير ابو الفضل، متلقيا، ولقى الراضي بالله وخدمه، فخلع عليه وعلى ابنه.

وقبض على جعفر بن المكتفي، حين بلغهم انه دعا الى نفسه، ونهب منزله، وأخذ له مال جزيل، وكانت داره قريبا من الزاهر.

ومن استجاب له يانس المرفقى، وكان نزل بقصر عيسى، فابعد الى قنسرين والعواصم وجعل اليه أعمالها.

وفي شهر رمضان توالى وقوع الحريق بالكرخ، منها في صف التوزين اصيب به

خلق من التجار، فعوضهم الراضي مالا، وكان العقار لقوم من الهاشميين فأعطاهم عشرة آلاف دينار.

واحترق ثمانية واربعون صفا من أسواقها، طرح النار قوم من الحنبلية، حين قبض بدر الخرشنى على رجل من اصحاب البربهارى يعرف بالدلاء.

واحترق خلق من الرجال والنساء.

ووقع حريق ثالث احترق فيه الحدادون والصيارف والطارون.

وقبض الوزير ابو الحسين بن مقله على ابى الحسين البريدى، فتوسط بينهما ابو عبد الله محمد بن عبدوس، فصادره على خمسين الف دينار يسلمها بالاھواز، ومضى معه الكوفى ليأخذها فلم يسلم اليه شيئاً وكان الكوفى يجمل عشرته ويقول: اقبلت معه غير متصرف ولا داخل تحت تبعه سنه، وحصل لي منه خمسة وثلاثون الف دينار، وتقلدت هناك امر ابن رائق وكفيت امر ابن مقله.

وكتب ابن مقله البريدى كتاباً يقول فيه: ويل للكوفة! انفذته ليصلحك لي فافسدتك على، والله لا قطعن يديه ورجليه. واتى ابو محمد بن حمدان الى الموصل، وبها اصحاب السلطان، وعلى حربها ما كرد الكردى فهزموه، ثم هزمهم، وكتب يسال الصفح ويقوم بمال الضمان، فأجيب الى ذلك، ولم يستوف التجار الغلات التي طالبهم إياها ابن مقله، فتظلموا، فاحالهم على عمال السواد ببعض أموالهم، وباعهم بالباقي ضياعاً سلطانيه، فلم تحصل من سفرته حينئذ فائده، وهرب من دار الوزير ابى على القراريطى. وقبض على ابى يوسف عبد الرحمن بن محمد بن داره بسوق العطش، وصودر على خمسين الف دينار. ومات محمد بن ياقوت في الحبس، واخرج الى القضاء، فشاهدوه وسلم الى اهله، وباع الوزير ضياعه واملاكه. وغلا السعر ببغداد، حتى بلغ الكر من الحنطة مائه وعشرين ديناراً والشعير تسعين ديناراً.

ومات ابو عبد الله محمد بن خلف النيرمانى بالأعمال التي استولى عليها مزداويج، وكان قد انفذ إليها واقل غلمان مزداويج يتقدمهم بحكم الى جسر النهروان، فأمروا بدخول الحضرة، وعسكروا بالمصلى، واضطرب الحجريه لذلك، فكاتبهم ابن رائق وهو يتقلد اعمال المعاونة بواسط والبصرة، فأنحدروا اليه، فاسنى لهم الرزق، وجعل متقدمهم بحكم الرائق، واثته الاعراب والقرامطة، فقبلهم واستفحل امره.

١٢٠٣١٠٢٨ سنه اربع وعشرين وثلاثمائة

أخبار متفرقة

سنه اربع وعشرين وثلاثمائة

[أخبار متفرقة]

في شهر ربيع الاول، مات الأمير هارون بن المقتدر بالله، واغتم عليه الراضي غماً شديداً، واتهم بختيشوع بانه افسد تدبيره، فنفاه الى الأنبار، ثم سالت فيه السیده فاعاده.

واطلق المظفر بن ياقوت من الحبس. وقلد ابن مقله محمد بن طنج الإخشيد اعمال مصر مع ما اليه من الشام وعزل عن مصر احمد بن كيغلاغ. وقطع ابن رائق مال واسط والبصرة، واحتج باجتماع الجيش عنده.

ولما خرج المظفر بن ياقوت من الحبس عول على التشفى من ابن مقله، وكان قد حلف له على صفاء النيه واعتضد ابن مقله ببدر الخرشنى.

واوحش المظفر للساجيه والحجريه، فصارت كلمتهم واحده، وأحدثوا بدار السلطان وضربوا الخليم. وكان المظفر يظهر للوزير انه مجتهد في الصلح، فحلف لهم، وحلفوا له ولبدر الخرشنى.

ودبر ابن مقله انحدار الراضي الى واسط مظهره انه يقصد الھواز، حتى يقبض على ابن رائق، فاخذ معه القاضى أبا الحسين ليسمع من الخليفة وساله ان.

يتقدم بها الى ابن رائق.

فلما حصل في دهليز الصحن التسعينى، شغب عليه المظفر بن ياقوت مع الحجريه وقبضوا عليه، وعرفوا الراضي انه المفسد للاحوال، وسألوه ان يستوزر غيره، وذكروا على بن عيسى، فامتنع واستشاره الراضي، فاشار بأخيه عبد الرحمن، فانفذ الراضي بالمظفر بن ياقوت الى عبد الرحمن فاحضره.

وزارة عبد الرحمن بن عيسى للراضى بالله

وزارة عبد الرحمن بن عيسى للراضى بالله

خلع عليه لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى، وسار الجيش معه الى داره، واحرقوا دار ابن مقله واستتر اولاده. وحكى ان ابن مقله لما شرع في بناء داره بالزاهر، جمع له المنجمون حتى اختاروا وقتا لبنائه، ووضع أساسه بين المغرب وعشاء الآخرة، فكتب اليه بعضهم:

قل لابن مقله مهلا لا تكن عجلا ... واصبر فإنك في أضغاث أحلام
تبني بانقراض دور الناس مجتهدا ... دارا ستنقض أيضا بعد ايام
ما زلت تختار سعد المشتري لها ... فلم توق به من نحس بهرام
ان القران وبطليموس ما اجتماعا ... في حال نقض ولا في حال ابرام
وجرى على ابن مقله من المكاره ما يطول شرحه، وضرب بالمقارع، وأخذ خطه بألف الف دينار، وكان به ضيق النفس لان الدستوائى دهقه على صدره.

قال ثابت بن سنان: دخلت اليه لأجل مرض اصحابه، فرايته مطروحا على حصير خلق، على باريه، وهو عريان بسر اويل، ومن راسه الى اطراف أصابعه كلون الباذنجان، فقلت: انه محتاج الى الفصد، فقال الخصيبى: يحتاج ان يلحقه كد في المطالبة، فقلت: ان لم يفصد تلف، وان فصد ولحقه مكروه تلف، فكاثبه الخصيبى: ان كنت تظن ان الفصد يرفهك فبئس ما تظن، ثم قال: افصدوه ورفهوه اليوم، ففصد وهو يتوقع المكروه.

فاتفق للخصيبى ما أحوجه للاستتار، فكفى ابن مقله امره. وحضر ابن قرابه، وتوسط امره، وضمن حمله الى داره، واطلقه بعد ايام وانفذه الى ابيه. وكرّهت الحجريه مقام بدر الخرشنى بالحضرة، فصرفه الراضى عن الشرطه

وقدله اعمال المعاون بأصبهان وفارس، فاستعفى عبد الرحمن بن عيسى من الوزارة حين عجز عن تمشيه الأمور، فقبض عليه الراضى في رجب، وقبض على أخيه على بن عيسى، وصادر عليا على مائه الف دينار ادى منها تسعين ألفا، وصادر عبد الرحمن على سبعين ألفا ادى منها ثلاثين.

وليلة بقيت من شعبان، توفى ابو بكر محمد بن موسى بن مجاهد، ودفن عند داره بسوق العطش، وكان مولده سنه خمس واربعين ومائتين. قال ابو الفضل الزهرى: انتبه ابى في الليلة التي مات فيها ابو بكر بن مجاهد المقرئ، فقال: يا بنى، ترى من مات الليلة؟ فانى رايت في منامي كان قائلا يقول:

قد مات الليلة مقوم وحى الله منذ خمسين سنه، فلها أصبحنا وإذا بابن مجاهد قد مات.

ونقلت من خط رئيس الرؤساء ابى الحسن بن حاجب النعمان: كان ابن مجاهد إذا ختم احد عنده القرآن عمل دعوه، نفتم احد اولاد النجارين، فعمل دعوه فحضر ابو بكر واصحابه، وحضر الصوفية والقوالون، فلها قارب ثلث الليل، استدعى ابو بكر بن مجاهد ازاره فطرحه على كتفه، وقال: امضى في حاجه واعود، فلا يتبعني احد، قال: فعجبنا من خروجه في ذلك الوقت، وظننا انه انكر سوء ادب، ومكثنا منكرين، فلها كان بعد ساعتين، وافى وعاد الانبساط، فسألناه عن نهضته فقال: اصدقكم، نظرت فإذا انا في طيبه ولذة، وذكر ان بيني وبين فلان الضرير مقه وشر، ففكرت اننى في هذه اللذه، وان ذاك واقف بين يدي الله عز وجل يتهدد، ولم أحب ان أكون بهذه الصفة وهو على تلك الحال من ثقل القلب، خفت من الله تعالى فقصدته ودخلت داره، فقبلت راسه، واصلحت ما بيني وبينه، وامنت استحكامه، وعدت الى ما نحن عليه وانا طيب القلب.

وفي شهر رمضان ورد الخبر بقتل ياقوت بعسكر مكرم، ودفن بها، وذلك ان جنده شغبوا عليه، ومن جملتهم ثلاثة آلاف اسود، وانصرف عنه طاهر الجبلى في ثمانائه رجل الى الكرج، وكبسه على بن بلقويه فقتل رجاله، ونجا طاهر بنفسه،

واستأسر كاتبه أبا جعفر الصيمرى، وكان سبب اقباله واتصاله بمعز الدولة. فكتب ياقوت البريدى، وهو بالاهواز يعرفه الصورة، فقال البريدى: انا كاتبك ومدير امرك، والصواب ان تنفذ بالرجال حتى اقرر معهم الحال، فتقدم اليهم بالمصير، فاستعولهم البريدى، فانقطعوا اليه، فسار ياقوت اليه في ثلاثمائة رجل لثلا يستوحش ويلقاه البريدى

في السواد الأعظم، وترجل له وقبل الارض، ووقف على راسه على سباطه، وقال الجند: انما وافي ياقوت ليقبض علينا. وقد وافق البريدي على ذلك، فقال له البريدي: اخرج ايها الأمير، والا قتلنا جميعا، نخرج الى تستر وسبب له البريدي على عاملها خمسين الف دينار.

فقال لياقوت مؤنس مولاه: ايها الأمير ان البريدي يحز مفاصلنا ويسخر منا، وأنت مغتر به، وقد افسد رجالك وقوادك، وقد اتصلت كتب الحجرية إليك، وليس لهم شيخ سواك، فلو دخلت بغداد، فأول من يطيعك محمد بن رائق بالضرورة، ولأنك نظير ابيه والا فخرج الى الاهواز، فاطرد البريدي عنها، فأنت في خمسمائة وهو في عشرة آلاف، ومعك خمسه آلاف وأنت أنت، وقد قال عدوك على بن بويه: لو كان في عسكرك مائه مثلك ما قاومناك، فقال: افكر في هذا.

نخرج مؤنس مغضبا في ثلاثة آلاف، ووافي عسكر مكرم، وقال: انا لا اعصى مولاي فانه اشتراي ورباني واصطنعني ولكني افتح الاهواز وأسلمها اليه.

فما استقر مؤنس بعسكر مكرم ثلاث ساعات، حتى وافي كتاب ياقوت اليه يحذره كفر نعمه.

وكان الكتاب مع شيخه مقدم يقال له درك، وكانت السن قد أخذت منه، وحضر معه خادم مغفل يقال له ابو النمر، فقال لمؤنس: مولاك قبض على ابنه وهما درتان، فلم يستحل ان يعصى مولاه ولم يحارب لأجلهما ولا طالب بهما، واستفتى الفقهاء فافتوه انه لا يحل له ان يحارب الامام، وقالوا فأنت تعصى مولاك! اما تخاف ان تتخذ في هذه الحرب فتخسر الدنيا والآخرة! فأقام مؤنس لما اخذه العذل والتائب، حتى وافي ياقوت واجتمع معه، ووافي

عسكر البريدي، فغيموا في صحراء خان طوق، ومتقدمهم ابو جعفر الجمال غلام البريدي.

فقال ياقوت لمؤنس: ان السلطان لنا بالنية التي عرقها، ولا موضع لنا ناويه غير هذا البلد، والحرب سجال، وان حاربنا هذا الرجل وانهزما كنا بين القتلى، فيقال: قد كفر نعمه مولاه فالعن او بين الأسارى، او ان ينفذنا الى الحضرة فنشهر بها، والوجه المداراة وان نعود الى تستر والجبل، فان صح لنا بها امر، والا لحقنا خراسان وشاع كلامه فضعفت نفوس اصحابه وطالت الأيام، واستامن من عسكره الى البريدي خلق، حتى بقي ياقوت في الف رجل وكان مؤنس يبكر اليه ويقول: يا مولاي مضى أصحابنا فيقول: وای خير فيمن لا يصلح لنا؟

فلما علم البريدي من نفسه القوه، راسل ياقوتا بالقاضي ابى القاسم التنوخي، واعلمه انه على العهد، وانه كاتبه وان الإمارة لا تصلح له، وساله ان يعود الى تستر، وان يزوج ابنته من ابى العباس احمد بن ياقوت.

فقبل ياقوت الرسالة، وانعقد الصهر، ورحل الى تستر، ووافاه ابنه المظفر بها، واخبره ان الراضي قد من عليه بنفسه، وأشار عليه بالاصعاد اليه والمقام بدير العاقول وان راي الحجرية مبادرين اليه وان كرهه السلطان، تولى الموصل وديار ربيع، وان منع من ذلك قصد الشام. فخالف ابنه ابنه فاستأذن ابنه ان يكون بعسكر مكرم فاذن له، واستامن البريدي، وجاء ياقوت الى المعسكر فنزل عند نهر جارود، فظهرت الطلائع من عسكر ابى جعفر الجمال، وثبت ياقوت في الف رجل، فأعيا من بازائه وهم اضعاف عدته، وكادوا ينهزمون، فظهر كمين البريدي في ثلاثة آلاف رجل فأبلس ياقوت، وقال:

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم! فرمى بنفسه من دابته، وبقي بسر اويل وقيص شيرى، وأوى الى رباط يعرف

برباط الحسين بن زياد، ولو دخله لجاز ان يسلم، وجلس وغطى وجهه وجعل يسال ويوهم انه رجل من ارباب النعم متصدق.

فركض اليه قوم من البربر من اصحاب البريدي، فكشفوا وجهه وجزوا راسه حين عرفوه، وحملوه الى الجمال، فاطلق طائرا الى البريدي بالخبر، فأمر ان يجمع بين راسه وجثته ويدفن بالموضع الذي قتل فيه، ويعرف بين الساقيتين، ولم يجد له غير اثني عشر الف دينار، ووجد في صناديقه كتب الحجرية اليه من بغداد ليرشوه.

وانفذ البريدي ابنه المظفر الى الحضرة، وكانت نفس ابى عبد الله البريدي ضعيفه، فقواها اخوه ابو يوسف حتى شهر نفسه بالعصيان. وكانت نفقه مائدته في كل يوم الف درهم، وكان غلبانه خمسه، وكسوته متوسطه، ولم يتسر الا بثلاث جوار، ولم تكن له زوجه غير والده ابنه ابى القاسم، وكانت صلاته للجند خاصه، ولم يعط شاعرا ولا طارقا شيئا.

وصادر ابو جعفر الكرخي ابن مقله بعد مصادره عبد الرحمن بن عيسى على مائه الف دينار، ادى منها ابن قرابه عنه خمسه واربعين الف دينار، ولم يعد اليه العوض.

ورد الوزير ابو جعفر الكرخي الى ابى على بن مقله الاشراف على اعمال الضياع والخراج لسقى الفرات، واجرى عليه في كل شهر الف دينار.

وقبض على ابى عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري، وصادره على مائتي الف. دينار، ادى منها مائه الف.

وكان الكرخي غير ناهض بالوزارة، وكان فيه إبطاء في الكتابة والقراءة، فلما نقصت هيئته، واحتف المطالبة له بالأموال، وقد تغلب الخوارج على الاعمال، فاستتر بعد ثلاثة ايام من تقلده الوزارة، وكان استتاره يوم الاثنين لثمان خلون من شوال فاستحضر الرازي أبا القاسم سليمان بن الحسن عاشر شوال، وخاطبه في الوزارة، وخلع عليه، فكان في التجبر مثل ابى جعفر، فدفعت الرازي الضرورة الى ان راسل أبا بكر بن رائق في القدوم، وتقلد الإمارة ورئاسه الجيش، وان يخطب له على المنابر وان يكنى، وانفذ اليه بالخلع واللواء مع الخدم.

وانحدر اليه اصحاب الدواوين وجميع قواد الساجيه، فلما حصلوا بواسط، قبض على الحسن بن هارون وعلى الساجيه، وحبسهم في المطامير، ونهب رحالهم.

وخرج من بغداد منهم حين بلغهم الخبر الى الشام.

واصعد ابن رائق الى بغداد في العشرين من ذي الحجة معه بجكم والاتراك والديلم والقرامطة، وضرب له الرازي مضربا في الحلبه، ووصل الى بغداد لخمس بقين من ذي الحجة، ووصل الى الرازي ومعه بجكم ورؤساء اصحابه، وصارت مرتبته فوق الوزير، وخلع عليه، وصار في الخلع الى مضربه بالحلبه، وحمل اليه من دار السلطان الطعام والشراب والفواكه.

وكانت الحجزيه قد ضربوا الخليم متوكلين بالدار، وامرهم بالانصراف، فعطل امر الوزارة.

ولم يكن الى الوزير غير حضور المركب بالسواد والسيف والمنطقه.

وفي هذه السنه ملك ابو على بن الياس - وهو من الصغد - كرمان وصفت له، وزالت المنازعات.

١٢٠٣١٠٢٩ سنه خمس وعشرين وثلاثمائة

أخبار

سنه خمس وعشرين وثلاثمائة

[أخبار]

انحدر ابن رائق مع الرازي لمراسله البريدي في عشر من المحرم.

وكانت عده الحجاب في دار السلطان أربعمائه وثمانين حاجبا، فاقتصر ابن رائق على ستين واسقط الباقين، واسقط من الحجزيه خلقا، فخاربه فهزمهم واسر بعضهم، وامر صاحب شرطته لؤلؤ بقبض أموالهم واحراق دورهم، وتقدم بقتل من حبسهم من الساجيه عنده.

وكان مدير امر رائق أبا عبد الله النوبختي، فاعتل بعد مصاحبته بثلاثة اشهر، فاستكتب مكانه أبا عبد الله الكوفي.

وقلق البريدي لما نزل الرازي وابن رائق باذيين، وراسل بان يحمل في كل سنه ثلاثمائة الف وستين الف دينار، وان يسلم الجيش الى جعفر بن ورقاء حتى يحملهم الى فارس.

وكان اخوه ابو الحسين وأمه ببغداد فانحدرا الى واسط، فخلع عليهما واحدرا اليه.

ومضى مع جعفر بن ورقاء، فلما لبس البريدي الخلع التي صحبت جعفرا، وسار بين يديه العسكر، وكان لبسه للخلع بجامع الاهواز، فلما راي طاعه الجند له، ادهش ذلك جعفرا، وولاهم البريدي عليه حتى طالبوه بالمال، فاستجار جعفر بالبريدي حتى اعاده الى الحضرة. واصعد الرازي وابن رائق الى بغداد وكان المتولى للبصرة محمد بن يزداد.

واستوحش ابو الحسن بن عبد السلام، واثار عليه بالتغلب على البصرة، فبنى ابو عبد الله مائه قطعه من آله الماء، وأتاه اهل البصرة في جمع عظيم للتهنئه بالولاية، فقرهم واكرمهم، وقال: قد اطلع ابن عبد السلام على نيتي الجميلة فيكم، واني قد اعددت آله الماء، انفذ منها الجيوش لاحصن بلدكم من القرامطة، وانما ضمنت البصرة من السلطان لظلم ابن رائق لكم

وكان ابن رائق قد امتنع من اجابه ابى يوسف البريدى الى ضمان البصرة، وبذل فيها اربعة آلاف الف درهم، وما زال به الكوفى وابن مقاتل حتى ضمنه إياها، وقد ازلت عنكم يا اهل البصرة، الشرطه والمآصير والشرك، وتحملت ذلك من مالي.

وكتب توقيعا بخطه برفعها عنهم- وسيلغ ابن رائق فعلى بكم فيعادي، وما أبالي ولو عاداني إخواني في صلاحكم، واني لأرجو المغفرة بازاله الرسوم الجائره عنكم، وان عزم ابن رائق على رد ذلك فأين السواعد القوية والأكف التي حاربت على ابن ابى طالب ع وما فكرت في مكاشفته، فتى رام ابن رائق ذلك، فاضربوا وجهه بالسيف وانا من ورائكم.

يا اهل البصرة، لقد فشلتم! اين يومكم مع ابن الاشعث؟ اين يومكم مع ابراهيم ومحمد ابني عبد الله بن حسن بن حسن، متى اخذكم ضميم فصببرتم! ثم هذا عسكرى سائر معكم فلتكن آمالكم ممتدة وقلوبكم قوية.

ووقع للنفقة على الجامع بألفي دينار، ووقع لهم بتخفيف معاملاتهم بألف الف درهم، وانصرفوا وقد صاروا سيوفه. وسير البريدى إقبالا غلامه، في الفى رجل، وتقدم اليهم ان يقيموا بحصن مهدى، الى ان يأتيهم اقبال، واتصل الخبر بابن يزداد فقامت قيامته.

ولما وصل الراضي وابن رائق الى بغداد، قلد ابن رائق بحكم الشرطه، وانزله في دار محمد بن خلف النيرمانى على دجلة، وقلد القاضى أبا الحسين عمر بن محمد قضاء القضاء.

واثبت ابن رائق من الحجريه الفى رجل، وامرهم بالمسير الى الجبل، فلما صاروا بالنهروان، اجمع رأيهم على المضى الى الاهواز، فقبلهم البريدى واضعف أرزاقهم،

واظهر للسلطان وابن رائق، انه لم تكن له قدره بدفعهم واضطر لقبولهم.

وغلبت على الدنيا الطوائف، فصارت واسط والبصرة والاهواز في يدي البريدى، وفارس في يد على بن بويه، وكرمان في يد ابى على بن الياس، والري وأصبهان والجبل في يد ركن الدولة ابى على بن بويه ووشمكير، والموصل وديار ربيعه وديار بكر في يد بنى حمدان، ومصر والشام في يد محمد بن طنج، والمغرب وإفريقية في يد ابى تميم، والانديلس في يدي الاموى، وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن احمد، وطبرستان وجرجان في يد الديلم، واليمامة والبحرين في يد ابى طاهر الجنابى.

ولم يبق في يد الراضي وابن رائق غير السواد.

وكان بدر انخرشني بديار مصر، فضاق ماها عن رجاله، فانحدر عنها، وحصل بهيت، فقصده تلك الديار سيف الدولة فغلب عليها.

وقبض ابو عبد الله احمد بن على الكوفى على ابى محمد بن شيرزاد، وصادره على مائه وعشرين الف دينار.

ووافى ابو طاهر القرمطى الى الكوفة فخرج ابن رائق من بغداد، لثلاث خلون من جمادى الاولى ونزل بستان ابن ابى الشوارب بالياسريه، وراسل أبا طاهر وقرر معه ان يحمل اليه في كل سنه- إذا دخل في الطاعة- طعاما ومالا قدره مائه وعشرون الف دينار، وسار ابو طاهر الى بلده، وسار ابن رائق الى واسط، وقد جاهر البريدى بالخلاف.

وعزل الراضي سليمان بن الحسين عن وزارته، وكانت مدتها عشره اشهر وثلاثة ايام.

واشار ابن رائق على الراضي باستيزار ابى الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات، وكان بالشام فاستقدمه واستعبته.

وزارة ابى الفتح بن الفرات للراضى بالله

وزارة ابى الفتح بن الفرات للراضى بالله

كانت عند قدومه من الشام، لست خلون من شوال، فقيل لابن مقله: القه فقال:

فقلت لها لا عداك الصواب ... وان كان قولك الا سديدا

أمثلي تطاوعه نفسه ... على ان يرى خاضعا مستزيدا

وبلغ ابن رائق ما خاطب به البريدى اهل البصرة، فأتاهم الكوفى وقال له اكتب اليه: اننى انكرت قبولك للحجريه، فاما رددهم واما

طردهم، واما من انفذت به من أصحابك الى البصرة، فإنما فعلت ذلك لحفظها من القرامطة، وقد كفيينا امرهم ونفذوا الى بلادهم.

وكان قصد ابن رائق المغالطة، والا يكشفه بالعداوة.

فكان جواب البريدى، ان اصحابه يتمسكون بالحجريه لقربى بينهم، وانه وان ابعدهم او حش للجميع، لكنه يقطع أرزاقهم حتى يتصرفوا.

وكان اصحاب البريدى الذين انفذهم مع اقبال غلامه، قد وقعت بينهم وبين اصحاب محمد بن يزداد وتكين الصغدني شحنة البصرة لحربهم، ف وقعت بينهم، حرب بنهر الأمير، انهزم فيها اصحاب ابن رائق، وانهزموا ثانيه بسكرابان، على فراسخ من الأبله. ودخل اقبال البصرة، وخرج عنها محمد بن يزداد، سالكا طريق البر الى الكوفه، واصعد منها تكين ونيال الصغدني في الماء الى واسط. وانفذ ابن رائق - وقد عظم عنده الأمر - أبا عمرو والعاقولي برسالة البريدى، تتضمن وعدا ووعدا، فكان جوابه انه لا يمكنه رد اصحابه عن البصرة لان أهلها قد تمسكوا بهم.

ولكن البصريون قد استوحشوا من محمد بن يزداد، لما عاملهم به من سوء السيرة، فكانوا يظنون عند البريدى خيرا، فأروا منه ما تمنوا يوما من ايام ابن رائق، فاستدعى ابن رائق بدرا الخرشنى من هيت، نخلع عليه خلعا سلطانيه.

وعول ابن رائق على طرد الكوفى وقال: ظننت انى اتالف به البريدى فحسى من ذنوبه شؤمه على. وعول على اعاده الحسين بن على النوبختى، وقال: اوجه شفعاؤه عندي بركته على دولتي، فقال ابن مقاتل: لا ذنب للكوفى في هذا، ولا فائده في استعاده الحسين ابن على، وهو سقيم طريق، وأنت ذا كركولي لك: احفظ البصرة، فقلت ان تكين ونيال ليحفظانها. فاحضر الكوفى، واستخلفه على موالاته ومعاده البريدى.

وخلع ابن رائق على بجكم، وسيره وانفذ بعده بدرا الخرشنى الى الاهواز، وانفذ معهما ابن ابى عدنان الراسبي مشيرا ودليلا، وامر احمد بن نصر القشورى بالمقام بالجامده، وامر بجكم ان يسير الى البصرة، فيصير البريدى بينه وبين بدر. وبادر بجكم ولم ينتظر بدرا، وسار في ثلاثمائة غلام اتراكا، فلقه ابو جعفر الجمال في عشره آلاف رجل بأتم آلة واكمل سلاح، فانهزموا من بين يدي بجكم.

واراد ان ينفرد بالفتح دون بدر، فلما اتى ابو جعفر البريدى قام فلكمه وقال: ظننت انك تحارب ياقوتا، وقد ادبر بقاء الاتراك بسودان باب عمار والمولدين، وضم اليه ثلاثة آلاف، فقال ابو جعفر: قد تمكنت هيبه الاتراك في قلوب أصحابنا، وستعلم حالهم.

فطرح بجكم نفسه في الماء بتستر، فانهزم اصحاب البريدى بغير قتال، نفرج ابو عبد الله ومعه اخوه في طيار، وحملوا معهم ثلاثمائة الف دينار، كانت في خزانته، فغرقوا بالنهران فاخرجهم الغواصون، واخرج لبجكم بعض المال، فقال ابو عبد الله: والله ما نجونا بصالح أعمالنا من الغرق، ولكن لصاعقه يريدنا الله تعالى بهذه الدنيا، وقال له اخوه ابو يوسف: ويحك! ما تدع التطايب في كل حال ودخل بجكم الاهواز وكتب ابن رائق بالفتح

ولما وصل ابو عبد الله الى الأبله ومعه اخواه، انفذ إقبالا غلامه الى مطاره، واقام هو واخواه في طياراتهم، وأعدوا ثلاثة مراكب للهرب خوفا من ان تتم على اقبال من عسكر الجامدة بمطايا ما تم على ابى جعفر بالسوس.

فاخرج البريدى أبا الحسين بن عبد السلام لمعاضده اقبال، فانهزم اصحاب ابن رائق ومتقدمهم احمد بن نصر القشورى، واسر برغوت غلام ابن رائق، فاطلقه البريدى وكتب معه كتابا يستعطف فيه ابن رائق.

ودخل البريديون البصرة، فاطمأنوا، ولم يمكن بجكم ان يسير الى البصرة لخلوها من آله الماء. وعاد بدر الخرشنى الى واسط، فانفذه ابن رائق في الطيارات الى البصرة للحرب.

وانفذ أبا العباس احمد بن خاقان الى المذار، فلقه اصحاب البريدى فأسروه وحملوه اليه، فاطلقه واستخلفه الا يعود الى حربه. فلما اتصلت الهزيمة بابن رائق، سار من واسط الى البصرة على الظهر للنصف من شوال، وكتب الى بجكم ان يلحق به بعسكر ابى جعفر، وانفذ بدرا الى ابن عمر وانفذ البريدى غلامه إقبالا بواسط، فحصل بدر في الكلا وحصل اقبال بالرصافة.

ولما ملك بدر الكلا هرب البريدى الى جزيرة أوال، وخرج الجند والعامه لدفع بدر.

ووافى ابن رائق وبجكم الى عسكر ابى جعفر ضحوة النهار من يوم ورود بدر الكلا، وعبر ابن رائق وبجكم دجلة البصرة، وتبعهما احمد بن نصر، فأروا من العامه ما بهرهم، حتى رجحوا طيار احمد فغرقوه.

وهرب ابو عبد الله من جزيرة أوال الى فارس، واستجار بعماد الدولة فانفذ معه أخاه معز الدولة.

ووردت الاخبار بذلك، فتقدم ابن رائق الى بجكم بالانصراف الى الاهواز ليحميها، فقال: لست احارب الديلم الا بعد ان تحصل لي اماره الاهواز، فضمنه إياها بمائه وثلاثين الف دينار محمولة، واقطعه اقطاعا بخمسين الف دينار ونفذ ومن عجيب الاتفاق ان طاهرا الجبلي قصد ابن رائق الى واسط مستأمنا، فلم يجده، فأنحدر اليه الى عسكر ابي جعفر، فتلقيه كتاب جاريته وابنه انهما حصلا في يد ابي عبد الله البريدي بفارس فاکرمهما.

فعند ذلك، سار طاهر في مائتي رجل، وتبعه عسكر البريدي في الماء، فانهزم بدر الى واسط، وانهزم ابن رائق الى الاهواز، فأشير على بجكم بالقبض عليه فلم يفعل، واقام عنده مكرما، حتى وافاه فأتك غلامه من واسط، فرجع معه إليها، وخلف بجكم بالاهواز، وخلف ابو عبد الله البريدي عند عماد الدولة ابنه أبا الحسين محمدا، وأبا جعفر الفياض رهينه، وسار مع ابي الحسين معز الدولة الى الاهواز فلما نزلوا ارجان، خرج بجكم لحربهم فعاد بعد ثلاثة ايام منهزما، وسبب انهزامة ان المطر اتصل أياما كثيرة، ففزع الاتراك ان يرموا بالنشاب، فعاد بجكم وقطع قنطره نهر اريق ورتب عليها جماعه، فكانت المنازلة بين معز الدولة وبينهم ثلاثة عشر يوما وعبر معز الدولة في خمسة نفر في سميريه، فهزم من كان هناك من اصحاب بجكم، فعند ذلك قبض بجكم على وجوه اهل الاهواز، فيهم ابن ابي علان ويحيى بن سعيد السوسي، وسار بعسكره الى واسط، وكاتب ابن رائق وهو بها، ان كان عنده مائه الف دينار يفرقها في عسكره، فالوجه ان يقيم، والا فالصواب ان يصعد الى بغداد.

فعند ذلك اصعد، وطالب بجكم حين دخل واسط من اعتقله من اهل الاهواز بخمسين الف دينار، فقال ابو زكريا يحيى بن سعيد السوسي: اردت ان اخبر ما في نفسه من طلب العراق، فراسلته على لسان الموكل بي: ايها الأمير أنت طالب للملك، معول على خدمه الخلفه، تطالب قوما منكرين في بلاد غربه، ولقد حمى في أمسنا طست، وجعل على بطن سهل بن قطين اليهودي، فما تعلم انه إذا سمع هذا عنك اوحش الاباعد منك! وما تذكر إنكارك على ابن رائق اياحشه اهل البصره واهل بغداد، وقد حملت نفسك على مثل ما كان يعمل مزدوايچ باهل الجبل وبغداد، هي دار الخلفه لا تحتمل هذه الأخلاق.

فلما سمع بهذا الكلام رق وامر بحل قيودنا، واستعقل يحيى بن سعيد السوسي واطلقه، فشفع في الباقيين، وكان طاهر الجبلي قد فارق الأمير عماد الدولة بارجان،

فكتب الى أخيه معز الدولة ان يطالب أبا عبد الله البريدي فكتب البريدي الى أخيه ابي يوسف، بالقبض عليه وانفاذه الى فارس ففعل ذلك.

ووصل معز الدولة الاهواز، ونزل البريدي دار ابي على المسروقان، ووافاه اهل الاهواز داعين مهئين، وكان البريدي يحى الربع، فدخل عليه يوحنا الطيب وكان حاذقا، فقال له: ما تشير على؟ قال ان تخط - وعنى بذلك في المأكولات - لترمى بالاخلاط، فقال: اعظم مما خلطت يا أبا زكريا لا يكون، قد ارجحت ما بين فارس والحضره، فان اقنعتك هذا، والا ملت الى الجانب الآخر، وارجحتها الى خراسان. وسبب معز الدولة على البريدي بعد ان اقام معه خمسة وثلاثين يوما بخمسة آلاف الف درهم، باحضار عسكره لينفذهم الى الأمير ركن الدولة بأصبهان، فاحضر اربعة آلاف رجل، وقال لمعز الدولة: ان أقاموا بالاهواز جرى بينهم وبين الديلم فتنه، والوجه ان انفذهم مع صاحبي ابي جعفر الجمال للسوس، فأمره بذلك ثم طالبه ان يحضر رجال الماه الى حصن مهدي، ليشاهدتهم، فينفذهم الى واسط فاستوحش البريدي وقال: هكذا عملت بياقوت، فلو لم اتعلم الا من قصتي لكفاني.

وكان الديلم يهينونه ويزعجونه من منامه وهو محموم، وكان الأمير ابو الحسين ابن بويه يكرمه وابو على العارض الكاتب يجلس بين يديه ويخاطبه بسيدنا.

فاما بقية القواد من الديلم فكان عندهم بمنزله دنية.

وهرب البريدي من ابن بويه في الماء الى الباسيان، وتبعه جيشه، وكاتبه البريدي انه يضمن منه الاهواز في كل سنه بثمانية عشر الف الف درهم، فأجابه الأمير ابو الحسين الى هذا، وراسله البريدي بالقاضي ابي القاسم التنوخي وابي على العارض: ان نفسه لا تطيب بقرب داره منه.

واستقر الأمر ان يحمل الى معز الدولة ثلاثين الف دينار لنفقه الطريق، فأجاب.

الى ذلك معز الدولة، فانفذ البريدي منها ستة عشر ألفا مع التنوخي، فاحتبسه معز الدولة على الباقي ثم اطلقه، وقال دلالن للأمير ابي الحسين وهو كاتب جيش معز

الدولة، وكان الصيمري من اتباعه، فقال: ان البريدي قد سلك معك طريقته مع ياقوت، وغرضه ابعادك الى السوس. واستحكمت الوحشة بين معز الدولة والبريدي، وانفذ بحكم قائدا من قواده في الفتي رجل من الأكراد والاعراب، فغلبوا على السوس وجنديسابور واقام البريدي ببنات ادر، غالبا على اسافل الاهواز، وبقي معز الدولة لا يملك غير عسكر مكرم، وقد احتاط به الأعداء من كل جانب، واضطرب عسكره وفارقوه حتى اتبعهم وترضاهم، وكاتب عماد الدولة بالصورة، فانفذ اليه قائدا من قواده وكان شجاعا، في ثلاثمائة ديلمى، وخمسمائة الف درهم.

وكان ابو على العارض معتقلا بين يدي البريدي، واتهم معز الدولة انه واطاه على ما فعله، وكان ييغض العارض لأنه شاهده وزير ما كان الديلمى، وكان بحكم مملوكه، فطلبه منه ما كان صاحبه، فاهداه اليه.

فعند وصول الرجال والمال، انفذ معز الدولة الصيمري الى السوس عاملا عليها، وانفذ ثلاثمائة رجل الى بنات ادر، فهرب البريدي الى البصرة، فحصلت الاهواز بيد الأمير ابى الحسين، وحصل البريدي بالبصرة، واستقر بحكم بواسط واقام، ابن رائق ببغداد، وهو الذى وضع المآصير ببغداد، وما كانت سمعت بالضرائب من قبله.

وحكى بحكم، ان ابن مقاتل قال لابن رائق: أخطأت حين قلت بحكم الاهواز. لأنه إذا حصل بها نازعك في امرك، وقد عرفت منازعه البريدي لك، وهم اصحاب دراريع، قال: بلغنى ذلك، فأخذت معى عشرة آلاف دينار، وجئت ليلاً وقد نام الناس، فقلت في مهم لم يعلم به احد، ولولا ان الترجمان محمد بن نبال يخبر عني ما استصحبته، وقد توقف الأمير عن تقليدي للاهواز، واسالك ان تأخذ هذه العشرة آلاف دينار، وتمضى عزمه فيما نواه. فلما رأى الدنانير مال إليها، وكان ذلك سبب ولايتي.

١٢٠٣١٠٣٠ سنة ست وعشرين وثلاثمائة

أخبار

سنة ست وعشرين وثلاثمائة

[أخبار]

لما ورد ابن رائق ببغداد، اطعمه الوزير ابو الفضل في اموال مصر والشام، وزوج ابنه أبا القاسم بابنه ابن رائق، وزوج ابن رائق ابنه بابنه طنج.

وخرج الوزير ابو الفضل الى الشام، واستخلف بالحضرة أبا بكر البقرى، فلما بلغ هيت ضعف امره، وقوى امر ابى عبد الله الكوفى، وقلد ابن رائق اعمال الاهواز، فدعاه بحكم الى كتابته فأجابته.

وسفر ابو جعفر بن شيرزاد في الصلح بين ابن رائق والبريدي وأخذ خط الراضي بالرضا عنهم، وقطعت لهم الخلع، على ان يقيموا الخطبه بالبصرة لابن رائق، وان يفتحوا الاهواز وان يحملوا ثلاثين الف دينار، واطلقت ضياعهم بالحضرة وبلغ ذلك بحكم فجزع لهذا الصلح. وأشار عليه يحيى بن سعيد السوسى، بحرب البريدي، فانفذ اليه البريدي أبا جعفر الجمال، فالتقيا بشيرزان، فانهزم الجمال، وانفذ يعاتب البريدي ويقول له: جنيت على نفسك باستجلاب الديلم أولا، وبمظافره ابن رائق ثانيا، وانا أعاهدك ان اوليك وسطا إذا ملكت الحضرة، فسجد البريدي لما بلغته رسالته شكرا لله تعالى، ووصل رسوله بثلاثة آلاف دينار، وحلف بحضر من القاضى ابى القاسم التنوخي والقاضى ابى القاسم بن عبد الواحد بالوفاء لبحكم.

وكان ابن مقله يسال ابن مقاتل والكوفى في رد ضياعه، فيمطلونه، فكتب الى بحكم والى أخى مزداويح يطمعهما في الحضرة، وكاتب الراضي بالله يشير بالقبض على ابن رائق، وتولية بحكم، وكتب الى بحكم ان الراضي قد استجاب لذلك.

وظن ابن مقله انه قد توثق من الراضي، وبذل له استخراج ثلاثة آلاف الف دينار، ان قلده الوزارة، فوافقه على ان ينحدر اليه سرا، الى ان يتم التدبير على ابن رائق، فركب من داره في سوق العطش في طيلسان، وسار الى الأزج بباب البستان، فانحدر في سمرية ليله الاثنين لليلة بقيت من شهر رمضان، وتعتمد تلك الليلة ان يكون القمر تحت الشعاع، وذلك يختار للأمر المستوره.

فلما وصل الى دار السلطان، لم يصله الراضي واعتقله في حجره، وبعث بابي الحسن سعيد بن سنجلا الى ابن رائق واخبره بما جرى، واطهر للناس حاله رابع عشر شوال، واستفتى الفقهاء في حاله، وعرفهم ما كاتب به بحكم، فيقال ان القاضي أبا الحسين عمر بن محمد افق بقطع يده، لأنه سعى في الارض فسادا، فامر الراضي باخراجه الى دهليز التسعين، وحضر فأتك حاجب ابن رائق والقواد، فقطعت يده اليمنى، ورد الى محبسه من دار السلطان، وأمر الراضي بمداواته، فكان ينوح على يده ويقول: يد قد خدمت بها الخلفاء ثلاث دفعات، وكتب بها القرآن دفعتين، تقطع كما تقطع أيدي اللصوص! ثم قال: ان المحنة قد تشبثت بي وهي تؤديني الى التلف وتمثل:

إذا ما مات بعضك فابك بعضا ... فان الشيء من بعض قريب

وقطع لسانه لما قرب بحكم الحضرة، ومات دفن في دار السلطان، ثم طلبه اهله فنبش وسلم اليهم، نبشته زوجته الدينارية فدفنته بدارها بغله صافي، فنبش بعد موته ثلاث دفعات فهذا عجب. ومن العجائب انه وزر لثلاث خلفاء، وابن الفرات وزر لخليفه واحد ثلاث دفعات، وابن مقله وزر ثلاث دفعات لثلاث خلفاء، ودفن بعد موته ثلاث دفنات

وصول بحكم إلى الحضرة وتفرد به بالإمرة

وصول بحكم الى الحضرة وتفرد به بالإمرة

ولما وافى بحكم ديارى انهزم ابن رائق بعد ان فتح من النهروان ببقا الى ديارى ليكثر مأؤه، فعبر اصحابه سباحه، وصار ابن رائق الى عكبرا، واستتر الكوفي وابن مقاتل. ووصل بحكم الى الراضي ثاني عشر ذي القعدة، فخلع عليه والطلع العقب، وسار بالخلع الى مضره بديالى، وانفض جيش ابن رائق عنه، فدخل بغداد واستتر.

وخلع على بحكم دفعتين بعد ذلك، ومضى الى دار مؤنس بسوق الثلاثاء، وهي التي كان ينزلها ابن رائق فنزلها. فكانت اماره ابن رائق سنة وعشرة اشهر وستة عشر يوما، ومده كتابه الكوفي له وتديره المملكة تسعة عشر شهرا وثمانية ايام. قال ابو سعيد السوسي: قال لي بحكم بحضره اصحابه: معي خمسون الف دينار لا احتاج إليها، فلما كان بعد ذلك قال لي: تدري كم كان معي ذلك اليوم؟ قلت:

لا، قال: كان معي خمسون الف درهم، فقلت: اترك لم تثق بي فكنت تطلعني على الحال! فقال: لو اطلعتك ضعفت نفسك وضعف كلامك، وعولت عليك في رساله، فعجبت من دهائه. ومات ابو عبد الله النوبختي بيلة السل.

وظفر الراضي بابي عبد الله الكوفي، فسأله فيه ابو الحسن سعيد بن سنجلا حتى صادره على اربعين الف دينار.

واقر الراضي الوزير أبا الفتح على الوزارة وهو بمصر.

وفي شهر رمضان انفذ ملك الروم كتابا بالرومية يتضمن سؤال الراضي الفداء، وكانت الترجمة بالعربية مكتوبة بالفضة، وانفذ مع الكتاب هديه جليله، فأجاب ابن ثوابه عن الكتاب، وفي آخره: وقد اسعفكم امير المؤمنين بما احببتكم من هديتكم ورد الرسائل بما سنع من مروءتكم، صيانة لكم عن الاحتشام، ورفعنا عندكم من الاغتنام.

وخاطبه ملك الروم بالشريف البهي ضابط سلطان المسلمين، وخاطبهم الراضي برء وساء الروم.

١٢٠٣١.٣١ سنة سبع وعشرين وثلاثمائة

أخبار

سنة سبع وعشرين وثلاثمائة

[أخبار]

واخر الحسن بن عبد الله بن حمدان مال ضمان الموصل، فصار الراضي الى تكريت، وانفذ بحكم الى الموصل، فلقيه زواريق فيها هديه ابن حمدان، فأخذها بحكم، وعبر فيها جيشه الى الجانب الغربي، وسار فالتقى هو وابن حمدان بالكحيل، فانهزم اصحاب بحكم واستؤسر ابو حامد الطالقاني، ثم حمل بحكم بنفسه على ابن حمدان حمله صادقه، فانهزم ابن حمدان رابع المحرم ومضى الى آمد، واتبعه بحكم الى نصيبين، فسار حينئذ الراضي في المساء الى الموصل، وانصرف عنه من تكريت القرامطة، الذين تبعوه الى بغداد مغضبين لتاخر أرزاقهم، فظهر ابن رائق وانضموا اليه.

وكتب الراضي حين بلغته الصورة الى بحكم، فاستخلف على اصحابه، وجاء الى الموصل، فجرى بين اصحابه وبين أهلها فتنة، فركب ووضع فيها السيف، واحرق مواضع في البلد.

ورجع الحسن بن عبد الله بن حمدان الى نصيبين، وانصرف عنها من خلفه بحكم بها، فاخذ اصحاب بحكم يتسللون من الموصل الى بغداد، وينضمون الى ابن رائق، فزاد في قلق بحكم، ولم يعرف ذلك ابن حمدان، فاطلق أبا حامد الطالقاني، وساله ان يسعى في الصلح، وبذل له الف الف درهم فاستأذن بحكم الراضي في ذلك، فاذن له في امضائه، فرد الطالقاني وأبا الحسين بن ابي الشوارب، وانفذ معهما باللواء والخلع.

وصاهر بحكم أبا محمد بن حمدان.

وانفذ ابن رائق أبا جعفر بن شيرزاد الى بحكم يلتمس الصلح.

وانحدر الراضي وبحكم الى بغداد، بعد ان راسلا ابن رائق بقاضى القضاة ابي الحسين، في تمام الصلح، وولوه طريق الفرات وجنديسابور وديار مضر

وزارة البريدى ابي عبد الله للراضى بالله

والعواصم، فسار إليها قبل وصولهم.

وبلغ الراضي ان عبد الصمد بن المكتفي راسل ابن رائق ان يتقلد الخلافة، فقبض عليه، ويقال قتله.

وفي جمادى مات الوزير ابو الفتح بن جعفر بن الفرات بالرملة، ودفن هناك.

وشرع ابن شيرزاد في الصلح، بين بحكم والبريدى ثم ضمن البريدى اعمال واسط بستمائة الف دينار

. وزارة البريدى ابي عبد الله للراضى بالله

فلما مات ابو الفتح، شرع ابن شيرزاد للبريدى في الوزارة، فانفذ اليه الراضي بقاضى القضاة ابي الحسين فامتنع من تقلدها، ثم استجاب لذلك، ووليها في رجب، وخلفه ابو بكر محمد بن على البقرى بالحضرة، كما كان ابن الفرات.

ولما تقلد البريدى الوزارة، قال فيه ابو الفرج الاصفهاني قصيده أولها:

يا سماء اسقطي ويا ارض ميدى ... قد تولى الوزارة ابن البريدى

جل خطب وجل امر عضال ... وبداء أشاب راس الوليد

هد ركن الاسلام وانتهك الملك ... ومحت آثاره فهو مودى

اخلفت بهجه الزمان كما اخلق ... طول الزمان وشى البرود

يا لقومى لحر صدري وعولي ... وغليلي وقلبي المعمود

حين سار الخميس يوم خميس ... في البريدى في ثياب سود

سودت اوجه الورى وعلتهم ... إذ علته بذله وهمود

قد حباه بها الامام اصطفاء ... واعتمادا منه بغير عميد

خلع تخلع العلا ولواء ... عقده حل عروه المعقود

كان اولى من لبسه خلع الملك ... بغل يسوده وقيود

وهي قصيده طويله آخرها:

في سبيل الاسلام خير سبيل ... محو رسم الاسلام والتوحيد

لا يسرن غافل بعد هذا ... بوليد لا يرع لفقيد

فاستبلى يا عين بالدمع سخا... وقليل ان تذرفى وتجودى

وحكى ان البريدى ابو عبد الله قال لندمائه: من فيكم يحفظ قصيده الاصفهاني التي هجاني بها؟ فأنكروا مع معرفتها، فقال: بحقي عليكم انشدوني إياها فقال احدهم: اما مع قسمك فنعم فلما بلغ الى قوله.

وكان احد قواد بجكم ابراهيم بن احمد أخو نصر بن احمد، صاحب خراسان فقلده بجكم الشرطه ببغداد. وعمل ابراهيم لبجكم دعوه، جمع طبانخي دار الخلافه لها، وانفق فيها زياده على عشرين الف دينار

١٢٠٣١٠٣٢ سنه ثمان وعشرين وثلاثمائة

أخبار

سنه ثمان وعشرين وثلاثمائة

[أخبار]

في مستهل المحرم ورد خبر، بان أبا الحسن على بن عبد الله بن حمدان، اوقع بالدمستق وهزمه.

وفي آخره تزوج بجكم ساره، بنت الوزير ابى عبد الله البريدى، بحضره الراضي، والصدّاق مائه الف درهم.

وكان جيش البريدى قد قتل قائدين من الديلم، فاستنجد معز الدولة، أخاه ركن الدولة، وكان مقيما بإصطخر، فأتاه طاويا للمنازل، فوصل الى واسط في عشره ايام، والبريدى مقيم بغربها، فأنحدر لحربه بجكم مع الراضي، فانصرف عنها، ومضى من فوره الى أصبهان ففتحها فعاد عند مضيه الراضي وبجكم الى بغداد.

وفي رجب، قتل طريف السبكرى بطرسوس.

وفي شعبان توفى قاضى القضاة ابو الحسين، فتوسط ابو عبد الله بن ابى موسى الهاشمى امر ابنه ابى نصر، على عشرين الف دينار، حتى ولى مكانه.

روى الخطيب عن القاضى ابى الطيب قال: سمعت أبا الفرج المعافى بن زكريا الجريرى يقول: كنت احضر مجلس ابى الحسين بن ابى عمرو يوم النظر، فحضرت انا واهل العلم، فدخل اعرابى له حاجه، فجلس فجاء غراب فقعد على نخله في الدار، وصاح وطار، فقال الأعرابي: هذا الغراب يقول: ان صاحب هذه الدار، يموت بعد سبعة ايام، وقال: فضحنا عليه، وزرناه، فقام وانصرف.

واحتبس خروج ابى الحسين، فإذا به قد خرج إلينا الغلام وقال: القاضى يستدعيكم، فقمنا فدخلنا، فإذا به متغير اللون منكسف البال معتم، فقال: اعلموا انى احدثكم بشيء قد شغل قلبي، وهو انى رايت البارحة في المنام شخصا وهو يقول:

منازل آل حماد بن زيد ... على اهلك والنعم السلام

وقد ضاق صدري، فدعونا له وانصرفنا، فلما كان في اليوم السابع من ذلك اليوم دفن رحمه الله

وانفذ الى على بن عيسى الوزير بمال في بعض نكاته وكتب اليه:

وتركي مواساتي اخلاى في الذى ... تنال يدي ظلم له وعقوق

وانى لأستحي من الله ان ارى ... بعين اتساع والصدیق مضيق

وتوفى في هذا الشهر، ابو بكر بن الأنباري، معلم اولاد الراضي بالله، ومن جملة تصانيفه كتاب الزاهر، وكان يحفظ مائه وعشرين تفسير للقرآن، ولم يمل بساقط من دفتر، وقال: انى احفظ ثلاثة عشر صندوقا كتبها.

وفي شهر رمضان مات ابو بشر بن يونس القناني النصراني، وهو الذى فسر كتاب المنطق.

وفيه خرج بجكم الى الجبل، فلما بلغ قرميسين، بلغه ان البريدى قد طمع في بغداد، وكان طمعه لأجل دفائن في داره، فعاد بجكم حينئذ، وقد استامن اليه خلق من الديلم، وكان قد أمد البريدى قبل ذلك بنجسمائة رجل، وانفذ معهم أبا زكريا السوسي.

فلما عرف البريدى رجوعه الى بغداد ابلس، وانفذ الى السوسي، فاستحضره، فظن انه يريد القبض عليه، فقال له: أحب ان تصعد الى بجكم فتزيل الوحشة من صدره، وهذه اذنى نخذها، وبغنى، فانى لا اعدل عن رأيك، وقد رتبت لك طيارا ونحسين غلاما لخدمتك.

قال: فقبلت الارض بين يديه، وسرت فما عادت ذهني الا بفهم الصلح. وندم البريدى على انفاذه لي، وسقط عليه طائر يعرفه تعويل بحكم على قصده، وتضمن اغراؤه بي، فكان ذلك من كفاية الله تعالى لي. ووصلت دير العاقول، وبها احمد بن نصر القشورى. ولقيت بحكم بالزعفرانيه، واجتهدت به في صلح البريدى، فأبى، وانحدرت معه. وقبض على ابن شيرزاد، لأنه اشار عليه بمصاهره البريدى، وأزال اسم البريدى عن الوزارة، فكانت وزارته سنه واربعه اشهر واربعه عشر يوما، ووقع اسمها على ابى القاسم سليمان بن الحسن.

وزارة ابى القاسم سليمان بن الحسن

وزارة ابى القاسم سليمان بن الحسن
وخلع عليه وانحدر بحكم بعد ان ضبط الطريق ممن ينشر خبره، فوقع على حديدية طائر، فأخذه وإذا به كتاب كاتبه يعرف أخاه انحدره وسائر اسراره، فاحضر الكاتب ووقفه، فلم يجحد فرمى به في الزبانيات حتى قتل، ورمى به في الماء. وانحدر فوجد البريدى قد انحدر عنها. وفي ذي الحجه، ورد بان رائقا اوقع بابى نصر بن طنج، أخى الإخشيد، فانهزم اصحاب ابى نصر بعد ان قتل وكفنه ابن رائق وانفذه في تابوت الى أخيه، واستأسر قواده، وانفذ مع التابوت ابنه أبا مزاحم بن رائق، وكتب معه يعزيه ويعتذر ويقول: ما اردت قتله، وقد انفذت ابني لتقيده به، فتلقي الإخشيد فعله بالجميل، وخلع على ابنه ورده الى ابيه، واصطالحا على ان يفرج ابن رائق للإخشيد عن الرملة، ويكون باقى الشام لابن رائق، ويحمل اليه الإخشيد في كل سنه مائه واربعين الف دينار. وكان بدر بن عمار الأسدي الطبرستاني، يتقلد حرب طبرية لابن رائق، وهو الذى مدحه المتنبي بقصائد عده. وعاد ابو نصر محمد بن ينال الترجمان من الجبل منهزما من الديلم، فانفذ بحكم من واسط بمن ضربه في منزله بالمقارع وقيده، ثم رضى عنه. وانحدر ابو عبد الله الكوفى الى واسط، واستقرت له كتابه بحكم، فكانت كتابه ابن شيرزاد تسعه عشر شهرا وثلاثة عشر يوما. والتقى ركن الدولة بوشمكير، وانهزم الفريقان، ركن الدولة الى اصفهان، ووشمكير الى الري. وفيها مات جستان وفيها توفى ابو عبيد الله القمي، الوزير لركن الدولة، وتقلد مكانه ابو الفضل بن العميد.

١٢٠٣١.٣٣ سنه تسع وعشرين وثلاثمائة

أخبار

سنه تسع وعشرين وثلاثمائة

[أخبار]

فيها صادر بحكم ابن شيرزاد، وقال: اردت ان اعلم ايساره، فقلت: ان عندي مائه الف دينار، اريد ايداعك إياها، فما ارتاع، وحملتها اليه، وطلبها بعد مده، فكان يحملها تفارق، فقلت: ما السبب في هذا؟ فقال: اننى لا آمن غير أختي، ولا تقوى على حمل المال دفعه واحده، فقبض على اخته، وبلغ بالقبض عليها ما اراده من ماله. وفي ليله النصف من شهر ربيع الاول مات الراضى بالله، وقد انكسف القمر جميعه، وكان موته بعله الاستسقاء. وكان الراضى رحمه الله سمحا شاعرا سخيا أدبيا، ومن شعره يرثى المقتدر رحمه الله: بنفسى ترى ضاجعت في تربه البلى لقد ضم منك الغيث والليث والبдра فلو ان حيا كان قبرا لميت لصيرت احشائى لأعظمه قبرا ولو ان عمرى كان طوع مشيتى وساعدني المقدار قاسمته العمرا وحكى الخطيب في تاريخه قال: كتب الراضى الى أخيه المتقى، وقد جرى بينهما شيء في الكتب: انا معترف لك بالعبودية، والمولى يعفو، وقد قال الشاعر: يا ذا الذى يغضب من غير شى ... اعتب فعتباك حبيب الى

أنت- على انك لي ظالم ... أعز خلق الله طرا على

خلافه المتقى لله

خلافه المتقى لله

وهو ابو إسحاق ابراهيم بن المقتدر بالله، أمه رومية، وكانت خلافته ثلاث سنين واحد عشر شهرا. ورد كتاب بحكم، لما بلغه موت الرازي بالله رحمه الله عليه، على ابي عبد الله الكوفي يأمره ان يجمع كل من كان يتقلد الوزارة بالحضرة، واصحاب الدواوين والقضاة والفقهاء والعلويين والعباسيين ووجوه البلد، ويحضرهم الى ابي القاسم سليمان بن الحسن، وينصبون الخلفاء من يحدونه. فلما اجتمعوا قال محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي: يكون الخطاب سرا، نخلا الكوفي في بيت وجعل الرجل والرجلان يدخلان اليه، فيقول لهما: قد وصف لنا ابراهيم بن المقتدر بالله، فيظنان ان ذلك عن امر ورد من بحكم في معناه، فيقولان: هو لذلك اهل، فاحضر الى دار بحكم وعقد له الأمر ولقب المتقى لله. وحمل الى بحكم من دار الخلفاء قبل تقلد المتقى فرش وآلات اختارها. وانفذ المتقى لله عند بيعته مع ابي العباس الاصفهاني، خلعا ولواء الى بحكم، وخلع على سلامه الطولوني، وقلده حجبته، وافرأ القاسم سليمان بن الحسن على الوزارة. وورد الخبر بدخول ابي علي بن محتاج في جيش خراسان الى الري، وقتله ما كان الديلمي صاحب جرجان، وحاصر من بها حتى تركها، ومضى الى ساربه، فاستولى ابو علي على جرجان. وتعاضد ابو علي وركن الدولة، على محاربه وشمكير، حين اعتضد بما كان، والتقى الفريقان وظهر ما كان شجاعة شديده، فأتاه، سهم عائر، فنفذ في خوذته وطلع من قفاه فسقط ميتا وافلت وشمكير، بعد ان اسرا اكثر اصحابه. وحمل ابن محتاج من رؤوس القتلى ستة آلاف راس الى خراسان، فيهم راس ما كان وجلس ابو علي بن محتاج للعزاء، وظهر الحزن عليه. وقال الحسن بن الفيروزان ابن عم ما كان: ان وشمكير، اسلمه، وكان الحسن شجاعا، وقصد ابن محتاج قبله، وقصد وشمكير، فكان بينهما حرب على باب ساربه أياما. ثم ورد على ابي علي وفاه صاحبه نصر بن احمد، فصالح وشمكير وأخذ ابنه رهينه، وانحدر معه الحسن بن الفيروزان، وحقد عليه كيف لم يستخلفه على حرب وشمكير، وانتهر غرته حين قاربا خراسان، فوثب عليه فافلت منه، وقتل حاجبه وانتهب سواده، واستعاد رهينه ابن وشمكير، وعاد الى جرجان فلكها، فصالحه الحسن، ورد عليه ابنه. ثم ان ركن الدولة قصد الري، وحارب وشمكير، فهزمه واستامن اليه اكثر رجاله، وصار بعد انهزامه الى خراسان، وتزوج ركن الدولة بنت الحسن، وهي والده نخر الدولة. وفي هذه السنه، فرغ من بناء مسجد براءثا، وجمع فيه. وفيها ابتداء الغلاء ببغداد، وبلغ الكر من الدقيق مائه وستين ديناراً، وكثر الموت حتى كان يدفن الجماعه من غير غسل ولا صلاه، وظهر من قوم فيهم دين وصدقه عطف على الأحياء وتكفين الموتى، وظهر من آخرين فجور ومنكرات، وكان على بن عيسى والبقرى يكفنان الناس على أبواب دورهما. وسقطت القبه الخضراء، التي هي قبة المنصور المعروفه بقبه الشعراء. ونكب الكوفي هارون اليهودي جهبذ ابن شيرزاد، وبقي عليه من مصادرتة ستون الف دينار، فأخذت داره، وكانت قديما لإبراهيم بن احمد الماذرائي، راكمه دجلة والصرافة، وفيها بستان ابي الفضل الشيرازي ودار المرتضى، وحمل هذا اليهودي الى بحكم بواسط، فضرب بين يديه بالديبايس حتى مات. وظهر بحكم العدل بواسط، وبني دار ضيافه، وعمل البيمارستان ببغداد.

وخرجت الشتوة جميعها بغير مطر.
وانبثق نهر ريفيل ونهر بوق فلم يتلاقيا، حتى خربت بادوريا بضع عشره سنه.
وانفذ البريدى جيشا الى المذار فانفذ بحكم بتوزون، فهزمهم بعد ان كسروه.
وجلس في رجب المعروف بغلام القاضى بجامع الرصافه، وقصص على مذاهب اهل العدل، واجتمع اليه الناس.
ونصبت القباب بباب الطاق والرصافه لزوار الحائر على ساكنه السلام.
وتوفى البربهارى مستترا، ودفن في ترابه نصر القشورى.
وانحدر بحكم حين بلغه كسر توزون أولا، ولم يبلغه كسره لأصحاب البريدى وتمم، وقد عرف الغناء عن حضوره، فلما بلغ نهر جور،
شره الى اموال اكرد هناك، وقصدهم متهاونا بهم في عدد يسير من غلبانه في قيص، فهرب الأكرد من بين يديه، واستدار احدهم
من ورائه من غير ان يعرفه، فطعنه بالرمح في خاصرته فقتله، وذلك بين الطيب والمذار، يوم الأربعاء لتسع بقين من رجب.
وكان البريديون قد عملوا على الحرب، فوافاهم من عسكره الف وخمسمائة ديلبي، فقبلوهم.
وعاد تكينك بالاتراك الى بغداد، فزولوا النجمي وأظهروا طاعه المتقى.
وصار احمد بن ميمون كاتب المتقى لله قديما، يدبر الأمور والكوفي من قبله
فكانت اماره بحكم سنتين وثمانية اشهر وتسعه ايام، وكابه الكوفي له خمسة اشهر وثمانية عشر يوما.
وكان بحكم يدفن أمواله وحده، فتبع احد غلبانه اثره، واستدل على موضع المال، ودل المتقى على ذلك، فاستخرج مالا عظيما، ودفع
التراب الى الحفارين فلم يقتنعوا، فامر بغسله، فاخرجوا من التراب سته وثلاثين الف درهم.
قال ثابت بن سنان: قال بحكم: قلت: الصواب ان ادفن في الصحراء، فرما حيل بيني وبين دارى، وكان الناس يشنعون اننى اقتل من
يدفن معى، وما كنت افعل ذلك، بل كنت آخذ المال في الصناديق، واترك معها الرجال الذين أثق بهم واحملهم فيها مقفلا عليهم على
البغال، واقود بنفسى القطار، وافتح عن الرجال، ولا يدرون اين هم من الارض، وإذا دفنوا اعدتهم على هذه الصفة.
وقدم الترجمان من واسط، فاقره المتقى لله على الشرطه ببغداد.
واصعد البريديون الى واسط في سبعة آلاف رجل، فانفذ اليهم المتقى الى واسط ثمانية وخمسين الف دينار، وامرهم بالمقام بواسط فلم
تقنعهم.
وفرق المتقى في الاتراك أربعمائة الف دينار.
واصعد البريدى من واسط الى بغداد، فلما قرب اضطربت الاتراك البجكميه وسار بعضهم الى الموصل واستامن بعضهم اليه.
واستتر الكوفي، وانتقل كثير من ارباب النعم، و اشار بعض اصحاب على بن عيسى عليه بالاصعاد الى الموصل، فاستاجر سفنا ليصعد
فيها رحله بمائتي دينار، ثم استدعى صاحبه فقال: ايهرب مخلوق الى مخلوق! اصرف الدنانير في الصدقه.
وانحدر البريدى حين قرب، فتلقيه واكرمه، ومنعه ان يخرج من طيارة، وانتقل اليهم وشكر بره.
ودخل البريدى بغداد، ومعه ابو الحسين، فابنه ابو القاسم، وابو جعفر بن شيرزاد، لليلتين خلتا من شهر رمضان، ونزلوا الشفيعى وكان
معه من الزبازب والطيارات والحديدات والشذات ما لا يحصى
وتلقاه الوزير ابو الحسين بن ميمون، والكاتب والعمال والقضاة، وانفذ المتقى يعرفه انسه بقربه، وحمل اليه الطعام والهدايا عده ليال.
وكان ابن ميمون والبريدى يخاطب كل واحد منهما صاحبه بالوزارة، ثم انفرد بها البريدى خاصة.
فكانت وزارة ابن ميمون شهرا وثلاثة ايام، ثم قبض عليه واحدره الى البصرة فأت بها.
فاستكتب المتقى لله على خاص امره أبا العباس احمد بن عبد الله الاصبهاني.
ولم يلتق البريدى بالمتقى، ومضى اليه الأمير ابو منصور بن المتقى لله بالنجمي ليسلم عليه، فلبس البريدى ثياب سواده، وتلقاه في احسن
زي، ونثر عليه الدنانير.
وراسل ابو عبد الله البريدى المتقى لله على يد القاضى احمد بن عبد الله ابن إسحاق الخرقى وأبى العباس الاصبهاني يطالبه بحمل المال،
فقال للقاضى: انصح به وعرفه خبر المعتز والمهتدى بالله، والله ان خليته مع الأولياء ليطلبن نفسه فلا يجدها.
فكان الجواب، ان حمل اليه خمسمائة الف دينار، فوهب للخرقى منها خمسة آلاف دينار بعد مائه وخمسين الف دينار.

وكان البريدي يأمر عسكره بالتشغيب على الخليفة، فرجعت المكيدة عليه، حتى شغبوا. واجتمع الديلم، فراسوا على انفسهم كورنكج بن الفارضى الديلى، بالقبض عليه، وقصدوا البريدي وهو بالنجمى، وعاونهم العامه، فقطع البريدي الجسر، ووقعت الحرب في الماء ووثبت العامه بأسباب البريدي في الجانب الغربي فهرب ابنه واخوه في الماء الى واسط ونهبت داره ودور قواده، وحمل بعض ما حمل اليه المتقى من المال. واستتر ابن شيرزاد، فنهبت داره ودور قواده. وظهر سلامه الطولوني وبدر الخرشنى. وهرب البريدي من بغداد.

اماره كورنكج

اماره كورنكج

وحصلت الإمارة لكورنكج ثانی شوال، ولقى المتقى في ثالثه، فقلده امير الأمراء وعقد له اللواء وخلع عليه. ودير الأمر على بن عيسى واخوه من غير تسميه بوزاره. وغرق الأمير ابو شجاع كورنكج تكينك خامس شوال. واجتمعت العامه يوم الجمعة، وتظلموا من نزول الديلم في دورهم، وكسروا المنبر، ومنعوا من اقامه الصلاة، وقتل بينهم وبين الديلم جماعة. فلما كان بعد تسعة ايام من نظر على بن عيسى، استوزر المتقى أبا إسحاق محمد ابن احمد الاسكافى المعروف بالقراريطى. واخرج الأمير كورنكج أصبهان الديلى الى واسط، ليحارب البريدي. وظهر ابن سنجلا وقريبه على بن يعقوب من استتارهما، فقبض القراريطى عليهما حين صارا اليه، وصادتهما بعد مكروه شديد على مائه وخمسين الف دينار. وبلغ ابن رائق قتل بحكم فساد من الشام. ولم يقبل ابو محمد بن حمدان من صار اليه من اصحاب بحكم، مثل توزون وصيغون، ونفذوا الى ابن رائق، فكتب اليه المتقى يستدعيه الى الحضرة، فساد من دمشق، وعاد أصبهان الى بغداد، وحمل ابو محمد بن حمدان الى ابن رائق مائه الف دينار. وقبض كورنكج على القراريطى، فكانت مده وزارته ثلاثة واربعين يوما. وقلد الوزارة أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي، وخلع المتقى عليه. وخطب بنو البريدي بواسط والبصرة لابن رائق. فلما قرب ابن رائق من بغداد، خرج اليه كورنكج وانتهى الى عكبرا، واتصلت الحرب بينهما، ثم دخل ابن مقاتل، ومعه قطعه من الجيش، وبعده ابن رائق وعبر من النجمى الى دار السلطان، وسال المتقى الركوب معه، فركب معه الى الشماسيه، وانحدرا في الماء، ودخل المتقى دار الخلافه، وعبر ابن رائق الى النجمى. ووصل كورنكج واصحابه الى بغداد وهم في غاية التهاون بابن رائق، وجعلوا يقولون: اين نزلت القافلة الشاميه؟ واتى كورنكج دار السلطان، فدافع عنها لؤلؤ وبدر الخرشنى. وعمل ابن رائق على الرجوع الى الشام، وانفذ سواده. واتفق حصول ابن رائق في سميريات بدجله ليعبر، فصادفهم كورنكج فراشقوا بالزوينات والنشاب، وصاحت العامه، فهرب كورنكج، ورامهم العامه بالستر والاجر، فانهزم اصحابه واستتر هو. وظهر الكوفى الى خدمه ابن رائق، وقتل ابن رائق أربعمائة ديلى صبرا، اعطاهم الامان ولم يسلم منهم غير رجل واحد وقع بين القتلى، ورمى به معهم الى دجلة، وعاش مده طويله، وقتل جماعه من قوادهم، وانهزم بعضهم، فباتوا بخان بجسر النهروان، فسقط عليهم فهلكوا. وخلع المتقى على ابن رائق لاربع بقين من ذي الحجه، وطوقه وسوره وعقد له اللواء. وقلده امره الأمراء، والزم الكرخي بيته، فكانت وزارته ثلاثة وخمسين يوما.

واطلق القراريطي الى منزله. وزادت الفرات في السادس والعشرين من ايار زياده غرقت هيت وسقط سورها، وغرقت محال بغداد، وهدمت القنطرتين بالصراه، وسقطت الدور التي عليها. وفي هذه السنه، قلد القاضي ابو الحسين احمد بن عبيد الله الخرق القضاء بمصر والحرمين، وخلع عليه

١٢٠٣١٠٣٤ سنه ثلاثين وثلاثمائة

سنه ثلاثين وثلاثمائة
انحدر ابن رائق في عاشر المحرم الى واسط، حين اخر عنه البريدي ما ضمنه، فهرب عند قربه منها البريدي الى البصره، وانفذ اليه مائه وسبعين الف دينار، وضمن حمل ستمائه الف دينار في السنه.
فاصعد ابن رائق الى بغداد، وانفذ صاحب خراسان الى المتقي لله هدايا من غلمان اترك وطيب وخيل، على يدي ابي العباس بن شقيق، وانفذ معه برأس ما كان، فشر ببغداد في دجلة.
وشغب توزون والاتراك على ابن رائق، وساروا الى البريدي فقوى بهم ولقوه بواسط.
وكوتب البريدي من الحضرة بالوزارة، واستخلف له ابن شيرزاد، ثم عول على الإصعاد الى الحضرة، فركب المتقي وابنه وابن رائق، بين ايديهم المصاحف المنشورة، واستنفروا العامه، ولعن بنو البريدي على المنابر.
واصعد ابو الحسين البريدي الى بغداد في جيش أخيه، فاستامن اليه قرامطه ابن رائق.
وعمل ابن رائق على التحصن بدار السلطان، ونصبت العرادات على سورها، واستنهض العامه، فكان ذلك سببا للفتن واحرقوا نهر طابق، وكبسوا المنازل ليلا ونهارا.
واشتبكت الحرب بين ابي الحسين البريدي وابن رائق في الماء، واشتدت الحرب في حادي عشر من جمادى الآخرة، وملك الديلم من اصحاب البريدي دار السلطان، فخرج وابنه هاربن ومضوا الى باب الشماسيه، فلحق بهم ابن رائق، واصعدوا الى الموصل فيها.
وقيد كورنكج وحده واحدره الى أخيه، فكان آخر العهد به
وكان القاهر محبوسا، فتركه الموكلون به فخرج فرئى وهو يتصدق بسوق الثلاثاء، فبلغ ذلك البريدي، فانفذ بمن اقامه واجرى له في كل يوم خمسه دراهم.
ونزل البريدي دار مؤنس، وقد توزون الشرطه، فلما وليها سكنت الفتنة، وأخذ ابو الحسين حرم توزون وعيالات القواد رهينه وانفذهم الى أخيه، وغلت الأسعار.
وظلم البريدي الناس، وافتتح الخراج في آذار، وافتتح الجزية، وأخذ الأقوياء بالضعفاء، وقرر على الخنطة وسائر المكيلات من كل كر سبعين درهما، وقبض على خمسمائة كر، وردت للتجار من الكوفه، وادعى انها للحسن بن هارون فقلد الناحية.
وهرب نخنجج الى المتقي لله.
وتخالف توزون ونوشتكين والاتراك على كبس ابي الحسين البريدي، فغدر نوشتكين بتوزون.
وغنى الخبر الى الحسين، فتحرز واحضر الديلم فاستظهر بهم.
وقصد توزون دار ابي الحسين، وغلقت الأبواب دونه.
وانكشف لتوزون غدر نوشتكين به، فلعنه، وانصرف ضحوه نهار يوم الثلاثاء، ومضى معه قطعه وافرة من الاتراك الى الموصل، وقاتلت العامه البريدي، فقوى ابن حمدان بتوزون وبالاتراك، وعمل على الانحدر مع المتقي لله الى بغداد، وبلغ ذلك البريدي فكتب الى أخيه يستمده فامده بجماعه من الديلم والقواد.
واخرج ابو الحسين مضربه الى باب الشماسيه، وظهر انه يحارب ابن حمدان، وذلك بعد ان قتل ابن حمدان ابن رائق، وكان سبب قتله، ان ابن حمدان كان بشرقي الموصل وابن رائق والمتقي بغربها، فما زالت المراسلات بينهم، حتى توثق بعضهم من بعض وانس بهم.
فمبر الأمير ابو منصور بن المتقي لله ومعه ابن رائق، يوم الاثنين لتسع بقين من رجب، الى ابن حمدان، فلقمهم اجمل لقاء ونثر على الأمير الدنانير.

فلما اراد الانصراف ركب الأمير ابو منصور، وقدم فرس ابن رائق ليركب من داخل المضرب، فامسكه ابو محمد بن حمدان، وقال: تقيم عندي اليوم لتحدث فان بيننا ما نتجاراه، فقال له ابن رائق: امضى في خدمه الأمير واعود، فالح عليه ابن حمدان إلحاحا استراب به ابن رائق، فجذب كفه من يده حتى تحرق، وكانت رجله في الركاب فشب به الفرس فوق وقع وقام ليركب، فصاح ابو محمد لغلمانه: ويلكم لا يفوتكم! فقتلوه.

وانفذ للمتقى لله ان ابن رائق اراد ان يغتاله، فرد عليه المتقى انه الموثوق به. وعبر الى المتقى، فخلع عليه وعقد له لواء، ولقبه ناصر الدولة، وجعله امير الأمراء وكناه، وذلك مستهل شعبان، وخلع على أخيه على، وعلى ابني عبد الله الحسين بن سعيد ابن حمدان وكتب الى القراريطى بتقليد الوزارة. ولما قارب المتقى بغداد، هرب ابو الحسين البريدى عنها الى واسط. ودخل المتقى وناصر الدولة وأخوه الشفيعى ولقى القراريطى المتقى وناصر الدولة. وتقلد ابو الوفاء توزون الشرطه. وخلع المتقى على القراريطى خلع الوزارة لليلتين خلتا من ذي القعدة. وخلع بعد ذلك، على ناصر الدولة وأخيه وطوقهما وسورهما.

وأثامهم الخبر ان البريدى على قصد بغداد، فعبر حينئذ المتقى وناصر الدولة الى الجانب الغربي، وسار ابو الحسن على بن عبد الله بن حمدان في الجيش الى الكيل، ولقيهم البريدى بها، ومعه ابن شيرزاد وابن قرابه في الديلم وجيش عظيم فكانت الوقعه مستهل ذي الحجة يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة، ومع ابن حمدان توزون ونجيج والأتراك، فانهزم على واصحابه الى المدائن، فردهم ناصر الدولة الى الكيل، فانهزم حينئذ البريدى، واستؤسر من اصحابه يانس وجماعه من قواد البريدى. وعاد الى واسط، واستامن الى ابن حمدان محمد بن ينال الترحمان، وجماعه من قواد البريدى، وعاد منهزما مفلولا. وانحدر سيف الدولة الى واسط، فوجد البريديين قد انحدروا منها فأقام بها.

ودخل ناصر الدولة يوم الجمعة لثاني عشر ليلة بقيت من ذي الحجة، بغداد وبين يديه يانس غلام البريدى واصحابه مشهرين على رؤوسهم البرانس، وسار في الجانب الغربي الى دار عمه ابى الوليد سليمان بن حمدان، وهي بالقرب من الجسر، ولأجل هذا لقب المتقى لله أبا الحسن على بن حمدان، بسيف الدولة، وكتب في ذلك ابن ثوابه كتابا.

ولأجل هذا يقول المتنبي في قصيدته في سيف الدولة:
انا منك بين مكارم وفضائل ... ومن ارتياحك في غمام دائم
يقول فيها:

ان الخليفة لم يسمك سيفه ... حتى ابتلاك فكنت عين الصارم
فإذا تتوج كنت دره تاجه ... وإذا تختم كنت فص الخاتم
قال ابو الفتح: يقال فص وفص والفتح اكثر.

وإذا انتضاك على العدى في معرك ... هلكوا وضاعت كفه بالقائم
وظهر الكوفى لناصر الدولة وخدمه.

وأخذ ابو زكريا السوسي لابن مقاتل أمانا، وشرط ان استقر ما بينه وبين ناصر الدولة، ثم الظهور، والا عاد الى استتاره. فلما عاد لم يتمش بينهما امر، فقال له: عد الى استتارك، فقال ابن مقاتل: لم أجد عهدا، وان شئت فعلت. فضج ناصر الدولة من ذلك، وعلم انها حيله وقعت عليه، فصحح امره على مائه وثلاثين الف دينار، وعلى ان ينفذ جيشا الى حلب ليفتحها، وصح له خمسون الف دينار.

ونظر ناصر الدولة في امر النقد، وطالب بتصفية العين والورق، وضرب دنائير سماها الابريزيه، وبيع الدينار منها بثلاثة عشر درهما، بعد ان كان عشرة، وكتب ابن ثوابه عن المكتفي في ذلك كتابا.

وفي هذه السنه توفي ابو الحسن على بن اسماعيل بن بشر الأشعري المتكلم. وولد سنه ستين ومائتين، ودفن في مشرعه الروايا في ترابه الى جانبها مسجد، وبالقرب منها حمام على يسار المار من السوق الى دجلة واخبر بذلك الخطيب عن ابن برهان، وعمرها ابو سعيد الصوفى في زماننا.

أخبار

سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة

[أخبار]

ورد الخبر، بان الأمير معز الدولة وافي من الاهواز الى عسكر ابى جعفر، بإزاء نهر معقل، واطهر ان السلطان كاتبه حتى يحارب البريديين، فأقام مده يحاربهم ثم عاد الى الاهواز. وورد الخبر بورود الروم قريبا من نصيبين فسبوا واحرقوا. وضرب ناصر الدولة أبا على هارون بن عبد العزيز الأوار، حتى على ضعف جسمه سبعمائة مفرقه، وصادره على عشرين الف دينار، وكان يكتب لابن مقاتل، وصادر جماعه من أسبابه، وعمل لدار عمه ابى الوليد في دجلة انفق عليها مالا، وزوج ابنته عدويه من الأمير ابى منصور بن المتقى، ووكل في العقد أبا عبد الله بن ابى موسى الهاشمي، وكان الخطيب ابو الحسن الخرقى، فلحن في خطبته، وتمم العقد ابن ابى موسى على صداق خمسمائة الف درهم، وتعجيل مائه الف دينار. وقبض القراريطى على جماعه من الكتاب وصادرهم. وقبض على ابى القاسم بن زنجي، فامتنع من الغذاء أياما، وبقي لا يتكلم، فحمله الى منزله خوفا عليه من حادثه في اعتقاله، وظنه انه يموت من يومه، ووكل به في منزله فدبر امره واستتر. وقبض على ابى الفتح بن داهر العامل، وكان يوسع على المكلفين الموكلين ويستقيم الشراب، فأطعمهم يوما قطائف منبج، فقام وهرب. واحداث القراريطى سوما في الظلم، فلم يمهله الله تعالى، فعبر الى دار ناصر الدولة فقبض عليه وعلى اصحابه، فكانت وزارته ثمانية اشهر وستة وعشرين يوما. وفي جمادى الاولى هرب قطعه من الجيش الى البريدى. واغاث الله تعالى الضعفاء عند تعذر الخبز بجراد اسود، فبيع كل خمسين رطلا بدرهم.

وزارة ابى العباس الاصفهاني

وزارة ابى العباس الاصفهاني

ولما قبض ناصر الدولة على القراريطى جعل الوزارة الى ابى العباس احمد بن عبد الله الاصفهاني، وخلع عليه المتقى خلع الوزارة، ولبس القباء والسيف والمنطقة، وابو عبد الله الكوفي المدير للأمر. وصادر القراريطى على خمسمائة الف درهم، وحمل الى دار ابن ابى موسى الهاشمي. وكان ناصر الدولة ينظر في احوال الناس كما ينظر اصحاب الشرط، وتقام الحدود بين يديه. وصار عدل، حاجب بحكم بعده الى ابن رائق، وبعده الى ناصر الدولة، فقلده الرحبه، واستولى عليها وكثر اتباعه، فانفذ ناصر الدولة بيد الخرشنى لحره. فلما صار بدر بالدالية، توقف عن المسير الى عدل، وكاتب لآخشيده محمد بن طنج وهو بدمشق يستأذنه في المسير اليه، فاذن له وانفذ اليه القرب والجمال والروايا، فسلك بدر البريه، ووصل دمشق، فقلده الإخشيد المعاون بها، وجعلت الرحبه واعمال الفرات لعدل، وعامله ابو على النوبختي. وحصل لعدل من المصادرات الف الف درهم، فاتسعت يده، وكثر رجاله، واقتل الديلم والاتراك يقصدونه من بغداد في المرقعات نفلع عليهم. وتمت على عدل الحيله من سهلون كاتب ناصر الدولة، لأنه اراد المضى الى يانس المؤنسى بالركة، فمنعه عدل من ذلك، فقال له سهلون: قد كثر اتباعك ولا يفيء بمؤوتكم ما في يديك، وانا اكتب عن ناصر الدولة الى يانس، بتسليم الرقة إليك، فتبعه على ذلك. وبلغا الخانوقه، فقال له سهلون: الرأي ان اتقدمك اليه، فطلب منه رهينه فقال: ان رآك وقد أخذت رحلي فطن، فتركه، فلما حصل بالركة مع يانس كاتب بنى نمير.

فلما عرف عدل الصورة، سار الى نصيبين، فلقية الحسين بن سعيد بن حمدان، فاستامن اصحاب عدل الى الحسين، فاسره وابنه وسلمهما وأنفذهما الى ناصر الدولة وشهرهما على جملين. وحصل سيف الدولة بواسط، ودافعه اخوه ناصر الدولة بحمل المال.

وكان توزون وجوجج يسيثان الأدب عليه، فضاق ذرعا بتحكيمهما، فانفذ اليه ناصر الدولة أبا عبد الله الكوفي في الف الف درهم وخمسين الف دينار.

فلما وصل الى واسط، قام توزون وجوجج الى الكوفي، فشتماه واسمعه مكرها، فخباه سيف الدولة في بيت وقال: اما تستحيان مني! فلما كان يوم الأحد آخر شعبان كبس الاتراك سيف الدولة، واحرقوا سواده، فهرب ولزم نهرا يقال له الجازور، فاداه الى قريه تعرف ببرقه، ولزم البريه حتى وصل الى بغداد واتبعوه فرسوا. وعاد توزون وجوجج الى معسكرهما.

ووصل الكوفي الى بغداد لليلتين خلتا من شهر رمضان، ولقي ناصر الدولة، وعرفه الصورة، فاصعد الى الشماسيه، وركب المتقى لله اليه، فسأله التوقف عن الخروج من بغداد، ونهبت داره رابع شهر رمضان. وافلت يانس غلام البريدي وعاد الى صاحبه فاستتر الكوفي وابن مقاتل. وخرج الديلم الى المصلي، وضبط الاتراك الذين بالبلد بغداد، ثم عاد الديلم. ودبر الأمور القاريطي.

وانعقدت الرئاسة بواسط لتوزون، بعد منازعه من جوجج له، ثم تظاهرا، وكانت مده وقوع اسم الوزارة على ابى العباس الاصفهاني أحدا وخمسين يوما، ومده اماره ناصر الدولة ابى محمد الحسن عبد الله بن حمدان ثلاثة عشر شهرا وثلاثة ايام. وتقدم توزون الى جوجج بالانحدار الى نهر ابان، ورد البريدي عن واسط انه قصدها

وزارة ابى الحسين بن مقله

اماره توزون

ووافى رسول البريدي عيسى بن نصر الى توزون، يهنئه بالاماره ويسأله ان يضمه اعمال واسط، ويعرفه ان الرأي ان يجعل الى الحضرة، ويخرج ابن حمدان عنها، فأجابه: ان عسكرى عسكر بجكم الذين جربت، وإذا استقرت الأمور تكلمنا في الضمان، واتبعه جاسوسا يعرفه ما يجري بينه وبين جوجج، فعاد الجاسوس وعرفه ان جوجج على الاستئمان الى البريدي، فسار اليه توزون في ثانی عشر شهر رمضان في مائه من الاتراك فكبسه في فراشه.

فلما احس به ركب دابه النوبه، واخذلتا ودفع عن نفسه، ثم أخذ بعد ساعه وحمله توزون الى واسط، فسلمه في دار عبد الله بن يونس . وزارة ابى الحسين بن مقله

ولما انصرف ناصر الدولة من بغداد، قلد المتقى وزارته أبا الحسين على بن محمد ابن مقله، وخلع عليه في حادي عشر شهر رمضان. وعاد سيف الدولة الى بغداد، فلما بلغ جرجايا عرف سيف الدولة ذلك، فاصعد عن باب حرب، لسبع بقين من شهر رمضان، ونزل دار مؤنس.

ولثلاث بقين من شهر رمضان، دخل البريدي واسط، فاحرق ونهبت واحتوى على الغلات . اماره توزون

واقام توزون، نخلع عليه المتقى وقلده امره الأمراء، وعقد له لواء، فاسرف بالخلع الى دار مؤنس، واستكتب أبا جعفر الكرخي، وقبض على جماعه من التجار وطالبهم بمال.

وقبض على ابى بكر محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي واستتر منه ابن ابى موسى الهاشمي لتحقيقه بناصر الدولة، وكان قد اسر عند هزيمة سيف الدولة غلاما حظيا عند سيف الدولة، فاطلقه ووهبه لسيف الدولة، وبعثه اليه حين حصل ببغداد، فحسن هذا الفعل من ناصر الدولة وسيفها، حتى قال ناصر الدولة: قد قلدت توزون الحضرة، واستخلفته هناك، فسكنت نفسه حينئذ.

وغلا السعر ببغداد، حتى بيع اربعة أرطال بدرهم.

ووجه بالديلم الى قطيعه أم جعفر، فكبسوا الدكاكين، وأخذوا من الدقيق وقر زورقين عظيمين، وواهبهم العامه.

وانحدر ثالث عشر ذي القعدة وخلف ببغداد الترجمان.

وخطب ابن مقله كتابه توزون لعمه ابي عبد الله، وانفذ اليه هديه، منها عشرون ثوبا ديقيا وعشرون رداء قصبيا وطيبيا، وذلك بعد ان استكتب توزون القراريطى وصرف التوبختى، فلم يجب توزون الى ذلك، وقال: لا يحسن بي صرفه بعد ثلاثة ايام من استخداى له. ووافاه بواسط ابن شيرزاد من البصرة فتلقيه توزون في دجلة وسر به، وقال:

يا أبا جعفر كلمت امارتى وهذا خاتمي نخذه ودبرني بأمرك، فأنت ابنى، فقبل ابو جعفر يده.

فانصرف ابن شيرزاد الى دار الصوفى فنزلها، وانفذ أبا الحسن طازاذ الى الحضرة لخلعه، وانفذ معه صافيا غلام توزون في خمسين غلاما، ليقوى يده وامر بالقبض على القراريطى، وان يسلمه الى ابن مقله، ومطالبته بالعشرين الف دينار. وكان سبب تخلص ابن شيرزاد من البريدى ان يوسف بن وجيه صاحب عمان.

وافى البصرة في ذي الحجة، في المراكب والشذات، وغلب على الأبله، فهرب ابن شيرزاد وطازاذ وابو عثمان سعيد بن ابراهيم كاتب بدر الخرشنى.

وانصرف يوسف، وقد قارب ان يملك البصرة، حتى اتى البريدى بفلاح يعرف بالزبارى، فقال: انا احرق مراكبه، وكانت بالليل يشد بعضها الى بعض، كالجسر في عرض دجلة، فاعتمد الزبارى الى زورقين فالأهما زعفا، واضرمهما نارا وأرسلهما، فوقعت على المراكب، فاشتعلت وتقطعت واحرق من فيها، وانتهب الناس منها مالا عظيما.

وهرب يوسف على وجهه، واستشعر ابن مقله الخوف من ابن شيرزاد، ووقع بين المتقى وتوزون وقال: قد عزم على ان يأخذ منك خمسمائة الف دينار كما أخذ من البريدى، وقال: هذه بقية تركه بحكم.

ووافى ابن شيرزاد الحضرة في ثلاثمائة غلام، ووصل الى المتقى، وأشار عليه ابن مقله والترجمان بالقبض عليه فلم يفعل.

وفي شهر رمضان ورد الخبر بموت نصر بن احمد صاحب خراسان، وترتب ابنه نوح في موضعه.

واتصلت الفتن ببغداد، فانتقل كثير من تجارها مع الحاج الى مصر والشام.

وورد من ملك الروم كتاب يلتمس فيه منديلا ببيعه الرها، وذكر ان عيسى ابن مريم ع، مسح به وجهه، وانه حصلت صورته وجهه فيه، وانه ان انفذ اليه اطلق الأسارى، فاستامر ابن مقله المتقى، فأمره باحضار الناس، فاستحضر على ابن عيسى والفقهاء والقضاة، فقال بعض من حضر: هذا المنديل منذ الدهر الطويل في البيعه، ولم يلتمسه ملك من الملوك، وفي دفعه غضاضه على المسلمين، وهم أحق بمنديل عيسى ع، فقال على بن عيسى: خلاص المسلمين من الاسر اوجب، فامر المتقى بتسليم المنديل وان يخلص به الأسارى، وكتب بذلك عنه.

١٢٠٣١٠٣٦ سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة

سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة

وافى ابو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان الى باب حرب في جيش كثير، فخرج اليه المتقى لله وحرمة وولده، وابن مقله وابو نصر محمد بن ينال الترجمان، وخرج معه العمال والوجوه، وسلامه الطولونى وابو زكريا السوسى وابو محمد الماذرائى والقراريطى وابو عبد الله الموسوى وغيرهم.

واستتر ابن شيرزاد ونهب اقبال غلامه بعض خزائن المتقى.

وظهر ابن شيرزاد من استتاره.

ووصل سيف الدولة الى تكريت لاربع خلون من شهر ربيع الاول، فتلقيه الأمير ابو منصور، وصار معه الى المتقى لله، وأشار بالاصعاد الى الموصل، فامتنع وقال:

لم توافقونى على هذا؟

وانفذ توزون حين بلغه الخبر موسى بن سليمان في الف رجل فنزل بالشماسيه.

وعقد توزون واسطا على البريدى، واصعد فوصل بغداد عاشر ربيع الاول.

ف عند ذلك، انفذ المتقى حرمة الى الموصل، وانحدر اليه ناصر الدولة في بنى نمير وبنى كلاب وبنى اسد، فتلقيه المتقى وسار توزون اليهم، الى قصر الجص، ودامت الحرب فيه، بين سيف الدولة وبين توزون ثلاثة ايام، فانهزم سيف الدولة حينئذ، واصعد معه اخوه ناصر الدولة، ونهب اعرابهما سوادهما.

وملك توزون تكريت، فشغب عليها اتراكه، ولحق بعضهم بناصر الدولة، فأنحدر حينئذ توزون الى بغداد، وأنقذ بابن ابي موسى في الصلح بينه وبين ناصر الدولة.

وانحدر سيف الدولة من الموصل، ومعه الجيش للقاء توزون، وكان توزون قد زوج ابنته من ابي عبد الله البريدي.

وسار توزون الى حربى فالتقيا أول شعبان، فانهزم سيف الدولة، وسار

الى الموصل فعند ذلك خرج اخوه ناصر الدولة والمتقى لله وسائر من معهم الى نصيبين، وخرج توزون وراءهم الى الموصل، ومعه ابن شيرزاد، فاستخرج منها مائة الف دينار.

وللناهي يذكر وقعه سيف الدولة بتوزون:

على رماحك نصر الله قد نزلا ... فاسال به يوم تلقاك العدى الاسلا

ان ضل سعدا على مسراك مطلعته ... فقد دعت العدى المريح او زحلا

يا ناصر الدين ان الدين في وزر ... وموئل الملك ان الملك قد والا

هاتى صنائعك الحسنى أبا حسن ... والت لمن قد بغاك العتر والزلا

وسار المتقى لله الى الرقة في حرمة وولده، ووصلها أول يوم من شهر رمضان، وانفذ من هناك بابي زكريا السوسي الى توزون، وقال:

قل له: قد اوحشتني الظنون السيئه من البريديين، وعرفت انك وهم يد واحده، وقد عفا الله عما سلف، فان آثرت رضائي فصالح

نصر الدولة وارجع الى الحضرة، فان الأمور تستقيم لك برضائي عنك، فقال ابو زكريا: يا امير المؤمنين اني اخافه على نفسي، فقال: إذا

قصدت الصلاح كفيت، فقلت له: فان لم يتم الصلح اعود الى وطني؟ قال: قد أذنت لك، فقبلت يده.

فلما جئت الموصل، هم الاتراك بي، وارتاب توزون بوصولي، فقلت: ايها الأمير، قد كنت اسفر بينك وبين ابن رائق، فهل عرفتني

الا مستقيما؟ قال: صدقت:

فقلت: انا رجل سني كبير وارى طاعه الخليفة، وخرجت معه احتسابا، لا اطلب الدنيا وقد انفذني رسولا، وأنتم أولادي، ربيتكم

وارى الصلح فأشار عليه ابن شيرزاد بذلك.

ووردت الاخبار بحجي معز الدولة الى واسط، فأحب توزون اتمام الصلح.

وحصل لابن شيرزاد مائتا الف دينار.

وعقد البلد على ناصر الدولة ثلاث سنين، كل سنة بثلاثة آلاف الف وستمائة الف درهم، ودخل توزون بغداد

وظهر ببغداد لص يعرف بابن حمدي، فكان يعمل للعملات، ورافقه ابن شيرزاد بعد ان خلع عليه، على خمسة عشر الف دينار، فكان

يؤدي الروزات بها أولا أولا.

وكان ابو يوسف البريدي قد استوحش من أخيه، فقال: قد حصل لأخي ابي عبد الله من واسط ثمانية آلاف الف دينار بذر فيها.

فصار في بعض الأيام الى دار ابي عبد الله من واسط، فتلقيه الغلمان وقتلوه.

وورد الخبر بان نافعا غلام يوسف بن وجيه صاحب غان، قتل مولاه وملك مكانه.

ودخل الروم راس عين، وسبوا من أهلها ثلاثة آلاف انسان.

ووضع ابن شيرزاد على سائر مدائن بغداد ضربته، وعم الغلاء، وصار ما كان يساوي في ايام المقتدر رحمه الله دينارا يساوي درهما.

وفي جمادى الآخرة، قبض ابو العباس الديلمي، خليفه توزون، على الشرطه ببغداد، على ابن حمدان اللص ووسطه، نجف عن الناس

بعض المكاره بقتله.

وفي رجب مات ابو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد.

وقد قالوا: مريم بنت الحسن بن مخلد أبوها وزير، تقلد الوزارة ثلاث دفعات، وزوجها القاسم بن عبيد الله، وزير المعتضد والمكتفي،

وأخوها سليمان بن الحسن بن مخلد، تقلد الوزارة للمقتدر والراضي والمتقى، وحموها عبيد الله بن سليمان وزير المعتضد، وابنها ابو على

الحسن بن القاسم بن عبيد الله وزير للمقتدر بالله.

وقد تقدم قول الناس: امراه يحل لها ان نضع قناعها بين يدي اثني عشر خليفه، كل لها محرم، وهي عاتكة بنت يزيد بن معاوية، أبوها

يزيد وجدها معاويه، وأخوها معاويه بن يزيد، وزوجها عبد الملك بن مروان وابو زوجها مروان بن الحكم، وابنها يزيد بن عبد الملك، وبنو زوجها الوليد وسليمان وهشام، وابن ابنها الوليد بن يزيد، وابن زوجها يزيد بن الوليد بن عبد الملك، وأخوه ابراهيم بن الوليد الذي خلع.

واصعد معز الدولة من واسط، على وعد من البريدى في نصرته فلم يف.

وانحدر اليه توزون محاربا فالتقيا في الموضع المعروف بقباب حميد، ودامت الحرب بينهم بضعة عشر يوما وكان توزون يتأخر كل يوم، وكثر القتلى في الجانبين.

وعبر توزون نهر ديالى، واستولى على زواريق معز الدولة، فضاقت عليه الميرة، فصار الى جسر النهروان، وعبر اليه توزون في الف عربي وخمسائة تركي على غفله، وأخذ سواده، وقتل من اصحابه خلقا واسر آخرين، في جملتهم ابن الاطروش المعروف بالداعي العلوي وابو بكر بن قرابه، وكان قد وافى مع الديلم، فصور على عشرين الف دينار، وشغل توزون عن اتباعهم ما عاود من الصرع. ونجا معز الدولة والصميرى ونفريسير باسوا حال.

وليلة بقيت من شوال، ورد الخبر بموت ابى طاهر سليمان بن الحسين الهجرى، بالجدرى في منزل بهجر، في شهر رمضان وصار الأمر لإخوته.

وكان ابن سنبر يعادى المعروف بابى حفص الشريك، واحضر رجلا أصهبانيا، فكشف له دفائن وأسرار، كان ابو سعيد كشفها لابن سنبر وحده، من غير ان يعلم ابنه أبا طاهر بذلك، وقال الاصبهاني: امض الى ابى طاهر، وعرفه ان أباه كان يدعو إليك وعرفه الاسرار.

فلما أتاه وخبره اعتقد صدقه، وقام بين يديه وسلم الأمر اليه، فتمكن وقتل أبا حفص، وكان إذا قال لأبى طاهر: ان فلانا قد مرض، معناه شك في دينهم، فطهره، قتله ابو طاهر ولو كان اخوه نخاف ابو طاهر على نفسه منه، وقال: قد وقع لي في امره شبهة، وليس بالرجل الذى يعرف الضمائر ويحيى الأموات، وقال: ان أمي عليه، وغطاها بازار، فلما جاء إليها الاصبهاني قال: هذه عليه لا تبرأ فطهروها،

اي اقتلوها، فجلست الام، فقال له ابو طاهر واخوته: أنت كذاب وقتلوه.

وكان له سبعة من الوزراء اكبرهم ابن سنبر.

وكان لأبى طاهر اخوان، ابو القاسم سعيد بن الحسن، وابو العباس الفضل بن الحسن، وكان امرهم واحدا، فكانوا إذا أرادوا حالا خرجوا الى الصحراء، واتفقوا على ما يعملون، فإذا انصرفوا تمموا ما عولوا عليه، وكان لهم أخ متشاغل بالذات، لا يدخل معهم في أمورهم.

وفي هذه السنة توفي ابو عبد الله البريدى، بحجى حاده، مكثت به سبعة ايام، وكان بين قتله لأخيه وبين موته ثمانية اشهر. وانتصب ابو الحسين مكان أخيه، فاستطاع على اصحابه، ففضى يانس الى ابى القاسم ابن مولات، وأخذ منه ثلاثمائة الف دينار، ففرقها في الديلم حتى عقدوا له الرئاسة، وكبسوا أبا الحسين بمسماران، فخرج من تحت ليلته، وتكر ومضى الى الجعفرية، ومضى الى الهجرى فقبله، واقام عنده شهرا، وسار معه أخو ابى طاهر ولم يتمكنوا من دخول البلد، فسفروا بين ابى الحسين وبين عمه في الصلح، وسألوه ان يؤمنه، فاختر الإصعاد الى بغداد، وكان من حاله ما يأتى ذكره.

واجتمع لشكرستان الديلى، ويانس، على الإيقاع بابى القاسم، فلما خرج يانس من عند القائد اتبعه بزوبين في الليل، فسلم منه وصار الى خراب فأواه.

وكان ابو القاسم معولا على الهرب، حين بلغه ما هما به، واستتر لشكرستان حين علم سلامه يانس.

وعولج يانس حتى برئ، وصادته ابو القاسم على مائه الف دينار، وتلقاه الى عمان، فلما صار في الحديدى قتله غلمان ابى القاسم، وتمكن ابو القاسم من الرئاسة.

وخرج في هذه السنة، عسكر الروسيه الى اذربيجان، وفتحوا برذعه، وملكوها وسبوا أهلها.

فجمع المرزبان بن محمد عسكره، وائته المطوعة، حتى صار في مائتي الف رجل، فلم يقاومهم، وكان أميرهم يركب حمارا وكن لهم المرزبان كميناء، وهرب من بين ايديهم، وسال الناس العود، فلم يعد احد معه، لما تمكن لهم في النفوس من الهيبة، فعاد وحده

طالباً الشهادة، فاستحى خلق من الديلم وعادوا معه، فقتل أميرهم وسبعائة منهم، وألجأهم إلى حصن. ووقع في الروسيه الوباء حين أكلوا الفاكهة، وكان الواحد منهم إذا مات، كفن بماله وسلاحه، ودفنت زوجته ومعه وغلّامه إذا كان يحبه. وأخرج المسلمون، لما مضوا من قبورهم أموالاً، وحملوا على ظهورهم الأموال والجواهر، وأحرقوا ما عدا ذلك، وساقوا النساء والصبيان ومضوا إلى سفن لهم. واجتمع خمسة منهم في بستان ببرذعه فيهم امرء، ومعهم نسوة من سبي المسلمين، فأحاط بهم المسلمون، واجتمع قوم من الديلم عليهم، ولم يصل إلى واحد منهم حتى قتلوا من المسلمين أعداداً، ولم يتمكن من واحد منهم اسراً، وكان الأمر آخر من بقي منهم، فقتل نفسه. وظهر للمتقى من بني حمدان ضجر بمقامه عندهم، فانفذ بالحسن بن هارون وإبي عبد الله بن أبي موسى إلى توزون في الصلح، فتلقي ذلك باحسن لقاء، وحلف له ولابن مقله بمحضر من الناس.

١٢٠٣١٠٣٧ سنه ثلاث وثلاثين وثلاثمائة

أخبار

سنه ثلاث وثلاثين وثلاثمائة

[أخبار]

أتى الإخشيد حلب، فاستولى عليها، وانصرف عنها أبو عبد الله الحسين بن سعيد ابن حمدان إلى الرقة، فلم يوصله المتقى، وغلق أبواب البلد دونه، فمضى إلى سيف الدولة وهو بحران. وأتى الإخشيد إلى الرقة فخدم المتقى، ووقف بين يديه، ومشى قدامه حين ركب، فأمره بالركوب فلم يفعل، وحمل إليه أموالاً، وحمل إلى ابن مقله عشرين ألف دينار، ولم يدع كاتباً ولا حاجباً إلا بره. واجتهد بالمتقى، أن يسير معه إلى مصر والشام فلم يفعل، وأشار عليه بالمقام مكانه فلم يقبل. وانحدر المتقى إلى هيت، فأقام بها، وانفذ بالقاضي الخرقى، حتى جدد على توزون الإيمان والعهود والمواثيق، بعد أن لقب توزون بالمظفر. وخرج توزون إلى السندية، فلما وصلها المتقى، ترجل له وقبل الأرض بين يديه، ووكل به بالوزير، وارتجت الدنيا بفعله، ثم سملته. وكان المتقى يتأله ويصلى ويصوم كثيراً، ولم يشرب النبيذ قط، وكان فيه وفاء وقناعة، ولم يتخط غير جاريته التي كان يتخطاها قبل الخلافه. ولما تمكن، استوزر كاتبه ابن ميمون قديماً، ولم يغدر بأحد، وكان بر النفس، حسن الوجه، وهرب وعنده الف الف دينار أخذها من بحكم، ولم يحسن التدبير ولم تنهب دار خليفه قبله.

قال ثابت بن سنان: وحدثني أبو العباس التيمي الرازي - وكان خصيصاً بتوزون -

أن إبراهيم الديلمي سألي المصير إلى دعوته، وكان ينزل بدار القراريطى، فجنّتها وهي مفروشة، فلما جلست قال: اعلم أنى خطبت إلى قوم وتجلت عندهم، بأن ادعيت أن لي منزله من الأمير، فقالت لي المرأة: إذا كنت بهذه المنزلة، فأنى أدلك على شيء يعمم صلاحه الأمامه، وينفعك عند الأمير، فقلت ما هو؟ قالت: فإن هذا الخليفة المتقى، قد عاداكم وعاديتوه، واجتهد في هلاككم بيني حمدان وبني بويه، فلم يتم له ما أراد، ولا يجوز أن يصفو لكم، وهاهنا رجل من ولد الخلفاء يرجع إلى دين ورجله، فهل لكم أن تنصبوه للخلافة وهو يثير أموالاً عظيمة.

وأطالت الكلام، فهُوسَتني، ففعلت أن محلى لا يبلغ إلى مثل ذلك، وكرهت أنى أكذب نفسي في ادعاء المنزلة التي ذكرتها، فاطمعتها في ذلك بك، وقد اطلعتك عليه، فقلت: أريد أن اسمع كلام المرأة، فجاءني بامرأة تتكلم بالعربية والفارسيه، من أهل شيراز، جزله شهمة قهمة، فخاطبني بنحو ما خاطبني به الرجل فقلت لها: أريد أن ألقى الرجل، فأتني به في خوف وإزار، من دار ابن طاهر، وعرفني أنه عبد الله بن المكتفي بالله.

فرايت رجلاً حصيماً، ورايته يميل إلى التشيع، ورايته عارفاً بأمر الدنيا، وضمن ستمائة الف دينار يستخرجها ويمشي بها الأمر، ومائتي الف دينار للأمير توزون، وقال: أنا رجل فقير، وأعرف هذه الأموال عند أقوام عندهم ذخائر الخلافه.

فصرت الى توزون، ولقيت أبا عمران موسى بن سليمان، فاطلعت على الحال، فقال: انى لا ادخل في هذه الأمور، فلما آيسنى حلفتة على الكتمان، واستحلفت توزون على الكتمان بالمصحف، واخبرته، فطلب الرجل ان يبصره، فقلت: بشرط ان تكتم الحال من ابن شيرزاد.

واتى توزون معى الى دار موسى بن سليمان، فلقية هناك وخاطبه وبايعه.
فلما وصل المتقى لله الى السندية ولقيه توزون، قلت له: ان كنت عزمت على

خلافه المستكفى بالله

اتمام ذلك الأمر فافعله الان، فانه ان دخل بغداد، تعذر عليك الأمر، فوكل به.
وكانت المرأة التي سمرت للمستكفى المعروفة بعلم الشيرازيه، حماء ابى احمد الفضل الشيرازى، وصارت قهرمانه المستكفى، واستولت على الأمور.

وكان سمل المتقى وخلعه في صفر.

خلافه المستكفى بالله

ابى القاسم عبيد الله بن المكتفى بالله بن المعتض بالله، أمه رومية اسمها غصن، ولى الخلافه، وسنه يومئذ احدى واربعون سنه وسبعه ايام، وكان في سن المنصور يوم ولى، وكانت خلافته سنه واربعه اشهر.

فقلد أبا الفرج محمد بن على السمرزراى الوزارة، ولم يكن اليه غير اسم الوزارة، وابو جعفر بن شيرزاد الناظر في الأمور.
وخلع على توزون، وطوقه وسوره، ووضع على راسه التاج المرصع بجواهر، وجلس بين يدي المستكفى بالله على كرسي.

وفي شهر ربيع الاول، تقلد القاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى المعروف بابن ابى موسى الضيرير القضاء بالجانب الشرقى من بغداد، وتقلد ابو الحسن محمد ابن الحسن بن ابى الشوارب القضاء في الجانب الغربى منها.

وطلب المستكفى بالله الفضل بن المقتدر طلبا شديدا، فاستتر منه، فامر بهدم داره التي على دجلة، بدار ابن طاهر، فهدمت، فلم يبق منها غير المسناه وما زال في ايام المستكفى مستترا، فلما هدم داره، قال على بن عيسى: اليوم بايع له بولاية العهد.

وقد ذكرنا حال ابى عيسى البريدى وهربه من ابى القاسم ابن أخيه، فورد الحضرة بعد ما امنه ابو القاسم، واختار الإصعاد إليها، فوصلها في شهر ربيع الاول، ولقى توزون، ونزل دار طازاد، التي كانت بقصر فرج على دجلة، وسعى في ضمان

البصره إذا سير معه توزون جيشا، واوصله توزون الى المستكفى، فخلع عليه خلعا سلطانيه، وسار الجيش معه الى داره.
فبلغ ذلك ابن أخيه، فانفذ اليه توزون مالا اقره به على عمله.

وبلغ ابن شيرزاد ان أبا الحسين يخطب كتابه توزون، فتوصل الى القبض عليه، وضرب بدار صافى مولى توزون ضربا مبرحا، وقرض لحم نخذه بالمقاريض، وانتزعت اظافره.

وكان ابو عبد الله بن ابى موسى، أخذ ايام ناصر الدولة فتوى الفقهاء بإحلال دم ابى الحسين، فاظهرها في هذا الوقت.
فلما كان في آخر ذي الحجه جلس المستكفى، واحضر القضاء والفقهاء، واحضر البريدى، وبسط النطع وجرّد السيف، وحضر ابو عبد الله بن ابى موسى يقرأ ما افقى به واحد واحد، من اباحه دمه على رؤوس الاشهاد، وابو الحسين يسمع ذلك ورأسه مشدود الى جثته، فامر المستكفى بضرب عنقه من غير ان يحتاج لنفسه بحجه.

وأخذ راسه وطيف به في بغداد، ورد الى دار السلطان، وصلبت جثته على باب الخاصه على دجلة، في الموضع الذى كان حديدية مشدودا فيه، فكان هذا خاتمه امور الثلاثة، وعقبى ما ارتكبه من الظلم واهله، ومن البلاء كله.

ومضى سيف الدولة الى حلب، بعد انصراف ابى بكر محمد بن طنج الإخشيد، وبها يانس، فتركها ومضى الى الإخشيد، وتسلم سيف الدولة حلب.

وفي شهر ربيع الاول، كان لسيف الدولة وقعه مع الروم، رزق الظفر فيها.

واطلق توزون أبا الحسين بن مقله، بعد ان صادره على ثلاثين الف دينار.

ثم قبض على ابي الفرج السرمرزاي، وصادره على ثلاثمائة الف درهم، فكان وقوع اسم الوزارة عليه اثنين واربعين يوما وخرج القاهر الى جامع المنصور، ملتفا في قطن يتصدق، ورآه ابن ابي موسى، ففنه بالرفق واعطاه خمسمائة درهم، وقصد القاهر بذلك التشنيع.

وانفذت الى ابي القاسم البريدي الخلع، وذلك في جمادى الآخرة. وعزم المستكفي على الخروج مع توزون، حين اخر ناصر الدولة المال، فسفر ابو القاسم بن مكرم، كاتب ناصر الدولة في الصلح، وحمل مالا تقرر.

وأخذ ابن شيرزاد خطوط الناس بمال الضمان، فدخل اليه ابو القاسم عيسى ابن علي بن عيسى فقال: اكتب عن والدك بألف دينار، فكتب ومضى الى ابيه، فادى خمسمائة، وركب الى ابن شيرزاد، فخرج اليه ابو زكريا السوسي وطازاد معتذرين، فقال علي بن عيسى: اني اريد ان القاه ولا اخاطبه في البقية، فمضى وعاد اليه، وقال انه يستحي من لقاءك، فانصرف علي بن عيسى كئيبا من المدة اكثر من كاتبه بالعزم.

وكان هو الذي اصطنع ابن شيرزاد. وخرج تكين الشيرزادي صاحب توزون الى جزيرة بنى غبر، وعاد الى جسر سابور، وامر اصحابه بالتقدم الى واسط، واجلس في بستان يشرب، فاحاط به عسكر البريدي فأسروه وحملوه الى البصرة. وفي رجب دخل ابو جعفر الصيمري واسطا.

ودخلها معز الدولة ولما علم انحذار توزون اليه مع المستكفي بالله، انصرف عنها. وراسل توزون البريدي، فاطلق تكيئا وضمنه واسطا. واصعد المستكفي وتوزون الى بغداد.

وورد كتاب نوح صاحب خراسان بفتحه جرجان وطبرستان، وكان بها الحسن ابن الفيروزان الديلمي، وملك الري. وانصرف ركن الدولة الى أصبهان ونزل نوح بنيسابور.

وورد الخبر بانهم سيف الدولة من الإخشيد، واتباعهم له الى الرقة، وذلك بعد ان أخذ منهم حلب وملك دمشق، واسر منهم الف رجل، ثم انصرف عنه اصحابه فكانت هزيمته.

١٢٠٣١٠٣٨ سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة

أخبار

سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة

[أخبار]

في الحرم خرج ابن شيرزاد الى هيت، فصالحه ابو المرجى عمرو بن كلثوم مقدمها على ثمانمائة الف وخمسين الف درهم، يسقطها على اهل البلد، واقام لأخذها.

فورد عليه الخبر بوفاه توزون في ثاني عشر المحرم، وانه دفن بتربه يانس الموفقى.

وكانت اماره ابي الوفاء توزون سنتين واربعه اشهر وسبعة وعشرين يوما، كتب له ابن شيرزاد سنتين وشهرا، فعقد العسكر الإمارة لابن شيرزاد.

وانحدر عن هيت، وخلف بها غلامه إقبالا، فقبلوه، وحلف له المستكفي بحضرة القضاء والعدل والعسكر، وانفذ ابن ابي موسى الى ناصر الدولة، فعاد من عنده بخمسمائة الف درهم ودقيق، فلم يكن لها موقع، لغلاء السعر وانتشار الأمر.

وقسط ابن شيرزاد على الكتاب والعمال والتجار ارزاق الجند، وكان في البلد ساعيان، يعرفان بهاروت وماروت، يسعيان اليه بمن عنده قوت لعياله فيأخذه، فصار البلد محاصرا بهذا الفعل وبالضرائب التي قررها، وانقطع الجلب.

وكان من جملة من صادر ابو بكر محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي، أخذ منه عشرة آلاف دينار.

وقبض المستكفي على القاضي ابن ابي الشوارب، ونفاه الى سر من راي، وقسم اعماله، فولى الشرقيه أبا طاهر محمد بن احمد بن نصر، وولى المدينة أبا السائب عتبة بن عبيد.

وكان الى ابى عبد الله بن ابى موسى الهاشمي القضاء بالجانب الشرقي، فدخل عليه اللصوص في شهر ربيع الآخر فأخذوا أمواله وقتلوه، فولى ابو السائب مكانه.

وورد الخبر بوقوع الصلح بين سيف الدولة والإخشيد، وسلم اليه سيف الدولة حلب وأنطاكية، فتزوج ابنه أخيه عبيد الله بن طنج، وتوسط ذلك الحسن بن طاهر العلوي، فقال النامي يمدح سيف الدولة:

فتى قسم الأيام بين سيوفه ... وبين طريفات المكارم والتلد

فسود يوما بالعجاج وبالقنا ... ويبض يوما بالفضائل والمجد

سرى ابن طنج في ثلاثين جحفا ... واجمامه في الزحف عن فارس فرد

وكانت لسيف الدولة العزم عاده ... إذا كره القى البيض حدا على حد

أيا سائلي عن يومه اسمع فانه ... حديث المعالي قصه قصص الجهد

وقالت لها الهيجاء في صدر سيفه ... وقد نهدت من صدر غير الشرى نهد

كأنك من ضغن ودرعك من تقى ... وطرفك من رأى وسيفك من حقد

فاظماتهم والماء معترض لهم ... واسقيتهم ماء على قصب الهند

الم تر فرعوناً وموسى تنازعا ... فغودرت العقبي لذى الحق لا الحشد

فغرقه في البحر فاجعل فويقها ... لتغريقه كالبحر وامدده بالمد

فلو جئت ثمدا ناصبا ورفدته ... بجودك فاض البحر من ذلك الثمد

وورد الخبر بموت ابى عبد الله الكوفي بحلب، وقد تقدمت اخباره.

وورد الخبر بوصول الأمير ابى الحسن معز الدولة الى باجسرى وكان ابن شيرزاد قد استخلف بواسط ينال كوشا، فدخل في طاعته، فاستتر ابن شيرزاد حينئذ، فكانت امارته ثلاثة اشهر وخمسة ايام.

واستتر المستكفي، حتى خرج الاتراك مصعبين الى الموصل، فظهر حينئذ وأتاه ابو محمد المهلبى نخدمه عن معز الدولة، في حادي عشر جمادى الاولى ونزل بالشماسيه، وانفذ اليه المستكفي هدايا، ووصل اليه بعد ثلاثة ايام، نخلع عليه وطوقه، وعقد له اللواء، وقلده

الإمارة ووقف بين يدي الخليفة، وأخذت عليه البيعه، وحلف له بايمان البيعه، على ان يصون أبا احمد الشيرازردى وحماته علم القهرمانه، والقاضى أبا السائب، وولد ابن موسى، وأبا العباس بن خاقان الحاجب.

ثم استخلف المستكفي، الأمير أبا الحسين واخوته، ثم ساله في امر ابن شيرزاد،

فأمنه وحلف له، ولبس الخلع ولقب معز الدولة، وكفى ولقب اخوه ابو الحسن على عماد الدولة، ولقب اخوه ابو على ركن الدولة، وضربت القابهم على الدنانير، وانصرف الى دار مؤنس فنزلها.

ومن جملة دار مؤنس المدرسة النظامية اليوم وظهر ابن شيرزاد ولقى معز الدولة.

وقرر المستكفي في كل يوم خمسين الف درهم لنفقته.

وكتب ابو عبد الله الحسين بن على بن مقله، الى معز الدولة رقعته يخطب فيها كتابته، وكان قد ولاها ابن شيرزاد، فلم يؤثره عليه، وقبض

على ابى عبد الله.

وعملت علم القهرمانه دعوه عظيمه احضرتها الديلم، فقبل لمعز الدولة: انها فعلت ذلك لتأخذ البيعه عليهم للمستكفي، وعرفوه انها هي السبب في ولايته، فساء ظنه وانحدر الى دار الخلافه، كما جرت عادته، وانحدر معه الصيمرى وابن شيرزاد، ووفقا في مراتبهم، وكان

ابو احمد الشيرازى وولد ابن ابى موسى واقفين، ودخل معز الدولة فقبل الارض، وجلس على كرسي، فاوصل رسول البريدى.

وتقدم نفسان الى المستكفي، فظن انهما يريدان تقبيل يده، فدها، فجذبا وطرحاه الى الارض، وحمله الى دار معز الدولة ماشيا، وقبضوا على ابن ابى موسى وعلى علم، ونهبت الدار.

قال ابن البهلولى: كما إذا كلنا المستكفي، وجدنا كلامه كلام العيارين، وكان جلدا بعيد الغور والحيلة، وكان يلعب قبل الخلافه بالطيور ويرمى بالبندق، ويخرج الى البساتين للفرجه واللعب، وكان لا ينفق عليه من الجوارى غير السودان، ولا يعاشر غير الرجال.

وعزم معز الدولة على ان يبايع أبا الحسن محمد بن يحيى الزيدى العلوي، فمنعه الصيمرى من ذاك، وقال: إذا بايعته استنفر عليك اهل

خراسان وعوام البلدان، وأطاعه الديلم، ورفضوك وقبلوا امره فيك، وبنو العباس قوم منصورون،

خلافه المطيع لله ابى القاسم الفضل بن المقتدر

تعتل دولتهم مره وتصح مرارا، وتمرض تاره وتستقل أطوارا، لان أصلها ثابت وبنيانها راسخ.

فعدل معز الدولة عن تعويله، واحذر أبا القاسم الفضل بن المقتدر بالله من دار ابن طاهر الى دار الخلافة.

خلافه المطيع لله ابى القاسم الفضل بن المقتدر

كانت تسعه وعشرين سنه واربعه اشهر.

ببيع له يوم الخميس ثمان بقين من جمادى الآخرة، أمه تدعى مشغله، وتوفيت في مستهل ذي الحجه سنه خمس واربعين وثلاثمائة، بايعه

معز الدولة، واحذر المستكفي اليه، فلم عليه بالخلافة، واشهد على نفسه بالخلع، وسمل واعتقل عنده.

وقام ابن شيرزاد بتدبير الأمر، واستكتب على خاص امره أبا الحسن طاراذ بن عيسى النصراني، واستحجب أبا العباس بن خاقان.

وأنشأ ابو العباس بن ثوابه يذكر بيعته كتابا الى الافاق.

واقام معز الدولة لنفقتة في كل يوم الفى درهم.

وركب ومعز الدولة بين يديه والجيش وراءه، الى باب الشماسيه، وعاد في المساء الى دار الخلافة، وصرف ابن نصر عن القضاء بالجانب الغربي، واعاد ابن ابى الشوارب.

وصادر ابن شيرزاد ابن ابى موسى وعلم القهرمانه، على اربعين الف دينار، وقطع لسانها وسلمها الى المطيع لله، ولم يعارض أبا احمد الشيرزاي لتقديم مودته.

ولما استولى ابن شيرزاد على الأمور، قال ابو الفرج بن ابى هشام: باى شيء نفق عليك؟ وما يصلح لكتابه الإنشاء ولا لجباية الخراج، وانما تتولى ديوان النفقات،

وكتب لابن الخال تاره وقد سالك المستكفي عزله بعد ان سالك فيه فلم تجب، فقال: لما رايت عظيم لحيته، قلت: لان يكون هذا

قطانا اولى من ان يكون كاتباً، ولكن رايته قد ملك بغداد، واستولى على الخلافة، وصار لي نظيراً، فاردت ان احطه من منزله بعد اخرى، حتى اجعله كاتباً لأحد قوايدي.

وورد ناصر الدولة والاتراك معه الى سر من رأى.

ووافى ابو العطف بن عبد الله بن حمدان، أخو ناصر الدولة، ونزل باب قطربل وظهر له ابن شيرزاد وجماعه من العجم.

وكان معز الدولة قد اصعد ومعه المطيع الى ناصر الدولة، فتركهم ناصر الدولة وانحدر في الجانب الشرقى، ونزل مقابل قطربل، فنهب الديلم تكرت وسر من رأى.

وانحدروا ومعهم المطيع لله الى بغداد، ومع ناصر الدولة الاتراك، وقد جعلهم على مقدمته مع ابى عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان، وكان يخطب في اعماله للمستكفي وهو مخلوع.

ونزل معز الدولة في قطيعه أم جعفر، وانزل المطيع لله في دير النصارى.

وقد استولى ناصر الدولة على السفن، وجعلها بالجانب الشرقى، فلاحق الناس بالجانب الغربى مجاعه شديده، وكانت الأسعار بالشرقى رخيصه، والقرامطة من اصحاب ناصر الدولة يعبرون ويجولون بين الديلم وبين الغلات.

فابتاع ويكل معز الدولة له كر دقيق بعد الجهد بعشرين الف درهم.

وكان ابن شيرزاد، قد اثبت خلقاً من العيارين ليحاربوا مع ناصر الدولة، وظفر بكافور خادم معز الدولة فشهره، فظفر معز الدولة بابى الحسين بن شيرزاد فصلبه حياً، فاطلق ابو جعفر الخادم فخط معز الدولة أخاه.

وكان جعفر بن ورقاء يقول لمعز الدولة: لقد سمعت ان رجلاً يعد بألف رجل فلم اصدق، حتى رايت ناصر الدولة، وقد عبر بصافى التوزونى لكبس معز الدولة، فانفذ اليه بي وبابى جعفر الصيمرى وباسفهدرست، فرايت اسفهدرست وقد هزمهم

وبنى معز الدولة في الحدق نيفا وخمسين زبزا، وعبر فيها، فانهزم ناصر الدولة، وملك الديلم الجانب الشرقى سلخ ذي الحجة سحر يوم السبت، وطرحوا النار في المحرم، ونهبوا باب الطاق وسوق يحيى، وهرب الناس لما اودعوه قلوب الديلم من السب، فخرجوا حفاه في الحر، وطلبوا عكبرا فماتوا في الطريق.

قال بعضهم: رايت امرأه تقول: انا بنت ابن قرابه، ومعى حلى وجواهر تزيد على الف دينار، فن يأخذها ويسقيني شربه ماء؟ فما أجابها احد، وماتت وما قنتشها احد، لشغل كل انسان بنفسه.

وامر معز الدولة برفع السيف والكف من النهب، ولما وصل ناصر الدولة الى عكبرا، ومعه الاتراك وابن شيرزاد، انفذ بابى بكر ابن قرابه، وطلب الصلح فتم ذلك.

وعرف الاتراك الحال، فهموا بالوثوب بناصر الدولة، فهرب الى الموصل.

وقصد عيار خيمه ناصر الدولة بباب الشماسيه ليلا، فطفا الشمعه، واراد ان يضع السكين في حلقه وهو نائم، فوضعها في المخذة وظن انه قتله ومضى الى معز الدولة، فاخبره فقال: هذا لا يؤمن، ودفعه الى الصيمرى وقتله.

واكل الناس في يوم الغلاء التوى والميته، وكان يؤخذ البزر قطونا ويضرب بالماء ويسط على طابق حديد، ويوقد تحت النار ويوكل، فمات الناس بأكله، وكان الواحد يصيح: الجوع! ويموت، ووجدت امرأه قد شوت صبيا حيا فقتلت. وانحل السعر عند دخول الغلات.

ونظر الصيمرى فيما كان ينظر فيه ابن شيرزاد، فاستخلف له أبا عبد الله بن مقله، فقبض على ابى زكريا السوسي، والحسن بن هارون فشتمهما، فقال الصيمرى:

لم يكن غرضك غير التشفى منهما.

واطلق معز الدولة أبا زكريا السوسي، ولم يلزمه بشيء، والزم الحسن بن هارون خمسين الف دينار، وعزل ابن مقله، وانفرد الصيمرى بالأمر، واقطع اصحابه ضياع السلطان وضياع ابن شيرزاد وضياع المستترين.

وفي شعبان أنبثق في البحر بثق الخالص والنهروان

وفي ذي الحجة مات الإخشيد ابو بكر بن طنج بدمشق، وتقلد مكانه ابنه ابو القاسم.

وغلب كافور على الأمر وكان ابن طنج جبانا شديدا التيقظ في حروبه، وكان جيشه يحتوى على أربعمئة رجل، وكان له خمسة آلاف مملوك يحرسونه بالليل بالنوبة، كل نوبة ألفا مملوك، ويوكل بجانب خيمته الخدم، ثم لا يثق بعد ذلك فيمضى الى خيم الفراشين فينام.

قال التنوخي: لقب الراضي أبا بكر محمد بن طنج امير مصر بالاخشيد، وسبب ذلك انه فرغانى، وكل ملك بفرغانه يدعى اخشيد، كما تدعو الروم ملكها بقيصر، والفرس بكسرى، وشاها بشاه، والمسلمون بامير المؤمنين، وملك اشروسنه صول، وملك اذريجان اصهبذ، وملك طبرستان يدعى سالان.

وابو بكر بن الإخشيد على مذهب الجبائي، كان جده يدعى بحضره المعتضد الإخشيد، ولقب على ابنه بذلك، وهو من اولاد الملوك بفرغانه.

١٢٠٣١٠٣٩ سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

توفى هذه السنة على بن عيسى بن داود بن الجراح، وزير المقتدر بالله رحمهما الله، وهو من دورقنى.

قال ابو سهل بن زياد القطان: كنت معه لما نفى الى مكة، فدخلناها في حر شديد، وقد كاد يتلف، فطاف وسعى، وجاء فالتقى نفسه، وهو كالميت من الحر والتعب، تلق قلعا شديدا، وقال: اشتى على الله شربه ماء مثلوج، فقلت: سيدنا ايدى الله، يعلم ان هذا مما لا يوجد بهذا المكان، فقال: هو كما قلت، ولكن نفسي ضاقت عن ستر هذا القول فاسترحت الى المنى.

قال: وخرجت من عنده، فرجعت الى المسجد الحرام، فما استقررت فيه حتى نشأت سخابه وكثفت ورعدت رعدا شديدا متصلا، ثم جاء مطر شديد وبرد كثير، فبادرت الى الغلمان، وقلت: اجمعوا، فجمعنا شيئا كثيرا وملانا منه جرارا.

فلما كان وقت المغرب وقد حان إفطاره، جئته بذلك، وقلت: أنت مقبل والنكبة ستزول، ومن علامات الاقبال انك طلبت ماء ثلج وهذا ما طلبته.

فاخذ يسقى كل من في المسجد من المجاورين والصوفية السويق بالسكر والبلح، ولم يشرب حتى مضى قطعه من الليل وقد شربوا اجمع، فقال: الحمد لله، ليتني كنت تمنيت المغفرة، بدلا من الثلج، فلعلني كنت أجاب.

ولم أزل به حتى شرب، ومدحه بعض الشعراء فقال فيه:
بحسبك اني لا ارى لك عائبا ... سوى حاسد والحاسدون كثير
وانك مثل الغيث اما سخابه ... فزنى واما ماؤه فظهور

قال ابن كامل القاضي: سمعت علي بن عيسى يقول: كسبت سبعمائة الف دينار، اخرجت منها في وجوه البر ستمائة وثمانين ألفا. وحكى هلال بن المحسن، قال: قال ابو علي بن محفوظ: لما ورد معز الدولة وابو جعفر الصيمري معه الى بغداد، اراد ابو الحسن علي بن عيسى الركوب اليه،

وقضاء حقه، فاتفق انه نزل الى داره ليجلس في سميريه، وابو جعفر مجتاز في طيارة، وانا وأخي وابو الحسن طازاذ بن عيسى معه، فقال لنا: من هذا؟ فقلنا: الوزير ابو الحسن علي بن عيسى، فقال لأبي الحسن طازاذ: قدم بنا اليه فاساله ان ينزل معنا في الطيار، فقربنا منه وسلمنا عليه، فقال له ابو الحسن طازاذ: الى اين توجه سيدنا؟ فقال: اشار فتياننا بقاء الأمير الوارد، وقضاء حقه، فعملت على ذلك، فقال له: فينتقل سيدنا الى الطيار فانه اولى، فامتنع ولم يزل يراجع، وكان معه ابنه ابو نصر، فخاطبه حتى فعل وسهل عليه ذلك، ونزل، فقام له ابو جعفر الصيمري عن موضعه، وقد وصانا الا نعرفه اياه وكان ابو نصر عرفه، واراد ان يشعر أباه، فلم يدعه طاعه لأبي جعفر وسرنا مصعبين، ووصلنا الى معسكر معز الدولة بباب الشماسيه، وقدم الطيار الى المشرعه، فقال ابو جعفر لأبي الحسن: تجلس يا سيدنا بمكانك، حتى اصعد الى الأمير واعرفه خبرك، واودنه بحضورك، فقال له: لك - اطال الله بقاءك - عند الأمير اثره وبه انسه؟ قال: نعم، وصعد، فلما صعد قال ابو نصر لأبيه: هذا الأستاذ ابو جعفر الصيمري، فارتاع وقال له: الا أعلمتني ذلك لا وفي للرجل حقه! قال: منعني أصحابنا، واقبل على طازاذ فقال له: لا احسن الله جزاءك، كذا يفعل الناس، فقال: والله يا سيدنا ما فعلت ما فعلته، الا لان الأستاذ أمرني به، ولم تمكني المخالفه له، فقال: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! ووجم وجوما شديدا، ثم قال:

من هذان أعزهما الله! وأشار الى والي أخي، فقال طازاذ أبناء محفوظ، فاستثبته، وقال: الذي كان يصحب جعفر بن الفرات؟ قال نعم، فقال: قد كان جعفر من العمال الظلمه.

ولما صعد الصيمري الى معز الدولة، وجده على شراب، فلم يقل له شيئا، وعاد الى علي بن عيسى، فنهض له واعظمه، وقال له: قد جنى على أصحابنا في كتمانى موضع الأستاذ، حتى كان من تقصيري في قضاء حقه ما لم اعتمده، وانا اعتذر اليه ادام الله عزه من ذلك، فقال: فعل الله بك يا سيدنا وصنع، وای تقصير جرى؟ فالتفت الى طازاذ فقال: الم اوصك بترك اعلامه امرى! فقال ابو نصر ولده:

اعلمه، وقد حصلت بين العتب ايها الأستاذ منك ومنه، وقال له ابو جعفر: الأمير على حال لا يجوز لقاء مثلك عليها، وهو يعتذر من تأخر الاجتماع باعتراض ما اعترض منها، وإذا تكلف سيدنا العود في غداه غد، لقيه ووفاه من الحق ما يجب ان يوفيه اياه، والطيار يياكر بابه وانصرف ابو الحسن.

وعاد ابو جعفر الى معز الدولة، فقال له: وافى على بن عيسى للقائك وخدمتك، فاعتذرت اليه عنك بانك على نبيذ، ولم يجز ان يراك عليه، فقال: من؟ على بن عيسى فقال: وزير المقتدر بالله، قال: ذلك العظيم! قال: نعم، قال: ما وجب ان ترده، فاني كنت اقوم الى مجلس آخر والقاء فيه، فقال: ما كان يحسن ان يشم منك رائحه شراب، وفي غد يياكرك، فقال معز الدولة: فكيف اعامله؟ وما الذي اقول له؟ فقال له الصيمري: تنزعج له بعض الانزعاج، وترفع مجلسه، وتعطيه مخده من مخادك وتقول له: ما زلت مشتاقا الى لقائك، ومتشوقا للاجتماع معك، واريد ان تشير على في تدبير الأمور، وعماره البلاد بما يكون الصواب فيه عندك.

وجاء ابو الحسن علي بن عيسى من غد، ودخل معز الدولة، فوفاه من الإجلال والاکرام اكثر مما وافقه عليه ابو جعفر، واعطاه مخده من دسته، فقبلها ابو الحسن وقال له ما يقال لمثله، فقال له معز الدولة: كما نسمع بك، فيعظم عندنا امرك، ويكثر في نفوسنا ذكرك، وقد شاهدت منك الان ما كنت مؤثرا واليه متطلعا، والدنيا خراب، والأمور على ما تراه من الانتشار، فأشر على بما عندك في اصلاح ذلك.

فقال له ابو الحسن: هذه النيه منك ايها الأمير داعيه الى الخير، ومسهله للنجاح، وطريق العمارة ودرور المادة، واستقامه امر الجند

والرعية والعدل، والذي اهلك الدنيا، وازهد الأموال، واخرج الممالك عن يد السلطان خلافة، وانما يتأتى الصلاح وتطرد الأغراض بالولاة الموفقين، والأعوان الناصحين.

وحدثنا عمر بن شبه قال: حدثنا فلان- [وذكر الاسناد عن النبي ص- انه قال: إذا أراد الله بوال خيرا قىض له وزير صدق، ان غفل ذكره، وان رقد أيقظه،] وقد وفق الله للأمير من هذا الأستاذ، - وأشار لأبي جعفر- من تمت فيه اسباب الكفاية، وبانت فيه شواهد المخالصة، ويوشك ان يجرى الخير على يده ويتأتى المراد بحسن تديره

فتراجع ابو جعفر عن موضعه، وتوقف عن تفسير هذا القول لمعز الدولة، وفطن معز الدولة ان توقفه لامر كره ذكره، فقال لأبي سهل العارض: انظر ما يقول، ففسر له تفسيراً لم يفهم عنه، ولا استوفى القول فيه، وتلجلج في ذكر رجال الحديث حتى استفهم معز الدولة اسماءهم، وقال: هؤلاء أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقال ابو الحسن: لا، هؤلاء رجال نقلوا لنا الحديث عنه.

ثم عاد ابو جعفر الى الترجمة بينهما، وقال ابو الحسن: ومن اولى ما نظر فيه الأمير وقدمه، سد هذه البثوق التي هي اصل الفساد وخراب السواد، فقال:

وقد نذرت لله عند حضوري في هذه الحضرة، الا اقدم شيئاً على ذلك، ولو انفقت فيه جميع ما املك، قال: اذن يحسن الله عونك، ويذل لك كل صعب، ويسهل كل مراد بين يديك.

فلما انقضى القول بينهما في ذاك، قال معز الدولة، اذكر حوائجك، لأتقدم فيها بما اقضى به حقتك، قال: الحاجة الحاضرة هي الى الله تعالى في ان يطيل بقاءك ويديم علاك، ومتى عرضت من بعد حاجه إليك، كان المعول فيها عليك، قال: لا بد من ان تذكر شيئاً، قال: حراسه منزلي، فإنها تشتمل على عدد كثير من بنين وبنات وعجائز واهل واقارب واتباع واصحاب، قال: هذا اقل ما افعله.

ونهب ابو الحسن، وشيعة ابو جعفر ومشى الغلمان بين يديه. وتوفى ابو الحسن بعد عبور معز الدولة، وهزيمته ناصر الدولة بيوم، فضى ابو عمران موسى بن قتادة، وكان معه مائتا رجل من الديلم، فنزل داره، وركب الصيمرى إليها، وقد فرغ من تجهيزه، ووضع في تابوته فصلى عليه، وقال لموسى:

اخرج من هذه الدار، فما يجوز نزولك فيها، فقال: لا اخرج، فقال: لا لا امكنك منها، فقال: لا اقبل منك، قال: إذا لم تقبل اكرهتك، وتنازلاً بالقول تنازلاً تولدت منه فتته، واجتمع الى موسى اصحابه، والى ابى جعفر آخرون.

وعرف معز الدولة ذاك، فبادر لإطفاء النائرة، وقال للصيمرى: ليس هذا وقت ذاك، قال: بلى ايها الأمير، هذا وقته، ومتى افتتحنا امرنا بسقوط هيبتنا استمر ذلك وبعد تلافيه، وازداد الأمر من بعد وهناً، والطمع استحكاماً

فاخذ معز الدولة بيد موسى بن قتادة فاخرجه معه، وقال له: يكون نزولك في الدار التي أنزلها، ولا تفتتح امراً بما يقبح من انزعاج اولاد هذا الشيخ المشهور ذكره في الدنيا وعياله عن منازلهم وأوطانهم.

وبقيت دور ابى الحسن على ولده ودور ابن أخيه ابى على بن عبد الرحمن عليه في حياته بفعل ابى جعفر ما فعله. وكان على بن عيسى لا يخل بالجمع، ولما حبس كان يلبس ثيابه ويتوضأ ويقوم ليخرج، فيرده الموكلون فيرفعه يديه الى السماء ويقول: اللهم اشهد وكان لا يفارق الدراعه ولا يترك الوقار في خلواته.

وحكى ابنه ابو القاسم: انه كان يرتفع لأبيه من ضياعه في كل سنه عند الاعتزال والعطلة بعد ما ينصرف في نفقاته، وما كان يصرفه الى بنى هاشم، واولاد المهاجرين والانصار، فان رسومهم عليه، كانت نيفاً واربعين الف دينار، فكان الحاصل بعد هذا كله، وهو يلزم منزله، ثلاثين الف دينار.

وكان حاصل ابن الفرات من ضياعه إذا تعطل الف الف دينار، وإذا وزر اضعفت. وفي هذه السنه تمت اماره معز الدولة ابى الحسين، فكانت امارته ببغداد احدى وعشرين سنه واحد عشر شهراً ويومين، وذلك لما بعد ناصر الدولة والاتراك وابن شيرزاد الى الموصل، واستخلف المطيع لله، ومضى الى دار الخلافة، وتقلد ابو احمد الشيرازى كتابته. وتسلم الخليفة من معز الدولة اقطاعاً بمائتي الف دينار.

وكان ابو الحسين على بن محمد بن مقله يواصل معز الدولة في ايام الحصار بالهدايا والاخبار، فلما عبر الى الجانب الشرقى حمى داره بها، واستخدمه، فاخذ في المصادرات للتجار والشهود فصادف أحد العامه معز الدولة منصرفاً منفرداً نصف النهار، فعرفه ما الناس فيه من الجرف، فتقدم بصرف ابن مقله.

واحتقرت دور ابن شيرزاد، ودور أسبابه وأخيه، وصودر على مائه وثمانين الف الف درهم.

وقد معز الدولة الشرطه أبا العباس بن خاقان
وورد الخبر باستيلاء ركن الدولة ابى على على الري والجليل.
واجتمع رأى الاتراك على الإيقاع بناصر الدولة، فاستجار بام ملهم حتى امرت ولدها بتسييره، فسار ومعه ابن شيرزاد الى مرج
جهينة، فلما امن سمل ابن شيرزاد.

وامرت الاتراك على نفوسها تكين الشيرزادى، وانفرد عنهم ينال كوساه ولؤلؤ، واستامنا الى معز الدولة.
وغلب تكين والاتراك على الموصل، ومضى الى سنجار، ورأى ناصر الدولة، فانجد معز الدولة بأسفهدوست والصيمرى، والتقىا بتكين
بالحدِيث في جمادى الآخرة واستؤسر تكين، وانهمز اصحابه، وسار الصيمرى مع ناصر الدولة الى الموصل، ودخل على الصيمرى خيمته
ولم يعد اليه، قال: لما دخلتها عليه علمت انى قد أخطأت فبادرت بالانصراف وندم الصيمرى عند خروج ناصر الدولة على ترك القبض
عليه.

وسلم الى الصيمرى ابن شيرزاد.
وضمن له طازاذ وابو سعيد بن وهب النصراني الكاتب- وهو الكاتب الذى مدحه ابن نباته- خمسين الف دينار على ان يطلقهما فلم
يفعل، وسلمهما الى الصيمرى، وكان الصيمرى مراعيًا لطازاذ، وانفذ معهم تكين الشيرزادى مسمولا، وانفذ ابنه هبة الله بن ناصر
الدولة رهينه.

فلما وصلوا اطلق معز الدولة تكيئا، واقطعه اقطاعا بأربعين الف درهم.
وكتب ابو عبد الله بن ثوابه عن المطيع لله ككبا بالفتح الى عماد الدولة منه.
فلم يسفر العجاج الا عن قتيل مرسل، او غريق معجل، او جريح معطل، او اسير مكبل، او مستأمن محصل، او حقيقه ملاها الله بلا
تعب، او غنيمة أفاءها الله بلا نصب.

وكان مع ناصر الدولة قائد يقال له ابراهيم بن احمد، واخوه صاحب خراسان، فقتل ابن أخيه نوح بن نصر بن احمد بعض اقارب ابى
على بن محتاج، فكاتبه ابو على بن محتاج، واستعانه على محاربه ابن أخيه.
ففارق ناصر الدولة بتكرت في سبعين غلاما، فانفذ اليه ناصر الدولة خلع الخليفة ولواءها مع جوجوخ التركى المسمول ولقبه
ومضى ابراهيم مع ابن محتاج، فهزما نوحا، وملك ابراهيم، ثم وقعت الوحشة بين ابى على، فمضى ابراهيم مستأمنا الى ابن أخيه، ومضى
ابو على الى بلاد الصغد.

وانتهت رجال ابن شيرزاد، لان الصيمرى صرفه وطالبه بالأموال.
فاستخلف الصيمرى بالحضرة طازاذ، وانحدر فواقع اصحاب ابى القاسم البريدى، فاسر خلقا منهم.
وفي هذه السنة، صرف ابو الحسن بن ابى الشوارب عن القضاء بالجانب الغربى.
واضيف الى عمل القاضى ابى الحسن محمد بن صالح الهاشمى.
وفي النصف من شعبان من هذه السنة، خرجت العامه لزيارة قبر الحسين عليه السلام وعقدت القباب بباب الطاق.
وورد الخبر ان سيف الدولة، قبض على القراريطى، واستكتب بعبده أبا عبد الله ابن فهد الموصلى.
وفي هذه السنة انقطعت قنطره دهما بأسرها.

١٢٠٣١٠٤٠ سنة ست وثلاثين وثلاثمائة

سنة ست وثلاثين وثلاثمائة

في صفر انحدر المطيع لله ومعز الدولة لمحاربه ابن البريدى، وسارا من واسط في البريه الى البصرة.
وانفذ الصيمرى وموسى قتادة فدخلا دار البريدى بمسماران ورحل الخليفة ومعز الدولة، فاستامن اليه عسكر البريدى بالدرهميه.
وهرب ابو القاسم الى هجر، وقبض معز الدولة على أمواله وقواده واحرق سفنه.
ولما استولى على البصرة، قصد أخاه عماد الدولة بارجان، وكان يقف بين يديه، واتفق وصوله من عنده ووصول الصيمرى والخليفة الى
بغداد، في خامس عشر من شوال.

وورد الخبر، بان نوحا صاحب خراسان، عاد الى بخارى، وسمل عمه ابراهيم، وصار اليه ابن محتاج في الامان. ولما ورد المطيع لله من البصرة، وكان في صحبته ابو السائب، ولاه قضاء القضاء، وصرف ابن أم شيبان، ولم يرتزق ابو السائب، واستخلف أبا بشر عمر بن أكرم.

وورد الخبر بان ركن الدولة فتح طبرستان وجرجان، وهزم وشمكير بن زيار واستأسر من اصحابه مائه وثلاثة عشر قائدا. وفي ذي القعدة ضمن روزنهان الديلمي السواد والضرائب بعشره آلاف الف درهم، واستكتب على ذلك ابن سنجلا. وضمن الصيمرى اعمال واسط، واستكتب عليها أبا الحسن طازاذ. وفي ذي الحجة، خلع معز الدولة على هبه الله بن ناصر الدولة الذى كان رهينه عنده، وانفذه مع ابن قرابه الى ابيه.

١٢٠٣١٠٤١ سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة

سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة

ورد الخبر بانهمزام سيف الدولة من الروم، واستيلائهم على مرعش. ودخل ابو القاسم البريدى بغداد في الامان، فاقطعه معز الدولة اقطاعا بنهر الملك بمائه وعشرين الف درهم، واعاد عليه ضيعته المعروفة بفروخاباذ من بادوريا، وانزله في الدار المعروفة بالموزه، بمشرعه الساج محتاطا عليه. وقبض على ابن اسفهدوست، لأنه اشار على معز الدولة بمبايعه ابى عبد الله ابن الداعي، فقال الصيمرى: انه قصد ان يوليه الإمارة إذا صار الأمر اليه، فكان ذلك سببا لاعتقاله برامهرمز، ومات بقلعتها معتقلا. وانفذ الصيمرى وروزهان الى هيت، فقبضا على ابى المرجى عمرو بن كلثوم، واعتقل ببغداد. واعر ناصر الدولة المال الذى صولح عليه من معز الدولة، فخرج معز الدولة طالبا له الى نصيبين، واتى سيف الدولة أخاه ناصر الدولة معاونا له. وسفر ابن قرابه في الصلح، على ان يخطب ناصر الدولة لعماد الدولة ولمعز الدولة ولابنه بختيار، وان يحمل ابنه رهينه، ويؤدى ثمانية آلاف الف درهم في السنة فتم ذلك.

وقال ابو الطيب المتنبي يذكر انجاد سيف الدولة لأخيه في قصيده مدحه بها:

ان السعادة فيما أنت فاعله ... وفقت مرتحلا او غير مرتحل
اجر الجياد على ما كنت مجريها ... وخذ بنفسك في اخلاقك الاول
ينظرن من مقل ادمى اجبتها ... قرع الفوارس بالعسالة الذبل
فلا هجمت بها الا على ظفر ... ولا وصلت بها الا الى امل
واستولى اصحاب ركن الدولة على اذربيجان، وخلت الري منهم، فقصدوا ابن قراتكين، فانفذ معز الدولة بسبكتكين ومعه القرامطة، واكثر الجيش وامده بروزهان معاونه لأخيه ركن الدولة.

وفي ثانى شهر رمضان، وهو الخامس من آذار، بلغت زياده دجلة احدى وعشرين ذراعا وثلاثا، فغرقت الضياع والدور.

١٢٠٣١٠٤٢ سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة

سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة

في شهر ربيع الاول مات ابو محمد الحسن بن احمد الماذرائى الكاتب. وفيه انحدر الصيمرى لمحاربه عمران بن شاهين، وهذا عمران من اهل الجامدة جنى بها جناية، فهرب من العامل، واقام بين القصب يصيد السمك، ثم تلصص، واجتمع معه جماعه من الصيادين، واستامن الى البريدى، فقلده الجامدة والاهواز، فما زال امره يقوى. ولما انحدر الصيمرى لقتاله، هرب من بين يديه، فاستأسر الصيمرى اهله واولاده، ولم يبق غير استيلائه على البطيحة، فورد الخبر بموت عماد الدولة بشيراز، فكاتب معز الدولة الصيمرى بالمبادره الى هناك، فترك حرب عمران وتوجه. وكان ركن الدولة قد وافى أخاه عماد الدولة، وسلما فارس الى ابى شجاع فناخسرو ابن ركن الدولة، الملقب بعد ذلك عضد الدولة. وانفذ الصيمرى بابى الفضل العباس فسأنحس، فقلده معز الدولة الدواوين. ووافى سبكتكين والجيش من الري.

وعاد الصيمري من شيراز، وعاود محاربه عمران، فمات بالمرموني من اعمال الجلمدة.
وكان الصيمري يحسد المهلي، على تخصيصه وأدبه، فكان إذا جلس معه على الطعام، راي كلامه وفصاحته، فيأمر الفراشين بعينه، فيطرحون المرقه على ثيابه، فكان المهلي منغصا به، وكان يستصحب مع غلامه دائماً ثيابا يغير بها ما عليه.
وكان في الصيمري شجاعة وقوه نفس، وهو الذي فتح الجانب الشرقي لمعز الدولة، لان الديلم لم يقدم على العبور، فلما رأوا كتابا قد تقدمهم انفوا.

وقال القاضي ابو حامد المروزي: كنت واقفا بين يدي معز الدولة، فقال للصيمري: اريد خمسمائة الف درهم لمهم، فقال: من اين؟ ودخلك لا يفي بخرجك، فقال: الساعة احبسك في الكنيف، حتى تحضر ما طلبته، فقال: إذا حبستني في الكنيف، خريت لك بقره وضربتها دراهم، فضحك منه وامسك.
ولما خرج الصيمري في هذا الوجه، استخلف أبا محمد المهلي، فلما علم نفاقه على معز الدولة، اطلق لسانه فيه، فكان ابو محمد قد يتيقن انه يهلكه على يد الصيمري، فانفذ الى معسكره طيورا، واوقف من يكتب عليها اخباره، فأتاه البراج بطير قد ابتل بالماء بكتاب لم يقف عليه، فقال للصباي: تلطف في قراءته، فقرأه بعد جهد، فإذا فيه هلاك للصيمري، فدخل الى معز الدولة، وعزاه وجلس للعزاء به.
وترشح للوزارة ابو على الطبري وهو عامل للاهواز.

قال التنوخي: من اعظم المصادرات مصادره معز الدولة لأبي على الحسن ابن محمد الطبري، صادره على خمسمائة الف دينار، فلما مات الصيمري، طمع في الوزارة، وبذل فيها مالا عظيما، قدم منه أول نوبه ثلاثمائة الف دينار، فلم يين عليه خروجها، فأخذها منه وقلد المهلي.

١٢٠٣١٠٤٣ سنه تسع وثلاثين وثلاثمائة

سنه تسع وثلاثين وثلاثمائة

في هذه السنه، رد القرامطة الحجر الأسود الى مكة، وكان بحكم قد بذل لهم ان ردوه خمسين الف دينار، فلم يجيبوه، وكان بين قلعه ورده اثنتان وعشرون سنه.
وفي هذه السنه، كانت وزارة ابي محمد الحسن بن محمد بن هارون المهلي لمعز الدولة، خلع عليه معز الدولة القباء والسيف والمنطقه، وسار سبكتكين بين يديه الى دار الخلافه، فخلع عليه السواد والسيف والمنطقه.

وكان المهلي ثقیل البدن، ومشى في صحن الخلافه، وقد اثقله ما عليه من اللباس، فسقط بين يدي المطيع لله عند دخوله من ذلك، ومن شدة الحر، ووقع على ظهره، فأقيم وظن من معه انه يحصر بما جرى، فتكلم واحسن واطال في الشكر والقول، وتمثل بابيات، فتعجب الناس من بديته، وركب الى داره، ومعه جميع الجيش وحجاب الخلافه، وداره هي الدار المعروفه بالمرشد، ونزلها السلطان ركن الدولة في سنه سبع واربعين وأربعمائة عند دخوله بغداد، ونقضها موفق، خادم القائم بأمر الله رضوان الله عليه في سنه خمس وخمسين وأربعمائة وبني بآلتها حجره للطيور، بباب النوى، وعمرها سعد الدولة الكهوراني، في سنه تسعين وأربعمائة، ولما قتل وقفها زوجته نقد ما كان نقض ما بقي في الدور الشاطبية بباب الطاق، وما امتدت يده من قصر بني المأمون رضی الله عنه ثم نزلها قوام الدولة كريغا، في سنه ثلاث وتسعين وأربعمائة، ثم خلت بعد خروجه.

وقال ابو نصر عبد العزيز بن عمر بن نباته السعدي يمدح المهلي بقصائد منها:

دع بين أثوابي وبين وسادي ... شخصا يصد فوارسي وجيادي
وقال فيه من اخرى:

اذم زيادا في ركاكه رايه ... وفي قوله اى الرجال المهذب
تكلم والنعمان شمس سماءه ... وكل ملوك عند نعمان كوكب
ولو ابصرت عيناه شخصك مره ... لا بصر منه شمس وهو غيب
وفيا:

كفى وزراء الملك في الناس مفخرا ... بانك منهم حين تعزى وتنسب

كان قد كفى الابطال بأسا ونجده ... بان قيل منهم في الهياج المهلب
وانحدر المهلبى وروزهان لمحاربه عمران، فهزمهما واستأسر قوادهما.
ومضى المهلبى الى البصره.

وكتب سيف الدولة الخليفة، يستأذنه في الغزو، فاذن له، فاوغل في بلاد الروم، وسبي وافتتح حصونا، وعاد في ثلاثين ألفا، فاخذ عليه
الروم الدرب، فلم يقلت الا في عدد يسير، وقال المتنبي قصيده منها:
قل للمستق ان المسلمين لكم ... خانوا الأمير فجازاهم بما صنعوا.

١٢٠٣١٠٤٤ سنه اربعين وثلاثمائة

سنه اربعين وثلاثمائة

فيها تم الصلح بين عمران ومعز الدولة، وقلده البطائح، واطلق عياله الماسورين واطلق القواد.
وورد الخبر بمعاودة ابن قراتكين حرب ركن الدولة بعد انهزامه، ودخول ركن الدولة الري بعد ان تقابلا سبعة ايام.
وواصل ابن قراتكين الشرب أياما، فمات فجاء، وكفى ركن الدولة خطبه بعد ما حل به وبعسكره من البلاء بحصاره.
وورد ابن وجيه صاحب عمان البصره فقاتله المهلبى، وأخذ منه خمسه مراكب وهزمه، ووصل المهلبى الى بغداد ومعه الأسارى
والمراكب.
وفيها مات ابو القاسم الكلواذى بعد الفقر، وقد مضت اخباره.

وفيها مات ابو الحسن عبيد الله بن الحسين الكرخي، امام اصحاب ابى حنيفه.

قال الخطيب: كان مع غزاره علمه، وكثره روايته، عظيم العباده، كثير الصلاة، صبرا على الفقر والحاجة، عزوفا عما في أيدي الناس
ولما اصابه الفالج في آخر عمره، حضره اصحابه فقالوا: هذا مرض يحتاج الى نفقه وعلاج، وهو مقل، ويجب الا نبذله الى الناس،
ونكتب الى سيف الدولة فنطلب منه ما تنفق عليه، ففعلوا، واحس ابو الحسن بما هم عليه، فسال عن ذلك، فاخبر به فبكى وقال:
اللهم لا تجعل رزقي الا من حيث عودتي، فمات قبل ان يحمل اليه سيف الدولة شيئا ثم ورد كتاب سيف الدولة ومعه عشرة آلاف
درهم، ووعد ان يمده بأمثالها، فتصدق اصحابه بها.

ومات ليله النصف من شعبان من هذه السنه، ومولده سنه ستين ومائتين، وصلى عليه القاضى ابو تمام الحسن بن محمد الهاشمي الزينبي -
وكان من اصحابه - بحذاء مسجده في درب ابى زيد، على نهر الواسطيين، وقد بقي من مسجده اليوم
قطعه من حائط القبلة، يعرف اليوم بمقلع ابن صابر.

قال التنوخي: كان ابو زهير الجنبى الفقيه ورعا عارفا بمذهب ابى حنيفه، فدخل بغداد، فبلغه اخبار ابى الحسن الكرخي في ورعه،
فلقيه، فقال: يا أبا الحسن، بلغنى انك تأخذ من السلطان رزقا في الفقهاء، قال: نعم، قال: ومثلك في علمك ودينك يفعل هذا؟ قال له
ابو الحسن: اوليس قد أخذ الحسن البصرى في زمنه، وفلان وفلان، فعدد خلقا من الصالحين الفقهاء ممن أخذ من بنى اميه، فقال ابو
زهير: ذهاب هذا عليك اطرف، بنو اميه كانت مصائبهم في اديانهم، وجباياتهم الأموال سليمة، لم يظلموا في العشر ولا الخراج، فكان
الفقهاء يأخذون منهم الأموال مع سلامتها، وهؤلاء الأمراء الذين تأخذ منهم أموالهم فاسده، مع اديانهم وجباياتهم لها بالظلم والغشم،
فسكت ابو الحسن، ولم يأخذ شيئا الى ان مات.

١٢٠٣١٠٤٥ سنه احدى واربعين وثلاثمائة

سنه احدى واربعين وثلاثمائة

ورد الخبر بدخول الروم سروج، واحراقهم مساجدها وسبى أهلها.
وفيها بنى سيف الدولة مرعشا، فقال ابو الطيب المتنبي يمدحه بقصيده:
فدينك من ربع وان زدتنا كربا
يقول فيها:

هنيئاً لهذا الثغر رأيك فيهم ... وانك حزب الله صرت له حزباً
فيوما نخليل تطرد الروم عنهم ... ويوما بجود تطرد الفقر والجدا
سرايك تترى والدمستق هارب ... واصحابه قتلى وأمواله نهبي
اتى مرعشا يستقرب البعد مقبلاً ... وادبر إذ اقبلت يستبعد القربا
وهل رد عنه باللقان وقوفه ... صدور العوالي والمطهمة القبا
ارى كلنا ينبغي الحياه لسعيه ... حريصا عليها مستهما بها صبا
فحب الجبان النفس اورده البقا ... وحب الشجاع الحرب اورده الحربا
ويختلف الرزقان والفعل واحد ... الى ان يرى احسان هذا لذا ذنبا
كفى عجباً ان يعجب الناس انه ... اتى مرعشا تبا لأربابها تبا
وما الفرق ما بين الأنام وبينه ... إذا حذر المحذور واستصعب الصعبا
لامر اعدته الخلافه للعدى ... وسمته دون العالم الصارم العضبا.

١٢٠٣١٠٤٦ سنة اثنتين واربعين وثلاثمائة

سنة اثنتين واربعين وثلاثمائة
ورد الخبر في شهر ربيع الآخر، بغزاة سيف الدولة وغنيمته واسره لقسطنطين ابن الدمستق، فقال النامي يمدحه بقصيده منها:
ومن جمع الفخرين فخر ربيعه ... وفخر ابى الهيجاء كان بلا ند
يمر عليك الحول سيفك في الطلا ... وطرفك ما بين الشكيمه واللبد
ويمضي عليك الدهر فعلك للعلا ... وقولك للتقوى وكفك للرفد
بنى الأصفر اصفرت وجوه حماكم ... وقد ردها في البيض تحمر في الرد
فلم تريوما مثلك الخليل فارسا ... اجر نخليل في الجهاد على الجهد
وقد سار في الروم الدمستق باغيا ... له ساعه نكراء في نوب نكد
فتسقى دم الأجداد وهي على ظما ... وتخرم الاعمار وهي على حقد
إذا حبست في حد سيفك سخطها ... توثب او تلقى الظبي مطلق الحد
وكن قسطنطين تحت صليبه ... ومد القنا من فوق ارعن معتد
كأنك قد قدمت جندا لهزمها ... وقد سرت في جند وحزمك في جند
واسلم قسطنطين للأسر بردس ... وولى وقد خدته فوهاء في الخلد
وقال ابو الطيب قصيده:
ليالي بعد الظاعنين شكول.
فيها:

وما قيل سيف الدولة اثار عاشق ... ولا طلبت عند الظلام ذحول
- قال ابن جني: اثار افعل من الثار، واصله اثار فابدلت التاء ثاء لتوافقهما في الشده وقرب مخرجهما، وقال قيس:
ثارت عديا والخطيم فلم أضع ... وصيه اشياخ جعلت ازاءها
والذحول: جمع ذحل وهو الثار.
فيها:

على قلب قسطنطين منه تعجب ... وان كان في ساقيه منه كبول
لعلك يوما يا دمستق عائد ... فهل هارب مما اليه يؤول
نجوت باحدى مهجتيك جريحه ... وخلقت احدى مهجتيك تسيل
اغركم طول الجيوش وعرضها ... على شروب للجيوش اكل
وورد الخبر بموت ابى الفضل العباس بن فسانحس، بالبصرة، وسنه سبع وسبعون سنه، وحمل تابوته الى الكوفه.
وتقلد الديوان بعده ابنه ابو الفرج محمد.

وورد الخبر بتمام الصلح بين ركن الدولة وبين ابى على بن محتاج، بعد حروب جرت بينهما على باب الري، ومنازله ثلاثة اشهر، وانصرف ابن محتاج الى خراسان وركن الدولة الى الري. وفي شوال مات ابو عبد الله بن فهد الموصلی. وفي هذه السنة ماتت بدعه الصغيره والمعروفه بالحمدونيه عن اثنتين وتسعين سنه.

١٢٠٣١٠٤٧ سنه ثلاث واربعين وثلاثمائة

سنه ثلاث واربعين وثلاثمائة

في هذه السنه، ورد رسول ابى على بن محتاج الى معز الدولة، فاوصله الى الخليفة، وذلك بعد موت نوح بن نصر، فعقد لأبي على على خراسان، وسلم اليه العهد والخلع، وضم اليه أبا بكر بن ابى عمرو الشرايى، واقام الخطبه للمطيع في هذه السنه، ولم تكن قد أقيمت له ببلاد خراسان الى هذه الغايه. وبلغ الخبر بموت موسى قتاده، فانحدر المهلبى لحيازه تركته وكانت عظيمه.

وفي مستهل شعبان، ورد الخبر بوقعه كانت بين الدمستق وبين سيف الدولة بالحدث، وقتل سيف الدولة خلقا من اصحاب الدمستق، واسر ابن ابنه وصهره وبطارقته، وبني الحدث بعد ان اخبوها، وقال السرى مذكرا اخراهم لها:

ان تشتك الحدث الحسناء حادثه ... سعى بها خائن منهم ومغرور
فإنها نشوه ولت عدويتها ... وخر ذو التاج عنها وهو مخمور
سينقض الوتر من اعدائه ملك ... عدوه حيث كان الدهر مقهور
فأذروا وزرا منه وهل وزر ... والسيف في يد سيف الله مشهور!
وقال ابو الطيب قصيدته:

ذي المعالى فليعلون من تعالى ... هكذا هكذا والا فلا لا

- قال ابن جنى: يريد انهم بعثوا سيف الدولة على اتمام بنائه واعلائه، فكانوا سبب ذلك، يقول فيها:

قصدوا هدم سورها فبنوه ... وأتوا كي يقصروه فظالا
واستجروا مكاييد الحرب حتى ... تركوها لهم عليه وبالا
رب امر أذاك لا تحمد الفعال ... فيه وتجد الافعالا
- قال ابن جنى: الفعال: الهراب، والافعال انهزامهم-
وقسى رميت عنها فردت ... في قلوب الرماه عنك النصالا
أخذوا الطرق يقطعون بها الرسل ... فكان انقطاعهم إرسالا
وهم البحر ذو الغوارب الا ... انه صار عند بحرك ألا
الغوارب: الأمواج.

وفي شوال مات ابو جعفر محمد بن القاسم الكرخي. وعرض لمعز الدولة مرض في إحليله، وهو الإنعاظ الدائم. وورد الخبر بدخول ركن الدولة وابن محتاج جرجان ومضى وشمكير هاربا الى خراسان.

١٢٠٣١٠٤٨ سنه اربع واربعين وثلاثمائة

سنه اربع واربعين وثلاثمائة

عقد معز الدولة لابنه بختيار الرئاسة.

وارجف على معز الدولة عند عمران، فاجتاز به مائه الف دينار، قد حملت من الاهواز وأمثالها للتجار فأخذها معز الدولة الكوكبي نقيب الطالبين برسائله في اطلاق ماله واموال التجار، فرد ما يتعلق بمعز الدولة، ومضت امتعه التجار. وفي هذه السنه سد معز الدولة فوهه نهر الرفيل، وسدى يثق النهروانات، وحفر للخالص خوله، وشرع في سد يثق الروبانيه ببادوريا. وفي رجب ورد الخبر بموت ابى على بن محتاج بالري، في وباء حدث بالبلد.

وورد رسول أبي الفوارس عبد الملك بن نوح، فعقد الخليفة له على خراسان. وانحدر روزبهان في شهر رمضان لقتال عمران، وجاء المهلب إلى زاوطة لمعاونته.

١٢٠٣١٠٤٩ سنة خمس وأربعين وثلاثمائة

سنة خمس وأربعين وثلاثمائة

ترك روزبهان محاربه عمران، ومضى إلى الأهواز عاصيا، واستكتب أبا عبد الله الجويني واستامن إليه رجال المهلب. وكان روزبهان من صنائع معز الدولة لأنه رقاؤه إلى هذه المنزلة، وكان يتبع موسى قتادة، فاضطرب الديلم على معز الدولة، وأظهروا ما في نفوسهم.

وانصرف المهلب إلى الأبله وانحدر معز الدولة والمطيع لله. وهم ناصر الدولة بالانحدر إلى بغداد، وأخذها، فوصلها سبكتكين فلم يقدم. وواقع معز الدولة روزبهان بقنطرة اربق، سلخ شهر رمضان، وقتله بالاتراك ولم يثق بالديلم، فأسره وأصعد به إلى بغداد في زيزب. وكثر دعاء العامة على روزبهان، ورجعوه بالأجر، وأشار عليه مسافر باتلافه. وعلم معز الدولة أن الديلم على أخذه، وكره قتله، لأن معز الدولة كان يكره الدماء، ولم يكن متسرعاً إلى إراقتها، ثم أخرجه ليلاً إلى الاناتيين تحت البلد فغرقه.

وكان أخو روزبهان قد عصى بفارس، فظفر به هناك. ودخل الخليفة داره، في مستهل ذي القعدة، بعد وصول معز الدولة. ومات في هذا اليوم أبو عبد الله الحسين بن أحمد الموسوي.

وفيها مات أبو عمر الزاهد، غلام ثعلب، وجوز العالم جنازته في الكرخ، ف وقعت الفتنة لأجلها. وحكى أبو عمر قال: كان سبب انفرادي في هذه الخربة أنني أخذت كتاب سيوييه، وتوجهت لأقرأه على المبرد، فسمعت الشبلي يقص في الجامع وأنشد في قصصه:

قد نادت الدنيا على أهلها ... لو أن في العالم من يسمع

كم واثق بالعمر واريته ... وجامع فرقت ما يجمع

ووجدت بخط التميمي قال: عاد أبو عمر مريضاً فلم يجده، فكتب على بابه:

واعجب شيء سمعنا به ... مريض يعاد فلا يوجد

وحكى رئيس الرؤساء أبو الحسن بن صاحب النعمان قال: مضيت مع أبي إلى أبي عمر، فلما دخلنا عليه قال: تاجروا، فاخذ كل واحد منا آجره وجلس عليها، ثم أخذ أبي يعتذر من تأخره عنه، فقال: يا أبا الحسين، كم تعتذر؟ أما علمت أن الصديق لا يحاسب، وأن العدو لا يحسب، ثم قال: يا أبا الحسن أن ابن عبيد الله كان يبرني، وأراد مني الخروج إلى الكوفة لتعليم ولده برزق سماه لي فلم أفعل، فغضب وقطع ما كان يعطيني، أما علمت يا أبا الحسن أن رزقي على من إذا غضب لم يقطع، قال: وطال الحديث وودعه أبي وانصرفنا.

١٢٠٣١٠٥٠ سنة ست وأربعين وثلاثمائة

سنة ست وأربعين وثلاثمائة

خرج أبو الحسين بن مقله إلى كربلاء، للزيارة وبه فالج، فمات في طريقه، واعيد إلى داره، ودفن بمربعه أبي عبد الله. وفيها تزوج بختيار بابنه سبكتكين بحضره الخليفة.

١٢٠٣١٠٥١ سنة سبع وأربعين وثلاثمائة

سنة سبع وأربعين وثلاثمائة

ورد الخبر ان الروم نهبوا سواد ميفارقين، وقتلوا نادرا، غلام سيف الدولة، وانهم غلبوا على سميساط وأحرقوها، وان سيف الدولة افلت منهم في عدد يسير، وأسروا اهله وقرابته.
واخر ناصر الدولة حمل المال عن معز الدولة، فسار الى نصيبين وراءه وبعد ناصر الدولة الى ميفارقين.
وانفذ معز الدولة بسير مردى، وهو حدث، في خمسمائة من الديلم الى سنجاب، فهرب منه ابو المرجى جابر وهبه الله، ابنا ناصر الدولة، الا ينفذه، فلم يقبل منه، فقال:

طفل يرق الماء في ... وجناته وينض عوده
ويكاد من شبه العذارى ... منه ان تبدو نهوده
جعلوه قائد عسكر ... ضاع الرعيل ومن يقوده
وقال السرى المعروف بالرفاء يمدح أبا المرجى:

الله اكبر فرق السيف العدا ... فتفرقت أيدي سبا اخبارها
لا تجبر الأيام كسر عصابه ... كسرت وذل بجابر جبارها
رحلت فكان الى السيوف رحيلها ... وثوت فكان الى السيوف مزارها
علم الأعاجم ان وقع سيوفكم ... نار تشب وأنتم اعصارها
من ذا ينازعكم كريمات العلا ... وهي البروج وأنتم اقمارها
الحرب تعلم انكم آسأداها ... والارض تشهد انكم أمطارها
في وقعه لك عزها وسناؤها ... وعلى عدوك عارها وشنارها
عمرت ديارك من قبور ملوكها ... وخلت من الانس المقيم ديارها
ولابن الحجاج في ذلك:

الله يا سير مردى يوم حجار ... حين دعاك الى ذي لبده ضار
سرى إليك وجنح الليل منسدل ... بحففل مثل جنح الليل جرار
وصبحتك جيوش الله معلمه ... من كل اغلب ماضى العزم مغوار
يأبى له الضيم - ان الضيم منقصه ... انف حمى وجاش غير خوار
لما سما لك في الهيجاء منفردا ... بمرهف القد ماضى الحد بتار
عضب المهزة لا يبتز رونقه ... يوم الكريهة الا نفس جبار
لقيم غير انكاس ولا عزل ... ولا نكول على الهيجاء اغمار
لما رأى العز في ايراد مهجته ... مضى فاوردها من غير احوار
ليث يكر إذا كروا وان لجئوا ... الى الفرار راوه غير فرار
ابى النزول على حكم نزلت به ... فما انثنى بعد اقبال لادبار
حتى هوى تحت أيدي الخيل يخبطه ... في سائل من دم الأوداج موار
ثاو بسنجار لا يغدو إذا ظعن ... الغادون عنها ولا يسرى مع السارى
يا آل احمد ايها هكذا ابداء ... صونوا الحريم وحوطوا حوزة الدار
واصلوا بنار الردى من دون شحنكم ... والحر بالنار اولى منه بالعار
لا ترهبوهم فان القوم اكثرهم ... من حزمتوهم لثاما يوم سنجار
الله ذلك من يوم اعاد لكم ... يا شيعه الله فيهم يوم ذي قار
كروا فان صدور الخيل عابسه ... يحملن كل رحيب الصدر كرار
يحملن أسدا بخفان مواطنها ... منها المصور ومنها المشبل الضاري
فاما حال ناصر الدولة، فانه توجه من ميفارقين الى حلب، قاصدا لأخيه سيف الدولة، واستامن اكثر جيشه اخوه ابو زهير الى معز الدولة.

واكرم سيف الدولة أخاه، ونزع خفه بيده، وتوسط الحال بين معز الدولة وبين أخيه على ما تقرر ضمنه وقال السري يذكر ذلك لسيف الدولة:

راى من أخيك الشام اكرم شيعه ... واصدق برق في المحول يشام
ارى الخائن المغرور قام بأرضكم ... كان المنايا الحمر عنه تنام
فطورا لكم في العيش رحب منازل ... وطورا لكم بين السيوف رجام
وأتم على اكباد قوم حراره ... ويرد على أكبادنا وسلام

ورجع معز الدولة بضممان سيف الدولة الى الموصل، وتقرر معه دفع الفى الف وستمائة الف درهم، واطلاق الماسورين من اصحابه. فلما سار بين المؤنسيه وادرمه، وذلك في ثالث ذي الحجه، وهو الخامس عشر من شباط، هبت ريح مغرب بارده، فتلف من عسكره ثمانمائة رجل، ولحق معز الدولة الغشي من البرد مع كثره ما عليه من الخنز والوبر، وقلع العسكر سقوف ادرمه وأبوابها، فاوقدوها، واطلق لهم معز الدولة ثلاثة آلاف درهم عوضا عما أخذ من الخشب.

١٢٠٣١٠٥٢ سنه ثمان واربعين وثلاثمائة

سنه ثمان واربعين وثلاثمائة

في هذه السنه، وافى ابو إسحاق القراريطي مصر مع الحاج.
في شهر ربيع الاول، توفى ابو بكر محمد بن جعفر الادمى القارى.

قال دره الصوفى: كنت بائنا بكلواذى على سطح عال، فلما هدى الليل قمت لأصلي، فسمعت صوتا ضعيفا يجي من بعد، فأصغيت اليه وتاملته شديدا، فإذا صوت ابى بكر الادمى، فقدرته منحدرًا في دجلة، فلم أجد الصوت يقرب، ولا يزيد على ذلك القدر ساعه ثم انقطع، فشككت في الأمر وصليت ونمت.

فبكرت فدخلت بغداد بعد ساعتين من النهار، وكنت مجتازًا في السميريه، فإذا بابى بكر الادمى ينزل الى الشط، من دار ابى عبد الله الموسوى العلوي، التي بقرب فرضه جعفر على دجلة، فصعدت اليه وسألته عن خبره، فأخبرني بسلامته، فقلت: اين بت البارحه؟ فقال: في هذه الدار، فقلت: قرأت النوبه الفلانية؟

قال: نعم قبل نصف الليل، فعلمت انه الوقت الذى سمعت فيه صوته بكلواذى، فعجبت من ذلك عجا شديدا بان ما في له، فقال: مالك؟ فأخبرته، قال:

فاحكها للناس عنى، فانا احكيها دائما.

وقال ابو جعفر عبد الله بن اسماعيل الامام: رايت أبا بكر الادمى في النوم بعد مديده من وفاته، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه وقاسيت شديدا وأمورا صعبه، قلت له: فتلك الليالى والمواقف والقرآن؟ فقال: ما كان شيء أضر على منها، لأنها كانت للدنيا، قلت له: فالى اى شيء انتهى امرك؟

قال: قال لي الله تعالى: آليت على نفسي الا اعذب أبناء اليتانين

وكان ابو بكر محبوبا الى الناس، قال: كسبت بالقرآن ثلاثمائة الف دينار.

وحكى قال: لما ولد ابني ابو عبد الله، قال: جئت الى مؤنس المظفر وحدثته الحديث، فوهب لي دنابير كثيره، فلما كان بعد مده سألتني، فقال: يا أبا بكر ايش خبر الصبي المولود؟ فقلت: قد احتاج الى القميص ايها الأستاذ وهو عريان، فاستدعى الخازن وقال: احضر ما عندك من الخرق، فجاء باكثر من عشرين كاره من القصب والديبقي والديباج والعتابي، فقال للخازن: أعطه من كل شيء الربع، فأعطاني ما حملة جماعه من الحمالين، وبعث الباقي عن كسوه ابني واهلى بتسعه آلاف درهم.

وقبر ابى بكر عند قبر ابى عمر الزاهد في الضفة التي تقابل قبر معروف الكرخي رحمه الله:

وفي هذه السنه كثر موت الفجأة بالطاعون، فجلس احد القضاة بسواده في الجامع ليحكم فوات. وافترض رجل بكرا فوات على صدرها.

وكان كافور الإخشيدي، قد ولي شبيب بن جرير العقيلي عمان والبلقاء، فعلت منزلته، واشتدت شوكته، وغزا العرب وتجمعت عليه، فعصى على كافور وأخذ دمشق وسار إليها في عشرة آلاف، فخر عن فرسه ميتا، ففي ذلك يقول المتنبي يمدح كافورا:

عدوك مذموم بكل لسان ... ولو كان من أعدائك القمran
قال ابن جني: هذا مدح ويحتمل ان يكون هجاء، بان يجعله مستخلفا ساقطا والساقط لا يعايد الا مثله، وخرج عن ذلك يقول:

ولله سر في علاك واغا ... كلام العدا ضرب من الهذيان
يقول فيها:

برغم شبيب فارق السيف كفه ... وكنا على العلات يصطحبان
ائه المنايا في طريق خفيه ... على كل سمع حوله وعيان
ولو سلكت طرق السلاح لردّها ... بطول يمين واتساع جنان
تقصده المقدار بين صحابه ... على ثقة من دره وأمان
وهل ينفع الجيش الكثير التفاهه ... على غير منصور وغير معان
وفي هذه السنة خلع المطيع لله على بختيار، وقلده امره الأمراء ولقبه عز الدولة.
وعقد لأبي علي بن الياس على كرمان وتزوج عز الدولة بنته في رجب.
وفي رجب ماتت سريرته الراقية، اشتراها ابن رائق من ابنه ابن حمدون، بثلاثة عشر ألف دينار، وكانت مولده سمراء حسنة الغناء ولما قتل ابن رائق تزوجها ابو عبد الله الحسين بن حمدان.
وحكى التنوخي: ان المهلب دعاها، واطهر من التحمل ما اعياه في مجالسه وسماطه، وتجر بما زاد على الحد، فقالت له جاريته تجني: انني أراك هود اتزانك حتى ونيت بك، فقال لها: ويحك! ان هذه قد نشأت في نعمه تستصغر فيها نعم ملكنا، فما اريد ان تزري علينا إذا خرجت.
وفي شعبان مات ابو علي عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح، وزير الرازي بالله.
حكى ابو محمد جعفر بن ورقاء قال: دخلت على ابي جعفر الكرخي بعد تقليده للوزارة، صارفا عنها لأبي علي عبد الرحمن بن عيسى، وقد كان الرازي بالله حلف على الا يقنع من عبد الرحمن باقل من مائه الف دينار، وراعه الكرخي لحقوق أخيه، وانكشف له ان جميع ما يملكه عشرة آلاف دينار، فعدل الى ان قسط تقسيطا على الناس، بدا فيه بنفسه، والتزم ثلاثمائة الف درهم.
قال ابو محمد: فدخلت على الوزير فسلم الى الدرج، وخاطبني في التزام شيء، فقلت: يدعني الوزير ادبر الأمر، فقطعت الخطوط، وكتبت: ضمن
لمولانا امير المؤمنين اطال الله بقاءه جعفر بن ورقاء، ان يصحح له لمن يأمره بتصحيح ذلك عنده، عن عبد الرحمن بن عيسى مائه الف دينار، واخذه اى وقت امره بتصحيحها، وقلت للوزير: أنفذها مع رسول عاقل ينظر ما يجري، فعاد الخادم الذى انفذه وقال: استدعاني الخليفة حين عرض عليه الحاجب الخط، فدخلت وهو جالس على كرسي كالمغناط، وفي يده الرقعة مخرقه، فقال: من عند مولاك؟ فقلت ولم اجسر على كذبه: جعفر بن ورقاء، فقال: قل له يا اعرابي، اردت ان ترى الناس ان نفسك تتسع، لا تغرم غمرا لا حرمه له، وهو خادمى ما ضاقت نفسي عن تركه عليه، فتظهر بذلك انك اكرم مني، والله لا كان هذا، قل لمولاك:
اطلق عبد الرحمن، وترد خط هذا الأعرابي الجلف، وانى اكفر عن يميني، ورمى بالرقعة مخرقه.
قال: فقلت للكرخي: كيف رأى الوزير رأيي؟ والله ما اعتمدت الا ان يقع في نفسه مثل هذا، فيفعل ما فعله لعلي بجوده عقله وكرم نفسه، ولو جرى الأمر بخلاف ذلك لوزنت جميع ما املكه، واستسمحت الوزير والناس بعده حتى اقوم بتصحيح المال، فاطلق ابو علي الى منزله.
وفي هذه السنة ورد الخبر بان الروم، خذلهم الله، أسروا محمد بن ناصر الدولة من نواحي حلب، وأسروا أبا الهيثم بن القاضى ابى حصين بن عبد الملك بن بدر ابن الهيثم وغلماه من سواد حران، فكتب ابو فراس الى ابيه:

أيا راكبا نحو الجزيرة جسره ... عذافره ان الحديث شجون
تجمل الى القاضى سلامي وقل له ... الا ان قلبي مذ حزنت حزين

وان فؤادى لافتقادی اسيره ... لعان بأيدي الحادثات رهين
لعل زمانا بالمسره ينثني ... وعطفه دهر باللقاء تكون
فأشكو ويشكو ما بقلبي وقلبه ... كلانا على نجوى أخيه أمين
إذا غير البعد الهوى فهوى ابى ... حصين منيع الفؤاد حصين

١٢٠٣١٠٥٣ سنة تسع واربعين وثلاثمائة

سنة تسع واربعين وثلاثمائة

ورد الخبر بغلاء السعر بالموصل، وبلوغ الكر من الحنطة بها ألفا ومائتي درهم، فهرب الناس عنها الى بغداد والشام.
وفي هذه السنة انحدر ابو احمد الشيرازي، كاتب المستكفي بالله الى شيراز، فقبله عضد الدولة، واقطع ابنه أبا الفضل مائه الف درهم
وحصن به.
وورد الخبر بان نجا غلام سيف الدولة واقع الروم، وقتل منهم عدة وافرة.
وان سيف الدولة غزا في جمع كثير، فآثر في بلد الروم، وفتح حصونا كثيرة، وانتهى الى خرشنة، فاخذ عليه الروم المضائق والدروب،
في ثلاثمائة من اصحابه بعد جهد، ومضى باقى اصحابه قتلى واسرى، وأشار عليه اهل طرسوس بترك الخروج، فلم يقبل، فاصيب.
وورد الخبر، بان أبا نصر بن المكتفي بالله، ظهر بناحية أرمينية، وتلقب بالمستجير بالله، ولبس الصوف، وامر بالمعروف، ونهى عن
المنكر، وغلب على اذربيجان، فسار اليه ابن سالار فاسره.
وفي مستهل شهر رمضان، ورد تابوت ابى عبد الله بن ثوابه من القصر، وكان قد احيل بحاربه عليها، فمات هناك.
وتقلد ديوان الرسائل ابو إسحاق الصابى.
وفي ذي الحجة، مات ابو القاسم البريدى ببغداد.
وصودر ابو السائب قاضى القضاة، على مائه الف درهم.

١٢٠٣١٠٥٤ سنة خمسين وثلاثمائة

سنة خمسين وثلاثمائة

في هذه السنة بنى معز الدولة داره بقصر فرج عن بستان الصيمرى، وهدم ما جاورها من العقارات وابتاعها من أهلها، وكان ابو
العباس بن مكرم، وابو القاسم ابن حسان العدلان وكيله في ذلك، وقلع الأبواب الحديد، التي على مدينه المنصور، والتي بالرصافة، ونقلها
إليها، ونقض قصور الخلفاء بسر من رأى، ونزل في المسنات ستا وثلاثين ذراعا، ولزمه على بنائها ثلاثة عشر الف الف درهم، وكان
المتولى للبناء ابو الفرج بن فسانحس.
وفيها مات ابو الحسن احمد بن الفضل بن عبد الملك الهاشمي، وتقلد ابنه ما كان اليه من الصلات ونقابه العباسيين.
وفي المحرم مات القاضى ابو بكر بن كامل، عن سبعين سنة.
وفي شعبان ابتدئ ببناء المغيض بنهر الرفيل، تولى بناءه ابو بكر بن الحلبي.
وفي هذه السنة توفى ابو السائب عتبة بن عبيد الله قاضى القضاة، ولا بن سكره فيه قصائد تجنبت إثباتها.
وسفر ارسلان الجامدار لأبى العباس بن ابى الشوارب في قضاء القضاة، وقرر عليه مائتا الف درهم في كل سنة، وامتنع الخليفة من
تقليده، فقلده معز الدولة.
وورد الخبر بان أبا بكر بن مقاتل توفى بمصر وهو يتقلد اعمال الخراج بها، ووجد له مدفونا في داره ثلاثمائة الف دينار.
وورد الخبر بان نجا غلام سيف الدولة، دخل بلد الروم، واسر وغنم وسبي خمسمائة الف، اتى بهم في السلاسل.
وتمطر فرس عبد الملك بن نوح به فمات، وولى مكانه اخوه منصور بن نوح.
وفي آخر ذي الحجة، انحدر عز الدولة الى المطيع لله، ووصل اليه ابن سالار صاحب اذربيجان، حتى عقد له، وسلم اليه العقد مع خلع
سلطانيه

١٢٠٣١٠٥٥ سنة احدى وخمسين وثلاثمائة

سنة احدى وخمسين وثلاثمائة

ورد الخبر بان اهل زربه دخلوا في أمان الروم، وانهم غدروا بهم فقتلوه، وقطعوا منها اربعين الف نخله، واعاد سيف الدولة بناءها بعد ذلك.

واتى الروم منبجا، وكان فيها ابو فراس بن ابى العلاء بن حمدان، متوليا لها، فأسروه فقال في اسره اشعارا كثيره منها:
ارث لصب بك قد زدته ... على بقايا اسره اسرا
قد عدم الدنيا ولذاتها ... لكنه لم يعدم الصبرا
فهو اسير الجسم في بلده ... وهو اسير القلب في اخرى
وكتبه الى أمه:

فيا امنا لا تعدى الصبر انه ... الى الخير والنجح القريب رسول
ويا امنا لا تحبطى الاجر انه ... على قدر الصبر الجميل جزيل
اما لك في ذات النطاقين أسوة ... بمكة والحرب العوان تجول
اراد ابنها أخذ الامان فلم تجب ... وتعلم علما انه لقتيل
تاسى كفك الله ما تحذرينه ... فقد غال هذا الناس قبلك غول
وكوني كما كانت بأحد صفيه ... إذا لعلتها رنه وعويل
لقت نجوم الليل وهي صوارم ... وخضت سواد الليل وهو وحول
ولم ارع للنفس الكريمه حرمة ... عشيه لم يعطف على حليل
وما لم يرد الله فهو ممزق ... ومن لم يعز الله فهو ذليل
وما لم يرد الله في الأمر كله ... فليس لمخلوق اليه سبيل
ووافى الدمستق الى حلب ومعه ابن اخت الملك ولم يعلم سيف الدولة بخبره،

وخرج عند علمه، وحاربه قليلا، فقتل جميع اولاد داود بن حمدان، وابن الحسين ابن حمدان، وانهزم سيف الدولة في نفر يسير، وظفر الدمستق بداره- وهي خارج مدينه حلب- فوجد لسيف الدولة فيها ثلاثمائة وتسعين بدره دراهم، والف وأربعمائة بغل، فاخذ الجميع، وأخذ له من السلاح ما يجاوز الحد، واحرق الدار، وملك الربض، وقتله اهل حلب من وراء سورهم، فسقطت ثلثه على قوم فقتلتهم، وقتل عليها اهل البلد، واجتمعوا بالليل وبنوها، وانصرف الروم عنهم، فانتهب رجال الشرطه منازل الناس، وامتعته التجار ففضوا لحرهم. فلما خلا السور صعد الروم، وفتحوا الأبواب، ووضعوا السيف، وكان في حلب عند المسلمين الف ومائتا اسير من الروم، فاطلقوهم وسبوا بضعه عشر الف صبي وصبية، وأخذوا من الأموال ما لا يحصى، وضربوا الباقي بالنار، واقام الروم بها تسعه ايام، وكان عسكرهم مائتي الف وثلاثين الف رجل بالجواشن، وكان معهم ثلاثون الف صانع للهدم وتطريق الطرق، واربعه آلاف بغل، عليها الحسك الحديد يخندقون به على عسكرهم.

وقال ابن اخت ملكهم: لا ابرح او افتح القلعة، وصعد الى مدرجها، فرماه ديلبي بخشب في صدره فانفذه.

وسار متقدم الروم الى بلده عند ذلك، ولم يتعرض للسواد، وامر اهله بعمارتها، ووعدهم بالعود اليهم.

وفي جمادى الآخرة مات دعلج بن احمد بن دعلج المحدث العدل، وله خان بسويقه غالب، عند قبر ابن سريج، وقف على اصحاب الشافعي رحمه الله الى اليوم، وعمره نظام الملك رحمه الله، وقد اطلق له مائه دينار، في أول نوبه دخلها حين مضى اليه اصحاب ابى رحمه الله، واعلموه مقاسهم واستشفعوا بصحبته.

وحكى ابن نصر في كتاب المفاوضه قال: أنزلي الشيخ ابو الحسن العلوي

الحنفي الدار المعروفه بدعلج، في درب ابى خلف، بإزاء داره، فقلت داره، فقلت له: لم أزل اسمع الناس يعظمون شان هذه الدار، وما أجد لها كما وصفت، فقال لي: كان دعلج في هذه الدار، وكان شاهدا ومحدثا وعظيم الحال موسرا وكان المطيع لله قد اودع أبا عبد الله بن ابى موسى الهاشمي عشره آلاف دينار قبل إفضاء الخلافه اليه، فتصرف فيها وأنفقها وادل بالقدره عليها في طلبها، فلما ولى

الخلافه، طالبه بها، فوعده بجلها، ورجع الى منزله، وشرع في بيع شيء من املاكه وثماره فتعذر، فالح المطيع بالمطالبة بالوديعة، فاعتذر بأنها مخبوءه لا يقدر عليها الا بعد ثلاثة ايام، فانظره، فلما حضر وقت الوعد قلق ولم يئم، ولم يتجه له وجهه، وخاف ان يحرق به، ولم يعود ثلم جاهه، فركب في بقية الليل بغير غلام، وترك راس البغله تمشي حيث شاءت، فافضت به الى قطيعه الربيع، فدخلها وعطف الى درب ابى خلف، فإذا دعلج قد خرج وفي يده سمكه، فتأمله فقال له: خير، فقال: لا، ابالله انزل، فنزل ودخل داره وقص قصته، فقال: لا باس، اى نقد كانت الدنانير؟ فقال: النقد الفلاني فقال: يا غلام، اغلق الباب، وحط ما عندك من العين، واجلس مع الشريف، وانتقد النوع الفلاني الى ان ارجع من الحمام فلما عاد كان الغلام قد انتقد القدر، فجعلها في اكياس، وأنفذها مع غلمانه، ثم قال: اكتب خطك في دفترى، فكتبت خطى بذلك، الى مده اربعة اشهر وانصرفت.

واستدعيت الظرف التي كانت دنانير المطيع فيه، فنقلتها اليه، وختمتها بالاسريجات التي كانت عليه، فأتاني رسول المطيع، فحملت المال ووضعته بين يديه، وقلت: ان راى امير المؤمنين ان يتقدم بوزنه! فقال: ما افعل ذلك وهي تحت ختمى، نخفت ان يتأمل الختم، فعجلت الى كسره، وحلفت بنعمته لا بد مما تزنه، فوزن.

واتفق انه دخل من ضيعتى ثلاثة آلاف دينار قبل الأجل، فحضرت عند دعلج ودفعها اليه، فقال: لا اله الا الله، ايها الشريف، بم استحققت منك هذا! ارتجعه قبل المده فأكون كذابا! فامسكت الدنانير حتى تكاملت في وقتها وفيها خلع معز الدولة على ابى الفرج محمد بن العباس، وقلده كتابه عز الدولة مضافا الى ما اليه من الديوان وفي ذي القعدة مات ابو عبد الله بن ابى موسى الهاشمى.

ومات بعده ابو بكر النقاش، صاحب شفاء الصدور في تفسير القرآن. وفيه لقب عضد الدولة بهذا اللقب.

١٢٠٣١٠٥٦ سنه اثنتين وخمسين وثلاثمائة

سنه اثنتين وخمسين وثلاثمائة

في هذه السنه، خرج النساء منتشرات الشعور، مسودات الوجوه، يلطمن في الشوارع يوم عاشوراء على الحسين رضى الله عنه، وغلقت الاسواق.

وفي جمادى الآخرة، خرج المهلبى لفتح عمان.

وورد الخبر بغزاة سيف الدولة لنواحي ملطيه وغنيمته، فقال البيغاء يمدحه بقصيده منها:

ورد الدمستق دون منظره ... خبر تضيق بشرحه الكتب

ناجته عنك البيض من بعد ... نصحا وأنفذ جيشه الرعب

ولى ولو احببت حين نجا ... إدراكه لم ينجه الهرب

يا كالى الاسلام يحرسه ... من ان يخالج حقه الريب

ان كنت ترضى ان يطيعك ما ... سجدوا له سجدت لك الصلب

وفي رجب عزل ابن ابى الشوارب عن القضاء، وقد ذكر انه ضمنه، فكان النظار يحيلون عليه بمشاهره الساسة والنفاطين، فكانوا يجيئون به ويشدون نعالهم على بابه، ويدخلون يطالبونه، كما يفعلون بضامن الماخور، فاتى ابو عبد الله بن الداعي العلوي، معز الدولة وقال له:

رايت في المنام جدي عليا، رضى الله عنه، وهو يقول لك:

أحب ان تقطعني ما على القضاء، وتامر بإزالته، قال: قد فعلت.

ولابن سكره في ابن ابى الشوارب:

نوب تنوبك بالنواب ... وعجائب فوق العجائب

وغرائب موصوله ... في كل يوم بالغرائب

مما جنى قاضى القضاء ... حدندل بن ابى الشوارب

قاض تولى بالصبح ... وبالطبول وبالبدادب

ومناديان يناديان ... عليه في وسط الكواكب

هذا الذى ضمن القضاء ... مع الفروج بغير واجب

هذا قدر زماننا ... وأخو المثالب والمعائب
ولما عزل ابن أبي الشوارب تغلب أبو بشر عمر بن أكرم القضاء بغير رزق.
وقد ذكرنا خروج المهلب قاصدا عمان، ولما بلغ الأبله، تضجر خدمه بسلوك البحر، ومفارقة نعمهم ببغداد، فسموه، ظنا منهم أن حالهم
تبقى عليهم، فنشبت به المنية وعاد إلى زواطا في محفه، يتناوبها الرجال، ومات بها في آخر شعبان.
قال التنوخي: مضيت في أول يوم من شهر رمضان لتنهته إلى الغنائم الفضل بن المهلب، وأبوه في الطريق لم يأت الخبر بموته، وهو جالس
بداره على الصراة، في دست، ودخل عليه صهره أبو العباس بن الحسين، وأبو الفرج محمد بن العباس فما تحرك لهما، فجاء خادم للفضل،
فساره بشيء فقال: قم يا أبا الغنائم فقد طلبك مولانا معز الدولة، وقد مات أبوك، فقام أبو الغنائم باكيا، فقلنا: الآن كنا بين يديه، وهو
الساعة ذليل بين أيدينا! وختم أبو الفضل على دار المهلب، وعلى أمواله، وعلى تجني جاريته.
وكان المهلب، قد اصطنع أبا العلاء عيسى بن الحسن بن ايزونا النصراني الكاتب، واستكتبه على خاصه، واطلعه على أموال وذخائر
دفعها، فاخذ أبو العلاء في جملة المأخوذ، وعوقب أشد عقوبة، وضرب ابرح ضرب، وهو لا يقرب شيء ولا يعترف بذخيرة.
فعدل أبو الفضل وأبو الفرج إلى تجني، فامرا بضرب ابنها إلى الغنائم بين يديها، فبكى من عرفها من الذي نم عليها، وقالت لهم: ان
مولاي المهلب فعل هذا بي حين استدعى آلات العقوبة لزوجته ابني على الطبري، لما قبض عليها بعد وفاته، ثم قالت:
احضروني أبا العلاء بن ايزونا، فاحضروه وحمل في سبنيه بين اربعة فراشين، فطرح بين يديها، فجعلت تسأله عن شيء، وهو يخبرها
بمكانه، حتى كان في جملة ذلك
ثلاثون ألف دينار، فقال له من حضر: ويلك! الست من الآدميين تقتل هذا القتل، ويفضي حالك إلى التلف، وأنت لا تعترف!
فقال: يا سبحان الله! أكون ابن ايزونا والطبيب الفصاد على الطريق بدائق ونصف دائق، يأخذني الوزير أبو محمد، ويصطنعني ويجعلني
كاتب سره، واعرف بمخدومه! واطلع الناس على ذخيره ذخرها لولده، والله ما كنت لأفعل هذا ولو هلك، فاستحسن فعله، وكان
ذلك سببا لإطلاقه، وتقدم بذلك عند أبي الفضل وأبي الفرج وابن بقية، وتوفي سنة تسع وستين وثلاثمائة في أيام عضد الدولة.
ومولد المهلب بالبصرة سنة إحدى وتسعين ومائتين، وكان ظريفا أديبا، ومن شعره:
وصل الكتاب طليعه الوصل ... وذخيره الافضال والفضل
فشكرته شكر الفقير إذا ... اغناه رب المجد بالبدل
وحفظته حفظ الأسير وقد ... ورد الامان له من القتل
وله:
وحياه الهوى ومر التجنى ... وبخط العذار في صحن خده
لاذنين وجنتيه بلحظي ... مثل ما قد أذاب قلبي بصدده
قال التنوخي: وشاهدت المهلب، وقد اشترى له ورد بألف دينار في ثلاثة أيام، فشرب عليه، وانهبه.
قال أبو حيان: كان المهلب يطرب على اصطناع الرجال، كما يطرب سامع الغناء على الستائر ويرتاح لذلك كما يرتاح مدير الكاس على
العشائر، وقال:
لأكون في دوله الديلم أول مذكور، إذ فاتني ان أكون في دوله بنى العباس رحمه الله عليهم آخر مذكور.
فمن نوه به أبو الفضل الشيرازي وأبو عبد الله البقري وأبو معروف القاضي وأبو إسحاق الصابي وأبو العلاء صاعد وابن جعفر صاحب
الديوان، وغيرهم كآبي تمام الزينبي، وابن مريعه، وأبي حامد المروزي، وأبي عبد الله البصري، وأبي سعيد السيرافي وابن درستويه،
والسري، والخالدي، إلى من لا يحصى كثرة.
وكان أبو الفرج الأصهباني، يؤاكله، وكان أقدر الناس، فافرد له المهلب مائدة يجلس عليها وحده، فقال يهجو:
ابعين مفتقر إليك رأييني ... بعد الغنى فرميتني من حالق
لست الملموم أنا الملموم لأنني ... املت للإحسان غير الخالق
وقال ابن الحجاج يرثي المهلب:
يا معشر الشعراء دعوه موجه ... لا يرتجى فرج السلو لدية

عزوا القوافي بالوزير فإنها ... تبكى دما بعد الدموع عليه
مات الذي امسى الثناء وراءه ... وجميل عفو الله بين يديه
هدم الزمان بموته الحصن الذي ... كذا نفر من الزمان اليه
وتضاءلت همم المكارم والعلا ... وانبت جبل المجد من طرفيه
ولتعلم بنو بويه انما ... فجعت به ايام آل بويه

قال التنوخي: قال المهلبى: لما عزم معز الدولة على إنفاذي الى عمان، طرقي امر عظيم، فبت بليله ما بت في عمرى مثلها، لا في فقري، ولا في صفر حالي، وما زلت اطلب شيئا اتسلى به عما ذهمني فلم أجد الا انى ذكرت انى كنت حصلت في ايام صباي بسيراف، لما خرجت إليها هاربا، فعرفت هناك قوما اولونى جميلا، وحصلت لهم على ايدى، ففكرت وقلت: لعل إذا قصدت تلك البلاد ان اجدهم او بعضهم او اعقابهم، فاكفهم على تلك الأيادي فلما ذكرت هذا، تسليت عن المصيبة بالخروج، وسهل على، ووطنت نفسي عليه ودفن المهلبى بالنوبختيه بمقابر قریش.

وجعل معز الدولة أبا الفضل الشيرازى وأبا الفرج بن فسانحس، المديرين للأمور من غير تسميه لواحد منهما بوزاره. وفي ليلة الخميس، ثامن عشر ذي الحجه، وهو اليوم الذى تسميه الشيعة غدیر خم، اشعلت النيران في الاسواق ولم تغلق الدكاكين، كما يعمل في الاعياد، وضربت الدباب والبوقات، وبكر المتشييعون الى مقابر قریش، وصلوا هناك.

١٢٠٣١٠٥٧ سنه ثلاث وخمسين وثلاثمائة

سنه ثلاث وخمسين وثلاثمائة

استهدى القرامطة في هذه السنه من سيف الدولة حديدا، فقلع أبواب الرقة، وسد مكانها، وأخذ كل حديد بديار مضر حتى صنجات البقالين والباعه، واحدوه في الفرات الى هيت وحملوه منها الى البريه.

وأخذ ناصر الدولة المال عن معز الدولة، فاصعد الى الموصل، ومضى ناصر الدولة الى ميافارقين، فسار وراءه الى نصيبين، واستخلف على الموصل سبكتكين، فسار ابو تغلب واخوته لحربه، فهزمهم سبكتكين، فاحرقوا زبازب معز الدولة بالموصل، وأسروا الاتراك، وصعد ابو احمد الطويل غلام موسى قتاده، وكان قد ضمن الاهواز، واصعد منها، ليفسخ ضمانه.

وأخذ بنو حمدان كراع معز الدولة وسلاحه، وما وجدوه من ماله.

فاقبل معز الدولة الى برقيع، فأتاه حمدان بن ناصر الدولة مستأمنا، وأتاه ابو الهيجاء حرب بن ابى العلاء بن حمدان مستأمنا أيضا. واتى معز الدولة الموصل، واستامن اليه المهيا والمسيب غلاما ابى تغلب، نخلع عليهما وطوقهما وسورهما، وأتاه ابو الحسن على بن ميمون، ورهن نفسه عنده، على ستة آلاف الف ومائتي الف درهم، واطلاق الأسارى، فرحل حينئذ ومعه ابن عمرو الى الحديثه، وأتاه الأسارى والمال بها، فانحدر الى بغداد.

وفي هذه السنه خرج ابو عبد الله محمد بن القاسم المعروف بابن الداعي الحسنى، الى بلد الديلم.

وورد الخبر الى بغداد سنه سبع وثلاثين وثلاثمائة، فلزم الكرخي الحنبلى، وقرأ عليه الفقه، وقرأ الكلام على ابى عبد الله البصرى، ومنشؤه بطبرستان، وكان يجيب في الفتاوى احسن جواب

والزومه معز الدولة النظر في نقابه الطالبين ببغداد، سنه تسع واربعين وثلاثمائة ففعل مجبرا وعمر وقوفهم.

وساله معز الدولة عن طلحه والزبير، فقال: هما من اهل الجنة، لان النبي ص، بشرهما بالجنة، وكان المهلبى يخافه، فوضع عليه موضوعات، منها انه كان يأخذ البيعه على الديلم.

وبلغ من اجلال معز الدولة له، انه دخل عليه وهو مريض، فقبل يده استشفاء بها.

ولما غاب معز الدولة في هذه السفرة الى نصيبين، استخلف ابنه عز الدولة ببغداد، فدخل ابن الداعي، فخاطبه بعض اصحاب عز الدولة في معنى علوي خطأ أومى عليه، فامتعض ابو عبد الله من ذلك وخرج مغضبا.

وكان ينزل بدار على دجلة بباب الشعير، فرتب قوما معهم بالجانب الشرقى، واطهر انه مريض، وخرج مختفيا ومعه ابنه الاكبر، وخلف اولاده وعياله وزوجته ببغداد، ونعمته وكل ما تحويه داره، ولم يستصحب غير جبه صوف بيضاء وسيف ومصحف، وسلك طريق

شهرزور ومضى الى هوسم وسمه علوي هناك قام بعده، وكانت وفاته سنة تسع وخمسين وثلاثمائة.
واقام الدمستق على المصيصة ثلاثة اشهر، ووقع الوباء في اصحابه، فأتى المستنفرون سيف الدولة، فصار معهم وهو مريض، فولى الدمستق،
وكان المتني بالعراق، فكتب اليه جواب كتابه ورد عليه:
فهمت الكتاب ابر الكتب ... فسمعا لامر امير العرب
وغر الدمستق قول العداء ... بان عليا ثقييل وصب
وقد علمت خيله انه ... إذا هم وهو عليل ركب
أتاهم باوسع من ارضهم ... طوال السبب قصار العسب
تغيب الشواهد في جيشه ... وتبدو صغارا إذا لم تغب
فغرق مدنهم بالجوش ... واخفت أصواتهم باللجب

١٢٠٣١٠٥٨ سنة اربع وخمسين وثلاثمائة

سنة اربع وخمسين وثلاثمائة

فيها قتل غلمان سيف الدولة بحضرته، ونجا غلامه، فغشي على سيف الدولة لذلك، فأمرت زوجته بنت ابى العلاء سعيد بن حمدان،
برمي من نجا من قصرها، ولما افاق قتل قتله، وبلغ الخبر أبا فراس، فكتب اليه وهو ماسور شعرا:
ما زلت تسعى بجد ... برغم شانيك مقبل
ترى لنفسك امرا ... وما يرى الله افضل
واوصل معز الدولة أبا احمد خلف بن ابى جعفر بن يانو الى الخليفة، فقلده بيجستان، وخلع عليه، وعقد له لواء.
وفيها دخل ملك الروم المصيصة، وساق من أهلها مائتي الف انسان، واعطى اهل طرسوس الامان، وامرهم بالانتقال عنها الى اى
بلد اختاروا، ومعهم من أموالهم ما شاءوا، ففعلوا وحامهم الى أنطاكية، وجعل جامع طرسوس اصطبلا، واحرق المنبر، وتقدم لعمار
البلد، واستخلف عليه بطريقا في خمسين ألفا.
وفي جمادى الآخرة قلد معز الدولة أبا احمد الموسوى نقابه الطالبين باسرههم، سوى ابى الحسين بن ابى الطيب وولده، فإنهم استعفوه
فاعفاهم، ورد اليه اماره الحاج.

١٢٠٣١٠٥٩ سنة خمس وخمسين وثلاثمائة

سنة خمس وخمسين وثلاثمائة

فيها لقب الخليفة الحبشي بن معز الدولة سند الدولة.
وانحدر معز الدولة لمحاربه عمران.
وانحدر الى الأبله، ونزل في دار البريدى بشاطئ عمان، وبني الشذات والمراكب.
ووافاه نافع الأسود، مولى يوسف بن وجيه مستأمن، فقبله.
وانفذ أبا الفرج محمد بن العباس مع نافع في مائه مركب، فلما صار بسيراف وافاه جيش عضد الدولة، في مركب وشذات، نجده
لعمه معز الدولة.
وملك ابو الفرج عمان، واحرق لأهلها تسعة وتسعين مركبا.
واصعد معز الدولة الى بغداد واستخلف على قتال عمران أبا الفضل العباس بن الحسين الشيرازى، فاخذ في سد الانهار، واستخلف
على واسط سبكتكين.
وفي رجب فادى سيف الدولة الروم، وارتجع أبا فراس منهم، فقال البيغاء يمدحه:
ما المال الا ما أفاد ثناء ... ما العز الا ما ثنى الأعداء
شحت على الدنيا الملوك وعافها ... من لم يطع في حفظها الأهواء

باع الذى يفتنى بما ابقى له ... ذكرنا إذا دجت الخطوب أضاء
 فليمن سيف الدولة الشرف الذى ... لو كان مرثيا لكان سماء
 وطهاره الخلق الذى لو لم يكن ... عرضا من الاعراض كان الماء
 ورجاحه الحلم الذى لو حل بالهضبات ... من رضوى ثناه هباء
 بدر تحققت الدور بأنها ... ليست وان كملت له أكفاء
 التى اليه الدهر صعب قياده ... فاستخدم الأيام فيما استاء
 المحقق الامال بالكرم الذى ... أحيا العفاة وبخل الكرماء
 شكر الإله من اهتمامك بالهدى ... ما زاد باهر نوره استعلاء
 راعيته وسواك في سنه الهوى ... ما زاد عنه لسيفك الأعداء
 وفديت من اسر العدو معاشرنا ... لولاك ما عرف الزمان فداء
 كانوا عبيد نذاك ثم شريتهم ... فغدوا عبيدك نعمه وشراء
 والاسر احدى الميتين وطالما ... خلدوا به فاعدتهم احياء
 وضمت نفس ابى فراس للعلا ... إذ منه اصبحت النفوس براء
 ما كان الا البدر طال سراره ... ثم انجلى وقد استتم بهاء
 يوم غدا فيه سماحك يعتق الأسرى ... ومنك ياسر الأمراء
 خصت بنو حمدان منه بنعمه ... عمت بفضلك تغلب الغلباء
 وقال ابن نباته يمدحه بقصيده منها
 تطيع الله في خوض المنايا ... وسيف الدولة الملك الجليلا
 إذا طلبت ملوكهم إلينا ... دخول الحرب زدناهم ذحولا
 فداؤك من فديت من البرايا ... وان كانوا لان تفدى قليلا
 فأنت خلقتهم خلقا جديدا ... وصيرت السماح بهم كفيلا
 تريد بحسنه الدنيا ضياء ... وابصار الملوك به كلولا
 إذا ما جئت والاملاك جمعا ... غدوت نباهه وغدوا خمولا
 أحقهم ببذل المال فينا ... فتي يمسى لمهجته بذولا
 واولاهم بان يسمى جوادا ... فتي يهب الرغائب والعقولا
 تريك بناته في كل يوم ... طعانا محبيا وندى قتولا
 وفضلا يستفيد الدهر منه ... كريم الطبع والخلق الجميلا
 وورد الخبر بان ركن الدولة ملك الطرم، ومضى وهسودان منصرفا عنها، فقال المتنبي يمدح عضد الدولة:
 ازائري خيال أم عائد ... أم عند مولاك اننى راقد
 يقول فيها:
 نلت وما نلت من مضره وهسودان ... ما زال رايه الفاسد
 معناه: انه جنى على نفسه الشر، بتعرضه لقتلكم.
 يبدأ من كيده بغايته ... وانما الحرب غاية الكائد
 معناه: انه من سبيله الا يحارب الا مضطرا، والكائد: الذى يبغي الغوائل والشر-
 ماذا على من اتى يحاربكم ... فذم ما اختار لو اتى وافسد
 بلا سلاح سوى رجائكم ... ففاز بالنصر وانثنى راشد
 وليت يومى فناء عسكره ... ولم تكن دانيا ولا شاهد
 ولم يغب غائب خليفته ... جيش ابيه وجده الصاعد
 وقدم ابو الفرج بن فسانحس من عمان، فقال ابن نباته يمدحه بقصيده طويله منها:
 لعمرى لقد اهدى النصيحة مره ... لال عمان خير حاف وناعل

وناشدهم بالله حتى تقطعت ... عرى القول وانحلت عقود الوسائل
فلما رآهم لا تثوب حلومهم ... رماهم بامثال القسي العواطل
فركب اغصان المنية فيهم ... وراء الاعلى ظامئات الأسافل
سريت لهم ليلا تحول نجومه ... وهمك في اعجازه غير حائل
كأنك إذ جردت رأيك فيهم ... طلعت عليهم بالقنا والقنابل
دنا الحق حتى ناله كل طالب ... وكان بعيدا من يد المتناول
واصبح شمل الناس بعد تبدد ... ينظم في سلك من الحق عادل

١٢٠٣١٠٦٠ سنة ست وخمسين وثلاثمائة

أخبار

سنة ست وخمسين وثلاثمائة

[أخبار]

فيها قصد معز الدولة عمران بن شاهين، وابى ان يقبل منه مالا، والا يقتنع الا بحضور بساطه فاعتل من ضرب ذرب لحقه، واستخلف على عسكره سبكتكين، ورجع الى بغداد، وعهد الى ابنه عز الدولة، واطهر التوبة، واحضر أبا عبد الله البصرى، وتاب على يده. وكان مع ابى عبد الله صاحبه ابو القاسم الواسطي، فكانا إذا حضر وقت الصلاة خرجا من الدار، وصليا في مسجد على بابها، فسألها عن السبب في خروجها، فقال ابو عبد الله: ان الصلاة في الدار المغصوبه عندي لا تصح، وساله عن عمر ابن الخطاب، رضى الله عنه وعن الصحابه رضوان الله عنهم، فذكر ابو عبد الله سابقتهم، وان عليا زوج عمر ابنته أم كلثوم رضى الله عنهم، فاستعظم ذلك وقال: ما سمعت هذا قط! وتصدق معز الدولة باكثر ماله، واعتق ممالكه، ورد شيئا كثيرا من المظالم، وتوفى في شهر ربيع الآخر. قال ابو الحسين بن الشيبه العلوي: بينما انا في دارى على دجلة بمشرقه القصب، وكانت ليله مظلمه، والسماء متغيمة، وقد اشتد الرعد القاصف، ولمعان البرق الخاطف، ولم تمض ساعه الليل، حتى هطلت السماء بعظيم السيل، فخرجت الى الروشن لانظر الى السماء، واسمع وقع المطر على الماء، فاني لواقف إذ سمعت صوت الهاتف يقول:

لما بلغت أبا الحسين ... مراد نفسك في الطلب
وامنت من حدث الليالى ... واحتجبت عن النوب
مدت إليك يد الردى ... فأخذت من بين الذهب

فأرخت الوقت، وكان لاربع ساعات مضت من ليله الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الاول.

ثم اتصل الوابل فخبس الناس أياما في المنازل، فلما انقشع الغمام وانتشر الناس، شاع الخبر بان معز الدولة توفى تلك الساعة، في تلك الليلة ومولد معز الدولة سنة ثلاث وثلاثمائة.

ومن آثاره سد بثق الرومانيه، وعمل المعيض بالسندية، وسد البثق بالنهروان.

واسقط المواريث الحشرية، وامر بردها الى ذوى الارحام، وتسليم مالا مستحق له الى القضاء ليصرفوه في مصالح المسلمين.

وكان قد سال المطيع لله ان يطوف في دار الخلافه، فشرط عليه الا يخترق الدار الا في نفسين، وتقدم الى شاهد خادمه، وابن ابى عمرو حاجبه، ان يمشيا بين يديه.

فدخل معز الدولة ومعه الصيمرى وحاجبه ابو الحسن الخراسانى، فقال له الصيمرى بالفارسيه- واصحاب الخليفة لا يعرفونها: في اى موضع أنت حتى تسترسل؟ اما تعلم انه قد فتك في هذه الدار بألف امير ووزير! اليس لو وقف لنا عشره من الخدم في هذه الممرات الضيقه لأخذونا! فقال: صدقت، وان رجعنا الساعة، علم اننا قد فزعنا وخفنا، وضعفت هيبتنا، فقال الصيمرى: ادن منى، فان مائه من الخدم لا يقاومونى.

فانتهوا الى دار فيها صنم من صخر، على صوره امراه، وبين يديها أصنام صغار، فسال عنها، فقيل: هذا حمل من بلدان الهند، وقد فتح في ايام المقتدر رحمه الله، وكان يعبد هناك، فقال: لو كان مكانه جاريه لاشتريتها بمائه الف دينار على قله رغبتى في الجوارى، واريد

ان اطلبه من الخليفة فنعه الصيمري.
وما رجع الى معز الدولة عقله، حتى رجع الى طيارة، وقال: قد رايت محبتي للخليفة وثقتي به، ولو اراد بنا سوءا لكان اليوم في قبضته،
وتصدق بعشره آلاف درهم، شكرا لله على سلامته.

وفي هذه السنة قتل ابو الطيب المتنبي، وكان عند عضد الدولة بشيراز، فودعه بقصيدته التي نعى فيها نفسه، وقال فيها أشياء لم يقل في
عقبها ان شاء الله، منها:

إذا التوديع اعرض قال قلبي ... عليك الصمت لا صاحبت فاكا
وكم دون الثوبة من حزين ... يقول له قدومي ذا بذاكا
فلو سرنا وفي تشرين خمس ... راوني قبل ان يرووا السماكا
- قال ابن جني: بالغ وبغى في ذكر السرعة، لان السماك يطلع نخمس خلون من تشرين الاول، اي كنت اسبقه الى الكوفة بالطلوع
عليهم-

وما انا غير سهم في هواء ... يعود ولم يجد فيه امتساكا
يعنى في سرعه الأوبة.

ولما قال:

وأيا شئت يا طريقي فكوني ... أذاه او نجاه او هلاكا
قال عضد الدولة: يوشك ان تكون منيته في طريقه، وعاد وقد اوقره مالا، ولما بلغ همانيا مقابل دير العاقول، خرج عليه فاتك بن ابي
الجهل الأسدي، فقاتل المتنبي قتالا شديدا وقتل واصحابه وأخذ ماله:

وقال ابو احمد العسكري يجب ابن هارون، وقد رثى المتنبي:
يا شقوه المتنبي ما اتيح له ... بعد الكرامه من ذل ومن هون
تقضى منيته في ارض مضيعة ... ويستباح ويرثيه ابن هارون
اني لارثي له مما رثاه به ... قول ركيك وشعر غير موزون
لو كان يسمع شعرا قد رثاه به ... لقام من قبره في زي مجنون

وقال ابو الحسن محمد بن يحيى الزيدي العلوي- واقام بعسكر مكرم: كان المتنبي ينزل في جوارى بالكوفة، وهو صبي وأبوه يسمى عبدون
السقاء، يستقى لأهل الحلة، ونشا هو محبا للعلم والأدب، وصحبه الاعراب بالبادية، فجاءنا بعد سنين بدويا، وكان لا يعترف بنسبه
ويقول: متى انتسبت لم آمن ان يأخذني بعض العرب بطائله بينه وبين قبيلته، وكان اخوه ضريرا يتصدق ببغداد، وادعى انه حسيني،
ثم ادعى بكنب انه نبي، فأشرف على القتل ثم استتابوه

اماره عز الدولة ابي منصور بختيار بن معز الدولة

قال التنوخي: كنت أحب ان اسال المتنبي عن سبب لقبه، فكنت استحي لكثرة من يحضر مجلسه ببغداد، فلما جاء الاهواز ماضيا
الى فارس، قلت: في نفسي شيء: أحب ان اسالك عنه، فقال: عن لقبى؟ قلت: نعم، فقال:

هذا شيء كان في الحداثة اوجبه ضرورة قال التنوخي: فما رايت في دهشه الف منها، لأنه يحمل المعنى انه كان نبيا إذا عمد الكذب،
او ان عنده انه كان صادقا، الا انه اعرف بذلك.

اماره عز الدولة ابي منصور بختيار بن معز الدولة

كانت امارته احدى عشره سنه وشهورا.

وكان عز الدولة من احسن الناس واشدهم قوه، كان يصرع الثور الجلد بيديه من غير حبال ولا اعوان، يقبض على قوائمه ويطره
الى الارض حتى يذبح، وكان يقبض على رقبتى غلامين بيده، وهو قائم وهما قائمان، ويرفعهما من الارض وهما يصيحان ويضطربان
ولا يمكنهما الخلاص.

وكان من قوه القلب على امر عظيم، وبارز في متصيداته غير اسد، وطرقه اسد على غفله وثب على كفل فرسه، فضره بخشبه وقتله.
وخلع عليه الخليفة، وطوقه وسوره وكتب عهده.

وفي هذه السنه، لحق أبا علي بن الياس عله الفالج، وخلفه اولاده.

فلك عضد الدولة كرماني.

ومضى ابو علي الى خراسان، فنادم صاحبها، واطمعه في ملك الديلم، فانفذ صاحبه محمد بن سمحور ومعه هدايا الى الحسين بن الفيروزان، والى وشمكير، وجعل الى وشمكير تدبير الحبس.

وكتب ركن الدولة عضد الدولة يستمده، وكفى وشمكير بالموت، فانه ركب

فرسا ادهم حسن الصورة، ونهاه منجمه على الركوب، فعارضه خنزير قد افلت من حربه رمى بها، فشب الفرس ووشمكير غافل، فسقط على دماغه، فخرج من انفه دم وحمل ميتا، وكتب ابن العميد في ذلك كتابا اوله: الحمد لله الذي اغنى بالوحوش عن الجيوش، وقال: اخذت هذا من كتاب كتبه صبي بين يدي عمرو بن مسعده، وقد ولدت بقره آدميا، فقال له عمرو: اكتب في ذلك، فكتب كتابا اوله:

الحمد لله خالق الأنام في بطون الانعام، فحسد عمرو الصبي، وخاف ان يتم فسير بلاغته، فاخذ الدرج من يده.

واجتهد عز الدولة بسبكتكين، ان يخرج الى الجيش لمساعدته عمه ركن الدولة، فلم يفعل، فانفذ الفتكين، ووصل الى الري وقد وقع الغناء عنه.

وفي شعبان خلع على القاضي ابي محمد بن معروف، وولى القضاء بالجانب الغربي.

وخلع على ابن سيار، وقد القضاء بالجانب الشرقي.

وفيه توفي ابو جعفر هارون بن المعتض بالله.

وفي ذي الحجه توفي مفلح الأسود، خادم المقتدر بمصر.

وفيه قبض ابو تغلب بن حمدان على ابيه ناصر الدولة، حين كبر وساء خلقه.

فانفذ اليه الخلع واللواء من الحضرة.

وفي هذه السنه توفي كافور الإخشيدي صاحب مصر.

قال ابو جعفر مسلم بن طاهر العلوي: ما رايت اكرم من كافور، كنت اسيره يوما، وهو في موكب خفيف مؤيد متنزها، وبين يديه غلمان، وعده جنائب بمركب ذهب ومراكب فضه، وخلفه بغال الموكب والفرش كما تكون الملوك، فسقطت مقرعته من يده، ولم يرها ركابه فنزلت من دابتي، وأخذتها من الارض ودفعتها اليه، فقال:

يا أبا جعفر، اعوذ بالله من بلوغ الغاية، ما ظننت ان الزمان يبلغني الى ان تفعل هذا، ثم ودعني، فلها سرت التفت، فإذا خلفي البغال كلها والجنائب، فقلت: ما هذا؟

فقالوا: امر الأستاذ ان يحمل هذا إليك، فادخلته داري، وكانت قيمته زياده على خمسة عشر الف دينار، وحكاياته عن المتنبي مشهوره.

وفي هذه السنه هلك سيف الدولة، ونصب غلمانه ابنه أبا المعالي بحلب

وغزا سيف الدولة الروم اربعين غزوه، له وعليه.

ومن شعره:

تجننى على الذنب والذنب ذنبه ... وعاتبني ظلما وفي جنبه العنب

واعرض لما صار قلبي بكفه ... فهلا جفاني حين كان لي القلب

إذا برم المولى بخدمة عبده ... تجننى له ذنبا وان لم يكن ذنب

وكان قد ترك الشرب لمواصله الحرب، فوردت مغنيه من بغداد، ولم يمكن أبا فراس ان يدعوها قبله فكتب اليه:

مهلك الجوزاء او ارفع ... وصدرك الدهناء او اوسع

وقلبك الرحب الذى لم يزل ... للجد والهزل به موضع

رفه بصرع العود سمعا غدا ... قرع العوالي جل ما يسمع

فامر بعمل المجلس، واستدعى بها والجماعه، وبلغت الأبيات المهلهلي، فامر ان يصاغ لها لحن.

وحكى ان سيف الدولة، لما ورد الى بغداد وقت توارثه، اجتاز وهو راكب فرسه، ويده رحمه، وبين يديه عبد له صغير، وقصد الفرجه، والا يعرف، فاجتاز بشارع دار الرقيق، على دور بنى خاقان وفيها فتيان، فدخل وسمع وشرب معهم وهم لا يعرفونه وخدموه، ثم استدعى عند خروجه الدواء، فكتب رقعه وتركها فيها، ثم انصرف ففتحوا الدواء، فإذا في الرقعة الف دينار على بعض الصيارف،

فتعجبوا وحملوا الرقعة، وهم يظنونها ساذجه، فأعطاهم الصيرفي الدنانير في الحال والوقت، فسأله عن الرجل فقال: ذاك سيف الدولة بن حمدان.
وقال البغاء يرثيه بقصيده، منها:

خلف المدائح بعدك التابن ... عن اى حادثه يعزى الدين
ما كان في الدنيا كيومك مشهد ... بهر العقول ولا نراه يكون
لم يبق محذورا فكل مصيبه ... جلال لديه وكل خطب دون
هب للهدى من بعد فقدك سلوه ... فحراكه مذ غبت عنه سكون
ابقى نعيك في القبائل لوعة ... فيها لمنسرب الدموع معين
اربيعه الفرس استجدى نجده ... فسهول عزك بالمصاب حزون
كن كانت اسى ولكن بالحى ... يتفاضل المحزون والمحزون
ولى بسيف الدولة العز الذى ... كانت عليه به الخطوب تهون

١٢٠٣١٠٦١ سنه سبع وخمسين وثلاثمائة

وزارة ابي الفضل الشيرازى

سنه سبع وخمسين وثلاثمائة

وزارة ابي الفضل الشيرازى

فيها قلد عز الدولة أبا الفضل العباس بن الحسين الوزارة، وخلع عليه، واقطعه اقطاعا بخمسين الف دينار.
واظهر ابو الفرج الامتناع عن العمل، فالزمه، وخلع عليه الدراعه.

وقال ابن الحجاج، يهنيء أبا الفضل:

هذا لواء العلا والمجد قد رفعا ... والبدر بدر الدجى للتم قد طلعا
وكان بالأمس لطح دون رؤيته ... فانجاب بالأمس هذا اللطح وانقطعا
فاليوم اصبح شمل الخوف مجتمعا ... يشكو الشباب وشمل الأمن مجتمعا
قد أذعن الناس وانقادوا لسيدهم ... فن تحرك منهم بعدها صفعا
فديت من لم أكن بالغمض مكتحلا ... خوفا عليه ولا بالعيش منتفعا
حتى كفى الله مولانا وخيب من ... سعى عليه وفي ايامه طمعا
ومر بي سائرا في موكب لجب ... لو جليل الرعد في قطريه ما سمعا
مضى على وقلبي طائر جزعا ... أخشى العثار على مولاي ان يقعا
فليت لي بدره منها مكسره ... الف وسائرها ضرب كما طبعها
حتى إذا مر مجتاز بعسكره ... نثرت منها الصحاح الدق والقطعا
والضرب في البيت عندي كنت ارفعه ... فانه جوف يبتى ربما نفعا
ولو تلوح من مولاي لي فرج ... نثرت غلتها ثم الصحاح معا
لكن ابقى لنفسى ما اعيش به ... فان رزقي مرفوع قد انقطعا

وكان الحبشي بن معز الدولة، قد تغلب على البصره فأنحدر الوزير ابو الفضل الى الاهواز، واستخلف أبا العلاء صاعدا، وكاتب الحبشي يسكنه ويأمره بانفاذ مال، فانفذ اليه مائتي الف درهم، فأنفذها الوزير الى عز الدولة
ثم ظفر الوزير بالحبشي، وامنه وانفذه الى عمه ركن الدولة، واستخلف على البصره المرزبان بن عز الدولة.
وفي ليله النصف من شعبان، مات المتقى لله ابراهيم بن المقتدر بالله في داره التي على دجلة، المعروفه بابن كنداحيق، ودفن في دار تحاذيها.

وفي شوال قدم ابو احمد الشيرازي من شيراز، فاخبر ان عضد الدولة توجه الى كرمان لينزعها من يد اليعسج، وخطب بنت عز الدولة للأمير ابى الفوارس بن عضد الدولة، وكان الخطيب في العقد أبا بكر بن قريعة، وثبتت وكاله ابى احمد عند ابن معروف، من عضد الدولة، بعقد النكاح لابنه لصغره، وكتب كتابين من نسخته واحده، على صداق مائه الف دينار.

وورد الخبر بوفاه الحسن بن الفيرزان بالبلاد التي تغلب عليها من جرجان.

وفي هذه السنه توفي ابو الفرج على بن الحسين الاصفهاني، صاحب الأغاني، وهو من ولد مروان بن محمد الاموي، ومولده سنه اربع وثمانين ومائتين، ولم يعرف اموى يتشيع سواه، وله في المهلبى تهنته بابن ولد له من سريه رومية:

اسعد بمولود أذاك مباركاً ... كالبدراشرق جنح ليل مقمر
سعد لوقت سعادته جاءت به ... أم حصان من بنات الأصفر
متبجح في ذروتي شرف الورى ... بين المهلب منتماه وقيصر
شمس الضحى قرت الى بدر الدجى ... حتى إذا اجتمعت أتت بالمشتري
ويروى ان المهلبى، دخل الى تجنى، فلما رآها تمثل:
فما انس لا انس إقبالها ... وتميس كغصن سقته الرهم
وقد برزت مثل بدر السما ... سما في العلو علوا وتم
على راسها معجرا زرق ... وفي جيدها سبحة من برم
ولم ترتقب لطلوع الرقيب ... ولم تحتشم من حضور الحشم
لقد سؤتى يا نظام السرور ... واسقمتنى يا شفاء السقم
بجودك عن عفر في الكرى ... وبخلك مسئوله عن امم
اهذا المزار أم الازورار ... والمامكم الم او لم
فقلت له تجنى: تتمثل بشعر قائله ولا تزيل شعته، قال: ومن هو قائله؟
قالت: الاصبهاني، يمدحك به ويقول فيه:
فداؤك نفسي هذا الشتاء ... علينا بسلطانه قد هجم
ولم يبق من سنتي درهم ... ولا من ثيابي الا رهم
يؤثر فيها نسيم الهوا ... وتحرقها خافيات الوهم
فأنت العماد ونحن العفاة ... وأنت الرئيس ونحن الخدم
فامر له بمال.

١٢٠٣١٠٦٢ سنه ثمان وخمسين وثلاثمائة

سنه ثمان وخمسين وثلاثمائة

في المحرم مات ابو احمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي، ومن شعره

أهلاً وسهلاً بالحبيب الذى ... يصفيني الود واصفيه
محاسن الناس التي فرقت ... فيهم غدت مجموعه فيه
قد وضع البدر بأشراقه ... والغصن غضا بثنيه
أفديه احميه وقلت له ... من عبده أفديه احميه
وفي هذه السنه اتى المهجريون عين التمر، فتحصن منهم صنيه العيني بشفاثا، فاستاقوا المواشى وانصرفوا.

واتى ملك الروم طرابلس، فاحرق ربضها، وأخذ من بلدان الساحل مائه الف شاب وشابه، وعزم على قصد بيت المقدس، فهاب القرامطة، وقد كانوا نزلوا الشام، وأوقعوا بابن عبد الله بن طنج.

وفي جمادى الآخرة مات الأمير ابو جعفر بن الراضي بالله، وكان نازلاً بالرصافة.

وفيه كثر ببغداد موت الفجأة.

وبلغ الكرزياده على تسعين ديناراً.

ولم تزد دجلة والفرات والنهروان في هذه السنة.

وفي هذه السنة خطب لعضد الدولة بسجستان، واستخلف على كرمان ابنه شيرزيل ووجد الأكراد في جبل جلود الوقيعه، بسيل كثيف عزارج، معقود فيه مال وصياغات ودراهم، في كل درهم منها خمسة دراهم، وفي احد وجهيه صورته بقره، وعلى الوجه الآخر صورته انسان وعليه كتابه رومية.

وكان ابو تغلب قد سلم الى أخيه حمدان الرحبه، ثم أساء الى وكلائه، فكتب اليه حمدان يحلف بطلاق ابنه سعيد بن حمدان، ويكل يمين انه ان أحوجه استعان عليه بالدليم، فان انتصف والا استعان بالقرامطة، فان بلغ غرضه والا استعان بملك الروم،

فكان جواب ذلك من ابى تغلب، ان قبض ضياعه، وطرد وكلاءه، وانفذ أخاه أبا البركات، فانتزع الرحبه من يد حمدان. فدخل حمدان بغداد في شهر رمضان، وتلقاه عز الدولة وسبكتكين في ميدان الاشنان، وانزله في دار ابن رزق الكاتب النصراني، وحمل اليه مائه وخمسين الف درهم، وثلاثمائة ثوب، أصنافا من ديباج وعتابي وديقي، وثلاثين راسا بغالا وخيالا وجمالاً وسبع مراكب ذهباً، وكاتب أخاه يسفر في الصلح بينهم، فقم ذلك، ولما خرج شيعه عز الدولة، وحمل اليه اكثر مما حمله أولاً عند قدومه. وحكى انه يوم دخوله صدم سبكتكين العجم احد القواد، فقتله، ورضخ فرسه صاعدا فاعتل، فلما وصل وافاه القاضي ابو بكر بن قريعة مسلماً، فقال حاجبه:

ان الأمير نائم، فعاد فلقيه انسان، فقال: من اين جاء القاضي؟ فقال: أنانا حمدان وافداً، لأخيه مباعداً، فقتل قائداً، ورضخ صاعداً، وظل راقداً.

وقال ابن نباته في حمدان قصيده، منها:

إليك صحبنا اليوم ترعد شمسك ... وحيره ليل اسود النجم فاحم

ودهرا سمت حيتانه في سمائه ... وانجه في بحره المتلاطم

الى صده ان يستخف عتابنا ... وما الظلم فيه غير شكوى المظالم

تكون بها أنفاسنا وحديثنا ... مدائح حمدان المليك القماقم

فتى لم ترق مساء الشيبه شعره ... على الخلد حتى رام شم المراوم

أخو الحرب يثنى جيدها وهو صارم ... ويسلم منها والقنا غير سالم

فتى لا يرى ان الهموم مصائب ... وان سرور العيش ضربه لازم

يؤمل في أمواله كل أمل ... ويرحم من اسيافه كل راحم

إذا السيف لم يستنزل الهام لمعه ... فما هو من آرائه والعزائم

ليهنيك جد يفلق الصخر جده ... ويهتك صدر الجحفل المتلاطم

انك لا تلقى الندى غير باسم ... اليه ولا صرف الردى غيرى حازم

وسار حمدان عن بغداد، وخلف حرمة واولاده، وشيعه عز الدولة، فلما وصل الى الرحبه، عاد انخلف بينه وبين أخيه، وانفذ ابو تغلب أخاه أبا البركات، فانتزع الرحبه من يد حمدان، وسار حمدان عنها في البر الى تدمر، فنفذ زاده، ولحقه

١٢٠٣١٠٦٣ سنة تسع وخمسين وثلاثمائة

عطش شديد، فعادوا الرحبه، ودخلها من ثلم عرفها، وقد ترك ابو البركات اصحابه فيها، واصعد الى الرقة، فاستولى حمدان على ذخائره وأمواله واصحابه.

فبلغ ذلك أبا البركات، فأنحدر، فتلقيه حمدان وعدته قليله، وقال لأصحابه:

لا بد من الصبر، فقاتل فنصر، وقتل أبا البركات، وانفذه الى أخيه ابى تغلب في تابوت فكفن بسل توبه، واعتذر بانه دفع عن نفسه بقتله، فقال ابو تغلب: والله لألحقنه به ولو ذهب ملكي.

وقبض ابو تغلب على أخيه ابى الفوارس محمد، صاحب نصيبين، وعرف انه وافق حمدان على الفتك به.

ولما عرف هبه الله بن ناصر الدولة ما جرى على ابى الفوارس، ثار به المرار، وانكر فعل ابى تغلب.

وكتب الحسين بن ناصر الدولة الى أخيه ابى تغلب، وهو صاحب الحديثه يقول:
ان الله قد وفق الأمير في افعاله، ونحن وان كنا اخوه، فنحن عبيد، ولو أمرني بالقبض عليه لفعلت، فقال ابو تغلب: هذا كتاب من يريد ان يسلم.

وانحدر حمدان واخوه ابو طاهر ابراهيم الى بغداد.

وكان عز الدولة بواسط فانحدرا اليه فلتقاها، ونزل حمدان دار ابى قره، وانزل أبا طاهر ابراهيم في دار ابى العباس بن عروه، وحمل إليهما هدايا كثيره، واصعدا معه الى بغداد.

وفي شهر رمضان قدم الوزير ابو الفضل العباس بن الحسن من الاهواز وتلقاه عز الدولة واصعد الى بغداد.
وفيه مات ابو الحسين الكوكبي العلوي الذي كان يتقلد نقابه الطالبين.

وفي ذي القعدة انحدر ابو إسحاق بن معز الدولة الى دار السلطان، ووصل الى المطيع لله وعقد لعضد الدولة على كرمان، وانفذ اليه الخلع واللواء والطوق والسوارين.

وفيه نقل عز الدولة أباه معز الدولة الى تربه بنيت له بمقابر قريش، بعد ان كفنه وطيبه، ومشى بين يدي تابوته الوزير ابو الفضل، والرئيس ابو الفرج والأمرء من الديلم والأتراك.

وملك الروم أنطاكية يوم النحر.

سنه تسع وخمسين وثلاثمائة

فيها فتح الروم منازلهم، من اعمال أرمينية بالسيف.

وفي شهر ربيع الاول صرف القاضي ابو بكر بن سيار عن القضاء في حريم دار الخلافه، وتولاه ابو محمد بن معروف.

وفي هذه السنه اقام ابو المعالى بن سيف الدولة الخطبه في اعماله واعمال فرعونته للخارج بالمغرب.

وفي آخرها قبض على الوزير ابن ابى الفضل الشيرازي، وتولى الوزارة مكانه ابو الفرج محمد بن العباس بن فسانحس، وقال ابن الحجاج بمدحه:

يا وزيرا بنوه طلعت ... انجم العدى

صحن خدي لارض نعلك ... يا سيدي الفدا

بك قامت سوق النوال ... وقد اصبحت سيدي

وسمنا فيها النداء ... على الجود والندی

فاما ابو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي، فولده بشيراز سنه ثلاث وثلاثمائة.

وورد مع معز الدولة بغداد، وناب عن المهلب، وصاهره على بنته زينه من تجنى، وكان ذلك سبب تقدمه، ثم فسد ما بينهما وكان واسع المروءة والصدر، وداره على الصراة ودجلة، وهي التي كانت بستانا لنقيب النقباء الكامل، وانتقلت الى الفضلوني، وانفق عليها ابو الفضل زائدا على مائه الف دينار، ثم احترقت، فامر عضد الدولة ببسطها بستانا.

وعمل دعوه لمعز الدولة، وجعل في وسط السماط قصورا من السكر، فيها مخائث اغان يغنون ويرقصون ولا يشاهدون، وقطع دجلة من فوق الجسر الى دار الخلافه بالقلوس الغلاظ وطرح الورد فيها حتى ملاها، وغطى دجلة ولم ينزل بغداد قيان الا احضره، وذلك في سنه اربع وخمسين وثلاثمائة

فلما كان في سنه خمس وخمسين، قال له معز الدولة: يا أبا الفضل، تلك الدعوة فريده بلا اخت؟ فقال: بل هي في كل سنه.
وعمل دعوه انفق فيها الف الف درهم، ووهب فيها جوازي وغلمانا واراكا وضياعات واستعد بعد عملها عند الشوائين الف جمل مشوى.

وحمل الى ابى الفضل اصحابه ما امكنهم من الهدايا.

وكان لابن الحجاج كميث فاراد ان يقوده، ثم خاف ان يقبله، فكتب اليه:

وصاحب لي أمس شاروته ... كيف ترى لي اليوم ان افعل

فقال قد هذا الكميث الذي ... قد جمع الحسن وقد اكمل

فقلت لا والله لا قدته ... اخاف يا احق ان يقبلا

واما ابو الفرج محمد بن العباس بن فسانحس، فولده بشيراز سنه ثلاث وثلاثمائة، وورد مع معز الدولة في ذي الحجه سنه ثمان وثلاثمائة.

وأبوه من اصحاب النعم الوافره بفارس، صادره عماد الدولة على ستمائه الف دينار وقال: انى كسبت معه خمسين الف الف درهم، وجاء مع معز الدولة الى بغداد، وولاه الزمام على المهلبى، وتوفى سنه اثنتين واربعين ثلاثمائة، وتكفل المهلبى بأمر ابنه، حتى رد اليه الديوان.

١٢٠٣١٠٦٤ سنه ستين وثلاثمائة

أخبار

سنه ستين وثلاثمائة

[أخبار]

في صفر لحقت المطيع لله سكنه، استرخى فيها جانبه الأيمن، وثقل لسانه. وفيه توفى ابو الفضل محمد بن الحسين بن العميد، كاتب ركن الدولة، فاستكتب مكانه أبا الفتح، ووالده ابو عبد الله العميد، كان يكتب لمرداويج بن زيار، ولأخيه وشمكير. ورتب ركن الدولة أبا الفضل بن العميد، مع عضد الدولة، فهذه وأدبه، ثم تغير عليه، فحلف الا يقيم بفارس، ومضى الى ركن الدولة، ومات بالري، وقدم عليه المتنبي وهو بارجان فدحه بقصيدته التي أولها:
باد هواك صبرت أم لم تصبرا ... وبكاك ان لم تجر دمعك او جرى
ومنها:

فدعاك حسدك الرئيس وأمسكوا ... ودعاك خالقك الرئيس الاكبرا
خلفت صفاتك في العيون كلامه ... كانخط يملا مسمعى من أبصرا
- قال ابن جني: أى، فكما ان الخط يقوم لقارئه مقام ما تسمعه اذنه، فكذلك ما يشاهد من فضلك، يقوم مقام خالقك
من مبلغ الاعراب انى بعدها ... شاهدت رسطاليس والاسكندرا
ومللت نحر عشارها فاضافنى ... من يخر البدر النصار إذا قرى
وسمعت بطليموس دارس كتبه ... متملكا متبديا متحضرا
اى جمع الملوكيه والبدويه والحضرية، ونصب دارس على الحال.
ولقيت كل الفاضلين كأثما ... رد الإله نفوسهم والاعصرا
اى اجتمع في زمانه الفضلاء المتقدمون

نسقوا لنا نسق الحساب مقدا ... واتى فذلك إذ اتيت مؤخرا
- اى مضوا مثل الحساب الذى يذكر تفاصيله، ثم يقال في الأخير: والجميع كذا، فلها جئت أنت آخرهم، كنت كأنك جملة التفصيل
يا ليت باكية شجاني دمعها ... نظرت إليك كما نظرت فتعدرا
شجاني أحرزني، يقول: ليت من بكى لفراقك، نظر إليك فيعذرني، ونصب فتعذر على التنى.
وترى الفضيلة لا ترد فضيله ... الشمس تشرق والسحاب كنهورا
الكنهور: القطع من السحاب، اى وترى الفضيلة فيك مشرقه، غير مشكوك فيها، كما ترى الشمس إذا اشرفت، والسحاب إذا كثر،
ونصب الشمس والسحاب بفعل مضمر تقديره: ترى برؤية فضائلك الشمس والسحاب، ونصب فضيله على الحال
انا من جميع الناس اطيب منزلا ... واسر راحله واربح متجرا
ووصله ابن العميد لهذه القصيده، بثلاثة آلاف دينار.
وقال يودعه من قصيده:

تفضلت الأيام بالجمع بيننا ... فلما حمدنا لم تدمنا على الحمد
- اى لم تدم على حمدنا، وجعل الحمد منها جميعا، لان كل واحد منا أحب لقاء صاحبه وكره فراقه-
جعلن وداعي واحدا لثلاثة ... جمالك والعلم المبرح والمجد
المبرح: الذى يكشف حقائق الأمور من قولهم: برح الخفاء، اى انكشف الأمر-

وقد كنت أدركت المنى غير انى ... يعيرني اهل بإدراكها وحدي
اى أدركت بلقائك المنى، الا ان اهلى يعيروننى كيف لم اشاركهم في ذلك-
وكل شريك في السرور بمصباحى ... ارى بعده من لا يرى مثله بعدي
اى كل من يشاركني في السرور بقدمي يرى ما افدنيه.

فجد لي بقلب ان رحلت فاني ... مخلف قلبي عند من فضله عندي
قال ابن الصابي: قيل ان مما نفق به ابن العميد على ركن الدولة، ان ركن الدولة اراد ان يحدث بناء بالري، واختار له موضعا، وكانت فيه شجرة، ذات استداره عظيمه، وعروق نازله متشعبه، فقد رلقلعها واخراج عروقها جملة كثيره، ولم تقع ثقته بأنها تستأصل استئصالا قاطعا، فقال ابن العميد: انا اكفى الأمير هذه الكلفه، واقطع هذه الشجرة بعروقها بأهون شيء، في اقرب أمد، واقل عدد.
فاستبعد ذلك ركن الدولة، وقال من طريق الإزراء: افعلى، فاستدعى حبالا وأوتادا وسلك هذا السلك المعروف في جر الثقل، فلما رتب ما رتبته، ونصب ما نصبه، اقام نفرا قليلا حتى مدوا، ومنع ان يقف احد على جربان كثيره من الشجرة، بحسب ما قدره من وشوج أصولها ورسوخ عروقها.

ووقف ركن الدولة في موكبه ينظر، فما راعهم الا تزعزع الارض وانفتاحها وانقلاب قطعه كبيره منها، وسقوط الشجرة منسله بجميع عروقها، فتعجب ركن الدولة من ذلك، واستظرفه واستعظمه، ونظر الى ابى الفضل بعين الجلاله.
وهذا امر لا يعظم عند من يعرف الحيله فيه، والطريق المقصود اليه.

ومن شعر ابن العميد يذكر حال حبيب له بعد:
هيبه كما قال العذول هيبه ... اما أن ان تغضى العواذل فيه
دعيه ولا ترضى لإتلاف جسمه ... أفانين ان لم تفنه ستريه
إذ اعتلقت كفى خليلا تعرضت ... له نوب الأيام تسلبنيه
وفي شهر ربيع الاول وصل ابو الحسن على بن عمرو بن ميمون، وقد ثبتت وكلاته عند القاضي ابى محمد بن معروف بن ابى تغلب، وتزوج له بنت عز الدولة

وزارة ابى الفضل العباس ابن الحسن الشيرازى الثانيه

بختيار، ومنها ثلاث سنين على صداق مائه الف دينار، وكناه الخليفة أبا تغلب، وجدد له ضمان الموصل، وسائر اعماله بديار ربيع ومضر في كل سنه بألف الف ومائتي الف درهم.

ووصل ابن عمرو الى المطيع لله مع ابى عمر محمد بن فسانحس الخازن، حتى سلم اليه الخلع لصاحبه والسياف.
وانحدر الوزير ابو الفرج الى الاهواز، فشرع ابو الفضل الشيرازى في الوزارة، فتم ذلك له.

وانفذ عز الدولة بمن قبض على ابى الفرج بالاهواز، وقبض على أخيه ابى محمد الخازن ببغداد، واطلق أبا الفضل من اعتقاله بدار ابى الفرج، فكانت وزارة ابى الفرج ثلاثة عشر شهرا وثلاثة ايام.

وزارة ابى الفضل العباس ابن الحسن الشيرازى الثانيه
قال التنوخي: كما جلوسا في دار ابى الفضل الثانيه، تنتظر خروجه حتى يخلع عليه، وكان معنا ابن الحاج، صاحب السفه في شعره، فانشدنا مديحا لأبى الفضل منه:

يا سيدا طلعت له لم تزل ... أشهى الى عيني من النوم
لم تظلم القوم وحاشاك ان ... تنسب في الظلم الى القوم
جازيتهم مثل الذى اسلفوا ... في الدار والمجلس واليوم
وكان معنا ابن زنجي حاضرا، فانشدنا ابيات ابن رزيق:
انا لقينا حجابا منك أعرضنا ... فلا يكن ذلنا فيه لك الغرضا
فاسمع مقالي ولا تغضب على فما ... ابغى بنصحك لا مالا ولا عرضا
الشكر يبقى ويفنى ما سواه فكم ... سواك قد نال ملكا فانقضى ومضى

في هذه الدار في هذا الرواق على ... هذى الوساده كان العز فانقرضا

١٢٠٣١٠٦٥ سنه احدى وستين وثلاثمائة

وهذه الأبيات قالها ابو محمد بن زريق، وقد اتى الى باب الكوفى، وقد استكتبه بجكم، وعزل ابن شيرزاد، وانزل الكوفى دار ابن طومار بخان ابى زياده، وكانت من قبل ديوانا لابن شيرزاد، فجاء ابن زريق فحجب عن الكوفى، فقال لحاجبه حين انشده الأبيات: ويلك! اما كان له أسوة بمن دخل، ولكنك اردت ان يمزق عرضي، ويواجهنى به، ورفق بابن زريق، ولم يزل به حتى جلس ورضى. وفي رجب، تقلد ابن معروف قضاء القضاء. وانحدر عز الدولة والوزير ابو الفضل لمحاربه عمران، واقام ابو الفضل لحربه. ولابن الحجاج في ذلك، وقد كسر عمران عسكر الوزير غير مره، انشدنى ذلك شرف المعالى ابن أيوب، وكان احسن الرؤساء محاضره، واجملهم معاشره، وكلم له من مكارم أجزلها وكلم لبيته من مناقب اثلها: ان عمران مذ نشأ النصر فينا ... قد صفعنا قفاه حتى عمينا قال قوم حرم من صفعوه ... قلت لا بل حرم من يعيننا في ابيات.

وقام ابو الفضل يحارب عمران سنه، حتى ملك تله، فانتقل عمران الى هوكولان. وفي هذه السنه قبض على ابى قره بالجامده، وحمل الى جنديسابور، فمات تحت المطالبه، وكان قد نقل القبه التي على قبر الوزير القاسم بن عبيد الله، وهي قبه مشهوره بالشؤم، ونصبها على مجلس في داره، وكان القاسم قد تنوق في عملها، ودفن تحتها حين تمت. سنه احدى وستين وثلاثمائة في شهر ربيع الاول، خلع على ابى احمد محمد بن حفص بواسط، وقد الديوان مكان ابى قره وانحدر عز الدولة الى البصره. وفيها مات ابو القاسم سعيد بن ابى سعيد الجناني بهجر، وعقد القرامطة لأخيه ابى يعقوب، لم يبق من اولاد ابى سعيد غيره. وفي هذه السنه صالح ركن الدولة وابنه عضد الدولة صاحب خراسان، على ان يحملا اليه مائه وخمسين الف دينار. وتزوج صاحب خراسان بنت عضد الدولة، وتوسط الأمر عابد. وفي شعبان قبل ابن معروف شهاده ابى طالب بن الميلوس العلوي. وفي شهر رمضان، توفى عيسى بن المكتفي بالله. وفيه توفى ابو الغنائم الفضل بن ابى محمد المهلبى بالبصره، وحمل تابوته الى بغداد.

١٢٠٣١٠٦٦ سنه اثنتين وستين وثلاثمائة

أخبار

سنه اثنتين وستين وثلاثمائة

[أخبار]

خرج الدمستق في جموع كثيره الى بلاد الاسلام، فوطئها واثار القبيحه فيها، واستباح نصيبين، واقام بها خمسة وعشرين يوما، وانفذ اليه ابو تغلب ما لا هادنه به. واتى المستغيثون من اهل تلك البلاد الى بغداد، وضجوا في الجامع، وكسروا المنابر، ومنعوا من الخطبه، وصاروا الى دار المطيع لله، وقلعوا بعض شبابيكها. وكان عز الدولة بالكوفه، فخرج اليه ابو بكر الرازى، وابو الحسين على بن عيسى الرماني، وابو محمد الداركي وابن الدقاق، في خلق من اهل العلم والدين، مستنفرين ووبخوه على حرب عمران بن شاهين، وصرف زمانه الى القبض على ارباب الدواوين وعدوله عن مصالح المسلمين.

فادى اجتهاد ابى الفضل الشيرازى، ان قال للمطيع لله: يجب ان تعطى ما تصرفه في نفقه المجاهدين، فقال المطيع لله: انما يجب على ذلك، إذا كنت مالكا لأمرى، وكانت الدنيا في يدي، فاما ان أكون محصورا ليس في يدي غير القوت، الذى يقصر عن كفايتي، فما

يلزمي غزو ولا حج، وانما لي منكم الاسم على المنبر، فان آثرتم ان اعتزل اعتزلت. والتزم له بعد ذلك أربعمئة الف درهم باع بها انقاض داره وثيابه.

ثم وصل الخبر بان الدمستق قصد أمد، فخرج اليه واليها هزار مرد، مولى ابى الهيجاء بن حمدان وانضم اليه هبة الله بن ناصر الدولة، وساعدهم اهل الثغور، فنصرهم الله تعالى، وكثر القتل والاسر لأصحاب الدمستق، وأخذ مأسورا، وذلك في ثانی شوال. وكان اكثر السبب في خذلان الله تعالى للروم ان هبة الله تعالى متقدمهم في مضيق، وقد تقدم عسكره ولم يتأهب، فكانت الحال في اسره كما وصفنا. وكتب ابو تغلب كتابا الى المطيع لله، يخبره بالحال، وكتب الصابى الجواب عنه،

نزول الخارج بالمغرب بمصر

وهو مذكور في رسائله ومات الدمستق من جراح به. وفي شعبان قتلت العامه والاتراك نمارا صاحب المعونة برأس الجسر من الجانب الشرقى، واحرقوا جسده، لأنه كان قد قتل رجلا من العوام وولى مكانه الحبشي، فقتل احد العيارين في سوق النخاسين، فثارت العامه وقتلته، وانفذ ابو الفضل الشيرازى حاجبه صافيا لمعاونه صاحب الشرطه، وكان صافى ييغض اهل الكرخ، فاخترق النخاسين الى السماكين، فذهب من الأموال ما عظم قدره. واحرق الرجال والنساء في الدور والحمامات واحصى ما احترق فكان سبعة عشر ألفا وثلاثمئة دكان وثلاثمئة وعشرين دارا، اجره ذلك في الشهر ثلاثة واربعون ألف دينار واحترق ثلاثة وثلاثون مسجدا. وكلم ابو احمد الموسوى أبا الفضل الشيرازى، بكلام كرهه، فصرفه عن النقابة، وولى أبا محمد الحسن بن احمد بن الناصر العلوي. وركب ابو الفضل الى دار ابن حفص التي على باب البركة، واحضر التجار وطيب قلوبهم، فقال: له شيخ منهم: ايها الوزير أريتنا قدرتك، ونحن نؤمل من الله تعالى ان يرينا قدرته فيك، فامسك ابو الفضل ولم يجبه، وركب الى داره. نزول الخارج بالمغرب بمصر

وكان جوهر صاحب الخارج بمصر، قد اتى مصر، واقام الدعوة لصاحبها وبنى له قصره، وأتاها ابو تميم معد بن اسماعيل، الملقب بالمعز فنزلها. وفي سادس عشر ذي القعدة خلع على إسحاق بن معز الدولة من دار الخلافه بالسيوف والمنطقه، ورسم بحجبه المطيع لله على رسم أخيه عز الدولة في ايام ابيه، ولقب عمده الدولة. وفي سادس ذي الحجه قبض على ابى الفضل الشيرازى، وقد كثر الدعاء عليه في المساجد والبيع والكائس، وقد ذكرنا مصادراته للمطيع لله، واحراق غلامه الكرخ، وما بت من المصادرات، وسلم الى الشريف ابى الحسن محمد بن

وزارة ابى طاهر بن بقية لمعز الدولة

عمر، فانفذه الى الكوفه، فسقى ذرايح في سكنجبين، فتقرحت مثانته، ومات من ذلك. قال ابو حيان: قيل له في وزارته الثانيه: كنت قد وعدت من نفسك، ان اعاد الله يدك الى البسطه، ورد حالك الى السرور والغبطة، انك تجمل في المعاملات، وتنسى المقابله، وتلقى وليك وعدوك بالإحسان الى هذا والكف عن هذا! فكان جوابه ما دل على عتوه لأنه قال: اما سمعتم قول الله تعالى: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ فَمَا لَبَثَ بعد هذا الكلام الا قليلا حتى اورد ولم يصدر، ولم ينعش بعد ان عشر، وتولى ابن بقية مصادراته، فصادره على مائه ألف دينار. وزارة ابى طاهر بن بقية لمعز الدولة

كناه الخليفة، وخلع عليه، ولقبه الناصح، وكان يخدم في مطبخ معز الدولة، حتى خدم أبا الفضل الشيرازى، وكان واسع النفس، وكانت وظيفته في كل يوم الف رطل ثلجا، وفي كل شهر اربعة آلاف منا شمعا، وكان يفعل كما يفعل وزراء الخلفاء، من الجلوس في الدسوت

الكامله، ويضع وراء مجلسه أساطين الشمع، وبين يديه عدة اتوار فيها الموكيات والثلاثيات، وفي كل مجلس من الدار تور فيه ثلاثية، وان كان المكان خاليا، وفي أيدي الفراشين الموكيات، بين يدي من يدخل ويخرج، وفي الشتاء يترك بين يديه كوانين الفحم، فيها جمر الغضا، ويترك عليه اقطاع الشمع، فكان يشتعل احسن اشتعال. وفي هذه السنه توفي القاضي ابو حامد احمد بن عامر بن بشر المروروذي بالبصرة.

١٢٠٣١٠٦٧ سنه ثلاث وستين وثلاثمائة

أخبار

سنه ثلاث وستين وثلاثمائة

[أخبار]

طوبل ابو محمد بن معروف ان يستحل بيع دار ولد ابى الحسن محمد بن ابى عمرو الشرايى حاجب الخليفة، وكان أبوه قد مات، والبائع لها وكيل نصبه المطيع لله.

فامتنع واغلاق بابيه، واستعفى من القضاء، فقلد مكانه القاضي ابو الحسن محمد بن صالح بن أم شيبان الهاشمي، بعد ان امتنع، وأجاب على الا يقبل رزقا، ولا خلعه، ولا شفاعة، وان يدفع الى كاتبه من بيت مال السلطان ثلاثمائة درهم، ولحاجبه مائه وخمسون درهما، وللقاضي في الفروض على بابيه مائه درهم، ونحازن ديوانه وأعوانه ستمائة درهم، وان يصل اليهم ذلك من الخزانة، فأجيب.

وركب معه ابن بقية والوجه، وتسلم عهده بحضرة المطيع لله، فتولى انشاء ابو منصور احمد بن عبيد الله الشيرازي، صاحب ديوان الرسائل يومئذ، وقرئ عهده في جامع المدينة.

وصرف ابو تمام الزينبي عن نقابه العباسيين، وتقلدها ابو محمد عبد الواحد بن الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

وفي رجب لقب ابو تغلب عده الدولة، وخرج باللقب اليه ابو الحسن بن عمرو كاتبه.

واضاق عز الدولة، فأنحدر الى الاهواز، فتنازع تركي وديلمي في معلف بالاهاوز، فوقعت بينهم وقعه، فقبل ارسالان التركي وهو لعرجنه، وكان قد ظهر بين سبكتكين وعز الدولة، فقبض عز الدولة على الاتراك الذين عنده.

وحل اقطاع سبكتكين بالاهاوز، وقبض على عماله ووكلائه، وفعل باصحابه بالبصرة كذلك وكتب على الاطيار الى أخيه ابى إسحاق، وامره ليقبض على سبكتكين.

فاشاع ابو الحسن عمده الدولة ان عز الدولة أخاه قد مات، وقصد ان يأتيه سبكتكين

خلافه الطائع لله ابى بكر عبد الكريم بن المطيع لله

معزيا، فيقبض عليه، وحسب ذلك، ووردت عليه كتب اصحابه بالشرح.

وجمعت أم عز الدولة الديلم بالسلاح.

وركب سبكتكين الى دار عمده الدولة، وهي دار مؤنس، فخاربههم يومين، فاستسلموا وسألوه ان يفرج لهم لينحدروا، ففعل وانحدروا. وتفرق الديلم بمركعات الى عز الدولة، واستولى سبكتكين على اموال عز الدولة وسلاحه.

وانحدر المطيع لله فانفذ سبكتكين وردده.

ونهب الاتراك دور الديلم، ثم نهبوا دور التجار، فافتقر الناس، واعتزل المطيع لله الخلافة، ونذكر سبب عزله.

وكان المطيع لله كريما أديبا، حكى ابو الفضل التيمى، عن المطيع لله قال:

سمعت شيخي ابن منيع يقول: سمعت أبا عبد الله احمد بن حنبل يقول: إذا مات صدقا الرجل ذلك ذل.

خلافه الطائع لله ابى بكر عبد الكريم بن المطيع لله

كانت سبع عشره سنه، وثمانية اشهر، وستة ايام.

لما وقف سبكتكين على حال المطيع لله، رحمه الله عليه، في حال العله التي لحقته، وللفالج الذي تمادى به، حتى ثقل لسانه، دعاه الى خلع نفسه، وجعل الأمر الى ولده الطائع لله.

وبويح له يوم الأربعاء، لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة، سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، ولم يتقلد الخلافة من له أب حي غيره، وغير ابى بكر الصديق رضى الله عنه:

وركب الطائع لله يوم بويح له، وعليه البرده، وقد خلع على سبكتكين، وكناه ولقبه نصير الدولة، وطوقه وسوره، وسار سبكتكين بين يديه، وركب في يوم

الاضحى الى المصلى، وصلى بالناس وخطب وخلع على ابى الحسن على بن جعفر كتابته. واصعد عز الدولة من الاهواز الى واسط.

وصارت بغداد حزين، فالسنه تنادى بشعار سبكتكين، والشيعة تنادى بشعار عز الدولة. وواصل عز الدولة استنجد ركن الدولة وابى تغلب وعمران بن شاهين.

١٢٠٣١٠٦٨ سنة اربع وستين وثلاثمائة

سنة اربع وستين وثلاثمائة

توفى في المحرم ابو منصور إسحاق بن المتقى لله على احدى وخمسين سنة.

وقدم حمدان بن ناصر الدولة على سبكتكين، واحدره على مقدمته، واصعد ديبس بن عفيف على مقدمه عز الدولة، فالتقى ديبس بحمدان تحت جبل، فاسر حمدان من اصحاب ديبس خلقا، وقتل آخرين، واستامن بعد ذلك الى عز الدولة. وانحدر سبكتكين والأتراك، لقتال عز الدولة.

وانحدر الطائع لله ومعه أبوه المطيع، فلما بلغوا دير العاقول، توفى المطيع ليله الاثنين لثمان بقين من المحرم، وتوفى سبكتكين بعده، ليله الثلاثاء لسبع بقين منه، لذرب ناله، فكانت مده امارته شهرين وثلاثة عشر يوما، ففي ذلك يقول ابن الحجاج:

اغضوا وفي الأحشاء جمر الغضا ... واستقبلوا الحزن على ما مضى

عجبت من امركم ما بدا ... حتى تولى معرضا وانقضى

تفسحت دودتكم هيبة ... للصل في واسط إذ فضضا

لما سما مولاه في بجفل ... اسود كالليل يسد الفضا

ولاح برق الموت من سيفه ... والموت من حديه قد اومضا

امرضه الخوف ومن حق من ... ساوره الرئبال ان يمرضا

وانفتحت ثلته باب استه ... فلم يزل يسلم حتى قضى

يا معشر الأتراك لا تعرضوا ... عن قول من صرح او عرضا

نوحوا وصيحوا يا قتيل الخرا ... قد كنت فينا ثقة مرتضى

قال الرئيس ابو الحسن: وجدت بخط سابور نسخه، ما خلفه سبكتكين الف الف دينار مطيعيه، وعشره آلاف الف درهم ورقا، وصندوقان طويلان فيهما جوهر،

وستون صندوقا طوالا، منها خمسة واربعون فيها آنيه الذهب والفضه، وخمسه عشر منها بلور محكم، وثلاثون مركب ذهب، ومنها خمسون، كل واحد وزنه الف مثقال، وستائة مركب فضه، واربعه آلاف ثوب ديباجا، منها الفان وخمسمائة تستريه، وخمسمائة رومية ملكيه، والباقي بغداده وعشره آلاف راس جمالا، وثلاثمائة داريه، واربعون خادما.

وحمل المطيع لله الى بغداد، ودفن في ترابه والده المقتدر بالله رحمه الله عليهما بالرصافة، وصلى عليه ابن معروف، وكبر عليه نحسا. ودفن سبكتكين بالخرم.

وعقدت الأتراك الأمر لفتكين بن منصور، مولى معز الدولة، وعرض عليه الطائع اللقب فامتنع وكان يكتب من ابى منصور، مولى امير المؤمنين.

وانحدروا الى واسط وعز الدولة نازل بغربها، واقامت الأتراك بشرقيها، وعبروا اليه وقاتلوه، واستظهروا عليه أياما كثيره.

و بينما حمدان يقاتلهم مع الديلم رماه تركي بنشابه فوقعت في صماخ دابته، فتمطرت به فوق، فضربه الاتراك بالدبابيس حتى انحل وركه، واخذوه أسيرا.

وكان عز الدولة قد كاتب أبا تغلب، يستدعيه الى بغداد، فاستولى عليها العيارون، فدخلها ابو تغلب، وقتل منهم جماعة، وأخذ ما وجده الاتراك.

وذكر ابو حيان في كتاب الامتاع والمؤانسه، قال: حصل ببغداد من العيارين قواد منعوا الماء ان يصل الى الكرخ، وكان فيهم قائد يعرف بأسود الزبد، لأنه كان يأوي الى قنطره الزبد، ويستطعم من حضر، وهو عريان لا يتوارى.

فلما فشا الهرج، رأى هذا الأسود من هو اضعف منه، قد أخذ السيف، فطلب سيفاً ونهب واغار، وظهر منه شيطان في مسك انسان، وضع وجهه، وعذب لفظه، وحسن جسمه، وأطاعه رجال، فصار جانبه لا يرام، وحرمة لا يضام، وظهر من حسن خلقه مع شره، ولعنه وسفكه الدم، وهتكه الحريم، وركوبه الفواحش، وتمرده على

ربه القاهر، ومالكه القادر، انه اشترى جاريه بألف دينار، فلما حصلت عنده، حاول منها حاجته فنعته، فقال: ما تكرهين مني؟ فقالت: اكرهك كما أنت.

فقال: ما تحبين؟ قالت: ان تبيعي، قال: او افعل معك خيراً من ذلك؟

وحملها الى مسجد ابن رغبان، فأعتقها بين يدي القاضي ابن الرقاق، ووهب لها الف دينار، فعجب الناس من نفسه وهمة وسماحته وصبره على خلافها، وترك مكافاتها على كراهتها، ثم صار في جانب ابى احمد الموسوى، فحماه وسيره الى الشام، فهلك بها وقال ابن الحجاج، يذكر دخول ابى تغلب الى بغداد:

وأنت يا بغداد قولي فقد ... سألتك الحق ولا تكذبي
اريت بدرا قط في تمه ... احسن من وجه ابى تغلب
دلى عليه او فهاتيه من ... اى مكان شئت او فاطلي
هيات هذا طلب فائت ... مختلف المعنى فلا تتعبي
وكنت قد اخبرت حاشاك يا ... نظيره الجنه ان تخربي
جاءتك من تغلب ساداتها ... وطال ما استعجمت فاستعربي
فو الذى يعفو بإحسانه ... مقتدرا عن ذله المذنب
لو نطقت بغداد قالت نعم ... سبجان من فرج ما حل بي
اعاش حتى بعد ما مات أم ... في ليله القدر دعا لي النبي
يا عده الدولة كم دعوه ... مجابه فيك ولم تحجب

ولما بلغ الاتراك استيلاء ابى تغلب على دورهم، واخذ ما وجد فيها من انقاض وغيرها، اصعدوا معهم الطائع، فلما قاربوها اصعد ابو تغلب عنها فاصعدوا وراءه الأبنار، وانحدروا وقد بعد ودخلوا بغداد وانحدر الطائع الى داره.

وجدت الفتكين التوثقه على حمدان بن ناصر الدولة، ثم اطلقه وخلع عليه. وانفذ ركن الدولة جيش الري مع ابى الفتح بن العميد، وساروا الى عضد الدولة، وامر بالنفوذ لمعارضه عز الدولة، فالتقوا بارجان، وساروا، وكان اكثر خوفهم ان

يتلقاهم الاتراك ببازيين وهم تعبون فكفوا ذلك باصعاد الاتراك.

ولما وصل عضد الدولة اجتمع به بختيار، واصعدوا عن واسط، وسار عضد الدولة في شرق دجلة، وعز الدولة في غربها. فاحضر الطائع الاشراف والقضاة، وأخذ على الاتراك الايمان بالطاعة، والمناصحة في الثبات والمكافئة، وركب الى باب الشماسيه، واستقر الناس لقتال عضد الدولة، واجتمع من العامه اليه الجم الغفير. وكان عز الدولة، مع إيثاره لنصره ابن عمه، يخاف من مجيئه ومشاهده نعمته.

ولما قاربوا بغداد، انحدر المطيع والفتكين، وعبروا ديالى، وعسكروا ما بينه وبين المدائن، والتقوا بعضد الدولة، فكانت للاتراك أولاً، ثم انهزموا، ففرق منهم خلق كثير، واستامن آخرون، ودخل بغداد في النصف من جمادى الاولى، ونزلوا عند باب الشماسيه، ثم رحلوا عند اسفار الصبح، وقد أخذوا عيالاتهم وأسبابهم، وتبعهم الخلق الكثير من اهل بغداد.

وانفذ عضد الدولة، ونادى ببغداد بالتسكين لأهلها، والعفو عن جناتها، ونزل بباب الشماسيه عند دخوله. فلما وصل خبرهم من تكريت بتشتتهم، نزل عضد الدولة، في دار سبكتكين، ونزل عز الدولة داره، وهي دار المتقي لله.

وقال ابن الحجاج يستعطف عضد الدولة لأهل بغداد:

يا ايها الملك الرؤوف المنعم ... ارحم فثلك من يرق ويرحم

مولاي وصفك كان يعظم عندنا ... فالان أنت اجل منه واعظم

بغداد كانت جنه مسكونه ... فيما مضى فالان فهي جهنم

وراسل عضد الدولة الطائع لله، بابي محمد بن معروف حتى استعاده، ودخل الى بغداد في حديدى، جلس على سطحه، وخرج عضد

الدولة في طيارة، فتلقيه قريبا من قطيعه أم جعفر، وصعد الحديدى، وقبل البساط، ويد الطائع

لله، وطرح له كرسي بين يديه، فجلس عليه، وكان عضد الدولة عليه قباء اسود وسيف ومنطقه، واحدقت الطيارات والزبازب بالحديدى.

وانحدروا كذلك الى دار الخلافه، وكان عضد الدولة تقدم بعمارتها وتطريتها، وانفاذ الفرش والآلات إليها.

وحمل الى الطائع مالا وثيابا وطيبا، وخطب له يوم الجمعة عاشر رجب، بعد ان قطعت الخطبه له، من عاشر جمادى الاولى، ولم يحطب الى هذه الغاية لأحد.

وكتب الصابي عن عضد الدولة: لما ورد امير المؤمنين البردان انعم بالاذن لنا في تلقيه على الماء، فامثلهنا وتقبلناه، وتلقانا من عوائد كرمه، ونفحات شيمه، والمخايل الواعده بجميل رايه، وعواطف انجابه وارائه ما كنفتنا يمينه، وشايعنا عزه، الى ان وصلنا الى حضرته البهيه، شرفها الله في الحديدية التي استقلت منه بسليل النبوه، وعقيد الخلافه، وسيد الأنام، والمستنزل بوجهه دار الغمام، فتكفأت علينا في ظلال نوره ونشره، وغمرتنا حميات بفضله وفضيلته، وأوسعنا من جميل لقياه وكريم نجواه، ما وسم بالعز اعقال النعم، وتضمن الشرف في النفس والعقب، وتكفل من الفوز في الدين والدنيا بغايات الأمل.

وكانت لنا في الوصول اليه، والمثول بين يديه، في مواقع الحاظه، وتوارد ألفاظه، مراتب لم يبلغها احد فيما سلف، ولم تجد الأيام بمثلها لمن تقدم.

وسرنا في خدمته على الهيئه التي القى شرفها علينا، وحض جمالها مدى الدهر لنا، الى ان سار الى سده دار الخليفة، والسعود تشايعه، والميامن تواطئه، وطالع الامال يستشرف له، وثغر الاسلام يتبسم اليه، فعزم علينا بالانقلاب عنه على ضروب من التشريف، لا مورد بعدها في جلال، ولا موقف وراءها لمذهب في جمال، واجتلت الاعين عين محاسن ذلك المنظر، وتهادت اللسان من مناقب ذلك المشهد، ما بهت الناظر، وعاد شمل الاسلام مجموعا، ورواق العز ممدودا، وصلاح الدهماء ماهولا.

ومدح عضد الدولة ابو نصر بن نباته، بقصيده يذكر فيها الفتح، منها:

فما ذاب شطر اليوم حتى تصاخفت ... اسنه ارماع العدى وخدودها

واقدم وثبا على الهول خيله ... إذا كلمت لا تقشعر جلودها

يعيد الى جر الطعان صدورها ... ولا يدرك الغايات الا معيدها

رمىت جباه الترك يوم لقيتهم ... بشهباء من سر النزال قيودها

وكل فتى تحت العجاجة وكده ... إذا انخليل جالت ميتة يستجيدها

تداركت اطناب الخلافه بعد ما ... وهي سمكها العالي ومال عمودها

فاعفيت من تدبيرها متكلفا ... يحل به يوم الحفاظ عقودها

وسريلت ايوان المدائن بهجه ... اناف به والحاسدون شهودها

هو الملك المخلوق من خطراته ... طريف المعالي كلها وتليدها

ملوك بنى ساسان تزعم انه ... له حفظت اسرارها وعهودها

فتاها ومولاها ووارث مجدها ... وسيدها ان كان رب يسودها

قبيله بهرام واسره بهمن ... يميث ويحي وعدها ووعيدها

على زمن الضحاك كانت عصابه ... ولوعا بهامات الملوك حديدتها

إذا سترت غب الحروب جراحها ... أتها العوالي والسيوف تعودها

ولم أك أدري ان إخوتها القنا ... وان الظبي آباؤها وجدودها
تفارق في رحب الثناء نفوسها ... وقد علمت ان الثناء خلودها
فلا تجعلوا الأقدار مثل سيوفها ... فقد تسبق الأقدار فيمن يكيدها
اقول وقد سلت عشيه جازر ... ولاذت بها أغمادها تستعيد
اتلك رقاب زابلتها رءوسها ... لقي او سيوف زابلتها غمودها
وفي شهر رمضان، اعيد ابو تمام الزينبي الى النقابة على العباسيين وصرف ابو محمد عبد الملك عنها، وامر على الصلاة في الجوامع، واعيد
ابن معروف الى قضاء القضاء، وصرف ابن أم شيان.
واعيد ابو احمد الموسوي الى نقابه الطالبين.
ومات ابو العباس احمد بن خاقان المفلحي، عن تسعين سنة، وحجب اربعة خلفاء، وتقلد المعونة بالحضرة دفعات.
وزادت الأسعار، وعمدت الأقوات، وبيع الكر من الدقيق بمائه وخمسه وسبعين
دينارا، وكانت الدراهم اربعة عشر بدينار، وبيع كل ثلاثة أرطال بدرهم.
ووافق عضد الدولة الديلم حتى شغبوا على عز الدولة، فاراد استصلاحهم، فقال لعضد الدولة: تقلد الأمر، وانفذ حينئذ الى داره نفق
على خزائنها، وتولى له ابن بقية ذلك.
وقبض على ابى إسحاق وابى طاهر، اخوى عز الدولة.
وقرئ على القضاء والشهود والاشراف والأماثل بالجامع، كُتاب يتضمن استعفاء عز الدولة من النظر، ورد الأمر الى عضد الدولة،
ووعدوا بإفاضة العدل واحسان الرعية.
واختار ابن بقية ان يضمن واسط وتكريت وعكبرا واوانا، فأجيب الى ذلك، وخلع عليه، واقطع خمسمائة الف درهم في كل سنة،
وانحدر الى واسط.
وقد كان عضد الدولة، قد عاهد عمران بن شاهين، واعفى أبا تغلب من حمل مال، وكان بينهما موده قديمه ومكاتبه.
ولما حصل ابن بقية بواسط، خلع الطاعة، وعول على انه متى قصد النجا الى نهر الفضل واعمال عمران، فكاتبه عضد الدولة بتسكينه،
وبذل الامان في كتابه، فأجابه: اننى افلت إفلات المجروح المكوم، وتخلصت تخلص المصلوب المظلوم، وقد حصلت على اهلى بين قوم
سيوفهم حداد، وجعلت دون كل واحد منهم أناسا على البغاة غلاظ شداد، وقد وجدته اعطى قبلي أمانا لقوم قولا، واسقطه فعلا،
فلم يف بشيء منه، بل صدق في الجميع عنه، فليت شعري اى الأمانات يعطيني؟
أمان بنى شيرزيل، وقد عاهدهم الصيمرى له، واستعان بهم على سائر عساكره، بعد وفاه عماد الدولة، وحلف لهم ايمانا نقض جميعها،
وابطل سائرهما، واباد خضراءهم، وقلع من فارس اصولهم! أم بنى شكرسان، وقد كانوا الممهدين له الدولة، والمصلحين له الجملة، أم
الموصلين وقد اوردهم بساطه، وظهر بتقريبهم سروره واغتباطه، فلما حصلهم ببلاده وارضيه، قضى فيهم بالغدر اقبح قواضيه
وحكى لي ابو الزيان صاحبه متبجحا، انه ما بقي منهم صاحبه بأرض الا سته نفر، وما بقي من أماناته فهو أكبرها وأجلها، وهو وروده
تحت الركاب لنصره ابن عمه، على زعمه.
فلما ورد على تلك الصورة، وقع التشكك فيه قبل ان يحكم أموره، واعطاه من الايمان والعهود ما استدعى التائبين بفعله، واستجلب
السكون الى ما اضره من اغتياله وختله، وعز الدولة ينسب الى ما يأتيه الى الجميل، ولا يستريب به في كثير ولا قليل.
فلما سكن اليه، واعتمد في التوسط بينه وبين اوليائه عليه، وانتهاز فرصته، واستلب غرته، واستولى على الأمور كأنه مالكةا، وانشب
مخالبه فيها، فكانه لم يزل مدبرها، وجعل أرش مسيره لمعاونتته انتهاك محارمه، وتشتيت اصحابه وحرمه، وتناسى افعال معز الدولة له ولوالده
منذ ثلاثين سنة، وبذله عنهما عظيم الأموال، ونفيس الاحوال، في دفع اصحاب خراسان كل دفعه، وكسر عساكر وشمكير، والله تعالى
يهلك الظالمين، ويأخذ الباغين.
ورأى انه متى عاجلني ظهر تمويهه، وثار به سائر الأولياء، وانكشف تدييره، فاسر امرى في نفسه، ولم يتمكن من اظهاره في وقته،
فأطمعته كل الأطماع في ارتفاع ما ضمنته من الأموال، واعتمدت في أموره على من أعطاني المقدره عليها، ولجات الى كرمه فيما
عود منها، حتى قفزت من بين يديه قفزه يا لهفه عليها لو أدركها، واسفه على ما تم لي فيها، وكنت بحول الله في تدييري، كما قال ثابت
الخراعي:

إذا المرء لم يحتل وقد جد جده ... اضاع وقاسى امره وهو مدبر
ولكن أخو الحزم الذى ليس نازلا ... به الخطب الا وهو للقصد مبصر
وكانت نفسي تمارعنى تقديم ما تأخر، وتجاوزني تعجيل ما تأجل، فأجبتها بما قاله على بن محمد البصرى العلوي:
وإذا تمارعنى اقول لها اصبري ... موتا يريحك او صعود المنبر
ما قد قضى سيكون فاصطبرى له ... ولك الامان من الذى لم يقدر
وقد لقيت كافه جيوشه، وعامه اصحابه، وهي كعدد اهل احد كثره، بفتيان كعدد اهل بدر قله، فما زلت معهم في كل الأيام، كما
قال على بن محمد أيضا:

وانا لتصبح أسيافا ... إذا ما انتضين ليوم سفوك
منابرهن بطون الأكف ... واغماذهن رءوس الملوك
وانا اعرض عليه، ضد ما عرض على، لأنه صحيح وانا به مليء وفي، وقد آمنت عضد الدولة فناخسره بن ركن الدولة ابى على، مولى
امير المؤمنين، على نفسه ومماليكه، ومن يختار المسير معه من اصحابه، بأمان الله، وأمان رسوله ص، وأمان مولانا عز الدولة، وامانى الا
ان يكون سفك دما في بلادنا، فالحكم يجمعه واصحاب القواد، او أخذ مالا من غير واجب، فلا سبيل الى غير رده، او ظلم أحدا في
ممالكنا، او أخذ مالا من غير واجب، فلا سبيل الى غير رده، او ظلم أحدا في ممالكنا، فلا طريق الى الصفح عنه، الا بعد الانتصاف
للمظلوم منه واعتد عضد الدولة باطلاق ابن بقية في كتابه، فأجابه ابن بقية:

فابقيا على تركتmani ... ولكن خفتما صرد النبيل
وحصل عضد الدولة من المصادرات، الف الف وتسعمائة وخمسين الف درهم، منها من ابى عمرو بن عمر، ادى كاتب سبكتكين
الف الف وخمسمائة الف درهم، ومن ابى بكر الاصفهاني ألفا الف درهم، ومن ابن قريعة مائة الف درهم.
وقبض ابن بقية على من اصحبه عضد الدولة من القواد، واجتمع والمرزبان ابن عز الدولة، وكان بالبصرة، على مكاتبه ركن الدولة،
بالاستغاثة من عضد الدولة وابى الفتح بن العميد، فوردت كتب ركن الدولة إليهما، يأمرهما بالتمسك بمكانهما، ويعدهما المسير بنفسه.
وكتب بمثل ذلك الى ابى تغلب، فلما عرفوا نيته فيه تجاسروا عليه، واقدمت عليه العامه، فانفذ بابن العميد وابن بندار، وقال لهما قولا
لأبى ان انا خرجت من بغداد انفسدت على الممالك، وانا اقاطعه على ثلاثين الف الف درهم في كل سنة، واقدم منها عشرة آلاف
الف.

فلما وصلا الى ركن الدولة، اراد قتلها وسئل فيهما، فاوصلهما وقال: عودا
اليه، وقولا: تريد ان تمن على بنى أخي بدرهمين أنفقتهما، وامراه بالخروج عن بغداد وتسليمها الى عز الدولة.
فعاد ابن العميد الى عضد الدولة وحده، وعرفه الحال، فاضطر الى الخروج عن بغداد الى فارس، وافرغ عن عز الدولة واخوته،
وخلع عليهم.

وثار عليه العيارون والعامه، فقابلهم بالاستخفاف والسب، ووافق ابن العميد على الا يتخلف بعده اكثر من ثلاثة ايام.
فلما خرج، طابت بغداد لابن العميد، ونزل في الدور على دجلة، وحصلت له الزبازب والأغاني، وكانت قد حصلت بينه وبين ابن بقية
موده.
وامتنع ابن العميد عن الشرب، لما قبض عضد الدولة على بختيار، فكتب اليه ابن الحجاج، وقد شرب ابن بقية:

حقي على الأستاذ قد وجبا ... فإليه قد اصبحت منتسبا

يا بن العميد وأنت سيدنا ... ما قلتها زورا ولا كذبا
يا خير اهل الارض كلهم ... اما ويا اسرى العباد أبا
مولاي ترك الشرب ينكره ... من كان في بغداد محتسبا
ان كان من غم الأمير فلم ... ووزيره بالرطل قد شربا
ان الملوك إذا هم اقتتلوا ... اصبحت فيهم كلب من غلبا
فلذاك اسكر غير مكترث ... والف من خيشومي الذنبا
يا سادتي قد جاءنا رجب ... فتفضلوا واستقبلوا رجبا

بمدامه لولا ابوتها ... ما كنت قط اشرف العبا
نحمر كمثل النار موقده ... لم تلق لا نارا ولا حطبا
من قال ان المسك يشبهها ... ريحا فلا والله ما كذبا
وكان ابن العميد، قد سال ابن الحجاج الحضور عنده، فامتنع واعتذر بانقطاعه الى خدمه عز الدولة، فسال عز الدولة حتى انفذه اليه،
وشغف به وقال له: لم تاخرت عني؟ فقال له ابن الحجاج: انني تركت ما كان عليه أسلافي من الكآبه، وعدلت
الى الشعر السخيف، الذي هتك ستر تجلي، وفكرت في انك ممن لا يسامى قدره، ولا يرد امره ونبيه، واتهمت بك بانك جبلي الأخلاق،
فظ العشرة، ولم آمن من الا انفق عليك، او لا تنفق أنت علي، فتذهب قطعه من عمرى، وقد تنغص عيشي، فقال له ابن العميد:
فكيف رأيتني؟ قال: بالضد مما اتهمتك فيه، فاجعلني في حل، فقال له: قد تساويناء لك على مثل مالي عليك، فاني كنت اقرا اشعارك
فاظنك سخيفا، قليل المروءة، كثير العيوب، حتى شاهدتك فكنت بخلاف ذلك، فان أحللتني احللتك.
واعتد ابن العميد على بختيار بما صنعه معه من ابعاده عضد الدولة، فعرض عليه وزارته، فقال: لا يمكنني، فاني واهلي في خدمه ركن
الدولة، منذ خمسين سنه وهو هالك، فإذا مضى جثتك بقطعه من عسكره وكان ذلك يبلغ عضد الدولة، فحق عليه.
وورد ابن بقيه بغداد في ذي القعدة، وملا عين ابن العميد بالهدايا، وقال في بعض الأيام: لا بد ان اخلع عليه، فلما اكل وقعدا على
الشرب، أخذ ابن بقيه بيده فرجيه ورداء في غاية الحسن والجلاله، ووافى بهما الى ابن العميد، وقال: صرت يا استاذ جامدارك، فانظر
هل ترضيني لخدمتك، فطرح الفرجه عليه، فاخذ الرداء منه ولبسه.
وقصد الفتكين في ثلاثمائة غلام دمشق، وكان العيارون قد استولوا عليها، فخرج اليه اشرافها وشيوخها، وسلموها اليه، فاحسن السيرة،
وقع اهل الفساد، وقامت هيئته، وعظمت منزلته، وقصد العرب وابعدهم، وظهرت شجاعته، وكان اعور.
وكان ابن الشمشقيق، قد جاء في الروم، فاخذ بلاد الثغور، وصالح اهل دمشق على مال كثير، فخرج اليه الفتكين، ولعب بين يديه
بالرحم، فأعجبته فروسيته، ووهب ما قرره على اهل دمشق له، فسأله ان يهدى له سلاحه، فقاد مع فرسه وسلاحه عشرين فرسا بتجافيفها،
فرداها ابن الشمشقيق، ولم يقبل غير فرس الفتكين وسلاحه وحده
وانصرف عنه الى جبله وبيروت، ففتحهما عنوه، وتحصن منه اهل أنطاكية، فاستخلف عليها صاحبها له، فقطع شجرها التين، وهو يجرى
مجرى النخل بالبصرة، وفتحت له بعد ذلك.
وسار ابن الشمشقيق الى قسطنطينيه، فمات وفاته.
ومضى الى الفتكين، والده عز الدولة، واخواه ابو إسحاق وابو طاهر، وابنه المرزبان بعد قتله، على ما نشرحه، فأولاهم الجليل، واحسن
اليهم، وقصدته العساكر من مصر متكاثره، وكان ما ياتي ذكره في السنه الآتية، وما بعدها.

١٢٠٣١٠٦٩ سنه خمس وستين وثلاثمائة

سنه خمس وستين وثلاثمائة

توفي المعز بمصر، في شهر ربيع الآخر، سنه خمس وستين، ومده عمره خمس واربعون سنه وسبعة اشهر ويومان، ومده نظره ثلاث
وعشرون سنه وخمسه اشهر وسبعة عشر يوما، منها بمصر ثلاث سنين.
وقام ابنه نزار مقامه، ولقب بالعزیز، فكتب الفتكين بالاستماله، فاغلظ في جوابه، وقال: هذا بلد أخذته بالسيف، ولا أدين لأحد فيه
بطاعة فانفذ اليه جوهر في عساكر كثيره، فدعا اهل البلد واعلمها، ما قد أضلهم، وانه على مفارقتهم، فقالوا: ان أرواحنا دونك، وانا
بأذول نفوسنا دون نفسك.
ولما حصل جوهر بالرملة، كاتب الفتكين، وعرفه انه قد استصحب له أمانا، وكأبا بالعفو عما فرط فيه، وخلعا يفيضها عليه، واموالا،
فأجابه الفتكين اجابه مغالط، وأحال على اهل دمشق فعل جوهر على الحرب، وسار اليه، فالتقيا بالشماسيه، ودامت الحرب واتصلت
مده شهرين، وظهر من شجاعة الفتكين وغلمايه، ما عظموا به في النفوس.
وعاضد الفتكين الحسن بن احمد القرمطي، واجتمعا في خمسين ألفا، فانصرف جوهر الى طبرية، ومنها الى عسقلان، فحاصره بها،
وقطعا عنه الماء.
وكان جوهر في الشجاعة معروفا، فكان يبارز الفتكين، ويعرض عليه الطاعة لصاحبه، فيكاد ان يجيبه فيعترضهما القرمطي، فلا يمكن
الفتكين من ذلك.

فاجتمعوا يوما، فقال جوهر: قد علمت ما يجمعني وإياك من تعظيم الدين، وقد طالت الفتنة، ودماء من هلك في رقابنا، وإن لم تجب إلى الطاعة، فاسالك ان تمن على بنفسي وباصحابي وتدم لنا، وتكون قد جمعت بين حقن الدماء واصطناع المعروف، فقال الفتكين: انا افعل، على ان اعلق سيفي وريح القرمطى، على باب

عسقلان، وتخرج من تحتها، قال: رضيت، وأخذ خاتم الفتكين على الوفاء. وانفذ اليه جوهر مالا والطاقا، فاجتهد القرمطى بالفتكين ان يغدر، فلم يفعل، فخرج جوهر وشرح لصاحبه الحال، فامر باخراج المال، واثبت الرجال، وسار جوهر على مقدمته، واستصحب توايت آباءه. ولما عرف الفتكين، والقرمطى الحال، عاد الى الرملة واحتشد، وتقارب العسكران، واصطفا للقتال، وجال الفتكين بين الصنفين، فكبر وحمل وطعن وضرب.

فعلا العزيز على رايه، وعلى راسه المظلة، وقال لجوهر: ارني الفتكين، فأراه اياه، وكان على فرس ادهم بتجفاف من مرايا، وعليه فراعند، اصفر وهو يطعن تاره، ويضرب باللت اخرى، والناس يتحامونه. فالتفت العزيز الى ركابي يختص به، وقال له: امض الى الفتكين وقل له:

انا العزيز، وقد أزعجتني من سرير ملكي، واخرجتني لمباشرة الحرب، وانا اسألك بجميع ذلك، ولك على عهد الله، بانى أهب لك الشام باسره، واجعلك اسلسهار عسكري.

فمضى الركابي واعاد الرسالة، فخرج الفتكين، بحيث يراه الناس، وترجل وقبل الارض مرارا، ومرغ خديه، وقال: قل لمولانا، لو تقدم القول لسارعت، فاما الان فليس الا ما ترى.

فعاد الى العزيز بالجواب، فقال: ارجع اليه وقل له: تقرب مني بحيث أراك وتراني، فان استحققت ان تضرب وجهي بالسيف فافعل. فمضى، فقال الفتكين: ما كنت بالذي اشاهد طلعتته وانا بذه الحرب، وقد خرج الأمر عن يدي.

وحمل عند ذلك على الميسره فهزمها، وقتل كثيرا من أهلها، فحمل العزيز، والمظلة على راسه، فانهزم الفتكين والقرمطى، ووضع السيف في عسكرهما، فقتل منه عشرين الف رجل.

ومضى القرمطى هاربا، وبذل لمن يأتيه بالفتكين مائه الف دينار. وكان الفتكين يميل الى المفرج بن دغقل بن الجراح الطائي، وبترده لملاحظته، وشاع ذلك عنه، فانهزم يطلب ساحل البحر، ومعه ثلاثة من غلمان، وبه جراح، وقد جهده العطش، فلقيته سريه فيها المفرج، فلما رآه، التمس منه ماء، فسقاه، وقال له: سيرني الى اهلك، فحملة الى قريه تعرف ببلني، واحضر له ماء وفاكهة، ووكل به جماعه، وبادر الى العزيز فاخبره، فاعطاه المال الذي ضمنه، ومضى معه جوهر قتله.

وتقدم بضرب مضارب، واحضر كل من حصل في الاسر من اصحاب الفتكين، فامنهم وكساهم، وجعل كل واحد منهم فيما كان فيه معه، ووصل الفتكين فاخرج العسكر لاستقباله، وهو لا يشك انه مقتول.

فلما وصل الى النوبه، ورأى اصحابه مكرمين، وترجل الناس له، وحمل الى دست قد نصب ليجلس فيه، رمى بنفسه الى الارض، والقي عمامته، وعفر وبكى بكاء شديدا، وقال: لم استحققت هذا الإبقاء! وامتنع من الجلوس في الدست.

ووافاه أمين الدولة ابو الحسن بن عمار، وجوهر والخدم على ايديهم الثياب، واعلموه رضا العزيز عنه، والبسوه الخلع، وتقدم الى البازيار به واصحاب الجوارح بالمصير الى مضربه، وراسله بالركوب الى الصيد تانيسا له، وقاد اليه عده دواب، وعاد عشاء، واستقبله الفراشون والنفاطون بالمشاغل، ونزل وركب العزيز اليه ليلا، فقبل الارض وخاطبه بما سكن منه، وجعله حاجب حجاب.

وعفا عن الحسن بن احمد القرمطى، واقام بطبريه، وجعل له سبعين الف دينار في كل سنه، وتوجه اليه جوهر، وقاضى الرملة فاستخلفاه.

ومضى الفتكين مع العزيز الى مصر، وقد استامن اليه أخو عز الدولة وابنه، فزاد في اكرام الفتكين. وكان يتكبر على ابى الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس، وتدرجت الوحشة، وامرهما العزيز بالإصلاح، فلم يفعل الفتكين، فدرس عليه ابو الفرج سما فقتله، وحزن عليه العزيز، وقبض على ابى الفرج، وقد اتهمه بقتله نيفا واربعين يوما، وأخذ منه خمسمائة الف دينار، ووقفت الأمور باعتزاله الظر، فاعاده حين لم يجد منه بدا.

وتزوج الطائع بنت عز الدولة على صداق مائه الف دينار، وخطب ابو بكر ابن قريعة خطبه النكاح. وفي ذي القعدة توفي ابو الحسن ثابت بن سنان بن قصره الصابي صاحب التاريخ.

وقسم ركن الدولة الممالك بين اولاده، فجعل لعضد الدولة فارس وكرمان وارجان، ولمؤيد الدولة الري وأصبهان، ولفخر الدولة همدان والدينور.
ومرض ركن الدولة، فسار اليه عضد الدولة، وقبل الارض بين يديه، والتقى بأصبهان، وعمل ابن العميد دعوته، جمع فيها ركن الدولة واولاده الأمراء، وخاطبهم ركن الدولة، بان عضد الدولة ولي عهده، وخلع ابن العميد على القواد الف قباء والف كساء.
وأخذ عز الدولة لسهلان بن مسافر خلعا من الطائع، ولقبه عنه عصمه الدولة وأنفذها له.
وانفذ الى خفر الدولة مثلها، فلم يلبسها، ولم يتلقب سهلان مراقبه لعضد الدولة.

١٢٠٣١٠٧٠ سنه ست وستين وثلاثمائة

سنه ست وستين وثلاثمائة

توفي ركن الدولة ابو على بالري في ثامن عشر المحرم، وقال ابو بكر الخوارزمي يرثيه:

احين جرى ملكه في الملوك ورد به الله ملك العجم وخط الفناء على قبره بنحط البلى وبنان السقم إذا تم امر بدا نقصه توقع زوالا إذا
قيل تم وأتاها مؤيد الدولة، وانفصل عن أصبهان، وافرأ أبا الفتح بن العميد على ما كان اليه، وكان يكتب له في حياه ابيه الصاحب ابو
القاسم محمد بن العميد، حسده الصاحب وغيظه من قربه ان حمل الجند على الشغب، فحسم مؤيد الدولة المادة باعاده الصاحب الى
أصبهان.

وكان في نفس عضد الدولة على ابن العميد ما ذكرناه، حتى انه كان يقول:
خرجت من بغداد، وانا زريق الشارب، وابن العميد خرج ملقبا بذى الكفائتين، لان اهل بغداد كانوا يلقبون عضد الدولة بزريق
الشارب.

ونشط ابن العميد للشرب، وتداخله ارتياح، فعمل مجلسا عظيما، وشرب ببقية نهاره وعامه ليله، وعمل شعرا وهو يشرب، وامر بتلحينه
والغناء له به، ففعل المغنون ذلك، والشعر:

دعوت المنى ودعوت العلا ... فلها أجابا دعوت القدح

وقلت لا يام شرخ الشباب ... الى فهذا أوان الفرح

إذا بلغ المرء آماله ... فليس له بعدها مقترح

ولما غنى له بشعره، واستفزه الطرب، وشرب حتى سكر، وقال لغلمانه:

غطوا المجلس واتركوه على حاله، حتى نشرب عليه ونصطبج، وقام الى بيت منامه

وباركه رسول مؤيد الدولة يستدعيه، فركب وعنده انه يخاطبه على مهم، ويعود سريعا، فلما دخل اليه قبض عليه وأخذ أمواله.
ومن شعر ابى الفتح:

يقول لي الواشون كيف تحبها ... فقلت لهم بين المقصر والغالي

ولولا حذاري منهم لصدقتهم ... وقلت هوى لم يهوه قط أمثالي

وكم من شفيق قال: ما لك واجما ... فقلت: ابى ما بي وتسألني مالي

وترامت به الحال الى قتله.

وحكى ان أباه رآه وهو يخطر خطره أنكرها من مشيه امثاله، فقال لمن حضره:

انى لأخذه بالأدب حتى لانغص عليه عيشه، فانه قصير العمر، وعمره على ما يدل عليه نجه ثمان وعشرون سنه، هذا ما حكاه الثعالبي
في اليتيمه.

وقال ابن الحاج يرثيه من قصيده:

رويدك ان الحزن ضربه لازم ... الا فليقم ناعي البحور الخضارم

الا ان هذا المجد قد ساخ طوده ... فاصبح منهد الذرا والدعائم

الا ان بحر الجود قد غاض لجه ... فن للقلوب الصاديات الحوائم

فيا صارما فل البلى غرب خده ... وكغابه تقرى متون الصوارم

مضى جسمك الفاني وخلفت بعده ... معالى تلك المآثرات الجسائم

اخلاى بالري الذين عهدتهم ... يوفونني حق الصديق المساهم
 الموا جميعا او فرادى بقبره ... وقولوا له عن اجدع الأنف راغم
 كظيم وما زال الاسى متحاملا ... على كل موتور السرائر كاظم
 أيا راحلا عن قومه غير آتب ... ويا غائبا عن اهله غير قادم
 لمثلك فلتبك العيون باربع ... وما فائضا بعد الدموع السواجم
 وما كنت الا صارما فل حده ... باخر مشحوذ الغرارين صارم
 فلا هز هندي سقى دمك الثرى ... غداه الوغى الا باوهن قائم
 ومما يسلى الحزن انك وارد ... على فرح في جنه الخلد دائم
 ولم لا وقد قدمت زادا من التقى ... نهضت به مستبشرا غير نادم
 تجيء إذ صحف المظالم نشرت ... ببيضاء غفل من سمات المظالم
 وكنت إذا الفحشاء نادتك معرضا ... أصم غضيض الطرف دون المحارم
 عجت لمن انحى عليك بسيفه ... فانحى على غصن من البان ناعم
 اما راعه ذاك الشباب وحسنه ... فتدركه في الحال رقه راحم
 أبا الفتح يأبى سلوتى عنك اننى ... جعلت عليك الحزن ضربه لازم
 فما قصرت بي عن حقوقك ونيه ... ولا أخذتني فيك لومه لائم
 ولما بلغ عز الدولة وفاه ركن الدولة، قال: انا ولى عهد عمى ركن الدولة، وحلف لعمران بن شاهين، وتزوج ابو محمد عمران ابنه عز
 الدولة، وحضر بين يدي الطائع، وحلف لعهده الدولة ابى تغلب، فقال ابن الحجاج من قصيده:
 أنت علمتني المدايح حتى ... صرت فيها مجودا مطبوعا
 أنت واصلتني وكنت على الباب ... طريدا مبعدا ممنوعا
 أنت جددت ثوب عزى ... وقد كان لييسا مفتتا مرقوعا
 ملك عين من يعاديه ... لا تطعم غمضا ولا تذوق هجوعا
 ايها السيد الذى طاب في المجد ... اصولا كريمه وفروعا
 ان يوم الخميس اصبح فيه ... علم المجد والعلا مرفوعا
 رفعت رايه الهدى بيد ... النصر وخر النفاق فيه صريعا
 دوله عزها وعمدتها ... اليوم اضافا الى الجموع الجموعا
 وصلا الحبل بالتصافى فاضحى ... ظهر من يظهر الخلاف قطيعا
 وله رايه إذا ضحك النصر إليها ... تبكى السيوف نجيعا
 في جيوش تطبق الارض خيلا ... وسيوفا قواطعا ودروعا
 ينصرون الامام خير امام ... لم يكن خالعا ولا مخلوعا
 ورث الأمر عن ابيه بحق ... لم يكن محدثا ولا مصنوعا
 فهو مثل الهلال في الأفق نورا ... وعلا ورفعه وطلوعا
 وترانى بدرتي اصفع الحاسد ... في اخذه صفعاً وجيعا
 لا احابى وحق من خلق الجنه ... لا تابعا ولا متبوعا
 ولو انى حاييتهم كنت ندلا ... ساقطا سفله خسيسا وضيعا
 وفي رجب، قبض على ابى الفرج بن فسانحس، وحمل الى سر من راي، وتحرك ما كان في نفس عضد الدولة من قصد العراق،
 فاستخلف عز الدولة على بغداد الشريف أبا الحسن محمد بن عسر، وخرج معه ابن بقية، فزارا مشهد الحسين ع.
 وقصد ابن بقية الكوفة وحده، فزار واجتمع، وانحدر الى واسط، وقال ابن الحجاج يودعه:
 يا من اليه الامال تختلف ... ومن عليه القلوب تتعطف
 ومن بنو عمه واخوته ... ملوك اهل الدنيا به شرفوا

من استقلت بنو بويه به ... كما استقلت بالعائق الكتف
مولاي صبرا فان سائر ما ... تراه عما تحب ينكشف
وكل ما تشتهي وتؤثره ... ياتي كما تشتهي ولا يقف
ومن أتنا يسوقه طمع ... عنك بخفي حنين ينصرف
ثنيه عن هفوة الشباب غدا ... راى بعيد من النوى نصف
أولا فعزبه ملهله ... تستر منها السيوف والحجف
وذيل يحكم الطعان لها ... بأنها في الصدور تنقصف
وشرب ضم فوارسها ... لا عزل فوقها ولا عنف
هذا ونفسي الأمير دونك للرماة ... في حومه الوغى هدف
فانهض به نحوهم إذا نهضوا ... وازحف اليهم به إذا زحفوا
وأنت اعلى بنى بويه يدا ... وان تساوى القديم والخلف
كنتم بنى اهل بيت مكرمه ... توصف منهم بمثل ما وصفوا
حتى تلونا كم فكان لكم الفضل ... عليهم والمجد والشرف
والدر جنس لكن له قيم ... في الفضل عند التجار يختلف
وليس يدري ما فضل فاخره المكنون ... حتى يفتح الصدف
يا من إذا احلف البحار فقي ... نداه من كل فائت خلف
ينتظم المدح فيك متزنا ... وفي سواك المديح ينزحف
مولاي لما بعدت فاشتعلت ... نيران قلبي وطار بي الأسف
جئتك اعدو والشوق يعجلني ... إليك يا دافني وانصرف

وسال عز الدولة الطائع الانحدر، فأجاب وانحدر الى واسط في عاشر شعبان، ومعه ابن معروف، ونزل في دار الوزارة بها.
وساروا الى الاهواز، فوصلوها عاشر رمضان.
وكتب عز الدولة عن الطائع كتابا يدعو الى الصلح، ونفذ به خادم، فقال عضد الدولة للخادم: قل لمولانا امير المؤمنين، لا يمكنني الجواب، إذا مثلت بحضرتك ولم يجب على الكتاب.
ولما اشرفت الحال على الحرب، اصعد الطائع الى بغداد، وكانت الحرب بناحية يقال لها مشان من اعمال الباسيان، في نصف تموز، وهو يوم الأحد مستهل ذي القعدة، وكان ديبس بن عفيف الأسدي على ميسره عز الدولة، فاستامن وعطف على النهب، فنهزم عز الدولة، وقتل من اصحابه خلق، وغرق آخرون على جسر عقده بدجيل.
وكان حمدان في جملة المنهزمين، وتفرقت المذاهب بالمنهزمين، فالتقوا بمطاري.
واجتمع عز الدولة وبه جراح بأخيه عمده الدولة، وابن بقية بها على اسوا حال.
وانفذ عمران بابنه الحسن وكتابه وقواده، في عده سفن الى عز الدولة، وانفذ اليه والى ابن بقية ببال وثياب، وانفذ المرزبان بن بختيار الى ابيه بمثل ذلك من البصرة.
وانحدروا الى البصرة، وهي مفتتحة، فاراد ابن بقية ان يصلحها، فازدادت فسادا واحترقت الاسواق، ونهبت الأموال.
وورد ابو بكر محمد بن علي بن شاهويه صاحب القرامطة الكوفة في الف رجل منهم، واقام الدعوة بها وبسورا، وبالجامعين والنيل، لعضد الدولة
واشفق بختيار ان يسير عضد الدولة الى واسط، فيملكها، فتفوته النجاة، فاحترق البطائح، فتلقيه عمران في عسكره، واقام ابن بقية عنده ثلاثة ايام.
وكان عمران قد قال لعز الدولة، لما قصد حربه: سترى انك تحتاج الى، واعاملك من الجميل بخلاف ما عاملني به ابوك من القبح، فعجب الناس من هذا الاتفاق.
واستدعى البصريون من عضد الدولة، من يتسلم بدلهم، فانفذ أبا الوفاء طاهر بن محمد فدخلها.
واقام بختيار بواسط، وتراجع اليه اصحابه وجنده.

ورجع ابن بقية الى ذخيره له بها، واستمال الجند، فرغبوا فيه وآثروه على صاحبه.
وقال بعض البصريين في بختيار:

اقام على الاهواز خمسين ليله ... يدبر امر الملك حتى تدمرا

يدبر امرا كان اوله عمي ... واوسطه بلوى وآخره خسرا

ومن اعجب ما اتفق عليه، انه اسر له غلام اسمه باتكين، ولم يكن يميل اليه، فجن عليه، وتسلى عن ملكه الا عنه، وانقطع الى البكاء، وامتنع من الغذاء، واحتجب عن الناس تخف ميزانه، واستهان به ابن بقية، وانفذ بالشريف ابى احمد الموسوى، والحرب قائمه، يسال عضد الدولة في رد الغلام، وبذل في فدائه جارييتين، كان بذل ابو تغلب بن حمدان في إحداهما مائه الف درهم، وقال لأبي احمد: ان لم يرض عضد الدولة بهما، فأعطه هذا العقد- وكان فاعرا نادرا وضمن له ما اراد.

ولما مضى ابو احمد الى عضد الدولة، وادى الرسالة، امر برد الغلام، وكان قد حمل في عده غلمان الى ابى الفوارس بن عضد الدولة، فاعيد الى عضد الدولة، ولم يكن بين الغلام وبين غيره من الأسرى فرق، فامسكه عنده، وقال لأبي احمد:

لا انفذه حتى تمضى اليه برسائل، وتقرر معه القبض على ابن بقية، واضاف اليه أبا سعد بهرام بن أردشير الكاتب.

فلما وصلا الى بختيار، وخلوا به، اوحش ذلك ابن بقية

وكان بختيار ينزل في الجانب الغربي، وعول ابن بقية على طرد بختيار، وان يفرد هو بالحرب، فعدل بختيار الى تسكينه وتلافيه.

فلما كان في ذي الحجه، اشار ابراهيم بن اسماعيل - وكان بختيار قد استحجبه، بعد ان كان نقيبا- بالقبض عليه إذا عبر اليه، ففعل ذلك،

وانفذ أمواله وخزائنه، ووجد له ستة آلاف رطل ثلجا، كان أعدها لسماط عزم على اتخاذه للجند، وطلب عز الدولة منه شيئا قبل القبض عليه، فانفذ اليه ثلاثين رطلا.

فكانت وزارة ابن بقية اربع سنين واحد عشر يوما.

واستخلص عز الدولة أبا العلاء صاعد بن ثابت النصراني، من مجلس ابن بقية، وكتب الى بغداد على الاطيار بالقبض على اهله، فوقعت الكتب في ايديهم، فهربوا الى بنى عقيل بالبادية.

وقبض على ابن بقية بمشهد ابن بهرام بن أردشير، واعاد معه الشريف أبا احمد.

وجرت اقايص حتى عاد اليه باتكين.

وقال ابن الحجاج يمدح أبا سعد بن بهرام:

أبا سعد قد انكشف الغطاء ... وأمكتنا الحضور كما نشاء

وزالت رقبه الواشين حتى ... شفى من لوعة الشوق اللقاء

بنفسي أنت من قمر منير ... له في كل ناحيه ضياء

هزمت القوم أمس بغير حرب ... فامست في خفارتك الدماء

وكان القوم في داء ولكن ... لطف فصادف الداء الدواء

بقول ما خلطت به نفاقا ... ورأى لم يكن فيه رياء

فاضحوا والرجال لكم عبيد ... وامسوا والنساء لكم إماء

ولما حصل باتكين بالبصرة، تواترت البشائر الى بختيار، وظهر من السرور ما لم يعهد، وضمن انه إذا رد الغلام، عاد الى بغداد، وظهر الطاعة.

وامر عضد الدولة أبا احمد، الا يسلم الغلام، حتى يصعد بختيار الى بغداد.

وكان قد ورد عليه عبد الرزاق وبدر ابنا حسنويه، في الف فارس لنصرته،

فلما رآيا افعاله، كاتبأ بأباهما بالصورة، وعرفاه ضعف رايه، واختلال تدبيره، واصعدا، وفارقه عبد الرزاق بجرجايا، واستحيا بدر من مفارقتة.

وعادت الرسالة اليه بسمل ابن بقية، ففعل وسمل بعده صاحبه ابن الراعى، وأخذت عليه الايمان بطاعة عضد الدولة، واثبات اسمه على راياته، واقامه الخطبه له في كل بلد دخله.

فانصرف عنه بدر بن حسنويه حينئذ.

وكان في جملة ما شرط عليه عضد الدولة، ان يرحل عن بغداد الى الشام، والا يؤذى أبا تغلب.

وأتى عضد الدولة الأهوازي، فرتب أمورها، وسار منها إلى البصرة، وقد انصرف عنها المرزبان بن بختيار، فوجدها مفتتحة، فأصلحها وضمن أكبر أهلها أصاغرهم.

١٢٠٣١٠٧١ سنة سبع وستين وثلاثمائة

سنة سبع وستين وثلاثمائة

في صفر ورد الخبر إلى الكوفة بوفاه أبي يعقوب يوسف بن الحسن الجنابي صاحب هجر، فاغلقوا أسواقهم ثلاثة أيام، اجلالاً لمصيبته، ومولده سنة ثمانين ومائتين، وعقدوا الأمر لستة نفر من أهل بيته، اشركوا في الأمر، وسموا السادة. وصار أبو الحسن محمد بن يحيى العلوي إلى عضد الدولة، وسار في مقدمته إلى بغداد. وسار عز الدولة عنها لليلتين بقيتا من شهر ربيع الآخر، وتفرق ديلبه عنه، ففرقه انحازوا إلى الحسن بن فيلسار، وسار بها إلى جسر النهر، وانفذ عضد الدولة بمن أتاه به أسيراً، وبه عده ضربات. وفرقه صاروا إلى عضد الدولة، وفرقه ثبتوا معه. فقال ابن الحجاج في خروجه:

فديت قوماً ساروا ولكن ... ساروا على صورة خسيصة
نودي عليهم كما ينادى ... بسوق يحيى على الهريسة
كأنهم من يهود هطرى ... قد طردوهم من الكنيسة

آخر الجزء الأول، ويتلو في الثاني مملكة عضد الدولة أبي شجاع والحمد لله حق حمده وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلم تسليماً.

١٢٠٣٢ المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين تصنيف محمد بن جرير الطبري

١٢٠٣٢٠١ القول في تاريخ وفات الصحابة والتابعين

من النساء اللواتي متن قبل الهجره

[(المنتخب من كتاب ذيل المذيل) من تاريخ الصحابة والتابعين تصنيف محمد بن جرير الطبري]

(بسم الله الرحمن الرحيم) قال أبو جعفر محمد بن يزيد الطبري في كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين

[القول في تاريخ وفات الصحابة والتابعين]

من النساء اللواتي متن قبل الهجره

وأما من النساء اللواتي متن قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وكانت تكنى أم هند رضى الله عنها، وهند ابن لها من أبي هاله بن النباش بن زراره زوج، كان لها قبل النبي صلى الله عليه وسلم كنية به، وتوفيت قبل الهجره بثلاث سنين، وهي يومئذ ابنة خمس وستين سنة، كذاك حديثي الحارث عن ابن سعد عن محمد بن عمر عن محمد بن صالح وعبد الرحمن بن عبد العزيز. وكانت وفاتها في شهر رمضان من هذه السنة، ودفنت بالمحجون رحماً الله

وممن مات في سنة ثمان من الهجره

وممن مات في سنة ثمان من الهجره

قال: وممن مات في سنة ثمان من الهجره في أولها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت اسن بنات رسول الله ص، وكان سبب وفاتها أنها لما أخرجت من مكة إلى رسول الله ص، أدركها هبار بن الأسود، ورجل آخر، فدفعها أحدهما فيما قيل فسقطت

على صخره فاسقطت، فاهراقت الدم فلم يزل بها وجعها حتى ماتت منه.

قال: وممن قتل منهم جعفر بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، قتل بمؤته شهيداً. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة وابو تميلة، عن ابن اسحاق عن يحيى ابن عباد عن ابيه، قال: حدثني ابي الذي ارضعني، وكان أحد بني مرة بن عوف، وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال: والله لكأني انظر الى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، فقاتل القوم حتى قتل، وكان جعفر أول رجل من المسلمين - فيما قيل - عقر في الاسلام.

قال محمد بن عمر: حدثني عبد الله بن محمد بن عمر بن علي عن ابيه، قال: ضربه - يعني جعفرا - رجل من الروم فقطعه بنصفين، فوقع احد نصفيه في كرم فوجد في نصفه ثلاثون او بضعه وثلاثون جرحاً.

وكان اسلام جعفر قبل ان يدخل رسول الله ص دار الارقم، ويدعو فيها، وهاجر الى ارض الحبشه المهجره الثانيه ومعه امراته أسماء بنت عميس، فلم يزل بأرض الحبشه حتى هاجر رسول الله ص الى المدينة، ثم قدم عليه من ارض الحبشه وهو بخير سنه سبع وقتل سنه ثمان من

الهجره في جمادى الاولى منها، وهو احد أمراء رسول الله ص على السريه التي وجهها الى الروم، وكان جعفريكنى أبا عبد الله. وزيد الحب بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن إمرئ القيس بن عامر ابن النعمان بن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذره بن زيد اللات ابن رفيده بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة - واسمه عمرو - بن مالك بن عمرو بن مره بن مالك بن حمير بن سبا ابن يشجب بن يعرب بن قحطان.

ذكر ان أم زيد - وهي سعدى بنت ثعلبه بن عبد عامر بن اقلت بن سلسله من بني معن - من طيء - زارت قومها وزيد معها، فاغارت خيل لبني القين بن جسر في الجاهلية، فمروا على ابيات بني معن رهط أم زيد فاحتملوا زيدا، وهو يومئذ غلام يفعه قد اوصف، فوافوا به سوق عكاظ، فعرضوه للبيع، فاشتراه منهم حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قضى لعمته خديجه بنت خويلد بأربعمائة درهم، فلما تزوجها رسول الله ص وهبته له، فقبضه رسول الله ص اليه، وقد كان أبوه حارثة بن شراحيل حين فقده، قال: بكيت على زيد ولم ادر ما فعل أحي يرجي أم اتى دونه الأجل فوالله ما ادرى وان كنت سائلا اغالك سهل الارض أم غالك الجبل

فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعه فحسي من الدنيا رجوعك لي بجل تذكرني الشمس عند طلوعها وتعرض ذكره إذا قارب الطفل وان هبت الارواح هيجن ذكره فيا طول ما حزني عليه وما وجل ساعمل نص العيس في الارض جاهدا ولا اسام التطواف او تسام الإبل حياتي او تأتي على منيتي وكل امرئ فان وان غره الأمل واوصى به عمرا وقيسا كليهما واوصى يزيدا ثم من بعدهم جبل قال:

يريد جبلة بن حارثة أخا زيد بن حارثة، وكان اكبر من زيد، ويعني بيزيد أخا زيد لأمه، وهو يزيد بن كعب بن شراحيل

وجج ناس من كلب فرأوا زيدا فعرفهم وعرفوه فقال: ابلغوا اهلي هذه الأبيات، فاني اعلم انهم قد جزعوا على، وقال:

الكنى الى قومي وان كنت نائيا ... باني قطين البيت عند المشاعر

فكفوا من الوجد الذي قد شجاكم ... ولا تعملوا في الارض نص الأباعر

فاني بحمد الله في خير اسره ... كرام معد كبرا بعد كابر

فانطلق الكلبيون، فاعلموا أباه، فقال: ابني ورب الكعبه، ووصفوا له موضعه وعند من هو، فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل بفدائه، وقدا مكة فسألا عن النبي ص فقبل: هو في المسجد، فدخلوا عليه، فقالوا:

يا بن عبد الله يا بن عبد المطلب يا بن هاشم، يا بن سيد قومه: أتم اهل حرم الله وجيرانه وعند بيته تفكون العاني، وتطعمون الأسير، جئناك في ابنا عندك، فامن علينا، واحسن إلينا في فدائه فانا سنرفع لك في الفداء.

قال: من هو؟ قالوا زيد بن حارثة فقال رسول الله ص:

فهلا غير ذلك؟ قالوا: ما هو؟ قال: ادعوه فاخبره، فان اختاكم فهو لكما بغير فداء وان اختارني فوالله ما انا بالذي اختار على من

اختارني أحدا، فقالوا: قد زدنا على النصف واحسنت، فدعاه فقال: تعرف هؤلاء؟ قال: نعم قال: من هما؟

قال: هذا ابي، وهذا عمي، قال: فانا من قد علمت وعرفت، ورايت صحبتك لك فاخترني او اخترهما، فقال زيد: ما انا بالذي اختار

عليك أحدا أنت منى مكان الأب والعم، فقالا له: ويحك يا زيد! انتحار العبودية على الحرية، وعلى أبيك وعمك واهل بيتك! قال: نعم، انى قد رايت من هذا الرجل شيئا ما انا بالذي اختار عليه أحدا ابدا، فلما رأى ذلك رسول الله ص اخرجته الى الحجر فقال: يا من حضر، اشهدوا ان زيدا ابني، ارثه ويرثني، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا، فدعى زيد بن محمد حتى جاء الله عز وجل بالإسلام، حدثني بذلك كله الحارث عن ابن سعد عن هشام بن محمد عن أبيه وعن جميل ابن مرثد الطائي وغيرهما. وقد ذكر بعض الحديث عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس وقال في اسناده،

فزوجهم رسول الله ص زينب بنت جحش بن رثاب الأسدية وأما اميمه بنت عبد المطلب بن هاشم، فطلقها زيد بعد ذلك فتزوجها رسول الله ص، فتكلم المنافقون في ذلك، وطعنوا فيه، وقالوا: محمد يحرم نساء الولد، وقد تزوج امراه ابنه زيد! فانزل الله عز وجل: مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ الى آخر الآية وقال: ادعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ فدعى يومئذ زيد بن حارثة، ودعى الأدياء الى آبائهم، فدعى المقداد الى عمرو- وكان يقال له المقداد بن الأسود.

وكان الأسود بن عبد يغوث قد تبناه وقتل زيد في جمادى الاولى من هذه السنه وهو ابن خمس وخمسين سنه، وكان يكنى أبا سلمه فيما قيل، فقال محمد بن عمر: حدثنا محمد بن الحسن ابن اسامه بن زيد، عن أبيه قال: كان بين رسول الله ص وبين زيد عشر سنين، رسول الله ص اكبر منه، وكان زيد رجلا قصيرا آدم شديد الأدمة في انفه فطس، وكان يكنى أبا اسامه، وشهد زيد بدرًا وأحدا واستخلفه رسول الله ص على المدينة حين خرج الى المريسيع، وشهد الخندق والحديبية وخيبر، وكان من الرماه المذكورين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: وثابت بن الجذع من بنى سلمه من الانصار، وهو ثابت بن ثعلبه بن زيد ابن الحارث بن حرام بن كعب، والجذع ثعلبه بن زيد وسمى بذلك فيما قيل لشدة قلبه وصرامته ويقال أيضا ثابت بن ثعلبه الجذع وشهد ثابت العقبة مع السبعين الذين بايعوا رسول الله ص ليله العقبة من الانصار وشهد بدرًا وأحدا والخندق والحديبية وخيبر وفتح مكة ويوم حنين والطائف وقتل يومئذ شهيدا.

قال: وفي سنه تسع من الهجره

قال: وفي سنه احدى عشر من الهجره

قال: وفي سنه تسع من الهجره

ماتت أم كلثوم ابنه رسول الله ص في شعبان، فصلى عليها رسول الله ص، ونزل في حفرتها- فيما قيل- على بن ابى طالب ع والفضل بن العباس واسامه بن زيد، وهي التي روى عن أم عطية انها قالت: غسلت احدى بنات النبي ص. وروى عن انس بن مالك ان النبي ص قال لما وضعت في قبرها: لا ينزل في قبرها احد قارف اهله الليلة، وقال: افيكم احد لم يقارف اهله الليلة؟

فقال ابو طلحه: انا يا رسول الله، فقال: انزل، فنزل.

قال: وفي سنه احدى عشر من الهجره

توفيت فاطمه ابنه محمد ص، لثلاث ليال خلون من شهر رمضان، وهي ابنه تسع وعشرين سنه او نحوها وقد اختلف في وقت وفاتها فروى عن ابى جعفر محمد بن على ع، انه قال: توفيت فاطمة عليها السلام بعد النبي ص بثلاثة اشهر.

واما عبد الله بن الحارث فانه فيما روى يزيد بن ابى زياد عنه، قال: توفيت فاطمه ابنه رسول الله ص بعد رسول الله بثمانية اشهر.

وقال محمد بن عمر: حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة، قال:

وحدثنا ابن جريج عن الزهري عن عروه، أن فاطمه عليها السلام توفيت بعد النبي ص بستة اشهر.

قال ابن عمر: وهو الثبت عندنا

قال: توفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنه احدى عشر.

وذكر عن جعفر بن محمد ع انه قال: كانت كنية فاطمه عليها السلام أم أبيها.

قال: وابو العاص بن الربيع ابن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قضى واسمه مقسم وأمه هاله ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وخالته خديجة ابنة خويلد زوج رسول الله ص، وكان رسول الله ص زوجه ابنته زينب ابنة رسول الله قبل الاسلام، فولدت له عليا وامامه، فتوفي على وهو صغير وبقيت امامه فتزوجها على بن ابي طالب ع بعد وفاه فاطمه ابنة محمد رسول الله ص.

وكان ابو العاص بن الربيع فيمن شهد بدرًا مع المشركين فاسره عبد الله بن جبير ابن النعمان الأنصاري، فلما بعث اهل مكة في فداء أسارهم قدم في فداء ابي العاص اخوه عمرو بن ربيع.

فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن محمد، قال: حدثني يحيى ابن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عباد، عن عائشة، قالت: لما بعث اهل مكة في فداء أسارهم، بعثت زينب بنت رسول الله ص في فداء ابي العاص بمال، وبعثت فيه بقلاده كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها.

قالت: فلما رآها رسول الله ص رق لها رقّة شديدة وقال إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها وتردوها عليها الذي لها فافعلوا، فقالوا: نعم يا رسول الله، فاطلقوه وردوا عليها الذي لها.

ولم يزل ابو العاص معها على شركه حتى إذا كان قبيل الفتح، فتح مكة خرج بتجاره الى الشام وبأموال من اموال قريش ابضعوها معه، فلما فرغ من تجارتها وأقبل قافلاً لقيته سريه لرسول الله ص وقيل: ان رسول الله ص كان هو الذي وجه السريه للغير التي كان فيها ابو العاص قافلة من الشام، وكانوا سبعين ومائه راكب، أميرهم زيد بن حارثة، وذلك في جمادى الاولى من سنة ست من الهجرة، فأخذوا في تلك العير من الاثقال، وأسروا أناساً ممن كان في العير، فاعجزهم ابو العاص هرباً، فلما قدمت السريه بما

أصابوا اقبل ابو العاص من الليل، حتى دخل على زينب ابنة رسول الله ص عليه وسلم فاستجار بها فأجارتها في طلب ماله، فلما خرج رسول الله ص الى صلاه الصبح، وكبر وكبر الناس معه، فحدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني يزيد بن رومان، قال: صرخت زينب: أيها الناس، إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع، فلما سلم رسول الله ص من الصلاة، اقبل على الناس، فقال: يا أيها الناس، هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا، نعم، [قال: أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء كان حتى سمعت منه ما سمعتم، إنه يجير على المسلمين أديانهم] ثم انصرف رسول الله ص، فدخل على ابنته زينب، فقال: اي بني، اكرمي مثواه ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى السريّة الذين أصابوا مال أبي العاص [فقال لهم: إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا تردوا عليه الذي له، فإننا نحب ذلك، وإن أبيتم ذلك فهو فيء الله الذي افاءه إليكم، وأنتم أحق به،] قالوا:

يا رسول الله بل نرده عليه، قال: فردوا عليه ماله، حتى إن الرجل ليأتي بالحبلى، ويأتي الرجل بالسنّة والإداوة، حتى إن أحدهم ليأتي بالسطّاط حتى ردوا عليه ما له بأسره، لا يفقد منه شيئاً ثم احتمل إلى مكة فأدّى إلى كل ذي مال من قريش ما له ممن كان أبضع معه، ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، جزاك الله خيراً، فقد وجدناك وفياً كريماً، قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وما مني من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنني إنما أردت أكل أموالكم، فلما أداها الله عز وجل إليكم وفرغت منها أسلّمت - ثم خرج حتى قدم على رسول الله ص.

قال ابن إسحاق: فحدثني داود بن الحصين، عن عكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس قال: رد رسول الله ص زينب بالنكاح الاول لم يحدث

شيئا بعد ست سنين ثم ان أبا العاص رجع الى مكة بعد ما اسلم، فلم يشهد مع النبي ص مشهدا، ثم قدم المدينة بعد ذلك، وتوفي في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة في خلافه ابى بكر واوصى الى الزبير بن العوام.

قال: وذكر هشام بن محمد ان معروف بن خربوذ المكي حدثه قال: خرج ابو العاص بن الربيع في بعض أسفاره الى الشام، فذكر امراته زينب ابنة رسول الله ص فأثنا يقول:

ذكرت زينب لما وركت ارما ... فقلت سقيا لشخص يسكن الحرما

بنت الامين جزاها الله صالحه ... وكل بعل سيثنى بالذي علما

قال: وعكرمه بن ابى جهل - واسم ابى جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم - ذكر محمد بن عمر ان أبا بكر بن عبد الله بن أبي سبرة حدثه عن موسى بن عتبة، عن أبي حبيبة مولى الزبير عن عبد الله بن الزبير، قال: لما كان يوم فتح مكة هرب عكرمه بن ابى جهل الى اليمن، وخاف ان يقتله رسول الله ص، وكانت امراته أم حكيم ابنة الحارث بن هشام امراه لها عقل، وكانت قد اتبعت رسول الله ص، فجاءت الى رسول الله ص فقالت: ابن عمى عكرمه قد هرب منك الى اليمن، وخاف ان تقتله، فأمنه قال: قد آمنته بأمان الله، فمن لقيه فلا يعرض له، فخرجت في طلبه، فأدركته في ساحل من سواحل تهامة، وقد ركب البحر، فجعلت تليح اليه وتقول: يا بن عم، جئتك من اوصل الناس، وابر الناس، وخير الناس لا تهلك نفسك، وقد استأمنت لك منه فامنك فقال: أنت فعلت ذلك؟ قالت:

نعم، انا كلمته فامنك، فرجع معها، فلما دنا من مكة [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: ياتيكم عكرمه بن ابى جهل مؤمنا مهاجرا، فلا تسبوا أباه، فان سب الميت يؤذى الحي، ولا يبلغ الميت] قال: فقدم عكرمه، فانهى الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته معه، فسبقتة فاستأذنت على رسول الله ص، فدخلت فاخبر عمر رسول الله ص بقدوم

قال: وممن هلك سنة اربع عشرة من الهجره

عكرمه فاستبشر، ووثب قائما على رجله، وما على رسول الله ص رداء، فرحا بعكرمه، وقال: أدخله، فدخل فقال: يا محمد، ان هذه أخبرتي انك آمنتني، فقال رسول الله ص: فأنت آمن، قال عكرمه: فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وانك عبد الله ورسوله، وقلت: أنت ابر الناس، واصدق الناس، واوفى الناس، اقول ذلك واني لمطأطئ راسي استحياء منه ثم قلت: يا رسول الله استغفر لي كل عداوة عاديتكها، او مركب او ضعت فيه، اريد اظهار الشرك، فقال رسول الله ص: اللهم اغفر لعكرمه كل عداوة عادانيها، او مركب او ضع فيه، يريد ان يصد عن سبيلك، قلت:

يا رسول الله، مرني بخير ما تعلم، فاعلمه قال: قل أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وجاهد في سبيله ثم قال عكرمه: اما والله يا رسول الله، لا ادع نفقه كنت أنفقها في صد عن سبيل الله الا انفقت ضعفها في سبيل الله عز وجل ثم اجتهد في القتال حتى قتل شهيدا يوم اجنادين في خلافه ابى بكر، وقد كان رسول الله ص استعمله عام حجة على هوازن يصدقها، فتوفي رسول الله ص وعكرمه يومئذ بتبالة.

قال: وممن هلك سنة اربع عشرة من الهجره

نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وكان يكنى أبا الحارث بابنه الحارث، وكان نوفل - فيما قيل - اسن من اسلم من بنى هاشم، وكان اسن من عميه حمزه والعباس واسن من اخوته: ربيعة وابى سفيان وعبد شمس بنى الحارث، واسر نوفل بن الحارث ببدر.

قال ابن سعد: أخبرنا على بن عيسى النوفلي عن ابيه، عن عمه إسحاق بن عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: لما اسر نوفل ابن الحارث ببدر، [قال له رسول الله ص: افد نفسك يا نوفل، قال: ما لي شيء افدى به يا رسول الله، قال: افد نفسك برماحك التي ببجده،

قال: اشهد انك رسول الله، وفدى نفسه بها، وكانت الف ربح،] وآخى رسول الله ص بين نوفل والعباس بن عبد المطلب، وكانا قبل

ذلك شريكين في الجاهلية متفاوضين في المال متحابين، وشهد نوفل مع رسول الله ص فتح مكة وحنينا والطائف، وثبت يوم حنين مع رسول الله ص، واعان رسول الله ص في غزوه حنين بثلاثة آلاف رح، فقال له رسول الله ص: كأني انظر الى رماحك يا أبا الحارث تقصف اصلاب المشركين.

وتوفى نوفل بن الحارث بعد ان استخلف عمر بن الخطاب بسنه وثلاثة اشهر فصلى عليه عمر، ثم مشى معه الى البقيع، حتى دفن هناك.

وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، كان أخا رسول الله ص من الرضاعة ارضعته حليمة أياما وكان يألف رسول الله ص فلما بعث رسول الله ص عاداه وهجا واصحابه، فكث عشرين سنه مناصبا لرسول الله ص، لا يتخلف عن موضع تسير فيه قريش لقتال رسول الله ص فلما ذكر شخوص رسول الله ص الى مكة عام الفتح التقى الله عز وجل في قلبه الاسلام، فلتقى رسول الله ص تلقيه قبل نزوله الأبناء، فاسلم هو وابنه جعفر، وخرج مع رسول الله ص، فشهد فتح مكة وحنينا.

قال ابو سفيان: فلما لقينا العدو بحنين اقتحمت عن فرسي ويدي السيف صلتا، والله يعلم اني اريد الموت دونه، وهو ينظر الى فقال العباس: يا رسول الله، هذا اخوك وابن عمك ابو سفيان بن الحارث، فارض عنه، قال: قد فعلت، فغفر الله عز وجل له عداوة عادانيها، ثم التفت الى فقال: أخي لعمري! فقبلت رجله في الركاب.

قالوا: ومات ابو سفيان بن الحارث بالمدينة بعد أخيه نوفل بن الحارث باربعه اشهر الا ثلاث عشره ليله، ويقال: بل مات سنه عشرين وصلى عليه

قال: وممن قتل في سنه ست عشره

ذكر من قتل او مات منهم في سنه ثلاث وعشرين من الهجره

قال: وممن توفي سنه اثنتين وثلاثين من الهجره

عمر بن الخطاب، ودفن في ركن دار عقيل بن ابى طالب بالبقيع، وكان هو الذى حفر قبر نفسه قبل ان يموت بثلاثة ايام.

قال: وممن قتل في سنه ست عشره

سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن اميه بن زيد، وهو الذى يقال له: سعد القارئ، ويكنى أبا زيد، وهو احد الستة الذين روى عن انس بن مالك انهم جمعوا القرآن على عهد رسول الله ص، شهد بدرًا واحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ص، وقتل يوم القادسية شهيدا سنه ست عشره، وهو ابن اربع وستين سنه.

وفيه كانت وفاه مارية أم ابراهيم بن رسول الله ص فصلى عليها عمر بن الخطاب، وقبرها بالبقيع.

ذكر من قتل او مات منهم في سنه ثلاث وعشرين من الهجره

قال: منهم عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله ابن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب، وكان يكنى أبا حفص.

قال ابن سعد: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن ابيه، عن صالح ابن كيسان، قال: قال ابن شهاب: بلغنا أن أهل الكتاب كانوا أول من قال لعمر: الفاروق، وكان المسلمون يأترون ذلك من قولهم ولم يبلغنا ان رسول الله ص ذكر من ذلك شيئا.

قال ابن عمر: حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد عن أبيه قال:

طعن عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنه اربع وعشرين.

قال: وممن توفي سنه اثنتين وثلاثين من الهجره

الطفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، أخو عبيده بن الحارث الذى بارز عتبة بن ربيعة يوم بدر، وشهد الطفيل بن الحارث بدرًا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله ص، وتوفى سنه اثنتين وثلاثين وهو ابن سبعين سنه.

والحصين بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، وهو أخو عبيده والطفيل ابني الحارث، توفى في هذه السنه بعد أخيه الطفيل با شهر، وقد شهد الحصين بدرًا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله ص.

والعباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عم رسول الله ص أمه نائلة ابنه جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناه ابن عامر وهو الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط بن هنب بن افصى بن دغمة بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

وكان العباس يكنى أبا الفضل، وكان الفضل اكبر ولده، وكان العباس - فيما قيل - اسن من رسول الله ص بثلاث سنين ولد رسول الله ص عام الفيل، وولد العباس رحمه الله قبل ذلك بثلاث سنين، وشهد العباس مع رسول الله ص فتح مكة وحنينا والطائف وتبوك، وثبت معه يوم حنين في اهل بيته حين انكشف الناس عنه.

قال ابن عمر: حدثنا خالد بن القاسم البياضي، قال: أخبرني شعبه مولى ابن عباس، قال: كان العباس معتدل القناه، وكان يخبرنا عن عبد المطلب انه مات وهو اعدل قناه منه، وتوفي العباس يوم الجمعة لاربع عشره ليلة خلت من رجب سنة ثنتين وثلاثين في خلافه عثمان بن عفان، وهو ابن ثمان وثمانين سنة، ودفن بالبقيع في مقبره بنى هاشم.

وذكر ان الذى ولى غسل العباس حين مات على بن ابى طالب وعبد الله وعبيد الله وقثم بن العباس وروى عن محمد بن على انه كان يقول: مات العباس بن عبد المطلب سنة اربع وثلاثين، وصلى عليه عثمان ودفن بالبقيع.

ذكر من مات او قتل منهم في سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة

ذكر من مات او قتل منهم في سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة

قال: منهم المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود ابن عمرو بن سعد بن زهير - وكان بعضهم يقول ابن سعد بن دهير - بن لؤي بن ثعلبة ابن مالك بن الشريد بن اهون بن فاس بن دريم بن القين بن اهود بن بهراء بن عمرو ابن الحاف بن قضاعة وكان يكنى أبا معبد.

وكان حالف الأسود بن عبد يغوث الزهري في الجاهلية فتبناه، فكان يقال له: المقداد بن الأسود فلما نزل القرآن: ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ: قيل له المقداد بن عمرو.

وهاجر المقداد الى ارض الحبشة الهجرة الثانية في روايه ابن إسحاق وابن عمر، وشهد المقداد بدرًا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ص وكان من الرماه المذكورين من اصحاب رسول الله ص.

قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا موسى بن يعقوب، عن عمته عن أمها كريمة ابنه المقداد، انها وصفت أباهم، فقالت: كان رجلا طويلا آدم ذا بطن كثير شعر الراس يصفر لحيته وهي حسنة، ليست بالعظيمة ولا بالخشيفة، اعين مقرون الحاجبين اقنى قالت: ومات المقداد بالجرف على ثلاثة اميال من المدينة، فحمل على رقاب الرجال حتى دفن بالمدينة، وصلى عليه عثمان بن عفان وذلك سنة ثلاث وثلاثين، وكان يوم مات ابن سبعين سنة او نحوها.

قال ابن سعد: وأخبرنا محمد بن عبد الله الأسدي قال: حدثنا عمرو بن ثابت عن أبيه، عن ابى فائد، ان المقداد بن الأسود شرب دهن الخروج فمات

قال: وممن قتل في سنة ست وثلاثين من الهجرة

قال: وممن قتل في سنة ست وثلاثين من الهجرة

الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي كان قديم الاسلام قيل كان رابعا او خامسا حين اسلم، واسلم - فيما ذكر هشام بن عروة عن ابيه، قال: - اسلم الزبير، وهو ابن ست عشره سنة، ولم يتخلف عن غزوه غزاها رسول الله ص، وقتل وهو ابن بضع وخمسين سنة قال: وهاجر الى ارض الحبشة الهجرة الثانية، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخى بينه وبين ابن مسعود، وكان - فيما ذكر - رجلا ليس بالطويل، ولا بالقصير، خفيف اللحية، اسمر اللون اشعر.

حدثني الحارث قال حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب قال: حدثنا سفيان ابن عيينه قال: اقتسم ميراث الزبير على اربعين الف الف

وقالوا: خرج الزبير يوم الجمل، وذلك يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة من هذه السنة بعد الوقعه على فرسٍ له يُقال له ذو الخمار، منطلقاً نحو المدينة، فقتل بوادي السباع، ودفن هنالك وذكر عن عرويه انه قال: قتل ابى يوم الجمل، وقد زاد على الستين اربع سنين.

وطلحه بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مره، وكان يكنى أبا محمد، وأمه الصعبيه ابنه عبد الله الحضرمي قتل يوم الجمل، قتله مروان بن الحكم، وكان له ابن يقال له محمد، وهو الذي يدعى السجاد، وبه كان طلحه يكنى، وقتل مع ابيه طلحه يوم الجمل، وكان طلحه قديم الاسلام، ولم يشهد بدرا.

ذكر من مات او قتل منهم في سنه سبع وثلاثين من الهجره

ذكر من مات او قتل منهم في سنه سبع وثلاثين من الهجره

منهم عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوديم بن ثعلبه بن عوف بن حارثة بن عامر الاكبر بن يام بن عنس، وهو زيد ابن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وبنو مالك بن أدد من مذحج.

ذكر ان ياسر بن عامر ربي عمار بن ياسر واخويه الحارث ومالك، قدموا من اليمن الى مكة، في طلب أخ لهم، فرجع الحارث ومالك الى اليمن، واقام ياسر بمكة، وحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وزوجه ابو حذيفة أمه له، يقال لها سمية بنت خباط، فولدت له عمارا فاعتقه ابو حذيفة، ولم يزل ياسر وعمار مع ابى حذيفة الى ان مات وجاء الله بالإسلام فاسلم ياسر وسميه وعمار واخوه عبد الله بن ياسر، وكان لياسر ابن اكبر من عمار وعبد الله يقال له حريث، فقتلته بنو الدليل في الجاهلية، وخلف على سمية بعد ياسر الأزرق، وكان روميا غلاما للحارث بن كلبه الثقفي، وهو ممن خرج يوم الطائف الى النبي ص مع عبيد اهل الطائف وفيهم ابو بكره، فاعتقهم رسول الله ص فولدت للأزرق سلمه بن الأزرق، فهو أخو عمار لأمه، ثم ادعى ولد سلمه ان الارزق بن عمرو بن الحارث بن ابى ثمر من غسان وانه حليف لبنى اميه وشرفوا بمكة، وتزوج الأزرق وولده في بنى اميه، كان لهم منهم اولاد وكان عمار يكنى أبا اليقظان، وهاجر عمار بن ياسر في قول جميع من ذكرت من اهل السير الى ارض الحبشه الهجره الثانيه.

وذكر ابن عمر عن عبد الله بن جعفر ان رسول الله ص آخى بين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان، قال عبد الله بن جعفر: ان لم يكن حذيفة شهد بدرا، فان اسلامه كان قديما، وقالوا جميعا: شهد عمار بن ياسر بدرا وأحدا وانخدق والمشاهد كلها مع رسول الله ص قال ابن عمر:

حدثني عبد الله بن نافع، عن أبيه، عن ابن عمر.

قال: رايت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخره وقد اشرف، يصيح: يا معشر المسلمين، امن الجنة تفرون؟ انا عمار بن ياسر، هلم الى، وانا انظر الى اذنه قد قطعت فهي تذبذب وهو يقاتل أشد القتال.

قال ابن عمر: وحدثني عبد الله بن ابى عبيده عن ابيه، عن لؤلؤه مولاه أم الحكم بنت عمار بن ياسر، قالت: لما كان اليوم الذي قتل فيه عمار، والراية يحملها هاشم بن عتبة، وقد قتل اصحاب على ع ذلك اليوم حتى كانت العصر، ثم تقرب عمار من وراء هاشم يقدمه، وقد جنحت الشمس للغروب، ومع عمار ضيح من لبن ينتظر وجوب الشمس ان يفطر، فقال حين وجبت الشمس وشرب الضيح: سمعت رسول الله ص يقول: آخر زادك من الدنيا ضيح من لبن قال: ثم اقترب فقاتل حتى قتل وهو ابن اربع وتسعين سنه رحمه الله. قال ابن عمر: حدثني عبد الله بن الحارث، عن ابيه، عن عماره بن خزيمه ابن ثابت، قال: شهد خزيمه بن ثابت الجمل وهو لا يسلم سيفاً، وشهد صفين وقال: انا لا أضل ابداً، حتى يقتل عمار فانظر من يقتله، [فانى سمعت رسول الله ص يقول: تقتله الفئة الباغية،] قال: فلما قتل عمار قال خزيمه:

قد بانت لي الضلالة، ثم اقترب فقاتل حتى قتل.

وكان الذي قتل عمار بن ياسر ابو غادية المزني، طعنه برمح فسقط وكان يومئذ يقاتل في محفه فقتل يومئذ وهو ابن اربع وتسعين فلما وقع أكب عليه رجل آخر فاحتز راسه فاقبلا يختصمان فيه كلاهما يقول: انا قتلتها، فقال عمرو ابن العاص: والله ان يختصمان الا في

النار، فسمعها منه معاوية فلما انصرف الرجلان قال معاوية لعمر: ما رايت مثل ما صنعت، قوم بذلوا انفسهم دوننا تقول لهما: انكما تختصمان في النار! فقال عمرو: هو والله ذاك، والله انك لتعلمه ولوددت اني مت قبل هذا بعشرين سنة.

قال ابن عمر: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَوْنٍ قَالَ: قَتَلَ عَمَارٌ وَهُوَ ابْنُ أَحَدَى وَتَسْعِينَ سَنَةً، وَكَانَ أَقْدَمَ فِي الْمِيلَادِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ أَقْبَلَ إِلَيْهِ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ: عَقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجُهَنِيُّ وَعُمَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَوْلَانِيُّ، وَشَرِيكُ بْنُ سَلَمَةَ الْمُرَادِيُّ، فَانْتَهَوْا إِلَيْهِ جَمِيعًا وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَوْ ضَرَبْتُونَا حَتَّى تَبْلُغُوا بَنَاءَ سَعَفَاتِ هَجْرٍ لَعَلِمْنَا أَنَا عَلَى حَقٍّ وَأَنْتُمْ عَلَى بَاطِلٍ، فَحَمَلُوا عَلَيْهِ جَمِيعًا فَقَتَلُوهُ.

وزعم بعض الناس ان عقبه بن عامر هو الذى قتله، ويقال: بل الذى قتله عمر بن الحارث الخولاني.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَمَّا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، فَانْهَ ذَكَرَ عَنْ أَبِي مُخَنَفٍ، أَنَّ عَمَارًا لَمْ يَزَلْ بِهَاشِمِ بْنِ عَتْبَةَ حَتَّى حَمَلَ وَمَعَ هَاشِمَ اللَّوَاءَ، فَهَضَّ عَمَارٌ فِي كَتِيبَتِهِ، وَهَضَّ إِلَيْهِ ذُو الْكَلَاعِ فِي كَتِيبَتِهِ، فَاقْتَتَلَا جَمِيعًا، وَاسْتَوْصَلَتِ الْكَتِيبَتَانِ، وَحَمَلَ عَلَى عَمَارٍ حَوَى السَّكْسَكِيُّ وَأَبُو غَادِيَةِ الْمَزْنِيِّ فَقَتَلَاهُ، فَقِيلَ لِأَبِي الْغَادِيَةِ: كَيْفَ قَتَلْتَهُ؟ قَالَ: لَمَّا دَلَفَ إِلَيْنَا فِي كَتِيبَتِهِ وَدَلَفْنَا إِلَيْهِ نَادَى: هَلْ مِنْ مَبَارِزٍ؟ فَبَرَزَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ السَّكْسَكِ، فَاضْطَرَبَا بِسَيْفَيْهِمَا فَقَتَلَ عَمَارَ السَّكْسَكِيُّ، ثُمَّ نَادَى:

هَلْ مِنْ مَبَارِزٍ؟ فَبَرَزَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ حَمِيرٍ فَاضْطَرَبَا بِسَيْفَيْهِمَا، فَقَتَلَ عَمَارَ الْحَمِيرِيُّ وَاتَّخَذَهُ الْحَمِيرِيُّ وَنَادَى: مَنْ يَبَارِزُ؟ فَبَرَزْتُ، فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ، وَقَدْ كَانَتْ يَدُهُ ضَعْفَتْ فَاتَّخَذَ عَلَيْهِ بِضَرْبِهِ أُخْرَى، فَسَقَطَ، فَضْرِبَتْهُ بِسَيْفِي حَتَّى بَرَدَ قَالَ:

وَنَادَى النَّاسُ: قَتَلْتُ أَبَا الْيَقْظَانَ، قَتَلَكَ اللَّهُ! فَقُلْتُ: أَذْهَبَ إِلَيْكَ فَوَاللَّهِ مَا أَبَالِي مِنْ كُنْتُ، وَبِاللَّهِ مَا أَعْرِفُهُ يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْتَشِرِ: يَا أَبَا الْغَادِيَةِ خَصَمُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَازَنْدَرٌ - يَعْنِي ضَخْمًا -، قَالَ: فَضَحَكَ.

قال ابن عمر: وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَارٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ لَوْلَاهُ مَوْلَاهُ أُمُّ الْحَكَمِ بِنْتُ عَمَارٍ، أَنَّهَا وَصَفَتْ لَهُمْ عَمَارًا، فَقَالَتْ: كَانَ رَجُلًا آدَمَ

طَوَالًا مُضْطَرَبًا، أَشْهَلُ الْعَيْنَيْنِ، بَعِيدٌ مَا بَيْنَ الْمَنْكَبَيْنِ، وَكَانَ لَا يَغْيِرُ شَيْبَةً.

قال ابن عمر: الَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ فِي عَمَارٍ أَنَّهُ قَتَلَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَاصِفَيْنِ فِي صَفَرٍ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَتَسْعِينَ، وَدَفِنَ هُنَاكَ بِصَفَيْنِ.

وعبد الله بن بديل بن ورقاء بن عبد العزى بن ربيعة بن جرى بن عامر بن مازن بن عدى بن عمرو بن ربيعة شهد مع النبي ص فتح مكة وحنينا وتبوك، وقتل يوم صفين مع امير المؤمنين على بن ابي طالب ع.

وخزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعده بن عامر بن غيان بن عامر ابن خطمه بن جشم بن مالك بن الأوس، وهو ذو الشهادتين، يكنى أبا عماره.

وكان لخزيمة اخوان، يقال لأحدهما: وحوح وللآخر عبد الله، وكانت رايه خطمه بيده في غزوه الفتح، وشهد خزيمة مع على بن ابي طالب ع صفين، وقتل يومئذ سبعة وثلاثين من المهجره.

وسعد بن الحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن مبدول، وهو عامر بن مالك بن النجار، صحب النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد مع على بن ابي طالب ع صفين، وقتل يومئذ وهو أخو ابي جهيم بن الحارث بن الصمة.

وابو عمره، واسمه بشير بن عمرو بن محصن بن عمرو بن عتيك بن عمرو ابن مبدول، وهو ابو عبد الرحمن بن ابي عمره، الذى روى عن عثمان بن عفان، وقتل ابو عمره بصفين مع على بن ابي طالب ع.

وهاشم بن عتبة بن ابي وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة اسلم بن هاشم بن عتبة يوم فتح مكة وهو المرقال، وكان اعور فقئت عينه يوم اليرموك، وهو ابن أخي سعد بن ابي وقاص شهد صفين مع على بن ابي طالب ع وكان يومئذ على الرجاله، وهو الذى يقول: أعور يبغى أهله محلا ... قد عالج الحياة حتى ملا.

لا بد أن يفلا او يفلا

ذكر من مات منهم او قتل سنه اربعين

وقتل يوم صفين.

وابو فضالة الأنصاري، من اهل بدر، قتل مع علي ع بصفين.
وسهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبه بن عمرو بن الحارث بن مجدعه ابن عمرو بن حنش بن عوف بن عمرو بن عوف، ويكنى أبا سعد، وقيل: يكنى أبا عبد الله، وجده عمرو بن الحارث، وهو الذي يقال له: بحزب.
[وشهد سهل بدرا وأحدا، وثبت مع رسول الله ص يوم احد حين انكشف الناس عنه، وبايعه على الموت، وجعل ينضح يومئذ بالنبل، عن رسول الله ص، فقال رسول الله ص: نبلوا سهلا، فانه سهل] وشهد أيضا الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ص، وشهد سهل بن حنيف صفين مع علي بن ابي طالب ع.
قال ابن عمر: حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز، عن محمد بن ابي امامه ابن سهل عن ابيه، قال: مات سهل بن حنيف بالكوفة سنه ثمان وثلاثين وصلى عليه علي بن ابي طالب ع.
ذكر من مات منهم او قتل سنه اربعين

فمن قتل منهم فيها امير المؤمنين علي بن ابي طالب ع واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وكان يكنى أبا الحسن ضرب - فيما قيل - ليله الجمعة لسبع عشره خلت من شهر رمضان منها، ومات ليله الأحد لإحدى عشره بقيت منه منها، وقد مضت اخباره في كتابنا المسمى المذيل.
وذكر عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروه، انه قال: سألت أبا جعفر محمد ابن علي ع قال: قلت: ما كانت صفه علي ع؟ قال: رَجُلٌ آدَمٌ شَدِيدُ الْأَدَمَةِ ثَقِيلُ الْعَيْنَيْنِ ذُو بَطْنٍ، أَصْلَعُ، هُوَ إِلَى الْقَصْرِ أَقْرَبُ.

ذكر من هلك منهم سنه خمسين

ذكر من هلك منهم سنه خمسين

قال: منهم سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله ابن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، وكان يكنى أبا الأعور، وكان أبوه زيد بن عمرو بن نفيل قد فارق دين قومه من قريش، وتوفى وقريش تبني الكعبه، وذلك قبل ان يوحى الى رسول الله ص بخمس سنين، [فروى عن النبي ص انه قال: يبعث أمه وحده،] واسلم سعيد بن زيد قبل ان يدخل رسول الله ص دار الارقم، وقبل ان يدعو فيها، وشهد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ص، ولم يشهد بدرا.
وذكر ابن عمر ان عبد الملك بن زيد من ولد سعيد بن زيد، حدثه عن ابيه، قال: توفى سعيد بن زيد بالعقيق، فحمل على رقاب الرجال، فدفن بالمدينة ونزل في حفرته سعد وابن عمر وذلك سنه خمسين او احدى وخمسين وكان يوم مات ابن بضع وسبعين سنه، وكان رجلا طوالا آدم اشعر.

والمغيره بن شعبه بن ابي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو ابن سعد بن عوف بن ثقيف، واسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن عكرمه ابن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، وكان يكنى أبا عبد الله، وكان يقال له: مغيره الرأي، كان داهيه، وقدم على النبي ص فاسلم واقام معه حتى اعتمر عمره الحديبية في ذي القعدة سنه ست من الهجرة.
وذكر ابن عمر ان عبد الله بن محمد بن علي حدثه عن ابيه، قال:

قال علي ع: لما القى المغيره بن شعبه خاتمه في قبر رسول الله ص، قلت: لا يتحدث الناس انك نزلت في قبر رسول الله، ولا تحدث أنت الناس ان خاتمك في قبره، فنزل علي ع وقد رأى موقعه، فتناوله، فدفعه اليه

قال ابن عمر: حدثنا محمد بن أبي موسى الثقفي عن أبيه، قال: مات المغيره بالكوفة في شعبان سنه خمسين في خلافة معاويه، وهو ابن سبعين سنه.

وكان رجلا طويلا اعور، وقيل كان اصهب الشعر اكشف جعدا، يفرق راسه فروقا اربعة، اقلص الشفتين، مهتوما ضخم الهامه، عبل الذراعين، بعيد ما بين المنكبين.
قال ابو جعفر: والحسن بن علي بن ابي طالب ع، قال ابن عمر:

حدثني عبد الله بن جعفر، عن أم بكر بنت المسور، قالت: كان الحسن بن علي ع سم مرارا، كل ذلك يفلت حتى كانت المره الآخرة التي مات فيها، فانه كان يجتلف كبده، فلها مات اقام نساء بني هاشم النوح عليه شهرا.

قال ابن عمر: وحدثنا حفص بن عمر عن ابي جعفر قال: مكث الناس ييكون على الحسن بن علي ع سبعا ما تقوم الاسواق.

قال ابن عمر: وحدثنا عبيدة بنت نابل عن عائشة بنت سعد، قالت: حد نساء بني هاشم على الحسن بن علي سنه قال: وحدثنا داود بن سنان، قال: سمعت ثعلبه بن ابي مالك، قال: شهدنا حسن بن علي ع يوم مات، ودفناه بالبقيع، ولقد رايت البقيع ولو طرحت فيها ابره ما وقعت الا على راس انسان. وقال علي بن محمد: حدثني مسلم بن محارب، قال: مات الحسن بن علي ع سنه خمسين في ربيع الاول لخمس خلون منه. قال علي بن محمد: ويقال: بل مات سنه احدى وخمسين وهو ابن ست واربعين سنه.

ذكر الخبر عن مات او قتل منهم سنه ثنتين وخمسين

ذكر الخبر عن مات او قتل سنه اربع وخمسين

ذكر الخبر عن مات او قتل منهم سنه ثنتين وخمسين

منهم ابو أيوب، واسمه خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبه بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار، وهو احد السبعين الذين بايعوا رسول الله ص ليله العقبة من الانصار في قول جميعهم، وآخى رسول الله ص بينه وبين مصعب بن عمير، وشهد بدرًا وأحدا والخندق والمشاهد كلها، مع رسول الله ص، وتوفي عام غزاي زيد بن معاوية القسطنطينية في خلافة ابيه معاوية، وقبره بأصل حصن القسطنطينية بأرض الروم فالروم- فيما ذكر- يتعاهدون قبره، ويرمونه ويستسقون به إذا قطوا.

ذكر الخبر عن مات او قتل سنه اربع وخمسين

منهم حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، ذكر ابن عمر ان المنذر بن عبد الله حدثه عن موسى بن عتبة، عن أبي حبيبة مولى الزبير، قال:

سمعت حكيم بن حزام يقول: ولدت قبل قدوم اصحاب القيل بثلاث عشره سنه.

وانا اعقل حين اراد عبد المطلب ان يذبح ابنه عبد الله حين وقع ندره، وذلك قبل مولد رسول الله ص بخمس سنين وشهد حكيم بن حزام مع ابيه الفجار، وقتل أبوه حزام بن خويلد في الفجار الآخر، وكان حكيم يكنى أبا خالد، وكان له من الولد عبد الله وخالد ويحيى وهشام، وأهم زينب ابنة العوام بن خويلد ابن اسد بن عبد العزى بن قصي، ويقال: أم هشام بن حكيم مليكة ابنة مالك بن سعد من بني الحارث بن فهر.

وقد ادرك ولد حكيم بن حزام كلهم النبي ص يوم الفتح، وصحبوا رسول الله ص، وكان حكيم بن حزام- فيما ذكر- قد بلغ عشرين ومائه سنه

ومر به معاوية عام حج، فأرسل اليه بلقوح يشرب من لبنها، وذلك بعد ان ساله: اى الطعام يأكل؟ قال: اما مضغ فلا مضغ في، فأرسل اليه باللقوح، وارسل اليه بصله، فأبى ان يقبلها، وقال: لم آخذ بعد النبي ص شيئا، ودعاني ابو بكر وعمر الى حقي فأبيت ان أخذه.

قال ابن عمر: وحدثني ابن أبي الزناد عن أبيه، قال: قيل لحكيم بن حزام:

ما المال يا أبا خالد؟ قال: قله العيال.

قال ابن عمر: وقدم حكيم بن حزام المدينة ونزلها وبني بها دارا، ومات بالمدينة سنه اربع وخمسين في خلافة معاوية، وهو ابن مائه وعشرين سنه.

ومخرمه بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وأمه رقيقة ابنة أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف، فولد مخرمه صفوان، وبه كان يكنى، وهو الأكبر من ولده- والمسور والصلت الأكبر وأم صفوان، وأهم عاتكة ابنة عوف ابن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهره، اخت عبد الرحمن بن عوف وكانت من المهاجرات وأما الشفاء ابنة عوف بن عبد بن الحارث بن زهره، وهي من المهاجرات أيضا والصلت الأصغر وصفوان الأصغر والعطاف الأكبر والعطاف الأصغر ومحمدا.

واسلم مخرمه بن نوفل عند فتح مكة، وكان عالما بنسب قريش وأحاديثها، وكانت له معرفة بانصاب الحرم، فكان عمر يبعثه، وسعيد بن يربوع أبا هود وحويطب بن عبد العزى وازهر بن عبد عوف، فيجدون أنصاب الحرم، لعلمهم بها ثم ذهب بصر مخرمه بن نوفل في خلافه عثمان، وشهد مخرمه بن نوفل مع رسول الله ص يوم حنين، واعطاه من غنائم حنين خمسين بغيرا.

قال ابن عمر: رايت عبد الله بن جعفر ينكر ان يكون أخذ مخرمه من ذلك شيئا، وقال: ما سمعت أحدا من اهلي يذكر ذلك، قال: ومات مخرمه بالمدينة سنة اربع وخمسين في خلافه معاويه، وكان يوم مات ابن مائه وخمسة عشر سنة

قال: وحويطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤي.

قال ابن عمر: حدثني ابراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة الأشيلي عن ابيه، قال: كان حويطب بن عبد العزى العامري قد عاش عشرين ومائه سنة، ستين سنة في الجاهلية وستين في الاسلام فلما ولي مروان بن الحكم المدينة في عمله الاول، دخل عليه حويطب مع مشيخه جله حكيم بن حزام ومخرمه ابن نوفل، فتحدثوا عنده، وتفرقوا، فدخل عليه حويطب يوما بعد ذلك، فتحدث عنده، فقال مروان: ما سنك؟ فآخبره، فقال له مروان: تأخر اسلامك ايها الشيخ حتى سبقك الاحداث، فقال حويطب: الله المستعان، لقد هممت بالاسلام غير مره كل ذلك يعوقني ابوك عنه وينهاني، ويقول: تضع شرفك، وتدع دين آبائك لدين محدث وتصير تابعا! قال: فاسكت والله مروان، وندم على ما كان قال له، ثم قال له حويطب: اما كان اخبرك عثمان ما لقي من اييك حين اسلم، فازداد مروان غما، ثم قال حويطب: ما كان من قريش احد من كبرائها الذين يقولوا على دين قومهم الى ان فتحت مكة، كان اكره لما هو عليه مني، ولكن المقادير ولقد شهدت بدرا مع المشركين، فرايت عبرا، رايت الملائكة، تقتل وتأسر بين السماء والارض، فقلت: هذا رجل ممنوع، ولم اذكر ما رايت فانهزمتنا اجمعين الى مكة، فأقننا بمكة وقريش تسلم رجلا رجلا، فلما كان يوم الحديبية حضرت، وشهدت الصلح، ومشيت فيه حتى تم، وكل ذلك اريد الاسلام ويأبى الله جل وعز الا ما يريد فلما كتبنا صلح الحديبية، كنت احد شهوده، وقلت: لا ترى قريش من محمد ص الا ما يسوءها، قد رضيت ان دافعت بالراح ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمره القضية، وخرجت قريش عن مكة، كنت فيمن تخلف بمكة انا وسهيل بن عمرو، لان نخرج رسول الله ص إذا مضى الوقت، وهو ثلاث، فلما انقضت الثلاث، اقبلت انا وسهيل بن عمرو، فقلنا:

قد مضى شرطك فاخرج من بلدنا، [فصاح: يا بلال لا تغب الشمس واحد من المسلمين بمكة ممن قدم معنا] .

قال ابن عمر: وحدثني ابراهيم بن جعفر بن محمود، عن ابيه قال: وحدثني

أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن موسى بن عقبة، عن المنذر بن جهم قال:

قال حويطب بن عبد العزى: لما دخل رسول الله ص مكة عام الفتح، خفت خوفا شديدا، فخرجت من بيتي، وفرقت عيالي، في مواضع يأمنون فيها ثم انتهيت الى حائط عوف، وكنت فيه، فإذا انا بأبي ذر الغفاري، وكانت بيني وبينه خلة- واخله ابا نافع- فلما رايت هربت منه، فقال: أبا محمد! قلت:

لييك، قال: مالك؟ قلت: الخوف، قال: لا خوف عليك، تعال أنت آمن بأمان الله جل وعز فرجعت اليه وسلمت عليه، فقال: اذهب الى منزلك، قلت:

هل لي سبيل الى منزلي؟ والله ما أراني اصل الى بيتي حيا حتى القى فاقتل، او يدخل على منزلي فاقتل، وان عيالي لفي مواضع شتى، قال: فاجمع عيالك في موضع، وانا ابليغ معك منزلك، فبلغ معي وجعل ينادي على بابي: ان حويطبا آمن، فلا يهيج، ثم انصرف ابو ذر الى رسول الله ص فآخبره، فقال: او ليس قد آمننا الناس كلهم الا من امرت بقتله، قال: فاطمأنت، ورددت عيالي الى مواضعهم، وعاد الى ابو ذر، فقال: يا أبا محمد، حتى متى والى متى؟ قد سبقت في المواطن كلها وفاتك خير كثير، وبقي خير كثير، فات رسول

الله فاسلم تسلم، ورسول الله ابر الناس، واحلم الناس، واوصل الناس، شرفه شرفك، وعزه عزك قال: قلت فانا اخرج معك، فاتيه، فخرجت معه حتى اتيت رسول الله ص بالبطحاء، وعنده ابو بكر وعمر، فوقفت على راسه، وسالت أبا ذر: كيف يقال إذا سلم عليه؟ قال: قل السلام عليك ايها النبي ورحمه الله، فقتلها، فقال: وعليك السلام، احويطب؟ قال: قلت: أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الحمد لله الذي هداك قال: وسر رسول الله ص بإسلامي، واستقرضني مالا، فأقرضته أربعين الف درهم، وشهدت معه حيننا والطائف، وأعطاني من غنائم حنين مائه بعير.

قال ابو جعفر: ثم قدم حويطب بعد ذلك المدينة، فنزلها وله بها دار بالبلاط عند اصحاب المصاحف.

قال ابن عمر: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: باع حويطب بن عبد العزى داره بمكة من معاوية بأربعين الف دينار، وقيل له: يا أبا

محمد، أربعين الف دينار! قال: وما أربعون الف دينار لرجل عنده خمسه من العيال! قال عبد الرحمن بن ابى الزناد: وهو والله يومئذ يوفر عليه القوت في كل شهر، ومات حويطب بن عبد العزى بالمدينة سنة اربع وخمسين في خلافة معاوية، وكان له يوم مات مائه وعشرون سنة ومنهم الارقم بن ابى الارقم بن اسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم واسم ابى الارقم عبد مناف، وكان الارقم يكنى أبا عبد الله.

وذكر ابن عمر ان محمد بن عمران بن هند بن عبد الله بن عثمان بن الارقم بن ابى الارقم المخزومي، حدثه: أخبرني ابى عن يحيى بن عمران بن عثمان بن الارقم قال: أخبرني جدي عثمان بن الارقم، انه كان يقول: انا ابن سبع الاسلام، اسلم ابى سبع سبعة وكان داره على الصفا، وفي الدار التي كان النبي ص يكون فيها في أول الاسلام، وفيها دعا الناس الى الاسلام فاسلم فيها قوم كثير.

وشهد الارقم بن ابى الارقم مع رسول الله ص بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها.

قال ابن عمر: أخبرنا محمد بن عمران بن هند عن ابيه، قال: حضرت الارقم بن ابى الارقم الوفاة فاوصى ان يصلى عليه سعد، وكان مروان بن الحكم واليا لمعاوية على المدينة، وكان سعد في قصره بالعقيق، ومات الارقم، فاحتبس عليهم سعد، فقال مروان: ايجبس صاحب رسول الله ص لرجل غائب! واراد الصلاة عليه، فأبى عبيد الله بن الارقم ذلك على مروان، وقامت معه بنو مخزوم ووقع بينهم كلام، ثم جاء سعد فضلى عليه، وذلك سنة خمس وخمسين بالمدينة.

وهلك الارقم وهو ابن بضع وثمانين سنة.

قال: وابو محذوره، واسمه أوس بن معير بن لوزان بن ربيعة بن عويج بن سعد بن جمح، وكان له أخ من ابيه وأمه، يقال له: انيس، قتل يوم بدر كافرا قال ابن سعد: سمعت من ينسب أبا محذوره، فيقول اسمه سمره بن عمير بن لوزان ابن وهب بن سعد بن جمح، وكان له أخ من ابيه وأمه، اسمه أوس، قال: فولد ابو محذوره عبد الملك وحديرا، وتوفي ابو محذوره بمكة سنة تسع وخمسين ولم يهاجر، ولم يزل مقيما بمكة حتى مات.

والحسين بن علي بن ابى طالب ع ولد في ليال خلون من شعبان سنة اربع من الهجرة، يكنى أبا عبد الله، وولد الحسين ع عليا الاكبر، قتل مع ابيه بالطف، وأمه آمنه بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود بن معتب، من ثقيف وأما ابنه ابى سفيان بن حرب، وفيها يقول حسان بن ثابت في روايه محمد بن عمر:

طاقت بنا شمس النهار ومن رأى ... من الناس شمسا بالعشاء تطوف

ابو أمها اوفى قریش بزمه ... واعمامها اما سالت ثقيف

قال ابو جعفر: وهذان البيتان ينسبان الى عمر بن ابى ربيعة، وانهما من شعره، وينشد:

طاقت بنا شمس عشاء ومن رأى ... من الناس شمسا بالعشاء تطوف

ابو أمها اوفى قریش بزمه ... واعمامها- اما نسبت- ثقيف

وعليا الاصغر، وله العقب من ولد الحسين ع، واما على الاكبر فلا عقب له، وأم الاصغر أم ولد قال علي بن محمد: كانت تدعى سلافه.

قال ابو جعفر: ويقال ان اسمها جيداء- وكان فاضلا سيذا- وجعفر لا بقية له وفاطمة وأما أم إسحاق ابنه طلحه بن عبيد الله، وكانت

قبله عند الحسن بن علي فلما حضرته الوفاة اوصى حسيناً ان يتزوجها فتزوجها حسين، فولدت له فاطمة، وعبد الله، قتل مع ابيه، وسكينة، وأما الرباب ابنة امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب ابن عليم بن هبل بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيده ابن ثور بن كلب.

وفي الرباب وسكينة يقول الحسين بن علي ع. لعمر ك انني لاحب داراً ... تضيفها سكينة والرباب أحبهما وابذل بعد مالي ... وليس لائمي فيها عتاب ولست لهم وان عتبوا مطيعاً ... حياتي او يغيبني التراب قال علي بن محمد، عن حماد بن سلمه عن أبي المهزم، قال: كما مع

أبي هريرة في جنازة، فلما رجعنا أعياء الحسين ع صعد، فجعل أبو هريرة ينفذ التراب عن قدميه بثوبه، فقال له الحسين: أنت يا أبا هريرة تفعل هذا! قال: دعني منك، فلو يعلم الناس منك ما اعلم للملوك على عواتقهم.

قال أبو جعفر: وحدثت عن خالد بن خدّاش قال: لما قتل أهل نخع، لبث حماد نحواً من شهر لا يجلس، وكنت أراه محزوناً ثم جلس بعد ذلك رقيقاً تدمع عينه كثيراً شهرين أو ثلاثة، وسمعتة يقول: نحب ولد علي حب الاسلام. وقال محمد بن عمر عن أبي معشر: قتل الحسين ع لعشر خلون من المحرم. قال الواقدي: وهذا الثبت.

قال محمد بن عمر: وحدثنا عطاء بن مسلم، أخبره عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبیش قال: أول رأس رفع على خشبة راس الحسين ع.

وقال علي بن محمد: حدثني علي بن مجاهد عن حنش بن الحارث عن شيخ من النخع، قال: قال المحاج: من كان له بلاء فليقم، فقام قوم فذكروا، وقام سنان بن انس، فقال: انا قاتل الحسين ع، فقال بلاء حسن، ورجع الى منزله فاعتقل لسانه، وذهب عقله، فكان يأكل ويحدث مكانه.

قال: وممن هلك سنة اربع وستين

ذكر من هلك في سنة خمس وستين

قال: وممن هلك سنة اربع وستين

المسور بن مخزومة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، ويكنى أبا عبد الرحمن، وأمه عاتكة ابنة عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث، ابن زهره بن كلاب، وهي اخت عبد الرحمن بن عوف، وكانت من المهاجرات المبايعات، وقبض رسول الله ص والمسور بن مخزومه ابن ثمان سنين.

وذكر ابن عمر أن عبد الله بن جعفر حدثه عن أم بكر ابنة المسور بن مخزومه وأبي عون قالوا: أصاب المسور بن مخزومه حجر من المنجنيق، ضرب البيت، فانفلقت منه فلقه أصابت خد المسور وهو قائم يصلي، ففرض منها أياماً، ثم هلك في اليوم الذي جاء فيه نعي يزيد بمكة، وابن الزبير يومئذ لا يتسمى بالخلافة، الأمر شورى.

قال محمد: وحدثني عبد الله بن جعفر، عن أبي عون وأم بكر ابنة المسور قالوا: مات المسور في اليوم الذي جاء فيه نعي يزيد بن معاوية لئلال شهر ربيع الآخر، والمسور يومئذ ابن ثنتين وستين سنة.

قال أبو جعفر: ولد المسور بعد الهجره بسنتين وتوفي لئلال شهر ربيع الآخر.

سنة اربع وستين وكان يحيى بن معين - فيما حدث عنه - يقول: مات المسور بن مخزومه سنة ثلاث وسبعين.

قال أبو جعفر: وهذا غلط من القول.

ذكر من هلك في سنة خمس وستين

منهم سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون، وهو عبد العزى بن منقذ بن ربيعة ابن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة ابن عمرو مزريقا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة

ذكر من مات او قتل سنه ثمان وستين

ابن مازن بن الأزدي، ويكنى أبا مطرف.

اسلم وصحب النبي ص، كان اسمه يسار، فلما اسلم سماه رسول الله ص سليمان، وكانت له سنن عاليه وشرف في قومه، ونزل الكوفه حين نزلها المسلمون، وشهد مع علي ع صفين، وكان ممن كتب الى الحسين بن علي ع يسأله قدوم الكوفه، فلما قدمها ترك القتال معه، فلما قتل الحسين ع ندم هو والمسيب بن نجبه الفزارى وجميع من خذله فلم يقاتل معه، ثم قالوا: ما لنا توبه مما فعلنا الا ان نقتل أنفسنا في الطلب بدمه، فعسكروا بالنخيلة مستهل شهر ربيع الآخر سنه خمس وستين وولوا امرهم سليمان بن صرد، وخرجوا الى الشام في الطلب بدم الحسين ع فسموا التوابين، وكانوا اربعة آلاف، وقد ذكرنا خبرهم في كتابنا المسمى المذيل، فقتل سليمان بن صرد في هذه الوقعه، رماه يزيد بن الحصين بن ثمر بسهم فقتله، وحمل راسه وراس المسيب ابن نجبه الى مروان بن الحكم ادهم بن محرز الباهلي، وو كان سليمان يوم قتل ابن ثلاث وتسعين سنه.

ذكر من مات او قتل سنه ثمان وستين

قال: ومنهم عبد الله بن العباس عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي.

أمه أم الفضل، وهي لبابه الكبرى ابنه الحارث بن حزن من بنى هلال بن عامر.

قال علي بن محمد: ولد عبد الله بن عباس عليا وهو سيد ولده، ولد سنه اربعين.

ويقال: ولد عام الجمل سنه ست وثلاثين، وكان اجمل قرشي على الارض، واوسمه واكثره صلاه، وكان يدعى السجاد، وفي عقبه الخلافه، وعباسا وهو اكبر ولده- وبه كان يكنى- ومحمدا، وعبيد الله والفضل، ولبابه أهم زرع ابنه مشرح بن معديكرب بن وليعه، ومشرح احد الملوك الأربعة، ولا بقية للعباس وعبيد الله والفضل ومحمد بن عبد الله بن عباس، واما لبابه ابنه عبد الله فإنها كانت تحت علي بن عبد الله ابن جعفر بن ابي طالب رضى الله عنه، فولدت له، ولولدها أعقاب، وأسماء ابنه عبد الله كانت عند عبد الله بن عبيد الله بن العباس، فولدت له حسنا وحسينا، أمها أم ولد

قال ابن عمر: لا اختلاف عند اهل العلم عندنا ان ابن عباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون، قبل خروجهم منه بيسير، وذلك قبل الهجره بثلاث سنين، فتوفي رسول الله ص وابن عباس ابن ثلاث عشره سنه، الا تراه يقول في حديث مالك عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عنه: مررت في حجه الوداع على حمار انا والفضل، وقد راهقت يومئذ الاحتلام، والنبي ص يصلي.

وذكر داود بن عمرو الضبي ان ابن ابي الزناد حدثه عن ابيه وعبد الله بن الفضل ابن عياش بن ابي ربيع بن الحارث أخبرهما الثقه ان حسان بن ثابت، قال:

انا معاشر الانصار طلبنا الى عمر او الى عثمان- يشك ابن ابي الزناد- فشيننا بعبد الله ابن عباس وبنفر معه من اصحاب رسول الله ص، فتكلم ابن عباس، وتكلموا، وذكروا الانصار ومناقبهم، فاعتل الوالي قال حسان: وكان امرا شديدا طلبناه قال: فما زال يراجعهم حتى قاموا وعذروه الا عبد الله بن عباس قال:

لا والله، ما للانصار من مترك، لقد نصرنا وآووا، وذكر من فضلهم وقال: ان هذا لشاعر رسول الله ص والمناخ عنه، فلم يزل عبد الله يراجعهم بكلام جوامع يسد عليه كل حجه فلم يجد بدا من ان قضى حاجتنا قال: نخرجنا وقد قضى الله عز وجل حاجتنا بكلامه، فمررت في المسجد بالنفر الذين كان معه، فلم يبلغوا ما بلغ، فقلت حيث يسمعون: انه كان اولاً كم بها، قالوا: اجل فقلت لعبد الله:

انها والله صبابه النبوه وورائه احمد ص، كان احقكم بها قال حسان:

فقلت وانا أشير الى عبد الله:

إذا قال لم يترك مقالا لقاتل ... بملتقطات لا ترى بينها فصلا

كفى وشفى ما في الصدور فلم يدع ... لذي اربه في القول جدا ولا هزلا

سموت الى العليا بغير مشقة ... فملت ذراها لا دينيا ولا وغلا

وحدثني خالد بن القاسم البياضي، عن شعبه قال: سمعت ابن عباس يقول:

ولدت قبل الهجره بثلاث سنين، ونحن في الشعب، وتوفي رسول الله ص وانا ابن ثلاث عشره سنه، وتوفي ابن عباس سنه ثمان وستين وهو ابن احدى وسبعين سنه

ذكر من توفي او قتل منهم سنه اربع وسبعين

قال ابن عمر: وحدثني محمد بن عقبه ومحمد بن رفاعه بن ثعلبه بن ابي مالك عن شعبه مولى ابن عباس، قال: مات عبد الله بن عباس بالطائف سنه ثمان وستين وهو بن اثنتين وسبعين سنه.
وقال ابن عمر: حدثني إسحاق بن يحيى، قال: حدثنا ابو سلمه الحضرمي قال: رايت قبر ابن عباس وابن الحنفية قائم عليه، فامر به ان يسطح.

وقال علي بن محمد، عن حفص بن ميمون، عن ابيه، قال: توفي عبد الله بن عباس بالطائف، فجاء طائر ابيض، فدخل بين النعش والسرير، فلما وضع في قبره سمعنا تاليا يتلو: يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً.
وذكر بعضهم عن علي بن محمد انه قال: توفي عبد الله بن عباس وهو ابن اربع وسبعين سنه.

ذكر من توفي او قتل منهم سنه اربع وسبعين

منهم ابو سعيد الخدري، واسمه سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبه بن عبيد ابن الابجر، واسمه خدره بن عوف بن الحارث بن الخزرج وقد زعم بعضهم ان خدره هي أم الابجر، وأخو ابي سعيد لأمه قتادة بن النعمان الظفري من اهل بدر.
قال ابن عمر: حدثني الضحاك بن عثمان عن محمد بن يحيى بن حبان، عن ابن محيريز وابي صرمه عن ابي سعيد الخدري قال: خرجت مع رسول الله ص في غزوه بنى المصطلق.

قال ابن عمر: وهو يومئذ ابن خمس عشره سنه، قال: وشهد أيضا الخندق وما بعد ذلك من المشاهد.
قال ابن عمر: وحدثنا سعيد بن ابي زيد عن ربيع بن عبد الرحمن بن ابي سعيد عن ابيه عن ابي سعيد، قال: عرضت يوم احد على النبي ص وانا ابن ثلاث عشره سنه، فجعل ابي يأخذ بيدي، فيقول: يا رسول الله، انه عبل

ذكر الخبر عن هلك منهم سنه ثمان وسبعين

العظام، وان كان مؤدنا، قال: وجعل النبي ص يصعد في البصر ويصوبه ثم قال: رده فرده.
قال ابن عمر: حدثني عبد العزيز بن عقبه عن اياس بن سلمه بن الاكوع، قال: مات ابو سعيد الخدري سنه اربع وسبعين .
ذكر الخبر عن هلك منهم سنه ثمان وسبعين

منهم جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبه بن حرام بن كعب بن غنم ابن كعب بن سلمه بن سعد بن علي بن أسد بن سارده بن تزييد بن جشم بن الخزرج، وكان يكنى أبا عبد الله.

شهد العقبة في السبعين من الانصار الذين بايعوا رسول الله ص عندها، وكان من اصغرهم يومئذ واراد شهود بدر، خلفه أبوه على أخواته، وكن تسعا، وخلفه أيضا حين خرج الى احد، وشهد ما بعد ذلك من المشاهد.

قال ابن عمر: حدثنا ابراهيم بن جعفر، عن ابيه، قال: سألت جابر بن عبد الله: كم غزا رسول الله ص؟ فقال: سبعا وعشرين غزوه، غزا بنفسه، وغزوت معه منها ست عشره غزوه، ولم اقدر ان اغزو حتى قتل ابي بأحد، كان يخلفني على أخواتي، وكن تسعا، فكان أول غزوه غزوتها معه حمراء الأسد الى آخر مغازيه.

قال محمد بن عمر: وحدثني خارجه بن الحارث، قال: مات جابر بن عبد الله سنه ثمان وسبعين، وهو ابن اربع وتسعين سنه، وكان قد ذهب بصره، قال: ورايت على سريره بردا، وصلى عليه ابان ابن عثمان وهو والى المدينة.

ذكر من مات او قتل سنه ثمانين

ذكر من مات او قتل سنه ثمانين
منهم عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب، كان يكنى أبا جعفر، أمه أسماء بنت عميس، قال ابن عمر: مات عبد الله بن جعفر رضي الله عنه بالمدينة عام الحجاب - سيل كان ببطن مكة بحف بالحاج وذهب بالإبل وعليها الحمولة - فصلى عليه ابان بن عثمان، وكان واليا على المدينة من قبل عبد الملك بن مروان.
قال: وكان له يوم توفي تسعون سنه.

وقال علي بن محمد: توفي عبد الله بن جعفر سنه اربع او خمس وثمانين سنه.
وعمر بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، ويكنى أبا سعيد، وقبض النبي ص وهو ابن اثنتي عشره سنه.
وقال ابو نعيم الفضل بن دكين مات عمرو بن حريث بالكوفه سنه خمس وثمانين في خلافة عبد الملك بن مروان.
وعقيل بن ابى طالب بن عبد المطلب بن هاشم، وكان فيمن اسر يوم بدر، وكان لا مال له، فقدها العباس بن عبد المطلب، ذكر ابن سعد ان علي بن عيسى النوفلي اخبره عن ابيه، عن عمه إسحاق بن عبد الله عن عبد الله بن الحارث، قال: فدى العباس نفسه وابن أخيه عقيلًا بثمانين أوقية ذهب، ويقال بألف دينار.
قال ابن سعد: وأخبرنا علي بن عيسى، قال: حدثنا ابان بن عثمان عن معاوية ابن عمار الدهني، [قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد ع يقول:

قال رسول الله ص يوم بدر: انظروا من هاهنا من اهل بيتي من بنى هاشم.
قال: فجاء علي بن ابى طالب ع، فنظر الى العباس ونوفل وعقيل، ثم رجع، فناداه عقيل: يا بن أم علي: اما والله لقد رايتنا، فجاء علي الى رسول الله ص، فقال: يا رسول الله، رايت العباس ونوفلا وعقيلًا، فجاء رسول الله ص حتى قام على راس عقيل، فقال: أبا يزيد، قتل ابو جهل.
قال: إذا لا تنازع في تهامه، ان كنت أثخنت القوم والا فاركب اكثافهم]

قال ابو جعفر: وقيل: رجع عقيل الى مكة، فلم يزل بها، ثم خرج الى رسول الله ص مهاجرا في أول سنه ثمان، فشهد عزوه مؤتة ثم رجع، فعرض له مرض، فلم يسمع له بذكر في فتح مكة ولا الطائف ولا في حنين، وقيل: مات عقيل ابن ابى طالب بعد ما عمى في خلافة معاوية.

وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، [وهو الذي قال النبي ص يوم فتح مكة: الا ان كل دم ومائره في الجاهلية فإنها تحت قدمي هاتين، وان أول دم اضعه دم ربيعة بن الحارث] وانما قال النبي ص: وان أول دم اضعه دم ربيعة بن الحارث وربيعة بن هاشم، لان ذلك كان دما لربيعة المطلب به في الجاهلية، وذلك ان ابنا لربيعة صغيرا، كان مسترضعا في بني ليث بن بكر، وكان بين هذيل وبين ليث بن بكر حرب، فخرج ابن ربيعة بن الحارث، وهو طفل يحبو امام البيوت، فرمته هذيل بحجر فاصابه الحجر، فرضخ راسه، فجاء الاسلام قبل ان يثار ربيعة بن الحارث بدم ابنه، فابطل النبي ص المطلب بذلك الدم، فلم يجعل لربيعة السبيل على قاتل ابنه، فكان ذلك معنى وضع النبي ص دمه، وهو ابطاله ان يكون له المطلب به، لأنه كان من ذحول الجاهلية وقد هدم الاسلام المطلب بها واما ابن ربيعة المقتول، فانه يختلف في اسمه، فاما ابن عمر فانه قال: اسمه آدم بن ربيعة، وقال بعضهم: كان اسمه تمام بن ربيعة.

وقال بعضهم: كان اسمه اياس بن ربيعة، وقالوا جميعا: كان ربيعة بن الحارث اسن من عمه العباس بن عبد المطلب بسنين قالوا: ولم يحضر ربيعة بن الحارث بدرا مع المشركين كان غائبا بالشام، ثم قدم بعد ذلك على رسول الله ص مهاجرا ايام الخندق، وشهد مع رسول الله ص يوم حنين فيمن ثبت معه من اهل الخندق، وشهد مع رسول الله ص يوم حنين فيمن ثبت معه من اهل بيته واصحابه، وتوفي ربيعة بعد اخويه: نوفل وابى سفيان في خلافة عمر ابن الخطاب

وعبد الله بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وكان اسمه عبد شمس، فسماه النبي ص حين اسلم عبد الله، خرج من

مكة قبل الفتح مهاجرا الى رسول الله، ثم خرج مع رسول الله ص في بعض مغازيه فمات بالصفراء، فدفنه رسول الله ص في قيصه-
يعنى قيص النبي ص- وقال له سعيد: أدركته السعادة.

وجعفر بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، وكان جعفر بن ابى سفيان ممن ثبت يوم حنين مع رسول الله ص من
اصحابه، ولم يزل مع ابيه ملازما لرسول الله حتى قبض، وتوفى جعفر في وسط خلافة معاوية لعنه الله.

والحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم كان رجلا على عهد رسول الله ص، صحب رسول الله عند اسلام ابيه، وولد
ابنه عبد الله على عهد رسول الله ص، واتى به رسول الله فحنكه ودعا له.

قال ابن سعد: أخبرنا علي بن عيسى، عن ابيه، قال: انتقل الحارث بن نوفل الى البصرة، واختط بها دارا، ونزلها في ولاية عبد الله بن
عامر بن كريز، ومات بالبصرة في آخر خلافة عثمان.

وعبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، وقد روى عبد المطلب بن ربيعة عن رسول الله ص، وكان رجلا على
عهد رسول الله، قال ابن عمر: وحكاه ابن سعد عن علي بن عيسى النوفلي، ان عبد المطلب بن ربيعة لم يزل بالمدينة الى زمن عمر بن
الخطاب، ثم تحول الى الشام، فنزلها وابتنى بها دارا، وهلك بدمشق في خلافة يزيد بن معاوية وعتبة بن ابى لهب، واسم ابى لهب عبد
العزيز بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف، قال ابن سعد: أخبرنا علي بن عيسى بن عبد الله النوفلي عن حمزه ابن عتبة بن ابراهيم
اللهي، قال: حدثنا ابراهيم بن عامر بن ابى سفيان بن معتب

وغيره من مشيختنا الهاشميين، عن ابن عباس، عن أبيه العباس بن عبد المطلب قال: لما قدم رسول الله ص مكة في الفتح، قال لي: يا
عباس، اين ابنا أخيك: عتبة ومعتب لا اراهما؟ قال: قلت: يا رسول الله تخيا فيمن تنحى من مشركي قريش، فقال لي: اذهب فاتني
بهما، قال العباس: فركبت إليهما بعرنه فأتيتهما، فقلت: ان رسول الله يدعوكما، فركبا معي سريعين حتى قدما على النبي ص، فدعاهما
الى الاسلام، فأسلما وبايعا ثم قام رسول الله ص، فاخذ بأيديهما، وانطلق بهما يمشى بينهما، حتى اتى بهما الملتزم- وهو ما بين باب
الكعبة والحجر الأسود- فدعا ساعه ثم انصرف، والسرور يرى في وجهه قال العباس: فقلت له: سرى الله يا رسول الله، فاني ارى في
وجهك السرور، [فقال النبي ص: نعم انى استوهبت ابني عمى هذين ربى فوهبهما لي] .

قال حمزه بن عتبة: ففرجا معه في فوره ذاك الى حنين، فشهدا غزوه حنين، وثبتا مع رسول الله يومئذ فيمن ثبت من اهل بيته
واصحابه، وأصيب عتب بن معتب يومئذ، ولم يقم احد من بنى هاشم من الرجال بمكة، بعد ان فتحت غير عتبة ومعتب ابني ابى لهب.
واسامه بن زيد بن حارثة وهو حب رسول الله ص، ويكنى أبا محمد، وأمه أم ايمن، واسمها بركة حاضنه رسول الله ص ومولاته، وولد
اسامه بمكة ونشأ حتى ادرك لم يعرف الا الاسلام ولم يدن بغيره، وهاجر مع ابيه الى المدينة، وكان أبوه زيد في قول بعضهم أول الناس
إسلاما، ولم يفارق رسول الله ص.

قال ابن سعد: أخبرنا الفضل بن دكين، قال: حدثنا حنش، قال: سمعت ابى يقول: استعمل النبي ص اسامه بن زيد وهو ابن ثمان
عشره سنة

قال ابن عمر: لم يبلغ اولاد اسامه من الرجال والنساء في كل دهر اكثر من عشرين إنسانا، قال: وقبض النبي ص واسامه ابن عشرين
سنة، وكان قد سكن وادي القرى بعد النبي ص ثم نزل المدينة، فمات بالجرف في آخر خلافة معاوية.

وابو رافع مولى رسول الله ص، واسمه اسلم، كان عبدا للعباس ابن عبد المطلب، فوهبه للنبي ص، فلما بشر النبي ص باسلام العباس
اعتقه رسول الله ص، وهاجر ابو رافع الى المدينة بعد بدر، فأقام مع رسول الله ص، وشهد أحدا والخذق والمشهد كلها، وزوجه
رسول الله ص مولاته سلمى، وشهدت معه خيبر، وولدت لأبي رافع عبيد الله بن ابى رافع، وكان كاتبا لعلى بن ابى طالب ع.
وسلمان الفارسي، وكان يكنى أبا عبد الله، وأول غزاه غزاه سلمان الخندق.

وذكر عن جعفر بن سليمان عن هشام بن حسان عن الحسن قال: كان عطاء سلمان خمسه آلاف وكان على ثلاثين ألفا من الناس
يحطب في عباءه، يفترش نصفها ويلبس نصفها، وكان إذا خرج عطاؤه امضاه، ويأكل من سفييف يده.

قال ابن عمر: توفي سلمان الفارسي في خلافة عثمان بن عفان.

والأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي كان قديم الاسلام بمكة، وهاجر الى ارض الحبشه في المره الثانيه، وكان موسى بن عقبه يقول: هو نوفل بن خويلد الذي اسلم، وهاجر الى ارض الحبشه.

محمد بن عبد الرحمن بن الأسود بن نوفل بن خويلد، ويكنى أبا الأسود، وهو الذي يقال له: يتيم عروه بن الزبير.

وابو الروم عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، وأمه رومية، وهو أخو مصعب بن عمير لأبيه.

قال ابن عمر: كان ابو الروم قديم الاسلام بمكة وهاجر الى ارض الحبشه في الهجره الثانيه وشهد أحدا.

وجهم بن قيس بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي.

كان قديم الاسلام، وهاجر الى ارض الحبشه في المره الثانيه في قول جميعهم، ومعه امراته حريمه بنت عبد الأسود بن خزيمه بن اقيش بن عامر بن بياضه الخزاعية، ومعه ابنه منها عمرو وخزيمه ابنا جهم، وتوفيت حريمه بأرض الحبشه.

والوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، قال ابن عمر:

حدثني محمد بن عبد الله، عن الزهري، عن عروه قال: وأخبرنا ابراهيم بن جعفر، عن ابيه قال: خرج سلمه بن هشام وعياش بن ابي ربيعه والوليد بن الوليد مهاجرين الى رسول الله ص، فطلبهم ناس من قريش ليردوهم فلم يقدروا عليهم، فلما كانوا بظهر الحرة انقطعت اصبع الوليد فدميت، فقال:

هل أنت الا اصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيت

قال: وانقطع فؤاده، فمات بالمدينه، فبكته أم سلمه ابنه ابي اميه فقالت:

يا عين فابكي للوليد ... بن الوليد بن المغيرة

مثل الوليد بن الوليد ... ابي الوليد كفى العشيره

[فقال رسول الله ص: لا تقولي هكذا، يا أم سلمه، ولكن قولي:

وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ]

وابن أم مكتوم، واختلف في اسمه فاما اهل المدينة فيقولون: اسمه عبد الله، واما اهل العراق وهشام بن محمد، فيقولون: اسمه عمرو بن قيس بن زائده بن الأصم ابن رواحه بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي، ونسب الى أمه أم مكتوم، واسم أمه أم مكتوم عاتكه ابنه عبد الله بن عنكته بن عامر بن مخزوم بن يقظه اسلم ابن أم مكتوم بمكة قديما، وكان ضرير البصر، وقدم المدينة مهاجرا، فاختلف في وقت قدومه إياها، فقال محمد بن عمر: قدمها بعد بدر بيسير، فنزل دار القراء، وهي دار مخرمه بن نوفل، وكان يؤذن للنبي ص بالمدينة مع بلال،

وكان رسول الله ص يستخلفه على المدينة، يصلي بالناس في عامه غزواته، وكان صاحب رايه المسلمين يوم القادسية، ثم رجع الى المدينة فمات بها.

وابو ذر جندب بن جناده بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار بن مليل بن ضميره ابن بكر بن عبد مناه بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار.

ذكر ابن عمر انه سمع موسى بن عبيده يخبر عن نعيم بن عبد الله المجرم عن ابيه، قال: اسم ابي ذر جندب بن جناده، وكذلك كان يقول محمد بن عمر وهشام ابن محمد، وغيرهما من اهل السير قال ابن عمر: وسمعت أبا معشر نجيجا يقول:

اسم ابي ذر برير بن جندب، قال: وحدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن موسى بن عقبه، عن عطاء بن ابي مروان، عن ابيه، قال: قال ابو ذر: كنت في الاسلام خامسا قال ابو جعفر: ثم رجع ابو ذر حين اسلم الى بلاد قومه، فأقام بها حتى مضت بدر واحد والخذق، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة بعد ذلك.

قال ابن سعد: أخبرنا عبد الله بن عمر وابو معمر المنقري حدثنا عبد الوارث ابن سعيد عن الحسين المعلم عن ابي بريده، قال: لما قدم ابو

موسى الأشعري لقي أبا ذر، فجعل أبو موسى يلزمه، وكان الأشعري رجلاً خفيف اللحم قصيراً، وكان أبو ذر رجلاً اسود كثير الشعر، فجعل الأشعري يلزمه، ويقول أبو ذر: إليك عني، ويقول الأشعري: مرحباً يا أخي، ويدفعه أبو ذر، ويقول: لست بأخيك إنما كنت اخاك قبل أن تستعمل، قال: ثم لقي أبا هريرة فالتزمه فقال: مرحباً يا أخي، فقال له أبو ذر: إليك عني، هل كنت عملت لهؤلاء؟ قال نعم، قال: هل تناولت في البنيان، أو اتخذت زرعاً أو ماشية؟ قال: لا قال: أنت أخي قال ابن سعد وأخبرنا الفضل بن دكين، قال: حدثنا صالح بن رستم أبو عامر، عن حميد بن هلال عن الأحنف بن قيس قال: رايت أبا ذر رجلاً طويلاً آدم أبيض الرأس واللحية. قال أبو جعفر: وتوفي أبو ذر في خلافة عثمان بالربذة.

بريده بن الحبيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاح ابن عدى بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان بن اسلم بن اقصى بن حارثة ابن عمرو بن عامر، وهو ماء السماء وكان بريده يكنى أبا عبد الله، واسلم حين مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم للهجرة، وذكر ابن عمر ان هاشم بن عاصم الأسلمي حدثه عن ابيه، قال: لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة، فانتفى الى الغميم، أتاه بريده بن الحبيب، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فاسلم هو ومن معه، وكانوا زهاء ثمانين بيتاً، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء، فصلوا خلفه. قال: فحدثني هاشم بن عاصم الأسلمي، قال: حدثني المنذر بن جهم، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد علم ابن الحبيب ليلتئذ صدرا من سورة مريم، وقدم بريده بعد ان مضت بدر واحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فتعلم بقيتها، واقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من ساكني المدينة، وغزا معه مغازيه بعد ذلك، ولم يزل بريده مقيماً بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، حتى فتحت البصرة ومصر، فتحول إليها، واختلط بها، ثم خرج منها غازياً الى خراسان، فمات بمرو، في ولاية يزيد بن معاوية وبقي بها ولده.

ودحية بن خليفه بن فروه بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج، وهو زيد مناه بن عامر بن بكر بن عامر الاكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة ابن زيد اللات بن رفيده بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف ابن قضاعة اسلم دحية قديماً، ولم يشهد بدر، وكان يشبه بجبرئيل ص، وشهد مع رسول الله ص دحية المشاهد بعد بدر، وبقي الى خلافة معاوية.

وأوس بن قيطي بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة، وابناه بكائه وعبد الله ابنا أوس، شهدا أحداً، وحضر معهما عرابه بن أوس بن قيطي يوم احد، فاستصغر فرد، وعرابه هو الذي قال الشماخ بن ضرار فيه: إذا بلغتني وحملت رحلي ... عرابه فاشرقى بدم الوتين

وعثمان بن حنيف بن واهب بن عكيم بن ثعلبه بن الحارث بن مجدعه بن عمرو ابن حنش بن عوف بن عمرو بن عوف، كان يكنى أبا عبد الله، وكان عمر بن الخطاب بعثه على مسح ارض العراق، وكان عامل على ع على البصرة، حين بويح له، وتوفي في خلافة معاوية. وحسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناه بن عدى بن عمرو ابن مالك بن النجار شاعر رسول الله، ويكنى أبا الوليد، وكان قديماً الاسلام، ولم يشهد مع رسول الله مشهداً، وكان يجبن، وتوفي في خلافة معاوية وله عشرون ومائة سنة، عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الاسلام ستين سنة.

ونوفل بن معاوية بن صخر بن يعمر بن نفائه بن عدى بن الدليل بن بكر بن عبد مناه ابن كئنه وهم بيت بنى الدليل، وكان معاوية ابو نوفل على بنى الدليل يوم الفجار، وله يقول تابط شرا:

فلا وأبيها ما نزلنا بعامر ... ولا عامر ولا التفائي نوفل
وابنه سلمى بن نوفل كان اجود العرب، وله يقول الشاعر الجعفري:

نسود أقواما وليسوا بساده ... بل السيد المحمود سلمى بن نوفل

وذكر محمد بن عمران أبا بكر بن عبد الله بن أبي سبرة حدثه عن جوثه بن عبيد الديلي، قال عمر نوفل بن معاوية الديلي في الجاهلية ستين سنة، وفي الاسلام ستين سنة قال: وكان شهد مع المشركين من قريش بدر وواحداً والخذق، وكانت له نكايه وذكر، ثم اسلم بعد

ذلك، وشهد مع رسول الله ص فتح مكة وحنينا والطائف، ونزل المدينة في بنى الدليل، وقد روى نوفل بن معاوية عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وتوفى نوفل بالمدينة في خلافة يزيد بن معاوية، لعنهما الله.

وعرابه بن أوس بن قيطى بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث، شهد أبوه أوس بن قيطى واخواه عبد الله وكنائه ابنا أوس أحدا واستصغر عرابه فرد، وأجيز في الخندق.

قال ابن عمر: حدثنا عمر بن عتبة، عن عاصم بن عمر بن قتادة، قال:

كان عرابه بن أوس يوم أحد ابن أربع عشرة سنة وخمسة أشهر، فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبى أن يجيزه.

قال محمد: وعرابه بن أوس هو الذى مدحه الشماخ بن ضرار، وكان قدم المدينة، فاوقر له راحلته تمرا، فقال:

رَأَيْتُ عُرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَنْحِي ... إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ

إِذَا مَا رَأَيْتُ رُفَعْتَ لِمَجْدٍ ... تَلَقَّاهَا عِرَابُهُ بِالْيَمِينِ

وعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، ولد عبيد الله محمدا- وبه كان يكنى والعباس، والعالية، تزوجها على بن عبد الله بن العباس، فولدت له محمد بن علي- وفي ولده الخلافة من بنى العباس- وعبد الرحمن وقثم- وهما اللذان قتلها بسر ابن ابى ارقطاه العامري باليمن- وكان عبيد الله بن العباس اصغر سنا من عبد الله ابن العباس بسنه، وقد سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى عنه، وبقي عبيد الله ابن العباس الى ايام يزيد بن معاوية، واستعمل على بن ابى طالب ع عبيد الله بن عباس على اليمن، وامره على الموسم، فحج بالناس سنة تسع وثلاثين، فاصطلح الناس تلك السنة على شيبه بن عثمان بن أبي طلحة، فحج بهم وكان عبيد الله بن العباس سيدها شجاعا سخيا، كان ينخر كل يوم جزورا، وكان على مقدمه الحسن بن علي عليه السلام إلى معاوية، واخوه لأبيه وأمه قثم بن العباس، غزا خراسان وعليها سعيد بن عثمان، فقال: اضرب لك بألف سهم؟ فقال: لا بل انحس ثم اعط الناس حقوقهم، ثم أعطني بعد ما شئت وكان ورعا فاضلا، وتوفى قثم بسمرقند.

قال ابو جعفر: وقال على بن محمد: ولي قثم بن عباس لعل مكة، واقام للناس الحج، وكان يشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم.

ومعبد بن العباس وكثير بن العباس، قال على بن محمد المدائني: أم كثير وتنام أم ولد رومية، يقال لها مسلمة، ومات كثير بينبع بالذبحة، وتنام بن العباس، وكان من أشد اهل زمانه بطشا، وكان اصغر ولد ابيه.

وعبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي،

وأمه قريه الكبرى: ابنه أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأما عاتكة ابنة عبد المطلب بن هاشم.

وعامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمه البيضاء وهي أم حكيم ابنة عبد المطلب بن هاشم،

اسلم عامر بن كريز يوم فتح مكة، وبقي الى خلافة عثمان بن عفان، وقدم على ابنه عبد الله بن عامر البصره، وهو واليها لعثمان بن عفان.

وابو هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، اسلم ابو هاشم فتح مكة، وخرج الى الشام فنزلها حتى مات.

وقيس بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف.

والصلت بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف بن قصي اسلم الصلت يوم فتح مكة.

وجهم بن الصلت بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف.

وعبد الله بن قيس بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف اسلم يوم فتح مكة.

وركانه بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، اسلم في الفتح، وقدم المدينة بعد ذلك، فنزلها الى ان مات بها في

أول خلافة معاوية، واخوه لأبيه وأمه عجير بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب.

وأبو نبقه، واسمه عبد الله بن علقمه بن المطلب بن عبد مناف.

والأسود بن أبي البخري، واسم أبي البخري العاص بن هاشم بن الحارث ابن اسد بن عبد العزى بن قصي، اسلم يوم الفتح، وأما أبوه أبو البخري فقتل يوم بدر ببدر مشركا.

وهبار بن الأسود بن المطلب بن الأسد بن عبد العزى بن قصي وكان هبار- فيما ذكر عنه- يقول: لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا إلى الله كنت فيمن عاداه ونصب له وآذاه.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى زينب ابنته من يقدم بها من مكة،

فعرض لها نفر من قريش فيهم هبار، فخنس بها، وقرع ظهرها بالرمح، وكانت حاملا فاسقطت فردت إلى بيوت بني عبد مناف وكان هبار بن الأسود عظيم الجرم في الاسلام، فاهدر دمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، [فَكَانَ كُلُّمَا بَعَثَ سَرِيَهُ اَوْصَاهُمْ بِهَبَارٍ وَقَالَ: اِنْ ظَفَرْتُمْ بِهِ فَاجْعَلُوهُ بَيْنَ جَذْمَتَيْنِ مِنْ حَطَبٍ، وَحَرِّقُوهُ بِالنَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ: اِنَّمَا يَعَذِّبُ بِالنَّارِ رَبُّ النَّارِ، اِنْ ظَفَرْتُمْ بِهِ فَاقْطَعُوا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، ثُمَّ اقْتُلُوهُ].

قال ابو جعفر: وذكر محمد بن عمران واقد بن ابي ثابت حدثه عن يزيد بن رومان قال [قال الزبير بن العوام: ما رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْعَثُ سَرِيَهُ قَطُّ اِلَّا قَالَ: اِنْ ظَفَرْتُمْ بِهَبَارٍ، فَاقْطَعُوا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، ثُمَّ اضْرِبُوا عُنُقَهُ،] فوالله لقد كنت اطلبه واسال عنه، والله يعلم لو ظفرت به قبل ان ياتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتلته، ثم طلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانا عنده جالس فجعل يعتذر إلى رسول الله، ويقول: سب يا محمد من سبك، وآذ من آذاك، فقد كنت موضعا في سبك واذاك، وكنت مخذولا وقد نصرني الله عز وجل، وهداني إلى الاسلام.

قال الزبير: فجعلت انظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانه ليطأ طي راسه استحياء منه، مما يعتذر هبار، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قد عفوت عنك، والاسلام يجب ما كان قبله، وكان اشنا من احد، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم حله وما يحمل عليه من الأذى، فقال: يا هبار سب من سبك قال ابن عمر: وحدثني هشام بن عمار عن سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه عن جده، قال: كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه في مسجده منصرفه من الجعرانة، فطلع هبار بن الأسود من باب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما نظر القوم اليه، قالوا: يا رسول الله، هبار بن الأسود، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد رايته فاراد بعض القوم القيام اليه، فإشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم ان اجلس، ووقف عليه هبار، فقال: يا رسول الله، السلام عليك، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، ولقد هربت منك في البلاد وارتدت الحقوق

بالاعاجم، ثم ذكرتك وعائدتك وفضلك وبرك وصفحك عمن جهل عليك، وكنا يا رسول الله اهل شرك فهدانا الله عز وجل بك، وتنقذنا من الهلكة، اصفح عن جهلي، وعما كان يبلغك عني، فإني مقرر بسوءتي معترف بذنبي، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ، وَقَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ بِكَ حَيْثُ هَدَاكَ لِلْإِسْلَامِ، وَالْإِسْلَامُ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ].

وهند بن أبي هاله، واسم أبي هاله النباش بن زرار بن وقدان بن حبيب بن سلامه ابن غوى بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم، قدم أبو هاله مكة، واخواه عوف وانيس، فخالقوا بني عبد الدار بن قصي بن كلاب، وأقاموا معهم بمكة، وتزوج أبو هاله خديجة ابنة خويلد، فولدت له هنداً وهاله رجلين، فمات هاله وادرك هند الاسلام فاسلم، وكان الحسن بن علي عليه السلام يحدث عنه يقول: حدثني خالي هند بن أبي هاله.

وذكر عن معمر بن المثنى انه قال: مر هند بالبصرة مجتازا، فمات بها، فلم تقم يومئذ سوق ولا كلاء، وقالوا: أخو فاطمه أخو فاطمه صلوات الله عليها! والمهاجر بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أخو أم سلمة ابنة أبي أمية زوج النبي صلى الله عليه وسلم لأبيها وأمها، وكان اسم أبي أمية بن المغيرة سهيل، وهو زاد الركب، وكان إذا سافر انفق على أصحابه واهل رفقته في سفرهم ذلك

من عنده فسمى بذلك زاد الركب.
قال ابن عمر: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ، عن المهاجر بن مسمار، قال: كان المهاجر بن اميه قد وجد عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لام سلمه: كلني لي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا يومه عندك، فدخلته في بيتها، فلما دخل رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يرعه الا مهاجرا آخذ بحقوقه من خلفه، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالت: أم سلمه: ارض عنه رضى الله عنك،

فرضى عنه، وولاه صنعاء، فانطلق حتى اتى مكة، فبلغه ان العنسي قد خرج بصنعاء، فرجع الى المدينة، فلم يزل بها حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم، وولاه ابو بكر صنعاء، فمضى في ولايته، قال: فقلت لابن ابى سبره: فان روايتنا ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه عاملا، فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو بصنعاء فقال: هكذا أخبرني مهاجر بن مسمار. وصفوان بن اميه بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص، كان يكنى أبا وهب.

قال ابن عمر: حدثنا عبد الله بن يزيد الهذلي، عن ابى حصين، قال: استقرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفوان بن اميه بمكة خمسين ألفا، فاقرضه.

قال محمد بن عمر: ولم يزل صفوان صحيح الاسلام، ولم يبلغنا انه غزا مع رسول الله ولا بعده، ولم يزل مقيما بمكة الى ان مات بها في أول خلافة معاوية.

وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْجٍ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ جَذِيمَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَسَلِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤْيِ اسلم قديما، وقد كان يكتب لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم ارتد عن الاسلام، ثم اسلم يوم فتح مكة، وقد مضى خبره في كتابنا المسمى المذيل من مختصر تاريخ الرسل والملوك.

والأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وكان في وفد بني تميم الذين قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاعطاه من غنائم حنين مائه من الإبل، وفيه قال عباس ابن مرداس ما قال وصعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم واسلم.

ومن ولده الفرزدق الشاعر بن غالب بن صعصعة، ومن ولده أيضا عقال ابن شبه بن عقال بن صعصعة الخطيب.
والزبرقان بن بدر بن إمرئ القيس بن خلف بن بهدله بن عوف بن كعب بن سعد ابن زيد مناه بن تميم، وكان اسم الزبرقان الحصين، وكان شاعرا جميلا، وكان يقال له قمر نجد، وكان في وفد تميم الذين وفدوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر على صدقه قومه بنى سعد ابن زيد مناه بن تميم، وَقَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو عليها وارتدت العرب، ومنعوا الصدقة وثبت الزبرقان على الاسلام، وأخذ الصدقة من قومه فأداها الى ابى بكر.

ومالك بن نويرة بن جمره بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناه بن تميم وقال ابن عمر: حدثني عتبة بن جيرة عن حصين بن عبد الرحمن ابن عمرو بن سعد بن معاذ، قال: لما صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحج سنة عشر قدم المدينة فلما رأى هلال المحرم سنة احدى عشره بعث المصدقين في العرب فبعث مالك بن نويرة على صدقه بنى يربوع، وكان قد اسلم، وكان شاعرا، قال:

وكان مالك بن نويرة يسمى الجفول.
وليبد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب الشاعر.

قال ابن عمر: حدثنا موسى بن شيبة بن عمرو بن عبد الله بن كَعْبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ خَارِجَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ، قال: قدم وفد بنى كلاب عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم ثلاثة عشر رجلا، في سنة تسع، فيهم ليبد بن ربيعة، فنزلوا دار رمله

بنت الحدث، ثم جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلموا عليه سلام الاسلام، وأسلموا ورجعوا الى بلاد قومهم.
قال ابن سعد: أخبرنا نصر بن باب، قَالَ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ، قال: كتب عمر بن الخطاب الى المغيرة بن شعبه وهو

عامله على الكوفة، ان ادع من قبلك من الشعراء فاستنشدهم ما قالوا من الشعر في الجاهلية والاسلام، ثم اكتب بذلك الى، فدعاهم المغيرة فقال للبيد: انشدني ما قلت من الشعر في الجاهلية والاسلام، قال: ابدلني الله عز وجل بذلك سورة البقرة وسورة آل عمران وقال للأغلب العجلي انشدني، قال:

ارجزا تريد أم قصيدا ... لقد سالت هينا موجودا

قال: فكتب بذلك المغيرة الى عمر، فكتب ان انقص الاغلب خمسمائة من عطائه، وزدها في عطاء لبيد، فرحل اليه الاغلب، فقال: اتقصني على ان أطعتك، قال: فكتب عمر الى المغيرة ان زد على الاغلب الخمسمائة التي نقصت وأقرها زياده في عطاء لبيد بن ربيعة. وحبشي بن جنادة بن نصر بن اسامه بن الحارث بن معيط بن عمرو بن جندل ابن مره بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وبنو مره بن صعصعة هم بنو سلول، وسلول امرأه وهي أم بني مره، وهي سلول ابنة ذهل بن شيبان بن ثعلبه بها يعرفون وصحب حبشي بن جنادة النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد مع علي ع مشاهدته.

وابو امامه الباهلي واسمه صدى بن عجلان، من بني سهم بن عمرو بن ثعلبه ابن غنم بن قتيبة بن معن بن مالك بن اعصر، وهو منبه بن سعد بن قيس بن عيلان.

وزيد الخليل بن مهلهل بن زيد بن منبه بن عبد رضا بن المختلس بن ثوب ابن كنانة بن مالك بن نابل بن سودان، هو نهبان بن عمرو بن الغوث بن طيء بن أدد ابن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان وأم طيء دله بنت ذي منجشان بن كله ابن ردمان بن حمير، ولديها أمها على اكمه يقال لها مذحج، فسميت دله مذحج بتلك الأكمة، فولدها كلهم يقال لهم بنو مذحج، واسم طيء جلهمة وانما سمي طيئا في قول بعضهم، لأنه أول من طوى المناهل، وقال بعضهم: لأنه أول من طوى بئرا، ومات

زيد الخليل بعد منصرفه من عند النبي صلى الله عليه وسلم في موضع، يقال له فرده.

قال هشام عن ابيه: كان يقال لبطن زيد الخليل الذي هو منه بنو المختلس، وكان لزيد من الولد مكنف بن زيد، وبه كان يكنى، وقد اسلم وصحب النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد قتال اهل الردة مع خالد بن الوليد، وكان له بلاء.

وحريث بن زيد، وكان فارسا صحب النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد قتال اهل الردة مع خالد بن الوليد وكان شاعرا. وعروه بن زيد شهد القادسية وقس الناطف ويوم مهران فابلى، وقال في ذلك شعرا وكان زيد الخليل شاعرا.

وعدي بن حاتم الجواد بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن إمري القيس بن عدي بن اخزم بن ربيعة بن جرويل بن ثعل بن عمرو بن الغوث ابن طيء، وكان يكنى أبا ظريف.

شهد عدي بن حاتم القادسية ويوم مهران وقس الناطف والنخيلة، ومعه اللواء، وشهد الجمل مع امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، وفقت عينه يومئذ، وقتل ابنه وشهد صفين والنهروان مع علي بن ابي طالب عليه السلام، ومات في زمن المختار بالكوفة، وهو ابن مائه وعشرين سنة.

وعمر بن المسيخ بن كعب بن طريف بن عصر بن غنم بن حارثة بن ثوب ابن معن بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء، وكان ارمى العرب، وله يقول امرؤ القيس:

رب رام من بني ثعل ... مخرج كفيه من ستره

وقال وبره بن الجحدر المعنى من بني دغش:

زعب الغراب وليته لم يزعب ... بالبين من سلمى وأم الحوشب

ليت الغراب رمى حماطه قلبه ... عمرو باسمه التي لم تلغب

وعاش عمرو بن المسيخ خمسين ومائه سنة، ثم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووفد اليه واسلم.

والاشعث بن قيس، وهو الاشج بن معد يكرب بن معاوية بن جبلة بن عدي ابن ربيعة بن معاوية الاكرمين بن الحارث بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور ابن مرتع بن كنده، وهو كندی، واسمه ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مره ابن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب ابن قحطان وكان اسم الاشعث معديكرب، وكان ابدا اشعث الراس، فسمى الاشعث، وكان يكنى أبا محمد، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا من كنده، ثم ارتد واسر، فبعث به الى ابي بكر، فتاب فلم يزل

مقيما بالمدينة حتى ندب عمر بن الخطاب في خلافته الناس الى غزو العراق، فشحخص مع سعد ابن ابى وقاص فشهد القادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند، واختط بالكوفة حين اختطها المسلمون، وبني بها دارا في كنده، ونزلها الى ان مات وشهد الاشعث تحكيم الحكيم، واراد على عليه السلام ان يحكم عبد الله بن العباس مع عمرو بن العاص، فأبى الاشعث بن قيس، وقال: لا يحكم فيها مضرين، حتى يكون أحدهما يمانيا، فحكم على عليه السلام أبا موسى الأشعري، وكان الاشعث احد شهود الكتاب.

واخوه سيف بن قيس، وفد مع الاشعث بن قيس الى النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم، فأمره ان يؤذن لهم، فلم يزل يؤذن حتى مات.

وابراهيم بن قيس أخوهما، وفد الى النبي صلى الله عليه وسلم، مع الاشعث فاسلم.

والحارث بن سعيد بن قيس بن الحارث بن شيبان بن العاتك بن معاوية الاكرمين، وفد الى النبي صلى الله عليه وسلم. وامانه بن قيس بن الحارث بن شيبان بن العاتك بن معاوية الاكرمين، وفد الى النبي صلى الله عليه وسلم، واسلم، وقد كان عاش دهرا، وله يقول عوضه بن بدا الشاعر:

الا ليتني عمرت يا أم خالد ... كعمر اماناه بن قيس بن شيبان
لقد عاش حتى قيل ليس بميت ... وافنى فتاما من كهول وشبان
حلت به من بعد جرش وحقبة ... دويهيه حلت بنصر بن دهمان
فاضحى كان لم يغن في الناس ساعه ... رهين ضريح في سبائب كنان
وكان مع اماناه في الوفد ابنه يزيد بن اماناه، واسلم، ثم ارتد فقتل يوم النجير مرتدا في روايه هشام بن محمد.

ومعدان بن الأسود بن عبد الله بن الحارث الولادة بن عمرو بن معاوية بن الحارث الاكبر، وكان يقال لمعدان الجفشي، وفد الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مع الاشعث بن قيس وهو الذي قال: يا رسول الله الست منا؟ فسكت مرتين ثم [قال في الثالثة: انا لا نَقْفُو أَمْنًا وَلَا نَنْتَفِي مِنْ أَيْنَاءِ، نحن بنو النضر بن كنانه] فقال الاشعث:

فض الله فاك الا سكت! الجفشي القائل في روايه كنده:

أطعنا رسول الله إذا كان صادقا ... فيا عجبا ما بال ملك ابى بكر!

ايورها بكرًا إذا كان بعده ... فتلك إذا والله قاصمه الظهر
وهذا في روايه هشام بن محمد، واما محمد بن عمر، فانه كان يذكر ان هذين البيتين لحارثه بن سراقه بن معد يكرب الكندي، الذي منع زياد بن لبيد الصدقه، وانحاز فيمن ارتد.

وقيس بن المكشوح، واسم المكشوح هبيرة بن عبد بغوث بن الغزيل بن سلمه ابن بدا بن عامر بن عوبثان بن زاهر بن مراد، وانما سمي أبوه المكشوح، واسم المكشوح هبيرة لأنه كشح بالنار، اى كوى على كشحه، وكان سيد مراد، وابنه قيس، وكان فارس مذحج وهو الذى احتز راس العنسي فيما قيل، فسمته مضر قيس غدر، فقال:

لست غدر، ولكنى حتف مضر.

وقال محمد بن عمر: حدثني عبد الله بن عمرو بن زهير عن محمد بن عماره بن خزيمة

ابن ثابت، قال: قال عمرو بن معديكرب لقيس بن مكشوح المرادى: حين انتهى اليه أمر رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا قَيْسُ، أَنْتَ سَيِّدُ قَوْمِكَ الْيَوْمَ.

وقد ذكر لنا أن رجلا من قریش، يقال له: محمد، قد خرج بالحجاز، يقول:

انه نبي، فانطلق بنا إليه حتّى نعلم علمه، فإن كان نبيا كما يقول، فإنه لا يخفى علينا إذا لقيناه اتبعناه، وإن كان غير ذلك علمنا علمه وانه ان سبق اليه رجل من قومك سادنا وتراس علينا، وكأله اذنا، فأبى عليه قيس وسفه رايه، فركب عمرو بن معديكرب في عشره من قومه، حتى اتى المدينة، فاسلم ثم انصرف الى بلاده.

وصفوان بن عسال من بنى الربض بن زاهر بن عامر بن عوبثان بن زاهر بن مراد، وعداده في جمل اسلم، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم.

وعمر بن الحمق بن الكاهن بن حبيب بن عمرو بن القين بن رزاح بن عمرو بن سعد بن عمرو بن كعب بن عمرو، بايع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حِجَةِ الْوُدَاعِ، وصحبه بعد ذلك، ثم كان أحد الذين ساروا إلى عثمان بن عفان، وشهد المشاهد بعد ذلك مع عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم قتل في الجزيرة، قتله ابن أم الحكم قال ابن عمر عن عيسى بن عبد الرحمن عن الشعبي قال: أول راس حمل في الإسلام راس عمرو بن الحمق.

وكرز بن علقمه بن هلال بن جريه بن عبدنهم بن حليل بن حبشية بن سلول بن كعب ابن عمرو بن حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن إمرئ القيس ابن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا ابن يشجب بن يعرب بن قحطان اسلم كرز يوم فتح مكة، وكان قد عمر عمرا طويلا، وكان بعض اعلام الحرم قد عمى على الناس، فكتب مروان بن الحكم إلى معاوية بذلك فكتب إليه: ان كان كرز بن علقمه حيا فره، فليوقفكم عليه، ففعل فهو الذي وضع معالم الحرم في زمن معاوية، وهو على ذلك إلى الساعة

والحيسمان بن اياس بن عبد الله بن ضبيعه بن عمرو بن مازن بن عدى بن عمرو، وكان شريفا في قومه، اسلم فحسن اسلامه. ومخنف بن سليم بن الحارث بن عوف بن ثعلبة بن عامر بن ذهل بن مازن ابن ذبيان بن ثعلبة بن الدول بن سعد مناه بن غامد بن عبد الله بن كعب بن الحارث ابن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، اسلم مخنف، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم، وهو بيت الأزد بالكوفة، وكان له اخوه ثلاثة، يقال لأحدهم:

عبد شمس، قتل يوم النخيلة، والصقعب قتل يوم الجمل، وعبد الله قتل يوم الجمل، وكان من ولد مخنف بن سليم ابو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف ابن سليم الذي يروى عنه ايام الناس.

وفيروز بن الديلمي، ويكنى أبا عبد الله، وهو من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى إلى اليمن، فنفوا عنها الحبشه، وغلبوا عليها قال عبد المنعم: ثم انتسبوا إلى بنى ضبة، وقالوا: أصابنا سباء في الجاهلية- قد غلط عبد المنعم فيما قال- وإنما كان ذلك ان ضبة بن أد كان له بنون ثلاثة عدا أحدهم على أحد ولد ضبة فقتله، فاراد أبوه ان يقتله، فهرب فلحق ببجال الديلم، فولد له اولاد هنالك، واولاده إلى اليوم يذكرون ان عندهم سرجه واثاثه وفيروز هو الذي قتل العنسي الأسود بن كعب الكذاب الذي تنبأ باليمن، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قتله الرجل الصالح فيروز بن الديلمي] وقد وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه وبعضهم يروى عنه، فيقول: حدثني الديلمي الحميري، وبعضهم يقول: عن الديلمي: وهو واحد، وهو فيروز الديلمي، وإنما قيل له الحميري لنزوله في حمير ومخالفته إياهم، ومات فيروز في خلافة عثمان

١٢٠٣٢٠٢ القول في من عاش بعد رسول الله ص وروى من الصحابة والتابعين

ذكر أسماء من عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه فروى عنه او نقل عنه علم

[القول في من عاش بعد رسول الله ص وروى من الصحابة والتابعين]

ذكر أسماء من عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه فروى عنه او نقل عنه علم

ذكر أسماء من عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف.

منهم العباس بن عبد المطلب، عم رسول الله، وبنوه: الفضل، وعبد الله، وعبيد الله وكل هؤلاء أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورووا عنه ونقل عنهم العلم، واكبر من ذكرت من ولد العباس واسنهم الفضل، وبه كان يكنى العباس، وهو أقدمهم موتا وتوفي بالشام في طاعون عمواس، قبل أبيه.

ثم عبد الله وهو الذي أوسع الناس علما ومد له في العمر، فعاش إلى أيام فتنة ابن الزبير وعبد الملك بن مروان، وقد مضى ذكرى تاريخ

وفاته وغير ذلك من أموره، ثم عبيد الله، وكان اصغر الثلاثة من ولد العباس سنا، كان عبد الله اسن منه بسنه، وتوفي عبيد الله قبل عبد الله، كانت وفاه عبيد الله في ايام يزيد بن معاوية ووفاه عبد الله بعد ذلك بسنين.
وكانت أم الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم واحده، أهم جميعا أم الفضل، وهي لبابه الكبرى بنت الحارث بن حزن من بني هلال بن عامر، وقد كان في ولد العباس لصلبه ممن نقل عنه العلم، ورويت عنه الآثار غير هؤلاء، ككثير وتمام ومعبد، غير انه لا يعلم لأحد منهم سوى من ذكرت سماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم يصح.
ومنهم علي وعقيل ابنا ابي طالب بن عبد المطلب، والحسن والحسين ابنا علي ابن ابي طالب وعبد الله بن جعفر بن ابي طالب عليهم السلام، كل هؤلاء عاشوا

ذكر بعض ما روى الحارث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآثار

بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل منهم العلم ورويت عنهم الآثار، وقد مضى ذكرى تاريخ وفاتهم ومده آجالهم.
ومنهم الحارث بن نوفل بن الحارث بن المطلب بن هاشم بن عبد مناف، من ولده عبد الله بن الحارث بن نوفل، الذي اصطلح عليه اهل البصرة ايام الزبيريه والمروانية ببيه لقب، أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه.
ذكر بعض ما روى الحارث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآثار

حدثني علي بن سهل الرمي، قال: حدثنا مؤمل بن اسماعيل، قال: حدثنا سفيان عن عاصم بن عبيد الله عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله ابن الحارث بن نوفل عن أبيه، إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد ان لا اله الا الله، أشهد ان محمدا رسول الله، قال: كما يقول، وإذا قال: حي على الصلاة قال لا حول ولا قوة الا بالله، وإذا قال: حي على الفلاح، قال: لا حول ولا قوة الا بالله.

حدثني هلال بن العلاء الرقي، قال: حدثنا حفص بن عمر ابو عمر الحوضي، قال: حدثنا همام، عن ليث عن علقمه بن مرثد عن عبد الله بن الحارث عن ابيه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمهم الصلاة على الميت: اللهم اغفر لأحيائنا وأمواتنا، واصلح ذات بيننا، والفر بين قلوبنا، اللهم هذا عبدك فلان بن فلان لا نعلم الا خيرا كنت اعلم به، فاغفر لنا وله فقلت وانا اصغر القوم: فان لم اعلم خيرا قال: لا تقل الا ما تعلم.

ومنهم عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.
كان فيما ذكر اهل السير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احاديث، منها ما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن فضيل، عن يزيد بن ابي زياد، عن عبد الله بن الحارث، قال: حدثني

ذكر موالي بني هاشم الذين عاشوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورووا عنه ونقل عنهم العلم

عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، ان العباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغضب، وانا عنده، فقال: ما اغضبك! فقال: يا رسول الله، ما لنا ولقرش! إذا تلاقوا تلاقوا بوجوه مستبشرة، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمر وجهه، حتى استدر عرق بين عينيه - وكان إذا غضب استدر - فلما سرى عنه، [قال: والذي نفس محمد بيده، لا يدخل قلب امرئ من الايمان ابدًا حتى يحكمكم الله ولسوله، ثم قال: ايها الناس من آذى العباس، فقد آذاني، انما عم الرجل صنوايه].

وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، كان يكنى أبا اروى، وهو الذى [قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: الا ان كل دم وماثره كانت في الجاهلية فهو تحت قدمي، وان أول دم اضعه دم ربيعة بن الحارث،] وذلك انه كان قتل لربيعة ابن في الجاهلية فابطل الطلب به في الاسلام، ولم يجعل لربيعة التباعة، قتل قاتل ابنه وعاش ربيعة بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى خلافه عمر، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان- فيما ذكر- اسن من عمه العباس ابن عبد المطلب بسنتين.

ذكر بعض ما روى عنه من الاثر: حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا جرير، عن عطاء، عن عبد الله بن ربيعة، عن ابيه عن رجل من قریش، قال:

رايت النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية وهو واقف بعرفات مع المشركين، ورايته في الاسلام واقفا موقفه ذلك، فعرفت ان الله عز وجل وقفه ذلك.

ذكر موالي بني هاشم الذين عاشوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورووا عنه ونقل عنهم العلم منهم سلمان الفارسي يكنى أبا عبد الله، حدثني الحارث بن محمد، قال:

حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زُرَّارَةَ الْجَرَمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: كَانَ عَطَاءُ سَلْمَانَ خَمْسَةَ آلَافٍ وَكَانَ عَلَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنَ النَّاسِ يَحْطُبُ فِي عِبَاءٍ يَفْتَرِشُ نَصْفَهَا وَيَلْبَسُ نَصْفَهَا وَكَانَ إِذَا خَرَجَ عَطَاؤُهُ امْضَاهُ، وَيَأْكُلُ مِنْ سَفِيفِ يَدِهِ.

حدثني اسماعيل بن موسى السدي، قال أخبرني شريك عن أبي ربيعة الأيادي، عن ابن بريده عن أبيه، قال: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنْ اللَّهُ تَعَالَى أَمَرَنِي بِحَبِّ أَرْبَعَةٍ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ سَمِعَهُمْ لَنَا، فَقَالَ: عَلَى مِنْهُمْ يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثًا، وَأَبُو ذَرٍّ وَالْمُقَدَّادُ وَسُلَيْمَانُ، أَمَرَنِي بِحُبِّهِمْ] وأخبرني أنه يحبهم [وتوفي سليمان بالمدائن في خلافة عثمان].

ومنها أَبُو رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واسمه اسلم، كان مملوكا للعباس بن عبد المطلب فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم، فاعتقه النبي صلى الله عليه وسلم وزوجه مولاته سلمى، فولدت ابنه عبيد الله بن ابي رافع.

ومنه اسماه بن زيد الحب بن حارثة، كان يكنى أبا محمد، وأمه أم ايمن حاضنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاته، وقيل: ان اسماه كان يوم توفي النبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنه، فسكن بعد النبي صلى الله عليه وسلم وادي القرى، ثم رجع الى المدينة، فمات بالجرف في آخر خلافه معاويه.

وَأُثُوْبَانُ مَوْلَى رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَكْنَى أَبَا عَبْدِ اللهِ، مِنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعَتَقِ، وَلَمْ يَزَلْ مَعَ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى قَبِضَ اللهُ رَسُوْلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَحَوَّلَ إِلَى الشَّامِ، وَنَزَلَ حِمَصَ، وَلَهُ بِهَا دَارٌ صَدَقَهُ، وَقِيلَ: إِنَّهُ مِنْ حَكَمِ بْنِ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ.

ومنهـم ضميره، روى عن رسول الله ص ما حدَّثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن أبي ذئب، عن حسين بن عبد الله بن ضميره، عن أبيه، عن جده ضميره، [أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بام ضميره وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ اجأعه أنت اعاريه أنت؟ قالت: يا رسول الله، فرق بيني وبين ابني، فقال رسول الله صلى الله

ومن حلفاء بني هاشم

عليه وسلم: لا يفرق بين والده وولدها، ثم ارسل الى الذي عنده ضميره، فدعاه فابتاعه منه ببكر.

وزيد ابو يسار، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدثت عن موسى بن اسماعيل، قال: حدثنا حفص بن عمر الشني، قال: حدثني ابي عمر بن مره عن بلال بن يسار بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

[سمعت ابي يحدث عن جدي، انه سمع النبي ص يقول: من قال: استغفر الله الذي لا اله الا هو هو الحى القيوم واتوب اليه غفر له وان كان فر من الزحف]
 . ومن حلفاء بنى هاشم

ابو مرثد الغنوي، حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال:

حدثنا عبد الله بن المبارك، عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: حدثني بسر بن عبيد الله، قال: سمعت ابا ادريس قال: سمعت واثله بن الاسقع، يقول: سمعت ابا مرثد الغنوي، يقول: [سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلَا تَصَلُّوا إِلَيْهَا] .
 وابنه مرثد بن ابي مرثد قتل يوم الرجيع، حدثنا سليمان بن عبد الجبار قال:

حدثنا اسماعيل بن ابان، قال: حدثني يحيى بن يعلى الأسلمي، وكان ثقة، عن علي بن موسى، عن القاسم، عن مرثد بن ابي مرثد الغنوي، وكان بدرية، قال:

[قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ان سرکم ان تقبل صلاتکم فليؤمکم خيارکم فإنهم وفدکم فيما بينکم وبين ربکم عز وجل] .
 وابن ابنه انيس بن مرثد بن ابي مرثد الغنوي، وكان يكنى أبا يزيد، وكان بينه وبين ابيه في السن احدى وعشرون سنه شهد انيس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة، وحنينا، وكان عين النبي صلى الله عليه وسلم باوطاس،

ذكر من روى عن النبي ص من بنى المطلب بن عبد مناف بن قصي

وكان ابو مرثد حليف حمزه بن عبد المطلب.

حدثني زكرياء بن يحيى بن أبان المصري، قال: حدثنا ابو صالح كاتب الليث، قال: حدثني الليث بن سعد، عن يحيى بن سعيد، قال: كتب الى خالد بن ابي عمران، ان الحكم بن مسعود النجاني، حدثه ان انيس بن ابي مرثد الأنصاري حدثه، [أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَتَكُونُ فِتْنَةٌ صَمَاءُ بِكَاءٍ وَعَمِيَاءُ، الْمُضْطَجِعُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَاعِدِ، وَالْقَاعِدُ خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي وَمَنْ اتَى فَلِيَمْدِدْ عُنُقَهُ] هكذا حدثني به زكرياء ابن يحيى، قال انيس بن ابي مرثد الأنصاري: وانما هو انيس بن مرثد بن ابي مرثد الغنوي من غنى بن يعصر بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر
 . ذكر من روى عن النبي ص من بنى المطلب بن عبد مناف بن قصي

فمنهم ركانه بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، وهو من مسلمة الفتح، عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم مات في أول خلافة معاوية.

ومنهم قيس بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف بن قصي.

ومنهم جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، كان يكنى أبا محمد، وقيل: أبا علي اسلم قبل الفتح، ونزل المدينة، ومات بها في خلافة معاوية، وكان أبوه مطعم بن عدي من اشراف قريش، وكان أجار رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين، فلما كان يوم بدر، واسر من اسر من قريش، قال: لو كان مطعم بن عدي حيا لوهبت له هؤلاء النتنى، ليده التي كانت له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وله يقول حسان بن ثابت:

فلو كان مجد يخلد اليوم واحدا ... من الناس انجى مجده اليوم مطعما

اجرت رسول الله منهم فأصبحوا ... عبيدك ما لي ملب واحرما

وقد روى جبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا كثيرا

ومن حلفاء بني نوفل بن عبد مناف بن قصي

ومنهم عقبه بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصي، روى عقبه عن النبي صلى الله عليه وسلم. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الوهاب، قال: حدثنا أيوب عن عبد الله ابن أبي مليكة، عن عقبه بن الحارث، قال جيء بالنعيمان- أو ابن النعيمان- شاربا، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان في البيت ان يضربوه، قال: فكنيت انا فيمن ضربه، فضربناه بالنعال والجريد.

ومن حلفاء بني نوفل بن عبد مناف بن قصي

عتبة بن غزوان بن جابر بن اهيب بن نسيب بن زيد بن مالك بن الحارث ابن عوف بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر.

يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبا غزوان قديم الاسلام ممن هاجر الى الحبشة المهجرة الثانية، وهو الذي مصر البصره واختطها، وبني بها المسجد، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما روى عنه ما حدثنا به محمد بن بشار قال: حدثنا صفوان ابن عيسى الزهري، قال: حدثنا عمرو بن عيسى أبو نعامه العدوي، قال: سمعت خالد بن عمير وشويسا أبا الرقاد، قالا: قال عتبة بن غزوان: لقد رأيتني واني لسابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام إلا ورق السمير حتى تفرحت أشداقنا، والتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد.

ومن حلفائهم يعلى بن اميه بن ابي عبيده بن همام بن الحارث بن بكر ابن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناه بن تميم وأمه منيه بنت جابر ابن اهيب بن نسيب بن زيد بن مالك بن الحارث بن عوف بن مازن بن منصور، هي عمه عتبة بن غزوان، وعتبة ويعلى بن اميه من حلفاء الحارث بن نوفل بن عبد مناف بن قصي، واسلم يعلى بن اميه وأبوه اميه بن ابي واخوه سلمه بن اميه، واخته نفيسة بنت منيه، شهد يعلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيناً والطائف وتبوك، وروى هو واخوه سلمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر أسماء من نقل عنه العلم ممن صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاش بعده من بني اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب

ذكر أسماء من نقل عنه العلم ممن صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاش بعده من بني أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب منهم الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يكنى أبا عبد الله كان رابع الاسلام او خامسه يوم اسلم فيما قيل، وهاجر المهجرتين الى ارض الحبشة، ولم يتخلف عن غزاه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الله بن مسعود، قتل بوادي السباع وهو ينصرف عن وقعه اجل منطلقا به الى المدينة يوم الخميس لعشر ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، ودفن هنالك وهو يومئذ ابن اربع وستين، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا كثيرا.

وابنه عبد الله بن الزبير وأمه أسماء بنت ابي بكر، ولد في شوال في السنة الثانية من الهجرة، وقيل ان أمه أسماء هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهي حامل به وكان يكنى أبا بكر وأبا خبيب.

وحكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي وأمه أم حكيم بنت زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي، حدثني الحارث عن ابن سعد عن محمد بن عمر قال: حدثني المنذر بن عبد الله عن موسى بن عتبة عن أبي حبيبة مولى الزبير، قال: سمعت حكيم بن حزام يقول: ولدت قبل قدوم اصحاب الفيل بثلاث عشر سنة، انا اعقل حين اراد عبد المطلب ان يذبح ابنه عبد

الله حين وقع نذره، وذلك قبل مولد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخمس سنين، وكان يكنى أبا خالد. ومات بالمدينة في خلافه معاويه، وهو ابن مائه وعشرين سنة روى عن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو من مسلمه الفتح، وابناه خالد وهشام، أسلها معه يوم فتح مكة واسلم معهما يومئذ اخوهما عبد الله ويحيى ابنا حكيم بن حزام.

ذكر أسماء من روى عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بنى عبد الدار بن قصي بن كلاب

ذكر أسماء من روى عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بنى زهره بن كلاب أخي قصي بن كلاب

ذكر أسماء من روى عن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بنى عبد الدار بن قصي بن كلاب منهم شبيه الحاجب بن عثمان، وهو الاوقص بن ابي طلحه، واسمه عبد الله ابن عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ، اسلم بحنين ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحارب هوازن، روى عن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ومنهم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ بن كلاب هاجر إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هدنة الحديبية في صفر سنة ثمان.

ومنهم ابو السنابل بن بعكك بن الحارث بن السباق بن عبد الدار بن قصي ابن كلاب، وهو من مسلمه الفتح . ذكر أسماء من روى عن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بنى زهره بن كلاب أخي قصي بن كلاب منهم عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهره بن كلاب.

ومنهم سعد بن ابي وقاص واسم ابي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب بن مره، يكنى أبا إسحاق. ومنهم المسور بن مخزومة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، يكنى أبا عبد الرحمن، وهو ابن اخت عبد الرحمن بن عوف، قبض رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ابن ثمانين سنين، وقد روى عن رسول الله احاديث، فما روى عنه من ذلك ما حدثني معمر البحراني قال: حدثنا ابو عامر، قال: حدثنا عبد الله ابن جعفر بن المسور بن مخزومه، عن أم بكر بنت المسور عن المسور، قال: مر بي يهودي، وانا خلف النبي صلى الله عليه وسلم قائم، والنبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ، فقال لليهودي: ارفع ثوبه عن ظهره، فذهبت ارفع ثوبه فنضح النبي صلى الله عليه وسلم في وجهي الماء.

ومنهم نافع بن عتبة بن ابي وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وهو من مسلمه الفتح، اسلم يوم فتح مكة، وهو أخو هاشم بن عتبة المرقال، وروى نافع بن عتبة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ الْعَسْقَلَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَوَادُ بْنُ الْجَرَّاحِ، عَنِ الْمَسْعُودِيِّ عَنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمِيرٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ عَنْ نَافِعِ بْنِ عْتَبَةَ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَقَاتِلُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ، فَيَفْتَحُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَقَاتِلُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهُمُ اللهُ، وَتَقَاتِلُونَ فَارِسَ، فَيَفْتَحُهُمُ اللهُ، وَتَقَاتِلُونَ الدَّجَالَ، فَيَفْتَحُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ].

ومنهم عبد الرحمن بن ازهر بن عوف بن عبد بن الحارث بن زهره بن كلاب، شهد حينما مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وروى عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حدثني يونس بن عبد الأعلى الصديقي، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني اسامه بن زيد اللبثي، عن ابن شهاب، حدثه عن عبد الرحمن بن ازهر، قال:

كأنني انظر إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الان، وهو في الرحال يلتمس رحل خالد بن الوليد يوم حنين، فبينما هو كذلك، إذ أتى برجل قد شرب الخمر، [فقال الناس: اضربوه، فمنهم من ضربه بالنعال، ومنهم من ضربه بالعصا، ومنهم من ضربه بالمتيخه- يريد

الجريدة الرطبه- ثم أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَابًا مِنَ الْأَرْضِ فَرَمَى بِهِ وَجْهَهُ .
ومنه عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.
روى عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما روى عنه ما حدثنا به تميم بن المنتصر الواسطي، قال: أخبرنا يزيد- يعنى ابن هارون-
قال أخبرنا محمد- يعنى ابن إسحاق- عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَرْقَمِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثٍ، [أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: إِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ فِي بَطْنِهِ شَيْئًا، فَخَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيَبْدَأْ بِالْغَائِطِ]

ذَكَرَ مِنْ رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حُلَفَاءِ بَنِي زَهْرَةَ

ومنه صفوان الزهري، حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ بَشِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا بِشِيرُ بْنُ سَلْمَانَ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ صَفْوَانَ الزَّهْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: [قَالَ النَّبِيُّ ص: اْبْرِدُوا بِالظَّهْرِ فَإِنَّ الْحَرَّ مِنْ نَوْرِ جَهَنَّمَ] .

وعبد الله بن عدي بن حمراء الزهري، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُونُسَ الْجُبَيْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَرَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُجَّاجُ بْنُ أَبِي مَنِيعٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي زِيَادٍ عَنْ الزَّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا عَمْرٍو بْنَ عَدِيِّ بْنِ حَمْرَاءَ الزَّهْرِيِّ أَخْبَرَهُ، [أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ وَقِفٌ بِالْحَزُورَةِ فِي سَوَاقِ مَكَّةَ، يَقُولُ: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ الْأَرْضِ، وَأَوْ أَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى، وَلَوْلَا أَنِّي أَخْرَجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ]

. ذَكَرَ مِنْ رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حُلَفَاءِ بَنِي زَهْرَةَ

عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمع بن فار بن مخزوم بن صاهله ابن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر.

ويكنى أبا عبد الرحمن وكان مسعود بن غافل أبو عبد الله حالف في الجاهلية عبد بن الحارث بن زهره.

والمقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة، الذي يقال له المقداد بن الأسود.

كان حالف الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهره بن كلاب في الجاهلية، فتبناه الأسود، وكان يدعى المقداد بن الأسود، حتى أنزل الله تعالى نكره على نبيه صلى الله عليه وسلم ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَقِيلَ لَهُ: الْمَقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو.

ومنه خباب بن الأرت بن جندله بن سعد بن خزيمة بن كعب من بني سعد ابن زيد مناة بن تميم، كان أصابه سبي، فبيع بمكة فاشترته أم ائمار بنت ابن سباع الخزاعية، حلفاء عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهره، فاعتقته

ذَكَرَ أَسْمَاءُ مِنْ رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَنِي تَيْمٍ بْنِ مَرَّةٍ

وَمِنْ بَنِي مَخْزُومٍ بْنِ يَقْظَةَ بْنِ مَرَّةٍ بْنِ كَعْبٍ

وقيل: بل أم خباب وأم سباع واحده، فانضم خباب بن الأرت الى آل سباع، وادعى حلف بني زهره بهذا السبب، وقد روى خباب عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا كَثِيرًا.

ومنه شرحبيل بن حسنة- وحسنه أمه- وهي عدوليه، وأبو شرحبيل عبد الله ابن المطاع بن عمرو بن كنده حليف لبني زهره.

ذَكَرَ أَسْمَاءُ مِنْ رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَنِي تَيْمٍ بْنِ مَرَّةٍ

منهم أبو بكر عبد الله بن أَبِي خُفَافَةَ، وَأَسْمُهُ عُثْمَانُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ كَعْبٍ ابْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ بْنِ مَرَّةٍ.

وَمِنْ بَنِي مَخْزُومٍ بْنِ يَقْظَةَ بْنِ مَرَّةٍ بْنِ كَعْبٍ

خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان يكنى أبا سليمان وأمه عصماء، وهي لبابه الصغرى بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن ربيعة ابن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة، وهي اخت أم الفضل بنت الحارث أم بني العباس بن عبد المطلب وكانت أم الفضل أيضا تسمى لبابه، فخالد بن الوليد ابن خاله عبد الله بن العباس، وابن اخت ميمونه بنت الحارث زوجه رسول الله ص، وروى خالد عن رسول الله ص أحاديث.

ومنهم عياش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وهو أخو أبي جهل بن هشام لأمه، أمهما جميعا أسماء بنت مخزبه بن جندل بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ممن هاجر الى ارض الحبشه مع زوجته أسماء بنت سلمه ابن مخزبه، فولدت له بأرض الحبشه ابنه عبد الله بن عياش ثم رجع الى مكة حتى قبض رسول الله ص ثم رجع الى الشام، فجاهد ثم رجع الى مكة، واقام بها حتى مات بها وقد روى عن رسول الله ص، فما روى عنه ما حدثني به محمد بن سهل بن عسكر البخاري قال: حَدَّثَنَا عبد الرزاق، قَالَ: أَخْبَرَنَا معمر عن أيوب عن نافع عن عياش بن أبي ربيعة، [قال سمعت النبي ص يقول: تجيء ريح بين يدي الساعة فتقبض روح كل مؤمن] .

ومنهم عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أمه عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وهو أخو أم سلمه زوج النبي ص، شهد مع النبي ص فتح مكة، وحنينا والطائف، فرمى يوم الطائف بسهم، فاصابه فقتله - فيما يقول اهل السير - لا اختلاف بينهم في ذلك.

ومنهم عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ربيب رسول الله ص، وهو فيما ذكر - ابن تسع سنين، وشهد مع علي ع الجمل، ثم استعمله على فارس وتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان بالمدينة، روى عن رسول الله ص أحاديث، وقد عاش اخوه سلمه ابن أبي سلمه بعد رسول الله ص الى خلافة عبد الملك بن مروان، الا انه لا تحفظ له عن رسول الله روايه، وكان اسن من أخيه عمر بن أبي سلمه، وهما جميعا ابنا أم سلمه زوج النبي ص، فاما أبوهما ابو سلمه فتوفي على عهد رسول الله ص، واسمه عبد الله بن عبد الأسد.

ومنهم عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. وكان يكنى أبا سعيد، قبض النبي ص - وهو فيما ذكر - ابن اثنى عشره سنه، سكن الكوفه فمات بها سنه خمس وثمانين. وقد روى عن رسول الله ص أحاديث، فما روى عنه عن النبي ص، مَا حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَمِيرٍ وَوَكَيْعٌ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ الْأَصْبَغِ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ حَرْثٍ، أَنَّهُ قَالَ:

صليت مع رسول الله ص، فكان يقرأ في صلاه الفجر، فكأنني اسمع صوته: فَلَا أَقْسِمُ بِالْخَنَسِ الْجَوَارِ الْكُنَسِ قَالَ أَبُو كُرَيْبٍ: قَالَ وَكَيْعٌ:

قَرَأَ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ.

حدثنا عبد الحميد بن بيان القناد، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ الْأَصْبَغِ - مَوْلَى لِعَمْرِو بْنِ حَرْثٍ - عَنْ عَمْرِو بْنِ حَرْثٍ، قَالَ: صليت

مع رسول الله ص صلاه الفجر، فكأنني اسمع صوته يقرأ: فَلَا أَقْسِمُ بِالْخَنَسِ الْجَوَارِ الْكُنَسِ، قَالَ: فذهبت بي اليه أُمِّي فدعا لي بالرزق. ومنهم اخوه سعيد بن حريث، وهو اسن من عمرو، ذكر انه شهد فتح مكة مع النبي ص، وهو ابن خمس عشره سنه، ثم نزل بالكوفه بعد النبي ص، مع أخيه عمرو، وقد روى عن رسول الله ص، فما روى عنه عن رسول الله ص ما حدثنا به ابن بشار، قَالَ: حَدَّثَنَا عبد الوهاب بن عبد المجيد، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَهْجَرٍ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمِيرٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ حَرْثٍ، عَنْ أَخِيهِ سَعِيدِ بْنِ حَرْثٍ، قَالَ: [سمعت رسول الله ص يقول: من باع دارا فلم يشتر مكانها دارا فإنه مال قن الا يبارك فيه له] .

ومنهم عبد الله بن أبي ربيعة، واسم أبي ربيعة عمرو بن مخزوم، وهو أخو عياش ابن أبي ربيعة لأبيه وأمه، وأبو عمرو بن عبد الله بن أبي

رَبِيعَةَ الشَّاعِرِ، واسلم عبد الله ابن ابى ربيعه يوم فتح مكة، وكان اسمه بجير، فلما اسلم سماه رسول الله ص عبد الله، وقد روى عن النبي ص.

حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ قَالَ: حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ عَدَى، قَالَ: حَدَّثَنَا حَاتِمٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَزُومِيِّ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، [إِنَّ النَّبِيَّ ص:]

اسْتَسْلَفَ مِنْهُ بَضْعَ عَشْرَ أَلْفًا، فَلَمَّا رَجَعَ مِنْ حَنِينٍ دَعَا بِهِ، فَقَالَ:

خُذْ مَالَكَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ فَإِنَّمَا جِزَاءُ السَّلَفِ الْوَفَاءُ وَالْحَمْدُ] .

وَمِنْهُمْ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَاسْمُ أَبِي جَهْلٍ عَمْرُو بْنُ هِشَامٍ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ مَخْزُومٍ، اسلم بعد فتح مكة.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ حَكِيمٍ الْأَوْدِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَرِيحُ بْنُ سَلَمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُونُسَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، [إِنَّ عِكْرَمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ لَمَّا أَتَى النَّبِيَّ ص قَالَ لَهُ: مَرَحِبًا بِالرَّاكِبِ الْمَسَافِرِ، أَوِ الْمُهَاجِرِ، قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: قُلْ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: قَالَ ثُمَّ قُلْتُ: مَاذَا أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ

قَالَ: تَقُولُ إِنِّي أَشْهَدُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي مُهَاجِرٌ، قَالَ: فَقُلْتُ: قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص مَا أَنْتَ لِتَسْأَلَنِي الْيَوْمَ شَيْئًا أُعْطِيهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا أُعْطَيْتَكَ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَنَا لِأَسْأَلَكَ مَا لَا أَنِي لِمَنْ أَكْثَرَ قَرِيشَ مَا لَا، وَلَكِنْ أَسْأَلُكَ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِي عَلَى قِتَالِ قَاتِلَتِكَ، وَعَلَى نَفْقِهِ أَنْفَقْتَهَا لِأَصْدَبِهَا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ، لَئِنْ طَالَتْ بِي حَيَاةٌ لَا ضَعْفَنَ ذَلِكَ كُلَّهُ] .

وَمِنْهُمْ السَّائِبُ بْنُ أَبِي السَّائِبِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ، وَهُوَ فِي قَوْلِ مُحَمَّدٍ ابْنِ عَمْرِو الذِّي يَذْكُرُ أَنَّهُ كَانَ شَرِيكَ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي الْجَاهِلِيَّةِ، كَذَلِكَ حَدَّثَنِي الْحَارِثُ عَنْ بَنٍ سَعْدٍ عَنْهُ، فَأَمَّا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْكَلْبِيِّ، فَانْه قَالَ: كَانَ شَرِيكَ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ ابْنِ أَبِي السَّائِبِ، وَأَمَّا الْوَارِدُ فِي الْخَبَرِ فَانْه السَّائِبُ.

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ الْقَدَامِ، عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ مُهَاجِرٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ السَّائِبِ، [قَالَ: جَاءَ بِي عَثْمَانُ بْنُ عَفَانَ وَزُهَيْرُ بْنُ أَمِيهِ، فَاسْتَأْذَنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَأْتَيْنَا عَلَى عِنْدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص:

أَنَا أَعْلَمُ بِهِ مِنْكُمْ، أَلَمْ تَكُنْ شَرِيكِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَنَعَمْ الشَّرِيكَ كُنْتُ لَا تَمَارِي وَلَا تَبَارِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ص:

يَا سَائِبُ انْظُرِ الْأَخْلَاقَ الْحَسَنَةَ الَّتِي كُنْتُ تَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَصْنَعُهَا فِي الْإِسْلَامِ، أَقْرَ الضَّيْفِ، وَاحْسِنِ إِلَى الْيَتِيمِ، وَآكِرِ الْجَارِ] .

وَالسَّائِبُ بْنُ أَبِي السَّائِبِ وَابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ أَسْلَمَا يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ السَّائِبِ يُكْنَى أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَأَمَّا قَيْسُ بْنُ السَّائِبِ فَانْه ابْنُ عَمِّ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ السَّائِبِ، وَهُوَ قَيْسُ بْنُ السَّائِبِ بْنِ عَوِيْمٍ بْنِ عَائِذٍ بْنِ عَمْرَانَ بْنِ مَخْزُومٍ، وَهُوَ مَوْلَى مُجَاهِدٍ.

كَذَلِكَ، قَالَ الْوَاقِدِيُّ: أَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنَ عَمْرَانَ حَدَّثَهُ عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي مَوْلَايَ قَيْسِ بْنِ السَّائِبِ وَعَلَى الَّذِينَ يَطِيقُونَهُ فِدْيَةَ طَعَامِ مُسْكِينٍ، فَافْطِرْ وَاطْعِمْ لِكُلِّ يَوْمٍ مُسْكِينًا.

وَمِنْ حُلَفَاءِ بَنِي مَخْزُومٍ مِمَّنْ عَاشَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَرَوَى عَنْهُ

وَمِنْ بَنِي عَدَى بْنِ كَعْبٍ بْنُ لُؤْيٍ بْنُ غَالِبٍ مِمَّنْ عَاشَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَرَوَى عَنْهُ

وَمِنْ حُلَفَاءِ بَنِي مَخْزُومٍ مِمَّنْ عَاشَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَرَوَى عَنْهُ

عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ بْنُ عَامِرٍ بْنِ مَالِكٍ بْنُ كَثَّانَةَ بْنِ مَذْجَجٍ كَانَ يَاسِرٌ - فِيمَا ذَكَرَ - قَدِمَ مَكَّةَ مَعَ إِخْوَانِهِ: الْحَارِثُ وَمَالِكُ بْنُ الْيَمَنِ فِي طَلَبِ أَخِيهِمْ، فَارْجَعَ الْحَارِثُ وَمَالِكُ إِلَى الْيَمَنِ، وَأَقَامَ يَاسِرٌ بِمَكَّةَ، فَخَالَفَ بِهَا أَبَا حَذِيفَةَ بْنَ الْمَغِيرَةِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَخْزُومٍ، وَاسْمُ أَبِي حَذِيفَةَ بْنِ الْمَغِيرَةِ مَهْشَمٌ - وَقِيلَ مَهَاشِمٌ - وَكَانَ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ فَزَوَّجَهُ أَبُو حَذِيفَةَ أُمَّهُ لَهُ يَقَالُ لَهَا سَمِيَهُ بِنْتُ خَبَاطٍ، فَوُلِدَتْ لَهُ عَمَارًا فَاعْتَقَهُ أَبُو

حذيفة، فلما جاء الاسلام اسلم ياسر وسميه وعمار، وشهد عمار مع رسول الله ص المشاهد كلها، وعاش بعد رسول الله ص وروى عنه، وقتل مع علي ع بصفين.

ومن بنى عدي بن كعب بن لؤي بن غالب ممن عاش بعد رسول الله ص وروى عنه
عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح ابن عدي بن كعب، وكان يكنى أبا حفص، وابنه عبد الله، وكان يكنى أبا عبد الرحمن.

واخوه زيد بن الخطاب بن نفيل، وكان يكنى أبا عبد الرحمن وكان زيد اسن من أخيه عمر، واقدام إسلاما منه، وكانت معه رايه المسلمين يوم اليمامة، فلم يزل يتقدم بها- فيما ذكر- ويضارب بسيفه حتى قتل.

وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، يكنى أبا الأعور، قديم الاسلام، اسلم قبل ان يدخل رسول الله ص دار الارقم، وقبل ان يدعو فيها، ولم يشهد بدرا، ولكنه شهد أحدا وما بعد احد من مشاهد رسول الله ص.

وصفوان بن اميه بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح عاش بعد رسول الله ص، وروى عنه، وهو من مسلمة الفتح، حدثني يوسف بن حماد المعنى، قال:

حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الجمحي، عن محمد بن الفضل بن العباس، قال:

ومن بنى عامر بن لؤي بن غالب

كانت فينا وليمة، فدخل علينا صفوان بن اميه فأتى بالطعام، فقال: انتهسوا اللحم، [فأني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يقول: انتهسوا اللحم فانه أشهى، واهنى وامرى].

ومنه أبو محذوره المؤذن أوس بن معير بن لوزان بن ربيعة بن سعد بن جمح، وقد قيل في اسمه ونسبه غير ذلك، قيل: ان اسمه سمره بن عمير بن لوزان بن وهب بن سعد ابن جمح، وانه كان له أخ من ابيه وأمه يقال له أوس، وعاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم حيناً من الزمان، وروى عنه.

حدثني موسى بن سهل الرملي، قال: حدثنا محمد بن عمرو بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محيرز، قال: حدثني أبي عمرو بن عبد الرحمن عن ابيه عن جده عبد الله ابن محيرز، قال: رايت أبا محذوره صاحب رسول الله ص وله شعره، فقلت: يا عم الا تأخذ من شعرك؟ فقال: ما كنت لاخذ شعرا مسحه رسول الله ص، ودعا فيه بالبركة.

ومن بنى عامر بن لؤي بن غالب

ابن أم مكتوم مؤذن رسول الله ص، واختلف في اسمه فقالت: نسابه المدينين اسمه عبد الله، وقالت نسابه العراقيين اسمه عمرو، وهم مجمعون على نسبه انه ابن قيس بن زائدة بن الأصم بن رواحة بن جحر بن معيص بن عامر بن لؤي وقد قيل في زائده بن الأصم بن هرم بن رواحة: عاش بعد رسول الله وروى عنه.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن الضريس، عن أبي سنان، عن عمرو ابن مره، عن أبي البخري، عن ابن أم مكتوم، [قال: قال رسول الله ص:

لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا].

وعامر بن مسعود، روى عن رسول الله ص.

حدثني محمد بن عمار الأسدي، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال:

أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق، عن شيخ من قرش، يقال له عامر بن مسعود، قال:

[قال رسول الله ص: الصوم في الشتاء الغنيمه الباردة، اما ليله فطويل واما نهاره فقصير].

ونوفل بن معاوية بن عمرو بن صخر بن يعمر بن نفاثة بن عدى بن الديلم، عاش بعد رسول الله ص، وروى عنه.
 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذَيْبٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ نُوْفَلِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الدِّيلِيِّ، قَالَ: [قال رسول الله ص: من فائتته الصلاة فكأنما وتر أهله وماله] .

ومنهم سليمان بن اكيمة الليثي عن رسول الله ص حدثنا سعيد بن عمرو السكوني، قال: حدثنا الوليد بن سلمة الفلسطيني، قال: حدثني يعقوب بن عبد الله بن سليمان بن اكيمة الليثي، عن ابيه عن جده، قال: قلنا لرسول الله ص انا لنسمع الحديث لا نقدر على تاديبه، كما سمعناه، [قال: إذا لم تحلوا حراما ولم تحرموا حلالا وأصبتم المعنى فلا بأس] .

ومنهم فضالة الليثي روى عن رسول الله ص.

حدثني الحسن بن قزعة الباهلي قال: حدثنا مسلمة بن علقمة، عن داود بن أبي هند، عن أبي حرب، عن عبد الله بن فضالة، عن ابيه، [قال: اتيت رسول الله ص فاسلمت، وعلمني مواقيت الصلاة، فقلت: يا رسول الله، ان هذه ساعات متواترات، وانا رجل ذو شغل فأخبرني بشيء جامع، قال: فما استطعت فلا تدعن العصرين، قلت: يا رسول الله، وما العصران؟ قال: صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها] .

وحدثني إسماعيل بن شاهين الواسطي، قال: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ دَاوُدَ عَنْ أَبِي حَرْبٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَضَالَةَ اللَّيْثِيِّ عَنْ أَبِيهِ، [قال: علمني رسول الله ص، فكان فيما علمني ان قال: حافظ على الصلوات الخمس قال: قلت:

ان هذه ساعات لي فين أشغال، فأمرني بأمر جامع، إذا انا فعلت أجزأ عني قال: حافظ على العصرين، قال: وما كانت من لغتنا؟ قال: قلت وما العصران، قال: صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها] .

وشداد بن اسامه بن عمرو، وهو الهاد بن عبد الله بن جابر بن بشر بن عتواره ابن عامر بن ليث وكانت عند شداد بن اسامه سلهى بنت عميس، اخت أسماء بنت عميس الخثعمية.

روى شداد عن رسول الله ص: ما حدثت عن موسى بن اسماعيل، قال: حدثنا جرير بن حازم عن محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب الضبي، عن عبد الله بن شداد بن الهاد، عن ابيه، [قال: خرج علينا رسول الله ص في احدى أراه قال: - صلاتي العشي وهو حامل، احد ابني ابنته الحسن او الحسين ع فتقدم، فوضعه عند قدمه اليمنى، وسجد رسول الله بين ظهراني صلاته سجده أطالها، قال: ابني: فرفعت راسي من بين الناس، فإذا رسول الله ص ساجد، وإذا الغلام على ظهره، فعدت فسجدت، فلما انصرف رسول الله ص قال الناس:

يا رسول الله، لقد سجدت في صلاتك هذه سجده ما كنت تسجدها، أفشيء امرت به او كان يوحى إليك؟ قال كل ذلك لم يكن، ولكن ابني هذا ارتحلني، فكرهت ان اعجله حتى يقضى حاجته] .
 ومنهم خفاف بن إيماء بن رخصه بن خربه بن خلاف بن حارثة بن غفار.

روى خفاف عن رسول الله ص ما حدثنا به ابن بشار، قال: حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد، قال: حدثنا محمد بن عمرو، عن خالد بن عبد الله بن حرملة، عن الحارث بن خفاف بن إيماء بن رخصه، عن خفاف بن إيماء، [قال:

ركع رسول الله ص، ثم رفع راسه فقال: غفار عفر الله لها، واسلم سالمها الله، اللهم العن رعلا وذكوان وعصيه، قال خفاف: فن اجل ذلك لعنت الكفرة] .

ورافع بن عمرو أخو الحكم بن عمرو، روى عن رسول الله ص:

حدثني عبد الرحمن بن الوليد الجرجاني قال: أخبرنا مسلم بن ابراهيم، قال:

حدثنا سليمان بن المغيرة، قال: حدثنا حميد بن هلال، عن عبد الله بن الصامت، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: ان من بعدي من امتي - او قال سيكون من امتي قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حلقهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه، شرار الخلق والخليقة] قال سليمان:

واكثر ظني انه قال: سيماهم التخالق قال عبد الله بن الصامت: فلقيت رافع ابن عمرو الغفاري أبا الحكم بن عمرو، فقلت ما حدث سمعته من ابي ذريقول:

كذا وكذا، وذكرت هذا الحديث له، فقال: وما اعجبك من هذا؟ فانا سمعته من رسول الله ص. ومنهم نصر بن عبيد النصر، روى عن رسول الله ص.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَارَةَ الْأَسَدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ بْنِ حَزْنٍ النَّصْرِيِّ، قَالَ: [تفاخر عند رسول الله ص اصحاب الابل واصحاب الغنم، فقال اصحاب الابل: ما أنتم يا رعاء الشاء! هل تحبون شيئا او تصيبونه ما هي الا شويها، احكم يرهاها، ثم يروحها، حتى اصمتوهم، فقال رسول الله ص: بعث داود ع وهو راعي غنم، وبعث موسى ع وهو راعي غنم، وبعث انا وانا ارعى غنم اهلى باجباد، فغلبهم اصحاب الغنم] .

ومنهم عم الفرزدق، روى عن رسول الله ص ما حدثت عن يزيد بن هارون، قال: أخبرنا جرير بن حازم، قال: حدثنا الحسن، عن صعبعة بن معاوية عم الفرزدق الشاعر- هكذا قال يزيد- [انه اتى النبي ص فقرا عليه فَنُ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ، قال: حسي لا اسمع غيرها] .

ومنهم سليم بن جابر الهجيمي ابو جري. حدثني إسحاق بن ابراهيم الصواف، قال: حدثنا يوسف بن يعقوب السدوسي، قال: حدثنا عبد الواحد بن واصل، عن ابي غفار عن ابي تميمه، عن ابي جري، [قال: انتهيت الى رجل والناس حوله يصدرون عن رايه، ما قال لهم من شيء رضوا به، فقلت في نفسي: ان هذا لرجل، من هذا؟ قالوا: هذا رسول الله، قلت: عليك السلام يا رسول الله، عليك السلام يا رسول الله، قال: عليك السلام تحيه الميت، ولكن قل السلام عليك، قلت: السلام عليك يا رسول الله، أنت رسول الله؟ قال: نعم، انا رسول الله الذي إذا اصابك ضر فدعوته استجاب لك، وإذا اصابك عام سنه فدعوته استجاب لك، وإذا كنت في ارض- قال: او في ارض قفر- فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك، قال: قلت: بابي وأمي يا رسول الله! اعهد الى عهدا، قال:

لا تسبن أحدا، قال: فما سببت بعده حرا ولا عبدا ولا شاه ولا بعيرا، قال: ولا تزهدين في المعروف، وان تكلم اخاك وأنت منبسط اليه بوجهك، فان ذلك من المعروف، وارفع الازار الى نصف الساق، والا فالى الكعبين، وإياك واسبال الازار، فان ذلك من الخيلة، وان الله لا يحب الخيلة، وإذا عيرك رجل بأمر يعلمه فيك فلا تعيره بأمر تعلمه فيه فيكون وبال ذلك عليك] .

ومنهم حرمله العنبري، روى عن رسول الله ص.

حدثنا ابن المثنى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُرَّةُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ ضَرَّامِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ حَرْمَلَةَ الْعَنْبَرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: انتهيت الى رسول الله ص في وفود من الحى، فصلى بنا صلاه الصبح، فجعلت انظر في وجوه القوم، ما اكاد ان اعرفهم- اى من الغلس.

سلمان بن عامر الضبي روى عن رسول الله ص احاديث، منها ما حدثني بشر بن دحية البصرى، قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: حدثنا عاصم، عن حفصة بنت سيرين، عن الرباب، امراه من بنى ضبة، ان سلمان بن عامر الضبي رفعه [الى النبي ص، قال: إذا افطر احدكم فليفطر على تمر، فان لم يجد تمرا فليفطر على ماء، فان الماء طهور] .

ومنهم عبد الله بن سرجس المزنى، روى عن رسول الله ص،

ومن بنى جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة

ومن بنى نعيم بن عامر بن صعصعة

حدثنا نصر بن علي الجهضمي، قال: حَدَّثَنَا نوح بن قيس قال: حدثنا عبد الله ابن عمران عن عاصم الأحول، عن عبد الله بن سرجس المزني عن [رسول الله ص، انه قال: السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من اربعة وعشرين جزءا من النبوه] .
ومنهم ميسره الفجر، وهو- فيما قيل- ابو بديل بن ميسره، روى عن رسول الله ص، حدثنا بن بشار قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا منصور بن سعد عن بديل عن عبد الله بن شقيق عن ميسره الفجر، [قال: قلت: يا رسول الله، متى كتبت نبيا؟ قال: وآدم بين الروح والجسد.]

. ومن بنى جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة

نابغه بنى جعدة الشاعر، واسمه قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة، روى عن رسول الله ص.
حدثني عمر بن اسماعيل الهمداني، قال: حدثنا يعلى بن الاشدق العقيلي، قال:

سمعت النابغة، يقول: انشدت النبي صلى الله عليه وسلم شعرا فقلت:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ... وانا لنرجو فوق ذلك مظهرها
ولا خير في حلم إذا لم تكن له ... بوادر تحجب صفوه ان يكدرها

ولا خير في جهل إذا لم يكن له ... حلیم إذا ما اورد الأمر اصدرا

[قال: فقال النبي ص: اجدت يا أبا ليلى - ثلاثا- لا يفض فوك الا ابن المظهر يا أبا ليلى؟ قلت الجنه، قال: الجنه ان شاء الله] .
ومنهم حميد بن ثور الهلالي الشاعر.

ومن بنى نعيم بن عامر بن صعصعة

ابو زهير النيمري، روى عن رسول الله ص احاديث منها:

ما حدثني محمد بن عوف الطائي، قال: حدثنا محمد بن اسماعيل، قال: حدثني
ضمضم عن شريح، قال: حدث ابو زهير النيمري ان [النبي ص قال:

لا تقتاتوا الجراد فانه من جند الله الأعظم] .

ومنهم يزيد بن عامر السوائي، كان مع المشركين يوم حنين، ثم اسلم، وروى عن رسول الله ص.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْأَدَمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَعْن - يعنى ابن عيسى - القزاز، عن سعيد بن السائب الطائفي، عن ابيه، عن يزيد بن عامر، قال: [لما كانت انكشافه المسلمين حين انكشفوا يوم حنين، ضرب النبي ص يده الى الارض، فاخذ منها قبضه من تراب فاقبل بها على المشركين، وهم متبعون المسلمين، فحشا بها في وجوههم، وقال: ارجعوا، شاهت الوجوه! قال: فانصرفنا ما يلقي منا احد احدا الا وهو يمسح القدى عن عينيه] .

وحبشي بن جنادة بن نصر بن اسامه بن الحارث بن معيط بن عمرو بن جندل ابن مره بن صعصعة صحب النبي ص وروى عنه احاديث.

حدثني اسماعيل بن موسى السدي، قال: أخبرنا شريك عن ابي إسحاق عن حبشي ابن جنادة السلوي، قال: [قال رسول الله ص: على منى وانا من على، لا يؤدى ديني الا انا او على] .

وحدثنا ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا حَكَّام، عن عنبسة، عن ابي إسحاق عن حبشي ابن جنادة السلوي، قال: [سمعت رسول الله ص يقول: على منى وانا منه لا يبلغ عنى الا انا او على،] قالها في حجة الوداع.

ومنهم ابو مريم مالك بن ربيعة السلوي ابو بريد بن ابي مريم روى عن رسول الله ص احاديث.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيد، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِير، عن عطاء عن بريد بن ابي مريم عن ابيه، قال: قام النبي ص فينا مقاما حدثنا بما هو كائن الى ان تقوم الساعة.

ومنه المرماس بن زياد الباهلي، روى عن رسول الله ص احاديث منها: ما حدَّثني العباس بن أبي طالب، قال: حدَّثنا عبد الله بن عمران الاصبهاني،

ذكر اسامي من روى عن رسول الله ص ممن آمن به واتبعه في حياته وعاش بعده من قبائل اليمن

قال: حدثنا يحيى بن ضريس الرازي، عن عكرمه بن عمار عن هرماس، [قال: كنت رديف أبي، فرأيت النبي ص على بعير، يقول: لبيك بحجه وعمره معا] .

ومنه من تغلب جد حرب بن عبيد الله من قبل أمه، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ حَرْبِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ جَدِّهِ أَبِي أُمٍّ - رَجُلٍ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ - [قَالَ: أَسْلَمْنَا فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ص، فَقُلْتُ:

ان قومی قد أسلموا، فعلمنا، قال: اذهب فعلبهم الصلاة والزكاة، فحدثني بزكاه الإبل والبقر والغنم والذهب والفضة، فادبرت فحفظت كل شيء علمنيه الا الزكاة، فرجعت اليه، فقلت: اني قد حفظت كل شيء الا الزكاة فأعادها علي، فلما ادبرت نسيتها، فرجعت اليه، فقلت: قد حفظت كل شيء الا الزكاة، اعشرهم؟ قال: لا، انما العشور على اليهود والنصارى وليس على المسلمين عشور.

ذكر اسامي من روى عن رسول الله ص ممن آمن به واتبعه في حياته وعاش بعده من قبائل الين

فمنهم- من ولد أوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن إمرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا ابن يشجب بن يعرب بن قحطان والى قحطان جماع نسب اليمن، ثم يختلف في نسب قحطان النسابون فمنهم من ينسبه الى اسماعيل بن ابراهيم فيقول: هو قحطان بن الهميسع ابن تين بن نبت بن اسماعيل بن ابراهيم، كذلك كان هشام بن محمد ينسبه، ويذكر عن ابيه انه ادرك اهل النسب والعلم ينسبون قحطان كذلك ومنهم من يقول:

هو قحطان بن فالغ بن عابر بن شالخ- قيل بالخاء والحاء- بن ارنخشد بن نوح صلوات الله عليه وعلى جميع الأنبياء وأم الأوس والخزرج- وهما ابنا حارثة- العنقاء

قليله بنت كاهل بن عذرة بن سعد- وهو سعد بن هذيم، نسب الى هذيم، وهذيم عبد حبشي كان يسمى هذيمًا، لأنه حضن سعدا فغلب عليه فقليل سعد بن هذيم.

وَأَمَّا هُوَ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ لَيْثٍ بْنُ سُوْدٍ بْنُ أَسْلَمَ بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ وَكَانَ سَيِّدَهُمْ حَتَّى مَاتَ - مَنْصَرَفَ النَّبِيِّ ص عَنْ بَنِي قُرَيْظَةَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ، وَقَدْ مَضَى ذِكْرُ أَخْبَارِهِ.

ومنه خزيمة بن ثابت الفاكه بن ثعلبه بن ساعده بن عامر بن غيان بن عامر بن خطمه، روى عن رسول الله ص احاديث.

حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ طَلْحَةَ ابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنِي خَزِيمَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عِمَارِهِ بْنِ خَزِيمَةَ بْنِ ثَابِتٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ خَزِيمَةَ بْنِ ثَابِتٍ، [قَالَ:

قال رسول الله ص: اتقوا دعوه المظلوم فإنها تحمل على الغمام، لقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين .

ومنهـم أخو خزيمـة بن ثابت، روى عن رسول الله ص احاديـث، منها ما حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدّثنا أبو زُرعة، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، عن عماره بن خزيمة بن ثابت، وخزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله ص شهادته شهادة رجلين قال عماره أخبره عمه- وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم- ان خزيمة بن ثابت رأى في المنام انه سجد على جبهه رسول الله ص، فاتى خزيمة رسول الله، فحدثه، قال: فاضطجع رسول الله، ثم قال له: صدق رؤياك فسجد على جبهته.

ومنه عبد الله بن حنظله بن الراهب، روى عن رسول الله ص.

حدثني محمد بن اسماعيل السلمي، قال: حدثنا الحسن بن سوار ابو العلاء، قال: حدثنا عكرمه بن عمار عن ضمضم بن جوس، عن عبد الله بن حنظله بن الراهب، قال: رايت النبي ص يطوف بالبيت على ناقه لا صرب ولا طرد ولا إليك إليك

ومنه ثم من بنى حارثة بن الحارث عويم بن اشقر، روى عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حدثني العباس بن الوليد البيروقي، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ، عَنْ عِبَادِ بْنِ تَمِيمٍ، عَنْ عُوَيْمِرِ بْنِ أَشَقْرِ الْأَنْصَارِيِّ، ثُمَّ الْمَازِنِيِّ، أَنَّهُ ذَبَحَ اضْحِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَى رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فَخَبَرَهُ، قَالَ: فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص أَنْ يَعُودَ لِضَحِيَّتِهِ.

وحدثني يونس بن عبد الأعلى الصديقي، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ أَنَّ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ حَدَّثَهُمَا عَنْ عِبَادِ بْنِ تَمِيمٍ عَنْ عُوَيْمِرِ بْنِ أَشَقْرِ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ ذَبَحَ ضَحِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يَغْدُو يَوْمَ الْاَضْحَى، وَأَنَّهُ ذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص أَنْ يَعُودَ بِضَحِيَّتِهِ أُخْرَى.

وحدثني ابن سنان القزاز، قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى، عَنْ حَمَادٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عِبَادِ بْنِ تَمِيمٍ، عَنْ عُوَيْمِرِ بْنِ أَشَقْرِ، أَنَّهُ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَى النَّبِيِّ ص، فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ص أَنْ يَعِيدَ.

ومنه مجمع بن جاريه، من بنى عمرو بن عوف، روى عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَادِيثَ.

حدثني الحسن بن عرفة، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيَّاشٍ الْحَمَصِيُّ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ مَجْمَعٍ بَنٍ جَارِيهٍ، عَنْ أَبِيهِ، [أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص خَرَجَ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ حَتَّى أَتَى إِلَى الْمَقْبَرَةِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، مِنْ كَانَ مِنْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، أَتَمَّ لَنَا فِرْطَ وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ، عَافَانَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَإِيَّاكُمْ].

ومنه حذيفة بن اليمان أبو عبد الله، أصله من عبس بن بغيض، وهو حليف لبني عبد الأشهل، روى عن رَسُولِ اللَّهِ ص حديثا كثيرا ومنهم أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار، وهو تميم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج، شهد العقبة مع السبعين من الانصار، وشهد بدرًا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رَسُولِ اللَّهِ ص، وروى عن رَسُولِ اللَّهِ ص حديثا كثيرا.

ومنه ثابت بن قيس بن شماس بن إمرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب ابن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، روى عن رَسُولِ اللَّهِ ص أَحَادِيثَ.

حدثني يونس بن عبد الأعلى الصديقي، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَكِّي، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى الْمَازِنِيِّ، عَنْ يَوْسُفَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ [عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: اكْشِفِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، عَنْ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ، ثُمَّ أَخَذَ تَرَابًا مِنْ بَطْحَانَ، فَجَعَلَهُ فِي قَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ فَصَبَّهُ عَلَيْهِ].

ومنه أبو اليسر كعب بن عمرو، روى عن رَسُولِ اللَّهِ ص.

حدثنا حميد بن مسعدة السامي، قَالَ: حَدَّثَنَا بَشَرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعَاوِيَه، عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِي الْيَسْرِ الْبَدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [قَالَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ - فَلْيَنْظُرْ مَعْسَرًا أَوْ لِيَضَعْ لَهُ].

ومنه عبيد بن رفاعه الزرقى.

حدثني حوثره بن محمد المنقرى وسعيد بن الربيع الرازى، قَالَا حَدَّثَنَا سَفِيَّانُ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَرُوهَ عَنْ عَامِرِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ الزَّرْقِيِّ، قَالَ: [قَالَتْ أَسْمَاءُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ بَنِي جَعْفَرٍ تَصِيبُهُمُ الْعَيْنُ افْتَسَرَّتْ لَهُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَلَوْ كَانَ شَيْءٌ يُسْبِقُ الْقَدْرَ لَسَبَقَتْ الْعَيْنُ].

ومنه خلاد بن رفاعه بن رافع، روى عن رَسُولِ اللَّهِ ص.

حدثنا عبيد الله بن سعد الزهرى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمِي، عَنْ شَرِيكٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَوْنٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى، عَنْ خَلَادِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ - وَكَانَ بَدْرِيًّا - قَالَ: [جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ص وَهُوَ جَالِسٌ، فَصَلَّى قَرِيبًا مِنْهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَوَقَفَ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ فسلم عليه فقال نبي الله ص: اعد صلاتك،

فإنك لم تصل، فصلى نحو ما صلى ثم انصرف فوقف على النبي ص فسلم، فقال له النبي ص: اعد صلاتك، فإنك لم تصل، فقال يا نبي الله، علمني، قال: إذا توجهت الى القبلة فكبر ثم اقرا بما شاء الله ان تقرا، فإذا ركعت فاجعل راحتك على ركبتيك، وامدد ظهرك، ويمكن لركوعك، فإذا رفعت فاقم صلبك حتى ترجع العظام في مفاصلها، فإذا سجدت فمكن سجودك، فإذا رفعت، فاجلس على نخذك اليسرى، ثم افعل مثل ذلك في كل ركعة وسجدة حتى تفرغ] .

ومنه زياد بن لبید بن ثعلبة بن سنان، احد بنی بیاضه بن عامر بن زریق روى عن رسول الله ص.

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ زِيَادِ بْنِ لَبِيدٍ، [قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص شَيْئًا، فَقَالَ: وَذَلِكَ عِنْدَ أَوَانِ ذَهَابِ الْعِلْمِ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَنَقْرَأُ أَبْنَاءَنَا وَيَقْرَأُ أَبْنَاءُنَا ابْنَاءَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: ثَكَلْتُكَ أَمْكُ زِيَادُ! إِنْ كُنْتَ لَارَاكَ مِنْ أَفْقِهِ رَجُلٌ بِالْمَدِينَةِ أَوْ لَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَلَا يَفْعَلُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا فِيهِمَا!] وَمِنْهُمْ أَبُو أَبِي إِبْرَاهِيمَ الْأَنْصَارِيُّ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَزِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا بَشَرُ بْنُ الْمَفْضَلِ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ الدِّسْتَوَائِيُّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْمَيِّتِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، وَذَكَرْنَا وَأُنْثَانَا، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا وَحَدَّثَنِيهِ ابْنُ الْمُثَنَّى قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، أَنَّ يَحْيَى حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ - رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ - حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ص يَصَلِّي عَلَى جَنَازَةٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأَوْلَانَا وَآخِرَانَا وَحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَذَكَرْنَا وَأُنْثَانَا،

ذَكَرَ بَعْضُ أَسْمَاءَ مِنْ عَاشَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص مِمَّنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ فِي حَيَاتِهِ وَرَوَى عَنْهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ فِي سَائِرِ قِبَائِلِ الْيَمَنِ

وصغيرنا وكبيرنا، وشاهدنا وغائبنا اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفلنا بعده.

قال يحيى: وحديثي ابو سلمه، [عن النبي ص بمثله وزاد فيه ومن احييته فأحيه على الاسلام، ومن توفيته فتوفه على الايمان] . وعمير الأنصاري روى عن رسول الله ص.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا ابي سعيد بن سعيد التغلبي، او الثعلبي - شك الطبري - عن سعيد بن عمير الأنصاري، عن ابيه وكان بدرية، [قال: قال النبي ص: من صلى على من امتى صلاه مخلصا بها من نفسه، صلى الله عليه بها عشر صلوات، ورفعه بها عشر درجات، وكتب له بها عشر حسنات، ومحا عنه بها عشر سيئات]

. ذَكَرَ بَعْضُ أَسْمَاءَ مِنْ عَاشَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص مِمَّنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ فِي حَيَاتِهِ وَرَوَى عَنْهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ فِي سَائِرِ قِبَائِلِ الْيَمَنِ

ثم من الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب ابن يعرب بن قحطان ثم من خزاعة وهم بنون لكعب ومليح وعدى بن عمرو بن ربيعة ابن حارثة بن عمر ومزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن إمرئ القيس ابن ثعلبة بن مازن.

منهم الحصين بن عبيد بن خلف بن عبدنهم بن جريه بن جهمه بن غاضره بن حبشية بن كعب بن عمرو، وهو ابو عمران بن حصين، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ الْمَغِيرَةِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو - يَعْنِي ابْنَ أَبِي قَيْسٍ - عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ رَبِيعٍ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحَصِينِ عَنْ أَبِيهِ، [أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ص قَبْلَ أَنْ يُسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عَبْدُ الْمُطَلِّبِ كَانَ خَيْرًا لِقَوْمِهِ مِنْكَ، كَانَ يَطْعَمُهُمُ الْكَبِدَ وَالسَّنَامَ، وَأَنْتَ تَخْرَهُمُ، ثُمَّ قَالَ: عَلَيْنِي، فَقَالَ: قُلِ اللَّهُمَّ قَتَلْتُ شَرَّ نَفْسِي وَأَعَزَمْتُ لِي عَلَى ارْتِدَائِي، ثُمَّ أَتَاهُ وَقَدْ اسْلَمَ، فَقَالَ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ قُلْ:

اللهم اغفر لي ما اسررت وما اعلنت، وما أخطأت وما عمدت، وما علمت وما جهلت]

ومنه سليمان بن صرد بن الجون بن ابي الجون، وهو عبد العزى بن منقذ - وكان سليمان يكنى أبا مطرف وكان اسمه قبل ان يسلم يسار، فلما اسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سليمان - وشهد مع علي بن ابي طالب ع الجمل وصفين، وقد قيل انه لم يشهد الجمل،

فاما في شهوده معه صفين فلم يختلف فيه، وقتل بعين الورد بناحيه قرقيسيا قتله يزيد بن الحصين بن نمير، وهو يومئذ رئيس التوابين وصاحب امرهم، روى عن رسول الله ص احاديث.

حدثنا نصر بن علي الجهضمي، قال: حدثنا ابي عن شعبه عن عبد الأكرم- رجل من اهل الكوفة- عن ابيه، عن سليمان بن صرد، قال: أتانا رسول الله ص فكثنا ليالي لا نقدر- او لا يقدر- على طعام. ومنهم حبش بن خالد الأشعري بن خليف روى عن رسول الله ص.

ما حدثني ابو هشام محمد بن سليمان بن الحكم بن أيوب بن سليمان بن ثابت بن يسار الكعبي الربيعي، قال: حدثني عمي أيوب بن الحكم بن أيوب عن حزام بن هشام، عن ابيه هشام بن حبش، عن جده حبش بن خالد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إن رسول الله ص حين خرج من مكة خرج منها مهاجرا الى المدينة، هو وابو بكر ومولى ابي بكر عامر بن فهيره، ودليلهما الليثي عبد الله بن الأريقط فروا على خيمتي أم معبد الخزاعية- وكانت برزه جلده، تحتي بفناء القبه ثم تسقى وتطعم- فسألوها لحما وتمرا ليشتروا منها، فلم يصيبوا من ذلك شيئا، وكان القوم مرملين- قال ابو هشام مشتين-، قال الطبري وانما هو مستتين- فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاه في كسر الخيمة، فقال: ما هذه الشاه يا أم معبد؟ قالت: شاه خلفها الجهد عن الغنم، قال: هل بها من لبن؟ قالت: هي اجهد من ذلك، قال:

تاذنين لي ان أحلبها، قالت: نعم بابي وأمي، ان رايت بها حلبا فاحلبها- فدعا بها رسول الله فمسح بيده ضرعها، وسمى الله، ودعا لها في شاتها، فتفاجت عليه، ودرت واجترت ودعا بإناء يربض الرهط، فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء، ثم سقاها حتى رويت، وسقى اصحابه حتى رووا، ثم شرب آخرهم، ثم أراضوا، ثم حلب فيه ثانيا بعد بدء حتى ملا الإناء، ثم غادره عندها وباعها، وارتحلوا عنها، فقل ما لبثت حتى جاءها زوجها ابو معبد، يسوق اعززا عجافا، تساوكن هزلا ضحى، مخنن قليل.

فلما رأى ابو معبد اللبن عجب، وقال: من اين لك هذا يا أم معبد؟ والشاه عازب حيال ولا حلوب في البيت، قالت: لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا، قال: صفيه لي يا أم معبد، قالت: رايت رجلا ظاهر الوضوء، ابلج الوجه، حسن الخلق، لم يعبه نخله ولم تزر به صعله هكذا قال: ابو هشام، وانما هو لم تعبته تجله، ولم تزر به صقله وسيم قسيم، في عينيه دجج، وفي اشفاره وطف- قال ابو هشام: عطف، وفي صوته صهل، قال الشيخ: وهو خطأ وانما هو صحل بالحاء- وفي عنقه سطع وفي لحيته كثافة أزج اقرن ان صمت فعليه الوقار، وان تكلم سما وعلاه، البهاء، اجمل الناس وأبهاه من بعيد، واحسنه واحلاه من قريب، حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر، كان منطق خرزات نظم يتحدر، ربه لا ياس من طول، ولا تقتحمه

عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو انضر الثلاثة منظرا، واحسنهم قدرا، له رفقاء يحفون به، ان قال نصتوا لقوله- قال الطبري: وانما هو انصبوا لقوله- وان امر تبادروا الى امره- محفود محشود لا عابس ولا مفند- قال ابو هشام:

ولا معتد- وهو خطأ قال ابو معبد هو والله صاحب قریش الذى ذكر لنا من امره ما ذكر بمكة، ولقد هممت ان اصحبه ان وجدت الى ذلك سبيلا، فاصبح صوت بكة عاليا يسمعون الصوت، ولا يدرون من صاحبه، وهو يقول:

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ ... رَفِيقَيْنِ قَالَا خِمَمَتِي أُمُّ مَعْبَدٍ

هُمَا نَزَلَا بِالْهَدَى وَاهْتَدَتْ بِهِ ... فَقَدْ فَازَ مِنْ أَمْسَى رَفِيقُ مُحَمَّدٍ

فِيَالِ قَصَى مَا زَوَى اللَّهُ عَنْكُمْ ... بِهِ مِنْ فَعَالٍ لَا يَجَازِي وَسُودِدَ

لِيَهْنَأَ بَنَى كَعْبٍ مَقَامَ فَتَاتِهِمْ ... وَمَقْعَدَهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدٍ

سَلُوا أَخْتَكُمْ عَنْ شَاتِهَا وَإِنَائِهَا ... فَإِنَّكُمْ أَنْ تَسْأَلُوا الشَّاهَ تَشْهَدُ

دَعَاها بِشَاهٍ حَائِلٍ فَتَحَلَبْتُ ... عَلَيْهِ صَرِيحُ ضَرِّهِ الشَّاهُ مَرْبَدُ

قال الطبري: هكذا أنشدني ابو هشام وانما هو: فتحلبت له بصريح ضره الشاه مزبد

فغادرها رهنا لديها لحالب ... يرددها في مصدر ثم مورد

فلما سمع بذلك حسان بن ثابت شاعر رسول الله ص وسلم شبيب يجاوب الهاتف وهو يقول:

لقد خاب قوم زال عنهم نبهم ... وقدم من يسرى اليهم ويغتنى
ترحل عن قوم فضلت عقولهم ... وحل على قوم بنور مجد
هداهم به بعد الضلالة ربهم ... وارشداهم، من يبتغ الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا ... عسى وهداه يهتدون بمهتد
وقد نزلت منه على اهل يثرب ... ركاب هدى حلت عليهم باسعد
نبي يرى مالا يرى الناس حوله ... ويتلو كتاب الله في كل مسجد
قال الطبري والذي نرويه في كل مشهد: -

وان قال في يوم مقاله غائب ... فتصديقها في اليوم او في ضحى الغد
لين أبا بكر سعادته جده ... بصحبته من يسعد الله يسعد
لين بنى كعب مقام فتاتهم ... ومقعدا للمؤمنين بمرصدا
قال: فلحقه فاسلم.

حدثني ابراهيم القارئ ابو إسحاق الكوفي، قال: حدثنا بشر بن حسن ابو احمد السكري، قال: حدثنا عبد الملك بن وهب المذحجي، عن
الحرب بن الصياح النخعي، عن ابي معبد الخزاعي ان رسول الله ص خرج ليله هاجر من مكة الى المدينة هو وابو بكر وعامر بن فهيره
مولي ابى بكر، ودليلهم عبد الله بن اريقط الليثي، فمروا بخيمتي أم معبد الخزاعية- وكانت امراه برزه جلده تحتي وتجلس بفناء الخيمة
ثم تطعم وتسقى- فسألوها تمرا ولما ليشترى فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك، وإذا القوم مرملون مستنون فقالت: لو كان عندنا شيء
ما أعوزكم القرى، فنظر رسول الله ص الى شاه في كسر خيمتها فقال: ما هذه الشاه يا أم معبد؟ قالت شاه خلفها الجهد عن الغنم،
قال: فهل بها من لبن؟

قالت: هي اجهد من ذلك، قال: افتأذنين ان أحلبها؟ قالت: نعم بابى وأمي، ان رايت بها حلبا، فاحلبها فدعا رسول الله ص بالشاه
فسح ضرعها، وذكر اسم الله عز وجل، فتفاجت ودرت، واجترت، فدعا بإناء لها يربضن الرهط، فحلب فيه ثجا حتى غلبه الثمال،
فسقاها فشربت حتى رويت، وسقوا حتى رووا، وقال: ساقى القوم آخرهم، فشرى جميعا عللا بعد نهل حتى أراضوا، ثم حلبوا فيه ثانيا
عودا على بدء، فغادره عندها، فقلبا لبث ان جاء زوجها ابو معبد يسوق أعززا حثلا عجافا، تساو ك هزلا، مخنن قليل، لا نقى بهن، فلما
راى اللبن عجب وقال: من اين هذا لكم والشاه عازبه ولا حلوبة في البيت؟ قالت: لا والله انه

مر بنا رجل مبارك، كان من حديثه كيت وكيت، قال: أراه والله صاحب قريش الذى ذكر لنا صفيه لي يا أم معبد، قالت: رايت
رجلا ظاهرا الوضأة، متبلج الوجه، حسن الخلق لم تعبته تجله، ولم تزر به صعله، وسيم قسيم، في عينيه دجج، وفي اشفاره وطف، وفي
صوته صهل - قال: الطبري وانما هو صحل - احور الحل أزج اقرن، رجل في عنقه سطح، وفي لحيته كثافة- قال الطبري: وانما هو كثافة-
إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، كان منطقته خرزات نظم يتحدرن، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر، اجهر الناس،
واجمله من بعيد، واحلاه واحسنه من قريب، ربه لا تشنؤه من طول ولا تقنحه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو انضر الثلاثة
منظرا، واحسنهم قدرا، له رفقاء يخفون به، ان قال سمعوا لقوله، وان امر تبادروا الى امره، محفود محشود لا عابس ولا مفند قال:
هذا والله صاحب قريش الذى ذكر لنا، ولو كنت وافقته لالتصت صحبتته، ولا فعلن ذلك ان وجدت اليه سبيلا، واصبح صوت بمكة
عال يسمعون ولا يدرون من يقوله بين السماء والارض، وهو يقول:

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ ... رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به ... فافلح من امسى رفيق محمد

فيال قصي ما زوى الله عنكم ... به من فعال لا يجازى وسودد
ليئى بنى كعب مقام فتاتهم ... ومقعدا للمؤمنين بمرصدا
سلوا أختكم عن شاتها وانائها ... فإنكم ان تسألوا الشاه تشهد
دعاها بشاه حائل فتحلبت له ... بصريح ضره الشاه مزبد

قال الطبري: هكذا أشدنيہ ابو هشام وانما هو: فتحلبت له بصريح ضره الشاه مزبد.

فغادره رهنا لديها بحالب ... يدر لها في مصدر ثم مورد

فاصبح الناس وقد فقدوا نبيهم ص، فأخذوا على خيمتي أم معبد حتى لحقوا النبي ص واجابه حسان، وهو يقول:

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم ... وقدس من يسرى اليه ويغتدى

ترحل عن قوم فزال عقولهم ... وحل على قوم بنور مجدد

وهل يستوى ضلال قوم تسكعوا ... عمى وهدها يهتدون بمهتد

نبي يرى مالا يرى الناس حوله ... ويتلو كتاب الله في كل مشهد

وان قال في يوم مقاله غائب ... فتصديقها في ضحوه اليوم او غد

لين أبا بكر سعادته جده ... بصحبته من يسعد الله يسعد

ويهن بني كعب مكان فتاتهم ... ومقعد لها للمؤمنين بمرصدة

ومنهم هنيده بن خالد الخزاعي.

حدثني محمد بن عمار الأسدي، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال:

أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن هنيده بن خالد الخزاعي، قال: بينما رسول الله ص يقاتل، إذ أتاه رجل، فقال: يا رسول الله

أعطني سيفاً، فلاقاتل به، قال: لعلك ان تقوم في الكيول قال: فاعطاه سيفاً فاخذ يرتجز وهو يقول:

اني امرؤ بايعني خليلي ونحن عند اسفل النخيل الا اخون الدهر في الكيول اضرب بسيف الله والرسول قال: فما زال يقاتل حتى

عطفوا عليه فقتلوه.

ومنهم نمير الخزاعي.

حدثني محمد بن خلف العسقلاني، ومحمد بن عوف الطائي من اهل حمص، قالوا: حدثنا الفريابي قال: حدثنا عصام بن قدامه، قال:

حدثنا مالك بن نمير الخزاعي، قال: حدثني ابي انه رأى رسول الله ص قاعدا في الصلاة، واضعا ذراعه على نخذة اليمنى رافعا اصبعه

السبابة قد حناها شيئاً وهو يدعو.

ومنهم نافع بن عبد الحارث.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان عن حبيب عن رجل عن نافع بن عبد الحارث، قال: [قال رسول الله

ص:

من سعاده المرء المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء].

ومنهم عمرو بن شاس.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق، عن ابان ابن صالح قال: كنت مع عيسى بن الفضل بن معقل بن سنان الاشجعي،

قال:

حدثني ابو بردة بن نيار مكرز الأسلمي، عن خاله عمرو بن شاس، [أن النبي صلى الله

ذكر أسماء من روى عن رسول الله ص من الأشعرين

عليه وسلم قال: من آذى علياً فقد آذاني].

ومنهم القعقاع بن ابي حدر، روى عن رسول الله ص.

حدثني محمد بن ابراهيم المعروف بابن صدران، ويعقوب بن ابراهيم بن جبير الواسطي، قالوا: حدثنا صفوان بن عيسى، قال: حدثنا عبد

الله بن سعيد، عن ابيه، عن القعقاع بن ابي حدر الأسلمي، [ان رسول الله ص كان يقول: تمعددوا واخشوشنوا وانتضلوا وامشوا

حفاه].

ومنهم معاذ بن انس الجهني، حدثنا ابو كريب، قال: حدثنا سعيد بن الوليد عن ابن مبارك، عن يحيى بن أيوب، عن عبد الله بن

سليمان، عن اسماعيل بن يحيى المعافى، أخبره عن سهل بن معاذ بن انس الجهني، عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم، [قال: من حمى مؤمنا من منافق يغتابه بعث الله عز وجل اليه ملكا يحكى لحيه يوم القيامة من نار جهنم، ومن قفى مؤمنا بشيء يريد شينه حبسه الله جل وعز على جسر جهنم حتى يخرج مما قال]

. ذكر أسماء من روى عن رسول الله ص من الأشعرين

وهم بنو الأشعر واسمه نبت بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد ابن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. منهم ابو موسى عبد الله واخوه ابو برده.

ومنهم ابو مالك الأشعري، حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي معاوية بن صالح عن حاتم بن كريب عن مالك بن ابى مريم، عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري، عن ابى مالك الأشعري عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه [قال: ليشرين ناس من امتي انخر يسمونها بغير اسمها ويضرب على رؤوسهم المعازف، يخسف الله عز وجل بهم الارض، ويجعل منهم قردة وخنازير]

ذكر أسماء من روى عن رسول الله ص من حضر موت

ومن كنده

ذكر أسماء من روى عن رسول الله ص من حضر موت منهم وائل بن حجر الحضرمي.

ومنهم عبد الرحمن بن عائش الحضرمي.

حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ، قَالَ: وَحَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ أَيْضًا قَالَ: حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ الْجَلَّاجِ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَائِشٍ الْحَضْرَمِيَّ، [يقول: صلى بنا رسول الله ص ذات غداة، فقال له قائل: ما رايتك اسفر وجهها منك الغداة! قال: ومالي وقد تبدى لي ربي في احسن صورته، فقال: فيم يختصم الملا الأعلى يا محمد؟ قال: قلت أنت اعلم يا رب، فوضع يده بين كتفي، فوجدت بردها بين ثديي، فعلت ما في السماء والارض، ثم تلا هذه الآية وَكَذَلِكَ نُزِّيَ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ، قال: فيم يختصم الملا الأعلى يا محمد؟ قلت: في الكفارات رب؟ قال: وما هن؟ قلت: المشى على الاقدام الى الجمعات، والجلوس في المساجد خلاف الصلوات، وابلاغ الوضوء اماكنه في المكاه وقال: من يفعل ذلك يعيش بخير ويمت بخير، ويكون من خطيئته كيوم ولدته أمه، ومن الدرجات اطعام الطعام، وبذل السلام، وان تقوم بالليل والناس نيام، سل تعطه قال: اللهم انى اسالك الطيبات وترك المنكرات وحب المساكين وان تتوب على، وإذا اردت فتنه في قوم، فتوفني غير مفتون فتعلموهن، فوالذي نفسي بيده انهن لحق]

. ومن كنده

غرفة بن الحارث الكندي.

حدث عن ابن مهدي عن ابن المبارك عن حرمله بن عمران، عن عبد الله ابن الحارث الأزدي، قال: سمعت غرفة بن الحارث الكندي قال: شهدت

ومن سائر الأزد ممن روى عن رسول الله ص

رسول الله ص في حجة الوداع، واتى بالبدن، فقال: ادعوا الى أبا حسن، فدعى فقال: خذ اسفل الحربه، وأخذ رسول الله ص بأعلاها، ثم طعنا بها البدن، فلما فرغ ركب بغلته، واردف عليها. ومنهم عبد الله بن نفيل.

حدثنا عبد الرحمن بن الوليد، قال: حدثنا عمر بن سعيد الدمشقي، قال:

حدثنا أبو بكر النهشلي، عن عبد الله بن سالم عن أبي سلمه سليمان بن أبي سليم، عن عبد الله بن نفيل الكندي، قال: [قال رسول الله ص: ثلاث قد فرغ الله عز وجل من القضاء فيهن، فلا تنتهكوا منهن شيئا، لا يبيغن أحدكم فإن الله عز وجل يقول: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا يُمْكِنُ أَحَدُكُمْ إِلَّا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: وَلَا يَحِقُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ وَلَا يَنْكُثُن أَحَدُكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ.] وَمَنْ سَآئِرُ الْأَزْدِ مِمَّنْ رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص منيب الأزدي.

حدثني موسى بن سهل، قَالَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدِّمَشْقِيُّ، قَالَ:

حدثنا عتبة بن حماد، قال: حدثنا منيب بن مدرك الأزدي عن أبيه، عن جده [قال: رايت رسول الله ص في الجاهلية يقول للناس: قولوا لا إله الا الله تفلحوا، حتى انتصف النهار، فجاءت جاريه بعس من ماء، فغسل وجهه ثم قال: يا بنيه ابشري ولا تحزني، ولا تحشني على أبيك غلبه ولا ذلا فقلت: من هذه؟ فقالوا: زينب ابنته، وهي يومئذ وصيفه].

وحدثني بهذا الحديث عبد الله بن محمد بن عمرو الغزي قال: حدثنا إسحاق

ومن همدان

ابن إبراهيم الرمي، قال: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب الدمشقي، قال:

حدثنا أبو خلد عتبة بن حماد الحكمي، قال: حدثنا منيب بن مدرك الأزدي، عن أبيه عن جده، [قال: رايت رسول الله ص في الجاهلية وهو يقول للناس: قولوا لا إله الا الله تفلحوا، فمنهم من تفل في وجهه، ومنهم من حثا عليه التراب، ومنهم من سبه حتى انتصف النهار، فجاءت جاريه بعس من ماء، فغسل وجهه، ثم قال: يا بنيه ابشري، ثم ذكر سائر الحديث مثل حديث موسى بن سهل]. ومن همدان

وهو أسله بن مالك بن يزيد بن أسله بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد ابن كهلان بن سباء. عبد خير بن يزيد الخيواني، ويكنى أبا عماره أدرك النبي ص، وذكر أن كتاب النبي ص ورد عليهم، وأنه يذكر ذلك، وكان يعد من أصحاب علي بن أبي طالب ع، شهد معه صفين:

حدثني محمد بن خالد، قال: حدثنا مسهر بن عبد الملك بن سلع، قال:

حدثنا أبي، قال: قلت لعبد خير، يا أبا عماره، انك قد كبرت، فكم أتى عليك؟

قال: عشرون ومائه سنه، قلت: وهل تذكر من امر الجهال شيئا؟ قال: أذكر أن أُمِّي طبخت لنا قدرا، فقلت: أطمعينا، فقالت: حتى يجيء أبوكم، فجاء أبي، فقال: ان كتاب رسول الله ص قد جاءنا ينهانا عن لحوم الميتة، قال: فأذكر أنها كانت لحم ميتة، فأكفأناها. ومنهم سويد بن هبيرة من سكان البصرة.

حدثني عبد الله بن إسحاق الناقد الواسطي والحسين بن علي الصدائي، قالوا: حدثنا روح، قال: حدثنا أبو نعامه العدوي، عن مسلم بن بديل، عن إياس بن زهير، عن سويد بن هبيرة، [قال: سمعت النبي ص يقول:

خير مال المرء له مهره مأمورة أو سكه مابوره] إلى ههنا حديث الصدائي، وزاد الناقد في حديثه قال: السكة النخل، والمهرة المأمورة الكثيره الولد ومنهم أبو أبي المنهال.

حدثني زريق بن السخت، قال: حدثنا شبابه بن سوار، قال: حدثنا سلم ابن أبي هلال عن عبد الملك بن أبي بشير، عن أبي المنهال، عن أبيه، قال:

[قال رسول الله ص: أدوا ما تكون السنه ما بين سقوط النجم إلى طلوعه] وعمر بن وهب خال رسول الله ص، روى عن رسول

الله ص حدثني محمد بن عبد الله الهلالي ابو مسعود المكتب، قال: حدثنا سعيد ابن سلام، قال: حدثنا هشام بن الغاز عن محمد بن ابان، عن عمير بن وهب خال رسول الله ص، قال: [اقبل عمير فلما رآه رسول الله ص بسط له رداءه، فقال اجلس، فقال: اعلی ردائك اجلس يا رسول الله؟! قال: اجلس فإنما الخال والد، فلما جلس قال: الا اهلك كلمات، من اراد الله به خيرا علمه اياه ثم لم ينسه ذلك حتى يموت؟ قال: بلى يا رسول الله، قال قل: اللهم اني ضعيف فقوني في رضاك ضعفي، وخذ الى الخير بناصيتي، وبلغني برحمتك ما أرجو من رحمتك، واجعل الاسلام منتهى رغبتني، واجعل الى ودا عند الناس وعهدا عندك] .

وعبد الله بن هلال.

حدثني بشر بن آدم، قال: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، قَالَ: حَدَّثَنِي بَشْرُ بْنُ عَمْرَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُوَلَايُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَلَالٍ قَالَ: ذَهَبَ بِي ابْنُ ابْنِ النُّبَيْتِ ص، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي، وَبَرَكَ عَلَيَّ قَالَ: فَرَأَيْتُهُ شَيْخًا كَبِيرًا، كَثِيرَ الشَّعْرِ، صَائِمَ النَّهَارِ، قَائِمَ اللَّيْلِ، قَالَ: فَمَا انْسَى بَرْدِي

رسول الله ص على يافوخي.

ومنهم عم معاذ بن عبد الله بن خبيب.

حدثني محمد بن مَعْمَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَلَمَانَ - شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ - قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبِيبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: كُنَّا فِي مَجْلِسٍ، فَاطْلَعَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ص وَعَلَى

رأسه اثر ماء، فقلنا يا رسول الله، نراك طيب النفس، قال: اجل، ثم خاض الناس في ذكر الغنى، [فقال رسول الله ص: لا باس بالغنى لمن اتقى، والصحة لمن اتقى خير من الغنى، وطيب النفس من النعم] .

ابو فاطمه روى عن رسول الله ص.

حدثني محمد بن عوف، قال: حدثني محمد بن اسماعيل، قال: حدثني ابي، قال: حدثني ضمضم عن شريح بن عبيد، قال: كان كثير بن مره يحدث ان أبا فاطمه حدثهم [انه قال لرسول الله ص: يا رسول الله، حدثني بعمل استقيم عليه، فقال: عليك بالمجره، فانه لا مثل لها، فقلت: يا رسول الله، حدثني بعمل استقيم عليه، قال: عليك بالصيام، فانه لا مثل له، قال: فقلت:

حدثني يا رسول الله بعمل استقيم عليه، قال: عليك بالسجود لله عز وجل، فإنك لن تسجد من سجده الا رفعك الله عز وجل بها درجه، وحط عنك بها خطيئة] .

ووهب بن حذيفة.

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدٌ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى، عَنْ عَمِّهِ وَاسِعِ بْنِ حَبَانَ، عَنْ وَهْبِ بْنِ حَذِيفَةَ، [ان رسول الله ص قال: الرجل أحق بمجلسه، فان قام الى حاجه ثم رجع فهو أحق بمجلسه] .

والحارث بن مالك.

حدثني سهل بن موسى الرازي، قال: حدثنا الحجاج بن مهاجر، عن أيوب ابن خوط، عن ليث، عن زيد بن ربيع، عن الحارث بن مالك، انه [قال:

عند رسول الله ص: اني مؤمن حقا، فقال له رسول الله ص: انظر ما تقول، فان لكل قول حقيقة، قال: يا رسول الله، عزفت نفسي عن الدنيا، واطمانت، فاطمات نهاري، واسهرت ليلي، فكأنني انظر الى عرش ربي عز وجل، والى اهل الجنة حين يتزاورون فيها، والى اهل النار حين يتعاونون فيها، فقال رسول الله ص: عزفت فالزم، عزفت فالزم ثم قال:

من سره ان ينظر الى عبد نور الله الايمان في قلبه، فلينظر الى الحارث بن مالك فقال الحارث ادع الله لي بالشهادة، فدعا له، فاستشهد] .

وابو الحمراء، روى عن رسول الله ص.

حدثنا عبد الأعلى بن واصل وسفيان بن وكيع، قالوا: حدثنا ابو نعيم الفضل ابن دكين، قال: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي الْحَمَاءِ، قَالَ: رَابَطَتِ الْمَدِينَةَ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ص، [فرايت رسول الله ص إذا طلع الفجر جاء الى باب علي وفاطمه ع، فقال: الصلاة الصلاة إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كُتُبَ تَطْهِيرًا] .

والهدار.

حدثني محمد بن عوف، قال: حدثني أبي قال: حدثني شقيق مولى العباس، انه سمع الهدار صاحب رسول الله ص، يقول للعباس- وراى منه إسرافا في طعامه من خبز السميد وغيره- ما رايت رسول الله ص شبع من خبز البر حتى قبضه الله عز وجل. زياد بن مطرف.

حدثني زكرياء بن يحيى بن أبان المصري قال: حدثنا احمد بن إشكاب، قال: حدثنا يحيى بن يعلى المحاربي، عن عمار بن رزيق الضبي، عن أبي إسحاق الهمداني، عن زياد بن مطرف، قال: [سمعت رسول الله ص يقول: من أحب أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنة التي وعدني ربى قضباناً من قضبانها غرسها في جنة النخل، فليتول على بن أبي طالب وذريته من بعده، فإنهم لن يخرجوهم من باب هدى، ولن يدخلوهم في باب ضلالة].

وحدثنا أبو كريب ومحمد بن عمر بن الهياج الهمداني، قالوا: حدثنا يحيى ابن عبد الرحمن، قال: حدثني عبيدة بن الأسود، عن القاسم بن الوليد عن مصعب ابن عبد الله الأزدي عن عبد الله بن جنادة عن جنادة بن مالك [عن رسول الله ص، قال: ثلاث من اخلاق اهل الجاهلية لا يدعهن اهل الاسلام ابدا: استسقاء بالكواكب، وطعن في النسبه، والنياحة على الميت].

وابو أذينة. حدثني عبيد بن آدم بن أبي إياس، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا الليث ابن سعد، عن موسى بن علي بن رباح، عن أبيه عن أبي أذينة، قال:

[قال رسول الله ص: خير نسايتكم الولود الودود الموالية الموسيه، إذا اتقين الله وشر نسايتكم المتبرجات المختلات هن المنافات لا تدخل الجنة منهن الا مثل الغراب الاعصم].

وابن نضيله. حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدثنا أيوب بن سويد، قال: حدثني الأوزاعي، عن أبي عبيد، قال: حدثني القاسم بن مخيمره، عن ابن نضيله [قال: أصاب الناس في عهد رسول الله ص مجاعه، فقالوا: يا رسول الله سعر لنا، فقال: لا يسألني الله عن سنه احدثها فيكم لم يأمرني بها، ولكن سلوا الله عز وجل من فضله].

وابو أبي المعلى: حدثني الفضل بن سهل الاعرج، قال: حدثنا معلى بن منصور، قال: حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي المعلى عن أبيه، قال: [قام النبي ص عند المنبر، فقال: ان قلمي على ترعه من ترع الجنة].

وحدثنا الحسن بن عرفة قال: حدثنا عمر بن عبد الرحمن عن محمد بن بجاده، عن محمد بن عجلان، عن ابنه مره، عن أبيها، [ان رسول الله ص قال:

كافل اليتيم له او لغيره إذا اتقى معى في الجنة هكذا- وأشار بإصبعيه المسبحة والوسطى].

وعبيد الله بن محسن. حدثنا صالح بن مسمار، قال: حدثنا محمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا مروان عن عبد الرحمن بن أبي شميلة الأنصاري، عن سلمه بن عبيد الله بن محسن، عن أبيه، [قال: قال رسول الله ص: من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في بدنه، عنده طعام يومه، فكأنما حيزت له الدنيا] وعاصم بن حدره: حدثني عمران بن بكار الكلاعي، قال: حدثنا يحيى ابن صالح، قال: حدثنا سعيد بن بشير، قال: حدثنا قتادة عن الحسن، قال: دخلنا على عاصم بن حدره، فقال: ما اكل النبي ص على خوان قط ولا مشى معه بوساده قط، وما كان له بواب قط.

وابو مريم الفلسطيني. حدثنا محمد بن سهل بن عسكر، قال: حدثنا ابو مسهر، قال: حدثني صدقه بن خالد، قال: حدثنا يزيد بن أبي مريم، قال: حدثنا القاسم بن مخيمره، عن رجل من اهل فلسطين يكنى أبا مريم، انه قدم على معاويه، فقال له معاويه:

حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ص، فقال: [سمعت رسول الله ص يقول: من ولاه الله عز وجل من امر المسلمين شيئاً فاحتجب عن حاجتهم وخلتهم وفاقته، احتجب الله تعالى يوم القيامة عن حاجته وفاقته وخلته].
وراشد بن حبيش.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن بكر، قال: حدثنا سعيد عن قتادة، عن مسلم بن يسار، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن راشد بن حبيش [ان رسول الله ص عاد عباده بن الصامت في مرضه، فقال: اتعلمون من شهداء امتي؟
قال: فارم القوم، فقال عباده بن الصامت: ساندوني فساندوه، فقال: الصابر المحتسب، فقال النبي ص: ان شهداء امتي إذا لقليل القتل في سبيل الله

عز وجل شهادته، والطاعون شهادته، والغرق شهادته، والبطن شهادته، والنفساء يجررها ولدها بسرره الى الجنة وزاد ابو العوام، سادن بيت المقدس والحرق والسل].

وأوس بن شرحبيل، حدثني عبد الله بن أحمد بن شويه، قال: حدثنا إسحاق ابن ابراهيم، قال: حدثني عمرو بن الحارث، قال: حدثني عبد الله بن سالم، عن الزبيدي، قال: حدثنا عياش بن مؤنس، ان أبا ثمران الرحي حدثني ان أوس ابن شرحبيل احد بني المجمع، [حدثني انه سمع رسول الله ص يقول:

من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم انه ظالم، فقد خرج من الاسلام].
وعبد الرحمن بن خنبل.

حدثنا عن عبيد الله بن عمر، قال: حدثنا جعفر بن سليمان الضبي، قال:

حدثنا ابو التياح، قال: قال رجل عبد الرحمن بن خنبل - وكان شيخاً كبيراً - فقال يا بن خنبل، كيف صنع رسول الله ص حين كادته الشياطين؟

قال: تحدثت عليه الشياطين من الجبال والأودية، يريدون رسول الله ص وفيهم شيطان معه شعله من نار، يريد ان يحرق بها رسول الله قال:

فلما رآهم رسول الله ص فزع منهم، قال: وجاءه جبريل ع، فقال: يا محمد، قل ما اقول قل اعوذ بكلمات الله التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما خلق وبر او ذرا، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرا في الارض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق الا طارقاً يطرق بخير يا رحمن، قال: فطفئت نار الشياطين وهزمهم الله عز وجل.

وابن جعده روى عن رسول الله ص.

حدثنا العباس بن الوليد، قال: أخبرنا سعيد بن منصور عن يعقوب بن عبد الرحمن وعبد العزيز بن ابي حازم، عن ابي حازم، عن محمد بن كعب عن ابن جعده،

ذكر تاريخ النساء اللواتي اسلمن على عهد رسول الله ص ذكر من هلك منهن قبل الهجرة:

قال: [قال رسول الله ص: ان الله عز وجل رضى لكم ثلاثاً، وكره لكم ثلاثاً، رضى لكم ان تعبدوا الله عز وجل ولا تشركوا به شيئاً، وان تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وان تطيعوا من ولاه الله تعالى امركم وكره لكم قيلاً وقال، وكثره السؤال، واضاعه المال].
وابو معتب بن عمرو.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن الحسن ابن دينار، عن عطاء بن ابي مروان الأسلمي عن ابيه، عن ابي معتب بن عمرو، [ان رسول الله ص قال لأصحابه حين اشرف على خيبر وانا فيهم:

قفوا، ثم قال: اللهم رب السموات وما اظللن ورب الارضين وما اضللن، ورب الشياطين وما اضللن، ورب الرياح وما ذرين، انا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها، اقدموا باسم الله قال:
وكان يقولها لكل قرية دخلها.]

ذكر تاريخ النساء اللواتي اسلمن على عهد رسول الله ص ذكر من هلك منهن قبل الهجره:

فمنهن خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي كانت تكنى أم هند، بابنه لها ولدتها من عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، يقال لها: هند، وبابن لها ولدته من ابي هاله بن النباش بن زراره بن وقدان بن حبيب ابن سلامه بن غوى بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم، يقال له هند.

قال ابن عمر: حدثني المنذر بن عبد الله الحزامي، عن موسى بن عتبة، عن أبي حبيبة مولى الزبير، قال: سمعت حكيم بن حزام يقول: توفيت خديجة عليها السلام بنت خويلد في شهر رمضان سنة عشر من النبوه، وهي يومئذ ابنة خمس وستين سنة، فخرجنا بها من منزلها حتى دفناها بالحجون، ونزل رسول الله ص في حفرتها، ولم تكن يومئذ سنة الجنازة الصلاة عليها قيل: ومتى ذلك يا أبا خالد؟ قال: قبل الهجره بسنوات ثلاث او نحوها، وبعد خروج بني هاشم من الشعب

ذكر من هلك منهن في حياه رسول الله ص بعد الهجره

يسير، وكانت أول امراه تزوجها رسول الله ص واولاده كلهم منها، غير ابراهيم بن مارية، وكانت تكنى أم هند بولدها من زوجها ابي هاله التميمي

. ذكر من هلك منهن في حياه رسول الله ص بعد الهجره
منهن من بنات رسول الله ص ابنته رقيه وأما خديجه.

وكان زوجها قبل ان يوحى اليه عتبة بن ابي لهب بن عبد المطلب، فلما بعث النبي ص وانزل الله عز وجل عليه: تَبَّتْ يَدَايِ لِهَبٍ، قال له أبوه: راسي من راسك حرام ان لم تطلق ابنه محمد، ففارقها ولم يكن دخل بها، واسلمت حين اسلمت أمها خديجه، وبايعت رسول الله ص حين بايعه النساء، فتزوجها عثمان بن عفان، وهاجرت معه الى ارض الحبشه الهجرتين جميعا، واسقطت في الهجره الاولى من عثمان سقطا، ثم ولدت له بعد ذلك ابنا، فسماه عبد الله، وهاجرت الى المدينة بعد زوجها عثمان حين هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرضت ورسول الله ص يتجهز الى بدر، فخلف رسول الله ص عثمان، فتوفيت ورسول الله ص ببدر في شهر رمضان، على راس سبعة عشر شهرا، من مهاجر رسول الله ص وقدم زيد ابن حارثة من بدر بشيرا، ودخل المدينة حين سوى التراب عليها.

وزينب بنت رسول الله ص وأمها خديجه، وهي اكبر بنات رسول الله ص تزوجها ابن خالتها ابو العاص بن الربيع، قبل ان يبعث النبي ص، وأم ابي العاص هاله ابنه خويلد بن اسد خاله زينب ابنه رسول الله ص، ولدت زينب لأبي العاص عليا وامامه فتوفى على وهو صغير، وبقيت امامه فتزوجها امير المؤمنين على بن ابي طالب ع بعد وفاه فاطمه ابنه رسول الله ص، ذكر محمد بن عمر ان يحيى ابن عبد الله بن ابي قتادة حدثه عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، قال: توفيت زينب ابنه رسول الله ص في أول سنة ثمان من الهجره

ذكر من توفى من ازواجه على عهده ص

قال الطبري: وكانت عله وفاتها فيما ذكر ان هبار بن الأسود كان فيما ذكر لما خرجت من مكة تريد المدينة والحقق بأبيها لحقها، وهي في هودجها فدفعها فوقعت على صخره وهي حامل، فاسقطت واهراقت الدماء فلم يزل بها وجعها ذلك حتى ماتت منه.

وأم كلثوم بنت رسول الله ص، وأمها خديجه كان زوجها قبل ان يبعث عتيبة بن ابي لهب ففارقها للسبب الذي ذكرت ان أخاه عتبة فارق أختها رقيه، وذلك قبل ان يدخل بها، وهاجرت الى المدينة مع عيال رسول الله ص، فلما توفيت رقيه بنت رسول الله ص زوجها رسول الله ص عثمان بن عفان، وذلك في شهر ربيع الاول من سنة ثلاث من الهجره، فلم تزل عنده حتى ماتت، ولم تلد له،

وكانت وفاتها في شعبان سنة تسع من الهجرة، وغسلها نساء من الانصار فيهن أم عطية، ونزل في حفرتها أبو طلحة . ذكر من توفي من أزواجه على عهده ص

منهن زينب ابنة خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال ابن عامر بن صعصعة، وهي أم المساكين، كانت تسمى بذلك في الجاهلية فيما ذكر.

وذكر محمد بن عمر بن محمد بن عبد الله حدثه عن الزهري، قال: كانت زينب ابنة خزيمة الهلالية تدعى أم المساكين، وكانت عند الطفيل بن الحارث ابن المطلب بن عبد مناف، فطلقها.

قال ابن عمر: فحدثني عبد الله - يعني ابن جعفر - عن عبد الواحد بن أبي عون، قال: فتزوجها عبيده بن الحارث، فقتل عنها يوم بدر شهيدا.

قال ابن عمر: وحدثنا كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، قال: وحدثنا محمد بن قدامة عن أبيه، قال: خطب رسول الله ص زينب ابنة خزيمة الهلالية أم المساكين، فجعلت امرها اليه، فتزوجها رسول الله

ص، واشهد ان أصدقها اثني عشره أوقية ونشا وكان تزوجه إياها في شهر رمضان على راس احد وثلاثين شهرا من الهجرة، فمكثت عنده ثمانية اشهر، وتوفيت في آخر شهر ربيع الآخر على راس تسعة وثلاثين شهرا، وصلى عليها رسول الله ص ودفنها بالبقيع قال ابن عمر:

سالت عبد الله بن جعفر: من نزل في حفرتها؟ قال: اخوه لها ثلاثة، قلت له: كم كان سنها يوم ماتت؟ قال: ثلاثين سنة او نحو ذلك. ومنهن ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة بن سمعون بن زيد من بني النضير، وكانت متزوجة رجلا من بني قريظة، يقال له الحكم، فنسبها بعض الرواه الى بني قريظة لذلك.

وذكر محمد بن عمر أن عبد الله بن جعفر حدثه عن يزيد بن الهاد عن ثعلبة بن أبي مالك، قال: كانت ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة من بني النضير، متزوجة فيهم رجلا، يقال له الحكم فلما وقع السباء على بني قريظة سبها رسول الله ص، فأعتقها وتزوجها وماتت عنده قال محمد بن عمر: ولم تزل ريحانة عند رسول الله حتى ماتت مرجعه من حجة الوداع، فدفنها بالبقيع وكان تزويجه إياها في المحرم سنة ست من الهجرة.

ومليكة بنت كعب الليثي، ذكر ابن عمر ان عبد العزيز بن الجندعي، حدثه عن أبيه، عن عطاء بن يزيد الجندعي قال: تزوج رسول الله ص مليكة بنت كعب الليثي في شهر رمضان سنة ثمان ودخل بها، فماتت عنده.

قال ابن عمر: حدثني محمد بن عبد الله عن الزهري مثل ذلك، قال ابن عمر: وأصحابنا ينكرون ذلك، ويقولون: لم يتزوج رسول الله ص كنانة قط.

قال ابن عمر: حدثني ابو معشر، قال: تزوج رسول الله ص مليكة بنت كعب، وكانت تذكر بجمال بارع، فدخلت عليها عائشة فقالت اما تستحين ان تنكحي قاتل ابيك! فاستعادت من رسول الله ص،

ذكر تاريخ من مات من بنات رسول الله ص وعماته وأزواجه بعد وفاته

فطلقها، فجاء قومها الى النبي ص فقالوا: انها صغيرة، وانه لا رأى لها، وخدعت فارتجعها، فأبى رسول الله ص، واستأذنوا ان يزوجوها قريبا لها من بني عذرة، فاذن لهم، فتزوجها العذري، وكان أبوها قتل يوم فتح مكة، قتله خالد بن الوليد بالخدمه.

ومنهن سنا ابنة الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن حرام بن سمال بن عوف السلمية، قال هشام بن محمد الكلبي: حدثني رجل من رهط عبد الله بن خازم السلمي، ان رسول الله ص تزوج سنا بنت الصلت بن حبيب السلمية، فماتت قبل ان يصل إليها.

وخوله ابنه الهذيل بن هبيرة بن قيص بن الحارث بن حبيب بن حرقه بن ثعلبة بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب، وأما ابنه خليفه بن فروه بن فضالة ابن زيد بن إمرئ القيس بن الخزرج الكلبي اخت دحية بن خليفه.

قال هشام بن محمد: حدثني الشرق بن قطامي ان رسول الله ص تزوج خوله ابنه الهذيل، فهلك في الطريق قبل ان تصل اليه، وكانت ربها خالتها خرق ابنه خليفه اخت دحية بن خليفه.

ذكر تاريخ من مات من بنات رسول الله ص وعماته وازواجه بعد وفاته

منهن فاطمة ابنة رسول الله ص، أمها خديجة بنت خويلد ع، ولدتها وقريش تبني البيت، وذلك قبل ان نبئ رسول الله ص بخمس سنين.

ذكر محمد بن عمر، ان أبا بكر بن عبد الله بن أبي سبرة حدثه عن يحيى ابن شبيل، عن أبي جعفر، قال: دخل العباس بن عبد المطلب على علي وفاطمة ع وهي تقول انا اسن منك، فقال العباس: اما أنت يا فاطمة فولدت وقريش تبني الكعبة والنبي ص ابن خمس وثلاثين سنه، واما أنت يا علي، فولدت قبل ذلك بسنوات

قال الطبري: وتزوج علي فاطمة ع في رجب بعد مقدم النبي ص المدينة بخمسة اشهر، وبني بها مرجعه من بدر وفاطمة يوم بني بها علي ع ابنه ثماني عشره، كذلك ذكر محمد بن عمر عن عبد الله بن محمد بن عمر ابن علي عن ابيه.

واختلف في وقت وفاتها ع بعد اجماع الجميع على ان وفاتها كانت بعد وفاه رسول الله ص، فقال بعضهم: توفيت بعد النبي ص بستة اشهر.

وقال ابن عمر: حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَ:

وحدثنا ابن جريج عن الزهري عن عروه، ان فاطمة بنت النبي ص توفيت بعد النبي ص بستة اشهر- قال ابن عمر وهو الثبت عندنا- وتوفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنه احدى عشره، وهي بنت تسع وعشرين سنه او نحوها.

قال ابن عمر: وحدثني ابن جريج عن عمرو بن دينار، عن أبي جعفر، قال:

توفيت فاطمة بعد النبي ص بثلاثة اشهر.

قال ابن عمر: وحدثنا عمر بن محمد بن محمد بن علي، عن ابيه عن علي ابن الحسين عن ابن عباس، قال: فاطمة أول من جعل لها النعش، عملت لها أسماء بنت عميس، وكانت قد رأتها يصنع بأرض الحبشه.

قال ابن عمر: وحدثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: صَلَّى الْعَبَّاسُ ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ص، وَنَزَلَ فِي حَفْرَتِهَا، هُوَ وَعَلِي وَالْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ.

قال ابن عمر: وحدثنا عمر بن محمد بن محمد بن علي، عن ابيه، عن علي ابن الحسين ع، [قال: سألت ابن عباس: متى دفنتم فاطمة؟ قال: دفناها بليل بعد هدها، قلت: فمن صلى عليها؟ قال: علي بن ابي طالب ع.

[قال ابن عمر: وسألت عبد الرحمن بن ابي الموالي، قلت: ان الناس يقولون:

ان قبر فاطمة عند المسجد الذي يصلون اليه على جنازتهم بالبقيع، فقال: والله ما ذلك الا مسجد رقيه- يعني امراه عمرته- وما دفنت فاطمة ع الا في زاوية دار عقيل مما يلي دار الجحشيين مستقبل خوخه بنى نبيه من بنى عبد الدار بالبقيع، وبين قبرها وبين الطريق سبعة اذرع.

قال ابن عمر: وحدثنا عبد الله بن جعفر، قال: حدثني عبد الله بن حسن، قال: وجدت المغيرة بن عبد الرحمن واقفا ينتظرني بالبقيع نصف النهار، في حر شديد، فقلت: ما يقفك يا أبا هاشم؟ قال: انتظرتك، بلغني ان فاطمة دفنت في هذا البيت في زاوية دار عقيل مما يلي دار الجحشيين، فأحب ان تبتاعه لي بما بلغ، ادفن فيه، فقال عبد الله: والله لأفعله، قال: فجهدنا بالعقيليين فأبوا على عبد الله بن حسن، قال عبد الله بن جعفر: وما رايت أحدا يشك ان قبرها في ذلك الموضع.

حدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن جعفر الوركاني، قال: حدثنا جرير ابن عبد الحميد، عن يزيد بن ابي زياد، عن عبد الله بن الحارث، قال: توفيت فاطمة بنت رسول الله ص بعده بثمانية اشهر، وكانت تدوب، فشكت الى أسماء نحل جسمها، وقالت: استطيعين ان تواريني بشيء؟ قالت: اني رايت الحبشه يعملون السرير للمرأة ويشدون النعش بقوائم السرير، فأمرتهم بذلك، قال الحارث: وقال المدائني: قال ابو زكرياء العجلاني: ان فاطمة ع عمل لها نعش قبل وفاتها فنظرت اليه فقالت: سترتموني ستركم الله.

وصفيه بنت عبد المطلب بن هاشم وأما هاله بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب، وهي اخت حمزه بن عبد المطلب لأبيه ولامه، كان تزوجها في الجاهلية الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس، فولدت له صفيا، ثم خلف عليها العوام ابن خويلد بن اسد، فولدت له الزبير والسائب وعبد الكعبة، واسلمت صفيه.

وبابعت رسول الله، وهاجرت الى المدينة، وتوفيت في خلافه عمر بن الخطاب، وقبرت بالبقيع بفناء دار المغيرة بن شعبه.
وقال علي بن محمد: قتلت صفيه ابنه عبد المطلب رجلا مبارزه

ذكر تاريخ وفاه ازواج رسول الله ص اللاتي توفين بعده

ذكر تاريخ وفاه ازواج رسول الله ص اللاتي توفين بعده

منهن سوده ابنه زمعه بن قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، وأما الشموس ابنه قيس بن عمرو بن زيد بن لبيد بن خدّاش بن عامر ابن غنم بن عدى بن النجار من الانصار، تزوجها السكران بن عمرو، وخرجا جميعا مهاجرين الى ارض الحبشه في الهجره الثانيه.

قال ابن عمر: حدثني مخرمه بن بكير، عن ابيه، قال: قدم السكران ابن عمرو مكة من ارض الحبشه، ومعه امراته سوده بنت زمعه، فتوفي عنها بمكة.

فلما حلت ارسل إليها رسول الله ص فخطبها، فقالت: امرى إليك يا رسول الله، قال رسول الله ص: مرى رجلا من قومك يزوجك، فأمرت حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود فزوجها، فكانت أول امراه تزوجها رسول الله ص بعد خديجه.

قال ابن عمر: وحدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم، قال: سمعت ابى يقول:

تزوج رسول الله ص سوده في رمضان سنه عشر من النبوه، بعد وفاه خديجه، وقبل ان يتزوج عائشه، فدخل بها مكة وهاجر الى المدينة، وتوفيت سوده ابنه زمعه في شوال سنه اربع وخمسين بالمدينة، في خلافه معاويه بن ابى سفيان.

قال ابن عمر: وهذا الثبت عندنا قال هشام بن محمد، عن أبيه، عن أبي صالح عن ابن عباس، قال: كانت سوده بنت زمعه عند السكران بن عمرو أخي سهيل بن عمرو، فرأت في المنام كان النبي ص اقبل يمشى حتى وطىء على عنقها، فاخبرت زوجها بذلك، فقال: وايبك لئن صدقت رؤياك لأموتن وليتزوجك محمد، فقالت: حجرا وسترا، قال هشام: والحجر تنفى عنها ذاك، ثم رأت في المنام ليله اخرى ان قمر انقض عليها من السماء وهي مضطجعه، فاخبرت زوجها، فقال: وايبك لا البث الا يسيرا حتى اموت، وتزوجيه من بعدي، فاشتكى السكران من يومه ذلك، فلم يلبث الا قليلا حتى مات، وتزوجها رسول الله ص.

قال الحارث: حدثنا داود بن المحبر، قال: حدثنا عبد الحميد بن بهرام،

عن شهر، قال: حدثني ابن عباس ان رسول الله ص خطب امراه من قومه، يقال لها سوده، وكانت مصبية، لها خمس صبيه او ستة من بعل لها مات، فقال لها رسول الله ص: ما يمنعك مني؟ قالت: يا نبي الله، ما يمنعني منك الا ان تكون أحب البريه الى، ولكن اكرمك ان تضغو هؤلاء الصبيه عند راسك بكرة وعشيه، فقال: هل يمنعك مني من شيء غير ذلك؟ قالت: لا والله، [فقال لها رسول الله ص: ان خير نساء ركنين اعجاز الإبل صالح نساء قریش، احناه على ولد في صغره، وارعاها على بعل في ذات يد] وعائشه بنت ابى بكر، وأما أم رومان بنت عمير بن عامر من بنى دهمان ابن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة، تزوجها رسول الله ص في شوال سنه عشر من النبوه قبل الهجره بثلاث سنين، وعرس بها في شوال على راس ثمانية اشهر من الهجره، وكانت يوم ابنتي بها ابنه تسع سنين. قال ابن عمر: حدثنا موسى بن محمد بن عبد الرحمن، عن ربيعة، عن عمره عن عائشه، انها سئلت: متى بنى بك رسول الله؟ فقالت: لما هاجر رسول الله ص الى المدينة خلفنا وخلف بناته، فلما قدم المدينة بعث إلينا زيد بن حارثة، وبعث معه أبا رافع مولاه، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم، أخذها رسول الله ص من ابى بكر، يشتريان بها ما يحتاجان اليه من الظهر، وبعث ابو بكر معهما عبد الله ابن اريقط الديلي ببعيرين او ثلاثة، وكتب الى عبد الله بن ابى بكر يأمره ان يحمل اهله أم رومان، وانا وأختي أسماء امراه الزبير، فخرجوا مصطحبين فلما انتهوا الى قديد، اشترى زيد بن حارثة بتلك الخمسمائة درهم ثلاثة أبعرة، ثم دخلوا مكة جميعا، وصادفوا طلحه بن عبيد الله يريد الهجره بال ابى بكر، فخرجنا جميعا، وخرج زيد ابن حارثة وابو رافع وفاطمه وأم كلثوم وسوده بنت زمعه، وحمل زيد أم ايمن واسامه ابن زيد، وخرج عبد الله بن ابى بكر بام رومان وأختيه، وخرج طلحه بن عبيد الله واصطحبا جميعا حتى إذا كا بالبليض من

تمنى نفر بعيري، وأنا في محفه معي فيها أمي، فجعلت أمي تقول: وا بنتاه وا عروساه! حتى ادرك بعيرنا، وقد هبط من لفت، فسلم ثم انا قدمنا المدينة، فنزلت مع عيال ابى بكر، ونزل الى رسول الله ص ورسول الله يومئذ يبنى المسجد، وأياتنا حول المسجد، فانزل فيها اهله، ومكثنا أياما في منزل ابى بكر، ثم قال ابو بكر: يا رسول الله ما يمنعك ان تبني باهلك؟ قال رسول الله: الصداق، فاعطاه ابو بكر الصداق اثني عشر أوقية ونشأ، فبعث رسول الله ص إلينا وبني بي رسول الله ص في بيتي، هذا الذي انا فيه، وهو الذي توفي فيه رسول الله ص، وجعل رسول الله لنفسه بابا في المسجد، وجاءه باب عائشة. وقال: وبني رسول الله ص بسوده في احد تلك البيوت التي الى جنبي، فكان رسول الله ص يكون عندها، وتوفيت سنة ثمان وخمسين في شهر رمضان. ذكر من قال ذلك:

ذكر ابن عمر، عن عبد الرحمن بن عبد العزيز، عن عبد الله بن ابى بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم، قال: صلى ابو هريرة على عائشة في رمضان سنة ثمان وخمسين وتوفيت بعد الايتار. وقال محمد بن عمر: توفيت عائشة ليلة الثلاثاء لسبع عشرة مضت من رمضان سنة ثمان وخمسين، ودفنت من ليلتها بعد الوتر، وهي يومئذ ابنة ست وستين سنة.

قال ابن عمر: وحدثنا ابن ابى سبرة، عن موسى بن ميسرة، عن سالم سبلان. قال: ماتت عائشة ليلة سبع عشرة من شهر رمضان، بعد الوتر، فأمرت ان تدفن من ليلتها فاجتمع الانصار وحضروا، فلم تر ليله اكثر ناسا منها، نزل اهل العوالي، فدفنت بالقيع.

قال ابن عمر: حدثني ابن جريح، عن نافع، قال: شهدت أبا هريرة صلى على عائشة بالقيع، وابن عمر في الناس لا ينكره، وكان مروان اعتمر تلك السنة فاستخلف أبا هريرة وحفصة ابنة عمر بن الخطاب، وأما زينب ابنة مطعون، اخت عثمان بن مظعون.

وذكر ابن عمر أن أسامة بن زيد بن أسلم، حدثه، عن ابيه عن جده، عن عمر قال: ولدت حفصة وقريش تبني البيت قبل مبعث النبي ص بخمس سنين.

قال: وحدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن حسين بن ابى حسين، قال: تزوج رسول الله ص حفصة في شعبان على راس ثلاثين شهرا، قبل احد، قال ابن عمر: توفيت حفصة في شعبان سنة خمس واربعين في خلافة معاوية، وهي يومئذ ابنة ستين سنة. قال ابن عمر: حدثنا معمر، عن الزهري، عن سالم عن ابيه، قال توفيت حفصة، فصرى عليها مروان بن الحكم، وهو يومئذ عامل المدينة. قال: وحدثني علي بن مسلم عن المقبري عن ابيه، قال: رايت مروان حمل بين عمودي سريرها من عند دار آل حزم الى دار المغيرة بن شعبه، وحملها ابو هريرة من دار المغيرة الى قبرها.

قال: وحدثني عبد الله بن نافع عن ابيه قال: نزل في قبر حفصة عبد الله وعاصم ابنا عمر وسالم وعبد الله وحمزة بنو عبد الله بن عمر. وأم سلمه، واسمها هند بنت ابى امية، واسمها سهيل زاد الركب بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم، وأما عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن جذيمة بن علقمة جد الطعان ابن فراس بن غنم بن مالك بن كنانة تزوجها ابو سلمه، واسمها عبد الله ابن عبد الأسد بن هلال، وهاجر بها الى ارض الحبشة في الهجرتين جميعا، فولدت له هناك زينب بنت ابى سلمه، وولدت له بعد ذلك سلمه، وعمر ودره بنى ابى سلمه.

قال ابن عمر: حدثنا عمر بن عثمان عن عبد الملك بن عبيد عن سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع عن عمر بن ابى سلمه، قال خرج ابى الى احد، فرماه ابو اسامه الجشمى في عضده بسهم، فمكث شهرا يداوى جرحه، ثم برا الجرح، وبعث رسول الله ص ابى الى قطن في الحرم على راس خمسة وثلاثين شهرا، فغاب تسعا وعشرين ليلة، ثم رجع فدخل المدينة ثمان خلون من صفر سنة اربع، والجرح منتقض، فمات منها ثمان خلون من جمادى الآخرة سنة اربع من الهجرة، فاعتدت أمي وحلت لعشر ليال بقين من شوال سنة اربع، وتزوجها رسول الله ص في ليال بقين من شوال سنة اربع، وتوفيت في ذي القعدة سنة تسع وخمسين.

قال ابن عمر: حدثنا كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، قال: دخلت ايم العرب على سيد المسلمين أول العشاء عروسا، وقامت من آخر الليل، تطحن - يعنى أم سلمه.

قال ابن عمر: وحدثنا معمر عن الزهري عن هند ابنة الحارث الفراسية، قالت: قال رسول الله ص: ان لعائشة مني شعبه ما نزلها احد، فلما تزوج أم سلمه سئل رسول الله، فقيل: يا رسول الله ما فعلت الشعبة، فسكت رسول الله ص، فعلم ان أم سلمه قد نزلت عنده. وقال ابن عمر: ماتت أم سلمه رحمها الله في شوال سنة تسع وخمسين.

قال ابن عمر: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: صَلَّى أَبُو هُرَيْرَةَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ بِالْبَقِيعِ، وَكَانَ الْوَالِي الْوَلِيدُ بْنُ عُبَيْدَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ، وَكَانَ رَكِبَ فِي حَاجِهِ إِلَى الْغَابَةِ، وَأَمَرَ أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ يَصِلَ بِالنَّاسِ، فَصَلَّى عَلَيْهَا قَالَ: إِنَّمَا رَكِبَ لِأَنَّهَا أَوْصَتْ أَنْ يَصِلَ عَلَيْهَا الْوَالِي، فَكَرِهَ أَنْ يَحْضُرَ وَلَا يَصِلَ، فَرَكِبَ عَمْدًا وَأَمَرَ أَبَا هُرَيْرَةَ. حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، قَالَ: قَالَ الْوَاقِدِيُّ:

مَاتَتْ أُمُّ سَلَمَةَ حِينَ دَخَلَتْ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ فِي خِلَافِهِ مُعَاوِيَةَ، وَصَلَّى عَلَيْهَا ابْنُ أَخِيهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمِيَّةٍ. قَالَ الْحَارِثُ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَهِيلٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ وَقْعِهِ بِدَرْ فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ مِنَ التَّارِيخِ أُمُّ سَلَمَةَ، وَاسْمُهَا هِنْدُ ابْنَةُ أَبِي أُمِيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحْزُومٍ.

وقال ابو معشر: زينب أول من مات من ازواج النبي ص، وأم سلمه آخر من مات منهن. وأم حبيبته واسمها رمله بنت ابى سفيان بن حرب، وأما صفية بنت ابى العاص ابن اميه بن عبد شمس عمه عثمان بن عفان، تزوجها عبيد الله بن جحش بن رثاب حليف حرب بن اميه، فولدت له حبيبته، فكنيت بها، فتزوج حبيبته داود بن عروه ابن مسعود الثقفي، وكان عبيد الله بن جحش هاجر بام حبيبته معه الى ارض الحبشه في الهجره الثانيه، فتنصر وارتد عن الاسلام، وتوفى بأرض الحبشه، وثبتت أم حبيبته على دينها الاسلام وهجرتها، وكانت قد خرجت بابنتها حبيبته بنت عبيد الله معها في الهجره الى ارض الحبشه، ورجعت بها معها الى مكة وقال ابن عمر: حدثنا عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد الاخنسي ان أم حبيبته بنت ابى سفيان ولدت حبيبته ابنتها من عبيد الله بن جحش بمكة قبل ان تهاجر الى ارض الحبشه، قال ابن عمر: فأخبرني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد عن ابيه:

قال: خرجت من مكة وهي حامل بها، فولدتها بأرض الحبشه. قال ابن عمر: وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ زُهَيْرٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ زَوْجِي بَاسُوا صُورَهُ وَأَشْوَهُهَا، فَفَزَعْتُ، فَقُلْتُ: تَغَيَّرَ وَاللَّهِ حَالَهُ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ حِينَ أَصْبَحَ، يَا أُمُّ حَبِيبَةَ، إِنِّي نَظَرْتُ فِي الدِّينِ فَلَمْ أَرِ دِينًا خَيْرًا مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ، وَكُنْتُ قَدْ دَنْتُ بِهَا، ثُمَّ فَقُلْتُ فِي دِينِ مُحَمَّدٍ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا خَيْرَ لَكَ، وَاخْبَرْتَهُ بِالرُّؤْيَا الَّتِي رَأَيْتُ لَهُ، فَلَمْ يَحْفَلْ بِهَا وَأَكْبَ عَلَى الْخَمْرِ حَتَّى مَاتَ، فَأَرَى فِي النَّوْمِ كَانَ أَتَانِي آتٍ يَقُولُ يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، فَفَزَعْتُ وَأَوَّلَتْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَزَوَّجُنِي، قَالَتْ:

فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ انْقَضَتْ عِدَّتِي، فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا بِرَسُولِ النَّجَاشِيِّ عَلَى بَابِي، يَسْتَأْذِنُ فَإِذَا جَارِيهِ لَهُ يَقَالُ لَهَا أَبْرَهَةَ، كَانَتْ تَقُومُ عَلَى ثِيَابِهِ وَدَهْنِهِ، فَدَخَلَتْ عَلَى فَقَالَتْ:

ان الملك يقول لك: ان رسول الله ص كتب الى ان أزوجهك، فقلت: بشرك الله بخير، وقالت: يقول لك الملك وكل من يزوجهك، فأرسلت الى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته واعطت أبرهة سوارين من فضه وخدمتين كانتا في رجلها، وخواتيم فضه كانت في أصابع رجلها سرورا بما بشرتها به فلما كان العشي امر النجاشي جعفر بن ابى طالب ومن هناك من المسلمين، فحضرنا نخطب النجاشي فقال:

الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّهُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ع.

اما بعد، فان رسول الله ص كتب الى ان أزوجه أم حبيبته بنت ابى سفيان فاجبت الى ما دعا اليه رسول الله ص وقد أصدقته أربعمائة دينار ثم سكب الدنانير بين يدي القوم، فتكلم خالد بن سعيد، فقال: الحمد لله احمده واستعينه واستنصره، وأشهد أن لا إله إلا

اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ*.

أما بعد، فقد اجبت الى ما دعا اليه رسول الله ص، وزوجته أم حبيبه ابنه ابى سفيان، فبارك الله لرسوله، ودفع الدنانير الى خالد بن سعيد فقبضها، ثم أرادوا ان يقوموا، فقال: اجلسوا، فان سنه الأنبياء إذا تزوجوا ان يؤكل طعام على التزويج، فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا.

قالت أم حبيبه: فلما وصل الى المال أرسلت الى أبرهة التي بشرتني، فقلت لها:

انى كنت اعطيتك ما اعطيتك يومئذ ولا مال بيدي، فهذه خمسون مثقالا نخذيها، واستغنى بها، فأخرجت الى حقا فيه كل ما أعطيتها، فردته الى، وقالت: عزم على الملك الا أرزأك شيئا، وانا التي اقوم على ثيابه ودهنه، وقد اتبعت دين رسول الله ص، واسلمت لله، وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر، فلما كان الغد جاءني بعود وورس وعنبر وزباد كثير، فقدمت بذلك كله على رسول الله ص، وكان يراه على وعندي فلا ينكر ثم قالت أبرهة: فحاجتي إليك ان تقرئ رسول الله منى السلام، وتعليمه اني قد اتبعت دينه، قالت: ثم لطفت بي، وكانت التي جهزتي، وكانت كلما دخلت على تقول: لا تنسى حاجتي إليك، قالت: فلما قدمنا على رسول الله ص اخبرته، كيف كانت الخطبه، وما فعلت بي أبرهة، فتبسم رسول الله ص واقراته منها، فقال: وعليها السلام ورحمه الله. قال ابن عمر، وحدثنا إسحاق بن محمد، عن جعفر بن محمد، عن ابيه، قال: بعث رسول الله ص عمرو بن اميه الضمري الى النجاشي يخطب عليه أم حبيبه بنت ابى سفيان، وكانت تحت عبيد الله بن جحش، فزوجها اياه وأصدقها النجاشي من عنده عن رسول الله ص أربعمائة دينار.

قال ابن عمر: فحدثني محمد بن صالح، عن عاصم بن عمر بن قتادة، قال:

وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ قَالَا: كَانَ الَّذِي زَوَّجَهَا وَخَطَبَ إِلَيْهِ النُّجَاشِيُّ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَذَلِكَ سَنَهُ سَبْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَكَانَ لَهَا يَوْمَ قَدِمَ بِهَا الْمَدِينَةَ بَضْعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، وَتَوَفَّيْتُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَارْبَعِينَ فِي خِلَافِهِ مَعَاوِيَةَ. وَزَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشِ بْنِ رِثَابٍ اخْتِ ابْنَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَحْشٍ، وَأُمُّهَا أُمِّمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ بْنِ هَاشِمٍ.

قال ابن عمر: حدثني عمر بن عثمان الجعفي، عن ابيه، قال: قدم النبي ص المدينة، وكانت زينب ابنة جحش ممن هاجر مع رسول الله ص، وكانت امراه جميله، فخطبها رسول الله ص على زيد ابن حارثة، فقالت: يا رسول الله لا ارضاه لنفسي، وانا ايم قريش، قال: فاني قد رضيت لك، فتزوجها زيد بن حارثة.

قال ابن عمر: وحدثني عبد الله بن عامر الأسلمي، عن محمد بن يحيى ابن حبان: قال: جاء رسول الله ص بيت زيد بن حارثة يطلبه، وَكَانَ زَيْدٌ إِذَا يُقَالُ لَهُ: زَيْدٌ بْنُ مُحَمَّدٍ، فَرَبَّمَا فَقَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ السَّاعَةَ، فَيَقُولُ: أَيْنَ زَيْدٌ؟

فَجَاءَ مَنْزِلُهُ يَطْلُبُهُ فَلَمْ يَجِدْهُ، وَتَقَوَّمَ إِلَيْهِ زَيْنَبُ، فَتَقَوَّلَ: هَاهُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَوَلَّى يَهُمُّهُمُ بَشِيءٌ لَا يَكَادُ يَفْهَمُ مِنْهُ إِلَّا سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ مُصْرِفِ الْقُلُوبِ، فَجَاءَ زَيْدٌ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَأَخْبَرَتْهُ أُمُّهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص أَتَى مَنْزِلَهُ، فَقَالَ زَيْدٌ:

أَلَا قُلْتُ لَهُ: يَدْخُلُ! قَالَتْ: قَدْ عَرَضْتُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَابِي، قَالَ: فَسَمِعْتِي يَقُولُ شَيْئًا؟

قَالَتْ: سَمِعْتُهُ حِينَ وَلَّى يَكْلَمُ بِكَلَامٍ لَا أَفْهَمُهُ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ مُصْرِفِ الْقُلُوبِ! قَالَ: فَفَرَجَ زَيْدٌ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ص، فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ جِئْتَ مَنْزِلِي، فَهَلَا دَخَلْتَ بِأَيِّ أَنْتَ وَأَيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَعَلَّ زَيْنَبَ أَعْجَبَتْكَ فَأَفَارِقُهَا، فيقول رسول الله: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ، فَمَا اسْتَطَاعَ زَيْدٌ إِلَيْهَا سَبِيلًا بَعْدَ ذَلِكَ، وَيَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ ص فيخبره، فيقول:

امسك عليك زوجك، فيقول: يا رسول الله أفارقها، فيقول رسول الله: احبس عليك زوجك، ففارقها زيد واعتزلها وحلت قال: فيينا رسول الله ص يتحدث مع عائشة الى ان أخذت رسول الله ص غميه فسرى عنه وهو يتسم وهو

يقول: من يذهب الى زينب يبشرها ان الله عز وجل زوجها من السماء، وتلا رسول الله ص: وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ

عليه القصة كلها.

قالت عائشة: وأخذني ما قرب وما بعد لما يبلغنا من جمالها، وأخرى هي أعظم الأمور وأشرفها ما صنع لها، زوجها الله عز وجل من السماء وقلت: هي تفخر علينا بهذا.

قالت عائشة: فخرجت سلمى خادم رسول الله ص تشتد، فتحدثها بذلك، وأعطتها اوضاحا عليها.

قال: وحدثني عمر بن عثمان بن عبد الله الجعفي، عن ابيه قال: تزوج رسول الله ص زينب بنت جحش للال ذي القعدة سنة خمس من الهجرة.

قال: وحدثني عمر بن عثمان الجعفي عن ابيه، قال: ما تركت زينب ابنة جحش دينارا ولا درهما، كانت تصدق بكل ما قدرت عليه، وكانت تأوي المساكين، وتركت منزلها، فباعوه من الوليد بن عبد الملك حين هدم المسجد بخمسين الف درهم.

قال: حدثنا عمر بن عثمان الجعفي عن ابراهيم بن عبد الله بن محمد، عن أبيه، قال: سألت أم عكاشة بن محسن: كم بلغت زينب ابنة جحش يوم توفيت؟ فقالت: قدمنا المدينة للهجرة، وهي بنت بضع وثلاثين، وتوفيت سنة عشرين.

قال عمر بن عثمان: كان ابي يقول: توفيت زينب بنت جحش، وهي ابنة ثلاث وخمسين.

قال الحارث: حضرت مجلس على بن عاصم، وهو يحدث الناس، فحدث عن داود بن ابي هند، عن عامر قال: كانت زينب تقول للنبي ص:

انا اعظم نسائك عليك حقا، انا خيرهن منكحا، واكرمهن سترا، واقربهن رحما.

ثم تقول: زوجنيك الرحمن من فوق عرشه، وكان جبريل ع هو السفير بذلك، وانا بنت عمته، وليس لك من نسائك قريبه غيري.

وجويرة بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة المصطلق، من خزاعة تزوجها مسافع بن صفوان ذي الشفر بن أبي سرح بن مالك ابن جذيمة فقتل يوم المريسيع.

قال ابن عمر: حدثنا يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن ابيه عن محمد

ابن عبد الرحمن بن ثوبان، عن عائشة، قالت: أصاب رسول الله ص نساء من بنى المصطلق، فخرج الخمس منه، ثم قسمه بين الناس،

واعطى الفارس سهمين، والراجل سهما، فوكت جويرة بنت الحارث بن ابي ضرار في سهم ثابت ابن قيس بن شماس الأنصاري،

وكانت تحت ابن عم لها يقال له صفوان بن مالك ابن جذيمة ذي الشفر، فقتل عنها، وكتبها ثابت بن قيس على نفسها على تسع اواق،

وكانت امراه حلوه، لا يكاد يراها احد الا أخذت بنفسه، فبينما النبي ص عندي، إذ دخلت جويرة تسأله في كتابتها، فوالله ما هو الا

ان رايتها، فكرهت دخولها على النبي ص، وعرفت ان سيرى فيها مثل الذي رايت، فقالت: يا رسول الله، انا جويرة بنت الحارث

سيد قومه، وقد أصابني من الأمر ما قد علمت، فوكت في سهم ثابت بن قيس، فكتبني على تسع اواق، فاعنى على فكائي، فقال: او

خير من ذلك؟ قالت: وما هو؟ قال: أؤدي عنك كتابتك وتزوجك، قالت: نعم يا رسول الله، فقد فعلت وخرج الخبر الى الناس،

فقالوا:

اصهار رسول الله يسترقون، فاعتقوا ما كان في ايديهم من سبي بنى المصطلق، فبلغ عتقهم مائه اهل بيت بتزويجه إياها، فلا أعلم امرأة

كانت أعظم بركة على قومها منها، وذلك منصرفه من غزوه المريسيع.

قال ابن عمر: وحدثني عبد الله بن ابي الأبيض مولى جويرة عن ابيه، قال:

سبي رسول الله ص بنى المصطلق، فوكت جويرة في السبي، فجاء أبوها فافتداها وانكحها رسول الله ص بعد.

قال: وحدثنا إسحاق بن يحيى بن طلحه، عن الزهري، عن مالك بن أوس، عن عمر ان رسول الله ص ضرب على جويرة الحجاب،

وكان يقسم لها كما يقسم للنساء قال: وحدثني عبد الله بن عبد الرحمن عن زيد بن ابي عتاب، عن محمد بن عمرو، عن عطاء، عن

زينب بنت ابي سلمه، عن جويرة ابنة الحارث، ان اسمها كانت بره، فغيره رسول الله ص، وسماها جويرة، وكان يكره ان يقال:

خرج من عنده.

قال: وحدثني عبد الله بن ابي الأبيض عن ابيه، قال: توفيت جويرة بنت

الحارث زوج النبي ص في شهر ربيع الاول سنة ست وخمسين في خلافة معاوية بن ابي سفيان، وصلى عليها مروان بن الحكم وهو يومئذ والى المدينة.

قال: وأخبرني محمد بن يزيد، عن جدته - وكانت مولاه جويرة بنت الحارث عن جويرة: قالت: تزوجني رسول الله ص وأنا ابنة عشرين سنة، قالت: وتوفيت جويرة سنة خمسين، وهي يومئذ ابنة خمس وستين سنة، وصلى عليها مروان بن الحكم. قال ابن عمر: وحدثني حزام بن هشام عن ابيه، قال: قالت جويرة:

رايت قبل قدوم النبي ص بثلاث ليل، كان القمر اقبل يسير من يثرب، حتى وقع في جري فكرهت ان اخبر بها أحدا من الناس حتى قدم رسول الله ص، فلما سبينا رجوت الرؤيا، فلما اعتقني وتزوجني، والله ما كلمته في قدومي، حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم، وما شعرت الا بجاريه من بنات عمي تخبرني الخبر، فحمدت الله عز وجل.

وصفيه بنت حيي بن أخطب بن سعية بن عامر بن عبيد بن كعب بن ابي الخزرج ابن ابي حبيب بن النضير بن النحام بن تخوم، من بني إسرائيل، من سبط هارون بن عمران، وأما بره بنت سموءل اخت رفاعة بن سموءل، من بني قريظة أخو النضير وكانت صفية تزوجها سلام بن مشكم القرظي، ثم فارقتها، فتزوجها كنانة بن الربيع ابن ابي الحقيق النضري، فقتل عنها يوم خيبر.

قال ابن عمر: حَدَّثَنِي كَثِيرُ بْنُ زَيْدٍ عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ رَبَاحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:

لما دخل رسول الله ص بصفية بات أبو أيوب على باب النبي ص، فلما أصبح فرأى رسول الله ص كبر، ومع أبي أيوب السيف، فقال: يا رسول الله كانت جاريه حديثه عهد بعرس، وكنت قتلت أباه وأخاه وزوجها، فلم آمنها عليك فضحك رسول الله ص، وقال له خيرا.

قال: وحدثني محمد بن موسى، عن عماره بن المهاجر، عن آمنه ابنة ابي قيس الغفارية، قالت: انا احدى النساء اللاتي زفن صفية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسمعتها تقول: ما بلغت سبع عشرة او جهدي ان بلغت سبع عشرة سنة - ليله دخلت على رسول الله ص قال: وتوفيت صفية سنة ثنتين وخمسين في خلافة معاوية وقبرت بالبيق.

وميمونه بنت الحارث بن حزن الهلالي، وأما هند بنت عوف بن زهير بن الحارث ابن حماطه بن جرش، كانت تزوجت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي في الجاهلية، ثم فارقتها خلف عليها أبو رهم بن عبد العزى بن أبي قيس من بني مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، فتوفى عنها فتزوجها رسول الله ص، زوجها اياه العباس ابن عبد المطلب، وكان يلي امرها، وهي اخت أم ولده الفضل ابنة الحارث الهلالية لأبيها، وأما، وتزوجها رسول الله ص وسلم بسرف على عشرة اميال من مكة، وكانت آخر امرأه تزوجها رسول الله ص، وذلك سنة سبع في عمره القضية قال ابن عمر: حدثنا ابن جريج عن ابي الزبير، عن عكرمة، ان ميمونه ابنة الحارث وهبت نفسها لرسول الله ص.

قال: وحدثني موسى بن محمد بن عبد الرحمن، عن ابيه عن عمره، قال: قيل لها: ان ميمونه وهبت نفسها لرسول الله ص، فقالت: تزوجها رسول الله ص على مهر خمسمائة درهم، وولى انكاح رسول الله إياها العباس بن عبد المطلب.

قال ابن عمر: وتوفيت ميمونه سنة احدى وستين في خلافة يزيد بن معاوية، وهي آخر من مات من ازواج النبي ص، وكان لها يوم توفيت ثمانون او احدى وثمانون سنة، وكانت جلده.

والكلابية، واختلف في اسمها، فقال بعضهم: هي فاطمة ابنة الضحاك بن سفيان الكلابي، وقال بعضهم: هي عمره بنت يزيد بن عبيده بن رواح بن كلاب ابن ربيعة بن عامر، وقال بعضهم: هي عاليه بنت ظبيان بن عمرو بن عوف بن كعب بن عبد بن ابي بكر بن كلاب وقال بعضهم: هي سنا ابنة سفيان بن عوف بن كعب بن عبد بن ابي بكر بن كلاب وقال بعضهم: لم يكن الا كلابيه واحده، غير انه اختلف في اسمها وقال بعضهم: بل كن جميعا، ولكن لكل واحد منهن قصه غير قصه صاحبها.

قال ابن عمر: حدثنا محمد بن عبد الله، عن الزهري، عن عروه، عن عائشة قالت: تزوج رسول الله ص الكلابية، فلما دخلت عليه فدنا منها، قالت اني اعوذ بالله منك، فقال رسول الله: لقد عذت بعظيم، الحق باهلك قال:

وحدثنا عبد الله بن جعفر، عن عبد الواحد بن أبي عون، عن ابن مناح قال:

استعازت من رسول الله ص، وكانت قد ذهلت وذهب عقلها.

وتقول إذا استأذنت على أزواج رسول الله: انا الشقية، وتقول: انما خدعت قال: وحدثنا محمد بن عبد الله عن الزهري، قال: هي فاطمة بنت الضحاك بن سفيان، استعازت منه، فطلقها، وكانت تلقت البعر، وتقول: انا الشقية وتزوجها رسول الله ص في ذي القعدة سنة ثمان من الهجرة وتوفيت سنة ستين.

قال: وحدثنا عبد الله بن سليمان عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده، قال: كان رسول الله ص قد دخل بها ولكنه لما خير نساء اختارت قوما، ففارقها، فكانت تلقت البعر، وتقول: انا الشقية.

قال: وحدثنا عبد الله بن جعفر، عن موسى بن سعيد وابن أبي عون، قالا:

انما طلقها رسول الله ص لبياض كان بها.

قال: وحدثنا عبد الله بن جعفر وابن أبي سبرة وعبد العزيز بن محمد عن ابن الهاد عن ثعلبة بن أبي مالك، عن حسين بن علي ع، قال: تزوج رسول الله ص امراه من بني عامر، فكان إذا خرج تطلعت الى اهل المسجد، فاخبر بذلك رسول الله ص ازواجه فقال: انكن تبغين عليا، فقلن: نحن نريكمها، وهي تطلع، فقال رسول الله ص: نعم فارينه إياها وهي تطلع، ففارقها رسول الله ص.

قال ابن عمر: فحدث بهذا الحديث عبيد الله بن سعيد بن أبي هند فأخبرني عن أبيه قال: انما استعازت منه، فاعاذاها ولم يتزوج رسول الله ص من بني عامر غيرها، ولم يتزوج من كنده غير الجونية.

قال ابن عمر: وحدثنا ابراهيم بن وثية عن أبي وجزة قال: تزوجها رسول الله ص في ذي القعدة سنة ثمان منصرفه من الجعرانة

قال: وحدثني ابو مصعب اسماعيل بن مصعب عن شيخ من رهطها انها توفيت سنة ستين.

وأما هشام بن محمد، فإنه ذكر أن العزمي حدثه عن نافع عن ابن عمر، قال:

كان في نساء رسول الله ص سنا بنت سفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب قال: قال ابن عمر: ان رسول الله ص بعث أبا سيد الساعدي يخطب عليه امراه من بني عامر، يقال لها: عمره ابنه يزيد بن عبيد ابن رواس بن كلاب، فتزوجها، فبلغه ان بها بيضا فطلقها.

قال هشام: وحدثني رجل من بني أبي بكر بن كلاب ان رسول الله ص تزوج العاليه بنت ظبيان بن عمرو بن عوف بن كعب بن عبد بن أبي بكر ابن كلاب، فكثت عنده دهرًا ثم طلقها.

وأسماء ابنة النعمان بن أبي الجون الأسود بن الحارث بن شراحيل بن الجون بن آكل المار الكندي.

قال ابن عمر: حدثنا محمد بن يعقوب بن عتبة، عن عبد الواحد بن أبي عون الدوسي قال: قدم النعمان بن أبي الجون الكندي، وكان ينزل وبنو أبيه نجدا مما يلي الشربة فقدم على رسول الله ص مسلما، فقال: يا رسول الله، الا ازوجك اجمل ايم في العرب كانت تحت ابن عم لها، فتوفى عنها فتاهت، وقد رغبت فيك، وحطت إليك؟ فتزوجها رسول الله ص على اثنتي عشرة أوقية ونش فقال: يا رسول الله لا تقصر بها في المهر، فقال رسول الله ص: ما اصدقت أحدا من نسائي فوق هذا، ولا اصدق أحدا من بناتي فوق هذا، فقال النعمان: ففيك الاسى، قال: فابعث يا رسول الله الى اهلك من يحملهم إليك، فاني خارج مع رسولك، فترسل اهلك معه، فبعث رسول الله ص معه أبا اسيد الساعدي، فلما قدما عليها جلست في بيتها فأذنت له ان يدخل، فقال ابو اسيد: ان نساء رسول الله ص لا يراهن الرجال.

قال ابو اسيد: وذلك بعد ان نزل الحجاب، فأرسلت اليه فيسرني لأمري، قال: حجاب بينك وبين من تكلمين من الرجال الا ذا محرم منك ففعلت، فقال

ابو اسيد: فاقت ثلاثة ايام، ثم تحملت معي على جمل طعينة في محفه، واقلت بها حتى قدمت المدينة، فأنزلتها في بني ساعده، فدخل عليها نساء الحى فرحين بها، وسهّلن وخرجن من عندها فذكرن جمالها، فشاع بالمدينة قدومها.

قال ابو اسيد الساعدي: ووجهت الى النبي ص، وهو في بني عمرو بن عوف فاخبرته، ودخل عليها داخل من النساء، قد بين لها لما بلغهن من جمالها، وكانت من اجمل النساء، فقالت: انك من الملوك، فان كنت تريد ان تحظى عند رسول الله ص فاستعذى عنه،

فإنك تحظين عنده، ويرغب فيك.

قَالَ: وحدثني عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَوْنٍ، قَالَ: تزوج رسول الله ص الكندية في شهر ربيع الاول سنة سبع من الهجرة. قال: وحدثني عبد الرحمن بن أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ كَتَبَ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ: هل تزوج رسول الله ص اخت الاشعث بن قيس؟ فسأله فقال: ما تزوجها رسول الله ص قط، ولا تزوج كندية الا اخت بنى الجون، فملكها، فلما اتى بها وقدمت المدينة نظر إليها وطلقها ولم يين بها.

قال: وحدثني معمر عن الزهري قال: لم يتزوج النبي ص كندية الا اخت بنى الجون ولم يين بها وفارقها.

وذكر هشام بن محمد ان ابن الغسيل حدثه عن حمزه بن ابى اسيد الساعدي عن ابيه- وكان بدريا- قال: تزوج رسول الله ص أسماء ابنة النعمان الجونية، وأرسلني، فجئت بها، فقالت حفصة لعائشة او عائشة لحفصة: اخضبيها أنت وانا امشطها، ففعلتا ثم قالت لها إحداهما: ان النبي يعجبه من المرأة إذا ادخلت عليه ان تقول: اعوذ بالله منك، فلما دخلت عليه واغلق الباب، وارخى الستر مد يده إليها، فقالت: اعوذ بالله منك فقال بكه على وجهه فاستتر به، وقال: عدت معاذا ثلاث مرات قال ابو اسيد: ثم خرج على وقال: يا أبا اسيد ألحقها بأهلها، ومتعها برازقتين- يعنى كرباسين- فكانت تقول: ادعوني الشقية. قال هشام: وحدثني زهير بن معاوية الجعفي انها ماتت كمدا. قال ابن عمر: فحدثني سلمان بن الحارث، عن عباس بن سهل، قال:

ذكر تاريخ من عرف وقت وفاته من النساء المهاجرات والانصار وغيرهن ممن ادرك رسول الله ص وآمن به واتبعه

سمعت أبا اسيد الساعدي يقول: لما طلعت بها على الصرم تصايحوا، وقالوا: انك لغير مباركك، ما دهاك؟ فقالت خدعت، فقيل لي كيت وكيت للذي قيل لها، فقال أهلها: لقد جعلتنا في العرب شهره، فنادت أبا اسيد، فقالت: قد كان ما كان، فالذي اصنع ما هو؟ قال: أقيمي في بيتك فاحتجبي الا من ذي محرم، ولا يطمع فيك طامع بعد رسول الله ص، فإنك من أمهات المؤمنين فاقامت لا يطمع فيها طامع، ولا يراها الا ذو محرم، حتى توفيت في خلافة عثمان ابن عفان عند أهلها بنجد. وذكر هشام بن محمد الكلبي، ان زهير بن معاوية الجعفي حدثه انها ماتت كمدا.

قال الحارث: وحدثني محمد بن سهيل، عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، قال: تزوج رسول الله ص من اليمن أسماء بنت النعمان بن الجون بن شراحيل بن النعمان، من كنده، فلما دخل عليها، فدعاها اليه، فقالت: تعال أنت، وأبت ان تجيء فطلقها. وقال آخرون: بل كانت اجمل النساء، فخاف نساؤه ان تغلبن عليه، فقلن لها:

انا نرى إذا دنا منك ان تقولي: اعوذ بالله منك، فلما دنا منها قالت: اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا، [فقال: قد عدت بمعاذ، وان عائد الله عز وجل اهل ان يجار، وقد أعاذك الله مني] فطلقها، وامر الساقط بن عمرو الأنصاري فجهازها، ثم سرحها الى أهلها، فكانت تسمى نفسها الشقية

. ذكر تاريخ من عرف وقت وفاته من النساء المهاجرات والانصار وغيرهن ممن ادرك رسول الله ص وآمن به واتبعه

. منهن أم ايمن مولاه رسول الله ص وحاضنته واسمها بركة كان رسول الله ص ورثها خمسه اجمال وقطعه غنم- فيما ذكر- فاعتق رسول الله ص أم ايمن حين تزوج خديجه، فتزوجها عبيد بن زيد

من بنى الحارث بن الخزرج، فولدت له ايمن، وقتل يوم حنين شهيدا، وكان زيد بن حارثة لخديجة، فوهبته لرسول الله ص، فاعتقه رسول الله ص وزوجه أم ايمن بعد النبوه، فولدت له اسامه بن زيد.

وذكر محمد بن عمر عن يحيى بن سعيد بن دينار عن شيخ من بنى سعد بن بكر، قال: [كان رسول الله ص يقول لام ايمن: يا أمه، وكان إذا نظر إليها قال: هذه بقية اهل بيتي] .

قال ابن عمر: توفيت أم ايمن في أول خلافة عثمان بن عفان.

قال ابن عمر: خاصم ابن أبي الفرات مولى اسامه بن زيد الحسن بن اسامه بن زيد، ونازعه فقال له ابن أبي الفرات في كلامه: يا بن بركة- يريد أم أيمن- فقال الحسن: اشهدوا، ورفعته الى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وهو يومئذ قاضي المدينة او وال لعمر بن عبد العزيز، فقص عليه القصة، فقال ابو بكر لابن أبي الفرات: ما اردت الى قولك له: يا بن بركة؟ قال: سميتها باسمها، فقال انما اردت بهذا التصغير بها، وحالها من الاسلام حالها ورسول الله ص يقول لها:

يا أمه ويا أم أيمن؟ لا أقالي عز وجل ان اقتلك، فضربه سبعين سوطا.

واروى ابنه كريب بن حبيب بن عبد شمس، اسلمت وهاجرت الى المدينة، وماتت في خلافة عثمان. وأسماء بنت أبي بكر، أمها قتيله ابنه عبد العزى بن عبد أسعد بن جابر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، وهي اخت عبد الله بن أبي بكر لأبيه، وأمها اسلمت قديما بمكة، وبايعت رسول الله ص، تزوجها الزبير بن العوام، فولدت له عبد الله وعروه وعاصما والمهاجر وخديجه الكبرى وأم الحسن وعائشة بنى الزبير قال الحارث: حدثنا داود بن المحبر، قال: حدثنا حماد بن سلمه عن هشام بن عروه، عن أسماء ابنه أبي بكر، انها اتخذت خنجرا في زمن سعيد ابن العاص في الفتنة، فوضعت تحت مرفقتها، فقليل لها: ما تصنعين بهذا؟ قالت:

ان دخل على لص بعجت بطنه وكانت عمياء، قالوا: ماتت أسماء بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بليال، وكان قتله يوم الثلاثاء لسبع عشره ليله خلت من جمادى الاول سنة ثلاث وسبعين

ومارية سريه رسول الله ص، وأم ابنه ابراهيم ع، كان المقوقس صاحب الإسكندرية أهداها مع اخت لها يقال لها سيرين مع أشياء اخر الى رسول الله ص.

وذكر ابن عمر ان يعقوب بن محمد بن أبي صمصعة حدثه عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صمصعة، قال: بعث المقوقس صاحب الإسكندرية الى رسول الله ص سنة سبع من الهجرة بماريه وأختها سيرين، والف مثقال من ذهب، وعشرين ثوبا لينا وبغلته دلدل، وحماره غفير- ويقال يغفور- ومعهم خصى يقال له مابور، شيخ كبير كان أخا مارية، وبعث به كله مع حاطب بن أبي بلتعه، فعرض حاطب على مارية الاسلام، ورغبها فيه، فاسلمت واسلمت أختها، واقام الخصى على دينه حتى اسلم في المدينة بعد في عهد رسول الله ص، وكان رسول الله ص معجبا بام ابراهيم، وكانت بيضاء جميله، فانزلها رسول الله ص بالعليه في المال الذي يقال له اليوم مشربه أم ابراهيم، وكان رسول الله ص يختلف إليها هناك، وضرب عليها الحجاب، وكان يطؤها بملك اليمين، فلما حملت وضعت هناك وقبلتها سلمى مولاه رسول الله ص، فجاء ابو رافع زوج سلمى، فبشر رسول الله ص بابراهيم، فوهب له عبدا، وذلك في ذي الحجة من سنة ثمان، وتنافست الانصار في ابراهيم، وأحبوا ان يفرغوا مارية للنبي ص لما يعلمون من هواه فيها.

قال ابن عمر: وكانت مارية من حفن من كوره أنصنا.

قال: وحدثنا اسامه بن زيد الليثي عن المنذر بن عبيد عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أمه، وكانت اخت مارية يقال لها سيرين، فوهبها النبي ص لحسان بن ثابت، فولدت عبد الرحمن.

قالت: رايت رسول الله ص لما حضر ابراهيم، وانا اصيح وأختي ما ينهانا عن الصياح وغسله الفضل بن العباس، ورسول الله ص والعباس جالسان، ثم رايت على شفير القبر، ومعه العباس الى جنبه، ونزل في حفرته الفضل واسامه بن زيد، [وكسفت الشمس يومئذ، فقال الناس: كسفت لموت ابراهيم فقال رسول الله ص: لا تكسف لموت احد ولا لحياته،] وراى

ذكر أسماء من عاش بعد رسول الله ص من النساء المؤمنات فروت عنه ونقل عنها العلم ثم من بنى هاشم

[رسول الله ص فرجه في القبر، فامر بها تسد، فقليل للنبي ص، فقال: اما انها لا تضر ولا تنفع، ولكنها تقر عين الحى، وان العبد إذا عمل عملا أحب الله عز وجل ان يتقنه] .

قال ابن عمر: وحدثني موسى بن محمد بن عبد الرحمن عن ابيه، قال:

كان ابو بكر ينفق على مارية، حتى توفى، ثم صار عمر ينفق عليها حتى توفيت في خلافته.

قال ابن عمر: توفيت مارية أم إبراهيم بن رسول الله ص في المحرم سنة ست عشرة من الهجرة، فرئى عمر يحشر الناس لشهوها وصلى عليها عمر وقبرها بالبقيع.

ذكر أسماء من عاش بعد رسول الله ص من النساء المؤمنات فروت عنه ونقل عنها العلم ثم من بنى هاشم .
منهن فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ص، عاشت بعد رسول الله وروى عنها عنه احاديث، منها ما حدثنا به عمران بن موسى، قال: حدثنا عبد الوارث قال: حدثنا ليث، عن عبد الله بن الحسن، عن أمه فاطمة، [عن جدته فاطمة الكبرى، عن النبي ص انه كان إذا دخل المسجد صلى على النبي ص، وقال: اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك] .

حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال: حدثنا المطلب بن زياد، عن ليث عن عبد الله بن الحسن، عن فاطمة الصغرى، عن فاطمة الكبرى، [عن النبي ص على انه قال في دخول المسجد: باسم الله اللهم صل على محمد، وآله واغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج قال: باسم الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك] .

وحدثني يعقوب بن إبراهيم والفضل بن الصباح، قالوا: حدثنا اسماعيل بن عليه، قال: أخبرنا ليث عن عبد الله بن حسن بن حسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين، عن جدتها فاطمة ابنة رسول الله ص، قالت: [كان رسول الله ص إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم، ثم قال: اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال: اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك] .

وحدثنا الربيع بن سليمان، قال: حدثنا أسد، قال: حدثنا قيس بن الربيع عن عبد الله بن الحسن، عن فاطمة بنت الحسين، عن فاطمة الكبرى، قالت:

[كان النبي ص إذا دخل المسجد، قال: اللهم صل على محمد وسلم، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج من المسجد قال:

اللهم صل على محمد وسلم، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك] .

ومنهن أم هانئ ابنة ابى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، واسمها فاختة، وكان هشام بن الكلبي يقول: اسمها هند، وأما فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، ذكر ان رسول الله ص خطبها الى ابى طالب، قبل ان يوحى اليه، وخطبها معه هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، فزوجها هبيرة فقال له النبي ص: يا عم زوجت هبيرة، وتركنتي، قال:

يا بن أخي، انا قد صاهرنا اليهم، والكريم يكافئ الكريم ثم اسلمت، ففرق الاسلام بينها وبين هبيرة، فخطبها رسول الله ص الى نفسها، فقالت: والله ان كنت لأحبك في الجاهلية، فكيف في الاسلام! ولكنى امرأه مصيبة، واكره ان يؤدوك [فقال رسول الله ص: خير نساء ركن الإبل نساء قریش، احناه على ولد في صغره، وارعاه على زوج في ذات يد،] عاشت بعد رسول الله ص، وروت عنه احاديث، منها ما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عبيد الله، عن إسرائيل عن السدي، عن أبي صالح عن أم هانئ، قالت: خطبني رسول الله ص فاعتذرت اليه، فعذرني، ثم انزل الله عز وجل: إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ إِلَى قَوْلِهِ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ، قالت: فلم أحل له لم اهاجر معه، كنت من الطلقاء.

ومنهن ضباعة ابنة الزبير بن عبد المطلب بن هاشم، زوج رسول الله ص

المقداد بن عمرو بن ثعلبة ضباعة بنت الزبير هذه، فولدت له عبد الله وكرمه، وقتل عبد الله يوم الجمل مع عائشة فربه على ع قتيلا، فقال: بنس ابن الاخت روت عن رسول الله احاديث، حدثنا ابن بشير، قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، قال: حدثنا همام بن يحيى، عن قتادة، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث، عن جدته أم الحكم، عن أختها ضباعة بنت الزبير، انها رفعت الى رسول الله ص لحما فنهس منه، ثم صلى ولم يتوضأ.

وأم الحكم ابنة الزبير بن عبد المطلب بن هاشم تزوجها ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فولدت له محمدا وعباسا وعبد شمس وعبد

المطلب واميه، واروى الكبرى، روت أم الحكم عن رسول الله.
حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا معاذ بن هشام، قال: حدثني أبي عن قتادة، عن إسحاق بن عبد الله بن نوفل، عن أم الحكم ابنة الزبير،
انها ناولت النبي ص كتفا من لحم، فأكل منها ثم صلى.

وأم حكيم بنت عبد المطلب، وهي التي يقال لها البيضاء لم تدرك الاسلام، وهي أم عامر بن كريز، وهي جده عثمان بن عفان من
قبل أمه، كان كريز بن ربيعة تزوج أم حكيم البيضاء، فولدت له عامرا، واروى، وطلحه، وأم طلحه، فتزوج اروي بنت كريز عفان
بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فولدت له عثمان بن عفان، ثم خلف عليها عقبه بن أبي معيط، فولدت له الوليد
وخالدا وأم كلثوم بنى عقبه بن أبي معيط.

وصفيه بنت عبد المطلب بن هاشم، وأما هاله بنت وهيب بن عبد مناف بن زهره بن كلاب، وهي اخت حمزه بن عبد المطلب لامه
كان تزوجها في الجاهلية الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس، فولدت له صفيا، ثم خلف عليها العوام ابن خويلد بن اسد، فولدت
له الزبير والسائب، وعبد الكعبة، واسلمت وبايعت رسول الله ص وهاجرت الى المدينة، وعاشت بعده الى خلافة عمر بن الخطاب

ومن مواليتهم

وامامه ابنه حمزه بن عبد المطلب بن هاشم، وأما سلمى ابنة عميس بن معد بن تيم بن مالك بن خثافة بن خثعم اخت أسماء ابنة عميس،
هكذا سماها هشام بن محمد وقال غيره: هي عماره ابنه حمزه.

وقال هشام: عماره رجل وهو ابن حمزه، وبه كان يكنى، عاشت بعد النبي ص وروت عنه
• ومن مواليتهم

أم ايمن مولاه رسول الله ص.

حدثني الحسين بن علي الصدائي، قال: حدثنا شبابه، قال: حدثني ابو مالك النخعي، عن عبد الملك بن حسين، عن الأسود بن قيس،
عن فليح العنزي عن أم ايمن، قالت: [قام النبي ص من الليل الى نخاره في جانب البيت، فبال فيها، فقامت من الليل انا عطشى
فشربت ما في الفخاره، وانا لا اشعر، فلما اصبح النبي ص قال: يا أم ايمن، قومي الى تلك الفخاره فاهريقي ما فيها، قلت: قد والله
شربت ما فيها، قالت فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه، ثم قال اما انك: لا تيجعين بطنك بعده ابدأ] وسلمى مولاه رسول الله
عاشت بعد رسول الله ص وروت عنه احاديث.

حدثني علي بن شعيب السمسار، قال: حدثنا معن بن عيسى، قال:
حدثنا فائد مولى عبيد الله بن علي بن ابي رافع، عن عبيد الله بن علي بن ابي رافع، عن جدته سلمى ان النبي ص كان إذا كانت به
القرحه او الشيء، جعل عليه الحناء.

وميمونه بنت سعد مولاه رسول الله ص، روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عبيد الله عن إسرائيل، عن زيد بن جبير،

ومن غرائب نساء العرب اللواتي عشن بعد رسول الله ص، فروين عنه وكن قد بايعنه، واسلمن في حياته

عن ابي يزيد الضبي، عن ميمونه بنت سعد، قالت: [سئل رسول الله ص عن ولد الزنا، فقال: نعلان اجاهد بهما أحب الى من ان
اعتق ولد زنا].

واميمه مولاه رسول الله ص روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ سَنَانِ ابْنِ فَرُوهَ الرَّهَآوِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو يَحْيَى الْكَلَّاعِيُّ، عَنْ جَبْرِ بْنِ نَفِيرٍ، قَالَ: [دَخَلْتُ عَلَى أَمِيهِ مَوْلَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ص فَقُلْتُ: حَدَّثَنِي شَيْئًا، سَمِعْتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص، قَالَتْ: كُنْتُ يَوْمًا أَفْرَغُ عَلَى يَدَيْهِ، وَهُوَ يَتَوَضَّأُ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ الرَّجُوعَ إِلَى أَهْلِي فَأَوْصِنِي بِوَصِيهِ أَحْفَظُهَا عَنْكَ قَالَ: لَا تَشْرُكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَإِنْ قَطَعْتَ وَحَرَقْتَ بِالنَّارِ، وَلَا تَعْصِينَ وَالِدَيْكَ، وَإِنْ أَمَرَكَ أَنْ تَخْلِيَ مِنْ أَهْلِكَ وَدُنْيَاكَ فَتَخْلُ، وَلَا تَتْرُكَنَّ صَلَاةَ مَتَعَمِّدًا، فَمَنْ تَرَكَهَا مَتَعَمِّدًا بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، وَلَا تَشْرَبَنَّ الْخَمْرَ فَإِنَّهَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَلَا تَزْدَادَنَّ فِي تَخَوُّمِ الْأَرْضِ، فَإِنَّكَ تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى عُنُقِكَ مَقْدَارَ سَبْعِ أَرْضِينَ، وَلَا تَفْرَنْ يَوْمَ الزَّحْفِ، فَانْهَ مِنْ فَرِيضَةِ الزَّحْفِ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبَشَسَ الْمَصِيرُ، وَانْفَقَ عَلَى أَهْلِكَ مِنْ طَوْلِكَ، وَلَا تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْهُمْ، وَاخْفَهُمْ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ]

. وَمِنْ غَرَائِبِ نِسَاءِ الْعَرَبِ اللَّوَاتِي عَشْنَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص، فَرُوبِنْ عَنْهُ وَكُنْ قَدْ بَايَعْنَهُ، وَاسْلَمْنَ فِي حَيَاتِهِ أُمُّ الْفَضْلِ وَهِيَ لِبَابِهِ الْكَبْرَى بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ حَزْنِ بْنِ بَجِيرِ بْنِ الْهَزْمِ ابْنِ رُوَيْبَةَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَلَالِ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ عَكْرِمَةَ بْنِ خَصْفَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عِيْلَانَ بْنِ مَضَرَ وَأُمِّهَا هِنْدٌ، وَهِيَ خَوْلَةُ بِنْتِ عَوْفِ بْنِ زَهِيرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ حَمَاطَةَ بْنِ جَرَشٍ، وَهَمَّ إِلَى حَمِيرٍ وَقِيلَ إِنَّ أُمَّ الْفَضْلِ أَوَّلَ أَمْرَاهُ اسْلَمَتْ بِمَكَّةَ بَعْدَ خَدِيجَةَ ابْنَةَ خُوَيْلِدٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ ص- فِيمَا ذَكَرَ- يَزُورُهَا، وَيَقِيلُ فِي بَيْتِهَا

وَأَخَوَاتِ أُمِّ الْفَضْلِ مِيمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ص، وَهِيَ أُخْتُهَا لِأَبِيهَا وَأُمُّهَا وَلِبَابِهِ الصَّغْرَى، وَهِيَ الْعَصْمَاءُ بِنْتُ الْحَارِثِ ابْنِ حَزْنٍ وَهِيَ أُخْتُهَا لِأَبِيهَا وَهَزِيلَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ ابْنِ حَزْنٍ أُخْتُهَا أَيْضًا لِأَبِيهَا، وَعَزَّةُ أُخْتُهَا لِأَبِيهَا وَإِخْوَتُهَا، وَأَخَوَاتُهَا لِأُمِّهَا مُحَمِّمَةُ بْنُ جَزْءِ الزَّبِيدِيِّ، وَعَوْنُ وَأَسْمَاءُ وَسَلْمَى، بَنُو عَمَيْسِ بْنِ مَعْدِ بْنِ الْحَارِثِ مِنْ خَثْعَمٍ، فَتَزَوَّجَ أُمُّ الْفَضْلِ بِنْتُ الْحَارِثِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ، فَوُلِدَتْ لَهُ الْفَضْلُ وَعَبْدُ اللَّهِ وَعَبِيدُ اللَّهِ وَمَعْبُدَا وَقْتَمٌ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأُمُّ حَبِيبٍ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ الْهَلَالِيُّ:

مَا وَلِدْتَ بِحَتِيهِ مِنْ فُحْلٍ ... كَسْتَهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّ الْفَضْلِ
أَكْرَمَ بِهَا مِنْ كَهْلِهِ وَكَهْلٍ.

وَقَالَ ابْنُ عَمْرٍ: هَاجَرَتْ أُمُّ الْفَضْلِ بِنْتُ الْحَارِثِ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ إِسْلَامِ الْعَبَّاسِ ابْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ. وَلِبَابِهِ الصَّغْرَى، وَهِيَ الْعَصْمَاءُ بِنْتُ الْحَارِثِ وَأُمُّهَا فَاخْتَهَ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ مَعْتَبِ بْنِ مَالِكِ الثَّقَفِيِّ، فَتَزَوَّجَهَا الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ مَخْزُومٍ بِمَكَّةَ، فَوُلِدَتْ لَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، ثُمَّ اسْلَمَتْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ، وَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ص. وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمَيْسِ بْنِ مَعْدِ، وَأُمُّهَا هِنْدٌ، وَهِيَ خَوْلَةُ بِنْتِ عَوْفِ بْنِ زَهِيرِ بْنِ جَرَشٍ، قَالَ الْحَارِثُ: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ خَدَّاشٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدٍ، أَنَّ أَسْمَاءَ وَلِدَتْ لَجَعْفَرِ مُحَمَّدًا، وَلَأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدًا.

وَأُخْتُهَا لِأَبِيهَا وَأُمُّهَا سَلْمَى بِنْتُ عَمَيْسِ اسْلَمَتْ قَدِيمًا، وَتَزَوَّجَهَا حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ فَوُلِدَتْ لَهُ ابْنَتُهُ عَمَارَةُ، وَقَتْلَ حَمْزَةَ بِأَحَدِ فَتَايِمَتِ سَلْمَى ابْنَةِ عَمَيْسٍ، فَتَزَوَّجَهَا شَدَادُ بْنُ الْهَادِ اللَّيْثِيِّ، فَوُلِدَتْ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَادٍ، فَهُوَ أَخُو ابْنَةِ حَمْزَةَ لِأُمِّهَا، وَهُوَ ابْنُ خَالِهِ وَلَدَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ، وَابْنُ خَالِهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ، فَامَّا أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمَيْسٍ فَإِنَّهَا عَاشَتْ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ص حِينَا وَرَوَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص أَحَادِيثَ.

وَأُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَهِيَ أُمُّ عَبْدِ بِنْتِ عَبْدِ دُودِ بْنِ سَوَّاءَ بْنِ قَرِيمٍ بْنِ صَاهِلَةَ بْنِ كَاهِلِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ تَمِيمِ بْنِ سَعْدِ بْنِ هَذِيلِ بْنِ مَدْرَكَةَ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مَضَرَ، وَأُمُّهَا

هِنْدُ بِنْتُ عَبْدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زَهْرَةَ بْنِ كَلَّابٍ اسْلَمَتْ وَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَدْ رَوَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص مَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ الْأَنْمَاطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبَادُ بْنُ الْعَوَّامِ عَنْ ابَانَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:

حَدَّثَنِي أُمِّي أَنَّهَا بَاتَتْ عَنْدهُمْ لَيْلَةَ فَقَامَ النَّبِيُّ ص فَصَلَّى، قَالَتْ:

فَرَايْتُهُ قَنْتَ فِي الْوَتْرِ قَبْلَ الرُّكُوعِ وَزَيْنَبُ بِنْتُ ابْنِ مَعَاوِيَةَ الثَّقَفِيَّةِ أَمْرَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، اسْلَمَتْ وَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ص وَرَوَتْ

عنه احاديث. منها ما حدثنا الربيع بن سليمان، قال: حدثنا أسد بن موسى قال: ابن لهيعة، قال: حدثنا بكير، عن بسر بن سعيد، عن زينب امراء عبد الله قالت، [قال رسول الله ص: ايتكن جاءت المسجد فلا تقربن طيبا] .

وأم سنان الأسلمية روت عن رسول الله ص.

ذكر محمد بن عمر أن عبد الله بن أبي يحيى حدثه عن ثبته بنت حنظله الأسلمية، [عن أمها أم سنان الأسلمية، قالت: لما اراد رسول الله ص الخروج الى خيبر جئته، فقلت: يا رسول الله اخرج معك في وجهك هذا اخرز السقاء واداوى المرضى والجرحى، ان كانت جراح والا تكن، فانصر الرجل، فقال رسول الله ص: اخرجى على بركة الله تعالى، فان لك صواحب معك، فأذنت لهن من قومك ومن غيرهم فان شئت فمع قومك، وان شئت فمعنا قالت: معك، قال: فكونى مع أم سلمة زوجتي، قالت: فكنت معها] .

وابنه ابى الحكم الغفارية، روت عن رسول الله ص.

حدثني محمد بن محمد بن المثنى قال: حدثنا محمد بن ابى عون، عن محمد بن إسحاق، عن سليمان بن سحيم، عن أمه ابنة ابى الحكم الغفارية، قالت: [سمعت رسول الله ص يقول: ان الرجل ليدنو من الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها قبة ذراع، فيتكلم بالكلمة فيتباعد منها ابعد من صنعاء]

وأم شريك روت عن رسول الله ص.

حدثنا عمرو بن بيدق قال: حدثنا سفيان عن عبد الحميد بن جبير بن شيبه، عن سعيد بن المسيب، اخبرته أم شريك ان النبي ص امرها بقتل الاوزاغ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن جريج، عن عبد الحميد بن جبير بن شيبه ان سعيد بن المسيب اخبره، قال: أخبرتني أم شريك احدى نساء عامر بن لؤي، انها استأمرت رسول الله ص في قتل الوزغان، فأمرها بقتلها.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى عن ابن جريج، عن عبد الحميد بن جبير بن شيبه، عن سعيد بن المسيب، عن أم شريك ان رسول الله ص امر بقتل الاوزاغ، وقال: كان ينفخ على ابراهيم عليه السلام.

أم مرثد روت عن رسول الله ص.

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: حدثنا محمد بن وهب بن ابى كريمة الحراني، عن محمد بن مسلمة، عن ابى عبد الرحيم بن العلاء، عن محمد بن عبد الله بن ابى صعصعة، عن ابيه عن أم خارجة بنت سعد بن الربيع، عن أم مرثد، [وكانت ممن بايعن رسول الله ص- قالت: خرجنا معه، فقال: أول من يشرف عليكم رجل من اهل الجنة، فأشرف على ع] .

وأم الدرداء روت عن رسول الله ص احاديث، منها ما حدثني سعد بن عبد الله بن الحكم، قال: حدثنا ابو زرعه قال: حدثنا ابو حيوة قال: أخبرنا ابو صخر، ان عيسى أبا موسى مولى لجعفر بن خارجة الأسدي، حدثه [ان أم الدرداء حدثته ان رسول الله ص لقيها يوما فقال لها: من اين جئت يا أم الدرداء؟ قالت: من الحمام، قال لها رسول الله ص: ما من امراه تنزع ثيابها في غير بيتها الا هتكت ما بينها وبين الله عز وجل من ستر] .

حدثنا الربيع، قال: حدثنا أسد بن موسى، قال: حدثنا ابن لهيعة، قال: حدثنا زبائن بن فائد عن سهل بن معاذ، عن ابيه، [انه سمع أم الدرداء تقول: خرجت من الحمام فلقيني رسول الله ص، فقال: من اين يا أم الدرداء؟ قلت: من الحمام، فقال: والذي نفسي بيده ما من امراه تضع ثيابها في غير بيت امهاتها الا وهي هاتكة كل ستر بينها وبين الرحمن

عز وجل] .

وأم المنذر بنت قيس بن عمرو بن عبيد بن عامر بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن غنم بن النجار، وهي اخت سليط بن قيس، الذي شهد بدرًا، وقتل يوم جسر أبي عبيد شهيدًا لأبيه وأمه: بايعت رسول الله ص، وروت عنه.

ما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا زيد بن حباب العكلي، قال: حدثنا فليح بن سليمان المدني قال: حدثنا أيوب بن عبد الرحمن الأنصاري، عن يعقوب بن أبي يعقوب، عن أم المنذر الأنصارية، وهي بعض خالات رسول الله ص قالت: [دخل على رسول الله ص وعلى ع معه، وعلى ناقه من مرضه، وعذق في البيت معلق فأكل منه رسول الله ص وهو قائم، فأكل منه على ع، فقال: انه لا يوافقك، فكف قالت: فصنعت سلقا وشعيرا لرسول الله ص فوضعت بين يديه، فقال: يا علي كل من هذا فانه اوفق لك]

١٢٠٣٢٠٣ القول في تاريخ التابعين والخالفين والسلف الماضين من العلماء ونقله الآثار ذكر من هلك من التابعين سنة ثنتين وثلاثين

القول في تاريخ التابعين والخالفين والسلف الماضين من العلماء ونقله الآثار ذكر من هلك من التابعين سنة ثنتين وثلاثين منهم كعب الاحبار بن ماته، يكنى أبا إسحاق، وهو من حمير من اهل ذي رعين، وكان من ساكني حمص، وبها توفي سنة ثنتين وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان وذكر العلائي عن ابن معين، انه قال: هو كعب بن ماته بن ذي هجن الحميري. حدثنا العباس قال: سمعت يحيى يقول: كعب الاحبار مات في خلافة عثمان سنة اربع وثلاثين قبل ان يقتل عثمان بعام. حدثنا ابن المثنى، قال: حدثني احمد بن موسى، عن داود، قال: حدثني ابن عم كعب ان كعبا كان يتعلم سورة البقرة ويعلمها اياه رجل من اصحاب النبي ص، حتى انتهى الى قوله: فان زلتم من بعد ما جاءكم البينات فاعلموا ان الله غفور رحيم فقال كعب: ما اعرف هذا في شيء من كتب الله عز وجل، ان ينهى عن الذنب، ويعد عليه المغفرة، فأبى الرجل ان يرجع عن ذلك، وابى كعب ان يتابعه حتى مر عليهما رجل من اصحاب النبي ص، فقالا له:

هل تقرأ سورة البقرة؟ فقال: نعم، فقالا: فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ، فقال الرجل: فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فقال: نعم هكذا ينبغي ان يكون.

ومنه اويس بن الخليلص القرني كذلك ذكر ضميره بن ربيعة عن عثمان بن عطاء الخراساني، عن ابيه قال: سمعت من رجل من قومي- يعني من قوم اويس- وانا احدث بحديثه، فقال: تدري يا أبا عثمان اويس ابن من؟ قلت: لا قال. اويس بن الخليلص واما يحيى بن سعيد القطان فانه قال: حدثنا يزيد بن عطاء عن علقمه بن مرثد، بانه قال: اويس بن انيس القرني واختلف في وقت مهلكه، فقال بعضهم: قتل مع علي ع بصفين.

ذكر من هلك منهم سنة احدى وثمانين

ومن هلك في سنة ثلاث وثمانين

روى محمد بن ابي منصور، قال: حدثنا الجاني قال: حدثنا شريك، عن يزيد بن ابي زياد عن عبد الرحمن بن ابي ليلى، قال: [نادى منادى على ع يوم صفين الا اطلبوا اويسا القرني بين القتلى، فطلبوه فوجدوه فيهم، او كلاما هذا معناه] .

ذكر من هلك منهم سنة احدى وثمانين

منهم سويد بن غفله:

ومحمد بن علي بن ابي طالب الاكبر، وأمه الحنفية خوله بنت جعفر بن قيس بن مسلم بن ثعلبة بن ثعلبة بن ايربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وقيل: انها كانت من سبي اليمامة، فصارت منه الى علي بن ابي طالب ع.

وقال ابن عمر: حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن فاطمة ابنة المنذر، عن أسماء ابنة ابي بكر قالت: رايت أم محمد بن الحنفية سديده سوداء، وكانت أمه لبني حنيفة، ولم تكن منهم، وانما صالحهم خالد بن الوليد على الرقيق، ولم يصلحهم على انفسهم.

وكان محمد بن الحنفية يكنى أبا القاسم، وكان فاضلا دينيا ذا علم جم وورع، وقد ذكرنا خبره مع ابن الزبير في أيام المختار بن أبي عبيد في كتابنا المسمى المذيل .
ومن هلك في سنة ثلاث وثمانين

أبو البخترى الطائي مولى لبني نهبان من طيء، واختلف في اسمه، فقال ابن المديني:
هو سعيد بن أبي عمران، وقال يحيى بن معين: هو سعيد بن جبير، وجبیر يكنى أبا عمران، وقال بعضهم: هو سعيد بن عمران، وكان من الشيعة.

وعبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ولد على عهد النبي ص
وكان يشبه برسول الله ص وقال علي بن محمد: توفي عبد الله بن نوفل بن الحارث سنة أربع وثمانين.

قال محمد بن عمر: حدثني عبد العزيز بن محمد وأبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن عثمان بن عمر عن أبي الغيث، قال: سمعت أبا هريرة لما ولي مروان بن الحكم المدينة لمعاوية بن أبي سفيان سنة ثنتين وأربعين في الإمرة الأولى، استقضى عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بالمدينة، فسمعت أبا هريرة يقول: هذا أول قاض رأيته في الاسلام قال ابن سعد: وقال محمد بن عمر: واجمع أصحابنا على أن عبد الله بن نوفل بن الحارث أول من قضى بالمدينة لمروان بن الحكم، وأهل بيته ينكرون ذلك، وإن يكون ولي هو واحد من بني هاشم القضاء بالمدينة قال: وأهل بيته يقولون:

توفي في خلافة معاوية، قال: ونحن نقول أنه بقي بعد معاوية دهرا، وتوفي في سنة أربع وثمانين في خلافة عبد الملك بن مروان ومنهم سعيد بن وهب الهمداني، من بني محمد بن موهب بن صادق بن يناع ابن دومان- وهم اليناعون من همدان- سمع من معاذ بن جبل باليمن، قبل أن يهاجر في حياة رسول الله ص وكان من ملازمي علي بن أبي طالب عليه السلام، فكان يقال له القراد للزومه له، وكان من ساكني الكوفة، وكان ممن لا يشك في صدقه وأمانته، على ما روى وحدث من خبر، وكانت وفاته في سنة ست وثمانين في خلافة عبد الملك قال الطبري: قد مر اسمه فيمن توفي سنة ست وسبعين وأعيد هاهنا للاختلاف في وقت وفاته.

قال: ومنهم علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ع وأمه غزاله أم ولد، خلف عليها بعد حسين زبيد مولى الحسين فولدت له عبد الله بن زبيد، وهو أخو علي بن الحسين، ولعلي بن حسين هذا العقب من ولد حسين وهو علي الأصغر ابن حسين.
وأما علي بن الحسين الأكبر، فقتل مع أبيه بنهر كربلاء، وليس له عقب

[وشهد علي بن الحسين الأصغر مع أبيه، كربلاء وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان مريضا نائما على فراش، فلما قتل الحسين ع قال شمر بن الجوشن:

اقتلوا هذا، فقال له رجل من أصحابه: سبحان الله انقتل فتى حدثا مريضا لم يقاتل! وجاء عمر بن سعد، فقال: لا تعرضوا لهؤلاء النسوة ولا لهذا المريض قال علي:

فلما ادخلت علي ابن زياد، قال: ما اسمك؟ قلت: علي بن حسين، قال:

أو لم يقتل الله عليا؟ قال: قلت: كان لي أخ أكبر مني يقال له علي قتله الناس، قال: بل الله قتله، قلت: الله يتوفى الأنفس حين موتها فامر بقتله فصاحت زينب بنت علي: يا بن زياد، حسبك من دمائنا! أسالك بالله أن تقتله لا تقتلني معه! فتركه، وكان علي

بن الحسين يكنى أبا الحسين ذكر علي بن محمد عن سعيد بن خالد عن المقبري، قال: بعث المختار بن أبي عبيد إلى علي بن حسين بمائة ألف، فكره أن يقبلها، وخاف أن يردّها، فاحتبسها عنده، فلما قتل المختار كتب علي بن الحسين ع إلى عبد الملك بن مروان: أن المختار بعث إلى بمائة ألف، فكرهت أن أردّها، وكرهت أن آخذها، وهي عندي، فابعث من يقبضها، فكتب إليه عبد الملك: يا بن عم! خذها فقد طيبتها لك قال علي بن محمد عن يزيد بن عياض، قال: أصاب الزهري دما خطأ، فخرج وترك أهله، وضرب فسطاطا، وقال: لا يظلني سقف بيت فمر به علي بن الحسين ع، فقال: يا بن شهاب، قنوطك أشد من ذنبك، فاتق الله واستغفره، وابعث إلى أهله بالديه، وأرجع إلى أهلك، وكان الزهري يقول: علي بن الحسين ع أعظم الناس على منه.

وقال علي بن محمد، عن علي بن مجاهد عن هشام بن عروه، قال: كان علي بن الحسين ع يخرج على راحلته إلى مكة، ويرجع لا يقرعها. وقال ابن سعد: أخبرنا مالك بن اسماعيل، عن سهل بن شعيب التهمي - وكان نازلا فيهم يؤمهم عن أبيه، عن المنهال - يعني ابن عمرو-

قال: [دخلت على علي بن الحسين ع، فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ قال: ما كنت أرى أن شيخا من أهل مصر مثلك لا يدري كيف أصبحنا! فاما إذا لم تدر أو تعلم، فسأخبرك، أصبحنا في قومنا بمنزله بنى إسرائيل في آل فرعون، «إذ كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم»، وأصبح شيخنا وسيدنا يتقرب إلى عدونا بشتمة أو سبه على المنابر، وأصبحت قريش تعد أن لها الفضل على العرب، لأن محمدا منها لا تعد لها فضلا إلا به وأصبحت العرب مقره لهم بذلك، وأصبحت العرب تعد أن لها فضلا على العجم، لأن محمدا منها لا تعد لها فضلا إلا به، وأصبحت العجم مقره لهم بذلك، فائن كانت العرب صدقت أن لها فضلا على العجم، وصدقت قريش أن لها الفضل على العرب، لأن محمدا منها، أن لنا أهل البيت الفضل على قريش، لأن محمدا منا، فأصبحوا يأخذون بحقنا، ولا يعرفون لنا حقا، فهكذا أصبحنا، إذ لم تعلم كيف أصبحنا، قال: فظننت أنه أراد أن يسمع من في البيت].

وقال محمد بن عمر: حدثني ابن أبي سبرة، عن سالم مولى أبي جعفر، قال: كان هشام بن اسماعيل يؤذى علي بن الحسين وأهل بيته يخطب بذلك على المنبر، وينال من علي ع فلها ولي الوليد بن عبد الملك عزله، وأمر به أن يوقف للناس.

قال: وكان يقول لا والله ما كان أحد من الناس أهم إلى من علي بن الحسين كنت أقول: رجل صالح يسمع قوله، فوقف للناس قال: فجمع علي بن حسين ولده وحامته، ونهاهم عن التعرض له، قال: وغدا علي بن حسين ع مارا لحاجه، فعا عرض له، فناداه هشام بن اسماعيل: الله أعلم حيث يجعل رسالته وقال محمد بن عمر: حدثني عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة قال: مات علي بن الحسين ع بالمدينة، ودفن بالبقيع سنة أربع وتسعين، ويقال لهذه السنة سنة الفقهاء، لكثرة من مات منهم فيها.

قال: ابن سعد: أخبرنا عبد الرحمن بن يونس، عن سفيان عن جعفر بن محمد ع، قال: مات علي بن الحسين، وهو ابن ثمان وخمسين سنة. وهذا يدل على أن علي بن حسين كان مع أبيه، وهو ابن ثلاث أو أربع وعشرين سنة، وليس قول من قال: أنه كان صغيرا، ولم يكن أنبت بشيء، ولكنه

كان يومئذ مريضا فلم يقاتل وكيف يكون يومئذ لم ينبت، وقد ولد له أبو جعفر محمد بن علي ع: ولقي جابر بن عبد الله وروى عنه وإنما مات جابر سنة ثمان وسبعين.

وقال إسحاق بن أبي إسرائيل: حدثنا جرير عن شيبه ابن نعامة قال: كان علي ابن حسين ع يخل، فلها مات وجدوه، يقوت مائه أهل بيت بالمدينة في السر.

وممنهم - في قول عمرو بن علي - أبو عثمان النهدي واسمه عبد الرحمن بن مل بن عمرو ابن عدي بن وهب بن ربيعة بن سعد بن جذيمة ابن كعب بن رفاعه بن مالك بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم بن الحاف بن قضاة، حدثنا العباس بن محمد، قال: حدثنا الفضل بن دكين، قال: حدثنا أبو طالب عبد السلام بن شداد، قال: رايت أبا عثمان شريطا يجيء فيأخذ من صاحب الكفاة الكفاة.

قال ابن سعد: أخبرنا أبو غسان مالك بن اسماعيل النهدي، قال: كان أبو عثمان النهدي من ساكني الكوفة، وله بها دار في بني نهد، فلها قتل الحسين ع تحول فنزل البصرة، وقال: لا أسكن بلدا قتل فيه ابن ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وخالد بن معدان الكلاعي، قال ابن سعد: اجمعوا على أن خالد بن معدان توفي سنة ثلاث ومائه في خلافة يزيد بن عبد الملك.

وقال عبد القدوس بن الحجاج، عن صفوان بن عمرو، قال: سمعت خالد بن معدان يقول: أدركت سبعين من أصحاب رسول الله ص. حدثني الحارث عن الحجاج قال: حدثني أبو جعفر الحداني، عن محمد بن داود، قال: سمعت عيسى بن يونس، يقول: كان خالد بن معدان صاحب شرطه يزيد بن معاوية، وكان خالد غير متهم فيما روى، وحدث من خبر في الدين. وقيل: أنه مات وهو صائم، وكان من ساكني الشام وبها مات

ذكر من هلك منهم سنة خمس ومائه

ذكر من هلك منهم سنة خمس ومائه

فمنهم عكرمه مولى عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، يكنى أبا عبد الله، قال ابن سعد: أخبرنا عامر بن سعيد أبو جعفر قال: حدثنا

هشام بن يوسف قاضي اهل صنعاء، عن محمد ابن راشد، قال: مات ابن عباس، وعكرمه عبد، فاشتره خالد بن يزيد بن معاوية من علي بن عبد الله بن العباس باربعة آلاف دينار، فبلغ ذلك عكرمه، فأتى عليا فقال: بعني باربعة آلاف دينار؟ قال: نعم، قال: اما انه ما خير لك بعت علم ابيك باربعة آلاف دينار! فراح علي الى خالد، فاستقله فاقاله فاعتقه.

وكان عكرمه لا يدفعه احد يعلمه عن التقدم في العلم بالفقه والقرآن وتاويله وكثره الرواية للأثر.

حدثني الصرار بن اسماعيل، قال: أخبرنا اسماعيل، قال: حدثنا ابراهيم ابن سعد عن ابيه، قال: كان سعيد بن المسيب يقول: لبرد مولاه: يا برد، لا تكذب علي كما كذب عكرمه، علي ابن عباس، كل حديث حدثكموه برد عني مما تتكرون، وليس معه فيه غيره، فهو كذب.

حدثنا ابن حميد قال: حدثنا جرير، عن يزيد بن ابى زياد، قال: دخلت على علي بن عبد الله بن عباس، وعكرمه مقيد على باب الحش، قال: قلت له ما لهذا كذا قال: انه يكذب علي ابى.

وقال يحيى بن معين: حدثني من سمع حماد بن زيد، يقول: سمعت أيوب- وسئل عن عكرمه كيف هو- قال أيوب: لو لم يكن عندي ثقته لم اكتب عنه.

وقال آخرون ممن لا يرى الاحتجاج- بخبر عكرمه: لم ننكر من امر عكرمه، روايته ما روى من الاخبار، وانما أنكرنا من امره مذهبه، وقالوا: انه كان يرى رأى الصفرية من الخوارج، وذكر انه نحل ذلك الرأي الى ابن عباس، وكان ذلك كذبه علي ابن عباس وحدثت عن مصعب الزبيري قال: كان عكرمه يرى رأى الخوارج، فطلبه بعض ولاة المدينة، فغيب عند داود بن الحصين، ومات عنده.

وذكر عن يحيى بن معين انه قال: انما لم يذكر مالك بن انس عكرمه، لان عكرمه كان ينتحل رأى الصفرية.

وقد اختلفوا في وقت وفاه عكرمه، فقال بعضهم: توفي سنة خمس ومائة ذكر محمد بن عمران ابنه عكرمه حدثه ان عكرمه توفي سنة خمس ومائة وهو ابن ثمانين سنة.

قال ابن عمر: وحدثني خالد بن القاسم البياضي، قال: مات عكرمه وكثير عزه الشاعر في يوم واحد سنة خمس ومائة، فرأيتهما جميعا، صلى عليهما في موضع واحد بعد الظهر في موضع الجنائز، فقال الناس: مات اليوم افقه الناس واشعر الناس.

قال: وقال غير خالد بن القاسم: وعجب الناس لاجتماعهما في الموت، واختلاف رأيهما، عكرمه يظن به انه يرى رأى الخوارج، يكفر بالنظرة، وكثير شيعي يؤمن بالرجعة.

حدثني يحيى بن عثمان بن صالح السهمي، قال: حدثنا ابن بكير، قال:

حدثنا الدراوردي قال: توفي عكرمه وكثير عزه الشاعر بالمدينة في يوم واحد، فما حمل جنازتهما الا الزنج.

وقال ابو نعيم: الفضل بن دكين: مات عكرمه في سنة سبع ومائة.

وروى عن يحيى بن معين انه قال: مات عكرمه سنة خمس عشرة ومائة.

وكان عكرمه جوالا في البلاد قدم البصرة فسمع منه أهلها، والكوفة فحمل عنه كثير ممن بها واليمن، فكتب عنه بها كثير من أهلها، والمغرب فسمع منه جماعة من اهله والمشرق، فكتب عنه به.

حدثني يحيى بن عثمان بن صالح، قال: حدثنا نعيم بن حماد، قال:

حدثنا عبد المؤمن بن خالد الحنفي، قال: قدم علينا عكرمه خراسان، فقلت له:

ما اقدمك الى بلادنا؟ قال: قدمت آخذ من دنائير ولا تكم ودراهمهم.

واما ابو تميلة، فانه روى عن عبد العزيز بن ابى رواد، قال: قلت لعكرمه: تركت

الحرمين، وجئت الى خراسان، قال: اسعى على بناتي: غير ان وفاته كانت بمدينة رسول الله ص.

وذكر عن ابراهيم ابن خالد عن اميه بن شبل عن معمر، عن أيوب، قال:

قدم علينا عكرمه، واجتمع الناس عليه حتى اصعدوه فوق ظهر بيت.

وعامر بن شراحيل بن عبد الشعي قال ابن سعد: هو من حمير وعداده في همدان فقال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن مره الشعباني، قال: أخبرنا اشياخ من شعبان، منهم محمد بن ابى اميه، وكان عالما ان مطرا أصاب اليمن، فجفف السيل موضعا فأبدى عن أزج عليه

باب من حجارة، فكسر الغلق، فدخل فإذا بهو عظيم فيه سرير من ذهب، وإذا عليه رجل، قال: شبرناه فإذا طوله اثنا عشر شبرا، وإذا عليه جباب من وشى منسوجه بالذهب، وإلى جنبه محجن من ذهب، على راسه ياقوته حمراء، وإذا رجل أبيض الرأس واللحية، له صفران، وإلى جنبه لوح مكتوب فيه بالخيرية: باسمك اللهم رب حمير، أنا حسان بن عمرو والقييل إذ لا قيل إلا الله، عشت بامل، ومث باجل، أيام وخزهد، هلك فيه اثنا عشر ألف قيل، وكنت آخرهم قيلا، واتيت جبل ذي شعبين ليجيرني من الموت فاخفرتني، وإلى جنبه سيف مكتوب فيه بالخيرية، أنا قبار، بي يدرك الثار.

قال عبد الله بن محمد بن مره الشعباني: هو حسان بن عمرو بن قيس بن معاوية ابن جشم بن عبد شمس بن وائل بن غوث بن قن بن عرييب بن زهير بن أئمن بن حمير، وهو حسان ذو الشعبين، وهو جبل باليمن، نزل هو وولده، ودفن به، ونسب إليه هو وولده، فمن كان بالكوفة قيل لهم شعبيون، منهم عامر الشعبي، ومن كان بالشام قيل لهم شعبانيون، ومن كان باليمن قيل لهم: آل ذي شعبين، ومن كان منهم بمصر والمغرب قيل لهم: الاشعوب، وهم جميعا بنو حسان بن عمرو ذي شعبين فبنو على بن حسان ابن عمرو رهط عامر بن شراحيل بن عبد الشعبي، ودخلوا في احمور همدان باليمن فعادهم فيه، والاحمور خارف والصائديون وآل ذي بارق والسبيع وآل ذي جدان وآل ذي رضوان وآل ذي لعوه وآل ذي مران، واعراب همدان عذر ويام

ونهم وشاكر وارحب وفي همدان من حمير قبائل كثيرة منهم آل ذي حوال، وكان على مقدمه تبع منهم يعفر بن الصباح المتغلب على مخاليف صنعاء اليوم، وكان الشعبي يكنى أبا عمرو، وكان ضئيلا نحيفا، وكان فقيها عالما راويه الشعر والاخبار وایام الناس.

ومنه طاموس بن كيسان، وكان يكنى أبا عبد الرحمن وكان فقيها عالما عابدا ورعا فاضلا، حدثنا ابو كريب، قال: حدثنا يحيى، عن زهير، عن ليث عن طاموس، قال: أدركت سبعين شيخا من اصحاب رسول الله.

وقال يحيى بن معين: حدثنا المعتمر بن سليمان، قال: قال أي: وما على خالد الحذاء لو صنع كما صنع طاموس! قال: وما صنع طاموس؟ قال: كان يجلس فان أتاه انسان بثيء قبله والا سكت قال يحيى: وأنا اقول: كان طاموس على العصور، وكان خالد الحذاء على العصور. وذكر عن علي بن المديني انه قال: يحيى بن سعيد، قال سفيان بن سعيد:

كان طاموس يتشيع.

وقال ابن عمر عن سيف بن سليمان قال: مات طاموس بمكة قبل الترويه بيوم، وكان هشام بن عبد الملك وهو خليفه قد حج تلك السنة سنة ست ومائه، ففصل على طاموس، وكان له يوم مات بضع وسبعون سنة.

حدثني الحارث، قال: حدثنا سريج بن يونس، قال: حدثنا يحيى بن سليمان، قال: بلغني ان طاموسا قال لمجاهد: لو كان من قصر ك في طولى، ومن طولى في قصر ك جاء منا رجلان مستويان.

وذكر عن زيد بن حباب، انه قال: قال ابراهيم بن نافع: هلك طاموس في سنة ست ومائه.

وقال ابن عمر: كان طاموس مولى بحير بن ريسان الحميري، وكان ينزل الجند. ومنهم الحسن بن ابى الحسن، واسم ابى الحسن يسار، يقال: انه من سبي ميسان، وقع الى المدينة، فاشترته الربيع بنت النضر عمه انس بن مالك.

وقال علي بن محمد: ابو الحسن بن ابى الحسن البصرى من سبي ميسان، وكانت

أم الحسن خادمه لام سلمه زوج النبي ص.

وقال الأصمعي عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، وكان اعلم الناس بالحسن انه ولد وهو مملوك.

وذكر عن يحيى بن معين انه قال: اسم أم الحسن بن ابى الحسن خير.

وقال علي بن محمد عن سلمه بن عثمان عن بن عون قال: قال الحسن:

قتل عثمان وأنا ابن اربع عشرة سنة وكان الحسن عالما فقيها فاضلا قارئا لا يشك في صدقه، فيما روى ونقل غيره انه كان كثير المراسيل كثير الرواية عن قوم مجاهيل، وعن صحف قد وقعت اليه لقوم أخذها منهم وعنهم حدثني محمد بن هارون الحربى قال: حدثنا

نعيم، قال: حدثنا سفيان عن مساور الوراق، قال: قلت للحسن البصرى: عمن تحدث هذه الأحاديث؟

قال: عن كتاب عندنا سمعته من رجل.

وحدثنا عمرو بن علي، قال: حدثنا عفان، قال: حدثنا وهيب عن أيوب، قال: لم يسمع الحسن من ابى هريرة.

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو قَتِيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ:

قُلْتُ لِيُوْنُسَ: اَسْمَعْ الْحَسَنَ مِنْ ابْنِ هَرِيْرَةَ؟ قَالَ: لَا وَلَا حَرْفًا.

وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ: قَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ، فِي أَحَادِيثِ سَمَرَةَ الَّتِي يَرَوِيهَا الْحَسَنُ عَنْهَا مِنْ كِتَابٍ، وَقَدْ نَسَبَهُ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ بِقَوْلِ الْقَدْرِيَّةِ، وَانْكَرَ ذَلِكَ عَلَى مَنْ نَسَبَهُ إِلَيْهِ قَوْمٌ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَغِيرَةَ، قَالَ: أَعْلَمَهُمُ بِالذِّيَّاتِ وَالْقَضَاءِ وَأَيَّامِ النَّاسِ الشَّعْبِيُّ، وَأَعْلَمَهُمُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ، وَأَعْلَمَهُمُ بِالْمَنَاسِكِ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، وَأَعْلَمَهُمُ بِالتَّفْسِيرِ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ، وَأَعْلَمَهُمُ بِالتَّجَارَةِ وَالصَّرْفِ ابْنُ سِيرِينَ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ سَيِّدُهُمْ.

وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ: أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ: مَا كُنَّا نَأْخُذُ عِلْمَ الْحَسَنِ إِلَّا عِنْدَ الْغَضَبِ. حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ عَنْ خَلِيدٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ الْحَسَنَ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَتَكَلَّمَ فِيهَا فَقَالَ السَّائِلُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ إِنَّ الْعُلَمَاءَ يَخَالِفُونَكَ، قَالَ:

ثُكَلْتُكَ أَمَكُ! وَهَلْ رَأَيْتَ عَالِمًا؟ ذَهَبَ وَاللَّهِ الْعُلَمَاءُ فِي كُلِّ بَلَدٍ، فَكَانَ آخِرُهُمْ مَوْتًا بِالْمَدِينَةِ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَبِمَكَّةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو

عَمْرُو- قَالَ الطَّبْرِيُّ وَأَنَا أَشْكُ فِي كِتَابِي ابْنَ عَمْرِو- وَبِالْبَصْرَةِ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَبِالْكُوفَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى، وَبِالشَّامِ أَبُو إِمَامِهِ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الْحَجَّاجِ فَقَالَ: يَا حَسَنُ، مَا جَرَأَكَ عَلَيَّ! ثُمَّ قَعَدْتُ تَفْتِي فِي مَسْجِدِنَا؟ قُلْتُ: الْمِيثَاقَ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى بَنِي آدَمَ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِي أَبِي تَرَابٍ؟ يَعْنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ع؟ قُلْتُ: وَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ إِلَّا مَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ:

وَمَا قَالَ اللَّهُ؟ قُلْتُ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ، وَكَانَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ هَدَى اللَّهُ، فَغَضِبَ ثُمَّ أَكْبَرَ يَنْكُتُ الْأَرْضَ، وَخَرَجْتَ لَمْ يَعْرِضْ لِي أَحَدٌ، فَتَوَارَيْتُ حَتَّى مَاتَ، تَوَارَى تَسْعَ سِنِينَ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ الْحَبْرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ صَبِيحٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: لَيْسَ لِلْفَاسِقِ الْمَعْلَنُ بِالْفَسَقِ غِيْبُهُ، وَلَا لِأَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبَدْعِ غِيْبُهُ، وَلَا لِلْمُلُوكِ الْجَائِرِ غِيْبُهُ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ الْعَبْدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَيْنَةَ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مُوسَى، قَالَ: لَمَّا خَرَجَ الْحَسَنُ مِنْ عِنْدِ الْحَجَّاجِ قَالَ: خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ أَحْيُولَ قَصِيرٍ يَطْبُطِبُ، شَعِيرَاتُ لَهُ، أَخْرَجَ إِلَى بَنَانٍ لَهُ قَصِيرُهُ، قَلْبًا عَرَفْتُ فِيهَا الْإِعْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَمَّا وَاللَّهُ أَنَّهُمْ وَإِنْ رَكِبُوا الْبَرَادِينَ وَصَعِدُوا الْمَنَابِرَ، إِنْ ذَلَّ الْمَعَاصِي لَفِي أَعْنَاقِهِمْ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا أَنْ يَذَلَ مِنْ عَصَاهُ، مَا زَالَ اللَّهُ يَرِيهِمْ فِي أَنْفُسِهِمُ الْعَبْرَ، وَيَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِيهِمُ الْمُعْتَبِرَ، اللَّهُمَّ أُمَّتَهُ كَمَا أُمَاتَ سَلْتُكَ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ خَدَّاشٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمَارَةُ بْنُ زَادَانَ الصَّيْدَلَانِيُّ قَالَ: رَأَيْتُ عَلَى الْحَسَنِ بَرْدًا عَدْنِيًّا مُصَلَّبًا، وَقِيصًا شَطْوِيًّا وَنَعْلًا مِثْلَ حَذْوِ الْفَتَيَانِ

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلَمٍ، قَالَ:

إِنِّي الْحَسَنَ بِفَالْوُذَجِ، فَقَالَ لِابْنِهِ سَعِيدٍ: ادْنُ يَا بَنِي فَأَصِْبْ مِنْهُ، قَالَ: أَخَافُ مَغْبَتَهُ، فَقَالَ يَا بَنِي، لِأَبَابِ الْقَمْحِ بِلَعَابِ النَّحْلِ بِخَالِصِ السَّمَنِ مَا غَبَّ هَذَا بِسُوءِ قُطٍّ، أَوْ قَالَ، مَا غَبَّ هَذَا بِشَرِّ قُطٍّ.

وَقَالَ يُوْنُسُ: أَخْبَرَنَا مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ حَصْبِينَ بْنِ مُسْلِمٍ الْبَاهِلِيُّ قَالَ: بَعَثْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ: ابْعَثْ إِلَى بَكْتَبِ ابْنِكَ، فَبَعَثَ إِلَى أَنَّهُ لَمَّا ثَقُلَ قَالَ: اجْمَعْهَا لِي، فَجَمَعْتُهَا لَهُ، وَمَا نَدَرِي مَا يَصْنَعُ بِهَا، فَأَتَيْتُهَا بِهَا، فَقَالَ لِلْجَارِيَّةِ: اسْجِرِي التَّنُورَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحَرَقَتْ غَيْرَ صَحِيفَةٍ وَاحِدَةٍ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَى ثَمَّ لَقِيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَأَخْبَرَنِي بِمِثْلِ الَّذِي أَخْبَرَنِي الرَّسُولُ عَنْهُ.

وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ضَمْرَةُ بْنُ رَبِيعَةَ عَنْ ابْنِ شَوْذَبٍ قَالَ:

مَاتَ الْحَسَنُ سَنَةَ عَشْرٍ وَمِائَةٍ وَمَاتَ ابْنُ سِيرِينَ بَعْدَهُ بِمِائَةٍ لَيْلَةٍ.

حَدَّثَنِي أَبُو السَّائِبِ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، قَالَ: سَمِعْتُ شُعْبَةَ يَقُولُ:

هلك الحسن سنة عشر ومائه وكان بينه وبين ابن سيرين مائة يوم، والحسن قبل.
وقال ابن سعد: قال معاذ بن معاذ كان الحسن اكبر من محمد بن سيرين بعشر سنين.
وحدثني علي بن مسلم الطوسي قال: حدثنا سعيد بن عامر، قال: مات الحسن في سنة عشر ومائه وولد في احدى وعشرين، وصلى عليه رجل من اهل الشام، قال له النضر بن عمرو، وكان على الصلاة، وبلغ تسعا وثمانين.
حدثنا ابن وكيع، قال: سمعت ابي يقول: سمعت حماد بن زيد يقول:
قال أيوب: خاصمت الحسن في القدر حتى هددته بالسلطان.
حدثني ابو عثمان المقدي قال: حدثنا الفروي قال: سمعت مالكا وهو يقول:
ابن سيرين عندنا افضل من الحسن، فقلت له: يا أبا عبد الله، باي شيء؟ قال:
ان الحسن زيغ القدرية.
حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا الحكم بن بشير، قال: حدثنا زكرياء بن سلام، قال: جاء رجل الى الحسن فقال: انه طلق امراته ثلاثا، فقال: انك عصيت ربك، وبانت منك امرأتك، فقال الرجل: قضى الله ذلك علي، فقال

ذكر من هلك منهم في سنة احدى عشره ومائه

الحسن: وكان فصيحاً: ما قضى الله، اى ما امر الله عز وجل، وقرأ هذه الآية:
وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِلَٰهًا.
وحدثني اسماعيل بن مسعود المجدي قال: حدثنا المعتمر بن سليمان عن قرة بن خالد عن ابي رباح بن عبيده، قال: اخوف ما اخاف على الحسن قوله في القدر:
يفرق به بين الناس.
ومنهم محمد بن سيرين، ويكنى أبا بكر مولى انس بن مالك، وكان به صمم فيما ذكر.
قال ابن سعد: حدثنا خالد بن خدّاش قال: حدثنا حماد بن زيد، عن انس بن سيرين قال: ولد محمد بن سيرين لسنتين بقيتا من خلافة عثمان وولدت انا لسنة بقيت من خلافته.
قال: وقال بكار بن محمد: ولد لمحمد بن سيرين ثلاثون ولدا من امراه واحده لم يبق منهم غير عبد الله بن محمد.
ومنهم وهب بن منبه بن كامل بن سبيح، وهو رجل من أبناء فارس الذين كان كسرى وجههم الى اليمن لحرب من كان بها من الحبشة، فاجلوهم عنها، وغلبوا على اليمن ومخاليفها وكان وهب يكنى أبا عبد الله، وكان رجلا قد قرأ كتب الأنبياء وعلم اخبار الأولين، وكان من ساكني صنعاء هو واخوته.
قال محمد بن عمر وعبد المنعم بن ادريس: مات وهب بن منبه بصنعاء سنة عشر ومائه في أول خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان.
وقال بعضهم: كانت وفاته في سنة اربع عشره ومائه.
ذكر من هلك منهم في سنة احدى عشره ومائه.
منهم عطية بن سعد بن جنادة العوفي، من جديله قيس، ويكنى أبا الحسن، قال ابن سعد: أخبرنا سعيد بن محمد بن الحسن بن عطية قال: جاء سعد بن جنادة

ذكر من هلك منهم في سنة ثنتي عشره ومائه

الى علي بن ابي طالب ع وهو بالكوفة، فقال: يا امير المؤمنين، انه ولد لي غلام فسمه، فقال: هذا عطية الله، فسمى عطية وكانت أمه رومية، وخرج عطية مع ابن الاشعث.
هرب عطية الى فارس وكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفي: ان ادع عطية فان لعن علي بن ابي طالب ع والا فاضربه أربعمائة سوط، واحلق راسه ولحيته، فدعاه واقراه كتاب الحجاج، وابى عطية ان يفعل، فضربه أربعمائة سوط وحلق راسه ولحيته فلها ولي قتيبة

بن مسلم خراسان خرج اليه عطية، فلم يزل بخراسان حتى ولى عمر بن هبيرة العراق فكتب اليه عطية يسأله الاذن له في القدوم، فاذن له فقدم الكوفة فلم يزل بها الى ان توفي في سنة احدى عشره ومائه وكان كثير الحديث ثقة ان شاء الله ذكر من هلك منهم في سنة ثنتي عشره ومائه

منهم عبد الرحمن بن ابي سعيد الخدري، واسم ابي سعيد سعد بن مالك بن سنان، واختلف في كنيته، فقال محمد بن عمر: كنيته ابو محمد، وقال ابن عمر: توفي عبد الرحمن بن ابي سعيد بالمدينة سنة ثنتي عشره ومائه وهو ابن سبع وسبعين سنة. روى عن ابيه.

وابو جعفر محمد بن علي بن حسين بن علي بن ابي طالب ع وأمه أم عبد الله ابنه حسن بن علي بن ابي طالب ع. قال ابن عمر: حدثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز، عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف، قال: رايت أبا جعفر يتكئ على طيلسان مطوى في المسجد.

قال ابن عمر: ولم يزل ذلك من فعل الاشراف واهل المروءة عندنا الذين يلزمون المسجد، يتكئون على طياله مطوية سوى طيالستهم وأرديتهم التي عليهم أخبرنا عبد الرحمن بن يونس، عن سفيان بن عيينه، عن جعفر بن محمد، قال: سمعت محمد بن علي يذاكر فاطمه ابنه حسين شيئا من صدقه النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: هذه توفي لي ثمانيا وخمسين، ومات لها قال ابن عمر: فاما في روايتنا فانه مات سنة سبع عشره ومائه وهو ابن ثلاث وسبعين سنة.

وقال ابو نعيم فيما حدثني محمد بن اسماعيل عنه: مات محمد بن علي ابو جعفر سنة اربع عشره ومائه.

وقال علي بن محمد المدائني: توفي أبو جعفر محمد بن علي بن حسين ع سنة سبع عشره ومائه وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وقال يحيى بن معين: توفي أبو جعفر محمد بن علي بن حسين سنة ثمان عشره ومائه.

وحدثني محمد بن عبد الله الحضرمي قال: حدثنا سويد بن سعيد، قال:

حدثنا مفضل بن عبد الله، عن ابان بن تغلب [عن ابي جعفر، قال: جاءني جابر بن عبد الله وانا في الكآب، فقال لي اكشف لي عن بطنك، فكشفت له عن بطني، فقبله ثم قال: ان رسول الله ص أمرني ان اقرئك السلام]. ومنهم الحكم بن عتيبة، واختلف في كنيته، ف قيل: كنيته ابو محمد.

وقال ابن سعد أخبرنا الفضل بن دكين، قال: حدثنا ابو إسرائيل ان الحكم بن عتيبة كان يكنى أبا عبد الله.

واختلف في ولائه، فقال ابن سعد: كان مولى لكنده وقال علي بن محمد:

الحكم بن عتيبة كندی، قال: ويقال: اسدى مولى لهم، وكان الحكم بن عتيبة مقدما في العلم والفقہ كثير الحديث.

وقال عبد الرحمن بن صالح: حدثنا نوح بن دراج عن ابن ابي ليلى، قال:

كنت عند الحكم، فجاءه داود الأودي فقال: ان الناس يزعمون انك تنال من ابي بكر وعمر، فقال: ما افعل، ولكني ازعم ان عليا خير منهما.

وحدثني أبو السائب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت شعبه يقول:

هلك الحكم بن عتيبة سنة خمس عشره ومائه

وحدثني محمد بن اسماعيل، قال: قال ابو نعيم الفضل بن دكين: مات الحكم بن عتيبة في سنة خمس عشره ومائه.

وسعيد بن يسار ابو الحباب مولى الحسن بن علي ع من ساكني المدينة وبها كانت وفاته في سنة سبع عشره ومائه ومحمد بن كعب بن حيان بن سليم بن اسد القرظي من حلفاء الأوس ويكنى أبا حمزة واختلف في وقت وفاته فقال ابو نعيم الفضل بن دكين- فيما ذكر: حدثني به محمد بن اسماعيل عنه: مات سنة ثمان ومائه وكان عالما فاضلا غير مدفوع وكان كثير الرواية.

وقتادة بن دعامة السدوسي ويكنى أبا الخطاب، وكان اعمى حافظا فطنا وذكر عن ابن معين انه قال: مات قتادة سنة سبع عشره.

وعلى بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، وأمه زرعه بنت مشرح بن معديكرب بن وليعه بن شرحبيل بن معاوية بن حجر القرد بن الحارث الولادة بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن ثور، وهو كندی يكنى أبا محمد، ذكر انه ولد ليله قتل

امير المؤمنين علي بن ابي طالب ع في شهر رمضان سنة اربعين فسمى باسمه وكنى بكنيته أبا الحسن، فقال له عبد الملك بن مروان: لا والله ما احتمل لك الاسم والكنية جميعا، فغير أحدهما، فغير كنيته فصيرها أبا محمد وكان علي بن عبد الله هذا اصغر ولد ابيه سنا وكان اجمل قرشي - فيما قيل - واوسمه واكثره صلاه، وكان يدعى السجاد لعبادته.

واختلف في وقت وفاته، فقال محمد بن عمر: توفي علي بن عبد الله بن العباس سنة ثمان عشرة ومائه. ومنهم حماد بن ابي سليمان ويكنى أبا اسماعيل وهو مولى لإبراهيم بن ابي موسى الأشعري وكان ممن ارسل به معاويه الى ابي موسى الأشعري، وهو بدومه الجندل.

وكان حماد مقدما في الفقه
حدثني أبو السائب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت شعبه يقول: هلك حماد بن ابي سليمان سنة عشرين ومائه.

ومنهم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ع أمه أم ولد، وقد ذكرت مقتله في كتابنا المسمى المذيل. وقد حدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر قال: دخل زيد بن علي ع على هشام بن عبد الملك، فرفع دينا كثيرا وحوائج، فلم يقض له هشام حاجه، وتجهمه واسمعه كلاما شديدا قال عبد الله بن جعفر فأخبرني سالم مولى هشام وحاجبه، ان زيد بن علي خرج من عند هشام، وهو يأخذ شاربه بيده ويفتله، ويقول:

ما أحب الحياة احد قط الأذل قال: ثم مضى، وكان وجهه الى الكوفة، فخرج بها ويوسف بن عمر الثقفي عامل لهشام بن عبد الملك على العراق، فوجه الى زيد بن علي من يقاتله فاقتلوا وتفرق عن زيد من خرج معه، ثم قتل وصلب قال سالم: فاخبرت هشاما بعد ذلك بما كان قال زيد ع يوم خرج من عنده، فقال: ثكلتك أمك! الا كنت أخبرني بذلك قبل اليوم، وما كان يرضيه! انما كانت خمسمائة الف درهم، وكان ذلك اهون علينا مما صار اليه.

قال محمد بن عمر: فلما ظهر ولد العباس عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس الى هشام بن عبد الملك فامر به فاخرج من قبره، وصلبه وقال: هذا بما فعل يزيد بن علي ع، وقتل زيد ع يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة عشرين ومائه، ويقال: سنة ثنتين وعشرين ومائه، وكان له فيما قيل اثنتان واربعون سنة وكان مسكنه بالمدينة وقتل بالكوفة.

وسلمه بن كهيل الحضرمي، وكان من ساكني الكوفة، وبها مات في آخر يوم من سنة احدى وعشرين ومائه وقال بعضهم: بل توفي سنة ثنتين وعشرين ومائه حين قتل زيد بن علي ع

ومنهم محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهره بن كلاب بن مره، وأمّه عائشة ابنة عبد الله الاكبر بن شهاب، ويكنى محمد بن مسلم أبا بكر، وكان محمد بن مسلم الزهري مقدما في العلم بمغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبار قریش والانصار، راويه لاخبار رسول الله ص واصحابه.

ومحمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وأمّه العاليه ابنة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، فولد محمد بن علي عبد الله الاصغر، وهو ابو العباس القائم بالخلافة من ولد العباس وداود بن محمد وعبيد الله وريطة هلكت ولم تبرز، وأمهم ريطة ابنة عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان من بنى الحارث بن كعب، وعبد الله الاكبر وهو ابو جعفر المنصور، ولي الخلافة بعد أخيه ابي العباس وأمّه أم ولد.

وابراهيم بن محمد وهو الامام الذي كان اهل دعوه بنى العباس يصيرون اليه ويصدرون عن رايه، وأمّه أم ولد ويحيى بن محمد والعاليه بنت محمد وأمها أم الحكم بنت عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وموسى بن محمد وأمّه أم ولد، والعباس بن محمد وأمّه أم ولد، واسماعيل ويعقوب، وهو ابو الاسباط، ولبابه بنت محمد، تزوجها جعفر بن سليمان بن علي، هلكت عنده ولم تلد له، وهم لأمهات شتى.

وذكر عن العباس بن محمد ان محمد بن علي بن العباس توفي بالشرأة من ارض الشام في خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان سنة خمس وعشرين ومائه وهو يومئذ ابن ستين سنة، وكان ابو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية اوصى اليه ودفع اليه كتبه، فكان

محمد بن علي وصي ابي هاشم، وقال له ابو هاشم: ان هذا الأمر انما هو في ولدك، فكانت الشيعة الذين كانوا يأتون أبا هاشم ويختلفون اليه قد صاروا بعد ذلك الى محمد بن علي.

وثابت البناني بن اسلم، يكنى أبا محمد من ولد سعد بن لؤي بن غالب، وبنائه أهم كذلك قال هشام عن ابيه، وقال علي بن محمد: توفي ثابت البناني سنة سبع

وعشرين ومائه وكان ثابت من سكان البصرة، وبها توفي وكان ثقه كثير الحديث.

وعبد الله بن دينار مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب ويكنى أبا عبد الرحمن توفي سنة سبع وعشرين ومائه، وكان من سكان المدينة وبها

توفي وكان كثير الحديث ثقه ووهب بن كيسان ويكنى أبا نعيم مولى عبد الله بن الزبير بن العوام توفي سنة سبع وعشرين ومائه.

وبكير بن عبد الله بن الاشج مولى المسور بن مخرمه الزهري، ويكنى أبا عبد الله توفي بالمدينة سنة سبع وعشرين ومائه.

ومالك بن دينار يكنى أبا يحيى مولى لامرأة من بنى سامه بن لؤي ذكر عن ابن عائشة، قال: مالك بن دينار كان كابلما وكان عابدا

حافظا قارئا للقرآن وكان يكتب المصاحف وجابر بن يزيد الجعفي وكان متشيعا وكان من ساكني الكوفة، وبها كانت وفاته في سنة

ثمان وعشرين ومائه.

حدثني سعيد بن عثمان التنوخي قال: حدثنا إبراهيم بن مهدي المصيصي، قال: سمعت اسماعيل بن عليه قال: قال شعبه: اما جابر ومحمد

بن إسحاق فصدوقان.

حدثني عبد الرحمن بن بشر النيسابوري قال: سمعت سفيان بن عيينه يقول:

كان جابر الجعفي يؤمن بالرجعة وذكر عن يحيى بن معين انه قال مات جابر الجعفي سنة اثنتين وثلاثين ومائه.

حدثنا العباس الدوري، قال: حدثنا ابو يحيى الحماني عبد الحميد بن بشمير عن ابي حنيفة النعمان بن ثابت قال: ما رايت أحدا اكذب

من جابر الجعفي.

قال العباس: وحدثنا يحيى بن يعلى المحاربي عن زائده قال: كان جابر الجعفي كذابا يؤمن بالرجعة

وعاصم بن ابي النجود الأسدي وهو عاصم بن بهدله مولى لبني جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين بن اسد، وكان يكنى أبا بكر كذلك،

حدثنا عن ابي نعيم الفضل بن دكين، قال حدثنا ابو الأحوص - وكان مقرئ اهل الكوفة بعد يحيى بن وثاب، وكان ثقه، غير انه كان

كثير الخطأ، وكان من ساكني الكوفة وبها كانت وفاته في سنة ثمان وعشرين ومائه.

ابو إسحاق السبيعي، واسمه عمرو بن عبد الله بن احمد بن ذي يحميد بن السبيع بن سيع بن صعب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن

حاشد بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان، قال الأسود بن عامر: قال شريك: ولد ابو إسحاق السبيعي في سلطان عثمان - احسب

شريكا - قال: لثلاث سنين، بقين منه وكان كثير الحديث صدوقا قارئا للقرآن.

وقال ابو نعيم: بلغ ابو إسحاق ثمانيا - او تسعا - وتسعين سنة، ومات سنة ثمان وعشرين ومائه.

وابو إسحاق الشيباني واسمه سليمان بن ابي سليمان مولى لبني شيبان وكان من ساكني الكوفة، وبها توفي في قول محمد بن عمر في سنة

تسع وعشرين ومائه.

ومطر بن طهمان الوراق، وكان من اهل خراسان، وهو مولى علباء السلمي، وكان فيه ضعف في قول بعضهم، ويكنى مطر أبا رجاء،

وذكر عن جعفر بن سليمان انه قال: مات مطر بن طهمان الوراق سنة خمس وعشرين ومائه.

ويحيى بن ابي كثير الطائي، ويكنى أبا نصر، قال علي بن المديني: سمعت يحيى بن سعيد قال: قال شعبه: حديث يحيى بن ابي كثير

احسن من حديث الزهري وقال عبد الرزاق قال: معمر: اريد يحيى بن ابي كثير على البيعه لبعض بني اميه فأبى، حتى ضرب وفعل

به كما فعل بسعيد بن المسيب وكان يحيى بن ابي كثير كثير التدليس وقيل: مات يحيى بن ابي كثير سنة تسع وعشرين ومائه، كان من

ساكني اليمامة، وبها كانت وفاته.

ومحمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى بن عامر بن حارثة بن

سعد بن تيم بن مره، وأمه أم ولد، ويكنى أبا عبد الله ولد محمد بن المنكدر عمر وعبد الملك والمنكدر وعبد الله ويوسف وإبراهيم وداود

لام ولد، وحسبه بعضهم، فقال: محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن محرز بن عبد العزى وقيل مات محمد بن المنكدر بالمدينة وكان

من ساكنيها في سنة مائه وثلاثين او احدى وثلاثين ومائه.

وابو الحويرث، واسمه عبد الرحمن بن معاوية، روى عنه ابن عيينه قال يحيى: هو مدينى ثقته.

وقال محمد بن بكار: حدثنا ابو معشر عن ابى الحويرث عبد الرحمن بن معاوية قال: انما كلم الله سبحانه موسى ع بقدر ما يطيق من كلامه، ولو يكلمه بكلامه كله لم يطقه، ومكث موسى اربعين ليلة لا يراه احد الا مات من نور رب العالمين وكان ابو الحويرث من ساكنى المدينة وبها كانت وفاته في سنة ثلاثين ومائه ويزيد بن رومان مولى آل الزبير بن العوام، كان عالما بالمغازى مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من ساكنى المدينة، وبها كانت وفاته في سنة ثلاثين ومائه وشعيب بن الجباب من ساكنى البصرة، وبها كانت وفاته في سنة ثلاثين ومائه وكان يكنى أبا صالح وهو من موالى بنى رافد، بطن من المعاول، والمعاول من الأزد. ومنصور بن المعتمر السلى، ويكنى أبا عتاب وكان فاضلا ورعا دينيا ثقته أمينا. القراءة، وكان يريد ان يترسل فلا يستطيع قال محمد بن عمر: مات منصور بن زاذان سنة تسع وعشرين ومائه وقال يحيى بن معين مات سنة سبع وعشرين ومائه.

ومنصور بن المعتمر السلى، ويكنى أبا عتاب وكان فاضلا ورعا دينيا ثقته أمينا.

حدثنا ابن حميد قال: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا جرير، قال: صام منصور سنين وقاما حتى سقم.

وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، قال: كان منصور خلق الثياب، خلق الجلد، وكان في مرضه إذا شرب الماء يرى مجراه في صدره حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، قال: مات منصور، فرئى في النوم، فقيل له: يا أبا عتاب ما حالك؟ فقال: كدت ان القى الله عز وجل بعمل نبي.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير قال: اراد ابن هبيرة منصورا على القضاء فأبى، فحبسه شهرين، ثم خلى سبيله واجازه، فقبل منصور جائزته، وحج مع ابنه هو والقاسم.

وحدثني الحسين بن على الصدائى، قال: حدثنا خلف بن تميم قال: حدثنا زائده ان منصور بن المعتمر صام سنة فأقام ليلها وصام نهارها، وكان يبكى الليل، فتقول له أمه: يا بنى قتلت قتيلًا فيقول انا اعلم بما صنعت بنفسى، فإذا اصبح كحل عينيه، ودهن راسه وبرق شفثيه بالدهن، وخرج الى الناس.

قال: واراده يوسف بن عمر عامل الكوفة على القضاء فامتنع من ذلك منصور، فأرسل اليه فقيده، فقيل له: لو نثرت لحم هذا الشيخ ما جلس على عمل، قال: فاتى خصمان فجلسا، فتكلمتا فلم يجبهما، فأعفاه وخلي سبيله، وكان منصور من ساكنى الكوفة، وبها كانت وفاته في سنة ثنتين وثلاثين ومائه كان منصور من الشيعة.

ومحمد بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أمه فاطمة بنت عماره بن عمرو بن حزم ويكنى أبا عبد الملك، وكان قاضيا بالمدينة.

قال ابن سعد: أخبرنا معن بن عيسى، قال: حدثني سعيد بن مسلم، قال:

رايت محمد بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم يقضى في المسجد.

قال: وأخبرنا مطرف بن عبد الله اليسارى، عن مالك بن انس، قال: كان محمد بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم على القضاء بالمدينة، فكان إذا قضى بالقضاء مخالفا للحديث ورجع الى منزله قال له اخوه عبد الله بن أبى بكر- وكان رجلا صالحا: اى أخى قضيت اليوم في كذا وكذا بكذا وكذا فيقول له محمد: نعم اى أخى فيقول له عبد الله: فأين الحديث اى أخى، عز الحديث ان يقضى به، فيقول محمد ايهاه فأين العمل؟ يعنى ما اجمع عليه من العمل بالمدينة، والعمل المجتمع عندهم اقوى من الحديث

وقال محمد بن عمر: توفي محمد بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم سنة اثنين وثلاثين ومائه في أول دوله بنى العباس وهو ابن ثنتين وسبعين سنة.

وصفوان بن سليم مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، يكنى أبا عبد الله، وكان من العباد من ساكنى المدينة وبها كانت وفاته في سنة ثنتين وثلاثين ومائه وكان ان شاء الله ثقته.

وعبد الله بن أبى نجيح، ويكنى أبا يسار وهو مولى لثقيف، وكان من ساكنى مكة وبها كانت وفاته، واختلف في وقت وفاته، فقال محمد بن عمر: مات بمكة سنة ثنتين وثلاثين ومائه، وقال عبد الرحمن بن يونس: أخبرنا سفيان قال: مات ابن أبى نجيح قبل الطاعون،

وكان الطاعون سنه احدى وثلاثين ومائه. وذكر عن علي بن المديني انه سمع يحيى بن سعيد يقول: كان ابن ابي نجيح معتزليا. قال يحيى: قال أيوب: اى رجل أفسدوا! وكان بن ابي نجيح مفتى اهل مكة بعد عمرو بن دينار. وربيعه بن ابي عبد الرحمن الذى يقال له ربيعہ الرأي، واسم ابيه ابي عبد الرحمن فروخ، وكان ربيعہ يكنى أبا عثمان، وهو مولى لال الهدير من بنى تميم بن مره، وكان ربيعہ من ساكنى المدينة وبها كانت وفاته في سنه ست وثلاثين ومائه في آخر خلافة ابي العباس. وعبد الله بن حسن بن علي بن ابي طالب ع، وكنى أبا محمد، وكان من العباد، وكان ذا عارضه وهيبه ولسان وشرف، وكانت الخلفاء من بنى اميه تكرمه، وتعرف له شرفه ووفد على ابي العباس في دوله بنى العباس بالأنبار ذكر محمد بن عمران حفص بن عمر اخبره، قال: قدم عبد الله بن حسن على ابي العباس بالأنبار، فآكرمه وحباه وقربه وادناه وصنع به شيئا لم يصنعه بأحد، وكان سمر معه الليل، فسمر معه ليلة الى نصف الليل وحادثه، فدعا ابو العباس بسفط جوهر، ففتحه فقال: هذا والله يا أبا محمد ما وصل الى من الجوهر الذى كان في أيدي بنى اميه، ثم قاسمه اياه، فاعطاه نصفه وبعث ابو العباس بالنصف الآخر الى امراته أم سلمه، وقال: هذا عندك وديعة ثم تحدثا ساعه ونعس ابو العباس خفق برأسه، وأنشأ عبد الله بن حسن يتمثل بهذه الأبيات: الم تر حوشبا امسى يبنى ... قصورا نفعا لبنى نتيلة يؤمل ان يعمر عمر نوح ... وامر الله يطرق كل ليله قال: وانتبه ابو العباس، ففهم ما قال، فقال: يا أبا محمد، تتمثل بمثل هذا الشعر عندي، وقد رايت صنيعي بك وان لم اذخر شيئا! فقال: يا امير المؤمنين هفوة كانت، والله ما اردت بها سوءا، ولكنها ابيات حضرت، فتمثلت بها، فان رأى امير المؤمنين ان يحتمل ما كان منى، فليفعل قال: قد فعلت، ثم رجع الى المدينة، فلما ولى ابو جعفر، وكان ابو العباس قد ساله عن ابنه محمد وابراهيم، فقال: بالبادية حبب إليهما الخلوه، الح في طلبهما، فطلبا بالبادية، واغتم ابو جعفر بتغييها، فكتب الى رباح بن عثمان عامله على المدينة، أن يأخذ أباهما عبد الله بن حسن واخوته، فأخذوا فقدم بهم الى الهاشمية فحبسوا بها فمات عبد الله بن الحسن في الحبس، وهو- يوم مات- ابن اثنتين وسبعين سنه وكانت وفاته في سنه خمس واربعين ومائه. حدثني القاسم بن دينار القرشي، قال: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ عِيَّاشٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ قَرْمٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ: إِنِّي قَبَلْتُنا كُفْرًا؟ قال: نعم، الرافضة. ومحمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث بن عبد العزى ابن إمريء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب، ويكنى محمد بن السائب أبا النضر، وكان جده بشر بن عمرو، وبنيه السائب وعبيد وعبد الرحمن شهدوا الجمل وصفين مع امير المؤمنين على بن ابي طالب ع، وقتل السائب بن بشر مع مصعب بن الزبير، وله يقول ابن ورقاء النخعي: من مبلغ عني عبدا بأني ... علوت أخاه بالحسام المهند فإن كنت تبغي العلم عنه فإنه ... مقيم لدى الدينين غير موسد وعمدا علوت الرأس منه بصارم ... فاثكلته سفيان بعد محمد وسفيان ومحمد ابنا السائب، وشهد محمد بن السائب الجناح مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وكان محمد بن السائب عالما بالتفسير والأنساب والأحاديث العرب، وتوفى بالكوفة وبها كان يسكن في سنه ست واربعين ومائه في خلافة ابي جعفر، ذكر ذلك كله ابن سعد عن هشام بن محمد بن السائب أنه أخبره بذلك كله. وسليمان بن مهران الاعمش مولى بنى كاهل من الأسد، يكنى أبا محمد، كان ينزل في بنى عوف من بنى سعد، وكان يصلى في مسجد بنى حرام من بنى سعد، وكان مهران ابو الاعمش من طبرستان، وكان الاعمش من ساكنى الكوفة وبها كانت وفاته في سنه ثمان واربعين ومائه وهو ابن ثمان وثمانين سنه، وكان ولد يوم عاشوراء في المحرم سنه ستين يوم قتل الحسين بن علي ع. وجعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن ابي طالب ع وأمه أم فروه بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق فولد جعفر بن محمد

اسماعيل الاعرج وعبد الله وأم فروه أهم فاطمه ابنه الحسين الأثرم بن حسن بن علي بن أبي طالب وموسى ابن جعفر، حبسه هارون الرشيد في السجن ببغداد عند السندي، فمات في حبسه.

واسحاق ومحمدا وفاطمه، تزوجها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فهلكت عنده، وأهم أم ولد ويحيى بن جعفر والعباس وأسماء وفاطمه الصغرى وهم لأمهات شتى.

قال محمد بن عمر: سمعت جعفر بن محمد يقول لغلامه معتب: اذهب الى مالك ابن انس فسله عن كذا وكذا ثم ائتني فأخبرني قال محمد: وأخذ ابو جعفر المنصور معتبا هذا، فضربه الف سوط حتى مات، وكان جعفر بن محمد كثير الحديث ثقة، وكذلك كان يحيى بن معين يقول فيما ذكر عنه.

وذكر عن القطان انه سئل فقيل له: مجالد بن سعيد أحب إليك أم جعفر؟

ذكر من هلك منهم سنه خمسين ومائه

ابن محمد؟ فقال: مجالد أحب الى من جعفر وكان جعفر من ساكني المدينة وبها كانت وفاته في سنه ثمان واربعين ومائه في خلافة ابى جعفر في قول الواقدي والمداني.

وكان جعفر بن محمد يكنى أبا عبد الله، حدثنا العباس بن محمد قال: سمعت يحيى يقول: جعفر بن محمد ثقة . ذكر من هلك منهم سنه خمسين ومائه

منهم ابو حنيفه النعمان بن ثابت مولى تيم الله بن ثعلبة من بكر بن وائل قال ابو هشام الرفاعي: سمعت عمي كثير بن محمد يقول: سمعت رجلا من بني قفل من خيار بني تيم الله يقول لأبي حنيفه: ما أنت مولاي؟ فقال: انا والله لك اشرف منك لي.

وذكر الوليد بن شجاع ان علي بن الحسن بن شقيق حدثه، قال: كان عبد الله بن المبارك يقول: إذا اجتمع هذان على شيء، فذلك قولي- يعنى الثوري وأبا حنيفه قال سليمان بن ابى شيخ: وكان ابو سعيد الرانى يمارى اهل الكوفة ويفضل اهل المدينة، فهجاه رجل من اهل الكوفة، ولقبه شرشير، وقال: كليب في جهنم اسمه شرشير فقال:

هذى مسائل لا شرشير يحسنها ... ان سيل عنها ولا اصحاب شرشير
وليس يعرف هذا الدين نعله ... الا حنيفه كوفية الدور
لا تسالن مدينيا وتكفره ... الا عن اليم والمثناه والزير
وقال بعضهم: والمثنى او الزير.

قال سليمان: قال ابو سعيد: فكتبت الى المدينة: قد هجيت بكذا وكذا فأجيبوا، فأجابه رجل من اهل المدينة فقال:

لقد عجبت لغاؤ ساقه قدر ... وكل امر إذا ما حم مقدور

قال المدينة ارض لا يكون بها ... الا الغناء والا اليم والزير

لقد كذبت لعمر الله ان بها ... قبر الرسول وخير الناس مقبور

قال سليمان: وحدثني عمرو بن سليمان العطار، قال: كنت بالكوفة اجالس أبا حنيفه، فتزوج زفر، فحضره ابو حنيفه، فقال له: تكلم، فخطب فقال في خطبته:

هذا زفر بن الهذيل، وهو امام من ائمة المسلمين، وعلم من اعلامهم في حسبه وشرفه وعلمه فقال بعض قومه: ما يسرنا ان غير ابى حنيفه خطب حين ذكر خصاله ومدحه، وكره ذلك بعض قومه وقالوا له: حضر بنو عمك واشراف قومك وتسال أبا حنيفه يخطب؟ فقال لو حضر ابى قدمت أبا حنيفه عليه: وزفر بن الهذيل عنبري من بنى تميم.

وقال ابراهيم بن بشار الرمادي: قال ابن عيينه: ما رايت أحدا اجرا على الله من ابى حنيفه أتاها رجل من اهل خراسان بمائه الف مساله، فقال له: انى اريد ان اسالك عنها، فقال: هاتها قال سفيان: فهل رايتم اجرا على الله عز وجل من هذا! حدثني عبد الله بن أحمد بن شويه قال: حدثني ابى قال: حدثني علي بن الحسين بن واقد، عن عمه الحكم بن واقد، قال: رايت أبا حنيفه يفتى من أول النهار الى ان تعالى النهار، فلما خف عنه الناس دنوت منه، فقلت: يا أبا حنيفه، لو ان أبا بكر وعمر في مجلسنا هذا ثم ورد عليهما ما

ورد عليك من هذه المسائل المشككة لكفا عن بعض الجواب، ووقفنا عنده، فنظر الى وقال: المحموم أنت! حدثنا احمد بن خالد الخلال، قال: سمعت الشافعي يقول: سئل مالك يوما عن البقي، فقال: كان رجلا مقاربا، وسئل عن ابن شبرمة فقال: كان رجلا، مقاربا، قيل: وابو حنيفة؟ قال لو جاء الى اساطينكم هذه وقايسكم لجعلها من خشب.

ومحمد بن إسحاق بن يسار، مولى عبد الله بن قيس بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، ويكنى أبا عبد الله وقال محمد بن عمر: هو مولى قيس بن مخزومه، وكان جده يسار من سبي عين التمر، وهو أول سبي دخل المدينة من العراق. وقد روى عن ابيه إسحاق بن يسار وعن عميه موسى وعبد الرحمن ابني يسار. وكان من اهل العلم بالمغازي مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايام العرب واخبارهم وانسابهم، راويه لاشعارهم، كثير الحديث غزير العلم طلابه له، مقدما في العلم بكل ذلك ثقة

حدثني سعيد بن عثمان التنوخي قال: حدثنا إبراهيم بن مهدي المصيصي قال: سمعت اسماعيل بن عليه قال: قال شعبه: اما محمد بن إسحاق وجابر الجعفي فصدوقان. قال ابن سعد: أخبرني ابن محمد بن إسحاق، قال: مات ابي ببغداد سنة خمسين ومائه، ودفن في مقابر الخيزران. ومسعر بن كدام بن ظهير الهلالي، من انفسهم، ويكنى أبا سلمه.

حدثنا ابو السائب، قال: سمعت أبا نعيم يقول: سمعت مسعرا يقول: اخوالى أنت؟ قلت: انا رجل من بني هلال، قال: ما لي أم أحب الى من الام التي اخوالى؟ قلت: انا رجل من بني هلال، قال: ما لي أم أحب الى من الام التي منكم، قال: قلت يا امير المؤمنين تدرى ما قال الشاعر فينا وفيكم؟ قال لي: وما قال؟ قلت، قال:

وشاركنا قريشا في تقاها ... وفي أنسابها شرك العنان
بما ولدت نساء بني هلال ... وما ولدت نساء بني ابان
قال: قلت يا امير المؤمنين، ان اهلي بعثوني اشترى بالدرهم شيئا، فردوه علي، قال: بثسما صنع بك اهلك، خذ هذه العشرة آلاف فاقسمها.

واختلف في وقت وفاته فقال ابن سعد قال محمد بن عبد الله الأسدي: توفي مسعر بالكوفة سنة اثنتين وخمسين ومائه في خلافة ابي جعفر وقال ابو نعيم الفضل بن دكين فيما حدثني به محمد بن اسماعيل عنه: مات مسعر بن كدام سنة ست وخمسين ومائه. وحمزه بن حبيب الزيات، مولى بني تيم الله كان من القراء المتقدمين في حفظ القرآن وهو قليل الحديث، ثقة، وكان من ساكني الكوفة، وتوفي في سنة ست وخمسين ومائه.

وحدثني محمد بن منصور الطوسي، قال: حدثنا صالح بن حماد عن شيخ قد سماه عن حمزه الزيات، قال: رايت النبي ص في النوم، فعرضت عليه عشرين حديثا فعرف منها حديثين. عبد الرحمن بن عمرو ويكنى أبا عمرو، وقيل له: الأوزاعي، وهو سيباني بسكاه فيهم.

وأما هشام بن محمد الكلبي، فإنه ذكر عن ابيه انه قال: الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو، وهو من الأوزاع، وهم مالك ومرثد ابنا زيد بن شدد بن زرعه، وشدد زوج بلقيس صاحبه سليمان، وكان يسكن بيروت ساحل من سواحل الشام، وكان في زمانه احد مفتي تلك الناحية ومحدثهم وذوى الفضل منهم، وتوفي الأوزاعي ببيروت سنة سبع وخمسين ومائه في آخر خلافة ابي جعفر وهو ابن سبعين سنة في قول محمد ابن عمر.

وشعبه بن الحجاج بن ورد من الأزد مولى للاشاعر عتاقه، ويكنى أبا بسطام، وكان اكبر من الثوري بعشر سنين: حدثني احمد بن الوليد، قال: حدثنا الربيع بن يحيى، قال: سمعت سفیان الثوري يقول: ما بقي على ظهر الارض مثل شعبه وحماد بن سلمه.

قال الطبري قال لي محمد بن إسحاق الصاغانى: سمعت أبا قطن قال: قال لي شعبه: ما شيء اخوف على ان يدخلني النار من الحديث، وكان شعبه من ساكني البصرة، وبها كانت وفاته في أول سنة ستين ومائه، وهو ابن خمس وسبعين سنة.

وبحر بن كنيز السقاء الباهلي ويكنى أبا الفضل، وكان من ساكني البصرة، وبها كانت وفاته في سنة ستين ومائه في خلافة المهدي، وكان ممن لا يعتمد على روايته.

والأسود بن شيبان من ساكني البصرة، وكان رجلاً صالحاً ثقة وبالبصرة كانت وفاته في سنة ستين ومائه في قول علي بن محمد. وزائده بن قدامه الثقفي من أنفسهم، ويكنى أبا الصلت، وكان منحرفاً عن علي بن أبي طالب ع

ذكر من هلك منهم في سنة إحدى وستين ومائه

ذكر من هلك منهم في سنة إحدى وستين ومائه

منهم سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبه ابن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبه بن عامر بن ملكان بن ثور ابن عبد مناه بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ويكنى أبا عبد الله، ولد فيما ذكر محمد بن عمر سنة سبع وتسعين وكان فقيهاً عالماً عابداً ورعاً ناسكاً راوياً للحديث، كثير الحديث، ثقة أميناً على ما روى وحدث عن رسول الله ص وغيره ممن اثر في الدين.

حدثني محمد بن خلف، قال: حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي، قال:

حدثنا شعبه بن الحجاج، قال: حدثنا سفيان بن سعيد الثوري قال: حدثني علي بن الأقرع عن أبي جحيفة، قال: [قال رسول الله ص: اما انا فلا آكل متكاً].

حدثني محمد بن اسماعيل الضراري قال: سمعت أبا نعيم يقول: سمعت سفيان يقول: ما من عمل شيء اخوف منه، ولقد مرضت فما ذكرت غيره، ولوددت اني نجوت منه كفافاً- يعني الحديث، سمعت عبد الله بن أحمد بن شويه، قال: سمعت أبي يقول: حدثنا ابو عيسى الزاهد، قال: سمعت معدانا يقول: زاملت سفيان الثوري فلما خلفنا الكوفة بظهر، قال لي سفيان يا معدان ما تركت ورأي من أثق به، ولا اقدم امامي على من أثق به- يعني الثقة في الدين.

وذكر عن زيد بن حباب، قال: كان عمار بن رزيق الضبي وسليمان بن قرم الضبي وجعفر بن زياد الأحمر وسفيان الثوري، اربعة يطلبون الحديث، وكانوا يتشيعون نفرج سفيان الى البصرة فلقى ابن عون وأيوب، فترك التشيع قال وكانت وفاته بالبصرة سنة إحدى وستين ومائه في خلافة المهدي.

والحسن بن صالح وصالح هو حي ويكنى حسن أبا عبد الله، وكان رجلاً ناسكاً فاضلاً فقيهاً من رجل كان يميل الى محبة اهل بيت رسول الله ص، ويرى انكار المنكر بكل ما امكنه إنكاره، وكان كثير الحديث، ثقة، وكان فيما ذكر زوج ابنته عيسى بن زيد بن علي بن الحسين، فامر المهدي بطلب عيسى والحسن وجد في طلبهما.

قال ابن سعد سمعت الفضل بن ذكين يقول: رايت الحسن بن صالح في الجمعة قد شهدها مع الناس، ثم اختفى يوم الأحد الى ان مات، ولم يقدر المهدي عليه ولا على عيسى بن زيد، وكان اختفائه مع عيسى بن زيد في موضع واحد سبع سنين، ومات عيسى قبل الحسن بن صالح بستة اشهر، وكان حسن بن حي من ساكني الكوفة، وبها كانت وفاته سنة سبع وستين ومائه، وهو يومئذ ابن اثنتين- او ثلاث- وستين سنة.

وذكر عن يحيى بن معين انه قال: ولد الحسن بن صالح بن حي سنة مائه.

قال العباس: وسمعت يحيى يقول: الحسن بن صالح، هو حسن بن صالح ابن صالح بن مسلم بن حيان، والناس يقولون: ابن حي وانما هو ابن حيان وجعفر ابن زياد الأحمر، مولى مزاحم بن زفر من تيم الرباب من ساكني الكوفة وبها كانت وفاته في سنة سبع وستين ومائه، وكان كثير الحديث شيعياً وعبيد الله بن الحسين بن مالك بن مالك بن الخشخاش بن حباب بن الحارث بن خلف بن مجفر بن كعب ابن العنبر بن عمرو بن تميم، وكان من فقهاء اهل البصرة وذوى الأدب منهم والعقل، ولى قضاء البصرة بعد سوار بن عبد الله.

قال علي بن محمد: ولد عبيد الله بن الحسن سنة مائه، وقيل: سنة ست ومائه، وولى القضاء سنة سبع وخمسين ومائه ذكر ابن سعد ان احمد بن مخلد قال: سمع عبيد الله بن الحسن العنبري على منبر البصرة يقول:

ابن الملوك التي عن حفظها غفلت ... حتى سقاها بكاس الموت ساقيا
أموالنا لذوي الميراث نجعلها ... ودورنا لخراب الدهر نبنيها

وقال محمد بن عمر: مات عبيد الله بن الحسن العنبري في ذي القعدة سنة ثمان وستين ومائة.

وقال فضيل بن عبد الوهاب: حدثنا معاذ بن معاذ قال: دخلت على عبيد الله

ابن الحسن قاضي اهل البصرة اعوده، فقلت: أراك اليوم بمحمد الله صالحا، فقال:

لا يغرنك عشاء سالم ... سوف يأتي بالمنيات السحر

فلما كان السحر سمعت الواعية عليه وحسن بن زيد بن حسن بن علي ابن ابى طالب ع، وكان الحسن بن زيد يكنى أبا محمد، وولد الحسن ابن زيد محمدا والقاسم وأم كلثوم بنت حسن، تزوجها ابو العباس امير المؤمنين، فولدت له غلامين هلكا صغيرين، وعليها وزيدا وابراهيم وعيسى واسماعيل واسحاق الأعور وعبد الله وكان حسن بن زيد عابدا، فولاه ابو جعفر المدينة فوليا خمس سنين، ثم تعقبه فغضب عليه، وعزله، فاستصفى كل شيء له فباعه وحبسه، فكتب محمد المهدي وهو ولي عهد ابيه الى عبد الصمد بن علي سرا! إياك إياك ولم يزل محبوسا حتى مات ابو جعفر، فاخرجه المهدي واقدمه عليه ورد عليه كل شيء ذهب له، ولم يزل معه حتى خرج المهدي يريد الحج في سنة ثمان وستين ومائة، ومعه حسن بن زيد، وكان الماء في الطريق قليلا، نفثي المهدي على من معه العطش، فرجع من الطريق ولم يحج تلك السنة، ومضى الحسن بن زيد يريد مكة، فاشتكى أياما ثم مات بالحاجر فدفن هناك سنة ثمان وستين ومائة ومالك بن انس بن ابى عامر بن عمرو بن الحارث ابن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث، وهو ذو اصبح من حمير، وعداده في تيم بن مره من قريش الى عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي، وكان مالك يكنى أبا عبد الله، وكان مفتى اهل بلده في زمانه ومحدثهم.

حدثني العباس بن الوليد قال: حدثني ابراهيم بن حماد الزهري المدني، قال سمعت مالكا يقول: قال لي المهدي: يا أبا عبد الله ضع كتابا احمل الامه عليه، قال يا امير المؤمنين، اما هذا الصقع - واثار الى المغرب وقد كفيته - واما الشام ففيهم الذي قد علمته - يعني الأوزاعي - واما اهل العراق فهم اهل العراق.

واما محمد بن عمر فانه ذكر هذه القصة عن مالك بخلاف ما حدثني به العباس عن ابراهيم بن حماد، والذي ذكر محمد بن عمر من ذلك ما حدثني به الحارث، عن ابن سعد عنه، قال: سمعت مالك بن انس يقول: لما حج ابو جعفر المنصور

دعاني فدخلت عليه، فخاضته، وسألني فاجبته، فقال: اني قد عزم ان آمر بكتبك هذه التي قد وضعتها - يعني الموطأ - فتنسخ نسخا ثم ابعث الى كل مصر من امصار المسلمين منها نسخه، وأمرهم ان يعملوا بما فيها لا يتعدونه الى غيره، ويدعوا ما سوى ذلك من هذا العلم المحدث، فاني رايت اصل العلم رواه اهل المدينة وعلمهم قال:

فقلت يا امير المؤمنين لا تفعل هذا، فان الناس قد سبقت اليهم اقاويل، وسمعوا احاديث ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق اليهم، وعملوا به، ودانوا به من اختلاف الناس وغيرهم وان ردهم عما قد اعتقدوه شديد، فدع الناس وما هم عليه، وما اختار اهل كل بلد لأنفسهم، فقال: لعمرى لو طوعتني على ذلك لأمرت به.

وقال ابن سعد: أخبرنا ابن ابى اويس، قال: اشتكى مالك بن انس أياما يسيره، فسالت بعض أهلنا عما قال عند الموت، قالوا: تشهد ثم قال: لله الأمر من قبل ومن بعد، وتوفى صبيحة اربع عشرة من شهر ربيع الاول من سنة تسع وسبعين ومائة في خلافة هارون، فصلى عليه عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس، وهو ابن زينب ابنة سليمان بن علي، وكان يعرف بامه يقال له: عبد الله بن زينب، وكان يومئذ واليا على المدينة، فصلى على مالك في موضع الجنائز، ودفن بالبقيع، وكان يوم مات ابن خمس وثمانين سنة: قال ابن سعد فذكرت ذلك لمصعب بن عبد الله الزبيري فقال: انا احفظ الناس لموت مالك مات في صفر سنة تسع وسبعين ومائة وعبد الله بن المبارك ويكنى أبا عبد الرحمن، وكان من طلبه العلم ورواته، وكان من الفقه والأدب والعلم بايام الناس والشعر بمكان، وكان مع ذلك زاهدا سخيا، وولد ابن المبارك في سنة ثمان عشرون ومائة، وكان من سكان خراسان ومات بهيت منصرفا من غزو الروم سنة احدى وثمانين ومائة وله ثلاث وستون سنة سمعت عبد الله بن احمد ابن شبيب، قال: سمعت علي بن الحسن يقول: سمعت ابن المبارك يقول: انا لنحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع ان نحكي كلام الجهمية سمعت عبد الله بن احمد ابن شبيب

يقول: سمعت علي بن الحسن يقول: قلنا لعبد الله بن المبارك: كيف تعرف ربنا؟ قال: فوق سبع سموات على العرش بائنا من خلقه بحد، ولا نقول كما قالت الجهمية: انه هاهنا- وأشار بيده الى الارض ومحمد بن الحسن، ويكنى أبا عبد الله، وهو مولى لبني شيبان، كان اصله من الجزيرة، وكان أبوه في جند الشام، فقدم واسطا فولد محمد بها سنة ثنتين وثلاثين ومائه، ونشأ بالكوفة، وطلب الحديث، وسمع ثم جالس أبا حنيفة، وسمع منه فغلب عليه مذهبه، وعرف به، ثم قدم بغداد فنزلها، وسمع منه بها، ثم خرج الى الرقة وهارون الرشيد بها، فولاه قضاء الرقة، ثم عزله، فقدم بغداد، فلما خرج هارون الى الري الخرجه الاولى امره بفرج معه، فمات بالري في سنة تسع وثمانين ومائه وهو ابن ثمان وخمسين سنة ويوسف بن يعقوب بن ابراهيم القاضي، وكان قد سمع الحديث ونظر في الرأي، وولى قضاء بغداد الجانب الغربي منها في حياه ابيه، وصلى بالناس الجمعة في مدينه ابي جعفر بأمر هارون، فلم يزل قاضيا بها الى ان توفي في رجب سنة ثلاث وتسعين ومائه وسفيان بن عيينه بن ابي عمران، ويكنى أبا محمد مولى لبني عبد الله بن ربيعة، من بني هلال بن عامر بن صعصعة، وكان أبوه عيينه من عمال خالد بن عبد الله القسري، فلما عزل خالد عن العراق، وولى يوسف بن عمر الثقفي طلب عمال خالد فهربوا منه، فلحق عيينه بن ابي عمران بمكة فنزلها. وقال ابن سعد: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَفِيَانُ بْنُ عَيَيْنَةَ أَنَّهُ وَلَدَ سَنَةَ سَبْعٍ وَمِائَةٍ، وَطَلَبَ الْعِلْمَ قَدِيمًا، وَكَانَ حَافِظًا وَعَمْرًا حَتَّى مَاتَ ذَوَّوْ اسْنَانِهِ، وَبَقِيَ بَعْدَهُمْ.

قال سفيان: وذهبت الى اليمن سنة خمسين ومائه وسنه ثنتين وخمسين ومائه ومعمري، وذهب الثوري قبلي بعام. وقال ابن سعد: أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ عَيَيْنَةَ ابْنِ أَخِي سَفِيَانَ قَالَ: حَجَّجْتُ مَعَ عَمِّي سَفِيَانَ آخِرَ حَجِّهِ سَنَةَ سَبْعٍ وَتَسْعِينَ وَمِائَةٍ، فَلَمَّا كَانَ بِجَمْعٍ وَصَلَى اسْتَلْقَى عَلَى فَرَّاشِهِ، ثُمَّ قَالَ لِي: قَدْ وَافَيْتَ هَذَا الْمَوْضِعَ سَبْعِينَ عَامًا أَقُولُ فِي كُلِّ عَامٍ:

اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان، وانى قد استحييت من الله عز وجل من كثرة ما اساله ذلك، فرجع فتوفى في السنة الداخلة يوم السبت أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائه، ودفن بالحجون، وتوفى وهو ابن احدى وتسعين سنة واويس القرني، من مراد، وهو يحابر بن مالك من مذحج، وهو اويس بن عامر ابن جزء بن مالك بن عمرو بن سعد بن عصوان بن قرن بن ردمان بن ناجيه بن مراد، وهو يحابر بن مالك، وكان ورعا فاضلا، روى انه قتل يوم صفين. حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ عَنْ الْحَسَنِ، قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لِيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي مِثْلَ رَبِيعَةٍ وَمُضَرٍّ] قَالَ هِشَامُ: فَأَخْبَرَنِي حَوْشَبُ أَنَّهُ قَالَ: هُوَ أَوَيْسُ الْقُرْنِيُّ وَحُضَيْنُ بْنُ الْمُنْذِرِ الرَّقَاشِيُّ، وَكَانَ يَكْنَى أَبُو مُحَمَّدٍ، وَكَانَ يَكْنَى فِي الْحَرْبِ بِأَبِي سَاسَانَ، قَالَ الْحَارِثُ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مَالِكٍ الْجَشْمِيُّ قَالَ: ذَكَرُوا الْحُضَيْنُ بْنُ الْمُنْذِرِ عِنْدَ الْأَحْنَفِ، فَقَالُوا: سَادَ وَمَا اتَّصَلَتْ لِحِيَّتُهُ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ: السُّودُودُ مَعَ السُّودِ قَبْلَ أَنْ يَشَيْبَ الرَّجُلُ، وَكَانَ حُضَيْنُ بْنُ الْمُنْذِرِ يَوْمَ صَفِينٍ صَاحِبَ لَوَاءِ رَبِيعَةٍ، وَأَرَاهُ عَنِّي عَلِيًّا بِقَوْلِهِ:

لَمَنْ رَايَةً سُوْدَاءَ يَخْفَقُ ظِلُّهَا ... إِذَا قِيلَ قَدِمَا حُضَيْنٍ تَقْدَمَا
وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا رَوْحٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سُوَيْدٍ ابْنُ مَنَجُوفٍ، قَالَ: أَتَيْنَا حُضَيْنُ بْنُ الْمُنْذِرِ أَبَا سَاسَانَ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِزَائِرٍ لَا يَمْلُكَ وَسَعْدُ ابْنُ الْحَارِثِ بْنِ الصَّمَةِ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَتِيكَ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَبْذُولٍ، وَهُوَ عَامِرُ بْنُ مَالِكِ ابْنِ النِّجَارِ، وَقَتْلَ سَعْدُ بْنُ الْحَارِثِ بِصَفِينٍ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

والحارث الأعور بن عبد الله بن كعب بن اسد بن يخلد بن حوث، واسمه عبد الله بن سبع بن صعب بن معاويه بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم ابن خيوان بن نوف بن همدان، وحوث هو أخو السبيع رهط ابي إسحاق السبيعي.

وكان الحارث من مقدمي اصحاب امير المؤمنين علي ع وعبد الله في الفقه والعلم بالفرائض والحساب. وحدثني زكرياء بن يحيى، قال: حدثنا احمد بن يونس، عن زائده، عن الاعمش عن ابراهيم، قال: قال الحارث: تعلت القرآن في سنة والوحى في ثلاث سنين.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ مَخْلَدٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ كَتَبَ إِلَى الْحَارِثِ: إِنَّكَ

كنت تسمع من علي ع شيئاً لم اسمعه، فبعث إليه بوقر بعير.
حدثنا أبو السائب، قال: حدثنا ابن فضيل عن مجالد عن الشعبي، قال:

تعلمت من الحارث الأعور الفرائض والحساب، وكان احسب الناس وزعم يحيى بن معين ان الحارث توفي في سنة خمس وستين، ولا خلاف بين الجميع من اهل الاخبار ان وفاه الحارث كانت ايام ولاية عبد الله بن يزيد الأنصاري الكوفة من قبل عبد الله بن الزبير. وعبد الله بن يزيد الذي صلى على الحارث في ايامه تلك بالكوفة، وكان الحارث من ساكني الكوفة، وبها كانت وفاته، وكان من شيعة امير المؤمنين علي ابن ابي طالب وعمرو بن سلمه بن عبد الله بن سلمه بن عميرة بن مقاتل ابن الحارث بن كعب بن علوي بن عليان بن ارحب بن دعام من همدان، كان شريفاً، وهو الذي بعثه الحسن بن علي ع مع محمد بن الاشعث بن قيس في الصلح بينه وبين معاوية، فاعجب معاوية ما رأى من فصاحته وجسمه، فقال: امضى أنت؟ قال: لا، ثم قال:

انى لمن قوم بنى الله مجدهم ... على كل باد في الأنام وحاضر
ابوتنا آباء صدق نمي بهم ... الى المجد آباء كرام العناصر
وأماننا اكرم بهن عجائزا ... ورثن العلا عن كابر بعد كابر
جناهن كافور ومسك وعنبر ... وأنت ابن هند من جناه المغافر
انا امرؤ من همدان، ثم احد ارحب.

وابو عبد الرحمن السلمي، واسمه عبد الله بن حبيب، قال ابن سعد: قال حجاج بن محمد: قال شعبه: لم يسمع ابو عبد الرحمن من عثمان ولكن سمع من علي ع وكان ابو عبد الرحمن من اصحاب علي ع من ساكني الكوفة، وبها كانت وفاته في ولاية بشر بن مروان العراق. حدثنا ابن حميد قال: حدثنا جرير عن عطاء قال: قال رجل لأبي عبد الرحمن، أنشدك الله، متى ابغضت عليا ع اليس حين قسم قسما بالكوفة فلم يعطك ولا اهل بيتك؟ قال: اما إذ نشدني الله فنعم.

وكميل بن زياد بن نهيك بن هيثم بن سعد بن مالك بن الحارث بن صهبان بن

سعد بن مالك بن النخع من مذحج، شهد مع علي ع صفين، وكان شريفاً مطاعاً في قومه، فلما قدم الحجاج الكوفة دعا به فقتله.
حدثنا أبو كريب، قال حدثنا أبو بكر عن الاعمش، قال: قال الحجاج للعرين: يا عريان، ما فعل كميل؟ اليس قد خرج علينا في الجاهم؟ قال: فأجابه العريان، فذكر كلاماً، قال: فكث ثم جاء كميل يأخذ عطاءه، قال: فأخذه، فقال: أنت الذي فعلت بعثمان، وكله بشيء، قال كميل: لا تكثر على اللوم ولا تهل على الكتيب، وما ذاك! رجل لطمق فاصبرني ففوت عنه، فأينا كان المسيء؟ قال:

فامر به فضربت عنقه قال: وكان من اهل القادسية وعمر الاكبر بن علي ابن ابي طالب ع بن عبد المطلب بن هاشم وأمه الصهباء، وهي أم حبيب ابنه بجير بن العبد بن علقمة بن الحارث بن عتبة بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر ابن حبيب بن عمرو بن غنم بن عثمان بن تغلب بن وائل، وكانت سبيه أصابها خالد ابن الوليد حين اغار على بني تغلب بناحية عين التمر.

وعبيد الله بن علي بن ابي طالب ع أمه ليلي ابنة مسعود بن خالد بن مالك ابن ربيعي بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم، قتل بالمدار في الوقعة التي كانت بين اصحاب مصعب بن الزبير واصحاب المختار وهو في جيش مصعب وابو نضرة، واسمه المنذر بن مالك بن قطعه من العوكة، وهم بطن من عبد القيس وقال علي ابن محمد: خرج ابو نضرة مع ابن الاشعث، وكان ابو نضرة من شيعة علي ع. ونوف البكالي، وهو نوف بن فضالة ابن امراه كعب ونوفل ابن مساحق بن عبد الله ابن مخزومه بن عبد العزيز بن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي.

والاشتر، واسمه مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمه بن ربيعة بن الحارث ابن جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع من مذحج. حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، قال: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: قال علقمة: قلت للأشتر: قد كنت كارها لقتل عثمان، فما أخرجك بالبصرة؟

قال: إن هؤلاء بايعوه ثم نكثوه وكان ابن الزبير، وهو الذي هز عائشة على الخروج، وكنت ادعو الله عز وجل ان يلقيني، ولقيني كفه

لكفه، فما رضى لشدّة ساعدى.
ان قت في الركاب، فضرته ضربه فصرعته قال: قلت فهو القائل: اقتلوني
ومالكا قال: لا ما تركته، وفي نفسي منه شيء، ذاك عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد لقيني فاختلفنا ضربتين، فصرعني وصرعته، فجعل
يقول: اقتلوني ومالكا، ولا يعلمون من مالك، ولو يعلمون لقتلوني ثم قال أبو بكر بن عياش: هذا كأنك شاهده.
حدثني به المغيرة عن إبراهيم، عن علقمه قال: قلت للأشتر.

وشبث بن ربعي بن حزين بن عثيم بن ربيعة بن زيد بن رياح بن يربوع بن حنظله من بنى تميم وكان شبث يكنى أبا عبد القدوس،
قال ابن سعد: أخبرنا الفضل بن دكين، قال: حدثنا حفص ابن غياث، قال: سمعت الاعمش قال:
شهدت جنازة شبث، فأقاموا العبيد على حده والجواري على حده، والنجم على حده، والنوق على حده، وذكر الاصناف، ورايتهم
ينوحون عليه يلتدمون.

حدثني ابن عبد الأعلى قال: حدثنا المعتمر، عن ابيه، عن انس، قال: قال شبث: انا أول من حرر الحرورية فقال رجل: ما كان في
هذا ما يتدح به.

والمسيب بن نجبة بن ربيعة بن رياح بن عوف بن هلال بن شمع بن فزاره شهد القادسية، وشهد مع علي ع مشاهده، وقتل يوم عين
الورده مع التوابين الذين خرجوا وتابوا من خذلان الحسين عليه السلام، فبعث الحصين بن نمير يراس المسيب ابن نجبة مع ادهم بن
محرز الباهلي الى عبيد الله بن زياد، فبعث به عبيد الله بن زياد الى مروان بن الحكم، فنصبه بدمشق وحجر بن عدى بن جبلة بن عدى
بن ربيعة ابن معاوية الاكرمين بن الحارث بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع ابن كنده وهو حجر الخير، وأبوه عدى
الأدبر، طعن موليا فسمى الأدبر وكان حجر ابن عدى جاهليا اسلاميا وقد ذكر بعض رواه العلم انه وفد الى النبي ص مع أخيه هاني بن
عدى، وشهد القادسية، وهو الذي افتتح مرج عذراء، وكان في الفين وخمسمائة من العطاء، وكان من اصحاب علي ع، شهد معه الجمل
وصفين وصعصعة بن صوحان توفى بالكوفة في خلافة معاوية وعبد خير بن يزيد الخيواني من همدان، ويكنى أبا عماره، شهد مع علي
ع صفين، وكان له اثر فيها

والأصبغ بن نباته بن الحارث بن عمرو بن فاتك بن عامر بن مجاشع بن دارم، وكان صاحب شرط علي ع، وكان الأصبغ من شيعة
علي ع وحجار بن ابجر ابن جابر بن بجير بن عائذ بن شريط بن عمرو بن مالك بن ربيعة بن عجل، وكان شريفا ومسلم بن نذير السعدي
من سعد بن زيد مناه بن تميم، وكان أيضا من الشيعة وابو عبد الله الجدلي واسمه عبده بن عبد بن عبد الله بن ابي يعمر بن حبيب ابن
عائذ بن مالك بن وائله بن عمرو بن ناج بن يشكر بن عدوان، واسمه الحارث ابن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر- وسمى عدوان- لأنه
عدا على أخيه فهم ابن عمرو فقتله، وأم عدوان وفهم جديله بنت مر بن ادبن طابخة اخت تميم بن مر فنسبوا إليها، وكان ابو عبد الله
الجدلي عن شيعة علي ع وقائد الثمانمائة الذين وجههم المختار الى محمد بن الحنفية لمنعه من ابن الزبير حين اراد قتله وابو المتوكل الناجي
واسمه علي بن دواد وابو الصديق الناجي واسمه بكر بن عمرو ثقه وذرا بن عبد الله بن زراره بن معاوية بن عميرة بن منبه بن غالب بن
وقش بن قاسم بن مرهبة، من همدان، وكان ذر من المتقدمين في القصص، وكان من اهل الارجاء، وكان من القراء الذين خرجوا
مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجاج.

قال ابن سعد: أخبرنا الفضل بن دكين، قال: حدثنا ابو إسرائيل عن الحكم، قال: سمعت ذرا في الجماجم يقول: هل هي الا برد حديده
بيد كافر مفتون وطلحه ابن عبد الله بن خلف بن اسعد من بنى مليح بن عمرو بن ربيعة، من خزاعة، قتل أبوه عبد الله بن خلف يوم
الجمل مع عائشة وطلحه هذا هو الذي يقال له طلحه الطلحات وكان اجود العرب في زمانه وأمه صفية ابنة الحارث بن طلحة بن أبي
طلحه ابن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي، وأم ابيه حمينة ابنة ابى طلحه ابن عبد العزى، وسمى طلحه الطلحات بولادة
طلحه وابى طلحه اياه وسالم بن ابي حفصة وكان سالم يكنى أبا يونس وكان يتشيع تشيعا شديدا فلما كانت دوله بنى هاشم، حج داود
بن علي تلك السنة بالناس وهي سنه اثنين وثلاثين ومائة،، وحج سالم بن ابي حفصة تلك السنة، فدخل مكة وهو يلبي يقول: لبيك اللهم
لبيك! مهلك بنى اميه لبيك، وكان رجلا مجهرا، فسمعه داود بن علي فقال: من هذا؟

قالوا: سالم بن ابي حفصة، واخبره بامرہ ورايه، قال ابن سعد: أخبرنا علي

ذكر من روى عنها العلم منهم ممن ادرك اصحاب رسول الله ص ثم من قريش

ابن عبد الله قال: حدثنا سفيان عن سالم بن ابي حفصة قال: كان الشعبي إذا رآني قال:

يا شرطه الله قعي وطيرى ... كما تطير حبه الشعير

والخليل بن احمد صاحب العروض الفراهيدي، من العتيك، عن هشام بن محمد حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ، قال: حدثني قريش بن انس قال: سمعت الخليل بن احمد صاحب النحو قال: إذا نسخ الكتاب ثلاث مرار تحول بالفارسيه قال ابو يعقوب: يعني يكثر سقطه

. ذكر من روى عنها العلم منهم ممن ادرك اصحاب رسول الله ص ثم من قريش

منهن فاطمه بنت علي بن ابي طالب ع روت عن أبيها احاديث منها ما حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دَكِينٍ، قال: حدثنا ابن ابي نعم- يعني الحكم بن عبد الرحمن بن ابي نعم- قال: حدثني فاطمه بنت علي، [قالت: قال ابي عن رسول الله ص: من اعتق نسمة مسلمة او مؤمنة وقى الله عز وجل بكل عضو منها عضوا منه من النار] .

ومنهن أم كلثوم ابنة علي بن ابي طالب ع.

ومنهن فاطمة بنت الحسين بن علي بن ابي طالب روت عن أبيها وعن غيره احاديث.

منها ما حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْمُحَارِبِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ مُوسَى الطَّلَحِيُّ، عن عبد الله بن الحسن، عن أمه فاطمه بنت الحسين، عن أبيها عن علي ع، [ان رسول الله ص كان إذا دخل المسجد قال: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج منه قال: اللهم افتح لي أبواب رزقك] .

ومنهن أم كلثوم ابنة الزبير بن العوام.

روى عنها ما حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، قال: حدثنا الأوزاعي عن أم كلثوم بنت أسماء بنت ابي بكر الصديق، عن عائشة زوج النبي ص

قالت: كان رسول الله ص في البيت، فجاء علي بن ابي طالب ع، فدخل فلما رأى رسول الله ص يصلي قام الى جانبه يصلي، قال: فجاءت عقرب حتى انتهت الى رسول الله ص ثم تركته واقبلت الى علي فلما رأى ذلك على ضربها بنعله فلم ير رسول الله ص بقتله إياها بأسا.

ومنهن أم حميد بنت عبد الرحمن.

روى عنها ما حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأُمَوِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي قال: حدثنا ابن جريج، قال: حدثنا عبد الملك بن عبد الرحمن، عن أمه أم حميد بنت عبد الرحمن، سألت عائشة عن الصلاة الوسطى، قالت: كما نقرأ في الحرف الاول على عهد رسول الله ص: حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وصلاته العصر وقوموا لله قانتين.

حدثني عباس بن محمد، قال: حدثنا حجاج، قال: أخبرني ابن جريج، قال: أخبرني عبد الملك بن عبد الرحمن عن أمه أم حميد بنت عبد الرحمن، انها سألت عائشة عن قوله تعالى: الصَّلَاةِ الْوُسْطَى فقالت: كما نقرأها على الحرف الاول على عهد رسول الله ص: حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وصلاته العصر وقوموا لله قانتين.

ومنهن آمنه روى عنها من ذلك.

ما حدثنا الربيع قال حدثنا اسد، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عن آمنه انها سألت عائشة عن هذه الآية: إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ فَقَالَتْ: ما سألتني عنها احد منذ

[سالت رسول الله ص، قال: يا عائشة هذه متابعه الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبه والشوكه حتى البضاعة يضعها في كفه يفقدها فيروج لها فيجدها في ضبته، حتى ان المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر من الكير]

. يتلوه الأسماء والكنى من التاريخ

فمنهم ابو بكر، اختلف في اسمه، فالذي عليه معظم اهل العلم ان اسمه عبد الله بن ابي خفافة وقال بعضهم بل اسمه عتيق وابو خفافة، فلا اختلاف في اسمه انه عثمان ابن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مره.

وابو عبيده واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح.

وابو الارقم واسمه عبد مناف بن اسد بن عبد الله المخزومي.

وابو مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب، اسمه كاز بن الحصين، وقيل كاز بن الحصين.

وابو موسى الأشعري: اسمه عبد الله بن قيس حليف ابي أحيحة سعيد بن العاص.

وابو محذوره المؤذن، اسمه أوس بن معير، وقيل: سمره بن عمير وقال ابن معين: هو سمره بن معين.

وابو العاص بن الربيع ختن رسول الله ص على ابنته زينب اسمه مقسم.

وابو ذر، ويختلف في اسمه فعامة اهل الأنساب يقولون: هو جندب بن جنادة وقال ابو معشر: نجيح هو برير بن جندب.

وابو امامه صدى بن عجلان الباهلي.

وابو بكره نقيع بن مسروح، وقيل: اسمه مسروح.

وابو ليلي بلال بن بليل بن أحيحة بن الجلاح

وابو برده بن نيار، اصله من قضاعة، وهو حليف لبني حارثة من الأوس.

وابو الدرداء عويمر بن زيد، من بني الحارث بن الخزرج.

وابو عمره بشير بن عمرو بن محصن ابو عبد الرحمن بن ابي عمره.

وابو أيوب الأنصاري خالد بن زيد بن كليب.

وابو قتادة، اختلف في اسمه، فقال ابن إسحاق: هو الحارث بن ربيعي، وقال بعضهم: هو عمرو بن ربيعي، وقال الواقدي: هو النعمان بن ربيعي.

وابو اليسر كعب بن عمرو.

وابو هريرة قال هشام اسمه عمير بن عامر بن عبد ذي الشرى وقال الواقدي:

هو عبد شمس، فسمى في الاسلام عبد الله: وقال آخرون: اسمه عبدنهم وقيل:

سكين، وقيل عبد غنم.

وابو اسيد الساعدي، مالك بن ربيعة.

وابو حدرد الأسلمي سلامه بن عمير بن ابي سلامه وقال بعضهم عبد بن عمير.

وابو سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان.

وابو برزه الأسلمي، قال هشام: هو نضله بن عبد الله، وقال بعضهم: هو نضله بن عبيد بن الحارث وقال الواقدي: هو عبد الله بن نضله.

وابو زيد الأنصاري ثابت بن زيد بن قيس من بني الحارث بن الخزرج، وهو احد الستة الذين جمعوا القرآن.

وابو وداعة الحارث بن ضبيره بن سعيد ابو المطلب بن ابي وداعة السهمي.

وابو لينه عبد الله بن ابي كرب من بني معاوية الاكرمين.

وابو سبره يزيد بن مالك بن عبد الله بن جعفي، وهو جد خيثمة بن عبد الرحمن صاحب الاعمش.

وابو الحمراء هلال بن الحارث.

وابو جحيفه وهب السوائي.

وابو جمعه حبيب بن سباع.

وابو الأعور السلمي عمرو بن سفيان.
وابو عياش الزرقى زيد بن الصامت

ذكر أسماء من شهر بالكنية من النساء اللاتي بايعن رسول الله ص وأدركنه

وابو مسعود الأنصاري عقبه بن عمرو.
وابو لبابه رفاعه بن عبد المنذر.
وابو حميد الساعدي عبد الرحمن بن سعد.
وابو امامه الأنصاري اسعد بن زرار.
وابو دجاجة سمالك بن خرشه.
وابو الهيثم بن التيهان مالك بن التيهان.

ذكر أسماء من شهر بالكنية من النساء اللاتي بايعن رسول الله ص وأدركنه

منهن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة، اسمها هند بنت سهيل بن المغيرة زوجة رسول الله ص.
وأم هانئ بنت ابى طالب بن عبد المطلب، اسمها فاخنة في قول الرواه والمحدثين، واما هشام بن محمد الكلبي فانه كان يقول- فيما ذكر:
اسمها هند.

وأم حبيبه بنت ابى سفيان، اسمها رمله.
وأم شريك واسمها غزيرة بنت جابر بن حكيم.
وأم ايمن، واسمها بركة مولاه رسول الله ص.
وأم الفضل، وهي لبابه الكبرى بنت الحارث بن حزن، وهي زوجة العباس بن عبد المطلب.
وأم معبد، واسمها عاتكة بنت خالد بن خليف من خزاعة، وهي التي روى عنها ان النبي ص مر بها فضافته ونعته لزوجها.
وأم الدرداء الكبرى خيره بنت ابى حدرد الأسلمي.
وأم بشر بن البراء بن معرور خليفه بنت قيس بن ثابت.
أم الحكم بنت الزبير بن عبد المطلب بن هاشم.
أُمُ كُثُومٍ بِنْتُ عُقَبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ

ذكر كنى ممن شهر باسمه دون كنيته، ممن عاش بعد رسول الله ص

ذكر كنى ممن شهر باسمه دون كنيته، ممن عاش بعد رسول الله ص
امير المؤمنين على بن ابى طالب ع كان يكنى أبا الحسن بابنه الحسن ع.
وطلحه بن عبيد الله يكنى أبا محمد بابنه محمد.
والزبير بن العوام يكنى أبا عبد الله بابنه عبد الله.
وسعد بن ابى وقاص يكنى أبا إسحاق بابنه إسحاق.
وسعد بن زيد يكنى أبا الأعور.
وعبد الله بن العباس يكنى أبا العباس بابنه العباس.
وعبيد الله بن العباس اخوه وكان يكنى أبا محمد بابنه محمد.
والفضل بن العباس يكنى أبا محمد بابنه محمد.
والحسين بن على ع يكنى أبا عبد الله بابنه عبد الله وقتل عبد الله بن الحسين مع ابيه الحسين ع.

وعبد الله بن جعفر بن ابي طالب يكنى بانه جعفر الاكبر.
 ورعيه بن الحارث بن عبد المطلب، يكنى أبا اروي بانبته اروي.
 وعقيل بن ابي طالب يكنى أبا يزيد بانه يزيد.
 وزيد الحب بن حارثة يكنى أبا اسامه بانه اسامه.
 واسامه الحب بن زيد بن حارثة يكنى أبا محمد بانه محمد.
 وعمار بن ياسر ابو اليقظان.
 وعبد الله بن مسعود يكنى أبا عبد الرحمن بانه عبد الرحمن.
 والمقداد بن الأسود من بهراء، ويكنى أبا معبد.
 وخباب بن الأرت بن جندله من سعد بن زيد مناه بن تميم، يكنى أبا عبد الله بانه عبد الله.
 وحاطب بن ابي بلتع، من لحم وهو من حلفاء الزبير بن العوام، يكنى أبا محمد
 في قول الواقدي وفي قول يحيى أبا يحيى.
 والارقم بن ابي الارقم من بنى مخزوم، يكنى أبا عبد الله واما ابو الارقم فان اسمه عبد مناف.
 وابى بن كعب، يكنى أبا المنذر.
 وعبد الله بن زيد بن عبد ربه، وهو الذي ارى الاذان، يكنى أبا محمد بانه محمد.
 ورفاعة بن رافع بن مالك يكنى أبا معاذ بانه معاذ.
 وسعد بن عباد بن دليم، يكنى أبا ثابت.
 ويريده بن الحبيب بن عبد الله، يكنى أبا عبد الله بانه عبد الله، حدثنا العباس قال: سمعت يحيى يقول: بريده الأسلي ابو سهل بلال
 بن رباح المؤذن، يكنى أبا عبد الله.
 ثابت بن الضحاك ابو زيد.
 عثمان بن حنيف، يكنى أبا عبد الله.
 حسان بن ثابت يكنى أبا الوليد.
 جابر بن عبد الله بن حرام، يكنى أبا عبد الله.
 كعب بن مالك الشاعر يكنى أبا عبد الله.
 جبير بن مطعم، يكنى أبا محمد بانه محمد.
 عبد الرحمن بن ابي بكر، يكنى أبا عبد الله بانه عبد الله.
 خالد بن الوليد بن المغيرة، يكنى أبا سليمان بانه سليمان.
 عمرو بن العاص يكنى أبا عبد الله بانه عبد الله.
 وائل بن الاسقع، يكنى أبا قرصافه، وقيل: ان كنيته ابو الاسقع وان أبا قرصافه جندره بن خيشنه.
 معقل بن يسار، يكنى أبا عبد الله، وهو صاحب نهر معقل بالبصرة.
 قره بن اياس ابو معاويه.
 صفوان بن المعطل يكنى أبا عمرو.
 العرباض بن ساريه ابو نجيح.
 المغيرة بن شعبه يكنى أبا عبد الله.
 عمران بن حصين يكنى أبا نجيد.
 سليمان بن صرد يكنى أبا مطرف، وكان اسمه يسار فلما اسلم سماه رسول الله ص سليمان.
 سلمه بن الاكوع يكنى أبا اياس بانه اياس وقال يحيى، يكنى أبا مسلم.

وعبد الله بن أبي أوفى، يكنى أبا معاوية.
 وعبد الله بن أبي حدرد يكنى أبا محمد.
 وعقبه بن عامر الجهني يكنى أبا عمرو في قول الواقدي، حدثنا العباس عن يحيى قال: يكنى أبا حماد، وفي موضع آخر أنه كان يكنى أبا اسد.
 زيد بن خالد الجهني يكنى أبا طلحه.
 معبد بن خالد أبو روعة الجهني.
 البراء بن عازب، يكنى أبا عماره.
 اسيد بن ظهير، يكنى أبا ثابت.
 ثابت بن وديعة، يكنى أبا سعد.
 ونزيمة بن ثابت يكنى أبا عماره.
 زيد بن ثابت يكنى أبا سعيد بابه سعيد.
 وعمرو بن حزم يكنى أبا الضحاك.
 شداد بن أوس بن ثابت، يكنى أبا يعلى بابه يعلى.
 معاذ بن الحارث من بني النجار من الانصار، وهو الذي يقال له: القارئ.
 يكنى أبا الحارث.
 انس بن مالك، يكنى أبا حمزه.
 زيد بن ارقم يكنى أبا سعد في قول الواقدي وفي قول غيره: أبا انيسه.
 والنعمان بن بشير، يكنى أبا عبد الله بابه عبد الله.
 وسعد بن عباد أبو ثابت في قول يحيى.
 وقيس بن سعد بن عباد، يكنى أبا عبد الملك.
 سهل بن سعد الساعدي يكنى أبا العباس بابه العباس.
 عبد الله بن سلام يكنى أبا يوسف، وكان اسمه الحصين فلما أسلم سماه رسول الله ص عبد الله.
 وعبد الله بن الزبير بن العوام يكنى أبا بكر بابه بكر، وقيل: يكنى أبا خبيب.
 المسور بن مخرمه، يكنى أبا عبد الرحمن بابه عبد الرحمن.
 عمر بن أبي سلمه بن عبد الأسد يكنى أبا حفص.
 عمرو بن حريث يكنى أبا سعيد.
 حاطب بن أبي بلتعنه يكنى أبا عبد الرحمن.
 محمد بن حاطب يكنى أبا ابراهيم.
 معاوية بن أبي سفيان يكنى أبا عبد الرحمن.
 الوليد بن عقبه بن أبي معيط يكنى أبا وهب.
 مخرمه بن نوفل أبو صفوان بابه صفوان.
 قبيصة بن المخارق، يكنى أبا بشر.
 جابر بن سمره بن جنادة يكنى أبا عبد الله.
 عدى بن حاتم الجواد الطائي يكنى أبا طريف.
 الاشعث بن قيس، يكنى أبا محمد بابه محمد.
 تميم الداري وهو تميم بن أوس بن خارجة، يكنى أبا رقيه.
 وعمرو بن معد يكرب يكنى أبا ثور.

وهانئ بن يزيد ابو شريح بن هانئ، يكنى أبا شريح، وكانت كنيته فيما ذكر في الجاهلية أبا الحكم، لأنه كان حكا بين قومه، فلما اسلم كناه النبي ص أبا شريح.

جرير بن عبد الله البجلي، قال الواقدي: كنيته ابو عبد الله والذي عندنا ان كنيته ابو عمرو، وينشد من قبله.
انا جرير كنيته ابو عمرو ... اضرب بالسيف وسعد في القصر

وفيروز الديلمي، يكنى أبا عبد الله بابنه عبد الله، وبعض الرواه يقول فيه:

حدثني الديلمي الحميري، وانما قيل ذلك لنزوله في حمير، وهو من أبناء الفرس الذي وجههم كسرى الى اليمن لحرب الحبشه بها

ذكر أسماء من عرف من اصحاب رسول الله ص بمولاه او بأخيه او بلقبه او بجده دون ابيه الأدنى

وسفينه مولى أم سلمه، يكنى فيما حدثنا العباس عن يحيى أبا عبد الرحمن.

وأهبان بن صيفي، كنيته في قوله ابو مسلم.

والمقدام بن معد يكرب يكنى أبا كريمه.

ويعل بن مره، قال يحيى: يكنى أبا المرازم، فقال الواقدي: ابو المرازم كنيته يعلى بن اميه.

ولبيد بن ربيعة الشاعر، يكنى أبا عقيل.

وقرظ بن كعب، يكنى أبا عمرو.

وحويطب بن عبد العزى بن ابي قيس، يكنى أبا محمد.

ومالك بن الحويرث الليثي، يكنى أبا سليمان.

وحذيفة بن اليمان، يكنى أبا عبد الله

. ذكر أسماء من عرف من اصحاب رسول الله ص بمولاه او بأخيه او بلقبه او بجده دون ابيه الأدنى

منهم سالم بن معقل الذي يقال له سالم مولى ابي حذيفة، فانه يعرف بمولى ابي حذيفة، وهو مولى لامرأة من الأوس، يقال لها: ثبيته

بنت يعار كانت تحت ابي حذيفة بن عتبة، فاعتقت سالما سائبه، فولى سالم أبا حذيفة فتبناه ابو حذيفة.

والمقداد بن الأسود، هو المقداد بن عمرو بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، ولكنه كان حالف الأسود بن عبد يغوث الزهري

في الجاهلية فتبناه، وكان يقال له المقداد بن الأسود، فلما نزلت: ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ الحق بابيه عمرو.

وذو الشمالين، وقد يقال له ذو اليمين، لأنه كان- فيما ذكر- اضبط يعمل يديه جميعا وان اسمه عمير بن عبد عمرو بن نضله بن عمرو

بن غبشان، من خزاعة، وقتل يوم بدر شهيدا مع من قتل من المسلمين، واما الآخر منهما فان اسمه الخرباق، عاش بعد رسول الله ص

زمانا وروى عن رسول الله احاديث

ذكر أسماء من شهر بالكنية من التابعين

وسهيل بن بيضاء، يعرف بالنسبه الى البيضاء، والبيضاء أمه، وهي دعد بنت جحدم بن عمرو، وانما هو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال من بنى الحارث بن فهر، واخوه صفوان بن بيضاء.

وحذيفة بن اليمان نسب الى جد ابي جده، وانما هو حذيفة بن حسيل بن جابر بن ربيعة بن عمرو بن جروه بن الحارث بن قطيعة بن

عبس بن بغيض، وجروه بن الحارث هو اليمان الذي ولده حذيفة، وقيل لجروه اليمان لأنه كان أصاب في قومه دما، فهرب فلتحق بالمدينة فخالف بنى عبد الاشهل، فسماه قومه اليمان لمخالفته اليمانية.

ويعل بن سيابة، وسيابة أمه، وأبوه مره، وهو يعلى بن مره.

ويعل بن منيه، ومنيه أمه، وأبوه اميه وهو يعلى بن اميه.

ونابغه بن جعدة الشاعر عرف بلقبه، واسمه قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة ابن جعدة.

والاشعث بن قيس بن معديكرب، والاشعث لقب عرف به، واسمه الذي هو اسمه معديكرب، ولكنه قيل له اشعث لأنه كان ابدًا- فيما ذكر- اشعث الراس فللقب به.

وتميم الداري، يعرف بالنسب الى الدار بن هاني، وهم من نخم، وهو تميم ابن أوس بن خارجة الداري.

والهلب بن يزيد الطائي، عرف بلقبه واسمه سلامه وهو ابو قبيصة بن، هلب، وانما قيل له هلب لأنه كان اقرع، فلما قدم على رسول الله ص فاسلم ذكر ان رسول الله ص مسح يده على راسه فنبت شعر راسه فسمى هلبا بهلب شعره.

. ذكر أسماء من شهر بالكنية من التابعين

منهم ابو امامه بن سهيل بن حنيف، اسمه اسعد ذكر ان رسول الله ص هو الذي سماه بذلك وكناه بكنيته، وذلك ان أم ابى امامه حبيبه بنت ابى امامه اسعد بن زرار بن عدس نقيب بنى النجار، فلما ولدت حبيبه أبا امامه بن سهل سمي باسم أبيها، وكنى بكنيته.

وابو سعيد المقبري، وهو ابو سعيد بن ابى سعيد المقبري اسمه كيسان مولى لبني جندع من بنى ليث بن بكر.

وابو جعفر القارئ واسمه يزيد بن القعقاع مولى ابن عياش.

وابو ميمونه مولى أم سلمه زوج النبي ص وكان قارئ اهل المدينة في زمانه وعليه قرأ نافع بن ابى نعيم.

وابو صالح السمان وهو الزيات مولى غطفان، ويقال: جويرية امراه من قيس، وهو ابو سهيل، اسمه ذكوان.

وابو صالح بازام مولى أم هاني بنت ابى طالب وهو الذى روى عنه الكلبي واسماعيل بن ابى خالد.

وابو صالح سميع روى عن ابن عباس.

وابو صالح مولى السفاح اسمه عبيد روى عنه بسر بن سعيد.

وابو صالح الحنفي اسمه عبد الرحمن بن قيس أخو طليق بن قيس الحنفي، وقال يحيى: اسمه ماهان.

وابو صالح الغفاري.

وابو صالح ميسره.

وابو صالح الذى روى عنه اهل فلسطين، رديح.

وابو صالح الذى روى عنه يحيى بن ابى كثير قيلوه.

وابو صالح الذى روى عنه التيمي وخالد الحذاء ميزان.

وابو صالح مولى عثمان بن عفان، اسمه بركان.

وابو وائل، اسمه شقيق بن سلمه الأسدي.

وابو عمرو الشيباني، اسمه سعد بن اياس.

وابو عبد الرحمن السلمي، اسمه عبد الله بن حبيب.

وابو فاخته سعيد بن علاقة.

وابو الشعثاء المحاربي، اسمه سليم بن الأسود.

وابو عبد الله الجدلي، اسمه عبده بن عبد بن عبد الله.

وابو برده بن ابى موسى، اسمه عامر بن عبد الله بن قيس.

وابو عثمان النهدي، اسمه عبد الرحمن بن مل.

وابو الأسود الديلي، اسمه ظالم بن عمرو.

وابو العاليه الرياحي اسمه رفيع.

وابو اميه مولى عمر بن الخطاب اسمه عبد الرحمن وهو جد مبارك بن فضالة ابن ابى اميه وابو رجاء العطاردي، اسمه عمران بن تيم، وقال بعضهم: عمران بن ملحان.

وابو المتوكل الناجي، اسمه علي بن دواد.

وابو الصديق الناجي، اسمه بكر بن عمرو.

وابو الزنباغ اسمه صدقه بن صالح.

وذكر عن العلاءي عن يحيى بن معين انه قال: ابو أيوب العتكي، اسمه يحيى ابن المنذر.

ابو العاليه البراء اسمه زياد بن فيروز.

ابو عمران الجوني اسمه عبد الملك بن حبيب الأزدي.
 ابو مسلم الخولاني اسمه عبد الله بن ثوب ابو الزاهرية الحضرمي، اسمه حدير بن كريب وقيل: انه حميري.
 ابو جعفر المدائني اسمه عبد الله بن المسور بن محمد بن جعفر بن ابي طالب.
 ابو حازم الذي روى عنه اسماعيل بن ابي خالد بن ابي خالد نبتل.
 ابو الحويرث عبد الرحمن بن معاوية.
 ابو حازم الاشجعي سلمان.
 ابو الشعثاء جابر بن زيد.
 ابو الشعثاء الذي يروي عنه حميد الطويل مولى عمر بن عبد العزيز فيروز.
 ابو حمزه صاحب ابن عباس عمران بن عطاء.
 ابو جعفر البجلي الذي حدث عنه معتمر بن سليمان هو موسى بن المسيب.
 ابو بلج يحيى بن سليم، وقيل: يحيى بن ابي سليم، وقيل، يحيى بن ابي الأسود.
 ابو العذافر داود بن دينار.
 ذكر عن ابن المثنى انه قال: اسم ابي ليلى ابو عبد الرحمن بن ابي ليلى داود
 ابو أيوب الذي حدث عنه قتادة، يحيى بن أيوب.
 ابو خبطه الذي روى عنه مالك بن مغول حكيم الخذاء.
 ابو سفيان صاحب جابر، طلحه بن نافع.
 ابو سفيان الذي حدث عنه ابو معاوية وحفص بن غياث، طريف السعدي.
 ابو حيان الاشجعي، اسمه منذر.
 ابو حذيفة سلمه بن صبيب، هو الذي يروي عنه علي بن الاقر.
 ابو بسطام الذي روى عنه الفزاري، يحيى بن عبد الرحمن التميمي.
 ابو مريم عبد الغفار بن القاسم.
 ابو المعلی العطار اسمه يحيى بن ميمون.
 ابو بكر الهذلي سلمى بن عبد الله بن سلمى.
 ابو بكار الحكم بن فروخ الغزال.
 ابو التياح يزيد بن حميد.
 ابو هلال الراسي محمد بن سليم.
 ابو المعلی زيد بن مره.
 ابو حمزه السكري محمد بن ميمون.
 ابو إسحاق الصائغ هو ابراهيم بن ميمون.
 ابو سنان الرازي سعيد بن سنان.
 ابو سلام الحنفي عبد الملك بن سلام المدائني.
 ابو الأزهر الشامي فروه بن المغيرة.
 ابو حمزه الذي حدث عنه الاغمش سعد بن عبيده.
 ابو كثير الزبيدي عبد الله بن مالك.
 ابو هلال الطائي يحيى بن حيان.
 ابو خالد الوالي هرمز.
 ابو معاوية البجلي عمار الدهني.
 ابو المعتمر يزيد بن طهمان.
 ابو الهياج الذي روى عنه الشعبي وسعيد بن جبير، عمرو بن مالك الأزدي

ذكر من انتهت إلينا كنيته ممن شهر بالاسم دون الكنية من التابعين

ابو مريم الأسدي الذي روى عنه اشعث بن ابي الشعثاء، اسمه عبد الله ابن زياد.
ابو ادريس الذي يروى عن المسيب بن نجبه، اسمه سود.
ابو الهيثم صاحب القصب، اسمه عمار

ذكر من انتهت إلينا كنيته ممن شهر بالاسم دون الكنية من التابعين

عبد الرحمن بن الحارث بن هشام كان يكنى أبا محمد.
محمد بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، يكنى أبا حمزه بابنه حمزه.
عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، يكنى أبا محمد وهو الملقب بيه.
مروان بن الحكم يكنى أبا عبد الملك محمد بن طلحه بن عبيد الله يكنى أبا سليمان بابنه سليمان.
عبد الله بن عتبة بن مسعود، يكنى أبا عبد الرحمن.
محمد بن الاشعث بن قيس، يكنى أبا القاسم.
عماره بن خزيمة بن ثابت، يكنى أبا محمد.
محمد بن ابي بن كعب، يكنى أبا معاذ.
سعيد بن المسيب ابو محمد.
المهلب بن ابي صفرة، يكنى أبا سعيد.
زراره بن اوفى الحرشي يكنى أبا حاجب.
يزيد بن عبد الله بن الشخير، يكنى أبا العلاء.
جاريه بن قدامه السعدي سعد تميم، يكنى أبا أيوب.
الحسن بن ابي الحسن البصري واسم ابي الحسن يسار، يكنى أبا سعيد.
جابر بن زيد ابو الشعثاء الأزدي.
عقبة بن عبد الغافر، يكنى أبا نهار الأزدي.
قتادة بن دعامة السدوسي، يكنى أبا الخطاب.
ثابت البناني، يكنى أبا محمد، وهو ثابت بن اسلم.
كعب بن ماته وهو كعب الاحبار، يكنى أبا إسحاق من حمير.
عطاء بن يسار مولى ميمونه زوج النبي ص يكنى أبا محمد.
قبيصة بن ذؤيب يكنى أبا إسحاق وقيل ابو سعيد.
عروه بن الزبير يكنى أبا عبد الله.
واخوه لأبيه وأمه المنذر بن الزبير يكنى أبا عثمان.
مصعب بن الزبير يكنى أبا عبد الله.
محمد بن جبير بن مطعم يكنى أبا سعيد.
عبد الملك بن مروان يكنى أبا الوليد.
عبد العزيز بن مروان يكنى أبا الأصم.
اياس بن سلمه بن الاكوع يكنى أبا سلمه.
رفاعة بن رافع بن خديج يكنى أبا خديج.
عبد الرحمن بن ابي سعيد الخدري قال الواقدي يكنى أبا محمد، وقال عبد الله ابن محمد بن عماره: يكنى أبا حفص.

حمزة بن ابي اسيد الساعدي يكنى أبا مالك المنذر بن ابي اسيد الساعدي يكنى أبا سعيد.
سعيد بن يسار ابو الحباب مولى الحسن بن علي ع.
سلمان الأغر ابو عبد الله.

عكرمه مولى ابن عباس يكنى أبا عبد الله.
شعبة مولى عبد الله بن عباس يكنى أبا عبد الله.
مقسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وينسب ولاؤه الى ابن عباس للزومه كان اياه، يكنى أبا القاسم.
ونبهان مولى أم سلمه، يكنى أبا يحيى.
وناعم بن اجيل مولى أم سلمه، يكنى أبا قدامه.
وسويد بن غفله ابو اميه.
وعبد الرحمن بن ابي ليلي، يكنى أبا عيسى.
وزر بن حبیش يكنى أبا مريم.
وشريح القاضي، وهو شريح بن الحارث بن قيس يكنى أبا اميه.
والربيع بن خثيم ابو يزيد.
وصله بن زفر العبدى ابو العلاء.
وشبث بن ربعي، يكنى أبا عبد القدوس.
وعبد خير بن يزيد الخيواني، يكنى أبا عماره.
وعطاء بن ابي رباح يكنى أبا محمد.
ورجاء بن حيوه، يكنى أبا نصر.
وميمون بن مهران، يكنى أبا أيوب.
ومشرح بن عاهان ابو مصعب.
ووهب بن منبه، يكنى أبا عبد الله.
واخوه همام بن منبه يكنى أبا عتبة.
ومعقل بن منبه أخوهما، يكنى أبا عقيل.
وعلى بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، يكنى أبا محمد بابنه محمد.
والحسن بن محمد بن الحنفية يكنى أبا محمد.
ونافع مولى ابن عمر، يكنى أبا عبد الله.
والضحاك بن مزاحم، يكنى أبا القاسم.
ونوف البكالي نوف بن فضالة، يكنى أبا يزيد، وقيل: أبا الرشيد.
وسعيد بن ابي عروبة، يكنى أبا النضر، واسم ابي عروبة مهران.
واسماعيل بن ابراهيم بن عليه، يكنى أبا بشر.
والمعتمر بن سليمان التيمي، يكنى أبا محمد.
ومعاذ بن معاذ، يكنى أبا المثني.
وهوذة بن خليفة، يكنى أبا الاشهب.
وعباد بن صهيب الكلبي يكنى أبا بكر.
ومسدد بن مسرهد يكنى أبا الحسن.
وعمرو بن مره ابو عبد الله.
وعمرو بن دينار ابو محمد الأثرم مولى باذام، او باذان عامل كسرى على اليمن.

وسليمان بن ارقم ابو معاذ.
 ويزيد بن ابي زياد يكنى أبا عبد الله.
 ابو إسحاق السبيعي في قول يحيى هو عمرو، وأبوه ابو عمرو.
 والمعمر بن سويد ابو اميه.
 وقيس بن ابي حازم ابو عبد الله.
 وسيار بن ابي سيار الذي روى عن قيس بن ابي حازم، يكنى أبا حمزه.
 وعبيد الله بن الاخنس يكنى أبا مالك.
 وحبيب بن ابي ثابت يكنى أبا يحيى.
 ويزيد بن كيسان ابو منير.
 وجبله بن سحيم ابو سويره.
 واسماعيل بن ابي خالد ابو عبد الله.
 ويزيد الفقير ابو عثمان.
 والوليد بن مسلم الذي حدث عنه خالد الحذاء ابو بشر وداود بن ابي هند ابو بكر.
 وجعفر بن ميمون ابو العوام.
 عاصم المجذري ابو المجشر.
 وإياس بن معاويه ابو واثله.
 وابو القموص زيد بن علي.
 وعمرو بن شعيب، يكنى أبا ابراهيم.
 وعطاء بن السائب، يكنى أبا زيد.
 وهارون بن عنتره ابو عمرو.
 ومسعر ابو سلته.
 والأسود بن قيس ابو قيس.
 وحفص بن غياث ابو عمر.
 وعمران بن عيينه ابو محمد.
 والنضر بن ابي مريم ابو لبيد كوفي وأبوه ابو مريم اسمه طهمان.
 وعبيد بن نضيله ابو معاويه.
 وداود بن ابي هند يكنى أبا بكر واسم ابيه ابي هند، دينار.
 وعاصم بن سليمان الأحول يكنى أبا عبد الرحمن مولى لبني تميم.
 والنهاس بن قهم يكنى أبا الخطاب.
 وحيوه بن شريح يكنى أبا يزيد التجيبي.
 وثور بن يزيد يكنى أبا خالد.
 والليث بن سعد يكنى أبا الحارث.
 ورشدين بن سعد، يكنى أبا الحجاج.
 وعيسى بن يونس بن ابي إسحاق السبيعي، يكنى أبا عمرو.
 ومحمد بن يوسف الفريابي، يكنى أبا عبد الله.
 وآدم بن ابي اياس، يكنى أبا الحسن.
 وعبد الحميد بن عبد العزيز بن ابي رواد، يكنى أبا عبد الحميد.
 وسفيان بن عيينه يكنى أبا محمد.
 والفضيل بن عياض، يكنى أبا علي.

وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة، يكنى أبا جعفر.
وحسين بن زيد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب، يكنى أبا عبد الله.
وهلال بن خباب، يكنى أبا العلاء.
والحسن بن قتيبة أبو علي.
وعباد بن المهلب، يكنى أبا معاوية.
وفرّج بن فضالة، يكنى أبا فضالة.
واسماعيل بن جعفر بن أبي كثير المدني، يكنى أبا إبراهيم.
ومحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، يكنى أبا عبد الله.
وعلى بن الجعد يكنى أبا الحسن.
وسرج بن النعمان صاحب اللؤلؤ، يكنى أبا الحسين.
وبشر بن الحارث العابد، يكنى أبا نصر.

ذكر كنى من شهر بالاسم من الخالفين دون الكنية

والهيثم بن خارجة، يكنى أبا أحمد.
ويحيى بن يوسف الزمى، يكنى أبا زكرياء.
وخلف بن هشام يكنى أبا محمد.
وسليمان بن مهران الأعمش، يكنى أبا محمد.
واسماعيل بن أبي خالد، يكنى أبا عبد الله.
ومجالد بن سعيد، يكنى أبا عثمان، وليث بن أبي سليم، يكنى أبا بكر.
• ذكر كنى من شهر بالاسم من الخالفين دون الكنية
منهم عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، يكنى أبا حفص.
حمزة بن عبد الله بن الزبير، يكنى أبا عماره بانه عماره.
عامر بن عبد الله بن الزبير، يكنى أبا الحارث.
محمد بن كعب القرظي، يكنى أبا حمزه.
يعقوب بن أبي سلمه مولى آل المنكدر من تيم بن مره يكنى أبا يوسف وهو الماجشون وبه سمى اخوه وولده الماجشون، واسم أبي سلمه
أبيه دينار.
ومحمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب، يكنى أبا بكر.
واخوه عبد الله بن مسلم، يكنى أبا محمد.
ومحمد بن المنكدر، يكنى أبا عبد الله.
واسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص، يكنى أبا محمد.
وعبد الله بن عروه بن الزبير بن العوام، يكنى أبا بكر.
ويحيى بن عروه بن الزبير، يكنى أبا عروه.
وهشام بن عروه بن الزبير، يكنى أبا المنذر.
وعبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب ع، يكنى أبا محمد.
وعبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب، يكنى أبا محمد.

وعباية بن رفاعه بن رافع بن خديج، يكنى أبا رفاعه
 وبكير بن عبد الله بن الأشج مولى المسور بن مخرمه، يكنى أبا عبد الله.
 واخوه يعقوب بن عبد الله بن الأشج، يكنى أبا يوسف.
 ووهب بن كيسان، يكنى أبا نعيم مولى عبد الله بن الزبير.
 وزيد بن اسلم يكنى أبا اسامه.
 واخوه خالد بن اسلم، يكنى أبا تور.
 وداود بن الحصين مولى عمرو بن عثمان بن عفان يكنى أبا سليمان.
 وربيعه بن ابي عبد الرحمن واسم ابيه ابي عبد الرحمن فروخ وكنيه ربيعته ابو عثمان.
 وصفوان بن سليم، يكنى أبا عبد الله.
 وصالح بن كيسان، يكنى أبا محمد.
 ومحمد بن ابي حرملة يكنى أبا عبد الله مولى لبنى عامر بن لؤي.
 ويحيى بن سعيد الأنصاري، يكنى أبا يزيد.
 وموسى بن عقبه يكنى أبا محمد.
 واسيد بن ابي اسيد مولى ابي قتادة الأنصاري، ويكنى أبا ابراهيم.
 وصالح بن محمد بن زائده الليثي من انفسهم، يكنى أبا واقد.
 وعبد الرحمن بن حرملة الأسلمي، يكنى أبا حرملة.
 وإسحاق بن عبد الله بن ابي فروه يكنى أبا سليمان وقيل ان أبا فروه هذا اسمه اسود بن عمرو، واخوه عبد الحكيم بن عبد الله بن ابي
 فروه يكنى أبا عبد الله.
 وعمرو بن ابي عمرو مولى المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومي، يكنى أبا عثمان، واسم ابيه ابي عمرو ميسره.
 والمهاجر بن يزيد مولى ابي ذئب العامري، يكنى أبا عبد الله.
 وبكير بن مسمار يكنى أبا محمد.
 وعبد الله يزيد بن قنطش الهذلي يكنى أبا يزيد، روى عن انس بن مالك وابن المسيب